العربي

العدد ١٥٩
ذو الحجة ١٣٩١
فبراير
(شباط) ١٩٧٢



فتاة من بلاد المهرة .. تلك الارض المجهولة في وطننا العر

التمن

الكويت	[illegible]	العراق	[illegible]	السودان
الخليج العربي	[illegible]	لبنان	[illegible]	ليبيا
السعودية	[illegible]	الاردن	[illegible]	تونس
البحرين	[illegible]	سورية	[illegible]	الجزائر

جوائز
١٢٠٠
نار سنويا





اناءان جميلان يمثلان الفنون الصغرى الاسلامية كما كانت في الرقة بسوريا أيام الأمويين .

أما المزهر فيغلب عليه الطابع السورى سواء في زخرفته الهندسية او في شكله الكمثرى ، وكان شائعا في سوريا .

واما الابريق فيتجلى فيه الطابع الفارسي . ويصدق ذلك على شكله، وبخاصة على زخرفته المزهرة أرابسك .

وقد شاع هذا الطابع الفارسي في سوريا بعد سنة ١٢٢٠ م ، حينما دمّر المغول مدينة الريّ وفرّ فنانوها ولجأوا الى سوريا .

والاناءان موجودان حاليا في متحف (المترو بولتيان) في نيويورك .

انظر صفحة (١٣٢)

عزيزي القارئ

● الالتزام فى السياسة ، او ان شئت فعدم الالتزام ، كان مبدا تلتزم به الامم دائما عندما تعلن عن سياستها،لا سيما امم آسيا وافريقيا .

والالتزام ، أن تلتزم أمة بالدوران فى الفلك الذى تدور فيه أمة من الأمم الكبرى ، مثل الولايات المتحدة أو روسيا.فان شرقت الامة الكبرى الرائدة شرقت الصغرى معها . وان غربت ، غربت الصغرى معها .

ومن الامم الملتزمة كانت تركيا وايران وباكستان ، وهى جميعا اعضاء فى المعاهدة المشهورة بالمركزية،والتزامها للولايات المتحدة وبريطانيا وحلفاء الغرب . والهدف من الحلف حصر الاتحاد السوفييتى فى مكانه من اوروبا وآسيا فلا يخرج عنه ابدا .

ومن الامم غير الملتزمة الهند ، ومعها من نعرف من امم عدد الرمل ، وامم عربية . وكانت الهند هى القائدة فى ذلك والرائدة .

وانظر ايها القارىء اليوم ما دهى الكون !؟

● **الهند ترتبط فجاة بمعاهدة مع روسيا وتحارب باكستان .**

● **وباكستان تنظر الى أمريكا نظرات تطلب العون ، والى بريطانيا ، والى أهل الغرب جميعا ، فلم يستجب لها أحد .**

وظهر أن الالتزام الذى كان ، انما كان التزاما منها لأمريكا وبريطانيا والغرب ، وانه كان من جانب واحد ، فليس على أمريكا ولا انجلترا ولا الغرب عندما تنزل بباكستان النوازل من التزام .

الالتزام اذن مهزلة كانت ، ثم استبانت . وكذلك عدم الالتزام

ولقد علمتنا الأحداث الحديثة أن الدنيا بيع وشراء ، وأن الأسعار هي أسعار بورصة اليوم ، لا أسعار الأمس ولا أسعار الغد .

المحـرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

اسلاميات :

لغة وادب :

استطلاعات مصورة :

طب وعلوم :

عروبة :

اجتماع :

فن حياة :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 159 February 1972 P. O. B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير

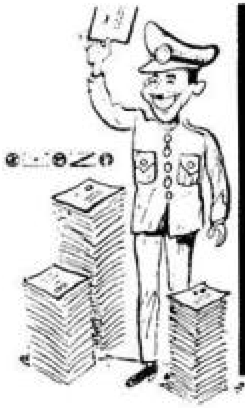


صورة الغلاف :

بلاد المهرة .. هذا العالم المجهول في وطننا العربي ، نقدمه لك لاول مرة في هذا العدد .. وهذه احدى بنات المهرة : سلمى احمد سعيد العدل بكامل زينتها .. متحلية بذهب وفضة وزنهما ٦ ارطال ، وواضعة الكشميم في طرق انفها ، وقد كحلت عينيها ووصلت ما بين حاجبيها ، ووشمت ذقنها ويديها .. فهي عروس وهذه حليها وزينتها .. (انظر الاستطلاع ابتداء من صفحة ٩٢)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطري . البحرين ٢٠٠ فلس بحريني. العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش. تونس ٢٠٠ مليم. الجزائر ٢ دينار جزائري. المغرب ٢ درهم. اليمن ٢ر٥ ريال. ليبيا ١٥٠ درهما. جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس.

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



بريد القراء

مكافأة تنتظر صاحبها

● درجت « العربى » على أن تدفع مكافآت على ما تنشر من مقالات ، وجريا على ذلك فقد ارسلت مكافأة للسيد الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى على عنوانه (جامعة دمشق ـ كلية الشريعة) ولكننا فوجئنا برجوع الخطاب والشيك المرفق بقيمة المكافأة ، لذا نرجو أن يوافينا الدكتور الفاضل بعنوانه الجديد حتى يتسنى لنا ارسال المكافأة له ثانية .

« العربى »

قدموا الوجه المشرق من وطننا العربى

● مجلتى « العربى » بموادها الممتعة الشيقة، لماذا تهتم بالوجه المظلم من وطننا العربى دون الوجه المشرق فيه . لقد لاحظنا في الفترة الاخيرةان استطلاعاتكم المصورة يجرى اغلبها في المناطق البدائية والمتخلفة من الوطن العربى ، لماذا ؟ أليس أجدر بكم أن تتجهوا الى النشاطات الثقافية والحضارية والعمرانية التى تمتلىء بها بلادنا والتى نريد لها النمو والازدهار .

اسحق سعودى . الحسكة ـ سورية

مع الله في السماء

● كنت اسمع بهذا الكتاب الذى الفه الدكتوراحمد زكي منذ بداية مطالعتي لمجلة العربي الغراء، وقد كنت اتمنى ان احصل عليه او اطالعه وذلك لاضعف الايمان . وقد تحققت امنيتي عندما نشرت المكتبة في مدرستنا هذا العام قائمة باسماء الكتب التي تحويها فكان من ضمنها كتاب : مع الله .. في السماء ، وقد فرحت فرحا شديدا وذهبت لاستعيره ، ولكنه كان معارا وانتظرت فترة من الزمن فعاودت الكرة ثانية فوجدته ثم اخذته لاطالعه في فترة اسبوع (هذه فترة محددة تمنح فيها المكتبة كتابا واحدا لكل طالب يرغب في المطالعة) .

وقد قرأته وتمعنته فالفيته كتابا رائعا مفيدا منيرا الطريق امام الشباب العربي وقد رايت ان اتقدم باقتراح الى هيئة تحرير مجلة العربي وهو ان تقدم المجلة الى قرائها المتلهفين الى مطالعتها كتاب : مع الله في السماء هدية مع العدد الممتاز ١٧٠ الذى سيصدر عام ١٩٧٣ ان شاء الله فهذا الكتاب جدير بالاقتناء وبانتحويه مكتبة كل منزل.

ياسين حمد الحسن . الميادين / سوريا

★ ★ ★

يقترح الغاء هدية العربى

● اننى اقترح عليكم واتوسل اليكم ان تلغوا هدية العربى ، فهى دائما تتسبب في عدم حصولنا على العدد الممتاز من مجلتنا فيخفى باعة الصحف الهدية والمجلة ، وتباع المجلة باضعاف ثمنها ، وتباع الهدية منفصلة فيختفى العدد الممتاز بسرعة البرق ، ونظلم نحن بسبب الهدية .

ارجو ان تحذفوا الهدية ، وتتركوا لنا مجلتنا حتى نستطيع الحصول عليها في سهولة ويسر .

سامح محمد اسماعيل لطف الله
جمهورية مصر العربية

★ ★ ★

استطلعوا جبل العرب

● ارجو ان كان بالامكان ان تقدموا استطلاعا لمحافظة السويداء (جبل العرب) في الجمهورية العربية السورية اسوة بغيرها مما قدم حتى الان لقراء مجلة العربي الغراء ، يكشف عن نهضتها العمرانية وآثارها الخالدة والاوضاع الاجتماعية والثقافية في تلك المحافظة الباسلة التى اشتهرت بماض مجيد في محاربة الاستعمار والصهيونية وما زالت الى الآن تقدم العديد من الشهداء الابرار .

فارس ابو اسماعيل ـ من جبل العرب
الجمهورية العربية السورية

وليمــة علميــة

● لاحظت في الاعداد التي صدرت خلال الصيف الماضي من العربي ، انكم اكتفيتم بتقديم « صور يستفاد منها عبر » ، بدلا من الباب الذى ظل يطالعنا في كل عدد تحت عنوان « في سبيل موسوعة علمية » . ولا شك انها كانت صورا جميلة وعبرا مفيدة ، ونحن نرجو ان تقدموا لنا منها المزيد ، ولكنها على روعتها ، لم تغن من جوع، ولم تشبع، ثم طلع علينا عدد ديسمبر ١٩٧١ ، فقدم لنا « وليمة » في موضوع « الارض بين التسطح والتكور » ، نرجو ان تنصب هذه الوليمة كل شهر ، فلا يخلو منها عدد .

محمود عبد الهادى ـ السعودية

يدعو لاستطلاع الازهر الشريف

● لقد نوهت الى سيادتكم بشان الازهر ، وما يكنه له المسلمون في المشارق والمغارب من مشاعر ، واليوم ، تقترب ساعة من أخلد الساعات تذكر بماض تالد وحاضر نحياه ، تشبه الساعة الاولى في رونق بهائها واشعاع شمسها وصفاء نفسها ، يوم أن تأتي الساعة يكون اعلان مرور الف عام على الجامع الازهر الشريف وجامعته (٣٦١ ـ ١٣٩١ هـ ، ٩٧٢ ـ ١٩٧٢ م) التي لازمته حتى اليوم .

انها لمفخرة اسلامية كبرى ، تستحق من العربي استطلاعا شاملا جامعا .

الحسن محمد السباعي/طب الازهر

تصــويب

● تحية واحتراما وبعد ، فقد حدث خطا من الضارب على الالة الكاتبة في مقال الدكتور السيد ابو النجا صفحة (٧) فجاء تحت عنوان « التكامل مبدأ حسابي » ان المتوسط السنوى لانتاج القمح يعادل ٢٥٪ والصحيح ٢ر٥٪ فلزم التنويه .

مكتب الدكتور السيد ابو النجا

(البقية على صفحة ١٣٨)

مولد علي بن ابي طالب

● تحية قارىء وسلام محب مخلص ، بعد ان اسعدت بحصولي على مجلة العربي الرائدة التى لا يحوزها الا من كان له حظ عظيم في النجف الاشرف . اطلعت على خطا اظنه لايتعدى ان يكون مطبعيا وهو في صفحة (٥١) ذكرتم في السؤال الثاني بعض الوقائع في شهر رمضان الكريم منها مولد الامام علي كرم الله وجهه وكان ذلك في ٢٢ رمضان .

والصواب هو ان مولده كان يوم الجمعة ١٣ رجب . وان وفاته (ع) كانت في اخريات ليلة الاثنين ٢١ من شهر رمضان المبارك .. فارجو التنبيه الى هذا الخطا المطبعي .

فاضل السهلاني / العراق

العربي : اختلف المؤرخون في يوم ميلاد الامام علي كرم الله وجهه ، وقد ذكر في أعيان الشيعة بعض هذا الاختلاف ، فنقل انه ولد في ١٣ رجب وقيل في ٢٣ رجب ، وقيل في سابع شعبان ، اما مقتله كرم الله وجهه ففي الاصابة وطبقات ابن سعد أنه ضرب في ١٧ رمضان وتوفي في ١٩ رمضان وفي مقاتل الطالبيين انه توفي لاحدى وعشرين ليلة مضت من شهر رمضان .

حَديثُ الشهر

مَصادِرُ السّلوكِ الإنسَانِيِّ ثلاثةٌ :

• الغرائِزُ

• فالعَادَاتُ والتّقالِيدُ

• ثُمَّ ... الضَّمائِرُ



وجرت بهم في حديقة الدار الأحاديث

بقلم رئيس التحرير

الكِذبةُ البَيْضاءُ وَما إليهَا مِنْ أكاذيبَ ذاتِ ألوانٍ

■ كنا فى زيارة للفازى محمود ، فى منزله بضاحية العاصمة . وكان الفصل صيفا ، والنهار مساء ، قد قارب على انتهاء .

وبينا نحن فى حديقة الدار تجرى بيننا الاحاديث على غير نحو مرسوم ، اذا بالخادم يجيء ويقول لصاحب الدار ان التلفون دق ، وان فلانا يسال عنه ، حتى اذا كان الفازى فى البيت ، جاءه على التو يزوره . فقال الفازى للخادم : قل للشيخ علي اني تركت المنزل منذ دقيقتين قاصدا الى المدينة وانك لم تستطع ان تلحق بي لتخبرني بمجيئه .

قال الفازى هذا على مسمع منا جميعا ، وفى غير حرج . قال انه ترك المنزل وهو بيننا ، ولم يكن فى نيته من مغادرة البيت شيء . وكيف يغادره وقد كنا على موعد لقضاء الأمسية معه .

نظر بعضنا الى بعض ، والى الفازى ، وابتسمنا .

قال الفازى : اني ما اردت ان اجمع بين الشيخ علي وبينك يا منصور بك ، فاجمع بين الزيت والنار . النقاش بينكما ، فى اى امر ، على شيء من الهدوء ، مطلب عسير . فكذبناها كذبة بيضاء ندفع بها من السوء الشيء الكثير .

قال الشيخ متولي يسال الفازى : هذه هى الكذبة البيضاء ، فما الكذبة السوداء ؟

قال الفازى : ان تكون من مستاجرى ارضي ، وتجمع الحصاد ، وتبيع من التمر ما تبيع ، وتلقاني ، واسالك عن الايجار ، فتقول لي انك فى حرج من ضيق ، وفى جيبك حشوه من مال وفير . .

فسارع الشيخ متولي يقول : لا والله ياسيدى ، اني دفعت لك . .

فقاطعه الفازى : اين ذهبت يا شيخ متولي . انما ضربت بك مثلا للتمثيل فحسب ، فالشيخ متولي جاز ان يكون عبد الهادى او عبد الستار .

وعندئذ ارتسمت ابتسامة مرئية ، غير مسموعة ، على افواه الحاضرين . وساد شيء من السكون .

قطع صمته منصور بك ، قال : عرفنا الكذبة بيضاء ، وعرفنا الكذبة سوداء ، ولكن هناك ايضا الكذبة التي لا لون لها .

فسال عثمان بك : فما تلك ؟

قال منصور بك : انت تلقانى فى الصباح كل يوم ، وفى كل صباح تسالني كيف الحال . وفى كل صباح اجيبك بان الحال عال والحمد لله . ولا يمكن ان يكون الحال كل صباح عالا . وانت تعلم انه لا يمكن ان يكون كل صباح عالا . وانا اعلم انه لا يمكن ان يكون كل صباح عالا . فهذه كذبة نأتيها جميعا باتفاق عام ، ما كذبتك بها وما كذبتني . فهذه هى الكذبة التى لا لون لها .

قال عثمان بك : ولكنك حمدت الله مع حمدك الصباح ، فكذبت على الله .

قال منصور بك : حمدته ، لأنه الله الذي لا يُحمَد على مكروه سواه ..

وساد صمت برهة أو برهتين .

فقطع الغازي الصمت يقول : جعلتم الكذب ابيض واسود ، فمن يدرى كم يبتدع المبتدعون فى الغد للكذب من الوان .

قال منصور بك : نعم . والكذب الوان حقا ، فهو احمر واخضر واصفر ، وبالوان الطيف جميعها .

فحدّق فيه الجميع ، وفى عيونهم وهج الفكاهة .

قال منصور بك : انظروا فى هذه الاسئلة ما يكون جوابها ، صدقا هو ام كذبا ، ام هو بين هذا وذاك الوانا متعددة .

زوج يسأل زوجته عن هدية اهداها اياها ، كيف وجدتها . فكيف تقول .

عروس تسأل عريسها عن أول طعام صنعته خصيصا له ، كيف وجده .

زائر زارك فى المساء ، وحتى انتصف الليل ، ثم ذكر وهو يغادر بيتك انه ربما اثقل عليك . فاى شيء تجيب ؟

صديق اهداك اول كتاب ألفه ، ثم سالك رايك فيه بعد ايام . فاى راى انت قائله ؟

اهداها زوجها عقدا ، وسالها رايها فيه . فهل لديها غير جواب واحد : انه جميل فوق كل جمال .





اقبل عليه جند الأعداء يسالونه وهو خارج من بيته ، هل في البيت احد ؟ فلم يكن منه الا ان قال لا احد . وفتح الباب وطلب اليهم التفضل بالدخول . فذهبوا عنه . والبيت ملىء بالصبية والنساء .

ثقيل من الثقلاء وعد ان ينزل عندك بضعة ايام عندما يعود ، وكتب يعتذر عن تاخره ، فباى خطاب انت ملاقيه..

حلاق قص شعرك ، ثم أراك قفاك فى المرآة ، وانتظر رايك ، فاى راى تعطيه .

امثلة فى الحياة لا تعد ، يقف منها الانسان منكرا ، ولا يقول الا حمدا ، او حامدا ، ولا يقول الا منكرا ، وفقا للوضع الذى يكون فيه قائله .

واستطرد منصور بك يقول :

وكذبٌ هو من النوع الذى يفوق ارقى مراتب الصدق ، وله لا بد تكون مضاعفة الأجر : ذلك رجل فى حرب ، خارج من منزله ، وكانه يريد حرث الارض ، ويلقاه عند الباب جماعة من جند الاعداء ، وهم فى ثورة جامحة ، يخرّبون كل ما يجدون . ويسالونه عن البيت ومن فيه ، فيقول كان مليئا ففرغ وذهب اهله . ويضرب الرجل الباب فاتحا اياه داعيا اياهم لدخوله . فينصرفون الى ما هو اسخى واصدق . وما كان فى البيت غير الصبية والصبايا ، وما تخلف من نساء. كذبة جلّت عن ان



تكون بيضاء ، فهي فوق صنوف الصدق جميعها .

واحس منصور بك كانما كسب في النقاش جولة ، فاستطرد يقول :

ـ ثم حدثوني ، رحمكم الله ، من قال ان الصدق فضيلة ، وان الكذب رذيلة . الا ترون معي ، ان اكثر ما يمارس الناس في حياتهم العادية الكذب ، وانهم جميعا يعرفون انه الكذب ، وانه لا يشجب احد منهم احدا في ذلك لانه الكذب . لا بد من الرجوع الى المصادر التي قيمت مسالك الانسان لتعرف منها الحكمة او الحكم التي من اجلها رأى الناس ، او شاع فيهم ، ان هذا المسلك من مسالك الناس فضيلة ، وهذا المسلك من مسالك الناس رذيلة ، فلعلنا نجد ان كثيرا مما يساق على انه رذيلة ، ينفع الناس ، فحق اذن ان يكون فضيلة .

وانتهى منصور بك من حديثه فاتخذ المجلس في الاحاديث مجاري شتى .

وبعد ايام رجعت الى المصادر التي بحثت في اصول مسالك الناس ، واخلاقهم ، وكيف ردّت هذه المسالك والاخلاق الى نشأة الحياة وضرورات العيش ، فجعلت منها المقبول ، وجعلت منها المرفوض ، وجعلت منها ما لا رفض له ولا قبول .

الدِّين باعتباره اصلا للسلوك الانساني

ومن الناس من يسمع هذا الذى اقول فيقع في نفسه على التوان الدين هو اصل الاصول فيما هو فضيلة وما هو رذيلة .

وتسأل اى دين ؟ وهنا تكون الاجابات

وضعت له عروسه اول طعام . وسالته رايه . فهل لديه غير جواب واحد . انه افخر طعام في الدنيا .



بعدد ما يعتنق السامعون من اديان ، كل يرى دينه . مصدرا .

والغريب ان الاديان تتشابه فى هذا . فالخير له فى الناس مفهوم يكاد يكون واحدا ، والشر له مفهوم فى الناس يكاد يكون واحدا ، على اى دين كانوا .

ومن الناس اقوام عاشوا قبل ما عرفنا من الاديان . قبل الاسلام ، والمسيحية ، واليهودية ، والبوذية ، والهندوسية ، والكنفوشية ، وغير هذه . فهؤلاء ما عاشوا فوضى ، بغير نظام وغير قاعدة ، وغير مسالك للعيش سنّوها ، منها الممدوح ومنها المذموم .

على ان الاديان ، تلك التى عرفنا ، حتى السماوية منها ، لم تذكر من مسالك العيش الا جملة صالحة جعلت تفاصيلها للناس . وبقي على الناس بعد ذلك تفصيل ما أجمل . ويتغير العيش ، وتتغير طبائعه ، واذا وجب التغيير فى المفاهيم بما يفي بحاجة العيش الجديد . وقد رأينا فى مسلك معروف مشهور محمود كالصدق ، حسبنا أن لا يختلف فيه اثنان ، كيف اختلف فيه الالف ، وكيف قلب الظرف الطارىء مفهومه الجميل الى شيء ذميم هو الغدر بالاهل ، وقد حضر جند السوء ، باقرو بطون الصبية ، وسارقو عفاف الاطهار ، عند باب الدار ، يسالون عمن فيها ؟

مسالك العيش
جاز ان يهتدي اليها الانسان وحده حتى اذا تخلّف عنه عون السماء

وهذا الامر يرجع بنا الى النظر ، الى ما فى طبيعة البشر من خير ، والى ما فى طبيعتهم من شر . وقد اختلف الفلاسفة فى نظرهم الى الانسان ، ففلاسفة امثال الفيلسوف الانجليزي هبز Hobbes رأى ان الانسان ، على الطبيعة ، انسان اناني ، يرى ان كل شيء فى هذه الدنيا انما هو ملك له ، وليس لاحد غيره نصيب منه . وهو معتد ، فليس بينه وبين صاحبه الانسان الآخر سلام . ليس بينهما هناك الا الحرب ، فالفقر وضياع الجهد . وفلاسفة امثال الفيلسوف الفرنسي روسو Rousseau رأى ان الانسان ، على الطبيعة ، اذا رفعت عنه الاثقال المصطنعة التي تقيد حريته ، فانه يصبح رجلا حرا محبا للسلم ، متعاونا مع الاناسي الذين حوله ، هانئا سعيدا .

صورتان ضدان ، يشجبهما ما عرفنا اليوم من حالة الانسان ، ذلك الذي يعيش بعيدا عن المدينة ، وما عرف قط ما الرسالات السماوية . انه يعيش تحت نظم ليست دائما بسيطة التركيب ، منها المأذون ، ومنها غير المأذون ، اى ما نسميه نحن الحلال ونسميه الحرام . والناظر فى هذه النظم يرى انها على كثرتها تفي بصنف من صنوف العيش هو ذلك القائم فى تلك الفئة البعيدة من الناس او تلك .

وهي نظم قد لا تلبسنا اذا نحن افترضناها للعيش بها . ولكن كذلك لا تلبسهم نظمنا اذا هم افترضوها . واول مثل لذلك العري ، قليلا كان او كثيرا . الظرف القائم هناك يقتضى العري ، من اجل هذا تحولت الطبائع فيهم . فلا يثيرهم من العري ما يثيرنا . وكما الثيران لا يثيرها ، عرايا ، ما يثير الانسان .

الناس رضيت اديانها
بقدر ما عرفت فيها من حسن سلوك

ندرك هذا من قصص القوم الذين دخلوا فى الاسلام ، او فى المسيحية ، او غير ذلك من الاديان . يعرض عليهم الدين ، وينظرون فيما يقدمه لهم الدين من عقائد ، ومن اخلاق ، ومن معاملات بين الناس ، اى مسالك عيش .

وهم يرضون الدين بسبب ما يرضون من هذه الامور .

واذن فهم عارفون ما الاخلاق الطيبة ، وما المسالك الخيرة قبل ان يكون لهم هذا الدين او ذلك . عرفوا ذلك من

حياة الانسان التى سبق ان عاشوها .
وهذا يؤكد قولنا ان الانسان مهتد الى ما تدعو اليه الاديان من مسالك قبل ان تكون الاديان .
انها بذور الخير التى بذرها الرحمن فى قلب الانسان ليتعرف بها الحياة ، ويتعلم خطأها ، ويهديه فى كل ذلك الطبع الخيّر اذا تخلف عن اللحاق به الرسول الهادي .

ومن تلك البذور الذى بذرها الله فى قلب الانسان طبع فيه تملك زمامه، ذلك عيش القطيع The Rerd Instinct ان الانسان لا يمكن ان يعيش وحده . لا بد له من العيش بين اهل جنسه . فلا بد له من الانثى . ولا بد للانثى من الرجل . واذا اجتمعا فلا بد من الولد ، رضيا به او لم يرضيا . وهكذا ينمو « القطيع » بسبب هذا الطبع القوى الأول : غريزة العيش فى القطيع .

والقطيع زحام . ولا زحام بغير نظام . مسالك التخلق ، بعضها الجائز وغير الجائز . بعضها الحلال وبعضها الحرام.

ثلاثة أشياء
ينبني عليها سلوك بني الناس

١ ــ الفرائز البشرية
٢ ــ العادات القومية
٣ ــ ثم الضمائر الانسانية

هكذا يقول اهل الراى . والقارىء لهذه الثلاثة يميل الى ان يعطيها دورا فى تنشئة السلوك الانساني تاريخيا ، بدأ بالغرائز ، ثم ثنى بالعادات والتقاليد ، ثم ثلث بالضمير يتولد فى اعمق طبقات النفس .

ولكن اهل الذكر يقولون ان هذا الترتيب التاريخى لم يقم عليه دليل .

وهم يقولون فوق ذلك انك تبحث عن المسلك الانسانى الواحد ، فى الرجل او الفئة من الرجال ، فلا تدرى ما سبق الى تكوينه،غريزة هي ، ام عادة وتقليد، ام ضمير ، وعندهم ان الثلاثة تفاعلت معا فانتجت ما انتجت من مسالك للسير رضيها الناس .

الغرائز البشرية
فى بناء مسالك العيش للناس

ان قواعد السلوك تنظم اعمال الناس، وهذه القواعد لا بد لها من يصنعها ، او ما يصنعها .

والانسان منا يبدا الحياة ومعه اقوى دوافع الحياة، تلك الفرائز . انها تعلمه، اول معلم ، كيف يصنع فى الحياة . ومن هذه الفرائز غريزة الطعام . ان الطفل يمد الى الطعام يده عندما يجده ، وهو لا يسأل ، كان هذا الطعام له ام لغيره . وهو ، على حياة الطبع الاول ، يحط على الارض ، ولا يخطر فى باله انها أرض جعلت ليحط عليها غيره . وانسان ، على حياة الطبع الاول ، يسير فى الطريق ، اى طريق ، فكل طريق هو طريقه . فان

الانسان في مجتمعه ، كالشياه في قطيعها



منعه مانع قامت الفريزة تجعل هذا المانع من الطريق ، تحمله ان كان حجرا ، او تزيحه بالقوة ان كان انسانا .

مسالك الحياة المطلقة الاولى ، مع الفرائز المطلقة الاولى ، لا ينتج عنها بين الناس غير الصدام ، وغير المجابهة والحرب الدائمة ، ولا حياة الا بالفرائز . واذن وجب ان يكون مع الفرائز في جبلة الناس طبع آخر يأذن لهذه الفرائز ان تكون ولا تتعارض حتى تكون حياة .. اما ذلك الطبع فهو الحس الذى تولد فى الناس مع الفرائز ذلك الحس الذى يحملهم على التجمع . ومن بعد التجمع التزاوج والتعارف . وبعد هذا ، يحيا السلم فى الفئة المتعاونة المتآلفة الواحدة ، وتحيا الحرب بين الفئات جماعة جماعة . فهكذا كانت القبائل . تسطو الواحدة على الاخرى ، وتنجو بالأسلاب فتشبع بها غرائز افرادها. ولكن تتولد في القبيلة الواحدة قواعد للسلوك تكفيها لاجراء الحياة على التعاون فيها .

واى نسق فى السلوك الانساني ، يقوم على الفرائز وحدها ، فى مراتب الحياة الانسانية البدائية الاولى ، لا يحمد ولا يعاب . ذلك انك لا تستطيع ان تذم الجائع الذى يطلب طعاما فلا يجد الا رميك بالنبل اليه سبيلا ، ولا تستطيع ان تذم من رماك بسهم اذا انت قمت تمنع عنه الماء .

ومن السلوك ما تقيم قواعده العادات

منذ ايام ، نظرت من النافذة من حيث نسكن ، ونحن نسكن فى طرف المدينة ، فى صحراء معمورة ، فرأيت جارا لنا بعيدا ، قد خرج من بيته الى ساحة الدور ، وبيده سبت به ورق . واخذ يخرج الورق المستهلك من السبت ويضعه فى برميل طويل اقاموه هناك لاحتواء الزبالة . وكان معه ابنة لها سنتان او ثلاث ، وابن كان له خمسا .

وما رأيا اباهما يصنع ما يصنع حتى هبا يحملان الورق من السبت ويضعانه فى البرميل . ويرتفع حرف البرميل فوق رؤوسهما ، فيطولانه بسواعد ممدودة . وهبت ريح اطارت الورق وهو بين السبت والبرميل . وجرى الأب وراءه يلحقه ويلمه وجرت البنية وجرى الولد .

وظللت اراقبهم فى غبطة ، وانا انما اراقب قوانين للطبيعة تعمل فى انفس واجسام صفيرة ، وهي لا تدرى ما تعمل ، ولا ما يراد بها من وراء كل ذلك .

انه التقليد الذى هو بعض البشر . وكان لون شعر الطفل والطفلة اصفر . وما كان ليختلف ما رأيت لو ان الشعر كان اسود او احمر .

انه التقليد الذى يصنع فى الامم العادات ، فان صار عادة فهو مسلك رضيه الناس،وهو بعض مسالك القوم .

والعادة تكون ، ويتخذها الناس مسلك حياة ، وتصبح كانها الطبيعة والجبلة . والعادات عشرات ومئات يمارسها الناس ، ابن عن اب ، واب عن جده . وتصبح عادات طعام ، وعادات شراب، وعادات ملبس ومسكن، وعادات بيع وعادات شراء . وعادات تمس الاخلاق فى الصميم ، واخرى تمسها ولكن مس الاديم .. الاديم . ولا يتوقف رجل يوما ، ولا امراة ، لتسأل عما تأتيه من عادة ، أو قبل ان تأتيها ، اصالحة هي ام غير صالحة . وهي لا تتوقف لتسآل خشية ان يتعطل بها السير فى طابور الحياة . فما هي عادة واحدة ، ولكنها الف عادة . ولعله من اجل هذا ، ان العادات يتقبلها الطبع البشرى ، دون أتتوقف للنظر فيها ، خشية ان تنقلب الحياة كلها الى تسآل فى هذه العادة ، وتسآل فى تلك ، فلا يكون فى الدنيا لعمل حسم ولا لخطة اطراد .

ولا ننسى ان اكثر العادات الموروث ، فهي التقاليد .

العادات اقتصاد فى الوقت وحسم لكل خلاف

العادات لا شك توفر على الناس مجهودا فى التفكير كبيرا ، تنبيهم عن النظر فى الشيء الذي يصنعونه . ومواقف الحياة تتكرر ، والمواقف المتشابهة الوف ، ويلقى انسان منا الموقف الجديد ، الذي سبق ان وقف مثله ، وتصرف فى مثله ، وعندئذ لا يكون عليه فى هذا الموقف الجديد الا ان يعيد تصرفا كان له قد سبق . وبذلك يختصر الجهد ويختصر الفكر ويختصر الزمن .

فالعادات من حيث الاقتصاد لها فى الحيادة دور كبير فعال .

والرضا بالعادات معناه رضي بما يأتي فيه الناس فى المواقف المختلفة من تصرفات . اما بلا عادات ، اى اذا ترك كل انسان ، فى كل موقف من مواقف الحياة الراتبة ، يتصرف فى الموقف الواحد المتكرر ، تصرفات مختلفة ، لم يضمن ان تحوز بعض تصرفاته الرضى . وعدم الرضى معناه الخلاف ، والخلاف صراع ، والصراع جهد ضائع وزمان مضيع .

العادات الشخصية

والعادات صنوف .

منها العادات الشخصية التي لا يدرى بها غير الشخص الواحد . ومع هذا فالاختلاف فيها قد يؤدى الى متاعب غير قليلة ، لانه ما من شيء يعتبر شخصيا فى اكثر صفاته الا وهو متصل بالحياة العامة من حيث يدرى صاحبه او لا يدرى .

خذ مثلا الموسى التي يحلق بها الحلاق الذقون ، والشفرة التي تقوم للشخص الواحد فى بيته بمثل ما يقوم به الحلاق فى دكان عمله .

لو أن الناس تعودوا عادة واحدة ، هي الشفرة فى الحلاقة صباحا ، لكان صدى هذا فى هذه الصناعة فى الامة صدىً كبيرا ، اذن تصنع الشفرة بكثرة ، واذن تصنع اجودَ ما تصنع ، وتباع بارخص ثمن .

والذى يقال فى الشفرة يقال فى شتى مطالب الانسان الشخصية . حتى مائدة الافطار تسودها فى الامم العادات. وهي فى الشرق غيرها فى الغرب . وهي تختلف حتى بين اقطار الشرق الواحد. وفى توحيد الذوق تسهيل الامر على الصانع والخابز ، وفى كل مرفق من مرافق الحياة .

ولو اننا تتبعنا مرافق الحياة فى كل بلد لوجدنا العادة فيها قائمة تعمل عملها ، وتوحّد الصناعة فيها ، وتسهل فى الناس امرها .

انه المجتمع الانساني . والاجتماع لا يكون الا بين اشباه . وكذلك العادة انما هي النمط الواحد والانماط الواحدة التي تلبسها الاشباه .

وهذه هي عادات اسميناها شخصية، لانها تتصل ، حين تبدا ، بالشخص نفسه ، ولا يضرني منها ان يستحم صاحبى بالصابون المعطّر ، فى حين اني استحم بالصابون غير المعطر ، كما لا يضرني ان يغنى صاحبى فى حمامه واني لا اغنى ، او انه يحب من الطعام الحلوى واحب المالح .

والعادات الاجتماعية

وعادات اخرى نسميها اجتماعية ، وهي تتصل بالحياة فى المجتمع . تتصل بالمعاملات . تتصل بالبيع والشراء . تتصل بالتعليم والصحة . تتصل بالسير فى الطرقات والامن . تتصل بالزواج والطلاق . تتصل بالولادة والموت . تتصل بالافراح وبالاتراح .

فهذه من الضرورى أن تضمها وتلمها صور من العادات واحدة ، وهذه العادات التي تتصل بالزواج وبالجنس، وبحسن المعاملة وسوئها، وكل ما درجنا على تسميته بالاخلاق .

والعادات السياسية

وعادات اخرى تتصل بالسياسة والحكم ، وما اكثرها ، وتختلف في انماطها الامم . ان الحكم يتحكم بما سن من قوانين في ارادات العمل في الناس ، فهو يأذن وهو يمنع . وتصبح منه رتابة قائمة حكمها حكم العادات .

عادات لا يود ان يغيرها الانسان

كل هذه العادات لا يود ان يغيرها انسان ، على الاقل ليعفي نفسه من بذل الجهد في التغيير او في تحمل التغيير ، شريطة ان تبقى على الزمان صالحة .

ولكن الزمن من طبيعته التغير ، ويتغير الناس مع الزمان ، الى ما هو احسن او الى ما هو اسوا . واذا نحن سايرنا سيرة البشر منذ ما عرفنا قصة الانسان المكتوبة لم نجد ان الانسان ، اي انسان ، مضت عليه فترة طويلة لم يتغير فيها مع الزمان ، قليلا او كثيرا .

ومن العادات ما هو دائم النفع يصلح لكل زمان . فعادة العمل عادة مطلوبة محمودة اليوم كما كانت مطلوبة محمودة منذ الف عام . ولكن من العادات ما يصلح لزمان دون زمان . فمطية الامس كانت البغال والحمير ، ومطية اليوم السيارات والطيارات . ووجب لاجراء العيش بالسرعة الواجبة ان نضع مكان كل بغلة او حمارة سيارة ، ومكان كل صهوة حصان طيارة ، نصنعها ، لا نشتريها ، فالشراء زيف .

وقديما عجزنا امام المرض . وكان لابد ان نهرع لشيء يحمينا ، ويحيي الامل فينا ، ويتفق مع عجزنا ، ويكون على قدر افهامنا ، فقمنا الى الحجب والتعاويذ نستعيذ بها . وحق لنا ان نفعل . فقد كان لابد من وقاء من خوف . واستبدلنا بالجهل علما على الزمان الطويل ، وعرفنا علم التشريح ووظائف الاعضاء وعلم الامراض ، فكان لابد ان تتبدل عاداتنا وتقاليدنا بما يتفق وحاجة الزمان . فكان الطبيب وكانت العقاقير وكانت الجراحة تغوص في اعماق الاجسام فتخرج منها من اخباث الامراض ما تخرج .

والضمائر تأتي بعد العادات في بناء مسالك العيش للناس

ان العادات باقية في قبيل من الناس ما بقيت تعطي نتائجها المرضية ، من التعاون والتآلف وحمل التبعات معا وبالسوية ، وبالسلام يخيم عليها . فهذه الرتابة الراضية المرضية تسرق من الناس الفكر في صلاح هذه العادات او فسادها ، وتنصرف اذهان الناس اكثر الى التمتع باشراقة الشمس الاولى ، في اول النهار ، وغيبوتها بدخول الليل ، ثم بالتلهي باستعراض احداث اليوم وقد مرت ، لا مرورا سهلا دائما ، ولكن مرورا به من العنت ما لا يرفعها الى ان تكون احداثا تثير الفكر ، او الى مشاكل ترد اسبابها الى ما درج عليه الناس من انماط من العادات آن لها ان تتغير .

العادة راحة، والتقاليد راحة، وفيها جميعا راحة الروتين وترك العقل خاليا ليتفرغ لتقديم الحياة ، واسعادها ، انتاجا ، وفنا ، وصناعة ، وعلما ، وخيرا من كل نوع .

ولكن تقدم الحياة على هذا النحو يغير من صور الحياة . وقد تتغير عادات الحياة على هذا النحو ، وبسرعة هذا التغير ، فلا يكاد يحس به احد . ونخدع في ذلك ونقول مثلا ان عادات اليابان وتقاليدها، رغم تقدمها الصناعي، ظلت على ما كانت عليه . والحقيقة انها تغيرت كثيرا ، ولكن بسرعة لم يحس بها راكبو قطارها .

وغير ذلك يكون اثر التقدم الحضاري الطارىء اذا هو دخل امة اشد تمسكا بقديمها ، او اقل حصافة في الجمع بين قديمها والحديث .

هنا يستيقظ ما في الامة من الحفاظ

على عادتها . انه حفاظ طبيعي ، الاصل فيه معارضة للتغير لان التغير غير مأمون العاقبة . وباستيقاظ هذا الحفاظ على العادات عند الكثيرين ، يستيقظ فى بعض افراد الامة الضمير ، تلك القدرة النقادة التى تنام فى الناس طويلا حتى توقظها دقة الاجراس المنذرة بالمخاطر .

وهنا يبدأ يتزعزع ايمان هؤلاء الافراد بالعادات والتقاليد التي يريد المجتمع ان يحافظ عليها . ويقوم فى هذه الافراد ، لا الرضا الروتيني بما تقول به العادات فى الاصباح ، وما تأمر به فى الامساء ، ولكن بالنقد لهذه العادات وما نشأ عنها من قواعد للسلوك جرى عليها الناس .

واذا حدث ان الجماعة قامت تفرض على فرد من هؤلاء الافراد ما لا يرضى بدأ استيقاظ الضمير الرافض . الضمير الذى يقول لا ، ولو قال من حوله الف لسان نعم .

فاصحاب هذه الضمائر كانوا يركبون راحلة العادات مركبا سهلا ، فلما رأوا انها انما تسير بهم الى اضرار لا يدركها الا ذوو العقول الناقدة ، نزلوا عن المركب السهل واتخذوا مع ضمائرهم المركب الاخشن .

محكمة العادات ومحكمة الضمائر

ان العادة يحكم بانها مسلك طيب فى محكمة العادات ، محكمة التقاليد . والمسلك الطيب عند ذوى الضمائر هو الذى يحكم عليه بانه المسلك الطيب فى محكمة الضمائر ، تلك التي لو شئت ان اتخذ لها مقرا لجعلته حبات القلوب .

وليست محكمة الضمائر ، بالمنصوبة دائما لتعارض محكمة التقاليد فحسب . اذن فهو السخف البعيد .

ولكن محكمة الضمير هي التي تتخذ من عقل صاحبها ، ومن فهمه ، ومن رقيق حسه ، ومن لطائف طبعه ، ومن علمه فى الحياة وخبرته وثقافته موارد قانونية تستند عليها فى احكامها . وكثير من هذه الامور لا يحتاج فى احكامه الموضوعية الى الغوص البعيد فى المراجع . وذلك لان من مسالك الناس ما اختلف عليه الزمان بحيث صار جديرا بالرفض السريع فلا يحتاج فى ذلك الى طول امعان .

واضرب مثلا بالرجل العربي البدوى الذى نشأ فى اهله وهم وثنيون ، فجرى معهم على وثنيتهم اولا ، وعبد ما عبدوا ، ثم استيقظ ضميره عندما رأى ثعلبا يبول عند رأس الرب ، ففكر ، فحكم فقال :

أربٌ يبول الثعلبانُ برأسه
لقد ذلَّ من بالت عليه الثعالب

وهذا امر لا يحتاج الى ضمير نفّاذ .

ومن الغريب ان من اصحاب الضمائر من فضلوا عند الخلاف مناصرة اهلهم على الخطأ . قال شاعرهم :

أمرتهم أمرى بمنعرَج اللوى
فلم يستبينوا الرُشدَ الا ضحى الغدِ
وهل أنا الا من (غَزِيَّة) ان غوتْ
غويت وان ترشد (غزية) أرشدِ

وهو رأى ، وهو ضمير ، فهو يحترم . وتقف دائما الى جانب هذا الرأى العصبيات القبلية .

ان اصحاب الضمائر هم قادة الامم الصامتون وهم الذين يحركون حتى على الصمت الركب الانساني نحو غاية اريدت له مرجوّة . فان نطقوا كانت الحركة اكبر واسرع .

ولكن ، كذلك من اصحاب الضمائر اقوام ذوو ضمائر فجّة . وهي فجّة لانه ليس معها علم يسندها ، ولا ثقافة . وتنقد ، فقد تبطل حقا او تحق باطلا .

والضمير الناضج كثيرا ما تشوبه الخرافة . وللعلم والثقافة لطف ورقة وذوق هي للثقافة والعلم روح .

واهل العلم والثقافة والضمائر قد يبغون هدم سلوك باطل ، اعترك فيه الناس اعتراكا ، فاذا هم هدموه وقفوا حياله يذرفون عليه دمعتين او ثلاثا .

●●

احمد زكي

مسابقة العربي

ابحث عن ١٠ إجابات صحيحة

■ ١٢ سؤالا نقدمها لك في هذا العدد ... ومع كل سؤال ثلاث اجابات مختلفة ، واحدة منها صحيحة .. والمطلوب منك التعرف على عشر اجابات صحيحة – على الأقل – وترسلها الينا لتفوز باحدى الجوائز المالية التي مجموعها ١٠٠ دينار . وهذه هي الاسئلة مع الاحتمالات الثلاثة :

١ – في اى مدينة تجد هذه المئذنة الملوية :

كربلاء – النجف – سامراء؟

٢ – في اى المدن العربية ولد الرحالة ابن بطوطة :

وهران – طنجة – القيروان؟

٣ – نابليون بونابرت ولد في اجاكسيو عاصمة جزيرة كورسيكا ، وعندما انهزم في معركة واترلو عام ١٨١٥ نفي الى جزيرة :

كريت – سانت هيلانة – سردينيا

٤ – الاهرامات .. واحدة من عجائب عدها العالم عجائب الدنيا السبع ، وقد اندثرت العجائب الست الاخرى..ومن هذه الست المندثرة عجيبة كانت في أرض مصر هي :

تمثال نفرتيتي – معبد ابو سمبل – منارة الاسكندرية

٥ – هذا الكاتب الفرنسي العالمي الذى كتب رواية « البؤساء » الشهيرة ، ما اسمه :

الفونس دى لامارتين – فيكتور هوجو – لافونتين ؟

٦ – هذا البرج المائل يوجد في ايطاليا..ففي اى مدينة من هذه المدن هو :

بيزا – بولونيا – برنديزى ؟



(١)



(٢)



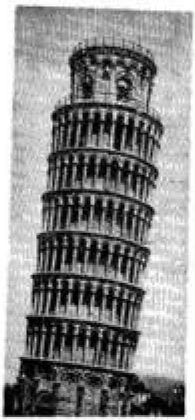
(٤)



(٥)



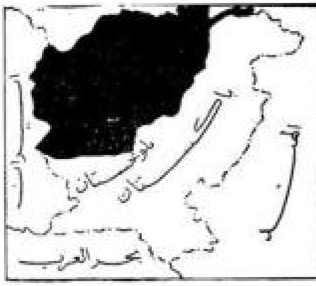
(٣)



(٦)



(٧)



(١١)



(٨)

٧ ـ هذه البطلة الفرنسية، دافعت عن بلادها وحاربت الانجليز ، فاحرقوها في مدينة روان بعد أن اتهمت بالسحر والشعوذة . انها :

جورج صاند ـ جان دارك ـ ماري انطوانيت ؟

٨ ـ هؤلاء الرجال الملثمون يعيشون في الصحراء الكبرى .. ما اسمهم :

الدنكا ـ الطوارق ـ البشارية



(١٠)

٩ ـ مالطة جزيرة في البحر المتوسط فتحها العرب عام ٨٧٠ واحتلها الانجليز عام ١٨٠٠ وهي اليوم مستقلة .. ما اسم عاصمتها :

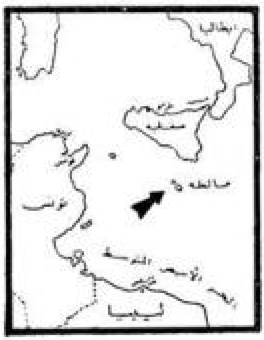
نيقوسيا ـ فاماقوستا ـ فاليتا ؟

١٠ ـ هذه صورة المكتشف البرتغالي الذى ارسله الملك عمانويل الاول ليكتشف الطريق البحرى المؤدي الى الهند، فما اسمه :

ماجلان ـ فاسكودى جاما ـ كريستوف كولمبوس

١١ ـ هذه البقعة السوداء في الخريطة هي دولة لها حدود مشتركة مع ايران وروسيا وباكستان والهند والصين... ما اسم هذه الدولة :

التبت ـ نيبال ـ افغانستان



(٩)

١٢ ـ هذا اعلى جبال في افريقيا ما اسمه :

اطلس ـ كليمنجارو ـ متاقة



(١٢)

شروط المسابقة

١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :

مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٥٩ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر مارس (آذار) ١٩٧٢ .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .

كوبون مسابقة

بدماء الشهداء

بنى العرب دولتهم

وبالاستهانة بالموت كسبوا الانتصارات

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

■ هناك مثل يقول : شدة القرب حجاب .

ونفسره بمثال فنقول انه قد يكون لك صديق تحبه وتوده ، وهو يسكن بعيدا عنك ، فانت تتحمل مشقة الطريق الطويل اليه لتراه بين الحين والحين .

وينتقل هذا الصديق الى جوارك ليزداد حظك من رؤياه والحديث اليه ، فيحدث العكس : تنقضي الشهور احيانا دون أن تراه .

لأن شعورك انه جوارك يطمئنك عليه، واحساسك بان بينك وبينه خطوة يجعلك تسوف في زيارته ، فتمر الايام ..

وشدة القرب حجاب .

وهذا حالنا مع ماضينا .

نحن فيه ليل نهار : لا تفتح صحيفة الا تجد مقالا عن الاجيال الاولى واعمال ابطالها وما امتازوا به من خصال. وقل مثل ذلك عن الاذاعة والتلفزيون ويقع في ذهنك انك تعرف عن ذلك الماضي كل شيء.

وقلما تشترى كتابا في هذا التاريخ، لانك تعرف عنه كل شيء .

بل قلما تفكر فيه ، لانه تحول في ذهنك الى مسلمات يعرفها حتى ابنك الصغير في المتوسط او الثانوى ومن ثم يقع في ذهنك انك لست في حاجة الى ان تقرا شيئا عن ذلك الماضي المجيد .

والحقيقة ان هذا الكلام الكثير المجمل الذى يملأون به اذنيك ليل نهار يحول بينك وبين ان تعرف شيئا من ذلك التاريخ على حقيقته .

هكذا تضيع منا عبرة تاريخنا

خذ مثلا هذه السطور التى يقراها الصغار في كتاب مدرسي عن موقعة القادسية (١٦ هـ/٦٣٧) :

« فالتقى سعد بن ابى وقاص بالفرس في معركة حاسمة هى معركة القادسية ، واحرز العرب انتصارا باهرا جعلهم يستولون بعد ذلك على المدائن عاصمة الفرس . ثم التقى العرب بالفرس مرة اخرى في معركة نهاوند (سنة ٢٠/٦٤١) واحرزوا انتصارا باهرا » .

ومن معركة اجنادين سنة ٦٣٤/١٣ :

« وتم اللقاء في اجنادين سنة ١٣ هـ . وتقدموا فاستولوا على معظم مدن الشام » .

كانت القاعدة التي ساروا عليها :

اطلب الموت توهب لك الحياة

وعن موقعة اليرموك سنة ١٥/٦٣٦ :

« ودارت بين الطرفين من العرب والروم معركة قاسية هزم فيها الروم هزيمة حاسمة في اليرموك سنة ١٥ » .

وعن فتح الجزيرة (العراقية ، اى الاراضي الواقعة شمال العراق بين دجلة والفرات) :

واستطاعت القوات العربية ان تستولى على الجزيرة بسهولة ، لان الروم بعد اليرموك انحطت قواهم المعنوية ، فلم يجرأوا على مواجهة العرب بعدها » .

وهكذا ..

وان من يقرأ هذه السطور وامثالها يتصور ان العرب نالوا هذه الانتصارات لمجرد انهم عرب يحملون راية الاسلام ، فالبلاد تتفتح امامهم ـ بسهولة ! ـ وكانهم يحملون عصا سحرية يشيرون بها الى الجيش الضخم فيتفرق ويهرب رجاله .

ويخرج القارىء من امثال هذه العبارات ان العرب انشأوا هذا الملك الشاسع دون تضحية ـ أو دون تضحية كبيرة على الاقل ، وان الله سبحانه وتعالى كان يعطيهم الظفر على اعدائهم في كل معركة خاضوها مكافأة لهم على انهم كانوا مسلمين .

بل سمعنا ذات مرة خطيب جمعة في مسجد يتحدث عن الفتوح ويقول ان الله سبحانه كان « يدلل المسلمين » هكذا : يدللهم !

وليس ابعد عن الحقيقة من ذلك .

ولا يضيع عظمة ذلك التاريخ المجيد ويحرمنا من دروسه وعبراته شيء مثل هذا التبسيط الضار والنظر السطحي الذى يشوه صور الاشياء ..

اطلب الموت توهب لك الحياة

لان الواضح هو ان العرب لم يكسبوا نصرا واحدا من هذه الا بعد ان دفعوا فيه الثمن الفادح من الضحايا والشهداء واحتمال مضانك الجهاد .

وطرق فتوح الاسلام انما هى طرق دماء الشهداء، خضبتها على طولها دماء اولئك الذين خاضوا المعارك اسخياء بارواحهم غير مبالين بمن يسقط منهم في ميدان الشرف ، بل هم يسيرون في طريقهم الى الامام دائما ..

في بعض المعارك نقرأ ان العرب بعد ان كسبوا الموقعة بعد يوم طويل مخضب بالدماء دفنوا شهداءهم ثم توسدوا الارض لينالوا شيئا من الراحة ليواصلوا الجهاد من الغد دون ان ينفقوا وقتا في البكاء على من مات .

لم يكن لديهم وقت للعويل .

كانوا رجالا اشداء ذوى ايمان .

كانوا ـ على بساطتهم ـ يدركون سر الحياة وانها صراع لا ينتصر فيه الا القوى الشجاع الذى يطلب الموت لتوهب له الحياة .

لم يكونوا يعرفون الهلع من الموت . كانوا يعيشون معه ، وما دام الرجل قد انتصر على الموت فقد انتصر على الحياة ايضا .

ومن كلمات خالد العظيم : لن يصيبك عدوك في صدرك الا اذا اعطاك صدره فاذا وليت ظهرك اصابك دون مؤونة .

وكان خالد قائدا اعلى ولكنه كان يخوض المعركة مع رجاله ويقاتل على فرسه وسط الصفوف .

وقد قال له رجل قبل ان يلتحم الصفان في معركة اليرموك : ما اكثر الروم واقل المسلمين ! فقال خالد : ما اقل الروم واكثر المسلمين ! انما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال.

وما كانت جيوش الروم بالقليلة ، ولكنها كانت قليلة في همة خالد ..

وابو عبيدة عامر بن الجراح ، ذلك الرجل الطويل النحيل الذى رزقه الله من عمق الايمان والزهد في الدنيا والثقة في الله ما جعل عمر نفسه يستحي منه ، هذا الرجل كان لا يحب ان يعدوا له شهداء المسلمين ، كان يقف في الميدان بعد المعركة ويقرأ لهم الفاتحة ، ولا يزيد على ان يقول : هنيئا لكم الشهادة ، سبقتمونا الى دار العقبى ..

ولقد قال رجل لعكرمة بن ابى جهل قبل معركة اجنادين : يا عكرمة ، اراك تترامى على الموت في الصفوف ، فقال : لقد طالما آذيت رسول الله والمسلمين انا وابى فاحب الآن ان ابيع نفسي من الله في سبيل الله ورسوله ..

ولقد قيل للمثنى بن حارثة : اما تخشى السيوف ؟ فقال : نعم صاحب الرجل سيفه ، وانا رجل خلفت الموت ورائي فماذا اهاب ؟

اتذكر القصة التى يحكيها محمد بن اسحاق عن عمير بن الحُمَام ـ احد بنى سلمة من الانصار ـ الذى سمع رسول الله يقول يوم بدر : « والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا ادخله الله الجنة » فقال : وفي يده تمرات يأكلهن : بَخٍ بَخٍ ! اما بينى وبين ان ادخل الجنة الا ان يقتلنى هؤلاء ؟ ثم قذف التمرات من يده . واخذ سيفه وقاتل حتى قتل ..

هذا هو سر اولئك الرجال : الايمان والاستهانة بالموت والانفة من الهزيمة واعتبارها ذلا غير لائق بالرجل الكريم .

ولقد ملك الفزع رجلا من اصحاب خالد في قتال اليمامة ففر على وجهه ، فلما صار وحده في الخلاء تفكر قليلا ثم قال : ويل امى ! مم فزعت ؟ من رجال مثلى بأيديهم سيوف مثل سيفى هذا ؟ قبحنى الله وبئس السيف سيفى .. اما اولانى بمغزل امراة في يدى ! ثم كر راجعا فرمى نفسه بين الصفوف وقاتل حتى قطعت يسراه ، وكانت هى التى بها يقاتل . فاخذه ابن عم له يضمده بعد المعركة وقال له : عوضك الله خيرا فيها فقال : لقد عوضنى عندما نصر الاسلام على المارقين.

وما من معركة خاضها اولئك الرجال الا خلفوا مئات الضحايا على ارض المعركة .

حتى المناوشات الصغيرة كان يسقط فيها الرجل والرجلان والثلاثة وفي المعارك الكبرى كان يسقط الالوف .

وهذه هى الناحية التى لا ينبغى ان نغفل عنها اليوم ، ونحن نواجه عدوا يهددنا بالموت والدمار فان اجدادنا انتصروا بشهدائهم .

والموت الذى يهددنا به العدو هو النصر الذى سنلقاه باذن الله ..

وفيما يلى بعض حقائق عن شهداء المسلمين في معاركهم لنعرف انهم لم ينتصروا بعصى سحرية او بمعجزة اختصهم الله بها بل بقبولهم التضحية في صمت واقتحام الموت غير هيابين ..

في معارك اليمامة ومقتل مسيلمة

قال الطبرى في سياق كلامه عن حروب الردة : « ثم التقى الناس ، ولم يلقهم قط مثلها من حرب العرب ، فاقتتل الناس قتالا شديدا حتى انهزم المسلمون وخلص بنو حنيفة (قوم مسيلمة) الى مُجّاعة بن مُرارة (حليف خالد بن الوليد) والى خالد ، فزال خالد عن فسطاطه (اى انتقل منه)، ثم ان المسلمين تداعوا ، فقال ثابت بن قيس بن الشماس (الصحابى ، وكان صاحب راية الانصار يومئذ) : بِئْسَ ما عَوَّدْتُم انفسكم يا معشر المسلمين(١) اللهم انى ابرأ اليك مما يعبد هؤلاء ـ يعنى اهل اليمامة ـ وابرأ اليك مما يصنع هؤلاء ـ يعنى المسلمين ـ ثم جالد بسيفه حتى قتل . وقال زيد بن الخطاب (اخو عمر الاكبر) حين انكشف الناس عن رحالهم : لا تَحَوُّزَ بعد الرجال(٢) ! ثم قاتل حتى قتل ، ثم قام البراء بن مالك ـ اخو انس بن مالك ـ .. فوثب وقال : اين يا معشر المسلمين ؟ انا البراء بن مالك ، هلم الى ! وفاءت فئة من الناس ، فقاتلوا القوم ، حتى قتلهم الله ، ثم زحف المسلمون حتى الجاوهم

---

(١) قال ذلك يلوم المسلمين على تراخيهم اول الامر .
(٢) اى لا عاصم اليوم بعد هرب الناس .

الى الحديقة ، « حديقة الموت » وفيها عدو الله مسيلمة الكذاب، فقال البراء : يا معشر المسلمين، القوني عليه في الحديقة ، فقال الناس : لا تفعل يا براء ! فقال : والله لتَطرَحنّني عليهم فيها ، فاحتُمِل حتى اذا اشرف على الحديقة من الجدار اقتحم فقاتلهم من باب الحديقة حتى فتحها للمسلمين ، ودخل المسلمون عليهم فيها ، فاقتتلوا حتى قتل الله مسيلمة عدو الله ، واشترك في قتله وَحشي مولى جبير بن مطعم(٣) ورجل من الانصار ، كلاهما قد اصابه ، اما وحشي فدفع عليه حربته ، واما الانصارى فضربه بسيفه ، فكان وحشي يقول : ربك اعلم اينا قتله » .

فتامل كم رجلا من المسلمين استشهدوا في هذا اليوم الواحد من ايام حروب اليمامة ، وتامل باى بسالة ماتوا : رجل يطلب من اخوانه ان يحملوه ويلقوا به من فوق سور الحديقة ليقاتل الاعداء ..

وبالفعل قاتلهم وفتح لاخوانه باب النصر .

وفي ختام هذا الخبر يقول ابو جعفر الطبرى : واقتحم الناس عليهم حديقة الموت من حيطانها وابوابها ، فقتل في المعركة وحديقة الموت عشرة الاف مقاتل .

اجل ١٠٠٠٠ قتيل،وهذا هو ثمن النصر وعودة وحدة الجماعة الاسلامية ، وهذا ايضا هو الخبر الذى يجمله الكتاب المدرسي بقوله : « ثم قضي على مسيلمة الكذاب في اليمامة بعد معركة قاسية!» .

وفى معركة اليرموك وهى معركة الابطال

جمع البيزنطيون اكبر قوة استطاعوها في الشام لخوض المعركة . يقول الطبرى انهم كانوا ٢٤٠٠٠٠ رجل ، وهذا رقم مبالغ فيه جدا،وحتى لو اخذنا ربع هذا القدر وقلنا ان الروم كانوا ٦٠٠٠٠ فان المسلمين لم يستطيعوا ان يجمعوا الا نصف ذلك العدد تقريبا .

وعندما راى ابو بكر ذلك قال : خالد لها .. ! وارسل يستدعيه من العراق ، فوصل في ٩٠٠٠ مقاتل وتولى القيادة العليا وبلغت عدة الجيش العربى ٢٧٠٠٠ او ٢٨٠٠٠ فحسب .

ولكن كان فيه ابطال من اساطين الحرب والقيادة نذكر منهم :

عياض بن غَنْم الذى قام بدور عظيم في فتح العراق . دِحيَة بن خليفة الكلبي صاحب رسول الله الذى شهد معه المشاهد كلها ، ابو عبيدة عامر ابن عبد الله الجراح ، عكرمة بن ابى جهل وسهيل ابن عمرو وصفوان بن امية وكانوا من قادة قريش عندما فر الرسول فتح مكة،فلما تم الفتح اسلموا واصبحوا من اشد الناس اخلاصا للاسلام . شرَحبيل بن حسنة القائد الفارس المشهور ، معاوية بن حَدَيج الذى سيكون له دور عظيم في فتح المغرب،عمرو بن العاص فاتح فلسطين ومصر، يزيد بن ابى سفيان اول من تولى الشام بعد فتحه ، وغيرهم ، حتى قال سيف بن عمر انه حضر اليرموك ١٠٠٠ رجل من الصحابة ومائة من اهل بدر .

بل شهدت نساء من المسلمات المعركة واشتركن في القتال ، قال سيف بن عمر :(٤)

« ان النساء قاتلن يوم اليرموك في جولة ، فخرجت جويرية بنت ابى سفيان في جولة . وكانت مع زوجها ، واصيبت بعد قتال شديد ، واصيبت يومئذ عين ابى سفيان ، فاخرج السهم من عينه ابو عتمه .

وعن سيف ايضا : ان رجلا من روم العرب(٥) لقى خالدا وهو في طريقه الى اليرموك ، فقال له : يا خالد ، ان الروم في جمع كثير ، مائتى الف او يزيدون ، فان رأيت ان ترجع على حاميتك فافعل، فقال خالد : « ابالروم تخوفنى ؟ والله لوَددت ان الاشقر براء من توَجّيه وانهم اضعفوا ضعفهم» فهزمهم الله على يديه ..

وما اولانا ان نردد قول خالد اليوم ..

ولقد استشهد في قتال اليرموك الطويل وفي فتوح الشام من العرب اعداد ربما بلغت الوفا حتى قال المقريزى : لو رفعت اى حجر في ارض الشام لوجدت تحته للمسلمين شهيدا ..

---

(٣) هو الذى قتل حمزة بن عبد المطلب الشهيد في احد .

(٤) احد الرواة الاول وهو من أهم مصادر تاريخ الطبرى .

(٥) اى من العرب الذين كانوا خاضعين للبيزنطيين قبل الفتح الاسلامى .

اجل ، مات الوف .

ولكنهم فتحوا الشام وهزموا الامبراطورية البيزنطية ، ولقد كان يقود البيزنطيين هرقل وهو من اعاظم اباطرة الدولة ، وكان معه معظم قواد الدولة واكابر امراء بيته ، كل منهم يقود فرقة في الميدان .

ومن الخطأ ان نظن ان جنود الدولة البيزنطية كانوا غير مدربين او غير متحمسين لدولتهم ،فنفس جيوش هرقل التى هزمها العرب اجتاحت الدولة الساسانية الفارسية قبل ذلك بسنوات قلائل وحققت انتصارات كبرى عليها ..

وكان قواد الروم في ذلك الحين من اعظم قواد الدنيا مهارة ومعرفة بالحروب، وقد كبدوا العرب خسائر كبيرة في احيان كثيرة .

ولكن العرب انتصروا عليهم لانهم تقبلوا خسائرهم في صمت وساروا الى الامام مسير المؤمن بقضيته المتفانى في سبيل مثله الاعلى .

واذا اردت ان ترى كم من المسلمين مات في مواقع فِحْل ودمشق وبَيْسان واجنادين وغيرها فافتح الجزء الرابع من الطبرى واقرا فيه تفهم قدر العرب وما قاموا به من تضحيات حتى انشأوا لنا هذا العالم العربى الواسع .

وفى الحروب مع فارس استشهد الوف بعد الوف

وليس ادل على بسالة العرب واستعدادهم للتضحية من قصة فتح فارس وكيف بدأت ، وبأى بساطة سار الناس فيها .

فان خالدا عندما تلقى امر ابى بكر بالمسير الى العراق لم يجتمع له اكثر من ١٨٠٠٠ جندى ، وبهؤلاء كان واثقا من النصر على امبراطورية تبلغ جيوشها مئات الالوف .

ولقد ارسل خالد الى قواد كسرى يعرض عليهم الاسلام وينذرهم بالحرب « فاخذوا يتعجبون ! » وهم على حق ، وكان ذلك سنة ٦٣٣/١٢ .

ولكنهم عندما التقوا بالعرب في كاظمة ـ وهى موضع الكويت اليوم ، وفيها كان اول لقاء حاسم بين العرب والفرس ـ عندما التقوا بهم زال عجبهم . فقد تبينوا انهم امام رجال يصدق عليهم قول خالد : جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة ..

في هذه المعركة خرج القائد هرمز ـ فارس العجم ـ وتحدى خالدا ان يخرج لينازله ، وخرج اليه خالد ، وتقارعوا بالسيوف فما اسرع ما غلبه خالد وامسك به ليجهز عليه ، فغدر به حرس هرمز وتقدموا ليقتلوه ـ وهذا مخالف لقواعد الفروسية ـ فلم يحفل لهم خالد وظل ممسكا به حتى قتله،فانهزم اصحابه وكسب العرب الواقعة.

واعقب ذلك بانتصار « المَذار » قرب ضفاف دجلة .

ثم تتابعت وقائع « الثِّنْى » و « الوَلَجة » و « أُلَّيْس » وكلها كسبها المسلمون ولكنهم تركوا على ارضها مئات الشهداء .

وفى موقعة المَقِر وفم فرات يا دَقْلَى فتح الفرس قنوات المياه على معسكر المسلمين فغرق منهم مئات .

وفى وقعة أُلَّيْس وما لقى العرب فيها من عدوهم قال خالد : لقد قاتلت يوم مؤتة فانقطع في يدى تسعة أسياف ، وما لقيت قوما كقوم لقيتهم من اهل فارس ، وما لقيت من اهل فارس قوما كاهل اليس » .

وعندما تولى عمر واراد ان يعود العرب الى استكمال فتح فارس ـ بعد ان توقف فتحها حتى فرغ العرب من الشام ـ ندب الناس لقتال فارس فتراخوا بعض الشيء ، ثم تقدم ابو عبيد بن مسعود وتتابع الناس ، فولى عمر القيادة لابى عبيد هذا.

وهنا يروى لنا الطبرى عن سيف بن عمر خبرا يدلنا على عبقرية عمر قال : « قيل لعمر : أمِّرْ عليهم رجلا من السابقين من المهاجرين والانصار ، قال : لا والله لا افعل . ان الله انما رفعكم بسبقكم وسرعتكم الى العدو ، فاذا جَبُنْتُم وكرهتم اللقاء ، فاولى بالرياسة منكم من سبق الى الدفع واجاب الى الدعاء . والله لا أؤمر عليهم الا اولهم انتدابا .. » ثم دعا بأبى عبيد فامره على الجيش ، وحرص في نفس الوقت على ان يقول له : « اسمع من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، واشركهم في الامر ، ولا تجتهد مسرعا حتى تتبين فانها الحرب ، لا يصلحها الا الرجل المكيث الذى يعرف الفرصة والكف(٦)».

(٦) أى لا تتسرع في الحركة حتى تتضح لك خطة العمل ، لان الحرب لا يصلح لها الا الرجل الثابت طويل البال الذى يعرف متى تجيء الفرصة للهجوم ومتى ينبغى عليه ان يكف ويتوقف .

وتوالت الوقائع ، وفي كل موقعة يخسر العرب العشرات والمئات ولكنهم يكسبون المواقع ، ولا يكترثون للخسائر ويتقدمون الى الامام دائما .

وليس أدل على ذلك منخسارة العربالجسيمة في معركة الجسر التى تسمى القرقس او معركة القس او قس الناطف او المروحة .

في هذه المعركة انهزم العرب تماما وقتل منهم الالوف ما بين قتيل وغريق ، واسرع الباقون الى بلادهم وتفرقوا خجلا من الهزيمة .

ولكن عمر قدر ظروفهم وعرف انهم لم ينهزموا عن جبن أو خوف،بل لان رجلا منهم اراد ان يعمل عملا عظيما فكان فيه هلاك الجيش : قطع الجسر حتى لا يعبر عليه الفرس ، فلما بدا العرب في التراجع ظنا منهم ان الجسر وراءهم تبينوا انه مقطوع فاضطربت صفوفهم وتفرقوا في كل وجه وركبهم العدو بالسيف وتدافع الكثيرون منهم في الماء . في هذه المعركة قتل ابو عبيد بن مسعود الثقفى القائد،قتلته الفيلة التى اتى بها الفرس، وحاول سبعة آخرون بعده أن يوقفوا تقدم الفيلة فلم يستطيعوا وماتوا تحت اقدامها ..

وكانت الفيلة سلاحا جديدا على العرب ، تستطيع ان تشبهه بظهور الدبابات الضخمة في جيوش اليوم لتدرك مقدار ما اصابت من العرب في اول الامر ..

وقد حاول ابو عبيد بن مسعود ان يقتل الفيل فلم يستطع . قال سيف بن عمر : « فلما رأى ابو عبيد ما يصنع الفيل قال : هل لهذه الدابة من مقتل ؟ قالوا نعم ، اذا قطع مشفرها(٧) ماتت . فشد على الفيل فضرب مشفره فقطعه ، وبرك عليه الفيل فقتله » .

ثم عاد العرب فانتصروا في معركة البُوَيب .

وفي هذه المعركة ابدوا من البسالة ما يجعل الرؤوس تنحنى لهم اجلالا . فما كانوا يحفلون للموت ولا تروعهم مصارع المئات : ولقد اصيب مسعود بن حارثة وارتمى علىالارض يجود بنفسه ، فتضعضع من معه ، فرأى ذلك وهو دَنِف(٨) فقال : يا معشر بكر بن وائل ، ارفعوا رايتكم ، رفعكم الله ! لا يهولنكم مصرعى ..

وبعد انتهاء معركة البويب وانتصار العرب على الفرس انتصارا غطى على هزيمة الجسر قال المثنى ابن حارثة في تأبين شهداء البويب كلمة تفيض بالعبرة والقوة قال : والله انه ليُهوِّن على وَجْدى انهم شهدوا البويب ، أقدموا وصبروا ، ولم يجزعوا ولم ينكلوا وان كان في الشهادة كفارة لِتَجَوُّز الذنوب ..

وفى معارك القادسية استشهد الالوف

ونحن نمر بالقادسية مرورا سريعا في مثل قولنا : « والتقى سعد بالفرس في القادسية فهزمهم هزيمة منكرة » فنحسبان هذا النصر كان سهلا يسيرا ، فما هو الا ان وقف سعد بن أبى وقاص وجال ببصره في الميدان حتى تهارب الفرس امامه لا يلوون على شيء ..

وما كان كذلك امر القادسية .

انما كانت مقدماتها تحديا خطيرا للعرب .

فقد كان امر الفرس قد اجتمع بعد التفرق الذى مكن للعرب من كسب الانتصارات الاولى ، فولوا عليهم يزدجرد الثالث ، فجمع القواد ونظم الجيوش وافرغ الاموال والسلاح وقرر انيقضي على العرب ، وبلغ الخبر عمر فما تهيب ، بل امر رجاله في العراق ان يثبتوا مكانهم حتى يأتيهم امره .

وقال عمر قالته المشهورة : والله لاضربن ملوك العجم بملوك العرب .. ولم يكن في العرب ملوك وانما اراد عمر شجعانهم وابطالهم .

وبالفعل ندب للقيادة سعد بن ابى وقاص وبعث معه خيرة من وجد من المسلمين .

ولم تكن القادسية معركة واحدة بل سلسلة معارك متوالية .

وفي بعضهذه المعارك وصلت خسائر بعضالفرق القبلية العربية الى درجة الخطر ، فيقول سيف ابن عمر مثلا انه عندما هجمت الفيلة على العرب في يوم أرماث : « كادت بَجيلة" ان تؤكل ، فرت عنها خيلها نفارا ، وعمن كان معهم في مواقفهم ، وبقيت الرجالة من أهل المواقف .. » (اى بقى المقاتلون المشاة من اهل الثبات) مما دعا سعد

---

(٧) اى طرف خرطوم الفيل .

(٨) اى وهو جريح يجود بنفسه .

ابن ابي وقاص الى اصدار الامر الى قبيلة اسد بان تخف لنجدة بجيلة ..

وتقدمت قبيلة اسد وقاتلت قتال الابطال حتى انفثت الموقف ، يقول الطبري :

« واصيب من اسد تلك العشية خمسمائة » ..

وفي يوم اغواث ايضا استشهد من العرب مئات اخرى حتى جعل سعد « يتململ ويحول جزعا فوق القصر » ..

ولم ينقذ الموقف الا ورود المدد من الشام وعلى راسه هاشم بن عتبة بن ابى وقاص والقعقاع بن عمرو .

وفي يوم عِماس قتل من المسلمين الفان ومن الفرس عشرة آلاف .

ويقص علينا الطبري كيف غامر سعد بن ابي وقاص يوم عماس وهجم على الفيلة بسيفه وذلك بعد ان قتل عمرو بن معد يكرب في محاولة مماثلة في اليوم السابق .

وقد تمكن سعد من قتل الفيل بمعاونة رجال ابطال من بينهم رجلان من قبيلة اسد يقال لهما الرِّبِّيْل وحَمّال ، قالا : يا معشر المسلمين ، اى الموت اشد ؟ قالوا : ان يشد على هذا الفيل.

فهجما على الفيل ودار صراع رهيب بين الوحش والانسان انتهى بقتل الفيل .. فتصور يا اخى رجالا يسألون : اى الموت اشد لكي يهجموا عليه !

ومثل ذلك كثير جدا في فتوح العرب .

انتصر العرب لانهم استهانوا بالموت

والحق ان العرب لم ينشئوا هذا الملك الا بالدماء ..

من المدينة المنورة الى كاشغر داخل الصين والى سمرقند في اقصى بلاد الترك شرقا والى صانص Sens على سبعين كيلو مترا جنوبي باريس في فرنسا الى حوض نهرى السنغال وغمبيا الى دنقلة في شمال السودان سارت جحافل النصر مخلفة وراءها مقابر الشهداء ..

وما نعرفه من ذلك اقل مما عرفناه ..

فاننا مثلا لا نذكر من ابطال الفتوح في فرنسا الا عبد الرحمن الغافقي ..

ولكن كان هناك من هو اشد منه تفانيا في الجهاد في ذلك الميدان مثل عنبسة بن سُحَيم الكلبي وعَذْرَة البلوي وقد خاضا مع الفرنجة معارك دامية واستشهد كلاهما واستشهد مع كل منهما الوف ..

لم ينتصر العرب الا لانهم استهانوا بالموت وقدموا الارواح رخيصة .. في حروب العرب مع الترك وحدهم احصيتُ ما يزيد على سبعين الف شهيد عربى .

ولقد ظل العرب يواصلون فتوح المغرب سبعين سنة : كلما انهزم لهم جيش اردفوه بجيش حتى تم لهم النصر . في معركة واحدة هي معركة الاشراف التى دارت في وسط الجزائر الحالية سنة ١٢٢/٧٤٠ قتل فوق الاربعة الاف عربى !

ومع ذلك عاد العرب الى القتال بكل شجاعة .

حقائق ينبغى ان نذكرها اليوم : لا نصر بلا تضحيات ولا اوطان بلا دماء .

واجدادنا اقاموا لنا هذا العالم العربى بدماء الشهداء .

ولقد بذل العرب ارواحهم رخيصة في هذا السبيل ، وقد عبر عن ذلك ابن خلدون في عبارة تعتبر من اصدق واجمل ما قاله في تاريخه ..

قال في مقدمة كلامه عن عرب الجيل الرابع الذين يسميهم العرب المستعجمة بعد ان ذكر قبائل العرب الكبرى التى انشأت دولة الاسلام :

« هؤلاء كلهم انفقتهم الدولة العربية الاسلامية فتناهَبَتْهم الثغور القصية ، واكلتهم الاقطار المتباعدة ، واستلحمتهم الوقائع المذكورة ، فلم يبق منهم حيٌّ بطرف ، ولا حِلّة تنجع ، ولا عشير يعرف ، ولا قبيل يذكر ، ولا عاقلة تحمل جناية ، ولا عِصابة لِصَريخ ، الا سَمَعٌ من ذكر اسمائهم في انساب اعقاب متفرقين في الامصار ، آلتوى الخمول بجملتهم ، فتقطعوا في البلاد ودخلوا بين الناس .. »(٩) ■■

حسين مؤنس

(٩) تاريخ ابن خلدون (طبعة بيروت ١٩٥٩) ٦/٦ والمراد ان الفتوح اكلت قبائل العرب الكبرى ، فلم يبق منهم حى (اى جماعة) في مكانه ولا قبيلة مترحلة ولا جماعة تحمل المسئولية ولا قبيل يقوم بانجاد الآخرين اذا تعرضوا للخطر الا بقايا لا اهمية لها متفرقة في الامصار المفتوحة .

الاجتهاد في الدين
صار اليوم فروعا متخصصة

كيف نربي المجتهد ؟

بقلم : الشيخ
بدر المتولي عبد الباسط

■ تعلمني ـ فيما سلف نشره ـ بينت الحد الأدنى لما يجب أن يكون عليه المجتهد في الفقه الاسلامي من ثقافة واحاطة بعلوم تؤهله لهذه المرتبة السامية .

على أن هناك تيسيرا أخيرا يوجبه الآن تشعب الحياة وتعقيدها وتعدد أنواع التخصصات ، ذلك التيسير هو تجزئة الاجتهاد بمعنى أن يكون هناك فقيه متخصص في أحكام العبادات ، ولعل هذا النوع من الاجتهاد هو أخف الأنواع ، فلم تجد مشاكل في أمر الصلاة والصوم ، نعم جدت بعض المشكلات التى تتطلب الحلول الشرعية في بعض صور الزكاة ، لوجود معاملات مالية لم تكن معروفة في الصدر الأول ، ولا في عهد الائمة المجتهدين المعروفين ، كما اكتشفت أنواع من الاموال التى قد يشتبه أحيانا على الباحث أهي من الأموال السائلة أم الجامدة على التعبير الحديث ؟ وعلى التعبير القديم ، أهي عرض من عروض التجارة أم أموال مقتناة ؟

وقد وجدت بعض مشاكل في الحج تتطلب النظر على ضوء من الواقع ومما هو مقرر شرعا من أن الحج هو أسمى صور التعبد والانقياد .

مجتهد في أحكام الاسرة

ويكون هناك فقيه مجتهد متخصص في أحكام الأسرة ، وهو ما يعرف الآن بالأحوال الشخصية ، فان مشاكل الاسرة كثيرة ، وهي مشاكل تتطلب الحلول السريعة على هدى من كتاب الله وسنة رسول الله وقواعد الشريعة الغراء ، والدليل على كثرة هذه المشاكل هو تلك الحركة الاصلاحية في كثير من بلاد الاسلام ، وان كانت بعض الحلول ـ مع الاسف ـ خرجت على خط الاسلام في روحه ونصه ، واقتدى فيها المقننون بآراء بعض الغربيين او الشرقيين المعادين للاسلام ، ولو تفرغ قوم لفقه الأسرة ـ وهو واسع الاطراف متعدد

الاتجاهات ـ لاستطاعوا أن يوافوا المسلمين بحلول اصلاحية لمشاكل الاسرة الطارئة على مجتمعنا .

مجتهد في فقه المعاملات المدنية

ويكون ـ هناك ـ فقيه مجتهد متخصص في المعاملات المالية سواء كانت تجارية او غيرتجارية ، وهو ما يسمى الان بالقانون المدنى ، وما اكثر المشاكل في هذا النوع من المعاملات ، فأنواع التأمينات ومعاملات المصارف (البنوك)والشركات المتنوعة كل هذه المشاكل تتطلب حلولا تيسر على الناس امورهم ومعاملاتهم ومعيشتهم على هدى من الشريعة السمحة التى اكتفت في هذا اللون من المعاملات بوضع خطوط رئيسية تبين الفرق بين الحرام والحلال ، وهذا اللون ، وحده ، يتطلب تفرغا كاملا لبعضالمشتغلين بدراسة الفقهالاسلامي.

ومما يبشر بالخير أن الشعوب والحكومات الاسلامية تتطلع الى ان تكون قوانينها مستقاة من الشريعة الاسلامية كمصدر اساسى بالرغم من محاولات بعض الذين رباهم الاستعمار الفكرى في القرن الماضي ومطلع هذا القرن .

وهذا يلقي عبئا ثقيلا على المشتغلين بالفقه الاسلامي أن يوجدوا بديلا عن كثير من المعاملات التى لا تتفق مع الاسلام نصا وروحا ، ولكن ابتلى المسلمون بها ضرورة تسلط غيرهم عليهم تجاريا وماليا وسياسيا .

مجتهد في أحكام الجنايات

كما يجب أن يكون هناك فقيه اسلاميمتخصص في معرفة أحكام الجنايات من حدود وقصاص وتعزير ، وهو ما يعرف ـ عند القانونيين ـ بقانون الجزاء أو القانون الجنائي ، وهذا اللون من الفقه ـ في رأيي ـ من أهم المشاكل التى تصادف الفقيه الاسلامي المعاصر ، لان اكثر الشعوب الاسلامية قد عطلتهذا القسم من الفقه الاسلامي، واستعاضت عنه ، في كثير من المسائل والقضايا بقوانين مستوردة من الشرق والغرب لا تتفق مع تقاليدنا وعاداتنا ومعتقداتنا ، ولطول العهد ركن الناس الى هذه القوانين ، بل ان البعض ـ اما عن عمد أو عن جهل ـ يستقبحون أنواعا من العقوبات التى أوجبها الله بنفسه على بعض الجناة ، وان من العجب العجاب اتجاه بعض الافكار الى الرافة بالمجرمين دون تقدير لما اصاب ويصيب المجتمع من الانحلال والانحراف ، على أن المجنى عليهم هم أحوج الى الحماية والرافة والرحمة .

وليس معنى كلامي هذا أن نحرم الخارج على القانون من الرحمة بل اننحميالمجتمع اولا افرادا وجماعات ، ثم ان كان هناك مجال للرحمة أن نرحم الجاني ونتيح له فرصة الاستقامة ، واني اعتقد أن ما جاء به الاسلام من تشريعات جنائية كفيل بحماية المجتمع واعطاء الجناة فرصة النجاة من العقوبات المقررة في ضوء القاعدة الشرعية المعروفة التى وضعها الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم وهي « ادرءوا الحدود بالشبهات » ..

مجتهد في الفقه الدولى

كما يجب أن يكون عندنا فقهاء اسلاميون متخصصون في معرفة الاحكام التى تنظر علاقة الجماعة الاسلامية بغيرها في السلم والحرب ، وهو ما يعرف الآن بالقانون الدولي العام والخاص، وهذا القدر من الفقه الاسلامي يرجع الىالسياسة الشرعية ، ولقد وفاه فقهاؤنا المتقدمون حقه ، واعطوه قدرا من العناية سبقوا به كثيرا من المحدثين . فهذا محمد بن الحسن الشيباني صاحب ابى حنيفة رضى الله عنهما عني بهذا اللون من الفقه ، ولقد عرف الغربيون قدر هذا الامام العظيم فترجموا كتبه وشكلت جمعية تنتسب اليه .

مجتهد في الفقه الدستورى

كما يجب أن يكون عندنا فقهاء اسلاميون متخصصون في معرفة أحكام العلاقات بينالحاكمين والمحكومين ، ومدى سلطة الحاكم ، ومدى حق المحكومين ،في الاعتراض على بعض الامور ، وهذا القدر هو ما يعرف الآن بالفقه الدستورى .

كما يجب أن يوجد متخصصون في معرفة أحكام

الأوقاف والوصايا والمواريث ، واختيار أنسب الآراء التي تتفق مع تطور هذا العصر وتحل مشاكل الأفراد والجماعات .

★ ★ ★

هذا وتشعب أنواع الاجتهاد وتجزئته على هذا التفصيل ليس غريبا على مجتمعنا القديم والمعاصر ، فقديما كان هناك شبه تخصص في عهد الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم ، أليس زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ كان أفقه أهل زمانه في المواريث حتى سمي هذا العلم بعلم زيد ؟ أليس علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان أعلم الناس بأحكام البغاة ومشاكل الفتن ، لأنه أول من ابتلى بها ؟ أليس عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان أعلم الناس بسياسة الدولة وأقدرهم على حل مشاكلها على ضوء من كتاب الله وسنة رسوله ، صلى الله عليه وسلم ؟

ثم اذا انتقلنا الى ما ولي ذلك من عهود وجدنا تبريز بعض الأئمة المجتهدين في أنواع من الفقه وضح فيها تفوقه . فهذا أبو يوسف صاحب أبي حنيفة رضي الله عنهما برز في القضاء ومشاكله وحيله حتى ان الفقهاء الأحناف التزموا ترجيح رأى أبي حنيفة في أكثر الأحايين الا فيما يتعلق بأمور القضاء وما يتصل به من معاملة الشهود والاعتماد على البينات فانهم كثيرا ما يرجحون رأى أبي يوسف ، لأنه ابتلي أكثر من غيره بالقضاء ، وعرف مشاكل الناس على الطبيعة ، كما برز في السياسة الشرعية التي تحدد علاقة رئيس الدولة بالأمة ، وتحدد اختصاص كل موظف في الدولة ، بحيث لا تطغى سلطة على سلطة ، ونظرة الى كتاب الخراج له تبين الى أي مدى وصل فقهه في هذا المضمار ، مع أنه كان مجتهدا مطلقا .

ثم جاء من بعدهم من تخصص في أحكام الأوقاف دون غيرها كالخصاف من فقهاء الحنفية(١) وكذا هلال الرأى أيضا (٢) ، فانه لا يكاد يعرف لواحد منهما جهد بارز في الفقه الا في هذا الباب.

وفي عهدنا الحاضر عرف المشتغلون بالقوانين الوضعية قيمة التخصص فقسموا القوانين الى مدنية وجنائية ودستورية وادارية ومرافعات ولسنا ندرى ما يأتي به الغد من تخصص ، فاذا ناديت بوجوب التخصص في الدراسات الفقهية الاسلامية فلست مبتدعا ولا جامدا ، بل ميسر على الفقيه الذى يريد أن يصل الى رتبة الاجتهاد الجزئي وموفر عليه جهدا تقصر الحياة عن تحصيله ، فاني أعتقد أن الاجتهاد المطلق ـ بعد تشعب الحياة هذا التشعب ـ يعتبر ضربا من المستحيل أو قريبا من المستحيل ، لكثرة الوسائل المؤهلة للاجتهاد وقصر الحياة عن استيعابها في كل أنواع الفقه .

هذا اذا أريد للفقه الاسلامي أن يحيا ، وأن تعود له صورته المشرقة، والذى كان الطريق الوحيد لحل مشاكل الامم الاسلامية قاطبة أكثر من ثلاثة عشر قرنا كان الاسلام فيها بين قوة وضعف ، الى أن تم تسلط أعدائه على أكثر ممالكه ودوله فكان الغزو العسكرى ، ثم التشريعي ثم الفكرى .

والآن ـ والحمد لله ـ قد تخلصنا في أكثر شعوبنا من الاستعمار العسكرى ونرجو أن نتخلص من الاستعمارين الخطرين التشريعي والفكرى بالرغم من أن الاستعمار ـ قبل أن ترحل قواته ـ ترك ركائز له في دول الاسلام تنهج منهجه وتسلك مسالكه .

فهل آن لنا أن نطهر ديارنا من هذين الاستعمارين اللذين هما أشد خطرا من الاستعمار العسكرى ، فقديما غلب التتار والصليبيون على بعض ديار الاسلام أو أكثرها عسكريا ولكنهم لم يغلبوا هذه الشعوب الاسلامية تشريعيا أو ثقافيا فبقيت

---

١ ـ هو أحمد بن عمرو بن مهير ، من كبار فقهاء الحنفية المتقدمين أخذ الفقه عن أبيه عن الحسن بن زياد تلميذ أبي حنيفة . كان مقربا عند الخليفة المهتدى ، وضع له كتابا في الخراج ، وله كتب كثيرة أشهرها « أحكام الوقف » المطبوع بمصر . توفي سنة ٢٦١ هـ .

٢ ـ هو هلال بن يحيى بن مسلم ، ويدعى « هلال الرأى » لسعة علمه وسداد رأيه ، أخذ الفقه عن أبي يوسف وزفر صاحبي أبي حنيفة ، له كتب أشهرها « أحكام الوقف » المطبوع بالهند . توفي سنة ٢٤٥ هـ .

لهذه الشعوب خصائصها وشخصيتها فسهل على المسلمين بعد ذلك ان يطهروا بلادهم من هؤلاء الدخلاء ، بل ان بعض هؤلاء الغزاة اندمجوا في الجماعة الاسلامية ، واقاموا دولا اسلامية قوية نافحت عن الاسلام قرونا عدة كدولة المغول في الهند .

كيف نربي المجتهدين ؟

وهذا هو الشق الثاني من هذا البحث ، وان هذا المطلب ليس مستحيلا متى صدقت النيات ، واريد حقا ايجاد طائفة من الأمة تحل مشاكل الناس افرادا وجماعات على هدى من شريعة الله تعالى . وان هذا المطلب يوجب أن تتضافر الجهود المخلصة ، وان لا يستبد ذو رأى برأيه ، وان ينادى كل متخصص في أمر بوجوب تحصيل الطالب مادة تخصصه ، فان هذا ارهاق لا تحتمله الطاقة البشرية ، بل يجب أن تقصر دراسة المهيئين للاجتهاد على ما يساعدهم عليه ، مع التيسير فيما يحتمل التيسير والبسط والاستيعاب فيما يجب فيه البسط والاستيعاب ، ولا بد أن يهيأ هذا الطالب منذ نعومة اظفاره على ما أعد له من دراسات عربية وشرعية واجتماعية الى ان يصل الى الحد الذى لا يجوز أن يقل عنه في المستوى العلمى .

وقد بينت الحد الأدنى لما يجب أن يحصله طالب الفقه من علوم العربية والعلوم الشرعية والعلوم الاجتماعية حتى يكون عليما بعادات الناس وأعرافهم .. ولتكن هذه الدراسات مبسطة ميسرة تتناسب مع أطوار السن بحيث ينتهى في دراسته الابتدائية والمتوسطة والثانوية من استيعاب هذه العلوم بصورة مجملة وتكون عنده فكرة عن كل باب من أبواب الفقه ، مع بيان دليل هذه الأحكام من الكتاب أو السنة او اى مصدر آخر من مصادر الاحكام الشرعية من غير اسهاب ولا تعقيد .

ولا ننسى ان نزود هذا الطالب في هذه المراحل الثلاث التعليمية بمواد ثقافية يتطلبها عصره ، حتى لا ينعزل عن مجتمعه ، لكن على شريطة عدم الاسراف بحشو ذهنه بشتى العلوم والفنون .

هذه هى الصورة المجملة لما يجب أن يكون عليه الطالب المعدّ لرتبة الاجتهاد السامية في نهاية المراحل الدراسية الثلاث .

اما المرحلة العالية وهى مبدأ مراحل التخصص، فالعناية بها أشد ، فانها المرحلة التى ينكشف فيها استعداد الطالب العقلى والثقافي وتتضح عندها مواهبه ، فان كان ممن يرجى منه الخير في هذا المضمار بدأنا معه أول مراحل التخصص .

وانى وان كنت أؤمن بالتخصص الدقيق الا انى اكرهه مبكرا في الطالب وفي المدرس ، ولا سيما في علوم الدين ، وما يتصل بها من علوم عربية وعقلية ، فان تصور فقيه لا يحسن العربية بل ويتقنها تصور يكذبه الواقع ، وتصور فقيه لا يحسن العلوم العقلية تصور قاصر ، وتجربتى كمدرس واستاذ وعميد سابق تؤكد عندى هذا الاعتقاد ، لهذا ارى ان لا تنقطع صلة طالب الفقه في الكلية التى تمده عن علوم العربية والعلوم العقلية بالقدر الذى يجعله دائما على ذكر منها ، وليكن كذلك على علم بامهات الأمور القانونية المعاصرة،لينتفع بما فيها من تنظيم ولتكون مقارنته لها بأحكام الشريعة الاسلامية مقارنة واعية مبنية على البحث والتمحيص لا على العاطفة فحسب .

لست هنا واضعا منهجا مفصلا لما يجب أن يتخصص فيه طالب الفقه الاسلامى ولكنى أضع قاعدة عامة لهذا المنهج الذى يخرج لنا فقهاء متخصصين يرجى منهم - أو من بعضهم على الأقل - أن يصلوا الى درجة الاجتهاد في أضيق دائرة ، وهو الاجتهاد الجزئي في موضوع خاص .

واهم ما يجب ان يعنى به في هذه المرحلة هو الفقه المقارن على أوسع مدى ، فانه الوسيلة التى تكون ملكة الترجيح ثم ملكة الاستنباط بعد ذلك .

مرحلة الدراسات العليا

وهى مرحلة التخصص شبه الدقيق ، وينبغى أن يعنى في هذه المرحلة بتكوين الملكات وتدريبها على الاستقلال في الرأى وحرية الفكر في اطار من سياج الشريعة ، وليس هذا القيد حجرا على العقل - كما يظن بعض الناس - ولكنه عاصم عن التورط في مزالق الفكر وما اكثرها ؟!

ولتعدد شعب التخصص حتى تكون هناك فرص التفوق متاحة امام المتخصصين .

ولنشدد في اختيار طلاب الدراسات العليا ، وفي اختباراتهم تشددا لا يسمح بان يندس بينهم من ليس أهلا للوصول الى هذه الرتبة. أو يتخرج من تقصر همته عن الوصول الى تلك الغاية .

الشهادات العليا ليست آخر المطاف

يظن من ينال الشهادات العليا في أية مادة انه قد وصل الى الغاية المنشودة ، لا .. ان هذه الشهادات لا تدل الا على أن حاملها أصبح مؤهلا لما اعد له وانه في أول الطريق الذى اراد لنفسه، او اريد له أن يسلكه . أما الوصول الى الغاية فهذا يتطلب سلوك هذا الطريق من اوله الى آخره مزودا بما حصله من علوم في جميع مراحل دراسته، فليحذر هذا الشخص ، وليحذر القائمون على رعايته أن يضعوه في الدائرة الضيقة التى تخصص فيها حتى لا تجمد قريحته على هذا القدر من العلم ، بل لا بد أن يكون ما تخصص فيه هو مجاله الأصلى على ان يكلف بما يعينه على الاتقان والاجادة في هذا المجال حتى اذا قوى عوده، واستحكمت ملكته قصرناه على ما تخصص فيه ، فلا تنقطع صلته بما لم يتخصص فيه، بل يستعين به على ما تخصص فيه .

رأي قديم له وجاهته

يقول كثير من الكاتبين في الفقه الاسلامى – عند كلامهم على القضاء – : « ينبغى للقاضي أن يتولى القضاء عاما والتدريس عاما » .

وهذا قول له وجاهته ومبرراته ، ولقد طبق قديما فكان له اطيب الثمرات، فان القاضي تعرض عليه مشكلات المجتمع الفعلية لا النظرية فيجهد نفسه ليجد حلا لما يعرض عليه من مشكلات .

والتدريس يربط القاضي بالعلم ، ويزيده ثقافة على ثقافة ، فيجمع بين العلم النظرى والتطبيق العملى ، ولكن التدريس وحده يجعل المدرس يعيش في عالم النظريات ، والقضاء وحده يبعد القاضي عن الاستزادة من العلم .

وهذا المبدأ آتى أكله حينما كان مطبقا قديما وفي مطلع هذا القرن . فهذا هو الشافعى جمع بين التدريس والقضاء ، وأثره في الفقه الاسلامى لا ينكر ، وهذا ابو يوسف ومحمد صاحبا ابى حنيفة توليا القضاء والتدريس، وآثارهما معروفة، والقاضي الماوردى الشافعى والقاضى أبو يعلى الحنبلى توليا القضاء والتدريس وفضلهما على الفقه الاسلامى معروف .

وأذكر من فقهائنا الذين أدركناهم وكانت لهم آثار لا تنكر المرحومين المشايخ محمد بخيت المطيعى والشيخ محمد مصطفى المراغى والشيخ ابراهيم حمروش ، كانوا قضاة ومدرسين ، وكانوا في الفقه الاسلامى مبرزين لا ينكر فضلهم الا جحود ، وهناك كثير غيرهم أحياء – اطال الله اعمارهم لخدمة دينه – لهم آثارهم وجهودهم ، ولولا أن اقصر في ذكر البعض وترك البعض فاتهم بالتحيز لذكرت الكثيرين ، وان من ذكرتهم ليسوا على سبيل الحصر بل التمثيل .

هذا واذا كان بعض الناس يتهم الفقه الاسلامى بالقصور فان مرد ذلك هو ابعاد الفقه الاسلامى عن ساحة القضاء في كثير من مشكلات المجتمع .

اليس الفقه الاسلامى – في أكثر البلاد الاسلامية مع الاسف – قد أبعد عن المشكلات المدنية من معاملات ؟

اليس الفقه الاسلامى – في كثير من الوطن الاسلامى – ابعد عن القضاء في الجنايات ؟!!

وان ابعاد الفقه الاسلامى – مع شموله – كان نكبة من النكبات التى آن للامة الاسلامية أن تبرأ منها ، بدليل ما سبق أن قلته من حرص كثير من الحكومات والشعوب على أن يكون الاسلام مصدرا أساسيا لتشريعها .

هذه رغبة الشعوب والحكومات الرشيدة سجلتها في دساتيرها ولم يبق الا ان تتحول هذه الرغبات الصادقة الى جد في التنفيذ وصدق في التطبيق وسعة صدر في اختيار الأوفق والاكمل « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء ، وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » . ■■

بدر المتولي عبد الباسط

مع الله

وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه
وقدرة الله تتراءى في بديع صنعه

شعبة الإسفنج

بقلم الدكتور أحمد زكى

■ فى الكلمة السابقة تناولنا بإيجاز أبسط الحيوانات تركيبا ، تلك التى يسميها العلماء بالأوليات Protozoa ، لأنها فى الحيوانات أوليات .

وقلنا انها من حيث التركيب ، وتبعا لاسمها ، يتألف الكائن الحى منها من خلية واحدة ، لها كسائر الخلايا نواتها. وتملأ الخلية مع النواة المادة البروتوبلزمية Protoplasm التى اصطلحوا على تسميتها بالجبلة ، او الجبلة الاولى ، لانها مادة الأجسام الاولى التى تصنع الحياة وتحمل الحياة . والجبلة عند اللغويين الخلقة والطبيعة .

وذكرنا غير ذلك عن الأوليات ، فى توكيد بساطتها ، أن الكائن الحى منها ليس به انسجة Tissues . وكيف يكون له انسجة ، والانسجة تتألف من عدة من خلايا ، وهو يتألف من خلية واحدة ؟ وبالطبع هو ايضا كائن حى ليس له اعضاء ، وكيف يكون هذا والعضو يتألف من انسجة تعمل معا . انه البساطة كل البساطة .

وذكرنا ايضا ان الكائن الأولى ليس له جهاز هضمى ، وليس له فم يدخل منه الطعام ، ولا است تخرج منه فضلات الطعام ، ولا انبوبة للهضم تحلل الطعام

وراءها . وذوات الأهداب من الأوليات تحركها اهدابها فى الماء فتتحرك ، وذوات السياط تتحرك بضرب الماء بسياطها .

من الحيوانات الأولية الى الاسفنجيات

اى نتنقل من الحيوانات الأشد بساطة، الى الحيوانات الأقل بساطة ،لنتدرج فى سلسلة الحيوانات، ونحن طالعين سلمها العالى . من منخطط فى البناء والوظيفة الى منخطط اعلى ، تجمع بينها رغم ذلك وحدة من الخواص هى اساس الخلق جميعه .

ظنوا الاسفنج نباتا

والحيوان الاسفنجى ينظر اليه الناظر وهو فى موطنه من البحر، غير عميق فيه، فيحسب لأول وهلة انه نبات . ذلك لأنه لا يتحرك ، والحركة صفة الحيوان الظاهرة الأولى . وقد ظل العلماء يحسبونه نباتا الى عهد غير بعيد ، ثم فحصوه وفحصوا خلاياه فوجدوها ذات

بين استقلال الفرد وهيمنة المجتمع

وتمتصه . انه يصنع لنفسه فما مؤقتا، ويصنع استا مؤقتا . انه الخلية الواحدة التى تقتنص الطعام ، وتجهز للطعام وتقوم بكل واجبات الحياة وفروضها ، وتقوم بكل ذلك وحدها .

حتى التكاثر والتناسل يقوم به الحيوان الأولى وحده ، اما بابداء الذكر والانثى ثم التزاوج بينهما، واما بانشقاق الخلية الواحدة فالنواة الواحدة ، الى خليتين ذات نواتين ، تنموان بالتشقق فيزيدان افراد هذا الكائن الحى كثرة .

والحركة ، وهى صفة الحيوان ، يتحركها الحيوان الأولى بغير ارجل ، فالأميبة مثلا تتحرك بمد اجسامها ، اذ تخرج من الجسم زوائد منه هى ارجل كواذب تمتد فى الماء وتشد الجسم

صورة من الاسفنج وهو لاصق بقاع البحر، وهو يشبه النبات شكلا ، وما هو بنبات.



صفات بعيدة جدا عن صفات خلايا النباتات . ثم وجدوا فيها الحركة ولو مخبوءة غير ظاهرة .

الاسفنج مستعمرة من خلايا عدة

والحيوانات الأولية ان تألف الكائن الحي منها من خلية واحدة تذهب في الماء حيث تشاء ، فقد تألف الاسفنج الذي تراه في موطنه ثابتا يمتد عشرات السنتيمترات ، من عدة كائنات حية لا كائن واحد ، جمعتها مستعمرة واحدة. الكائن الحيّ الواحد منها يكاد يعيش عيشته وحده ، ويمارس أنشطة الحياة وحده ، التقاطَ غذاء ، وهضمَ طعام ، وتخلصا من نفايا الطعام ، فحاله من هذه النواحي اشبه شيء بالحال الذي وصفناه عند الكلام عن الحيوانات الأولية متخذين لها الاميبة مثلا . ومن اشهر ذلك انه ليس له جهاز هضمي . ونعود نقول وكيف ، وهو حيوان ذو خلية واحدة .



صورة من صنف آخر من الاسفنج في قاع البحر .

النسيج ، والعضو ، والكائن الحيّ ، والفرق بينها

ولنا هنا وقفة نؤكد فيها الفرق بين الخلية ، والنسيج ، والعضو ، والكائن الحيّ .

النسيج Tissus ، وجمعه الانسجة في علم الحياة ، هو ما تألف من خلايا حية هي اساسا من نوع واحد من الخلايا. فالظهارة ، وهي اعلى طبقة في الجلد ، عبارة عن نسيج تألف اساسا من خلايا بشرية واحدة Epithelium Cells تقوم مجتمعة بعمل في الجسم واحد .

وتتجمع انسجة الجسم لتؤلف الأعضاء Organs . وتتجمع الأعضاء فتكوّن الكائن الحيّ نفسه Organism . وقد تتجمع الأعضاء فتكوّن الجهاز العضوي Organic System .

فالهضم في الانسان ، وهو كائن حيّ ، له جهاز عضوي يتألف من اعضاء هي الفم والبلعوم والمعدة والاثني عشري والمعى الدقيق والمعى الغليظ والمستقيم فالأست ، يضم الى هذه بعضَ الغدد ، بوصفها اعضاء ، كالكبد والبنكرياس .

واذا اتخذنا المعدة مثلا للعضو وجدناها تتألف من طبقة كالبطانة داخلة، ومن طبقات عضلية ، ومن اوعية دموية، ومن اعصاب، ومن طبقة تغطيها خارجة. وما هذه الطبقات الا انسجة في الجسم .

واظهر الظواهر في الكائن الحي المتكامل، واخطرها ، التناسق القائم بين وظائف اشياء هذا الكائن الحي جميعا ، من انسجة ، واعضاء ، واجهزة . كلها تعمل كفرقة كرة القدم عملا متناسقا

واحدا ، لأهداف واحدة . وما اضعفه تشبيها .

واسميناه تناسقا ، وهو تعاون وترابط ، ومواصلات لا تهدأ بين اجزاء البدن الواحد ، ليكون كلٌ على علم بالحدث الحادث فى كلٍ .. فلعله له فى اتقانه ، بسبب خلقه ، نصيب .

وكل خلية فى الجسم المتكامل تعمل فى حظيرتها ولكن ليحيا غيرها،وتعمل الخلايا الاخرى لتحيا هذه الخلية وتلك . الطعام قائم بتحضيره وتجهيزه نفرٌ ، وكلهم جلوس على المائدة ، وهى المائدة الواحدة التى لا تبخل قط على احد من ابنائها .

الاسفنج ومكانه من ترابط خلاياه

ذكرنا ان الاسفنج هو فى موطنه مستعمرة تتألف من عدد كبير من كائن حيٍ واحد ، هو الكائن الاسفنجى . وان كل كائن من هذه الكائنات القائمة فى المستعمرة يكاد يعيش وحده ، ويمارس مناشط الحياة وحده،اشبه شيء بالذى تفعله الأميبة وسائر الحيوانات الأولية .

قلنا يكاد يعيش وحده . و « يكاد » لفظ له هنا خطر عظيم .

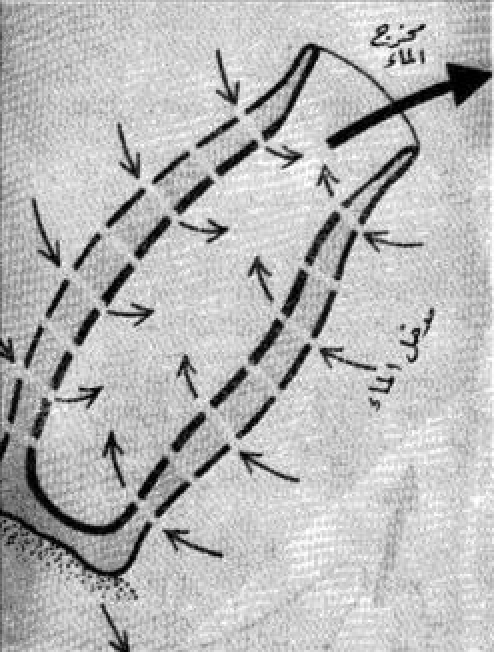
والواقع انه يعيش وحده ، فى بعض الوجوه ، ويعيش متعاونا مع سائر اهل المستعمرة فى وجوه اخرى .

ويخيل للناظر ان هذا التعاون وجب حدوثه ولو جزئيا.والا ففيم كان التجمع فى مستعمرة واحدة . هذا قائم لِصْقَ هذا ، ولا صلة بينهما ؟

ان هذا العيش الجماعى يتراءى ما فيه من تعاون ، ومن مقدار تعاون اذا نحن دخلنا فى المستعمرة نتعرف شكلها،وكيف تجمعت خلاياها فى بنائها، وكيف تعيش.

الوحدة الاسفنجية لها شكل زَهْرية الورد

الوحدة الاسفنجية ، او ان شئت



صورة مبسطة للوحدة الاسفنجية ، ولها شكل الزهرية . وترى فيها كيف يدخل ماء البحر من ثقوب خلايا بجدرانها ، ثم يخرج من فوهتها . اما النقط التى بالقاع فحيث تستقر الوحدة الاسفنجية على الصخر بقاع البحر .

فالمستعمرة الاسفنجية ، هى مجموعة تتألف من عدد كبير من خلايا الاسفنج ، يبلغ آلافا ، تمتد بضع عشرات من السنتيمترات فى البحر.وهى تتخذ شكل زهرية الورد الجوفاء ، اما جدارها فيتألف من خلايا الاسفنج مصفوف بعضها مع بعض . وللمستعمرة فتحة فى طرفها الأعلى ، كفتحة الزهرية العليا ، تصل جوفها أو فجوتها بالماء . اما طرف المستعمرة الاسفل فهو اشبه بالقاع الذى ارتبط بصخر البحر فثبت عليه لا يزيحه عنه مُزيح .

وقد ذكرنا ان هذه الخلايا تقوم لنفسها بالكثير من وظائف الحياة ، والطعام خاصة . واول سؤال يخطر على البال : هذه الخلايا قد ثبتت فى مواضعها من المستعمرة ، فهى لا تستطيع ان

تتحرك وتسعى للطعام تجمعه كما تفعل الأميبة والحيوانات الأولية ، فكيف تحصل عليه ؟

دورة الماء
فى المستعمرة الاسفنجية

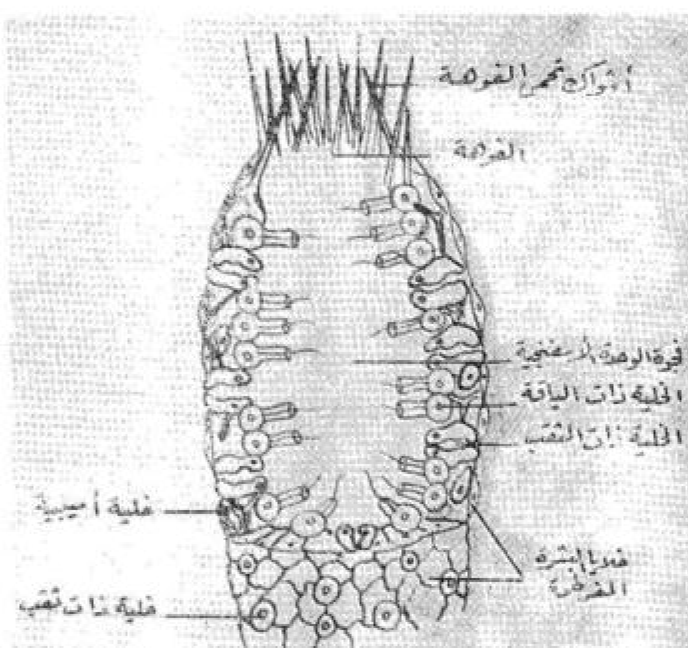
ان الذى منع الخلايا الاسفنجية من ان تتحرك فتسعى بنفسها لتجمع غذاءها من البحر ، رأى ان يأتى لها بماء البحر ، يحركه اليها لتصيد هى منه ما تصيد ، وذلك بدورة مائية اقامها فى المستعمرة .

فأولا هو جعل فى جدار المستعمرة ، جدار الزهرية ، ثقوبا يدخل منها ماء البحر . ثم جعل فى جدار المستعمرة من الداخل خلايا لها اهداب تحركها فتحرك الماء ليدخل من ثقوب الجدار ثم ليخرج من فوهة الزهرية العليا . واذن فهى دورة ماء تمر على الخلايا بداخل المستعمرة بالغذاء الذى فى الماء فتلقط منه ما تشاء . وهى تحمل مع الغذاء الاكسجين الذائب فى الماء ، فلا حياة الا به .

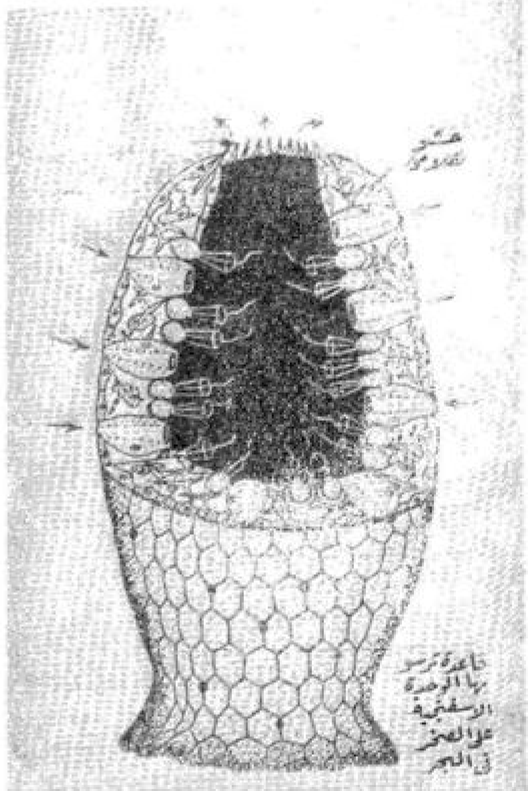
وليس هذا فحسب .

فالثقوب التى يدخل منها الماء فى الغذاء صغيرة بحيث لا يمر منها من احياء البحر الدقيقة ، المعروفة بالعوالق Plankton ، وهى غذاء الاسفنج ، الا ما يكون من الصغر بحيث تحتويه الخلايا الاسفنجية بصغرها المعهود .

ثم الفوهة التى بأعلى الزهرية التى يخرج منها الماء من المستعمرة ، فهذه جعلت من الضيق بحيث لا يدخل



وحدة الاسفنج ، وهى مستعمرة ، على شكل زهرية الورد ، اوضحنا في جدارها الخلايا التي تتألف الجدار منها ، فخلايا ذات أهداب تحرك الماء ، وخلايا ذات ثقوب تأذن لماء البحر بالدخول في المستعمرة ، وخلايا كبشرة الجلد . وخلايا اميبية لها وظائف شتى .. ثم فوهة الزهرية وبها اشواك تمنع دخول الغريب الطامع فيها .



صورة اخرى للمستعمرة الاسفنجية .

المستعمرة من أحياء البحر غاز يغزوها. وفوق هذا نجد عند هذه الفوهة اشواكا تصنعها الخلايا بمثابة الدفاع عن كيان الخلايا .

وشيء فوق هذا وذاك . ان المستعمرة الاسفنجية لا تأذن لنفسها ان تقع تحت رحمة هذه الدورة المائية . فقد أعطيت القدرة على توسيع الفوهة العليا او تضييقها حتى تتحكم في سرعة الماء الجاري فيها .

في الاسفنج بدأت هيمنة الكائن الحي مجتمعا على خلاياه افرادا

ولقد ذكرنا ان الخلايا الاسفنجية تتمتع باستقلال كبير ، في الطعام والهضم وما يتصل بهما ، كل يقوم به وحده دون تدخل خلايا اخرى . ولكن هذا الذى نصف من الدورة المائية يدل على انه ، مع استقلال الخلايا المذكورة ، توجد ايضا هيمنة تقوم بها الخلايا مجموعة ، لخير افرادها جميعا ، وان ذلك انما هو مظهر للتعاون والتناسق الذى ظهرت بشائره في الاسفنجيات ، ولم يصل بعد الى تمامه . ويصل كاملا عندما نبلغ رأس السلم الحيواني ، عند بلوغنا موضع الانسان من مملكة الخلق جميعا .

انواع الخلايا

خلايا الاسفنج انواع ثلاثة :

الخلايا ذوات الأهداب ، تلك التى تكثر في باطن جدار المستعمرة ، وتحرك اهدابها الماء . فهذه الخلايا هي اخطر الثلاث . ويوجد عند رؤوسها ما يسمى بالياقات ، وهى تسمية كأنها كانت لشبه بها . فهذه الياقات بها لزوجة اذا مرّ بها فتات الطعام الذى بماء البحر ، التصق بها . وعلى هذا النحو تستمد غذاءها .

اما النوع الثاني من الخلايا ، فهو خلايا تحتوى الثقوب التي منها يدخل ماء البحر الى داخل الوحدة الاسفنجية .

اما النوع الثالث من الخلايا ، فخلايا البشرة التى تحوط الجدار ، وهى مفرطحة، وتعمل عمل ظهارة الجلد فتقى المستعمرة من خارجها . وبين الطبقتين، طبقة الجدار الخارجة هذه والطبقة الداخلة التى بها الخلايا ذوات الأهداب، توجد طبقة ليس بها خلايا ، ولكنّ بها فراش ، وهو حشو هلامى كالفالوذج ، اغلب الظن انه من انتاج خلايا الجلد .

اما الخلية الرابعة فنوع اشبه بالأميبة، وهو يتنقل في الطبقة الفالوذجية ، ويفرز تلك العصي الرفيعة الصلبة التي منها يتألف الهيكل الجامد الذى يساعد المستعمرة

على الابقاء على شكلها ، وسنذكر عنه طرفا. ثم أشباه" لهذه الخلية الرابعة تفي بأغراض شتى ، ومنها تلك التى تصنع الحيوان الذكر والبيضة الانثى ، فيحدث التلقح ويخرج منه كائن حى جديد .

هيكل ، يعطى الاسفنج شكله وقامته

وهو هيكل جامد اشبه بالهيكل العظمى للانسان . ولكنه ليس من عظم .

ولهذا الهيكل هدفان :

الهدف الأول ، انه يحفظ شكل الاسفنج فلا ينهدم بعضه على بعض ، لا سيما الكبير منه .

الهدف الثانى : دفع المغيرات من احياء البحر عنه ، فالذى يحاول طعام الاسفنج مرة لا يعود الى المحاولة مرة ثانية . ومن بنى آدم من جرب اكل الأسفنج وذمه فى غضب شديد .

والهيكل يتالف من اشواك جامدة كالابر ، كما سبق ان ذكرنا ، وهى تتألف من مادة كلسية ، أو اخرى سيليسية (رملية) .

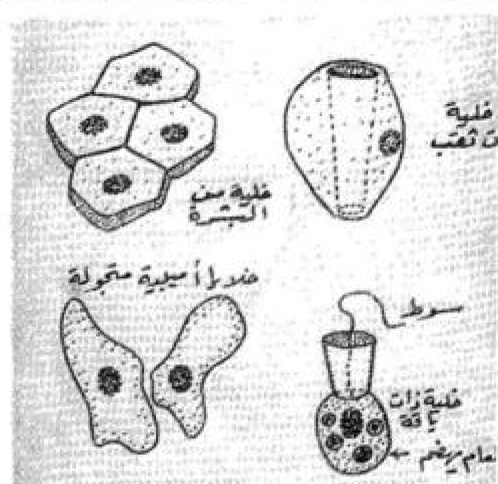
ومادة ثالثة يصنعها الاسفنج ويستخدمها فى بناء هيكله . وهى المادة الوحيدة التى تتبقى من الاسفنج الصالح لاستخدامه فى الحمامات ، بعد تصنيعه وتجهيزه . شبيهة بمادة الكلاجن Collagen التى منها الانسجة الرابطة فى اجسام الحيوانات والانسان . وهى صفراء اللون واسمها العلمى Spongin او اسفنجين .

وقد يجمع الاسفنج الحى بين مادة الاسفنجين ومادة الكلس او السيليس ليزيد الهيكل تماسكا .

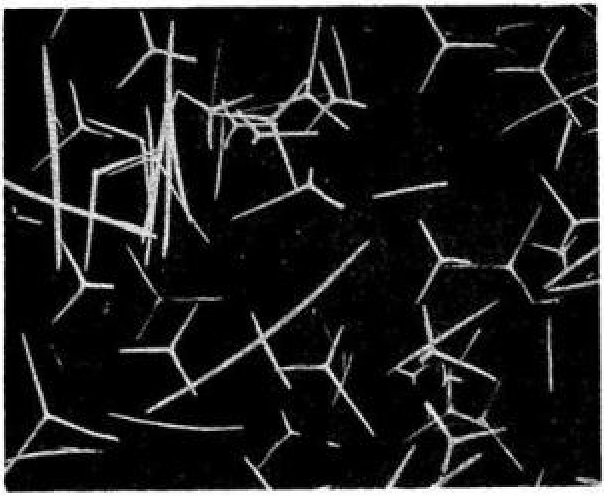
التناسل فى الاسفنج

يتناسل الاسفنج عن طريق التبرعم ، يخرج البرعم من جسم الاسفنج ، ثم ينفصل عنه ويكون له فى الماء وعلى الصخر مستقر جديد . او هو يظل مرتبطا بالوحدة الاسفنجية التى انشأته ، فينبسط وينمو ويزيد .

والاسفنج يتناسل عن طريق الذكر والأنثى . وتقوم بعض الخلايا الاسفنجية التي وصفنا بأشباه الأميبة بانتاج الحيوان الذكر واخرى بانتاج البيضة الأنثى . وتبقى البيضة فى الطبقة الهلامية من حائط الوحدة الأسفنجية ، حتى يأتيها



انواع من الخلايا التى تحتويها المستعمرة الاسفنجية.



اشــواك حــادة كالابــر ، تضعهــا خلايــا المستعمرة الاسفنجية لتجعل منها هيكلا لجسمها ليحمل ثقله ، ومن الابــر مــا تتخـذه المستعمرة للدفــاع ترهب بــه الغـزاة الطامعين .

الحيوان الذكر سالكا طريقه اليها ليلقحها . وتتلقح البيضة وتنمو لتصير كتلة من خلايا ، بها السياط ، فتخرج من سطح الوحدة الاسفنجية الخارجي . وهي بذلك تنفصل عنها وتعوم حتى تستقر على قاع البحر لتبدأ مستعمرة من الاسفنج جديدة .

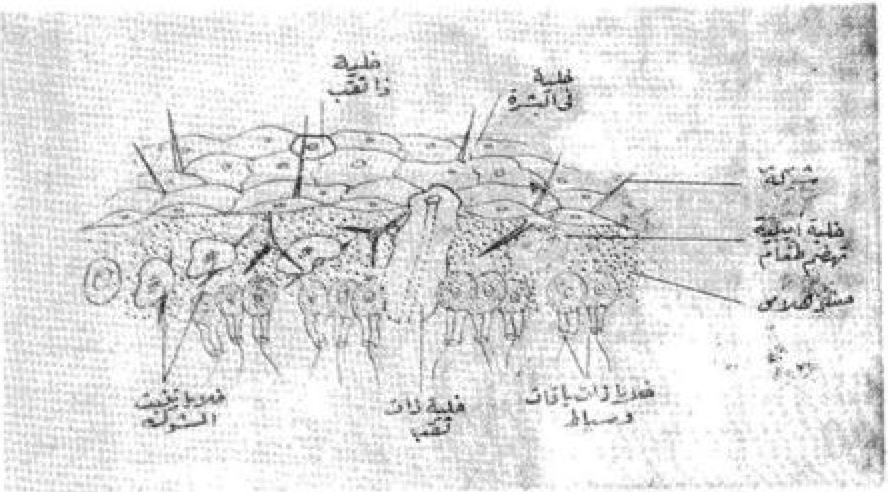
الاسفنج ليس به أعصاب

والاسفنج يعمل عمله بلا اعصاب تقوم على تنسيق ما يجرى فيه من اعمال ، تلك التى تقوم بها الوحدة الاسفنجية كلاً مجتمعا . فمن امثلة ذلك السياط التى تحملها الخلايا وتحرك بها الماء فى دورته لتغذية الخلايا . هذه الحركة تحتاج فى سائر الحيوانات الى عصب يحركها . واتساع الوحدة الاسفنجية وانكماشها . وكذلك التحكم فى فوهتها بالضيق والسعة، كل هذه اعمال تستدعى على ما تعودنا فى الحيوانات شبكة عصبية تحس بالحاجة الى هذا الاجراء او ذاك، ثم تأمر به الأطراف المعنية بالقيام به . او الى هرمونات . وليس فى الاسفنج عصب او هرمون .

وبحث العلماء عن اعصاب فلم يجدوا لها اثرا . والأعصاب تعمل بتيارات من كهرباء ، فهذه لم تكشف عنها التجارب .

وذكرنا الأعصاب فى الاسفنجيات .

وقد كان وجب ذكرها ونفى وجودها فى الحيوانات الأولية كالأميبة كذلك، فهى تتحرك لتصنع الأرجل الكاذبة ، ومنها ذوات الأهداب وذوات السياط ، وما الأهداب وما السياط الا للحركة . وما عرفنا الحركة تصدر فى الحيوانات العليا الا عن اعصاب .



صورة اكثر تفصيلا، تبين قطعة من جدار المستعمرة وبه خلاياه ، من خلية بشرة (ظهارة جلد) ، الى خلية اميبية ظهر فيها الطعام في فجوات كما يظهر في الأميبة وهي تهضمه ، الى خلية ذات باقة وسوط يحرك الماء ، الى اخرى تثبت الشوك . ثم الحشو الهلامي الذي ينتشر بين طبقات الجدار .

الاسفنج
كم فيه من استقلال ذاتي للخلايا وكم من تعاون وتناسق جماعي

من كل ما ذكرنا نرى ان الوحدة الاسفنجية تتألف من خلايا ، تعمل احيانا على استقلال وانفراد ، فكأنه لا صلة للخلية بالخلية التي تجاورها ، وتعمل احيانا بحسبانها جسما واحدا ، حتى كأن له اعضاء متعاونة فيما بينها متناسقة .

اما استقلال الخلايا فنجده في ان كل خلية تلقط غذاءها وحدها ، وتهضمه وحدها ، وتقوم بكل عمليات تحليل الاغذية من نشوية او دهنية او بروتينية ، الى أصولها الكيماوية ، ثم بكل عملية انتاج للطاقة من نتائج هذا التحليل ، ومن اعادة تخليق هذه المواد وتركيبها الى مواد تستعيض بها عما استهلكت من مواد بنائها ، الى غير ذلك من امور .

واما التعاون والتناسق فنجده في تلك الدورة المائية التي تقوم بها عدة من الخلايا . وكذا نجده في انكماش الوحدة الاسفنجية او انبساطها عند الضرورة ، او حتى انغلاق الوحدة الاسفنجية عندما ينزل بها او بالماء الذي يحيطها ما يضر بحياتها . وقد سبق أن نوهنا بكل ذلك .

وكذلك نرى التعاون والاتساق في الشكل الذي تتخذه الوحدة الاسفنجية ، وفي ضبط مسالك الماء بها ، وفي انتاج تلك الأشواك التي تعمل احيانا لحراسة المداخل اليها ، واحيانا لرفع قوامها ، واحيانا لربطها بقاعدة الصخر التي تستقر عليها .

ولا ننسى ان التناسل يقوم به في الوحدة الاسفنجية ، لا كل خلاياها ، ولكن بعضها . وهذا تخصص لا شك فيه ، ينتسب الى الحيوانات الأعلى في الحيوانات مرتبة .

والخلاصة ان الاسفنج يحتل بين الحيوانات مكانا وسطا، بين حرية الفرد ، وتماسك الجماعة . ●●

احمد زكي

نتيجة مسابقة العدد ١٥٧

البوصيري شاعر البردة

مسابقة العدد ١٥٧ من « العربي » تميزت اسئلتها بانها متنوعة متباينة ، فهناك اسئلة تخص العلم الطبيعي ، واسئلة اخرى تتناول الدراسات الانسانية ، وتبعا لذلك جاءت اجابات القراء متباينة ، نظرا لتباين الاسئلة هذه ، وقل من احسن الاجابة على كل من الانواع . وهذا يوضح لنا كيف ان التخصص يلعب دوره البارز في حياتنا الراهنة .

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ، ثم اسماء من حالفهم الحظ بالفوز بالمسابقة :

١ - ا - الأخطل احد شعراء بني امية ، واسمه غياث التغلبي .

ب - الأخطل الصغير : هو بشارة الخوري ، احد شعراء العرب في القرن العشرين ، وهو لبناني الجنسية .

٢ - غزوة بدر كانت في ١٧ رمضان في السنة الثانية للهجرة .

فتح مكة وقع في ١٩ رمضان في السنة الثامنة للهجرة .

٣ - طيوان اسمها القديم فرموزة وهي جزيرة تقع على بعد ١٠٠ ميل الى الشرق من الصين .

٤ - اقليم وادي الموت اشد حرارة من احدى مدن المكسيك لان ١٢٧°ف = ٥٢,٨°م اما ١٢٢° = ٥٠°م .

٥ - قائل هذه القصيدة هو الشاعر البوصيري .

٦ - طعمها مالح فالمادة المذكورة هي ملح الطعام نفسه .

٧ - الحرس السويسري يوجد في الفاتيكان وهو الحرس الخاص بالبابا .

٨ - العود له ٥ اوتار .

٩ - عاصمة ولاية نيويورك هي الباني .

١٠ - سرعة الصوت هي : ا - (٧٦٠) ميلا في الساعة على مستوى سطح البحر .

وهي اقل من ذلك عندما ترتفع في الهواء .

الفائزون بالجوائز

الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينار فاز بها : **نافذ رشيد سليمان خضر**/الزرقاء/الاردن

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : **اسامة جواد رضا**/صور - لبنان

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : **عبد الزهرة عبد الجبار علي**/بصرة - العراق

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ - **بدر مصطفى شحادة**/درعا - سوريا

٢ - **عمر نعيم حماد**/الكويت

٣ - **نجوى محمد احمد زبارة**/جدة - السعودية

٤ - **حسين حسن على الصائغ**/البحرين

٥ - **كريمة همام السيد**/ميت غمر - مصر

٦ - **يوسف عبدالله احمد**/امدرمان - السودان

٧ - **رافت ابو بكر عبد الله صالح** / عدن الصغرى - اليمن الديمقراطي

٨ - **عياد العوامي**/طرابلس/ليبيا

وسترسل الجوائز الى اصحابها ■■

دمشق

بقلم : احمد السقاف

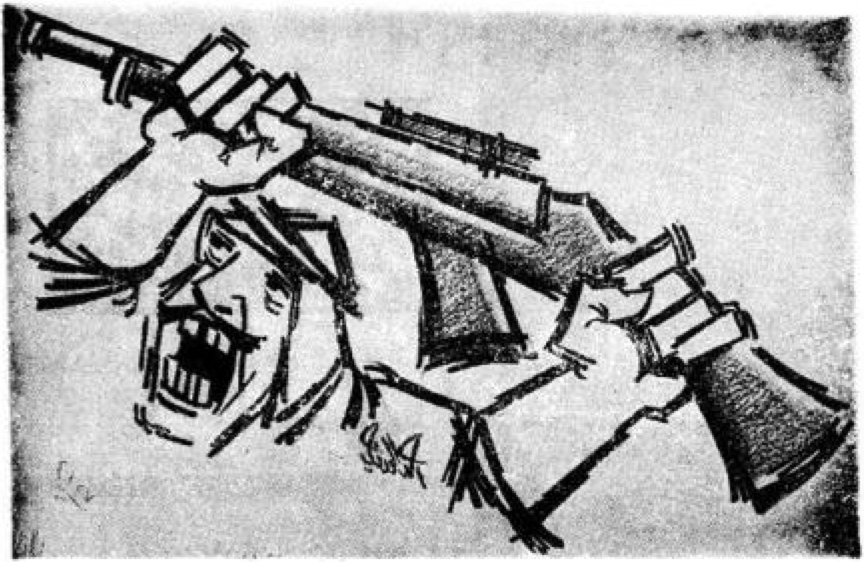
■ صمودُك فخرٌ تحدّى المفاخر ... وإيمانُك الصلبُ هزَّ المشاعر
دمشقُ إليك تحنُّ النفو ... سُ وبالغوطتين تقَرُّ النواظر
وتاريخُك الضخمُ مِلءُ العيو ... نِ له ضجةٌ في جميع الحواضر
وقفت كهانوى رغم الصعا ... بِ وأعددتِ للثأر مليونَ ثائر
وكيف ؟ وفيك إباءُ الوليد ... ومن عبد شمسٍ لديك أواصر

★ ★ ★

دمشقُ قدمتُ إلى المهرجانِ ... بفكرٍ مهيضِ الجناحين حائر
أردِّدُ كيف يزُفُّ القريضَ ... إليكِ وفيك الفحولُ العباقر
ومن كلِ حيٍّ تُطلُّ الفنونُ ... وفي كل بيتٍ أديب وشاعر

★ ★ ★

دمشقُ عثرنا فكان العقابُ ... كما كان منذ السنين الغوابر
فلم يدفعِ المجدُ عنا الهوانَ ... ولاعصفتْ بالعدو المنابر
ألا جولةٌ تسحقُ الغاصبين ... وتجتاحُ ما شيَّدوا من دساكر
وإلا فنحنُ ادعاءٌ كذوبٌ ... يعيشُ على مجدِ أهلِ المقابر
هم العُرْبُ كم شيدوا من علًى ... وكم خلّدوا من عظيم المآثر
وكم أرخصوا النفسَ عند النزالِ ... وذادوا عن الدين مثلَ القساور
ولم يكنِ الدينُ غيرَ الجهادِ ... وما كان بَهْرَجَةً أو مظاهر



دمشقُ أيا بسمةً في الشفـــاهِ ... ويا أمـلاً تجتليــه الخواطــر
لكِ اللهُ صوتـاً إذا ما دَعَوْتِ ... تنادتْ تلبيك كلُّ الحناجــر
عرفناكِ رائدةً في الفـــداءِ ... وعاصفـةً في اقتحام المخاطــر
فهُبّي فأبطالُنا في القنـــاةِ ... وللثأر أحرارُنا والحرائـــر
ولا تحفلِي إنْ تخلّف قـومٌ ... ونامـوا بلا نخوةٍ أو ضمائـر
ففي الفجرِ نـورٌ كما تشتهينَ ... وفي الفجر يمحو السناءُ الدياجر

★ ★ ★

دمشقُ عثرنا فصار البغـاثُ ... نسوراً تبزُّ الطيورَ الكواسـر
ففي الشطِّ راياتُهم خافقــاتٌ ... وفي البحـر أسطولُهم والعساكـر
وكسرى بإيوانــه المرمريّ ... يُجَدِّدُ أمجادَ ماضي الأكاسر
ولم يبقَ بعد مُصابِ الخليـجِ ... حديثٌ لإمّعَةٍ أو مكابـر
لقد بان ما ظل تحت الغطاءِ ... وأطماعُهم قد تبدتْ فواغـر
وقد جحدوا الدينَ واستنكروه ... وخانوا تعاليمَـهُ والشعائـر
ولسنا برغمِ نزيفِ الجراحِ ... سوى الموتِ عند صليلِ البواتر
سوى النار تلتهمُ المعتدين ... وتُودي بكلِ حقـودٍ وغـادر
ومهما دجا الليلُ يبقى الصمودُ ... ويبقى النضالُ وتبقى المفاخر ■■

الكويت ـ احمد السقاف

ماقال كُتّابُ في ثقافةِ كَيفَ تكُون

بقلم : الدكتور
مصطفى الصاوى الجوينى

الاستاذ المساعد بكلية البنات جامعة عين شمس

ادير هذا الحديث مقتصرا فيه على ما دار حول فن كتابة الرسائل الصادرة من الملوك منذ تأثل للحكم العربى ملك . وقد عرف هؤلاء الكاتبون باسم الكتّاب ، وقرّبوا من الملوك ، ومنهم من تقدموا فكانوا للملوك وزراء .

الرسائل فى عصر النبوة والخلفاء

وطبيعى ان فن الرسائل في عصر النبوة والخلفاء الراشدين كان يقوم به صفوة من الصحابة ، ولم يكن يحيط به زخرف في الشكل متعمد ، او تصطنع له ثقافات خاصة ، ولا كانت تحوطه مظاهر ابهة فارغة ، انما كان يلف هذا الفنّ روح صدق ، وتحركه غاية هى الدين ، كانت ذاعت في الناس بالكلمة الصادقة وبالجدل الهادىء .

عصر بنى أمية والعباسيين

فاذا ما كان عصر بنى امية حيث جو الملوك ومظاهر الرهبة بالجند والحجاب صار للكتابة جو ، ووضعت لها رسوم وآداب . وهذا ايضا ما كان في عصر العباسيين من بعد .

وقد احاطت بالفن الكتابى في عصر الامويين والعباسيين اسباب من النفاق والملق والوان من اهواء الملوك ، فليس يكون الكاتب عندهم اديبا فحسب ، وانما هو ينبغى الى هذا ان يكون اما شاعرا او سياسيا ، ثم هو مع هذا نديم مسامر . ومن هنا يكون ذلك الحديث على مدى العصور حول ثقافة الكاتب العربى وما كان ينبغى ان يستكمله من صفات تختلف من عصر الى عصر ، ويستتبع هذا طبعا اختلاف المقاييس الادبية التى يقاس بها ادب الكاتبين وفقا لتغاير عصورهم .

عبد الحميد الكاتب

ونبدأ بعبدالحميد بن يحيى الكاتب (ت ١٣٢ هـ) لنعرف رايه في كتاب العرب ، فنجد في رسائله رايه في الكاتب كيف يكون . انه يرى ان منزلة الكاتب من الملك هى انه وزيره وقائده الحربى ، وان صلح الكاتب صلح السلطان واستقامت للناس امورهم ، وان فسد الكاتب فسد الامر جميعا . وهو يشترط للكاتب صفات خلقية فيكون حليما في موضع الحلم ، فهيما في موضع الحكم ، مقداما في موضع الاقدام محجاما في موضع الاحجام ، مؤثرا للعفاف والعدل والانصاف ، كتوما للاسرار ، وفيا عند الشدائد ، عالما بما يأتى من النوازل ،

العرب
كتّابِ العرب
وكم تكون ؟

يضع الامور في مواضعها . ثم صفات نفسية تنعكس في ادب السلوك .

ويفصّل عبد الحميد بن يحيى فيما ينبغي للكاتب من سياسة التدبر وفي خطة وزارته فلا يسرف في الترف بحيث يصبح لافتا للنظر، وكذلك فليكن حديثه وكتاباته ورايه واشاراته مطبوعة كلها بطابع الايجاز والقصد خشية الزلل ، بحيث يكون من السلطان الحاكم مطلوبا قربه .

اما الآن الكاتب الثقافية فيعد منها عبد الحميد (الادب ـ الدين ـ العربية ـ الخط ـ الاشعار ـ ايام العجم والعرب ـ الحساب) .

والرسالة في معظمها دستور خلقي للكتّاب ، كيف يعامل بعضهم بعضا ، وكيف يعاملون الملك ثم كيف يتعاملون مع الناس .

والجاحظ

ويتحدث الجاحظ (المتوفى ٢٢٥ هـ) عن الكتاب حديثين يزن في احدهما فنهم ويكون من قوله فيهم في كتابه الحيوان : (فلم ار قوما قط امثل طريقة في البلاغة من الكتاب فانهم قد التمسوا من الالفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا ولا ساقطا سوقيا) .

وفي حديثه الثاني يقيّمهم سلوكا وثقافة ، وهو الطب الخبير بالكتاب ، فقد عاشرهم واستبطن نفسياتهم ولدغ من دسائسهم وزيف تقدهم حينما كان ينسب الرسالة لغيره وهي له فيشيع ذكرها، فاذا ما صرح بنسبة الرسالة الى نفسه طعنوه وجرّحوه . على كل حال فهو في رسالته ذمّ اخلاق الكتاب .

فالكاتب (.. احكامه احكام الارقاء ، ومحله في الخدمة محل الاغبياء . ثم هو مع ذلك في الذروة القصوى من الصلف ، والسنام الاعلى من البذخ ، وفي البحر الطامي من التيه والسرف) . ثم يرسم الجاحظ بريشته الساخرة صورا لانماط من هؤلاء الكتاب : (يتوهم الواحد منهم اذا عرّض جبهته وطوّل ذيله وعقص على خده صدغه .. ان المتبوع ليس التابع ، والمليك فوق المالك) . ويتهزأ بناشئة الكتاب وبثقافتهم السطحية . ولندعه يصورهم : « ثم الناشيء منهم اذا وطيء مقعد الرئاسة ، وتورك مشورة الخلافة ، وحجزت السلة دونه ، وصارت الدواة امامه ، وحفظ من الكلام فتيقه ، ومن العلم ملحه، وروى لبزرجمهر امثاله،

ولاردشير عهده ، ولعبد الحميد رسائله ، ولابن المقفع ادبه ، وصير كتاب مزدك معدن علمه ، ودفتر كليلة ودمنة كنز حكمته. انه الفاروق الاكبر في التدبير ، وابن عباس في العلم بالتاويل ،ومعاذ ابن جبل في العلم بالحلال والحرام ، وعلى بن ابى طالب في الجراة على القضاء والاحكام .. » .

ويستمر في تصوير ما لهؤلاء الناشئة من ثقافة محدودة لا تتعمق ، تخيل لهم انهم بلغوا منزلة الاعلام في دروب المعرفة العربية . ويفطن الجاحظ في عصر كانت الثقافة العربية تصارعها ، في علن او خفاء ، ثقافات الامم المغلوبة ، الى وجود كثرة من كتّاب الملك ينتمون الى الثقافات غير العربية ، كانوا اذا اتيح لهم مجلس خلا من العرب طعنوا في الدين واستثقلوا علومه ورجاله وتمدحوا بثقافاتهم الاجنبية ، فاذا ما كان الحضور من ذوى الثقافة العربية جعلوا مدار حديثهم كتب المنطق او الفلسفة ، وعرضوا في امور الدين ما يتشابه ويحتمل التاويل . اى ان الجاحظ يفطن الى دور هؤلاء في تخريب البنيان العربى القومى . ويسوق في هذا السبيل حجته : (ومن الدليل على ذلك انه لم يُرَ كاتب" قط جعل القرآن سميره ، ولا علمَه تفسيرَه ، ولا التفقه في الدين شعاره ، ولا الحفظ للسنن والآثار عماده . فان وُجد الواحد منهم ذاكرا شيئا من ذلك لم يكن لدوران فكيه به طلاقة" ، ولا المحبة منه حلاوة ، وان آثر الفرد منهم السعى في طلب الحديث والتشاغل بذكر كتب المتفقهين استثقله اقرانه ، واستوضحه الاَّفه ، وقضوا عليه بالادبار في معيشته ، والحرفة في صناعته ، حين حاول ما ليس من طبعه ، ورام ما ليس من شكله) .

وينتهى مطاف الجاحظ بتقويم عام لثقافة هؤلاء الكتاب الذين يتلون ارفع المناصب في الدولة مستشهدا برأى قاض متكلم . سئل ثمامة بن اشرس يوما وقد خرج من عند عمرو بن مسعدة فقيل له : يا ابا معن ، ما رأيت من معرفة هذا الرجل وبلوت من فهمه ؟ فقال : ما رايت قوما نفرت طبائعهم من قبول العلوم ، وصغرت هممهم عن احتمال لطائف التمييز ، فصار العلم جهلهم، والبيان علَم ضلالتهم ، والفحص والنظر حائدا عنهم ، والحكمة معدن شبههم اكثر من الكتاب .

وثمة مسائل فنية في امر الكتابة والكتاب شغل بها الجاحظ كتابيه البيان والحيوان ، ولكنا آثرنا هنا تخير هذا الجانب الذى يتشغل فيه الجاحظ بأمر ثقافة الكتاب وسلوكهم القومى والاجتماعى،وهذا الجانب من غير شك له خطورته عند مؤرخى الادب وراصدى السمات الادبية .

ابن قتيبة فى أدب الكاتب

ثم نلتقي بأدب الكاتب لابن قتيبة المتوفى ٢٧٦ هـ الذى عمل للفتح بن خاقان ، فنجده ينقد نقدا عاما مثقفى عصره ، حين يأخذ الادباء بنتف من الادب الحسي ، ويقاوم التيار الكلامى في الادب معتزا في الوقت ذاته بالثقافة العربية الاسلامية ، ويلح على نقد كتاب عصره لجهلهم بالثقافة اللغوية ، ثم يخلص الى الثقافة التى لا بد منها في رأيه للكاتب ، وهى في مجملها عربية اسلامية ، مركزا على الناحية العملية في هذه الثقافة ، ومدار الامر عنده على العقل وجَودة القريحة ، يعاونهما قدر من الثقافة ، وهذا القدر يتيحه كتاب ابن قتيبة . ثم يتطلب للكاتب صفات خلقية سلوكية ، ويوصي الكاتب وصايا فنية عامة ، منها تجنب الغريب واللحن ومستثقل الاعراب وان يضع الالفاظ في منازلها ، وان يقصد لكل مقام مقال .

وباستعراض ابواب الكتاب نجد ان الغرض منه تعليمي في وقت فشا فيه اللحن باتساع الفتوح واختلاط الاعاجم بالعرب ، ومن ثم نراه يعطى اولا ما به يتثقف اللسان لغويا وما فيه تقويم الهجاء، وما عدا ذلك من افكار فهو مسبوق اليها بالجاحظ.

البطليوسي يتعقب ابن قتيبة

ويتعقب البطليوسي المتوفى ٥٢١هـ في «الاقتضاب» مبحث ابن قتيبة بالشرح والتعليق في كتب ثلاث . ففى الكتاب الاول ينص على هدفه من هذا الشرح، وينبه ان للادب غايتين : اولاهما ادبية محضة ، وهى الادنى ، والاخرى وهى الاعلى انه وسيلة لفهم القرآن وادراكه ، وينقد البطليوسي ابن قتيبة في انه يعيب الثقافة الكلامية ويرى ان العيب انما يتوجه الى ما فيه مخالفة للدين ، ويلمح نفسية ابن قتيبة من وراء طعنه على المتكلمين . فيلحظ البطليوسي ان ابن قتيبة خاف ان يضيق من ابواب المعرفة على الكاتب فيناقض نفسه، ولذلك نسب الثقافات العلمية الى العجم وانهم اوصوا بممارستها .

ويوضح ان خطاب العامة ينبغى ان يكون خاليا من الاعراب المستثقل ، يعنى الصدق اللغوى . والجديد عن البطليوسي انه يبين مراتب الكتاب ، وحاجة كل منهم الثقافية ، ثم يتبع ذلك بناحية

آلية ميكانيكية ، وهي أدوات الكتابة . وفي الكتاب الثاني يتوقف البطليوسي عند مواضع لغوية ، نقد فيها ابن قتيبة او استدرك عليه فيها . ويخصص الكتاب الثالث لشرحابيات ادب الكاتب ، وهو يدرك خطورة افراد معنى البيت من سياقه .

الهمذاني وكتابه الالفاظ الكتابية

ولعله من آصل واطرف الدراسات في الفن الكتابي كتاب الالفاظ الكتابية للهمذاني المتوفى ٣٢٠ هـ الذي غلبت عليه الثقافة النحوية واللغوية، ومارس الكتابة لبكر العجلي ، وقد نقد الصاحب ابن عباد هذا الكتاب ، لان صاحبه يسّر على الناس جميعهم امور الكتابة ، بما قدم لهم من شواهد ادبية ولغوية . على كل حال فان الهمذاني عرض حال كتاب عصره مقررا في البدء ان الكتابة قد بلغت باصحابها الى حيث يسوسون الملك ، ويلون مرتبة الوزارة ، بل وكان منهم الخلفاء ، ويبين ان من الكتاب من رقى به ادبه ، ومنهم فقير الحظ من موهبة الكتابة ، فتعوض عنه بالتقعر والغريب ، ومنهم قليل الحظ من الثروة اللغوية. وهدف من كتابه الى وضع ثروة لغوية من التعبيرات الادبية ، تلتقطها من الكتب ومحافل الادب على حسب تنوع الاغراض والفنون ، وقرر ان البلاغة هي في اللفظ يزين المعنى ، وفي المعنى المزين باللفظ ، مشيرا الى ان المعنى قد يسبق اليه ، لكن وضعه في صيغة مبتكرة تجعل صاحبه له مبتدعا . ومن امثلة ابواب الكتاب : باب العطش، باب المجاعة ، باب خفض العيش والرفاهية ، الفصاحة ، البلاغة ، مدح البليغ ، ووصف كلامه ، باب العي ، الافراط في الكلام ، التشبيهات .. الخ . ولقد تتداخل بعض الابواب ، فمثلا ذكر اولا باب المجاعة ، ثم عاد وافرد بابا لترادف الجوعان، وهذا طبيعي في تعبيرات تنتقى من هنا وهناك .

الصولي وأدب الكتاب

ثم ما يزال في القرن الرابع دراسات خصيبة حول الفن الكتابي ، منها ادب الكتّاب للصولي المتوفى ٣٣٥ هـ وفيه ينقد الصولي بعض من الفوا في هذا الموضوع ، بان كتبهم خلت من موضوعية البحث في الكتابة ، ولم تحمل غير الاسم فقط ، اى هو ينقد خلو المحتوى مما يمس فن الكتابة ، واراد بكتابه هذا ان يقصد الى فن الكتابة فعلا لا اسما . وجزّاه ثلاثة اجزاء :

الجزء الاول من الكتاب خصصه لفصول ، منها فضل الكتابة ، واراد به ترغيب الكتاب في ممارستها ، وحديثه عن الكتابة حديث محب ممارس ، وفي فصول هذا الكتاب يعرض لتصدير الكتب وما يقع فيها ، فيشير الى انه لا يكاتب بالتصدير الامام ولا ولي عهده ولا وزيره . فاما الامام فيكتب بالتصدير الى كل من خاطبه من عامل حرب وخراج وقضاء في الكتب المدونة المنعوتة بالعهود والعقود وجباية الفيء والحمول والنفقات والاقطاعات والامارات والفتوح وما جرى هذا المجرى ويبدأ بنفسه ، ولا يخاطب الامام احدا من هذه الطبقات بدعاء له في التصدير ، الا ولي عهده فانه يدعى له بعد التصدير بالحفظ والحياطة . ويحدث في مقال الخط حديثا تتنسم منه روح الفن ، فيقول متمثلا بالشواهد : « الخط صورة روحها البيان ، ويدها السرعة ، وقدمها التسوية وجوارحها معرفة الفصول » . ويقول ابو دلف : « القلم صائغ الكلام مفرغ ما يجمعه العلم » . وقال اقليدس : « الخط هندسة روحانية وان ظهرت بآلة جسمانية » واخذه النظام فقال : « الخط اصل الروح وان ظهر بآلة الجسد » ويبين القيمة العملية لحسن الخط في وقت لم تكن فيه الآلات الكاتبة المعوضة عن قبيح الخط : « ومن فضل حسن الخط ان يدعو الناظر اليه الى ان يقراه وان اشتمل على لفظ مرذول ومعنى مجهول . وربما اشتمل الخط القبيح على بلاغة وبيان وفوائد مستظرفة . فيرغب الناظر عن الفائدة التي هو محتاج اليها لوحشة الخط وقبحه».

وفي فصل الوصاة باصلاح الخط وآلته يعرض لاحدى وصاياه في آداب الكتابة فيقول : « ويستقبح ان ينقطع دعاء فيقع اوله في آخر السطر وبعضه في اول السطر الآخر ، وكذلك الكنية والمضاف وغير ذلك ، وما عمل بعضه في بعض ، وما جعل اسما واحدا وهو اثنان في الاصل . وذلك مثل : أعزه الله في الدعاء ، وعبد الله في الاسماء ، وغلام زيد في الاضافة ، وتابط شرا في العامل بعضه في بعض ، وخمسة عشر فيما جعل الاسمان اسما واحدا ومعدي كرب.».

ولعله يريد بهذا الا ينقطع التيار المعنوي فتحدث تداعيات نفسية بسبب تقطيع اجزاء الكلمة التي في حكم اللفظة الواحدة .

وفي فصل حيوى بالقياس الى عصر المؤلف خاصة وفي كل عصر عامة يتناول ما قيل في النقط والشكل والخط الدقيق والآراء المختلفة بصدد ذلك .

وفي الجزء الثانى فصول منها فصل طريف يتصل بادب المباشرة الكتابية من مثل ما نجده في الحديث عن استمداد القلم من الدواة وادب السلوك في هذا الشان .

ورغم انه يعرض في الجزء الثانى من كتابه لامور تتصل بآلية الكتابة وادواتها غير انه يستوقفنا بنظراته الفنية اللماحة الى امور ذات بال في فن الكتابة ، منها مثلا حديثه عن المقادير التى يكتب فيها من القراطيس .

وفي الجزء الثالث نتوقف عند حديثه عن الايجاز كقيمة بلاغية يحرص عليها العرب منذ قديم .

والخطة الواضحة في تقسيم الكتاب الى ثلاثة اجزاء ، وتخصيصه الجزء الاول لفنية الكتابة ، والثانى لآلية الكتاب والثالث لمعارف تتصل بالوان الكتاب سواء كان كتاب رسائل او خراج ، منها اللغوى ومنها الجغرافي .. الخ .

وبعد أن فرغ المؤلف من تاليف هذا الذى اراد به حسم الخلاف في القواعد التى ينبنى عليها الرسم والهجاء وعد بمؤلف آخر لم يصل الينا موضوعه « التعبيرات الادبية في الكتابة » فقال : « .. وما يكثر استعمال الادباء والكتاب له في الفاظهم وكتبهم اوسع من ان يؤتى عليه في مثل هذا الكتاب ، وسنفرد لذلك كتابا نستقصيه فيه، ونميز فصيحه من عييّه ، ومختاره من رديئه ، ونأتى منه على اكثر ما يمكن مما يحتاج اليه فيه ان شاء الله .

ابن درستويه وكتابه « الكِتاب »

وآن لنا أخيرا ان نقف بالبحث عند كتاب « الكِتاب » لابن درستويه المتوفى ٣٤٦ هـ . وهذا الكتاب الف مرتين ، كما ينص على ذلك ابن درستويه ، مرة في خلافة المعتصم (حكم من ٢١٨ ـ ٢٢٧ هـ) وجاء هذا التاليف مختصرا دون مراد مؤلفه ، واذاعه في بيئة العراق وفي غيرها من البيئات ، ثم بدا له ان يزيد فيه ويغير ، فكسره على اثنى عشر بابا ومائة وثلاثة عشر فصلا ، وهذه النسخة الموسعة هى التى بين ايدينا ، ومقصد المؤلف من كتابه بحكم ثقافته مقصد لغوى، يتصل في الاغلب بصحة الكتابة لغويا ، يضاف الى ذلك ما لا بد منه من حديث عن الخط واصوله وآلية العملية الكتابية .

ويجعل ابن درستويه هذا الهدف المحرك الى التاليف فيقول في المقدمة : « .. كتاب الكتاب الجارى بين الخاصة والعامة في كتب علومهم وآدابهم ومراسلاتهم الذى لا يستغنى متادب عن معرفته، ولا يليق بذى مروءة جهله ، وفيه اختلاف العلماء ، فمنهم المقتفى خط المصحف ، والمكتفى بما نشا عليه ، ان مصيبا وان مخطئا ، وقد الف كل امرىء منهم في ذلك كتابا على رأيه ، فاخترنا من مذاهبهم جيد ما وافق النظر، واوجبه قياس النحو ، وبينا فيه مواقع الزلل ، من غير ان ننص الى عالم زلته ، او ننعى عليه عثرته ، وسميناه كتاب الكِتاب ، اذ كان قصدنا فيه لما يكتب من منهج وقراءة دون غيره ، ولان الهجاء يلحق الكلام غير المكتوب ايضا ، وان الخط قد يكون تصويرا ونقشا ، ولم ننسب الى الكتابة لانها صناعة الكاتب ، وهى تجمع اسبابا غير الكتابة ، ووجدنا كتاب الله جل ذكره لا يقاس هجاؤه ، ولا يخالف خطه ، ولكنه يتلقى بالقبول على ما اودع المصحف . ورأينا العَرُوض انما هو احصاء ما لفظ به من ساكن ومتحرك ليس يلحقه غلط ، ولا فيه اختلاف بين أحد ، فلم نعرض لذكرهما في كتابنا هذا . اعلم ان الكتاب ربما يكتبون الكلمة على لفظها وعلى معناها ويحذفون منها ما هو فيها ويثبتون فيها ما ليس منها ويبدلون الحرف ويصلون الكلمة باخرى لا تتصل بها ويفصلون بين امثالها ويختزلون عامة صور الحروف اكتفاء بالطائفة منها ولا ينقطون ولا يشكلون الا ما التبس ، ويحاولون بكل ذلك ضربا من القياس يذكر في موضعه ان شاء الله ..

وهكذا يتبدى لنا ان الباحثين قد لمسوا جوانب قصور في كتاب عصورهم في ثقافاتهم وفي ادواتهم الفنية الكتابية ، وفي مسلكهم وخلقهم ، ولمس كل باحث من تلك الجوانب ما يهمه ، وما هو سائد في عصره من ادواء . ولعل مؤرخى الادب يلتفتون الى تلك المصادر يستنتجون منها حركة الفن الكتابى في تلك العصور وما يَسِمُها من سِمَات الجودة او الرداءة . ■■

مصطفى الصاوى الجوينى

بالعلم..

يعم الرخاء ويَنشر السلام ألويته

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

■ يقولون ان الرخاء، كالسلام لايتجزأ، والعلم الذى يصنع الرخاء، بزيادة الانتاج، ورفع مستوى الحياة، هو نفسه يصنع السلام، حتى يجد كل انسان حاجته من الغذاء..

ومنذ انشئت هيئة الامم المتحدة، بعد ان وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها في منتصف الاربعينيات، وان منظمات هذه الهيئة ولجانها لتقوم بدراسات علمية واسعة النطاق على المستوى العلمى العالمى، في محاولة لدراسة المشاكل التى تتعرض لها البشرية، محاولة ان تصنع الحلول العملية الملائمة لكل مشكلة. وقد قسمت دول العالم الى ثلاث فئات، واطلقت اصطلاح العالم الثالث على الدول المتخلفة او النامية، وهى التي تحتاج الى جهود مخلصة جبارة للنهوض واللحاق بالركب وانما يكون ذلك باستغلال امكانياتها، والاستفادة من مبتكرات العلم والتكنولوجيا.

عالم صغير

ولا مراء في ان العالم قد غدا صغيرا، كانما ألغيت المسافات الغاء، وانك لتتحدث امام المذياع، فيسمعك من هم في النصف الآخر من الكرة الارضية، ربما قبل ان يسمعك مباشرة من هم معك في القاعة نفسها. وانك لتقف امام التلفاز، فيراك من هم على الطرف الآخر من سطح الارض وقد لا يراك بوضوح، من هو غير بعيد منك على بعد عشرات الامتار. وما لنا نذهب بعيدا وقد رأينا وسمعنا رواد الفضاء ـ في رحلات ابوللو الاخيرة ـ رأيناهم يتجولون على سطح القمر على بعد مئات الالوف من الكيلومترات. فلم

تعد هذه المسافات تعجزنا ، وغدا ستكون الرحلة الى القمر في بضع ساعات ، وذلك باستعمال الوقود النووى ، على ان الذى يزعجنا حقا هو هذا التزايد السكاني المخيف ، الذى قد يؤدى الى انفجار . وفي بضع سنين سيصل سكان الارض الى اربعة آلاف مليون نسمة . فاما ان ينتصر العلم ـ وما اشك في انه سينتصر ـ فتجد هذه المليارات من الانفس المأكل والمشرب والملبس والمأوى ، واما ان تحل الكارثة واذا وقعت فلن ينجو من آثارها أحد ، فان الرخاء والسلام لا يتجزآن ، والعلم القادر على تعميم الرخاء هو نفسه قادر على نشر ألوية السلام .

وقد اختصر الزمن كما اختصرت المسافات والعلم يعمل اليوم بحصيلة تقدمه في آلاف من السنين خلت ، فقد امضت الانسانية مائة سنة لتفيد من كشف البخار ، وستا وخمسين سنة لتفيد من كشف الهاتف وخمسا وثلاثين سنة لتصنيع اللاسلكي بعد كشفه ، وخمس عشرة سنة لتفيد من الرادار ، واثنتى عشرة سنة لتفيد من التلفاز، وخمس سنوات لنشر الترانزستور ، وها هي الكشوف الجديدة تسابق الزمن من صواريخ وحاسبات الكترونية وسفن فضاء ومحطات فضاء وغيرها .

وها هو العالم ينقسم الى دول متقدمة جدا ، يصل متوسط دخل الفرد فيها الى خمسة او ستة آلاف دولار سنويا ، على حين أن ثلاثة ارباع سكان العالم يعيشون في شظف من العيش ، لا يكاد يبلغ متوسط دخل الفرد في العام خمسين او ستين أو مائة دولار ، فهناك عالم متقدم يكتفى ذاتيا ، وآخر هو ما يسمى بالعالم الثالث فريسة الفاقة والعوز ، هي الدول المتخلفة التي تتسع الهوة كل يوم بينها وبين الدول المتقدمة . فاذا لم يتدارك الامر ، فقد تقع كارثة تمزق السلام على سطح الارض .

قارات الجوع

فاذا وقعت الواقعة ـ لا قدر الله . فانها لتهدد امن دولة متقدمة كالولايات المتحدة الامريكية . اكثر مما تهددها الاسلحة النووية الصينية . ان قارات الجوع آسيا وافريقيا وامريكا الجنوبية يسكنها ثلاثة ارباع سكان العالم ، وعلى هيئة اليونسكو وهيئة الصحة العالمية ، وهيئة الارصاد العالمية والوكالة الدولية للطاقة الذرية ، عليها ان تتكاتف لتنفيذ المشروعات التي تعود بالنفع على هؤلاء السكان . وامام هذه الهيئات مشروعات لا تكاد تقع تحت حصر ، مثل مشروع زراعة الأراضي القاحلة في صحراء البرازيل وصحراء افريقيا ، ومشروع إعذاب ماء البحر ، ومشروع انشاء مدن يمتزج فيها التدفق الزراعي بالنشاط الصناعي ومشروعات تعدين النحاس والحديد والفوسفات والزنك والالومنيوم، حيث ملايين الاطنان من خامات هذه المعادن في غانا ، ومشروعات اقامة مصانع عجينة الورق والواح الابلكاش في المكسيك وبرامج التشجير وزراعة المراعي في كولومبيا ومنشئات صهر الرصاص والزنك في بورما ، ومعهد الصحة العامة في افغانستان ومئات المشروعات في ماليزيا وعلى سفوح جبال الهملايا والهند ومنغوليا والباكستان وايران وانشاء معاهد التدريب والارشاد . وثمة مشروعات مشابهة في كل انحاء افريقيا من المغرب الى تنزانيا وتقدم هيئة الامم المتحدة مساعدات مالية وفنية لتنفيذ هذه المشروعات . ومع ذلك فاننا لا نضمن تنفيذ هذه المشروعات تنفيذا سليما فضلا عن أن هجرة الفنيين من البلاد الفقيرة ، يزيد الطين بلة . وذلك لان تنفيذ هذه المشروعات يحتاج الى تدريب مئات الالوف من الفنيين للاشراف على التنفيذ السليم فان مشروعات التنمية في افريقيا تحتاج الى نحو ٢٥٠٠٠٠ كما تحتاج آسيا الى ٧٠٠٠٠٠ . اما امريكا اللاتينية فتحتاج الى ٤٥٠٠٠٠ فنى ، وتلك هي قارات الجوع كما يسمونها .

ان التقدم العلمي والتكنولوجي هو العلاج الأمثل لهذه الحالة فالعلم هو الوسيلة الاولى والاخيرة لانقاذ البشرية من هذه الكارثة المروعة التي توشك ان تحل به ، فان تخلف البعض يعوق تقدم الكل .

ثروات الارض

ان النشاط العلمي يتضاعف كل عشر سنوات، وامامنا ١ على ١٢ فقط من مساحة الارض هو المستغل في الزراعة وبقية مساحة الكوكب الارضي محيطات وصحارى وجبال ولقد صنع علماء الالكترونيات آلات تسمع وترى وتلمس على قدر من الكفاءة

تفوق قدرة البشر ويقوم الحاسب الالكترونى بعمليات حسابية تحتاج الى سنوات لاتمام اجرائها . والعلم الذى وُلد في ارض تجاور فيها الفحم والصلب والبترول،قد تطور سريعا وزادت ثروات هذه البلاد المتقدمة عشرة اضعاف ما كانت عليه في خلال قرن من الزمان . ويستطيع كل بلد نام ، ان يبدأ في مواجهة احتياجاته الاقتصادية الملحة ، بان يستقدم العلميين من الخارج . ولكنه لن يُصبح مستقلا بالفعل الا عندما يُنشيء رصيده الخاص من رجال العلم والفنيين والمؤهلين تأهيلا عاليا ، وتكون لديه المنشئات العلمية الخاصة به ولن يستطيع اى بلد محروم من رجال العلم والفنيين ، الا ان يبقى بعيدا عن تيار الحياة العصرية . وعلى كل بلد مستقل ان ينظم هيئة للباحثين خاصة به يكون مهمتها القيام بدراسة مختلف مظاهر طبيعة البلد وموارده الطبيعية . ففى البلاد المتقدمة مثل امريكا يوجد الف عالم وخمسة آلاف مهندس لكل مليون نفس . وطبيعى ان يدخل في نطاق الطاقة العلمية والفنية ، عدد المعاهد القومية للبحوث ومعداتها وانتاج الاجهزة العلمية.ومراكز التوثيق العلمى والمطبوعات العلمية في اللغة القومية وينبغى ان نشير فوق ذلك الى ان الاساس السليم مطلوب ، فينبغى الا تكون هناك أمية بل تمحى محوا وان يكون مستوى التعليم العام عاليا ، فان الصلة وثيقة بين النهضة الاقتصادية وتعليم السكان ، وبدون اعطاء اولية مطلقة للتعليم في مستوياته المختلفة ، لا يمكن ان تتحقق الآمال المعقودة على النهضة العلمية فعلى سكان العالم الثالث ان يتبينوا تلك الحقائق وان يعملوا جاهدين على رفع مستوى التعليم ، وان يعنوا العناية الكاملة بالبحث العلمى ومعاهده وهيئاته،وان يعملوا على استغلال الموارد الطبيعية في بلادهم الى اقصى حد ، وذلك لمواجهة الطفرة السكانية .

ان التقدم العلمى والتكنولوجى قد جعل العامل الواحد في الولايات المتحدة يوفر الغذاء لاربعين فردا على حين أن المحاصيل في العالم الثالث غير كافية حتى لمواجهة اسرة المزارع ، ومن سخرية القدر ان الفقراء لا يستطيعون الحصول الا على اكثر الطاقات تكلفة . حيث ثمن السعر يفوق عشرين مرة ثمن الطاقة الكهربائية المعادلة ، حتى لو صدرت من محطة توليد ذرية .

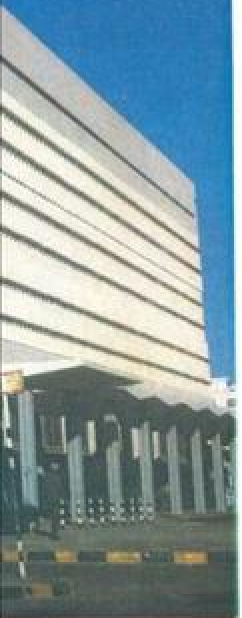
وكذلك اصبح العالم صغيرا ، ليس من الخير له ان يتحطم سلامه في اى جزء من أجزائه كما انه ليس من الخير أن يتحطم رخاؤه في اى رجا من ارجائه ، فالرخاء كالسلام لا يتجزا . ■■

د. عبد الحليم منتصر

فراســة

ركب هارون الرشيد فى جماعة للنظر الى قصر بناه حديثا فدخله فجاة ، فخرج كل من بالقصر وبقي رجلان خفيا عن الابصار فرأى الرشيد احدهما . فقال من انت ؟ قال : انا انا انا . فقال : من انت ويلك ! قال : لا ادرى لا ادرى لا ادرى . قال : الك حاجة ؟ قال : لا لا لا . قال : اخرجوه ثم امر احد اعوانه ان يتبعه وقال : انى اراه حائكا فكان كما قال .

ثم راى الآخر فسأله فاجابه بقلب جريء ولسان طلق قال : انا رجل من ابناء دعوتك قال : فما جاء بك الى هنا . قال : جئت لانظر الى هذا البناء واتمتع بالنظر اليه . قال : افلك حاجة . قال : خطبت ابنة عمي فردنى ابوها وقال لى لا مال لك ، والناس يرغبون فى الاموال ، وانا لها وامق واليها تائق . قال : قد امرت لك بعشرة آلاف . قال : يا امير المؤمنين قد وصلت فاجزلت الصلة واعظمت المنة فامتعك الله بما انعم به عليك . ثم ان الرشيد ارسل بعض اعوانه فسألوا عن مهنته . وقال : لا بد ان يكون كاتبا ، فرجع الرسول بصحة ما تفرسه الرشيد .



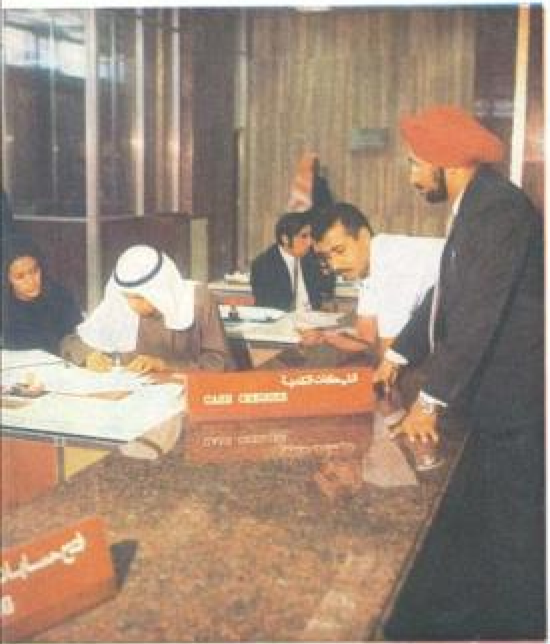
تتميز البنوك في الكويت بفخامة مبانيها وتصميماتها والصورة الاولى **(الى اليمين)** تمثل مبنى المركز الرئيسي للبنك التجاري بينما الصورة الثانية **(في الوسط)** تمثل مبنى المركز الرئيسي لبنك الكويت الوطني .

بنوك الكويت

- منذ ٣٠ عاما لم يكن في الكويت ، سوى بنك واحد أجنبي واليوم أصبح في الكويت ٥ بنوك وطنيـة .
- ٤٠٤ مليون دينار ودائع المقيمين في بنوك الكويت

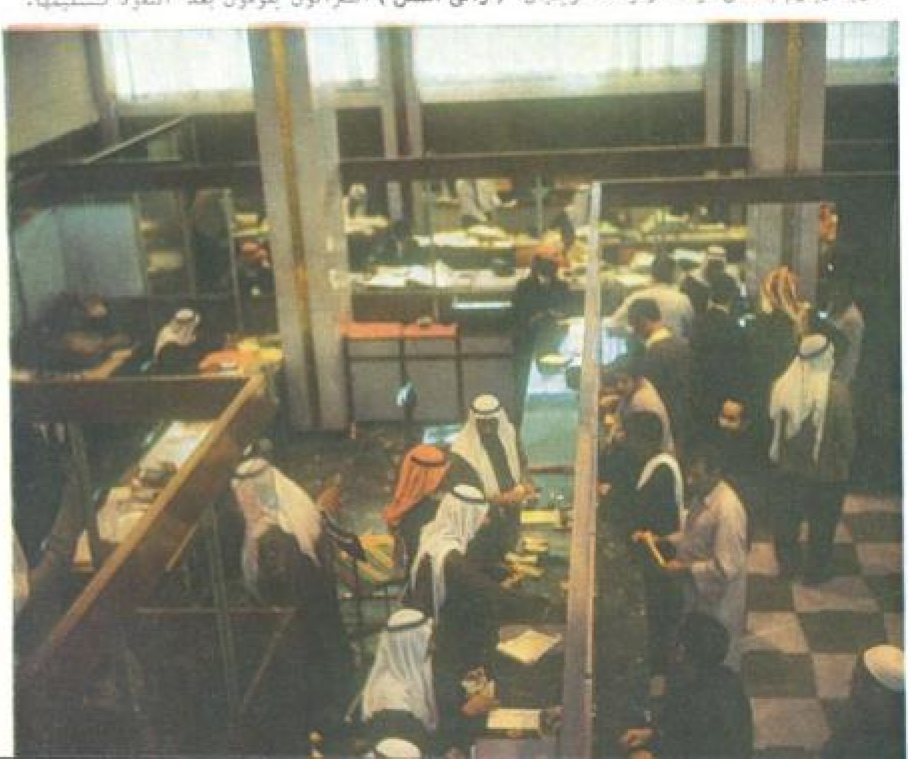
استطلاع
محمد طنطاوى

تصوير
فهد الكوح





(الى اعلى اليسار) صورة تمثل بداية عملية صرف الشيكات النقدية في الصالة الرئيسية لاحد بنوك الكويت ويقوم بالعمل موظفة وموظف كويتيان. **(والى اسفل)** الصرافون يقومون بعد النقود لتسليمها.



تلعب البنوك دورا هاما في حياة الدول والافراد معا في عصرنا الحديث. والكويت بلد تجاري يعتمد في حياته الاقتصادية على الاستيراد والتصدير وعلى علاقاته التجارية مع مختلف بلدان العالم .. فهو بلد مصدر للنفط ومستورد لاغلب احتياجاته من المصنوعات والبضائع الاستهلاكية والمنتوجات الغذائية .. لذا كان للبنوك في الكويت بالذات اهمية كبرى في حياته الاقتصادية .

اول بنك في الكويت

بالرغم من ان تاريخ الحركة المصرفية في الكويت لا يتعدى الثلاثين عاما .. الا ان ما حققه الكويت من نهضة سريعة في هذا المجال يسير جنبا الى جنب مع ما حققه في مختلف ميادين التقدم والنهضة .. فمنذ ٣٠ عاما فقط لم يكن هناك في الكويت بنوك تجارية .. وكان اول بنك منح امتياز القيام باعمال المصارف في الكويت هو البنك البريطاني للشرق الاوسط وذلك في عام ١٩٤١ على ان تكون مدة هذا الامتياز ٣٠ عاما تنتهي في ١٨ ديسمبر ١٩٧١ . وقد افتتح البنك ابوابه للجمهور في عام ١٩٤٢ وكان يدعى البنك الشاهي البريطاني .. وتغير اسم البنك بعد ذلك فصار اسمه البنك الامبراطوري وبعدها اصبح يحمل اسم البنك البريطاني للشرق الاوسط وظل هذا البنك البريطاني يعمل وحيدا في الكويت اكثر من عشر سنوات حتى تأسس اول بنك كويتي وهو بنك الكويت الوطني في ١٥ نوفمبر ١٩٥٢ وباشر اعماله المصرفية في اول ديسمبر ١٩٥٣ . وتبدأ قصة تأسيس اول بنك كويتي عندما اجتمع جماعة من التجار وراوا ضرورة تأسيس بنك وطني ولاقت الفكرة نجاحا شعبيا ووافق عليها المسئولون فخرجت الى حيز التنفيذ وبدأ الاكتتاب في راس مال البنك وجمعوا ١١ مليون روبية (حوالي مليون جنيه استرليني) .. وبعد ذلك اجتمع المساهمون بالمدرسة المباركية وانتخبوا هيئة ادارة اول بنك كويتي وطني من تسعة اشخاص هم : خالد الزيد الخالد ـ خالد العبد اللطيف الحمد ـ السيد علي السيد سليمان ـ عبد العزيز الفليج ـ احمد السعود ـ محمد العبد المحسن الحمد الصقر ـ يوسف الاحمد الغانم ـ يوسف الخرافي وخليفة الخالد الغنيم .

تطور سريع

بعد ٨ سنوات من تأسيس البنك الوطني تم انشاء البنك التجاري الكويتي في ١٩ يونيو ١٩٦٠، وفي نفس العام تم انشاء بنك وطني ثالث هو بنك الخليج وذلك في ٢٣ اكتوبر من عام ١٩٦٠ . وفي عام ١٩٦٧ تم تأسيس البنك الاهلي الكويتي وبذلك اصبح عدد البنوك التجارية في الكويت خمسة، منها ٤ بنوك وطنية وبنك واحد اجنبي. وفي نهاية عام ١٩٧١ حل بنك كويتي تجاري جديد هو بنك الكويت والشرق الاوسط محل البنك البريطاني للشرق الاوسط ، واصبح عدد البنوك التجارية في الكويت خمسة بنوك كلها كويتية . ونتيجة لزيادة عدد السكان وتوسع العمران وزيادة الناتج القومي الاجمالي قامت البنوك التجارية الكويتية بانتاج فروع لها في كافة مناطق الكويت وقد وصل عدد هذه الفروع في ابريل ١٩٧٠ الى ٦٤ فرعا .. وبعد ان كان كل فرع من فروع البنوك التجارية الموجودة

المبنى الرئيسي لبنك الكويت والشرق الاوسط (البنك البريطاني للشرق الاوسط سابقا) وقد افتتح هذا البنك ابوابه للجمهور في النصف الاخير من شهر ديسمبر الماضي .





السيدة بسمة الخالد مديرة فرع السيدات في البنك الوطني الكويتي وهو اول بنك للسيدات ينشأ في الكويت تتحدث مع عميلتين جاءتا لتفتحا حسابا في البنك .

في الكويت في عام ١٩٥٧ يقوم بخدمة ٢٣٧ر١٠٣ من السكان اصبح هناك لكل ٥٦ر١١ مواطن بنك يقوم بالخدمات المصرفية لهم وذلك في ابريل ١٩٧٠ . وهذا الرقم وحده يدل على مدى التطور المصرفي السريع الذى حدث في الكويت في ظرف ١٣ عاما فقط .

حديث الارقام

عند الحديث عن البنوك ، فليس هناك ابلغ من لغة الارقام . ولنترك الان الحديث عن البنوك التجارية في الكويت لهذه الارقام التي اصدرها البنك المركزى الكويتي في تقريره السنوى الثاني عن السنة المنتهية في ٣١ مارس ١٩٧١ .

في نهاية مارس عام ١٩٦٣ كان صافي المطلوبات ، في بنوك الكويت التجارية ٥ر١٩٢ مليون دينار .

وقد أخذ هذا الرقم في الازدياد المطرد حتى وصل الى ٨ر٥٧١ مليون دينار في نهاية مارس ١٩٧١ .

وودائع المقيمين في الكويت هي أهم مكونات صافي المطلوبات حيث تمثل في المتوسط ١ر٨٢٪ منها وقد ازدادت هذه الودائع من ١ر١٦٧ مليون دينار في عام ١٩٦٣ الى ٧ر٤٠٤ مليون دينار في عام ١٩٧١ محققة زيادة بنسبة ٢ر١٤٢٪ وقد نتجت هذه الزيادة بسبب زيادة الوعي المصرفي وزيادة الدخل القومى الذى كان ٤٤١ مليون دينار في عام ١٩٦٣ واصبح ٧٩٠ مليون دينار في عام ١٩٧١ .

وتمثل الودائع الادخارية ٧ر١٥٪ من هذه المبالغ، بينما تمثل الودائع ذات فائدة محددة واجل ٥ر٥١٪ منها .

وتنعكس صورة صافي المطلوبات للبنوك التجارية في صافي موجوداتها التي تكون الموجودات الاجنبية منها ٧ر٦٩٪ في المتوسط خلال الفترة من عام ١٩٦٣ الى عام ١٩٧١ والودائع في البنوك الاجنبية هي



(**الى اعلى**) تلاقي فروع البنوك الخاصة بالسيدات اقبالا شديدا وتقوم بالعمل في هذه الفروع فتيات وسيدات كويتيات واغلب عمليات هذه الفروع تنصب على عمليات الادخار والتوفير

(**الى اسفل**) يضم كل بنك من البنوك اقساما متعددة ، لكل قسم عمل خاص ومكان خاص وهذا القسم يختص بضبط حسابات العملاء وارسالها اليهم بعد الانتهاء من مراجعتها في الاقسام الحسابية .







(الى اعلى) منظر عام للصالة الرئيسية في البنك التجاري الكويتي.. ويلاحظ فيه النظام المصرفي الحديث الذي يكفل الراحة للعملاء وسرعة العمل .

(الى اليسار) مدخل خزائن العملاء في احد بنوك الكويت وهي تلك الخزائن التي يستطيع اي مواطن ان يستأجر واحدة منها لقاء رسم سنوي زهيد .



الكويت بلد تجاري يعتمد على الاستيراد والتصدير ولذلك تجد زحاما دائما على اقسام التحويلات الاجنبية التي تقوم بالتحويلات الى الخارج وبيع العملات الاجنبية .

الجزء الاكبر من الموجودات الاجنبية وتبلغ نسبتها ٨١ر٧٪ من كافة الموجودات الاجنبية .

الائتمان المصرفي

تؤدى البنوك خدمات اقتصادية كبيرة للافراد والهيئات التجارية كما تؤثر خدماتها ايضا تأثيرا مباشرا على اقتصاديات الدولة ككل .. ومن اهم الخدمات التي تقدمها البنوك عملية الائتمان المصرفي والائتمان المصرفي بتبسيط شديد هو قيام البنوك باعطاء قروض لعملائها على هيئة خطابات اعتماد او سيولة نقدية كسلف محدودة الاجل من اجل مشروع معين او استيراد بضاعة او غيره من المعاملات الاقتصادية .

وقد ازداد الائتمان المصرفي في الكويت بزيادة الناتج القومي الاجمالي الذى ازداد من ٤٦٠ مليون دينار كويتي في عام ٦٢/٦٣ الى ٨٤٠ مليون دينار في عام ١٩٦٩/٧٠ اى بنسبة ٨٢ر٦٪ ، وفي نفس الوقت زاد الائتمان المصرفي من ٤٧ر٥ مليون دينار في ٣١ مارس ١٩٦٣ الى ١٢٨ر٣ مليون دينار في ٣١ مارس ١٩٧٠ اى ان نسبة الزيادة وصلت الى ١٧٠٪ وقد ازداد حجم الائتمان المصرفي في ٣١ مارس ١٩٧١ الى ١٣٥ مليون دينار كويتي .

وقد قام الائتمان بتزويد التجارة الكويتية ، خارجها والداخل ، بنصف حاجتها من المال ولم يتركز الائتمان المصرفي في تمويل التجارة الخارجية فقط اذ لو صح ذلك لكان كل ما قيمته منها دينار كويتي واحد قد موله الائتمان المصرفي بنصف دينار وهي نسبة مرتفعة تخالف حقائق الحياة الاقتصادية .

خزائن للايجار

بالطبع لا يقتصر عمل البنوك على الائتمان المصرفي ولكنه يتعداه الى تقديم خدمات مباشرة لكل فرد على اى مستوى ، فالبنوك التجارية تستطيع ان تستثمر لك اموالك عن طريق حسابات الادخار والتوفير ، كما تستطيع القيام بالعمليات المباشرة كتحويل النقود الى الخارج والتجارة في العملات الاجنبية وصرف الشيكات العادية وغيرها من العمليات المصرفية ، كما تستطيع ايضا ان تقوم بتحصيل ارباح الاسهم والسندات التي للتووضعها في حسابك مباشرة دون اى تعب من جانبك . وهي تستطيع ايضا ان تقدم لك النصح في المسائل الاقتصادية .. والى جوار هذه الخدمات توجد ايضا في كل بنك من بنوك الكويت خزائن صغيرة للايجار حيث تستطيع ان تحتفظ فيها بالمستندات او الاشياء الثمينة التي تخشى عليها من السرقة او الضياع وهذا نظير ايجار سنوى زهيد يتراوح بين ٣ - ٢٠ دينارا سنويا حسب حجم الخزانة المستأجرة .

جولة في بنوك الكويت

في الكويت الآن - كما ذكرنا - ٥ بنوك تجارية لكل منها مركز رئيسي وعدة فروع يبلغ عددها، حسب آخر احصائيات عام ١٩٧٠ ، ٦٤ فرعا .

وتتميز المراكز الرئيسية لبنوك الكويت بفخامة وحداثة مبانيها . وهى تضارع في تصميمها احدث المصارف العالمية . وقد قامت « العربي » بجولة في بعض البنوك الرئيسية في الكويت : مبان شاهقة حديثة - صالات واسعة للعمليات المصرفية اليومية

من سحب وايداع وتحويلات وصفقات ائتمانية وغيرها .. كل قسم يقوم بعمل واحد .. وكل قسم له موظفوه المختصون .. العمل يسير بسرعة ودقة .. ويقوم بالاشراف على عمليات كل قسم مدير مسئول متمرس بالعمل المصرفي .

ويبلغ عدد موظفي البنوك الكويتية حسب الاحصائيات الاخيرة ويعود تاريخها الى ٣١ ديسمبر ١٩٧٠ حوالى ١٦٥٥ موظفا..عدد الكويتيين منهم ١٩٨ اى بنسبة ١٢٪ ، ولكن في العام الاخير وهو عام ١٩٧١ يقدر المسئولون أن عدد الموظفين قد يصل الى حوالى ٢٠٠٠ موظف .

الحسابات الالكترونية في كل بنك

في كل بنك من بنوك الكويت التجارية يوجد قسم للحسابات الالكترونية وهذا القسم مزود بحسابة الكترونية ضخمة تقوم بانجاز حسابات العملاء وميزانية البنك وغيرها من العمليات الحسابية المصرفية بدقة وسرعة..وهذه الحسابة الالكترونية توفر الوقت والجهد والدقة في اعمال البنك وكل حسابة الكترونية تستطيع أن تنجز اى عملية حسابية معقدة في دقائق معدودة في حين أن هذه العملية قد تستغرق يوما كاملا لو قام الانسان بانجازها بطرقه العادية .



هذا المواطن يستأجر خزانة في احد البنوك حيث يحتفظ فيها بالاشياء الثمينة التى يخشى عليها من الضياع او السرقة ، وعندما يقوم بايداع اى شيء في خزانته فان الموظف المسئول يدخل معه الى قاعة الخزائن حيث يقوم مستأجر الخزانة بفتحها هو والموظف المسئول لان كل خزانة لها مفتاحان واحد يحتفظ به البنك والثاني يحتفظ به المواطن ولا يتم فتح الخزانة الا بهذين المفتاحين معا .

فروع خاصة للسيدات

وتتميز البنوك الكويتية باهتمامها بالمرأة التى هى نصف المجتمع ، وقد قام عدد من البنوك بافتتاح فروع خاصة للسيدات يشرف على العمل فيها سيدات وفتيات كويتيات وذلك تشجيعا للمراة الكويتية على التعامل مع البنوك وايداع نقودها فى حسابات للتوفير ونشرا للوعى الاقتصادى بين النساء . وقد نجحت هذه الفكرة نجاحا كبيرا وبدأ تنفيذها فى اكثر من بنك واحد .

وقد ادت المنافسة بين البنوك الكويتية الى قيام كثير من فروع البنوك بفتح ابوابها بعد الظهر ٣ أيام فى الاسبوع وذلك تسهيلا لأعمال عملائها من موظفى الحكومة والشركات وحتى لا يتركون عملهم للذهاب الى البنك .

نظرة فى ميزانية البنك الوطنى

لكى تزداد صورة البنوك الكويتية وضوحا فلا بد لنا من القاء نظرة سريعة على ميزانية احد البنوك ، وقد اخترنا البنك الوطنى الكويتى حيث انه اول بنك وطنى تأسس فى الكويت .

بلغ مجموع الميزانية ٦٣١ر٧٣٣ر٢٢٦ دينار كويتى فى نهاية عام ١٩٧٠ مقابل ٦٨ر٠٨٠ر٢٩٥ دينارا كويتيا فى نهاية عام ١٩٦٩ . اما راس المال فقد زيد الى ٥٠٠ر٦٢٠ر٥ دينار كويتى ، وبلغ مجموع الحسابات الجارية والودائع والحسابات الاخرى بما فيها حسابات الطوارىء ٧٩٩ر٩٤٩ر٢٦٢ دينارا كويتيا ، ووصلت قيمة الودائع مع البنوك والمصارف الصناعية الى ٥٥٥ر٩٥٦ر١٢٠ دينارا كويتيا . اما سلفيات العملاء والكمبيالات والحسابات الاخرى فقد قدرت بـ ١٢٦ر٣٩٧ر٩٣ دينارا كويتيا .



يقبل المقيمون فى الكويت على ايداع نقودهم فى حسابات ادخارية وتعتبر اقسام التوفير اكثر الاقسام عملا بسبب هذا الاقبال الشديد ويقوم بالعمل فيها موظفون اكفاء تمرسوا بالعمل المصرفى . وتبين الصورة احد المسئولين عن قسم التوفير فى احد البنوك مع موظفى القسم اثناء العمل .



توجد في بنوك الكويت آلات حديثة تقوم بعد وفرز العملات المعدنية بسرعة ودقة وهي تعمل اوتوماتيكيا فتفرز كل عملة حسب فئتها على حدة وتعطي في نفس الوقت عددها وبذلك توفر الزمن والجهد والدقة .

وقد بلغت ارباح البنك الصافية لعام ١٩٧٠ بعد خصم الاحتياطيات اللازمة ٢ر١٥٢ر٧٥٦ دينارا كويتيا وتم توزيع ارباح للاسهم ، ولا يجوز ان يملكها غير الوطنيين الكويتيين ، بواقع ٢٢٪ .

ومن الزاوية يتضح ان البنك الوطني الكويتي يساهم في عدة بنوك في الخارج اهمها بنك الكويت المتحد المحدود في لندن وبنك الريف في بيروت وبنك دبي الوطني المحدود في دبي وكذلك في بنك فرنسي عربي وبنك بحريني كويتي .

البنك المركزي .. ورقابة الجهاز المصرفي

بعد هذه المعلومات السريعة عن البنوك الكويتية واعمالها يبقى سؤال واحد .. هو من الذي يشرف على رقابة اعمال هذه البنوك وما هو القانون الذي ينظمها ؟!

ان بنوك الكويت بنوك أهلية وطنية لا تخضع للدولة فاقتصاد البلاد اقتصاد حر بكل معنى الكلمة ولكن لا بد من هيئة وقانون ينظمان عمل البنوك لما له من تاثير ضخم على اقتصاديات البلاد ..

ولهذا قامت حكومة الكويت باصدار قانون بانشاء بنك الكويت المركزي وتنظيم المهنة المصرفية .. والبنك المركزي بنك حكومي رأس ماله مليونان من الدنانير دفعتها الحكومة كاملة واهم اعمال البنك المركزي هي :

١ ـ ممارسة امتياز اصدار العملة لحساب الدولة .

٢ ـ العمل على تامين ثبات النقد الكويتي وعلى حرية تحويله الى العملات الاجنبية الاخرى .

٣ ـ العمل على توجيه سياسة الائتمان بما يساعد على التقدم الاقتصادي والاجتماعي وزيادة الدخل القومي .

٤ ـ مراقبة الجهاز المصرفي في دولة الكويت .

٥ ـ القيام بوظيفة بنك الحكومة .

٦ ـ تقديم المشورة المالية للحكومة .

وقد نص القانون ايضا على حظر ممارسة التجارة او الصناعة على البنوك التجارية الكويتية .

وحرصا على سلامة الاقتصاد الكويتي نص قانون تنظيم المهنة المصرفية على انه يجوز لمجلس ادارة البنك المركزي ـ كلما دعت الضرورة الى ذلك ـ ان يضع القواعد والاحكام التي يجب على جميع البنوك الالتزام بها ضمانا لسيولتها النقدية .

كما يجوز للبنك المركزي بعد موافقة وزير المالية أن يعين للبنوك الجزء من اموال البنك الواجب استثماره في السوق المحلية وكذلك سعر الفائدة التي تدفعها عن الودائع والاسعار العليا للفائدة والعمولات التي تتقاضاها من عملائها .

كما ان القانون يلزم البنوك التجارية العاملة في الكويت بان تقدم للبنك المركزي ميزانياتها العامة وحساب الارباح والخسائر خلال ثلاثة اشهر من تاريخ انتهاء سنتها المالية .

ونص القانون على توقيع جزاءات على البنوك في حالة مخالفة احكام قانون تنظيم المهنة المصرفية منها : التنبيه وتخفيض تسهيلات التسليف الممنوحة له او تعليقها ، ومنعه من القيام ببعض العمليات أو حتى شطبه من سجل البنوك .

* * *

هذه صورة سريعة لبنوك الكويت التجارية .. تلك المؤسسات المالية التي رفعت رأس الكويت عاليا في ميادين الاقتصاد ، بل وساهمت في كثير من مشروعات التنمية بسلفياتها ليس في الكويت فحسب بل وفي عدد كبير من البلاد العربية والدول النامية الصديقة .

محمد طنطاوي



امراض شائعة

التَّدخين وَأمْراضُ الفَم

بقلم : الدكتور سعيد عجام

■ سبق ان كتب الكثير عن التدخين ومضاره ، والغريب ان معظم الناس وخاصة المدخنين منهم تعرفوا على التأثيرات التي يسببها التدخين على الجهاز التنفسي واصابته بالالتهابات المزمنة والتي قد تؤدى الى تضخم القلب او قد تكون الحالة اخطر فتؤدى الى مرض عضال وخبيث كالسرطان ، ولكن القليل من الناس عرفوا ما يفعله التدخين بالفم وانسجته الرقيقة .

الفم والتبغ

ان الفم هو الجزء الاول الذى يتعرض للدخان او التبغ بصورة مباشرة ، لذا فان تأثيره يكون اكثر فعالية في الانسجة الرقيقة كاللسان وسقف الفم وبطانة الخد واللثة والشفتين وارضية الفم تحت اللسان ، وكذلك في الاجزاء الصلبة وهى الاسنان . ويشتد التأثير في هذه الانسجة والاجزاء بازدياد درجة التدخين .

طريقة استعمال التبغ

وطريقة استعمال التبغ ايضا لها تأثيرها هى الاخرى غير التأثيرات الكيمياوية والفزياوية للتدخين نفسه . وهذه الطرق هى اما ان تكون بواسطة الغليون او السيكارة ذات الورق الاعتيادى او المغلف بورقة التبغ الطبيعي (الجروت) واما بمضغه بين الاسنان او وضعه تحت اللسان كما في (السويكة) . وحتى طريقة وضع السيكارة او الغليون في زاوية الفم او وسطه لها تأثيرها في الانسجة وذلك لتركيزها على جزء محدود من الفم .

وقد بحث كثيرون من العلماء هذا الموضوع بامعان ودقة . فعلى سبيل المثال كتب العالم « باجيت » Paget قال ان الخطورة هى ليست من التدخين بل من سوء استعماله . اما العالم بلدجود Bloodgood فقد جاء برأى آخر اذ قال ان الخطورة تكمن في الافراط في التدخين وهو احد الاسباب المهمة للاصابة بامراض عديدة .

والمهم ان مادة القطران Tar والنيكوتين Nicotine تسببان تخدش الاغشية المخاطية للفم . واما عملية امتصاص السيكارة فتؤدى الى

احتقان الاوعية الدموية . واما الحرارة المنبعثة من السيكارة فتحرق الغشاء الرقيق .

ومن النتائج الغريبة للاحصائيات والملاحظات الدقيقة التي استخلصها العالم «ستون» Sutton ذكر ان الالتهابات الناتجة من التدخين والتي تدعى قرّح النيكوتين Stomatitis Bicotine تظهر عند الاشخاص ذوي العيون الزرق والشعر الاشقر وذوي الجلد الرقيق والحساس لاشعة الشمس .

قروح الفم

تظهر هذه القروح عموما عند الاشخاص الذين تتراوح اعمارهم بين الاربعين والستين سنة ، ونسبة حدوثها عند الرجال اكثر منها عند النساء فهي بنسبة ٩٥ الى ٥ ، والسبب ان التدخين عند الرجال اكثر منه عند النساء . والاصابة بالحالة المرضية المسماة ليوكوبلاكيا Leukoplakia تصيب اى مكان من الفم ، وتكون نسبة الاصابة في اللسان (المنطقة الامامية الوسطى ثم الجانبين) والشقوق في بطانة الخدين والشفة السفلى والعليا ثم سقف الفم وارضية الفم على التوالى اكثر من اصابتها للاعضاء الاخرى . ومساحة التقرح هذا او التثخن تكون صغيرة او تمتد على جميع الغشاء المخاطي ، او قد تحدث في الجهتين من الفم او اللسان بالتساوى . اما لون التضخم فيتغير ، ليس فقط بطول الوقت الذى تتأثر به الاغشية فحسب ، وانما كذلك بالطعام والشراب اذ يعملان على صبغ البقع . فمثلا يكون لونها ابيض عند البعض او رماديا او اخضر فاتحا . وقد يتلون بالشاى والقهوة والدخان فيميل الى اللون الاصفر او البنى . وقد تبقى هذه التثخنات ثابتة لمدة طويلة جدا وقد تتطور وتتسع لحد ما . وفي كلتا الحالتين يمكن التخلص منها في بداية الامر شريطة ان يزول سبب وجودها .

وقد سجل كل من العالمين «سترجر» Sturgir و « لند »und في احصائياتهما ان (٢٩٨) شخص اصيبوا بالتثخن هذا Leukoplakia ولكنهم استمروا على التدخين حتى كانت نسبة اصابتهم بالسرطان ١٢٪ .

طرق استعمال التبغ

التطرق الى الطرق المختلفة لاستعمال التبغ امر لا مناص منه في هذا البحث اذ ان نوعية المرض ومكان حدوثه تتأثران تأثرا كبيرا بطريقة استعماله اكثر من اى شيء آخر . ومن الملاحظ اليوم ان هنالك طرقا مختلفة في العالم لاستعمال التبغ ، وهذه تخضع للعادات الاجتماعية او ان استعمالها يكون بطريقة يظن المدخن بانها تقلل من تأثيرها .

وفي البلاد العربية والدول المجاورة توجد عدة طرق وهي :

اولا – استعمال التبغ بواسطة السكائر :

هذه الطريقة اكثر شيوعا من غيرها وهي اقل خطرا من الطرق الاخرى على الفم وان كان تأثيرها على الشفتين اشد فعالية من غيرها بسبب الحرارة المنبعثة من السكارة والتي تواجه الشفتين مباشرة. ولكن دخان السكارة حينما يدخل الفم يتبعثر على جميع اغشية الفم ولا يتركز على موضع معين . وطبيعي ان السكائر على نوعين . اما ان تكون مغلفة بالورق الاعتيادى واما ان تكون مغلفة بورق التبغ نفسه فيكون تأثيره في الاول اقل منه في الثاني .

ثانيا – استعمال التبغ بواسطة الغليون والنركيلة والمبسم (التخم) : وتأثير هذه الطرق يكون اشد من الاولى وخاصة عند استعمال الغليون . اذ ان المدخن يركز بغليونه على منطقة محدودة بصورة لا ارادية ، ولذا تتأثر هذه المنطقة اكثر من غيرها بالاضافة الى انها تسبب اعوجاجا للاسنان التى تواظب على مسك هذا الجسم الصلب باستمرار .

ثالثا – مضغ التبغ بين الاسنان . تأثير التبغ فيها يكون اكثر من غيرها ، وهو تأثير كيماوى على غشاء الفم وبصورة مباشرة وخاصة على بطانة الخد وارضية الفم واللسان . وتعمل على تخديش انسجة هذه المناطق .

رابعا – استعمال التبغ بوضعه تحت اللسان (السويكة) وهذه تشبه الطريقة الثالثة لحد ما . لكنها تؤثر على ارضية الفم اكثر من غيرها وتسبب في كل الاحوال التهاب اللثة ناهيك عما تسببه من رائحة كريهة للفم .

التأثير الكيمياوى للتبغ

عند استعمال التبغ مباشرة او كدخان يؤثر تأثيرا كيمياويا اذ انه يحتوى على المواد الكيمياوية التالية وهي :

١ – مشتقات البيريدين Pyridine Derivatives

٢ – مركبات الامونيا Ammonia Derivatives

٣ ـ غاز الميثان Marsh Gas
٤ ـ الكحول المثيلي Methyl Alcohol
٥ ـ اجسام فينونية Phenol Like Bodies
٦ ـ مركبات القار Tar Com ponuds
٧ ـ زيت الامبايرومت Empyreumatic Oils
٨ ـ اول اوكسيد الكربون Carbon Monoxid.
٩ ـ النيكوتين Nicotine

فكل مادة من هذه المواد التي يحويها التبغ لها تاثيرها الكيمياوي على انسجة الفم . اضف الى ذلك ما لتاثير المواد الكيمياوية المعطرة والملونة من خطورة ايضا تضاف للتبغ كما بينه العالم Frins عام ١٦١٨ حيث كتب ان المواد الكيمياوية المعطرة والملونة تضيف خطورة على التدخين اكثر بكثير من استعمال التبغ النقي .

تاثير التبغ فيزيائيا

اولا ـ احتقان غشاء الفم ـ ان اهم تاثير فزيائي تسببه السيكارة للفم ، هو احتقان غشاء الفم ، اذ ان امتصاص الدخان يخلخل الضغط داخل الفم وهذا يؤدي الى احتقان الاوعيةالدموية خصوصا عند سقف الفم وبالتالي يؤدي الى الالتهابات المزمنة المنتشرة .

ثانيا ـ الحرارة ـ اما من الناحية الاخرى فان الحرارة المستمرة المنبعثة من احتراق التبغ وان كانت بسيطة لكنها تؤثر على بطانة الفم . فنلاحظ ان شفاه اكثر الاشخاص المفرطين بالتدخين تتلون بلون غامق وتتيبس وذلك نتيجة للحرارة اولا والتخدش ثم التاثير الكيمياوي .

ثالثا ـ تخدش الغشاء ـ من المعروف انطبيعة الدخان تخدش الانسجة المخاطية الرفيعه وان استعمال التبغ بصورة مباشرة في الفم وبقاءه لمدة طويلة يؤديان الى تخدش الغشاء المخاطي وهذا يؤدي الى تثخنه وتغيير طبيعته .

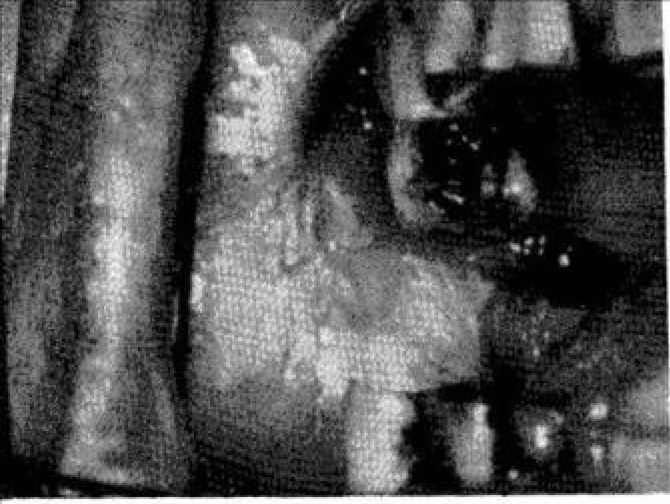
رابعا ـ الضغط المستمر على الاسنان : ان استعمال الغليون والمبسم وفوهة الناركيلة يعرض الاسنان لضغط مستمر وان كان بسيطا ولكنه بمرور الوقت يؤدي لا محالة الى اعوجاج الاسنان وتغيير موضعها في الفك واحتكاكها كما في الصورة (رقم ١) وهذا ناتج لما لهذه الالات من صلابة فوهتها .

الليوكموبلانيا

تحدث هذه الحالة المرضية في مناطق متعددة من الفم كاللسان وبطانة الخد كما في الصورة (رقم ٢) والشفتين ولكن نسبة اصابة اللسان بها اكثر من اي جزء آخر . اذ ان اللسان هو العضو الاكثر مواجهة للدخان من غيره ففي الايام الاولى للتدخين تظهر القرح والبقع الحمراء ثم تتحول الى اللون الرمادي وبمرور الزمن يزداد تثخن سطح اللسان يوما بعد يوم حتى يخشوشن ويتصلب سطحه ويفقد قابلية حساسيته للتذوق والحرارة وتتحدد قابليته على الحركة وهذه

صورة تبين تاثير استعمال الغليون او مبسم السيجارة او النارجيلة على اعوجاج الاسنان نتيجة لاحتكاك هذه الاشياء الصلبة بالاسنان .





التدخين يسبب القروح في مناطق متعددة من الفم وبطانة الخد وتمثل الصورة قرحة في بطانة خد مريض نتيجة للافراط في التدخين .

الحالة المرضية تدعى Leukoplakia كما في الصورة (رقم ٣) وقد تتطور هذه الحالة فتؤدى الى الاصابة بالسرطان ولذا فانها تسمى حالة ما قبل السرطان Precancerous وفي هذه الحالة يؤخذ نموذج مختبرى للتاكد من وجود هذا المرض .

التهاب سقف الفم

يسبب التدخين التهابا لسقف الفم اكثر من غيره اذ يبدأ هذا باحمرار وحرقة وبعد ذلك يتغطى سقف الفم بطبقة رمادية بيضاء وحبيبات ناتئة حمراء تسبب الالم عند ملامستها كما في الصورة (رقم ٤) ومن ثم تبدأ الحبيبات الكبيرة الشكل الحلقية بالظهور وهى ذات لون فاتح وفي وسط كل واحدة بقعة حمراء هى فوهة الغدة اللعابية حيث ان هذه البقع تحدث من التهاب يتكون حول فتحات الغدد اللعابية الصغيرة في سقف الفم كما في الصورة (رقم ٥) وقد تتطور هذه الحبيبات وتصبح حمراء وتتضخم باستمرار وتؤدى الى سد قنوات الغدد اللعابية وبالتالى الى تضخم هذه الغدد وتحولها الى حالة سرطانية تدعى Mucoepidermoid وقد تتجمع هذه الحبيبات وتلتحم وتسبب ورما في سقف الفم .

تلون الاسنان واعوجاجها

تتلون الاسنان عند المدخنين بلون اسود مبتدئا بلون رمادى وتلتصق هذه الصبغة في المناطق غير الملساء (الخشنة) والشقوق بين الاسنان وتصيب الجهة الخلفية للاسنان والمواجهة للسان بصورة اكثر . وهذا اللون لا يزول بمعجون الاسنان والفرشات . ويزداد التلون بازدياد التدخين حتى تصبح الاسنان ذات مظهر قبيح تثير عدم الارتياح. اما اعوجاج الاسنان فيحدث للاشخاص الذين يواظبون على استعمال الغليون اذ ان الاسنان



قرحة في اللسان نتيجة التدخين وهي تسبب خشونة اللسان وتصلب سطحه وفقدان حساسيته للتذوق والحرارة وقد تتطور هذه الحالة فتؤدى الى الاصابة بالسرطان .



تمثل الصورة الاولى بداية التهاب سقف الفم الذى يبدأ بحبيبات نائئة حمراء تسبب الما عند ملامستها والصورة الثانية تبين تطور هذا الالتهاب الى حبيبات حلقية كبيرة الحجم وهي تتضخم باستمرار وتؤدي الى سد قنوات الغدد اللعابية وبالتالي الى تضخم هذه الغدد وتحولها الى حالة سرطانية .



تمسك عادة بالفليون وهذا ما يحتاج الى ضغط مستمر على فوهته .

التكلس يزيد التلون

الكثير من الناس يترسب الكلس على اسنانهم ونحن بصدد التدخين فان الدخان يضيف الى الكلس المترسب على الاسنان لونا غامقا ويشتد لونه اسودادا بمرور الزمن واكثر بكثير من غير المدخنين .

التلون بالتدخين وتنظيف الاسنان

اذا كانت الاسنان سليمة وملساء وخالية من التكلس واللثة غير مصابة بالتهاب تكون الحالة بسيطة ويمكن ازالة التلون باستعمال الفرشاة والمساحيق الاعتيادية على شرط أن يتكرر ذلك يوميا ولا يقل عن اربعة مرات في اليوم بطريقة صحيحة . ويمكن استعمال بعض المساحيق المزيلة للالوان المترسبة وهذه المواد متوفرة Abrasive Materials وتستعمل كل اسبوع مرة .

مراجعة الطبيب للتنظيف

اما اذا كانت اسنان الشخص غير سليمة وخشنة وذات ترسبات كلسية وكانت لثته مصابة بالتهابات فينبغي مراجعة طبيب الاسنان بين فترة واخرى لا تزيد على الستة اشهر لازالة الكلس اولا ثم ازالة الصبغة التي سببها تدخين السكائر.

علاج الليوكموبلاكيا

اذا كانت الحالة في بدايتها يمكن معالجتها وذلك بازالة السبب كما ذكرنا سابقا اما اذا كانت الحالة اشد من الاولى فيوخذ نموذج مختبرى للتعرف على مدى خطورة الحالة . وبنتيجة الفحص المختبرى فان كانت الحالة سليمة يمكن رفع التثخن فقط . اما اذا كانت الحالة في دور التحول الى الحالة السرطانية فتجرى لها عملية جراحية لازالة التثخن وبعض الانسجة المجاورة لهـا وان كانت الحالة سرطانية مؤكدة ومنتشرة فلا يرجى منها شفاء . ■■

عادل سعيد عجام
البصرة

اللغة

أعظم مخلوقات البشر

إذا كان السكوت من فِضَّة فالكلام مِن ذَهب

- اللُّغَة لها وَظيفة عَقليَّة إلى جَانِب وظيفتها العُضويَّة
- اللُّغَة جَعلَت مِنَ الإنسان بَشرًا مُتحَضِّرًا
- اللُّغَة، وسِرُّ ثورَةِ البَعضِ عَلَيها

بقلم: الدكتور زكريا ابراهيم

■ ليس من قبيل الصدفة ان تكون اللغة العربية قد أطلقت على « الحيوان المفكر » اسم « الحيوان الناطق » : فان « اللغة » وثيقة الصلة « بالتفكير » ، و « المنطق » وقف على الانسان « العاقل » . والحق ان الموجود البشرى هو الحيوان الوحيد الذى يتكلم : لأنه يعرف كيف يصوغ « فكرة » في « رموز » ، وكيف يحدد علاقاته بالعالم وبالآخرين من خلال مجموعة من « الأصوات » .

« الوظيفة اللغوية » : وظيفة « عقلية » لا مجرد وظيفة « عضوية »

ولسنا نريد أن نتعرض — في هذا البحث — لدراسة نشأة اللغة عند الانسان ، ولكن حسبنا ان نقول ان تشريح أجهزة النطق ، أو دراسة « فسيولوجية الحنجرة » ، قد لا تكفي لتفسير وظيفة النطق لدى الانسان . صحيح أننا ننطق بحبالنا الصوتية ، ولكن وظيفة النطق ترتكز أيضا على بعض البنايات المخية ، فضلا عن أنها تستلزم تضافر الرئتين ، واللسان ، والفم (باكمله) ، والجهاز السمعي ... وقد تتوافر لدى القردة العليا مقومات الكلام ، ولكنها مع ذلك لا تملك القدرة على استخدام اللغة ، بل هي تقتصر على اصدار بعض الأصوات . والواقع أن « وظيفة اللغة » — في صميمها — ليست مجرد وظيفة عضوية ، بل هي أولا وبالذات وظيفة نفسية او عقلية . وقد حاول بعض علماء النفس اجراء اختبارات عقلية عديدة على صغار الشمبانزى وصغار الانسان من أجل تحديد الفوارق النفسية التي تفصل بينهما (في الفترة ما بين ٩ شهور و ١٨ شهرا) ، فوجدوا أن القرد الصغير أشد مهارة من الطفل البشرى ، في حين أن هذا الأخير أقدر على الانتباه من القرد الصغير . ولكن علماء النفس لم يلبثوا ان تحققوا من انه لا بد من ان تحين لحظة يتوقف فيها نمو القرد ، بينما يستمر

الطفل الصغير في نموه وترقيه . وعلى حين يبقى القرد مجرد حيوان ، نجد أن الطفل لا يلبث أن يندرج في عالم الحضارة البشرية ، خصوصا حين يجد نفسه على اعتاب « العالم اللغوى » . وعلى الرغم من انني استطاعة الشمبانزى أن يصدر بعض الأصوات ، او أن يرسل صيحات الغضب او الفرح ، الا أن حركاته الصوتية تظل ملتحمة بانفعالاته ، دون أن يكون في وسعه استخدامها في استقلال عن الموقف الذى اقترنت به . ولم يستطع مدربو القردة ان يحققوا فى هذا المضمار سوى نتائج هزيلة : لأنهم لم ينجحوا في الحصول على شيء أكثر من الترديد الآلى الببغاوى ، او بعض الأفعال المنعكسة الشرطية التي تقرن استجابة الحيوان الصوتية بظهور منبه حسي معين .

« اللغة » جعلت من الانسان بشرا متحضرا

... وأما الطفل البشرى ، فانه لا بد من أن يسير في ترقيه المستمر ، على الطريق الطويل البطيء الذى يخلق منه في الوقت المناسب مخلوقا جديدا يستطيع أن يعيش في عالم حضارى لغوى . وهذا التدريب البشرى الذى يستلزم العديد من السنوات ، انما يرتكز أولا وبالذات على ترابط الصوت والسمع لخدمة وظيفة جديدة تعدو في امكانياتها شتى القدرات الحسية الأولية . وعلى حين أن صوت الحيوان يظل اسيرا لوجوده الحسي المعاش ، دون أن يحقق أي ترابط مع الحس السمعي الموجود لديه ، نجد أن الذكاء البشرى سرعان ما ينجح في تحقيق تواصل بين البنايات الحسية والبنايات الحركية الموجودة لديه ، محققا عن هذا الطريق عينه ضربا من « الغائية » العليا . وليس « السلوك اللفظي » سوى مظهر من مظاهر ارتقاء ذلك الموجود الناطق الذى استطاع عن طريق « الوظيفة اللغوية » أن يقيم نوعا من التآزر بين « الصوت » و « السمع » .

وقد لا نجانب الصواب اذا قلنا ان الانسان ما أصبح « سيد العالم » الا لأنه استطاع أن يقيم بينه وبين العالم شبكة من الكلمات .

واذا كان العالم الحيواني سلسلة متصلة من المواقف المتعاقبة التي تظهر بسرعة ، وتختفي بسرعة ، صادرة باستمرار عن بعض المطالب البيولوجية الاساسية للكائن الحي ، فان العالم البشرى ـ على العكس من ذلك ـ يمثل مجموعة من الموضوعات والعناصر الواقعية الثابتة التي تبدو مستقلة عن سياق المواقف الجزئية المحددة المنخرطة فيها . ومهما يكن من أمر ذلك الواقع الغريزي الوقتي الذى قد يقترن به الوعى البشرى التلقائي ، فان من المؤكد ان في ذهن الانسان حقيقة فكرية أكثر صلابة واشد واقعية من الظاهرة الحسية التي يدركها في تجربته المباشرة . وتبعا لذلك فان « الموضوع » ـ بالنسبة الى الانسان ـ « حقيقة » تند عن الرغبة ، وتفلت من طائلة التغير : لأنها حقيقة ثابتة يمكن أن يعبر عنها « لفظ » أو « كلمة » . وحين يقول بعض الفلاسفة ان « اللفظ » أكثر اهمية في نظر الانسان من « الشيء » ، فانهم يعنون بذلك ان رتبة « الوجود » التي يتمتع بها « اللفظ » اشرف في نظرنا من رتبة « الوجود » التي يملكها « الشيء » ! ولا غرو ، فان العالم الانساني ليس عالم احساسات وردود افعال ، بل هو عالم افكار وتحديدات لفظية . وحين تحقق للانسان « اكتشاف الكلمة » ، فان الوجود البشرى سرعان ما تخطى دائرة « البيئة الحيوانية » . ونحن نعرف كيف أن الميزة الاساسية للكلمة هي انها تخلع على « الشيء » هويته أو ذاتيته Identity . فاللغة هي الاداة العقلية الأولى التي مكنت الانسان من تحديد الأشياء ، وتوضيح أفكاره عنها ، وهي بالتالي الوسيلة الفعالة التي سمحت له بالخروج من عهد الاضطراب والفوضى الى عهد التحديد والنظام . ومنذ ذلك الحين أصبح فى وسع الانسان أن يتصرف عن بعد ، لاغيا في سلوكه كل مسافة قد تفصله عن الأشياء ! .

أمراض اللغة اضطرابات فى الشخصية

واذا كان ثمة ظاهرة يمكن أن تكشف لنا ـ بكل وضوح ـ عن قيمة اللغة في تكوين العالم ، فتلك هي ظاهرة « الأفازيا » Aphasia أو الحبسة وهي اختلال الوظائف اللغوية وتعذر الكلام ـ . والواقع أن المصاب بمرض « الافازيا » ليس مجرد شخص عاجز عن استخدام بعض الكلمات ، أو غير قادر على تسمية الأشياء باسمائها الصحيحة ، بل هو انسان قد تفككت لديه الوظيفة اللغوية نفسها،

فاصبح البناء العقلي للوجود مزعزعا تماما في صميم كيانه . ومن هنا فان المصاب بمرض « الافازيا » يفقد الاحساس بوحدة « الموضوع » أو هويته ، ويحيا في عالم متصدع غير متسق ، ويجد نفسه مضطرا الى الاكتفاء باسلوب نباتي (أو شبه نباتي) في كل معيشته . وتبعا لذلك ، فان ما نطلق عليه اسم « أمراض اللغة » ليس في الحقيقة الا « اضطرابات في الشخصية » : بدليل أن المريض هنا يفقد كل تكيف مع الواقع البشرى ، ويصاب بانحلال يهوى به الى ما دون المستوى الانساني (وهو ذلك المستوى الذى نبلغه حين تنبثق لدينا وظيفة النطق) .

.. لا يتقدم الانسان الى العالم الا حين ينطق بلسانه الخاص !

صحيح أن اللغة لا تخلق العالم (فان العالم ماثل ـ من ذى قبل ـ مثولا موضوعيا) ، ولكن من شأن اللغــة ـ مع ذلك ـ ان تجيء فتركب من الاحساسات المهوشة غير المتسقة ، عالما حضاريا على مستوى البشرية . وحين يتقدم أي فرد الى العالم ، فانه يحقق لحسابه الخاص ذلك العمل الذى حققه النوع البشرى منذ مطلع الحضارة الانسانية . ولعل هذا ما عبر عنه أحد الفلاسفة الفرنسيين المعاصرين حين كتب يقول : « ان القدوم الى العالم لا يعني شيئا آخر سوى اخذ الكلمة : Prendre LaParole ، وتحويل التجربة الى عالم مقال » . وبعبارة أخرى ، يمكننا ان نقول ان في ظهور اللغة تحويرا للعالم : لأن الحيوان الناطق قد استطاع عن طريق اللغة أن يحدث انقلابا هائلا في كل أحوال الوجود ، فأصبح قيام الانسان في قلب الوجود بمثابة تعديل شامل لكل ملابسات البيئة وظروف المعيشة الطبيعية .

هل تكون « اللغة » هي اعظم مخترعات البشر ؟

... ان اختراع اللغة ـ فيما يقول بعض فلاسفة الحضارة ـ لهو أول الاختراعات الكبرى في تاريخ البشرية ، ان لم يكن هو الاختراع الأوحد الذى يطوى في احشائه كل ما عداه من اختراعات . صحيح ان هذا الاختراع لم يكن عملا صاخبا ترتبت عليه أصداء هائلة ، كذلك الاختراع الذى حققه الانسان حين نجح في استخدام « النار » والسيطرة عليها ، ولكنه كان مع ذلك حدثا حاسما في تاريخ الحضارة البشرية . ولا غرو ، فان اللغة أقدم « تكنية » عرفتها البشرية ، ان لم تكن اكثرها اصالة واعرقها أصلا . وقد استطاع الانسان ـ عن طريق التكنية اللغوية ـ أن يضع لنفسه « نظاما اقتصاديا » يعينه على تداول الأشياء وتناول الموضوعات . وكثيرا ما يكون « القول » انجع وأفعل ـ في مضمار امتلاك زمام الواقع ـ من كل « آلة » أو « سلاح » . وآية ذلك ان « القول » بناء من أبنية الكون ، أو هو على الأصح اداة من أدوات تقويم العالم الطبيعي ، وكان من شأن الواقع الغفل أن يستحيل ـ من خلاله ـ الى « حقيقة بشرية عليا » . فالعالم الطبيعي الذى لا يعرف « القيم » يستحيل الى « عالم حضارى » قوامه العلم والتكنية ، من خلال ذلك « النظام اللغوى » الذى يفرضه الفكر البشرى على الأشياء والموجودات . ولقد استطاع اورفيوس Orphée ـ اقدم شعراء البشرية قاطبة ـ أن يسيطر على الحيوانات والنباتات بفعل تعاويذه السحرية ، حتى لقد قيل ان الاحجار نفسها كانت تسمع صوته وتلبي نداءه ! وهذه « الاسطورة » ، ان دلت على شيء ، فانما تدل على أن للكلمة البشرية سحرها وقوتها ، وكان من شأن اللغة البشرية أن تجيء فتفرض سطوتها وسيطرتها على الكون بأسره ! .

... سحر « اللغة » لدى « البدائي » و « الطفل » ...

ولو اننا عدنا الى تاريخ بعض الشعوب البدائية ، لوجدنا انها كانت تحاول ـ عن طريق « السحر » ـ السيطرة على الاشياء ، والتحكم في قوى الطبيعة . وكثيرا ما كان « السحر » ـ لدى تلك الشعوب ـ مجموعة من « الكلمات » او « الاسماء » التى كان ينطق بها الكاهن او الساحر ، فيتوهم انه قد استطاع بذلك ان يمتلك « الموضوعات » او « الاشياء » ! ولما كان من شأن طفولة الانسان ان تمر بنفس المراحل التى مرت بها طفولة البشرية ، فليس بدعا ان يكون لسحر اللغة دور كبير في النمو العقلى للطفل . وقد لاحظ العلامة الكبير بياجيه Piaget ان الطفل

يمر بمرحلة « واقعية اسمية » Realisme Nominal يخلع فيها على الاداة اللغوية التى توصل اليها منذ فترة قصيرة ، اهمية كبرى او قيمة عظمى . ومن هنا فاننا نراه يتوهم أن معرفته لاى اسم من الاسماء هي بمثابة ادراك لماهية الشيء المسمى نفسه ، وكان من شان هذه المعرفة وحدها ان تعينه على التاثير في الشيء او السيطرة عليه !

واذا كنا نلمح لدى الطفل اهتماما بالغا بالوقوف على اسماء الاشياء ، حتى انه لا يكاد يكف عن مواجهة والديه ومربيه بهذا السؤال : « ما اسم هذا ؟ » ، و « ما اسم ذاك » .. الخ ، فما ذلك الا لانه يتوهم ان في مجرد معرفته لاسماء الاشياء امتلاكا حقيقيا لتلك الاشياء ! واذن فليس من الغرابة في شيء ان تكون العلاقة وثيقة بين « اللغة » و « الوجود » ، او بين « اللوغوس » Logos و « الواقع » ، حتى لقد حاول بعض الفلاسفة المحدثين ان يستخلصوا « مقولات الفكر » من صميم « نسيج الوجود »وكأن « لغة الانسان » هي لسان حال الواقع نفسه ، او كأن « القول البشرى » هو الترجمان الناطق باسم الحقيقة المطلقة !

هل يكون « العالم اللغوى » هو جوهر حقيقتنا البشرية ؟

وكما ان كل كلمة جديدة يكتسبها الطفل الصغير توسع بالضرورة من عالمه الخاص ، فكذلك الحال لدى الرجل البالغ ايضا : لان من شان « اللغة » باستمرار ان تسهم في تحديد طبيعة « الوجود » الذى لا بد له من ان يعيش فى كنفه . ومعنى هذا ان العالم يتمثل لنا جميعا على شكل مجموعة من المعاني او الدلالات التى لا تتكشف لنا بوضوح الا على مستوى « القول » أو « التعبير اللغوى » . وحين يقول بعض الفلاسفة ان اللغة صورة من صور الواقع ، ان لم تكن هي الواقع نفسه بلحمه ودمه ، فانهم يعنون بذلك انه لا بد لكل انسان من أن يتعين ويتحدد ، بحيث يصبح صاحب هذه الاسماء المعينة ، او تلك الصفات المحددة ، آخذا على عاتقه (كما قال سارتر) ان يتقبل موقفه الخاص في عالم من الكلمات او الالفاظ ، الا وهو عالم القيم والموجودات . وانت حين تلتزم بقوميتك وترتبط بمهنتك ، وتندمج في وسطك الاجتماعي ، فانك تكتسب « تسميات » معينة تقترن بصميم موقفك ، ولا تكاد تنفصل عن جوهر وجودك . وهكذا يجيء « الاسم » الذى يطلقه عليك الغير ، او « الصفة » التى يلحقها الناس بشخصك ، فتصبح بمثابة « علَم » يشير اليك ، او « علامة » تميزك عن اشباهك من الناس !

على اننا لو نظرنا الى جماعة معينة من الناس ـ الا وهي جماعة « العباقرة » ـ لوجدنا ان لدى هذه الجماعة من القدرة الابداعية ما تستطيع معه ان تقوم بمهمة « تسمية » الاشياء ! وآية ذلك ان العبقرى ـ كما قال نيتشه ـ هو ذلك الانسان الذى يرى اشياء لا تحمل بعد اسماء ، على الرغم من انها ماثلة باستمرار تحت سمع الناس وبصرهم ! فالعباقرة هم الذين يسمون الاشياء ، او هم الذين يجدون « اسماء » لما يكتشفون من « اشياء » . وهكذا خلق نيوتن الجاذبية الكونية ، وخلق اينشتين النسبية ، وخلق علماء الفيزياء الحديثة الكهرباء ، وخلق برجسون « الحدس » وخلق كنط « الثورة الكوبرنيقية » .. الخ .

وليس من شك في ان تسمية الاشياء انما تعنى انتزاعها من العدم ، ودعوتها الى الوجود ! وكل ما لا يحمل « اسما » فهو ـ في نظرنا ـ عدم او اشبه ما يكون بالعدم ! ولقد كان اله العهد القديم ـ لدى العبرانيين ـ الها مجهولا لم يرد هو نفسه ان يفصح للناس عن « هويته » او « ذاتيته » ، ولكنه مع ذلك قد وجد نفسه مضطرا الى الاندماج في عالم اللغة البشرية ، فاطلق على نفسه اسم « يهوه » Yahweh ! .

والحق اننا نحيا في « عالم الفاظ » قد تمت فيه تسمية الاشياء والموجودات على نحو خاص ، فلا بد لنا بالضرورة من ان نكيف ذواتنا مع هذا العالم اللغوى النوعى . وحين يتخذ المرء لنفسه موضعا داخل هذا العالم اللغوى ، فان معنى هذا انه قد حقق لنفسه ضربا من السلم او التصالح مع شبكة الكلمات التى تضع كل شيء في موضعه داخل هذه البيئة الفكرية المعينة . وما « مجالنا الحيوى » سوى ذلك المجال اللغوى الذى تبدو فيه كل كلمة من الكلمات وكأنما هي حل لمشكلة من المشكلات . بل ان العلاقات الانسانية نفسها

لتبدو كما لو كانت مجموعة هائلة من «الكلمات» التى نمنحها ونتقبلها ، وفقا لنظام فكرى مسبق ، او بمقتضى اسلوب محدد من اساليب التعامل. وقد لا نبالغ اذا قلنا ان النظام الاجتماعي كله لا يخرج عن كونه سجلا من التسميات الصحيحة التى اذا خرج عليها الفرد او انحرف عنها ، كان سلوكه شاهدا على انعدام توازنه ! وكل فرد منا ينتظر من زوجته ، وابنائه ، ورؤسائه ، ومرؤوسيه ، واقرانه واصدقائه ، ان يعطوه من « الاسماء » او « التسميات » ما هو اهل له ، والا لكان سلوكهم نذيرا بالفوضى او التمرد او الاختلال العقلى .. ومن هنا فان كل اضطراب يلحق باللغة (او بطريقة استخدامنا للالفاظ) لا بد من ان يكون شاهدا على حدوث خلل في النظام الاجتماعي ، او وقوع قطيعة بين الانسان وعالمه الخاص !

ما سر « ثورة » البعض على « اللغة » ؟

وهنا قد يحق لنا ان نقف وقفة قصيرة عند حجج خصوم اللغة ، لنرى كيف ربط هؤلاء انقياد الفرد للغة الجماعة بتنازله عن اصالته الفردية او تخليه عن معادلته الشخصية . واصحاب هذا الرأى يقررون ان « اللغة » كثيرا ما تستحيل الى « عملة زائفة » يتبادلها الناس ، وهم يعلمون انها لا تحمل فى طياتها الا الكذب والرياء والنفاق الاجتماعي ! ولا يقتصر دعاة هذا المذهب على القول بان في اللغة خيانة لحياتنا الباطنية ، وان كل تعبير هو مجرد تنازل عن الاصالة ، بل هم يضيفون الى ذلك ان في كل تعبير هبوطا الى أرض الناس ، من اجل استخدام لغة عادية مبتذلة هي لغة الجميع ! ولما كانت « اللغة » بطبيعتها اداة للتواصل الاجتماعي ، فليس بدعا ان يجد الفرد نفسه مضطرا الى استخدام الالفاظ المألوفة ، والعبارات الجارية على السنة الناس ، حتى يكون في استطاعته ان يلقى منهم الاستجابة المنشودة او التفاهم المطلوب . وكثيرا ما يكون الخطباء ، والصحفيون ، واصحاب الاقلام ، مجرد السنة تنطق باسم الجماعة ، وتعبر عما تريده الجماهير ، دون ان تكون لهم اصواتهم الخاصة التى ينطقون بها ، او عباراتهم الاصيلة التى تنبع من صميم افكارهم ! واما اهل « الثرثرة » ، فهم اولئك الذين يرددون الاقوال الشائعة ، وينطقون باسم الحياة الاجتماعية المبتذلة ، دون ان يكون في وسعهم يوما التوقف عند موضوع واحد بعينه ، او التحدث باسم التجربة الخاصة او الخبرة الذاتية . وكل هذه الصور المتعددة للزيف الفكرى انما ترجع ـ فيما يقول دعاة هذا الرأى ـ الى سوء استخدام « اللغة » .

وليس « التمرد على اللغة » بظاهرة شاذة في حياة الانسان : فان كل مراهق لا بد من ان يجتاز مرحلة فكرية عصيبة يثور فيها على عالمه اللغوى ، وينظر فيها الى الكثير من الالفاظ السائدة في مجتمعه على أنها مجرد الفاظ كاذبة أو زائفة أو خاوية ! ولا غرو ، فان المراهق لا بد من أن ينتقل من مرحلة الثقة الساذجة الى مرحلة التمرد الساخط ، ومن ثم فانه لا بد من ان يعلنها ثورة عارمة على الفاظ الجماعة وشعاراتها وقيمها .. الخ .

وحينما صرخ بروتوس Brutus ، المنهزم (قبل ان يقدم على الانتحار) قائلا : « ايتها الفضيلة ، ما أنت الا مجرد لفظ ! » ، او حينما صاحت مدام رولان (وهي في طريقها الى المقصلة) قائلة : « ايتها الحرية ، كم من الجرائم ترتكب باسمك ! » ، أو حينما هتف الشاعر الرومانتيكي (بعد توبته) قائلا : « أيتها الطبيعة ، ما أنت الا اسم افقدنا كل شيء ! » ، فان كل هؤلاء لم يكونوا يعبرون الا عن سخطهم على اللغة ، بكل ما فيها من معاني الزيف والكذب والمغالطة ! وقد كان هاملت بطل هذه النصاعة الفكرية اليائسة حين صاح قائلا : « ان هي الا كلمات ، كلمات ، كلمات .. ! » .

« اذا كان السكوت من فضة ، فان الكلام من ذهب » !

لقد روى لنا احد مؤرخي الفلسفة ان الفيلسوف الالماني المعاصر ماكس شلر M. Scheler ، كان يقيم ندوة فلسفية يتناقش فيها مع طلبته حول كثير من مسائل الفكر والوجود . وكان الجميع يجدون لذة كبرى فى مطارحة الآراء ، ومناقشة الافكار ، بينما بقي طالب واحد صامتا لا ينطق

بكلمة ، ولا يبدي أية ملاحظة . واوشك العام الدراسي أن ينتهي ، فاراد شلر ان يستحث الطالب المذكور على ابداء رايه ، فما كان من هذا الطالب سوى ان اجابه بقوله : « اذا كان الكلام من فضة ، فان السكوت من ذهب ! » وعندئذ هب شلر واقفا ، وصاح في وجهه قائلا : « يا لك من مزيف نقود ! » ولم يجانب شلر الصواب ، فان « الصمت » صورة من صور رفض الحوار،ورفض الحوار هو ضرب من ضروب اللامبالاة او الاستخفاف! والفيلسوف انما يضع « اللامبالاة » أو « عدم الاكتراث » على قدم المساواة مع الكذب ، والتضليل ، والتمويه ، والتشويه ، وشتى ضروب الزيف الفكرى ! .

والحق ان الانسان « يتكلم » لأنه لا يحيا بمفرده ، ولأن « القول » هو همزة الوصل بين « الانا » و « الآخر » (أو بين « الانا » و « الانت ») . وسواء اكان الانسان محبا للحديث أم زاهدا فيه ، لا بد من أن يجد لديه دائما شيئا يريد أن يقوله ! واما الكاتب ، فانه حين يشعر بانه لم يعد لديه شيء يمكن أن يقوله ، فانه سرعان ما يجد نفسه على حافة هاوية الموت ! ولا ريب ، فان « الصمت » بالنسبة الى ضمير الكاتب ـ صورة من صور الانتحار ، ان لم نقل انه الموت قبل الموت ! وحين لا يصبح على الشيوخ الطاعنين في السن سوى أن يرتقبوا « الموت » ، فانهم يتدربون عليه بالتدرب على « الصمت » ! واذن فان « السكوت » لا يمكن أن يكون من « ذهب » ، اللهم الا اذا أصبح الناس عاجزين عن تمييز « معادن » الأحاديث ! .

واما اذا قيل ان الصمت ضروري في بعض الأحيان ، لأن هناك من « المعاني » ما لا سبيل الى التعبير عنه ، أو لأن هناك من « الأسرار » ما لا يصح لنا أن نبوح به ، كان ردنا على ذلك ان « الصمت » في هذه الحالات صورة من صور « التواصل » . والحق أن « الصمت » لا يكتسب معناه الا فوق خلفية من « التواصل » ، وكأنه الفراغ الذي يتخلل السطور ، أو كأنه الوقفة التي تتخلل الحركات . وأما « الصمت » الذي يصدر عن عجز أو عي أو جدب ، فهو صمت فارغ لا ينطق ولا يفصح ولا يبين ! .

روى عن سقراط انه كان يتحاور مع جماعة من الشباب ، فكانوا يقارعونه الحجة بالحجة ، بينما بقي احدهم صامتا لا ينطق بكلمة ، ساكتا لا يبدى أية ملاحظة . وعندئذ تقدم نحوه سقراط وصاح فيه قائلا : « يا هذا ، تكلم حتى اراك ! » وكأني بسقراط كان يود ان يقول لهذا الشاب : « اخرج عن صمتك يا بني ، ولا تستتر وراء هذا السكون : فان الصمت شيمة الموتى ، والسكون لا يخيم الا على القبور » ! والحق اننا نتكلم لكي نخرج الى عالم الآخرين ، ونتكلم لكي نعبر عن انفسنا في عالم الأغيار ، ونتكلم لكي نتخفف مما تنوء به انفسنا من هموم واكدار ، بل نتكلم حتى نشع فيما حولنا عن طريق ما تحمله عباراتنا من معان وافكار ! .

ولكن ، ما جدوى هذه الدعوة الى « الكلام » ؟!

وهنا قد يقول قائل : « ولكن ، ماذا عسى أن تكون جدوى كل هذا الحديث عن اللغة ، أو كل هذه الدعوة الى الكلام ؟ . . . أليست آفتنا ـ في المجتمع العربي ـ اننا نتكلم اكثر مما نعمل ، فلماذا يأبى كاتب هذا المقال الا ان يدعونا مرة أخرى الى الكلام ؟ ألم يزعم خصوم الحضارة العربية أن المجتمع العربي بأسره مجتمع غوغائي يعشق الكلمة، ويخضع لأسر اللفظ ، ويستجيب لسحر العبارة ؟ الم يذهب بعض مؤرخي الغرب الى ان الحضارة العربية باسرها حضارة قول ؟ و هل يستطيع احد ان ينكر اننا بالفعل نميل الى الثرثرة ، ونولع بالافاضة في الحديث ، ونكاد نضيع معظم اوقاتنا في لغو الكلام وباطله ؟ واذن فماذا عسى أن تكون دلالة هذه العبارة التي تؤكد ان القول ايضا فعل ؟ » .

وردنا على هذا الاعتراض أننا شعب « يتكلم » ، ولكنه قلما « يقول » شيئا ! ونحن نثرثر ، ونملأ الدنيا صياحا ، ولكننا قلما نعرف كيف نتوخى الدقة في التعبير ، أو كيف نستخدم « اللفظ » على قد « المعنى » ولعل هذا هو السبب في أن لغتنا قد بقيت فضفاضة ، كما أن اساليبنا قد بقيت عائمة مائعة ! ولما كانت العلاقة وثيقة بين اللغة والفكر ـ كما سبق لنا القول ـ فليس بدعا أن تبقى لغتنا غامضة مهوشة ، مثلها في ذلك كمثل أفكارنا التي تحفل بالغموض وتزخر باسباب الالتباس ! .

وقد دلتنا التجربة على انه هيهات لنا ان نغير قوما ، اللهم الا اذا استطعنا أن نغير من اسلوبهم في الحديث ، أو من طريقتهم في الكلام ! وما دام « القول » ـ كما يقول علماء النفس ـ هو مجرد « سلوك لفظي » ، فستظل المهمة الأولى التي تقع على عاتق صانعي الشعوب العربية هي العمل على تغيير أسلوب سلوكنا اللفظي . ولو اننا ادركنا أن « القول أيضـــا فعـــل » ، لما بقيت الأحاديث والتصريحات عندنا مجرد ذرات من الغبار تذروها الرياح ! بل لو أننا عرفنا الدلالـــة الحقيقيـــة للأقوال ، لما استرسل كتابنا وادباؤنا وغيرهم من حملة الاقـــلام عندنا في المهاترات والمســـاومات والمساجلات العقيمة .. فالدقة اللفظية واجب أخلاقي ، والأمانة اللغوية (والفكريـــة) ضريبة اجتماعية ..

واما الامتناع عن القول فهو صورة من صـــور الخيـــانة . وكثيرا ما يحلو للبعض أن يصمت ، بحجـــة انه لا جدوى من الحديث ! ولكن هذا الصمت الارادى تهرب من المسئولية ، ومســـلك سلبي لا يخلو من عدم اكتراث . ونحن نعرف ان « الكلمة » هي حليفة الوضوح والكشف والاعلان ، فليس من حقيقة يمكن أن تظل مستورة او طي الكتمان ! وما دام الانسان « حيـــوانا ناطقا » ، فسيظل النطق والتعبير (عنده) هو الســـبيل الأوحد الى العمل والتغيير ! وأما كل من يعقد الخوف لســـانه ، أو من يؤثر الاحتماء بقوقعة الصمت ، فانه لن يكون الا مخلوقا مســـتضعفا لا يريد أن يواجه الحقيقة ، أو لا يقوى على البوح بسرها ! وليس أيسر على الانسان من ان يصـــمت حتى لا ينطق بالحقيقة ، كما انه ليس أيسر عليه أيضا من أن يثرثر حتى يقـــول كل شيء ما خلا الحقيقة ، واما الصعوبة كل الصـــعوبة فـي أن يعرف الانسان متى يتكلم ، وماذا يقول ، وعلى اي نحو يتحدث ، وكيف يعبر عن نفســه ، والى من يتوجه بالحديث .. الـــخ . وسواء أكنا بازاء مناجاة ، أم حوار أم مناقشـــة ، أم عظة ، أم محاضرة ، أم مرافعة ، أم شهادة ، أم اية صورة أخرى من صور القول ، فلا بد لنا من ان نتذكر أن مصير غيرنا من البشر قد يتقرر من خلال هذا « العالم اللغوى » الذى تنفذ اليه بمجرد ما ناخذ على عاتقنا أن ننطق بكلمة واحدة ! .

أخيرا : القول قوة تستطيع ان تزحزح الجبال !

... ان « القول » ـ في الواقع ـ لهو ايضا « فعل » : فان ما نقوله يحمل إلى الآخرين ما نفكر فيه ، أو ما نريد أن نعمله ، أو ما نريد لهم هم ان يعملوه . وفي كل هذه الحالات ، لا بد لنا من ان ندرك خطورة كل ما نقوله ، أو ما كان يمكن أن نقوله ، أو ما لم نقله حين كان ينبغي لنا أن نقوله ! وهنا ترتبط الأخلاق باللغة ، فيكون من واجبنا دائما ان نتخذ الحيطة حينما نكون بصدد المسائل التي قد يؤدى ادنى خطأ فيها الى انتشار كثير من العثرات أو السقطات لدى الآخرين . ولا شك ان هذه المسئولية اللغوية الخطيرة انما تقع أولا وقبل كل شيء على عاتق حملة الاقلام ، ورجالات الاعلام ، وأهل التربية والتعليم .. ألسنا نلاحظ أن الألفاظ الغامضة كثيرا ما تكون مثارا للتأويلات الفاسدة أو التطبيقات الخاطئة ؟ بل الا تدلنا التجربة على ان تنظيم الفاظنا هو في الغالب تنظيم لأفكارنا ، وبالتالي تنظيم لحياة الآخرين ؟ .. ان افكارنا لا تنفذ الى عقول الآخرين الا من الخـارج ، فهي لا بد من أن تتعرض لخطر التشويه او التحريف أو سوء الفهم . واذا أردنا لأفكارنا أن تبلغ الآخرين واضحة ، قوية ، لا تحتمل التأويل ، كان علينا بالضرورة ان نخضعها لحركة الحيـاة نفســها ، بحيث تنبع من الاعماق الباطنية التي تتكون في أغوارها الحقائق الشخصية اليقينية الأصيلة ! فلا بد لنا اذن من أن نتذكر دائما ان «الدقة» واجب أخلاقي ، قبل أن تكون مجرد ميزة أدبيــة ، أو خاصية فكرية . وكما أن الفعل الحقيقي هو ذلك الذى يصيب مرماه ويبلغ هدفه ، فان القـول الحقيقي أيضا هو ذلك الذى يعنى ما يقوله ويجيء على قد مراده ! وقد شهد التاريخ البشرى اعلاما مثل كونفوشيوس ، وسقراط ، وعيسى ، ومحمد ، وغاندى (وغيرهم) ، اقاموا لنا الدليل الساطع على أن القول فعل ، بل قوة هائلة تستطيع أن تزحزح الجبال ! فهلا أدركنا خطورة ما نقوله ، وما نكتبه ، أو ما نطويه ، وما نسكت عنه ؟! .

■■

زكريا ابراهيم

الشيخ محمد رضا الشبيبي

علامة العراق وشاعر العرب

بقلم : حسن الأمين

■ كانت في الشيخ محمد رضا الشبيبي عدة صفات تحله كل واحدة منها في النفوس اكرم محل ، فكيف بها مجتمعة ، فلا بدع ان يعتنى به الدارسون وان تكون له في تاريخنا الادبي والعلمي والكفاحي مكانة رفيعة .

ولد الشبيبي في النجف بالعراق عام ١٣٠٦ ونشأ كما كان ينشأ لِداته في تلك العصور من ابناء الاسر العلمية ، فاول شيء يتوجه اليه هو الكتاتيب لتعلم القراءة والخط وختم القرآن ، وكان نصيب الطفل محمد رضا ان يختم القرآن على سيدة صالحة مقرئة هي السيدة مريم البراقية .

وكان في النجف يومذاك بيت من بيوتها تتسلسل فيه مهنة تعليم الاطفال هو آل (حصيد) فتولى الشيخ هادي حصيد تعليم الشبيبي الخط في مكتبه مع غيره من الاحداث . ثم تقدمت به السن فدرس علوم اللغة العربية على اساتيذ كان في مقدمتهم الشيخ محمد حسن المظفر والشيخ محمد جواد الجزائري ، ودرس المنطق على السيد مهدي الطباطبائي والسيد حسين الحمامي والسيد هبة الدين الشهرستاني .

وبعد ذلك كان لا بد من ان يتابع الدراسة كما كانت معروفة في معاهد النجف فدرس علم الفقه وعلم الاصول على اكثر من استاذ . ولكن طبيعته الادبية وموهبته الشعرية اتجهت به نحو دروس الادب وعلومه فتخرج على السيد حسين القزويني والشيخ هادي الجعفري وعلى والده الشيخ جواد الشبيبي وآخرين . على انه لم يتخل عن متابعة الدراسات الفقهية والاصولية العالية فحضر دروس الشيخ كاظم الخراساني في الاصول والشيخ فتح الله النمازي المعروف بشيخ الشريعة في الفقه .



عمله في الاصلاح

كان ذلك في اواخر عصور الدولة العثمانية . اى قبل نشوب الحرب الكونية الاولى . وهو عصر امتاز بيقظة فكرية ظهرت في الاقطار التابعة للدولة العثمانية ومن جملتها العراق . وكان هدف تلك اليقظة المطالبة باصلاح شؤون الدولة حيث اسهم المترجم له مع شباب ذلك العصر من عراقيين وغيرهم في الدعوة الى الاصلاح . ثم كانت له جولات معروفة في الصحافة خصوصا السورية والمصرية ، ومن يتصفح بعض صحف مصر والشام ولبنان والعراق الصادرة في ذلك العصر يقرأ له فيها شعرا اجتماعيا او سياسيا غير قليل ومقالات ادبية وتاريخية ولغوية . وكان لجمهرة المتادبين شغف بالغ بقصائده وحفظها وروايتها في تلك الفترة . حمل المترجم له لواء الدعوة الى الاصلاح السياسي والاجتماعي في شعره ونثره منذ نشأ وكانت له رسالة من هذا القبيل في بلاد العرب والعراق وفي اقاليم الفرات خاصة .

ويقول مؤرخو الادب العراقي الحديث انه من اوائل من طرق الموضوعات الاجتماعية وتناولها في شعره بين شعراء العراق واولهم على الاطلاق بين شعراء النجف . وكان ذلك حوالي سنة ١٣٢٠ للهجرة (١٩٠٥) كما كان عمره اذ ذاك حوالي الخمس عشرة سنة ، واشهر الصحف والمجلات التى نشرت ما نشرت له من منظوم ومنثور في ذلك الحين : المقتبس (مجلة وجريدة في دمشق الشام) والبرق البيروتية ومجلة العرفان اللبنانية ومجلة الزهور المصرية وصحف عراقية اخرى معروفة، وله ديوان شعر عنوانه (ديوان الشبيبي) طبع في القاهرة سنة ١٩٤٠ .

بحوثه ودراساته

وللشبيبي دراسات وبحوث تاريخية وادبية وسياسية بعضها مطبوع واكثرها مخطوط من ذلك بحث عنوانه (فن التربية في الاسلام) القاه على طلبة كلية التربية ببغداد سنة ١٣٧٧ - ١٩٥٨ ، ودراسة في اللغة عنوانها (اصول الفاظ اللهجة العراقية) ، واخرى في الادب موضوعهـا ادب المغاربة والاندلسيين في اصوله المصرية ونصوصه العربية (١) . (وهي محاضرة القاها على طلبة معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة) هذا الى جانب بحوث غير قليلة في التاريخ والادب واللغة القيت في دورات مؤتمر المجمع اللغوى في القاهرة وعددها خمس عشرة دورة . وقد نشرت محاضر الدورات المذكورة وفيها امثلة من تلك البحوث والمحاضرات. واخر مجهود ظهر له كتاب عنوانه (رحلة في بادية السماوة) نشرت في بغداد .

مساهمته في الحرب العالمية الاولى

- ولما اعلنت الحرب العالمية الاولى واندلعت في العراق سنة ١٩١٤ شارك في هذه الحرب الى جانب الجيش العثماني . وحضر معركة الشعيبة الطاحنة التي خذل فيها الجيش المذكور ومن ثم

(١) طبع كتاب ادب المغاربة والاندلسيين في القاهرة سنة ١٩٦٠ .

انتحر على الفور قائده امير اللواء (سليمان العسكري) وكان الى جانب القائد المذكور في ميدان الشعيبة ابان هذه الحادثة النكراء . ومن ثم عاد مع فلول الجيش المتقهقر الى مدينة الناصرية .

كان القائد سليمان العسكري شجاعا مقداما غير انه لم يزود بمعلومات كافية عن معاقل الانجليز ومناعتها في ميدان الشعيبة ، ولذلك خابت محاولاته في الاستيلاء على المواقع المذكورة ومني الجيش بخسائر كبيرة بعد هجمات انتحارية ضارية اشرف عليها سليمان العسكري القائد العام بنفسه . وكان الشبيبي فعلا في ذلك الميدان وقد خصص له سلاح وركوبة . ولمشاركة الشبيبي في حرب (الشعيبة) الناشبة بين البريطانيين والاتراك في العراق قصة نادرة لا يخلو ايرادها من فائدة وذلك على الصورة التالية :

كانت رئاسة هيئة اركان الجيش التركي انشات في بغداد سنة ١٩١٤ مدرسة عسكرية عاليه سميت (مدرسة ضباط الاحتياط) حشروا ممن حشروا فيها فريقا من طلبة المدارس الدينية وكان الشبيبي من بينهم ، كما كانت التركية لغة التعليم في هذه المدرسة ومعظم الاساتذة ضباط اتراك كان تدريبهم على جانب من العنف والشدة. على ان الشبيبي استطاع اقناع السلطات التركية ببغداد باستثناء طلاب المدارس الدينية واعفائهم من الانتساب الى مدرسة الضباط فصدر الامر بتسريحهم على ان يلتحقوا بفرق المجاهدين المتطوعين في تلك الحرب وجلهم من افراد القبائل العراقية عربا واكرادا ، فالتحق الشبيبي في بعثة مرسلة الى عشائر الاكراد في الجنوب قوامها فريق من رجال الدين وضباط الجيش ، اتجهت من مدينة (بعرة) الواقعة على وادٍ سُمّي وادي « باداريا » الى المنطقة الجبلية الواقعة شرقي العراق وسكانها من الاكراد التابعين لايران وذلك لمنع الانكليز واعوانهم من التغلغل الى تلك الجهة من منطقة البصرة والاهواز وتطويق الجيش التركي المحارب في مواقع الكوت والفلاحية المشهورة ، وهناك اجتمع بامير الاكراد الذى استجاب الى الطلب وتعهد بان يقف سدا دون تسرب طلائع البريطانيين على شرط تزويده بالسلاح وبمبلغ من المال . وقد زود فعلا بذلك. وقد تم الاجتماع بهذا الامير الكردي في مخيم له على ضفاف واد عريض يسمى (باكسايا) وكانت ضفافه خصبة مزدهرة وهذا الوادي ووادي (باداريا) الذى قبله ينحدران من سفوح الجبال الشرقية او الكردية المذكورة ويمران في السهول حتى مصبهما في نهر دجلة وهما تابعان اداريا للواء العمارة . وجل الزراع العاملين في هذه الجهات ينتمون الى بني لام . يقول الشيخ الشبيبي في بعض ما كتبه : وقد سرنا على ضفاف الوادى بين سفوح الجبال حتى السهول المنتهية بشواطىء دجلة ولا تخلو كتب البلدانيين من ذكر (بادريا وباكسايا) ومن ذلك معجم البلدان لياقوت . وبعد مكث الشبيبي مدة في تلك الجهات دعي ببرقية تدعوه الى مرافقة هيئة القيادة العامة للجنة العسكرية المجهزة لاسترداد البصرة . وكانت قد وصلت الى مدينة الناصرية ولا مناص له من المرور على مدينة (الكوت) وعلى الغراف في طريقه الى الناصرية وهي مسافة بعيدة . وكانت الطرق كلها مغمورة بالمياه في فيضان قلما شهد العراق نظيره بل اصبحت اليابسة وكانها بحر لا ساحل له ، فاضطر ان يخوض الماء على ظهر جواده حتى مدينة (الكوت) وكانت مهددة بالغرق ، وواصل رحلته منها بطريق الغراف حتى التحق بمقر قيادة الجيش التركي وقائده امير اللواء (سليمان العسكري) . وصادف امير اللواء سليمان العسكري وهيئة اركان حربه على شاطىء الفرات في الناصرية وهم على اهبة الحركة الى (الشعيبة) بطريق بحيرة الحمّار وفي زوارق بخارية فاستقبلوه في زورق القائد العام وانحدرت السفن الى سوق الشيوخ ومنها الى منطقة الاهوار والبطائح المشهورة حيث اجتازوا المنطقة على سدود زراعية يقيمها الفلاحون . وتوهم الاتراك لسوء فهمهم ان غرض الفلاحين سد الطريق على سفنهم وكانوا على اهبة الاشتباك بالسلاح مع اولئك الفلاحين ومرد ذلك الى نزق التركي وهوسه فاسرع الشبيبي الى الفلاحين وطلب الى العمال بلطف ان يخلوا الطريق للزوارق التركية ولمركب القائد وافهمهم بان الجيش ذاهب للدفاع عن البلاد وان القائد العام من جملة ركاب الزوارق ، ففتحوا الطريق وانحدرت السفن في طريقها الى ساحل البطائح ومنه الى معسكر (النخيلة) وهو قاعدة جيش الاتراك المنظم وفرق المجاهدين او المتطوعين العراقيين وقد اربى عددهم على ثلاثين الفا . وكانت بعض الزوارق البخارية المذكورة تقطر سفنا شراعية موسوقة بخبز عفن مسود تعافه النفس وحسبك هذا دليلا على حالة المؤن

والتموين ، ولم يخل مركز القيادة يومئذ من ضباط المان يغلب عليهم ضرب من الوجوم والحيرة . وكان القائد العام سليمان العسكرى قد امر بحشد الجيش فعلا فى الخطوط الامامية من ميدان الشعيبة . وذلك في خطة مرتجلة غير مسبوقة بتبصر وروية ، وامر بمهاجمة معاقل البريطانيين فيها ، ولم يعلم بحصانتها ومناعتها الا بعد فوات الوقت . وقد اسفر الوجوم عن خيبة مريرة وتراجع الجيش بخسائر فادحة . ومن ثم انتحر القائد العام في مأساة معروفة ، وكان الياس من نجاحه في ادارة رحى المعركة سببا في انتحاره . ولو بقي هذا القائد حيا لاسر فيمن اسر من ضباط وجنود في تلك المعركة المضارية (١). فان الجيش البريطاني شن هجوما مقابلا طوق فيه ذلك الميدان . اما المجاهدون او الذين سموا كذلك من افراد القبائل فكانوا اسرع من غيرهم الى الهزيمة .

وقد طورد المنهزمون بسيارات مصفحة ظهرت لاول مرة في حرب العراق حتى قاربت قاعدة الجيش التركي في النخيلة وكانت تطلق نيرانها الحامية في اقفية المتراجعين من افراد الجيش والمجاهدين . وفي مساء ذلك اليوم شرع الاتراك بالانتقال الى قواعد جديدة فى المنتفك لم تصمد ايضا ازاء تقدم البريطانيين وكان ظفر البريطانيين في الناصرية على الفرات ، وفي العمارة على دجلة مفتاحا لاكتساح العراق برمته . وكان امير اللواء سليمان العسكرى يعتمد فيميدانالشعيبة علىقائد باسل مثله اسمه (محمد بك) عهد اليه بادارة رحى المعركة وقيادة الهجوم في الخطوط الامامية الذى استمر يومين بدون انقطاع وبدون جدوى ايضا . فاستدعاه سليمان العسكرى من خط النار والحرب دائرة بعنف وساله عن مصير الهجوم فكان الجواب،والشبيبى يسمع، ان معاقل العدو في غاية المنعة . ومنذ تلك اللحظة قرر القائد العام سليمان العسكرى الكف عن مواصلة الهجوم.وامر تحت جنح الظلام بالتقهقر الى قاعدة الجيش في غابة (البرجسية) الواقعة في ضواحي مدينة (الزبير) والغابة كلها من شجر الاثل والطرفاء .

بعد انتهاء الحرب العامة الاولى

ولما عقدت الهدنة العامة سنة ١٩١٨ اى بعد انتهاء الحرب العالمية الاولىباندحار المانيا وحليفتها تركية وعقب احتلال العراق قام المحتلون بانشاء حكومة قوامها فريق من ضباط الجيش .

ولم يحسب للشعب العراقى حساب في تاليف هذه الحكومة ، ومن ذلك التاريخ شرع العراقيون بمقاومة تلك السلطة الاجنبية وبداوا يطالبون الانكليز بالجلاء والوفاء بعهودهم التى قطعوها للعرب بشان حقهم في تقرير المصير . وهذه العهود عبارة عن مراسيم اصدرها فى العراق الحلفاء واذاعوها مذيلة بتواقيع رؤساء حكوماتهم بعد تقهقر الاتراك في ميدان الحرب العراقية الىشمال الموصل واحتلال بغداد ، وفي هذه المراسيم ما فيها من الامانى المعسولة والمواعيد الخلابة في اسداء العون للعرب في كفاحهم لنيل حريتهم وبعثتراثهم المجيد في الحضارة . والح العراقيون على الانكليز بان تتكون في العراق حكومة مستقلة ذات سيادة . وكان للشبيبى فى هذا العهد جهود معروفة في مقاومة دسائس المحتلين والمطالبة بما قطعوه للعرب والعراقيين من عهود ووعود . ولما اضطرت حكومة لندن الى تكليف نائب الحاكم السياسي العام فيالعراقالسير (ارنولد ولسن) باستفتاء العراقيين، وجه الحاكم العام المذكور بواسطة حكام الاقاليم من الضباط والسياسيين اسئلة معينة الى اهل العراق فى اجتماعات كانت تعقد في مكاتب الحكام المذكورين ويشهدها فريق من الوجوه والزعماء وكان السؤال الاول عن جنسية الحاكم الذى يريدونه والثانى عن شكل الحكم . والثالث عن حدود العراق . فكانت اجوبة العراقيين مغايرة تماما لرغبة الانكليز .

طالب الشبيبى في الاجتماع الذى عقد فيمدينة النجف بحكومة دستورية يرأسها ملك عربى . وعبر بذلك عن رغبات احرار العراق على صورة اثارت امتعاض الحاكم العام فقاطعه في تلكالجلسة ضاربا ـ اى الحاكم ـ بقبضة يده على المنضدة ولكن بدون جدوى . والواقع ان اشق ما كانيشق على البريطانيين يومئذ هو ذلك الشعور الحى بالكرامة لدى ابناء العراق الاحرار . ولنا اننقول ان جملة من الحوادث التى اريقت فيها الدماء نشات في العراق عن خشونة في اللهجة او عجرفة استعمارية فياللقاء اعتبرها الجانب العراقىجارحة لكرامته ماسة بشرفه . وهكذا فان الشعور الحى

(١) راجع وصف معركة الشعيبة في ديوانالشبيبي طبع القاهرة .

بالكرامة ونزعة الاستعماريين المعروفة في الشموخ والكبرياء ضدان لا يجتمعان وما اكثر الشواهد على ذلك في أحداث العراق خلال فترة الاحتلال . ولا حاجة الى القول بان للشبيبي مواقفه المعروفة في هذا الدور الخطير من ادوار الكفاح بين الشعب العراقي والسلطة المحتلة خصوصا في بعض المراكز المعروفة كالحلة وكربلاء والنجف والديوانية وبغداد . فان الروح الوطنية التي بعثت يومئذ كانت قائمة على نشاط عدد من العلماء ورجال الدين والوجوه والزعماء والشباب في المدن والارياف المذكورة ، وكان هو في طليعتهم . هذا ولما اخذت السلطات الانكليزية المحتلة تماطل وتسوف في تلبية مطالب العراقيين والاعتراف بحقوقهم المشروعة ، وقد اعلنوها وطالبوا بها مرارا خصوصا بعد اجراء الاستفتاء الذي تقدم ذكره ، ولما كان قادة الثورة العربية في سورية والحجاز يجهلون ما يجري داخل العراق من صراع عنيف بين احرار البلاد والسلطات الانكليزية وكان من الضروري اعلام زعماء العرب خارج العراق بحقيقة الحال هناك ، فكر صاحب الترجمة بان يقوم بهذه المهمة . وفاتح بذلك فريقا من اصدقائه وزملائه العاملين من علماء ورؤساء وغيرهم من الشباب الناهض واقنعهم بضرورة تنفيذ هذه الفكرة فوافقوا على رأيه .

رحلته الوطنية

ومن ثم قام برحلته الى البلاد العربية منتدبا عن العراقيين لدى الحكومتين العربيتين في مكة المكرمة ودمشق الشام اذذاك . وزود بوثائق مذيلة بتواقيع زعماء البلاد وعلمائها وقادة الرأي العام فيها تضمنت انتدابه ليمثل العراق لدى الحكومتين المذكورتين وابلاغهما رغائب العراقيين وايقافهم على الاحوال الجارية في العراق . وقد بارح العراق في اواخر سنة ١٩١٩ الى مكة المكرمة سالكا طريق البادية من البصرة الى (جبل شمَّر) في الديار النجدية فالمدينة المنورة . ومن المدينة الى مكة .

وقد قاسى الامرين في هذه الرحلة الشاقة وصحب قافلة من البدو المسلحين واجتمع فور وصوله الى مكة بشريفها الحسين بن علي ملك العرب اذذاك وبانجاله الامراء ومنهم (علي) و (عبدالله) في مكة المكرمة ، وهذا هو ثاني اجتماع له بهم . أما الاجتماع الاول فقد كان في الوادي الذي يسمى (وادي فاطمة) على قيد مرحلة من مكة في مخيم لهم هناك وكان الجميع بلباس الاحرام .

في الحجاز

واستقبله الملك حسين بن علي في قصر الامارة بمكة وخلا به حيث قدم له ما معه من الوثائق . وتحدث اليه واطلعه على حقيقة الاحوال في العراق ، وان العراقيين يعانون كثيرا من الضيم والارهاق تحت ادارة الاحتلال . ويطالبون اشد المطالبة بالحرية والاستقلال وانهم مستعدون لحمل السلاح واعلان الثورة والتضحية في هذا السبيل بنفوسهم ونفائسهم كما وقع ذلك فعلا . وقد طلب الشبيبي الى الشريف حسين ان يبذل جهده في سبيل تحقيق مطالب الشعب العراقي . وتكليف رسله وممثليه في مؤتمر الصلح الذي كان ملتئما في باريس بذلك. وكان (فيصل) ، يعاونه شباب اكفاء من السوريين وغيرهم ، يمثل والده في المؤتمر المذكور ، فما كان من الشريف حسين الا ان اعلم فيصلا بالوضع الراهن في البلاد العراقية وبان يدافع عن حقوق العراق في مؤتمر الصلح استنادا الى تلك الوثائق التي تسلمها من الشبيبي في مكة المكرمة . وقد ادعى بعضهم انها لم تصل اليه والواقع انها وصلت كما اخبره بذلك فيصل نفسه في الشام . ثم ان الملك حسين كتب بهذا المعنى رسائل اجاب بها العراقيين من علماء وزعماء واعلمهم بتسلم الرسائل والوثائق التي حملها الشبيبي ووعدهم وعدا قاطعا في كتبه بانه مستعد للتضحية بنفسه وعرشه في سبيل استقلال العراق بحدوده المعلومة . وقد وفى الحسين بوعده ، فانه توفي بعد ان اخرج من مكة وتنازل عن عرشه بسبب صلابته وثباته . وهو الآن يرقد في مثواه بفلسطين تغمده الله بالرحمة . وقد وصلت رسائل الملك حسين هذه الى كافة من كاتبه من قادة الثورة في العراق حملها اليهم حجاج عراقيون بناء على طلب الشبيبي . وبعد ان اقام الشبيبي مدة لا تقل عن (٤٠) يوما في مكة بارحها الى المدينة المنورة ومنها استقل القطار وكان بحالة يرثى لها من الخراب بعد الثورة وذلك الى حدود الشام ، فلا جسر ولا مرافق اخرى ولا مستخدمين حتى ان رحلة القطار بين المدينة ودمشق استغرقت خمسة وعشرين يوما وهي لا تستغرق في العادة اكثر من ثلاثة ايام . هذا ولبعض الضباط البريطانيين فيما يقال ضلع في ذلك الدمار .

في دمشق

وفي دمشق اجتمع بالملك فيصل بن الحسين بعد عودته من لندن وبقادة الحركة العربية من عراقيين وسوريين وفلسطينيين وغيرهم وتأكد لديه منهم وصول تلك الوثائق العراقية ، وهكذا مثل العراق في عدة جمعيات ومؤتمرات من اشهرها المؤتمر العراقي الذي التأم في دمشق الشام سنة ١٩٢٠. ونادى ، اي المؤتمر ، على رؤوس الاشهاد باستقلال العراق استقلالا تاما على ان تقوم فيه حكومة دستورية . وتوجد وثيقة هذا المؤتمر مذيلةبتوقيع اعضائه من العراقيين المقيمين في سورية يومئذ ومنها توقيع الشبيبي ، هذا وقد اقيمت فيدمشق وغيرها من الحواضر السورية كبيروت وصيدا في ذلك الحين حفلات تكريمية له . وقد انتهز فرصة وجوده في سورية فراح يدافع عن حقوق العراق ، وله في هذا المضمار مقالات وقصائد معروفة نشر منها في الصحف والمجلات الصادرة في دمشق وفي بيروت وصيدا في ذلك الحين ثم في ديوانهالمطبوع. هذا ولا بد لنا من القول ان الشبيبي كان طول مكثه في الديار السورية يراقب تطور الوقائع والاحوال في الدولة المذكورة ، وقد تجلت في ذلك الحين نوايا الحلفاء وبيتوا غدرهم بالعرب وان البلاد العربية التي كانت تابعة للدولة العثمانية قسمت الى (مناطق نفوذ) بين انكلترة وفرنسا ، فكانت البلاد السورية من نصيب فرنسا ، ولذلك غادرها الانكليز الى فلسطين فوجهت فرنسا انذارا نهائيا الى الملك فيصل بالنزول على مطالبالحكومة الفرنسية المنتدبة منقبل عصبة الامم على سورية.

غدر الحلفاء

وكانت الحكومة تميل الى الدخول في المفاوضات مع الفرنسيين اما الشعب السوري فقد هاج وماج وثارت ثائرة السوريين وتوالت المظاهرات فيدمشق كما شهدها الشبيبي بنفسه في احياء دمشق ، وجاءت الجموع الى قصر الملك فيصل في حي (المهاجرين) و (الصالحية) تطالب وتهتف بحياة العرب ورفض الانتداب والمطالب الفرنسية . ولما لم تتلق الحكومة الفرنسية جوابا من حكومة دمشق امرت جيوشها المرابطة في لبنان بالزحف فزحفت بتوجيه الجنرال (غورو) واجتازت حدود المملكة ووقعت الواقعة المعروفة بين السوريين والفرنسيين .

وقعة ميسلون

كانت قيادة الجيش السوري للبطل (يوسف العظمة) وقد قتل في واقعة (ميسلون) وشاهد الشبيبي وقلبه يتفطر الما نكوص المجاهدين من ابناء الشام واندحارهم في الواقعة المذكورة كما شاهد دخول الجنرال غورو الى مدينة دمشق دخول الظافر الفاتح فاخترق الشوارع الى سوق الحميدية فالجامع الاموي ومنه الى مقبرة (صلاح الدين) على شكل يشعر بضرب من التشفي والانتقام . ولا بد لنا من القول ان سلطاتدمشق كانت كما يقول الشبيبي قد عرضت قيادةالجيش العامة في ساعة المحنة على بعضالضباط العراقيين المعروفينفاعتذروا بعد قيامهم بالكشف علىوحدات ذلك الجيش وتفتيش الثكنات قائلين ان جيش دمشق او ما يسمى كذلك في ذلك الحين لا يعول عليه ولا يعتد به كما وكيفا . تحدث الى الشبيبي بذلك (يسن الهاشمي) ، وهو اي الهاشمي ممن عرضت عليه رئاسة (ديوان شورى الحرب) فاعتذر بعد جولة قام بها في المعسكرات والثكنات واجتمع على اثرها بالشبيبي في منزله بصالحية دمشق واعرب له عن رأيه بكفاءة ذلك الجيش ، ومن ثم ركن الى العزلة ، وكانت عزلة هذا العسكري العراقي المعروف سببا في مجاملة الفرنسيين المحتلين له ، وهناك اسباب اخرى لهذه المجاملة ومنها ان (يسن الهاشمي) كان يكن ضربا من الولاء للاتراك خلافا لغيره من الضباط العراقيين الذين شاركوا في ثورة العرب عليهم بزعامة الملك حسين وانجاله . وفي هذا الصدد يقول الشبيبي : كنا نلاحظ انزعاج الانكليز من اسناد بعض المناصب اذا اسندت اليه (اي يسن الهاشمي) . والخلاصة كان (يسن) يتردد على الشبيبي في منزله (بالصالحية) وكانا متجاورين في تلكالضاحية وما اكثر عدد الذين كانوا يترددون على الشبيبي في ذلك المنزل من ابناء دمشقولبنان والعراق وغيرهم(١) .

عوده من الشام

هذا وقد آثر العودة من دمشق الى الوطن فور

(١) : ومن وحي هذه الاحداث نظم قصيدته(دمشق وبغداد) المنشورة في ديوانه .

الاحتلال الفرنسي وذلك قبل غيره من ابناء العراق وبعد ان مكث في ارجاء الشام مدة سنة كاملة ، وفي هذا الصدد يقول : رغب الى (يسن) وهو يودعني ان لا تنقطع المراسلة بيننا واتفقنا على استخدام ضرب من الاشارات الرمزية في الكتابة في محاولة لكتمان الاسرار عن علم السلطات المحتلة الغاشمة وسماسرتها في العراق والشام .

ولم تطل اقامة الشبيبي بعد ذلك في سورية فبارح دمشق في خريف سنة ١٩٢٠ عائدا الى العراق بطريق البادية على ظهور الجمال(١) . وقد قطعوا المسافة بين دمشق وبغداد في خمسة وعشرين يوما ووصل بغداد مع رفقة له من الضباط العراقيين متنكرين ووجد كثيرا من اصدقائه مبعدين الى خارج العراق او معتقلين داخل البلاد او مشردين . ولما اطمأن في بغداد اتصل باهله واخوانه واجتمع بكثير من قادة الرأى ورجال الاحزاب والجمعيات السياسية .

في العراق

هذا وفي هذه الفترة الصاخبة من تاريخ البلاد ظهر للجميع ان الانكليز لم يجدوا بدا من انهاء عهد الاحتلال والموافقة على قيام دولة مستقلة ذات سيادة وفقا لما تقرر في مؤتمر القاهرة الذى عقد سنة ١٩٢١ حيث مثل تشرشل وغيره من البريطانيين الحكومة الانكليزية ومثل العراق كل من السير ساسون حسقيل والسيد جعفر العسكرى . وفي صيف السنة المذكورة وصل فيصل وحاشيته على السكة الحديد فمروا في طريقهم بالديوانية والحلة وكربلاء الى النجف وارياف الفرات وهي قلب العراق النابض وعرين الابطال الاشاوس الذين اذاقوا قوى المحتلين في الرانجية والرميثة والشامية وابى صخير وغيرها ما اذاقوه وضحوا بارواحهم وجميع ما ملكت ايديهم في سبيل حرية البلاد وكرامتها . وكان لفيصل باعتباره ثائرا عربيا استقبال باهر يعجز التعبير عن وصفه في تلك المدن المجاهدة ، وقوبل بمظاهرات ترحيبية كبيرة وخطب ثورية بليغة ، كما انه القى عدة خطب في تلك المناسبات . وكان الشبيبي يجتمع بفيصل وصحبه طول مدة اقامته في تلك الجهات وخصوصا في النجف وبغداد بعد وصوله اليها ، ولا يضن عليهم بالنصح ومواجهتهم بالواقع . ولما نودى بفيصل ملكا على العراق في تلك السنة كان يستدعيه ويستشيره في الامور المهمة ، وقد رشح لاشغال بعض المناصب العليا في اوائل ايام العهد الفيصلى ولكنه كان يعتذر ويفضل الانقطاع للدراسة والتاليف الى ان كانت سنة ١٩٢٤ وفيها عهد الى يسن الهاشمى بتاليف وزارته الاولى فابرق اليه وهو مقيم في النجف قائلا انه يسره التعاون معه وان يشغل منصب وزارة المعارف في الوزارة الهاشمية.

في مناصب الدولة

وتردد كثيرا في قبول الوزارة ولكن الحاح اصدقائه في بغداد والنجف اضطره الى القبول فشغل منصب هذه الوزارة فترة لا تزيد على سبعة اشهر ، ولما عرضت اتفاقية النفط على مجلس الوزراء وكانت من الاتفاقيات المجحفة بحقوق العراق اقترح تعديل بعض بنود الاتفاقية على اساس يكفل للعراق حق زيادة العوائد المالية فلم يجد من يعضده . وفي جلسة خاصة بينه وبين الهاشمى سأله عن موقفه الاخير من الموضوع فقال الهاشمى ان ابرام هذه الاتفاقية من واجب وزارته وعلى اثر ذلك غادر الجلسة وذهب الى مكتبه في ديوان الوزارة وبعث بكتابه الذى يستقيل فيه من الوزارة لانه يرى ان الاتفاقية مجحفة بمصالح العراق .

وقد تقلد الشبيبي منصب وزارة المعارف خمس مرات وان لم تكن مدة الاستيزار طويلة فيها ففى سنة ١٩٢٤ تقلدها كما قلنا اول مرة . وتقلدها مرة ثانية سنة ١٩٣٥ وثالثة سنة ١٩٣٨ ورابعة سنة ١٩٤١ وخامسة سنة ١٩٤٨ واختير سنة ١٩٣٥ عضوا في مجلس الاعيان وانتخبه هذا المجلس رئيسا له سنة ١٩٣٧ . وقد رشح في الانتخابات النيابية فكان عضوا في المجلس النيابى غير مرة وانتخب رئيسا للمجلس النيابى سنة ١٩٤٣ وامضى سنة في الرئاسة ثم اعيد انتخابه لرئاسة المجلس المذكور سنة ١٩٤٤ ولكنه استقال قبل انتهاء السنة بسبب دسائس استعمارية معروفة دبرت بليل .

هذا ومن يمعن النظر في سيرته الرسمية او السياسية منذ ان انشئت الدولة العراقية سنة ١٩٢١ الى آخر حياته تبدو له ظاهرة نادرة وهى ان تلك السيرة امتازت بكثرة الاستقالات والتخلى

(١) : في وصف هذه الرحلة كتب رسالة تعتبر من اطرف ما كتب في الرحلات .

عن المناصب العليا التي تقلدها ، فقد استقال مرتين من منصب وزارة المعارف : المرة الاولى سنه ١٩٢٥ والمرة الثانية سنة ١٩٣٥ وذلك بسبب اختلاف وجهات النظر في تخطيط سياسة التعليم وفي تنظيم شؤون المصلحة واختيار الموظفين . واستقال ايضا من رئاسة المجمع العلمي العراقي وعضويته سنة ١٩٤٨ ، واستقال من رئاسة لجنة الترجمة والتاليف والنشر ومن عضويتها سنة ١٩٤٦ ، واستقال من عضوية مجلس النواب في اواخر سنة ١٩٥٠ مع من استقال من النواب وعددهم خمسة وثلاثون نائبا بسبب محاولة حاول بها بعض المرتزقة مس كرامة المعارضين في المجلس، وكان لهذه الحادثة اثرها البالغ في الخارج والداخل على حد سواء . وهذه كما قلنا ظاهرة نادرة اذا ما استطلعنا اسرارها يتبين لنا انه كان محاطا بشبكة من دسائس المستعمرين واذنابهم ، فكان لا يقر لهم قرار اذا تقلد او شغل منصبا عاليا من مناصب الدولة لان الاذناب ومطايا الاستعمار اعداء الخدمة الصحيحة واكبر خصوم الاصلاح وهما كما لا يخفى غايته القصوى من تقلد وظائف الدولة في جميع الاحوال .

وكانت آخر استقالة له ، استقالته من رئاسة المجمع العلمي العراقي قبيل وفاته .

في المناصب العلمية

وانتخب الشبيبي في كثير من المؤسسات والمجامع العلمية واللغوية داخل العراق وخارجه . فهو عضو نادي القلم العراقي(١) ورئيسه نحوا من عشرين سنة ، ورئيس المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٤٨ الى ان تخلى عن رئاسته لاسباب معروفة . وقد منح درجة الدكتوراة الفخرية من جامعة القاهرة تقديرا لبحوثه في الادب والتاريخ، وانتخب عضوا في المجمع العلمي العربي في الشام سنة ١٩٢٣ كما انتخب عضوا عاملا في مجمع اللغه العربيه في القاهرة وذلك في اواخر سنة ١٩٤٧ وبارح العراق الى القاهرة واشترك لاول مرة في المؤتمر اللغوى الذى عقد في اول سنة ١٩٤٨ . واقيمت له حفلات في القاهرة منها حفله استقباله في المجمع اللغوى ، وللاستاذ عباس محمود العقاد في هذه المناسبة خطبة معروفة كما ان للشبيبي خطبة فيها ايضا . ومن المحاضرات التي القاها في المؤتمر اللغوى محاضرة موضوعها (النهضة الادبيه الحديثة في العراق) وقد لخصها بعض الصحف المصرية وعلقت عليها. واقامت له كلية دار العلوم المصرية حفلة استقبله فيها الاستاذ الدكتور ابراهيم مصطفى بخطاب ضاف ، والقى فيها محاضرة عنوانها (اقدم مخطوط وصل الينا في وصف جزيرة العرب) وكان لها وقع بالغ في نفوس الحاضرين . وفي هذه الحفلة القيت قصائد وخطب ترحيبية .

وهكذا لم يتخلف عن شهود دورة من دورات مجمع اللغة العربية منذ انتخابه عضوا فيه الا مرة واحدة . ولما الغى المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٦٣ وخلفه المجمع الجديد انتخب عضوا فيه ثم رئيسا له . ولوحظ ان المجمع اخذ يجتاز مرحلة من مراحل النشاط والاضطلاع باعباء المهام المطلوبه منه . وقد اخرج جزءا جديدا حافلا بالبحوث من مجلته الخاصة . وظل في رئاسته الى ان استقال منها قبل وفاته بايام . وقبل انتقاله الى جوار ربه كان يشارك في احتفالات الاسراء في المسجد الاقصى سنة ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م ، وفي عودته استقبل في بغداد استقبالا يعز نظيره . وكان هذا الاحتفاء آخر احتفاء يقدمه له الشعب في حياته اذ قضى نحبه في نفس الليلة التي عاد فيها . ■■

بيروت ـ حسن الامين

(١) : انشيء هذا النادى ـ نادى القلم العراقي ـ ببغداد سنة ١٩٣٤ وقد نصت المادة الثانية من نظامه الاساسي على ما يلي (تعارف المؤلفين وحملة الاقلام واحكام الروابط بينهم وتعزيز الادب العربي. وتعضيد البحث وايجاد الصلات بين حملة الاقلام في العراق وفي البلاد العربية) . وقد انتمى الى النادى اشهر حملة الاقلام والصحفيين في ذلك التاريخ وواظب اعضاؤه على عقد جلساتهم والقاء البحوث والمحاضرات وقد احتفل اكثر من مرة بضيوف العراق من ادباء الاقطار العربية وتألفت من بحوث اعضائه ومحاضراتهم اكثر من مجموعة نشرت منها المجموعة الاولى سنة ١٩٣٨ بعنوان (مجموعة نادى القلم العراقي) . وقد اعتبر النادى كغيره معطلا بموجب مرسوم تعطيل الاحزاب والنوادى والجمعيات الصادر سنة ١٩٥٨ ولم يتقدم احد من اعضائه بطلب لاستئناف نشاط النادى منذ ذلك الحين .

أنت تسأل .. ونحن نجيب

البيت الحرام غير المسجد الحرام

● نسمع بالبيت الحرام ونسمع كذلك بالمسجد الحرام، وكثيرا ما خيل الينا ان الشيئين شيء واحد فهل هما كذلك .. ؟

موفق عبد الحق ــ دمشق

ــ البيت الحرام ، هو الكعبة نفسها ، قال الله تعالى « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » .

والمسجد الحرام هو الفناء الذى حولها .

« سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله » .

الا ان فناء الكعبة ، وهو المسجد الحرام لم يكن ما حوله مبنيا ، ويقول ياقوت في معجم البلدان ان اول من بناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولم يكن له جدار يحيط به ، وذلك ان الناس ضيقوا على الكعبة والصقوا دورهم بها ، فقال عمر : ان الكعبة بيت الله . ولا بد للبيت من فناء ، وانكم دخلتم عليها ولم تدخل عليكم . فاشترى تلك الدور وهدمها وزادها فيه ،وهدم على قوم من جيران المسجد أبوا أن يبيعوا ، ووضع

حيرة ابن .. بين واجبين

● انى لا اطلب عونا ولا حسنة ، ولكننى التمس منكمُ حلا لمشكلتى . انا طالب في السنة الثالثة بكلية الطب عمرى ٢٢ عاما ظل والدى ينفق على تعليمى أنا واخوتى الاربعة ، وهم جميعا يصغروننى سنا ، حتى تقدم به العمر واقعده المرض ، فصار يذهب الى عمله يوما ويتغيب عنه عدة أيام !

ويعلم الله كم تكبد هذا الاب المسكين من مشاق وكم تحمل من مصاعب في سبيل الانفاق على تعليمنا ، وهو العامل البسيط الذى لم يزد اجره على مائة وعشرين قرشا يوميا .

انى طالب مجد انجح بامتياز كل عام . ولكننى اشفق على والدى . ان قلبى يتمزق الما وانا اراه يدخل البيت في المساء بعد انتهاء عمله ، وهو يكاد يسقط على الارض من فرط تعبه واعيائه . لقد فكرت جديا في قطع دراستى والبحث عن عمل لكى اساعد والدى واساعد اخوتى على اتمام دراستهم . ولكننى اخشى على والدى من الصدمة اذا علم بقرارى هذا ، وهو الرجل الذى اقسم على أن يبذل كل غال ورخيص في سبيل اتمام تعليمنا الجامعى ، طالما بقى فيه عرق ينبض بالحياة . ماذا افعل ؟

اسماعيل محمود ــ القاهرة

ــ اننا نحيى هذا الاب العظيم ، فهو يستحق كل تقدير واعجاب ، وهو العامل الكادح الذى يريد لابنائه مستقبلا اكثر اشراقا ، ونصيبا اوفر وحظا اسعد مما ناله هو من هذه الحياة . ونحن نؤيدك في ضرورة البحث عن وسيلة لمساعدة هذا الاب الذى تقدمت به السن واشتدت عليه وطأة المرض . ولكننا لا نؤيدك فيما تقترحه من قطع دراستك والبحث عن عمل ، وانت على ابواب التخرج في الجامعة وتحقيق الامنية التى عاش والدك وكافح وشقى من اجلها .

تأكد ان سعادة هذا الوالد الكريم بنجاحك

لهم الأثمان حتى اخذوها بَعْدُ . واتخذ للمسجد جدارا دون القامة . فكانت المصابيح توضع عليه.

ثم كان عثمان ، فاشترى دورا اخر ، واغلى في ثمنها ، واخذ منازل اقوام ابوا ان يبيعوها ، ووضع لهم الأثمان ، فضجوا عليه عند البيت ، فقال : انما جراكم عليَّ حلمي عنكم ، وليني لكم،لقد فعل بكم عمر مثل هذا فاقررتم ورضيتم.

ثم امر بهم الى الحبس حتى كلمه فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص، فخلى سبيلهم .

وواضح أن الأسبق منهما هو الكعبة بيت‌الله الحرام وبنص القرآن :

« ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين » وبكة هي مكه على أشهر الأقوال . وواضح من هذا ان الكعبة لم يسبقها بيت من بيوت الله . وقدم الكعبة غير معروف حتى لقد قيل ان اول ما خلق الله في الارض مكان الكعبة .

والمهم انالله سبحانه وتعالى أطلع نبيه ابراهيم عليه السلام على مكانه ، فحفر قواعده ، وبناه بمساعدة ابنه اسماعيل عليه السلام .

وفي القرآن « واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بى شيئا » .

وفي القرآن ايضا : « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم » .

(ع . ف)

وتخرجك تفوق كل سعادة اخرى ، حتى تلك التى تتصورها وانت تمد اليه يدك ببضعة جنيهات تساعده وتعينه على الاستمرار في الانفاق عليك وعلى اخوتك .



لماذا لا تحاول يا بنى ان تبحث عن عمل نصف الوقت ، بحيث تستطيع ان تكسب وتكمل تعليمك في الوقت نفسه . ان معظم الطلبة في اوربا وامريكا يعملون ، وينفقون على تعليمهم مما يكسبونه من الاعمال التى يقومون بها اثناء دراستهم،وفي أشهر العطلة الصيفية الطويلة . ثم لماذا تتحمل انت وحدك هذا العبء ، وانت اكثر اخوتك انشغالا بالعلم واقربهم الى التخرج . ان كل واحد منهم يستطيع ان يعمل ، ويستطيع أن يكسب رزقه ، وبذلك تساعدون والدكم المكافح ، وتخففوا من العبء الكبير الذى يحمله على كاهله . خذوا منه مثلا تحتذون به في حياتكم . وليس هناك عمل حقير وعمل كبير . ان أى عمل يقوم به العامل ، هو عمل شريف . وكم من عظماء بدأوا حياتهم من الشارع ، فباعوا الصحف وعملوا في المناجم ، وغسلوا الاطباق في المطاعم ، ثم بلغوا ارقى مراتب العلم ، وارفع مناصب العمل في الحياة .

(م . ن)

فيلى برانت
الرجل الذى احدث تحولا فى السياسة الاوروبية

● نرجو ان تحدثونا عن مستشار المانيا الغربية الهر فيلى برانت بمناسبة حصوله على جائزة نوبل للسلام .

خليل حرب ـ عمان

ـ لا ريب في ان السياسة الرامية الى تحسين العلاقات مع دول اوربا الشرقية ، هى ابرز ما يتميز به فيلى برانت ، مستشار المانيا الغربية . وتكفى الاشارة الى ان تلك السياسة هى التى دعت الى منحه جائزة نوبل للسلام لعام ١٩٧١ . وقد سألوه بمناسبة فوزه بهذه الجائزة ـ وهى التى لم ينلها من رؤساء الدول قبله الا اثنان ـ هما تيودور روزفلت سنة ١٩٠٦ وودرو ولسون سنة ١٩١٩ ـ سألوه عن الصورة التى يرغب في ان يرسمها له المؤرخون في المستقبل ، فاجاب : « سأكون سعيدا لو وجدوا اننى نجحت قليلا في جعل بلدى المانيا جارة طيبة بين سائر الدول الاوروبية » .

ولعل الالمام بسيرة حياة الهر برانت اجدر في هذه المناسبة من التعرض الى سياسته التى ذكرنا وقد كثر الحديث عنها في المدة الاخيرة . (انظر مقال الاستاذ عبد الله عنان في عدد ديسمبر من العربى) .

ولد المستشار الالمانى في ١٨ ديسمبر ١٩١٣ ، في مدينة لوبك الالمانية ، حيث كانت تعمل امه بائعة في احد المخازن . ولم يكن الاسم الذى نشأ عليه هو (فيلى برانت) وانما هربرت ارنست كارل فرام Herbert Ernst Karl Frahm ، الا انه انتحل اسمه الحالى (فيلى برانت) سنة ١٩٣٣ حينما هرب من النازيين الى النرويج .

وطالت اقامة الهر برانت في اسكندنافيا وبخاصة في النرويج نحو ١٢ سنة . وكانت الصحافة هى العمل الذى مارسه في الغالب في تلك الاثناء . غير انه ساهم في اعمال المقاومة ضد الاحتلال النازى للنرويج ، وكان يقوم بهذه الاعمال بصفته رائدا في الجيش النرويجى . اضف الى ذلك انه حصل على الجنسية النرويجية وتزوج من زوجته (روت) ، وهى نرويجية المولد ، واصبح يتقن لغة أهل النرويج قراءة وكتابة ونطقا .



فيلى برانت

وعاد الهر برانت الى المانيا سنة ١٩٤٥ ، وقد انهارت النازية فيها . ولم يلبث ان استرد جنسيته الاصلية الالمانية واستأنف نشاطه الفعال في الحزب الديمقراطى الاشتراكى ، وقد كان عضوا فيه قبل سفره الى النرويج .

وانتخب الهر برانت رئيسا لبلدية برلين سنة ١٩٥٧ ورئيسا للحزب الاشتراكى الديمقراطى سنة ١٩٦٤ .

ثم اشتهر بعد ذلك كوزير للخارجية في حكومة المستشار كيسنجر ، وكانت هذه حكومة ائتلافية بين حزب الهر برانت والحزب الديمقراطى المسيحى الذى يرأسه الهر كيسنجر . وخاض انتخابات منصب المستشار وفشل مرتين . الا انه نجح في المرة الثالثة ، وكان ذلك سنة ١٩٦٩ .

(ى . ز)

نعم : الاغلبية من سكان البانيا مسلمون

● منذ مدة تطرق الحديث بيني وبين اصدقاء لي عن المسلمين في العالم .. واختلفنا فيما اذا كانت اغلبية السكان في جمهورية البانيا من المسلمين .. ورأيت أن الجأ اليكم لكي تفيدونا عن هذا الامر وان تمدونا ايضا ببعض المعلومات عن هذه الدولة الاوربية .

اديب عبد العزيز الخشابي
الدوحة ـ قطر

ـ البانيا دولة من دول البلقان وهي عبارة عن شريط جبلي ضيق لا تزيد مساحته عن ١١٫١٠٠ ميل مربع يقع على ساحل البحر الادرياتيكي وهي تجاور كلاً من يوغوسلافيا واليونان ويبلغ تعداد سكانها ٢٫٠٧٥٫٠٠٠ حسب احصائيات الامم المتحدة لعام ١٩٦٩ و ٦٥٪ من هؤلاء السكان من المسلمين بينما باقي السكان ولا تزيد نسبتهم عن ٣٥٪ من المسيحيين الارثوذكس والكاثوليك .

وتاريخ البانيا حافل بالحروب فقد اجتاحتها الجيوش المتحاربة منذ قديم الازل وقبل الميلاد .. وقد دخل الاسلام الى البانيا على ايدى الاتراك الذين احتلوها في عام ١٤٧٨ .. وقد استمر حكم الاتراك حتى عام ١٩١٢ . اجتاحت الجيوش الالمانية والبريطانية البانيا أثناء الحرب العالمية الاولى . وفي عام ١٩٢٠ تم اعلان الجمهورية في البانيا ، وفي عام ١٩٢٨ اعلن أحمد زوغو رئيس الجمهورية في ذلك الوقت قيام الملكية ونصب نفسه ملكا تحت اسم زوغو الاول . وفي عام ١٩٣٩ اجتاحت الجيوش الايطالية البانيا . وفي عام ١٩٤٣ احتلتها الجيوش الالمانية .. بعد ان استسلمت ايطاليا للحلفاء ولم يدم الاحتلال الالماني سوى عام واحد انسحبت بعده الجيوش الالمانية بعد انتصار الحلفاء واستطاع الحزب الشيوعي الالباني ان يستولي على الحكم وتولى الجنرال انفر هوكسا Enver Hoxha رياسة الجمهورية .

وفي عام ١٩٥٤ طلبت البانيا اعتراف حكومة الولايات المتحدة بحكومتها الجديدة وارسلت امريكا بعثة دبلوماسية الى تيرانا عاصمة البانيا لاجراء ترتيبات الاعتراف ولكن الحكومة الالبانية رفضت احد شروط امريكا وهو ذلك الشرط الخاص باعترافها بامتداد صلاحية المعاهدات المعقودة بين البلدين منذ قبل الحرب . وانسحبت البعثة الامريكية من البانيا في عام ١٩٤٦ .

وعندما طلبت البانيا الانضمام الى هيئة الامم المتحدة في عام ١٩٤٦ صوتت كل من بريطانيا وامريكا ومعهما الدول المؤيدة لهما ضد البانيا .. وتعطل انضمام هذه الدولة الاوروبية الصغيرة الى هيئة الامم المتحدة حتى عام ١٩٥٥ . وفي نفس العام انضمت البانيا الى حلف وارسو .. ولكن علاقاتها ساءت مع روسيا بعد تولي خروشوف الحكم وفي عام ١٩٦١ قطعت روسيا علاقاتها مع البانيا التى اتجهت الى اعتناق المذهب الصيني الشيوعي والستالينية المتشددة .

وقد انسحبت البانيا من حلف وارسو رسميا في عام ١٩٦٨ وعقدت معاهدة جديدة في عام ١٩٧٠ مع الصين تحصل البانيا بموجبها على مساعدات اقتصادية وعسكرية صينية .



(م . ط)

المستعمرات البرتغالية
ونار الثورة التى تبشر بالحرية

● نسمع كثيرا في افريقيا عن الحركات التحررية في المستعمرات البرتغالية في افريقيا ، ونود ان تحدثونا لو امكن عن هذه الحركات وعن مدى فاعليتها ؟

سامى اعظمى ـ الموصل

ـ المستعمرات البرتغالية في افريقيا ثلاث : انجولا وموزمبيق وغينيا البرتغالية . وهى تبلغ اضعاف البرتغال من حيث المساحة وعدد السكان وكذلك من حيث الموارد والثروات الطبيعية .

ذلك ان البرتغال دولة فقيرة نسبيا ، بل افقر دول اوربا جميعا . وهى ايضا في مؤخرة هذه الدول على صعيد التصنيع والتنمية الاقتصادية. الا ان البرتغال تتشبث ، بالرغم من ذلك كله ، بسياتها الاستعمارية الاستبدادية . ولم يحد من سياستها هذه موت رئيس جمهوريتها وواضع سياساتها الدكتور سلازار Salazar ، قبل حين. ذلك ان الدكتور كتانو Caetano ، قد اثبت ، بما لا يقبل الجدل ، انه نسخة طبق الاصل من سلفه ، على الاقل فيما يتصل بالاستعمار البرتغالى في افريقيا .

وحسبنا ان نذكر ان البرتغال تحتفظ في مستعمراتها الافريقية الثلاث بنحو ١٨٥٫٠٠٠ جندى . وهى تنفق على شؤون الدفاع والامن بنسبة ٤٤٪ من ميزانيتها . ولا يخفى ان هذه الارقام تجعل من البرتغال نسبيا الدولة العسكرية الاولى في العالم . ولا يخفى كذلك انها تقيم الدليل على ان حركات التحرر في مستعمرات البرتغال الافريقية نشيطة وفعالة الى حد كبير ، ويصدق هذا بخاصة على انجولا .

بلغت الثورة في انجولا من العمر عشر سنوات. اذ اطلقت الرصاصة الاولى فيها سنة ١٩٦١ في لواندا ، العاصمة . وكان للثورة الانجولية بداية اخرى في الاقليم الشمالى من البلاد ، في الوقت نفسه . ولم تلبث هذه الثورة ان امتدت الى الجنوب فالشرق. وتضطلع بأعباء الثورة الانجولية حاليا نفس الفئات الثلاث التى حملت لواءها منذ سنوات ، وهى :

١ ـ الفئة التى يتزعمها روبرتو هولدن Roberto Holden . وتعرف بالاسم المختصر FNLA . ولهذه الفئة حكومة في المنفى ، في كنشاسا في الكونغو .

٢ ـ الفئة التى يقودها اغسطينو نتو Augustino Neto (MPLA) ، وهى التى تتمتع بالقوة داخل البلاد ، وفي منطقة تمتد بضع مئات من الاميال . وجدير بالذكر ان هذه الفئة تتلقى العون من الاتحاد السوفياتى .

٣ ـ اما الفئة الثالثة فهى يونيتا Unita التى يقودها جوناس سافيمبى Jonas Savimbi . انها الفئة التى نسفت سكة حديد بجويلا Beguella قبل حين . وسكة الحديد هذه تملكها شركة بريطانية وتعمل على نقل النحاس من مناجمه في الكونجو الى ساحل افريقيا الشرقى .

ونحن لا نستطيع اعطاء ارقام عن عدد افراد هذه الفئات .

ولكننا نستطيع ان نعطى فكرة عن حجمها، وذلك بالاشارة الى كثرة من تقتلهم من البرتغاليين ، وقد زاد بالمتوسط على ١٠٠ جندى شهريا . ■■

(ى . ز)



الإنتباه

باب اليقظة

إلى شتى مرافق الحياة

بقلم : الدكتور على احمد على

■ تعتبر الحواس النوافذ الذى يطل بها الفردعلى العالم الخارجي المحيط به ، كما انها تعتبر ابواب المعرفة بالنسبة للفرد لانها اجهزة استقبالالقوى المؤثرة على الفرد في بيئته ، بصرية كانت او سمعية او شمئية او ذوقية او لمسية . وهذهالحواس تستقبل مختلف المثيرات والمؤثرات الخارجية الواقعة على الفرد الذى عليه انيستجيب لها بطريقته الخاصة . ولكن هذهالمثيرات والمؤثرات عادة ما تكون من الكثرة والتعدد بحيثلا يمكن للفرد ان يستجيب لها جميعا في وقت واحد ، ويظهر هنا الدور الهام للانتباه . فالفرد لا يستجيب الا للمثيرات والمؤثرات التى يدخلها الفرد في دائرة انتباهه . وهو بذلك ينتبه لبعضها وبالتالى يحس بها ويستجيب لها ، ولا ينتبه في نفس الوقت لمثيرات ومؤثرات اخرى فلا يحس او يتأثر بها فلا يمكن للفرد مثلا ان يستجيب لجميع الاصوات المحيطة به في وقت واحد . فقد يكون الفرد واقفا في متجره يبيع لاحد زبائنه ويحيط به في نفس الوقت عشرات من الاصوات الصادرة من جهات مختلفة : من المارة في الشارع ، من اجهزة الرديو المنتشرة والتى تذيع من مختلف محطات الارسال ، ومن الزبائن الواقفين في المحل ، هذا بالاضافة الى عشرات من المصادر الاخرى . فهل يستطيع الفرد ان يستجيب مرة واحدة الى كل هذه الاصوات ؟ الواقع ان الفرد عادة لا يستجيب لعدد كبير من هذه الاصوات،وكذلك الحال بالنسبة لمختلف الاحساسات . كما أنه لا يلقى بالا الا لعدد قليل من الاحساسات والمثيرات المحيطة به . ولكن عندما يبدا الفرد في الانتباه لبعض الاصوات او بعض الروائح او بعض المذاقات . فانها تدخل الى منطقة الشعور . وعلى هذا فالانتباه يعنى : ان الفرد يختار من بين الاحساسات المختلفة ما يجعلها في مركز انتباهه .

الحساسية الفسيولوجية

والواقع ان الفرد لا يدرك الا القليل من الطاقات الطبيعية المحيطة به . فالكثير من الاصوات قد تكون مرتفعة او منخفضة الى الحد الذى لا يمكن معها للاذن البشرية سماعها ، والعين الانسانية لا تستطيع ان ترى الاشعة البنفسجية او تحت الحمراء للطيف . ويمكن القول ان قدرا كبيرا من الطاقات الطبيعية قد تكون دون العتبة الفارقة Threshold لكل عضو حسي . كما ان بعض المثيرات قد تتشابه جدا لدرجة يصعب علىالعضو الحسي تمييزها . لذلك فان الحساسية الفسيولوجية hysiological Sensitivity تحدد لدرجة كبيرة ما تدركه .

الحساسية السيكولوجية

وهناك ايضا الحساسية السيكلوجية Psychological Sensitivity التى يستجيب

الفرد شعوريا لعدد قليل منها خصوصا المرتبط بحاجاته واهتماماته . فمثلا عندما يكون الطالب مشغولا تماما بحل مسالة حسابية صعبة فانه لا يلقى بالا للاصوات التى تصدر من حركة المرور في الشارع او الحديث المذاع من الراديو او درجة الحرارة الشديدة المحيطة به .

عملية الانتباه

ويطلق على عملية الاختيار او الانتخاب من بين العديد من المنبهات والمثيرات التى تحيط بالفرد عملية الانتباه Attention .

والانتباه يعتبر الخطوة الاعدادية للادراك ، فعندما نستمع الى قصة هامة يذكرها لنا احد الاصدقاء ، فاننا عادة ما ندرك الكلمات والافكار التى يعبر عنها ، ولكننا قد لا ندرك حقيقةاسلوب هذا الصديق في الحديث او طريقة ملبسه او غير ذلك ، لان هذه الاشياء لا تقع في محيط انتباهنا . ويمكننا انننقل مركز انتباهنا فندرك اشياء اخرى، اذا وجهنا انتباهنا الى أسلوب الصديق في الحديث او طريقة ملبسه .

والاشياء التى تثير انتباهنا عادة ما تحدد استجاباتنا . فالانتباه يتضمن استقبال مثيرات او منبهات معينة توجه نشاطنا . وعلى هذا فانه يمكن توجيه سلوك الافراد عن طريق انتباههملاشياء معينة . فوسائل الاعلان ، واسلوب عرض البضائع تنظم بطريقة تجذب انتباه الافراد وتوجه السلوك والنشاط الشرائي بينهم . ويمكن ايضا ان نجعل التلاميذ يتعلمون ما نريدهم ان يتعلموه عن طريق تنظيم ما يقع انتباههم عليه . وكثيرا ما نفشل في تربيتنا لاطفالنا لاننا لم نضع في الاعتبار جميع الاشياء التى تجذب انتباههم .

مثيرات الانتباه

يمكن تقسيم المثيرات التى تجذب الانتباه الى قسمين : القسم الاول ويتناول العوامل الموضوعية المثيرة للانتباه Objective Factors ، والقسم الثاني ويتناول العوامل الذاتية Subjecttive Factors ويقصد بها العوامل المتصلة بالفرد نفسه وظروفه .

العوامل الموضوعية المثيرة للانتباه :

وهذه العوامل تحدد الانتباه ، وتتضمن مختلف المثيرات البيئية التى لها قوة جذب انتباه الفرد بغض النظر عن عمره او خبرته السابقة او حاجاته واهتماماته ، ومن اهم هذه العوامل :

١ ـ تغير المثيرات Changing Stimuli يعمل على جذب الانتباه والاحتفاظ به. فمعظم الشوارع الرئيسية في المدن الكبرى مليئة بالاعلانات التى تضاء وتطفا . وهذه الاعلانات عادة ما تجذب انتباهنا اكثر من الاعلانات المضاءة اضاءة مستمرة. وقد يجلس الفرد في مكتبه ولا يعطى انتباها لصوت دقات ساعة الحائط ، ولكن اذا توقفت الساعة عن دقاتها المنتظمة لاى سبب من الاسباب كانذلك ادعى الى اثارة انتباه الفرد .

٢ ـ تعمل شدة الاستثارة Intense Stimulation على جذب انتباه كل فرد ،فانقطاع التيار الكهربائي فجاة، والضوء الشديد المفاجيء، والرائحة القوية الطيبة او الكريهة تجذب عادة انتباه جميع الافراد من مختلف المستويات والطبقات والاعمار .

٣ ـ التكرار الدائم Constant Repitition لنفس المثيرات يؤدى الى جذب الانتباه فصوت صفارة قوية يجذب انتباه الكثير من الناس اذا استمر صوت هذه الصفارة في الانطلاق لمدة طويلة. وصوت قطرات الماء وهى تتساقط بانتظام من الصنبور ليلا عادة ما يجذب انتباه الفرد وهو في فراشه قبل ان يستغرق في نومه .

٤ ـ ان الشيء غير العادى Unusual والجديد New عادة ما يجذب الانتباه فاستاذ الجامعة في بلادنا والذى يذهب الى كليته لابسا قميصا احمر، يجذب انتباه جميع زملائه وطلابه ، في حين انه قد لا يجذب انتباههم اذا حضر الى الكلية لابسا قميصا عاديا . وزجاجة المياه الغازية التى لها شكل جديد او تحمل ماركة جديدة تجذب الانتباه اذا عرضت في مكان ما .

٥ ـ الاشياء المحددة الشكل عادة ما تجذب الانتباه اكثر من الاشياء التى ليس لها اطار محدد . فمثلا يجذب الاعلان الانتباه اكثر اذا حددت مساحته بالوان واضحة .

٦ ـ الاشياء التى ترتبط بحاجاتنا الاساسية او برغباتنا عادة ما تجذب الانتباه . فالجائع يجذب انتباهه الطعام والعطشان يجذب انتباهه رؤية الماء .

العوامل الذاتية فى جذب الانتباه :

والواقع ان الفرد يجذب انتباهه اى شيء يعتقد

في قيمته . وعن طريق التعلم قد تزيد عدد المثيرات التي تجذب الانتباه ، كما قد تقل بعض هذه المثيرات ، فمن طريق التعلم قد يجذب انتباه الفرد مثيرات معينة لم تكن تجذب انتباهه من قبل . كما ان بعض هذه المثيرات قد تفقد قدرتها في جذب الانتباه نتيجة لعملية التعليم ايضا . وهذه العوامل التي تتوقف على التعلم وعلى الخبرة يطلق عليها : العوامل الذاتية في جذب الانتباه ، ومن هذه العوامل :

١ – ما يقوم به الفرد في لحظة معينة يحددها ما يستحوذ على انتباهه ، فالطفل المنهمك في فهم مسألة حسابية صعبة يكون انتباهه مركزا على صوت المعلم وعلى ما هو مكتوب على السبورة دون غيره .

٢ – الرغبات الحاضرة كثيرا ما توجه انتباه الفرد ، فالشخص الذى يريد شراء سيارة جديدة عادة ما يجذب انتباهه مختلف انواع السيارات المارة بجواره .

الانتباه في حركة وتنقل مستمر

ليس من الممكن ان ينتبه الفرد الى مثير واحد لوقت طويل ، فمعظم الاشياء التي تجذب انتباه الفرد معقدة في طبيعتها كما انها متحركة . ولا شك ان الطبيعة المتغيرة للانتباه ترجع الى ان انتباه الفرد قد يكون موجها لناحية معينة ، ثم ينقل الفرد انتباهه الى بعض النواحي الاخرى، والانتباه عادة ما يركز على شيء واحد في وقت واحد . ولعل جميع الامثلة التي توضح كيف ان الفرد يستطيع ان يوجه انتباهه الى اشياء كثيرة مختلفة في وقت واحد يمكن تفسيرها على اساس قدرة الفرد على ان ينقل انتباهه من شيء الى آخر بسرعة كبيرة .

والاطفال عادة لا يستطيعون ان يركزوا انتباههم على شيء واحد لفترة طويلة . ولكن بزيادة العمر قد يزيد مدى انتباههم . وهذه الزيادة في مدى الانتباه قد ترجع الى التدريب او تكوين عادات الانتباه . ومع هذا فلكل فرد مدى انتباه معين . فمثلا من الصعب ان يجلس شخص معين في محاضرة ويظل منتبها لكل ما يقوله المحاضر لمدة ثلاث ساعات مستمرة . ويختلف مدى الانتباه من فرد الى فرد تبعا لظروفه وامكانياته وحالته النفسية والصحية . وكذلك يختلف مدى الانتباه باختلاف جاذبية المثير . فمثلا قد يستطيع بعض الافراد ان يستمعوا الى محاضرة طويلة نسبيا بانتباه تام اذا كانت المحاضرة مشوقة للغاية وتهمهم لدرجة كبيرة .

ونظرا لطبيعة الانتباه المتنقلة Mobile فان الفرد عليه ان يكتشف البيئة المحيطة ليحدد انواع المثيرات الموجودة فيها والتي لها دلالة معينة وتستدعي جذب انتباهه ، والا فانه ليس من الممكن ان ينتبه الفرد للعدد اللانهائي من المثيرات المحيطة به .

أنـواع الانتباه

ومن الممكن تمييز ثلاثة انواع من الانتباه :

(أ) الانتباه العشوائي Randon Attention

وهو الذى يتم بدون بذل جهد معين وباسلوب لا ارادى . كما انه اكثر انواع الانتباه بدائية . وعادة ما يحدد هذا الانتباه المثير نفسه . كما ان هذا الانتباه عادة ما يحدث بسبب بعض العوامل الموضوعية التي سبق ان تكلمنا عنها . فالشخص في الشارع كثيرا ما يوجه انتباهه لفترات قصيرة لعدد لا حصر له من الاشياء مثل السيارات التي تجرى في الشارع ، البضائع المختلفة المعروضة في واجهات المحلات، الحفر في الطريق ، الكلمات التي يلقيها بعض المارة من الناس وغير ذلك . وعادة ما يكون الانتباه لكل بند من البنود السابقة لفترة وجيزة ، ينتقل بعدها الانتباه الى شيء آخر . وهذا النوع من الانتباه عادة ما يتم دون قصد واضح من الفرد نفسه .

(ب) الانتباه الارادى Voluntary Attention

وهذا النوع من الانتباه يتم عن طريق بذل جهد شعورى بواسطة الفرد . وعادة ما يكون الانتباه مفروضا على الفرد بواسطة دافع خارجي مثل الثواب والعقاب . وهذا النوع من الانتباه عادة ما يكون غير سار لانه مفروض وغير طبيعي . ويمثله انتباه الطفل في المدرسة الابتدائية ، خاصة اذا كان الطفل لا يميل الى العمل المدرسي والى جو المدرسة ، فالطفل قد ينتبه خوفا من العصا التي وراء ظهر المدرس وكذلك خوفا من كافة صور واشكال العقاب .

والانتباه الارادى كثيرا ما يكون مرتفع التكلفة من ناحية الجهد المبذول فيه ، لان الفرد يجبر نفسه عليه بسبب عدم توافر الرغبة والميل . وعادة ما يسبب هذا النوع من الانتباه الكثير من

التوتر والضغوط على الفرد ، لانه يثير صراعات ومنازعات داخل الفرد نفسه . فقد يجبر الطفل نفسه على الانتباه بسبب الخوف وبسبب الرغبة في الحصول على تقدير وموافقة الغير ، ولكن رغباته واهتماماته تقع في مكان آخر . والعامل الذى يجبر على القيام بعمل معين وعلى تركيز انتباهه عليه ، عادة ما يكون ذلك على حساب مستوى هذا العمل وجودته، وعلى حساب صحة العامل النفسية والعصبية والجسمية .

(جـ) الانتباه التلقائي Spontaneous Attention وهذا خير انواع الانتباه واكثرها فاعلية . لانه عادة يتبع الميل الحقيقي في الشيء نفسه موضوع الانتباه ، وهذا النوع من الانتباه لا يبذل فيه الفرد جهدا او على الاقل لا يشعر الفرد معه بالضيق والتوتر الذى يميز الانتباه الارادى . فالفرد عادة ما يكون عنده ميل للنشاط الذى يقوم به او ينتبه اليه ، ولذلك فليس هناك جهد كبير مبذول ، كما انه ليس هناك تصارع بين رغبات الفرد ، لهذا يعتبر الانتباه التلقائي نوعا مثمرا من انواع الانتباه . والانتباه التلقائي هو من النوع الذى يعطيه الطالب في المدرسة لعمل معين ، عندما يكون هذا الطالب يحب حقيقة هذا العمل ويميل اليه ، ولذلك فانه يقوم به بمحض رغبته وليس بدافع الخوف من العقاب او الرغبة في الثواب .

عدم الانتباه وتشتت الانتباه

طالما ان الفرد في حالة يقظة ، فانه عادة ما يكون منتبها لشيء ما ، لذلك فان حالة عدم الانتباه Inattention تحدث عادة عندما يوجه الفرد انتباهه الى شيء آخر غير الشيء المفروض ان يوجه انتباهه اليه . فالطالب يكون في حالة عدم انتباه اذا وجه انتباهه في الفصل الى شيء آخر غير الدرس ، والطالب الذى يوجد في حالة عدم انتباه في الفصل عادة ما يكون منتبها لصوت موسيقى صادر من مكان قريب او قد يكون منتبها للوحة معلقة على حائط الفصل . ويمكن القضاء على عدم الانتباه عن طريق ازالة المثيرات المختلفة من حول الفرد . فلكي ينتبه الطالب الى الدرس لا بد ان نبعد عنه كل ما يسبب عدم الانتباه . وعدم الانتباه هذا قد يكون بسبب وجود مثيرات او منبهات اخرى تحيط بالطالب وتدفعه الى الانتباه اليها صارفا جهده عن الانتباه للدرس والتحصيل. كما ان الطالب قد يكون منتبها الى مشاكله الخاصة يفكر فيها ، لذلك فاننا نجد ان المشاكل النفسية والاجتماعية وغيرها عادة ما تدفع الطالب الى عدم الانتباه .

اما تشتت الانتباه Distraction فيعني وجود مثيرات معينة لا تتفق مع خط التفكير او هدف الساعة الذى يسعى اليه الفرد . فاي مثير قوى يمكنه ان يشتت انتباه الفرد ويوجه هذا الانتباه وجهة اخرى . كما ان من السهل تشتيت الانتباه العشوائى والانتباه الارادى ، اما الانتباه التلقائي فمن الصعب تشتيته .

ومن الممكن التغلب على تشتت الانتباه عن طريق عدد من الطرق منها : ان يبذل الفرد طاقة اكبر في العمل الذى يقوم به . ويمكن للفرد القيام بذلك اذا استطعنا اثارة اهتمامه بالعمل نفسه . واذا كان من الصعب الوصول الى هذا الهدف ، فانه يمكن ان نزيد من دافعية الفرد للقيام بعمل معين عن طريق بعض الوسائل الصناعية مثل الحوافز المادية والادبية وغيرها .

ومن الوسائل الاخرى التى يمكن اتباعها للتغلب على تشتت الانتباه، طريق بناء عادات عدم الانتباه الى المثيرات التى تشتت الانتباه . ومن امثلة ذلك ، الشخص الذى ينتقل الى مسكن جديد يطل على شارع فيه حركة مرور كبيرة بحيث يصدر عن هذه الحركة الكثير من الاصوات التى تشتت انتباهه عن المذاكرة في الكثير من الاحيان ، ولكن هذا الفرد يستطيع بالتدريج عدم الاستجابة لهذه المثيرات (الاصوات) وبذلك تفقد فاعليتها كمشتت للانتباه ، وذلك عن طريق عدم الانتباه اليها . وبنفس الطريقة يستطيع الطالب الذى يشتت انتباهه اثناء المذاكرة صوت جرس المنزل او صوت افراد الاسرة يتحدثون ان يكون عادة عدم الانتباه الى هذه المثيرات وغيرها والتى تشتت انتباهه .

ومن المفيد ايضا ان نضع الافراد في مواقف لا تشتت انتباههم وذلك بان نقلل من اثر المنبهات الثانوية عليهم ، فالطالب في الفصل يجب ان نقلل المنبهات الثانوية المحيطة به كالملصقات واللوحات المعلقة على جدران الفصل، وكذلك اصوات الطلاب الذين يمرون بجانب الفصل والأصوات الصادرة من فناء المدرسة واصوات السيارات والباعة المتجولين في الشوارع المحيطة . وكلما قللنا من

اثر هذه المنبهات الثانوية كان ذلك أدعى الى التقليل من تشتيت انتباه الطالب .

تطبيقات الانتباه في الحياة العملية

لا شك ان دراسة الانتباه لها تطبيقات كثيرة في حياتنا العملية ، وهناك مجالات مختلفة لهذه التطبيقات ، ولكننا سوف نقصر حديثنا على المجالين التعليمي والاعلاني ومجال العمل .

١ ـ بالنسبة للمجال التعليمي :

وضح لنا ان الانتباه التلقائي هو احسن انواع الانتباه . وهذا النوع من الانتباه يمكن تحقيقه اذا روعي ان تكون المادة التي تقدم للطالب تثير اهتمامه ، واذا كان لدى الدارس الرغبة في تعلمها ، كما يمكن تحقيق الانتباه التلقائي ايضا اذا استبعدنا من حول الطالب كافة مشتتات الانتباه . فالفصل الدراسي يجب ان يكون في مكان هادىء بعيدا عن الاصوات والمناظر الخارجية المثيرة والمنبهة والتي تشتت الانتباه . كما يجب ان نحسن اختيار الاشياء المختلفة المعلقة على جدران الفصل لأنها قد تعمل على تشتيت انتباه الدارسين ، كما يجب ايضا الاهتمام بالحوافز المختلفة للتعلم سواء كانت هذه الحوافز مادية او معنوية ، مع التاكيد على استخدام الوسائل التعليمية المعينة .

وقد اتضح من الدراسات التي اجريت على عملية الانتباه ان هناك مدى معينا للانتباه يختلف باختلاف الافراد وباختلاف اعمارهم ، لذلك فانه يجب ان يوضع في الاعتبار مدى الانتباه عند التخطيط لزمن الحصص والمحاضرات المختلفة . ويذكر الكاتب أن واحدا من المعاهد التعليمية التي تخرج المتخصصين الفنيين في مجال معين ، قد جعل زمن المحاضرة وما يتبعها من تطبيقات ثلاث ساعات متصلة . وهذا المعهد يتعامل مع طلاب في سن المراهقة . وقد اشتكى معظم الاساتذة بانهم لا يستطيعون جذب انتباه الطلاب لاكثر من ساعة ، وقد يستطيع بعض الاساتذة ان يجذب انتباه الطلاب لفترة اكبر من ذلك ولكن بجهد كبير شاق .

٢ ـ بالنسبة للمجال الاعلاني :

استفاد خبراء الاعلان من الدراسات التي اجريت على عملية الانتباه ، ويحاول هؤلاء الخبراء ان تتوافر في اعلاناتهم شروط جذب انتباه الجمهور ، والاحتفاظ بهذا الانتباه اطول مدة ممكنة . وقد اثبتت الدراسات ان التغير المفاجىء في المثير يجذب الانتباه ، لذلك فاننا نرى الكثير من الاعلانات التي تضاء وتطفأ . وهذا النوع من الاعلانات يجذب عادة اكبر عدد من الناس خاصة اذا وضعت هذه الاعلانات في مكان مناسب . وقد اثبتت الدراسات ايضا ان الاعلان عادة ما يجذب الانتباه اكثر اذا ارتبط بحاجات الناس ورغباتهم ، لذلك نجد ان الكثير من الاعلانات يراعى فيها ذلك عند تصميمها . فبعض الاعلانات مثلا تحاول اشباع حاجات الناس الى التقدير والامن والمحبة والانتماء ، ويختلف الامر باختلاف طبيعة السلعة او الخدمة المعلن عنها .

وقد استغل الدافع الجنسي كأسلوب لجذب الانتباه ، لذلك نجد الكثيرين من المعلنين يحشرون في اعلاناتهم العنصر النسائي .

والواقع ان ما سبق ذكره ما هو الا اشارة عابرة لاستفادة فن الاعلان من الدراسات التي اجريت على الانتباه . ولا شك ان مناقشة هذا الموضوع بالتفصيل يكون مجاله عادة كتاب متخصص في فن الاعلان .

٣ ـ بالنسبة لمجال العمل :

للانتباه تطبيقات هامة في مجال العمل . فالعامل او الموظف اذا ركز انتباهه على العمل الذي يقوم به ادى ذلك الى زيادة الانتاج وجودته ودقته . ولكن انتباه العامل او الموظف لعمله يرتبط بعوامل كثيرة منها : ان يكون العمل مشبعا له من الناحية العقلية والنفسية والمادية ، وان يكون جو العمل مناسبا ليس فيه ما يشتت الانتباه ويعوق التركيز .

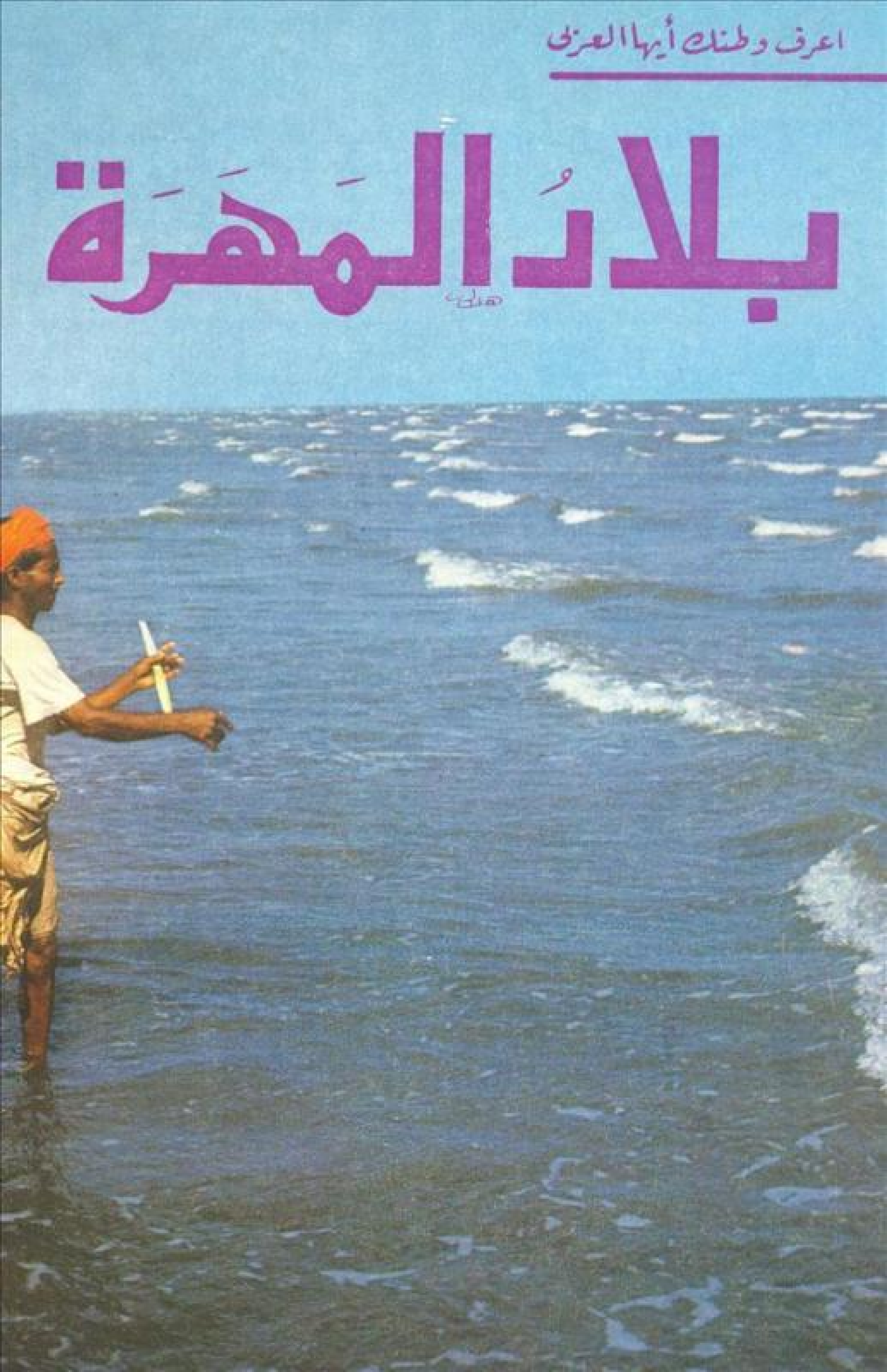
ويستطيع العامل ان يركز انتباهه في عمله اذا كان هذا العمل متنوعا ليس فيه عنصر الملل والروتينية التي عادة ما تشتت انتباه العامل وتحرمه من نعمة التركيز اثناء العمل .

ولعل من اكبر اعداء تركيز الانتباه بالنسبة للعامل او الموظف المشكلات الشخصية التي يعاني منها . فكلما تكاثرت هذه المشكلات عليه ادى هذا الى توجيه كل انتباهه الى هذه المشكلات والتفكير فيها مما يؤدي الى تشتيت الانتباه وتوجيهه الى نواح اخرى غير العمل . ■■

علي أحمد علي

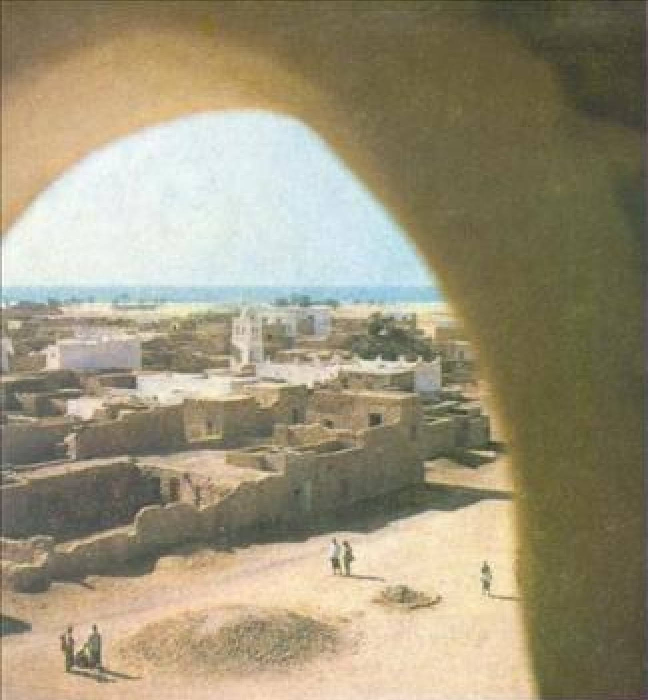
اعرف وطنك أيها العربي

بلادُ المَهَرَة



استطلاع
سليم زبال

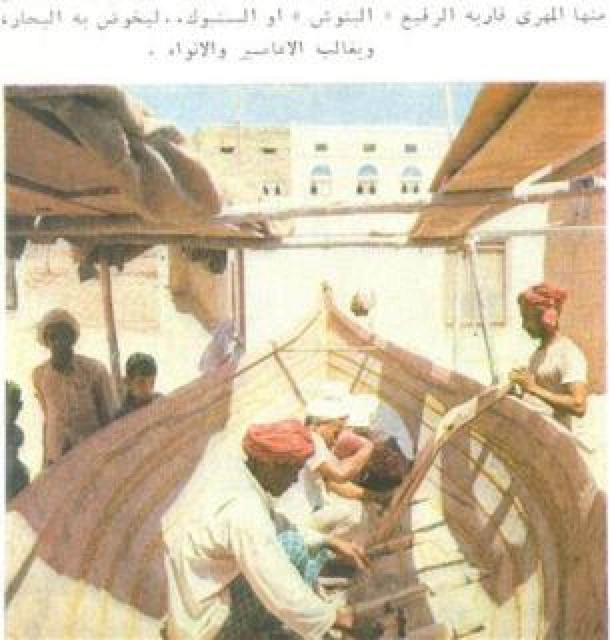
تصوير
أوسكار متري



سيحوت : واحدة من المدن الست المتشابهة في بلاد المهرة : اطلال فوق رمال الصحراء ،يعيش داخلها عرب اصلاء بعيداً عن الحضارة والاضواء ..

رحلة الى أرض مجهولة من وطننا العربى لو لخصنا حياة أهلها لكانت سمكاً ونياقاً

الى اسفل : فنيار وقار ، واشجار الصاج الواردة من نيبار .. يصنع منها المهرى قاربه الرفيع « البنوش » او « السنبوك » .. ليخوض به البحار، ويغالب الاعاصير والانواء .





...سمكة تكفيه هو وعائلته فقط !.

■ رمال وجمال .. واناس يعيشون في جحور .. ولا شيء اكثر من هذا .

كانت هذه هي الصورة التي طالعتنا عندما بدأنا رحلتنا في بلاد المهرة .. ولا تسأل عن بلاد المهرة الآن .. فسوف نأتيك بالجواب عن هذا الشعب المنسي ... عن اصله وفصله وتاريخه وكل شيء يخطر على بالك ..

وقفنا نتأمل هذا الذي نراه امامنا ،وقلنا نسأل انفسنا : « **ترى اي مصيبة تلك التي حلت بهذه البلاد ؟ فجعلتها تعيش في هذا التخلف المخيف ؟** » .

حرموا البلاد من كل شيء



وفي رئاسة مجلس الوزراء في عدن ، عاصمة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، التقينا بشاب هادىء وسيم ضخم قوى البنية ، وكان لقاؤنا به بعد ان انتصف الليل او كاد .. كان يجلس في مكتبه ويسرح بخاطره في تلك الأكوام المكدسة من المشاكل التي تعاني منها بلاده ، ومنها بلاد المهرة .. انه رئيس وزراء اليمن الديمقراطي الأستاذ علي ناصر محمد .. ودار حديث طويل اختتمه بقوله :

« .. لقد رحلوا عن بلادنا بعد ١٣٠ عاما من استعمارهم لها ... رحلوا مخلفين وراءهم شعبا تخنقه المتاعب والمشاكل والتخلف .. رحلوا بعد ان حرموا البلاد من كل شيء : من العلاج ، والتعليم ، والمواصلات ، والطرق ، والموانىء والزراعة ، والصناعة .. كان همهم التركيز على قاعدة عدن ، ولا شيء الا عدن ، فاهملوا مليونا ونصف مليون انسان يعيشون فوق ارض مساحتها ١١٢ الف ميل مربع .

« انا سعيد لأنكم ستتوجهون غدا الى محافظتنا السادسة التي كانت تعرف باسم بلاد المهرة ، سعيد لأنكم ستنقلون للقارىء العربي صورة واقعية لمأساة يعيشها شعب عربي منسي مجهول منذ مئات السنين » .

الليل ستار للعيوب !

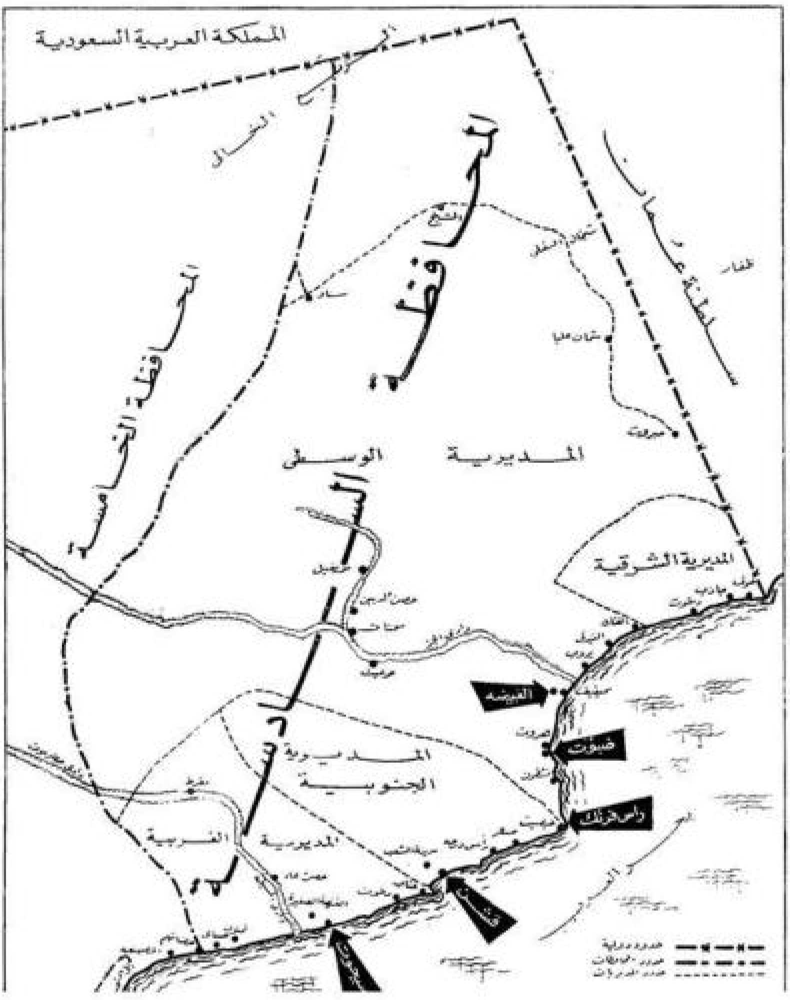
وبدأنا رحلتنا على امتداد الساحل الجنوبي لشبه جزيرة العرب .. الطائرة الصغيرة نقلتنا في ساعتين من عدن الى المكلا ، عاصمة المحافظة الخامسة التي كانت قبل ذلك حضرموت (انظر الخريطة) .. ومن المكلا انطلقت بنا سيارة اللاندروفر على ساحل البحر الذى انحسر عنه الماء .. ولكن سرعة السيارة لم تسعفنا كثيرا ، فقد بدأت امواج المد تندفع على طول الساحل ، فحاصرتنا مياهها داخل السيارة .. وانزاح المد.. وعاودنا السير على الساحل المبتل الذى بدأت تتكاثر عليه الصخور فتجعله غير صالح للمواصلات، واتجهنا صوب الداخل .. الرمال الناعمة تعوق حركة السيارة ، ولكنها سيارة صحراوية تعرف كيف تتخلص من المآزق.. الرمال تحيط بنا من كل جانب..وأسدل الليل ستارا حجب عنا منظر التلال الصعبة والوديان البخيلة المجدبة .

الانطلاق صوب المجهول

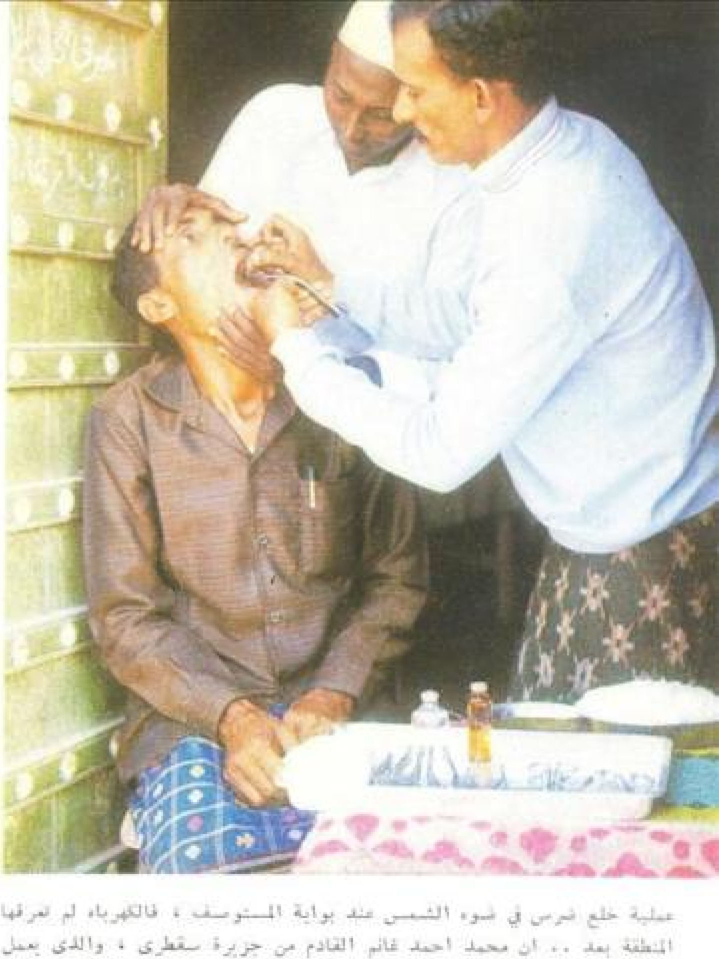
ومع دخول الليل ظلت السيارة تنطلق في كل

الى اليسار : خريطتان .. العليا لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، بمحافظاتها الست ، ومجموع مساحاتها ١١٢ الف ميل مربع ، ومجموع سكانها مليون ونصف مليون نسمة (تقريبا) وتمتد على الساحل لمسافة ٦٠٠ ميل تقريبا .. والمحافظة السادسة هى التى كان يطلق عليها اسم بلاد المهرة سابقا .. وتراها بالتفصيل في الخريطة السفلى : مساحتها ٣٠ الف ميل مربع تحتل الجبال نسبة ٦٠٪ من اراضيها وعدد سكانها ٧٥ الف نسمة ، لكن اهلها يقولون انهم ١٥٠ الفا . والاسهم السوداء تشير الى اهم المدن التى ورد ذكرها في هذا الاستطلاع ، كما ظهر في الخارطة وادى حضرموت ووادى الجزر او الجيزاء ومعناه الجذع بالعربية.


سلطنة عُمان
جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية
الغيضة
المحافظة الثالثة
المحافظة الأولى
خليج عدن


المملكة العربية السعودية
المحافظة السادسة
المديرية الوسطى
المحافظة الخامسة
المديرية الشرقية
الغيضة
المديرية الجنوبية
رأس فرتك
المديرية الغربية





عملية خلع ضرس في ضوء الشمس عند بوابة المستوصف ، فالكهرباء لم تعرفها المنطقة بعد .. ان محمد احمد غانم القادم من جزيرة سقطرى ، والذى يعمل مساعدا صحيا في مدينة قشن ، يقوم بخلع الاسنان ، وعلاج السل ، والتهاب الكبد ، والولادات المتعسرة، والتهاب المبايض ، حتى علاج الحيوانات يقوم به .. ان بلاد المهرة ليس فيها مستشفى ، وقشن لم تعرف طبيبا الى اليوم !!





كفل الدستور للمرأة كافة حقوقها السياسية والاجتماعية في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، ولكن تطبيق هذه النصوص على المرأة المهرية من الصعوبة بمكان ، فهي ما زالت حبيسة منزلها ، ما تكاد تبلغ الحادية عشرة من عمرها حتى « تتقمقم » اى ترتدى القمقم الاسود ــ هكذا يسمون العباءة ــ وتجلس في منزلها وسط فراغ هائل .. وعندما يتقدم العريس لطلب يدها ، يستشيرها والدها في الامر ، فاذا وافقت ، دفع العريس المهر الذى يتراوح بين ٥ و ١٥ الف شلن ، رغم قانون تخفيض المهور .. وبعد الزواج يسافر الزوج وتبقى المرأة في منزلها مع اطفالها لفترات قد تمتد الى سنوات ..

الى اليمين : يتميز المواطن المهرى بالكرم العربى الاصيل ، فعندما يأتيه ضيف يذبح له الشاة او العنزة ، ويضع لحمها فوق اكوام من الارز المطبوخ بالمرق والحومر .. ولكن الطعام اليومى للأهالى مختلف تماما ، ففى الصباح يشربون حليب الناقة مع قطعة من خبز الذرة،وعند الظهر يأكلون سمكا ، وفي الليل يشربون حليب الناقة ثانيا، .وعندما يخرج المهرى للبحر يأكل العصيدة،اى دقيق الذرة المخلوط بالسمن الحيوانى ..اما الخضراوات والفواكه فلا اثر لها على الاطلاق في المنطقة ، ومن هنا انتشرت امراض فقر الدم والانيميا وغيرها بين السكان لعدم تنوع الطعام .

اتجاه يحلو للسائق ، كنا مندفعين صوب المجهول .. صوب ارض منزوية عن اضواء الحضارة ، صوب أرض مرتبطة بعصر غير عصرنا .. انها أرض المرّ والبخور والبان ، وموطن المهرة .. هؤلاء العرب الاقحاح ، الذين ما زالوا يفتخرون بانهم من نسل يعرب بن قحطان ... !

اشعب هو السبب !!

وعدنا بالذاكرة الى الوراء ... الى الازمنة الغابرة ... الى ايام الهجرات العربية الاولى .. الى عصر العرب العاربة .. وبين صفحات التاريخ بدأنا نبحث عن قصة رجل اسمه : مهرة بن حيدان ..

وعثرنا عليه ، وهو ينطلق نازحا من تهامة الى ارض سبأ ليستقر في مأرب ، مع بطون مختلفة من قبيلة قضاعة الشهيرة ، التي احتار النسابون في نسبها ، البعض يقول انها من نسل عدنان ، والبعض الاخر يقول : لا .. انها من قحطان ..

ويظهر أن « مهرة » قد نزح مع قضاعة في بداية التاريخ الميلادي او قبله قليلا ..

وعاش الجميع بسلام في مدينة مأرب ، حتى جاء ذلك اليوم الذى نزل فيه غلام اسمه اشعب الى بئر ماء في مأرب ، وادلوا عليه دلاءهم ، فطفق الغلام يملأ لمواليه ويؤثرهم ، ويبطىء عن الاخرين .. فما كان من احدهم الا ان ثارت اعصابه ، وغضب ، وامسك بحجر والقاه على راس الغلام المسكين في قاع البئر فدمغه ... وقامت الدنيا ولم تقعد ، واقتتل القوم فيما بينهم ... ثم تفرقوا ... وبدأوا نزوحا جديدا ، فقل بعضهم راجعا الى تهامة ، والبعض الآخر نزح للمدينة المنورة .. اما الشخص الذى يعنينا وهو « مهرة بن حيدان » فقد اتجه مع جماعته صوب الجنوب ، الى مدينة الشحر ـ قرب المكلا ـ فاستقل بها وعرفت به .. والى هذا الرجل « مهرة بن حيدان » ينتسب كل رجل مهرى ..



الاخ محسن على باسر محافظ المحافظة الثالثة ، يتفقد اللمسات الاخيرة في بناء مأمورية قشن .. لقد استطاع هذا الشاب ان يوفق في حل اكثر من ١٠٦ حالة ثأر كانت موجودة بين مختلف القبائل



الشاعر الشعبي عامر سالم ، ينشد الشعر باللهجة المهرية .. والشعراء المهريون يزيد عددهم عن ٣٠٠ شاعر .. يتغنون بالحب والجمال والحياة القبلية ، ويشبهون المرأة الجميلة بالناقة ! .



سهرة حتى منتصف الليل قضيناها مع العمال في مقرهم المتواضع بالغيضة .. ان المشاكل امامهم كثيرة، وشكواهم المرة هي انعزالهم عن العالم .. لا توجد صحف ولا دور للسينما ولا تلفاز .. والمذياع هو وسيلة الاتصال الوحيدة بينهم وبين العالم الخارجي ، وعندما سألناهم عن غزو الانسان للقمر ، وجدنا ان ٩٥٪ منهم يكذبون هذا الحدث التاريخي ، ولا يعتقدون به !

في ظلام التاريخ

كانت معلوماتنا عن بلاد المهرة منحصرة فيما ذكرته كتب التاريخ * ، وحاولنا سد هذا النقص في عدن ، فرحنا ندق ابواب الوزارات ، نسالهم معلومات عن بلاد المهرة او المحافظة السادسة في جمهورية اليمن الديمقراطي .. وكانت الاجابة : « لا يوجد عندنا شيء ... انها ما زالت تعيش في ظلام التاريخ » .. هكذا قالوا لنا ..

اين سيحوت ؟

كانت هذه الافكار تتتابع امامنا في ظلام الليل ، والسيارة تتارجح بنا .. لقد مضت١٢ ساعة منذ ان تركنا المكلا في طريقنا الى سيحوت .. القرى تتتابع امامنا لا اثر لانسان فيها .. وفي كل مرة نسال السائق .. هل هذه سيحوت ؟ .. فيجيبنا: لا ... كان التعب قد بلغ اشده منا عندما دخلنا قرية قالوا انها سيحوت .. ونظرنا الى مؤشر السيارة ، فوجدناه يسجل ١٨٩ ميلا قطعناها من المكلا الى سيحوت في ١٢ ساعة .

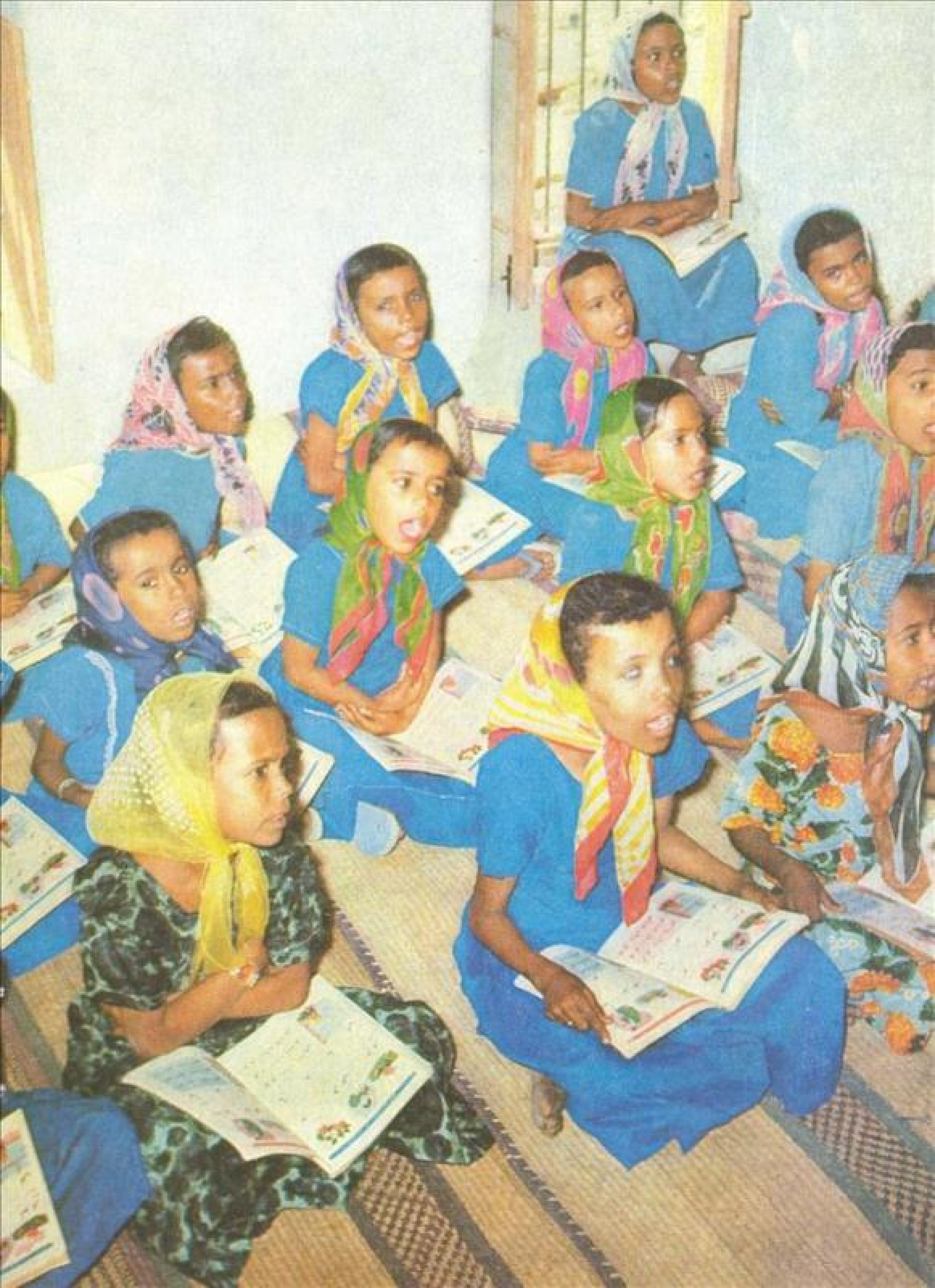
هكذا هي الحياة

وعلى ضوء لمبة الجاز ذهبنا الى منزل حديث البناء ، وصعدوا بنا الى غرفة في الطابق الثالث ... كان المنزل خاليا تماما من كل اثاث ... وقال لنا الحارس : « لحظة،واحضر لكم الفراش » وعاد بعد ربع ساعة حاملا سجادة قطنية القاها على الارض ، ثم حيانا قائلا : تصبحون على خير !!

وذهلنا .. ولكن هكذا هي الحياة في سيحوت .. ونمنا على ارض صلبة دون وسادة او غطاء .. ولم نكن في حاجة الى غطاء فمناخ سيحوت رائع ممتاز ...

---

* معجم ماإستعجم ، للبكري ـ نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، للادريسي ـ العرب قبل الاسلام ، لجرجي زيدان ، وغيرها .







هؤلاء هم احفاد يعرب بن قحطان ، يتلقون درسهم الاول باللغة العربية بدلا من اللهجة الامهرية التي ظل اباؤهم يتوارثونها محافظين عليها بغيرة زائدة ، دون اية فائدة .. فهي لهجة ميتة ، لانها لهجة تخاطب يتحدثون بها دون أن يستطيعوا كتابتها .. لقد رفض الاهالي في البداية تعليم بناتهم ، وفجأة انقلب الوضع ولم يعد هناك مكان لقدم في مدارس البنات .. انظر الى الصورتين جيدا ، ولا تحاول أن تتمسك بالقشور ، وتسأل اين المقاعد ؟ وما هو مستوى الاساتذة ؟ ولماذا يسير الاطفال حفاة ؟ .. لان الذي يحدث حاليا في بلاد المهرة اشبه بمعجزة .. كانت هناك مدرسة واحدة يتعلم فيها ٤٥ تلميذا .. وفجأة .. ومنذ عام ١٩٦٨ قفز عدد المدارس الى ٢٣ مدرسة تضم ١٨٠٠ تلميذ و ٢٥٤ تلميذة .. ومباني المدارس اصبحت تقام بفضل تبرعات الاهالي ، ومن حصيلة تبرع كل موظف في الدولة بمرتب يوم في الشهر .. ومن حصيلة هذه التبرعات تم بناء عشرات المدارس الصغيرة في القرى والمراكز .. وما يكاد الطفل ينهي تعليمه الابتدائي في مدارس بلاد المهرة حتى يسافر الى المكلا – في المحافظة الخامسة – لتكملة تعليمه الاعدادي هناك .. وفي العام الماضي سافرت الى المكلا اول دفعة من هؤلاء الطلبة وعددهم ١٣ طالبا .. وهذه المشقة يتكبدها الطالب ويتحمل اهله النفقات الباهظة لعدم وجود مدرسة اعدادية الى اليوم في بلاد المهرة ، او المحافظة السادسة من جمهورية اليمن الديمقراطي !



السنبوك الصغير الرقيع ، تتقاذفه الأمواج العاتية عند رأس فرتك ، ونحن بداخله .

وتقع سيحوت عند ساحل البحر على مقربة من مصب وادى حضرموت ، الذى يتبدل اسمه الى وادى المسيلة عند مصبه .. وسيحوت معزولة تماما عن العالم لا توجد طرق تؤدى اليها ، ولا مطار تهبط فيه الطائرات .. والبحر هو بابها الوحيد على العالم .

سر الختان المتأخر

والواقع ان بلاد المهرة كلها لم تنفتح على العالم الا في عام ١٩٦٨ وقبل هذا التاريخ ، كانت البلاد مغلقة على ٣٧ قبيلة متناحرة ، لكل منها عاداتها وتقاليدها ومناطق نفوذها .. اما السلطان احمد بن عيسى بن عفرار « ملك المهرة وسقطرى » فلم يكن يجلس في بلاده ، وانما كان يهرب منها الى جزيرة سُقُطْرَى .. تاركا حكم البلاد الى القبائل القوية تتقاتل وتتناحر ، وتورث الأبناء ثأر الآباء والأجداد .

ولحماية الجنس المهرى من الانقراض عن طريق الثأر ، وضعت القبائل عرفا يحرم قتل اى طفل غير مختون .. وهذا يوضح لنا سر تأخر عملية الختان عند المهرة الى سن السادسة عشرة ..

حرب اهلية وفوضى

وكان المهرى ـ قبل الاستقلال ـ لا يجسر على السير الا والبندقية على كتفه للدفاع عن نفسه ..

وفي الغيضة ـ عاصمة المهرة ـ تأزم الموقف الى شبه حرب اهلية بين طرفي المدينة .. في الجزء العلوى تمركزت قبيلة كلشات ، وفي الجزء السفلى تمركزت قبيلة كدة ، واشتد القتال بين الطرفين الى حد استعملت فيه المدافع بينهما ..

وفي ظل تلك الفوضى انعدم التعليم وانتشرت الخزعبلات ، واصبح رش دم الماعز على جسم المريض ، وكيه بالنار ، وشرب حليب الناقة ، هى طرق العلاج المثلى للسل ، والملاريا ، والم الاسنان ، والسرطان ، وغيرها !

بلاد المهرة فى سطور

وتضم بلاد المهرة ٦ مدن رئيسية هى : الغيضة ، وجاذب ، وحوف ، وصقر ، وقشن ، وسيحوت .. وتجمعات قروية حول آبار المياه ، والفيول (اى الينابيع) والكرفان ، والكرف هو الحفرة الكبيرة المسوحة بالاسمنت لحفظ مياه الامطار لفترة عام أو اكثر .. والكرفان منتشرة بصورة واسعة في البلاد ، وقد احصوا عددها في المديرية الغربية فقط فوجدوه ٧٩ كريفا .

ومساحة بلاد المهرة ٣٠ الف ميل مربع ، يعيش فوقها ٥٪ فقط من مجموع سكان جمهورية اليمن الديمقراطى ، البالغ مجموعهم مليون ونصف مليون نسمة .

اما سيحوت نفسها فلا يتعدى عدد سكانها خمسة آلاف نسمة ، مهمتهم في الحياة صيد الاسماك ، وتجفيفها على الساحل تحت اشعة الشمس ، لاستعمالها سمادا للزراعة وعلفا للماشية ..

كانوا في السابق مشهورين بتصدير اللبان والبخور .. وتدهورت هذه التجارة ، فلم يعد احد يصعد الجبال لجمع هذا المحصول ، الذى تنمو اشجاره تلقائيا على رؤوس الجبال ..

وقبل الاسترسال في الحديث عن سيحوت بمفردها ، يحسن الاشارة الى ان معظم مدن المهرة تكاد تتشابه ، وكأنها صور من اصل واحد .

الخطر عند رأس فرتك

ومن سيحوت ركبنا السنبوك الى قشن (انظر الخريطة) ومن قِشِن* سرنا بالسيارة الى صقر وحصوين وخيصيت .. وتوقفنا عند خيصيت فجبال فَرْتَك* ذات الصخور الحمراء التى تعلوها اشجار اللبان ، تقف سدا حائلا بيننا وبين متابعة رحلتنا .. وكانت الوسيلة الوحيدة لمتابعة

الرحلة هي ركوب السنبوك المحلى مرة ثانية لينقلنا بحرا الى الغيضة ..

ووضع النوخذا – ربان السفينة – صخورا وحصى في قاع السنبوك الرفيع ليزيد من وزنه خوفا من ان تجرفه تيارات وامواج رأس فرتك .. وقفزنا الى داخل السنبوك ودفعه الرجال الى داخل المياه .. وما كدنا نتقدم بضع ياردات حتى قفزت فوقنا موجة عالية غطتنا داخل السنبوك واعادته للساحل ! .

ونزلنا من السنبوك نعصر ملابسنا ونزيح المياه عن حقائبنا ، ونحمد الله اننا كنا وضعنا الات التصوير والافلام داخل أكياس من النايلون ..

ميناء النفط المرتقب

وازاء هياج البحر قررنا التراجع مسافة اربعة كيلومترات الى حصوين حيث البحر اقل امواجا .. وبدأ الناس يسحبون السنبوك بالحبال من رأس فرتك حتى اخرجوه بسلام ..

وركبنا السنبوك وانطلقنا الى الغيضة عاصمة بلاد المهرة ، كنا نسير قريبين من الساحل فنشهد صخور الجبال تغوص في المياه الزرقاء كل جبل له اسم : العقبة الصغيرة .. العقبة الكبيرة .. عقبة رأس الحمار .. رأس شروين ..

ووقف القارب عند منطقة ضبوط .. تجمع سكانى بسيط على الساحل ، سيكون له شأن عظيم في المستقبل ، فقد اختارته شركات النفط مكانا لتصدير النفط الذى لم يكتشف بعد !!؟

ومن ضبوط ركبنا سيارة جيب من مخلفات الحرب الماضية ليس فيها مقاعد ولا زجاج ولا سقف .. ومع ذلك شعرنا براحة غريبة عندما ركبناها ، فالسير على اليابسة افضل الف مرة من ركوب بحر مضطرب .. ولكن ما هى الا دقائق حتى شعرنا بحرارة زائدة ، لقد تحولت السيارة القديمة الى قطعة من الحديد الساخن ، واوقف السائق السيارة حتى بردت ، ثم تابعنا السير حتى وصلنا الى الغيضة عاصمة بلاد المهرة بعد ثلاث ساعات .

كان هذا وصفا مختصرا سريعا لخط سير رحلتنا .. رحلة اخترناها متعبة لتنقل صورة واقعية حقيقية لحال البلاد ..

لغة في طريقها للانقراض

واول ما يتساءل المرء هو عن لسان اهل البلاد وبماذا يتحدثون ؟ وقد اجاب الجغرافي العربى الادريسي على هذا السؤال عام ٥٥٠ هـ (١١٥٥م) بقوله : « لسان اهل مهرة مستعجم جدا ، لا يكاد يفهم ، وهو اللسان الحميرى القديم .. »

والواقع انهم يتحدثون بثلاث لهجات : المهرية، والشمرية ، والسقطرية .. « ودراسة هذه اللهجات تبين لنا بوضوح انها ليست مشتقة من العربية الفصحى ، وانما تكون مجموعة خاصة من لغات النقوش اليمنية في اسرة اللغات السامية .»

وحاولنا تتبع اللهجة المهرية فوجدناها تختلف من منطقة الى اخرى .. وما تزال المهرية هى اللغة الوحيدة التى يتكلم بها اهل البادية من القبائل الرحل .. اما في سيحوت والغيضة فقد اخذت في الاندثار ، ولكنها ما زالت منتشرة بكثرة في قشن .

طاط وشطيط

ان المهرية لها ارتباط تاريخى بالمنطقة، والدولة تعتبرها من التراث القومى .. وهذه نماذج لبعض الكلمات بالمهرية مع ترجمتها العربية :

– ما اسمك = هَمَكْ مون

– جاء من السوق = تكثاك من السوق

– اما كلمة عين فتنطق عين ولكنها في الجمع تتحول الى عينتن بدلا من عيون كما في العربية .

اما العد من ١ الى ١٠ فهو على هذه الصورة :

طاط – ثرو – شاطيط (واحيانا يقولون : شاصية او ثاليت) رَوبوط – خوموه – يَتيت (او ايتيت) – يَبيت – يَمْنيت – تسييت (واحيانا : تسعايت) عشريت .

اما بقية الارقام التالية لرقم ١٠ فيستعملون نفس الكلمات العربية .

اشهر الابل العربية

واكثر ما يلفت الانتباه في المدن المهرية هى الاعداد الهائلة من الابل والجمال التى تفوق عدد السكان .. انها الابل العيدية اشهر الابل العربية على الاطلاق ، ذكرها المؤرخون والكتاب والشعراء .. فقال الادريسي : « والابل المنتجة عند هؤلاء





في الشهر السادس من كل عام يبدأ المهاجرون المهرة في العودة الى بلادهم لقضاء اجازة الصيف بين واهلها على طلب الزواج .. تبدأ الاحتفالات فيرتدي العريس ابهى حلة ، وكلها من الحرير الملون المصنوع يتدلى المرشمال (اى الشال) .. ولا بد ان يقدم العريس لعروسه « المحنشحن » وهو عقد فضي .. ويقوم بصنع « المحنحن » صياغ محليون ، يصهرون ريالات الملكة تريزا الفضية ويحولونها الى الذهب فقضلته على الفضة .. والى جانب المحنحن ترتدى الفتاة حليا كثيرة يبلغ مجموع اوزانها نحو الوقاش ، ليجمع المال من جديد .. تاركا عروسه





ذويهم . وابتداء من هذا الشهر تبدأ سلسلة الافراح والاعراس ، لمدة ٣ اشهر .. وبعد ان توافق العروس في الهند ، ويتمنطق بالجنبية ، اى الخنجر ، تحت المحَشّة (اى حزام الوسط) وعلى كتفه الايسر نقيل كله جلاجل ، ترسل الرنين عندما ترقص العروس ، والنسوة المجتمعات في الافراح على دقات الطبول مصنوعات فضية .. وكانت المصنوعات الفضية هي الحلى المفضلة لدى المرأة ، ولكنها اتجهت اخيرا الى ستة ارطال **(انظر صورة الغلاف)** .. وبعد انتهاء حفلة الزواج يعود المهرى الى عمله في بلاد البترول خاوى بمفردها مع اهلها ، حتى يعود لها في السنة القادمة ..

العرب الصرح لا يعدل بها شيء في سرعة جريها ، ومن غريب ما ينسب اليها انها تفهم الكلام ، وتعلم ما يراد منها ، ولها اسماء اذا دعيت بها جاءت واجابت بغير تأخر ولا توان في ذلك .. »

حليب الناقة والدكتر

وبدأنا نسأل عن النياق والجمال ، فقال لنا مسئول الزراعة : « اننا نقدر عددها بحوالي ١٠٠ الف جمل وناقة في المحافظة السادسة » **، اى ان كل شخص في بلاد المهرة يملك في المتوسط جملا ونصف جمل .**

ورحنا نسأل الاهالي عن اسماء نياقهم، فوجدنا اسماء : الغزال وزهرة ، وشريفيت او ورده وحمرانة وتمرة .

وعندما لاحظ احدهم كثرة اسئلتنا عن الجمال والنياق سألنا بدوره : اما عندكم جمال في بلادكم؟ **قلنا :** لا ..

قال : ما تشربون حليب الناقة ؟ **قلنا :** لا .

فضرب كفا على كف .. وارتسمت على شفتيه ابتسامة رثاء لحالنا وهو يقول : « عجيب امركم .. كيف تعيشون دون حليب الناقة .. ان فيه قوة وصحة ، يصلح المعدة ، ويغذى الجسم .. انه دواء لكل مرض ! »

واندفع محمد عبود يقول متحمسا : « الدكتر الوحيد في بلادنا هو حليب الناقة..ما عندنا دكاتر ولا ادوية .. اننا نتناول حليب البوش (اي النياق ايضا) مرتين في اليوم صباحا وليلا مع خبز الذرة .. ان حليب الناقة يعطى الرجال قوة لا تعادلها قوة .. »

سكر ودقيق وتمر وسمك

وجلسنا عند حافة بئر ارتوازى نستمع الى مهرى يدلل ناقته ويدعوها لشرب الماء المخلوط بالسكر والدقيق : « يا هيء بلانة وهيبى .. يا هيء بلانة وهيبى .. » **وتقترب الناقة وترتشف الماء بدلال .**

ان المهرى يقدم لناقته اكلا يوميا يكلفه عشرة شلنات على الاقل .. يقدم لها التمر والقصب والعومة (اى السمك المجفف) والسكر والدقيق المخلوط بالماء العذب .. انه يحرم نفسه وعائلته من كل شيء في سبيل تامين الطعام الجيد للناقة، حتى تعطيه حليبا دسما مليئا بالفيتامينات ، على حد قوله .. وعندما تهب الزوابع وينفلق البحر

الى اسفل : ينفق الرجل على نياقه اكثر مما ينفق على اسرته ! .. وهذا سعيد بن بلحاف من اهل الغيضة يقدم لناقتيه شرابا مخلوطا بالسكر والدقيق والماء .. انه لم يعد قادرا على الانفاق على النياق ، لهذا قرر بيع واحدة منها بسعر ٨٠ دينارا تقريبا .. **وفي الصورة الثانية** ترى ناقة اصطحبها صاحبها الى الوحدة الصحية في تشن ليعالجها من اصابة في رقبتها !







يشترى المهرى المؤونة اللازمة لحاجة جماله طوال اربعة اشهر ..

الطماطم في رمضان فقط

ونتيجة لهذا الاهتمام الزائد بماكل الناقة اصبح الناس لا يزرعون الا القصب الذى تأكله النياق ، ويسمونه المِسيبلى او الرُهوط .. ولم نستطع ان نعثر على شيء اسمه طماطم او اى نوع من الخضراوات في المنطقة .. وعندما كنا نسالهم كانوا يقولون : ان بعض التجار يجلبون الطماطم من عدن في شهر رمضان فقط !!

الناقة وتقاليد الزواج

لقد اصبحت الجمال تمثل مشكلة اقتصادية مستعصية في المنطقة ، فالاقتصاد والزراعة ، ومجهود الاهالى كله مسخر لتامين متطلبات هذا الحيوان الطيب الصبور .

حتى في تقاليد الزواج تدخلت الناقة ، فالمراة لا تدخل منزل الزوجية الا اذا اشترى لها العريس ناقة حلوبا ، يتراوح ثمنها بين ٣ و ٦ آلاف شلن ، اى من ١٥٠ الى ٣٠٠ دينار يمنى جنوبى ..

فدان واحد افضل من عشرة

والزراعة في بلاد المهرة تمر بمرحلة انتقالية دقيقة ، فقبل الاستقلال كانت القاعدة المتبعة هى: الارض للاقوى .. واليوم حاولت الدولة تقديم اراض للمواطنين ، ولكنها اصطدمت بوضع غريب، فالمهرى يرفض ارضا مساحتها عشرة فدادين بعيدة عن منزله ، مفضلا عليها مزرعة مساحتها فدان واحد بجوار داره .. ان الارض الكبيرة لا تهمه ، فهو لا يريد من الارض اكثر من الغذاء اللازم لناقته فقط .. واذا زاد محصول قصب الرهوط عن حاجة نياقه فان السوق يمتص اى كمية تعرض فيه .. ان قصب الرهوط بضاعة مضمونة البيع ، بعكس اى انتاج زراعى آخر ..

اتكالية وهجرة

والضربة الثانية التى اصابت الزراعة هى الاتكالية ، فالرجل المهرى يعيش في فراغ هائل ، يقتل وقته دون ان يقدم اى انتاج .. انها بلد

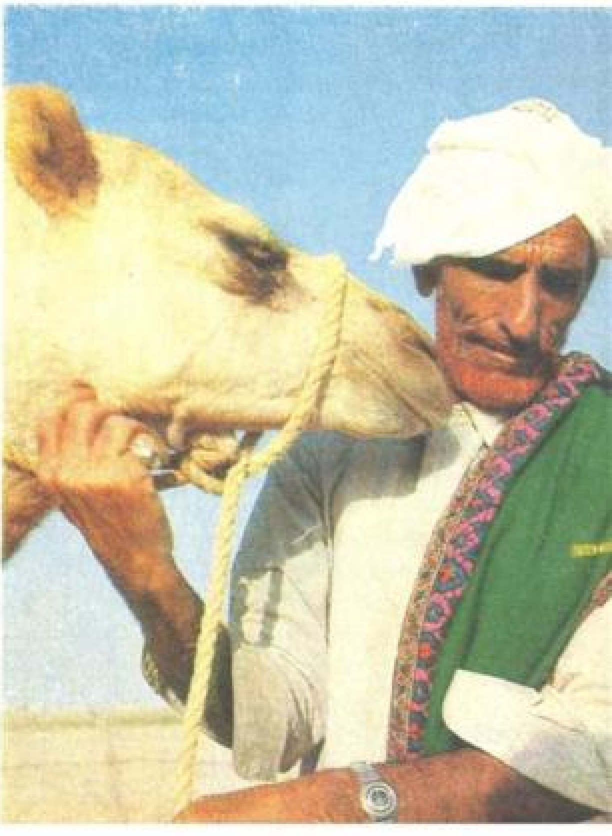
من المشاكل التى تواجه المهرة مشكلة اعتمادهم الكلى على الحكومة في تنفيذ المشاريع .. لقد الفوا هذا الاسلوب من العمل في بلاد البترول الغنية التي هاجروا اليها .. ولكن امكانيات حكومة اليمن الديمقراطى محدودة ومختلفة تماما .. لهذا تجد الكثير من المشاريع التى يمكن ان يتعاون الاهالى على اقامتها متوقفة تماما .. مثل مشاريع الكهرباء ، ومشاريع مد مياه الشرب ، التي استفحل امرها حتى ارتفع سعر الصفيحة من الماء الى شلنين ، لانها تستخرج بطريقة بدائية من بئر على مسافة ميل واحد من قشن ! ..

استهلاك .. ومنطقة تصدير للجنس البشرى .. لقد هجر المهرى مهنة اجداده فلم يعد يصعد الى قمم الجبال ليجرح شجر اللبان ،وياخذ انتاجها، لقد هجر هذا العمل الصعب واتجه الى بلاد البترول في الخليج العربى ، حيث العمل اخف والربح اكثر .. يرسل الاموال الى اهله الذين يعيشون معتمدين على هذا المورد الوحيد ..

ويتمتع المهرى في المهجر بسمعة طيبة للغاية ، فهو لا يسرق ولا يخون الامانة وصادق في معاملاته، مما اكسبه الاحترام والثقة في كل مكان يقصده .. وادرك الكثيرون هذه الحقيقة ، فعمدوا الى تزوير الجوازات المهرية واستغلالها ، وفي دبى اكتشفوا (قبل استقلال اليمن الديمقراطى) عصابة لتزوير الجوازات المهرية للهنود والصوماليين !! .



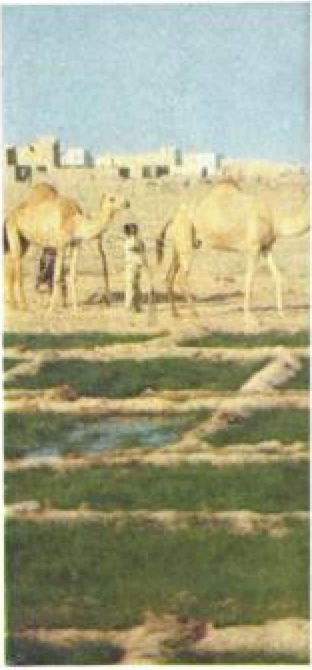
تلعب النياق والجمال دورا خطيرا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية لسكان المحافظة السادسة .. وفي مجال الزراعة لا يزرع الاهالي الا القصب الذي تأكله الجمال ، ويسمى «الروهو» او « المسيلي » باللغة المهرية .. اما الخضراوات او الفواكه فلا اثر لها بتاتا .. ولم نشهد في جولتنا الا مزارعا واحدا زرع البطيخ .. ولكن «القنفذ» ذلك الحيوان الشوكي الصغير والمنتشر بكثرة في المنطقة ، سبق صاحب الارض واكل البطيخ !!



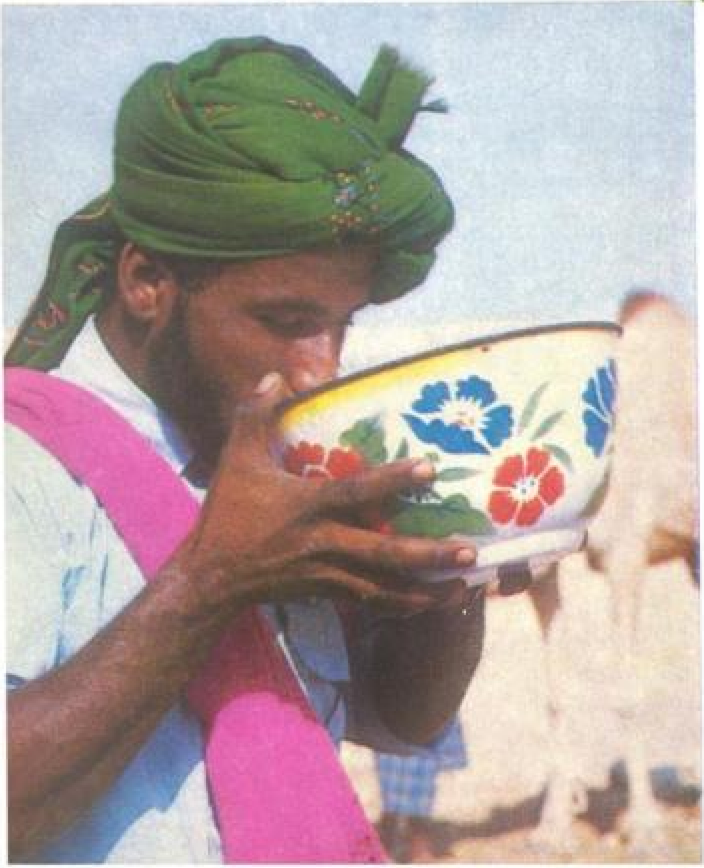
« حمرانة » تتدلل على صاحبها صالح ابن غوشة في قشن ! والمهري بدوره يدلل نياقه ويطلق عليها اسماء الدلال .. وعندما يناديها باسمها تأتي اليه ، ويستحيل ان ينحر المهري ناقته الا اذا مرضت واصبحت عاجزة تماما عن الحركة .. والابل العيدية هي الابل المهرية ، وتنسب الى العيد بن الندغي ابن مهرة بن حيدان، وفيها يقول الشاعر:

ظلت تجوب بها البلدان ناجية"





هكذا تتم عملية حلب ضرع الناقة .. والناقة الحلوب (الخوارة) تعطي حليبا لفترة سنة ونصف بعد ولادتها .. ويحلبونها مرتين في اليوم .. وفي كل مرة تدر مقدار لترين من الحليب .. ويجب ان يكون وليدها بجانبها حتى تدر هذا الحليب .



الى اليسار : الرجال فقط هم الذين يحلبون الناقة ، اما النساء فيحلبن الأبقار .. وما يكاد الرجل منهم يحلب الناقة حتى يشرب حليبها في الحال دون تعقيم او تسخين .. ونرى هنا راشد محمد عبد الرب من اهالي الغيضة يشرب الحليب من القصعة .. ويملك راشد ٦ نياق من بينها اثنتان حلوبتان .. وتكلفه الناقة الواحدة عشرة شلنات يوميا ..

التعالي على الارض

ومن المؤسف ان هذه الهجرة اخذت طابع الارتزاق دون ان يستفيد المهرى من التقدم الذى يلمسه في بلاد المهجر .. واذا حدث وحاول احدهم ادخال اصلاحات للبلاد وجد في انتظاره جدارا منيعا من الافكار والتقاليد البالية ، وسيلا من الاتهامات موجها الى كل خطوة تقدمية يخطوها .. وفي احدى المرات حاول احدهم انتعال الحذاء ، فاتهموه بانه يتعالى على الارض !!

« خام .. خام »

ويعيش المهرى في بلاد المهجر عيشة قاسية ، يحمل الاقمشة على ظهره ، ويطرق ابواب المنازل لبيعها ، وتتسع تجارته ، فيستقل بالعمل في ركن صغير من السوق وعندما يتجمع لديه قدر من المال يركب اللنش الكبير ويعود الى بلاده وفي جيبه شيك بالمبلغ الذى اقتصده .

وفي اسواق الشحر وسيحوت يضيع نصف المبلغ في شراء المحَنْتحِن" الفضي والمصنوعات الذهبية والفضية .. يأخذها وينطلق الى قريته حيث يتزوج ، وينفق كل ما تبقى معه في دفع المهر الخيالى الذى يصل الى نحو ١٥ الف شلن ، رغم قرار الحكومة بتخفيضه الى ٢٠٠٠ شلن فقط للعذراء و ١٢٠٠ شلن للمراة المطلقة او الارملة .. (كل ٢٠ شلنا = دينارا يمنيا جنوبيا او جنيها استرلينيا تقريبا ..)



حراثات للأرض من كوريا والسويد متعطلة عن العمل ، والسبب عدم وجود فني واحد لاصلاحها

« الرضوة .. »

والمراة المهرية قوية متسلطة متحكمة في منزلها وزوجها .. لا تلفظ اسمه ابدا على لسانها ، ولا تغسل له ملابسه او ترتب له سريره ، او حتى تقدم له كوب ماء .. وعندما تضع طفلها لا يقربها زوجها لمدة سنتين على الاقل .. اعتقادا منها بان مخالفة هذا العرف قد تنال الطفل بالسوء !

والطفلة الصغيرة تمرح وتلعب في الطرقات الرملية (اذ لا يوجد اى طريق معبد في جميع مدن بلاد المهرة) حتى تصل الى سن ١١ سنة ، وبعدها ترتدى القمقم على وجهها وتضع النيلة الزرقاء فوق جسدها ، وتجلس بالمنزل في انتظار ابن الحلال .

واذا تزوج الرجل على زوجته الاولى تركت له المنزل واطفالها واعتكفت في بيت والدها ، ولا ترجع الى منزلها الا في حالة مجيء الزوج لمقابلة اهلها ، الذين يشترطون عليه أن يدفع لزوجته الغاضبة نفس قيمة المهر الذى دفعه للزوجة الثانية ، ويسمون هذه العملية « الرضوة » .

اول لقاء مع امراة مهرية

وطلبنا من رجال قشن ان يسمحوا لنا بلقاء احدى نسائهم ، فارتسم الامتعاض على الوجوه ، وقالوا : « مستحيل ان تقبل امراة من نسائنا التحدث الى شخص غريب .. »

قلنا : « نرجو ان تعرضوا الامر على المراة واتركوا لها حرية الرفض او القبول ، بعد ان تشرحوا لها مهمتنا الصحفية .. »

وبعد ساعة جاء الينا محاسب مديرية قشن سالم بخيت سالم شقيت يقول : « لقد قبلت احدى السيدات ان تتحدث اليكم لكن بدون تصوير .. »

وقبلنا الشرط .. ودخلنا الى المنزل المشيد بالطين على هيئة قلعة .. وعند الممر جلست كتلة سوداء في الظلام مع طفلتيها ، سألناها : « كيف الحال » ؟ .. اجابت : « مرتاحة » ..

وبدانا الحديث عن العادات التي تمنع المراة



الأم محجبة والابنة سافرة (**الى اليسار**) ، اما الأم فهى زوجة سليمان بن سولم ، وقد زينت انفها بحلقة ذهبية تسمى « المخزميت » .. واما الابنة فهى لولو بنت عبد الرحمن ، الثائرة على التقاليد والعادات المهرية ، التى لا تمت الى هذا العصر بصلة . ان الآمال كلها معقودة على « لولو » لادخال بصيص من الضوء على المجتمع المهرى المغلق .. انها اول صورة تنشر لامرأة مهرية سافرة ..

من خدمة زوجها او التفوه باسمه ، فقالت : « هكذا عادتنا .. منذ عشرين سنة وانا لا اعمل شيئا لرجلى .. لكن اعدكم انه من الآن وصاعدا سأعتنى بأموره ومأكله ومشربه » .

وهنا ارتفع صوت عال من داخل الدار يصيح قائلا : « لا .. لن تفعلى هذا » **.. وخرجت الينا امرأة عجوز تضع حلقا في انفها وبدأت تضربنا بقبضة يديها قائلة** « بغينا نعيش مثل الاول .. لا نروح لاحد .. ولا يجينا احد .. اريد بناتى يعشن نفس عيشتى .. لانها احسن عيشة » .

قلنا مقاطعين : « هل سافرت للخارج ؟ »

فصرخت : « ما اسافر الى مكان الا للقبر »

قلنا لها فجأة : « ما اسم زوجك ؟ »

فصرخت : « ما اعرفه .. ما اعرفه »

فقهقهنا ، واغاظتها ضحكتنا ، فصرخت : « اسمه سليمان بن سولم ، ايها الملاعين .. »

وكان كابوسا قد انزاح عن كاهلها ، فانفرجت اساريرها .

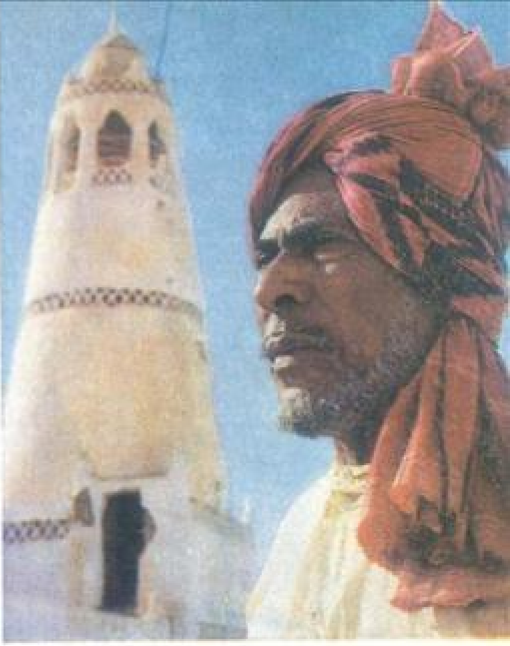
فسألنا ابنتها : « هل تحبين التعليم ؟ »

فقالت : « اوهو .. هو » **اى نعم .. نعم .**

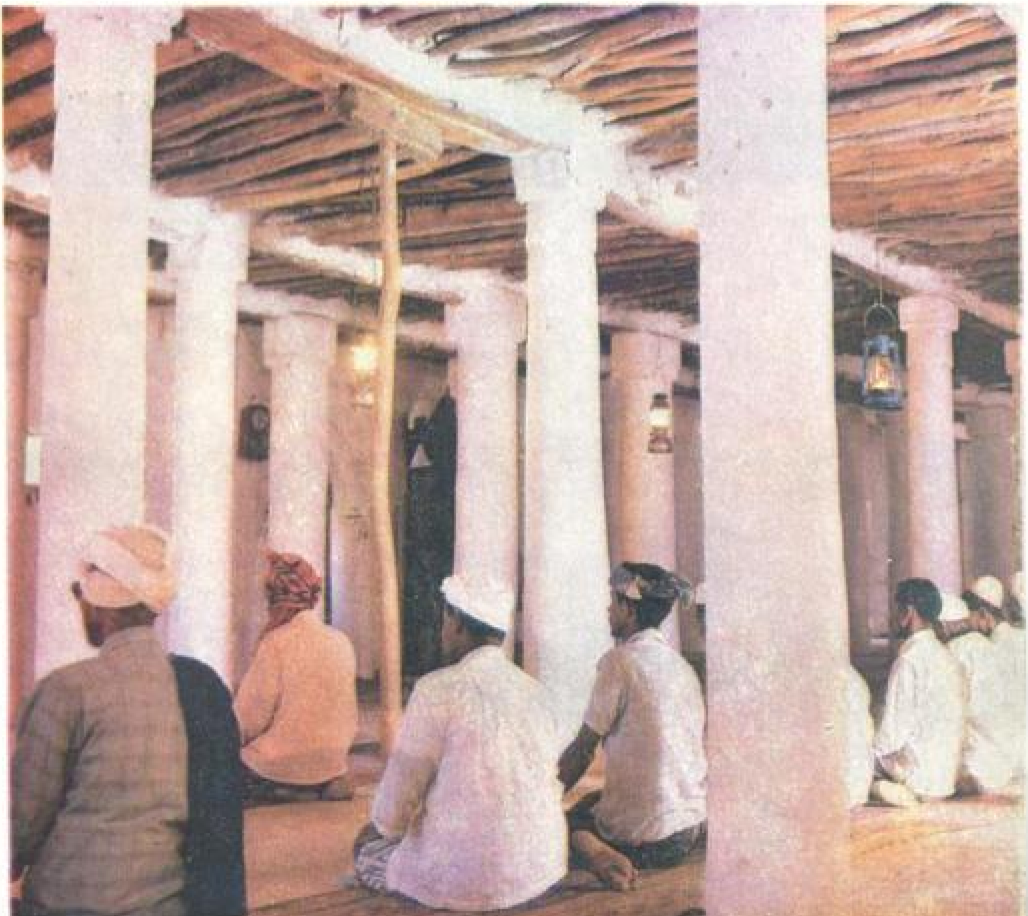
قلنا : « هل تأملين في ان تصبح بنتك مثلك ؟ »

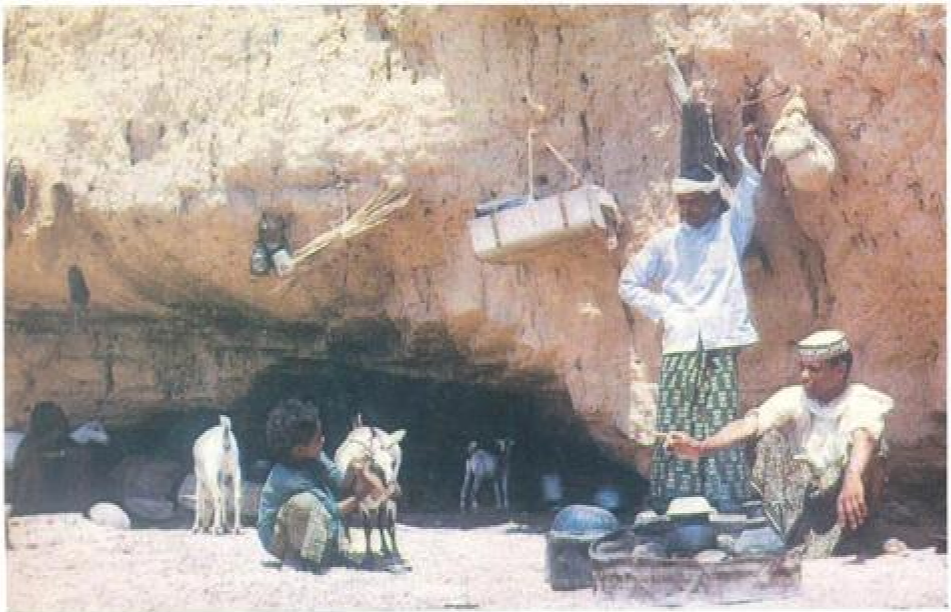
اجابت : « لا .. لا .. بغينا الاولاد والبنات يتعلموا ويعرفوا الدنيا ويكونوا احسن منى ومن ابوهم » .

وهنا صرخت الجدة : « لا .. لا .. انتم



يتمسك المهري بشدة بتعاليم دينه الحنيف .. وهو يؤدي جميع الفروض في اوقاتها ، فيغلق باب متجره ويتجه الى الجامع للصلاة .. وفي سيحوت تسعة مساجد للرجال ومسجد للنساء .. والمسجد الجامع هو اقدم هذه المساجد .. شيد منذ ٥٠٠ سنة من جذوع النخيل والطين .. وترى مئذنته المخروطية في الصورة اليمنى ، وبجانبها السيد علوي بن علوي .. **اما الصورة السفلى** فتبين الحالة المحزنة التي آلت اليها مباني هذا الجامع .. فالسقف يكاد يقع على المصلين ، فيسندونه باعواد السمر التي يجلبونها من جزيرة سقطرى .. ان بيوت الله في بلاد المهرة في امس الحاجة الى كل مساعدة لترميم مبانيها ومدها بالمياه النظيفة والكهرباء ..





صورة لا تحتاج الى تعليق، حياة أهل الكهف، ما تزال قائمة الى يومنا هذا في بلاد المهرة

الى اسفل : بعد غروب الشمس يحلم المهري بغد أفضل دون أن يكلف نفسه عناء المساعدة في بناء هذا الغد .



تريدون تعلموا الاطفال علشان تعملوهم عسكر .. لا . لن اعلمهم .. »

قلنا للام الشابة : « هل يعجبك خط حياتك الحاضرة ، ولماذا لا تبدلينه .. ؟ »

اجابت : « العادات والتقاليد هي السبب .. تصوروا انه عندما اغسل ملابسي بالصابون يعيبون عليّ ذلك وفي كل مرة اسعى لتغيير شيء من عاداتنا تسخر مني بقية النساء .. انا نطلب منكم ان تفتحوا لنا مدارس وتعلموا اولادنا،وكل شيء .. »

وفي حركة خاطفة نزعت الحجاب عن وجهها قائلة : «ولأثبت لكم ان المرأة المهرية تريد التقدم، سانزع الحجاب عن وجهي لاول مرة ، واسمح لكم بتصويري..ان امنيتي ان ارى العادات العفنة تنزاح عن مجتمعنا ، وان تنتهي عملية ارتدائنا لارطال الذهب والفضة .. واريد ان تكون عندنا مدارس لتعليم البنات ليعشن حياة كريمة .. »

وسألناها عن اسمها ، فاجابت : « لولو بنت عبد الرحمن » ..

وعندها بدات الجدة تصرخ قائلة : « وانا كذلك .. التقطوا صورتي .. »

والتقطنا الصورتين المنشورتين على صفحة ١١١ من هذا العدد ، وهما لاول نساء مهريات يسمحن بالتقاط صورهن سافرات ..

شموع تحترق لتنير الطريق

والحديث عن العادات والتقاليد واسلوب حياة ابناء المهرة حديث طويل غريب لا ينتهي ، لا يمكن حصره كله في هذا الاستطلاع السريع .

ولكن لا يمكن ان نختتم الاستطلاع دون الاشادة بمجموعة من المسئولين الذين يحترقون كالشمعة لينيروا الطريق المظلم امام اخوانهم المهرة .. يعملون دون ان يكون امامهم اى تخطيط او دراسة مسبقة .. ففى مجال التعليم فتحوا بالاشتراك مع الاهالى ١٧ مدرسة للبنين ، كل منها حجرة او نحو ذلك ، و ٦ مدارس للبنات . فتحوا كل هذه المدارس بالرغم من التحديات والصعوبات التى تواجههم ، من عدم وجود الاموال اللازمة .. وعدم وجود اى علاقة بين المدرسة والبيت .. وجهل الاطفال باللغة العربية .. وانعدام المواصلات بين كل مديرية ، اضف الى كل ذلك مشكلة المنهج :

فالتاريخ تاريخ العراق ، والجغرافيا ، جغرافية لبنان .. والمطالعة ، مطالعة الكويت .. وكتب الدين من السودان .. وهكذا خليط عجيب من الكتب والمناهج تجعل مهمة المدرس والتلميذ في غاية الصعوبة ..

اضف الى ذلك تاخر وصول المدرسين وعدم وجود اماكن لايوائهم،وعدم وجود طعام وخضراوات ياكلونها ..

عدن لا ترد

اما مشكلة المشاكل فهي المركزية في عدن .. كل شيء يجب طلبه من مكاتب الوزارات في عدن .. حتى ورق الكتابة يجب طلبه من عدن . .وعدن لا ترد عادة ، على اى خطاب الا بعد شهور وشهور ..لتقول : « نأسف عندنا ازمة في ورق الطبع على الآلة الناسخة .. »

وفي احدى المرات ارسلت عدن اربع حراثات لتقلب ٧٠٠ فدان في بلاد المهرة .. ولكنها لم ترسل معها اى قطعة غيار ، فتوقفت ثلاث ماكنات عن العمل ، وانكسرت بعض اسنان الماكنة الرابعة.

ان الارض طيبة وصالحة للزراعة في مناطق

الى اسفل يتميز المهرى بالكرم والطيبة المتناهية .. الى جانب العناد والالتزام بالاخذ بالثأر .. ويتصافح المهرة بحك طرف الانف بين المتصافحين



كثيرة ، ولكن عدم وجود ميزانية للزراعة ، ومشتل حكومي ، وعدم وجود توعية ، وعدم استملاك الفلاح للارض ـ حتى الآن ـ مما يجعله لا يزرع اشجارا معمرة خوفا من سحب الارض منه ، كل هذه هي بعض مشاكل الزراعة في بلاد المهرة .

القطرة الأولى من الدواء الشافي

هذه كانت بعض مشاكل التعليم والزراعة ، اما اذا رتبنا جميع المشاكل التي تعانيها بلاد المهرة ترتيبا تصاعديا لوجدنا ان المواصلات تحتل القمة .. عوائق طبيعية : جبال ورمال ، وبحر ينغلق خمسة شهور في السنة من مايو الى اكتوبر بسبب الاعاصير والانواء ، وعدم وجود طريق بري واحد .. كل هذه العوائق تفرض العزلة على هذه البلاد وتقضي على كل محاولة اصلاح .. مثال ذلك :

زرعوا القطن ونجحت زراعته بشكل مذهل ، ولكن كيف يتم تصريفه ؟ لا يوجد طريق وميناء ، فتوقفت التجربة وجمدت !! .

لهذا قال لنا المحافظ الشاب محسن علي ياسر:

« ان مد طريق يربط بين مدن المحافظة السادسة .. وانشاء ميناء تقف عليه السفن ، هما القطرة الاولى من الدواء الشافي لمختلف العلل التي تعاني منها بلاد المهرة » .

حسرة واشتياق

وفي مطار الغيضة الرملي وقفنا ساعات ننتظر الطائرة الصغيرة المتاخرة .. وكان عدد الركاب اكثر من عدد مقاعد الطائرة .. فبدأ المضيف يرجو الركاب الزائدين النزول من الطائرة ، واستمرت عملية الاقناع فترة نصف ساعة ، نزل بعدها الركاب ..

وطارت بنا الطائرة الى المكلا .. واختلفت احاسيسنا ومشاعرنا ، فمن رثاء لحال هذه البلاد وسكانها ، وحسرة على انعدام المساعدات العربية، الى فرحة داخلية للعودة الى الحياة الحضارية .. كان اشتياقنا قد وصل الذروة .. اشتياق الى توافه المدنية التي لم نحفل ابدأ بها.. اشتياق لاكل قطعة جبن ، وحبة طماطم ، وصحن خضراوات ، وقضم برتقالة او تفاحة .. حتى كوب ماء صاف انه نعمة .. اما ان يكون مثلجا فهذا هو الترف بعينه .. اشتقنا الى الجلوس



لا يستفيد المهرة من الثروة السمكية الخيالية الموجودة في مياههم الا بالقدر الذي يكفي حاجتهم .. ولكن هناك ٧ سفن يابانية تعمل نهارا وليلا في صيد الاسماك وجرف قاع البحر قبالة ارض المهرة ، مستعينة بالرادار واحدث معدات الصيد .. وترتفع صرخات الشكاوى فتصل الى عدن .. ولكن ما من مجيب .. ولم يجد الاهالي في النهاية سوى محاصرة هذه السفن اليابانية وحجزها ٤ ايام امام الغيضة ، مطالبين بتعديل الاتفاقية المجحفة .

على المقاعد والاكل بالسكين والشوكة .. اشتقنا الى الملح الناعم بدلا من الملح الحجري ، اشتقنا الى كل شيء حتى الكهرباء وضوء المصباح .. كل هذه نعم من نعم الله ، لا يشعر بقيمتها الا من عاش في بلاد المهرة .. بلاد الحرمان من كل طيبات الحياة !

حقيقة ان المهرة شعب صغير وفقير ، ولكنه غني بتاريخه وكفاحه ومحاولته فرض وجوده على العالم والخروج من عزلته .. انه ليس في حاجة الى مساندة عربية فقط، بل الى مساعدة عالمية لانقاذه من الفناء والضياع ..

ترى هل ستساعده .. ؟!؟ ■■

سليم زبال

صيغة فِعال

بقلم : عبد الستار فراج

■ ١) جاهد مجاهدة وجهاداً
قاتل مقاتلة وقِتـــالاً
جادل مجادلـة وجِـدالاً

في هذه الأمثلة نجد صيغـة « فِعَال » مصدراً للفعل « فَاعَلَ » مشتركاً في أداء المعنى نفسه مع صيغة « مفاعلة » . والمفاعلة هي المصدر القياسيّ المطّرد لكل فِعْلٍ على وزن فَاعَلَ . أما المصدر « فِعَال » فإنه غير مُطّرد في كل الأفعال التي على وزن فَاعَلَ .

ذلك أنك تقول مثلا جالسته مجالسة . ولكنك لا تقول جالسته جِلاسا .

ويلاحظ أيضا أن صيغة فَاعَلَ مفاعلة وفِعالاً تدلّ على المشاركة ، ولكن هذا في الأغلب الأعم ، وفيما كـان متعديا إلى مفعول . فإن لفظ قاتَل أو حارَبَ أو جالس تَعنِي الحدوثَ من طرَفين .

لكن الفعل غير المتعدى إلى مفعول ، لا يكون فيه هذا المعنى ، تقول : سافر محمد ، فلا يدل هـذا على مشاركة . وكذلك فيما كان في جانب الله تعالى ، مثل « قاتَلَه الله » ومثل قوله تعالى « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم » وللنحاة اصطلاح في ذلك هو قولهم « المُفاعلة ليست على بابهــا » وقد يُؤَوِّل المفسرون قوله تعـالى « يخـادعون الله » أن في زعم المشركين وتوهمهم مفاعلة من الجانبين . تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا

٢) هاج هِياجاً ، شرَد شِراداً . فرّ فِراراً ، حرَن حِراناً

صيغة «فِعَال» هنا هي مصدر دالّ على التحرك أو الخروج عن حدّ الاعتدال والأفعال المذكورة ليست مـن باب فَاعَلَ .

٣) صاح صِياحاً . وزَمَر النّعام زِماراً ، صيغة « فِعَال » هنا مصدر دالّ

على صوت ، يشاركها في الدلالة على الصوت صيغة « فُعَال » وصيغة « فَعِيل » . مثل صرَخ صُراخاً . نَهق نَهيقا ونُهاقاً .

٤) حَصَدَ الزرعَ حَصَاداً وحِصاداً . وجز الصوف والنخل جزَازاً وجِزَازاً . والنخل أيضا قطَعه قطاعاً وقِطاعاً وصرَمه صرَاماً وصِرَاماً . وقطف الثمر قَطَافاً وقِطَافاً .

صيغة « فِعال » هنا مصدر دالّ على انتهاء زمن لشيء من الأشياء . وقد عبّر أبو علي الفارسي عن ذلك بقوله : إن صيغة فِعال جاءت لإدراك ما عالجَه الهواء . ويقول ابن سيده في المخصص ١٥–٨٥ « وقد كان يكون هذا مُطّردا فيما آن من أزمنة استحقاق النبات والشجر للاجتناء ولذلك جعله سيبويه من قوانين المصادر » .

٥) الحِزام ، الزِّمام ، اللِّثام ، اللِّجام ، الحِذاء ، الشِّراك ، الإناء ، الجِراب ، الوِشَاح ، البِساط ، السِّوار الرِّداء ، الخِباء ، الوِعاء .. هذه كلها وكثير غيرها على وزن « فِعال » وهي أسماء لآلات وأدوات يغلب أن تكون حسّية ، ومثلها في الأسماء التي على وزن « فِعال » الحِمار والحِصان والثِّقاب والسِّداد والمِداد والإدام والضِّياء والهلال . .

٦) بنَى يَبنِي بَنْياً وبِناءً وبِنىً وبُنْياناً وبِنايَةً . وحسَب الشيء يَحْسُبه حَسْباً وحِساباً وحِسابَةً . وكتب الشيء يكتبه كَتْباً وكِتاباً وكِتابةً .

صيغة فِعال جاءت مصدراً مشاركاً لمصادرَ أخر مما لا يكاد يحصى عَدده ولا يدرك قياسه من مصادر الأفعال الثلاثيـة .

٧) وتأتي صيغة فِعَال جمْعاً لصيغ مُفردة مختلفة الأوزان ، مثل بِحَار ورِجَال وجِفَان وجِمَال وحِجال وبِقاع .. مما لسنا بصدده الآن ، لأننا نبحث عن فِعَال المفرد ، ولسنا نبحث عن فِعال الجمع .

ومما تقدم نجد أن الصيغ في اللغة العربية كثيرة ، وقد يدل بعضها على معان غالبة . وقد تتداخل تلك المعاني في صيغ أخرى .

ومن كل هذا نرى أن صيغة « فِعال » لا تختص في اللغة بصيغة واحدة من المعاني ، وإنما هي صيغ كثيرة . ■■

عبد الستار أحمد فراج

طرائف

وراق يصف حالته

● قال الجاحظ : سالت وراقا عن حاله ، فقال : عيشي اضيق من محبرة ، وجسمي ادق من مسطرة ، وجاهي ارق من الزجاج ، ووجهي عند الناس اشد سوادا من الحبر بالزاج ، وحظي اخفى من شق القلم ، وبداي اضعف من قصبة ، وطعامي امض من الحبر ، وشرابي امر من العفص ، وسوء الحال الزم بي من الصمغ ، فقلت لقد عبرت ببلاء عن بلاء .

قافية

● قيل ان ابا خالد يزيد المهلبي كان يكثر الدخول على المعتمد، يقرئه القصائد، وكانت كلها على قافية الدال ، فساله المعتمد قائلا : يا يزيد ، ما اراك تعدو قافية الدال ؟ فقال : وكيف ، اعزك

شاعر هديته الضرب

● زار احد الشعراء الخصيب بن عبد الحميد ، وكان اميرا على مصر فانشده قصيدة في المدح ، فلم يعطه شيئا ، فانصرف ، فراى ابا الندى اللص ، وكان يقطع الطريق . فقال له ابو الندى اللص : هات ما اعطاك الخصيب ، فقال له الشاعر : لم يعطني شيئا ، فضربه مائتي مقرعة على ما ظن انه ستره عنه .

ثم قدم الشاعر مرة ثانية على الخصيب ، وانشده قصيدة اخرى فلم يعطه شيئا ايضا ، فقال الشاعر للخصيب : جعلت فداك ، تكتب الى ابي الندى اللص رسالة تخبره فيها بانك لم تعطني شيئا لئلا يضربني ، فضحك الوالي منه ووصله .

★ ★ ★

هارون لا ينصرف

● سكر هارون النديم عند المعتضد سكرا متينا ، فنهض الجلساء كلهم سواه ، فقال له الخادم الموكل بالندماء : انصرف . فقال : امير المؤمنين امرني بالمبيت ها هنا . فقال : يا امير المؤمنين، هارون ينصرف . قال : لا ينصرف .

فلما اصبح رآه المعتضد ، فقال : من هذا ؟ قيل هارون بن علي النديم . فقال للخادم الموكل بالندماء : متى تقدم للجلساء المبيت هنا ؟ فقال : انت اعزك الله قلت هارون لا ينصرف ، قال : انا لله . . انما اردت النحو . .

عربية

اعتــذار

● كتب المنصور العباسي الى جعفر الصادق يقول : لم لا تزورنا كما يزورنا الناس ؟ فاجابه ليس لنا من الدنيا ما نخافك عليه ، ولا عندك من الآخرة ما نرجوك له ، ولا انت في نعمة فنهنئك بها ، ولا في نقمة فنعزيك بها ، فكتب اليه المنصور : تصحبنا لتنصحنا ، فكتب الصادق اليه : من يطلب الدنيا لا ينصحك .. ومن يطلب الآخرة لا يصحبك .

الدال

الله يا امير المؤمنين ، اترك قافية الدال واسمى يزيد وابى محمد ، واكنى بأبى خالد ، وانت المعتمد وتسمى احمد ومن صفتك السيد والماجد والجواد ، فأين ادع قافية الدال .

يتشممون الاماني

● اكترى ابن ابى عتيق دارا جديدة، وجلس مع زوجته يتحدثان . فقال لزوجته : تمنيت ان يهدى الينا شاة سلخ جلدها فنتخذ من الطعام لون كذا ولون كذا . فسمعتها جارة لهافظنت ان ابن ابى عتيق امر بعمل ما سمعت ، فانتظرت الى ان حان وقت الطعام ، ثم جاءت فقرعت الباب . وقالت : شممت رائحة قدوركم فجئت لتطعموني منها . فقال ابن ابى عتيق لامراته : انت طالق ان اقمنا في هذه الدار التى جيرانها يتشممون الامانى .

★ ★ ★

محب جائع

● قيل ان ابا القماقم السقاء عشق قينة فبعث اليها يقول : حضر عندى اخوان فابعثى الي ببعض من اللوزينج اكله على ذكرك . فبعثت اليه به ، فلما كان من الغد بعث اليها : ارسلى لى بطبق من اللحم آكله على ذكرك .. فقالت : جعلت فداك ، ذكروا ان منبع الحب من القلب ، فاذا تناهى بلغ الى الكبد . واني ارى حبك لا يتجاوز معدتك . فقال : انما فعلت هذا لاقوى على محبتك ، الم تسمعي قول الشاعر :

اذا كـان في قلبي طعـام ذكرتهـا ... وان جعت لم تخطر ببالى ولا فكرى

ويزداد حبى ان شبعت تجـددا ... وان جعت يوما لم تكونى على ذكرى

وليم وردزورث
شاعر الطبيعة
خلد الإنسانية فخلدته

جولة في منزله .. ووقفة على قبره

بقلم : الدكتور صفاء خلوصي

■ أتيتك ايها الشاعر الانساني الخالد ، منهكاً متعبا ، لازور طيفك في مسكنك ، وازجي التحية لقبرك ، وهذا أقل ما يمكن أن يصنعه انسان نقتش بشعرك طويلا ، وترجم العديد من قصائدك ليشترك مواطنيه بالمتعة التي طالما التذ هو بها . اتيتك خلوا من كل شيء الا انسانيتي التي تجمعني واياك وسائر الذين عاشوا ويعيشون على سطح هذه الارض .

سألت عنك فقيل لي ان روحك ما تزال تحوم حول بحيرة جرازمير Grasmere ، التي عشقتها وعشقتك .. فشددت اليها الرحال لاسير على مواطىء قدميك وانسم الهواء الذي تنسمته قبل قرن ونيف .. وعفوك . وعفوا ان تأخرت في زيارتك فتلك خطيئة القدر ، فكم كنت اود ان اعاصرك واجالسك واحادثك واسجل للاجيال لقائي الرائع بك حيا ، لا ان التقي بطيفك ميتا فاتحدث عنك لا اليك !

جئت اليك حاجاً..لاطوف حول قبرك بخشوع واتمتم قصيدك بصمت .. ولكاني بكل شيء على ما عهدت .. البحيرة .. والمسكن .. والوادي الاخضر الرحب الفسيح ، وحتى الفراشة ، الفراشة التي وصفتها في بعض ابياتك هي ذي هنا ، لعلها حفيدة تلك التي خلدتها في قصيدك .. لقد وقفت امامها وراقبتها كما فعلت وتمتمت مع روحك المرفرفة فوقنا ابياتك :

« لقد راقبتك الآن نصف ساعة او تزيد
وانت واقفة فوق تلك الوردة الصفراء
الحق اننها الفراشة الصغيرة
انا لا ادري ، انت نائمة او تتناولين طعامك ،
فما اشد جمودك ، فليست البحار المتجمدة باشد
جمودا منك .
ومن ثم ، اية فرحة تنتظرك
عندما تكتشف النسمة اللطيفة مخباك بين الاشجار
وتدعوك اليها من جديد ؟

★ ★ ★

هذه البقعة من حديقة التفاح ملك لنا ،
فاشجارها اشجاري .. وازهارها لاختي .
فارخي عنانك ، واريحي جناحيك عندما يكونان
تعبين
واختبئي هنا كما لو كنت في ملاذ مقدس !
اكثري زياراتك لنا ، ولا تخشي اذى
واجلسي قريبا فوق الغصن !
وسنتحدث عن نور الشمس والاغاني ،



وردزورث .. شاعر الطبيعة

وايام الصيف عندما كنا في فتاء العمر وميعة الصبا ،
في ايام الطفولة الساذجة العذبة ،
تلك التي كانت تطاول عشرين يوما من ايامنا هذه!»

وخيل الي ان الفراشة كانت تصغي اليَّ ، اذ ما كدت انتهي من تلاوة قصيدك حتى طارت عن غصنها لتقف على قبرك لتقرئك السلام ، ومن ثم اسرعت بجناحين خفّاقين لتلج « كوخ الحمام »(١) وهي تبحث عبثا عن شبحك .

وبحيرة جرازمير ، تلك التي اكتسبت اسمها من سواحلها المعشبة ، لا تزال معشبة السواحل محوطة بخضرة ابدية ، والجزيرة الصغيرة التي كنت تعبر اليها في قارب بدائي صغير مع اخيك « جون » ليصطاد هو السمك وتنظم انت احلى القصيد ، ما تزال قائمة .. تنتظر مجيء شاعر جديد ، وقد املها الانتظار منذ ستة اجيال .

حياة وردزورث

وانشغلتُ فترة عنك بك لاتحدث الى القرويين المعمرين ، الى الناس هناك ، اولئك سمعوا وقرأوا عنك الكثير ، فقالوا : « لقد جاء وليم وردزورث Wordsworth واختـه ، دوروثي وردزورث ، واقاما في مسكنهما في « تاون ايند » Town End بجرازمير في كانون الاول (ديسمبر) ١٧٩٩ في اقصر يوم من ايام العام ، في الخامسة مساء ، وكان يومها وليم في التاسعة والعشرين ودوروثي تصغره بعام .

كان والدهما « جون » رجلا كثير المطالعة يمتلك مكتبة ممتازة وهو الذي خلق في ابنه الولع بالشعر وجعله يحفظ القصائد الطوال لملتن وسبنسر Spenser ، وشكسبير(٢) ، وفيما عدا ذلك ما كان الاب ليُعنى باولاده الخمسة الذين ترك امر رعايتهم لامهم في الدرجة الاولى ، وقد وجدت الام ولدها « وليم » صعب المراس وتنبأت له ان سيكون اكثر الناس صلاحا او طلاحا ، ولا حال وسط له بين الحالين فقد كان صبيا متطرفا .

وسرعان ما اصيبت الام بذات الجنب Pleurisy بعد زيارة للندن سنة ١٧٧٨ فماتت وهي لما تتجاوز الثلاثين عاما ، فكان ذلك صدمة عنيفة للاب ، فركب فرسه في ليلة صاخبة عنيفة من كانون الاول (ديسمبر) ١٧٨٣ قاصدا بعض القرى فاصيب بالبرد الذي اودى بحياته ، كما اودى بحياة زوجته من قبل .

وفي سنة ١٧٨٧ دخل وليم كلية سنت جون بجامعة كمبردج على نفقة اعمامه الى ان انجز دراسته فاعاد اليهم كل ما كانوا قد انفقوه عليه . قرا الكثير من الشعر الى ان وجد في الاخير حافزا قويا يدفعه الى نظمه ، وكان في ايام العطلات يزور منطقة البحيرات ويقطع المسافات الطويلة في قرية هوكسهد Hawkshead ، ومعه كلبه الصغير .. ينظم الشعر بصوت عال ، وبقيت هذه العادة ملازمة له طوال حياته . وفي هوكسهد هذه كما يقول هو : « تبدت روحه كل معالم الشر وتعرت كما لو كانت امام ربها ! » .

وزار وليم فرنسا قاصدا جبال الالب سنة ١٧٩٠ ، ثم اعاد الكرة اليها في السنة التالية ليتقن الفرنسية ، فكانت له هناك قصة غرام مع الفتاة الفرنسية آنيت فالون Amette Vallon

(١) كوخ الحمام Dove cottage اسم مسكن الشاعر « وردزورث » والكل يعرفه اليوم بهذا الاسم حتى صغار القرويين ان « وردزورث » لم يطلقه على مسكنه . انما جاءت التسمية بعد موته .

(٢) وقد سماه «وليم» تيمنا باسم وليم شكسبير .

وقد حملت منه طفلة اسماها كارولين،ولم تعرف هذه القصة الا بعد موت وردزورث .

رجع ثانية الى اخته دوروثي التى حبته بانواع الرعاية والعطف ، وكانت العامل الثاني بعد ابيه في تشجيعه على قرض الشعر ومنحه الهدوء الفكرى وراحة البال ، وفي تموز (يوليه) ١٧٩٧ التقيا بالشاعر كلردج Coleridge فكان ثالوثا عجيبا التهب بالابداع والابتكار . لم تكن دوروثي لتنظم الشعر ، انما كانت تكتب نثرا انيقا باسلوب رفيع .

وكانت حصيلة هذا اللقاء ظهور حركة رومانسية جديدة في الادب الانكليزى وذلك بنشر « القصائد الغنائية » التي نظمها الشاعران ، غير ان الطابع الوردزورثي كان ابين فيها واظهر .

بيت الشاعر

كنت اتصور مسكن الشاعر بيتا كبيت شكسبير على الاقل ، ان لم يكن كمنزل آل برونتي ، غير انني وجدته كوخا متواضعا يتالف طابقه الاسفل من غرفتين والعلوى من ثلاث غرف ، وقد وضع في صدر القاعة التى تواجه الداخل الى الكوخ صورة زيتية لكلبه الذى كان يرافقه في جولاته الطويلة اثناء نظمه الشعر ارتجالا وبصوت عال ، وكان محظوظا لانه كان اول من يسمع قصائد

الشاعر كلردج



وردزورث قبل نشرها على الجمهور . لقد سخر وردزورث ريشة رسام بارع لهذه الصورة الخاصة بكلبه . والحق انه كلب جميل .. لم ار اجمل منه بين الكلاب،فوجهه مستدير اقرب الى الوجوه الآدمية منه الى وجوه الحيوانات ، ومن يدرى فلعل روح شاعر متواضع من سالف الازمان كانت قد تقمصت جسده لترافق الشاعر العظيم .

كان يوم زيارتي للكوخ احد ايام الآحاد ، وهو مغلق دون الجمهور في مثل هذا اليوم ، غير ان حسن الحظ جعلني القى القيم على المنزل والاثه في هذا اليوم وجها لوجه وكانما روح وردزورث هى التى بعثت به الي في تلك اللحظة ـ فرجوته ان يفتح لى الباب ، وان كان في ذلك خرق للنظام المتبع ، ذلك لاني صديق روحى لوردزورث ، فان لم يفعل فستلحقه لعنة الشاعر الى الابد.فابتسم واذعن بصمت ، غير انه حذرني من الدخول في بعض الزوايا لئلا تنطلق اشارة الخطر في مركز الامن فيحضر البوليس وتسوء العقبى ، لان امثال هذه البيوت التاريخية تكون على اتصال خاص بالامن في أيام العطلات لئلا تحدث سرقة او حريق .. اذذاك ادركت عظم المسؤولية التى تحملها الرجل من اجلي .. الا ما اروع تقدير بعض الناس للباحثين وتضحيتهم من اجلهم !!

مقبرة الشاعر

أما الكنيسة التى دفن فيها الشاعر وزوجته واخته واولاده وسائر افراد الاسرة فكانت ـ على العكس ـ مفتوحة ، وهى داخل قرية جرازمير ، وقد دفن الشاعر وزوجته في قبر واحد ، وعلى يمناه اخته دوروثي التى اصيبت في سنواتها الاخيرة باضطراب عقلى ، وعلى يسراه ابنته الاثيرة «دورا» التى كانت حبيبة الى نفسه فلما ماتت حزن عليها حزنا شديدا ، وعندما حضرته المنية خففت زوجته مارى من وقعها عليه قائلة : « ستذهب الى دورا يا عزيزى وليم ! » فما كان منه الا ان انبسطت اساريره وتقبل الموت ببهجة وارتياح .

لقد احيطت البقعة التى تضم اثنى عشر قبرا لآل وردزورث بسياج خاص تجده عادة محوطا باسراب السائحين الذين قلما ياتون الى جرازمير دون ان يمروا بالمقبرة ، غير انهم يكتفون بمجرد القاء نظرة عابرة .. فما كان مني الا ان شفعت نظرات الاجلال والتقدير بباقة زهر وضعتها على

قبر الشاعر الانساني العظيم، فنظر الي الحاضرون باستغراب ، فقلت : « لا تدهشوا فقد بحثت طويلا الى أن عثرت على هذه الباقة الرائعة لاضعها على قبر رجل الانسانية ، ذلك الذى انتزع من قلبه كل غل وحقد وحسد وعلمني كيف تكون البراءة الطفولية ، وكيف التذ بمقابلة الاخرين بالطيبة واللطف وحسن الصنيع » .

ومضيت لطيتي .. ولكنني عندما عدت الى المقبرة بعد سويعات لاودع وردزورث قبل الرحيل عن جرازمير وجدت القبر قد استحال الى تل من باقات الزهور . لقد اثرت الكلمة الطيبة في الناس الطيبين فانطلقت من عيني دمعة فرح وقلت في نفسي : لا تزال في البشرية بقية من استجابة للطيبة ما دام هناك امثال وردزورث ممن يرقون بحبهم للحق والخير والجمال الى هذا المستوى الانساني الرفيع .

في مقهى أمام المقبرة

وقبالة المقبرة مقهى انيق يفصل بينهما نهر صغير ... وفي ركن من ذلك المقهى وانا استطلع ما حوالي ، حانت التفاتة الى المائدة امامي فاذا بمنفضة سكائر نقشت في قراراتها ابيات لوردزورث كنت قد ترجمتها قبل سنوات يقول فيها :

« تجولت وحيدا كسحابة
تعوم في الاعالي فوق الوديان والتلاع ،
عندما لمحت على حين غرة جمعا غفيرا ،
رأيت حشدا هائلا من الزنابق الذهبية ،
على ساحل البحيرة ، تحت الاشجار ،
متماوجة .. متراقصة مع النسيم »

فتذكرت أيام العباسيين عندما كانوا ينقشون ابيات الشعر على الاواني الخزفية والصحون والكؤوس .. ما أروع الشعر بمختلف لغاته ، عندما يكون منقوشا في كل مكان ! والحق انك لا تستطيع أن تنتزع وردزورث عن جرازمير وبحيرتها فهو في كل زاوية ومرتفع ومنحنى ، في كل زهرة وفوق كل موجة ، وكما يقول ايريك روبرتسن ، لن تتكرر هذه الحادثة الادبية الفريدة في التاريخ بحيث يظهر شاعر يكتشف منطقة جمال فريدة كارض البحيرات ويعرف العالم بها في شعر سلس رائق يهز الاعماق .

ولع الشاعر بالاطفال

كان وردزورث مولعا بالاطفال فكان كلما حل عيد ميلاده ، أولم وليمة لاطفال قريتي «جرازمير» و « رايدال » وقد وصفه ايليس يارنيل Ellis Yarnell ، الاميركي الذى زار جبل رايدال سنة ١٨٤٩ ، السنة التى سبقت وفاة الشاعر ، بسعة العلم والاطلاع واشار الى لطف السيدة ماري وردزورث ، ولا سيما ابتسامتها العذبة التى تستقبل بها الضيوف ، وقد صوره لنا يارنيل شيخا نحيفا طويل القامة ذا وجه عميق التجاعيد وانف بارز وعينين براقتين مليئتين بالعطف .

ويذكر انهما قاما ذات مرة بمسيرة في الحقول فلحق بهما طفل يسأل الشاعر قطعة نقد وعبثا بحث في جيوبه لينفحه بها فالتفت الى الطفل والاسى يغمر وجهه وقال : « لا بد انني أعطيت كل ما كان يملأ جيوبي لاطفال القرية ! »

ينظم قصائده في الاحراش

وكان ، كما قلنا ، ينظم قصائده بصوت عال في الاحراش وعلى سواحل البحيرة ، وقد الف أهل القرية رؤيته سائرا في طرقها وهو يتمتم مع نفسه الفاظا موسيقية وعلى راسه قبعة قش وفي يده عصاه ، والى جانبه كلبه ، وربما اسدل أحيانا قناعا على وجهه الذى كان اشبه بوجه فرس ، حتى اذا ما عاد الى منزله جلس فاملى ما ارتجله في العراء على اخته أو زوجته .

لقد نظم وردزورث الشعر ستا وستين سنة وهي أطول فترة نظم فيها شاعر في تاريخ الادب العالمي ، فيكون ، على ذلك ، قد بدأ بنظم الشعر منذ الرابعة عشرة وبقي ينظم الى آخر لحظة من حياته ، غير ان النظم غدا عملا مرهقا شاقا اذ كان يصحبه صداع وأوجاع في عينيه وقدميه . كانت الابيات ، في أوج شبابه ، تنساب من فمه بكرا أصيلة براقة غيرت مجرى تاريخ الشعر الانجليزي .

كان الشاعر اقرب الى المتصوفين

اتسم وردزورث بالاصالة والبساطة ، فلم ينظم الا في الاشياء البسيطة والعواطف المعتادة . كان اقرب الى المتصوف منه الى الفيلسوف، وذا

قوة نفاذة الى بواطن الامور . كان يعتقد بامكان وصول الانسان الى السماء والى الفردوس الموعود بطرق عدة منها التامل العميق في الطبيعة ، فحب الطبيعة يفضي بالتالي الى حب الله وحب الناس جميعا .

لقد عشق الحرية وأيد الثورة الفرنسية الكبرى سنة ١٧٨٩ ، غير ان الفظائع التى ارتكبت باسمها جعلته يغير موقفه منها فيما بعد ، وقد ابعدته الافكار الثورية لفترة من الزمن عن حبه للطبيعة ولكنه سرعان ما عاد اليها ليبقى معها الى الابد .

قصيدة التوطئة

مارس وردزورث الشعر المرسل Blank Verse ونظم قصيدته : « التوطئة » The Prelude بهذا الاسلوب ولم ينشرها الا بعد خمس واربعين سنة من بداية نظمها ، ولها اليوم عدة روايات ، كما يدل على انه نقحها واعاد تنقيحها عدة مرات . وأكبر الظن ان القصيدة سيرة حياة الشاعر نفسه، وقد بلغ ذروة مجده سنة ١٨٤٣ عندما اختير أميرا للشعراء وكلل جبينه المغضن باكاليل الغار ، فاصبح تقيا ورعا لا يتناول طعام الفطور اذا لم يؤد صلاة الصبح حتى اذا حلت الثامنة قدمت له « عصيدته » التى كان يتناولها فطورا وعشاء ، اما الوجبة « الثقيلة » فكانت في الثانية بعد الظهر ، وقيل انه كان حريصا مقتصدا ، على ما روى بعض خدمه بعد وفاته ، اذ كان يؤاخذهم على ما يحطمونه من أوان خزفية أو زجاجية . بيد ان شهادة الخدم ليست مما يركن اليه في كثير من الاحوال ، اذ يروى ان تحطيم آنية خزفية كان كافيا لايقاظه من أروع احلامه الشعرية وقطع سلسلة أفكاره ، وكان ذووه يلجأون الى هذه الطريقة الفظة عندما يستغرق في نظم الشعر أكثر مما ينبغي وينسى تناول عشائه .. ولسنا نغفر لهم فعلتهم هذه ، فلربما قد حرمونا بوسيلتهم البدائية هذه من استرساله في روائع ضاعت عليه وعلينا .

مثل من قصائده

عرف اسلوبه بالسهولة الممتنعة والبساطة ، ولست أعرف قصيدة تتاهت في البساطة الرائعة في تاريخ الشعر كله ، من قصيدته : « نحن سبعة ! » وها هي ذه :

طفلة ساذجة بسيطة
تسحب انفاسها بفتور
وتشعر بحياتها في كل عضو
ما عساها أن تعرف عن الحياة ؟

★ ★ ★

لقد التقيت بها صبية صغيرة من صبايا الاكواخ
تقول انها في الثامنة .
كان شعرها خشنا بتجاعيد وتلافيف عديدة
تحيط برأسها

★ ★ ★

كان يكتنفها مظهر ريفي من الاحراش
فهي ترتدى ملابسها بشكل غير مألوف ،
وعيناها جميلتان .. جد جميلتين ،
وقد بعث جمالها البهجة الى النفس

★ ★ ★

« كم انتم اخوة واخوات ياصغيرتي ؟
فقالت : « كم نحن ؟ اننا سبعة ! »
ثم نظرت الي باستغراب .

★ ★ ★

« اين هم ؟ هل لك ان تخبريني ؟ »
فاجابت : « سبعة نحن : اثنان منا في « كونواى »
واثنان منا بحاران في السفن
واثنان آخران يرقدان في باحة الكنيسة :
هما اختي وأخي .
وفي الكوخ الملاصق للكنيسة أسكن أنا وامي قربهما !

★ ★ ★

تقولين ان اثنين منكم في « كونواى »
واثنين آخرين بحاران في السفن ،
مع ذلك فانتم سبعة
ناشدتك الله يا صبيتي الحلوة
انى يكون ذلك ؟

★ ★ ★

فردت الصبية قائلة :
سبعة أولاد وبنات نحن ،
اثنان منا يرقدان في باحة الكنيسة
تحت شجرة أرض الكنيسة

★ ★ ★

انتم تتجولون يا صغيرتي ،
واعضاؤكم مليئة بالحياة ،

فاذا كان هناك اثنان راقدان تحت تراب الكنيسة ،
فانتم اذن خمسة ! »

★ ★ ★

فقالت الصغيرة : « ان قبرهما أخضر
وبوسعك أن تشهد ذلك
على بعد اثنتى عشرة خطوة أو نحو ذلك
من باب كوخ امي
وهما يرقدان جنبا « لجنب »

★ ★ ★

هناك كثيرا ما أنسج جواربي
وأخيط اطراف غطاء رأسي ،
هناك افترش على الارض ،
أجلس وأغنى لهما .

★ ★ ★

وفي أغلب الاحيان ، آخذ صحني الصغير
بعد الغروب يا سيدى ،
عندما يكون ثمة نور ، ويبدو الجو رائعا ،
لأتناول عشائي .. هناك !

★ ★ ★

وأول من مات منهما « جني » الصغيرة
فقد رقدت في فراشها تئن
الى أن انقذها الله من آلامها
فرحلت !

★ ★ ★

واضجعت في باحة الكنيسة ،
وعندما يبس العشب واصفر ،
لعبنا سوية حول قبرها ،
انا واخي جون .

★ ★ ★

فلما غمر الثلج الارض ببياضه ،
واصبح بوسعى الركض والتزحلق ،
ارغم اخي جون على الرحيل ،
ليرقد الى جنبها .

★ ★ ★

فقلت متسائلا : كم انتم اذن
اذا كان ثمة اثنان منكم في السماء ؟ »
فردت الطفلة الصغيرة قائلة :
« آه يا سيدى ، اننا سبعة ! »

★ ★ ★

« ولكنهما ميتان .. هذان الاثنان ميتان !
انهما في الجنة » .

ولكن عبثا ما كنت اقول ، فلكأنني كنت اقذف بكلماتي في الهواء
لان الصبية الصغيرة كانت مصرة على عنادها
وهي تقول : « كلا ! اننا سبعة » .

★ ★ ★

هذه قصيدة يستمتع بقراءتها الناس بمختلف الاعمار ، فقد نالت اعجاب الراشدين والاطفال معا .

ومن الغريب ان يكون شعره بهذه البساطة رغم تعقد الطبيعة وغموضها حواليه ، ولعل كونه من الشماليين الاصليين الذين انحدروا من اصل اسكنديناڤي وعاشوا في هذه المنطقة ساعده على تفهم مثل هذه الطبيعة دون ان يشعر بغموض او تعقيد فيها .

شاعر الطبيعة المطيرة

ولو جاز لى ان اطلق على وردزورث لقبا لما وجدت ما هو افضل من « شاعر الطبيعة المطيرة » فمنطقة البحيرات غارقة في الامطار معظم ايام السنة، ولقد سألت بعض القرويين هناك عن عدد ايام الصحو فأجاب انها لا تتجاوز اليومين او الثلاثة في الاسبوع وقد اعتاد الناس على ارتداء البسة خاصة لهذا الغرض .. فاذا اردت ان ترى ارض البحيرات على حقيقتها ـ كما رآها واحبها وردزورث ـ وجب عليك ان تقيم فيها أسبوعا كاملا على الاقل لتغتنم لحظات الصحو فترى المنطقة على حقيقتها ، لانك لا تستطيع ان تتأكد من ساعات الصحو ، مهما بالغت محطات الانواء الجوية في دقتها ، فقد رحلت اليها مرتين : في ابريل (نيسان) شهر الزنابق الصفراء وفي يوليه (تموز) شهر الورود بالوانها الرائعة ، وفي كلتا المناسبتين كانت الطبيعة مشمسة والسماء صافية، خارج ارض البحيرات، حتى اذا ما حللنا بها انهمر المطر مدرارا. غير ان الطبيعة عادت فاشفقت علينا فارتنا قرص الشمس بين الفينة والفينة لتسهل المقارنة بين وجهيها الضاحك والباكي .

فما اعجب وردزورث الذى اكتشف هذا اللون الغريب من الوان الجمال وتفانى في حبه اياه ، انها الاصالة .. تخلق الروائع وسط ما نتصوره غريبا شاذا،متناهيا في الغرابة والشذوذ !! ■■

صفاء خلوصي

المرأة العربية
بين البيت والمجتمع

بقلم : الغزالي حرب

■ من الظلم للحقيقة والتاريخ أن نبالغ في وصف المرأة العربية ثم المرأة المسلمة الاولى بالاحتجاب الى حد القول بأنها لم تعرف السفور مطلقا ..

المرأة العربية ، لم تبالغ في سفور او حجاب

فقد روى الاصمعي أن المرأة في العصر الجاهلي كانت تلقى خمارها لحسنها وهي على عفة . والشواهد من الشعر الجاهلي دليل وأي دليل على أن المرأة في « التزامها » بقضايا عصرها وبيئتها ومجتمعها ، واسهامها في كل ناحية من نواحي السلم والحرب ما استطاعت الى ذلك سبيلا .. لم تكن مبالغة في السفور ، ولا مبالغة في الاحتجاب وكانت خيرا من زميلاتها في البلاد الراقية القديمة الاخرى ، التي كانت لها حضارتها ومدنيتها .

فكانت خيرا من المرأة الفارسية القديمة التي كانت « تغطي جسمها من قمة الراس الى اخمص القدم » وكانت لا تخالط الرجال « في مجتمع خاص أو عام » ولا سيما بعد حكم الطاغية « دارا الاول » . وكانت المرأة المتزوجة ، لا يؤذن لها في رؤية اقرب الرجال اليها حتى الآباء والاخوة ،

- المرأة الفارسية القديمة كانت تغطى جسمها من قمةالرأس الى أخمص القدم .
- المرأة العربية تتحدى الطغيان ، فى العهدين الجاهلى والاسلامى معا .
- الخليفتان العباسيان ، المتوكل على الله ، والقادر بالله ، منعا النساء من الصلاة فى المساجد ومخالطة الرجال فى المحافل ، فبقى هذا الحال الى اليوم .
- المرأة العربية تقود الحرب وتضرب بالسيف .

فاذا لم يكن هناك تبرج بالقول أو العمل أو أى أسلوب من أساليب الاغراء والاثارة .. فلا حرج على المرأة المسلمة في سفورها أو حجابها ، ولا تضييق عليها في التزامها بقضايا عصرها ومجتمعها، واسهامها في كل ناحيـــة من نواحي الحياة التي كانت تحياها ..

مسلمات شهيرات سافرات

وفي الصدارة من مسلمات الصدر الاسلامي الأول في سـفورهن العامل الحر الشريف .. السيدات الفضليات :

ا) عائشة بنت طلحة التي كانت لا تستر وجهها من أحد مطلقا ... وحينما عاتبها مصعب ابن الزبير زوجها يوما في ملازمتها للسفور ، قالت له كلمتها الصريحة الواقعية الجريئة : ان الله تبارك وتعالى وسمني بميسم جمال فأحببت ان يراه الناس ويعرفوا فضله عليهم فما كنت لأستره ووالله ما فيّ وصمة يقدر أن يذكرني بها أحد .

ب) والسيدة سكينة بنت الحسين التي كان لها مجلسها « وصالونها » وندوتها الأدبية التي طالما جمعت بين صفوة الأدباء والشعراء .

ج) والسـيدة هند بنت الصحابي الجليل النعمان بن بشير أشرفت على خدمـة وفد من الضيوف الاجانب عند زوجها سافرة لا محتجبة .

د) والسيدة زوجة عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين .

هـ) والسيدة عمرة زوجة أبى دهبل وهب بن زمعة الشاعر الاسلامي كانت لها هي الأخرى ندوة أدبية تشبه ندوة سكينة بنت الحسين .

و) كما كانت للسيدة خرقاء العامرية والآنسة فاطمة ابنتها مجلسهما المشهود في اثناء موسم الحج .. وقد أحبها ذو الرمة الشاعر المشهور .. وله فيها ما له من أروع القصائد .

ثم تعالوا بنا لعرض ما تيسر من النـواحي الاجتماعية ، التي أسهمت فيها المرأة في العصر الجاهلي ، وفي العصر الاسلامي الأول .. لنرى : الى أى مدى .. كانت المرأة ـ وهي عماد الأسرة العربية والأسرة المسلمة الأولى ـ امرأة « ملتزمة » بقضايا مجتمعها ، ومسهمة في مشكلات حياتها ، ومقاربة للرجل أو متفوقة عليه أحيانا في بعض النواحي الاجتماعية وفي الحرب والسـلم على السـواء .. ؟ !! .



ونشأ عن ذلك اننا لم نجد للنساء الفارسيات ذكرا أو صورا في النقوش أو التماثيل التي خلفتها ايران القديمة .

وكانت المرأة العربية في العصر الجاهلي خيرا من المرأة الهندية والمرأة اليونانية القديمة ـ بل كانت المرأة العربية في ذلك العصر الجاهلي السحيق خيرا في هذه الناحية من المرأة المسلمة نفسها في عصرى المتوكل على الله والقادر بالله العباسيين ... حيث صدر « الأمر العالي » من هذين الخليفتين المحسوبين على الاسلام ظلما وعدوانا بمنع النساء من الصلاة في المساجد ومنعهن من مخالطة الرجال في المحافل والمجتمعات وذلك ما ظل سائدا بعد ذلك أكثر من ستة قرون طوال العصر التركي : عصر المماليك وعصر العثمانيين وأوائل عصر النهضة .

أما المرأة المسلمة في العصر الاسلامي الاول فكانت لها حريتها التامة في السفور والحجاب في توسط واعتدال وتحاش للتبرج المثير للرجال ، سواء في ذلك تبرج الصبايا ... وتبرج العجائز اللاتى تقول فيهن الآية الكريمة : « والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة » .

المرأة العربية لم تشغلها زينتها عن قضايا مجتمعها

والى أي مدى احتفظت المرأة العربية في العصر الجاهلي . والمرأة المسلمة في العصر الاسلامي الأول ، بتوازنها واعتدالها « بين البيت والمجتمع » ... ؟!! من مفاخر المرأة العربية القديمة ، انها وان اغرمت بالتزين للرجل ـ شأن الانثى في كل زمان ومكان ـ لم تسرف في ذلك اسرافا يشغلها عن الالتزام بقضايا ومشكلات مجتمعها وحياتها في الحرب والسلم على السواء :

أ) فلم تسرف اسراف المرأة المصرية القديمة في استعمال الشعر المستعار الذى جعلته المصرية القديمة « كثيفا ثقيلا مقصوصا مضمخا بالطيب ، معقودا بأشرطة من لآليء » .

ب) ولم تسرف اسراف الاسرائيليات اللاتي كن « يتأنقن بالخلاخيل والاهداب والاهلة والنطف والاساور والرعل والعصائب والمصاعيد والمناطق وأواني الطيب والخواتم والاحراز واخراص الانوف والخلع والمعاطف والاحزمة والمرايا والاقمصة والتيجان والأزر » .

ج) ولم تسرف في زينتها وتجملها اسراف المرأة الرومانية التي أثارت باسرافها « كاتو » الروماني فطالب بسن قانون يحد من ملكيتها لتقتصد في نفقات زينتها ، واحتدت المناقشة بين « كاتو » في « التريبون » وبين أحد الاعضاء من الموافقين على أن تطلق للمرأة حريتها في زينتها ، وجاء في رد العضو المعارض أن النساء لا يستطعن أن يلتحقن بالوظائف العامة ولا أن يكنّ كاهنات، ولا جنديات يحرزن النصر وليست لهن أشغال عامة ، فما الذى يستطعن عمله غير الزينة والملابس ؟ .

وعلى الرغم من تميز المرأة العربية عن هؤلاء المسرفات في التجمل والتزين قديما كنى القرآن الكريم عنها وعن الاناث جميعهن بأنهن منشئات ومربيات في الحلية والزينة والنعمة بقوله تعالى في سورة « الزخرف » : « أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين » ووصفُ القرآن للمرأة بأنها غير مبينة في الجدل والخصام أخف وطأة من وصف القرآن لموسى بن عمران نفسه ـ وهو من صفوة الانبياء والرسل ـ بقوله على لسان فرعون « ونادى فرعون في قومه ، قال : يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى ، أفلا تبصرون ؟ أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يُبين » وقوله على لسان موسى نفسه « .. واخي هارون هو افصح منى لسانا » وواضح أن المرأة وقت نزول القرآن الكريم .. لها عذيرها من قسوة الظروف والأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي كبلتها بما لم تكبل به الرجل من القيود والاغلال .. هنا وهناك .. وعلى الرغم من هذه الظروف والاوضاع استطاعت المرأة العربية أن تجمع في شخصها بين ربة البيت وأم الاولاد ، وشريكة الرجل ، وعضو المجتمع . ومن ظواهر عضويتها لمجتمعها العربي ما يأتي :

المرأة العربية في مجتمعها العربي تتحدى الطغيان

١) تحديها ومقاومتها للطغيان والاستبداد .. وان ادى بها ذلك التحدى الى الظفر بشرف الاستشهاد كما صنعت الشهيدة العربية الاولى في تاريخ العصر الجاهلي السيدة الحمراء بنت ضمرة ابن جابر التي تحدت طغيان الملك العربي عمرو بن هند فأمر بقذفها في النار ..

وفي أدبنا الاسلامي الاصيل نماذج رائعة للمرأة العربية المسلمة التي لم تشغلها أسرتها ولا زينتها عن مبايعة رسول الاسلام أو مطالبته بحقوق المرأة كاملة غير منقوصة ، أو مواجهة أصحابه وقواده وغيرهم مرفوعة الرأس موفورة الكرامة :

أ) فالسيدة هند بنت عتبة تبايع الرسول (ص) بعد فتح مكة وتحاوره بشجاعة فائقة وصراحة فذة ، ارتاح لها أصحابه .

ب) والسيدة أسماء بنت يزيد بن السكن الانصارية تقول للرسول ـ وهي سفيرة النساء اليه ـ : يا رسول الله انى رسول مَن ورائي من جماعة النساء يقلن بقولي وعلى مثل رأيي .. الى آخر ما قالته بين يدى الرسول الذى التفت الى أصحابه متسائلا في اعجاب بهذه الزعيمة العظيمة : هل سمعتم مقال امرأة أحسن سؤالا عن دينها من هذه ؟ قالوا : لا يا رسول الله .

ج) والسيدة العربية التي لم يذكر الرواة اسمها ولم يصفوها الا بأنها « امرأة طويلة في أنفها فطس » والتي لم تكد تسمع عمر بن الخطاب ينهى عن دفع صداق في الزواج أكثر من الصداق الذى دفعه رسول الله (ص) حتى واجهته في صراحة وشجاعة بقولها له ـ وهو عمر بن الخطاب ـ : ما جعل الله ذلك لك يا ابن الخطاب ، وقد قال

الله عز وجل : « وان آتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا .. » الخ الآية : فقال عمر : الا تعجبون : امير اخطأ وامرأة أصابت .. حتى المرأة أفقه منك يا عمر .

د) والسيدة فاطمة بنت الخطاب التي سبقت اخاها عمر بن الخطاب نفسه الى الاسلام وواجهته متحدية له ولجبروته في الجاهلية ، حينما اعتدى على زوجها ولطمها هي على وجهها .. في قصة اسلام عمر المشهورة قائلة لـه حكمتها المدوية : اسلمنا على الرغم منك يا عمر .

هـ) والسيدة العربية الاصيلة هند بنت النعمان بن المنذر التي واجهت سعد بن أبي وقاص امير القادسية بعد هزيمته للفرس ، وقتله قائد الفرس « رستم » .. كما واجهت خالد بن الوليد بعد فتح الحيرة ، بما ينطق على الرغم من عدم استجابتها للاسلام ـ بعزة نفسها وسمو كرامتها ، وان ذلت بعد العزة وهانت بعد الكرم والسيادة .

و) والسيدات العربيات المسلمات الوفيات اللاتي حاربن وحرضن المحاربين مع علي بن أبي طالب على الجد في محاربة معاوية بن ابى سفيان .. ولما تم النصر لمعاوية استدعى احداهن وهي السيدة أم الخير البارقية ، وذكرها بخطبتها الحماسية الثائرة ثم قال لها : والله لو قتلتك ما حرجت في ذلك !! فاجابته على الفور بشجاعة وقوة : والله ما يسوؤني يا ابن هند ان يجرى الله ذلك على يدى من يسعدني الله بشقائه ... !! واستدعى ثانيتهن السيدة سودة بنت عمارة وذكرها بما صنعته فقالت له في صراحة وصدق وشرف : اى والله ما مثلى من رغب عن الحق او اعتذر بالكذب ... !! واستدعى الزرقاء بنت عدى الهمدانية احدى خطيبات يوم صفين .. ثم قال لها : قد اشار عليّ بعض من عرفك بقتلك .. فقالت له في بلاغة وروعة : لؤم من الشير ولو اطعته لشاركته !!!! .

المرأة العربية أسهمت على السلم فى أمور شتى

٢) ومن ظواهر عضويتها لمجتمعها العربي في الجاهلية والاسلام انها في وقت السلام اسهمت في كل مما يأتي :

أ) اسهمت في محو الامية الابجدية والفكرية على الرغم من شيوع الامية الابجدية بين العرب في البوادي وغلبتها على العرب في الحواضر ... كما صنعت السيدة فاطمة بنت مر الخثعمية والسيدة أمّ حماد بن زيد بن أيوب الذى لم يتعلم الكتابة بعد قتل أبيه الا من أمه ، وبفضل أمه كان من أكتب الناس في الجاهلية، وكتب للنعمان الاكبر ..

وفي ادبنا وتاريخنا الاسلامي .. تعلمت السيدة حفصة أم المؤمنين وزوجة الرسول الامين صلى الله عليه وسلم الكتابة من السيدة الشفاء بنت عبد الله القرشية العدوية وتعلمت السيدة عائشة بنت طلحة ما تعلمت من العلم بالنجوم وغيرها من خالتها السيدة عائشة أم المؤمنين كما اعترفت بذلك امام هشام بن عبد الملك .

ومن النكسات الفكرية التي أصابت بعض شعراء العرب ومؤلفيهم بعد الاسلام دعوة ابى العلاء المعرى الى حرمان المرأة من تعليمها الكتابة والقراءة قائلا في « اللزوميات » :

علموهن الغزل والنسج والردن
وخلوا كتابة وقراءة
فصلاة الفتاة (بالحمد « والاخلاص »
تجزى عن « يونس » و « براءة »

وما نسبه القلقشندى في صبح الاعشى الى عمر بن الخطاب وعلي بن ابى طالب من الدعوة الى ابعاد المرأة عن الكتابة حتى لا يزداد الشر شرا ... !! وواضح أن هذه النسبة الى هذين الصحابيين الجليلين مكذوبة . فعمر هو والد (حفصة) التي علمتها « الشفاء » الكتابة ـ كما سبق أن قلنا .. وعلي هو صاحب الكلمة المأثورة الرائدة « كلّ اناء يضيق بما يوضع فيه الا اناء العلم فانه يتسع » .

ب) واسهمت في اثناء وقت السلم أيضا في الصناعة والتصنيع ما استطاعت الى ذلك سبيلا ولا سيما صناعة الغزل والنسج وممن اشتهر بالغزل السيدة عائشة أم المؤمنين والسيدة أم سلمة التي كان زياد بن السكن كلما دخل عليها وجدها تغزل بمغزل في يدها .. فسألها : أكلما أتيتك وجدت في يدك مغزلا .. ؟ فاجابته بكلمتها الواعية التي تقتل وقت الفراغ : انه يطرد الشيطان ويذهب بحديث النفس ، وانه بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « انّ أعظمكن اجرا أطولكن طاقة » وقال الرسول أيضا « نعم لهو المؤمنة في بيتها المغزل » وقد اعتبر شعراء العرب المغازل في أيدى النساء كالرماح في أيدى الرجال ، ومنهم عبد الرحمن بن دارة الذى

قال يحمس قومه على الثأر والانتقام

لئن أنتم لم تثأروا بأخيكم
فكونوا نساء للخلوق وللكحل

وبيعوا الردينيات بالحلى واقعدوا
عن الحرب وابتاعوا المغازل بالنبل

وكما اسهمت المرأة في صناعة الغزل والنسيج اسهمت في صناعة الحصر وزخرفتها ومن أبرع صانعات الحصر المزخرفة السيدة أم صفية خولة ـ كما روى ابن سعد في الطبقات :

وقد اشاد النابغة الذبياني بالبراعة في هذه الصناعة قائلا :

كأن مجر الرامسات ذيولها
عليه حصير نمقته الصوانع

واسهمت كذلك في صناعة تقويم الرماح ومنهن السيدة اليمنية « ردينة » التي تنسب اليها الرماح الردينية حتى اليوم لأنها كانت تزاول صناعة تقويم الرماح الحربية بهجر ...

واسهمت أيضا في صناعة الدبغ للجلود بعد ازالة اللحم عنها ، وهنا تروى بعض الأمثال العربية المتصلة بهذه الصناعة منسوبة الى المرأة دون سواها كالمثل الذي يضرب لمن يزاول ما لا يحسنه من العمل واعني به قولهم « حلات جارية عن كوعها » والحلء : قطع اللحم عن الجلد ـ والمعنى أن هذه الجارية التي لا تحسن دبغ الجلد قد قشرت اللحم عن كوعها بالسكين لعدم خبرتها ، والكوع : طرف الزند الذي يلي الابهام .

السيدة أسماء

ومن البارعات في صناعة الدبغ السيدة أسماء بنت عميس التي زارها النبي (ص) يوما وقد دبغت أربعين جلدا باتقان وبراعة .

ج) واسهمت المرأة العربية في اثناء وقت السلم ايضا وفي فصل الربيع بمزاولة جنى نبات الكمأة من الأرض وممن برعن في ذلك السيدة حليمة بنت فضالة بن كلدة وصواحبها .

د) واسهمت في صناعة حلب اللبن من الابل مستعينة بهذا العمل الشريف على العيش الكادح النظيف .. شأنها في ذلك شأن أخواتها الفقيرات اللاتي كن يزاولن رعى الابل والغنم كسلامة بنت الحر او سلامة الضبية التي يحدثنا ابن حجر في « الاصابة » ان الرسول (ص) مرَّ بها في بداية الدعوة الاسلامية وهي ترعى غنما لأهلها فسألها يا سلامة بم تشهدين ؟ قالت : اشهد ان لا اله الا الله وأن محمد رسول الله ... فتبسم الرسول الانسان ضاحكا من قولها في اعجاب بها . يدل ـ أول ما يدل ـ على ان مزاولة المرأة الفقيرة للرعى لا يعيبها . فالعمل الشريف ـ كائنا ما كان هذا العمل ـ لا يعيب صاحبه ، ودعونا من العنجهية الجاهلية التي جعلت ذا الاصبع العدواني يعاير ابن عمه بأمه الراعية قائلا من قصيدته المشهورة :

عنى اليك فما أمي براعية
ترعى المخاض ولا رأيي بمغبون

هـ) واسهمت في اثناء وقت السلم بما تيسر من الوان « الشئون النسوية » الخاصة ولا سيما : الولادة والتوليد ، ومن أشهر القابلات والمولدات السيدة سلمى امرأة أبي رافع التي كانت قابلة السيدة مارية القبطية .. فلما ولدت ابراهيم سارع زوجها أبو رافع الى حيث بشر النبي (ص) بولادته .. فوهبه عبدا .. وكانت السيدة سلمى قبل ذلك قابلة للسيدة خديجة أم المؤمنين والسيدة سوادة أو سودة بن مسرح التي كانت قابلة للسيدة فاطمة الزهراء .. وعلى يديها نزل الحسين بن علي وكما أسهمت في الولادة أسهمت في الارضاع ولا سيما في البادية . ومن أشهر المرضعات السيدة حليمة السعدية التي أرضعت الرسول في طفولته في بادية بني سعد ، والسيدة ثويبة التي أرضعت حمزة بن عبد المطلب ، والسيدة أم بردة بنت المنذر بن زيد التي أرضعت ابراهيم ابن الرسول (ص) منذ ولادته وقد اقر الاسلام المرأة على الارضاع غير عابىء بالمثل العربي الذي يقول « تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها » وابو هلال العسكري قد فسر هذا المثل بأن المرأة الحرة تؤثر الجوع على الارضاع لقوم مقابل جُعْل، فيلحقها عيب .. وهذا التفسير ـ فيما أرى ـ خير من تفسيره بأن الحرة لا تهتك نفسها ، ولا تفرط في شرفها .

ومن الشئون النسوية التي قامت بها المرأة في الجاهلية والاسلام صناعة التجميل والتزيين أو ما يعرف اليوم تقريبا باسم « الكوافير » وملحقاته من « المانيكير » و « البيديكير » ومن النساء العربيات اللاتي اشتهرن بالبراعة في التجميل والتزيين والتطييب للعروس السيدة آمنة بنت عفان اخت عثمان بن عفان والسيدة أم رعلة القشيرية التي وفدت على الرسول (ص) وسألته يا رسول الله اني امرأة مقينة اقين النساء وازينهن لأزواجهن

فهل هو حوب (اثم وذنب) فانثط عنه ؟ فقال لها الرسول الانسان : «يا ام رعلة قينيهن وزينيهن اذا كسدن » . والسيدة ام سليم الانصارية التي وكل اليها الرسول نفسه جاريته صفية اليهودية التي اشتراها من دحية الكلبي لتزينها له فزينتها وطيبتها للرسول (ص) وقد اعانتها على ذلك السيدة ام سنان الاسلمية .

و) واسهمت المراة في خدمة مجتمعها ـ حتى في البيئات الفنية ـ بطلاء النوق الجرب كما صنعت الخنساء التي شاهدها دريد بن الصمة في اثناء قيامها بذلك فجنّ بها غراما عبر عنه بقوله :

ما ان رأيت ولا سمعت به
كاليوم طالي أينُقٍ جُرْبِ

ز) حتى الرقيا والمواساة للمرضى بالترويح عنهم وعنهن بصالح الدعوات .. اسهمت فيها المراة العربية المسلمة ... ومن الراقيات الصالحات : السيدة خالدة الانصارية والسيدة الشفاء العدوية والسيدة حفصة التي تتلمذت للسيدة الشفاء وتعلمت منها الرقيا بامر الرسول.

وهذا الترفيه الاسلامي الروحي الذى قامت به المراة العربية بعد اسلامها هو الذى قام مقام الكهانة والعرافة التي زاولتها بعض النساء العربيات في الجاهلية واشهرهن « عفيراء » الكاهنة الحميرية « وطريفة » أو « طريقة » الكاهنة التي تنبات بسيل العرم وخراب سد مارب ، وعرافة الحجاز التى احتكم اليها عبد المطلب بن هاشم حينما هم بذبح ولده عبدالله في قصته المشهورة . « وهذيم » كاهنة بنى سعد التي كانت في الشام وكان عبدالمطلب يريد الاحتكام اليها هو والقرشيون حينما تنازعوا على حفر زمزم ، و « الغيطلة » كاهنة بنى مرة التي تنبات ببعثة النبى (ص) ـ كما قالوا ـ « وفاطمة بنت مر الخثعمية » والزرقاء بنت زهر . واذا كان بعض الرجال قد شككوا في قيمة الكهانة والعرافة حتى قبل الاسلام مثل النابغة الذبياني ، ولبيد بن ربيعة وغيرهما .. فان بعض النساء العربيات حتى في الجاهلية قد شككن في العرافة ، والكهانة كما صنعت السيدة هند بنت عتبة التي ظن بها زوجها الفاكه بن المغيرة سوءا فالحقها باهلها .. وبعد حين خرج ابوها في وفد من النساء ومعه زوجها الفاكه الى بعض الكهنة فلما شارفوا بلده تغيرت هند وا"متقع" لونها فسالها ابوها : « انى اريما بك وما ذلك الا لمكروه عندك فهلا كان هذا قبل ان يشتهر عند الناس مسيرنا ! فاجابته : يا ابت ان الذى رأيت منى ليس لمكروه عندى ، ولكنى اعلم انكم تأتون بشرا يخطىء ويصيب ولا آمن ان يسمنى ميسما يكون علي عارا عند نساء مكة .. فقال لها ابوها : فانى سامتحنه قبل أن نساله .. وامتحنه فعرف صدقه » . ثم قصوا عليه أمر هند فقضى ببراءتها .. وليست الكهانة مقصورة على العرب .. فما من شعب من الشعوب القديمة الا مر بها .. سواء في ذلك الأشوريون والمصريون واليونانيون ... والأوربيون طوال العصور الوسطى ..

ح ـ ولم يفت المراة العربية القديمة ان تسهم في خدمة أسرتها ومجتمعها بالفاكهة والترويح . « والكوميديا » الشعبية فقد روى ابو داود في سننه انه كانت بمكة امراة تضحك الناس وكانت بالمدينة امراة مضحكة مثلها .. فقدمت المضحكة المكية المدينة ذات يوم فتعارفتا ثم دخلتا على عائشة أم المؤمنين التى عجبت لاتفاقهما مصادفة وقالت لهما وهى تضحك : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الارواح جنود مجندة. فما تعارف منها ائتلف .. وما تناكر منها اختلف » .

المرأة العربية أثناء الحروب

وكما كان للمرأة العربية التزامها بخدمة مجتمعها واسهامها في الترويح عنه ، والتجديد لنشاطه والممارسة لقضاياه ومشكلاته في اثناء السلم . كان لها التزامها بخدمة مجتمعها في اثناء الحرب . وفي الفترة الواقعة بين السلم والحرب .. فمن شواهد اسهامها في خدمة مجتمعها في اثناء الحرب ... ما كانت تصنعه « زينب » طبيبة بني عواد في العصر الجاهلى ... ثم « رفيدة » الانصارى صاحبة الخيمة المشهورة باسمها في عصر صدر الاسلام و « كعيبة بنت سعد الاسلمية » صاحبة الخيمة التى اقامتها بالمسجد ثم عالجت فيها المرضي وواست الجرحى ومنهم سعد بن معاذ عقب اصابته الخطيرة في غزوة الخندق ...

وكما اسهمت في الحرب بالمواساة والتمريض وتشجيع الرجال على الصبر والثبات حتى النصر. اسهمت فيها بحمل السلاح وقيادة المعركة ، والقتال المستميت . ومن الجنديات والقائدات العسكريات في الجاهلية .

ا ـ السيدة رقاش التى قادت قبيلتها طيء وهجمت بها على قبيلة اياد بن نزار فكانت لها الغلبة والنصر .

ب ـ والسيدة الحارثية التي سارعت الى حمل لواء المشركين في غزوة أحد فاجتمعوا حولها ، وكان لهم النصر على المسلمين بفضلها مصداقا لقول حسان بن ثابت نفسه .

فلولا لواء الحارثية أصبحوا
يباعون في الاسواق بيع الجلائب

ومن الجنديات والقائدات العسكريات في العصر الاسلامي الاول : ـ

أ ـ السيدة نسيبة بنت كعب المازنية المشهورة بام عمارة ، والتي جرحت في غزوة أحد اثني عشر جرحا وقامت هي واسرتها جميعا ـ زوجها وابناها ـ بالدفاع عن رسول الله خير دفاع ، وبخاصة حينما هزم المسلمون في هذه الغزوة لمخالفتهم امر الرسول (ص) وتعليماته العسكرية .. وقد برعت أم عمارة في ادارة معركة الدفاع حول الرسول (ص) فلا عجب أن قال لها معجبا بها ايما اعجاب : من يطيق ما تطيقين يا أم عمارة! وحينما شاهدها تضرب ساق قاتل ابنها ثم تقتله قال لها (ص) : الحمد لله الذى اظفرك واقر عينك من عدوك ، واراك ثارك بعينيك ... وبعد انتقال الرسول (ص) الى الرفيق الاعلى وفي اثناء حرب الردة شاركت أم عمارة هذه في موقعة اليمامة واصابها ما أصابها من الجراح . والسيدة صفية بنت عبد المطلب التي جرؤت على قتل يهودى وتجريده من سلاحه ، بعد أن جبن حسان ابن ثابت الشاعر المشهور عن ذلك في غزوة الخندق.

والسيدة أم سليم بنت ملحان التي أبدت من الشجاعة الفائقة في غزوة هوازن ما لم يبده زوجها ابو طلحة الذى شارك الرسول (ص) في الاعجاب بشجاعة زوجته ام سليم .

والسيدة البطلة العظيمة الربيع بنت معوذ الانصارى التي لها ما لها من المشاهد الحربية المشرفة .

والسيدة خولة بنت الازور التي اعجب ببطولتها وشجاعتها خالد بن الوليد سيف الله المسلول .

وكان للمراة أيضا اسهامها في خدمة مجتمعها بالاجارة والحماية السياسية لمن يستجير بها من الرجال أنفسهم .. كما كان لها اسهامها في خدمة مجتمعها بالمشاركة في الاحلاف العربية ولا سيما الاحلاف التي تدعو الى حقن الدماء . وصيانة السلام . والانتصار لحقوق الانسان على أخيه الانسان .

وحسبنا من شواهد الاجارة والحماية السياسية في الأدب الجاهلي : ـ

أ ـ اجارة السيدة فكيهة بنت قتادة ـ وهي خالة طرفة بن العبد الشاعر المشهور ـ للسليك ابن السلكة الذى استجار بها فاجارته من فتك بكر بن وائل فلا عجب أن مدحها السليك بأبيات أشاد فيها بشهامتها وحمايتها .

ب ـ واجارة السيدة ربطة بنت جذل الطعان لدريد بن الصمة الذى استجار بها .

ج ـ واجارة السيدة ام غيلان الدوسية لمن استجار بها من القرشيين الذين حمتهم من انتقام قومها .

وحسبنا من شواهد الاجارة والحماية السياسية في الأدب الاسلامي الأصيل ان السيدتين أم حكيم بنت الحارث بن هشام وام هانىء بنت عبدالمطلب، قد اجار الرسول (ص) من استجار بهما من كل سوء قائلا : قد اجرنا من أجرت يا أم هانىء .

وعلى يد المراة العربية جرت احلاف

وحسبنا من شواهد مشاركة المراة للرجال في الاحلاف العربية ما يأتي : ـ

أ ـ السيدة عاتكة بنت مرة بن هلال زوجة عبد مناف هي التي جرى على يديها الطاهرتين الحلف العربي المعروف بحلف « الاحابيش » والاحابيش هم : بنو الحارث بن عبد مناة ، والهون بن خزيمة ، وبنو المصطلق .. وقد تحالفوا جميعا على يديها بوادٍ يسمى «الاحابيش» فنسب هذا الحلف اليه .

ب ـ والسيدة أم حكيم البيضاء أو أختها السيدة عاتكة بنت عبد المطلب قد شاركت في « حلف المطيبين » الذى سمى بهذا الاسم نسبة الى الطيب الذى طيبت به اعضاء هذا الحلف ..

كما شاركت في الحلف العربي الانساني المشهور باسم « حلف الفضول » الذى شهده الرسول (ص) نفسه قبل الاسلام .. وفيه قال : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لى به حمر النعم ، ولو أدعى به في الاسلام لأجبت » . ■■

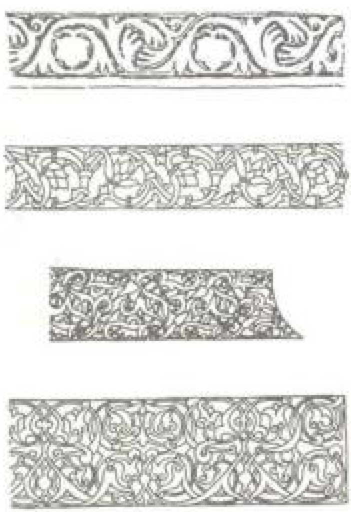
الغزالي حرب
القاهرة

الفن الإسلامي

ثلاثة فنون: هندسي، وزهري، وحرفي

بقلم : يوسف زعبلاوى

■ يحدثنا جون رسكين John Ruskin وهو الناقد الفنى والكاتب البريطانى المعروف (١٨١٩ ــ ١٩٠٠) ، يحدثنا عن مفهوم المدنية فيقول : « الامم العظيمة تكتب سيرتها فى كتب ثلاثة مختلفة : كتاب اعمالها وكتاب اقوالها وكتاب فنونها .. ولا سبيل للمرء الى فهم احد هذه الكتب ما لم يطلع على الكتابين الآخرين .. » ويتابع رسكين الحديث فيقول : « اما الكتاب الاجدر بالثقة بين الكتب الثلاثة فهو بلا ريب الكتاب الاخير .. كتاب الفنون » .



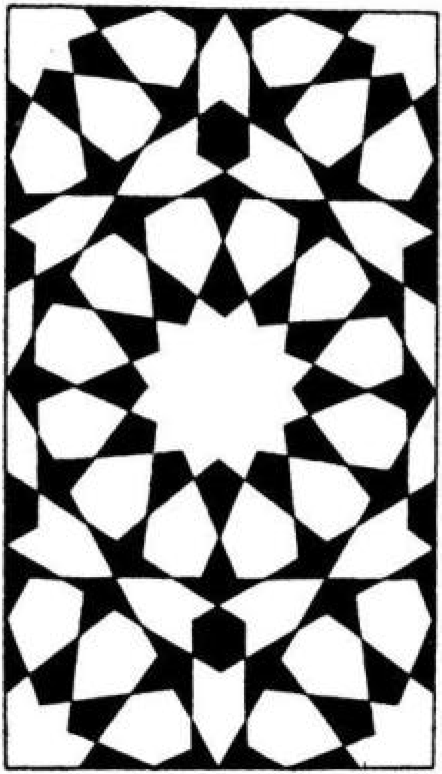
الزخرفة المزهرة (الارابسك) وهي اشهر انماط الزخرفة الاسلامية

ولعله قصد الى ان هذا الكتاب الاخير هو اصدق تلك الكتب وابعدها عن الكذب .

ونحن لو نظرنا الى المدنية العربية الاسلامية من خلال هذا الكلام لوجدنا ان كتاب الفنون ، من

كتب مدنيتنا ، قد مني بمزيد من الاهمال ، فاق على كل حال الاهمال الذى مني به كتاباها الآخران، كتاب الاقوال وكتاب الاعمال . لهذا السبب على الاقل ، كان الجانب الفني من تراثنا جديرا بمزيد من عناية واهتمام .

هذا الى جانب ما يتميز به الفن العربي الاسلامي من روعة وابداع . ولعلك لا تحتاج الى اكثر من زيارة فاحصة لاحد المساجد الشهيرة في القاهرة او دمشق او بيت المقدس او غيرها لتدرك المستوى الرفيع الذى بلغه ذلك الفن بالتخصص . ويختلف رد فعلك فيما لو تيسرت لك سبل السياحة فزرت بعض دول غرب اوربا ، وزرت من ضمنها اسبانيا . ذلك ان آثار العرب في الاندلس بلغت من الكثرة والتنويع والجمال ما يضاعف اعجابك بتراثنا الفني ، وما يملؤك



مثل من الانماط الهندسية في الزخرفة الاسلامية

بمشاعر الفخر ومشاعر المرارة ، في آن معا ، فيما لو قارنت تلك الآثار الاندلسية بآثار اوربا الغربية. اما الفخر فلانك لن تجد في الآثار العمرانية في اوربا ما يفوق كثيرا آثار العرب في الاندلس . واما المرارة فلانك ستلمس مدى الاهتمام الذى تحظى به آثار الماضي في الغرب ، سواء في ذلك الآثار الاوربية نفسها او آثارنا العربية الاسلامية الموجودة فيه . ثم انك ستذكر مدى ما تلقاه الآثار في بلادنا من اهمال وعدم اكتراث . لا عجب اذن ان بادر « العربي » الى تقديم بعض الصفحات من الفن العربي الاسلامي . ومن يدري فقد تمهد بادرته هذه ، على تأخرها وتواضعها ، الى بوادر اخرى اهم واخطر .

على ان المهمة لا تخلو من صعوبة . ذلك ان التراث العربي الاسلامي واسع ومتشعب . فهو يشمل كافة المصنوعات التى صنعها الاسلاف والتى نقشوها وزخرفوها بقصد الاستعمال او من اجل الزينة . ونذكر من هذه المصنوعات ، على سبيل المثال ، الاواني الآجرية والمعدنية والزجاجية ، كالاباريق والاطباق والقوارير ، ونذكر منها ايضا الاقمشة والسجاد والبلاط والفسيفساء واحواض الرخام ، ونذكر كذلك سقوف المباني الخشبية ، والصناديق والثياب والسيوف ، الى آخر ما هنالك . ويسمي اهل الغرب الحِرَف او الصناعات التى تنتج المصنوعات الفنية التى ذكرنا وامثالها بالفنون الصغرى Minor Arts . ولعلهم يقصدون بذلك الى التمييز بين هذه الفنون ومصنوعاتها الصغيرة وبين فن البناء والعمران وصروحه الكبيرة ، بما في ذلك القصور والقلاع والاسوار وبما فيها المساجد ، اهمها واعظمها شانا .

ثم ان الفن العربي الاسلامي متسع كاتساع الرقعة الجغرافية التى نما فيها . وتكفي الاشارة هنا الى ان الدولة الاسلامية بلغت من الاتساع اكثر مما بلغته الامبراطورية الرومانية وهي في اوجها ، وضمت كثرة من الشعوب مثلما ضمت هذه . ويمكن تصنيف الشعوب الاسلامية في فئات رئيسية ثلاث هي : العرب والفرس والاتراك . وقد اسهمت كل من هذه الفئات بنصيب في بناء

الحضارة العربية الاسلامية وكان لكل منها طابعها الخاص الذى ظهر اكثر ما ظهر في الناحية الفنية من تلك الحضارة .

على ان الفن العربي الاسلامي ليس فنا خليطا او لماما Eclectic كما يظن البعض . وليس ادل على وحدته من الزخرفة التى شملت الآثار الفنية الاسلامية جميعا ، سواء منها القصور والمساجد الكبيرة او الاواني والمصنوعات الصغيرة .

وحسبنا ان نلمّ بابرز الانماط التى اتخذتها الزخرفة الاسلامية والتى تقيدت بها كثيرا او قليلا ، حيثما ظهرت ، لنتحسس طابع الوحدة في تراثنا الفني .

الانماط الهندسية

قوام هذه الانماط الاشكال الهندسية،كالخطوط المستقيمة والدوائر والمثلثات ، وما الى ذلك . فهذه الاشكال،تنتظم في اوضاع هي الاخرى،هندسية، تتواتر وتطرد حينا ، ثم تتناوب حينا آخر على نحو ترتاح اليه النفوس .

انماط الارابسك او الانماط الزهرية

وهي شبه الانماط الهندسية من حيث التواتر والتناوب . الا انها تتخذ من الزهور والاغصان واوراق النبات او سيقانه اشكالا اساسية لها وتعتمد على التحني في اظهار هذه الاشكال .

وتجدر الاشارة الى ان لفظ ارابسك Arabesque فرنسي الاصل وهو لا يعني في اللغة اكثر من « عربي » . الا ان اللفظ اكتسب على الاستعمال معنى اصطلاحيا ، واصبح بمثابة الاسم للانماط الزهرية المتحنية الملتوية في الزخرفة الاسلامية .

الخط العربي

وتمثل الخطوط العربية الفئة الثالثة من الانماط الشائعة في الزخارف العربية الاسلامية . ولعل في هذا دليلا على جمال الخط العربي الذى يدعو بعض العرب الى التخلي عنه والاخذ بالحروف اللاتينية بدلا منه . بل ان جمال الخط العربي



الخطوط العربية، من أقدم الزخارف الاسلامية، واقدم هذه الخطوط هو الكوفي البسيط – وهو الاعلى في الرسم ، يليه الكوفي المورق ، فالكوفي المزهّر، فخط النسخ ، فالثلث. اما آخر الخطوط الستة المبينة في الرسم ، وفق ما كانت عليه أصلا ، فهو الخط الفارسي .

بلغ حدا حمل اهل الغرب على اقتباسه او تقليده، حتى في مقدساتهم .

والخط الكوفي البسيط هو الخط العربى الاول الذى شاع اعتبارا من القرن الثاني للهجرة – القرن الثامن للميلاد . وقد جاء بعده الخط الكوفي المزهّر ثم الخط الكوفي المورّق ، وكان ذلك في القرنين الثالث والرابع الهجريين على التوالي . واعقب ذلك خط النسخ في القرن السابع وخط الثلث في القرن الثامن الهجرى . اما الخط الفارسي فهو احدث من الخطوط التى ذكرنا وقد ظهر في بخارى في القرن العاشر للهجرة . ■■

يوسف زعبلاوى

طرائف غريبة

اول عقار
يذهب بآلام المرضى

● العالم والجراح الاسكتلندي الشهير سير جيمس يونج سمبسون Sir James Young Simpson (١٨١١ – ١٨٧٠) ، مكتشف الكلوروفورم Chloroform ، اول عقار للتخدير استخدم فى اجراء العمليات الجراحية ، اقاموا حفلا لتكريمه عندما بلغ الاربعين من عمره ، قبل وفاته بعام واحد . وقد ضم الحفل عددا كبيرا من الجراحين الذين وقفوا جميعا الواحد بعد الآخر يشيدون بهذا الاكتشاف الذى انقذ البشرية من آلامها !

وما كاد الخطباء ينتهون من القاء كلماتهم حتى نظروا الى سير جيمس فوجدوا عينيه غارقتين فى الدموع ، لقد كان العالم الكبير يبكى كما يبكى الاطفال.

واخيرا وقف الرجل ليتكلم ويشكر المحتفين به ، قال : « هناك امراة ، كنت اتمنى ان تكون بيننا اليوم ، فهى التى حفزتنى الى العمل والبحث عن وسيلة لتخفيف آلام البشرية .. لقد رايتها وهى راقدة فى غرفة العمليات معصوبة العينين ، مشدودة اليدين والساقين ، ومشرط الجراح يعمل فى بطنها وهى تصرخ وتتألم ، آلاما تفوق طاقة البشر ، حتى فقدت وعيها وذهبت فى غيبوبة طويلة لم تفق منها الا فى اليوم التالى .. لقد كانت هذه المراة هى امى .. ومن اجل امى وكل الامهات ، بدات ابحاثى ودراساتى لانقذ البشرية ، واحول هذه الغرفة اللعينة من غرفة للتعذيب ، الى غرفة للجراحة بدون الم ! لقد كانت امى هى ملهمتى .. ولكنها رحلت عن هذا العالم ، قبل ان ترى ثمرة جهود ابنها وكفاحه ! » .

الاعتراف بالخطأ ..

● ايهما انفع للمجتمع ؟

الرجل الذى لا يخطىء ابدا . ام ذلك الذى يقع فى الخطأ ، ثم يحاول بعد ذلك ان يتداركه ويصححه ؟ .

يقول الجنرال والسياسى الامريكى جورج مارشال (١٨٨٠ – ١٩٥٩) . صاحب المشروع الذى عرف باسمه ، والذى ساهم فى انعاش دول اوربا الغربية بعد ما اصابها من خراب ودمار فى الحرب العالمية الثانية : « لقد اعترضت يوما على ترقية موظف كبير بعد ان جاء يقول لى : « اننى لم ارتكب خطأ واحدا خلال فترة

الامبراطورة كاترين لماذا هي عظمى ؟

● قالت امبراطورة روسيا ، كاترين العظمى (١٧٢٩ – ١٧٩٦) وهي تستعرض اسباب نجاحها كامراة ، في ادارة دفة الحكم في بلادها : « لقد تعلمت كيف اضع ثقتي في هؤلاء الذين كانوا من الشجاعة بحيث لم يترددوا في ان يقفوا في وجهي ويعارضوا حكمي ! »

اما الامير بسمارك Bismarck السياسي البروسي الشهير (١٨١٥ – ١٨٩٨) ، مؤسس الامبراطورية الالمانية ، فقد كتب يصف هذه المراة العظيمة ، قال : « ان سر نجاح الامبراطورة كاترين يكمن في انوثتها وابتسامتها الساحرة ، فهي لم تنس ابدا انها امراة وهي تجلس فوق عرش الاباطرة .. لقد تعلمت كيف تستغل الرجل دون ان تستسلم له .. ولكن سر عظمتها الحقيقي انها عاشت وماتت من اجل بؤساء روسيا .. هؤلاء الذين عانوا من الفقر والظلم والاضطهاد . »

★★ استخدام العطور .. سحر وشعوذة ! ★★

● هل تستطيع العطور ان تجعل الرجل يقع في حب المراة ؟

في عام ١٧٧٠ ، وافق مجلس العموم البريطاني على مشروع قانون ينص على ما يلي : « ان كل امراة تلجأ الى اساليب الاغراء عن طريق وضع العطور ، بهدف الفوز بزوج ، ستقع تحت طائلة القانون الذي يعاقب كل من يلجأ الى السحر والشعوذة ، وسيعتبر مثل هذا الزواج باطلا من اساسه » .

ولا يزال هذا القانون موجودا في سجلات البرلمان البريطاني حتى اليوم .

ترى ماذا يقول العلم في هذا القانون ؟

يقول العلماء هذه الايام في اثر العطور في الشخصية الانسانية : « ان العطر يتخطى مراكز التعقل في الانسان ، وينتقل الى حيث يؤثر مباشرة في المراكز التي تتحكم في الشعور وفي ضربات القلب التي تطلق الهرمونات في جسم الانسان .

والمهم في هذا ان العطور تتخطى مراكز التعقل الى مراكز الشعور فتهيجها !!

بقي ان نعلم طبقا لاخر احصائية اجريت منذ عشر سنوات ، ان نساء العالم يستهلكن ما يزيد على العشرين مليون لتر من العطور سنويا من اجل اغراء الرجل !! ■■

اكبر مؤهل للنجاح

عملي الطويلة وقد دامت لاكثر من خمسة وعشرين عاما ! » .

قلت : « انت اذن لا تستحق هذه الترقية ! » وذهل الرجل ، وقال في تساؤل : « ومن الذي يستحقها يا سيدي ؟ » .

قلت : الرجل الذي يخطىء ، ويخطىء كثيرا ، لان هذه الاخطاء هي اكبر دليل على انه يعمل ، ولو انك جئت لي ، وقلت انك اخطات كثيرا ، لرشحتك لهذه الوظيفة الكبيرة فورا ، لان اعترافك باخطائك هو اعظم دليل على انك رجل مصلح ! » .



من أحسن الكتب المعبرة التى جاءتنا خلال عام ١٩٧١

● فقد لفت نظرى كثرة وشدة لهفة العديد من قراء مجلتنا الحبيبة « العربى » على الحصول على ما فاتهم من الاعداد القديمة من المجلة .

كما لفت نظرى ايضا ان ادارة المجلة لا تأخذ هذا الموضوع بما هو أهل للاهتمام به وقد قرأت في عدد سابق .ان هذا يكلف المجلة مصاريف كثيرة وما اليها ، وفي نظرى ان هذه الاسباب مجتمعة لا تقوم حائلا مطلقا لتلبية رغبة ملحة كريمة من ابناء العروبة بين مغترب في دول الغرب ومقيم في دول الشرق ومتنقل بين الشرق والغرب في طلب العلوم والفنون والآداب والاطلاع على كل طلى وطريف وحديث في هذه المجالات .

ولاحظت انه قبل ظهور مجلة العربى الى عالم الصحافة لم تكن تربط عربياً من مصر ولا عربياً من المغرب ولا عربياً من الكويت .. ولا .. ولا .. الخ اى رابطة الا محض الصدفة التى يتقابلون فيها في البلد الذى يتلقون العلم فيه حتى جاءت العربى فجمعت بين هؤلاء جميعا فربطتهم برباط الود والاخاء والمحبة والاخلاص بامهم الكبرى « الأمة العربية» فصار المصرى والسورى والكويتى والجزائرى والامريكى والاسترالى يعرف اخاه في باقى ارجاء المعمورة ! عن طريق من ؟!

عن طريق مجلة العربى . وقد حز في نفسي ما قرأته في عدد سابق ما كتبه مغترب عربى نيابة عن اخوانه المقيمين في « ديترويت » بالولايات المتحدة الامريكية يطلب فيها اعادة طبع مجلة العربى وهو وغيره مستعد لشراء النسخة بضعف القيمة او ثلاثة امثالها او ما تقرره المجلة .

من هنا ادركت شدة تعلق ابنائنا في الخارج بمجلتهم التى تربطهم بامهم العربية الكبرى. واليوم وانا جالس في سريرى اقرأ مجلتنا الحبيبة يلفت نظرى الى المرة الكذا طلب الاخ عبد الكريم خليل ابراهيم ـ من السودان الشقيق والمنشور في بابكم بالعدد رقم ١٥٥ ـ اكتوبر ١٩٧١ ولما كنت موقنا بان صرخته هذه ستذهب ادراج الرياح فاننى ارجو أن تتكرموا مشكورين بموافاتى بعنوانه حتى اسارع بتلبية طلبه مجانا ومصاريف البريد من جيبى الخاص هدية منى ، فاننى احسست بعمق لهفته على الحصول على هذا العدد .

لقد سلخت من عمرى سبعة وستين عاما قرأت فيها شتى الكتب والمجلات عربية وانجليزية واصارحكم القول اننى ما وجدت لذة في القراءة ـ طبعا بعد كتاب الله عز وجل واحاديث رسوله ـ الا مجلة العربى التى جمعت فأوعت بل لا اغالى في القول ولا أعدو الحقيقة اذا قررت انها كانت السبيل الوحيد المجدى لمعرفة العربى باخيه العربى على بعد المزار واختلاف اللهجة والعادات.

لماذا لا تقوم المجلة بطبع هذه الاعداد وتجليدها في مجلدات أسوة بدائرة المعارف البريطانية وما اليها . انها لو فعلت لأسدت الى الامة العربية جمعاء خدمة جليلة تذكر فتشكر . ولقد طاف بخاطرى أن اكتب خطابا مستفيضا الى سمو الأمير صباح السالم الصباح أمير دولة الكويت كي تتولى حكومته الرشيدة تبنى هذا المشروع خدمة للعروبة والاسلام ما دامت موارد المجلة لا تواتيها في هذا الصدد وانى لفاعل باذن الله بعد أن ارى رايكم في مدى العقبات التى تعترض سبيلكم .

واخيرا وليس آخرا تحية لكم من عند الله مباركة طيبة لاخلاصكم وتفانيكم حتى ظهرت مجلة العربى في هذا الثوب القشيب الذى بذت فيه قريناتها في العالم الغربى علاوة على العالم العربى.

وفقكم الله وسدد خطاكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد محمد عبد العزيز ـ بالمعاش

اسكندرية ـ ج٠م٠ع٠

سوق سوداء « للعربي »

● يسرني ان ازف لاسرة تحرير مجلة العربي اجمل التهاني لما لمسته في تحقيق هدفها المرجو واحيئي كتاب هذه المجلة التي ما تكاد تظهر في الاسواق حتى تنفد .. وارجو طبع كميات اوفر واكثر ، ان سعر المجلة هنا في جمهورية مصر العربية عشرة قروش الا انني ادفع شهريا خمسة عشر قرشا مقدما للبائع حتى اضمن « حجز » نسخة لي ، قبل ان تتخاطفها الايدي .

يسري عبد الخلق محمود احمد حسين
اسوان ـ مصر

الدكتور زكي مبارك

● انني من المعجبين بالدكتور زكي مبارك واسلوبه وثقته واعتزازه بنفسه وعدم استخدام قلمه في المديح ، ولما كنتم قد عاصرتموه وعاصرتم مناوشاته وملاكماته الادبية ارجو ان تنشر في مجلتكم دراسة عنه .

محمد الحمدان المملكة العربية السعودية

العربي : نرجو ان ننشر مقالا عن الدكتور زكي مبارك باذن الله .

حول « مستقبل الشعر الحديث »

● بدا لي اثر قراءتي لمقالة « مستقبل الشعر الحديث » المنشورة في « العربي » عدد شباط الماضي ان بعض ما اورده كاتبها الدكتور محمد الدش يحتاج الى مناقشة وفيه نظر ، غير ان ضيق المجال يجعلني اكتفي بالتصويب التالي :

ان تاسيس « الرابطة القلمية » في نيويورك كان سنة ١٩٢٠ وليس ١٩١٤ . والشاعر فوزي المعلوف ليس عضوا في « العصبة الاندلسية » كما جاء ايضا في المقال ، لسبب واحد هو انه توفي في ريودو جانيرو عاصمة البرازيل آنذاك قبل تاسيس العصبة المهجرية بثلاث سنوات .

ومن جهة اخرى فباكورة شوقي المسرحية صدرت سنة ١٨٩٣ لا ١٨٩٢ . اما كتاب « الديوان » فلم يصدر سنة ١٩٢٢ بل ان تاريخ صدوره مثبت في صفحته الاولى هكذا : « فبراير ١٩٢١ » .

د . عمر الدقاق
كلية اللغات ـ جامعة حلب

مدرسة الطيران بالشارقة

● طالعت في العدد ١٥٦ من العربي ضمن استطلاعكم عن الشارقة ، ما ذكرتموه عن مدرسة الطيران .. ولي رغبة كبيرة في الالتحاق بهذه المدرسة ، فهل يمكن ان تزودوني بمعلومات عنها وتذكروا لي عنوانها ؟

محيي الدين حسين يوسف

العربي : تلقت العربي اكثر من مائتي رسالة من قراء يبدون رغبتهم في تعلم الطيران ، وكلهم يطلبون ايضاحات اكثر عن مدرسة طيران الشارقة .. والواقع انها مدرسة خاصة بمصروفات وليست مدرسة حكومية . يمضي فيها الطالب ٣ شهور يعيش داخل مبان خاصة ، او في فندق خاص بأجر مخفض جدا للطلبة ، وخلال فترة الدراسة يمضي الطالب ٤٠ ساعة طيران عملي على الاقل و ٢٠ ساعة تدريب داخل نموذج طائرة ارضي ثابت ، و ٦٠ ساعة دراسات نظرية ، و ١٥ ساعة دراسة راديو وتليفون .

وبعد اجتياز هذه الدراسات بنجاح يصبح الطالب طيارا مدنيا بشهادة معترف بها دوليا تصدر عن حكومة الباكستان ، لان المدرسة اسست بموجب ترخيص من دولة باكستان .

وبموجب شهادة طيران مدرسة الشارقة يستطيع الطالب الالتحاق بمدرسة طيران اخرى ليصبح طيارا تجاريا بعد ان يقضي ٢٠٠ ساعة طيران عملي .

ومن اراد زيادة التفاصيل عن المدرسة فليكتب مباشرة الى عنوانها : مدرسة الطيران المدني ـ الشارقة ـ دولة الامارات المتحدة .

أنباء الطب والعلم والاختراع

الحياة فى الصحراء

أخطر ما فيها محافظة الاحياء على ما بها من ماء

الجمل . النعامة . الانسان . والحشرات

● قد تختلف الصحارى فى بقاع العالم المختلفة فى كثير من الاشياء ولكنها تتشابه فى نقص الماء فيها وجدبها، وذلك يؤدى الى تميزها بدرجات حرارة عالية وكذلك بدرجات رطوبة عالية .

وحياة الحيوانات الثديية فى الصحارى تتطلب تكيفا خاصا من الناحية الفسيولوجية لهذا الجدب والجفاف . ولناخذ الجمل مثلا . فهو يتجنب خسارة ماء جسمه عن طريق العرق بسبب التغير الكبير الذى يعترى درجة حرارة جسمه مختلفا بذلك عن بقية الحيوانات الثديية ، فدرجة حرارة الجمل قد تكون فى الصباح ٣٤° وتصل بعد الظهر الى اكثر من ٤٠٫٧° وبذلك يختزن كميات كبيرة من الحرارة التى تتبدد فى الليل البارد دون الحاجة الى التفريط فى الماء المخزون داخل جسمه .

وقد اكتشف العالم الانجليزى الدكتور فندلى J. D. Findlay ان بعض الحيوانات الاليفة الاخرى مثل الثيران والجاموس والاغنام والماعز والحمار والحصان تتمتع ببعض ما يتمتع به الجمل فى هذا الامر .

وفى كثير من الثدييات التى تعيش فى اجواء حارة فان مخزون اجسامها من الدهن يكون محددا فى اماكن معينة فى جسمها . وبذلك يمكن لسطح اجسامها ان تقوم بعملية التبريد . مثال ذلك ان الجمل يختزن الدهن فى سنامه ، بينما الاغنام تختزن الدهن فى ذيولها .

الغزال

وبالرغم من ان بعض الغزلان فى مناطق معينة تستطيع ان تعيش لعدة ايام دون أن تشرب الا انها تتناول طعامها من الصبار وهو يحتوى على ٥٠٪ من الماء وهى لا تستطيع ان تتحمل الجفاف بنفس الدرجة التى يستطيع الجمل ان يتحملها .

الانسان

اما فى الانسان فان لزوجة الدم تبدأ فى الازدياد تدريجيا عندما يبدأ جسمه يتعرض للجفاف وعندما يفقد جسم الانسان من ١٧ الى ٢٠٪ من وزنه فان الدم لا يستطيع الجريان فى الاوعية بالسرعة اللازمة للتخلص من الحرارة الناتجة عن تغييرات الجسم الكيماوية ، وبذلك يتعرض للموت نتيجة عدم تسرب الحرارة من الجسم . وهذا لا يحدث فى الجمل لان هناك عمليات فسيولوجية تضمن أن فقدان الماء يتم عن طريق



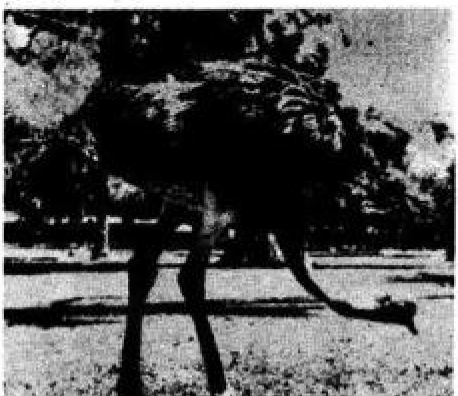
الجمل اكثر الحيوانات تحملاً لجو الصحراء

الانسجة اولا بينما يظل حجم الدم ثابتا.

وتستطيع الجمال تحمل درجات كبيرة من فقدان الماء اذ انها تستطيع اخراج براز جاف وبول شديد التركيز وقد اكتشف العالم مالوى Maloiy ان كلية الجمل تستطيع أن تعيد امتصاص ٩٩٫٨٪ من الماء الذى يرشح فى انابيبها وان الجمل يستطيع ايضا ان يشرب ماء زائد الملوحة كماء البحر مثلا دون ان يصاب بأذى .

النعامة

ومن الحيوانات التى تستطيع ان تكيف حياتها فى الجو الصحراوى



النعامة تستطيع ان تعوض ٢٥٪ من وزنها عندما تشرب بعد عطش

النعامة ، وهى قادرة على ان تحتفظ بوزن جسمها عن طريق شرب ٢٠٪ من مياه البحر وهى تتخلص من الملح الزائد عن طريق غدد انفية مفرزة . وفى درجات الحرارة العالية تزداد درجة التنفس فى النعامة بحيث توفر لها درجة برودة ناتجة عن البخر . والنعامة كثيرة الحركة وهى تستطيع تحمل فقدان ٢٥٪ من وزن جسمها ، فهى تستطيع ان تعوض هذا الفقدان عندما تقوم بالشرب مرة واحدة !! وهى تشبه الجمل فى درجة تحملها لفقدان الماء أكثر من الغزال .

وتستطيع الطيور الصغيرة ان تكيف نفسها فى البيئة الصحراوية وذلك لارتفاع درجة حرارة جسمها الطبيعية وقدرتها على افراز بول كثيف مركز يحتوى على كميات كبيرة من بلورات حامض البوليك Uric Acid Crystal غير القابلة للذوبان . ولكن الطيور تفقد ماء جسمها اسرع من الثدييات وهى لا تستطيع ان تعيش الا اذا تناولت الماء يوميا .

اما ثدييات الصحارى الصغيرة فهى كالطيور لا تعرق ، ولكنها تختلف عن الطيور فى انها تستطيع ان تتجنب حرارة نهار الصحراء باللجوء الى اماكن مستترة كالشقوق مثلا ، فالجرابيع والفئران الصحراوية تقوم بافراز بول شديد التركيز وتستطيع ان تبقى على قيد الحياة بتناول غذاء من الحبوب الجافة.

حبر جديد
يغير لونه ، باختلاف درجات الحرارة

● فى شهر نوفمبر الماضي ظهرت مجلة نسائية يابانية فى اسواق طوكيو وهي تحمل على غلافها صورة لفراشة ذات لون رمادي غامق .. ولم يكن هناك شيء غريب فى نشر صورة فراشة ملونة على غلاف مجلة نسائية ، لكن الأمر الذى دهش له القراء هو ان لون صورة الفراشة كان يتغير من الرمادى الى الفستقى بمجرد لمس الغلاف باليد !

وقد شرح المسئولون عن نشر هذه المجلة النسائية سر تغير لون صورة الغلاف بأن ذكروا انهم قد استعملوا حبرا يحتوى على مواد كيماوية خاصة من بينها مركب من المركبات البوليمرية Polymer Compound .

واعلنت شركتا طوكيو اوكا كوجيو Ohka Kogyo وداى نيبون للطباعة Dai Nippon - Printing وهما الشركتان المنتجتان لهذا النوع من الحبر ان الصور التى تطبع بهذا الحبر يمكن ان يتغير لونها من الأسود الى الأحمر او الأخضر او مختلف الالوان الاخرى ، وذلك بتغير درجات الحرارة، وكميات مركب البوليمر المضاف الى الحبر . ويتوقع خبراء الطباعة ان يؤدى هذا الاكتشاف الى تطور جديد فى الطباعة الملونة .

الحشرات والعناكب

والحشرات والعناكب فبالرغم من صغر حجمها الا ان سطحها يعتبر كبيرا بالنسبة لحجمها ولهذا فانها مجهزة بأجهزة فسيولوجية ذات كفاءة عالية فى الحفاظ على ماء الجسم لكى تعيش على الارض ، فهى تستطيع ان تعيش فى الصحارى وغالبا ما تمر عليها فترة الحر القاسي وهى فى حالة ثبات .

قواقع الصحراء

وكذلك قواقع الصحراء وهى ذات نشاط محدود الا فى خلال موسم المطر القصير جدا عندما يتوفر لها الغذاء المناسب وتبقى فى حالة سكون بقية العام ، وطيلة الوقت الذى تكون فيه ساكنة فهى تستطيع تحمل درجات حرارة عالية جدا . وتكون درجة استهلاكها من الاكسجين ضئيلة جدا وخسارتها للماء تقل بدرجة كبيرة حتى ان مخزونها من الماء يكفيها لكى تعيش لعدة سنوات .

وتبين الامثلة التى ذكرناها عن الحيوانات التى تعيش فى الصحراء عددا كبيرا من العمليات الفسيولوجية المختلفة التى تستطيع بها هذه الحيوانات ان تتحمل درجات الحرارة العالية ونقص الماء . وتختلف هذه العمليات الفسيولوجية عادة كلما اختلف حجم الحيوان ، فالثدييات الكبيرة الحجم تكون اقل استطاعة من الحيوانات الصغيرة على تفادى خطورة الحياة الصحراوية ولكنها فى نفس الوقت تستطيع ان تحافظ على استقرار حالة الجسم الداخلية اكثر من الحيوانات الصغيرة لان نسبة مسطحها الى حجمها الكلى اقل من نسبة سطح الحيوانات الصغيرة بالنسبة لحجمها الكلى .

وهكذا تتجلى حكمة الخالق فى خلقه .

مبيد حيوى
ينجح فى علاج بعض حالات السرطان

● قررت اللجنة البريطانية للتحقق من سلامة تأثير الأدوية الموافقة على استعمال مبيد حيوى جديد Antibiotic أنتجته معامل شركة فارما ايطاليا Pharma Italia للأدوية فى ميلانو ويسمى أدرياميسين Adriamycin فى مستشفيات انجلترا كعلاج لمرضى السرطان .

وتقول اللجنة فى تقريرها : « انه بالرغم من ان عددا كبيرا من الأطباء لا يزال متحفظا بالنسبة للنتائج التى حصلوا عليها من استعمال هذا المبيد الحيوى ، وبالرغم من أن التجارب التى اجريت لم تكن سوى تجارب فردية قليلة الا ان النتائج التى تم الحصول عليها من علاج عدد من مرضى السرطان بهذا العقار قد اثبتت ضمور الأورام السرطانية ، وكذلك اطالة مدة اختفاء عوارض مرض اللوكيميا (سرطان الدم) Leukemia الى فترات تصل الى عام كامل .

وفى بعض الحالات اختفت الأورام السرطانية تماما بعد استعمال الادرياميسين . وبالرغم من هذا فان الأطباء يلتزمون جانب الحذر ويتحفظون فى ذكر ان هذا الدواء شاف للسرطان، وذلك الى ان يتم استعماله على نطاق واسع وتسجيل النتائج بعد ذلك .

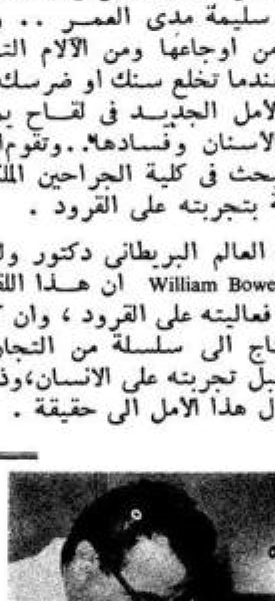
ويعود تاريخ اكتشاف هذا المبيد الحيوى الى عام ١٩٦٧ ،وهو يعتبر طورا من اطوار الجزئيات الدقيقة التى يتكون منها عقار الدونوميسين Daunomycin والذى يستعمل منذ عدة سنوات علاجا لعدة انواع من السرطان .

ويقول مكتشفو هذا العقار ، ان مدى تأثيره أوسع بكثير من تأثير الدونوميسين، وانه اثبت فعالية ضد انواع عديدة من السرطان من بينها الكارسينوما Carcinoma ، وسرطان المثانة والرئة والمعى .

لقاح
يقى من تسوس الأسنان

● امل جديد يلوح فى الافق .. ويا له من امل .. انه الأمل فى ان تحتفظ بأسنانك سليمة مدى العمر .. وان تتخلص من اوجاعها ومن الآلام التى تواجهها عندما تخلع سنك او ضرسك .. ويتمثل الأمل الجديد فى لقاح يمنع تسوس الأسنان وفسادها .. وتقوم الآن معامل البحث فى كلية الجراحين الملكية البريطانية بتجربته على القرود .

ويقول العالم البريطانى دكتور وليام باون William Bowen ان هذا اللقاح قد اثبت فعاليته على القرود ، وان كان الأمر يحتاج الى سلسلة من التجارب الاخرى قبل تجربته على الانسان، وذلك لكى يتحول هذا الأمل الى حقيقة .



استغلال الطفل الزيتي
والبحث عن مصادر جديدة للطاقة في أمريكا
بعد رفع أسعار بترول الشرق الاوسط

● كان لمواقف الدول المصدرة للبترول في الشرق الاوسط والبلدان الاخرى . من حيث رغبتها في الحصول على أسعار عادلة لبترولها ابلغ الاثر في الولايات المتحدة بالذات، وقد أوضحت المفاوضات الاخيرة التى تمت بين هذه الدول وشركات البترول ، بما لا يدع مجالا للشك،ان اسعار بترول الشرق الاوسط ستستمر في الارتفاع ما لم يحدث امر لم يكن في الحسبان . ونتيجة لهذا بدات حكومة الولايات المتحدة الامريكية في البحث عن مصادر جديدة للطاقة تغطي حاجة امريكا وتفي باستمرار الحركة الاقتصادية في البلاد . وبدات مناقشات جادة عاجلة حول استغلال مناطق الطفل الزيتي Oil Shale في الولايات المتحدة والتى تبلغ مساحتها حوالى ١٠ ملايين فدان تملكها الحكومة الفيدرالية وموزعة بين ٣ ولايات امريكية هي اوتاه Utah ، وكولورادو Colorado ووايومنج Wyomig . وقد اعلن الرئيس نيكسون مؤخرا مشروعا خاصا بتنمية مصادر الطاقة في امريكا يتلخص في ثلاث نقاط هي :

١ ــ استغلال المفاعلات الذرية السريعة المولدة للطاقة التى مبرداتها المعادن السائلة .

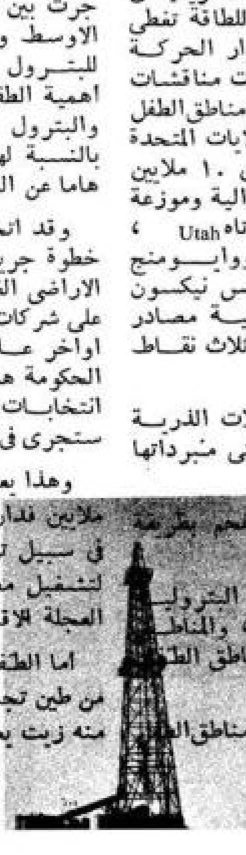
٢ ــ عمليات تفويز الفحم بطريقة بخارية .

٣ ــ استغلال المناطق البترولية الموجودة تحت مياه البحر ، والمناطق ذات الحرارة الأرضية ، ومناطق الطفل الزيتي .

وتشغل مسالة استغلال مناطق الطفل الزيتي بال كثير من المسئولين الامريكيين لما سيكون لها من اثر على البيئة وخصوصا ان حكومة الولايات المتحدة الامريكية قد نصبت من نفسها حامية للبيئة الطبيعية . وسيؤدى استغلال الاحتياطى الضخم من الطفل الزيتي الى افساد مساحة كبيرة من اجمل الاراضى الطبيعية الباقية في امريكا ، وفي نفس الوقت فان شركات البترول الامريكية قلقة بالنسبة لمصادر الطاقة التى يجب توفيرها في المستقبل وخاصة بعد المفاوضات العسيرة التي جرت بين هذه الشركات ودول الشرق الاوسط وغيرها من الدول المصدرة للبترول . ونتيجة لهذا فقد ازدادت اهمية الطفل الزيتي وبترول الاسكا والبترول الموجود تحت مياه البحر بالنسبة لهذه الشركات باعتباره بديلا هاما عن البترول المستورد .

وقد اتخذت حكومة الولايات المتحدة خطوة جريئة باعلانها انها ستقوم بطرح الاراضي الغنية بالطفل الزيتي في مزايدة على شركات البترول للقيام باستغلالها في اواخر عام ١٩٧٢ .. وقد اختارت الحكومة هذا الموعد بالذات حتى تكون انتخابات الرياسة الامريكية والتى ستجرى في نوفمبر عام ١٩٧٢ قد انتهت .

وهذا يعنى ان امريكا ستضحى بـ ١٠ ملايين فدان من اجمل مناظرها الطبيعية في سبيل توفير مصادر الطاقة اللازمة لتشغيل مصانعها والحفاظ على دوران العجلة الاقتصادية الامريكية .



اما الطفل فهو عبارة عن صخر تكون من طين تجمد ومنه نوع به قار يستخرج منه زيت يعرف بالزيت الطفلى . ■■

قصة قصيرة

صانع الخير.. من وراء حجاب

بقلم: محمد سليم رشدان

■ قال: ــ وهو يمسح بيده اليسرى وجهه ــ: « انا احب جاري ابا علي .. احبه حبا صادقا .. احبه لله، فما اطمع بشيء من ماله الكثير، لانني رجل زهدت بما في الدنيا من مال ومتاع .. نعم انا احب جاري كما قلت لك .. ».

وعاد يمسح وجهه ثانية بيده اليسرى، مبتدئا من منابت الشعر في اعلى جبهته ومنتهيا عند اسفل لحيته المدببة التي اختلط فيها البياض بالسواد. بينما كانت يده اليمنى تعبث بسبحته ذات الحب الاسود. وعيناه تختلسان النظر الى وجوه الرجال الثلاثة الذين كانوا ينصتون اليه.

وهمس احدهم في اذن صاحبه:

« انه يحب جاره ابا علي .. هل تسمع؟ وهل بقي في البلدة واحد من اهلها يحب هذا الرجل » ؟

وتجرأ ثالثهم فجاهره بما في نفسه، وقال يعترض على كلامه:

ــ « انسيت انه رجل بخيل لا يصيب بخيره احدا من الناس، كائنا من كان؟ » .

وابتسم الشيخ (سعيد) وهو يتوجه الى محدثه بالكلام قائلا:

ــ لقد علمت يا اخي انه بخيل، فطالما سمعت ذلك منكم، ورأيت منه ما يؤكده، ولست انفي عنه ما تقولون، ولكن ذلك لن يمنعني من حبه، حتى لو لم يكن مريضا، وسوف يزول عجبكم حين تعرفون السبب فتعذرون او لا تعذرون. ويخيل الي انكم ستعذرونني لو كنتم معي في سواد تلك الليلة الحالكة، والمطر ينهمر كما لو كان من افواه قرب، وانا امضي متعثرا بالوحول لاقرع الابواب، ابواب ذوي النعمة من اهل بلدتنا ممن عرفنا فيهم حسن السيرة، وصالح الفعل ولكنني كنت ارد بالخيبة عند كل باب. ويغلق ورائي على الاعتذار الواهي، والتذرع بما لا يصلح ان تستقيم به ذريعة.

واخيرا.. وبعد انسدت في وجهي السبل جميعا، رايتني اتجه الى بابه هو ... البخيل الذي اصبح ذكره على كل شفة كما تقولون، وطرقت الباب ويدي ترتجف واسناني تصطك وشعوري بالخيبة يوشك ان يغشي ناظري. وفتح الباب واطل من ورائه وجه (ابي علي) فما كاد يتبين شخصي حتى هتف بلهفة وجزع:

ــ ادخل ياشيخ (سعيد) .. انك تبدو كما لو غرقت في مياه النهر الى قمة راسك .. ادخل من المطر فكفاك بللا ..

ودخلت امام هذه الرغبة الصادقة التي لم اجدها عند واحد ممن طرقتهم في ليلتي تلك، وسار امامي الى حجرة الضيوف، وهناك تناول مني معطفي وهو يقطر ماء، ونشره قريبا من

لهب ناره المتاججة ، والبسني عباءة من عنده ، واجلسني قريبا من النار . ثم غاب عني قليلا وعاد وهو يحمل طعاما مما اعدوه لعشائهم ، فوضعه بين يدي وهو يقول :

ـ كل يا شيخ (سعيد) فانت رجل منقطع الى عبادة الله ، وحرى بك ان تجد خلف كل باب تطرقه بيتك ، ومن يدري فلعلنا بك وبامثالك تصيبنا رحمة المولى ، وتفيض علينا نعمه التى لا تحصى ..

ورايتني انساق لمشيئته ، فاقبل على الطعام اصيب منه حاجتي ، ثم اجلس اتحدث اليه عن الغاية التى قدمت الى داره من اجلها في سواد تلك الليلة الرهيبة .

واصغى الي بسمعه وقلبه ، وانا اتحدث اليه عن التاجر الذى كان ميسورا قبل ان يغويه شيطان الطمع فيستدين منه مبلغا كبيرا من المال ، وضمانته لذلك بستانه الكبير . ليصنع كما يصنع كبار المصدرين حين يتولون على حسابهم تصدير انتاج الموسم من الحمضيات ، وكانت عاقبة ذلك الخسارة الفاحشة ، وضياع البستان من يده ثم ذهابه بعد ذلك بموت الفجاءة ، الذى اسكت قلبه على حين غرة ، دون ان يتوقع له احد مثل هذه الميتة السريعة ، وهو في شديد قوته وكامل عافيته ، حتى همس الهامسون في البلدة ان (ابا علي) هو الذى قتله حين جرده من بستانه الذى كان يثير حسد قرنائه في العمل .

وقد خلف من ورائه بنين وبنات يبلغون الستة عددا ، واكبرهم لا يجاوز التاسعة من عمره ، وقد تركتهم يتباكون من حول امهم المريضة ، وهي لا تجد من يتعهدها بالرعاية والعلاج ..

ثم قلت لابي علي :

ـ ولكن مالي اقص عليك خبره وانت تعرفه ،

انهم جيرانك وابناء حيك ، وما اخالك تجهل من احوالهم شيئا ..

واعتدل (ابو علي) في جلسته ، ورفع راسه من اطراقته التى استمرت طيلة حديثي اليه وقال :

ـ انني اعلم من احوالهم كل شيء ، الا ان تكون امهم مريضة ، وان يكون قد تخلى عنهم اعمامهم الثلاثة وخالهم ، وان الواجب يحتم عليهم ان لا يخذلوهم في محنتهم تلك ..

فقلت له :

ـ ان امهم شديدة الانفة ، تؤثر ان ينزل بها الموت على ان تكشف حاجتها لاحد ، حتى ولو كان اخاها ، او كان عم بنيها . ورغم ما اطلعت عليه من رقة حالهم فقد عرضت عليها ان استنفرهم لنجدتها ، فابت ذلك اشد اباء ، ولذا لم اجد بدا من اللجوء الى ذوى المروءة علني اجد فيهم من يوافقني على ان يبذل عونا من وراء حجاب الكتمان، حتى لا تجرح مشاعر هذه السيدة التى شاء لها القدر ان تهون بعد عز وتحتاج بعد نعمة سابقة .. وما زلت اتعثر في سيري حتى وصلت اليك . وما ادري ما الذى سوف اجده عندك .. ؟

فقال والابتسامة الباهتة تعلو شفتيه :

ـ انك واجد عندي يا شيخ (سعيد) ما يخيب ظنك ، ولا يسر المتقولين بالسوء من اهل بلدتك لو عرفوا خبره .. الم تقل بينك وبين نفسك ما يردده الكثيرون : انه بخيل ، لا يعرف الخير سبيلا الى قلبه .. نعم انك قلت ذلك وان حاولت انكاره ، وما مجيئك الى بيتي الا واحدة من اثنتين: ان تكون الطريق دفعت بك اليه دون ان تتقصد ذلك ، او انك تريد ان ترفع العتب عن نفسك فلا تتهمها بالتقصير عن طرق جميع ابواب اهل اليسار دونما تمييز بينهم .

انك من اجل ذلك وحده سوف تجد عندي ما يخيب ظنك ، ولا يسر المتقولين بالسوء من اهل بلدتك لو عرفوا الخبر . نعم يا شيخ (سعيد) انك واجد عندي كل خير ومعونة ، شريطة ان يكون ذلك من وراء حجاب الكتمان على حد تعبيرك ، وان تقطع لي عهدا بان لا تشيعه او تكشف خبره .

وقطعت له عهدا كما اراد ، فبسط لي يده بالمعونة السخية ، فاسرعت بذلك الى الارملة البائسة اوفر به العلاج الذى اوصى به الطبيب ، واقيل عثرة بنيها جميعا ليسلكوا طريقهم الى المدرسة وهم لا يقلون مظهرا عن اترابهم الذين تهيأت لهم اسباب الرزق .

وكنت حيال تساؤل الارملة الطيبة عن مصدر هذه المعونة اجيب جوابا لا يتبدل :

ـ انها ديون لزوجك الراحل عند رجل امين كان قد اصيب بماله ، فاشفق عليه وصرف النظر عن استيفائها منه ، فهل تعجبين ان يعيد المال الى اصحابه بعد ان وسع الله عليه في الرزق ..

وكنت اقرا في ملامح وجهها ما يشعر بعدم اليقين ، ولكنها كانت تلتزم الصمت كانما هي



.. وعاد يحمل طعاما مما اعدوه لعشائهم فوضعه بين يدى وهو يقول : كل يا شيخ (سعيد) فانت رجل منقطع الى عبادة الله..

تحاذر ان تؤدى لجاجتها الى زوال هذه النعمة .

وانطوت الايام يلاحق بعضها بعضا ، وتخرج (نبيل) ولدها الاكبر من الجامعة طبيبا ، ثم تخرج (كريم) ولدها الثاني مهندسا ، والثالث (شفيق) ما يزال يدرس في الجامعة ليتخرج منها محاميا . وتزوجت بناتها الثلاث من اكفاء لهن ، ولم تعرف حتى اليوم كما لم يعرف احد من ابنائها مصدر ذلك العون . وقد تعجبون كيف ابوح لكم به اليوم بعد هذا الصمت الطويل . وبعد العهد الذى قطعته على نفسي للرجل .

لقد علمت ان (ابا علي) ثقلت عليه العلة ، ومن يدرى فلعلها سكرات الموت ، وقد روى لي احدهم انهم استدعوا اليه الطبيب (نبيل) فتشاغل عنه بسواه ، وربما كان ذلك ثأرا لما فعله مع ابيه ، فعز على ان يقابل الرجل على جميله بهذا النكران ، فهلا بادرتم اليه واطلعتموه على جلية الامر ، حتى لا اكون انا الذى قد افشيت السر ، وان كان هذا التحفظ لا ينفي انني خفرت العهد الذى قطعته على نفسي منذ سنين ولسوف التمس المغفرة جاهدا من ربي وارجو ان يغفر لي .. !!

ونظر الثلاثة في وجوه بعضهم ، ولسان حالهم يقول : « ان (ابا علي) كان يصنع الخير اذن من وراء حجاب الكتمان » . وهرعوا الى الطبيب يعلمونه بما سمعوه من الشيخ (سعيد) ، وما هي الا برهة حتى التقوا جميعا حول سرير (ابي علي) واقبل عليه الطبيب يتناول يده التي اذبلها الموت بين راحتيه وهو يقبلها دامع العينين ، كأنما هو يعتذر عما بدر منه حين اتهمه واساء فيه الظن .. ولكن بعد فوات الاوان .. !!

وفي ضحى اليوم الثاني خرج اهل البلدة جميعا في جنازة (ابي علي) وفي قلوبهم حيرة .. وعلى السنتهم دعاء .. ■■

محمد سليم رشدان



مسئولية الآباء في تنشئة الأبناء وتبصيرهم بمستقبلهم

بقلم : منير نصيف

■ كتب هـ. ج. ولز ، كاتب بريطانيا الشهير الذى تنبأ بالمستقبل فى كتبه ومؤلفاته يقول: « اننا نستطيع ان نحصن اطفالنا ضد الاصابة بشلل الاطفال ، وضد مرض التيتانوس ، والدفتريا والجدرى ، وعدد آخر كبير من الأمراض .. شكرا للعلم والعلماء ، ولكن ليتهم استطاعوا ان يخترعوا مصلا يعاون ابناءنا على اكتشاف انفسهم ، ويقيهم من صدمات الحياة ومن الفشل فى المستقبل .. لو انهم فعلوا لاراحوا هذه الاجيال القلقة من المصير المجهول الذى ينتظر الكثير منهم .. » .

ولكن هل نحن حقيقة فى حاجة الى هذا المصل ؟

تقدير الذات

يقول الدكتور ستانلى كوبر سميث Stanley Coopersmith استاذ علم النفس بجامعة كاليفورنيا انه قام بدراسة لشخصية عدد كبير من الرجال والنساء الذين صادفوا نجاحا فى حياتهم .. واستطاع بفضل هذه الدراسة التى استغرقت من وقته وجهده سنوات عديدة ، ان يكتشف العنصر الاساسي الذى يشترك فيه كل هؤلاء ، وهو تقدير الذات .. انه المصل الذى ساعدهم على اكتشاف انفسهم وتقدير ذاتهم ..

اننا جميعا نعلم اهمية تقدير الذات فى حياة الانسان . ولكن لماذا ينجح البعض فى اكتشاف انفسهم وتقدير ذواتهم بينما يفشل غيرهم ؟



الصبى الذى ينشأ وسط أسرة يسودها الحب ، يمتلىء ثقة بالنفس ، فتراه يتفرغ الى الاهتمام بتحصيل العلم والبحث داخل نفسه عن حقيقة ميوله واتجاهاته .

مراحل نمو الأبناء

يقول الدكتور كوبر سميث في كتابه « نحو احترام الذات » The Antecedents of Self Esteem انه قام بدراسة حياة ما يزيد على الالف اسرة من الأسر التى تنتمى الى الطبقة المتوسطة ، وراح يتتبع مراحل نمو الابناء في هذه الاسر منذ الفترة التى تسبق سن المراهقة مباشرة ، حتى سن الشباب .

ومن خلال هذه الدراسات التى استمرت مدة ست سنوات ، استطاع كوبر سميث ان يتوصل الى العوامل المؤثرة في شخصية الصبى او الفتاة خلال تلك الفترة الحرجة من حياتهما .

يقول كوبر سميث في كتابه : « ان الصبى قبل سن المراهقة وما بعدها مباشرة ، يرى نفسه من خلال رأى والديه فيه ، او تصوره هو لهذا الرأى على ضوء ما يلمسه من مسلكهما نحو بعضهما البعض ، ثم تصرفاتهما نحوه ونحو اخوته .

أثر الحب فى الأسرة

والصبى الذى ينشأ وسط اسرة متحابة، نجده اسعد حظا من زميله الذى شب فجأة ، فوجد نفسه يعيش في بيت تسوده روح الكراهية، وتتردد بين جدرانه صيحات الغضب والفاظ السباب والشتائم التي يتبادلها الابوان .

« الأول تمتلىء نفسه بالثقة في غده ومستقبله وبالتالى يتفرغ الى الاهتمام بتحصيل العلم ، والبحث داخل نفسه عن حقيقة ميوله واتجاهاته.

« بينما نجد الثانى كثير الاضطراب دائم القلق، شارد الذهن ، فهو يشعر بأن كل شيء من حوله يتهاوى ..

الفتاة اكثر حساسية

وما يقال عن الصبى ، يقال عن الفتاة في هذه السن التى نقلتها من مرحلة الطفولة الى الانوثة، وربما كان تأثر الفتاة اشد من اخيها ، لانها اكثر حساسية لكل تصرف يصدر من جانب والديها ازاءها .

« وما اكثر الفتيات اللواتى ضاعت شخصياتهن، وفقدن انفسهن ، نتيجة للخلافات والمشاكل التى تنشأ بين الوالدين » .

ويمضي كوبر سميث في تعداد العوامل المؤثرة في حياة الأبناء في هذه السن التى وصفها بسن التشكيل والتكوين ، والبناء والصقل ، فيقول : « على ان نصيب الوالدين من الثقافة يلعب دورا هاما من التأثير على شخصية الأبناء . »

مسئولية الأب

« فالأب المثقف اقدر بطبيعة الحال على معرفة ابنه واكتشاف ميوله ومواهبه ، وهو أكثر ادراكا

وتفهما لنفسية ابنه .. فتراه يقف بجانبه ويشجعه، ويرشده الى الطريق السوى ، ولكن دون ان يدفعه دفعا الى اتخاذ قرارات متعجلة طائشة ، او الدخول في تجارب لم يستعد لها ، او تحديد اهداف اكبر منه او ابعد ما تكون عن متناول يده..

« فكثيرون هم الآباء الذين يستغلون ابناءهم ويدفعون بهم الى خوض غمار تجارب تفوق قدرتهم واستعدادهم ، املا منهم في تحقيق نجاح يفاخر به الآباء قبل الابناء .. مثل الاب الذى يحاول ان يحدد لابنه مستقبله ، ويعده للالتحاق بالجامعة ، حتى لو لم يكن متفوقا في دراسته ، وحتى لو لم يظهر استعدادا لهذا النوع من الدراسات الذى اختاره له والده ..

والاب المثقف يدرك انه لا يستطيع ان يجبر ابنه على النجاح ، ولكنه يستطيع فقط ان يشجعه على بلوغ الاهداف التى يسعى اليها في حدود امكانياته وقدرته ، وان يوضح له بعد هذا ، انه وحده الرابح او الخاسر اذا نجح او فشل في محاولته او تجربته ..

اهداف واهداف

« ان هذا الموقف من جانب الوالدين يبدد هذا الشعور الذى ينتاب الكثيرين من الابناء الذين يحسون بأن آباءهم يتحكمون في مصائرهم، لتحقيق اهدافهم هم لا اهداف ابنائهم في الحياة » .

يقول كوبر سميث في كتابه ان دراسته للاسباب والعوامل التى ساهمت في نجاح الكثير من الشبان والفتيات في حياتهم ، قد أكدت له مدى ما يصنعه الحب بين افراد الاسرة الواحدة في البيت .. ثم يقول : « ولا اعنى بالحب هنا ، العناق والقبلات التى يتبادلها الوالدان والابناء ، وانما اعنى به القدرة على التعبير عن الاحترام ازاء الابناء والاهتمام برغباتهم ومساعدتهم على الشعور بوجودهم وكيانهم كافراد عاملين في هذه الاسرة التى ينتمون لها . فعندما يشعر الابن انه اهل لاحترام والديه يحس بقدره وقيمته .. وهذا الاحساس من اهم العوامل التى تساعد الابن على اكتشاف نفسه ومعرفة قدرته ، بعيداً عن اية مؤثرات اخرى » .

الديمقراطية فى الأسرة

كما اتضح له ايضا من هذه الدراسة ان الروح الديمقراطية بين افراد الاسرة ، وخاصة اذا كان

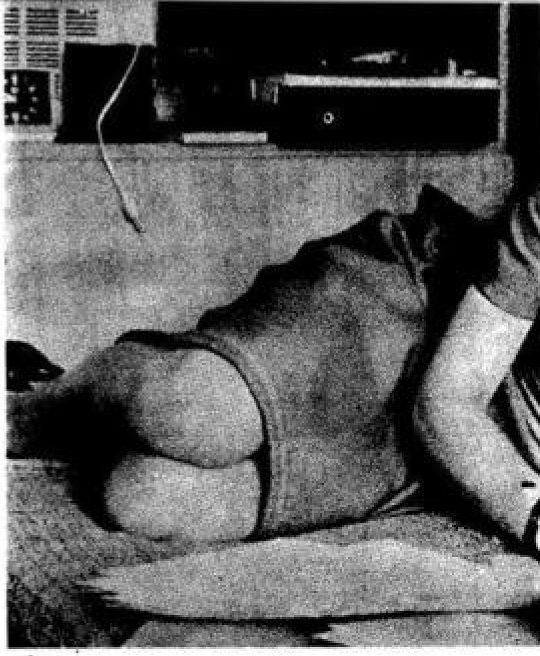


والفتاة في سن ما قبل المراهقة مباشرة ، يصدر من جانب والديها وما أكثر الفتيات للخلافات التي

الاب ، وهو رب هذه الاسرة وسيدها ، يتمتع بها ويؤمن بضرورة ممارستها بين افراد عائلته ، هذه الروح ، تعاون الابناء على تطوير شخصيتهم وتنميتها ، فمجرد شعور الابن بأنه يستطيع ان يطرح اى قضية او راى للمناقشة بحرية، وان هذا الراى لن يقابل بالتسخيف والازدراء .. حتى لو كان رايا خاطئا ، هذا الشعور يعاون الابناء على الاستمرار في محاولاتهم ، وبسط آرائهم دون ان يخالجهم ذلك الشعور بالخوف او الخجل ، في البيت ، وفي المدرسة ، ثم في حياتهم العملية في المستقبل الذى يعدون العدة لمواجهته ، وينمى فيهم الثقة والاعتزاز بالنفس .

مشاكل الآباء

ويقول كوبر سميث : « ولكننا كآباء ، لا يمكن ان نكون دائما مثاليين في كل تصرفاتنا ، فلنا عيوبنا ، كما لنا مميزاتنا .. ومسلكنا ازاء ابنائنا يتغير بتغير مزاجنا ، فما نستطيع ان نفعله اليوم، قد نعجز عن القيام به في الغد عندما تواجهنا نحن انفسنا مشاكل تحتاج هى الاخرى الى حل .



وما بعدها اكثر حساسية لكل تصرف اللواتي ضاعت شخصياتهن نتيجة تنشأ بين الوالدين.

وهذا اسوأ وقت يمكن ان يلجأ فيه الابناء الى آبائهم بحثا عن حلول لمشاكلهم هم .

« على ان هناك ابناء عازفين بطبيعتهم عن اشراك اى شخص فى مشاكلهم الخاصة مهما كانت صلته بهم ، وهم لا يفعلون ذلك لانهم يشعرون فقط بخوف او خجل فى عرض هذه المشكلة او تلك ، وانما لانهم يميلون بطبيعتهم الى العزلة والانطواء وعدم المبالاة بالدنيا وما يجرى فيها من امور حولهم ..

اسباب العقد النفسية

« ومثل هذا الابن ، سواء كان شابا ام فتاة ، لا بد وانه يعانى من عقدة نفسية نتيجة تجربة مرَّ بها فى مرحلة من مراحل حياته فى سن الطفولة او الصبا ، فربما يكون قد حاول مرة ان يعبر عن رأى ، او يبدى اقتراحا فى موضوع او مسألة تتصل بحياته فى البيت او فى المدرسة ثم فوجىء برد فعل عنيف يتسم بالثورة والغضب .. وكانت النتيجة هذا الانطواء الذى اختاره لنفسه .

« ولكن ليس معنى هذا ، ان امثال هؤلاء الابناء قد كفوا عن التفكير فى مشاكلهم وفى مستقبلهم .. فهم قد يتخذون ما يرونه مناسبا من آراء فى كثير من المشاكل التى تواجههم ، وربما توصلوا الى قرارات ايضا فى طريقة معالجتها وحلها ، ولكنهم يفعلون ذلك سرا . ودون ان يشعر بهم احد ..

الطامة الكبرى

وهنا تكون الطامة الكبرى .. فهذا الاحجام عن المجاهرة بآرائهم وافكارهم وبالتالى التردد فى الدفاع عن انفسهم ، يؤدى فى نهاية الامر الى قتل شخصيتهم ، وفقدانهم لاهم عامل من عوامل اكتشاف انفسهم الامر الذى يؤدى بدوره الى فشلهم فى الحياة .

ثم ينتهى كوبر سميث من دراسته هذه الى القول بان ما حدث لهؤلاء الابناء ، هو بعينه الفرق بين الاسرة المتحابة التى تعيش فى جو من الامن والطمانينة ، وبين الاسرة التى اصبح الاضطراب يسود حياتها ، والقلق وعدم الاستقرار يسيطر عليها .

ان هذه الاسرة الاخيرة ترى الدنيا من حولها ، وكانها بيت صغير مهدد بالزوال تحت تأثير اية ريح عاصفة .

لا امل فى الحياة

ترى كيف يكون موقف الابن الذى ينتمى الى مثل هذه الاسرة ، وكيف يفكر ، وماذا يقول ؟

انه يقف متفرجا حائرا ينظر الى المستقبل بفزع شديد فاذا حدثته ، سمعته يقول : « اننا نعيش فى عالم خرب ، ولا احد يحاول ان يفعل شيئا من اجل اصلاحه .. هل تريد دليلا على ذلك اكبر من الدليل الذى عاصرته انا وعشته .. لقد فشل آبائى فى أن يصنعوا شيئا، فهل تتوقعون منى ان انجح انا فيما فشل فيه الآباء والاجداد ؟!

لقد استطاع هذا الابن ان يضع اصبعه على موطن الداء .. الآباء .. هؤلاء الذين توقع منهم ان يصنعوا شيئا من اجل اصلاح هذا العالم الذى صوروه له خربا ، وتصوروه هم بيتا صغيرا لا يمكن ان يصمد لاية ريح عاصفة .. ■■

منير نصيف

كتاب الشهر



الأدب والقومية في سورية

القومية، أقوى النزعات التي وحدت صفوف العرب

تاليف : سامى الكيالى

عرض : محمد شهير أرسلان

■ معهد الدراسات العليا التابع لجامعة الدول العربية ، يعتبر بحق فى طليعة المؤسسات العلمية العربية فى العصر الحاضر .

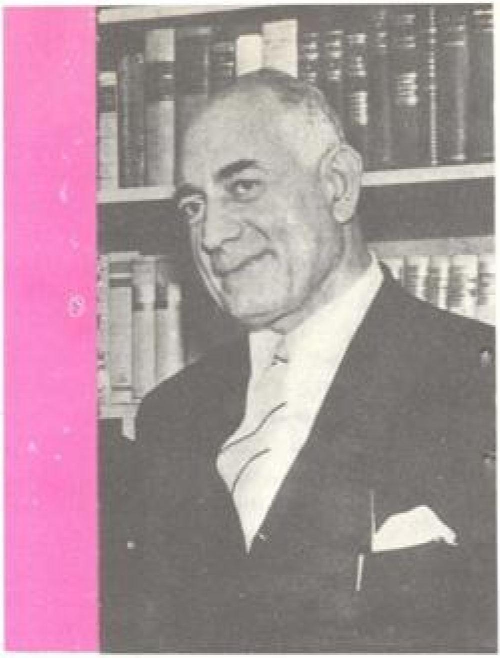
وقد ارادت هذه المؤسسة العلمية الكبرى ان تكون ملتقى للثقافات العربية وان ينهل طلابها من موارد الفكر العربى على اختلاف اقطاره من المحيط الى الخليج .

فأخذ المعهد يوجه الدعوات لكبار الأدباء والعلماء العرب للحضور الى القاهرة والقاء المحاضرات على طلابه ذوى الثقافات العليا .

وكانت مدينة حلب ممثلة بهذه الحظوة العلمية، وذلك بتوجيه الدعوة الى اديبها الكبير الأستاذ سامى الكيالى .

ولكى يعرف الجيل الادبى الجديد من هو الاستاذ سامى الكيالى، يكفى ان يعرف انه صاحب مجلة « الحديث » التى بقيت منبرا للعلماء والأدباء العرب زهاء ثلث قرن اى منذ عام ١٩٢٨ حتى عام ١٩٥٨ والتى اصبحت تاريخا للحركات الادبية فى المشرق العربى ، كما ان الاستاذ سامى الكيالى هو صاحب مجموعة من المؤلفات تزيد عن عشرين مؤلفا .

وقد لبّى الاستاذ سامى الكيالى عام ١٩٦٩ دعوة معهد الدراسات العليا ، والقى على طلابه سلسلة من المحاضرات ، جمعتها ادارة المعهد فى كتاب خاص تحت عنوان « الادب والقومية فى سورية » وطبعته طباعة جيدة ، فاصبح سفرا تاريخيا وادبيا للحركات الوطنية والادبية والفكرية فى سورية .



الاستاذ سامى الكيالى

وقال الاستاذ سامى الكيالى فى مقدمة هذا الكتاب :

« يسرنى ، قبل ان ابدا احاديثى ، أن اشير »
« اشارة خاطفة الى الجهد الكبير الذى اضطلع »
« به هذا المعهد الكريم الذى استطاع فى فترة »
« جد قصيرة أن يغنى (المكتبة العربية) بدراسات »
« قيمة عن الأمة العربية فى نهضتها الفكرية »
« وروابطها القومية ، وضعها أساتذة اجلاء القوا »
« الأضواء على الكثير من هذه التيارات التى »
« رافقت نهضتنا الفتية فى شتى نواحى المعرفة . »

ثم اخذ الاستاذ الكيالى يبحث بلمحة سريعة عن تاريخ سورية السياسي والمراحل التى مرّ بها « الوجود العربى » فى القطر الشامى فقال :

« أحداث ونكبات وفواجع وازمات ، والوان »
« متباينة من الحضارات شهدتها سورية فى »
« تاريخها الطويل الذى يرجع الى اكثر من ستة »
« الاف سنة . وبالرغم من تعاقب مختلف الامم »
« على هذه الأرض واصطراعها اصطراعا داميا »
« لفرض سيطرتها ونفوذها ولغاتها ومذاهبها »
« وتقاليدها فقد صهرتها العربية بعد الفتح »
« وطبعت جميع الاجناس بالطابع العربى الاصيل . »

يقول رينان :

« من اغرب ما وقع فى تاريخ البشر وصعب حلّ »
« سرّه هو انتشار اللغة العربية . فقد كانت »
« هذه اللغة غير معروفة بادىء ذى بدء ، »
« فبدت فجاة فى غاية الكمال ، بحيث انها من »
« ذلك العهد الى يومنا هذا لم يدخل عليها »
« أدنى تعديل مهم ، ولا أدرى اذا وقع مثل ذلك »
« للغة من لغات الأرض ، وما عهدت قط فتوحا »
« اعظم من فتوح اللغة العربية ولا اشد سرعة »
« منه ، ولم ينازعها الشرف فى كونها لغة عامة »
« الا لغتان اللاتينية واليونانية ، ولكن اين »
« مجال هاتين اللغتين فى السعة من الاقطار التى »
« عمت فيها اللغة العربية . »

الروابط القومية

ثم يبحث الاستاذ الكيالى عن الروابط القومية التى جمعت العرب ، وضرب مثالا على رابطة القومية العربية ، انه فى وقعة القادسية دخل على المثنى ، أنس بن هلال والصليب يتدلى فى عنقه ، وقال ان قومى يريدون أن يلحقوا بك فهل ما يمنع ذلك ؟ قال : لا ، قال : انهم على النصرانية وانتم على الاسلام ، فقال المثنى : ان هذا اليوم يوم العرب الاكبر ، فضحك انس وقال : الدم يفرض علينا ان نقف بجانب قومنا ، فقال : المثنى : اهلا باخوة الدم لكم مالنا وعليكم ما علينا . وفى المعركة التاريخية التى خاضها أنس بن هلال تمكن من قتل مهران القائد الفارسى وقال : انا انس ابن هلال والراس رأس مهران والفرس فرس مهران .

ان فى تاريخنا العربى الكثير من هذه القصص التى تصور النازع العربية،ولستُ الآن بصددها، فحسبى القول ان النزعة القومية هى اقوى النزعات التى توحد الصفوف وتجمع الشمل .

وجاء الفتح العربى الى سورية يحمل فى اطوائه رسالةالاسلام وما تحمله من مبادىء تحرر الانسان، اى انسان ، من كل القيوديات .

وكان الفتح عربى الطابع يستمد قوته من

الروح العربية ومن مبادىء الاسلام . وكانت سورية اخلاطا من السلالات والشعوب من الحثيين والفينيقيين والاراميين والسريان ولكن الغالبية العظمى هي من العرب وعلى راسهم الغساسنة .

فانصهرت هذه الشعوب والطوائف كلها بالبوتقة العربية وآمنت برسالة السماء ذات النفحات العبقة وتمكن الايمان في نفوسها واطمأنت به القلوب .

ومن سورية انطلق الفاتحون في العهد الاموي ينشرون رسالة الاسلام ، حتى استطاعوا ان يوطدوا كيان الدولة العربية خلال تسعين سنة فقط في جميع أقطار الدنيا من جبال الالب والمحيط الاطلسي في الغرب الى الهند والصين في الشرق . وكان الاسلام من اكبر العوامل التى جمعت الكلمة ووحدت الصفوف لما ينطوى عليه من قيم روحية سامية وخلق اجتماعى قويم .

ثم جاء عصر العباسيين فتعرضت بلاد الشام لغزوات من الشرق والغرب . فحكم الفاطميون جنوب سورية ، والسلاجقة الاتراك شمالها .

ثم جاء الصليبيون فاقاموا امارات لاتينية في بعض المدن السورية .

ثم جاء تيمورلنك ، فاقترفت جيوشه أبشع المظالم والفظائع .

ثم جاء العثمانيون .

صور رهيبة مرت بسورية ، لم يقف السوريون خلالها مكتوفي الايدى . فخضعوا تارة ، وانتفضوا تارات يدافعون عن دينهم وقوميتهم ووطنهم .

سيف الدولة الحمداني

ووقف سيف الدولة الحمداني ، حين ضعفت الدولة العباسية ، يصد هجمات البيزنطيين الذين جمعوا اضخم الجيوش لاستعادة سورية . ولم يكن يدافع عن مملكته حلب فقط وانما يدافع عن بلاد الشام والامة العربية كلها، وكان وحده يخوض نحو أربعين معركة مع البيزنطيين . ولو كان هناك من يساعده من الملوك والأمراء اللاهين في ترفهم لسبق محمد الفاتح الى فتح القسطنطينية .

وكانت معارك سيف الدولة وانتصاراته مادة ثرة للادب والشعر في ذلك الزمن ، وقد خلد المتنبى وابو فراس قلائد من الشعر العربى كانت وستبقى من أروع ما نطق به الشعراء في القديم والحديث .

ودور اضخم لعبة نور الدين وصلاح الدين في دحر الجيوش الصليبية عن سورية في القرن الثانى عشر .

ولعل الانهيار العربى وقع في منتصف القرن الثالث عشر يوم اغار التتر المغوليون بقيادة السفاح هولاكو على بغداد فخربوها ونعق البوم فيها .

وقال ابن خلكان :

« ان مليونا وستمائة الف هلكوا في تلك المذبحة » .

ثم عبر التتر نهر الفرات الى الجزيرة حيث قتلوا سكان الرها وحران وتصيبين على بكرة ابيهم وذبحوا في حلب خمسين الفا ثم زحفوا الى فلسطين ، ثم تصدى لهم الجيش المصرى في « عين جالوت » فكسرهم شر كسرة .

اما الادب العربى ، فكان ينهار مع انهيار الحضارة العربية ، لذلك نجد ان الشعر الذى مجد بطولات صلاح الدين ونور الدين والانتصارات على الصليبيين والتتار هو شعر مهلهل ضعيف ، يختلف اختلافا كبيرا عن الشعر الذى مدح به سيف الدولة .

★ ★ ★

وبدخول العثمانيين الذى جعلوا اللغة التركية لغة رسمية لدولتهم أصيبت القومية العربية بكثير من الصدمات والنكسات . ولولا قوة اللغة العربية ، وكونها لغة القرآن لكانت القرون الاربعة التى حكم خلالها العثمانيون بلاد العرب كافية لزوالها .

وقد لاقت سورية خلال الحكم العثمانى كثيرا من الويلات والنكبات ، كما أصيبت البلاد العربية جميعها بموجة من التخلف والانحطاط ، لم تستطع التخلص منها تماما حتى الآن .

وشهدت سورية زحف محمد على باشا على بلاد الشام وتوغله في أراضي تركية الى مدينة كوتاهية عام ١٨٣٢ حتى اضطر السلطان محمود الثانى بواسطة الدول الغربية لاكراه ابراهيم باشا على الانسحاب ، ورحب الشعب في سورية بابراهيم باشا وجيشه لانه كان عربى الطابع .

وكان ابراهيم باشا يجاهر علنا بانه ينوى احياء القومية العربية واعطاء العرب حقوقهم . وقد سئل ابراهيم باشا حين حصار عكا ، الى اى مدى تصل فتوحاته ، فاجاب الى مدى ما يتكلم الناس اللغة العربية .

عهد السلطان عبد الحميد

ولعل الحكم العثماني في عهد السلطان عبد الحميد قد تميز بالعسف والارهاب والطغيان ، وخاصة ضد الافكار العربية التحررية التي ظهرت في الصيحات المتكررة والجمعيات والمؤتمرات والصحف والمجلات ، التي تنادي كلها بحقوق العرب وحفظ كيانهم .

ومن هذه الصيحات ، صيحة عبد الرحمن الكواكبي في حلب ومصر الذي دعا العرب للثورة على الطغيان وان يحرروا انفسهم من الجهل والعبودية كما نادى بنزع الخلافة من الاتراك الذين غصبوها .

وصيحة ابراهيم اليازجي في بيروت ، التي ظهرت في قصيدته الشهيرة :

تنبهوا واستفيقوا ايها العرب
فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب
الله اكبر ما هذا المنام وقد
شكاكم المهد واشتاقتكم الترب
كم تظلمون ولستم تشتكون وكم
تستغضبون فلا يبدو لكم غضب
فشمروا وانهضوا للامر وابتدروا
من دهركم فرصة ضنت بها الحقب

التي القاها في « الجمعية العلمية السورية » التي تأسست في بيروت سنة ١٨٥٧ بقصد ايقاظ الوعي القومي العربي .

ووصف الشيخ يوسف النبهاني حالة العرب في الآستانة بقوله :

• ويَمَّمْتُ دار الملك احسب انها
الى اليوم لم تبرح الى المجد سلما
فالفيتها قد اقفرت من كرامها
ولم يبق فيها الفضل الا توهما
والفيت فيها امة عربية
يرى القوم منها امة الزنج اكرما
وما نقموا منا بني العرب خلة
سوى أن خيرَ الخلق لم يك اعجما

الاتجاهات السياسية القومية

وقد اخذ دعاة القومية العربية باتجاهين سياسيين :

الاول : يقول بالمطالبة بحقوق العرب على اساس « اللامركزية » على ان يظل ارتباطهم وثيقا بالدولة العثمانية .

والثاني : يقول بتحرر البلاد العربية تحررا مطلقا من كل ارتباط .

وحينما جرى خلع السلطان عبد الحميد في ٢٧ - نيسان ١٩٠٩ استبشر الناس خيرا واعتبروا ذلك نهاية الطغيان .

الا ان الواقع كان خلاف ذلك ، لان رجال جمعية « الاتحاد والترقي » الذين قاموا بالانقلاب، قد اتخذوا مبدا « التتريك » غاية لهم . وكتب احد كتابهم :

« ان الاتراك لهم الحق في ان يحكموا العرب ، »
« تماما كما يحكم الفرنسيون اهل الجزائر،وكما »
« يحكم الانكليز الهند . »

فكان لا بد لمواجهة هذا التيار التركي الجارف الذي يقوم على العصبية الرعناء من تكتل جماعي وتوحيد الصف العربي .

ومن باريس انطلق صوت يدعو الى عقد مؤتمر، دعا اليه خمسة شبان من سورية هم : عبد الغني العريسي،وعوني عبد الهادي ، ومحمد المحمصاني، وجميل مردم بك ، وتوفيق فائد .

وفي ١٨ - حزيران عام ١٩١٣ انعقد المؤتمر العربي الاول الذي اشتركت فيه جميع الهيئات الفكرية والنوادي الادبية والجمعيات السياسية ، وجميعها ذات نزعة عربية خالصة .

وكان هذا الاجتماع في القاعة الكبرى لجمعية الجغرافيا بشارع سان جرمان ، حيث ارتفعت الاصوات العربية ، وكان في طليعتها صوت المرحوم عبد الحميد الزهراوي رئيس المؤتمر ، وخطبة الشهيد عبد الغني العريسي صاحب جريدة « المفيد » وقد جاء فيها :

« ان العرب تجمعهم وحدة لغة ووحدة عنصر »
« ووحدة تاريخ ووحدة عادات ووحدة مطمح »
« سياسي ، فحق للعرب ان يكون لهم حق شعب »
« وحق امة . »

ونشبت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ ، ودخلت تركية الحرب الى جانب المانيا ، وكممت الافواه وعين السفاح جمال باشا قائدا عاما للجيش الرابع في سورية ، فحكم سورية بقسوة وعنف ، واعدم صفوة زعماء سورية المؤمنين بالقضية العربية .

★ ★ ★

وقد افرد الاستاذ سامي الكيالي بحثا خاصا لسورية خلال الحرب العالمية ونوايا الاتحاديين ، وايام سوداء في عهد السفاح جمال باشا ، ورصاصة

الثورة العربية والانتداب الفرنسي والصراع في سبيل الحرية ، والجلاء .

القومية العربية

ثم أفرد بحثا خاصا للقومية ومعناها اللغوى والتطبيقى ، ثم تحدث عما لاقته القومية العربية من نزعات شعوبية ، عززها الاستعمار ، واتخذ بعض الدائرين بفلكه اداة لضرب القومية العربية.

ففى لبنان قامت هيئات تدعو الى الفينيقية ، وفى مصر الى الفرعونية،وفى العراق الىالآشورية، وفى المغرب الى البربرية . وكلها نزعات هدامة نقصد منها تفتيت وحدة الأمة والتشكيك باصالتها .

وكان لبنان ، العربى الوجه واليد واللسان ، كان البيئة الصالحة ، فى عهد الانتداب الفرنسي ، لبذر السموم ، فظهر من يدعو الى « الفينيقية » ومن يدعو الى « القومية المتوسطية » نسبة للبحر المتوسط ومن يدعو الى «الحزب القومى السورى» اى « القومية السورية » الى غير ذلك من التيارات الانفصالية لتمزيق العالم العربى ، رغم وحدته الروحية واللغوية والتاريخية .

وكان يعزز هذه الدعوات الهدامة دعوة وقحة لنبذ اللغة الفصحى واتخاذ «العامية» اداة للتعبير قولا وكتابة .

بدأ هذه الدعوة سنة ١٩٣٠ ـ ١٩٣٥ الاب مارون غصن اليسوعى ، ولم تكد تخمد ثورتها ، حتى أخذ يجددها الشاعر سعيد عقل الذى بدا يدعو أيضا لفرنجة الحرف العربىوهجر الفصحى. وهذه الدعوة فى الحقيقة ولدت لتموت ، اذ نبذها اللبنانيون انفسهم دعاة العروبة ، وحماة التراث العربى والفكرى منذ مطلع القرن التاسع عشر الى يومنا هذا والى غدنا المشرق .

فالذين أرادوا أن يجردوا لبنان من عروبته ، وهو قطعة غالية من بلاد الشام ، قد اخطأوا كل الخطأ وحالفهم الفشل الذريع .

وقد قال الاستاذ ادوار أمين البستانى فى مجلة « الأسبوع العربى » عدد ـ ٤٨ ـ لعام ١٩٦٨ ما يلى :

« فمن الوجهة اللبنانية ، وبصرف النظر عن »
« العلائق العربية تبدو المحاولة فى غير مكانها ، »
« لأن تاريخ الفكر اللبنانى منذ تسعة اجيال على »
« الأقل ، كان مرتبطا فى اديرته ومدارسه »
« وجوامعهوقصوره باللغة العربية،وقد استطاع »
« هذا الفكر اللبنانى أن يؤدىمنأرضنا الضيقة »
« رسالة اللغة العربية فى عصر النهضة ، »
« لا يستطيع لبنان اليوم ان يتخلى عنها او ان »
« يبترها من تاريخه الفكرى . »

التطور السياسى فى سورية

لقد فرض جمال باشا السفاح ارهابه الدامى ، ونصبت المشانق فى دمشق وبيروت وعلق عليها صفوة رجالات سورية.وامتلات السجون بالأبرياء، وحكم على الكثيرين بالنفى الى مجاهل الاناضول .

وكان لكلذلك أثره فى اضرام النقمة علىالاتراك. واذ شعروا بحراجة موقفهم ، ظهروا بمظهر كاذب، كحماة للدين والشريعة السمحاء ، فاعلنوا الجهاد المقدس .

لقد انقلبت نزعتهم الطورانية الى نزعة دينية ، ولكن لم يصدقهم احد ، خاصة وان زعماءهم فى ذلك الوقت ، كانوا على الأرجح لا دينيين .

فاعلن الشريف حسين ثورته فى ٥ـحزيران ١٩١٦ واطلق رصاصته الاولى من بطحاء مكة ، فعلق العرب على هذه الثورة آمالا كبارا . ووعد الحلفاء بمنح العرب استقلالهم ، ولكنهم نكصوا العهد واقتسموا تركة « الرجل المريض » .

وعاد الصراع من جديد ، صراع القومية العربية مع الاستعمار الغربى ، وظلت سورية تصارع الفرنسيين خمسا وعشرين سنة ، حتى أحبطت المخططات الاستعمارية ، وضحت بالكثير من ابنائها وانتزعت الاستقلال .

وظلت القومية العربية تناضل وتكافح ، وبدأت تضع اللبنات الاولى لوحدتها الكبرى .

فكانت الوحدة مع مصر عام ١٩٥٨ ، ولكن الاستعمار لم يرقدفانفصلت الوحدة عام ١٩٦١ ، وأصيب العرب بخيبة امل .

وفى ٥ ـ حزيران ١٩٦٧ أصيب العرب بنكسة فظيعة تجاه اسرائيل عميلة الاستعمار فىالشرق ، فاثارت العرب .

فعاد النشاط القومى « وظهر الىالوجود دولة اتحاد الجمهوريات العربية فى ١ ـ ٩ ـ ١٩٧١ اى بعد تاريخ اخراج كتاب الاستاذ سامى الكيالى » .

فالواقع ان القومية العربية مرت منذ صيحة الكواكبى الى يومنا هذا برحلة طويلة المدى وسط

الزوابع الهوج ، وخاضت في نجيع من الكفاح الدامي وانصهرت في لهيب من الثورات وأعطت الكثير من الضحايا .

وما تزال في خضم من الصراع والكفاح والضحايا حتى تتحرر جميع أجزاء الوطن العربي ، وتتحقق وحدة العرب الكبرى من المحيط الى الخليج ، فيساهموا عندئذ مساهمة فعالة في بناء الحضارة الانسانية .

الأدب العربي

ثم يتحدث الاستاذ سامي الكيالي عن الادب في بدء عصر النهضة وعن هجرة المفكرين وعن اهداف الادب ورسالته وطابعه وعن بعض رواده الأوائل وعن الانطلاق من الجمود الذي خيّم على العالم العالم العربي خلال عصور الانحطاط .

وهذه المواضيع اعطاها الاستاذ الكيالي ما تستحق من التفصيل ، بحيث تضيق هذه الخلاصة عن التعمق فيها ، ولكن يجب على كل اديب ان يطلع على هذا البحث العلمي الادبي ، المتضمن تجريدا جميلا للوقائع الادبية والتاريخية . ■■

محمد شهير ارسلان



الاسلام يتحدى

تأليف : وحيد الدين خان .
تعريب : ظفر الاسلام خان .
الناشر : دار البحوث العلمية — بيروت

● هذا كتاب يعالج المشكلات العقيدية التي تواجه البشر ، فهو يناقش في فصول كثيرة مبدأ الدين ومبدأ الالحاد ، ولما كان المؤلف من معسكر الدين وجب عليه ان يدلف الى هدفه من خلال دعاوى الخصوم حتى لا يتهم بتجاهلها ، فعرض فكرة معارض الدين وبين اسسها البيولوجية والنفسية والتاريخية ، ومعنى ذلك انه يعرض جوهر فلسفات ثلاثة هي الداروينية والفرودية والماركسية . وهي المبادىء التي قادت في مجموعها قطعانا من البشر في وادي الالحاد وانكار وجود الله وتأليه المادة ، وهو في مناقشته لهذه المبادىء استقى ادلته من الطبيعة ومن البحوث النفسية والتاريخية .

واذا كان اعظم قضايا الدين بعد الايمان بالله الايمان باليوم الآخر وحيث ان اهم دعاوى الالحاد قائمة على انكار هذا اللقاء مع الخالق ، فان اثبات امكان الآخرة بالادلة يقنع بصحة الدين وبوجود الله ، فنجد المؤلف موفقا في بيان الحاجة الى الآخرة نفسيا واخلاقيا وسلوكيا .

ثم يأتي بعد ذلك دور الرسالة ، وهي الدليل التاريخي على الحقيقتين السابقتين ، فيعقد لهذا الباب عدة فصول يتحدث فيها عن اعجاز القرآن التاريخي والعلمي ويورد لمحات كثيرة عن تنبؤات القرآن وما تضمنته آياته من حقائق لم يكشف عنها الا في العصر الحديث ، ثم عقد بابا خاصا لعلاقة الدين بمشكلات الحضارة ، فتناول مشكلات التشريع وعناصره الاساسية وتحديد الدين لمفهوم الجريمة وعلاقة القانون بالاخلاق وبالفرد وبالعدل . ثم يتحدث عن مشكلات الحضارة الحديثة كمشكلة المرأة والتمدن والملكية .

احجار على رقعة الشطرنج

تأليف : الاميرال وليام غاي كار .
ترجمة : سعيد جزائري .
الناشر : دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع — بيروت .

● كتاب يستهدف كاتبه الوصول الى كنه السر الخفي الذي يمنع الجنس البشري من ان يعيش بسلام وينعم راغدا بالخيرات الكثيرة التي منحها الله للناس .

وقد استطاع ان ينفذ كاتبه الى هذا السر اخيرا، فعرف ان الحروب والثورات التى تعصف بحياتنا، والفوضى التى تسيطر على عالمنا ليست جميعا سوى نتائج مؤامرة شيطانية مستمرة . بل لعل هذه المؤامرة بدات في ذلك الجزء من الكون ، بدات كما يقول المؤلف في الكون في ذلك الذى ندعوه الفردوس حين تحدى الشيطان الحق الالهى في ان تكون كلمة الله هى العليا .

وفي رأيه ان الكتب المقدسة قد اخبرتنا كيف انتقلت المؤامرة الشيطانية من جنان عدن الى عالمنا الارضي ، وهكذا يسير المؤلف في حديثه لينتهي بان هذه المؤامرة انما هى تنتهى بالمؤامرة الحديثة التى هى الصهيونية . وفي الكتاب يتناول المؤلف كثيرا من الثورات العالمية واثر اليهود فيها .

معالم الدراما في العصر الحديث

تأليف : يوسف عبد المسيح ثروت

الناشر : منشورات المكتبة العصرية بيروت/لبنان .

● كتاب في الدراما الحديثة ، ومحاولة لعرض ابرز ممثليها ، وتقويم آثارهم ، فقد عرض المؤلف لمسرح ابسن حيث يرسم صورة عصره بصدق وامانة دون زيادة او نقصان وهو بذلك استخدم لغة الشعب استخداما فنيا ، او حيث سمى مسرحه بالمسرح الطبيعي ، كما نرى ذلك في مسرحية اعمدة المجتمع ، وبيت الدمية والاشباح .

وكذلك درس مسرح برتولد برخت حيث يعتبر احد اعمدة الادب الالماني ، وقدرته على معالجة الشؤون الانسانية والوطنية في مسرحية القاعدة والاستثناء ومحاكمة لوكوللوس ثم تناول المؤلف نتاج برخت في الموضوعات الانسانية في مسرحيته دائرة الطباشير القوقازية .

كما درس المؤلف مسرح تشيخوف الواقعي واهتمامه بالنص المسرحي حيث يقرر ان النص المسرحي يجب ان تكون له السيطرة الكاملة على المسرح ، والمسرح بمخرجيه وممثليه وبكيانه المادى والمعنوى تجسيد حي للنص المسرحي كما نشاهد ذلك في مسرحيته « الشقيقات الثلاث والخال فانيا » .

ثم عرض المؤلف لمسرح تنسي وليمز ، واهتمام مسرحه بالجنس ، الجنس في واقعه وفي حقيقته ، كما نرى ذلك في مسرحية « عربة اسمها الرغبة » « وقطة على سطح الارض من الصفيح الساخن » .

وفصل آخر عن مسرح آرثر ملر واهتمامه بالقضايا الاجتماعية وايمانه باهمية الكلمة في تحريك المشاعر الانسانية وفي مقارعة الشر مهما كان مصدره حيث يواجه الواقع مواجهة مكشوفة في مسرحياته مثل كلهم اولادى ومنظر من الجسر .

كما تناول المؤلف مسرح جان انوى ومسرح ت . س اليوت ومسرح يوجين اونيل وغيرهم .

المقدسات الاسلامية في فلسطين والمطامع اليهودية الخطيرة

الناشر : الهيئة العربية العليا لفلسطين ــ بيروت/لبنان .

● يوضح هذا الكتاب للعالمين العربي والاسلامي اهمية هذه المقدسات الاسلامية من الناحية الدينية والتاريخية وما لها من اهمية عظيمة لدى المسلمين كافة . واهمها المسجد الاقصى المبارك في بيت المقدس اولى القبلتين واحد المساجد الثلاثة التى تشد اليها الرحال .

وقد صدرت الطبعة الاولى لهذا الكتاب عام ١٩٥٠ بعد ان سيطر اليهود على القسم الاكبر من مدن فلسطين وقراها واراضيها وما اشتملت عليه من مساجد ومعابد ومقدسات واماكن دينية وتاريخية واثرية ، وهذه طبعة ثانية للكتاب بعد أن تم لليهود الاستيلاء على البقية الباقية من البلاد الفلسطينية وسقطت بيت المقدس والمسجد الاقصى وما اقترف اليهود في حربهم الغادرة من مظالم وآثام فهذا الكتاب صيحة مدوية للعالم الاسلامي ليحيط المسلمين علما بفداحة الكارثة التى حلت بمقدساتهم واخوانهم الفلسطينيين ويهبوا لطرد الغاصب واستنقاذ الوطن السليب .

مفاهيم حديثة للمناهج الدراسية

تأليف : الدكتور محمد جمال صقر .

الناشر : جامعة بيروت العربية . بيروت ــ لبنان

● هذا الكتاب يتناول مشكلة المناهج الدراسية حيث تعتبر هذه المشكلة من الامور المعقدة التى اختلفت فيها وجهات النظر والفلسفات التي وجهتها ، وحددت غاياتها واهدافها ، ثم تعددت بالتالي الاشكال والصور التى اتخذتها هذه المناهج.

والكتاب يتعرض لمشكلة المناهج من وجهتي النظر الاشتراكية والتربوية ، فهو اولا يعرض للاهداف التربوية التى ينبغي ان توجه وذلك لشدة ارتباط المناهج بالاهداف التى تود النظم التربوية

والتعليمية تحقيقها في كل مرحلة من مراحل التعليم عن طريق المواد الدراسية .

والكتاب يثير عدة تساؤلات حول اهداف التعليم وخاصة في مراحل التعليم العام . فهل تكتفى المدرسة بتلقين المعلومات وتقديم المعارف للتلاميذ، ام لا بد ان يكون من بين اهدافها العمل على تنمية ذكاء التلميذ وايقاظ ميوله والعناية بنموه العقلى والاجتماعي والعاطفي ، ثم هل المعرفة او المعلومات اكثر اهمية من تعلم آداب الاخلاق وممارسة السلوك الحسن ؟ وهل تكون الاولوية فى التعليم تكوين العقول المنظمة ام الاذهان المحشوة بالمعلومات ؟ وهل يكفى في تربية الطفل تعليمه المهارات الاساسية والمبادىء والاسس العامة ام ينبغى تعويده على ممارسة طريقة التفكير واسلوب العمل بقصد تسليحه بالوسائل التى تلزمه فى الحياة والتي تمكنه من استكمال ثقافته حين يواجه الحياة ، هذه المشكلات تمثل اهم القضايا الرئيسية وخطورتها بالنسبة للتربية بعامة وللمناهج الدراسية بخاصة .

البراهين الحسية على تقارض السريانية والعربية

تأليف : اغناطيوس يعقوب الثالث .

الناشر : مطابع الكريم الحديثة جونيه/لبنان .

● يوضح هذا الكتاب العلاقات الوثيقة بين السريانية والعربية ، تلك اللغتان العريقتان اللتان تفرعتا عن الدوحة السامية الكبرى لكى تظل الواحدة في معزل عن الاخرى دهرا طويلا ثم تصب الواحدة في الاخرى .

وقد استند المؤلف في بحثه هذا الى مؤلفات علماء الكنيسة السريانية الاولية ومنهم مارافرام السرياني ومار اسحاق الانطاكي ومار يعقوب السروجي ثم المعاجم السريانية مثل قاموس الحسن ابن بهلول الطيرهاني وقاموس اللباب للقس جبرائيل قرداحي المارونى وكنز اللغة السريانية للمطران توما اودو الكلدانى .

والمؤلف يحاول في فصول هذا الكتاب ان يبين تلك الصلة الواضحة بين العربية والسريانية فقد تكلم عن أواصر الاخوة ما بين السريانية والعربية ، ثم اقتباس العربية من السريانية ثم الالفاظ السريانية التى دخلت العربية عن طريق بعض حروف السريانية ثم الالفاظ السريانية في اللهجات العربية العامية . اما القسم الثاني من الكتاب فهو جدول للالفاظ المتشابهة في اللغتين السريانية والعربية .

كتاب الايضاح

تأليف : الشيخ عامر بن على الشماخي .

الناشر : مطبعة الوطن بيروت/لبنان .

● كتاب في الفقه الاباضي يقع في ثلاثة اجزاء والكتاب غير محقق وانما هو نسخة طبق الاصل من الكتاب الام ويعتبر كتاب الايضاح من اهم كتب الفقه الاباضي مثل كتاب القواعد والقناطر والسير وغيرها . ويتناول هذا الكتاب في ابوابه العديدة باب الصلاة في البداية والقسم الاول يدرس الوضوء وتوابعه ثم بابا في احكام المياه وبابا في غسل الجنابة وبابا في الحيض ثم بابا في التيمم .

اما القسم الثانى من الكتاب فيدرس الصلاة ووظائفها وينقسم الى باب في الاماكن والصلاة فيها ثم باب في القراءة في الصلاة الى غيرها من المتعلقات بالصلاة .

المكتبات فى الاسلام نشأتها وتطورها ومصائرها

تأليف : الدكتور محمد ماهر حمادة .

الناشر : مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر . بيروت/لبنان .

● كتاب يدرس المكتبات في الاسلام وهي احدى الجوانب المهمة في الحضارة الاسلامية حيث قام المؤلف بسرد تاريخ وتطور المكتبات والمؤسسات العلمية والدور الهام الذى لعبته في حياة اسلافنا، وفي تطورهم ومدى الاهتمام الذى لاقته المكتبة في حياتهم فلقد احب العرب الكلمة الطيبة وكانت تسحرهم البلاغة والفصاحة فلما استقروا في البلاد المفتوحة احضروا معهم كتابهم المقدس القرآن الكريم ولكنهم وجدوا في البلاد الاخرى كتبا كثيرة فلم يدعهم حبهم واحترامهم لكتابهم العزيز الى احتقار واتلاف الكتب الاخرى بل على العكس اهتموا بها ونموها وطوروها وثبتوا لها اماكن هى ما كانوا يسمونها بخزائن الكتب .

وقد قسم المؤلف كتابه الى ثمانية فصول درس في الاول ما قبل المكتبات الاسلامية ثم انواع المكتبات الاسلامية ثم كيف انتقل التراث المكتبى الى اوربا وتأثيره في نهضتها . ■■

رضية ملكة دلهي

بقلم : سنية قراءة

الهند يفتنها ... بسحرها الايحائي الطاغي ... الملهم بانبل المشاعر وارق الاحاسيس ...

الهند ... هذه الوسنانة الحالمة بين ذراعي الزمن منذ مئات القرون ، وهي يقظى وان تظاهرت بالاغفاء ، كان فيها ظل « رضية » وروح «رضية»، وصفاء سريرة « رضية » ونقاء وجدانها ...

في بيت عز وجاه عريض ولدت ... وفي مهاد الرعاية شبت ... وفي مرابع الجاه والثراء انطلقت ولكن بنفس ، ما خالطها تيه ، ولا تملكها كبرياء ..

كانت رضية بنت ملك صاحب سلطان ، وكانت الأثيرة ، اذ رزق قبلها وبعدها ثلاثة بنين ، فصرف الى الجميع همه وأولاهم رعايته ، وجعلهم يعيشون في بحبوحة ثرائه ، والتواضع رائدهم .

وكما روض « شمس الدين » ملك دلهي بنيه وبنته على حب الخير لذات الخير ، والتواضع حبا في التواضع . كذلك اقبل عليهم يوليهم رعاية خاصة تؤهلهم لما كان يرجوه لهم ، ويتمناه لمملكة دلهي من بعده وفي ايامهم ، فجعلهم يتمرسون بالشجاعة والجرأة ويتدربون على أعمال الفروسية وكل ما يصقل النفس الطموح التي تتعشق المثل وتحصر امانيها في أن تكون صاحبة اهداف ...

واظهر ركن الدين ، ومعز الدين ، وناصر الدين اولاد الملك شمس الدين ميلا للفروسية ، وحبا للجرأة واقبالا على الشجاعة ، وكان من القريب أن « رضية » الوادعة الناعمة ، الحالمة راحت في تهم ورغبة تعشق ما كان يعشق اخوتها ، وتقبل على ما اقبلوا عليه من التمرس بالشجاعة والجرأة، وحب المغامرة ، فامتطت صهوات الجياد ، وارتادت مجالي الفروسية وضربت بسهم وافر في الضرب والطعان ، حتى لقد صارت مثلا ، وصار اسمها الغرودة اعجاب وترنيمة تقدير في افواه الناس اجمعين داخل دلهي ، وخارجها .

ولما كان الملك شمس الدين ملك دلهي يحب العلم ومجالس العلماء ، ويراهم أقدر الناس قاطبة على التأثير في الناس فقد كان لزاما عليه وقد تمرس بنوه وبنته بالفروسية ، أن يزودهم بزاد العلم والمعرفة والتوجيه ليغرس بهذا بذور الفضائل وحب الخير في اعماق نفوسهم فيحبوا رعاياهم ويشاركوهم احزانهم ومواجعهم قبل الافراح ويشعروهم انهم منهم وانهم جميعا في موكب هذا الوجود يسيرون في جماعة متحدة مترابطة .

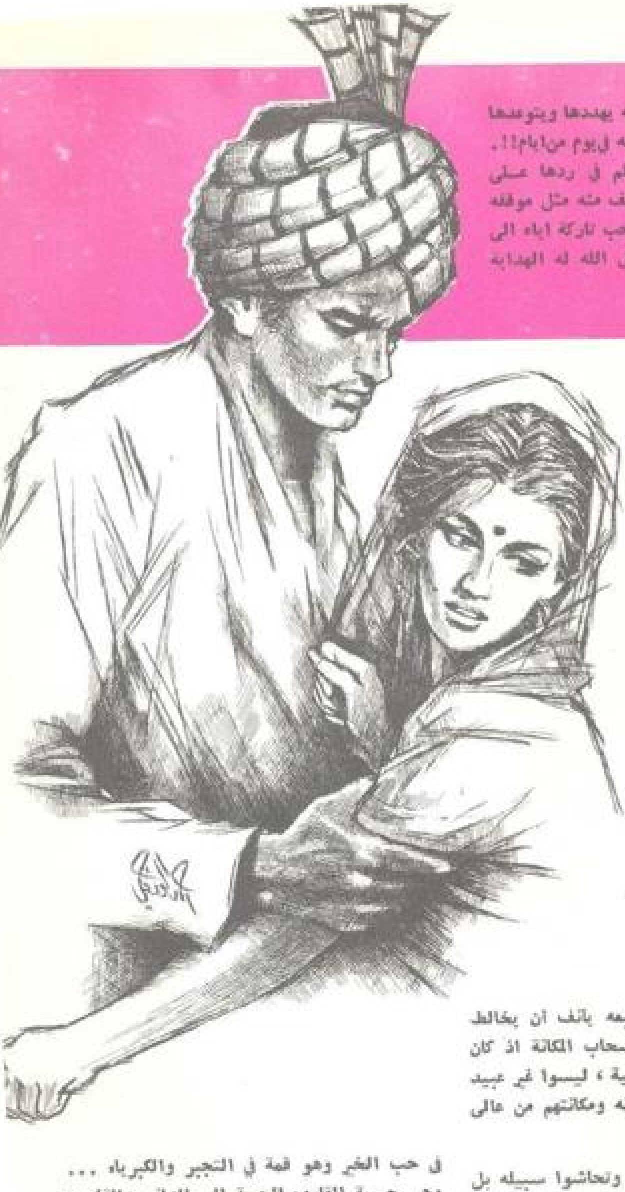
ومرت الاعوام وتدابرت حاملة في احنائها ما وسعها حمله من شرور وخيرات ... وظل موكب الحياة في تقدمه الرتيب ....

واذا جاز للمتحدثين من رواة سيرة رضية اميرة دلهي ان يشيدوا بجرأتها وحبها للفروسية والطعان فان اهل المعرفة كان من حقهم ان يفاخروا بسعة مداركها وسمو المامها بما احبت من الدراسات .

وكما كانت رضية موضع اعزاز ابيها ، ومصدر فخره وسعادته كان ابنه الاكبر ركن الدين سر تبرمه المستمر وعدم رضاه الدائم ...

تطور به الموقف الثائر فاذا به يهددها ويتوعدها ويقسم انها لن تفلت من عقابه في يوم من ايام!!.

وبلغت رضية ذروة الحلم في ردها على شقيقها الثائر وكرهت أن تقف منه مثل موقفه موها ، ولم تجد غير ان تنسحب تاركة اياه الى احقاده وتبرمه ، وهي تسال الله له الهداية والتوفيق ...



كان ركن الدين طاغية بطبعه يأنف أن يخالط حتى كبار رجال الدولة وأصحاب المكانة اذ كان يؤمن انهم ورغم مكانتهم العالية ، ليسوا غير عبيد يستمدون سلطانهم من سلطانه ومكانتهم من عالي مكانته .

فلا عجب ان باعده الناس وتحاشوا سبيله بل ابغضوه وباتوا يتوجسون خيفة من مقدم اليوم الموعود الذى يرقى فيه عرش ابيه .

وكما عرف ركن الدين نفسه عرفت رضية شقيقتـه نفسهـا ، فاذا هـي وشقيقها على طرفي نقيض لا تفاهم بينهما ولا تشابه ، فهي قمة في حب الخير وهو قمة في التجبر والكبرياء ... وهي حبيبة القلوب المحبة الى الدانى والقاصي، وهو عدو نفسه عدو الناس جميعا .

طالما اقض روح رضية ان يكون شقيقها ركن الدين على صورة غير تلك التى طالما احبته ان يكون عليها حتى لقد حاولت ان تثنيه عن غروره وتدفع به الى ان يغير منهاجه في السلوك وفي

الحياة ولكنه كان يأبى ان يستمع اليها وضاق بها ، حتى لقد داخله في امرها الشك ، وظن انها تسعى الى ان تحتل مكانه وتكون أولى بحق هو صاحبه ، ولكنه كان يعود فيطمئن نفسه بانها ومهما بلغت في قلوب الناس من مكانة ، ومهما اولوها من حب ، فلن ترقى بتفكيرها يوما ان تخلفه او ان تسبقه الى عرش ابيه خاصة وهو ولى العهد ووريث السلطان ....

واحتلت رضية تفكير شقيقها ركن الدين ... حتى لقد اصبحت بالنسبة له كابوسا يجثم على صدره فتحاشاها واحب ان يمارس معها لونا شاذا من الوان المعاملة فتصور بمداومته جدالها وبمحاولاته المتكررة الاجتراء عليها وارهابها . يستطيع ان يجعلها تخافه وتخشاه .

ولئن كان ركن‌الدين قد فشل في تجاريب اسلوب عسفه وارهابه‌مع رضية فجعلها تزداد سخرية منه وامعانا في البعد عنه فانه استطاع ان ينجح الى حد كبير في تجربته تلك مع شقيقيه معز الدين وناصر الدين ، فاستطاع ان يشعرهما معا بانه وحده خير منهما مجتمعين وانه اكثر منهما جراة ومقدرة على التصرف في كل الامور ، بل في توجيهها الى حيث يشاء ويريد ، فكان ان فقد كل منهما شخصيته الى جانب شخصية ركن الدين .

وبالرغم من ان اساليب ركن الدين في التجبر قد سدت على رضية المسالك لم ترد ان تسلم ذاتها الى الياس والقنوط فراحت تسعى وتتوجه بالنصح ودون جدوى ...

وضاقت رضية في النهاية باسلوب التصدى لطموح شقيقها الاكبر واستسلام شقيقيه زمام نفسيهما اليه .

لقد فكرت كثيرا في ان تكاشف والدها بالحقيقة المرة ليعرف كيف تسير الأمور في بلاده وبين اولاده الثلاثة ولكن يبدو ان الملك شمس الدين ملك دلهى كان في شغل شاغل بامور دولته عن مراقبة تصرفات بنيه ، لان دلهى كانت خلال حكمه وحكم من سبقوه تعيش في قلق وتوثب لا تكاد تخرج من فتنة حتى تجد نفسها في تورط رهيب ..

لقد طالما تمنت رضية ان يحس شقيقها ركن الدين بعظم المسئوليات التي كان ينوء والده تحتها فيقف الى جواره ويشعره بانه معه وبانه خليق بان يخلفه على عرشه ولكن ...

ولكن كانت امنيات رضية أبعد من ان يحققها الواقع المؤلم الذى‌كانت‌تراه وتحسه‌وكان شقيقها الاكبر يعيش فيه ومن اجل هذا اقبلت على ابيها تواسيه وتشعره بحنان ما كان أحوجه اليه ..

وتضاعف حب الملك شمس الدين لابنته رضية واعتمد عليها في كثير من أمور الدولة الهامة فكانت خير معوان له وخير من ساعده على التخلص من مشاكله ، الامر الذى كان يشعره بالبعد عن وريثه وولى عهده اللاهى العابث ركن الدين ...

وبدأت الأميرة رضية تحكم بالعدل والاحسان وتشيع الحب بين قلوب الشعب وتجمعه حول مليكه ، فوثقت بذلك روابط المودة بين الراعى ورعيته واذا بالناس جميعا يجمعون على حب‌رضية البارة الودود العاقلة ، في الوقت الذى ابغضوا فيه شقيقها ركن الدين وكرهوا ذلك‌اليوم البغيض الذى يصبح فيه ملكا عليهم يتصرف في اقدارهم ويسوس أمورهم ..

واخذ الحقد ياكل قلب ركن الدين الذى وجد في تقرب شقيقته من ابيها ثم في حب الشعب لها وتقديره اياها معبرا الى مؤامرة طموح ربما كانت الاميرة تهدف من ورائها الى تبديل نظام وراثة العرش في دلهى ، فتكون رضية هي ولية العهد ، وصاحبة السلطان ويكون هو لا شيء الى جانبها .

ووجد الامير ولي العهد ان كرامته تدفع به الى ان يثور على‌الوضع وان يرفع صوته عساه يستطيع ان يسترد مكانته فيعفو والده عنه ويقربه منه ويكل اليه مهام الأمور .

ولم يطل بالامير تفكيره اذ وجد ان اقرب طريق ليصل الى هدفه هو ان يفرض وجوده على ابيه وان يقرب نفسه منه وان يحضر مجلس قضائه واحكامه وان يكون امامه دائما ابدا ليعرف انه قد غير خطته ونهج منهاجا جديدا ولكن ...

ولكن هذا التغير المفاجيء من ناحية ركن الدين اثار شكوك ابيه وحرك فيه عوامل الريبة والحذر حتى لقد تصور ان الابن الحاقد قد صور له حرمانه ان يقدم على مغامرة جنونية ربما كان يرمى من ورائها الى التخلص من ابيه !! .

بصدمة حضارية مماثلة ـ وان تكن اوسع مدى واعمق آثارا ـ عندما نعود بالزمان القهقرى ، الى فترة الازدهار العظيم للغة والأدب والفكر ابان العصر العباسي .. لنرى المجتمع العربي يموج بشتى الاجناس ، ويمتليء بشتى الألسنة واللغات. واللغة العربية على ألسنة الخُلّص من العرب الفصحاء تواجه ـ من ناحية ـ طغيان العُجْمة وذيوع اللحن وفساد السليقة ، بينما يتسع اهابها ـ من ناحية أخرى ـ لمستحدثات ذلك العصر المزدهر من علوم وآداب وفلسفات وترجمات عن لغات العالم القديم : اليونانية والهندية والفارسية والسريانية ..

انها المشكلات نفسها التي واجهناها وواجهتها لغتنا مع مطالع عصر النهضة الحديثة .. وكما اكتشف أجدادنا القدماء انه لا بد من افق رحب ، وعقل صاف وفكر نيّر ، يُطوّع اللغة ، ويُوسّع من ردائها ، وينحت ويشتق من بنيتها الأولى ، كذلك نكتشف نحن اليوم ، ونحن نواجه المشكلتين الرئيسيتين في حياتنا الحديثة ، مشكلة ألفاظ الحضارة (أي ألفاظ الحياة العامة) ومشكلة مصطلحات العلوم الحديثة ، بين الترجمة والتعريب ، وتوحيد المصطلح ..

الجاحظ .. دائرة معارف عصره

ويتفجر العصر العباسي ، من خلال معارفه الزاخرة ، ونشاطه الحضاري الكبير، ترجمة وتعريبا وتأليفا ودفاعا عن العربية وهجوما عليها (فيما يسمى بالشعوبية) ، يتفجر هذا العصر عن الجاحظ ـ شيخ العربية، وأديبها الكبير ـ نموذجا فريدا للكاتب الحضاري ، الواسع الانتشار ، الغزير الانتاج ، الذي يصطنع لغة الاتصال بالجماهير كما ينبغي ان تكون .

كان الجاحظ دائرة معارف زمانه ، كتب وألف في كل شيء ، كتب عن الانسان والحيوان والطير والنبات والطبيعة والكيمياء والطب والفلسفة والدين والأخلاق والطباع والتربية والتعليم ، وكتب عن البخلاء وعن البيان والتبيين وعن اخلاق الملوك ، وألف عشرات الرسائل عن المغنين والنساء والقرآن والنبوة وصناعة الكلام والتجارة .. الى آخر هذه الآثار التي يبالغ البعض فيقول انها ثلاثمائة وستون مصنفا ، والتي تنطق بعبقرية هذا الكاتب الفذ ، الذي استحدث في النثر العربي لغة جديدة هي التي نسميها اليوم : لغة الاتصال بالجماهير ، لغة مرنة طيّعة ، تمزج بين الجد والهزل ، والسخرية والتظرف ، والايجاز والاستطراد ، والعامي والفصيح ، بين نوادر المولدين وكلام الثقات العارفين ، بين حكمة الهند وفلسفة اليونان وآداب الفرس وشعر العرب وكل ما عرفه الفكر الانساني في عصره من علوم وآداب ومعارف ، بين عقل العالم الحصيف وروح الفنان الخلاق المتمرد الجموح ..

لكل مقام مقال
ولكل صناعة شكل

ونتأمل هذه الكلمات النافذة ، التي يضع الجاحظ من خلالها دستور لغة الاتصال بالجماهير ـ وهو أستاذها المعلم ـ لمن في عصره ، ولمن سيجيء من بعده ، وكأنه يتحدث الينا نحن أبناء القرن العشرين .. فيقول : « ولكل صناعة ألفاظ قد حصلت لأهلها بعد امتحان سواها ، فلم تلزق بصناعتهم الا بعد ان كانت مشاكلا بينها وبين تلك المعاني .. وقبيح بالمتكلم ان يفتقر الى ألفاظ المتكلمين في خطبة او رسالة او في مخاطبة العوام والجار ، او في مخاطبة اهله وعبده وأمَتِه ، او في حديثه اذا حدّث او خَبَره اذا اخبر ، وكذلك من الخطأ ان يجلب ألفاظ الأعراب وألفاظ العوام ، وهو في صناعة الكلام داخل .. ولكل مقام مقال ، ولكل صناعة شكل (الحيوان جـ ٣ ص ٣٦٨) .

ثم يستطرد الجاحظ ، محددا خصائص لغة الاتصال بالجماهير ، كما نطالعها من خلال كتاباته وآثاره ، بعيدة عن الحوشية والتقعر والايغال في الفَلْفلة والصعوبة ، يقول الجاحظ : « فاختر من المعاني ما لم يكن مستورا باللفظ المتعقد ، مغرقا في الاكثار والتكلف ، فما اكثر من لا يحفل باستهلاك المعنى مع براعة اللفظ وغموضه على السامع ، بعد أن يتسق له القول ، وما زال المعنى محجوبا لم تكشف عنه العبارة ، فالمعنى بعد مقيم على استخفائه ، وصارت العبارة لغوًا وظرفًا خاليا » ..

هذه الدعوة الى لغة سهلة ميسرة واقعية ، تلائم مستويات التعبير ومقتضياته ، وتحقق النظرية

البلاغية المأثورة : « لكل مقام مقال » ، لغة تحفل بالاستطراد والتكرار تأكيدا لمعنى أو ابرازا لصورة مرسومة ، غنية بمصطلحات العصر ومفاهيمه ومواضعاته ، تخاطب السوقة والخاصة ، هي الدستور الأول للغة الاتصال بالجماهير التي اصطنعها الجاحظ ، ونفض بها عن الصدور لغة التراث الجامدة المحافظة ، لغة الدواوين والصنعة والتكلف ، وفتح بها ميادين جديدة للتعبير عن كل موضوعات العصر ومستحدثاته وأفكاره وهمومه ..

لقد كانت كتابات الجاحظ بمثابة الصحافة الواسعة الانتشار في ذلك العصر ، ولذا فقد كان طبيعيا أن يقوم هذا الأديب الكبير ـ وهو دائرة معارف عصره ـ باصطناع هذه اللغة الجماهيرية ، محدثا بها ثورة هائلة في تاريخ النثر العربي والكتابة العربية .

الجاحظ الصحفي .. صاحب اللوحات القلمية

عالج الجاحظ في كتاباته ورسائله موضوعات الحياة كلها ، وساعدت مقدرته الفنية على أن يتناول ـ في بساطة ويسر ـ قضايا الدين ومشكلات المنطق والفلسفة وقضايا الجدل والحوار ، بأسلوب سهل ممتنع ، يتوجه به الى الخاصة والعامة ، دون أن يفقد صفاته الفنية في أي مجال من مجالات القول . واستطاع ـ من خلال هذا التنوع الغزير في موضوعاته وهذه السهولة المنقطعة النظير في صياغته وتناوله وعرضه لهذه الموضوعات ، أن يكون بحق صحافة عصره ذيوعا وانتشارا بين الناس وتتبعا واهتماما منهم . وهو ـ في هذا المجال ـ يتفوق كثيرا على كل من سبقه من كتاب النثر العربي في عصوره الأولى ، والذين أتيح لهم أن ينهضوا بالنثر نهضات متتابعة ، لكنها تظل بالنسبة للجاحظ ـ محدودة الأثر والقيمة ، كابن المقفع وسهل بن هارون وعبد الحميد الكاتب ..

ونتيجة لهذه السهولة والغزارة ، فقد كانت المعاني لديه « مبسوطة » الى غير غاية ، وممتدة الى غير نهاية (البيان والتبيين ج ١ ص ٩١) ومن هنا أيضا ، كانت هذه الواقعية المباشرة في تناوله لعناصر موضوعاته ، وكان هذا التصوير الحسي ، يجسد من خلاله نموذجه البشري ـ الذي يتناوله في لوحاته القلمية ـ تجسيدا دقيقا مذهلا ، يتجاوز كل خيال ، ذلك أن دقته في واقعيته ، وجماله في بساطته وتفاصيله الجزئية الصغيرة .. وهو لون من أدب الصورة أو أدب اللوحة القلمية سبق اليه الجاحظ منذ قرون ، وافتن فيه وأبدع .. نطالع له مثالا فريدا في هذه الصورة القلمية التي رسمها لقاضي البصرة عبدالله بن سوار .. يقول الجاحظ :

« كان لنا بالبصرة قاض يقال له عبد الله بن سوار ، لم ير الناس حاكما قط ولا زميتا ولا ركينا ولا وقورا حليما ، ضبط من نفسه ، وملك من حركته ، مثل الذي ضبط وملك ، كان يصلي الغداة في منزله ، وهو قريب الدار من مسجده فيأتي مجلسه فيحتبي ولا يتكيء فلا يزال منتصبا ، لا يتحرك له عضو ، ولا يلتفت ولا يحل حبوته ، ولا يحول رجلا على رجل ، ولا يعتمد على أحد شقيه ، حتى كأنه بناء مبني أو صخرة منصوبة ، فلا يزال كذلك حتى يقوم الى صلاة العصر ، ثم يرجع لمجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة المغرب ، ثم ربما عاد الى محله ، بل كثيرا ما كان يكون ذلك اذا بقي عليه من قراءة العهود والشروط والوثائق ، ثم يصلي العشاء الأخيرة وينصرف . فالحق يقال : لم يقم في طول تلك المدة والولاية مرة واحدة الى الوضوء ، ولا احتاج اليه ، ولا شرب ماء ولا غيره من الشراب ، كذلك كان شأنه في طوال الأيام وفي قصارها ، وفي صيفها وفي شتائها ، وكان مع ذلك لا يحرك يده ، ولا يشير برأسه .. وليس الا أن يتكلم .. ثم يوجز ويبلغ بالكلام اليسير المعاني الكثيرة .. الخ (الحيوان ج ٣ ص ٣٤٣) .

هذه اللوحة القلمية البارعة تكشف عن قدرته الفائقة في الوصف والتصوير ، والتقاطه لدقائق الحركات والهيئات ، وتفننه في النفاذ الى قلب القاريء وعقله من بين ثنايا السطور .

كلام العامة ونوادر المولدين

ومن عناصر لغة الاتصال بالجماهير ، التي استحدثها الجاحظ وقعد لها القواعد والاصول ، نقله لكلام العامة ونوادر المولدين على ما هو عليه ، لا يعربه ولا يغيره عن أصله ، لأنه يرى أن الاعراب يفسد نوادر المولدين ، فهو يذكر كلاما ملحونا ـ أي غير متقيد بقواعد الاعراب ـ في حديث بينه

وبين ابى اسحاق النظام .. فيقول : « فلما جزنا حده ، وتخلصنا منه ، قال ابراهيم في كلام له كثير ، يعدد خصاله المذمومة فكان آخر كلامه ان قال : « ان كنت سبع فاذهب مع السباع » .

ويعلق الجاحظ على هذا بقوله : « ولا تنكروا قولي وحكايتي عنه بقول ملحون ، من قولى « ان كنت سبع » ولم أقل « ان كنت سبعا ، ثم يقول : « وانا اقول ان الاعراب يفسد نوادر المولدين ، كما ان اللحن يفسد كلام الأعراب ، لأن سامع ذلك الكلام انما اعجبته تلك الصورة ، وذلك المخرج ، وتلك اللغة وتلك العادة ، فاذا ادخلت على هذا الأمر ـ الذى انما اضحك بسخفه وبعض كلام العجمة التى فيه ـ حروف الاعراب والتحقيق والتثقيل ـ وحولته الى صورة الفاظ الأعراب الفصحاء واهل المروءة والنجابة ، انقلب المعنى مع انقلاب نظمه ، وتبدلت صورته (الحيوان ج ١ ص ٢٨٢) .

ويؤكد الجاحظ هذه الفكرة اكثر من مرة في سياق كتاباته وكأنه يرى فيها مذهبا لا بد من اتباعه ، في كل ما يتصل بكلام العامة او نوادر المولدين وأخبارهم واحاديثهم ، وقد يرى فيه أصحاب الدعوة الواقعية الحديثة ـ الذين ينادون بالتقيد بالعامية في كتابة الحوار الذى يرد على ألسنة الشخصيات القصصية والمسرحية التى تنتمى الى مجالات ومستويات شعبية ـ قد يرون في الجاحظ نصيرا متقدما لهم يشير الى أصالة دعوتهم وعراقتها ..

يقول الجاحظ : « ومتى سمعت ـ حفظك الله ـ بنادرة من كلام الأعراب فاياك وأن تحكيها الا مع اعرابها ومخارج الفاظها ، فانك ان غيرتها بأن تلحن في اعرابها واخرجتها مخرج كلام المولدين البلديين، خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير،وكذلك اذا سمعت بنادرة من نوادر العوام ، وملحة من ملح الحشوة والطغام ، فاياك وأن تستعمل فيها الاعراب او أن تتخير لها لفظا حسنا ، او تجعل لها من فيك مخرجا سريا ، فان ذلك يفسد الامتاع بها ، ويخرجها من صورتها ومن الذى أريدت له ، ويذهب استطابتهم اياها ، واستملاحهم لها .. (البيان والتبيين ج ٤ ص ١٥٩) .

ثم يؤكد الجاحظ نفس الفكرة في مناسبة اخرى فيقول : « وان وجدتم في هذا الكتاب لحنا او كلاما غير معرب ، ولفظا معدولا عن جهته ، فاعلموا انما تركت ذلك لأن الاعراب يبغض هذا الباب ويخرجه عن حده .. الا أن أحكي كلاما من كلام متفاقلي البخلاء،واشحاء العلماء كسهل بن هارون واشباهه .. (البخلاء ص ٢٣) .

خاتمة

وهكذا ، تتكامل من خلال هذه النصوص الصريحة للجاحظ ، صورة هذه اللغة التى نسميها اليوم لغة الاتصال بالجماهير ، كما استحدثها الجاحظ ، محدثا بها ثورة هائلة في تاريخ النثر العربى ، ثورة تركت ظلها على من عاصره او جاء بعده من الكتاب والادباء كابن قتيبة وابى حيان التوحيدى وابى المطهر الأزدى والمحسن التنوخى وغيرهم ، من الذين ترسموا خطاه ، وافادوا من مغامراته القلمية الواسعة في شتى الفنون والموضوعات والمجالات ، ومن لغته السهلة الممتنعة بعناصرها الرئيسية من واقعية مباشرة ، وفكاهة ، وخلط للجد بالهزل ، ومن دعابة وتهكم وسخرية ، وجدل وحوار ، ومن تكرار وتبسط واطناب واستطراد .. في تصوير الفكرة وتجسيد النموذج البشرى ، ومن اخضاع قضايا العلم والدين والفلسفة للاسلوب الادبى ، ومن ترخص وتجاوز في نقل كلام العامة والمولدين مجاراة لهم وتحررا من قواعد الاعراب وضوابطه.وتلك هى بيمات لغة الاتصال بالجماهير كما عرفناها نحن منذ مطالع القرن العشرين على اقلام الرواد من العلماء والادباء والكتاب .. والتى نجد لها نموذجا رائدا وفريدا يطالعنا من خلال عصر النهضة والانبعاث هو رفاعة رافع الطهطاوى، وامثال له كثيرون . ■■

فاروق شوشة

★ « العربى » : نظن أن الجاحظ لو عاش بيننا اليوم وقرأ ما يكتب في الصحف والمجلات وما يقال في الخطب والندوات لرضي كل الرضا عن لغة الجماهير التى وسمه الكاتب بأنه كان يهدف اليها.

الصَّيْدُ وَالبَيْزَرَة..

بقلم : عبد القادر حسن أمين

استاذ بكلية اللغات ـ جامعة بغداد

■ الصيد ، لعبة وحرب ، لعبة يفضل ممارستها الناس على اختلاف درجاتهم على سائر الرياضات المعروفة ، وحرب شنها الانسان القديم لتأمين الغذاء وحالة الاستمرار في الحياة على سطح هذا الكوكب ، وقد ادرك صلة الصيد بالحرب الكثير من ابناء الملوك والامراء والشيوخ ، فروضوا انفسهم على الطرد والقنص حتى لا تستكين جوارحهم الى الدعة وان استقامت لهم الدنيا ، فالدهر خؤون ، ولا يدري انسان متى تثور الثوائر ، وتتأجج نيران الوغى . قال بعض الشعراء :

وجدوا في الصيد منها شبهاً
فابتغوها في معاناة الطرد
لترى عادتهم جارية
لهم باقية لا تفتقد

هذا ، الى جانب ما يتاح للمرء من متعة ولهو لا اثم فيهما ولا يستطاع الظفر بهما في المجالات الاخرى .

الصيد عند ملوك آشور

ويبدو ان ملوك اشور كانوا اول من سن الزينة في احتفالات الصيد الباذخة ، فكانوا يحشدون لها الكثير من الجهود ويخصصون العديد من الناس ، ويخرجون الى البرية في مناسبات الاعياد استجابة لاوامر الاله « نابو » اذ يعتقدون انه يخرج الى الصحراء في عيده السنوي يصطاد الثيران الوحشية ، وعلى الملك باعتباره الوكيل في الارض او رئيس الصيادين ان يحيي هذا التقليد الالهي ، وان يكون على راس جماعات الصيد الملكية .

ذكر الجاحظ ، ان ملوك فارس كانت لهجة بالصيد ، وكان الملك منهم اذا اخذ حماراً اخدرياً او غير ذلك ، فاذا وجده فتياً وسمه باسمه ، وارخ في وسمه يوم صيده ، وخلى سبيله ، فاذا ما اقتنصه الملك من بعده ، سار فيه مثل تلك السيرة وخلى سبيله ، فعرف اخرهم صنيع اولهم واطلعوا على تقارير اعمارهم في الوقت نفسه .

واول اشارة وردت في كتب التاريخ عن اهتمام الخلفاء والامراء بالصيد كانت عن يزيد بن معاوية ، فقد ذكر المسعودي انه كان صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب . وزاد الفخري ـ على ذلك : انه اتخذه للهو لا للرياضة وكان يلبس كلابه الاساور من الذهب والاجلة المنسوجة بالذهب ، ويهب لكل كلب عبداً يخدمه ، ولم تكن متعة ، عند الخلفاء الامويين تعادل متعة الصيد ، غير ان الوليد بن يزيد كان اذا خرج الى الصيد وصادت كلابه غزالاً نظر اليه متأملاً عينيه الحوراوين وجيده الاجيد فتذكر سلمى حبيبة القلب فيامر باطلاقه ويقول :

ولقد صدنا غزالاً سانحاً
قد اردنا ذبحه لما سنح
فاذا شبهك ما ننكره
حين ارجى طرفه ثم لمح
فتركناه ولولا حبكم
فاعلمي ذاك لقد كان الذبح

عند العرب
ومن جاء قبلهم ومن جاء بعدهم

انت ياظبي طليق آمن
فاغد في الغزلان مسروراً ورح

ويستخلص من اخبار الخلفاء العباسيين : انه لم يكن يانف احد من امتهان الصيد ، وان اختلفت درجة الادمان عليه بين خليفة واخر ، فقد ذُكر ان ابا العباس كان شديد اللهج بالصيد ناشئاً ومكتهلاً .

ويبدو انّ ابا جعفر المنصور لم يكن يجد فسحة من الوقت يصرفها في الطرد والقنص ، ولكنه كان يدرك بثاقب بصره انه سياتي من ابنائه من يحب الصيد ويتبذل فيه ، لهذا ركب يوماً على فرسه ، ووضع على يده بازياً وعبر الجسر ثم عاد فعبر الآخر راجعاً ، ذلك ليراه الناس على هذه الحال ، فمتى فعل فاعل من ابنائه مثل ذلك قال الناس : لقد سبق المنصور الى ذلك ، وكان حدسه صواباً ، فقد احب المهدي الصيد ، وكذلك الرشيد ، وكان ابنه صالح يحب صيد الخنازير ، وابنه الامين يهوى صيد السباع ، ويصطادها له جماعة يعرفون باصحاب اللبابيد .

وذُكر للرشيد يوماً انّ الفضل بن يحيى البرمكي يتشاغل بالصيد ويدمن على اللذات ، ويهمل امور الرعية ، فاشتكاه الى ابيه يحيى فمنعه فامتنع .

وكان المعتصم بالله اكثرهم مخالفة للصيد واخفهم فيه ركاباً لتوفر همته على الفروسية ، وقلده في ذلك المعتضد فكان لا ينفك بين حرب وصيد ، وقد تكلف في بناء قصر عظيم سماه (الثريا) واختار له موقعاً ملائماً بحيث يجلس على سريره يعرض عليه وزيره امور الدولة ويرى في الوقت نفسه من يصطاد له صيد البر والبحر .

وعرف عن المكتفي شدة ولعه باستخدام الفهد والعقاب بالصيد ويباشره بنفسه ، اما المستعصم بالله فقد وردت عنه اخبار صيود كثيرة ، اذ كان يخرج في ابهة كبيرة تتقدمه السرادقات والخيم والدواب والمرافقون ، وقد نزل مرة في واسط «متصيداً» ، فعاد يحمل مائة وخمسين بغلاً ، فثقلت على ارباب الدولة والحاشية .

الصيد في امراء الأطراف

ولم يكن امراء الأطراف اقلّ ولعاً بالصيد من الخلفاء العباسيين، بل ربما تانقوا زيادة ، واسرفوا في البذل – ليكون ذلك اوقع في نفوس الناس واشدّ ارهاباً وابعد هيبة ، فقد كان خمارويه يتقلد في يوم الصيد سيفاً بحمائل ، ويخرج الى مواضع لم يكن ابوه يخرج اليها كالأهرام ومدينة العقاب ، ويصحبه رجال عليهم لبود ، فيدخلون الى الاسد ويتناولونه من غابته عنوة وهو سليم ، فيضعونه في اقفاص من خشب محكمة الصنعة ، تسع الواحد من السباع وهو قائم ، فاذا انتهى الصيد قدم خمارويه والاسد في القفص بين يديه .

اما الفاطميون في مصر فكانوا يخرجون في مواكب عظيمة كمواكب الأعياد في المناسبات المهمة ، وروى عن الآمر باحكام الله انه قد حضر الى احد الاديرة في مواكبه وعساكره يتصيد ، فانشأ منظرة عالية ، وعمل قبة طالعة الى فوق من الجانب البحري ، وبات في الدير ليلتين متفرقتين ، وصار في كل يوم يتردد للصيد ، ويضيفه الرهبان ، فجعل لهم في كل مرة يطرق فيها الدير الف درهم ، فحصل لهم من ذلك خمسة وعشرون الف درهم ورقا صحاحا .

ويستخلص من كتاب الاعتبار لاسامة بن منقذ ولع الأمراء الشديد في الصيد وكثيراً ما يردد مثل هذه العبارة : فمن ذلك ما حضرته بشيزر في صدر العمر ، ومن ذلك ما حضرته مع ملك الأمراء اتابك زنكي بن اق سنقر رحمه الله ، ومن ذلك ما حضرته بدمشق مع شهاب الدين محمود بن تاج الملوك ، ومن ذلك ما حضرته بمصر ، ومن ذلك ما حضرته مع الملك العادل نور الدين بن المظفر محمود بن اتابك زنكي ، ومن ذلك ما حضرته مع الامير فخري الدين قرا ارسلان ابن داود ، ثم يذكر والده وشغف الصيد اياه ، فقد كان على حد قوله لهجاً به وبجميع الجوارح ، فقد كان ذلك

نزهته ، ليس من شغل سوى الحرب وجهاد الافرنج ، ونسخ كتاب اللهوالخروج الى الصيد . ثم يسهب في وصف مواكب الصيد آنذاك .

واهتم السلاطين

وازداد اهتمام السلاطين في عهد المماليك فجعلوا للصيد والبيزرة أميراً سموه امير آخور ، وهو من اجل الأمراء في ذلك الوقت وكان تحت امرته (امير شكار) وهو في مرتبة امير عشرة وحارس الطير ، وكثيراً ما كان السلطان يزور مطعم الطير فيانس باطعام الجوارح من الطيور والصقور والفهود امامه ، وكان خروجهم الى الصيد باعداد كبيرة ليستطاع تكوين حلقة حول الحيوانات من البشر ، وان كان من سبقوهم قد بنوا حيطاناً واسعة طويلة تحاصر فيها الحيوانات ويجرى صيدها في هذه الحلقة ، من امثال الخليفة العباسي المعتصم ، والسلطان ابي عبد الله المستنصر فقد ذكر ابن خلدون ـ ان اول المصانع الملوكية التي اختطها كان الصيد في ناحية بنزرت ، اتخذه للصيد بان ادار سياجاً على بسيط من الارض قد خرج نطاقه عن التحديد ، بحيث لا يراع فيه سرب الوحش ، فاذا ركب للصيد تخطى ذلك السياج في ثمة من مواليه المتخصصين واصحاب بيزرته ، بما معهم من الجوارح بزاة وصقوراً او كلاباً سلوقية وفهوداً ، فيرسلونها على الوحش وقد وثقوا باعتراض البناء لها من امام فيقضي وطراً من ذلك سائر يومه .

وكان من تقاليد امراء الفرس بعد القرن الخامس الهجرى أن يحتفلوا بالربيع بدعوة الكثير الى مكان (الداغ كاه) فيحضر الشعراء والوجهاء واصناف عديدة من المملكة ويتلقون هدايا الأمير من الخيل الموسومة في ذلك المكان ، ومن ثم ينطلقون بها لصيد الماعز البرى في الجبال .

البيزرة

وطبيعي ، بعد ذلك ان يرتفع شان البيزرة وتتطور دراساتها وتعلو مراتب المتخصصين بها ما دام ذوو السلطان على هذه الحال من الانصراف الى الصيد وممارسته الكثيرة وتفضيله على سائر الرياضات المعروفة لديهم ، فحدائق الحيوان الخاصة ومطاعم الجوارح المختلفة حتمت دراسة طبائعها في الصحة والمرض ، ومعرفة الملائم الدالة على قوتها في الصيد ، وضعفها فيه .

وقصد بالبيزرة أولا حياة الباز وتربيته ، والانتفاع به ثم تصرفوا بها واطلقوها على علم حياة الجوارح عامة .

وقد خصصوا لها في موازناتهم المبالغ الطائلة اذ ذكر ان نفقات ارزاق الكلابزيين والبازدارية والفهادين في عهد المتوكل قد بلغت نصف مليون درهم في السنة الواحدة ، كما كان الواصل ـ في عهد الفاطميين لأرزاق البيازرة وطعام جوارحهم خمسين الف دينار في كل سنة ، وبلغ من سيطرة الأمر على اذهانهم انهم كانوا لا يختارون كاتباً ان لم يكن يحسن تحبير رسائل الصيد ، واهداء الجوارح ، والجواب عن اهدائها ، وكتابة قِدَم البندق (رسائله) ، ما يجرى مجرى ذلك .

وذكر عن الخليفة المتوكل انه كان ينادم بازياراً اسمه محمد بن عمر ويقدمه على خاصته وسائر ندمائه ، وكانت هذه الصفة كافية مقنعة لتجعل الرجل اهلاً لمنصب الوزارة ، كما فعل العزيز بالله الفاطمي في استيزار ابي عبد الله الحسن بن الحسين ، مؤلف كتاب البيزرة ، وقد قيل ان اصحاب هذه الصنعة أقدر من غيرهم على اكتساب محبة الأمراء والحكام لما تعلموه من الصبر والحكم وحسن النية في ترويض الجوارح وتدريبها . لذا كانت هواية سيطرت على قلوب الكثير من الأمراء سواء اكان ذلك في الشرق ام في الغرب ، واختطت لهم في حواضر الدول خطط خاصة بهم . فقد ذكر المقريزى انَّ حارة البيازرة كانت خارج باب القنطرة على شاطىء الخليج ، ولكن الزحام فيها ازداد حتى اضطر معه ان تقام له حارة اخرى بظاهر القاهرة ليتوفر لهم المكان الفسيح والماء لحاجة الطيور والوحوش اليه . هذا الى جانب حارة البندقانيين صانعي قسي البندق وبهذه المناسبة يمتدح قسي مدينة الفسطاط ويخصها بالتفضيل على قسي القاهرة ، ويعتبر القسي المصنوعة في دمشق افضل من الاثنين اذ انها يضرب بها المثل ، واليها النهاية .

وعندما يزداد عدد البيازرة ويستفحل امرهم يغدون خطراً على الأمن والاستقرار فيضطر السلطان الى الحد من شرورهم ، فقد أصدر غازان خان خاقان المغول في ايران نظاما ، لما رأى من شقاوة البيازرة وظلمهم ، قطع بموجبه ارزاقهم ، وفرض عليهم ان يرسلوا من الولايات الايرانية الى

الحكومة الف باز مهذب ، وثلاثمائة فهد ، ودهش كثيرا السيّاح البندقي ماركو بولو Morco Polo من كثرة البيازرة فقد رأى منهم عشرة آلاف ، حين زيارته الخاقان قوبلاي خان .

المؤلفون كثيرون

اما التاليف في هذا الحقل فهو كثير حسبما تشير كتب الفهارس كابن النديم والحاجي خليفة ، فقد جاء ان اقدم من الف في هذا الموضوع هو اللغوي المشهور ابو عبيدة معمر بن المثنى وله كتابان : الباز ، والحمام ، وذكر للاصمعي كتاب الوحوش ، ولأبي حاتم السجستاني كتاب في الوحوش وآخر في الطير وثالث في الحشرات ، ورابع في القسي والنبال والسهام والسيوف والرماح .

ويورد ابن النديم عدداً غير قليل من الكتب تتعلق كلها بعلاج الحيوانات والجوارح ينسب اكثرها الىمجهولين ولا يمكن ان يخرجمنها الباحث بنتيجة ذات جدوى ، ولا ريب ان كتاب الحيوان للجاحظ خير ما انحدر الينا في هذا المجال ، ويليه في الأهمية المصايد والمطارد لكشاجم ، والبيزرة لأبي عبد الله الحسن بن الحسين ، وكتابالدميري (كمال الدين محمد بن موسى) حياة الحيوان الكبرى وفي هامشه عجائب المخوقات وغرائب الموجوداتللقزويني (زكريا بنمحمد بنمحمود) . وهنالك فصول كثيرة تتعلق بالبيزرة ضمتها كتب مطبوعة نحو نهاية الأرب للنويري (الجزء العاشر) وضمت دور المخطوطات في باريس وبرلين واستانبول عدداً غير قليل من الآثار التي تبحث في البزدرة واحوال الجوارح منها الكتاب الموسوم (بالجوارح وعلم البزدرة) لأبي حسن بكر بن حسن القاسمي العلوي ومباهج السرور والرشاد لمحمد بن منقلي والمخطوطتان في المكتبة الوطنية في باريس ، ونجد السير والطير ، والفريد في تقييد الشريد ، والبزدرة في تربية سباع الطير في برلين « توبنكى » وفي استانبول ايا صوفيا (الزند الوارى في احوال الجوارح والضوارى) ، وكتاب البازى لبدر الدين بكتوت ابن عبد الله الخزندار الرّماح الظاهرى الأشرفي المتوفي سنة ٦٩٤ هـ ، أمّا القانون الواضح ، فقد جاء ذكره في كتاب (ارشاد القاصد الى اسنى المقاصد) منه نسخة في الخزانة التيمورية بالقاهرة ، والظاهر ان هذه النسخة لشرف الدين علي بن سعيد البغدادى المتوفي سنة ٦٦٧ هـ .

المؤلفون في الغرب

وفي الغرب ، ذكر ان اول كتاب في تربية البزاة والكلاب كان من تاليف يوناني في العصر التاسع ، حين كان المسلمون في حروب مستمرة مع اهل بيزنطيا . ويبدو ان كتاب ابن سينا (في علوم الطبيعة) كان له أعمق الأثر في اوربا ، وقد ترجمه ميخائيل سكوت في عهد الامبراطور فريدريك الثاني ، وقام آخر بترجمة رسالة في البيزرة لولد الامبراطور المذكور وقد دفع شغف الامبراطور الألماني الى ان يؤلف كتابا سماه (صنعة الصيد بواسطة الجوارح) سنة ١٢٥٠ ، وهو من اكثر ملوك اوربا تماسا بالعرب الذين سبق أن حكموا الجزيرة زمناً طويلاً ، والكتاب حصيلة الأثر العربي الطويل .

وقد قام امير انسباخ الولع بالبيزرة بنقل الكتاب عن اللغة القديمة سنة ١٧٥٦ ، ولم ينحصر تسرب التأثيرات عن الجزيرة ، فقد كانت العلاقات القديمة منذ عهد شارلمان معاصر هرون الرشيد قد تركت طابعاً راسخاً في اوربا ، لذا نجد شارلمان يحمي البيزرة بقانون ، وبعثت الملكة برتا من التوسكانا (٨٦٠ — ٩٢٥) الى الخليفة المكتفي تحفاً نادرة كان من بينها عشرة كلاب كبار لا تطيقها السباع ، وسبعة بزاة ، وسبعة صقور ، وخلقت الحروب الصليبية فرصاً عظيمة لتبادل التاثيرات المختلفة فقد عرف عن فريدريك باربروسا سنة (١١٩٠) حبه للبيزرة والبزاة .

ومنالغريب ان تجد «رئيسة دير» وقتا تؤلف فيه كتابا عن البيزرة ، كما ان الكتاب الثاني بعد كتاب فريدريك في اوربا المسمى La Chasso Don Serf ينسب تاليفه الى القديس لويس .

ويلوح ان تاريخ القرون الوسطى سواء اكانذلك في الشرق أم في الغرب لا يتعدى مظاهر الصيد والحرب وما يتصل بهما من قريب او بعيد .

اما في عصرنا هذا ، فقد اخترع البارود كوباء فتاك سوف يبيد الحيوانات والطيور من على وجه البسيطة أن لم يتدارك العقلاء الأمر قبل فوات الفرصة . ■■

عبد القادر حسن أمين

الدَّرْسُ الأَخِير

قصة بقلم : الفونس دوديه

■ توجهتُ ، في ذلك الصباح ، الى المدرسة متأخرا . وكنت شديد الخوف من أن أتلقى تقريعا من « مسيو هاميل » ، لا سيما وانه كان قد أعلمنا بانه سيسألنا في « أسماء الفاعل والمفعول » ، التي لا أعرف كلمة منها . وراودتني ، خلال لحظة ، فكرةُ ان أتخلف عن الدرس ، وأسرح في جولة عبر الحقول .

كان الجو دافئا ومشرقا جدا ! .

وكانت تترامى الى الأسماع شقشقة الشحارير من بطن الغابة ، في حين كان الجند البروسيون يقومون بتمارينهم في مرج « ربير » خلف المِنشرة. سمعت ما سمعت ، ورأيت ما رأيت، واذا بأقدامي تعود بي صوب المدرسة .

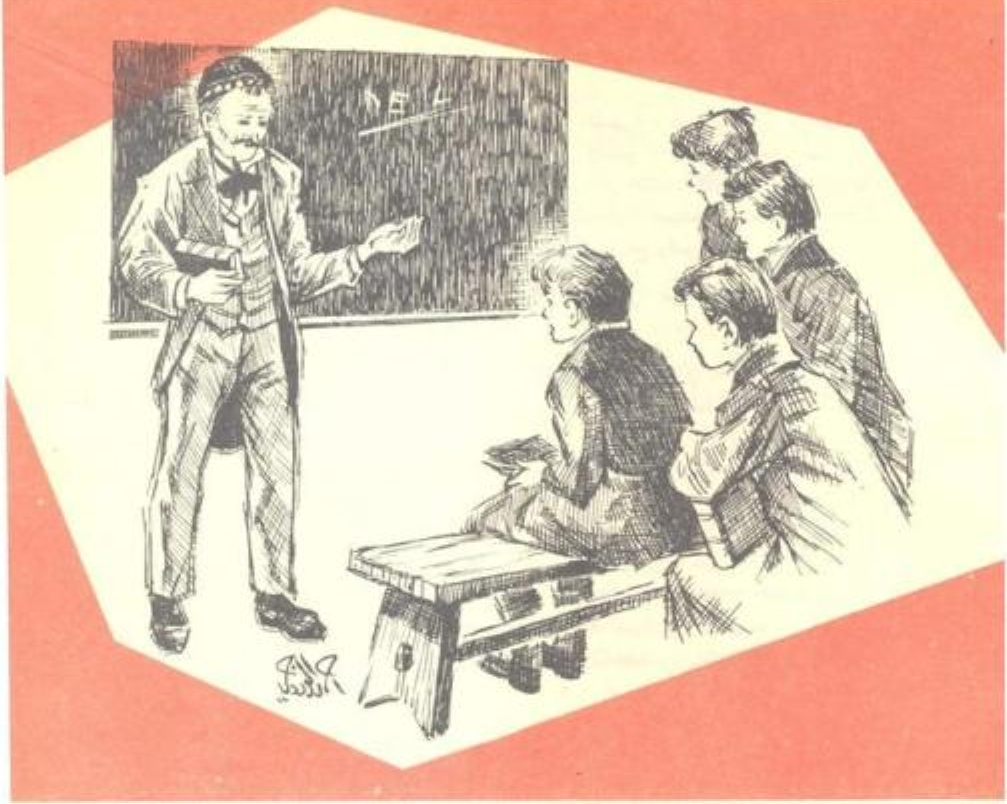
وفي مروري بدار « البلدية » ، رأيت هناك حشدا من الناس على مقربة من لوحة الاعلانات الصغيرة . انتا ، منذ عامين ، والأنباء السيئة تتوالى علينا من هذه اللوحة : المعارك الخاسرة ، والمصادرات ، واوامر الحاكم ... وتابعت ، وانا افكر : « وماذا يمكن أن يكون هناك ، بعد ؟ » .

وفيما انا أجتاز الساحة مهرولا ، صاح بي الحداد « وَشْتَر » ، الذى كان هنالك مع صاحبة له يهمان بقراءة الاعلان :

ـ لا تسرع كثيرا ، يا ولد ، فستصل مدرستك بينتر على الدوام ! وخِلْتُه يهزأ بي . ودلفت مبهور الأنفاس ، الى الفناء الصغير في مبنى « مسيو هاميل » .

ولقد كانت تنبعث ، في العادة ، ضجّةٌ ، في مستهلِّ كل درس،يبلغ صخبُها أسماعَ الشارع : فالدروج تفتح وتغلق ، ودروس اليوم السابق نرددها بصوت عال وقد جعلنا أصابعنا في آذاننا قصد أن نفهمها على نحو أفضل ... وعصا المعلم العتيدة تقرع المقعد في ضربات متوالية ، « قليلا من السكوت ! » .

وهكذا فقد قدّرت أني سأنتهز هذه الفرصة ، فأنسلّل الى مقعدى دون أن تلمحني عين . ولكن كل شيء كان ، في ذلك اليوم ، على وجه التحديد ،



هادئا ساكنا ، كما لو اننا في صبيحة يوم احد ! فقد بَصُرْتُ برفاقي ، من خلايا النافذة المُشْرَعة ، وقد انتظموا في اماكنهم هادئين رصينين ، « ومسيو هاميل » يروح ويجيء ، وعصاه الحديدية المخيفة تحت ذراعه . وتعيَّن عليَّ ان افتح الباب ، وادخل وسط هذا الهدوء الشامل . ولكم ان تتصوروا كم كنت خجلا ، نعم ، وكم كنت خائفا !

الا ان شيئا لم يحدث لي . بل ان « مسيو هاميل » رنا اليَّ في غير غضب ، واهاب بصوت خافت :

ــ هيَّا الى مكانك، يا صغيري « فرَنْتز » . كنَّا على وشك ان نبدأ وانت غائب !

اجتزت المقعد ، لأجلس في الحال وراء درجي . وهنا أخذت أتملك روعي . لاحظت أن معلمنا يرتدي ، الآن ، « رِدِنْغُوتَه » الأخضر الجميل ، وصُدْرَتَه ذات الثنيات الدقيقة ، والطاقيَّة الحريرية السوداء المطرَّزة ، تلك الملابس التي لم يكن ليرتديها الا ايام يقوم بالتفتيش أو بتوزيع الجوائز . وعدا ذلك فقد كان يَرين على الصف جوٌّ غير مألوف ، كأنما احتفال قائم او أوشك ان يقوم .

على ان ما أفْعَمَ صدري دهشة ان تقع عيني ، في اقصى القاعة ، على رجال من اهل الضيعة قد جلسوا ، في تلك المقاعد التي تظلُّ في العادة خالية ، صامتين مثلنا ، وقد بدا عليهم الحزن : الشيخ «هَتْشير » بقبَّعته مثلثة القرون ، والمختار وساعي البريد السابقان ، وآخرون غيرهم ... فاما « هنسير » فقد أتى بكتاب « الهجاء » قديم متآكل الاطراف ، وامسك به فوق ركبتيه مفتوحا على آخره ، وقد القى نظارته الغليظة على عرض صفحاته !

وفي غمرة اندهاشي من ذلك كله ، كان « مسيو هاميل » قد صعد الى منبره . وانه ليقول لنا بالصوت الهادىء الرزين الذى استقبلني به :

ان هذه ، يا أولادى ، هي المرة الأخيرة التى

القي عليكم فيها درسا . لقد وصل من « برلين » امر بالا تدرّس ، بعد اليوم ، في مدارس « الالزاس » و « اللورين » ، الا اللغة الالمانية . المعلم الجديد يصل غدا . وان درسكم اليوم في اللغة الفرنسية هو الدرس الاخير . ارجو ان تصغوا الي جيدا .

لقد صعقتني هذه الكلمات على قلتها ، آه ! يا لهم من انذال ! فذلك هو ما كانوا اعلنوه في باب « البلدية » ؟!

درسي الاخير في الفرنسية ! !

وانا الذى اعرف ، بالجهد ، الكتابة ! لن يتاح لي ، اذن ، ان اتعلم ، بعد اليوم ، ابدا ، عليّ ان اتوقف عند هذا الحدّ الذى وصلت اليه ! ... كم احسّ ، الآن ، اسفا على زمن بدّدت ، ودرس فوّت ، جريا وراء اعشاش الطيور ، او التزلج على سفح « السّار » ! وكتبي ، تلك التي كنت اجدها حتى ما قبل هنيهة ، مضجرة للغاية ، ثقيلة الحمل جدا ، كتاب القواعد ، كتاب التاريخ المقدّس ... لقد بدت لي ، الآن ، اصدقاء قدامى يعزّ عليّ ان افارقهم ، شانهم معي شان « مسيو هاميل » : فان مجرد تفكيري بنيّته في مغادرتنا ، وانني ساحرم من رؤيته بعد اليوم ، جعلني انسى ضربات عصاه وكل ما سبق اليّ منه من عقاب !

يا لطيبته !

فهو اذ اقبل مرتديا ملابس الاحد الانيقة ، فانما ذلك احتفاء منه بهذا الدرس الاخير ! والآن ادركت لم اقبل المسنّون من اهل الضيعة فجلسوا في اقصى القاعة . لكانهم يعبّرون عن بالغ اسفهم لانهم لم يتردّدوا ، من قبل ، على المدرسة كثيرا ! وما حضورهم اليوم الا مظهر من مظاهر تقديم الشكر لمعلمنا على خدمته المخلصة التى امتدّت اربعين من الاعوام ، فهم بذلك يؤدّون واجبا لمسقط راسهم الذى سينسلخ عن جسم وطنهم الام الى الابد .

كنت قد بلغت هذا القدر من تاملاتي ، لحظة تودي عليّ . هذا دوري في استظهار الدرس امامهم . واي غال كان يمكن ان اضنّ به في سبيل ان تواتيني المقدرة على ان اتلو ، عن ظهر قلب ، تلك القاعدة الشهيرة « لاسماء الفاعل والمفعول » ، بصوت جهير واضح ، ودون ان اتعثر بخطا ما ! ولكني ارتبكت من الكلمات الاولى ، ولبثت واقفا ، اترنح في مقعدي ، منسحق القلب ، لا املك الجراة على ان ارفع راسي .

وههنا ترامى اليّ صوت « مسيو هاميل » ، يخاطبني :

ـ لن أؤنّبك ، ياصغيري « فرنتز » . حسبك ما نلت من جزاء ... حقيقة الامر ان كلا منكم كان يحدّث نفسه كل يوم فيقول : « هيه ! لديّ متسع من الوقت ، لسوف أتعلم غدا » ! وهاأنتذا ترى ما آل اليه حالنا . آه ! ان من عظم خطب « الزاسنا » أننا كنا نؤجل ، كل يوم ، تعليم أنفسنا الى الغد التالي . حتى لقد حقّ ، الآن ، لاولئك الدخلاء ، المرابطين في الخارج ، أن يتشدّقوا : « عجبا ! تزعمون انكم فرنسيّو النّجار ، ولا تحسنون الكتابة أو التخاطب بلغتكم ! » . على انك ، يا فرنتز المسكين ، لست ، في هذا ، أعظمنا ذنبا . ان على كل منا ان يتوجه بجانب من الملامة الى نفسه . فأهلوكم لم يظهروا ما يكفي من الحرص على أن يروكم متعلمين . فكم آثروا أن يدفعوا بكم الى العمل في الارض ، أو في المغازل ، ابتغاء الحصول على مزيد من دُرَيْهمات لا غناء فيها ! وانا نفسي ألست حقيقا بأن أؤاخذ نفسي ، فكم من مرة عهدت اليكم بسقاية حديقتي ، ملتهيكم بذلك عن دراستكم ! ويوم كان يتراءى لي أن أذهب الى النهر لاصطياد السمك ، هل كنت أحسّ حرجا من ان امنحكم اجازة ؟! » .

ولقد استطرد « مسيو هاميل » ، فطفق يحدثنا عن اللغة الفرنسية ، مبيّنا لنا انها اجمل اللغات في العالم ، واكثرها وضوحا ورسوخا ، وان علينا ان نحافظ عليها ، منذ اليوم ، في ما بيننا ، والا ننساها ابدا ، فعندما يسقط شعب في نير الاستعباد ، فانه اذا ما استمسك بلغته القومية فقد أشبه السجين الذى امتلك مفتاح سجنه بيمينه ! ... ثم تناول كتاب القواعد فقرا علينا درسنا . ولقد دهشت وانا اجد نفسي افهم فهما طيّبا ، فقد كان يبدو لي شرحه كله سهلا بالغ السهولة ! واحسب انى لم اصغ في حياتي

اصغائي ذلك اليوم . واحسب ، كذلك ، انه هو نفسه لم يبذل قط في شرحه مثل هذا القدْر من الصبر ، حتى ليجوز الظنّ بان هذا الرجل الطيب كان يطمح الى ان يغتدق علينا ، قبل ان يرحل ، كل ما يملك من معرفة ، وان يحشو بها رؤوسنا دفعة واحدة !

وما ان انتهى الدرس ، حتى انتقلنا الى الكتابة . كان « مسيو هاميل » قد حضّر لنا ، في ذلك اليوم ، نماذج جديدة جدا ، قد سطّر عليها بخطّ مستدير جميل : فرنسا ، الزاس ، فرنسا ، الزاس ... فغدت وكأنها رايات صغيرة معلقة في قضبان دروجنا تخفق في ارجاء القاعة . وليت احدا يرقبنا كيف اكبّ كل منّا على عمله بجدّ ملحوظ ، وسط صمت قد خيم على القاعة . لم يكن يسمع الا صرير الاقلام على الورق . وحدث ان تسرّبت الى القاعة بعض الخنافس ، ولكن لم يُعرْها احدٌ التفاتا ، حتى الصغار منّا ، الذين كانوا يتابعون ، بكل جوارحهم وملء وجدانهم ، الكتابة بخطوطهم « الملتوية » ، كما لو ان ذلك هو ايضا شأن « فرنسيّ » ذو اهمية . وفوق سطح المدرسة ، كانت ثمة حمائم تهدل بصوت خفيض ... فحدثت نفسي وانا اصغي اليها : « ترى ، الن يرغموها ، هي ايضا ، على ان تهدل بالالمانية ؟ » .

وكنت ، اذا ما رفعت ناظري عن ورقتي ، بين الفينة والفينة ، ابْصِر « مسيو هاميل » جامدا في كرسيّه ، مُمعِنا النظر في كل ما يحيط به ، فكأنه يريد ان يضمّ في نظرته مدرسته الصغيرة كلها . تصوّروا ! لقد امضى هنا اربعين سنة ، متخذا مجلسه في هذا المكان عينه ، والفناء امامه ، والصف هو هو لم يتغيّر فيه شيء ، غير المقاعد والدروج التي غدت الآن صقيلة ومتحاتّة من طول الاستعمال ... واما شجرات الجوز فقد ترعرت . واللبلابة ، التي غرسها يوما بيديه ، تتوّج الآن بازهارها النوافذ مصعّدة حتى السطح ... يا لها من غصّة يحسّ بها هذا البائس اذ يغادر ذلك كله ، واذ يسمع الآن وقع خطوات شقيقته وهي تغدو وتروح في الغرفة فوق ، ماضية في حزم حقائب السفر . فان من المتعيّن ان يسافروا في اليوم التالي ، مرتحلين من مسقط راسهما الى الابد . ومن عَجَبٍ ان يملك ، على الرغم من ذلك ، قدْرا من الشجاعة يؤهّله لان يمضي في شرحه دروس النهار حتى آخرها . فبعد درس الخط ، استمعنا الى درس التاريخ . ثم غنّى الصغار : با بو بي بو با ..... وهناك ، في اقصى القاعة ، كان الشيخ « هَتْشير » قد وضع نظارته على انفه يتهجّى بها الحروف معنا ، وقد امسك بكتاب « الالفباء » بكلتا يديه . كان من الميسور ان يُرى هو ايضا ، وقد جدّ في صنيعه ، فصوته مرتجف من فرط الانفعال . لقد كان سماعنا له امرا طريفا حقا ، حتى ليحملنا على أن نضحك وان نبكي في آن ! آه ، لسوف يظلّ ذلك الدرس الاخير في ذاكرتي ....

ودقّت ، فجأة ، ساعة الكنيسة الثانية عشرة . وتلاها ناقوس صلاة التبشير . ودوّت ، في تلك اللحظة ، تحت نوافذ المدرسة ، ابواق الجنود البروسيين وقد عادوا لتوهم من التدريب .

نهض « مسيو هاميل » ، من فوق منبره ، شاحب الوجه جدا ، ولم يَبْدُ لي ، قط ، اروع منه الآن !

فتح فمه يقول :

ـ اصدقائي ، اصدقائي ... انا ... انا ...

ثم اختنق صوته ، فلم يَقْوَ على ان يتمّ عبارته . فاستدار نحو السبّورة ، وتناول قطعة طباشير ، ليكتب ، مستعينا بكل عزمه ، وعلى اكبر مساحة طالتها يده :

« تحيا فرنسا » .

ثم لبث حيث هو ، مسندا راسه الى الحائط . ودون ان يتكلم ، اومأ لنا بيده ايماءة ان :

« انتهى ... انصرفوا » . ■■

ترجمة : فاضل السباعي

العربي

عدد ممتاز

هدية - جسم الإنسان

العدد ١٥٨ ذو القعدة ١٣٩١ - يناير (كانون الثاني) ١٩٧٢



مسيرة الرسول: بين مكة والمدينة

٢٤٤ صفحة - الثمن كالمعتاد



● هذا هو ابن رشد Averroes ، كما تصوره رفائيل في لوحته الشهيرة : « مدرسة أثينا » . انه الرجل الوحيد الذى يلبس عمامة بيضاء في اللوحة كلها ، ونحن لا نرى من هذه اللوحة هنا الا ربعها تقريبا . ولعل من الصعب جدا أن يخطىء المرء في التعرف الى ابن رشد ، بسبب هذه العمامة .

عزيزي القارئ

احداث ثلاثة فى اسبوع واحد

(١) غزت الهند باكستان ، واجتمع مجلس الأمن وقرر وقف الحرب بين الدولتين ، ونقضت روسيا هذا القرار . وكان في هذا الكفاية. ولكن الهند زادت فقالت حكومتها انها لا تقيم لقرار مجلس الأمن هذا وزنا لو انه صدر عنه .

(٢) وابطلت انجلترا مفعول المعاهدة التي بينها وبين امارات الخليج ، قبل انشاء اتحاد الامارات العربية بيوم ، وذلك من جانب واحد ، لكي تمهد لايران احتلال الجزر العربية الثلاث في الخليج . ونوقش الأمر في مجلس الأمن ، فكان ان قال مندوب ايران ان هذا الغزو لا ينذر بقيام حرب ، يعني ان عرب الخليج اضعف من ان يثيروا مشكلة ، واذن فما تدخل مجلس الأمن لحفظ السلام ؟

(٣) عرض مشروع الدول الافريقية لحل مشكلة الشرق الأوسط على الجمعية العامة لهيئة الأمم ، فقبلته اغلبية كبيرة . وهو يدعو فيما يدعو الى خروج اسرائيل من كل ارض عربية .. وكانت اسرائيل قد اعلنت ان الجمعية العامة ، لو قبلت مشروع الدول الافريقية ، فسوف ترفضه بناء على هذه الموافقة . اما اذا لم يعرض على الجمعية فقد يكون لها فيه رأى آخر .

بين
هيئة الامم
وعصبة الامم

ظاهر من كل هذا ان كرامة هيئة الامم هبطت الى درك بعيد ، والى مثل هذا الدرك كانت بلغت عصبة الامم قبل زوالها .

واذا نحن نسبنا فشل عصبة الامم الى موسيليني وهتلر ، فلا نبعد بعيدا اذا نحن نسبنا فشل هيئة الامم الموشك الى امة هي اقوى امم الارض اليوم ، ولسنا نسمي رجالا منها خاصة . وسبب الفشل في كليهما هو بلوغ بعض الامم من القوة فوق ما بلغ الآخرون . والقوة دائما تستهين بالعدل . حتى الهند ، وهي من رسالة السلام حيث نعرف ، لما حملتها القوة الى غزو سريع ، اصبحت « لا تقيم لقرار هيئة الامم وزنا » .. ان للقوة سكَراً كسكَر الخمر تماما .

« المحـرر »

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

اسلاميات :

لغة وادب :

استطلاعات مصورة :

طب .. وعلوم :

عروبة :

اقتصاد :

فلسفة :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

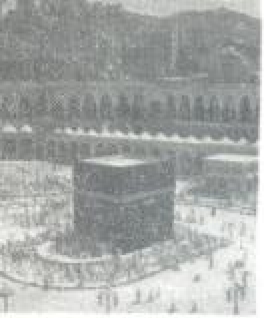
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من اراء

ALARABY = No. 158 January 1972 P. O. B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



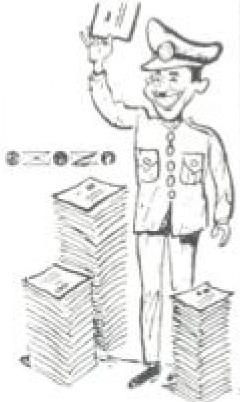
صورة الغلاف

● يتناول استطلاع هذا العدد الاماكن الاسلامية المقدسة وكذلك الاماكن التي لها ذكر في التاريخ الاسلامي . انها محاولة لتسجيل مسيرة الرسول الكريم بين مكة والمدينة المنورة ، وقد سجلت عدسة العربي في هذا الاستطلاع الكثير من الاماكن التي كان الرسول صلوات الله عليه يتردد عليها ناشرا دعوته ، مجاهدا في سبيلها ، منذ ان سطع نور الاسلام على الجزيرة العربية ليعم بعد ذلك مشارق الارض ومغاربها .

(اقرأ الاستطلاع على ص ٥١)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطري . البحرين ٢٠٠ فلس بحريني، العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج٠م٠ع ١٠ قروش . تونس والجزائر ٣٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٢٫٥ ريال ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع بيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص٠ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



بريد القراء

شكر ودعاء

● نشكر العديد من القراء الكرام الذين بعثوا يهنئون العربي بمناسبة اتمامه عامه الثالث عشر ، ونرجو ان تكون السنة الجديدة ، سنة خير على العرب ، كما نرجو ان يوفقنا الله في الاستمرار في تأدية الرسالة التي حملت لواءها مجلة العربي ، من اجل كل عربي .

« العربي »

وحدة الخلق وفي سبيل موسوعة علمية

● يودى اقتناء كتاب (وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه) ولقد بحثت عنه في جميع مكاتب دولة الكويت الشقيقة فلم اجده . ارجو التكرم باخبارى عن اى مكتبة تبيعه في البلاد العربية الاخرى وتكونون بذلك قد اسديتم لى معروفا وارحتمونى من عناء البحث .

ولكم منى وكل عربى يتطلع الى مسيرتكم الشاقة في سبيل نشر العلم والمعرفة في هذه البلاد العربية جزيل الشكر .

محمد العلى المسيطير
المملكة العربية السعودية — الرياض

العربى : وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه ، لم تصدر بعد في كتاب ، ولسوف نفعل ذلك باذن الله ، كما حدث بالنسبة للموضوعات التى نشرت تحت باب «في سبيل موسوعة علمية» فقد جمعتها دار الشروق في بيروت ، في مجلد كبير انيق وتستطيع ان تحصل عليه من المكتبات الكبرى في كل البلاد العربية .

ضاعفوا اعداد العربى

● اصبحت مجلة العربى بلا ريب المجلة الاولى بين الصحف والمجلات التى تصدر بالعالم العربى ، واننا نلاحظ ان معظم المتلهفين على قراءتها لا يجدون لها اثرا ، نتيجة انها تنفد من المكتبات والاسواق فور وصولها ، وهذا يدل على ان الاعداد التى تطبعونها قليلة وغير كافية ، لهذا نرى انه من الواجب عليكم ان تضاعفوا الاعداد التى تطبع شهريا ، واذا كان عدد موظفى المجلة ومحرريها غير كاف بحيث لا يتسنى مضاعفة ما يطبع من الاعداد الشهرية فاننا نرى انه من واجبكم ايضا مضاعفة عدد هؤلاء الموظفين .

نعمان المحمدى
ديترويت — امريكا

يطالب باعادة ركن الذرة والفضاء

● اننى من المعجبين بمجلتكم العربى التى تسعى في سبيل رفع مستوى الشباب العربى شهرا بعد شهر ، وسنة بعد اخرى ، فهى بلا ريب المجلة العربية الوحيدة التى تزودنا بكافة المعلومات العلمية والثقافية والاجتماعية .

اننى ارجو منكم اعادة باب «ركن الذرة والفضاء» لما فيه من فوائد كثيرة تعود علينا بالنفع الكثير .

ل . ب . ح — المملكة العربية السعودية

العربى : هذا خطاب من كثير يطلبون فيه المزيد من المقالات العلمية ، ونطمئن القراء باننا غير غافلين عما يطلبون .

مكافأة تنتظر صاحبها

● الكاتب الاستاذ جورج شدياق كان قد ارسل للعربى قصيدة بعنوان « حواء خلقت لى » دون ان يرسل لنا عنوانه . وقد نشرت هذه القصيدة في العدد الذى صدر في اول يوليو ١٩٧١ ، وتقررت المكافأة التي يستحقها وما زلنا ننتظر عنوان صاحبها لارسالها اليه .

« العربى »

تصويب

● نشرنا في العدد رقم ١٥٧ من « العربى » مقالا بعنوان « بين العقل والعاطفة في عالمنا العربى المعاصر » للاستاذ عبد الله زكريا الانصارى ، رئيس رابطة الأدباء الكويتيين ، ثم اتضح ان الرابطة ليس لها رئيس ، وان الاستاذ الانصارى عضو في هذه الرابطة ، وفي الوقت نفسه يراس تحرير مجلة الرابطة المعروفة بمجلة « البيان » .

معهد المعلمات بعد معهد المعلمين

● في العدد (١٤١) اغسطس ١٩٧٠ وعدتنا مجلة العربى بان تقوم باستطلاع مستقل عن معهد المعلمات في الكويت بعد ان قامت باستطلاع عن معهد المعلمين في نفس العدد فهل ذهب هذا الوعد ادراج الرياح .

احمد حسين عبد الدليمى

العراق ـ مسيحلى

العربى : لم يذهب ادراج الرياح وسنفعل باذن اللـه .

انجازات العرب في كتاب باللغة الانجليزية

● جاءتنا الرسالة، التى ننشر صورة زنكوغرافية لهـا مع هذا الكلام ، مـن مؤسسة « لونجمان » المعروفة للنشر في بريطانيا تطلب الاذن بنشر الترجمة الانجليزية لاستطلاع محطة الاقمار الصناعية في الكويت ، الذى نشر في العربى في عام ١٩٧١، وذلك ضمن كتاب سوف تصدره . ونحن نرحب بكل جهد يبذل في سبيل نشر الانجازات العربية باى لغة اجنبية .

« العربى »

ابن خلكان

● في العدد ١٥٣ من مجلة العربى بالمقال عن ابن خلكان جاءت الفقرة التالية في صفحة ٥٦ « .. دخلا القاهرة في الساعة الثانية من يوم الاحد السابع والعشرين من ذى القعدة سنة سبع وثلاثين وخمسمائة وكنت يومئذ بالقاهرة » .

وهذا لا يتفق مع عمر ابن خلكان .

وفي الصفحة ١٥٨ جاءت الفقرة التاليه :

« ولما كنت متولى الحكم بدمشق المحروسة جاءنى من بعض شهور سنة ست وثلاثين وستمائة اسجال » .

وذلك لا يتفق مع توليه قضاء دمشق . فارجو بيان صحة التاريخين .

حسين الحمدانى ـ العراق

العربى : صحة الفقرة الاولى : « سنة سبع وثلاثين وستمائة » . وصحة الفقرة الثانية « سنة ست وستين وستمائة » والخطأ خطأ مطبعى ، وما اكثر الاخطاء .



...man Group Limited Longman House Burnt M...
...ephone Harlow 26721 Telex 81259
...bles & Telegrams Longman Harlow

CC/ PC/1

TREASURER
Publications Department,
AL 'ARABI MAGAZINE,
Ministry of Guidance and Information,
KUWAIT.

Dear Sirs,

We are preparing for publication a book e...

LIVING ENGLISH SECONDARY COURSE - BOOK 4 ...

This is a secondary school book for the te...
Arab students.

in which we wish to include the following mater...

The article entitled 'COMMUNICATION VIA SATEL...

We wish to use the English translation of th...
one of the authors, N.N.Kharma. Mr. Kharma ...
in Kuwait.

Would you kindly let us have your perm...
...rial, for sale in the following market...

...rld

...f course, be...

حديث الشهر

عَصْر

بقلم رئيس التحرير

■ كثيرا ما كتب شبان من القراء الينا ، يقولون لنا انهم يحسون ان هذا العصر الحديث الذى فيه يعيشون هو عصر الضياع . وآخرون كتبوا يقولون انهم يريدون أن يعلموا ، وأن يفهموا ، وأن يهتدوا ، ولكنهم لا يجدون معلما فاهما ، ولا يجدون هاديا . حتى فى بيوتهم انبهمت مقاصد الحياة .

انها حيرة الشباب فى كل عصر

ولقد خلت ان هذه الحيرة هى حيرة الشباب فى كل عصر . وتذكرت حيرتنا ونحن شبان . نريد ان نصنع لانفسنا هذا الشىء وذاك الشىء ، لنلبغ به حياة نحمدها غاية ، ونحمدها مسلكا . ونريد ان نصنع لأمتنا هذا الشىء وذاك لنبلغ بأمتنا ، بين الامم ، موضعا ارقى مما هى فيه ، وآمن مما هى فيه ، واسعد مستقبلا مما خلنا انه سيكون لها . كل هذا اردناه ، وقليلا ما وجدنا الهادى ، وقليلا ما وجدنا الناصح . وقد نجد الناصح ولكنه الناصح الذى لا يدرى . وحَمَلَنا الزمانُ على ظهور ايامه حملا ، فاذا هذا مدرس ، وهذا حقوقى ، وهذا طبيب . وتسال أحدنا : لم صرتَ ما صرت ؟ فلا يكاد يجيبك أحد جوابا شافيا .

صنعنا لأنفسنا ، وصنعنا لأمتنا

هذا ما صنعناه لأنفسنا، أو ما صنعه الزمان . جرى بنا فى طرق معبدة من التجهيز للعيش الراتب سبقنا آخرون اليها .

ومع هذا لم ننس ما نصنع لأمتنا .

الضياع !

● شباب اليوم يواجه زحمة السكان ، وقلة الأعمال ، بسبب تركز قادة الأمس على السياسة دون سائر مناشط العيش والانتاج ، ويقاسون التعطل ، ومع التعطل فقدان الكرامة ، وانبهام المستقبل ، قريبه والبعيد .

● اشتغال العرب ، او بعضهم ، بالحرب ، ليس معناه العمل للحرب وحدها . انها حرب تطول عشرات السنين . فلتنحيها عصور حرب وسلام معا . مليون او ثلاثة للحرب ، وعشرات الملايين يعملون على السلم للخروج من التخلف . واذن فهو سلم يعين على حرب قاسية متطاولة .

كانت الحياة ، ونحن ندخل بابها فى اوائل هذا القرن ، للشباب العربى ، او ان شئت فللشباب المصرى خاصة غصة .

كنا ونحن طلبة نجهز للوطن . وكنا ونحن طلبة نتجهز لأسوأ حال يكون عليها الوطن . وجمعنا الى الجد فى العمل بقاعات المحاضرات ، الجد فى العمل لتحمل المصادمات خارج قاعات المحاضرات . وكان الغاصب أجنبيا . وتعلمنا كيف نفك السلاح ونركبه فى مراحيض المساجد . وفى الصحارى اطلقنا الرصاص ولم يعلم بما نصنع رجال ذلك العصر ولا قادته .

السلاح الجديد

واعلن العدو حمايته على البلاد فى الحرب العالميه الأولى . وانتهت الحرب . وخذلت مصر فى مؤتمر الصلح شر خذلان . وخذل العرب . فأدركنا نحن الشباب بالحس السريع والفهم الباده انه جهاد يطول ، وان السلاح كل السلاح على المدى الطويل انما هو العلم والعرفان .

فالبينا نحن الشباب سلاحنا ، هكذا اعلانا . واستبدلنا بالسلاح القلم ، والفنا في عام ١٩١٤ لجنة للوفاء بهذا الأمل البعيد اسميناها ، لجنة التاليف والترجمة والنشر ، وهي اللجنة التي لم يكد يظهر اسم في عالم الأدب والعرفان في النصف الأول من هذا القرن الا كان من بين اعضائها . وهي اللجنة التي تحتضر اليوم في شارع الكرداسي ، في بيت من بيوت القاهرة عتيق ، وهي تحتضر مع احتضار الكتاب العربي في منشئه في القاهرة . وهي اللجنة التي صدرت عنها مجلة « الرسالة » ومجلة « الثقافة » وكتب في شعب المعارف عدة كثيرة .

قيم للحياة كانت للشباب واضحة ومسراتها كانت سهلة هينة

كان هدف شبابنا في تلك الايام الغابرة ، نحن شيوخ هذه الايام الحاضرة ، اكثر وضوحا من شباب هذه الايام ، ومن ذلك ان قيم الحياة كانت معروفة ، وكذلك كانت مطالبها والارزاق .

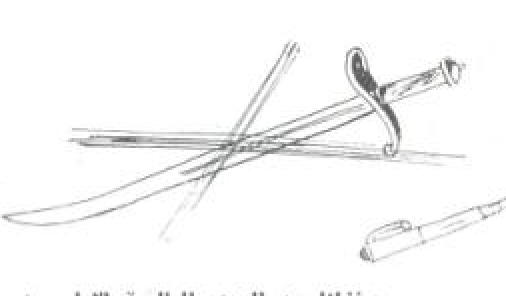
الشاب يهدف الى رزق معتدل ، لا فقر ولا ثراء . وهو يعمل للتأهل لكسب الرزق بقدر ما يستطيع من جهد . والحزن الذي كان يصحب الخيبة في امتحان المدرسة ، والفرح الذي كان يصحب النجاح ، كلاهما كان له انتشار مدوٍّ تصل أصداؤه الى اعماق الفتى . وكان للمدرسين حرمة ، وكانت للسن حرمة ، في مدرسة او بيت او شارع .

وكانت الصرخة تصعد فجاة في الطريق فتجد عشرات الأرجل تسعى جارية نحو الصارخ ، او لعلها نحو الصارخة تلبي نداء المستنجد والمستنجدة . وكان للمروءة في دم الناس قدر واف ، اكثر كثيرا من قدر في دماء رجال هذا العصر وشبابه لا سيما في البلد الشرقي الذي اخذ ، او خال انه اخذ ، من الحضارة الغربية بنصيب .

ومتع الحياة كانت عند شباب الامس قليلة . ولقلتها كانت اعلى قيمة واعمق مذاقا . وركوب السيارة كان بالقرش ، والسيارات الخاصة كانت قليلة ، وراكبوها كانوا قلة من الاشياخ . والسينما كانت مالئة فراغ الشباب ، ومن بعد السينما الكتاب . نعم الكتاب . ولم تكن الكتب قد ماعت بحيث لم يعد يتركز تاثيرها على ما يقرأ الا كما يتركز وهو مكب على حفنة من لب القرع يقزقزها ، تمس جنبا لذيذا من جوانب الحس ، ولا تصل ابدا الى اعماق النفس .

وكان زماننا اقل سرعة في جريانه من زمان شباب هذه الايام ، واتسع بسبب ذلك زماننا لكي نمضغ فيه على مهل ما عندنا من قليل اللذات ، من جثمانية او روحانية ، وان حدث ان وقف احد ببابنا اثناء ذلك يطرق الباب فأهلا وسهلا .

ونضيق بالمدينة ، او حتى بالعاصمة ، فننطلق الى الريف ، الى خضرة ارضه فنجعل منها بساطا ، والى متدفق مائه فنجعل منه شرابا ، وما عرف الشباب غير الماء من شراب . ونجعل من شجر الريف الوارف مظلة تجري من تحتها الريح نسائم باردة . وتغرب الشمس ويظهر الشفق في السماء جليا ، ويخرج صوت من بيننا : الله اكبر ، الله اكبر ،



وخذلنا بعد الحرب العالمية الاولى ، وخذلت مصر في مؤتمر الصلح شر خذلان . وخذل العرب ، فادركنا نحن الشباب ان السلاح كل السلاح على المدى الطويل انما هو العلم والعرفان . واستبدلنا بالسلاح القلم .



وكنا نحن الشباب نضيق بالمدنية فننطلق الى الريف ، الى خضرة ارضه ، ومتدفق مائه ، ونجعل من شجر الريف مظلة تجرى من تحتها الريح نسائم باردة .

لا هو بالصارخ فيسمعه البعيد ، ولا هو بالخفيض ، ونقوم نقف وراءه صفا واحدا . ثم الى زحام المدينة واضوائها نعود .

استمتاعة بسيطة على الخضرة ساذجة ؟

لا . لا . فما كانت من السذاجة فى شىء . استمتعنا فيها بثمرات الارض مذاق فم . واستمتعنا بالنقاش الحلو الطريف المتشعب فاكهة فكر . والفم جسم ، والفكر روح . ومن جمع بين لذة الجسم ولذة الروح فقد جمع بين قطبى الدنيا معا .

والنقاش لم يكن اعتباطا . كان كحصة نقاش فى جامعة ، يقرأ لها ، ويحضر لها . ويكون للقضية عارض ومعارض .

هكذا كان شبابنا بالامس فما بال شباب اليوم

هذا كان شبابنا بالامس ، او زمنر صالحة كثيرة متعددة فيه .

فما بال شباب اليوم .

انه شباب تغيرت الدنيا من حوله بسرعة مذهلة . تغيرت البلاد من حوله، علما ، وصناعة ، واقتصادا ، وصحافة، ونشرا ، ومواصلة . مواصلات ارض وبحر وهواء، ومواصلات فكر . وامتلات بالمخترعات المذهلات فى فترة عجيبة ضيقة قصيرة من الزمان لم تكن كمثلها فترة . ووسائل اللهو زادت عددا ، وزادت اغراء ، وزادت قسوة . ووقف شبابنا العربى الجديد بين كل هذا حائرا مذهولا .

شباب ضاقوا بالعيش بسبب سعة العيش

ولكن مع ذهوله وقف جاهلا بأصول هذه الأشياء وبمصادرها . والقليل منهم هو الذى ادرك ان هذه المبتدعات وهذه المخترعات ليست من نتاج الشرق فى شىء .

كل ما عرف انها من نتاج الدنيا . وعرف انه هو بعض اهل هذه الدنيا فله فيها نصيب . فمن امتلأت يده بخيرات الارض او عائدات الزيت فقد راح يعب من خيرات الحضارة عبا . واكثرهم فتن بمفاتنها افتتانا . ويألف الفتنة الواحدة فيدعها ، ويلقى بها فى الطريق كما يلقى الطفل بلعبة ألفها ثم فرغ حبه لها . ويشترى فتنة اخرى ، والمال وفير ، ولا يلبث ان يطلقها الى ثالثة ، فالى رابعة . وتفرغ الفتن فتضيق بالفتى الشاب الدنيا . ويروح يطلب من المفاتن ما شذ . ويطلب من الفتنة اقصاها . فان كانت خمرا شرب حتى الثمالة ، وحتى لا يستطيع قلبه ملاحقة . وان كانت سيارة اطلقها للريح اطلاقا يطلب الاثارة الجامحة . ويحقق له جموحه جموحها، فاذا به قد امتزج لحمه وعظمه بحديدها وهى كتلة من صفائح محطمة فى قارعة الطريق .

وانا اصف ، وانما اصف شبابا عرفت ، ومسيرة حياة راقبت ، ثم جنازة من بعد ذلك حضرت .

ان هؤلاء لا شك قلة فى الشباب . ضاقوا بالعيش بسبب سعة العيش .

ولكن اكثر الشباب الحاضر ضاق بالعيش لضيق فيه .

وشباب ضاقوا بالعيش بسبب ضيق العيش

لقد كان من اسباب سعة العيش لدينا فى اوائل هذا القرن ، لا كثرة الاعمال ، ولكن قلة السكان . وان اردت ان تزداد ثقة بالذى اقول فاذهب الى احدى الموسوعات العالمية ، وافتحها حيث هى تتحدث عن بلاد العرب، عن ماضيهم وعن سكان اراضيهم ، تجد ان الناس اليوم تضاعفت اعدادهم . وكان من حق هؤلاء الناس ان تتضاعف مع الزمان الجارى مصادر ارزاقهم ، من ثمرات ارض ، او ثمرات صناعة، ومن تجارة وغير تجارة. **ولكن العرب شغلوا اكثر ما شغلوا فى النصف الأول من هذا القرن الحاضر بشيء اسموه السياسة . وباشياء اسموها الأحزاب . وبمعارك شتى شنوها على العدو الأجنبى لتخلص منه البلاد . وكان اكثر القائمين بشئون البلاد ، والسياسة ، محامين ، أو هم اهل ادب وصحافة . هدفهم الاستقلال ، ومع الاستقلال الحكم . وكثيرا ما كان الحكم عندهم أولا والاستقلال ثانيا . والاستقلال عندهم كان اوامر فى ادارة الحكم تعطى وأوامر تطاع . وللمجاهدين فى كل حزب نصيب ، عندما تنتصر الأحزاب .. فاذا هم خسروا وبارت تجارتهم فى غير حكم ،**

فمن امتلأت يده بخيرات الدنيا من شباب هذا العصر فقد راح يفتتن بمفاتن هذه الدنيا افتتانا ، ويلقى بالفتنة التى ملها فى الطريق كما يلقى الطفل بلعبة فرغ منها ليشترى لعبة اخرى .





بعضا . وهذا الحال الحاضر المشئوم انما ذى من عمل جيل مضى . تبعته واقعة على هذا الجيل الذى مضى ، ولكن الخلاص منه لا يكون مع الأسف الا بمجهودات الجيل الحاضر . وهكذا تتوارث الأجيال الذنوب .

ولا يأخذ قارىء ما اكتب فى هذا الصدد على انه شكوى من احد ، ورحم الله القوم الغابرين . ولكن للأرزاق وضيقها اخطار عظام بها تبدأ النكبات، وبالانذار بها خلاص من شر عظيم .

والجيل الحاضر من الشباب جيل لم يفقد بعد املا، وعنده من الرجاء فى اهله، وفى امته وفى بلده قسط وفير . وهو يريد ان يعمل . وان قيل له ان العمل يحتاج الى علم ، فما أسرع ما ينادى باعلى صوت يطلب العلم سبيلا الى عمل .

مثل من جامعة الهواء

ولقد كتبت فى عدد أول اكتوبر / ٧١ الماضى ، فى « العربى » عن جامعة الهواء التى يلتحق بها الشباب الذى فاته دخول الجامعات ، فيزداد بالالتحاق بها علما ، ويزداد عرفانا ، ويزداد بنفسه ثقة . فسرنى وازعجنى على السواء ذلك العدد الكبير من الخطابات التى جاءت « **العربى** » ، تسأل عن هذه الجامعة اين هى ؟ ، وكيف اللحاق بها . .

اما سرورى ، فلهذا الترقب والتطلع الى الشىء الأسمى الذى وجدته فى هؤلاء الشبان حتى الذين خرجوا الى العمل وانتظموا به ، وقل الرزق عندهم دائما. واما انزعاجى ، فلهذه الكثرة من الشبان الذين يريدون ان يزدادوا علما ومعرفة ، وليس فى بلاد العرب جامعة ، كجامعة الهواء هذه التى انشأها الانجليز فى بلادهم ، تزود هؤلاء المتطلعين الى اعلى بالذى يطلبون من سمو .

شبابنا من خير شباب الأرض ولكن البلاد فى حاجة الى المزيد من القادة

ان بضائع اهل الغرب لا تزال تأتى الينا ، وتعرض علينا فى الأسواق ،

انها البطالة المنتشرة فى بلاد العرب ، هى اساسيب ضيق شباب اليوم بيومهم وبغدهم .



وتعرض الى جانبها اضراب لها من صنعنا . وننصرف عند الشراء عن بضاعتنا الى بضاعة غيرنا، لا كرها فيها، ولكن لأن الانسان بطبيعته يميل الى الأحسن والأرخص ، فاذا تساوى الثمنان ، فالأجود . ولقد فشل قوم في احياء الوطنية التي تتقبل الغرم بشراء البضاعة الوطنية التي هي دون الاخرى الاجنبية جودة . ومنهم من يعلل هذا بانه حفز للمواطنين على التجويد .

وكما في البضاعة ، فكذلك في الرجال . فالرجل الذي يحمل على رأسه القبعة يوحي في قلب العربي الثقة التي لا يوحيها لابس الطربوش او العقال . وليس ذلك عن خيانة وطنية ولا عن جحود عربي ، ولكنها خبرة الحياة الماضية الطويلة . وما خدمات الرجال الا بضائع تباع وتشترى .

ولقد خال الكثيرون ، حتى من العرب انفسهم ، ممن عاشوا في النصف الاول من هذا القرن ، ان هناك موهبة في هؤلاء الرجال البيض ، ذوي القبعات ، حرمها الرجال السمر ، وانها موهبة عزيزة المنال .

ورويدا رويدا تنفقيء هذه الخرافة . ويظهر حتى الرجل البدوي الذي لا يدري ما الكتابة ، وما القراءة ، براعة في الفن المرسوم ما خال احد انها تسكن اصابعه طوال هذه السنين قابعة خافية . وهذه تجربة انا شاهدتها ، وانا انما احكي في هذا عما رأته عيناي .

واقتحم شبابنا ديار اهل الغرب ، في علم ، وفي فن ، وفي صنوف عديدة من الكفايات الانسانية ، فحققوا الكثير ، وسبقوا في القليل . وتمضي السنون فيزدادون سبقا .

التخلف الذي كان في الأمة ، في حذقها وعلمها وفنها ، لم يكن تخلف شباب ، ولكن تخلف قادة . كان الشباب عند القدماء من قادتنا وسيلة سياسية . حناجر ترتفع بالدعاء بالحياة لهذا ، وبالفتك بذلك . ويتحدثون عن الصناعات والاقتصاديات ، فكأنما يتحدثون عن اصنام تعبد ، ولكنها لا تذكر الا تعبدا وتبركا في معابد ومناسبات خاصة . ونعم ، **جعلوا من الاستقلال غاية ، فلما تحقق الاستقلال جعلوا من التحزب للفوز بثمراته العاجلة حياة.** وقد شجب الرجل المصلح الكبير ، الشيخ محمد عبده ، في مطلع هذا القرن ، السياسة والسياسيين . لعن سياسة زمانه والساسة في لفظ شهير معروف. ولست بفاعل بزماني ما فعل بزمانه . ولكن بحسبي ان اقول : ان من مساوىء السياسة انها كشجر الحنظل ، تزرع ، ويؤمل الناس منها الثمر. ولكنها لا تثمر الا بعد عمر طويل ، فاذا هي اثمرت لم يجن الناس من ثمرها غير المر . فلا يكون للناس حيلة الا الترحم على الزمان الذي فات .

ونحن العرب نترحم اليوم على الزمن الكثير الفائت الضائع ، بما زرع الساسة فيه من شجر من الحنظل كثير

نرفض سياسة العمل في الحقل الواحد

ومن السياسة التي يروج لها البعض اليوم ، ان ، لا شيء نهتم به اليوم الا الحرب ، عليها نتركز ، وعليها وحدها ، ولا نلقى بالا الى شيء غيرها .

هي سياسة : **« احنا في ايه ، والا في ايه » .**

وجاز هذا لو ان حربنا المنتظرة ، حرب تقوم اياما او اشهرا ثم تنفض . انها حرب لو قامت ، وحتى لو كان لنا فيها النصر ، ما قرأنا منها الا الفصل الاول من كتاب المآسي ، وهو كتاب يحتوي من الفصول على العشرة فما فوق

العشرة، وهى تستمر السنوات الطوال ، وهى سنوات تستهلك وتستغرق الأعمار .

واليوم عدو واحد ، وغداً عدو" وعدو وعدو . واليوم طمع فى الأرض العربية غير المسكونة واحد ، وفى الغد اطماع فى اكثر من ارض. ويقول العلماء انالطبيعة تابى الفراغ ، ويقول الساسة بما يقول به العلماء. ويسمع العرب ذلك فينكرون ان عندهم فراغا . وماذا ينفع الانكار ، والخصب والماء يعمر الأرض، ولا يعمرها الناس.او يعمرها الزيت ولا يكون للزيت حماة كفاة رادعون.وفى الشعوب العربية جملة ، وهم ملايين ، ما يملأ الباديات التى يتحلب لها لعاب الطامعين ، ويملأ الحواضر ، ولكن يمنع من ذلك الحرص، وتمنع الريبة ، وتمنع النعمة العاجلة والافتتان بها .

ان العرب اليوم قائمون فى حرب غير قائمة . انها الحرب المنذرة ، وهى حرب منذرة كالحرب القائمة تماما . ونحن لا ندرى ، على اى طرف من الأطراف العربية سوف تندلع الحرب ويتصاعد لهيبها . اما انها سوف تندلع على اكثر من طرف من اطراف العرب ، فأمر تؤمن به ايمانا راسخا . وهو ليس ناشئا عن مزاج متشائم ، ولكن عن منطق صارم مبناه طبائع الأمور . ذلك ان الاعتداء طبع فى الناس ، وهو قبل الناس كان فى الحيوان ، ولكنه فى الناس اشد .

قال احد العلماء يصف الانسان :

« ان الانسان مخلوق معتد بطبعه . وهو الوحيد بين صنوف الحيوانات ،اذا استثنينا بعض القوارض ، الذى تعوّد الفتك بأبناء جنسه . وليس غير الانسان من صنوف الحيوان ما يستمتع استمتاعا لا مرية فيه بالعذاب يصبه الوانا على اخيه الانسان . ونحن نشهد جرما

انخذ القادة القدماء من شبابنا وسيلة سياسية . حناجر ترتفع بالدعاء بالحياة لهذا ، وبالفتك بذلك .



مفظعا مفزعا فنريد ان نصفه ، فنقول انه عمل حيوانى ، والحقيقة انه عمل لا يأتيه حيوان . وليس فى الطبيعة من صنوف القسوة مثل مايبتدع الانسان . وانا وأنت نسمع بالفظائع يرتكبها الانسان، فتغلى دماؤنا ، وتثور فينا نفس الحوافز نريد ان ننتقم للفظائع بفظائع مثلها ، وهذا دليل على انها حوافز فى الصميم من جبلتنا تدعونا الى القتل ، والى التعذيب، والى اعلان الحروب، وارتكاب ما فيها من مآسٍ » .

وسواء ذهبنا مع هذا العالم الى غاية ما ذهب اليه او لم نذهب ، فلا شك اننا سائرون معه الى الايمان بأن الاعتداء واقع واقع ، ما تحققت شروطه . ومن شروط الاعتداء ان يكون قوم ضعافا ، الى جانبهم اقوام اقوياء . ولا سيما ان كان عند الضعفاء من الثراء ما يغرى باعتداء .

فوفقا لقوانين الحياة ، ووفقا لقوانين الحذر والحكمة، لا بد ان يفرض العرب، وهم اليوم ما هم ، أنهم فى حرب دائمة .

ولكن الحرب الدائمة تنزف موارد العيش .

واذن وجب ان نعيش كذلك فى سلم دائم .

حرب دائمة وسلم دائم معا

انه اسلوب من العيش جديد لا بد ان نبتدعه وفقا لحاجتنا ، وللظروف التى فرضت علينا .

ومعنى هذا باختصار اننا نرفض سياسة العمل فى الحقل الواحد . سياسة : **« احنا فى ايه ، والا فى ايه » .**

وان شغلت الحرب مليون نفس من العرب ، فقد بقى منهم ملايين للسلم تعمل فى كل مرافق الحياة، وتكون الغاية الكبرى هى اقتحام الزمن اقتحاما لنتعوّض بالأعمال المرهقة والجهود المضاعفة عما فاتنا فى القرون الثلاثة الماضية . انه التخلف عدو العرب الأول وسبب ما يتحلقهم اليوم من اطماع . وان تكن حربا على التخلف،فهى الحرب الأعسر . ولننادِ بها حربا معلنة على جميع الجهات الحضارية،وليكن لنا فيها خاذلون ومخذولون ، وقاتلون بالرأى ومقتولون .

وفى هذا التجنيد الشامل الكامل ، لا يبقى من الرجال ولا من النساء الا عامل يعمل ، والا عاملة . وبالعمل نرد الى العاملين كرامتهم . ويكون فى طليعة العاملين شباب الأمة ، فهم اصح جسدا ، واقوى عضلا ، واحد ذهنا . وهم يعملون فتيانا ليجنوا ثمرات أعمالهم كهولا وشيوخا . ويعمل سائر الرجال وسعهم ، وبزيدون ، تأمينا لمستقبل الصبية والأطفال .

انه الجهاد الذى عرفه العرب فى زمانهم الأول ، يوم كان لا بد لهم من اقتحام الدنيا .

وهو الجهاد الذى وجب ان يصبح ديدنهم فى زمانهم هذا الأخير ، ليستبقوا أنفاسا للحياة ما زالت تملأ صدورهم ، وليدفعوا عن حضارة هى بعض حضارات الانسان التى رسمت للبشر طرقا سوية للعيش عاش بها الانسان ناعما دهرا طويلا ، وسوف يعيش بها باذن الله دهورا طوالا . ●●

احمد زكى

العشرة، وهي تستمر السنوات الطوال ، وهي سنوات تستهلك وتستغرق الأعمار .

واليوم عدو واحد ، وغداً عدو" وعدو وعدو . واليوم طمع في الأرض العربية غير المسكونة واحد ، وفي الغد اطماع في اكثر من ارض. ويقول العلماء ان الطبيعة تأبى الفراغ ، ويقول الساسة بما يقول به العلماء. ويسمع العرب ذلك فينكرون ان عندهم فراغا . وماذا ينفع الانكار ، والخصب والماء يعمر الأرض، ولا يعمرها الناس. او يعمرها الزيت ولا يكون الزيت حماة كفاة رادعون. وفي الشعوب العربية جملة ، وهم ملايين ، ما يملأ الباديات التي يتحلب لها لعاب الطامعين ، ويملأ الحواضر ، ولكن يمنع من ذلك الحرص، وتمنع الريبة ، وتمنع النعمة العاجلة والافتتان بها .

ان العرب اليوم قائمون في حرب غير قائمة . انها الحرب المنذرة ، وهي حرب منذرة كالحرب القائمة تماما . ونحن لا ندري ، على اي طرف من الأطراف العربية سوف تندلع الحرب ويتصاعد لهيبها . اما انها سوف تندلع على اكثر من طرف من اطراف العرب ، فأمر نؤمن به ايمانا راسخا . وهو ليس ناشئا عن مزاج متشائم ، ولكن عن منطق صارم مبناه طبائع الأمور . ذلك ان الاعتداء طبع في الناس ، وهو قبل الناس كان في الحيوان ، ولكنه في الناس اشد .

قال احد العلماء يصف الانسان :

« ان الانسان مخلوق معتد بطبعه . وهو الوحيد بين صنوف الحيوانات ،اذا استثنينا بعض القوارض ، الذى تعوّد الفتك بابناء جنسه . وليس غير الانسان من صنوف الحيوان ما يستمتع استمتاعا لا مرية فيه بالعذاب يصبه الوانا على أخيه الانسان . ونحن نشهد جرما



اتخذ القادة القدماء من شبابنا وسيلة سياسية . حناجر ترتفع بالدعاء بالحياة لهذا ، وبالفتك بذلك .

مفظعا مفزعا فنريد ان نصفه ، فنقول انه عمل حيوانى ، والحقيقة انه عمل لا ياتيه حيوان . وليس فى الطبيعة من صنوف القسوة مثل مايبتدع الانسان . وانا وانت نسمع بالفظائع يرتكبها الانسان، فتغلى دماؤنا ، وتثور فينا نفس الحوافز نريد ان ننتقم للفظائع بفظائع مثلها ، وهذا دليل على انها حوافز فى الصميم من جبلتنا تدعونا الى القتل ، والى التعذيب، والى اعلان الحروب، وارتكاب ما فيها من مآسى » .

وسواء ذهبنا مع هذا العالم الى غاية ما ذهب اليه او لم نذهب ، فلا شك اننا سائرون معه الى الايمان بأن الاعتداء واقع واقع ، ما تحققت شروطه . ومن شروط الاعتداء ان يكون قوم ضعافا ، الى جانبهم اقوام اقوياء . ولا سيما ان كان عند الضعفاء من الثراء ما يغرى باعتداء .

فوفقا لقوانين الحياة ، ووفقا لقوانين الحذر والحكمة، لا بد ان يفرض العرب، وهم اليوم ما هم ، انهم فى حرب دائمة .

ولكن الحرب الدائمة تنزف موارد العيش .

واذن وجب ان نعيش كذلك فى سلم دائم .

حرب دائمة وسلم دائم معا

انه اسلوب من العيش جديد لا بد ان نبتدعه وفقا لحاجتنا ، وللظروف التى فرضت علينا .

ومعنى هذا باختصار اننا نرفض سياسة العمل فى الحقل الواحد ، سياسة : **« احنا فى ايه ، والا فى ايه » .**

وان شغلت الحرب مليون نفس من العرب ، فقد بقى منهم ملايين للسلم تعمل فى كل مرافق الحياة، وتكون الغاية الكبرى هى اقتحام الزمن اقتحاما لتتعوض بالأعمال المرهقة والجهود المضاعفة عما فاتنا فى القرون الثلاثة الماضية . انه التخلف عدو العرب الأول وسبب ما يتحلقهم اليوم من اطماع . وان تكن حربا على التخلف،فهى الحرب الأعسر . ولتنناد بها حربا معلنة على جميع الجهات الحضارية،وليكن لنا فيها خاذلون ومخذولون ، وقاتلون بالرأى ومقتولون .

وفى هذا التجنيد الشامل الكامل ، لا يبقى من الرجال ولا من النساء الا عامل يعمل ، والا عاملة . وبالعمل نرد الى العاملين كرامتهم . ويكون فى طليعة العاملين شباب الأمة ، فهم اصح جسدا ، واقوى عضلا ، واحد ذهنا . وهم يعملون فتيانا ليجنوا ثمرات اعمالهم كهولا وشيوخا . ويعمل سائر الرجال وسعهم ، ويزيدون ، تأمينا لمستقبل الصبية والأطفال .

انه الجهاد الذى عرفه العرب فى زمانهم الأول ، يوم كان لا بد لهم من اقتحام الدنيا .

وهو الجهاد الذى وجب ان يصبح ديدنهم فى زمانهم هذا الأخير ، ليستبقوا انفاسا للحياة ما زالت تملأ صدورهم ، وليدفعوا عن حضارة هى بعض حضارات الانسان التى رسمت للبشر طرقا سوية للعيش عاش بها الانسان ناعما دهرا طويلا ، وسوف يعيش بها باذن الله دهورا طوالا . ●●

احمد زكى

عمر و "المصلحة" في التشريع الإسلامي

كان عمر أكثر الصحابة، ومن جاء بعدهم، أخذاً بالمصلحة.
كان إسلامه نصراً، وهجرته فتحاً، وخلافته رحمة وخيراً.

بقلم : الشيخ بدر المتولى عبد الباسط

■ تاريخ عمر - بالرغم مما قيل ويقال عنه - يعتبر مفخرة لا للاسلام والعرب فحسب ، بل للانسانية قاطبة ، شهد له اعداؤه قبل ان يشهد له محبوه ، وهو مع هذا لا ندعى له ولم يدع لنفسه العصمة .

وتشريعات الاحكام في الاسلام - مهما تعددت مصادرها - مرجعها كلها الى الله تعالى «ان الحكم الا لله» ثم الى الرسول المعصوم كمبلغ عن ربه وأى دليل سوى القرآن الكريم يستمد حجيته منه .

ولقد كان لعمر اجتهادات في فهم النصوص الشرعية ، أو تطبيق القواعد العامة للشريعة تشهد له بعمق التفكير ، ودقة التطبيق ، ولكن مع هذا نسب اليه - اما عن قصد أو عن غير قصد - انه كان في كثير من الاحاديث يخرج على النص او يعطله ، وانه قدم المصلحة والرأى على النص ، واتخذ بعض الناس الذين ينظرون الى فقه عمر نظرة غير المتفحص المتعمق من اسلوبه ، رضي الله عنه ، دليلا على انه يجوز لغير عمر أن يعطل النصوص ، ويقدم ما يراه من مصلحة على النص مهما كان النص قويا في ثبوته قويا في دلالته .

وعمر - رضى الله عنه - مع انه ليس بالمعصوم عن الخطأ في الاجتهاد لم يعطل نصا لمصلحة او غير مصلحة ، وانما اجتهد في فهم النصوص ، وراعى روح النص وفحواه ، واصاب في أكثر ما جد له من احداث تتطلب الحل السريع المتطابق للاسلام روحا ومغزى ، وفي بعض الاحايين كان - كأى مجتهد - يخطىء ، ولكنه متى تبين له وجه الخطأ عاد الى الحق ، ولم تأخذه العزة بالاثم ، ويفرض رأيه الخاطىء على الامة بحكم منصبه كأمير للمؤمنين .

وتاريخ عمر صفحة مفتوحة أمام الدارسين ، وفقه عمر موضوع يتطلب ان يتفرغ له المتخصصون في دراسة الفقه الاسلامي ، ولست بصدد ان اتناول كل اجتهادات عمر في هذا البحث ، لان هذا يستوعب مجلدات ولكنى سأتناول المسائل التى يرددها دعاة التفلت من أحكام الشريعة الاسلامية باسم المصلحة ، مقتدين في ذلك - كما يزعمون - بعمر بن الخطاب .

مسالة المؤلفة قلوبهم

وحاصل هذه القصة ، أن جماعة من كبار الأعراب الذين كانت لهم شوكة ومكانة بين أقوامهم

كالزبرقان بن بدر والاقرع بن حابس والعباس ابن مرداس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من اموال الزكاة تاليفا لهم ولأقوامهم ، مع ماهم عليه من غنى ، أخذا بقوله تعالى : « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » (١) .

وفي عهد ابي بكر ـ رضي الله عنه ـ جاءوا اليه يطلبون ما اعتادوا أن يأخذوه من رسول الله ، فكتب لهم رضي الله عنه كتابا الى امراء الصدقات بذلك ، وقابلهم عمر رضي الله عنه ، وعلم منهم امر الكتاب ، فاخذه منهم ، وقال لهم ما معناه : بعد أن أعز الله الاسلام فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، فان كنتم فقراء او مساكين أو فيكم صفة أخرى تستحقون بها الصدقة اعطيناكم ، فرجعوا الى ابي بكر . وقالوا له : الخليفة انت ام عمر ؟ فقال : هو ان شاء الله ، واقر عمر على رايه :

وهذه القصة ثابتة ـ حقا ـ في الصحاح ، ولقد تجرأ بعض الكاتبين فقال : « أى شيء هذا ان لم يكن الغاء لتشريع قرآني حين اعتقد ان الظروف المتغيرة لم تعد تجيزه » لا والف مرة لا ، فما كان لعمر او غير عمر ان يلغي نصا قرآنيا ، وانما طبق عمر النص تطبيقا صحيحا تمليه قواعد اللغة العربية التى نزل بها القرآن الكريم .

فان علماء اللغة وتابعهم علماء اصول الفقه يقررون أن الحكم متى علق بمشتق يدل على ان المصدر ـ وهو أصل الاشتقاق ـ علة في ثبوت الحكم ، لم يختلف في هذه القاعدة من يرى حجية القياس أو عدم حجيته ، لان الحكم حينئذ يكون ثابتا بالنص .

ولتوضيح هذه القاعدة ـ حتى نقطع الشك باليقين ـ أضرب مثلا ، لو قلت : كافات المجتهدين فمعنى هذا ـ بكل بساطة ـ أن الاجتهاد هو علة المكافاة ومناطها .

ولنعد الى الآية الكريمة ، الله سبحانه لم يجعل مناط الاستحقاق للصدقات الاشخاص ، بل الصفات كالفقر والمسكنة والعمل في جمع الصدقات وتوزيعها والتاليف ، فان لفظ « المؤلفة قلوبهم » اسم مفعول من التاليف ، فيكون تاليف القلوب هو مناط الاستحقاق للصدقات ، لا اشخاص الزبرقان واصحابه . أولئك الذين ظنوا أن ما ياخذون ضريبة لهم على الدولة يستحقونها في كل الاحوال ، سواء كانت الدولة في حاجة الى تاليفهم أو لم تكن ، وسواء كانوا ـ هم ـ قد اطمانت قلوبهم للاسلام ام لم تطمئن .

ولقد رأى عمر بعقله الثاقب أن الدولة ليست في حاجة الى تاليف امثالهم بعد أن اصبحت تضرب كسرى على أم راسه وقيصر على قفاه فهل تخشى امثال الزبرقان وعباس بن مرداس ؟ !!

الامر اوضح من أن يحتاج الى دليل .

على ان عمر ـ رضي الله عنه ـ رأى أن هؤلاء قد اطمانوا الى الاسلام ، وقد ابلوا في الفتوح بعد هذا المنع بلاء حسنا يشهد لهم به تاريخ الفتوح الاسلامية العظيمة في عهد عمر ، وهو تاريخ متاخر عن منعهم سهم المؤلفة قلوبهم .

فهل هذا يعتبر الغاء للنص وتعطيلا له ؟!!

وهل نحن ـ الآن ـ نعطل هذا النص لعدم وجود العاملين على الصدقات وعدم وجود الرقاب؟ اننا لا نؤدى هذين السهمين لعدم وجود من يستحقهما .

وعلى قاعدة عمر وفهمه ينظر في امر المؤلفة قلوبهم فان كانت الدولة ـ الآن ـ في حاجة الى تاليف بعض القلوب أعطيناهم من الصدقات والا فلا ، والامر في ذلك مفوض الى تقدير ولى الامر ، ولهذا لما رأى ابو بكر رضي الله عنه وهو المشهور عنه دقة تنفيذ ما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رأى عمر وفهمه للنص موافق للغة ولروح النص اقره عليه .

بعد هذا البيان لا يستطيع منصف أن يقول ان عمر عطل النص والغاه بالمصلحة ، بل يقرر ـ مطمئنا ـ أن عمر أعمل النص بكل دقة وامانة ،

---

(١) سورة التوبة : الاية ٦٠

(٢) لم أشأ أن أسمى الكاتب ولا المجلة التي نشرت مقاله لان هؤلاء يحبون أن يتظاهروا بمثل ذلك ليشتهروا ، فلن أحقق لهم رغبتهم باشتهارهم

وليس هذا من قبيل الاجتهاد في مقابلة النص ـ كما يريد ان يصوره بعض الناس ـ بل هو اجتهاد في فهم النص ، وشتان بين الامرين .

تعطيل حد السرقة في عام المجاعة وعدم اقامة الحد على غلمة لحاطب بن ابى بلتعة سرقوا بعيرا .

القصتان معروفتان في الصحاح وفي ترجمة عمر ـ رضي الله عنه ـ .

فاما الاولى فحاصلها ان رجلا جاء الى عمر بن الخطاب في ناقة له نحرت ، فقال له عمر : « هل لك في ناقتين بهما عشراوين (حبليين) مربعتين (خصبتى البدن لورودهما الماء متى شاءتا) سمينتين بناقتك ؟ فانا لا نقطع في عام السنة (المجاعة)(١) » وعام المجاعة هو عام الرمادة المشهور في تاريخ الاسلام(٢) .

واما القصة الثانية فهى كما رواها عمرو بن شعيب أن نفرا اربعة من بنى عامر بن لؤى عمدوا الى بعير راوه فنحروه فاتى ـ في ذلك عمر ـ وعنده حاطب بن ابى بلتعة اخو بنى عامر بن لؤى فقال : يا حاطب قم الساعة فابتع لرب البعير بعيرين ببعيره ففعل حاطب وجلدوا أسواطا وأرسلوا(٣)» .

وعمر رضي الله عنه لم يعطل حدا من حدود الله في كلتا الحالتين ، لان الحد الواجب التنفيذ هو الذى لا شبهة في اثباته ولا في دوافعه ، عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : « ادرءوا الحدود بالشبهات » وهذا حديث مشهور وهو قاعدة من قواعد الشريعة الغراء .

وفي الحادثتين كانت المجاعة هى الدافع لنحر الناقة والبعير ، فعام الرمادة أمره مشهور ، وان من نحروا الناقة نحروها لاحياء انفسهم ، وغلمة حاطب ثبت عند عمر أن الجوع ـ هو كذلك ـ الدافع ، لان حاطبا رضي الله عنه كان فيه شيء من الشح ، ولهذا عزّره عمر بالزامه أن يعوض المسروق منه بعيرين ببعيره وعزر الغلمة بالسياط ، لانه كان في امكانهم أن يرفعوا الامر الى امير المؤمنين ، وحتى لا يتخذ غيرهم من هذا حجة لسلب اموال الآخرين ، فكان عمر في هذا فقيها جامعا بين النصوص كلها ، ولو أنه اقام الحد في هاتين الحادثتين لكان معطلا لنص هو قاعدة من قواعد الشريعة : « ادرءوا الحدود بالشبهات » وتاريخ عمر ـ وهو كتاب مفتوح ـ مليء باخبار اقامته لحدود الله ، على اختلاف انواعها متى ثبتت ثبوتا لا شبهة فيه ، فكيف يريد البعض ان ياخذ من هاتين الحادثتين دليلا على تعطيل كل الحدود في كل الاحوال ؟؟ !!

ان الذين ينادون بوجوب اقامة حدود الله لا يقولون برفع السيف والسوط لتنفيذها في كل وقت وحين . ولكن بعد التحرى ومحاولة درئها بكل وسيلة. يقولون : كونوا كعمر : يضع السيف في موضع السيف والندى في موضع الندى وراعوا حق الله وحق المجتمع وحق المجنى عليهم من غير اهدار لحق الجانى في الدفاع عن نفسه واظهار عذره ان كان له عذر .

تحريمه لمتعة النساء ومتعة الحج

وساعالج هاتين المسالتين بكل حذر ودقة وسعة صدر لنرى موقفه ـ رضي الله عنه ـ هل عطل نصا قاطعا برايه ؟

مما لا شك فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أباح متعة النساء في بعض الغزوات ، ثم حرمها في غزوة تبوك لكثرة السبايا في ايدى الغزاة، ولم يكن تحريم تابيد ، وفي غزوة الفتح ابيحت للحاجة ثم حرمت حرمة مؤبدة .

والذى يهمنى في هذا البحث أن أبين ان تحريم عمر لمتعة النساء لم يكن افتياتا على صاحب الشرع ـ صلى الله عليه وسلم ـ بل صرح أنه حرمها حرم الرسول الاكرم فقد صرح على ملأ من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ أن التحريم ليس اجتهادا منه بل هو من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد روى ابن ماجة من طريق ابى بكر بن حفص

(١) اخرجه عبد الرزاق في مصنفه كما في كنز العمال جـ ٥ ص ٣١٤ .

(٢) سمى عام الرمادة لان تربة الارض لانقطاع المطر تحللت حتى ان الرماد ليسفو لادنى حركة من الريح .

(٣) المرجع السابق ص ٣١٥ .

عن ابن عمر قال : لما ولي عمر خطب ، فقال : « ان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أذن لنا في المتعة ثلاثا ثم حرمها » .

واخرج ابن المنذر والبيهقي من طريق سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه قال : صعد عمر المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « ما بال رجال ينكحون هذه المتعة بعد نهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عنها » .

وما ثبت عن عمر انه قال : متعتان كانتا على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – متعة النساء ومتعة الحج ، وانى أحرمهما واعاقب عليهما ، فان ذلك منه – رضي الله عنه – تهديد ووعيد لفاعلهما بعد ان ثبت عنده – في مسالة متعة النساء – ان الرسول الاكرم حرمها ، وأما متعة الحج فلنا فيها كلام آت ، فهو منفذ لما ثبت عنده من نص على تحريمها[1] .

لست – هنا – بصدد الانتصار لراى دون راى ولكني بصدد اثبات ان عمر في أمر متعة النساء كان منفذا لنص صح عنده وعند الكثرة الكثيرة من الصحابة . وعلى راسهم الامام على رضي الله عنه وكرم وجهه .

اما متعة الحج فهى ان يحرم الانسان بالعمرة في ايام الحج حتى اذا اتى مناسكها تحلل الى ما قبل يوم عرفة فيحرم بالحج ، وهو بين النسكين يحل له كل شيء ، وعمر خشي أن بعض الناس لا يتحرجون من معاشرة نسائهم في ظلال الاراك – كما صرح بذلك في بعض خطبه – وفي هذا ما فيه ، ولكن لما قيل له : ان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – اباح ذلك رجع عن رايه ، وهذا دليل على انه يقف عند مورد النص ان صح عنده النص[2] على أن لولى الامر ان يجد من اسراف الامة في بعض المباحات متى اساء الناس استعمال هذا المباح ، وغلب شره على خيره اعمالا لقاعدة شرعية هى « درء المفاسد مقدم على جلب المصالح » .

موقفه في توزيع الارض المفتوحة في عهده

ان اعظم الفتوحات الاسلامية قاطبة كانت في عهده رضي الله عنه فقد فتح العراق واغلب مملكة الفرس ، وفتحت بلاد الشام كلها ، كما فتحت مصر ، وجزء من ليبيا ، وهو اقليم برقة ، وكان من مشكلات هذه الفتوح توزيع الاراضي المفتوحة ، فالمقاتلة يرون أن توزع الاراضي عليهم توزيع الغنائم فيكون لهم أربعة اخماسها ، والخمس الباقي للوجوه التى بينها الله – سبحانه – في قوله : « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل »[3] ، ولكن عمر راى ان تحبس الارض لصالح الامة العامة وأن يستبقى عليها اهلها ، ويضرب عليهم الخراج سدا للثغور واقامة للمشاريع العامة من قناطر وقنوات وطرق ورواتب للجند الى غير ذلك .

ومخالفوه يرون ان الارض غنيمة كالاموال المنقولة مستندين بان للرسول خمس ارض خيبر .

وعمر يرى أن الارض من قبيل الفيء كارض بني النضير وبني قريظة ، وان المقاتلة انما حازوا الاموال المنقولة ، ولهذا رايناه يستدل على رايه بآيات سورة الحشر وهى قوله تعالى : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب . للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم

---

(١) من شاء أن يعرف هذا الموضوع بكل ما يتصل به فليرجع الى كتاب نيل الاوطار للشوكاني جـ ٦ من ص ١٣٢ – ١٣٨ ، وكتاب فتح البارى شرح صحيح البخاري جـ ٩ من ص ١٣٢ – ١٣٨ ومذكرتي في الفقه المقارن من ص ١٣٨ – ١٥٦ مطبعة كلية الشريعة الازهرية .

(١) يراجع مسند عمر من مسند الامام احمد .

(٢) الربع الثاني من كتاب الفكر السامي للحجوي الثعالبي طبعة النهضة بتونس ص ٢٣ .

(٣) سورة الانفال من الآية ٤١ .

(٤) سورة الحشر من ٧ – ١٠ .

الصادقون . والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون . والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم(١)».

فمخالفوه ـ وعلى رأسهم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، يرونها غنيمة ، وعبد الرحمن يقول : « ما الارض والعلوج (العمال) الذين بها الا مما افاء الله على المسلمين (فيكون غنيمة فتخمس) وقالوا له : كيف تقف ما افاء الله الله علينا باسيافنا على قوم لم يحضروا ولم يشهدوا ولأبناء قوم لم يحضروا ولم يشهدوا .

أهل الشورى

ولم يشأ الخليفة ـ ولرأيه وجاهته من حيث النص ومن حيث المصلحة ـ ان يستبد برأيه فجمع أهل الشورى من المهاجرين والانصار وقال لهم : « انى لم أزعجكم الا لأن تشتركوا في أمانتي فيما حملت من أموركم ، فاني واحد كأحدكم وأنتم اليوم تقرون بالحق ، خالفني من خالفني ووافقني من وافقني ، ولست اريد أن تتبعوا هذا الذى هو هواى ، معكم من الله كتاب ينطق بالحق ، فوالله ان كنت نطقت بامر أريده ما أريد به الا الحق » قالوا : قل نسمع يا امير المؤمنين ، قال : لقد سمعتم كلام هؤلاء القوم الذين زعموا انى اظلمهم حقوقهم ، وانى اعوذبالله أن اركب ظلما ، لئن كنت ظلمتهم شيئا هو لهم ، واعطيته غيرهم لقد شقيت ، ولكن رأيت انه لم يبق شيء يفتح بعد ارض كسرى ، وقد غنمنا الله اموالهم وارضهم وعلوجهم فقسمت ما غنموا من اموال بين اهله وأخرجت الخمس فوجهته على وجهه ، وقد رأيت أن أحبس الأرضين بعلوجها واضع عليهم الخراج وفي رقابهم الجزية يؤدونها ، فيكون فيئا للمسلمين المقاتلة والذرية ولمن يأتي بعدهم ، أرأيتم هذه الثغور لا بد لها من رجال يلزمونها ، أرأيتم هذه المدن العظام كالشام والجزيرة(١) والكوفة والبصرة ومصر لا بد لها أن تشحن بالجيوش وادرار العطاء فمن اين يعطى هؤلاء اذا قسمت الارض والعلوج » ؟ فوافقه الاكثرون على رأيه ومنهم عثمان وعلى وطلحة وابن عمر وكبار الانصار(٢) .

والمهم في هذا الموضوع أن عمر ـ رضي الله عنه ـ اختار في فهم النصوص ما رآه أوفق للمصلحة ، وقد تأيد رأيه برأى الكثرة الكثرة من كبار الصحابة ، رضوان الله عليهم ـ فلم يعطلوا نصا ، ولكن رجحوا فهما على فهم ، وهكذا المجتهد ينبغى عليه أن يراعى ظاهر النص وروحه وفحواه فان تعارض الظاهر مع الروح والفحوى ولم يستطع التوفيق بينهما فليس عليه جناح ان يرجح الروح والفحوى وله في عمر قدوة حسنة ، فقد كان في هذا المضمار ـ هو ـ الفارس المعلم ، والمجتهد الاول له قصب السبق في هذا المجال .

وها هى الامة لا تزال تعيش على بركة رأيه ويمن اجتهاده .

الطلاق الثلاث بلفظ واحد وامضاؤه ثلاثا .

قبل الخوض في هذا الموضوع أحب أن اقرر :

اولا : لست ـ في هذا المقال ـ مؤيدا لرأى لعمر ـ رضي الله عنه ـ مدافعا عنه ، ولست ـ كذلك ـ ناقدا له فالموضوع اوسع من أن تستوعبه مجلة مهما كانت ـ ولو انها مجلة العربي ـ وهذا الموضوع خليق ان يفرد برسالة جامعية تتناوله من جميع نواحيه ولكن مهمتى أن ابين الى أى مدى غلب عمر المصلحة على النص .

ثانيا : لست اعتقد ، ولا احد من المسلمين يعتقد أن عمر بن الخطاب معصوم عن الخطأ في الرأى ، غير اننا نعتقد أنه ما كان يصدر رأيه في أمر من الامور عن هوى ولكنه عن اجتهاد ، فان اصاب ـ وكثيرا ما أصاب ـ فله أجران ، وان أخطأ فله أجر ، وان تاريخه ملىء بالرجوع عن

---

(١) يراد بها ما بين دجلة والفرات .

(٢) المرجع كتاب الخراج لابى يوسف صاحب ابى حنيفة .

رايه وعدم التعصب له متى استبان له وجه الخطا .

ثالثا : ان المجتهد اذا كان امام نص ليس بقطعي ـ في ثبوته او دلالته ـ وكانت هنالالمصلحة عامة توجب حمل النص على غير ظاهره فليس يضيره أن يحمله على غير الظاهر ، متى ساعدته اللغة على هذا التاويل .

رابعا : ان عمر لم يكن ـ وحده ـ هو الذى راى ايقاع الطلاق الثلاث بلفظ واحد ثلاثا ، بل وافقه على رايه كثرة كثيرة من كبار الصحابة وصغارهم عن اقتناع لا عن خوف او تقية بدليل انهم افتوا برأيه حتى بعد استشهاده ـ رضي الله عنه ـ ومنهم على وابو هريرة وابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم ، فالمسألة اذن خلافية منذ الصدر الاول .

بعد هذه المقدمة اقول : ان منشا الجدل في هذه المسالة هو حديث مروى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ونصه روى طاووس عن ابن عباس قال : « كان الطلاق على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وابى بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة ، فقال عمر بن الخطاب « ان الناس قد استعجلوا امرا كانت لهم فيه اناة فلو امضيناه عليهم فامضاه عليهم » رواه احمد ومسلم وغيرهما .

هذا الحديث هو أصل المشكلة والحديث ـ مع صحته ـ عورض باحاديث اخرى تدل على أن الطلاق الثلاث ـ بلفظ واحد ـ يقع ثلاثا ، وفتاوى كثير من الصحابة ومنهم ابن عباس راوى الحديث المذكور تدل على انهم كانوا يرون امضاءه عليهم .

والآيات التى وردت في الطلاق مطلقة لم تفرق بين ان يكون الطلاق بلفظ واحد او الفاظ متعددة بل ان حديث ابن عباس يحتمل أن يكون الطلاق بالفاظ متعددة ، في مجلس واحد كان يفتى على عهد الرسول الاكرم والخليفة الاول وصدر خلافة عمر بوقوع واحدة على اعتبار انالطلقتين الاخرتين كانتا للتاكيد ، وكان الناس لرسوخ قدمهم في الاسلام وايثارهم الصدق يقبل منهم دعوى التاكيد لا انشاء طلاق ثان وثالث .

كل هذه احتمالات ـ وان يكن بعضها ضعيفا ـ يسوغ للمجتهد عمر أو غيره اذا راى المصلحة العامة وحسن السياسة أن يحمل النص على غير ظاهره ولا ادل على ذلك من أن ابن عباس نفسه كان يفتى بوقوع الثلاث بلفظ واحد ، وحسن الظن بابن عباس يحملنا على ان لا نتهمه بانه آثر راى عمر على فتوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل لا بد وان يكون عنده وعند من وافقوا عمر على رايه دليل من الشارع(١) .

هذا واذا كانت المسالة ظنية وخلافية فهل يقال : ان امير المؤمنين عمر عطل نصا بمصلحة ، بل الانصاف ان يقال : انه رجح احتمالا على احتمال بالمصلحة ، وشتان بين الأمرين .

وعلى هذا فلو تبين لنا بعد ذلك ان المصلحة العامة توجب الاخذ بالاحتمال الثانى فليس علينا في ذلك من حرج ، وهذا ما اخذ به في قوانين كثير من الدول الاسلامية باعتبار الطلاق الثلاث ـ بلفظ واحد ـ طلقة واحدة رجعية ما لم تكن مكملة للثلاث المتفرقات ، فان المتتبع لاقوال عمر وغيره من الصحابة الذين انتهجوا نهجه تدل على انهم افتوا بما افتوا تاديبا وزجرا وسياسة مع عدم تعطيلهم للنصوص كما قررنا آنفا .

سياسة عمر ورعايته للمصلحة العامة

يعتبر عمر ـ رضي الله عنه ـ في نظر مؤرخي التشريع الاسلامى من ادق الناس نظرا في معرفة المصالح العامة ولا سيما عندما تشتبه الامور وتتضارب المصالح ، وهو مع هذا لا يعطل نصا ولا يعتبر مصلحة الغاها الشارع بنص قاطع

(١) من اراد أن يستوعب البحث فليرجع الى كتاب نيل الاوطار للشوكانى جـ ٦ من ص ٢٥٥ الى ص ٢٦٤ ومصنف ابن ابى شيبه جـ ٥ من ص ١١ ـ ص ١٥ وكتاب الروضة الندية لصديق خان جـ ٢٠ من ص ٥٢ ـ ٥٤ .

ثبتعنده ، كما انه لا يستبد برأيه متى بان له وجه الخطا ، وقصته في تحديد المهور مشهورة ، فقد رأى ان يضع حدا أعلى للمهور - لما رأى الناس قد تغالوا فيها - واستانس في هذا بمهور أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وبناته ، فلم ير واحدة منهن أمهرت بأكثر من خمسمائة درهم ، وهن من هن نسبا وفضلا ،وخطببذلكعلى المنبر الا ان امرأة من آخر الصفوف قالت له : ليس ذلك اليك ثم قرأت قوله - تعالى - « وانأردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا اتأخذونه بهتانا واثما مبينا »(١) فرجع عن رأيه ، وقال : كلالناس أفقه من عمر حتى النساء .

وخفى عليه سقوط طواف الوداع(٢) عنالحائض فكان يردهن حتى يطهرن ثم يطفن الى أن بلغه أن النبى صلى الله عليه وسلم اسقطه عنهن كما انه كان يرى المفاضلة في الدية بين أصابع اليد معتبرا تفاوت الاصابع في المنفعة حتى بلغه أن الرسول الاكرم سوى بينها في الدية فرجع عن رأيه الى أشياء كثيرة ثبت عنه الرجوع عن رأيه نزولا على النص .

اما المصالح التى سكتت عنها النصوص فكان أجرأ الناس على اعتبارها والاخذ بها ولا يمنعه من الاخذ بها أن يقتبسها من قوم ليسوا على دينه كالروم والفرس : وذلك كتدوين الدواوين وتنظيم الجيوش واتخاذ تاريخ للدولة واختار الهجرة ، لانها الفارق بينالضعف والقوة ، ولانها عنوان التضحية والايثار ، ولانها مبدأ الدولة الاسلامية ، فقبلها لم يكن للمسلمين دولة .

ومن سياسته التى خالف فيها ابا بكر - رضي الله عنه - انه فاضل بين المسلمين في العطاء ، فلم يسو بين السابقين الأولين وبين مسلمة الفتح ولم يسو بين من شهد بدرا ومن لم يشهدها ولم يسو بين من ابلى في الفتوح بلاء حسنا ومن لم يكن له حظ من هذا البلاء الحسن ، فكان عمله هذا من الحوافز القوية على الاسهام بكل قوة في رفع شأن الامة . ولقد كان بعيد النظر حينما منع كبار الصحابة من التنقل في البلاد المفتوحة ، فقد رمى بذلك عصفورين بحجر واحد أولهما انه استعان بهم كمستشارين له وليحملوا معه عبء الأمانة العظمى التى تحملها ، فكانوا له وزراء صدق ، وثانيهما انه خشي أن يفتن الناس بهم ، وان تفتنهم زينة الحياة الدنيا ، وقد وقع ما خشيه حينما سمح الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه ، فكان ما كان من بزوغ قرن الفتنة التى ما زلنا نكتوى بنارها الى يومنا هذا ، كما حرمنا من وقوع اجماع في مسائل كنا فيها محتاجين الى الاجماع ، فدعوى الاجماع - بعد عهد عمر - دعوى يعوزها الدليل ، وهى الى الكذب اقرب منها الى الصدق .

وبعد فان المصلحة الحقيقية - هى - غاية المشرع - جل شأنه - من شريعته ، وان المصالح التى الغاها ما هى الا مصالح موهومة،ضررها أكبر من نفعها ، وان عمر - رضي الله عنه - كان أكثر الصحابة ومن جاء بعدهم أخذا بالمصلحة ما لم يقم عنده برهان قوى على اهدارها وان القول بأنه اعتبر المصلحة واهدر النص افتراء على هذا الرجل العظيم واتهام له بالانحراف عن الدين والافتيات على الله رب العالمين ورسوله .

وحسبه انه خرج من الدنيا بعد أن أقام للاسلام ملكا لم يسمع التاريخ بمثله انه اقيم في مدة كمدته وكان - مع هذا - اقل عطاء من اى عامل من عماله .

وختم الله حياته باستشهاده - وهو يقيم الصلاة - على يد مجوسي عابد للنار ولم يجعل دمه في عنق مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر .

رحم الله عمر فقد كان اسلامه نصرا وهجرته فتحا وخلافته رحمة وخيرا وبركة . ■■

بدر المتولى عبد الباسط

---

(١) سورة النساء الآية ٢٠ .

(٢) ويسمى طواف الصدر وهو آخر شيء يفعله الحاج او المعتمر حين ترك مكة المكرمة .

الواقع وما وراء..

بقلم : الدكتور زكى نجيب محمود

■ الناس رجلان في طريقة النظر الى الاشياء من حولهم ، وكثيرا ما تتجاور الطريقتان في ثالث .

الطريقة الاولى

اما الاولى فهى ان يحصر الانسان ادراكه في حدود الشيء الذي يدركه ، فليس له من هذا الشيء الا ما يقع عليه البصر او ما تمسه الايدى او غير ذلك من جوانب ، مما له صلةبهذه الحاسة أو تلك ، فكأنما هو حيال ذلك الشيء أداة تصوير أو تسجيل ، تلقط ما هنالك من ظواهر الضوء والصوت والحجم والوزن وما الى هذه الحقائق التى يمكن ادراكها بالحواس ، او بمختلف الاجهزة التى تعين الحواس بكثير او قليل من ضبط ودقة.

الطريقة الثانية

واما الطريقة الثانية من النظر الى الاشياء ، فهى التى لا يكتفى اصحابها بالشيء كما تراه العين أو تسمعه الاذن او تمسه الاصابع ، لان هذه « الظواهر » ــ عندهم هى اشد جوانب الشيء تفاهة وقلة شأن ، وانما وراء هذه الظواهر « بواطن » هى التى تؤلف حقيقة الشيء ولبه وصميمه ، واذن فما تلك الجوانب الظاهرة للحواس ، الا رموز تشير الى حقيقة تخفت وتسترت ، بحيث لا يكون ادراكها بالبصر والسمع واللمس ، بل يكون ادراكها بقوة اخرى ، يتفاوت الناس في انصبتهم منها ، وان شئت فسمتها « بصيرة » ، تدرك ما لا يدركه البصر ، فلئن كانت الاشياء كما نصادفها في دنيا الواقع المحس هى الحقيقة نفسها التى لا حقيقة وراءها من وجهة نظر الطائفة الاولى ، فهى لا تعدو عند الطائفة الثانية ان تكون رموزا ترمز الى مجهول وراءها ، واما أن يكون لديك من قوة البصيرة ما يمكنك من رؤية هذا الوراء المجهول ، واما الا تكون هذه القوة الادراكية من نصيبك ، فعندئذ سوف تحدق بالعينين ما تحدق ، دون أن ترى شيئا ، فتنكر أن يكون لهذا الوراء الخافي وجود .

هما اذن طائفتان

والطائفة الاولى هى زمرة العلماء ، واعنى علماء الكيمياء والفزياء وما شابههم من سائر العلماء الذين يتقصون بالنظر « ظواهر » الطبيعة ليستخرجوا قوانينها ، واما الطائفة الثانية فرجالها كثيرون يتشكلون انواعا وصنوفا ، ولعل ذروتهم ان تكون في جماعة « المتصوفة » الذين ينشدون رؤية « الحق » عن غير طريق الحواس ، بل عن غير طريق العقل ، بل عن طريق ما يسمى « بالحدس » أو البصيرة او العيان الروحانى المباشر .

الجمع بين النظرتين معا فى اكثر الناس

على أنه كثيرا ما يحدث ان يكون للرجل الواحد هاتان النظرتان معا ، يستخدم كلا منهما في مجاله

.. الواقع

أهل الواقع العلماء ، هم الذين يتقصّون بالنظر الظواهر الطبيعية . وأمّا ما وراء الواقع ففي الذّروة من أهله جماعة المتصوّفة الذين ينشدون رؤية الحقّ عن غير طريق الحواس .

فهو يتشبث بالواقع المحسوس اذا كان في مجال بيع او شراء او طعام وشراب ، انه لا يرضى وهو فيهذا المجال العملي ان يدفع ماله ثمنا لدار يشتريها او لثوب من قماش ، ثم يرضى بعد ذلك ان يعود خالي اليدين مما اشترى ، على زعم له من البائع ان الدار التي اشتراها او ثوب القماش ما هو الا رمز لما وراءه ، فليترك هذا الرمز ليتصرف الى البحث عما يرمز اليه في دنيا الطي والخفاء ، لا ، انه في مجال الحياة العملية يقبض على الواقع بكلتا يديه ، لانه انئذ هو كل ما يعنيه ، لكنه في ساعات الفراغ المتامل ، بعد ان يكون قد طعم وشرب واكتسى ، لا باس عنده في ان « يتفلسف » على النحو الذي يوهم بان كل هذه الاشياء التي نشط لكسبها بياض نهاره ، ليست الا « ظواهر » طافية كرغوة الماء على سطح الوجود ، وعلى الحكم ان يمحو غشاوتها من امام عينيه ، ليرى بواطنها الخافية ، التي هي الحق الثابت الدائم الذي لا يتبدل ولا يتحول ولا يزول ، ومن هذا الطراز من الرجال ، اعني الطراز الذي يتمسك « بالواقع » في حياته العملية ـ او العلمية ـ ثم لا يلبث ان يتنكر له في حياته المسترخية المستريحة من قيود ذلك الواقع ، أقول ان من هذا الطراز من الرجال تتالف الكثرة الغالبة من البشر ، واما الذين يحدون انفسهم بحدود الواقع في كل الظروف ، فقلة قليلة ، وكذلك هم قلة قليلة اولئك الذين يصرون على مجاوزة الواقع الى ما قد خفي وراءه في كل الظروف كذلك .

رموز الحياة وما وراءها

الفرق واضح ـ فيما ارى ـ بين ان يكون الشيء الواقع حقيقة مقصودة لذاتها ، وبين ان يتخذ دليلا على سواه ، فالضوء الاحمر في علامات المرور هو ضوء كأي ضوء آخر مما يقع على العين المبصرة ، ولكنه قد يتخذ دليلا على امر اصدره الشرطي بان تقف السيارات العابرة حتى يأذن لها باستئناف الحركة ، وعلم الدولة هو قطعة من قماش كأي قطعة اخرى من قماش ، لكنه قد يتخذ رمزا يدل على دولة قائمة واجبة الاحترام ، وعقارب الساعة وهي تشير الى ارقام رقمت على وجهها ، هي قطع من معدن تتحرك كما يتحرك سواها من اجزاء المادة المتحركة ، لكنها في كل وضع من اوضاعها تدل على « زمن » ، ونستطيع ان نمضي في ذكر الامثلة مئات والوفا ، لاشياء نراها على وجه ونتخذ منها دليلا رامزا على وجه آخر ، واول هذين الوجهين هو الواقع كما تدركه

حواسنا ، والوجه الثاني هو ما وراء هذا الواقع، فاذا انت توسعت في هذه التفرقة ونوعيتها،وجدت الانسان الحي : واقعه المحسوس بدن بكل ما فيه من أجهزة للهضم والتنفس وغيرهما ، وما وراء هذا الواقع روح نستدلها ولا نراها ؟ ووجدت الطبيعة كلها بما فيها من اكوان فلكية ، واقعها هو هذا الذى نراه ونلمسه ، ووراء هذا الواقع قوة عظمى نستدلها ولا نراها .

على أن الناس ـ كما اسلفنا القول ـ يختلفون درجات في محور التركيز : نفر قليل ينحصر في الواقع المرئي المحسوس غاضا نظره عن مهمة الرمز التى قد ينسبها آخرون الى هذا الواقع ، ونفر قليل آخر يجاوزون الواقع المرئي ، لا يقفون عنده لحظة الا ريثما يطعمون باقل الزاد ويكتسون باقل الثياب ، لكى يسارعوا الى ما وراءه ، ثم كثرة كاثرة تحاول الجمع بين النظرتين ، فتجعل من يومهم ساعات للواقع يقفون عنده من حيثهو، وساعات اخرى لما يفرضون وجوده وراء ذلك الواقع .

شعوب مادية وشعوب روحانية

وعلى هذا النحو نفسه تختلف العصور وتختلف الامم ، فمن عصور التاريخ ما تغلب عليه النظرة الى الواقع كما تقع صورته على حواس المشاهدين ـ مثل عصرنا الراهن في جملته ـ ومنها ما تغلب عليه النظرة الاخرى التى تتخذ من هذا الواقع رمزا ، ثم تحاول البحث وراءه عما يرمز اليه ـ مثل العصور التى اشتدت فيها روح التدين ـ ومنها عصور حاولت أن توازن بين النظرتين ـ كما حدث ـ في ظنى ـ ابان القرن الماضي ـ حين كادت تتجاور مثالية هيجل مع وضعية اوجست كونت ، وكذلك تختلف الامم كما تختلف العصور، ولقد جرى عرف الناس في احاديثهم الجارية على ان ينعتوا الشعوب التى يغلب عليها الوقوف عند حدود الواقع لا يجاوزونها ما استطاعوا ، بانها شعوب « مادية » ـ كما نقول اليوم عن الشعب الامريكى مثلا في وقفاته العلمية الصارمة ، وأن ينعتوا الشعوب التى يغلب عليها الميل الى مجاوزة الرمز الى المرموز اليه ـ أعنى مجاوزة الواقع الى ما وراءه ، بانها شعوب « روحانية » ـ كما نقول نحن عن انفسنا احيانا ، وعن الشعب الهندى ، وعن الشرق كله بصفة عامة .

مشكلة العرب الكبرى في معاصرة عصرنا الحاضر

اما بعد هذا التمهيد الشارح ، فانى اعرض للمشكلة الكبرى التى تشغلنى وتشغل سواى من رجال الثقافة في الامة العربية ، وهى : كيف نلتمس لانفسنا طريقا فيعصرنا هذا، بحيث نعاصره حقا وفعلا وايجابا ، ونحافظ في الوقت نفسه على المقومات الاساسية التى تجعلنا امة عربية ؟

قوة العرب كانت : موازنة بين الواقع المحسوس وما وراءه

ان اغلب الظن عندى هو ان اوضح سمة تميز العربى في ثقافته ـ وذلك حين يكون هذا العربى في عصور قوته ـ هى انه يوازن في دقة وبراعة بين وجهى الحياة : فللواقع المحدود المحسوس مجال، ولما وراءه مجال آخر ، بحيث لا يطغى احد المجالين على الآخر ـ بل يتكامل المجالان في حياة سوية متزنة ، وربما كان المعنى المقصود منالحديث الشريف بانيعمل الانسان لدنياه كانه يعيش ابدا، ولآخرته كانه يموت غدا ، هو وجوب مراعاته لهذا التوازن بين النظر الى الواقع حين ينبغي أن ينحصر رؤيته فيه ، ثم النظر الى ما وراءه باعتبار الواقع فيهذه الحالة رمزا يشير الى ما هو ارفع واسمى ، فالواقع مهما كانت قيمته ، انما هو جزئية عابرة تجيء وتمضي ، واما ما يمكن ان يشير اليه فمطلق ازلى لا يتعاوره الحدوث والفناء .

فرار العرب اليوم ، من الواقع ، الى ما وراءه

لكن الامة العربية لم تكن دائما بهذه القوة التى توازن بين الطرفين في اتساق وتوازن ، بل اصابها الضعف حينا ، ولعلها ما زالت تئن من بعضه الى يومنا ، فماذا يصنع الضعيف البنية الا ان يفر من حمل الاعباء الثقال ؟ ماذا يصنع ضعيف المعدة سوى تجنب الطعام ؟ ومثل هذا الفرار رايناه في العربى الضعيف حين رايناه يفر من الواقع لائذا بما وراءه ، فتكون النتيجة ان يضيع منه الجانبان معا ، عندئذ يكثر التواكل والتخاذل ، وتشيع الخرافة ويضيع الايمان بالعلم وروابطه السببية ؟ اذا اراد الناس قمحا لياكلوا،

فلماذا يلتمسونه على ارض الواقع ما دام في وسع اصحاب الخوارق ان يضعوا ايديهم في اوعيتهم الخالية فاذا هي مليئة بالخبز والارز واللحم والمرق ؟

على ان ضعف العربى الضعيف لم يظهر دائما في صورة الفرار من الواقع ، بل كثيرا ما ظهر وما يزال في الوقوف عند الواقع المحســوس ، لا وقفة العلماء يحللونه ويركبونه ويخترعون منه الاجهزة العلمية ويخلقون منه حضارة جديدة، بل وقفة الخلعاء يكثرون من الطعام والشراب والثياب والبذخ واللهو الفارغ ، وســواء لهـا العربى الضعيف عن الواقع او انغمس فيه ، فهو في كلتا الحالين صورة شائهة للثقافة العربية ابان قوتها .

عصرنا الحاضر عصر علمي من الرأس الى أخمص القدم

ومع ذلك فهذا كلام جاء عرضا في سياق الحديث، وليس هو ما قصدت اليه ، وانما قصدت الى بحث للثقافة العربية الحديثة عن وقفة تحقق بها ذاتها وتشارك بها عصرها في آن معا ، وهى انما تحقق ذاتها ـ ولا جدال في هذا ـ بأن تضيف الى الواقع ما وراءه ، ولكن كيف ؟

تستطيع أن تقول عن عصرنا هذا اى شيء تريده لكنك لا بد ناعته بانه عصر علمى من الرأس الى اخمص القدم ، ولا ينفى عن العصر علميته هذه أن نراه يلجأ في دنيا الادب والفن الى ضروب يتحلل فيها من روابط المنطق ، مستهدفا بذلك أن يزيح عن ظهره صرامة العلم ومنطقه ولو لبضع ساعات ليستريح ، واذا قلنا عن العصر انه ذو طابع علمى ظاهر في ادواته والاته وتكنياته ، فقد قلنا بالتالى انه عصر يرتكز على «الواقع» وحده، والا فهل يترك عالم الضوء ـ مثلا ـ ظاهرة الضوء لينظر الى ما وراءها ؟ هل تريد لعالم الطبيعة الذرية أن يغض النظر عن الذرة التى هى موضوع بحثه ليبحث عن خفاء كامن خلفها ؟ لا ، فالعلم مربوط بالواقع باوثق الروابط ، والعالم مشدود العنق الى موضوع بحثه ، يصب عليه المشاهدة ويجرى عليه التجارب ليستخرج خصائصه وتفاعلاته مع غيره . ثم ليصوغ له القوانين آخر الامر في صور رياضية ليتمكن الانسان بعد ذلك من الجام الظواهر الطبيعية بكل ما استطاع من شكائم ، فيركبها ويوجهها ، كما يفعل مهرة الفرسان في جيادهم .

فاذا شاء العربى ان يعاصر زمانه ، فلا مندوحة له عن العلم ، ثم العلم ، ثم لا ثم بعد العلم ، وانما عنيت العلم بمعناه الطبيعي لا بالمعنى الذى يتصوره حفظا لما ورد في صحائف الاقدمين ، فلن تزداد عصرية لو رويت عن ظهر قلب الف الف بيت من الشعر ، لكنك تزداد عصرية لو شاركت في العلم بالالكترون وفي تسييره لخدمة الانســان ، وكما ان الحيــاة يقظة للنشاط المنتج ونعاس للراحة والاحلام، فكذلك حياة الانسان الثقافية : يقظتها في دراســة العلم الطبيعى وتطبيقاتــه ، ونعاسها الحالم في رحاب الادب والفن .

ماذا نضيف الى العلم بحياتنا ؟

ولنترك المعاصرة ووسيلتها ، فما اظن عليها بين اولى الراى اختلافا ولا خلافا ، ولنعد الى سؤالنا الاهم والاعوص ، وهو : ماذا عسانا ان نضيف الى العلم من لدنا ، لنصبح عربا ، بعد أن بتنا بالعلم معاصرين ؟ .. الجواب هذه المرة يكمن فيما وراء الواقع ، فلئن كان الواقع المرئي ، الذى هو مجال العلوم الطبيعية ، مشتركا بين الناس اجمعين ، فان ما وراء الواقع تختلف صورته باختلاف الامم، بل انها لتختلف في الامة الواحدة باختلاف الافراد في انصبتهم من الثقافة .

ولو أمعنت النظر حولك في احاديث الناس ومسالكهم لرأيت هذه الحقيقة ماثلة امام عينيك لا ، بل انك لتراها ملقــاة امامك على قارعــه الطريق ، لا تتطلب منك امعانا للنظر ، وهى اننا لا نكاد نغفل عما وراء الواقع في حياتنا لحظة ، فذلك ـ كما اسلفت القول ـ هو طابعنا الثقافي الاصيل المميز ، ولا عجب ان كنا نحن الامة التى عن طريقها عرفت الدنيا رسالات السماء ، ومعنى ذلك اننا بحكم الوراثة الثقافية نفسها معدون اتم اعـداد لاضافة الباطن الخفى الى الظاهـر البادى ، فاذا استطعنا ـ بالمشاركة في الحركـة العلمية ـ ان نشارك عصرنا في هذا الظاهر البادي للبصر والسمع ، فما ايسر علينا بعدئذ ان نميز انفسنا بنظرتنا الخاصة الى ذلك الخفى الباطن .

غير ان هذه الاضافة ـ اضافة البــاطن الى الظاهر ـ لسوء الحظ لا تتخذ عندنا صورة واحدة من الطراز الذى يعلو بصاحبه ، بل ان

لها عندنا صورتين : احداهما قد تراها في قلة ضئيلة من المثقفين واما الاخرى فلها الشيوع في السواد الاعظم من الناس ، اما في الحالة الاولى فالماورائية تبنى لنفسها نسقا متينا من القيم السامية،التي من شأنها ان تحدد الاهداف العليا ثم ترسم لها خطوات الوصول ، وبذلك تصبح فعالة محركة نحو الارقى والافضل ، واما في الحالة الثانية فالماورائية تتحول الى مجموعة من السمادير والاوهام ، فترين على القلوب وتغشي الابصار ، وما هي الا انه تتجمد الحياة في شرايينها فلا نمو ولا حركة ، بله أن يكون ارتفاع وارتقاء .

نفض انظارنا عن أصحاب الاوهام والسمادير

ونفض انظارنا عن اصحاب الاوهام والسمادير ، برغم كونهم الفئة الاكثر عددا والاوسع انتشارا ، لانهم اذ يجاوزون دنيا الواقع الى ما وراءها ، لا تقع ابصارهم في هذا « الوراء » الخصب الغنى الملهم ، الا على ما يشتت الاذهان ويبعثر الجهود ويضل السائرين عن جادة الطريق ، نفض النظر عن هؤلاء ، لانهم يلتمسون فيما وراء الواقع كل ما من شأنه أن يهدم بنيان العلوم ، فالعلوم قائمة على اطراد القوانين ، اما هؤلاء فيبحثون عن روايات يروونها ليثبتوا بها الا قوانين ولا اطراد ، فاذا كانت قراءة مخطوط معين تتطلب في الحياة الواعية العاقلة عيونا ترى ، جعلوها لك امرا ممكنا بغير رؤية ، واذا كان الانتقال من نقطة الى نقطة اخرى تتطلب اجتياز المكان الواقع بينهما ، جعلوا لك هذا الانتقال ممكنا بغير اجتياز للمكان ، وهكذا وهكذا ، الوف الامثلة والروايات يسوقونها لك ويروونها ، ولو صدقت لكذب العلم ، وبالتالي لاستحال علينا مشاركة العصر في علميته بكل عقولنا وقلوبنا .

نفض انظارنا اذن عن هؤلاء ، برغم كثرتهم ، ويكفي لاهمالهم من حسابنا ان نعلم ان اوهامهم هذه، ولو زيدت اضعافا مضاعفة ، لما زادت غلال القمح حبة ، ولا اقامت للمضيعين من الناس جدارا ولا نسجت للعريان ثوبا ، هي اوهام تهدم ولا تبني، وتقيد العقول لا تفك اغلالها ولا تفسح امامها آفاق النظر .

منظومة من القيم فيها ديناميه متحركة

نفض انظارنا عن هذا اللون المريض من مجاوزة الواقع الى ما وراءه ، لنحصر تلك الانظار في طريق آخر ، يميزنا ونستطيع ان نفخر به ونفاخر ، وذلك هو الطريق الذي نبني به وراء الواقع المادي منظومة من القيم ، بينها وحدة واتساق ، وفيها دينامية محركة ، ولها القدرة على رسم حياة مثلى ، يكون فيها العمل والامل ، وهي منظومة من القيم لم تعرف بها امة كما عرفنا ، ومن ثم فهي التي يمكن ان تمدنا بالطابع الفريد الذي يحقق لنا الاصالة التي اذا اضيفت الى المعاصرة عن طريق اكتسابنا للعلوم ، حققنا وجودنا من طرفيه ، فكنا بذلك عربا ومعاصرين في آن معا .

وهي مجموعة من قيم لن تحتاج منا الى بحث طويل للكشف عنها ، لانها على اطراف انامِلنا ، نرددها الف مرة كل يوم، يحفظها صبية المدارس، ويجريها الراشدون في احاديثهم الجارية ، لكن ـ وا اسفاه ـ يحفظها اولئك ويرددها هؤلاء الفاظا ، لكنهم لا يعيشونها حياة ، وانما عنيت القيم المتمثلة في اسماء الله الحسنى .

هذه الاسماء هي في حقيقتها دلالات تشير الى قيم تضبط السلوك وتوجه مجرى الحياة الى اهداف تليق بالانسان كما تتصوره وتصوره الثقافة الاسلامية العربية ، هي صفات تكون مطلقة بالنسبة الى الله سبحانه ، ومنقوصة متدرجة نحو الكمال بالنسبة الى الانسان ، فلو استطعنا ـ عن طريق التربية بصفة خاصة ، وعن طريق الفكر والنشر بصفة عامة ـ لو استطعنا الا نجعلها مجرد الفاظ نرددها على حبات المسابح ، بل نجعل منها معايير حية نابضة نترسمها ونهتدي بهديها ، اذن لكانت بين ايدينا منظومة متسقة كاملة من القيم التي تضاف الى دنيا الواقع فتخرج الانسان الكامل

المتكامل من وجهة نظر اسلامية ، وفي ظروف هذا العصر ، عصر العلم والصناعة .

اننا لنبصر بأعيننا ونلمس بايدينا كيف انتهى العلم الطبيعي والصناعة التكنية في البلاد التي تقدم فيها العلم وتقدمت الصناعة ، كيف انتهى بها هذا العلم وهذه الصناعة الى حالة من العرج الحضاري ، فكأنما هي تحجل على ساق واحدة ، فكان ما كان من تمرد الانسان على نفسه في الفن والادب ، حتى لقد اعلنوها صريحة بانهم لم يعودوا يطيقون العقل والمعقول ، واندفعوا وراء اللامعقول والعبث ، فاي اضافة عظيمة تستطيع الثقافة العربية الاصيلة أن تضيفها الى حضارة هـذا العصر ، لو انها جسَّدت قيمتها في ابنائها اولا ، فاستطاعت بذلك ان تعطي للعالم المعاصر معاني انسانية في مقابل ما تاخذه من علم وتكنيات !

كتاب المقصد الاسنى في اسماء الله الحسنى

كان من بين ما اوحى اليَّ بهذه النظرة الـى الاسماء الحسنى ، وهي النظرة التي تجعل منها قيما للسلوك البشري ، كتاب صغير عميق ملوم ، هو كتاب الامام الغزالي : « المقصد الاسنى في اسماء الله الحسنى » . فالامام في كتابه هذا يلقي على الاسماء الحسنى اضواء ساطعة تبرز معانيها الخافية ، وهو يعقب على شرحه لكل اسم منها بقوله : أن نصيب العبد من هذه الصفة كذا وكذا ، فيبين للقارىء كيف يسلك في حياتـه العملية على ضوء هذه الصفة المعينة أو تلك من المجموعة باسرها .

وانني لعلى ظن يبلغ درجة الرجحان الشديد ، بأن المتامل لهذه المجموعة من الصفات ، يستطيع آخر الامر أن يقيم منها بناء واحدا متسقا ، وانما قصدت « بالبناء المتسق » هنا ما نقصد اليه في دراساتنا الفلسفية حين نرتب القضايا ترتيبا تنازليا يبدأ بالاعم وينتهي بالاخص ، بحيث تجيء كل خطوة نتيجة منطقية لازمة لزوما ضروريا عن الخطوة السابقة عليها ، وفي الوقت نفسه تكون مقدمة ضرورية بالنسبة للنتيجة التي تلزم عنها في الخطوة التي تليها ، ولو استطعنا بناء هـذه القيم على هذا النحو المتسق اوله مع آخره ، كان لنا بذلك ــ لا مجرد عدد متناثر من القيم ، بل مجموعة « موحدة »، ويكون مثل هذا « التوحيد » في القيم عندئذ ، جانبا هاما من التوحيد الذي هو أميز ما يميز عقيدة المسلم ، وعندئذ كذلك يكون هذا التوحيد في القيم ، ضامنا للانسان ألا يتمزق سلوكه يمنة ويسرة فلا يدري الى أين يتجه ؟ أفمن نقائص عصرنا ــ بشهادة رجال الفكر أجمعين ــ انه عصر ادى بشبابه الى حالة من التمزق والتفسخ والضياع، لماذا ؟ لان القيم التي ينطوي عليها هذا العصر ، ليست كلها على اتساق بعضها مع بعض ، فترى هذه القيمة المعينة تغري الناس بالتزام العقل الصارم (في دنيا العلـوم مثلا) بينما تغريهم تلك القيمة الاخرى بالخروج والعصيان وتفضيل الغريزة والوجدان على العقل ومنطقه (كما هو مشاهد في كثير من نتاج الادب والفن ، وفي تمرد الشباب) ، فلو استطعنا نحن ان نقدم للعالم مجموعة متسقة الاجزاء من القيم الهادية للانسان على طريق الحياة ، كان هذا دورنا في بناء الحضارة المعاصرة .

مثال واحد أوضح به ما أريد

ولا يتسع المقام هنـا لبحث شامل كالـذي اقترحته ، فلأقتنع بمثال واحد لعلي اوفق به الى توضيح ما أريد :

اعتقد أن لصفة « الحياة » في هذه المجموعـه صدارة منطقية ، فمنها تتفرع سائر الصفات ، وفي ذلك يقول الزبيدي في شرحه لكتاب الغزالي « احياء علوم الدين » (ج ٢) ان تاخير ورود « الحياة » بعد ذكر صفات أخرى كالقدرة والعلم ، هو بمثابة تأخير المدلول عن الدليل ، فمن شرط العالم القادر أن يكون حيا ، ومع ذلك فكل ترتيب نجعل به صفة تسبق أخرى ، لا يعني ترتيبا في الظهور ، لان هذه الصفات كلها أزلية معا .

وبعد هذا التحفظ أعـود فاقول ان لصفـة

« الحياة » صدارة منطقية ، فماذا تعني بها حين ندعو الانسان الى أخذ نصيبه منها فيكون « حيا » ؟ المقصود « بالحياة » هنا جانبان اساسيان ، هما « الادراك » و « الفعل » ، فللانسان حياة بقدر ما لديه من ادراك ومن فعل ، انه قد يتنفس ويتغذى وينمو ويتناسل ، ومع ذلك كله لا يعد « حيا » بهذا المعنى المقصود ، شرط الحي أن يكون على وعي كامل بما يدور حوله وبما تعتلج به نفسه ، ثم لا يقف أمام ادراكه هذا ووعيه موقفا سلبيا سكونيا ، لأنه لو فعل لما تغيرت الدنيا على يديه ، بل لا بد ان يكون « فاعلا » نشيطا منتجا مشاركا في دفع تيار الحياة بحياته ، والى اين يدفعه ؟ يدفعه الى حيث تسمو الحياة وترتقي،فالواقف على جانب الطريق ينظر الى ركبالحياة ولا يسهم في دفعه ليس حيا، والذي يحاول الرجوع بتيار الحياة الى وراء ليعود به الى حيث بدأ ، ليس حيا ، بمعنى الحياة الايجابي الذي اسلفناه ، الحي يقود ولا ينقاد ، ويكون متبوعا لا تابعا ، ما دامت « الحياة » بحكم تعريفها السابق خلقا وابداعا وابتكارا واضافة للجديد .

كان العربي من الاولين « حيا » لانه ما انفك بانيا في كل مجال : بانيا في مجال الفكر وفي مجال الحرب وفي مجال السياسة ، ولانه كان تام الادراك لدنياه ، وشديد الفاعلية فيما حوله ، والادراك والفعل ـ كما اسلفنا ـ هما عصب الحياة بالمعنى المقصود ، فاذا رأيت العربي من المتأخرين ـ واعني العرب في حالتهم الراهنة ـ اذا رأيته سطيحا تحت وطأة المستعمرين ، ينقاد لامامتهم ولا يقود ، ويأخذ من حضارتهم ولا يعطي ، فاعلم انه قد فقد من نفسه قيمة عليا من قيمه ، ولو استردها لاسترد عروبته بها ، ان العربي لا يكون عربيا لمجرد تكراره لهذه اللفظة ملايين المرات ، انما يكون العربي عربيا حين يتشرب القيم العربية الاصيلة ، واولها صفة « الحياة » بالمعنى الذي قدمناه .

خط الحياة كخط الزمن ، فانظر الى ما شئت من الكائنات الحية ، الى شجرة ـ مثلا ـ تجدها تنوع فاعليتها ـ والحياة فاعلية ـ بتنوع مراحلها، ان الفعل الذي تبذله في بناء جذورها ليس كالفعل الذي تبذله في صنع الاوراق والثمر ، هي شجرة واحدة من جذورها الى ثمارها ، لكنها لو قالت لنفسها عند مرحلة الثمر : لا ، اتركي حاضرك وارجعي الى ماضيك الجليل الجميل ، لعادت الى بناء الجذور مرة اخرى ، ولالغت بذلك وجودها ، وهكذا يفعل اعداء الحياة حين يدعوننا الى العودة الى ما كان ، لقد كان لما كان خطره حينكان الملتقى الذي تنصب عليه فاعلية الاحياء ، اما وقد انتقل الامر الى مرحلة تالية في عملية البناء وطريق السير ، فلننصرف بالحياة وفعلها الى هذه المرحلة الجديدة ، شريطة ان نخصص منها جزءا لحفظ الجذور الاولى ، وهكذا ترانا نضل طريقنا ونخطىء فهم الحياة ، لو ظننا ان شرائح الزمن المتعاقبة يمكن ان يحل بعضها مكان بعض ، فننتزع المرحلة الاخيرة من سياقها لنردها الىمكان المرحلة الاولى .

العربي مطالب بحكم تراثه ان يكون « حيا » ، فالله تعالى هو « الحي » بالمعنى المطلق الذي يستحيل معه ان يتسرب اليه جمود وموت ، واما الانسانفهو كذلك ـ او ينبغي ان يكون ـ « حيا » بالمعنى النسبي الذي يعطيه من الحياة بمقدار ما يدرك وما يفعل .

ولو استرسلت في حديثي لانتقل من صفة « الحياة » الى سواها ، مما يكون في مجموعه منظومة متسقة للقيم الضابطة لسلوك الانسان ووقفته لطال الحديث وفاض ، فحسبي هذه « القيمة » الواحدة نموذجا لما اعنيه حين ادعو الى أن تكون مجاوزتنا للواقع العلمي ، مجاوزة لا تنقلنا الى تخليط السمادير والاوهام والشطح والخرافة ، بل تنقلنا الى عالم القيم التي تؤيد العلم ولا تنقضه ، وتبني الحضارة ولا تهدمها ، وتجعل من الانسان انسانا يسير على ساقين : فها هنا العلم ، وهناك ضوابط القيم

زكي نجيب محمود

مسابقة العربي

صح .. أم خطأ .. ؟

نقدم لك في هذه المسابقة ١٥ اجابة عن معلومات عامة في وطننا العربي ، وخارجه .. والمطلوب منك أن تضع كلمة **صح** او **خطأ** امام كل اجابة وترسلها الينا . والفوز باحدى الجوائز التي مجموع قيمتها ١٠٠ دينار يحتم عليك ان تنجح في الاجابة على عشرة اسئلة على الأقل .. وهذه هي الاسئلة :

١ ـ في عام ١٩٧١ انضمت كل من البحرين وقطر وسلطنة عمان الى جامعة الدول العربية والأمم المتحدة .. صح أم خطأ ؟

٢ ـ الكسي ليونوف Alexei Leonov رائد الفضاء السوفييتي ، كان اول رجل سبح في الفضاء خارج مركبته الفضائية لمدة عشر دقائق يوم ١٨ مارس ١٩٦٥ .. صح أم خطأ ؟

٣ ـ للسودان حدود مشتركة مع سبع دول مختلفة .. صح أم خطأ ؟

٤ ـ كانت هزيمة نابليون بونابرت في موقعة واترلو نقطة تحول في تاريخ اوروبا ، وكان القائد الذي هزمه هو الادميرال نلسون .. صح أم خطأ ؟

٥ ـ فتح الاتراك مدينة القسطنطينية في عام ١٤٥٣ ميلادية صح أم خطأ ؟

٦ ـ كانت سويسرا اول دولة اعطت المرأة حقها السياسي في الانتخاب .. صح أم خطأ ؟

٧ ـ عبد القادر الجزائري البطل المشهور ، حارب الفرنسيين في الجزائر مدة ١٥ عاما ثم ذهب الى دمشق حيث توفي هناك عام ١٨٨٣ .. صح أم خطأ ؟

٨ ـ يقول الانجليز ان درجة حرارة الانسان هي نحو ٩٨٫٤ درجة فرنهيتية .. ويترجم ذلك الفرنسيون فيقولون انها نحو ٣٧ درجة مئوية .. فهل هذا صحيح أم خطأ ؟

٩ ـ اصبح عدد الدول الاعضاء في الجامعة العربية ١٧ دولة : ٧ منها في افريقيا و ١٠ في آسيا .. صح أم خطأ ؟

١٠ ـ في كل تنفس يدخل الى الرئة كمية غير قليلة من غاز النيتروجين .. صح أم خطأ ؟

١١ ـ يقع قبر القائد العربي الشهير خالد بن الوليد في مدينة حمص بسوريا .. صح أم خطأ ؟

١٢ ـ اكبر ثلاثة امم مصدرة للشاي في العالم هي : الهند والصين وسيلان .. صح أم خطأ ؟

١٣ ـ اكبر الدول العربية مساحة هي : جمهورية مصر العربية .. صح أم خطأ ؟

١٤ ـ الحرب العالمية الأولى بدأت عام ١٩١٤ وانتهت عام ١٩١٨ .. صح أم خطأ ؟

١٥ ـ يطلق على نهر النيل الممتد من بحيرة تانا الى الخرطوم اسم النيل الأبيض .. صح أم خطأ ؟ .

شروط المسابقة

١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :

مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٥٨ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر فبراير (شباط) ١٩٧٢ .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .

في سبيل موسوعة علمية

أمنا الأرض ...

كم مضى من عمرها المديد

لا احسب ، ان من بين خلائق الله، مما عرفنا وما لم نعرف ، خليقة يمتد وعيها الى ماضي الزمان ، فتحس بانه وقت مضى وانقضى ، ويمتد وعيها الى مستقبل الزمان ، فتحس انه وقت يستقبل ويرتجى، كخليقة بني الناس.

تلك الخليقة هي نحن . نحن بني آدم .

معنى الزمان دائما حاضر لدينا قائم.

تتعرف الى الرجل فتدرك منه وجهه، وتدرك منه سماته .. وشيئا تدركه ، عمدت الى ادراكه او لم تعمد : ذلك كم من الزمن قضى هذا الرجل في هذا الوجود .. او بتعبير آخر كم عمره .. او ان كانت امراة ، فكم عمرها ..

اشياء نسال عن اعمارها

والبيت يعرض عليك للشراء فتسال كم عمره ..

والسيارة تعرض عليك فتسال كم عمرها ..

وقد تسال عما مضى من زمانها، وانت انما تطلب ما بقي من زمانها ..

حتى رغيف الخبز يقدم لك، فتجسه وتحسه لتعلم متى خرج من فرنه .

الحياة مكان وزمان . وقد عرفنا الدنيا مكانا حاضرا . وعرفناها زمانا قصيرا ماضيا بمقدار ما اتَّسعت له اعمارنا على هذه الأرض . وجاء العلم الحديث فعرفنا منه في اى زمن اكتمل خلق الأرض .

أما غير ذلك من الزمان ، فاعماق منه ذهبت بعيدة عنا اسميناها أزلا . وأعماق منه سياتي بها المستقبل عميقة ايضا اسميناها أبدا . وبين الأزل والأبد ضلَّت عقولنا ، وحارت الأفهام .

بقلم الدكتور أحمد زكى

الزمن دائما حاضر لديك . .

وهو احضر لديك وانت امام المرآة . وهو احضر عند المراة وهى امام المرآة منه عند الرجل .

شيء واحد لا نسال عن عمره

شيء واحد لا يسأل الانسانُ عن عمره تلك هي الدنيا . النجم الثاقب ، والكوكب السيّار الدائب . والشمس المشرقة الغاربة ، والقمر الهلال والبدر .

والأرض . ارضنا هذه . كم يخطر لك ، وكم من الناس يخطر على بالهم ان يسالوا عن هذه الأرض : شابة هى ؟ عجوز هى ؟ كم دامت ؟ وكم تدوم ؟

والسبب فى اغفال الانسان الارض ، ان يسأل عن اعمارها ، انه يحضر اليها عند ميلاده فيرى لها صورا ، ثم يتركها وراءه فى ختام حياته ، عن صور لم تختلف عن تلك الصور الأولى كثيرا .

لا اثر للزمن اذن فى الارض .

انها فى حسه الدفين ، أزلية ، فلا اول لها ، وهى ، فى حسه الدفين ، ابدية ، لا آخر لها .

فلا معنى عنده اذن للسؤال عن عمر الأرض .

عمر الانسان اقصر من أن تتغير فيه للارض صور

ولكن ، هل حقا ان صور الارض لا تتغير ؟

انها لا تتغير فى حياة الانسان لقصر هذه الحياة .

ان ستين سنة ، او سبعين ، او ثمانين ، هى عمر انسان،ما هى الا نبضة من نبضات قلب الارض ، لو ان لها قلبا ينبض بالحياة ، الى جانب هذا العمر الطويل الذى لها .

عمر الانسان بالنسبة لعمر الارض نبضة .

وعمر الدول بالنسبة لعمر الارض دقيقة او دقائق ، فان طالت ، فهى قلما تصل الى الساعة .

ومن الناس من قدّر عمر الارض ، قبل ان يكون علم ، وعصر علم ، فلم يستطيعوا ان يذهبوا بعمر الارض بعيدا ، بعدا كبيرا ، عن عمر عرفوه للانسان .

ويحدثنا التاريخ ان رئيس الاساقفة « جيمس اشر » James Ussher ، قدّر للأرض ، لا عمرا فحسب ، ولا يوم ميلاد فحسب ، ولكن يوم ميلاد وساعة ميلاد . قال : انها ولدت فى الساعة التاسعة صباحا ، من يوم الأحد ، يوم ٢٣ اكتوبر ، لعام ٤٠٠٤ قبل الميلاد .

كان هذا التقدير عام ١٦٥٠ ميلادية .

كان العلم فى طفولته . وحين لا يكون علم يكون ظن . وينتهى دور الظنون ، فيكون استطلاع النجم فى السماء ، واستنطاق الحجر فى الارض .

طرائق العلم الأولى فى الكشف عن عمر الأرض

ولم يعدم العلماء الحيلة التى يتحيلون بها على كشف الزمان . ان الارض التى تتغير فى سنين او قرون لا شك تتغير على آلاف السنين وآلاف القرون . ونظروا فى الأشياء التى جاز عليها فى الأرض التغيير ، وجاز بها التقدير .

ملوحة البحار فى تقدير الأعمار

ووقعوا فيما وقعوا على مياه البحار . انها لا شك بدأت مياها عذبة . ثم هبطت الأمطار على الأرض الصلبة ، وجرت فى انهار وغير انهار ، واذابت من املاح الارض ما اذابت ، وصبت آخر الامر فى المحيطات والبحار . وكانت عذبة ثم املحت . ثم ازدادت على السنين والقرون ملوحة .

وقدروا كم هى تزداد ملوحة فى العام بعد العام . وقدروا كم من الملوحة تزيد البحار فى المتوسط فى الواحد من الاعوام .

وقدروا كم هو ملح ماء البحار اليوم .

واذن قدروا كم من الزمن استغرقت البحار لتبلغ ملوحتها الحاضرة .

طريقة تقريبية جدا .

ومع هذا ، فهى لا تدل على عمر الارض ، ولكن على عمر البحار ، من يوم ان بدأت عذبة ، الى ان صار ملحها ما هو اليوم .

وكملوحة البحار رواسب الصخور

وطريقة اخرى تتصل برواسب الارض .

والمعروف أن صخر الارض اجمالا ، هو صخران ، صخر فى سطح الارض اعمق ، هو الصخر النارى الذى انجمد من بعد أن كانت صهرته النيران . وصخر فوق هذا ، لم يكن موضعه الحالى هو موضعه الاصلى . انه صخر تكون من رواسب . ويحتالون على حساب عمره بمثل ما احتالوا على حساب عمر البحار . كم متوسط ما يترسب فى جهات من الارض خاصة ، فى فترة من الزمن معينة ، ثم كم ترسب من مثل ذلك فى ماضى القرون .



بحار ظلت تموج فتضرب الصخر بمائها احقابا من الزمان طويلة . ويتبخر ماؤها سحبا . وتهبط السحب على الارض مطرا يجرى في وديانها انهارا ، تصب آخر الامر مياها في البحار التى منها جاءت ، بعد ان حملت معها من املاح الارض اصنافا كثيرة . وتجرى السنون ، فتزيد البحار ملحا . ويأتى الانسان آخر الدهر ، يريد ان يحسب عمر البحر . فيجد في مقدار ما يستجد في المحيطات كل عام ، او كل عقد من الزمان ، من ملح اساسا لحسابه .

ومن هذين يحصلون على ما استغرقته هذه الرواسب من الزمن لتبنى نفسها ، وتكون . طريقة نصفها هكذا اختصارا فى شىء من التقريب كثير .

ومع هذا، فالناتج ليس عمر الارض، وانما هو عمر الرواسب .

وطرائق اخرى ، سلكوها سبيلا الى معرفة الأعمار ، ان لم تكن اعمار الارض، فأعمار الصخر ، ومن أعمار الصخر الى اعمار الارض خطوات ظنوها قريبة .

عمر الأرض فى عصر العلم الطبيعى الحاضر

انها طريقة لم تكن تخطر لأحد فى بال .

انها ظاهرة من تلك الظواهر العلميـة التى تختبىء ، ثم تظهر للعلماء فجأة . ثم اذا بها تستخدم فى مجالات من المعرفة، بعيدة عن موطنها الاصلى ، لم يكن فى وسع احد ان يتنبأ بها عند كشفها .

انها ظاهرة النشاط الاشعاعي الذي اختصت بـه بعض العناصر الكيماوية دون بعض .

ذرات كيماوية ثابتة على الدهر وذرات اخرى تاخذ تنحلُّ وتتهدَّم على الزمان

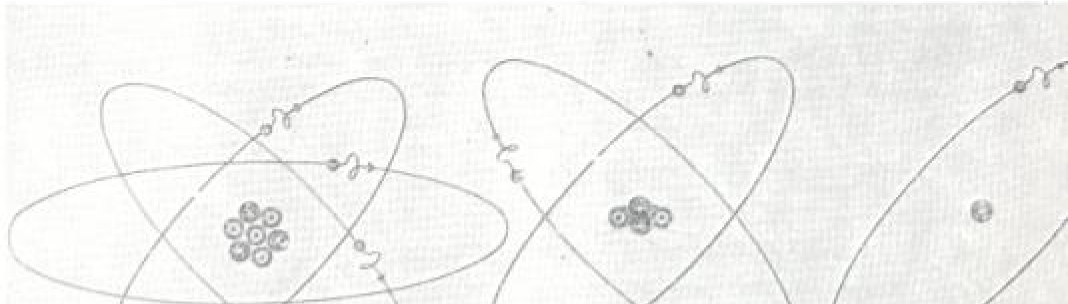
هـذه الظاهرة هـي التي يسميها العلمـاء ظاهـرة النشـاط الاشعاعي Radio Activity ، وافضل ان اسميها انا ، وانا اكتب الى جمهور النـاس ، بظاهرة التهدُّم الذري ، او التصـدع الذري ، او اي لفظ يدل على ان بناء الذرة تزعزع فانشق بعضه عن بعض . ومنه ما خرج كالشعاع فكان من ذلـك ان سميت الظاهرة بالنشاط الاشعاعي .

الذرة الكيماوية

من امثالها ذرة الاكسجين والنتروجين (الازوت) والصـديوم والبوتسـيوم والحديـد والزنك والكلـور واليـود ، والرديوم والثريوم واليورنيوم ، وكلهـا ذرات عناصر كيماوية .

وتتألف ذرة كل عنصر من العناصر الطبيعية التي زادت على التسعين من نواة ، هي نواة الذرة ، وهي تتألف من عـدد معين مـن البروتونات Proton ، وعدد مـن النيوترونات Neutrons . وحول النواة افلاك تدور فيها جسيمات غاية في الصغر اذا نسبناها للبروتونات والنيوترونات ، تسمى بالالكترونات ، ولا يزال العلمـاء يشبهون الذرة ، بنواتهـا البروتونيـة النيوترونيـة ، والـذي يدور حولها مـن الكترونات ، بالمجموعة الشمسية : الشمس النواة ، والكواكب هي الالكترونات التي تـدور حولها .

ومن صفة البروتونات انهـا تساوي النيوترونات في الكتلة (الوزن) تقريبا ، وكلاهما متضام متماسك في اضيق حيز هو حيِّز النواة . والبرتون يحمل شحنة كهربائية موجبة ، والنيوترون لا يحمل شحنة ، لا موجبة ولا سالبة . ومن اجل ذلك كان اسمه Neutron (من Neutral اي محايد) . والبروتونات والنيوترونات يتمثل فيهما وزن الـذرة كله تقريبا ، وذلك لأن الالكترونات ، مهما كثرت اعدادها ، فهي قليلة الوزن



هكذا يتمثلون صورة الذرة ، ذرة الأدروجين ، وذرة الهليوم ، وذرة اللثيوم . نواة الذرة في الأوسط وحولها الافلاك التي تدور فيها الالكترونات . والبروتون في النواة شحنته الكهربائية موجبة (+) ، اما النيوترون ، وهو ايضا في النواة ، فلا شحنة له . والالكترون الدوَّار حول النواة شحنته الكهربائية سالبة (ــ) .

جدا (الالكترون = ١/١٨٠٠ من وزن البروتون) .

وعمل الالكترونات الأظهر ، ان لم يبن في الوزن، فقد بان في الشحنة الكهربائية. ذلك ان كل الكترون يحمل شحنة كهربائية سالبة تساوي في المقدار شحنة البروتون الكهربائية الموجبة .

واذن لزم في الذرة ان يكون عدد البروتونات ، كعدد الالكترونات ، لكي تكون الذرة متعادلة كهربائيا .

والشحنة الكهربائية هذه مهمة . لأن الاتحاد الكيماوي بين ذرة كيماوية وذرة اخرى ، انما يكون عن طريق الالكترونات التي تدور في المدار الخارجي الأخير من افلاك الالكترونات .

فالتفاعل الكيماوي بين ذرة عنصر وذرة ، يتوقف اساسا ، لا على كم في الذرات من نيوترونات ، ولكن على كم فيها من بروتونات(هي مشحونة بالكهرباء بالطبع)،واذن فكم فيها من الكترونات.

ويسمى عدد البروتونات هذا (وهو عدد الشحنات التي بها يتحدد نوع التفاعل الكيماوي) بالعدد الذرى Atomic Number للذرة ، لأنه العدد الذي يعين نوع التفاعل الكيماوي الممكن لهذه ، ويعين خواص هذا العنصر من الناحية الكيماوية .

امثلة للذرات الكيماوية

١ ــ ذرة الأدروجين .

فنواتها بروتون واحد، وفيها الكترون واحد يدور في فلك واحد ، عن طريقه يتحد الادروجين بالاكسجين مثلا ، فيكوّن الماء .

فالعدد الذرّى للأدروجين هو اذن واحد .

٢ ــ ذرة غاز الهليوم .
بنواتها ٢ بروتون + ٢ نيوترون .
ثم الكترونان يدوران حول النواة .
فالعدد الذرى للهليوم هو ٢ .

٣ ــ ذرة الكربون .
بنواتها ٦ بروتونات + ٦ نيوترونات.
ويدور حول النواة ٦ الكترونات .
واذن فعددها الذرى ٦ .

٤ ــ ذرة النتروجين او الآزوت .
بنواتها ٧ بروتونات + ٧ نيوترونات.
ويدور حول النواة ٧ الكترونات .
واذن فعددها الذرى ٧

٥ ــ ذرة الاكسجين .
بنواتها ٨ بروتونات + ٨ نيوترونات.
ويدور حول النواة ٨ الكترونات .
واذن فعددها الذرى ٨ .

وننتقل الى امثلة من العناصر الأثقل وزنا .

فنجد ذرة الرصاص بها ٨٢ بروتونا.
ونجد ذرة الثريوم Thorium بها ٩٠ بروتونا .

ونجد ذرة اليورنيوم Uranium بها ٩٢ بروتونا .

واذن فالعدد الذرى لهذه الثلاث من الذرات هو ٨٢ ، ٩٠ ، ٩٢ .

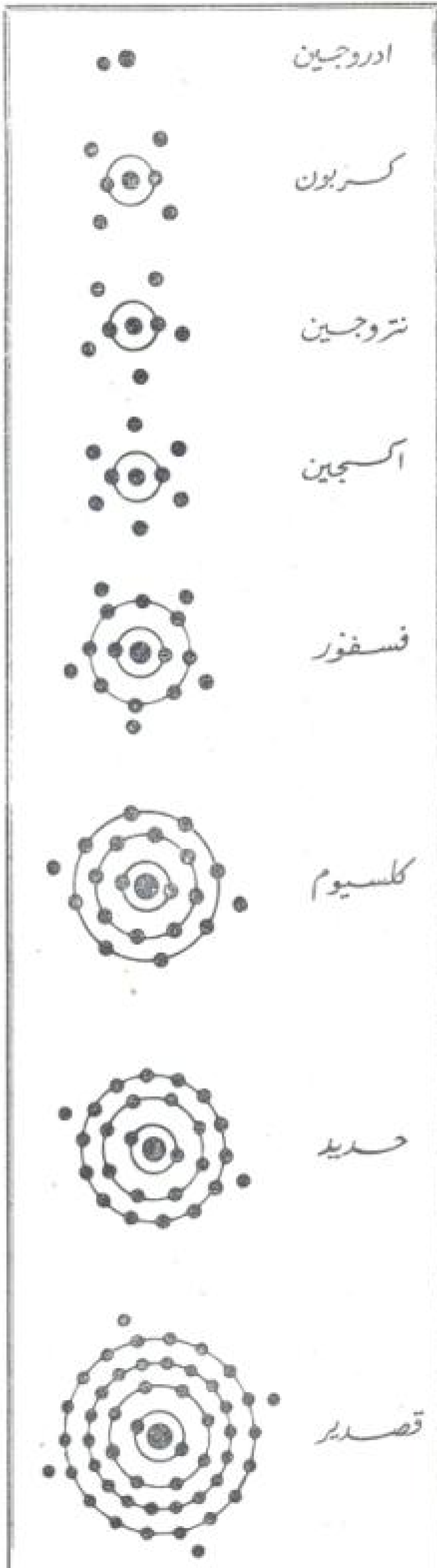
والبروتونات في النواة بها شحنات كهربائية موجبة كما سبق ان ذكرنا ، والالكترونات بها شحنات كيماوية من البروتونات والنترونات ، تكون مساوية لها . وهي التي تعين القدرة على الاتحاد ، ونوع هذا الاتحاد ، والصفات الكيماوية الاتحادية عامة . ولخصنا هذه الصفات في الرقم الذي اسميناه بالعدد الذرى ، فانت اذا ذكرت هذا العدد الكيماوي،عرفنا منهما العنصر الكيماوي الذي تعني وما صفاته . .

كل هذا سبق ان ذكرناه .

اذن ، فماذا تصنع النترونات ؟

انها تزيد الذرة كتلة . تزيدها وزنا .

وان دل عدد البروتونات (عدد الشحنات الكهربائية) على العدد الذرى، فانت ان اضفت اليه عدد النيوترونات فقد حصلت على وزن الذرة . ولا تنس ان وحدة القياس في الحالين هي



ذرات بعض العناصر الكيماوية الشهيرة .

الذرة نواة تدور حولها الالكترونات في افلاك متعددة ..

الادروجين تتالف نواته من بروتون واحد شحنته الكهربائية موجبة (+) ، يدور حوله الكترون واحد شحنته الكهربائية سالبة (-) . فالذرة متعادلة كهربائيا .

والاكسجين تتالف نواته من ٨ بروتونات موجبة . ويدور حول النواة ٨ الكترونات سالبة ، فالذرة متعادلة كهربائيا . ومع البروتونات في النواة ٨ نيوترونات لا هي موجبة الشحنة ولا سالبة ، ولكنها تظهر في الوزن الذرى فيقال ان وزن ذرة الاكسجين ٨+٨= ١٦ . اما الالكترونات فلا تدخل في الحساب لانها خفيفة جدا . أما العدد الذرى للاكسجين فهو عدد الشحنات الموجبة (او السالبة) اى ٨ .

والقصدير بذرته افلاك خمسة تدور فيها الكترونات عددها ٥٠ الكترونا . وهى سالبة الشحنة . ونجد في النواة مثل هذا العدد من البروتونات موجبة الشحنة . واذن فالعدد الذرى للقصدير هو ٥٠ . ولكن مع البروتونات بالنواة ٧٠ نيوترونا . واذن فالوزن الذرى للقصدير هو ٥٠ بروتونا + ٧٠ نيوترون = ١٢٠ .

البروتون ، اي هي نواة ذرة الادروجين اخف العناصر ذرة .

ونتج من هذا الطبع ان العدد الذرى للادروجين واحد . وهو نفسه الوزن الذرى له .

الادروجين ذرة خفيفة وذرة ثقيلة وهما ذرتان نظيرتان

ذرة الادروجين التي وصفناها هي الذرة الغالبة الموجودة في الكون وفي الماء وكذلك ذرة الهليوم ، والكربون والنتروجين والاكسجين .

ولكن هب انا وضعنا في نواة الادروجين نيوترونا من عندنا ، فماذا يحدث؟ تصبح النواة اثقل بزيادة هذا النيوترون ، ويصبح وزن ذرة الادروجين اثقل . وبما ان النيوترون الذي اضيف لا يحمل شحنة كهربائية فشحنة الذرة الكهربائية لم تتغير ، واذن فالصفات الكيماوية للادروجين لا تتغير .

انه الادروجين الثقيل الموجود طبيعيا في بعض جزيئات الماء الذي نشرب، ولكن بنسبة قليلة . والذي من اجله سمي الماء ايضا بالماء الثقيل .

وسمي هذا الادروجين الثقيل بالديوتريوم Deutrium وصار رمزه D او بالعربية د . وعدده الذري كالعدد الذري للادروجين العادي ، اي واحد ، ولكن وزنه الذري ٢ .

ويسمى هذا الادروجين الثقيل بالنظير Isotope لانه يناظر الادروجين الاول المعروف في كل صفاته الا وزن الذرة فهو اثقل منه ذرة .

وهما نظيران Isotopes لاشتراكهما في الكيمياء الواحدة .

ونظير للادروجين ثالث

فهذا تحتوي نواة ذرته على بروتون موجب الشحنة، يضاف اليها نيوترونان اثنان . فعدده الذري واحد ، فالصفات الكيماوية هي هي . ولكن الوزن الذري هو ٣ ، فهو اثقل من الادروجين العادي ثلاث مرات .

وهذا النظير نحصل عليه اصطناعا . واسمه العلمي Tritrium .

والاكسجين له نظائر طبيعية ثلاثة

احدها وزنه الذري ١٦ ، والثاني ١٧ والثالث ١٨ .

وعددها الذري واحد طبعا ، هو ٨ .
واشيعها وجودا الذي وزنه الذري ١٦

والكربون له نظائر عدة

احدها وزنه الذري ١٢، والثاني ١٣ وهما نظيران مستقران .
والنظائر الاخرى فمنها النظير ١٤ ، وهو مثلها غير مستقر ، فهو يتحول ، ويستخدم في قياس اعمار الحفائر من النباتات على نحو ما سوف نصف من استخدام اليورنيوم في قياس عمر الارض .

ونستطيع ان نساير العناصر هكذا حتى نصل الى اثقلها ، وهي على العموم اقلها اتزانا ، واقربها الى الانصداع والتهدم . ومنها اكتشفنا تلك الظاهرة ، ظاهرة النشاط الاشعاعي الذري . ولا ننسى ما اداه اليورنيوم (وهو اثقل العناصر المعروفة في الطبيعة ذرة) والرديوم في اواخر القرن الماضي واوائل الحاضر من معونة في الكشف عن هذه الظاهرة . ثم لا ننسى انه بتصدع اليورنيوم انما كان صنع القنبلة الذرية في اواسط هذا القرن الحاضر .

اليورنيوم ونظائره المشعة

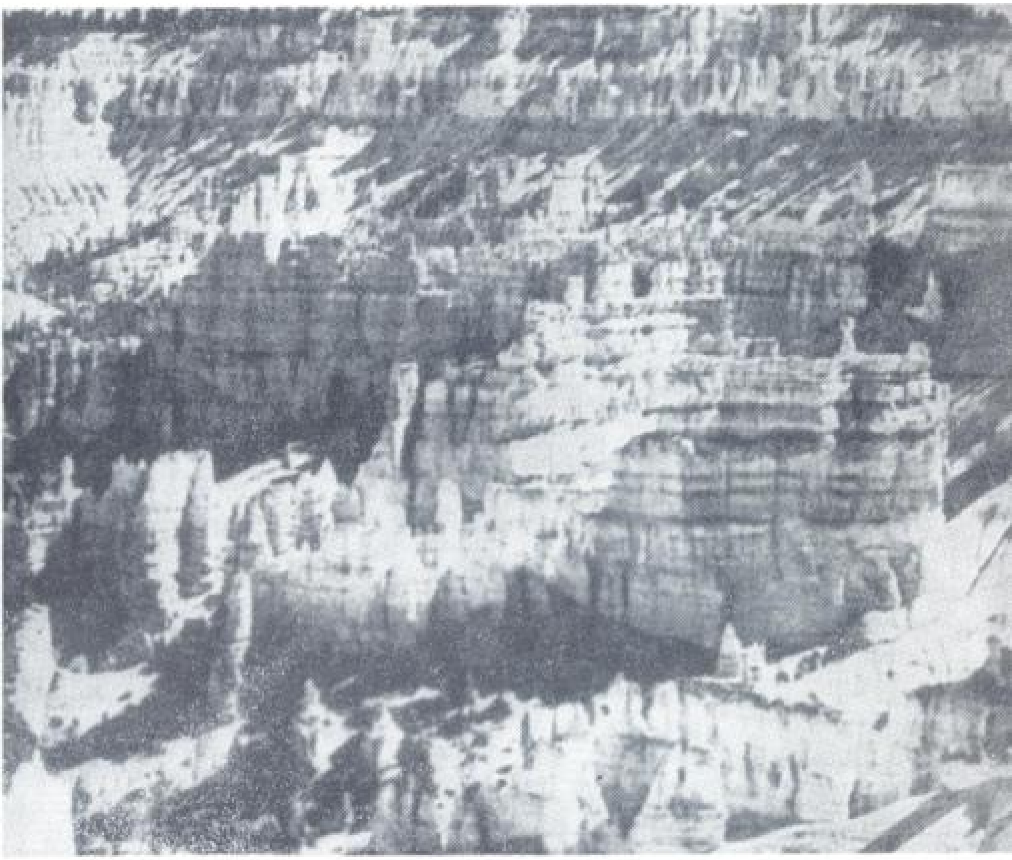
ان اليورنيوم اثقل عنصر موجود في الطبيعة .

وعدده الذري ٩٢ اي ان به ٩٢ بروتونا ، معها ٩٢ الكترونا .

ووزنه الذري يختلف باختلاف النظير وكم فيه من نيوترونات .

فيورنيوم ٢٣٨ ، وهذا وزنه الذري ، به ٢٣٨ — ٩٢ بروتون = ١٤٦ من النيوترونات .

ويورنيوم ٢٣٥ ، به ٢٣٥ — ٩٢



هذه هي الطبيعة في ضخامتها ، وفي قسوتها ، وفي بهائها . صنعت التعرية الطبيعية بالصخر ما تصنع يد الانسان بالعمائر التى اقامها على سطح الارض ، فكأنما تلك الصخور محاريب صلاة . ويقف الانسان امامها ، يحاول تقدير اعمارها ، فيهديه العلم الى ارقام عن طول هذه الاحقاب هي في نفس هذا الصخر مكتوبة مرقومة . ويقرأ ، فبعض عمره ملايين الاعوام ، وبعض مئات الملايين ، وبعض آلوفها .

بروتونا = ١٤٣ من النيوترونات .

ويورنيوم ٢٣٤ به ٢٣٤ – ٩٢ = ١٤٢ من النيوترونات .

ولضخامة هذا الوزن ، وللذي فيه من بروتونات عديدة (موجبة الشحنة الكهربائية يعادلها ، من حول النواة ، عدد مثلها من الالكترونات ذات الشحنة السالبة) ومن نيوترونات اكثر عددا ، كان من الصعب المحافظة على بناء هذه الذرة اليورنيومية الى الابد . من اجل هذا كشف العلماء عن انها تنهدم ، فيخرج من بنائها بعضه ، ويبقى البعض الآخر ، وهو الاكثر حجما وجرما .

اما الذي يخرج من النواة فمجموعات من البروتونات والنترونات ، تكوّن ذرة من غاز الهليوم (فهذا هو تركيب هذا العنصر الغازي) . وبخروجما يكوّن ٤ ذرات من الهليوم (١٦ بروتونا و ١٦

نيوترون) يبقى من بناء ذرة اليورنيوم من البروتونات ٩٢ ــ ١٦ = ٧٦ بروتونا، ومن النيوترونات ١٤٦ ــ ١٦ = ١٣٠ نيوترونا ، اي نواة لذرة جديدة بها ٧٦ بروتونا + ١٣٠ نيوترونا ، اى وزنها الذرى هو ٧٦+١٣٠=٢٠٦ . وهذا الوزن الذرى هو وزن الرصاص (او على الاصح احد نظائره) .

والخلاصة : ان ذرة يورنيوم ٢٣٨ تتصدع على المدى الطويل فيخرج منها ٨ ذرات هليوم وتبقى ذرة رصاص .

بتصدع ذرة اليورنيوم نقيس عمر الصخر

والخلاصة التى خرج بها العلماء فى بحوثهم ان الجرام الواحد من اليورنيوم الذى وزنه الذرى ٢٣٨ يتحول فى العام الواحد فيعطي من الرصاص ذى الوزن ٢٠٦ مقدارا قدّروه وحسبوه ، فكان ٠.١٤ من جزء من مائة مليون جزء من الجرام الواحد . ومن هذه النسبة استطاعوا ان يقدّروا اعمار الصخور .

هب انهم وجدوا صخرا به ١٠٠ جرام من يورنيوم ٢٣٨ و به ٧ جرامات من رصاص ٢٠٦ ، اذن لحسبوا عمره بأن قسّموا النسبةالحاضرةوهى٧/١٠٠على ٠.١٤/١٠٠.٠٠٠.٠٠٠ ، فكان الناتج ٥٠٠ مليون عام .

او هكذا هي طريقة الحساب اجمالا لا تفصيلا .

وقد دلت هذه الطريقة على ان عمر اقدم الصخور هو ٤٥٠٠ مليون عام .

والحقيقة الخطيرة الكبرى فى هذه الظاهرة ، ظاهرة تصدع العناصر ذات النشاط الاشعاعي ، كاليورنيوم واضرابه ، انها تجرى بسرعة واحدة لا تختلف مقدارا فى الزمن الواحد . ولا يؤثر فيها حرارة جو ، ولا ضغط هواء ، ولا رطوبة ماء . ولا جفاف ، ولا شيء . فاليورنيوم مثله مثل ساعة طبيعية ، تجرى مع الزمان ، وتغفل احداث الارض ، وما على الارض من حركة ومن سكون .

وكاليورنيوم ، سائر العناصر ذات النشاط الاشعاعى والتصدع الذرى .

عمر الصخر شيء وعمر الارض شيء آخر

وسوف تقول ان الزمن الذى قدرناه هو عمر الصخر ، لا عمر الارض ، وهذا صحيح .

اننا افترضنا ان الصخور كانت منصهرة ، ثم بردت وانجمدت . ولا نعرف كم استغرقت وهي منصهرة ، وكم استغرقت ليتم انجمادها . كذلك افترضنا ان العناصر المشعة كاليورنيوم تبلورت عند انجمادها مع صخور الارض ، ومن تلك الساعة فقط بدات تشع ، وبدات تتصدع ، وبدا اليورنيوم ٢٣٨ مثلا ينبعثمنه الهليوموالرصاص.

واذن فالزمن الذى استغرقه هذا التحول اليورنيومى ، وقد ذكرنا انه ٤٥٠٠ مليون عام ، ليس بعمر الارض ، وانما هو عمر الصخر ، من يوم ان انجمد الى يومنا هذا . فعمر الارض اذن هو اكثر من ٤٥٠٠ مليون عام. اما ما قضته من زمانها وهى منصهرة فيقدره بعضهم بنحو ٤٥٠٠ مليون من السنين اخرى .

●●

احمد زكي

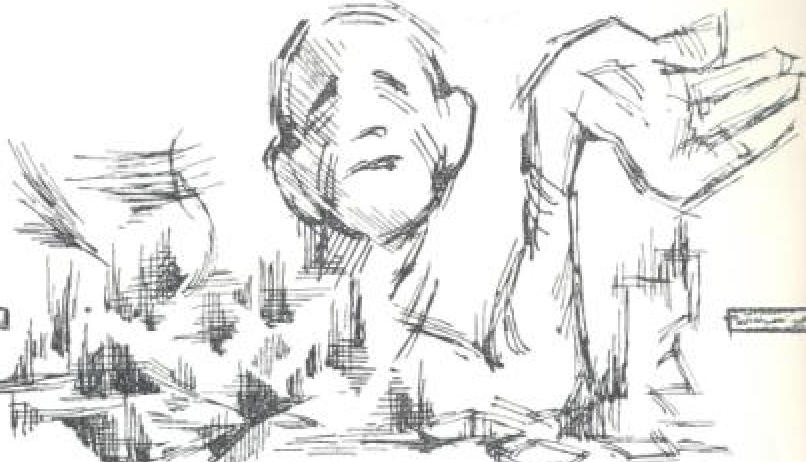
أَرْضُ الوُعودِ..
تُنادِي: الأَهْلُ هَلْ حَضَرُوا؟!

بقلم : خالد محيى الدين البرادعى

■ نادِي نجيبَكِ أَوْهَى جِسمَهُ السَّفَرُ ... وَاسْتَوْقِفيهِ ، فَفِي أَوْراقِهِ خَبَرُ
عَنْ راحِلِينَ ، وَما أَبْقَى تَرَحُّلُهُمْ ... زاداً يَقِيتُ ، ولا غُصْناً بِهِ ثَمَرُ
الريح تَصْفِرُ في آثارِهِمْ عَبَثاً ... وَأَعْظُمٌ ، قد بَرَاهاالدَّهْرُ وَالغِيَرُ
نادِيهِ قَدْ تُوقِفُ النَّجْوَى تَرَحُّلَهُ ... وَيورِقِ الغُصْنُ ، أَوْ يُسْتَلْهَمُ الوَتَرُ
مِنْ بَعدما أَجْدَبَتْ أَرضٌ ، وَغَلَّتُها ... أَمْسَتْ بَقايا ، تَغَشَّى وَجْهَها كَدَرُ
وَالمُسْتَنيرونَ على تاريخِ صَوْلَتِها ... ضاعوامَعَ العَنَتِ المَفْروضِ أَوْدُثِروا

★★★

نادي نَجيبَكِ .. قولي: هَدَّكَ السَّفَرُ ... فَقَدْ يَقِيهِ نِداءٌ مِنْكِ أَوْ حَذَرُ
لا ، بَلْ سَلِيهِ ، إذا أَرْسَى سَفينَتَهُ ... يَوْماً على شاطِئِ التاريخِ ، ما الخَطَرُ
وتابَعَ الدَّرْبَ نَحوَ الصُّبْحِ مُكْتَشِفاً ... عَذْراءَ أَرْضٍ قَلاهاالبَدْوُ وَالحَضَرُ
عُروقُهُ بَعْضُ ماينْمو بِتُرْبَتِها ... وفي حَناياهُ مِنْ قُرآنِها سُوَرُ
وخارَ مِجْدافُهُ ، بَلْ ذابَ قارِبُهُ ... وَالمَوْجُ باقٍ ، وَباقٍ وَجْهُهُ العَكِرُ
وَخَلَّفَتْ قَفَزاتُ العَصْرِ صورَتَهُ ... شَوْهاءَ ، يَنْتابُها الإملالُ وَالضَّجَرُ



رُدى إليكَ شريداً ، هذه السَّفَرُ   طالَتْ عليهِ بإغواءاتِها الأُزُرُ !
غاصَتْ خيالاتُهُ في ليلِ رحلتِهِ   كما يغوصُ بظامي التُّربةِ المَطَرُ
شدَّتْهُ أوهامُهُ شدّاً ، لغربتِهِ   كما يشُدُّ سقيماً حُلمُهُ النَّضِرُ
كالظّامئينَ تراءى في السَّرابِ لهُمْ   مِثلُ الينابيعِ بالآفاقِ تنهَمِرُ
حتّى إذا اقتربوا ، ذابت حُشاشتُهُمْ   وصيهَدُ الشَّمسِ حولَ الآلِ يستعِرُ
ثلاثةٌ من عقودِ العُمرِ ضائعةٌ   بينَ الشِّعابِ الّتي ضلّتْ بها الفِكَرُ

★★★

نادى نجيبَكِ ، قولي : هذلكَ السَّفَرُ   فقد يَقيهِ نداءٌ منكِ أوْ حذَرُ
إذا رآكِ كوجهِ الطِّفلِ مُشرقةً   ومبسَمُ الصُّبحِ في عينيكِ ينتظِرُ
ألقي عليهِ قميصاً فيهِ رائحةٌ   منَ التُّرابِ يعُدْ للمُغمِضِ البَصَرُ
ويورقُ الوعدُ في عينيكِ ثانيةً   وتمَّحي الغُربةُ العمياءُ ، والخطَرُ
هيّا اصرُخي للشَّريدِ النِّضوِ حانيةً   أرضُ الوعودِ تُنادي الأهلَ هل حضَروا ؟؟

خالد محي الدين البرادعي



وسائل الإعلام العربية

هل نجحت .. في توعية الجماهير، وإلى أي مدى ؟

بقلم : الدكتور السيد ابو النجا

■ حين نتحدث عن الاعلام يتجه التفكير الى وسائله الرئيسية الثلاث ، وهى الصحافة ، والاذاعة والتلفاز . واذا كانت الصحافة تأتى في المقدمة فان هذا صحيح في معظم البلاد العربية والأوربية ، ولكنه غير صحيح في أمريكا واليابان ولبنان حيث اصبح التلفاز وسيلة الاعلام الأولى. وهو يأخذ طريقه الآن الى ان يكون كذلك في جميع بلاد الدنيا .

واذا كانت الاذاعة تتميز بالسرعة وسمةالتغطية، كما تتميز بالعامل الشخصي ممثلا في حديث المذيع، فان الصحافة تتميز بالدقة في التعبير والشرح ، وتبقى تحت تصرف القارىء دون ان تفرض نفسها عليه حتى تتهيأ نفسه لقراءتها في الوقت المناسب، وللرجوع لأخبارها وموادها مرة ومرات كلما شاء . اما التلفاز فيمتاز بالصورة والحركة الى جانب العامل الشخصي كما انه يتجه الى السمع والبصر في آن واحد .

وقد سئل أحد السياسيين « لو اعلنت الحرب العالمية الثالثة اليوم فأين تبحث عن الخبر ؟ » قال : « افتح الرادبو على الفور لأتأكد من الخبر، ثم افتح الصحيفة لأعرف قصة الخبر ، ثم افتح التلفاز لأعيش في الخبر » .

معنى التوعية

التوعية هى تعليم الجماهير وتربيتها . هى تعليم لأنها توسع مداركهم وتزيد انفتاحهم على العالم . وهى تربية لأن هدفها في النهاية هو ان تغير في سلوكهم الانسانى .

وكما نقول ان المدرس الملقن ليس مربيا لأنه

لا يؤثر في سلوك تلاميذه ولا يتفاعل مع شخصياتهم فاننا نقول ان موجه الدعوة لا بد ان يتفاعل مع جمهوره ليؤثر فيهم . فاذا لم يحقق ذلك فهو ليس مرشدا ولا داعيا على الاطلاق . ان كل الفرق بين المربى والمرشد هو أن الأول يربى الأفراد والثانى يربى الجماعات ، ولكن الفكرة واحدة في الحالتين .

طبقات النفس

ان فى نفوس الجماهير ثلاث طبقات معروفة : أولاها على السطح وهى العقل الواعى وثانيتها في الوسط وهى العقل الباطن ، وثالثتها في الأعماق وهي اللاشعور . والعقل الواعى يتلقى الرسالة الاعلامية بالسمع والبصر فيعمل فيها منطقه ثم يقبلها او يرفضها . أما العقل الباطن فان القراءة أو السمع أو المشاهدة تؤثر فيه بالايحاء Suggestion فتوقظ فيه ما هو مستكن وتحركه فتغير في الشخص عادات الشراء والبيع والتدخين واستخدام خط معين للطيران والانحياز لمبدأ سياسي .. الى آخر ذلك .

اما اللاشعور فهو بعيد عن مراكز الحس . انه مستودع الغريزة والدين والوطنية . انه النار تحت الرماد . هو الذى يجعلنا نحب ونكره . ثم يجىء عقلنا الواعىفيبرر ما احببناه أو كرهناه .

هل من سبيل اذن الى أن نؤثر في اللاشعور ؟



بحث ميدانى

في سنة ١٩٦٦ أجرى بحث ميدانى فى الجمهورية العربية المتحدة عن الصحف ، ظهر فيه ان اكثر الأبواب قراءة في جريدة الأهرام هو « طرزان » ، يليه « أخبار الصباح » ، ثم « حظك اليوم » . واقل الأبواب قراءة هو «دائرة المعارف» و «صفحة الراى » .

وفي جريدة الاخبار كان اكثر الابواب قراءة هو « اخبار الناس » . وكا ترتيب الاخبار العالمية ١٧ من حيث التصفح و ٢٣ من حيث القراءة بالتفصيل . ومع دلالة هذه النسب في ذاتها فان هناك مبدأ مقررا فى الاستقصاءات الميدانية هو أن نسبة من يذكرون انهم يستمعون للقرآن أو يقتنون دائرة المعارف البريطانية تعتبر حدا اقصى لان من بينهم مدعين يقررون هذا تقرُبا أو استعلاء أو ايثارا للأمان . ونسبة من يقولون انهم يقرأون المواد الجنسية أو يطالعون المجلات التافهة تعتبر حدا ادنى لأن كثيرين غيرهم يحجمون عن المصارحة .

وعلى هذا فان الابواب الخفيفة التى اسفر عنها الاستقصاء هى في الحقيقة اكثر شيوعا مما يبدو .

بحث آخر

وفي سنة ١٩٦٩ قام الاستاذان بدراوى فهمى وعبد العزيز عبد الرحمن ببحث في قرية المزاريق عن أفضل وسائل التنمية الثقافية للمجتمع الريفى فاسفر البحث عن الملاحظات الآتية :

١ ـ ان بالقرية وعيا عاما بالنواحي الصحية يتمثل في استشارة الطبيب عند المرض ومعرفة ان مياه الترع والقنوات مصدر للعدوى بالبلهارسيا .

٢ ـ ان هناك اجماعا على أن المرأة المتعلمة خير من غير المتعلمة .

٣ ـ كان الاتجاه القدَرى واضحا بين أفراد العينة التى أجرى فيها الاختبار ، وكانت أهم صفات الزوجة بالترتيب هى التجويد في شئون المنزل ، الطاعة ، ثم التدين .

٤ ـ قال نصف أفراد العينة ان تحديد النسل معارض للدين .

٥ ـ كان تردد أفراد العينة على القسم البيطرى لعلاج حيواناتهم ، يزيد على ترددهم على القسم الطبى لعلاج انفسهم !

بحث أخير

ومنذ بضعة اشهر اشترك كاتب هذا المقال في مناقشة رسالة دكتوراه تقدم بها الاستاذ يوسف الحارونى عنوانها « دور وسائل الاعلام في خلق النظرة العلمية بالجمهورية العربية المتحدة » ، وهو يقصد بالنظرة العلمية النظرة الموضوعية او الاتجاه العقلانى نحو البيئة . وقد قسم الدارس بحثه الى ثلاثة قطاعات هى :

اولا ـ تحرير المواطن من المعتقدات الخرافية ومن الغيبية القدَرية ومن تحكم العرف والتقاليد ومن نزعات التقديس .

ثانيا ـ انفتاحه نحو النور والمعرفة .

ثالثا ـ ميله الى غرس النواحى الايجابية المنشئة للنظرة العلمية كاعتناق قانون العلة والمعلول ، وتمحيص الادلة .

وقد أجرى البحث الميدانى في قرية الصوامعة مركز أخميم بمحافظة سوهاج ، وقرية الروضة مركز فارسكور بمحافظة دمياط . ذلك ان القرية الاولى تمثل القرى المتاخرة : فهى في حضن الجبل، بعيدة عن الطريق الزراعى ، وأهلها فقراء ، ومستوى الامية فيها مرتفع . أما القرية الثانية فهى قرية متقدمة مبانيها بالحجر الأحمر ، وفيها ميكانيكى وجمعية تعاونية ومياه جارية وكهرباء .

وقد أجرى الباحث استقصاءه الميدانى في هاتين القريتين ليرى اثر الاعلام في توعية الريفيين واجراه ايضا بين العمال في شركة اسكو وشركة النصر للكوك والكيماويات . كما اجراه بين الطلاب في الدراسات العليا في مجالى الخدمة الاجتماعية والصحافة .

وكان الاستقصاء منصبا على اثر الراديو والصحف والسينما على أفراد معينين فكانت النتائج عن مستمعى الراديو كما يلى :

١ ـ الفرد العادى يستمع الى الراديو ما بين ساعة وساعة ونصف في اليوم تزيد الى ثلاث ساعات في المتوسط في ايام الاجازات .

٢ ـ ان قمة الاستماع هى الساعة الثامنة والنصف مساء ، وهناك فترة استماع صباحية حول الساعة السابعة صباحا .

٣ ـ ان الفترة ما بين الثامنة صباحا والواحدة ظهرا تعتبر فترة خمود .

٤ ـ ان مجلة الاذاعة والتليفزيون لا تقوم بدور ملحوظ في الاعلام بمواعيد البرامج وانما يلجأ القراء لجرائدهم في ذلك .

٥ ـ ان المستمعين بصفة عامة لا يرحبون بالبرامج الثقافية ولا يستمعون اليها بانتظام .

٦ ـ ان الاميين لا يستمعون بانتظام الى دروس محو الامية .

وكانت النتائج عن قراء الصحف كما يلى :

١ ـ ان ظاهرة القراءة للغير قد انقرضت الى حد كبير .

٢ ـ ان القارىء الذى يفتقد جريدته المفضلة غالبا ما يستعين عنها بجريدة اخرى .

٣ ـ ان زمن قراءة الجريدة اليومية يبلغ في المتوسط نحو ساعة .

وكانت النتائج عن مشاهدى السينما كما يلى :

١ ـ ان اهم العناصر في تسويق الفلم هى القصة الجيدة ، ويليها اسم الممثلة ثم الممثل . اما اسم المخرج واسم المؤلف فهما لا يسهمان كثيرا في تسويق الفلم .

٢ ـ ان النظرة العامة للافلام العربية ليست طيبة .

وقد اراد الباحث ان يعرف مدى نجاح وسائل الاعلام في التوعية فاختار لذلك ميادين ثلاثة :

اولها الايمان بالخزعبلات

وضع الباحث الاقوال الآتية باللغة العامية وطلب راى المبحوثين فيها :

١ ـ في يوم الجمعة ساعة نحس .

٢ ـ الطفل يولد ومعه رزقه .

٣ ـ بعض المشاكل الزوجية سببها السحر .

٤ ـ الاحجبة والبخور تمنع الضرر والحسد .

٥ ـ اصرف ما في الجيب يأتك ما في الغيب .

٦ ـ القرش الابيض ينفع في اليوم الاسود .

٧ ـ النار لا تصيب مؤمنا .

٨ ـ قيراط بخت خير من فدان شطارة .

وثانيها النظرة الى المرأة

كانت الاسئلة عن المرأة كما يلي :

١ ـ هل توافق على تعليم البنت ؟

٢ ـ ايهما افضل : الزوجة التى تلزم البيت ، ام التى تعمل ؟

: ـ ما هى في نظرك اهم الشروط المطلوبة في الزوجة بالترتيب ؟

٤ ـ ما رأيك في قيام بعض الازواج بالمساعدة في الاعمال المنزلية ؟

٥ ـ لو كان لك بنت او اخت قالت لك انها تحب واحدا وانهما اتفقا على الزواج ـ فماذا يكون رد الفعل عندك ؟

وثالثها النظرة الموضوعية

١ ـ ما رأيك في موضوع تحديد النسل ؟

٢ ـ انت تبحث عن مسكن . وقد وجدت مكانا مناسبا ولكن الناس يقولون ان فيه عفريتا فهل تسكنه ؟

٣ ـ بقالان متجاوران في شارع واحد . احدهما ناجح والاخر فاشل ـ فهل تعتقد ان هناك اسبابا لذلك ام ان الامر مجرد حظ ؟

٤ ـ لو حضرت مناقشة بين مسلم ومسيحى حول تعدد الزوجات فهل يهمك ان تسمع راى من ليس من دينك ؟

نتيجة الاستقصاء

لقد جاءت النتيجة مخيبة لكل رجاء سواء في الصوامعة او في الروضة او بين العمال والطلاب . فقد وافقت الاغلبية ممن يسمعون وممن لا يسمعون، ممن يقراون وممن لا يقراون على صحة الخزعبلات. وقد ثبت ان الراديو والصحف والسينما لم تؤثر في النظرة الى المراة ولا في النظرة الموضوعية بل بقيت القيم الاجتماعية السائدة هى الاساس .

يقول الدكتور الحارونى « لقد ثبت ان وسائل الاعلام تدعم اكثر مما تغير . فلو جاء الاعلام في نفس الخط الذى يسير فيه السلوك فانه يدعم هذا السلوك . اما اذا جاء مغايرا له فهو اضعف من ان يؤثر فيه » .

مناقشة هذه النتيجة

هنا يثور سؤال : اذا صح ما يقوله الدكتور الحارونى فكيف انتشر الاسلام اذن ؟ ان الله تعالى يقول « واذن في الناس بالحج » اى أعلن لهم عنه. ومعنى هذا ان الاعلام كان من دعامات الاسلام . وليس من السهل ان نتصور ان الاسلام قد وصل الى روسيا واسبانيا بغير اعلام . ان الاعلام مثل الحجر الذى نلقيه في اليم فاذا هو يثير موجة تحدث موجة اوسع ، وهذه تحدث موجة اكثر اتساعا وهكذا .

ثم يثور سؤال آخر : كيف استفادت اسرائيل من وسائل الاعلام المتاحة لها فاثرت على الرأى العام العالمى تجاه العرب ؟ وكيف ادرك العرب اخيرا فعل الاعلام فاحسنوا استخدامه وظفروا بعطف الرأى العام على قضيتهم ؟

ونحن نعرف تمسك الكاثوليك في ايطاليا بتحريم الطلاق رغم ما يرونه في كل يوم من انفصال الازواج عن ازواجهم ليعيشوا مع آخرين . ومع ذلك وبالرغم من احتجاج البابا فقد تمكنت وسائل

الاعلام اخيرا من التأثير في اتجاه اعضاء البرلمان وصدر القرار باباحة مبدأ الطلاق .

واذا كان الامريكان الكاثوليك قد ملكوا مع غيرهم ناصية العلم ووصلوا الى القمر فلا يزال منهم من يرى أن تحديد النسل حرام حتى ان لديه من الابناء عشرة او اكثر . ولكن وسائل الاعلام نفذت اخيرا الى نفوسهم فجعلتهم يتحكمون في النسل .

ان الوصول الى المنطقة الثالثة في نفس الانسان ـ منطقة اللاشعور ـ امر بالغ الصعوبة ولكنه غير مستحيل . وهذا يدعوني الى ان اتعرض لحملة تحديد النسل في مصر .

لقد لجأت الهيئات التي تشرف عليها الى الصحف والتلفاز ونسيت خطباء المساجد ومشايخ الطرق الصوفية وهم ذوو النفوذ في هذا المجال . ان تحديد النسل مسألة دينية ترقد في المنطقة الثالثة فاذا لم يوافق رجال الدين على اباحتها فهيهات ان تصل وسائل الاعلام الى ما تريد منها . لقد كان الافضل ان توزع خطبة معدة على خطباء المساجد وتوزع فتوى من احد كبار شيوخ الازهر على مشايخ الطرق . ذلك اجدى من كل هذه الاعلانات التي تطالعنا بها الصحف كل يوم .

والصحف مع ذلك ليست أحسن وسائل الاعلام في موضوع تحديد النسل لان قراءها اقل حاجة للتوعية ما داموا اكثر تعلما من المستمعين للراديو مثلا .

ان الصحف يميل معظمها بصفة عامة الى مجاراة الرأي العام بدل قيادته طلبا للانتشار ، ولذلك تحترم بعض العادات في رمضان وهي ضارة ، وتدعو الى سياسة الباب المفتوح عند كبار الموظفين وهي غير عملية ، وتتحدث عن حقوق العاملين دون ان تتحدث عن واجباتهم .

وبعض الصحف تريد لكل جائع طعاما ، ولكل ضال مسكنا ، ولكل عار كساء ، ولكنها لا تقول كيف ؟ انها تريد ان تكون حبيبة الى قلب القارىء فتعبر عن آماله المريضة ولكنها لا تاخذ بيده الى تحقيق هذه الآمال .

وكما فشلت حملة تحديد النسل فشلت حملة مكافحة الامية في الراديو والتلفاز . ان كاسترو واجه هذه المشكلة في كوبا مواجهة واقعية فجند كل تلاميذ المدارس الثانوية والعالية واساتذتها . وجد ان ٧٥٪ من المواطنين اميون ، ٢٥٪ فقط هم المتعلمون فكلف كل متعلم ان يزيل الامية عن ثلاثة في بحر سنة واحدة ، واصدر قانونا ينص على ان المعلم الذي يرسب عنده واحد يغرم ، والذي يرسب عنده اثنان يحبس ، والذي يرسب عنده الثلاثة يسجن . اما التلاميذ فمن يتخلف عن الدروس يعاقب ، ومن يرسب في الامتحان آخر السنة لا يوظف في الحكومة او في القطاع العام . وحين كان وفد مصري في زيارة كوبا منذ عامين قال لهم كاسترو : « انكم تقولون ان في مصر ثلاثة اسباب للتخلف هي الفقر والجهل والمرض وانا اقول لكم انها جميعا ترجع الى سبب واحد هو الجهل . فالمتعلم يستطيع ان يتعاون مع الدولة ليعالج نفسه ، ويستطيع ان يتعاون معها ليرفع مستوى معيشته » .

ومعنى كلام كاسترو ان الحكومة في بلد من الاميين محطة اذاعة بلا اجهزة استقبال . فالسبيل الاول للتوعية هو ازالة الامية عن الناس ليستقبلوا ما يرسل اليهم من معلومات .

والخلاصة

اننا نؤثر في الغريزة بالتعويض والتسامي . ونربط التدين بالتسامح فتعمل بوحي القرآن « لكم دينكم ولي دين » ، ونردد القول المعروف « الدين لله والوطن للجميع » ونخفف من التطرف في الوطنية باقامة هيئة الامم وتبادل السفراء وتنظيم البعثات وتقديم المعونات . ولكن اللاشعور لا يزال مع ذلك مستعصيا على وسائل الاعلام . انه يزيد المعلومات ولكنه محتاج الى التفاعل الشخصي اذا اراد ان يغير السلوك .

ان وسائل الاعلام وحدها لا تكفي للتوعية فلا بد من القدوة الحسنة فالله سبحانه لم يكتف بالتوراة والانجيل والقرآن في التبشير باليهودية والمسيحية والاسلام وانما ارسل مع الكتب السماوية رسله موسى وعيسى ومحمد . ■■

السيد ابو النجا

مسيرة

حيث سار رسول الله صلى الله عليه وسلم

بين مكة المكرمة ، والمدينة المنورة

استطلاع بقلم
محمد طنطاوى

تصوير
عبد الناصر شقرة



● اقتربت بنا السيارة الى مشارف مكة المكرمة وكان الليل قد اسدل استاره على الكون فلم يعد يبدو امامنا سوى أنوار البلد الحرام تبدو وكأنها تتلألأ وسط الظلام حاملة الى الناس أشعاعات من نوري الهدى والايمان .

ودخلنا المسجد الحرام ، وكنا محرمين ، دخلنا من باب السلام وشد انظارنا منظر الكعبة الشريفة وهي قائمة وسط المسجد .. هذا البناء الذى قوامه من حجر عار لا زواق عليه ولكن يكسوه الحرير الاسود الموشى بالآيات القرآنية المطرزة بالذهب : هذا هو بيت الله الذى يتجه اليه كل يوم ملايين المسلمين من مشارق الارض ومغاربها في صلواتهم ودعواتهم .

هذا هو الموضع الذى أمر الله نبيه ابراهيم ليقيم فيه الكعبة فاصبح من بعد ذلك اليوم مثابة للناس وأمنا يقيمون الصلاة ويذكرون الله ويتوبون اليه عنده .

انتهينا من الطواف حول الكعبة واتممنا الاشواط السبعة ، وبعدها قمنا بصلاة ركعتين عند مقام ابراهيم ، ثم ذهبنا الى حجر اسماعيل ويحيط به سور نصف دائرى من الرخام حيث صلينا ركعتين أيضا هناك ، لان المؤرخين يقولون ان هذا الحجر كان يقع داخل الكعبة كما اقام ابراهيم واسماعيل قواعدها ، وثواب الصلاة فيه كثواب الصلاة داخل بيت الله .

بين الصفا والمروة

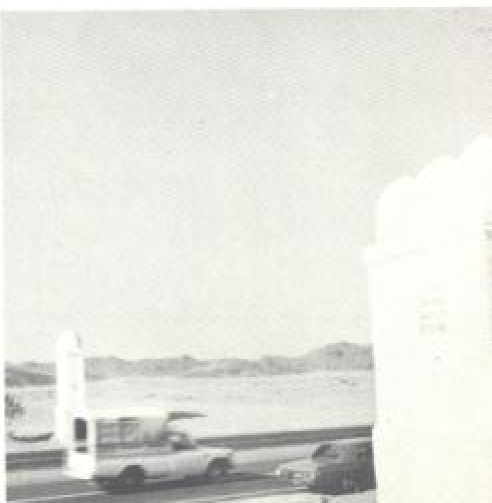
وبعد هذا توجهنا الى الصفا ونوينا السعى سبعا بين الصفا والمروة سعي العمرة .. وقطعنا الاشواط السبعة نهرول أحيانا ونسير الهوينا أحيانا والسنتنا لا تنفك عن الدعاء لله عز وجل ..

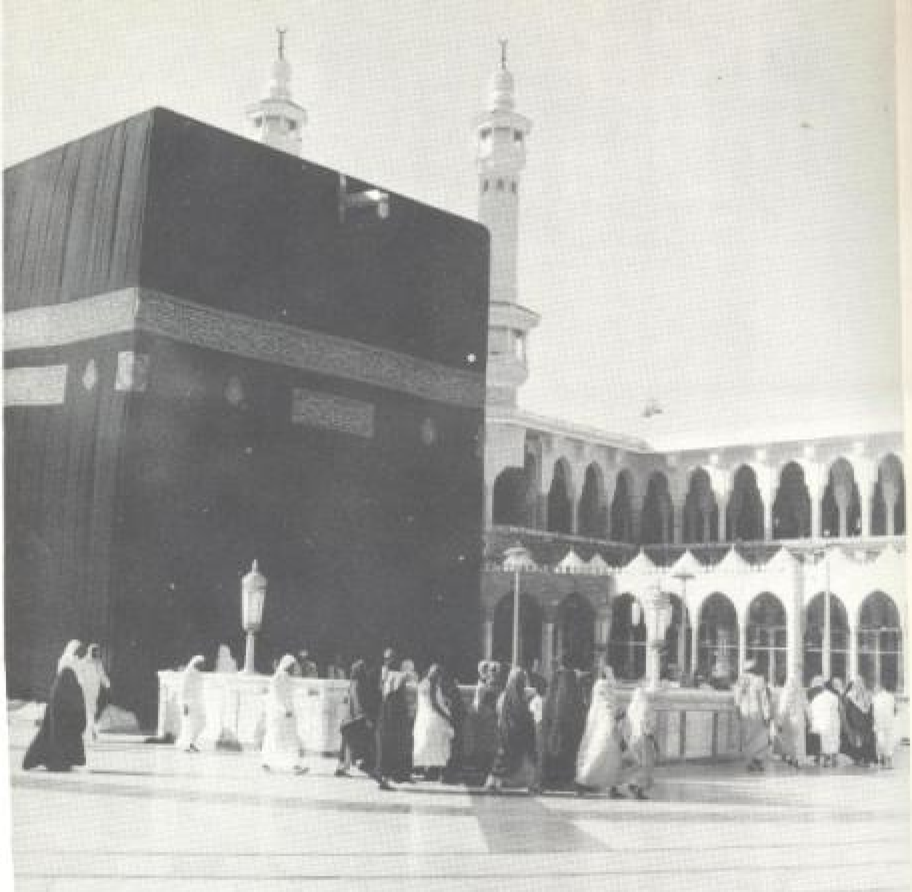
بيت الله الحرام

ذكرنا قول الله تعالى « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ». **وقوله عز وجل في قرآنه الكريم :** « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم » .

والثابت بدليل هذه الآيات ان أول من بنى البيت هو ابراهيم . لقد جاء ابراهيم بزوجته هاجر وابنه اسماعيل الى مكة وكانت عبارة عن قرية في واد ضيق غير ذى زرع تحيط به الجبال من كل الجهات .

اعلام الحرم ، وهي قائمة الآن في خمس جهات تحيط بمكة من كل نواحيها ، فيوجد علمان عند الحديبية في طريق القادم من جدة الى مكة وهما يقعان على بعد ٢٠ ميلا من المسجد الحرام ، وعلمان عند التنعيم في الطريق القادم من المدينة الى مكة ويقعان على بعد ٦ أميال من المسجد الحرام ، وعلمان عند الجعرانة في طريق القادم من العراق ويقعان على مسافة ١٣ ميلا ، وعلمان عند عرفة في طريق القادم من الطائف ويقعان على مسافة ١٨ ميلا ، وعلمان عند اضاءة في طريق القادم من اليمن ويقعان على بعد ١٢ ميلا ، وتحدد هذه الاعلام الحرم وقد جعل كتاب الله حرم مكة من البيت العتيق الى هذه الاعلام مثابة للناس وامنا ، وحرم التعرض لصيده ولنباته وحيوانه داخل حدودها .





حجر اسماعيل يحيط بالكعبة على شكل نصف دائرة ويقال ان هذا المكان كان داخل الكعبة كما بناها ابراهيم ، والصلاة فيه لها نفس ثواب الصلاة داخل البيت ، لذلك يقبل المصلون على صلاة ركعتين في هذا المكان .

ويقول بعض علماء الاسلام انها سميت مكة لقلة مائها اخذا من القول العربي : « امتك الفصيل ضرع امه اى امتصه » . ويقول بعضهم سميت مكة لانها تمك الذنوب اى تذهب بها او لأنها تمك الفاجر اى تخرجه منها .

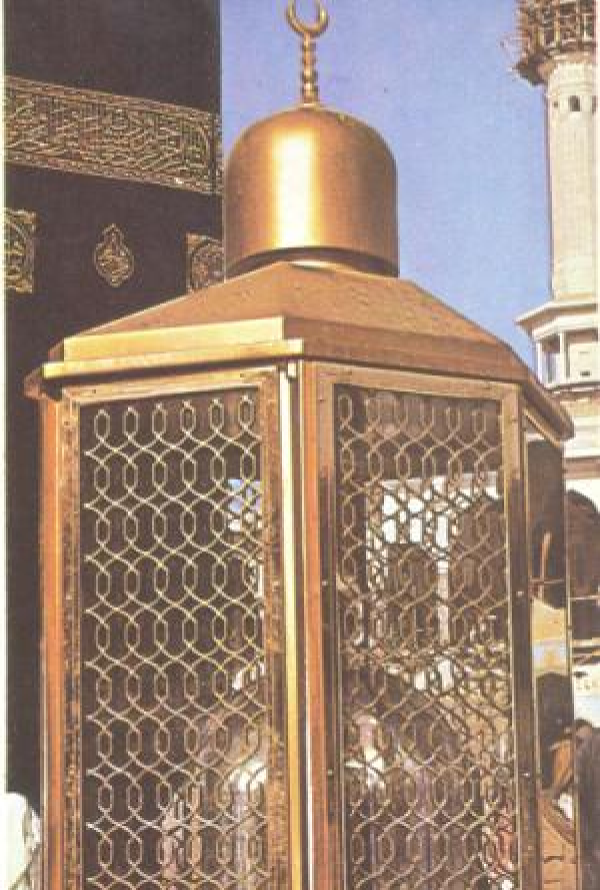
قريش وحجابة الكعبة

بعد ان رفع ابراهيم واسماعيل قواعد البيت وطهراه للطائفين والعاكفين ، خلفت قبيلة جرهم اسماعيل على مكة اجيالا متعاقبة .. واصبحت فيهم السيادة على البيت الحرام .. ولم تمض قرون ثلاثة الا وحجابة الكعبة تنتقل الى قريش برئاسة قصي بن كلاب .. أحد احفاد اسماعيل من عدنان والجد الرابع للنبي محمد (ص) ، وكان لقريش مركز كبير بين القبائل العربية بسبب حجابتهم للكعبة واشتغالهم بالتجارة .. واستمر نفوذ قريش في الازدياد حتى جاء عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف جد النبي العربي الذى أعاد حفر بئر زمزم في عام ٥٤٠ ميلادية .

النبي يشترك فى تجديد بناء الكعبة

لم تبق الكعبة على ما كانت عليه أيام بناها ابراهيم .. وتقول الروايات ان اول من جدد بناء الكعبة بعد ابراهيم هو قصي بن كلاب وانه سقفها بخشب الدوم وجريد النخل .

وكذلك اجمع المؤرخون وكتاب السيرة ان قريشا



الى اعلى : مقام ابراهيم ، وهو المكان الذى وقف عليه سيدنا ابراهيم أثناء قيامه ببناء الكعبة بعد ان ارتفع بناؤها عن متناول يده ، وقد اقيمت هذه القبة النحاسية على الحجر الذى يقال ان ابراهيم كان يقف عليه .



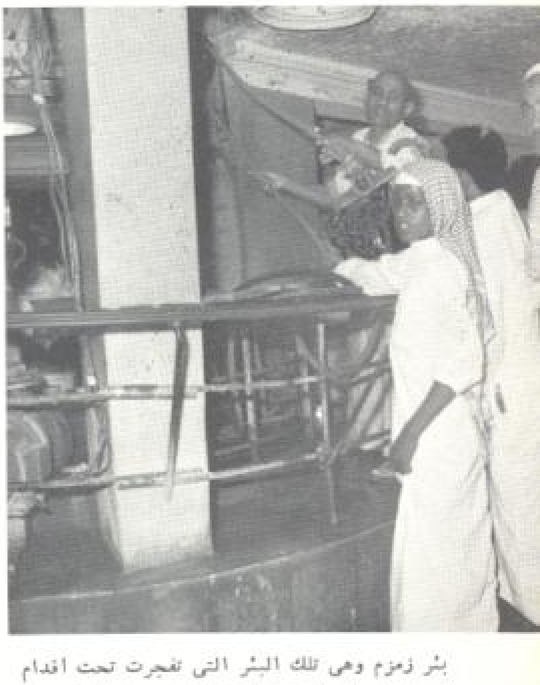
الى اليسار : بعض الطائفين حول الكعبة وقد وقفوا عند بابها وتعلقوا فيه وفي استار الكعبة مستغفرين ربهم .



بنت الكعبة من جديد في عهد محمد (ص) حين طغى عليها السيل ووهنت جدرانها . وقد شارك النبي وهو شاب في نقل حجارة الكعبة مع الناقلين . وعندما بلغ البناء موضع الحجر الاسود اشتد الخلاف بين القبائل ، كل قبيلة تريد ان تختص بشرف رفع هذا الحجر الى موضعه ، واحتدت الازمة وكاد القتال ينشب بينهم لولا ان خرج فيهم امية بن المغيرة وهو يومئذ اكبرهم سنا فقال : « يامعشر قريش اجعلوا فيما تختلفون فيه أول داخل الى المسجد » وكان أول من دخل من باب الصفا هو محمد (صلعم) فلما رأوه قالوا هذا الامين وقد رضيناه .. وحكم محمد بينهم بأن وضع الحجر على ثوب رفعه اهل القبائل المختلفة من اطرافه ثم رفع محمد الحجر ووضعه مكانه من البناء ثم بنى عليه .

ضرب الكعبة بالمنجنيق وحرقها !

بعد مقتل علي استقل بنو امية بالحكم وجعلوا



بئر زمزم وهي تلك البئر التي تفجرت تحت أقدام اسماعيل ، واندثرت البئر ليقوم عبد المطلب جد النبي محمد (ص) بحفرها بعد ذلك ليرتوي منها الحجاج ، ويقبل الحجاج على شرب ماء زمزم .

دمشق عاصمتهم . ولما آل الامر الى يزيد بن معاوية كان عبد الله بن الزبير لا يزال ثائرا على الامويين مستقلا بمكة عن حكمهم . وجرد يزيد جيشا لاخضاع ابن الزبير بقيادة الحصين بن نمير وضيق هذا الجيش الحصار على ابن الزبير ورجاله الذين لجأوا الى الحرم وبنوا حول الكعبة خصاصا يحتمون بها من حجارة المنجنيق الذي نصبه جيش ابن نمير على جبلي ابي قبيس وقعيقعان . وامر الحصين جيشه ان يرمي اللاجئين بالكعبة من المنجنيق بعشرة آلاف حجر . ودبت الفوضى بين صفوفهم حتى ان احدهم طارت منه شرارة نار وهو يوقدها داخل احدى الخيام القائمة بين ركن الحجر الاسود والركن اليماني فاحترقت الخيام وتعلقت بأستار البيت ، واحترقت اخشاب الكعبة ووهن بناؤها كله . وبعد أن انتهى الحصار بانسحاب الحصين بن نمير بسبب موت يزيد بن معاوية ، هدم ابن الزبير الكعبة وشرع في اعادة بنائها . وتم اعادة البناء في السنة الخامسة والستين من الهجرة .

وظل بناء ابن الزبير ١٠ سنوات ، فلما كان عهد عبد الملك بن مروان حاصر الحجاج عبد الله ابن الزبير في مكة وقتله وكتب الى عبد الملك يخبره ان ابن الزبير قد زاد في الكعبة ما ليس منها ويستأذنه في ردها الى ما كانت عليه ، واذن عبد الملك بذلك .

البناء الحالي للكعبة تم في عام ١٠٤٠ هـ

في عام ١٠٤٠ هـ (١٦٣٠ ميلادية) اجتاحت السيول مكة ، واثرت هذه السيول على بناء الكعبة الذي كان قد انقضى على بنائه حوالي الف عام ، وبدأت جدران الكعبة تتساقط بعد ان انحسرت مياه السيول عنها . وقد تم تعمير الكعبة بعد هدم البيت كله في عهد السلطان مراد من سلاطين آل عثمان واشترك في هذه العمارة عدد كبير من البنائين المصريين واستمرت عملية البناء ستة أشهر وكانوا يستعينون بالاحجار الصلبة القوية التي بقيت من بناء ابن الزبير الذي كانوا هدموه . كما قاموا ايضا بمعالجة الحجر الاسود فملأوا ما بين أجزائه بمركب يعيد الى هذه الاجزاء قوتها ويكفل بقاءها مشدودة في اطارها الفضي .

وهذا البناء هو نفس بناء الكعبة حتى يومنا



الركن اليماني للكعبة ويتبرك الطائفون بالحجر الموجود به .

هذا .. وان كان الحرم قد توسع اخيرا بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ الاسلام .. فاصبح يتسع الآن لاكثر من ٣٠٠ الف متصل في وقت واحد . وقد انفقت المملكة العربية السعودية على التوسعة الاخيرة ما يقرب من ألف مليون ريال سعودي (٢٠٠ مليون دولار) ولم تنته بعد من أعمال التوسعة التى بدأت منذ أكثر من ١٤ عاما .

المكان الذى ولد فيه الرسول (ص)

ننتقل من الكعبة الى البيت الذى ولد فيه رسول الله . سالنا دليلنا الكريم ان يدلنا الى مكان مولد الرسول وسرنا من الحرم مسافة لا تزيد عن ٥٠٠ متر الى مكان يعرف الآن بين أهل مكة باسم « سوق الليل » وامام مبنى صغير متواضع يحمل لافتة كتب عليها « مكتبة مكة المكرمة » وقف دليلنا وهو يقول هنا في هذا المكان ولد النبي (ص)

وعدنا الى كتب التاريخ لنتحقق من صدق هذا المكان مولدا للرسول .. فوجدنا عدة روايات منها :

١ ـ ان النبي ولد بمكة في الدار التى صارت لمحمد بن يوسف الثقفي (وهو المكان الذى دلنا عليه صاحبنا) .

٢ ـ انه ولد بشعب بني هاشم .

٣ ـ انه ولد بعسفان (قرية صغيرة بين مكة والمدينة) .

ولكن اغلب المؤرخين اتفقوا في القرنين السادس والسابع الهجرى على ان مولد الرسول كان حيث توجد الآن المكتبة التى اشرنا اليها ، وقد كان سلاطين آل عثمان قد اقاموا فوق هذا الموضع في القرن العاشر الهجرى قبة عظيمة ومنارة ..وقد ابلت هذه القبة في أوائل القرن الحالى .. وبقيت هذه الارض فضاء . فاقاموا عليها المكتبة المذكورة.

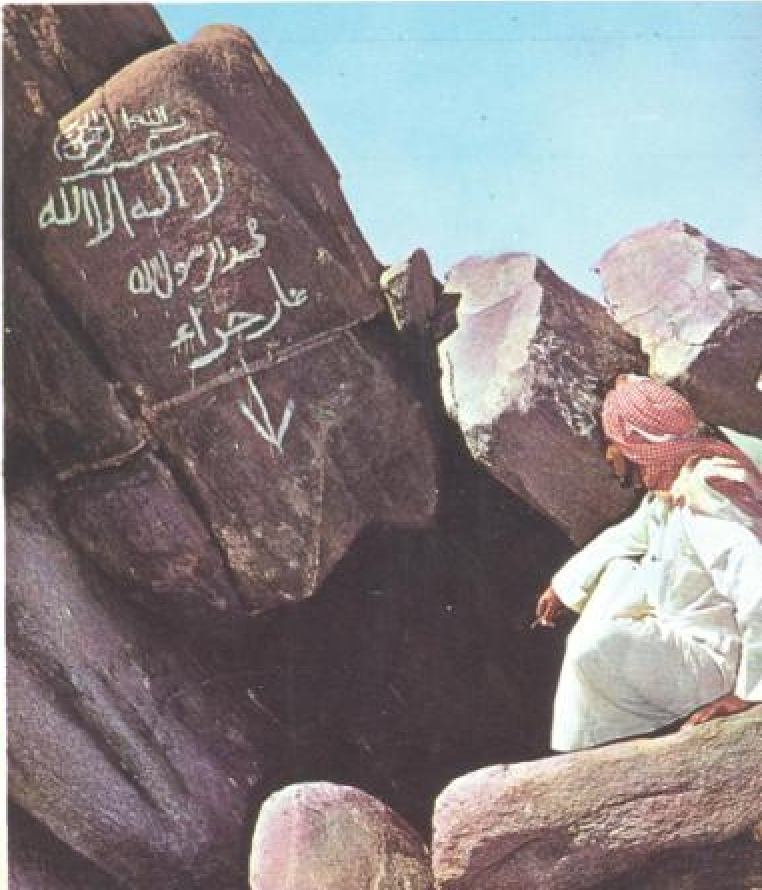
ولعلها لم تكن افضل شيء يقام على موضع من الارض مسه الجسم الطاهر اول مساس في الدنيا .

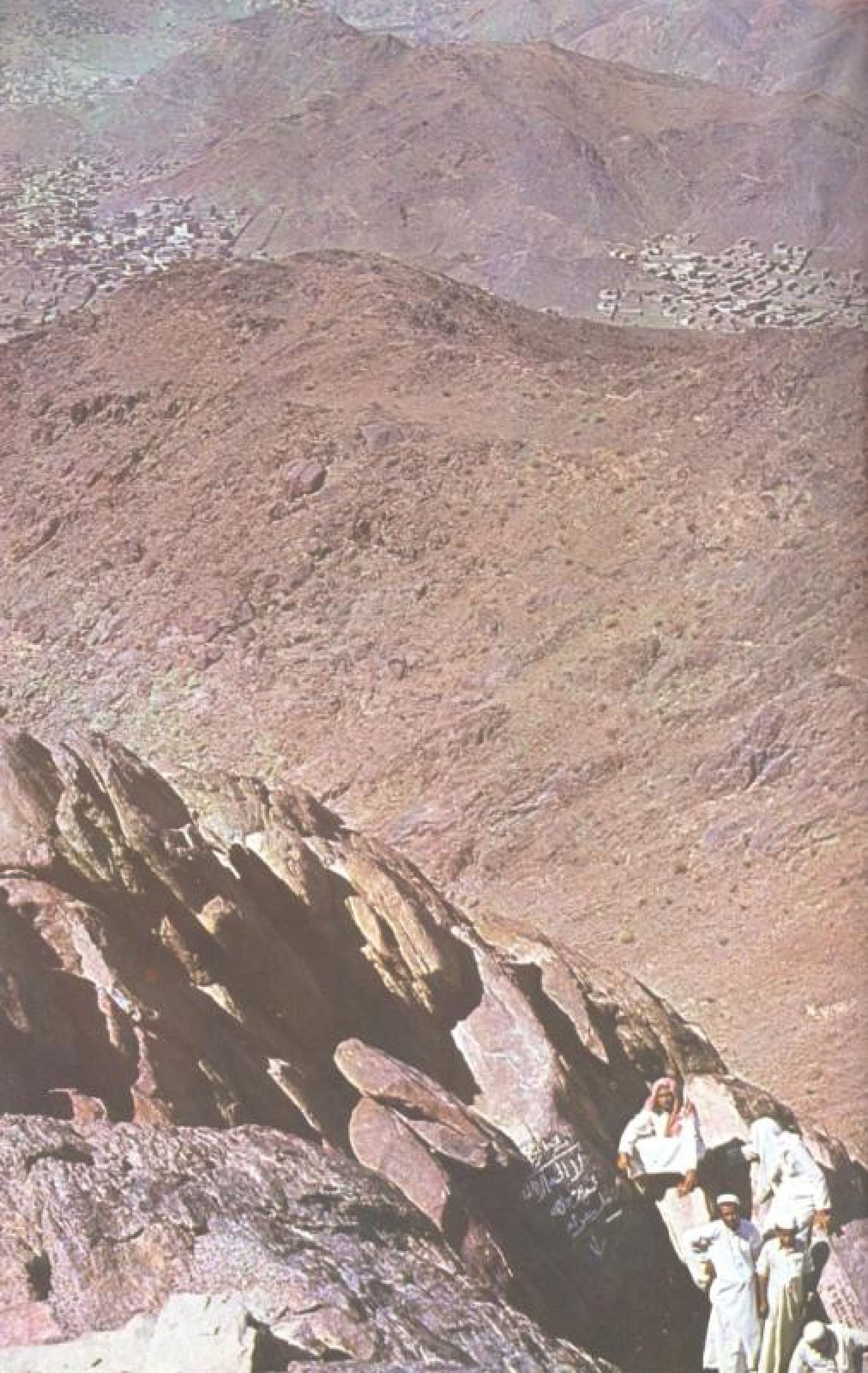




هنا في هذا المكان ولد النبي(ص).. وتمثل الصورة مبنى المكتبة المتواضع الذى اقيم حيث ولد الرسول

الى اليسار : غار حراء حيث نزل الوحي اول ما نزل على الرسول وتظهر في الصورة مدينة مكة والجبال المحيطة بها . **والى اسفل الصفحة** صورة مدخل الغار التى تبين ضيق فتحته وصعوبة الدخول اليه .







صورة للحرم المكي والعمارات الحديثة التي تحيط به من كل ناحية ، لقد اصبحت الشوارع التي تحيط بالحرم مكتظة بالعمارات الشاهقة الحديثة كما تم توسيع الميادين المحيطة به من كل جانب وتظهر في الصورة ٦ مآذن للحرم بينما لم تظهر المئذنة السابعة ويبلغ ارتفاع كل منها ٩٠ مترا .

آثار كانت فبادت

اين دار ابى طالب التى تربى فيها محمد ؟ !

اين دار خديجة تلك الدار التى عاش فيها الرسول زمنا طويلا من شبابه ، اكثر من ربع قرن ، تلك الدار التى شهدت اول الوحى ، وشهدت مؤامرات قريش على ايذاء النبي ، وفيها نزل الوحي على الرسول أكثر من مرة ، وفيها ولدت ابنته فاطمة ، وبقية بناته من السيدة خديجة رضى الله عنها ؟

لقد اندثرت هذه الدار تماما ولم يبق لها اى اثر .

اين دار ام هانيء ؟ تلك الدار التى كان بها الرسول (ص) ليلة الاسراء ؟ !

اختفت بدخولها في حرم المسجد حين توسيعه وأصبحت جزءا من الحرم المكي الشريف .

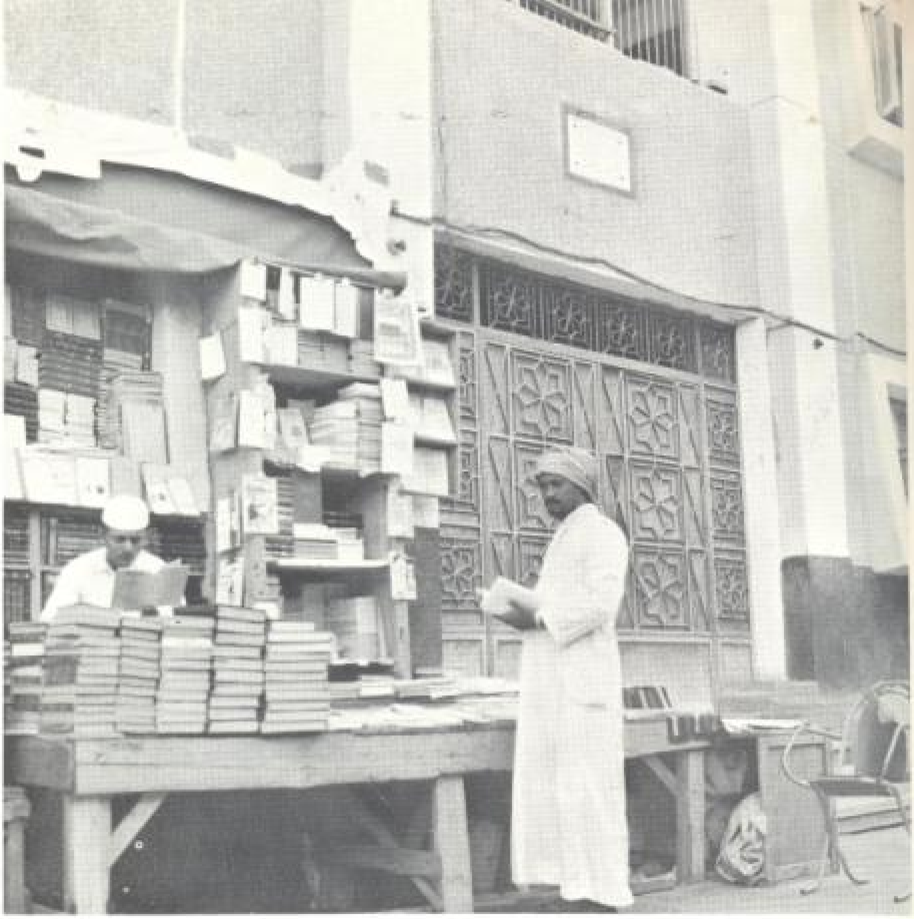
اين دار ابى سفيان ، وهى التى قال عنها الرسول يوم دخل مكة منتصرا موجها حديثه الى من انهزم من قريش :

« من دخل المسجد فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن » .

ان مكان دار ابى سفيان الآن ارض خراب بجوار الحرم تستعملها سيارات الاجرة والنقل كموقف لها !!

دار الأرقم
حيث أسلم عمر

اما دار الارقم فقد كانت اسعد حظا من سائر

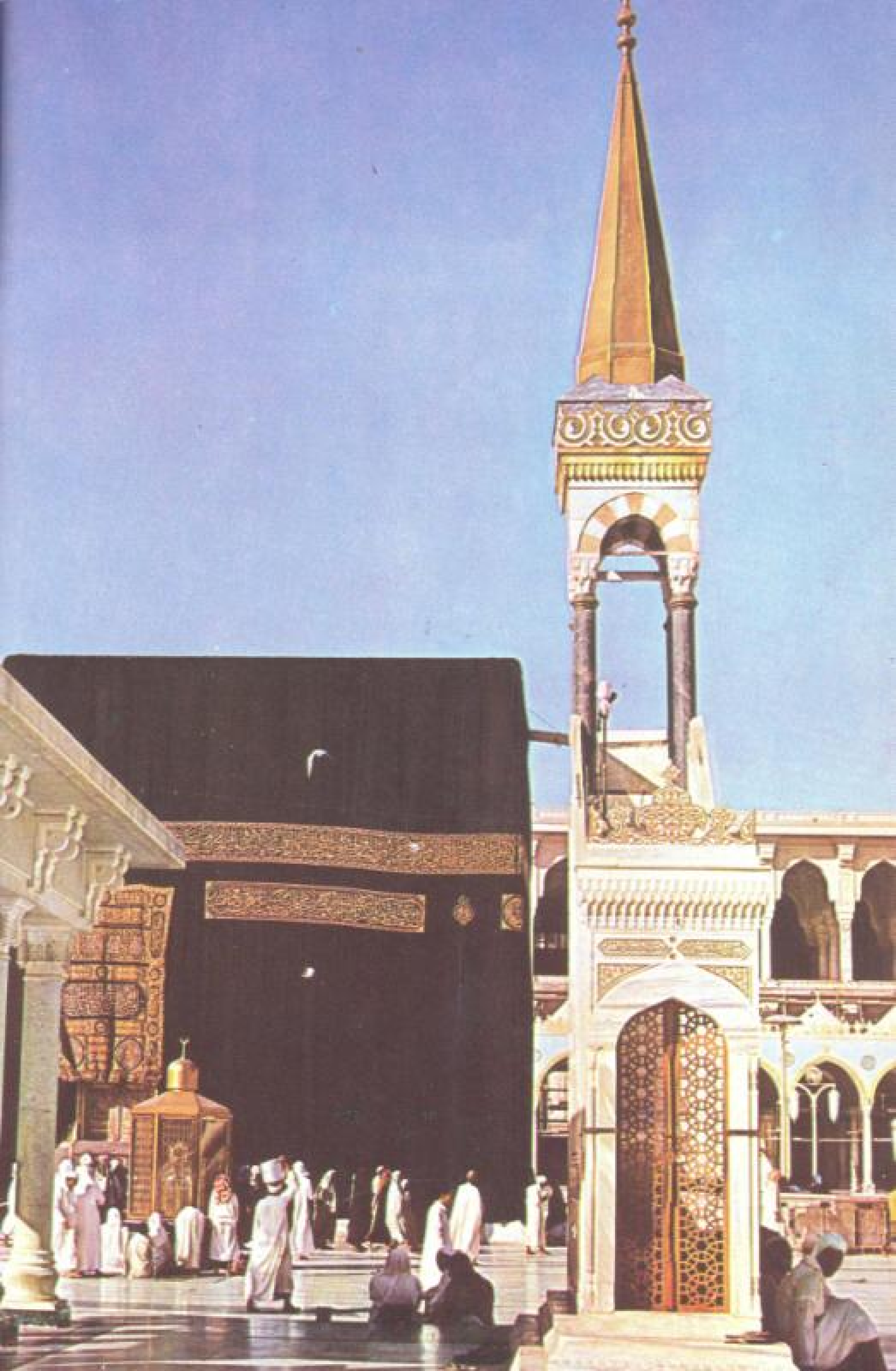


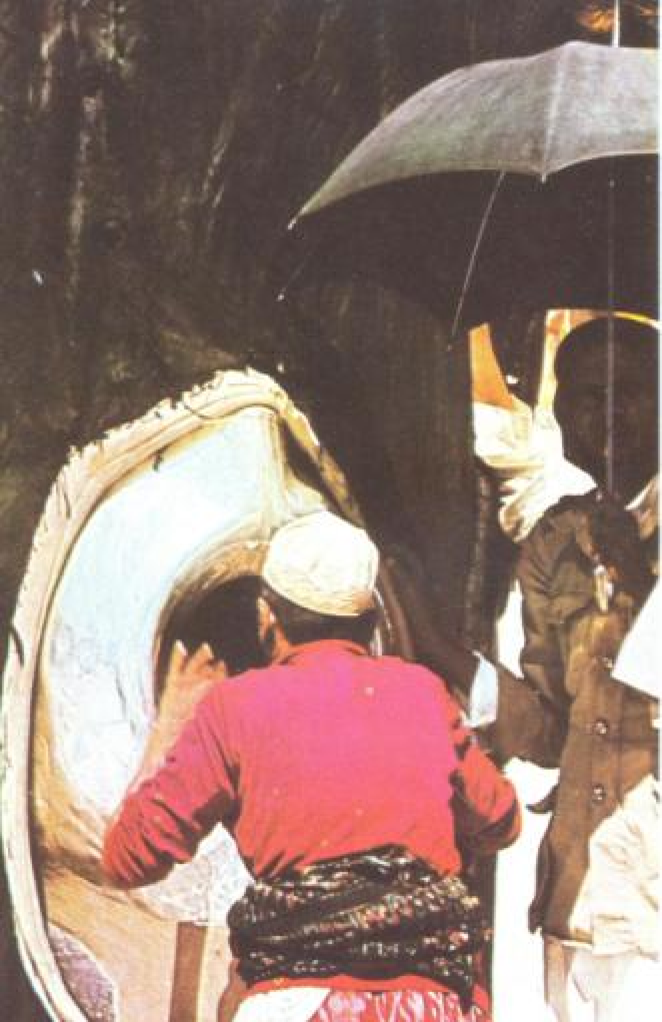
هنا كانت توجد دار الارقم ، تلك الدار التي شهدت اسلام عمر وخرج منها رسول الله وصحبه ليصلوا جماعة ويجهروا بالدعوة لاول مرة وقد أقيم في هذا المكان مدرسة .

الآثار ، فقد وجدنا موضعها بالقرب من قبة الصفا من الحرم الجديد وقد اقاموا عليه مدرسة لتحفيظ القرآن ثبتت عليها لافتة صغيرة زرقاء كتب عليها « دار الارقم » وهذه الدار تثير في نفس كل مسلم ذكرى رائعة من ذكريات حياة نبينا الكريم ، تلك اسلام عمر ، وتبدأ القصة بان كان رسول الله يجلس في هذهالدار ذات يوم مع اصحابه والاسلام لا يزال في بدايته ، وقريش ما تزال تشن حربا لا هوادة فيها على النبي واصحابه الذين اتبعوه وهم قلة ضعيفة . وكان عمر بن الخطاب لا يزال على جاهليته وقد فكر في ان يقتل محمدا حتى تتخلص منه قريش بعد ان سب آلهتها واصنامها .. والتقى عمر مع نعيم ابن عبد الله في الطريق واسر اليه بنيته على قتل محمد .

وقال له نعيم : « والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر ! أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الارض وقد قتلت محمدا ! أفلا ترجع الى أهل بيتك وتقيم امرهم ! » .

وكانت فاطمة اخت عمر وزوجها سعيد بن زيد قد اسلما . واسرع عمر وهو غاضب الى بيت اخته ، وعند الباب سمع عمر من يقرأ القرآن في الداخل ، وفي سورة غضبه اقتحم البيت وبطش بسعيد ، وقامت فاطمة تحمي زوجها من بطش اخيها فاصيبت هي الاخرى وسالت دماؤها .. وهاج الزوجان لما حل بهما وتحديا عمر معلنين





الى اعلى : احد الطائفين بالكعبة يقبل الحجر الاسود ، ويقع الحجر الاسود في الركن القريب من باب الكعبة ، وقد قال عمر ابن الخطاب عن الحجر الاسود « والله لولا اني رأيت رسول الله يقبله لما قبلته » .

الى اليمين : منظر عام لبيت الله وحوله مقام ابراهيم والمنبر ، ويبلغ ارتفاع الكعبة حوالى ١٤ مترا .



له اسلامهما .. ولان عمر عندما رأى ما حل باخته والدم يسيل منها وسالها ان تعطيه الصحيفة التى كانوا يقراون فيها .. فلما قراها اهتز ودخل الايمان قلبه وخرج يريد محمدا كى يعلن اليه اسلامه ، وسار الى دار الارقم حيث دق الباب ، وقام رجل ممن كانوا مع الرسول فنظر من الطارق وعاد فزعا يقول : « هذا عمر بن الخطاب متوشحا السيف » .

وقال حمزة بن عبد المطلب (عم الرسول) : مخاطبا النبى : « فأذن له ، فان كان جاء يريد خيرا بذلنا له، وان كان يريد شرا قتلناه بسيفه».

وامر النبى (ص) ان يؤذن لعمر . ولما دخل عمر اخذ النبى بمجمع ردائه وجذبه بقوة وقال له : « ما جاء بك يا ابن الخطاب ؟ فوالله ما ارى ان تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة » .

قال عمر : « يا رسول الله ، جئتك لأومن بالله ورسوله » .

وكبر محمد والمسلمون تكبيرة عرف منها اهل البيت ان عمر اسلم .

وهكذا اعز الله الاسلام بعمر بن الخطاب .

غار حراء مهبط الوحى

وهو من الاثارالتى لا يمحوها الدهر . ويقع ـ غار حراء ـ على قمة جبل النور شمال شرقى مكة وهو لا يبعد عنها اكثر من ٧ كيلو مترات .. وغار حراء هو ذلك الغار الذى اتخذ منه الرسول الكريم مقرا لتعبده ، والذى جاء اليه جبريل اثناء مقامه به باول آيات القرآن الكريم ، ولهذا الغار مكانة خاصة في تاريخ الاسلام . والوصول الى قمة جبل النور امر شاق الآن .. وقد استغرقت عملية صعودنا الى هذه القمة اكثر من ساعتين ونصف الساعة ، ولكن عندما تصل الى قمة الجبل فانك ترى منظرا فريدا رائعا .. ترى كل الجبال التى حول جبل النور وقد بدت اقصر منه وترى مكة المكرمة وبيت الله . ويتكشف لك كل ما حولك من جميع الجهات، وعندها تعرف سر اختيار رسول الله لهذه القمة ولهذا الغار يلجأ اليهما لينفرد بنفسه وليفكر في الكون وخالقه. هنا كان رسول الله يقضي شهر رمضان من كل عام قبل ان يشرفه الله برسالته . كان يعيش وحيدا في هذه البقعة المنعزلة لا يؤنسه سوى تفكيره وتأمله في اسرار الكون الذى يحيط به .

هنا فوق قمة هذا الجبل ، وفي الغار هبط الوحى على محمد لاول مرة معلنا بداية الرسالة وبداية النور .. من منا لا يتذكر قصة نزول الوحى على الرسول .. تلك القصة التى تهز مشاعر كل مسلم .

هنا جاء جبريل الى محمد في غار حراء وقال له : اقرأ ..

قال محمد : ما انا بقارىء .

ويقول النبى (ص) : فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم ارسلنى وقال : اقرأ .

فقلت : ما انا بقارىء .

فاخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ، ثم ارسلنى .

فقال : اقرأ .

فقلت : ما انا بقارىء .

فاخذنى فغطنى الثالثة ، ثم ارسلنى .

فقال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » .

ورجع رسول الله الى منزله وقد تملكه الروع وقص على خديجة الخبر وقال : زملونى،زملونى، فزملوه حتى هدأت نفسه .

وقال لخديجة : لقد خشيت على نفسي .

فقالت : « كلا والله ما يخزيك الله أبدا . انك لتصل الرحم ، وتحمل الكلّ وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق » .

منى وعرفات والعقبة الكبرى

بعد نزول الوحى على محمد بدات فترة الدعوة للاسلام وللتوحيد بالله ، وآمن بالاسلام نفر معدود كانت اولهم السيدة خديجة زوجة النبى . وبدأ النبى العربى الكريم يبشر برسالته بالرغم من اضطهاد قريش له ومحاربتها لانصاره وتعذيبهم بكل الطرق .. وكان محمد صلى الله عليه ينتهز فرصة موسم الحج كل عام ليجتمع بالقبائل في منى وعرفات وحول الكعبة .. وفي منى مكان يذكرنا بهذه الفترة من حياة النبى وهو مكان العقبة الكبرى حيث تلقى الجمرة التى يلقيها المسلمون



المشعر الحرام هو ذلك المسجد الذى نزل فيه قول الله تعالى « فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام » وفيه يصلى المسلمون بعد الانتهاء من افاضتهم بعرفات وهم في طريقهم لالقاء الجمرات .

ليتحللوا التحلل الاصغر، فهذا المكان هو الذى تمت فيه بيعتا العقبة اللتان تمتا بين أهل يثرب ورسول الله (ص) فكانتا تمهيدا للهجرة وكانتا ايذانا بنصر الله لرسوله وبانتشار الاسلام .

وفي منى مسجد كبير يتسع لحوالى ١٠ الاف مصل، وهو مسجد الخيف وهو أكبر مسجد بين مكة وعرفات بعد المسجد الحرام ، وكان أوسع من المسجد الحرام في العهود الأولى للاسلام . وتروى بعض كتب التاريخ حديثا عن الرسول ان هذا المسجد هو الذى تبايعت فيه الاحزاب من العرب واليهود على قتال محمد والمسلمين في المدينة ، وان الاحزاب خرجوا منه لغزوة الخندق ، وقد صلى النبى في مسجد الخيف اثناء حجة الوداع .

وفي عرفات يقع مسجد نمرة وهو المسجد الذى

هنا يلقى المسلمون جمراتهم في منى ، وفي هذا المكان في الجبل الذى يظهر في الصورة تمت بيعتا العقبة وكان النبى يجتمع في شعاب الجبل مع الانصار من الاوس والخزرج اثناء موسم الحج بعيدا عن اعين كفار قريش .

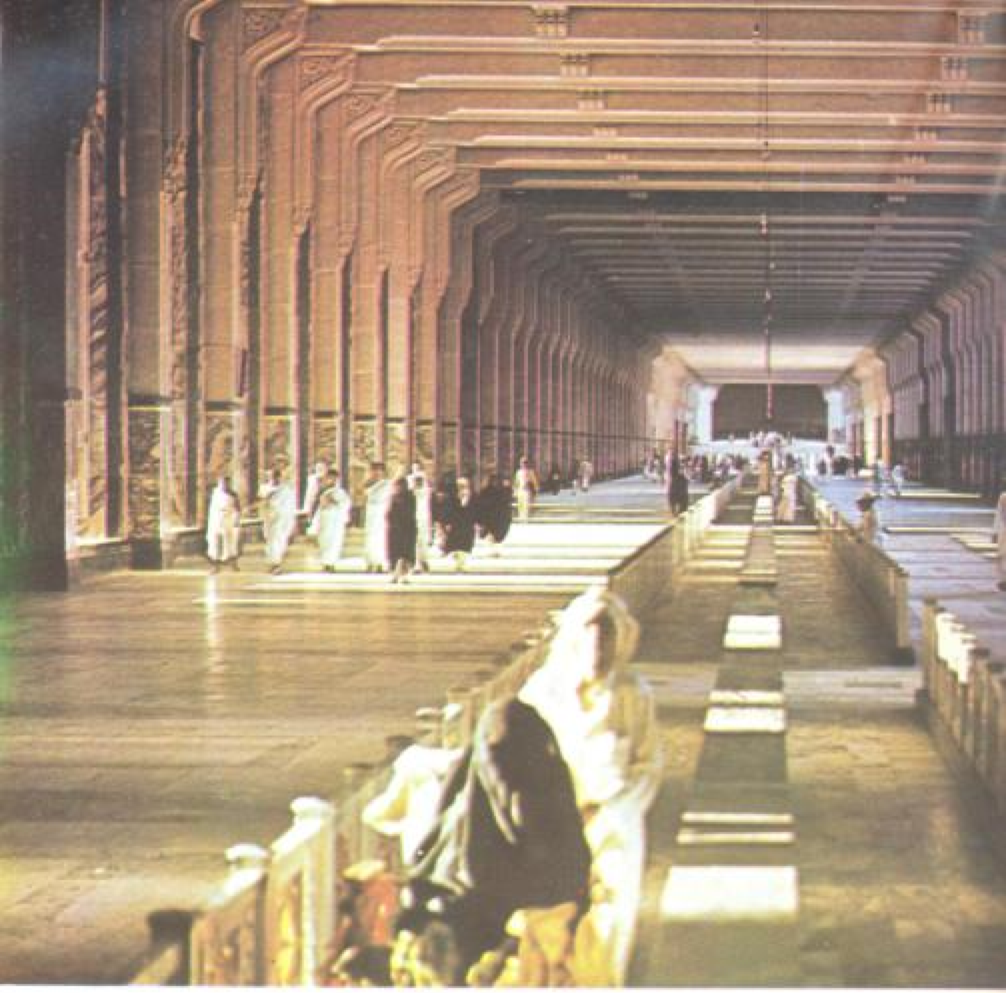


« ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم » بهذه الآية القرآنية يبدأ الساعون سعيهم بين الصفا والمروة وقد اقيم مبنى جديد للمسعى شق في وسطه طريق خاص للعربات التي تدفع باليد والتي يؤجرها الساعون الذين لا يستطيعون السعي على اقدامهم ويبلغ طول المسافة بين الصفا والمروة حوالى ميل ونصف، وقد ازيلت كل المحلات التجارية التي كانت تعوق الساعين في الماضي .





منظر خارجي لقبة الصفا في التوسعة السعودية الجديدة للحرم المكي الكريم وظهرت في الصورة مئذنة الصفا وجزء من المسعى .





تمتاز قبة الصفا في العمارة الجديدة بروعة النقوش التى قام الصناع المهرة بنقشها على سقف القبة .

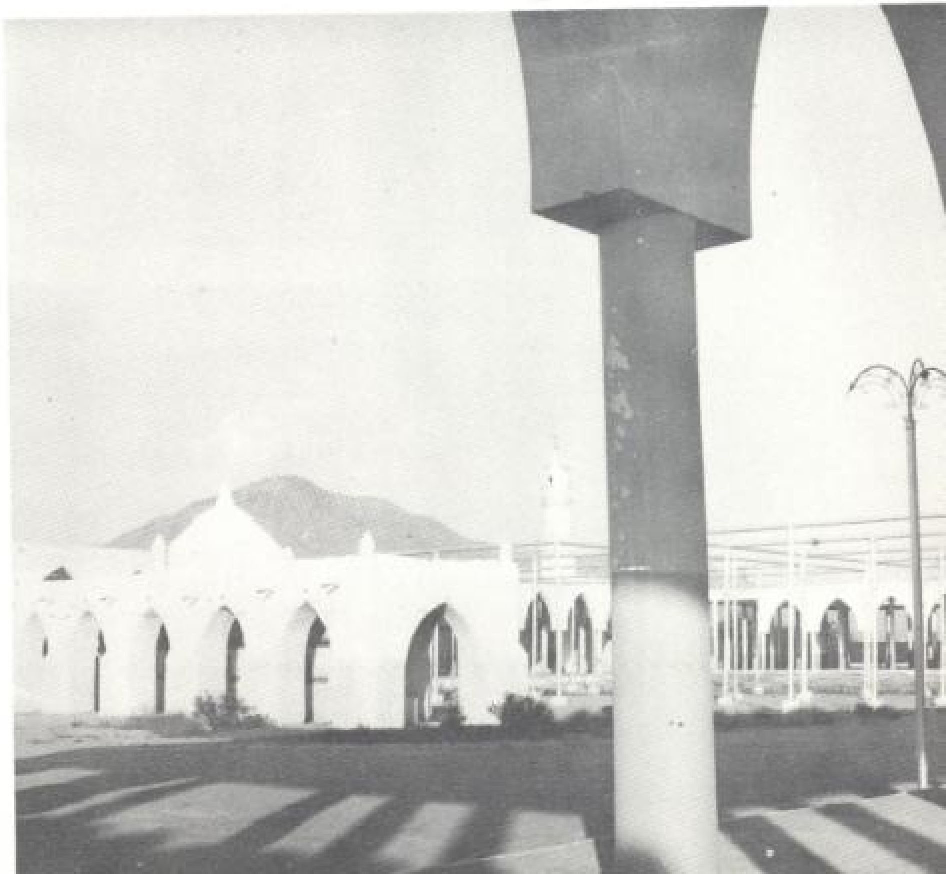
خطب امامه النبى خطبة الوداع في المسلمين وهو راكب على ناقته القصواء .

غار ثور
من مكة الى المدينة

بعد ان تعرض النبى للكثير من مضايقات كفار قريش .. وبعد أن وصل الامر الى حد الاتفاق بين الكفار على قتله والتخلص منه ، اذن الله لرسوله بالهجرة الى يثرب (سميت بعد ذلك بالمدينة المنورة) وخرج محمد ومعه ابو بكر من مكة وكان ذلك في عام ٦٢٢ م واتجه النبي والصديق الى جبل ثور وهو يقع الى جنوب مكة في الطريق الى اليمن . وتقوم حوله جبال مشابهة له تماما . واختفى النبى في غار ثور وهو غار يقع على قمة الجبل . والتسلق اليه امر اشق واعسر من التسلق الى قمة غار حراء ويحتاج الى دليل من أهل المنطقة .

وذهبنا الى جبل ثور ، ولكن لم نستطع التسلق الى القمة ، في الحقيقة حاولنا ولكن لم نستطع اتمام محاولتنا لخطورتها ولوجود صخور عديدة تعوق الطريق الى القمة . وعاد بنا الخيال الى الوراء ١٣٩١ سنة هجرية الى الليلة التى هاجر فيها الرسول من مكة الى المدينة مبتدئا عهدا جديدا في الاسلام .. عهد الجهاد والحرب في سبيل الله : النبى الكريم في داره ، وابو بكر في داره ينتظر الرسول وقد اعد راحلتين تحملانهما من مكة الى يثرب . وعلى بن ابى طالب في دار محمد قد ارتدى برده الحضرمى الأخضر ونام حيث ينام ابن عمه، بينما فتيان الكفار من قريش يلتفون حول

مسجد نمرة وهو يقع في عرفات وأمام هذا المسجد خطب النبى في المسلمين خطبته الشهيرة في حجة الوداع وهو راكب على ناقته القصواء .



الدار ينتظرون الفرصة المواتية ليفتكوا بالنبى .. ويتقدم الليل ويخرج محمد من داره الى دار ابى بكر دون أن يراه من الكفار احد ، فقد غطى الله على ابصارهم . ويخرج النبى والصديق الى طريق جبل ثور في هدوء الهزيع الاخير من الليل ويتسلق الرجلان الجبل ويصلان الىالغار،ويتقدم ابو بكر يستطلع المكان ثم يدخل الى الغار قبل الرسول مخافة ان يكون به ما يؤذيه .

ويطلع النهار ويكتشف كفار قريش ان النبى الكريم قد افلت من بين ايديهم . وترسل قريش فتيانها للبحث عن محمد ، ذهبوا الى الشمال معتقدين انه في طريقه ليلحق بأتباعه من المسلمين الذين هاجروا الى يثرب،ولكنهم لم يقفوا له على أثر .. وبحثوا وبحثوا فلما يئسوا اتجهوا الى الجنوب وتسلقوا جبل ثور ووصلوا الغار فوجدوا احد الرعاة فسالوه عما اذا كان قد رأى محمدا وأبا بكر واجاب الراعى :

« قد يكونان بالغار ، وان لم ار احدا آمه » .

وسمع النبى وابو بكر الحديث وسمعا وقع اقدام الكفار وهم يتقدمون ناحية الغار ، واصيب ابو بكر بالخوف اما النبى (ص) فلم يفقد سكينته وهمس ابو بكر في اذن النبى : « لو نظر احدهم تحت قدميه لأبصرنا » .

ورد عليه الرسول هامسا : « يا أبا بكر ما ظنك في رجلين الله ثالثهما . لا تحزن ان الله معنا » .

ويتقدم فتيان قريش نحو الغار ولكن صاحبهم الذى دار حول الغار يردهم ويقول لهم انه لم ير احدا في الغار .. وتفرق الكفار ونجى محمد من شرهم .

وفي هذا نزل قول الله تعالى : « الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » .

طريق الهجرة

وتجمع كتب السيرة على ان محمدا وأبا بكر قضيا ثلاثة ايام في الغار حتى يئست قريش من العثور عليهما وثبطت همتها في البحث ، وبعدها اتاهما عامر بن فهيرة ببعيريهما فسلك بهما الى يثرب طريقا غير مألوف الوادى فاطمة ثم عسفان ثم الى الشاطىء حيث مكان يدعى قديد ، وهو المكان الذى عنده ادرك سُراقة بن جعشم النبى وابا بكر وخياله يداعبه في أسر الرجلين او قتلهما ليفوز بالابل المائة التى رصدتها قريش جائزة لمن يرد محمدا حيا او ميتا الى مكة .. وعندما اقترب سراقة من النبى وصاحبه كبا جواده كبوة عنيفة طرحته ارضا وجعلته يتطير ويؤمن بان هناك قوة خفية تمنعه من الحاق اى اذى بمحد وصاحبه .. ووقف سراقة ونادى النبى بأعلى صوته : « انا سراقة بن جعشم ، انظرونى اكلمكم ، فوالله لا أريبكم ولا يأتيكم منى شيء تكرهونه » وأمر النبى محمد أبا بكر فكتب له كتابا يكون آية بينه وبين النبى . واخذ سراقة الكتاب وعاد ادراجه ، وجعل يضلل الذين يطاردون محمدا حتى لا يلحق بهما احد .

ويقضي النبى في طريقه الى المدينة حوالى ٨ ايام كما تقول كتب السيرة يصل بعدها الى قباء على بعد فرسخين (٦ أميال) من المدينة المنورة ويقضي بها اربعة ايام يدخل بعدها المدينة .

والى المدينة غادرنا مكة .. ولكن بطريق آخر غير ذلك الطريق الذى سار فيه الرسول صلوات الله عليه في هجرته ..

فى المدينة المنورة

كان طريقنا من مكة الىجدة سهلا ومريحا للغاية فهو طريق واسع معبد يضارع احدث الطرق العالمية .. ولم تستغرق رحلتنا الى جدة الا اقل من ساعة .. وبعدها توجهنا الى المدينة .. وهى تبعد عن جده بحوالى ٤٢٠ كيلو مترا وتوقعنا ان نقطع المسافة في ٥ أو ٦ ساعات ولكن وعورة الجزء الاخير من الطريق وكثرة التحويلات التى اعترضت طريقنا بسبب عمليات انشاء طريق جديد حديث يصل بين مكة والمدينة وجدة والمدنة ، عطلت وصولنا فقطعنا المسافة في اكثر من ٨ ساعات .. وصلنا المدينة المنورة وعند آبار عليّ بدأت انوار مآذن الحرم النبوى تطالع ابصارنا .. وكان الليل قد انتصف عندما وصلنا المدينة فلم نستطع الا ان نلقى نظرة سريعة على الحرم النبوى من الخارج وذهبنا الى الفندق حيث نستريح من تعبالسفر.



يتم صنع كسوة الكعبة الشريفة في مصنع صغير بمكة كل العاملين فيه من السعوديين وثوب الكعبة مصنوع من الحرير الطبيعي الصافي وله بطانة من الداخل وقد نقش على الثوب عبارات « لا اله الا الله محمد رسول الله » و « الله جل جلاله » و « وسبحان الله العظيم » ويحيط بالكعبة الحزام والبرقع وقد كتبت فيهما آيات قرآنية مختلفة بأسلاك الفضة الحرة، وأسلاك الفضة المذهبة . ويستهلك الثوب في حزامه وبرقعه ومربعاته ومستطيلاته المستقلة ٨٠ كيلو جراما من الفضة المطلية بالذهب و ٤٠ كيلو جراما من الفضة الخالصة .

باب الملك عبدالعزيز .. وتمتاز ابواب الحرم الجديد بطرازها العربي الرائع وهي مغطاة كلها بالرخام .



بالرغم من مرور أكثر من ١٥ عاما على بدء العمل في مشروع توسعة الحرم المكي الشريف الا ان العمل لم ينته بعد وذلك بسبب ضخامة المشروع وقد تمت اضافة ١٣١٫٠٤١ مترا مربعا لمساحة الحرم وبذلك اصبحت مساحة الحرم بعد التوسعة ١٦٠٫١٦٨ مترا مربعا ويتسع لحوالى ٣٠٠ الف مصل في وقت واحد وقد احتفظ في نفس الوقت بجزء من مباني الحرم القديم .



مسجد قباء أول مسجد بني في الاسلام

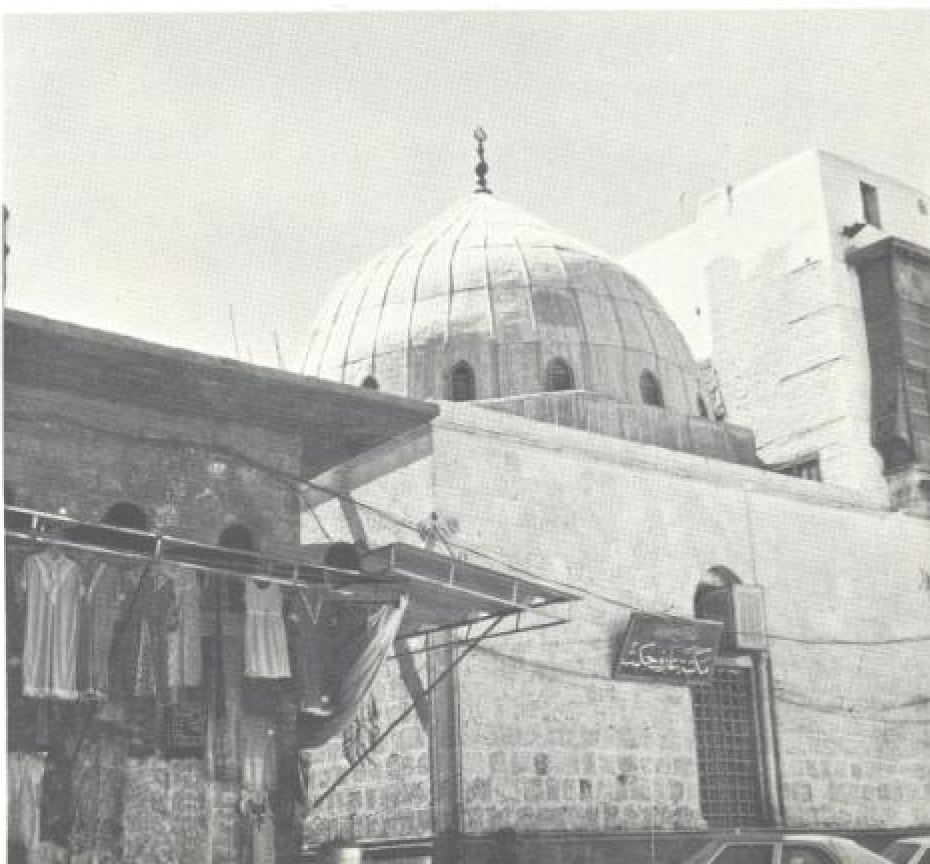
في الصباح الباكر خرجنا نطلب مسجد قباء . وتوجهنا الى قباء وقد اصبحت الآن ضاحية من ضواحي المدينة بعد ان امتد اليها عمران المدينة وقد كانت في عهد الرسول بلدة صغيرة . وفي خلال الايام الاربعة التي قضاها الرسول في قباء بمنزل كلثوم بن الهدم قام ببناء المسجد ، وكان يعمل فيه بيده . وذهبنا الى مسجد قباء ، وهو مسجد كبير فخم ، اعيد بناؤه منذ سنوات قليلة .

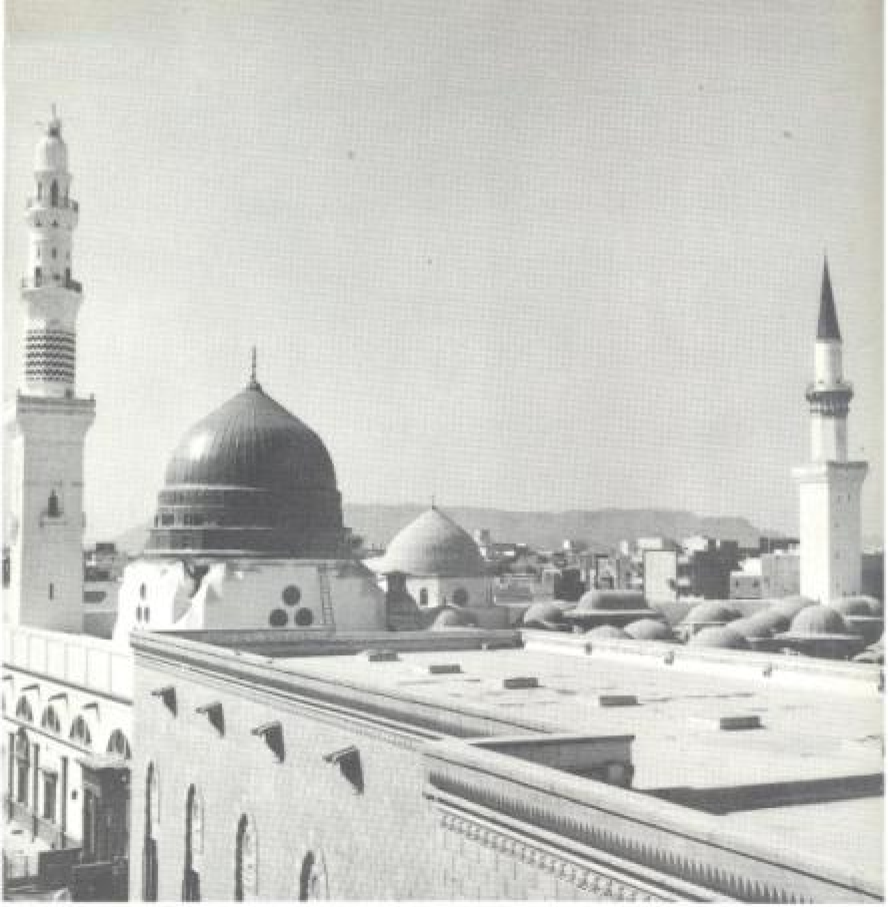
ويعتبر المسجد الذي اشترك في بنائه النبي اول بناء اقيم في الاسلام ليكون مسجدا وقد اتفق جمهور المفسرين على انه المسجد المقصود بقوله تعالى في سورة التوبة : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق ان تقوم فيه » . والاثر النبوى الذى يذكره المؤرخون في مسجد قباء ويجمعون عليه هو مبرك الناقة ، فالمعروف ان هذا المسجد اقيم حيث بركت ناقة النبي اول ما وصل قباء .

النبي يدخل المدينة

مكث النبي ٤ ايام في « قباء » وفي يوم الجمعة غادرها هو وابو بكر وحولهما جماعة من مسلمي المدينة وخرج اهل المدينة جميعا الى الطرقات يرحبون بمقدم هذا الرجل العظيم . واذ هم في الطريق ادركتهم صلاة الجمعة ببطن وادي رانوناء من أودية المدينة ، ونزل النبي وصلى بالناس بعد ان خطب فيهم قائلا : « أيها الناس ، أفشوا السلام ، واطعموا الطعام ، وصلوا الارحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة

هذا المحل التجاري الذي يقع بالقرب من المسجد النبوي والى جواره مكتبة عارف حكمت ، هو مكان دار ابو ايوب الانصاري تلك الدار التي نزل عليها النبي (ص) عند قدومه من مكة مهاجرا الى المدينة.





القبة الخضراء المقامة فوق الحجرة النبوية في الحرم النبوى الشريف، وهى تقع في العمارة المجيدية للمسجد.

بسلام » ، وقد اقيم في هذا المكان مسجد يطلق عليه الآن اسم مسجد الجمعة . واستانف موكب النبي مسيرته وانطلقت ناقته .. لتبرك عند مربد سهل وسهيل ، واجتمع كبار الانصار حول الرسول كل واحد منهم يرغب في ان ينزل عليه الرسول ضيفا ، ويحسم النبي الموضوع بان يقول لهم انه سينزل على اخوال عبد المطلب ويسال عن اى بيوتهم اقرب .

ويقبل ابو ايوب الانصارى يشير الى داره وياخذ رحل النبي وينطلق به ..

خلال ذلك كله ترتفع الاصوات منشدة :

طلع البدر علينا   من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا   ما دعا لله داع
ايها المبعوث فينا   جئت بالامر المطاع

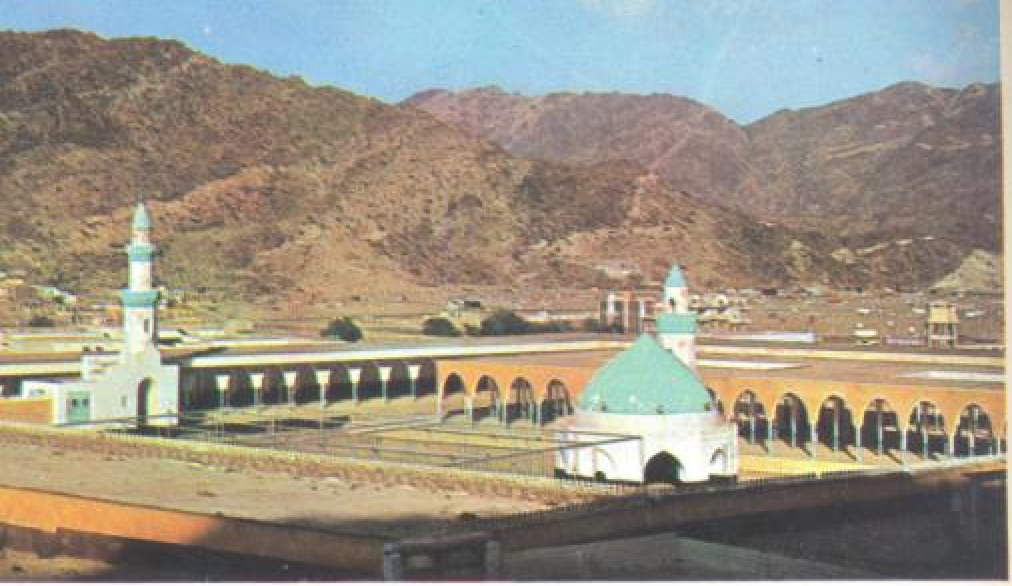
وسط هذه المشاهد الرائعة الخالدة كان دخول النبى الى المدينة .

وسألنا عن مكان دار ابى ايوب الانصارى .. ودهشنا عندما اشاروا الينا الى بناء صغير على مقربة من الحرم النبوى ، يحتله محل تجارى للاقمشة وقالوا لنا هذا هو مكان دار ابى ايوب الانصارى !!

فى الحرم النبوى الشريف

اجتزنا باب السلام في الحرم النبوى الشريف ودخلنا المسجد ، ولعل اهم ما يجذب المرء في المسجد النبوى هو الحجرة النبوية (قبر النبى واصحابه) وهى تقع في الركن الجنوبى الشرقى للمسجد على مقربة من باب جبريل ، ولم تكن





الى اعلى : مسجد الخيف في منى ويعتبر من اضخم المساجد التى كانت موجودة في صدر الاسلام ويقال انه كان اكبر مساحة من المسجد الحرام في العهود الاولى للاسلام ويقال ايضا ان القبة التى في الصورة قد اقيمت في موضع الخيمة التى صلى بها النبى في حجة الوداع ، وهذا المسجد كان عبارة عن خلاء كبير تحيط به جدران بسيطة ،واستحدثت عمارته في القرن الثالث الهجرى ، ثم جدد بعد ذلك في القرن السادس ، وفي القرن التاسع امر السلطان قايتباى حاكم مصر ببناء المسجد من جديد .

الى اليمين : تمثل هذه الصورة روعة الاعمدة التى اقيمت داخل الحرم المكى الشريف وروعة الزخارف العربية في السقوف .. وقد تكلفت توسعة الحرم حتى الآن حوالى الف مليون ريال سعودى (٢٠٠ مليون دولار)

الى اسفل : صورة من ارشيف العربى التقطت اثناء الحج ، وهى تمثل آلافا مؤلفة من الحجاج اثناء وقوفهم على عرفات وهو احد مناسك فريضة الحج وبعدها ينزل الحجاج الى المشعر الحرام بالمزدلفة .



الحجرة جزءا من المسجد الا في عام ٨٨ هـ . اما الروضة الشريفة فهى تقع ما بين حجرة الرسول والمنبر وقد اطلق عليها اسم الروضة لقول الرسول (ص) : « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » وتزدحم الروضة بالمصلين دائما لما لها من قداسة عند كل المسلمين . ومدخل الروضة من عند باب السلام من اروع ما شهدت عينانا في أى مسجد من المساجد . ولعل الوصف هنا لن يبلغ حد التعبير عن روعتها فاترك الحديث للصور الملونة المنشورة للروضة على صفحة ٨٥ فهى ابلغ من أى وصف بالقلم .

ولعله من المفيد هنا ان نذكر المراحل التى مر بها الحرم النبوى الشريف من حيث عمارته .. وقد كان المكان الذى يقوم المسجد فيه مربدا لغلامين يتيمين في المدينة هما سهل وسهيل ابنا عمرو وهو المكان الذى بركت فيه ناقة النبى عند وصوله المدينة قادما من قباء واختاره النبى مكانا للمسجد على ان يشترى الارض من اليتيمين وقد اشترك النبى في عملية البناء فكان ينقل اللبنات وشاركه في عمله هذا كبار الصحابة ، وكان علي ابن ابى طالب رضي الله عنه يعمل في البناء ويرتجز :

لا يستوىمن يعمر المساجدا

يداب فيها قائما وقاعدا

ومن يُرى عن الغبار حائدا

وتم بناء المسجد وكان في غاية البساطة جدره من اللبن (اى الطين غير المحروق) وسقفه من الجريد وعمده من جذوع النخل . وبقى المسجد على هذه الحال حوالى ست سنوات الى ان زاد النبى في مساحته مائة متر مربع بعد غزوة خيبر وبقى المسجد على حاله الى ان تولى عمر الخلافة وبدأ توسيع المسجد في السنة السابعة عشرة من الهجرة .

وفي عام ٢٤ هـ . تولى عثمان بن عفان الخلافة وقام ببناء جدران المسجد بالحجارة وجعل اعمدته من حجارة منقورة ادخل فيها عمد الحديد وصب فيها الرصاصونقشها من الخارج ، وجعل سقفه من الساج .

وفي عام ٨٨ هـ ، امر الوليد بن عبد الملك واليه على المدينة عمر بن عبد العزيز بضم بيوت النبى الى المسجد . وهدم المسجد واقيم مكانه مسجد جديد اقيمت له ٤ مآذن وفرشت ارضه بالرخام، ونقشت حوائطه بالفسيفساء وكسي سقفه بالذهب وجعلت اعمدته من المرمر ، وفي عهد العباسيين قام المهدى بتوسيع المسجد من ناحيته الشمالية في عام ١٦٠ هـ .

الحريق الاول للمسجد

استقر المسجد على زيادة المهدى الا ان المسجد احترق في شهر رمضان عام ٦٥٤ هـ ، اذ ترك احد الحراس موقد المصابيح مشتعلا في مخازن المسجد فامتدتالنار منه الىسقف المسجد وسرت الى الحرم كله ، ونتيجة لضعف الخليفة العباسي المستعصم وانشغاله بالحرب مع التتار فقد ظلت عمارة المسجد تتعثر حتى تولى الملكالظاهر بيبرس أمر مصر بعد ست سنوات من الحريق وأمر بتجهيز الادوات اللازمة لبناء المسجد من اخشاب وحديد ورصاص وجهز الصناع وارسلهم الى

مسجد على بن ابى طالب وهو يقع في المناخة ايضا ويروى أن سبب تسميته بمسجد على انه رضى الله عنه صلى فيه العيد بالناس اثناء حصار حصار عثمان بن عفان .





مسجد السقيا ويروى عن ابى هريرة انه قال : « ان النبى صلى الله عليه وسلم عرض المسلمين بالسقيا التى بالحرة عند توجهه الى بدر وصلى بها » وقد كان هذا المسجد غير معروف المحل الى ان اكتشفه المؤرخ السمهودى ، والمسجد اليوم داخل سور بناية محطة سكك حديد الحجاز .

المدينة حتى اتموا المسجد كما كان قبل الحريق . وتمت بعد ذلك بعض الاصلاحات في سقف المسجد وقد اقام المنصور قلاوون حاكم مصر القبة المشهورة فوق الحجرة النبوية في عام ٦٧٨ هـ .

الحريق الثاني

وفي عام ٨٨٦ هـ انقضت صاعقة على مئذنة المسجد الرئيسية وانتقلت النار من المئذنة الى سقف المسجد فالتهمته ولم يسلم من الحريق الا الحجرة والقبة التى بالصحن . وقد كتب اهل المدينة للاشرف قايتباى والى مصر بامر الحريق فارسل المؤن والعمال وكل المواد والنقود وتم تسقيف المسجد في عام ٨٨٨ هـ . وتمت العمارة كلها حوالى عام ٨٩٠ هـ . وبنى للمصلى النبوى محراب . كما بنى المحراب العثمانى .

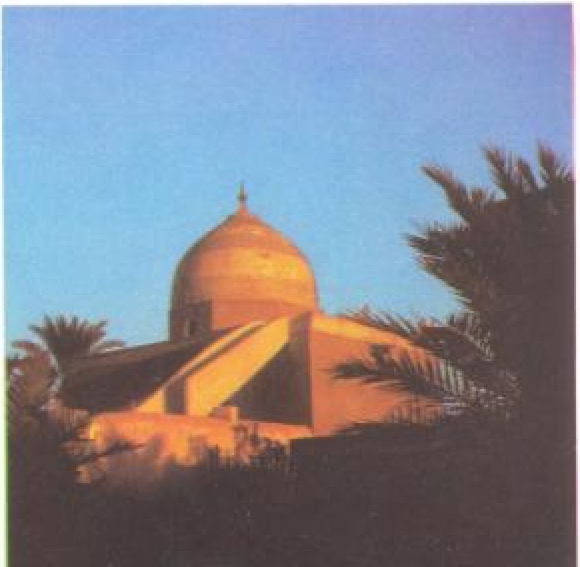
زيادة السلطان عبد المجيد

في عام ١٢٦٣ هـ أى بعد مرور حوالى ٢٨٧ عاما



مسجد الشجرة وهو يعرف بهذا الاسم لان النبى كان ينزل تحت شجرة في هذا المكان بذى الحليفة ويعتمر في طريقه الى الحج

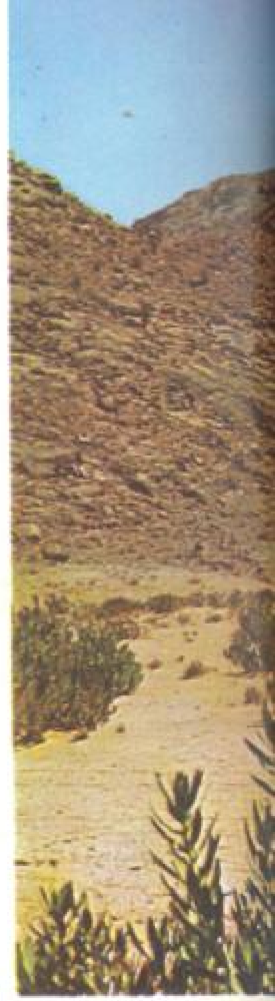




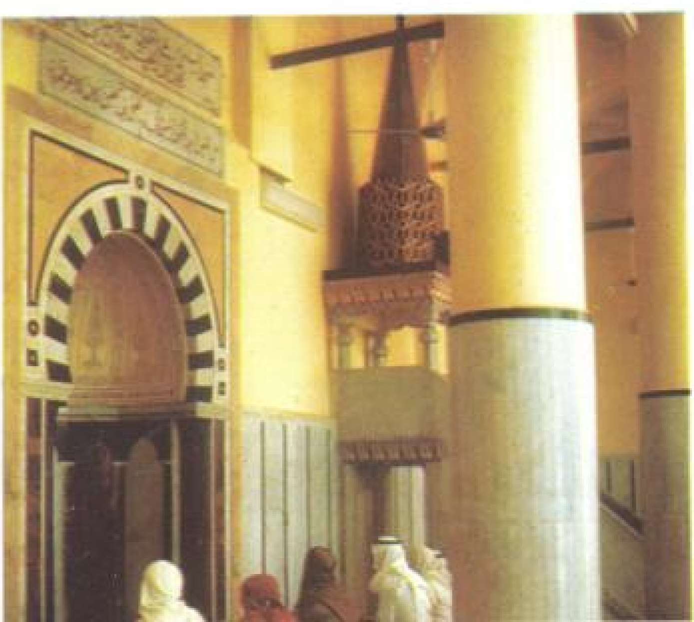
الى اليمين : ادركت النبي صلاة الجمعة وهو في طريقه من قباء الى المدينة ، فصلاها النبي في بطن وادي رانونا ، واقيم المسجد حيث صلى الرسول الكريم وسمي مسجد الجمعة والبناء الحالي للمسجد تم في القرن التاسع الهجري .



الى اليسار : مسجد قباءهو اول مسجد بني في الاسلام ، بناه رسول الله بعد وصوله الى قرية قباء مهاجرا من مكة وقد تم تجديد بناء المسجد وتوسيعه مؤخرا ويقبل الناس على زيارة مسجد قباء كل يوم سبت .



الى أعلى : منظر عام لجبل لور حيث يقع الغار الذي لجأ ا ا محمد (ص) ومعه الصديق ابو بكر وهما في طريقهما مهاجرين من مكة الى المدينة ا ورةوقد قضى النبي حبه ٣ أيام في الغار ونجاهما الله من الكفار .





مسجد الفضيخ (ويعرف باسم مسجد الشمس) ويروى ان النبى (ص) لما حاصر بنى النضير من اليهود ضرب قبته قريبا من المسجد وكان يصلى في هذا المسجد ، ولما حرمت الخمر خرج الخبر الى ابى ايوب الانصارى ونفر من الانصار وهم يشربون فضيخا (خمر التمر) فأراقوا بقية الخمر التى معهم في المسجد وبذلك سمى مسجد الفضيخ .

بعد الحريق الثانى للمسجد آلت بعض اسقف المسجد للسقوط ووصل خبرها الى السلطان عبد المجيد في استانبول فامر بارسال المهندسين والنجارين والصناع والمؤن وبدأت العمارة في المسجد في عام ١٢٦٥ وانتهت في عام ١٢٧٧ . وهى العمارة المعروفة بالعمارة المجيدية والتى لا يزال الجزء القبلى باقيا منها حتى الآن .

الزيادة السعودية

شعر الناس بضيق الحرم النبوى خصوصا في أيام الزيارةوفي عام ١٣٦٥ اكتشف بعض التصدع في الجزء الشمالى للعمارة المجيدية وبعد ان قام الفنيون بفحص اساسات الاعمدة اصدر الملك عبد العزيز آل سعود أمره بتوسعة وعمارة المسجد النبوى وبدىء في تنفيذ التوسعة في عام ١٣٧٠ هـ. واستمرت عمليات التوسعة والبناء خمس سنوات وقد بلغت مساحة الحرم النبوى بعمارتيه المجيدية والسعودية ١٦٣٢٧ مترا مربعا . وتكلفت العمارة السعودية حوالى ٥٠ مليون ريال (١١ مليون دولار) بما في ذلك التعويضات التىصرفتلاصحاب الاراضي التى دخلت في المسجد بعد توسعته .

الرسول فى المدينة

يجمع جمهور المؤرخين ان النبى (ص) اقام في المدينة بعد الهجرة ١٠ سنوات توفي بعدها . وقد آخى الرسول بعد وصوله المدينة بين الانصار والمهاجرين . كما بنى بالسيدة عائشة رضي الله عنها في المدينة بعد وصوله بتسعة اشهر على الاغلب وكان قد عقد عليها في مكة قبل الهجرة بثلاث سنوات .

ومن اشهر القصص التى تستحق التسجيل قصة اسلام عبد الله بن سلام وهو من كبار اليهود في المدينة . فقد جاء للنبى في بيت ابى ايوب الانصارى فقال : « اشهد انك رسول الله وانك قد جئت بحق ، وقد علمت يهود انى سيدهم وابن سيدهم واعلمهم وابن اعلمهم ، فسلهم عنى قبل ان يعلموا انى قد اسلمت ، فانهم ان يعلموا انى قد اسلمت قالوا فيّ ما ليس فيّ » .

وارسل رسول الله اليهم فدخلوا عليه ، فقال لهم الرسول : يا معشر اليهود اتقوا الله، فوالذى لا اله الا هو انكم لتعلمون انى رسول الله حقا ، وانى جئتكم بحق ، فاسلموا .

قالوا : ما نعلمه .

قال : فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟

قالوا : ذاك سيدنا وابن سيدنا ، واعلمنا وابن اعلمنا .

قال : افرايتم ان اسلم .

قالوا : حاشا لله ما كان ليسلم .

قال : افرايتم ان اسلم .

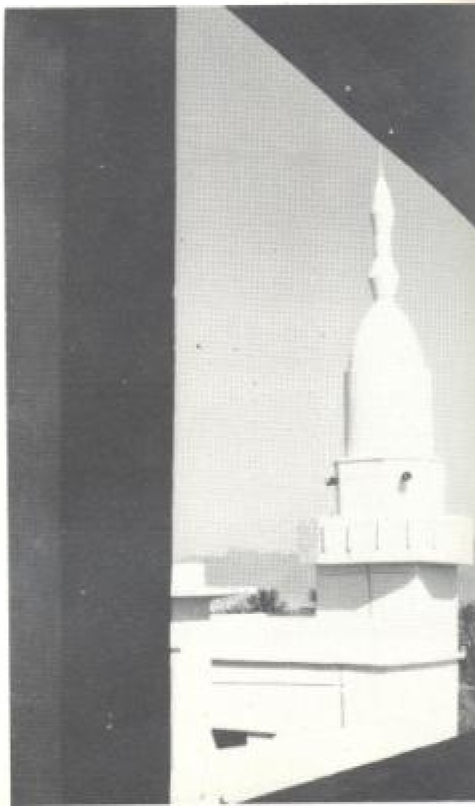
قالوا : حاشا لله ما كان ليسلم .

كرر ذلك ثلاثا فيقولون له ذلك .

قال : « يا ابن سلام اخرج عليهم » .

فخرج عليهم قائلا : « يا معشر اليهود ، اتقوا الله فوالذي لا اله الا هو انكم لتعلمون انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه جاء بحق » .

مسجد القبلتين وهو المسجد الذي صلى فيه النبي ركعتين متخذا المسجد الاقصى قبلة له ثم نزلت عليه الآية التي تجعل من الكعبة قبلة للمسلمين فصلى الظهر في نفس المكان متوجها الى الكعبة ، وبناء المسجد الموجود حاليا بني في عهد الملك عبد العزيز آل سعود .



فقالوا : « كذبت » .

فاخرجهم رسول الله .

تغيير القبلة

ويجمع المؤرخون ايضا انه في وقت صلاة الظهر يوم الثلاثاء النصف من شعبان في السنة الثانية من الهجرة انزل الله على النبي قوله تعالى :

« قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » .

وبذلك بدا المسلمون يصلون وقبلتهم الكعبة بعد ان كانت المسجد الاقصى .

ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان قد صلى ركعتين وقبلته المسجد الاقصى وبعدها نزلت عليه هذه الآية فصلى الظهر وقبلته المسجدالحرام في مكة وذلك في نفس المكان ، وقد بني في هذا المكان مسجد يسمى الآن مسجد القبلتين .

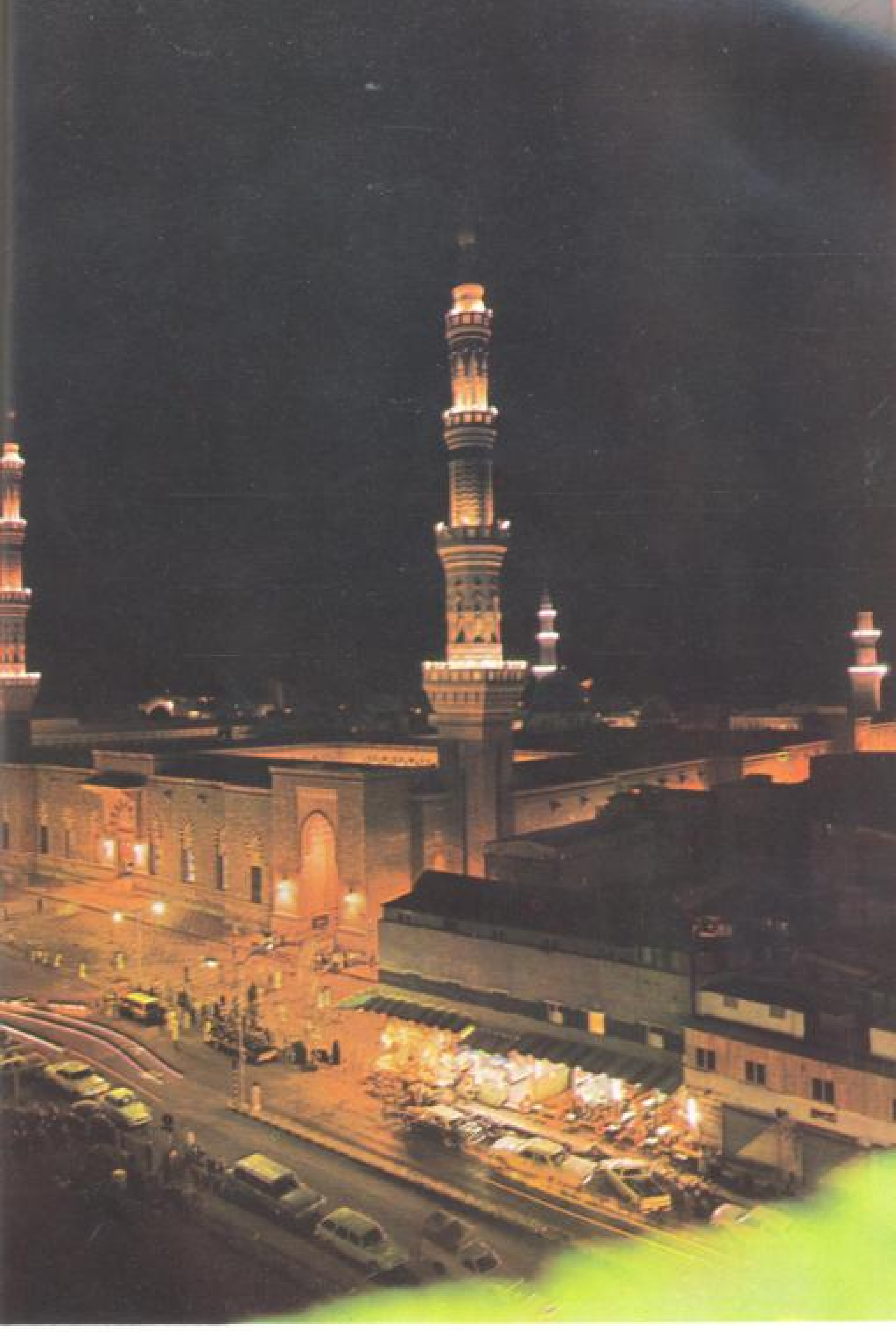
وفي المدينة فرض صيام رمضان ، وفرضت الزكاة وفرض الحج . وفيها ايضا عقدت اول راية في الاسلام عقدها الرسول لابن عمه عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب على ستين من المهاجرين ، ورمى فيها سعد بن ابي وقاص سهما ، فكان اول سهم رمى في الاسلام ، عندما التقى مع ابي سفيان بن حرب وكان في مائة من المشركين ببطن رابغ .

وصف بيت النبي

لقد بنى النبي (ص) بيته الشريف مثل بنائه للمسجد باللبن وجريد النخل على مساحة صغيرة (لا تزيد عن ٥ امتار في ٥ امتار تقريبا) وجعل له حجرة مستورة بمسوح الشعر مربوطة في خشب العرعر وسقفه ينال باليد . ورُوي ان له بابين احدهما جهة الغرب والثاني جهة الشمال وليس لابوابه حلق بل يقرع باليد والباب من عرعر او ساج بمصراع واحد . وقد دفن النبي في حجرته ببيته المتواضع . وهي الحجرة التي في داخل المسجد الآن .

معركة بدر
اول نصر كبير للمسلمين

تختلف المدينة عن مكة بوجود عدد اكبر من الاماكن التاريخية المأثورة في المدينة عن مثيلاتها



منظر رائع للحرم النبوي الشريف في الليل وقد تلألأت الاضواء على مآذنه الاربعة .

في مكة المكرمة ، وقبل ان نستعرض بعض هذه الاماكن ننتقل الى بدر تلك الغزوة الكبرى في الاسلام ، وهي المعركة التي انتصر فيها الايمان على الكفر . ونصر الله فيها المسلمين وهم قلة لا يزيد عددهم عن ٣٠٥ مقاتل على الكفار وعددهم اكثر من ٩٥٠ مقاتلا . ويكفي انها المعركة التي نزل فيها قول الله تعالى : « اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان » .

وتقع بدر على بعد حوالي ١٦٠ كيلو مترا من المدينة في الطريق الى جدة . وعند مدخل بدر (وهي اليوم مدينة) شهدنا لافتة على طريق جانبي معبد تشير الى مقبرة شهداء بدر .. ودخلت بنا السيارة الى حيث يرقد شهداء المسلمين في تلك المعركة الحاسمة في تاريخ الاسلام والتي وقعت على الارجح في السنة الثانية من الهجرة في شهر رمضان وان اختلف على تحديد اليوم بالضبط فالبعض يقول انها وقعت في اليوم الثالث عشر من رمضان والبعض الاخر في اليوم السابع عشر من رمضان ، بينما يقول فريق ثالث انها وقعت في اليوم الرابع والعشرين منه .

وترجلنا من السيارة ودخلنا الى مقبرة شهداء بدر وهي مسورة داخل المقبرة العامة للمدينة وخلفها يقع ميدان المعركة . لقد جاء المسلمون بدرا يريدون ان يأخذوا قافلة ابي سفيان فاذا ابو سفيان قد سبقهم ونجا بقافلته وبنفسه . وتخرج قريش الى بدر بصفوة فتيانها المقاتلين مدججين بالسلاح مدعمين بمائة فارس ولم تترك وراءها متخلفا قادرا على حمل السلاح . واستعد الفريقان للقتال ، المسلمون قلة في العدد قوة بالايمان ، والمشركون كثرة في العدد قلة بالشرك ، وبدأت المعركة واندفع الاسود بن عبد الاسد المخزومي من صفوف قريش الى صفوف المسلمين فعاجله حمزة بن عبد المطلب بضربة اطاحت بساقه فسقط صريعا .

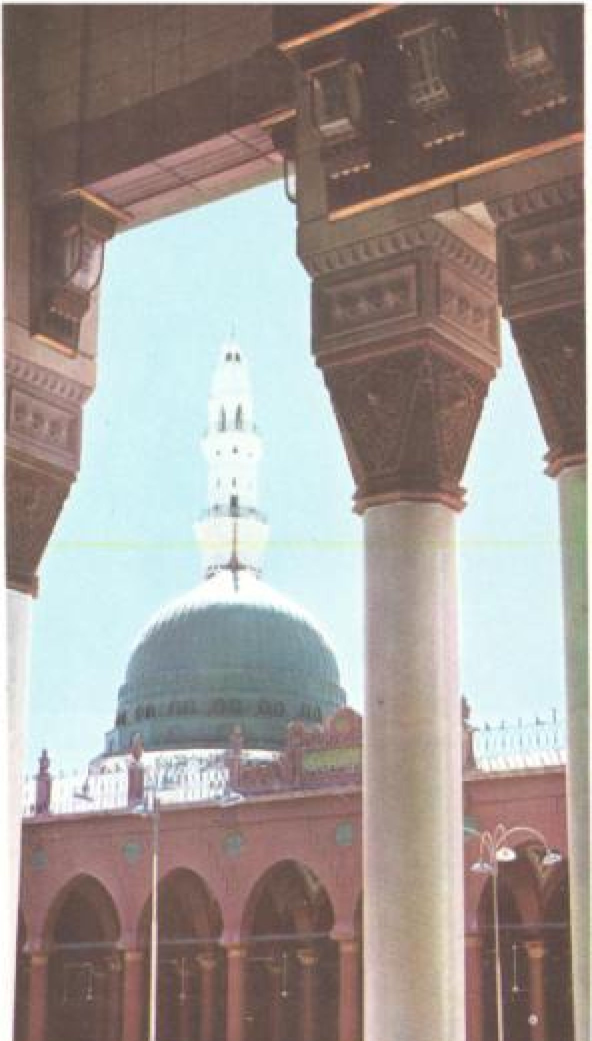
ويحمى وطيس المعركة وتزحف جموع قريش ويزحف المسلمون والرسول يعدل صفوفهم،ويعود الرسول الى المؤخرة ويقف في العريش الذى بناه له اصحابه متجها الى القبلة داعيا الله قائلا : « اللهم هذه قريش قد اتت بخيلائها تحاول ان تكذب رسولك . اللهم فنصرك الذى وعدتني ، اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد » .

ويخرج رسول الله الى القوم فينادى فيهم :

شهداء بدر ، وفي هذا المكان دارت المعركة التي انتصر فيها المسلمون وعددهم ٣٠٥ مقاتل على كفار قريش وعددهم ٩٥٠ مقاتلا .. وتقع مدافن شهداء بدر وسط هذا السور الابيض الموجود الآن داخل مقبرة اهل مدينة بدر .







الى أعلى : القبة الخضراء المقامة فوق الحجرة النبوية التى دفن فيها النبى (ص) وصاحباه ابو بكر وعمر ويظهر في الصورة جزء من العمارة السعودية الجديدة ثم العمارة المجيدية بلونها الأحمر .



الى اليمين : الروضة الشريفة في الحرم النبوى وهى المكان الذى قال عنه رسول الله (ص) « ما بين بيتي ومنبرى روضة من رياض الجنة » والصورة ليست في حاجة الى تعليق .

تضم منطقة المناخة عددا كبيرا من الاماكن التى عرف ان الرسول عليه السلام قد صلى فيها ومن بين هذه الاماكن مسجد المصلى والـذى يعرف اليوم باسم مسجد الغمامة ويمتاز بكثرة قبابه وكان النبى (ص) قد اتخذ موضع هذا المسجد مكانا لصلاة الاعياد .

« والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا ادخله الله الجنة » .

ويقاتل المسلمون قتال الابطال وينهزم الكفار شر هزيمة وتفر قريش بعد ان فقدت الكثير من ابنائها .

وقد اقيم في مكان العريش الذى بناه المسلمون لرسول الله مسجد يسمى مسجد العريش .

(معركة آحد)

تآمر المشركون وجمعوا فلولهم بعد هزيمتهم في بدر وكونوا جيشا من ٣٠٠٠ مقاتل و ٢٠٠ فرس وزحفوا الى المدينة في العام الثالث من الهجرة ووصلوا الى ذى الحليفة ثم وادى قناة وعسكروا فيه جنوب جبل احد وغرب جبل عينين (جبل الرماة) ..

وتجمعت لدى رسول الله اخبار جيش المشركين فجمع اصحابه ليستشيرهم في الامر ، وكان من رايه التحصن في المدينة ولكن اكثرية الصحابة راوا الخروج لملاقاة المشركين فوافق الرسول على راى الاغلبية ، وغادر جيش المسلمين المدينة وكان يتالف من ٧٠٠ مقاتل وفرسين اثنين . وسلك الجيش طريقا لا يمر بالمشركين وعسكر في مرتفع الوادى في الشعب من آحد في جنوبه وشمال غرب جبل الرماة . وبذلك احتل جيش المسلمين فم الشعب من جبل احد الذى يقع على بعد ٥ كيلو مترات من المدينة وجعل الجبل خلف ظهره وجبل الرماة عن يساره والمدينة امامه .

واحتل جيش المشركين الموقع المنخفض من الوادى وجعل المدينة خلف ظهره وجبل الرماة عن يمينه وآحدا امامه .

امر النبى ٥٠ مقاتلا ممن يجيدون الرماية من الانصار بالوقوف على جبل عينين (الرماة) وجعل عبد الله بن جبير الانصارى قائدا عليهم . واكد عليهم بحماية ظهور المسلمين حتى لا يهاجمهم احد





مسجد عمر بن الخطاب وهو يقع ايضا بالقرب من مسجد المصلى ، ولا يوجد في كتب التاريخ من يذكر شيئا عنه . وعلى الارجح فانه نسب الى عمر بن الخطاب لقيامه بصلاة العيد فيه ايام خلافته ، وهذا المسجد يشابه في بنائه مسجد ابى بكر .

من الخلف .وامرهم ان لا يغادروا الجبل مهما حدث . وفي يوم السبت ١٥ شوال من السنة الثالثة الهجرية على أرجح الاقوال التحم الجيشان وبدأت المعركة واستبسل المسلمون وصدوا كل هجوم عليهم ثم قاموا بهجوم عنيف على المشركين فانهزم المشركون واحتل المسلمون معسكرهم وطاردوهم مسافة بسيطة ثم عادوا لجمع الغنائم .

ورأى الرماة هزيمة المشركين فاختلفوا فيما بينهم ، منهم تريد النزول لجمع الغنائم ، وقائدهم يصر على البقاء اطاعة لامر الرسول . ونزل اكثر الرماة بينما بقي قائدهم ومعه عشرة رماة فقط .

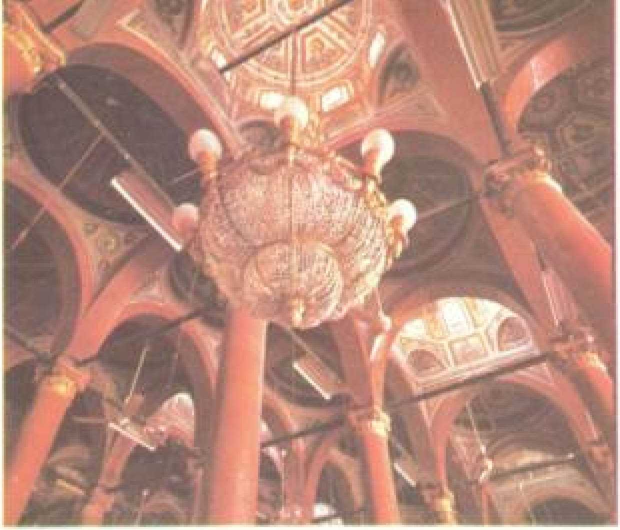
وكان خالد بن الوليد وعكرمة بن ابى جهل قائدا فرسان المشركين يراقبان الرماة وتحركاتهم فلما رأوهم نزلوا من الجبل انطلقت خيل المشركين بقيادتهما الى جبل عينين وقتلوا قائد الرماة ومن معه ثم التفوا على المسلمين من الخلف . واشيع ان محمدا قد قتل . وعاد الكفار الى الميدان وارتبك المسلمون وانهزموا متفرقين على غير هدى

ولم يبق مع رسول الله الا القليل يقاتلون قريشا التى اطبقت على النبى وعلى المسلمين من كل مكان . وكان رسول الله في معسكر المسلمين مع عدد من اصحابه وهاجمه المشركون بكل قواهم فثبت النبى في موقعه وناضل بالرغم من اصابته بحجر رماه عتبة ابن ابى وقاص فوقع لشقه فاصيبت رباعيته وشج في وجهه وكلمت شفته ودخلت حلقتان من المغفر الذى يستر به وجهه في وجنته ، وسار كبار المسلمين من حوله يدفعون عنه .. واستماتت المسلمون في الدفاع عن النبى وتساقط الانصار الذين كانوا يدافعون عنه حتى بلغ من استشهد منهم بين يديه ١١ شهيدا .

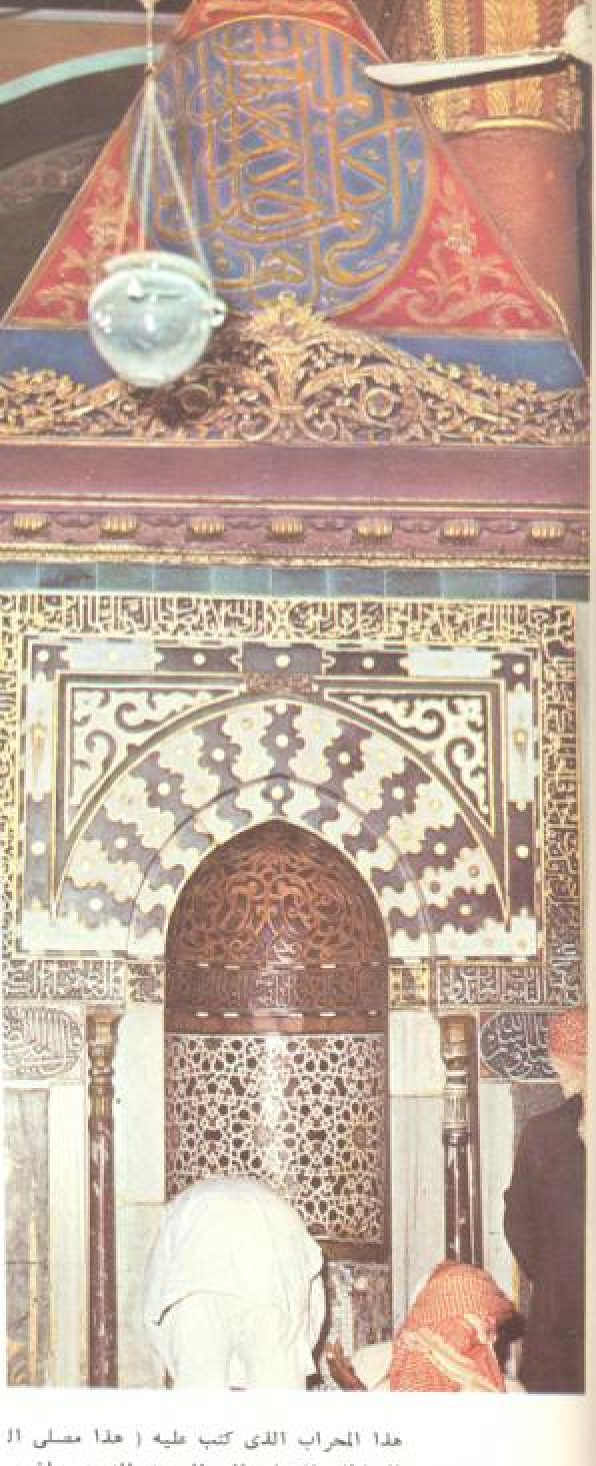
ونادى الرسول المسلمين قائلا : هلموا الي أنا رسول الله » .

وصعد أحدا واحتمى بشعب من شعابه في جوار المهراس الذى أقيم عليه فيما بعد قبة اشتهرت باسم قبة الثنية لما قيل ان ثنية رسول الله وقعت عندها .

تمتاز العمارة المجيدية بروعة البناء والنقوش والثريات التى تزين الحوائط وتتدلى من الأسقف ، وقد ساهمت كل الدول الاسلامية في اهداء الكثير من التحف والثريات والسجاد للحرم النبوى الشريف والمنبر في **الصورة السفلى** مهدى من السلطان سليمان شاه عام ٩٠٨ هـ.









تمتاز العمارة المجيدية بروعة البناء والنقوش والثريات التى تزين الحوائط وتتدلى من الأسقف ، وقد ساهمت كل الدول الاسلامية في اهداء الكثير من التحف والثريات والسجاد للحرم النبوى الشريف والمنبر في **الصورة السفلى** مهدى من السلطان سليمان شاه عام ٩٠٨ هـ.



هذا المحراب الذى كتب عليه (هذا مصلى ال
السلطان قايتباى الى المسجد النبوى واقيم
عليه السلام يصلى فيه بالمسلمين اماما وقد ،



في هذا المكان كانت توجد قبة كبيرة أقيمت في عهد الاتراك على المكان الذى قتل فيه حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء في معركة أحد

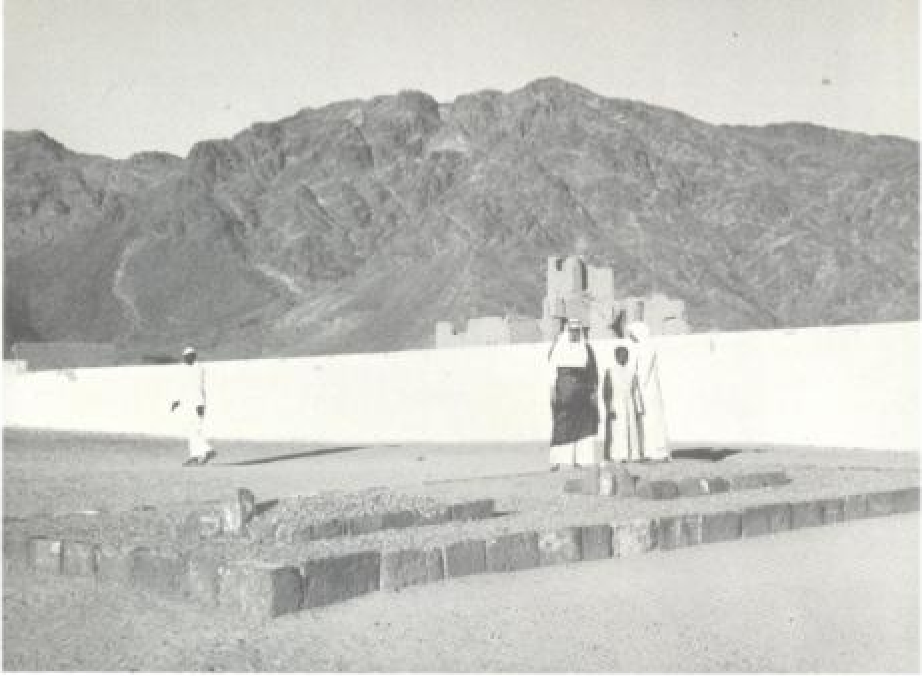
وتحصن المسلمون في المهراس فلم يستطع المشركون بالرغم من هجومهم عليهم الوصول اليهم أو النيل منهم . وبعد ان يئس المشركون من ان ينالوا من المسلمين نصرا حاسما مثلوا بالشهداء وعادوا ادراجهم الى مكة مكتفين بما حققوه من تكبيد المسلمين خسائر كبيرة في الارواح بلغت السبعين شهيدا . من بينهم سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب الذى كمن له وحشي غلام جبير بن مطعم القرشي ورماه بحربته وقتله غيلة .

مسجد الفتح ومعركة الاحزاب

يقع مسجد الفتح في شمال المدينة على ربوة من جبل سلع ، وهو يقع حيث كان الخندق وهو من المساجد التى بنيت في عهد الرسول ، ويروى ان الرسول دعا الله فيه ثلاث مرات استجاب له ربه في الثالثة منها ، وكان دعاؤه ان يصرف الله الاحزاب .

وفي غزوة الخندق وموقف الاحزاب من المسلمين نزل قول الله تعالى : « اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ، واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ، واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبى يقولون ان بيوتنا عورة وما هى بعورة ان يريدون الا فرارا » .

وتبدأ قصة غزوة الخندق باتفاق اليهود وقريش وغطفان وبنى اسد ، وبنى سليم وفزارة واشجع ومرة وغيرهم ، وتعهد اليهود للاحزاب بضم يهود قريظة لهم . وتألف منهم جميعا جيش بلغ عدده ١٠ آلاف مقاتل زحفوا به الى المدينة . ووصل خبر الاحزاب الى الرسول الذى استشار اصحابه فاشار سلمان الفارسي بحفر الخندق وجرت الموافقة على رايه واشترك الرسول الكريم في حفر الخندق شأنه في ذلك شأن اى فرد من المسلمين . وحاصر الكفار المسلمين واقتصر القتال بينهم على الرشق بالنبال والرمى بالحجارة ، وازداد موقف المسلمين حرجا بنقض بنى قريظة من يهود عهدهم للمسلمين وانضمامهم للاحزاب وبذلك اصبح

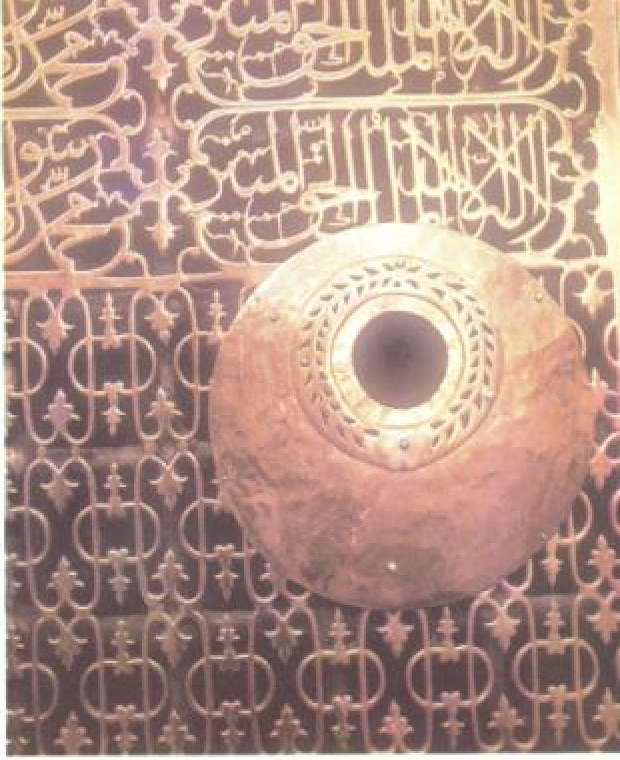


قبر حمزة سيد الشهداء وظهر خلفه جبل أحد الذى دارت فيه المعركة .

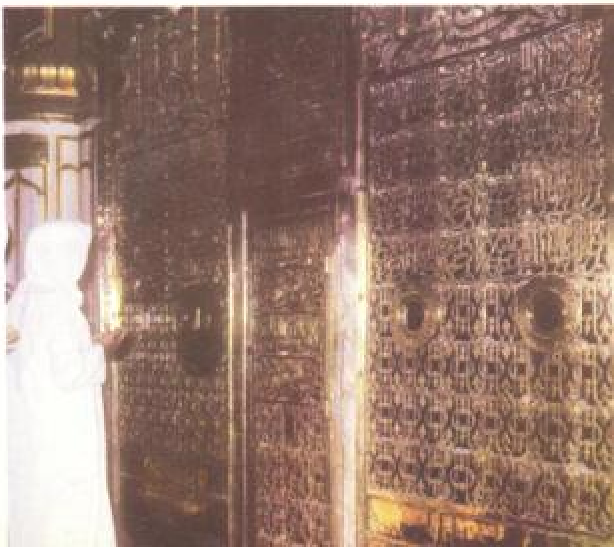
مقبرة شهداء احد من المسلمين والى خلفها يبدو واحد من ميادين
المعركة التى هزم فيها المسلمون نتيجة مخالفتهم لاوامر الرسول .

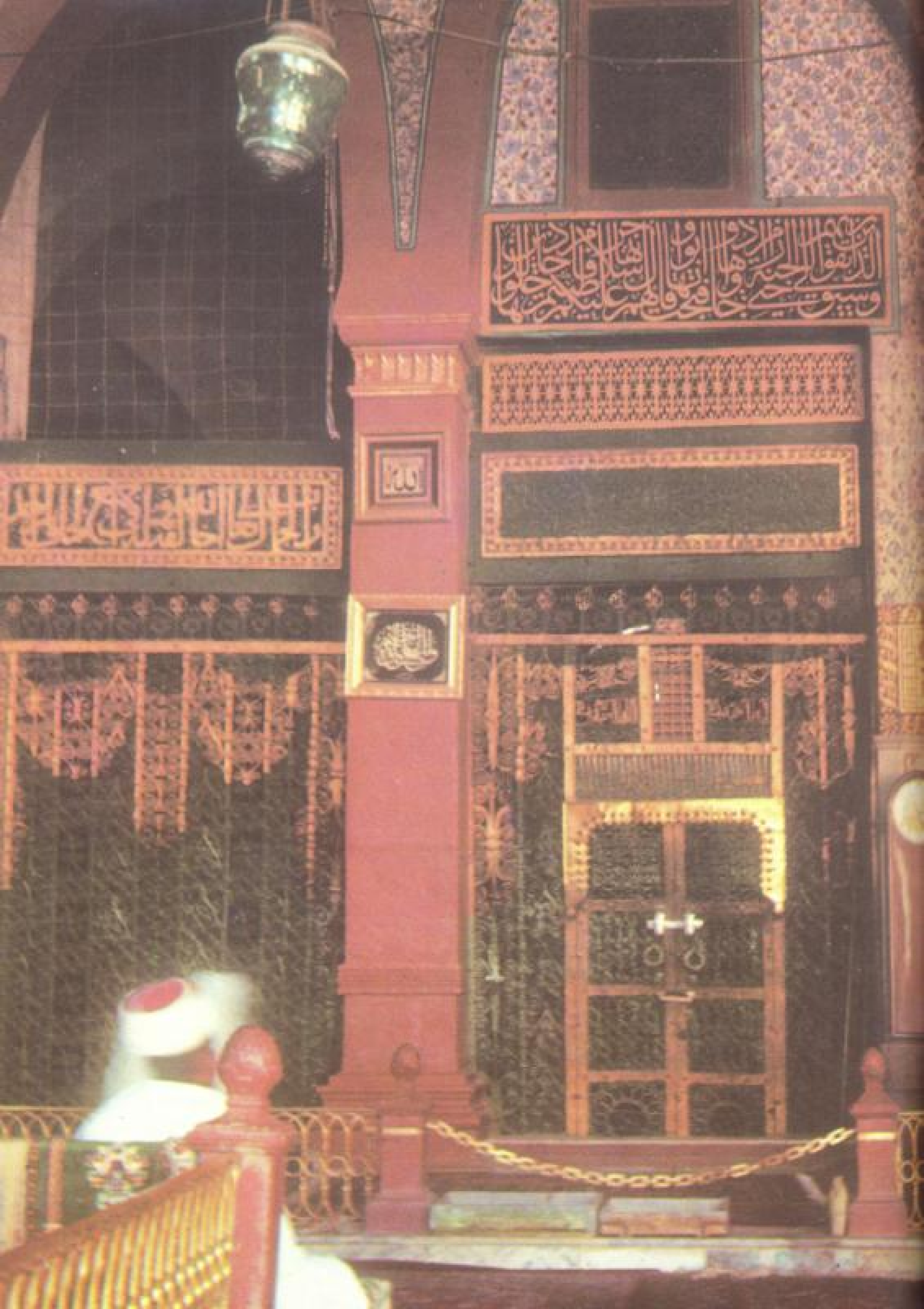






دفن النبي (صلعم) في بيته الذي كان يسكنه مع السيدة عائشة، ثم دفن معه صاحباه أبو بكر وعمر ، وضمت الحجرة المطهرة الى الحرم النبوي في عهد الوليد بن عبد الملك ، وتمثل **الصورة العليا** الشباك النحاسي امام قبر النبي والصورة التي **الى اليسار** باب الغرفة **والى اسفل** شباك النبي وشباك ابي بكر وعمر .





المسلمون بين نارين . واستمر الحصار ٢١ يوما تدمرت خلالها جيوش الاحزاب وبدا الخلاف يدب بين صفوفهم واعتقدوا ان قريظة قد خانت عهدهم وفكروا في الانسحاب . وامر ابو سفيان الاحزاب بالانسحاب وهبت عليهم ريح هوجاء قوضت خيامهم وهدمت ابنيتهم . وانسحبت الاحزاب وانزاحت الغمة عن المسلمين . ونصرهم الله على اعدائهم .

مسجد الرضوان وبيعة الشجرة

بين الاماكن التي لها ذكرى هامة في تاريخ الاسلام مسجد الرضوان بالحديبية قرب مكة . ففي هذا المكان تمت بيعة الرضوان تحت الشجرة التي نزل فيها قول الله تعالى : « لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا » وقد بقيت هذه الشجرة في موضعها بعد الرسول طوال عهد ابي بكر الى ان تولى الخلافة عمر بن الخطاب فامر بقطعها خشية ان يتخذها المسلمون الى الله زلفى كما كان يفعل اهل الجاهلية باصنامهم .

وقصة بيعة الرضوان تبدا عندما خرج النبي على راس الفين من المسلمين من المدينة محرمين في طريق مكة ليحجوا الى بيت الله الحرام . وفي الطريق عند عسفان يقابلهم من يخبرهم بان قريش تستعد لقتالهم لتمنعهم من الحج والدخول الى البلد الحرام .. ويتجنب المسلمون طريق الكفار فيسلكون طريقا وعرا بين شعاب الجبال يبلغ بهم الى ثنية المرار مهبط الحديبية من اسفل مكة . وهناك ارسلت قريش رسلها ليحاولوا اثناء المسلمين عن دخول مكة ، ويعود الرسل بعد ان راوا ان المسلمين انما جاءوا زائرين للبيت ، ويحاولون اقناع قريش بان يسمحوا للمسلمين بزيارة البيت العتيق . ولكن قريش تابى ذلك وتركب راسها . ويرسل النبي اليهم رسولا من

مسجد الرضوان في الحديبية وهو في مكان الشجرة التي تمت تحتها بيعة الرضوان ، وقد امر عمر بقطعها عندما تولى الخلافة خوفا من ان يتخذها المسلمون الى الله زلفى . كما كان اهل الجاهلية يفعلون . والصورة تبين آثار مسجد قديم ، والمسجد الجديد .





البقيع وفيه دفن عدد من زوجات النبي واولاده وعدد من الصحابة والبقيع لا يزال حتى الآن مدفن أهل المدينة . وهو يقع بالقرب من الحرم النبوي على مسافة لا تزيد عن ٣٠٠ متر .

عنده ، ولكن قريش تسيء الى الرسول وتعقر بعيره . ولم ييأس محمد مما فعلوا فبعث اليهم عثمان بن عفان يفاوضهم . وطال غياب عثمان عند قريش فظن المسلمون ان قريش غدرت به . ودخل نفس الظن في روع النبي فقال للمسلمين « لا نبرح حتى نناجز القوم » ونادى فيهم ليبايعوه على ذلك وتسارع القوم يبايعون النبي على القتال والاستشهاد وهو واقف تحت الشجرة يتلقى بيعتهم . وابتدأ المسلمون يستعدون للقتال وبينما هم في شغل شاغل يعدون انفسهم للمعركة اذ بهم يرون عثمان بن عفان مقبلا عليهم .. وابلغ عثمان النبي ان قريش ايقنت انه واصحابه انما جاءوا حاجين للبيت وانهم - اي قريش - لا يملكون منع احد من العرب من الحج والعمرة في الاشهر الحرام . لكن ما حدث بينه وبينهم من مناوشات سيجعل العرب تعتقد ان قريش انهزمت امام محمد اذا سمحت له بدخول مكة . وفي هذا هوان لهم في نظر العرب جميعا فليرجع المسلمون هذا العام وليعودوا في العام القادم ولن تحول قريش بينهم وبين البيت . ويرضى النبي عن سفارة عثمان، وتوفد قريش سهيل بن عمرو للمفاوضة وتوقيع شروط الصلح . وتدور محادثات طويلة بين الطرفين لا يرضى عنها بعض المسلمين حتى ان عمر بن الخطاب يقول لابي بكر : « علام نعطى الدنية في ديننا » .

ويرد عليه ابو بكر : « يا عمر الزم غرزك، فاني اشهد انه رسول الله » .

فيجيب عمر : « وانا اشهد انه رسول الله » يقولها وهو غير راض عن المحادثات عن الصلح .

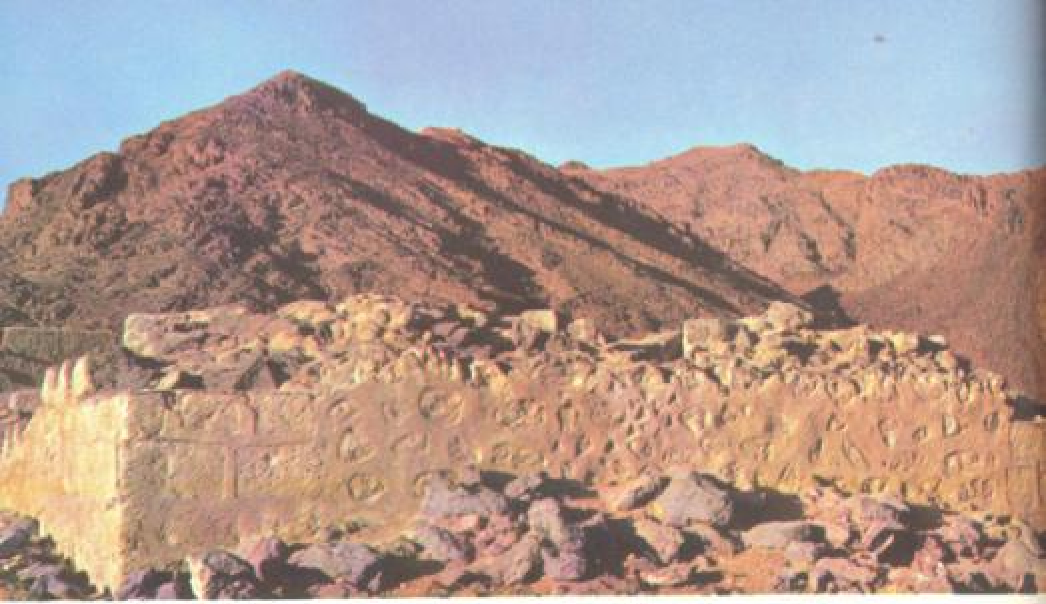
ويتم عهد الحديبية ويوقعه الرسول ويعود



جبل الرماة ، وهو الجبل الذى امر الرسول رماته بالصعود عليه وعدم مغادرته لتغطية ظهور المسلمين في معركة احد ، وعندما انتصر المسلمون غادر الرماة اماكنهم مخالفين بذلك امر النبي وانقلب النصر هزيمة .

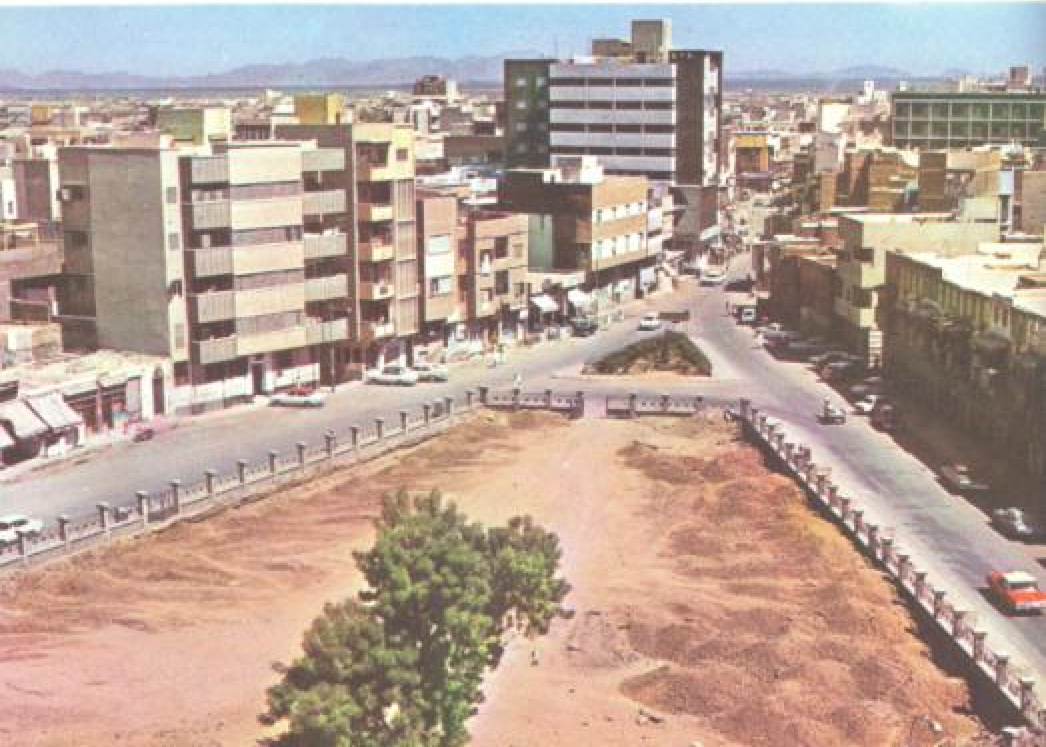
الى اسفل : مسجد الفتح وهو المسجد الذى دعا فيه الرسول ربه لكى تنفرج ازمة غزوة الاحزاب وبطل المسجد على الخندق وهو يقع على تلة في جبل سلع وتقع في الجهة الجنوبية للمسجد ثلاثة مساجد تسمى مسجد سلمان الفارسي ، مسجد على بن ابى طالب ، مسجد ابى بكر الصديق .





هنا في هذا المكان لجأ رسول الله بعد اصابته في معركة احد
ونادى في المسلمين (هلموا الي أنا رسول الله) فالتف حوله المسلمون
يدافعون عنه بحياتهم ، واستشهد بين يديه ١١ شهيدا من الانصار

في هذا المكان كانت تقع سقيفة بني ساعدة وهي التي شاهدت اول خلاف وقع بين المسلمين بعد انتقال الرسول الكريم الى جوار خالقه ، ولولا موقف ابو بكر الحازم في هذا الاجتماع لاشتد الخلاف بين الانصار والمهاجرين على من يتولى امر المسلمين بعد النبي .



المسلمون الى المدينة واكثرهم لهذا الصلح كارهون. وينزل الوحى على النبى وهم في الطريق بسورة الفتح . ويستمع المسلمون الى كلام الله فيطمئنون ويرضون ويعودون الى المدينة في انتظار عودتهم الى مكة في العام القادم .

البقيع
مدفن أولاد النبي وزوجاته والصحابة

البقيع هو مقبرة المدينة ، كان مقبرتها في الجاهلية وفي صدر الاسلام ، وما يزال مقبرتها حتى الآن .

وقد دفنت في البقيع زوجات النبى ، ما عدا السيدة خديجة التى دفنت في مقبرة المعلاة بمكة المكرمة . ودفن فيه ايضا ابنه ابراهيم وبناته ام كلثوم ورقية وزينب ويقال ان السيدة فاطمة ابنة الرسول مدفونة هناك ايضا . والى جوارهم دفن الكثير من اهل البيت نذكر منهم العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ، والحسن بن على بن ابى طالب ، ومحمد بن الباقر بن زين العابدين وزين العابدين بن الحسين بن على بن ابى طالب، وجعفر الصادق . كما دفن فيه الكثير من الصحابة ومن بينهم عثمان بن عفان .

والبقيع تتميز بالبساطة المعهودة في كل المقابر الاسلامية ويقبل الحجاج على زيارة البقيع اثناء زيارتهم للحرم النبوى الشريف . وقد ازيلت كل القباب التى كانت قد بنيت على قبور اهل البيت وزوجات النبى وابنه ابراهيم وهى تلك التى اقامها الاتراك ، واعيد البقيع الى بساطته التى كان عليها في صدر الاسلام وفي حياة النبى الكريم.

سقيفة بنى ساعدة

لم تمض ٨ سنوات على هجرة النبى الا والله يؤيد الاسلام بنصر من عنده ويتم للرسول الكريم فتح مكة .. ويعود بعدها الى المدينة ثم يعود مرة اخرى الى مكة في حجة الوداع تلك الحجة التى نزل فيها قول الله تعالى : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » وفي العام العاشر من الهجرة يختار الله نبيه الى جواره وتصعد روحه الطاهرة الى بارئها بعد أن بلغ الرسالة .

واصيب المسلمون بالذهول ، مما دعا ابا بكر الى قولته المشهورة : « من كان منكم يعبد محمدا، فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت » .

واجتمع المسلمون في سقيفة بنى ساعدة وانحاز حي من الانصار يريدون الامر لانفسهم ، فلما ذهب ابو بكر وعمر على راس المهاجرين قام خطيب الانصار فقال : « اما بعد فنحن انصار الله وكتيبة الاسلام . وانتم يا معشر المهاجرين رهط منا ، قد دفت دافة من قومكم ، واذا هم يريدون ان يختازونا من أصلنا ويغصبونا الامر » .

ولم يرض ابو بكر عن هذا القول فقام متحدثا في المجتمعين وختم قوله : « فأما العرب فلن تعرف هذا الامر الا لهذا الحي من قريش ، فمنا الامراء ومنكم الوزراء » .

وانتهى الامر ، امر أول خلاف يقع بين صفوف المسلمين بعد انتقال النبى صلوات الله عليه الى الرفيق الاعلى ، الى مبايعة ابى بكر بالخلافة ودخلت سقيفة بنى ساعدة تاريخ الاسلام .

وتقع هذه السقيفة الآن في حي المناخة وقد قامت السلطات السعودية بتسويرها تمهيدا لانشاء حديقة عامة في هذا المكان .

★ ★ ★

وبعد هذه عجالة سريعة اشبه بالخواطر والذكريات منها بالتاريخ المفصل للعديد من الاماكن التى كان لها ذكر وشان في مسيرة الرسول (ص) بين مكة والمدينة .. تلك المسيرة التى كتبت تاريخ الاسلام بحروف من نور.. ورفعت من ذكر المسلمين والعرب على مر القرون . ■■

محمد طنطاوى

تمويل التنمية الاقتصادية

باستثمار رؤوس الأموال العربية



بقلم :
الدكتور عبد المنعم الطناملى

■ ايقظت التشريعات المصرية التى صدرت في شهر سبتمبر الماضي انتباه الكثيرين . وكان اقواها اثرا التشريع المنظم لاستثمار راس المال العربى (والاجنبي) والمناطق الحرة في جمهورية مصر العربية .

ولعل الاثر الكبير الذى تركه هذا التشريع في الرأى العام ، لا يعود الى ما اشتمل عليه من مزايا للمستثمر العربى أو الاجنبي، بقدر ما يرجع الى صدوره عن مصر ، التى اممت قناة السويس، واقامت قطاعا عاما كبيرا لا يزال هو حجر الزاوية في صرحها الاقتصادى ، كما انها تاخذ بسياسة التخطيط الاقتصادى والاجتماعى ، وهى في نفس الوقت في موقف التحفز العسكرى الشامل لتحرير الارض من المعتدى .

والناس يتوقعون في مثل هذه الظروف ان تكون سياسة الدولة هى ادخال مزيد من القيود على النظم المالية والنقدية المعمول بها ، ويستبعدون ان يتجه التنظيم الجديد للدولة الى خلق الجو الملائم للاستثمارات الواردة من الخارج .

ولكننا لو نظرنا الى مختلف العوامل التى توجه السياسة الاقتصادية في الدول النامية في المرحلة الحالية ، واستظهرنا اهمية التمويل الخارجي في تحقيق النمو الاقتصادى ، لفهمنا مرامى التنظيم الجديدة التى اتجهت اليها مصر ، متمشية في ذلك مع التطورات العالمية ، ومع الظروف التى تحكم الروابط بين البلاد العربية وخاصة بعد توقيع اتفاقية المؤسسة العربية لضمان الاستثمار .

التمويل الخارجي ضرورى للدول النامية

فالدول النامية،وهى التى لم تبلغ بعد المستوى العالى العالى في استخدام فن الانتاج الحديث ، ولم يتهيأ لها من الموارد ما يضمن للانسان قدرا مرتفعا من الرفاهية يماثل المستوى السائد في الدول الغنية كالولايات المتحدة والدول الاوروبية واليابان ، تلك الدول النامية تعمل على اللحاق بهذا الركب المتقدم ، عن طريق زيادة ما تنتجه من سلع وخدمات ، لكى يتأتى لمواطنيها ان ينعموا برفاهية اكبر ، وليتهيأ لجهازها الانتاجي ان يستخدم الات وطرق انتاج اكثر تقدما . ولكن كيف تتحقق الزيادة المطلوبة وهذه الدول لا تستطيع ان توفر من انتاج يومها ما تجنّبه للاستثمار من اجل غدها ، فهذه الدول تقصر مواردها عن الوفاء باحتياجاتها الاستثمارية . وهى ان استطاعت ان توفر الموارد الداخلية اللازمة فانها تعجز في الغالب عن تدبير الاموال اللازمة لاستيراد المواد والآلات وفن

الانتاج المتقدم من الخارج ، فصادرات تلك الدول الى العالم الخارجي لا تكفى لسد احتياجاتها للاستيراد من اجل الاستهلاك مع الوفاء في نفس الوقت باحتياجاتها من اجل الاستثمار .

ان مشكلة التمويل الخارجي للبلاد النامية تعتبر من اهم المشاكل التى تعترض سبيل نهضتها لانها تمثل ثغرة يصعب سدها ، حيث تقصر الموارد عن مقابلة الاحتياجات بالعملة الاجنبية .

والوسيلة المباشرة لسد هذه الثغرة هي ورود الاموال من الخارج ، في صورة اعانات او قروض من الحكومات الاجنبية او الهيئات الدولية ، او في صورة استثمارات خاصة اى غير حكومية ترد الى البلاد في شكل مصانع او مشروعات تنفذ باموال غير محلية ، او ترد على هيئة صكوك قروض او اسهم يكتتب فيها رأس المال الاجنبى ، او في شكل تسهيلات ائتمانية يحصل عليها المستوردون المحليون لتأجيل جزء من ثمن الواردات يدفع على اقساط قد يمتد اجلها احيانا الى بضع سنوات .

دور رؤوس الاموال الخاصة :

قبل ان يتعاظم دور المعونات الاقتصادية، كوسيلة للتعامل بين الحكومات على النحو الذى شوهد بعد الحرب العالمية الثانية ، كانت حركات رؤوس الاموال الخاصة هى السبيل العادى للحصول على موارد خارجية للاستثمار ، سواء اكان ذلك بين البلاد المتقدمة ام البلاد الساعية للنمو . ثم تضاءل دور رؤوس الاموال الخاصة في تنمية الموارد في البلاد النامية في ربع القرن الاخير ، لاسباب متعددة، منها الخوف المتبادل، خوف البلاد النامية على استقلالها السياسي ، وخوف المستثمر الاجنبي من التأميم والاستيلاء ، ومن الرقابة على تحويل رؤوس الاموال ، ومن سياسة التخطيط التى تاخذ بها الدول النامية .

هذا فضلا عن عوامل اخرى تتصل بظروف الاقتصاد العالمى في جملته وبظروف مشروعات التنمية في البلاد النامية .

فهناك اسواق واسعة متقدمة في امريكا الشمالية واستراليا بل واوروبا واليابان تطلب الاموال للاستثمار طويل الاجل .

وهناك التطور الذى حدث على نوع المستثمرين على الصعيد العالمي ، فبعد ان كان الادخار المعد للاستثمار فرديا اصبح جزء هام منه ينبع من المشروعات الكبرى ومن هيئات تجميع الاموال .

وهناك ايضا الشك في ان الكثير من مشروعات التنمية في البلاد النامية سيكون مشروعا رابحا ، وخاصة بعد انحسار النظام الاستعمارى وقصور حرابه عن حماية صور من الاستغلال القديم التى كانت تباشره رؤوس الاموال الاجنبية في الكثير من البلاد الواقعة تحت النفوذ الاجنبى .

على ان الاجهزة الفنية التى تقوم على الصعيد العالمى بتدبير مصادر التمويل الخاص للاستثمار في البلاد النامية لا تزال الى اليوم في مراحل التطور والنمو .

المعونات والقروض الحكومية

واذا نظرنا الى ما حصلت عليه الدول النامية في العالم من موارد خارجية في مختلف الصور آنفة الذكر (من البلاد المتقدمة غير الشيوعية التى تطلق عليها احصاءات الامم المتحدة اسم البلاد التى يقوم نظامها الاقتصادى على اساس السوق) لوجدناه يبلغ ١٢٫٧ الف مليون دولار في سنة ١٩٦٩ ، منها ٧ آلاف مليون تقريبا في صورة تمويل حكومى اى في شكل معونات او قروض قدمتها الدول المتقدمة الى البلاد النامية ، بينما بلغت كميات رؤوس الاموال الخاصة التى انتقلت من تلك البلاد المتقدمة الى البلاد النامية في نفس السنة ٥٫٦ الف مليون دولار ، منها ٢٫١ الف مليون في صورة استثمارات مباشرة و ١٫٢ الف مليون دولار تقريبا في صورة قروض مكتتب بها ، ومبلغ ١٫٨ الف مليون دولار تقريبا تمثل التسهيلات الائتمانية المرتبطة بعمليات التصدير من البلاد المتقدمة الى البلاد النامية .

ومن العناصر الجديدة التى دخلت في الموضوع تزايد دور الدول الشيوعية (وتطلق عليها مطبوعات الامم المتحدة البلاد الاخذة بنظام التخطيط المركزى) في تقديم المعونات الاقتصادية (الحكومية طبعا) للبلاد النامية . وقد بلغ المتوسط السنوى لهذه المعونات في الخمس السنوات الاخيرة مبلغ الف مليون دولار .

واذا قارنا الارقام آنفة الذكر بما كانت تقدمه الدول المتقدمة الغربية الى الدول النامية في الخمسينيات لوجدنا ان المعونات والقروض الحكومية قد تزايدت ، اما الاستثمارات الخاصة فلم يطرأ عليها تغير استثنائي اللهم الا من ناحية التزايد الكبير في التسهيلات الائتمانية لتشجيع

صادرات البلاد المتقدمة الى البلاد النامية من الآلات والمنتجات .

هذا الوضع قد اخذ يشغل بال المعنيين بمشاكل تمويل التنمية الاقتصادية على الصعيد العالمى . وبدأت الامم المتحدة والهيئات الدولية الاخرى تكلف المختصين على المستوى العالمى باجراء الدراسات والتقدم بالمقترحات لايجاد مخرج من مأزق تمويل التنمية الخارجية ، وخاصة بعد ان بدأت الولايات المتحدة تتذمر من حمل اعباء تقديم المعونات الاقتصادية وتحاول نقل عبئها الى الدول الاوروبية . ويكفى ان اشير في هذا الصدد الى الاجتماع الذى عقد تحت اشراف الامم المتحدة في امستردام في فبراير سنة ١٩٦٩ لمعالجة هذا الموضوع .

بعض آثار توقف المد الاستعمارى

ومما يدل على ان الجو العالمى مهيأ لحدوث تغيير هام بصدد حركات رؤوس الاموال الخاصة من اجل التنمية وجود مظاهر متعددة، لعل أهمها ان المعارضة المذهبية والوطنية لاستيراد رؤوس الاموال الخاصة قد خفت حدتها، فبعض الدول الشيوعية تشجع هذا الاستثمار في ارضها ، ومبدأ الاستقلال الوطنى والسيادة على الموارد الوطنية لم يعد محل خشية من احد . والمستثمر الاجنبى اصبح يسلم بان دوره لا يمكن ان يكون هو التخطيط الاقتصادى والتحكم السياسي في البلاد التى يستثمر فيها ماله، انما هو القيام بعملية الاستثمار ذاتها وجنى الثمار العادية لهذا الاستثمار . وادت حركة المنافسة بين الدول المتقدمة على تصدير منتجاتها الى البلاد النامية ، وخاصة فيما يتعلق بالصادرات من الآلات وادوات الانتاج الى منح مهل طويلة نسبيا للسداد وبفوائد منخفضة . وكذلك وضعت الاتفاقات الخاصة لضمان الاستثمارات الاجنبية ضد المخاطر التجارية ووضعت مشروعات لحل المنازعات بشأن هذه الاستثمارات بين الاطراف المعنية .

ومن اهم التطورات الجديدة بالتسجيل تزايد عدد المؤسسات الدولية والاقليمية العامة والخاصة التى تتخصص في تمهيد السبيل لتيسير انتقال رؤوس الاموال الخاصة للاستثمار في البلاد النامية، سواء اكان ذلك بتقديم المعونة الفنية لهذه البلاد ومساعدتها في اعداد المشروعات المربحة التى يمكن ان تجذب الاستثمارات الخارجية ، او بالمساهمة في جانب من تمويل هذه المشروعات تمهيدا للسبيل امام رأس المال الخاص ، ام كان ذلك بالعمل المباشر في حقل تجنيد رؤوس الاموال الخارجية للاستثمار . وكذلك نشطت على الصعيد الوطنى الهيئات العامة والشركات والبنوك المتخصصة في حقل تمويل المشروعات في البلاد النامية .

الاموال الحكومية العربية

ان الصورة التى حاولنا رسمها لاهم جوانب مشكلة تمويل التنمية على الصعيد العالمى يمكن ان تكون رسما تقريبيا لما يجرى في العالم العربى، وان كان الوضع العربى اكثر وضوحا في بعض جوانبه ، بينما يسوده الغموض في بعض الجوانب الاخرى. والدول العربية قسمان احدهما مستورد لرؤوس الاموال من الخارج دون ان يكون مصدرا لها ، وهى الدول ذات الاتجاه الزراعى والصناعى، مثل مصر والسودان والاردن والعراق . وبعضها ، وهى دول النفط ، يصدر ويستورد كميات ضخمة من رؤوس الاموال ، ففائض ايرادات النفط يصدر للاستثمار في الاسواق الدولية والعربية ، بينما تعتبر هذه الدول في نفس الوقت من اكثر الدول استيرادا لرؤوس الاموال في صورة استثمارات تجريها الشركات صاحبة الامتياز . وبعض الدول والبلاد العربية الاخرى كلبنان ودبى تقوم بدور خاص كوسيط في الاستثمارات الدولية والعربية.

ولا تتوافر البيانات التفصيلية عن مقدار رؤوس الاموال الاجنبية المستثمرة في البلاد العربية او توزيع الاستثمارات العربية الخاصة في الخارج. ولكن يمكن القول بصفة عامة انه ، اذا استثنينا بلاد النفط ، لوجدنا ان معظم رؤوس الاموال الواردة للاستثمار في البلاد العربية رؤوس اموال عامة ، جاءتها نتيجة معونات وقروض تحصل عليها من المعسكرين الغربى والشرقى من اجل تمويل مشروعات التنمية او الحصول على مواد استهلاكية وغذائية من الخارج .

وفي نطاق التعاون الاستثمارى بين الدول العربية ، يلاحظ ان رؤوس الاموال الحكومية ، وخاصة الكويتية ، قد لعبت دورا هاما في تقديم المعونة وتيسير تمويل بعض مشروعات التنمية في البلاد العربية الاخرى ، في صورة قروض حكومية او قروض يقدمها الصندوق الكويتى للتنمية الاقتصادية العربية ، هذا فضلا عن المساهمة في بعض المؤسسات المالية المشتركة مثل البنك

العربي الافريقي . واذا كانت الكويت قد قامت بدور طليعي في هذا النطاق ، فان دول النفط العربية الاخرى قد اخذت تسلك نفس الطريق سواء على الصعيد الفردي ام الجماعي .

رؤوس الاموال العربية الخاصة

واذا كانت البيانات عن الاستثمارات العربية الخاصة في البلاد العربية محدودة وغير واضحة ، الا ان الشواهد تدل على صغر هذا الدور في البلاد العربية التي تتوافر فيها فرص الاستثمار المربح . ولذلك عنيت البلاد العربية في السنوات الاخيرة بدراسة المشكلة وايجاد حل لها عن طريق تقرير الضمانات لراس المال العربي الذي يستثمر في البلا العربية . وكان للصندوق الكويتي للتنمية العربية في ذلك دور رائد. وانتهت الجهود العربية المشتركة الى توقيع كل من الكويت ومصر وسوريا والاردن على الاتفاقية الخاصة بالمؤسسة العربية لضمان الاستثمار في ٢٧ مايو سنة ١٩٧١ ثم تلا ذلك توقيع قطر ولبنان ، ثم وقعت عليها ابو ظبي ايضا في اوائل اكتوبر الماضي .

وتتلخص هـذه الاتفاقية في اقامة المؤسسة العربية لضمان الاستثمار ، بقصد تامين المستثمر العربي ضد المخاطر غير التجارية ، تلك المخاطر التي تنجم عن اتخاذ السلطات العامة بالقطر المضيف (المستورد لراس المال) اجراءات تحرم المستثمر من حقوقه الجوهرية وعلى الاخص اجراءات المصادرة والتاميم وفرض الحراسة ونزع الملكية والاستيلاء الجبرى ، ومنع الدائن من استيفاء حقه او التصرف فيه ، وتاجيل الوفاء بالدين الى اجل غير معقول ، او اتخاذ تلك السلطات اجراءات جديدة تقيد بصفة جوهرية من قدرة المستثمر على تحويل اصل استثماره او دخله منه أو اقساط استهلاك الاستثمار الى الخارج . ويغطى التامين ايضا المخاطر الناجمة عن كل عمل عسكرى صادر عن جهة اجنبية او عن القطر المضيف ، وكذلك الاضطرابات الاهلية العامة مما يعرض اموال المستثمر تعريضا مباشرا للخطر .

فنظام التامين ، الذى تشترك الدول الموقعة على الاتفاقية في اقامته وتمويله ، يهدف الى : تغطية المخاطر غير المرتبطة بعملية الاستثمار من الناحية التجارية او الصناعية تلك المخاطر التي تنجم عن اجراءات أو حوادث لا تشملها نظم التامين العادية ولا تدخل في المخاطر التي يتعرض لها النشاط الاستثماري بطبيعته .

قواعد السلوك حيال الاستثمار العربي

واذا كانت الاتفاقية التي وقعت بين الدول العربية لا تنظم الا عملية التامين على الاستثمارات، الا ان تطبيق هذه الاتفاقية يضع على عاتق الدول الاعضاء التزاما بان تعمل على تغيير تشريعاتها ، بما يؤدى الى تفادى المحظورات الواردة في الاتفاقية بشان المخاطر غير التجارية التي يتعرض لها راس المال المستثمر فيها ، فلا يتصور ان تنضم دولة الى هذه الاتفاقية ثم تقوم بالاستيلاء على راس المال العربي او تاميمه او وضعه تحت الحراسة دون تعويض او مبرر .

وعلى ذلك فقد كان من الطبيعي ان يصدر التشريع المصرى بشان استثمار راس المال العربي مقررا عدم جواز فرض الحراسة على راس المال الذى يرد الى الاستثمار في مصر وفقا لاحكام القانون ، ومقررا ايضا عدم جواز تاميمه او نزع ملكيته الا لمصلحة عامة ومقابل تعويض عادل . ويتضمن التشريع من الاحكام ما يضمن تقرير التعويض العادل ويكفل سرعة تحويله .

فالتشريع المصرى انمـا هـو مجموعة لقواعد السلوك التي تقرر الدولة المضيفة انها تاخذ بها مبينة اجراءات التحكيم التي تمر بها المطالبات والاجراءات التي يجب ان يتخذها المستثمر حتى يضمن تمتع استثماره بالحماية الخاصة براس المال العربى .

ويلاحظ انه عند بحث موضوع تامين الاستثمارات العربية لم يكن الهدف مجرد اقامة مؤسسة لضمان الاستثمارات ، بل كان الاتجاه ايضا بلوغ اتفاق على تقنين قواعد السلوك التي يجب ان تنتهجها الدول المستوردة من الدول المصدرة لراس المال ، وكذلك وضع نظام للتوفيق والتحكيم بشان هذه الاستثمارات . واذا كان الاتفاق الذى تم عقده قد اقتصر على اقامة المؤسسة العربية لضمان الاستثمار ، فان التوقيع على هذا الاتفاق كان بلا شك من بين العوامل الاساسية التي ادت بالدول الموقعة الى الاسراع في اصدار التشريعات اللازمة ، لتحقيق التناسق بين تشريعاتها الداخلية وبين التزاماتها الدولية الناجمة عن توقيع الاتفاق المذكور .

اساس حماية المستثمر الاجنبي

ان التزام الدولة بضمان حقوق المستثمر الخارجي ، انما يرجع الى الاصل العام في احترام الحقوق المشروعة ، ولكن التنظيم التفصيلي يحتاج الى تشريع خاص . ولا يتعارض هذا التنظيم مع اخذ الدولة بسياسة التخطيط الاقتصادي الذي يبين المشروعات التي يتم فيها الاستثمار . وفي التشريع المصري الاخير (١)، يكون استثمار بنص المال الخارجي الذي يتمتع بالمزايا التي ينص عليها القانون ، في المشروعات التي ترد بشأنها قوائم تضعها الهيئة المختصة بذلك . ولا شك ان هذه القوائم ستصاغ على اساس برامج التنمية التي تأخذ بها البلاد .

واود ان اشير في النهاية الى ان المزايا التي قررها التشريع المصري لراس المال العربي يمكن ان تمتد ايضا الى رأس المال الاجنبي ، ولكن بشرط ان يصدر بالموافقة على استثماره قرار من مجلس الوزراء مع اعتماد هذا القرار من رئيس الجمهورية ، بينما لا يحتاج رأس المال العربي الى المرور بهذه الاجراءات . والدافع الى التفرقة بين رأس المال العربي ورأس المال الاجنبي مرده الى الثقة في المستثمر العربي بسبب وحدة المصالح بين الدول العربية . ولكن اذا صدرت القرارات من جهات الاختصاص بالموافقة على الاستثمار الخارجي ، فانه يتمتع بالحماية التي نص عليها القانون ، أيا كانت الجهة التي يرد منها رأس المال .

المستقبل

قد سبق لي في مقال سابق ، نشر في العربي في شهر اغسطس الماضي ، تحديد العوامل المؤثرة في العلاقات الاقتصادية الدولية . وقد تتبعت هذه العوامل تتبعا تطبيقيا في هذا البحث عن تمويل التنمية الاقتصادية . ونظرا لتعدد تلك العوامل وتشابكها ، ونظرا لما يعتريها من تغييرات تنبع من مصادر بعضها وثيق الصلة بتطور الفكر والفلسفة ، وبعضها تحكمه العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وكل ذلك عوامل متغيرة ، فان التنبؤ بالمستقبل قد يكون امرا تحيط به المخاطر . ولكنني اظن ان الحاضر قد اشتمل على مقومات واضحة المعالم ، تدل على اننا ، نعيش بدء حقبة جديدة تعلو فيها يد العوامل المادية والفنية على ما عداها ، وان ذلك حري بان يزيد من تيارات رؤوس الاموال من اجل الاستثمار في المشروعات المربحة اين وجدت ، وان تزايد الارتباط العالمي والاقليمي سيخلص رؤوس الاموال الاجنبية الحكومية من بعض انحرافاتها السياسية وسيجعلها اساسا صالحا تركب عليه استثمارات اخرى خاصة تستهدف الربح وتزيد من معدلات التنمية والرفاهية في العالم اجمع .

واذا كنت من زمرة المتفائلين من ناحية مستقبل الاقتصاد العالمي ، بالرغم من كل الظواهر التي يستند اليها انصار التشاؤم ، فانني اكثر تفاؤلا من ناحية مستقبل التعاون والتضامن العربي في ميادين التنمية والاستثمار ، لان في العالم العربي من الموارد المالية والمشروعات ما اذا احسن استخدامه لعادت منه ثمار تكفي الجميع .. ولكن تفاؤلي لا يعميني عن العقبات التي تقف في سبيل تحقيق ما اتوقع . فانا اؤمن في نفس الوقت بان كل الآمال العريضة تصبح سرابا زائفا ، اذا لم تستند على دعامة قوية من العمل الشاق المضني ، المستنير بدوافع نفسية وخلقية نبيلة . ولكنني احسب ايضا ان في شعبنا العربي من قوة الايمان ما يؤهله لتخطي كل هذه العقبات .

وان اكن قد قصرت حديثي على استثمار الاموال العربية في مصر بمناسبة ما صدر فيها من تشريعات لحماية هذه الاستثمارات ، فلم يبعد عن بالي ان هذا الذي جرى ، انما هو صورة مما يمكن ان يجري في كل دولة اخرى عربية سواء كانت مما افاض الله عليها من خير كثير متركز ، او خير كثير متفرق .

انها تجربة لا شك رائدة نرجو لها النجاح القريب ان شاء الله . ■■

عبد المنعم الطناملي

(١) نشر القانون الخاص باستثمار رؤوس الاموال العربية في جمهورية مصر العربية في كل الصحف المصرية وفي الصحيفة الرسمية المصرية ، ومن يومها اصبح سارى المفعول ، وهو يتألف من ٦٦ مادة بعد الديباجة . وهو يحمي هذه الاموال العربية والاجنبية من التأميم وفرض الحراسة ، وكل قيد يمنع من حركتها .

"المحلّل" بين الدّين واللُّغَة

■ كنا نسمع صغارا ، في البيئة الاسلامية طبعا ، ان الطلاق يقع بمجرد ان ينطق بهالزوج. يقول الزوج لزوجته « انت طالق » ، فتصبح لا تحل له من بعد هذا اليمين ، الا ان يكون زواج منه لها جديد .

وكنا نسمع ايضا ، ان الزوج ، ان قال لزوجته « انت طالق ثلاثا » ، لا تحل له بعد ذلك الا اذا هي تزوجت من غيره ثم طلقها هذا الغير .

وتقع اليمين مثلثة من الزوج، ويندم، ويريد أن تعود اليه زوجته ، فيذهب الى بعض الفقهاء ، ليحل له المشكل ، وحل المشكل يكون له « بالمحلّل » . فما هو « المحلّل » ؟ .

المحلل عند هذا الصنف من الفقهاء ، ان يأتي الزوج والزوجة المطلقة ، بالتراضي ، برجل يمثل دور الزوج الثاني ، ويتزوج المراة ولا يدخل بها ، ثم هو في الصباح يلقها . واذن ، فهي بذلك تحل لزوجها الاول .

فهذا هو « المحلّل » .

وبالطبع يثور الفقهاء على هذا التحيل على الدين ، ويشجبونه . قال لي احدهم انا بذلك نقضي للدين حقه ولو ظاهرا .

ولكن ، ليس في هذا نريد ان نتحدث

وانما نريد ان نتحدث في ان ظاهرة « المحلل » قد انتقلت من بعض رجال الدين الى بعض رجال اللغة .

لفظ التِّقْنِيَّة

واضرب مثلا لذلك : التقنية .

سمعتها لاول مرة في مجلس من مجالس مجمع اللغة العربية في القاهرة وكان يجلس امامي الأخ الكريم الاستاذ محمد الفاسي . فنطق بها ، وسألني رايي فيها . وسألت ما معناها ، قال هو

اللفظ العربي للكلمة الاوروبية التكنولوجية . والظاهر ان الذى راعه منها خاصة ، تشابه اللفظتين عند النطق . وسكت . فلم اعط الأخ الكريم رايا . والسبب اني عندما اردت ان انطق بهذا اللفظ ، التقنية ، تقل في مخارج

حلقي . وكدت اقول لصاحبي : انكم في المغرب تجعلون من التاء الافرنجية غالبا طاء عربية ، واذن فما كان اجدركم بان تقولوا « الطقنية » ، فانها ايسر في النطق من « التقنية » .

وجاءني صديق آخر ، من غير اهل المغرب بعد ذلـك ، يجادلني في امـر التقنية . وانها فتح في اللغة جديد . قلت لماذا ؟ قال لمشابهتها اللفظ الاجنبي لفظا ومعنى . قلت ان تشابـه اللفظ يقضي بأن تكون تكنية ، فاللفظ الاجنبي تكنولوجيا . اما تشابه المعنى ، فهو عند صديقي الحذقُ والمهارةُ في كليهما .

وفي القاموس اتقن الأمـر احكمـه ، والاسم التقانة . ويقال رجل تقن ، اى حاذق . واذا جاز ان نختار التقانة او التقنية اسما للمهارة ، فالتقانة اولى .

هذا اذا صح ان التكنولوجيا معناها المهارة .

ولكنك تفتح المعاجم الافرنجية ، فتجد فيها ان التكنولوجيا هي عـلم الفنـون الصناعيـة والميكانيكيـة . وتجـد ان التكنولوجيا هى العلم الصناعي ، وانها ، اىْ فن عملي يطبق المعارف العلمية مثل الحلج والغزل واستخراج المعادن . ونجد ان التكنولوجيا هـي العلـم الطبيعـي التطبيقي ، علـى نقيض العلم الطبيعي النظرى .

فانت تجد من ذلك ان لا علاقة لمعنى كلمة تكنولوجيا في استخدامها في هـذه القرون الحاضرة بمعنى الحذق والمهارة .

وتقول للاخوان الحريصين على ربط معنى اللفظ الافرنجي ، تكنولوجيـا ، بالمعنى العربي المقترح ، تقنية ، انـه اذ تبين ان صلة المعنى غير قائمة ، فلم لا نقول صراحة انها التكنية ، واننا نقصد صراحة تعريب اللفظ باقرب لفظ عربي . ولكن ، عقلية « المحلل » تظل قائمة . لا بـد مـن وجـه يحللها ولو تخيلا . والنتيجة : ان اكثر الكاتبين يستخدمون اليوم لفظ تكنولوجيا ، لأنها اخف على السمع من تقنية ، ولو ان تكنية اخذت كذلك تذيع .

لفظ مَكَنَـة

ومثل آخر :

لفظ يقابل اللفظ الافرنجي Machine ونحن في العامية نقول مَكَنَة . وبعض يقول ماكينة .

واذكر ان هذا اللفظ تناوله مجمـع اللغة العربية في جلسة قديمة له . وكنت من انصار مكنة ، ومكنات . بحسبان انها تعريب . وارتضاها صديقي المرحـوم الاستاذ علي الجارم . ولكن ، لا لأنهـا تعريب ، ولكن لصلتها بمـادة مكن ، وامكن ، وكلاهمـا تفيـد القدرة علـى الشيء . قلت له : ولكن في هذه المادة العربية لا يوجد لفظ المكنة بفتح الكاف . قال توجد المكنة ، بضم الميم ، وهـي القوة والشدة . قلت : نريد الفتح . قال نكتبها بدون شكلة ، وليقراها القارىء العربي كما يشاء . وقال وهو يضحك : وبذلك نكون قد قضينا للغـة العربيـة حقها ، من حيث الاحتفاظ بأصول كلماتها عربية .

نعم ضحك . وكان رجلا حبيبا صديقا لا تفارقه النكتة ابدا .

أ . ز

عبد الرزاق السنهوري

إمام الحقوقيين المعاصرين

بقلم : عبد الوهاب الازرق

■ رحم الله عبد الرزاق السنهوري رحمة واسعة واجزل اجره واعدّ له ما اعدّه في جنات الخلد للصديقين والشهداء والصالحين ..

وهذا الدعاء الخالص لم اردده لوحدي يوم فجعت بنبأ وفاته فانعقد لساني وفاض دمعي وانما ردده معي كل مشتغل في الفقه والقانون روعه ماروعني وشاركني تجرع غصص الاسى والحزن وبرحاء الالم والكرب .

وما من حقوقي على اختلاف الامزجة وتناكر الاهواء واختلاف الاقطار الا ويكبره اشدّ الاكبار ويؤثره اعظم الايثار ويحمل له في قرارة نفسه شعور الاعجاب كل الاعجاب ، انهم جميعا « عياله » نشأوا وترعرعوا على مائدته العلمية سواء أكانوا قضاة او محامين او محاضرين او مدرسين او فقهاء .

ولا اغلو ولا اتكثر اذا قلت ان هذا القرن على امتداده حتى سبعينياته لم يشهد عالما اوتي ما اوتيه السنهوري من خصوبة الذهن وبسطة العلم وقوة الملاحظة وغزارة المادة وسلامة الاسلوب ووفرة الانتاج .

اسلوب السنهوري

وكان اسلوبه ، طيب الله ثراه ، اسلوب العالم الثقة الثبت المتزن الطويل النفس الخبير بطرق العرض واساليب التمحيص ووسائل البحث والاستقصاء . تقرأ الموضوع فتتسابق معانيه الى فهمك وتتساوق اغراضه الى ذهنك حتى لا تشك ان المؤلف قد أحاط بأصول بحثه وفروعه انه يعرض المسألة ويورد احسن ما قيل فيها من الاراء والحجج وان تضاربت ثم ينقد ويقوم فيضعف ويقوي وهو في ذلك يسلك سبل المنطقيين الاوائل



صورة اخذت للمرحوم الدكتور السنهوري عند حضوره الى الكويت لأول مرة من اجل وضع قوانين البلاد. والى يمينه في الصورة الدكتور احمد زكي.

في ايراد ادلة الذين يغايرهم رايهم ثم لا يلبث ان يعمل على هدمها ويقيم الرأى السديد على انقاضها . وهو فيما يدونه شديد الوضوح مشرق الديباجة غزير المادة يشرح عن فهم دقيق وعن تفكير كيّس ويؤلف عن دراسة مستوفاة .

ويذكرني في نهجه هذا بما عرف عن الامام الشافعي رضوان الله عليه من انه كان يستعرض الراى ونقيضه لتتم له الحجة وادحاضها بالدليل ونقيضه وباكثر من وجه . حتى انه روى عنه ، كما حدثنا الاستاذ الكبير عبد الحليم الجندى في مؤلفه عنه انه كان يقول لمجادله : تقلد انت قولي واتقلد قولك ثم يناظره فيقطعه فاذا كان يكتب او يملي افترض وجود الخصم ينافح عن رأى عكسي فيناظره .

مدحتك بالحق الذى انت اهله
ومن مدح الاقوام حق وباطل
اذا قيل اى الناس اكرم خلقة
اشارت ولم تظلم اليك الانامل

اطروحته لنيل الدكتوراه

ومن العسير ان اجمل للقارىء ما قدمه السنهوري من تاليف وبحوث لأني ان فعلت ذلك اطلت واسرفت . وحسبي ان اشير الى اطروحته التى كانت فاتحة امره والتى تقدم بها بالفرنسية لنيل دكتوراه الدولة عام ١٩٢٦ في الخلافة الاسلامية وتطورها نحو جمعية امم شرقية وهي تقع في الف صفحة تقريبا . وكلنا يعلم ان الاطروحات التى يعدها الحقوقيون من العرب لا تخلص في غالبيتها العظمي الى تقرير نظرية جديدة تلفت الانظار وتصبح مرجعا هاما للباحثين ... واما اطروحة السنهوري فقد جاءت من طراز آخر . وقال عنها عميد القانون المقارن الاستاذ لامبير الذى قدم لها : انها آية في الابداع وتعتبر مرجعا هاما لا مثيل له للفقه الدستورى الاسلامي .

واخرى لا بد منها : لقد بدانا حياتنا القانونية ونحن اشد ما نكون حرصا على بعث الشريعة الاسلامية في ثوب جديد وكنا نتطلع الى من

يقوى على ازاحة ما علق بها من ادران وعرضها عرضا جديدا في صياغة مستحدثة والمقارنة بما احتوته من مبادىء خالدة اصيلة تزخر بمقومات الحياة التي نحياها وما انتهى اليه الفقه الحديث المعاصر من نظريات جديدة .. حتى فيقض الله لهذه الرسالة من يرفع رايتها ويبلغ دعوتها ويقوى حشدها وكان السنهورى ابن بجدتها وابو عذرتها وحامل علمها الخفاق ونحن جميعا جند من حول هذا « اللواء الركن » واستمع اليه يقول :

« والفقه الاسلامي لا تقل عراقته عن عراقة الفقه الروماني وهو لا يقل عنه في دقة المنطق وفي متانة الصياغة وفي القابلية للتطور وهو مثله صالح ان يكون قانونا عالميا بل كان بالفعل كذلك يوم امتدت دولة الاسلام من اقاصي البلاد الآسيوية الى ضفاف المحيط الاطلسي ، وعقيدتي هذه في الفقه الاسلامي لم تتكون من العاطفة والشعور فحسب بل تضافر في تكوينها الشعور والعقل ومكن لها البحث والدرس . » .

خصاله

وكان خلد الله ذكراه وقد عرفته معرفة وثوق وخبرة حلو الشمائل مهذب الطبع رفيع الذوق كيس العقل عذب الحديث ناصع الظرف هادىء الصوت متئد اللفظ حرٌ الفكر مستقل الرأى . قوى الضمير يقول الحق ولا يؤثر على الحق شيئا ويسلك الى ما يريد طريقا سوية لا تعرف عوجا ولا امتا .. وهو متواضع وغال في التواضع مع من احب ومن اشد الناس وفاء للصديق ...

واما عن تواضعه ونبله ووفائه فاستمع اليه وهو يعلق على دعوتى للحقوقيين العرب بيبعتهم له بالامامة فقد اصرّ على فقرة مما كتبته واختصها بالتعليق اكثر من الفقرات الاخرى ، قال خلد الله ذكراه ما نصه كما نشرته مجلة المحامين بدمشق .

« ... ومما اعجبني ماذكرتم في حينه من ان صداقتي بالسنهورى ترجع لثلاثين سنة مضت يوم عنى بدراستي التى قدمتها انذاك لمشروع تنقيح القانون المدني المصرى فتقبلها بقبول حسن واسبغ عليها الكثير من تاييده وتدعيمه وكنت في حينها وكيلا لمجلس النواب ومديرا لمكتب رئيسه العلامة الفذ صاحب الذهن الموسوعي فارس الخورى ، واضاف قائلا : « ان كل ما ذكرتم من هذا حق وصدق وواقع .. ولا اكتمكم ان خير ما سرّني منكم هذه الالتفاتة الوفية الى المفقود له فارس الخورى فهو لم يكن رجل الشام وحدها بل كان رجل البلاد العربية في زمنه . ودعني ياصديقي احدثك قليلا عن الاثر البليغ الذى تركه في نفسي الاستاذ فارس الخورى ، عرفته في دمشق وكنت انت واسطة العقد بيننا ثم عاشرته طويلا في لندن حيث كنا موفدين لمؤتمر فلسطين هو عن سورية وانا عن مصر ثم عاشرته ردحا من الزمن في نيويورك حيث كنت عضوا في الوفد المصرى الذى ذهب لعرض قضية مصر على مجلس الامن وحيث كان هو رئيس المجلس آنذاك . واول مايروعك من هذا الرجل الكبير تواضعه الجم وخلقه الرضي وطيب عشرته لم تسمعه يتكلم بالانكليزية فتصغى اليه اشد ما تكون به اعجابا : يتدفق فصاحة بلغة ليست لغته وفي كلامه قوة الحجة ومهارة الاقناع ويحيط به اعضاء مجلس الامن وفيهم

الدك

* ولد سنة ١٨٩٥ بمدينة الاسكندرية، وبها تعلم في الابتدائي والثانوى .

* حصل على الشهادة الثانوية سنة ١٩١٢ ، ثم أكمل تعليمه بالقاهرة ، ملتحقا بمدرسة الحقوق ، وحصل على الليسانس سنة ١٩١٧ .

* عين بالنيابة العامة ، الى أن صار وكيلا للنائب العام سنة ١٩٢٠ ، ثم انتقل لتدريس القانون بمدرسة القضاء الشرعي.

* وفي سنة ١٩٢١ اختير ليكون في بعثة الى فرنسا ، فمكث بها الى سنة ١٩٢٦ وحصل على دكتوراه في العلوم القانونية ، ودكتوراه في العلوم الاقتصادية والسياسية، ودبلوم من معهد القانون الدولى من جامعة باريس .

* عاد الى وطنه مصر ، حيث عين مدرسا للقانون المدني بكلية الحقوق ،

السنهورى فى سطور

ثم رقي استاذا مساعدا ، فاستاذا ثم انتخب عميدا لكلية الحقوق سنة ١٩٣٦ .

❊ ثم أختير قاضيا بالمحاكم المختلطة ، فمستشارا مساعدا بقلم قضايا الحكومة ، فوكيلا لوزارة المعارف سنة ١٩٣٩ فوكيلا لوزارة العدل سنة ١٩٤٤ فوزيرا للمعارف سنة ١٩٤٥ ، فوزيرا للدولة سنة ١٩٤٦ ، فوزيرا للمعارف مرة ثانية سنة ١٩٤٦ ، وظل وزيرا لها الى سنة ١٩٤٩ ، حيث عين رئيسا لمجلس الدولة ، وظل رئيسا له حتى سنة ١٩٥٤ .

❊ اعماله العلمية بالغة الاهمية . فقد وضع القانون المدنى المصرى ، والقانون المدني العراقي، والقانون المدني السورى، والقانون المدني الليبي . وسافر الى الكويت لوضع تشريعاتها الحديثة .وأسس معهد الدراسات العربية العالية عندما كان رئيسا للجنة الثقافية بجامعة الدول العربية .

❊ أوفد الى مؤتمرات دولية كثيرة .

❊ أختير عضوا بمجمع اللغة العربية سنة ١٩٤٦ حيث أسهم في كثير من أعماله وفي وضع كثير من المصطلحات القانونية .

❊ له مؤلفات تعد مرجعا لرجال القانون منها :

١ ــ نظرية العقد

٢ ــ الموجز للنظرية العامة للالتزامات

٣ ــ اصول القانون

٤ ــ الوسيط في شرح القانون المدني الجديد في عشرة أجزاء

٥ ــ نظرية العقد في الفقه الاسلامي ، في ستة أجزاء .

مقتبس من كتاب « مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما » الجزء الثاني « المجمعيون »

الانكليزى والفرنسي والروسي والامريكي معجبين به اشد الاعجاب وافواه ويحيطونه بمظاهر التقدير والاجلال ومع ذلك لم اره يوما يزهو بهذا الظفر الرائع ولم يعرضه لغرور اوصلف بل ظل يرفل في تواضعه وزهده فضاعف في ذلك اكبارى له وغبطت سورية عليه وحدثت نفسي لو كان هذا الرجل مصريا لشرفت به مصر ولكن سرعان ماتذكرت انه ملك الوطن العربي باسره لا ملك الشام وحدها ... وقد سعدت كل السعادة ان يحظى العرب بامثاله في المحافل الدولية » .

والسنهورى في اطرائه هذه الصفات انما يعبر عما تنطوى عليه نفسه من ايثار للتواضع وحب للزهد ورغبة فيسماحة الخلق وكره للغزو والبطر، ولكنه في ذلك لا يجامل ولا يدهن ولا يتلطف ولا يصانع وانما كان يعرف قدر نفسه فلا يحلها الا المكان الذى اهلت له : استمع اليه في خطابه الممتع الذى القاه لثلاث سنوات في مجمع اللغة العربية في القاهرة ، في حفل تأبين عبد الحميد بدوى يقول ما نصه : « ان مصر لم تر مثل عبد العزيز فهمى وعبد الحميد بدوى في القرن العشرين سمو مكانه في القاهرة وعلو قدر فيالقضاء والتشريع وانهما يطبعان بطابعهما أجيالا متعاقبة من رجال القانون وانه لا يتعلق ندٌ بأذيالهما ولا يلحق بغبارهما .. ويختم كلامه مخاطبا عبدالحميد بدوى :

وانت الخالص الذهن المصفى
ازكيــة ومثلــي مــن يزكــى

شوقي والسنهورى

وعلى ذكر دعوتى للحقوقيين العرب لبيعته بامامتهم اذكر انى قلت انه اذا كان شعراء العربية قد وفقوا الى ابعد حدود التوفيق يوم قدروا فاحسنوا التقدير لعبقرية رجلهم الفذ احمد شوقى فتنادوا من كل قطر وقلدوا سيدهم امارة الشعر فان من الانصاف ان يبايع الحقوقيون عميدهم لواء « الامامة » عرفانا بما قدم لهم من

مجهود علمي جبار وحمدا لما وفر لشريعتنا السمحة من شهرة وذيوع في عالم القانون المقارن .

والحقوقيون أولى من الشعراء في اقامة الحق ووضع الموازين القسط .. الاصل فيهم انهم لا يتبعون الغاوين ولا في كل واد يهيمون ؟ ولا هم يقولون ما لا يفعلون ؟.. وان اسم الحقوقيين مستمد من الحق ومشتق منه ومتصل به فحرى بهم أن ينهضوا لاعزاز ما هو حق كله ...

اذا ما اعتز ذو علم بعلمه
فعلم الفقه اولى باعتزاز
وكم طيب يفوح ولا كمسك
وكم طير يطير ولا كباز

ولم يكن السنهوري في يوم من الايام ملك مصر وحدها وانما كان ملك العالم العربي كله ، لا يكاد يخلو قطر من مآثره وعوارفه ، ومن الحمق الاحمق والجهالة الجاهلة ، ان ندعي بان الامام ابا حنيفة كان فقيه العراق وحده وان ابا العلاء كان حكيم الشام والشام وحدها وان شوقي كان شاعر الكنانة لا يشاركها فيه بلد آخر وان من حق المغرب العربي ان يختص بعبقرية ابن حزم وفكر ابن خلدون الاجتماعي الخلاق وان من حق حلب الشهباء ان تباهي وحدها بابي الطيب المتنبي مالىء الدنيا وشاغل الناس ...

فهؤلاء الافذاذ كانوا وما زالوا شموسا ساطعة منيرة تتلالا في سماء الفكر العربي والاسلامي كله .

ودنيا القانون كدنيا العلم ودنيا الشعر لا يخلد فيها الا المصطفون الاخيار ...

وسنهورينا لم تأته زعامة القانون هونا ولم يسلك اليها سبيل التملق واحتبال الظروف وانما انتزعها واخذها كما تؤخذ الدنيا غلابا بجهد واصب وجد متصل وبراعة في التاليف ومهارة في البحث والاستقصاء .

ولست ادري اذا كان رحمه الله بما اوتي من نفاذ البصيرة كان ينظر بنور الله يوم كتب في العام الفائت مقدمة الجزء العاشر من كتابه الوسيط فنعى نفسه لقرائه حيث قال :

« واحمد الله سبحانه وتعالى ان مدّ في اجلي واعطاني من القوة ما مكنني من ان اقوم بهذا العمل ولا تنقصني الصراحة في ان اقول انه اقتضاني كثيرا من الجهد والمشقة » .

حق الاستاذ

واذا كانت الفاجعة قد روعتني واحزنتني ؛ وتكاءدني وصف هذا الحزن فذلك امر لا اتكلف له ولا اتصنعه وانما هو حق الاستاذ على تلميذه ودين الصديق عند صديقه .

على ان الايمان القوى بالله تعالى الذى جعل الموت سبيل كل حي والدنيا اضغاث احلام ووساوس اطماع سيلهمنا جلت قدرته تلمس العزاء والصبر فما الجزع مما قدّر وما الهلع مما لا بد منه ؟ .

ولو شئت ان ابكي دما لبكيته
ولكن ساحة الصبر اوسع

ولكن الامر الذى لم اطق له صبرا او احتمالا ان يمضي هذا الرجل العظيم بمثل ما مضى به من نعي فاتر : فلم يرتفع صوت بذكره ولم تعرف له وسائل الاعلام ولو بعض حقه ، ولم يترك فقده اى صدى في اجواء العالم العربي باسره وهو الذى له دين ابدى في عنق كل حقوقي من ابنائه .

هذا العقوق والجحود لهذه العبقرية الفذة والذهن المتوقد بلاء مدلهم وظاهرة بشعة ، لاتعكس مجتمعا يوفي العلماء حقهم في التقدير والمكنة ونفوذ الامر والاجلال .

ولا يضار بهذا الاهمال أو الهدر فقيدنا الغالي، انه اقرض العلم قرضا حسنا وسجل اسمه في سجل الخالدين بما بذل في سبيله من اجتهاد منهك وعمل متصل وجد نزيه وهذه النفس العظيمة التى ملات دنيا الفقه والقانون اعجابا لا تموت بموت الجسد ولا يؤذيها جحود الجاحدين ولا صمت المتهاونين ....

تغمدك الله برحمته يا امام القانونيين وتولى جزاءك على ما تحريت،وكافاك بأحسن ما نويت،فما كان هلكك هلك واحد وانا لله وانا اليه راجعون .

وابيك ما ابنته لازيده
شرفا ولكن نفثة المصدور ■■

عبد الوهاب الازرق
دمشق ـ رئيس ادارة قضايا الحكومة

الشيخوخة



لها أمراضٌ بها خاصّة

بقلم :
الدكتور محمد محمد ابو شوك

■ مما لا شك فيه ان قدرة كل جهاز من اجهزة الجسم ، بل كل خلية من خلاياه ، تتأثر بمر السنين ، وتتغير فى كل مرحلة من مراحل الحياة ، والانسان يحس هذا ويقدره ، وما كان يقوم به طفلا ، ويافعا وشابا يقل عما يقوم به كهلا او شيخا . وهذا نبى الله زكريا ينادى ربه ويتضرع وهو يحس هذا الاحساس فى قوله تعالى « قال ربِّ انى وَهَن العظم منى ، واشتعل الراس شيبا ، ولم اكن بدعائك ربِّ شقياً » .

وفى هذا الصدد نذكر قول ابى العتاهية : ـ

بكيت على الشباب بدمع عينى
فلم يغن البكاء ولا النحيب
الا ليت الشباب يعود يوما
فاخبره بما صنع المشيب

ولقد اثبتت الابحاث الفسيولوجية أن كل عضو فى الجسم تتأثر قدرته الوظيفية ، وتقل تدريجيا بتقدم السن ـ وهذا يبدأ بعد الحلقة الثالثة من العمر . وبالطبع كلما تقدم السن بعد ذلك زاد هذا التأثر وضوحا .

والعلم ما زال قاصرا عن بلوغ أسباب هذه التغيرات التي تحدث للانسان بالتقدم في السن ، وقد وضع العلماء لذلك نظريات عدة ، منها أن ذلك يعود لتجمع الاصابات التي تحدث للجسم على مر الزمن ، او انه البلى بالاستعمال او



بكيت على الشباب بدمع عيني   فلم يغن البكاء ولا النحيب

التمزق Wear and Tear . والاشعاع ، ربما يكون له اثر في كل عملية الهدم والتآكل التي تحدث في الجسم .

ولا يفوتني في هذه المقدمة ان انوه بتقدم الطب في جميع الميادين ، ومنها الدوائية والجراحية هذا التقدم الذى جعل نسبة المسنين تزداد سنة بعد سنة ، وقد خلقت هذه الزيادة في بعض اقطار العالم مشكلة تحتاج الى حل سريع ـ ومن آثار ذلك اننا نرى ان دور العجزة تزداد يوما بعد يوم لاستقبال الوافدين اليها ممن امد الله في عمرهم وضاق بهم ذرعا ذووهم .

أمراض الجهاز العظمي والحركي

ولعل هذا أكثر الاجهزة تأثرا ، ويبدأ بأن يشكو المصاب من آلام في الظهر ـ سرعان ما تنتشر الى اجزاء اخرى من عظام الجسم . ويتبع ذلك الآم في العضلات ، والمفاصل والاربطة التي حولها . وبتقدم السن تتآكل الغضاريف في المفاصل ويحدث الاحتكاك بين عظام المفصل الواحد فيسبب ألما شديدا عند بدء الحركة . وربما تتعذر على المسن الحركة ، ويحلو له السكون والراحة ، وهذا بسبب تصلب هذه المفاصل ، وتصبح غير قابلة لاى حركة الا بآلام شديدة ، فيفضل المصاب عدم الحركة ويصبح قعيدا ملازما لفراشه وكذلك تلين العظام فينحني الظهر وتقل المادة الكلسية بها ، فتتعرض للكسر لأقل اصابة . وكسر عنق عظم الفخذ مثل واضح لذلك ، وهو بسبب زيادة في عدم الحركة وبالتالى يساعد على زيادة نقص المادة الصلبة في العظام . والجدير بالذكر انه كلما وقف عمل مفصل ، أو قلت حركة الجسم ، توقف تجدد العظم وزاد تآكله فيساعد هذا على لينه، وتعرضه للكسر . وحقا ما يقوله الاطباء ان عظام المسن تذوب بعدم الحركة . وقد أحث أقرباء المسن على اخذه الى البيت وتشجيعه ومساعدته على الحركة ، فيخطر في بال البعض ان هذا ليس من قبيل الرحمة ، وانما الرحمة الحقة ، هو تشجيعه على الحركة ولو عانى بعض الالم عندما يقوم بذلك حتى لا تتصلب مفاصله وتتهشم عظامه .

امراض القلب والدورة الدموية

وهذه تحظى بقسط وافر فى الامراض التى تصيب المسن ، وربما أودت بحياته — وتظهر في بادىء الامر بظهور الام خلف عظم القفص فيالصدر، تعترى المصاب من آن الى آخر ، وهى ما نسميه بالذبحة الصدرية ، والتى تذهب عند الراحة ، وتعود بعد القيام بأى مجهود عضلى . وربمـــا تزداد هذه النوبات وتتقارب الى أن يصاب المسن بنوبة انسداد في شريان القلب — ومن عجب أننا نرى انه في صغار السن ، اذا اصيب شريان بسدة فانه ربما اودى بحياة المصاب صغير السن ، ولكنه ربما يصاب المسن عدة مراتبمرض السدة وينجو، وذلك لأن هناك ما يسمى بدورة جانبية اضافية بقلب المسن « Collateral Circulation » . فاذا انسد جزء من شريان وجد الدم طريقا الى غايته من خلال هذه التشعبات الجانبية . ولخوفنا من ذوبان العظام كما اسلفت — ومن احتمـال انسداد الاوردة ، والالتهابات الرئوية ، ولعلمنا بهذه التشعبات في الدورة التاجية للقلب ، فاننا لا ننصح المريض المسن عنـد اصابته بالسدة بالراحة التامة في السرير لمدة طويلة ، بل تكون اقصر ما يمكن تنتهى عندما يتمكن المريض مـن السير دون الم يعتريه خلف عظام القفص ، وذلك يستدعي اسبوعا او عشرة أيام بدلا من اربعة الى ستة اسابيع كما هو الحال في صغار السن .

والاضطرابات في ضربات القلب وعدم انتظامها كثيرا ما تحدث بين المسنين — وهذا لا يستدعى الخوف والهلع من جانب المريض او اقربائه او حتى طبيبه — فبعض هذه الاضطرابات تكون وقتية، وسرعان ما يعود القلب الى تنظيم ضرباته وحتى اذا استمرت فترة طويلة فانها لا تؤثر على القلب كما هو الحال في صغار السن . أعرف مريضـا مسنا بلغ الثمانين ، وهو يعانى من عدم انتظام ضربات القلب ، منذ كان في السابعة والخمسين . وفي بعض الحالات تستجيب هذه الى العلاج ، وبعضها لا يستجيب ويحس المسن بانه في حالـة جيدة وطبيعية مع هذه الضربات المتغيرة غـير المنتظمة — بل ويقول بعضهم انه تعود عليها — ولا تؤثر عليه بحال من الاحوال .

وارتفاع ضغط الدم من الشواهد التى نراها تكثر في كبار الســن وذلك لحدوث تصلب في الشرايين . وربما ارتفع الضغط الانقباضي الى ٢٠٠ أو ٢١٠ دون ان يؤثر ذلك على صحة المسن . وكذلك يرتفع الضغط الارتخائى الى حوالي ١١٠ — فلا عجب اذن اذا كان ضغط المسن قد وصل الى ١١٠/٢١٠ — بل وان بعضهم لا يحس بأى عرض من ارتفاع الضغط — واذا حاول طبيبه ان يخفض من هذا المستوى ساءت حالته واحس بدوار ، وعدم القدرة على القيام بنشاطه المعتاد . وأرى انه في مثل هذه الحالة اذا كان المريض قد تعود على هذا الضغط دون ما تأثير علىالقلب — فليتركه طبيبه لأن محاولة خفضه ربما أدت الى مضاعفات — منها الدوار كما اسلفت ، ثم عدم التركيز في القراة والفهم — وقلة النشاط ، وربما ساعد على انسداد في الشرايين المختلفة من الجسم .

وهبوط القلب كذلك يتعرض له المسن،والملاحظ انه اذا حدث ذلك سرعان ما يسـتجيب للعلاج بالراحةوالدواء . ولا يفزع المسن او اقاربه بهذا، أو يفقدوا الامل بمجرد حدوثـه ، لأنه كما قلت يستجيب للعلاج ويعود المسن الى حالته الطبيعية



أستاذ الجيـل احمد لطفى السـيد (باشا) فارقنا عن مصر يناهز الحادية والتسعين في عـام ١٩٦٣ فبكاه العرب جميعا ، ظل رئيسا لمجمع اللغة العربية بالقاهرة الى يوم وفاته .



برتراند رسل فيلسوف بريطانيا الشهير ، مات قبل أن يحتفل بعيد ميلاده الثامن والتسعين بثلاثة اشهر ، ورغم هذا فقد ظل حاضر الذهن ، يعمل ويفكر حتى آخر لحظة في حياته .

شريطة أن يراجع طبيبه من آن الى آخر للملاحظة ووصف العلاج اللازم .

في درجة الحرارة ، أو تغيرات في عدد كرات الدم البيضاء ، لأن المناعة ضعيفة في كبار السن .

والوقاية هنا للكبار خير من العلاج ، فليبتعدوا عن مصادر العدوى والتعرض لتيارات البرد ـ وعلاجهم بمجرد حدوث سعال بسيط خوفا من تسرب المرض من القصبات الهوائية الى الرئتين .

وكثيرا ما نسمع عن أن المسنين لا يصيبهم السل الرئوى ، وهذا خطأ شائع ، فهم معرضون كغيرهم لهذا المرض . ومن المؤسف أن يؤخذ هذا ماخذا هينا ونترك المسن يَقبّل الصغار وينقل اليهم العدوى ، ونقول ان ما به انما من تقدم السن ومن كثرة التدخين .

وكلما تقدم السن كان من الواجب الابتعاد عن الاماكن المعرضة للدخان والاتربة وتلوث الهواء ، واختيار الاماكن الخلوية غير المكتظة بالسكان ، ليكون الهواء فيها نقيا بعيدا عن كل ما يؤثر على الجهاز التنفسي في مثل هذه السن .

الجهاز التنفسي

من الملاحظ أن عملية التنفس تتأثر كذلك بتقدم السن ، وذلك لضعف في العضلات التي تساعد على هذه العملية ، وكذلك لعدم مرونة القفص الصدرى كما هو الحال في صغار السن ، وكذلك نرى أن الرئتين تفقدان مرونتيهما ، ويحدث بهما بعض التمدد في الحويصلات الهوائية . لذا نرى ان المسن كثيرا ما تزداد سرعة تنفسه عند قيامه بمجهود عضلي بسيط . على أن ذلك لا يقيد من نشاطه المعتاد في مثل سنه . أما اذا اصيب بالتهابات في الشعب الهوائية أو الرئتين ، وهذا كثيرا ما يحدث في المسنين ، وأهمل العلاج ، فان الصورة تتغير ـ ونرى أن سرعة التنفس بل وضيق التنفس يكون جليا عند القيام بمجهود بسيط ، أو حتى عند الراحة . فاذا لاحظنا ذلك فالواجب على اقارب المسن عرضه على الطبيب .

ولا ينتظر المريض ارتفاعا في درجة الحرارة كما هو الحال في الصغار من المرضى ، اذ انه في معظم الحالات تكون التهابات الرئتين غير مصحوبة بارتفاع

الجهاز الهضمي

وكثيرا ما يشكو المسنون من ارتباك في جهازهم الهضمي فهذا يشكو من عسر في الهضم ، وعدم تحرك الوجبة التي يتناولها من معدته كأنها الصخر لا يتحرك في أعلى بطنه ، وذاك يشكو الانتفاخ والغازات ، وتلك تشكو من الامساك. وتسبب تلك الاعراض أرقا شديدا للمسنين . وتبعا للامساك تكون البواسير ـ ولضعف العضلات يكون الفتق في السرة والفتق الاربى وغيرها ، واحتمال اختناق هذه الفتوق .

قابلت بعض المسنين وسألتهم عن نوع المسهل الذى يستعملونه ؟ فقالوا انهم لم ياخذوا مسهلا طوال حياتهم ، بل يعتمدون على الطعام فقط ـ وهو ان يكثروا من أكل الفواكه والخضراوات الطازجة ـ وأنواع من الاطعمة تحدث لهم لينا وتبعد عنهم الامساك « كالاراسيا » مثلا وغيرها من الفواكه المجففة . والامساك من الاعراض الهامة في المسنين التي يجب تلافيها والبحث عن سببها . ان المسن اذا استمر دون أن يتبرز لفترة طويلة

استحال برازه الى مواد صلبة شديدة تسبب انسدادا في امعائه مع انتفاخ بها ، ويصعب بعد ذلك نزول هذه المواد الصلبة حتى بالحقن الشرجية . وفي بعض الحالات يقوم الطبيب باستخراج البراز كان الحالة عملية ، وما اشدها من عملية على المريض وعلى الطبيب . وأحب أن انوه هنا بأن قلة الحركة وعدم المشي يساعدان كثيرا على حدوث مثل هذا الامساك ، فالحركة واجبة ، وما أحسنها من رياضة كالمشي في الصباح الباكر أو في المساء ، فهذا أحسن دواء للمسنين .

ونصيحتي كذلك أن لا يتقيد المسن بالوجبات . ولتكن كمية طعامه قليلة وعلى فترات متقاربة — ودون محاولة لملء البطن بالاطعمة المهيجة للامعاء وكثيرة الدهن — فكلها تجعل الهضم صعبا،وليكثر من الفواكه — وعصيرها الطازج — فكلها تعود عليه بالفائدة — وليكن طعامه اما مسلوقا سلقا جيدا أو مشويا شواء طيبا — سهل المضغ — وليأكل بتأن ويمضغ طعامه جيدا — فكلها تساعد على عدم شعوره بعسر الهضم الذى يعاني منه الكثيرون .

ولقد يسر تقدم العلم ، والطب على الخصوص في كل مجالاته — اجراء العمليات الجراحية على الجهاز الهضمي من فتق — وقرحة بالمعدة،وحصى بالمرارة وغير ذلك — فلا يكونن السن حائلا — دون اجراء هذه العمليات ما دامت صحة المريض تسمح باجراء مثل هذه العمليات ، وما دام لا يعاني من مرض له خطورته عند اجراء مثل هذه العملية — فكثيرا ما نرى مسنين يتمتعون بصحة جيدة ويرفضون اجراء العملية ، وكل حجتهم انهم متقدمون في السن .

الجهاز البولي

وقدرة الجهاز البولي تتأثر كذلك بتقدم السن الا أن هذا التأثر لا يكون شديدا الا اذا حدث مرض في هذا الجهاز — فالذين يصابون بالتهاب الكلى أو التهاب حوض الكلى — أو الحصى في الكلى أو الحالب ، أو التهاب في البروستاتا أوتضخم به أو التهابات المثانة — نرى أن هؤلاء يعانون من التهابات في البول واحتباس به وتأثر الكلى من آن الى آخر . والذى يهمني في الامر انه اذا كان هناك حصى في مجرى البول ولا يوجد امل في نزوله تلقائيا — أو أن هناك تضخما فيالبروستاتا يؤثر في عملها على الكلى ، وتسبب التهابا في البول من آن الى آخر ، وجب في هذه الحالة أن يقبل المريض بنصح الطبيب لاجراء العملية — خوف تأثر الجهاز البولي بهذه الامراض تأثرا شديدا . وعدم تعاطيه السوائل بكثرة يساعد على عدم سريان البول بسرعة ، وبترسب ما يعلق به من أملاح مما يؤدى الى تجمع هذه الحصوات فيمجرىالبول وما تجره وراءها من مضاعفات — لذا كان على المسن أن لا يخلو الى الرقود في الفراش دون ما حركة مدة طويلة حتى ولو كان مريضا ، حتى لا يجعل هناك مجالا لترسب أو حدوث هذه الحصوات . ولا شك أن علاج أى التهاب في مجرى البول على أن يكون ذلك بمجرد حدوثه يحول دون حدوث المضاعفات ، بحيث لا يستهان به في بادىء الامر ويقال انه ظاهرة مع كبير السن سرعان ما تزول .

الجلد

لا اخالني هنا في موقف يحتاج أكثر ما يحتاج



ماوتسى تونج بلغ الثامنة والسبعين ومازال يشتغل بالسياسة ويجلس على رأس دولة الصين الشعبية التي تضم ثلث سكان العالم تقريبا .

الى النظافة ، التي هي من الايمان ـ فالجلد في المسنين يرق ويضعف ويتجعد وسرعان ما يتاثر باى مؤثر خارجي ولو بسيط . يكفي انه اذا نام المسن على مكان واحد لفترة طويلة فان ذلك يحدث تقرحات في هذه المنطقة من الجلد ، خصوصا تلك التى تغطى نتوءات العظام ـ وما أصعب هذه التقرحات في اندمالها اذا ما حدثت لمسن . لذا كانت العناية بالجلد من أهم واجبات المسن نحو نفسه ، ومن أهم واجبات اقرباء المسن نحوه ، فالغسيل بالماء والصابون ، ثم تدليك الجلد بالكولونيا ثم تغطيته ببودرة ـ وحث المسن ان لا يجلس أو ينام لفترات طويلة على مكان واحد من الجلد بل يغير موضعه من آن الى آخر ـ ثم البعد كل البعد عن اى قذارة تصيب الجلد كالبول أو البراز ـ أو فضلات الطعام ، وفراش السرير لا بد وأن يكون لينا ـ ليس به تجعدات بل يكون مستويا،كل هذه الأمور تظهر لاول وهلة على انها اشياء بسيطة ، ولكن الذى يرى تقرحات الجلد ، واصابتها بالتعفن واتساعها بمرور الوقت ـ ونفور اقرب الناس الى المسن ، يجعله يحس باهمية هذه العناية حيال من تقدمت به السن .

ما تزول هذه الاضطرابات بالعلاجات المختلفة .

ولعل اضطرابات الغدد الصماء هى ما تسبب السمنة التي تلاحظ في الشخص عند تقدم سنه خصوصا اذا أطلق لنفسه العنان ، ولم يتقيد بالغذاء اللازم له ، بل افرط ، واختار من الاطعمة ما يزيد في وزنه كالدهنيات والنشويات ـ فاذا زاد وزنه ـ وافرط في السمنة كان العبء الثقيل عليه عندما يتقدم سنه ـ فالسمنة من العوامل التي تساعد على حدوث الامراض مبكرة في كبار السن ـ فتجد آلام المفاصل،وارتفاع ضغط الدم ـ وتصلب الشرايين واعراضها بما في ذلك شريان القلب التاجي ، وشريان المخ ـ ثم امراض الصدر والنزلات الرئوية ، وامراض الجهاز الهضمي بما في ذلك حويصلة المرارة والامساك ، والفتق ـ وظهور مرض البول السكرى مبكرا . فما احرى بمن تتقدم به السن أن يلاحظ وزنه ، ويبتعد عن كل ما يزيد من الوزن الطبيعي له خوف حدوث هذه المضاعفات وغيرها .

الغدد الصماء

وعلى رأسها البنكرياس وما يفرزه من الانسولين ـ ويقل هذا الهرمون في الاشخاص الذين عندهم استعداد لمرض البول السكرى ، ويظهر ذلك غالبا بعد سن الخمسين ـ لذا كان من الواجب عند حدوث كثرة العطش وشرب الماء بكميات كبيرة مع ادرار في البول ، أن يحلل المسن البول والدم ليتاكد من خلوه من مرض السكر ، اذ أنه اذا أهمل هذا المرض فان مضاعفاته تكون خطيرة على اجهزة الجسم المختلفة ، مع أن علاجه سهل بسيط اذا اكتشف مبكرا .

وهناك اضطرابات اخرى تحدث في الغدد الصماء المختلفة ومنها ما يحدث في المبيض عند السيدات وما تسببه من اعراض في سن الياس . وضعف في حالات الرجال الجنسية وغيرها ، كلها ربما تسبب اضطرابا في الناحية النفسية ـ ولكن سرعان

الجهاز العصبي

نعلم أن الجهاز العصبي يتاثر كثيرا اذا قلت نسبة الدم الذاهب اليه لتغذية خلاياه ـ وهذا يحدث عند تقدم السن في بعض الناس ـ وذلك لتصلب شرايين المخ. فعلاوة على التاثرات النفسية التي سأتناولها بالتفصيل ، أقول علاوة على ذلك فاننا نلاحظ الشلل النصفي الذى يحدث في بعض الحالات ، ثم تاثر الكلام . والدوار ـ ونوبات الاغماء ـ والضغط على الاعصاب من عظام العمود الفقرى وما تسببه من ضعف في العضلات والآم في مناطق عدة من الجسم . ثم التنميل وفقدان الاحساس الذى يصيب الاطراف ، ثم الهزات او الرعشة والرجفة التي تحدث فيالیدين وفي اجزاء اخرى من الجسم ـ أقول كل هذه تحدث بشكل او باخر وربما لا تحدث ، والتغلب عليها سهل في بادىء الأمر ، ولكن اذا تركت واهملت، استفحل أمرها وعز على المصاب الحركة وممارسة أسباب الحياة . وتشجيع المريض على الحركة والعلاج الطبيعي بالتمرينات وغيرها من الوسائل ، من



الدكتور طه حسين ، عميد الادب العربي ، في الثانية والثمانين من عمره ، لم يجف قلمه ، ولا كف فكره عن الانتاج ، امد الله في عمره .

الممكن أن تعيد المسن الى حياة لا يكون فيها عبئا على اهله وذويه .

الاضطرابات النفسية

هذه ايضا من أهم الامراض التي قد تصيب المسن ، والتي لو أخذناها بعين الاعتبار ـ سهل علاج المسن ، ولكن اذا اهملت استفحل أمرها ، وكانت بمثابة ضربة شديدة عليه .

اذكر احد المسنين ـ بلغ ما يقرب من الثمانين عاما ـ شكا لي طبيبا وقال « انه ليس بطبيب ـ تصور عندما قلت له انى لا اسمع جيدا ، قال لي انه السن وأبى أن يعالجني » . وكان حانقا اشد الحنق على الطبيب .

ثم هذه الالفاظ التي يرسلها أهل المسنين جزافا دون أن يراعوا شعورهم ، ما هي الا اصابات قاتلة تسدد اليهم دون أن يشعر هؤلاء الاهل والاقرباء . ان هؤلاء القوم ينسون أن الشيخوخة مآل كل حيّ ، اذا امتدت بهم الاعمار . قال تعالى عن الأبوين « اما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما » .

والأرق ـ قلة النوم في الليل والنوم بالنهار ـ يشاهد في بعض الحالات ـ والذى اريد أن انوه اليه في هذا الصدد واشدد عليه أن لا يعطى المسن منوما قويا كما هو الحال في صغار السن ، اذا ان ذلك يجعله ينام فترات طويلة ـ وربما اثر على قواه العقلية في الصباح ، مع التبول والتبرز دون الشعور بذلك . فاذا كان لا بد من منوم فليكن خفيفا جدا كما هو الحال في الاطفال ـ ملعقة صغيرة من كلورال هيدريت Chloral Hydrate

هذه هي بعض الامراض التي تصيب المسن ـ اوضحتها هنا ليأخذ منها الشاب لمشيبه ، ويحترس ويقي نفسه شر المرض ، ويحس بها اقرباء المسن ويقدرون حالته ، حتى لا يقعوا في اخطاء هم في غنى عنها . ونصيحتي لمن جاوز الخمسين أن يقوم بفحص نفسه سنويا مع التحاليل الطبية اللازمة له لاكتشاف اى مرض يكون قد اصابه وعلاجه في بدء ظهوره ـ ثم البعد كل البعد عن السمنة ، وعليه مزاولة الرياضة البدنية بما في ذلك المشي ، ثم اعطاء نفسه الكمية الوافية من الراحة وهدوء النفس ، والتجوال ، وعمل ما يشرح الصدر ، ويفتح آفاقا جديدة في حياته ، وينمي هواياته كالرسم والتصوير والقراءة ، وما الى ذلك فكلها تعين الانسان على تقبل هذه الفترة من حياته . ولهم اسوة حسنة فيما يقوم به بعض المسنين من انتاج ضخم وهم في سن ما بعد الستين ـ بعد خبرتهم الطويلة وتجارب الحياة النادرة .

بهذا يعيش المسن عيشة هانئة هادئة ـ تحت رعاية من كان رعاهم في شبابه . ■■

محمد محمد ابو شوك
رئيس قسم الامراض الباطنية
بالمستشفى الاميرى ـ الكويت

مع
الله
في الأرض

وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه
وقدرة الله تتراءى في بديع صنعه

من هنا تبدأ... المسيرة

كتب الي قارىء كريم يقول :

بدات مقالاتك عن وحدة الله وكان عنوانها « وحدة الله تتراءى فى وحدة خلقه » . ثم زدته فقلت و « قدرة الله تتمثل فى بديع صنعه » . وهذان هدفان مختلفان .

اما الهدف الثانى ، وقد صح ان يكون الاول ، فقد اتضح مما كتبتم انكم به انما قصدتم اظهار بديع صنع الله فى مخلوقات الله ، من نباتات وحيوانات ، وتركزتم على جسم الانسان خاصة .

واما الهدف الأول ، وقد صح أن يكون الثانى ، وانت لم تبدأ فيه بعد ، فيتطلب على ما افهم ، الانتقال من جسم الانسان بحسبانه مثال الكمال ، الى سائر اجسام الحيوانات ، والكشف عما تشترك فيه جميعا من اصول واحدة ، من حيث بناء الجسم ، ومن حيث وظائف اعضائه ، والقول بعد ذلك بأنها اصول واحدة ، واشكال اساسها واحد ، تدل على ان منشئها الأول ، ونسميه الله ، واحدا .

واذن فالذى فى الخلق من ابداع صنع ، والذى فى سلسلة الخلائق من وحدة سارية جارية ، لا يكون مرده الا الى مبدع واحد وخالق واحد .

هذا ما فهمته ، وقد قرات كل هذه المقالات ، واردت ان اتاكد قبل أن اتابع . لا سيما وانا احس انك مسست «ابداع الصنع» فى الكثير ، وما مسست «وحدة الخلق » ، الى اليوم الا فى القليل . هذا اذا استثنينا مقالات فرادى قديمة سابقة .

ومن اجل هذا صح اقتراحي أن يكون عنوان هذه المقالات المنطقى : قدرة الله تتمثل فى بديع صنعه ، ووحدة الله تتراءى فى وحدة خلقه .

* * *

قرات هذا الكتاب ، ولم اجد عند استئناف كتابتى فى وحدة الخلق كلمة اقولها أصح مما جاء فى هذا الكتاب . وصحيح كذلك ان «ابداع الصنع» وجب أن يسبق فى العنوان ، وان « وحدة الخلق » يجب ان يتاخر فى العنوان .

ولقد ارى مع هذا ان اسبق فى العنوان « بوحدة الخلق » وان اثنى « بابداع الصنع » ، لان معنى الوحدة فى الخلق ، ففى الخالق ، معنى اخطر ، ومعنى اعمق ، ومعنى افعل فى استجلاء الحيرة التى

...الوحدة

يمارسها كل حيّ يعي ، من يوم أن يقف برجليه عموديتين على سطح هذه الارض ، الى ان ينطوى فى ترابها انطواءه فى ردائه بدخول عوامل الفناء اليه .

البحث
عن وحدة الخلق
بين حيوانات تبلغ نحو مليون نوع او تزيد

ان الحيوانات اعداد هائلة ، لا من حيث كم فى الدنيا من قطط ، وكم فيها من كلاب ، ولكن من حيث كم فيها من أنواع كالقطط والكلاب وغيرهما من سائر الحيوانات . وقد كشف علماء الحيوان الى اليوم عن نحو مليون نوع وهم ماضون فى زيادة كشف . ومن المؤسف أن بنى الناس لا يالفون فى حياتهم العادية من الحيوانات غير عشرات .

وقد سبق علماء الحيوان ، واعنى المختصين بالتصنيف منهم Taxonomists بحصر الحيوانات وتصنيفها ، وجعل المتشابه القريب الشبه من انواع Species فى خانات أسموها اجناسا Genera ومفردها جنس Genus ، وجمعوا المتشابه من الأجناس فى خانات اوسع اسموها فصائل Families ، وضموا المتشابه من الفصائل واسموها رتبا Orders ، وضموا المتشابه من الرتب واسموها طوائف Orders ، وضموا المتشابه من الطوائف وأسموها شعبا Phyla . ومن الشعب تألفت المملكة الحيوانية Animal Kingdom وكل هذه مصطلحات علمية ثابتة .

من ذلك نرى أن المصنفين من علماء الحيوان سبقوا الى تصنيف الحيوان أصنافا عديدة . وهم انما بنوا هذا التصنيف على ما بين الحيوانات من تشابه فى الصفات ، وفارقوا بينها لما بينها من اختلاف .

وكان من طبيعة عملهم هذا أن خرجوا من التصنيف بأن وضعوا الحيوانات مراتب ، منها العليا ، ومنها السفلى .

وبالطبع كان فى راس القائمة الانسان . والانسان يحتوى جسمه فى المتوسط على ما يقرب من مليون مليون خلية . وليس بسبب عدد هذه الخلايا وضعوا الانسان فى القمة ، وانما للوظائف العجيبة المثيرة التى تضمنتها حياته ، وجعلت منه سيد سادة هذه الأرض .

كان فى راس المراتب الحيوانية الانسان ، او وقف على الدرجة العليا من السلم الحيوانى ، الانسان ، وانتهى السلم بوقوف حيوانات كالأميبة Ameba على درجة السلم الحيوانى الدنيا . ومعها وقف امثال لها يجمع بينها انها تتألف

من خلية واحدة ، مع بساطة فى اداء ادوار الحياة جعل موضعها ، من حيث التقدير ، الموضع الادنى ، وهى شعبة Phylum تعرف بالحيوانات الأولية أو الأوليات Protozoe وهى تضم من الانواع ما قد يزيد على ١٠٠٠٠ نوع.

وهى من الصغر بحيث أن الدارس لها يحتاج الى مجهر لدراستها . فاكبرها قد يرى بالعين العارية ولكن بالكاد .

مرتبتان ، عليا وسفلى ، بينهما مراتب

وبين مرتبة الانسان العليا ، ومرتبة الأميبة والأوليات السفلى ، مراتب عدة تتصاعد فيها الحيوانات ، وهى صاعدة فى السلم، تركيبا واعضاء ووظائف اعضاء، حتى تبلغ القمة عند الانسان . أو هى مراتب عدة ، تتنازل فيها الحيوانات ، وهى هابطة فى السلم ، تركيبا واعضاء ووظائف اعضاء حتى تبلغ الدرك الأسفل عند الأميبة وصواحبها من الأوليات .

والآن ، فالى هذه الصنوف من الحيوانات ننظر فى الذى اشتركت فيه من حيث التركيب والوظائف ، تلك الأشياء الاساسية ، التى حق أن يقول الانسان عنها انها اساس التصميم فى البناء الحيوانى كله ، وهى السبيل الواحد الى أهداف الحياة الواحدة ، التى وجب معها جميعا أن يكون المصمم الاول ، والمهندس الأكبر ، واحدا ، فيما تصنع الأجسام من عظام تحمل ، أو لحم يقى ، يتضمن خلايا تجرى فيها عمليات الحياة كاملة متشابهة ، واكاد اقول متطابقة ، فى خلية بانسان فى أعلى السلم ، أو خلية بحيوان أولى فى ادناه.

لا بد عند القياس من مقياس

واذ ندخل فى الصميم ، ندرس ما بين الحيوانات من اشباه ومشاركة ، ومن اختلاف هو دعم للوحدة ومعناها ، نحتاج الى مقياس .

ان الأطوال تقاس بالمتر ، والأوزان تقاس بالرطل . والجمال نحن فى حاجة عند تقديره الى مرجع للجمال معترف بـه .

ومرجعنا هنا ، فى دراسة هذه الوحدة بين الخلق ، انما هو الانسان . هو جسمه الذى كتبنا عنه ما كتبنا . وخرجنا مما كتبنا على انه اكمل الأجسام.

ونحن نتناول من جسم الانسان الهضم ، والجهاز الهاضم ، ثم أعوانا للهضم أربعة قائمة ، هى الكبد والرئة والدورة الدموية ، والكليتان ومعهما المسالك البولية .

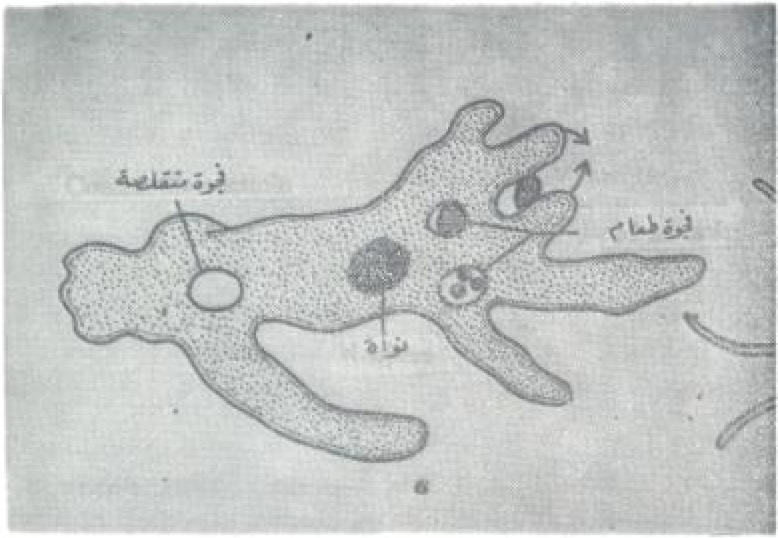
وجدير بنا أن ننظر كم فى الحيوانات من هذه الأجهزة وهذه الوظائف، ونقرنها بالذى منها فى الانسان ، لتبين كم بينها وبين الانسان من شبه، وكم من خلاف.

الأميبة من ذوات الخلية الواحدة

وخير ما نفعل ان نقرن اعلى الحيوانات مرتبة ، أعنى الانسان ، بحيوان فى أدنى الحيوانات مرتبة ، وليكن الأميبة، لنرى ما بينهما من وجوه شبه ، ووجوه اختلاف .

ويعجب السامع عندما يسمع ان بين الانسان ، وجسمه يحتوى على مليون مليون خلية ، وبين الأميبة ، وجسمها يحتوى على خلية واحدة ، شيئا من تشابه .

ولنبدأ بوجوه الاختلاف ، بل بوصف الأميبة عامة ، فنقول ان الاميبة عبارة عن حيوان ذى خلية واحدة ، يعيش فى الماء . وهى خلية تملؤها مادة الحياة الأولى التى تملأ سائر خلايا الأشياء الحية ، وتعرف بالبروتوبلزمة Protoplasm وعربوها ، فصارت الجَبْلة الأوليّة ، لأنها أصل الحياة . ومع الجَبْلة توجد نواة الخلية . والجبلة



الأميبة ، وهي حيوان ذو خلية واحدة من الأوليات ، يتحرك الى امام بأن يسيل جسمه متمددا فيصنع من ذلك ما يعرف بالأرجل الكاذبة . ويُرى في الصورة وقد احس بوجود شيء من الطعام العضوي في الماء فالتف عليه حتى احتواه جسمه ، في فجوة للطعام هي معدة مؤقتة له .

جبلة باطنة ، وأخرى ظاهرة ، وهي التي عند حدود الخلية (انظر الشكل المرفق)

وتنظر الى الأميبة وهي تتحرك فترى جَبْلتها الباطنة ، وقد سالت وتحركت في اتجاه معلوم ، فتدفع بذلك الجبلة الظاهرة في هذا الاتجاه ، وتبدأ تتحرك الأميبة في هذا الاتجاه وتسير فيه . ويسمى هذا الجزء الممتد من جسم الأميبة بالرجل الكاذبة . وتتحرك على هذا النحو في شتى الاتجاهات بأرجل تمدها كواذب .

ان الأميبة ليس لجسمها شكل ثابت.

وتلتقي الأميبة وهي تتحرك في الماء بقطعة صغيرة من غذاء . فما أسرع ما تلف حولها رجلا لها كاذبة عن يمين ، وتلف أخرى عن يسار ، ويلتقي طرفا الرجلين ، فاذا بالفريسة في باطن الأميبة ومعها ماء . وما أسرع ما يخرج الماء عن هذه الفجوة وبها الفريسة حبيسة .

ويبدأ الهضم في فجوة الطعام هذه . ومن بعد الهضم يكون امتصاص للشيء المهضوم ثم تنفجر الفجوة فتلقي بالذي لم ينهضم خارج جسمها . ومن أجل هذا أنت تجد داخل جسم الأميبة عدة من هذه الفجوات ، فيها قطع من الطعام عدة ، على درجات من الهضم مختلفة .

وفجوات تظهر في جَبْلة الخلية ، أعني الأميبة ، تملؤها الأميبة بالماء . فاذا وصلت هذه الفجوات الى سطح الأميبة انفجرت وافرغت في الخارج ما بها من ماء . انها طريقة يتخلص بها جسم الخلية من مائه .

أشياء كلها غريبة بعيدة عما يحدث في جسم الانسان ، ولكنها كلها بناؤها على أصول واحدة ، هي أصول الحياة ، هي الوحدة المتفشية في الخلائق جميعا .

فأولا الحركة . الانسان يتحرك ليقضي حوائجه للعيش بالرجلين ، والأميبة

تتحرك بما يتفق مع بساطة حجمها، وانه لا ارجل لها . انها وسيلة الأرجل الكواذب تتوسل بها الى نفس الغاية .

والانسان يتغذى بالطعام ، ويهضم وله جهاز هضم . والأميبة تتغذى بالطعام، وليس لها فم ، فهي تصنع فمها عند الحاجة . وليس لها جهاز هضم فتجعل من الفجوة التي حبست فيها الطعام او الضحية جهازا للهضم . والأميبة ليس لها است يخرج منه ما لم ينهضم من طعام ، ولكنها تصنع استها عندما تفرغ الفجوة ما فيها مما لم يهضم*

ثم الهضم نفسه . انه كيمياء . انه عصارات تحلّ الطعام حلاً وتجعل من غير الذائب منه طعاما ذائبا يمتصه جسم الانسان فيصنع منه الطاقة بكل صنوفها، ويصنع الحركة ويصنع الدفء، ويبني به بدلا مما بلي من أجهزة جسمه. وكذا الأميبة تفعل كل هذا . طعامها البروتين والنشا والدهن، وكلها لا تنهضم الا بالهاضمات الكيماوية التي قامت تفعل في جسم الانسان ، وبالانزيمات التي كانت هناك والخمائر . كل هذه هي نفس وسائل الأميبة والحيوانات الأوّلية ، وغير الأولية ، في الهضم . وفيما بعد الهضم من امتصاص ومن انتفاع من الغذاء بشتى صوره . وهذا كله يجرى في حيوانات قطرها يقاس بأجزاء من الف ومن الف الف من المليمتر .

وتعجب أن تجرى كل هذه التفاعلات، وتتوصل هذه الحيوانات البالغة في الصغر الى هذه الغايات ، ولكن قصة الخلق كلها قصة بالغة العجب. والصغر الذى نشكو منه انما هو صغر في البصر. ان بين الذرات ، وبين الجزئيات ، وبين صغائر الكائنات ، يجرى التعامل بأبصار لا تشكو الصغر ، لأن هذا عالمها .

وجسم الانسان يستخرج من طعامه الطاقة والحركة وما اليها ، ولكنه ايضا يبنى من الطعام أنسجته ، وهى انسجة تحل محل انسجة قدُمت وبليت وتحتاج الى تجديد ، او هى أنسجة في حاجة الى تكبير وتكبير وتمديد ، لا سيما وجسم الانسان باديء ناشيء .

وكذا الأميبة، طعامها للطاقة وللتخليق معا . وهى اذن في حاجة الى ذلك العدد العديد من الأنزيمات التى تحتاجها كل هذه العمليات . فمن يقوم بتخليقها ، تخليق هذه الأنزيمات ، من طعامها ؟ لا بد ان جبلتها ، أعنى هذه الكتلة البروتوبلازمية التي تملأ خليتها ، وظاهرها انها شيء واحد واصل وفرع واحد ، لا بد انها تتألف من جوانب كثيرة ، كل منها تخصص في تخليق هذه الأنزيمات الخمائر .

هذه البساطة الأميبية اذن بساطة خادعة . خدعنا عن حقيقة تركبها الصغر .

ان أدنى الحيوانات ليس حيث وضعناه اذن من البساطة الساذجة .

وصغيرا كان الحيوان او كبيرا ، وفي الدرجة العليا من السلم او السفلى ، انه دائما ابدا يشتمل على أصول من الحياة لا بد منها لكل طالب حياة . هى تلك الوحدة التى ننشدها في هذا العدد الضخم من الحيوانات ، المليون مليون صنف . ونحن ننشدها لنقول من بعد ذلك انه ما دام هناك وحدة فهناك واحد. وهى وحدة دخلت في اعماق الخليقة ونحن لم نبلغ كل هذه الأعماق . ومنها

* في الحيوانات المعروفة ذات أجهزة الهضم المألوفة تجد الفم في ناحية من الجسم ، وتجد الاست في الناحية الأخرى منه . هذا جزء من مخطط الاجسام النامية . ومن عجيب الأمر أن العلماء وجدوا هذه الخطة البدائية الأولى موجودة في الاميبة ، فان نصفا خاصا من جسمها تخرج منه الأرجل الكاذبة لتصنع الفم ، بينا النصف الآخر المقابل هو وحده الذى فيه تصنع الاميبة استها لطرد الطعام ، اذن هنا دُبُر" اوليّ" وقبُل .

أعماق بالغة العمق لا نكاد نبلغها الا استشفافا لضياء لمع في متاهاتها البعيدة.

للأميبة أخوات ، من ذوات الأهداب ، ومن ذوات الأسواط ،

ان الأميبات أنواع عدة تجمعها طائفة واحدة ، وهي كما قلنا من ذوات الخلية الواحدة .

وهناك طائفة أخرى تعرف بطائفة ذوات الأهداب Ciliates لأن باطراف الخلية أهدابا لها وظيفتها في حياة هذه الحيوانات .

ثم هناك طائفة ثالثة تعرف بطائفة ذوات الأسواط Flagellates ، لأنه يخرج من جسمها ، من جسم الخلية الواحدة ، سوط أو أكثر من سوط ، له هو كذلك وظيفة في حياة الحيوان السوطي ، أي ذي السوط .

ثلاث طوائف تجمعها شعبة واحدة Phylum ، هي الشعبة التي سبق أن ذكرناها ، وأسميناها بشعبة الحيوانات الأولية Protozoa ، وجسمها لا يحتوي على غير خلية واحدة .

وصفنا الأميبة

ومن هذه الطوائف الثلاث وصفنا الأميبة ، لنوضح الفرق الهائل بين أسلوب الحياة المركب الذي يتبعه الانسان في اجراء حياته ، وأسلوب الحياة البسيط ، الغاية في البساطة ، الذي تتبعه الأميبة في اجراء حياتها ، ولنظهر ما بينهما من خلاف عظيم ، لم يمنع أن تكون بينهما شركة ووحدة في أصول العيش ، من حيث أن طعامهما طعام واحد ، ومن حيث انه مؤلف كيماويا من مركبات واحدة ، ومن حيث انه لا بد من هضمه ، ومن حيث القدرة على القيام بهذا الهضم في انسان وفي أميبة ، وهي كيمياء غاية في التعقيد ، ثم من حيث امتصاص المهضوم وتحويله الى حركة وحرارة ، وبناء جسم جديد محل ما استهلكته الأميبة من جسم لها قديم . وهذه الأخرى كيمياء كذلك غاية في التعقد ، وهي هي الكيمياء التي لا بد يمارسها جسم الأميبة على الرغم من المدى البعيد الذي يفصل بينه وبين جسم الانسان في سلم الحيوان على بعد المدى.

وقرنا بينهما ، بين الأميبة والانسان ، في غذاء ، وفي جهاز هضم ، وفي التخلص من فضلات غذاء ، وفضلات ماء . وقرنا بينهما في حركة على اختلاف وسائل الحركتين وقرنا بين سائر وسائل الحياة بينهما والغايات ، حتى غاية السعي الى الرزق . حتى وسيلة الحس ، وقد علمنا أن الأميبة تحس الطعام فلا تلبث أن تلتف بجسمها حوله .

حتى التناسل . هل يتصور انسان أن من الأميبات ، على هذا الصغر البالغ ، ما ينتج الذكر والأنثى ، وانهما يتلاقحان؟ على ان التناسل أكثره ، والذي تجري به العادة ، انما هو التناسل بالتشقق . تنشق الخلية الى خليتين ، فاذا الأميبة أميبتين .

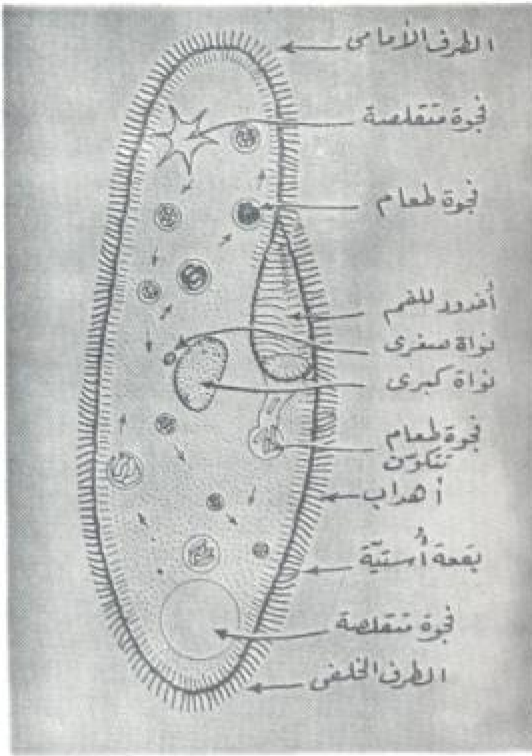
كل هذه أسس للوحدة بين الخلق واحدة .

ونصف الخلايا ذوات الأهداب

وقد كان في وصف الأميبة غناء عن وصف غيرها من الحيوانات الأولية ، ذوات الخلية الواحدة . ولكن في ذكر هذه توكيد لما سبق أن ذكرنا من خلاف كبير بين الانسان وهذه المخلوقات ، مع وحدة وثيقة بينهما في عمليات ، هي أصول الحياة ، واهداف هي أهدافها .

وفي الصورة المرفقة مثل للحيوان الهدبي ويسمى براميسيوم Paramecium ومعناها النعلي ، لشبهه بالنعل والشبشب . وهي اذن حيوانات تعرف بالنعليات .

ولا بأس عليك من الأسماء الافرنجية



هذا حيوان أوّلي ، ذو خلية واحدة ، من ذوات الأهداب ، وله شكل النعل . وترى الأهداب قصيرة في أطراف الصورة ، وهي تضرب الماء فيتحرك الحيوان . وهي عند الأخدود حيث يدخل الطعام تعمل على دفع الطعام في الأخدود ، فيدخل الطعام في الجسم فيصنع فجوة طعام يجرى فيها الهضم .

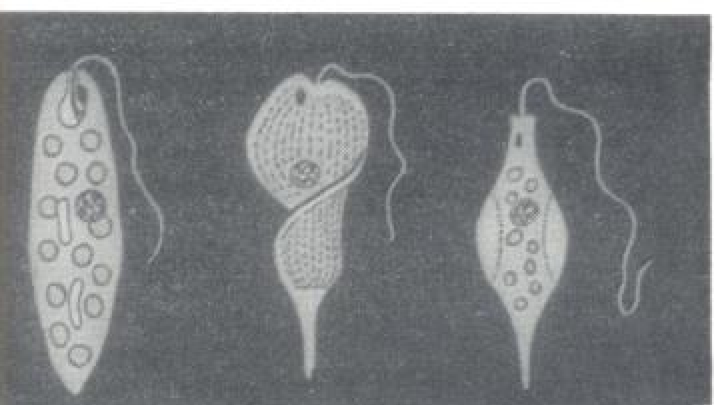
وغرابتها ، فهي أسماء علمية اتخذتها كل الأمم أسماء اصطلاح .

وترى في الصورة الأهداب حول جسم الحيوان الهدبي . ووظيفتها أنها تتحرك في الماء فتحرك الحيوان فيه . وبالصورة حزٌ أو اخدود يعرف بأخدود الفم . ومنه يلتقط الحيوان طعامه الذي يجده في الماء . وتتحرك الأهداب التي هناك فتجمع الغذاء وتقذف به الى داخل الاخدود ، الى ما يشبه الفم . والغذاء يدخل الجسم كتلة في فجوة يحدث فيها الهضم أشبه بالفجوة التي تحدث في الأميبة . انها المعدة . . وتدور الفجوة بغذائها في جسم الهدبي دورة ، ثم تعود الى أسفل الحيوان ليخرج منه عند بقعة وصفت في الرسم بأنها البقعة الاستية ، نسبة للاست .

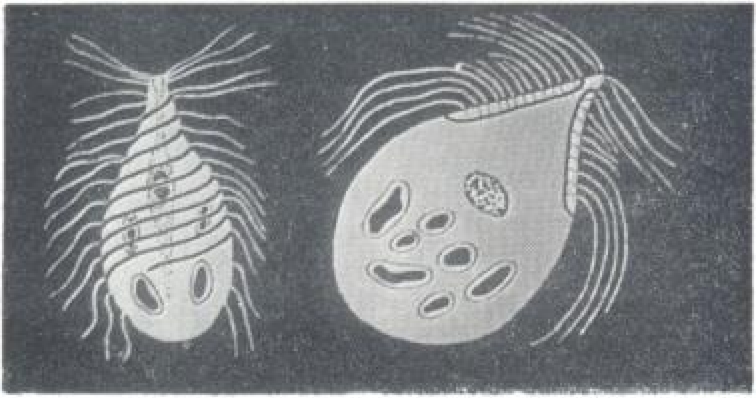
ومن لطيف ما يذكر أن هذا الحيوان وضعوا له موضع الغذاء صبغة عباد الشمس الحمراء ، فجرت فيه حيث يجرى الطعام في جهاز هضمه . ولوحظ أن الصبغة بدأت مسيرها حمراء ، ثم ازرقت ، ثم عادت في مسيرها حمراء مرة اخرى .

فما معنى هذا ؟

معناه ان عصارات هضم صنعها الحيوان ، كانت أحيانا حامضية ، واحيانا



أنواع من الحيوانات السوطية مكبرة من اليمين الى اليسار ٢٨٠ مرة ، و ٢٥٠ مرة و ١٠٠٠ مرة ، وهي خلية واحدة تضمنت شيئا من يخضور النباتات ، فهي لذلك لها عمل الحيوان والنبات معا . وبكل منها سوط تحركه هي في الماء وتتبعه حركة .



بعض من الحيوانات السوطية ، كثيرة الاسواط ، تيسر لها الحركة دورانا على محورها . وهى تعيش فى الجهاز الهضمى للنمل الأبيض ، ولغيره من الحشرات التى تأكل الخشب ولا تستطيع هضم ما به من سليولوز . فتقوم هذه الحيوانات السوطية بهضمه وتحويله الى سكر يتغذى هو منه وتتغذى الحشرة . انه نوع من التعاون على العيش لا يستغنى فيه احد الطرفين عن الآخر .

قلوية ، تماما كما يحدث فى جهاز هضم الانسان .

ثم الماء . جسم الانسان يتخلص من فائض مائه بالكليتين .

والحيوان ذو الهدب يتجمع فضل مائه فى فجوة ، لا تلبث بعد أن تمتلىء وتصل الى حالة الجسم فتنشق ليخرج منها خارج الجسم الماء .

وفى هذه الحيوانات زاد اتجاه الاجسام تحددا : فالفم تحدد موضعه ، وتحدد الطرف المستدير يفرض وجود الراس الراس لو انه كان . وكذا الطرف الأسفل من الجسم ، وهو أقل تحددا ، وهو حيث تخرج من الجسم فضلاته ، انسانا كان أو غير انسان .

ونصف الخلايا ذوات السياط

وثالث الثلاثة من الحيوانات الأولية Protozoa الحيوانات المعروفة باسم Flagellates أى ذوات الأسواط . والسوط هو ما نضرب به .

وهى حيوانات كسائر الحيوانات الأولية صغيرة، لابد من المجاهر لرؤيتها. وقطرها عادة يبلغ حول ٤٠ مكرونا ، والمكرون جزء من ألف من المليمتر .

وسياطها تستخدم لتحريك الجسم قدما . فان كان سوطان كان أحدهما غالبا للحركة والتقدم فى الماء ، والآخر للدوران بالجسم على محوره .

ونكتفى بهذا القدر خشية الاطالة ، ولكن بعد أن نقول ان وحدة الخلق بينة فى هذه الحيوانات ، بيانها فيما مضى من أميبات ومن حيوانات ذوات أهداب. الا أن هذه الحيوانات منها ما يجمع بين صفة الحيوان وصفة النبات. وهذا ربط طريف بين الخلقين ، الخلق الحيوانى، والخلق النباتى ، وما بينهما من أشباه، وما بينهما أيضا من وحدة .

مثـــل الكـوخ القصر

انه مثل يحضرنى دائما كلما ذكرت الوحدة بين الخلق . ذلك مثل الكـــوخ والقصر . فى كل منهما حياة ، تختلف فى ظواهرها كثيرا ، ولكنهما متشابهـــان متطابقان فى اصولهما . رجل القصـــر يجلس فى غرفة ، وينام فى غرفة ، ويأكل فى غرفة ، وقد يفطر فى غرفة ويتغـذى فى غرفة ، والشاى فى غرفة ، والعشـاء فىغرفة ، ورجل الكوخ له غرفة واحـدة للجلوس والنوم والطعـام وكل شىء . ورجل القصر يجلس الى المائدة فيجـد الملاعق ، ملعقة للحساء ، وملعقة للحلو ، وملعقة للشراب . وكذا السكاكين ، هذه سكين للحم ، وهذه للسمك ، وهـذه للحلوى ، وهذه للفاكهة . ورجل الكوخ ليس عنده غير ملعقة واحدة ، لعلها من خشب ، يستعملها للطبخ ، وللمائـدة . هذا اذا كان يجلس الى مائدة . والملابس عند صاحب القصر اصناف وأنواع ، ولكل مناسبة ملبس من طراز . وللنهار ملبس ، ولليل ملبس . ورجل الكوخ له ملبس واحد ، هو لليل والنهار ، ولكل مناسبة وغير مناسبة .

ومع هذا فالرجلان يجريان الحيـــاة عمليات واحدة ، اصولها واحدة .

وكذا الحيوان الانسان،وكذا الحيوان الأمبية واضرابها من بسائط الحيوان .

الانسان هو «رجل القصر». والأميبة هى « رجل الكوخ » . مظاهر العيش بينهما اختلفت اكبر اختلاف ، وبواطن العيش ، واسسه بقيت واحدة .

وقفة طارئة لربط حيوانات شعبة الأوليات اى ذوات الخلية الواحدة بأمراض الانسان

كثيرا ما يمرض الانسان ، وكثيرا ما يكون مرضه معديا ، ونتيجة لأن مكروبا غزا جسمه ، فاحدث فيه من الخلل ما احدث .

ونتحدث عن المكروبات Microbe وهو لفظ افرنجى ، معناه الكائن الحى الصغير .

وهو لفظ يتضمن البكتير Bacteria وهو صنوف عديدة لامراض عـديدة . فالسل سببه البكتير ، وذات الرئـة ، سببها البكتير ، والكلرة سببها البكتير . والبكتير من الأحياء الأولية ذات الخليـة الواحدة ، ولكنه نبات لا حيوان . وهو صغير غاية الصغر ، ولذلك فهو مكروب ايضا .

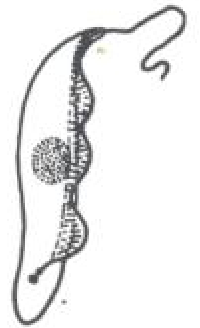
والمكروب يتضمن ايضا الفيروس ، وهو ايضا أصغر من البكتير عادة . ومن الأمراض التى يسببها مرض الجدرى ومرض شلل الأطفال .

وغير البكتير والفيروسات ،الحيوانات الأولية ذات الخلية الواحدة ، وتخرج منها حيوانات تسـبب الأمـراض ، فالدوسنطاريا الأميبية يسببها كما يدل اسمها نوع من الأميبة يغزو امعاءالانسان. والملاريا كذلك تسببها حيوانات أولية ، تدخل اولا فى جسم نوع مـن البعوض خاص من دم وبىء لمريض، ومن البعوض الى دم الضحية من انسان أو حيوان .

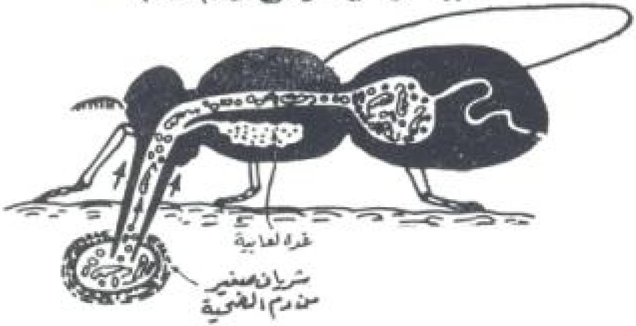
مرض النوم

وكالدوسنطاريا والملاريا ، المـرض المنتشر فى افريقية ، الذى اوقف دخول

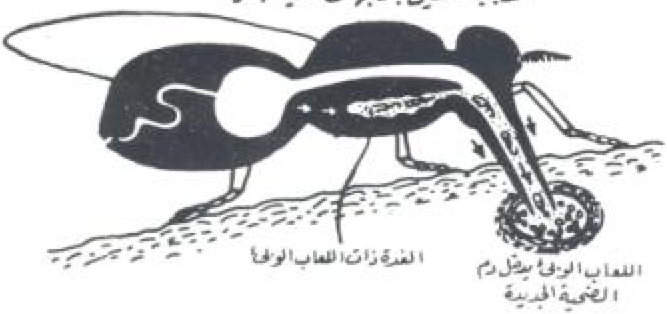
التريبانوسوم



ذبابة تسي تسي وهي تجرع من دم المصاب



الذبابة تسيل لعابها في ضحية جديدة



مرض النوم

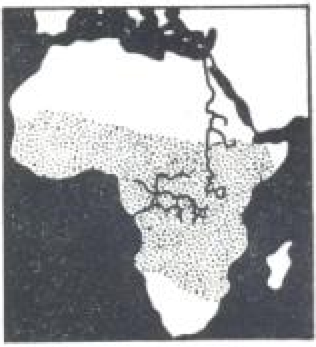
التريبنسوم ، وهو حيوان سوطي من الاوليات، مكبر في الصورة ٥٠٠ مرة . وله سوط ظاهر .
ويكون في دم جسم الرجل المريض بمرض النوم .
فتاتى ذبابة تسي تسي ، فتشرب من هذا الدم .
وتذهب الذبابة فتحط على جسم رجل سليم فتغزوه وتصب في دمه لعابها الوبيء بهذا الحيوان السوطي،
فينتقل بذلك المرض اليه .
ان هذا المرض موطنه اوسط افريقية وجنوبها .

الحضارات العصرية زمانا الى تلك القارة، انه مرض النوم Sleeping Sickness .

وهو مرض يسببه حيوان من الحيوانات الاولية ذات السياط ، ويعرف بالتريبنسوم Trypanosome وهو يدخل اولا الى جسم الذبابة التى تسمى تسى تسى Tse - Tse اذ تمتصه الذبابة من دم مريض بالداء اولا ، ثم هى تصبه بعد حين فى جسم انسان أو ماشية من بعد ذلك ، فينتقل اليه المرض . وفى الصور المرفقة بقية ايضاح . ●●

أحمد زكى

افريقيا
حيث ينتشر مرض النوم



أزمة الأديب العربي اليوم

بقلم : خليل هنداوي

■ بالرغم من كل الذين يدعون ان الادب في خير ، وأن الاديب في عافية ، تلوح في الافق بوادر لا تبشر للادب ، ولا للاديب بخير !

انا نسمع في كل مكان هذا الصوت :

ـ ان الادب في ازمة ، ان الاديب يعيش في ازمة، ان الناشر تحيق به ازمة .

ولا بد لنا ، اذا ، ان نصغى الى هذا الصوت، ان نتقرى هذا الصدى ، بدون ان نتخذ موقف المتفائل بسير الادب ، ولا موقف المتشائم مما يعانى الادب ! .

وفي الحق أن ـ هناك ـ ازمة،بل ازمة مخيفة. وأن ازمة الادب تنحدر من ازمة الاديب نفســه .

فهل ادبنا يتمتع بحرية القول كاملة ؟ وهل اديبنا يطمئن في نفسه الى اسباب حمايته ؟

الا ليت ازمة الاديب كانت واحدة ، اذا ، لهان الامر .. ولكنها أزمة تتفرع عنها ازمات ، وكل ازمة آخذة بخناق ثانية ، فلا يكاد يفلت من شباك واحدة ، حتى تتحداه ازمة ثانية اشد وثاقا !

فما هى حقيقة هذه الأزمات ؟ وهل يمكنها ان تختلف ، في جوهرها ، عن ازمة العصر نفسه ، الذى يكابد الآن ما لم يكابده عصر سابق ؟

أزمة الأديب .. أزمة رزق

ازمة الاديب ، قبل كل شيء ، أزمة في رزقه ، ومتى اضطرب رزق الاديب ، وضاقت عليه سبله، فكيف يستطيع أن يفكر بحرية وجلاء ؟

وهذا ـ فليكس فارس ـ الاديب الخطيب المترجم، يكتب لى ، يوم انتهى من ترجمة كتاب « هكذا تكلم زرادشت » للفيلسوف الالمانى « فيشته » بانه طبع الكتاب من مجموعة الوفر الذى ادخره في حياته كلها ، وقد اصيب بصدمة الاخفاق ، حين راى كتابه كاسدا في الاسواق ، ويقول بالعبارة الصريحة :

« ان الادب العربي سيظل مدينا لى بهذا المبلغ الذى اقتطعته عن نفسي وأهلى لنشر الكتاب » .

وكانه انتظر ، ولا يزال ينتظر ، في لحده ، من يرد عليه هذ، الدين .

ومتى استكان الاديب ، وخضع لازمة العيش ، كان حساب ذلك على حريته نفسها . والحرية هي من مستلزمات الادب الصحيح الذي يؤمن برسالته !

وكثير هم الذين يخضعون لسلطان الرزق ، ويخونون قضية الحرية ، وقليل هم ــ وأقل من قليل ــ من يبقى ايمانهم بالحرية راسخا ، ولو تقضقضت عظامهم ، وذابت جسومهم من الجوع .

ولكن .. الى متى يبقى هذا الصمود ؟

الحقيقة لها وجهان

لماذا نحاول ألا نفهم الامور الا من جانب واحد هو جانبنا ، ولماذا لا نحترم رأى الغير فيما يراه ؟ انفعل ذلك اشفاقا على الحقيقة ؟ والحقيقة لها وجهان ، وجه سرمدى لا يزول ولا يتحول ، وهو وجه الحق الذى تجتمع عليه الاهواء والمشارب ، هو وجه الايمان بهذا الانسان .. ووجه يتبدل تبعا لتبدل المذاهب والقضايا السياسية والاجتماعية ، ومن الخطا ان نعتمد هذا الوجه وحده ، ونحاول ان نفرضه على الآخرين ، ما دام قابلا للتغيير والتطور ، وما دام الذى يصلح منه اليوم قد لا يصلح غدا ، وكم حقيقة في هذا المجال ظنها الناس حقيقة الحقائق ، فاذا هى قبض الريح !

والاديب ، ايضا ، في ازمة مع قرائه .. هؤلاء القراء الذين تنوعت امزجتهم ، وتباينت اهواؤهم ، وتباعدت عقائدهم ، وتنافرت مذاهبهم في الحياة ، فاصبح الاديب ــ امام هذه الامزجة ــ موزعا ، لا يدرى ، من يرضي ، ومن يسخط . فاذا خاض في مشاكل عصره الخاصة قال بعضهم :

« انهذا الاديب ابتعد عن محراب الادب الصحيح الذى يتسامى عادة فوق هذه المشاكل ، وقيد نفسه بمشاكل عصره الضيقة ، وقضى على نفسه وادبه بالنسبة الى العصور الآتية » .

واذا تنكب مشاكل عصره اتهموه بالخيانة ، وتجمد الاحساس ، واطلقوا عليه « أديب البرج العاجى » .

وما أهون عليهم أن ينعتوه مرة بالاديب الرجعى ، ومرة بالاديب الذاتى ، ومرة بالاديب التقدمى !

وقد تعاموا عن أن الاديب هو ابن انفعالاته التى تنبع حينا من موقف ذاتى ، وحينا من مشهد جماعى .. والحكم الصحيح المجرد هو أن يكون الاديب ، في هذه الانفعالات ، صادقا مع نفسه ، ناقلا عن شعوره ! .

والاديب قد يتاثر لموت حيوان ، كما يتأثر لمصرع انسان ، ويتالم لكارثة الغريب عنه ، كما يتالم بكارثة القريب منه !

أمزجة القراء

وللقراء ، بعد ذلك ، امزجة خاصة ، تعود تربيتها الى تاثرها بنوع خاص من انواع الادب ، فمنهم من تستهويه الابعاد السياسية والاجتماعية ومنهم من تجذبه العلاقات الجنسية ، ومنهم من يؤثر البقاء على قدسية القديم ، ومنهم من يحبذ التمرد على المفاهيم القديمة .

وبذلك ، يذهب الاديب ضحية هذه الاهواء المتباينة ، فاذا كان من اصحاب رسالة خاصة ، لم يهتم بكل ما يثار حوله من غبار ، ولم يبال ، أراج أدبه ، أم لم يكتب له الرواج . واذا كان من اصحاب الكسب سخر أدبه لممالاة الجمهور ، وطلع عليه بما يؤمن ، وما لا يؤمن به .

وهنا تتفجر ازمة الاديب في تمزقه الداخلى سواء ، ذلك الاديب المؤمن برسالة ، والاديب الممالىء ، لان الممالاة نفسها لا تصل بصاحبها الا الى التمزق الداخلى الذى يجعل منه ذا شخصيتين متنافرتين ، ولن يكون الضحية ، في هذه المرحلة ، الا الادب نفسه .

لان الاديب الذى يؤمن برسالة ما ، لا يهمه أن تصل به هذه الرسالة الى تقدير القراء ، أم تقطع ما بينه وبينهم ، ما دام مقتنعا برسالته ، راضيا عن منهجه ، لان له من ضميره ما يقنعه بان العصر الذى ينكره اليوم سيعرفه غدا . وكم من فقاقيع كتب لها الظهور والبريق في حاضرها ، ثم غابت وتوارت الى الابد !

بينما الاديب الذى يتخذ رسالة الادب وسيله الى الظهور والربح باكتسابه القراء السذج لا يستطيع ان يحظى الا بوردة تتفتح في الصباح ، وتذبل في المساء . اما اكليل الغار الذى لا يذبل فهو نصيب الاديب الذى يؤمن برسالة ، ويحيا هذه الرسالة ، ويعزف عن اعجاب زائف لا يلبث ان يموت بموت المشاكل الحاضرة !

وهنالك ازمة الاديب بين الحرية والالتزام ،

هذه الازمة التى يعانيها ادب العصر في كل مكان ، بين الحرية التى هى اسمى ما يعتز به الانسان ، وانمن ما تتحلى به الانسانية ، وهل كان كفاح الفكر وارباب الفكر ، في مراحل تاريخ التطور الانسانى ، الا من اجل الحفاظ على هذه الحرية ؟ واى معنى للفكر والادب اذا تجرد من الحرية ؟ وبين الالتزام الذى يفرض على الاديب أن يلائم عصره في حاجاته ، وان يتصدى لابرز المشاكل ، ويتحداها ، ولا يفر منها ، باعتبار ان الاديب لم يعد يقنع « بأن يكتب كما يريد » وبأن القارىء يقرأ حين يريد.ولكى يكون كاتبا لا يكفيه ان يلاحظ الحياة بصورة مجردة ، موضوعية ، بدون ان يتخذ موقفا ما منها .

رسالة الأدب الحقيقى

ومن يتأمل في هذين المذهبين المتناقضين ظاهرا، لا يجد اى تناقض في جوهرهما ، لان رسالة الادب الحقيقى هى الانتماء الى المثل العليا التى تتمثل في الحق والخير والحرية والجمال . والادباء الاحرار ، والادباء الملتزمون يتلاقون في هذه الغاية ، وان لم يتحالفوا على اللقاء عندها .

ولكن هذا اللقاء ينبغى ان يكون نابعا من ضمير الاديب ، لا مفروضا عليه من الخارج . وان من لم تحركه مآسي عصره ، كما تحركه مأساة نفسه ، ومن لم تشغله مصاير الانسانية كما يشغله مصير قومه ، ومن لم يكن حريصا على نقل ما يتغلغل في اعماق ذاته ، على مستوى حرصه على نقل الصور والالواح التى تترامى على مد بصره وخياله ، لا يستطيع ان يكون جديرا بالرسالة التى يحملها ، وان كان هنالك فضل فانما يعود الى ان تكتشف النفس بحقيقتها على العالم الذى يحيا فيه !

والاديب الحق يدافع عن الحريات بدون ان يكون ملتزما ! ويكافح العبوديات تحت اى مظهر كان ، بدون ان يكون ملتزما .

ولا شفاعة ، هنالك ولا تبرير لمن يخون قضية الانسانية والحرية ، لان الحرية في الفن لا تتنكر للحرية في الانسان .

وهنالك ازمة اخرى ربما كانت اخطر الازمات التى يعانيها ادبنا .. هى ازمة تقليد الازياء الادبية الغربية .

ولا شك ان اتصالنا بالاداب الغربية فتح لنا آفاقا جديدة كانت مسدودة علينا ، ومن ذلك افق القصة ، والقصة كانت عندنا حكاية للسرد والتسلية ، فاصبحت اليوم فنا له خطره ، بما له من سيطرة على النفوس والاهواء ، وأفق المسرحية كانت معدومة في ادبنا ، فاقتبسناها من الغرب ، وحاولنا اللحاق به في المسرحية النثرية والشعرية ، وافق المقالة التى هى اقرب الفنون في وصولها الى جمهرة الناس .

الغاية تبقى ابداً

والشعر ذاته ، الذى هو اغنى الفنون في ادبنا ، لم يسلم من هذه الزعازع التى هبت عليه .

ولكن ما نشكوه هو أننا اسرفنا في تقليد الازياء الغربيةحتىابتعدنا عنأزيائنا وتنكرنا لشخصيتنا، وخرجنا من جلودنا . فبتنا نتساءل ــ أمام الكثير من هذه النماذج الشعرية ــ هل نقرأ شعرا حقا ؟ أم نقرأ غمغمات مبهمة ، وعلينا انْنفسرها ؟

والأنكى من ذلك كله ان اكثر ما نقرأه صور ممسوخة عن صور غربية ، لها ما يبررها فيأرضها ومجتمعها . ولو أن اصحابها طرحوها عن طريق الترجمة لكان ذلك اصدق في التعبير عنها .

من خلال هذه الازمات كلها ، يعيش ادبنا في فوضى ، ويحيا ادباؤنا في دوامة رهيبة ، تتقاذفهم ذات اليمين وذات الشمال .

ولكن ، هل هذا كله يدل على حياة او انتهاء ؟

لا نريد أن نكون متشائمين ، لأن الارض قد تتزلزل ، والمدائن والقرى قد تغور ، والدور قد تتهدم ، ولكن كل شيء يبقى على سطحها ، ليكون الحطام لبنة جديدة في بناء جديد .

وكذلك الامر في الفكر والادب ، فانهما يعانيان الكثير من الشدائد ، ويقاسيان التحولات الكثيرة، ولكن غايتهما المجردة في رفع قيمة الانسان تبقى ابدا ، وقد يبتعدان عنها ، ثم لا يلبثان أن يعودا اليها . « واما الزبد فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض » .

ولكن المهم في الامر ان نستيقظ سريعا ، وأن نصل الى الحقيقة ، بدون أن نلف ونـدور في المتاهات الخالية ، بعيدا عنها . ■■

خليل الهنداوى

نتيجة مسابقة العدد ١٥٦

الأسئلة العلمية أعسر على القارئ من سواها

■ قامت مسابقة العدد ١٥٦ على أسئلة فى العلم بحتة ، وكان من الطبيعى ان تكثر الأخطاء نظرا لأن الجمهور لم يعتد مثل هذه الأسئلة ، فهم يحبذون الأسئلة السهلة الميسرة ، اما التى تحتاج الى بحث واعمال فكر فانهم يهربون منها، وهذا راجع الى عدم عناية العربى بالعلم الطبيعى الذى يلعب اليوم دوره الهام فى حياة الأمم والشعوب قاطبة .

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة، ثم اسماء من حالفهم التوفيق بالفوز بالمسابقة .

١ ـ القطن : نباتى

الصوف : حيوانى

الحرير الطبيعى حيوانى

النيلون : كيماوى صناعى

٢ ـ المعدن هو : النحاس

٣ ـ المصدر الرخيص هو لباب الخشب ، وهو من السليولوز .

المصدر الغالى هو القطن واشباهه وهو سليولوز انقى واطول ليفة .

٤ ـ سرعة الارض هى : ١٨٫٩ ميلا فى الثانية .

٥ ـ جاء فى هذا السؤال ان المطلوب معرفة اى الاشياء المذكورة ميكروب وايهما فيروس او بلفظ آخر ايها فيروس وايها احد هذه الأنواع الآتية ، وهى البكتريا والحيوانات الاولية ، وجاز أن نضيف الى هذين النوعين الاخيرين الفيروس ، واعتباره شيئا به حياة ، وهو ميكروب صغير . فيكون الجواب أن كل الأحياء المذكورة مكروبات وأن من بينها داء الكلب ، وهو وحده الفيروس .

٦ ـ الجزء الأكبر الذى يقوم بعملية الهضم والامتصاص هو المعا الدقيق .

٧ ـ ال د. د. ت. مادة عضوية بنزينية هى نتيجة تفاعل كيماوى ، يقوم بين البنزين وحامض الأزوتيك .

٨ ـ جوف الارض مكون من حديد مصهور .

٩ ـ غير الخالص هو النحاس الاصفر والمعدن الآخر هو الخارصين .

١٠ـ الاناء يحتوى على ١٤٫٢ لتر ماء .

الفائزون بالجوائز

* **الجائزة الاولى** وقيمتها ـ/٣٠ دينارا فاز بها : **يوسف عمر جميل** ـ مدنى ـ السودان .
* **الجائزة الثانية** وقيمتها ـ/٢٠ دينارا فاز بها : **سليمان محمد الصانع** ـ جامعة الرياض / السعودية .
* **الجائزة الثالثة** وقيمتها ـ/١٠ دنانير فاز بها : **وحيد حسن علي**ـ جمهورية اليمن الديمقراطية .

٨ جوائز قيمتها ـ/٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها :

١ ـ **جاسم محمد الحميدى** / الكويت .

٢ ـ **جعفر كاظم العامرى** ـ بغداد/العراق .

٣ ـ **غانم اديب صعب** ـ بيروت/لبنان .

٤ ـ **محمد عادل محمود اسماعيل** ـ القاهرة / مصر .

٥ ـ **فاضل رجب باشا** ـ حلب/سوريا .

٦ ـ **عوض علي درويش ابو العمرين** ـ المنامة / البحرين

٧ ـ **يوسف سلامة حسين النجار**ـ اربد/الاردن.

٨ ـ **عباس عبد الله السواحلى** ـ أم درمان / السودان .

وسترسل الجوائز الى اصحابها . ■■



صور من النجاح

جاءت من بعد يأس

بقلم : منير نصيف

■ النجاح كلمة حلوة، لذيذة، يتسابق الناس على الفوز بها والالتفاف حولها .

فكل واحد منا يريد ان يكون انسانا ناجحا فى حياته .. ونحن نتعلم ونقضى العديد من سنوات عمرنا فى الدرس والتحصيل من اجل تحقيق هذه الامنية .

ولكن النجاح فى الدراسة شيء ، والنجاح فى الحياة العملية شيء آخر .

فقد ينجح المرء فى كل مراحل حياته الدراسية ، حتى اذا ما دخل معترك الحياة العملية ، وجدناه لم يحقق من النجاح الذى يصبو اليه الا القدر اليسير، وربما لم يحقق منه شيئا على الاطلاق !

والحياة من حولنا مليئة بامثال هؤلاء ..

الرجل الذى يقول : « لا اننى لم اخلق لهذه الوظيفة ! » بعد أن يكون قد قضى سنوات طويلة من عمره يؤدى عمله هذا الذى لم يخلق له !

او الشاب الذى تخرج لتوه فى الجامعة وراح يبحث عن عمل ، حتى اذا وجد وظيفة خالية سارع بالتقدم اليها ، فاذا به يكتشف بعد ان يلتحق بها ان طبيعة عمله الجديد لا تتلاءم مع ميوله واتجاهاته .

او المرأة التى تزوجت ، ثم اكتشفت بعد اشهر قليلة من الزواج ، مدى الخطأ الكبير الذى ارتكبته هى فى حق نفسها ، او ارتكبه والداها فى حقها باختيارها لهذا الرجل الذى اصبح زوجا لها !!

مدرسة الحياة



لماذا فشل كل هؤلاء ؟ لماذا تعثرت اقدامهم وهم يلجون ابواب المدرسة الكبرى ، مدرسة الحياة ؟

لقد شبه الكاتب الفيلسوف الكبير ايمرسون Emerson ، النجاح ، بعصفور صغير ، لا يقوى على الطير وقد استقر فى عشه فوق جذع شجرة عالية يحيط بها سور كبير من كل اتجاه . اما نحن فقد وقفنا كلنا خارج هذا السور .. اننا جميعا نريد العصفور .. ولكن كيف السبيل فى الوصول اليه .

« البعض يقف وراء السور وينتظر خروج العصفور الصغير من عشه ، ليطير اليه ويقع بين

يديه .: ولكن العصفور لا يقوى على الطير ، وقد يطول به الانتظار ، ثم من يدري ، فقد يقع بين يدي غيره من المنتظرين .

« أما البعض الآخر ، فلم يقف ، ولم ينتظر وانما راح يطوف حول هذه الاسوار العالية ، وراح يفكر في أسرع وافضل وسيلة يتسلق بها السور ، لكي يصل الى العصفور ، قبل ان تسبقه اليه يد اخرى ! »

الرجل الفاشل .. والرجل الناجح

وهذا هو الفرق بين الرجل الفاشل ، والرجل الناجح .. الاول يقف متفرجا ، وكانه يريد من النجاح ان يسعى اليه سعيا .. والثاني يفكر ويبحث ويسعى ، ويبذل في سبيل ذلك كل ما يملك من جهد لتحقيق النجاح الذي ينشده ويصبو اليه.

يقول برنارد هالدين Bernard Haldane في كتابه « كيف تجعل من النجاح عادة » How to make A Habit of Success : « ان فرص النجاح متاحة لكل واحد منا ، اذا عرف كيف يكتشف نفسه ، والبحث عن النفس ليس بمشكلة ، كما يتصور البعض منا ، ولو اننا استطعنا ان نخصص من وقتنا بضع ساعات يوميا نخلو فيها الى انفسنا ، لنبحث عما في داخل رؤوسنا من افكار ، لاستطعنا بمجهود بسيط ان نضع اقدامنا على بداية الطريق الذي يوصلنا الى ما نتطلع اليه من نجاح في حياتنا .

البحث عن النفس

« ان اول ما تتطلبه عملية البحث عن النفس ، هو دراسة دقيقة لما حققه المرء من انجازات ، وكذلك دراسة الامكانيات والقدرة التي يتمتع بها والتي مكنته من تحقيق هذه الانجازات .. » .

ويمضي الكاتب بعد ذلك في تعريف هذه الانجازات ، فيقول : «الانجاز عمل ، شعرت بمتعة وانت تقوم به ، ثم جعلك تحس في نهاية الامر ، بعد ان اتممته على الوجه الاكمل ، بشعور من الزهو والفخار .. انه العمل الذي يثير مشاعرك ، ويهز كيانك هزا ، وتشعر معه بانك قد قفزت الى الامام خطوة وربما خطوات ، حتى وددت لو انك قمت بأعمال كثيرة مثله وعلى غراره . هذا



هو الانجاز . وما اكثر الانجازات التى يحققها المرء خلال مراحل حياته المختلفة » .

ويقول هالدين : « ولكن هناك شيئا هاما يجب الا يغيب عن اذهاننا ونحن نحصي انجازاتنا ونعود الى ما قمنا به من اعمال ناجحة خلال سنى حياتنا القريبة او البعيدة . يجب الا نهتم اطلاقا بالمرحلة التى حققنا فيها هذا الانجاز ،كما يجب الا نهتم كثيرا برأى الناس فيه ، فقد تكون بعض هذه الانجازات قد حدثت في سن مبكرة ايام الطفولة او الصبا ، وقد لا يرى فيها الناس ، اكثر من مجرد اعمال « صبيانية » لا تمت الى واقع حياتنا بصلة . المهم الا نتأثر بما يقوله الناس فيها ، وانما المهم هو رأينا نحن في هذا الذى حققناه وانجزناه . لاننا اذا التزمنا بهذه القاعدة ، فسوف نبدأ في اكتشاف هذا المخلوق الغريب الذى يكمن في داخلنا ، سوف نكتشف انفسنا » .

محام فاشل

ويروى هالدين بعد هذا قصة رجل جاوز الثالثة والاربعين من عمره ، جاءه يوما يقول : « درست القانون ، وانا اعمل اليوم محاميا ، ولكننى اشعر بعد مرور خمسة عشر عاما على ممارستى لهذه المهنة ، اننى لم احقق النجاح الذى كنت انطلع اليه وانا طالب في كلية الحقوق، لم اكمل تعليمى بعد ! »

وقال هالدين : « وقلت للرجل،عد الى سنوات طفولتك وصباك ، حاول ان تتذكر عملا ، اى عمل قمت به وشعرت بلذة ومتعة وانت تؤديه.الم يكن لك اى ميول او اتجاهات اخرى في اى مجال ؟ » .

وجلس الرجل صامتا يفكر فترة طويلة ، وفي النهاية بدأ يتكلم وكأنه تذكر شيئا .. وبدأ يروى قصته ، قال : « لقد كان والدى يمتلك بندقية صيد كبيرة .. وكان قد كف عن ممارسة هواية الصيد لفترة طويلة ، ثم قرر فجأة ان يعود اليها، وبحث عن بندقيته ، فلما وجدها ، كان الصدأ قد علاها ، واصبحت غير صالحة للاستعمال فما كان منه الا ان القى بها جانبا ، وقرر العدول عن الخروج مع رفاقه للصيد !

فخر وزهو

« وكنت يومها صبيا لم اتجاوز الثالثة عشرة من عمرى ، وكنت احب والدى ، وما كدت اراه يعود الى مقعده ويشعل الغليون بين شفتيه ، ويجلس في ملل يرقب النار المشتعلة في المدفأة ، حتى شعرت بالاسف من اجله !

« وعدت الى البندقية وحملتها في هدوء الى غرفتى ، ثم اغلقت الباب علىّ ، بعد أن قررت بينى وبين نفسي ، ان افعل كل ما في وسعى لاعيدها الى ما كانت عليه . وفي اهتمام شديد رحت افك اجزاءها ، قطعة بعد قطعة ، ثم نظفتها، وازلت الصدأ الذى كان يكسوها ، واعدتها الى ما كانت عليه . اننى لا استطيع ان انسى ذراعى والدى القويين وهما يرفعاننى في الهواء ليهبطا بى مرة اخرى وهو يصيح : « فليبـــاركك الله يا بنى » . عندما عدت اليه ببندقيته صالحة للاستعمال مرة اخرى .. لقد احسست يومها بفخر وزهو لا يعادلهما شيء في الدنيا. لقد نفحنى والدى يومها جنيها مكافأة لى » .

خطـأ الوالدين

ويقول هالدين في كتابه : « وعدت اسأل صاحبى هل قمت باعمال مماثلة بعد ذلك ، هل اعدت محاولتك لاصلاح شيء خرب في البيت ؟ » .

قال : « نعم ، فعلت ، لقد اصلحت ماكينة الحياكة التى تملكها امى،واعدت التيار الكهربائي بعد أن قطع مرتين عن البيت ، واصلحت دراجة اختى الصغيرة،وفي كل مرة كنت اجد متعة ، وانا اقوم بهذه الاعمال » .

وقلت للرجل اخيرا : « ان مكانك يا صديقى في مصنع كبير ، لا في مكتب المحاماة ! » .

– ولكننى درست القانون ، لان والدى اراد لى هذا الطريق !

– ولماذا لا تدرس الهندسة ؟

– ان اعود طالبا بعد ان جاوزت الاربعين ؟!

– بالضبط .. التحق بكلية الهندسة وتعلم ، فقد خلقت لتكون مهندسا ! .

مهندس شهير

هذا المحامى الفاشل اصبح واحدا من اشهر مهندسي بريطانيا بعد انجاوز الخمسين من عمره.

يا له من مستودع للمواهب ، لم تمسسه يد ، ذلك الذى كان يختفى داخل هذا الرجل الذى تصور في لحظة من لحظات حياته ، ان الفشل هو كل نصيبه من هذه الحياة .

قصة زوجة ناجحة

كتبت جين اوستن Jane Austin ، الكاتبة الانجليزية الشهيرة تصف « اجمل » امراة التقت بها في حياتها ، قالت : « كانت امراة في التسعين من عمرها ، قوية ممتلئة بالحياة ، رغم تلك السنوات الطويلة التي تركت اثرها واضحا على وجهها النحيل . كان اسمها « كريس » ، وكانت اجمل واعظم سيدة عرفتها .. لقيتها يوما في احدى رحلاتي ، وجلست كريس تروى لي قصتها قالت : « كنت في السادسة عشرة من عمرى ، عندما تقدم شاب وسيم الى والدى يطلب يدى ، ولم تنقض سوى اشهر معدودة حتى كنا نحتفل بزواجنا .. وفي اليوم التالي كنت اركب البحر بجوار زوجي ، فقد كان يعمل قبطانا .. وطالت بنا الرحلة حتى استقر بنا المقام اخيرا في احدى الجزر النائية في المحيط الهادى . وهناك علمت انني لن اعود الى بلدى ابدا .. ولن يقدر لى ان ارى والدى واخوتى مرة اخرى .. لقد قرر زوجي ان يترك البحر ، ويشترى ارضا يزرعها ، وبيتا صغيرا نعيش فيه وسط المزرعة ..

انطواء .. وتفتح

« واستبد بى يأس قاتل ، وانا ارى نفسي وحدى وسط هذه الجزيرة التي لا اعرف عنها شيئا حتى لغة أهلها .. ورحت العن اليوم الذى رضي فيه والداى بهذا الرجل زوجا لي .

« وانطويت على نفسي ، اغلقت باب بيتى ولم ابرحه اسابيع طويلة .. ولكننى سرعان ما بدأت امل حياة الوحدة هذه التى اخترتها لنفسي ، ففتحت النوافذ والابواب وخرجت .. والتقيت بالناس ، وبدات اتعلم لغتهم ، وزرعت الارض وحصدتها ، ولم تكد تمضي بضع سنوات حتى بدانا نجنى ثمار تعبنا ، ونجح زوجى في حياته الجديدة ، وانجبت له ستة اولاد .

« وتعلمت اشياء كثيرة اخرى ، تعلمت كيف اطلق النار واصيب الذئاب الجائعة التى كانت تهاجم حيواناتنا ، وتعلمت الطهى فكنت اعد طعام الغداء لزوجي واطفالي وثلاثين عاملا يشتغلون معه في المزرعة ... » .

هذا بلدي ووطني

وتمضى الكاتبة الكبيرة في رواية قصتها، فتقول:

وسألت كريس : « الا تنوين العودة الى بلادك . الى انجلترا » فقالت وابتسامة حلوة تملأ وجهها : « تعالى معى » . وقادتنى الى بيت كبير يعيش فيه ستة رجال اشداء مع زوجاتهم وابنائهم العشرين .. قالت وهى تشير اليهم : « هؤلاء هم ابنائي واحفادى ! » .

« ونظرت الى الاحفاد فوجدتهم قد جاوزوا سن الشباب ، وقد تزوج غالبيتهم من اهل الجزيرة ، وبقى البعض منهم بلا زواج ! » .

قالت كريس : « هؤلاء هم اهلى .. وهذا هو بيتى ، وتلك هي ارضي ووطني » .

كانت كريس امراة لم تنل من التعليم الا النذر اليسير، ولكنها استطاعت ان تعلم نفسها بنفسها، يدفعها في ذلك حبها لزوجها واولادها ، الذين كانت لهم اما ومعلمة ومربية ! لقد كانت امراة عظيمة ! » .

مقومات النجاح

يقول هالدين في كتابه : ان من اهم مقومات النجاح ، الا يستسلم المرء لليأس ابدا ، اذا ما تأكد من انه قد وجد نفسه .

لقد كان سير وليام هرسكيل Sir William Herschel (١٧٩٢ — ١٨٧١) الذى لقب بأبى الفلك الحديث ، قبل ان يبدأ في صنع اول واعظم تلسكوب عرفه العالم ، عاملا يقوم بتنظيف وتلميع المرايا والعدسات الدقيقة . ولكنه كان يجد متعة في هذا العمل البسيط !

وعندما بدأ محاولاته التى استغرقت شهورا طويلة لانتاج هذا المنظار المقرب ، وقف في النهاية يحصيها ، فوجد انه قام بأكثر من مائتي محاولة فاشلة ، قبل ان يحقق هذا النصر الكبير .

وعندما شرع مؤلف فرنسا الشهير جوستاف فلوبير Gustav Flaubert (١٨٢١ — ١٨٨٠) في كتابة قصته الخالدة « مدام بوفارى » ، لم يكن يتصور انه سيقضى عشر سنوات كاملة من عمره، قبل ان تخرج هذه القصة الى النور !

« فليس المهم متى يجيء النجاح ، ولكن المهم ان يجيء هذا النجاح ويتحقق .. وليس هناك حدود لهذا النجاح ، اذا اكتشف المرء قدرته واستخدم هذه القدرة ، ولم يدع لليأس طريقا يتسلل منه الى قلبه » . ■■

منير نصيف



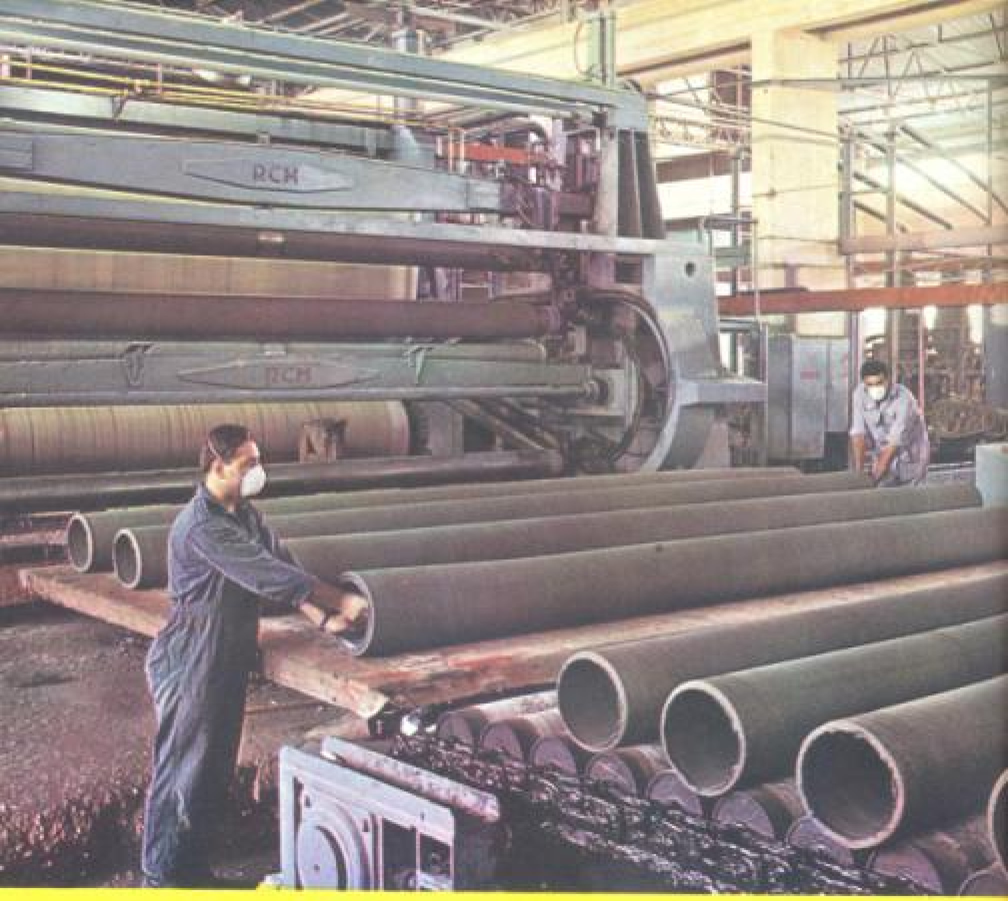


الى اليسار : في عام ١٩٧٠ بلغ عدد العاملين في القطاع الصناعي بالكويت ١٥ الف عامل . وارتفع اجمالي الانتاج الصناعي الى ٣٧ مليون دينار . محققا زيادة سنوية قدرها ٧٪ ... ومشاريع السنوات الخمس القادمة تهدف الى مضاعفة حجم الصناعة القائمة. وفي الصورة نشهد جانبا من مصنع انابيب الاسبست الذى يغطي انتاجه حاجة السوق المحلي ، ويصدر الباقي الى مختلف البلاد .

« ان الامة التي صمدت في وجه العديد من التحديات عبر تاريخها الطويل ، لن تعجز عن التغلب على محنتها الحالية واستعادة حقوقها وتحرير ارضها .. »
كلمات قالها صاحب السمو امير الكويت الشيخ صباح السالم الصباح عند افتتاحه الدورة الجديدة لمجلس الامة . وترى سموه في الصورة والى يمينه ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد الصباح .



١١ جهازا الكترونيا حاسبا تعمل حاليا في الكويت ، تستخدم في اعداد الاحصائيات الحيوية والحسابات ، المعقدة المتشعبة .. ويتوقع ارتفاع عدد هذه الحسابات الى ٧٠ حاسبة خلال السنوات الخمس القادمة



الكويت الحديثة

لمحات في صور وكلمات

- متى يصبح عدد سكان الكويت مليوني نسمة .
- ماذا بعد النفط ؟
- مولود كويتي جديد كل نصف ساعة .
- مجتمع في دور الولادة .

استطلاع
سليم زبال

تصوير
أوسكار متري

■ ١٣ عاما و « العربي » تصدر بانتظام في مطلع كل شهر ..

١٣ عاما و « العربي » تعكس صور التطور الذي واجه به شعب الكويت التحديات والصعوبات التي كانت تعوق مسيرته نحو حياة افضل ..

١٣ عاما قدمت خلالها «العربي» ١٦٠ استطلاعا عن كل جديد حديث في الكويت، استطلاعات اصبحت مرجعا شاملا عن نهضة هذا البلد العربي .

لقد مزقت الكويت ثوب العزلة الذي كان يفرضه عليها موقعها الجغرافي في اقصى الطرف الشرقي من وطننا العربي الكبير .. واستطاعت تحويل هذا الموقع النائي الى مصدر اشعاع ولقاءات واجتماعات ومؤتمرات عربية متتالية ، بما افاض الله عليها من نعم ، حتى اصبحت الكويت طاقة ايجابية فعالة من طاقات العرب ..

وهذه المكانة التي تبوأتها الكويت ، لم تأتها عفوا ، وانما كانت نتيجة تعب وعرق .. وفشل ونجاح .. وكبوات وانتفاضات . وتخطيط مع الاستفادة من الاخطاء ..

معالم ثابتة لطريق المستقبل

لقد اصبح الكويتي لا يشعر بكثير من الرضا وهو يقرأ المبالغات الرخيصة التي تكتب عن بلاده، فهو يشعر ان المرحلة التي قطعها لا تمثل اكثر من خطوات في بداية الطريق الصحيح لنهضته الحقيقية ..



أحمد الدعيج
مدير مجلس التخطيط

وجلسنا الى مدير مجلس التخطيط نسأله عن السياسات التي يجرى التخطيط لها في مجلس التخطيط ، فاجاب قائلا :

« .. ان ٢٠٨ من الخبراء والموظفين يقومون حاليا بعمليات تخطيط شاملة لوضع معالم ثابتة لسياساتنا الرئيسية التي لا بد من اتخاذ مواقف محددة ثابتة بالنسبة لها ..

« ومن هذه السياسات التي نخطط لها : السياسة الاقتصادية وما يتفرع عنها من سياسة مشاركة الحكومة للقطاع الخاص في عمليات الانتاج .. وسياسة التصنيع .. وسياسة العمران .. والسياسة الاجتماعية وما يدخل فيها من مواضيع مثل الضمان الاجتماعي الشامل ، وتخطيط لقوى اليد العاملة ، وفحص لسياسة التعليم الحالية ونتائجها . وهل هناك ضرورة لتغيير بعض معالمها او كلها ..

متى يصل عدد السكان الى مليونين

ويتابع الاستاذ احمد الدعيج اجابته قائلا :

« كما ان مجلس التخطيط يقوم حاليا بوضع سياسة ثابتة لسياسة سكانية تأخذ بعين الاعتبار الوضع السكاني الفريد في الكويت ، وتحسب احتمالات المستقبل واحتياج البلاد من القوى العاملة المتدربة ..

« ان وضع سياسة سكانية ثابتة هو الاسلوب الذي سيحدد متى يمكن ان يصل عدد سكان الكويت الى مليونين او اكثر او اقل .. لان السياسة السكانية سوف تحدد ما اذا كان في النية امكان اعطاء الجنسية لاعداد من غير الكويتيين .. وسوف تحدد كذلك النسبة المئوية التي سيسمح لها ـ أو لا يسمح لها ـ بدخول البلاد ، كقوى عاملة ، كما ستحدد نوع العلاقة بين المستوطن من غير الكويتيين وبين البلاد .. وقد تأخذ العلاقات شكل اقامات دائمة تمنح للبعض ، كالنظام المتبع في الولايات المتحدة ، بحيث يتمتع صاحب الاقامة الدائمة بجميع المزايا والحقوق التي يتمتع بها المواطن ، ما عدا الحقوق السياسية المحصورة في المواطن فقط ..

« وقد انتهت اللجنة السكانية من اقرار توصياتها ، ورفعتها الى مجلس التخطيط المؤلف من ستة وزراء برئاسة سمو ولي العهد ، و ١٠ من رجال البلاد ، وعقد هذا المجلس عدة جلسات



« لا مكان لمرأة متخلفة في مجتمع ناهض .. ولا رقي لمجتمع او نهضة الا على اكتاف رجاله ونسائه سويا » .. كلمات قالها سمو امير الكويت الشيخ صباح السالم الصباح ، فاتخذتها المرأة الكويتية أساسا لنهضتها وركيزة لمطالبتها بحقوقها السياسية كاملة .. وفي المدرسة الفنية للبنات وجدنا ٨٢٨ طالبة يتعلمن ويتدربن ليصبحن موظفات عاملات ، الى جانب ١٥ الف موظفة كاملة يعملن حاليا في الكويت .

لدراسة هذه التوصيات ، وحالما ينتهي من اقرارها سيرفعها الى مجلس الوزراء ، الذى سيحيلها بدوره الى الجهات المختصة بعد اقرارها .. »

كان الله فى عوننا

وينهى الاستاذ احمد الدعيج ، مدير مجلس التخطيط حديثه قائلا : « ان مهمات مجلس التخطيط مُحددة ومتشعبة ، ويمكن أن تلخص الوضع بهذه الكلمات : الوزارات – في مجموعها – مشغولة بالتنفيذ وليس عندها وقت للتفكير .. وهي مشغولة بتنفيذ السياسات ذات المدى القصير ، أما مجلس التخطيط فمهمته التخطيط للمدى البعيد ، وعلينا ان نسق بين هذين النقيضين .. كان الله في عوننا ! »

٤٪ نسبة الزيادة بين الكويتيين !

وانتقلنا لمقابلة مدير الادارة المركزية للاحصاء في الكويت الاستاذ فؤاد ملا حسين ، الذى يحول الكلمات الى ارقام اذ يقول :



فؤاد ملا حسين
مدير ادارة الاحصاء

– في كل ٣٠ دقيقة يولد طفل كويتي جديد .. ففي عام ١٩٧٠ بلغ عدد المواليد من الكويتيين ١٨ الفا في حين لم يزد عدد الوفيات عن ١٩٠٠ حالة ، وهذا يجعل نسبة الزيادة بين الكويتيين ٤٪ وهي من أعلى نسب النمو السكاني في العالم ، فجواتيمالا التى كانت تعتبر اكثر دول العالم زيادة في النمو السكاني كان معدل نموها ٣٫٥٪ فقط ، ولعل ظاهرة ارتفاع معدل النمو السكاني مفيدة في حد ذاتها في الكويت ، نظرا لانخفاض نسبة الكويتيين الى مجموع سكان الكويت ، بسبب كثرة التدفق السكاني من الخارج للمساهمة في النشاط المتزايد في البلاد . » فقد أظهر تعداد سكان عام ١٩٧٠



أصبحت الكويت مقرا للعديد من الاجتماعات والمؤتمرات العربية وكان آخرها المؤتمر الثاني للتنمية الصناعية للدول والبلاد العربية الذى انعقد في شهر اكتوبر الماضي ، والذى اتاح الفرصة امام المجتمعين العرب للوقوف عن كثب على مشاكل وخصائص اقتصادنا العربي في مجال المال والصناعة، مع اقتراح افضل الحلول لتنسيق مخططات التنمية الصناعية والاقتصادية لمواجهة التكتلات المالية .. لقد شهد عام ١٩٧٠ التوقيع على اتفاقية استثمار رؤوس الاموال العربية وانتقالها بين البلاد العربية ، كما شهد التوقيع على اتفاقية الصندوق العربي للانماء الاقتصادى والاجتماعى ، الذى تساهم الكويت بنسبة ٣٠٪ من رأس ماله البالغ مائة مليون دينار كويتي ، وسوف تكون الكويت مقرا لهذا الصندوق العربي.

الى اسفل : كان « الشارع الجديد » هو القلب التجارى للكويت ، ولكن شارع فهد السالم استطاع ان ينتزع منه هذا المركز لفترة قصيرة ، انتقل بعدها مركز الثقل التجارى الى مدينة السالمية ، التى انتشرت فيها المتاجر الحديثة الرائعة على جانبي طريقها الرئيسي الطويل ، ونرى جزءا منه في الصورة السفلى .. ومما يذكر ان لدى وزارة التجارة أكثر من ١٥ ألف طلب لفتح محلات تجارية جديدة في مختلف انحاء الكويت، ولكنها لم توافق الا على اعطاء ٧٧٢ ترخيصا جديدا خلال العام الحالى ، في محاولة منها لعلاج مشكلة التباطؤ والركود الذى يسود النشاط الاقتصادى والحالة التجارية في الكويت ، منذ مطلع عام ١٩٦٦







الى اليسار : أصبح صوت الكويت مسموعا في
معظم أرجاء العالم ، بعد ان تم تركيب اجهزة
الارسال الاذاعية الثلاثة الجديدة قوة ٧٥٠ كيلووات
... ومجموع ساعات البث على موجات الاذاعة
الكويت، تزيد على ٤٨ ساعة بشق اليوم الواحد !
ومما يذكر ان هناك اذاعة محلية تقدم التراث
الكويتي الفنى والادبي وتعالج المشاكل الاجتماعية
باللهجة المحلية ، الى جانب الاذاعة التى تقدم
البرنامج الاوربي ، والاذاعة التى تقدم موسيقى
الاستريو .. كل هذا الى جانب الاذاعة الرسمية
الليلية

الى اليسار : تقدمت المراة الكويتية الى مجلس
الامة تطالب بحقها السياسي في الانتخاب والترشيح
والى جانب طموحها السياسى هذا نجدها تتدرب
في الثانوية الفنية للبنات على مختلف الاعمال
والمهن الى جانب صنع مختلف انواع الاطعمة
الدولية الشهية ، مع تطوير المأكولات المحلية .





انمجموع سكانالكويت يزيد عن ٧٣٨ الف نسمة، منهم ٣٤٧ الف كويتي اى بنسبة ٤٧٪ من المجموع و ٣٩١ الف من الجنسيات الاخرى اى بنسبة ٥٣٪ » .

مشاكل الاحصاء

وينهى مدير ادارة الاحصاء حديثه قائلا : « لقد أصبح الاحصاء في الكويت هو القاعدة التى يتم على أساسها تخطيط برامج المستقبل .. لقد أنجزنا في سبع سنوات اعمالا تحتاج الى نحو ٢٠ عاما لانجازها ، ليس هذا فحسب ، وانما ننوى أن ننجز في العام القادم اعمالا توازى ما تمنا به في السنوات السبع الماضية ..

فسوف تقوم الادارة في بداية عام ١٩٧٢ بعمل بحث قومى عن ميزانية الاسرة الكويتية على اساس علمى دقيق ، يهدف الى دراسة دخل الاسرة ، ومعدل انفاقها ، للوقوف على مستوى المعيشة العام ، كل هذا بالرغم من المشاكل التى تواجهنا . وفي مقدمتها مشكلة المؤسسات والشركات التى تمتنع عن اعطائنا المعلومات المطلوبة بحجة السرية . ثم عدم وجود وعى احصائي لدى بعض المواطنين ، واعتبارهم عملية الاحصاء تدخلا في أمورهم الشخصية .. اضف الى ذلك النقص في عدد الموظفين المتخصصين في الاحصاء .

وهو نقص لا تعانى منه الكويت وحدها ، بل انه يكاد يكون عاما في معظم الدول . »

ماذا بعد النفط ؟

ومن الادارة المركزية للاحصاء بدانا جولتنا على مختلف الوزارات واجهزة الدولة. وكانتالحصيلة مجموعة رائعة من الاحاديث الصريحة التى تعكس صورة « الكويت اليوم » بعد ان قطعت مرحلة الطفرة وتعدتها .. ان الذى يحدث الآن في الكويت هو ان معظم الخدمات الرئيسية التى تقدمها الوزارات للجمهور اخذت كل ابعادها ، والذى يجرى هو عملية تحسين وتعميق وتقييم لهذه الخدمات ، مع التطلع بعيدا .. التطلع الىما بعد عصر النفط .. فالذهب الاسود لن يستمر تدفقه الى الابد .. وهذه هى الطاقة الذرية بدات تنافس النفط في مجالات عدة .. لهذا يرتفع التساؤل : ما هو مصير الكويتبعد نضوبالنفط ؟

والجواب هو تصميم على البقاء مع استمرار لنمط الحياة الرغيدة في هذه البقعة الطيبة .

وهذا العزم على الاستمرار لن يدوم الا في حالة ايجاد مصادر جديدة للدخل غير مصدر النفط الذى يساهم بمقدار ٩٢٫٦٪ من دخل البلاد . فقد اظهرت ارقام ميزانية ١٩٧٢/٧١ ان مجموع ايرادات الدولة سيكون ٣٥٩٫٦ مليون دينار ، منها ٣٣٢٫٩ مليون من ايراد النفط ..

والعمل المطلوب حاليا هو تحويل المجتمع الاستهلاكى النامى الى مجتمع صناعى متقدم .. حقيقة ان اقامة الصناعات التصديرية الضخمة ، التى لها تاثيرها في زيادة الدخل القومى ، ليست بالامر الهين .. ولكن امكانيات اليوم باستطاعتها توفير الصناعات للغد،اذا ما تم التخطيط باسلوب علمى مدروس ، كما يحدث حاليا ..

والذى يبعث على التفاؤل في هذا الامر ، هو توفر الغاز .. تلك الطاقة المحركة الهائلة الموجودة بكميات ضخمة تحت ارض الكويت.. وهذه الطاقة يعتبرها الخبراء تعادل ، ان لم تكن اهم ، من المواد الاولية نفسها ..

تجسيد للتعاون العربي

ومن مميزات « الكويت الحديثة » وجود مؤسسات حكومية مستقلة تعمل من خلال اطار الدولة ، وتسير في اتجاه النهج العام لسياسة الكويت المرتكزة اساسا على تطوير وبلورة التعاون العربى في شتى المجالات ..

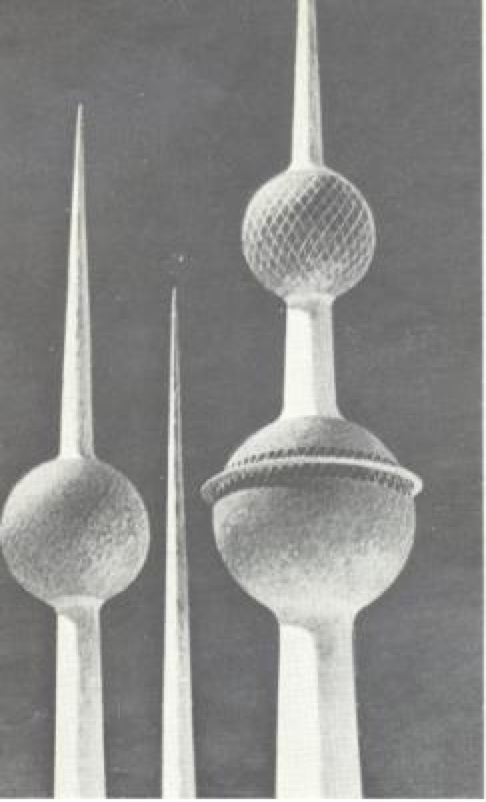
ومن هذه المؤسسات المستقلة نجد الصندوق الكويتى للتنمية الاقتصادية العربية ، الذى جلسنا الىمديره الشاب عبد اللطيف الحمد ، نستمع اليه وهو يحدثنا عن « الصندوق » قائلا :



عبد اللطيف الحمد
مدير صندوق التنمية

« منذ ان تأسس الصندوق الى اليوم قدم قروضا بمبلغ ٨٨ مليون دينار الى ١٢ دولة عربية لتطوير وانماء اقتصادياتها .

« ان الصندوق





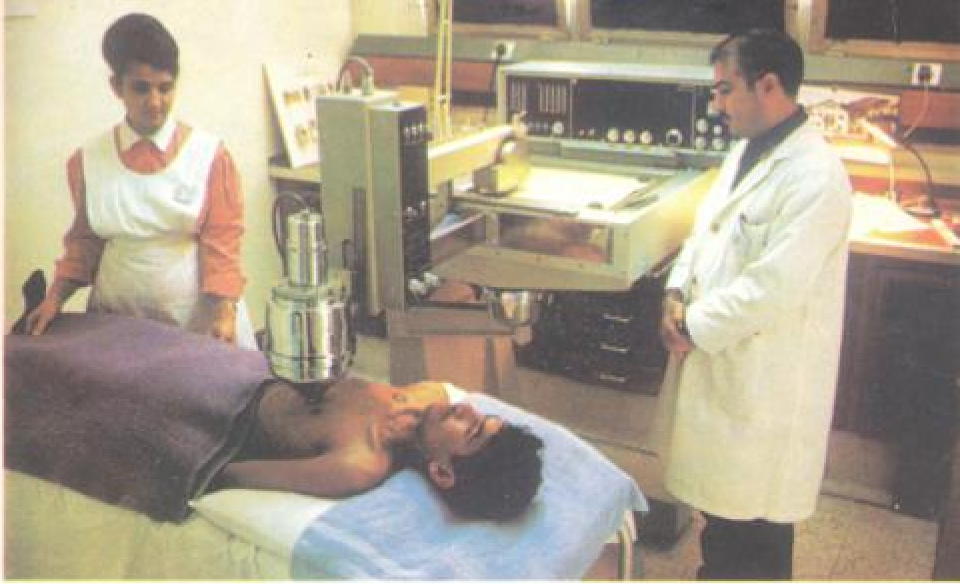
يجرى العمل حاليا في بناء ثلاثة ابراج ضخمة في الكويت ، هي جزء من المشروع الشامل لتوصيل المياه العذبة الى منازل الكويت عن طريق المواسير مباشرة .. واكبر هذه الابراج سيكون على هيئة مسلة ارتفاعها ١٨٥ مترا تعلوها كرتان : الاولى كرة كبيرة سيخصص نصفها السفلى ليكون خزانا يتسع لمليون جالون من مياه الشرب ، والنصف العلوى سيكون مطعما من احدث المطاعم الدوارة المتحركة الموجودة في الابراج العالمية ، والكرة الثانية في نفس البرج ستكون مقهى ثابتا صغيرا .. اما البرج الثانى فسيكون ارتفاعه ١٦٠ مترا وبه كرة لخزن مليون جالون من المياه الصالحة للشرب .. والبرج الثالث سوف يتوسط هذين البرجين وسيكون ارتفاعه ١٢٠ مترا ومهمته انارة البرجين الكبيرين والمنطقة السياحية المحيطة بهما انارة فنية باهرة .. وينتظر ان ينتهى العمل في هذه الابراج مع نهاية ١٩٧٣ ومما يذكر ان البرجين الكبيرين سيزودان بمحطات تكييف هواء ومصعدين سريعين لكل منهما . **والصورة اليمنى** توضح سير العمل في الابراج التي ستصبح مثل الصورة اليسرى عند اكتمالها .

الكويتى للتنمية الاقتصادية العربية يحرص على توفير كافة عناصر النجاح لمشاريعه في البلاد العربية ، مما قد يظهر في اعين البعض انه تشدد في اعطاء القروض ، ولكنى احب ان اؤكد بأن الصندوق شديد في مستويات التنفيذ ، سهل في علاقات التعاون لتحقيق الاهداف المنشودة .. ولا دخل للسياسة اطلاقا في تحديد قيمة القروض او البلد المستفيد منها .

« ان صندوق التنمية الكويتى هو مؤسسة عربية في اموالها وادارتها ، تعبر عن مستوى حياة افضل للفرد العربى اينما كان في الوطن العربى .. انها مؤسسة اقليمية في اسلوب عملها ونظام علاقاتها مع الدول العربية ، فهى بالفعل تجسيد للتعاون العربى ، من اجل رفعة ومجد الامة العربية .. » .

. للوقوف في وجه العدوان

والى جانب قروض صندوق التنمية قدمت الحكومة قروضا بمبلغ ١٢٠ مليون دينار من



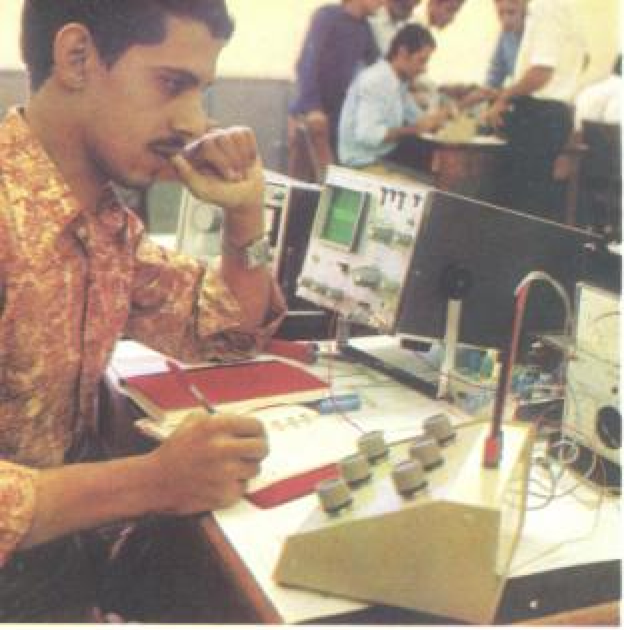
١٠ مستشفيات و ٤٠ مستوصفا و ٢٧١ مركزا وعيادة صحية بالكويت ، يعمل فيها ٧٧١ طبيبا وتضم ٣٥٥٧ سريرا قامت بعلاج نحو خمسة ملايين حالة في عام ١٩٧٠ وترى هنا صورة لقسم العلاج الاشعاعي بالنظائر المشعة ، الذى يعالج الحالات المستعصية من الامراض ، كالسرطان مثلا .



الى اليسار : منظر جوى رائع لضاحية الشويخ السكنية .. ومما يذكر ان كثافة السكان انتقلت من قلب الكويت القديمة الى مدينة حولي ، حيث بلغت كثافة السكان فيها ١٦٦٤٢ نسمة في الكيلو متر المربع ، وهي أكبر نسبة في الكويت

الى أسفل : منذ ٢٥ عاما بدأ تعليم الفتاة ، بعد مرور ٢٤ عاما على بدء تعليم الفتيان ، ومع ذلك نجد اليوم ان عدد الفتيات في جامعة الكويت قد ارتفع الى ١٣٣٨ طالبة مقابل ١١٦٩ طالبا . وكانت نسبة النجاح بين الفتيات ٩٠٪ وبين البنين ٨٦٫٤٪ فقط





الى اليسار : افتتحت وزارة البريد والبرق والهاتف ، معهدا لتدريب الفنيين اللازمين لصيانة وتركيب وتشغيل اجهزة اتصالاتها السلكية واللاسلكية .. وترى هنا الطالب يوسف الرفاعي ، يتلقى تدريبه العلمي على أحدث المعدات ليصبح « فني شبكات كهربائية » بعد سنتين من الدراسة في معهد الأتصالات السلكية واللاسلكية .. ولا يقبل في هذا المعهد الا الشباب الحائز على الثانوية العامة



احتياطيها العام للدول العربية ، هذا الى جانب الدعم المالى السنوى ، الذى تقدمه الكويت للدول المتضررة من حرب حزيران ١٩٦٧ ومقداره نحو ٥٠ مليون دينار سنويا .

مجتمع فى دور الولادة



عبد العزيز محمود
وكيل وزارة الشئون

ونترك حديث المال والقروض ، ونتجه الى وزارة الشئون الاجتماعية والعمل حيث نلتقي بالاستاذ عبد العزيز محمود وكيل الوزارة ونسأله عن المجتمع الكويتي فيجيب :

« المجتمع الكويتي الحديث مجتمع سريع التطور وتظهر عليه دوما مظاهر التغيير والتبديل، ونحن نرقب هذا التطور بكثير من الامل والثقة ، ونعمل من جانبنا على اطراد الجوانب الايجابية فيه ، وتلافي الجوانب السلبية قدر المستطاع ، فوزارة كوزارة الشئون الاجتماعية والعمل تقوم على رعاية قطاعات متعددة من هذا المجتمع ، الذى سلمنا في البداية أنه سريع التطور ، يفترض فيها مواكبة المجتمع الذى تقوم على خدمته في مجالات اختصاصها ، فهي مثلا ترعى الاطفال مجهولي الوالدين ، وضعاف العقول ، والاحداث أصحاب الظروف الخاصة ، كما أنها تولى الكهول وكبار السن المقعدين كل رعاية ممكنة ، وهي تصرف سنويا ما يزيد على ثلاثة ملايين دينار لما يقرب من ٩٤٠٠ أسرة يشملها قانون المساعدات » .

« وفي مجال الاسكان خصصنا ١٢ ألف سكن في السنوات الماضية للاسر التى لاتساعدها دخولها على امتلاك مسكن خاص . وفي خلال العامين القادمين سيتم تخصيص ٣٨٧١ مسكنا آخر » .

اعانات بالجملة

ويستطرد وكيل الوزارة فيقول : « ان الطبقة العاملة تلقى عناية زائدة من الوزارة .. ونحن نحاول دائما خلق جيل تقني يفي باحتياجات البلاد ، من أجل ذلك قمنا بالتعاون مع منظمة العمل الدولية بانشاء مركز الشويخ للتدريب الصناعي ، الذى يقوم حاليا بتنظيم دورات تدريبية على



مختلف المهن ، تضم كل دورة اثنين وسبعين متدربا في الكويت خمسة بنوك تجارية وبنك مركزى ، وبنك حكومى للتسليف والادخار . وقد حققت البنوك التجارية تقدما ملحوظا خلال السنوات الخمس الماضية ، اذ ارتفعت جملة الحسابات الجارية والودائع فيها من ٢١١٫٩ مليون دينار عام ١٩٦٥ الى ٥١٧٫٤ مليون دينار في عام ١٩٧٠ وبلغت قيمة السلفيات والسندات المخصومة ١٨٢٫٤ مليون دينار في نهاية عام ١٩٧٠ .

في حين أن طاقة هذا المركز ستكون في المستقبل القريب لتدريب ٢٤٠ عاملا ، وهو ما سيوفر لنا مستقبلا اليد العاملة الفنية التي تسعى الى ايجادها .. كما ترعى الوزارة النقابات والاتحادات العمالية وتدفع لكل نقابة ثلاثة الاف دينار سنويا ولكل اتحاد عمالي ستة آلاف دينار سنويا ولدينا ثمانية اتحادات وعشر نقابات عمالية .

وهناك أيضا الأندية الرياضية والجمعيات الاجتماعية والثقافية التي تشرف عليها الوزارة ، وهذه لها دور كبير في نمو المجتمع وتطوره . ونحن تدفع لكل ناد سنويا عشرين ألف دينار ولدينا ستة عشر ناديا رياضيا . كما تدفع سنويا مبلغا يتراوح بين ستة وعشرة آلاف دينار لكل جمعية

اجتماعية أو ثقافية بحسب نشاطاتها المختلفة ولدينا الآن ٢٥ جمعية ثقافية واجتماعية .

« وفي مجال رعاية الفنون نقدم لكل فرقة مسرحية ثمانية آلاف دينار سنويا، لمواجهة أعبائها، كما تدفع ٨٠٠ دينار سنويا لكل فرقة فنون شعبية .

« وأخيرا هناك اللجنة الاولمبية التي يصل ما يخصص لها سنويا الى خمسين الف دينار لتقوم بمهمتها على أكمل وجه » .

المحصول لايوازي المدفوع

ـ « بقية كلمة » انهى بها وكيل وزارة الشئون الاستاذ عبد العزيز محمود ، حديثه قائلا : « لقد تبين لنا للأسف أن ما يحصل عليه المجتمع من خدمات هذه الهيئات والجمعيات لا يوازي ما تحصل عليه هي من المساعدات المالية ، وهو أمر نضعه في اعتبارنا دائما ونواجهه بصراحة ونسعى الى تلافيه . فنحن اليوم نعيد تقويم مدى صلاحية هذه الخدمات جميعها لاننا لا نريد أن نخلق مجتمعا اتكاليا .. ان هدفنا هو خلق المجتمع المتماسك الذي يعمل على الاخذ بأسباب نموه باستمرار ويلحق بالمجتمعات الاخرى التي سبقته في مختلف المجالات » .

ما هي مشاكل الشباب ؟

اما عن الشباب الكويتي فيقول الاستاذ عبد الرحمن المزروعي مدير ادارة رعاية الشباب :

« ان مسئوليتنا هي تجاه الشباب خارج المدرسة ، نوفر له الاندية الرياضية والثقافية ومراكز الشباب والمعسكرات ، وننظم المباريات والدورات الرياضية من اجل شغل فراغه وتثقيفه .. واهتمامنا حاليا مقصور على الشباب من الذكور ، اما الاناث فنأمل ان تتحرك الجمعيات النسائية وتأخذ زمام المبادرة في يدها .

« ولقد حان الوقت في الكويت لعمل دراسة جادة عن الشباب ، تستند الى ارقام ودراسات واقعية ، لنعرف مدى الابعاد الحقيقية لمشاكل هؤلاء الشباب .. فمثلا نحن نعرف ان الهروب من المدرسة قد يكون مشكلة كبيرة ، ولكن كم عدد الهاربين ، وكم سنهم ، ولماذا يهربون ؟ .. ونعرف ان في موسم الامتحانات يترك الشباب المنزل للمذاكرة في الحدائق العامة .. فهل هذا معناه ان البيت هو المشكلة ام الشباب نفسه ؟ .. ومشكلة وقت الفراغ وغيرها العديد من المشاكل .. كلها تحتاج الى دراسة بين الطلبة والموظفين والعمال .. وانا أومن بان تعيين حجم المشكلة هو الكفيل بايجاد حلها .. » .

جامعة الكويت وجامعة كمبردج

ويحاول البعض ان يلصق بجامعة الكويت مسئولية حل مشاكل البلاد .

وجلسنا الى الاستاذ انور النوري امين عام الجامعة الذي قال لنا :



انور النوري
امين عام الجامعة

« ما سمعت ان جامعة في العالم مسئولة عن حل مشاكل البلد مباشرة ، وانما نحن نعمل على تكوين وتعليم الانسان الذي سيعمل على حل هذه المشاكل في المستقبل بعد تخرجه



الى اليسار : ٢٥ جمعية ثقافية اجتماعية في الكويت .. من بينها جمعية الخريجين التي تضم مجموعة من الشباب الكويتي الذي تخرج من الجامعات العربية والاجنبية .. وهدف هذه الجمعية هو خدمة المجتمع من خلال ما حصل عليه الاعضاء من خبرات .. ونرى هنا مجموعة من الخريجين يستمعون الى الاغاني خلال الندوة الموسيقية الشهرية التي تقدمها اللجنة الثقافية بالجمعية ..

ولقد تخرج من جامعتنا الى اليوم ٥٩٦ خريجا وخريجة .

« ان البعض من فرط رغبته في رؤية جامعتنا في احسن حال يقارنها بجامعة كمبردج الاصيلة .. متناسيا ان عمر جامعتنا ٥ سنوات فقط .. ومتناسيا ان نشوء جامعة في مجتمع متقدم متطور يختلف عن نشوئها في مجتمع نام متأخر .. ففى المجتمعات المتقدمة تستطيع الجامعة الحصول على الكتاب الجامعى الذى تريده خلال ساعات،وتصلح اجهزتها العلمية المتعطلة في يوم او ساعات .. في حين أن مثل هذه الاشياء البسيطة يستغرق حصولنا عليها شهورا ، ونضطر الى نقل الاجهزة الخربة بالطائرة الى اوربا لاصلاحها واعادتها الينا ..

« لقد اوجدت جامعة الكويت روح البحث العلمي في المجتمع المحلى ، فهى تعكس نشاطها عليه ولكن في نفس الوقت تتأثر من انعكاس التناقضات الاجتماعية المحلية عليها ..

« ان ما قامت به جامعة الكويت خلال خمس سنوات يدعو الى الفخر .. وعندنا حاليا ٢٠٠ كويتى وكويتية يدرسون دراسات عليا في الخارج وفي جامعتنا .. وهؤلاء سيصبحون في القريب العاجل اناسا متخصصين خلقتهم الجامعة من أهل البلد .. الى جانب العدد الغفير من الكويتيين الذين تخرجوا في الخارج من قبل انشاء جامعة الكويت ومن بعد انشائها .. »

تكاليف الطالب ، ومشكلة المستقبل

وينهى امين الجامعة حديثه بقوله : « اما عن تكاليف الطالب الواحد في الجامعة ، فالرقم الموجود هو ١٤٠٠ دينار سنويا .. ولو اذن اولو الامر بجمع الذكور والاناث في جامعة واحدة ، لانخفض الرقم بمقدار الثلث على الاقل ليصبح ٩٠٠ دينار فقط ..

« ان مشكلتنا الرئيسية في الجامعة تكمن في المستقبل .. فهناك حوالى ١٥ الف طالب في التعليم الثانوى سيتخرجون في الاعوام القليلة القادمة ، وبعدها سيبدأون في قرع ابواب جامعتنا .. وهذا في حد ذاته شيء مخيف ، لهذا لا بد من ايجاد علاج سريع لهذه الحالة ، بتنويع المعاهد الفنية العالية والاكثار منها .. اما بالنسبة للجامعة فلن تقبل مستقبلا الا الطلبة الحائزين على نسبة عالية في الامتحانات الثانوية النهائية .. »

الكويت وأزمة الاعلام



سعدون محمد الجاسم
وكيل وزارة الاعلام

واخيرا جلسنا الى وكيل وزارة الاعلام الاستاذ سعدون محمد الجاسم نسأله عن الاعلام ومشاكل الاعلام .. وانطلق الوكيل الشاب في حديث صريح صادر من القلب قال فيه :

« الاعلام العربى اعلامان : اعلام خارجي واعلام داخلي .

« اما الاعلام الخارجي فتشترك الكويت فيه مع سائر الدول العربية ، وتحضر المؤتمرات الاعلامية التى تعقدها جامعة الدول العربية .. وحظ الكويت في نجاح هذه المؤتمرات وما ينتج عنها من قرارات هو حظ الدول العربية جميعا . والحق ان الدول العربية تحاول أن تنهض نهضات عارمة للاعلام الخارجى بين شتى الامم فتقصر مجهوداتها وتقصر امكانياتها عن بلوغ هذه الغاية .

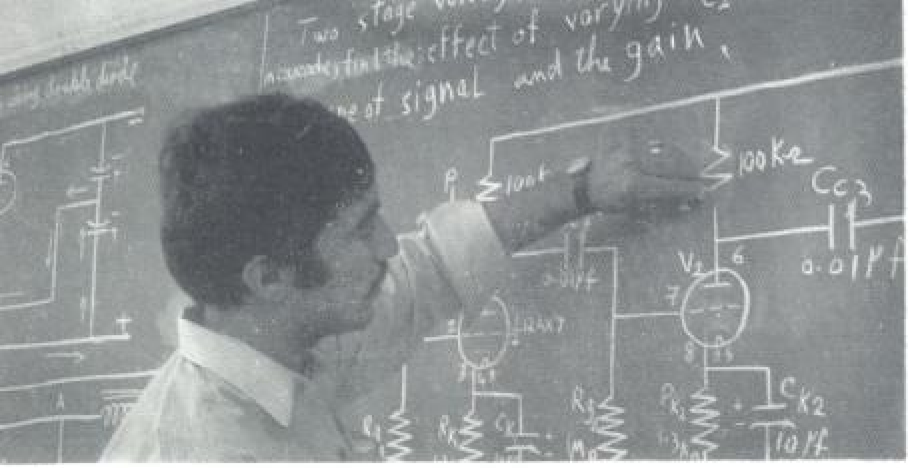
«ولكن هناك التناقض الموجود بين الدول العربية التى تتألف منها الجامعة العربية من سياسية واجتماعية وغير ذلك .. وكل هذا يظهر فيما تتمخض عنه قرارات الجامعة الاعلامية من ضعف وقوة .. واظن في هذا الكفاية .. والذين مارسوا الاعلام العربى في ادواره الخارجية يستطيعون ان يقولوا في ذلك اكثر مما نقول .. »

« أزمة نسبوها الى الاعلام »

وتابع الاستاذ سعدون محمد الجاسم يقول :

« اما الاعلام الداخلى ومجهودات الكويت فيه فأحسب انها صنعت الكثير .. فعلى الصعيد العربى العام قامت مجلة « العربى » بنصيب غير يسير في تلك الدعوة التى شملت البلاد العربية من محيطها الى خليجها ..

« واما على الصعيد المحلى، واعنى بذلك الكويت، فقد قمنا بمجهودات كثيرة في ناحيتين محددتين ، وذلك فيما يختص بالاذاعة والتلفاز ، واولاهما : تحسين الارسال والبرامج بمقدار ما تسمح به



ازداد حجم العمل الفنى في الكويت نتيجة انشاء العديد من المشروعات مثل الهواتف ومحطات اللاسلكي ، ومحطة الاتصالات عبر الاقمار الصناعية ، وفي عام ١٩٦٦ انشأت وزارة البريد معهدا للتدريب ظل يتنقل من مبنى الى آخر حتى استقر في مبنى ضخم حديث خاص به ، يجرى العمل فيه بالاشتراك مع الاتحاد الدولى للمواصلات السلكية واللاسلكية ، وتشجيعا للمواطنين على الالتحاق بهذا المعهد الفني تقرر منح المتدرب مكافأة شهرية قدرها ٨٠ دينارا .. ونرى هنا الطالب عبد الرحمن احمد الشيخ عقيل يقوم بوضع اللمسات الاخيرة على رسم دائرة تكبير الاشارة الكهربائية في المعهد .

الظروف وما يتمشي مع النهضة .. وثانيتها اطالة زمن البث الاذاعي على الموجات المختلفة حتى شملت ٤٨ ساعة اذاعية في اليوم ، وبذلك وصل صوت الاذاعة الكويتية الى ارجاء واسعة من العالم العربي وغير العربي .

« ثم هناك مجمع الاذاعة والتلفاز وسنبدأ في بنائه عام ١٩٧٢ ، وهو سيضم كل أطراف هذين المرفقين الهامين من اذاعة وتلفزة .. ولا ننسى التلفاز الملون ، وانجازه قريب ان شاء الله .

« بقي ارضاء الاذواق جميعا ، وهذا امر من العسر بمكان ، لان مجتمعنا المحلي ما زال بين جزر ومد . فالازمة ازمة مجتمع انعكست على وسائل الاعلام فسموها ازمة ، ونسبوها الى الاعلام . وكانت نسبتها الى الشعب الذى فيه من تناقض تاريخي حتمي ، أولى .. وهو تناقض تعمل الايام لا شك على اختفائه .. »

النقد سياسة ومنهجا

ان الكويت تدخل عام ١٩٧٢ وهي اكثر ما تكون ازدهارا ورخاء .. ومع ذلك نجد في البلاد نقدا ذاتيا قاسيا عنيفا ، تحمل مشعله الصحافة الكويتية المؤلفة من ٥ جرائد يومية و ٣٠ مجلة اسبوعية وشهرية .. لقد بلغ النقد حدا ، جعل احدى هذه المجلات تقول في عددها الاول : « لقد اتخذنا من النقد سياسة ومنهجا وطابعا لمجلتنا » .

والنقد كما هو معروف عند العرب هو النقض اى الهدم والسلب الذى لا ايجاب فيه .. وهكذا تحول اكثر النقد في الكويت الى نوع من السلبية، طغت على كل ايجابية حتى ما تكاد تبين ..

وتدرك الحكومة ابعاد هذا الوضع فتجدها تدرس وتخطط البيئة المحلية، حتى الهواء الذى يستنشقه المواطن في الكويت .. والمسكن الذى يعيش فيه .. والساحل الذى لا يستحم فيه .. والدوارات التى يدور حولها بسيارته .. وزيادة عدد الحمالين في الاسواق عن عدد المشترين .. كل هذه المشاكل وغيرها تجرى دراستها بعمق وتفهم ، ليعتمد عليها المخططون والخبراء ، عندما يرسمون صورة كويت الغد ..

فالكويت الحديثة التى ولدت اثر تدفق عائدات النفط عام ١٩٤٦ تشعر ان فترة شبابها كانت مرهقة متطورة ، لهذا تجدها بحاجة الى دماء جديدة تزيد من حيويتها ونشاطها ، لبناء مجتمع يشع الرفاهية على من فيه، وعلى من حوله. ▪▪

سليم زبال

الطلاق

بقلم : محمد عدنان وديع

■ قال الله تعالى « فامساك بمعروف او تسريح باحسان »(١) وقال رسوله الكريم (ص) « ابغض الحلال الى الله عز وجل الطلاق »(٢) .

فما هو الطلاق ، الحلال والبغيض ، وما هي تلك الكلمة التي تطلقها شفاه الرجل وترتعش لها افئدة المراة والاطفال ، ان الطلاق هو انفصام الحياة الزوجية . وهو من اهم الظواهر الاجتماعية ، لما له من تاثير في تفكك عرى الاسرة ، وانقطاع سبل المحبة بين اعضائها ، وبالتالي ضعف بنية المجتمع ، وتخلخل التماسك بين لبناته .

ولست هنا في معرض الحديث عن آثار الطلاق الاجتماعية (فهذا مثار اهتمام الباحث الاجتماعي) ولا عن مبرراته ، ولا عن القيود الدينية او التشريعية الوضعية في وجهه (فهذا من عمل الباحث الحقوقي) وانما يتكون موضوع هذه الدراسة من ملاحظة الطلاق كظاهرة ديموغرافية ، نحلل بعض عناصرها من الوجهة الاحصائية .

لم تكن السلطات قديما ، تتدخل في شؤون الطلاق في معظم بقاع العالم ، وغالبا ما كان للرجل (او للمراة في بعض المجتمعات والحالات) ان يقرر بارادته المنفردة وقوع الطلاق وبالتالي يتحلل من عقد زواجه ، غير انها اخذت توجب على الراغبين في الطلاق (او الراغبات) رفع طلبات الطلاق الى جهات قضائية يختلف دورها الفعلي (من حيث قدرتها على البت فيه او رفضه) من بلد الى بلد ومن مكان الى مكان حسب عوامل متعددة تتعلق بفلسفة البلد الاجتماعية وتأثير التعاليم الدينية او التقاليد والمبادىء الاخلاقية (كالحرية الشخصية) والمساواة بين الرجل والمراة ، غير ان لهذه المحاكم او لدور الاحوال المدنية دورا على الاقل في تسجيل واقعة الطلاق في المجتمعات المعاصرة (كما هو الحال عند الزواج) ، واصبح من الممكن الاعتماد على هذه السجلات كمصدر احصائي للمعلومات لم يكن يتوفر في العصور السالفة ، ويعطي هذا المصدر معلومات عن المطلقين ، وعدد اولادهما الاحياء ، وعمريهما ، وهل سبق لاي منهما الزواج ، ونوع عمل الزوج ، وسبب الطلاق ، ومدة الحياة الزوجية ، ومن الذي طلب الطلاق . .

---

(١) سورة البقرة ٢٢٩ .

(٢) رواه ابو داود وابن ماجة .

في العالم العربي

وقد بدأت مصر بجمع ونشر احصاءات الطلاق منذ عام ١٩٣٥ حيث اوجب المشرع ضرورة تسجيل حادث الطلاق لدى القضاء ، وذكر سببه ، والمعلومات الكافية عن حالة الزوجين عند حدوثه. كما تنشر بعض الدول العربية حاليا في المجموعات الاحصائية السنوية عدد حوادث الطلاق (شهادات الطلاق) وكذلك بعض التفاصيل عن مهنة الزوج ، مدة الزواج الاخير ، عدد الاولاد ، اسباب الطلاق .. وتترك للباحث الذي يريد استعمال هذه الاحصاءات ان يقوم بنفسه باجراء الحسابات اللازمة له للبرهنة احصائيا على فكرة ما او تفسير ظاهرة من الظواهر التي تحيط بحادثة الطلاق من مختلف وجهات النظر الى الموضوع .

معدل الطلاق في البلاد العربية

واري نفسي مضطرا ، قبل الاستطراد في الموضوع ، الى ايراد بعض التعاريف التي ساستخدمها فيما بعد ، ومن هذه التعاريف مفهوم « معدل الطلاق الخام » وهو النسبة الالفية (ماخوذة من الف مواطن) لعدد حوادث الطلاق في سنة ما مقسوما على عدد السكان في بلد ما في منتصف تلك السنة غير ان هذه النسبة لا تعطي الدليل على استقرار الزواج نظرا لان مخرج الكسر يحتوي على الاطفال وكذلك على العازبين الذين هم بكل تاكيد لا يملكون توقيع الطلاق ، لانهم غير متزوجين بالاصل ، ولذلك يصحح المعدل بجعل مخرج الكسر يحتوي فقط على عدد السكان المتزوجين في ذلك البلد وفي منتصف تلك السنة .

ويبين الجدول التالي بعض معدلات الطلاق الخام لعدد من الدول العربية ماخوذة من « الحولية الديموغرافية » التي تصدرها الامم المتحدة (٣) للاعوام بين ١٩٦٣ - ١٩٦٧ .

البلد	معدل الطلاق الخام
ج.ع.م.	١ر٨
الكويت	١ر٧
ليبيا	١ر٦
تونس	١ر٠٠
الاردن	١ر٠٠
سوريا	٠ر٦
لبنان	٠ر٤
الجزائر	٠ر٥
العراق	٠ر٣

في بقية بلاد العالم

اما في بقية بلاد العالم فان هذا المعدل يتراوح بين ١ر٠ في سيلان والبرتغال وغواتيمالا ويصل الى ٠ر١ في المانيا الغربية و ٥ر١ في المانيا الشرقية ، ويصل الى ٥ر١ في الولايات المتحدة الامريكية ، والى ٨ر٣ في روسيا و ١ر٣ في اوكرانيا. وان دراسة معمقة للارقام السابقة قد توصل الى اثبات علاقة بين تقدم البلد في المجال الاقتصادي وبين ارتفاع معدل الطلاق فيه .

واذا كانت بعض العوامل الخارجية كالعوامل الاقتصادية والاجتماعية تؤثر على معدلات الزواج ، بان تدفع الى الاسراع فيه ، او تاجيله ، او حتى الامتناع عنه في بعض الاحيان ، فان تاثير العوامل الخارجية يظهر ايضا الى جانب العوامل الشخصية ، في تنفيذ الطلاق ، والتاثير على معدلاته ، وقد تحرمه نهائيا بعض الديانات او بعض التشريعات ، او قد تضع في وجهه العراقيل، كما ان الحروب كعامل خارجي ، تؤثر على معدلات الطلاق ، فقد دلت الاحصاءات ان معدل الطلاق

(٣) Demographic Your Book 1967

يهبط اثناء الحروب ففى عام ١٩٢٠ تظهر الارقام وقوع العديد من الطلاقات التى تأجل تنفيذهـا بسبب اندلاع الحرب العالمية الاولى (٤) اضافة الى تلك الطلاقات التى كانت الحرب نفسها سـببا فيها . كما ان آخرين وجدوا ان للطلاق مواسـم معينة، وذكر السيد محمود صفوت ان عدد حالات الطلاق ينخفض الى حده الادنى في شهر نيسان وحزيران (٥) .

اما عن العوامل الشخصية المؤثرة مباشرة على قرار فصم الحياة الزوجية فان المجموعة الاحصائية السورية أعطت الارقام التالية لتوزيع حـالات الطلاق حسب أسباب الطلاق المعلنة (٦) .

أسباب الطلاق

السبب	١٩٦٥	١٩٦٦
مالى	٢	٩
أخلاقى	٢٢	١٩
عدم امتزاج	٢٥٢٧	٢٥٤١
أسباب أخرى	٣٣٣	٣٣١
المجموع	٢٨٨٤	٢٩٠٠

وفى رأينا ان الجدول السابق لا يحتوى كل الحقيقة فان كلمة « عدم امتزاج » يمكن ان يتذرع بها اى زوج يريد فصم زواجه لاسباب قد تكون مالية ، أو أخلاقية ، أو صحية ، ولكن التقاليد تمنعه من توضيحها ، فيذكر كلمة عدم امتزاج . وان كان هذا السبب الذى يشكل ٨٧٪ من اسباب الطلاق في سوريا صحيحا فيجب البحث بصورة جدية عن صحة وسائل الارتباط الاصلي في هذه الزيجات ، وينبغى أن يتصـدى الباحثـون الاجتماعيون لكشف كل العوامل التى تؤجل اكتشاف عدم الامتزاج هذا الى ما بعد الزواج ، عوضا عن اكتشافه في فترة الخطبة ، التى هى فترة اختبار من حيث المبدأ ، وقد تكون تقاليـد الزواج في العالم العربي ، لا تزال تمنع المقدمين على الزواج من دراسة كل طرف لصاحبه ، ولو في اطار العائلة ، أو في اطار الوظيفة المختلطة ، أو الدراسة المختلطة .

وعلى العموم فان اسباب فصم الزواج ، غالبا ما تكون متعلقة بالزواج ، فان احصائية بهذا الشان اجريت في مصر ، تدل على ان الرجال يتسببون بالطلاق بمقدار ثلاثة اضعاف ما تفعل الزوجات ، وينطبق هذا على مختلف مدد الحياة الزوجية (٧) .

ويتوجب ان لا تغفل دور عدد الاولاد في التقليل من وقوع الطلاق ، فان من الشائع أن عددا لا بأس به من حالات الطلاق يتم لعدم الانجاب ويبين الجدول التالى توزيع حالات الطلاق الجارية في سوريا عام ١٩٦٦ حسب عدد الاولاد من الزواج المنفصم (٨) .

عدد الاولاد	عدد حالات الطلاق	النسبة المئوية
٠	٢٠٠٨	٦٩ر٢٤٪
١	٣٨٦	١٣ر٣١
٢	١٩٨	٦ر٨٣
٣	١٣٢	٤ر٥٥
٤	٧٨	٢ر٦٩
٥ فاكثر	٩٨	٣ر٣٨
	٢٩٠٠	١٠٠٪

دور الانجاب فى الطلاق

ومن النظرة الاولى ممكن ملاحظة أن اكثر مـن ثلثى حالات الطلاق تقع لغير ذوى الاطفال كما ان زيادة عدد الاطفال تؤدى الى تراجع عدد حـالات الطلاق دون اى استثناء . وما الزيادة الاخيرة فى فئة (٥ فاكثر) الا لكون هذه الفئة تقسم الى عدد من الفئات ، مما يجعل تكرارها الفعلى اقل من تكرار الفئة التى تسبقها . وليس هذا غريبا ، اذ ان وجود الاطفال في الاسرة يجعل الزوج أو الزوجة اكثر تفكيرا في مساوىء الطلاق كحـل

(٤) R. Pressat, Pratique de la Demographique Dunod Paris ·

(٥) محمود صفوت ، الاحصاء الاجتماعى ص ١٥٠

(٦) المجموعة الاحصائية السورية ــ وزارة العدل١٩٦٧ .

(٧) مبادىء الاحصاء . د.عبد المنعم الشافعي،القاهرة ١٩٥٩ ص ٩٨ .

(٨) المجموعة الاحصائية السورية لعام ١٩٦٧ ــ جدول ٥٤

لمواجهة الازمات الزوجية ، وان كان هذا لا يعني انتفاء وقوع الطلاق للاسر ذات الاطفال .

ومن الممكن التنويه بأن زيادة الاطفال في الاسرة يعني ضمنا مرور عدد من السنوات على الحياة الزوجية لهذه الاسرة يزداد (بصورة مبدئية) بزيادة عدد الاطفال ، وان مرور هذا العدد من السنوات على الحياة الزوجية سيخفف، ولا شك، من احتمال الطلاق ، اذ ان الاسرة التي تجتاز السنتين الاولين من الزواج بتفاهم لها فرص اكبر بأن تظل متماسكة الى نهاية المطاف ، حيث يستمر التفاهم الى أن يفصل الموت تلك العلاقة الزوجية الموفقة . ولكن هذا لا يعني تطمينا كافيا بعدم حدوث الطلاق للاسر التي تجاوزت مدة حياتها الزوجية العامين ، فقد يحدث الطلاق بعد مرور عشر او عشرين سنة في بعض الاحيان ويبين الجدول التالي توزيع حوادث الطلاق حسب مدة الزواج الاخيرة في سوريا لعام ١٩٦٦ (٩) .

مدة الحياة الزوجية المنتهية بالطلاق	عدد حالات الطلاق
اقل من سنة	٨١٠
١ ـ ٢	٦٧٤
٣ ـ ٤	٥٠٦
٥ ـ ٩	٤٣١
١٠ ـ ٢٠	٣١٣
٢١ فما فوق	١٦٦
	٢٩٠٠

فاذا اعتمدنا على ارقام الجدول السابق يمكن ان نحسب النسب التالية :

مدة حياة الزواج المنتهية بالطلاق	النسبة المئوية
اقل من سنة	٢٧٫٩٣٪
اقل من ثلاث سنوات	٥١٫١٧٪
اقل من خمس سنوات	٦٨٫٦٢٪
اقل من عشر سنوات	٨٣٫٤٨٪
اقل من عشرين سنة	٩٤٫٢٨٪
من ٢١ سنة فما فوق	٥٫٧٢ ٪

أى ان أكثر من نصف حوادث الطلاق تقع قبل ثلاث سنوات على الزواج وان ٨٣٫٤٨٪ منها يقع قبل مضي عشر سنوات ، غير ان ٥٫٧٢٪ من حوادث الطلاق وقعت بعد حياة زوجية مديدة تجاوزت الـ ٢١ عاما . واذا حسبنا الوسط الحسابي (١٠) لمدة حياة الزواج المنتهي بالطلاق ، من الجدول الاسبق ، نجد ان هذه المدة الوسطية تبلغ ٥٫٨٥ سنة اى ٥ سنوات و ٣١٠ أيام . وبالطبع فان هذا الوسط يختلف من قطر الى آخر ومن الممكن ـ بل من الضروري ـ اجراء مقارنات ـ عند توفر الارقام ـ بين عدد من البلدان أو بين نفس البلد ، من سنة الى أخرى ، لمعرفة استقرار الزيجات ، ام العكس ، لما لهذا الموضوع من أهمية اجتماعية، واقتصادية أيضا .

من الريف وفي الحضر

ويحاول بعض المهتمين بقضايا الطلاق ايجاد رابطة بين مهنة الزوج المطلق وبين الطلاق نفسه . وفي الواقع ـ وان كنت لا انكر تأثير المهنة (كعامل ثانوى يدل على مستوى ثقافة الفرد ووعيه) ـ فانني لا اجد مبررا للقول ان المهن تؤثر على معدلات الطلاق . غير ان الاحصاءات السورية (تعداد عام ١٩٦٠) تعطينا تمايزا واضحا بين نسبة المطلقين في الحضر وفي الريف . اذ ان نسبة المطلقين في الحضر اعلى منها في الريف (للذكور وللاناث ايضا) وقد يكون هذا عائدا لاختلاف التقاليد ـ نسبيا ـ بين الريف والحضر ، وتنوع وتعدد المشاكل والازمات الزوجية التي تواجهها الاسرة الحضرية بالقياس بالاسرة الريفية ، التي تتوزع السلطات فيها بشكل تقليدي مقبول على الغالب من طرفي الحياة الزوجية ، هذه الحياة التي تتمتع بتقديس خاص يقل وجوده ـ نسبيا مرة اخرى ـ في الحضر . كما ان نسبة المطلقين في الحضر والريف أصغر من نسبة المطلقات ، اذ بلغ عدد المطلقات في سوريا عام ١٩٦٠ ضعف عدد المطلقين الذكور (٩٧٠٩ و ١٦٤٨ على التوالي) (١١)

(٩) المجموعة الاحصائية السورية ١٩٦٧ .

(١٠) الوسط الحسابي لبيانات مبوبة بالدستور المباشر مثلا ($م = \frac{مج ك س}{مج ك}$) حيث م الوسط الحسابي

(١١) التعداد العام للسكان في سوريا عام ١٩٦٠

وقد يفسر هذا بقلة الفرص امام المطلقة لاعادة زواجها بالقياس بالمطلق الذكر الذي سرعان ما يدخل مرة اخرى في زمرة المتزوجين ان لم يكن له في الاصل اكثر من زوجة ، وبهذه الحالة فانه في الاحصاءات سيبقى في فئة المتزوجين .

ويلاحظ من الجدول الذي يبين تطور معدلات الطلاق في بعض بلدان العالم العربي (الى اسفل) ان اخفض معدلات الطلاق تقع في لبنان والجزائر ، تليها سوريا فالاردن فتونس ، وان اعلى هذه المعدلات تقع في ج.م.ع. ثم في الكويت فليبيا ، وقد يكون هناك شك في دقة هذه الارقام ، نتيجة لضعف وسائل الحصول عليها ونقص في التسجيل او عدم كفاءته والى الزواج السري والطلاق المماثل الذي ينبع في عدد من البقاع العربية ، غير ان هذه الارقام تعكس ، على العموم ، الفروق في معدلات الطلاق في هذه البلاد العربية نتيجة للاختلاف الجزئي في التقاليد والتشريعات العائلية من بلد عربي الى اخر . ومن الملاحظ ان هذه المعدلات تتناقص باستمرار في سوريا ، بينما تتجه للتناقص في معظم البلدان العربية المذكورة (مع ارتفاع طفيف احيانا) فيما عدا الاردن التي ارتفع فيها المعدل من ٠,٩٧ عام ١٩٦٣ الى ١,٠٤ عام ١٩٦٦ .

وفي دراسة لي عن ظاهرتي الزواج والطلاق ، القيت على طلاب السنة الرابعة من كلية التجارة في جامعة دمشق عام ١٩٦٩ (١٣) حول تطور معدلات الطلاق في سوريا حصلت على النتائج التالية :

١ ـ ان عدد شهادات الطلاق يزداد مع الزمن (كاتجاه عام) وذلك ناتجا عن زيادة عدد السكان بشكل رئيسي .

٢ ـ ان معدل الطلاق الخام يظهر تذبذبا سنويا ، غير انه بشكل عام يتناقص بوضوح

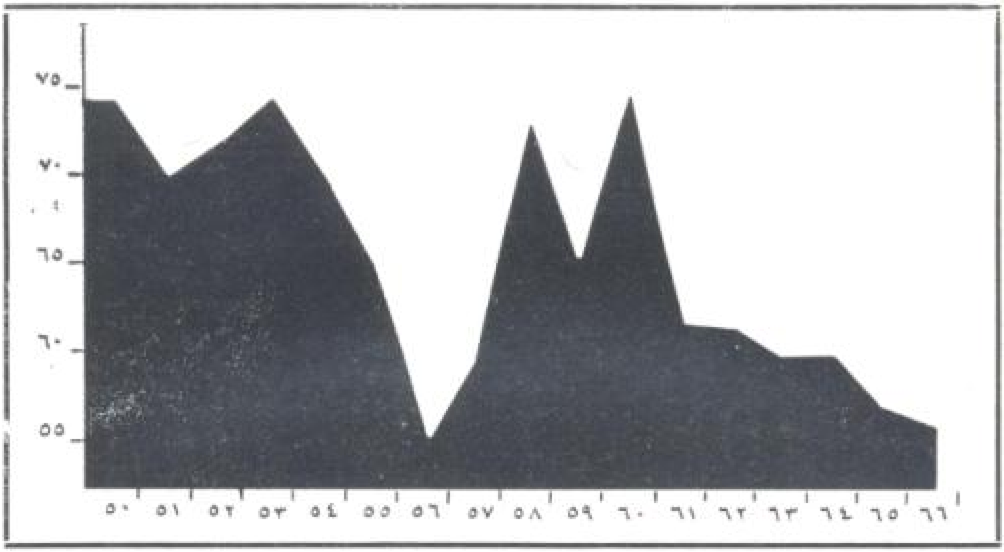
تطور معدلات الطلاق في بعض بلدان العالم العربي

يبين الجدول التالي معدلات الطلاق الخام في بعض البلدان العربية التي تمكنا من الحصول على احصائيات لها (١٢) .

البلد	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧
سوريا	١,٠٦٤	٠,٦٣	٠,٦٠	٠,٥٩	٠,٥٦
لبنان	٠,٤٦	٠,٤٠	٠,٤١	٠,٤٩	٠,٣٩
الاردن	٠,٩٧	٠,٩٩	١,٠٢	١,٠٤	—
الكويت	١,٧٣	١,٨١	—	١,٧٠	—
ج.م.ع.	٢,١١	٢,١٤	٢,١٦	٢,١٦	١,٨٤
تونس	١,١٢	١,٠٥	١,١١	٠,٩٨	٠,٨٤
ليبيا	—	١,٥٧	—	—	—
الجزائر	٠,٤٦	—	—	—	—

(١٢) U. N. Démographic your book 1967 .

(١٣) تطبيقات في الاحصاء الحيوي ـ عدنان وديع ـ الامالي الجامعية ـ جامعة دمشق ص ٧٦ فما بعد .



رسم يوضح ظاهرة تناقص معدلات الطلاق الخام في سوريا لعدد من السنوات

(كاتجاه عام) ويعود هذا الى زيادة الوعي الاجتماعي وما يتبعه من استقرار في الزواج . نتيجة لتحسن وسائل اختيار الزوجة ، وحسن التصرف في مواجهة الازمات العائلية الطارئة . ولكن هذا لا ينطبق على البلدان المتقدمة (كالاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة) التى بالرغم من وجود فرص كبيرة لاختيار الزوجة على اساس التفاهم المسبق قبل الزواج فان معدل الطلاق الخام يرتفع في هذه البلدان عوضا عن الهبوط ، فهل يمكننا تفسير هذا الارتفاع برده الى التحلل التدريجي من فكرة قدسية الحياة الزوجية المستقرة ومن قدسية فكرة الاسرة نفسها كمؤسسة حقوقية ذات مسؤولية وكخلية اولية في المجتمع البشرى !! .

٣ ـ ان معدل الطلاق حسب عقود الزواج (وهو نسبة عدد حوادث الطلاق في سنة ما على عدد عقود الزواج في تلك السنة مضروبة بالف) يتموج بشكل دورى ، ويعود هذا الى اننا ننسب حوادث الطلاق الجارية في عام (س) الى حوادث الزواج الجارية في عام (س) نفسه بينما لو نسبنا حوادث الطلاق الجارية في العام (س) الى حوادث الزواج الجارية فى العام (س ـ ٦) لكان الخط البيانى اكثر استقرارا ، ويعود هذا الى ان وسطي عمر الزواج المفصوم بالطلاق كما سبق ان راينا هو نحو ست سنوات فالمطلقون عام (س) من المحتمل انهم تزوجوا عام (س ـ ٦) .

ويوضح الرسم المنشور اعلاه ظاهرة تناقص معدلات الطلاق الخام في سوريا لعدد من السنوات .

وفي ختام هذه العجالة الفت النظر ان هذه الدراسة لم تعالج الا بعضا من جوانب ظاهرة الطلاق من وجهة النظر الديموغرافية تاركة المجال للباحثين الاجتماعيين ، والحقوقيين ، وفقهاء الشرع والتشريع ، لمعالجة هذا الموضوع بما يكفل حماية الاسرة من العواصف التى تهب عليها بين الحين والحين فتؤدى الى تفكك أواصرها وبالتالى حماية عناصرها من مغبة التمزق الذى ـ اذا تطور ـ قد يمنع العربي من السير نحو غاياته المحمودة . ■■

محمد عدنان وديع

جامعة الجزائر

طرائف

مرهم يدبروا ....

● اسر جنود المنصور العباسي بعض الخوارج بعد موقعة دامية ، فأحضروا امام المنصور ، فقال المنصور لاحد الأسرى : اخبرني اى اصحابي كان اشد اقداما في حربكم ومبارزتكم ؟ فقال الأسير : ما اعرف وجوههم مقبلين ، وانما اعرف اقفاءهم ، فمرهم ان يُدبروا لاعرفك اشدهم ادبارا ..

دعاه الى

● قال ابن سيرين : كنا عند ابى عبيدة بن ابى حذيفة فى قبة له ، وبين يديه كانون له فيه نار ، فجاءه رجل فجلس معه على فراشه وسارّه بشيء لا ندرى ما هو ، فقال له ابو عبيدة : ضع لى اصبعك فى هذه النار ؟ فقال له

تترى ان شاء الله

● خرج المامون فى ليلة من ليالى الشتاء القارصة البرد يجوب بغداد مع بعض من اصحابه ، فلما اقتربوا من الجسر اذا بثمامة بن اشرس سكران يترنح ، فلما راى المامون توارى عنه، فقصده اصحابه وجرجروه الى ان احضروه امام المامون فقال : ثمامة هذا ؟ قال : اى والله . قال : اسكران انت؟ قال : لا والله. قال : فمن انا ؟ قال : لا ادرى والله . قال :عليك لعنة الله . قال : تترى ان شاء الله ، فضحك المامون وتركه .

★ ★ ★

رأس الخروف أثقل

● حكى ان احد القضاة فى مدينة واسط جلس فى بعض الايام يفصل فى شئون الناس ، فقدم عليه اعرابي وزوجته ، وقال للقاضي : وضعت راسى فى حجر زوجتي فقالت ما اثقل راسك ! فقلت لها انت طالق ان كان راسي اثقل من راسك ..

فقال القاضى : تطلّق عليك .

فقيل للقاضى ولم ؟ فقال القاضى : لان القصابين اجمعوا على ان راس الكبش اثقل من راس النعجة ، فلا بد ان يكون راس هذا الاعرابي اثقل من راس زوجته.

عربية

امتحـان

● كان يحيى بن اكثم يمتحن من يريدهم للقضاء فقال لرجل رُشح لمنصب القضاء : ما تقول في رجلين ، زوَّج كلٌ واحد منهما الآخر امه فولـد لكل واحد من امراته ولـد . ما قرابة ما بين الولدين ؟ فلم يعرفها فقال له يحيى : كل واحد من الولدين عم الآخر لأمه .

القضاء

الرجل : سبحان الله اتامرني ان اضع لك اصبعي في هـذه النار ! فقال لـه ابو عبيدة : اتبخل علي باصبع من اصابعك في نار الدنيـا وتسالني أن اضع لـك جسدي كله في نار جهنم ! قال : فظننا انه دعاه الى القضاء .

حوار ممتع

● دخل ابو العيناء على المتوكل وكان ضريرا . فقال لـه المتوكل : اي شيء تحسن ؟ قال : أفهم وأفهم ، وآخـذ من المجلس ما حوى ، فمرة أغلب ومرة أغلب . قال : تحب أن تلزم مجلسنا . قال : يا امير المؤمنين ان اجهل الناس من يجهل نفسه ، انا امرؤ محجوب ، والمحجوب تختلف اشارته ، وقد يجوز قصده ، فيصغي الى غير من يحدثه ، ويقبل بحديثه على غير من يسمع منه ، وجائز ان يتكلم بكلام غير راض ، ومتى لم افرق بين هذين هلكت . واخرى : كل من في مجلسك يخدمك وانا احتاج ان اخدم ، ولم اقل هذا جهلا مني بما في هـذا المجلس مـن الفائدة ، ولكني اخترت العافية على التعرض للبلاء . فقال الفتح بن خاقان : يا امير المؤمنين ، هذا رجل عاقل عارف بنفسه وبحـق الملوك . قال : فيلزمنا في كل الأوقات لزوم الفرض الواجب .

★ ★ ★

أهداه حجرا

● كان محمد بن مكرم من ظرفاء العرب وكان صديقا لابي العيناء ، فحدث ان وُلد لابي العيناء مولود ، فأتاه ابن مكرم مهنئا ، فوضع بين يدي ابي العيناء حجرا وانصرف . فجسه ابو العينـاء فوجده حجرا فقال : من وضع هذا ؟ فقالوا : تركه ابن مكرم لما قدَّم . قال : لعنه الله انما عرَّض بقول النبي صلى الله عليه وسلم : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » .

أنت تسأل .. ونحن نجيب

تيوان
بعد احلال الصين الشعبية محلها في الامم المتحدة

● كان لطرد الصين الوطنية المعروفة باسم تيوان من الامم المتحدة وحلول الصين الشعبية مكانها صدى دولي كبير ، ولكن الذي اريد ان اسأل عنه هو معلومات عن جزيرة تيوان وعن اهلها وتعداد سكانها ؟ !

اسعد كامل - بيروت

- تيوان هي جزيرة تقع على بعد ١١٠ أميال شرق الصين وكان يطلق عليها اسم فورموزا وعاصمتها تايبيه Taipei . وتعود علاقة تيوان بالصين الى اكثر من ٣٠٠ عام عندما جاء الصينيون الى الجزيرة وعايشوا اهلها الاصليين . وقد احتل اليابانيون الجزيرة منذ عام ١٨٩٥ حتى عام ١٩٤٥ عندما هزمت اليابان في الحرب العالمية الثانية واعيدت تيوان الى الصين .

وكان الجنرال شيانج كاي شك حاكما للصين فلما انتصرت حركة ماوتسي تونج واضطر شيانج كاي شك لترك الصين هرب الى تيوان في عام ١٩٤٩ واصطحب معه ٢ مليون من قواته التي هزمت امام قوات ماوتسي تونج،واستقر كاي شك في تيوان وصنع منها دولة عرفت باسم الصين الوطنية .

وقد لاقى كاي شك معارضة عنيفة من اهل البلاد الاصليين الذين يبلغ تعدادهم حوالي ١٢ مليون نسمة ولكنه استعمل معهم الاساليب البوليسية والدكتاتورية لسحق معارضتهم ، واقام طبقة جديدة من الحكام كلهم من الصينيين الهاربين معه من بلادهم .

ولا تزال ، الى الآن ، المعارضة الوطنية داخل تيوان عنيفة ضد حكم كاي شك ويفضل الاهالي ان تتولى حكومة وطنية امرهم . ويترحمون في نفس الوقت على ايام الاستعمار الياباني لجزيرتهم



شيانج كاي شيك

والذي كان بالرغم من قسوته اخف وطأة من حكم كاي شك .

وتبلغ مساحة الصين الوطنية بما فيها جزيرة تيوان والجزر الاخرى الصغيرة المحيطة بها والتابعة لحكومة كاي شك ويبلغ عددها حوالي ١٤ جزيرة تحيط بتيوان و ٦٤ جزيرةاخرى تكون مجموعة من الجزر يطلق عليها اسم مجموعة البنجو Penghu ، ما يقرب من ١٣٫٨٨٦ ميلا مربعا . وتعداد سكانها الكلي حوالي ١٤ مليون نسمة .

وتعتمد تيوان (الصين الوطنية) في اقتصادياتها على بعض الصناعات الخفيفة كالنسيج وصناعة البلاستيك كما ان حرب فيتنام ووجود القوات الامريكية في جنوب شرق آسيا قد جعل منها مركزا للترفيه عن القوات الامريكية مما يدر عليها دخلا سياحيا كبيرا .

وقد انتشرت في تيوان خلال السنوات الاخيرة عملية طباعة الكتب المسروقة حيث ان الصين الوطنية لم توقع على اتفاقية النشر الدولية ، وقد ادت عمليات اعادة طباعة الكتب هناك الى بيع مجموعة الموسوعة البريطانية مثلا بمبلغ ١٨ جنيها استرلينيا في حين ان ثمنها الاصلي في امريكا يبلغ ١٤٠ جنيها ، كما ذكرت صحيفة الصانداي تايمز الانجليزية . وقد احتجت الدول الكبرى الناشرة على هذه السرقة وأجبرت حكومة كاي شك على اصدار قانون يحرم سرقة الكتب وطباعتها .

هذه هي بعض المعلومات السريعة عن تيوان ولعل فيها الاجابة على سؤالك .

(م . ط)

عِصَامىٌّ وعِظَامىٌّ

● اطلعت في بعض كتب الأدب على قول أحدهم ان فلانا عصامىٌ لا عظامىٌ ، فماذا بالضبط عنى ؟

خالد سليم ـ القاهرة

ـ كل من يصل الى مراتب الشرف بجِده واجتهاده وكرم فعاله يقال له عِصامىٌّ ، والعصامى نسبة الى عصام بن شَهْبَر الجَرْمىّ حاجب النعمان بن المنذر ، وأصل التنويه به هو قول النابغة الذبياني فيه حيث قال :

تفسُ عِصامٍ سوّدت عصامًا
وعلّمته الكرّ والاقداما
وجعلته ملكا هماما

ومن هنا اتخِذت نفس عصام مثلا لمن يرفع قدره بنفسه وباكتسابه ، غير متكل على قومه ولا على مفاخرهم . ولهذا قالوا :

ان الفتى من يقول ها انذا
ليس الفتى من يقول كان ابى

وقال المتوكل الليثى او غيره :

لسنا وان كرمت اوائلنا
يوما على الاباء نتكل
نبنى كما كانت اوائلنا
تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

اما العِظامى فهو نسبة الى عِظام الموتى، كناية عن ان يفتخر الانسان بآبائه وأجداده الذين ماتوا دون أن يكون له هو جد واجتهاد في طلب المعالى . ويقول الثعالبى : كان الأمير اسماعيل ابن احمد السامانى يقول : كُنْ عِصاميا ولا تكن عظاميا، اى سُدْ بشرف نفسك كما ساد عِصام، ولا تتكل على سؤدد ابائك الذين ماتوا وصاروا عظاما نخرة ، فان الشاعر يقول :

اذا ما الحيّ عاش بعظم مَيْتٍ
فذاك العظمُ حيٌّ وهو مَيْتُ

هذا وبعض العلماء فسّر قول الله تعالى : (الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) .

بانهم بالغوا في المفاخرة بكثرة ما عندهم ثم اخذوا يعددون أيضا من مات منهم وسكن المقابر .

والاسلام جعل عمل الانسان وتقواه هما أساس الفضل « لا فضل لعربى على أعجمى ، ولا لأبيض على اسود الا بالتقوى » . وهذا لا يمنع أن الذى يجمع المجد من اطرافه بأن يتفقه أمور دينه وشئون حياته النافعة ، مع ما له من كرم الأباء والأجداد يكون جديرا بالتقدير ، وفي الأثر « خياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا » .

(ع . ف)

أبغض الحلال عند الله الطلاق

● انا شاب انتمى لأسرة بسيطة ، تزوجت من فتاة اختارتها لى امى ، وهى احدى قريباتى ، وكان ذلك بعد تخرجى في الجامعة مباشرة منذ حوالي خمسة عشر عاما ، وكنت يومها موظفا صغيرا . وقد رزقنا بطفلتين توأمتين هما الآن في الثالثة عشرة من عمرهما .

ثم مرت الاعوام ، واصبحت الآن اشغل منصبا كبيرا مرموقا ، واصبحت بحكم هذا المنصب ادعى الى الحفلات واختلط بأفراد المجتمع الراقى. ومن هنا بدأت مشكلتى .. اننى لا استطيع ان اصطحب زوجتى معى ، فهى امرأة خجول لم تتعود الاختلاط بالناس ، كما انها لم تنل من التعليم الا القدر اليسير .. اننى احب فتاة جميلة مثقفة ، وقد قررت ان اتزوجها واطلق زوجتى الاولى ، حرصا على مستقبلى ومنصبى ، ولكننى اخشى ان فعلت ذلك ، ان اقضى على مستقبل الطفلتين . فماذا افعل ؟ اننى في حيرة !

م . ح ـ بيروت

ـ هذا قرار خطير ، لا يفكر فيه من كان في مثل ثقافتك وعلمك ومكانتك ، وقد اعترفت انت ببعض النتائج السيئة التي سوف تترتب على انفصالك عن زوجتك بالطلاق عندما تحدثت عن مخاوفك من المستقبل المظلم الذي ينتظر ابنتيكما. ولكنك تجاهلت اشياء كثيرة اخرى .. تجاهلت حقوق هذه المراة المسكينة التي شاركتك حياتك لمدة خمسة عشر عاما .. وقاسمتك الضراء والسراء ..

تجاهلت دورها فيما اصابك من رزق ، ومن جاه ومال .. لقد كانت معك ، وكنت معها ، وانت ترتقي السلم درجة من بعد درجة حتى وصلت الى ما وصلت اليه ..

لقد كبرت عمرا ومركزا فلماذا لم تفكر فيها طيلة هذه السنوات التي انقضت على حياتكما معا .. الم يكن في وسعك ان توجهها وترشدها .. الم يكن في مقدورك ان تسعى الى تثقيفها وتنمية مداركها ، وهي زوجتك وشريكة عمرك وام طفلتيك ..

ما ذنبها هي اذا لم تكن قد نالت من التعليم الا النذر اليسير ، كما تقول . الم تكن تعلم ذلك عندما رضيت بها زوجة لك ؟ ام انك تريد ان تقول انها كانت تناسبك عندما كنت شابا وموظفا صغيرا ، فلما كبرت وكبر شانك ، تعاليت عليها لانها لم تعد تليق برجل في مثل مركزك ؟

حاول ان تثقف زوجتك .. حاول ان ترفع من شانها وان تعودها على الاختلاط بالناس والخروج من تلك العزلة التي فرضتها انت عليها .. يجب أن تعلم ان كل امراة تريد ان تكون جديرة بحب زوجها واحترامه لها ، وهي على استعداد لان تبذل كل جهد في سبيل ذلك .

ثم فكر في مستقبلها هي ايضا اذا ما تركتها ؟ ان طلاقك لهذه المراة المسكينة لن يقضي على مستقبل ابنتيك فحسب ، بل سيقضي على امراة اعطتك شبابها وحبها وكل ما تملك .

وتذكر قول النبي الكريم « ان ابغض الحلال عند الله الطلاق » .

(م . ن)

اجور الطيران عبر الاطلسي

● قرانا في الصحف مؤخرا عن تخفيضات كبيرة اجرتها بعض شركات الطيران في الاجور التي تستوفيها على السفر الى امريكا .. فما هي هذه التخفيضات واي الشركات اقدمت عليها .. ؟

ماجد محمد ـ دمشق

ـ كانت اجور السفر الجوي عبر المحيط الاطلسي موضع منافسة شديدة ، بل حرب اسعار ضاربة ، في المدة الاخيرة . وقد اعلنت شركة لوفتهانزا الالمانية (الغربية) ، وتبعتها شركات اخرى عن تخفيضات كبيرة في اجور السفر المذكورة ، بلغت حوالي ٥٠٪ او يزيد . ويجب التنبيه الى ان هذه التخفيضات لم توضع موضع التنفيذ بعد ، وان العمل بها لن يبدا قبل فبراير القادم ١٩٧٢ ، هذا اذا لم يطرأ قبل ذلك التاريخ ، ما قد يعدل هذه الاجور المخفضة ، او يبطلها .

واليك فيما يلي اجور شركة لوفتهانزا المخفضة:

ـ/٢١٠ دولار ، فرانكفورت ـ نيويورك ذهابا وايابا ، مدة الغياب ١٤ ـ ٤٥ يوميا .

ـ/١٨٠ دولار ، فرانكفورت ـ نيويورك ذهابا وايابا مدة الغياب ٧ ـ ٢١ يوما .

(وهذا سعر خاص بالجماعات المؤلفة من ٥ اشخاص او يزيد) .

ـ/١٩٠ دولار ، فرانكفورت ـ نيويرك ذهابا وايابا دون التقيد بمدة على الاطلاق .

(وهذا السعر خاص بصغار السن : ١٢ ـ ٢١ سنة) .

وقد اعلنت شركة اللوفتهانزا هذه الاجور المخفضة في اواخر الصيف الماضي ، في اعقاب الاجتماعات المتواصلة التي عقدتها منظمة الايانا IATA في منتريال ، في كندا .

والايانا هي المنظمة الدولية للنقل الجوي التي تضم في عضويتها اكثر شركات الطيران الرسمية ، وقد بلغ عددها ١٠٨ شركات ، ومنها اللوفتهانزا . والاهم من ذلك هو ان الايانا هذه هي التي تحدد اجور السفر على طائرات الشركات المنتسبة اليها. وقد عقدت اجتماعاتها الاخيرة في كندا بقصد تخفيض الاجور التي تستوفيها الشركات الاعضاء فيها للسفر على طائراتها بين اوربا وامريكا .

وليس من عادة الايانا ان تسعى الى تخفيض

اجور السفر . ولولا الخسائر الكبيرة التى منيت بها بعض الشركات الاعضاء فيها لما فكرت الاياتا مطلقا في عقد اجتماعات منتريال التى ذكرنا . ونذكر على سبيل المثال ان خسارة شركة لوفتهانزا قد بلغت ٢٤ مليون دولار في السنة الماضية وحدها.

وقد اتضح ان أهم اسباب تلك الخسائر هو ارتفاع اجور الاياتا وانخفاض اجور الشركات المزاحمة ، وهى شركات السياحة ومكاتب السفر التى تستاجر الطائرات جملة Charter وتتمكن بذلك من تنظيم رحلات جماعية تخرج فيها الطائرات ملأنة ، باجور زهيدة مغرية .

وانتهت اجتماعات كندا واعلنت الاياتا اجورها الجديدة المخفضة في تعرفة معقدة كثيرة الشروط والتحفظات اسموها ابكس apex . الا ان التخفيض لم يكن كافيا ولم يُرضِ شركة لوفتهانزا التى ما لبثت ان اعلنت اجورها الخاصة التي ذكرنا . والتفت اثرها شركات اخرى نذكر منها الشركة البريطانية BOAC والشركة السويسرية .

ولا بد من ان نذكر بعد كل هذا ان الحكومات المعنية لا بد وان توافق على هذه التخفيضات ، وهى لم تفعل ذلك بعد .

(ى . ز)

ارلندة

يعود أليها صراع مرير ، بدأ فيها منذ قرون

● تحتل أنباء المعارك الدائرة بين الكاثوليك من سكان ارلندة الشمالية والبروتستانت من سكانها صفحات الصحف هذه الايام ، فهل لكم ان تذكروا لنا عما اذا كان هذا الصراع الدائر يعود فقط الى الخلاف في العقيدة ام انه خلاف سياسي ؟ واكون شاكرا لو تكرمتم بذكر تاريخ هذا الصراع الذى يتدخل فيه الجيش البريطاني الآن .

سليم قافيش ـ الكويت

ـ الصراع الدائر الآن بين الكاثوليك والبروتستانت من سكان ارلندة الشمالية هو خلاف عقائدى ودينى تمتد جذوره الحقيقية الى اصول تاريخية بعيدة ، فمنذ احتل الانجلو ساكسون ايرلندة في القرن الثانى عشر الميلادى والصراع يدور بين الارلنديين الاصليين وبين الانجلو ساكسون على الاستقلال . وقد استطاعت ارلندة الجنوبية ان تستقل عن بريطانيا بعد ثورة عنيفة بدأت في عام ١٩١٦ وانتهت في عام ١٩١٩ ، وفي عام ١٩٤٨ اعلنت الجمهورية في ايرلندة وانسحبت من الكومنولث البريطانى وفي عام ١٩٤٩ وافق البرلمان البريطانى على هذه الخطوة ولكن احتفظ بحق بريطانيا في ضم ارلندة الشمالية الى بريطانيا وهى تضم ٦ اقاليم هى انتريم Antrim وارماج Armagh ، وديرى Derry ، ودون Doun وفرماناج Fermanagh ، وتيرون Tyrone أما العاصمة فهى بلفاست Bel.ast ، وتبلغ مساحة هذه الاقاليم ٥٤٥١ ميلا مربعا . ويقدر تعداد سكانها حاليا بـ ١٫٥١٢٫٠٠٠ نسمة حسب احصائيات عام ١٩٦٩ بينما مساحة جمهورية ارلندة تبلغ نحو ٢٦٫٦٠٠ ميل مربع ويقدر تعداد سكانها بنحو ٢٫٨٨٤٫٠٠٠ منهم ٩٥٪ كاثوليك.ولم ترض جمهورية ارلندة عن هذه الخطوة ولكنها سكتت على مضض . وفي عامى ١٩٦٨ و ١٩٦٩ بدأت اضراب عنيفة في ارلندة الشمالية (أولستر Ulste ٦) قام بها الكاثوليك الارلنديون ويبلغ تعدادهم حوالى ثلث السكان ـ اى انهم



اقلية هناك وكانوا يطالبون بالغاء بند في قانون الانتخابات المحلية ينص على ضرورة توافر ملكية معينة لكل ناخب لكي يستطيع أن يدلي بصوته في الانتخابات ، وكذلك يطالبون بالمساواة مع البروتستانت في فرص العمل .. ومنذ ذلك اليوم لم تهدأ الحالة هناك بل وتفاقمت سوءا بعد عدة حوادث وقعت بين الكاثوليك والبروتستانت ادت الى تدخل الجيش البريطاني في المقاطعة التي تحولت الى ساحة قتال . وظهر الى الوجود مرة اخرى الجيش الارلندى الجمهورى وهو نفس التنظيم الذى كان يقود حركات التحرر الارلندية في جمهورية ارلندة ابان الاحتلال البريطاني لها وقبل استقلالها . وبدا افراد هذا الجيش يتسللون من حدود جمهورية ارلندة الى مقاطعة اولستر .

من هذه الحقائق التاريخية المختصرة يتضح لنا ان الصراع الدائر حاليا هو صراع طويل استمر اكثر من ٧ قرون بين الارلنديين والبريطانيين تطور الى ان صار بين الارلنديين والارلنديين من البروتستانت والكاثوليك .

(م . ط)

الأمزون .. أغزر أنهار العالم

● قرأت أن نهر المسيسبي هو أغزر أنهار العالم .. فنرجو اعطاءنا فكرة عن هذا النهر ..

محمد حازم اشرفي ـ حلب

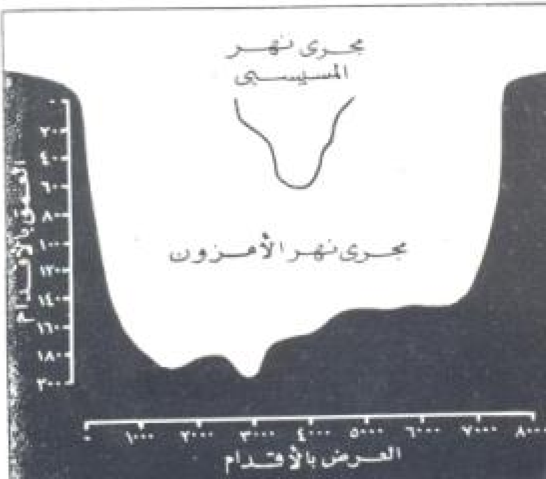
ـ ان أغزر أنهار العالم هو نهر الامزون Amazon ، بلا جدال . فالمياه تتدفق في المسيسبي بمقدار (٦٢٠٬٠٠٠) قدم مكعب في الثانية ، وبلغ تدفقها في نهر الامزون (٤٬٢٠٠٬٠٠٠) قدم مكعب في الثانية « المقادير المعطاة هي الدنيا » .

ويتبع غزارة مياه الانهار اتساع الاراضي المتصلة بها . فبينما تبلغ مساحة ما يرويه الامزون (٢٬٧٢٠٬٠٠٠) ميل مربع ، نرى أن مساحة الارض التي يرويها المسيسبي لا تزيد على (١٬٢٤٣٬٠٠٠) ميل مربع . ثم ان نهر الامزون اطول من المسيسبي ، وقد بلغ طوله ٣٩١٥ ميلا ، حسب المسح القديم و ٤١٨٠ ميلا حسب المسح الجديد ، الذى ذكرته مجلة صندى تايمز البريطانية مؤخرا . اما طول نهر المسيسبي فلا يزيد على ٢٨٦٠ ميلا .

أضف الى ذلك ان روافد نهر الامزون وفروعه تبلغ ١٥٬٠٠٠ رافد ، وان روافد نهر المسيسبي تكاد تعد على أصابع اليد .

وتجدر الاشارة الى ان نهر الامزون الذى يقطع القارة الامريكية الجنوبية من غربها ، حيث ينبع في جبال الآنديز ، الى شرقها حيث يصب في المحيط الاطلسي ، انما يقع أكثره في البرازيل . وقد شرعت حكومة البرازيل في شق طريق معبد بمحاذاة هذا النهر العظيم ، وسيكون طوله حين اكتماله نحو ٥٠٠٠ ميل . وقد أنجزوا من هذا الطريق نحو ١٠٠٠ ميل ، شقا وتعبيدا . وتقصد حكومة البرازيل من هذا الطريق الى انعاش اقتصاد الأقاليم الشرقية من البلاد ، وهي الاقاليم الشهيرة بجفافها ، فضلا عن استكمال فتح منطقة الامزون . فهذه منطقة ما زال الكثير منها مجهولا وتغطيه الادغال والاحراش ولم تطأه قدم انسان . يستثنى من ذلك سكان المنطقة الاصليون وهم من الهنود الحمر ، وهم آخذون في الانقراض . اذ لا يزيد عددهم حاليا على ٧٠٬٠٠٠ نسمة وقد كانوا نحو ٢ مليون عند اكتشاف البرازيل سنة ١٥٠٠ م .

(ى . ز)



عُقبة بن نافع

صور من حياته سريعة

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

■ خلال رحلات كثيرة تتبعت خطوات عقبة بن نافع بطل المغرب الأول وقطب اوليائه وسيد شهدائه ، وفيما يلي أقص اطرافا من بطولة عقبة جمعت بعضها من المطالعات وبعضها الآخر اثناء الرحلات .

صورة الفاتح المجيد عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري ، وقد قام على صهوة جواده على شاطىء الاطلسي واقحم الجواد في مائه الى صدره ورفع يديه وقال : « يا رب ! لولا هذا البحر المحيط لمضيت في البلاد الى ملك ذى القرنين مدافعا عن دينك ومقاتلا من كفر بك وعبد غيرك ! » هذه الصورة الفريدة في بابها اصبحت من زمن بعيد رمزا على قوة الاسلام الدافعة التى حملت المؤمنين من ابناء الصحراء الى اقصى ما يصل اليه الواصل غربا في تلك الأيام ، ودليلا على ان الايمان الصادق الذى لا يشوبه طمع في مال او نظر الى كسب من مكاسب الدنيا حقيق بأن يذلل لصاحبه كل عسير ويمكن له من الاتيان بما يشبه المعجزات .

هذه الصورة - او المشهد - تعيّن الحد الاقصى الذى وصل اليه الفاتح المجاهد عقبة بن نافع في حملته الكبرى التى اخترق فيها المغرب من القيروان الى جنوبي اغادير فيما بين سنتي ٦٢ و ٦٨٢/٦٤ ، وهى غزوة اسطورية الطابع بسبب ما ابدى عقبة ورجاله خلالها من البسالة والاستهانة بالموت والسعى وراء الشهادة في سبيل الله ، وما قام به من اعمال تدخل في بابها يسمى عادة بالكرامات . ولقد قطع عقبة في هذه الغزوة نحو ٦٥٠٠ كيلو متر في الذهاب ، ثم كر راجعا فقطع ٣٠٠٠ كيلو متر اخرى قبل ان يلقى الشهادة التى طالما تمناها عند تهودة قرب واحة بسكرة في جمهورية الجزائر الحالية ، فكأنه سار

مجاهدا ..٩٥٠ كيلو متر حاملا سيفه بيد وراية الاسلام باليد الاخرى ، وما نعتقد ان الاسكندر المقدونى فتح اكثر مما فتح عقبة او ادخل من البشر في رحاب الحضارة اكثر مما ادخل عقبة ، وعقبة على هذا حقيق بان يعد من عظماء الفاتحين وكبار المجاهدين في تاريخ البشرية كلها .

حملته الكبرى

بدا عقبة ولايته الثانية على افريقية (اى تونس) ـ وهى التى قام فيها بحملته الكبرى سنة ٦٨٢/٦٢ بعد ابى المهاجر دينار ، وكانت تجربته اثناء ولايته الاولى حافزة له على الاسراع باعداد حملته الكبرى لاختراق المغرب من اقصاه الى اقصاه ، فقد كان قد انفق سنوات ولايته الاولى من ٥٠ الى ٥٥/٦٧٠ ـ ٦٧٤ في بناء مدينة القيروان ثم فاجاه العزل قبل ان يخرج غازيا ، فلما عاد في المرة الثانية اسرع باعداد العدة للغزو والخروج للجهاد .

وكان سلفه ابو المهاجر قد كسب صداقة كسيلة رئيس قبيلة أوربه وادخله وقومه في الاسلام ، فلما جاء عقبة قبض على ابى المهاجر ، ويقال انه كبله بالحديد ، وتقول بعض المراجع انه قبض على كسيلة ايضا واهانه ، وليس لدينا ما يثبت ذلك وان كان من الحق ان نقرر ان عقبة اختلف مع كسيلة ، ولكنه لم يهنه ولا كبله بالحديد ، بل كان الرجل حرا طليقا في جيش عقبة وان لم يعترف له عقبة بالزعامة التى اقر له بها ابو المهاجر .

ولم يزد جيش عقبة على عشرين الف رجل من العرب كلهم من الفرسان ، وقد انضمت الى الجيش جموع غفيرة من البربر الذين اسلموا ورغبوا في الجهاد ، ومعظمهم الى ذلك الحين من الهواريين واللواقين من بدو البربر .

هدفه وغايته

وسار عقبة في حملته مسيرة مجاهد صادق لا ينظر الى كسب او مغنم ، وانما غايته الوحيدة ادخال الناس في الاسلام ومد رواقه ، فما كان يقبل من الناس الا الاسلام ، فهو يعرضه على من قابله من الاقوام ، فان اجابوا ترك فيهم من يعلمهم عقائد الاسلام ويبنى لهم مسجدا واندفع الى من يليهم ، فاذا رفضوا لم يسالم او يفاوض وانما يشد على القوم في عنف يزلزل اقدامهم ويرغمهم على التسليم او الفرار امامه ، وكان عقبة يظهر امام من يستسلمون له في صورة ولى الله الزاهد في كل شيء ، فهو يكتشف لهم مواقع الآبار ويخرج لهم الماء ، وهو لا يتلبس بدرهم او دينار ولا ياخذ لنفسه شيئا من الغنيمة او ينظر الى جارية او سبية ، وهو يقضى معظم الليل في صلاته ، فاذا غفت عينه نام على الارض ، فاذا اذن مؤذن الفجر نهض فصلى ثم امتطى صهوة جواده وسار متابعا طريق الجهاد .

وما كاد عقبة يتقدم في طريقه حتى احس ان البيزنطيين قد حالفوا البربر عليه ، وارسلوا اليهم رجالا من اهل الخبرة بحرب الحصون والحصار وآلات الحرب الثقيلة كالمنجنيقات ، وكان غرضهم من ذلك تعويق سيره باضاعة الوقت في الاستيلاء على الحصون ، وكانت كثيرة في تلك الجبال ، ولكن ايمان عقبة فوت عليهم هذا الغرض ، لان حصون الجبال لا تجتذب الا القائد الذى يطمع في المغانم بعد الاستيلاء عليها فضرب صفحا عن الاستيلاء على الحصون ، وصار اذا اعترضته جموع الروم والبربر قرب الحصون انقض عليها فشتت شملها فتهارب من بقى من رجالها ولجا الى الحصون ، وهناك يتركهم عقبة قابعين خلف اسوارهم ، هكذا فعل عند باغاية ولمبيزة ، ومن الطريف ان قبائل البربر عندما كانت ترى بسالة عقبة واصحابه وفزع الروم وهروبهم الى الحصون كان رجالهم يسرعون الى معسكر عقبة فينضمون اليه ويسلمون على يديه ، وتسير اعداد منهم مجاهدة مع المسلمين اعجابا بذلك الرجل وتعجبا مما كان يبدى من الزهد والتقشف والعزوف عن كل مظهر ومتاع .

صلاة فى مواجهة العدو

وعندما وصل عقبة الى تاهرت ـ وهى معقل جبلى بين مدينتى الجزائر ووهران وجد في انتظاره حشودا ضخمة من قبائل زناتية او بدوية مثل لواته وهوارة وزواغة ومطماطة ، فلم ترعه كثرتهم ، بل ترجل عن فرسه عندما حان موعد الصلاة واقام صلاته اماما لرجاله مواجها للعدو على مرمى حجر منه، وصلى بكل هدوء ، فلم يجرؤ واحد منهم على ان يرمى بسهم ، فلما ختم صلاته امتطى جواده وكر هو والمسلمون على الاعداء فتطايروا فزعا ، وما كانوا يعرفون الفزع قبل ذلك ، فقد كانوا ابدا رجال حرب بواسل ، ولكن

ايمان عقبة هزمهم ثم عاد نفس الايمان فاجتذبهم اليه ، فاستأمنوا اليه واسلموا بالالوف ، فبنى لهم مسجدا وخلف معهم من يعلمهم الكتاب والسنة ومضى في طريقه حتى بلغ طنجة .

عند طنجة وجد عقبة شخصية غريبة لا نعرف حقيقتها ، وهي شخصية يليان او الكونت يليان وكان في الاغلب نصرانيا، فأسرع وهادن عقبة ودخل في ولائه ودله على الطريق المؤدية الى قلب بلاد القبائل الصنهاجية الكبرى التي سادت جبال الاطلس في المغرب الاقصى منذ الازل وما قدر انسان الى ذلك الحين ان يطأ منازلها الا باذنها .

ولكن عقبة قدر على ذلك ، فاقتحم الجبال والاوعار كانه اعصار. فشق بلادهم شقا ، واستولى على وليلى ، واخترق اقليم تاولا ثم وصل وادي درعة في أقصى المملكة المغربية اليوم ، فقطع بذلك فوق الالف كيلو متر في نحو شهر ، وهو عمل عسكري لا يصدق .

وبلغ المدى

ولم يكتف عقبة بذلك بل جال جولة محفوفة بالمخاطر في مرتفعات اطلس الصحراء واجتاح اقليم تافللت وعاصمته سجلماسة ، ثم اندفع غربا نحو البحر مارا بسهل مراكش فاستولى في طريقه على اغمات ، ووصل وادي السوس واستولى على تارودانت ووصل المحيط عند قرية تسمى ايفران يطوف فيما بين اغادير وتزنيت وهناك اقحم فرسه في الماء واشهد الله على انه بلغ المدى !

لقد سرت في اعقاب عقبة المسافة من اغمات (جنوب مراكش) الى البحر فقطعنا نحو ٣٥٠ كيلو مترا بالسيارة في فياف رملية او صخرية مقفرة رغم جمالها ، واجتهدت في الوصول الى المحيط في نفس موضع عقبة على قدر ما استطعت التحقيق ، واشهد لقد شعرت بكياني كله يخفق وانا ارى بعيني الخيال عقبة العظيم وهو يشهد ربه ، وقد ترامى بصره خلف المحيط عند مغرب الشمس حيث ملك ذي القرنين كما قال .

وعاد عقبة مسرعا كما جاء . في كل مرحلة من مراحل الطريق كان الوف البربر يسلمون على يديه فيبنى لهم مسجدا ثم يمضي .

وعند قرية نفيس التي تقع على واد صغير شمالي وادي السوس ابتنى عقبة رباطا ومسجدا، وترك في الرباط جماعة من المجاهدين على رأسهم صاحب له يسمى شاكرا ، وما هو الا قليل حتى اصبح رباط شاكر مركزا عظيما لنشر الاسلام في جنوبي المغرب الاقصى .

ومضى عقبة في طريق العودة . كان صيته يسبقه الى كل مكان فتقبل القبائل لتسلم على يدى ذلك الولي الباسل الذى يركز حربته في الارض ويقول: احفروا هنا ! فلا يلبث الماء ان يتفجر عذبا زلالا . .

وبينما كان عقبة يتقبل اسلام من هداه الله من القبائل الصنهاجية الكبرى ويقاتل من كفر وابى الايمان منها ويبنى المساجد ، كان اعداؤه يدبرون عليه . كان كسيلة قد هرب من معسكره ، ولم يحفل عقبه لامره . وذهب الرجل الى قبيلته اوربة في الاطلس الوسطى ، وجعل يحشد صفوفهم مستعينا في ذلك بالبيزنطيين ، وفي مدخل طريق وعر ضيق يؤدى الى تهودة وقف بجموعه ينتظر .

الاستشهاد في سبيل الله

وعندما اقترب عقبة من ذلك الموضع سمع ان خطرا يهدد القيروان فاذن لمعظم رجاله في الاسراع الى العاصمة وبقي هو في خمسة الاف فقط ، وتقدم دون تردد نحو الاعداء ، فانسحبوا الى حصن تهودة ، وعندما صار على مرأى من الحصن ظهرت كمائن من الاعداء من كل ناحية ، ورأى عقبة واصحابه ان ساعة الشهادة قد انت، فترجل عن فرسه بكل ثبات ، وامر رجاله ان يفعلوا فعله ، وانتضوا سيوفهم وكروا على الاعداء وقاتلوا حتى استشهدوا عن آخرهم . .

وقفت في ذلك الموضع في يوم خريفي شديد الرياح في ١٧ نوفمبر ١٩٦١ . خلفنا كان يجرى وادي الابيوض بماء قليل ، وامامنا ضريح سيدى عقبة : مبنى صغير ابيض تقوم عليه قبة . كان الوقت قرب العصر . عندما جاء وقت الصلاة اقمنا الصلاة خلف شيخ جليل يسمى بو سعاد . كنا وحدنا عندما بدات الصلاة ، وقرأ الرجل في الركعات الثلاث سورة التوبة كاملة . عندما فرغت الصلاة نظرت خلفنا فاذا صفوف بعد صفوف من الناس يصلون وعليهم ذلك الوقار الذى يزين اهل الجبال في الجزائر..من اين اتوا ؟ لا ادرى ! لقد ناداهم عقبة الشهيد الاكبر ومؤمن المغرب الاول الذى شق بالايمان جباله وطوى بالاخلاص وهاده وعمر بالصدق والتفاني سهوله ، وملأها كلها بالايمان والدين والفضل وروح الجهاد .. ■■

حسين مؤنس

انباء الطب والعلم والاختراع

جمع بعض الطيور البرية هواية تهدد عصافير انجلترا بالانقراض

● اعلنت الجمعية الملكية لحماية الطيور فى انجلترا انه قد تم احصاء ان حوالى ٦ أزواج من عصافير « الصفار » الذهبية Orioles قد اقامت اعشاشا لها فى بريطانيا خلال الصيف الماضى . وطائر « الصفار » من الطيور التى تأوى الى الغابات الكثيفة وبالرغم من ان ذكر هذا الطائر يتميز بلون اصفر زاه واجنحة سوداء الا انه لا يمكن الشعور بوجوده الا عن طريق صفيره المرتفع ، او فى حالات نادرة عندما يشاهد عشه متدليا من احد اغصان الاشجار .

وتعشش طيور « الصفار » فى جنوب شرق انجلترا ويبدو ان عام ١٩٧١ كان عاما حسنا بالنسبة لهذه الطيور فى انجلترا ، ولكن من سوء الحظ ان هواية جمع بيض الطيور تقضى على ثروة بريطانيا من الطيور البرية والعصافير . وبالرغم من القوانين التى تحرم جمع بيض الطيور البرية وتفرض عقوبات معينة عليه الا ان هذه الهواية تزداد يوما بعد يوم .

ويبدو ان هواية جمع بيض الطيورليست هى وحدها التى تهدد طيور بريطانيا بالانقراض بل ان زيادة الاهتمام بالصقور المدربة نتيجة لعرض فيلم يسمى « Kes » سيؤدى هو الآخر الى تهديد طيور بريطانيا . والصورة المنشورة مع هذا الكلام تمثل طائر الصفار مختفيا فى عشه بين أغصان الشجر .



فى الغابات أشجار تنمو على الطبيعة عالية تحوطها أشجار قصيرة تدفع عنها الريح حارسة

● يلاحظ دائما ان الاشجار التى تقع على حافة غابة من الغابات تكون



فيروسات تساعد على عمليات التلقيح داخل أنبوبة الاختبار

● بالرغم من النجاح الذى لاقاه العلماء فى عمليات تلقيح البويضات الآدمية وبويضات الفئران داخل انبوبة الاختبار الا انه من الغريب انهم وجدوا صعوبة كبيرة فى اجراء مثل هذه العمليات بالنسبة لبويضات الارانب وهى معروفة بكثرة اخصابها !! وتتلخص هذه الصعوبة فى العملية المعروفة « بتمكين » الحيوان المنوى من اختراق البويضة ويطلق عليها اسم Capacitation وتتم هذه العملية داخل الحيوان المنوى قبل ان يخترق البويضة ويقوم بتلقيحها وهى عملية لم تعرف تفاصيلها بدقة حتى الآن . وقد تمكن العلماء من اكتشاف عدة طرق يتم بها « تمكين » الحيوان المنوى للرجل او للفار من اختراق البويضة داخل انبوبة الاختبار ولكنهم لم يستطيعوا حتى الآن ان يحققوا نفس النجاح بالنسبة للحيوان المنوى للأرنب .

وقد قام فريق من العلماء فى ولاية ميتشيجان Michigan الامريكية باكتشاف حيلة تمكنهم من تلقيح بويضة الارنب داخل انبوبة الاختبار دون ان تتم عملية « التمكين » الطبيعية . فقد فكر هذا الفريق من العلماء والذى يراسه الدكتور اريكسون R. J. Ericsson ، فى استغلال خاصية النفاذ من الاغشية والتى تتوفر فى فيروس معين يسمى سنداى Sendai ، وقام اريكسون بوضع الحيوان المنوى مع الفيروس الذى التصق بطرف راس الحيوان المنوى الاكروسوم Acrosome مما جعل الحيوانات المنوية تتجمع . وبعد ذلك قام بتعويض البويضات للحيوانات المنوية المضاف اليها الفيروس ووضعها فى حاضنة فى سوائل فسيولوجية مناسبة وبعد ساعات من تعريض البويضة للحيوانات المنوية والفيروسات ظهرت علامات التلقيح .

وقد استطاع اريكسون بهذه الطريقة الحصول على نسبة نجاح فى تلقيح بويضات الارانب تبلغ ٥٠٪ . كما انه اثبت ان وجود الفيروس لا علاقة له بانقسام الخلايا داخل البويضة .

ويقول العلماء المشتركون فى هذه التجربة ان الفيروس يقوم بفصل جزىء سالب من راس الحيوان المنوى وان هذه العملية قد تكون جزءا من عملية « التمكين » الطبيعية والتى تسبق خروج الانزيمات من الاكروسوم . فاذا صح هذا فان اكتشاف اريكسون يصبح له اهمية كبيرة فى الكشف عن اسرار عملية التمكين التى لا تزال تحير الكثير من العلماء .

يبقى احتمال واحد وهو ان يكون الفيروس قد تسبب فى الغاء عملية « التمكين » الطبيعية وان التلقيح تم بطريقة غير طبيعية وهو امر لا يزال فريق اريكسون من العلماء يحاول جلاء غوامضه .

قصيرة ذات جذوع سميكة ترق كلما ارتفعت ، بينما تكون الاشجار الموجودة داخل الغابة نفسها مختلفة تماما فهى اشجار طويلة ذات جذوع مستديرة مستقيمة لا تختلف اقطارها بارتفاعها .

ويبدو ان الطبيعة قد جعلت من الاشجار القصيرة ذات الجذوع السميكة التى تقع على حافة الغابة حراسا على الاشجار الطويلة داخل الغابة ودليل ذلك انه عندما يتم قطع الاشجار الخارجة القصيرة فان الاشجار الداخلية الطويلة سرعان ما تتساقط وتتهاوى بفعل اى مؤثرات طبيعية .

وهنا يبرز سؤال هام .. وهو ما الذى يجعل الاشجار الخارجة تنمو بهذه الطريقة ؟!

وقد حصل العالمان الامريكيان نيل P. Neel وهاريس R. W. Harris من

جامعة كاليفورنيا على اجابة مثيرة لهذا السؤال بعد بحث استغرق زمنا طويلا . لقد لاحظا ان الاشجار التى تنمو متفرقة تشابه فى نموها تلك الاشجار التى تقع على حافة الغابة . وفكرا فى ان هذا يعود الى تعرض الشجيرات المستمر الى الرياح اثناء نموها . ونتيجة لهذا قاما بتجربة لمعرفة تأثير حركة جذع الشجرة اثناء عملية النمو .

جمع نيل ٨ ازواج من شجيرات صغيرة غرسها فى مشتل تحت درجة حرارة ثابتة . وقام بهز شجرة من كل زوج لمدة ٣٠ ثانية بالضبط فى الساعة الثانية والنصف من صباح كل يوم وتابع ذلك لمدة ٢٧ يوما . وكانت النتيجة مذهلة فى نهاية التجربة فقد نمت الاشجار التى لم تتعرض للهز اكثر من ٢٠ سم بينما لم يزد نمو الاشجار التى تعرضت للهز اكثر من ٣ر٤ سم . ولم يقتصر الامر على ذلك بل ان ستة شجيرات من الثمانية التى تعرضت للهز قد ظهر فيها برعم على طرف ساق النمو . وهذا البرعم لا يظهر الا عندما تنتهى فترة النمو السريع للشجرة . وحتى الشجرتين اللتين لم تظهر عليهما البراعم فان نموهما لم يزد عن ٨ر٦ سم خلال الايام السبعة والعشرين التى استغرقتها التجربة . وقام العالمان الامريكيان بعد ذلك بفحص التكوين الداخلى للشجيرات التى خضعت للتجربة فوجدا ان الأوعية الناقلة فى جذوع الشجيرات التى تعرضت للهز اقصر بكثير من مثيلاتها فى الشجيرات التى تركت تنمو تحت الظروف العادية وان كانت لا تختلف عنها فى قطرها . وكذلك فان الياف الخشب اصبحت اقصر واضيق فى الشجيرات المهزوزة . ولا يزال العالمان الامريكيان يبحثان عن الاسباب التى تؤدى الى هذا التغير فى النمو نتيجة للاهتزاز ..

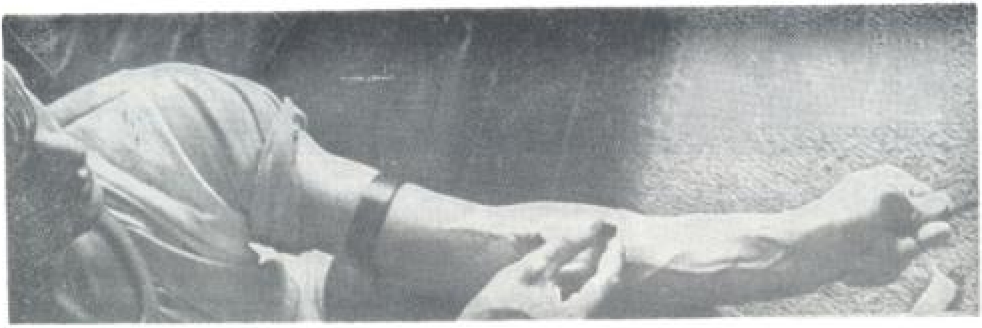
وهكذا ترى الخلق يستجيب لعوامل الطبيعة وقد ضربنا هنا من هذه العوامل مثلا للريح .

أمل جديد لمدمنى الهروين !

● الهيروين من اشد المخدرات ضررا على مدمنيه ، والمدمن يتعرض لاعراض عنيفة عندما يحاول الامتناع عن تناول المخدر وهى مشكلة من اهم المشاكل التى تواجه علاج مدمنى هذا المخدر . ويبدو ان هناك املا فى علاج هؤلاء المدمنين دون تعرضهم لتلك الاعراض العنيفة التى تصاحب امتناعهم عن تناول المخدر فقد جاءت الاخبار بأن استعمال عقار الهالدول Haldol ، وهو مهدىء عادى موجود فى الاسواق قد يكون له تأثير فعال فى القضاء على اعراض الاقلاع عن تناول الهيروين عند علاج المدمنين وقد اثبتت التجارب الاولية التى اجريت فى جامعة رود ايلاند Rhode Island ، فى الولايات المتحدة الامريكية ، على الحيوانات والآدميين ان لهذا العقار نتائج مشجعة فى القضاء على اعراض الكف عن تناول الهيروين .

وقد اعلن العالمان ينى كاركالاس Y. Karkalas ، وهاربانس لال H.Lal عن اكتشافهما لتأثير عقار « الهالدول » كأول عقار لا يسبب الادمان لعلاج ادمان الهيروين ، وذلك فى اجتماع جمعية الاقرباذين السلوكى فى فيلادلفيا .

وقد بدأ « لال » تجاربه على الفئران التى تم تعويدها على تناول المورفين . فمتى انقطع المورفين عن الفئران المدمنة ظهرت عليها عدة اعراض من بينها الشراسة



والعض والصراخ واحيانا الميل الى قتل الفئران الاخرى التى توجد معها فى القفص . وفكر « لال » فى ان نوبات الشراسة هذه قد تكون ناتجة عن زيادة فى نشاط الاعضاء الحسية الخاصة بالادمان فى المخ Dopamine ، ولما كان من المعروف ان عقار « الهالدول » يقوم بابطال عمل هذه الاعضاء الحسية التى تتحكم فى حركة العضلات الرقيقة فقد استنتج ان هذا العقار قد يؤدى الى التقليل من اعراض الاقلاع عن تناول المخدرات . وقام « لال » بتجربته التى اثبتت صدق حدسه .

وعقار « الهالدول » من عائلة المورفين كيماويا غير انه ليس مخدرا او مسببا للادمان .

ويعتقد « لال » و « كاركالاس » انه لهذا السبب فانه يقضى على اعراض الاقلاع عن المورفين لانه يؤثر فى نفس الاماكن التى يؤثر عليها المورفين فى المخ .

وبعد نجاح تجاربهما على الفئران قاما باجراء تجاربهما على ١٠ اشخاص من مدمنى الهيروين وقاما باعطاء كل واحد منهم ٣ جرعات يومية من « الهالدول » كل جرعة تتراوح بين ١ مليجرام الى ٢ ميلجرام .

وكانت النتائج مشجعة ففى الفترة ما بين ١٢ الى ٤٨ ساعة بعد بدء العلاج تخلص ٥ من المدمنين من جميع اعراض الامتناع عن المخدر ، واستجاب شخص آخر جزئيا ولكن الاربعة الآخرين لم تتحسن حالتهم ولم يتأثروا بالعقار .

ويقول « لال » ان عقار « الهالدول » لا يشفى من ادمان الهيروين ولكنه يخلص المدمنين من الهزات العصبية المنيفة التى يتعرضون لها عند الاقلاع عن تناول المخدر .

اما عملية الشفاء من الادمان فانها تتطلب علاجا نفسيا قد يستمر عدة سنوات بعد اقلاع المدمن عن تناول المخدر ولا يزال العالمان غير متأكدين عما اذا كان من الضرورى للمدمنين التائبين ان يتناولوا عقار « الهالدول » طوال فترة علاجهم النفسانى ام لا . .

انه امل جديد للتخلص من خطورة الهيروين ذلك المخدر القاتل الذى اصبح داء متفشيا فى امريكا بالذات . ● ●

ابن الأثير ...

بقلم : عبد الستار فراج

■ ابن الأثير .. ابن الأثير .. ابن الأثير .. ✱

لفظ مركب ، يتكرر في كثير من تراثنا الثقافي الأصيل ، من كتب الحديث ، وكتب اللغة ، وكتب التاريخ ، وكتب التراجم ، وكتب الأدب . فمن هو الأثير ؟ ومن هو ابنه أو بنوه ؟ وما معنى الأثير ؟

الأثير من معانيه في اللغة : من تؤثره وتقدمه ، ومن تجعله من خلصائك وخاصاً بك .

وقد صار لفظ الأثير من الألقاب التي كانت تطلق على نوع خاص من أرباب الوظائف وأصحاب الصفات العلمية .

يقول القلقشندي في كتابه « صبح الأعشى » :

.. الأثير بالثاء المثلثة من ألقاب أرباب الأقلام ، من القضاة والعلماء والكتّاب ونحوهم ، وربما استعمل في ألقاب الصلحاء أيضا .

ولفظ « الأثير » الذى اشتهر بإضافة « ابن » إليه يقول عنه ياقوت في معجم الأدباء ، في ترجمة المبارك بن محمد « والأثير هو أبوه : محمد بن محمد بن عبد الكريم » .

هذا وليس « ابن الأثير » واحدا من أبنائه ، بل هم ثلاثة اشتهروا بهذه الكنية .

ولا شك أن إطلاق لقب الأثير له دلالة على أنه كان رجلا ذا علم ومنصب ، ومن العجب أن الكتب التى ترجمت لأبناء الأثير الثلاثة لم تذكر لنا ترجمة لأبيهم الذى اشتهروا بالإضافة إليه ، ولم يذكروا متى ولد ولا متى مات ، ولم يذكروا ما تقلده من أعمال ، حتى ابنه المؤرخ أبو الحسن على لم يترجم لوالده ، ولم يذكره في الوفيات التى يذكرها في أعقاب حوادث الأعوام المتوالية التى بنى عليها تاريخه المشهور باسم « الكامل » لابن الأثير .

وظيفة الأثير

لكن بتعقبي لما جاء فيه من حوادث ، وتتبعى ما يرويه من غالب الأخبار في الأعوام الواقعة بين سنة ٥٢٧ وسنة ٦٢٩ ، وهي التى يشتمل عليها الجزء الحادى عشر والجزء الثانى عشر من تاريخه ظفرت بما يدل على وظيفة أبيهم محمد بن محمد بن عبد الكريم ، في حوادث سنة ٥٦٥ عندالكلام على وفاة قطب الدين مودود بن زنكى . ذلك أن ابن الأثير المؤرخ قال : « حدثنى والدى رحمه الله قال : كنت أتولى جزيرة ابن عمر لقطب الدين — كما علمتم — فلما كان قبل موته بيسير أتانا كتاب من الديوان بالموصل ، يأمرون بمساحة جميع بساتين العقيمة ، وهذه العقيمة قرية ، لها بساتين كثيرة ، بعضها يمسح فيؤخذ منه على كل جريب

✱ انظر مجلة العربى العدد ١٤٣ في اكتوبر ١٩٧٠ صفحة ١٥٤ والاجابة عن : ابن الاثير من هو .

.. بَلْ أَبْنَاؤُه

شيء معلوم . وبعضها عليه خراج ، وبعضها مطلق عن الجميع ، قال : وكان لي فيها ملك كثير ، فكنت اقول ان المصلحة ان لايتغيّر على الناس شيء ، وما اقول هذا لاجل ملكي ، فانني انا اسمح ملكي ، وانما أريد أن يدوم الدعاء من الناس للدولة ، فجاءني كتاب النائب يقول لا بد من المساحة ... » الى آخر ما يذكره . ومن هذا النص نعرف انه كان عاملا في جزيرة ابن عمر لامير الموصل ، وانه كان له ملك كثير ، وانه يراجع الديوان فيما يامر به اذا راى في ذلك مصلحة .

وفي حوادث سنة ٥٥٩ عند الكلام على وفاة الوزير جمال الدين محمد بن علي بن أبي منصور يقول ابن الاثير المؤرخ : « حكى لي والدي عنه قال : كثيرا ما كنت أرى جمال الدين اذا قُدِّم اليه الطعام ياخذ منه ومن الحلوى ، ويتركه في خبز بين يديه ، فكنت انا ومن يراه نظن انه يحمله الى أمّ ولده علي . فاتفق انه في بعض السنين جاء الى الجزيرة مع قطب الدين ، وكنت أتولى ديوانها ، وحمل جاريته ام ولده الى داري لتدخل الحمام ، فبقيت في الدار اياما ، فبينما انا عنده في الخيام وقد اكل الطعام ، فعل كما كان يفعل ، ثم تفرق الناس ، فقمت فقال : اقعد ، فقعدت ، فلما خلا المكان قال لي : قد آثرتك اليوم على نفسي ، فانني في الخيام ما يمكنني أن افعل ما كنت افعله ، خذْ هذا الخبز واحمله انت في كمك في هذا المنديل ، واترك الحماقة من رأسك ، وعُدْ الى بيتك ، فاذا رأيت في طريقك فقيرا يقع في نفسك أنه مستحق فاقعد أنت بنفسك واطعمه هذا الطعام .

قال : ففعلت ذلك ، وكان معي جمع كثير ففرقتهم في الطريق لئلا يروني افعل ذلك ، وبقيت في غلماني ، فرأيت في موضع ، انسانا اعمى ، وعنده اولاده وزوجته ، وهم من الفقر في حال شديد ، فنزلت عن دابتي اليهم ، واخرجت الطعام واطعمتهم اياه ، وقلت للرجل ، تجيء غدا بُكرةً الى دار فلان — أعني داري ، ولم أعرفه نفسي — فانني آخذ لك من صدقة جمال الدين شيئا .

ثم ركبت اليه العصر ، فلما رآني قال : ما الذي فعلت في الذي قلت لك ؟ فاخذت اذكر له شيئا يتعلق بدولتهم . فقال : ليس عن هذا اسالك ، انما اسالك عن الطعام الذي سلمته اليك . فذكرت له الحال . ففرح ثم قال : بقي انك لو قلت للرجل يجيء اليك هو واهله فتكسوهم وتعطيهم دنانير وتجري لهم كل شهر دنانير . قال : فقلت له : قد قلت للرجل حتى يجيء الي . فازداد فرحا . وفعلت بالرجل ما قال ، ولم يزل يصل اليه رسمه حتى قبض . وله من هذا كثير . » .

من هذا النص نعرف ان « الاثير » كان يتولى ديوان جزيرة ابن عمر لامير الموصل قطب الدين مودود . وأن وزيره يثق بالاثير فيجعل جاريته أم ولده عنده وتمكث فيها أياما . كما نعرف أنه يسير ومعه جمع كثير ، وله غلمان يتبعونه ، فهو

اذن رجل له مكانته في البلد الذي هو فيه ، فلا عجب ان يكون له ابناء لهم همة في طلب المعالي والوصول الى الكمال .

جزيرة ابن عمر

وفي ترجمة كل واحد من ابناء الاثير يقال عنه « ابن الاثير الجزري الشيباني » .

« والجزري » نسبة الى جزيرة ابن عمر ، وجزيرة ابن عمر يقول عنها ياقوت في معجم البلدان « بلدة فوق الموصل واحسب ان اول من عمرها الحسن بن عمر بن خطاب التغلبي ، وكان له امراة بالجزيرة ...

وهذه الجزيرة تحيط بها دجلة ، الا من ناحية واحدة ، شبه الهلال، ثم عُمِل هنالك خندق اجرى فيه الماء ، ونصبت عليه رحى ، فاحاط بها الماء من جميع جوانبها بهذا الخندق ، وينسب اليها جماعة كثيرة منهم ابو طاهر ابراهيم بن محمد بن ابراهيم (١) ، كان رجلا كاملا ، جمع بين العلم والعمل ، تفقه بالجزيرة ـ على عمر بن محمد البزري مات بها سنة ٥٧٧ ....

وبنو الاثير العلماء الادباء .. » .

وقد كتب في المطبوع من معجم البلدان ما يأتي « تفقه بالجزيرة على عاملها يومئذ عمر بن محمد البزري » .

ولا شك ان في الطباعة خطأ ، وصحتها « على عالمها » او « على امامها » ذلك أن عمر بن محمد بن احمد بن عكرمة ، وكنيته ابو القاسم قال ابن خلكان عنه انه « امام جزيرة ابن عمر وفقيهها ومفتيها » وذكر انه مات سنة ٥٦٠ بالجزيرة (جزيرة ابن عمر) كما قال عنه ابن الاثير المؤرخ في حوادث ٥٦٠ « وفيها توفي الشيخ الامام ابو القاسم عمر بن عكرمة بن البزري الشافعي ، تفقه على الفقيه الكيا الهراسي ، وكان واحد عصره في الفقه ، تأتيه الفتاوى من العراق وخراسان وسائر البلاد ، وهو من جزيرة ابن عمر » كما قال عنه ياقوت في بقية كلامه عن جزيرة ابن عمر في معجم البلدان « وابو القاسم عمر بن محمد بن عكرمة الفقيه الشافعي ، توفي في ٥٦٠ بالجزيرة وخلف تلامذة كثيرة » .

اما ابن خلكان فقال عن جزيرة ابن عمر في ترجمة المؤرخ ابي الحسن ابن الاثير : علي بن محمد :

« والجزيرة المذكورة اكثر الناس يقولون انها جزيرة ابن عمر ، ولا ادري من ابن عمر ، وقيل انها منسوبة الى يوسف بن عمر الثقفي امير العراقيين ثم اني ظفرت بالصواب في ذلك ، وهو ان رجلا من اهل برقعيد من اعمال الموصل بناها ، وهو عبد العزيز بن عمر ، فاضيفت اليه . ورأيت في بعض التواريخ أنها جزيرة ابْنَيْ عُمَر أوْس وكامِل . ولا ادري ايضا من هما . ثم رأيت تاريخ ابن المستوفي في ترجمة ابي السعادات المبارك بن محمد ، اخي ابي الحسن المذكور انه من جزيرة اوس وكامل ابني عمر بن اوس الثعلبي » والثعلبي احسب أن صحتها التغلبي اذ أن بني تغلب من ربيعة ، ومنهم بنو شيبان ، ولهم في هذه المناطق اقامة .

وقال ابن خلكان في ترجمة ابي السعادات المبارك : « جزيرة بن عمر : مدينة فوق الموصل على دجلتها ، سميت جزيرة لان دجلة محيطة بها . قال الواقدي : بناها رجل من اهل بَرْقَعيد يقال له عبد العزيز بن عمر » .

وجزيرة ابن عمر وما يتبعها من قرى وحصون وبساتين ، كانت في عهود الدويلات تارة تستقل بامير لها ، وتارة تتبع الموصل . وان كانت في كلا الحالين تابعة اسما للخليفة العباسي ببغداد .

وقد تناوب حكام من نسل الشهيد عماد الدين زنكي على حكم الموصل وما قارب هذه المناطق من جزيرة ابن عمر وسنجار وغيرهما ، بل ان ابنه السلطان نور الدين محمود بن زنكي امتد حكمه حتى شمل مصر والشام وكان من أتباعه اسد الدين شيركوه وصلاح الدين الايوبي . وقد صارت اغلب الولايات التي ملكها زنكي قسمة بين ذريته ، يضاف اليها ما فتحوه بعده . وفي أيام اشتغال الاثير محمد بن محمد بن عبد الكريم كانت جزيرة

---

(١) في تاريخ ابن الاثير قال عنه ابراهيم بن محمد بن مهران الفقيه الشافعي .

ابن عمر تابعة للموصل التى يحكمها قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكى ، وهو أخو السلطان نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى .

الشيبانى

لم تذكر لنا المصادر التى ترجمت لبنى الاثير لماذا نسبوا الى شيبان ، وهل كانت النسبة الى شيبان لانهم من بنى شيبان تسلاً وبنوة ، او لانهم نسبوا الى بنى شيبان بالولاء ، وشيبان المقصودة في نسبتهم اليها هي القبيلة العربية المشهورة التى تنتمى الى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، ولها شهرة في الوقائع الحربية في الجاهلية والاسلام وقد انتقل بعضها الى شمال العراق بين نهرى دجلة والفرات حيث وصلوا الى الموصل وما والاها من البقاع . يقول ابن خلدون في تاريخه « واوسعها واكثرها شعوبا بنو شيبان وكانت لهم كثرة في صدر الاسلام شرقى دجلة في جهات الموصل » .

ابو الكرم

ونلحظ فى ترجمة ابن خلكان لبنى الاثير انه يكنى آباهم بهذه الكنية العربية « ابو الكرم » الدالة على الجود والسخاء ففي ترجمة أكبر ابنائه يقول « أبو السعادات المبارك بن أبى الكرم محمد » وفي ترجمة أوسطهم يقول « أبو الحسن علي بن أبى الكرم محمد ... » .

وفي ترجمة أصغرهم يقول « أبو الفتح نصر الله ابن أبى الكرم محمد ... » .

وابن خلكان من أهل البلاد المجاورة لبلاد بنى الاثير ، بل ان اباه كان صديقا وصاحب مودة اكيدة لابى الحسن وأبى الفتح ابنى الاثير ، وقد نص على ذلك في ترجمة كل منهما ، كما انه تلقى عن كل منهما ، ونقل من مؤلفاتهما ومؤلفات اخيهما الاصغر ولا يذكر المؤرخ منهما الا بقوله : قال شيخنا .. وذكر شيخنا .. ولقد كان نقله عنه كثيرا في كتابه « وفيات الاعيان » .

والمعروف أن الانسان يكنى غالبا باكبر ابنائه ، فيقال مثلا في الامام علي بن أبى طالب « أبو الحسن » لان اكبر ابنائه الحسن ، وقل ان يكنى الانسان بغير ابنه الاكبر ، كما قيل في ابى بكر الصديق ولا نعرف ان له ابنا اسمه بكر .

وهذا الاثير محمد بن محمد بن عبد الكريم كناه ابن خلكان بابى الكرم ، ولم يذكر احد من المؤرخين الذين قرأت لهم تراجم لابناء الاثير ان له ولدا اسمه « الكرم » . ولهذا يخيل الينا انه كنية اريد بها مدح الاثير وانه كان كريما سخيا حتى صار أبا للكرم نفسه ، وهذا غير مستبعد فان ابنه المؤرخ ابا الحسن عليا قالوا عنه « وكان بيته مجمع الفضل لاهل الموصل والواردين عليها » هذا والكرم ايضا صفة قد يوصف بها الجماعة فتقول رجل كرم ورجال كرم . فلعل الكنية « ابا الكرم » أريد بها انه « ابو الكرام » مدحا له باعتبار ان ابناءه كرام في صفاتهم ..

الانتقال الى الموصل

اما ان ابناء الاثير ولدوا في جزيرة ابن عمر فهذا ما اتفق عليه المؤرخون ، واما انتقالهم مع ابيهم بعد ذلك الى الموصل فهو ايضا من المتفق عليه .

لكن متى انتقلوا الى الموصل ولماذا ؟ ذلك مالم اعثر على النص فيه ، لكننا نستطيع ان نحدد المدة بالتقريب مما نقرأ في اخبارهم وكتبهم ، وأرجح ان ذلك كان فى سنة ٥٧٢ او أواخر سنة ٥٧١ . يقول ابن الاثير المؤرخ في حوادث سنة ٥٧١ « في هذه السنة ، في شهر رمضان انكسفت الشمس جميعها ، واظلمت الارض حتى بقي الوقت كانه ليل مظلم ، وظهرت الكواكب ، وكان ذلك ضحوة النهار يوم الجمعة التاسع والعشرين منه ، وكنت حينئذ صبيا بظاهر جزيرة ابن عمر مع شيخ لنا من العلماء اقرأ عليه الحساب ، فلما رأيت ذلك خفت خوفا شديدا ، وتمسكت به فقوى قلبى ، وكان عالما بالنجوم أيضا وقال لى : الآن ترى هذا جميعه انصرف . فانصرف سريعا » .

وفي حوادث سنة ٥٧٢ يقول :

« وفيها رأيت بالموصل خروفين ببطن واحد وراسين ورقبتين وظهرين وثمانى قوائم كانهما خروفان ، ببطن واحد ، وجه احدهما الى وجه الاخر ، وهذا من العجائب » .

وفي حوادث سنة ٥٧٥ يقول .

في هذه السنة هبت ريح سوداء مظلمة بالديار الجزرية والعراق وغيرها ، وعمت أكثر البلاد من الظهر الى أن مضى من الليل ربعه ، وبقيت الدنيا مظلمة لايكاد الانسان يبصر صاحبه ، وكنت حينئذ بالموصل .

ويرجح هذا التاريخ الذى استنتجته ان الاخ الاكبر المبارك بن محمد ، تولى الخزانة لسيف الدين غازى بن مودود بن زنكى ، ثم ولاه ديوان الجزيرة وأعمالها ، ثم عاد الى الموصل فناب في الديوان عن الوزير جلال الدين على بن جمال الدين محمد ، ثم اتصل بمجاهد الدين قايماز بالموصل ايضا . فنال عنده درجة رفيعة ونلاحظ أن سيف الدين غازى مودود تولى الحكم سنة ٥٦٥ وتوفى سنة ٥٧٦ وانه استوزر جلال الدين على في سنة ٥٧١ وظل وزيرا الى سنة ٥٧٣ ، وان مجاهد الدين قايماز انتقل الى الموصل في سنة ٥٧١ وسكن قلعتها وتولى تدبير أمورها وفوض اليه سيف الدين غازى بن مودود صاحب الموصل الحكم في سائر بلاده .

وهذا لا يمنع أنهم كانوا ينتقلون الى جزيرة ابن عمر أو يترددون اليها ، لان لهم فيها أملاكا ، ولعل لهم فيها أهلا وقبيلة ، لكن الاقامة الدائمة صارت في الموصل يقول ابن الاثير المؤرخ في حوادث سنة ٥٧٤ وقد تكلم عن الغلاء فقال :

« ودام كذلك الى آخر سنة ٥٧٥ . ومن عجيب ما رأيت انى قصدت رجلا من العلماء الصالحين بالجزيرة لاسمع عليه شيئا من حديث النبى صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان سنة خمس وسبعين ، والناس في أشد ما كانوا غلاء وقنوطا من الامطار » .

وهذا الجدب والغلاء مما يدعو الى اللجوء الى بلدهم الاصلى الذى لهم فيه ملك واسع .

والموصل خرّجت من القديم أدباء وعلماء ، ومن أدبائها المشهورين الخالديان والسرى الرفاء على أنها قبل عماد الدين زنكى الذى قتل سنة ٥٤١ كانت ـ كما يقول ابن الاثير المؤرخ ـ من اقل بلاد الله فاكهة ، فصارت في أيامه وما بعدها من أكثر البلاد فواكه ورياحين وغير ذلك .

ولا يمنع أنها كانت قبله بمئات السنين ذات ربا فيحاء ، محمودة العيش ، وأن أهلها مشهورون بالجود ، وهذا السرى الرفاء الشاعر الموصلى المتوفى بين سنة ٣٦٢ و ٣٦٦ يقول متشوقا :

سقى ربا الموصل الفيحاء من بلد
جود من المزن يحكى جود أهليها

أأندب العيش فيها أم أنوح على
أيامها أم أعزى في لياليها

أرض يحن اليها من يفارقها
ويحمد العيش فيها من يدانيها

وفاة الأثير

قلت ان الأثير محمد بن محمد بن عبد الكريم ليس له ترجمة ، ولم يذكر ابنه المؤرخ السنة التى مات فيها ، وقد يكون اوضح ذلك عرضا في كتابه البالغ اثنى عشر جزءا بحيث لم انتبه الى ذلك ، لكننا نستطيع أن نقول انه مات بعد سنة ٥٩٠ وذلك اعتمادا على النص الذى رواه ياقوت في معجم الادباء في ترجمة المبارك بن محمد بن محمد وهو اكبر أبناء الأثير محمد اذ يقول رواية عن ابن الأثير المؤرخ ما يأتى :

« وحدثنى أخوه المذكور قال : حدثنى أخى أبو السعادات قال : لقد الزمنى نور الدين ـ ارسلان شاه ـ بالوزارة غير مرة ، وأنا أستعفيه حتى غضب منى ، وأمر بالتوكيل بى ، قال : فجعلت أبكى ، فبلغه ذلك ، فجاءنى وأنا على تلك الحال ، فقال لى : أبلغ الامر الى هذا ؟ ما علمت ان رجلا ممن خلق الله يكره ما كرهت . فقلت : أنا يا مولانا رجل كبير ، وقد خدمت العلم عمرى ، واشتهر ذلك عنى في البلاد بأسرها ، وأعلم أننى لو اجتهدت في اقامة العدل بغاية جهدى ما قدرت أؤدى حقه ، ولو ظُلِمَ أكّار في ضيعة من أقصى أعمال السلطان لَنُسِبَ ظُلْمُه إليَّ ورَجَعْتَ أنت وغيرك باللائمة عليَّ . والمُلْكُ لا يستقيم الا بالتَّسَمُّح في العَسْفِ ، وأخذ هذا الخَلْقِ بالشدة ، وأنا لا أقدر على ذلك . فأعفاه . وجاءنا الى دارنا فخبَّرَنا بالحال ، فاما والده وأخوه فلاماه على الامتناع . فلم يؤثر اللوم عنده اسفا » .

هذا ونور الدين أرسلان شاه تولى امارة الموصل في آخر شعبان سنة ٥٨٩ وظل اميرا الى ان مات في

آخر رجب سنة ٦٠٧ واذن فقد كان ابوه حيا في سنة ٥٨٩ على الاقل .

ونجد في حوادث سنة ٥٧٥ أن ابن الاثير المؤرخ يذكر احد الاعلام الذين توفوا فيها ، وأن اسمه متفق مع اسم والدهم فيقول « ومحمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن سديد الدولة الانبارى كاتب الانشاء بعد أبيه » لكن الخبر الذى رواه ياقوت في ترجمة المبارك بن محمد ، ينفى توهم ان هذا المذكور في حوادث سنة ٥٧٥ هو أبوهم . ولم يذكر احد أن أباهم كان يعرف بابن سديد الدولة الانبارى كاتب الانشاء وليس هناك من داع لان يغفل ابنه انتسابه اليه وانما هو اتفاق في الاسماء مع اختلاف في الجهات » .

ابناء الأثير

مما تقدم عرفنا ان للأثير أكثر من ابن ، ونذكر لمحة عن كل منهم تبين مقدار فضلهم وما تركوا من آثار هي غرة في التراث العربي ، وثروة علمية تدل على غزارة في التحصيل ، وقدرة على الدراسة وسعة في المدارك واجادة التنظيم . وقد نقل الزبيدى في تاج العروس في مادة أثر ما قاله احد الشعراء فيهم ، وواضح أنه من نظم العلماء .

وبنو الأثير ثلاثة
قد حاز كل مفخرا
فمؤرخ جمع الملو
م وآخر ولى الوزرا
ومحدث كتب الحديث
له النهاية في الأثر

ابن الأثير أكبرهم

هو المبارك بن محمد بن محمد عبدالكريم الجزرى الشيباني. لقبه مجد الدين وكنيته أبو السعادات.

ترجم له أخوه في كتابه « الكامل في التاريخ » كما ترجم له ياقوت في كتابه معجم الأدباء ، وابن خلكان في وفيات الأعيان ، والقفطى في انباه الرواة وابن كثير في البداية والنهاية ، والسيوطى في بغية الوعاة والذهبى في كتابه العبر ، وابن العماد في شذرات الذهب .. وغيرهم، ونص ابن خلكان على أن أبا البركات بن المستوفي ترجم له في تاريخه ، وأنه قال عنه « أشهر العلماء وأكبر النبلاء قدرا ».

وقال عنه أخوه في تاريخه « مولده في أحد الربيعين سنة أربع وأربعين وخمسمائة . وقال : كان عالما في عدة علوم ، منها الفقه والأصولان ، والنحو ، والحديث واللغة ، وله تصانيف مشهورة في التفسير والحديث والنحو والحساب وغريب الحديث ، وله رسائل مدونة ، وكان كاتبا مفلقا يضرب به المثل، ذا دين متين، ولزوم طريق مستقيم، رحمه الله ورضي عنه، فلقد كان من محاسن الزمان، ولعل من يقف على ما ذكرته يتهمني في قولى ومن عرفه من أهل عصرنا يعلم أنى مقصر » .

كان مولده في جزيرة ابن عمر ، وبها نشأ . ثم انتقل مع والده وأخويه الى الموصل .

وقال ياقوت في معجم الأدباء :

« تولى الخزانة لسيف الدين الغازى بن مودود ابن زنكى ، ثم ولاه ديوان الجزيرة وأعمالها ، ثم عاد الى الموصل فناب في الديوان عن الوزير جلال الدين أبى الحسن على بن جمال الدين محمد بن أبى منصور الأصبهانى . ثم اتصل بمجاهد الدين قايماز بالموصل أيضا ، فنال عنده درجة رفيعة . فلما قبض على مجاهد الدين اتصل بخدمة اتابك عز الدين مسعود بن مودود ، الى أن توفي عزالدين، فاتصل بخدمة ولده نور الدين أرسلان شاه ، فصار واحد دولته حقيقة ، بحيث ان السلطان كان يقصد منزله في مهام نفسه ، لانه أقعد في آخر زمانه ، فكانت الحركة تصعب عليه ، فكان يجيئه بنفسه او يرسل اليه بدر الدين لؤلؤا ، الذى هو اليوم أمير الموصل » .

توفي بالموصل يوم الخميس آخر ذى الحجة سنة ٦٠٦ والحق انه كانت له شخصية قوية مع حكام بلاده . يقول أخوه في حوادث سنة ٥٨٩ « لما بلغ اتابك عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى صاحب الموصل وفاة صلاح الدين ، جمع أهل الرأى من أصحابه ، وفيهم مجاهد الدين قايماز كبير دولته والمقدم على كل من فيها وهو نائبه فيهم، واستشارهم فيما يفعل ، فسكتوا، فقال له بعضهم وهو أخى مجد الدين أبو السعادات المبارك : انا أرى انك تخرج مسرعا .. الخ ما أورده من رأى والعمل به ، ويقول في حوادث سنة ٦٠٧ حين

حديثه عن نور الدين ارسلان شاه : « وسمعت اخي مجد الدين ابا السعادات رحمه الله وكان من أكثر الناس اختصاصا به يقول : ما قلت له يوما في فعل خير فامتنع منه ، بل بادر اليه بفرح واستبشار » .

مؤلفاته

من الكتب المطبوعة بين ايدينا كتابه « النهاية في غريب الحديث » وهو مرجع في اللغة ، نقله ابن منظور باكمله في كتابه « لسان العرب » مع ما نقل من كتب أخرى الف بها اللسان . وله ايضا كتاب المرصع .

وله من الكتب المخطوطة الموجودة التي لم تطبع كتاب « جامع الاصول في أحاديث الرسول » جمع فيه بين البخاري ومسلم والموطا وسنن أبي داود وسنن النسائي والترمذي ، عمله على حروف المعجم ، وشرح غريب الاحاديث ومعانيها واحكامها، ووصف رجالها ، ونبه على جميع ما يحتاج اليه منها . قال ياقوت الحموي عنه « اقطع قطعا انه لم يصنف مثله قط ولا يصنف » .

ابن الاثير اوسطهم

هو علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشيباني .

لقبه عز الدين ، وكنيته ابو الحسن ، ترجم له ابن خلكان في وفيات الاعيان ، وابن كثير في البداية والنهاية ، والذهبي في العبر ، والعماد في شذرات الذهب .

ولد بجزيرة ابن عمر سنة ٥٥٥ في رابع جمادى الأولى ، ونشا بها ، وسمع من كثير من العلماء ، قدم بغداد مرارا حاجا ورسولا من صاحب الموصل، وسمع بها .. ورحل الى الشام والقدس ، وسمع هناك من جماعة ، ثم عاد الى الموصل ، ولزم بيته منقطعا الى التوفر على النظر في العلم والتصنيف، وكان بيته مجمع الفضل لأهل الموصل والواردين عليها . وكان اماما في حفظ الحديث ومعرفته وما يتعلق به ، وحافظا للتواريخ المتقدمة والمتاخرة ، وخبيرا بانساب العرب وايامهم ووقائعهم واخبارهم، مات في شعبان سنة ٦٣٠ بالموصل .

مؤلفاته

له مؤلفات كثيرة ، والمطبوع منها هو كتابه « الكامل في التاريخ » ، اعتمد عليه المؤرخون بعده ، ونقلوا عنه كثيرا واقتبس منه تلميذه ابن خلكان عشرات النصوص ، ونسبها اليه بقوله : قال شيخنا .. وذكر شيخنا ..

يقول هو في مقدمته لكتابه « الكامل في التاريخ » .. « اما بعد ، فاني لم أزل محبا لمطالعة كتب التواريخ ، ومعرفة ما فيها ، مؤثرا للاطلاع على الجلي من حوادثها وخافيها ، مائلا الى المعارف والآداب والتجارب المودعة في مطاويها . فلما تاملتها رأيتها متباينة في تحصيل الغرض .. » .

« وقد أرخ كل منهم الى زمانه ، وجاء بعده من ذيل عليه ، واضاف المتجددات بعد تاريخه اليه، والشرقي منهم قد أخل بذكر أخبار الغرب ، والغربي قد أهمل احوال الشرق .. » .

« فلما رأيت الامر كذلك شرعت في تاليف تاريخ جامع لأخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما ، ليكون تذكرة لي أراجعه خوف النسيان . وآتي فيه بالحوادث والكائنات من أول الزمان ، متتابعة، يتلو بعضها بعضا الى وقتنا هذا . ولا أقول اني أتيت على جميع الحوادث المتعلقة بالتاريخ ، فان من هو « بالموصل » لا بد أن يشذ عنه ما هو باقصى الشرق والغرب » .

« ولكن اقول : انني قد جمعت في كتابي هذا ما لم يجتمع في كتاب واحد ، ومن تامله علم صحة ذلك » .

« فابتدات بالتاريخ الكبير الذي صنفه الامام ابو جعفر الطبري، اذ هو الكتاب المعول عند الكافة عليه . والمرجوع عند الاختلاف اليه ، فاخذت ما فيه من جميع تراجمه ، لم أخل بترجمة واحدة منها ، وقد ذكر هو في أكثر الحوادث روايات ذوات عدد ، كل رواية منها مثل التي قبلها أو أقل منها ، وربما زاد الشيء اليسير أو نقصه ،فقصدت اتم الروايات فنقلتها ، واضفت اليها من غيرها ما ليس فيها ، واودعت كل شيء مكانه ، فجاء جميع ما في تلك الحادثة على اختلاف طرقها سياقا واحدا على ما تراه ، فلما فرغت منه أخذت غيره من التواريخ المشهورة فطالعتها واضفت منها الى

ما نقلته من تاريخ الطبرى ما ليس فيه .. فلما جمعت اكثره أعرضت عنه مدة طويلة ، لحوادث تجددت ، وقواطع توالت وتعددت ، ولأن معرفتي بهذا النوع كملت وتمت » .

ورغب جماعة من اخوانه وذوى المعرفةان يسمعوه ويرووه فاعتذر والتحوا « وطالت المراجعة مدة ، وهم للطلب ملازمون ، وعن الاعراض معرضون ، وشرعوا في سماعه قبل اتمامه واصلاحه واثبات ما تمس الحاجة اليه ، وحذفهما لا بُدَّ من اطراحه والعزم على اتمامه فاتر ، والعجز ظاهر . للاشتغال بما لا بد منه ، لعدم المعين والمتظاهر ، ولهموم توالت ، ونوائب تتابعت » .

ثم جاءه امرٌ من الملك المؤيد بدر الدين ، فجدّ في اتمامه والفراغ منه .

هذا وبدر الدين هو الأمير بدر الدين لؤلؤ ، تغلب على الموصل وملكها سنة ٦٣٠ وكان قبل ذلك نائبا بها ثم استقل .

ولابن الأثير الاوسط ايضا .

« أسد الغابة في معرفة الصحابة » وهو مطبوع في خمسة اجزاء . وهذا الكتاب من المراجع الأصيلة في تراجم الصحابة ، جمع فيه بين عدة كتب سبقته .

واختصر كتاب الانساب الذى الفه السمعانى ، واستدرك عليه فيه ، ونبه على اغلاط ، وزاد اشياء أهملها السمعانى .

هذا ، وله غير ذلك من الكتب ، ككتاب « الباهر في تاريخ الدولة الأتابكية » نقل عنه ابن خلكان ، ونبه هو عليه في عدة مواضع من كتابه « الكامل » .

وكتابه الكامل انتهى فيه الى حوادث آخر سنة ٦٢٨ وقال : « ثم دخلت سنة تسع وعشرين وتسعمائة » ويبدو انه مرض مرض الموت ، فلم يكمل اذ انه مات بعد ذلك بحوالى سنة وثمانية اشهر ، وذلك في شعبان سنة ٦٣٠ .

ابن الأثير أصغرهم

هو نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزرى الشيبانى ، لقبه ضياء الدين وكنيته ابو الفتح .

ترجم له ابن خلكان في وفيات الأعيان ، والذهبى في العبر ، وابن العماد في الشذرات ، ونص ابن خلكان على أن أبا البركات ابن المستوفي ذكره في تاريخ « اربل » وبالغ في الثناء عليه .

ولد بجزيرة ابن عمر ، ونشا بها وانتقل مع والده واخويه الى الموصل ، حفظ القرآن ، وكثيرا من الأحاديث النبوية ، وكان اهتمامه بالأدب كبيرا ، وحفظ اشعار الفحول ، وكانت ولادته في يوم الخميس ٢٠ من شعبان سنة ٥٥٨ ومات في شهر ربيع الاخر سنة ٦٣٧ ببغداد ، وقد توجه اليها رسولا من جهة صاحب الموصل ، كما ذكر ابن خلكان أيضا أن أبا عبد الله محمد بن النجار البغدادى ذكره في كتابه « تاريخ بغداد » .

وهو الوحيد بين اخوته الذى ذكر ابن خلكان ان له ولدا نبيها له النظم والنثر الحسن وصنف عدة تصانيف نافعة من مجاميع وغيرها ، وأن اسمه محمد ولقبه الشرف .

هذا وضياء الدين ابن الأثير وهو الابن الأصغر ، كان فيه طموح ، واعتزاز بنفسه .. ولم يكن فيه تواضع العلماء ، بل فيه بعض الغرور الذى يلحق بعض الأدباء ، هذا الى ما كان فيه من الجفوة والميل الى الاساءة ونقتبس من ابن خلكان شيئا من تقلباته وتنقلاته :

« وتوجه الى صلاح الدين الأيوبى سنة ٥٨٧ وعمره حوالى ثلاثين عاما ، فوصله القاضي الفاضل بخدمة صلاح الدين ، ثم طلبه الملك الأفضل بن صلاح الدين ، فخيره صلاح الدين بين الاقامة في خدمته والانتقال الى ولده وبقى المعلوم الذى قرره له باقيا عليه ، فاختار ولده ، فمضى اليه فاستوزره ولده الملك الأفضل ، وحسنت حاله عنده ، ولما توفي السلطان صلاح الدين واستقل ولده الملك الافضل بمملكة دمشق استقل ضياء الدين ابن الأثير بالوزارة » .

« وقد اساء العشرة مع أهل دمشق ، فهموا بقتله ، وأخذت دمشق من الملك الأفضل ، وانتقل الى « صَرْخَد » ولم يستطع ضياء الدين بن الأثير الخروج الا في صندوق مقفل ، ثم صار الى الملك الأفضل ، وصحبه الى مصر لما استدعى لنيابة ابن أخيه الملك المنصور ، ثم اخذ الملك العادل بن أيوب مصر ، وخرج الملك الأشرف من مصر ولم يخرج ضياء الدين معه لأنه خاف على

نفسه من جماعة كانوا يقصدونه،ثم خرج مستخفيا، ولما استقر الملك الافضل في امارة سُمَيْساط عاد ضياء الدين الى خدمته واقام عنده مدة ، ثم فارقه في ذى القعدة من سنة ٦٠٧ واتصل بخدمة الملك الظاهر غازى صاحب حلب فلم يطب مقامه عنده ولا انتظم امره ، وخرج مغاضبا ، وعاد الى الموصل ، فلم تستقم حاله ، فورد اربل ، فلم يستقم حاله ، فسافر الى سِنْجَار ، ثم عاد الى الموصل واتخذها دار اقامته ، واستقر ، وكان ذلك في سنة ٦١٨ حيث صار كاتب الانشاء لامير الموصل،والوصيُّ عليه بدر الدين ابوالفضائل لؤلؤ » .

يقول ابن خلكان : « تردّدْت الى الموصل من اربل اكثر من عشر مرات وهو مقيم بها وكنت اوَدّ الاجتماع به لآخذ عنه شيئا ، ولِمَا كان بينه وبين الوالد ـ رحمه الله تعالى ـ من المودة الأكيدة ، فلم يتفق ذلك ، ثم فارقت بلاد المشرق، وانتقلت الى الشام واقمت بـه مقدار عشر سنين ، ثم انتقلت الى الديار المصرية وهو في قيد الحياة، ثم بلغني بعد ذلك خبر وفاته وانا بالقاهرة وكانت الوفاة كما قدمنا فيربيع الآخر سنة ٦٣٧».

ومن هذه الرحلة في حياته نلحظ تقلبه ،واساءته وطموحه ايضا . ومع هذا يقول عنه صاحب العبر وينقله عنه ايضا صاحب شذرات الذهب : « وكان بينه وبين اخيه عز الدين مقاطعة كليّة » . واننا لن نلوم أخاه عز الدين عليّا صاحب التاريخ فقد قيل عنه ان بيته كان مجمع الفضل . وفي اشارة ابن خلكان أنه ورد الموصل عشر مرات ليقابل ضياء الدين فلم يتمكن من ذلك ، ما يدل على نفور ضياء الدين من الناس ، أو تعاليه وغروره .

مؤلفاته

ألف كتابه المشهور « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » وطبع أكثر من مرة ، وطبع له ايضا كتاب عنوانه « الاستدراك في الرد على رسالة ابن البرهان » وله كتاب « الوشي المرقوم في حل المنظوم » ، وله غير هذه من الكتب ، ولكنها لم تطبع ، ولعل بعضها ضاع فيما ضاع من آثار ، وكتابه « المثل السائر»تصدّى له ابن أبي الحديد الذي شرح كتاب « نهج البلاغة » وانتقد ضياء الدين بشدة في كتاب سماه « الفلك الدائر على المثل السائر » عاب عليه :

١ ـ ازراؤه على الفضلاء ، وغضه منهم ، وعيبه لهم ، وطعنه عليهم ، وافراطه في الاعجاب بنفسه والتبجح برأيه والتقريظ لمرفته وصناعته.

٢ ـ ايماؤه مرارا في كتابه الى عتاب دهره اذ لم يعطه على قدر استحقاقه .

٣ ـ ان جماعة من أكابر الموصل قد حسن ظنهم في هذا الكتاب جدا وتعصبوا له حتى فضلوه على أكثر الكتب المصنفة في هذا الفن .

على أن كتابه « المثل السائر » عظيم في فنه دال على سعة اطلاعه وحسن فهمه ، على الرغم مما فيه من عيوب أخذها عليه ابن ابى الحديد ، ونلحظ أن ابن أبى الحديد سماه نصير الدين بن محمد ، اذ قال : « وبعد ، فقد وقفت على كتاب نصير الدين بن محمد الموصلى المعروف بابن أثير الجزيرة » .

آثار وخلود

وبعد فان « ابن الأثير » رمز لمجد علمي خلّده اصحابه الذين لم يقصروا في التحصيل .

فان كنت محدثا او لغويا فابن الأثير بالنسبة اليك هو أبو السعادات المبارك بن الأثير .

وان كنت مؤرخا فابن الأثير بالنسبة اليك هو أبو الحسن علي بن الأثير .

وان كنت اديبا فابن الأثير بالنسبة اليك هـو أبو الفتح نصر الله بن الأثير .

وان تخليد هذا اللفظ المركب تركيبا اضافيا ، باطلاقه على مكان للتعليم فيه تقدير للآثار العلمية في مجموعها الصادرة عن هؤلاء الأبناء الكرام .

فلندع « ابن الأثير » كما هو ، دون تحديد لأحد الثلاثة فكل منهم جدير بالتخليد . ■■

عبد الستار احمد فراج



طائرٌ .. حطَّ على قلبي وغنّى ..

■ طائرٌ حطَّ على قلبي وغنّى   كلّما أنّتْ جراحي صاغ لحنا
من دمي الدّفء ومن روحي الشّذا   والمعاني من أسى قلبي المُعنّى
سكنَ الرّوحَ ، ولمْ أدرِ به ..   كيف تغدو الرّوح للمجهول سُكنى ؟
لونُه ؟ . وهجٌ وعطرٌ ودمٌ   وارتعاشٌ ثارَ في القلبِ وجُنّا
قيلَ لي : هذا هو الحبُّ الذي   لمْ يفرْ قبساً ولمْ يرفقْ بلُبنى
آهِ يا قلبُ .. حناناً هل درى   ذاتَ يومٍ ، عاشقٌ للحبّ لونا ؟
ها هو اليوم الذي تحيا بهِ ..   لستَ تدري كيف تنساب وأنّى ؟
عالمٌ من حلمٍ لا ينتهي   وأمانٍ على الأوهامِ تُبنى ..
كلّ يومٍ موعدٌ عند الذُّرى   فلقاءٌ تتخذَ الودْيانَ حصنا
وثمارٌ في عناقيدِ الرؤى   ثمّ لاشيءَ سوى الأشواكِ يُجتنى
نحن والحبُّ حديثٌ لمْ يزلْ   في شفاه الرّيحِ أوهامٌ وظنّا
يهمسُ البدرُ إلى نجماتهِ   مُستتراً ، فنخال الهمسَ عنّا
ونرى الأطيافَ في دنيا المُنى   قد تراءتْ في عيونِ الحبّ كونا
كلّ ما في الأرض مِلْكٌ للهوى   قدْ أحلنا أفقَها للحبّ رُكنا
هذه الدُّنيا التي قد باعدتْ   بينَنا الأحقادُ مُذْ كانتْ وكُنّا
ليس يُبقي الحبُّ فيها غنيمةً   من سوادٍ . ليس يُبقي الحبُّ ضِغنا

★★★

يا حبيبي هذه الدُّنيا لنا   سوف ترعانا إذا نحن التقينا
قد دعانا الحبُّ ، في محرابهِ   يسكُنُ الطُّهرُ قريراً مطمئنّا ..
طائرٌ قلبي إلى العشِ الذي   نلتقي فيهِ : جناحينِ ومغنى
روْعة الحبّ إذا عشنا لهُ   وبهِ ، روحاً ووجداناً ومعنى ■■

راضي صدّوق

رفقاً بـ.. الذكاء المبدع فينا

بقلم : الدكتور حلمي اللحام

■ الذكاء ، هـذه الملكـة المعقدة العناصر ،الزئبقية الملامح ، والتي احترز حتى علماء النفس من تحديدها ، والنفوذ الى اعماقها واسرارها ،فوقفوا عند آثارها ونتاجها ، هل غرسناها نحن في التربة الموائية لتينع وتخضرّ ، ام القيناها في الارض القحلة لتذبل وتصفرّ ؟ !

هذه الشعلة التي تنير الطريق الى كل هدف نبيل ، هل اعددنا لها الوقود اللازم ، لتاخذ بيدنا في مسـيرة الركب الحضاري الذي يغذ السير بعيدا بعيدا عن أعيننا المشدوهة الحائرة ، ام تركناها للريح العاتية تحيلها رمادا ، وجمّدنا توجس خفية من اطيافها المتلامحة ، ونفر من كل ما قد يؤدي الى تبديل نظرتنا الى الامور ،وحكمنا على الاحداث ؟ !

هذه المعجزة ، أم كل اختراع

هذه الموهبة المعجزة ، أمّ كلّ اختراع وكل تطور ، وكلّ فن مبدع ، هل اتانا ان طاقاتها لا تنفجر الا في المشقة والمجابهة ، وأن غذاءها الأمثل هو : دم الفكر ؟!

تساؤلات تتوالى ، واشارات استفهام تتعاقب حول محرك من اغنى محركات الوجود ، واحفلها بالخير والشر ، أحسب أن تعلقنا بالقشـور ، واستسلامنا للاوهام حالا دون الاستفادة منه الاستفادة الواجبة . ولعل من اشد الفروق حساسية بين الامة المتحضرة ، والامة المتخلفة ان الاولى تستغل ذكاء افرادها كل الاستغلال ، تهيىء له الحقل اللائم لنشاطه ، فيخصب ويزدهر ، ويحاول ، في منطق ورويه ، استشفاف العلاقات الخفية بين الاشياء ، فتتعرى أمامه فعلاً جزئيات الغاب ، ليزاوج بينهـا في لين ومرونة ، ويستكشف الحلول الشخصية المنطلقة من ملكة الاختراع الكامنة فيه ، ولا يخشى أن تعترضه عقبة ، لثقته بالقدرة على التغلب عليها ، بمحاكمته المستقصية النافذة ، وأما الثانية ، فيطيب لها ويلذها أن تدع نفسها تنجرف مع تيار العادة ، ومع دوافع الغريزة التي قهرت كلّ سلطة للعقل ، وأن تحبس ذاتها في اطار نظريات جامدة صلبة ، وافكار مصنوعة مهياة ، فلا تكاد تعرض لها مشكلة من اي لون حتى تقف حيالها عاجزة مبهوتة ، فهي تهمل ملكاتها الخلاقة وتضيع عمرها في عبث عقيم ، راضية بالتقليد الاعمى ، في كل اتجاه من اتجاهات الفكر ، دون أن تحسب اي حساب لما تقتضيه بيئتها ، وهي في حركتها

الذكاء نور ، والحياة لا تكون مع .. الظلام

كل بيئة ، عنصر حي ، اذا لم يتجدد باستمرار ران الجمود على الفكر ، والركود على الشعور .

الطفل ، في الامة الراقية والامة المتخلفة

وتبدأ رعاية وعي الطفل وادراكه ، لدى الامم الراقية ، منذ أيامه الاولى ، فهو يرى النور في جو مترف ، تصافح سمعه ، في الاغلب الاعم ، الأحاديث المصفّاة المختارة ، وتقع عيناه ، في مكتبة الدار ، وفي كل ركن من أركانها ، على الكتاب ، مفتاح الثقافة ، وعلى اللوحات الفنية ، أداة التذوق ، وتهز شعوره ، وتمتزج بأجزاء نفسه ، ألحان الموسيقى الممتازة ، ويتعلم ، كل لحظة ، عن طريق النصيحة الرصينة والقدوة الحسنة ، ما يوقد ذكاءه ، وينمي شخصيته ، ويقوى ارادته .

ولدى الامم البطيئة النمو تظهر ، على النقيض ، عوامل تبديد الذكاء منذ مراحل الطفولة الاولى ، تسهم في ذلك أساليب التربية المهترئة ، من قسوة في غير موضعها ، الى ميوعة لا معنى لها ، ومن قبَل تنصب على وجنتى الطفل ، مشفوعة بعبارات خالية من الذوق ، الى صفعات تنهال عليهما ، مرفقة بشتائم تعجز المعاجم ، في غير منطق لا في الثواب ولا في العقاب ، وتتسرب الخرافة الباسطة جناحيها على الدار الى نفس الطفل والى شعوره ، وتؤلف جزءا من كيانه الفكرى ، يختلط بما يمكن أن يكتسب من معرفة فيفسده . والمجتمع ، وهو مريض ، متخلف ، يلبس كثيرا من مظاهر المدنية ، ويصطنع الانظمة الديمقراطية والتقدمية ، فيكون لديه وعاء الشيء دون الشيء ، وقشرة الفكر دون الفكر . ومن أين لمجتمع كهذا أن يُعين الذكاء او أن يصقله ؟ !

عوامل الانحطاط فينا

وامتنا التى طبَعتْ على جبين الحضارة من حكمتها ومن علمها مياسم مَجْد ونُبل ، ما تزال بادية الآثار ، عرَتْها عوامل الانحطاط ، فاسلمتها الى عصور مظلمة ، نامت في خلالها نوما عميقا ، صَحَتْ منه جزئيا منذ نحو قرن ، ولم يُتَحْ لها ، مع ذلك ، حتى الآن أن تعتمد على نفسها في رسم خط سير صحيح ، يعتمد على العقل المميز ، والعاطفة المهذبة ، والقيم الخيرة ، وفي ظنى أن اهمالنا التربى للذكاء هو المسؤول الرئيسي عن اكتفائنا بنقل البدع والازياء المستحدثة ، وولعنا بمظاهر تشتت العصر وجنونه ، بينما نحن ، فيما يتصل بباب المعرفة والمعرفة ، واقفون على عتبة الباب الخارجي ، نستعطى ولا ننتج ، ونتطعّم ولا نتمثل ، وننسخ ونحن لا نكاد نعرى شيئا عن الفكر الذى ينبض وراء ما ننقل .. وما لم نبدأ مسيرتنا الحضارية بأن نخلق لأنفسنا هموما ثقافية ، وما لم تغد الحضارة ، بأبعادها الفكرية ، جزءا من حياتنا ، فتتجسد خصبا في وعينا ، وابداعا في تفكيرنا ، وخلقا في افعالنا ، فسنظل محكوما على ذكائنا بالشلل والاستخذاء .

مفهومنا الثقافي

ويقتضينا ذلك اعادة النظر في مفهومنا عن الثقافة التى نتخذ منها زينة وبهرجا لمظاهر معينة في ظروف بعينها ، ونفرق بينها وبين وجودنا الكامل ، ويقتضينا اذا خلْق المدرسة خلقا جديدا ، لتستطيع تكوين اجيال متفتحة الذكاء ، طليقة الفكر ، وخلْق الاستاذ الصالح ، هذا المخلوق الطيب الذى يبدأ بنفسه فينميها كل يوم ، وبملكاته فيتعهدها بالعناية ، دون انقطاع ، ثم يجعل وكده ان يوجه العقول الغضة نحو البحث ،

ويرغبها فيه ، لانـه يشعر كمـا يقول « بيغي » Peguy انه يمثل الشعراء والفنانين والفلاسفة والعلماء ، الـذين صنعوا والـذين يصونون الانسانية ، فهو ، في شرحه وتفسيره وتعليقه ، كثيرا ما يتجاوز حروف الكتاب ، لينفذ الى الروح التي تترقرق فيه ، فيرسم امام خيـال طلابـه العالِمَ ، وهو يَجْهَد ليُزيل بعض الغلائل التي تغلف الحقيقة ، ويُعيد لهم بناء تلك اللحظـات الفنية التي تبدّت له فيها الشعاع الكاشف، ثمرة الصبر والوداعة العلمية الساذجة .

يجب ان تُعيد الصف ليكـون نقطة انطـلاق الحضارة الرصينة ، أداة تُنْفض غبار القرون والمضي نحو النور . وهذا لا يتم الا بجعله مكان تبادل الافكار، قبل أن يكون وسيلة صب المعطيات المقررة في الاذهان ، ملجأ انقاذ في هذا العالم المضطرب المائج ، حرما قدسيا لا يعلـو منبـره المتواضع الا من يحبه كل الحب ، ومن يشعر برعشة الغبطة كلما رأى تلميذا يجادله ، لانـه يحس ان عقلا من حولـه قد بـدأ يستيقظ ، ومن يؤمن بان عمله ليس خَنْق الفكرة النادرة عن القطيع ، بل ، على النقيض ، خلق الحس الناقد، مصفي العقول من رواسب الجهل والخرافة .

لا ينقصنا الذكاء الفطري

لا ينقصنا الذكاء الفطري ، ولكن « الذكاء » يخوننا في تعهد هذه الملكة : في تفجيرها عند اطفالنا اولا ، وفي صقلها في المراحل التاليـة . الذكـاء المعتمد على الفطـرة ، والمجتزىء بهـا يأسر ، احيانا ، بما فيه من طبعية وعفوية ، وبما يبتكر وينطلق ، ولكنه ، في اكثر الاحيان ، يظل ، في خاتمة المطاف ، قاصرا ، حتى لقد ينحرف عن سواء السبيل اذا لم يرفده العلم ، ولم ترفده التربية الوجدانية . مئات الوف الاذكياء ، من الخليج الى المحيط ، يموت ذكاؤهم ويختنق لانه لا يرى النور ، ولان برامج محو الامية ، ككثرة ما نصنع من برامج ، كلام فارغ نلغو به ، وأحرف نرصفها لنملأ بها بياض الصفحات ، ثم يبقى بين القول والعمل وديان من الاهمال والعبث والمجون الرخيص نغوص فيها أيامنا ولياليـنا، فتظل كميات هائلة من الذكاء معطلة ، مهدرة بينما نحن في حاجة ملحة الى أضأل شعاع من اشعتها . وقصة الذين لا يجهلون الالفباء ، ولا يجد ذكاؤهم ، مع ذلك ، ما يعده الاعداد اللازم ، هي قصة ملايين الناس من هذه الامة المبتلاة بقادة الرأي والسلطة فيها . ولكن اي ذكاء نجلو ، واي فكر نستشف ؟!

الذكاء الذي نتلهف شوقا اليه هو الذكـاء الخصب ، المتجه نحو الخير والحب والجمال . وأولى فضيلة من فضائل هذا الذكاء ان يخيل اليه حتى حيال بداهة الاشياء انه لا يفهم ، بينما ترى صاحب العقل المحدود يعلن منتفخا امـام المعضلات المعقدة الشائكة انه يعرف كل شيء ، ويستطيع ايجاد كل حل ! الم يكن سقراط ، وهو عبقري المعرفة ، يصرح أنه لا يعلم شيئا ، فاذا هزىء منه أحد ، وعابه بأنه يرى صعوبات آخذا بعضها برقاب بعض حيث لا يرى غيره سوى بداهة لا تحتاج الى اعمال الفكر ، قال ، في تواضعه المعجز : « هنيئا للذين يفهمون بسرعة . ولكن هل يكون هذا ، بالقياس اليَّ ، سببا كافيا يدفعني الى الاستسلام قبل أن افهم ! » . وقد يكون من افظع عللنا أننا « نفهم » بأسرع من لمح البصر ، « ونعي » كالبرق الخاطف ، فهذا يوازي ، في ميزان الحق ، « اللافهم » ، فالبحث عن الحقيقة شاق ومرهق ، وكل حل يقتضي الاناة والصبر . ان هذه المدنية ليست من صنع الامزجة التـي تهبط عليها المعرفة وحيا من السماء ، وانما هي من صنع العقول المناضلة ، المكافحة . وكل ذكاء غير مقرون بالارادة والشجاعة ليس جديرا بأي اعتبار ، لانه يؤول الى الفوضى ، والى الكذب . ويا ليتنا نتأسى بالباحثين من اسلافنا ، ونتعلم درسا من جهادهم ومن صبرهم الممض الطويل ! ومَنْ لنا بمن يكتب لنا حيوات الغزالي وابن خلدون وابن رشد وابن سينا والمعري واضرابهم ، لا لينبئنا عن تواريخ ولادتهم ووفاتهم ورحلاتهم ، بل ليقول لنـا كيف أنتجـوا وكيف استخدموا عقولهم ، وكيف افادوا منها واستفادوا !

الذكاء الذي لا يتعجرف

صفة اخرى في الذكي الذي نتعطش اليه انـه ليس اناني الذكاء ولا متعجرفه : انه كالشاعر الذي « يرحم القبح فيهواه » ، فهو يعطف على من قل ذكاؤه أو ضَعُف كل العطف، فيأخذ بيده، ويحرك في رماد ذهنه بصيصا من الضياء ، ويعين ما قد يكون كامنا من وعيه على التفتح . ان المعلم الذي يقف عنايته على اذكيـاء الصف ،

ويقيس براعته في التعليم بمقياس تقدمهم ليس هو المعلم المثالي ، ولعله أن يمثل نمطا من انماط الانانية التي تسلك ايسر السبل للتخفف من اعباء الدرس . واجب كل معلم ، اذا لم يَدَّفن هو نفسه تفكيرَه ، وهو حي ، أن يدخل في روع تلامذته المقصرين انهم مخطئون في ضعف ثقتهم بانفسهم ، ويغرس في ضمير كل منهم ، هذه الفكرة ، للمفكر الفرنسي ، الاستاذ « غيتون » ، والتي تفتح باب الطموح لمن ذوى في قلبه الامل : « ان من واجب كل انسان ان يكون ذكيا » . فالواقع ان التلميذ الاخير في الصف هو روح يائسة ، تحتاج الى لفتات تعاطف من الرفاق المتفوقين ، والى الشعور بان الصف ملاذ صداقة بين الاطفال ، وبينهم وبين اساتذتهم ، همزة وصل بين نفوس تتعارف وتتآلف ، وعقول تتواصل ، مُتَطلَّق افكار تشيع فيها حرارة مُعْدِية ، ينبعث منها الشرر ، قويا هنا ، ضئيلا هناك ، ولكن اللهب الخافت حري أن يعالج بقوة العزيمة والمعاناة . وكم من اشخاص اذكياء غرّتوا بذكائهم، فقصروا ، وكم من محدودي الذكاء وصلوا بارادتهم القوية وجَلَدهم الى ما لم يَفُز به مَنْ أوتوا كثيرا من المواهب ، فاضاعوها . وفي هذا بعض التعويض عن ظلم الطبيعة الصارخ في توزيع الذكاء ..

لون آخر من التعويض عن ظلم الطبيعة في توزيع الذكاء

ولون آخر من التعويض اجده فيما اشار اليه بعض الباحثين(١) من أن التفكير ليس مركزه دائما في الرأس ، فان هناك أساليب « تفكير » أخرى ، هي أن يفكر الانسان بيديه ، فينتج روائع حِرَفية تكاد تنطق . ويقف عند هذا النوع من التفكير جماعة فهموا ميولهم ، وعرفوا ، في الوقت نفسه، حدودهم ، عن تجربة ويقين ، فتركوا لغيرهم ان يذهبوا الى أبعد ، كما أن هؤلاء يَدَّعون من هم اقوى منهم نصيبا من النباهة واوفر تصميما ، أن يذهبوا الى ما لا نهاية . ويظل التقدير ، مع ذلك ، متبادلا بين هؤلاء جميعا ، ما دام كل منهم يتقن ما يصنع، سواء أكان ما يصنعه آنية خزفية، ام قصيدة ، ام اختراعا .

على أن الذكاء نفسه يعلّم أن المرء مهما اشتد ولعه بالنشاط الفكري لا يمكن أن يعيش بالراس وحده ، لان ذلك يجعل الحياة جافة ، لا تخترق جوها الانسام المنعشة ولا البسمات المحسنة . الذكاء يسأم نفسه اذا كان منعزلا عن الملكات الاخرى ، فالغريزة نفسها حرية ، حين ترفده ، أن تعطيه مسحة طبع ، وقوة دفق .. والحدس ، هذا التناغم النفسي الذي يولجنا في باطن الاشياء، والذي يتغذى بالاحساس وبالتأثر والخيال والحلم هذا الحدس يقوي نبض الذكاء حين يغمس نفسه في ينبوعه ، فنحن اذا لا نفكر بعقلنا وحده وانما بذواتنا كلها ! .

الذكاء يصيبه الكسل

ومن خصائص الذكاء الذي نتطلع اليه انه حي يقظ ، متوفر النشاط ، يعمل ، مع ذلك ، وفق اسلوب منطقي سليم ، يصون قواه ، ويحفظها من التبدد والضياع . ان ملايين الساعات تذهب هباء كالزبد المتناثر ، تحت تأثير خدر الكسل الراعف . فهذا العدو الالد المتزيي بزي الصديق الودود شيطان ماكر ، يتقنع بالف قناع، فلا يكاد صاحب الفكر يتهيأ لعمله حتى تتضافر قوى الاغراء لتصرفه عنه : اللفيفة ، في دخانها المتصاعد ، تصور له الجهد في صور مقيتة بغيضة ، والطبيعة البادية من خلال زجاج النافذة تناديه الى حضنها العاطف ، واشباح الاسترخاء تمد اليه اذرعها لتهدهده ، فاذا لم يكن من اولي العزم نكص واحجم . واذا كان هذا شان ذوي النفوس الصحيحة ، فما بالك بنا ، ونحن من ارباب النفوس المتنشية ، نجري في الحياة على غير هدى ، ننتظر في ضباب الحلم القاتم ، سقوط نجم الطالع الميمون !

وعدو آخر ، يتبع الاول كالظل ، ولا يقل عنه خطرا هو جهل اساليب التفكير ، فهذا الجهل يشتت قوى الفكر ، ويوقع في حال نفسية متصلة بالحيرة والملل والفراغ .

وما دام التراخي والنمطية وفقدان اساليب التفكير عوامل مضعفة لقدرة الذكاء ، وما دام الاحتكاك بالعقول الكبرى والنفوس الحساسة ،

(١) دني دو روجمون « Denis de Rougemont » .

والجهد والمجابهة عناصر تنعشه وتشحذه ، فنحن احرياء الا ننظر الى وجودنا على انه الهبة ، ان الزمن هو قاهرنا ،فاذا استسلمنا لقبضته العاتية، بقينا امة مستضعفة في الارض ، وظفرنا في احساسنا بمقاومة الزمن ومحاولة التغلب عليه ، اى في اعتبارنا الحياة معركة لا ينتصر فيها الا من يبذل لها ما تقتضيه من عدة ، ومن يعرف كيف يجد فيها لذته وفرحه . على ان هذا لا يعنى بوجه من الوجوه ، كما يخيل لبعض المتزمتين ، تحريم السرور واللهو والمتعة ، فكما ان الفراغ راحة لا حاجة اليها ، فان الاستمتاع بعد الجهد كسل حلال مستحق ان من واجب كل امرىء ان يداب ما اطاق الداب ، فاذا فرغ كان من حقه ، بل من واجبه ، ان يرش جوانب حياته بالنور والعطر ، والغناء والشعر، لئلا تستحيل الة صماء ، لا تعى لماذا تعمل .

ولقد يضيق الصدر ايما ضيق بهذه الفلسفات المستحدثة التى تصبغ الكون كله بلونها القاتم المكفهر ، فيلتف حولها من هم في لهفة الى زيادة فوضى العالم ، والتحريض على خرابه ، باسم الذكاء النفاذ ، وتحت شعار العمق في التفكير .

ليس كل ما في الدنيا مرضا وظلما

لقد جيء بنا الى هذه الدنيا من عالم الغيب، فراينا ان فيها شقاء ومرضا وظلما ، ليست هى ، بالطبع، كل ما في الدنيا ، ولكنها تتطلب تشخيصا وطبا . وخطل هؤلاء المتفلسفين الذين يطلقون على البشر زوابع الرعب الصاعق ، ليعميهم غبار ياسها الاسود،انهم يصورون الادواء ، ويقوون الاحساس بها ، ولا يقترحون دواء لها سوى القاء النفس في حمام الجنس والحشيش والياس والفوضى ، وهى حلول انهزامية ، سلبية تزيد شرور العالم ولا تداويها ، كما انها تدابير فردية ، فليس في المكن ان يشرب البشر كلهم ، كما في الاسطورة ، من نهر الجنون ، ولا ان ينتحروا ، دفعة واحدة ، انتحارا جماعيا ..

وهل يتأبق الانسانُ مِن ملك ربه
فيخرج من ارضيه وسمائه (١)

واذا كان هذا هو الواقع ، فلعل اختيار نقطة الانطلاق الى العيش والى الاصلاح من مواقع التفاؤل هو افضل من النظر الى كياننا ووجودنا بالمنظار الاسود ، ومن الانزواء في زوايا الكآبة ، او الغرق اللاشعورى في بحار الجنون والموت .

وشأننا نحن مع هذه التيارات شأن غريب . فاذا حثنا الغرب على التأثر به في مجال البحث العلمى ، والذوق الفنى لم نحفل بالنداء ، ولم نلق اليه بالا . ويدعونا الى الياس والفوضى ، وقد جرته اليهما مآس ، لم نخض نحن غمارها ، فنعدو وراءه عدوا ، ونكاد نسبقه في مضماره ، فقد صادفت الدعوة هوى في نفوسنا ، لانها لا تكلفنا سوى تصرف سلبى سهل . والتشاؤم هيّن لانه من عمل المزاج ، اما التفاؤل فصعب عسير لانه من عمل الارادة ، ومن لم يرد ان يكون سعيدا ، انحدر في منزلق الكآبة انحدارا طبيعيا. ان من واجب كل منا ان ينفر من الانقباض والتفجع، لان ذلك ، كما يقول « ديكارت » يربك دورته الدموية ، ويفسد رئتيه ، فاذا تعلم الترويح عن مخيلته ، امكنه ان يؤثر على ادراكه ، وان يجعل حكمه على الاحداث والاشياء سديدا ، فيحسن بارادته وافكاره الى صحته . الحكيم الذى نجا من الغرق ، فنزل الشاطىء عاريا ، وهو يهتف : « انا احمل كل ثروتى معى » ، جدير بان يُفهم عُمق حكمته هؤلاء الاطفال الكبار الذين «يحردون»، ويتباكون على الرماد المنطفىء ، بدل ان يضيف كل واحد منهم الى كتلة النار عودا يُضرم شعلتها . ان الحزين انانى ، ملأ جعبته بالسام ، وانكفأ على نفسه يجتر ما فيها من مرارة . ومريد السعادة يعطى من ذاته ، ويجد في عطائه متعة . فالتفاؤل الذى يبشر به الذكاء ليس هو هذا التفاؤل الابله الذى يغض الطرف ، راضيا او مكرها ، عن الشرور والمظالم ، ولكنه التفاؤل الواعي اليقظ الذى يقود اليه العزم العاقل ، المصمم على الاستجابة لنداء الحياة ، وعلى تغييرها ، فهو حتى حين يفرح بالطبيعة الضاحكة ، ويانس بجمال الطفولة ، واى شيء اجمل من الطفولة ، ويستبشر بدفقات الامل في الوجه المتهلل – لا يستسلم

(١) البيت للمعرى .

للارتخاء الروحي ، بل يحاول بناء السعادة على اسس من بطولة الفكر ، والرصانة الممزوجة بالذكاء ، وبذوق الحياة المبدعة ، ثم انه ، فوق ذلك ، جوع جارف الى الحق والعدل ، وايمان باحترام الانسان للانسان .

الذكاء ينضج بالتعبير

ولكن الذكاء لا ينضج ثمره الا اذا اسعفه التعبير، انه له بمثابة التنفس فهبوط الفكرة المجردة من عليائها الى الواقع الحسي لتتقمصه ، وصعود الكلمة اليها لتلقاها وتكتسوها ، وتمتزج بها هما شهيق الذكاء وزفيره ، وسيظل صب الافكار في قوالبها ، واذاعتها في الناس عن طريق الطباعة ، حتى امد بعيد ، الوسيلة المختارة لاتصال العقول والنفوس ، بعضها ببعض . ومن المؤسف حقا ان يعجز كثير من اذكيائنا عن استخدام هذه الوسيلة، لان علمهم بلغتهم الام ضعيف هزيل ، ولانهم لم يبلغوا ، في اية لغة اجنبية ، مستوى القدرة على الانتاج فيها .

وهناك من لا تنقصهم براعة الانتاج ، لولا انهم آثروا ، طوعا او كرها ، الانصراف الى اعمالهم اليومية ، ووظائفهم الرتيبة ، فاذا كانت بعيدة عن اختصاصهم ، وما اكثر ما تكون ! نام ذكاؤهم واصبح غباء يجهل نفسه .

وبين من اتيح لهم ان ينتجوا قوم يحجبون ، بدافع من ايثار العافية، أن يهزوا الامة في ارجوحة الغرور الفارغ ، لئلا تضيع ثقتها بنفسها ، على زعمهم ، كانما الثقة غاية في حد ذاتها ، لا وسيلة الى ترقية الذات ، وهؤلاء لا يتوقون الى اكثر من الظفر باطراء الجماهير واعجابها ، فيغطون بستائر النفاق واقعها المتخلف بدل ان يحاولوا نكء الجرح واستئصال الداء من جذوره .

وفئة اخرى جمدت تفكيرها في نظريات بأعينها ، لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، وحسبت انها ملكت الحقيقة كلها . هذه الفئة ، سواء اليمانيّة ام اليساريّة ، تخدم ، من دون ان تدري ، الظلم الذي يلف طوائف المعذبين في الارض ، والحقد الذي يحل محل الرغبة في العدالة ، فتقيم مجتمع الكراهية والاستئثار ، حيث ينقطع الحوار ، أو يضيع سدى ، وحيث يموت الشك ، وتغدو الحقيقة عروس اصلاء تلقى وتنسخ ملايين المرات ..

والآن نعود فنتساءل : افنكون حقا اعداء انفسنا ؟!

بالعناء المر ، والاناة العلمية ، بلغوا سديم الكواكب

نأتي الى الدنيا مجهزين بملكات لو تعهدناها بالتربية والرعاية لاخرجتنا من عزلتنا الذهنية ، واعانتنا على التقدم في عالم تهبط علينا فيه التحديات من كل جانب ، ولكننا ما نزال بهذه الملكات اهمالا وازدراء حتى تفقد مضاءها وقوتها. ونفتح اعيننا ومغاليق احساسنا ، من وقت الى آخر ، فنرى البون ، بيننا وبين الامم المتحضرة يتسع ، والهوة تتعمّق ، ونتحقق أننا، على الرغم من ارجلنا المبدعة في الرقص ، وشعورنا المفرطة في الطول ، ما نزال على هامش الحضارة ، نقتات بفتات الموائد ، ونحن نردد : « أين كانوا يوم كنا ؟ » لقد كانوا في الحضيض ، وفي بحر من الظلمات ، ولكنهم ، بالعناء المر ، والاناة العلمية بلغوا سديم الكواكب . ان من السخف ان ينسى الانسان الماضي ، والا يقبس منه نورا للمستقبل ، ولكن من البلاهة ان يقف عنده . يجب ان نصحح نظرتنا الى الاشياء ، وان ننطلق من حيث انطلق غيرنا ، فنحيي الملكات عند اطفالنا ، ونصقلها ونبذل لها ما ينبغي لتترعرع بعيدة عن الخرافة والجهالة والهوى ، غير متقوقعة في اقنية الحزبية من اي لون ، همها البحث عن الحقيقة ، وهدفها استخدام قواها الكامنة من اجل اعادة خلق الانسان العربي ، ليجيء معافى الجسم والفكر ، ويكون ابن عصره ، يستهلك وينتج ، ويقلد ويبتدع ، ويسعى الى خيره وخير الانسانية ، معتمدا على نفسه ، لا يتوقع ولا يريد أن تحمل اليه سعادته على صحفة من ذهب ، وهو يتثاءب ويتمطى ، ويغوص في مقعده الوثير ، وانما يصمم أن يعجن صلصالها بكفيه ، ويصنعها بكيانه كله مستعذبا، في سبيلها ، الجهد والجرح والعذاب . ■■

حلمي الحاج

طرائف غربية



شاعر فرنسا الكبير كان لصا وصعلوكا !

● فرانسوا ڤيلون Francois Villon (١٤٣١ ـ ١٤٨٥) ، شاعر فرنسا الكبير ، الذى اضفى ابتسامة سخرية على الادب الفرنسى، كان صعلوكا ومتشردا ولصا ، وكان يطلق على نفسه « ملك الشحاذين ! » .

قال عنه النقاد بعد وفاته : « لم نر شاعرا استطاع ان يصف حياة الضياع التى عاشها الباريسيون فى تلك الحقبة من التاريخ ، كما وصفها ڤيلون فى قصائده الرائعة اللاذعة التى امتلأت بعبارات السخرية من الناس والمجتمع .. لقد عاش ڤيلون صعلوكا ، ومات ملكا ، فقد دخل تاريخ الادب من اوسع ابوابه ، ولكن بعد رحيله عن حياة قصيرة لم تدم لاكثر من اربعة وخمسين عاما.

اما ڤيلون نفسه ، فقد كتب يقول يوم ان جاءه نبأ العفو عنه وهو فى سجنه ينتظر حكم الاعدام بالمقصلة : « كنت أتمنى ان يشعر بأعمالى شاعر مثلى . ولكن الذى حدث ان ملك فرنسا لويس الحادى عشر هو الذى اكتشفنى فقرر ان يبقى على حياتى ! » .

ماذا قال الملك ؟

قال : « ان فى فرنسا الالوف من امثال ڤيلون الذين يستحقون الموت ، ولكن ليس هناك شاعر آخر مثله ! » .

وفتحت ابواب سجن ميونج سير لوار Meung Sur - Loire فى عام ١٤٦١ ، ليخرج منها ڤيلون ولينعم بحريته قبل أن يعلن توبته ثم يودع الدنيا !

الشعور بالامتنان !

● كتب جورج كليمنصو George Clemenceau ، السياسي الفرنسي المعروف (١٨٤١ ـ ١٩٢٩) يقول : «الشعور بالامتنان لا يكون في منح حبنا وتقديرنا للمرء الذى ادى لنا خدمة او اسدى معروفا ، كما لا يكون في رد هذا المعروف له . وانما يكون في الافادة من هذه الخدمات التي قدمت لنا ، بحيث نستطيع ان نفعل كل ما في وسعنا من اجل اسعاد البشرية كلها من حولنا » .

رجل السلام ، هزمه المرض



● الدكتـور رالف بانش Ralph Bunche (٦٧ سنة) كان من الرجال القلائل الذين كرسوا حياتهم من اجل قضية السلام .. فقد عاصر الامم المتحدة منذ نشأتها منذ اكثر من ربع قرن من الزمان ، وفاز بجائزة نوبل تقديرا لجهوده فى هذا الميدان .

وفى الربيع الماضى ، دخل رالف بانش احد مستشفيات مدينة نيويورك الامريكية للعلاج ، الا ان احدا لم يكن يعرف على وجه التحديد طبيعة العلة التى كان يشكو منها الدبلوماسى الامريكى الزنجى ، والتى اضطرته الى التردد على المستشفى بصفة مستمرة للعلاج ، طوال الاشهر القليلة الماضية ، الى ان اذيع اخيرا نبأ تقاعده ووقف يوثانت سكرتير عام الامم المتحدة يعلن الخبر على الصحفيين وهو يبكى .

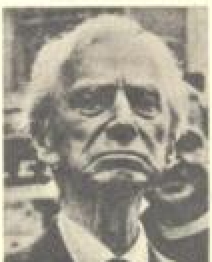
لقد كان رالف بانش يعانى من كلية مريضة وقلب متعب ، كما كان مصابا بالسكر وقد فقد نور عينيه او كاد ..

وبالرغم من هذا كله ، كان الرجل يمضى فى ممارسة مهام منصبه كمساعد للسكرتير العام للامم المتحدة ، حتى اشتدت عليه وطأة المرض ، فلم يعد قادرا على الصمود .

قالوا عنه : « كان رجلا يتمتع بصفات عظيمة ، لعل ابرزها ، شعوره الدائم بالتفاؤل مهما اشتد الظلام من حوله . فهو لم يعرف اليأس للحظة واحدة طوال حياته . لقد كان من اعظم الرجال الذين كرسوا حياتهم لخدمة الانسانية » .

اما هو فقد قال عن نفسه : « كنت اتمنى لو ان المرض لم يقعدنى حتى استطيع ان امضى فى معركتى من اجل اقرار السلام العالمى ! » .

القانون ... وقطعة القماش !



● قال برتراند رسل الفيلسوف والمؤرخ البريطانى الراحل (١٨٧٢ - ١٩٧٠) : « طوال صباى ، وحتى فى شيخوختي ، كنت احلم بعالم يسوده النظام والعدل والقانون ، ولكنني ما لبثت ان اكتشفت بعد ذلك ان اخطر الويلات التى تحل بالانسان سببها القوانين .. القوانين التى تطبق بنصها ، وبصرف النظر عن كل الظروف والملابسات . ! » .

قالوا يسألونه : « وكيف كنت تريدها ؟ » .

فاجاب رسل : « قطعة من القماش الخام ، يحملها المشرعون الى صانع الملابس ، ليصنع منها ثوبا يلائم كل شخص على حدة ... والا فهل تستطيعون انتم ان تقولوا لي ، لمَ استنت القوانين ...؟ لقد وضعوها لخدمة الناس . اليس هذا هو الهدف من تطبيق القانون ؟ ! ..

أخوان عدوان لدودان

هدايت

بقلم : حسن الجداوى

■ في باريس . وفي حي من ارقى احيائها . كانت تقطن في بداية هذا القرن اسرة « برادين » وهى اسرة مكونة من زوجين وابنائهما الاربعة . وكلهم من الذكور ، اكبرهم في الثالثة والعشرين من العمر . واصغرهم في السادسة عشرة .

اما الأب برادين فتاجر فراء ، يعمل لحسابه ، ويعمل ممثلا لبيت من اكبر بيوتات الفراء الروسية . وهو ـ بحكم عمله ـ كثير التغيب عن باريس يتجول ثمانية اشهر من كل عام في ارجاء الامبراطورية الروسية الواسعة يقطعها من شمالها لجنوبها ومن شرقها لغربها لاقتناء مختلف انواع الفراء الثمينة ليعود بها الى باريس ويبيعها بربح مجز مكنه من ان يقتنى الفراش الوثير ومائدة منصوبة وعيشة رغدة ـ له ولابنائه ـ واطمئنانا للمستقبل وضمانا من تقلبات الايام .

والام من جانبها سيدة فاضلة مقتصدة تولت بمفردها ـ تقريبا ـ لكثرة تغيب زوجها ـ تربية اولادها وتنشئتهم على الفضيلة والاستقامة وحب العمل ونجحت في ذلك الى حد كبير ، الا واحدا منهم هو الاستثناء الذى يثبت القاعدة كما يقولون .

فكبير الابناء واسمه روجيه رسام له مكانته في الوسط الفنى محترم من معارفه محبوب من جيرانه .

وثانيهم ـ جاك ـ وعمره ٢١ سنة ـ وهو موضوع هذه القضية ـ والمتهم فيها ـ كيمائى نابغة ويعمل وكيلا لاحدى شركات التامين .

وثالثهم ـ لويس ـ موضوع هذه القضية ايضا ـ المعتدى عليه (؟) ـ ١٩ سنة ـ عمل لفترة قصيرة لا تكاد تذكر في احدى الشركات ثم انقطع عن العمل ليصبح عاطلا يتفرغ لخلق المتاعب لاسرته وارتكاب المعاصى والجرائم ضد افراد الاسرة والمتصلين بها .

ورابعهم ـ اصغرهم ـ ١٦ سنة ـ موظف تجارى .

★★★

والذى حدث في هذه القضية ـ على عكس ما حدث بين الاخوين عند بدء الخليقة ـ ان هابيل الاخ الطيب المسالم هو الذى شرع في قتل اخيه قابيل الاخ الفاسد الشرير . ولكن ما لنا نستبق الحوادث ونسمى جاك هابيل وليس قابيل قبل ان نعرّف القراء بشخصية كل واحد منهما ؟!

اما جاك فقد عُرف طوال حياته بالجد والاجتهاد وكان متفوقا في دراسته وحصل ـ برغم صغر سنه ـ على اجازة الليسانس في العلوم . فهو من طراز الباحثين الرياضيين المنكبين على البحث الذين ينبت من بينهم كبار العلماء الذين يعملون في صمت بين جدران المعامل ليضيفوا الى المعارف الانسانية جديدا . انهم رسل الحقائق المقبلة وغزاة الغد المجهول . وهو ـ على غرارهم ـ يعمل في مثابرة وصمت . لا يتكلم الا قليلا . يحسبه الناس منطويا على نفسه ولكن الذين يعرفونه عن كثب يؤكدون ان فتوره الظاهرى



يخفى نفسا مرحة ومشاعر نبيلة . وهو ـ فوق ذلك ـ متعصب للفضيلة والشرف مما يحمله على الغضب ـ من اى فرد من افراد الاسرة ـ يسىء بتصرفاته الى الاسم الذى يشترك معه في حمله .

★★★

اما لويس فعلى النقيض من ذلك . لا يحب الا اللهو ولا يسعى الا وراء الملذات . يأخذ ولا يعطى . يطالب لنفسه بكافة الحقوق ولا يقر بالواجب عليه . او كما قال الشاعر (لا يفعل الخير ولا ينوى) . وهو في سبيل شهواته يحتاج الى المال . المال الكثير . يلجأ للحصول عليه ـ لا بالجد والعمل بل لا يتردد في استغلال ابويه واخوته بغير خجل ولا تورع ـ لا يثنيه عن ذلك رجاء ولا عتاب ولا دموع امه .

بدا يقترض ولا يرد ما اقترضه . وهجر عمله واخذ يتردد على اماكن اللهو والفساد وانتهى به المطاف الى هجر منزل الاسرة ليقيم مع الشخص الذى افسده ـ ذلك الشخص الذى يقال عنه انه صحفى ومن رجال الادب وقد حكم عليه اخيرا ـ هو وزوجته ـ في تهمة سرقة . وهذا هو الوسط الذى اختاره لويس وهجر من اجله منزل الاسرة ....

ولما تستطع امه تلبية طلباته سرق مجوهرات الاسرة ورهنها ثم باعها بالثمن البخس .. حتى

خاتم زواج ابويه باعه . وهكذا ـ في مدى عامين ـ اختفى من المنزل ما قيمته عشرون الف فرنك بددها لويس في غير مبالاة في سبيل تحقيق شهواته مطمئنا الى ان القانون كان ـ حتى تلك اللحظة ـ لا يعاقب على السرقة بين الاصول والفروع في الاسرة الواحدة .

★★★

وليته وقف عند هذا الحد . لقد جاء يوما يطلب من امه خمسة الاف فرنك دفعة واحدة . فلما لم تستجب لطلبه ارتكب جريمة تزوير . وانشا سندا اذنيا بالمبلغ وقلد توقيع والده . وجعل محل الدفع البيت التجارى الذى يمثله ابوه ليجبر الاسرة على دفع المبلغ اتقاء للفضيحة وحرصا على سمعة الاب التجارية ومورد رزقه .

وجاء المحضر وفي يده السند المزور يطالب بالمبلغ او تحرير بروتستو عدم الدفع ... اى الافلاس . وليس المبلغ متوفرا . والاب في روسيا يسعى على رزقه . ولجات الام الى الفنان الكبير الاستاذ فوتييه حامل وسام الشرف الذى شهد فيما بعد بسوء سلوك لويس وكان من حسن الحظ ان المبلغ المطلوب متوفر عنده فاقرضه للام لحين ميسرة . وسددته بعد ذلك من قوتها اليومى .

★★★

فهل توقفت مساوئ لويس عند هذا الحد ؟ .. لقد اتجه الى النصب . كان من بين اصدقاء والده تاجر يرغب في شراء سيارة . فماذا تراه يفعل ؟ وجد سيارة معروضة للبيع في واجهة احد المحلات فصحب ذلك الصديق الى ذلك المحل وابلغه انه يستطيع ان يشتريها له بسعر حدده وتسلم من ذلك الصديق مبلغ الفى فرنك ليدفعها للبائع ومن بعدها لم ير المشترى لا السيارة ولا العربون الذى دفعه .

وهكذا تدرج لويس في الفساد . بدأ كسولا .. فاسدا .. فلصا .. فمزورا ... فنصابا . وانتهى الى محاولة ان يصبح « بلطجيا » يريد ان يبتز المال عن طريق التهديد بالايذاء او التشهير .

كان لا بد من وضع حد لمساوئه . واعملت الاسرة فكرها وانتهت الى ان من الضرورى تقييد حريته بطريقة ما الى ان يبلغ سن الرشد .... لعله يعود الى رشده . واعتقد لويس ان صاحب هذا الاقتراح والموعز به هو جاك فثار وزمجر وهدد بالانتقام بطريقة فظيعة لا يلجأ اليها الا شخص مثله وضيع النفس لا يرعى للاخوة ولا للصداقة ولا للجيرة حرمة .

★★★

كان جاك قد احب ابنة جار لهم واحبته . وتراسلا . ولكن اسرة الفتاة رتبت لها زواجا آخر ـ بغير حب فاستمرت رسائلها لجاك تبثه المها . ثم ما لبثت ان رضيت بما قسم لها واخلصت لزوجها . ويعلم لويس بذلك ويعرف ان الزوج لو اطلع على تلك الرسائل فسوف ينتقم من زوجته وربما من جاك . وهذه فرصته ليصطاد عصفورين بحجر واحد . فهو يعلم ان جاك لا يزال يكن لتلك التى كانت في يوم من الايام موضع امله الاحترام والتقدير . فذهب الى امه يعرض عليها طريقة الانتقام الجهنمية التى انتواها . وكان جاك في الغرفة الملاصقة يستمع الى ذلك التهديد ويكاد يجن من الالم واليأس ... ومنذ تلك اللحظة لم يعد يفكر الا في طريقة استرداد الخطابات من براثن اخيه ـ ذلك الوحش .. عديم الانسانية ... المحسوب عليه اخا شقيقا .

★★★

وفي ليلة الحادث آوى جاك الى غرفة نومه الملاصقة للغرفة التى ينام فيها جورج ـ الاخ الاصغر ـ ولويس ... حين يروق له ان يفارق رفيق السوء والفساد .

وبعد ان استمع جاك الى التهديد الذى وجهه لويس لامه حاول ان ينام ولكن كيف يغمض عينيه وهو مشغول بالبحث عن حل لاسترداد الخطابات المسروقة ؟ . واين يمكن ان يكون لويس قد اخفاها ؟ حاول ان يبعد تلك الفكرة ولكنها تلح عليه وتطرد النوم من عينيه . ولا يكاد يغمض عينيه لحظة حتى يستيقظ فزعا متصورا مدى الخراب الذى يريد ان يتسبب فيه لويس (المجرم) .

★★★

كان يعرف ان في سطح المنزل دولابا يضع فيه

لويس بعض حاجاته . فلعله اخفى فيه تلــك الخطابات ؟ لماذا لا يصعد ويفتش فيه قبل ان يستيقظ اخوه ... فارتدى قميصا وبنطلونا كان به مسدس يأخذه معه حين يُضطر للعودة متأخرا بعد العمل الطويل الشاق في المعمل . وخرج من غرفته قاصدا السطح ولكنه حين مر من امام غرفة نوم اخويه مر بخاطره انه ربما تكون الخطابات بملابس اخيه لويس فليبحث فيها قبل ان يصعد الى السطح . فدخل الغرفة على اطراف اصابعه وبدا يبحث بيدين مرتعشتين . واستيقظ اخوه جورج وساله عما يفعل فقال له ان لويس اخذ منه اوراقا وانه يبحث عنها .ولكنه لم يجد ضالته بجيوب لويس فقال لعله وضعها تحت وسادته . واقترب من السرير وادخل يده تحت الوسادة فاذا به يرى عيني لويس تحدق فيه كما تحـدق عينا وحش مفترس في ظلام الليل ... كانت لحظة حرجة ادرك جاك بلا وعي ـ خطورتها ، فاذا به يطلق النار من مسدسه خمس مرات متوالية كما يفعل الانسان في الغابة اذا وجد نفسه في مواجهة نمر او فهد .

★★★

ولكـن « عمر الشقى بقي » . لقد اصابتـه الرصاصات الخمس . ولو كانت به بقية من خير لمات لساعته . ولكنه لم يمت . وغادر المستشفى بعد عشرة ايام وكان شيئا لم يكن . وشراسـة الفجار في عينيه . لعلنا نتصور ان لويس بعد التجربة القاسية التى مر بها سيراجع نفسـه ويندم على ماضيه ويحاول اصلاح ما افسد وينقذ اخاه ... لقد بدرت منه بادرة عقب الحادث مباشرة حينما افاق في المستشفى وتبين ان اصاباته سطحية . فقد اقنعه اهله ان يقول انه شرع في الانتحار ... ولكن روحهالشريرة سرعان ما تغلبت فعدل عن تلك الاقوال وبدا يهدد جميع افـراد الاسرة مدعيا انها مؤمرة اشترك فيها الجميـع بمن فيهم والدهم الغائب في روسيا للتخلص منه . وطالب بثمن سكوته عشرة الاف فرنك ومنحهم مهلة عشرة ايام . فلما انتهت المهلة ولم يلبوا طلبه كتبالى النائبالعام يحتجعلى بقاء اخيه مطلق الحرية ويطالببالقبض عليه وتقديمهللمحاكمة.ولم يرحم قلق امه على اخيه فسرق من المنزل معطفا من الفراء قيمته اربعة الافـفرنك ورهنه استعدادا لبيعه . « وعادت ريمة لعادتها القديمة » .

★★★

واثبت التحقيق جميع هذه الوقائع ... ولكن النيابة العمومية لم تستطع حفظ القضية لانها جناية شروع في قتل خاب اثرها لسبب خارج عن ارادة المتهم . ولان المجنى عليه (؟) يصر على المحاكمة . ولكن المحامى العام الذى تولى المرافعة امام محكمة الجنايات عملا بالمبدأ المعروف « القلم مقيد ولكن الكلمة حرة » . ترافع مرافعة هى الى الدفاع اقرب منها الى الاتهام . قال :

في هذه المرة شرع هابيل في قتل اخيه قابيل .... ولم يفلح . ان الشاب ، واكاد اقول الصبي الماثل امامكم لتحاكموه ، ارتكب جناية الشروع في قتل اخيه . ومع ذلك فقد كان دائما كريما .. طيبا عاقلا غير متهور .... كانت اسرته تعلق عليه اكبر الآمال ... فاذا به الآن يجلس في قفص الاتهام .

انـنى اشعر الآن بشعور لم يسبـق لى ان احسـست بمثله . اشعر بالفرق الشاسع بـين مرارة القيام بدور الاتهام ... وشـرف تولـى الدفاع . ولكنى امام واجب مزدوج مفروض عليّ بنص القانون . اننى مطالب بان اقدم المتهـم للمحاكمة وقد فعلت . ومطالب بان اعرض التهمة وابيّن ظروفها وملابسـاتها وأدلة ثبوتها . ولـن اقصر في اداء هذين الواجبين .

ولكن . ليس عندى ما يحتاج لعرض الوقائع واثبات التهمة . فكل ما حدث مسلم به معترف بادق تفاصيله. لقد اطلق جاك برادين الرصاصات الخمسـة . اطلقها عمدا بنية قتل اخيه . انـه يعترف بذلك ولا ينكره ..

فهل انا مطالب ان اضيف علىأعبائه صخرا على صخر كما قال الشاعر ؟ هل من واجب رجل القانون الذى يتهم ان يرسم صورة قاتمة للمتهم ويسود وجهه ليترك للدفاع ان يزيل ذلك الســواد ويبيض الوجه الذى سوده ممثل الاتهام ؟ اننى ارفض قبول هذا الوضع المخزى . هذه التمثيلية التى تحط من رسالتنا النبيلة .. الصعبة احيانا .. اننى مطالب بان اقدم لكم الحقيقة الكاملة .

الحقيقة الواضحة .. ولو أدى ذلك الى هدم الاتهام من اساسه .

صحيح لقد ارتكب جاك برادين الفعل الذى اتهمته به والذى يصفه القانون بانه جناية . صحيح انه شرع فى قتل اخيه عمدا وهى جناية تثير غضب الحليم ولا تجد ما يبررها او يخفف من وقعها لانها تهدر رابطة الدم وتهدم كيان الاسرة ومجرد التفكير فيها يثير الغضب . ولكن المطلوب منكم الآن لان تقرروا صحة الواقعة - فهذه امرها واضح مفروغ منه - ولكن ان تقروا « هل هو مذنب ؟ » وهو قرار خطير يهمنى ان اوضح لكم نتائجه .. اذا اجبتم بنعم بدون ظروف مخففة فالعقوبة هى الاشغال الشاقة مدى الحياة . فان منحتموه الظروف المخففة فهى الاشغال الشاقة من خمس الى عشرين سنة . ومهما كان عطف المحكمة على حالته وتقديرها لظروفه فانها لا تستطيع بنص القانون - ان تنزل بالعقوبة عن خمس سنوات . فاذا خرج جاك برادين من هذه القاعة مذنبا - بقرار منكم - فقد فقد الى الابد . تصفت حياته . وانتهت ابحاثه . وفقدته اسرته . وفقدته الابحاث التى تبشر بالنتائج الباهرة. وفقده العلم. وفقدته الهيئة الاجتماعية . لان مثله لا ينهض بعد هذه العثرة .

***

بعد هذه المرافعة التى تولى فيها ممثل الاتهام دور المدافع الصريح عن المتهم ولم يكتف بما تشير به تعليمات النيابة العمومية من الاكتفاء - فى مثل هذه الحالة بتفويض الراى للمحكمة . ترافع الاستاذ هنرى روبير (نقيب محامى باريس فيما بعد - وعضو الاكاديميةالفرنسية - ومؤلف كتابى المحامى والقضايا التاريخية - وكان لا يزال يخطو الخطوات الاولى من عمله) . بكلمات قصيرة اكتفى فيها بالقول :

ان لويس برادين - بعد حادث الشروع فى قتله - الذى كان نتيجة سوء تصرفاته المشينة - ازدادت تصرفاته سوءا وضاعف من فضائحه .. وليس عندى جديد اشرحه لكم بعد ما سمعتموه . لقد احاطكم التحقيق والشهود والنائب العام بمرافعته القيمة علما بالحقيقة المؤلمة .. المحزنة . ولم يبق امامى - وامامكم - كما قال احد كبار اساتذتنا - الا ان نطوى صفحات القانون وننحى مواده وتفتح صفحات قلوبنا. فماذا انتم فاعلون ؟؟ هل ستقررون ان جاك برادين مذنب ؟ ان قلتم نعم فمعنى ذلك الليمان . اى القضاء النهائي عليه فما من انسان يقف على قدميه ويعود سيرته الاولى بعد الليمان . وتجعلونه يدفع هو - ثمن جرائم الاخ الآخر . اى يدفع هو العامل النافع المجد . الابن الطيب البار الذى كان ولا يزال رغم كل شيء الرجل الشريف الذى احتفظ له كل من عرفوه بالصداقة والاحترام ثمن جرائم الابن العاق الشرير الفاسد ..

ان فعلته غلطة لحظة وضربة يأس . أتزونه قدر ما اقدم عليه ؟ الم يقع تحت سطوة فكرة سيطرت عليه وافقدته سلامة التفكير . الم يحركه كابوس مريع بعد ليلة ارق لازمه طوال تلك الساعات ؟ ذلك الارق الذى حول مخلوقا ذكيا وديعا الى انسان فاقد العقل متهم بالقتل ؟

امن مصلحة الانسانية حقا أن تلتفظ هذا الشاب النافع ؟ ان كل شيء يدافعته . معمله ينتظره . وابحاثه تنتظره . وامه المسكينة - وهو لا يزال موضع حبها وفخارها - تبكى وتنتظره .

اذا لم يجد مثله سبيلا للعفو عندكم،اذا لم تجد الرأفة به سبيلا الى قلوبكم وعقولكم . فيجب اذا ان تدينوا جميع من يمثلون امامكم او يجلسون على مقاعد الاتهام فلن تجدوا من هو اكثر منه استحقاقا للرافة والعفو .

***

واختلى المحلفون لبضع دقائق اصدروا بعدها قرارهم بان جاك برادين غير مذنب . وخرج من القاعة بريئا مرفوع الرأس . اما لويس فخرج من القاعة كما هو - لا يعرف الخير ولا ينويه .

أليس عجيبا ان اخوين لنفس الاب ونفس الام ، تربيا معا فى نفس الدار . محاطين بنفس العناية . ونفس الحب ونفس الحنان ونفس المبادىء. تجرى فى عروقهما نفس الدماء يختلفان هكذا ذلك الاختلاف البين ؟

ولكن هذا كثيرا ما يحدث . ولله فى خلقه شئون . ■■

حسن الجداوى



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

النخالة الوردية
مرض جلدى غير معد !

● اصبت ببقع حمراء كثيرة علىجسدى وذراعى منذ شهر ، واخبرنى الطبيب ان هذا الطفح يسمى النخالةالوردية ، فما هو هذا المرض ، وهل هناك امل فى شفائه ؟

ـ ان مرض النخالة الوردية Pitgriasis Roses يحدث فى عمر الشباب ويكثر فى فصل الربيع والخريف ، وقد يسبق ظهور الطفح شعور بالتعب او التهاب اللوزتين او صداع ، وهو يحدث نتيجة حساسية قد تكون مصحوبة بالتهاب خفيف .

ويتميز المرض بانه يبدا برقعة واحدة اولا تكون مستديرة او بيضاوية مساحتها بين ٢ ـ ٥ سم ، ولونها محمر وتسمى Herald Patch وهى تشبه المرض الفطرى فى شكلها ، وبعد ذلك بحوالى اسبوع او اسبوعين تظهر عدة رقعات اخرى مشابهة واصغر حجما ، وتنتشر فى انحاء الجسم بسرعة على الصدر والبطن ، واعلى الذراع والفخذ وعادة لا تظهر على الوجه ولا على اليدين . وتكون مصحوبة بقشور خفيفة مثل الردة ، وقد تكون هناك حكة خفيفة او شديدة ، وقد يظهر الطفح على شكل حبيبات او حتى بثور ، ومما يميز الطفح ايضا انه يكون على شكل صفوف متوازية مع عظام الصدر .

العلاج : احب ان اطمئن مريض النخالة الوردية بان هذا المرض بسيط وليس له مضاعفات وغير معد ، علاوة على انه يخف تلقائيا فى فترة من شهر الى شهرين ونصف ، ولكن بالعلاج يمكن شفاؤه فى فترة اقصر من ذلك ، ومنع الحكة الشديدة . ويجب ان تكون المعدة طبيعية فليس هناك امساك ، وتجنب المأكولات المحفوظة والاسماك والحلويات الكثيرة والتوابل .

ولسرعة علاج المرض واختفاء القشور واللون يفضل عمل اشعة فوق بنفسجية .

كذلك استعمال الدهانات والمراهم الموضعية الخفيفة مثل دهان الكلامينا ولوسيون محتو على كورتيزون ، وقد نستعمل الريزوسين ومركبات القطران ، واذا كان هناك حكة شديدة يجب اعطاء الادوية المضادة للحساسية .

الم الرقبة والذراع الايسر هل له علاقة بالذبحة الصدرية ؟!

● اعانى من الم برقبتى ينتشر الى ذراعى الايسر واسمع ان الام الذبحة تنتشر الى الذراع الايسر ـ فهل اعانى من الذبحة الصدرية ؟!

ـ ان الم الرقبة الذى يحدث فى سن ما بين ٥٥ ـ ٦٥ سنة يكون نتيجة لتآكل الغضاريف بين الفقرات العنقية ، وهذا يؤول فى النهاية الى نتوءات بين هذه الفقرات تضغط على الاعصاب مما يسبب آلاما تذهب الى الذراعين ، خصوصا عند تحريك الرقبة وفى بعض الحالات تضغط الغضاريف على العمود الفقرى وتسبب تيبسا فى الطرفين السفليين وعدم القدرة على الحركة والمشى . وفى الحالات الشديدة ربما سبب الضغط على الاعصاب الذاهبة الى اليدين ظهور ضمور فى عضلات اليدين وعدم الاحساس فيهما ، وعند انتشار الالم فى الذراع اليسرى فانه يشبه الى حد كبير آلام الذبحة ، ولكن آلام الذبحة تكون عبارة عن الم ضاغط خلف عظم القص ، يزداد بالمجهود العضلى ويبقى لمدة دقائق ويزول بالراحة ، وينتشر الى الذراع الايسر وربما الايمن او الى الفك السفلى . اما الم ضغط غضاريف الرقبة ، فانه يزداد بحركة الرقبة الى جهة او اخرى ، وليس له علاقة بالمجهود العضلى ويستمر لفترات طويلة طالما كان العصب مضغوطا عليه ـ وتظهر بقية الاعراض فى الجسم مع مرور الوقت .

على أن هناك احتمالا لحدوث المرضين فى مريض واحد ، لذا وجب الاحتراس وعمل تخطيط القلب للتأكد من عدم وجود مرض الذبحة الصدرية أو الجلطة فى شريان تاجى القلب .

نقص اليود قد يؤدى الى تضخم الغدة الدرقية

● اعانى من « تورم » ظاهر فى مقدمة الرقبة وقيل لى انه « جوتر » ـ فما سبب هذه الحالة ؟ وما العلاج ؟.

ـ كلمة (جوتر) Goitre تطلق على تضخم فى الغدة الدرقية دون تغير فى عمل الغدة أو خلل فى تركيب خلاياها ـ اى ان الحالة ليست مصحوبة بازدياد فى عمل الغدة والذى يطلق عليه التسمم الدرقى او نقص فى عمل الغدة او ورم حميد او خبيث بها .

وهذا النوع من التضخم فى الغدة منتشر فى مناطق كثيرة فى العالم وهى المناطق التى تبعد عن البحر كسويسرا مثلا . حيث تكون كمية اليود فى الاطعمة قليلة.

ولماذا يحصل هذا التضخم فى اشخاص ولا يحدث عند الآخرين ؟

أن الاجابة على هذا السؤال ما زالت

الشلل « الرعاش » ليس وراثيا

● اصيب والدى بمرض « الرعاش فما سبب هذا المرض؟ وهل هو وراثى؟ وما علاجه ؟ . »

ـ مرض الرعاش هو مرض يصيب الجهاز العصبى ويسمى مرض Parkinsonism نسبة الى الطبيب الانجليزى الذى وصفه ، وهو اما ان يحدث فى الصغر نتيجة لفيروس يسبب التهابا فى خلايا خاصة من المخ . وقد كثر ذلك فى اوربا بعد وباء الانفلونزا الذى حدث فى العشرينات . ويترك الانسان المصاب به فى غاية التيبس فلا يمكنه الحركة بسهولة ولا يمكنه تحريك ذراعيه او العمل بهما بسهولة . وكذلك يثقل الكلام وترى المصاب يتمتم ، وبالنظر



غامضة ولم يتوصل الطب لفهمها الفهم الصحيح ، ولكن يعتقد انه نتيجة لنقص فى كمية اليود ، ولهذا نجد ان التضخم كثيرا ما يحدث فى المناطق الجبلية البعيدة عن المياه التى تحوى اليود والاطعمة التى تحتوى على كمية كبيرة من الكالسيوم الذى الاسماك — ولان مياه المناطق الجبلية تحتوى على كبيرة من الكالسيوم الذى ربما يقلل من امتصاص اليود فى الجسم — وربما يكون السبب ان عمل الغدة الذى يقوم على صناعة هرمون الثيروكسين « Thyroxine » ليس على الوجه الاكمل ، فتكبر الغدة لكى يمكنها من ان تمد الجسم بحاجته من الهرمون . على ان هناك بعض الاطعمة التى قد تزيد فى تضخم الغدة عند الذين عندهم استعداد لذلك مثل الكرنب واللفت وبعض الادوية .

وكل ما يسببه هذا التضخم هو تشوه الرقبة وخصوصا ان هذا يحدث كثيرا عند الفتيات اللواتى يعتنين بجمالهن — وفى بعض الحالات اذا كان هذا التضخم كبيرا ربما ضغط على اوردة الرقبة او الحنجرة ، مما يسبب ضيقا فى التنفس — وعدم الاحساس بالراحة فى الرقبة ، والاحساس بالاختناق .

والعلاج فى هذه الحالة هو ان يعطى مركبات اليود مثل يودور البوتاسيوم ، فنرى ان الغدة تصغر تدريجيا ، وفى بعض الحالات يعطى هرمون الثيروكسين اذا كان هناك قلة فى هذا الهرمون فى الجسم — على انه فى بعض الحالات التى لا تستجيب لهذا العلاج والتى مضى عليها مدة طويلة وحدثت بها تورمات ثانوية وزاد حجم الغدة الى درجة كبيرة فيستحسن ان تجرى عملية لاستئصال بعض منها دون ان يتاثر الجسم بهذه العملية .

الى وجهه لا ترى عليه ملامح الانفعال كالمعتاد — بل عيون واقفة لا تتحرك كثيرا وربما نزل اللعاب من الفم دون ان يقدر المريض على منعه لضعف فى عضلات الفم والشفاه ، وربما حدثت تحركات لا ارادية فى اليدين . اى ان هذا النوع يكون التيبس فيه اكثر من الرعشة .

وفى كبار السن يحدث هذا المرض نتيجة لتصلب فى شرايين المخ وتاثر خلايا خاصة تتحكم فى الحركة ، وتسبب ايضا تيبسا فى العضلات ، ولكن مع ذلك تكون الرجفة واضحة بالذراعين والساقين السفلين والشفاه بحيث تكون مقلقة للمريض مع زيادة هذه الرجفة عند الانفعال — وربما تحكم فيها المريض واخفاها فى بعض الاحيان — ويأخذ المريض وضع المنحنى الى الامام اثناء المشى ، وتراه دائما ناظرا الى الارض .



هذا المرض ليس معديا ، وكذلك ليس وراثيا . وعلاجه بأقراص Ariane او ما شابهها ، وقد ظهرت حديثا أقراص تسمى Lordopa ربما كان لها أثر فى تحسن التيبس والتخفيف من الرجفة . على انه فى بعض الحالات وخصوصا فى صغار السن هناك عمليات جراحية تجرى على المخ تتحسن بعدها حالة التيبس والرعشة — وربما احتاج المريض الى العلاج الدوائى بعد العملية — وما زالت الابحاث تجرى للتوصل الى انجع دواء او احسن جراحة للتغلب على هذا المرض . ■■

الإسرائيليون

المؤسسون والأبناء[1]

الفكر الاسرائيلي يؤكد :

● الحرب الاسرائيلية العربية حرب دائمة، كما الشمس دائمة.

● بن جوريون يقول : « لو كنت عربيًا لكنت فدائيًا ».

بقلم : آموس الون

عرض : الدكتور محمود السمره

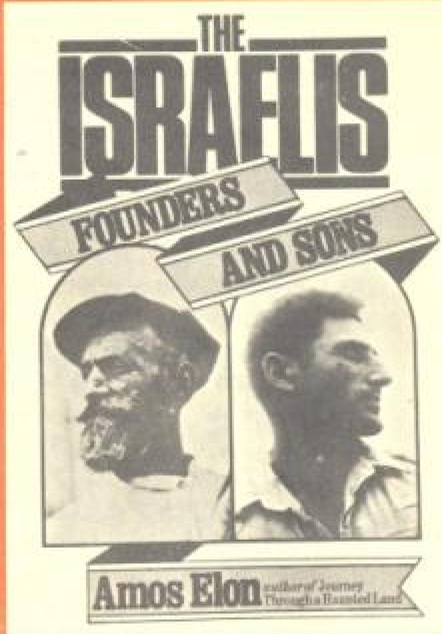
■ هذا كتاب صدر فى شهر مايو (أيار) الماضى ، ولم تلبث أن نفدت طبعته ، وأعيد طبعه ثانية فى الشهر نفسه . وهو من هذه الكتب التى تكشف لنا عن بعض ما يدور فى أذهان رجال الفكر من الاسرائيليين . واذا كانت معرفتنا لأنفسنا ضرورية ، فان معرفتنا لأعدائنا لا تقل أهمية . من اجل ان يكون تخطيطنا سليما قائما على معرفة تامة بأمر من يهددوننا فى وجودنا . وليس من الحكمة فى شىء أن نتجاهل ما يكتبونه .

وليس هذا الكتاب مثالا على ما تنتجه اقلام الصهاينة ، ذلك لان فيه كثيرا من الموضوعية . ولكنه كتاب يجدر بالمسؤولين منا ، وبالمفكرين وبكل مهتم بقضية امتنا ، أن يقرأه ويتفهمه . وهو كتاب يعرض للظروف التى عاش في ظلها اليهود في روسيا خاصة ، في القرن التاسع عشر ، ونشوء الحركة الصهيونية ، وهجرة بعضهم الى فلسطين ليكونوا المؤسسين لدولة اسرائيل . ثم يأتي القسم الثاني الذى يتحدث عن ابناء أولئك المؤسسين ، والذين يسيطرون على مجرى الامور في اسرائيل اليوم . وانه لمن العسير مراجعة كتاب ضخم في مقال واحد ، ولهذا فسأقتصر على الجزء الاول من الكتاب .

ومؤلف الكتاب ، أموس الون ، كاتب اسرائيلي

---

1) Amos Elon, The Israelis : Founders ond Sons .



مشهور ، وهو احد هؤلاء الابناء الذين هم موضوع النصف الثانى من هذا الكتاب . وكان اموس مراسل اشهر جريدة اسرائيلية ، وهى جريدة هاآرتيز Ha'aretz » في واشنطن وبون وباريس . وقد صدر له عام ١٩٦٧ كتاب عن المانيا(٢) .

لا مفر من الحرب المستمرة مع العرب

يبدأ المؤلف فيقول : عندما احتفلت اسرائيل بالعيد العشرين لقيامها،ازدادت يقينا بان المستقبل يخبيء لها اياما قاسية ، وقد القيت خطب كثيرة بهذه المناسبة ، ومما قاله المتحدثون ان على اسرائيل ان تنتظر حربا كل سنتين او ثلاث . وقال آخرون ان حربا كل خمس سنوات أو عشر أمر لا مفر منه ، وهو الثمن الذى على اسرائيل أن تدفعه اذا كانت مصممة على ان تبقى .

وهذه النغمة تختلف عن النغمة التى كانت سائدة قبل حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ، حيث كان الاعتقاد السائد بين الاسرائيليين ان الصلح مع العرب امر ممكن . وقد ساد الاعتقاد بين الاسرائيليين ، بعد حرب ١٩٦٧ ، أن الصلح الذى يجلب معه الاستقرار قد أصبح على الابواب . ولكنهم لم يعيشوا في هذا الحلم سوى شهور قليلة ، افاقوا بعدها على الواقع المر ، وهو أن العرب ـ خلافا لكل التوقعات ـ رفضوا ان يعقدوا صلحا مع اسرائيل . وهكذا اصبح الاعتقاد السائد بين الاسرائيليين أن الصراع العربى ـ الاسرائيلى لن ينتهى في سنوات قليلة ، بل لعله سيستمر أجيالا . وذهب بعضهم الى القول « ان اى تنازل نقدمه للعرب من اجل الصلح لن يرضي كرامتهم المجروحة . » ويرّر آخرون اصرار العرب على رفض الصلح « باننا سلبناهم ارضا يعتبرونها لهم ، ولو كنت عربيا لرفضت الصلح باصرار .» ويروى عن السياسي العجوز بن غوريون بانه قال في مجالسه الخاصة بانه لو كان عربيا لما تردد في الانضمام الى الفدائيين ، وهذا قول يصدر عن رجل من المؤسسين ، ففى حياته كلها يعمل من أجل قيام دولة اسرائيل. أما موشه ديان قال : « على الرغم من اننا نقف الآن على ضفة قناة السويس ، وضفة نهر الاردن ، فانّ قدَرنا ان نستمر في تقديم التضحيات ، لانه مكتوب علينا ان نكون في حالة حرب دائمة مع العرب . هذه هى الحقيقة » .

الصهاينة الأول

ولم يكن يخطر ببال الصهاينة الاول ان المعركة ستكون بينهم وبين العرب ، ذلك لانهم تصوروا ان معركتهم هى مع الرأسمالية العالمية ، والدول الاستعمارية ، والامبراطورية العثمانية ، وخليفتها الامبراطورية البريطانية ، والسبب في هذا ان الصهاينة كانوا يعتبرون انفسهم اشتراكيين تقدميين . وهكذا نرى ان المستوطنين الاول من اليهود في فلسطين ، كانوا يجهلون الفلسطينيين والعرب . وهنا نلاحظ ان المؤلف يتجاهل الدور الكبير الذى قامت به بريطانيا ، رأس الدول الاستعمارية ، في تهيئة المناخ الملائم في فلسطين لاقامة دولة اسرائيل .

2) Journey Through a Haunted Land.

ويرى المؤلف انه كان من سوء حظ المستوطنين الاول ان وصلوا الى فلسطين في اواخر القرن الماضي ، ولو انهم بداوا بالهجرة في النصف الاول من القرن الماضي لكان استيلاؤهم على فلسطين اسهل بكثير ، ذلك لان ما كان يعتبر حقا وامرا طبيعيا في عام ١٨٣٠ او ١٨٥٠ ، اصبح مشكوكا فيه عندما بدا اليهود هجرتهم الى فلسطين في عام ١٨٨١ ، وذلك بسبب تغير القيم وانتشار المفاهيم القومية .

وفي الوقت نفسه لم يكن بالامكان ان تبدأ الحركة الصهيونية قبل الوقت الذي ظهرت فيه ، ذلك لانها حركة كانت من نتاج القومية التي انتشرت في اوروبا ، ومثل هذا كانت حركة القومية العربية . ولهذا فان الصراع في فلسطين لم يكن بين المستعمرين الصهاينة وسكان البلاد العرب ، بل بين قوميتين متخاصمتين كل منهما تدعي انها على حق . ولا يبدو لي ان هذا الكلام منطقي وسليم : فالفلسطينيون منذ ان هبّوا لاول مرة لمقاومة الغزاة ، لم يكونوا يصدرون في هذا عن فهم للقومية العربية ووعي لايديولوجيتها ، بل عن دافع غريزي تلقائي هو ان بيوتهم وارضهم ووطنهم ووجودهم في خطر ، ويجب الدفاع عنها .

العرب على رأس حلفاء الصهيونية !!

واذا كانت الصهيونية قد نجحت بفضل جهد ابنائها وتضحياتهم ، وبفضل المساندة والعطف اللذين لقيتهما من دول العالم ، فان العرب انفسهم كانوا من جملة حلفاء الصهيونية : فلو ان العرب وافقوا في عام ١٩١٩ على قبول وطن قومي لليهود كما ورد في وعد بلفور ، لذابت الاقلية اليهودية في الكثرة العربية واصبحت الدولة دولة فلسطينية عربية . وهذا القول نفسه ينطبق على كل العروض البريطانية التي تلت ، والتي رفضها العرب ، والتي لو كانوا قبلوها لكان في ذلك القضاء التدريجي على الصهيونية في فلسطين .

ويبدو لي هنا ان المؤلف يبالغ في تبسيط الموقف : فهو ينسى اولا تشابك المصالح البريطانية ـ الصهيونية التي ادت الى التحالف بينهما ، هذا التحالف الذي يضمن لبريطانيا مصالحها في المشرق العربي بابقائه ضعيفا عن طريق اقامة دولة صهيونية في فلسطين تحقق حلم الصهيونية . وهو ينسى ثانيا انه لا يحق لاى انسان ان يأخذ من انسان آخر ما يملك ، ولا ينتظر ان يتنازل هذا الانسان عن حقه في ما يملك .

ويرى المؤلف ان رفض العرب للصلح مع اسرائيل جعلها تسيطر ، بعد حرب ١٩٦٧ ، على ٨٨ الف كيلو متر مربع بينما كانت مساحتها قبل الحرب ٢٠٫٢٥٠ كيلو متر مربع ، اى ان ما تسيطر عليه اسرائيل يساوى ١٨ ضعفا من المساحة التي خصصت لها في اول مشروع للتقسيم ، وهو مشروع لورد بيل Peel في عام ١٩٣٧ . فلو ان العرب قبلوا بمشروع بيل لما حدث ما حدث . والرد الذي اوردناه سابقا ينطبق على هذه النقطة ايضا ، واضيف بان دراستنا للحركة الصهيونية تدلنا بوضوح على ان اليهود كانوا يبنون تصرفاتهم على فهمهم لردود الفعل العربية ، ولم يكونوا جادين في اى يوم من الايام في اعلانهم قبولهم لاى نوع من التسوية . لقد كانت سياستهم دوما تحقيق الحلم على مراحل ، حلم دولة اسرائيل من النيل الى الفرات .

وفي رأى المؤلف ان القادة العرب يؤمنون ان الحرب مع اسرائيل ستستمر ، وان النصر في النهاية هو للعرب . ولكنه يرد على هذا بان الحرب في هذه الايام هي حرب قائمة على العلم والتكنولوجيا وبهما انتصرت اسرائيل في حرب ١٩٦٧ ، وكل عام يمر تزداد الفجوة بين العرب واسرائيل في هذا الميدان ، ويشير هنا الى الدراسة التي قام بها هرمان كهن Herman Kahn وانطوني وينر Anthony J. Weiner وهي بعنوان The Year 2000 حيث تصل اسرائيل في هذا العام الى مرحلة ما بعد الطور الصناعي ، بينما تصل ارقى الدول العربية الى بداية الطور الصناعي . وكل حرب تالية سيكون للعلم والتكنولوجيا فيها دور اكبر من الحرب التي سبقتها .

وفي رايي ان هنا مغالطة : فالمؤلف يفترض ان حالة التقدم او حالة التخلف ثابتة ومطردة ، وليس هذا صحيحا ، والامثلة كثيرة فامامنا اليابان ، ومثل اقرب هو الصين . وغاب عن باله ان ضعف العرب وتخلفهم انما يعودان الى تفرقهم

وعـدم استثمارهـم لثروات بلادهـم وموقعهـا الاستراتيجي بطريقة صحيحة .

الصهيونية ثورة ونقمة

ويرى المؤلف أن حركة الصهيونية كانت ثورة قامت تحديا للبؤس الذى كان يحيا فيه اليهود في أوروبا . وهي ككل ثورة ، فيها الخير والشر . واذا كانت قد قامت لحل مشكلة ، فانها في الوقت نفسه خلقت مشكلة جديدة : لقد جلبت الخلاص لليهود المشردين ، لتشرد من جديد عرب فلسطين .

وهكذا كانت الصهيونية نعمة للبعض ونقمة للآخرين . وهي ان كانت قد انقذت اليهـود المضطهدين في بولونيا وروسيا ، وجلبت الطمانينة الى الناجين من معتقلات النازية ، فانها في الوقت نفسه جلبت البؤس والشقاء لسكان البلاد الذين هم العرب .

الاسرائيليون شعب هجين

والاسرائيليون شعب هجين . وقد بدأ استعمار اليهود لفلسطين قبل نحو قرن من الزمان ، وذلك بوصول المستوطنين الاول من المهاجرين من روسيا ورومانيا . ومنذ ذلك التاريخ اخذ اليهـود يتقاطرون الى فلسطين من كل أنحاء الارض ، حاملين معهم عاداتهم ، وثقافاتهم ، وتقاليدهم . وتدلنا الاحصائيات على أن الاسرائيليين يعودون في اصولهم الى مائة وبلدين من كل اطراف الكرة الارضية .

وقد ترك هذا التباين الكبير بين السكان بصماته في كل مكان : فاثر في الناس ، والسياسة ، وحتى في البيئة الطبيعية ، حيث نجد في اسرائيل اليوم مناطق تمثل خليطا كاريكاتيريا من يهود العراق وغاليسيا وايطاليا ... وفي كل مكان يلتقي الزائر باناس مختلفي الثقافات والعادات . وفي عام ١٩٦٥ كان اكثر من نصف الشباب يتحدث بلغات تبلغ في عددها اثنتي عشرة لغة هي لغاتهم الاصلية والرسمية .

عوامل التوحيد بين الاسرائيليين

ورغم هذا التباين بين السكان ، فـان هنـاك عوامل تجمع بينهم وتوحدهم .

وعلى رأس هذه العوامل يأتي : الدين . ومع أن الدين اليهودى ينعدم فيه التنظيم الى حد كبير ، وفيه مذاهب متعددة ومستقلة يرأسهـا أحبار مختلفون ، الا انه مع هذا أكثر اتساقا في العقيدة والتعاليم من المذاهب المسيحية المختلفة. وبالاضافة الى هذا فان الدين اليهودى كان دوما بالنسبة لليهود اكثر من عقيدة وتعاليم دينية : انه بالنسبة لليهود دين يُعنى بالكون كما يجب أن يكون اكثر مما هو كائن في الواقع .

والعامل الثاني من عوامـل التوحيد هـو : القومية . وهي قومية اصطبغت منذ القديم بشعور اليهود بالتفوق والتميز ، وقد لعب هذا الشعور دوراً هاماً في نهضتهم القومية الحديثة . اما هذه القومية اليهودية الحديثة الموجودة في اسرائيل فهي قومية نقلها يهود أوروبا عن الامم التى كانوا يعيشون بينها .

وقد بدات القومية اليهودية الحديثة في شرقي أوروبا خلال النصف الثاني من القرن التاسـع عشر ، وبهذا جاؤوا كقوميين متاخرين ، وجاؤوا كمستعمرين متاخرين ايضاً : فقد كانوا من بين الاقليات التى قطنت شرقي اوروبا ووسطها آخر هذه الاقليات اعتناقاً للقومية . ولو ان حركـة الانسانية العالمية انتصرت على حركات القوميات في القرن الماضي ، لما كتب للحركة الصهيونية ان تقـوم .

لقد اراد اليهود أن يكونوا شعبا كسائر الشعوب فآمنوا بالقومية ، وقد لعبت محاولات التجنيس والتقريب دورها في بلورة هذه القومية ، ولكن الدور الاكبر في قيام هذه القومية اليهودية يعود الى رابطة الالم المشترك والذكريات المريرة . وكانت هذه القومية شكلاً من اشكال الدفـاع عن النفس ، وتخطيطا من أجل مستقبل افضل .

وهى قوميـة اخذت عـن القوميـة الفرنسيـة ايجابيتها ، وعن القومية الالمانية مثاليتها ، وعن الروسية شعبيتها . وقد نقلها الى اسرائيل معهم الرواد الاول من المهاجرين الاوروبيين ، كما نقلوا معهم ايضا طرق الزراعة الحديثة ، والتكنولوجيا الصناعية.وهى قومية قد ازدادت تاصلا ورسوخا بسبب الخطر العربى ..

وفي رايى أن المؤلف هنا يتجاهل واقع الصراع

العربي الاسرائيلي واسبابه ، ويكفي أن نوجه السؤال التالي لتغطية ما تجاهله : هل من مثالية القومية اليهودية وانسانيتها طرد شعب من وطنه بالقوة وتقتيل النساء والاطفال والشيوخ وتشريد من بقي منهم ؟ !!

ومثل العاملين السابقين في الاهمية : الثقافة السياسية الواحدة التي تطبع الاسرائيليين بطابع واحد . وكان لهذا العامل اثر كبير في توحيد هؤلاء اليهود المختلفين في امور عدة . واوضح ما يبدو هذا العامل في ناحيتين من نواحي الحياة في اسرائيل ، هما : الحياة السياسية والتعليم . وقد وُضعت انماط الحياة السياسية والتعليمية هذه في مطلع هذا القرن ، وكان ذلك على يد الموجات الاولى من المهاجرين اليهود من شرقي اوروبا . وقد تركت هذه الانماط اثرها في حياة اليهود في فلسطين بحيث يستحيل محوها ، وهي في هذا تشبه أثر المهاجرين الاول الى أمريكا في قيام الجمهورية الامريكية . وهكذا نرى انه اذا كان الاسرائيليون مزيجا من ثقافات ولغات عدة ، فانهم شعب واحد الآن صهرتهم في بوتقة واحدة سياسة تعليمية واحدة وفكر سياسي واحد . والجذور الاولى لهذه الحياة السياسية التعليمية نبتت في شرقي اوروبا في القرن التاسع عشر ، وهناك نمت شجرتها ، ثم طُعّمت بفروع عدة من اشجار اخرى لتناسب البيئة الجديدة التي نقلت اليها . ويمكن تشبيه ما حدث في اسرائيل بما حدث عند انشاء ولاية ماشوسيتس ، حيث كان العامل الاول في انشائها ما عاناه المتطهرون (Puritans) الانجليز خلال حكم شارل الاول ، مما دفعهم الى الهجرة للدنيا الجديدة حاملين معهم ثقافتهم وعاداتهم .

هيرتزل دوره ضئيل

ومن المعروف أن ابن فينا ، الصحفي والكاتب المسرحي ، تيودور هيرتزل هو مؤسس المنظمة الصهيونية العالمية ، ولكن كتب التاريخ الاسرائيلية غير العلمية تغالي في تقدير دوره وأثره في سير الاحداث . والدليل على هذا أن اسرائيل اليوم ليس فيها شيء من فينا هيرتزل ، وفيها الشيء الكثير جدا من روسيا وشرقي اوروبا ، وما ذلك الا لأن المؤسسين لهذه الدولة انما جاؤوا من تلك البقاع .

لقد كان هيرتزل محافظا يؤمن بالحكومة الارستقراطية ، بينما كان يهود شرقي أوروبا اشتراكيين . ولم يفكر هيرتزل في فلسطين كوطن لليهود في البداية ، بينما كانت فلسطين لا تبرح مخيلة يهود شرقي اوروبا . وكان يرى أن فلسطين ليست المكان الذي يمكن أن يتحقق فيه حلمه باقامة الدولة اليهودية ، وذلك بسبب مناخها ، وعدم وجود امكانية فيها للتوسع ، ولقربها من أوروبا . وكان يتصور دولة المستقبل ذات ثقافات متعددة ، وذات لغات رسمية عدة ، أهمها الانجليزية والالمانية . ولم يكن يتصور انها ستكون دولة ذات ثقافة يهودية ، حتى انه تساءل مرة قائلا : « وما هي هذه الثقافة اليهودية التي تتحدثون عنها ؟ » وكان يعارض في احياء اللغة العبرية لتكون لغة دولة المستقبل ، وهو ما كان يدعو اليه صهاينة شرقي اوروبا . وكان يرى ان مثل هذه الدعوة هي اشبه بان تسلح جيشا حديثا بالقوس والنشاب .

ويروى عنه أنه سأل مرة الصهيوني الروسي المتطرف اوسيشكن Ussishkin قائلا : « هل انت ترى فعلا ان علينا ان نقيم الدولة في فلسطين ؟ » فأجابه أوسيشكن : بكل تأكيد ، واذا كنت لا تؤمن بهذا ، فانك لا تستحق ان تكون على راس هذه المنظمة » .

وفعلا فاننا نرى المنظمة تثور على هيرتزل قبيل وفاته . واذا استعرضنا تاريخ هذه الفترة وجدنا ان اثر هيرتزل كان طفيفا جدا ، اذا قيس بصهاينة شرقي أوروبا الذين طبعوا اسرائيل بطابعهم .

المؤسسون جاؤوا من روسيا

ولا يمكن فهم المؤسسات الاسرائيلية ، ومناخها الفكري ، دون فهم الظروف التي ادت الى نشوء الحركات القومية ، والشعبية في شرقي اوروبا في منتصف القرن التاسع عشر . وقد نشأت فكرة قيام اسرائيل في أذهان اليهود بتأثير من اليقظات القومية التي شهدتها بولندة ، ولتوانيا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وفنلندة .. وقبل هذا وفوق هذا فهي من نتاج المناخ الثوري الذي ساد روسيا بين عامي ١٨٨٠ و ١٩٢٠ . ومن روسيا جاء الآباء المؤسسون لدولة اسرائيل ، وفي منسك Minsk في عام ١٩٠٢ ولدت الحركة العمالية الصهيونية ،

هذه الحركةالتى سيطرت علىالسياسةالاسرائيلية من مطلع عام ١٩٣٠ الى اليوم دون انقطاع . ولا يقتصر تاثير هؤلاء المؤسسين في اسرائيل على سياستها ،بل ان الحياة فيما تبدو شبيهة لما كانت عليه حياة المؤسسين في بلادهم الأصلية ، سواء كان ذلك في الوان الاطعمة ، أو السلوك الدينى او غيرهما .

ويروى عن مير فيزجال Meyer Weisgal ، الذى اصبح فيما بعد رئيس معهد وايزمن للعلوم، انه سئل فيعام ١٩٤٤ عن رايه في فلسطين ، وهل احبها ، فاجاب : « لقد احببتها بكل تاكيد ، لان كل فرد هنا يبدو لى وكانه قد جاء من كيكل Kikel » (وكيكل هى البلدة التى جاء منها فيزجال ، وهى قرية في بولونيا يبلغ عدد سكانها نحو ١٥٠٠ نسمة) .

فاغتاظ من هذا الجواب جرونباوم Gruenbaum الذى اصبح فيما بعد وزيرا للداخلية ، وساله بحدة : « ماذا تعنى بقولك : كل فرد ؟ » .

فساله فيزجال : « ومن اين جئت انت ؟ » .

فاجابه جرونباوم : « لقد ولدت في بلونسك Plonsk . » (وهى قرية اخرى في بولونيا يبلغ عدد سكانها ٢٨٠٠ نسمة) .

والمعنى في هذه القصة واضح ، فالمؤسسون قد جاؤوا من شرقى اوروبا ، والخلاف انما هو حول من اى بلدة جاء هذا او ذاك . وهؤلاء المؤسسون انما كانوا فريقا من يهود شرقى اوروبا اختاروا الهجرة الى فلسطين بعد ان اعتنقوا الصهيونية ، بينما هاجر قسم آخر من يهودها الى امريكا ، وانضم فريق ثالث الى الحركات الثورية التى سادت فيها .

ويروى اناحدى اللجان البريطانية التيأرسلت الى فلسطين للتحقيق في عهد الانتداب ، سالت وايزمن : « باى حق يدعى اليهود ان فلسطين لهم ؟ » فاجابها وايزمن : « بحق ان اليهود لم ينسوا فلسطين . والذين ينسون اوطانهم يفقدون حقهم فيها . » !!

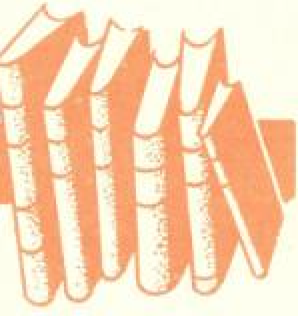
وكان الصهاينة يتمثلون دوما بقول مازينى Mazzini : « انك بلا وطن تنتمى اليه ، لا يكون لك اسم ، أو صوت ، او حق ، او مكان بين اخوانك من البشر . انك لست سوىابنسفاح» .

اما تروتسكى فقد كان يرى أن المستقبلسيشهد افلاس الصهيونية ، لانها ليست هى الحل لمشكلة اليهود في العالم .

والامر قبل هذا وبعد هذا متوقف علينا نحن . اننا قادرون على عمل الكثير لو احسنا الاستفادة من هذا الكثير الذى نملكه . وادعو الى الله ان نهب للعمل ، حتى لا نشهد يوما نردد فيه قول الزعيم الايطالى مازينى وننعم ولات ساعة مندم .

■■

محمود السمره



من الكتب التي وصلتنا

كتب وادباء

تاليف : وليم الخازن ــ نبيه اليان .
الناشر : منشورات المكتبة العصرية ــ بيروت ــ لبنان .

● يتناول هذا الكتاب بالدراسة والبحث تسعة وثلاثين اديبا لبنانيا وعربيا وقف فيه على نتاجهم الفني ومذاهبهم الادبية وآرائهم . والكتاب يميل الى الموضوعية الدقيقة ويتحرى الحقيقة عن طريق الحوار بين المؤلف والأديب .

وقد كان الكتاب في اساسه برنامجا اذاعيا اسبوعيا يبث من الاذاعة اللبنانية باسم « كتاب واديب » ولم تقتصر الاسئلة عن الكتاب فحسب ، بل تعدته الى ما يساعد على حياة الأديب ومعتقداته وسائر كتبه ثم بخطوط تفكيره ومعالم شخصيته وقد خرج الكتاب بنتيجة مرادها ان الادب العربى اخذ يتحرر من عقدة الغرب . ولم يعد الغرب سوى منبع يصب كغيره من المنابع في الأدب العربي مغذيا اصالته الشخصية وثقافته الانسانية .

غسل الدماغ

تأليف : الدكتور فخري الدباغ .

الناشر : المؤسسة اللبنانية للنشر بيروت – لبنان .

● كتاب يدرس ظاهرة غسل الدماغ نفسيا واجتماعيا وظاهرة التمذهب وتحويل الاتجاهات والافكار ، وغسل الدماغ محاولة للسيطرة على العقل البشري وتوجيهه لغايات مرسومة بعد تجريده من مبادئه السابقة ، ولا شك ان معركة الاستحواذ على الدماغ تدور في كل ميادين الحياة وانشطتها من تجارة وفن ودعاية وتربية واجتماع وسياسة . كما اصبحت الآن وسيلة تقنية مخططة ترمي الى تحوير الفكر او السلوك البشري ضد رغبة الانسان او ارادته او سابق ثقافته وتعليمه .

نماذج مختارة لتخطيط الاقتصاد الوطني الشامل

تأليف : المهندس فلاديمير موكري .

ترجمة : احمد رجب علي .

الناشر : دار الطليعة – بيروت – لبنان .

● دراسة للظاهرات الاقتصادية الاجتماعية ، وتحديد طريق لاحداث تغيرات كيفية في البنية الهيكلية للاقتصاد المتسم في غالبية اقطارنا العربية ببقايا العلاقات شبه الاقطاعية وشبه الرأسمالية متوخين استكمال مرحلة التحرير الوطني وبناء المقدمات للدخول في مرحلة الانتقال الى مجتمع قائم على اساس الملكية الجماعية بشكليها العام والتعاوني .

والمؤلف تناول في الفصل الاول المسائل المتعلقة بكيفية اعداد ميزان مصادر واستخدامات الاقتصاد الوطني بما يحويه من ميزان الانتاج الاجتماعي وميزان الدخل الوطني وفي الفصل الثاني بحث المؤلف الطرائق المستخدمة في حساب وتيرة نمو الانتاج الاجتماعي ثم يتناول في الفصل الثالث الاساليب التي نستدل بها على تعجيل وتيرة نمو الدخل الوطني . ثم يبين في الفصل الرابع نسبة سرعة نمو الانتاج الاجتماعي والدخل الوطني بالاسعار الجارية والاسعار الثابتة . اما الفصل الاخير فقد خصص لبحث موضوع ميزان دخول ونفقات السكان النقدية ، وهذه كلها مسائل يلتقي بها يوميا المخطط والمهتم بشؤون التنمية الاقتصادية .

رحلة متنكر الى بلاد ما بين النهرين وكردستان

تأليف : ميجر سون .

ترجمة : فؤاد جميل .

الناشر : مطابع الجمهورية – بغداد – العراق .

● كتاب في ادب الرحلات القصصي يدرس المناطق الكردية في العراق وايران يتناول تاريخ الاكراد وهو تاريخ طويل حافل يضرب بجذوره في اعماق الزمن. وجغرافية وطنهم بجباله الشاهقة ووديانه الخضراء وحدائقه الرقراقة .

ومؤلف هذا الكتاب اوفد في مهمة سرية تتصل بالامبراطورية البريطانية وكذلك لتمكنه من اللغة الكردية واطلاعه على تاريخ الاكراد وعاداتهم وتقاليدهم ، وقد قدم حصيلة دراسته في تقارير سرية رفعها الى حكومته وبذلك استطاع ان يهيىء نفسه لمناصب سياسية وعسكرية خطيرة ، ثم ان القضية الكردية احتلت مقاما خطيرا فلقد اتخذها الانجليز سلاحا في وجه الروس ، وركزت الجاسوسية البريطانية نشاطها بين القبائل الكردية القاطنة في العراق وايران ، لذلك نرى المؤلف قد اخفى شخصيته وتنكر خلالها باسم ميرزا غلام حسين شيرازي .

خلق الانسان

تأليف : لبيب بيضون .

الناشر : دار ابن زيدون للطباعة والنشر دمشق – سوريا .

● يختص هذا الكتيب بالاجهزة التناسلية وتطور الجنين وعلم نفس الطفل ، والكتاب يحوي معلومات عامة عن تكون الانسان وتطوره منذ ان يكون نطفة الى ان يولد انسانا كاملا والى ان يبلغ سن المراهقة والشباب .

كما يهدف الكتاب الى توجيه فطرة الانسان الى الدقة والضبط والاتقان التي تتجلى واضحة في جميع مراحل تطور الانسان منذ ان يكون في صلب الاب والى حين نزوله الى الرحم ، ثم تعشيشه فيه اشهرا طويلة ، والى ان يوضع على الارض طفلا سويا . وان ذلك كله ليدل دلالة واضحة على عظمة الخالق الذي احسن الخلق واتقن التركيب فجاءت صنائعه ادلة واضحة عليه .

ديوان ابي الطيب المتنبي بشرح ابي الفتح عثمان بن جنى المسمى بالفسر

عنى بتحقيقه والتعليق عليه

الدكتور صفاء خلوصي

الناشر : المؤسسة العامة للصحافة والطباعة ـ بغداد

● اعتمد المحقق في تحقيقه لهذا الكتاب على نسختين احداهما نسخة قونية بتركيا ونسخة المتحف البريطاني وقد اعتبر المؤلف نسخة قونية هي النسخة الأم ، كما اعتمد المحقق كذلك على مخطوطة كلية بورت وليم وهى في الحقيقة اقدم من مخطوطة قونية الا انها اقل قيمة منها لأنها ليست نسخة ابن جنى وانما قوبلت على كتاب (الفسر) على ما قوبلت عليه من شروح أخرى .

وهذا الكتاب صنفه ابن جنى بعد وفاة أبى الطيب وقد صحب ابن جنى المتنبى دهرا طويلا وشرح شعره ونبه على معانيه واعرابه .

وهناك شروح كثيرة لديوان المتنبى منها شرح ابراهيم الافليلى وشرح ابى العلاء المعرى وشرح الواحدى وشرح التبريزى وشرح العكبرى وشرح عبد الرحمن البرقوقي وشرح اليازجي وشرح الدكتور عبد الوهاب عزام الى غيرها من شروح .

ايه ايتها الصغيرة

تاليف : خليل محمد الوادى

الناشر : مطبعة مقهوى ـ الكويت .

● قصة طويلة تحكى صراع الفرد مع المجتمع من حيث استمرار حياته وبقائه ، ان هذا الفرد يحاول ان يفرض وجوده رغم العرف والتقاليد التى لا يرضى عنها المجتمع الانسانى ، وان هذه القيود رغم قوتها وصلابتها فان الانسان مستطيع ان يتخطاها ويغيرها ان كانت لديه الشجاعة .

ابنة الصوارى

تاليف : علي عبد الله الخليفة .

الناشر : مطابع دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان .

● مجموعة قصائد متنوعة .

كبرى اليقينيات الكونية

تاليف : الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.

الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان .

● كتاب يدرس وجود الخالق ووظيفة المخلوق وقد بدأ الكاتب بتمهيد مفصل عن منهج البحث عن الحقيقة بين الفكر الاسلامي والفكر الغربي ، ثم تمهيد آخر وضح فيه حاجة الانسان الى عقيدة صادقة صحيحة عن الكون والحياة . ثم قسم المؤلف مباحث العقيدة الى اربعة اقسام هي : الالهيات والنبوات والكونيات والغيبيات .

فبدأ بالالهيات وعرض للدليل العلمي على وجود الخالق بدءا من نقطة الصفر ، ثم تحدث عن الصفات الالهية وما يتعلق بكل منها ، ثم تحدث عن النبوات فشرح معنى النبي والرسول وخصائص الانبياء وشرح ظاهرة الوحي وتحليلها ومعنى المعجزات وحقيقتها وموقف العقل والعلم من كل منها .

اما الكونيات فقد تحدث عن الانسان والملائكة والجان وقانون السببية في الكون وقصة الانسان كما فصلها القرآن وكما تراها نظرية النشوء والتطور ثم حديث مفصل عن السببية والعلية في الكون يجمع بين مقتضيات العلم وحاجة الايضاح .

واخيرا دراسة عن الغيبيات فبدأ بشرح معناها والمنهج العلمي للوصول الى امر يقيني بشانها ثم اخذ المؤلف يعددها الواحدة تلو الاخرى طبقا للتسلسل الزمني اى بدءا من اشراط الساعة فالموت فعذاب القبر فالحشر فالحساب فالميزان فالصراط فالجنة والنار .

الضرائب الجمركية

تاليف : توفيق مصطفى جلال

الناشر : مطبعة الجمارك ـ مصر .

● يتضمن هذا الكتاب محاضرات لمدير عام الجمارك في معهد الضرائب عام ١٩٧٠ عن الضرائب الجمركية بوصفها اهم انواع الضرائب المباشرة واهدافها وانواعها ثم لائحة التيسيرات للاجهزة الحكومية والقطاع العام والتعريفة الجمركية المطبقة في جمهورية مصر العربية وضرائب الانتاج والاستهلاك . ■■

ابن رشد

فيلسوف العرب وفقيههم



السطور الاولى من مخطوطة كتاب « فصل المقال » وهي المخطوطة الموجودة في مكتبة مدريد الوطنية .

بقلم :
يوسف زعبلاوى

■ يعتبر ابو الوليد محمد بن رشد فيلسوف الاندلس الاول بلا نزاع . ولكنه اشتهر في تاريخ الفكر الاوروبي بوصفه شارح فلسفة ارسطو الذى لا يبارى . ولقد أولع ابن رشد ، والحق يقال ، بفلسفة المعلم الاول ، ووجد فيها الجواب الشافي على اسئلة الفلسفة جميعا . لا عجب اذن ان انصرف ابو الوليد بكليته الى شرح تعاليم الفيلسوف الاغريقي . ولا نذكر بالضبط متى باشر ذلك العمل الخطير ، ولكن التاريخ يذكر مقابلة هامة كانت لابن رشد مع السلطان ، وكانت تلك المقابلة بمثابة نقطة تحول في حياة ابن رشد ، وفي اقباله على دراسة فلسفة ارسطو .

المقابلة

كان ذلك سنة ٥٦٠ هـ ١١٦٤ م ، وفي مدينة مراكش ، حينما دعى ابن رشد ، وهو لا يجاوز ٣٨ عاما ، لمقابلة السلطان ابى يعقوب يوسف ، (الخليفة) الثاني لدولة الموحدين . وقلق الفيلسوف الشاب لتلك الدعوة المفاجئة وانشغل باله . وما شعر بالاطمئنان الا حين دخل على الخليفة ورأى صديقه ابن طفيل جالسا بجانبه .

وراح الخليفة يستوضح ابن رشد عن ابيه وجده وحسبه ، ولكنه ما لبث ان بادر ابا الوليد بالسؤال التالي :

« ماذا يقول الفلاسفة في اصل العالم .. هل هو قديم ام مخلوق .. ؟ » .

وارتبك ابن رشد عندئذ واضطرب كثيرا . لقد شعر وكأنه في قفص الاتهام ، وان الاشتغال في الفلسفة هو التهمة الموجهة اليه ، وقد كانت تهمة الكفر والزندقة ، تستوجب عقوبة الموت في بعض الاحيان .

يقول ابن رشد : « وبلغ مني الجزع مبلغا عظيما .. واخذت انتحل المعاذير .. حتى كدت انكر انني اشتغلت في الفلسفة .. ولم يخطر ببالي ما كان يخبئه لي الخليفة ومستشاره ابن طفيل ..

« واذكر ان الخليفة ، وقد بدا له اضطرابي ، اخذ يناقش السؤال الذى طرحه علي ، فابدى في ذلك من قوة الحافظة والاحاطة ما لم اعهده في المختصين في هذا الميدان — ميدان الفلسفة .. وظل امير المؤمنين يهدىء من روعي ، ويطيب خاطري ، حتى عاد الي ضبط نفسي وتمالك اعصابي .. »

وهكذا انتهت المقابلة ، وظهرت المفاجاة التى اعدها الخليفة ، وصديق الطرفين ، ابن طفيل

تنكّرَ لهُ الأهلُ حيّاً من حيثُ احتضنهُ الأعاجمُ ميتاً ..

للفيلسوف الشاب . فقد كلف ابن رشد بمهمة شرح فلسفة ارسطو وجعلها مفهومة مستساغة للناطقين بالضاد . اذ كان الغموض يكتنف فلسفة المعلم الاول ، ولطالما شعر ابو يعقوب بانها فى حاجة الى تحرير من المذاهب التى اختلطت بها ، فضلا عن حاجتها الى التفسير . ولم يدْرِ السلطان انْ كان سبب الغموض فى فلسفة ارسطو هو عدم كفاية المترجمين الذين عربوا كتبه ، ام كان السبب فى اسلوب الفيلسوف الاغريقى نفسه . وكان ابو بكر بن باجة قد بدا مثل ذلك الشرح من قبل ، ولكنه لم يكمله . فالمهمة اذن خطيرة ، ولولا مساعى ابن طفيل لما اسندت لفيلسوف ناشىء كابن رشد.

الفلسفة فى عصر ابن رشد

قد يحسب المرء ان فلاسفة الاندلس حظوا برعاية الحكام على نحو ما حظى ابن رشد برعاية ابى يعقوب يوسف . والحقيقة خلاف ذلك . فقد كان الموحدون ، ومن قبلهم المرابطون ، وهم الحكام المراكشيون الذين بسطوا نفوذهم على الاندلس فى غضون القرنين الحادى عشر والثانى عشر للميلاد .. كانوا متعصبين الى ابعد الحدود . ويذكر ان الموحدين كانوا اشد تزمتا من اسلافهم ، وقد تشبثوا ببعض مبادىء الاشعرية تشبثا حرفيا . ولا عجب فقد كان مؤسس جماعتهم فى شمال افريقيا تلميذا للامام الغزالى ــ عدو الفلسفة اللدود .

لذلك كان من المتوقع ان يقف حكام الموحدين من الفلسفة موقف الحذر والارتياب ، وهو موقف طالما استحال بسرعة الى تنكر واضطهاد. وان ابدى بعض اولئك الحكام ، بل اكثرهم ، اهتمامهم بالفلاسفة ، فشملوهم بحفاوتهم وقربوهم منهم ، فما ذلك لفلسفة اولئك الحكماء وانما لطبّهم . فقد كان الفلاسفة فى الغالب اطباء ، والاطباء فلاسفة ، فى تلك الايام . ولما كان لا بد للحكام من ان تشمل بطانتهم الاطباء ، بدت رعايتهم لهؤلاء وكانها رعاية للفلاسفة . يستثنى من ذلك طبعا ابو يعقوب يوسف ، وقد عنى شخصيا بالفلسفة ومشاكلها وكان ــ كما قال ابن رشد ــ واسع الاطلاع فيها .

واقترن موقف الحكام هذا فى الفلسفة بموقف آخر اشد واخطر . ذلك هو موقف العامة من الناس . يقول رينان Renan نقلا عن المقرى : « وكل العلوم كان لها عند اهل الاندلس حظ واعتناء ، الا الفلسفة والتنجيم .. فان لهما حظا عظيما عند خواصهم .. ولا يتظاهر بهما خوف العامة .. فانه كلما قيل فلان يقرا الفلسفة ، او يشتغل بالتنجيم ، اطلقت العامة عليه اسم زنديق،وقيدت عليه انفاسه ، فان زلّ فى شبْهة، رجموه بالحجارة او حرقوه ، قبل‌ان يصل امره الى‌السلطان ، او يقتله السلطان تقربا لقلوب العامة . » اضف الى ذلك ان فقهاء الاندلس كانوا يكفرون الفلاسفة ويتهمونهم بالزندقة.وكانوا يقتفون اثر الامام الغزالى فى ذلك ، كما لا يخفى على الكثيرين .

لا غرابة اذن ان انزوت الفلسفة ، وانكمشت على نفسها ، واستهدفت اكثر مما استهدفت تبرئةً ذمتها . ويصدق ذلك على الذين سبقوا ابن رشد ، وبخاصة على ابى بكر بن باجة ، استاذ ابن رشد الروحى لا الفعلى . فقد جاء فى كتابه « تدبير المتوحد » ان الفلسفة لا علاقة لها بالمجتمع ، وان الفلاسفة عاجزون عن احداث اى تغيير فى مجرى حياة الناس ، ولا سيما من الناحية السياسية . فالمشتغلون بالحكمة ــ وهم السعداء كما يسميهم ابن باجة ــ لا صلة لهم بعامة الناس ، بل يجب الا تربطهم اية رابطة بهم ، باستثناء ما تقتضيه ضرورات الحياة . والأوْلى بالحكماء ان يعتبروا انفسهم غرباء فى هذا العالم . اما الغاية التى ينتهى اليها الفيلسوف بتاملاته فى عزلته فهى الاتصال بالله عز وجل . اذن فالفلسفة ليست زندقة ولا يجوز ان يتهم الفلاسفة بالكفر .

وقل مثل ذلك فى ابى بكر بن طفيل صديق

ابن رشد الذى طالما اخذ بيده وساهم في توجيهه. وقد اسهب ابن طفيل هذا في شرح فلسفته باسلوب روائي بديع ، في قصته الرائعة « حي بن يقظان ». والخلاصة التى تنتهى اليها هذه القصة هى ان الانسان يستطيع في عزلته وبمجرد فطرته البادهة وتفكيره ، ودون تلقى اى دروس في الدين ، بل وحتى دون العيش في مجتمع يكتسب منه العقائد التي تسوده ، يستطيع ان يتعرف الى وجود الله خالق الكون والعباد .

الا ان هذا الموقف المهادن الذي اتخذته الفلسفة في الاندلس ما لبث ان تحول على يد ابن رشد الى دفاع عنها جريء وهجوم على اعدائها متزن رصين .

ابن رشد الطالب

ولد ابو الوليد محمد بن رشد في قرطبة سنة ٥٢٠ هـ ـ ١١٢٦ م في بيت عامر بالفقه والفقهاء . وكان القضاء هو العمل الذى مارسه ابوه وجده ، وهو العمل الذى مارسه ابن رشد نفسه . ولما كان الاسم ابن رشد مشتركا بين الثلاثة ، فقد عمد بعض الكتاب الى التمييز بينهم بقولهم : القاضي ابن رشد الأب ، والقاضي ابن رشد الجد ، والقاضي ابن رشد الابن . ولم يختلف الاحفاد عن الاجداد . فقد اشتغل ابناء ابن رشد في الفقه ، باستثناء واحد منهم انصرف الى الطب .

على ان ثقافة ابن رشد كانت واسعة ، بل شاملة ، ولم تقف عند الفقه والشريعة . فقد استوعب ابو الوليد اهم واكثر ما جاد به زمنه من معارف وعلوم وآداب . بدأ باللغة ، فدرس القواعد والاصول واغترف من شعر المغرب والمشرق ما امكن . وكان لشعرى حبيب الطائي والمتنبى مكانة خاصة في قلبه ، وقد كثر استشهاده بهما في المجالس .

ثم عكف ابن رشد على دراسة القرآن الكريم ، والحديث والشريعة وعلم الكلام ، وحفظ موطأ مالك غيبا . وكان مذهب مالك ، هو مذهب أبيه وجده ، والمذهب الاوسع انتشارا في الاندلس . وكان الموطأ قد احتل مكان الصدارة بين المراجع الفقهية في بلاد المغرب جميعا .. هذا بالرغم من حداثة عهد المغرب به .

والتحق ابن رشد بعد ذلك بجامعة قرطبة وتابع دراسة الفقه فيها . اذ كان لا بد ان يُعَدّ الاعداد المناسب للعمل المناسب ، عمل القضاء .. ولكنه تخصص في الطب ، بالاضافة الى الفقه . وهذا يعنى انه درس الفلسفة لانها سارت والطب جنبا الى جنب كما سبق أن اشرنا . فمفهوم لفظ حكمة شمل الموضوعين في تلك الايام ، ولفظ حكيم ، بمعنى طبيب ، لا يزال شائعا هنا وهناك حتى في هذه الايام .

وتخرج ابو الوليد من الجامعة وراح يمارس الطب في قرطبة . وانصرف في الوقت نفسه الى الاشتغال في الفلسفة . ولم يكن له من باعث على دراساته الفلسفية آنذاك سوى حب المعرفة . وقد بلغ من شغفه بها واقباله عليها انه « لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل ، الا ليلة وفاة ابيه وليلة بنائه على اهله .. » كما يقول ابن الابار ، وهو احد كتاب سيرة ابن رشد .

القاضي ابن رشد ، والطبيب

ونعود الى العلاقة بين ابن رشد وبين السلطان ابى يعقوب ، ونقول أن هذا لم يقف في تكريم ابن رشد ، والاستفادة من علمه ، عند الحد الذى ذكرنا . فقد عهد اليه بمنصب القضاء في اشبيلية سنة ١١٦٩ ولما يمض خمس سنوات على تكليفه بالمهمة التى كلفه بها . ثم رقاه وعهد اليه بمنصب قاضي القضاة في قرطبة سنة ١١٧١ . وطال بقاؤه في هذا المنصب الكبير نحو عشر سنوات .

ولو ذكرنا ان اثنين من اجداده قد شغلا مثل هذا المنصب قبله ، وذكرنا ايضا ما حققه له عمل القضاء من امن ومكانة ، وما اتاحه له من فرص الاشتغال بالفلسفة والكتابة ، لما ساورنا شك في ان ابن رشد كان راضيا سعيدا في اعماله تلك .

ولعله ازداد رضى وسعادة حينما قربه السلطان منه واختاره ليكون طبيبه الخاص ، وقد تم ذلك سنة ١١٨٢ وبتوصية من صديقه المسنّ ابن طفيل . فمن شان هذه الصلة الوثيقة بالسلطان ان تضمن له المزيد من الاطمئنان ، وتفسح له المجال للمزيد من الدراسة والكتابة . ولكن عمله الاخير هذا لم يدم ، للاسف ، سوى سنتين . فقد توفي السلطان سنة ١١٨٤ ، وخلفه ابنه المنصور .

وبدا الابن وكأنه فاق اباه في تقدير ابن رشد ، وقد عينه مستشارا خاصا له منذ مطلع عهده . ويقول ابن ابى اصيبعة

الدمشقي في كتابه (عيون الأنباء) : «ولما كان المنصور ابن ابي يعقوب بقرطبة وهو متوجه الى غزو الفنش، وذلك عام ٥٩١ هـ، استدعى ابن رشد، فلما حضر عنده احترمه كثيرا وقربه اليه، حتى تعدى به الموضع الذى كان يجلس فيه زوج ابنته ابو محمد عبد الواحد.. فلما قرب المنصور ابن رشد واجلسه الى جانبه ، حادثه ، ثم خرج من عنده . وكان جماعة من طلبته وكثير من اصحابه ينتظرونه ، فهنئوه بمنزلته عند المنصور واقباله عليه .. فقال ابن رشد : « والله ان هذا ليس مما يستوجب الهناء به ، فان امير المؤمنين قربني دفعة الى اكثر مما كنت اؤمل او يصل رجائي اليه .. » .

ولكن هذه الحفاوة لم تدم . اذ لم يلبث المنصور ان اصدر امره فجاة بابعاد ابن رشد الى اليسانة، وهي بلدة صغيرة كانت بالقرب من قرطبة ، وكانت لليهود سابقا . ومع الابعاد كان الامر بالاقامة الجبرية فيها . ورافق ذلك كله ضروب من الاهانة والاساءة. ولو وقفت الامور عند هذا الحد لاكتفينا بتسمية هذه المحنة ، كما يسميها مؤرخونا ، « نكبة ابن رشد » . ولكنها تكللت بالقاء كتب ابن رشد في النيران واحراقها فيها ، ولا سيما الكتب الفلسفية منها، واذا بالنكبة تصبح نكبتين، نكبة ابن رشد الرجل الفرد ، ونكبة الامة العربية باسرها ، وقد التهمت النيران ثروة فكرية كانت وما زالت في امس الحاجة اليها .

وليس هنا مجال الاسهاب في هذه النكبة ، وقد كثر الحديث عنها وتعرض لها العربي في اعداد سابقة (راجع العدد الثامن صفحة ٧١ والعدد ٣٤ صفحة ٢٨ وامضى ابن رشد نحو سنتين في المنفى عفا الخليفة عنه بعدهما ، بامر مفاجيء كامر ابعاده . وبعد سنة من ذلك توفي ابن رشد عن عمر يناهز ٧١ سنة وكان ذلك سنة ٥٩٥هـ ـ ١١٩٨م .

كتب ابن رشد :

لا يعرف بالضبط عدد الكتب التى الفها ابن رشد ، وقد احرق منها ما احرق ، وضاع ما ضاع . الا انها كثيرة وقد ذكر احد المؤرخين « انه سود ، في ما صنف ، وقيد ، والف ، وهذب ، واختصر ، نحوا من ....١٠ ورقة » . ويعدد ابن ابى اصيبعة ما يزيد على ٥٠ عنوانا من كتب ابن رشد وذلك في شتى مواضيع اختصاصه الثلاثة : الطب والفقه والفلسفة .

وقد اشتهر كتابه « الكليات في الطب » وكتابه « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » في الفقه . وتجدر الاشارة الى كتاب آخر لابن رشد في الفقه، هو « قانون الارث » ، وهو لا يزال في عالم المخطوطات .

اما كتب ابن رشد الفلسفية فكانت في الغالب شروحا لفلسفة ارسطو . ولو ذكرنا ان فيلسوف الاندلس كان مكلفا بشرح تلك الفلسفة رسميا، ولو علمنا بايمانه ان الحقيقة التي يطمح اليها الفيلسوف انما تمثلت في فلسفة ارسطو ، لما استغربنا كثرة ما وضع ابن رشد من تفاسير لفلسفة المعلم الاول.

وتقسم شروح ارسطو هذه الى ثلاث فئات : اولاها تعرف بكتب التلخيص ، وهي التى لم يلتزم ابن رشد فيها بالنص الاصلي ، بل اعاد كتابته بلغته واسلوبه على نحو من التبسيط . وثانية تلك الفئات هي كتب الشرح والتفسير ، وهي اهم ماكتب ابن رشد بقصد ايضاح فلسفة ارسطو . ولم تصلنا اكثر هذه الشروح بالعربية وانما بالعبرية واللاتينية ، وقد التزم ابن رشد فيها بالنص الاصلي ، وابدى رايه الخاص في كل فكرة او فقرة من فقراته . ولعل كتابه « تفسير ما وراء الطبيعة » هو في طليعة هذه الشروح جميعا . فهو يقيم الدليل على تفهم ابن رشد لفلسفة ارسطو ونجاحه في تحريرها مما شابها من فلسفة الافلاطونية الجديدة . اما كتب الفئة الثالثة وهي التى تاتى وسطا بين الفئتين من حيث التبسيط فهي التى تعرف بالجوامع Summas Co-mpenidums; وقوام هذه الشروح عبارات اقتطفها ابن رشد من الاصل وراح يفسرها ويعلق عليها باسهاب او اقتضاب ، وفق ما يقتضيه ذلك الاصل .

حول فلسفة ابن رشد

على ان كتب ابن رشد الفلسفية لم تكن كلها شروحا لفلسفة ارسطو . فقد ضمت على الاقل ثلاثة كتب تمثلت فيها فلسفة ابى الوليد وآراؤه الخاصة . ولعل اشهر هذه الكتب هو كتاب « تهافت التهافت » وقد رد فيه ابن رشد على كتاب «تهافت الفلاسفة» ، وهو الكتاب الذى هاجم فيه الامام الغزالي الفلسفة والفلاسفة. وتجدر الاشارة الى ان الغزالي توفي عام (٥٠٥هـ ـ ١١١١م) وقد ولد ابن رشد عام (٥٢٠ هـ ـ ١١٢٦) . اما الكتابان

الاخران فهما كتاب « فصل المقال وتقرير ما بين الحكمة والشريعة من اتصال » .. وكتاب « الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد اهل الملة » واول هذين الكتابين ، الصغيرى الحجم ، هو الاخر رد لابن رشد على كتاب آخر للغزالى هو : « فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة » .

ولعل من الواضح ان فلسفة ابن رشد ، حسبما تظهر في هذه الكتب ، انما تناولت مشكلة الدين والفلسفة . ولا غرابة في ذلك ، وقد احتلت هذه المشكلة مكان الصدارة بين مشاكل الفكر في القرون الوسطى جميعا ، وكانت المشكلة التى شغلت بال فلاسفة المسلمين ، ومنهم ابن باجة وابن طفيل كما سبق ان المحنا . الا ان ابا الوليد تصدى لهذه المشكلة ، وعمل على حلها ، فيما اكتفى هذان الفيلسوفان بمسها دون الدخول بتفاصيلها .

لقد عشق ابن رشد المعرفة ، وشغف بالبحث عن الحقيقة ، وكان على يقين من ان الفلسفة ضرورة من ضرورات الحياة ، بالنسبة الى الخاصة من الناس ، على الاقل . ووجد ابو الوليد ايضا ان حرية الفكر هى الاساس الذى لا تقوم بدونه اية فلسفة . اما ارسطو فكان في نظره سيد الفلاسفة جميعا .

ثم ان ابن رشد آمن بالله ورسوله واليوم الاخر ايمانا راسخا لم يتزعزع ابدا . وبلغ من ايمانه هذا انه اعتقد بان الشريعة الاسلامية هى الدستور المثالى للدولة . الا انه لم ياخذ بما ساد من معتقدات ، لا يقبل بها العقل المفكر الواعى . ولابن رشد رأى خاص في المعتقدات الخرافية . فهو يطالب بالابقاء عليها ، لما قد يكون فيها للعامة من الناس من سعادة وتدعيم لهم في المسلك الخلقى القويم .

اما ان تكون الفلسفة ضحية تلك المعتقدات الخرافية ، فذلك ما لم يقبله ابن رشد باى حال من الاحوال . فالعامة من الناس ، والجهلة ، تخاف حرية الفكر ، وتكره الفلسفة ، لانها لا تعرف معنى لهذه ولا لتلك . وادى ذلك الخوف وهذه الكراهية الى الاعتقاد بان الدين والفلسفة او الحكمة والشريعة مختلفان متنافران . والحقيقة على النقيض من ذلك .

ذلك ان العقل والايمان انما هما طريقان يوصلان الى حقيقة واحدة . فالحكمة والشريعة شقيقتان ، ويجب ان تكونا على وئام . وان بدا التباين بين بعض النصوص وبين احكام العقل فما ذلك الا لطابع البلاغة الذى يغلب على تلك النصوص . فهى تعتمد المجاز حينا ، والتورية حينا ، وكثيرا ما تكتفى بالتلميح دون التصريح . ولولا ذلك لظهر الانسجام التام بين تلك النصوص واحكام العقل . لا بد اذن من التاويل السوى لتلك النصوص ، كيما يظهر ذلك الانسجام . وهذا التاويل لا يجوز ان يكون وقفا على فئة من الناس دون فئة ، ولا يجوز ان توضع نتائجه في متناول العامة من الناس . وهو كفيل على كل حال بحل مشكلة العقل والايمان ، ووقف الحرب التى افتعلوها على الفلسفة ، بالرغم من ان القرآن الكريم قد اجازها ، بل حضّ عليها في اكثر من آية ، كقوله تعالى : « فاعتبروا يا اولى الابصار » ، وقوله : « افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت . »

وجدير بالذكر ان ابن رشد اعتقد بحرية الارادة ، ولكن ضمن حدود . فالانسان مخلوق ، ويخضع لقوانين الطبيعة التى اوجدها الخالق . اذن فهو مسيّر بقدر ما هو عاجز عن الافلات من هذه القوانين . ولكنه حر فيما عدا ذلك .. حر الارادة فيما يفعل او لا يفعل .

ولا بد من التلميح الى عقيدتين اخريين من عقائد ابن رشد ، عقيدة العقل الواحد ، الذى يحافظ على وحدته بالرغم من ان كل فرد من الناس ياخذ منه بنصيب ، وعقيدة خلق العالم على نحو تدريجى بطىء لا دفعة واحدة .

ابن رشد فى اوربا :

تقدم ابن رشد بمؤلفاته وفلسفته تلك الى بنى قومه .. ولكن بنى قومه تجاهلوه ، بل اضطهدوه ورفضوه اكثر مما رفضوا سواه . لقد اهملوا كتبه ، وتغافلوا عن آرائه واوشكوا ان يغفلوا ذكره في كتب سيرهم . اى ان ابا الوليد لم يلق في قومه اهلا ولا وَطِيء في وطنه سهلا .

وشاءت الاقدار الا تذهب شروح ابن رشد وفلسفته هباء . واذا بتفاسير ابن رشد وآرائه تنفذ الى اوربا ، فتقيم الاوساط الفكرية فيها وتقعدها ، وذلك طيلة قرون بلغت خمسة في جهات ولم تقل عن ٣ باى حال . تلك هى الرشدية Averroism ، كما سماها الاوربيون آنذاك .

يوسف زعبلاوى



قصة قصيرة

عيد ميلاد .. سعيد !

للكاتب الانجليزى : مايكل هيرفى

■ لا اظن اننا سنجرؤ على اقامة حفل في المستقبل القريب . فليس هناك داع لتعجل اقامة مثل هذا الحفل .. بعد الذى حدث في آخر حفل اقمناه فى بيتنا .. واننى لعلى يقين اننا حتى لو تسرعنا ودعونا اصدقاءنا الىحفل آخر في منزلنا فان احدا منهم .. لن يلبى دعوتنا ! ويراودنى احساس عميق بانه حتى اصدقاءنا المقربين لن يكلفوا انفسهم عناء زيارتنا .. بعد الذى حدث في آخر حفل اقمناه في بيتنا !!

ولا عجب في ذلك .. فليس هناك عاقل يريد ان يصاب بتسمم !

ولكن ليس معنى ذلك ان زوجتى « اليس » طاهية فاشلة خائبة . فكلما دعونا اصدقاءنا الى تناول الطعام في بيتنا .. كانت عبارات الثناء الصادق الخالص تنهال عليها عن جدارة .. بفضل الاطباق الشهية التى تعدها لضيوفنا . ففى دنيا المطبخ كانت زوجتى تعرف بانها امهر طاهية في حينا .

ومع كل ذلك فقد انتهت تلك الحفلة التى سأسرد عليكم تفاصيلها .. بمصيبة وكارثة !

فقد اتفقت زوجتى مع اصدقائنا على اقامة حفلة عيد ميلاد لي في سرية تامة ، وكتموا الخبر حتى افاجأ بحفلة عشاء تليق بتلك المناسبة السعيدة . وكانت زوجتى تعلم اننى ابقى في عملى حتى وقت متأخر من المساء . واعدت كل شيء مع ضيوفنا .. بحيث ادخل منزلى فأجد الجميع في انتظارى .. للاحتفال بعيد مولدى السعيد !

ولما كانت زوجتى تعلم مدى حبى للون معين من الطعام وهو « عش الغراب » فقد تعمدت ادراج ذلك الصنف المحبب فى قائمة طعام العشاء . وطبقا لعادتها في مراعاة الحيطة والحذر - وقد يؤتى الحذر من مأمنه ! - فقد قدمت بعضا من عش الغراب .. لكلبنا « روفر » ! وسبب ذلك انها كانت تسيء الظن دائما بعش الغراب وتخشى ان يكون قد اختلط ساعة جمعه بنبات سام مشابه لـه .

وكنت لا اعلم ان زوجتى تمارس ذلك الاختبار على روفر كلما طهت احد اصناف عش الغراب .

وكان ذلك الكلب يحتل جانبا كبيرا من تفكيرى . فعلى الرغم من انه لم يكن جميلا او طيبا فقد كنت ادافع عنه كلما تعرض لنقد بسبب شقاوته !

ولم اعلم ان اليس قد اطعمته من عش الغراب الذى اعدته لى ولضيوفنا في ذلك اليوم .. خوفا علينا من تسرب النبات الآخر السام ! ولو علمت لضحكت كثيرا من مخاوفها ووساوسها تلك .. ولمنعتها من تحويل « روفر » الى حقل تجارب .. او بالاحرى حيوان تجارب !!

وفي نفس الوقت ارجو الا يظن احد ان «اليس» قاسية الفؤاد او عديمة الرحمة او انها لا تحب الحيوانات . كل ما في الامر انها كانت سيدة عملية!

ومع مرور الايام اصبح روفر يشاركنى في حب عش الغراب . وفي تلك الليلة التى لا تنسى ابتلع ما قدمته له زوجتى من عش الغراب في لـذة وابتهاج .. وطالب لسانـه وعيناه وذيلـه .. بالمزيد !

ويجب ان اعترف بان الحفلة كانت مفاجأة سارة جدا بالنسبة لى ، وخاصة بعد يوم طويل من العمل المجهد .



وكانت الحفلة المفاجئة .. ووجوه الاصدقاء الباسمة .. وما تناولته من شراب .. خير دواء لى لأنسى تعب اليوم كله .

ثم جاءت الهدايا ! واحقاقا للحق فقد كانت جميعها منتقاة بعناية . وكانت هدية « اليس » آخر صيحة في عالم ساعات اليد ، وقدم لى « آل براون » قداحة ممتازة . اما « جاك ماتينج » وزوجته فقد حققا حلمي السعيد عندما اكتشفت أن هديتهما كانت ادوات صيد السمك .. التى كنت اتوق لامتلاكها ! وبدت لى كل هدية أحسن من الاخرى !

وبعد ذلك دلفنا جميعا الى غرفة الطعام . ويجب أن اعترف بان « اليس » قد تفوقت على نفسها هذه المرة .. فما ان اجتزنا الباب .. حتى سال منا اللعاب .. لمرأى ما لذ وطاب .. من طعام وشراب يتوجهما عش الغراب .. ومن فرط لذة عش الغراب ونكهته الطيبة .. التهمت منه ـ وحدى ! ـ اكثر من دستة ! وحملت « اليس » القهوة الينا في حجرة الجلوس التى قصدناها بعد تناول العشاء ، وقمت انا بكل فخر بتوزيع كئوس الشراب المسكر المعطر من احدى الزجاجات الكثيرة التى جاءتنى كهدية بمناسبة عيد ميلادى .

واشعلنا افخر انواع السجائر والسيجار وبدانا نسترخى حول نيران المدفأة . وما كدت استقر في مقعدى المريح ذى الذراعين والاثير لدى حتى دق جرس الباب !!

وقمت لافتح الباب وكلى تصميم على التخلص من الطارق السمج في ذلك الوقت غير المناسب .

وفتحت الباب . وكان الطارق جارا بعيدا يقطن آخر شارعنا . يبدو عليه الهم والقلق . ودعوته للدخول ولكنه ظل في مكانه تتزايد حيرته وارتباكه .. ثم تماسك الى حد ما وقال :

ـ أ .. أ .. انا .. ل .. ل .. لا .. أعرف .. كيف .. أ .. أ .. اسوق .. اليك .. ال .. النبأ ؟

ولكنك يجب ان تعلم .. ان .. كلبك .. قد .. م .. م .. مات !!

وكانت اليس قد اقبلت لتستفسر الامر .. وسمعت الجزء الاخير من كلام الرجل .. فصرخت في هلع..وهرعت الى غرفة الجلوس حيث انهارت فوق اريكة .. بطريقة درامية !

وترامت الى صرخات زوجتى وهى تولول :

ـ استدعوا طبيبا ! اطلبوا عربة اسعاف !!

لقد اصبنا جميعا بتسمم !! لقد تسرب النبات السام اللعين الى ما طهوته لكم من عش غراب !! لقد سممت اصدقائي واحبابى .. ولكن عن دون قصد ! لقد جربت بعض ما اعددته لكم من عش الغراب على كلبنا « روفر » .. وها هو ذا قد .. مات !!

وهنا صفقت الباب بعنف في وجه الرجل الذى جاءنى بالخبر السيىء وسارعت الى زوجتى. ودق جرس الباب ثانية ولكننى .. تجاهلته ! فلم يكن الوقت .. وقت اقوال بل افعال !! وكان الموقف يحتم علي أن أؤجل حزنى على « روفر » واتفرغ الى ما هو أهم .. خاصة وعلى الافق القريب يبدو شبح جنازة جماعية !!

ورانت فترة من الصمت المشوب بالذعر والخوف

والقلق .. و .. وأسوا الافكار تشاؤما ! ثم اجتاحت البيت موجة عاتية من الهرج والمرج والصخب والفوضى .. وانفلات الاعصاب !

وتحول الذين كانوا من لحظات في قمة السعادة والصحة وقد توردت وجوههم .. الى هاوية اليأس وقد اصفرت واخضرت وشحبت منهم الوجوه النضرة ! وكأنما تأكدوا من ان الآلام الحادة قد بدأت نوباتها .. وان التقلصات الموجعة قد بدأت هجماتها الضاربة العنيفة !

وانهار بعضهم فوق الارض واخذوا يتلوون ألما !

وجرى الاكثر تعقلا الى الحمام في جنون !! وهناك حاولوا ايهام انفسهم ـ والآخرين ! ـ انهم مرضى فعلا ! ورغم ان حالي لم يكن على ما يرام الا انني حاولت السيطرة على نفسي .. فقد كنت المضيف .. ويتحتم علي انقاذ الموقف !

وعن طريق الهاتف استغثت بكل طبيب في حينا وبجميع المستشفيات القريبة ، ورويت لهم ما حدث وطلبت منهم المسارعة باحضار كل ما لديهم من ادوات غسيل المعدة والنقالات !

وما ان انتهيت من تلك الاتصالات المضنية حتى ازدوج كل ما تقع عليه عيناي .. وتذكرت ان تلك الظاهرة ـ كما سبق ان قرات ، او خيل الي انني سبق ان قرات ! ـ من اعراض التسمم !

وبدأ الضعف يسري الى أوصالي .. وارتعشت ركبتاي .. ومع ذلك صممت على الصمود والقيام بواجبي حيال ضحاياي !! واقنعت زوجتي ان تتحامل على نفسها وتصحبني الى المطبخ لنعد دواء مقيئا من الملح والخردل . طبقا لما جاء في كتاب « التطبيب بلا طبيب » !!

وعندما وصل الاطباء والمرضات كانوا كأنما يدخلون مدينة اجتاح المرض فيها كل انسان وحيوان ونبات وجماد !!

حتى انا ! فقد ساءت حالتي الى حد لم استطع معه الاستمتاع بالثناء المستطاب الذي كاله لي احد الاطباء على حضور بديهتي والمجهود الرائع الذي بذلته في طلب النجدة . وكل ما استطعت الرد به عليه هو ان احملق فيه بدون كلمة واحدة وبعينين زائغتين ثم أسرعت الى الحمام لانضم الى قائمة المتألمين المتخلصين مما لذ وطاب من طعام وشراب !



وكقائد السفينة الغارقة وقفت وزوجتي نشرف على عمليات انقاذ ضيوفنا حتى تم نقلهم جميعا بعربات الاسعاف ، وعندما هممنا بالخروج للحاق بهم في المستشفى لنطمئن عليهم ونأخذ نصيبنا من العلاج ، ظهر بالباب جارنا الذى كان قد حمل الينا النبأ المزعج .. وقال في شبه احتجاج :

ـ انك لم تدعني اتم كلامي .. !! .. ان كلبكم لم يمت مسموما .. بـ .. بل دهمته .. س .. س .. سيارة !!!

■■

ترجمة : عادل شريف

الكويت -
في رأس الخليج العربي

ان الذي يجعل الكويت من أغنى دول العالم اليوم ليس موقعها الجغرافي فحسب ، وانما ثروتها المعدنية وازدهار العمران والتجارة فيها . وللمزيد من المعلومات عنها اتصلوا ببنك الكويت الوطني الذي يملك أضخم موجودات معلنة واكبر شبكة فروع في البلاد تقدم لكم كافة الخدمات المصرفية .



بنك الكويت الوطني ش.م.ك

تأسس عام ١٩٥٢

رأس المال والاحتياطي : ١٨,٨٢٩,٧٤٢/- د.ك

مجموع الموجودات : ٣٢٦,٧٣٣,٦٢١/- د.ك

المركز الرئيسي : ص.ب رقم ٩٥ الكويت الهاتف : ٢٢٠١١ (٢٠ خطا)

مؤسسات شقيقة :

لندن : بنك الكويت المتحد ، لندن

دبي : بنك دبي الوطني ، دبي

بيروت : بنك الريف ، ش.م.ل ، بيروت



اجهزة آكاي GX-365 D و GX-280 D و GX - 220 D ، تشكل جيلاً جديداً هو جيل GX . فالمسجلات الثلاثة تتميز بتضمنها رأس GX الذي طورته آكاي (من الشريحة الزجاجي والبلوري) وهو أول رأس من نوعه في العالم . فمع الرؤوس العادية يتصالب الشريط والغبار على إنقاص جودة الصوت بينما رأس GX الذي صنعناه لايبلى ولايعلق الغبار عليه ، وهو مضمون لحياة فعلية تتجاوز ١٥٠,٠٠٠ ساعة . وإذا طرأ خلل على الرأس نستبدله لك مجاناً.

لقد استطاع مهندسو آكاي من تركيز حقل رأس GX المغناطيسي لدرجة قلّ معها كثيراً أثر الاطراف . كما تم الحصول على تجاوب ترددات افضل لتمكّن آكاي من تطوير فجوة ذات عمق وعرض مثاليين وتصنيع الرأس بدقة فائقة جداً بواسطة تكنولوجيا متقدمة .

المسجل الستريو للمحترفين GX - 365 D

يتميز برؤوس ثلاثة ، العاكس التلقائي المتواصل «انفرنوماتيك» الفريد من نوعه في العالم ، عاكس حساس للشريط ، ضابط تلقائي لقوة الصوت «كومبيوتوماتيك» ، فرملة مغناطيسية ، محرك متزامن ذو ثلاث سرعات لتدوير يحوي والمحركين بمصلات تيار دائري ، موقف / قاطع للتيار تلقائيين .

المسجل الستريو GX - 280 D

يتميز برؤوس ثلاثة ومحرك ذي سرعتين له ضابط سرعة لتدوير يحوي مباشر ومحركين بمصلات بتيار دائري وعاكس تلقائي متواصل حساس للشريط وموقف / قاطع التيار تلقائيين وزر توقيف آني . وبالمستطاع تغطية بكرتي الشريط كلياً من الغبار ويبلغ قطر الواحدة منها سبعة انشات بواسطة غطاء من البلاستيك . الحصول عليه اختياري .

المسجل الستريو GX - 220 D

يتميز برؤوس ثلاثة وعاكس تلقائي متواصل حساس للشريط وثلاث سرعات . بالمستطاع تغطية بكرتي الشريط كلياً من الغبار - ويبلغ قطر الواحدة منهما سبعة انشات - بواسطة غطاء من البلاستيك ، الحصول عليه اختياري .

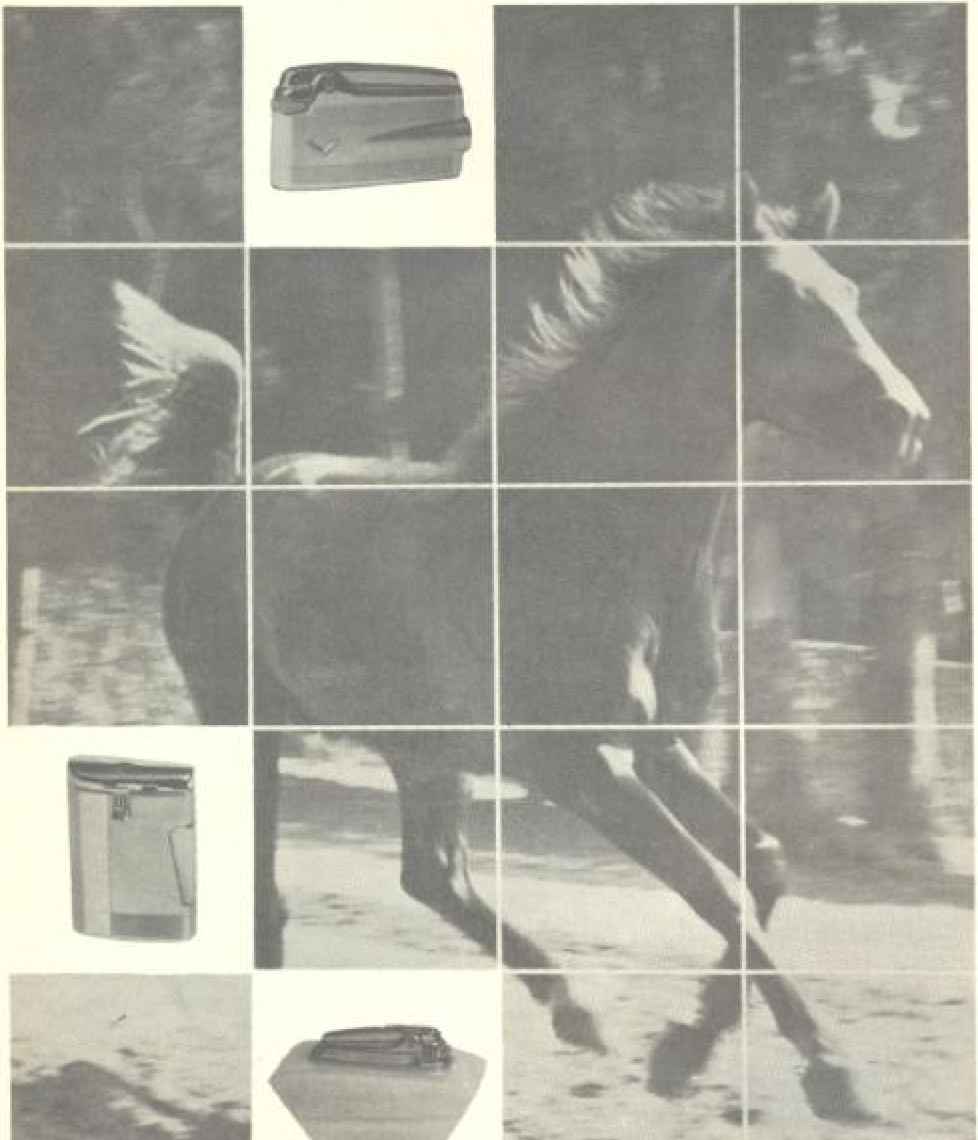
ان آلات التسجيل الستريو آكاي GX - 365 و GX - 280 و GX-220 هي مستوفرة .

AKAI®

AKAI ELECTRIC CO.,LTD.

Ohta-ku, Tokyo, Japan


BAUME & MERCIER
GENEVE
1830
قف وانتبه
الساعة
المعجزة
BAUME & MERCIER
بوم اى مرسييه
أضخم إنتاج في حقل صناعة الساعات
غاية في الدقة - رائعة في الجمال - أوتوماتيكية
الوكيل العام
بالكويت
مراد يوسف بهبهاني
MORAD YOUSUF BEHBEHANI
ص.ب ١٤٦ كويت - تلفون المعرض ٣٣٧٧٠



هدية اصيلة
امينة ، يُعتَمد عليها ، ترافقك المسافات الطوال والسنين العديدة .
أصالة هديتك تذكر اصدقاءك دوماً بأنه يمكنهم الاعتماد عليك. ولاعة رونسون الشيقة والامينة لا تخذلك ابداً.
قدم أكثر من هدية قدم رونسون
RONSON



QR-4500

صَانصُوي يدَعوك إلى عَالم جَديد شيّق
عالمَ الستيريو ذي الأربَع أقنية

إذاكنت قد سمعتَ جهاز ستيريو ٤ أقنيَة من صُنع صَانصُوي ، فإنك ، ولاشك ، تقدّر التقدم الهائل في ميدان الصَوت الستيريوفوني إنّ هذا التحوّل العَجيب من ستيريو مسَجّل على قناتين ، كما هيَ الحال في الأسطوانات والأشرطة التسجيل إلى ستيريو "حيّ" أخاذ وكأنك في قاعة العزف ، أصبَح ممكنا بفضل صَانصُوي . فسَواءكنت تريد اقتناء جهاز ستيريو ٤ أقنيَة جَديد تماماً ، أم كنتَ تودّ لإضافة إلى جهازك الحالي ليصبح ذا ٤ أقنية فستجدُ دائما القطعة المناسبَة لهذا الغرض أولذلك لدى صَانصُوي وبكلفة معقولة جداً .
راديو صَانصوي QR 4500 ذو ٤ أقنيَة

يجمَع في جهَاز واحد جَذابٌ مقويًا للصَوت Amplifier قوة ٢٤٠ واط وجهَازًا لالتقاط فائق الحسَاسيَة AM / FM ستيريو ومدى الذبذبة يتراوح بين ٢٠ و ٣٠٠٠٠ هيرتز بينما نسبَة التحريف دائما أقل من ٠،٥ بالمئة . إن الأزرار المزوّدبها هذا الجهَاز تمكنك من انتقاء أحسَن أداء موسيقي تريد ، تبعًا لما تختاره من موسيقى . للحُصُول على جهَاز ستيريو ٤ أقنية مكمّل ، يكفيك اقتناء الجهَاز QR 4500 وأربعَة مكبّرات للصَوت .
صَانصُوي QR 6500 ذو ٤ أقنيَة . الفرق بينَه وبَين الـ QR 4500 هو قوة مقوي الصَوت التي تبلغ ٢٨٠ واط

The Symbol of SANSUI 4-Channel Sound

Sansui

KUWAIT: **MORAD YOUSUF BEHBEHANI** P.O.B. 146, Kuwait - JORDAN: **JORDAN AUTO PARTS** P.O.B. 281, Amman - IRAN: **TEHERAN ELECTRIC CO., LTD,** Aluminium Bldg. Shah Av., Teheran - SOUTHERN YEMEN: **BHICAJEE COWASJEE LTD.** Steamer Point, Aden - BAHRAIN: **AMBASSADOR STORES** P.O.B. 237, Bahrain Is. - QATAR: **AHAMAD ALUTHMAN & BROS.** P.O.B. 218 Doha - TRUCIAL STATES: **VITHALDAS V. & SONS** P.O.B. 105, Dubai, P.O.B. 784 Abu Dhabi - MOROCCO: **MONACO** B.P. 34, R.C. Tanger No. 1214, Tanger - LEBANON: **KAMERA PHOTO-CINE** P.O.B. 2248, Beirut - SAUDI ARABIA: **AHMED ALI BADOCHAISH** P.O.B. 65 Alkhobar, P.O.B. 815 Jeddah, P.O.B. 238 Riyadh - LIBYA: **BROTHERS TRADING CO.** P.O.B. 733, Tripoli - MUSCAT-OMAN: **YAHYA MOHAMMAD NASIB & BROS** P.O.B. 22, Muscat - ANGOLA: **INTER-TRONICA LDA.** C.P. 5079, Luanda - CANARY Is.: **R. HASSARAM** Calle La Naval 87, Las Palmas - CONGO: **J.L.F. VIEGAS, SUCC.** B.P. 413, Kinshasa - CYPRUS: **ELECTROACOUSTICSUPPLY CO., LTD.** P.O.B. 625 Limassol - ETHIOPIA: **ETHIOPIAN TOURIST ORGANIZATION** P.O.B. 5640, Addis Ababa - FRENCH SOMALILAND: **AU CHIC PARISIEN** P.O.B. 149 - Djibouti: **SOCIETE COMMERCIALE INTERNATIONALE** P.O.B. 600, Djibouti - IVORY COAST: **SOGIEXCI-S.A.** B.P. 20,806 Abidjan - KENYA: **ELITE PHOTOGRAPHIC (WHOLESALE)** P.O.B. 683, Nairobi - LIBERIA: **RASAMNY BROTHERS CORPORATION** P.O.B. 104, Monrovia - MADEIRA: **JOAO A.F. COSTA MIRANDA** P.O.B. 286, Funchal - MOZAMBIQUE: **A. IMPORTADORA, LTD.** P.O.B. 608 Beira - **SANSUI ELECTRIC CO., LTD.** 14-1, 2-chome, Izumi, Suginami-ku, Tokyo, Japan.

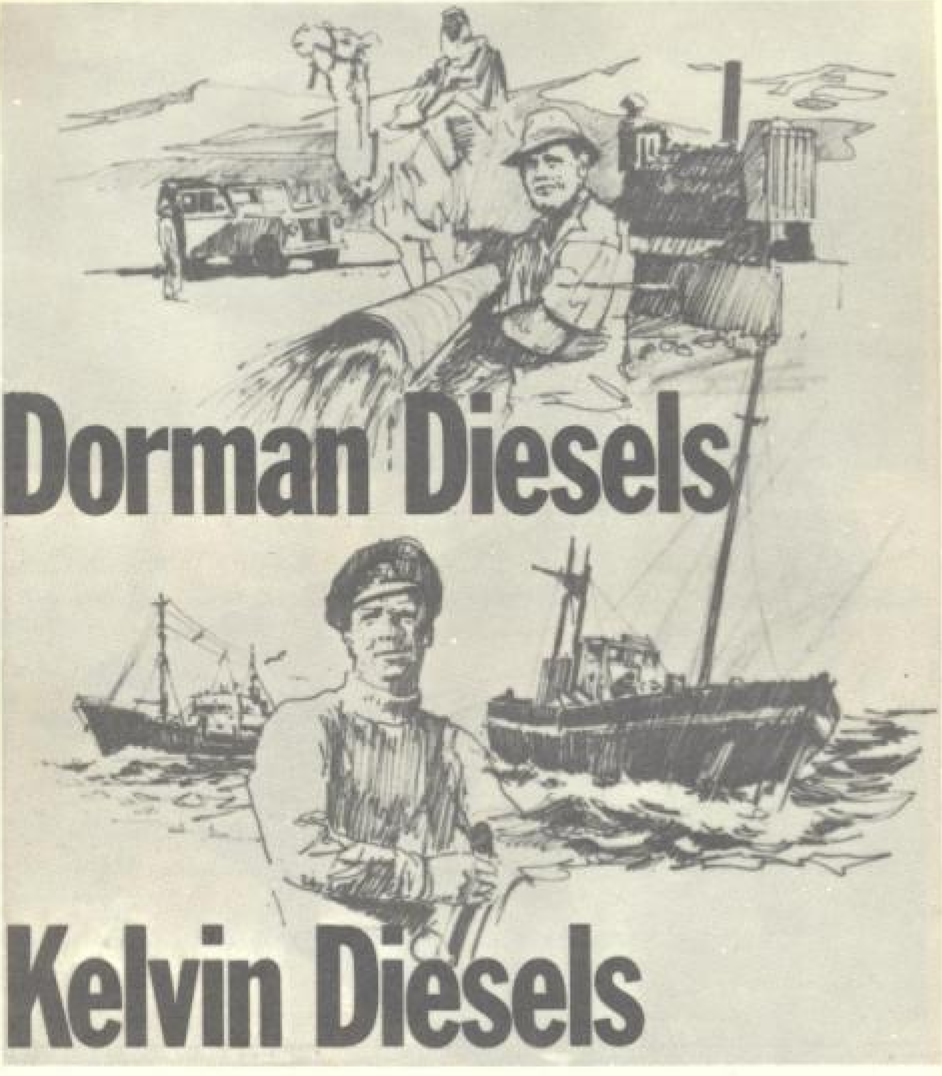


انتهى اليوم ، وغداً هو يوم آخر

سيارات داتسون تحقق رغباتكم أبداً

NISSAN MOTOR CO., LTD.

DATSUN



powerful arguments for long term reliability

On land or at sea—home or abroad—it's always the toughest assignments that call for Dorman and Kelvin diesels. In earthmoving plant, pumping sets and site generators, aboard tugs, fishing boats and barges. All these applications need exceptional guts, endurance and reliability. They get them from Dorman and Kelvin. With economy, advanced design, minimal maintenance and exceptional power to weight/size ratios.

Air and water-cooled models available covering the range 6-827 bhp.

Dorman Diesels Ltd
Dorman Works, Tixall Rd., Stafford, England

Kelvin Marine Division
254 Dobbies Loan, Glasgow C4, Scotland

© D.832-2

الراديو الجاسوس!

انه مسجلة متنكرة .
راديو نقال قوي البنية بعيد المدى
بثلاث موجات اف ام ومتوسطة وقصيرة .
ولكنه يحمل مسجلة كاسيت في قلبه . تسجل
موسيقى الراديو كما تسجل صوتك .
في اي مكان . يعمل الجهاز على البطارية وعلى الكهرباء
جميل بديع . يتميز بجهاز "لاقل ما تيك" لضبط مستوى
التسجيل ، وبهوائي تلسكوبي اف ام طويل
يلتقط المحطات البعيدة ، بوضوح تام .

عندك راديو .. ولكن هل تريد مسجلة كاسيت ؟ اطلب
اذن TRQ – 290 . فبامكانك ان توصل الجهاز بوصلة
الحائط او بولاعة السجاير في سيارتك . ويعمل هذا
الجهاز على البطارية ، ايضا !
هل تريد سكرتيرة خاصة ؟ اطلب اذن
TRQ–20 هذه المسجلة الصغيرة تلتقط
صوتك بوضوح . تعمل على البطارية . مع
وصلة اختيارية للطاقة الكهربائية .
ميكروفونها مثبت بداخلها .
عندك مسجلة . . . ولكن هل تريد راديو ؟
اطلب اذن WH – 1060 الهوائي
التلسكوبي المفرط الطول فيه يلتقط
اذاعات الموجة العادية والموجة
القصيرة بوضوح عن طريق البطارية
او الكهرباء .





هيتاشي
HITACHI



عندما يكون البنك
عالمياً سريع الحركة
مثل تشيس
تتوفر لديه قدرة اضافية
على القيام بعمليات التمويل
على نطاق عالمي

عصرنا هو عصر الأعمال ذات الطابع الدولي، ولبنك تشيس شبكة عالمية من المكاتب تكرس اعمالها للقيام بعمليات التمويل على نطاق عالمي وبأقصى حد من الفعالية والمهارة . وهذا ما يلزمك لتتمكن من القيام بعمليات المراجحة وأسعار الفائدة وتقلبات النقد وذلك على سبيل المثال لا الحصر .

ومن السهل جداً الاتصال بموظف تشيس القريب منك ، فاتصل به حالاً اذ أن تشيس مصرف دائب الحركة سريعها . وتذكر دائماً ان لديك صديقاً في بنك تشيس منهاتن .

بنك تشيس منهاتن
THE CHASE MANHATTAN BANK
NATIONAL ASSOCIATION

المقر الرئيسي : - 1 Chase Manhattan Plaza, New York, N.Y. 10015, U.S.A.

فرع بيروت ومكتب الممثل في الشرق الاوسط وشمال افريقيا :
شارع رياض الصلح ، ص. ب. ٣٦٨٤ ، بيروت ـ لبنان   الهاتف : ٢٥١٥٨٠

بنك مشترك في دبي : الخليج العربي : بنك دبي التجاري المحدود ، ص. ب. ١٧٠٩ ، دبي

العربي

فهرس سنة

١٩٧١

من العدد ١٤٦ إلى العدد ١٥٧

حديث الشهر

بقلم رئيس التحرير الدكتور أحمد زكي

الموضوع	رقم السنة	العدد	الصفحة
بغير دين/عصر التشوك وعصر العلم الحديث/الثورة السياسية والثورة الصناعية			
رجال الشرطة بين حرية الفرد وسلامة الجماعة ـ تجارب ثلاث/الشرطة كابحة والحرية ترفض الكبح/الشرطة لا بد لها من ثقافة كافية/رجل الشرطة حصيلة بلده/حرية الفرد وامن الجماعة موازنة صعبة/التوقيف لا يكون الا برخصة قاض/تفتيش الاماكن/استراق السمع عن طريق الهاتف/شرطة تنشر الرعب	٧١/٨	١٥٣	٨
لندن في صيف عام ١٩٧١ : الوصول الى المطار/لم يكد يكون للشلن وجود/كم يشترى المرء بالجنيه/التضخم سرقة/زيادة الاثمان وزيادة الاجور/ساعة كلام ثمنها ٦ جنيهات/٥ دقائق ثمنها ٣ جنيهات/اطباؤهم واطباؤنا/بريطانيا والسوق الاوروبية المشتركة/الرئيس الامريكي على شاشة التلفاز في لندن .	٧١/٩	١٥٤	٨
جامعة الهواء : الحاجة التى دعت الى انشائها/موقف الشباب من متعة الشباب / المدرسون والجامعة المفتوحة/العمال الصناعيون والجامعة المفتوحة/الجامعة المفتوحة وطالب المعرفة المتعددة الجهات/الجامعة المفتوحة في بريطانيا/المراسلة هى الاساس/والتعليم بالاذاعة مرئية وغير مرئية/التعليم بالمراسلة في روسيا واليابان واستراليا .	٧١/١٠	١٥٥	٨
الأسرة بين عصرين زراعي قديم وصناعي حديث : افلاطون ورايه في الاسرة / الروس في الثورة وموقفهم من الاسرة/الحق لا يعرف يسارا ولا يمينا /التبعية الفكرية عبودية لا ترضاها العقول الا عند العجز/الأسرة فيما قبل التصنيع وبعده/التجارة والمواصلات واثرهما في تشتيت الاسرة/تحرر المراة لا يعنى فساد آدابها / ومع كل هذا ظلت الأسرة وحدة المجتمع الراسخة / الطلاق لا يهدم الاسر ولكن يصحح أخطاءها / الاباحية لا تقضي على الأسرة	٧١/١١	١٥٦	٨
اسموه اعلاما وما هو الا مواصلات بين أرواح وافهام : الوصال والمواصلة / صحف الصباح/مع ابن بطوطة/مواصلات الأمس ومواصلات اليوم/الصحافة/السينما والاذاعة والتلفاز أدوات مواصلة ، ولكن في أى شيء/التسلية معنى غلب على المواصلات الجماهيرية/راضون عن الاعلام وغير راضين/المأثورات الشعبية/الاغانى/قنوات لا قناة واحدة	٧١/١٢	١٥٧	٨

شعر وشعراء

الموضوع	الشاعر	رقم السنة	العدد	الصفحة
النسر	احمد السقاف	٧١/١	١٤٦	٤٦
ضمير معذب	د.حسان حتحوت	٧١/١	١٤٦	١٥٢
نجوى	بندر عبد الحميد	٧١/٢	١٤٧	١٣١

أدبٌ ولغة

الموضوع	الكاتب	الشهر والسنة	العدد	الصفحة
في بيتي : كتاب اودع فيه العقاد الكثير من آرائه	بقلم عمر ابراهيم الراكشي	٧١/٦	١٥١	٤٨
كتاب جمع الجواهر في الملح والنوادر	عبد الستار فراج	٧١/٦	١٥١	٦٦
بين خليفة وشاعر	ظافر القاسمي	٧١/٦	١٥١	٨١
زيارة لبيت آل برونتي	د . صفاء خلوصي	٧١/٧	١٥٢	٦٠
الدميري في كتابه حياة الحيوان الكبرى	عبد الستار فراج	٧١/٧	١٥٢	١٠٧
قصيدة سقطت للشاعر خليل مطران	خليل الهنداوى	٧١/٧	١٥٢	١٥٨
شعراؤنا الاحدثون : ما قالوا في الحجاب والسفور	د . احمد الحوفي	٧١/٨	١٥٣	٤٧
دراسة التاريخ عند العرب وكيف تطورت	عبد الصاحب جعفر جمال الدين	٧١/٩	١٥٤	٣٤
ملحمة فوست	د . درية فهمي	٧١/٩	١٥٤	٦٤
المخترعات بين العلم والدين	عباس محمود العقاد	٧١/٩	١٥٤	٨٩
اللغة الفارسية وصلتها بالعربية	د. عبد السلام عبد العزيز فهمي	٧١/٩	١٥٤	١٦٨
محمود بيرم التونسي	طاهر ابو فاشا	٧١/١٠	١٥٥	٧٠
الشعراء الصعاليك في العصر الاموى	د . حسين عطوان	٧١/١٠	١٥٥	١٤٨
شعر الملاحم في الادب العربي	عبدالجبارمحمودالسامرائى	٧١/١١	١٥٦	٦٧
جوته والاسلام	د. درية فهمى	٧١/١١	١٥٦	٧٤
ابن زيدون	محمد رجاءحنفىعبدالمتجلى	٧١/١١	١٥٦	٨٨
الاصل في تعليم العرب أن يكون بالعربية	د. عزة مريدن	٧١/١١	١٥٦	١٢٤
ندوة توفيق البكرى صاحب كتاب صهاريج اللؤلؤ	انور الجندى	٧١/١١	١٥٦	١٤٨
الجاحظ ولغة الجماهير	فاروق شوشة	٧١/١١	١٥٦	١٦١
بين العقل والعاطفة في عالمنا العربى المعاصر	عبد الله زكريا الانصارى	٧١/١٢	١٥٧	٦٨
الشعر وراى الادباء فيه	طلال سالم الحديثي	٧١/١٢	١٥٧	١٣١
ادبنا العربى ماأكثر الابهام فيه	الفة الادلبي	٧١/١٢	١٥٧	١٤٤
مجالس جمال الدين الافغاني	انور الجندى	٧١/١٢	١٥٧	١٥٨

عُلوم

الموضوع	الكاتب	الشهر والسنة	العدد	الصفحة
الاصل الفعال في ورق القات		٧١/٣	١٤٨	١٨
نوادى العلوم	صلاح جلال	٧١/٥	١٥٠	٦٢
حظيرة الدندرة للحيوانات البرية في السودان	الامين الريح محمد	٧١/٧	١٢٥	١٣٤
التلوث الحرارى من بعد التلوث الاشعاعي	د.عبد الحليم منتصر	٧١/٨	١٥٣	١٢٢
المخترعات بين العلم والدين	عباس محمود العقاد	٧١/٩	١٥٤	٨٩
قصة استئناس الحيوان	د . الياس بدر	٧١/٩	١٥٤	١٥٤

صفحة في اللغة

بقلم عبد الستار فراج

تاريخ

الموضوع	الكاتب	التاريخ سنة/شهر	العدد	الصفحة
دولة الخزر	نجدة فتحى صفوة	٧١/١٠	١٥٥	٧٨
الشعراء الصعاليك في العصر الاموى	د.حسين عطوان			
مساجد الاسلام والمسلمين في شتى العصور	الدكتور حسين مؤنس	٧١/١١	١٥٦	٢٨
بلد الموريسكيين الاندلسيين	محمد عبد الله عنان	٧١/١١	١٥٦	١٣٧
الصيد والبيزرة عند العرب	عبد القادر حسن امين	٧١/١١	١٥٦	١٦٦
أنظمة الرى في بلنسية ومحكمة الرى فيها	د. فيصل دبدوب	٧١/١٢	١٥٧	١٢٤

تاريخ أشخاص عرب

الموضوع	الكاتب	التاريخ سنة/شهر	العدد	الصفحة
ابن بطوطة	عبد الله كنون	٧١/١	١٤٦	١٦٣
الوهابية وزعيمها محمد بن عبد الوهاب	حسن عبد الله آل الشيخ	٧١/٢	١٤٧	٢٦
لؤلؤة الطائية	سنية قراعة	٧١/٢	١٤٧	٦٧
الحسن البصرى	عبد القادر باش أعيان العباسي	٧١/٢	١٤٧	١٢٢
مصطفى عبد الرزاق	أنور الجندى	٧١/٤	١٤٩	١٣٣
احمد زكى باشا في ندواته	أنور الجندى	٧١/٥	١٥٠	٥٤
جورج صيدح	عدنان الداعوق	٧١/٥	١٥٠	٨٤
احمد بن ابى دواد	بقلم عبد الستار فراج	٧١/٥	١٥٠	١٠٠
الشيماء اخت محمد	سنية قراعة	٧١/٥	١٥٠	١٥٢
ابو الهدى الصيادى	سامي الكيال	٧١/٧	١٥٢	٢٤
عونى عبد الهادى	سليمان موسى	٧١/٨	١٥٣	٦٧
صبيحة ملكة قرطبة	سنية قراعة	٧١/٨	١٥٣	٧٤
ابن خلكان في كتابه وفيات الاعيان	عبد الستار فراج	٧١/٨	١٥٣	١٥٠
الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل	محمد رجاء حنفى عبد المتجلي	٧١/٩	١٥٤	١٢٥
القلقشندى وكتابه صبح الاعشى	عبد الستار فراج	٧١/٩	١٥٤	١٤٩
محمود بيرم التونسي	طاهر ابو فاشا	٧١/١٠	١٥٥	٧٠
زبيدة ام جعفر.	سنية قراعة	٧١/١٠	١٥٥	١٢٤
ابن زيدون	محمد رجاءحنفىعبدالمتجلى	٧١/١١	١٥٦	٨٨
ابو الفتح البستى	محمد الخولى	٧١/١١	١٥٦	١٤٣
ابن النبيه المصرى	عمر الاسعد	٧١/١٢	١٥٧	١٦٣

تاريخ أشخاص غير عرب

دين ورجال دين

تربية وعلم نفس

مجتمع واجتماع

الموضوع	الكاتب	الشهر والسنة	العدد	الصفحة
الادارة الحديثة في اجهزة الحكم وحاجة العرب لها	احمد خالد علام	٧١/٤	١٤٩	٦٧
نوادي العلوم	صلاح جلال	٧١/٥	١٥٠	٦٢
علم النفس وشرطة المرور في المدن والطرق	العقيد حسن فتح الباب	٧١/٥	١٥٠	٦٣
الفنان والمجتمع الذي يعيش فيه	محمود محمود	٧١/٥	١٥٠	١٣٨
صراع الاجيال	د. فاخر عاقل	٧١/٦	١٥١	٢٨
البريد في عون الامم	–	٧١/٦	١٥١	٦٠
نظام الاقطاع في مصر عبر القرون	عباس محمود العقاد	٧١/٧	١٥٢	٣٠
الانسان : ماكله ومشربه	د . علي احمد علي	٧١/٧	١٥٢	١١٩
علم الديموجرافيا	د. محمد علي الفرا	٧١/٨	١٥٣	٢٠
المخدرات : ادمانها والوقاية منها	د . فاخر عاقل	٧١/٨	١٥٣	٣٦
تطور المدرسة والفكر التربوي	كريم مناحي الصريفي	٧١/٩	١٥٤	٩٣
العمل ... العمل	د. فاخر عاقل	٧١/١١	١٥٦	٢٠
الخدمة الاجتماعية مهنة	خالص العياش	٧١/١٢	١٥٧	١٠٠

سياسة واقتصاد

الموضوع	الكاتب	الشهر والسنة	العدد	الصفحة
مصالح امريكا الاقتصادية في الشرق الاوسط وشمال افريقيا	محمد طنطاوي	٧١/١	١٤٦	٩٢
القطن : تاريخ زراعته في شتى البلاد	ابراهيم بولس ابراهيم	٧١/ ٢	١٤٧	٩٥
السياحة في العالم العربي	محمد طنطاوي	٧١/٣	١٤٨	١١٠
التضخم النقدي : ظاهرة اقتصادية خطيرة	د.عبد المنعم القيسوني	٧١/٤	١٤٩	٢٠
الادارة الحديثة في اجهزة الحكموحاجة العرب اليها	احمد علام	٧١/٤	١٤٩	٦٧
التكامل الاقتصادي والسوق العربية المشتركة	د. السيد ابو النجا	٧١/٥	١٥٠	٢٨
الاندماج الاقتصادي على المستوى الاقليمي	اسماعيل العربي	٧١/٧	١٥٢	٥٢
علم الديموجرافيا	د. محمد علي الفرا	٧١/٨	١٥٣	٢٠
التطورات الاقتصادية الدولية والعوامل المؤثرة فيها على الصعيد العالمي	د.عبد المنعم الطناملي	٧١/٨	١٥٣	٣٢
بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة	د. السيد ابو النجا	٧١/٩	١٥٤	٨٤
بريطانيا والسوق الاوربية المشتركة	د.عبد المنعم الطناملي	٧١/١٠	١٥٥	٣٤
اتفاق برلين	محمد عبد الله عنان	٧١/١٢	١٥٧	١١
القومية والدولة	احسان هندى	٧١/١٢	١٥٧	١٠٨

فلسفة

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
الثقافة والفكر	د . حلمي اللحام	٧١/١	١٤٦	٥٠
الانسان : كيف يواجه الطبيعة	د. زكي نجيب محمود	٧١/١	١٤٦	٥٨
ايّها افعل في حياة الانسان : ماضيه ام حاضره ام مستقبله	د. زكريا ابراهيم	٧١/٢	١٤٧	١٩
ارسطو ورايه في النثر	علي ادهم	٧١/٣	١٤٨	١١٨
الخبرة الوجدانية ودورها	د. زكريا ابراهيم	٧١/٤	١٤٩	١٤٨
صفة الانسان الكامل في تراثنا العربي	د. زكي نجيب محمود	٧١/٥	١٥٠	٧٧
« اعمل » فالعمل نشاط ابداعي وخلق للذات بالذات	د. زكريا ابراهيم	٧١/٦	١٥١	٤١
الفيلسوف الالماني الداعية فشته	د.فوقية حسين محمود	٧١/٦	١٥١	٦١
السأم في الفكر الفلسفي المعاصر	د. زكريا ابراهيم	٧١/٨	١٥٣	٨٦
الانتظار ضريبة يفرضها علينا الزمان	د . زكريا ابراهيم	٧١/١٠	١٥٥	٢٦
العقل ومكانه في فلسفة التربية	د. على اسماعيل على	٧١/١٢	١٥٧	١٣٨

استطلاعات الكويت المصورة

الموضوع	الكاتب	المصور	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
الكلية العسكرية	منير نصيف	عبد الناصر شقره	٧١/١	١٤٦	٢٠
الاسفنج الصناعي	سليم زبال	اوسكار متري	٧١/٢	١٤٧	٥٢
المخطط الهيكلي	المهندس : حامد عبد السلام شعيب	عبد الناصر شقره	٧١/٣	١٤٨	٥٦
مجلس الامة الكويتي	سليم زبال	اوسكار متري	٧١/٤	١٤٩	٥٢
صناعة الفندقة في الكويت	محمد طنطاوي	اوسكار متري	٧١/٥	١٥٠	٦٨
المراة الكويتية العاملة	محمد طنطاوي	اوسكار متري	٧١/٦	١٥١	٨٤
قصة الزراعة	خالد عيد		٧١/٧	١٥٢	١٢٤
بلدية الكويت	منير نصيف	اوسكار متري	٧١/٨	١٥٣	٥٢
صناعة الالبان	سليم زبال	اوسكار متري	٧١/٩	١٥٤	٥٢
٤ مصانع في شركة المطاحن	سليم زبال	اوسكار متري	٧١/١٠	١٥٥	٥٢
مكتبات الكويت	سليم زبال	اوسكار متري	٧١/١١	١٥٦	٥٢
الجهراء	منير نصيف	فهد الكوح	٧١/١٢	١٥٧	٣٦

الاستطلاعات العربية المصورة

الموضوع	الكاتب	المصور	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
الاكراد	سليم زبال	اوسكار متري	٧١/١	١٤٦	١٠٠
القات	سليم زبال	اوسكار متري	٧١/٢	١٤٧	١٠٠
جامعة البصرة	منير نصيف	عبد الناصر شقره	٧١/٢	١٤٧	١٤٨
عمان	سليم زبال	اوسكار متري	٧١/٣	١٤٨	٦٨
ملكال	محمد طنطاوي	عبد الناصر شقره	٧١/٤	١٤٩	١٠٠
طنطا	منير نصيف	اوسكار متري	٧١/٥	١٥٠	١٠٨
عمان مرة اخرى	سليم زبال	اوسكار متري	٧١/٦	١٥١	١٠٠
سقطرى	سليم زبال	اوسكار متري	٧١/٧	١٥٢	٨٤
سقطرى ثانية	سليم زبال	اوسكار متري	٧١/٨	١٥٢	٩٢
عطبرة	محمد طنطاوي	عبد الناصر شقره	٧١/٩	١٥٤	١٠٠
مديرية التحرير	منير نصيف	اوسكار متري	٧١/١٠	١٥٥	١٠٠
الشارقة	سليم زبال	اوسكار متري	٧١/١١	١٥٦	١٠٠
شندى	محمد طنطاوي	عبد الناصر شقرة	٧١/١٢	١٥٧	٨٤

أنباء الطب والعلم والاختراع

بقلم الدكتور أحمد زكي

الموضوع	الشهر والسنة	العدد	الصفحة
هجرة العلماء والمهندسين الى الولايات المتحدة / فشل المهاجرين في اندماج / دوافع الهجرة / معرض اوساكا في اليابان / الكبريت في البصل	٧١/١	١٤٦	١٤٢
الثورة الخضراء تضاعف المحاصيل / التدخين نكبة / اضخم ميكروسكوب الكتروني تصنعه اليابان / ما تصنعه اليابان للعقيمات من النساء	٧١/٢	١٤٧	١٢٦
٢ بويضات لقحت في كندا وجعلت اضيافا في ارحام جديدة / نفقات السلاح عند الامم / مرض السكر وتليف الكبد / العقاقير لها دعاية لترويجها / سكان الولايات المتحدة سنة ٩٧٠./ كم يعيش الانسان على التدخين	٧١/٣	١٤٨	٥١
حبة واحدة شهريا لمنع الحمل/البيضة الانسانية في المختبرات العلمية / كساح الاطفال سببه احتجاب الشمس عنهم / فيتامين جـ له قضية	٧١/٤	١٤٩	٤٥

الموضوع	الرقم/السنة	العدد	الصفحة
هواء الاجواء لا يبلغ النقاء المطلوب الا بقانون / مهنة الحياة ، لم اختارها اصحابها وماذا صنعت بهم / خراب في غابات فتنام	٧١/٥	١٥٠	٣٥
المطارات تسبب ازعاجا / حبوب منع الحمل يتعاطاها الرجال / الاعاصير مثل من غضب الطبيعة على ساكني الارض	٧١/٦	١٥١	٧٢
النشالون من الدكاكين / النشوق عادة قديمة بدات تعود / اكبر نيزك رآه الناس يسقط من السماء / التخصص الزائد عاقبته البطالة / لولا اللعاب لمات الطفل جوعا / تشميع الاغذية لتطهيرها مما هو ضار	٧١/٧	١٥٢	١١٤
ثورة زراعية تعتمد على ابحاث في الخلايا النباتية / كيف يتاقلم الانسان لمواجهة نقص الاوكسجين في الاعالي / محطات الفضاء التي يستهدفها برنامج الفضاء السوفيتي / اسرار جديدة عن جورج مندل ابو علم الوراثة	٧١/٨	١٥٣	١١٥
ركاب الطائرات يتحملون المزيد في النفقات من اجل سلامتهم / علماء البيئة يوصون بالاقلال من استعمال الخشب (الشجر) في صناعة الورق / السمان ياكلون اكثر من النحاف	٧١/٩	١٥٤	٦٨
دليل جديد على تاثير التدخين على الرئة / غاز الاثيلين وتاثيره على نمو النبات / ساعات ناطقة تتحكم في حياة الانسان / في الطريق الى المريخ	٧١/١٠	١٥٥	٩٠
مستقبل غامض لمحادثات تحديد الأسلحة الاستراتيجية/العلم يكشف للشعب ما يضع له نوابه في البرلمان/الدغدغة في راى علماء النفس/طاقة في اندماج الذرات بعد الطاقة من انشطارها	٧١/١١	١٥٦	٨٣
الجنس والعلم / الاسلحة الكيماوية والاتفاق على منعها / رائحة بق الفراش لها سبب علمي / قارب حربي جديد سرعته ٤٦ عقدة بحرية / الاوروبيون وقيود التجارة بين بلادهم	٧١/١٢	١٥٧	١٤٦

أمراض شائعة

الموضوع	الكاتب	الرقم/السنة	العدد	الصفحة
سوء الهضم	د.محمد ابو الشوك	٧١/١	١٤٦	١٤٧
النزلات الشعبية والالتهابات الرئوية	د. مصطفى الهجان	٧١/٢	١٤٧	٧٤
امراض مشتركة بين الانسان والحيوان	د.سليمان محمد السنوسي	٧١/٣	١٤٨	١٠٦
زراعة الاسنان	د.زهير جميل	٧١/٤	١٤٩	٧٨
الحصوات البولية	د.علي راضي	٧١/٥	١٥٠	٨٩
مرض السكر	د.محمد ابو الشوك	٧١/٦	١٥١	١٣١
القولون المتهيج	د.سالم نجم	٧١/٧	١٥٢	٦٧
الارتكاريا	د.ابراهيم محمد القشلان	٧١/٨	١٥٣	٨٢

طبيب الأسرة

بقلم نخبة من الأطباء

وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه

بقلم الدكتور أحمد زكي

ركن الفضاء والذرة

بقلم الدكتور أحمد زكى

فى سبيل موسوعة علمية

بقلم الدكتور أحمد زكى

أنت تسأل .. ونحن نجيب

عروبة

قصص وجرائم

كتاب الشهر

مراجعات كتب أخرى

ركن الأسرة والمرأة

بقلم منير نصيف

فنون

بقلم يوسف زعبلاوي

ماذا تعلم عن هذا العدد الممتاز ؟

هذا العدد الممتاز من العربي الذى بين يديك استهلك :

- ١٣٥ طنا و ٢٦٢ كيلو جراما من الورق.
- ٨٧٢ كيلو جراما من الاحبار المختلفة .
- ٤١ كيلو مترا و ٢٥٠ مترا من اسلاك التدبيس .
- ٢٠٧٤ ساعة عمل .
- المطبوع منه ٢٥٠ الف نسخة .
- شركة التوزيع طلبت نصف مليون نسخة . ولم نستطع ان نلبى هذا الطلب .

مدير المطبعة



الطريقة القديمة

هاكم طريقتان لتسجيل برامجكم الاذاعية المفضلة

سوني تقدم لكم جهاز راديو FM/AM ممتاز وآلة تسجيل كاسيت ممتازة في وحدة فريدة مضمومة. وهي تسمح لكم بأن تسجلوا رأساً من الراديو الى الكاسيت بمجرد الضغط على احد الازرار... دون اسلاك او وصلات خارجية. **سوني - أو - ماتيك** تجد مستوى التسجيل الصالح بنفسها وتبقى عليه. كما يمكنكم أيضاً ان تعدلوا ارتفاع الصوت حسبما يروق لكم دون تعكير دورة التسجيل. والتسجيلات الحيّة هي بالسهولة ذاتها ايضاً. فالموديل CF 300 (الظاهر هنا) يضم مايكروفون **سوني** الحساس ذا المكثف، مركباً داخل الوحدة، الذي يلتقط الأصوات في اي اتجاه كانت بدقة وامانة تامتين.

هذه هي طريقة **سوني**. اطلبوا تجربة هذا الموديل من موزعي سوني المعتمدين، وهم سيكونون سعداء بخدمتكم.



طريقة سوني



راديو FM – AM / مسجلة كاسيت طراز CF300

سوني SONY.



مارلبورو
رمز الجودة
FILTER CIGARETTES
Marlboro
Marlboro
Marlboro
Marlboro
SELECTED
FINE FILTER
Soft Pack or Flip Top Box.
أفخر سجاير كنج سايز فيلتر
AMERICA'S FINEST FILTER
A quality product of Philip Morris Inc. Richmond, Va., USA



سحر سانيو! يرفع قنالي الستيريو في أجهزتكم إلى عصر القنوات الأربع

لاحاجة لكم للشروع من البداية. استعملوا الاجهزة التي لديكم وكل ما عليكم شراؤه هو مكبرين للصوت ومكبر سانيو السحري لحل الرموز (الشفرة) ذو القنوات الاربع الستيريو، موديل DCA-1700X. وبهذا تحققون خطوة هائلة في العالم الجديد للصوت ذو القنوات الاربع.

وياله من عالم رائع. انه كالفرق بين المونورال والستيريو، فهو يحرككم تماما

تعيشون في قلب الصوت ..... يبلغ اجمالي طاقته الكهربائية ٧٠ واط. مع مفتاح انتقاء لبرامج في ٥ أوضاع. ويمكنكم من تجديد أشرطتكم وتسجيلاتكم ذات القناتين وتحويلها إلى صوت القنوات الأربع.

شاركوا موكب الغد لأصوات الستيريو ذات الأربع قنوات باستعمال المعدات المتوفرة لديكم اليوم.

SANYO **سانيو**

SANYO ELECTRIC TRADING CO., LTD. Japan

سانيو اليكتريك تريدنغ كومباني ليمتد، اليابان



العربي

العدد ١٦٠
محرم ١٣٩٢
مارس
(آذار) ١٩٧٢



مولد دولة الامارات العربية المتحدة

جوائز
١٣٠٠
دينار سنويا

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢ دينار
اليمن	٢٫٥ ريال	ج.م.ع.	١٠ قروش	المغرب	٢ درهم



من روائع الفن الإسلامى

قبة الصخرة

قبة الصخرة في القدس العربية المحتلة ، القسم العلوى المذهب منها يبلغ قطره عشرين مترا او يزيد قليلا .. انها آية فريدة من آيات البناء والهندسة الاسلامية. ولا يقتصر جمال القبة على القسم الكروى المذهب منها ، بل ان عنق القبة هو الآخر رائع جميل (انظر المقال ص ٥٢) .

عزيزي القارئ

● طالت ازمة الشرق الأوسط حتى كاد يفرغ من الناس الصبر . ولكن الصبر نفسه هو بعض اسلحة الدفاع ، عندنا وعند الأعداء على السواء . .

وبمقدار ما يفرغ الصبر عندنا يفرغ الصبر عندهم . كالرجلين اللذين تباريا فعضّ كلٌ اصبع صاحبه ، فالذى صرخ من الالم اولا هو الخاسر . قال الكاسب عن صاحبه : لو انه صبر لحظة واحدة لكنت انا الصارخ .

● والحرب لا تكون الا آخر المطاف . ان الحرب مفزعة . والحرب مفجعة ، وهى تنال اكثر ما تنال ممن لا يتحدثون عنها حديثا سهلا . والحياة على الذلة خير منها الموت على الكرامة . هذا للفرد فى شئون نفسه . اما الأمة فيجب ان تحيا على الكرامة .

وهى التى تقرر هذا انّ سلما ، وانّ حربا ، بالفكر الهادىء ، وبالحساب والأرقام ، وبتعداد ما سبق لها من اساءة ومن احسان ، وكل اساءة لا بد لها من تكفير . ويجب ان نذكر ان السنين لها ديون، ترجئها من عِقد من الزمان لعِقد ، حتى يثقل بها جيلٌ جديد لم يكن من جناتها ابدا .

المحرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

اسلاميات :

لغة وآداب :

استطلاعات مصورة :

طب .. وعلوم :

تربية :

فن حياة :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No. 160 March 1972 P. O. Box 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ للبرقيات « العربي »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● كانت بعثة العربي هناك ، تشهد اجتماع حكام ست امارات عربية ، التقوا ليعلنوا للعالم مولد دولتهم الفتية ، دولة الامارات العربية المتحدة في صبيحة يوم ٢ ديسمبر ١٩٧١ وبعد ايام قلائل انضمت هذه الدولة الى جامعة الدول العربية ، فاصبحت العضو الثامن عشر فيها .. والدولة الوليدة تنتظر اليوم عضوا جديدا ، هو رأس الخيمة التي قررت اخيرا الانضمام الى الاتحاد . **(انظر الاستطلاع ابتداء من صفحة ١٢٤)**

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطري ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج.م.ع ١٠ قروش، تونس ٢٠٠ مليم، الجزائر ٢ دينار جزائري، المغرب ٢ درهم، اليمن ٢٫٥ ريال، ليبيا ١٥٠ درهما، جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس.
الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



بريد القراء

العربي يصل متأخرا

● انني اتساءل لماذا يصلنا العدد الشهري من مجلة العربي متأخرا رغم ان المملكة السعودية جارة لدولة الكويت الشقيقة لعلكم تتلاشون ذلك.

يحيى طه القحطاني
القنفذة : المملكة السعودية

كفيف يرجو طبع العربي بطريقة بريل

● حقيقة ، ان تلك المعلومات التي تهدونها الىقرائكم الاعزاء قيمة جدا .. وليس ذلك من قبيل المجاملة ، بل يشهد بذلك صديق كفيف لي(اسمه « عازم صدقي عازم عبد الخالق ») تملكه رغبة جامحة في ان يتعرف الى كل حرففيها وذلك عندما استعرضت له المواضيع بشكل اجمالي وقرأت له بعضها بشكل مفصل . وارانيرأيا كم يتمنى تحقيقه ! فطلب ان انقل رأيه اليكم عبر رسالتي هذه . وتتلخص هذه الفكرة في انتعملوا بكل ما اوتيتم من جهد ومقدرة عظيمين على طبع موضوعات المجلة المختلفة بخط « بريل »النافر خاصة وانه تتوفر في الكويت الامكانات الكافية للقيام بهذه المهمة الانسانية فتكملوا بذلكرسالة العلم المقدسة وتشاركوا في خلق حياة مشرقة يعمرها الامل والرجاء لهؤلاء الذين فقدوا نعمة البصر .

فاروق فهمي ابو الرب/الجامعة الاردنية

* * *

يطلب المزيد من المقالات العلمية

● هذا رجاء ، آمل ان يلقى اهتمامكم ، وهو بخصوص المقالات العلمية في المجلة ، فانا الاحظ – كما يلاحظ معي القراء الاعزاء – ان المقالات العلمية بالمجلة قليلة ، وكم اقرأ كثيرا – في باب بريد القراء – طلبات القراء الملحة بان يزداد عدد المواضيع العلمية فيكون ردكم عليهم بان هذا فوق طاقتكم من حيث انكم لا تستطيعون ان تزيدوا من حجم المجلة حاليا . فما رأيكم لو تخصص صفحات الاعلانات للموضوعات العلمية كالطب والفضاء والذرة والفيزياء وغيرها .

عبد الحميد احمد عبد الرب – عدن
جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية

جامع الاصول من أحاديث الرسول

● اطلعت على مقال الاخ حسن محمد علي الصافي حول كتاب جامع الاصول من احاديث الرسول « للامام الحافظ مجد الدين بن الاثير » وذلك في العدد الماضي ١٥٧ لشهر شوال ١٣٩١هـ ص ٦٤ – ٦٥ .

وفي المقال المذكور يقول الكاتب الكريم انه لايعلم ان كان كتاب جامع الاصول من أحاديث الرسول مطبوع أم لا .. واود ان افيد الكاتب الكريم ان الكتاب مطبوع وهو بين الكتب التي تحتويها مكتبتي المنزلية .

ابراهيم العلي الدخيل
كلية التربية/جامعة الملك عبد العزيز
المملكة العربية السعودية

مسيرة الرسول (ص)

● يسرني ان اتقدم بتهنئتي الى مجلتي المحبوبة العربي على ذلك الاستطلاع الجميل لمسيرة النبي صلى الله عليه وسلم الذي قام به كل من محمد طنطاوي والمصور عبد الناصر شقرة ، ولا شك انهما قد سجلا حدثا طيبا وسبقا محمودا لمجلة العربي الفتية بذلك المجهود الطيب الذي نأمل ان يتبعه المزيد من الاستطلاعات الحية التي تنفض الغبار عن تاريخنا الاسلامي الزاهر ، وتردنا ردا جميلا لما تنكرنا له من عقيدة وتراث حق ، حتى تعود لهذه الامة التي طال ليلها ذاتيتها ، لتواصل المسيرة الرائعة لاخراج البشرية الضالة من الظلمات الى النور حتى تستحق الشهادة على الناس يوم الميعاد .

محمد عبد الله العثمان ـ الكويت

ليبيا الثورة

● رجاء نتقدم به الى مجلة العربي ، الا وهو ان تذكروا الجمهورية العربية الليبية . نرجو ان نرى بعثة العربي وهي تستطلع بعض مدن ليبيا الثورة ، لاطلاع القارىء العربي على المنجزات التي تحققت في هذا الجزء من الوطن العربي الكبير .

ليبيا ـ يوسف عبد الحفيظ يوسف

أخطاء العربي

● ورد في مقال الاستاذ عبد الجبار محمود السامرائي ـ حول شعر الملاحم في الادب العربي المنشور في العدد ١٥٦ ، صفحة ٦٩ ، السطر السابع . ان كعب بن زهير هو قائل الابيات التالية :

فلما لقيناهم ، وكل مجاهد
لاصحابه مستبسل النفس صابر
شهدنا بأن الله لا رب غيره
وان رسول الله بالحق ظاهر

.... الخ

والحقيقة ان قائل هذه الابيات ليس كعب بن زهير وانما هو كعب بن مالك الانصاري حيث ان الاول ـ كعب بن زهير ـ اسلم بعد فتح مكة اذ لم يكن مسلما ايام معركة بدر .

نرجو التنويه وشكرا .

سفيان فلاح الجزائري ـ كلية بغداد
العراق

العربي : هذا الشعر هو حقيقة لكعب بن مالك الانصاري كما في ديوانه نقلا عن سيرة ابن هشام . ويبدو ان كاتب المقال او من نقل عنه وجد أن القائل اسمه كعب فزاد من عنده تتمة نسب ليس منه .

لواء الاسكندرونة

● وانا جالس استريح من بعد عشاء دسم ،جاءني اخي الصغير وبيده ملحق المجلة « العربي الصغير » ليقول لي : انظر الى هذه الخريطة يااخي ، كيف يقولون لنا في المدارس ان لواء الاسكندرون هو جزء من سورية ثم يظهر من الخريطة انه جزء من تركيا ؟

والواقع اني فوجئت ، فاخذت الملحق من يده وتمعنت به لارى ان ما قاله اخي الصغير صحيح .. ولا اخفيكم اني صدمت وفي الصميم ، ولكني تمالكت نفسي وقلت لاخي : ان ما تلقيتموه في المدارس صحيح كل الصحة ، وان ما ورد في خريطة الملحق لايعدو كونه خطأ مطبعيا .. ولكنه لم يقتنع بكلامي على ما يبدو فاستطردت قائلا :ان لم تصدقني فاسأل بابا فهو قد عاصر تلك الاحداث المؤلمة .

فهرول الى والدي يسأله ـ الذي صدم هو الاخر ـ فاستنكر ابي ما جاء في المجلة واخذ يشرح لاخي الصغير حقائق الامور .. الى ان اقتنع ثم عاد الي وقال اخي خذ مجلتك انا لا أريد قراءتها ثانية .

مجاهد ريحاوي ـ اللاذقية/سورية

حديثُ الشهر

حريةٌ

بقلم رئيس التحرير

■ هذا العنوان يتضمن معنى صارما . وهو اكثر صرامة فى اسماع الشباب ، منه فى اسماع الشيوخ .

لهذا ابادر فاطلب من اى مرتاب فيما اقول ، ان يدور بعينيه فى سائر بلاد الارض ، وينظر فى امر الحريات التي بها ، ما هي ، وكم هي ، وينظر فى امر الصحافة خاصة ، ثم يذكر لي كم فيها من حرية صادقة .

فى اوروبا ، من شرق . كتلة واحدة متراصة ، ست دول او سبع ، جمعها نظام واحد ، واسلوب فى الحياة واحد ، وحّد بينها لا شك فى هذا ، والتوحيد فى الله نعمة ، ولكن التوحيد بين الناس لا يكون الا على الضيق . ذلك ان الناس مشارب وامزجة واهواء ، فان انت جمعتهم على هوى واحد ، ومزاج واحد ، ومشرب واحد ، فقد ضيقت عليهم فى مشارب الحياة واهوائها . والحياة حركة ، والحركة معناها اختلاف اوضاع فالوضع الواحد الراتب تتجمد عليه عضلات الحياة .

وقالوا : انه الحزب الواحد ، وقلنا انعم بالحزب الواحد تجرى فى حجراته

الصحافة

إنها حرية كسائر الحريات ، لا تأتلف مع طبائع البشر ، ولا مع ما صنع الناس لأنفسهم من مجتمعات

البحوث ويجرى النقاش وينسوى الخلاف الذى هو لابد قائم فى الناس ، وقلنا انعم بالحزب الواحد بعد ان قاسينا من تعدد الأحزاب . وكان جديرا ان يكون الجدل فى ردهات الحزب الواحد عنيفا ، والنقاش المخلص شديدا مسموعا . ولكن خفتت الأصوات ، فاصبح لا يسمع للنقاش صوت . واصبح السمع تسمعا . وان ظل الجدل يجرى داخل الحزب الواحد فهو يجرى على حذر . والريبة التى عرفناها فى ظلال الأحزاب المتعددة ، اخذت تظهر فى ظل الحزب الواحد ، وفى ظله نشأت مراكز القوى ، فأصبح دائما فى الحزب الواحد فئة مسيطرة ، وفئات تحت السيطرة . انها الدكتاتورية المسيطرة .

الدكتاتوريات
تخاف تعدد الآراء

والدكتاتوريات لا تخاف شيئا كخوفها من تعدد الآراء . ومعرض الآراء الصحف . وللدكتاتوريات صحفها ، وهى قد تتعدد وهي واحدة . فقد تبلغ الصحف تحت



تحت الدكتاتوريات . قد تتعدد الصحف فتكون عشرا، وتقرأ الصحيفة الواحدة منها فكأنك قرأت عشرا.

الدكتاتورية عشرا ، وتقرأ الواحدة فكأنما قرأت عشرا .

فهذا شرق اوروبا . وهكذا هي كل امة في الأرض رضيت اساوب، هذا الشرق اسلوبا في الحريات جميعا ، أو اسلوبا في حرية الصحافة خاصة .

قلم لا يحمل الحب ولا البغض

وانا اصف من حال هذا الشرق الأوروبي ما اصف، وقلمي لا يحمل الحب لما احكي ولا البغض . وان يكن يحمل شيئا فهو العطف ، لا على نظم بالذات ابتدعوها ، ولكن على محاولة قاموا بها ويقومون، هي تجربة انسانية اصطنعوها بعد ان خابت تجارب في الحريات كثيرة ، باءت بالفشل في الكثرة الكاثرة من الأمم .

وامم في افريقيا بعد امم في شرق اوروبا

وبعد امم في شرق اوربا ، وامم في الأرض تبعتها في اسلوب عيشها واسلوب حكمها ، امض معي يا صاحبي الى امم من الأرض اخرى .

الى امم افريقيا ، لا سيما اواسطها ؟

وفي افريقيا : مستعمرات تحررت وناء اهلها بالاستعمار، فلما نالوا الاستقلال، ناءوا باستقلالهم لأن الحريات فيها اصبحت تبعات ثقيلة .



انها افريقيا التي اطلقوا عليها القارة السوداء .

فهذه مستعمرات تحررت . ناء اهلها بالاستعمار ، فلما نالوا الاستقلال ، ناءوا باستقلالهم . الحريات اصبحت تبعات . تبعات تعليم وتعلم . تبعات تثقيف وتثقف. تبعات فنون وصناعات. تبعات علوم وتكنيات ، تبعات انتاج وتسويق ، في مجتمعات بدائية تصطرع فيها آراء فطيرة بآراء نصف خبيرة ، وامانات وخيانات ، وآمال طامحة وآمال طامعة .

ومن اجل هذا لا تكاد ترى هذه الدول تستقر على حال ، وقد كانت على الاستعمار اكثر استقرارا . لان الحياة فيها والتبعات كلها كانت عارة مستعارة، فلما حملوها اهل البلاد ناءوا بها .

وكافريقيا سائر امم الارض ، من آسيوية ، او امريكية جنوبية .

وفى الأمم المتقدمة ذات الحضارة الحاضرة

وكاني اسمع من يقول ان التخلف في هذه الامم هو سبب خيبة الحريات بها . لهذا انتقل بالقارىء الى الامم التي اسموها متقدمة ، لأرى كم سارت الحريات فيها، وكم بلغت ، وكم ثقل بها السير فرايناها تقعد تستريح من الاجهاد على قارعة الطريق .

الغرب من اوربا : المانيا ، فرنسا ، انجلترا ، ايطاليا .

كم تسير فيها الحريات، وكيف تجرى الاحكام .

لا شك ان ساكني هذه الدول لهم حظ من الحريات غير قليل . على الاقل عندهم الامن على ذواتهم اذ يسيرون في الطريق . وعندهم الامن في دورهم والشمس طالعة ، وعلى الاخص من بعد غروب ، وقد ستر الظلام كل ما يجرى فيه من آثام . وعندهم الامن بعض الامن اذا نزل بهم مرض او حل بهم فقر ، الى كثير من المنافع التى جاءت بها المدنية الحاضرة في اذيالها . ولكنى ارى مع الاسف انه لم يصل ما حصّلوه من حريات الى مثل ما بذلوه في تثقيف وتمدين وتحضير . ان هذه الحضارة الحاضرة تتمثل فيها المجهودات الشاقة المتراكمة لاجيال من الناس عدد ما مضى من قرون، بل انصاف قرون وارباعها ، والذى يجرى في هذه الامم المتحضرة اليوم من نقائض الحرية والحريات مما يندى له الجبين .

ان الامّ في اى من هذه الامم اليوم لا تامن على بنيها وبناتها،ولا على كاسب رزقها ، اذا قامت حرب . والحروب الحديثة ، قاتلة الملايين ، انما قامت بين امم من اهل الغرب ، أمم المدنية الحديثة والحضارة الحاضرة. والحروب الحديثة فعلت في اهلها ما لم يكن خطر على بال ، وجاءتهم من الآلام التى بقيت سنين ، ما لم يكن دار في خيال .

ان امم الغرب لم تكسب من الحريات بقدر ما بذلت في سبيلها من جهود .

وان في هذه الامم الكثير من الفقر الذى بلغ كيفا وكما ، فوق ما تسيغه تلك الحضارات ، والكثير من الظلم فوق ما ترضاه الدرجة التى بلغتها هذه الامم اليوم من نور من بعد ظلام . والفقر والظلم يوضعان في الصف الاول من نقائض الحريات .

ان « هولاكو » كان منذ قرون ، وبغير ديمقراطية يدعيها ، ينزل بعسكره على الامم التى تكون في طريقه فيمزقها اربا ،



ان امم الغرب لم تكسب من الحريات قدر ما بذلت في سبيلها من جهود .

واليوم تجد امة ، كالولايات المتحدة ، بحضارتها وبديمقراطيتها ، تغير على امة كفتنام ، تقتل اهلها ، وتدمر حصدها وتكاد تفنيها ، وتسألهم ما الغاية ، فلا تسمع منهم ان لهم غاية . ومع هذا لا يجرا احد ان يشجب هذه الحضارة التي زعموها اكبر الحضارات ، بالذي صنعت في جانب من جوانب الدنيا ، بعيد عنها كل البعد،من تدمير وتخريب.

فعلت الولايات ما فعلت ، والدول الاخرى ، اخواتها في الحضارة ، ترى وتسمع ، ولا تقول شيئا . انها الحضارة التي لم تبتل بها من اجسامهم غير جلودهم ، فهي ليست فيهم عميقة وثيقة.

واهل هذه الحضارة هم هم اولئك الذي اقاموا بينهم وبين طائفة من مواطنيهم السدود ، لأنهم هم البيض ، واولئك هم السود ، وحرموا هذه الطائفة الكبيرة من حريات العيش ، الا ما استخلصه هؤلاء لانفسهم .

ان الذين يحرمون الغير حرياتهم لا يمكن ان يكونوا قد بلغوا من الحريات أن حمدوها لنفسها . انها اذن هي المغنم يستلبه الغانم استلابا .

ان الحريات في هذه الدنيا التي نعرف ، كالبضائع ، تشترى بالمال ، وما اكثر ما تدفع الامم ، هذه الامم المتحضرة الحاضرة ، ثمنا لحرياتها . السلاح وحده ، كم ثمنه . وهو سلاح ارض وسلاح ماء وسلاح هواء . وكم الوف مؤلفة من الناس تقوم في صناعته . وكم الوف مؤلفة هي اليوم قائمة في الجيوش حاضرة لدفع غائلة . الحرية اذن ، على السلم ليست من طبيعة الاشياء ، حتى والحضارة حاضرة ، والثقافة بيّنة ، وذكاء بني الناس غير منقوص . الحرية لا بد ان تشترى في هذا العالم البشري بالعرق الصبيب ، كالطعام والشراب ، سواء بسواء .

حرية الصحافة

كان لا بد قبل الوصول الى الحديث عن حرية الصحافة ، وهي حرية واحدة من حريات عشرات نعرفها في هذا العيش الحاضر ، ان نتحدث عن بيئة هذا العيش

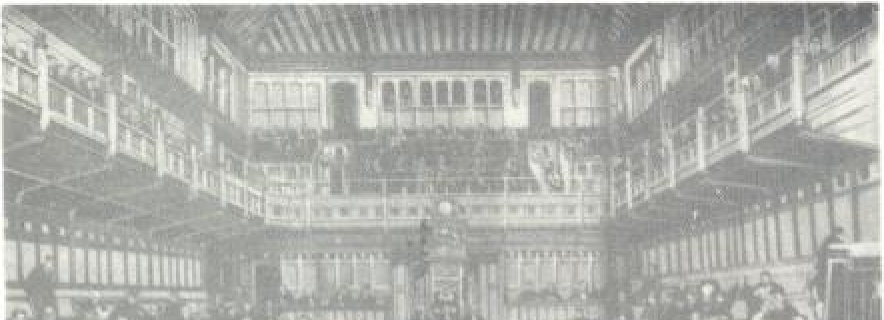


ابتدع جوتنبرج مطبعته الاولى في عام ١٤٤٠ م . وبظهور هذه المطابع تيسر النشر ،ودخل عصر الصحافةفي الشعوب



التي تقوم فيها الصحافة وحرية الصحافة . فحرية الصحافة انما هي معنى متفرع من معانى الحريات عامة ، وبقدر ما يكون فى الناس من ايمان بمعانى الحريات الاصيلة ، يكون ايمان بالفروع. والايمان بالحريات لا يكفى ، وانما لا بد مع الايمان من ممارسة .

وحرية الصحافة امر جديد على



انتهى مفعول المرسوم الذى يقضي برقابة كل ما ينشر في انجلترا في عام ١٦٩٥، فلما عرضت الحكومة امر تجديده على مجلس النواب البريطاني ، رفض تجديده ، ومن ذلك اليوم لم يكن في بريطانيا رقابة على الصحف .

الناس ، لانهم لم تكن فيهم صحافة ، الا منذ قرون اربعة ، قد تزيد او تنقص، وفقا لما يعنيه القائل بالصحافة ، وعلى التحقيق لم يكن في الناس صحافة الا بعد اختراع المطابع ذات الحروف المفرقة ، التي تجمع فتصنع الكلمات ، التي تجمع فتصنع الاسطر ، التي تجمع فتصنع الصفحة .

ومن الصفحة جاءت على ما احسب الصحفة والصحافة .

وفي الوقت الذي اصبح فيه النشر صناعة جادة ، ادرك الحكام ما يكون من خطر اذا هم تركوا لناشري الكتب او ناشري الصحف ، الحرية كل الحرية في ان ينشروا في الناس ما يشاؤون .

ولو اتخذنا انجلترا مثلا لامة ، هي لا شك من اسبق الامم الى الحرية ، لوجدنا انه على الرغم من ان بذور الحريات الاولى ، على ما نفهمها في العصور الحديثة الحاضرة ، انما نبتت فيها ، فانها كانت من احس الدول لما تأتي به الكتب والصحف اذا اطلق لها العنان من متاعب .

من اجل هذا نرى التاج البريطاني ، منذ القرن السادس عشر ، جعل امر النشر والاذن به منوطا بالتاج ، يأذن به اولا يأذن . وبدأ التاج بان أذن لشركة الوراقين Stationers Company بان تقوم هي بالطبع لنفسها ولاعضائها ولكل من تعطيه حق ذلك من مأذونيها ، وان تقوم عن الملك في مقابل ذلك بمنع كل محذور من نشر ، كتابا او صحيفة .

كان هذا في عام ١٥٥٦ .

فهذه اول صنوف الرقابة في البلد الحر ، وكان هدفها سياسيا ، ودينيا معا ، فهي تمنع كل ما يسيء الى نظام الحكم او ما ينال من شأن الدين القائم . ولم يكن من هدفها رقابة الاخلاق . وجرى اسلوب هذه الرقابة فيما جرى ، على ضرورة تسجيل كل اداة للطبع موجودة في البلاد . وكان للشركة الحق في التفتيش ومصادرة كل شيء منشور لم تأذن به اينما وجدته ، في المطابع او في البيوت الخاصة ، وتستثني من ذلك بيوت اللوردات .

ويأتي عام ١٦٩٥ وفيه ينتهي عمل المرسوم الذي قامت عليه هذه الرقابة ، ويراد تجديده . ويرفض ذلك مجلس النواب ، ويوافق على التجديد مجلس اللوردات . واذن يطوى اثر المرسوم ، وتطوى الرقابة ، فلا تثار من بعد ذلك ابدا .

ولقد قيل ان رفض مجلس النواب لم يكن حبا في اطلاق الحريات بقدر ما كان لان تطبيق المرسوم الملكي السالف كان تطبيقا سيئا دخله الكثير من الاخطاء ، والكثير من الاهواء ، والكثير من الاسواء .

ومع هذا لم تسلم الصحف عند ذلك ، فقد جعلوا على الصحيفة ضريبة يدفعها مشتريها لترفع من ثمنها فلا يستطيع شراءها الكثيرون . انها طريقة للحد من عدد القراء ، ولم تكن الامية عند ذاك امحت . وبقيت هذه الضريبة الى عام ١٨٥٥ ، ثم رفعت .

ومن الطريف راي رجل انجليزي من رجال القانون ، عاش في القرن الثامن عشر ، قرن الثورات ، ثورة الاستقلال الامريكية ، والثورة الفرنسية ، ننقله هنا . قال :

« ان حرية الصحافة ضرورة لا شك فيها لكل دولة حرة . ومعنى حرية الصحافة ان لا تكون هناك موانع تمنع النشر سابقة للنشر ، وليس معناها الافلات من رقابة ما ينشر من مادة في نشرها جرم ظاهر . ان كل رجل حر له الحق الذي لا ريب فيه ان يتقدم للجمهور بكل عاطفة تقوم في قلبه ، ولكنه اذا نشر ما يتضمن سوء ادب ، او قصد به الاساءة الى احد ، او خرق قانون ،

فقد وجب عليه ان يتحمل نتائج تهوره وطيشه .

رقابة ورقابة

والذين يتحدثون عن رقابة الحكومات على الصحف ، ينسون ، ان هناك رقابة مثلها ، توازنها . تلك رقابة الصحف على الحكومات .

ان الصحيفة تأتي للناس بالاخبار من داخل البلاد ومن خارجها ، وتنشر في الناس الرأى ، وهو رأى فيما تجرى به الايام من احداث . ومن امس احداث اليوم بالناس هي احداث تتأثر اشد التأثر بعمل الحكومات ، لا سيما بعد التطور الكبير الذى طرأ على واجبات الحكومات بعد قلاقل القرنين الماضيين ، وبعد دخول التكنية الى البلاد من غربية وغير غربية ، ومن تحول في المجتمع جعل خيره مرتبطا بادارة الحكم وما يستطيع ان يمهد به من سبل الخير الى هذه المجتمعات .

فالصحافة ، اصبحت اليوم ، على الديمقراطية، قائمة برقابة على الحكومات، لعلها اخطر من رقابة الحكومات على الصحف ، ولكن من عجيب امر هذه الرقابة ان لا يتحدث عنها من الكتاب غير القليل .

والحكم ، على الديمقراطية ، تقوم به طائفة تمثل الكثرة من الناخبين ، وتبقى في معارضة الحكم طوائف اخرى ، ولكل من هذه الطوائف عادة صحف تنطق بأسمائها ، وتروج لمبادئها وسياساتها ، وتساعد على بلوغ اطماحها او اطماعها .

فموقف الصحافة عامة من موقف الحكومات ، على الديمقراطية ، ليس بموقف الصديق للصديق ، بل الناقد للمنقود . وهو الناقد الانسان للمنقود الانسان . والحكومات ناقدة ومنقودة ، والصحافة ناقدة ومنقودة . فهما في حرب اكثر الزمان .

حرب غير متكافئة

وهى حرب ، على الحرية المطلقة ، غير متكافئة .

فالصحافة ترمى بما ترمى من ذروة جبل . والحكومات ترمى بما ترمى وهى في كنف الوادى . ومن اجل هذا لا يمكن ان تصمد حكومة ، على الحرية المطلقة ، اذا لم يكن لها من الصحافة سند قوى، وان شئت قلت: ان لم تكن لها صحافتها .

انه الاعلام . والصحافة من اقوى اسلحته ، في الامم التى تقرأ وتكتب .

والعجيب ان بانجلترا صحافة ، واذاعة ، وتلفاز ، وهى الثلاثة الكبار من اسلحة الاعلام . وفي القانون الانجليزى ما يحتم على الاذاعة والتلفاز ان يسلكا فيما يذيعانه الطريق الاوسط ، طريق الحياد بقدر ما يستطيع انسان في الشئون العامة حيادا . ومع هذا فالقانون الانجليزى ترك الصحافة فلم يربطها بهذا الرباط ، لانها لسان الشعب الاوسع صدى .

وعلى الرغم مما بلغه الشعب الانجليزى من الوعى ، فان ما بين الصحافة هناك والحكومات لم يكن دائما صفاء . ولا هو كان بين الصحافة والجمهور . اما بين الجمهور والحكومات فاختلف باختلاف الاحزاب القائمة بالحكم ، والمناصر لهم في الناس .

لجنة ملكية
تنظر في علاقة ما بين الصحافة والجماهير

ومع ذلك فقد كانت هذه العلاقات الثلاث ساءت الى درجة ان الحكومة التي كانت قائمة في عام ١٩٥٣ كونت لجنة ملكية تنظر في امر الصحافة وشتى

علائقها ، بالجمهور وبالحكومات .

ودرست اللجنة ما درست ، وكشفت عن كثير من عيوب الصحف القائمة ، وضربت الامثال . ومن الامثال ما دل على ان الصحفي يدخل الصحافة وهو يحمل بين جنبيه فضائل حملها اولاد آدم منذ كانوا ، ورذائل . ومنها افتئاتات على حرية الجمهور ، واقتحامات لحرمه المنازل . هذا الى حزبية تجعل من الابيض اسود ، ومن الاسود ابيض . حتى حرية القول ، التي تنادي بها الصحف اول نداء ، اتضح انها عملت على تمطيلها الحين بعد الحين .

ومع كل ما كشفت عنه اللجنة الملكية التي اختصوها بدراسة الصحافة البريطانية من اسواء ، فلم تنصح اللجنة برقابة كائنة ما كانت تقوم بها الحكومات تدفع هذه الشرور .

مجلس للصحافة

كل ما صنعته ، ان نصحت رجال الصحف باقامة مجلس من بينهم هم ، يعرف بمجلس الصحافة ، واقترحت ان يتألف من رئيس لا علاقة له بالصحف ، اما اعضاؤه فاربعة اخماسهم من الصحفيين المشهود لهم بالنباهة والاستقامة ، اما الخمس الباقي فاعضاء غير صحفيين .

ولا يكون لهذا المجلس صفة حكومية ، وليس له قوة تنفيذية تصحب قراراته.

واقيم المجلس فعلا لضمان حرية الصحافة على المعنى الشائع المعروف ، ثم لضمان حرية الجمهور عند الصحافة والصحفيين ، ولزيادة وعي الصحفيين بالخدمة الجليلة العامة التي يقومون بها لابناء الشعب وبناته اجمعين .

وتكوّن المجلس في عام ١٩٥٣ ، ومضى قدما في اعماله .

ولما جاء عام ١٩٦٤ اعيد النظر فيه .



ومن الطريف ان ملكة انجلترا بعثت رسالة الى مجلس الصحافة تشكو من اقتحام احدى الصحف حريتها الشخصية

فاتضح ان المجلس مال الى الدفاع عن الصحافة والصحافيين ، على حساب المواطنين . ومرة اخرى يظهر ان للبشر طبيعة لا تقهر .

واعادوا تاليف المجلس ، وغيروا الكثير من اساليب اجراءاته .

ومضى المجلس يعمل من جديد . وبلغت الشكاوى التي وصلت المجلس في عام ١٩٦٤ حوالي ٢٨٢ شكوى ، زادت في عام ١٩٦٥ بنحو ٧٫٥ في المائة . واجاز المجلس في هاتين السنتين نحو نصف الشكاوى .

ومن الطريف ان من الشكاوى التي جاءت ، شكوى من ملكة انجلترا .

اقول ان المجلس اجاز نصف الشكاوى التي تلقاها من الجمهور . ولكن ما فائدة اجازة شكاوى لا يكون من ورائها تصحيح لخطأ ، او استرضاء من بعد اساءة .

حتى لقد قبل ان محرري الصحف البريطانية يسخرون من هذا المجلس ومن قراراته ، ويرفضون الا ان يتدخلوا في حرمة الحياة الخاصة للناس ، ويأبون

الا ان ينشروا ما يشاؤون من اكاذيب ، دون تكذيب لها عندما يظهر خطأها ، الى غير ذلك من اهواء .

ويعجز المجلس عن ملاحقة الصحافة، فالحكومة لم تعطه فوقما اعطته من قوة النصيحة .

والظاهر ان الحكومات البريطانيةترى ان وراء هذا المجلس المحاكم ، فهى اوثق ملجأ .. وعند هذا المجلس ، الذى لا مخلب له، وقفت الحكومات البريطانية فى كبح الصحافة الوطنية .

الصحافة حريتان لا حرية واحدة

والحق اننا اذا ذكرنا الحرية فيما يتصل بالصحافة ، وبالنشر عامة، هدفنا الى معنيين ، احدهما هو الاشهر وهو الاوضح ، ذلك حرية الصحيفة بان تنشر ما تشاء ، لأن الخطأ التاريخى الاكبر كان فى كبت الحكومات حرية الصحف ،وعلى زعم ان صوت الصحف هو صوت الشعب، فهذا الكبت انما كان كبت حرية الشعب ان يقول ما يقول . اما المعنى الآخر الاخفى ، فهو محافظة الصحف على حرية الشعوب ،افرادا وهيئات ، فلا تنال احدا بسوء اعتمادا على مالها من قوة هى فى آخر الامر مستمدة من الشعوب .

وقد نضيف الى هذين المعنيين معنى ثالثا ، ذلك محافظة الصحف على حرية الحكومات . فالحكومة التى يقيمها الشعب على الأسس الديمقراطية من حقها أن تنال حريتها فى القول والعمل فلا تهاجم افتراء وادعاء ، حتى من معارضة قائمة .

ان الحريات اخذ وعطاء ، وميزانها العدل بين شعب وصحافة وحكومة ، فى الاحوال السوية . والاسراف فى اعطاء الحريات تبذير ، وكل تبذير مفسدة .

الصحافة تجارة ودور اعمال

وللصحافة صفة اخرى قد تخفى ، تلك انها دار انتاج ، فهى تصنع وتبيع، واذن جاز عليها ما يجوز على كل تجارة وصناعة من رواج وكساد ، ومن اثراء وافلاس . والمعروف ان الصحيفة تعتمد فى تحصيل ايرادها على مصدرين اساسيين ، ثمن النسخ التى تباع للجمهور ، وثمن الاعلانات التى تنشرها الصحيفة ، والشائع ان اعتمادها على ايراد الاعلانات اكبر ، وانه لو تضب للاعلانات منبعين،وجب رفع ثمن النسخة اضعافا .

وتسال عن اصحاب هذه الاعلانات فتعلم انهم كبار التجار والصناع ،



الصحف تعتمد على ايرادها من اعلاناتها اعتمادا كبيرا . واصحاب الاعلانات لهم فى الدولة مراكز قوة ، ولهم مصالح .

والكثيرون من اهل المنافع فى الدولة ، ولهم فى الدولة مراكز قوة معروفة مرموقة ولهم فيها مصالح . وهؤلاء يعطون المال والصحيفة تأخذ . واليد العليا على ما عرفنا ارفع من اليد السفلى . واذن قد تصبح الصحيفة العوبة بين الاهواء المختلفة لاصحاب القوى المختلفة فى الدولة غير قادرة على الاحتفاظ بضميرها صحيفة بيضاء لا تشوبها شائبة .

حدث يوما انى تحدثت الى صاحب صحيفة فيما ينشر فيها من نقائض : مقالات موعز بها ظاهـرا ، لا يمكن ان يجتمع اصحابها فى حجرة واحدة فى منزل ، فكيف اجتمعوا فى صفحات واحدة من نسخة واحدة من جريدة واحدة .

وجاءنى رد صاحب الصحيفة حـرا صريحا . قال : الحرية عندى ان يكتب فى صحيفتى من يشاء ما يشاء ، فلا التزم بشىء . فصحيفتى كعمارة الكراء ، كل شقة فيها ، بكل طابق ، معدة للسكن . وانا اقبل فيها الابيض والاسمر والاسود والاصفر ، ما دام الرجل الداخل الى مسكنه فى العمـارة ذا هنـدام مرضى محترم .

فهذا مصدر المـال مـن الاعلانات . وهذا ما قـد يكون له مـن أثر عـلى الصحافة والحرية .

ولكن كذلك مصدر المال من البيع . وهذا يعتمد على رواج الصحيفة فى شعبها . ولا يكون رواج الا اذا التزمت الصحيفة بما يرضى هـذا الشعب . والشعوب المتخلفة لا ترضى الا بالمتخلف المنشور . وهذا يحد من حرية الصحيفة التى تريد ان تنهض ، وان تتقدم وبتقدم الناس معها .

ولكم عرفت مـن جهالة الشعوب ، وتعصبها للجهل والخرافة ، ما قضى على صحيفة كانت جديرة بالبقاء . والظاهر انه للبقاء مع الجهالة لا بد من مداهنة لا يعرفها الا القليل من الخبراء .

والناس تشكـو الحكومات عندمـا تضيع الحريات ، ولكم شكت الشعوب المتخلفة من اضاعة هذه الحريات ، وهى عندى اكثر اضاعة . وهى اضاعة شكواها لا تتردد فى الشعب ، لان الشعب المتخلف هو صانعها .

والصحافة
فى الأمة ذات الحكم الكلى

والحكم الكلى Totalitarian Rule هو الذى يتولى فى الامة تبعات كل شىء ، وادارة كل المرافق ، وكل الخدمات ، وكل الانتاج ، وكل التعليم ، وكل الزرع ، وكل الصناعة ، ما عدا الطعام فهو يتركه للناس يمضغونه قبل البلع ، بعد ان عجز العلم عن ابتداع ممضغة عامة تقوم للناس بهذه العملية المرهقة .

والصحافة تحت هذا الحكم جزء من هذا الحكم ، والصحفيون عندئذ موظفون فى الدولة . وموظف الدولة مطيع ، سواء كان يعمل فى صحيفة او دار تجارة (حكومية طبعا) او فى السكك الحديدية او فى الشرطة أو فى الجيش . والنهج الذى ينهجه الصحفى ، كالنهج الذى ينهجه كل هؤلاء بانه نهج مقدر مرسوم ، ليس هو من رسمه ولا من تخطيطه .

لهذا ، لا أرى وجها للذين يلومون رجال الصحافة فيما كانوا صنعوا وهم غير احرار . انه لوم غير جائز ، الا اذا جاز لوم سائق القاطرة او ضابط الشرطة او استاذ الجامعة او فقيه الجامع . ذلك انهم جميعا ضربوا على نغمة واحدة قادها رئيس الجوقة الموسيقى ، وفى يمناه عصا القيادة ، ومن ورائه « مسرور » صاحب نطع الرشيد وسيفه ، وويل لمن خرج عن الصف فضرب نشازا ●●

احمد زكى

نتيجة مسابقة العدد ١٥٨

مسابقة سهلة ورسائل عديدة

كانت مسابقة العدد ١٥٨ من « العربي » من المسابقات السهلة المحببة الى القراء، والنفس بطبعها ميالة للسهولة واليسر . لذلك كانت هناك زيادة ظاهرة في رسائل المسابقة ، هذا علما بأن اكثر اسئلة المسابقة كانت في الاغلب تدور حول معلومات عامة عن وطننا العربي الكبير .

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة، ثم اسماء من حالفهم التوفيق بالفوز في المسابقة .

١ ـ في عام ١٩٧١ انضمت كل من البحرين وقطر وسلطنة عمان الى جامعة الدول العربية والأمم المتحدة .. صح

٢ ـ الكسي ليونوف رائد الفضاء السوفييتي ، كان اول رجل سبح في الفضاء خارج مركبته الفضائية لمدة عشر دقائق يوم ١٨ مارس ١٩٦٥ .. صح

٣ ـ للسودان حدود مشتركة مع سبع دول مختلفة .. خطأ

٤ ـ كانت هزيمة بونابرت في واترلو نقطة تحول في تاريخ اوربا ، وكان القائد الذى هزمه هو الادميرال نلسون .. خطأ

٥ ـ فتح الاتراك مدينة القسطنطينية في عام ١٤٥٢ .. صح

٦ ـ كانت سويسرا اول دولة اعطت المرأة حقها في الانتخاب .. خطأ

٧ ـ عبد القادر الجزائرى حارب الفرنسيين في الجزائر مدة ١٥ عاما ثم ذهب الى دمشق حيث توفي هناك عام ١٨٨٣ .. صح

٨ ـ يقول الانجليز ان درجة حرارة الانسان هي ٩٨٫٤ ف ويترجم ذلك الفرنسيون فيقولون انها نحو ٣٧ م .. صح

٩ ـ اصبح عدد الاعضاء في الجامعة العربية ١٧ دولة : ٧ منها في افريقيا و ١٠ في آسيا .. خطأ

١٠ ـ في كل تنفس يدخل الى الرئة كمية غير قليلة من غاز النتروجين .. صح

١١ ـ يقع قبر القائد العربى خالد بن الوليد في مدينة حمص في سوريا .. صح

١٢ ـ اكبر ثلاثة دول مصدرة للشاى في العالم هي : الهند والصين وسيلان .. صح

١٣ ـ اكبر الدول العربية مساحة هي جمهورية مصر العربية .. خطأ

١٤ ـ الحرب العالمية الاولى بدأت عام ١٩١٤ وانتهت عام ١٩١٨ .. صح

١٥ ـ يطلق على نهر النيل الممتد من بحيرة تانا الى الخرطوم اسم النيل الابيض .. خطأ

الفائزون بالجوائز

الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : **محمود ياسين الجنيدى** ـ الخرج ـ السعودية .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : **عادل على بن على** ـ عدن ـ اليمن الديمقراطي .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : **حمد على حسين** ـ الشارقة ـ الخليج العربى .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها :

١ ـ **نجيب عبد الأحد** ـ بغداد ـ العراق .

٢ ـ **محمد نسيم عبد الرحمن** ـ الخرطوم ـ السودان .

٣ ـ **محمد احمد ابو صفيطة** ـ اجدابيا ـ ليبيا .

٤ ـ **عبد القادر صبحى اسماعيل** ـ عمان ـ الاردن .

٥ ـ **عبد الرزاق ياسين البزم** ـ دمشق ـ سوريا .

٦ ـ **مدحت على صبرى** ـ القاهرة ـ مصر .

٧ ـ **عيد حامد الشمرى** ـ الكويت .

٨ ـ **محمد بن عبد الله الخليوى** ـ النما .

الاجتهاد في عصر

بقلم : الشيخ بدر المتولى عبد الباسط

■ بعد ان تكلمنا عن الاجتهادوشروطه ، وعن المجتهد وما يجب ان يحصله من العلوم والمعارف ، وكيفتربيه ؟ وعما يجوز فيه الاجتهاد وما لا يجوز كان لا بد ان تتكلم عن الاجتهاد واطواره .

واول ما نبدأ به ـ هو ـ عصر الرسول الاكرم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وزعيم المجتهدين قاطبة .

ان بعض الناس يظن اويعتقد ان محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليس الا مبلغا عن ربه في كل شيء ، كانه ـ صلى الله عليه وسلم في زعمهم ـ شريط سينمائي او اذاعي يتكلم ويفعل فقط ـ ما يوحى اليه أن يفعله او يقوله ، ليس له جهد الا التبليغ ، وهذا التصور او التصوير للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ خطأ، وعذر هؤلاء انهم فهموا قوله تعالى « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى » (١) فهما خاطئا .

ولكى يحيط القارىء بهذا الموضوع من جميع نواحيه احاطة تامة باسلوب يتفق مع مفاهيم هذا العصر لابد ان نتناول شخصية الرسول الاكرم من نواح متعددة .

محمد كانسان ، محمد كحاكم وقاض ، محمد كامام وقائد ، محمد كمفت ومبلغ عن ربه .

الرسول كانسان

اننا نؤمن أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ انسان ، ولكنه في قمة الانسانية يجوز عليه ما يجوز على البشر مما لا يقدح في مكانته العلية ، وقد اكد القرآن الكريم على هذا المعنى في عديد من الايات المحكمات التي لا تحتمل تاويلا ، حتى لا يقع الناس في تقديس الأنبياء في مزالق فيصفونهم بغير صفاتهم ، ويرفعونهم الى مقام الالوهية . استمع اليه تعالى محدثا عن موقف من مواقف الرسل جميعا ومنهم محمد صلى الله عليه وسلم مع اقوامهم ، فيقول ـ جل شانه ـ « قالت رسلهم افي الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى ، قالوا : ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فاتونا بسلطان مبين : قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده »(٢) .

ويقول ـ تعالى ـ « وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم »(٣) ويقول ـ جل شانه ـ « وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا : ابعث الله بشرا رسولا » وما انكر الله تعالى عليهم وصف الرسل بالبشرية ولكن انكر عليهم جعل البشرية مانعا من التصديق بهم فيقول ردا على هؤلاء المتعجبين « قل لو كان في الارض

---

(١) سورة النجم الآيتان ٣ ، ٤ (٢) سورة ابراهيم : الايتان ١٠ ، ١١ . (٣) سورة النحل من الاية ٤٣ .

لرَسُول

الرَّسُول إنْسانًا
الرَّسُول، حَاكِمًا وقاضِيًا
الرَّسُول، إمامًا وقَائِدًا
الرَّسُول، مُفْتيًا ومُبلِّغًا عَنْ رَبِّه

ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا »(٤) .

ويقول ـ جل شانه ـ حاكيا ما قاله محمد صلى الله عليه وسلم ردا على الكفار المتعنتين حينما طلبوا منه ايات تدل على صدقه على سبيل التعجيز والاعنات لا على سبيل التثبت والاقتناع : « هل كنت الا بشر رسول »(٥) .

واخيرا وليس آخرا يقول الله تعالى آمرا رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ان يبلغ الامة انه بشر « قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا »(٦) .

اذا تقرر ان محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ انسان وبشر تقرر ان له تجاربه وعاداته في المأكل والمشرب والتداوى وكل ما يتصل بالحياة الانسانية، وانه ـ كانسان وبشر ـ لابد ان تكون له اجتهاداته فيما يتصل بالحياة من شؤون الزراعة والصناعة والعلاج الجسماني ، وهذا اللون من الاجتهاد لا يتصل بشؤون التشريع ولا سياسة الدولة ، ولا الحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه من مشاكل المعاملات من نكاح او طلاق او بيع او شراء . وكل ما ورد عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قول او فعل او تجربة بهذا الاعتبار لا يكون ملزما للامة، بل لها ان تأخذ به وان تدعه.

قصة التأبير وما اثير حولها من جدل

والاصل في هذا قصة التأبير (اى تلقيح النخل) وحاصلها انه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حينما هاجر الى المدينة، وكان اهلها اصحاب نخيل وزرع، ورآهم يؤبرون النخل على الصورة المعروفة الآن فقال : هلا تركتموه « فتركوه فشاص التمر (اى لم يكتمل نموه) فرجعوا اليه وحدثوه في هذا فقال لهم : « انتم اعلم لشؤون دنياكم » .

هذه هى قصة التأبير التى يرى بعض الذين يريدون ان يتفلتوا من الدين وادلته ان في هذه القصة دليلا على جواز ترك السنة كمصدر من مصادر التشريع فيما يتصل بالدنيا ولو جاءت لبيان الحلال من الحرام والصحيح ـ شرعا ـ من الفاسد .

ان قصة التأبير هذه لا تتصل من قرب او من بعد بتشريع بل ان فيها درسا للامة بحثها على التجربة وعدم الركون الى ما توارثه الابناء عن الاباء من شؤون الصناعة والزراعة والطب ، وما الى ذلك من شؤون الحياة الدنيا البحتة ، فلو ان الزراعيين بقوا على ما توارثوه عن اجدادهم في اساليب الزراعة لما راينا هذه النهضة الزراعية ولما تنوعت المحاصيل هذا التنوع العظيم ، والسر في هذه النهضة هى التجارب وترك ما اعتاده الاباء متى صححت التجربة ومثل ذلك يقال في كل ما يتصل بالحياة من علوم وفنون اساسها التجربة.

الطب النبوى وما يقال حوله

ومما يتصل بهذا البحث ان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصف بعض الادوية لبعض الادواء فلنا أن ناخذ بها ولنا ان نتصرف عنها الى غيرها ، من غير تحقير لما وصف او استهزاء به ، واذا تداوينا بغير ما وصف الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا نكون عاصين او مخالفين لشريعته، فان مثل هذه الامور ليست من الشريعة .

---

(٤) الايتان من سورة الاسراء ٩٤ ، ٩٥ . (٥) من الاية ٩٣ من سورة الاسراء . (٦) آخر سورة الكهف .

واحب قبل ترك هذا البحث ان اتوجه الى المتخصصين في الطب ان يجعلوا من وصفاته الطبية مجالات للبحث ، وان يضعوها تحت التجربة الصحيحة العلمية ، ولا ينسوا انها وصفت لقوم يكادون يكونون على الفطرة لم تفسدهم الحياة المدنية بتعقيداتها في المأكل والمشرب وانه كان في منطقة تكاد تكون من المناطق الحارة التي لا يصلح لها ما يصلح لاهل المناطق المعتدلة او الباردة .

فلنجرب كل شيء ، ولا يصدنا عن التجربة ما توارثناه عن الاقدمين ثم لناخذ لحياتنا ما تثبت التجربة نفعه ، ولا ناسف على اخفاقنا حينا او احيانا . فمن الخطأ نصل الى الصواب ، وما هذه النهضة الشاملة في جميع مناحي الحياة الا وليدة التجارب التى نجحت أحيانا واخفقت أحيانا.

بعد هذا البيان اقرر مطمئنا ما قرر المحققون قديما ان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان ان اجتهد في امور الدنيا فاصاب احيانا واخطات التجربة حينا ، شانه في ذلك شان البشر ، وهو في كلتا الحالتين ليس مبلغا عن ربه ، لان هذه المسائل لا ترجع الى وظيفته كرسول .

الرسول كقاض وحاكم

ولقد كان (صلعم) بهذه الصفة يفصل بين الناس في خصوماتهم ومنازعاتهم وهو في هذا مقيد بما يقيد به القاضي من جوب النظر فيما يدلى اليه من حجج الخصوم ، ثم يصدر حكمه على ضوء ما أوحى اليه من وحى متلو وهو القران ، او وحى غير متلو ، وهو السنة التشريعية ، واجتهاده ـ حينئذ ـ انما هو في تطبيق الاحكام الشرعية على ما يعرض له من قضايا وخصومات « انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله »(٧) « وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق »(٨) .

وهو ـ كقاض ـ قد يصيب الحق والواقع، وقد لا يصيبهما لان احد الخصوم كان اقوى بينة او ان احدهما حلف يمينا كاذبة فقضى له بهذه البينة المزورة او بتلك اليمين الفاجرة .

والاصل في هذا الموضوع حديث مشهور رواه اكثر المحدثين كالبخارى ومسلم والترمذى ومالك في موطئه وآخرون ، وهو بكماله على ان تكمل الروايات بعضها بعضا .

عن السيدة ام المؤمنين ام سلمة زوج النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ انها قالت : جاء رجلان من الأنصار يختصمان الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في مواريث بينهما قد درست (أى تقادم عليها العهد) ليس عندهما بينة ، فقال لهما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « انكم تختصمون الى ، وانما انا بشر ، ولعل بعضكم ان يكون الحن (ابلغ وأبين) بحجته من بعض ، فاحسب انه صادق فاقضى له ، فانى اقضى بينكم على نحو ما اسمع ، فمن قضيت له من حق اخيه شيئا فلا ياخذه فانما اقطع له قطعة من النار يطوق بها من سبع ارضين (اى تكون في رقبته كالطوق) يأتى بها سطاما في عنقه يوم القيامة . »

(السطام الحديدة التى تسعر بها النار فكانه يسعر النار لنفسه) فلياخذها أو ليدعها «فبكى الرجلان جميعا ـ لما سمعا ذلك ، وقال كل منهما يا رسول الله حقى لأخى ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « اما اذ قلتما هذا فاذهبا واقتسما ، ثم توخيا الحق ، ثم استهما (اى اقترعا ثم لياخذ كل منكما ما يخرج عليه سهمه) ثم ليحلل كل منكما صاحبه (أى يتسامح معه ويحلله من حقه) » .

هذا الحديث يعتبر أصلا في القضاء ، ودستورا لحل المنازعات وان القاضي ـ ولو كان رسول الله ـ مطالب بان يقضي بالبينات بعد التثبت منها ، وما عليه بعد ذلك ان كانت صادقة او كاذبة .

القضاء لا يحل حراما ولا يحرم حلالا

من هذا الحديث نقرر ان حكم القاضي ـ ولو كان رسول الله ـ لا ينفذ الا ظاهرا فلا يحل حراما ولا يحرم حلالا ، وهذا في الأموال والدماء مجمع عليه ، واما في شأن النساء فهى مسالة خلافية بين العلماء : فلو ان رجلا اقام بينة زور على انه تزوج امراة زواجا صحيحا فقضى القاضي بدخولها في طاعته ، فهل يحل له ان يعاشرها بناء على هذا الحكم ؟ الذى دين الله عليه انه لا يحل له ذلك حتى يجدد العقد عليها ، ولكنها مع ذلك لا تحل لغيره حتى يطلقها أو يفرق القاضي بينهما ، والا

---

(٧) سورة النساء من الاية ١٠٥ .

(٨) سورة المائدة من الاية ٤٨ .

لزم على ذلك شر عظيم واختلاط للانساب ، ولزم – كذلك – أن يكون للمراة زوج في السر ، وزوج في العلانية ، وفي هذا ما فيه ، مع الاجماع على اثم صاحب البينة الكاذبة .

الرسول كامام وقائد

ووظيفته – حينئذ – كوظيفة الحكام القائمين على السلطة التنفيذية فينفذون أحكام القضاة ، ويعينون السفراء ويستقبلونهم ، ويختارون الموظفين للمناصب المختلفة، كما ينظمون الجيوش، ويرسمون الخطط العسكرية ، ويدافعون عن حوزة البلاد . والرسول في هذا كله كان ينهج سياسة حكيمة تحقق المصلحة للامة بالأسلوب الذي يراه مناسبا لعصره ، وكان – صلى الله عليه وسلم – يستشير أصحابه ما لم ينزل عليه في ذلك وحي ، وكانت له في ذلك اجتهادات كلها تهدف الى المصلحة، فاصاب في أكثرها .

واسلوبه في سياسة الأمة – وان كان أحكم الأساليب – ليس ملزما لمن جاء بعده من الائمة والحكام والقادة ، فان هذه الامور متطورة متغيرة باختلاف الأزمنة والامكنة ، الا أن هؤلاء القادة والحكام عليهم أن يلتزموا سياسة الاصلاح ، ولا يعطلوا نصا تشريعيا ، فكما أن حكام وقادة الشعوب – في عصرنا هذا – لهم حرية التصرف في كيفية تنفيذ الاحكام واختيار السفراء والموظفين وتنظيم الجيوش ووضع الخطط الحربية الا انهم مقيدون بالدساتير والقوانين فكذلك خلفاؤه صلى الله عليه وسلم ، ومن حملوا – بعده – امانة الحكم ، فلا يجب على قادة الأمة الاسلامية أن يلتزموا في اختيار السفراء والموظفين طريقته – صلى الله عليه وسلم – اللهم الا في وجوب رعاية الاصلح فالأصلح وبعبارة أوضح أن يختاروا الرجل المناسب للعمل المناسب، فان اختيار غير الصالح مع وجود الصالح خيانة للامانة ، وخيانة الامانة عمل حرمه الله ورسوله ، ولكن معايير الصلاحية تختلف عن زمان الى زمان ومن مكان الى مكان .

كما أن قادة الجيوش ليسوا ملزمين بان يضعوا خططهم الحربية على النهج الذى يخطط به الرسول – صلى الله عليه وسلم – في غزواته فقد تطورت أساليب الحرب تطورا كبيرا ، وما كانت خطط الرسول الحربية في كل معاركه واحدة ، بل كان لكل معركة ظروفها وملابساتها . بل انه – صلى الله عليه وسلم – نزل في معركة بدر الكبرى على راى رجل من أصحابه نصح أن لا ينزل الرسول ومن معه في المكان الذى نزلوا فيه أولا ، وأخذ الرسول الأكرم برايه حينما ظهر له صوابه ، وفي موقعة الخندق أخذ براى سلمان الفارسي – رضي الله عنه – في حفر الخندق ، ولم يكن للعرب – يومئذ – عهد بحروب الخنادق .

فقادة الجيوش عليهم أن يخططوا لكسب المعارك بالاسلوب الذى يتراءى لهم بعد أخذ راى أولى الخبرة . وعليهم أن لا يستبدوا برأيهم ، وأن ينتفعوا بتجارب غيرهم من الأمم .

هذا وما ورد عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – من أخبار منها ما نقطع انها وردت عنه كامام وقائد ، ومنها ما تختلف فيه الأنظار فيحتمل أن تكون صدرت عنه بهذه الصفة ، ويحتمل أن تكون صدرت عنه كمبلغ عن ربه ، ومنها ما نقطع انها وردت عنه كرسول ومفت ومبلغ عن ربه .

فما نقطع بأنها صدرت عنه كامام وقائد لا نكون ملزمين باتباعها ، وذلك كاختيار الولاة ، واستقبال السفراء واجازة الوفود ، وترتيب الجيوش ،وكذا اقطاع من يرى اقطاعهم بشيء من الارض لخدمة قدموها للامة من غير أن يكون الحافز قرابة أو صداقة أو علاقة خاصة واعلان الحرب وقبول الهدنة وابرام المعاهدات التى تحقق للامة نصرا أو تدفع عنها شرا،وتقدير هذا الى القادة والحكام من غير استبداد براى وتعال عن الامة .

فكل هذه الأمور صدرت عنه – صلى الله عليه وسلم – كامام وقائد ، ولمن جاء بعده الحق في أن يتصرف في هذه الأمور بما يراه أقرب الى المصلحة في اطار القواعد الشرعية العامة وليس مقيدا بالاسلوب الذى عالج به الرسول – صلى الله عليه وسلم – هذه الأمور .

وأما الأمور التى نقطع أنها صدرت منه كرسول ومبلغ عن ربه كبيان أن هذا الامر حلال أو حرام ، صحيح – شرعا – أوفاسد ، واجب أو غير واجب، فليس لأحد من الامة حاكما أو محكوما أن يفتات عليه فيحل ما حرم ، أو يحرم ما أحل أو يصحح ما حكم – كرسول – بفساده ، أو يفسد ما حكم – كرسول – بصحته ، متى صح الخبر عنه – صلى الله عليه وسلم – .

واما ما يحتمل انه صدر عنه كرسول كما يحتمل انه صدر منه كامام وقائد فان مجال الترجيح يحتاج الى دقة في ترجيح احد الاحتمالين بالرجوع الى قرائن الاحوال وظروف صدوره منه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهنا تنجلى مواهب الفقهاء، مع العلم انه اذا تساوى الاحتمالان قوة وضعفا وجب ان نرجح احتمال صدوره عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كرسول ومفت ومبلغ عن ربه، لان ذلك اكثر حالاته ـ صلوات الله عليه ـ فمثلا قوله صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين ـ كما رواه عنه ابو قتادة الانصارى ـ انه صلى الله عليه وسلم قال: «من قتل قتيلا فله سلبه» والسلب ما يكون مع القتيل من سلاح وملابس وغيرهما، وهذا الحديث رواه جملة من المحدثين منهم البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه.

وقد اختلف العلماء في هذا الحديث أصدر عنه كرسول فيكون تشريعا عاما في كل الأحايين أم صدر عنه كامام وقائد فيكون تشجيعا للمحاربين، ذهب قوم ـ ومنهم الشافعي رضي الله عنه ـ الى الاول، وذهب آخرون ومنهم أبو حنيفة ـ رضي الله عنه ـ الى الثاني.

واذا كان لنا أن نرجح رأيا على رأى فالرأى الثاني اقرب، اذ لو كان تشريعا عاما للزم على ذلك فساد كبير، ولا سيما في عصرنا هذا اذ يشتغل الجند بجمع الأسلاب وقد يقع بينهم التنازع، ولا سيما أن تحديد هذا قتيل فلان من العسر بمكان، ومما يساعد على هذا الفهم انه لم يثبت ان توزيع الأسلاب على هذا النحو ثبت في معركة غير معركة حنين.

احياء الارض الموات

ومن ذلك قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «من احيا ارضا ميتة فهي له» رواه عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ سعيد بن زيد، وهذا الحديث رواه جماعة من المحدثين منهم الترمذى والنسائي وابو داود وغيرهم.

والارض الميتة هى غير الارض الصالحة للزراعة ومعنى احيائها أن يجعلها صالحة للزراعة بجلب الماء اليها اما بحفر الآبار أو شق الترع أو انشاء المصارف التى تصرف المياه المالحة منها.

وهذا الحديث اختلف فيه الفقهاء فمنهم من يراه صادرا عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كرسول فيكون تشريعا عاما ويكون هذا بيانا بان من أسباب الملكية احياء الارض الموات، كما أن من أسباب الملكية الاستيلاء على المباحات من صيد أو كلأ أو حطب في الفلاة.

وممن ذهب الى هذا الراى الامام أبو حنيفة ـ رضي الله عنه ـ ويتفرع على هذا الخلاف أن الحاكم ليس له حق الاستيلاء على الارض التى احياها شخص بغير اذنه، لأنه انما استولى عليها باذن الشارع. اللهم الا اذا كان الاستيلاء لمصلحة عامة على أن يعوض عنها، وهذا رأى الشافعى ومن نهج نهجه.

واما أبو حنيفة فيرى أن له حق الاستيلاء عليها حتى بعد احيائها لانه افتات على حق الامام، وانه غير مأذون له فكان معتديا.

وان كان لنا أن نرجح فرأى ابى حنيفة أقرب الى النظام، وأدعى الى عدم المنازعة، ولو ترك الأمر مباحا للجميع كان الحظ الاوفر في ذلك للاغنياء ـ وحدهم ـ لأنهم اقدر على احياء الموات لما يتطلب من نفقات باهظة، ويكون ذلك أدعى الى اشاعة الحقد بين الطبقات، وهذا ما تعمل الشريعة على محاربته قدر الاستطاعة.

على أن واجب ولى الأمر أن لا يترك الارض الموات مواتا متى وجد السبيل الى احيائها واصلاحها ومن المسائل التى اختلفت فيها الانظار توزيعه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أرض خيبر على الفاتحين، فمنهم من رأى أن ذلك بوصفه رسولا ومنهم عبد الرحمن بن عوف وبلال مؤذن الرسول ـ رضي الله عنهما ـ ومنهم من رأى انه فعل ذلك بوصفه اماما وقائدا ومنهم عمر، وقد بينت هذه المسألة مفصلة في عدد العربى الصادر في أول يناير سنة ١٩٧٢.

والناظر في السنة وفي مسائل الفقه يرى من ذلك الشيء الكثير، وحسبنا هذه الأمثلة ليرى القارىء الى أى مدى تعب الفقهاء في استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها.

هذا واما الرسول كمفت ومبلغ عن ربه فهذا بحث يطول، وهو محل عناية الفقهاء والمجتهدين على مدى العصور، فلعلنا نستطيع في مقال آخر أن نعرض له بحول الله وقوته. ■■

بدر المتولي عبد الباسط



فى رحلات

أمين الريحانى

أوصافٌ دقيقةٌ للسادةِ والأمراء

وأخرى للبدوِ، فقراءِ الشعوبِ، والدهماء

بقلم : حسنى محمود حسين

■ يحتل وصف الاشخاص عند امين الريحانى جزءا هاما من ادبه فى الرحلات،فالانسان وهو ابن الطبيعة يلقى عناية الامين ويسترعى انتباهه فى معايشته ومعاشرته له. والريحانى يهتم بالطبيعة يشخصها ويناجيها ، فما بالك بالانسان ، ابنها ، وهو الاداة الامينة فى اصلاح الحياة وتقويمها !؟

واذا كان الامين يحس باتحاده بالطبيعة وحلوله فيها ، فهو ينفذ كذلك الى اغوار النفس الانسانية، يستبطن اصحابها ويسبر اعماقهم فى كفاية وجدارة يقل نظراؤه فيهما ، وان التعامل مع النفس الانسانية لمن اصعب الاشياء ، ولكن الريحانى ، بذكائه الحاد ، ونضجه العقلى ، وزاده الفكرى المكتنز بحصيلة كبرى من مختلف الوان الثقافة والمعرفة والتجربة الفنية ، وما تمتع به من فراسة نفاذة ، استطاع ان يلين عريكة هذه النفس ويستولى على مفاتيح الشخصية البشرية ليلج ابوابها حين يريد . لقد اداه هذا الاقتدار على تخطى الصورة الخارجية للشخصية التى يعرضها، والنفاذ الى باطنها ليعرض نفسية صاحبها ، على سحنته وتقاطيع وجهه ، ومن خلال تصرفاته وعاداته ، مستكملا بصورها الظاهرية والباطنية لوحات فنية انسانية خالدة تحتل ركنا بارزا فى

متاحف كتبه ، اذ تنتشر على كثير من صفحاتها ، تملأ عين القارىء وترضي عقله وقلبه . وقد ساعد الريحاني على هذه المقـدرة كونـه فنانا دقيـق الملاحظة ، له اصبع في فن الرسم والتصوير . وتعدد الاشخاص الذين تعـرض لهم الريحـاني بالوصف والعرض ، وتنوعت مقاماتهم الاجتماعية من ادنى درجات السلم الاجتماعي الى اعلاها . من المعتاز والمكارى في سفوح الجبل،الى الامراء والملوك على قنن الحياة، مرورا بكثيرين من الاحاد العاديين على سطوحها .

طريقتان متغايرتان

وبيدو ان الامين قد اتبع طريقتين متغايرتين في رسم شخصياته ووصفها :

الطريقة الاولى ، استنها في وصف الشخصيات الشعبية العادية ، وقد عمد فيها الى جـانب الظرف والفكاهة التي وصلت به احيانا حد الرسم المضحك الكاريكاتيرى،دون ان يقصد الجرح والايلام.

والطريقة الثانية ، وصف فيها الشخصيات الرسمية ، وقد عمد فيها الى جانب الموضوعية والمهابة ، وان لم يخلها من شائبة غمز احيانا او غرق فكاهة احيانا اخرى .

وهو في كلتا الطريقتين يحيط الشخصية بعطفه وعنايته ، ويكتنفها بحبه وتقديره . ويبدو لنا ان احساسه ، وهو يصف شخصياته الرسمية ، بانه انما يقدمها للتاريخ ، هو السبب الاهم الذى املى عليه نهجه معها ، ثم انه يصف اصحابها ، من ملوك العرب ومسؤوليهم يومها ، وهم احياء وفي قلبه لهم كل اعزاز وتقدير ، اما في نهجه الاول فقد انساق على سجيته المرحة ، وطبعه الفكه . ولا يعني هذا ان هذا المنهج قد طمس معالم الجدية في عمله وتعامله مع هذه الشخصيات ، وانما هو غلب طابع الظرافة والفكاهة فيها فقط .

الامام يحيى

وفي ترجمانه وعرضه لذوى السلطان والنفوذ من الاشخاص ، يعرض الريحاني امامنا صـورا مهيبة ، يتبدى من خلالها فن الكلمة لدى الامين بكل طاقاتها ، فهو قادر على استحضارهم بازيائهم حتى لكاننا نراهم بام اعيننا كما رآهم هو وفي المكان الذى التقى بهم فيه . الا يستحضر الامام



الامام يحيى حميد الدين

يحيى امامنا وهو يقدم الينا اوصافه التى يستطيع الفنان الرسام ان يرسم لنا صورته من خلالها رسما دقيقا يعكس لنا شخصيته بكثير من الصدق والوضوح (١) ؟

عبد العزيز بن سعود

اما صورة السلطان عبد العزيز بن سعود ، الذى اول ما يملك منه ابتسامة هي مغناطيس القلوب ، فيرسمها الريحاني بالكلمات كما يلي : « السلطان عبد العزيز طويل القامة ، مفتـول الساعد ، شديد العصب ، متناسق الاعضاء ، اسمر اللون ، اسود الشعر ، ذو لحية خفيفـة مستديرة وشارب يقصه على الطريقة الوهابية . له من السنين سبع واربعون .. يلبس في الصيف اثوابا من الكتان بيضاء ، وفي الشتاء « قنابيز » من الجوخ تحت عباءة بنيـة . وهـو ينتعل ، ويتطيب ، ويحمل عصا من الشوحـط طويلـة يستعين بها على الافصاح عن آرائه ـ على تشكيل كلماته ، اذا صحت الاستعارة ، وتمكينها . ان له في الحديث غيرها من الاعوان . له انامل طويلـة لدنة يشير بها في مواقف البلاغة . وله عينـان عسليتان تثيران اماكن العطف واللطف ساعـة الرضى ، وتضرمان في كلامه ساعة الغيظ نـار الغضا . وله فم هو كـورق الورد في الحـالـة الاولى . وفي الحالة الثانية كالحديد ، يتقلص فيشتد ، فهو اذ ذاك كالنصل حدا ومضاء . اجل ان ابن سعود ليتغير ساعة الغضب كل التغير ، فيذهب العطف من ناظريه ولون الورد من شفتيه .

(١) للوقوف على هذا الوصف انظر كتاب (ملوك العرب ـ الجزء الاول) صفحة ١٣٠



الملك عبد العزيز آل سعود

ثم في افترائه يستحيل النور نارا بيضاء فهو اذ ذاك رهيب .. انه سريع الغضب سريع الرضا. فهو اذا ضرب الارض بعصاه مرة يلمس القلب منك عشر مرات ، وقد يتسرع في الكلام احيانا ثم ينبه لذلك فينتزع من خصمه السلاح ... ان في الرجل ضميرا حيا كعقله ، وسرعة خاطر تقارن التيقظ في ذهنه ، يبدد بكلمه غيوم الانقباض في مجلسه ، ويجلو افقا قد يكون الاضطراب فيه من كلامه . وهو خفيف الروح حلو النكتة ، لطيف التهكم » (٣) . انه يقدم المادة الخام ليعرف بشخصه وبنفسه ، ولا يكاد ينسى شيئا يعين على ذلك . وفي تعريفه بالملك حسين وبالملك فيصل امثلة دقيقة ايضا على هذا المنحى في التصوير . وانه ليروق المرء ان يرى شخصا له هذه القدرة الخارقة على سبر اغوار النفوس ، وعرض كشوفه في براعة وذكاء ، وفي اسلوب حي نابض ، وفي يسر وسهولة .

والشيخ قاسم بن ثاني

وقارىء الريحاني يحس دائما انه امام رجل حلب الدهر اشطره ، فقد حنكته الايام ، وهو خبير بها وبالنفوس . واطوع ما يطيعه عقله وقلمه، فهما في خدمته ، ومن ورائهما قلب مفعم بالحب والاخلاص ، متجه بكليته الى وجهة عقل صاحبه ، فيأتي ما يكتبه وكأنه قطعة من ذينك الاثنين عقله وقلبه ، فيه الاقناع والسلاسة ، مما يأخذ بعقل قارئه وقلبه ويسيطر عليهما . يقول في الشيخ قاسم بن ثاني امير قطر « عاش مائة وخمس عشرة سنة قضى معظمها في اكثار النسل الانساني ، فقد تزوج على ما قيل بتسعين امرأة وبعدد من الجواري عديد .. وكان اذا ركب يركب ستون فارسا في موكبه من ذريته .. والحرب لم تكن من الاوليات في حياة الشيخ جاسم . »

وفي السير أرنلد ولسن

ولا يقتصر الريحاني على فهم النفسية العربية فقط ، وانما هو قادر على تعمق النفس الاجنبية وعلى الربط بين عمل صاحبها وسياسة بلاده الدولية بطريقة يتجلى فيها الذكاء والعمق الفكري وبعد النظر لدى اديب فنان صقلته التجارب الناجحة ، فراح يصقل احكامه الجامعة في دقة ودراية .

يقول في السير ارنولد ولسن الحاكم البريطاني بالوكالة في العراق « هو كهل في العقد الرابع من العمر ، ومن الانكليز الذين كانوا يحملون السوط في القرن الماضي ، ويحكمون بموجب ضميرهم لخير انكلترا اولا ثم لخير الناس . وكانوا في تفوقهم محسنين ، وفي ظلمهم عادلين . قوتهم في يقينهم ، ويقينهم في اخلاقهم ، واخلاقهم متأصلة في فضائل شعب مجيدة ، اظهرها الشرف والعدل والصدق والثبات . بيد ان هذه الفضائل امست اليوم من التقاليد المحترمة وقد بعيد الزمان الى التقاليد الحياة والعمل . قام السير ارنولد ولسن يمثل في العراق امة افقدتها الحرب كما افقدت امم اوروبا جمعاء كثيرا من قواها المعنوية الروحية ، فصارت تفادى بعدلها في سبيل شرفها او تتنزل عن شرفها فتحفظ مقامها ، او تتساهل بالصدق لتظل ثابتة القدم مسموعة الكلمة ، او تتقلب وتتلون دفاعا عن نفسها وكيانها . رجل من حديد يمثل امة من فولاذ اعتراه الصدأ . قام في العراق يحكم باسم الله وبريطانيا العظمى ، فوجد شعبا ظنه كشعوب الهند في القرن الماضي يقبل دائما التأديب ، ويشكر دائما المؤدب . (٤)

وصف الريحاني للشخصيات الشعبية

واذا كنت قد اطلت في هذا الجانب الوصفي

---

(٣) ملوك العرب ج ٢ : ٤٩ — ٥٠

(٤) ملوك العرب ج ٢ : ٣٣٦ — ٣٣٧ . انظر مايقوله في السربرسي كوكس صفحة ٣٤٢ — ٣٤٣ .

عند الامين ، فما هو على اية حال الا غيض من فيض ، نكتفي بما مثلنا له ، لننتقل الى طريقته الاخرى التى سلكها في رسم الشخوص ، وقلنا انه يعمد فيها الى جانب الظرافة والرسم الكاريكاتيرى الساخر .

((مسفر)) مدير الحملة

ومن امثلة ذلك ما يتفكه به عن احد البدو المرافقين له في رحلة نجد ، وهو ((مسفر)) مدير الحملة (٥) ، ورئيس الخدم ، العين الكالئة للزاد .. النفاخ الطباخ ، راعي الفاس والفراخ ، حامل الخناجر والسياخ ، ((وهو في شكله نكتة مضحكة جدا قد لا تليق في مجالس المتمدنين ، وجه مسفر هو ما يصفون في نجد بالعفن ، وهو يظل عفنا حتى لو غسله بالحامض الفينيك ثم بماء الورد صباح مساء . فهل يصلح الماء والكيمياء انفا نسطح على خديه ، وفما تطاول الى اذنيه ، وجبينا داس بشعره حاجبيه ، وعينا جاءت من القرد اليه . اما في لبسه فهو آية في البلاغة والابداع .. لم يكن عربيا في غير الفطرة والعقال . اضف الى ذلك حذاء مرقعا تخفى رجله فيه ، وسروالا كان ابيض ، لا تظنه غسل في عهده او في عهد ابيه .. الا انه عندما يركب على بعيره الاسود فوق احماله ، يبدو كقيس من الاكياس . هاك الرجل في ظاهره ، اما في باطنه فسبحان رب الكائنات ، النافخ من روحه حتى في عجائب مخلوقاته . ان في ذاك الوجه العفن مبسما ينسيك الفم منه والانف والجبين ، بل ينسيك الرباح ، وضلوع الاسياح . اى بالله ، ما كان في رجالنا ، وقلما تجد في الرجال ، من هو اخف روحا ، وادمث خلقا .. واسرع يدا من هذا الدميم الكريم . فقل : تبارك رب العالمين الرحمن الرحيم ، فهو اذا مسخ الانسان قردا يهبه من الجمال الروحي والخلقى ما يندر في يوسف الحسن وزين العابدين)) (٦) .

وليس هذا وحسب ، فالريحاني ، لا يقف عند حد وصف مدير الحملة في ظاهره وفي باطنه ، ولكنه يضفى عليه اضواء اخرى من خلال بعض تصرفات الانسان الطبيعية فيه ، فمرآته هي اهم الاشياء التى يحرص عليها من كل ما يحمل ، وهو دائم التسلى بها وهو راكب ، فيتامل طويلا ذاك الوجه الذى وصفه دون ان يضع واحدة من سكاكينه او خناجره في قلبه عندما يرى وجهه في المرآة . انه حب الذات ، الذى لولاه لكان الانتحار بسبب التشويه الخلقي وحده أكثر شيوعا من لعب القمار . ولا يفوته منه ايضا تصرفات الانسان البسيط الساذج ، فلمعطفه الذى كان يلبسه جيوب هي دكان بما حوت ، ففيها الابرة والخيط والزر والملح والبهار ومسحوق الليمون الحامض والورق والقلم والمسواك والكحل وعلبة البخور والمرآة .. كل ذلك يذكره الريحاني باسلوبه الساخر الهادىء وهو يصف ((مسفر)) وصفا لو كان يقصده هجاء اين منه هجاء ابن الرومي ؟ واين منه رسم الكاريكاتير ؟ لا غرو ، فالريحاني رسام ، ولا عجب ان لم يهج ، فهو ابن هذا القرن !! ولا ضير ان وصلت لديه السخرية حدا كهذا الحد .

المكارى محبوب

وفي وصفه لهؤلاء البسطاء ، لا يلجأ الريحاني الى الوصف الفكه المباشر دائما ، وانما يصل الى ذلك احيانا اخرى باظهار تصرفاتهم وتفكيرهم بعد ان عرفهم بمعايشتهم وبمعرفة بعض اطراف حيواتهم ، كما في صورة المكارى (محبوب) ، رفيقه في رحلة الارز في جبال لبنان . ومن اطرف ما يقدمه في هذا المجال صورة (الاخ حنا) ، رفيقه في احدى رحلاته في لبنان ، اذ يعرض صورة من حياته وتفكيره ورفقته تثير من التفكه في النفس بقدر ما تثير فيها من الاشفاق والحنان . والاخ حنا شخصية فريدة في بساطتها ، شارك الرحالة جزءا من رحلته ثم تخلى عنه . وقد اولاه الامين عنايته وعرفنا عليه في فصل ممتع شيق ، عرفنا منه انه شاب من القرية (ذو فطنة راجحة ، ومخيلة واسعة) ، كان يكره الفلاحة ، ويزدرى الرعاية وعمل المكارين ، فراح يحلم بالثروة او بالسيادة . ولما لم تتيسر له الهجرة حلت السيادة محل الثروة في احلامه الذهبية ، حلم الشباب الذكي الكسول ، فهرب من بيت والده ودخل الدير راغبا في الرهبنة التى قيدها بالمطامع الدنيوية . ((نعم ، كان الاخ حنا طموحا ، يمد يده

---

(٥) تقسم القافلة الى قسمين : الحملة ، وهي الجمال التي تحمل الحقائب والزاد ، والركائب التي تحمل المسافرين .

(٦) ملوك العرب ج ٢ : ١٣٨ ــ ١٤٠ .

ليتناول القمر ، وكان يرى السلم امامه كأنه سلم يعقوب منصوبا بين الارض والسماء ، فيردد في نفسه ، ويسر في بعض الاحايين الى رفقائه في القرية هذا النغم في حلقات الصعود الى العلاء : الاخ حنا – القس حنا – المدبر حنا – الرئيس حنا . ومن الرهبان من تختارهم النعمة الالهية للاسقفية ، فيقفز الرئيس حنا الى صاحب السيادة الاسقف حنا . وما يدريك ، وما يدريك ، فان في كل اسقف جرثومة بطريركية ، وما يدريك ، فقد تكون هذه الجرثومة كامنة بين اضلع ابن الفريكة (٧) هذا . اذن ، ليست الدرجة العليا في خدمة الرب القدوس بالامر المستحيل . واذن – حنا بنعمة الله بطريرك انطاكية وسائر المشرق ! ! هذا هو الحلم الذهبي الذى كان يحمله حنا الملاح في ظل الزيتونة الهرمة المجاورة للدير القديم »(٨) .

وبعد ثلاثة اشهر من الكد والنصب والجوع – جوع الجسد وجوع الروح – يهرب من الدير لخصومة مع احد الرهبان ، ويحاول العودة الى (جنة) والده الذى يرفضه ويطرده . ولكنه وهو المبرز في الهرب ، لم يستطع ان يهرب من الجوع ، « فرثت لحاله الوالدة ، فاستخدمته في البيت ، وهي ترجو ان تعود النعمة الى قلبه ، فيعود الى الدير » . وتطيب له الاقامة في بيتهم حيث يتوفر له كما يقول المثل العامي (اكل ومرعى وقلة صنعة) ، فكان يملأ ساعات فراغه الوافرة بالتامل والنوم . وفي هذا الجزء القصير من الرحلة يطرفنا الامين ببعض الحديث عن الاخ حنا ، فيقول فيه مثلا ، وهو يتمنى ان يعود الى هذه الارض – ان قدر له ان يعود – متجسدا في سنديانة من السنديانات الثلاث التى ود الامين ان يدفن تحتها ليدفع عنها الاذى ، وليظل ابدا في ، « الاخ حنا الخالد في سنديانة مقبرة مارجرجس . اعجبني هذا التخيل منه . ولكنه في تجسده الحاضر لا يطمئن الى ظل من ظلال الاديرة » (٩) . والاخ حنا ، قليل الكلام ، وخصوصا عند الطعام ، فلا يجمع بين العلمين ، الاكل والحديث ، بيد انه في الاول امهر منه في الثاني ، « كيف لا ، وهو يهجم على السماط هجمات الابطال ، يدير خبزته في صحن الكبة فيزيل نصفه بلحظة عين ، ويتناول الدجاجة بكلتا يديه فيذهب بالفخذين ، ويلتهم محشى الكوسا ، المحشاية (كذا) تلو الثانية كأنها حباب من الزيتون » (١٠) . وفي بيت الحكيم البتفريني ، وبعد اربع ساعات من مادبة بيت شباب الفاخرة يقول فيه انه « فتك بسماط الحكيم حبيب فتكا ذريعا . وبعد ان « حلّى ضرسه » بلقمات عظيمات من التين المطبوخ ، وتلمظ شاكرا حامدا ، رسم شارة الصليب ثمانية على وجهه ، ونهض والعافية ملء جبته » (١١) . وبعد نوم الليلة التالية لهذا الفتك سبق الاخ حنا شمس ذلك الصباح (وشال الندى على ظهره) كما يقولون ، ولم يره رفيقه ولم يسمع عنه الا انه سافر مسرورا الى اميركا .

وقد افادت الامين خبرته الحياتية ومعرفته بشؤون البشر وطرق تفكيرهم وتصرفهم ، وكأنه اصبح لكل فئة حسب مهنتها مزايا خاصة تدل عليها وتعرف بها من خلال اسلوب تعاملها مع الناس . وهو كذلك ذكي في التلميح باللفظة يصحبها بهواء التلويح بالسيف ، يقول في احد الاغنياء المرابين « .. وقد كانت الوالدة تصلي من اجل هذا الغني صلاة خاصة ، وما اظنها تجديه نفعا يوم القيامة ، فقد كان مرابيا يبز سائر المرابين ، بنعومة صوته ، ولطف ابتسامه ، ودقة اسلوبه . وقد كان يسوعيا في ادارة شؤونه »(١٢) .

احمد الصافي النجفي

ودراسات الريحاني الادبية تستحلى كلها ، ففيها من تصوير اصحابها ما يثرى دراساتنا ويخصبها من زروع ريشة الامين . فاين الدراسة الانسانية في ادبنا ، التي تبلور ادب صاحبها في صورة له تعرضها بالكلمة المعبرة والعبارة الفضة ذات الافنان ، والتي يمكن ان تنظر بدراسة الامين للشاعر العراقي (احمد الصافي النجفي) ، حيث يقول فيها « هو طير ولا كالاطيار ، له منقار البومة ، وصدر الورقاء ، وجناح الهدهد ، وذنب الطاووس . وله في الشدو هديل الحمام ، وصفير البلبل ، وعندلة العنادليب . هو طير غريب فريد

---

(٧) هي قرية امين الريحاني ، وتقع على بعد عشرة اميال الى الشمال من بيروت .

(٨) كتاب – قلب لبنان – للريحاني ، صفحة ٦٤ .

(٩) نفس المصدر : ٧٢ .

(١٠) نفس المصدر : ٨٩ .

(١١) ن.م : ١٠٢ – ١٠٣ .

(١٢) قلب لبنان ، صفحة : ١٢٧ .

.. فقد ولد في النجف ، يوم كان الحسن الخلقي والصحة والنعمة تتنزه كلها في الكون الاعلى ، فما رمقته بنظرة ساعة الولادة ، ولا دنت بعد ذلك من ملعبه او من رحله او من كوخه .. انه لطير عجيب غريب يحسن الطيران والغناء ولا يحسن سواهما . وهو كما المحت وليد برج النحوس . فالدمامة امه ، والسقم ابوه ، والبؤس اخوه . بل ان له من الاسقام اخوانا يقيمون في اعضائه وفي اعصابه . اما الروح منه فهي سليمة قوية ، بل هي روح جبارة في هيكل سقيم :

أسير بجسم مشبه جسم ميت
كأني إذا أمشي به حامل نعشي

ولكنه ثار لنفسه من اسرة الاسقام والآلام ، اسرته ، فصب عليها من قوافيه جام السخرية والغضب ، ومن ذا الذي يلومه اذا انهمرت دموعه، بعد رعود الغضب وبروق السخرية ؟ هي الطبيعة ، هي سنة السموات . وهذا الشاعر هو كالطبيعة في صدقه ، وكسنة السماوات في صفوه وغيومه ، وفي بروقه ورعوده وتطاله » (١٣).

جماعة المكارين

وتتنوع الشخصيات البسيطة التي يلتقي بها الامين في رحلاته المتعددة ، وهو يعرضها علينا في لطف ودهاء . يستعين في ذلك بنقل احاديثهم وحوارهم بعضهم مع بعض وحواره هو معهم . وفي هذه الشخصيات جماعة المكارين الذين رافقهم في الطريق من صنين الى زحلة .وهو يصف لنا ازياءهم مثيرا الدهشة والعجب في تنبيه الى ابسط المظاهر فيها واتفهها مما يغني وصفه وكتابته ، فهذا احدهم وهو مدني « في اعجب القيافات من رأسه الى قدمه . حذاء طويل بشرائط غير مشدودة ، فوقه سراويل من الخام المصبوغ،فوقها صدرية زر زر واحد منها ،فوقها (جاكيت) فرنجية فضفاضة مرقعة الكوعين ،وفوق الجميع على الرأس طربوش قد كان في قديم الزمان احمر اللون . هذا المدني معجب بنفسه ، وهو لا يرثي لنفس سواها في الدنيا . « وهناك بدويا بعباءة خشنة مخططة ، وكوفية بلا عقال مشدودة حول عنقه ، وجزمة الى ما تحت الركبة تنزل فيها رجلاه على الرحب والسعة . هذا البدوي ينظر الى المدني نظرة تساؤل وازدراء ، ويحسب نفسه فوق الجميع » (١٤) . ويطرفنا الامين وهو ينقل الينا صورة كلامية من مشاجراتهم في الطريق فيحيطنا بالجو الذي يتحدث عنه اذ يسجله بالفاظهم وشتائمهم ، ففي احاديثهم معه يسأله أحدهم عما اذا كان لا يخاف من قطاع الطرق .

ــ وهل اخاف منهم وانتم الرفقاء ؟

فقال ابو طنوس يشير الى البدوي : هو منهم . حاميها حراميها .

فقال البدوي : يا ملعون الوالدين ! والله لو كنت كلك من ذهب ، لبصقت عليك .

قال هذا وبصق امامه .

فقال ابو الطربوش : البصقة ــ وصاحبها ــ تحت رجلي .

فهم البدوي بضربه ، فحال ابو كبران دون ذلك . وقال ابو العباءة للاثنين : من كان مثلكم لا يرافق الاوادم . اسكتوا . اعقلوا . والا .. سحب السكين من نطاقه ولوح بها (١٥) .

واشخاص شتى

وفي رحلاته في لبنان ينتزع شخصياته من قلب لبنان بالفعل . ولا يترك احدا دون ان يعرضه في كتابه ، حتى الطفل (طنوس) ابن الاثنتي عشرة سنة يوما ، والذي (يتبارى في حركاته اللطف والنشاط) يؤاكله ويحادثه وينقل الينا احاديثه ورغبته في السفر الى امريكا حتى يصير من (الزناكيل) ، فهو يخلد اسمه في هذه الرحلات . ومن يدري هل (زنكل) طنوس ام لا ، او هل لا يزال حيا ويذكر الريحاني .. ربما . وعلى هذه الشاكلة تمتد معارض الريحاني البشرية ، فهناك الجندي الحوشبي ، وجلده الاسود او الاسمر يلمع في نور الشمس كالنحاس المصقول ،وعضلاته الشديدة المفتولة تتحرك كالاجزاء الدقيقة في آلة كهربائية . وهناك الشيخ حمزة ، ضابط الاتصال بين الادريسي والامام يحيى ، وليس عليه من الثياب غير الفوطة يتزر بها ، والعمامة ، يستقبلهم بجثته الصغيرة ، بقلب عار مثل جسمه . ويبلغ الريحاني ذروة التوفيق وهو يعرض صورة العريان

---

(١٣) قلب العراق للريحاني ، صفحة : ٢٦١ ــ ٢٦٢ .

(١٤) قلب لبنان : ١٢٣ ــ ١٢٤ .

(١٥) قلب لبنان ، صفحة : ١٢٥ .

المرتادين القصر في الرياض على العادة ، ينتظرون وقت الغداء وهم يجلسون « خارج القصر وداخله وفي الاروقة على مجالس من الطين ، رجال وصبية، وبأيديهم العصي ينكتون بها الارض او يرفعون رؤوسها الى شفاههم يداعبونها مثل اماجد الانكليز ، وكل واحد منهم رب امره ، ملتف برداء العظمة والسكينة ، كأنه امير خطير ، لا ينظر الى جاره ولا يكترث به . مئات من « الامراء » جالسون صامتون » (١٦) . ففي ذلك فهم للنفسية البدوية واتقان في التصوير ، وتوفيق في المقارنة ليست غريبة على صاحبها .

وعن النساء تحدث

ولم يقتصر وصفه على الرجال ، فقد كان للمراة منه نصيب ، واي نصيب ، ففي رحلة الجزيرة كان يدهشهم مرأى النساء لا سيما وهم منقطعون في الصحراء اثناء ترحلهم اياما طويلة لا يرون فيها احدا . وحديث الريحاني في نساء تهامة كثير وعجيب ، فهو يتحدث عن جمالهن الاسمر وعن ازيائهن وقوامهن و (براتيطهن) .

« .. الجمال الاسمر نشدناه في كل مكان فما لقيناه حتى وصلنا الى تهامة . والرعابيب ، هاهن ذا (كذا) في عبال » . وينقلنا الى سوق باجل في عسير لنرى مشهدا نسويا عجيبا لم يسر مثله في البلاد العربية ما خلا العراق ، فالنساء يملان الساحة ، « وكلهن سافرات ، يلبسن الشبقات (البرانيط) ، واكثرهن حسان الوجوه والقدود . اما البنات فما رايت فيهن غير الممشوقة الهيفاء ، وهي لولا لونها اشبه بالانكليزية قواما ونحولا ، وخفة ومشيا . لكن لبسها قد ينسب لولا السذاجة والفقر الى التهتك .. ولها لسان لا اثر فيه لما في قدها ومشيها من حسن وبراعة . سمعناها تشتم الصبيان فاستعذنا بالله ، واسفنا لبذاءة تشينها » (١٧) .

وكما يشركنا في اسفه على امراة باجل ، فانه ، وعند اعماق عزلة البدو ، يشركنا في تأسيه على نساء ــ مقهاية العجز ــ ، وقد قرا على ملامحهن خبر جمال حاول الجهل والوباء كتمانه ، ولكن اطيافه ظلت متحيرة تطل على استحياء ، من وراء الشكل ومن خلف العيون . يقول « استقبلتنا فيها امراة ذات وجه بشوش فتك الجدري بمحاسنه ، فلم يبق على غير الشكل والعيون . سقت « القراش » بقربة ملأتها من البئر بيدها ، وكانت في عملها وحديثها سامرية بلاد الزيود . وقد شاهدنا غيرها من اخواتها لابسات السراويل المعقودة فوق الخلخال ، يشتغلن في الحقول ، واكثرهن يحملن في وجوههن نبأ حسن ذهب فريسة الجهل والوباء . وكان الناس هناك الفوا هذا التشويه فلا ينفرون منه ولا يحزنون » (١٨) .

اما من لبنان فانه يعرض علينا نماذج من كرم المراة اللبنانية في الجبل . ويرى فيها شيئا من شدة الجبل وعظمته ، «فام الياس» التي اضافته في صنين ومددته قبل العشاء على فراش السؤالات واستخرجت من جيوب نفسه بعض مكنوناتها بفرح بها اذ تشعره ان لديها « ذهنية يقظة مضطربة وثابة ، ذات اعصاب دقيقة متينة ، وان وراء تلك الذهنية روحا تصبو الى الاتصال بغيرها من الارواح ، فيطيب لها الاخذ والاعطاء ، وعرض ممكنات السعادة والشقاء في هذه الحياة . هي ذهنية ادبية مفكرة في جسم جبلية فلاحة . هي روحية امرة كريمة في شخصية بسيطة وادعة . فلا عجب اذا انستُ بها ، وعدوت معها الى سوق الفكر والروح ، فرحا مطمئنا ، كأني اعرفها منذ ايام الصبا ، فاخذت واعطيت ، واسفرت واستفسرت ، وكان كلانا في الحالين من الفرحين الرابحين » (١٩) .

وهو في وصفه الرجال او النساء لم ينس الاشارة الى الملابس التي يلبسونها لاسيما وهم يختلفون في ذلك فيشكلون معرضا متنوع الاشكال والالوان والازياء ، فيذكر من قيافات البغداديين والمغاربة واليمنيين واللبنانيين وملابسهم الكثير المتنوع . مما يلبس على الراس الى ما يلبس في الاقدام ، وهو في ذلك ينقل مظهرا من مظاهر صورة وحياة اصحابها الاجتماعية فيه الكثير من الغرابة والعجب في اسلوب لا يخبو نشاطه ولا يدعو الى الملل .

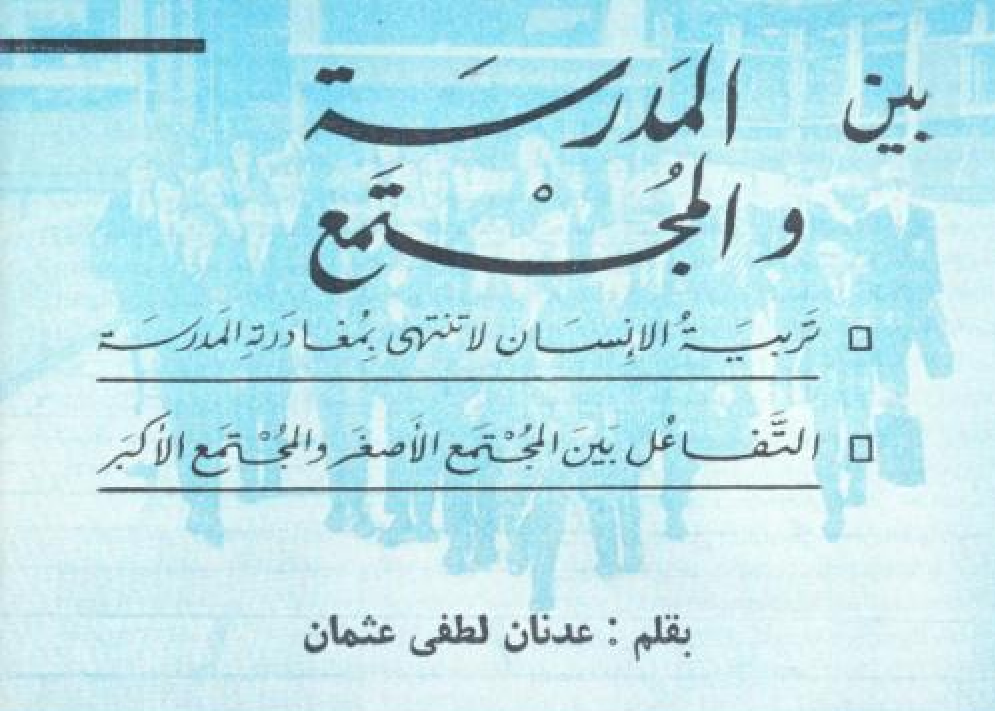
حسني محمود حسين

(١٦) ملوك العرب ج ٢ : ٩٥ .

(١٧) ملوك العرب ج ١ : ٢٦٥ .

(١٨) نفس المصدر : ٢٤١ ــ ٢٤٢ . القراش : الدواب .

(١٩) قلب لبنان : ١١٧ ــ ١١٨ .



بين المدرسة والمجتمع

□ تربية الإنسان لاتنتهي بمغادرة المدرسة

□ التفاعل بين المجتمع الأصغر والمجتمع الأكبر

بقلم : عدنان لطفى عثمان

● ان دور المدرسة في تطوير المجتمع المحلي والعلاقة بين المدرسة والمجتمع من المبادىء التربوية التي اصبحت معروفة وشائعة ومقررة طالما عالجها المربون التربويون معالجة وافية . على ان المسألة ليست مسألة تقرير المبادىء وانما هي اولا وقبل كل شيء مسألة وضع الاطر التنظيمية التي تحول هذه المبادىء الى واقع وسلوك . وهذه الحقيقة العامة التي تنطبق مع كل مبدا تنطبق ايضا بوجه خاص على هذا المبدا الذى يقرر الصلة بين المدرسة والمجتمع . وعلى هذا فليس يكفي ان نبين ان المدرسة ينبغي ان تكون صورة عن المجتمع او ان تكون المجتمع نفسه على حد تعبير (جون ديوى) ولا يكفى ان نقول ان للمدرسة دورا في المجتمع وان نؤكد ان بيئة المدرسة تربي الطلاب على الاساليب التربوية الصحيحة والعلاقات الاجتماعية السليمة ولا يكفي ان نقول هذا كله ، بل لا بد لنا ان نرى كيف تصل المدرسة الى تنفيذه عن طريق تنظيم نشاطاتها ومناهجها وطرائقها وهذا كله يتطلب من الادارة المدرسية دورا تنظيميا فعالا لتحقيق هذه الغاية .

العلاقة بين المدرسة والمجتمع المحلي

ان المدرسة ليست وحدة منعزلة تعمل لوحدها بل هي مؤسسة اجتماعية . تؤثر في المجتمع كما يؤثر فيها . انها في تكامل دائم مع المجتمع . وقد بينا سابقا ان مهمة المدرسة لا تقتصر على الناحية التعليمية وحسب وانما لها وظائف اخرى من شانها ان توثق العلاقة بين المدرسة من جهة والبيت والمجتمع من جهة اخرى . وارى ان تكون العلاقة بين المدرسة والمجتمع متدرجة حتى لا يشعر الطالب بصعوبة في تكييف نفسه مع المجتمع الذى يعيش فيه مما يؤدى الى خلق مشكلات نفسية وسلوكية في الطالب .

وببدو ان على الادارة المدرسية ، اتباع وسائل، من شانها ان تساعد على تنظيم العلاقة بين المدرسة والمجتمع ، كما تؤدى الى نتائج تربوية مثمرة وفعالة ، ومن هذه الوسائل :

١ ـ اقامة علاقات بين الطلاب في المدرسة على اساس ديمقراطي ، وان نعودهم على الحياة الديمقراطية التي هي جوهر المجتمع الحديث منذ بدء سني حياتهم المدرسية . وهذا المطلب يحتوى على امور كثيرة منها تدريب الطلاب على الحكم الذاتي والتنظيم الذاتي . بمعنى ان يتمرسوا على تحمل المسؤولية وان يحكموا انفسهم بانفسهم . وهذه القيادة الذاتية تؤدى الى نتائج هامة ،

واهمها تعويد الطلبة على مقومات الحكم الديمقراطي الصحيح وتمرسهم باساليب المؤسسات الديمقراطية ضمن جمعيات مدرسية تكيف حسب المراحل التعليمية المختلفة . كل هذا يتطلب ان نجعل من المدرسة مؤسسة ديمقراطية صغيرة فيها برلمان مدرسي ينتخب من الطلبة بحيث يمثلهم تمثيلا حقيقيا لكي يستطيع ان يحقق مطالبهم التعليمية والاجتماعية ، وبنفس الوقت ينبثق من البرلمان المدرسي لجان تمثل جميع انواع النشاط المدرسي من ثقافية واجتماعية وعلمية ورياضية وغيرها . ولا ننسى في هذا المجال ان نذكر ان الادارة التربوية المدرسية يجب ان يكون لها الدور الفعال في توجيه الطلبة نحو الديمقراطية الصحيحة عن طريق اعطاء المحاضرات والندوات وكذلك عن طريق ايجاد علاقات انسانية بين الادارة والطلاب والمعلمين .

نظام الأسر المدرسية

٢ ـ ومن صور المناخ الاجتماعي الذي تخلقه المدرسة ـ مدرسة المجتمع ـ ايضا ـ التعاونيات المدرسية ونظام الأسر المدرسية .

ان التعاونيات المدرسية لها اغراض عديدة ايضا منها ممارسة الحكم الذاتي الذي اشرنا اليه سابقا كما انها تتيح الفرص للتلاميذ لتنمية روح الاحترام والمبادأة في العمل والرغبة في بذل المجهود الشخصي وتنمية الشعور بالمسؤولية. وعن طريق التعاونيات يتم للطفل اكتساب الصفات الاجتماعية والاخلاقية التي تسعى التربية الحديثة الى تزويد المواطن بها ، كما يتعلم الطفل بواسطتها عن طريق الخبرة بتقسيم العمل حسب الكفاءة والاستعداد . كما تساعد على اعداد قادة قادرين على التنظيم والعمل مع الجماعة .

تعويد الطلاب على توحيد مصالحهم

اما نظام الاسر المدرسية فيتضمن تقسيم الطلاب في المدرسة الى اسر يعيش افراد كل منها بينهم حياة الاسرة وغايته تعويد الطلاب منذ طفولتهم على التواد والتحاب مما يدفعهم دوما الى توحيد منافعهم ومصالحهم والى التآزر المتبادل في المدرسة وبعد تخرجهم من المدرسة . ومن امثلة هذا النظام الاسري ما حققه المربي الالماني غيهب Geheb في مدرسة اودنفالد Odenwald في اوبرهامباخ Oberham Bach وذلك بان اوجد بمساعدة زوجته زمرا صغيرة من الطلاب تحيا حياة عائلية تعمل في النواحي الفكرية والثقافية في الصباح ، وتعمل اعمالا يدوية في المساء . وبهذا فانه كان ينمي في الطلبة الاحساس الاجتماعي والتعاون والشعور بالمسؤولية .

٣ ـ المناهج الدراسية :

لا تزال المناهج الدراسية في اكثر البلدان النامية بعيدة كل البعد عن الاتصال بحقائق الحياة بالرغم من التغيرات التي حصلت في المجتمع من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والعلمية. لهذا يجب وضع مناهج جديدة مأخوذة من البيئة لكي تلبي حاجات المجتمع الذي يعيش فيه الطفل . فالطفل يدرس في المدرسة القديمة مواد لا تتصل بحياته ولا ترتبط بالبيئة المحلية للطفل .

وفي الآونة الاخيرة اصبح الطفل مركزا للطرق وللمناهج الدراسية وانتقل مركز الاهمية من العملية التعليمية الى العملية التعلمية اي من المعلم الى التلميذ بمعنى ان المناهج بدأت تتجه الى التلميذ، فاصبحت ثورة على المواد ، وهي ثورة المواد ـ اللامواد ، التلقين ـ الانبثاق والتفتح ، المعلم ـ التلميذ . ومن ذلك ظهرت فكرة النشاط الذاتي ، اي نشاط التلميذ ، وعن طريق النشاط الذاتي ندرس كل المواد وبدأ النشاط الذاتي بعدة طرق منها :

أ ـ مبدأ تعليم الحياة بالحياة .
ب ـ طريقة المشروع .
جـ ـ طريقة الوحدات .

مبدأ تعليم الحياة بالحياة

ذكرنا ان رواد المدرسة الحديثة يأخذون على المدرسة التقليدية انها تجعل من الطفل مجرد مستمع لدروس المعلم . انما التجارب اثبتت ان طريقة التعليم الطبيعية هي بالممارسة والتجربة . وهي ان يعتمد الطالب على نفسه وان يعيش في المدرسة كما كان يعيش قبل دخوله المدرسة وبعدها . وبذلك تكون المدرسة صورة مصغرة عن الحياة.وهي تعطي الفرصة للنمو حسب ما تسمح به طبيعة التلميذ وميوله واستعداداته . وتوفر للطفل في المدرسة مظاهر الحياة النامية للانسان والحيوان والنبات ويشاهد الطبيعة المحيطة والمتصلة به . وهذه تكسبه تجارب وخبرات نافعة. ومما يساعد على هذا ان تكون المدرسة في بيئة طبيعية مزودة بما يحتاج اليه الطفل اثناء تعلمه .

وبذلك يتعرف على البيئة وعلاقتها بالانسان ويتعرف على كل ذلك عن طريق المشاهدة والاختبار .

طريقة المشروع

ونجد كذلك ان مبدا تعلم الحياة بالحياة يظهر بوضوح في طريقة المشروع . وذلك لان الطلاب يتعلمون الحياة بالحياة اثناء قيامهم بمشروع ما . يتعلمون كيف يتعاملون مع المجتمع ولا يعتمدون في دراستهم على الكتب فقط بل يدرسون ما يلزمهم من المعلومات وما يتصل بحياتهم وما يعترضهم من مشاكل . ومن امثلة المشروع (حديقة حيوانات ، سبب ظهور التيفوئيد ، صناعة السكر) .

طريقة الوحدات

الوحدة تعنى تنظيما خاصا لمجموعة من الخبرات التعليمية تترابط حول موضوع واحد يكون متناسبا مع نمو الطفل ومتفقا مع ميوله وحاجاته . ويؤدى الى تعديل في سلوك المتعلم وشخصيته وتحقيق الاهداف الاجتماعية . وتشجع فيه روح المبادأة بالرأى واحترام العمل . وفي اعداد منهج الوحدات لا بد من دراسة حاجات الطفل النفسية والجسمية والعقلية والاجتماعية وميوله واتجاهاته وكذلك دراسة حاجات المجتمع من حيث ثقافة المجتمع وحاجاته . واهدافه ودراسة التطورات، والتغيرات الحاصلة فيه . وبذلك فان طريقة الوحدات تتلافى عيوب المواد الدراسية المنفصلة ، كما ان هذه الطريقة لا تقدم المواد الدراسية على انها غاية في ذاتها ولكنها وسيلة لاكتساب الطفل المعلومات وتنمية المهارات وتكوين العادات وتطورها وغرس الاتجاهات المرغوب فيها والمحافظة عليها ، كما انها تهيىء الفرصة للتربية الذاتية وبذلك تحقق تعليم الحياة بالحياة .

٤ ـ مجالس الآباء والمعلمين :

ان المدرسة الحديثة ادركت ان الانفصال بين المدرسة والمجتمع اوجد جوا معدوم الثقة والتعاون بين المعلمين وبقية الشعب لذلك فان وجود مجالس الآباء والمعلمين يساعد المعلم في مهمته ويهديه حول طباع الاطفال ويخبره عن نتائج تعليمه ويعنى مباشرة بجميع مظاهر الحياة المدرسية ويؤيده في مبادراته ومحاولاته الجديدة ويعمل على خلق جو موحد بين المدرسة والمجتمع .

٥ ـ المجالس الاستشارية :

بامكان المدرسة ان توثق صلتها بالمجتمع في صورة اوسع بتكوين مجالس استشارية لمنطقة تعليمية معينة مؤلفة من بعض افراد المجتمع المتخصصين والمهتمين بالتربية والتعليم ومهمة هذا المجلس ان يوجه المدرسة بآرائه وينقل للهيئة التعليمية آراء وافكار المجتمع كما يستطيع رسم سياسة المدرسة بالتعاون مع الهيئة الادارية والتعليمية في المنطقة .

٦ ـ الزيارة بين الهيئة التعليمية واولياء الامور :

ان هذه الزيارات لها اهمية في استكمال تربية الطلاب وفي توطيد الثقة بين المدرسة والمجتمع على اعتبار ان الطلاب يأتون من البيت ويحملون معهم الكثير من معايير السلوك والخبرات . فلا بد للمدرسين ان يعرفوها في الميدان لمعالجتها وتقويمها بما يتفق والنظرة الحديثة للتربية وذلك بالتعاون مع البيئة الاولى .

٧ ـ الرحلات وزيارة المؤسسات المختلفة :

ان قيام الطلاب بالرحلات المدرسية وزيارة المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية تحت اشراف المعلمين لها اثر كبير في توثيق الصلة بين المدرسة والمجتمع وخاصة ان كانت هذه الرحلات مخططا لها وهادفة ومنظمة ، اذ انها تزود الطالب بثقافة جيدة وتروضه على البحث والسؤال وتفتح عينه على اقامة جيدة .

٨ ـ اقامة المعارض والمتاحف المدرسية :

ان هذه المعارض والمتاحف تعكس مجهودات ومستوى مهارات الطلبة وعند زيارة الاهالي للمعارض المقامة في المدارس يشاهدون منجزات اولادهم . عندها تتولد الثقة عند ولى امر الطالب بالمدرسة وتؤدى بالتالي الى توطيد الصلة بينهما .

٩ ـ اقامة الحفلات القومية والدينية :

ان اقامة الحفلات بمختلف انواعها واجتماع الاهالي في المدرسة تعتبر فرصة طيبة لتآلف القلوب وتبدو المدرسة والمجتمع كوحدة واحدة يعمل الجميع في سبيل رفع مستواها الثقافي والعلمى .

١٠ ـ اقامة المحاضرات والندوات :

ومن الوسائل الهامة لتقوية الرابطة بين المدرسة والمجتمع الصلة الفكرية بمعنى تعهد المدرسة

بتوفير المناسبات لاقامة الندوات الفكرية والقاء المحاضرات الادبية والعلمية بغية رفع مستوى الشعب ثقافيا وعلميا واطلاعهم على الاتجاهات الحديثة في التربية والتعليم .

١١ – مجالس اتحاد الطلبة :

وبوسع المدرسة ، توثيقا منها لصلاتها بالمجتمع، ان تقوم بأعمال تعاونية من شانها ان تعود عليها وعلى المجتمع بالفائدة وبنفس الوقت تنمي في الطلاب الروح الاجتماعية . لذلك على المدرسة ان تعنى بايجاد مجالس اتحادات الطلبة ويمكن لهذه المجالس ان تساهم مساهمة ايجابية في خدمة البيئة الداخلية والخارجية للمدرسة . ومن المشروعات التي يمكن ان يقوم بها اتحادات الطلبة مساعدة الطلبة المحتاجين وتقديم هدايا لبعض الاسر المحتاجة ومساعدة المرضى من الطلاب ، ومساعدة الفلاحين في اوقات الحصاد ، والاشتراك في عمل المسح لهيئات المجتمع ، وارشاد الاسر في بعض الامور المختلفة المتعلقة بالصحة العامة ، والمساهمة في تعليم الكبار ومكافحة الامية في العطل المدرسية .

١٢ – تعليم الكبار :

ان القصد من تعليم الكبار هو تقديم تدريب للعامل على مهنته والارتفاع بمستواه الفني الى المستوى المطلوب في سوق العمل، لهذه الغاية يمكن ان تنشا مراكز ملحقة بالجامعات او المعاهد او المدارس وتشرف عليها هيئة تعليمية متخصصة ومن هنا تتوطد العلاقة بين المدرسة والمجتمع .

١٣ – العمل الشعبي :

واخيرا من الوسائل التي تساعد في تنظيم العلاقة بين المدرسة والمجتمع مساهمة المدرسة في المنشآت والمصالح العامة والتي تعود على المجتمع المحلي بالفائدة ، وذلك عن طريق اشتراك الطلاب مع الاهالي في فتح طريق في القرية او التطوع في اعمال زراعية جماعية مثل الحصاد او زراعة الاشجار الحرجية وغيرها او في تنظيف المرافق العامة وخاصة في القرى . فان دور الادارة المدرسية في هذه الحالة هو دراسة حاجات المجتمع المحلي ووضع تخطيط مسبق . وتقسيم الاعمال بين الطلاب بحسب مقدرتهم الجسمية والعقلية .

١٤ – المدرسة مركز نشاط للاهلين وللبيئة :

على المدرسة ان تفتح ابوابها للجميع ، لذا عليها ان تضع كافة الامكانات تحت تصرف الاهلين من ملاعب ومكتبة وقاعات للاجتماعات فيجتمع الاهالي في المدرسة لعقد اجتماعات لغايات مختلفة منها مناقشة مشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . وبذلك فان المدرسة تعتبر مدرسة الشعب ، فهي انشئت من اجل ان يستخدمها الجميع من كبار وصغار وذلك بحسب حاجاتهم ، كما يعتبرونها مركزا لممارسة نشاطاتهم الرياضية.

افق المستقبل

ربما تتمخض علاقات جديدة بين المدرسة والمجتمع على اساس هذه النظرة الجديدة . وهي ان تربية الانسان لا تنتهي عند حدود مغادرته المدرسة بل تستمر طول الحياة . معنى ذلك ان على مدرسة المستقبل ان تتعهد الانسان طوال حياته وان تتابع تثقيفه وتجدد معلوماته وتعمل على تدريبه طول العمر . فاشكال التربية التي تقدم للمرء عن طريق المدرسة النظامية ليست كل ما في التربية، بل لا تمثل اهم اسسها ومبادئها بل تعتبر جزءا يسيرا من عملية اعداد منظمة ينبغي ان ينظر اليها على انها تمتد طوال مراحل عمر الانسان . وهذه التربية المستمرة الدائمة تتم بعد مغادرة المدرسة عن طريق مؤسسات العمل والانتاج المختلفة وعن طريق اعادة التاهيل وعن طريق التدريب اثناء الخدمةوعن طريق الافلام والاذاعة والنشرات العلمية والادبية والمكتبات وغيرها من وسائل التعليم المستمرة طوال مراحل العمل بل طوال مراحل العمر.وهنا يتوجب على الادارة التربوية المدرسية ان تشرف على الاجهزة المعنية في هذه العملية التربوية من ناحية المشاركة في وضع الخطة وتنسيقها وتنفيذها .

من ذلك كله يتبين لنا لكي يتحقق ما ذكر اعلاه فلا بد لوازرات التربية في البلدان النامية من ان تمنح صلاحيات واسعة لمديري ومديرات المدارس وان تخصص لهم الاموال الكافية للقيام بهذه النشاطات التي اصبحت جزءا لا يتجزأ من المنهاج المقرر مع الاخذ بعين الاعتبار ان يكون مدراء المدارس في مستوى المسؤولية بكل ما في الكلمة من معنى من ناحية الاطلاع على أصول الادارة الحديثة اطلاعا واسعا وان يكونوا مؤهلين علميا ويتصفون بصفات خلقية جيدة . ■■

عدنان لطفي عثمان
وزارة التربية والتعليم – الاردن

مع... الله في الأرض

وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه
وقدرة الله تتراءى في بديع صنعه

الحيوانات اللاسعة

بقلم الدكتور أحمد زكى

■ او هي شعبة اللواسع Cnidaria .
وسميت اللواسع لأنها تلسع فرائسها فى البحر ، فتميتها ، ثم تلتهمها . ومنها صنف ، يبلغ منه الكبر حداً يستطيع معه ان يلسع الانسان فيؤذيه اذى كبيرا قد يؤدى به الى الموت .

وهذه الشعبة تحتوى على صنوف كثيرة ، تختلف اشكالها ، بعض عن بعض ، حتى ليظن انها لا تجمعها شعبة واحدة . حتى اذا نزعت عنها زوائدها وتكشفت لك اصول بنائها وجدت وحدة البناء بيّنة واضحة .

وقد يحسن قبل الدخول فى معالجة ذلك ان نذكر بعض هذه الاصناف ، ونصف منها ما نستطيع ، فى ايجاز ، ليألف القارىء منها ما نتحدث عنه . والا كنا كمن يتحدث عن «عنقاء مغرب» ، يضرب بها ادباء العرب الأمثال وما رآها منهم احد .

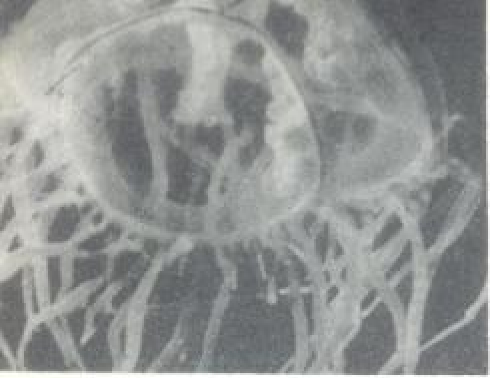
ونحن ، معشر العرب ، اذا تحدثنا عن البحار ، ولا سيما عن احيائها ، فقد تحدثنا عما لا نتحدث عنه فى بيت ، ولا فى مجتمع ، فالبحار ، ولوانها احاطت بالجزيرة العربية ، وبكل سواحل الدول العربية الافريقية وسكانها ينطقون بالضاد ، فقد

أول حيوانات بها جهاز هضم، له فم، ولا أست له.
وتخرج الفضلات من حيث يدخل الطعام.

نشأت هذه البلاد وعنايتها بالأرض اكثر كثيرا من عنايتها بالبحر . وقد قيل ان من أسباب ذلك خوف زرعته الخرافة من البحر في قلوب بني يعرب وقحطان .

قنديل البحر

ومن صنوف هذه الحيوانات البحرية



قنديل البحر ، كما تراه عائما في الماء ، وفمه والزوائد التى حول فمه كلها متجهة الى اسفل

قنديل البحر ، ويشتهر عند الانجليز بالسمك الهلامي Jelly Fish وتوجد له صورتان تصحبان هذا الكلام :

صورة لقنديل البحر ، وهو عائم فى مائه، وترى جسمه محدّبا. كما يتحدب الجرس العظيم، وفمه فى أسفل الجرس، ويتدلى من حافة الجرس زوائد الى أسفل تدور حول الفم ، كأنها الاذرع ، هي مِجَسّات حساسة Tentacles ، زوائد متطاولة تساعد الحيوان على اصطياد فريسته ، ثم زجها ، بعد لسعها واعجازها ، فى فمه .

وهذه القناديل متحركة في ماء البحر طافية سابحة ، ولكنها بطيئة الحركة . وهي تتحرك بأن تقلص من جسمها (جرسها) وتمدّده على التوالي .

وصورة ثانية : لقنديل البحر انت واجدها عندما تذهب الى ساحل البحر،



قنديل البحر (او السمك الهلامي Jelly Fish) وهو يعوم في ماء البحر . ونرى فمه وزوائده الحساسة متجهة الى اسفل .



قنديل البحر ، او السمك الهلامي Jell/ Fish كما يلقاه المرء في الرمل على ساحل البحر عندما يجزر الماء ، وقد فقد الحياة .

* * *

شقيق من شقائق البحر ، له شكل الزهر ، وهو حيوان من آكلى اللحوم . وزوائده هذه الكثيرة الحساسة ماهي الا اداة صيده



وقد جزر ، وانكشف رمله . هناك على هذا الرمل تجد كثيرا مما خلّف ماء البحر من احياء . ومنها وبينها تجد شيئا منبسطا كالفالوذج ، مستديرا ، هو قنديل البحر هذا ، وقد ظهر للعين سطح جرسه الأعلى . وتجد فى الصورة المرفقة صورة له ، وهو على هذه الحالة .

وقنديل البحر من آكلات اللحوم .

شقائق البحر

وشقائق البحر، وسموها كذلك لشبه بينها وبين شقائق النعمان ، وهي بالانجليزية Sea Anemones . ولفظ Anemone معناه شقائق النعمان ، وهي زهرات زاهية الالوان .

وانظرْ لشقيقة البحر التي تصحب هذا الكلام تجد انها خادعة اكبر الخداع، لا سيما اذا علمت ان هذه ملونة فى البحر باللون الاخضر . انها البراءة بعينها . ولكن يخرج من هذه البراءة سهام تصيب اسماك البحر فتفقدها وعيها. انها سهام سامة تخرج من زوائدها المتطاولة ، تلك المجسّات الحساسة التي تساعد الحيوان على صيد فريسته . هذه الزوائد التي تخرج من حول الفم ، فم شقيق البحر ، ذلك الفم الذى هو فى اعلى جسم هذا الحيوان البحرى ، وهو مستقر فى قاع البحر .

وشقائق النعمان لا تتجمع فى مستعمرة. انها تعيش فى البحر فرادى.

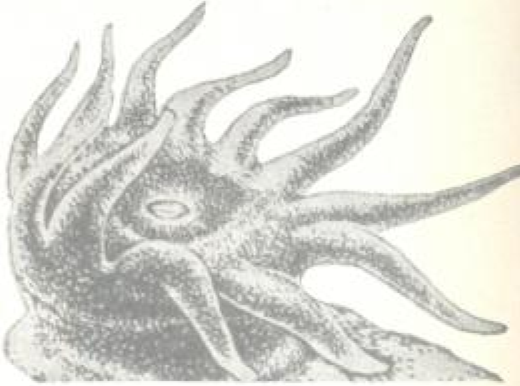
والحيوانات المرجانية

ونذكرها عقب شقائق النعمان لانها تشبهها . وهي تؤلف مستعمرات تمتد فى قاع البحر الى مسافات طويلة. وهذه تفرز أكوابا من كربونات الكلسيوم تنكمش اليها وفيها .

والصخور المرجانية كثيرة الانتشار لا سيما فى المناطق الاستوائية والمعتدلة.



الحيوان المرجانى معصخره
كما يتراءى في المـاء .



شقيقة من شقائق البحر ، وقد استقرت على الصخر ، وظهر بها فمها فى الاوسط ، ومن حوله الزوائد الحساسة وتعرف بالمجسّات ، وهي تحس الطعام ، وتجمعه بعد شل حركته لتدفعه فى الفم . وهو فى داخل جسم الشقيق ينهضم . ويعود يخرج غير المنهضم منه من الفم كذلك .

ولشقائق النعمان والحيوانات المرجانية اقارب فى عالم الحيوان البحرى ، واشباه ، ومن هذه ما يعرف بمروحة البحر ، Sea Fan ، وبريشة البحر Sea Plume ، وكذلك بسوط البحر Sea Whip .

الحيوانات الهدرَيّات

وهي حيوانات تتجمع ، وتخرج من ساق واحدة ، وتؤلف بذلك مستعمرة ذات فروع عدة . وترى رسما لها فى الصورة بالصفحة التالية .

وكثيرا ما تقف الساق على استقامة ، وهى ممسكة بعشب من اعشاب البحر او صخر من صخوره .

ويوجد بكل وحدة من وحدات هذا الحيوان ، فى اعلى جسمه فتحة تعرف بالفم ، ومن حولها زوائد لالتقاط الصيد الذى يعيش عليه الحيوان .

ويوجد فى الماء الحلو صنف من هذا الحيوان خاص به . وهو صغير .



حيوانات فى مستعمرة مرجانية ، ففر أحدها فاه واحتوى قطعة كبيرة من طعام تراه التهمها التهاما . ان هذه الحيوانات تبني ما تستقر عليه من صخور.

حيوانات مختلفة المظهر ولكنها واحدة من حيث خطة بناء اجسامها

بعد استعراض هذه الحيوانات ، حيوانات الشعبة المسماة بالواسع ، نقول انها على اختلاف مظاهرها ، فهي فى حقيقة امرها واحدة من حيث كيانها، وهى فى الاصيل من عادات حياتها، شيء واحد .

ونتحدث الان عن اجسامها، تلك التي

مستعمرة من شعبة الحيوانات اللواسع او الجوفيات ، وهى من أشباه الهدرة Hydraid . وهي في الصورة وحدات تنبتت من ساق واحدة . وهى صنفان ، صنف قائم كالعادة باجراء الحياة وصيد الطعام ، وله من أجل ذلك عند فم الحيوان زوائد حساسة ، وصنف ينتج في بعض الفصول ذرية من قناديل البحر تتبرعم وتنفصل عن الام .



تجنبنا عنها الحديث الى هذه الساعة عمدا .

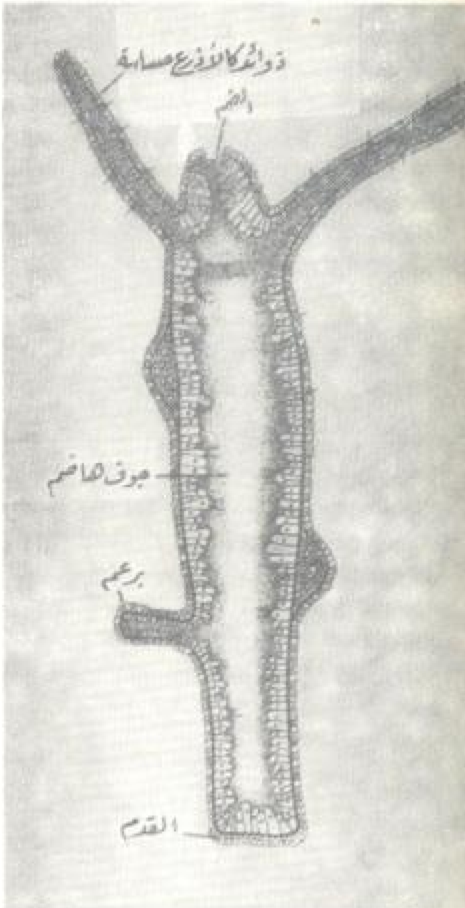
ان أشكال اجسامها، اساسا، انبوبية، فهي فى ذلك مثل الحيوانات الاسفنجية التي سبقتها . وفى أوسط هذا الشكل الانبوبي فجوة . وهذه الفجوة لها فتحة فى اعلاها هي فم الحيوان ، ولا فتحة لها فى الناحية المقابلة ، فهي اذن كالكيس . ومن الفتحة ، او الفم ، يدخل الطعام الذى يصيده الحيوان ، وفى هذا الكيس ينهضم الطعام .

والهضم يحدث فى هذا الكيس ، هذه الفجوة الهاضمة ، وجدارها الداخلي يتالف من خلايا تفرز الخمائر ، اى الانزيمات الهاضمة . واذا تم الهضم ، قامت خلايا فى هذا الجدار الداخلي نفسه بامتصاص الطعام المهضوم .

وبما ان الكيس ، او هذه الفجوة الهاضمة ، متصلة بماء البحر خارج الحيوان البحرى ، لولا الفم الذى ينفلق والهضم قائم ، سمي هذا الهضم بالهضم الخارجي . فهو ينهضم خارج جدران جسم الحيوان الداخلة بما تصبه على الطعام من خمائر ، ثم هي بعد ذلك تمتصه فتدخله فى جسمها وتوزعه انصبة عادلة على اجزائه .

ومن بعد هضم وامتصاص تبقى فضلات تخرج من هذا الحيوان ، لا من است له ، ولكن من فمه ، كما دخلت .

وهذه هي اول مرة ، ونحن صاعدين فى السلم الحيواني ، نأتي على مجموعة من الخلايا، هي الغدد التي تفرز الخمائر الهاضمة ، تعمل معا ، لغرض لا يهمها هي وحدها ، ولكن يهم المجتمع كله



صورة لمقطع رأسي في حيوان الهدرة Hydra . وقد اتخذناه نموذجا نشرح عليه أجسام الحيوانات اللاسعة ووظائفها .

(الجسم كله) ، هذه اول مرة نرى فيها تكوُن الانسجة ، وقد كانت الخلايا فى الاسفنجيات تصيد صيدها وحدها ، وتهضمها فى جوفها وحدها ، وتعمل كل شيء على انفراد ، بصرف النظر عن مساعدات اخرى فى هذا السبيل كانت تأتيها من خلايا اخرى تصنع لخير المجموع ، كتلك التي كانت تجرى ماء البحر ، وفيه الطعام ، داخل الحيوان الاسفنجي وخارجه .

وتسمى حيوانات هذه الشعبة باللاسعات . ولكن من اسمائها ايضا الجوفيات او اللاحشويات اى التي فى جوفها فجوة تعمل عمل المعدة والمِعَى . والاسم الافرنجي المقابل هو Coelenterata ، ومعناها الحيوانات ذات المِعَى الاجوف .

اما اللاسعات Cnidaria ، فاسم جاء مما ذكرنا من ان افواه هذه الحيوانات تحيطها زوائد تطول كانها الاذرع ، شديدة الحساسية ، تحس بالفريسة تقترب ، فتتحرك لتدفع بالفريسة ناحية فم الحيوان البحرى ، ولكن بعد ان تصيبها بشبه نبال بها سموم تعجزها او تقتلها ، ثم تدخل بها الى الجوف الحيوانى منقادة . فهذا هو اللسع ، وهذه هي اللواسع .

وذكرنا ما تألف منه جدار التجويف الهاضم من الداخل . اما من الخارج فيتألف الجدار من خلايا متضامة متراصة واقية ، بينها خلايا حساسة تحس اللمس ، والفعل الكيماوى .

وبين سطحي الجدار هذا الهاضم ، داخله وخارجه ، توجد طبقة كالفالوذج . وفى هذه الطبقة توجد خلايا غير متخصصة تتحول الى خلايا للنبل كالتي سبق ان ذكرنا ، او الى خلايا جنسية .

والحيوان اللاسع يتكاثر اما بانشقاقه طوليا ، وكل نصف منه يَستكمِل . واما بطريقة الحيوان الذكر والبيضة الانثى اى بالتلقيح .

ويوجد كذلك تحت الغطاء الخارجي للجدار عدد كبير من الخلايا العصبية ،

ونجدها متصلة لتصنع لأول مرة في السلم الحيواني شبكة من أعصاب .

فهذا هو وصف عام للحيوانات البحرية التي تجمعها الشعبة المسماة بالحيوانات اللواسع .

خطوات سبقت بها الحيوانات اللاسعة الحيوانات الاسفنجية في السلم الحيواني

ان من تخطيط صانع هذه الحياة ، صانع هذه المخلوقات جميعا ، ان نظّمها خططا يعلو بعضها بعضا ، وهذا مما يشير الى ان المخطّط واحد .

وقد عرفنا كيف سبقت حيوانات الدرجة الثانية ، الحيوانات الاسفنجية ، حيوانات الدرجة الأولى ، الحيوانات الأولية .

والآن نعرف كيف سبقت حيوانات الدرجة الثالثة ، الحيوانات البحرية اللواسع ، حيوانات الدرجة الثانية ، الحيوانات الاسفنجية . وهي سبقتها بالأمور الآتية :

١ ـ الحيوانات اللواسع حققت وجود اول جهاز هاضم حقا ، ولو غير كامل ، عملت خلاياه معا ، نسيجا واحدا ، في وظيفة واحدة . وانفصلت وظيفة افراز الخمائر فيه عن وظيفة امتصاص الطعام المهضوم ، ففي جدار الجهاز اكثر من نسيج اذن .

٢ ـ وهي حققت وجود العضلات لأول مرة ، وهي تستخدمها لفتح فمها ، واغلاقه ، وايضا لتقليص جسمها وتمديده للسير في الماء .

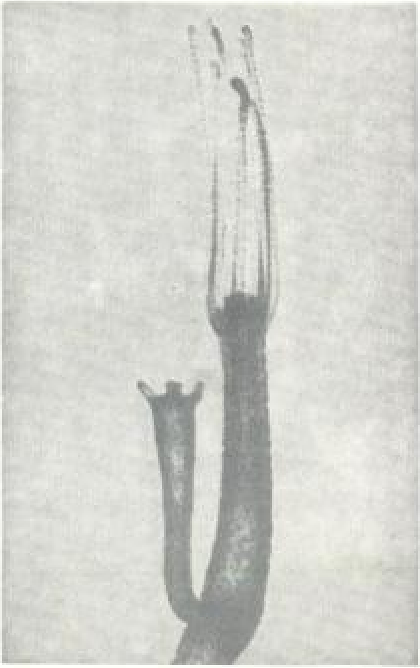
٣ ـ وهي حققت وجود خلايا عصبية ، يتصل بعضها ببعض ، وقد الفت منها شبكات عصبية تقوم بتنسيق الحركات العضلية .

٤ ـ ثم ان الحوافز الخارجية تؤثر في الخلايا الحساسة لهذه اللواسع ومنها تخرج نبضات تحملها الأعصاب الى العضلات فتعمل .

ان الحيوانات اللاسعة هذه تقدمت بعض الشيء عن سوابقها ، ولكنّ فرق ما بينها وبين الانسان ، سيد الحيوانات خلقا ، لا يزال بعيدا ، وتأتي من بعد اللاسعات حيوانات تظل سائرة في السبيل ، ومن سار على الدرب وصل . ●●

احمد زكي

حيوان الهدرة Hydra ، وقد نبت من جسمه برعم لحيوان جديد



لؤلؤة في القلب



■ من خافقي ، من عُمقِ هـذا الكيان
تهتزُّ في سـمعيَ أُغرودتان
من كلِّ ما يحويه وجـه الزمان
وأنتِ لحننا نشوةٍ وافتتان
ايقاعَ حُبٍ غامرٍ يسكبان
تبسّمتْ في الليلِ لي نجمتان
عيناكِ .. هذا السحرُ .. هذا الحنان
لؤلؤةٌ في القلبِ .. بل جنّتان

★ ★ ★

ماذا لو امتدّت يدٌ في البعيدْ
تفسح لي دربَ الحياةِ الوليد
وتنفضُ الأمسَ القديمَ الجديد
وتحملُ الفجرَ القريبَ البعيد
دُنيا اشتياقٍ وبقايا وعود
ونحنُ نُبدي حولها أو نُعيد
ونعبرُ الأيامَ طيراً شرود
يسبحُ في روضِ الأماني المديد
ويسكبُ اللحنَ الشجيَّ الفريد
أغنيةً كالعمرِ .. لا كالخلود !

★ ★ ★

هذي يدي تمتدُّ .. هذا فمي
يشدو ، وهذي نشوتي في دمي
وغايةُ النشوة أن تبسمي
ومنتهى الفرحةِ أن تسلمي
وقمّةُ الآمالِ .. أن أنتمي

القاهرة فاروق شوشة

الاسلام والضمان

بقلم : الدكتور محمد شوقي الفنجري

المستشار بمجلس الدولة

■ يطلق البعض ألفاظ التامين الاجتماعى ، والضمان الاجتماعى ، والتكافل الاجتماعى باعتبارها مترادفة .

والواقع أن بين هذه الاصطلاحات فروقا أساسية: فالتامين الاجتماعى ـ وان تولته الدولة ـ يتطلب مساهمة المستفيد باشتراكات يؤديها ، وتمنح له مزايا التامين الاجتماعى أيا كان نوعها متى توافرت فيه شروط استحقاقها ، بغض النظر عن دخله . بخلاف الأمر في الضمان الاجتماعى فلا يتطلب تحصيل اشتراكات مقدما وتلتزم الدولة بتقديم المساعدة للمحتاجين في الحالات الموجبة لتقديمها ، متى لم يكن لهم دخل أو مورد للرزق. أما التكافل الاجتماعى فهو أوسع معنى من اصطلاحنا فلا يقتصر على مجرد النواحى المادية وكفالة المجتمع لافراده في الطعام واللباس والدواء والسكن، وانما يشمل سائر النواحى الأدبية والروحية من شعور الحب والعطف والتساند والتعاون والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والذود عن مقومات المجتمع .. الخ .

الاسلام هو دين التكافل الاجتماعى

والاسلام هو بحق دين التكافل الاجتماعى ،وهو ما عبرت عنه الآية الكريمة بقوله تعالى (انما المؤمنون اخوة) ، وقوله سبحانه (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) . وقول الرسول صلى الله عليه وسلم (المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا) ، وقوله عليه السلام (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) . وتلخيصه عليه الصلاة والسلام علامة الايمان بقوله (والله لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) .

الضمان الاجتماعى هو أهم صور التكافل فى الاسلام

ولعل ابرز صور التكافل الاجتماعى في الاسلام هو التكافل المادى او المعيشي وهو ما نعبر عنه باصلاح الضمان الاجتماعى باعتبار مسئولية الدولة الاسلامية عن كفالة كل مواطن عاجز محتاج وذلك عن طريق ما تحصله خصيصا لذلك ممثلا في الزكاة .

وقد اعتبر الاسلام اهمال هذا التكافل المادى

الاجتماعي

اصطلاحات التأمين والضمان ... والتكافل الاجتماعي

أو الضمان الاجتماعي بمثابة انكار للدين ذاته فيقول الله تعالى (أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين) ويقول سبحانه (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب) . ويقول الرسول (ليس المؤمن الذى يشبع وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم) ، ويقول (ايما اهل عرصة اصبح فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله) .

مؤسسة الضمان الاجتماعي في الاسلام

لقد انفرد الاسلام ، ومنذ أربعة عشر قرنا ، بانشاء مؤسسة الزكاة ، التى هى بالتعبير الحديث مؤسسة الضمان الاجتماعي . وقرر لها ضريبة مستقلة ـ هى ضريبة الزكاة ـ تحصلها الدولة الاسلامية ، بخلاف الضرائب الاخرى التى كانت تحصلها لمجابهة التزاماتها المختلفة ، كضريبة الخراج وهى ضريبة على الأطيان وضريبة العشور وهى ضريبة جمركية ، اذ الأمر كما ورد في الحديث النبوى (في المال حق سوى الزكاة) .

والزكاة ليست مجرد احسان متروك لاختيار المسلم،وانما هى فريضة الزامية تستوفيها الدولة ولا يجوز استعمال حصيلتها أو توزيعها الا على الفئات المنصوص عليها بالقرآن في قوله تعالى (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) .

وحق الزكاة مقرر شرعا بواقع ٥ر٢٪ من الدخل بحسب ما اذا كان بجهد أو بغير جهد لقول الرسول (ما سقته السماء ففيه العشر وما سقى بقرب ففيه نصف العشر) . الا أنه من المتفق عليه أن ذلك القدر هو الحد الأدنى المفروض في الأموال لاستمرار قيام مؤسسة الزكاة وحيث لا تحتاج الجماعة الى غير حصيلته. اما اذا عجزت مؤسسة الزكاة في حدود النصاب المقرر لها شرعا أن تقوم بالتزاماتها كمؤسسة للضمان الاجتماعي فان للشارع ان يقدر حاجة المؤسسة ويحصل لها من أموال المسلمين بما يتجاوز هذا النصاب وبالقدر الذى يمكنها من اداء رسالتها بكفالة كل عاجز محتاج ، وذلك اعمالا لقوله تعالى (وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) وقوله تعالى (يسالونك ماذا ينفقون قل العفو) والمراد بالعفو في الآية هو كل ما زاد عن الحاجة وقول الرسول (ان الله فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يسع فقراءهم) ، ومن ثم كان الحديث النبوى (من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له) ويقول الرواة ان الرسول ذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا انه لا حق لأحدنا في فضل . ويعبر عن ذلك الامام ابن حزم بقوله (ان الله فرض على الأغنياء من اهل كل بلد ان يقوموا بفقرائهم ويجبرهم السلطان على ذلك ان لم تقم الزكوات بهم) .

دور مؤسسة الزكاة في العهد الاسلامي الاول

ولعل أهم دور أسند الى مؤسسة الزكاة في العهد الاسلامي الاول هو ضمان حد أدنى لمعيشة كل فرد ، يسميه رجال الفقه الاسلامي بحد الكفاية وهو خلاف حد الكفاف ولذلك يعبر عنه بعض الفقهاء باصطلاح (حد الغنى) بمعنى ان لكل مواطن احتياجات ضرورية للمعيشة تختلف باختلاف الزمان والمكان ، فان لم تسعفه ظروفه الخاصة كمرض أو شيخوخة أو تعطل عن العمل عن تحقيق هذا المستوى الملائم تكفلت له بذلك مؤسسة الزكاة وكلنا يعرف قصة عمر بن الخطاب مع الشيخ الضرير اليهودي حين ثبت له عجزه وحاجته فقرر له راتبا مستمرا من بيت المال وذلك عملا بقول الرسول (من ترك كلا فليأتني فانا مولاه) اي من ترك ذرية ضعيفة فسيأتني بصفتي الدولة فانا مسئول عنه كفيل به .

ولم يقف دور مؤسسة الزكاة على مجرد سد حاجة الفقير العاجز ، بل اعطاء فرصة العمل للقادر عليه . فكثيرا ما أعطى الفقير ما يمكن أن نسميه برأس مال ليبدأ تجارة ينمو بها أو يشترى الات لصناعة يعرفها .

كذلك لعبت مؤسسة الزكاة في العهد الاسلامي الاول دورها في تخفيف الاعباء العائلية ، من ذلك ما قرره عمر بن الخطاب باعطاء كل مولود مائة درهم ويزيد العطاء كلما نما الولد .

الضمان الاجتماعي هو الركن الثاني في العقيدة بعد الصلاة

وقد اعتبر الاسلام اداء حق الزكاة ـ اي حق الضمان الاجتماعي ـ بمثابة الركن الثاني في العقيدة بعد الصلاة . وتعتبر حرب ابي بكر لمانعي الزكاة أول حرب في التاريخ تخوضها دولة في سبيل مبدا الضمان الاجتماعي .

ولقد اوضح الفقهاء القدامى وعلى رأسهم الامام ابن حزم والامام ابن تيمية سبب اهتمام الاسلام بالتكافل المعيشي أو الضمان الاجتماعي ممثلا في مؤسسة الزكاة وذلك انه لا يمكن أن تستقيم العقيدة وتنمو الاخلاق اذا لم يطمئن الفرد في حياته ويشعر ان المجتمع يقف معه ويؤمنه عند العجز او الحاجة . او كما عبر عنه المفكر الاسلامي الجزائري مالك بن نويرة بقوله (كيف اصلى وانا جائع) .

والاساس في الاسلام ـ كما أورد الامام ابن حزم ـ ان لكل فرد في المجتمع الاسلامي أيا كانت ديانته او جنسيته الحق في أن يحيا حياة حرة كريمة ، فاذا عجز بسبب خارج عن ارادته أن يوفر لنفسه الحد اللائق اللازم لمعيشته فانه يصير التزاما على الدولة ان تكفل له هذا الحق .

ان ترك احد افراد المجتمع الاسلامي فريسة للضياع أو الحرمان هو عدوان على حق الله تعالى . حتى ان الامام ابن حزم يقرر أن من حق المحروم أن يقاتل من منعه حقه ، فان قتل المحروم مات شهيدا ووجبت ديته ، وان قتل الممتنع مات ملعونا ولا دية على قاتله . وهو ما عبر عنه الفقيه الدلجي بقوله (ان من حق المحروم ان يرى النعم التي بايدي الناس مغصوبة والمالك المستحق يطالب باسترداد ماله من أيدي الغاصبين) .

وفي نظر المستشرق الالماني جريم Griemm أن الزكاة بمعناها الحقيقي كمؤسسة للضمان الاجتماعي هي العنصر التاسيسي في دعوة الاسلام . ويضيف الاستاذ جريم أن هذا وحده دليل على اشتراكية الاسلام من اربعة عشر قرنا وان النبي محمدا (صلعم) هو اول من قرر وطبق الاشتراكية تطبيقا فعليا . ويشارك الاستاذ جريم الكثير من الكتاب انفسهم من اغفال دول العالم الاسلامي تحصيل الزكاة ، ومن

التحريف الذى طرأ على فكرتها لدى جمهور المسلمين سواء بالنظر اليها بانها مجرد احسان او صدقة اختيارية ، او باعتبار ان الضرائب التى تحصلها الدولة تغنى عن ادائها .

التامين والضمان الاجتماعى فى مصر

وقبل الثورة المصرية في يوليو سنة ١٩٥٢ لم يكن في مصر اى امان او ضمان اجتماعى للمواطن، فلا تامين للعامل عند عطله او مرضه او شيخوخته، ولا ضمان للفرد عند قصور موارده او عجزه واحتياجه .

فلما جاءت الثورة خطت بالبلاد خطوات واسعة في مجال التامين الاجتماعى : ـ ومن قبيل ذلك القانون رقم ٥٠ لسنة ١٩٦٣ في شان التامين والمعاشات لموظفى الحكومة ، ومستخدميها وعمالها المدنيين ، والقانون رقم ١١٦ لسنة ١٩٦٤ في شان المعاشات والمكافآت والتامين والتعويض للقوات المسلحة ، والقانون رقم ٦٣ لسنة ١٩٦٤ في شان التامينات الاجتماعية يظل باحكامه العاملين في القطاع العام والخاص .. ثم صدرت قوانين التامين والمعاشات الاخيرة برفع المعاشات الحالية بنسبة ١٠٪ وزيادة الحد الاقصى للمعاش لمواجهة ظروف الحياة . والاتجاه نحو استكمال قوانين التامينات الاجتماعية بحيث تشمل الفلاحين والعاملين في الزراعة بكافة فئاتهم وكذا اصحاب الاعمال والحرف وذوى المهن الحرة .

اما في مجال الضمان الاجتماعى فقد قضت وثيقة حقوق الانسان التى صادقت عليها الامم المتحدة في ديسمبر سنة ١٩٤٨ (لكل فرد الحق في ان يعيش في مستوى معقول من المعيشة بحيث يتوفر له ولاسرته الصحة والمعيشة الطيبة بما يضمن له الغذاء والكساء والمسكن والرعاية الصحية والخدمات الاجتماعية اللازمة وكذلك حق الضمان في حالة التعطل والمرض والعجز والترمل والشيخوخة وغير ذلك من العجز عن التكسب لاسباب لا يستطيع التحكم فيها) . واعمالا لهذه الوثيقة وباعتبار عضوية مصر بهيئة الامم المتحدة صدر قانون الضمان الاجتماعى رقم ١١٦ لسنة ١٩٥٠ . الا انه كان مقصورا على فئات معينة ، وفي حدود الاعتمادات الضئيلة المدرجة في الميزانية وبما يتراوح المنصرف ما بين جنيه وخمسة وعشرين قرشا للمستحق في الشهر .

ثم عدل بالقانون رقم ١٣٣ لسنة ١٩٦٤ في شان الضمان الاجتماعى سواء بتوسيع الحالات التى يشملها او زيادة ما كان يصرف للمستحق بواقع ٥٠٪ فاصبح يتراوح بين جنيهين وخمسين قرشا في الشهر .

والامل الان ان يتسع نطاق الضمان الاجتماعى وعلى وجه استثمارى ليقترب من الصورة التى قررها الاسلام منذ اربعة عشر قرنا ، حقا خالصا لكل مواطن غير قادر على العمل ، تكفله له الدولة بالقدر الذى يحقق له المستوى المناسب للمعيشة، وان يحصل من اجل ذلك ضريبة الزكاة .

هذا ولما كانت الزكاة في الاسلام من الضرائب المحلية التى تؤخذ من المكلفين في كل قرية او مدينة ، وتنفق على المستحقين من اهل هذه القرية او المدينة ، وما بقى بعد ذلك يرسل الى بيت المال الرئيسي لينفق على المراكز القريبة من مكان تحصيلها والتى تحتاج الى معونة ... فاننا نرى النص على ضريبة الزكاة في قانون الادارة المحلية، بحيث تتولى هذه الادارة تحصيلها وانفاقها وتنفيذ قانون الضمان الاجتماعى على الوجه الكامل .

وحتى يتم دراسة هذا الامر وتقنينه ، فليس ما يمنع وزارة الاوقاف او وزارة الشئون الاجتماعية من انشاء جهاز يتلقى ما يقدمه المواطنون تلقائيا عن زكاة اموالهم ، لتضمن لهم سلامة توزيعها فضلا عن امكانية تشغيل حصيلتها في مجالات انتاجية تسد حاجات المستحقين فيها . والله الموفق .

القاهرة ـ محمد شوقى الفنجرى

ابن الخطيب، والسخاوي

بقلم : محمد عبد الله عنان

▪ يشغل فن الترجمة فى الأدب العربي فراغا كبيرا ، ويتناول معظم العصور والطوائف . ولا شك ان وفيات الاعيان لابن خلكان ، تقدم الينا اروع نماذج لتراجم الاشخاص فى الأدب العربي قاطبة . وهى نماذج منوعة تشمل كل فئة وكل طائفة ، منذ عصور الاسلام الاولى حتى عصر المؤلف ، اعنى الى الى اواخر القرن السابع الهجرى . ومنذ عصر ابن خلكان تتوالى معاجم الترجمة ، وتميل الى التخصص ، احيانا بعصر بذاته ، واحيانا بطائفة معينة ، واحيانا بقطر معين .

وقد بلغ فن الترجمة منذ القرن الثامن الهجرى ، اوْجَه من الاستيعاب والتخصص ، فنرى عددا كبيرا من معاجم التراجم ، تضم مجموعات مختلفة ، من تراجم الطبقات ، وتراجم العصر ، وتراجم المكان ، ومنها موسوعات ضخمة ، ونرى اكبر مجموعة من هذه المعاجم تصدر فى مصر فى القرنين الثامن والتاسع ، اذ كانت مصر يومئذ ، منذ اجتياح التتار للدولة العباسية ، وسقوط قواعد الاندلس الكبرى فى ايدى النصارى ، قد تولت مركز الصدارة ، فى ميدان الأدب العربي ، والتفكير الاسلامى ، ولبثت كذلك حتى جاء الفتح العثمانى ، فقضى على تلك النهضة الأدبية الزاهرة .

ونريد فى هذا المقال ان نتحدث عن معجمين من معاجم التراجم ، يجمع بينهما كثير من اوجه الشبه ، احدهما مصرى ، ويتعلق بالعصر ، والثانى اندلسى ، ويتعلق بالمكان .

واولهما هو كتاب « الضوء اللامع لاهل القرن التاسع » لشمس الدين السخاوى .

والثانى هو كتاب « الاحاطة فى اخبار غرناطة » للوزير لسان الدين ابن الخطيب .

وكلاهما موسوعة ضخمة تضم المئات من التراجم . وقد كتب ابن الخطيب

فى كتابيهما ...

الإحاطة فى أخبار غرناطة

والضوء اللامع لأهل القرن التاسع

موسوعته « الاحاطة » بين سنتي ٧٦١ و ٧٦٩ هـ . وكتب السخاوى موسوعته بعد ذلك باكثر من قرن بين سنتي ٨٩٠ و ٨٩٨ هـ .

ابن الخطيب
فى كتابه الاحاطة فى اخبار غرناطة

ويركز ابن الخطيب تراجمه حول المكان ، فيورد لنا طائفة كبيرة من الاعلام والاكابر الذين عاشوا فى غرناطة او نزلوا بها ، او وفدوا عليها ، فى مختلف عصور التاريخ الاندلسى ، ويفيض فى ذكر اخبار معاصريه من الملوك والوزراء والشيوخ والاقران ، ويعنى عناية خاصة بترجمة اكابر العلماء والكتاب والشعراء ، من معاصريه ، سواء فى الاندلس او المغرب ، ولا يتقيد فى ذلك كله الا بالمكان ، ومعنى ذلك انه لا بد ان تكون ثمة علاقة بين المترجَم له وبين غرناطة ، سواء اعاش بها ، او نزل بها ، او قام بزيارتها ، او مر بها مرورا عابرا .

ويمهد ابن الخطيب لمعجم تراجمه بمقدمة طويلة ، يتحدث فيها عن غرناطة ، وما يتعلق بها من الاخبار والاوصاف والمعالم ، ويتناول وصفها وجغرافيتها وخططها ومواقعها ، وما يحيط بها من المروج والجبال . ثم يتناول تاريخها منذ نزل بها العرب الاوائل ، واخبار من كان بها من الكتاب والشعراء والمتقلبين ، منذ عصر الفتح ، حتى قيام الدولة النصرية ، ثم تاريخ الدولة النصرية وتاريخ سلاطينها ، منذ عصر مؤسسها محمد ابن يوسف بن الاحمر ، حتى عصر المؤلف ، وكل ذلك على سبيل الاجمال والايجاز .

السخاوى فى كتابه
الضوء اللامع لاهل القرن التاسع

اما السخاوى ، فيركز تراجمه حول الزمان ، وهو يبسط لنا موضوع كتابه فى ديباجته على النحو الآتي : « فهذا كتاب ... جمعتُ فيه من علمته من هذا القرن الذى اوله سنة احدى وثمانمائة ، ختم بالحسنى ، من سائر العلماء والقضاة والصلحاء ، والرواة والأدباء ، والشعراء ، والخلفاء والملوك

والامراء ، والمباشرين والوزراء ، مصريا كان ام شاميا ، حجازيا ام يمنيا ، روميا او هنديا او مغربيا . بل وذكرت فيه بعض المذكورين بفضل ونحوه من اهل الذمة ... » .

ويبدي كل من الكاتبين فى تراجمه كثيرا من الدقة والشمول والاستيعاب ، ويرجع ذلك الى ظروف الحياة التي عاشها كل منهما ، والى ما يتصف به من صفات خاصة . فقد كان ابن الخطيب ، كاتبا بديوان الانشاء ، ثم وزيرا ، ثم رئيسا للوزارة . وقد لبث اعواما طويلة يستأثر بالسلطة فى بلاط غرناطة ، ويوجه شئون الدولة ، ويقف على سائر احوالها واسرارها ، ويتعرف على سائر رجالاتها من الاكابر والقادة والكتاب والشعراء ، ثم كان خلال الاعوام التى قضاها منفيا بالمغرب ، يتعرف ، من خلال صلاته بسلاطينه وبالبلاط المرينى فى فاس ، على سائر احواله ، كما يتعرف برجالاته وكتابه وشعرائه . وتشغل تراجم الشخصيات المعاصرة لابن الخطيب سواء فى الاندلس او المغرب ، فى « الاحاطة » فراغا كبيرا ، وتمتاز بما تحتويه من الاخبار الوثيقة ، والاحكام الصائبة ، وتقدم الى المؤرخ مادة نفيسة يمكن الاعتماد عليها ، والوثوق بها .

وقد اتيحت للسخاوي كذلك ظروف حسنة لاعداد مادته . فقد هيأت له حياته الخاصة. واتصاله بالاكابر ورجال الدولة ، وتجواله فى مصر والشام والحجاز ، ولقاؤه لمئات العلماء والادباء فى عواصم هذه الاقطار ، وما قيده عنهم فى مختلف رحلاته ، مادة غزيرة لكتابه المستقبل . وقد لبث اعواما طويلة فى اعداد مواده ، وتنظيمها وتحقيقها واستكمالها ، حتى غدت سجلا حافلا ، يعكس تاريخ القرن التاسع كله .

★ ★ ★

على ان اهم واقوى جامعة بين هذين المعجمين الكبيرين ، الاحاطة والضوء اللامع ، هو الروح النقدي البارز ، الذى يمتاز به كل منهما . ونستطيع القول بانه لا يوجد فى معاجم التراجم ، فى الادب العربي كله ، ما يضارع « الاحاطة » او « الضوء اللامع » فى هذا الميدان .

الصور النقدية فى كتاب ابن الخطيب

ذلك ان ابن الخطيب يورد لنا فى الاحاطة نماذج عديدة من التراجم المختلفة ، فى صور متباينة ، تبرز شخصيات اصحابها بروزا قويا . وكما انه يصور لنا الكتاب والشعراء فى صور نقدية متباينة ، تتفاوت فى الصفات والمزايا ، فكذلك يصور لنا الامراء والكبراء فى مثل هذا التباين والتنوع كل منهم وفق احواله ومميزاته . وكل ذلك بأسلوب بليغ مشرق . وينقل ابن الخطيب هذه الصور احيانا من كتابه « التاج المحلي » او كتابه « عائد الصلة » وكلاهما يضم تراجم موجزة مسجعة لعدد كبير من الشخصيات الغرناطية وغيرها وتطبع معظم تراجم ابن الخطيب روح نقدية ، وتتجه احيانا نحو المديح والتقدير ، واحيانا اخرى الى الذم والانتقاص . وتتسم حملاته احيانا بمنتهى القسوة والعنف . ويبدو ذلك بالاخص فى تراجم بعض الامراء والوزراء الذين خرجوا على سلطانه الغني بالله ، ونزعوه عرشه ، واضطروه الى الالتجاء الى المغرب ، واضطر وزيره ابن الخطيب الى اللحاق به فى المنفى . ولابن الخطيب اسلوب لاذع فى النقد والهجاء ، وهو لا يحجم احيانا عن تصوير خصومه فى اقبح الصور ، ورميهم باخس الصفات . ويبدو ذلك فى بعض تراجم الاحاطة ، كما يبدو بالاخص فى بعض تراجم كتابه ، الذى كتبه بعد

الاحاطة » وهو « الكتيبة الكامنة فيمن لقيته من شعراء الأندلس فى المائة الثامنة » . على ان ابن الخطيب ، فيما عدا الحملات التي تمليها المشاعر والخصومات الشخصية ، يرتفع بنظراته وصوره الى روح نقدية عالية ، هي التي تسيطر على معظم تراجم الاحاطة .

الصور النقدية فى كتاب السخاوى

هذا عن ابن الخطيب وكتابه « الاحاطة « . واما عن السخاوى ومعجمه « الضوء اللامع » ، فانه يمكن ان يقال ان السخاوى ، يضارع سلفه ابن الخطيب قوة واصالة ، بل ربما يمتاز عليه فى بعض النواحي . ويمتاز « الضوء اللامع » بقوة فائقة فى التصوير ، ليس لها نظير فى كتب التراجم العربية ، ويمتاز بالأخص بروحه النقدية اللاذعة . وهنا يبدو السخاوى فى أعظم خواصه وكفاياته الأدبية نقادة لا يجارى . بيد ان هذه النزعة النقدية تحمله بعيدا ، فى مواطن كثيرة ، فينزع عندئذ الى التجريح والهدم بقسوة ، ويطبع نقده تحامل بيّن . وقد ترجم السخاوى لكثير من أقطاب عصره ، ولكن احدا منهم – الا شيخه الحافظ ابن حجر – لم ينج من تجريحه اللاذع . وتراجم المقريزى ، وابن خلدون ، وابن تغرى بردى ، والسيوطى ، أمثلة واضحة لهذه النزعة الهدامة ، وفيها يبدو شغف السخاوى بالتجريح والانتقاص امرا واضحا . وهو لا يكاد يطيق عبقرية بارزة من عبقريات قرنه – القرن التاسع – الا هاجمها بشدة . وهنا يبدو الفرق واضحا بينه وبين ابن الخطيب . فالنزعة الهدامة ، ليست قاعدة عند ابن الخطيب ، كما هي قاعدة عند السخاوى . والتجريح العنيف الذى يسيطر على قلم السخاوى ، فى صورة مستمرة ، ليس الا نزعة عابرة عند ابن الخطيب .

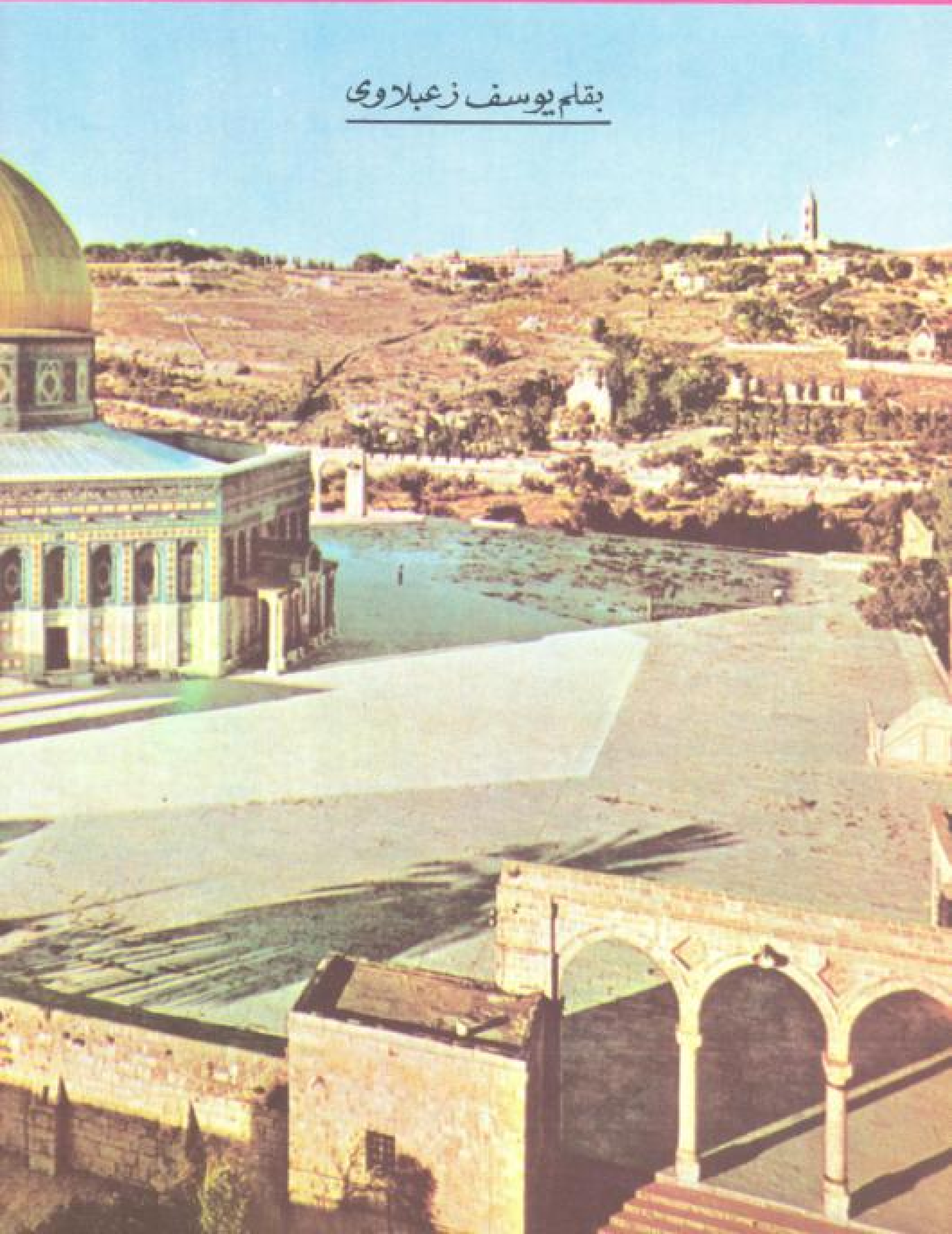
مقارنة بين اسلوبين

على ان الذى لا ريب فيه هو أن السخاوى استاذ من أعظم اساتذة النقد الأدبي فى الادب العربي ، بل ربما كان اعظمهم جميعا . وكذلك ليس من ريب فى ان ابن الخطيب هو كذلك من اعظم اساتذة النقد الأدبي . ولكن الأسلوب النقدى يتخذ لديه شكل صياغة الصور البارعة لشخصياته ، وهو فى ذلك اقدر من السخاوى ، واكثر افتنانا . وفضلا عن ذلك فان ابن الخطيب يتفوق فى اسلوبه ، وبيانه المشرق ، فى احيان كثيرة ، على السخاوى . ولا غرو ، فان ابن الخطيب هو امام عصره فى النظم والنثر ، واستاذ الترسل السلطاني ، وهو فى نفس الوقت مؤرخ بارع ، يسيطر الأسلوب التاريخي على تراجمه . اما السخاوى ، فهو قبل كل شيء محدث بارع ، وهو أيضا مؤرخ يستمد علم الحديث فى تمحيص الرواية . وبراعته النقدية فى التاريخ ترجع فى كثير من الوجوه الى براعته فى الجرح والتعديل كمحدث . وهذه الصبغة النقدية البارزة هي التي تسبغ على آثاره التاريخية ، وعلى تراجمه النقدية، قوتها وطرافتها ، اما مقدرته البيانية ، فانها بالرغم من براعتها فى احيان كثيرة ، لا تبلغ فى قوتها وطرافتها مقدرة ابن الخطيب، وهو الذى يعتبر اعظم ائمة النثر فى الأندلس ، وفى الغرب الاسلامي فى القرن الثامن الهجرى . ■■

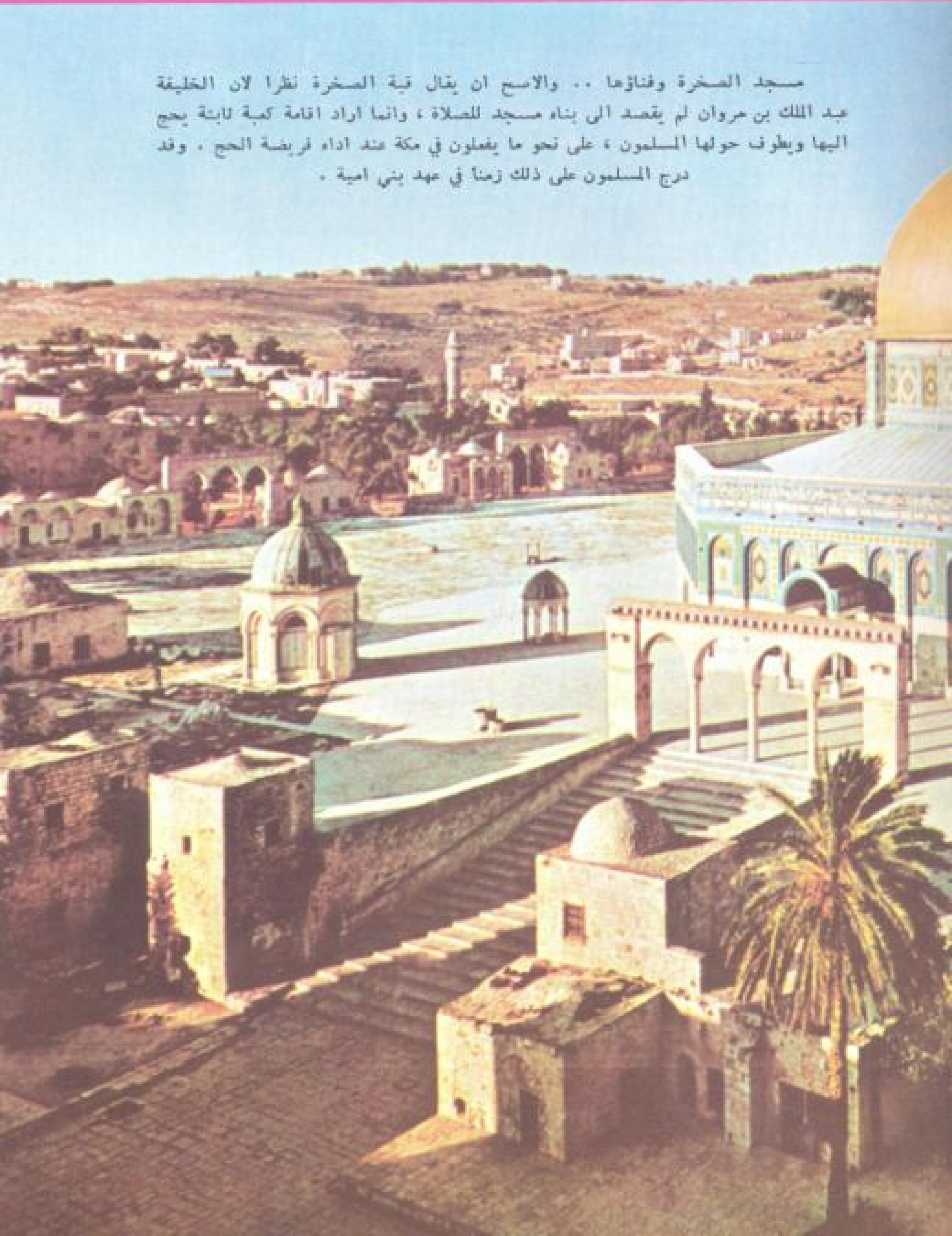
محمد عبد الله عنان

قُبَّةُ الصَّخْرَةِ والمَسْجِدِ

بقلم يوسف زعبلاوي



الأقصى ... في ظلال الإسرائيليين



مسجد الصخرة وفناؤها .. والاصح ان يقال قبة الصخرة نظرا لان الخليفة عبد الملك بن مروان لم يقصد الى بناء مسجد للصلاة ، وانما اراد اقامة كعبة ثابتة يحج اليها ويطوف حولها المسلمون ، على نحو ما يفعلون في مكة عند اداء فريضة الحج . وقد درج المسلمون على ذلك زمنا في عهد بني امية .

■ القدس العربية تتهددها المخاطر وتنذر بانطماس طابعها العربي الاسلامي في مستقبل قريب جدا . لذلك كان لابد للعربي من استطلاع لبيت المقدس ، وقد مضى على آخر استطلاع أجراه له نحو عشر سنوات ، استطلاع يذكر القراء بمقدسات المسلمين ، وينبه الى المخاطر المحدقة بالمدينة نفسها وبسكانها العرب

ولما لم يكن بامكان العربي ان ينتقل في هذه الايام الى بيت المقدس وجد من اصطفاه ليحدثه هذا الحديث كله بعد زيارة قام بها للديار المقدسة .

أما الارض التي تقوم عليها هذه الوحدات فأرض عربية كلها ، انتزعتها اسرائيل واستملكتها رغم ارادة أصحابها العرب . فعلت ذلك وفق تشريعات سنتها وما زالت تسنها وتستهدف بها طمس عروبة المدينة بطريقة أو بأخرى . ومن يدري ، فقد لا تحل سنة ٢٠٠١ حتى تصبح قبة الصخرة والحرم الشريف أشبه بمسجد صغير في مدينة نيويورك . .

قبة الصخرة

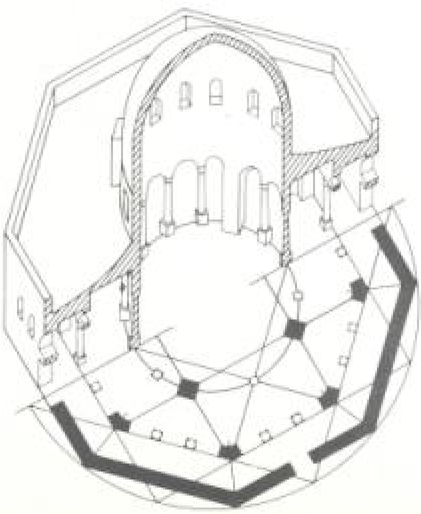
قال محدثي : بدأت مسيرتي في شوارع القدس القديمة وبعضها لا يعرف السيارات ولا يرى الشمس الا قليلا حتى وصلت الى منطقة الحرم الشريف . وهذه منطقة مسورة متسعة لا تقل مساحتها عن ٢٦٠٫٠٠٠ متر مربع ، يتوسطها فناء مرتفع قليلا عن مستوى ارضها ، ويتوسط هذا الفناء مسجد الصخرة ، ذو القبة المذهبة المهيبة ، التي تطغى ، بلا نزاع على كل ما سواها ، لا في منطقة الحرم القدسي فقط ، ولكن في سائر بيت المقدس بلا استثناء .

لاعجب اذن ان كانت القبة العملاقة هي اول ما استرعى انتباه محدثي ، وقد راح يتأملها وكأنه لم يرها من قبل ، وهو ابن القدس العريق . فقبة الصخرة آية في الجمال وفن العمران .

ويعجب المرء اذا علم ان القسم الكروي من قبة الصخرة ، وهو القسم العلوي المذهب منها ، يبلغ قطره عشرين مترا او يزيد قليلا . والاغرب من ذلك هو أن هذا القسم يتكون من طبقتين خشبيتين ، داخلية وخارجية ، تغطيهما طبقتان اخريان من « الجبص » المزخرف بمجموعة من الفصوص الذهبية والملونة . ويفصل بين الطبقتين فراغ كبير . ويتفاوت اتساع هذا الفراغ فيبلغ عند عنق القبة ٧٥ سنتيمترا ويبلغ عند ذروتها مترا و ١٨ سنتيمترا . ويكبر هذا الفراغ عند اوسط القبة حتى يبلغ نحو مترين . ولا يخفى القصد المزدوج من هذا الفراغ : العزل الحراري وتسهيل القيام باصلاح القبة حين اللزوم . أما سطح القبة اللماع البراق فمصنوع من الالومنيوم المذهب .

ولا يقتصر جمال القبة على القسم الكروي المذهب منها . ذلك ان عنق قبة الصخرة هو الآخر رائع جميل . فهو جدار حجري مرصع بالبلاط المصقول الملون (القاشاني) . اضف الى

هذا هو المخطط الداخلي لمبنى قبة الصخرة . يقول كرزول : « لقد بني مسجد الصخرة على نسق هندسي دقيق ، يمكن الداخل اليه ، من اي باب من ابوابه الاربعة ، ان يرى جميع اعمدة المسجد ، سواء تلك التي تقع امام الناظر مباشرة او تلك التي تقع وراء هذه الاولى . اي ان اعمدة المسجد لا يحجب بعضها بعضا » . ولا يخفى ما يقتضيه هذا من مهارة معمارية فائقة سواء في التصميم او البناء .





هذا هو باب العمود ، وهو احد ابواب القدس القديمة المفتوحة وهي سبعة ، ونذكر من هذه الابواب ايضا باب الخليل وباب الساهرة وباب الاقباط .. وهي توجد في السور الذي يحيط ببلدة القدس القديمة كما لا يخفى .

وجدير بالذكر ان هذا السور قديم ، قدم البلدة القديمة نفسها . فقد اسهم في بنائه اليبوسيون والعبرانيون والرومان والبيزنطيون والصليبيون والايوبيون والمماليك على التوالي ، الا ان الاتراك العثمانيين هم الذين بنوا أكثر الاقسام المنظورة حاليا من هذا السور ، وقد استغرق بناؤها نحو خمس سنوات ، في عهد السلطان سليمان الثاني القانوني (١٥٢٠ — ١٥٦٦) .

ذلك النوافذ ال ١٤ التي انشئت في هذا العنق . فهي نوافذ مغلقة ليس القصد منها الاضاءة وانما لتزيد القبة جمالا وبهاء ، وقد صنعت من الزجاج الملون ، المطعّم بالذهب .

وتأسر بصرك بعد ذلك جدران المسجد الخارجية، وهي الاخرى قسمان : اعلى مبلط بالقاشاني الصغير الحجم نسبيا ، والمصقول والملون .. وقسم ادنى يغطيه الرخام . وهذه الجدران ، على ما تعلم وكما تظهر الصور ، ثمانية . فهيكل المسجد الاقصى ذو ثماني اضلاع يسمونها



هذه هي الصخرة التي كانت ، هي والحرم الشريف المحيط بها ، أولى القبلتين . وقد فاق تقديس المسلمين لهذه الصخرة كل الحدود . فمنها عرج النبي (ص) الى السماء ، وفوقها تقدم ابراهيم بابنه بقصد التضحية ، ومن تحتها تنبع الانهار العذبة كلها ..



استرد صلاح الدين الايوبي بيت المقدس بعد معركة حطين سنة ١١٨٧ ، وازال الرخام الذى كسا الصليبيون الصخرة به ، ومحا سائر آثارهم . ثم انه احدث الكثير من الترميمات والتغييرات في مسجد الصخرة . من ذلك تجديد تذهيب القبة ، حسبما تذكر العبارة التي تراها في الصورة .

التثمينات . وهي تظهر لك خارج المسجد بقدر ما تظهر داخله ، حيث الجمال مختلف نوعا عما هو عليه في الخارج .

فالغلبة هنا للزخارف والفسيفساء والخطوط العربية البديعة التي لا تدع فراغا على الجدران والسقوف حتى تملاه فتملأ الجو من حولك . والغلبة هنا ايضا للاقواس والاعمدة المرمرية المختلفة الالوان والتيجان .

ويبلغ عدد هذه الاعمدة التي تقوم عليها قبة المسجد وسقوفه ، ١٢ عمودا ، اربعة منها تحيط بالصخرة المشرفة مباشرة و ٨ اعمدة تحيط بهذه الاربعة ، وتتوسط الرواق الرحب القائم بين التثمينات او الجدران وبين الصخرة .

ويقول غوستاف لوبون في كتابه « حضارة العرب » : « لا تقتصر قيمة مسجد الصخرة على ما يثيره من ذكريات .. فهو من أهم المباني العجيبة التي شادها الانسان .. انه اعظم بناء يستوقف النظر .. انه على مستوى من الجمال والروعة لايكاد يصل اليه خيال انسان » .

اما الكابتن كريزول K. A. C. Creswell استاذ فن العمارة الاسلامية في جامعة القاهرة سابقا ، فيقول في كتاب له بعنوان : « اصل المخطط الهندسي لقبة الصخرة » « قبة الصخرة ذات خطورة بارزة في تاريخ العمارة الاسلامية . فقد بهرت ببهائها ورونقها وفخامتها وتناسقها ودقة نسبها ، بل بسحرها ، كل من حاول دراستها من العلماء والباحثين » .

ويقول فرجسون J. Fergusson ، في كتاب له عن مقدسات الحرم الشريف : « زرت الكثير من القصور الفخمة والمباني الجميلة في الهند واوربا وانحاء اخرى في العالم كثيرة . ولكنني لا اذكر انني رايت ما هو اجمل واروع او افخم من قبة الصخرة .. وان التناسب الدقيق والانسجام البديع في الاحجام والالوان الذى رأيته في هذا المسجد لم ار ما يضاهيه في اى بناء آخر » .

لمحة تاريخية

وراح محدثي يدقق النظر في تلك الزخارف الفاخرة ويقرأ الآيات القرآنية الكريمة والعبارات التذكارية التي نقشت على جدران المسجد ، واذا بعبارة من تلك العبارات تستوقفه . فقد كتبت بالخط الكوفي البسيط ، اقدم الخطوط العربية جميعا ، ونقشت كلماتها بالفسيفساء على بلاط ازرق كما ذُهّبت حروفها . وقد تضمنت هذه العبارة ، الكلمات التالية :

« بنى هذه القبة عبد الله الامام المامون أمير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين (هجرية) . تقبل الله منه ورضي عنه » .

ولا يملك الانسان نفسه عن التساؤل عند رؤية هذه العبارة . فالخط الذى كتب به اسم المامون والقابه يختلف اختلافا بيّنا عن الخط الذى كتبت به سائر الكلمات . ولون البلاط الازرق ، وكذلك الفسيفساء التي تحمل اسم الخليفة العباسي تختلف عما سواها ..

ترى هل العبارة محرّفة ؟! نعم .. فقد تضمنت ، أصلا ، اسم الخليفة الاموى عبد الملك ابن مروان ، باني مسجد الصخرة. ووقع التحريف لدى الانتهاء من الترميمات الهامة التي امر باجرائها الخليفة المامون . فقد أراد عمال الخليفة ــ على ما يبدو ــ ان يعربوا عن عظيم ولائهم له ، فعمدوا الى انتزاع اسم عبد الملك بن مروان من

اثارت السياسة الاسرائيلية الخاصة بتهويد القدس ، وطمس معالمها الاسلامية والمسيحية ، موجة من النقد والاستنكار . واول ما يذكر في هذا الصدد قرارات المنظمة الدولية العديدة ، وقد ادانت كلها السياسة المذكورة ، وطالبت اسرائيل بالكفّ عن تنفيذها . ولكن اسرائيل ضربت بهذه القرارات عرض الحائط ، بل وحملت عليها وعلى المنظمة الدولية وسكرتيرها (المستر يوثانت) اشد الحملات . ولا يخفى ان الولايات المتحدة ، وليّة امر اسرائيل ، تعتبر المسؤول الاول عن ذلك .

العبارة الاصلية ووضع اسم المأمون مكانه . ولكنهم لم يكونوا محرّفين محترفين ، لحسن الحظ . فقد نسوا تغيير التاريخ وابقوا على سنة ٧٢ هـ ، وهي كما لا يخفى تسبق عهد المأمون باكثر من مائة سنة ، وهى فعلا السنة التى اكمل فيها الخليفة عبد الملك بن مروان بناء مسجد الصخرة .

ويقدر المؤرخون العرب نفقات اعمال بناء هذا المسجد بسبعة اضعاف خراج مصر السنوى — آنذاك . وحسبنا أن نذكر ان المبلغ النقدى الذى تخلف في الصندوق لدى اكتمال البناء — اى النثرية المتبقية ، بلغة المحاسبين المعاصرين — بلغ نحوا من ...و...١ دينار ...

وقد امر الخليفة بهذا الرصيد للرجلين اللذين اشرفا على اعمال البناء ، ليكون لهما فيه مكافاة مجزية على قيامهم بالمهمة خير قيام .. ولكن الرجلين اعتذرا قائلين : « نحن أوْلى ان نزيده من حُلِيِّ نسائنا ، فضلا عن اموالنا .. فاصرفها في احب الاشياء اليك .. » فامر عبد الملك بان تسبك المائة الف دينار وتفرغ على القبة والابواب ..

اما الرجلان فكانا رجاء بن حيْوة الكندى ، وكان من العلماء المعروفين في تلك الايام ، ويزيد ابن سلام ، وكان من المقدسيين ، ومن موالى عبد الملك بن مروان . وقد اعتمدا في الغالب على بنائين ومعماريين محليين ، ولعل بعض هؤلاء كانوا من اصل بيزنطي او يوناني . ولعل الخليفة نفسه استقدم بعض المعماريين والمزخرفين من القسطنطينية . الا ان اكثر الذين ساهموا في بناء مسجد الصخرة كانوا ، على ما ذكر المؤرخون ، من اهل القدس ، وكان بينهم كثرة من النبطيين .

ولعل للسرعة التى تمت بها اعمال البناء ، ٣ سنوات في رأى البعض و ٥ في رأى آخرين ، انتهت على كل حال سنة ٧٢/٦٩١ ، لعل لهذه السرعة صلة بمواد البناء التى وجدوها اكواما متراكمة بالقرب من الموقع . ذلك ان جيوش كسرى الثانى كانت قد دمرت في سنة ٦١٤م عددا من الكنائس التى كانت قائمة غير بعيد عن منطقة الحرم الشريف . وقد كان من الحكمة ان استعمل المسلمون كل ما وجدوه صالحا بين تلك الانقاض ، بما في ذلك الاعمدة الاثنا عشر التى رآها محدثنا داخل المسجد . ولعل في تعدّد انماط هذه الاعمدة — على قلة عددها — دليلا على ما ذكرنا .



احد شوارع القدس القديمة ، ولكنه ليس كبقية الشوارع العادية . فهو مقدس في نظر المسيحيين ويسمونه طريق الاحزان والالام Via Dolorosa وقد سلكه السيد المسيح ، في اعتقادهم ، الى حين جرى صلبه ، وكان ذلك بعد ان حكم عليه الرومان بالموت ، فاقتاده جنودهم ، وهو يحمل صليبه على ظهره ، في هذا الطريق الذى ينتهي بكنيسة القيامة .



انماط من الزخارف البديعة التي تملأ الجدران داخل مسجد الصخرة . ولعل الفسيفساء هي اكثر ما يحتاج الى ترميم في هذا المسجد العظيم . وتجدر الاشارة الى المؤرخين يؤكدون بان الفسيفساء غطت جدران المسجد من الخارج ايضا حتى اوائل القرن ١٦ . ولكن المؤثرات الجوية اتلفت تلك الفسيفساء.اما السور والآيات القرآنية التي تجدها مكتوبة بخط بديع على جدران المسجد الداخلية فأغلبها مصنوع ببلاط القاشاني . يبلغ عدد نوافذ مسجد الصخرة ٥٦ نافذة منها ١٦ مغلقة كالتي تراها في الصورة والقصد منها الزينة لا الاضاءة .

احدى القناطر الثمانية الموجودة في فنــاء الصخرة وهي تكلل الادراج ، او المراقي ، التي يصعد عليهـا المرء اذا اراد الانتقــال من ارض الحــرم الشريف الــى الفنــاء الذي ذكرنـا .



في المسجد الاقصى

وارتفع اذان الظهر فيما كان محدثي في طريقه الى المسجد الاقصى الذى لا يبعد عن مسجد الصخرة اكثر من ٥٠٠ متر ، الى الجنوب . واسترعى انتباهه وهو يدخل المسجد كثرة اليهود والاجانب الخارجين منه . وسأل فعلم ان السلطات الاسرائيلية تحظر دخول المساجد على غير العرب والمسلمين في مواعيد الصلاة . اما خارج هذه المواعيد فزيارة المساجد مسموح بها للاسرائيليين شأنها في ذلك كشأن المتاحف وما اليها من معالم السياحة .

وطاف محدثي بالمسجد الاقصى بعد الصلاة .. فرأى آثار الحريق الذى شب في بعض جوانب المسجد يوم ٢١ اغسطس سنة ١٩٦٩ . اى ان الدمار الذى حل بمحراب زكريا وسقف الجناح الجنوبي الشرقي ومنبر صلاح الدين ما زال قائما. وقل مثل ذلك في التلف الذى اصاب قبة المسجد الاقصى ، وجدران المحراب الداخلية وغيرها .. وتجدر الاشارة الى الاصلاحات البسيطة المؤقتة التى اجرتها الهيئات العربية والاسلامية بقصد منع التلف وتسرب مياه الامطار .

ويذهب اكثر المؤرخين الى ان باني مسجد الصخرة ، عبد الملك بن مروان ، هو نفسه الذى بنى ، بل شرع في بناء المسجد الاقصى .. كان ذلك سنة ٧٤/٦٩١ ، وقد استعمل في بنائه انقاض كنيسة القديسة مارى - او كنيسة جوستنيان - التى كانت في نفس موقع المسجد الاقصى ، او بالقرب منه ، والتى هدمتها جيوش كسرى فيما هدمت قبل ذلك الوقت بنحو ٧٥ سنة . اما الذى اكمل بناء هذا المسجد فكان الوليد بن عبد الملك ، وكان ذلك سنة ٨٦ / ٧٠٥ .

وتجدر الاشارة الى ما يوجد تحت المسجد الاقصى (القبو) من بناء أثرى قديم . فهناك ما يسميه المقدسيون بالاقصى القديمة وهناك ما يعرف باسطبل سليمان.وهذان دهليزان واسعان قوامهما العقود القائمة على الأعمدة الضخمة الاول كله تحت مبنى المسجد مباشرة اما اسطبل سليمان فيقع بعضه تحت المسجد والبعض الآخر تحت ارض الحرم الشريف . والدهليزان قديمان وهما من بقايا هيكل سليمان حسب الرأى السائد .

في رحاب الحرم الشريف والصخرة

وتجدر الاشارة الى ان اسم المسجد الاقصى له مفهومان ، احدهما خاص ويدل على مبنى هذا المسجد الذى فرغنا من الحديث عنه . اما المفهوم الآخر فعام ويشمل منطقة الحرم الشريف باسرها . ومن البداهة ان هذا المفهوم العام هو المعنى المقصود في الآيات الكريمة والاحاديث النبوية الشريفة التى ورد فيها ذكر المسجد الاقصى .

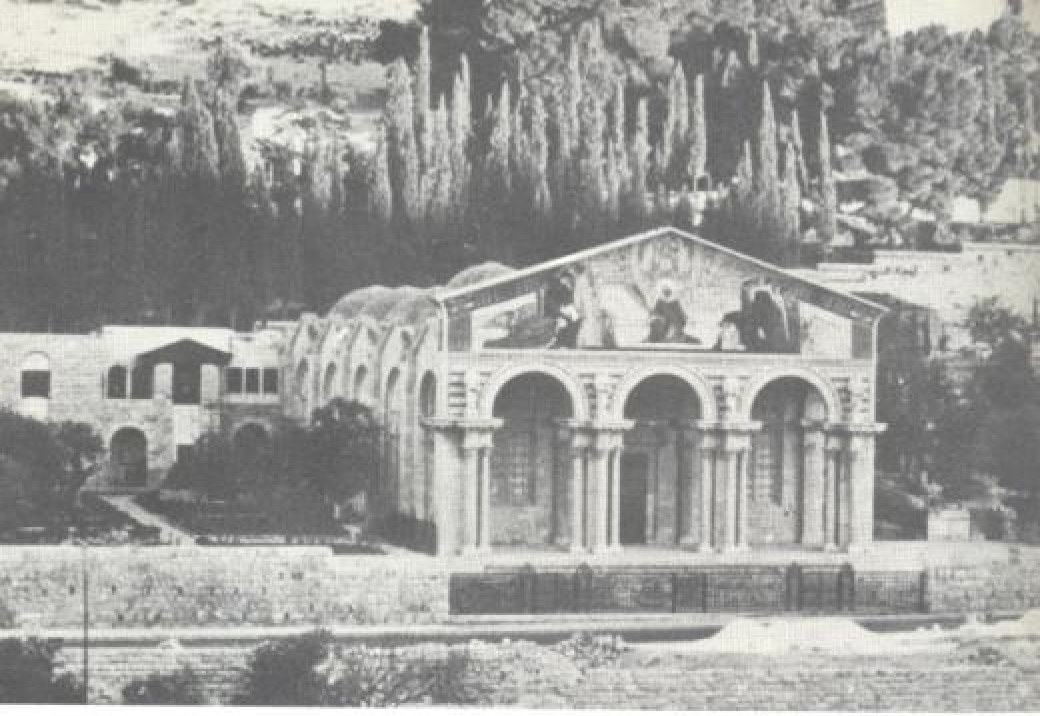
اولى القبلتين ، اذن ، هى الحرم القدسي ، او المنطقة المحيطة بالصخرة المشرفة . تلك هي القبلة الاولى التى اتجه اليها المسلمون في صلاتهم منذ ان فرضت عليهم الصلاة حتى شهر رجب او شعبان من السنة الثانية للهجرة ، اى طيلة ١٦ - ١٧ شهرا . اذ خاطب الله نبيه ، قال في الآية الكريمة : « قد نرى تقلب وجهك في السماء، فلنولينك قبلة ترضاها ، فولّ وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » .

وقل مثل ذلك في الاسراء والمعراج . قال الله تعالى : « سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى .. » فالاسراء كان الى منطقة الحرم الشريف ، والعروج الى السماء كان ايضا من تلك المنطقة المقدسة ، وعلى

مدينة القدس لها ثلاثة حدود مختلفة في الوقت الحاضر . فهم يميزون بين البلدة القديمة وبين القدس الجديدة التى وضع حدودها الاسرائيليون سنة ١٩٦٧ . ثم انهم يميزون بين هذه وتلك من جهة وبين القدس الموسعة التى يطلقون عليها اسم « متروبوليتان » ، من جهة ثانية .

وترمى السياسة الاسرائيلية الى تهجير اكبر عدد ممكن من اليهود الى القدس الجديدة وبخاصة الى القدس الموسعة . وسيصبح عدد السكان اليهود في هذين القطاعين ، حسب المخططات الاسرائيلية ، كالتالي :

القدس الجديدة ٢١٥٫٠٠٠ في سنة ١٩٧٠
القدس الموسعة ٤٦٥٫٠٠٠ في سنة ٢٠١٠



كنيسة الامم جميعا Church of all Natins او الجسمانية Gethsemane وهي كنيسة جميلة حديثة (١٩٢٤) ، تقع على سفح جبل الزيتون الغربي ، وقد تعاونت على بنائها طوائف الروم الكاثوليك في شتى انحاء العالم ، واقامتها في المكان الذي يُعتقد أن اليهود القوا القبض فيه على السيد المسيح ، وذلك بعد ان دلهم عليه يهوذا الاسخريوطي .

وجه التخصيص ، من الصخرة المشرفة التي تتوسطها .

وهذه الصخرة هي التى زارها الخليفة عمر ابن الخطاب ، لدى زيارته بيت المقدس ، او ايلياء ، اسم المدينة الروماني الذى عرفت به آنذاك . وكان ذلك بعد زيارته كنيسة القيامة بصحبة صفرونيوس بطرك المدينة . ويشير المؤرخون الى تأثر خليفة الاسلام الثاني حين رأى الصخرة ، بل حين لم يرها لكثرة القاذورات التي تراكمت عليها ، فراح يزيل عنها تلك القمامة بكفيه وردائه ، ثم امر نفرا من أهل المدينة ، وكانوا من النبطيين ، بتنظيفها ، واتفق ان هطلت الامطار الغزيرة آنئذ ، فتم تنظيف الصخرة باسرع مما توقع الناس ، وآذنَ عمر بعد ذلك بالصلاة فوقها .

مسجد عمر

واغتنمتُ هذه الفرصة وسألت محدثي عن مسجد عمر ، وعن الموقع الذى قام فيه بالتحديد ..

قال : اختلف المؤرخون في ذلك فمنهم من قال ان مسجد عمر قام في جانب من المكان الذى بنى فيه المسجد الاقصى ، حيث يقوم محراب عمر فى هذا المسجد . ومنهم من قال بان مسجد عمر انما اقيم في الفناء الخارجي لكنيسة القيامة ، حيث صلى امير المؤمنين ، وذلك بعد ان تمنع عن الصلاة داخل الكنيسة عندما دعاه البطرك الى الصلاة فيها ، خشية ان يستند المسلمون الى ذلك فيما بعد ، فيضعوا يدهم على تلك الكنيسة .. ومن المؤرخين من يقول بان موقع مسجد عمر كان بمحاذاة الصخرة ، حيث يقوم مسجد الصخرة في الوقت الحاضر .

ولعل في هذا القول الاخير ما يفسر لنا الخطأ الشائع الذى يقع فيه الكثيرون من أهل الغرب وحتى المستشرقين فقد التبس على هؤلاء المسجدان وراحوا يطلقون اسم مسجد عمر على مسجد

المسجد الاقصى رحب فسيح تبلغ مساحته نحو ٤٥٠٠ متر مربع . ويكثر فيه الاعمدة الرخامية (٥٣) والابواب (١١) والنوافذ (١٣٧) . ومن محاريبه محراب عمر . وهناك جامع صغير متصل به في الجهة الجنوبية الشرقية ويعرف بجامع عمر أيضاً .





كنيسة الجسمانية كنيسة جميلة من الداخل كما هي جميلة من الخارج . وتعطي الصورة دليلا واضحا على جمالها الداخلي . ولا يخفى ان كنيسة القيامة هي في طليعة المقدسات المسيحية في القدس . وقد بنت هذه الكنيسة الملكة هيلانه سنة ٣٢٥م .



الصخرة المشرفة وهي تقوم في اوسط مسجد الصخرة وتحت قبته مباشرة تبلغ ١٧٫٧٠ مترا طولا و ١٣٫٥٠ مترا عرضا . وهي مرتفعة قليلا كالتل الصغير ، ويبلغ ارتفاع اعلى نقطة فيها نحو نصف متر .
ويوجد تحت هذه الصخرة مغارة ينزلون اليها على سلم ضيق لا تزيد درجاته على ١١ درجة . وشكل هذه المغارة مربع (٤٫٥ × ٤٫٥ متر تقريبا) .
ومن المعتقدات الشائعة بين العامة عن الصخرة ومغارتها ان ارواح المؤمنين ستحشر في المغارة يوم القيامة ، وان الصخرة معلقة بين الارض والسماء . وليس ثمة ما يؤيد هذه المعتقدات في الدين ولا في العلم .

الصخرة . وبلغ من شيوع هذا الخطأ ان جوستاف لوبون نفسه وقع فيه .

ولا يعرف الكثير عن مسجد عمر هذا . الا ان سائحا اوروبيا اسمه اركولف Arculf زار القدس سنة ٦٧٠ ميلادية وشاهد مسجد عمر ، ولما يمض على بنائه ثلاثون عاما . ويذكر اركولف هذا ان المسجد كان بسيطا للغاية ، وقد بني من الخشب واللبن وانه كان مستطيل الشكل رحبا ويتسع لنحو ٣٠٠٠ من المصلين .

البراق والبحث عن الهيكل

وانتقل محدثي بعد ذلك الى الكلام عن المخاطر التي تحدق بالمقدسات الاسلامية ، وبخاصة تلك الناجمة عن الحفائر واعمال التنقيب عن الآثار . قال : ان الاسرائيليين جادون في البحث عن آثارهم القديمةوذلك تحت اسوار الحرم الشريف وبالقرب من البراق ، او حائط المبكى ، كما يسميه اليهود .

وحائط المبكى هذا يبلغ طوله ١٥٦ قدما وارتفاعه ٥٦ قدما ، وهو مبني بحجارة قديمة ضخمة يجاوز طول بعضها ١٥ قدما . ولكنه مقدس في نظر اليهود وهم يعتقدون بان بعض هذا الجدار هو من بقايا هيكلهم القديم الذى ما انفكوا يبكون اندثاره ، وزوال ملكهم الاسبق معه ... وهذه البقايا ليست بقايا هيكل سليمان ، هيكل اليهود الاول الذى بناه الملك سليمان سنة ١٠٠٧ق م ، ودمّره نبوخذ نصر حوالي سنة ٥٩٧ ق.م، والذى لم يبق من آثاره سوى اسطبل سليمان « والاقصى القديمة » وهما دهليزان كبيران يقعان تحتالمسجد الاقصى والحرم الشريف . ثم ان حائط المبكى ليس من بقايا الهيكل الثاني الذى بناه اليهود سنة ٥١٥ ق.م ابّان الاحتلال الفارسي . ذلك ان الاقسام السفلى من حائط المبكى هي من بقايا هيكل اليهود الثالث وهو الذى بناه هيرود سنة ١٨ ق.م .

اما هيرود هذا فكان ملكا على مملكتهم الجنوبية المسماة (يهوذا) ايام السيد المسيح (٧٣ — ٤ ق.م) . وكان روماني النزعة والولاء ،

كما كان ، حسبما قال البعض ، عربي المولد (١) . وقد اشتهر بشغفه بالبناء والعمران فانشأ القصور والقلاع وبنى الهيكل الثاني ، حيث كان هيكل سليمان ، وذلك سنة ١٨ ق.م ، ولكن هيرود اشتهر ايضا بالظلم والطغيان ، وقد امر بذبح اطفال بلدة بيت لحم ، حسبما يقال ، لا لسبب الا لضمان القضاء على السيد المسيح وهو طفل صغير .

ولكن حائط المبكى جزء من سور الحرم الشريف. فهو الجدار الغربي من ذلك السور . لذلك كان هذا الحائط مقدسا في نظر المسلمين . اضف الى ذلك اعتقاد المسلمين بان الرسول ، حينما عرج الى السماء ، ربط براقه ـ اى حصانه ـ هناك ، فسمي الحائط بالبراق تبعا لذلك . واتخذ شيئا من القدسية بسبب ذلك .

والمهم في الامر هو ان حائط المبكى وقف اسلامي وملك خاص بالمسلمين . وقل مثل ذلك في الرصيف المحاذي لذلك الجدار ، حيث يقف اليهود زوار الحائط يبكون ، وهو رصيف ضيق لا تزيد مساحته على ١٢٠ قدما مربعا .

وكان من نتيجة هذا التقديس المزدوج ان كثرت المنازعات وقامت الاصطدامات ايام الانتداب حول الحائط ورصيفه . فقد اراد اليهود وحاولوا مرارا ان يضعوا يدهم على ذلك الرصيف ، ليوسعوه ويبلطوه ، وأصرّ المسلمون على منعهم من ذلك . وتضمنت التقارير التى وضعتها اللجان المختصة التى فصلت في تلك الخلافات ، اقرار

الزيادات المتوقعة في عدد السكان اليهود في القدس زيادات تعتمد على الهجرة .. اى ان اسرائيل ستعمل على رفع نصيب القدس من مجموع المهاجرين اليهود اليها . فقد بلغت نسبة هذا النصيب ١٢٪ في سنة ١٩٧١ وهي نسبة تبلغ ضعف ما كانت عليه قبل حرب ١٩٦٧ . وتنوى سلطات الاحتلال رفع هذه النسبة حتىتصبح ٢٠٪ في السنة الحالية (١٩٧٢) .
وجدير بالذكر ان مجمل عدد المهاجرين اليهود الى اسرائيل بلغ حوالي (٥٠٠٠٠) في السنة الماضية ، ١٩٧١ .

الوضع الراهن اى (الستاتسكو Statusguo) والاعتراف بملكية المسلمين للمكان ، وعدم السماح لليهود باكثر من الدنو من الجدار .

وانقلبت الاوضاع راسا على عقب بعد حرب الايام الستة . فقد سقطت القدس كلها ، ناهيك بالضفة الغربية وسيناء والجولان ، في ايدى اليهود ، واصبحت كافة مقدساتها ، بما فيها حائط المبكى ، خاضعة لنفوذهم . اضف الى ذلك ان السلطات الاسرائيلية ضمت القدس العربية ، وضمنها البلدة القديمة ، الى الاراضي التى تعتبرها « اسرائيل » ! . وهكذا لم يعد في الوجود قدس عربية واخرى يهودية بل قدس اسرائيلية

تشمل الوحدات السكنية التى تقيمهاالسلطات الاسرائيلية في القدس وحولها عددا من الفنادق الضخمة . فهناك ٩ فنادق قربت على الانتهاء ، وأحدها مكون من عشرين طابقا (فوق التل الفرنسي) . ومع ان هذه المباني التسعة ستزيد مجموع عدد غرف الفنادق في القدس باكثر من ٢٠٠٠ غرفة فان خططا جديدة وضعتووفق عليها مؤخرا وذلك لاقامة ١٦ فندقا جديدا بالاضافة الى تلك الفنادق التسعة .
وجدير بالذكر ان اسرائيل تولي السياحة جل اهتمامها . والحج الى القدس ركن رئيسي من اركان هذه السياحة . وقد بلغعدد حجاج القدس (من المسيحيين واليهود طبعا) ٦٠٠,٠٠٠ حاج سنة ١٩٧١ .

واحدة ، تخضع لقوانين واحدة وانظمة بلدية واحدة .

وكان حائط المبكى ورصيفه في طليعة ما استهدفته اعمال بلدية القدس بعد حرب ١٩٦٧ . فقد هدموا ما حول حائط المبكى من بيوت ومنازل (الحي المغربي) لا لسبب الا لكي يبلطوا الرصيف الضيق ، وشردوا اكثر من ٢٥٠ عائلة كانت تسكن تلك البيوت لا بقصد الا من اجل تأمين راحة اليهود الذين يزورون المبكى .

والاخطر من ذلك هو انهم نشطوا في اعمال التنقيب عن الآثار بالقرب من حائط المبكى . وتجري اعمال التنقيب هذه تحت اسوار الحرم الشريف وعلى مقربة من اساسات المسجد الاقصى. وقد اقتربوا كثيرا من قصر المجلس الاسلامي الاعلى .

ولم تسفر الحفائر الاسرائيلية حتى الآن عن اكثر من الكشف عن بعض الحجارة الضخمة التي زعموا انها من بقايا هيكل هيرود . ومهما يكن فهم ماضون في اعمالهم هذه ولن يكفئوا عنها قبل ابراز الاقسام السفلى من سور الحرم وبخاصة الجانب الغربي من ذلك السور ، بكامله . وهم يطمحون من وراء ذلك الى العثور على اطلال هيكلهم القديم ، هيكل هيرود . اما اذا لم يعثروا على اطلال تسمح باعمال الترميم ، فقد تعمد السلطات الاسرائيلية الى اعادة بناء ذلك الهيكل من جديد . ولا يخفى ما قد تقتضيه مثل هذه الاعمال من هدم متعمد ، او غير متعمد ، لبعض



حفائر يبلغ عمقها نحو ٣٥ قدما قام بها علماء الآثار الاسرائيليون بمحاذاة الجدار الجنوبي للحرم الشريف والمسجد الاقصى . والكتل الكبيرة التي تراها في الحفر تزن الواحدة منها حوالي نصف طن وهي ، في اعتقاد الاسرائيليين ، من بقايا هيكلهم الثاني ، هيكل هيرود . ولجدر الاشارة الى ان الجدار الغربي لمنطقة الحرم الشريف هو البراق او حائط المبكى كما يسمونه . وقد هدموا عشرات البيوت العربية بالجرارات وشردوا اهلها لكي يتمكنوا من توسيع الرصيف المواجه للجدار وتبليطه .



المساجد والمقدسات الاسلامية . على ان هذه الاعمال لم تتحول بعد الى مشاريع تتبناها البلدية او غيرها من الجهات الرسمية . بل ان السلطات الاسرائيلية كانت تنفي حتى الآن احتمال الاقدام على اعادة بناء الهيكل . ولكن الى متى يستمر هذا النفي .. والذين يطالبون باعادة بناء الهيكل كثيرون ، ويضمون فيمن يضمون ، رجال الدين والمتدينين وهم قوة كبيرة في اسرائيل .

من رام الله الى بيت لحم

وتناول محدثي بعد ذلك المشاريع العمرانية والسكنية التى بدأ اليهود ، بل قطعوا شوطا في تنفيذها ، في القدس العربية . واول هذه المشاريع هو مشروع اعادة بناء الحي اليهودي في بلدة القدس القديمة .

وحسبنا ان نذكر بان العمل في هذا المشروع قد انتهى وان حوالي ٢٠٠٠ - ٣٠٠٠ عربي قد شردوا واصبحوا لاجئين نتيجة لتحقيق هذا المشروع .

ولم تقف الامور عند هذا الحد . اذ تجرى اعمال البناء حاليا على اوسع نطاق في وحدات أو أحياء سكنية ضخمة في القدس العربية . وما حولها . ونلخص هذه المشاريع فيما يلي :

مجموعة وحدات (رامات اشكول) ، وقوامها مبان ذات ٤ طوابق تقع على الجانب الغربي من الطريق المتجه شمالا الى رام الله . وقد اكتمل العمل في هذه المجموعة ، وشرعوا في اقامة مجموعة وحدات اخرى على الجانب المقابل من الطريق .

وسموا هذه المجموعة الثانية « رقبة العاصمة » نظرا لوقوعها فوق التل الفرنسي ، ولارتفاع مبانيها المكونة من ٦ طوابق . ولا يخفى ان هذه المجموعة التى تقع على الجانب الشرقي في طريق القدس رام الله تطل مباشرة على بعض الاحياء العربية في القدس .

اما مجموعات الوحدات الاخرى فهى مجموعة النبي صمويل ، وهو جبل يقع الى الشمال الغربي من القدس ، ومجموعة دار الحكومة في الجنوب ومجموعة وحدات شرفات في الجنوب العربي .

وليس هنا مجال التفصيل في الحديث عن ضخامة هذه المباني او كثرتها . وحسبنا ان نقول بان من شان هذه الوحدات ان تضاعف عدد السكان اليهود في القدس حتى يبلغ مجمل سكانها في سنة ٢٠١٠ ما يقارب المليون وربع المليون نسمة . اضف الى ذلك ان مدينة القدس ستصبح قبل ذلك التاريخ صفا متراصا من ناطحات السحاب يمتد من رام الله ولا ينتهي الا ببيت لحم .

اما الارض التى تقوم عليها هذه الوحدات فارض عربية كلها ، انتزعتها اسرائيل واستملكتها رغم ارادة أصحابها العرب . فعلت ذلك وفق تشريعات سنتها وما زالت تسنها وتستهدف بها طمس عروبة المدينة بطريقة او باخرى . ومن يدرى ، فقد لا تحل سنة ٢٠١٠ حتى تصبح قبة الصخرة والحرم الشريف اشبه بمسجد صغير في مدينة نيويورك ..

يوسف زعبلاوى

مؤتمر الأدباء الثامن
ومهرجان الشعر العاشر

● الشعراء الكبار لم يقولوا شيئا جديدا في المهرجان •

● رأى غريب نسمعه في مناقشات البحوث عن الشعر •

بقلم : احمد السقاف

■ حدد الاتحاد العام للكتاب العرب تاريخ انعقاد مؤتمر الأدباء الثامن ومهرجان الشعر العاشر باليوم الحادي عشر من ديسمبر ١٩٧١ في دمشق .

وفي صباح السبت ٧١/١٢/١١ عقدت الجلسة الأولى لرؤساء الوفود بالمجلس الاعلى للفنون والآداب ، وتم استعراض شامل لسير العمل في جلسات الصباح المخصصة لقراءة البحوث ومناقشتها ، وجلسات المساء المخصصة لمهرجان الشعر . واستعرض المجتمعون ما قام به المكتب الدائم للاتحاد العام منذ المؤتمر السابع المنعقد ببغداد في ربيع ١٩٦٩ . ونوقشت بافاضة ميزانية مجلة الاتحاد العام للكتاب العرب التي تصدر في القاهرة ، والعقبات التي تعترض سبيل انتشارها في اقطار العروبة ، واتخذ في الاجتماع قرار باضافة مساعد خامس للامين العام رأينا أن يكون من العراق لما للعراق من وزن في ميدان الثقافة العربية . أما المساعدون الأربعة فهم من فلسطين وسورية ولبنان والمغرب ، وقد كانت هذه الجلسة مشبعة بروح الود والتفاهم .

حفلة الافتتاح

وفي المساء أقيمت حفلة الافتتاح وقد ألقى فيها رئيس الجمهورية السورية كلمة أعلن فيها أن رقابة المطبوعات قد انيطت بالاتحاد العام لكتاب سورية بدلا من الرقابة الحكومية ، ولا شك عندي ان رجال الأدب أقدر على الحكم من غيرهم فيما يجب أن يقرأ وما يجب أن يمنع ، ذلك ان الرقابة في كل قطر عربي قد جعلت سيف المنع مصلتا على رقاب المؤلفين وحجب المنع كتبا كان يجب ان يطلع عليها الناس .

وبعد كلمة رئيس الجمهورية القى الامين العام للاتحاد كلمة مناسبة ثم اخذ رؤساء الوفود يلقون كلماتهم ، وكان الى جانبي رئيس وفد العراق الدكتور شاذل طاقة ، واخذت استعرض في ذهني عناصر الكلمة التي يجب ان اقولها في تلك الساعة والتفت الى الاستاذ شاذل . وقلت له انني لا استطيع ان اندد باحتلال ايران الجزر الثلاث في الخليج العربي دون ان اندد ايضا باعتدائها على العراق في شتاء ١٩٦٩ حين مارست عدوانا صارخا في شط العرب وما زالت تمارسه الى اليوم ، ان الكلمة الارتجالية لا يستطيع المرء ان يتحكم في عباراتها الا ضمن ما اعتاد عليه وما الفه من اتجاه فكري عام ؟ وقد سر الاستاذ شاذل طاقة ، وقال كم اتمنى لو ان رؤساء الوفود يتطرقون الى اعتداء ايران علينا . ان ايران تحشد جيشها على حدودنا ، انها تحاول ان تجرنا الى معارك جانبية تخفف بها عن اسرائيل .



جانب من المؤتمر في حفل الافتتاح ، ويرى بعض رؤساء الوفود ، وقد ظهر بينهم رئيس وفد الكويت (الثالث من اليمين) ، بين رئيس وفد ليبيا ورئيس وفد العراق .

وحين نودي باسمي القيت كلمة تضمنت التحية الرفيقة الخالصة لدمشق ومناشدة الادباء والشعراء العرب أن يكونوا في مستوى الاحداث ، وان يؤدوا رسالة الكلمة النزيهة الشريفة الى الجماهير العربية بصدق وايمان . وأكدت على حتمية المعركة ، وعرجت على عدوان ايران في شط العرب عام ١٩٦٩ ، وفي الخليج العربي في أيامنا هذه ، وطالبت جميع الدول العربية باتخاذ موقف موحد تجاه هذا العدوان الجديد ، ولقد فات بعض رؤساء الوفود في جلسة الافتتاح تلك ان يتطرقوا الى عدوان ايران على العراق والخليج العربي .

وانتهت الحفلة كما بدأت عربية خالصة متضامنة ترفض التشويش والتشويه .

في اليوم الثاني

وفي اليوم الثاني بدأت الجلسات الصباحية لقراءة البحوث ومناقشتها ، وقد تكلم كل أديب كما يحلو له ان يتكلم .

رأي غريب في الشعر

ولعل اطرف ما سمعنا من التعقيبات والتعليقات ذلك التساؤل الذي وجهه رئيس وفد جمهورية اليمن الجنوبية حين قال كيف يستطيع بلد كاليمن الجنوبية ان يلحق بركب الشعر الحديث وهو متخلف ، وما زال الشعراء فيه يلتزمون الوزن والقافية ؟! فتلفت الكثيرون لهذا التساؤل وتبادل بعضهم الابتسامات !! ولا ادرى كيف اقدم السيد الجاوي رئيس وفد جمهورية اليمن الجنوبية على طرح هذا التساؤل وهو المثقف اللبيب الواعي ، فهل فاته أن الشعر الحديث انما هو الشعر الحي الحافل بمشاكل هذا العصر ، ولا فرق في هذا بين شعر مقفى موزون وبين شعر منطلق منثور . اليس الشعر الحديث انما هو ذلك الشعر الذي يقف مع قضايا الانسان ، مع كفاحه وطموحه من أجل حياة كريمة وعيش أفضل ؟! اني لأعتقد جازما ان الشعر الحديث ليس قطعا ذلك الشعر المتحلل من الوزن والقافية ومتى كان التزام الوزن والقافية تخلفا ؟ .

نزار قباني وهو من نعرف في ميدان التجديد أطرب الجمهور في اليوم الثالث من المهرجان بقصيدتين التزم فيهما الوزن والقافية ، والسيد مصطفى جمال الدين شاعر العراق ألقى في اليوم الثاني قصيدة نالت الاعجاب الشديد وكانت كما

يعرف السيد الجاوى ملتزمة الوزن والقافية . والشاعر الكبير محمد مهدى الجواهرى لا يعرف سوى الالتزام بالوزن والقافية . وشعراء تونس لم يلقواحد منهمقصيدة الا ملتزمة الوزنوالقافية، وهم قد تتلمذوا في معاهد أجنبية ونهلوا منالثقافة الغربية . ولست أدرى أوصل الى علم الاستاذ الجاوى أخبار مهرجان الموصل وهو المهرجان الذى اقيم في نفس اليوم الذى بدأ فيه مهرجان الشعر بدمشق، وهل سمع بما نالت قصيدة شاعر صنعاء من اعجاب ؟! لقد اكد لي الكثيرون أن قصيدة الشاعر الضرير عبد الله البردوني قد نالت قصب السبق في مهرجان الموصل ، والبردوني كما يعرف الجاوى نفسه لم يغادر اليمن للدراسة وانما درس في كتاتيبها ومعاهدها المتواضعة زمن الأئمة وهذه مقاطع من تلك القصيدة العصماء : ـ

ماذا ترى يا أبا تمام هل كذبت
أحسابنا أو تناسى عرقه الذهبُ
عروبة اليوم أخرى لا ينم على
وجودها اسمٌ ولا لونٌ ولا لقبُ
تسعون الفا لعمورية اتقدوا
وللمنجم قالوا اننا الشهبُ
قيل انتظار قطاف الكرم ما انتظروا
نضج العناقيد لكن قبلها التهبوا
واليوم تسعون مليونا وما بلغوا
نضجاً وقد عصر الزيتون والعنبُ

الى أن يقول :

« حبيبُ » وافيت من صنعاء يحملني
نسرٌ وخلف ضلوعي يلهث العربُ
ماذا أحدّث عن صنعاء يا أبتي
مليحة عاشقاها السل والجربُ
ماتت بصندوق « وضاح » بلا ثمن
ولم يمت في حشاها العشق والطربُ

الى أن يقول :

حبيبُ هذا صداك اليوم أنشده
لكن لماذا ترى وجهي وتكتئبُ
ماذا أتعجب من شيبي على صغرى
اني ولدت عجوزاً كيف تعتجبُ
واليوم أذوى وطيش الفن يعزفني
والأربعون على خدىّ تلتهبُ

والقصيدة طويلة وجميع أبياتها جميلة ولولا الاطالة لسقت اكثر مقاطعها .

ان قريحة الشاعر لا تخضع لمقاييس التخلف والتقدم . فطاغور شاعر عالمي ، وهو في الوقت نفسه من شعراء الهند المتخلفة . وعمر الخيام ظهر في زمن الانحطاط والتخلف . وشوقي ظهر في وقت كانت فيه مصر كما نعرف ، وما زالت مكانة شوقي شاغرة الى هذا اليوم . فالتحلل من الوزن والقافية ليس دليلا على الرقي وانما يدل على ظاهرة متفشية في مجتمعنا العربي ألا وهي ظاهرة التقليد ، فنحن نحب ان نقلد الغرب ، وهذا النمط من الشعر المنثور تحفل به دواوين شعراء الغرب ، وليس في قولي هذا ما يسيء الى الشعر المنثور المسمى بالشعر الحديث ، فلقد قلت وما زلت اقول انّ الجودة يجب أن تكون المقياس الوحيد فكم من قصائد التزمت الوزن والقافية ولكنها لم تتعد كونها نظما مملا مرفوضا ، وكم من قطع فنية من الشعر المنثور نالت الاستحسان والاعجاب .

ولا يعيب الشعر الالتزام بالوزن والقافية فالعمل الفنى يجب أن يقبل المعاناة كاملة ، ولا شك أن التزام الوزن والقافية معاناة تضاف الى معاناة الشاعر في اصطياد المعاني والصور الفنية الجميلة . واذا كنا اليوم نريد أن نتحلل من قيود الوزن والقافية ليكون الشعر حرا طليقا ونكون في راحة من معاناة الوزن والقافية فلا شك اننا سنواجه قريبا دعوة أخرى تنشد الغاء النحو والصرف لانهما قيود والكتابة بدونهما سهلة .

وعلى أية حال فقد كانت تلك المناقشات مثيرة وهي في اعتقادى احسن وسيلة لوقوف الادباء على مختلف الآراء ، ولا بد من سعة صدور شيوخ الادب لما يجيء على السنة الشباب ، فهؤلاء هم شيوخ الغد ، كما لا بد من تواضع الشباب أمام هؤلاء الكبار فلن يصل الشباب الى ما وصل اليه هؤلاء الا بعد كفاح وتعب شديدين .

أمسيات للشعر جميلة

أما الشعر فقد كانت امسياته جميلة حقا ، بالرغم من اشتراك بعض شاعرات أردن ان يعاقبن الجماهير عقابا مرهقا حين قرأن سأما طويلا أشبه ما يكون بما نظم في النحو والفقه وعلم الكلام ، وكان من حق الناس على المهرجان ان يسمعوا شعرا لا أن يسمعوا ذلك النظم المجوج .

وليس معنى ذلك ان الشعراء لم يضموا بين جمعهم من كان في هذا المستوى المتخلف وانما

كثرة الشعراء المحلقين قد خففت عن الناس متاعب الفاشلين في ذلك المهرجان .

واذا كان لا بد من رجاء اقدمه في هذا الصدد فهو استبعاد المتشاعرين والمتشاعرات من مهرجانات الشعر هذه ، فلا يجوز ان يتطفل على الشعر من لا يجيد غير النظم الهزيل أو الهذيان الممل المنفر ، فليس الشعر الكلاسيكي هو التزام الوزن والقافية ولا الشعر الحر هو الهذيان بجمل ركيكة مبهمة .

الشعراء الكبار لم يقدموا شيئا جديدا

لم ان الشعراء الكبار ، محمد مهدى الجواهرى وبدوى الجبل ، وعمر ابو ريشه الذين تطلع الجمهور الى سماع روائعهم لم يستطيعوا ان يقدموا شيئا جديدا للمهرجان ، فالجواهرى القى قصيدتين قديمتين احداهما يتشوق فيها الى احبابه ، وقد نشرت في احدى الصحف منذ بضع سنوات ، والاخرى مرثية جمال عبد الناصر وقد القاها في آخر سبتمبر ونشرت في اوائل اكتوبر بجريدة الاهرام . وبدوى الجبل قرأ قصيدة قديمة يعاتب فيها دمشق . وعمر ابو ريشه قرأ ابياتا من بعض قصائده القديمة . ولكن ظهور الجواهرى فجأة في اليوم الثالث قد هز المهرجان وزحف الناس الى الحفلة على شكل لم يسبق له مثيل وزاد في الامر عودة نزار الى دمشق بعد غياب طويل ومشاركته في تلك الامسية ، وتجلى في المهرجان شاعر العراق السيد مصطفى جمال الدين كعادته وكذلك الشاعران السوريان الحريرى والقباني .

حظ تونس

وكان حظ تونس جيدا فالقصائد التى قدمها شعراؤها في تلك الامسيات كانت رقيقة كرقة طباع التونسيين ولم يكب جواد الشاعر الفنائي صالح جودت وانما تعرضه لشخصيتين سياسيتين لم يكن في محله ، وحلق اثنان او ثلاثة من المشاركين بشعر منثور ، وسقط المقلدون الذين لم يستطيعوا ان يرتفعوا الى قمة الابداع ، وقدم الشاعر سليمان العيسي تلاميذ صغاراً ينشدون له شعرا على « الاوكارديون » فكان موفقاً في تلك الحركة الجديدة على المهرجان ، وليس التنويه باسماء بعض الشعراء فيه تقليل من شان شعراء آخرين وانما هي امثلة وردت عند الكتابة ، ويبقى الحكم الصحيح بعد هذه المهرجانات للشعب العربي من خليجه الى محيطه ، فكثير مما يكتب بعد هذه المهرجانات في بعض الصحف لا يخرج في الغالب عن كونه عواطف شخصية محضة تجاه هذا الشاعر او ذاك ، والشعر الجيد وحده يبقى اناشيد خالدة في افواه الناس واما مادون ذلك ـ مهما كتب عنه ونال من اطراء دون وجه حق ـ فلن يعيش ولن تحتفل به الشهور والاعوام .

جلسة الختام

وقد انهى المؤتمر جلساته بجلسة لرؤساء الوفود اقروا فيها القرارات والتوصيات واذا كان قد حصل في هذه الجلسة ما حصل من نقاش بين بعض الاخوة فان ذلك يعتبر شيئا مألوفا ولا داعي لتهويل تلك المناقشات وتجسيم خلافاتها ، ان الامة العربية تمر باخطر مراحل حياتها واذا كان الادباء والشعراء لم يضعوا نصب اعينهم المصلحة العليا لهذه الامة فلا كان ادب هؤلاء . ان الاعداء وفي مقدمتهم الصهيونية العالمية والاستعمار الغربي ، ومن يستظلون بظل هذا الاستعمار ، يسعون جاهدين لاستمرار الشقاق بين انظمة الحكم في البلاد العربية وبخاصة تلك الانظمة التي يرتجى منها خير لفلسطين ويستغلون كل خلاف مهما كان عاديا بسيطا لاذكاء نيران الفتنة ولقد قرأت في بعض الصحف تعليقات متهافتة عن خلاف وهمي بين رؤساء الوفود ولو لم اكن مطلعا على ما دار في تلك الجلسات لما قمت بتكذيب تلك الاكاذيب المدسوسة على المؤتمر .

ويهمني قبل ان اختتم هذه الخواطر ان اشدد على وجوب توزيع البحوث المقدمة من الادباء على جميع الاتحادات قبل انعقاد المؤتمر بشهر على الاقل ليتسنى للمشاركين قراءة هذه البحوث والتعليق عليها ، لقد وزعت البحوث في الساعة التى كانت تناقش فيها ومعنى ذلك ان المناقشات كانت مرتجلة ، وان الكثيرين ممن احجموا عن المشاركة في المناقشة كانوا على حق في احجامهم ، وارجو مخلصا بعد هذا ان تنظر الامانة العامة الى هذا الاقتراح بعين الاهتمام ان اردنا نجاحا كاملا للمؤتمرات في المستقبل والله من وراء القصد . ■■

الكويت : أحمد السقاف

تخفيض قيمة الدولار بالنسبة للذهب



بقلم : الدكتور عبد المنعم الطناملي

■ يجدر بنا قبل ان نخوض في موضوع الدولار وتطوراته ان نرجع قليلا الى الوراء عندما اجتمع ممثلو اربع واربعين دولة في بريتون وودز وتم وضع اتفاقية صندوق النقد الدولي التي ارست اسساثابتة للنظام النقدي العالمي في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية والتي من خلالها اصبح نظام النقد الدولي الحالي يرتكز على ثلاثة مبادىء رئيسية وهي :

١ ــ حرية تحويل العملات .

٢ ــ تثبيت اسعار الصرف .

٣ ــ الارتباط بالذهب .

وقد سار هذا النظام سيرا عاديا طالما كان الدولار عملة ثابتة يسندها رصيد ضخم من الذهب وفائض في ميزان المدفوعات عن العمليات الجارية ، الا ان التطور في توزيع القوى المنتجة على الصعيد العالمي ، فضلا عن تزايد نفقات الحرب والاستعدادات العسكرية على المستوى الدولي ، كان لها اثر كبير في تزايد العجز في ميزان المدفوعات الامريكي بل والى ظهور عجز في الميزان التجاري ذاته .

فشل التسويات الجزئية

وبعد ان فقدت الولايات المتحدة جانبا كبيرا من احتياطها الذهبي وحدثت المضاربات المعروفة على قيمة الذهب من بضع سنوات ، قررت الدول الكبرى وذلك في العشرين من مارس سنة ١٩٦٨ العمل على تصفية مجمع الذهب الذى كان يدافع عن السعر الرسمي المعلن للذهب وهو ٣٥ دولارا للاوقية والموافقة على تطبيق نظام تحددت للذهب فيه معاملتان ، احداهما يحافظ فيها على سعر الذهب الرسمي وتقتصر على المعاملات بين البنوك المركزية ، والاخرى يكون السعر فيها حرا تحكمه ظروف السوق .

وظن العالم بذلك انه قد تخطى الازمة وان النظام الذى اتفق عليه في بريتون وودز قد يدوم ، ولكن التغير في الظروف الاقتصادية والمالية

- أثره فى أمريكا ودول اوروبا
- أثره فى الدول النامية
- أثره فى الدول العربية مصدرة النفط
- قيمة العملات العربية بعد تخفيض الدولار

★ ★ ★

والنقدية على المستوى العالمى كان اقوى من اتفاقات الدول الكبرى فاعلنت الولايات المتحدة في ١٩٧١/٨/١٥ ايقاف تحويل الدولار الى ذهب وطلبت من الدول الكبرى وبصفة خاصة المانيا واليابان رفع قيمة عملاتها ، كما اتخذت من جانبها اجراءات تجارية واقتصادية بقصد اعادة التوازن في ميزان مدفوعاتها والحد من حركة التضخم الداخلى .

الاجراءات الامريكية المنفردة

وتتلخص في فرض رسم اضافي قدره ١٠٪ على الواردات الصناعية وتقرير تسهيلات ضريبية تمنح للمنتجين الذين يستخدمون سلعا محلية بدلا من السلع المستوردة ، هذا فضلا عن التسهيلات الخاصة لمنتجى السيارات ، مضيفة بذلك الى الرسم على الواردات أعباء أخرى تواجه بها الواردات الاجنبية مما يساعد على تنشيط الاقتصاد الداخلى ومكافحة معدل البطالة المرتفع الذى تشكو منه ، نتيجة لحماية سوقها من منافسة بعض البضائع الواردة ، وتقوية قدرة المنتجين الداخلين في المنافسة الخارجية .

أما على الصعيد الداخلى فانها عملت على تثبيت الاسعار والاجور كسرا للحلقة الجهنمية التى تربط بينها حينما يحدث التضخم فتؤدى كل زيادة في الاجور الى زيادة في الاسعار .

ولقد خلقت اجراءات الولايات المتحدة من جانب واحد جوا من الخوف على الصعيد الدولى والذى كان يتمثل في :

١ ـ الخوف من دخول العالم في أزمة ركود اقتصادى .

٢ ـ الخوف من الدخول في حرب الحماية الجمركية .

٣ ـ الخوف من انهيار صرح نظام النقد الدولي الذى اقر في بريتون وودز والذى أوجد اساسا سليما لنمو التجارة الدولية ، بسبب زوال المخاطر النقدية التى كانت ـ بجوار مخاطر التجارة العادية ـ تعد من بين العوائق التى تحد من ذلك النمو ، وكذلك بسبب توافر قدر ملائم من السيولة الدولية لتمويل نمو التجارة نتيجة استخدام الدولار الامريكى كعملة دولية وتوافره في السوق بسبب عجز ميزان المدفوعات الامريكى .

من هو المنتصر اوروبا او الولايات المتحدة ؟

في منتصف ديسمبر حدث اللقاء الشهير في جزائر « الازور » واعلن الرئيس الامريكى ورئيس الجمهورية الفرنسية تخفيض قيمة الدولار دونما تحديد لمقدار النسبة ثم تم تحديد النسبة في ١٨ ديسمبر . وارتبط هذا الاعلان بالاتفاق على وجوب معالجة المشاكل الاساسية وبلوغ وضع في العلاقات التجارية الدولية يتمشى مع احتياجات التجارة الدولية . فهناك قيود مفروضة على الواردات الامريكية في اوروبا ، كما ان هناك قيودا على الواردات الاوروبية في الولايات المتحدة ، فضلا عن وجود المنافسة على الصعيد الدولى بالنسبة لبعض السلع وهى منافسة يجادل الاطراف المعنية في مشروعيتها . وكل هذه المسائل متصلة بالتكتلات الاقليمية الحالية في اوروبا ومرتبطة ببعض السياسات التى تنتهجها الولايات المتحدة .

أما من الناحية النقدية، فقد اشترطت الولايات المتحدة رفع قيمة بعض العملات وقد تم ذلك فعلا بعد الاعلان آنف الذكر ببضعة أيام ، اذ تحدد تخفيض الدولار الى الذهب بنسبة ٧٫٨٩٪ كما رفعت أسعار المارك الالمانى والين اليابانى الى الذهب مما جعل نسبة ارتفاعهما الى الدولار في وضعه الحالى تبلغ حوالى ١٤٪ بالنسبة للمارك و ١٧٪ بالنسبة للين . وبقى الفرنك الفرنسي والاسترليني على حالهما بالنسبة للذهب ، وان كانت قيمتهما قد ارتفعت بالنسبة للدولار نتيجة تخفيض قيمة الدولار الى الذهب .

وفيما يتعلق بالمسائل التجارية فقد بدأت المفاوضات فعلا (وقبل اعلان التخفيض) بين الولايات المتحدة واللجنة المختصة في منظمة الوحدة الاقتصادية الاوروبية . وتتناول هذه

المفاوضات المسائل التجارية التى ألمحنا اليها .

وغنى عن البيان ان مشكلة التكاليف العسكرية التى تتحملها الولايات المتحدة نيابة عن اوروبا ، نتيجة بقاء جنودها في اوروبا وتعهداتها بالدفاع عن دول المجموعة الغربية ، هى من المسائل الاساسية التى يلزم تسويتها لايجاد اساس لبلوغ ميزان المدفوعات الامريكى التوازن المنشود . فمن المعروف ان هذه التكاليف واعباء الحرب الفيتنامية هى من اهم العوامل السالبة في ميزان المدفوعات الامريكى، فضلا عن انها من اهم اسباب التضخم النقدى في الولايات المتحدة .

وتتناول الاتفاقات ايضا نواحى فنية متعلقة بنظام النقد اهمها السماح لتغير اسعار الصرف بين قيمة العملات الرسمية المعلنة وقيمتها في السوق بنسبة تزيد عن النسبة المقررة في بريتون وودز والتى كانت تجعل حدى التقلبات ١٪ في كل اتجاه . ويبدو انه قد تم الاتفاق على رفع هذا الحد الى ٢٫٥٪ في كل اتجاه ، وفي هذا الاتفاق انتصار للفكرة الداعية الى وجوب جعل تقلبات سعر الصرف ، كتقلبات الاسعار بصفة عامة عاملا ايجابيا في تحقيق التوازن في سوق الصرف . وقد وافقت معظم الدول على هذه النسبة الجديدة ، وان كانت هناك دول لم توافق عليها بعد .

وعلى ضوء ذلك كله يمكننا القول بان الاحساس المشترك بضرورة ايجاد اسباب التوازن في الاقتصاد الدولى يعتبر انتصارا لفكرة وحدة هذا الاقتصاد وعالميته ، وبالتالى مصدرا عاما للخير . وتبقى بعد ذلك مشكلة اقتسام تكاليف اعادة التوازن وموضوع جنى ثماره ، فعلى حساب من ولصالح من سيتم التوازن ؟

ان ذلك كله لا تحكمه العوامل الاقتصادية وحدها ، بل تتحكم فيه ايضا الاعتبارات السياسية .

تدهور مركز الدول النامية

اما عن اثر ذلك كله على البلاد النامية وهى في الواقع الجانب الضعيف في الميدان النقدى العالمي، فصوتها في صندوق النقد الدولى مرتبط بحصتها وهو بالتالى صوت ضعيف ، وقدرتها على التأثير في ما يتخذ من قرارات بهذا الصدد محدودة ، وهى بالرغم من ذلك كله تتأثر كل التأثير بما يدور في هذا الميدان من احداث ، وبما يتخذ فيه من قرارات ، فتخفيض قيمة الدولار لا شك انه مس قيمة الاحتياطيات الدولارية لهذه الدول النامية، واذا كان تخفيض قيمة الدولار يزيد من قدرة هذه الدول على استيراد السلع الدولارية بسبب الانخفاض الذى يطرأ على اسعارها اثر تخفيض الدولار ، فان هذا الانخفاض قد لا يستمر زمنا طويلا ، كما ان مقدرة الدول النامية في الحصول على العملات الاجنبية الدولارية أو غير الدولارية قدرة محدودة .

فالمصدر الاساسي في ذلك هو صادراتها من المواد الاولية والمواد المصنوعة . ويبقى السؤال في النهاية قائما عما اذا كان تزايد القوة التنافسية للسلع الامريكية وبعض السلع الاوروبية سيؤدى الى زيادة حصيلة الدول النامية من تجارتها التصديرية او تقليل هذه الحصيلة ؟ وهناك جانب اساسي آخر في الموضوع وهو ان ما تحصل عليه هذه الدول من معونة من الولايات المتحدة قد قلت بل تكاد تكون قد توقفت ، لاسباب متعددة بعضها متصل بعلاقاتها السياسية بالولايات المتحدة والبعض الاخر يعزى الى الصعوبات التى يعانيها ميزان المدفوعات الامريكى . ويبقى السؤال التالى قائما ايضا فيما اذا كانت الدول الاوروبية ستقوم بالدور الذى كانت تقوم به الولايات المتحدة في تقديم العون للدول النامية . هذا مع ملاحظة انه حتى عندما بلغت هذه المعونات قمتها فان حجمها قد ظل بعيدا عن ان يتمشى مع احتياجات الدول النامية .

ان بعض الباحثين في نظام النقد الدولى قد اشاروا وما زالوا يشيرون بان التوازن طويل الاجل للاقتصاد العالمى يستلزم ان تنال الدول النامية نصيبا اكبر من الاستثمارات الطويلة الاجل ، وان تنال ايضا عن طريق نظام النقد الدولى ذاته وسائل تمويل اضافية بان تخصص لها كميات متزايدة من حقوق السحب الخاصة التى تصدر داخل نطاق صندوق النقد الدولى .

خسائر الدول المصدرة للنفط

واذا كان الامل في مستقبل افضل للعلاقات الاقتصادية بل والسياسية الدولية يؤدى الى القول بوجوب عمل شيء ما من اجل تيسير وسائل التنمية للبلاد الفقيرة فان مبادىء العدل والقانون لا تسمح بان تهدر مصالح الدول النامية المصدرة للنفط ،

بسبب ربط تحديد قيمة صادراتها بقيمة دولية هى الدولار ، ثم انخفاض هذه القيمة نتيجة قرار يتخذ في واشنطن او في اى مكان آخر من العالم .

فالدولار عندما يتخذ أساسا لتحديد قيمة النفط انما يقوم بهذه الوظيفة باعتباره المقياس الدولى للقيم ، فاذا ما صدر قرار تغير قيمته ايا كانت الاسباب الدافعة اليه فيجب ان تظل قيمة الصادرات النفطية كقوة شرائية في يد الدول المصدرة قيمة ثابتة بالنسبة لكافة العملات الاخرى ولا تتأثر بالتخفيض الذى طرأ على الدولار، والا لكان قرار الولايات المتحدة سببا لخسارة كبيرة لهذه الدول لا يمكن تبريرها .

وقد قدرت الدول الاحدى عشر الاعضاء في منظمة « الاوبك » الخسائر التى تعرضت لها بسبب تخفيض قيمة الدولار بمئات الملايين من الدولارات وذلك عن المدة السابقة وحدها ، وفي رأيى ان تقدير الاضرار الحقيقية التى تلحق هذه الدول تزيد على التعويض المطالب به . وتبدو ضخامة هذه الخسائر اذا ما استظهرنا الواقع المعروف من ان صادرات النفط لا تمثل دخلا ككل الدخول بل هى الثروة القومية لهذه الشعوب فلا يعقل ان تخفض قيمتها بقرار لا صلة لهذه الدول به .

التغيرات التى طرأت على قيمة العملات العربية بعد تخفيض الدولار

رأينا الآثار الاقتصادية لتخفيض الدولار على البلاد النامية وعلى البلاد المصدرة للنفط. والدول العربية أحد بلدين ، فاما بلد نام يصارع مشاكل التقدم الاقتصادى او يعانى صعوبات في تحقيق توازن ميزان المدفوعات واما بلد نام مصدر للنفط قد احاقت به نتائج تخفيض الدولار .

وقد كان رد فعل الدول العربية لتخفيض الدولار مختلفا باختلاف ظروفها الاقتصادية . فعمدت مصر وسوريا والسودان وجمهورية اليمن العربية الى متابعة الدولار اى انها خفضت قيمة عملاتها بالنسبة للذهب ، اما لبنان فقد تركت عملتها تتقلب تبعا لظروف السوق . وتدل البيانات التى نشرها صندوق النقد الدولى على ان العراق والكويت وليبيا ومراكش والمملكة العربية السعودية وتونس والاردن والجزائر قد حافظت على قيمة عملتها بالنسبة للذهب .

ومن الجلى ان الدول التى تبعت الدولار في انخفاضه انما تركز نظرها على تجارتها الخارجية وتوازن ميزان مدفوعاتها وعلى جعل القيمة الرسمية للعملة اقرب ما تكون الى قيمتها الفعلية في سوق الصرف ، اما الدول التى لم تخفض عملتها بالنسبة للذهب ، فانها قد راعت الاثر الذى كان يترتب على تخفيض عملتها بالنسبة للاسعار الداخلية ، اذ ان هذا التخفيض يجر حتما الى ارتفاع الاسعار الداخلية نظرا لارتباط هذه الاسعار ارتباطا وثيقا باسعار السلع المستوردة من الخارج .

تامين الاقتصاد العربي ضد التقلبات النقدية الدولية

يتضح مما قدمناه ان الاقتصاد العربي قد اصيب باضرار نتيجة تخفيض الدولار ، وان تغير قيم بعض العملات العربية او المحافظة على القيم الرسمية للعملات العربية الاخرى لا يزيل هذه الاضرار ، بل كل ما يستطيعه هو ان يحد من تضخمها أحيانا وينقل عبئها الى القادرين على حمله أحيانا أخرى . فتخفيض قيمة الدولار يترتب عليه فور حدوثه انخفاض قيمة الاستثمارات الدولارية ، سواء أكانت احتياطيات نقدية في صورة سائلة ام كانت استثمارات أخرى . هذه مع ملاحظة انه قد تطرأ بعد ذلك تغيرات على قيمة بعض هذه الاستثمارات بالزيادة اذا كانت موظفة في نواح تستفيد من التضخم مثل الاستثمار في بعض أنواع الاسهم او في العقارات . وعلى ذلك فان الدول العربية ذات الاحتياطيات النقدية الدولارية قد تأثرت بتخفيض قيمة الدولار ، سواء كانت قد احتفظت بقيمة نقدها على حاله او خفضته ، والفرق بين من حافظ على قيمة عملته بالنسبة للذهب ومن خفضها انما هو فرق في ظهور الخسارة او عدم ظهورها من الناحية الرقمية فحسب ، فمن حافظ على قيمة نقده ظهرت خسارته بالعملة الوطنية ، ومن خفض لم تظهر هذه الخسارة ، ومن ناحية اخرى فان من حافظ على قيمة نقده وجنب مستوى الاسعار الداخلية من ان يرتفع نتيجة تخفيض العملة الوطنية ، انما استهدف المحافظة على قدرة شراء العملة الوطنية، ولكن هذا لا يمنع من ان هناك من يتحمل آثار التخفيض ، فاذا كانت موارد الميزانية تأتى من

الخارج مقدرة بالدولار ثم انخفض الدولار ولم تنخفض العملة الوطنية ، فان الدولة تتحمل عبء التخفيض نظرا لاستمرارها في اداء التزاماتها بالعملة الوطنية بنفس السعر السابق مع انخفاض الموارد بالعملة الاجنبية وهذا هو الحال ايضا بالنسبة لكل مدين بالعملة الوطنية استخدم الاموال المقترضة او المودعة عنده في شراء عملات اجنبية جرى عليها التخفيض . وهذا هو وضع كل الوسطاء الماليين (مثل البنوك) اذا استثمروا ما بيدهم من عملة وطنية في استثمارات دولارية قبل تخفيض الدولار .

من أجل هذه الاضرار الجسيمة التي احاقت بالاقتصاد العربي في مختلف اقطاره الغنى منها والفقير فان من الواجب البحث عن وسائل تعويض الاقتصاد العربي عن خسارته وطرائق تفادى تكرر هذا الوضع في المستقبل او التقليل من جسامته .

وفي هذا المضمار قد عملت الدول العربية المصدرة للنفط متعاونة مع الدول الاخرى في منظمة الدول المصدرة للنفط على نيل التعويض اللازم عما لحقها من خسارة برفع اسعار النفط الصادر بما يعوضها عن انخفاض قيمة الدولار بالنسبة للعملات الاخرى . وقد قدر هذا الانخفاض في متوسطه بنسبة ١٢٪ . ولكن شركات النفط قد تقدمت باقتراح بان يقتصر التعويض على الارتفاع في الاسعار الذي يطرأ على واردات البلاد المصدرة للنفط من السلع الاجنبية . ويقدر هذا الارتفاع بنسبة ٧٪ ترى الشركات ان تخصم منه نسبة ٢ر٥٪ كانت قد تقررت بمقتضى اتفاقية طهران اضافتها سنويا الى اسعار النفط لمقابلة ظاهرة الارتفاع السنوى في اسعار الواردات بسبب موجة التضخم في الدول الصناعية وبذا تكون زيادة الاسعار التى تعرضها الشركات نتيجة تخفيض الدولار لا تتجاوز نسبة ٥ر٢٪ .

ولا زالت المفاوضات دائرة بين الطرفين عند كتابة هذا المقال (في يناير ١٩٧٢) . ومن المحتمل ان يتم الاتفاق على ان يكون التعويض ممثلا للانخفاض الذى طرأ على قيمة الدولار بالنسبة للذهب ، وهو ما يؤدى الى رفع اسعار النفط بنسبة ٨ر٦٪ تقريبا .

واذا كان من المتوقع ان تتم تسوية جزئية لموضوع خسائر الدول المصدرة للنفط في الاطار المتقدم ، فان موضوع تحقيق الوسائل الفعالة التي يستطيع بها الاقتصاد العربي تفادى الاضرار التي تذهب بها تستلزم النظر الى المشكلة في اطار اوسع من الاطار النقدى وعلى مدى زمنى اطول كثيرا من الفترة الحاضرة .

ترابط الاقتصاد العالمي

ولا سبيل للاقتصاد العربى ، او لغيره من التجمعات الاقتصادية الاقليمية ، للتامين الكامل ضد ما يحدث في الاقتصاد العالمي من تطورات ، نظرا للترابط الذى يصعب فصمه بين اجزاء الاقتصاد العالمى ، فمن الناحية النقدية لا شك في ان استخدام عملة دولية كالدولار للاحتفاظ بجزء من الاحتياطيات النقدية الرسمية واحتياطيات التشغيل الخاصة انما هى أمر لا مناص منه ، فالعملات الوطنية حتى عملات البلاد الكبرى تقتصر وظيفتها على تسوية المعاملات الداخلية ، وتبقى وظيفة تسوية المعاملات الخارجية للعملات الدولية او الذهب . وكذلك فان السوق الدولى للاستثمار تكمن فيه قدرات كبيرة لجذب جانب من المدخرات العربية التى تتكون بصفة خاصة في الدول المنتجة للنفط .

كل هذه حقائق لا يجوز للباحث العربي تجاهلها والا كان كالنعامة يدفن رأسه في الرمال . وعلى ضوء هذه الحقائق يمكن القول بأن طريق الدول العربية للتامين ضد مخاطر المستقبل هو نفس طريقها لتحقيق وحدتها وتكاملها الاقتصادى . فكلما ازدادت المبادلات التجارية وتوحدت سوق الاستثمار في البلاد العربية ونشأت سوق نقدية تجمع بينها روابط متينة كلما امكن للاقتصاد العربى كمجموعة ان يتفادى الاضرار التى قد تنجم عن التقلبات النقدية الدولية . وكل ذلك يحتاج الى تخطيط في مختلف النواحي وبصفة خاصة بانتهاج سياسة استثمارية عربية موحدة .

وتلك السياسة طويلة الاجل لا تغنى عن ان يتبع كل بلد عربي من الآن سياسات وطنية رشيدة تساعده على تقليل الآثار الضارة للتقلبات الاقتصادية الدولية وذلك عن طريق محاولة التنبؤ بهذه التقلبات قبل وقوعها واتخاذ الاجراءات الكفيلة بمواجهتها والتعاون في ذلك مع الدول العربية الاخرى . ■■

عبد المنعم الطناملى

الرفض

رَفْضٌ غايتهُ الإصْلاح والبِنَاء ...
ورَفْضٌ لاغايَةَ لَهُ وَلامَعْنَى ...

بقلم : الدكتور فخرى الدباغ

■ القاعدة تقضي ان يهب الانسان ما يملك ، لا ما يملكه الآخرون . . والمنطق ان يرفض الانسان ما يعتقد انه ضار او فاسد او باطل . .

اما ان يعرف الانسان ما يملك ، فهي اولى متطلبات الحكمة . . ومن لا يعرف مقدار وماهية ملكاته كان مخلوقا ساذجا او جاهلا . واما ان يعرف الانسان الضار والفاسد والباطل ، فهي ادق متطلبات الحكمة . ومن يريد رفض شيء قبل اكتساب حكمة المعرفة تلك ، كان ايضا مخلوقا ساذجا او جاهلا .

اقول هذا ، لانني ارى ــ كما يرى غيرى ــ ان كثيرا من الناس يهبون ما لا يملكون ، ويرفضون ما لا يعرفون . واصبح « الرفض » سلوكا مرحليا براقا كموضة الازياء مثلا . . واصبح الرفض مفخرة ولازمة لاعمال قسم من الادباء والشعراء والنقاد وكذلك ــ وهو الاسوا والاخطر ــ في تصرفات بعض الشباب .

الرفض البنّاء

ولا اريد الادعاء ان الرفض عمل منكر او مستهجن ، لان اروع الاعمال واعاظم السير واخلد الحوادث تكونت من نطفة الرفض ومن طاقاته . الانبياء رفضوا اوضاعا فاسدة او ضارة او باطلة . . المخترعون والعلماء الرواد رفضوا نظريات جامدة او ناقصة . . المكتشفون رفضوا العيش ضمن جغرافية محدودة وحياة رتيبة مملة . . مشاهير الكتاب والادباء ، والمجددون في القصة او الشعر رفضوا بعض الاساليب الوضعية المتكررة الخاملة . . واخيرا المصلحون في كل مكان رفضوا النظم والسياسات التي كانت تذل الانسان او تسيء الى تمتعه بديمقراطية اجتماعية واقتصادية وثقافية . والجميع رفضوا وحاربوا الرياء والدجل في كل شيء .

الرفض اذن هو لب اعاظم الافعال ، الا انه رفض مشروع ومعقول . وشرعية هذا النوع من الرفض انه ترعرع بفعل عوامل ملحّة ، وكان مهضوما ومدروسا لا اعتباطيا احمق . وكان يرمي الى الاصلاح والفائدة الاعم ، او دفع الاذى ومكافحة الشر الخطير . ومعقولية هذا النوع من الرفض انه اسهم في البناء الحضاري للمجتمع وللعالم .

الرفض الطفولي

ان بعض الاطفال يرفضون الذهاب الى المدرسة

مثلا ، واصبح هذا النوع من الرفض مرضا نفسيا يدعى بـ « رفض المدرسة » School Refusal وللمرض النفسي اسباب ودوافع لا ريب فيها .. وقد تكمن في المدرسة نفسها فتنفر التلميذ من الاقتراب منها ، وقد تكمن في البيت والاسرة التى تجذبه اليها وتعرقل اندفاعه او مودته نحو المدرسة. ومعظم الدوافع والاسباب يمكن معالجتها بالوسائل النفسية ، وينقلب الرفض بالنهاية الى الفة وانسجام ، ويغدو الرفض المدرسي وامثاله من الامراض النفسية للطفولة ظاهرة مرضية تستوجب العطف والرعاية الطبية ـ النفسانية .

وما يروعنا ويثير اهتمامنا، هو الرفض الطفولى الارعن ، الرفض الذى يمارس علنا وبوعى واصرار. فرافض المدرسة يستاء من سلوكه ويتعجب لتوجسه واحجامه .. اما الرافض المعاصر فانه يبارك نفسه ، ويتعجب من توجس واحجام الآخرين عن مجاملته او تشجيعه ! .

الرفض المعاصر المريض

والرافض المعاصر المقصود هو واحد من منتمى الجماعات الجديدة التى اطلقت على نفسها (الهيبيز) Hippies وال (بيتلز) ـ الخنافس ـ Beatles وال (بيتنك) Beatniks وال (البروفوك) Provoks . وهو ينسلخ ويتبرأ من اسرته ومجتمعه والنظم السائدة فيه لينساق وراء اسرة وجماعة ونظام آخر يتميز باللامبالاة واللاادرية والممارسات الجنسية الفاضحة والادمان والعنف والاجرام .

يقول « الرافض المعاصر » : انا ارفض التعليم، واسخر من العلم ، ولا اكترث بالاخلاق ، وأتحدى النظام السائد المزيف ، وأتنكر للعادات والتقاليد البالية ، واحارب الظلم والاستعمار والتفرقة ، واتبرأ من رجعية وجمود آبائي واجدادي . يقول ذلك ، ولا يفعل شيئا جادا تجاه ذلك . هو يرفض التعليم الجامعي لانه فاشل . ويسخر من العلم ولا يطعمه بالاخلاق.. وينتقد النظم والتقاليد ولا يقترح كيف يريد ان تتطور وكيف يجب ان تكون .. ويحارب الاستغلال والتفرقة وهو مستلق على اعشاب حديقة او حقل منعزل وبجانبه فتاته التى تتبعه كالشاة الراكضة وراء خروف .

افكار مثالية وحلول خيالية .. مبادىء عالية وممارسات دنيا . اقتراحات مبهجة واعمال تعسة . عالم من التناهة والضياع والتذبذب .. مجتمع من المتراجعين الناكصين .. جزر بشرية تطفو على بحار من الامجاد والتضحيات القديمة .. واعجب ما في هذه الجزر البشرية انها تعوم على اذرع الاباء والاجداد المساكين ، وترقد في احضان الحضارة والحنان التليد .. وتقتات بل وتشحذ من تلك المدنية التى يتنكرون لها . ومنظر الرافض المعاصر وهو يستجدى القروش النزرة من المارة « غير الرافضين » يجسّم ازدواجية وانحلال الرافض المعاصر ويصور هامشية حياته وتطفله على الناس والمدنية التى يدير لها ظهره .. ولكن ، يمد اليها يده !! .

الادب الغاضب

والحديث عن الرفض يجرنا الى ادب الرفض الذى يضم كتابات لمجموعة من الشباب الغربيين اطلق عليهم « الجيل الغاضب » من الكتاب . واصبح بعضهم من كتاب « اللامعقول » ومسرح اللامعقول . وهم موزعون بين المانيا وفرنسا وانكلتره وامريكا .. واحدث انتاجهم صدى مقبولا لدى القراء، واحتل مكانا مرموقا في الادب المعاصر. وما يجب ان يقال عن هذا النوع من الادب انه لا يمت بصلة او يتجاوب مع حياة وآمال وافكار الرافضين الهاربين الآنفى الذكر ، كما ان كتابه لا ينتمون الى تلك الجماعات لا بالهيئة ولا بالمضمون، ولم يؤلفوا فيما بينهم جماعة او اتحادا او اتفاقا منهجيا ، بل ان كتاباتهم تواجدت وتجاوبت بطابع تلقائي عام . ومثل هؤلاء يصح ان يطلق عليهم « الرافضون الهادفون » لما في انتاجهم من تجديد وبناء ومعنى وعمق . وقد ذكرنا سابقا ان الاعمال المجيدة لم تكن الا نوعا من الرفض المنتج . فغضبهم هو تعبير عن ادراكهم العميق لتناقضات مجتمعهم ، وادبهم ومسرحهم هو صراخهم وتحديهم وتمردهم، ولا معقولهم هو تصوير صادق للامعقولية مجتمعهم . انهم يتعاملون بشيء جدير بالاهتمام والدرس مقابل ما يرفضون خلافا للرافضين المعلولين الذين يرفضون ويتعاملون دون مقابل .

الرافضون المقلدون

وهنالك « الرافضون المقلدون » الذين ابتلى بهم مجتمعنا العربى النامى في شتى ميادينه الفكرية والاجتماعية . فمن « شاعر ـ ثائر » يفهم الرفض كلاما نابيا مفتقرا للذوق.. او سليطا متمقا غريب التعابير ، ومن اديب رافض ينحو نفس المنحى في

مقاله او قصته او نقده .. ومن شاب مراهق يحاول رفض اى شيء بارتدائه غرائب الازياء او بارخاء شعره واكتناز قذارته .

هؤلاء الرافضون المقلدون مجموعة من السذج او الجاهلين الذين لا يعرفون ما يملكون ويرفضون ما لا يعرفون . فلا المطبوعات ولا الافلام السينمائية يمكن ان تجعل الفرد العربى غربيا حقا الا في الخيال .والمجتمع الغربى ليس مجرد صورة في صحيفة او واجهة مخزن تجارى كبير ولا هو بظاهرة هينة يتمتع بها السائح العابر . الحياة الغربية تجربة عميقة لا يحسها الا الغربيالاصيل.فالتقليد .. والانتاج غير الاصيل .. والرفض الساذج .. كلها اشياء ممجة ومنفرة وغريبة على المجتمع العربى . وهنا يكمن الداء الذى يجب ان نشخصه ونعالجه على مستويات الفرد والجماعة والدولة .

ولو اعتبرنا ظاهرة الرفض مرضا نفسيا ، لهان علينا الامر .. ولكن البلية ان الرافضين من هذا النوع يجادلون ويتبارون في النقاش والدفاع عن انتاجهم او سلوكهم،ويتذرعون بالحرية الشخصية .. وما اكثر ما للحرية من معان وتفسيرات ! ..

سيكولوجية الرفض المريض

اقول لو اعتبرنا ظاهرة او « موضة الرفض » مرضا نفسيا ، لكان الواجب علينا ان نستقصي عن اسبابه ، فالظواهر المرضية تنبع من ظروف تبررها ويمكن معالجتها . وقد تكون الاسباب واحدة او اكثر مما يلى :

١ ـ الشعور بالفراغوالخواء الفكريوالعاطفى. ويعزى ذلك الى الى ارتخاء الضبط التربوى ، والى الحرمان وتفكك الاسرة وسيطرتها .

٢ ـ الفشل والخيبة في الحياة العامة .

٣ ـ الشعور بالنقمة تجاه الناجحين واللامعين.

٤ ـ الانفعال العدائي ضد السلطة والآباء والذين يمثلون القانون والنظام والعرف السائد .

٥ ـ التحدى ـ بالفعل او القول ـ لكل كيان منظم ومنسق .

٦ ـ الاصابة بامراض نفسية مزمنة كالقلق والعصاب ، والتى تمهد للانحراف نحو الادمان والاجرام والى الهرب الاجتماعى .

٧ ـ عدم الثقة بالذات وبالمواطنة وبالانتماء الطبيعى ، مما تدفع بالمرء الى المحاكاة والتقليد والى الاحتماء بالجماعات الشاذة او العصابات الاجرامية .

٨ ـ رفض الاحسان ونكران الجميل الذىيقدمه لهم مجتمعهم او مؤسساتهم الانسانية ، كنتيجة حتمية لشعورهم الباطنى بالاثم والتقصير . اى انهم ـ علاوة على اثمهم ـ يريدون حفظ ماء وجههم ومواراة خجلهم بالنكران والتهتك ! .

٩ ـ انعدام الوازع الدينى والاخلاقى الذى يشد الفرد الى المجتمع والاسرة ، ويحثه على العمل والكفاح .

هل من علاج ؟

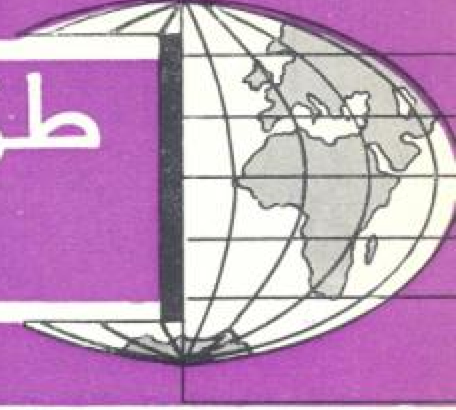
لعل في قول يوجين يونيسكو ـ احد زعماء مسرح اللامعقول ـ التصوير الدقيق لاوضاع المجتمع الغربى : « المجتمع اللامعقول هو الذى لا غاية له .. وهو المجتمع المنفصل عن جذوره الدينية وتقاليده . .وفيه يكون المرء ضائعا .. ولا معنىلكل ما يصدر عنه، ولا فائدة ترجىمنه».

والرافضون الهاربون الذين تحدثنا عنهم هم الجيل الضائع المنفصل عن جذوره التاريخية والدينية وتقاليده ، وما يصدر عنهم لا معنى له بالحقيقة . وفقدان المعنى وغموضه احيانا هو ما يحاول عرضه وتجسيمه الكتاب الفاضبون ، او تمثيله على مسرح اللامعقول . لكن ما الذى يحاول تجسيمه وتصويره الكتاب المقلدون وهم لا يزالون في مجتمع يعيش مرحلة تختلف بكثير عن المجتمع الغربى ؟ . لقد تسرع يونيسكو عندما جزم بانعدام الفائدة وفقدان الرجاء . .اذ لو صح ذلك لتلاشت الفروق بين الرافضين التائهين والناس الآخرين بل لاصبح سلوك الضائعين والمقلدين اقرب الى الصواب من سلوك الراشدين الملتزمين . وهنا يتجلى الفرق بين اليائس المهزوم من جهة والمتفائل الصامد من جهة اخرى .

ان التجديد والاصلاح ، وابحاث التربية وعلم النفس والاجتماع تحاول بجد وتفاؤل تعديلوتقويم الاوضاع الفاسدة وازالة التناقضات واعادة المجتمع الانسانى الى دروب الخير والعدل قبل ان تربكه وتعكر صفوه تلك الجماعات «اللااعاقلة». والجواب على ذلك جاهز في التربية البيتية ، في التعاليم الاخلاقية والدينية ، في احترام القانون، في الاصالة ، في الاعتزاز بالتراث ، وفي الانتماء القويم .

■■

فخرى الدباغ
اخصائي الامراض النفسية والعصبية ـ الموصل



طرائف غريبة

الفلاح الاديب



● الكاتب الروسي الكبير شولوخوف Sholokhov الحائز على جائزة نوبل للادب على قصته نهر الدون الهادىء And Quiet Flows The Don ، يقول ان اعظم شيء يفخر به ، انه عاش طول حياته فلاحا .

لقد ولد الكاتب الشهير في عام ١٩٠٥ في بيت ريفي صغير عن ام فلاحة من قبائل القوزاق ، واب كان يعمل صيادا للسمك ، فورث عن ابيه هواية الصيد ، وتعلق بالارض التي حفرتها امه باظافرها!

وذاق شولوخوف مرارة البؤس والحرمان ، فكان يزرع ويحرث ويرعى الغنم على ضفاف النهر الذي عشقه ، وصوره في قصته الخالدة .

ساله الصحفيون في استكهلم عاصمة السويد ، عندما سافر اليها ليقبض قيمة الجائزة وقدرها ٣٣ الف دولار : ما هي انطباعاتك عن مدينتنا ؟

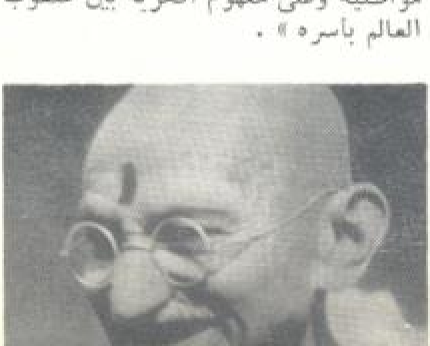
واجاب الفلاح الاديب : « ان بلادكم جميلة ، ولكنني افتقدت فيها قاربي الصغير الذي اخرج فيه لاصطاد السمك ، وافتقدت الارض التي علمتني امي كيف تخرج الخير من جوفها ، وافتقدت اخيرا ، الغابة التي اذهب اليها لاتعلم .. ان هذه الاعمال الصغيرة ، وتلك الرحلات القصيرة التي اقوم بها في قريتي هي التي علمتني الحياة .. انها تزخر بصور واشياء لا يمكن ان اجدها في الكتب ! » .

بين غاندى وروسو

● قال الجنرال ديجول رئيس جمهورية فرنسا الراحل يوما ان اعظم رجلين تركا بصماتهما واضحة في التاريخ الحديث هما غاندى محرر الهند ، وجان جاك روسو الذى وصفه ديجول بانه « ابو الثورة الفرنسية » ثم قال : « اما غاندى فقد انتزع استقلال بلاده انتزاعا من ايدى الانجليز الذين استبدلوا الجعة لاول مرة باقداح اللبن التى كانت تقدمها لهم عنزة غاندى ! » .

واما روسو ، فقد مات حقيقة قبل نشوب الثورة الفرنسية باحد عشر عاما ، ولكن اذا كان هناك رجل يمكن ان نقول عنه انه مسئول عن قيام هذه الثورة فهو روسو .

لقد كان لكتابات هذا الرجل التى اصر فيها على ممارسة الفقراء لحقوقهم اسوة بالاثرياء ، وعلى معاملة جميع ابناء الامة من مختلف الفئات معاملة متكافئة ، وعلى اعطاء الحرية الحقيقية للشعب ، كان لهذه الكتابات اعظم الاثر على اذهان مواطنيه وعلى مفهوم الحرية بين شعوب العالم بأسره » .





ضمير يستيقظ

● يروون عن ابرهام لنكولن ، Abraham Lincoln (١٨٠٩ - ١٨٦٥) الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة الامريكية ، الذى اشتهر بانه محرر العبيد ، انه كان يوما يترافع في قضية امام احدى محاكم ولاية الينوى ، اتهم فيها شاب زنجي بالسطو على احد المحال التجارية، واغتصاب ابنة صاحب المحل !

وشاءت الظروف ان يقف لنكولن مدافعا عن المجنى عليه صاحب المحل التجارى المسروق وكان امريكيا ابيض ولكنه ما كاد يقف ، ليشرح ظروف التهمة ، ويقدم الادلة على الجريمة التى ارتكبها الشاب الزنجي ، حتى قال : « ليس لدى ياسيدى القاضي ما اقوله ، فان موكلى لم يستطع ان يقنعنى بان هنالك جريمة ! » .

وجاء دور محامى الدفاع عن المتهم ، فاستشهد باعتراف خصمه بعدم ثبوت الجريمة وطالب بتبرئة ساحة موكله !

وحدث هرج ومرج في قاعة المحكمة ، وهجم صاحب المتجر على محاميه يريد ان يفتك به !

وهنا وقف لنكولن مرة اخرى وقال : « بالامس جاءتني فتاة بيضاء جميلة ، وراحت تتوسل الي ان احميها من والدها الذى يريد ان يفرق بينها وبين زوجها . قالت لقد تزوجت شابا زنجيا كان زميلي في الدراسة ، وثار والدى وطردنى من البيت ، بعد ان اقسم على ان ينتقم منا نحن الاثنين . رغم انني اشاركه ثروته بعد وفاة امي ! »

وقال لنكولن : « هل تعلمون من هي هذه الفتاة ، انها ابنة موكلى .. اما المال الذى ادعى والدها ان زوجها قد سرقه ، فهو مالها ، والفتاة التى زعم ان الشاب الزنجى قد اغتصبها هي زوجته ، امام الله والقانون !

وتداول المحلفون لمدة ساعة كاملة ، وفي النهاية اصدروا حكمهم وهو يقضى بتبرئة الشاب الزنجي المتهم ، وباحالة المحامي ابراهام لنكولن الى مجلس تاديب ، لخيانته للامانة ، ولانه خذل رجلا ابيض مثلهم !

ومنذ ذلك اليوم لم يقف لنكولن الا مدافعا عن حقوق السود في امريكا حتى قتله البيض !

رجعية « الشمس » !!

● روى احد زعماء حزب العمال البريطاني حديثا طريفا دار بينه وبين ماوتسى تونج زعيم الصين الشعبية ، اثناء زيارته لبكين منذ بضع سنوات مضت . قال الزعيم العمالى : « لقد كان الحديث بيننا يدور حول العلاقات بين الشرق والغرب ، وعن التعايش السلمى ، قبل ان اوجه اليه سؤالا ، بدا لى انه ترك عنده أثرا غير متوقع .. كان سؤالى عن الحملة التى كان الحرس الاحمر يقوم بها فى تلك الاونة ضد العناصر البرجوازية ، والعناصر الرجعية فى ارجاء الصين ! » .

ومضى يقول : « وتوقعت ان يجيبني الزعيم الصيني على سؤالي ولكننى فوجئت به يقهقه بصوت عال ، ثم يقول لى : « هل تريد ان تسمع آخر « نكتة » اطلقها الغرب . سوف أرويها لك فربما لم تسمع بها : « قالوا ، لقد دخل مدرس صينى فى احدى المدارس الابتدائية ، وراح يشرح لتلاميذه معنى الرجعية ، حتى اذا انتهى من شرحه ، نظر اليهم ، وقال : « لقد ادركتم الآن معنى هذه الكلمة ، وانا اريد منكم ان تقدموا لى مثلا لبعض العناصر الرجعية فى الصين ؟ » .

« وهنا رفع احد التلاميذ اصبعه وقال : « اننى ارى فى قرص الشمس يا سيدى اكبر مثل على الرجعية .. فهى تطلع عندنا فى الشرق ، ولكنها لا تلبث ان تتحول فى اتجاه الغرب ، فتذهب اليهم وتنام عندهم ! أليس هناك من وسيلة لوقف هذا التصرف الذى يحدث امام اعيننا كل يوم ! ؟ » .

وهنا ضج ماو بالضحك، وقال يسأل صاحبه : « قل لى أنت ماذا تصنع بالشمس ؟ » . ■■

١٠ مكتبات خاصة

زرناها في دور أهل الكويت





في مكتبة الاستاذ عبد العزيز حسين وزير الدولة الكويتي ، وجدنا ثلاثة آلاف كتاب، ومجموعة فريدة من المخطوطات القديمة.



الى اليمين : المؤرخ المعروف الاستاذ احمد البشر ، طور مكتبته القديمة ، فادخل عليها جهاز المايكرو فلم ، يصور الكتب النادرة ويقرأ صفحاتها على شاشة العرض الصغيرة .

الى جانب الكتب العلمية والادبية التي تزخر بها مكتبة الاستاذ ابراهيم الشطي ، تجده يخصص ركنا من المكتبة لطفليه قتيبة وقيس .

■ مكتباتنا الخاصة .. تلك التي نقيمها داخل بيوتنا .. نمضي فيها جانبا من وقتنا كل يوم ، نملأ رؤوسنا ونغذي نفوسنا بما قاله الاولون والاخيرون في شتى مجالات العلوم والفنون والدين واللغة والفقه ..

هذه المكتبات اين هي منا .. واين نحن منها ؟ .. وماذا نقول عنها .. وماذا قالوا عنها .. ؟

مكتبات على ظهور الجمال

لنستمع لراى واحد ليس منا ، وانما لكاتبة المانية ، لها راى في مكتبات اجدادنا العرب قبل مكتباتنا الحديثة .. قالت الدكتورة الالمانية زيغريد هونكه في كتابها شمس العرب تسطع على الغرب : « بلغ عشق بعض الوزراء العرب للكتاب حدا جعلهم لايخرجون الى رحلة ، الا ومعهم حمولة ثلاثين جملا من الكتب تصحب ركبهم .. وعند وفاة الوزير المهلبي عام ٩٦٤م . ترك ١١٧ الف كتاب ، أما زميله ابن عبّاد فقد جمع ٢٠٦ الف كتاب .. كما استطاع احد قضاته تجميع مليون و ٥٠ الف كتاب !! » .

السفر من بلد الى بلد لاقتناء الكتب

وليس غريبا ما جاء على لسان الدكتورة هونكة فقد كان تقدير ثراء الشخص العربي يقاس بمقدار ما تحويه مكتبته من كتب .. وفي ايام الاندلس جعلوا قاعة المكتبة في صميم هندسة منازلهم وقصورهم .

وانتشرت المكتبات في كل مكان .. في المساجد ، والمدارس ، وحتى المستشفيات لم تخل من مكتبات صفت على رفوفها الكتب الطبية القيمة .

وكان الانسان العربي يسافر من بلد الى بلد لاقتناء الكتاب النادر ، كما كان الدلالون يجوبون اسواق القاهرة وبغداد والبصرة بحثا عن القيم من الكتب ، يشترونها ثم يبيعونها ثانية ..

انحدار ثم ازدهـــار

كانت هذه لمحة خاطفة عن مقدار اعتزاز الانسان العربي القديم بمكتبته الخاصة ، وما تحويه من مخطوطات كتبت على رق الغزال بالسناج والصمغ العربي ..

وكما تزدهر الحياة وتخبو ، كذلك جاء الوقت الذى انحدر فيه الكتاب حتى كاد يندثر ، اثر ما اصابه على ايدى المغول والتتار ..

ودارت السنوات ، وانطوت هذه الفترة السوداء .. ولنترك القديم بما فيه من صور بيضاء وسوداء في تاريخ الكتب والمكتبات ، ولنعد الى حاضرنا هذا الذى نعيشه اليوم .. لنرى هواية جمع الكتب النادرة وتاسيس المكتبات العامرة تطل براسها من جديد .

معجم البلدان والالكترونات !

هنا في الكويت مثلا .. حيث انبثقت حركة فكرية جديدة ، اثر عودة طلبة البعثات الكويتية من القاهرة وبيروت وبغداد وانجلترا والولايات المتحدة وغيرها ، عادوا وكل منهم يحمل الى جانب شهادته العالية اكداسا من الكتب .. بعضهم فضلها ادبية ، والبعض جلبها علمية ، والبعض اكتفى بالوثائق والمخطوطات .. فمثلا عاد الدكتور حسن الابراهيم حاملا ـ الى جانب شهادته في العلوم السياسية ـ مجموعة ضخمة من احدث الكتب والمراجع التى ظهرت في الولايات المتحدة ، لتصبح نواة مكتبته الخاصة في الكويت ..

ورحب الآباء بالابناء وفتحوا لهم خزائن مكتباتهم التقليدية ، فاختلط تاج العروس ومعجم البلدان ورسائل الصاحب وابن العميد بكتب الهندسة والطب والالكترونات ، ونقل طلبة جامعة الكويت الى مكتبات آبائهم ، مجموعات من الكتب الحديثة التى اخذوها هدية من ادارة مكتبات جامعة الكويت .

مخطوط من فيلكا عمره ١٥٠ سنة

والآن تعالوا نتجه سويا صوب منازل ادباء الكويت ورجالها لنرى ما تحويه مكتباتهم الخاصة.

وقد زرنا هذه المكاتب في غير ترتيب مقصود ،





صفحتان من المصحف الشريف المخطوط في مكتبة الاديب محمد الشيخ صالح آل ابراهيم .. والصورة الاولى توضح جمال النقوش الذهبية .. والصورة الثانية تبين تاريخ خط هذا المصحف الشريف النادر ، في عام ٧٩٠هـ

انما كان اعتمادنا على الزمن الذى تيسر فيه لاهل الدور أن يستقبلونا فيه .

وكان اول من استقبلنا الاستاذ عبد العزيز حسين ، وزير الدولة الحالي ، وواحد من الذين كان لهم فضل كبير في قيام النهضة التعليمية في الكويت .. عين وزيرا مرتين والف كتابا قوامه محاضرات القاها عن المجتمع العربي في الكويت .. اما مكتبته فتضم نحو ثلاثة الاف كتاب ، ثلاثة ارباعها باللغة العربية والباقي باللغة الانجليزية .. واغلبها في الادب والدين والتاريخ .. وهذه المكتبة يؤمها كل ليلة الادباء والمفكرون في الكويت، يتبادلون الاحاديث في مختلف امور الحياة .. ولا عجب فمنزل عبد العزيز حسين مفتوح على مصراعيه لكل اديب وعالم ..

وفي احدى الجلسات الادبية دار الحديث حول القراءة وهل نحن شعب قارىء ؟

فقال الوزير الاديب : « للاسف كنا شعبا يقرا في الماضي .. يقرا الكتب القيمة ، وينسخ النادر منها بخط يده .. وهنا في الكويت كان عندنا ازدهار ثقافي حقيقي .. **(ومن تحت احد الارفف اخرج مخطوطا قديما)** قال لنا عنه : وهذا المخطوط الذى يزيد عمره عن ١٥٠ عاما ، كتبه احد ابناء جزيرة فيلكا التابعة للكويت ، هو العلامة الشيخ عثمان بن سند المتوفى عام ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ م) . كتبه بخط واضح انيق كما ترون .. وهذا يعني انه كانت عندنا في الكويت حركة ثقافية قديمة .. » .

شتان بين الماضي والحاضر

ومن تحت رف آخر اخرج وزير الدولة ، مخطوطا ثانيا قال عنه : « لقد ورثت من والدي



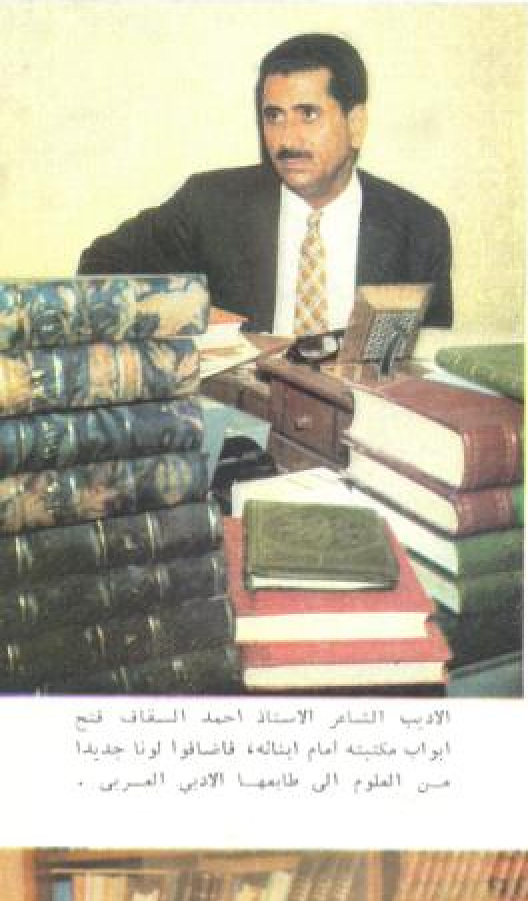


وزير الاوقاف والشئون الاسلامية الاستاذ راشد الفرحان في مكتبته المتخصصة في القانون والفقه .

كتب الاجتماع والقانون لها الركن المفضل في مكتبة وزير البريد والبرق الاستاذ عبد العزيز الصرعاوي .

الصورة السفلى : عدنان يقرأ لوالده الاديب الاستاذ عبد الرزاق البصير في مكتبته التي كانت متخصصة فاصبحت اليوم حاوية لمختلف العلوم والفنون والاداب ..





الاديب الشاعر الاستاذ احمد السقاف فتح
ابواب مكتبته امام ابنائه، فاضافوا لونا جديدا
من العلوم الى طابعها الادبي العربي .



مجموعة قيمة للغاية من الوثائق والمخطوطات عن الكويت،
وجدناها في مكتبة الاديب سيف مرزوق الشملان ..



الى اليسار : الحيرة مرتسمة
على وجه الاديب السفير الاستاذ
عبد الله زكريا الانصاري ..
فمكتبته متقسمة الى قسمين :
قسم في القاهرة يضم نحو
خمسة الاف كتاب .. وقسم
في الكويت يضم ثلاثة الاف
كتاب ... ان المشروع الذى
ينوى تحقيقه هو ضم المكتبتين
في مكتبة واحدة كبيرة ..

مجموعة مخطوطات قيمة من بينها هذا الكتاب الذي كان ينتقل من يد الى يد ، وفي كل مرة يسجل كل واحد اسمه على الكتاب ، ويعلق على هوامشه بخطه ، على ما جاء فيه من آراء . فيستفيد كل شخص يقرأ الكتاب من تعليقه .. » .

هذا ما قاله الاستاذ عبد العزيز حسين ..

اما اليوم فمن المؤسف ان الايدى اصبحت تمتد الى الكتب القيمة في المكتبات العامة ، تقتلع منها الصفحات وتنتزع الصور ، غير عابئة بالخسارة الفادحة التي تصيب الكتاب ، فتجعله غير صالح للتداول بالمرة .. انها شكوى سمعناها من امناء المكتبات العامة ، في اغلب اقطارنا العربية بما فيها الكويت ..

من الصعب تفريق المعرفة

وكانت زيارتنا التالية لمنزل الاستاذ عبد العزيز الصرعاوى ، الوزير الاديب الذى تولى المنصب الوزارى ثلاث مرات وله اربعة مؤلفات ، ومكتبة تحتل سرداب منزله ، وتضم اكثر من خمسة الاف كتاب ، ثلاثة ارباعها باللغة العربية ، والباقي بالانجليزية .. وكانت بداية تجميعه لها في القاهرة ، عندما كان يدرس الحقوق في جامعتها ..

وعند مدخل المكتبة قرانا لوحة كُتب عليها ابيات شعرية منها :

اساس لبيتك عبد العزيز
كتاب وبحث ودرس وفن

والمكتبة تضم مجلدات وكتبا في اغلب ابواب المعرفة .. وعلل الاستاذ الصرعاوى ، وزير البريد والبرق هذا التنوع بقوله : « التخصص لا ينفى التجميع ، لانه من الصعب تفريق المعرفة .. والتخصص ـ في اعتقادى ـ يقفل ابواب المعرفة .. في حين ان كل شيء حولنا يقدم لنا المعرفة بكل فروعها .. التلفزيون يحدثنا عن كل شيء .. طفلك يسألك عن كل شيء .. الموسوعات العلمية تقدم لك كل انواع المعرفة في كل صفحاتها .. لهذا جعلت مكتبتي تضم كتبا في كافة العلوم والآداب .. ولو انني شخصيا اميل الى قراءة كتب القانون والاجتماع ، لانها هي مجال تخصصي وعملي .. » .

مكتبة للعائلة

وكانت جولتنا التالية في منزل الاديب الشاعر



عند حافة الصندوق القديم، جلس المؤرخ احمد البشر يطالع رسالة قديمة عمرها مائة سنة مرسلة من تجار البحرين الى الكويت .. ويضم الصندوق رسائل واوراقا قديمة عن حسابات الغواصين وتجار اللؤلؤ في الكويت القديمة ..

المعروف احمد السقاف ، العضو المنتدب للهيئة العامة للجنوب والخليج العربي ، بوزارة الخارجية ومؤلف اربعة كتب ، ورئيس تحرير « كاظمة » اول مجلة صدرت وطبعت في الكويت .. وجدناه في قاعة المكتبة واقفا بين مجموعات من الكتب العربية والاجنبية ، سألناه عنها فقال :

« لم يعد باستطاعتي ان اجعل مكتبتي خاصة بي ، فاولادى اصبحوا شركاء معى فيها فابنتي هيفاء تخرجت من جامعة الكويت ، واصبحت معيدة فيها ، فجلبت كتبها الفلسفية والادبية وضمتها الى مكتبتي .. وابني أسامة له ركنه الهندسي ،

فهو يدرس الهندسة في الولايات المتحدة .. وابنتي الثانية لمياء ، لها ركنها الطبي الصغير ، فهي ستكمل علومها الطبية ..

« لقد اصبحت مكتبتي هي مكتبة العائلة بأكملها ، وهذا شيء طبيعي ، اذ انه لا يمكنني ان افكر في هواياتي فقط وانسى ابنائي .. » .

لم اعد اقرأ القديم

وكان الاستاذ السقاف او « ابو اسامة » يقول في السابق ان الكتب التى اثرت فيه هي كتب الجاحظ والاغانى ونهج البلاغة وغيرها .. فسألناه : « هل مازلتم تطالعون هذه الكتب ؟ »

فاجابنا قائلا : « بصراحة لم يعد لدي استعداد لقراءة القديم .. فقد اتجهت لقراءة الكتب الحديثة ، تاركا القديم كمصدر ومرجع فقط ، بعد ان طالعتها في الصغر من الغلاف الى الغلاف .. » .

من الغوص وراء اللؤلؤ الى المايكروفلم !

وفي منزل « فيلسوف الكويت » احمد البشر الرومي ، وجدناه في مكتبته الخاصة يطالع على شاشة تلفازية صورا لصفحات من « ديوان المتنبي شرح ابى العلاء المعرى » وهذا الديوان النادر صوره الاستاذ البشر من مكتبة المتحف البريطاني على افلام المايكروفلم .

وعندما تعجبنا من وجود جهاز عرض المايكروفلم قال الاستاذ البشر : « .. الدنيا تتطور من حولنا بسرعة ، ويجب ان تتطور معها بنفس السرعة .. وشتان بين الامس واليوم .. فمنذ ٥٠ عاما كنت اغوص في قيعان البحر ابحث عن اللؤلؤ لفترة ٣٠ عاما .. وكانت الضائقة المالية تحول بيني وبين شراء الكتب التى اريدها .. ولكن هذا النقص المادى ما كان يعوقني عن استعارة الكتب القيمة والسهر عليها لنسخ الفصول التى تعجبني فيها .

« وتعاقبت السنوات ، وتبدل الحال .. وبدأت اشترى الكتب على اوسع نطاق ، حتى ضاق المنزل بالكتب ، فاهديت ابنتي الكثير من الكتب واحتفظت لنفسي بحوالى الفي كتاب ومرجع ، تتحدث عن الشعر والادب والتاريخ ، وخاصة تاريخ منطقة الخليج العربي خلال الاربعمائة سنة الماضية ..

« ان كتابة التاريخ الصحيح للكويت ، لم تتعد — حتى الآن — الحديث عن الحروب والمعاهدات والحدود اما تاريخ الشعب وعاداته والعابه ولباسه واخلاقه فكلها اشياء لم يكتب عنها بالتفصيل بعد .. » .

امهات الكتب

واتجهنا بعدها الى منزل يمثل الجيل الكويتي الحديث ، الذى درس في الخارج ، وعاد الى الكويت وشب عن الطوق وتزوج وانجب ، وتقلب في المناصب الرسمية حتى اصبح اليوم مديرا لمكتب صاحب السمو امير الكويت ، انه الاستاذ ابراهيم الشطي .. والد قتيبة وقيس وقصي ..

ومكتبة « ابو قتيبة » تختلف عن المكتبات التى زرناها ، بوجود مجموعة ضخمة من احدث الكتب العلمية الاجنبية التى تتحدث عن اسرار الذرة والفضاء ، وكنوز البحار ..

والى جانب كل حديث في الكتب ، فهى تحوى كذلك الطبعات النادرة من الكتب العربية ، وخاصة امهات الكتب من التراث العربى من طبعات بولاق .

الاطلاع على الصور كاف للاطفال

دار الحديث مع الاستاذ ابراهيم الشطى عن المكتبات الخاصة وشئونها ، فقال : « مكتبة البيت يجب الا تكون متخصصة ابدا .. لانها مكتبة تخدم جميع افراد الاسرة .. وهذا ما راعيته في مكتبتي ، التى تجد فيها الى جانب كتب العلوم والمخطوطات ، كتبا في حل الالغاز .. وكتبا في الطهي .. ولكن الذى لم احسبه هو النتيجة التى تصل اليها زوجتي عندما تستعين باحدى وصفات كتاب الطهي ، فهى نتيجة تكون دائما مثار الفكاهة عندما نجلس لتناول الطعام !! ؟

« اما اطفالى فلهم نصيب كبير من المكتبة ، ولكنى اجد صعوبات جمة فى الحصول على الكتاب العربي الجيد اللازم لهم ، لهذا اقدم لهم كتبا مصورة جميلة باللغات الاجنبية .. معتقدا ان

مجرد اطلاعهم ـ في سن طفولتهم المبكرة ـ على الصور العلمية الجميلة هو في حد ذاته ثقافة كافية » .

حاجتنا ماسة الى امناء مكتبات مؤهلين

وكانت زيارتنا التالية لمنزل وزير الاوقاف الشاب راشد الفرحان مؤلف كتاب : مختصر تاريخ الكويت ، وكتاب : النظام الاجتماعي في الاسلام بين الرجل والمراة .. ان مكتبته متخصصة في القانون والفقه والتفسير ، جمع كتبها من القاهرة ، خلال دراسته في كلية الشريعة والقانون بجامعة الازهر قبل تخرجه عام ١٩٦١ لقد قام الاستاذ راشد الفرحان اخيرا بزيارة للاتحاد السوفييتي ، زار خلالها متاحفه ودور كتبه ، وفي هذا يقول : « لقد رأيت في معهد الدراسات الشرقية بطشقند امناء علماء ، يبحثون عن الكتب النادرة المخطوطة ويحققونها ، ويقدمون للشعب كل ما استطاعوا تحصيله ، فاستفاد الناس فائدة كبيرة من امين المكتبة المؤهل لوظيفته .. لقد رأيت هناك من المخطوطات العربية والاسلامية ، الشيء النادر وفي مقدمتها مصحف عثمان ، ولولا وجود هؤلاء الامناء الفنيين لما استطاع المعهد ان يضم هذه الكتب والمخطوطات النادرة المنسقة أحسن تنسيق .

« لقد كان عندنا في الكويت شعراء وادباء متمكنون .. اما الآن فقد أثرت الماديات على كثير من الناس .. وعزف شابنا عن البحث والتمحيص في الكتب القيمة ذات الاجزاء الكثيرة مؤثرين قراءة الكتب السهلة الرخيصة ..

« اننا اليوم في اشد الحاجة الى امناء فنيين مؤهلين لارشاد الناس الى كيفية البحث عن كلمات في لسان العرب او القاموس المحيط ، لانه اذا لم يكن الشخص عنده دراية سابقة ومعرفة ، فلن يستطيع ان يستحصل على معنى كلمة واحدة في هذين المرجعين الفنيين .. وهنا يأتي دور الامين الفني للمكتبة عليه ان يرشد القارىء الى طريقة البحث والتنقيب .. » .

التخصص المرن ..

وفي منزل الاستاذ عبد الرزاق البصير ، عضو مجلس ادارة رابطة الادباء ، وامين مكتبة وزارة الاعلام بالكويت ، وجدناه جالسا تحت خزانة كبيرة للكتب في مكتبته الخاصة ، يستمع الى نجله عدنان يقرأ له من كتاب ظهر حديثا عن تاريخ الكويت ..

والواقع ان طبيعة الاعمال التى تولاها الاستاذ البصير تسمح له بالحكم الصحيح على ما يكتب عن تاريخ الكويت الحديث ، فقد عمل في شبابه فترة ١٢ عاما نائبا لقاضي الكويت ، ثم خطيبا في المسجد ، ثم مأذونا للزواج والطلاق من قبل المحاكم الشرعية ..

وتحدثنا معه عن مكتبته الخاصة فقال : « ما من شك اني من انصار المكتبات المتخصصة ، ولكني اقصد بهذا القول التخصص المرن غير المتزمت .. وقد مررت في نفس هذه المرحلة ؛ فقديما كانت كتبي مقصورة على الكتب الدينية والفقهية فقط ، اما اليوم فقد فتحت الباب واسعا امام كتب الادب والشعر والتاريخ ..

« ولا تسألني عن عدد الكتب التى تحويها مكتبتي ، فالعدد لايهمني كثيرا ، اذ انني استغنى مباشرة عن الكتاب الذى لا اشعر بانسجام تام معه ، لانه يصبح كالثقل الجاثم فوق صدرى » .

مكتبة فى القاهرة ، واخرى فى الكويت

وفي مكتبة الاديب السفير الاستاذ عبد الله زكريا الانصارى ، رئيس تحرير مجلة البيان الادبية الكويتية ، ورئيس قسم الصحافة والثقافة بوزارة الخارجية ، شهدنا اكثر من الف كتاب في الادب والاجتماع والشعر والفلسفة والسياسة والقانون ، مرصوصة فوق الارفف في المكتبة . والى جانبها ٣٠ صندوقا مقفلا تحوى كتبا وتنتظر البناء الجديد لتوضع على الرفوف هي وزملاؤها الخمسة الاف كتاب التي جمعها اديبنا في اثناء عمله في بيت الكويت بالقاهرة من عام ١٩٥٠ حتى عام ١٩٦٠ .

وخلال حديث طويل مع الاستاذ الانصارى قال لنا : « لدى رغبة ملحة في ضم كتبي بالقاهرة الى مكتبتي في الكويت ، لانشاء مكتبة واحدة خاصة ، اعتقد انها ستكون مكتبة مختارة ..

« وبعض هذه الكتب الكثيرة التى اقتنيها ، قرأت فهارسها .. وبعضها قرأت مقدماتها ، وبعضها اطلعت على بعض فصولها .. وبعضها

قرأها من الغلاف الى الغلاف .. والمشكلة هي مشكلة وقت .. فالوقت ضيق ، والعمر قصير والكتب كثيرة ، والمواضيع شيقة ..

« ان اعز ما املكه هو الكتاب ، وانا بخيل باعطاء الكتاب ، ولا اعتقد انني بخيل ماديا .. لكنني اجزم اني بخيل بالكتاب ، ويعز علي ان تستعير مني كتابا ، ولا يعز علي ان تقترض مني نقودا ، وقد تكون قيمة الكتاب المادية اقل بكثير من قيمة المبلغ المقترض .. » .

قطعة من تاريخ الكويت

وانتقلنا لزيارة مكتبة الاستاذ سيف مرزوق الشملان .. انها قطعة من تاريخ الكويت .. فقيمة مكتبة الشملان ليست في كتبها بقدر ما هي في وثائقها ومخطوطاتها الفريدة عن الكويت القديمة ..

ويقول صاحبها : « لقد ألفت حتى اليوم ثلاثة كتب ولكن الذى عندى من وثائق واوراق يكفي لاخراج عشرات الكتب .. وحتى تكتمل الصورة عن الكويت القديمة قمت بعمل متحف خاص كبير يضم صورة حية للنمط القديم الذى كانت تسير عليه الحياة في هذه البقعة من وطننا العربي .. » .

سرقة الكتاب اقبح السرقات

وكانت جولتنا الاخيرة في مكتبة الاستاذ محمد الشيخ صالح آل ابراهيم ، التى خصص لها جناحا مستقلا يضم ٥ غرف ، جعل في كل غرفة منها لونا مختلفا من الكتب .. فهنا حجرة كتب الدين والفقه ، وهناك لغات وجغرافية وقانون .. وفي اقصى الطرف حجرة للمخطوطات تضم نحو ٢٥٥ مخطوطا جمعها من خارج الكويت ، منها مصحف شريف نادر مكتوب بالخط المذهب ، يرجع تاريخه الى عام ٩٧٠ هـ .

وعندما سألنا الاديب عن عدد الكتب في مكتبته ، اجابنا قائلا : « المكتبات لا تحسب قيمها بالكم وانما بالكيف والنوع .. فمثلا عندي كتاب فقه قديم مطبوع في مصر على نفقة الكويت .. وعندى كتاب يمتد تاريخه الى ٣٠٠ سنة مضت ويعتقد انه مكتوب في الكويت .. وهذا دليل على وجود بيئة ادبية في الكويت القديمة ..



الاديب محمد الشيخ صالح آل ابراهيم يتحدث عن مكتبته العامرة ، وما تحويه من كتب ..

« اني اميل للادب واتمنى ان اتفرغ للادب .. ولكنى الى الآن اعتبر نفسي قارئا .. لان المسألة ليست مسألة وقت فراغ وانما هي تهيؤ ذهني يجب توافره ..

وانتقل الحديث الى سرقة الكتاب وهل هو جائز او غير جائز ؟ فقال : بعض الناس يرى ان سرقة الكتاب حلال ، وما ذلك الا نتيجة انحطاط المجتمع الذى انقلبت الاوضاع فيه الى درجة حسنت في نظره الامور المستهجنة .. والرجل الابي لا يسرق .. فالسرقة عمل قبيح .. وسرقة الكتاب اقبح .. » .

غرفة استشارة للرجل الحكيم

ان الحديث عن المكتبات الخاصة في الكويت لا يمكن حصره ابدا .. فالمكتبات موجودة بدرجات متفاوتة في الكثير من المنازل وبعض اصحاب هذه المكتبات يخافون على كتبهم اكثر من خوفهم على اولادهم .. لا يستفيدون منها او يفيدون .. في حين ان المكتبة الخاصة ـ في رأى المفكر جورج دوزن ـ هي « غرفة الاستشارة العظيمة لكل رجل حكيم .. » .

س.ز.

رحلتي مع.. القرآن

في طفولتي، وصباي، ورجولتي.

بقلم : سليمان فياض

■ حين تفتح وعيي ، مع طفولتي الأولى ، سمعت أذناي من حولي ، أصواتا ترتل القرآن . ورأت عيناي أبي جالسا الى المصحف ، وقد طهّر أعضاءه بالاغتسال ، وبالوضوء . وأدى فريضة الصباح ، ثم أفطر ، ثم صلى ركعتي الضحى ، ثم جلس الى المصحف يقرأ حزب يومه ، أربعة أرباع من القرآن ، نصف جزء منه ، يجعله يختم القرآن كل شهرين مرة .

في يوم الجمعة

أراه كل يوم جمعة بالتحديد يفعل ذلك ، يجلس متربعا ، وبين يديه لوحان سميكان من الخشب الأبيض ، تداخل أحدهما في الآخر ، وتشابكا متعانقين ، كما تتشابك أصابع الكفين . والمصحف بينهما مفتوح عند الشريط الحريري الأخضر ، حيث توقف أبي بين صفحات الكتاب . ويبدو لي كرسي المصحف هذا مثل كفيّن تدب فيهما الحياة ، تحنوان بلطف على كتاب الله . ويأخذ أبي في قراءة القرآن . يرتله في اقبال خاشع ، فتنفتح معه وله نوافذ القلب وكوى الروح . يبدو لي صوته وهو يقرأ ، على حدّته ورقة أوتاره ، آتيا من الأزل والأبد ، يطوي في ايقاع ترتيله سماء قريتنا وأرضها . وجدران البيت وسقفه ، والليل والنهار ، والشمس والقمر والنجوم . ومن قلبه كان يقرأ . وبروحه كان يرتل . وأمي وزوجة جدي تمارسان أعمال البيت ، وهما صامتتان ، تصغيان الى الصوت الخارج من « المندرة » عبر الباب والنافذة . وجدي قد أقعي ، وأغلق عينيه ، وقلبه صاح يتابع ترتيل ولده . كان ذلك يحدث كما ذكرت كل يوم جمعة ، ثم يخرجان الى المسجد معا ، لأداء صلاتها الجامعة .

في الأيام الأخرى

في الأيام الأخرى من الأسبوع كان يوحشني مجلس أبي الى المصحف . ومشهدهما ، أبي وجدي ، وهما يذهبان معا الى المسجد .

في هذه الأيام الأخرى ، كان أبي يخرج مع الصباح الباكر على «ركوبته» ليذهب الى المدرسة التي يدرّس بها ، في قرية بعيدة بعض الشيء ، وقد أخذ معه مصحفا بحجم كف اليد ، ويروح يقرأ حزب يومه على أنوار الصباح الباكر ، والحمارة تدب به عارفة طريقها .

وأخرج أنا الطفل الصغير من البيت بعد ذهابهما الى المسجد لألعب مع الأطفال ، ولكن الحقول تشدني .. يبهرني منظر السموات والأرض وما بينهما ، والسحب والصفاء ، والحيوانات والطيور ، والأشجار والمزروعات ، والنباتات

- القرآن في بيتنا في القرية.
- القرآن في رمضان.
- القرآن في كتّاب الشيخ إدريس.
- القرآن في الأزهر.
- القرآن إعجازه روحانيةٌ غامرة.



الشيطانية ، والفراشات . واشعر بالتخمة مما ارى ، فاجلس لادندن وحيدا على جذع نخلة قديم ، قطعت منذ زمن بعيد . وقد التقى في قلبي مشهدان : مشهد ابى وهو يقرا القرآن ، ومشهد الدنيا التي يتحدث عنها القرآن ، واعى بعض كلمات من حديثه الغامض الساحر ، احملها معى حتى اراها حية حولى فيما اراه . في الكائنات الصغيرة وغير الصغيرة التي خلقها الله .

واحن الى اليوم الذى اكبر فيه كابى ، واتعلم القراءة مثله ، واصبح قريبا مثله ، في محضر القرآن ، من الله . ويغمر روحي شعور بالأمن والسلام ، ما يلبث أن تعصف به احتكاكات الحياة اليومية الرتيبة ، في شوارع القرية وبيوتها مما يحدث بين ابى وامى ، وجدى وزوجة جدى ، فاشعر بالتمزق ، واجرى الى الحارة هاربا ، لألعب مع الأولاد ، أو ألوذ بعالم النوم ، تحملنى احلام سعيدة ، تطير بى ، فوق البيوت ، والناس .

يوم العتاقة السنوى

ويأتى يوم « العتاقة » السنوى . يبدو لى مثل احتفال بمولد صغير في بيت ابى وجدى . تفرش الحصر في المندرة وغرفة الجلوس ، وترفع المقاعد والأرائك الى باحة البيت ، وتغرق امى وزوجة جدى ، من مطلع النهار ، في سلق مقادير كبيرة من اللحم ، ومن الفول النابت . ويأتى المقرئون الينا ، ويتربعون في اركان المندرة ، لائذين بجدرانها الأربعة ، ويأخذون في ختم القرآن غيبا ، يقرأونه من اوله الى آخره . عيونهم كليلة ، ان لم تكن قد فقدت الرؤية ، واجسادهم تفوح عرقا ، واسنانهم مسودة ، وملابسهم لم تعرف النظافة منذ زمن بعيد .

واجلس لأسمع ، ثم اهرب من البيت كله الى الشارع. ليس في أدائهم ترتيل أبى ، ولا خشوعه. سرعتهم تأكل الكلمات فلا تبين . واعرف انهم جاءوا لياكلوا ، وعقولهم وهم يقرأون في بطونهم ، وقلوبهم قد غرقت في شحوم اجسامهم ، وارواحهم قد جفت فلا تعرف رهافة التوتر والارتعاش . يذكرونني بيوم « الرحمة » في المقابر كل يوم خميس ، حين يقرأون بألسنتهم من افواههم على ارواح الموتى ، آيات النار والقيامة ، والجحيم والعذاب : « خذوه فغلوه ، ثم الجحيم صلوه » . تصبح الآيات من افواههم عقابا ، وانتقاما ، وثأرا .

في حين انى من ابى اسمع نفس الآيات جزاء عادلا ، واغراء بعدم المعصية .

وكل عام يجيئون مرة ، لينجزوا قراءتهم في « العتاقة » السنوية .

اوقف عم جدى يوما ارضا للمسجد ، ولقراءة القرآن في يوم « العتاقة » ، واصلاح المقابر ، وتحول وقفه الطيب الفرض ، الى محنة لي وعذاب .

ويتقدم شهر رمضان

ويتقدم شهر رمضان ، عاما بعد عام ، آسرا ، وساحرا ، عامرا بالطعام في الافطار ، وفي السحور . واهتز حتى الأعماق للشهر الذى نزل فيه القرآن ، في ليلة القدر ، التي هي عند الله للعابدين خير من الف شهر . عامرا بجو آمن منعش ، تُرطبه الأحاديث والذكريات ، بالسلام ، وغزوات الأوائل المنتصرة التي يرويها شيخ المسجد الكفيف ، بعد غروب كل يوم .

ويتحول القرآن أمام عينى ، وفي قلبى الى حياة نابضة ، مليئة بالمشاعر الرفافة ، والشعائر والطقوس :

جلسة أهل القرية على « المصاطب » وقد شحبت وجوههم في حضرة الروح ، يتسامرون قليلا ، ويصمتون كثيرا ، ويردون التحية باحسن منها ، ويدعون المارة للافطار .

عودة الشباب بالمواشي من الحقول .

السؤال الدائم عن الساعة من الصائمين .

روائح الطعام الشهية تتصاعد من مناور البيوت، ونوافذها ، وابوابها ، مع الدخان .

وجوه النساء والفتيات المتوهجة من نيران المواقد والأفران .

لحظة الآذان المتجاوبة من ثلاث مآذن ، عند دوار العمدة ، ومسجد أبى عنان .

صوانى الافطار التي اقبل عليها الناس حتى التخمة ، فوق اسطح البيوت ، أو في افنيتها الصيفية .

الشوارع التي خلت تماما من كل عابر سبيل ، حتى من أعرج القرية ، والأيدى الممدودة سائلة العطاء .

اصوات المصلين للتراويح بعد صلاة العشاء في المساجد والقارئين في أرجائه للقرآن .

انوار المصابيح الوهاجة المتدفقة من أبواب

المنادر ، والمضايف ، ونوافذهما ، الى الشوارع والحارات .

اصوات المقرئين المختارين من القرية ، والقرى الأخرى النائيـة ، لقراءة القرآن طـوال ليالى رمضان .

مجالس رجال الأسرة ونسائها ، الذين يتبادلون في ليالى النـور المباركة ، الزيارات والأحاديث ، وسماع القرآن .

زياط الأولاد في مستطيلات النور بالشـوارع والحارات .

الأمن الذى نشر اكفه وراحاته ، في المزارع فلا تقتلع او تغرق بالمياه ، والحظائر فـلا تسرق ما فيها من مواش .

ارتقاب الناس في الليالى العشر الأخيرة ، لليلة القدر ، وحكاياتهم عنها ، وطـول دعائهم فيهـا بالصحة والمال ، وتحديقهم الى السماء عسى أن يرى احدهم طاقة من النور ، تقبل من بعيد وتكبر حتى تغمر الآفـاق ، وهي تهتز كما يهتز الغربال بالحبوب في أيدى النساء .

الأيدى الممتدة ابدا بالعطاء ، والبيوت المفتوحة لكل ضيف ، والقلوب المجيبة لكل سؤال .

والمحال العامـرة بأصناف الحلوى ، وألوان الزينة ، تلبية لمطالب رمضان . واستعدادا لفطرة العيـد ، بالجـوز ، واللـوز ، والبنـدق ، وقمـر الـدين ، والتـين المجـفف ، والسـمك البكلاه ، والتمر ، والزبيب ، والملبن ، والترتر ، والشيلان ،والترابيع ، والسكر البلاط والاقماع، والبن ، والشاى ، وصفحات الحسـاب المفتوح ليوم الحساب .

ونوم الأطفال ليصحوا مع بركة رمضان : حفنة من الحلوى تحت الوسادة ، وكف حانية تدعوني للسحور .

ونية بالصيام ، لا اقدر على الاستمرار فيهـا صبيا حتى الضحى ، وشعور بالذنب ، أحسن معه بالاثم ، اذا حاولت أن اقترب من الصلاة . أو انصت لجدى وهو يقرأ وحيدا آيات من القرآن ، او يكـرر على مسـبحته ، عبارات الذكـر ، والتسبيح ، والتهليل ، فافر الى الشارع ، او الوذ هاربا الى اكف الناس .

وتلت سنوات حرمان

جاءت ايام ، بل سنوات ، حرمت فيهـا عاما بعد عام ، من دنياى الصغيرة مع القرآن . نقل أبى ، وانا في التاسـعة ، والأسرة معـه ، الى مدرسة بمدينة صغيرة ، تبعد عن القرية مسـيرة ساعتين أو ثلاث . هجر جدى الزرع والقلع بعد ان كبـرت سـنه ، وأرهقتـه آثار الشـيخوخة والبلهارسيا ، اكرهه ابى على ان يفعل ذلك ، وجاء معنا بعيدا عن عاله ، ومنفيا برغمه . لم يعد لي من القرآن في هذه المدينة سوى ما يطلب منا حفظه في درس الدين ، بالمدرسة الأولية ، او سوى ما اسمعه بين حين وآخر من ابى وهو يرتل القرآن ضحى يوم الجمعة ، او في عصر اى يوم آخر .

وكل عام يجيء رمضان وانا عنه بعيد وناء . يصوم الناس ويصلون التراويح ، وتفتح الاذاعات على قراءة القرآن ، اثر كل صـلاة مفروضـة في المحال ، والبيوت الميسورة . تملأ شعائر رمضان وطقوسـه وروائحه ، وعاداته ، المدينـة كما في القرية . لكن شيئا منها ليس ابدا مثلما كان ، لا التراويح كالتراويح ، ولا انتظار الناس للحظة الأذان ، ولا البيـوت المفتوحة للسـائلين ، ولا السهرات العاطرات الشفيفة لقراءة القرآن . ولا الأيدى الممتدة بالعطـاء . الناس اقـل كرما ، والأرواح غائبة مشغولة ، بالذات في رمضـان ، بالربح والخسارة والاتجار . يقتلون الوقت غالبا في المقاهى بعيدا عن المسـاجد ، والمصـاحف . يلعبـون الـورق ، والطاولة ، والشـطرنج ، والدومينو ، ويتنزهون على شـاطىء الترعة خارج المدينـة ، يعبون من الحب بالعيـون والكلمات الغزلة ، في الشوارع والطرقات .

واسمع ذات يوم قرب الغروب المقرىء الشهير الشيخ « محمد رفعت » يرتل آيات من القرآن ، من رديو في « دكانة » للساعات ، يشجيني صوته العريض العميق ، تاسرني اوتاره ، أحس انه يقرأ من قلبه لا من سقف حلقه . اجرى الى أبى وألح عليه أن يشترى لنا رديو ، واشترط عليه ألا يكون احد يقرأ فيه سوى الشيخ « رفعت » بنفسه ، فقد دار بخاطرى أن كل رديو له شيخ خاص .

اشعر بحنين ، بين حين وآخـر ، الى قرآن القرية ، ورمضان القرية ، لكن رمضان قد دار به كر السنين ، وأصبـح لا يأتي الا في الربيع . وأحس حقـا بالفقد .. اذهب كل صـيف مع الأسرة الى القـرية ، لكن رمضان لا يكـون بها ، وأبى لم يعد كما كان . أصبح مثل ناس المدينة .

شغلته أعمال المدرسة ، وزيارات الاصدقاء ، وأخذ طريقة صوفية ، وصار أكثر اهتماما بالمسبحة ، والأوراد . والادعية ، من اهتمامه بالقرآن . صار يتردد لأقاربنا في القرية ، مع الارض ، يوم « العتاقة » ، وسهرة رمضان .

شيخ من المتصوفة

ذات يوم ، كنت في الرابعة بالمدرسة الاولية ، جاء شيخ أبي المتصوف ، دعاني أبي اليه ليباركني ويعطيني الطريق . سأل أبي عني ، ذكر له أنني أكبر أبنائه ، وأنه ينوي أن يلحقني بالمدرسة الابتدائية . ثار الشيخ غاضبا قال له : « ومن يحفظ القرآن ، ويرعى الحديث والتفسير ؟ » .. أخرجني أبي من المدرسة في منتصف العام . أسلمني الى كتاب الشيخ ادريس لأحفظ القرآن .

في كتاب الشيخ ادريس

كان بيت الشيخ من طابقين . في الطابق الأول ، بحجرتيه الأماميتين ، كنا نحفظ القرآن . والشيخ ادريس مكفوف البصر ، في يده عصاة من الخيزران ، وسمعه حاد ، يعرف من أين يأتي الصوت والصمت معا ، فيهوى بعصاه التي يسميها « الشيخة » ـ حسب الأحوال ـ على مصدر الصمت الذي لا يقرأ بصوت عال ، أو على مصدر الصوت الذي يتحدث بغير القرآن . وبين سائر الأصوات المرتلة للقرآن يميز الخطأ والصواب ، بصوت الجالس يقرأ اليه ، في الآية ، أو في تجويد الكلمات . وكانت أذناه تتابعان ، في نفس الوقت ، كل ما يجرى حوله ، هنا أو هناك ، بل كان أحيانا يصيح بحفيداته حين يثرن شغبا بالداخل ، يميز فيه من اعتدت على الأخرى .

كان أذنا كبيرة ، تركزت فيها كل الحواس ، وجهه به حفر من جدري قديم ، وغضون شيخوخة مترهلة ، وفكاه اهتمان ، لكنه لا يخطىء مخارج الكلمات ، ولا الحروف التي يخرج فيها اللسان . ولا امالة حروف القلقلة بدقة الى الكسر . ولا عدد حركات المد والغن ، ولا مواضع الوصل والوقف . وما زلت أعجب كيف كان يعرف بدقة بالغة : ماذا علينا أن يسمعه كل منا له من آيات راتب الحفظ ، وراتب المراجعة والاعادة ، في كل يوم ، بل في كل ساعة من ساعات النهار ، من الصباح حتى تأتي بعد منتصف النهار .

كان يغادرنا بين حين وآخر ، لقراءة راتب في أحد البيوت ، ثم يعود الينا ، وحين يمرض ، أو يدعى لمناقة في احدى القرى ، كان يحل محله أحد ولديه الكبيرين اللذين لم أعرف أبدا أين كانا يتغيبان حين يكون هو موجودا معنا ، أو ماذا كانا يعملان في هذه المدينة .

أحد ولديه كان كهلا عفيا . رأى معي يوما مقصا ، نسيت وأخذته معي من البيت ، فاستولى عليه ، ورأى حول عنقي شالا من الصوف اتدثر به من برد الشتاء ، فأبدى اعجابه به ، وأخذه . ولم يعجبه حفظي فجاء عصرا الى أبي وشكاني اليه ، فضربني أبي بالخيزرانة « علقة » ساخنة موجعة ، مرضت بسببها عدة أيام في البيت ، وكلف أبي في تلك الليلة وليمة شهية ، أتى فيها على دجاجة كاملة ، وصينية رقاق أخرجت لتوها من الفرن .

كان رفاقي ، بكتاب الشيخ ادريس ، يبلغون العشرين عدا ، أحدهم كان مكفوف البصر ، وكنا نتناوب تحفيظ القرآن له جملة جملة ، وآية آية . ثم نعيد له الراتب نفسه مرة أخرى ، بنفس الطريقة ، فيحفظه عن ظهر قلب ، وكما سمعه من الشيخ ادريس ، وليس منا ، كان قد جاوز العشرين من عمره ، وكان عليه أن يجد مصدرا لرزقه في المقابر والبيوت ، فلم يكن صوته صالحا ليكون واحدا من مقرئي السهرات في المآتم أو ليالي رمضان .

وبينهم كان صديقان لي ، أحببتهما من كل قلبي ، كانا لطيفين غاية ما يكون اللطف ، وظريفين غاية ما يكون الظرف . أحدهما واسمه « وهبه » مات بعد عام من التحاقي بالكتاب بمرض في صدره . والآخر واسمه « محمود » ، كان يحب الشيخ « رفعت » مثلي . وكان قلبه متفتحا دائما للحياة وللحب ، ووجهه دائم الابتسام ، وكان أبوه أنظف سمكرى في المدينة ، ومات فجأة بعد شهر من موت « وهبة » ، بسبب لم أعرفه أبدا . وبقيت بعدهما وحيدا في كتاب الشيخ ادريس بلا صديق . كلما ذكرتهما أحسست بأسى عميق ، يعتصر قلبي .

لم يكن حفظ القرآن هينا

رحت أتقدم في حفظ القرآن ، ولم يكن حفظه هينا . أحب دائما أن أقرأه ، وأنصت لصوتي الخاص وأنا أرتله ، لكن حفظــه ، بالصــورة والطريقة التي كنا نحفظه بها ، كان مشقة بالغة : الآيات المتشــابهة بين موطن وآخر ، وســورة وأخرى . عدم فهمي للكثير من جمله ، وعباراته ، ومعاني كلماته . ضرورة المراجعة لحفظ ما فات ، واستحضار ما مضى من آيات .. ذلك كله كان يكلف صباي عبئا فوق ما يحتمل .

توقفنا مرة أنا و « وهبة » و « محمود » عند آية « ســل بني اسرائيل كم آتيناهم من آيــة بينة » .. أردنا أن نعرف معنى : « سل » هذه . لم نعــرف ، أبدا ، أنهــا هي نفســها كلمة : « اسأل » . حسَم « وهبة » حيرتنا بأن معناها ، هو : « هــل » . وعجزنا عن معرفة معنى كلمة « بينــة » ، أما كلمة « آيــة » فقد بدا لنا أن المقصود بها هو آيات القرآن . لم يكن بوسعنا أن نسأل الشــيخ عما يحيرنا . فلم يكن ذلك ضمن مهمته ، وربما لو كنا قد سألناه ، لما وجدنا لديه جوابا ســوى الضرب بعصاته التي يــسميها « الشيخة » . وكان أبي ، منذ جئنا الى المدينة قد صار فظا ، أكبر وأضخم من أن أجلس اليه وأسأله .

وكان يهون مشاقَّ هــذا الحفظ عليَّ ، حفظي بسرعة ، ونسياني أيضا بسرعة ، وجــودُ جدي معي . كان يسمع لي مرارا ما حفظته من راتب ، وكان يبلغ ثلث ربع كل يوم ، ويعيد لي تسميع ربعين مما عليَّ مراجعته وإعادته ، استعدادا للغد التالي . وعندئذ فقط يباح لي الخروج من البيت للعب ، حين يأتي الليل فقط ، عندما يكون الظلام قد غطى المدينة .

مع جدي في صيف القرية

جاء صــيفي الثاني عشر ، وهجرنا المدينة في أشهر الصيف الى القرية . واستأنف جدي لي ما انقطع من حفظي للقــرآن في كــتاب الشــيخ ادريس . كل ضحى كان يأخذني معه الى المزارع ، ومعه المصــحف الكبير ، ونجلس معا تحت ظلال النخيل ، ويقرأ لي راتب يومي ، على ضــعف قراءته عموما . فقد كان جدي يجيد قراءة القرآن، مع أنه لا يكتب اسمه فقط الا بصــعوبة بالغة ، ولم يذهــب يومــا الى أحد الكتاتيــب ليحفـظ القرآن ، أو يتعلم قراءته .

كنت أخون جدي ، خوفا من الخطأ في التسميع أحيانا ، وأغضابه ، أو بسبب اهمالي في الحفظ أحيانا أخرى ، حين أسمع له ما عليَّ من راتب جديد ، أو راتب مراجعة واعادة . كنت أخرج من صدري على غفلة منه مصحفا صــغيرا ، أفتحه خلسة على ما أسَمِّعه ، وأنا طاوٍ ركبتيَّ الى صدري بمقابله ، وهو مستغرق في متابعة الكلمات بالمصحف الكبير بين يديه . وأروح أقرأ بإجادة بالغة ، فأرى ابتسامة حبيبــة على شفتيه ، وسعادة تتألق في عينيه ، ثم يطوي المصحف الذي بين يديه قائلا : « صدق الله العظيم » وينحني علي ، ويقبلني في جبيني .

وبمرور الوقت ، أصبح ذلك عــادة . وخف تأنيب ضــميري لي ، وتزايدت رغبتي في ارضاء جدي واسعاده. نفس ما كان يحدث تحت النخيل، كان يحدث في البيــت ، ونحن نجلس متقابلين ، وبيننا منضدة صغيرة سطحها من الرخام الأسود المشــبع بالأبيض . ختمت القــرآن معه بهذه الطريقة ، في أشهر الصيف القليلة . حفظت، على ما ادعيت ، ثلث القرآن الأخير ، من ســورة « العنكبوت » الى سورة « الناس » .

وألبسني والدي العمامة

كان أخي ، التالي لي ، قد أخــرجه أبي من السنة الثالثة بالمدرسة الاولية ، وألحقه بالسنة الثانية الابتدائيــة . لبس أخي بدلة ، ولم أزل بالجلباب ، صار يرطن بكلمات انجليزية الى جوار العربية ، صار يأخذ حسابا وهندســة وعلوما . وحاكت المشاعر غير الطيبة في صدري ، فتحدثت الى أبي في أمري وأمر أخي . رق قلبه ، فجاءني بعمامة وذهب بي الى الترزي ، فأعد لي «كاكولة»، وراح يعدني بالمنى ويفرش طريقي بالأحلام ، وبأنني يوما ساصبح عالما كبيرا مثل شيخه ، أعرف تفسير القرآن ، وشرح الحديث ، وأكسب آخرتي الى دنياي .

عند الامتحان في المعهد الديني

وغفل ابي عنى ، وغفلت انا عن نفسي . فلم يسمع لي القرآن مرة اخرى ، ولم أسمعه انا لنفسي ، حتى جاء يوم الاختبار بالمعهد الديني في حفظ القرآن ، ودخلت الى لجنة الامتحان مطمئن القلب بعض الشيء ، فزميل ابى في دراسته بالأزهر ، والذى اتم تعليمه العالى به ، كان عضو هذه اللجنة ، وطلب مني الشيخ ، صديق ابى ، ان اقرا اول سورة آل عمران ، وقرات ما طلب ، تسع آيات ، اخطأت فيها مرتين ، ذكر الشيخ في المرة الثانية لزميليه في اللجنة ، انه يعرف انني احفظ القرآن عن ظهر قلب ، لكنني هائب من هذه المواجهة ، ودعا لي بالبركة ، وامرني فانصرفت ، مغادرا اللجنة اكاد اطير فرحا .

وبين سائر الاولاد ، كنت الولد الوحيد الذى يضع على رأسه عمامة ، ويرتدى « كاكولة » انيقة التفصيل على اتساع كميها بدرجة غير مناسبة .

وكل عام كنا نختبر من جديد ، مع امتحانات المواد الاخرى في القرآن ، ونادرا ما كان احدنا يحفظه حقا ، فقد كنا نعكف قبيل أيام الامتحان الشفهي للقرآن ، او ربما في ليلة هذا الامتحان ، على حفظ آيات قليلة ، من أوائل السور والأرباع ، وويل لمن يسأله الممتحن عن آية في منتصف ربع من القرآن .

ولكن القرآن كان قريبا الى قلوبنا ، حين يرفع احدنا صوته ، مرتلا آيات منه ، حين لا تكون لدى احد شيخونا رغبة في التدريس ، او حين نخلو الى انفسنا في الغرف التي نقطنها بالأحياء الشعبية ، أو حين تتجمع زمرة منا في معسكر صغير للجيش ، وتجلس مع الجنود اثناء الحرب العالمية الثانية ، او حين نسام من الملل والفراغ في أشهر الخريف ، فنفرش الحصير بالشوارع ، لنقيم حلقة ذكر ، نفتتحها بتلاوة آيات من القرآن .

لم نتصل بالقرآن الا بعد ست سنوات من بعد حفظه

لم يتح لى أن اقترب وحدى من تفسير القرآن ، أو أتعرف الى علومه ، الا في المرحلة الثانوية من تعليمي الديني ، بالتحديد ، في السنة الثالثة الثانوية . قبل ذلك كانت صلتنا بالقرآن ، طوال ست سنوات ، صلة جانبية ، تأتى من خلال دراسة الفقه الاسلامى ، أو علم التوحيد ، أو الحديث ، ودراستنا للآخرين بدات بعد أربع سنوات .

بدأت ادرس تفسير القرآن بطريقة المتن والتوضيح ، والتحليل والتعليق . كان اول تفسير درسناه ، على مدى السنوات الثلاث الباقية من المرحلة الثانوية ، هو تفسير « النسفى » ، وكان التفسير التالى هو تفسير « الكشاف » في المرحلة الجامعية . وكلا التفسيرين ، كانا يركزان أساسا على التحليل اللغوى والبلاغي ، وايراد بعض الاقوال والروايات ، لتفسير المعاني او المناسبات التى نزلت فيها الآيات . كانت دراسة نحوية وصرفية وبلاغية ، تقف عند حدود المعنى للكلمة ، والصورة البيانية في الجملة . ولا تتجاوز ذلك الى المعانى العامة ، والتذوق للموقف، والاحساس بالفكرة ، ووسط هذه الدراسة كانت بعض الروايات الخرافية دخيلة في التفسيرين ومدسوسة لا تغيب عن بالى منهما خرافتان : احدهما تقول مثلا في سياق سورة « القلم » ، ان « نون » في « ن . والقلم وما يسطرون » هى اسم « الحوت » الذى يحمل الأرض ، على « قرنيه » . والثانية تقول ، ان من يضع كفيه على أذنيه ، يسمع صوتا هو خرير نهر الكوثر في الجنة .

وهذه الدراسة للقرآن في الازهر كانت هى كل حصادى ، باستثناء دراستى لعلم التجويد ، ودراسة المكفوفين بالذات لعلم القراءات. فالدراسة في الازهر كانت تركز على علوم اللغة والبلاغة في دراستها للحديث والتفسير .

لكن ، خلال سنوات الجامعة ، اتيح لى ، مع قراء عديدين بالازهر ، وفي خارجه ، أن نقترب أكثر من القرآن ، مع التردد على المكتبات العامة ، واكتشاف الوان اخرى من تفاسير القرآن ، كان يسيطر عليها جميعا أيضا المنهج اللغوى والبلاغي، مثل تفسير الطبرى ، والرازى ، والقرطبي ، وهذه كانت تزيد على تفسير الكشاف ، والنسفي، في كم الروايات المنمنمة ، وما تسرب خلالها من أسمار العرب والفرس ، واساطير الحضارات القديمة ، وخرافاتها ، من وجهة نظر عربية دينية تلجا الى التعديل ، او التوفيق ، او تكتفى احيانا بمجرد السرد والرواية .

قربنا الحقيقى من القرآن

قربنا الحقيقى من القرآن ، بدأ مع الكتاب الاسلاميين المحدثين ، فى تفاسيرهم ودراساتهم ، وابحاثهم . ومن خلال هذه الدراسات والتفاسير والابحاث ، اكتشفت ان صلة الازهر بتراثنا الثقافى الدينى ، تعتمد اساسا على ما كتب فى عصور التخلف المملوكية ، من متون وشروح ومطولات ، فى مختلف علوم اللغة والدين ، وان الدراسة الحقة للقرآن ، ينبغى ان تحاط معه بدراسة تاريخه ، واسباب نزول آية ، وفلسفته ، ومناهج تفسيره ، والوان جماله الفنى ، وفى حدود ابعد كثيرا ، من حدود الجمال البلاغية ، حدود عصرية ، تتجاوز علوم المعانى والبيان والبديع ، فتتابع لوحات القص ، والمشاهد النابضة بالحياة ، فى سور القرآن ، بتركيز محكم ، وايقاع متنوع ، وبناء خاص . هذا هو ما اعتقده حتى الآن ، منذ سنوات بعيدة . وهو امر يجعلنى اتجاوز حدود النقد ، الى محاولة الدعوة لمزيد من الدراسة الموضوعية والعلمية للقرآن .

وربما كان ذلك السبب ، هو ما دفعنى يوما الى كتابة مقالين بعنوان « منهج جديد لتفسير القرآن » بمجلة « منبر الاسلام » ، حاولت فيهما تقديم منهج لهذه الدراسة الموضوعية والعلمية فى تفسير للقرآن ، يهدف الى محاولة الوصول الى المعانى الخاصة فى القرآن عن : الخير والشر ، والدنيا والآخرة ، والجنة والنار ، والانسان والارض والسماء ، والتقوى والمعصية ، والايمان الكفر ، كما وصفها القرآن عبر آياته وسوره ، عن طريق التتبع لكلمة (الخير) مثلا فى القرآن ، ودراستها فى سياقها من الآية ، او مع مجموعة آيات قبلها وبعدها ، دراسة خاصة بمفهومها القرآنى ، حدث ذلك بعد أن اطلعت بدار الكتب العامة بالقاهرة ، على كتابين هامين وخطيرين هما : « المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم » و « مفتاح الكنوز الى السنة » . والاول معجم لالفاظ القرآن ، والثانى معجم لموضوعات الاحاديث ، فى الاسانيد الستة الشهيرة .

ولم يتصل هذا الجهد منى ، ولم يتح لى ان اضيف اليه جديدا ، فقد صدمتنى سنوات الدراسة بالازهر كثيرا وارهقتنى ، وقدّر لى أن احمل قلمى كاديب ، واعيش عصرى كقاص .

حفظى القرآن
وثق علاقتى باللغة العربية

حفظى يوما للقرآن ، وثق علاقتى اكبر توثيق باللغة العربية ، جعل حسها فى دمى ، حتى ليجرى قلمى احيانا بكلمات عربية لم يسبق لى أن قرأتها من قبل ، أو تعرفت الى معناها فى قاموس . صارت كلمات القرآن رصيدا لى من الثروة اللغوية . وصارت طريقته درسا لى فى استخدام الالفاظ بصورة تتناسق مع ما قبلها وما بعدها من كلمات . ولاحساسى بالقرآن ادين بلغتى فى القص ، صورا وايقاعا ، لغة وايحاء ، تركيزا أو اسهابا ، بل واستشهادا باية احيانا ، ونفاذا من خلاله الى فهم الوان من الشخصيات الشعبية ، ونماذج بنى الانسان ، وانماطهم . ولولا أن كتاب « التصوير الفنى فى القرآن » قد غطى الكثير مما يمكن أن اكتبه ، من خلال الخبرة والممارسة فى هذا الموضوع ، لكتبت الآن كثيرا من اللاحظات الخاصة بى ، والتى جعلها هذا الكتاب القيم شائعة بين القراء .

كثيرون تحدثوا عن اعجاز القرآن فى التشريع ، وعن اعجازه البلاغى ، وعن اعجازه الفنى ، لكن القرآن كان له اعجاز فى وجدانى يعلو على كل اعجاز بل هو مصدر كل اعجاز . اعجاز الصدق فى مواجهة الحياة ، وفى التأمل فى حال الدنيا ، ومصير الانسان والكائنات والاشياء ، وفى رؤية الانسان كما هو ، والانسان كما ينبغى اخلاقا ومثلا ان يكون ، لكى يتحرر من عبوديات الاشياء والناس على السواء .

ومن هذا الصدق ينبع اعجاز القرآن الاول والاكبر ، اعجاز الروح ، الذى يجعله ، لا يخلق ، مثل كل شعر ، مثل كل نثر ، بكثرة التكرار والترديد ، نفس المعنى ادركه المعارضون لمحمد فى عصره . وعبر عنه المفكر « محمد فريد وجدى » حين يقول :

« ان روحانية القرآن الخالصة ، هى سبب اعجازه ، واعجاز المعاصرين لنزوله عن محاكاة اقصر سورة منه . لقد اضفت الروحانية العالية على كل جانب من جوانب القرآن جلالا وقوة ، فاخرست فصاحة القرآن فصاحة فرسان البلاغة ، وبهرت حكمته عبافرة الحكمة » . ■■

سليمان فياض

مسـابقة العـــربى ..

ابْحَثْ عَنِ الإجَابَةِ الصَّحِيحَة

وَارْبح جائِزَة مِنْ ٨ جَوائِز قِيمَتها ١٠٠ دِينَار

■ ١٢ سؤالا مختلفا ، مع كل منها رسم او صـــورة ، وثلاث اجابات .. والمطلوب منك ايجاد الاجابة الصحيحةعلى عشرة اسئلة على الاقل ، على أن تصلنا اجابتك قبل يـوم ٣ من شهرابريل ١٩٧٢ لتفوز باحـدى الجوائز ، من احدى عشرة جائزة مالية مجمـوع قيمتها ..١ دينار .

الاســـئلة

١ ـ هذه مئذنة الجامع الاموي،ففي اى بلد هو:
دمشق ـ كربلاء ـ بعلبك ؟



★ ★ ★

٢ ـ ما اسم الدولة الافريقية التى تغطيها البقعة السوداء على الخريطة :
كينيا ـ زامبيا ـ يوغندا ؟

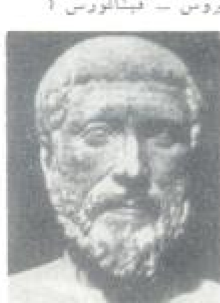




٤ ـ في الاتحاد السوفييتي سلسلة جبال تمتد من المنطقة القطبية حتى بحر قزوين ، اسمها :
جبال القوقاز ـ جبال الاورال ـ جبال ارارات ؟

★ ★ ★

٣ ـ حكيم من حكماء اليونان المشهورين ... ينسب اليه جدول الضرب في الحساب ، توفي عام ٥٠٧ ق. م. اسمه :
ابوقراط ـ هوميروس ـ فيثاغورس ؟



٥ ـ احد هذه الحيوانات يلد ولا يبيض :
سمك القرش ـ سمك التونة ـ الحوت ؟

★ ★ ★

٦ ـ ما هو الاسم السابق لجمهورية مالاوى :
ماليزيا ـ نياسالندا ـ افريقيا الاستوائية الفرنسية ؟



٧ ـ معبد ابو سمبل الذى انقذه العالم من الغرق ، فنقله الى رأس الجبل .. هذا المعبد الرائع من الذى شيده :

توت عنخ آمون ـ امحوتب الاول ـ رمسيس الثاني ؟



٨ ـ من الذى كتب موسيقى أوبرا « حلاق اشبيلية » :

روسيني ـ بوتشيني ـ موزار ؟

★ ★ ★

٩ ـ ما اسم المضيق الذى يفصل بين أمريكا وآسيا :

مضيق بيرنج ـ مضيق هدسن ـ مضيق باس ؟



١٠ ـ بطل تركيا الشهير الذى انقذها من اوربا بعد الحرب العالمية الاولى ، وقد أراد الحلفاء تقسيمها ، رفض التقسيم وحارب الحلفاء وغلبهم وسماه الأتراك اتاتورك ، فما اسمه الحقيقى :

مصطفى كامل ـ مصطفى كمال ـ عصمت اينونو ؟

★ ★ ★

١١ ـ أول سيارة سارت على سطح القمر .. كانت تسير :

يجرها بغل ـ يحركها محرك بترول ـ تحركها كهرباء ؟

★ ★ ★

١٢ ـ ما اسم ملكة الحب والجمال في الميثولوجيا الرومانية القديمة :

بينيلوب ـ فينوس ـ هيلينا ؟

شروط المسابقة

١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة
٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :
مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٦٠ »
٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر ابريل (نيسان) ١٩٧٢ .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .

كوبون مسابقة العدد ١٦٠

طرائف

أقصر كتاب

● سئل جعفر بن يحيى البرمكى عن اوجز كلام فقال : قول سليمان عليه السلام الى ملكة سبأ بلقيس « انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ان لا تعلوا على وائتونى مسلمين » . فجمع في ثلاثة احرف العنوان والكتاب والحاجة واظهار الدين وعرض الرشاد الى المكتوب اليهم .

خصا

● قيل ان للعاقل خصالا يعرف بها: يحلم عمن ظلمه ، ويتواضع لمن هو مثله، ويسابق بالبر من هو فوقه ، واذا راى باب فرصة انتهزها ، لا يفارقه الخوف، ولا يصحبه العنف ، يتدبر ثم يتكلم . فان تكلم غنم ، وان سكت سلم ، وان

مدح أم هجاء

● حكى الاصمعى قال : كنت اسير فى احد شوارع الكوفة فاذا بأعرابى يحمل قطعة من القماش ، فسألنى ان ادله على خياط قريب . فاخذته الى خياط يدعى زيدا ، وكان اعور ، فقال الخياط : والله لاخيطنه خياطة لا تدرى أقباء هو أم دراج ، فقال الاعرابى : والله لاقولن فيك شعرا لا تدرى أمدح هو أم هجاء .

فلما اتم الخياط الثوب اخذه الاعرابى ولم يعرف هل يلبسه على انه قباء أو دراج! فقال فى الخياط هذا الشعر :

خاط لى زيد قباء ليت عينيه سواء

فلم يدر الخياط ادعاء له أم دعاء عليه . .

★ ★ ★

أخطاء نحوية

● قدم رجل على زياد فقال : ان أبونا مات ، وأخينا وثب على مال ابانا فضيعه . . فقال زياد : الذى ضيعته من لسانك اضر عليك مما ضيعه اخوك من مالك . .

ومر عثمان بن عفان بر ماة يسيئون الرمى . . فقال : ما اسوأ رميكم ! فقال بعضهم : نحن متعلمين . . فقال : كلامكم اسوأ من رميكم . .

وسمع الاعمش انسانا يلحن ، فقال : من هذا الذى يتكلم وقلبى منه يتالم .

عربية

مجنون عاقل

● كان بهلول من عقلاء المجانين وكان يسير في شوارع وازقة بغداد ويصيح بأعلى صوته : الخلافة لى الخلافة لى، اما خليفتكم الرشيد فقد اغتصبها منى، ولن اترك حقا من حقوقى. فاقترب منه احدهم وقال له : يا بهلول ان امير المؤمنين قد امر لكل مجنون بدرهمين : فقال له بهلول : هل اخذت نصيبك ؟ .

العاقل والجاهل

عرضت له فتنة اعتصم بالله ثم تنكبها .
وللجاهل خصال يعرف بها : يظلم من خالطه ، ويتكلم بغير تدبر فيندم ، فان تكلم اثم ، وان سكت سها ، وان عرضت له فتنة اردته ، وان رأى باب فضيلة اعرض عنها .

الخليل وابن المقفع

● كان ابن المقفع والخليل بن احمد العروضى يحبان أن يجتمعا ويتباحثا فى شئون العلم ، فاتفق التقاؤهما ، فاجتمعا ثلاثة أيام يتحاوران . فقيل لابن المقفع : كيف وجدت الخليل ؟ فقال : وجدته رجلا عقله زائد على علمه. وسئل الخليل عنه فقال: وجدت رجلا علمه فوق عقله، قال بعض العلماء : صدقا فان الخليل مات حتف أنفه فى خص ، وهو ازهد خلق الله ، وتعاطى ابن المقفع ما كان مستغنيا عنه حتى قتل أسوأ قتلة .

★ ★ ★

مزيد وزوجته

● مزيد المدينى قالت له امراته يوما: ليس اربح من عمل النبيذ . فعملته .. فاتاها برجل معه درهم واحد ، فقالت له : لا ابيعه الا جملة ، فأتى صاحب الشرطة ، فقال له : أن امراتى عندها نبيذ . فوجه الحرس وقال : كونوا معه ، فان كان فى بيته نبيذ فاطرحوه وامراته فى الحبس ، وان لم يكن فيه شيء فردوه الي .

فجاء الشرطة فدخلوا منزله، فوجدوا النبيذ .. فقال لامراته : قد جئتك بمن يأخذ جملة ، فكسروا جرار النبيذ وجلدوهما جميعا ، ومضوا بهما الى الحبس ، فلما حصلا فيه قال لامراته :واريد ان ازيدك فائدة عما نحن فيه لم تخطر ببالك. قالت : وما هي يا مشئوم ؟ قال : استرحنا من كرى البيت .

الصِّناعاتُ اليابانيّةُ
ونُموُّها المُذهِلُ
في السَّنواتِ العَشْرِ الأخيرَة

بقلم : المهندس وجيه السمان

خرجت اليابان من الحرب العالمية الثانية وهي على اسوا ما يمكن ان تخرج به امة مهزومة : اتلف اسطولها الضخم الذى افتتحت به ما افتتحت من بلاد آسيا وخربت او احترقت معاملها التي كانت تنتج لها المصنوعات الكثيرة في ايام السلم وفي ايام الحرب ، وضاعت مستعمراتها وفتوحاتها ، حتى ان رقعة ارضها تقلصت الى نصف ما كانت عليه قبل الحرب (بعد ضياع كوريا وفورموزة وسخالين) وبارت ثروتها القومية وتهدمت مدنها واحترقت حتى اصبحت ركاما من الانقاض والرماد ، ومات من زهرة شعبها اكثر من مليونين .

واما حالتها المعنوية فكانت اشد سوءا ، لانها اضطرت الى التسليم ولما تطأ ارضها جيوش الفاتحين ولم تتح الفرصة لابنائها لكي يبذلوا دماءهم في الدفاع عن ارضهم الحبيبة . فاصبحت ذات حاضر مزر وفقر مدقع وخراب . وليس في الافق بصيص ضوء يعزي عن الحاضر المرير او يبعث على الامل والرجاء .

لم يمض على هذه الحال ربع قرن حتى اصبحت اليابان دولة غنية مزدهرة لها صناعة في ذروة الرقي ، تباع منتجاتها في جميع بلاد العالم ، وتنافس مصنوعات سائر الدول في الجودة ورخص الاسعار وفي التقدم التكني . تقدمت اليابان في اقتصادها بخطوات سريعة فسبقت الدول الصناعية الواحدة بعد الاخرى واصبحت الان ثالث دولة في العالم من حيث مجمل الانتاج الصناعي واخذ ناتجها القومي الاجمالي يزداد مع الايام زيادة لم يعرف التاريخ معدلا مماثلا لها : ففي الخمسينيات بلغ معدل التنمية ٩٪ وفي أوائل الستينيات تجاوز ١٠٪ وبلغ في السنوات القليلة الماضية ١٣ و ١٤ بل و ١٥٪ .

فهدفنا في هذا المقال هو ان نبين باختصار مدى ما بلغته اليابان بالنسبة الى سائر الامم الصناعية، وان نستعرض بعد ذلك خصائص نموها الاقتصادى الذى استعادت بفضله مكانتها ومجدها، ثم بزت به كثيرا من الامم القوية ، ثم نبين ما خلفه هذا النمو السريع من مشاكل اجتماعية وعيوب .

واقع الصناعة اليابانية

يكفينا لتحديد واقع الصناعة اليابانية ان نلم ببعض الصناعات الاساسية : كصناعة الحديد والفولاذ (الصلب) وتوليد الطاقة الكهربائية وبناء السفن وصناعة السيارات ، فهذه تعطينا دلالة واضحة على مدى ما بلغته اليابان في سيرها الحثيث نحو التنمية الاقتصادية .



ان ازدحام الشوارع بمختلف انواع السيارات في طوكيو هو احد الاسباب الرئيسية في تزايد تلوث الجو

١ ـ صناعة الفولاذ :

ادركت اليابان مستوى بريطانيا العظمى عام ١٩٦١ ، ولحقت بالمانيا الغربية عام ١٩٦٤ ، وليس هذا السبق مفاجاة لان توظيفات اليابان في مصانع الصلب تجاوزت عام ١٩٥٧ ما وظفته المانيا الغربية في هذا المضمار (٢٧٧ مليارا من الدولارات مقابل ٢٦٨ مليارا) . واصبح هذا التوظيف عام ١٩٥٩ في اليابان اكبر منه في المانيا الغربية بمرتين . واربى انتاج الصلب في اليابان عام ١٩٦٨ على انتاج المانيا منه بمقدار الثلث وغدت وسائل الانتاج اليابانية احدث من الالمانية بكثير . وهكذا ففي عام ١٩٦٨ اصبح انتاج اليابان يعادل ضعفي انتاج المانيا ونصف الضعف ، ويربو على انتاج بريطانيا العظمى وفرنسا وايطاليا معا .

نذكر بهذه المناسبة ارقام انتاج الصلب في عام ١٩٦٩ بملايين الاطنان :

الولايات المتحدة : ١٢٧ر٨
اى ٢٥ر٤ ٪ من الانتاج العالمي
الاتحاد السوفيتي : ١١٠
اى ١٩ر٢ ٪ من الانتاج العالمي
اليابان : ٨٢
اى ١٤ر٤ ٪ من الانتاج العالمي

٢ ـ الطاقة الكهربائية :

٢ ـ الطاقة الكهربائية : ادركت الصناعة الكهربائية اليابانية صناعة المانيا الغربية عام ١٩٦٣ ، واصبحت توظيفات اليابان في توليد الكهرباء عام ١٩٦٧ اعلى من مثيلاتها الالمانية بـ ٥٠ ٪ (٣ر١ مليارا مقابل ٩ر٪ مليار) وفي عام ١٩٦٨ اصبحت اهم منها بما يقارب ٧٠ ٪ .

وها هي ذى ارقام استهلاك الطاقة الكهربائية في كبريات الدول عام ١٩٦٨ مقدرة بمليارات الكيلوواط ساعة ومع معدل استهلاك الفرد الواحد بالسنة مقدرا بالكيلوواط ساعة .

الولايات المتحدة :	١٤٣٢	٧١٤٠
الاتحاد السوفيتي :	٦٠٦	٢٥٥٠
اليابان :	٢٥٣	٢٥١٠
بريطانيا العظمى :	٢١٠	٣٨٨٠
المانيا الاتحادية :	١٩٧	٣٢٧٠

ونذكر بهذه المناسبة ان اعلى معدل لاستهلاك الفرد في العالم هو في النروج حيث بلغ عام ١٩٦٨ : ١٤٩٥٠ كيلو وات ساعة للفرد الواحد مع رقم استهلاك اجمالي قدره ٥٧ مليارا .

٣ ـ احواض بناء السفن :

كانت نسبة حمولة السفن التى انزلتها اليابان الىالبحر عام ١٩٦٠ اعلى من نسبة مثيلتها الالمانية ب ٧٠٪ ، ولكن الفرق ازداد مع الزمن ، فاصبح عام ١٩٦٨ : ٧ امثال لليابان مقابل مثل واحد لالمانيا ، واصبح نصيب اليابان من بناء السفن ٥ر٥١٪ من مجموع ما بنى في العالم . والسبب في ذلك هو عظم توظيف اليابان في هذا القطاع الصناعى وانكلفة صفائح الحديد اخذت بالتناقص على بناة السفن اليابانيين معتوسع صناعة الحديد والصلب اليابانية .

وها هى ارقام ما انتجته صناعة السفن عام ١٩٦٨ مقدرة بملايين الاطنان :

اليابان	:	٥ر٨
المانيا الاتحادية	:	٣ر١
بريطانيا	:	١
الولايات المتحدة	:	٧ر٠

٤ ـ الاسطول التجارى

كانالاسطولانالتجاريان لليابان والمانيا متعادلين تقريبا قبل الحرب العالمية الثانية وبلغ كل منهما ٤ ملايين من الاطنان . وفي عام ١٩٦٠ لم يعد اسطول المانيا يعادل سوى ٦٥٪ فقط من الاسطول التجارى اليابانى ، وفي عام ١٩٦٧ اصبح الاسطول الالمانى ٣٥٪ فقط من الاسطول اليابانى (اى ٥ر٩ مليون طنمقابل ٩ر١٦ مليونا لليابان) ولحقت اليابان بالنروج عام ١٩٦٨ وادركت المملكة المتحدة عام ١٩٦٩ وها هى ذى ارقام الاساطيل التجارية الكبرى عام ١٩٦٩ مقدرة بملايين الاطنان :

مجموع العالم	:	٥ر٢١١
اليابان	:	٢٤
ليبريا	:	٢٩
النروج	:	٥ر١٩
المملكة المتحدة	:	٢٤
الاتحاد السوفيتى	:	١٤
الولايات المتحدة	:	٥ر١٩
المانيا الغربية	:	٧

٥ ـ سيارات الركوب السياحية :

بلغ انتاج المانيا الاتحادية من سيارات الركوب السياحية عام ١٩٥٥ خمسة وثلاثين مثلا من انتاج اليابان (٧٠٥ الاف مقابل ٢٠ الفا) ، وفيما يلى معدل انتاج اليابان بالنسبة الى انتاج المانيا الاتحادية في السنوات الاخيرة :

١٩٦٠ : ٩ ٪ (١٦٥ الفا مقابل ١٨١٦ الفا)
١٩٦٥ : ٢٢٪ (٥٧٩ الفا مقابل ٢٦٥٠ الفا)
١٩٦٨ : ٧٢٪ (٢٠٥٠ الفا مقابل ٢٨٦٢ الفا)

وغطت اليابان الفرق الباقى بينها وبين المانيا الاتحادية هذا العام (١٩٧١) .

ولو اخذنا بعين الاعتبار الانتاج الاجمالى للسيارات ، بما في ذلك سيارات الشحن لوجدنا ان الانتاج اليابانى بلغ حد التساوى مع المانيا عام ١٩٦٧ وفي عام ١٩٦٨ اصبح انتاج المانيا الغربية ٧٦٪ من انتاج اليابان . وقد احتاجت المانيا الى ٧ أعوام لترفع انتاجها من السيارات من مليونين الى ثلاثة ملايين ، في حين ان انتاج اليابان ارتفع من مليونين الى اربعة ملايين خلال ثلاثة اعوام .

وفى الصناعات الاخرى

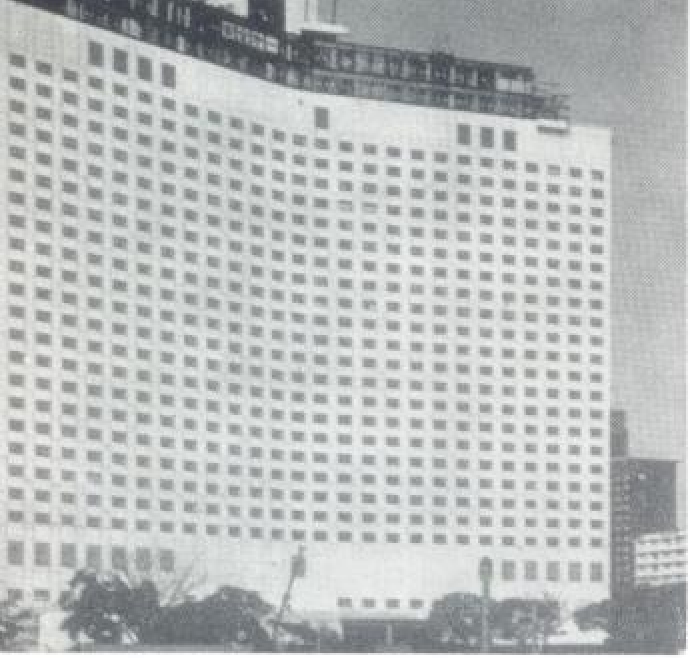
وهكذا ، فان المانيا الاتحادية التى هى اول دولة صناعية في اوربا الغربية قد بلغ انتاجها الصناعى عام ١٩٦٨ بالنسبة الى انتاج اليابان الارقام التالية :

الطاقة الكهربائية	:	٧٥٪
الاسمنت	:	٦٩٪
النحاس	:	٧٩٪
الالمنيوم	:	٥٣٪

وانفقت اليابان ٢٤٣ مليارا من الدولارات (اى ما يعادل ٨٦٪ مما انفقته المانيا الاتحادية) لكى تشيد في ١٦ سنة صناعة بلغت من القوة حدا جعل الانتاج الصناعى اليابانى يتفوق بنسبة ٥٠٪ على انتاج المانيا الاتحادية عام ١٩٦٧ . كذلك ان رؤوس الاموال التى وظفت لانتاج حديد الصب (الزهر) كلفت المانيا الغربية ٥٠٪ زيادة عما كلفت اليابان وتكلف الامريكيون من اجل الغاية نفسها ثلاثة اضعاف ما تكلفته اليابان .

يتبين منالاحصاء الذىاجراه الاستاذ شينوهارا في ربيع عام ١٩٦٩ انه اذا اعطى للانتاج الصناعى الامريكى الرقم ١٠٠ ، فان ارقام انتاج الدول الصناعية الاخرى تكون :

اليابان : ٧ر٣٢ ، المانيا الغربية ٥ر٢١ ، فرنسا : ٥ر١٩ ، انكلتره : ٥ر١٧ ، ايطاليا



مبنى حديث الطراز اقاموه بالقرب من طوكيو ليكون فندقا رحبا يتسع لأكثر من ١٠٠٠ من النزلاء، والبناء مكون من ٣٢ طابقا ويبلغ من الارتفاع ١١٣ مترا . وقد افتتح الفندق الذى اسموه اوتيل باسيفيك في أواسط سنة ١٩٧٠ .

١٧٫٢ . اما الاتحاد السوفيتى فيبلغ : ٧٨ .

يقوم اليابانيون في سبيل تشييد صناعتهم وتنميتها والمضي بها قدما لسبق الدول الاخرى، بالاقتراض من المصارف اليابانية وبتوظيف الاموال في مشروعات التصنيع بشكل منقطع النظير. بنتيجة ذلك نرى انه بعد ان كان تصدير انكلتره عام ١٩٦٦ يفوق تصدير اليابان بـ ٥٠٪ ، فان هذا الفرق زال عام ١٩٦٩ واصبحت اليابان تشغل مكانة الدولة الثالثة المصدرة في العالم .

النمو الاقتصادى لليابان عامة

لقد كان مضي اليابان في نموها الاقتصادى حدثا فريدا في ذاته اذ انها حققت معدلات للتنمية لم يسبق لها مثيل ، وسنرى في آخر هذا المقال ان هذه المعدلات العالية قد حققت على حساب كثير من الخدمات الاجتماعية التى اجل تنفيذها الى ما بعد ، رغبة في تركيز جميع الجهود على النمو الاقتصادى : « فلنتحمل الضجة ولنتحمل القذارة، لاننا بعد عشرين سنة سنصبح جميعا اغنياء » .

وهاك اخيرا خلاصة ما حققته اليابان خلال السنوات العشر الاخيرة :

ارتفع الناتج القومى للفرد الى ثلاثة امثاله فبلغ ١١٠٠ دولار .

وارتفع رقم تشييد دور السكن من ٤٢٤ الف وحدة الى ١٫٦ مليون وحدة في السنة .

وارتفع مبلغ التوظيف الخاص في هذا القطاع من ١٫٧ مليار الى ٩ مليارات من الدولارات في السنة .

وارتفع الانفاق على الاستهلاك الخاص من ٢٤ مليارا الى ٧٠ مليارا .

وفي وسعنا ان نذكر الوف الارقام التى تبين مدى سرعة النمو الاقتصادى في اليابان .

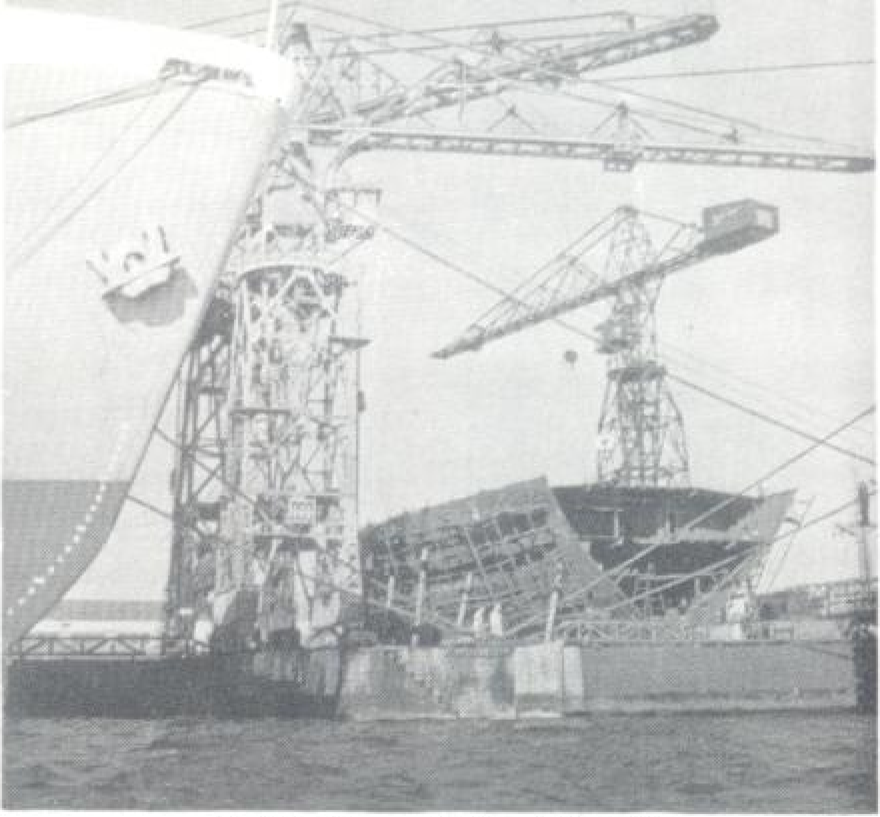
العوامل التى ساعدت على هذا النمو

لقد كثر البحث عن هذه العوامل والفت المقالات والنشرات والكتب لدراستها ، منها ما هو رسمى نشرته وزارة الصناعة والتجارة الخارجية اليابانية ومنها ما قام به صحفيون اجانب اعتمدوا فيها على الاحصاءات الرسمية اليابانية ومنها ما قام به علماء اقتصاد غربيون .

وتتلخص هذه العوامل فيما يلى :

١ ـ التعاون الوثيق بين الحكومة وبين القطاع الخاص

يشرف موظفو الحكومة في اليابان على الصناعة اشرافا يبلغ حدا بعيدا ليس له مثيل في اى بلد راسمالى ، ولا يحصل هذا الاشراف بتدخل مباشر



صناعة بناء السفن في اليابان .. صناعة عالمية كبرى

للحكومة في الاعمال وانما يجري بفضل جهاز معقد يشمل وزارات الحكومة وعددا من المؤسسات مثل مصرف اليابان ، من جهة ، واتحادات الاعمال من جهة اخرى . فالبروقراطية الحكومية وكبار رجال الاعمال يؤثر بعضهم في بعض من خلال هذه المؤسسات .

فمن جهة الحكومة ، هنالك خطط طويلة الامد تعدها وكالة التخطيط الاقتصادي وليس لهذه الخطط مجبر قانوني يدعمها ولكنها استشارية (اى مجرد وصايا) والقصد منها هو الدلالة على الاتجاه الذي يجدر بالاقتصاد ان يتبعه . وتنظم السياسة والاتجاهات الحالية في الوزارات ، ولا سيما في وزارتي الصناعة والتجارة M.I.T. والمالية ، ويعمل على اعدادها نحو من ٢٠٠ لجنة استشارية تؤلف من الرسميين ومن رجال الاعمال.

بالاضافة الى الاجتماعات الرسمية للجان ، هنالك تفاعل دائم بين مؤسسات الاعمال وبين موظفي الحكومة ، يعطي ممثلي الصناعة فرصة ليعلموا ما هي ردود فعل الرسميين على مقترحاتهم في التوظيف وعلى خططهم ، وكذلك للتفاوض ـ بصورة غير رسمية ـ على المساعدة والمعونة .

وقد نظمت جميع قطاعات الاعمال اليابانية ـ عمليا ـ بشكل اتحادات تجارية تمثل الصناعة امام المؤسسات الحكومية . ويبدو ان كثيرا من مديري الشركات الصناعية يؤخذون من بين قدامى موظفي وزارة الصناعة والتجارة الخارجية .

٢ ـ الادارة الحكومية القديرة

وتظهر هذه القدرة في حسن اختيار موظفي الدولة . فهي في اليابان اوسع اطلاعا على المشاكل الصناعية والاقتصادية من زملائهم في الغرب . ويقول هاكات هيدبرغ ، مؤلف كتاب « التحدي الياباني » ، ان تسعين بالمائة من موظفي وزارة الصناعة والتجارة هم وطنيون كبار مخلصون . وتتمثل فيهم الروح التي نعهدها في موظفي وزارة الحربية والتي ظهرت في الثلاثينيات من هذا القرن ، وتجلت في شعارات اوضحها احدهم اذ قال : ان اليابان لا تخطىء ولا يمكن ان تخطىء

.. يجب على اليابان الا تتراجع ، والا تقبل بالتسويات والمساومات وانصاف الحلول.. ينبغي ان نكرس كل طاقتنا لرفع شأن اليابان وخدمة مصالحها ..

وتظهر قدرة الحكومة اليابانيةكذلك فيما تتخذه من خطط وما تقدمه من مساعدات ، فالخطط الخمسية التى تسير بوحيها مرنة ، وتقصد التوجيه لا الالزام . فهى بمثابة الدليل المعد لارشاد القطاع الخاص ، محور التوسع والنمو الاقتصادى في اليابان .

هذا الى جانب النظم والاجراءات المختلفة التى تعمل بها حكومة اليابان . فهى تقدم العون او تخفض من الضرائب والرسوم او تعفى من دفعها بقصد تنشيط تصدير المصنوعات اليابانية .

وهى تتخذ اجراءات الحماية لصالح المنتجات اليابانية . فهذه الحماية التى طالما انتقدها الاقتصاديون ، وقد سماها احد الدبلوماسيين الأوروبيين « مخدّر الحماية » كانت الى حين من ابرز ظواهر الاقتصاد اليابانى .

ولا بد من الاشارة ايضا الى التزام اليابان جانب السلم طيلة الفترة التى انقضت علىالحرب العالمية الثانية . فحكومةطوكيو لا تنفق على شئون الدفاع سوى ١٪ من مجمل انتاج اليابان القومى. ويعادل ذلك موازنة الدفاع في بلد صناعى صغير كالسويد .

٣ ـ خصائص ومزايا فريدة

يحرص اليابانيون على تجديد وسائط الانتاج في فترات قصيرة ، وذلك قبل ان تصبح معدات الانتاج قديمة . اما في اوروبا وامريكا فكثيرا ما تمتدح المؤسسات الصناعية (العتيقة الجيدة !) . واذا اقترح المرء هدم المصانع التى قدم عهدها ، وعتقت اساليبها ، اعتبر مبذّرا للاموال .

اما اليابانفهى ـ بعكس ذلك ـ تفضل «التدمير الخلاّق » . لذلك هدم اليابانيون بكل حماسة اكثر مصانع الحديد التى انشاوها في الخمسينيات وتكلفوا الكثير من الاموال والتضحيات في انشائها. وهكذا اصبحت اليابان تمتلكاحدث مصانع الفولاذ واكثرها تمشيا مع التكنية الحديثة . وكذلك كان شأن مصانع السيارات والالكترونيات واحواض بناء السفن ومصانع الكيماويات البترولية .

ثم ان اليابانيين جريئون في اقتراضهم من المصارف ، وفي توظيف رؤوس اموالهم . وهذه الجراة او المغامرة تعطى نتائج طيبة في حالة اتساع سوق الاستهلاك . وهى تحد من نسبة التمويل الشخصي في اليابان . ويرى الكثيرون من علماء الاقتصاد ان صغر نسبة التمويل الشخصي هو احد العوامل الاساسية التى تترتب عليها السرعة في التنمية الاقتصادية . ذلك ان تسديد القروض والاضطرار لدفع الديون في مواعيد استحقاقها ، يحمل القائمين بالمغامرة على العدو بسرعة .

ويأتى فوق ذلك كله الدور الهام الذى يلعبه العمال والمستخدمون في اليابان . ففيهم تظهر قوة الاحتمال والعزيمة القوية والرغبة الصادقة في استنفاد جهدهمووقتهم استنفادا كاملا غير منقوص.

قام احد الخبراء الامريكيين بدراسة انتاج العمال اليابانيين ، فكانت دهشته عظيمة جدا . فقد بينت تلك الدراسة ان قدرة العامل اليابانى على العمل والصبر عليه تبلغ نسبة ١٢٠ في حين ان حصة العامل الامريكى لا تزيد على نسبة ٧٠ ، ومرد النسبتين الى الدليل الدولى المقدر برقم ١٠٠ .

وما يصدق على العمال يصدق ايضا على « المديرين » . فالتخطيط وحسن التنظيم صفات بارزة من صفات المديرين في اليابان . وقد تظهر هذه الصفات اكثر ما تظهر في حسن اختيار مواقع الصناعة اليابانية ، وهى تفوق كثيرا مواقع الصناعات في كثير من البلاد الاخرى . ونضرب مثلا على ذلك بخامات الحديد ، واليابان تستورد كل حاجاتها من هذه الخامات من الخارج . فهذه تنقل لدى وصول السفن المحملة بها الى الموانىء اليابانية ، تنقل مباشرة من تلك السفن الى الافران والى مصانع الفولاذ .

٤ ـ التعليم والبحث العلمى :

لعل الصلة بين العلم وبين التنمية الاقتصادية في غير حاجة الى ايضاح . وحسبنا ان نذكر في هذا الصدد ان الاقبال على التعليم العالى في اليابان فاق الاقبال عليه في المانيا الغربية ، وقد بلغ عدد الطلاب الجامعيين فيهذه الدولة الاوروبية العريقة في العلم والصناعة ٧٥٪ فقط من عدد امثالهم في اليابان . ويتجلى هذا الفرق الكبير في نسبة الطلاب الجامعيين من مجمل عدد السكان، وقد بلغت هذه النسبة ٩ر١ في المانيا ، و ٥ر٢ في اليابان في كل الف نسمة من عدد السكان .

ولا بد من الاشارة الى ان معجزة النهضةالعلمية

والصناعية في اليابان انما اعتمدت على النقل والاقتباس عن دول اخرى اجنبية . وقد ساد الاعتقاد بان اليابانيين مقلدون لا قدرة لهم على تصميم مصنوعات مبتكرة .

على ان كل بلد ، يسير نحو التصنيع ، لا بد وان يبدأ بالنقل والنسخ والتقليد . ويعنى ذلك تبنى التكنية والمهارات الناجحة . ولئن استحقت اليابان شهرتها كبلد مقلد في الثلاثينيات من هذا القرن ، فانها غير ذلك اليوم. اذ ان اليابان توظف من انتاجها القومى في شئون البحث العلمى مثلما توظف فرنسا والمانيا الغربية . واكثر مما توظف ايطاليا * . ويبدو انهذا التوظيف يدر فياليابان اكثر مما يدر في معظم البلدان الاخرى . اضف الى ذلك ان عدد الموظفين في دوائر البحث والتنمية هو اعلى فياليابان منه في البلاد الاخرى ، ما عدا الولايات المتحدة . وجدير بالذكر ان توظيف الشركات الخاصة في ميدان الابحاث في اليابان عال نسبيا ، ومن ذلك كان الاهتمام بالمنتجات غير العسكرية . وقد بدات آثار ذلك تظهر فيما يتعلق باجازات استثمار الاختراعات اليابانية الممنوحة الى الشركات غير اليابانية ، وفيالمنتجات اليابانية الجديدة من الياف صناعية واجهزة دقيقة وناقلات ضخمة .

لذلك يتقدم البحث العلمى في اليابان تقدما حثيثا بحيث يظهر في هذهالدولة الشرقيةالناهضة نحو من ١٩٥ الف طلب تسجيل للاختراعات في السنة الواحدة . وقد تضاعفت نفقات البحث والتطبيق فيها خلال السنوات العشر الاخيرة الى ستة اضعاف . والمتوقع ان تظهر نتائج ذلك فيما بين سنة ١٩٧٥ وسنة ١٩٩٠ .

وتجدر الاشارة بعد ذلك الى ان المجتمع الصناعى والتجارى في اليابان مجتمع منفتح ويدلى بالمعلومات بسهولة . وهو نتيجة لذلك ، حسن الاطلاع . ان الخطط الخمسية تذاع علنا فياليابان، وتحفظ في الغرب طي الكتمان . وقد يكون لذلك صلة بالاهتمام الذى يبديه اهلاليابان بالمستقبل. فبينما يكتب علماء الاقتصاد في الغرب بمهارة فائقة عن انتاج الحديد مثلا قبل مائة عام ، اى في سنة ١٨٧٠ ، نرى ان اليابانيين يوجهون اهتمامهم الى المستقبل ويبحثون فيالبنيةالصناعية في عام ١٩٨٠ او ١٩٩٠ او حتى سنة ٢٠٠٠ . ويقول احد الباحثين اليابانيين : لم يبق لحلول هذه السنة الاخيرة سوى ١٠ آلاف يوم !

خلفية الازدهار الاقتصادى

ان رقم الناتج القومى الاجمالي لا يكفى وحده للدلالة على وضع اليابان ، فاذا قلنا انه بلغ في عام ١٩٦٩ : ١٦٥ مليارا من الدولارات وقلنا انه يزداد مع الاعوام زيادة اسرع من تزايد نواتج الدول الاخرى بمرتين الى اربع مرات لا نكون قد اعطينا صورة كاملة ما لم نتكلم عن خلفية هذا الازدهار .

ان ضيق رقعة اليابان امر ذو بال بل خطير جدا على مستقبل نموه الاقتصادى ، ولا بد من ان ننسب جميع ارقام التنمية اليابانية الى مساحة الارض اى نعلم قيمها في الكيلو متر المربع الواحد وعندئذ تبدو لنا حقيقة الوضع بجلاء .

في عام ١٩٦٨ بلغ الناتج القومى الاجمالى في الكيلو متر المربع الواحد من ارض اليابان ٣٨٥ الف دولار مقابل ٩٢ الفا في الولايات المتحدة و ٢٤٣ الفا في ايطاليا و ٢١٥ الفا في فرنسا . واما المانيا الغربية وانكلتره فقد بلغ فيهما ٥٣٤ و ٤٩٠ آلاف ، فكانتا متقدمتين على اليابانفي هذا المضمار .

واذا اخرجنا من حسابنا مساحة الغابات تغيرت الارقام تغيرا اصليا لان النشاط الاقتصادى في الغابات معدوم تقريبا ، وعندئذ تصبح اليابان اكثر نشاطا في الكيلو متر المربع من اية دولة في العالم لان الغابات فيها تغطى اكثر من ٦٩٪ من مساحتها ، بينما هى لا تغطى سوى ٣٢٪ في الولايات المتحدة و ٢٩٪ في المانيا الغربية و ٢٢٪ في فرنسا و ٢٠٪ في ايطاليا و ٧٪ في انكلتره .

تتغير كذلك كثافة السكان تغيرا جذريا فترتفع في اليابان من ٢٧٣ الى ٨٧٥ ساكنا في الكيلو متر المربع وفي المانيا الغربية من ٢٤٣ الى ٣٤٤ ، وهكذا . ومتى طرحنا مساحة الغابات يبقى لليابان مساحة مفيدة قدرها ١١٥ الف كيلو متر مربع اى اقل من ثلاثة اضعاف مساحة سويسرا . واذا طرحنا من ذلك مساحة الاراضي المزروعة

* من مقال في عدد آذار/مارس سنة ١٩٧٠ منمجلة ساينتفيك امريكا ، للاستاذ جيمس ابيكلن الخبير في شئون اليابان .



تربية اللؤلؤ .. صناعة أنشأتها اليابان

(وتبلغ ١٨٪ من المساحة الكلية) لا يبقى سوى ٥٠ الف كيلو متر مربع .

على هذه الرقعة الصغيرة يريد اليابان ان يبنى اقتصادا عملاقا ينوى ان يسبق بـه الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة . أي يريد ان يصبح عملاقا صناعيا على ارض الاقزام ؟

تنتج اليابان الآن في الكيلو متر المربع اكثر من الولايات المتحدة بـ ٩ مرات ، ولكنها لكى تلحق بمستوى الانتاج الامريكى الحالى في دخل الفـرد ينبغي عليها ان تنتج في وحدة السطح اكثر مما ينتجه الامريكيون بـ ٢٧ مرة فوارحمتاه للارض وللهواء وللناس .

لقد ناء الكيلو متر المربع من ارض اليابـان بثقل التوظيفات الصناعية التي بلغ مجموعها حتى ١٩٦٧ : ٢٤٠ مليارا من الدولارات ويتوقع للاعوام المقبلة حتى ١٩٨٥ رقم اكبر من هذا بتسع مرات لذلك فامام سكان اليابان مزيد من الضجة والصخب وجو اكثر توسخا ومياه اكثر تلوثا .

بلغ رقم التوظيفات في معامل اليابان عام ١٩٦٩: ٣٠ مليارا مـن الدولارات مقابل ٧٠ مليـارا في الولايات المتحدة ، اما في الكيلو متر المربع الواحد من اراضيهما فالرقمان هما : ٢٥٨ الف دولار مقابل ١١ الف دولار فقط .

شيد اليابان على رقعة ارض ومساحتها الكلية اصغر من مساحة ولاية كاليفورنيا ، من المساكن عام ١٩٦٨ اكثر مما شيدته الولايات المتحدة على كامل رقعتها الواسعة فكانت نسبة نشاط البناء في الكيلو متر المربع : ٥٥ الى واحد . بنى اليابان عام ١٩٦٨ : ١٤ عمارة في الكيلو متر المربع فاينما سرح البصر هنالا يرى الا ورشات البناء وتظل الاذان تقاسي العذاب من الفجر الى الغسق من اصوات ناقلات الرمل وجبالات الاسمنت والمطارق الهوائية.

وتجرى في المدن عمليات جراحية واسعة اذ تشق فيها شوارع وطرق جديدة وتشيد ناطحات سحاب ومصانع ، وليست هذه الجراحة بالصامتة فليس هنالك احد بمنجى من الضجة ولا من الغبار .

والصناعات الكيمياوية والمعدنية كثيرة التلويث لما يحيط بها ، وقد بلغت اليابان في صناعة الورق وكيماويات البترول والحديد ارقاما عالية جدا وقامت مصانعها هذه على رقعة صغيرة ، لذا فهى تلوث الانهار والبحيرات والبحر وتلوث الجو . ويكفى ان نقول ان كثافة انتاج الحديد في الكيلو متر المربع عام ١٩٧١ تبلغ ٨٠ مثلا من كثافته في الاتحاد السوفيتي مثلا . كذلك وصلت كثافة السيارات في اليابان الى اعلى رقم في العالم ، لذلك فان الدخان المنطلق من هذه السيارات كثيف ومضر جدا وليس له مثيل اليوم في اى بلد صناعي آخر.

كل ساكن من اربعة من اهالى طوكيو الذين تتراوح اعمارهم بين ٤٠ و ٥٠ عاما فيه اعراض التهاب القصبات المزمن ، وفي حين من ضاحية ايتاباشي يشكو ٦٥٪ من السكان من الروائح الكريهة ويعانى ٥٧٪ من التهاب الحلق و ٢٩٪ مصابون بسعال دائم . الخ ..

ومن البديهى ان هذه الكوارث لم تحدث بدون ان تثير الراى العام والصحف . فعندما يقول الناطقون بلسان الصناعة انهم يفتقرون الى المال اللازم لشراء نفط فقير بالكبريت لانه يكلف ثلاثة امثال النفط المستعمل حاليا ، تجيب افتتاحيات الصحف بان هذه الحجة غير مقبولة ما دامت الصناعة تنفق سنويا قرابة مليارين من الدولارات على الدعاية وفي نفقات التمثيل . على ان الاهتمام بأمر تلوث المحيط يزداد مع اكتشاف اسواق جديدة وقد نمت سوق مبيعات اجهزة تطوير المحيط نموا سريعا في السنوات الاخيرة .

هذا عرض موجز لخصائص النمو الاقتصـادى في اليابان ، وهذا النمو ولا شك تجربة فريدة لها محاسنها ولها مساوئها وهى لا تزال بعد في غمرة تطورها ولم تقل كلمتها النهائية بعد

دمشق ـ وجيه السمان



كيف غزت المرأة عالم الرجل

النساء اتخذن من ضعفهن قوة غلبن بها الرجال

بقلم : منير نصيف

■ منذ فجر التاريخ ، والرجل يسعى الى المراة ، ويهرب منها .. فهو تارة يتردد اليها ، ويطرى محاسنها ويشيدبجمالها ، ويخوض غمار الحروب من اجلها ، ويعرض نفسه للموت لكى يفوزبها .

وتارة يبتعد عنها ، وينفر منها ، متهما اياها بالتقلب والتردد والغرور والانانية .

ولكن الرجل بعد هذا لا يكف يوما عن التفاخر بتفوقه على المراة ، فهي فى نظره دائما ، ذلك المخلوق الضعيف الذى يعتمد عليه ويستند الى ذراعه ، فهي تعيش له ، ومن أجله ، وتقضى بعد هذا حياتها كلها تنتظر .

تنتظر الزوج عندما تكبر وتبلغ مبلغ النساء .. تنتظر عودة رجلها من الخارج ، لتعنى به وتخفف عنه ، وتعد له الطعام الشهي ، والفراش الناعم .. تنتظر اللحظة التى يدعوها فيها لتلبي النداء .. تنتظر الساعة التى تتحرك في داخلها ثمرة زواجهما لتقدم له ولدا .. تنتظر اليوم الذى يكبر فيه الابناء ، فيحتويها ذلك الشعور بالسعادة التى تغمر كل ام ، وهي تجنى ثمار كدها وتعبها .

من أجل الرجل اذن تعيش المراة ، ولا حياة لامراة بغير رجل ، تحمل اسمه ، وتحتمى به ، وترتاح لعشرته . فاذا رحل ، كانت نهاية الدنيا بالنسبة لها !

وفي بعض بلدان الهند مثلا تحرق الزوجة نفسها وهي حية ، اذا مات زوجها !

المراة والمتناقضات

هذه المراة التى اختلف الباحثون في وصفها ، وحار العلماء في تحليل شخصيتها ومعرفة حقيقة ميولها ومزاجها ، وكانها مخلوق غريب لا يمت الى مخلوقات هذا الكوكب بصلة ..

هذه المراة التى وصفوها بالضعف والانانية والغرور والعنف في بعض الاحيان ..

هذه المراة التىتغزلالشعراء فيوصف محاسنها، وتصارع المحاربون من أجل الفوز بها ، واسرف الفنانون في عرض مفاتنها في كل مكان يمكن ان تقع عليه عين الرجل ..

هذه المراة استطاعت ان تستغل كل هذه التناقضات في وصف الرجل لها ، وتصوره لشخصيتها وحكمه عليها ، في ان تصل الى ما وصلت اليه اليوم من نجاح ، حققته في شتى مجالات الحياة ..



اذكى من الرجل

قال برناردشو Bernard Show فيلسوف بريطانيا الساخر (١٨٥٦ – ١٩٥٠) ، وهو يرى المراة تخرج من العزلة التى فرضها عليها الرجل ، وتقتحم دنياه الواسعة ، وتقف بجانبه وتشاركه كل عمل كان مقصورا على بنى جنسه ، قال يوما عندما سألوه عن رأيه في المراة : « لقد احببتها وكرهتها .. ولكنني لا أملك الا ان اعطيها حقها .. انها مخلوق عجيب ، يحمل فوق كتفيه راسا صغيرا مليئا » .. ان المراة اذكى من الرجل ، واكثر فطنة ، واشد حرصا منه على نفسها .. وهذه الصفات هي التى علمتها كيف تحرص على بيتها وتصون رجلها ! » .

المراة نصف العالم

تقول مارى بيرد Mary Bird في كتابها المراة كقوة مؤثرة في التاريخ Woman As Force in History ان المراة هي نصف العالم ، ولكن بالرغم من هذه الحقيقة التى يعرفها الرجل ، فقد ظل عالم الدرس والتحصيل في شتى مجالات العلوم والآداب والموسيقى والنحت والتصوير ، وكل مجال آخر من مجالات الحياة ، هو عالم الرجل وحده دون المراة ، حتى ما قبل قرن واحد من الزمان .

« لقد عاشت المراة طوال هذه القرون البعيدة، دون ان ترى شمس الحياة .. عاشت في الغروب، ولكنها ، حتى في حياتها المظلمة الخاملة هذه ، لم تكف يوما عن محاولاتها لاحساس الرجل بوجودها وكيانها ، وكم من نساء جلسن فوق العروش ، وتبوأن اعلى مراتب الحياة ، ودخلن التاريخ ، حتى قبل ان تشرق الشمس على حياة المراة . وهي تعيش في هذا الضوء الخافت من حولها .

عالم الرجل

« لقد كانت المراة تعيش نصف الحياة ، وكانت تنظر من خلال نافذتها الضيقة ، فترى الرجل كما لو كان شبحا يمشى على الارض ، لقد كان العالم للرجل وحده . القوانين سنها الرجل ، الحكومات اقامها الرجل .. البلاد ، بلاد الرجل ، اما هي فلم يكن لها مكان في اى شيء من هذا كله .

« وبالرغم من ان المراة قد ظهرت في عصر او

في آخر ، كقوة مؤثرة في التاريخ القديم ، وفي العصور الوسطى ، وبالرغم من انها استطاعت ان تقف منافسا للرجل وتنصب من نفسها ندا عنيدا له في غزواته وفتوحاته ، الا ان هذه الحالات لم تكن ـ في رأى الرجل على الاقل ـ اكثر من مجرد ظواهر غير طبيعية . فقد كانت القاعدة منذ حياة رجل الكهف،حتى سقوط الامبراطورية الرومانية وما بعدها ،أن الوضع الطبيعي للمراة ، هو ان تعيش وسط جدران بيتها لا تبرحه ، وان تنجب الاطفال وتسهر على تربيتهم وتكرس حياتها لخدمة رجلها .. وبقيت المراة بعد هذا في حياتها تلك ، مخلوقا جاهلا لا يدرى عن شئون الحياة شيئا ، فهي دائما ادنى من الرجل واقل منه ذكاء ودراية وفطنة » .

ارض جديدة

وتعاقبت القرون ، ولم يعد العالم عالم الرجل وحده ، لقد اصبح العالم الجديد ، عالم الرجل والمراة معا ، واشرقت الشمس في سماء جديدة وفوق ارض جديدة !

كيف حدثت هذه المعجزة ؟ كيف استطاعت المراة ان تخرج من وراء الاسوار العالية التى اقامها الرجل حولها ، كيف تعلمت أن ترفع صوتها ليسمعه العالم كله ، بعد ان ظل هذا الصوت حبيسا في عشها الصغير .

تقول الدكتورة نوف Knoph ، استاذة علم النفس في جامعة فينا في كتابها « فن المراة في كيف تكون امراة « The Art of being a Woman عن المراة في الماضي والحاضر : « لقد ظلت المراة خاضعة دائما للرجل امام القانون . ثم حدث هذا التغيير المفاجىء في وضع المراة خلال الخمسين عاما الاخيرة ، او نحو ذلك واصبحت المراة مساوية للرجل في معظم بلدان العالم ، ولكن على الورق فقط ، فقد بقيت المراة تعانى من الخضوع للرجل في بعض بلدان العالم المتخلفة والمتحضرة على السواء ، حتى بعد ان انصفها القانون ، وحتى بعد أن اعطاها حقها في المساواة الكاملة بالرجل في الحقوق وفي الواجبات .

من هي المراة ؟

ثم تساءلت الكاتبة بعد ذلك : « ترى من هي المراة التى استطاعت ان تؤكد شخصيتها ، وتحقق اهدافها ، وتصل الى ما وصلت اليه اليوم ، ومن هي المراة التى فشلت فيما نجحت فيه اختها ؟ الاولى هي تلك التى نسيت ان هناك قانونا يحميها ويعطيها حقها .. هي التى ادركت ان الحرية التى تنشدها ، والمساواة التى تسعى اليها ، لا يمكن ان يتحققا الا عندما يؤمن الرجل والمراة معا ، انهما متساويان ، وان اهتماماتهما في هذا العالم الذى يعيشان فيه جنبا الى جنب ، هي اهتمامات مشتركة .. ان السلوك الشخصي ، والسيكولوجية الفردية ، هما العامل الرئيسي الذى يستطيع ان يلعب دوره في تحقيق كل ما تصبو اليه المراة في حياتها الجديدة مع الرجل » .

لماذا فشلت ؟

« اما تلك التى فشلت ، فهي واحدة من هؤلاء اللواتي وقفن يحتمين بالقانون ، ويعلن تحديهن للرجل ، وكانهن يقفن فوق حلبة للمصارعة ، المنافس فيها هو الرجل ، ذلك الذى اقسمت ان تنتقم منه ، بعد الذى اصابها على يديه ، واصاب كل بنات جنسها منذ ان كانت هناك حياة على هذه الارض .

« ان مثل هذه المراة ارتكبت وما تزال ، اكبر خطأ في حق نفسها ، وفي حق كل نساء العالم . فهي قد تصورت ان المراة تساوت بالرجل لانها اكثر منه ذكاء وفطنة .. لانها اعظم منه واسمى ، لانها هي التى حملته وانجبته ، فهي امه ، وهي ايضا التى قدمت له المراة التى اصبحت له زوجة وشريكة لحياته ! » .

قيمة المراة في حياة الرجل

ثم تقول الدكتورة نوف في كتابها : « ان فن المراة في ان تكون امراة ، ليس في تقليدها للرجل ، وليس في منافستها له ، وانما في استقلالها بشخصيتها ، في تعاونها في حياتها مع الرجل ، في تفهمها لطبيعة النفس البشرية

وقدرتها ، وهي في محاولتها لتحقيق هذا التفهم لا بد لها من ان تدرك ان المساواة التى حصلت عليها لم تنتزعها منه انتزاعا ، وانما هي تنازل قدمه لها عن طيب خاطر ، بعد ان احس بوجودها بجانبه ، وقيمتها في حياته ، وحرصها على راحته واسعاده .

لم تنس انها انثى

تقول الكاتبة الامريكية « بيرل باك » Pearl Buck ، التى ذهبت لتعيش مع والديها في الصين ، فنشأت وسط ربوع هذه البلاد ، وقدمت لنا من حياة شعبها صورا في قصصها الخالدة ، الارض الطيبة ، ومسرح النساء وغيرهما كثير ، تقول بيرل في كتابها « احاديث عن الرجال والنساء » OF Men and Women ، « ان اعظم اكتشاف حققته المراة بعد ان خرجت وتعلمت وعملت ، هو انها لم تنس في يوم من الايام انها انثى ، وانها امراة ..

« لقد كان اعظم درس وعته المراة بعد ان اصبح لها شان في شتى مجالات الحياة ، انها ادركت انه لا سبيل لتحقيق « التعايش » مع الرجل في هذا العالم الذى كان في يوم ما من صنعه هو وحده ، الا اذا شعر بانها اقل منه ذكاء ، وادنى قدرة ، فالرجل يرتاح للحياة مع المراة التى تستطيع ان تشعره بضعفها حتى ولو كانت اقوى منه .. والرجل يحن الى العودة الى المراة التى تستطيع ان تجعله يشعر بانها في حاجة الى مساعدته ، حتى ولو كانت قادرة على الوقوف وحدها على قدميها ..

اقوى سلاح

والرجل يضعف دائما امام المراة التى تستطيع ان تقاوم جبروته بدموعها ، حتى لو كانت مصارعة محترفة .. فالدموع عند المراة هي اقوى سلاح يهز كيان الرجل ، ويخضعه ، ويجعله يلقى بسيفه تحت قدميها مستسلما .. » .

لقد كانت مدام مارى كورى ، مكتشفة اشعة الراديوم من اعظم علماء القرن الثامن عشر ، وما زالت بنات جنسها يفاخرن بالانتصار الذى حققته حتى اليوم ، وبالرغم من ان دراستها وابحاثها كانت تستغرق معظم ساعات يومها ، الا انها لم تنس يوما انها زوجة وام . كانت تعود الى بيتها مهرولة ، عندما يحين موعد الغداء ، لتعد الطعام ، كاى زوجة ، رغم توسلات زوجها بيير ، الذى كثيرا ما كان ينسى نفسه ، وقد كان عالما مثلها ، وكان رفيقا وزميلا لها في بحوثها !

نساء ناجحات

قالت له يوما : « لا تنس يا عزيزى ان العقل لا يمكن ان يعمل عن طريق معدة خاوية . انت تستطيع ان تملأ هذه المعدة ، ولكن لا بد لى انا من ان أتأكد من ان الطعام الذى سيملأها ، طعام شهي ، ولكي يكون شهيا فلا بد ان اعده لك بيدى ! » .

كانت كاترين العظمى ، امبراطورة وكانت زوجة ، وكانت اما .. ولكن اعظم صفة تحلت بها هذه المراة هي انها لم تنس ابدا انها امراة ، وبهذه الصفة استطاعت ان تخضع اعتى الجبابرة من ساسة العالم في عصرها ..

اعظم ادوار الحياة

سالوا امبراطورة روسيا يوما : « ما هو اهم ادوار حياتك ؟ » قالت : « دورى كربة لهذا البيت الذى اعيش فيه مع زوجي وابنائي .. ان حياة الاسرة ، هي اهم جانب من جوانب حياتي ، اما الجانب الآخر ، فهو عملي ، وهو ياتي دائما في المرتبة الثانية .. ولم احاول يوما ان اقدم عمل الدولة على عملي في البيت ، فبيتى هو المكان ، الوحيد الذى اجد فيه نفسى مع زوجي واطفالى ! » .

واذا كان هذا هو رأى المراة في القرن السابع عشر والثامن عشر ، قبل ان تخرج المراة من الاسوار التى حبسها الرجل وراءها ، ترى ماذا يكون رأى المراة الحديثة اليوم بعد ان تعلمت ، واحتلت ارقى مراتب الحياة . ؟ ■■

منير نصيف



أنت تسأل .. ونحن نجيب

باكستان الشرقية تنتج :

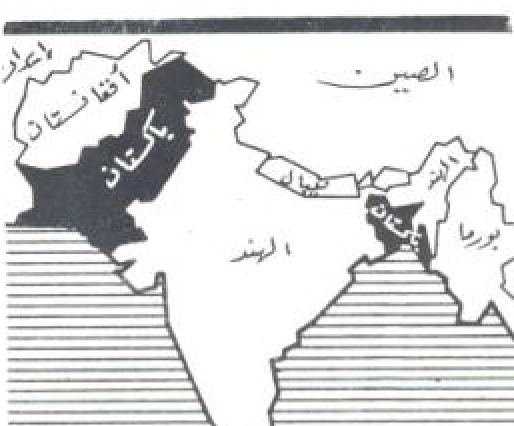
- ١٦ مليون طن من الأرز سنويا
- ١٠٠ ألف طن من الأخشاب
- ٦ مليون بالة من الجوت
- تعداد سكانها ٧٨ مليون نسمة حسب التقديرات الأخيرة

● بعد الحرب الاخيرة التى حدثت بين الهند وباكستان بسبب باكستان الشرقية ، واللاجئين الذين هربوا الى الهند خلال الشهور الاخيرة التى سبقت الحرب ، والمطالبة باقامة دولة مستقلة تسمى بدولة بنغلادش . هل يمكن ان تذكروا لنا بعض المعلومات عن باكستان الشرقية وعن تعداد سكانها واقتصادياتها ؟!

محمد السيد احمد

ـ جمهورية مصر العربية

ـ باكستان الشرقية تحتل ثلثي مساحة ولاية البنغال الهندية القديمة قبل تقسيم الهند وباكستان في عام ١٩٤٧ وهي تقع على الحدود بين الهند وبورما وخليج البنغال وتبعد حوالي الف ميل عن باكستان الغربية . وتبلغ مساحة باكستان الشرقية ١٢٦ر٥٥ ميلا مربعا ويبلغ تعداد سكانها حوالي ٧٨ مليون نسمة حسب الاحصائيات التقديرية الاخيرة ، أى ان كثافتها السكانية تبلغ حوالي ١٤٠٠ نسمة في الميل المربع .هي كثافة مرتفعة جدا اذا قارناها بالكثافة السكانية في باكستان الغربية التى تبلغ مساحتها ٣١٠ر٤٠٣ ميل مربع ولا يزيد عدد سكانها عن ٥٨ مليون نسمة اى بنسبة كثافة سكانية ١٩٠ شخصا للميل المربع ، ويسكن باكستان الشرقية شعب ينحدر معظمه من الاصل البنغالي ويتكلمون اللغة البنغالية وهي مشتقة من اللغة السنسكريتية الهندية . واغلبيتهم الساحقة من المسلمين .



وتنتج باكستان الشرقية حوالي ١٦ مليون طن من الارز سنويا بينما لا تنتج باكستان الغربية من الارز سوى ١ر٨٠٠ر٠٠٠ طن سنويا . ولكنها في نفس الوقت لاتنتج سوى اقل من ١٠٪ من انتاج القمح في باكستان بشطريها الغربي والشرقي والذى يبلغ حوالي ٥ ملايين من الاطنان .

اما الانتاج الرئيسي في شرق باكستان فهو الجوت وهو يشكل حوالي ٥٠٪ من دخل باكستان



بشطريها من العملات الاجنبية اذ انه يتم تصدير ما قيمته حوالي ٢٥٠ مليون دولار من الجوت سنويا .

وتنتج باكستان الشرقية حوالي ٣٥ الف طن من الشاى سنويا ولكنه لا يصدر لعدم كفايته بالنسبة لاستهلاك باكستان كلها .

وهناك ايضا ثروة خشبية في باكستان الشرقية يقدر انتاجها بحوالي ١٠٠ الف طن من الاخشاب سنويا وقد ادى وجود هذه الثروة الى انشاء مصانع للورق في باكستان الشرقية .

وقد كان هناك بعض التذمر في باكستان الشرقية من عدم تخصيص اموال لازمة في ميزانية الدولة للاقليم الشرقي وفي عام ١٩٦٧ قررت حكومة باكستان تخصيص مبلغ ٢٫٦٣٠٫٠٠٠٫٠٠٠ روبية باكستانية (حوالي ٥٥٠ مليون دولار) للمشروعات الحكومية في باكستان الشرقية في اسفل هذا الكلام توضح لنا مقدار انتاج ٢٫١٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠ روبية باكستانية لمشروعات باكستان الغربية .

ولكن هذه الاجراءات لم تمنع سكان باكستان الشرقية من الاحساس بان باكستان الغربية تقوم باستغلالهم . وفي عام ١٩٧٠ اجريت الانتخابات النيابية التى اسفرت عن فوز حزب رابطة عوامي برئاسة الشيخ مجيب الرحمن باغلبية ١٦٧ مقعدا من ١٦٩ مقعدا مخصصة لباكستان الشرقية .. وكانت مبادىء هذا الحزب تقوم على منح باكستان الشرقية مزيدا من الحكم الذاتي في اطار الاتحاد مع باكستان الغربية ولكن الحكومة العسكرية الباكستانية لم يعجبها هذا التطور واعتقلت مجيب الرحمن واندلعت اعمال العنف التى ادت الى هجرة عدد كبير من الباكستانيين الشرقيين الى الهند . وكانت هذه هي مقدمات الحرب الاخيرة التى حدثت في شهر ديسمبر الماضي بين الهند وباكستان وادت الى هزيمة الباكستان في الاقليم الشرقي .

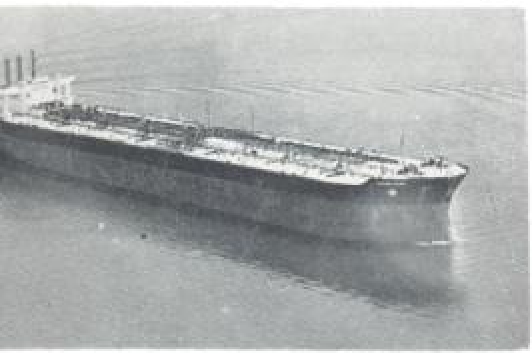
(م . ط)

٨٠٠ الف طن
مجموع حمولة ناقلات النفط الكويتية

● سمعنا عن ناقلات نفط كويتية ، ترى هل هي ملك لحكومة الكويت ، ام انها مستأجرة ؟ وكم حمولتها ؟

فريد رغيب ـ جونيه / لبنان

ـ في الكويت ست ناقلات نفط تملكها شركة ناقلات النفط الكويتية ، وهي شركة مساهمة كويتية رأس مالها حوالي ١٢ مليون دينار كويتي. واول ناقلة نفط كويتية هي « كاظمة » وحمولتها ٤٩ الف طن وتعمل منذ عام ١٩٥٩ .



اما الناقلات الخمس الاخرى فهي :

« ورْبة » وحمولتها ٦٠ الف طن ، وتعمل منذ عام ١٩٦٤ .

و « الصبية » وحمولتها ٦٠ الف طن ، وتعمل منذ عام ١٩٦٥

ثم « عربية » و « القنطاس » و « البادية » وحمولة كل منها ٢٠٨ الف طن .. اثنتان منها بدأتا العمل في عام ١٩٦٩ والثالثة في عام ١٩٧٠ .

والى جانب هذه الناقلات الست ـ ومجموع حمولاتها نحو ٨٠٠ الف طن ـ اوصت شركة ناقلات النفط الكويتية على ناقلة نفط عملاقة حمولتها ٣٢٤ الف طن يجرى بناؤها حاليا في اليابان -. وينتظر ان تستلمها الشركة في أواخر عام ١٩٧٣ .

وهكذا سيكون للكويت في نهاية عام ١٩٧٣ سبع ناقلات نفط مجموع حمولتها مليون و ١٢٠ الف طـن .

(س . ز)

كان السكرتير العام الجديد للأمم المتحدة ضابطا في جيش هتلر وحارب على الجبهة الروسية في الحرب العالمية الثانية وأيدته روسيا في انتخابه لمنصبه الجديد

● قرأنا في الصحف أن الامم المتحدة قد اختارت سكرتيرا عاما جديدا خلفا ليوثانت الذى قرر التقاعد ، فمن هو هذا الرجل الذى انتخب لشغل هذا المنصب ، في أدق واحرج اللحظات التى تمر بها المنظمة الدولية منذ انشائها ؟

محمد عباس ـ السعودية

ـ السكرتير العام الجديد للامم المتحدة هو كيرت فالدهايم Kurt Waldheim ، وهو من ابناء النمسا ، وكان رئيسا للوفد النمسوى لدى الامم المتحدة منذ عام ١٩٦٥ حتى عام ١٩٦٨ ، عندما عين وزيرا لخارجية النمسا ، فعاد الى فيينا عاصمة بلاده للاضطلاع بمهام منصبه الجديد حتى عام ١٩٧٠ .

وفي شهر ابريل من العام الماضي ، ١٩٧١ ، قرر فالدهايم ، الذى اشتهر بين زملائه من رجال السياسة النمسويين ، بقدرته دائما على التخطيط لمستقبل افضل ، قرر ان يخوض المعركة الانتخابية لرئاسة الجمهورية النمسوية مرشحا عن حزب الشعب المحافظ ، الا انه خرج خاسرا في هذه الانتخابات . وعلى اثر ذلك عاد فالدهايم مرة اخرى ليشغل منصبه السابق كمندوب للنمسا في الامم المتحدة ، ويستعد في نفس الوقت لخوض المعركة للفوز بمنصب السكرتير العام للأمم المتحدة ، بعد ان اعلن يوثانت عن عزمه على الاستقالة والتقاعد ، نتيجة لاعتلال صحته .

وهكذا اصبح فالدهايم واحدا من بين احد عشر دبلوماسيا رشحوا جميعا انفسهم للفوز بهذا المنصب ، غير ان المنافسة كانت اقوى ما تكون بين فالدهايم ، وماكس جاكوبسون مندوب فنلندا ، الصحفى والمؤرخ اليهودى الذى كانت الولايات المتحدة تسانده وتؤيد انتخابه ، على اساس انه الرجل الوحيد بين المرشحين الذى يستطيع ان يعيد للامم المتحدة الدور



كيرت فالدهايم
السكرتير العام الجديد للامم المتحدة

القيادى في المشاكل الدولية ، وهو الدور الذى كانت تفتقر اليه طوال السنوات العشر الاخيرة التى تولى فيها يوثانت هذا المنصب .

غير ان ما حدث في شهر اكتوبر من العام الماضي ، أكد لامريكا بما لا يدع مجالا للشك ، ان مرشحها المختار لهذا المنصب لن ينجح ! وكان ذلك عقب حفل صغير اقامه فالدهايم ، وكان بين المدعوين اليه مندوبو الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة . وفي اثناء الحفل شرب مندوب روسيا جاكوب ماليك نخب مضيفه النمسوى بقوله : « ارجو ان تحقق كل ما تصبو اليه وتتمناه ! » .

ولم تكن هناك امنية لفالدهايم في ذلك الوقت اعز واقرب الى قلبه من النجاح في الانتخابات التى تجرى عادة في مجلس الامن ، وتقر نتيجتها الجمعية العامة للامم المتحدة ، وهي الفوز بمنصب سكرتير عام المنظمة الدولية . وقد اعتبر الدبلوماسيون في اروقة الامم المتحدة تصريح المندوب الروسي بمثابة تأييد كامل لفالدهايم في حملته .

والسكرتير العام الجديد للامم المتحدة من اصل يهودى ايضا ، متزوج واب لثلاثة ابناء ، فتاة في السادسة والعشرين تعمل في الامم المتحدة في جنيف ، وابن في الثالثة والعشرين يدرس القانون ، وابنة في الثانية عشرة ، تدرس في مدرسة الليسيه الفرنسية في نيويورك ، وتعيش مع والديها .

وقد اشترك فالدهايم في الحرب العالمية الثانية حيث حارب في صفوف الجيش النازى ضد روسيا ، واصيب في احدى المعارك ، فاعادوه الى بلاده ليكمل تعليمه الجامعي في عام ١٩٤٢ ، حيث درس القانون ، ثم التحق بالسلك الدبلوماسي في عام ١٩٤٦ .

ولا شك ان فالدهايم ، وهو السكرتير رقم ٤ للامم المتحدة منذ انشائها الذى مضى عليه ٢٦ عاما ، يتولى هذا المنصب الخطير ، في اسوأ فترة مرت بالمنظمة الدولية ، فخطر نشوب الحرب بين العرب واسرائيل في الشرق الاوسط ، والحرب المدمرة التى قامت اخيرا بين الهند وباكستان ، والحرب المريرة الخاسرة التي تخوضها الولايات المتحدة الامريكية في الهند الصينية منذ سنوات طويلة ، كل هذه الحروب وغيرها من ازمات دولية اخرى تهدد السلام العالمي بالخطر ، تجعل السكرتير العام الجديد ، في مركز لا يحسد عليه .

ولو عدنا الى الوراء ، لوجدنا انه ما من رجل تولى هذا المنصب ، الا وخرج منه خاسرا . تريجفى لى أول سكرتير للامم المتحدة ترك منصبه غير ماسوف عليه ، وداج همرشولد قتل عندما سقطت به طائرته وهو يؤدى واجبه في الكونغو ، ويوثانت ، استقال وفي جوفه معدة تنزف دما .. بقى ان نرى ما سيفعله فالدهايم بالامم المتحدة وما ستفعله مشاكل الامم المتحدة به ، في وقت لاتواجه فيه المنظمة الدولية ازمات عالمية فحسب ، بل وتعاني في الوقت نفسه من ازمة مالية طاحنة تهدد كيانها من اساسه . فقد بلغ العجز في ميزانيتها ٢١٠ مليون دولار امريكي .

(م . ن)

الانتاج العربي من الورق
يغطي ٤٠٪ من الاستهلاك

● نسمع كل يوم عن صحف وكتب جديدة تصدر في وطننا العربي ، وانا ادعوكم للتحسر معي على عدم وجودأي مصنع لصناعة الورق في وطننا العربي ، يستطيع ان يساهم ، ولو في سد جزء صغير من استهلاكنا الهائل للورق ، الذي لا يعرف احد كم هي كمياته .. السنم معي في هذا الرأى ؟

ادريس صالح – البيضاء / ليبيا

– الواقع انك تحكم على الامور بمعارف لا تستند الى اساس .. فرغم السلبيات الكثيرة التي نعاني منها ، الا ان هناك الكثير من الايجابيات الطيبة .. وصناعة الورق ، ولب الورق واحدة من تلك الايجابيات ، بالرغم من انها صناعة جديدة بالنسبة لنا لم تستغل الى الآن كل امكاناتها الموجودة استغلالا صحيحا .. الا انها رغم ذلك تقوم بدور فعال في تغطية نسبة طيبة من استهلاكنا للورق . والاحصائية المبينة اسفل هذا الكلام توضح لنا مقدار انتاج واستهلاك وطننا العربي من الورق في السنوات الممتدة من ١٩٦٤ الى ١٩٦٩ ..

ومن هذه الاحصائية – التي نشرها مركز التنمية الصناعية للدول العربية – يتضح لنا ان الانتاج العربي من الورق والورق المقوى ، يغطي في المتوسط ٤٠٪ من استهلاك الوطن العربي .

ويلاحظ ان الانتاج قد زاد بنسبة ٢٠٪ تقريبا .. ولكن في نفس الوقت زاد الاستهلاك الى ٤٣٪ تقريبا (بالنسبة لسنة الاساس ١٩٦٤) فنقصت تبعا لذلك النسبة المئوية الظاهرة للانتاج .

ومما يذكر ان هناك ٤١ منشأة عاملة في صناعة الورق ولب الورق في الوطن العربي ، موزعة كالاتي : ١٨ منشأة في مصر – ٨ في الجزائر – ٦ في المغرب – ٣ في تونس – و ٤ منشآت تعمل في كل من الاردن ، والسودان ، ولبنان وليبيا .

وفي العراق مصنع يقوم بالانتاج حاليا ، كما اوشك العمل على الانتهاء من بناء مصنع آخر كبير في مدينة البصرة .

والمواد الاولية المستعملة لصناعة الورق ولب الورق في الوطن العربي هي : قش الارز ، وقش الشعير ، وقش القمح ، ونبات الحلفا ، وحطب القطن ، والقصب ، ومصاصة قصب السكر .. كما توجد بعض المصانع التي تقوم باعادة تصنيع الورق التالف ، وتحوله الى ورق كرتون .

ومما يذكر ان هناك برامج طموحة للتوسع في انتاج الورق ولب الورق في مختلف اقطارنا العربية ، معتمدة على استغلال الخامات السيلولوزية المحلية .

السنة	الانتاج العربي من الورق والورق المقوى	الاستهلاك العربي	نسبة الانتاج الى الاستهلاك
١٩٦٤	٢٠٠ر٦	٤٣٨ر٣	٤٥ر٨٪
١٩٦٥	١٩٦ر١	٤٣٧ر٩	٤٤ر٨٪
١٩٦٦	٢١١ر–	٥٢٩ر١	٣٩ر٩٪
١٩٦٧	٢٠٣ر–	٥٤٠ر٦	٣٧ر٥٪
١٩٦٨	٢٣٥ر٨	٦١٨ر٧	٣٨ر١٪
١٩٦٩	٢٤١ر٩	٦٢٧ر٥	٣٨ر٥٪

❋ الكميات مقدرة بالالف طن مترى (الطن المترى = ١٠٠٠ كيلو جرام)

(س . ز)

الصخرة
التى خلّفها طارق بن زياد
فوصلتْ بين بحرين ، وفصلتْ بين قارتين

● متى لتنتهي الاتفاقية الخاصة بجبل طارق ، فينتهي بذلك الحكم البريطاني لهذا الموقع الاستراتيجي ويعود الجبل الى اسبانيا .. ؟!

فارس سلطي قاتيش / الزرقاء ـ الاردن

ـ لا وجود لاتفاقية خاصة بجبل طارق ، كاتفاقية هونج كونج او اتفاقية القواعد البريطانية في مالطا ، ذلك ان بريطانيا تحكم جبل طارق وما حوله حكما استعماريا بدأ قبل نحو ٢٧٥ سنة ، اى في سنة ١٧٠٤ ، حينما احتله الانجليز احتلالا عسكريا ، وانتزعوه من ايدى الاسبان بالقـوة .

فجبل طارق اذن مستعمرة بريطانية او ، ان شئت الدقة ، مستعمرة تاج بريطانية . وقـد منحتها بريطانيا قدرا من الحكم الذاتي سنـة ١٩٦٤ . الا ان ذلك لم يحدث اى تغيير اساسي في وضعها ، وكانت اسبانيا وما زالت تطالب بخروج الانجليز من المنطقة باعتبارها جزءا مـن الاراضي الاسبانية .

وفي سنة ١٩٦٧ استفتي سكان جبل طارق بقصد تحديد ميولهم ازاء الاستعمار البريطاني وذلك وفقا للقرار الذى صدر عن هيئة الامم في هـذا الصدد . وكانت نتائج الاستفتاء كما يلي :

١٢١٣٨ صـوتا فضـلوا استمرار الاستعمار البريطاني .

٤٤ صوتا طالبوا بانهاء ذلك الاستعمار !

وعمدت اسبانيا بعد ذلك الى فرض حصار اقتصادى حول المستعمرة ، فحظرت دخولها على الاسبان ، وبخاصة العمال الذين كانوا يؤمّون المستعمرة بقصد العمل وطلب الرزق . ويبدو ان بعض المساعي بدأت تبذل بقصد الوصول الى تفاهم بين اسبانيا وبريطانيا ، لا سيما وان الحصار الاقتصادى لم تثبت فعاليته حتى الآن .



صورة التقطت من الجو تظهر معالم منطقة جبل طارق : الصخرة والميناء والبلدة

وتجدر الاشارة الى ان ارتفاع جبل طارق ، او الصخرة كما يسميها الانجليز ، لا يزيد على ١٣٩٦ قدما . الا ان المستعمرة التى تحمل الاسم نفسه « جبل طارق » تضم بالاضافة المدينة التى تسمى بنفس الاسم ايضا ، تضم كذلك الميناء ، وهما يقعان الى الغرب من الصخرة ، ويقومان على ارض منتزعة بالردم من البحر . وتبلغ المستعمرة من حيث المساحة ٢٫٥ ميل مربع فقط ويزيد عدد سكانها على ٢٥٫٠٠٠ نسمة . وهؤلاء خليط من اصول ايطالية وبرتغالية واسبانية ، وهـم يدينون بالمذهب الكاثوليكي ، ويتكلمون اللغـة الاسبانية والانجليزية .

وتجدر الاشارة ايضا الى ان مستعمرة جبل طارق ذات خطورة بالغة بالنسبة الى بريطانيا . فالصخرة نفسها حصينة واشبه ما تكون بالقلعة العسكرية البالغة المناعة ، وقد استغلت كهوفها الطبيعية ، وحفرت فيها الانفاق ، تحقيقا لاهداف الاستعمار البريطاني . هذا بالاضافة الى القاعدة البحرية الضخمة التى تسيطر عليها بريطانيا هناك .

ومن طريف ما يذكر عن جبل طارق ان القلعـة التى بناها طارق بن زياد فوقه ما زالت آثارها قائمـة حتى الآن ، وان السـواح يزورونهـا باعتبارها من معالم المنطقة السياحية . ■■

(ى . ز)



في صباح ٢ ديسمبر

مَوْلِدُ دَوْلَة



استطلاع : سليم زبال
تصوير : أوسكار متري

إمَارات سَاحِل عُمَان السّتّ،





يع حكام ٦ امارات تقع على ساحل عمان واعلنوا قيام دولة الامارات العربية المتحدة .

تُعلِن قيامها دولة واحدة..

الى اسفل : بعد انتهاء عملية رفع علم الدولة الجديدة ، تبودل التوقيع على اتفاقية معاهدة صداقة جديدة مع بريطانيا ، وقعها الشيخ زايد ، نيابة عن دولة الامارات ، والسير جفرى ارثر ، نيابة عن بريطانيا .



الى اليمين : في ظل العلم الجديد المكون من خط احمر رأسي عريض ، وثلاثة خطوط افقية عريضة ، الوانها اخضر وابيض واسود على التوالى ، وقف حكام الامارات ، الذين يمثلون المجلس الاعلى للاتحاد لالتقاط هذه الصورة التذكارية .. وهم من اليسار مع حفظ الالقاب : المرحوم خالد القاسمي : الشارقة ـ راشد مكتوم : دبي ـ زايد آل نهيان : ابو ظبي ورئيس الاتحاد ـ راشد النعيمي : عجمان ـ محمد الشرقي : الفجيرة ـ ولي عهد ام القيوين نائبا عن والده احمد المعلا .

التحديات والتناقضات تتحدى الدولة الجديدة منذ يوم ميلادها!

■ شعور غريب ينتابنا في كل مرة نتجه فيها نحو ساحل عمان .. ذاك الساحل الذى هو الجزء الجنوبي الشرقي من الخليج العربي .

شعور باننا ننتقل الى عالم اقرب مايكون الى عالم الاساطير والمعجزات ، حيث يوجد الحصان الطائر ، وخاتم سليمان وبساط الريح والقمقم السحرى!

لقد اصبحت حياة الاعرابي الساذج في ساحل عمان اشبه ما تكون باسطورة علاء الدين ومصباحه السحرى !

عثر على المصباح ، فاطبق عليه بيده ، فخرج منه دخان اسود كثيف تجمع على سطح الارض ، وصعد الى عنان السماء ، حتى صار ماردا رأسه في السحاب وقدماه في التراب !!

وانطلق صوت المارد مخاطبا الاعرابي : « لبيك يا ملك الزمان .. لقد نذرت ان اجعل من يعتقني غنيا الى الابد ، وافتح له كنوز الارض كلها .. »

انها قصة علاء الدين الجديدة في امارات ساحل عمان ، مع فارق واحد ، فالمارد الاسود الذى تراءى للاعرابي هذه المرة لم يكن جنيا ، وانما كان ذهبا اسود ثمينا ، تدفق بعنف وغزارة من تحت رمال الصحراء البخيلة !!

قصة تكررت

ولم يسال الاعرابي المارد الاسود عن قصته ، فليس في الاعادة افادة ، كما يقولون ، اذ سبق ان سمع قصة المارد الاسود تتكرر مرات ومرات من كل اركان الخليج العربي ، سمعها تنطلق لاول مرة من ايران والبحرين والاحساء والكويت والعراق ، حتى من قطر سمع قصة هذا المارد الجبار .

اختلاط الالوان

ودارت عجلة الزمان ، وبدا الذهب الاسود يتحول الى مدائن من الحديد والاسمنت والرخام .. واختلطت الاجناس والاعراق .. والتقاليد والعادات .. وبدات المفاجآت والتقلبات ..

سبع امارات تواجه تناقضات وتحديات الزمان..

فهذا الاعرابي الذى كان يقتلع الشجيرات الخضراء ليبيعها في الاسواق ، وينطلق شهورا واياما هائما وراء ابله ونياقه الضائعة ، او يغوص في قيعان البحار بحثا عن اللؤلؤ والمحار ، اصبح يعيش

الامارة	المساحة التقريبية بالاميال المربعة	السكان احصاء ١٩٦٨	الحاكم
ابو ظبي	٢٦ ٠٠٠	٤٦ ٥٠٠	الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان .
دبي	١ ٥٠٠	٥٩ ٠٠٠	الشيخ راشد بن سعيد بن مكتوم
الشارقة	١ ٠٠٠	٣١ ٥٠٠	الشيخ سلطان بن محمد القاسمي.
راس الخيمة	٦٥٠	٢٤ ٥٠٠	الشيخ صقر بن محمد القاسمي .
الفجيرة	١٠٠	٩ ٧٠٠	الشيخ محمد بن حميد النعيمي .
عجمان	١٠٠	٤ ٢٠٠	الشيخ محمد بن حمد الشرقي .
ام القيوين	٣٠٠	٣ ٧٠٠	الشيخ احمد بن راشد المعلا .
المجموع	٣٠ ٠٠٠	١٧٩ ١٠٠	



خريطة توضح موقع دولة الامارات العربية المتحدة ، التي تضم : ابو ظبي ودبي والشارقة ورأس الخيمة والفجيرة وعجمان وأم القيوين .. ومساحة الدولة الجديدة تزيد على ٣٠ الف ميل مربع، والرقم تقريبي اذ ان الحدود ما زالت غير محددة تماما .. اما عدد السكان فقد بلغ ١٨٠ الف في عام ١٩٦٨ الا ان هذا الرقم تضاعف خلال السنوات الثلاث الماضية .

اليوم مذهولا فوق عالم مجنون متحرك صاخب ، تختلط فيه كافة الالوان والانغام المطربة والنشاز ..

ومن خلف « البتولة » (القناع) السوداء ، تشع عيون النساء ببريق الحيرة والاندهاش ..

شهرزاد والبوينج ٧٠٧ !

في هذا العالم الجديد ، لم يعد من المستساغ الاستمرار في الفرقة والانقسام .. انقسام الى سبع امارات متناثرة متشابكة متداخلة ، كأنها لوحة تجريدية هائلة !

واجتمع الحكام وتعاهدوا على الاتحاد ، معلنين مولد دولة الامارات ..

وانتهزنا فرصة طلوع النهار ، وسكوت شهرزاد، فركبنا طائرة البوينج ٧٠٧ وقطعنا في ساعة ونصف، نفس المسافة التي كان يقطعها الاعرابي على ظهر جمله ، في شهر ونصف !

٧ أصبحوا واحدا !

لقد واكبت العربي امارات الخليج العربي منذ عام ١٩٦٠ وكتبت عنها منذ ان كانت تجمعات بدوية صغيرة مبعثرة ، الى ان اصبح السبعة واحدا ، والسبعة عشر صاروا ثمانية عشر ، بانضمام الامارات لجامعة الدول العربية ..

وبانضمام دولة الامارات لم يعد اى جزء من وطننا العربي الكبير موجودا خارج حظيرة الجامعة العربية سوى موريتانيا . البلد العربي الاصيل الذى يحاول البعض طمس عروبته بعد ان نسيه العرب في غمرة مشاكلهم الملحة ..

الاتفاقيات الابدية

وفي مطار ابو ظبي اجتمع اكثر من ١٥٠ صحفيا على غير ميعاد ، جاءوا يسجلون احداثا متلاحقة : ففي اول ديسمبر ١٩٧١ طار المعتمد البريطاني

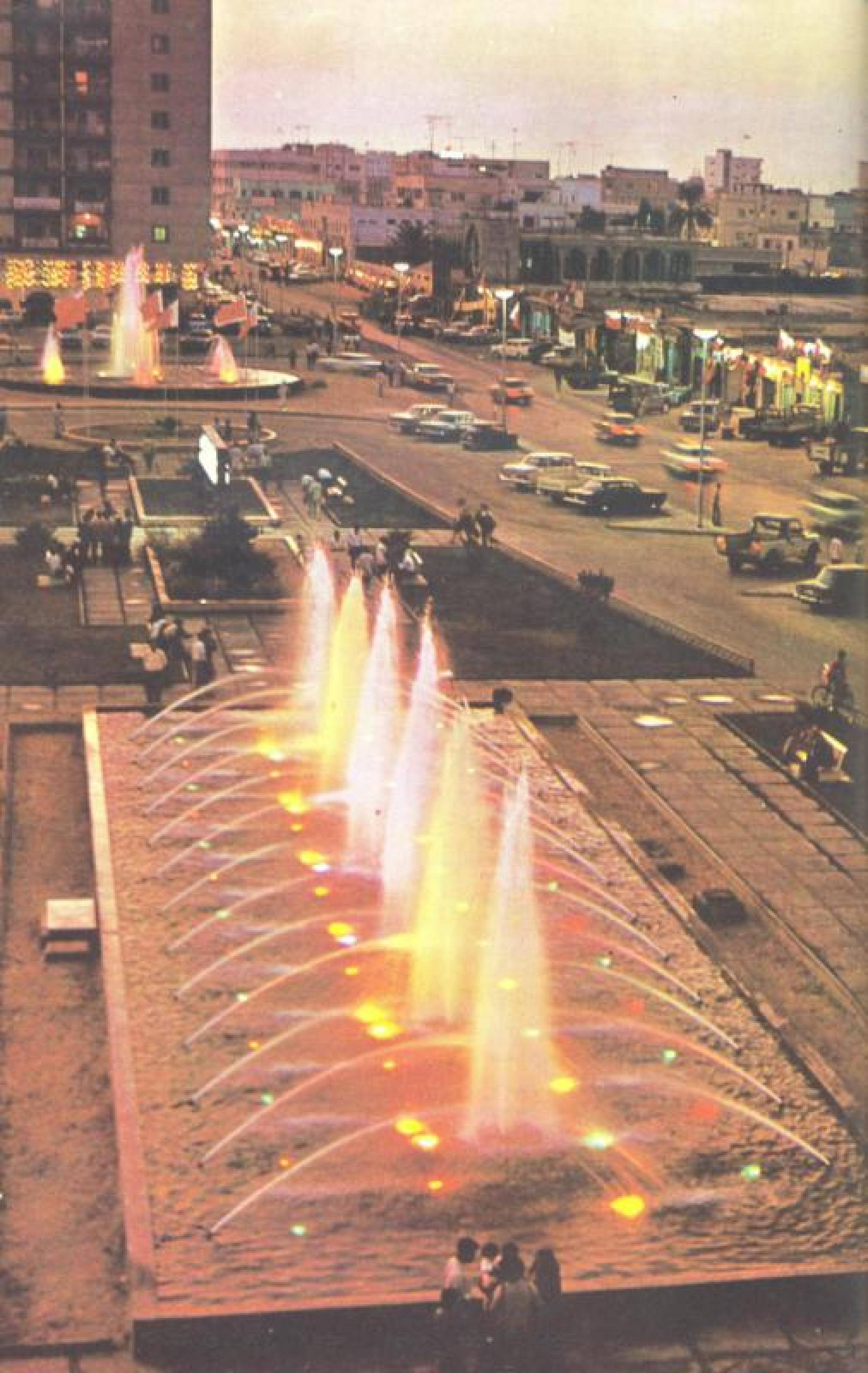


٦ محطات للتلفاز تبث برامجها المختلفة من أبو ظبي ، وقطر ، وبندر عباس بإيران ، والدمام بالسعودية ، والكويت .. ومن محطة للتلفاز الكويت من دبي حيث يعمل ٦٣ شخصا من بينهم ٤ مذيعات ، ويستمر الارسال ٦ ساعات ونصف يوميا يرتفع الى ٩ ساعات أيام الجمعة والاعياد.

الى اليسار : المياه الملونة تنطلق من نافورات ساحة جمال عبد الناصر ، التي اصبحت قلب دبي النابض ومركزها الرئيسي .. لقد اقيمت هذه الساحة ، بعد هدم مجموعة من المنازل القديمة ، رغم كثافة البناء في بر « ديرة » بمدينة دبي .

لا تكاد تمر مناسبة في أبو ظبى الا وتقام الأعياد ، وتمنح الاجازات .. وهذه كوكب الشرق أم كلثوم تحيي احدى الحفلات .. ومما يذكر أن الموسيقار الكبير محمد عبد الوهاب انتهى من تلحين النشيد الوطنى لدولة الامارات .





السير جيوفرى ارلر ، بطائرة خاصة فوق امارات الخليج، وفي يوم واحد الغى سبع اتفاقيات ابدية، ظلت تربط المنطقة ببريطانيا منذ عام ١٨٢٠ .

وفي يوم ٢ ديسمبر ١٩٧١ اجتمع حكام ست امارات في قصر الجميرة بدبي بغياب حاكم راس الخيمة ، واعلنوا مولد دولة الامارات ..

وقبل هذا وذاك كان هناك خبر القنبلة التي فجرتها ايران باحتلالها لجزيرتي طنب الكبرى والصغرى ، ونصف جزيرة ابو موسى في صباح ٣٠ نوفمبر ١٩٧١ .

امارات الخليج ومعجون الاسنان !

وهذا الجيش الجرار من الصحفيين كان تسعة اعشاره من مندوبي الاعلانات ، جاءوا للكتابة عن الدولة الجديدة مقابل اجر ، اذ ان بعض الصحف العربية لا تنشر اى مقال تحريرى عن منطقة ساحل عمان الا اذا كان اعلانا مدفوعا !؟

حتى الصحف المحلية الرسمية في الامارات لا تنشر الا نفاقا ومجاملة ، وتعمل على تزيين اغلفتها بصور الحكام ..

انفتاح على الدول العربية .. ونرى هنا المرحوم الشيخ خالد بن محمد القاسمى ، حاكم الشارقة، يعرض على سفير جمهورية مصر العربية في الكويت ، الاستاذ عز العرب امين بعض الكتيبات والصور الحديثة عن امارة الشارقة .



وهكذا ضاعت الحقيقة عن هذا الجزء الهام من وطننا العربي ، واصبحت الكتابة عنه تجد صدى مساويا لصدى اعلان معجون الاسنان ، وشفرات الحلاقة والسجاير ذات النكهة الطيبة !!!

ووصل الامر بادارة اعلام احدى الامارات انها اصبحت تقدم للصحفيين نسخا من الاعداد الخاصة المليئة بالنفاق والمجاملة ، بدلا من الارقام او الدراسات او الاحصائيات الجادة عن الامارة !

لقد تحولت الامور في المنطقة الى مزايدات غير معقولة فالقاب السمو والعظمة والمعالي والسعادة، اصبحت تلصق بكل موظف هناك ..

اما المشاريع الخيالية فحدث عنها ولا حرج ، ولو تم انجاز نصف المشاريع المعلن عنها ، لفاق ازدهار ساحل عمان ، ازدهار اوربا وامريكا !!

تناقضـــات

انها ست امارات غير متساوية في الثروة ولا في عدد السكان .. فهنا تجد حركة وحياة ، وهناك خمول وركود .. هنا تجد الرواتب الشهرية تدفع لكل من يريد ان يتعلم ، وهناك لا توجد مدارس لتعليم الطلبة ..

هنا لا يستطيع المواطن تملك الارض ، وهناك تقدم الارض مجانا لكل من اراد البناء ...

هنا الاضواء تحيل الليل الى نهار ، وهناك ظلام في ظلام والسهرات على لمبة الجاز ..

هنا يلعبون لعبة النحلة والدبور ، وهناك يلعبون الروليت والبكاراه والبلاك جاك .. وهكذا عالم من التناقضات لا نهاية له ..

رخام وسمك وحمضيات

ان امارات ساحل عمان يمكن ان تصبح كتلة اقتصادية متكاملة مستقلة ، لكن الارقام والبحوث غير واضحة ، بالرغم من عمليات المسح الجيولوجي العديدة التي تمت ولم تعلن نتائجها ..

اما الثروات الطبيعية ، ففي سلسلة جبال عمان نجد الرخام الرائع الالوان ، والنحاس والحديد والرصاص .. وفي البحر تجمعات سمكية خيالية من تونة وانشوجة وسردين وبودى وقرش،



تناقضات : امرأة من الفجيرة حبيسة ، ترى الدنيا من فرجة قماش مصبوغ بالنيلة . أسلوب من العيش فيه قسوة السجن ، ولو متحركا .. ! **والصورة اليسرى** لفندق في مدينة العين ، بابو ظبى ، هو الحياة في قسوة تحررها .. انه فندق هيلتون ، وقد تكلف نحو ١٠ مليون دينار

..والزراعة نجحت بشكل مذهل في اراضي الشارقة وراس الخيمة وانتشرت اشجار الحمضيات وامكن زراعة ٢٥ نوعا من الخضراوات في فصل الشتاء، حتى زاد الانتاج عن الاستهلاك ..

اما الثروة البترولية فقد تدفقت من تحت اراضي وبحار ابو ظبي وارتفعت ايرادات الامارة من ٧٠٠ الف جنيه استرليني عام ١٩٦٢ الى حوالي ١٤٠ مليون جنيه عام ١٩٧١ .

ولو وزع هذا الدخل على سكان هذه الامارة ١٠٠ الف نسمة تقريبا لخص الفرد الواحد ١٤٠٠ جنيه استرليني . وقدروا ايرادات ابو ظبى من النفط في عام ١٩٧٥ فوجدوا انها سترتفع الى ٤٠٠ مليون جنيه .

ودبى تدفق النفط من تحت مياهها عام ١٩٧٠ .

ونحن نكتب هذا الكلام والاخبار تتوالى عن اكتشاف نفطى في راس الخيمة بالقرب من حدودها مع عُمان .. بئر اكتشفوه بعد ان انفقوا عشرة ملايين جنيه استرليني في البحث عنه ..

اما الشارقة فالنفط فيها موجود بالتاكيد ، ولكن التنقيب متوقف .

الاتحاد ضرورى

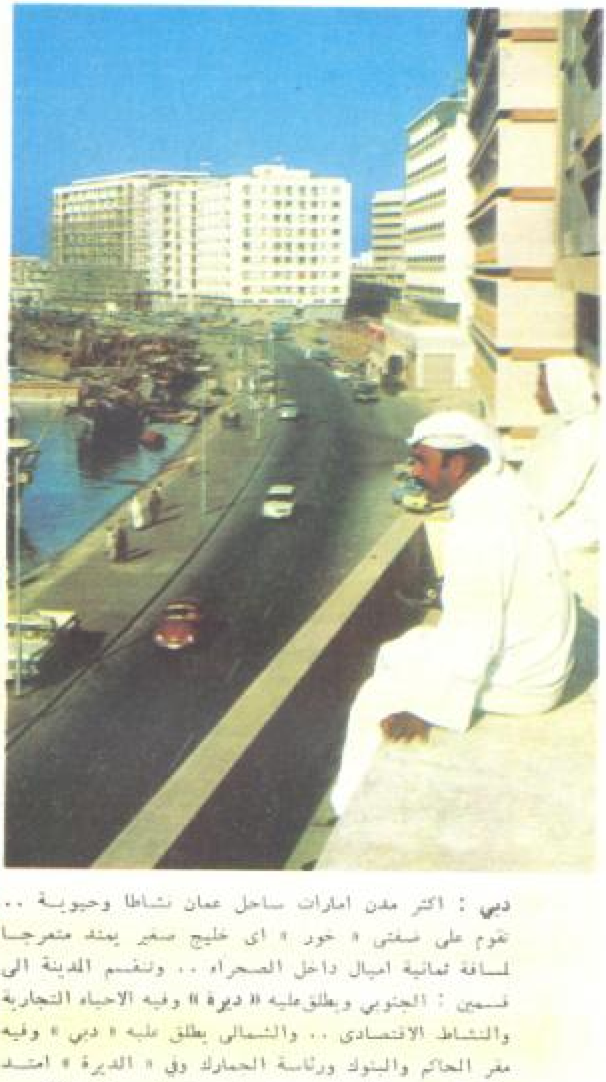
ان هذا الزخم من الحياة محصور في منطقة صغيرة مساحتها ٣٠ الف ميل مربع ، اى ما يعادل مساحة الاردن ، يعيش فوقها ٣٠٠ الف شخص على اكبر تقدير ، اى بمعدل ١٠ اشخاص في الميل المربع الواحد .. وهى نسبة ضئيلة للغاية .

وهذا الاتحاد الذى وحد بين الامارات الست مرتكز على اكثر من مجرد تجاور جغرافى ، فالروابط بين ابناء الامارات ، روابط دين وتصاهر ولغة ، انه شعب واحد استطاع ان يجد صيغة لاتحاده بعد اربع سنوات من الاجتماعات والمداولات ..

والاتحاد الجديد هو اتحاد كونفدرالى ، اى عملية جمع بين مجتمعات اقليمية في اتحاد مشترك المصالح والسياسة . وتحتفظ الوحدات الاقليمية فيه باستقلال في السلطة ..

وتتكون السلطة الاتحادية العليا من مجلس اعلى





دبي : اكثر مدن امارات ساحل عمان نشاطا وحيوية .. تقوم على ضفتي « خور » اى خليج صغير يمتد متعرجا لمسافة ثمانية اميال داخل الصحراء .. وتنقسم المدينة الى قسمين : الجنوبي ويطلق عليه « **ديرة** » وفيه الاحياء التجارية والنشاط الاقتصادى .. والشمالى يطلق عليه « دبي » وفيه مقر الحاكم والبنوك ورئاسة الجمارك وفي « الديرة » امتد الكورنيش محاذيا للخور ، وارتفعت العمارات الكبيرة الضخمة .. لقد ظلت الحياة التجارية مرتبطة بهذا « الخور » الذي يتراوح عمقه بين ٨و١٢ قدما حسب المد والجذر ، حتى بدا ميناء راشد يستقبل السفن الكبيرة في مياهه العميقة (٣٠ قدما) .



للاتحاد يضم جميع حكام الامارات .ومجلس وزراء فيدرالي قومي تالف من ١٨ وزيرا يمثلون الامارات الست ، له سلطة على اراضي الامارات كلها ـ حتى كتابة هذا الكلام كانت المفاوضات لدخول راس الخيمة الى الاتحاد على وشك الانتهاء بالنجاح ..

والى جانب مجلس الوزراء القومي توجد مجالس وزراء محلية ، او دوائر وزارية ، لكل منها سلطة ذاتية مستقلة على اقليمها الذاتي ..

ان الهدف الأسمى هو جمع الكيانات الهزيلة في اتحاد واحد يستطيع الثبات امام اى استفزاز خارجي ، فاليوم اصبح الاعتداء على اى شبر في ساحل عمان معناه الاعتداء على الامارات كلها ، وعلى كيان الاتحاد ذاته ..

الدكتور عبد الرحمن مخلوف استاذ تخطيط المدن في جامعة القاهرة سابقا ، يشغل حاليا منصب مدير دائرة التخطيط المدني في وزارة البلديات بابو ظبي .. وتراه هنا أمام نموذج مجسم للمنطقة المركزية التجارية ، في ابو ظبي .



لهذا قرر الدستور تكوين قوة مسلحة برية وبحرية وجوية موحدة التدريب .

الرؤية غير واضحة

ان الرؤية لم تتضح تماما حتى الان ، فالدولة الجديدة عمرها ثلاثة شهور فقط ، والناس في الساحل ليسوا واعين تماما لواجباتهم او حقوقهم تجاه الوضع الجديد ..

فرؤية الحواجز الجمركية تزال ، ورجال الجمارك يتغاضون عن اخذ ٥٪ على الواردات القادمة من الامارات .. ورؤية رجال الجوازات يتوقفون عن عملية التدقيق في التصاريح بين الامارات .. ورؤية قوة دفاع موحدة بدلا من قوى الدفاع المختلفة .. كل هذا وغيره لا يمكن ان يتم بين ليلة وضحاها ..

ان فترة الانتقال التي تمر بها المنطقة حاليا هي اصعب الفترات .. لان اساس الاتحاد الناجح هو انتقال الالتزام والمسئوليات الكبار ، من القادة ذوي الشخصيات ، الى الكفاة من اهل الشعب .. كما ينبغي على القائد وامير الدولة الغنية ان يعي دوره القومي الفيدرالي تماما ، بحيث يخدم عجمان واصغر الامارات تماما مثلما يخدم اكبر الامارات ..

متى يرى الصندوق النور

اما الدور الاساسي الذى يأمل الجميع أن تلعبه الدولة الغنية فهو الانفتاح والارتباط بالمجموعة العربية ، واستثمار رؤوس الاموال الفائضة في البلاد العربية التى تعانى من قلة رؤوس الاموال.

وصندوق التنمية الكويتي خير مثال على ما يمكن ان يقوم به رأس المال العربى من مشاريع تنمية في البلاد العربية .

لقد اعلنت ابو ظبى منذ ثمانية اشهر عن اقامة « صندوق ابو ظبى للتنمية الاقتصادية العربية » ووجه الشيخ زايد رسالة بهذه المناسبة الى الشعب قال فيها :

ـ قررنا أن يكون رأس مال هذا الصندوق ٥٠ مليونا من الدينارات بصفة مبدئية .. وستستخدم هذه الاموال في الاقراض للمشاريع الانتاجية العربية الهامة ، التي تساعد على انماء الاقتصاد العربي وتقوية اقتصاديات الدول العربية ، ومساعدتها على زيادة انتاجها ودخلها القومي .. »



تحية اعجاب وتقدير لعشرين استاذا مصريا وفلسطينيا يقومون بتأدية واجبهم العربي بكل هدوء واخلاص بعيدا عن الاضواء ، من اجل بناء جيل جديد في مدينة مجهولة على خليج عمان .. انها مدينة كلبا .. هل سمعت بها ؟ ان مقومات الحياة المصرية معدومة فيها ، واتصالها ينقطع مع العالم عندما تهطل السيول في الشتاء ..

ثم حدث ان قل سماع الناس بهذا المشروع ونرجو أن يرى النور ، لما فيه من خير واضح للجميع .

٤٥ مدرسة و ١٨ الف طالب

وقصة التعليم في الامارات ـ ما عدا ابو ظبي ـ بدات مع زيارة المغفور له الشيخ عبد الله السالم لامارة الشارقة عام ١٩٥٢ .

فقد حياه طلبة مدرسة (اصلاح القاسمية)، وهى المدرسة الوحيدة بالمنطقة في ذلك الوقت ، وطلبوا منه ان تتبنى الكويت التعليم بالمنطقة .. واستجاب لهم الامير الراحل وبدا التعليم الرسمى ياخذ مكان الكتاتيب .. وقفز عدد المدارس من مدرسة واحدة ابتدائية في عام ١٩٥٤/٥٣ الى ٤٥ مدرسة عام ١٩٧١ تضم ١٨ الف طالب وطالبة يقوم بتعليمهم ٩٢٩ مدرسا ومدرسة : ٧٣٠ منهم تابعون لبعثة الكويت و ٦٦ لبعثة مصر العربية و٣٢ للعربية السعودية و ٥٥ لقطر و٩ للبحرين و١٢ لابو ظبى و ٢٥ من المحليين ..

وتقوم الكويت بتجهيز المدارس بالاثاث والكتب والقرطاسية والمختبرات ، وتقدم كسوة كاملة ووجبة خفيفه من الطعام يوميا لعموم التلاميذ .



اصبح الشيخ بدر محمد الاحمد الصباح اول سفير للكويت في دولة الامارات العربية المتحدة .

صحة وتلفاز !

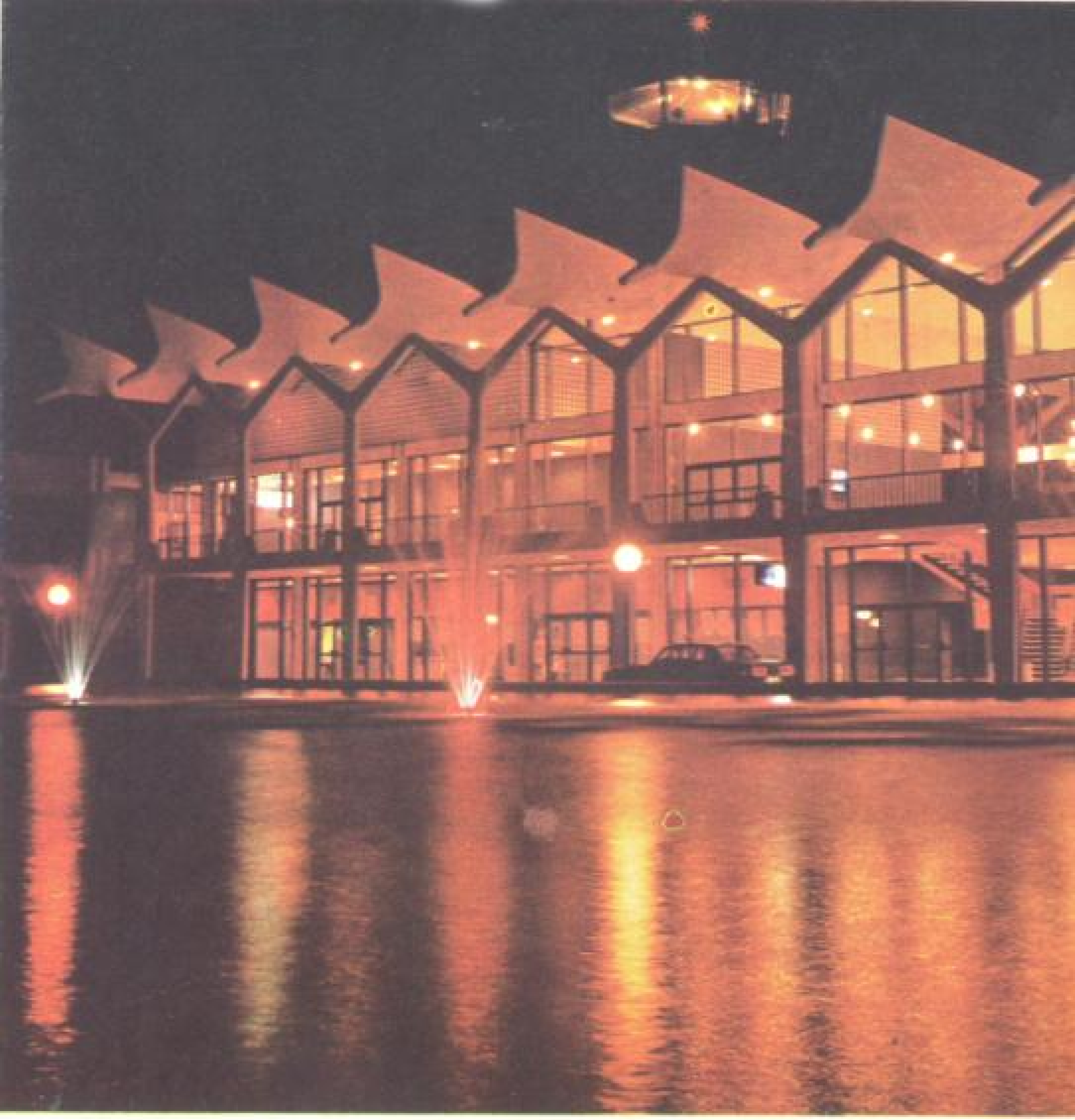
والى جانب التعليم ، قامت الكويت منذ عام ١٩٦٢ ببناء وادارة اربعة مستشفيات وخمسة مستوصفات في مختلف المناطق .

وتكملة لرسالة الكويت النبيلة ، اقامت محطة للتلفزيون في دبى تبث لفترة ٦ ساعات ونصف يوميا .. وتزيد المدة الى ٩ ساعات ايام الجمعة.

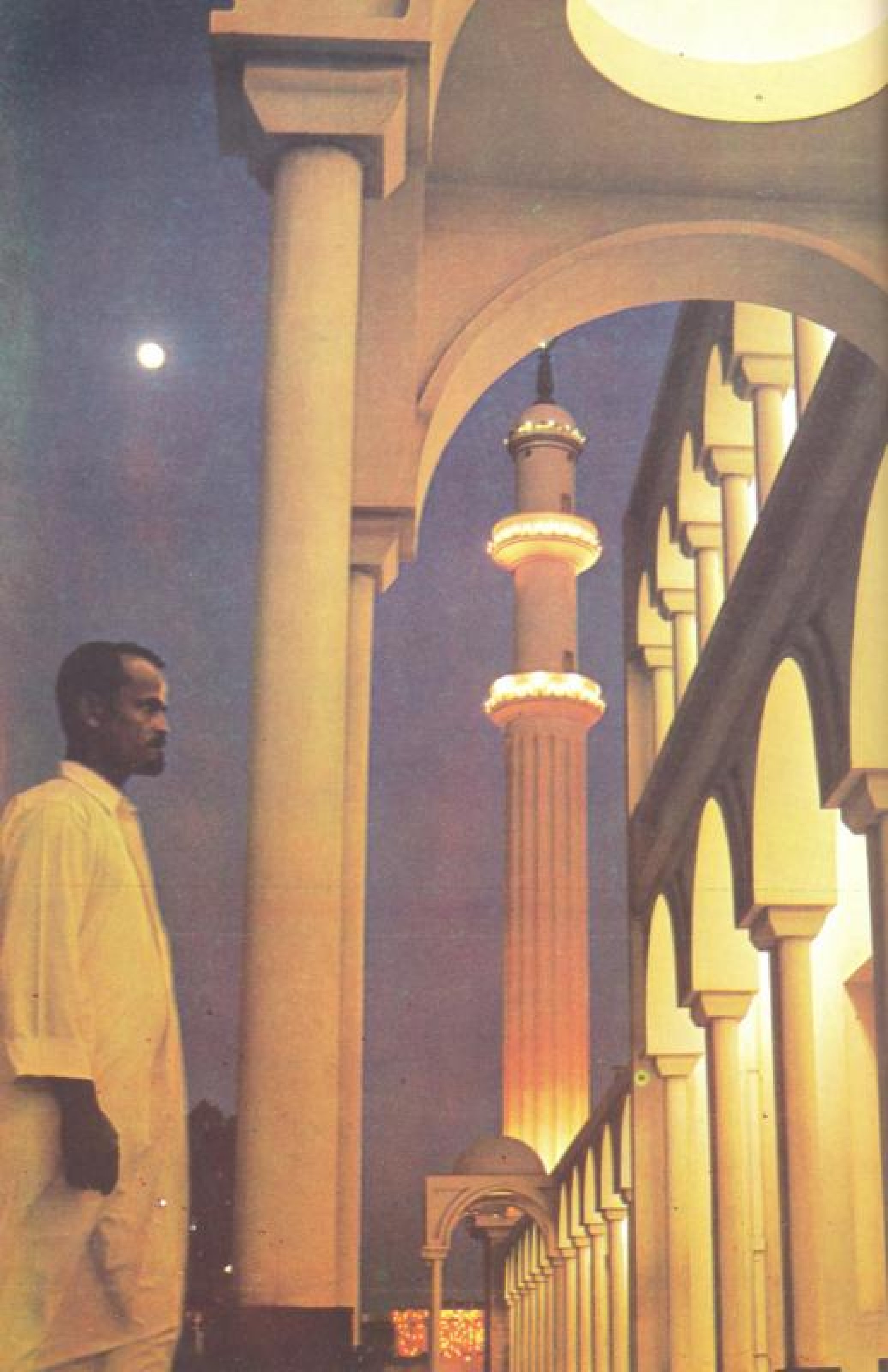
لقد انتشر التلفاز في كل منزل وكل عشة صغيرة في ساحل عمان ، فالى جانب محطة تلفاز الكويت من دبى ، يستطيع سكان دبى التقاط برامج تلفاز ابو ظبى وبندر عباس في ايران ، والدمام في السعودية ، وتلفزيون الكويت من الكويت ..

مصير مساعدات الكويت

وجلسنا الى الاستاذ احمد السقاف العضو المنتدب للهيئة العامة للجنوب والخليج العربى بوزارة الخارجية الكويتية ، نسأله عن مصير



هكذا تحول مطار أبو ظبى الرملى الصغير ، الى مطار دولى كبير تكلف ثمانية ملايين دولار في المرحلة الاولى من بنائه .. وهذا المطار مصمم ليخدم بلدا تعداده مائة الف نسمة ، واحصاء ١٩٦٨ يبين أن تعداد سكان أبو ظبى هو ٤٧ الف نسمة ، ولكن تعداد عام ١٩٧١ بدأت تظهر نتائجه الاولية ، ومنها اتضح أن عدد سكان العاصمة ابو ظبى بمفردها هو ٥١ الف نسمة ، وسكان مدينة العين ٢١ الف نسمة ، اما بقية المناطق فلم تظهر نتائجها حتى كتابة هذا الكلام .. ان دخول أبو ظبى بدون تأشيرة دخول كان ضربا من المستحيل ، وكم كانت حيرة رجال المطار عندما وجدوا ١٢٠ صحفيا يهبطون مطارهم دون تأشيرة دخول ، فما كان منهم الا أن حجزوا الجوازات .. ولكن ضابط الامن والجوازات الملازم محمد جمعة قال لنا : **« لقد خففت القيود كثيرا ، فاصبح عندنا نظام المرور « الترانزيت » فكل شخص عنده تذكرة عودة محجوزة ، يمكن أن يمكث في ابو ظبى ٧٢ ساعة . واى وزارة تطلب شخصا لاى عمل في ابو ظبى نعطيه تصريحا بالاقامة مدته أسبوعين دون أن يكون عنده تاشيرة دخول .. »**



مساعدات الكويت لامارات ساحل عمان ، بعد مولد دولة الامارات فقال :

ـ ما زالت الهيئة العامة للجنوب والخليج العربي تقوم بأعمالها الاعتيادية دون اي تبديل .. والميزانية الأخيرة التي اعتمدتها الكويت للهيئة من في حدود مليونين و ٧٥٠ الف دينار ، يخصص منها مليونان للخليج و ٧٥٠ الف لليمنين الشمالي والديمقراطي ..

فاذا ما قام الاتحاد بتغطية الامور المالية لهذه الخدمات التي تقدمها للامارات المذكورة في هذا العام ، فان ما رصد في هذه الميزانية سيحول لمساعدة أجزاء عربية اخرى في مقدمتها اليمن الشمالي واليمن الجنوبي .. »

مدخل المستشفى الايراني في الفجيرة .. كان هذا الحائط ، الذي يحمل الشعار الايراني ، يرتفع عاليا كالنصب التذكاري ، واحتج الناس على هذا الارتفاع ، فهدمه الايرانيون ، وأعادوا البناء من جديد على هذه الصورة .



سر الجزر

لقد ولدت دولة الامارات العربية المتحدة ، وسط احداث جسام تحيط بالمنطقة ،ففي الساعه الخامسة والنصف من صباح يوم الثلاثاء ٣٠ دیسمبر ۱۹۷۱ ـ ای قبل اعلان مولد دولة الامارات بيومين فقط ـ غزت القوات الايرانية : البحرية والجوية والبرية المحمولة، الجزر العربية الثلاث: طنب الكبرى وطنب الصغرى ونصف ابو موسى ..

وهذا الاحتلال لم يكن لأسباب استراتيجية ، كما ادعت ايران ، فالجزر تقع على مسافة ٦٠ ميلا من مدخل مضيق هرمز ، وهناك من الجزر ما هي أهم بكثير من جزر طنب تتحكم في مدخل الخليج ..

ان القضية باختصار تتعلق بسمعة ومكانة ايران داخليا وفي المنطقة ، تلك السمعة التي ظنت ايران انها تدهورت بعد أن ثبتت عروبة جزر البحرين ، وانتهت مطالبة ايران بها .. فاعتقدت ان من حقها اخذ جزر طنب مقابل هزيمتها في البحرين ..

ان أهمية مدخل الخليج تنحصر بانه في كل ١٢ دقيقة تمر منه ناقلة نفط .. واوربا تعتمد على نفط الخليج لسد ٦٥٪ من استهلاكها ..

منطق القوة

وتحدثنا الى الشيخ صقر بن محمد القاسمي حاكم راس الخيمة ـ ولم يكن قرر بعد الدخول في الاتحاد ـ فقال لنا : « كان اعتقادنا انهم اخوتنا وجيراننا .. لقد زرناهم وقابلنا الشاه ، وأخذنا فكرة عنهم انهم ناس طيبون.. ان خيبة املي كبيرة في الشاه.. ونحن لم نسمع بادعاءات ايران في جزرنا الا عندما قررت بريطانيا الانسحاب من الخليج منذ ٣ سنوات ..

« واذا كان كل من يملك القوة يضرب الضعيف فأعتقد ان هذا غير مقبول ابدا في هذا العصر » .

صوت من الآخرة ..

واتجهنا الى حاكم الشارقة المرحوم الشيخ خالد بن محمد القاسمي ، نسأله عن اتفاقه أو معاهدته مع ايران على اقتسام جزيرة أبو موسى فقال :

« كم اتمنى لو ان العرب تحدثوا بلغة العصر ، لغة التفاهم .. ووعوا الدروس التي علمتهم اياها الايام .. لقد بعثنا الوفود مستنجدين بالدول



الزراعة ، وصيد الاسماك ، المهنتان اللتان يعتمد عليهما ابناء الفجيرة .. ونرى هنا الشيخ حمد بن سيف بن حمد ، ممثل حاكم الفجيرة ، يسير خارجا من مجلس الحاكم ، الذى يقضى معظم وقته في مدينة دبي .

العربية والجامعة العربية ، فكانت جميع الاجابات توصينا باتباع سياسة الحكمة والدبلوماسية وحل المشكلة ودياً ، فالعرب مشغولون بقضيتهم المصرية الكبرى ..

«انا لم أتنازل عن سيادة بلادى على ابو موسى، ولا وقعت اتفاقية ، لقد حاولنا كل الاساليب الدبلوماسية مع ايران.. طالبنا بالتحكيم فرفضوا .. طالبنا بعرض الموضوع على المحكمة الدولية فرفضوا .. طالبنا بالوساطة فرفضوا .. ان القوة بيدهم .. فماذا يفعل خالد أو غير خالد في مثل هذا الموقف ؟ العرب مشغولون .. والانجليز سيخرجون .. ومنطق القوة هو الذى يتكلم ؟

« ان الشارقة هى حصن العرب ، ولا يمكن ان افرط بشبر من اراضيها .. والذى فعلته هو تجميد الموضوع ، والاحتفاظ بأكبر جزء يمكنني الاحتفاظ به لأبناء الجزيرة ..

وفي ورقة التفاهم التى تمت كتابتها احتفظنا بخمسة وخمسين بالمائة من أرض الجزيرة ،وبنصف الثروة البترولية التى تكتشف .. واتفاقنا مع شركة النفط هو الذى سينفذ .. والمياه الاقليمية للجزيرة أصبحت ١٢ ميلا بدلا من ثلاثة أميال كانت تقف عند خط الوسط ..

« ولم اتخذ هذا القرار بمفردى بل دعوت ابناء الشارقة الى اجتماع عاجل وعرضت عليهم القضية فوافقوا على كل خطوة خطوتها .. »

وينهى المرحوم الشيخ خالد حديثه قائلا :

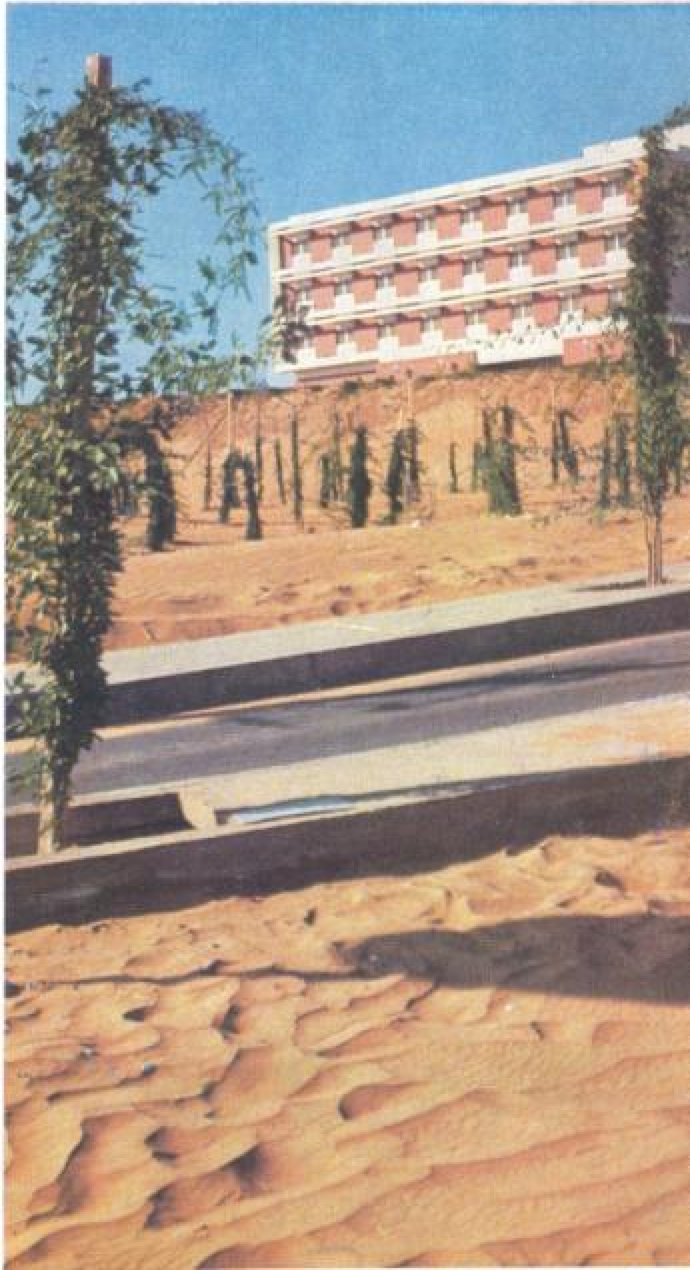
ـ اما محاولة استعراض العضلات من بعض الدول،واتهامها ايانا بالخيانة فاني أدعوها لترسل قواتها وتحرر الجزر ، اذا كانت حقيقة صادقة ومخلصة لاقوالها .. أما الجعجعة والاكتفاء بالبيانات التى ستكيل الصاع صاعين ، فهذه كلها أصبحت أقوالا علمتنا الايام أن لا نعتمد عليها..».

لقد انتقلت قضية الجزر الى مجلس الجامعة العربية والى مجلس الامن والى المؤتمرات الدولية، ولكن لم يتخذ أىٌ منها أىٌ قرار صريح لحل هذه القضية .. انها جزء من مأساتنا الكبرى ..

من يدرى ؟

وتركنا حاكم الشارقة يشرح لبقية الزملاء

فوق الرمال المتحركة في راس الخيمة ارتفع هذا الفندق الفخم ، ٣٩ غرفة مكيفة الهواء ، وكل طابق يختلف لونه عن الآخر .. وبه قاعة كبيرة يلعبون فيها الروليت والبكاراه والبلاك جاك ، وهذه القاعة يدخلها الاجانب فقط ، وممنوع دخول ابناء الامارات اليها . والاقامة في الفندق تكلف ١١٠ ريالات قطرية للشخص الواحد ، مع ثلاث وجبات طعام يوميا .





المركز التجارى الجديد في ابو ظبي .. اصبح كتلا من الحديد والاسمنت ستتحول الى عمارات تتراوح ارتفاعاتها من ٥ الى ٦ الى ١٠ طوابق .. ان الجزيرة التى تقوم عليها مدينة ابو ظبي بدات تزدحم بالمباني والسكان ، فبدا بناء ضواح جديدة خارج الجزيرة . وفي نفس الوقت بدأ تجفيف الاجزاء الضحلة من البحر وضمها لارض الجزيرة .





الى اليسار : ميناء دبي الكبير .. واحد من اربعة موانيء كبيرة تمتد الى عرض البحر من ابو ظبي والشارقة ورأس الخيمة، والضريبة الجمركية هي ٥ر٢٪ على البضائع المستوردة من الخارج مباشرة و ٥٪ على البضائع المستوردة من أي امارة اخرى و ٢٥٪ على السجاير والمشروبات الروحية .

موقف بلاده واتجهنا لزيارة الامارات الصغيرة .. وبدانا بام القيوين .. الطرق رصفت ، والمنازل الشعبية على الجانبين .. ولكن لا اثر لحياة او انسان .

ومر بنا شخص يحمل في يده سمكا مربوطا بسعف النخيل فسألناه : اين منزل الحاكم ؟

فاجاب : لا أدرى .

قلنا : اذن من يدرى ؟

اجاب : لا أدرى ..

ان اهل ام القيوين لا يمكثون في مدينتهم ، بل يذهبون للعمل في دبى والشارقة وابو ظبى .. تاركين اطفالهم ونساءهم . ويعيش في ام القيوين ٣٩ استاذا يقومون بتعليم ٥٢٩ طالبا في مدرستين: واحدة للبنين واخرى للبنات .

وتركنا ام القيوين واتجهنا الى عجمان ، اصغر الامارات مساحة (١٠٠ ميل مربع) فوجدناها صورة طبق الأصل من أم القيوين ..

الجاشع والعومة !

ومن الشارقة ركبنا سيارة اللاندروفر لنخترق جبال عمان القاحلة الجرداء متجهين الى الضفة الاخرى على ساحل عمان حيث الفجيرة وخورفكان ودبا وكلبا ..

انها ارض زراعية تزرع بطريقة بدائية معتمدة على مياه الآبار المحفورة بقوة الأيدى وعلى سماد هو صغير السردين ، ويسمونه « الجاشع » و « العومة » ، والمزارعون اغلبهم من البلوش والباكستانيين .. وقد ازدهرت الزراعة في المنطقة بعد أن فتحت سلطنة عمان حدودها للسفر والتبادل التجارى .

انها ارض الخير تنتظر الأساليب الحديثة لتستبدل « بالمحاة » التراكتورات ... اما الاسماك فموجودة بكميات هائلة .. ونظرنا الى مياه البحر فوجدناها فضية لماعة متحركة من كثرة ما فيها من اسماك ..

٣ حلاقين ام خمسة ؟

واتجهنا الى الفجيرة .. لقد تبدلت صورتها كثير،ففى سفح جبل سكمكم ارتفعت المنازل الحديثة ، واستطاع مستشار شيخ الفجيرة هاشم بهروزبان الايرانى الجنسية ، اقناع الحكومة الايرانية بافتتاح مستشفى كبير فخم في المنطقة .. كان على وشك فتح ابوابه عندما زرنا الفجيرة .



« ... ان اعتداء ايران الصارخ على الحقو[...]
والشارقة فقط ، وانما كان لطمة واهانة لك[...]
تراه في اقصى الصورة اليسرى . والى جا[...]

واتجهنا الى مقر الحاكم فوجدنا ممثله الشيخ حمد بن سيف بن حمد ، اذ أن مقر حاكم الفجيرة هو دبى .. ورحب بنا ممثل الحاكم بحرارة قائلا:

« لقد قرأت ما كتبتموه عن بلادنا منذ أربع سنوات .. ولكن الحمد لله لقد تغير الوضع تماما حاليا .. لقد ذكرت انه لا يوجد حلاقون في الفجيرة .. أما اليوم فأصبح عندنا ٣ حلاقين (وكأنه استقل الرقم فقال مستطردا) : ولو تقول خمسة موجودين والحمد لله .. وعندنا ٤ الى ٥ دوبى اى كوائين ، وخياطون حوالى ١٠ والتلفزيون عندنا ٨ اجهزة ، والتطور سريع فكل يوم يشترى الاهالى جهازا جديدا .. وعندنا مطاعم ومقاه وثلاثة مستشفيات ، واحد كويتى وواحد ايرانى وثالث أمريكانى ..

« وتسألنى عن المشاكل والمتاعب في البلد .. الحمد لله ما في مشاكل ، وانما توجد قرى كبيرة تنقصها المدارس مثل دبا وسكمكم ومساقي



ية في الخليج العربي باحتلالها جزر طنب وابو موسى هذا الاعتداء لم يقع على راس الخيمة
ب في كل مكان .. » هكذا صرح الشيخ صقر بن محمد القاسمي حاكم راس الخيمة ، الذى
وولى عهده الشيخ خالد .. اما الذين في الصورة اليمنى فهم بعض اللاجئين من جزيرة طنب

والبنة وقدفع والقرية ..

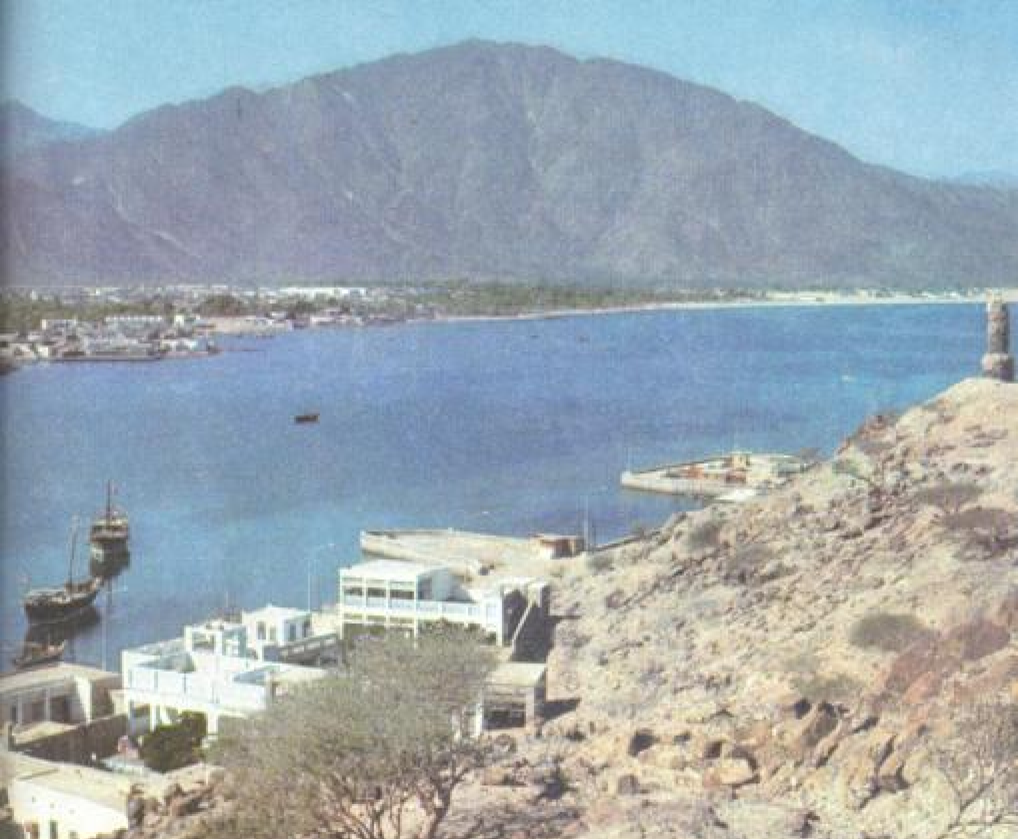
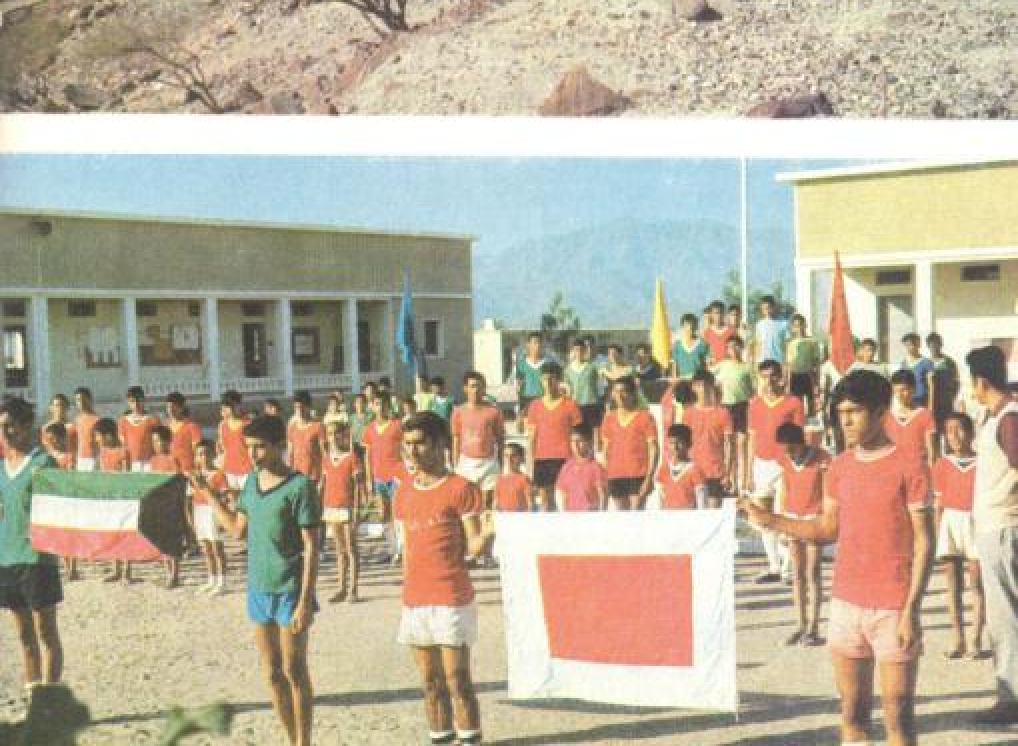
وعلى كل حال يمكنكم اخذ كل الاحصائيات من مكتب ديوان الحاكم في دبى .. »

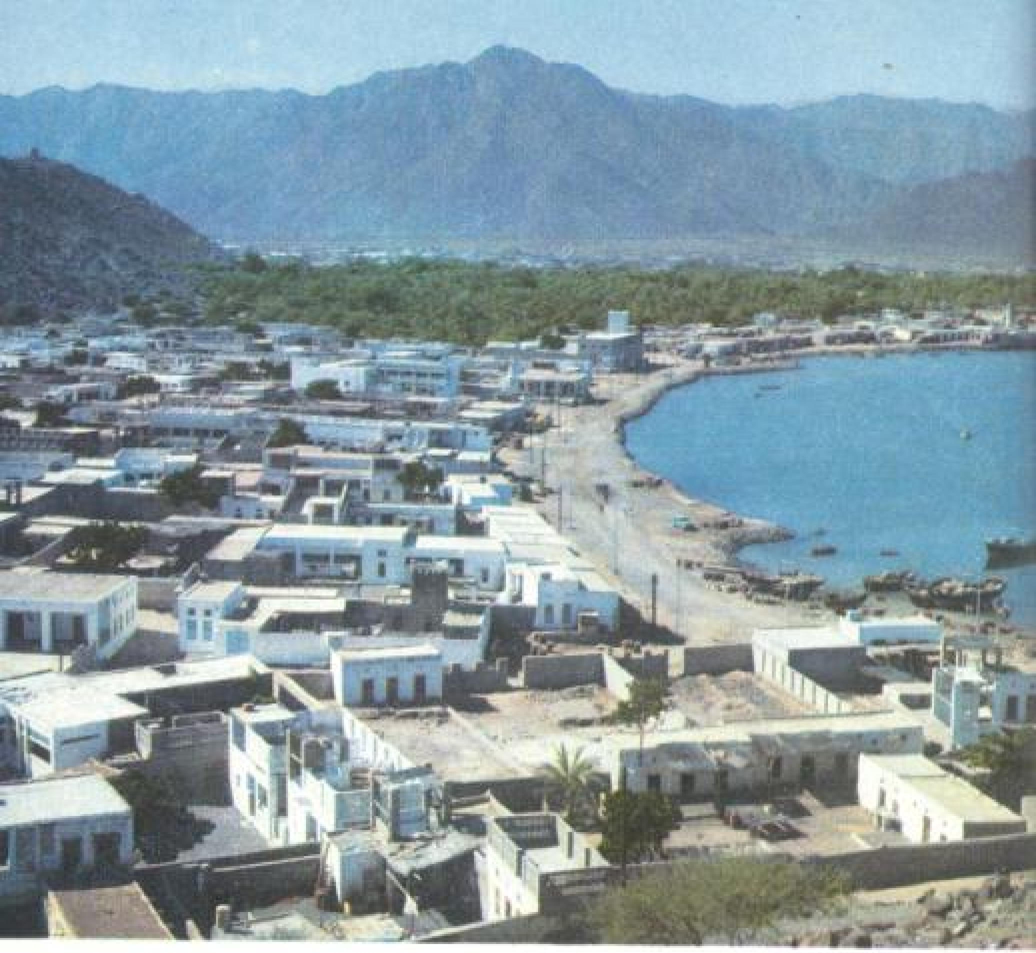
باعونا فى سوق النخاسة

ووصلنا الى دبى متاخرين فلم نستطع مقابلة حاكم الفجيرة ، وانما اتجهنا مباشرة الى مطار دبى الانيق لنستقل الطائرة الى ابو ظبى .. واتجهنا الى موظف المطار فقال : « نأسف الغيت الرحلة .. » **وذهبنا الى مكتب الشركة وهناك اتفقنا على أن نعطيهم تذكرتى الطائرة مقابل اعطائنا سيارة خاصة تنقلنا الى ابو ظبى لارتباطنا بموعد فيها .. وجاء سائق السيارة واتفق مع مدير الشركة على نقلنا فى سيارة خاصة الى ابو ظبى..وركبنا السيارة التىانطلقتبنا فى ازقة دبى ، ولكنها لم تتجه الى ابو ظبى كما توقعنا ، بل اتجهت الى موقف السيارات،واستاذن السائق منا .. ووقف يتحدث مع سائق آخر باللغة الايرانية وبعدها قال لنا :** « تفضلوا .. هذه السيارة أفضل من سيارتى وهى التى ستنقلكم الى ابو ظبى .. » **وودعنا وانطلق فى حال سبيله.**

وركبنا السيارة متافقين فالساعة قد جاوزت منتصف الليل .. وفجاة فتح الباب بجوارنا وركب مجموعة من الناس .. فقلنا للسائق : « ولكنها سيارة خاصة ! » **فقال :** « لا عمى .. انتى تركبون نفر نفر .. » **وثرنا وتوعدنا وهددنا.. ولكن لم يكن امامنا مندوحة الا الرضوخ للامر الواقع ، بعد ان تحولت تذكرة الطائرة الى مقعد فى سيارة أجرة !**

انها « شطارة » اهل دبى .. وليست المسالة مقصورة على الأهالى ، فقد قامت حكومة دبى باستضافة المائة والخمسين صحفيا الذين جاءوها لحضور الاحتفالات .. وبعد التوقيع على اتفاق مولد الدولة الجديدة ، وزعت دائرة الاعلام بيانا



خورفكان .. عروس مدن خليج عُمان .. انها ميناء المستقبل .. وعندما سألنا مسئول البلدية فيها عن عدد سكانها ، أجاب : « وايد ناس » اى عدد غفير من الناس .. ولجولتنا في شوارعها فوجدنا أهلها خليط من عرب وبلوش وهنود وباكستانيين ..



الى اليمين : هذا الجيل السليم من الفتيان ، استطاع أن يتغلب على الامراض ـ وخاصة الملاريا ـ المنتشرة في المنطقة الشرقية من خليج عُمان .. انهم بعض طلبة مدرسة سيف اليعربي الثانوية ، بمدينة كلبا .. عددهم ٤٠٧ طالب يدرسون مناهج الابتدائي والمتوسط والثانوى في نفس المدرسة . كما توجد ثانوية بنات تضم ١٩٥ طالبة .. والى اليسار بعض أطفال الفصول الابتدائية يتلقون جرعة للوقاية من شلل الاطفال .. انها صورة مشرقة لمساعدات الكويت

على الفنادق تخبر فيه الصحفيين أن مدة ضيافتهم هي ليوم واحد فقط !

حجزوا الجوازات

وشعرنا براحة نفسية عندما غادرنا دبي ، وتخلصنا من سماع الألسنة الاعجمية من فارسي وبلوشي وهندي وباكستاني ، ولكنات اخرى لا اول لها ولا آخر .. حتى خليط الازياء يثير أعصابك .. سروال طويل وقميص متهدل أطول .. وبيجاما مخططة ، هي الزى الشائع هناك لمعظم الناس ..

وعند حدود أبو ظبي احتجزوا جوازاتنا وسمحوا لنا بالدخول مجاملة لمجلة العربي ، والا كان أمر اعادتنا من حيث جئنا امرا مفروغا منه لعدم وجود تاشيرة لدينا !!

مشاريع بالجملة

وجلسنا الى الاستاذ محمود حسن جمعة مستشار حكومة أبو ظبي لشئون التخطيط نتابع معه حديثا بدأناه منذ ٣ سنوات عن المتاعب والعراقيل التي تصادف النهضة فقال :

ـ من أسهل الأمور تطوير البناء ، أما تطوير الانسان فهو أشق ما يقابلنا من عقبات .. انه عامل سلبي يؤخر انطلاقتنا .. صحيح اننا نخطط لتطوير ابن البلد ليعيش حياة متطورة انسانية تتناسب مع حياة القرن العشرين ، لكن السؤال هو : هل يستطيع المواطن العادي الاستفادة من الامكانيات التي سنوفرها له ؟

« وازاء صعوبة تطوير الانسان المكتمل ، اتجهنا الى الجيل الصاعد واضعين أمامه كل الامكانيات .

« لقد وضعنا في أبو ظبي حجر الاساس للنهضة العمرانية ، ووفرنا العديد من الخدمات الاساسية : ١٩ مدرسة عاملة و٢٢ تحت البناء و٢٦ أخرى ستطرح قريبا للمناقصة .. كان عندنا ٧٠٠ طالب في أول عام ١٩٦٨ أصبحوا اليوم ١١ الف طالب وطالبة ..

وفي مجال الصحة انشأنا ٣ مستشفيات جاهزة الصنع ، في كل منها ٦٠ سريرا . كما انتهت دراسة مشاريع بناء ٣ مستشفيات : واحد في أبو ظبي يتسع لاربعمائة سرير ، وثان في العين يتسع لمائتي سرير وثالث في الداد يتسع لمائة وخمسين سريرا .. وعندنا قيد الانشاء ١٢ مستوصفا ..

أما الكهرباء فنعمل على زيادة القوة الكهربائية من ٨٦ الى ١٢٢ ميجاوات ومياه الشرب عندنا ٣ وحدات تقطير طاقتها ٦ مليون جالون في اليوم ، وفي يوليو ١٩٧٣ سيتم مشروع المجاري ، وفي هذا العام ١٩٧٢ سيتم رصف الطريق الموصل الى دبي وطوله ١٣٠ كيلو مترا .. والطريق الذي يربطنا بقطر طرحنا مناقصته الاولى وهو على اربع مراحل وطوله ٢٢٠ كيلو مترا .. وانشأنا ٤٠٠ مسكن و ٥٠٠ فيلا لموظفي الحكومة .. واكملنا المطار ، والميناء الكبير سينتهي في اواسط عام ١٩٧٢ وانشأنا مدينة زايد قرب ليوا ، ويجرى انشاء ٣ قرى جديدة على طريق أبو ظبي ـ العين .. »

تنويع مصادر الدخل

ويستطرد مستشار التخطيط قائلا : « وبعد انتهاء عملية التأسيس اتجهنا الى تنويع مصادر الدخل ، الذي يعتمد حاليا ١٠٠٪ على ايرادات النفط .. ونحن على وشك انشاء مصفاة للبترول قدرتها ٣٠ مليون طن ، وغيرها العديد من مشروعات الصناعات الكيماوية .. »

وسألنا المستشار محمود جمعة عن السياسة السكانية ، فقال : « السياسة السكانية لم تدرس بعد لأن البلاد كانت في مرحلة بناء وتعمير ، أما اليوم فقد أصبح بالامكان رسم سياسة اسكانية .. وقد طلبنا من الأمم المتحدة أن تساعدنا في عمل مسح اجتماعي وثقافي وصحي لمجتمعنا النامي .. »

طامعون كثيرون

انتهى حديث مستشار التخطيط في أبو ظبي .. وانتهى حديثنا نحن عن « ساحل الذهب » .. ونعود الى مصباح علاء الدين فنقول ان الطامعين في هذا المصباح كثيرون .. وانهم يتربصون حوله ، ويتحينون الفرص للاستيلاء عليه .

وعلاء الدين شاب قوى ناشيء ، وكأي شاب فهو يتصرف بحماس واندفاع ، ولكن عنفوان الشباب وحماسه وحدهما لا يكفيان في مساعدته على الثبات .. لا بد لعلاء الدين أن يستعين بأخوة له مخلصين ، واشقاء يربطه واياهم يومهم وغدهم ، ويؤازرونه ويدعمونه ، ويدافعون معه عن حقه في الاحتفاظ بما وهبه الله له . ■■

سليم زبال



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

الحمى التيفودية ..
أسبابها وأعراضها

● ما هي اسباب واعراض الحمى التيفودية ؟

ــ الحمى التيفودية ــ حمى معدية ــ تصيب الامعاء ، ويسببها نوع خاص من الباسيلوس او العصيات ينتشر بواسطة الطعام والشراب الملوث بافرازات شخص مصاب بالحمى او حامل للميكروب ، ويلعب الذباب دورا هاما فى نقل هذا الميكروب ويسرى الميكروب فى الدم ، ثم يذهب الى الامعاء والطحال والكيس المرارى ــ ويتمركز الميكروب فى الغدد الليمفاوية حول الامعاء ، وتحصل قرح فى الجزء الاخير من الامعاء الدقيقة ــ ويظهر الميكروب فى بول وبراز المريض بعد حوالى اسبوعين من بداية المرض .

وتكثر الاصابة بهذا المرض فى شهور الصيف .

والاعراض تظهر بطيئة فترتفع الحرارة تدريجيا وتكون اعلى فى الليل منها فى النهار ، ويشعر المريض بصداع وفقدان الشهية وآلام بالاطراف والبطن ــ ويصاب المريض بامساك وفى بعض الاحيان بنزيف من الانف ــ ويظل الامساك مستمرا ، او يحدث اسهال وانتفاخ فى البطن مع مغص معوى وقد يحدث هذيان ــ وتلتهب الشعب الهوائية وتكون مصحوبة بسعال ــ وفى الاسبوع الثالث اذا كانت الحالة خفيفة تهبط الحرارة او يظل المريض كما هو او تسوء حالته ويصاب بهذيان وهزال وضعف شديد ويشتد انتفاخ البطن ويكثر السعال ــ وفى الحالات العادية تبدا الاعراض فى الزوال فتهبط الحرارة ويزول انتفاخ البطن ــ وفى الحالات الشديدة يحدث ما يسمى بالحالة التيفودية، فيزرق الوجه وتغور العينان، ويكون المريض فى حالة شبه غيبوبة ويكثر العرق فى الليل ويكثر الهذيان ويصير النبض ضعيفا وغير منتظم .

ويشخص المرض مزيادة على الاعراض بوجود الميكروب المسبب للمرض فى الدم فى الاسبوع الاول .

ثم بتحليل الدم Widal Test وكذلك بزرع البراز واستخلاص الميكروب المسبب ولهذا اهمية اذ انه طالما يكون المريض حاملا للميكروب فانه يعد خطيرا فى نقل المرض من مكان لآخر وتكون الخطورة عند الطباخين مثلا أو الذين يتعاملون بالاطعمة .



المرأة المصابة بروماتزم القلب يمكنها الحمل والولادة تحت اشراف طبي

● **اصبت بروماتيزم في القلب وقيل لي انه بسبب تأثر صمامات القلب ، ونصحت بعدم الحمل ، فما مدى صحة ذلك ؟**

– من المعروف أن القلب فى حالته الطبيعية يتعرض اثناء الحمل لمجهود اكثر لان حجم الدم يزداد بمقدار الربع فى النصف الثانى من الحمل ، لذا نلاحظ بعض التضخم فى عضلات القلب ويكون النبض قويا ولكن سرعان ما يزول هذا بالوضع ويرجع القلب الى حالته الطبيعية اى بعد ازالة العبء الملقى على عاتقه .

اما فى مرض القلب فان الحالة تختلف اذ ان هذا العبء سيقع على قلب مريض ربما لا يقدر القلب على تحمله ويهبط ، خصوصا لو كان هذا المرض متقدما ، وكانت سن المريضة متقدمة كذلك . اذ انه بمرور الوقت تضعف عضلات القلب .

لذا كان من الواجب ان ننصح المريضة بروماتيزم القلب ان يكون الحمل مبكرا عندما تقف نوبات الروماتيزم بالمفاصل ويكون المرض بالصمامات غير متقدم ، ولا يحدث هبوط فى القلب اى ان حالة القلب قريبة من الطبيعى ، ويسمح لها بالحمل فى حدود مرتين او ثلاثة – وليس اكثر من ذلك حتى تقوم على تربيتهم خصوصا عندما تتقدم بها السن شريطة ان تكون اثناء فترة الحمل واثناء الولادة تحت ملاحظة الاطباء الشديدة ، اطباء الامراض الباطنية والقلب واطباء التوليد لاكتشاف اى مضاعفات قد تحدث اثناء الحمل .

والحالة تتغير وتكون اكثر تعقيدا عندما يرى الطبيب منا مريضة فى سن فوق الخامسة والثلاثين ومصابة بروماتيزم القلب وربما كانت قد اصيبت بهبوط فى القلب مرة – او احتقان فى الرئتين او تذبذبات بالقلب وغير ذلك من مضاعفات – فاذا كانت هذه هى الحالة وامكن علاج هبوط القلب – حتى نصل به الى حالة تكافؤ والسيدة تواقة الى الحمل مع ما يكتنفه من اخطار – ووافق الزوج فيسمح لها بالحمل شريطة ان تكون تحت الملاحظة الشديدة على فترات قصيرة لعلاج اى مضاعفات تطرأ والتدخل فى الوقت المناسب لحماية الحامل والجنين .

ديدان البطن أهم الوسائل للتخلص منها

● **اصبت بديدان رفيعة بامعائي منذ فترة طويلة وعالجتها عدة مرات وتعاودني من آن الى آخر فهل من علاج نافع ؟**

– ان الاصابة بالديدان الخيطية (اكسيورس) منتشرة جدا وذلك لانها اذا اصابت فردا من العائلة فانه سرعان ما ينتشر المرض بين جميع افراد العائلة، اذ ان العدوى تنتقل بواسطة بويضات الدودة التى كثيرا ما تلوث فراش المريض وتنتقل بأن يأخذها المريض او افراد عائلته على اصابعهم ويبتلعوها مع الطعام ، وسرعان ما تفقس البويضة وتتحول الى دودة تسرى فى الامعاء الى ان تصل الى فتحة الشرج وتسبب حكة حولها مما يضطر المريض أن يحك مكان

حرقة البول .. أسبابها وعلاجها

● اشكو من حرقة في البول ـ فما هو السبب والعلاج ؟ .

ـ حرقة البول لها اسباب عدة منها :

ـ التهاب المثانة الحاد بواسطة الميكروبات التى تصل لها عن طريق الدم او بواسطة الميكروبات الموجودة فى البول.

ـ التهاب فى مجرى البول سواء فى الحالب او القناة البولية كما يحصل فى السيلان .

ـ بلهارزيا فى مجرى البول اذ ان البويضات تمزق الاغشية المخاطية اثناء مرورها فى مجرى البول والمثانة والقناة البولية ويكون ذلك مصحوبا بدم فى آخر البول .

ـ التهابات فى البروستاتا وانتشار الميكروب الى المثانة ومجرى البول .

ـ التهاب حوض الكلى والالتهابات الكلوية بواسطة الميكروبات الخاصة التى تنتشر فى مجرى البول .

ـ مرور حصى صغير « رمل » او حصى اكبر فى مجرى البول سواء فى الحالب أو المثانة او القناة البولية ويصحب ذلك مغص شديد وتغير فى لون البول .

وكثيرا ما تكون حرقة البول مصحوبة بزيادة فى عدد مرات التبول بكميات قليلة والاحساس بعدم افراغ المثانة والعودة الى دورة المياه للتبول مرات ومرات . وكذلك يتغير لون البول ويكون محملا بالزلال وخلايا صديدية وكرات دم حمراء .

ولا بد من فحص البول والتوصل الى نوع الميكروب واستجابته للمركبات الخاصة التى تقتل هذه الميكروبات واعطائها للمريض فترة طويلة الى ان يخلو البول من هذه الميكروبات ـ وفى بعض الحالات يستمر الالتهاب والحرقة لوجود انسداد فى مجرى البول ولا بد من التخلص من هذا الانسداد بواسطة العمليات الجراحية الخاصة اذا لزمت لكي لا يكون سريان البول بطيئا ويكون الالتهاب مزمنا فى مجرى البول . لذا كان من الواجب عمل اشعة لمعرفة الانسداد سواء كان ذلك اشعة غير ملونة او ملونة، وعلاج زيادة الاملاح ان وجدت التى تكون سببا فى حصى مجرى البول . وعلاج البلهارزيا التى تساعد على استمرار التهاب مجرى البول ان تركت بدون علاج .



انزال البويضات ويأخذها على اظافره وسرعان ما يعدي نفسه مرة بعد الاخرى لذا كان علاج هذه الدودة صعبا . من هذا يتضح صعوبة العلاج اذ لا بد ان تكون نظافة المريض وافراد العائلة نظافة تامة . والعلاج يكون لجميع افراد العائلة فى وقت واحد حتى يمكن القضاء على انتشار العدوى . وللعلاج تعطى مركبات بيبارازين هيدريت Piparazin Hydrate .

ولمنع الحكة حول الشرج وعدم أخذ البويضات على الظفر يلبس المريض قفازا اثناء الليل ويلبس سروالا طويلا ويقوم بغسل اليدين قبل تناول الطعام غسلا جيدا لازالة ما علق بها من بويضات ان وجدت . اما فراش المريض فيوضع فى الشمس لفترة طويلة ليساعد على قتل البويضات فى بعض الحالات . ويوضع مرهم خاص قاتل للبويضات حول الشرج مع العلاج بالفم .

قصة

العوض

بقلم : ثروت اباظة



■ لقد كانت المعركة بيننا وبين قبيلة غطفان غاية في العنف . وقد اصبنا منهم مقتلة عظيمة ، وما كان هذا الا لغياب بطلهم الصنديد رافع بن عدى . ولا شك انهم ينتظرون يوما قريبا ينالون فيه ثارهم منا ، وقبيلتنا منذ ذلك الحين مشغولة فيما يمكن ان تصنعه حتى تتهيا لهذا اليوم المنتظر القريب . وقد اجتمع شيوخنا يفكرون واجتمع معهم شبابنا وراح كل منا يدلى برأى ولكن ما اسرع ما كانت هذه الآراء تواجه بالنقاش .

ـ نهاجر

ويقول شيخ القبيلة في عظمة واعتزاز :

ـ حتى نصبح احدوثة بين العرب .. نترك ديارنا خوف عدو دحرناه وانزلنا به الهزيمة الماحقة .. اذا نحن هاجرنا يكون العدو هو المنتصر .. ويصبح النصر الذى احرزناه اعجب نصر في التاريخ سيكون نصرا ترتبت عليه آثار الهزيمة .

ـ ولكننا ان واجهنا العدو بنيران الثار تغلى في دمائه ، ومعه البطل ، الذى كان غائبا عنه ، فانه سيصيب منا قتلى كثيرين وتخسر النصر والدماء في آن معا .

ـ ان دماءنا ما خلقت الا لتحمى كرامتنا وشرفنا.

ـ يا شيخ القبيلة الدماء دماء اب او اخ او زوج او ابن .. انها دماء عزيزة .

ـ في سبيل النصر يصبح العزيز رخيصا .

ـ فان بذلنا الدماء ولم نحقق النصر ؟

ـ لهذا اجتمعنا .

ويقول راى آخر :

ـ مالنا لا نناشد قبيلة عاصم فان بينها وبيننا اخوة قديمة .

ويقول الشيخ :

ـ وما يجعلها تحارب قبيلة غطفان وليس بينهما عداوة ؟ وقبيلة غطفان قبيلة كثيرة العدد موفورة الحظ من القوة والباس .

ـ اليست الاخوة كافية لتقف قبيلة عاصم الى جانبنا ؟

ـ كنا جديرين ان ناخذ بهذا الراى لو كان هناك عداء بين قبيلة عاصم وقبيلة غطفان . اما ان تثير قبيلة عاصم العداء عليها بلا داع البتة فهذا ما لا يفعله احد .

ويقول شيخ من القبيلة في تؤدة ووقار :



ـ ان ما يلزمنا يا شيخ القبيلة هو فتى في مثل قوة رافع بن عدى يجعل انتصارنا على العدو مؤكدا .

ويصمت الجميع ويتكلم شيخ القبيلة بعد تريث وتفكير .

ـ بالصواب نطقت ولكن من اين لنا به ؟

ويصيح شاب من القبيلة :

ـ ان العرّاف ...

وتقاطعه اصوات كثيرة :

ـ هل جننت ؟

ـ ما للعراف وهذا ؟

ـ انك تخرف .

ويقول شيخ القبيلة :

ـ دعوا الفتى يكمل حديثه .

ويسود الصمت هنيهة ويعود الشاب الى حديثه :

ـ ان العراف يمر بالقبائل جميعها وهو يعرف من اخبارها ما لا نعرف فلماذا لا نقصد اليه نسأله ان يدلنا على بطل من ابطال العرب يكون كفؤا لرافع بن عدى .

ويصمت الشاب ويعود الصمت الى التحليق

وبقول شيخ القبيلة :

ـ الرأى ما قلت .. اذا كان الغد نذهب الى العراف .

وينفض الاجتماع . ولكن شابا من شباب القبيلة يمكث حيث هو لا يريد ان ينصرف .. وانما يظل ناظرا الى شيخ القبيلة في استعطاف ولهفة ، وانا انظر اليهما لا اريد ان انصرف او اسمع الحديث بين الشيخ والفتى . فانا اعرف ما يريد سليمان ان يقول : واريد ان اعرف كيف سيجيبه شيخ القبيلة . يظل الفتى ناظرا وشيخ القبيلة يتظاهر بانه لا يراه وانما هو يحول عنه بصره في ضيق حتى فشل سليمان في ان يجعل الشيخ يساله عما يريد ثم هو يجمع كل ما فيه من شجاعة ويتقدم الى الشيخ :

ـ وبعد يا عماه ؟

ـ وبعد فيم يا سليمان ؟

ـ الا تعرف ؟

ـ كانى اعرف .

ـ فما انصرافك عنى كلما اردت ان اكلمك ؟

ـ أهذا وقته يا سليمان ؟

ـ قبل الحرب كنت تقول بعد الحرب ، وها قد انتهت الحرب .

ـ اترى الحرب قد انتهت ؟

ـ لقد انتصرنا .. الم ننتصر ؟

ـ ففيم اذن كان اجتماعنا هذا ؟

ـ لنؤمن النصر ونتاكد منه .

ـ فاذا امنا النصر وتاكدنا منه يحق لك ان تقول وأن اسمع .

ـ يا عماه سنوات ثلاث مرت .

ـ او عشر ماذا افعل ؟

ـ اعقد لى عليها .

ـ فماذا تقول القبيلة ؟

ـ تقول زوج ابنته من ابن اخيه .

ـ والعدو يتربص بنا .

ـ وهل لزواجى صلة بالعدو ؟

ـ انى شيخ القبيلة لا يجوز لى ان افرح والقبيلة حزينة خائفة .

ـ اذن ؟

ـ انتظر .

ـ الى متى ؟

ـ الى قريب .. الى قريب ان شاء الله .

ويطرق سليمان ثم يلقى بنظره حوله فلا يجد غيرى ، فيقوم الى يصحبنى الى عرض الصحراء .

ـ ما رأيك ؟

ـ لقد اخترت موعدا لا يصلح لهذا الحديث .

ـ فاى موعد يصلح ؟

ـ حين ترى الامن يشيع بين القبيلة تقدم بطلبك .

ـ ومتى يشيع ؟

ـ لا احد يعرف متى يشيع الأمن بين النفوس .

ـ لا احد يعرف ؟

ـ لا احد يعرف .

★ ★ ★

وقال العراف :

ـ اعرف فتى لا حديث له الا الحرب وافعاله فيها وما خاضه من أهوال .

ـ هل شهدته وهو يحارب ؟

ـ يا اخا العرب انني عراف لا اشهد حربا هل رأيتني اجيء الى قبيلتكم منذ نشبت الحرب بينها وبين غطفان ؟

ـ لا .

ـ ان عملى في الحياة هو الحياة ، والحرب عملها الموت. يا أخا العرب انالموت والحياة لا يجتمعان.

ـ اذن فمن هذا الفتى الذى يروى عن الحرب ؟

ـ غضبان بن صخر .

ـ اتعرف مكانه ؟

ـ ادلكم عليه .

★ ★ ★

وجاء صخر .. شاهق هو الى السماء عريض الكتفين ضخم رائع التكوين عظيم البنيان .

ـ لكم شهدتُ حروبا .. وان عملى فيها بسيط .. فانني اتولى القيادة دائما وما هى الا ان اجول بالسيف جولة او جولتين حتى يدرك الاعداء ان لا امل لهم ، وما هى الا اغماضة عين او انتباهتها حتى تكون الحرب قد انتهت .. في يوم من الايام نشبت الحرب بين قبيلة بهنس وفزارة .. وكان البهانسة اصدقائي فارسلوا الى رسولا ..

وقصَّ غضبان وقص ، وكنت احس مع كل قصة من غضبان نوعا من الامن والطمانينة يشيع في نفوس القبيلة فتشرق به وجوههم . وسال شيخ القبيلة :

ـ ما اجرك ؟

ـ ما نوع الحرب ؟
ـ يريدون أن ينتقموا من يوم هزمناهم فيه .
ـ فهي شر انواع الحرب .
ـ لتكن ما تكون . ما اجرك ؟
ـ اجمعوا لى خمسين ناقة سليمة لا عيب فيها ولا اود .
ـ وبعد ؟
ـ ارسل النياق الى اهل بيتى ثم اقيم معكم حتى يوم الكريهة .
ـ اتاخذ النياق قبل الحرب ؟
ـ هكذا تعودت .
ـ ليكن لك ما اردت .
ـ وانى احب ان اشرب الصبوح والغبوق .
ـ وخمر ايضا ؟
ـ لا اعيش بغيرها .
ـ ولك ذلك .
ـ اما افطارى فقعب من اللبن واناء من السمن وعشرة ارغفة وغذائي شاة وعشائي .
ـ وعشاء ايضا ؟
ـ ان لم اكل فكيف احارب ؟
ـ وعشاؤك ؟
ـ لا احب ان اقل من العشاء حتى يحسن نومى .. نصف شاة تكفى .
ـ لك ما اردت .
ـ والنصر مؤكد لكم .

واقام غضبان بيننا يروى عن اعماله.. وانصرفت القبيلة جميعها الى اعمالها فقد امنوا ان الحرب لن تنال منهم شيئا ما دام معهم غضبان ولم يعد حديث الحرب يدور بينهم الا اذا جلسوا حول غضبان يسمرون ويستمعون الى احاديثه عن حروبه التى لا تنتهى وكنت جالسا الى جانب سليمان حين التفت الى فجاءة :

ـ لقد شاع الامن فى النفوس .

ونظرت اليه ثم قلبت نظرى فى وجوه القبيلة .. نعم لقد شاع الامن .

ـ نعم لقد شاع الامن .
ـ لقد صدق قولك .. لا احد يعرف متى يشيع الامن ؟
ـ نعم .. لا احد يعرف .
ـ لقد شاع الامن مع ان الحرب لم تنته .
ـ تستطيع اليوم ان تتقدم الى عمك .

★ ★ ★

كان الفرح عظيما .. واجتمع الحبيبان بعد طول انتظار وفرحت القبيلة باجتماعهما فقد طالت بهم فترة القلق والخوف وكانت النفوس منهم تهفو الى فرح .. اى فرح فكان فرح بنت شيخ القبيلة .. ومرت شهور طويلة على العروسين وبشرت العروس بمقدم طفل يحبو فى اتباج الغيب ، ورفرفت السعادة على القبيلة لا يذكرهم بالحرب الا وجود غضبان بينهم يروى عن بطولاته ويتناول ماكله الدسم وان كان هذا الماكل لم يصبح له وحده وانما كان يشاركه فيه كثيرون من ابناء القبيلة فقد اتضح منذ اليوم الاول انه ليس اكولا كما احب أن يصور نفسه لابناء القبيلة وان كان فى شرب الصبوح والغبوق يكثر، ولكن اكثاره ما يلبث ان يتحول الى احاديث يمتع بها مستمعيه من ابناء القبيلة ، ولعلهم من اجل هذا كانوا يلحون عليه ان يستمر فى الشراب كلما احب ان يكتفى .

لقد نشا بين غضبان وابناء القبيلة جميعا نوع من الالفة والحب والاكبار من جانبهم والايناس من جانبه .

★ ★ ★

حتى كان يوم فوجئنا فيه بنعمان ، احد تجار القبيلة ، يدخل الى افناء الخيام يركض فرسه كالسهم النافذ .. وقبل ان يوقف فرسه صاح .

ـ لقد جاء القوم .

وما هى الا لمحة من بصر حتى كانت القبيلة جميعها حوله .

ـ كنت فى السوق فرايت جماعة كبيرة من الناس وسمعتهم يذكرون اسم قبيلتنا فلم اشتر شيئا وجئت اسابق الريح .

ـ متى تظنهم يصلون ؟
ـ قبل ان تغرب الشمس .

وصاح شيخ القبيلة :

ـ يومك يا غضبان .

ونظر الجميع الى غضبان .. لم يكن غضبان هذا الذى نرى .. لقد امتقع وجهه فهو ابيض ناصع البياض .. وزاغت عيناه فهى هاربة فى حفائرها كانما تريد ان تغور داخل راسه .. بل ان جسمه الشاهق الضخم اصابته الضآلة فهو بعض من جسم وغضبان جميعه بعض من انسان .. وقال لسانه وهو يتعثر فى فمه :

ـ بل هو يومكم انتم .

ـ يومنا نحن بقيادتك .

ـ انا لم احارب في حياتي .

ـ ماذا ؟

انطلقت صرخة ذاهلة من الجميع .. واستغلق الامر لحظات على شيخ القبيلة ولكنه سرعان ما تماسك ونظر حواليه ثم قال في تؤدة ووقار :

ـ احبسوا هذا الرجل حتى تنتهى الحرب ثم نرى فيه رأينا .

وخف الى غضبان بضعة فتيان كنت منهم وكان معي صديقي سليمان ، ولم يلتفت غضبان الى احد منا وانما نظر الى سليمان وقال في تؤدة :

ـ اما انت يا سليمان فلا .. انت لا اجيز لك ان تقيدني .

وبهت سليمان لحظات ولم يدر ما يقصده غضبان . الا انه ترك الحبل من يده وتولينا نحن قيد غضبان ، والقينا به في خيمته وقد لاحظت عليه شيئا غريبا .. لم يعد ذلك الشخص الذى كانه منذ لحظات .. لقد بارحه الخوف وعادت اليه الطمانينة التى عهدناها فيه ، ولو لم نكن مشغولين بالجيش الوافد . ولو وجد منا آذانا صاغية لراح وهو في قيده يقص علينا بطولاته في الحروب التى خاضها .

* * *

راح شيخ القبيلة يستعد للحرب فالقبيلة جميعها تهيىء السيوف وتعد الخيل ، وشيخ القبيلة يحدد لكل منهم موقعه وما عليه ان يفعله .

وجاءت الجيوش آخر الامر .. وبادرنا نلتقى بها قبل ان تصل الى الخيام وكانت مفاجاة لم تخطر لنا على بال . لم تكن جيشا . لقد كانوا جماعة من قبيلة عاصم لم يتبين نعمان حقيقتهم فقد هيا له الخوف انهم جيش غطفان . وما لبث شيخ قبيلتنا ان رحب بشيخ قبيلة عاصم ودعاه هو ومن معه الى الخيام لينال الراحة والضيافة .

لقد جاء شيخ عاصم ليعقد صلحا بيننا وبين قبيلة غطفان وذكر ما طلبوه من دية وكانت مائتى بعير ولم ينتظر شيخ عاصم ان نبحث الامر بل سارع يقول :

ـ واني اقدم من عندى خمسين بعيرا هدية منى اليكم حتى يعود السلام الى الربوع .

وقبلنا الصلح فما اعظم ان ننتصر وندفع ثمن نصرنا هذا العدد من الجمال .

* * *

ـ فانت اذن يا غضبان كنت تسرقنا ؟

ـ انا يا شيخ القبيلة ؟

ـ الست انت من اخذ الخمسين ناقة واقمت ..

وقاطعه غضبان :

لا تذكر المأكل والمشرب ياشيخ القبيلة فانك اكرم من ان تتذكر هذا وصاح سليمان .

ـ ليكن ... فماذا انت قائل عن الخمسين ناقة ؟

وقال غضبان :

ـ اسكت انت يا سليمان .

ـ عجيب امرك معى .. رفضت ان اقيدك وانت الآن ترفض ان احاسبك ما شانك معى .

ـ انك اكثر ابناء القبيلة انتفاعا بما قدمت .

ـ لم تقدم الا الاحاديث المزوقة واخبار الحروب الوهمية التى خضتها والبطولة الزائفة التىادعيت انك صاحبها .

ونظر غضبان لحظات الى سليمان ثم راح يجيل عينيه في ابناء القبيلة فوجد عيونهم جميعا تنتظر جوابه ونكس راسه هنيهة ثم رفع راسه في هدوء وثقة .

ـ لقد قدمت اليكم بهذه الاحاديث اعظم ما كنتم تفتقدونه ولا تجدونه .

ـ انت ؟

ـ قدمت اليكم الامن .. قدمت اليكم الاطمئنان .

وكانما كانت هذه الكلمة في واد سحيق بعيد عن اذهان الجميع .. نظر ابناء القبيلة بعضهم الى بعض ثم التقت عيونهم جميعا عند شيخ القبيلة فوجدوه صامتا صمت المفحم الذى لا يجد ما يقول واستمر غضبان في حديثه موجها كلامه الى سليمان :

ـ بهذا الامن وهذه الطمانينة تزوجت يا سليمان ، ووجد الفرح سبيله الى قبيلة مروعة في صباحها ومسائها ، طعامها قلق وشرابها شغل وتفكير .. اكثر ما اخذته منكم مقابل ما اعطيتكم .. لقد نلتم العوض .. نلتموه كاملا .. اليس كذلك يا سليمان ؟ . ■■

ثروت أباظة

حسان بن ثابت

شاعر الرسول

قال أبو عبيدة :
فضل حسان الشعراء بثلاث :
- كان شاعر الأنصار فى الجاهلية
- وكان شاعر النبى فى النبوة
- وشاعر اليمن كلها فى الاسلام

بقلم : فوزى عطوى

■ فى عصر توافق الناس فيه على ان« اكذب الشعر اعذبه » ، كان ايسر على الشاعر ان يلتـزم جانب الكـذب ، وان يحرص على الاغراق فى الخيال الجامح ، وفى التجسـيم والتضخيم الملازمـين للابداع الشعرى آنذاك ، لو هو شـاء ارضـاء غيره قبل ارضـاء نفسـه . ذلك ان حديث الصدق كثيرا ما يقارب حـديث البداهة ، ويجاور لغة الفطرة ، اذا لـم تنهض موهبة المحدث الى اضفاء لـون فني على مثل هذا الحديث ، فلا يكون التعبير تحصيل حاصل بمقدار ما يكون فنا راقيا فى ابراز الحقيقة ، وتجسيد الواقع ، عبر الفاظ مستساغة منتقاة .

وانّى لشاعر الرسول ، حسان بن ثابت ، ان يلامس البهتان ، وهو الذى افعم الاسلام منه الفؤاد ، فشغله التقى عن مشاغل سائر شعراء عصره ، وصرفه حب الله والرسول عن تسخير شعره لامتداح هذا او ذاك من البشر ، همه ارضاء ربه ودينه ونفسـه ، قبل ارضـاء من نصبوا انفسهم ، فى الارض ، اربابا ، يزورون الاديان ، ويزهقون النفوس بغير الحق . وهكذا جاء شعر حسان مرآة صافية لما اصطرع حوله من احداث ، فحمل فى تضاعيفه الوانا من التعاليم الاسلامية الحنيفة ، وتجندت قوافيه للذود عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أو لمنافحة الذين تطاولت اوهامهم حتى حسبوا انهم لرسول الله ، بل لله ، اقران وانداد .

حسان بين الجاهلية والاسلام

اما وهذا شان حسان ، فلا غرابة ، بعد ، ان

تناوش الشاعر ألسن الحاسدين ، او ان تتناوله ألسن الناقدين ، ففي اختلاف الآراء حول المرء دليل ساطع على علو كعبه ، وسمو مقامه ، ثم لا غرابة ان يثور ذلك الجدل الطويل حول شاعرية حسان ، في عهديها الجاهلي والاسلامي ، وفي محاولة تقييم ذينك العهدين ، وتفضيل شاعرية الشاعر ، في الجاهلية ، على شاعريته في الاسلام . على ان الباحثين ، لو انصفوا ـ واكاد اقول : لو اهتدوا الى القيم التي ينبغي اضفاؤها على الشعر ، اي شعر ـ لما استقر رأيهم على ما ذهبوا اليه من ان حسانا الجاهلي اشعر من حسان المسلم .

والحقيقة ان الاسباب التي حملت الباحثين والناقدين على تكوين مثل هذا الرأي عن شاعر الرسول ، ضآلة عمل الخيال في الآثار الاسلامية التي تركها الشاعر ، وقِصَر نَفَسه الذي جعل اطول قصائده لا يتجاوز الاربعين بيتا ، وندرة التشبيهات التمثيلية الفنية بالصور ، الخصبة بالالوان ، التي كانت معهودة لدى شعراء الجاهلية . ولعل تقدم السن بالشاعر ، وما يلازم ذلك من فتور الهمة ، وانطفاء شعلة الالهام ، هي من جملة تلك الاسباب ايضا .

ويوجز الاصمعي اسباب ضعف شاعرية حسان في الاسلام بقوله : « الشعر نكد ، يقوى في الشر ويسهل ، فاذا دخل في الخير ضعف ولان . هذا حسان ، فحل من فحول الجاهلية ، فلما جاء الاسلام ، سقط شعره » .

وقيل لحسان ، ذات مرة : « لانَ شعرك او هَرِم في الاسلام ، يا ابا الحسام » .

فقال : « يا ابن اخي ، ان الاسلام يمنع من الكذب ، وان الشعر يزينه الكذب » .

النحل والتزوير في شعر حسان

على انه ليس في وسعنا التصديق او الوقوف امام جميع هذه الاسباب دون نقاش او جدال ، لان بعضها ناء عن الواقع ، جاف عن المنطق ، رغم ان تواردَه ، وتواتر الاخذ به ، كاد يجعله من البديهيات المسلم بها .

والثابت ان شعر حسان بن ثابت ، المخضرم ، قد امتدت اليه يد النحل والتزوير ، بل يد التشويه والتشنيع ، فنسبت اليه قصائد وابيات ليست له ، ولكن براعة الناحلين كانت من القوة بحيث توهم القارىء لاول وهلة ، ان المنحول صحيح ، وان الدخيل اصيل . وليس في ذلك الامر عجب ، سيما ان معظم المزورين الناحلين كانوا من قريش ، قبيلة الرسول التي كان رجالها اول من شهر سيفا في وجه نبي الله ، رغم ان رب العالمين كرمها ، فانزل القرآن الكريم بلغتها التي لا تداني فصاحتها فصاحة ، ولا توازي بلاغتها بلاغة .

وقد قال ابن سلام ، في هذا الصدد : « وقد حُمل على حسان ما لم يُحمل على احد ، لما تعاضهت قريش ، وضعوا عليه اشعارا كثيرة لا تليق به . »

ولا نحسب ان تعاضه « اي الكذب » قريش ، وتزويرها ، وتسخيفها لشعر حسان الا واجدا مبرراته وعلله .

لقد أُسقط في ايدي المشركين ، جاءهم التحدي بأن يأتوا بسورة من مثل القرآن الكريم الذي انزل بلغتهم ، فعجزوا عن رد التحدي . ولقد اسقط في ايديهم ، يوم تهاوت خرافاتهم وتقاليدهم البالية ، امام حقائق الاسلام ، ومكارم الاخلاق التي انما بعث النبي محمد ليتممها . ولقد اسقط في ايديهم ، يوم بهرتهم الاحاديث النبوية الشريفة ، يتلفظ بها أمي لم يتعلم حرفا ، فمكنه ربه من ان يعلم امة جاهلية . واخيرا أُسقط في ايديهم ، وهم يسمعون حسان بن ثابت ، شاعر الرسول ، يمتدح نبي الله ، الذي وجد فيه مثالا اعلى ، وحبيبا وقائدا ملهما ، ثم ينعطف فيهجوهم ، ويثلب اعراضهم ، ويحقر انسابهم ، ويكشف مساوئهم ومخازيهم ، كل ذلك دون ان يمس الرسول بسوء ، بعد ان سله منهم كما تسل الشعرة من العجين ، على حد قول حسان ، مستعينا بابي بكر الصديق ، رضي الله عنه ـ وهو علامة قريش بانساب العرب ـ في هجو هذا والكشف عن ذاك .

قلت : أُسقط في ايديهم ، لان الاسلام الحنيف اعجزهم من حيث كانوا متفوقين ، في ميادين الفصاحة والبلاغة ، وفي مجالات الاخلاق والاجتماع ، فلما حاولوا الانتفاض ، لم يجرؤوا الا على حسان ، يقولونه ما لم يقل ، ويُنطقونه بما لم ينطق به ، غير ان ما نحلوه ، لبث عشبا صفيرا طامحا الى النهوض ، قبالة دوح عبقريات

سوامق ما تزال تنطق بدفق شاعرية حسان ، رضي الله عنه .

الخيال .. والشعر السياسي

فان قيل ، بعد هذا ، ان ضآلة عمل الخيال في شعر حسان ، عهد الاسلام ، اوهنت شاعريته ، كان هذا القول مردودا ومستنكرا . ان عمل الخيال ، بما قصدوا اليه ، هو الكذب والتنميق والتزويق . وهذه امور تتضاءل ، في الشعر السياسي الاسلامي ، امام الحقائق والوقائع والاحداث التاريخية الضخمة التي استوعبها شعر حسان ، فجاءت قصائده سجلا حافلا يؤرخ لتلك الفترة الزاهية من عمر العروبة ، يوم انتكست راية الصنمية ، وتحطمت اوثان الكعبة ، لتخفق الرايات الاسلامية في كل مكان ، وليرتفع صوت الاسلام فوق كل صوت عداه .

لقد كان حسان ، في الاسلام ، شاعرا سياسيا من الطراز الاول ، فكان الصدق والعمق والايمان القوي بالدين ، والامل الكبير بالثواب والجنة خير ما رصع به قصائده التي لا تحتاج الى عمل الخيال احتياج قصائد الوصف والغزل مثلا ، اليه .

ولعل شاعرنا قد ادرك هذه الحقيقة فقال :

وانَّ أشعرَ بيتٍ انت قائله
بيتٌ يقال ، اذا انشدته ، صدقا

ولم يقل « كذبا » ، اقتناعا منه بسخف العبارة القائلة : « اعذب الشعر اكذبه » ، ونحسب ان في هذا الكلام ردا على الاصمعي ، لا يحتاج الى مزيد .

اما قِصَر النَّفَس ، وعدم تجاوز اطول قصائد الشاعر الاربعين بيتا ، فامر قد يؤخذ ماخذ الاعتبار ، في الحديث على الملاحم او المعلقات ، اما في الشعر السياسي الذي كان حسان اول من فتح له بابا ، في الادب العربي على الصعيد العقائدي المبدئي ، لا القبائلي العصبي ، فليست الشاعرية وقفا على عدد ابيات القصيدة ، وانما هي كامنة في مقدار ما تتضمنه القصيدة من معنى انساني او اجتماعي او سياسي او خلقي او ما شابه .

ولا ننسى ، في هذا المجال ، ان نشير الى ان حسان بن ثابت الانصاري هو من اصحاب « المذهبات » التي سميت كذلك لانها كتبت ، او لانها تستحق ان تكتب بماء الذهب نظرا لجودتها . ومطلع مذهبته :

لعمر ابيك الخير ، يا شعثُ ما نبا
عليَّ لساني ، في الخطوب ، ولا يدي !

كما لا ننسى ان الحطيئة اعتبر الشاعر الانصاري اشعر العرب ، وذلك حين قال : ابلغوا الانصار ان شاعرهم اشعر العرب حيث يقول :

يُغشَون حتى ما تهرُّ كلابُهم
لا يَسألون عن السواد المُقبل

وطبيعي ان من جعله بيت واحد من شعره ، اشعر العرب ، هو في غنى عن طول النفس او قصره ، لاثبات شاعريته الخلاقة .

ضروب البلاغة في شعره

واما ندرة التشبيهات التمثيلية الثرة الاصباغ والالوان ، في شعر حسان ، فمردها الى امور ، منها اعتماد شاعر الرسول على الارتجال ، وعَمْده الى السرعة في رد كيد الشعراء ، حين يتهجمون على الرسول والدين الحنيف ، ثم محاولته حشد اكبر طاقة ممكنة من الحجج والحكم التي لا ينكر احد مدى ما لها من التاثير في تكوين القناعة لدى السامع ، خصما كان او نصيرا ، بدلا من حشد التشابيه والاستعارات والكنايات التي لا تزيد في قيمة الدعوة شيئا .

وبذلك يكون ثمة ارتباط بين التزام الشاعر جانب الصدق والحق ، مع ما تتطلبه مجاهدة شعراء الشرك من عجلة ، وبين ندرة التشبيهات التمثيلية ، في شعر حسان . غير ان ذلك لم يبعد الشاعر عن اللين والرقة في التعبير ، تأثرا منه بالآيات القرآنية الكريمة ، والتعابير الدينية الجديدة التي دخل الكثير منها على شعر حسان ، ولا ريب في ان نشأة حسان ، اليمنيّ الاصل ، في يثرب جعلته يتطبع بما يتطبع به شعراء القرى(1)

---

(1) شعراء القرى هم الذين نشأوا في المدن العربية الكبرى (وكانت تسمى القرى) . والقرى خمس هي : مكة والمدينة واليمامة والطائف ،والبحرين .

من علوية ورقة ، خلافا لشعراء البادية الذين تميز شعرهم بالجفاف ، فحاولوا تفاديه عن طريق التشبيه التمثيلي والصور البيانية الاخرى ، وهو ما لم يكن حسان في حاجة اليه .

واخيرا فان شاعرية الشاعر لا تقاس بمقياس السن . ونحن نظلم شاعر الرسول اذا اعتبرنا ان تقدم السن به قد تسبب له ، وحده ، في انطفاء جذوة الالهام .

لقد كان حسان بن ثابت من المعمّرين . والحكم على شاعريته ينبغي ان يقوم على آثاره الشعرية اجمالا ، لا على آثار مرحلة معينة من مراحل عمره .

شخصية حسان

اما شخصية حسان بن ثابت ، فهي مدار حديث طويل ، نستعيض فيه بالاشارة عن العبارة ، وبالتلميح عن التصريح ، استعاضة الظامىء بالنم عن اليم ، وبالقطر عن البحر .

وقف حسان ، ذات يوم ، ينشد الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، فكان مما قاله :

لقد غدوتُ امام القوم ، منتطقا
بصارم ، مثل لون الملح ، قطاع ،
تحفز عني نِجادُ السيف سابغةٌ
فضفاضةٌ ، مثل لون النهي بالقاع !

فضحك محمد صلى الله عليه وسلم ، اذ سمع الشاعر يصف نفسه بمثل ما تصف الفرسان به نفسها ، وهو يعلم مقدار ما كان عليه الشاعر من ضعف جسدي ، ومن جبن عن خوض غمار المعارك.

والواقع ان شاعرنا لم يشهد معركة من معارك الاسلام ، ولم ينصر الدين مرة بسيف او بقناة ، وانما كان يتخلف في المنازل مع المتخلفين من النساء والاطفال .

وقد حدثت صفية بنت عبد المطلب ، مرة ، فقالت :

كنت يوم الخندق في فارع (٢) حصن حسان بن ثابت ، وكان حسان معنا فيه ، مع النساء والصبيان ! فمر بنا رجل من اليهود ، فجعل يطوف بالحصن . وقد حاربت بنو قريظة (٣) وقطعت ما بينها وبين رسول الله ، وليس بيننا وبينهم احد يدفع عنا ، ورسول الله والمسلمون في نحور عدوهم ، لا يستطيعون ان ينصرفوا الينا عنهم ، اذ اتانا آت . فقلت : « يا حسان ، ان هذا اليهودي ، كما ترى ، يطوف بالحصن ، واني والله ، ما آمنه ان يدل على عوراتنا من وراءنا من يهود ، وقد شغل عنا رسول الله واصحابه ، فانزل اليه ، فاقتله . » فقال حسان : « يغفر الله لك ، يا ابنة عبد المطلب ، لقد عرفت ما انا بصاحب هذا . » فلما قال ذلك ولم ار عنده شيئا ، اعتجرت(٤) ، ثم اخذت عمودا ونزلت اليه من الحصن ، فضربته بالعمود حتى قتلته . فلما فرغت منه ، رجعت الى الحصن ، فقلت : « يا حسان ، انزل اليه فاسلبه ، فانه لم يمنعني من سلبه الا انه رجل». قال : «مالي الى سلبه حاجة يا ابنة عبدالمطلب» .

ارايت الى هذا الضعف والجبن الجسديين في الشاعر ، اللذين لا يأتلفان مع ما يفعم قصائده من قوة ايمان ، وقوة عقيدة ، وقوة شخصية ادبية .

ولكن ، عبثا نبحث عن الجراة في المتخاذل ، وعبثا نرغم الجرىء على التخاذل ، فالجراة والتخاذل طبعان في المرء ، لا يغالبان .

ولقد تجتمع في رجل الفكر والعقيدة ، صلابة الزند الى صلابة الراى ، ولكن ليس كل رجل عقيدة ، محمدا ، او عمر بن الخطاب ، وليس كل شاعر عنترة بن شداد ، او ابا فراس الحمداني !!

جراة اللسان .. لا جراة الشجعان

غير ان حسان بن ثابت الذي فاتته جراة الشجعان ، وقوة الابطال ، لم تفته جراة اللسان، وقوة الشاعرية ، واذا به ذاك الحسام المجرد في وجه اعداء الاسلام ، من شعراء المشركين الحاقدين على الرسالة السماوية الجديدة ، وعلى صاحبها ، فاذا ما قالوا في الاسلام بيتا من الهجاء ، واحدا ،

---

(٢) فارع : عال ، مرتفع وهو اسم لحصنه .
(٣) بنو قريظة من يهود المدينة الذين حزبوا الاحزاب على الرسول .
(٤) اعتجرت : عصبت رأسي .

انتهم قوافي حسان ، تترى ، حاملة ذلك الالهام الاسر الذى يستوحيه الشاعر من سمو الرسالة ، ومن عمق العقيدة ، فتخرس الهتافات الجوفاء التي بها يهتفون ، وتسكب الابواق الجافية التي بها يبوقون . وهكذا غدا حسان شاعر الرسول ، بلا منازع ، يمدحه ويهجو اعداءه ، فتزداد برضى النبي الذى كان يقول له : « اهجهم وروح القدس معك ، واستعن بأبي بكر ، فانه علامة قريش بانساب العرب » .

والحقيقة ان مركز حسان من الرسول ، بل من الدعوة الاسلامية في أول عهدها ، هو الذى حمل الرواة على حفظ شعر حسان ، حتى ما فحش منه ، فيما اسقطوا من حسابهم كل هجاء وجه للرسول صلى الله عليه وسلم . ومن الادلة على تأثم الرواة من ذكر شعر القريشيين في هجو محمد ، حديث عبد الله بن الزبعرى ، لما قدم المدينة في صحبة ضرار بن الخطاب لملاحاة شاعر الرسول ، فقال لحسان : « يا أبا الوليد ، ان شعرك يحتمل في الاسلام ، ولا يحتمل شعرنا ، وقد احببنا ان نسمعك وتسمعنا » .

مكانة حسان الادبيــة

ومهما يكن من أمره ، فقد بلغ حسان بن ثابت مكانة ادبية قل ان بلغها شاعر غيره ، عند المسلمين والعرب ، حتى لقد قال النبي عليه السلام : « امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء في النار ، وحسان بن ثابت يقود جموعهم الى الجنة . » وقال الرسول ايضا ، مخاطبا شاعره : « اهجهم ، فوالله لشعرك اشد عليهم من نضح النبل في غلس الظلام . »

وكان الشاعر يعرف حقيقة المنزلة الادبية التي ادركها ، وكان يقول ، مباهيا بلسانه : « والله ، لو وضعته على شعر لحلقه ، او على صخر لفلقه » . كما كان الناس يخشون فلتات لسانه . ومما يروى عن الحارث بن عوف المرى انه قال للرسول : « اجرني من شعر حسان . فوالله لو مزج به ماء البحر لمزجه . » ذلك ان الشاعر كان قد هجا الحارث ، ومما قاله فيه :

وأمانة المــري حيث لقيتــه
مثل الزجاجة ، صدعها لم يجبر

وقد ذكرنا ، من قبل ، رأى الاصمعي القائل : « حسان فحل من فحول الجاهلية ، فلما جاء الاسلام ، سقط شعره . » وقول الحطيئة : « ابلغوا الانصار ان شاعرهم اشعر العرب حيث يقول :

يغشــون حتى مـا تهر كلابهم
لايسألون عن السواد المقبل

وثمة اجماع على ان حسان بن ثابت كان اشعر اهل الحضر . قال ابو عبيدة : « اجتمعت العرب على ان حسان أشعر اهل المدر (*) » . وقال عمرو بن العلاء : « حسان اشعر اهل الحضر » . وقال ابو الفرج الاصفهاني : « حسان فحل من فحول الشعراء . »

ولكن ابا عبيدة الذى كان فضّل الشاعر على اهل المدر وحسب ، لم يستطع من بعد ، الا ان يفضله على الشعراء قاطبة بقوله : « فضّل حسان الشعراء بثلاث : كان شاعر الانصار في الجاهلية ، وشاعر النبي في النبوة ، وشاعر اليمن كلها في الاسلام . »

فيا شاعر الرسول . لئن قصرتك ظروفك عن سل السيف في وقائع المسلمين ، فقد حباك الله من لسانك سلاحا ينطلق بالشعر ، فيكون على المشركين « اشد من نضح النبل في غلس الظلام » ، على حد قول الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولقد اخلقت السيوف ، وبقي شعرك سيفا مشرعا يحفظه المسلمون والمؤمنون جميعا ، مفاخرين بما انطوى عليه من عمق الايمان ، وصدق المحبة ، وصفاء العقيدة ، ونبل الحس الانساني المرهف .

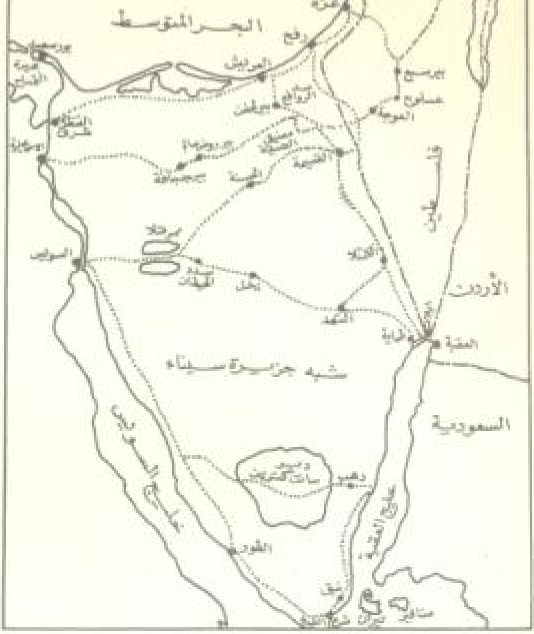
ولأنت ، ياشاعر الرسول ، تقود جموع الشعراء الى الجنة «اولئك الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وما نطقوا بزور ولابهتان » ، والذين نضرع الى بارىء السموات والارض ان يحشرنا في عدادهم ، فتكتب لنا الحياة الباقية ، في فردوس الله الابدى !! ■■

بيروت ـ فوزى عطوى

(*) اهل المدر : اهل الحضر . ويقصدون بالمدر الطين الذى تبنى به المنازل في الحواضر ، ويقابل اهل المدر اهل الوبر ، اى البدو الذين يقيمون بيوتهم من وبر الابل ، اى شعرها .

سِيـ

يسكنها .. ٤٠٠ ألف عربي وفيها .. من ثروات الأرض خيرات كثيرة



خريطة تبين أهم الطرق والممرات في شبه جزيرة سيناء وكذلك مدنها .

بقلم : محمد طنطاوى

■ سيناء هو اسم اليوم موجود على كل لسان .. والمصريون بطبيعة الحال يعرفون عنها الكثير ، ولكنها مع هذا لاتزال كلمة يحيط بها الغموض .

ان شبه جزيرة سيناء هي تلك الارض التى تبلغ مساحتها ٦٠٫٠٨٨ كيلو مترا مربعا وتقع الى الشرق من قناة السويس وبين احضان ذراعي البحر الاحمر وتمتد بشكل مثلث يتسع شمالا حتى تصبح قاعدته شاطىء البحر المتوسط .

وسيناء اعتبرها الجغرافيون انها تقع في قارة آسيا ، وهي جزء متمم لوادى النيل وقنطرة تربط آسيا بافريقيا ، وقد لعبت دورا هاما في التاريخ المصرى فهي احد الطريقين الرئيسيين الذين اتت منهما الهجرات الى وادى النيل وما زالت تلعب دورا كبيرا اليوم بموقعها الاستراتيجي في الاتصال بالعالم العربي .

وسيناء تكون ٦٪ من مساحة جمهورية مصر العربية وهي عبارة عن هضبة مرتفعة مكونة من صخور نارية قديمة وتطل فوقها قمم بركانية مرتفعة اهمها قمة سانت كاترين التى يصل ارتفاعها الى ٢٦٣٧ مترا (٨٦٥١ قدما) ويقع على سفحها دير سانت كاترين المشهور الذى بناه الامبراطور البيزنطي جوستنيان الاول في عام ٥٣٠ ميلادية . ويلي سانت كاترين من حيث الارتفاع جبل أم شومر الذى يصل ارتفاعه الى ٢٥٨٥ مترا (٨٤٨٢ قدما) ثم جبل الثيت ويبلغ ارتفاعه ٢٤٣٧ مترا (٧٩٩٧ قدما) . ويحف بهذه الجبال الى ناحية الشمال هضبة التيه التى تنحدر شمالا وتكون ثلثي مساحة شبه الجزيرة ويصل متوسط ارتفاعها الى ١٠٠٠ متر فوق سطح البحر . ويقع وادى العريش وهو اطول الاودية الجافة في مصر في قلب هضبة التيه فهو يبدأ من قمة جبل العجمة ثم يعبر هضبة التيه المنبسطة حيث تقع قريبا التمد ونخل ثم يهبط نحو سهل الحسنة ثم يشق طريقه في ممر ضيق يسمى بالضيقة يقع بين جبلي ضلعه من الشرق وجبل الحلال من الغرب ويستمر في الهبوط حيث يشق طريقه بعد ذلك في منطقة كثبان رملية حتى ينتهي شرقي مدينة العريش .

ـنَاء

وتعتبر العريش (ويبلغ تعداد سكانها ٤٠ الفا حسب تقديرات عام ١٩٦٧) وابي مشعل ورفح والقنطرة شرق والطور من اكبر المدن في سيناء وهناك نقط عمران اخرى مبعثرة في شبه الجزيرة اهمها القسيمة وبئر الحسنة والتمد والنخل وهي تقع على طريق المواصلات الرئيسية التى تخترق سيناء من شرقى السويس .

سكان سيناء

ويبلغ عدد سكان سيناء ٤٠٠٠٠ من القبائل الرحل و ٥٠ الفا من الاهالى المستقرين في المدن الموجودة في سيناء .

وتنقسم سيناء من الناحية الادارية الى ثلاثة اقسام هي :

١ ـ القسم الشمالي ويشمل القطاع الساحلي من رفح الى القنطرة شرق .

٢ ـ القسم الاوسط ويشمل هضبة التيه .

٣ ـ القسم الجنوبي ويشمل هضبة العجمة والمثلث الجنوبي من سيناء .

وفي الشمال تقيم قبائل الرميلات والسواركة والجديرات والتفارسة والبلي والرواغر والعبابدة والمساعدين .

ويسكن القسم الاوسط قبيلة الترابين وهي اقوى قبائل سيناء وكذلك قبيلة الحويطات .

اما في القسم الجنوبي فتوجد قبائل الجرارشة والصوالحة والقرازقه .

الثروة المعدنية والزراعية

تعتمد الزراعة في سيناء على الامطار التي تسقط عليها في فصل الشتاء وعلى العيون والمياه الجوفية . والمناطق الصالحة للزراعة في سيناء هي منطقة العريش ورفح وسد الرافعة وعين الجديرات وعيون موسى ووادى فران ودير سانت كاترين والطور .

وسيناء غنية بالثروة المعدنية واهم المعادن الموجودة في شبه الجزيرة هي : المنجنيز ـ والمنجنيز الحديدى والكاولين ـ والجبس ورمل الزجاج وهي مستغلة ، كما اثبتت الابحاث الجيولوجية ايضا وجود النحاس والفوسفات والحديد والفحم والفلسبار .

وسيناء غنية ايضا بالبترول واهم مناطق البترول فيها الآن هي حقول سدر وعسل وفيران وراس مطارنة وبلاعيم البرى وابو رديس وتقع كلها على شاطىء خليج السويس جنوب شرقي مدينة السويس .

ويبلغ انتاج هذه الحقول حاليا حوالي ٥٠٠٠٠٠٠ طن بترول خام سنويا .

ممرات سيناء

هناك عدة طرق رئيسية في سيناء واهم هذه الطرق هي :

ـ طريق ابو عجيلة ـ المقضبة ـ العريش .

ـ طريق ابو عجيله الاسماعيلية وهو الذى يوصل الى قناة السويس راسا .

ـ طريق ابو عجيله ـ القسيمة ويمر بمضيق ابو المطامير .

ـ طريق ابو عجيله ـ العوجه وهو يأتي من قلب فلسطين المحتلة .

وهناك في القطاع الاوسط من سيناء كتلة جبلية مرتفعه هي جبل خاروف ويمتد بشكل بيضاوى وسط النجب من الشرق الى الغرب حيث ينتهي ، ويسمى في هذه النقطة بجبل الصبحة ولهذا القطاع اهمية عسكرية كبيرة فهو يشرف على الحدود ولذلك ينحرف عنده الطريق الجنوبي الممتد من القسيمة نحو الغرب قليلا متابعا سفوح الجبل ثم يعود الى الاتجاه جنوب شرق الى نقطة الكونتلا حيث تلتقى هناك طرق النجب وسيناء القادمة من الشمال كما تلتقى بطريق هضبة التيه . ولا تقل الكونتلا في اهميتها عن العوجه والقسيمة . فمن الكونتلا يخرج طريق الى التمد ثم الى نخل ويلتقى بالطريق القادم من القسيمة عند ممر متلا فنقطة الكوبرى امام السويس . ومن الكونتلا يبدا الطريق جنوبا الى راس النقب حيث يتجه الى حدود مصر على خليج العقبة امام جزيرة فرعون .

هذه هي معلومات سريعة عن شبه جزيرة سيناء وعن طرقها وسكانها وثرواتها المعدنية . ■■

محمد طنطاوى

أمراض شائعة

الضَّعْفُ العَقْلِيِّ و...

بقلم : الدكتور محمد عبيد ششمان

■ رغم تقدم مضمار العلم والفن والمدنية الحديثة فانه لايزال مقياس رقي الأمة مرتبطا اولاً وقبل كل شيء **بالصحة العقلية النفسية والجسدية لابنائها .**

ان اسس الصحة النفسية العقلية **الجسدية** يتضمن خبرة علمية بدات منذ قرون عديدة قام بدراستها عدد كبير من العلماء في المدارس الطبية (السيكولوجية) في مختلف انحاء العالم . وقبل ان ابدأ بالموضوع لابد لي من ان اعرف الصحة النفسية .

تعريف الصحة النفسية

هي التوافق التام بين الوظائف النفسية المختلفة مع القدرة على مواجهة الازمات النفسية العادية التي تطرأ على المرء . من هذا التعريف استنتج ان الكائنات الحية بمختلف انواعها ـ ولضمان حياتها واستمرار النمو والحرص على البقاء ـ لا بد لها من ان تتفاعل مع البيئة وتتكيف مع ظروفها تكيفا يضمن الغاية .

فالانسان يتفاعل مع البيئة الاجتماعية المادية والروحية وهذا التفاعل يظهر بسلوك خاص ، وهذا السلوك هو نوع من انواع التكيف الذي نسميه بالتكيف النفسي فبقدر ما يكون ذاك السلوك الذي يبديه الانسان مع بيئته سلوكا غير مناسب وغير متوافق فبقدر ما يجعلنا ان نشك بصحته النفسية .

وكثيرا ما يقع نظرنا في المجتمع على اطفال وبالغين يتميزون عن سواهم من الافراد العاديين بصفات وسلوك شاذ ذا اثر سيىء لا يتفق والقوانين الاجتماعية او النظم الموضوعية . وقد خص هؤلاء الافراد بالنقص او الضعف العقلي ، وهذا يختلف عن العادي في الدرجة فقط وليس في النوع وهو موروث في اغلب الأحيان وبنسبة ٦٠٪ اما باقي الحالات فهي ناتجة عن فقد حاسة او اصابة بمرض معد خطير او صدمة جسمية عنيفة تحدث اثناء الولادة او بعدها .

هذا وقد اثبتت تجارب علم النفس الحديث ان نسبة كبيرة من المجرمين والسكيرين ومنتهكي الاعراض ليسوا ذوى عقليات نافعة فحسب بل مرضى بالمعنى الحقيقي (السيكوباثيون) .

وهذه الفئة تشكل خطرا على المجتمع الذي نعيش فيه .

والضعف العقلي مشكلة حار في حلها رجال الفكر والتربية منذ زمن بعيد وفي الحقيقة ان للضعف العقلي انواعا عديدة وطبقات متباينة ، ولضعفاء العقول مميزات متعددة ومختلفة ولكل عالم رأيه وبحثه الخاص .

ان كافة انواع النقص الجسمي والخلقي اوجدت له المدارس الطبية طرقا مختلفة للعلاج وقد نجحت

الإجرام

الى حدما في هذا المضمار ، اما النقص العقلي وبمعنى آخر الضعف العقلي فلا علاج له بالمجال الطبي بالرغم مما نحن عليه من تقدم الجراحة ووجود الآلات الطبية الحديثة والمخترعات البارعة ورغم وصول الانسان الى القمر اذ لا يمكننا باى حال من الاحوال ان نحوّل ناقص العقل الى فرد عادي ، ولكن الذى هو بالامكان ان نكيف اخلاقه وتدربه نسبياً على انواع خاصة من الأعمال الروتينية في الحياة .

يظن كثير من الناس ان ضعيف العقل والمجنون شيء واحد ، ويعتبرون ان ضعيف العقل مريضاً يمكن شفاؤه من هذا المرض ، ولكن الواقع غير ذلك .

ان الضعف العقلي هو نقص في درجة الذكاء وهو كما ذكرت موروث ، أو هو قصور في التفكير الى درجة بعيدة والفرق بين ناقص الذكاء وبين الشخص العادي فرق في الدرجة وليس في النوع .

بينما الجنون هو نتيجة اختلال التوازن العقلي وعدم انتظام القوى العقلية لسبب ما . ويختلف المجنون عن الشخص العادي في النوع فقط وليس في الدرجة . ولا يمكن اعتبار ناقص العقل مجنوناً ، كما لا يمكن ان نعتبر المجنون ضعيف العقل ، فقد يكون المجنون عبقرياً وليس ذكياً فقط .

ان تعبير النقص العقلي علمي نفسي اكثر منه شرعي او قانوني . ولقد مرت قرون عديدة حتى امكن العلماء ان يميزوا بين الضعف العقلي والجنون .

فالضعف العقلي صفة موروثة يمكن مشاهدتها منذ الطفولة. اما الجنون فشذوذ مكتسب ينتج اثناء الحياة او خلال فترة منها بسبب عوامل خارجية او داخلية . وعلى هذا الاساس لا يوجد مجنون بين صغار الأطفال قطعاً .

طبيعة الضعف العقلي

فالضعف العقلي في نظر بعض العلماء في انكلترا هو ، عدم القدرة على التكييف الاجتماعي . بينما في عرف رجال التربية هو : عدم القدرة على انتهاج سلوك ثابت كما ان بلاكستون يعطي مفهوماً آخر فيقول : الضعف العقلي هو ضعف فطري في الفهم لا يرجى اصلاحه .

كيف يمكننا ان نعرف ضعيف العقل ؟

لمعرفة ضعيف العقل لابد لنا من معرفة ظواهره :

١ ـ المميزات الجسمية .

٢ ـ المميزات الحركية .

٣ ـ المميزات الغريزية .

٤ ـ المميزات العقلية .

المميزات الجسمية

ليس الفرق كبيراً بين العادي وبين ضعيف العقل من الناحية الجسمية . كما انه لا يوجد فرق في لون الشعر او الجلد . ولكن الاختلافات الاكثر اهمية هي في المميزات الداخلية . (المجموع العصبي والغدد الصماء) .

المجموع العصبي

فقد عكف العلماء على دراسته ودراسة الفوارق المختلفة حقبة من الزمن . وقد اعترضتهم صعوبات كثيرة كان من الواجب ان يتغلبوا عليها ولكن كل ما يمكن قوله انه لم يتم شيء هام في دراسة الفوارق والاختلافات في التركيب المجهري .

واما عن الغدد الصماء وافرازاتها فان البحث فيها لا يزال محدوداً ومقصوراً . وقد لوحظ ان نشاط هذه الغدد اثر كثيراً في شكل الجسم فمثلاً زيادة افراز الغدة المخية Hypophysa تسبب نمو العظام كما يحدث عند بعض ضعاف العقول. كذلك زيادة أو نقص افراز الغدد الدرقية

قد يكون مصحوباً بالنقص العقلي ، وقد ثبت ان ضعاف العقول اكثر تعرضاً وقابلية للامراض وحياتهم اقصر من العاديين وهذا ما يثبت ضعف تركيبهم ونقصه .

اما بخصوص تحديد درجة الفقد العقلي بدقة فهذا امر من الصعب اذا ما قلت انه مستحيل . لان الاختبارات التى تجرى عليهم تحتاج الى الفهم وضبط النفس اثناء التنفيذ . وبذلك كانت نتائج اكتشاف ضعفاء العقول اقل نجاحا مما ينتظر .

المميزات الحركية والحسية

تبدو القدرة الحركية المنتظمة عند ضعفاء العقول شاذة وواضحة فمثلا ضعاف العقول يجدون صعوبة كبيرة في تعلم القفز ولا يمكنهم ممارسة الحركة الا بعد تمرين وتدريب لزمن طويل.

وقد لوحظ ان حاستي الشم والذوق عندهم تكادان تكونان معدومتين .

المميزات الغريزية

ان الغرائز والانفعالات تؤثر كثيراً على اخلاق الطفل خاصة في بدء حياته (في السنوات المبكرة) . وقد قال Primgl « يجب الا ننسى ماكناه اولا » ويقصد بذلك السنوات الخمس الاولى اذ هى اهم مرحلة من مراحل الحياة اذ منها تنطبع البيئة الاولى بعاداتها وتقاليدها في اللاشعور ثم تترسب على شكل عقد ، كذلك تكبت كافة الانفعالات بطريقة لاشعورية . وفي هذه المرحلة ترتسم معالم الشخصية اما ان تكون متماسكة وقوية واما متفككة وضعيفة ، كل هذا تبعا للخطوط الاساسية او بمعنى آخر تبعاً للحجر الاساسي التي تقوم عليه الشخصية . ويرجع علماء النفس أصل التعب النفسي والقلق العصبي الى تلك المرحلة من الطفولة المبكرة .وكثيراً ما تظهر أعراض الهيستريا في الحياة المقبلة وغالباً ما يكون مصدرها الكبت والحرمان الذى أصاب الطفل .

المميزات العقلية

ولو ان حواس ناقص العقل متساوية في درجتها مع حواس الشخص العادي ، الا ان المدارك ضعيفة وتبقى في كثير من الحالات عند ضعفاء العقول في مستوى أدنى واقل تمييزاً . كما ان احساساته غير منتظمة وليس لها معنى . ان ضعاف العقول كثيرا ما ينجحون في الاعمال اليدوية او الاعمال التي لا تحتاج للتدخل الفكرى في المستوى الراقي.

التصور عند ضعفاء العقول

ان التامل الباطني يكاد ان يكون معدوماً او بتعبير آخر ضعيفا للغاية ، وليس بامكانهم وصف او تقدير او التعبير عما يجول في مخيلتهم .

الانتباه عند ضعفاء العقول

ان ضعاف العقول غير مزودين بهذه الملكة الطبيعية . اذ ان قليلا من المؤثرات الخارجية حتى البسيط منها يجذب انظارهم ويجعلهم يتركون الاعمال التي بايديهم ويتوجهون اليها . وكثير من المثقفين يظهر فيهم عدم تركيز انتباههم في كثرة الاغلاط التي يرتكبونها في كتاباتهم من غير ان يشعروا بها ، فمثلا يريد ان يكتب Dog فيخطيء ويكتب God .

الميل عند ضعفاء العقول

الميل هو اساس الانتباه وهو عند ضعفاء العقول اقل تنوعا وكما .وبذلك تكون قوة انتباههم ضعيفة ومتمشية مع ميولهم ، وان الصعوبة القائمة بافهام ضعفاء العقول هى نتيجة صعوبة جذب انتباههم وتركيزه وكثيراً ما يفشل المدرسون في القاء الدروس لانهم لم يستعملوا طرقاً خاصة مختلفة لاجتذاب انتباه الطلاب .

الذاكرة عند ضعاف العقول

ان ضعاف العقول لم يقدروا على التذكر ، وليس لديهم القدرة الكاملة على ذكر الصور او الاشياء التي تحيط بمنزلهم او في المدرسة . وهم كثيرو النسيان حتى انهم يفقدون تذكر الارتباطات المنطقية ، واستخدام الماضي بتاريخه وحوادثه ،

عندهم معدوم ، كنتيجة لازمة لنقصهم وانحطاطهم في الميول والانتباه والفهم الدقيق .

التخيل والكلام

ان عملية التخيل لدى ضعاف العقول موجودة ولكن بدرجة بسيطة جدا وهذه الوجودية متناسبة ايضاً مع البساطة التي هم عليها حتى ان ضعف هذه المخيلة قد تشاهد عند كثير من المثقفين ورجال السياسة والأعمال ولذا تراهم يفشلون بالأعمال الموكولة بهم . كما ان الكلام عندهم عملية عقلية معقدة ولذا لا يتقنها ضعاف العقول لما فيها من ارتباطات فكرية كثيرة وهذه ايضاً موجودة عند كثير من المثقفين ، فترى الكثير ممن يحملون الشهادات العالية ولكنه لا يتقن عملية محادثة او محاورة مهما كان نوعها حتى لا يستطيع القاء كلمة في افراد عاديين .

قابلية ضعاف العقول للاستهواء

من الدراسات التي قام بها علماء النفس تبين لهم ان ضعاف العقول همضعيفو الارادة وينقادون لغيرهم من غير مقاومة وكذلك هم قابلون للاستهواء بدرجة كبيرة . ان شروط الاستهواء متوفرة لديهم يغرر بهم بسهولة وسرعة التأثر بالفة اقصاها ولذا يسهل على الكثير من الناس استخدامهم ، كما هو الحال عند كثير من الجماعات والعصابات الذين ينتقون افرادهم من ضعاف العقول لتنفيذ خططهم وتسييرهم كما يرغبون منهم بأيديهم كحجر الشطرنج ، ومن هنا يظهر خطرهم على المجتمع .

ومن الدراسات التي قام بها علماء النفس في مختلف معاهد الاصلاحية في العالم تبين لهم ان لضعاف العقول باعا طويلا بالاجرام على اختلاف انواعه فان الشخص الشاذ في سلوكه لابد ان يكون شاذاً في عقليته ، والشذوذ في العقلية هو الذي لا يمكنهم من العمل بتوافق مع قوانين الأخلاق والاجتماع .

ومن العجب ان يعلم المرء ان لاستهواء ضعاف العقول دخلاً كبيراً في ارتكاب الجرائم الكثيرة البشعة .

تحليل هذه الفكرة الاخيرة

لقد ثبت ان الميل عند ضعاف العقول هو اساس الانتباه عندهم . فاذا اردنا ان نوجه انتباههم الينا والاصغاء لأقوالنا ومتطلباتنا فما علينا الا أن نجعل هذا الانتباه مركزاً قويا . ان عندهم ميلاً لحب التملك وبخاصة تملك الأشياء ذات المنظر الجذاب وغيرها ... فاذن وجب ان نحيطهم بالأشياء ذات المنظر الخلاب ، او باشياء تثير غرائزهم على مختلف انواعها ، ثم باقران متماثلين لهم من حيث المشاركة الوجدانية (الحزن والسرور والفقر والآلام) ، فيتوافق هذا مع قابلية الاستهواء لديهم ، وبالتالي يصبحون آلات مجردة من التفكير تسير كما يحب المؤثر ويريد .

وقد ثبت ان ضعفاء العقول ، هم ضعفاء الارادة ينقادون لغيرهم او لرغباتهم من غير مقاومة . وان بين الضعف العقلي والاجرام علاقة كبيرة ومتينة .

وتنحصر اسباب ارتكاب الجرائم في نوعين :

١ ـ اسباب داخلية نفسية (تعود الى التكوين الداخلي لاعضاء الانسان ...) .

٢ ـ اسباب خارجية دافعة (العوامل الخارجية المثيرة والتي ذكرناها) .

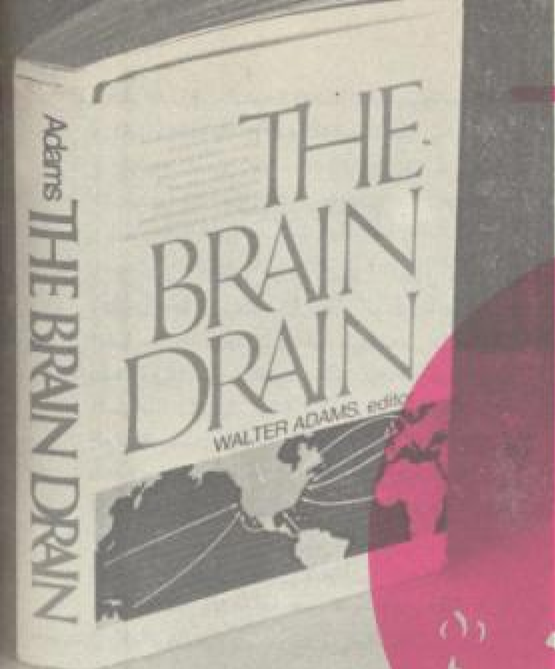
وفي بعض الدول يعتبر الضعف العقلي مصدر الاجرام عامة ، واغلب ضعاف العقول يميلون الى السرقة واستعمال الشدة في السلب والنهب والتعذيب بطرق بشعة . ولقد اثبت مرشيزون بعد قيامه بابحاث عديدة وطويلة في مختلف انحاء العالم ، وعلى مختلف الاجناس من الناس ، ان الجرائم ترتكب لنزع الملكيات من الآخرين حيث غريزة حب التملك عند ضعاف العقول لا حدود لهـا .

والخلاصة ان الضعف العقلي يساعد على ارتكاب الجرائم ولكن بدرجة من الضعف تحددها الجريمة المرتكبة ونوعها . ■■

محمد عبيد ششمان

خريج سراجيفو . يوجوسلافيا

كتاب
الشهر



هجرة الكفاءات (١)

• لورد انجليزي يعلن :
هجرة الكفاءات البريطانية
الى أمريكا ...
أكبر بند في ميزان مدفوعاتنا

لمؤلفه : ولتر آدامز
عرض : الدكتور محمود السمرة

■ هذا الكتاب بالغ الاهمية ، يضم بين دفتيه مجموعة بحوث القيت ونوقشت في مؤتمر عالمي عقد في لوزان بسويسره ، في شهر اغسطس (اب) ١٩٦٧ ، وهي بحوث تتناول مشكلة هجرة الكفاءات وهي مشكلة تجابهها ، في الدرجة الاولى ، البلاد النامية . فهذه البلاد النامية هي البلاد التي تهاجر منها الكفاءات اكثر من غيرها . والولايات المتحدة الاميركية هي اكثر البلاد جذبا لهذه الكفاءات .

وهذه البحوث تتناول هذه المشكلة من جميع وجوهها ، في القديم والحاضر .

ثم هناك بحوث عن بلاد بعينها ، مثل : فرنسا ، واليونان ، وبلاد السوق الاوروبية المشتركة ، وبلدان القارة الافريقية غير العربية ، والهند .. ومن سوء الحظ ان هذه البحوث ليس من بينها ما يدرس هذه المشكلة في البلاد العربية .

(1) Walter Adams (ed.) , The Brain Drain .

ومن حسن الحظ ان تنبهت جامعة الدول العربية الى اهمية هذا الموضوع ، فجعلته من جملة موضوعات مؤتمر هام عقدته جامعة الدول العربية في القاهرة بين ٢٠ و ٣٠ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٩ ، وكان الموضوع العام لهذا المؤتمر الهام هو « اعداد العلميين في الوطن العربي » .

وقد شاركت في هذا المؤتمر الاخير الجامعات والمؤسسات العلمية ومنظمة اليونسكو . وصدرت بحوث هذا المؤتمر في كتاب ضخم في اكثر من تسعمائة صفحة . وسنوجز ما ورد في البحث الذي قدمه لهذا المؤتمر مالكولم اديسشيا Macolm S. Adiseshiah ، نائب المدير العام لليونسكو ، عن « هجرة الكفاءات من العالم العربي » ، ولكن بعد ان نستعرض ما ورد في كتاب هجرة الكفاءات لمؤلفه ولتر ادمز .

هجرة الكفاءات في القديم
اثينا مركز الاشعاع

ان هجرة العلماء قديمة قدم العلم نفسه . ولكن العلم في نشأته الاولى لا نعرف اسماء رجاله ، ولهذا فاننا نطوي القرون لنقف عند القرن الرابع قبل الميلاد ، وفي بلاد الاغريق ، لنجد ان العلماء كانوا يهاجرون من شتى الانحاء الى اثينا ، على الرغم من صعوبات السفر في تلك الايام . وقد كان يغري العلماء بالهجرة الى اثينا ، انها كانت مركزا للعلم ، وفيها اشهر العلماء : ففي عام ٣٨٨ ق.م اسس افلاطون اكاديميته The Academy ، وفي عام ٣٣٥ ق.م اسس ارسطو الليسيوم Lycaeum وهذان المعهدان هما اشهر معاهد العلم في القديم .

وحوالي عام ٣٠٠ ق.م اصبحت الاسكندرية هي مركز العلم في العالم ، ويرى مؤرخو العلم من امثال سارتون Sarton وكلاجيت Clagett وتاتون Taton ، ان السبب في هذا يعود الى اهتمام اول ملوك البطالسة بالعلم ، ثم سار خلفاؤه على هذه السياسة مئات من السنين ، وكانت اهداف ملوك البطالسة أن يجعلوا مصر مركزا للثقافة الهلينية (اليونانية) ، وان تبز الاسكندرية اثينا في هذا المجال . ولتحقيق هذه الغاية استخدموا كل نفوذهم لنقل كل ما يمكن نقله من اثينا الى الاسكندرية : من كتب ، واجهزة ، وعلماء . وحوالي عام ٣٠٠ ق.م ، استقدم بطليموس الاول ديمتريوس الفلروني Demetrios of Phaleron السياسي وتلميذ ارسطو ،وستراتون Straton ، العالم الفيزيائي، ليكونا مستشاريه في السياسة العلمية للدولة . وقد عين الاول مديرا للمكتبة والمتحف اللذين كان بناهما حديثا ، كما جعل الثاني معلما لابنه الذي اصبح فيما بعد بطليموس الثاني . وقد ترك ستراتون الاسكندرية عائدا الى اثينا عندما عرض عليه ان يكون مديرالليسيوم فيها .

وقد بنى بطليموس المتحف والمكتبة على غرار معاهد البحث والدراسات العليا في ايامنا هذه ، وانفق عليهما الاموال الطائلة ، واقيما ضمن منطقة القصور الملكية . وكان المتحف يحتوي على مراصد فلكية ، ومختبرات ، وغرف تشريح ، وحدائق لدراسة انواع النباتات واخرى للحيوانات ، وقاعات للمحاضرات ، وصالات للطعام ، وغرف للنوم . اما كتب المكتبة فقد بلغت خمسمائة الف مجلد في رواية ، ووصلت الى سبعمائة الف في رواية اخرى .

وحشد بطليموس في المتحف والمكتبة عدة مئات من الكفاءات المستوردة : من الفلاسفة ، والرياضيين والفيزيائيين ، وعلماء النبات ، وعلماء الحيوان ، وعلماء الفلك ، ومؤرخي الادب ، والجغرافيين ، والفنانين ، والشعراء ، وكان سيل العلماء الزائرين لا ينقطع . لقد اغراهم بطليموس بالهجرة الى الاسكندرية بما اغدق عليهم من ذهب ، وهيأ لهم من فرص الدراسة والتدريس والبحث العلمي .

في العصور الوسطى

كانت الجامعات التي نشأت في اوروبا هي المراكز العلمية ، وهي التي كانت تستقطب العلماء والطلبة من جميع انحاء اوروبا : ففي القرن الحادي عشر وبداية القرن الثاني عشر ظهرت جامعات سلرنو Salerno وبولونا Bologna في ايطاليا ، ومونبلييه وباريس في فرنسا . وما ان حل عام ١٢٥٠ حتى كانت هناك تسع جامعات في ايطاليا ، وخمس في فرنسا ، واثنتان في انجلترة ، واربع في اسبانيا . وفي نهاية القرن الخامس عشر بلغ عدد الجامعات في اوروبا ثمانين

جامعة . وبلغ عدد الطلبة بين ٦٠٠٠ و ٧٠٠٠ طالب في كل من جامعة باريس وبولونا ، و ٣٠٠٠ في اكسفورد ، و ١٥٠٠ في براغ ، و ٩٠٠ في فينا . وكان الاساتذة ينتقلون من جامعة الى اخرى ، ويتنافس الحكام على اجتذابهم . وكان حتى الطلبة في بعض الجامعات يأتي جلهم من بلاد اجنبية ، ومثال ذلك ان معظم طلبة جامعة بولونا في عام ١٢٦٥ كان من غير الايطاليين . ويذكر بعض المؤرخين ان طلبة هذه الجامعة في ذلك العام كانوا ينتسبون الى خمس عشرة جنسية . وتروى بعض المصادر قصصا طريفة عن الصراع الذي كان يدور بين هذه الجامعات ، ومن ورائها دولها ، من اجل اجتذاب الطلبة والاساتذة اليها .

بولونا وهجرة الكفاءات

وقد حدث حوالي عام (١١٥٠) ان بعض اساتذة جامعة بولونا تركها للالتحاق بجامعات اخرى ، وهنا أصدرت السلطات في مدينة بولونا قانونا يوجب على اساتذة الجامعات ان يقسموا يمينا بانهم لن يبرحوها الى غيرها . وفي نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر ، وجدت مدينة بولونا نفسها امام مشكلة جديدة هي : ان طلبة الجامعة ، بالاضافة الى اساتذتها ، بدأوا يفاوضون مدنا أخرى لنقل الجامعة بكاملها اليها ، وذلك تعبيرا عن عدم رضاهم عن سياسة سلطات المدينة تجاه الجامعة . وللحيلولة دون هذه الهجرة الجماعية ، اصدرت سلطات المدينة عدة قوانين ، منها : الحكم بالموت على كل انسان يفاوض مدينة اخرى من اجل نقل اساتذة الجامعة او طلبتها اليها ، كما ان الاعدام هو مصير كل استاذ في الجامعة بلغ الخمسين من العمر او زاد عن ذلك وترك الجامعة ليحاضر في جامعة أخرى . اما اذا كان الاستاذ دون الخمسين من العمر . وتبعا لهذا فهو أقل نضجا وقيمة ممن بلغها ، فانه يحكم عليه بدفع غرامة مالية ضخمة اذا ترك جامعة بولونا الى غيرها .

ورغم كل هذه القوانين فان كثيرا من الجامعات في اوروبا قد قامت نتيجة لهجرة بعض اساتذة جامعة بولونا اليها .

من أشهر الهجرات الجماعية

ومن اشهر الهجرات الجماعية ما حدث في جامعة باريس في عام ١٢٢٨ ، وهذا العام يطلق عليه في تاريخ الجامعة اسم « التشرد الكبير » : ففي هذا العام دخل بعض طلبة الجامعة الى احدى الحانات ، وحدث في الحانة شغب أدى الى مقتل عدد من الطلبة . فاشتكت الجامعة الى سلطة المدينة وطلبت معاقبة القتلة ، ولكن لم يلتفت الى شكواها احد . وهنا هددت الجامعة ، باساتذتها وطلبتها ، بان القتلة اذا لم يعاقبوا خلال شهر فانهم سيغلقون الجامعة لمدة ستة أعوام . ولما لم يستجب لهم احد ، تركوا باريس الى غيرها من المدن ، وذهب اكثرهم الى بريطانيا استجابة لدعوة الملك هنري الثالث : فهذا الملك ، عندما علم بما حدث في جامعة باريس ، كتب الى اساتذتها رسالة جاء فيها ما يلي :

« من الملك الى اساتذة جامعة باريس :

تحياتي ، وبعد

فاننا هنا نشاركم مصابكم بسبب ما فعلته بكم سلطات مدينة باريس الشريرة . ونحن على استعداد لاستقبالكم عندنا ، واكرامكم . واذا احببتم ان تنتقلوا انتم وطلبتكم الينا فاننا نرحب بكم ، وسنقدم لكم المال اللازم والاقطاعيات والمباني لتبدأوا هنا جامعتكم من جديد . كما اننا نضمن لكم الحماية ، والحرية ... » .

ونتيجة لهذا « التشرد الكبير » قامت جامعة اكسفورد . ووقعت جامعة اكسفورد في ازمة شبيهة بازمة جامعة باريس، فهاجرت منها مجموعة من الاساتذة والطلبة واسست جامعة كمبردج .

ومثل هذه الحكايات تروى عن كثير من الجامعات في أوروبا .

وكل هذه حكايات تؤكد امرين : اولهما ان هجرة الكفاءات قديمة في التاريخ قدم العلم نفسه . وثانيهما ان السلطات الحاكمة هي التي كانت تدفع الكفاءات الى الهجرة من موطنها الى مكان آخر ، في بعض الحالات ، والسلطات الحاكمة ايضا هي التي تغرى رجال العلم بالهجرة الى بلادها ، في حالات أخرى .

هجرة الكفاءات في عصرنا الحاضر

واذا تركنا الماضي لنلقي نظرة على هجرة الكفاءات في أيامنا هذه ، فماذا نجد ؟

تحدثنا الاحصائيات ان الولايات المتحدة الامريكية هي اكثر بلاد العالم جذبا للكفاءات ،

وحسب الدراسة التي قام بها جيمس بيركنز Perkins ، رئيس جامعة كورنيل ، نرى ٤٣ الف عالم ومهندس قد هاجروا الى الولايات المتحدة بين عامي ١٩٤٩ و ١٩٦١ . وكان في مستشفيات الولايات المتحدة الامريكية ، بين عامي ١٩٦٤ و ١٩٦٥ ، نحو ١١ الف طبيب من خريجي جامعات غير امريكية ، وذلك من مجموع اطباء المستشفيات البالغ عددهم (٤١) الفا . والملاحظ ان (٨) الاف من الـ (١١) الفا هاجروا الى الولايات المتحدة من البلاد النامية ، وخاصة من البلاد الاسيوية . ويذكر التقرير أن ٩٠٪ من الطلبة الذين يقدمون الى الولايات المتحدة للدراسة لا يعودون الى بلادهم .

وهناك دراسة أخرى قام بها الاستاذ كيلي وست Kelly West من كلية الطب بجامعة أوكلاهوما ، وفيها يقول : ان على الولايات المتحدة ان تنشيء اثنتي عشرة كلية جديدة للطب تخرج كل واحدة منها مائة طبيب في العام ، اذا ارادت ان تخرج هذا العدد من الاطباء الذى كسبته عن طريق الهجرة . ومعنى هذا أن ما تكسبه الولايات المتحدة الامريكية من هجرة هذه الكفاءات اليها ، يساوي مجموع ما تنفقه من مساعدات على اصدقائها وحلفائها .

ونجد الوضع نفسه في فرنسا وبريطانيا ، اي أن كفاءات البلاد النامية الفقيرة تتركها الى البلاد المتقدمة واذا كانت هجرة الكفاءات البريطانية الى الولايات المتحدة قد افزعت المسؤولين في بريطانيا ، فان بريطانيا قد اجتذبت اليها عددا كبيرا من الكفاءات من دول الكومونولث ، حتى أن بريطانيا تعتمد اعتمادا كبيرا على الاطباء الباكستانيين والهنود في استمرار العمل بنظام التامين الصحي . وتقول الاحصائيات ان ٣٩,٩٪ من صغار الاطباء في بريطانيا هم غير بريطانيين . وللمقارنة ايضا ، ولتأكيد هذه الظاهرة ، فان عدد الاطباء الذين هم من أصل ايراني ، ويعملون في نيويورك وحدها ، يفوق عدد جميع الأطباء الايرانيين العاملين في ايران كلها : كما ان ١٦٪ من حملة شهادة الدكتوراه من الانجليز قد هاجروا الى الولايات المتحدة الامريكية .

وقد اثارت هذه الارقام كثيرا من التعليقات : فكتبت احدى الصحف العلمية البريطانية تقول : « ان الحكومة بما تنفقه من ملايين على توسيع التعليم التكنولوجي ، لا تفعل سوى انها تعد الكفاءات العلمية اللازمة للعمل في المصانع الامريكية » . وقال وزير الصحة البريطاني : « ان بريطانيا لا تملك ان تستمر في تدريب الاطباء من أجل أن يهاجروا الى امريكا » . وقال أحد اللوردات : « ان هجرة الكفاءات البريطانية الى امريكا هو اكبر بند في ميزان مدفوعاتنا » .

وفي اسرائيل يطلقون على أمثال هؤلاء المهاجرين لقب « الخونة » .

وقد استنكر هذه الظاهرة بعض المسؤولين الامريكان أنفسهم ، فقال أحد رجال الكونجرس : « ان مثل هذه الهجرة عار في جبين امريكا لأنها توسع الفجوة القائمة بينها وبين البلاد النامية ، وتجعل مساعداتنا لهذه البلاد عديمة الجدوى » .

وقالت جريدة كريستيان ساينس مونيتور : « ان الولايات المتحدة الامريكية تقدم بيد الملايين لهذه البلاد النامية من اجل أن تطور نفسها ، ولكنها في الوقت نفسه تسلبها باليد الاخرى قادتها القادرين على تطويرها . وهؤلاء القادة بالنسبة لهذه البلاد ، انفع لها من الطعام والآلات التي التي تقدمها لها » .

هجرة الكفاءات والتضامن الانساني

ولكن رغم هذا فهناك جانب حسن في هجرة الكفاءات : فتداول المعارف على المستوى الدولي ، وتحرك العلماء من بلد الى آخر يعدان جزءا لا يتجزأ من تقدم الانسان ، وتطور تاريخه الثقافي والعلمي . وقد اكدت على هذا المعنى الندوة التي عقدتها منظمة اليونسكو في باريس ، عام ١٩٥٥ ، فقد ورد في مقرراتها ما يلي :

« ان الهجرة اثر من آثار التضامن الانساني ، وتحد لضيق الافق في التفكير الذى أبقى الانسان طوال اجيال عديدة في خوف وحذر من الغرباء ، محصورا في دائرته الضيقة » . اما بالنسبة للمهاجر ، فان انتزاعه من جذوره يبرهن على ثقته في قدرته على العيش بين من لا يعرفهم ، ومن هم على غير شاكلته . واما بالنسبة للبلد المضيف فان انفتاح ابوابه امام المهاجرين ، انما يشهد على قيمة مؤسساته وعلى قدرته على استيعاب الاجنبي الغريب ..

هجرة الكفاءات من العالم العربي

والآن نسأل : ماذا تقول لنا الحقائق والواقع

عن هجرة الكفاءات من العالم العربي ؟

وهنا نعود الى بحث السيد مالكولم اديسشيا ، الذى اشرنا اليه ، لنجيب عن هذا السؤال . ويبدأ السيد اديسشيا بايراد ثلاثة جداول في محاولة للرد على هذا السؤال ، ولكن ما يهمنا من هذه الجداول هو بعض ما ورد في الجدولين الاول والثاني : فالجدول الاول يبين اعداد الاشخاص المهرة من المهاجرين من ثمانية بلاد عربية الى الولايات المتحدة الامريكية وكندا وفرنسا ، خلال السنوات الخمس من ١٩٦٢ الى ١٩٦٧ . ويوضح الجدول الثاني اتجاهات هجرة العلميين العرب من خمس دول عربية الى الولايات المتحدة خلال اعوام معينة .

وقد اعتمد الباحث على الاحصائيات الدقيقة الشاملة عن هجرة الكفاءات التى جمعتها الحكومة الامريكية والكونفرس والباحثون الامريكان ومؤسسات البحث . اما بالنسبة للبلاد العربية فانها لا تحتفظ بسجلات عن هجرة الكفاءات من ابنائها . ويمكن القول ان الولايات المتحدة الامريكية هي الدولة الوحيدة ، بين البلاد المتقدمة والنامية التى تحتفظ بسجلات مثل هذه .

وتقع في الجدول الاول على اعداد المهاجرين من العلميين والمهنيين من ثمانية بلاد عربية الى الولايات المتحدة الامريكية خلال المدة الواقعة بين عامي ١٩٦٢ و ١٩٦٧ . وهذه الدول العربية هي : جمهورية مصر العربية ، والاردن ، وسوريا والعراق ، ولبنان ، وتونس ، والجزائر ، والمغرب .

هجرة الكفاءات من البلاد العربية الى أمريكا (١٩٦٢ ـ ١٩٦٧)

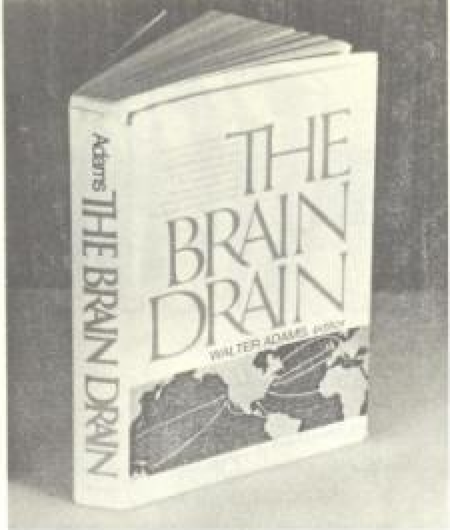
	ارباب المهن	مهندسون	علماء طبيعيون	علماء اجتماع	اطباء	ممرضات
مصر	١١٨١	٨٩	٥٧	١٣	٩١	١٥
الاردن	٦٣٦	٧٩	٣٨	٧	١٨	١٧
سوريا	٣١١	٨٣	٢٣	٣	٢٤	٦
لبنان	٥٤٧	١٧٧	٧٢	٤١	٨٩	٦٢
العراق	٦٠٨	١٢٢	٥٢	٣٠	٣٣	١٠
تونس	٢٣	١	٥	١	٦	٢
الجزائر	٩٨	٤	١	—	٥	١
المغرب	١٨٣	١٤	٣	—	٩	٩
المجموع	٢٥٨٧	٥٦٩	٢٥١	٦٨	٢٧٥	١٢٢

وهذا الجدول لا يعطي صورة واضحة عن هجرة هذه الفئات من دول المغرب ، لان جل المهاجرين منها انما يهاجرون الى فرنسا .

اما الجدول الثاني فيبين :

مجموع العلماء والمهندسين والاطباء المهاجرين الى الولايات المتحدة الامريكية من :

السنة	العراق	الاردن	لبنان	سوريا	مصر
١٩٥٦	١٣	١٥	٢٨	٥	٢٨
١٩٦٢	٢٧	٢٢	٤٧	٢٩	٢٧
١٩٦٣	٢٨	٢٣	٧٢	٢٥	٤٨
١٩٦٤	٣٤	٢٢	٥٤	١٨	٣٦
١٩٦٥	٣١	٢٥	٥٩	١٦	٢٣
١٩٦٦	٣٨	٢٥	٦٩	٢٥	٥١
١٩٦٧	٦٤	٤٣	١٢٥	٢٨	٨٥



وهذان الجدولان ، بالاضافة الى الجداول الاخرى التي اوردها الباحث ، تكشف عن السمات الرئيسية التالية لهجرة الكفاءات من العالم العربي :

١ ـ ان هذه الهجرة تبدو في ظاهرها ضئيلة، ولكنها في واقع الامر ليست كذلك : ومثال ذلك ان حوالي (٤٠) الفا من ذوي المهارات هاجروا خلال عام ١٩٦٧ من البلاد النامية الى البلاد الصناعية ، وكانت نسبة العرب بينهم ١٢٪ من المجموع الكلي ، بينما نسبة العرب الى سكان العالم لا تزيد عن ٤٪ .

٢ ـ ان هذه الهجرة هي من الاشخاص ذوي المهارات العالية . وتشير الدراسة التي قامت بها جمهورية مصر العربية الى أن ٥٨٫٣٪ ممن هاجروا هم من العلماء والمهندسين ، و ٧٠٪ من مجموع المهاجرين هم من حملة شهادة الدكتوراه في الفلسفة ، و ١٧٫٥٪ من حملة الماجستير .

٣ ـ ان هجرة الكفاءات تمضي اليوم في اتجاه واحد : حيث تنتقل المواهب من البلاد العربية والنامية الى البلاد الصناعية .

٤ ـ ان هجرة الكفاءات هي هجرة انتقائية : فالبلاد الصناعية تختار من بين المتقدمين للهجرة اليها أصحاب الكفاءات العالية الذين تحتاج اليهم .

٥ ـ ان هجرة الكفاءات مطردة ومتزايدة . ويبين الجدول الثاني ان الزيادة في هجرة الكفاءات من البلاد العربية المذكورة في عام ١٩٦٧ تتراوح بين ٥٠٪ و ١٠٠٪ بالمقارنة بعام ١٩٦٦ .

الاخطار الكامنة في هجرة الكفاءات

ان التعليم عنصر جوهري من عناصر التنمية ، ولكن التعليم المفضي في البلاد العربية الى هجرة الكفاءات يجعل من التعليم طريقا الى الهجرة ، وتأخر التنمية ، ذلك لان العلماء والمهندسين والاطباء الذين يهاجرون الى العالم المتقدم هم دعامة التنمية ، وهم الاصل في كل تغيير وتطوير ، كما أن قيمتهم تتجاوز كل حساب بالدينار او الدولار ، وهم معلمو الشباب وقادته ، وهم المخططون لمجتمعنا ، وقادته في مجالات السياسة والثقافة والاخلاق .

والتعليم المفضي الى الهجرة يصبح طريق الكفاءات الى الرفاهية الشخصية . ويكفي لتصور هذا ان نذكر ما يحدث للطلبة العرب الذين يذهبون الى الغرب للدراسة: فقد ورد في احدى الدراسات ان الطلبة اللبنانيين الذين يدرسون في الولايات المتحدة الامريكية يبقون هناك في الغالب، وان ٨٠٪ من الطلبة الاردنيين الذين يدرسون في الغرب لا يعودون ابدا .

الاسباب الداعية الى هجرة الكفاءات

ولعل من الاسباب الداعية الى هجرة الكفاءات من البلاد العربية ، ومن البلاد النامية عامة ، هو انخفاض المرتبات فيها وارتفاعها في العالم الغربي الصناعي . ومنها ايضا الطريقة التي تستخدم بها هذه الكفاءات في الغرب بحيث تحقق نفعا أكبر بكثير من طريقة استخدامها في أوطانها . ومعنى هذا أن الكفاءات تهاجر الى حيث تلقى التقدير المادي ، وفرص العمل المنتج . يضاف الى هذا أن عدم الاستقرار في البلاد النامية يدفع هذه الكفاءات الى الهجرة الى البلاد التي تستطيع أن تجد فيها فرص البحث العلمي في جامعاتها ومراكزها العلمية .

ان هجرة الكفاءات من البلاد النامية الى البلاد الصناعية اشبه بناقوس الخطر الذي يدق معلنا أن هناك خطأ في مكان أو أكثر ، ويجب اصلاح هذا الخطأ لتستطيع هذه البلاد استرجاع ابنائها الاكفاء ، من أجل تنميتها وتطويرها . ■■

محمود السمره

من الكتب التى وصلتنا



عشرون عاما من حربنا مع اسرائيل

تأليف : العقيد الركن المتقاعد : صلاح الدين عبد القادر محمد فائز .

الناشر : مطبعة الشعب ـ بغداد ـ العراق .

● كتاب عن القضية الفلسطينية ينقسم الى ستة فصول تناول في الفصل الاول تكوين القضية الفلسطينية منذ بداية الحركة الصهيونية الى نهاية عهد الانتداب البريطانى على فلسطين . وعرض قضيتها على هيئة الامم المتحدة ، وصدور قرار التقسيم ، واشتداد النزاع بين الصهاينة وعرب فلسطين .

اما الفصل الثانى فيحكى الجولة الاولى التى نشبت بين الدول العربية واسرائيل عام ١٩٤٨ منذ بداية زحف الجيوش العربية نحو فلسطين الى مؤتمر رودس. والفصل الثالث يوضح النتائج التى تمخضت عن الجولة الاولى كمشكلة اللاجئين وتصفية الكيان العربى في فلسطين وقيام الكيان الاسرائيلى بدله .

وتناول في الفصل الرابع قصة الجولة الثانية التى قامت بين العرب واسرائيل في عام ١٩٥٦ والفصل الخامس يروى قصة الحرب التى قامت بين العرب واسرائيل في عام ١٩٦٧ والتى سميت بعام النكسة. اما الفصل السادس والاخير فيدرس احتمال قيام جولة رابعة بين العرب واسرائيل وحتمية قيام هذه الجولة ثم ضرورة تأهب الدول العربية للرد على اسرائيل باتباع طريقة الحرب الاجماعية والاشتباك مع اسرائيل بطريقة الحرب الخاطفة وهى الطريقة المثلى في الحروب الحديثة.

يتداح الطوفان

تأليف : نبيل سليمان .

الناشر : دار الاجيال دمشق ـ سوريا .

● قصة طويلة .

٣٢٠٠ مجلة وجريدة عربية

تأليف : عبد الغنى احمد بيوض .

الناشر : المكتبة الوطنية باريس ـ فرنسا .

● هذا فهرس يهدف الى الاشارة الى الدوريات العربية المحفوظة حاليا لدى ما يقرب من عشرين مكتبة ، وهذه الجرائد صدرت منذ سنة ١٨٠٠ الى سنة ١٩٦٥ .

ويعتبر هذا الفهرس تكملة لفهرس طرازى وفهرس دار الكتب المصرية وهو يشير بالخصوص الى اغلب الدوريات العربية التى صدرت في المغرب العربى وفي اوربا وامريكا اللاتينية وغيرها ، وقد حاول المؤلف تعيين المكان الذى توجد فيه تلك الدوريات، حتى يتمكن الباحث بسهولة من الحصول على الصحيفة الدورية التى يبحث عنها ، كما ان المفهرس سار على الطريقة الابجدية فى تنظيم كتابه .

العرب والطب

تأليف : احمد شوكت الشطى .

الناشر : منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق ـ سوريا .

● كتاب يدرس تاريخ الطب العربى منذ القدم، ويشرح كيف نشأ الطب العربى وممن اقتبس وفي اى المجالات ابدع والرى ، ثم الانجازات العلمية والنظريات التى حققها ، كما يوضح المؤلف كيف ان اجدادنا خصوا الطب بعناية فائقة قد لا نجدها عند غيرهم من الامم . فقد ترجموا واقتبسوا ثم زادوا ومارسوا ، وقاموا بتجارب علمية دقيقة كانت لخير البشرية جمعاء . كما كان لهم في ميدان التنظيم الصحى صولات وجولات تندهش عندما تقرا عنها ، فالمستشفيات التى انشاوها ، ثم العناية الفائقة التى كانوا يولونها من ناحية البناء والمعمار، والادوات الطبية التى كانوا يستخدمونها قلما تجدها عند اية من الامم في تلك العصور السالفة .

ادب الطف
او شعراء الحسين

تاليف جواد شبر .

الناشر : مؤسسة الاعظمي للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان .

● كتاب يقع في ثلاثة اجزاء كبيرة يتناول شعر الشعراء الذين رثوا الحسين بن علي بن ابي طالب منذ القرن الاول الهجرى حتى القرن الرابع عشر الميلادى . وهذا الادب يمثل اصدق العواطف وانبلها تجاه الحسين واهل بيته ، وكله بالطبع شعر ينطق بما كان لمأساة الحسين من اثر في قلوب المسلمين بالغ .

وقد رتب المؤلف كتابه ترتيبا زمنيا فتحدث في الجزء الاول عن مقتل الحسين رضي الله عنه ثم تلاه بدراسات موجزة ونماذج من شعر الشعراء منذ القرن الاول الهجرى الى يومنا هذا .

حكاية الادب العربى المعاصر

تاليف : خالص عزمي .

الناشر : مطبعة شفيق ـ بغداد ـ العراق .

● كتاب يدرس الادب العربى المعاصر عن طريق المسح الجغرافي للادب المعاصر ، وبذلك يسهل على الكثيرين تقصي ذلك الادب وربط اجزائه في حلقات تقرب من فكرة الادب في مراميه واهدافه، وهذا الاسلوب يوصل بين شتى الاساليب التى تدرس الادب الى جانب المزج المتكامل بين قطبى النظرية والتطبيق العملى للادب في آن واحد .

اما الاسباب التى دفعت المؤلف لوضع هذا الكتاب فهى ما لاحظه من ندرة المصادر التى تبحث في ادب المغرب العربى ، وبعد صلة ادباء المشرق العربى بالنتاج الادبى الذى وضعه ادباء المغرب ، في القصة والمسرحية والرواية والشعر والنقد .

وهذا الكتاب يدرس الادب العربى المعاصر في كل من المهجر والمغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر والسودان . وقد توصل المؤلف من خلال دراسته لهذا الادب ان هناك ترابطا عميقا في التيارات السياسية والعطاء الفنى ، وهذا العطاء مهد لاحياء تراث الادب والدفع به الى مجالات اوسع واعم وفتح الابواب كى يلج الى ساحة الادب العالمى بيسر .

شخصيات من الادب المعاصر

تاليف : وحيد الدين بهاء الدين .

الناشر : منشورات كلية الضاد ـ حلب ـ سوريا .

● دراسات وافية لمجموعة من ادباء وشعراء العربية المعاصرين يتناول نتاجهم الادبى والفنى وهؤلاء الادباء من بلدان عربية مختلفة . وقد بدا المؤلف كتابه بدراسة لادب الاستاذ جورج صيدح وكتبه ومنها كتابه ادبنا وادباؤنا في المهاجر الامريكية ثم تكلم عن اسلوب صيدح ومقومات ادبه ونزعته الانسانية وايمانه الوطيد بالعروبة وحتمية وحدتها واستعرض نماذج من شعره في الغزل والوصف والفخر والحنين ثم قصائده الوطنية بعد النكسة.

واعقب ذلك دراسة لشخصية شفيق معلوف وعرض لملحمته عبقر ثم شعره الوجدانى والانسانى ثم عرض لشعر شاعر الاهرام محمد عبد الغنى حسن وما يمتاز به من حفاظه على لغة الضاد ونبوغه في الصياغة اللفظية والوصف الجميل ، ثم عرض في فصل لادب هلال ناجى ومواقفه الوطنية واهتمامه بدراسة شعراء اليمن باعتبارهم مهد العرب الحقيقيين . ثم عرض لحياة ابراهيم محمد نجا ذلك الشاعر الرومانسي وقال ان شعره تجسيد حي لذاته ومرآة صافية لحالاته النفسية وانه عندما منى بالغربة وكابد ما كابد لجا الى الليل والطبيعة والبحر ليجد عندها العزاء والسلوان الى غيرهم من شعراء العرب المعاصرين .

شعراء العراق
فى القرن العشرين

تاليف : الدكتور يوسف عز الدين .

الناشر : جامعة بغداد ـ العراق .

● يدرس هذا الكتاب شعراء العراق المحدثين فهو يعرض فى عجالة للشاعر وثقافته ومؤلفاته والادباء الذين اثروا فى ادبه وتاثر بهم ليتعرف القارىء من دراسة السيرة على حياة الشاعر ، وقد ترك المؤلف للشعراء ان يكتبوا سيرهم بانفسهم ويصوروا انفسهم كما يرونها فيكون ذلك من مصادر المعرفة الصادقة عن الشاعر كما درس المؤلف نتاج عدد غير قليل من شعراء العراق امثال جميل صدقى الزهاوى ومعروف الرصافى والدكتور مصطفى جواد والسيدة نازك الملائكة والدكتورة الخزرجى والدكتور يوسف عز الدين .

حياة الامام موسى بن جعفر

تاليف : باقر شريف القرشي .

الناشر : مطبعة الاداب في النجف الاشرف ـ العراق .

● كتاب يقع في جزئين كبيرين يتناول بالدراسة والبحث حياة الامام موسى بن جعفر ، احد ائمة الشيعة الاثنى عشرية ، والذى قاوم حكومة هارون الرشيد مقاومة سلبية ، وتولى بنفسه قيادة الحزب المعارض فاصدر حكمه بحرمة التعاون مع الاجهزة الحاكمة انذاك . ثم ما لاقاه من محن وخطوب شاركه فيها جمهور من شيعته والقائلين بامامته .

وقد تناول المؤلف ماساة الامام موسى بن جعفر وكيف زجه هارون الرشيد في ظلمات السجون ، حيث توفي في السجن ، ثم درس المؤلف اهم ما عنى به الامام موسى بن جعفر من نشر الثقافة الاسلامية واشاعة المعارف العامة بين الناس ، ثم كيف اتحف الامام موسى اثناء اقامته بيثرب جمعا غفيرا من كبار العلماء ورواة الحديث من علمه ، كما زود الفقه الاسلامى بطاقات كبيرة من ارائه . وله تنسب مجموعة كثيرة من الاحكام الاسلامية بجميع انواعها من العبادات والمعاملات وفي ميادين السلوك والاخلاق ، كما ذكر المؤلف مجموعة من رواة حديثه وابنائه مع شيء من تراجمهم كما يعطى الكتاب دراسة وافية عن العصر العباسي الاول وما مر فيه من ازمات فكرية واحداث خطيرة .

الاسلحة الكيماوية والجرثومية

تاليف : الدكتور نبيل صبحى .

الناشر : مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان .

● دراسة عن الاسلحة الكيماوية والجرثومية وهذا السلاح هو احدث اسلحة الابادة والتدمير ، ولا يعلم عنها الناس في عالمنا الا القليل مع العلم ان اسرائيل هى من طليعة الدول التى تبحث وتطور وتنتج هذه الاسلحة الوحشية الرهيبة .

هذه الدراسة تعتبر الاولى من نوعها التى تقدم للقراء العرب ، فتبين هول هذه الاسلحة كما تستحث الهمم في سبيل منع صناعة هذه الاسلحة الفتاكة ، ومحاولة دراسة الاساليب الفعالة التى تحمينا جزئيا على الاقل من اهوال هذه الاسلحة، سيما وان الاعداء اليهود هم من طليعة الدول التى تبحث وتطور هذه الاسلحة . مع العلم ان باستطاعة الدول جميعها الحصول على الاسلحة الكيماوية والبيولوجية لسهولة تحضير بعضها بمصاريف زهيدة وسرعة فائقة في مختبرات او معامل بسيطة كما قال يوثانت السكرتير العام للامم المتحدة في مقدمته لكتاب الاسلحة الكيماوية والجرثومية الذى اصدرته الامم المتحدة عام ١٩٦٩ .

أرتيريا شعبا وكفاحا

تاليف : عبد البارى عبد الرزاق النجم .

الناشر : مطبعة العاني ـ بغداد ـ العراق .

● دراسة وافية عن الثورة الارترية وتعريف القارىء العربى بارتيريا وثورتها الشعبية المسلحة وقد حدا المؤلف الى هذه الدراسة جهل الكثيرين من العرب بهذه الثورة فتناول في لمحة خاطفة موقع ارتيريا وتضاريسها وانهارها ومناخها ومراكز الاستيطان والمدن المهمة في ارتيريا ، ثم افرد دراسة عن الشعب الارتيرى تكلم فيه عن التكوين الاجتماعى والقبلى ثم حجم السكان ، ولغاته وديانته وعاداته وتقاليده . ثم تكلم في فصل آخر عن الاقتصاد الارتيرى ، ثم انتقل الى البحث السياسي فدرس التاريخ السياسي لارتيريا في فترات ما قبل الاسلام وفي صدر الاسلام ثم محاولة الدول الاوربية وخاصة البرتغال احتلال ارتيريا ، كما افرد فصلا من الكتاب لدراسة التاريخ الحديث لارتيريا فاوضح كيف تسللت ايطاليا الى ارتيريا، ثم كيف اصبحت ارتيريا تحت الادارة البريطانية ثم كيف ان بريطانيا لعبت نفس الدور الذى لعبته في فلسطين حيث سلمت ارتيريا الى الحبشة كما سلمت من قبل فلسطين الى الصهاينة وكيف تقرر منح ارتيريا استقلالا ذاتيا وتوحيدها مع الحبشة فيدراليا وقد ناقش المؤلف القرار الفيدرالى وانتهاكات هيلاسيلاسي له والتطورات التى جرت الى حين الغاء الفيدرالية ودمج ارتيريا كليا الى الحبشة .

وقد عدد المؤلف نماذج من جرائم ومخالفات هيلاسيلاسي، ثم حرب الابادة التى تشنها الحبشة ثم الثورة الارترية التى انطلقت رصاصاتها الاولى في سنة ١٩٦١ ومحاولة للتطرق الى كل دقائق الثورة وتطوراتها ، ثم تطور هذه القضية من خلال الصحافة العربية والعالمية ومن خلال المؤتمرات العربية والدولية .

أسس الصحة والحياة

تأليف : الدكتور عبد الرزاق الشهرستاني

الناشر : مطبعة الآداب – النجف الاشرف – العراق .

● كتاب يحوى معلومات نافعة وضرورية لمن يحاول ان يلم في حياته بالشئون التى تقيمه وتحفظ له صحته وتمده بالحيوية والنشاط ، كما ان الكتاب يتناول قضايا تهم اوسع الطبقات من الناس ولمختلف السنين منهم وتحت مختلف الظروف المعاشية ، فقد استفاد المؤلف من خبرته وتجاربه واتصاله بالمنظمات الصحية وبخاصة المنظمة الصحية العالمية في ابحاثه على الخروج من النطاق الضيق في نظرته للامور الصحية ومعالجتها ثم ان المؤلف قد اهتم بالقضايا الوقائية واعطاها النصيب الاوفى من الكتاب الذى يشمل الاتجاه الحديث في الطب والمنوه بان مستقبل الطب هو الطب الوقائى قبل العلاجي ، علاوة على ان الكتاب يشرح بصورة موضوعية وباسلوب مبسط احدث الطرق الوقائية من الامراض المتنقلة والمتوطنة والمزمنة كما يعرض لصحة الفرد والبيئة والمدرسة والحوادث الطارئة والاسعافات الاولية وصحة الام والطفل والتغذية الصحية والصحة الجنسية والعقلية والشيخوخة وسلامتها من العلل في ضوء ارقى المناهج الصحية التى اقرتها المؤسسات والمنظمات الصحية العالمية .

المورد الوسيط (انجليزى – عربى)

المؤلف : منير بعلبكي .

الناشر : دار العلم للملايين – بيروت .

● وضع هذا المعجم (انجليزى – عربى) على اساس قاموس (المورد الكبير) الذى يشتمل على نحو من مائة الف مادة . وقد تناول المورد الوسيط نحو ٥٠ الف مادة فقط ، وروعى فيه ان يكون بمثابة قاموس لطلبة المدارس الثانوية الذين قد يصعب عليهم الاستعانة بالمورد الكبير . وقد امتازت شروح هذا المورد الوسيط بالبساطة والسهولة كما اضيفت اليه مئات الامثلة النموذجية التى تزيد الشرح وضوحا ولا تبقى مجالا لاى لبس او غموض ، كما زين ايضا بمئات الصور والرسوم الايضاحية .

معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية

المؤلف : أحمد شفيق الخطيب .

الناشر : مكتبة لبنان .

● مرجع شامل لمصطلحات العلوم والتكنية معزز بالرسوم والشرح ، وهو يقع في ٧٥٠ صفحة وبه حوالى ٦٠ الف مصطلح واكثر من ١٢٠٠ صورة ورسم ايضاحي ، ويتناول مصطلحات علوم الطيران والاحياء والهندسة الميكانيكية والفلك والكيمياء والهندسة المدنية والأرصاد الجوية ، والالكترونيات والراديو والتلفزيون والفيزياء والرياضيات والهندسة الكهربائية والتعدينية والعلوم العسكرية فالجيولوجية . وقد اعتمد المعجم اغلب المصطلحات التى اقرتها مجامع اللغة العربية في القاهرة وبغداد ودمشق .

نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة

تاليف : القاضي أبي على المحسن بن على التنوخي .

تحقيق : عبود الشالجى .

● كتاب من كتب تراثنا الادبى القديم قضى مؤلفه في تصنيفه عشرين عاما واخرجه في احد عشر مجلدا واشترط فيه على نفسه ان لا يضمنه شيئا نقله من كتاب . وقدم كتابه للقراء بانه « كتاب يشتمل على ما تناثر من افواه الرجال وما دار بينهم في المجالس » وسماه نشوار المحاضرة لان النشوار ما يظهر من كلام حسن يقال :

ان لفلان نشوارا حسنا اى كلاما حسنا .

وقد ذكر عن سبب تاليفه للكتاب انه اجتمع قديما مع مشايخ قد عرفوا اخبار الدول وشاهدوا كل غريب وعجيب وكانوا يوردون كل فن من تلك الفنون فيحفظ ذلك ويتمثل به فلما تطاولت السنون خشي ان يضيع هذا الجنس فاثبته في هذا الكتاب .

وقد اعتمد المحقق في تحقيقه لهذا الكتاب على فلم مخطوطة الجزء الاول من المكتبة الوطنية بباريس وفلم مخطوطة من مكتبة مراد ملا باستنبول ، وفلم مخطوطة من مكتبة العلامة احمد تيمور وفلم مخطوطة من مكتبة المتحف البريطاني في لندن .

■■

صِيغَةُ (فَعْلَى) وهى جَمْع

بقلم : عبد الستار فراج

١) في القرآن الكريم « فترى القوم فيها صَرْعَى » ، وفيه أيضا « كتب عليكم القصاص في القَتْلَى »وفيه « وان كنتم مَرْضَى » • في هذه الآيات « صرعى » جمع صريع ، و « قتلى » جمع قتيل ، و « مرضى » جمع مريض ، وكل من هذه الصفات الثلاث دالٌ على اصابة أصيب بها صاحبُها أو أُدْخِل فيها وهو لها كارهٌ •

ومن هذا النوع « فَعيل » الذى جمعه أو من جموعه « فَعْلَى » حسير وحسرى وغريق وغرقى وضعيف وضعفى ، وضمين وضمنى،ووَجِيٌ ووَجيًا، ونزيف بمعنى سكران وجمعه نزفى ، وشتيت بمعنى متفرّق وجمعه شتى وأسير وأسرى ورجل كليب من قوم كلبى ، وهو المصاب بداء الكلب ، وكليم بمعنى مَجروح وجمعه كلمى •

ويلاحظ أن هذه الصفات بعضها « فَعِيل » بمعنى « فاعل » مثل مريض وحسير ، وبعضها « فَعِيل » بمعنى « مفعول » مثل قتيل وجريح •

٢) رزح فهو رازحٌ بمعنى كَلَّ وأَعيا ، ومن جموعه «رزْحَى » وهَلَك فهو هالِكٌ ، ومن جموعه هلكى • والصّفة هنا أيضا دالة على اصابة أُصيب بها صاحبها أو أُدخل فيها وهو كاره لها ، ولهذا جمعت على وزن « فَعْلَى » •

ومثل هذين : مائقٍ ومَوْقَى بمعنى حمقى ، ورائب بمعنى خاثر النفس أو أثخنه السفر والوجع فاستثقل نوما وجمعه « رَوْبَى » • وأيضا قولهم صار الناس فَوْضَى ، قالوا ان مفرده « فائض » بمعنى مُتفرّق • ولكن لا يستعمل المفرد منه وهو « الفائض » كما استُعمل واحد المتفرّقين وهو متفرق •

٣) ورجل سكران ومن جموعه « سَكْرَى » وهى غير « سَكْرَى » التى هى صفة المفردة المؤنثة •

وفي هذين دلالة على نَقْصٍ وعيب مما يصيب العقول أو الأبدان ، يشبه أن يكون من الأشياء التي أدخل فيها وهو كاره لها .

٤) أحمق وجمعه « حَمْقَى » و « أَنْوَك » بمعنى أحمق وجمعه « نَوكَى » وأجرب وجمعه « جربى » .

وقد تكون جربى جمع جَرْبَان ، فتكون أيضا من القسم السابق رقم ٣ .

هذا وفي الجميع دلالة على عيب ونقص مما يصيب العقول أو الأبدان .

٥) زَمِنٌ وجمعه «زَمْنَى» وضَمِنٌ وجمعه «ضَمْنَى» هذا وزمنى أيضا وضمنى جمع زمين وضمين والمعنى فيهما أنهما صاحبا عاهة فهما من معنى ما أُصيب به المرء أو أُدخل فيه وهو له كاره مما يلحق بالعقل أو الجسم .

٦ ــ في القرآن الكريم « كذلك يحيى الله المَوْتَى » « رَبِّ أَرِني كيف تحيي الموتى » « ومَيِّت » هذه صفة ووَزْنها فَيْعِل ، جمعت على فعلى الدالة على ما يصيب الأجسام أو العقول مما يقع للشخص وهو كاره له .

يقول ابن سيده في المخصص ٨٩/١٦ عند الكلام على صيغة « فَعْلَى » وأما ما كان من ذلك جمعاً فانه يكون جمعا لما كان ضربا ــ أى نوعا وصنفا ــ من آفة وداء وذلك مثل جريح وجرحى وكليم وكلمى ووجى ووجيا من الوجى وزمن وزمنى وضمن وضمنى وأسير وأسرى وأحمق وحمقى وأنوك ونوكى » .

وينقل اللسان وغيره من كتب اللغة عن سيبويه في أمثال هذه الجموع التى على وزن فعلى قوله :

«كَسَّرَ ــ أى جَمع جَمْع تكسير ــ هذا النحو على فعلى لأنها من الأشياء التى أصيبوا بها وأُدخلوا فيها وهم لها كارهون » . ويبدو أن نص سيبويه هو مروى عن أستاذه الخليل بن أحمد اذ جاء النقل عنه في اللسان فى مادة هلك حيث قال : قال الخليل : انما قالوا هلكى وزمنى ومرضى لأنها أشياء ضُربوا بها وأُدخلوا فيها وهم لها كارهون .

ونص صاحب اللسان في مادة زمن دون اسناده الى الخليل أو سيبويه على ما يأتى : « وزمين الجمع زمنى لأنه جنس للبلايا التى يصابون بها ويدخلون فيها وهم لها كارهون ، وشبيه بهذه النصوص جاء في أغلب المواد التى أوردناها مما جاء جمعها « فعلى » . ■■

عبد الستار احمد فراج

أنباء الطب والعلم والاختراع

الجديد في مرض البلهرسيا
يرقات البعوض تقتل قواقعها الحاضنة

منذ عام ١٩٥٠ والدكتور كليفورد برج Clifford Berg عالم الحشرات يقوم بابحاثه لايجاد طرق بيولوجية لابادة الحشرات التى تسبب الاوبئة وخاصة بعد اكتشاف خطورة استعمال المبيدات الكيماوية على الانسان والحيوان والبيئة . وقد استطاع هذا العالم ان يكتشف أن يرقات بعوض المستنقعات ، وهو نوع من البعوض يختلف قليلا عن البعوض الذى يعيش فى المدن ، تعيش على قتل انواع معينة من القواقع ، واهمها تلك القواقع التى تنقل مرض البلهرسيا . وتلعب هذه القواقع دورا هاما فى انتقال عدوى هذا المرض الذى يعاني منه اكثر من ٢٠٠ مليون من البشر .

وقد استطاع الدكتور برج أن يسجل مشاهداته العلمية لعملية اختراق يرقات بعوض المستنقعات لقوقعة ناقلة لمرض البلهرسيا وهي تلك القواقع التى تعيش فيها يرقات ديدان البلهارسيا المفلطحة .. ومن مشاهداته ان يرقات البعوض تهاجم القوقعة ثم تتغذى على الجزء الحي فيها ثم تتركها بعد ان تقتلها . وتستغرق عملية قتل القوقعة نصف ساعة .

وفى خلال الاعوام التي تلت اكتشاف الدكتور برج حتى الآن لا يزال علماء الحشرات يقومون بدراسات علمية فى اقاليم مختلفة من العالم لمحاولة محاربة قواقع البلهرسيا بيرقات البعوض ولا

اربع صور تمثل عملية اختراق يرقات البعوض لقوقعة حاضنة لديدان البلهارسيا ، وتبين الصورة







تمثل هذه الصورة يرقة البعوضة بعد ان التهمت الجزء الحي من القوقعة وتركتها ميتة ، وتستغرق هذه العملية حوالي النصف ساعة .

يزال امامهم حتى الآن طريق طويل لتحقيق هذا الامل .

وسيقوم معهد سميثونيان Smithsonian Institution بعقد مؤتمر دولي في عام ١٩٧٢ لبحث كل الوسائل البيولوجية ، التى اسفرت عنها الابحاث الاخيرة ، للحد من انتشار الامراض المستوطنة وخاصة البلهرسيا . وستقوم الامم المتحدة بتقديم مساعداتها لهذا المؤتمر ، وذلك بوضع برنامج كبير للاستمرار في هذه الابحاث التى قد تؤدي في النهاية الى التخلص من البلهارسيا وغيرها من الامراض المتوطنة التى تفتك بالانسان والحيوان على السواء .

اين يذهب غاز اول اكسيد الكربون الذى لاينى ينطلق في الاجواء

● غاز اول اكسيد الكربون من اشد الغازات خطرا على حياة الانسان . فهو غاز سام يقضي على الحياة في دقائق معدودات لو زادت نسبته في الجو عن حد معين ... ونتيجة للنهضة الصناعية التى يشهدها العالم فى ايامنا هذه ، فان العلماء يقدرون ان هذه الصناعات والآلات تضيف الى الجو ما مقداره ٢٠٠ مليون طن مترى من غاز اول اكسيد الكربون سنويا .. ولكن هذه الكميات الهائلة ، لحسن حظ البشرية ، لا تتراكم

الاولى بداية اقتراب اليرقة من القوقعة، لدخول اليرقة تدريجيا داخل القوقعة وبداية التهامها للجزء الحي





فى جو الارض عموما . ولعل السبب الرئيسي فى عدم تراكم هذا الغاز السام يعود الى تلك العمليات الكيماوية التى تتم فى الجسيمات التى تعيش فى تربة الارض . وقد اثبتت التجارب ان التربة الخالية من هذه الجسيمات لا تمتص غاز اول اكسيد الكربون فى حين ان التربة التى تحتوى على هذه الجسيمات الدقيقة تستطيع ان تمتص كميات من هذا الغاز تبلغ فى المتوسط ٨ر٤٤ ملليجرام فى الساعة لكل متر مربع من التربة .

وقد قام ثلاثةعلماء فى معهد ستانفورد للبحوث العلمية بنشر تقرير مفصل عن ظاهرة امتصاص التربة لغاز اول اكسيد الكربون قالوا فيه انه يمكن اعتبار التربة بالوعة رئيسية طبيعية لغاز اول اكسيد الكربون الذى ينطلق الى الجو سواء بطريقة او بواسطة احتراق الوقود . ولا تقوم هذه البالوعة الطبيعية بالقيام بعملها بسرعة تتناسب مع نسب تصاعد هذا الغاز السام فى الاماكن التى يزداد فيها تصاعده نتيجة لاحتراق الوقود المتزايد مثل الطرق الرئيسية التى تزدحم بالسيارات مثلا .

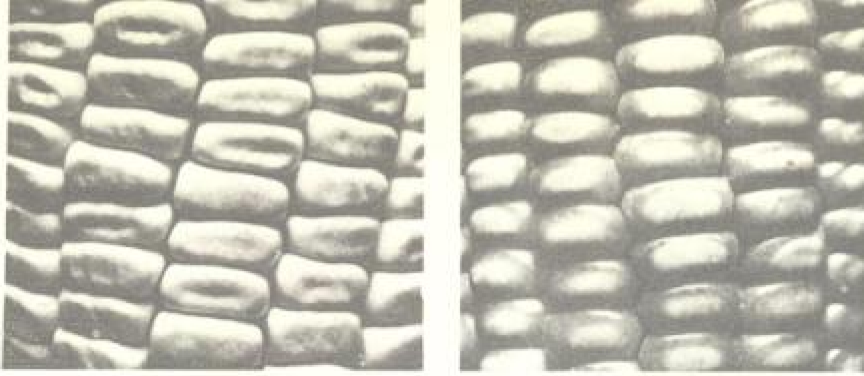
وقد احصى العلماء الثلاثة متوسط ما تستطيع التربة امتصاصه من هذا الغاز فقدروه بانه يصل الى ١ر١٩١ طنا متريا لكل ميل مربع فى العام الواحد . وعلى هذا الاساس قدروا ان فى استطاعة مسطح التربة فى الولايات المتحدة وهو يصل الى ١٢٨ر٩٧٧ر٢ ميلا مربعا ان يمتص حوالي ٥٦٩ مليون طن مترى فى العام . وهو يماثل ٥ر٦ امثال ما ينتج فى اجواء الولايات المتحدة من هذا الغاز او ثلاثة امثال انتاج هذا الغاز فى العالم نتيجة لحركة التصنيع والآلات التى ينتجها الانسان كالسيارات والطائرات .

ذُرَة " جديدة " غنية بالبروتين

● يعتمد الجنس البشرى على الحبوب فى الحصول على ٧٠٪ من استهلاكه من البروتين الذى يكون الغذاء الرئيسي للانسان . وبالنسبة للاعداد الهائلة من سكان الدول المتنامية والذين لا يستطيعون الحصول على البروتين اللازم لهم من المصادر الحيوانية فان الحبوب تعتبر المصدر الوحيد الهام للبروتين فى غذائهم اليومي . ومن اهم الحبوب الغذائية الذرة ، وهذه تأتي فى اهميتها بعد الارز والقمح . وهو يمثل المحصول الرئيسي فى كثير من البلدان وخاصة البلدان الاستوائية . وحتى فى بعض البلدان المتقدمة مثل الولايات المتحدة الامريكية تمثل الذرة مصدرا رئيسيا للغذاء بالنسبة لانتاج البروتين الحيواني متمثلا فى اللحوم والبيض واللبن .

ولكن المشكلة الرئيسية تكمن فى ان الذرة مصدر فقير من مصادر البروتين بالنسبة للحيوانات ذات المعدة الواحدة مثل الانسان والخنزير والدجاج . وبروتين الذرة ليس فقط قليل الكمية (حوالي ١٠٪) ولكنه ايضا قليل الفائدة كغذاء . فنحو ٥٠٪ من بروتين الذرة هو عبارة عن مادة الزاين Zein والذى لا يمكن هضمه بواسطة الحيوانات ذات المعدة الواحدة .

وقلة مادة الليسين فى الذرة تعتبر النقص الرئيسي فيها ، كمادة ذات قيمة غذائية . والليسين Lysine هو حامض اميني لا يستطيع الانسان او الحيوانات ذات المعدة الواحدة تمثيله داخل



الى اليمين كوز ذرة عادية تظهر فيه حبات الذرة التي لا تحتوى على نسبة عالية من مادة الليسين والى اليسار كوز ذرة غنية بمادة الليسين وتبين الصورة كيف ان سويداء حبة الذرة فيها قاتمة ودقيقة بينما سويداء حبات الذرة العادية تبدو شفافة .

اجسامهم ، ولذلك فانهم فى حاجة للحصول عليه من غذائهم .

ومنذ سنوات عديدة اكتشف العالم الامريكي توماس بير أوزبورن Thomas Burr Osborne فى محطة ابحاث كونكتكت الزراعية ان تغذية الفئران بالذرة كمصدر وحيد للبروتين تؤدى الى ظهور اعراض سوء التغذية على هذه الفئران . وقد استطاع اوزبورن ان يزيل هذه الاعراض باضافة كميات صغيرة من الليسين والتربتوفان Tryptophan الى الذرة .

وفى خلال السنوات التى تلت اكتشافات اوزبورن قام علماء السلالات النباتية باجراء تجارب عديدة لاستنباط سلالات من الذرة تتمتع بنوعية جيدة من البروتين عالمين بما لتجاربهم هذه من اهمية قصوى فى حل مشكلة الغذاء العالمية .

وفى الخمسينيات من هذا القرن بدأ العالمان الامريكيان ادوين مرتز Edwin Mertz وريكاردو برساني Ricardo Bersani بدراسة انواع الذرة المختلفة التى قد تحتوى على نسبة عالية من البروتين ولكنهما فشلا فى الحصول على اية نتيجة . وانضم اليهم بعد ذلك عالم ثالث هو اوليفر نلسون Oliver Nelson . ووضع العلماء الثلاثة برنامجا لأبحاثهم، الغرض منه تحويل نسب البروتين فى الذرة . وبدأوا ابحاثهم على نوع من كيزان الذرة اللينة القاتمة اللون Opaque 2 ونوع آخر يسمى الدقيقي Floury ويتميز النوع القاتم من الذرة بان سويداء حبة الذرة لا تسمح للضوء بالمرور فيها على خلاف الأنواع العادية الاخرى من الذرة . ويتميز النوع الثاني والمسمى بالدقيقي بكيزانه المستوية الشكل الناعمة الملمس .

واستطاع هؤلاء العلماء ان يعزلوا احدى الجينات التي اطلقوا عليها اسم Opaque 2 ووجدوا انهم بادخال هذه الجينة فى نبتة ذرة عادية يستطيعون زيادة مادة الليسين فى الذرة الناتجة مما يكاد يضاعف مقدار هذه المادة فى الذرة الأصلية ، وبعد ذلك استطاع العلماء ايضا ان يكتشفوا وجود جينة اخرى مماثلة فى نوع الذرة الدقيقي اطلقوا عليها اسم Floury 2 +

وقد نشر هذا البحث فى عام ١٩٦٤ ولكن عملية استنباط ذرةجديدة تحتوى على نسبة عالية من الليسين على نطاق واسع استمرت حتى عام ١٩٦٧ لما يستلزم ذلكمن مرور عدةدورات زراعية للحصول على بذور تتمتع بالخاصية الجديدة المكتسبة .

وقد اثبتت التجارب التي اجريت على الذرة الجديدة فى جمهورية كولومبيا بامريكا الجنوبية نجاح هذه الذرة فى القضاء على امراض سوء التغذية ، وبذلك يتيح هذا الاكتشاف املا جديدا للقضاء على امراض سوء التغذية التي تعاني منها الدول الفقيرة . ●●

ابن هَرْمَة القُرَشِيّ

شَاعِر..

■ يلاحظ الدارس أن مؤرخي الأدب العربي اهملوا الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في الدولتين الأموية والعباسية ، الا من قضى منهم معظم حياته في العصر الأموي فقد نظموه في الشعراء الأمويين ، ومن أمضى أكثر عمره في العصر العباسي فقد سلكوه في الشعراء العباسيين . أما سائر الشعراء المخضرمين فاغفلوهم ، ولم يهتموا أي اهتمام بهم ، على كثرتهم وترجمة القدماء لهم ترجمات احتفظوا فيها بغير قليل من اخبارهم واشعارهم ، وعلى مالبعضهم من خطر عظيم في مجال الدراسات الأدبية والبحوث اللغوية والنحوية .

في نسبه وميلاده اختلاف

ومن اشهر هؤلاء الشعراء المخضرمين واكثرهم، وممن اعرض عنه المحدثون منهم ابراهيم بن هرمة. وقد اختلف القدماء في نسبه ، فابن قتيبة يرى انه من قيس عيلان ، ولا دليل على ما ذهب اليه . اما اغلب النسابين فيجمعون على انه من بني قيس بن الحارث بن فهر ، وفهر اصل قريش . وقد عرف بنو عبس بن الحارث بالخلج اما لانهم نزلوا بالمدينة على خلج ، واما لانهم كانوا في عدوان ثم انتقلوا الى هوازن ، مما جعل عمر بن الخطاب ينكر نسبهم في قريش ، ويرفض ان يفرض لهم عطاء . فلما استخلف عثمان بن عفان الحقهم في بني الحارث بن فهر ، وجعل لهم ديوانا .

وعلى نحو ما اختلف القدماء في نسبه ، اختلفوا كذلك في تاريخ ميلاده ، فالسيوطي وعبد القادر البغدادي يتفقان على انه ولد سنة سبعين للهجرة، اما البلاذري فيذكر انه ولد سنة تسعين . وربما كان ما رجحه البلاذري هو الصواب لانه لا يتعارض مع سيرة ابن هرمة واخبار حياته الصحيحة الممحصة ، ولان ابن هرمة نفسه يقرره في قصيدة مدح بها ابا جعفر المنصور سنة اربعين ومائة للهجرة، اذ يقول فيها :

إن الغَوانِيَ قَدْ أعْرَضْنَ مَقْلِيَةً
لمَّا رَمَى هَدَفَ الخمسينَ مِيلادِي

نشأته يغلب انها في المدينة

وليس بين أيدينا شيء واضح عن نشأته سوى ما نعرفه من انه حجازي ، وانه من سكان المدينة. غير أن أبا العباس احمد بن يحيى المعروف بثعلب يزعم انه ربي في ديار بني تميم ، وانه تعلم

الدَّوْلَتَين الأمَوِيَّة والعبَّاسِيَّة

بقلم : الدكتور حسين عطوان
الجامعة الاردنية

طريقتهم في قلب الهمزة عيْنا ، كقوله في قصيدته التي يمدح فيها هارون الرشيد :

أعَنْ تَغَنَّتْ على ساقٍ مُطوَّقَةٌ
وَرْقَاءُ تَدْعُو هَدِيلاً فَوْقَ أعْوَادِ

ويغلب على الظن انه شبَّ في المدينة ، وانه تردَّد كغيره من الفتيان على ما كانت تحفل به من مجالس اللهو ودور الغناء ، لكي يستمتع بما كان يُغنِّيه المغنون فيها من اشعار الشعراء ، كما عكف حتما في هذه الفترة من حياته على شعر الشعراء الجاهليين والامويين تمثُّلاً وتهلاً حتى استقامت موهبته الشعرية . ثم مضى يوسِّع ثقافته ويُنمِّي فنه مستعينا على ذلك بعرض محاولاته الاولى على الفحول من الشعراء الامويين ، ليقوِّموها ويرشدوه الى ما فيها من عيوب ونواقص حتى يتلافاها . ففي اخباره انه لقيَ جريرا والفرزدق ، فاثنيا على ملكته الشعرية ، ونوَّها بمقدرته الفنية .

تقرب الى الامويين

وحين اطمأن الى شعره اخذ يتقرب من الامراء والخلفاء الامويين ، فقد مدح الوليد بن يزيد (١٢٥ ـ ١٢٦ هـ) . ولكن مدائحه له ضاعت ، ولم يبق منها الا قوله فيه ، وقد نقِلَ اليه انه قُتِلَ :

وكانتْ أمورُ الناس مُنْبَتَّةَ القُوَى
فَشَدَّ الوليدُ حينَ قَامَ نِظَامَها
خَلِيفَةُ حَقٍّ ، لا خليفة باطلٍ
رَمَى عَنْ قَنَاةِ الدِّينِ حَتَّى أقامَها

واهم من توطدت صلته به من الامويين هو عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، والي المدينة ومكة لمروان بن محمد (١٢٩ ـ ١٣٠ هـ) . ومن ابدع مدائحه فيه قصيدته الحائية التي يصفها ابو الفرج الاصفهاني بانها من فاخر الشعر، ونادر الكلام ، ومن جيِّد شعره خاصة . ومنها قوله :

وَجَدْنا غالباً كانت جَنَاحاً
وكان أبوكَ قَادِمَةَ الجَنَاحِ
إذا جَعَلَ البَخِيلُ البُخْلَ تُرْساً
وكان سلاحُهُ دونَ السِّلاحِ
فإنَّ سِلاحَكَ المعروفُ حتى
تَفُوزَ بِعِرْضٍ ذي شِيَمٍ صِحاحِ

ومن ممدوحيه في العصر الاموي ابراهيم بن عبد الله بن مطيع بن آسيد بن العاص ، الذي غمره ببرِّه وخيْره ومنهم ايضا عبد الله ابن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن علي بن ابي طالب ، وابراهيم بن محمد الامام .

ثم يوالي العباسيين

وما انْ يُطيحَ العباسيون بالامويين ، ويقبل واليهم الجديد الى المدينة ، حتى يخف ابن هرمة لاستقباله على مشارفها ، وينشد بين يديه قصيدة يشيد فيها به وبالهاشميين ، ويعلن ولاءه لهم ، ويتنكَّرُ للامويين،ويرميهم بالبغي والطغيان ، وان الله آبادهم جزاءً لما قدمتْ ايديهم من الظلم والعدوان . وذلك قوله لداود بن علي العباسي :

فلا عَفَا اللهُ عن مَروانَ مَظْلُمَةً
ولا أميةَ بئس المجلسُ النَّادي

كانوا كعادٍ فأمسى اللهُ أهلكهم
بمثلِ ما أهلكَ الغاوينَ مِنْ عادِ
فلن يُكَذِّبَنِي من هاشمٍ أحدٌ
فيما أقولُ ولو أكثرتُ تعدادي

احواله مع المنصور

ويبدو انه لم يتصل بابي العباس السفاح ، بل ظل منزويا في المدينة عنه ، متحرجا من الوفود عليه ، خوفا من ان يبطش به ، ويسفك دمه ، لعلاقته المكينة بالامويين ، ومدحه اياهم مديحا معجبا تناقلته الرواة لجودته وروعته . فلما تولى ابو جعفر المنصور الخلافة قدم ابن هرمة عليه ، وقلّده قصيدة طويلة ، غير انه لم يرض عنه ، بل عنّفه وتوعده بالقتل ان بلغه عنه ما يكره ، كما اقل صلته ، فاذا الشاعر يمتعض لذلك ، ويتحدث عن المكافأة الضئيلة التي وهبت له . وينقل الى ابي جعفر المنصور خبره ، فيقول : اما يرضى انى حقنت دمه ، وقد استوجب اراقته ، ووفرت ماله ، وقد استحق تلفه ، واقررته ، وقد استأهل الطرد ، وقربته ، وقد استجزى البعد ؟ اليس هو القائل في عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك :

إذا قيلَ مَنْ خيرُ مَنْ يُرتجى
لِمُعترِّ فِهرٍ ومُحتاجِها
ومَنْ يُعجِلُ الخيلَ يومَ الوغى
بإلجامِها قبلَ إسراجِها
أشارتْ نساءُ بني غالبٍ
إليكَ بهِ قبلَ أزواجِها

ويدافع ابن هرمة عن نفسه ، لعله يفوز برضا المنصور وعفوه وجائزته ، مدعيا انه قال فيه احسن من ذلك ، كقوله :

إذا قيلَ أيُّ فتىً تعلمونَ
أهشَّ إلى الطَّعنِ بالذّابلِ
وأضربَ للقِرنِ يومَ الوغى
وأطعمَ في الزَّمنِ الماحلِ
أشارتْ إليكَ أكفُّ الورى
إشارةَ غرقى إلى السّاحلِ

ولكن المنصور لم يقتنع عنه ، ولم يكافئه ، بل اتهمه بان هذا الشعر مسترق ، وانه لا يكافيء الا بالتي هي احسن .

ويمضي ابن هرمة في استرضائه للمنصور ، حينا بمدحه واعلان وفائه له ، وحينا بالتنديد بمن ثاروا عليه من الطالبيين ، وحاولوا الاطاحة به ، وخاصة محمد بن عبد الله ، الذى خرج بالمدينة سنة اربع واربعين ومائة للهجرة . فقمع المنصور ثورته وقتله ، والذى كان ابن هرمة قد احجم اول الامر عن الانضمام اليه وتاييده ، ثم لم يلبث ان انحاز له وشجعه ، بعد ان استوثق من ان ثورته قد اتسعت واوشكت ان تنجح . فلما قضى المنصور عليها ، وفتك بقائدها انكر ابن هرمة ممالأته له ، وعد ثورته عبثا وفسادا ، كما صرح بان المنصور هو صاحب الحق في الحكم ، وان الله هو الذى اختاره ليكون خليفة للمسلمين . وفي ذلك يقول :

غَلَبْتَ على الخلافةِ مَنْ تمنّى
ومنّاهُ المُضِلُّ بها الضَّلولُ
وما الناسُ احتبَوكَ بها ولكنْ
حباكَ بذلكَ المَلِكُ الجليلُ

ومع ذلك يظل المنصور متوجسا منه ، متشككا في ولائه له ، لانه كان يعلم ما تنطوى عليه نفسه من حب للامويين ومناصرة للطالبيين . ومن اجل ذلك امر سمانه وعيونه ان يراقبوه بالمدينة ، واباح لهم ان يضربوا عنقه ، ويأتوه براسه ، اذا ثبت لهم انه يحرض الناس للثورة عليه ، او انه يشايع المناهضين له .

ولعل تضييق المنصور عليه هو الذى حمله على الرحيل الى الاندلس ، حيث الامويون الذين

كانت تربطه بآبائهم في دمشق صـلات وثيقة ، ومودات عميقة ، ولكنه لا يلبث ان يعُود الى المدينة بعد ان وصل الى تاهرت على حدود الاندلس ، اذ شدّه الحنين الى اهله ، ولم يُطِق الاغتراب عن موطنه .

قنع بمدح الطبقة الثانية

على ان ابن هرمة اذا كان قد اخفق في الهرب الى الاندلس نَجاةً من تعقُّبِ المنصور له ، فقد استقر في بلده ، ووجد في الطبقة الثانية من رجال الدولة العباسية وعُمَّالها ، ووجوهِ قريش واشرافها ، واكابر الطالبيين وأعيانهم ما اغناه ، وكفل له الحياة الى آخر ايامه . ومن ممدوحيه في العصر العباسي عبد العزيز بن المطلب المخزومي ، والى المدينة للمنصور سنة اربع واربعين ومائة للهجرة ، والسريُّ بن عبد الله بن الحارث بن العباس ، عامل مكة للمنصور (١٤٣ ـ ١٤٥ هـ)، كما انعقدت بينه وبين السَّريِّ صلة طَيِّبَةٌ ، ومَوَدَّة صادقة . وكان السريُّ يتشوق اليه ، ويدعوه الى زيارته ، فزاره حين وَلِيَ اليمامة ، واقام عنده مُدَّة من الزمن مدحه فيها بغير قصيدة ، منها قوله فيه :

ذاك السَّرِيُّ الذي لولا تَدَفُّقُهُ
بالعُرْفِ ماتَ حَليفُ المَجْدِ والجُودِ
يا ابنَ الأُساةِ الشُّفاةِ المُستَغاثِ بِهم
والمُطْعِمينَ ذُرَا الكُومِ المَقاحيدِ
والسَّابِقينَ إلى الخَيْراتِ قَوْمَهُمُ
سَبْقَ الجيادِ إلى غاياتِها القُودِ

فوصله بالف دينار .

ومدح ايضا محمدَ بنَ عمرانَ الطلحيَّ ، والمُطَّلِبَ بنَ عبد الله وابْنَه الحكم ، ومحمدَ ابن عبد العزيز الزُّهْرِيَّ ، وهم من سادة قريش وعِلْيَتِها ، كما مدح من الطالبيين الحسنَ بن الحسن ، وابراهيم ، وعبدَ الله ، ومحمدا ، والعباسَ ، وهم من اشراف العلويين . ومن جيد مدحه للعباس قوله :

هَدَاني اللهُ للحُسْنَى وَوَفَّقَني
فَاعتَمْتُ خَيْرَ شَبابِ النّاسِ عَبّاسا
قِدْحُ النَّبِيِّ وقِدْحٌ من أبي حَسَنٍ
ومِنْ حُسَيْنٍ جَرَى لم يَجْرِ خَنّاسا

واستمر ابن هرمة يحيا في المدينة ، ويمدح عمال العباسيين ، وسادة القرشيين والعلويين حتى جاد بنفسه . ويقول البلاذري انه مدح المنصور بقصيدته الدالية سنة اربعين ومائة للهجرة ، لم عُمِّرَ بعدها مدة طويلة . وفي اخباره ما يدل على انه ادرك هارون الرشيد ، وانه امتدحه . ولذلك يذهب السيوطي الى ان تُوُفِّي في خلافته ، دون تحديد لسنة وفاته . والراجح انه توفي سنة ست وسبعين ومائة للهجرة(١) ، نَصَّ على ذلك نصًّا صريحا ابنُ كثيرٍ في البداية والنهاية ،وابنُ تغري بَرْدى في النجوم الزاهرة .

ولعل هذه الحياة القاسية التى عاش ابن هرمة في ظلها هي التى طبعت شخصيته بطابع الازدواجية في سلوكه ، وهي التى جعلته يخاف الموت،ويحرص على الحياة ، ويتهالك على المتع واللذات من خمر ونساء . فقد كان لا يستقر على راى ، ولا يؤمن بمذهب سياسي ، اذ كان في صدر شبابه يناصر الامويين،ثم تحوَّل عنهم ، وراح يظاهر العباسيين، كما كان يتعاطف في الخفاء مع العلويين . وكان ايضا اذا مدح عاملا او اميرا ثم قصَّرَ في مكافاته او أقلَّ جائزته ينقلب الى هجائه والتشهير به . وكان يفخر بكرمه ، وانه ينصب خيمته على قارعة الطريق ، ويوقد ناره بالليل لكى يهتدى اليه الطراق والضيفان،وسارت له في ذلك غير مقطوعة، عدَّها اصحاب المعاني من اجود الشعر وابلغه .

---

(١) في عيون التواريخ عده من وفيات سنة ١٥٠هجرية ، وهذا يبدو في راينا اقرب للحقيقة على الرغم من بيت الشعر الذى قيل انه مدح بـه هارون الرشيد فهو من وزن وقافية القصيدة التى مدح بها ابا جعفر المنصور .

ومع ذلك فقد اتهمه بعض القدماء بالبخل الشديد. ومن الطبيعي ان تتضارب الاخبار عن كرمه وبخله ، اذ لا يستبعد ان يكون مصرفه تشديد العباسيين عليه، وتربصهم به عن التبذير ، ويدفعانه الى الاقتصاد في النفقة ، خوفا من الموت جوعاً .

العلماء يستشهدون بشعره

ولشعر ابن هرمة قيمة كبيرة عند علماء البصرة والكوفة في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، اذ كانوا يَنتهُون الشعر العربي به ، ويقولون : انه خاتمة الحُجج ، وآخر من يستشهد بكلامه على قواعد اللغة والنحو . وانما الراهم بذلك ومَدُّ لهم فيه سببان : الاول انه من قريش ، اجود القبائل العربية لغة ، وافصحها اسلوباً ، وانه عاش الشطر الاكبر من عمره في القرن الثاني الهجري . ومعروف ان اللغويين لم يكونوا يحتجون بشعر الشعراء العباسيين ، بل كانوا يرفضونه ويَرُدُّونه . والسبب الثاني انهم رأوه يَبْتَني قصائده بناءً اعرابيًا جاهليًا سواء في معانيها او في اسلوبها . بل انهم ذهبوا الى ان بعضها اكمل واجمل من قصائد الشعراء الجاهليين ، فاختاروها وضربوها امثلة ونماذج يحتذى عليها .ويُقتدى بها . ومن اطرفها قوله :

ومُسْتَنْبِحٍ تَسْتَكْشِطُ الرِّيحُ ثَوْبَهُ
لِيَسْقُطَ عَنْهُ وهو بالثَّوْبِ مُعْتَصِمْ

عَوَى في سَوَادِ الليلِ بَعْدَ اعْتِسَافِهِ
لِيَنْبَحَ كَلْبٌ أو لِيَفْزَعَ نُوَّمْ

فَجَاوَبَهُ مُسْتَسْمِعُ الصَّوْتِ لِلْقِرَى
له مع إتيانِ المُهِبِّينَ مَطْعَمْ

يَكَادُ إذا ما أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلاً
يُكَلِّمُهُ مِنْ حُبِّهِ وهو أَعْجَمْ

واستئناسا بهذين السببين اعتمد اللغويون على شعره اكبر الاعتماد ، بحيث لا نكاد نفتح اى معجم من معاجم اللغة حتى تلقانا اشعار كثيرة له ، استدل اللغويون بقسم منها على معاني بعض الالفاظ مما لم يعثروا عليه عند غيره من الشعراء، مثل استخدامه لكلمة السّحاح بمعنى السمين من الغنم ، واستخدامه الفعل ذرا بمعنى خبر . واستشهدوا بقسم آخر منها على بعض الصيغ التي تخالف القواعد المطّرِدة ، مثبتين لها بجانب الاشتقاقات الشائعة ، ومدَلّلين بها على جوازها وصحتها لورودها في شعره ، ومن ذلك استخدامه للصفة مَمْرُوتة بمعنى الارض المقفرة بدلاً من مَرْتُوت ، مع انها اللغة الاوسع والأشيع ، واستخدامه لصيغة مُفْعِل من الفعل الرباعى أوْرَسَ وأبْقَل مع ان الأصح والأشهر استخدام صيغة فاعل فيهما .

جمع شعره أكثر من واحد

ومن عجيب الامر ان يعنى بجمع شعر ابن هرمة ونشره غير واحد في اكثر من بلد عربى ، بعد ان عزف الباحثون عنه زمنا طويلا . فقد جمعه السيد محمد نفاع بدمشق ، كما جمعته وحققته دون ان اعلم انه فرغ منه واعده ، وان مجمع اللغة العربية بدمشق قد شرع في طباعته . وفي اثناء زيارتى لدمشق ، ومراجعتى صديقى الدكتور عزة حسن في بعض ما خَفِيَ على من شعر ابن هرمة . اشار عليّ ان انشر ما جمعت من شعره مع محمد نفاع، فوافقت على ذلك . وقد ظهر شعره بتحقيقنا في العام الماضى . ومن اغرب المصادفات أن يشتغل السيد محمد جبّار المعيبد في العراق بجمع شعر ابن هرمةفي الفترة التى كنا نتوفر على جمعه فيها. وقد طَبَعَ ما جمعه من شعره مجمعُ اللغة العربية ببغداد في السنة المنصرمة ايضا . ومن المحقق ان عمله افضل من عملنا ، فقد جمع للشاعر ابياتا وقصائد اكثر مما جمعنا ، واهتدى ايضا الى تدقيقات وتحقيقات لم نتوصل اليها ، لانه وقع على مصادر مخطوطة ومطبوعة لم نقع عليها ، ولا كان يخطر ببالنا ان لابن هرمة شعرا فيها ، كما انه ظفر ببعض المصادر التى لا توجد في غير مكتبات العراق ، والتي لا يعرف بعضها الا افراد معدودون ، مثل مخطوطة اخبار العباس التى يمتلكها الدكتور عبد العزيز الدورى . ■■

حسين عطوان



احد مشاهد اوبرا « عايدة » Aida وقد عرضت لاول مرة في القاهرة سنة ١٨٧١، وكان ذلك بقيادة ملحنها فيردي Verdi وبدعوة من الخديوي اسماعيل ، وفي مناسبة افتتاح دار الاوبرا في القاهرة ، تلك الدار التي التهمتها النيران في اواخر سنة ١٩٧١ وكانها ابت عليها ان تعمر اكثر من مائة عام.

الأوبرا

مكانها من الفن العالمي ومنزلتها في الأداء المسرحي

■ الفنون المسرحية في الغرب لا تقتصر على الدراما او التمثيل . فهي تشمل ايضا رقص الباليه والموسيقى السيمفونية ، وتشمل كذلك الاوبرا .

الشبه اذن قائم بين الاوبرا والتمثيلية . فكلتاهما مسرحية بقدر ما تتخذ من خشبة المسرح اساسا لادائها . وكلتاهما تروى ، بل تمثل ، لنا قصة لطيفة ممتعة . ولكن هذه القصة التي تجمع بين هذين الفنين المسرحيين هي نفسها التي تفرق بينهما . فهي بمثابة الجوهر في التمثيليات ولا تقوم لهذه قائمة من دون قصة ، جادة كانت هذه ام هزلية . وما الغاية التي تنشدها التمثيليات باكثر من التوجيه والارشاد او الايناس والامتاع الذي تتوخاه من قصصها . والامر خلاف ذلك في الاوبرا .

ذلك ان الغناء هو العنصر الاساسي الاول في

الاوبرا . فالقصة التي ترويها او تمثلها لنا الاوبرا انما تنقلها الينا غناء ، لا حوارا بالكلام العادي على نحو ما تفعل التمثيلية . وممثلو الاوبرا كلهم مغنون مجيدون ، واصواتهم والاغاني التي يرددونها هي اهم ما في الاوبرا ، وذلك من حيث الالحان والانغام التي تتمثل في تلك الاغاني لا من حيث القصة التي ترويها . لا عجب اذن ان عرّفوا الاوبرا بقولهم « مسرحية غنائية » ، ولا غرابة ان طغى اهتمام الناس بالموسيقار الذي لحن الاوبرا على اهتمامهم بالاديب الذي كتب قصتها .

وتجدر الاشارة الى ان الاوبرا ، كل اوبرا ، تضم عددا كبيرا من المغنين ، قد يبلغ المائة احيانا .

على ان اكثر هؤلاء هم من مغني المجموعة (الكورس) وليسوا كلهم مغنين رئيسيين . فهؤلاء قد لا يزيد عددهم في الاوبرا الواحدة على عدد اصابع اليد . والمهم ليس عددهم وانما اصواتهم التي لابد وان تتجلى فيها ، روعة صوت الانسان وقدرته الممتازة على الغناء ، والتي لابد وان تتمثل فيها طبقات الصوت البشرى المختلفة واهمها :

التنور Tenor والباريتون Baritone للرجال

والسوبرانو Soprano والكونترالتو Contralto للنساء

وقد يوجد بين مغني الاوبرا الرئيسيين من يمكن تسميته نجم اوبرا ، وقد لا يوجد . فنجوم الاوبرا قلائل في التاريخ ، وقد لا يزيد عددهم على عشرة او عشرين في الجيل . ويعزى ذلك الى ما يشترط في هؤلاء النجوم من مواهب فطرية نادرة وكفايات مكتسبة فذة . وحسبنا ان نذكر من هؤلاء المغنين الايطالي انريكو كاروزو Enrico Caruso وهو اشهر نجوم الاوبرا جميعا بلا نزاع .

اما العنصر الاساسي الثاني في الاوبرا فهو ، كما لا يخفى ، الموسيقى . اذ لا اغاني ولا غناء بلا موسيقى . لا عجب اذن ان كانت كل دار من دور الاوبرا تضم فرقة موسيقية خاصة بها . وتتألف الفرقة الموسيقية الكاملة - والمقصود هنا الموسيقى الكلاسيكية طبعا - من حوالي سبعين عازفا ، وقد يزيد عددهم على المائة احيانا . اما مكانها فامام خشبة المسرح ، وتحت مستواها بحيث لا يكاد يرى الجمهور سوى قائد تلك الفرقة .

وغالبا ما تبدأ فرقة الاوبرا الموسيقية الاحتفال وقبل رفع الستار بمقطوعة تسمى Overture او الافتتاحية ، تعزفها على انفراد دون اى غناء . وتمضي الفرقة بعد ذلك وتواصل العزف منفردة او مرافقة الغناء حتى النهاية . ولو ذكرنا ان موسيقى الاوبرا هذه كانت النواة التي انبثقت منها اصلا الموسيقى السمفونية نفسها ، لادركنا مدى خطورة موسيقى الاوبرا وبُعْد اثرها .

ونأتي الآن الى الرقص باعتباره العنصر الاساسي الثالث في الاوبرا . وهذا يعني أن دور الاوبرا ، اكثرها ان لم نقل كلها ، تحتفظ بفرقة رقص خاصة ، كاحتفاظها بفرقتها الموسيقية وبكورسها وسائر المغنين فيها . والرقص هنا من نوع الباليه دائما ، بل ان رقص الباليه في كثير من اقطار اوربا لم يكن له في السابق وجود مستقل عن الاوبرا .

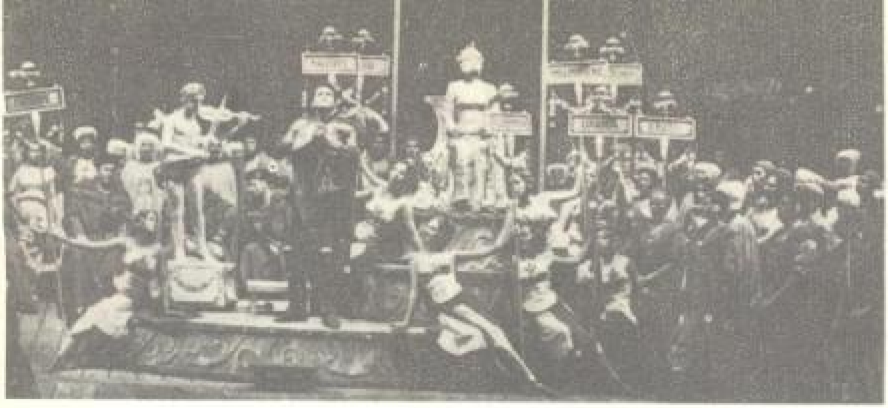
وقد نذكر بعد ذلك عناصر اخرى كالثياب والمكياج وزخرفة المسرح وما الى ذلك ، وهي كلها عناصر هامة ولا شك ، الا انها ليست من عناصر الاوبرا الاساسية .

والاوبرا نوعان رئيسيان : الاوبرا التقليدية او العظيمة Grand Opera ، والاوبرا الهزلية Comic Opera والفرق بين هذين النوعين ليس فرقا بين طابع الجد والرصانة، وطابع الضحك والتسلية، كما توحي بذلك التسمية . وقد لا تكون الاوبرا الهزلية مضحكة ابدا ، وقد يتخلل الاوبرا التقليدية كثير من المواقف المضحكة .

ولعل اختلاف النوعين من حيث الاداء هو الفارق الاهم بينهما . فالغناء، وهو قوام النوعين كما اسلفنا ، يكون غناء خالصا في الاوبرا التقليدية ، ويكون غناء مختلطا بالحوار في الاوبرا الهزلية . والنوع الاول هو الاقدم وهو الذى يحظى بمزيد من التقدير في الغرب وينطوى على مزيد من صعوبة ، سواء في الاعداد او الاداء .

ويتفرع عن النوع الثاني من الاوبرا ثالث يسمى الاوبريت Operetta . فالاداء هنا يجمع بين الغناء والحوار كما في الاوبرا الهزلية . الا ان الطابع الغالب على موضوع الاوبريت هو الطابع العاطفي الخفيف .

وتجدر الاشارة هنا الى نوعين آخرين ظهرا



مشهد من احدى اوبرات فاجنر ، Richard Wagner (١٨١٣ – ١٨٨٣) ، الموسيقى الالماني العظيم . وتجدر الاشارة هنا الى أن الالمان كان لهم شأن كبير فيما يتصل بالاوبرا ، ناهيك بالموسيقى بصورة عامة . ويأتي موزار Mozart في طليعة ملحني الاوبرا الالمان . أما فاجنر فلعله بزّ زملاءه جميعا ، ذلك انه أحدث من التجديدات الجذرية في الاوبرا ما لم يتسنّ لغيره من معاصريه

وتطورا في الولايات المتحدة الامريكية في النصف الاول من القرن العشرين . ويعرف احدهما باسم الكوميديا الموسيقية Musical Comedy ، ويسمى الاخر الرواية (التمثيلية) الموسيقية Musical Play . وقد يكون هذان النوعان اقرب الى افهام عامة الناس واذواقهم . ولعلهما اشد صلة بالواقع واكثر تجاوبا وحياة الانسان المعاصر . الا ان هذه الصفات وغيرها هي التي حملت بعض النقاد على الجزم باختلاف النوعين الامريكيين عن الاوبرا والاوبريت اختلافا كليا . فهما في راى هؤلاء نتاج امريكي صميم بينما الاوبريت والاوبرا بشتى فروعها فنون اوروبية صرفة .

وهذا قول صحيح ، وبخاصة في نظر التاريخ . فالاوبرا فن اوروبي بل ايطالي خالص. فالايطاليون هم الذين استحدثوا الاوبرا التقليدية في عصر النهضة الاوروبية الحديثة . وهم الذين طوروها وتابعوا الاهتمام بها تلحينا واداء . ثم ان الاوبرا الهزلية ظهرت وترعرعت في ايطاليا ايضا . لقد تخصص الطليان في فنون الاوبرا ، بل عاشوها ورددوا اغانيها في حياتهم اليومية ، بقدر ما اعتنوا بها في معاهدهم واحيوها في الدور الخاصة بها .

وليس معنى هذا ان الايطاليين ابتكروا الاوبرا او خلقوها من لا شيء . اذ ان للاوبرا جذورا تعود بنا الى القرون الوسطى والى المسرحيات الغنائية الدينية التى كانت تقيمها الكنائس آنذاك . ولعل أهم جذور الاوبرا هي تلك التى نجدها في الدراما اليونانية القديمة ، وبخاصة في التراجيديا الاغريقية كما كانت في عصر بريكلس .

على ان الجذور لاتكفي وحدها لطلوع الشجرة الفارعة ... ولولا الايطاليون لما ظهرت « شجرة » الاوبرا ولما تمت في الوقت الذى ظهرت وتمت فيه .

فاول اوبرا حديثة واسمها لادافنه La Dafne تم اخراجها واداؤها في مدينة فلورانسا سنة ١٥٩٧ . وكان ملحن هذه الاوبرا هو الموسيقار برى Peri وكان كاتب نصوصها هو رينوتشيني Rinuccini ، وكلاهما ايطالي . اضف الى ذلك ان اول دار للاوبرا انشئت في مدينة البندقية سنة ١٦٣٧ .

وحسبنا ان نذكر ان الموسيقيين الايطاليين كانوا في طليعة الموسيقيين الاوروبيين الذين لحنوا للاوبرا على مر الاجيال. ونذكر من هؤلاء ، على سبيل المثال ، روسيني Rossini ، ملحن اوبرا « حلاق اشبيليا » ، وهي اشهر اوبراته ، وقد عرضت لاول مرة سنة ١٨١٦ . ونذكر ايضا بوتشيني Puccini ، صاحب اوبرا « مدام بترفلاى » (سنة ١٩١١) وتوسكا (سنة ١٩٠٠) . اما فيردى Giuseppe Verdi (١٨١٣ – ١٩٠١) فيعتبر في مقدمة موسيقيي الاوبرا الذين احدثوا تجديدات هامة في الاوبرا في القرن التاسع عشر . وهو ايطالي كما لا يخفى وقد لحن فيما لحن اوبرا ترافياتا (١٨٥١) واوبرا « عايدة » ، وقد عرضت لاول مرة في القاهرة سنة ١٨٧١ وذلك بمناسبة افتتاح دار الاوبرا . ويذكر ان العمل في قناة السويس كان قد اكتمل قبل ذلك بسنتين، اى سنة ١٨٦٩ . ■■

من غرائب القضايا

تروبمان السفاح قاتل الثمانية

بقلم : حسن الجداوى

■ شغلت هذه القضية الرأى العام الفرنسي بل والاوروبي وربما الامريكي من اول يول اكتشفت فيه الجريمة الى يوم تنفيذ الاعدام في مقترفها . وبلغ من هياج الرأى العام ضد المتهم ان البوليس اتخذ من الاحتياطيات غير العادية الكثير حتى لا يفتك الناس بالمتهم في انتقالاته وفي قاعة المحكمة .

وحين علم الناس ان لاشو كبير محامى فرنسا في تلك الايام الذى كانوا يسمونه (لاشو او الدفاع) قد قبل ان يحضر مع المتهم هاجوا وفقدوا اتزانهم وامطروا المحامى وابلا من الرسائل يعترضون على قبوله تلك المهمة . منهم الصديق الذى اشفق على لاشو من حمل العبء . ومنهم المستنكر ... بل ومنهم المهدد للمحامى في ماله وفي حياته .

وهكذا وجد المحامى نفسه مضطرا في بداية مرافعته ان يبرر قبوله للدفاع كما لو ان اداء الواجب والنهوض بالرسالة في حاجة الى تبرير . قال :

« لقد طلب الىّ تروبمان ان ادافع عنه ... وهو واجب جئت اؤديه امامكم . ان الذين يجهلون رسالة المحامى ــ او بعضهم على الاقل ــ قد دهشوا . والذين يقولون ان من الجرائم ما تجاوز حدود الفظاعة وان من المجرمين من بلغت قسوتهم ووحشيتهم حدا لا يبيح محاولة التخفيف من جرمهم فضلا عن الدفاع عنهم ، يرتكبون خطا كبيرا . انهم في استهجانهم الكريم النبيل يخلطون بين العدالة وشهوة الغضب والانتقام . انهم ينسون انهم ــ فيغضبتهم للضحايا وعطفهم عليهم ــ يطالبون بارتكاب جريمة اجتماعية اشد خطرا واكثر هولا .. هى التضحية بالقانون .

« اما انا فافهم واجب الدفاع على غير هذا النحو . ان القانون يحتم ان يقف بجانب المتهم ــ ايا كان ذلك المتهم وايا كانت جريمته ــ صوت امين . شريف . مخلص ، ليكون سدا منيعا ضد حماس الجمهور الذى تزداد خطورته كلما ازداد كرمه ونبله . ان حماس الجماهير قد يؤدى ــ عن قصد ــ الى واد الحقيقة ودفنها » .

« اما القانون ــ ايها السادة ــ فهادىء الطبع لا يقر الشهوة وان كانت كريمة نبيلة . ان القانون يدرك ان الوصول الى الحقيقة يتطلب ان يتولى البحث عنها الاتهام والدفاع على قدم المساواة كما يدرك انه قد تأتى ساعة يتحتم علينا ــ جميعا ــ ان نغض الطرف عن منظر الضحايا والاشلاء ، لان الضحايا والاشلاء ليست كل شىء في القضية . وان من حق المتهم الماثل امامكم ، ان يَشمل هو الآخر بنظرة . وان واجب العدالة . وواجب القاضي ان يتقصى عن المتهم الماثل امامه ... عن الانسان .. وعن طبيعته ... وعن شهواته .. وعن عقليته .. وحالته الخلقية .. وبيئاته .. لذلك يقول القانون للمحامى : « يجب ان تتقدم للقضاء وليس معك الا ضميرك ... ان حق الدفاع وحرية الدفاع هما وديعة القانون في عنق المحامى وضميره وشرف مهنته ... وبذلك وحده يمكن التوفيق بين حق الهيئة الاجتماعية وحق الدفاع المقدس » .

★ ★ ★

فمن هو تروبمان هذا ؟ وما تفاصيل جريمته التى اضطرت محاميا كبيرا بل شيخ المحامين في زمانه ان يعتذر ويبرر موقفه ؟



كنا في عام ١٨٦٩ . في اواخر ايام الامبراطورية الثالثة ؛ حيث ادى تقدم المواصلات وامتداد خطوط السكك الحديدية وانتشار العمران الى استتباب الامن وانتهاء ايام قطاع الطرق التي كانت تعبث في طرق فرنسا وتنشر فيها الرعب والخوف.

وفجاة تطلع الصحف الفرنسية على الناس بنبا – كما يقول الشاعر – طوى البلاد وفزع الناس منه بامالهم الى الكذب – هو العثور على ست جثث مدفونة في حقل قريب على مشارف العاصمة باريس .. لامراة حامل واطفال يتراوح اعمارهم ما بين سنتين وثلاث عشرة سنة .

وهاج الاكتشاف الراى العام حتى اصبح الناس يتتبعون اخبار التحقيق ولا يلتفتون لاخبار السياسة لدرجة جعلت بعض الكتاب بعد هزيمة حرب السبعين وانهيار الامبراطورية يكتبون ان هذه القضية لا وجود لها وانها من اختراع مخابرات نابليون الثالث ليلفت الانظار عن فضائحه وفساد حكمه .

★ ★ ★

بدأ البوليس تحرياته لمعرفة شخصية اصحاب الجثث . وكان التوفيق حليفه . فقد دلت التحريات على ان عربة (حنطور) خرجت من احد ابواب باريس وكانت تقل سبعة اشخاص وعادت خالية . واستدعى قائدها فافضى باقوال صريحة واضحة . قال ان شابا وسيدة وخمسة اطفال ركبوا معه حتى بداية الحقل . وترجل الشاب والسيدة واخذا طفلين معهما وقالا للثلاثة الاخرين انهما ذاهبان للبحث عن والدهم ونصحاهم بالهدوء وعدم الابتعاد عن العربة الى ان يعودا . وانه بعد ان انصرفوا قال له اكبر الاطفال الثلاثة انهم لا يعرفون اين يوجد والدهم وان صديق والدهم وكانوا ينادونه باسم تروبمان – لا يعرف اين هو . وبعد نحو ساعة او اكثر عاد هذا الصديق وايقظ الاطفال من نومهم وكان بادى الاستعجال وقال لى انهم لن يعودوا الى باريس الا في اليوم التالى ودفع لى اجرتى وانصرفت .

★ ★ ★

وفي ذات اليوم تقدم احد اصحاب الفنادق الصغيرة بباريس الى المحقق لانه احس بالقلق على مصير اسرة اقامت عنده تحت اسم جان كنك وخرجت ولم تعد . وعرض عليه المحقق صورة عثر عليها في مكان الجثث فقال صاحب الفندق انها لجان كنك بينما قال سائق العربة انها لتروبمان . ولا يتصور ان يكون الاسمان لنفس الشخص فالاولاد يعرفون اباهم ويعرفون صديقه ووضح ان تروبمان

قد انتحل شخصية جان كنك حين نزل بالفندق ولامر ما غير اسمه كما جدع الاخر انفه . واسترسل صاحب الفندق في الادلاء بمعلوماته فقال ان الشخص الذي عنده باسم جان كنك قال له انه يعتزم الهجرة الى امريكا عن طريق ميناء الهافر . فاسرع رئيس الشرطة بايفاد عدد من اعوانه الى تلك المدينة من باب استكمال البحث . وكان الحظ حليفهم فقد اتجهوا الى احدى الحانات ولقوا فيها عددا من المشبوهين وطلبوا منهم ابراز اوراق هويتهم فتقدموا بها الا واحدا منهم بدا عليه التلعثم فاخذوه ليتثبتوا ـ في قسم الشرطة ـ من شخصيته . ولكنه في الطريق غافلهم ودفع رجلي الشرطة اللذين كانا بجواره والقى بنفسه في حوض لاصلاح السفن كانوا يسيرون على حافته ولكن احد البحارة انقذه ـ برغم مقاومته ـ وعاد به وسلمه لرجال الشرطة . واثناء تفتيشه قبل ايداعه السجن تبين انه الفريسة التى يبحثون عنها وان معه تذكرة سفر مفردة ـ اى بدون عودة ـ الى امريكا في الغد على الباخرة «الافاييت» وكاد يفلت لولا الصدفة التى كثيرا ما تحالف العدالة .

★ ★ ★

ونشرت الصحف اخبار القبض فهاج الناس ورابطوا امام محطة السكة الحديد وبداخلها يريدون الفتك به وتمزيقه مما اضطر البوليس الى الاستعانة بقوة من الجيش لاركابه القطار والى قوة اكبر في محطة سان لازار بباريس ومع ذلك اخرجوه في باريس من باب خلفي وفي عربة مصفحة وسط صياح الجماهير « اقتلوه . اقتلوه . » .

وقادوه الى المشرحة فالقى على جثث ضحاياه نظرة خالية من التأثر وتعرف عليها جثة بعد اخرى ثم قال دون ان يسأل « انا لست جان كنك . ان جان كنك وابنه جوستاف هما القاتلان . اما انا فاقتصر دورى على الامساك بالضحايا » .

★ ★ ★

وبدأ المحقق يصف في محضر التحقيق المتهم . الزاسي . نحيف الجسم . في العشرين من عمره ، طويل الذراعين . كبير الاذنين . انفه اشبه بمنقار الصقر . لحيته لم تنبت بعد . تبدو عليه مظاهر الغباء والحيوانية . ازرق العينين . يداه ضخمتان. عيناه زرقاوان ولهما بين الفينة والفينة بريق غريب .

انه ينتمي الى اسرة ميسورة الحال ـ او كانت في سعة من العيش ـ ولكن الاب كان واسع الخيال يعتقد انه مخترع، لذلك بدد كل ما جمع وما ورث في الجرى وراء اختراعات فاشلة . واورث ابنه مرضه هذا .. الرغبة في الثراء العاجل من اى سبيل .

★ ★ ★

واودع تروبمان السجن فتبين انه ـ على نحافته ـ قوى العضلات . وحين كان يغضب ـ وكثيرا ما كان يغضب ـ كان لا بد من اربعة رجال اشداء للتغلب عليه .

★ ★ ★

وراوغ كثيرا اثناء التحقيق . فادعى بادي الامر ان الاب جان كنك وابنه جوستاف قتلا الزوجة والابناء للتخلص من اعباء الاسرة . وان حمل الزوجة اصاب الاب بنوع من جنون اليأس . ولما سئل عن سبب حضورهم الى باريس قال ان الاب وابنه جوستاف حضرا الى باريس ـ قبل الجريمة بعدة اسابيع ـ لتحقيق مشروع صناعي ينقذهما من الافلاس فلما لم ينجحا لم يريدا التسليم بالفشل وقررا التخلص من الزوجة والاولاد .

وطبعا لم يكن امام المحقق ما يثبت هذا الادعاء او ينفيه . ولكن بعد اقل من اسبوع عثر احد المزارعين على جثة جوستاف . فلما عرضت عليه ـ اى على تروبمان ـ قال ببساطة وبحضور بديهة يحسد عليها « اذا لقد قتله هو الآخر » . والقى التهمة على الاب وحده .

ولكن ذلك لم ينطل على المحققين فقد ايقنوا ان تروبمان هو المسئول عن اختفاء الاب ايضا وعكفوا على البحث عن جثته . ولما كادت ابحاثهم تفشل . ولغير ما سبب قال تروبمان . « انا الذى قتل جان كنك بالسم وتجدون جثته مدفونة بجوار اطلال قصر هيرنفلوت بالالزاس . » .

وكان صادقا في هذه المرة فقد عثروا على الجثة في المكان الذى عينه لهم .

★ ★ ★

وادلى تروبمان باعتراف مفصل . لقد تعرف على جان كنك وعمل عنده ميكانيكيا ونمت بينهما صداقة متينة . فكلاهما من الالزاس . وكان تروبمان محتاجا لبعض المال ليهاجر الى امريكا

الجنوبية حيث كان موقنا انه سيجمع مالا كثيرا .. وكان جان كنك في عسر شديد ولكن كان لديه بعض المال السائل الذى يكفى لسفر تروبمان الى الدنيا الجديدة . فصمم على قتله . واوهمه بوجود مشروع ناجح وعرض عليه ان يشتركا في شرائه واستغلاله . واتفقا على ان يتقابلا - يوم ٢٥ اغسطس - بقرب المشروع لدراسته. وسافر تروبمان الى باريس ونزل في الفندق باسم جان كنك مستعملا اوراقا سرقها من صديقه . ولما تقابلا اتجها لرؤية المشروع - الوهمى طبعا - وتوقفا في الطريق لياكلا ، فدس تروبمان السم لضحيته . واخذ ساعته والنقود التى كانت معه وشيكا بمبلغ خمسة آلاف فرنك وبعض توافه (على حد تعبير تروبمان) . ثم دفنه بجوار اطلال القصر ورسم صليبا على صخرة بمكان الدفن .

ادلى تروبمان باعترافه هذا بنفس اللامبالاة التى اظهرها وقت التعرف على الجثث في المشرحة ثم استطرد يقول « وحاولت صرف الشيك ولكننى وجدت امامى بعض الصعوبات فلم اصر وقررت ان اكتب للاسرة مدعيا ان جان كنك قد اصيب بجرح بسيط في يده واننى انما اكتب باملائه . وانه مرتاح للمشروع الذى عرضته عليه ويامل ان يدعوهم قريبا لموافاته بالالزاس » .

★ ★ ★

وكان تروبمان قد رتب جميع ادوار جريمته . طلب ان يحضر جوستاف الى باريس ليستعين به على تذليل الصعاب التى صادفته في صرف الشيك . ووصل جوستاف الى باريس في ١٧ اغسطس . وفى نفس اليوم اشترى تروبمان فاسا وجاروفا . ثم صاحب جوستاف الى المزارع بحجة مقابلة والده وهناك قتله ودفن جثته . وفى نفس الليلة ارسل تلغرافا الى الزوجة - لعلمه انها تحتفظ ببعض المال (تحويشة العمر) في صندوق لايفارقها اينما توجهت وهو يطمع في تلك التحويشة ليستعين بها على دفع اجرة رحلته الى العالم الجديد .

★ ★ ★

وضحت للمحققين تفاصيل الجريمة بجميع ابعادها وبقى مع ذلك سؤال محير . ايمكن ان يكون تروبمان قد ارتكب تلك المجزرة بمفرده ؟؟؟ اما تروبمان فلم ينكر او يعترف ان له شركاء .

وكان رده على من يلحون عليه يطلبون الاجابة ، « الا يكفيكم شخصى ؟ » .

★ ★ ★

وتحدد للمحاكمة يوم ٢٨ ديسمبر امام محكمة جنايات السين . وكان الجو باردا قارصا والريح صرصرا . ومع ذلك امضى عدد كبير من الناس الليل امام باب قاعة الجلسة ليضمنوا لانفسهم مكانا داخلها . بينما استطاع عدد من المحظوظين من امثال كبار الكتاب الفونس دوديه وجوستاف فلوبير الحصول على تذاكر دخول صرفها لهم رئيس المحكمة، ذلك ان الناس جميعا كانوا يتوقعون ان تسفر المحاكمة عن افشاء اسرار خفية للجريمة .

ولقد حاول كثيرون من اصدقاء لاشو المعجبين به ان يجعلوه يتنحى عن الدفاع عن سفاح الاطفال ، فلما علموا بانه مصر على المرافعة جاءوا يرون كيف يعالج تلك القضية الخاسرة . كما وصل الى لاشو خطابات تهديد وخطابات توسل . ولكن المحامى لم يعر هذه الخطابات اهتماما وصمم على اداء رسالته كاملة وليكن ما يكون .

اذا هم القى بين عينيه عزمه
ونكب عن سوء العواقب جانبه

★ ★ ★

كانت التهم التى وجهتها النيابة العمومية للمتهم ثلاث عشرة ، ثمانى تهم قتل عمد مع سبق الاصرار مع ما صحبها من سرقات وتزويرات وحمل سلاح الخ .

وترافع لاشو مرافعة استغرقت ثمانى ساعات بغير انقطاع نورد هنا بعض فقرات منها قال : بعد المقدمة التى نشرنا جزءا منها .

« تقوا ايها السادة اننا جئنا امامكم للبحث عن الحقيقة كما توصلنا اليها بلمحة وامانة . فان كانت هناك جريمة تتطلب دفاعا فهذه هى الجريمة . جريمة لم يسبق لها مثيل . بل مجموعة جرائم . والجمهور الصاخب يطالبكم باشد العقوبات واقساها .... الستم تدركون معى ان اقوال الدفاع ضرورية لتحول بينكم وبين خطر الاصغاء لصيحات الجمهور . ؟ لقد اقسمتم بان تحرصوا على مصلحة الهيئة الاجتماعية . كما اقسمتم بان لا تضحوا بمصلحة المتهم . ووعدتم بان تبقوا هادئين وان تبحثوا عن الحقيقة غير متاثرين بصرخات العابثين . لقد اقسمتم ان تتركوا الكلمة الاخيرة

لضمائركم بعد ان تكونوا قد استمعتم لكل شيء ، لذلك استحلفكم بان تلزموا ضمائركم الصمت والانتظار وان تعيروني آذانكم في شجاعة وصبر ..

اي مخلوق تروبمان هذا ؟ لقد بحثت عن حقيقته اكثر من مرة فلم اعثر عليه . ما طبيعته ؟ ارجل هو ام نمر مفترس ؟ امسئول هو عن اعماله ام مخبول لا يعي ما يفعل ؟ هذه هي المسألة . وارجو ان يصدقني الاتهام حين اقول انه لا مسألة سواها . لقد قال لكم من عرفوه انه انسان مهموم غامض يحلم بالثروة والملايين في وقت من في سنه لا يفكر الا في الالعاب .هجر القرية وجاء الى المدينة . اتحسبونه جاء جريا وراء الملاهي والملذات ؟ لا . هل كان يتردد على الحانات ؟ لا . هل اتخذ رفاقا من مثل سنه؟ لا. لم لا . ومع ذلك فان هذا المخلوق الحزين الكئيب احتفظ في ركن عامر طاهر في قلبه بحبه لامه وبره بها .... ان اردتم ان تشاهدوا عاطفة قد تستقربونها منه ؟ ان اردتم ان تروا الدموع تنحدر من هذه المآقي الجامدة فانه يكفي ان احدثه عن امه . اجل . فان هذا القاتل المتحجر القلب كان يحب امه وما يزال يحبها . ويعبدها . (وهنا بكى تروبمان واسقط راسه بين يديه واخفى وجهه بين قضبان قفصه ولم يرفع راسه طوال المرافعة الطويلة) .

* * *

لقد كذب تروبمان اثناء التحقيق . وتعددت اكاذيبه . ذلك ما لا انكره . ولكن هل معنى ذلك ان كل ما قاله كذب ؟ لقد قذف في حق ضحاياه . ليكن . ان ما فعله مخجل . اقسى من القتل فليكن ايضا . ولكن هل تريدون ان تحاكموا تروبمان باقواله ؟ انني لا اتلقى الحقيقة من اقواله . انني لا اصدقه هو ولكنني اصدق الشهود .

لقد قال لكم ان كنك الاب مات مسموما . ولم يشا احد ان يصدقه ولكن العلم اثبت صحة ما قاله تروبمان . قال لكم ما اعتقده الناس جميعا منذ اللحظة الاولى . قال انني لم ارتكب هذه الجرائم الشنيعة وحدي . لقد كان لي ثلاثة شركاء حين قتلت الاب . واثنان عند قتل الابن . وثلاثة في ليلة المجزرة ليلة ١٩ سبتمبر ..

« انهم يطالبونه باسماء شركائه . وهو لا يستطيع ان يبوح بتلك الاسماء . فيقولون له « كذبت . وانت كذاب . تزعم ان لك شركاء وتطالب بذكر اسمائهم فتدعي انك لا تستطيع » ولكن في الحياة ظروفا يجب ان نحترمها وان لم نفهمها . لماذا يكتم تروبمان اسماء شركائه ؟؟ لست ادري . لقد هم ان يبوح لي ـ انا محاميه ـ بتلك الاسماء ولكنني رفضت واشفقت على نفسي من حمل ذلك السر الخطير ... آه لو كان مخدوعا او كان يخادعني ..

انني اسلم جدلا ان يكون تروبمان قد قتل وحده جوستاف كنك . وانه دفنه وحده . بل دعوني اسلم انه لم يكن له شركاء حين قتل الاب وحين قتل الابن . ولكن ... ماذا عن بقية الاسرة ؟؟ اقول ان ذلك مستحيل ولو لم يكن لدى شاهد واحد . ومع ذلك فان لدى شهودا . اقول ان ذلك مستحيل ولو لم يكن احد قد رأى الشركاء ومع ذلك فقد رآهم شهود ....

لا ، ان تروبمان لم يكن وحده في تلك المذبحة . فقد كان لكل فرد من افراد الاسرة قاتله،ولاحظوا ان كل واحد قد قتل بطريقته الخاصة . هذا بسكين ، وذاك بالخنق باليدين ، وثالث بضربات الفاس ... انني اقول للاتهام ان هناك اربعة قتلة ... وانتم لا تحاكمون الا واحدا منهم . فبحق الله . وبحق العدالة . ابحثوا عن الاخرين ولا توصدوا الباب في وجه الحقيقة .

اذا قبلنا نظرية الاتهام فان تروبمان يكون قد دبر القضاء على هذه الاسرة وانه قال لنفسه منذ اللحظة الاولى ورتب خطواته قبل البدء في مشروعاته . قال لنفسه انه سيقتل ثمانية اشخاص وسيحفر لهم قبرا بجوار احد ابواب باريس . ان كان قد فكر في ذلك ونفذه فهو اذا مجنون . مجنون . ومن اجل شرف الانسانية لا تقولوا غير ذلك . ولا تجعلوا الناس يعتقدون ان رجلا عاقلا استطاع ان يدبر وينفذ مثل هذه الفظاعات . ان انسانا متمتعا بجميع قواه العقلية استطاع ان يفعل ذلك . قولوا انه مريض مجنون حلت عليه اللعنة .

ان المخلوق الماثل امامكم مخلوق شاذ . انظروا اليه لم ادرسوه واديروا نظراتكم عن الضحايا .

وركزوها علي المتهم . انظروا اليه تجدونه غريبا حتى في تكوين اعضاء جسمه . انظروا الى ذراعيه والي يديه . لقد لفت احدهم نظري الى ان هذا المخلوق اشبه بوحش مفترس . فان كنتم امام وحش مفترس فواجبكم ان تقيدوه ... لا ان تقتلوه » .

وبدت بين جمهور القاعة همهمة امتعاض واعتراض فقال .

ان ضميري هو الذي يتحدث . وحين اتشرف باداء واجبي ارثي لاولئك الذين لا يقدرون الاحترام الواجب لرسالتي .

★ ★ ★

وبعد مداولة استمرت ساعتين صدر قرار المحلفين بما كان يتوقعه الناس جميعا ـ ادانة بدون ظروف مخففة . ونطق القاضي بعقوبة الاعدام .

★ ★ ★

وعندما كان تروبمان في الزنزانة المخصصة للذين ينتظرون تنفيذ عقوبة الاعدام جرى بينه وبين احد حراسه الحديث الآتي .

ـ هل كان ابناء كنك يحبونك حقا كما قالت الصحف ؟ فاجاب « نعم وانا ايضا كنت احبهم واقدم لهم الحلوى والكعك » .

كيف طاوعتك نفسك على قتلهم ؟ فكان رده ان هز كتفيه وقال بدون اي شعور « لا تكن سخيفا ».

هذه كانت اجابة الانسان الذي انهمرت دموعه حين ذكره المحامي بامه والذي كتب من سجنه الى مدير البوليس حين علم بوفاة اخته وبمرض امه يطالبه بتنفيذ وعده له بمساعدة اسرته على ترك فرنسا مقابل الاعترافات التي ادلى بها لمساعدة التحقيق والارشاد عن مكان دفن جثة جنك التي ما كان يمكن العثور عليها لولا ارشاده.

★ ★ ★

يقول مدير البوليس اندريه في مذكراته التي كتبها فيما بعد والتي هي خليط من الحقيقة والخيال ان السبب في قتل تروبمان لكنك ان هذا الاخير عدل عن الاستمرار في المشروع الذي اتفقا عليه ـ وهو تزييف النقود ـ لانه عرف سر مؤامرة خطيرة دبرها اعوان بسمارك ضد الامبراطور واعتقد انهذا الخير اذا ابلغهللامبراطور يعفيه عن تزييف النقد وان احدهم اتصل بتروبمان وقال له ان كنك اصبحخطرا ولا بد من التخلص منه وان ذلك الايعاز صادف هوى عند تروبمان .

★ ★ ★

كان خوف تروبمان من المقصلة اكثر من خوفه من الموت لذلك حاول مرارا الحصول على سم ينتحر به . كذلك حاول الهرب حتى لقد اقترح على القسيس الذي كان يزوره في السجن بواسيه ويعده للموت ان يعيره رداءه الكهنوتي ليهرب ..

ووصف الكاتبالروائي الروسي تورجينييه الذي حضر في الميدان ما شاهده اثناء تنفيذ العقوبة فقال :

كان نداء باعة الصحف هو وحده المسموع وسط الضوضاء والضجيج . وكانوا ينادون عن عناوين كتب تروي وقائع الجريمة وتصف تنفيذ عقوبة الاعدام قبل تنفيذها . وتذكر كلمات المحكوم عليهساعة التنفيذ بينما هو لا يزال داخل السجن. وكانت المعارك تقوم من ان لآخر بينصرخاتالنسوة الحادة . وكان عدد السكارى كبيرا .وطال انتظارنا حتى بدا نور الفجر . وتسلق الاطفال الاشجار كانها اشباح يصفرون ويقلدون اصوات العصافير . وسقط احد الاطفال منفوقشجرة فكسرت سلسلته الفقرية . كانت اصابة قاتلة قابلها الجمهور بالضحك .. واحسست ان الخيل المعدة لجر العربة التي سيستقلها الجلاد وفريسته وهي تتناول طعامها في هدوء هي المخلوقات البريئة الوحيدة في هذا الحشد . وفجاة فتح باب السجن كانه وحش فغر فاه ... وقذف بتروبمان الى مصيره المحتوم .

★ ★ ★

وبعد ان فصلت راس تروبمان . تقدم رجلان كانا يقفان بجوار المنصة . وبللا منديلين من دمائه.

وتساءل بعض من شاهدوهما عن من يكونا . اهما الشريكان اللذان لم يرد تروبمان ان يفضي باسميهما ؟

من يدري ؟؟؟ ■■

حسن الجداوي



بقية بريد القراء

تصويب

● ورد في العدد ١٥٦ من مجلة العربي في مقال « ابي الفتح البستي » بيتان فيهما خطآن :

١ – في ص ١٤٤ العمود الاول :

فلا تخلطنها انها ضرة النهر
وبغيتها دوح البعولة في المهر

والخطأ في كلمة « النهر » وصحتها : « النهى » بالالف المقصورة .

٢ – في ص ١٤٧ العمود الثاني :

فكأني اودعته فلك الشر
س ، فعم البلاد شرقا وغربا

والخطأ في كلمة « الشرس » . وصحتها : « الشمس » .

ولا شك انهما خطآن مطبعيان ، لـذا وجب التنويه ، ودمتم .

دريه خطيب / حلب .

العربي : حقا انهما خطآن مطبعيان وشكرا .

مدينة الرصافة

● ورد في مقال الاستاذ محمد رجاء حنفي عبد المتجلي عن ابن زيدون حين تكلم عن نشأته صفحة ٨٨ من العدد ١٥٦ في حديثه عن مدينة الرصافة في الاندلس التي نشأ بها ابن زيدون وبناها عبد الرحمن الداخل وسماها بهذا الاسم تشبيها لها برصافة جده هشام بن عبد الملك في دمشق . والصحيح ان الرصافة ليست بدمشق بل هي موجودة في بادية تدمر وتبعد ٢٥ كيلو مترا عن الفرات تقريبا وهي مدينة قديمة ولم يقم هشام ببنائها وانما بناها الامبراطور يوسطا بتيانس وبنى سورها واسواقها ولا تزال آثارها باقية حتى اليوم وفيها دفن الخليفة الاموى هشام بن عبد الملك ٧٤٣م ومن ثم سميت باسمه . ارجو التنويه .

محمد علي الحاج حسين/الكويت

العربي : جاء في معجم البلدان لياقوت :

« رصافة هشام بن عبد الملك في غربي الرقة بينهما اربعة فراسخ على طرف البرية بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام وكان يسكنها في الصيف كذا ذكره بعضهم » .

لم ذكر نصا يؤذن بأنها كانت قبل الاسلام بدهر ليس بالقصير ولعل هشاما عمر سورها أو بنى بها ابنية يسكنها . وقال أحمد بن يحيى وأما رصافة الشام فان هشام بن عبد الملك أحدثها .

جامعة الهواء في لندن

● تعقيبا على ماجاء في مجلتكم الموقرة في عدديها(١٥٥ ، ١٥٧) حول جامعة الهواء وان القراء قد اهتموا بمقال الدكتور حول الموضوع لذلك اشتاق احد القراء ان يتعرف على عنوان هذه الجامعة والتعرف على ما يدور حولها من معلومات .

وقد اجابته المجلة بان هـذه الجامعة اقليمية فقط .

واحب ان اشير الى مجلتنا باني قد استمعت في يوم الجمعة المصادف ١٩٧١/١٢/١٧ الى برنامج اخبارى من هيئة الاذاعة البريطانية ـ القسم العربي الى تفاصيل حول جامعة الهواء منها :

ان الجامعة قد اقامت امتحانا في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) اشترك فيه عدد لاباس به من مختلفي الثقافات كان من بينهم عدد من العمال الصناعيين وربات البيوت من الطريف في الموضوع ان عددا من السجناء ايضـا كان قوامه خمسـة وعشرين سجينا اشتركوا في هذا الامتحان وكـان الناجحون منهم سبعة عشر ممتحنا .

ولا ننسى ان نذكـر ان مجموع مـن دخلوا الامتحان كان يربو على ٢٢٠٠٠ نجح منهم ١٧٠٠٠ هذا ونتمنى كما تمنت المجلة من قبل ان تكون جامعة الهواء مما تهتم به دولنا العربية فننشىء بدورنا جامعات مماثلة كالتي انشاتها بريطانيا .

صلاح مهدى الشروقى/كربلاء/العراق

الكويت -
في رأسِ الخليج العربي



ان الذي يجعل الكويت من أغنى دول العالم اليوم ليس موقعها الجغرافي فحسب ، وانما ثروتها المعدنية وازدهار العمران والتجارة فيها . ولمزيد من المعلومات عنها اتصلوا ببنك الكويت الوطني الذي يملك أضخم موجودات معلنة واكبر شبكة فروع في البلاد تقدم لكم كافة الخدمات المصرفية .

بنك الكويت الوطني ش.م.ك

تأسس عام ١٩٥٢

المركز الرئيسي : صرب رقم ٩٥ الكويت الهاتف : ٢٢٠١١ (٢٠ خطا)

مؤسسات شقيقة :

لندن : بنك الكويت المتحد ، لندن

باريس : بنك فراب

البحرين : بنك البحرين والكويت ش.م.ب

دبي : بنك دبي الوطني ، دبي

بيروت : بنك الريف ، ش.م.ل ، بيروت

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية

تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام في الكويت

أول مارس ١٩٧٢

(٣٠)

اصطياد الشمس

تأليف : بيتر شافر

ترجمة وتقديم : د. هدى حبيشة

مراجعة : د. محمد اسماعيل الموافي


جيل GX الجديد
١٥٠,٠٠٠ ساعة من الخدمة
الفعلية/لايعلوه الغبار/
لايبلى/تسجيل متفوق
GX-280 D
GX-220 D
GX-365D
أجهزة آكاي GX-365 D و GX-280 D و GX-220 D، تشكل جيلاً جديداً هو جيل GX، فالسجلات الثلاثة تضم رأس GX الذي طورته آكاي (رأس الفريت الزجاجي والبلوري) وهو أول رأس من نوعه في العالم. فمع الرؤوس العادية يتعامل الشريط وغبار على إنقاص جودة الصوت بينما رأس GX الذي صممته لا يبلى ولا يعلق الغبار عليه، وهو مضمون لحياة فعلية تتجاوز ١٥٠,٠٠٠ ساعة. وإذا طرأ خلل على الرأس تستبدله لك مجاناً؟
لقد استطاع مهندسو آكاي من تركيز حقل رأس GX المغناطيسي لدرجة قل مثيلها ... الأطراف. كما تم الحصول على تجاوب ترددات أفضل لتمكن آكاي من تطوير فجوة ذات عمق وعرض مثاليين وتصنيع الرأس بدقة فائقة جداً بواسطة تكنولوجيا متقدمة.
المسجل الستريو للمحترفين GX - 365 D
يتميز برؤوس ثلاثة، الفاحص التلقائي التواصل «الكتروماتيك» الفريد من نوعه في العالم، عاكس حساس للشريط، ضابط تلقائي لقوة الصوت «كومبيوتوماتيك»، ٣ موتورات مغناطيسية، محرك متزامن ذي ثلاث سرعات للدوران يحوي ومحركين بمصلات تيار دائري، موقف/قاطع للتيار تلقائيين.
المسجل الستريو GX - 280 D
يتميز برؤوس ثلاثة ومحرك ذي سرعتين له ضابط سرعة للدوران يحوي ... ومحركين بمصلات تيار دائري وعاكس تلقائي متواصل حساس للشريط وموقف/قاطع للتيار تلقائيين ووزن ... آلي. ومن المستطاع تغطية بكرتي الشريط كلياً من الغبار ويبلغ قطر الواحدة منها سبعة انشات بواسطة غطاء من البلاستيك، الحصول عليه اختياري.
المسجل الستريو GX - 220 D
يتميز برؤوس ثلاثة وعاكس تلقائي متواصل حساس للشريط وثلاث سرعات. بالمستطاع تغطية بكرتي الشريط كلياً من الغبار - ويبلغ قطر الواحدة منهما سبعة انشات - بواسطة غطاء من البلاستيك، الحصول عليه اختياري.
ان آلات التسجيل الستريو اكاي GX - 365 و GX - 280 و GX - 220 في متناول اليد.
AKAI®
AKAI ELECTRIC CO.,LTD.
Ohta-ku, Tokyo, Japan


BAUME & MERCIER
GENEVE
1830
قف وانتبه!
الساعة المعجزة
BAUME & MERCIER
بوم اي مرسييه
أشهر إنتاج في حقل صناعة الساعات
غاية في الدقة - رائعة في الجمال - أوتوماتيكية
آلتها المرصعة بثلاثين حجر كريم تعمل لمدة ٥٥ ساعة بدون توقف
الوكلاء بالكويت
مراد يوسف بهبهاني
MORAD YOUSUF BEHBEHANI
ص.ب ١٤٦ الكويت - تلفون المعرض ٣٣٧٧٠

وسيلتان سائغتان للتخفيف والتلطيف من آلام الامساك

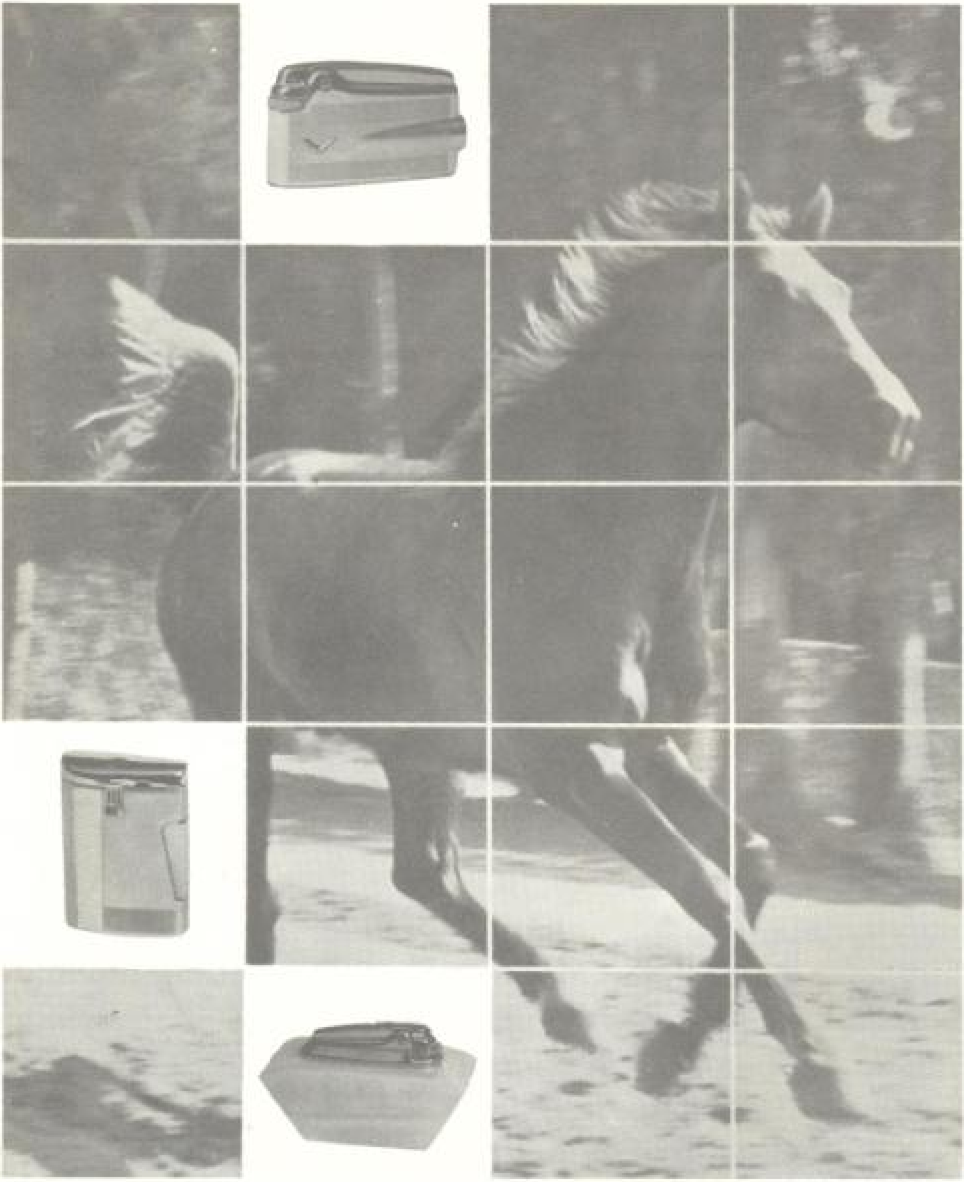


إذا كنتم تعانون من الامساك فلا شك في انكم تعرفون تماماً انه يسبب لكم مضايقات شديدة فضلا عن كونه غير صحي . ولذلك يجدر بكم مقاومته باتباع الوسيلة السائغة واتخاذ « بروكلاكس » أو « بونومينت » . وبروكلاكس هو عبارة عن شكولاته مسهلة لذيذة . . . وبونومينت هو المضغة (اللادن) المسهل اللذيذ المنعش امضغوا « بروكلاكس » أو « بونومينت » قبل النوم . وسوف تحصلوا على راحة تامة عند الاستيقاظ في الصباح . وفي الواقع يخفف « بروكلاكس » أو « بونومينت » الآلام أثناء الليل . وعلى الرغم من انهما لطيفان إلا انهما شديدا الفعالية والتأثير .

بروكلاكس وبونومينت من منتوجات شركة ريكيت وكولمان


اضغط على الزر وتخلّص
فى الحال
..من الذباب والبعوض وكافة
الحشرات المزعجة! مبيد الحشرات
بيف باف في علبة الايروسول سريع
التأثير، أكيد المفعول، اقتصادي
جداً. انه يجعل بيتكم في مأمن من
الحشرات ويكسبه رائحة نقية
منعشة... اشتروا كوبرز بيف
باف القوي المفعول في
العلبة الكبيرة الصفراء والسوداء.
COOPER'S
Pif
بيف
Paf
باف
مبيد الحشرات الطائرة
Insect Killer
Spray

هدية اصيلة



امينة ، يُعتَمد عليها ، ترافقك المسافات الطوال والسنين العديدة .
أصالة هديتك تذكّر اصدقاءك دومًا بأنه يمكنهم الاعتماد عليك . ولاعة رونسون الشيّقة و"الامينة" لا تخذلك ابدًا.



قدم أكثر
من هدية
قدم
رونسون
RONSON

عندما تكون مصرفاً عالمياً
سريع الحركة مثل تشيس
فانك ستعرف حتماً جميع السُبُل الى أسواق الاستيراد والتصدير

في الأسواق السريعة الحركة التي يتميز بها هذا العالم عليك ان تكون مستعداً للذهاب الى أي مكان في أي وقت وبأية طريقة. (حتى بالقارب). وبما ان تشيس لديه الخبرة (الدنيا أكبر حصة من الضمانات المالية في بنك الاستيراد والتصدير)، فاننا نعرف أفضل السُبُل لتمويل عمليات الاستيراد والتصدير. وفي مقدور خبرائنا في التجارة الدولية ومدرائنا الفنيين توفير المعلومات التي تحتاجها للتعامل في الأسواق الدولية. انهم يعملون معاً ليرشدوك الى أماكن الشراء والبيع. اتصل بالموظف المختص في تشيس ليساعدك. تشيس... هو المصرف الذي يحرك الاحداث. ولا تنس أن لك صديقاً في

بنك تشيس منهاتن
THE CHASE MANHATTAN BANK
NATIONAL ASSOCIATION

المقر الرئيسي : 1 Chase Manhattan Plaza, N.Y., N.Y. 10015, U.S.A. –

فرع بيروت ومكتب الممثل في الشرق الأوسط وشمال افريقيا : شارع رياض الصلح، ص. ب. ٣٦٨٤، بيروت - لبنان   الهاتف : ٢٥١٥٨٠

بنك مشترك في دبي (الخليج العربي) : بنك دبي التجاري المحدود، ص. ب. ٢٧١٩، دبي

فرع البحرين ص. ب ٣٦٨ (الافتتاح ديسمبر ١٩٧١)




OLMA
له
لها وللجميع
ساعة
أولما
الاوتوماتيك والعاديه
تحكم الوقت بدقة..!
الوكيل العام بالكويت
مراد يوسف بهبهاني
ساحة الصفاة و حولي



انتهى اليوم ، وغداً هو يوم آخر

سيارات داتسون تحقق رغباتكم أبداً

NISSAN MOTOR CO., LTD.

DATSUN



ضاعف متعتك مع الاثنين - في - واحد

راديو / مسجلة كاسيت سوني



انه راديو FM/AM ... انه مسجلة اشرطة كاسيت ... انه الاثنان في آن واحد! برامج الاذاعة تصدر عنه واضحة جالية. وان احببت ما تسمعه، فاضغط على الزر الخاص وسجل البرنامج رأساً من الراديو الى الكاسيت.. دون اسلاك او وصلات خارجية. وهنالك مجموعة واسعة من راديوات / مسجلات كاسيت سوني كي تختار من بينها الموديل الذي يناسبك تماماً بثمنه وحجمه وتصميمه وادائه. شاهده لدى احد موزعي سوني وضاعف متعتك مع الاثنين - في - واحد.

راديو / مسجلة كاسيت CF-300 يتضمن مايكروفون سوني ذا المكثف الالكتروني الذي يلتقط الاصوات من اية جهة صدرت بحساسية ووضوح مذهلين. وهو انيق، يزينه اللون الذهبي تضفر فيه وله ضوابط بشكل ملامس البيانو. وهو يسمح بارجاع الشريط دون ضغط زر التوقيف. كما انه ينبهك عند انتهاء الشريط للتسجيل وللاعادة البث.

اداء من الدرجة الاولى من جهاز فائق الاناقة.

سوني SONY.



KENT

WITH THE FAMOUS MICRONITE® FILTER

للتمتع بأطيب الاوقات "كنت" نكهتها الذ.



دي لوكس ١٠٠ مليمتر أو كينغ سايز

المال

احصل على فائدة مضمونة بإيداع أموالك لدى "لومبارد نورث سنترال" في حساب الادخار

ى حسابا للادخار لدى « لومبارد نورث سنترال » يؤمن فائدة حسنة ، مع ضمانة كاملة لراسمالك ،
ما يؤدى لراحة بالك . ان الايداعات التى تخضع لطلب مسبق لسحبها قبل ستة اشهر تستفيد من ٦٪
ندة سنويا . ويمكنك سحب حتى ١٠٠ جنيه استرليني سنويا دون انذار مسبق . والفائدة تدفع
كل ستة اشهر دون حسم اى ضريبة .

سابات الايداعات لمدد :

٦٪

لايداعات من ٥٠٠٠ جنيه استرليني وما فوق يمكنها الحصول على فوائد اعلى لمدد
حددة . ويمكنك الحصول على مزيد من المعلومات بناء على طلبك. ان فتح حساب
و البساطة بعينها . اكتب الآن الى مدير حسابات الودائع لطلب معلومات اوفر
ونسخة عن « حساب الادخار » كتيب رقم ١٨٢ A O

اول أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧١ وبمرسوم خاص عن البرلمان في لندن اتضح ان اعمال بعض الشركات
« لومبارد بانكينغ » و « نورث سنترال فاينانس كروب » (وكلها فروع مملوكة بكاملها من « ناشونال
ستمنستر بنك ليمتد ») قد حولت الى « لومبارد بانكينغ ليمتد » الذى بعد هذا التوسع والتقوية
. غير اسمه الى « لومبارد نورث سنترال ليمتد » . ولا لزوم لاية معاملات من قبل اى مودع او عميل
د هذه التعديلات اذ ان حقوقه محفوظة ومؤمنة بالكامل .

Lombard North Central

LIMITED

Head Office: LOMBARD HOUSE, CURZON STREET, LONDON W1A 1EU, ENGLAND
Tel: 01-499 4111.
City Office: 31 LOMBARD ST., LONDON EC3, ENGLAND
Tel: 01-623 4111.

لومبارد نورث سنترال ليمتد عضو فى ناشونال وستمنستر بنك
كروب الذى يزيد راسماله مع الاحتياطى على ٣٢٨٠٠٠٠٠٠
جنيه استرليني .


RADO
دياستر
٨
رادو
نموذجان
فريدان
انتصاران
عالميان
RADO
1 MON 15
NCC 101
رادو
الساعة الوحيدة في العالم
الغير قابلة للخدش
UNIVERSE KUWAIT
أينما كنتم : اطلبوها من الوكيل المعتمد



مارلبورو
رمز الجودة
FILTER CIGARETTES
Marlboro
Marlboro
20 CLASS A CIGARETTES
Marlboro
Marlboro
SELECTED
FINE FILTER
Soft Pack or Flip Top Box.
أفخر سجاير كنج سايز فيلتر
AMERICA'S FINEST FILTER
A quality product of Philip Morris Inc. Richmond, Va., USA

هذا الجهاز المُحكم مَشحُون بالممُيزات الديلوكس ولايزال صَغير الحَجم بشكل لايصدق



ثلاثة مصادر مختلفة للطاقة
التيار العادي ، بطاريات الاضاءة العادية او بطارية كادنيكا "اختياريا" حيث يمكن إعادة شحنها مئات المرات .

مراقبة التنغيم

مراقبة الصوت

عداد مراقبة البطارية

مقياس الشريط

AUTO STOP

التوقف الآلي
اذهبوا الى النوم أثناء استماعكم اليه ، والجهاز يتوقف تلقائيا ، لوقاية النظام الآلي والشريط وانتم من الاجهاد .

في الداخل راديو بموجتين
موديل MR-4141F راديو AM/FM
موديل MR-4141W راديو MW/SW

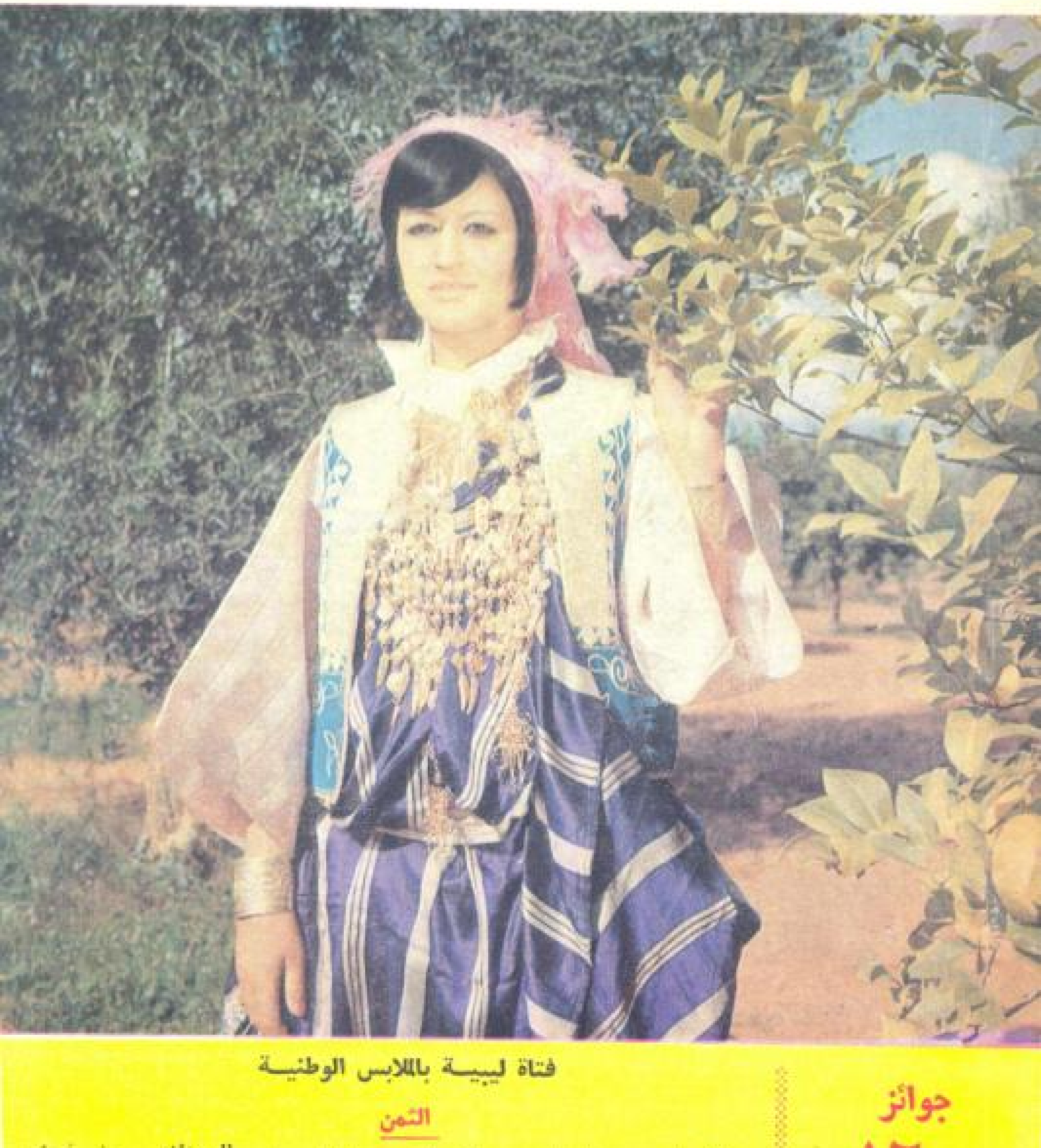
ميكروفون نابض
اضغطوا على زر صغير ليندفع الميكروفون المكثف فجأة بصورة كافية لاتاحة التسجيل بأسهل طريقة ممكنة

القياسات : ١٠¼" (عرض) × ٢½" (عمق) × ٥" (ارتفاع)
الوزن : ٤,٣ ليبرا .

SANYO سانيو
Sanyo Electric Trading Co., Ltd.
سانيو الكتريك تريدنغ كومباني ، ليمتد

العربي

العـدد ١٦١
صفر ١٣٩٢
أبريل
(نيسان) ١٩٧٢



فتاة ليبية بالملابس الوطنية

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الأردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢ دينار
اليمن	د٫٢ ريال	ج٠م٠ع٠	١٠ قروش	المغرب	٢ درهم



مقامات الحريرى مقامات فى الأدب العربي ، وقد نشرها العرب وجعلوا لها كثيرا من الرسوم لتعبر عن احداثها ، وهذه احدى الصور اقتبسناها من بعض هذه الرسوم

انظر في عدد مايو المقبل زيادة في التعريف

عزيزي القارئ

● ادركتنا قبل صدور هذا العدد بساعات احداث وقعت في العالم العربي مثيرة تضمنت ما يلي :

١ ـ مشروع المملكة العربية المتحدة الذى أعلنه الملك حسين ملك الاردن ، وقد احدث هزات عنيفة فى بعض الجهات المعنيّة بالأمر .

٢ ـ انكار اسرائيل انها وافقت مسبقا على مشروع الحسين ، واعلانها معارضته .

٣ ـ معارضة منظمات المقاومة الفلسطينية اجمالا للمشروع .

٤ ـ بلبلة الآراء فى سكان الضفة الغربية فيما يتصل بالمستقبل .

٥ ـ اقتراح مفاجىء للعراق يقضي بتأليف وحدة قومية مع القطرين الشقيقين سوريا ومصر .

٦ ـ فرنسا تعلن موافقتها على مشروع الحسين ، وانجلترا وامريكا تقولان ما يحس القارىء منه ، انهما كانتا على علم به مسبق ، ورضاء مجمل .

٧ ـ صمت الدول العربية ، على الأقل الرسمية ، فيما يختص بالرأى والدراسة . وذلك حتى مثول هذه الكلمة للطبع .

واكبر الظن أنها احداث تتراءى فى سماء العروبة كما تتراءى السُحبُ فى السماء على شكل ما ، ثم يتغير الشكل اشكالا شتى ، لا بد بعدها من سماء زرقاء صافية .

١٩٧٢/٣/١٦ — المحـرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

اسلاميات :

لغة وأدب

استطلاعات مصورة :

طب .. وعلوم :

علم نفس :

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

العربي

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 161 April 1972 P. O. Box 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٧١٤١) تلغرافيا « العربي »

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● طارت بعثة العربي الى طرابلس الغرب العاصمة الثانية للجمهورية العربية الليبية لتسجل مشاهد مختلفة من الحياة الحاضرة في هذا البلد العربي . ومن بين ما سجلته « العربي » هذه الصورة لفتاة ليبية ترتدي الزي الوطني وتتحلى بالحلي الذهبية والفضية ، ان التقاليد القديمة لاتزال تسيطر على الكثيرين من أهل ليبيا .

(انظر الاستطلاع ص ١١٦)

فلسفة :

عروبة :

اقتصاد :

شعر وشعراء :

ركن الأسرة والمرأة :

تاريخ .. وتاريخ اشخاص :

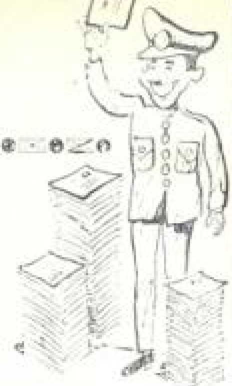
كتب :

قصص وقضاء :

منوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطرى . البحرين ٢٠٠ فلس بحريني، العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج٠م٠ع ١٠ قروش. تونس ٢٠٠ مليم. الجزائر ٢ دينار جزائري. المغرب ٢ درهم. اليمن ٥ر٢ ريال. ليبيا ١٥٠ درهما. جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس.

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



بريد القراء

يوم الصحة العالمية

● في السابع من ابريل عام ١٩٧٢ تحتفل منظمة الصحة العالمية بيوم الصحة العالمية ذكرى لمولدها عام ١٩٤٨ ، وهي بهذه المناسبة تطرح شعارا عالميا بشكل قضية صحية حيوية تستقطب اهتمام الاوساط الطبية وتنبع من واقع المجتمع الانساني حتى يجرى تسليط الاضواء عليها ، أملا في مساهمة شاملة شعوبا وحكومات في حلها والقضاء عليها .

ولما كانت جذور ماساة امراض القلب تمتد الى طبيعة حياة الانسان الحاضرة بما فيها من عادات غير مستحبة صحيا كالتدخين ، والافراط في الطعام ، والتمادى في الاتكال على اسباب المدنية التى حرمت الانسان من نشاطه العضلي ، وافتقاد الراحة النفسية والاطمئنان والاستقرار ، وتخلخل الروابط الاسرية والاجتماعية ، فاننا ندعوكم للمعاونة في هذا المضمار بما ترونه مناسبا في حدود امكانياتكم .

مقرر اللجنة

الدكتور حسن فريد ابو غزالة

العربي : لقد ساهمنا كثيرا ، في الماضي في هذا الامر ، ولا نزال نساهم في يوم الصحة العالمية وفي غير يومها وشكرا .

تطوير الاستطلاعات

● انني اقترح تطوير الاستطلاع وجعله وسيلة لتعريف القراء بالوطن العربي بصوره اكثر جدية والتركيز على النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمناطق المستطلعة ، كما ارى ان تستغل البعثة المستطلعة فرصة زيارتها فتثبت المعلومات الهامة لكي يمكن الاستفادة منها والرجوع اليها ، وذلك لان الاستطلاع يكون عادة اكثر حداثة من المعلومات المنشورة في الكتب ، كما اقترح ايضا التركيز على المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التى يعانى منها الوطن العربى ومحاولة نقدها وابداء الحلول العلمية والعملية لها بقدر المستطاع وفي نفس الوقت ارجو التقليل من الصور والمناظر (من حيث العدد والحجم) الى الحد المعقول الذى لا يخل من مكانة المجلة العلمية والثقافية (صحيح انها مجلة مصورة ولكن يجب ان توضع الصور الضرورية فقط) .

طارق الاعظمي

بكالوريوس اقتصاد ـ العراق .

تصويب

● جاء في مقال « الاجتهاد في عصر الرسول » الذى نشر بالعدد رقم ١٦٠ من العربي بعض اخطاء مطبعية لاتخفى على القارىء وقد رايت ان انوه الى خطأين مهمين وهما .

الخطأ الاول : « هل كنت الا بشر رسول » وصوابه هل كنت الا بشرا رسولا » .

الخطأ الثاني : « انتم اعلم لشئون دنياكم » وصوابه انتم اعلم بشئون دنياكم » .

بدر المتولي عبد الباسط

يبحث عن كتاب مع الله فى السماء

● قصدت معظم المكتبات في الكويت باحثا عن كتاب « مع الله في السماء » للدكتور احمد زكي ولكنني لم اعثر له على أثر . ارجو أن ترشدوني الى مكان وجوده ، لانني جد حريص على اقتنائه ليتكم تاخذون باقتراح الأخ الكريم الذى كتب يقول انه يرجو أن تكون هدية مجلة العربي مع العدد الممتاز في العام المقبل ، نسخة من هذا الكتاب القيم .

محمود محمد حسين/الكويت

العربي : اكتبوا لدار الهلال في القاهرة ، فهي الدار الناشرة ، وقد سرقوا طبع هذا الكتاب في بيروت ، ولكننا لا ندرى اين تجده ، كما أننا لا ننصح به ، فذلك عون على الاثم .

من روائع الفن الاسلامي

● نشرت مجلة العربي الصادرة في شهر فبراير ١٩٧٢ بالصفحة الثانية صورة لاناءين خزفيين ملونين وذكرت انهما من العصر الاموى وانهما صنعا في سوريا .

والحقيقة انهما فعلا من صنع سوريا « الرقة » الا ان تاريخ صنعهما يرجع الى عهد بنى زنكى اى عصر الاتابكة الذين تولوا الحكم كولاة من قبل السلاجقة .

ارجو التنويه .

نعمت اسماعيل علام

ماجستير تاريخ الفنون جامعة نيويورك .

كل رجال العربى

● استجابة لاسئلة بعض القراء نسجل اسماء العاملين في « العربي » في عام ١٩٧١ — ١٩٧٢

المحررون والمستطلمون حسب الحروف الابجدية :

سليم جورج زبال
صادق يلي احمد
محمد عبد العظيم طنطاوى
منير نصيف
يوسف ابراهيم زعبلاوى

المصور :

اوسكار مترى

المصحح :

حسين وصيف

الاخراج الفني :

محمد حسني زكي (مخرج)
محمد شاكر شيمي (مساعد مخرج)

الرسام :

احمد الوردجي

الخطاط :

حسن مختار هلال

السكرتارية :

عبد الحفيظ اسعد يونس
سكرتير رئيس التحرير
سلامة ميخائيل فاقيش
سكرتير ثان

شاعر وفائز فى مسابقة العربي لا ندرى ماعنوانهما

● ترجو مجلة العربي من السيد خالد حسن الفائز باحدى جوائز مسابقة العدد ١٤٥ من العربي ان يرسل لنا عنوانه الصحيح لكي نتمكن من ارسال قيمة جائزته اليه. كذلك نرجو ان يصلنا عنوان السيد محمد عبد الحافظ كي نتمكن من ارسال المكافاة التى يستحقها عن قصيدته التى نشرتها العربى تحت عنوان « الصدى واللطيف ».

(البقية على صفحة ١٦١)

الكِتَابُ العَرَبيّ

بَينَ أُمِّيَّةٍ فاشِيَةٍ وَقرْصَنَةٍ باغِيَةٍ



■ **فى الخلائق من الاعاجيب اشياء كثيرة .**

والاعجوبة هي الشيء الذى تراه فيبهرك ، ثم هو فى نفس الوقت يعلو على فهمك ، وقد تتخيل انك بمقدرتك وحدك صانعٌ مثله ، فتعجز ، حتى لا تدرى من اين تبدأ ، فتزيد له بذلك اعجابا ، ويزداد هو عنك غموضا .

والشيء العجيب تتعوده ، فينزل منك فى مراتب الالفة درجات . والالفة تزرى بالاعاجيب ، وتحطّ عندنا من قيم الاشياء .

ونحن ، اهلَ الشرق ، منا من تعلم القراءة والكتابة ، ومنا من لم يتعلم ؛

- القراءة مهنة، هي أم المهن جميعا
- خوف الناس من الفناء، علم الناس النقش على الحجر
- الكتاب في حياة الناس، أطول صاحب صحبة
- ثلاثة أرباع الأمة العربية أميون
- أمية راجعة، كالحمى الراجعة
- الرقابة على الرأي الحر، أخفت الكتب الجادة واختفى الكتاب
- القرصان يأخذ من مؤلف الكتاب فكره وجهده وعناءه ليل نهار بالمجان

بقلم رئيس التحرير

فبقى أميا ، يكبر اخاه الذى يحمل القلم يكتب به ، أو الكتاب يقرأ فيه . وحامل القلم ، أو قارىء الكتاب ، يصنع بقلمه ما يصنع ، ويقرأ فى كتابه ما يقرأ ، ثم يضع قلمه ، او يطوى كتابه، وهو لا يدرك انه صنعا شيئا جللا . والحقيقة أنه صنع الشيء الجلل ، والشيء العظيم ، وكان من حقه أن يقف يتعجب بالذى صنع ، ويكبر تلك الهبة التى وهب ، ولكنا نعود نذكر الألفة التى نزلت بمقادير الاشياء، فصنعت من الشيء الكبير العجيب شيئا صغيرا تافها ، ومن الشيء العظيم الجليل شيئا ضئيلا حقيرا.

انه القلم

انه القلم ، اعجوبة من أعاجيب الحياة كبرى .

عود من قصب ، تبريه بمطواة حتى يكون له حد . وسائل في الزجاجة اسود . وتسقى العود من الصبغ الاسود ، وتنشره نشرا على صفحة من ورق ابيض . وانت ما تنشر الا فكرا ، ولا تصب على الورق الا جائشة جاشت بك ، او عاطفة تألقت فيك .

ويأتي رجل ، قريب منك او بعيد ، او تأتي امرأة ، هذا اليوم او غدا ، او

بعد عام او مائة عام او الف من اعوام . فينظر الرجل في هذا الحبر المسكوب على الورق الذى هو عليه مصبوب ، فيدرك كل ما كنت تريد ان تنقل اليه من معنى او خبر او رأى او جائشة او عاطفة . ونقول انه يقراك ، والحقيقة انه يسمعك سمعا ان كان ممن عرفك اذ تقول . وقد يكون قد جاءك الموت ، فذهبت مع الذاهبين، ولكن بقي هذا الحبر المسكوب يحمل منك بقيةً تبقى مع الزمان الى الأبد البعيد . انت تفنى ، ولكنّ قول منك يبقى ، حبرا على ورق . انت تفنى والحبر خالد . وانت تصمت الى الأبد والحبر يتحدث الى الأبد بلسانك .

موضع اعجابي

واريد ان احدد موضع اعجابي . هل هو هذا العود من قصب ؟ أم هو هذا الصِّبغ الأسود أو الأحمر ؟ فاقول جامدانِ ليس بهما حياة ما جازا ان يكونا موضع اعجاب ابداً . انما هو ذلك المخ القليل ، في ذلك الحق الصغير من المظم ، الذى يحمله فوق راسه الصبي، وقد بلغ السنوات الثلاث او الأربع او الخمس ، وقد بدأ يحمل هذا القلم بين اصابعه ، واخذ يغمسه في ذلك الصبغ ، ذلك الحبر ، في زجاجته ، ونقول عندئذ انه بدأ يتعلم الكتابة والقراءة . ان هذا المخ الصغير القليل هو موضع الاعجاب .

مهنة ، هى راس المهن جميعا

ان الرجل في حياته يتعلم صنعة ، يكون نجارا ، او حدادا ، او سقاء ، او ما يشاء من حرفة ومهنة ، وهو ينفق في ذلك من عقله ، وهو ينفق في ذلك من جهده ، ومن فهمه . ولكن ليس ينفق مثل ما ينفق هذا الصبي الصغير في تعلم القراءة والكتابة ، تلك المهنة الاولى التى اضعها على راس المِهَن جميعا ، ولو انها تبدا اولا .

انها عمل من اشق الأعمال ، ان تربط بين اصوات في اللغة وخطوط تخطها على الورق واشكال. رموز لحروف عشرات. وتآليف من هذه الرموز الحرفية لتصنع منها الكلمات ، تلك الحصيلة الاولى للطفولة الاولى ، وقد تكون مائة ثم مائتين ثم ثلاث مئات . كل هذا يمارسه الصبي على هذه السن الطريّة الأولى ، في معاناة لا شك صفرى ، هوّن منها اتساع الوقت ، وانها تجرى على مَهَل . انها تجرى مع السنين . والعجيب ان الطفل يبدا بتشكيل رموز لكلمات لم تدخل لغته بعد . وتتسع لغته بكبر السن ، فتتسع معها قراءته وكتابته . معاناةٌ عقلية شاذة ، لا شك مؤلمة ، ومن حسن حظ الاطفال والصبية انهم ينسون قريبا . انهم لو ذكروا لتجمّع عندهم محصول من آلام الطفولة والصبا قاس شديد ، منه ذلك المحصول العقلي غير الصغير الذى يتصل بتحصيل لغة ، او تحصيل كتابتها وقراءتها .

ومن حسن الحظ ان تفرض اللغة ، ويفرض تصويرها على الورق كتابة وقراءة ، في فترة من عمر بني الناس هم اعجز ما يكونون فيها عن ان تكون لهم ارادة نافذة ، تقول نعم لما ترضى ، وتقول لا لما لا ترضى ، اذن لشاع الخرس بين الناس ، وشاعت الامية معا .

فصحٌ اذن ان يكون مخ هذا الصبى

طفل صغير يتعلم الكتابة . ليس ينفق الصبى في مهنة ما ، من عقله وجهده، مثلُ ما ينفق في تعلم الكتابة والقراءة ، تلك المهنة الأولى التى هى اساس المهن جميعا .



هو موضع العجب الاكبر . اننا لا ندرى كيف تصوُّر اللغة فى خلاياه ، وكيف واين تستقر فيه . والرمز للغة بالأحرف والكلمات لا ندرى كيف يربط المخ بينهما، وكيف يصل بعد ذلك الى مراجعة ما كان ربط من ذلك ، بفتح خزائنها ، عند الحاجة ، واغلاقها عند الحاجة ، كانما هي اضابير فى ادراج بمكتبة كبرى . ونقول : لا ندرى ، ونكرر اننا لا ندرى ، ولا « ندرى » : هذه هي سِمَة الاعجاب . وكما قلنا سر الاعجاب الاول لظاهرة ما ، هو غموضها ، وسره الثاني هو العجز عن فهمها .

التاريخ : مكتوبا وغير مكتوب

ومن القراءة والكتابة نشأ الكتاب .

ونحن لا نعلم بالتحقيق كم عاش بنو الناس على سطح هذه الارض . قال القدماء : انهم عاشوا آلافا من السنين . وجاء من بعدهم من قالوا بل عاشوا عشرات الألوف والمئات . وكاد يستقر راى الأحدثين على أن الانسان وبنيه عاشوا على سطح هذه الكرة نحوا من ٥٠٠ الف عام .

ومع هذا نفرق بين تاريخ الانسان ، مكتوبا وغير مكتوب .

وقالوا ان تاريخ الانسان المكتوب لا يصل الى اكثر من ٧٠٠٠ عام ، وهم يعنون بذلك ان الطوائف الانسانية التى عاشت قبل هذا التاريخ لم تخلف لنا شيئا مكتوبا او مقروءا نعلم منه كم عاش الانسان على سطح هذه الارض من سنين .

ونقرا عن التاريخ ، فنجد المؤلفين يتحدثون عن عهود ما قبل التاريخ Prehistoric Periods . والتاريخ ان يكن زمنا فليس له قبل ولا بعد . فهم يعنون بما قبل التاريخ تلك الفترة التى لم يخلف فيها الانسان شيئا مكتوبا يخبرنا بالذى كان فى تلك الأزمان .

والنتيجة التى نخرج بها ان اكثر عمر الانسان على هذه الارض كان عصرا آميا يقول لسانه ، وتسمع اذنه ، ولكن لا تخط يده ولا تقرا له عين .

خوفُ الفناء علّم الناس الخط على الحجر

وكانى بالانسان بدا يعبر عما يجول فى نفسه بالرمز .وبدأ الرمز على ما يبدو نقشا على الحجر . فهو على الحجر صوُر الصيد واشياء اخرى مما كان يشغل بها عيشه. صورٌ هي صور الحياة التى عاشها فعلا . وذلك قبل ان يتدرج الى اتخاذ الاشكال دلالة على اصوات ، والرمز للمعانى بالصور والكلمات .

ولا شك كان حافزه الأول فى ذلك خوف الفناء . راى الاعمار قصيرة فاراد اطالتها بشيء يبقى منه على الدهر ، فكانت الآثار الباقية ، وكان افصح ما فيها المكتوب والمقروء .

وعلى الزمن ودّ جيل حاضر لو انه علم عن جيل مضى اكثر فاكثر ، عن جيل ماض لم يخلف من الآثار الا قليلا ، فاتجه هذا الجيل الحاضر الى الوفاء بهذا النقص ليزود به جيلا قادما بما ظن انه فى حاجة اليه من اخبار وخبرة حياة ومعارف .

ثم جاءت الكتب تسجل محاصيل الأجيال للأجيال ، ولعل كتب التاريخ كانت من اجل ذلك من اقدم الكتب تسجيلا لحياة .

واتسعت ابواب المعارف ، وتعددت الوان الثقافات ، فلم يعد يحتويها كتاب، او عشرة من كتب ، أو آلاف . واصبح كل عالم عارف يصب على الورق ، فى كتاب أو عدة من كتب ، ما حصّل من علم قبل ان يدركه هو الفناء . فان فني فالكتاب باق ، فكانما انتزع من الأقدار عمرا آخر طال به رغم الدهر وجودا واستطال .

والرجل العالم العارف فى زمانه لا يتسع وقته ليسير فى الناس يعطيهم من علمه ، فقام الكتاب عنه بذلك . وهو نسخ آلاف تغمر الدنيا مهما اتسعت .



رسوم على صخور فيما قبل التاريخ . رسمها الانسان يصف حياته . وهى صور من الوعل مع صور من الخيل . لعلها كانت حافزا من تلك الحوافز التى حفزته اخيرا الى الكتابة والقراءة .

انها عقدة المكان حلها الكتاب ، كما سبق ان حل عقدة الزمان .

ومكتبة انا جالس بها الآن تحوى من شتى صنوف المعرفة الشيء الكثير . وتحتوى من الكتّاب الذين كتبوا عبر القرون القدر الوفير . واجلس بينهم فاحس احيانا كأني جالس حقا بفئات من خيار الامم ، وعقول رواجح من شتيت القرون ، اجتمعت كلها معي في هذا المكان الواحد ، في هذه الساعة الواحدة. انه مجتمع لا يحس فيه احد بالوحدة والوحشة ابدا ، رغم انهم ، او ان اكثرهم ، هم الآن عظام موسّدة على تراب .

الكتاب في حياة الناس اطول صاحب صحبة

ولكم نظرت الى الصبية والشباب ، في شتى الاعمار ، يذهبون في الغداة الى المدارس ، ونظرت اليهم يخرجون عند الرواح منها ، وراعني منهم اكثر الروع تلك الحقائب التى حملوها في ايديهم ، او ربطوها ثقيلة برباط من جلد ليحملوها فوق ظهورهم . انها حقائب قيم فيهـ

الكتاب وهو يسير مع الطالب قدما في حياته .

وكما حمل الصبية كتبهم ، حمل اغلمة المدارس الثانوية كتبهم ، وحمل شباب الجامعات . الكتاب في حياة الصبي والغلام والشاب ، في العصور المدنية الحاضرة ، اطول صاحب صحبة. ويخرج الشاب عن جامعته ، فان ظل الكتاب صاحبه ، فهو في الطريق الصاعدة يسير ، وان هو استبدل بصحبة الكتاب صحابا غيره ، حتى زحموه ، فقد اخذ الرجل الذى خرج من الجامعة سمينا يعيش على سمنه وشحمه ، فلا يزداد كل يوم الا شحوبا .

ان الكتاب به خلاصة كل علم ، ومحاصيل كل فن ، وفيه حكمة الدهر وخبرة العيش في سعادتها والشقاء ، فالذى يعرف كيف يصاحب الكتب لا يجد عنها غناء في اى سنة من سني حياة . في الشباب هي علم ومعرفة . وفي الرجولة هي حكمة وتبصرة . وفي الكهولة هي اعداد الانفس للدخول بين الشموس الغاربة . وفي الشيخوخة هي انفتاح على آفاق بعيدة جديدة ، بها انوار شديدة ساطعة تزرى بالذى كان في

الحياة كلها من نور . والكتاب ارغون الشيخ العاجز ، الذى على انغامه يودع هذا الوجود .

القـراءة
عادة تربى فى الصغر
تقع التبعة فيها على مدرس وكتاب

ويجب ان نعترف ان القراءة والكتابة صنعتان مصنوعتان ، لا يولدان خلقة فى الانسان ، كما توجد الحاجة الى الطعام ، فيكون المضغ من أجل ذلك طبعا ، ويكون البلع والمذاق والمتعة عامة .

وهما صنعتان تعلمان على الصغر . وفى التعليم ، فى طرائقه ، ما يحبب التعلم الى الصبي ، وفيها ما يكرهه فيـه . وكثيرا ما يخرج التلاميذ الصغار من مدارسهم وفى أنفسهـم حب للكتـاب شديد ، وكثيرا ما يخرجون وفى انفسهم الكراهة والمقت للكتـاب ، وللمدرس ، وللمدرسة جميعا .

والمدرسون صالحون لتدريس النشء وغير صالحين . وتدريس النشء هو اليوم فن وعلم ، وعلـم نفس ايضا . والعصا ليست اليوم من ادوات التعليم . وليس كل كتاب مبسط هو اليوم صالح لطفل . ان الكتاب نتيجة مناسقة بين عمر الطفل وما يشتهيه فى سنه هذه من علم ، ومن فن . وليس العلم فى هذه السن علم الالكترونات وبروج السماوات . وليس الفن فن رفائيل أو فن بيكاسيو . ان للصبية دنيا اشبه شيء بدنيا فنان السينما المعروف ، دزنى Disney ، مزيج من الممكن من الاشياء والأحداث ، ومن المحال . ثم يدخل الصبي رويدا رويدا فى دنيا الرجال .

والصبي فى طبعه حب المعرفة ، وفى طبعه الفرح بالجمال لا سيما الالوان ، فان عزف صبي عن قراءة وكتابة فاطلبوا سبب عزوفه عنـد المدرس او عنـد الكتاب .

والذين يعتذرون عن الصبية المتخلفين ، (وقد يكون التخلف تخلف مدرسـين وتخلف جماعة للكتب طابعين) بصعوبة فى اللغة العربية ، نقول لهم ان صبيـة الامم الاخرى تقف دونهم ، فى تعلم اللغات ، عقبات اى عقبات ، فلا تقفوا عند حجة بالية تعتذرون راضين بهـا مستكفين .

كتب الأطفال

ونقول الكتاب ، ونرفـع من قـدر الكتاب ، والكتـاب الأول هـو كتـاب الأسـاس ، كتاب الطفـل فى مدرسـته الاولـى .

والدول العربية بها كتب اطفال شتى . ولكنها ليست من الشتات ومن التنوع ومن الكثرة على مثـل ما يرغب فيـه الراغبون . ودور الكتب قد تعنى بالكتاب للكبار من الرجال ومن النسـاء ، ولا تكاد تعنى بالكتاب للصبية الصغار ، لأن عائد ربحه قليل .

وانت اذ تدخل مكتبة تبيع كتبا فى سوق عربية ، تكاد تعد ما فيها من كتب للصبية ، وتدخل مكتبة مثلها فى سوق اوروبية ، فتجد لكتب الأطفال فيها ركنا واسعا مكينا ، وهـو فى الـدور الكبيرة مرتب وفق اعمار الصبية والسـنين . وتجد فيه القصة ، وتجد التاريخ ، وتجد الجغرافيا ، وتجد العلم بصنوفه ، وكل ذلك فى الحدود التى فرضتها الأسنان الصغيرة . وتجد من صنف الكتـاب



الكتاب فى حياة الناس اطـول صـاحب صـحبة ، يصاحبه من ابتدائية ، الى ثانوية ، الى جامعة ، الى رجولـة الـى شيخوخة .

انواعا متماثلة تفتح باب الاختيار على القارىء واسعا .

حدث انى وقفت فى احد هذه الأركان ، من هذه الدور ، الى جانب رجل اب ، اخذ يقرأ فى الركن الذى اردت دخوله واطال . وكان يبتسم حينا ، ويقطب حواجبه حينا . وفطن الى انتظارى واصطبارى ، فقال : لا تؤاخذني : هذه الكتب جعلت للأطفال ، وقرأت فربطتني الى أسطرها بحزام .

واظهر ما كان فى مظاهر هذه الكتب الالوان : الاحمر والاصفر والأخضر والاسود مجتمعة ، وتطلع على امثالها من كتب العرب ، ولا لون فيها الا نادرا ، فتحسب ان اطفالنا بهم عمى الالوان . وقد عرفت من الآباء العرب ، بل ان مدرسا قال لي : ان الالوان تدليل للصبية لا يليق بأبنائنا العرب ، ودعا الى التقشف فى كل مراحل الدراسة . والتقشف هنا كالقشف .

فرض الكتاب الواحد

ومن بعض اسباب تخلف العرب ، فى القراءة ، حتى وهم فى مدارسهم ، فرض الكتاب الواحد على التلاميذ . ومعنى هذا « ان كل الصيد فى جوف الفرا » . ومعنى هذا ان المجد كله هنا ، والنجاح كله فى حفظ ما هنا ، وعلى سائر الكتب العفاء . وينزل بها العفاء ، لا شك فى هذا ، وتذهب ، ويذهب كتّابها ، فلمن يكتبون وقد احتكرت الدولة العلم كله ، علم الدنيا ، وصبته فى قالب واحد ، فيه خير الدنيا والآخرة .

الأمية في البلاد العربية

والأمية معناها انك لا تستطيع ان تقرأ او تكتب ، أو أن تحمل فى يدك كتابا .

ومما لا شك يسوء كل عربي ان الأمية ، وفقا لمنشورات اليونسكو الرسمية ، هى فى البلاد العربية اسيع واشنع . فمتوسط عدد الأميين فى البلاد العربية يبلغ ٧٣ فى المائة . اى انه ان صح ان العرب عددهم ١٢٠ مليونا فمنهم ٩١ مليونا لا يقراون ولا يكتبون .

ونعلم ان من هذه البلاد دولة ، ونقصد كبراها ، كانت خططت فى نحو عام ١٩٢٢ لمحو الامية فى عشر سنين . وقد مضى الآن نصف قرن على هذا التخطيط والأمية باقية باقية .

الأمية في البلاد العربية في عام ١٩٧٠

السعودية	٩٧٪
المغرب	٨٩٪
السودان	٨٦ر٥٪
ليبيا	٨٤٪
العراق	٨١٪
الجزائر	٨١٪
مصر	٧٠٪
الاردن	٦٩ر٧٪
تونس	٦٨ر٧٪
سوريا	٦٠ر٨٪
الكويت	٤٧ر١٪
لبنان	٤٠٪

وهذا احصاء ماخوذ من منشورات الامم المتحدة .

اسباب الأمية

ولقد تحدثت كثيرا مع رجال التربية ، والقائمين بأمرها ، فعلمت منهم الكثير . فمن أول اسباب الأمية انه لا يوجد فى البلاد ، لا سيما فى الريف ، من يعيب الأمية الى الحد الذى يحمل الناس على القيام وبذل الجهد للحد منها . وثاني الأسباب أن المدارس الأولية التى فتحوها كانت حبرا على ورق . ابنية قد يحضرها نظار المدرسة ، ومدرس او مدرسان ، وبضعة تلاميذ ،، ثم يقال ان المدرسة مفتوحة بكامل اعدادها وتؤدى واجباتها على أحسن اوجهها ، وكل هذا تحمله التقارير الى العاصمة . ويأتي المفتش من العاصمة ، ويرى من

السوء ما يرى بعينيه ، ويقرر حسن الحال . وسألت ناظر مدرسة ريفية، من سنوات بعيدة مضت ، اترك للقارىء تقديرها ، سألته عن حقيقة هذا الحال . قال : ان الفلاح يريد ولده ليساعده فى الحقل ، وان المدرس مشغول بتجارة له فى القطن اوالفول ليستكمل رزقه القليل. قلت : وانت ؟ قال : حاولت يوما ان ارسل الى العاصمة بحقيقة الحال ، فاجتمع المدرسون، وهددونى بان يرسلوا فى اتهامات مفتعلة ، من النوع المعروف، تقتلعنى على الفور من وظيفتى ورزقى وابنائى لترمينى فى السجن . قلت : والمفتش ؟ قال : كان له من امرى عبرة ، فاعتبر .

فهذه صورة من صور ابقت البلاد العربية حيث هى من الامية. وهى شرور كثيرة ساهمت لا شك فى احداث حوادث الخامس من يونيو ١٩٦٧ .

وهذا الشر من النوع المتسلسل : أب مزارع لا يريد تعليم ابنه . ومدرس يتاجر، التجارة أجدى عليه من التدريس. وناظر مدرسة يتستر خشية ضياع رزقه . ومفتش تربية نظر واعتبر .

وشخصية اخرى لم اذكرها : تلك شخصية وكيل الوزارة الذى ذهب الى هذه الناحية من البلاد ، لغرض بعيد عن التفتيش، فتكشفت له بغتة هذه الحال.

ان هذا الشر المتسلسل، اخطر ما فيه حلقته الأولى : ذلك الأب الفلاح الذى لا يريد تعليم ابنه. من هنا يبدا الاصلاح. وهنا يبدا دور الاعلام فى الدولة ، قبل ان يبدا فى نيويورك او تل ابيب : ان هذا الأب الفلاح عنده عذره فى الذى صنع . انه ليس مغفلا ، ولن ترى رجلا أذكى من فلاح . والسؤال هو ما الذى دفع الأب الى الاضرار بابنه وبلده الى هذا الحد . المسألة ليست مسألة قوانين ، ولا عقوبات ، ولا انذارات ، انه داء لا بد ان يطلب له كسائر الأمراض الدواء . وهذا الفلاح اذا صلح ، واقتنع ، وطالب بحق ابنه فى تعليم ، لم يصب الفساد بعد ذلك مدرسا ، ولا ناظر مدرسة ، ولا مفتش وزارة .

قراء يقرأون
ثم هم الى الأميه يعودون

واستطرد فى اسباب هذه الأمية العربية ، فأعود الى ما اسميه بالأمية الراجعة ، كما تقول الحمى الراجعة .

ان التلاميذ الذين يذهبون الى المدارس الابتدائيه أو الالزامية ، حيث يتعلمون الكتابة والقراءة ، وشيئا من المعرفة يفتح عقول هؤلاء الصبية على الدنيا وما فيها، هؤلاء التلاميذ ليس كلهم يستمرون فى مدارسهم الى آخر المطاف. ولن ندخل فى اسباب ذلك . ولكن بحسبنا ان نقول انها اسباب ترجع الى استعداد الطالب، وتقبل بيته دخوله المدرسة ، والمدرس الذى يقوم على تعليمه ، والنظام العام فى سائر المراتب ومن كل الالوان . هذه كلها تتعاون بدرجات متفاوتات على تخلف التلميذ عن مدرسته وخروجه منها قبل الأوان . وهؤلاء المتخلفون لا بد لهم من مسالك فى المجتمع هم بعد تخلف سالكوها . والذين يصمدون فى المدارس آخر المطاف ، بعض يذهب الى المدارس الثانوية ، وبعض يتخلف .

فالمتخلفون من التلاميذ اذن نوعان : نوع اتم دراسة المدارس الابتدائية ، فتعلم كيف يكتب وكيف يقرأ الى حد ما، واكتفى ، وآخرون توقفوا فى التعليم عند ما دون ذلك .

ومصير هؤلاء فى الريف الحقل ، وفى المدن سائر الحرف .

والحياة التى يحيونها من بعد ذلك ، لا سيما فى الريف ، وفيه الكثرة الكبرى من المتخلفين ، ليس فيها ما يحفز قارئا على قراءة ، او كاتبا على كتابة . وتمضى السنة والسنة ، ويقل علم هذا المتخلف بما كان قرأ ، وما كان كتب . وما هى الا سنوات حتى يصبح أميا .

انها الأمية الراجعة ، الى شباب المدينة او شباب الريف .

وهى هى الأمية التى انس بها وركن

اليها الآباء الذين كانوا عارضوا دخول ابنائهم المدارس ليتعلموا القراءة والكتابة. انه تعليم كان عند هؤلاء الآباء لا حاجة لهم به . ان هؤلاء الآباء ما قراوا في حياتهم شيئا ، وما اضطروا يوما الى قراءة شيء . والجو عندهم ليس جو قراءة ، جو الريف جو ابقار واغنام وزروع ، وجو حرث وبذر وسقي ، من اول النهار ، وقبل ان تطلع الشمس والى ان تغيب .

ان الفلاح ، وان ذا الحرفة في المدينة ، لا يستجيبان اليك اذا انت اغريتهم بالتعلم ليقراوا شعر المتنبي او فلسفة ارسطو .

ولكن يغريهم بالتعلم ، قراءة وكتابة ، ان يجدوا فيما يقراون نفعا مباشرا يتصل بحياتهم وينفعهم على الفور في يومهم وفي غدهم ، ولا سيما ما يتصل بأرزاقهم ، وكذلك ما يتصل بالذي يجري في مجتمع حياتهم ، حياتهم هم ، حيث يغدون ويروحون في الحي الصغير ، لا الذي يتصل بحياة المدن البعيدة والعواصم والأقاليم . اقليمه هو أولا ، ثم القليل عند سائر الاقاليم .

ان أهل الغرب حفظوا على الناس ما تعلموا من قراءة وكتابة بالصحف يصدرونها محلية تحكي عن اخبار الشرطة والعمدة ، وحوادث المدن المجاورة والقرية ، وتحكي عن من مات أو تزوج من عيون تلك البقاع .

وتتعدد الصحف ، فيجد فيها قارىء الريف مثلا كل الأخبار التي تنفعه في زروع الارض ، وحصيده من غلتها . والجديد في حرفته أو فنه تحمله هذه الصحف المحلية اليه حملا .

هذا عدا ما في القرى من نواد وجمعيات تجمع الهواة وغير الهواة . وكل هذا انما يجعل من امر القراءة ضرورة . فيقرا الناس ، ويقراون . فتظل القراءة عندهم حية ، وهي فوق ذلك تزداد قوة بزيادة ما تأتي به للقارىء من اتساع معارف .

وكل هذا انما أوجده الغرب بالذي فيه من حكم محليّ ، فيه حرية العمل مطلقة ، والرِّيَب غير واردة . انا ، نحن العرب ، نخشى دائما حرية الحكم المحلي . ونعطي الحرية للريف أحيانا ، ولكنها حرية كحرية الكلب ، نطيل له فيها مقوده . ولكن ، ان كان في عنقه طرف من المقود ، ففي يد الحاكمين الطرف الآخر ، يشدونه اليهم في اى وقت يشاءون .

الكتاب العربي

في بلاد بلغ متوسط الأمية فيها ٧٠ في المائة ، يستحي الانسان ان يتحدث عن كتاب اسمه الكتاب العربي .

ان الكتاب العربي كتابان ، كتاب رسمي تدخله وزارات التربية الى مدارسها ، ومن ذلك كتب الجامعات ، وكتاب غير رسمي ، الكتاب أحرار فيه ، يكتبون منه ما يشاءون ، والقراء يقراون من هذه ما يقراون ويدعون ما يدعون .

والشيء المسيطر على كل هذه الكتب بانواعها ، هو الجو المسيطر على الدول التي تنشر فيها . فالرقابة التي راقبت الصحف ، قامت كذلك في أكثر الدول العربية ، ان لم نقل كلها ، تراقب الكتب . حتى الكتب العلمية في بعضها .

وموضوعات من مواضيع المعرفة حرِّم الدخول فيها كتابة ، وحرِّم النقاش . وموضوعات من مواضيع المعرفة اجيز فيها القول الى اقصى حد ، ووجد من الكتاب العرب من استطاع ان يذهب هذا المذهب الى آخر الحدود ، ولكن في حكمة ، وآخرون جروا لقاء اللقمة .

واقر بان من هذه الكتب ما اعجبني ، والكاتب صاح واع . فانا لا امنع اى موضوع من عرض ولا من نقاش ، وانا مغرم بالذي انا اقل علما فيه ، واعجب بالمنطق السليم ، حتى بالذي انا به غير مؤمن . انها لذاذة العقل في التحليل والتخريج وموازنة القيَم . وانا اميل دائما الى الكتب التي تناصر الجانب الضعيف من حظوظ بني الناس . ولكني اكره الزيف العقلي ، ولو كان زيفا في مناصرة الضعفاء .

وقلت الكتب الجادة فى العصور غير الجادة .

وباختفاء الكتب الجادة اختفى الكتاب .

سالت احدهم لم لا تكتب ، فقال لمن اكتب ؟ ومن ينشر ؟ وكتب اخيرا ، ولكن باسلوب عقلى افتراضى محض ، لم يتصل اتصالا مباشرا بالواقع الحاضر ، وكان احسن ما فيه خفاؤه على افهام الرقباء . ورقيب حدثنى ، قال : بل فهمناه ، ولكن دعوانا الغباء فيه اسلم .

أهل الذم وأهل الاطراء

ومن الناس من ينظر فى امور العرب فينكر الكثير ، ويحمد القليل ، حتى اذا كتب فى ذلك او قرأ اشعرك بأنه حمد الكثير وانكر القليل ، او هو يصمت فلا يذكر عن هذا القليل شيئا . وحافز ذلك التستر على مساوئنا احيانا ، واحيانا مشاركة من هؤلاء فى رسم الصورة الجميلة للحاضر ، ولو كاذبة ، حتى تبقى على ما بقى عند الناس من قليل رجاء فى الغد . واحيانا يكون الحافز مداهنة لنظام قائم ، سياسيا كان ، او اجتماعيا ، او اقتصاديا او اخلاقيا ، فكل هذه النواحي يصيبها الشرور . وكل شر له فى قيامه بهذه الدنيا حماة . فقد تكون المداهنة لا طمعا فى الكذب ولكن خشية من نقمة . وخير ما يفعل قائل او كاتب يصف ما يرى من دنياه ان يقول الصدق ، وبمقدار ما يرى .

وسوق الكتب دخلها عامل من عوامل الفوضى جديد : انها القرصنة

ان سوق الكتب فى البلاد العربية لم تكن ذات يوم ذات نظام ، ولم يكن بين الدار والدار من دور النشر اتصال ، والقائمون ببيع الكتب ، حتى فى عواصم البلاد ، اكثرهم ليسوا من ذوى الثقافة العربية بمكان . وانت تذهب الى احد هؤلاء البائعين تطلب كتابا ، وتذكر اسمه ، وتذكر ناشره ، ويكون الجواب اما : نعم موجود ، أو ليس عندنا . وان سألته أن يحصل لك على نسخة منه ينظر اليك نظرة تدرك منها انك انت السفيه وهو العاقل . وان كان عنده بعض حس وذوق قال لك : ان قريبا منا مكتبة اسمها كذا ، فلعلك واجد كتابك فيها . وبائع كتب فى بلد عملتها صعبة عالمية ، يبيع كتبا أجنبية ، وطلبت منه كتابا ، وان يأتينى بالطائرة ، وله ثمن الكتاب واجر الطائرة ، وبرقية يرسلها فى طلب الكتاب . وقد مضى على هذا الطلب ٦ اشهر ، ولم يصلنى الكتاب عبر أرض أو بحر أو هواء . والكتاب من مكتبة شهيرة وناشره أوربى شهير ، وهو معلن عنه فى جداول كتبها .

وللذين لا يعرفون البلاد الاجنبية فيما يختص بالكتب ، أقول ، انك هناك تعطى الدار التى تبيع الكتب ــ او تبعث اليها من حيث كنت ــ ثمن الكتاب واجر بريده ، ثم هو يأتيك بالبريد بعد أسابيع قليلة .

هذا كلام خرج بنا عما كنا نريد الحديث فيه مباشرة ، أعنى القرصنة فى الكتب . ولكن لعلنى فى بدئى بهذا الكلام مهدت وصل الطريق الذى يمضى فيه الكتاب العربى فى الأسواق العربية ، حتى اذا تحدثت عن القرصنة كان ذلك استطرادا معقولا لطريق وَحِلٍ زدته ماء ، ولا سيما ماء قذرا .

القرصنة

عرفنا القرصنة فى التاريخ . وعرفنا ان الذى يقوم عليها قوم من رجال البحار ، لا يحكمهم قانون ، يتجهون هم وسفنهم والأشداء من رجالهم ، وفى فم كل منهم حد سكين منذر ، ويبحثون فى البحار عن سفينة ذات حمل من البضائع ثمين ، فينقضون عليها ، ويأخذون ما فيها هكذا اخذا سهلا .

فهذه هى القرصنة ، وهؤلاء الرجال القراصنة .

اما فى قصة الكتب وقرصنتها ، فالسفينة التى يبحث عنها القراصنة هى

كتاب رائج . أما طريقة الاستيلاء عليه، فهي أخذ نسخة من هـذا الكتاب من الأسواق ، ثم أخذ صورة فوتغرافية من كل صفحة ، ثم طبع الكتاب من هـذه الصور . وهي عملية جعلها العلم الحديث والتكنية الحديثة من اسهل الأمور وارخص الامور . والقرصان لا يكاد يتكلف للتصوير والطبع الا ثمن الورق . أما مادة الكتاب ، وأما الفكر الذي بذل فيه ، واما الليالي التي امضاها مؤلفه في كتابته ، وأما الليالي التي سهرها مؤلفه في مراجعة ما كتب ، كل هذه يأخذها القرصان بالمجان .

حدثني رئيس مخازن في وزارة تربية عن كتاب قررته وزارته للطلبة . وأراد شراء الأعداد المطلوبة منه . فجاءه فئتان من الناس ، فئة تعرض الكتاب بما يساوي ٣٥٠ فلسا ، وفئة تعرضه بما يساوي ٢٠٠ فلس . ونظر الرجل للكتابين ، فوجد شيئين سيان ، لا تكاد تفرق العين بينهما . فاحتار .

وسألته : وكيف انتهت الحيرة ؟

قال : بشراء الكتاب الرخيص ، فبهذا تقضي قوانين المخازن ، انها المناقصة .

قلت:ولكن هذا الكتاب الذي اشتريت، كتاب من حرام .

قال : اعرف هذا .

قلت : والطلاب الذين يقرأونه ، انما يقرأون في حرام .

قال : اعرف هذا .

قلت : والوزارة التي هي جزء من حكومة رضيت الحرام .

قال : بالله لا تذكر الحكومة ، فانا رجل قدر حالي ، وينتفع غيري من موقفهم هذا ، وانا والله ما انتفعت فيه بفلس .

قلت : ولكنك سكت ، فكنت شريكا متسترا . وكان في وسعك أن تتصل بالناشر الذي اسمه على اسم الكتاب في كلتا الحالتين ، أو بالمؤلف ، فتعلم منه الصدق وتعلم الزيف .

قال : بهذا ادرأ عن نفسي غضب الوزارة ، لأتعرض لغضب الزائفين . ان هؤلاء الزائفين قوم ذوو قوة ، وهم في حكوماتهم ذوو سلطان ، ومنهم بعض دور الكتب الشهيرة نفسها تتستر ببيع الحرام مع الحلال .

وتحدثت بهذا الأمر بين اخوان ، فعلمت منهم انه شر استشرى . لم يعد هو في كتاب او كتابين . لقد أصبح تجارة واسعة ، مصدرها ، كما قيل لي، بلد عربي غير كبير .

وأخطر من ذلك أن جهودا بذلتها دول عربية أخرى في وضع حد لهذا الأمر ، لم تجد صدى واسعا في الدولة المنتفعة ، أو هكذا تراءى لها ، فهي تستعد اليوم لمجابهة قرصنة بقرصنة ، حتى يكون الصراع علنا . وكما قضى ذلك قديما على قرصنة البحار، فهو عندهم سوف يقضي على قرصنة الكتب . ●●

أحمد زكي

القرصنة تهدد الكتاب العربي الجاد فلا يكون له وجود .



نتيجة مسابقة العدد ١٥٩

ملوية سامراء وبرج بيزا المائل

السهولة واليسر كانا طابع مسابقةالعدد ١٥٩ من « العربى » ، كما ان الصور والخرائط كانت هى الاخرى عوامل مساعدة للتعرف على الاجابة الصحيحة . وقد وصلتنا آلاف الرسائل بصورة لم نعهدها فى اية مسابقة من مسابقاتنا الماضية ، اما الأسئلة ، فكانت تدور جميعها حول التاريخ والجغرافيا.

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابةالصحيحة ، ثم اسماء من حالفهم التوفيق فى الفوز بالمسابقة .

١ ـ المئذنة الملوية توجد فى مدينة سامراء .

٢ ـ ولد الرحالة ابن بطوطة فى مدينة طنجة .

٣ ـ نفى نابليون بونابرت بعد ان هزم فى معركة واترلو الى جزيرة سانت هيلانة .

٤ ـ من عجائب الدنيا التى اندثرت ، منارة الاسكندرية .

٥ ـ كاتب رواية البؤساء الشهيرة هو فكتور هوجو .

٦ ـ البرج المائل يوجد فى مدينة بيزا بايطاليا .

٧ ـ البطلة الفرنسية التى احرقت فى مدينة روان بعد ان اتهمت بالسحر والشعوذة هى جان دارك .

٨ ـ الرجال الملثمون الذين يعيشون فى الصحراء الكبرى هم قبيلة « الطوارق » .

٩ ـ عاصمة جزيرة مالطا هى فاليتا .

١٠ ـ اسم مكتشف الطريق البحرى المؤدى الى الهند هو فاسكو دى جاما .

١١ ـ الدولة التى لها حدود مشتركة مع ايران وروسيا وباكستان والهند والصين هى افغانستان .

١٢ ـ اعلى جبل فى افريقيا اسمه كليمنجارو .

الفائزون بالمسابقة

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فازبها /**على محمد عمر ابراهيم الفريانى /** طرابلس /ليبيا .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فازبها /**حسين محسن الاسدى /** بغداد / العراق .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فازبها/ **عبدالله عبد الكريم على /** المنامة/ البحرين .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ـ فردريك اسود/بيروت/لبنان .

٢ ـ صالح الناصر الحليلة/الرياض / السعودية .

٣ ـ عطية كريم ذوقان الظفيرى / الجهراء/ الكويت .

٤ ـ جمانة مراد/ دمشق / سوريا .

٥ ـ ضيف نبيل عطا الله/الاسكندرية/ ج٠م٠ع .

٦ ـ معتصم صلاح ابراهيم/ اربد / الاردن .

٧ ـ عبد الجليل مصطفى النميرى / ام درمان/السودان .

٨ ـ شامل فندقلى/فرنسا .

وسترسل الجوائز الى اصحابها.

العالم العربى..
تنقصه الإدارة قبل أن تنقصه التكنية

بقلم : الدكتور السيد أبو النجا

■ كان لى حظ الاشتراك فى المؤتمر العربى الخامس للعلوم الادارية الذى انعقد فى الكويت فى يناير ١٩٦٩ كممثل لجمهورية مصر العربية. واذكر أن احدى الجلسات قد انقضت كلها فى المفاضلة بين تسميات لفظية . فهل نقول فى التقارير « البند الأول » او الجزء الأول » او الفصل الأول » .. وهل نقول ترجمة « للتعبير الانجليزى Standard Costing التكاليف النمطية » او التكاليف المثلية » او التكاليف المعيارية » او التكاليف القياسية » . واخيرا وقفنا عند التعبير الانجليزى حقنا للدماء !.. وصرنا نحتكم الى التعبيرات الانجليزية كلما اختلفنا على مدلولاتها باللغة العربية .

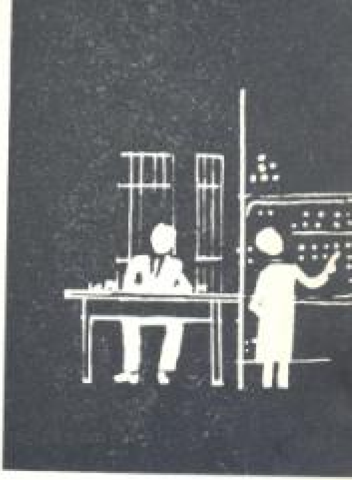
واذكر ان احد الزملاء المشتركين فى المؤتمر قال فى احدى الجلسات « ان الادارة فى كل دولة هى فى خدمة النظام السياسى السائد فيها » ، فاذا بزميل آخر يقف معترضا فى انفعال ويقول « لا بل فى خدمة النظام السياسى الصحيح » وثارت مناقشة عاصفة عن النظام الصحيح والنظام السائد ، علت فيها الاصوات وطغى الارسال على الانصات ، ثم انحسر الموج اخيرا عن نتيجة كان لا بد من التسليم بها منذ الدقيقة الاولى ، وهى ان مهمة السياسى ان يقول « ماذا » ومهمة الادارى ان يقول « كيف ».

وقد اشتركت فى احدى لجان المؤتمر التى انيط بها بحث تبسيط الروتين الحكومى فتشعبت اعمال اللجنة وتشابكت وتعقدت حتى اصبحت لجنة التبسيط فى حاجة الى تبسيط !

وبهذه العقلية الخطابية سار مؤتمر العلوم الادارية الخامس كما سار اربعة قبله عقدت فى القاهرة وغيرها من العواصم العربية واسفرت كلها عن نتيجة مؤسفة هى ان قادة الفكر الادارى لا يستطيعون ممارسته فى ادارة الجلسات ! وعاد كل منا الى بلده ببضع نصائح ادارية هى القاسم المشترك الاعظم لما امكننا الاتفاق عليه ، وهى لم تكن فى حاجة الى مؤتمرات لانها مسطورة فى الفصول الاولى من كتب الادارة العامة وادارة الاعمال . يقول اليازجى « بريق الحقائق من احتكاك الآراء » ولكن الآراء حين تصطدم بالرءوس تفقد صوابها .

لماذا هذا الفشل ؟

لا بد من التسليم بأن سلوك الجماعة الادارية ليس هو المجموع الكلى لكفايات افرادها ، وانما هو المزيج النهائى لتفاعل هذه الكفايات . فارتفاع مستوى الكفاية الادارية للافراد لا يعنى بالضرورة ارتفاع المستوى الادارى للجماعة . يقول برنارد « عندما تنسق جهود خمسة من الرجال فى منظمة تنشأ حالة جديدة تختلف كل الاختلاف فى الكم والكيف عن مجموع جهود كل من هؤلاء الخمسة . وهذه الحالة الجديدة هى التى تجعل الادارة عملية مرتبطة بمواقف معينة اكثر منها باشخاص معينين » .



المعاهد الفنية تخرج الفنيين والمعاهد الادارية تخرج الاداريين والتكنية الحديثة في حاجة الى كليهما

ومما يدعو الى زيادة فعل هذه الحالة في العالم العربي ان المشكلات الادارية التي تواجهه لم تعد تعتمد في حلها على الطرق النمطية. فالعالم العربي يواجه اليوم انواعا من النشاط لا عهد له بها ، بدات تفد اليه من خارجه بدرجات متفاوتة ، منها النظم السياسية والميكنة الصناعية والعقول الالكترونية والخدمات التلغرافية والكيماويات البترولية واستخدام الطائرات في النقل .

والعالم العربي اذا كان اليوم متخلفا عن اوروبا وامريكا في التكنية فهو اشد تخلفا عنهما في الادارة فلو قورن المهندس العربي بالمهندس الاجنبي ، أو قورن الكيماوي العربي بالكيماوي الاجنبي لكان كل منهما اقرب الى نظيره من المدير الاداري الى المدير الاداري. ذلك ان السرعة التي سار بها التقدم التكني فاقت سرعة الادارة للحاق بهذا التقدم . ان شهية العالم العربي قد تفتحت فجأة للتنمية . ولكن الادارة بقيت متخلفة مع ان التخطيط الاداري كان يجب ان يسبق تخطيط التنمية ليستخلص عائدها حين يبدأ تنفيذها .

وقد كبرت المشروعات فجأة فبعدت في كثير من اجزائها عن انظار اصحابها فاضطروا الى استخدام المديرين واحلال النظم Systems محل الملاحظة الشخصية ، ولكن المديرين لم يكونوا حاضرين والنظم لم تكن جاهزة .

مقومات الوظيفة الادارية

لو تصورنا نظاما اداريا كاملا لقلنا انه النظام الذي يسير تلقائيا دون تدخل المدير ، فيتوقع النظام المشكلات التي يمكن ان تحدث ويضع لها الحلول مقدما . وبما ان هذا غير ممكن عمليا فلا بد من الادارة لكي تواجه ما يستجد من المشكلات في كل يوم ، وتتخذ القرار الذي تنتزعه من واقع كل مشكلة . ان الموقف هنا شبيه بمن يقيم مسكنا يضم من الحجرات ما يكفي ساكنيه فهذا يقابل عملية التنظيم . اما كيف يستخدم الساكنون هذا المبنى ، وهل ينامون في غرفة المكتب اذا حل عليهم ضيف فهذا ما يقابل العملية الادارية .

ولكن مقومات الوظيفة الادارية لم تتضح بعد في اذهان البلاد العربية . فالاعتقاد السائد ان انسب الاشخاص لشغل منصب رئيس مجلس الادارة هو الشخص الذي وصل الى أرفع مستوى من التكنية في تخصص المشروع فيختار لقيادة مشروع للغزل والنسيج افضل المهندسين في هذه الصناعة، ولمشروع للمعلبات افضل المهندسين الزراعيين ، ولمشروع للكيماويات افضل الكيماويين .. وهكذا. وهو اتجاه خاطىء من اساسه لان الموضوعات التي تعرض على قائد المشروع ليست دائما تكنية خالصة، وانما تدخل فيها اعتبارات البيع والشراء والتمويل والانتاج . وهذه الجوانب مترابطة متداخلة . فالتقدم في عطاء مثلا قرار لا يعتمد فقط على امكان تنفيذه من الناحية الفنية ، وانما يحتاج الى دراسة لظروف السوق ، وللتكلفة المتوقعة للعطاء، ولامكان تمويله وتدبير احتياجاته من المواد الاوليه.

ان الفني المتخصص يكون عادة متحيزا يسيطر على تفكيره المجال الذي تخصص فيه . فاذا كان مهندسا اهتم في المحل الاول بالآلات والمعدات والمواد . واذا كان كيماويا أعطى عنايته الاولى للمختبرات المعملية . واذا كان محاسبا كاد ان يحيل منشاته الى شركة للحسابات العمومية !

من يكون القائد اذن ؟

لا بد من التسليم بان الادارة مهنة مستقلة بذاتها وليس كل من هب ودب يصلح لها ، فقط لانه غير فني كانما عدم الفنية ميزة ، والحق انها ميزة اضافية لو توفرت للرجل الفني ، ولذلك انشئت لتدريس الادارة ، المعاهد الادارية واقسام ادارة الاعمال في كليات التجارة . على ان المادة الاولية لمدير ناجح هي ان يكون قبل كل شيء انسانا سويا مثقفا ثقافة عامة ومعتدل الصحة والمزاج . وكل انحراف في صفاته كانسان يسيء الى تصرفاته كمدير مهما كانت معلوماته الادارية . ومن اهم الصفات الانسانية فيه ان يكون محبا للانصات قبل « الارسال » . فمهمته ان تلتقى الآراء المختلفة في بوتقته لتتفاعل وتتحد في قرار .

والمعلومات الادارية وحدها لا تكفى لتكوين مدير ناجح فلا بد من اكتسابه المهارات الادارية ، وهذه تحتاج في تكوينها الى اجل ليس بالقصير . ان القائد الادارى لا يمكن ان يكون فنيا في جميع النواحى التى تعرض عليه ، وانما يكون فنيا في طريقة استيعابها وتفهم درجتها من الاهمية، واثرها على الموقف العام للمنشاة التى يديرها . هو فنى في التنسيق بين الدواعى التكنية والدواعى البيعية والدواعى المالية في كل موضوع واتخاذ القرار الذى يوفق بينها في الوقت المناسب . ان المهم في ثقافته ان تكون واسعة قبل ان تكون عميقة في احد الفروع،ولديه من الخبراء من يستطيع تكليفهم باستيفاء الدرس في الناحية التى تدعو الحاجة الى التعمق فيها .

ورئيس مجلس الادارة رجل علاقات عامة قبل كل شيء . فعليه أن يكون في منشاته قائدا لا مجرد رئيس . والفرق واضح بين الاثنين ، فالقائد يكتسب مكانته من احترام مرءوسيه لشخصه وخبرته ، على حين يفرض الرئيس نفسه على مرءوسيه لخوفهم من عقابه . وعلى الرئيس ان يكوّن في نفوس جمهور المتعاملين معه صورة مشرقة عن منشاته بحيث يقبل على التعامل معها عن حب وثقة . وعليه ان يكوّن مثل هذه الصورة في نفوس الحاكمين لكى يساعدوا منشاته اقتناعا منهم بان هذه المساعدة في مصلحة البلاد .

سلطات القيادة الادارية

يرتبط نجاح الادارة بدرجة الوضوح في تحديد سلطات قيادتها . وهذا التحديد لا يحقق اهداف المشروع الا اذا توافرت للمشروع نفسه اسباب النجاح . ان المشروع يعمل على ارضية اجتماعية تحكمها العادات والتقاليد . فمهما اعطى المدير من سلطات فان حركته متاثرة بهذه الارضية فهى محكومة بها . كما ان سلطته لا يصح ان تحيد عن الهدف الذى انشيء المشروع من اجله فاذا انشيء مشروع للمياه فلا يصح ان يترك للادارة تحديد المناطق التى تعطى اولوية في توصيل المياه اليها والا بدات باقلها كلفة وامتنعت عن توصيلها الى المناطق ذات الكلفة العالية . وقد تعطى الادارة سلطة واسعة في تحديد الاسعار والاجور والعمالة، ولكن السلطة تظل في اطار القواعد العامة التى وضعتها الدولة لخدمة الاقتصاد القومى . وقد تمنح القيادة سلطة واسعة في التعيين ومنح المكافات والترقيات والتنزيل وتوقيع العقوبات ، الا انها لا تستطيع استخدام هذه السلطة نتيجة للضغوط الشخصية التى تقع عليها بحكم وجودها في مجتمع تلعب فيه علاقات الصداقة والحزبية والطائفية دورا مهما في توجيه تصرفات الافراد .

ان القضية في البلاد العربية ليست في تحديد السلطة بقدر ما هى في تحديد المناخ اللازم لممارستها .

مسئولية القيادة الادارية

نقطة الانطلاق في تحديد مسئولية الادارة هى ان يولد المشروع صحيح البنيان . فمهما اعطيت الادارة من صلاحيات فقد تعجز عن تحقيق النجاح لمشروع انشيء دون دراسة اقتصادية وتكنية تضمن ان تكون تكلفة الانتاج فيه اقل من ثمن السلعة في السوق ، وان يكون السوق محتاجا الى هذه السلعة .

ان الادارة لا تستطيع ان تهب الحياة لمشروع ولد ميتا . او ولد حيا ولكنه ينتج سلعة لا يحتاج اليها السوق ، او ينتجها بطاقة انتاجية تفوق احتياجاته . ولا تستطيع ان تنجح مشروعا تم اختيار موقعه دون دراسة ، او حدثت اخطاء في تصميمه ، او في مواصفات معداته ، او انشيء قبل ان تعد القوى البشرية اللازمة له .

فاذا كانت هذه الدراسات تامة فان على الادارة ان تقوم بما يلى :

١ ـ شراء احتياجات المشروع بالكميات المناسبة، وبافضل المواصفات ، او باقل الاسعار .

٢ ـ تشغيل مستلزمات الانتاج بشكل يضمن الحصول على أكبر انتاج ممكن .

٣ ـ توفير القدر المناسب من الاموال في المواعيد التي تظهر الحاجة فيها اليها .

٤ ـ تسويق الانتاج في مواعيد محددة بالاسعار المحددة وبأقل تكلفة للتوزيع .

والمساءلة عما تقدم تتم دائما في حدود الهدف، فقد يقوم المشروع لتحقيق الربح ، كما قد يقوم لزيادة فرص العمالة ، او لانتاج سلع وخدمات يحتاج اليها الاقتصاد القومي لذاتها بقطع النظر عن تكاليفها .

ان العشوائية الادارية لم يعد لها مكان في الدول التي سبقتنا بعدما تكلفته هذه الدول فيما ارتكبته من اخطاء . وقد ان للعرب ان يستفيدوا من اخطاء سواهم فيبداوا من حيث انتهى الاخرون ليوفروا على انفسهم تكلفة الفشل .

تدخل الدولة

يبدو ان تدخل الدولة في توجيه النشاط الاقتصادي ضرورة لا بد منها سواء في البلاد الراسمالية او الاشتراكية كلما وجدت انحرافا عن المصلحة العامة في تصرفات رجال الاعمال . وما زلنا نذكر تدخل جون كنيدى رئيس الولايات المتحدة الاسبق ليجبر شركات الصلب على الا ترفع اسعارها حتى لا ترتفع الاسعار في السلع التي يدخل الصلب في صناعتها .

وما زلنا نذكر يوم قررت الحكومة البريطانية تاميم الغاز في لندن واتباعه للبلدية تقديرا منها لاهميته للسكان وابقاء على سعره .

وقد تجد الدولة منذ البداية ان مشروعا بالذات هو من الكبر بحيث لا يمكن ان يكون ملكا للافراد او للشركات كما حدث في شركتي الطيران B.O.A.C. واير فرانس في اوربا ، وفي السد العالي ومجمع الحديد والصلب في جمهورية مصر العربية . وقد ترى الدولة الا تملك المشروع كله وانما تشترك فيه مع فريق من المتخصصين كما يحدث في شركات البترول .

ولكن هذا لا يغير مما قلناه شيئا ، بل نضيف اليه ان ادارة المشروع في القطاع العام تدير مجموعات من العاملين الذين حرموا بسبب التخلف من صفة الانضباط فتجد نفسها عاجزة عن فرض النظام عليهم الا باستخدام الاساليب التقليدية في العقاب وهو ما يعرضها للوم المجتمع بعكس الحال في مشروعات القطاع الخاص فهي تملك من حرية الحركة ما يجعلها قادرة على فرض النظام بالطريقة التي تراها .

ثم ان المستويات الاشرافية في القطاع الخاص اقل منها في القطاع العام . وهذا يعطي الادارة مرونة في الحركة والتصرف تعاونها على تطوير نظمها واساليبها بما يرفع الكفاية في التنفيذ .

ادارة التكنية

يتضح مما تقدم ان الانتاج يسير على قدمين من تكنية وادارة . ولكن هذا القول تنقصه الدقة فان التكنية نفسها في حاجة الى ادارة . وعلى من يشك في هذا ان يزور معاهد البحوث في كثير من البلاد العربية ليجد في معاملها آلات دقيقة وحديثة تسف التراب بدل ان تخرج النتائج العلمية . هذه المعاهد في حاجة الى من ينسق جهودها ، ويخطط اعمالها ، ويتابع نتائجها ، وتلك مهمة الادارة . ان العلماء يعرفون . ولكنهم حين يضعون معرفتهم موضع التنفيذ يحتاجون الى مديرين . ان علمهم هو استخدام المعامل ، وعلى غيرهم ان يصونوها .

والمستشفيات لا تعمل باطبائها وحدهم وانما تحتاج الى مديرين للمخازن ، ومشرفين على النظافة والصيانة ، ومهيمنين على العيادات والمطابخ والمغاسل وحركة الدخول والخروج ، ومحاسبين لتسجيل النقود والادوية . والمرضى يشكون من ضعف الادارة اكثر مما يشكون من ضعف العلاج .

الكليات في الجامعة لا تعمل باساتذتها وحدهم . وانما تستعين بالمسجل والمعاون والمحاسب وامين الخزينة . والطلاب يشكون من هؤلاء اضعاف ما يشكون من الاساتذة .

ان صانع السيارة يودعها من التكنية ما شاء له فنه ولكن اداءها الصحيح مرهون في النهاية بتصرفات سائقها وهو مديرها .

ان الادارة كلمة دقيقة الابانة عن القصد منها فكل جهاز لا بد ان يدور لينتج . ودورانه دورانا صحيحا شرط لازم للاستفادة بما فيه من مكونات . ■■

السيد أبو النجا

«البيّنة والأحدُّ في ظهرك»

« ما أحوج امتنا اليوم الى متدينين مستنيرين ينظرون الى المرأة لا على انها آفة من آفات المجتمع ، بل على انها نعمة من نعم الله فيه »

بقلم : الشيخ احمد حسن الباقورى

■ فى الطريق من مدينة القاهرة الى مدينة ابو ظبى وفى عاصمة دولة الكويت الشقيقة جمعنى بنخبة من اهل العلم والفضل مجلس كريم كان واسطة العقد فيه عالم أوجز تعبير عن صفاته انه لا يزاحمه فى امتنا العربية الى مجد علمى مزاحم الا زحمه . فان شئت ان تزيد فى التعريف به والافصاح عنه قلت : انه اعرف انداده بالله « **مع الله فى السماء** » واعرف انداده بالله « **مع الله فى الارض** » . فان ابيت الا ان تجعل التعريف به جامعا مانعا ــ على طريقة اصلاء الأزهريين ــ فانك تقول : انه العالم الثقة الذى طاع له اسلوب فارد بقدرة فائقة على تجلية النظريات العلمية المعملية المعقدة فى بيان ادبى رفيع ، على ما بين لغة العلم ولغة الادب من تقابل يبلغ أحيانا منزلة التنافر والتضاد ، فاذا جمعهما الله تعالى لقلم فى يد كاتب عالم فقد جمع له خيرا كثيرا ومجدا عريضا قلما ينطال او ينال .

حديث فى الدين بروح الدنيا

كان مجلسنا هذا ــ بحمد الله ــ يتعفف عن السفساف من الامور ويتناول حديث الدين بروح الدنيا وحديث الدنيا بروح الدين .. وفيما كان الحديث يجرى رخاء يستمتع به المتحدث والمنصت على سواء ــ من اجل تطوافه بأرواحنا ومشاعرنا حول الكعبة فى مكة وحول مناسك الحج فى عرفة ومزدلفة ومنى وبين الصفا والمروة ــ راح الفاضل الثقة يروى من ذكرياته ما يتوضح به المراد بهذا العنوان الذى آثرناه لهذه الكلمات .

قال الرجل : ــ وكأنه يتحفز للقاء عدو مغير ، لشدة ما شاهت فى خياله صورة الذكرى الاليمة ــ قصدنا ذات عام الى الاراضى المقدسة لاداء فريضة الحج فى بعثة جامعية تنتظم شوابا وشبانا وانا يومئذ بها فخور ، وعلى توجيهها الى الخير جد حريص .. وذات يوم جلست بين وافدين لاداء الفريضة وانا شديد الاعتزاز بالروح الدينى الذى كان يتجلى فى وجوه اعضاء البعثة وخاصة الشواب منها ، من حيث كانت المرأة ادق حسا واشد تدينا ، فكانت من اجل ذلك اقدر على تربية جيل صالح تنتفع به الامة فى حاضر مجاهد وقابل مرموق ، وما راعنى ــ علم الله ــ الا صوت تصرخ فيه السخرية بصفهن وصفا يعاند الادب ويجافى الذوق ويناقى الاسلام فيقول ذاهلا او جاهلا عاقبة ما يقول : انهن انما جئن الى هنا بعد ان تلعبت بهن الشهوات فتسابقن الى اروائها بكل سبيل ، حتى اذا شبعن وارتوين جئن ينشدن التكفير عما اقترفن من خطايا وارتكبن من آثام .

والذين يرمون المحصنات ..

واشهد لو ان راوى هذه القصة على هذه الصورة كان غير هذا الرجل الفضال لرايتنى مسارعا الى ترك المجلس او عازفا عن حديثه عزوفا لا يتدرع الصبر ولا يؤثر المجاملة ، ولكن الرجل ــ فيما اعلم ويعلم الناس ــ صادق لا ترقى الى خبره شبهة، ولا يخالط حديثه تاويل . ولهذا عجبت كما يعجب كل أحد أن يتجرأ امرؤ بيت الله الحرام للتخفف من أوضار الاوزار فيغمس لسانه فيها غمسا ويسلك الى اخس خسائسها اقصر طريق ، والا فكيف يسيغ منتسب الى الاسلام او متكلف الغيرة

على الذين ان يرمى محصنة في حرم الله وهو يعرف – او ينبغى ان يعرف – ان مسلما قذف في مجلس النبى محصنة فقال له : « البينة والا حد في ظهرك » . فقال القاذف : انى اعلم ما اقول . فاعاد عليه النبى « البينة والا حد في ظهرك » ، وكان قوله عليه السلام امضاء لحكم الله وبيانا للآية الشريفة « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون » ، فقد تضمنت هذه الآية – على ما يعرف أهل العلم – ثلاث عقوبات : الجلد ، ورد الشهادة ، وخلع صفة الفسق على القاذفين ، وهى الصفات التى لا يعرف الناس وراءها صفات يهون بها شرفاء الناس بين الناس .

مجتمع المؤمنين ، والتشدد

ان الخصيصة الواضحة بين خصائص الغيارى على قوة الخلق وسلامة السلوك في مجتمع المؤمنين انهم يدعون الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فان هم خرجوا على هذا الادب فان المصيبة بهم فادحة لا تستثنى موطنا ولا تقف عند حدود . ولو انهم جروا على سنتهم من التشدد وايثار اشق الامرين في القضايا المعاصرة – وخاصة ما يتصل منها بالمرأة – لافضوا بالامة الى حرج شديد تطوقه ولا طاقة لها به ولا خير لها فيه .

انهم – على سبيل المثال – يضعون همهم كله في المرأة يطالبون بالحيلولة بينها وبين مجالس الرجال حتى في معاهد العلم وقاعات المحاضرة ، ولو قد مضى الناس على سنتهم هذه لوجب ان يمنعوها الطواف في عمرة او حج ، ثم لوجب – تعميما للحكم – ان يعتبروا المسلمين آثمين في حجهم واعتمارهم قرابة اربعة عشر قرنا قضاها المسلمون في القيام بحق الله تعالى حاجين او معتمرين في اختلاط يزاحم فيه الرجال النساء والنساء الرجال حول الكعبة في اقدس مكان في الارض ، بيت الله الحرام .

عفة اللسان
دليل على عمق الايمان

ان على الغيارى أن يتخذوا من سلفنا الصالح قدوة لهم فيما يقولون ويفعلون ، فانهم كانوا اعف لسانا لانهم كانوا اعمق ايمانا ، وعفة اللسان دليل على عمق الايمان ، وكانوا اوسع صدرا لان سعة الصدر اخص خصائص الدعاة الى الله .

روى الثقات من اعلام المؤرخين الادباء ان ناسكا زاهدا كان يطوف بالبيت وبين يديه حاجة تطوف وهى تتثنى في طوافها ذات اليمين وذات الشمال ، فقال لها في ادب المؤمن ورفق الغيور : يا امة الله . ان تمثل هيبة البيت تدعو الطائفين من حوله الى السكينة والوقار .

يقول المؤرخ الثقة : فالتفتت اليه المرأة بوجه كانه فلقة قمر ثم انشدته من شعر خليع ماجن :

من اللاء لم يحججن يبغين حسبة
ولكن ليقتلن البرىء المغفلا

فقال الناسك على الفور : فانا اسأل الله الا يعذب هذا الوجه المليح بالنار ابدا . فلما انتهت القصة الى مفتى مكة شرفها الله قال : انه ناسك حجازى ظريف ، ولو كان ناسكا عراقيا لقال : اغربى قبح الله وجهك .

فالفرق بين ناسك الحجاز وناسك العراق فيما يشير اليه قول مفتى مكة هو الفرق بين العاطفة الدينية الغيور والسلوك الدينى المحترف ، ثم هو الفرق بين المبشرين بالدين والمنفرين عنه .

المرأة نعمة من نعم الله

ما احوج امتنا اليوم الى متدينين مستنيرين ينظرون الى المرأة لا على انها آفة من آفات المجتمع ، بل على أنها نعمة من نعم الله فيه ، من حيث كانت – بحسن توجيهها وعدم اعتزالها شئون الامة – قادرة قدرة بينة على تحقيق غوالى الآمال . ثم ما أحوجنا الى فكر رحيب الآفاق يجمع بين احترام روح العصر واحترام أدب الدين ، فان سنة التشدد وايثار اشق الامرين تنتهى بالناس ابدا الى احد امرين : أن تبهظهم التكاليف فيضيقوا بالدين ويطرحوه وراءهم جملة وتفصيلا ، او يأخذوا به في تستر ومنافقة فيكون للواحد منهم وجهان او صورتان : صورة بينه وبين نفسه يستحل فيها ان شاء ما حرم الله ، واخرى بينه وبين الناس يكون فيها متزمتا شديد التزمت منافقا خبيث النفاق ، وفي كلتا الصورتين تدمير للانفس وتحريج على الناس وتعويق للدين عن بلوغ الغاية المقدورة له والمرادة منه وقد اراده الله تعالى رحمة للعالمين .

القاهرة : احمد حسن الباقورى

مع ... الله في الأرض

وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه
وقدرة الله تتراءى في بديع صنعه

الدّيدان المفلطحة

أوّل الحيوانات التي كان لها كالإنسان:

قدّام وخلف
فوق وتحت
يمين ويسار

ومع هذا ظلّ جهازها الهضميّ يعرف الفم للطّعام ولا يعرف الاست مخرجا

■ نبدأ اليوم الحديث عن الديدان ، عن نوع منها ، في سبيل ربط صنوف الخلائق بعضها ببعض ، في سلسلة متصاعدة ، من التقدم في التركيب ، والتعقد في الخلق الذي لا ينتج عن خلل وبلبلة وفوضى ، ولكنه التعقد الذي فيه تنقسم كل وظيفة من وظائف الحياة الكبرى الى عدة من وظائف صغرى ، يقوم بانجازها جملة من خلايا ، أو نسيج ، أو عضو خاص بها ، ويكون في هذا التخصص ، على التعاون ، حسن انجاز للوظيفة الحيوية الكبرى .

وموضوع اليوم الديدان المفلطحة ، او ان شئت سميتها المسطّحة ، وبعض يسميها العريضة Platythelminthes ، وبالانجليزية Flatworms .

شُعب من الحيوان سبقت

وقبل الديدان تناولنا ، باديء ذي بدء ، الشعبة البدائية الاولى التي منها الاميبة .

ومن الديدان المفلطحة، الدودة الطفيلية المعروفة بالشريطية، وموطنها أمعاء الحيوان والإنسان

وبعد الاميبة تناولنا شعبة الاسفنج .

وبعد الاسفنج تناولنا شعبة اللاسعات او الجوفيات .

وذلك قبل ان نصل الى هذه الديدان المفلطحة .

شعب تدرج فيها الحيوان من البسيط الى الاقل بساطة

وقد ذكرنا في وصف هذه الشعب كيف تدرّج الخلقُ فيها من البسيط الابسط، الى ما هو اقل بساطة، في سبيل الوصول الى الانسان الذي هو اعقد كل الحيوانات التي نعرف تركيبا واكثر واكمل وظائف.

ففي الاميبة قلنا انها خلية واحدة ، ليس لها جهاز هضم ، وليس لها فم ، وليس لها است . وهي تصنع فما لها عندما تجد ما تصيده وتأكله . وهي خلية تعيش مع القدَر وحدها ، لا تعرف لها اخا او اختا او عما او خالا . وتتوالد بالانشقاق ، فهي لا تعرف حتى معنى الذكر والانثى . خلية ، لها صفة الفرد المستقل كاملة مائة في المائة .

وبعد الاميبة اتينا على الاسفنج . وهو خلايا فرادى ولها صفة الفرد واستقلاله، ولكنها متجمعة في مستعمرة . كل فرد منها يسعى لنفسه ، ويزدرد من الطعام ما يقترب منه . وهو كالأميبة يهضم طعامه وحده ، ويطرد الفضلات ، ولكن مع هذا تتعاون هذه الخلايا جميعا، بانها مجتمع واحد ، في احداث دورة في ماء البحر تدور على كل خلية بطعامها . فالاسفنج فرادى في مجتمع . او مجتمع استقل افراده الى درجة كبيرة ولكن ليس مائة في المائة .

ثم جئنا بعد الاسفنج الى شعبة اللاسعات او الجوفيات . والجوفيات انسب اسما ، لانها تدل على الجديد الذي استجد في خلق هذه الشعبة، ذلك الجوف الذي هو في اوسط بنائها ، وهي اول صيغة من صيغ الجهاز الهضمي في الحيوانات . انه تجويف يدخل اليه الطعام من فتحة هي الفم . وخلايا جدار هذا التجويف تفرز عصارات الهضم . وفي هذا التجويف يكون الهضم . وخلايا جدار التجويف تمتص الطعام المهضوم . والفضلات المتبقية تخرج من الفم . حيوان فيه مثل هذا الجهاز ، على مثل هذا الوصف ، خرجت خلاياه من فردية الحيوان الفرد الى تعاون المجتمع المتماسك . ودخلته العضلات . ودخلته الاعصاب . انها خطوات واضحة في سبيل الوصول الى الغاية الكبرى، الى الانسان.

الديدان المفلطحة تتضمن ثلاث طوائف

وقبل ان نصل شعبة الديدان المفلطحة (او المسطحة او العريضة) Flatworms بما سبقها من شعب ، نأتي على شيء من وصفها حتى يكون القارىء عالما بها عارفا لها ، هذا اذا هو لم يكن التقى بها في مسالك حياته .

هذه الديدان يعرف منها علماء الحيوان ثلاث طوائف اساسية ، طائفة مستقلة في حياتها اشهرها طائفة تعرف بالمستورقة Planarians ، وسميت بذلك الدودة



صورة دودة مفلطحة غير طفيلية ، من الدود المعروف بالمستورق .

منها لأنها رقيقة شبيهة بورقة الشجر . وطائفتين غير مستقلتين في حياتهما ، بمعنى أنهما تعيشان عالة على حيوان آخر، فهما من الحيوانات المتطفلة Parasitic أولاهما الطائفة المسماة بالديدان الوشيعية Flukes ، وثانيتهما الطائفة المسماة بالديدان الشريطية Tapeworms .

والذي يهمنا أكثر ، فيما نحن فيه من دراسة علاقات الحيوانات ، من هذه الطوائف الثلاث ، الطائفة المستقلة في العيش ، فهي التي جرى عليها نظام الخلق المتدرج، من البسيط الى الأعقد. أما الطائفتان الطفيليتان فقد لا شك تغير خلقهما بسبب اعتمادهما في استكمال وظائف حياتهما على الحيوان الذي يعيشان من دمه . وخطرهما في الطب والمرض خطر كبير .

الديدان المفلطحة المستقلة

ومن طوائفها الطائفة المعروفة بالمستورقة . وهي مستقلة بوجودها فهي غير طفيلية وترى بعض هذه الديدان في الصورة الفوتغرافية المرفقة . وترى تركيب أجسامها في الرسم الايضاحي المرفق .

والذي يلاحظه العلماء على هذه الطائفة الاطراد في نمو بعض أجهزة أجسامها بالمقارنة بالذي سبقها من شعب ، ومنها الجهاز العضلي ، والجهاز العصبي . ثم جهاز الهضم ، وهو أساسا مجرى يجري

صورة فوتغرافية لديدان مسطحة مستورقة ، مأخوذة من بركة أو ماء جار .



فى الجسم ، كالزكيبة ، له فتحة واحدة هى الفم ، وهذا الجهاز الحاضر اكثر تخصصا فى عمله واكثر كفاية مما سبق من جهاز هضم الحيوانات اللاسمة (الجوفية) .

التماثل ذو الجانبين
صفة جديدة هنا من صفات الخلق

وهي تظهر اول ما تظهر فى هذه الدرجة من السلم الحيوانى ، فى الديدان المفلطحة .

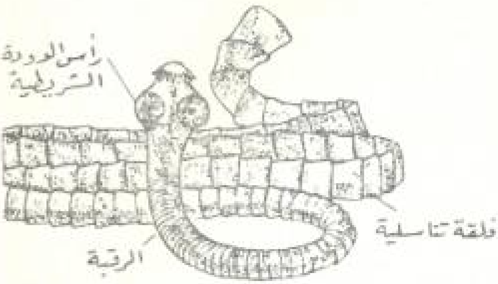
ان التماثل الذى عرفناه فى الاسفنج Sponges ، وفيما تبعه من الحيوانات الجوفية Coelenterata كان من النوع المسمى بالتماثل المحورى Radial Symmetry ، اى ذلك الذى يجرى التماثل فيه كما يجرى فى نحلة يلعب بها الاطفال ، كل جزء من جسمها له مثيل له فى الناحية المقابلة من محورها .

ولكن تفلطحت هذه الديدان جسما ، فصارت متماثلة بالنسبة لمستوى واحد يقطع هذا الجسم . وهذا هو التماثل الذى يبقى فى الخلق جميعا ، ونحن صاعدون فى السلم الحيوانى ، حتى نصل الى الانسان . فجسم الانسان متماثل تماثلا ذا جانبين Bilateral Symmetry . ومن اجل هذا كان للانسان ولسائر الحيوانات التي لها هذا التماثل ، جزء من جسمها نقول انه المتقدم ، وآخر نقول انه المتخلف . اى له قدام وخلف . وللكلب ظهر وبطن . وله يمين ويسار .

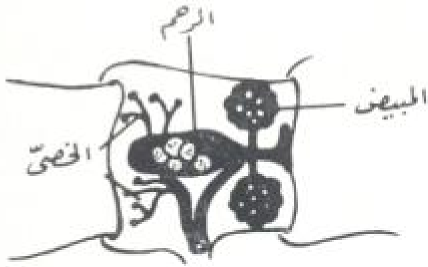
ظهور
مقدم للجسم ومؤخر له

كان اول ظهور لمقدم للجسم ، ومؤخر له ، فى هذه الديدان المسطحة ، بما انها الحيوانات التى ظهر فيها التماثل الجانبي اول ظهور .

وفى حركة هذه الحيوانات يتقدم الجزء المتقدم من الجسم . وهذا مهد لوجود



رسم ايضاحي لدودة شريطية ، وترى فيها الراس والرقبة ، وفلقة بها الاعضاء التناسلية . وتحت هذا الرسم رسم آخر للفلقة التناسلية ، مكبرة وفيها المبيض ، والخصى والرحم . ويتم التلقيح في موضعه هذا .

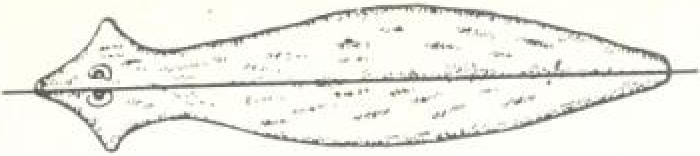


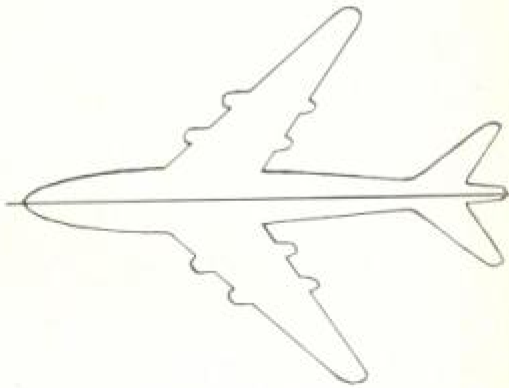
الراس فى سائر الخلق ، وفى الانسان ، وان موضعه الجزء المتقدم من الجسم ، لأنه بهذا الجزء من الجسم يلتقي الحيوان بالبيئة اول لقاء . واذن اودعت ادوات الكشف فى هذا الراس : اجهزة الاحساس هناك . الاعصاب والمخ تركزت هناك ، فى الراس . وظهر فى هذه الديدان «مخ» بسيط ، وعيون واحاسيس اخرى .

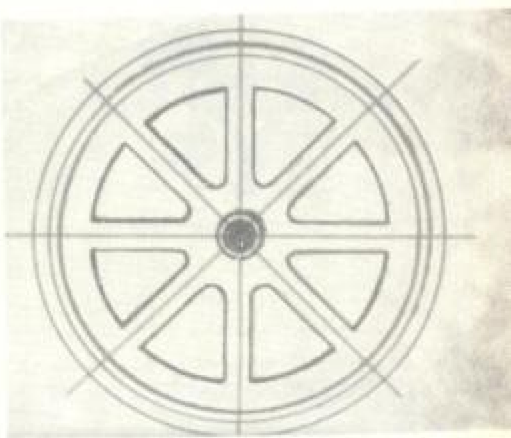
خطوات تقدمية فى الخلق لاشك فيها .

بين البشرتين
بشرة الجلد الظاهرة
وبشرة الزكيبة الهاضمة
فى هذه الديدان

موضع من الجسم يحس القارىء كأنه







الرسم الثالث الاخير يوضح معنى التماثل المحورى (عجلة) . والرسم الثاني يوضح معنى التماثل ذى الجانبين (طائرة) وكذا الرسم الاول (دودة مسطحة) .

قليل الخطر ، فى الحيوانات الاولية والبسيطة . ولكن المتتبع لنمو الخلق ، على درجات السلم الحيواني ، يرى ان هنا ، فى هذا المكان ، يحدث التخلق الجديد . فى هذا المكان تتنشأ الخلايا الجديدة ذات الوظائف الجديدة ، وكذا الانسجة ، وكذا الاعضاء . ويتسع المكان ويمتلىء ، وينضمر فيه الجهاز الهضمي ، فلا يكون وسعه الا وسع المعا الدقيق او المعا الغليظ وبالسعة التى نعهدها فيهما .

لهذا وجب هنا، فى الديدان المسطحة، ان نسجل اول ظهور الطبقات من الخلايا فى هذا الموضع المعروف « بما بين البشرتين » Mesoderm .

ومن هذا الموضع ، بل فيه ، يظهر اول ما يظهر ، فى هذه الديدان ، تركيب يتصل بالتخلص من الفضلات Excretory Structure ، وكذلك نظام للانسال معقد .

التناسل
فى الديدان المفلطحة

والتناسل فى الديدان المفلطحة او المسطحة يكون بالتقاء الحيوان الذكر بالبيضة الانثى .

ولكن قد تجمع الدودة الواحدة بين انتاج الاثنين ، ولكل جهاز لانتاجه ، ثم يلتقيان بالتسافد . وقد تختص الدودة الواحدة بانتاج الذكر ، والاخرى بانتاج البيضة ، ثم يلتقيان .

خطوة اخرى فى سبيل التخصص ، وزيادة الوظائف والاعضاء . ●●

ا . ز

صفحة في اللغة

الخطّ العربيّ

● قرات الاجابة على سؤال الخط العربي في العدد ١٥٠ صفحة ١٣٦ ورايت من الواجب الاشارة الى اهم النقاط التى يجب القاء الضوء عليها .

١ ـ لم يرد فى اى مصدر فيما لدينا من مصادر ان اللغة العربية كتبت بالخط المسمارى الا اذا اعتبرنا الاكدية والبابلية والاشورية لغات عربية كما يقول البعض .

٢ ـ الخط الكوفي لم يستحدث من المسمارى وليس له علاقة به لا من قريب ولا من بعيد ولم يرد هذا على لسان احد او في اى كتاب .

٣ ـ لقد وضع ابن مقلة مقاييس الخطوط اللينة مثل الثلث ومشتقاته وليس للخط الكوفي ـ كما ورد في الاجابة ـ والكوفي يعتبر خطا هندسيا وقواعده قد وضعت قبل ابن مقلة .

٤ ـ وردت العبارة التالية في الرد (وبعدهما جاءت خطوط ...) اى بعد ابن مقلة وياقوت بينما المعروف ان هذه الخطوط التى وردت هنا كان اغلبها قد وجد قبل ابن مقلة كما ذكر البغدادى الضرير وابن النديم والطيبي والزبيدى وغيرهم .

٥ ـ ورد في الجواب ان الخط الديواني استحدث فى القرن التاسع عشر بينما المعروف ان هذا الخط ينسب الى عصر السلطان العثماني محمد الفاتح في القرن الخامس عشر او العصر السلجوقي الذى سبقه .

٦ ـ اطلق في الرد اسم خط (البديع) على خط النسخ وهذا تكرار للوهم الذى وقع فيه مؤلف (الخط العربي وآدابه) نتيجة اعتماده على الطبعة السقيمة من (كشف الظنون) ولو رجع الى الطبعة المحققة منه او الى المصدر الذى اخذ منه صاحب (الكشف) وهو (مفتاح السعادة) لوجد ان الامر لا يعدو ـ في هذه الكلمة ـ معناها الاعتيادى اذ وصف كلا من ابن مقلة وابن البواب والمستعصمي بانهم اصحاب (الخط البديع المنسوب) اى الخط الجميل الذى يخضع للقواعد والموازين، والذى يؤسف له ان كثيرين ممن كتبوا عن الخط في الوقت الحاضر اعتمدوا على صاحب كتاب الخط العربي فوقعوا في الوهم نفسه ومن اولئك صاحب (الخطاط البغدادى ٥٠) و (مصور الخط العربي ص ٣٢٣) و (فنون وصناعات دمشقية ١٨٩) و (حلقة بحث الخط العربي ٧٨) و (القاهرة وتاريخها فنونها وآثارها ٢٧٨) وكذلك في مقالات متفرقة عن الخط في المجلات والجرائد مثل مجلة المعرفة السورية والافكار الاردنية وجريدة الاهرام .

٧ ـ ورد في الرد (الخط الفارسي) وهذه التسمية غير علمية اذ ان اسمه اصطلاحا (خط التعليق) ويسمى في ايران (النستعليق) ولم يثبت انه نشأ في فارس ولكن تطويره حدث هناك فنسب هذه النسبة . ويوجد غيره من الخطوط الفارسية مثل الشكسته وشكسته امير .

٨ ـ ورد ان الخط الكوفي يعتبر اصل الخطوط كلها ، وهذه نظرية عفى عليها الزمن وقد اثبتت الابحاث التاريخية قديمها وحديثها بطلانها واسرافها في الخطأ .

٩ ـ (ديواني حلبي) هكذا ورد اسم هذا الخط في الرد والصحيح (جلى الديواني) .

١٠ ـ اما ما ذكر عن خط (الريحاني) فهذا ما ورد فى (تاريخ الخط العربي وآدابه للكردى) وهذه تسمية محدثة غير مستقرة لان المعروف ان (الريحاني) هو احد (الخطوط الستة) او (الاقلام الستة) كما كانت تسمى وهي (الثلث والنسخ والمحقق والريحاني والتواقيع والرقاع) وقد وصلتنا نماذج كثيرة منه لمشاهير الخطاطين من القرن السابع الهجرى حتى القرن الثاني عشر وقد اختفى بعد ذلك .

١١ ـ جاء في الرد ان آخر خط استحدث هو خط (التاج) وهذا لا يمكن اعتباره خطا قائما بنفسه وما التاج منه الا علامات وضعت فوق بعض حروف خطي النسخ والرقعة ولم يكتب لها الرواج فاندثرت في حينها .

يوسف ذنون

مشرف الخط العربي ـ الموصل/العراق

طرائف

اسم الذئب

● كان ابو دحية القاص من اكذب الرواة . وكان يقول : ليس في خير ولا فيكم . فتبلغوا بي حتى تجدوا خيرا مني .

قال في قصصه يوما : كان اسم الذئب الذى اكل يوسف « هملاج » قالوا : ولكن يوسف لم ياكله ذئب فقال : اذن فهذا اسم الذئب الذى لم ياكل يوسف !

● حكى الاصمعى ، قال : كنت فى المسجد الجامع فى الكوفة ، اذ قام اعرابى يصلى وخلفه قوم جلوس . فقال : الله اكبر ، افلح من هب الى صلاته ، واخرج الواجب من زكاته ،

انصرف وهو مأجور

● قعد رجل على باب داره ، فاتاه سائل يساله . فقال له : اجلس ، ثم صاح بجارية عنده فقال : ادفعى الى هذا السائل صاعا من حنطة . فقالت : ما بقى عندنا حنطة . قال : فاعطيه درهما . قالت : ما بقى عندنا دراهم . قال : فاطعميه رغيفا . قالت ما عندنا رغيف . فالتفت اليه وقال : انصرف يا فاسق يا فاجر . فقال السائل : سبحان الله تحرمنى وتشتمنى ! قال : احببت ان تنصرف وانت ماجور .

★★★

قصر الشعر وطوله

● قيل لعقيل : لم لا تطيل الشعر ؟ فقال : يكفيك من القلادة ما احاط العنق .. وقيل لآخر ذلك فقال : يكون احوك وعلى افواه الرواة أعلق .

وقالت مليكة بنت الحطيئة : يا ابت كنت ترغب عن القصار ، فصرت ترغب فيها . فقال : لأنها فى الآذان اولج وعلى الفكر اروج ، والناس اليها احوج . وقيل لآخر مثل ذلك فقال : حسبك غرة لائحة وسمة واضحة . وقال آخر : اذا مدحتم فاقصروا ، واذا هجوتم فاطيلوا ، فالشر لا يمل .

عربية

انصفونا

قال عبد الملك بن مروان: انصفونا يا معشر الرعية ، تريدون منا سيرة ابى بكر وعمر! ولا تسيرون فينا ولا فى انفسكم بسيرة رعية ابى بكر وعمر ! نسال الله ان يعين كلا على كل.

واطعم المسكين من نخلاته ، وحافظ على بعيره وشانه ، فضحك القوم . فقال : امن هينمتي ضحكتم ؟ (الهينمة الصوت وهو شبه قراءة غير بينة) .. اشهد عند الله على عمتي انها سمعت ذلك من فم مسيلمة .

وصية طفيلي

قال ابن دراج الطفيلي لاصحابه :لا يهولنكم اغلاق الابواب ، ولا شدة الحجاب . ولا عنف البواب ، وتحذير العقاب ومبارزة الالقاب ، فان ذلك صائر بكم الى محمود النوال ، ومغن لكم عن ذل السؤال ،واحتملوا الوكزة الموهنة واللطمة المزمنة ، فى جنب الظفر بالبغية،والدرك للامنية،والزموا الخفة بالواردين والبشاشة بالخدم والموكلين، فاذا وصلتم الى مرادكم فكلوا محتكرين ، وادخروا لغدكم مجتهدين ، فانكم احق بالطعام ممن دعي اليه واولى به ممن صنع له، فكونوا لوقته حافظين وفى طلبه متمسكين .

★★★

احمق مرزوق

كان المعتضد اذا راى ابن الجصاص قال : هذا احمق مرزوق ! وكان ابن الجصاص هذا اوسع الناس دنيا ، وله من المال ما لا ينتهى الى عده ولا يوقف على حده . وبلغ من جده انه قال :تمنيت ان اخسر مرة ، فقيل لى اشتر التمر من الكوفة وبعه بالبصرة ، ففعلت ذلك ، فاتفق ان نخل البصرة لم يحمل فى ذلك العام ، فربح ربحا واسعا .

الدَّوْلَة الفَاطِمِيَّة

دَوْلَة سَطَعَتْ، فَكَانَتْ أَسْطَع مَا تَكُون عَلَيْه الدُّوَل
فَلَمَّا خَبَتْ
أَسْلَمَت القِيَادَة لِمَنْ هُمْ أَقْدَر عَلَيْهَا مِنَ المُسْلِمِين

بقلم : حسن الأمين

■ يقول الدكتور حسن ابراهيم حسن من عمداء جامعة القاهرة واساتذة التاريخ السابقين فيها وهو يتحدث عن كتاب (المجالس والمسايرات) للنعمان بن محمد : « وعرض النعمان غير مرة لعلاقة المعز (الفاطمى) بالدولة البيزنطية فاوضح اعتماد حاكم الاندلس عبد الرحمن الناصر الاموى على الروم في صراعه مع الفاطميين ، وصوّر ما حل بالروم وحلفائهم امام اساطيل المعز تصويرا رائعا وذكر الرسائل التى بعث بها اباطرة الدولة البيزنطية لاستدرار عطف المعز ومهادنته . ولاول مرة نسمع ان مسلمى جزيرة قريطش (كريت) الذين كانوا تحت الحكم العباسي يطلبون النجدة من المعز (الفاطمى) لحرب الروم ومن دراستنا للوثائق التى تبودلت بين اهل قريطش وبين المعز لدين الله نرى ما وصلت اليه الدولة الفاطمية من قوة ونفوذ » .

ويقول الدكتور محمد كامل حسين من اساتذة جامعة القاهرة :

فالقاهرة الفاطمية اصبحت مطمح انظار العلماء ومحط رحال الطلاب وفي العصر الفاطمى استطاعت مصر ان تنتزع زعامة العالم الاسلامى في الحياة العلمية .

ويقول ايضا : وكان الفاطميون يهتمون بالدراسة الفلسفية في الوقت الذى كان فيه غيرهم في البلاد الاخرى يرمون من يشتغل بالفلسفة بالزندقة والالحاد .

ويقول ايضا : وقد كان الخلفاء الفاطميون يقربون العلماء ويشجعون الطلاب وقد اوقفوا ارزاقا ثابتة للمشتغلين بالعلم حتى يتهيأ لهم التفرغ لما اهلوا انفسهم له .

ويقول ايضا : وتسامح الفاطميون مع العلماء الذين لم يعتنقوا مذهبهم . ويقول ايضا : ومهما

يكن من شيء فقد كانت هذه الحركة العقلية في مصر الفاطمية في نمو مطرد في كل نواحيها وفنونها، وتعددت مراكزها في مصر ، وكانت حلقات الدرس في المساجد او الدور في القاهرة والفسطاط وفي الاسكندرية وتنيس في الشمال وفي اسوان وقوص في الجنوب ، كما كان امراء الاقاليم يجمعون حولهم العلماء والشعراء . وعن مصر الفاطمية اخذ كثير من العلماء في الشرق والغرب .

ويقول الدكتور مصطفى مشرفة : انه كان للمالكية في الازهر الفاطمي خمس عشرة حلقة وللشافعية مثلها ولاصحاب ابي حنيفة ثلاث حلقات. ويقول الدكتور محمد كامل حسين عن الحاكم بامر الله بالذات : والحاكم بامر الله ، لما امر بعمارة دار العلم ونقل اليها الكتب من القصر ، اسكنها من شيوخ السنة شيخين احدهما ابو بكر الانطاكي وخلع عليهما وقربهما .

الوحدة بعد التجزئة

هذه الصور المشرقة التي جلاها لنا فريق من الباحثين عن الدولة الفاطمية هي في الحقيقة نقاط من بحر الواقع الذي كانت عليه تلك الدولة ، وما بلغته في الميادين النضالية، والفكرية والعلمية، وسنحاول هنا عرض ما يسمح به مقال محدود السطور مقيد المكان :

كلمة الدكتور حسن ابراهيم حسن تشير اشارة خاطفة الى امور خطيرة في حياة هذه الدولة منها انها كانت ضرورة من ضرورات العالم الاسلامي في ذلك الحين الذي تمزقت فيه قوى المسلمين وتفرقت كلمتهم وتلاشت دولتهم واصبحوا يتطلعون الى الحمى الذي يمكن ان يلجأوا اليه من الخطر الداهم المهدد لوجودهم بتزايد قوى الروم واصرارهم على غزو الاسلام في دياره واسترداد ما اخذه منهم والثأر للماضي البعيد حتى ان نقفور فوقاس لم يكن يخفي مطامعه الهوجاء في الزحف الى الحجاز نفسه والوصول الى مكة والمدينة .

في هذا البحران الرهيب كان المنقذ منه نشوء دولة فتية وزعامة قوية تجمع حولها ما تشتت من القوى وتوحد ما تفرق من البلاد فكانت الدولة الفاطمية هي المنقذ فجمعت الشمال الافريقي في كيان واحد وقيادة واحدة وقضت على التجزئة في وحدة متماسكة جعلته دولة بعدما كان عدة دول متطاحنة متشابكة .

وليس الشمال الافريقي هينا حين تتجمع قواه وتتوحد كلمته وليست موارده قليلة حين يقدر لها قيادة حكيمة حازمة .

في مواجهة الاخطار

وهكذا راينا تلك الدولة الفتية ترتفع من بين الزعازع ، وتقوم شديدة لتواجه الخطر الداهم بعد ان اخذت اطراف البلاد الاسلامية تنتقص واحدة بعد الاخرى مما عبر عنه شاعر ذلك العصر عند قوله :

فمدينة من بعد اخرى تستبى
وطريقة من بعد اخرى تقتفى
حتى لقد رجفت ديار ربيعة
وتزلزلت ارض العراق تخوفا
والشام قد اودى واودى اهله
الا قليلا والحجاز على شفا

وقد كان تعبير هذا الشاعر تعبيرا واضحا يعطي الصورة الحقيقية للوضع الاسلامي في تلك الايام ، ويبين بجلاء حالة الدنيا العربية وما كانت فيه ، وهو من الشعر الواقعي النادر الذي يرسم الحقيقة الوطنية على اصدق حالتها .

الشام قد اودى الا قليلا ، والحجاز على شفا، اما بقية الاقطار كديار ربيعة والعراق وغيرها فاذا كانت بعيدة عن الخطر الآن ، وهو غير مساور لها مباشرة فقد كانت راجفة متزلزلة حزنا على ما جرى وخوفا مما سياتي، وهذا لعمري من افضل ما يمكن ان يعبر عنه شعر الامم في مآسيها ونوازلها .

لم ينطق الشاعر بلسان العالم الاسلامي معبرا عن الامل العظيم بالدولة الجديدة :

لا تيأسوا فالله منجز وعده
قد آن للظلماء ان تتكشفا

التصدى للعدو

ولنقف قليلا لنرى ما هى حقيقة الحال الذى يصوره الشاعر :

يقول الدكتور محمد جمال الدين سرور استاذ التاريخ الاسلامي في جامعة القاهرة :

« اتجهت سياسة الفاطميين بعد انامتد نفوذهم الى مصر في عهد المعز لدين الله الفاطمي سنة ٣٥٨ هـ . (٩٦٩ م) الى استعادة المدن التيااستولى عليها البيزنطيون في شمال الشام » .

وهكذا نرى ان الوحدة لم تقتصر على الشمال الافريقى وحده بل تعدته الى بلاد اخرى ، تعدته الى مصر نفسها ثم تعدت مصر الى فلسطين وسورية ولبنان وحين يلتقى الشمال الافريقى في وحدة مع مصر والشام وحين تتولى مصر بكل امكانياتها وكفاءاتها زمام هذه الوحدة الكبرى يكون الامر بعثا اسلاميا شاملا ووثوبا عربيا كاسحا ، وهكذا اصبحت الدولة الجديدة ذات كيان خطر قضى على الدويلات وجمع الشمل في اطار يشدها شدا لتواجه الاحداث الرهيبة ، وكان في اولها حفظ بلاد الشام واسترداد ما تساقط منها في ايدى الروم الذين وصلوا في احدى نوباتهم في عهد الامبراطور حنا زيمسكيس سنة ٩٧٥ الى حمص وبعلبك واضطرت دمشق نفسها الى التسليمودفع الجزية لهم ثم ساروا فاستولوا على بعض مدن الساحل مثل صيدا وبيروت .

(فالشام قد اودى الا قليلا) كما قال الشاعر .

وظل الروم يتقدمونوظلت الاستعداداتالفاطمية تتوالى لانقاذ الشام حتى اصطدمت بالروم في طرابلس الشام برا وبحرا فاوقعت الهزيمة بهم فارتدت فواهم الى انطاكية .

الاسطول العظيم

وقد كان للاسطول الفاطمى الشان العظيم في دفع عادية الروم والافرنج . ولقد كان الفاطميون بعيدى النظر حين ادركوا ان الجيوش البرية وحدها لا تكفى لحماية العالم الاسلامى وانقاذ الوطن العربى فانشاوا اسطولا ضخما حمى البلاد من الهجمات البيزنطية ثم دافع عنها بعد ذلك في الحروب الصليبية .

وفي هذا الاسطول يقول بعض المؤرخين : « بلغ عدد ربابنة اسطول الفاطميين خلال القرن الرابع الهجرى ـ العاشر الميلادى خمسة آلاف ربان وعدد سفنه مائتى سفينة واضطر الافرنج الى الانحياز بمراكبهم الى الجانب الشمالي الشرقى منالبحر المتوسط لا يبرحونه لان هذا البحر يسيطر عليه الاسطول الفاطمى من مضيق جبل طارق حتى بيروت » .

ظلم ذوى القربى

ولقد كان من افجع ما عاناه الفاطميون ان غيرهم كان يستعين عليهم بالاجنبى الفاتح فبينما كانوا يناضلون لحماية البلاد ورد الافرنج والروم عنها كان حكـــام الاندلس يحرضـــون عليهم الافـــرنج ويستعينون عليهم بهم ، وكان امير حلب يستنجد بباسيل الثانى امبراطور الروم سنة ٣٨١ ولكـن القوات الفاطمية تصمد للروم وتلتقى بهم على نهر العاصي فتهزمهم ، وكذلك يثير عليهم (علاقة) ثورة في صور ثم تكون فاتحة اعماله الاستنجاد بالروم وبالامبراطور باسيل الثانى ، ولكن الحركة تنتهى بهزيمة البيزنطيين وحليفهم علاقة .

والامير حسان بن مفـرج بن الجراح الطائي صاحب الرملة في فلسطين يستنصر بالبيزنطيين ويستعديهم على اهله هو الآخر .

بل ان فقيها من الفقهاء وحافظا من الحفاظ يبدو انه من الرملة نفسها هو الحافظ محمد بن احمد بن سهل الرملي يقول : « لو كان معى عشرة اسهم لرميت الروم بسهم ورميت الفاطميين بتسعة » وقد عمل اميره حسان بن مفرج بهذه الفتوى فاستنجد بالروم ولكنه زاد على الفتوى فالقى بسهامه العشرة كلها على الفاطميين ولم يلق ولا بسهم واحد على الروم بل اضاف سهامه الى سهامهم فسلطوها مجتمعة على (افامية) فغنموا منها مغانم كثيرة واستولوا على قلعتها واسروا كثيرا من اهلها .

الجبهة الغربية

وقد كان الفاطميون مضطرين لان يحاربوا على ثلاث جهات هى الجبهة الشرقية جبهة بلاد الشام لدفع الروم عنها والجبهة الداخلية ليتقوا دسائس بنى جنسهم ، والجبهة الغربية جبهة اوروبا التى كانت قد استغلت ضعف القوى الاسلامية وتمزقها الى دويلات فاخذت تهاجم البلاد بلدا بعد بلد فراحت هذه البلاد تستنجد بالفاطميين كما رأينا فيما فعلته جزيرة كريت .

وكانت اوربا تحاول ضرب الدولة الجديدة قبل ان يشتد ساعدها ويعلوا امرها فهاجمتها في مواقعها الاوروبية لتقضي عليها فيها ولكن الفاطميين صمدوا لاوروبا في بلادها كما صمدوا لها في بلاد الشام وغير بلاد الشام . ويحدثنا ابن الاثير عن واحدة من المعارك الرهيبة التى خاضها الفاطميون في سبيل صون الوطن الاسلامى سنة ٣٥٤ وذلك قبل امتداد دولتهم الى مصر ، ولما كانت هذه المعركة من اروع الصفحات في تاريخنا العسكرى فاننا ننقل وصفها بنصه من ابن الاثير :

(.. ذلك ان احمد بن الحسن والى المعز على صقلية ارسل يستنجده فبعث اليه المعز المدد بالعساكر والاموال مع ابيه الحسن وجاء مدد الروم فنزلوا عبر سهل (مسينى) وزحفوا الى رمطة ومقدم الجيش الفاطمى الحسن بن عمار وابن اخى الحسن بن علي) .

فاحاط الروم بهم وعظم الامر على المسلمين فاستماتوا وحملوا على الروم وعقروا فرس قائدهم منويل فسقط عن فرسه فقتل هو وجماعة من البطارقة معه ، وانهزم الروم ، وتبعهم المسلمون بالقتل وامتلات ايديهم بالغنائم والاسرى ، ثم فتحوا مدينة رمطة عنوة وغنموا ما فيها وركب فل الروم من صقلية وجزيرة (ريو) في الاساطيل ناجين بانفسهم فاتبعهم الامير احمد واصحابه في الماء واحرقوا كثيرا من المراكب التى للروم ففرقت وكثر القتل في الروم فانهزموا لا يلوى احد على احد) .

صفحة رائعة
خلدها الشعراء

وكما كانت هذه الواقعة صفحة رائعة في تاريخنا الحربى ونضالنا في البر والبحر فكذلك كانت في تاريخنا الادبى حيث خلدها الشاعر محمد بن هانىء الاندلسى بقصيدة فريدة يخاطب بها الخليفة الفاطمى المعز لدين الله ، تعد من اسمى ما في تراثنا الشعرى من روائع الكفاح البطولى . يقول ابن هانىء في مطلعها :

يوم عريض في الفخار طويل
لا تنقضى غرر له وحجول

وكانت لهذه المعركة نتائجها الحاسمة لا على الجبهة الغربية وحدها بل حتى على الجبهة الشرقية نفسها والى ذلك يشير الشاعر :

مسحت ثغور الشام ادمعها به
ولقد تبلّ الترب وهى همول

وتبدو حماسة العالم الاسلامى لنتائج هذه المعركة واعتزازه بها واطمئنانه بعدها مصورا بقلم الشاعر :

وجلا ظلام الدين والدنيا به
ملك لما قال الكرام فعول

متكشف عن عزمة علوية
للكفر منها رنة وعويل

فلو ان سفنا لم تحمل جيشه
حملت عزائمه صبا وقبول

يجلو البشير ضياء بشر خليفة
ماء الهدى في صفحتيه يجول

لله عينا من رأى اخباته
لما اتاه بريدها الاجفيل

وسجوده حتى التقى عفر الثرى
وجبينه والنظم والاكليل

لو ابصرتك الروم يومئذ درت
ان الاله بما تشاء كفيل

ان التى رام (الدمستق) حربها
لله فيها صارم مسلول

نامت ملوك في الحشايا وانثنت
كسلى وطرفك بالسهاد كحيل
تلهيك صلصلة العوالى كلما
الهت اولئك قينة وشمول

الفاطميون والعلم

وفيما قاله الدكتور محمد كامل حسين يتضح لنا الجانب الآخر من الصورة الفاطمية ، فاذا كان الفاطميون قد اقاموا الوحدة بعد التجزئة وانشاوا الجيش الضخم والاسطول الفخم فحموا بذلك العالم الاسلامى من اكبر كارثة كانت ستحل به ، فانهم الى جانب ذلك قد وضعوا منذ الساعة الاولى لحكمهم خطة هى ان يقوم هذا الحكم على قواعد ثابتة من العلم والمعرفة ، وخططوا كما نقول اليوم لسياسة تعليمية شاملة ترتكز على انشاء جامعة كبرى ثم على تفريغ العلماء للعلم وحده فلا يشغلهم شاغل العيش عن الانصراف الى العلم ولا يلهيهم الفقر عن التوسع في البحث والدرس فجعلوا لهم موارد من الرزق تضمن لهم العيش الكريم ثم ارسلوا يستدعون العلماء من الخارج . وقد اشتد هذا المنهج واتسع وقوى بعد اقامة الوحدة بضم البلاد الاخرى الى مصر وانشاء القاهرة واقامة الازهر وقد تم ذلك على الشكل الآتى :

١ ـ خصصوا لكل مذهب من المذاهب الاسلامية في جامعتهم الكبرى الازهر كرسيا لتدريس ذلك المذهب وقد كان عدد الطلاب يتفق مع انتشار ذلك المذهب في مصر والبلاد القريبة منها ، وقد عرفنا من عدد الحلقات التىكان ينظم اليها الطلاب مقدار انتشار كل مذهب من تلك المذاهب . وعندما يكون عدد حلقات المالكية خمس عشرة حلقة ومثلها عدد حلقات الشافعية ، وعندما تكون الحلقات الحنفية لا تتجاوز الثلاث ، وعندما تفتقد الحلقاتالحنبلية فمعنى ذلك انه كان للمذهبين المالكى والشافعى الاغلبية يليهما بفارق كبير المذهب الحنفى وان المذهب الحنبلى لم يكن له وجود .

وكذلك كان للمذهب الجعفرى حلقاته ولكننا لم نستطع معرفة العدد في اقوال المؤرخين .

٢ ـ كان العلماء في البلاد الخارجة عن النفوذ الفاطمى يعانون محنة الفقر وكانت حياتهم ماساة مفجعة . فارسل الفاطميون يستدعونهم اليهم ويضمنون لهم العيش الكريم ، وكامثلة لما كان يجرى نورد اسماء محدودة من كل عصر اذ ليس من المستطاع الالمام باسماء الجميع . والذى يدعو الى الاعجاب بالفاطميين ان جميع العلماء الذين استدعوهم او وفدوا اليهم فاكرموهم ووفروا لهم التفرغ للعلم كانوا على غير مذهب الفاطميين .

علماء كرموهم
وهم على غير مذهبهم

فمن تلك الاسماء اسم عبد السلام القزوينى شيخ المعتزلة الذين وفد الى مصر فاقام فيها اربعين سنة يلقى تعاليم مذهبه . ومنها اسم القاضي ابو الفضل محمد البغدادى امام الشافعية الذى وفد هو الآخر الى مصر واخذ يملى من مذهبه ما شاء الله ان يملى حتى مات سنة ٤٤١ .

وكذلك ابو الفتح سلطان بنابراهيم الفلسطينى (٥١٨) وابو الحجاج يوسف الميورقى (٥٢٣) ومجلى بن جميع المخزومى (٥٥٠) والقاضي على الموصلى الخلعى (٤٤٨) وابو محمد عبد الله السعدى (٥٦١) والقاضي القضاعى . وهؤلاء الخمسة كانوا ممن ولى القضاء للفاطميين على انهم شافعيو المذهب . ومن فقهاء المالكية عرفت مصر الفاطمية امثال محمد بن سليمان المعروف بابى بكر النعال الذى كانت اليه الرحلة في مصر ، وكانت حلقته في الازهر تدور على سبعة عشر عمودا لكثرة الطلاب الذين كانوا يقصدونه .

وهناك قصة الفقيه المالكى عبد الوهاب بن على احد الائمة المجتهدين في المذهب ، والذى وصفه الخطيب في تاريخ بغداد بانه لم ير في المالكية افقه منه . لقد ضاقت به دنيا العرب والاسلام فكاد يموت من الجوع في بغداد فلم يجد الا مصر الفاطمية يحتمى بها فلما جاءها تدفق عليه المال وامروه بالانصراف الى عمله وبحثه ولكن الامر لم يطل فاصيب بالفالج فقال : « لا اله الا الله ، عندما عشنا متنا ، (٤٢٢) وعبد الجليل مخلوف

الصقلي (٤٥٩) وابو بكر الطرطوشي (٥٢٥) وغيرهم .

وقد حرصنا على ان نختار واحدا من كل فترة تاريخية لنبين ان الامر قد استمر ولم ينقطع .

ومن اشهر العلماء الذين لجاوا الى مصر في عهد الحاكم بامر الله ابو الفضل جعفر وكان مكفوفا فاعجب به الحاكم وخلع عليه ولقبه عالم العلماء .

على اننا ونحن نشير الى بعض العلماء الذين احتضنتهم مصر الفاطمية فان اشهر واحد منهم هو ابن الهيثم الذى استدعاه الحاكم بامر الله نفسه .

وكان الحاكم يامر باحضار جماعة من المتخصصين في كل علم بعضهم من اهل الحساب والمنطق ، والفقهاء والاطباء للمذاكرة بين يديه . فكانت تحضر كل طائفة على انفراد ثم يخلع الحاكم على الجميع ويصلهم .

ومن ابلغ ما قيل في هذا الشان ما قاله ابن ابى اصيبعة : « انه لما وصل المهذب ، وكان فاضلا في صناعة الطب ـ الى الشام من بغداد اقام بدمشق مدة ولم يحصل له بها ما يقوم بكفايته . وسمع بالديار المصرية وانعام الخلفاء فيها وكرمهم واحسانهم الى من يقصدهم ولا سيما ارباب العلم والفضل فتوجه الى مصر فوهبت له الاموال واقام فيها مكرما .

المكتبات

لقد تفرد الفاطميون بانشاء دور الكتب الكبرى في الاسلام وبلغت تلك الدور حدا عجيبا واجتمع فيها ما يثير اليوم دهشتنا . ويكفى ان مكتبة القصر مثلا كانت تضم ستمائة الف والف كتاب (٦٠١٠٠٠) ولتسهيل المطالعة على المراجعين كانوا يقتنون من امهات الكتب الكبرى التى تكثر حاجة الناس اليها ، كانوا يقتنون منها عشرات النسخ ، فقد كان يوجد من تاريخ الطبرى وحده الف ومائتا نسخة منها نسخة بخط ابن جرير نفسه ومن كتاب العين نيف وثلاثون نسخة منها نسخة بخط الخليل الى غير ذلك من هذا واشباهه .

وقد توسع الحاكم بامر الله بشان دور الكتب العامة وحرص على تسهيل وصول جميع طبقات الشعب اليها ، فقد قال (المسبحى) وهو يتحدث عن مكتبات القصر ان بعضها كان في خزائن القصر (البرانية) ، ويرى الدكتور محمد كامل حسين ان هذه الخزائن (البرانية) هى التى انشاها الحاكم سنة ٣٩٥ وسماها دار العلم وحمل اليها من خزائن القصر من سائر العلوم والاداب ، ولم ير مثله قط مجتمعا لاحد من الملوك وقد اباح ذلك كله لسائر الناس على طبقاتهم .

اشرف خاتمة

ادرك الدولة الفاطمية ما يدرك غيرها من الدول في ايامها الاخيرة فشاخت وضعفت واستنفدت معظم قواها في مقارعة الصليبيين برا وبحرا وفي اخماد الفتن .

وفي العام ٥٦٤ بدا ان تهديدا صليبيا ربما وصل الى مصر نفسها وذلك في عهد الخليفة العاضد آخر الخلفاء . وقد ايقن العاضد ان لا قبل له بمقاومة الصليبيين وان جيوشه في وضع قد لا تستطيع معه الصمود في وجه الزحف الفرنجي ، فلم يتردد لحظة واحدة في ان يضع خلافته وملكه وكل بلاده في ايد غير فاطمية يعرف مطامعها به ويدرك ما تضمره لما يعتقد ويرتئى . ولم يتوان عن ان يسلمها كل شيء ما دامت تستطيع المعاونة على دفع الصليبيين عن مصر واقدم على تضحية ليس لها شبيه ولا نظير .

لقد ارسل يستدعى نور الدين محمود ، وهو يعلم ما فعل نور الدين في حلب وغير حلب ، ارسل يستدعيه ليحتل بلاده بمن شاء من قواده . وقص شعور نسائه وارسلها مع كتب الاستنجاد قائلا لنور الدين : « هذه شعور نسائي من قصرى يستغثن بك لتنقذهن من الفرنج » .

وكانت خاتمة الدولة الفاطمية وهى اشرف خاتمة تصنعها دولة من الدول لنفسها بيديها . ■■

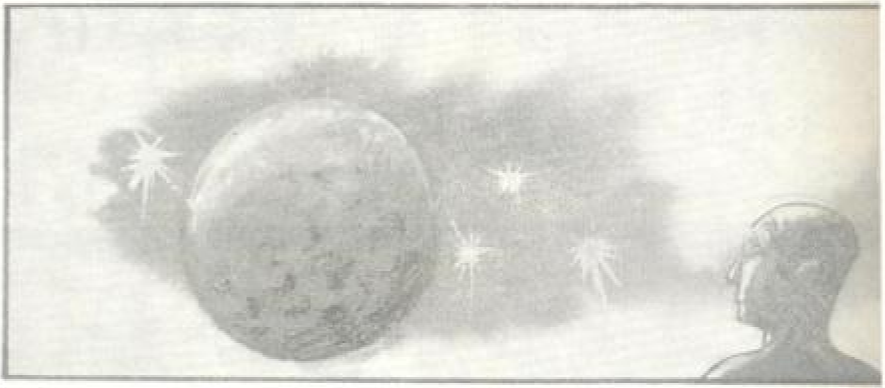
بيروت ـ حسن الأمين

فاتح القمر..

﴿ في مسبح النجم بـه تسبح
يا زورق السحر ألا تفصح
خبّر فإني شاعر هائم
حيّرني في الكون ما ألمح
من نيّرات قد بدا سرها
مغلّف الأرجاء لا يُفتح
منذ قديم ونفوس الورى
تهيم في الآفاق تستوضح
حتى أهلّت في الدنا ثورة
أججها الفكر وما ينفح
فأصبح الانسان يغزو الفضا
وانه بالبدر يستفتح
فجر جديد أشرقت شمسه
وكوكب الأرض له مسرح

★ ★ ★

يا زورق السحر وقيت الونى
الى الثريا رغم من يقدح
ان قيل يوماً : لِمَ هذا الأذى ؟
وذلك المال الذى يُسفح ؟
الأرض أولى بتجاريبنا ..
فمالنا في غيرها نكدح ؟
في الأرض أدواء" اذا عولجت
لأصبحت خيراتها تطفح
ولو بذلنا كل طاقاتنا
لم يبق فيها للأسى مطرح
القمر الأجرد ماذا به ؟
غير جبال وجهها أكلح



وفوهاتٍ هامدات الذرى   وأبحرٌ ليس بها مسبح
رباه قد غاضت ينابيعها   لا تنعش البيدَ ولا تمتح
لا جوٌ لا ماء ولا نبتةٌ   لا بلبلٌ في أفقه يصدح
نهاره نار تبث اللظى   وخطب من يرتاده أفدح
وليله الموحش مخلولك   وزمهرير بالردى ينضح
فأمنا الأرض ولا غيرها   وهل لنا عن أمنا منزح
قلت من الأعماق : مهلاً ففي   تلك التجاريب لنا مربح
لولا التجاريب لما أزهرت   حضارة في أرضنا تصلح
حضارة رجّع أصداءها   كواكبٌ في بعدها تسبح
الفاتح الجبّار ان لم يجد   في القمر الوهّاج ما يقدح
ففي الغد الباسم قد نلتقي   بكوكب فيه المنى تنجح
يحقق الانسان أحلامه   ومن ضياء النصر يستصبح
فان تضق يوماً به أرضه   فكونه الرحب له أروح

فاضل خلف
سفارة الكويت . تونس

في سبيل موسوعة علمية

إنْ يكنْ عُمرُ الأرضِ أكثرَ منْ..

فعُمرُ الحياةِ على الأرضِ نحوَ..

وعُمرُ الإنسانِ نحواً منْ..

بقلم الدكتور أحمد زكى

■ جاء يسألنى ما الأحفورة . .

قلت : هذا لفظ مفرد ، فما جمعه ؟

قال : الاحافير . .

قلت : فى اى باب من العلم وجدته ؟

قال : فى علم الارض ، فى الجيولوجيا .

قلت : ما اشد ما تتغير الايام . هذه الأحفورة التى تسألنى عنها كانت تعرف عندنا ، فى المدارس ونحن صغار ، بلفظة حفرية ، وجمعها حفريات .

قال : واذن ، فانا اسأل ما الحفرية ، وما الحفريات ؟

قلت : هذه مفاتيح يستخدمها العلماء فى كشف ما كان فى الأزمنة الخوالى من حياة ، انتهت أعمارها ، فدفنتها الأرض فيما تدفن من رمم الأحياء . فلما جاء الانسان بعد قرون يحفر فى الارض ، تكشف له من بقايا تلك الأحياء ماتكشف ، فروت له ، بالدرس العلمى الطويل ، قصة الحياة من يوم نشأت ، الى حيث انتهت . الحياة ما انتهت لتقف ، وانما هى مسايرة ومتابعة ، مع شروق الشمس وغروبها ، الى حين يعلمه الله .

سمع الفتى منى ما سمع ، وسكت ، ولم يقل شيئا . وخشيت أن اكون قلت ما قلت فى سرعة اكثر مما يستوعب ، فعدت اشرح .

قلت : هل سرت على ساحل بحر مالح ، وقد اصابه الجزر بعد المدّ ؟

قال : نعم .

٤٥٠٠ مِليُون عَام

٥٠٠ مِليُون عَام

٥٠٠ أَلْف عَام

قلت : ماذا وجدت عند ذاك ، وقد كشف الماء عن الارض ؟

قال : الرمل .

قلت : وقوة الرمل ، وفى الرمل من الأحياء ؟

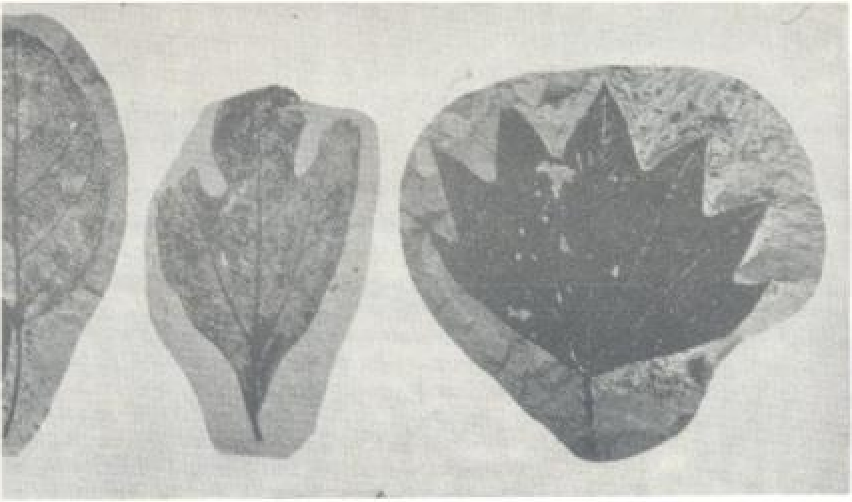
قال : احياء كانت فى البحر ثم عجزت عن ملاحقة الماء فى جزره ، وماتت على الرمل ، منها شيء كالفالوذج او أشياء من ذوات الصدف والمحار .

قلت : فهذه يغطيها الرمل ، ويغطيها من بعد رمل رمل . وتكون فى اول امرها على سطح الأرض ، ثم على الزمن الطويل تكون فى بطن الارض ، وبعد قرنين او ثلاثة او الف قرن يحفر الانسان الارض فيستخرج منها هذه المحفورات ، هذه الأحافير ، هذه الحفريات ، وهى تحكى له كيف كانت الأحياء ، من حيوان أو نبات على سطح الأرض قبل وجوده هو بهذا الزمن الطويل من القرون .

وانتهى بذلك حديث الشاب .

حفرية وأحفورة

ولكن بقى مما وجب أن يبقى من حديثه اللفظ الافرنجى للحفرية التى يحفر عنها العالم الجيولوجى ، او الأحفورة ، وهو لفظ Fossil . ونحن نعنى بالألفاظ الافرنجية دائما ، أولا : لأن العلم له أكثر من لسان يدور به فى العالم ، وثانيا : لأن أكثر ألفاظنا العربية العلمية ، لا سيما فى فروع العلم الحديثة



حفريات ورقات من شجر ، تفحمت

كالجيولوجيا ، مترجم عن اللغـــــة الافرنجية . واللفظ الافرنجي Fossil مأخوذ عن اللفظ اللاتيني Fossilis وهو مشتق من مادة حفر اللاتينية . ونشتق من لفظ الحفرية والاحفـورة لفظ استحفر ، وهو فعل بمعنى ان شيئا دفن في الأرض صار على الزمان حفرية ، أي استحفر Fossilise . ومن الناس من يقول استحجر .

في أي مواضع الأرض توجد الحفائر أو الأحافير

توجد من اسطح الأرض في حيث امكن ان تكون حياة . والصخور النارية ، كالجرانيت والبازلت ، أصلها صخر منصهر وبرد وتجمد ، فما امكن ان تكون عليه حياة ، من نبات أو حيوان ، وهو على هذه الحال ، الا ان يتبدل . والصخور الرسوبية كانت مراحا للحياة، ومغدى لها، ثم طوتها الطبقات الراسبة، طبقة من بعد طبقة . وهي حفظت بذلك في طياتها ما امكن ان تحتفظ به من بقايا هذه الحياة .

ومن الطبقات الراسبة ما تحول بفعل الحرارة والنار . وقد جاز أن كان بها حياة ، ثم تبدلت وفنيت . فمن العبث البحث عن حفائر في مقلع يقتلع منه الرخام .

ولا ننسى ان تقلبات كثيرة وقعت في سطح الأرض ، جعلت عاليها سافلا ، وسافلها عاليا . ومساحات هائلة من هذا السطح غمرتها مياه البحار ، ثم انجلت عنها . ومن ذلك أن وجد العلماء في سفوح الجبال العالية ، كجبال الألب، والهملايا، حفائر كثيرة مما يتساقط في البحار من اجسام الأحياء ، كالصدف والمحار ، ثم ما لبثوا ان استنتجوا ان هذه السفوح لا بد كانت يوما قيعان محيطات عمت الأرض ازمانا طوالا .

حفريات النبات

ان الكثرة الكبرى التي وجدها العلماء من الحفريات كانت من تلك الأحياء التي كان في مقدور اجسامها ان تحتفظ بكنهها وباشكالها ، فلا يذهب بها الفناء الذي يحاول أن يغير من طبيعة الأشياء من بعد موت .

والورق في النبات مما يصيبه الفناء



عاجلا ، الا ان يتفحم ، والا ان يترك صورة من سطحه مطبوعة على ما لصق به من مادة صخرية تتقبل الطبع .

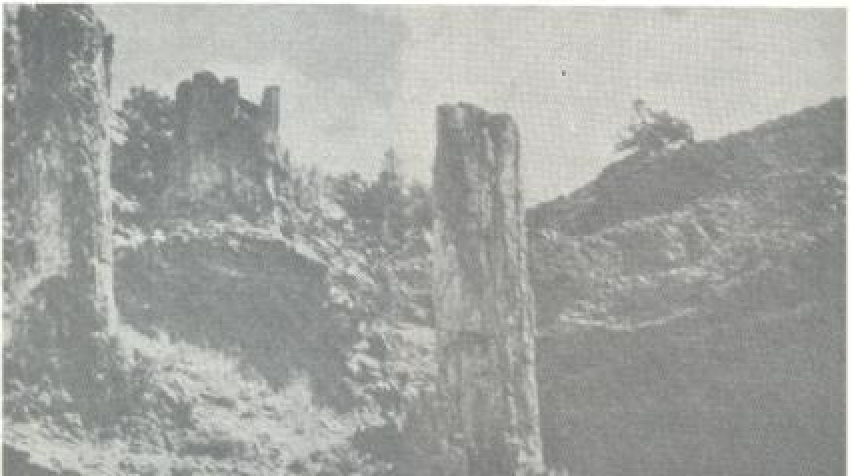
والخشب ، وهو من نبات ، يستحجر بأن تتخلل مسامه مياه تحمل املاح معادن ذائبة فيها ، ثم هي مع الزمان تحل ما بها من مادة معدنية محل ما بالخشب من مادة عضوية . والنتيجة قطعة مستحجرة ، كأنها الخشب لها مظهره ، ولها شكله ، حتى اذا حملتها بيدك دل ثقلها على استحجارها .

ويوجد في سطح الارض مواضع اسموها بالغابات المستحجرة لأن ما بها بقايا أشجار استحجرت على الوجه الذي ذكرنا .

حفريات الحيوان

والحيوانات ، أثبتها على الدهر بقاء من بعد موت ، تلك التي تكون باجسامها هياكل جامدة تقيم هذه الأجسام وتحفظها . وهيكل جسم الانسان يقيم الانسان ، وهو هيكل داخلي ، وهيكل

●●



شجر متحجر غمرته مياه معدنية ، وأحلت معدنها فيه محل مادة الخشب . فكانت الحفرية حفرية من حجر

المحار يحفظ المحار، وهو هيكل خارجي.

اما اللحم فهو من الحيوان اول شيء يتحلل ، ويتحول ويفنى .

وشرط ثان لنجاح استحفار الحي عندما يموت : ان يكون في مكان من الارض يسهل فيه اندفان جسمه في تربته بمستنقع او في قاع بحر .

وبسبب ذلك ، اي بسبب وجود جزء صلب في جسم الكائن الحي يقاوم التلف، ووجود بيئة تطوى جسم الكائن الحي



حفريات لحيوانات بحرية صدفية فنيّ جسمها وشَكّ موتها ، والصدف لم يبق منه غير انطباع على الصخور التي رسمت عليه ، وهو صخر من الحجر الرملي

عندما يموت وتسرع في دفنه ، لهذين السببين اختلف ما أبقت صنوف الكائنات الحية في سطح الارض من احافير .

الحيوانات اللافقرية

فعند العلماء حصيلة وافرة من احافير الكائنات اللافقرية التي عاشت في البحار، وذلك لتوفر السببين المذكورين ، وجود هيكل عظمي واق كالصدف والمحار يحمي اجسام هذه الحيوانات ، ثم سقوطها الى قيعان البحار وشَكّ موتها ، حيث لا تلبث أن تعلوها من موتى الفد الطبقات، فما اسرع ما تقبر وتحفظ .

الحشرات

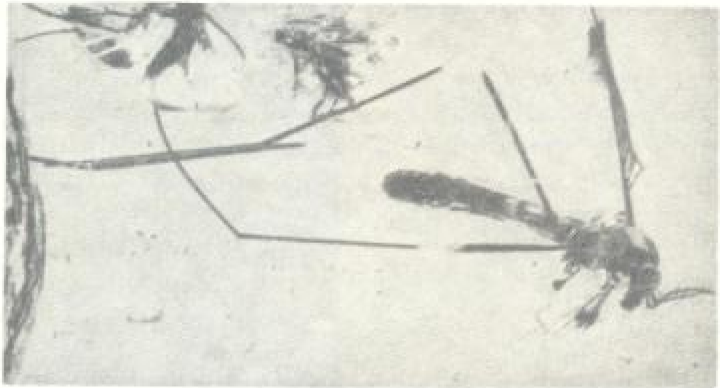
ومن اقل صنوف الحيوانات استحفارا، بالنسبة لاعدادها وتعدد انواعها ، الحشرات . ومع هذا ففي الارض مواضع وجدوا بها محصولا كثيرا نافعا من الحفريات الحشرية ساعدت في الكشف عن تواريخها .

وللحشر طريقان في الاستحفار ، فالحشرة قد تنطبع اجنحتها الرقيقة على الطين الذي يجمد ، او هي تسقط في سائل من الراتنج (وهو شبيه بالصمغ مظهرا) ، ويتجمد الراتنج على الذبابة التي وقعت فيه فتحتفظ بكامل جسمها ونراه عنبرَ الراتنج .

الطيور

والحيوانات الفقرية لها كذلك حفريات محفوظة .

ومن اقل الحيوانات الفقرية استحفارا، الطيور. وهي قليلة جدا اذا نحن قارناها بحفريات كشف عنها البحث فيما يختص بالحيوانات الزاحفة والحيوانات ذات الأثداء من حيث ما أجرى الزمان فيهما من تغيير اشكال واعضاء . وبسبب



حشرات عبر القرون محفوظة في راتنج ، وهو الكهرمان سقطت فيه حية .

ذلك مشاشة فى عظام الطيور . وهى تعيش فى الشجر فليس يتجمع لها على سطح الارض قبور .

والانسان نفسه ، وهو من الفقريات، كشفوا له عن حفريات منه كثيرة ، قلّ منها العينات التى اكتملت بل التى قاربت اكتمال ، وهى من عظم بعد أن بلى اللحم .

عالم الحفريات
عالم نبات ، وعالم حيوانات

لا شك ادركنا مما سبق أن الدارس للحفريات انما هو دارس ما صارت اليه النباتات والحيوانات من بعد استحفار ، ومقارنة كل ذلك بما هو قائم فى زمانه من احياء النباتات والحيوانات ، فهو بهما لا بد ان يكون ضليعا خبيرا .

والحفرية انما تحكى عما صار اليه حيوان أو نبات عاش فى ازمان مختلفة ، تتقارب حينا وتتباعد حينا . والعالم يستطيع مما بقى فى الحفرية من شكل أن يستنتج ، فى حدود معقولة مقبولة ، ما كان عليه حيوانها أو نباتها وهى حية.

واذن تتجمع لديه اشكال الأحياء ، من نباتات وحيوانات ، كيف كانت عبر القرون .

وحيوانات ونباتات استجدت فى القرون لم يسبق مثلها . وحيوانات ونباتات كانت فى القرون ثم اختفت حفرياتها فلم يعد يجد العلماء منها فى طبقات الأرض الحديثة شيئا . وليست هى مما يجرى على الارض من أحياء . فهى اذن احياء منقرضة .

أشياء عديدة كثيرة يخرج بها العلماء من دراسة حفرياتهم . انها دراسات الرمم التى حفظها الدهر على الأحقاب الطويلة من الزمان . وليس كل ما يخرج به علماء الحفائر من حفائرهم دائما بالشىء الوثيق ، فالكثير من الحفريات لم يتضح ، والكثير من الحفريات لم يكتمل . وسلسلة الحياة بل سلاسلها المتطاولة على الزمان لم تخلف فى بواطن الارض كل آثارها . وكثيرا ما كان الضائع اقل من الموجود .

ومع هذا فعلم تكتسبه من النظر من خرق فى باب،يكشف لنا عما وراء ذلك





حيوان من النوع المنقرض المعروف بالدبناصور ، الشكل الاول : قطع من الحفرية التى وجدوها ركبوا بعضها ببعض فكانت كما ترى . والشكل الثانى : رسم خيالى لما وجب ان يكون عليه مظهر هذا الحيوان وهو حى .

من اعاجيب العيش والزمان ، خير من ان لا يكون نظر ابدا .

تاريخ الصخور وتاريخ الحفريات والأحافير

ونتحدث عن الزمان ، ونتحدث عن القرون ، وننزل الى خفَر الارض نستخبر انباء الحياة التى كانت فيها . واول ما نستخبر عنه فى اى موضع من الزمان كانت هذه الحياة ، وفى اى ردح من الدهر نحن واقفون ؟ .

وتجيء الذرّة آخر الدهر تقيس لنا اعمار الصخور واعمار الأحافير .

انها الذرة ذات الاشعاع ، كذرة اليورنيوم ، تلك التى تفقد من مادتها بالاشعاع فتتحول ، بانتظام على الزمان الطويل ، الى الرصاص . وهى بدات بلا رصاص،ثم تحول بعضها الى رصاص. ونعلم كم يتحول اليورنيوم فى العام الواحد وفى القرن الواحد الى رصاص . ومن تحليل ما بقى فى الصخر من يورنيوم وهو رصاص وبعض رصاص ، نحسب كم سنة مضت على هذا الانحلال ،فعلى هذا الصخر . انه عمر الصخر .

وذرة البوتسيوم المشعّة يصيبها على الزمان الطويل مثل ذلك . ويتخذها العلماء وسيلة لتقدير الاعمار .

والكربون،وهو ذرات مختلفة الاوزان. منها الذرة التى وزنها ١٤ . فهذه تتحول على الزمن . ونتخذ من هذا التحول سبيلا لحساب الاعمار . والكربون يوجد فى تراكيب كل الاحياء من نباتات وحيوانات، اذا هى احتفظت بمادتها العضوية الاولى.

وقسّموا صخور الارض ، فالاقدم ، والقديم ، والاقل جدة ، وذو الجدة المتوسطة ، والحديث والاحدث ، ولها اسماء عند العلماء معلومة معروفة ، لا اريد ان انقل على القارىء بذكرها .

انما انا احكى كل هذا لأنتهى الى

القول بان الحفريات التى حصل عليها العلماء لها تاريخ هو تاريخ صخورها التى وجدت فيها . واذن فلكل حفرية عمر محسوب ، ولكل صخر .

اعمار اول حفريات النباتات التى وقع عليها العلماء على سطح الأرض

ظهرت اول حفريات النباتات فى صخور العصر الجيولوجى الذى يسميه العلماء بالعصر الأردوفيشى Ordovician ، ولكنها زادت فى صخور العصر الذى يسميه العلماء بالسيلورى Silurian ، وكلاهما يقع ما بين ٤٠٠ مليون عام الى ٥٠٠ مليون عام مضت .

اعمار اول حفريات الحيوانات التى وجدها العلماء فى الأرض ..

كذلك ظهرت للعلماء اول حفريات للحيوانات البحرية، وهى عندهم الأقدم، فى العصر الذى يسمونه بالكمبرى Cambrian ، أى من نحو ٦٠٠ مليون عام.

وعمر الحياة على الأرض ..

فان صح هذا ، فعمر الحياة على الأرض هو على التقريب ٥٠٠ مليون عام، اى نصف بليون عام .

وعمر الانسان

ويغرى الحديث بان لا نترك الانسان بلا عمر .

على الأقل نقول ما يقول به العلماء .

وقد اختلفوا . لان دليلهم فى ذلك كسائر ادلة الحياة عندهم : وجود حفرية انسان . وقد وجدت حفرية وحفرية .

ان عظاما اشبه ما تكون بعظام موتانا وجدت فى الأرض ، وعاشت حينا من



صورة لجمجمة الرجل الذى حفروا عنه ، وقدروا انه عاش قبل اليوم ب ١٠٠٠٠٠ عام . وهو واحد من كثير سبقوه وآخرين جاءوا بعده ، ونحن منهم.

الدهر كان منذ نحو ٥٠٠٠٠٠ سنة مضت . ووجدوا عظاما مثلها ، احدث فى الزمان عيشا . وقدروا عمرها فكان نحو عام ١٠٠٠٠٠ .

واخرى واخرى .

وما هذه ، ان صح انها من جثث ابناء آدم ، الا نماذج وجدها الحافرون . والذين يتابعون الحفر لا بد واجدون من عظام البشر الشىء الكثير .

فان سأل سائل كم عاش الانسان على ارض هذا الكوكب ، لأجبناه ، بناء على هذه التاريخ ، انه عاش ٥٠٠ الف عام او تزيد .

●●

احمد زكى

إيضاح لابدّ منه

(عمر والمصلحة في التشريع الإسلامي)

■ في العدد الممتاز من مجلة « العربي » الصادر في يناير (كانون الثاني سنة ١٩٧٢) كتبت بحثا بعنوان « عمر والمصلحة في التشريع الاسلامي » .

وكان هدفي اثبات ان عمر ـ رضي الله عنه ـ لم يعطل نصا قطعيا بمصلحة مهما تكن هذه المصلحة، وانما اجتهد فيما يجوز فيه الاجتهاد فاصاب احيانا واخطأ حينا ، وهو في كلتا الحالين ماجور لا مأزور ، واثبات هذا يقطع الطريق على الذين يودون ان يعطلوا الشريعة كلها باسم المصلحة ، ولو كانت متوهمة .

وكان مما عالجته مسالة متعة النساء ، وقد عالجت هذا الموضوع ـ بالذات ـ بكل حذر ودقة وسعة صدر لعلمي انهذا الموضوع حساسبالنسبة لبعض اخواننا في الدين ، وهم الشيعة الامامية ، ولم اتعرض لتخطئتهم او تصويبهم ، وانما بينت ـ فقط ـ ان عمر اجتهد فيما يجوز فيه الاجتهاد.

وقد كان ما توقعت فقد ارسلت خطابات الى مجلة « العربي » فيها شيء من اللوم ، ويحاول كاتبوها ان يلصقوا بعمر ـ رضي الله عنه ـ تهمة تعطيل النص القاطع بالمصلحة ، وتجنيبا لمجلة « العربي » ان تكون منبرا لمسالة خلافية حساسة احب ان اقرر ما ياتي :

اولا ـ مسالة نكاح المتعة ليست مسالة اعتقادية حتى يكون الخوض فيها خوضا في العقيدة ، وانما هي مسالة فرعية خلافية منذ الصدر الاول .

ثانيا ـ ليس في القرآن الكريم آية تدل دلالة قطعية على حرمة المتعة او حلها فآيات سورة « المؤمنون » وسورة «المعراج» في وصف المؤمنين « والذين هم لفروجهم حافظون ، الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون » ليس فيها حجة على تحريم المتعة كما ان آية سورة « النساء »التي منها : « واحل لكم ما وراء ذلكم انتبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن فريضة » ليست قطعية في حل المتعة ، بل هي ظنية الدلالة فكما يمكن ان يفهم منها حل نكاح المتعة يمكن ان يفهم منها ان الآية واردة في النكاح المطلق ، وهو النكاح المؤبد ، والنص اذا احتمل اكثر من معنى كان ظني الدلالة وكان للفقيه المجتهد ان يجتهد فيه ، اذ الممنوع ان يجتهد الانسان في مقابلة النص القاطع ، كما هو مقرر عند العلماء .

ثالثا ـ ان المدار في هذه المسالة هو الاحتجاج بالسنة ، وان الخلاف ـ قديما وحديثا ـ ليس في انها كانت مشروعة ، فان هذا امر مفروغ منه وانما الخلاف في كون الاباحة باقية او ليست بباقية ، وصحة بعض الاخبار او عدم صحتها عند هذا الفقيه دون هذا الفقيه امر مالوف بين العلماء، وترجيح خبر على خبر ليس مجاله مجلة العربي، وانما المجلات المتخصصة او الرسائل العلمية على ان هذه المسالة قتلت بحثا منذ امد بعيد ، وكما قررت ان الهدف من البحث المنشور اثبات ان عمر ـ رضي الله عنه ـ لم يعطل نصا قاطعا باجتهاده ، اذ لو سلم انه فعل ذلك وسكت عنه كبار الصحابة وفيهم الامام علي ـ رضي الله عنه وكرم الله وجهه وهو الشجاع بكل ما تحمله كلمة شجاع ـ لكان ذلك خطرا على الشريعة كلها ، وابطالا لها بمصالح مزعومة متوهمة ، ولا سبيل الى القول ان سكوت الامام علي كان تقية فان هذه مسالة لا تمت الى السياسة بصلة من قرب او بعد ، وكم عارض علي ـ رضي الله عنه ـ الائمة قبله في كثير من الامور وسمعوا قوله ورجعوا الى رايه في اكثر الاحايين .

ولعلي بعد هذا التوضيح اكون قد بينت هدفي من هذا البحث ، واني لم ارد تخطئة احد او تصويبه ، وانما درأت خطرا يهدد الشريعة ـ جملة وتفصيلا ـ من الذين ينادون بتعطيل النصوص ـ مهما تكن قطعية في ثبوتها ودلالتها ـ بحجة المصلحة، وما اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب فان اكن اخطات فحسبي اجر المجتهد المخطيء .

والمسالة اهون مما يتصوره المتصورون . ■■

الشيخ بدر المتولي عبد الباسط

المبنى المركزى للمواصلات السلكية واللاسلكية

أَحْدث إِنجَازٍ فى دَوْلةِ الكُوَيْت

استطلاع بقلم : منير نصيف تصوير : أوسكار مترى

المبنى أثناء الليل ، وقد انبعثت الأضواء من طوابقه كلها ، فالعمل لا يتوقف فيه ليلا أو نهارا .



■ كان كل شيء يوحي بان عملا كبيرا يجرى أعداده في هذه البقعة من الارض العربية في قلب مدينة الكويت .. مئات من العمال العرب في صعود وهبوط فوق السقالات المقامة حول المبنى الذى كان يرتفع شهرا من بعد شهر .. وعشرات من المهندسين والفنيين العرب وغير العرب يشرفون على سير العمل الكبير في هذا المبنى الضخم ورافعات هائلة تحيط بالبناء من كل اتجاه .. عمل مستمر متصل لا يهدأ طوال ساعات الليل والنهار ..

وكان السائر في هذه المنطقة التي تزدحم بالناس والسيارات التي لا تكف عن المرور طوال ساعات الليل والنهار ، في الناحية المقابلة لبلدية الكويت بين شارع عبد الله السالم وشارع الهلالي .. كان السائر في هذه المنطقة، لا يملك الا ان يتوقف ويتساءل : « ترى ما هذا المبنى الهائل ؟ ومتى يكتمل ، وماذا يصنعون به وفيه ؟ » .

وكان من بين هؤلاء بعض الزوار الاجانب، الذين عادوا الى بلادهم ، بعد ان شاهدوا المبنى في مراحله الاخيرة ، وقد ارتفع عن سطح الارض بحوالي ٦٢ مترا ، اى ما يوازى ارتفاع عمارة تتألف من عشرين طابقا ، عادوا وصورة البناء الشامخ ما تزال عالقة في اذهانهم ، فكتبوا الى اصدقائهم في الكويت يتساءلون : « منذ متى قررت بلادكم ان تقيم ناطحات سحاب فوق اراضيها ؟! » .

واتضحت معالم الصورة

ولكن الصورة لم تبق غامضة مبهمة طويلا ، فسرعان ما بدأ الفنيون والمهندسون والعمال العرب وغيرهم، في انجاز آخر مرحلة من مراحل هذا البناء ، وبدأوا في تشييد البرج الخرساني الذى يعلوه مباشرة ، والذى يبلغ ارتفاعه حوالى ٤٨ مترا عن سطح المبنى ثم في تركيب « الهوائي » الذى شيد من المواسير الحديدية المجلفنة Galvanised والذى يرتفع هو الآخر عن سطح البرج بحوالى ٢٣ مترا ..

ولم يعد هناك مجال للتساؤل، لقد عرف الجميع انهم امام المبنى المركزى الجديد للاتصالات السلكية واللاسلكية .. آخر المراحل الرئيسية في شبكة المواصلات التي تربط بين الكويت والعالم الخارجي .. تلك الشبكة التي بلغت تكاليف مبانيها ومعداتها مبلغا يربو على العشرين مليون دينار كويتي .

وعادوا الى تصريحات الاستاذ عبد العزيز عبدالله الصرعاوى وزير البريد والبرق والهاتف ، في مثل هذا الوقت منذ اربع سنوات ، في يوم ٢٨ مارس من عام ١٩٦٨ ، عندما اعلن سيادته نبأ التوقيع على ثلاثة عقود في مجال المواصلات السلكية واللاسلكية .

ثلاثة عقود

اولا ـ انشاء محطة ارضية للمواصلات عبر الاقمار الصناعية لتوفير دوائر الهاتف والبرق والتسهيلات التلفازية مع عدد من البلدان في اوربا وآسيا ، وقد تم ابرام العقد بانشاء هذه المحطة مع شركة نيبون الكهربائية في اليابان ، وتكلف انجاز هذا المشروع مليونا و ٨٠٠ الف دينار كويتي . واحتفل بافتتاح المحطة الجديدة في عام ١٩٧٠ ـ



اللوحة التذكارية التي ازاح امير الكويت الستار عنها يوم الافتتاح في ٢٨ فبراير الماضي، في اسبوع الاحتفالات بالعيد الوطني الحادى عشر لدولة الكويت .



امير الكويت يتفقد قسم المخابرات الخارجية بالمبنى المركزى صبيحة يوم الافتتاح ، وفي صحبته الاستاذ عبد العزيز عبد الله الصرعاوى وزير البريد والبرق والهاتف الى يسار سموه ، والاستاذ المهندس عبد الرحمن خالد الغنيم وكيل الوزارة ، وهو يشرح للامير سير العمل في هذا القسم .

(اقرا استطلاع العربى العدد رقم ١٢٥) .

ثانيا ــ انشاء المبنى المركزى للمواصلات السلكية واللاسلكية بالقرب من ساحة الصفاة في الكويت ، تلك الساحة ، التى يحتفظ لها ابناء الكويت بذكريات تلك السنين التى كانت الصفاة فيها مركزا لتجمعهم ، وسوقا لتجارتهم ، ومحطة لقوافلهم ، قبل ظهور النفط ، وبناء الكويت الحديثة الناهضة .

على بعد خطوات قصيرة من ساحة الصفاة هذه ، قام احدث انجاز في الكويت الحديثة ، وارتفع البناء شامخا ليراه ابناء هذا البلد من كل ركن فيها ، وليروا فيه نهضة دولة الرخاء ..

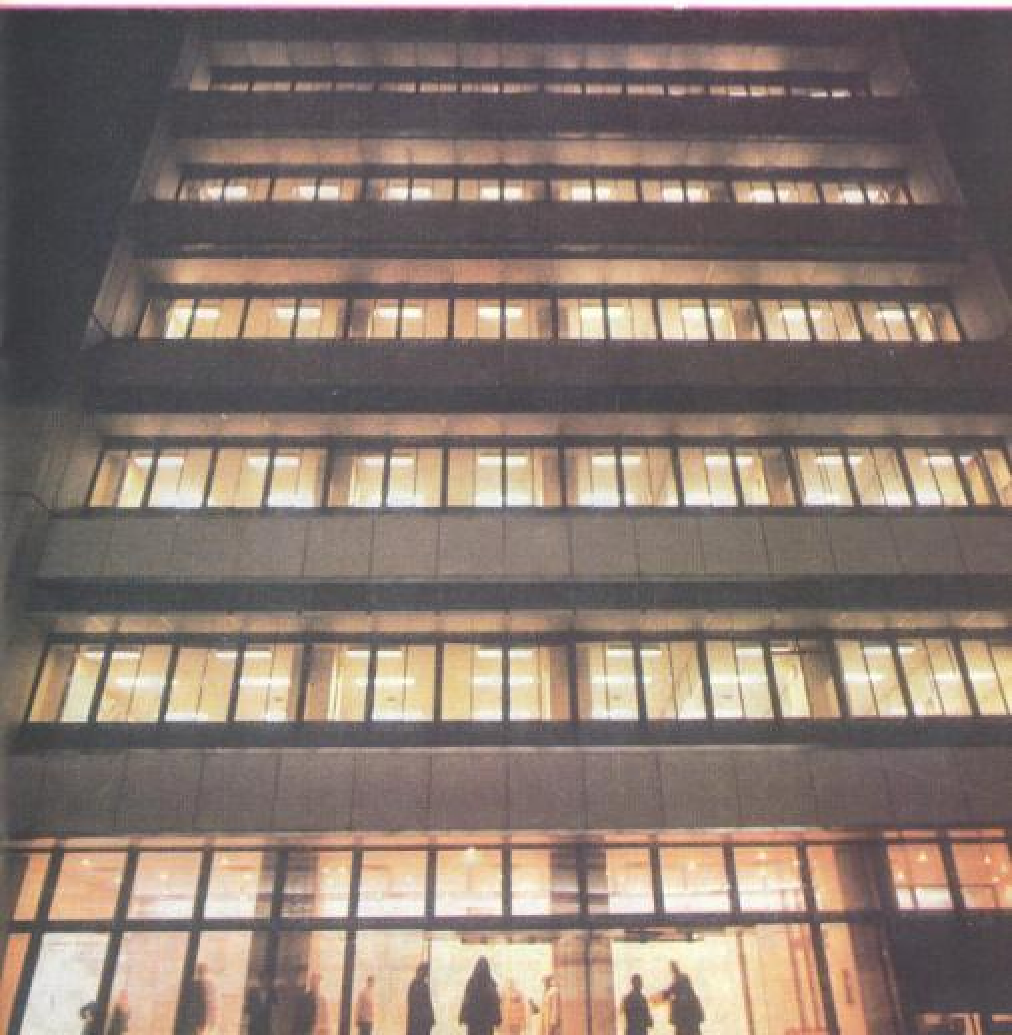
لقد ابرم العقد لانشاء هذا المبنى مع الشركة المساهمة المصرية للمقاولات في جمهورية مصر العربية وبلغت التكاليف الاجمالية لانشائه حوالى المليونين من الدنانير الكويتية .

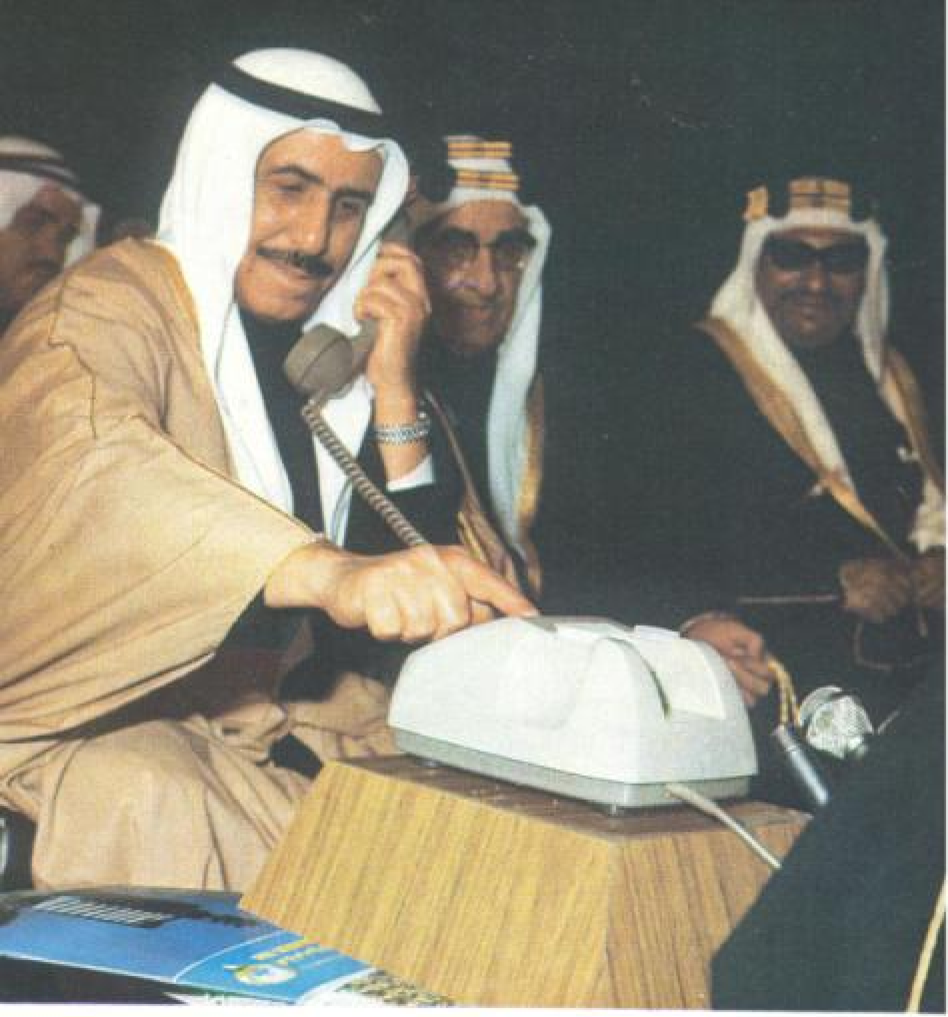
ثالثا ــ (أ) ــ انشاء مركز تدريب للمواصلات السلكية واللاسلكية ، لتوفير الاعداد المطلوبة من الفنيين والمهندسين الكويتيين الذين تحتاج اليوم البلاد لمواجهة احتياجات الوزارة المتزايدة من الايدى العاملة المدربة . وقد ابرم عقد بناء هذا المعهد مع شركة المقاولات والتجارة « الكات » في الكويت ، وانتهى العمل في انشائه بالفعل وتكلف المشروع مليونا و ٤٠٠ الف دينار كويتى .

(ب) انشاء محطتى ارسال واستقبال ذات ترددات عالية على بعد ٥١ كيلو مترا الى الشمال



اثناء العمل في قسم المخابرات الخارجية ، وقد ظهرت ، مراقبة القسم مع مجموعة من الفتيات الكويتيات العاملات على لوحات المخابرات الخارجية ، **اما الصورة السفلى :** فهي توضح ضخامة المبنى ، وقد ظهر في مدخله عدد من الموظفين الذين جاءوا يتسلمون عملهم في وردية الليل .







امير الكويت الشيخ صباح السالم الصباح يفتتح المبنى المركزى للاتصالات السلكية واللاسلكية في الحفل الذى اقيم بمعهد التدريب في الشويخ . لقد ضغط الامير باصبعه على زرين يمثلان يوم الافتتاح وهو ٢٨ فبراير، فقفزت الشارة آليا من اللوحة التذكارية للمبنى المركزى . **اما الصورة التي الى اليسار،** فتمثل الاستاذ عبد العزيز عبد الله الصرعاوى وزير البريد والبرق والهاتف ، والسيد المهندس عبد الرحمن خالد الغنيم وكيل الوزارة اثناء تفقدهما للاجهزة والمعدات بالمبنى قبل حفل الافتتاح مباشرة .

الغربي من مدينة الكويت لتوسيع الخدمات الهاتفية والبرقية ذات المدى البعيد مع مختلف بلدان العالم . وقد ابرم عقد انجاز هذا المشروع ايضا مع شركة المقاولات والتجارة (الكات) في الكويت ، وبلغت تكاليف انجازه حوالى مليون و ١٠٠ الف دينار كويتي .

وهكذا اكتملت شبكة المواصلات السلكية واللاسلكية .

امير الكويت يفتتح المبنى

وفي اسبوع الاحتفالات بالعيد الوطني للكويت ، وفي يوم ٢٨ فبراير الماضي ، وفي قاعة الاحتفالات الكبرى بمعهد التدريب للمواصلات السلكية واللاسلكية كان امير الكويت يفتتح هذا الانجاز الكبير في حفل ضم الوزراء وكبار رجال الدولة ، والسفراء والمدعوين من الكويت والخارج .

قصدنا لمقابلة الرجل الاول ، والمسئول عن هذا العمل الكبير ، عقب الاحتفال بافتتاح المبنى رسميا ، وبدء العمل فيه . واستقبلنا الوزير في مكتبه ، وابتسامة عريضة ترتسم على وجهه .. هي ابتسامة الارتياح التي يشعر بها كل رجل ، وهو يرى ثمرة جهده ، وجهد المئات من العاملين معه في انجاز مثل هذا المشروع الكبير ..

الوزير يتكلم

قال الوزير : « لقد اصبح هذا العالم الكبير من حولنا ، عالما صغيرا ، صغيرا بفضل ما حققه العلم والعلماء . اننا اليوم نستطيع ان نقول اننا نواكب العصر الذي نعيش فيه ، عصر العلم والتكنية ، الذي حقق هذا التقدم العظيم في استخدامات الفضاء لتطوير نظام الاتصالات بين مختلف انحاء العالم .

« ان هذا المشروع الكبير بعد ان تم انجازه قد اصبح من ابرز معالم التغيير في حياة مجتمعنا الكويتي الذي ننشد له جميعا الرفعة والتقدم في شتى المجالات ، بفضل السياسة الحكيمة التي تسير عليها دولة الكويت بتوجيهات صاحب السمو امير البلاد ، وسمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء ..

« اننا نحمد الله تعالى على ان وفقنا الى انجاز هذا العمل الذي يعتبر حجر الاساس في المشروع الكبير للمواصلات السلكية واللاسلكية ، ذلك المشروع الذي خططت له وزارة البريد والبرق والهاتف بقصد توفير الخدمات البرقية والهاتفية، وتوسيع شبكة الاتصالات بالعالم الخارجي .

« وسيظل من اهدافنا الرئيسية دائما ، بعد اتمام مرحلة تنفيذ هذه المشاريع ، ان نسعى الى خلق المزيد من الايدي الفنية الماهرة من مهندسين واخصائيين ، من ابناء هذا البلد الكريم ، بحيث يكون في مقدورهم العمل على تشغيل وادارة هذه المشاريع وصيانة الاتها ومعداتها ومتابعة ما يستجد من تطورات في هذا المجال .

« انني انطلع الى اليوم الذي يستطيع فيه كل مواطن ان يدير قرص الهاتف وهو جالس في مكتبه او في بيته ليتصل بمن يشاء من اى بقعة من العالم ان هذا اليوم قادم باذن الله !

وتركنا الوزير مع مشروعاته ، وقصدنا للقاء السيد المهندس عبد الرحمن خالد الغنيم وكيل وزارة البريد والبرق والهاتف . قلنا له :«حدثنا عن هذا المبنى الكبير .. وماذا صنعتم به ؟ » .

هذا هو المبنى

قال : « لقد اقيم هذا المبنى فوق ارض تبلغ مساحتها ١٢٥٠ مترا مسطحا ، وهو يتألف من ثلاثة اجنحة ، الجناح الاول، وهو المبنى الرئيسي، ويحتوى على المعدات والالات الدقيقة الخاصة بالمواصلات السلكية واللاسلكية ، وكذلك القوى الكهربائية ، واجهزة التكييف المركزى ، والمصاعد وغيرها .

اما الجناح الثاني ، فهو مخصص للجمهور ، ويضم قاعة كبرى لاستقبالهم ، كما يضم مكاتب التلغراف والهاتف اللاسلكي والخدمات التيتقدم



للجمهور ، ويشتمل ايضا على جناح منفصل لدخول السيارات باصحابها وارسال البرقيات دون ان يضطر المواطن لمغادرة سيارته ، كما يشتمل هذا الجناح ايضا على جناح آخر فرعى يحوى محطة خاصة بتوليد الكهرباء للمبنى .

« بقى الجناح الثالث ، وهو يشتمل على موقف لسيارات العاملين بالمبنى ، ويتالف الموقف من طابقين ويتسع لحوالى ١٤٠ سيارة .

« ونعود الى الجناح الاول ، او المبنى الرئيسي الذى يحوى جميع المعدات الخاصة بالمواصلات السلكية واللاسلكية ، وقد اخذ بعين الاعتبار في المراحل الاولى للتخطيط ، مراعاة النواحى الاقتصادية ، والزيادة المطردة في عدد السكان ، الى جانب التوسع المعمارى في البلاد ، الامر الذى سيترتب عليه بطبيعة الحال ، زيادة في الطلبات على الخدمات الهاتفية والتلغرافية ، وغيرها من وسائل المواصلات ، ولذلك فقد صمم المبنى بحيث يستطيع مواجهة هذه الزيادة المستمرة خلال فترة تقدر بربع قرن من الزمان .



البرج الهوائي الذى اقيم فوق المبنى المركزى، وهو يرتفع من سطح المبنى بحوالى ٤٨ مترا ، وقد ركبت فيه خمسة « هوائيات » للموجات المتناهية في القصر .

١٤٣ مترا

« ويتكون المبنى الرئيسي من احد عشر طابقا ، بارتفاع كلى قدره ٦٢ مترا ، يعلوه برج خرسانى بارتفاع ٤٨ مترا عن سطح المبنى ، ويعلو البرج الخرسانى «هوائى» من المواسير الحديدية المجلفنة، بارتفاع ٣٣ مترا ، وبذلك يصبح الارتفاع الكلى للمبنى بما في ذلك البرج والهوائي ١٤٣ مترا عن سطح الارض ، وهو ارتفاع يوازى عمارة تتالف من ٤٤ طابقا تقريبا ، على أساس ان ارتفاع الطابق الواحد ثلاثة امتار .

« والمبنى كله عبارة عن هيكل كامل من الخرسانة المسلحة ، فالجانبان الشرقى والغربى قد شيدا بهذه الخرسانة، مما جعل القوى الانشائية للمبنى كبيرة ، ومقاومة للعزم الكبير المتكون من ضغط الرياح على البرج الخرسانى والهوائي الذى يعلوه . وقد انشىء المبنى كله فوق خرسانة مسلحة مسطحة على عمق تسعة امتار مما يضاعف من صلابته وقوته .



احدى الردهات التى تفصل بين مكاتب الفنيين والاداريين وبين القاعات التى تحتوى على الاجهزة والمعدات بالمبنى المركزى .. ان العزل داخل المبنى ، يحفظ الاجهزة والمعدات من التقلبات الجوية .

المبنى عازل الحرارة

« ولما كانت الاجهزة والمعدات التى يحويها هذا المبنى ، دقيقة للغاية ، فقد اخذ بعين الاعتبار



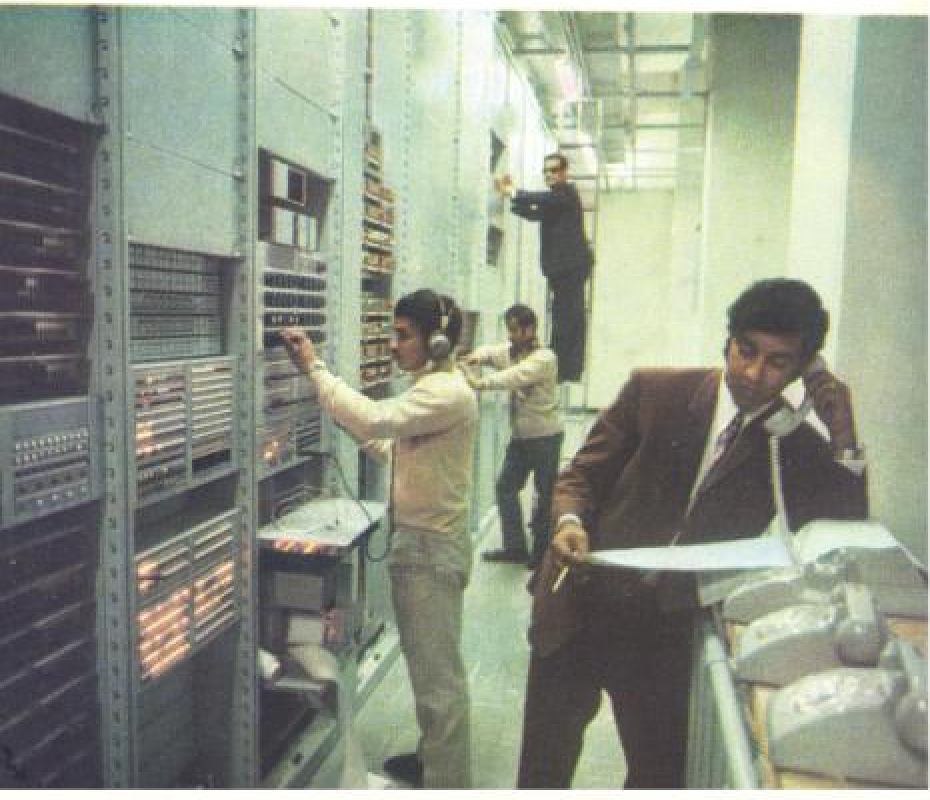
استهوى هذا المجال الجديد من العمل الفني ، الفتاة الكويتية ، فاقبلت عليه ، وتسابقت الفتيات على الالتحاق بمعهد التدريب ، وما كدن ينهين فترة تدريبهن حتى الحقن بالعمل في قسم المخابرات الخارجية ، بمرتب شهري يزيد على المائة دينار ، وفي الصورة **« الى اليمين »** احدى الفتيات الكويتيات تتلقى طلبا للاتصال باحدى العواصم الخارجية ، وفي الصورة الثانية **(الى اسفل)** جلست الفتاة الكويتية تعمل جنبا الى جنب مع الشبان الكويتيين في هذا القسم من المبنى الذي يقع في الدور التاسع .





احد الشبان الكويتيين ، اثناء العمل على احدى لوحات التلكس الدولي ، وهو من اهم اقسام الاتصالات الخارجية بالمبنى ، ويقع في الدور السابع .

مجموعة من الفنيين الكويتيين امام اجهزة التحكم في القسم المركزي للهاتف في الدور الاول من المبنى .



طقس الكويت الحار ، المشبع بالغبار في ايام الصيف ، وروعيت هذه الاعتبارات عند التصميم، حيث وضعت بلاطات خرسانية مسلحة سابقة الصب « Pre-Cast Concrete Panels » وقد ساعدت هذه في جعل العزل داخل المبنى في احسن حالاته ، وكذلك صممت النوافذ وقواطع الالومنيوم الملون ، بحيث تكون عازلة تماما للحرارة ، كما استخدم زجاج مزدوج من نوع خاص قادر على امتصاص حوالى ٤٠٪ من اشعة الشمس ، مما يقلل من نفاذ كمية حرارة الشمس وتقلبات الجو الخارجي ، الى داخل المبنى ، ويمنع دخول الغبار .. وقد تطلبت هذه الاعمال بطبيعة الحال مهارات معينة في البناء والتشييد .

التكييف المركزى

« وفي نفس الوقت كان لا بد ايضا من الاهتمام بتوفير معدات التكييف المركزى ، للمكاتب والقاعات المخصصة لاستقبال الجمهور ، والقاعات الضخمة التى ركبت فيها الاجهزة الدقيقة الحساسة، ذلك لان الرطوبة العالية تؤثر تاثيرا خطيرا على هذه الاجهزة ، ففى المقسم الآلى مثلا يمكن للرطوبة ان تولد طبقة من الصدا في مفاتيح المقسم، وتكون النتيجة حدوث عزل متغير في الاجهزة ، كما ان الرطوبة المنخفضة تحدث بدورها ارتفاعا في المقاومة الكهربائية وهكذا تتاثر هذه الاجهزة الحساسة في الحالتين ، كما راينا ، مما يقلل من عمر استخدامها ، ويعرضها للتلف ، وربما ادى الى حدوث حريق فيها .

« لهذا كان لا بد من توفير الجو الملائم لهذه الاجهزة ، التى بلغت تكاليف شرائها وتركيبها وحدها مبلغا يزيد على العشرة ملايين دينار بما في ذلك اجهزة التكييف والقوى .

وفي بدروم المبنى او السرداب ، اقيمت ثلاثة مولدات « Compressorss» يمكن لاثنين منها فقط القيام بمهمة تكييف هواء المبنى كله ، كما ان هناك مولدا بخاريا يعمل بالديزل او الغاز، ومهمة هذا المولد تدفئة المبنى . اما ابراج التبريد فقد ركبت فوق المبنى المخصص لوقوف السيارات ، ويوجد في البدروم ايضا وحدة مراقبة الية تعمل بواسطة عقل الكترونى صغير Computer مهمتها التحكم في مولدات التكييف ودراسة القراءات المختلفة وتحليلها .

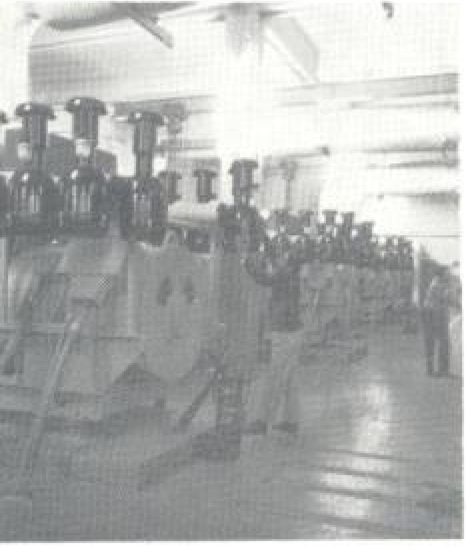
معدات القوى الكهربائية

« كما يحوى السرداب في الوقت نفسه معدات القوى الكهربائية غير المنقطعة Non Break Power Plant التى تستخدم في توليد التيار المستمر في حالة انقطاع التيار الكهربائي العام عن المركز . كما توجد ثلاث مكائن ديزل تعمل ذاتيا وتزيد قوة كل مولد منها على الالف كيلوات ساعة .

« وننتقل الآن الى الطابق الارضي من المبنى الرئيسي ، وقد ركب في مدخله مصعدان ، يتسع الواحد منهما لاثنى عشر شخصا ، ويحتوى هذا الطابق على القوائم الرئيسية للتوزيع الخاص بالمقسم الآلى ، وهو يتسع حاليا لعشرين الف خط هاتفى ، ومن المقرر ان يرتفع عدد هذه الخطوط الى ٤٠ الف خط معدة للعمل في شهر سبتمبر من هذا العام .

المقسم الهاتفى

« اما اجهزة المقسم الهاتفى فتقع في الطابق



المولدات الكهربائية في بدروم المبنى المركزى للاتصالات السلكية واللاسلكية ، وهي تعمل لتوليد الكهرباء في حالة انقطاع التيار العام عن المبنى ، ويوجد منها ثلاثة مولدات ، قوة كل منها الف كيلو فولت أمبير .



احد الفنيين الكويتيين يأخذ القراءات التي سجلتها عدادات اجهزة التيار غير المتقطع في «دوم المبنى المركزي» .

الاول ، وقد تم افتتاحها في اليوم الاخير من العام المنصرم ، عام ١٩٧١ ، وهي تحوي ٢٠ الف خط كما ذكرنا ، وتخدم منطقة المدينة ، وتتألف من اجهزة مراقبة آلية تساعد على فحص الخطوط ، كما انها تضم الفي خط لاستخدام الهواتف ذات الازرار Push Button Telephone » .

ومضى المهندس عبد الرحمن خالد الغنيم ، ينقلنا بعد ذلك الى الطوابق العليا من المبنى المركزي للمواصلات السلكية واللاسلكية ، طابقا من بعد طابق ، قال : « اما الطابق الثاني ، فلا يزال العمل جاريا فيه لتركيب العشرين الف خط هاتفي الثانية ، التي ستكون معدة للاستعمال في اواخر عام ١٩٧٢ .

« وتنتقل الى الطابق الثالث لقد خصص كله ، كما خصص جزء من الطابق الرابع والخامس ، لثلاثين الف خط هاتفي ، يمكن استخدامها في المدينة في السنوات المقبلة ، اما الجزء الباقي من الطابق الرابع ، فقد خصص للقوى الكهربائية غير المتقطعة Non Break System ، والبطاريات الخاصة بمعدات القسم الآلي التي سيتم تركيبها في هذا الجزء ، كما تم تركيب بدالة اوتوماتيكية تتسع لمائتي خط .

الاتصالات الدولية

« ويحتوي الطابق الخامس على القسم الدولي للاتصالات الدولية ، وهو من نوع الكروس بار Cross Bar اي القضبان المتقاطعة ومهمة اجهزة هذا القسم هي تحويل وتوزيع المخابرات من اللوحات اليدوية في الطابق التاسع الى مختلف المحطات في العالم ، بمختلف النداءات ، وكذلك استقبال المخابرات الواردة وتحويلها الى اصحابها .. وقد اقيمت اتصالات شبه اوتوماتيكية Semi - Automatic System ، مع بعض الدول العربية والاوروبية والامريكية ، وذلك بفضل قيام المحطة الارضية للاتصال بالاقمار الصناعية . كما يحوي هذا الطابق ايضا مركز الصيانة والخدمة للاتصالات الدولية .

اجهزة التلكس

ويستأنف المهندس عبد الرحمن خالد الغنيم ، حديثه عن الطوابق الست الباقية في المبنى الكبير ، يقول :

« اما الطابق السادس ، فيحتوي على معدات واجهزة اتصالات التلكس المحلي والدولي ، واجهزة البرق الآلي ، وقد حرصنا على فصل اجهزة الفحص والمراقبة عن بقية المعدات ، وذلك لاحكام الصيانة وحجز الغبار عنها .

« والتلكس لا يختلف عن الخدمة الهاتفية ، والفرق الوحيد بينهما هو ان الهاتف ينقل الكلمة المسموعة والتلكس ينقل الكلمة المكتوبة ، ويزود المشترك في خدمات التلكس بآلة مبرقة Teleprinter تشبه الى حد ما الطابعة الكهربائية ، وهذه الآلة متصلة بصندوق مراقبة ، يتمكن المشترك من طلب الاتصال او قطعه في اي وقت يشاء .

« ويجب ان يبقى الاتصال الكهربائي بتركيبات التلكس مستمرا دون انقطاع حتى يتسنى الاتصال في اية ساعة من ساعات الليل او النهار بالطرف الآخر ، وبذلك يمكن تحويل رسالة التلكس الى الشخص المراد مخاطبته حتى في حالة عدم وجود

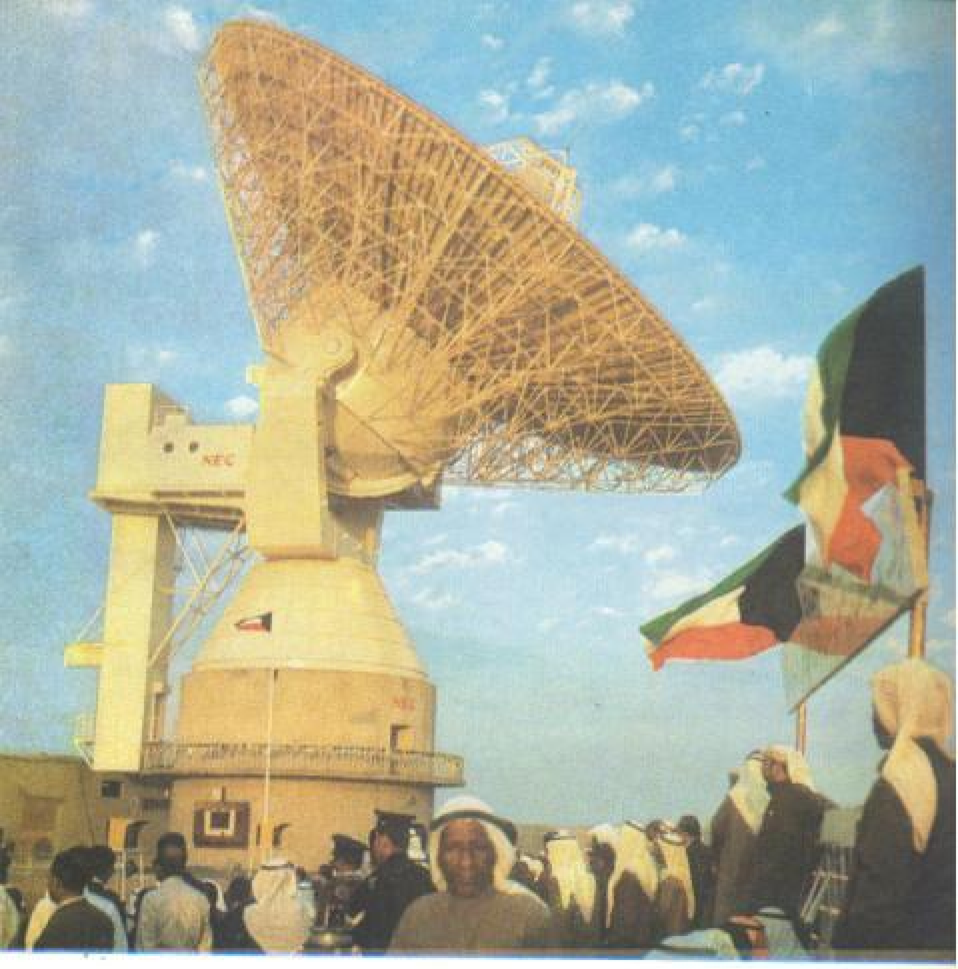


مدخل معهد التدريب للاتصالات السلكية واللاسلكية الذي اقيم في منطقة الشويخ لاعداد الفنيين من أبناء الكويت وفتياتها ، الذين تزداد حاجة الوزارة اليهم يوما من بعد يوم لادارة وصيانة الآلات والمعدات الدقيقة في شبكة الاتصالات السلكية واللاسلكية .

الصورة السفلى : لمجموعة من الشبان الكويتيين اثناء محاضرة عملية لفحص وتركيب بعض اجهزة الارسال والاستقبال الحديثة ، اما الصورة الى اسفل اليسار ، فهي لاحد فصول تدريب الفتيات على المخابرات الخارجية بمعهد التدريب .

الى اليسار : « الهوائي » الضخم لمحطة « ام العيش » للاتصالات عبر الاقمار الصناعية ، وهو الخطوة الاولى في برنامج تطوير الاتصالات السلكية واللاسلكية بدولة الكويت ، وقد افتتح في نهاية عام ١٩٦٩ .




NEC



من يراقب الآلة في المكان المقابل ، وهذا ما يميز التلكس عن الهاتف ، اذ يمكن المشترك من ان يبعث برسالله او تعليماته الى المشترك في الطرف الآخر البعيد عنه ، وتسجل الرسائل والتعليمات على جهازه مباشرة ، سواء كان هذا الاتصال اليا او شبه الى او يدويا .

« كما ان المشترك في خدمات التلكس يستطيع ارسال البرقيات الى الاشخاص او جهات غير مشتركة في هذه الخدمات عن طريق ارسال البرقية على جهازه من مكتبه الى مكتب البرق ، الذي يرسلها بدوره كأية برقية اخرى ، كما انه في مقدوره استلام البرقيات التي ترد اليه على الجهاز .

الطوابق العليا

« ننتقل بسرعة الى الطابق السابع والثامن والتاسع والعاشر والحادى عشر ، اما الطابق السابع فقد خصص للوحات التلكس الدولية اليدوية ، وكذلك اجهزة الاستقبال والمراقبة لنظام البرق الآلى .

« ويحوى الطابق الثامن لوحات الاستعلامات وعددها ٤٠ لوحة ، ورقم هواتفها (١٠١) ، كما توجد خمس عشرة لوحة تحمل رقم (١١٧) لاستلام الشكاوى، وكذلك لوحات خاصة للمراقبة وعددها ١٨ لوحة .

« اما الطابق التاسع ، فقد خصص جزء منه المطعم الذى يخدم العاملين في المبنى وهو يحوى احدث المعدات ، اما الجزء الآخر ، فهو يحوى الخطوط الخاصة بالحجز للمخابرات الخارجية (١٠٢) ، وعددها حاليا تسعة ، وكذلك ١٩ لوحة للاتصالات الدولية . اما بالنسبة للوحات المساعدة فعددها (٩)،وهذه تسهل مهمة المخابرين في الدول الاخرى وجمع المعلومات عن مشتركى الهاتف في الكويت .

حرصت الوزارة على ان توفر لطلبة المعهد وطالباتها وسائل الراحة والترفيه، فاقامت لهم مقصفا في المعهد ، حيث يجدون فيه كل ما يرغبون من طعام وشراب .







محطتا الارسال والاستقبال ، التابعتان لشبكة الاتصالات السلكية واللاسلكية بالكويت ، وقد اقيمت الاولى على بعد ٥١ كيلو مترا الى الشمال الغربي من مدينة الكويت ، فيما اقيمت الثانية على بعد ٢٥ كيلو مترا اي في منتصف المسافة تقريبا ، في منطقة الدوحة .

ان معظم العاملين في هذا القسم من الفتيات الكويتيات اللواتي تلقين دراسة وتدريبا خاصا في معهد التدريب التابع لوزارة البريد والبرق والهاتف الذي اقيم في منطقة الشويخ ».

غزو جديد للفتاة الكويتية

ونتوقف هنا قليلا لنروي قصة اقتحام الفتاة الكويتية لهذا الميدان الجديد من العمل .

لقد التقينا بالآنسة علية ابراهيم مراقبة القسم Supervisor ، لقد كانت « علية » اول فتاة كويتية تتقدم للدراسة في معهد التدريب ، بعد ان اعلنت الوزارة عن حاجتها الى فتيات كويتيات حاصلات على الشهادة المتوسطة كحد ادنى للالتحاق بالمعهد .

قالت علية : « ما كدت اتقدم بطلبي ، حتى فوجئت بانني الفتاة الوحيدة التي تقدمت لهذا النوع من التدريب الذي يؤهلني للالتحاق بقسم المخابرات الخارجية . ونصحني المسئولون بالبقاء في بيتي ، حتى يكتمل العدد ، فليس من المعقول ان تبدأ دورة تدريبية من اجل طالبة واحدة . وبقيت في بيتي انتظر شهرين كاملين ، كنت اتقاضى خلالهما مكافأة شهرية تشجيعية قدرها ٤٨ دينارا كويتيا ، وهي نفس المكافأة التي تدفع للطالبات طوال فترة الدورة التي تستغرق سنة كاملة ،

وفي النهاية تقدمت فتاتان اخريان ، وبدأنا ثلاثتنا ننتظم في الدراسة ، ولم تكد تنقضي بضعة اسابيع حتى بدأت الطلبات تنهال على المعهد ، وتسابقت الفتيات الكويتيات على الالتحاق به ، حتى ضاق بهن المكان ، الامر الذي دفع الوزارة بعد تخرج الدفعة الاولى ، وكانت تضم ١٦ فتاة الى وضع شروط جديدة للالتحاق ، في مقدمتها الا تقل ثقافة الفتاة المتقدمة عن مستوى الرابعة الثانوية .

المرتب ١٠٠ دينار

وعينت الفتيات بعد اتمام تدريبهن بمرتب يزيد على المائة دينار شهريا . وتعمل الفتاة لمدة ست ساعات يوميا في ورديتي النهار ، وهي تعمل جنبا الى جنب مع الشباب الكويتي ، دون ان تجد في ذلك حرجا وقد ربطت بينهم روح الزمالة والاخوة في ذلك العمل الواحد ، الذي يتعاونون في تأديته . ويستمر العمل في هذا القسم لمدة ٢٤ ساعة متصلة ، وقد اقتصر العمل في الورديتين المسائيتين على الشبان وحدهم دون الفتيات ، بطبيعة الحال . »

معهد التدريب

وما دمنا في مجال الحديث عن الفتاة الكويتية وغزوها لهذا المجال الجديد من مجالات العمل في الكويت ، فلا باس من ان نكمل الصورة عن طريق



أحد « الهوائيات » الخمسة المقامة على البرج الذى يعلو المبنى المركزى ..
وقد ظهرت من تحته المبانى الحديثة في الكويت من ارتفاع يزيد على المائة متر
فوق سطح البحر .. صورة تمثل تقدم الكويت الناهضة في مجال العلم والتكنية .



القديم والحديث ، صورة التقطها مصور العربي من بوابة الشامية ، احدى معالم الكويت القديمة ، وقد ظهر من خلالها مبنى الاتصالات السلكية واللاسلكية، احدث انجاز في الكويت الناهضة .

تقديم لمحة سريعة عن معهد التدريب للاتصالات السلكية واللاسلكية ، قبل ان نعود مرة اخرى الى المبنى المركزى ، الذى توقفنا عند الطابق الخامس منه .

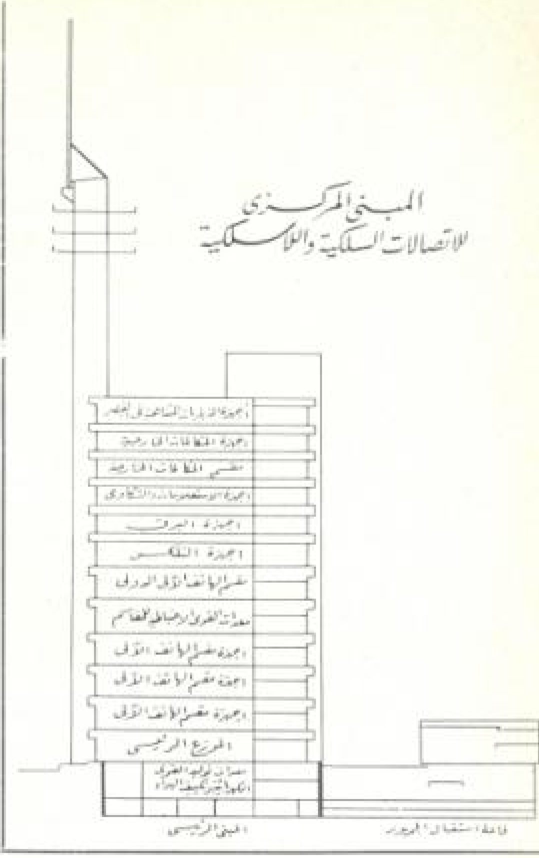
حدثنا المهندس عيسى الرفاعي مساعد مدير المعهد عن ظروف انشائه والهدف منه وشروط الالتحاق به ، قال : « لقد كانت الحاجة ماسة الى توفير اعداد من الفنيين لتركيب وصيانة اجهزة الاتصال السلكى واللاسلكى واجهزة المقاسم الآلية بالوزارة بناء على توجيهات السيد الوزير ، ونظرا لعدم وجود الكفايات اللازمة من الكويتيين وتيسيرا على ابناء الدولة في الحصول على هذا النوع من التدريب ، بالكويت ، فقد تقرر انشاء هذا المعهد في عام ١٩٦٦ ، في مبنى مؤقت حتى حان موعد انتهاء العمل في المبنى الجديد في اوائل العام الماضي .

« وقد بدات الدراسة في المقر الجديد للمعهد في هذا التاريخ ، واشتمل المبنى على قاعة للمحاضرات ، وغرف للصفوف ، ومختبرات ، ومعامل ، وبلغت تكاليف البناء الذى اقيم فوق ارض تبلغ مساحتها ٤٠ الف متر مربع حوالى مليون و ٤٠٠ الف دينار كويتى ، هذا عدا الاجهزة والمعدات التى يدرب الطلبة والطالبات على استخدامها والتى يبلغ ثمنها حوالى ٦٥٠ الف دينار كويتى خلال السنوات الخمس القادمة .

اربعمائة طالب وطالبة

« ويبلغ عدد الطلبة والطالبات في المعهد حاليا حوالى ٢٠٠ طالب وطالبة من المنتظر ان يرتفع الى ٤٠٠ في الدورة التدريبية القادمة . ويبلغ عدد الطلبة والطالبات الذين تخرجوا بالفعل حتى الآن ٤١٥ من الجنسين .

« والمؤهل الدراسي المطلوب توفره للالتحاق بالمعهد ، الشهادة المتوسطة، ويتلقى حاملها تدريبا لمدة سنة ، وتصرف له الوزارة مكافاة تشجيعية شهرية قدرها ٤٨ دينارا كويتيا . اما الحاصلون على الثانوية العامة من الفتيات والشبان على السواء ، فهم يقضون عامين في الدراسة والتدريب،



قطاع رأسي للمبنى المركزى للاتصالات السلكية واللاسلكية ، وقد ظهرت فيه الطوابق الأحد عشر، التى خصصت لمختلف الاجهزة والمعدات ، وكذلك القاعة الكبرى التى اعدت لاستقبال جمهور المواطنين .

لانهم يعينون في وظائف افضل ، وتصرف الوزارة للطالب او الطالبة مكافأة تشجيعية شهرية قدرها ٨٠ دينارا كويتيا .

« ويشرف على الدراسة والتدريب في المعهد ١٥ استاذا كويتيا وغير كويتى » .

هنا في هذا المعهد وفي قاعة الاحتفالات الكبرى ، افتتح امير الكويت المبنى المركزى للمواصلات السلكية واللاسلكية .

ونعود الى المبنى المركزى مرة اخرى ، ويمضي المهندس عبد الرحمن خالد الغنيم في حديثه :

عودة الى المبنى المركزى

« ويحوى الطابق العاشر مركز التلغراف الدولى، واجهزة التحكم فيه ، وكذلك اجهزة التحكم في الاتصالات الهاتفية الدولية ، كما يحوى ايضا معدات التصحيح الآلى ARQ ، ويعتبر هذا الطابق والمعدات الموجودة به ، همزة الوصل مع الاتصالات المحلية .

« بقى الطابق الحادى عشر ، وهو الاخير ، ويحوى جميع اجهزة الارسال والاستقبال الى مختلف المحطات ومنها ، وبين هذه الاجهزة ، اجهزة الموجات المتناهية في القصر التى تربط جزيرة فيلكا ومحطة الارسال والاستقبال بالمبنى المركزى ، وكذلك الاجهزة التى تربط المبنى المركزى بالمحطة الارضية والمحطات الانتهائية في الطابق ، وكذلك اجهزة النبضات التشكيلية وتحسين الصوت وعددها ٤٥ ، واجهزة ذبذبات الصوت التلغرافية وعددها ٢٧ ، كما ينتهى في الدور الحادى عشر الكابل المحورى الذى يربط كلا من محطتى الارسال والاستقبال والمحطة الارضية ، وهو يشكل نظاما بديلا لاجهزة الميكروويف . كما يجرى في هذا الطابق حاليا تركيب اجهزة الاتصال بالمركبات البرية والبحرية التابعة لوزارة الداخلية وعددها ١٠٠٠ مركبة برية و ١٠٠ مركبة بحرية ، وبذلك يتم الاتصال الآلى بهذه المركبات .

صوت الكويت فى العالم

« اما البرج الذى يرتفع ٤٨ مترا عن سطح الطابق الرئيسي فيتكون من ثلاث منصات يفصل بين كل منصة واخرى مسافة قدرها سبعة امتار ، وقد ركبت عليها الهوائيات الخاصة للموجات المتناهية في القصر ، اما الهوائى العالى فقد ركبت عليه الهوائيات الخاصة بالاتصال بالمركبات البرية والبحرية ، ومانعة الصواعق ، واجهزة الانارة الخاصة بتحذير الطائرات . »

وانتهى المهندس الغنيم من حديثه عن المبنى المركزى للمواصلات السلكية واللاسلكية ، وقصدنا لنسجل بالصورة وعلى الطبيعة اهم معالم هذا المشروع الكبير ..

من هذا المبنى تنطلق اليوم الموجات البرقية والهاتفية من الكويت الى مختلف انحاء العالم والى هذا المبنى يصل صوت العالم الى الكويت .. ■■

منير نصيف

أنباء الطب والعلم والاختراع

حقائق جديدة عن سطح القمر تكشفها رحلة ابوللو ١٥

● ادت الجولة الاستكشافية التى قام بها رائدا الفضاء دافيد سكوت David Scott وجيمس اروين James Irwin على سطح القمر واستغرقت ٣ ايام ، وذلك اثناء رحلة مركبة الفضاء ابوللو ١٥ الى الكشف عن حقائق مذهلة جديدة عن سطح القمر .

لقد تم هبوط الرائدين على سطح القمر فى منطقة مرتفعات تبعد حوالى ٢٦° شمال خط الاعتدال القمرى Lunar Equator حيث يوجد ذلك الوادى الضيق والذى يطلق عليه اسم هادلى ربل Hadley Rille وسط سلسلة جبال الابنين Apenines التى ترتفع الى حوالى ١٤ الف قدم .

وقد كان من بين المهام الرئيسية لرحلة ابوللو ١٥ تصوير هذا الوادى عن قرب؛ وجمع بعض العينات الصخرية التى قد تساعد فى القاء بعض الضوء على كيفية تكوين هذا الوادى وسط هذه الجبال . وكان العلماء يأملون ايضا ان الصخور التى قد تجمع من مكان قريب من جبال « الابنين » قد تمثل جزءا من القشرة الخارجية الاصلية لسطح القمر والذى ربما تكون قد تشكلت منذ حوالى ٤٫٦ بليون سنة !!

لقد اثبتت البحوث التى اجريت على الصخور القمرية التى جمعت فى الرحلات التى سبقت ابوللو ١٥ أن عمر هذه الصخور يتراوح ما بين ٣٫٣ الى ٣٫٧ بليون سنة .

ولكن الشىء المذهل الذى استطاع الرائدان سكوت واروين رؤيته هو ان المنحدرات السفلى لجبال « الابنين » ، وكذلك جدار وادى « هادلى » تبين بوضوح انها مؤلفة من طبقات . وقد كتب سكوت فى تقريره عن مشاهداته ،



انه قد راى حوالى ١٠ طبقات محددة تماما وبوضوح .

وتأتى اهمية هذا الاكتشاف فى انه كان من المعتقد انعددا كبيرا من الاحواض السوداء على سطح القمر والتى تسمى « ماريا Maria » قد نتجت عن طريق اصطدام النيازك بسطح القمر ، ثم خروج الحمم من باطن سطحالقمر نتيجة عنف هذا الاصطدام . ومن الواضح ان جبال « الابنين » قد تكونت نتيجة اصطدام عنيف تسبب فى تكوين اكبر حوض على سطح القمر ، وهو ذلك الحوض المسمى بـ Mare Imorium . واكتشاف ما يقرب من ١٠ طبقات فى واد يمر بهذا الحوض يدل على ان هناك سلسلة من الحمم خرجت منباطن القمر ، واغرقت المنطقة ، وانها خرجت طبقة بعد طبقة .

ويبدو ان اكتشاف هذه الطبقات قد قضى على الفرض العلمى الشائع عن كيفية تكون وادى « هادلى » الذى يشبه رقم ٧ فى شكله . فقد كان علماء الفضاء يفترضون أن هناك انفاقا فى باطن القمر تكون ممرات للحمم السائلة تحتسطحه ، وان وادى « هادلى » قد تكون بعد انهيار سطح النفق الذى تمر داخله الحمم السائلة مكونا بذلك الوادى الضيق من قمم جبال «الابنين» وباكتشاف الطبقات المتعددة التى يتكون منها الوادى انهار هذا الفرض تماما .

وهكذا تكشف رحلات الفضاء المأهولة الى القمر كل مرة سرا جديدا عن هذا الكوكب البعيد ، وكثيرا ما تحير هذه الاسرار العلماء الذين يدرسونها وتقلب نظرياتهم وفروضهم راسا على عقب متيحة الفرصة لكشف الحقيقة .

تنشيط السلوك الجنسي عن طريق حاسة الشم !

● اكتشف فريقمن الباحثينالانجليز ان القردة الأنثى من فصيلة الريص Rhesus (نوع من القرود الهندية الصغيرة ، قصيرة الذيل) تقوم بافراز مادة معينة اذا اشتمها القرد الذكر فانها تنشط سلوكه الجنسى . ويمكن اعتبار هذا الافراز « فرومون Pheromone » . وهو الاسم العلمى الذى يطلق على اية مادة يفرزها حيوان ما فتؤثر على سلوك الحيوانات الاخرى التى تنتمى الى نفس الفصيلة .

وقد استطاع هذا الفريق من العلماء البريطانيين ان يكتشفوا التركيب الكيماوى لهذا « الفرومون » الذى اثبتوا فعاليته

هل تتحول الولايات الى النظام

● تقدم وزير التجارة الأمريكية بمشروع جديد الى الكونجرس يتضمن تحول الولايات المتحدة الامريكية الى النظام المترى للمقاييس فى خلال ١٠ سنوات منذ اقرار المشروع .

ويتضمن المشروع الجديد التوصيات التى قدمها « المكتب القومى للمقاييس » بعد دراسته لمزايا وعيوب التحول الى النظام المترى ، ويقول التقرير فى نهايته ان الوقت قد حان الآنلكى تتحول امريكا الى النظام المترى .

ولعل من اهم الاسباب التى يستند

بعد سلسلة من التجارب على القرود .
وقد تبينوا انه عبارة عن خليط من خمسة احماض عضوية طيارة ، هى حامض الخليك Acetic ، وحامض البروبيونيك Propionic وحامض الايسوبيوترك Isoputyric وحامض البيوترك Butyric ، وحامض الايسوفالرك Isovaleric .

وقد استطاع العلماء تحضير خليط من هذه الاحماض بنفس النسب التى اسفر عنها تحليل تلك المادة التى تفرزها القردة الأنثى ، وجربوه على القرود فاعطى نفس النتائج على القردة الذكور .

ويقول العلماء انه من الواضح الآن انه يجب اجراء تجارب من هذا النوع على عدة حيوانات متقدمة اخرى من بينها الانسان .



المتحدة الامريكية المترى للمقاييس

اليها مؤيدو التحول الى النظام المترى ان امريكا هى الدولة الكبرى الوحيدة التى لا تستعمل هذا النظام وخصوصا بعد ان تحولت بريطانيا مؤخرا الى النظام المترى .

واذا اقر الكونجرس مشروع وزير التجارة ، فانه ستتخذ عدة اجراءات لتحويل القياسات الى النظام المترى فى كافة القطاعات المعنية ، وذلك على مدى ١٠ سنوات ، بعدها تتحول امريكا نهائيا الى النظام المترى .. ولكن اغلب الامريكيين لا يظنون انهم سينسون كلمة الميل او الياردة فى كلامهم اليومى .

محركات جديدة .. لا تلوث الجو بدرجة كبيرة !

● ستقوم الولايات المتحدة الامريكية خلال السنوات القليلة القادمة بتنفيذ قوانين تحديد نسب اول اكسيد الكربون واكسيدات النيتروجين التى تتصاعد من انابيب احتراق وقود محركات السيارات على نطاق الولايات المتحدة كلها وذلك للتخفيف من خطورة تلوث الجو فى الولايات المتحدة الامريكية نتيجة الزيادة الهائلة فى عدد السيارات والمصانع هناك .

وتعانى شركات السيارات الآن من قلق يزداد يوما بعد يوم بالنسبة لمصير محركات البنزين العادية المستعملة الآن فى صناعة السيارات وكيفية تحويرها بحيث تتطابق درجة التلويث الناتجة عن احتراق الوقود داخلها مع الدرجة المحددة فى القوانين الجديدة .

ومن بين الابحاث التى تتم الآن بحث يقوم به الدكتور سيرل دن Searl Dunn فى جامعة روشستر Rochester . وقد بنى الدكتور « دن » ابحاثه على ان المحركات المستعملة الآن تقوم بتلويث الجو بدرجة كبيرة عندما تزداد سرعة السيارة بينما تقل درجة التلويث هذه فى السرعات الاقل .

وقد وضع الدكتور « دن » تصميما لمحرك سيارة مزود بجهاز هيدروليكى لاختزان الطاقة . وعند الحاجة الى السرعة العالية يتم استعمال ممتص الصدمات الهيدروليكى Hydraulic Accumulator الذى يختزن الطاقةلفترة طويلة . وتخرج الطاقة الاضافية اللازمة للسرعات العالية من هذا الجهاز الهيدروليكى ، وبذلك يتم تحديد كمية الغازات الضارة التى تنتج عن المحرك العادي عند زيادة السرعة .

ويقول الدكتور « دن » ان هناك ثلاثة احتمالات امامه ، اما ان يستخدم المحرك العادى مع هذا الجهاز ، او يقوم باستخدام محرك توربينى غازىاو محرك دائرى من طراز المحركات المعروفة باسم سترلنج Stirling Cycle وهذه الأنواع من المحركات هى التى يتم فيها احتراق الوقود تحت درجات عالية باستمرار ، فتحول الحرارة الناتجة الى غاز الهليوم او الهيدروجين الذى يقوم بتحريك البستون ، دون ان ينتج غازات ضارة .

وهذا النوع الاخير من المحركات اجريت تجارب ناتجة فى هولندا منذ اكثر من ٢٥ عاما ، ولكن عيبه الوحيد هو ان تصميمه معقد جدا ووزنه ثقيل بالنسبة للمحركات العادية .

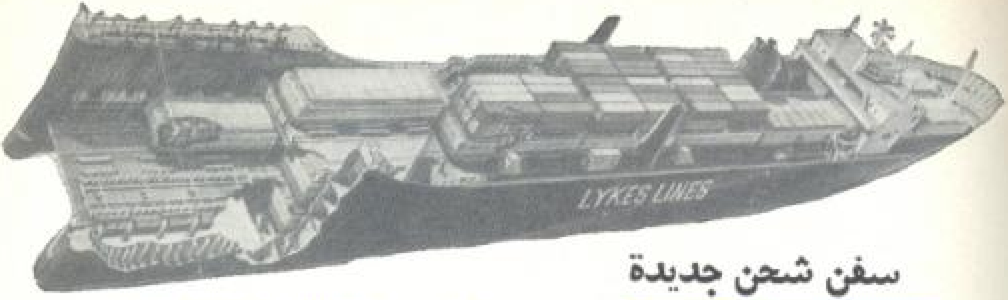
البيئة تؤثر

في الكبير والصغير على حد سواء !

● كان من الشائع علميا ان تجارب الطفولة تؤثر تأثيرا تاما لا يمكن عكسه او محوه فى سلوك الحيوان او الانسان عندما يكبر وكذلك بالنسبة لكفاءته البيولوجية . وكان من بين التجارب التى تؤيد هذا الاعتقاد تلك التجارب التى اجريت على عدد من الفئران الصغيرة والتى تم وضع بعض منها فى معمل مملوء باللعب والسلالم والصناديق ، بينما تم وضع البعض الآخر فىغرفة معمل منعزلة ليس بها اى شىء . . وكانت النتيجة ان الفئران الاولى والتى نشات فى معمل مملوء بالاشياء قد زاد وزن مخها عن الفئران الاخرى التى ربيت فى معمل خال من اللعب والصناديق .

واخيرا اكتشف الدكتور والتر ريج Walter Riege الاستاذ بجامعة كاليفورنيا ان البيئة الفنية قد تخلق زيادة كبيرة فى وزن مخ الفئران كبيرة السن كما تفعل بالنسبة للفئران صغيرة السن ، وان كانت هذه الزيادة تحتاج الى وقت اكبر للفئران كبيرة السن عن الوقت الذى تحتاجه الفئران صغيرة السن ، وقد اجرى الدكتور « ريج » تجاربه على فئران ذكور تربت فى معمل عادى ، حتى بلغ عمرها ٣٠٠ يوم (سن البلوغ فى الفار هو حوالى ٥٠ يوما ومتوسط عمره لا يزيد عن عامين او اكثر قليلا) .

وقسم العالم الامريكى الفئران بعد



سفن شحن جديدة

لا تحتاج الى موانىء

● ان مشكلة المشاكل فى الشحن البحرى تتلخص فى ضيق الموانىء بسفن الشحن . وتعطيل هذه البواخر فى موانىء التصدير والتسليم يؤدى فى الواقع الى زيادة أسعار الشحن لتعويض الخسائر الناتجة عن هذا التعطيل . وفكر العلماء فى طريقة لتوفير الوقت فى عمليات شحن السفن وتفريغها ، واخيرا اهتدوا الى تصميم سفينة شحن جديدة اسموها « نحلة البحر » Seabee وهى سفينة لا تحتاج الى ميناء ..

صورة لتصميم سفينة الشحن الجديدة التى يتم شحن البضائع فيها وهى داخل مقطورات بحرية طول كل منها ٩٧ قدما وحمولة كل منها حوالى ٧٠٠ طن والصورة السفلى تمثل واحدة من هذه المقطورات البحرية .



والفكرة الرئيسية فى تصميم هذه السفينة الجديدة هى انها ترسو فى اى مكان قريب من شاطىء البحر ثم تنتقل اليها البضائع المراد شحنها فى مقطورات بحرية خاصة ويتم رفع المقطورات بشحناتها بواسطة آلة رافعة ضخمة مثبتة على السفينة نفسها . ويتم شحن البضائع بهذه الطريقة بسرعة تامة ودون اى تأخير .

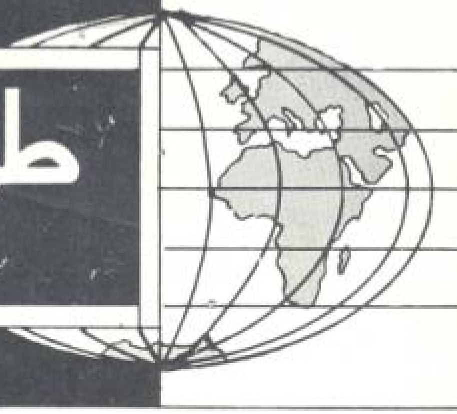
وقد تم بناء هذه السفينة وهى تحمل ما يبلغ وزنه ٢٤٫٥٠٠ طن موضوعة فى ٣٨ مقطورة بحرية طول كل منها ٩٧ قدما ويتم نقل كل هذه المقطورات بما فيها من بضائع الى السفينة خلال ١٣ ساعة فقط بعيدا عن اى ميناء او رصيف شحن . ويقول الخبراء ان ما يتم فى هذه السفينة خلال هذه الفترة الزمنية القصيرة لا يمكن ان يتم فى سفن الشحن العادية الا فى اسبوع من الزمان .

والسفينة مزودة بمصعد مغمور تحت الماء حمولته ٢٠٠٠ طن ويستطيع ان يرفع مقطورتان بحريتان الى سطح السفينة بسهولة ويسر .

ذلك الى ثلاث مجموعات .. فأر يبقى كما هو فى المعمل الذى تربى فيه وسط الفئران الاخرى ، وفأر يتم عزله فى قفص وحده ، وفأر ثالث يوضع فى غرفة معمل مملوءة باللعب والصناديق . وسجل الدكتور « ريج » نتائج التجربة التى اثبتت ان زيادة وزن مخ الفئران كبيرة السن عند تعرضها لبيئة مملوءة بالاشياء الجديدة والتجارب هى نفس الزيادة التى تتم بالنسبة للفئران صغيرة السن ، وان كانت الزيادة هذه تستلزم وقتا اكبر بالنسبة للفئران كبيرة السن . فقد لوحظ فى الفئران صغيرة السن ان اكبر زيادة فى وزن المخ تتحقق بعد مرور حوالى ٣٠ يوما ، اما فى الفئران كبيرة السن ، فأكبر زيادة فى وزن المخ تتحقق بعد مرور ٩٠ يوما .

ومن هذه التجربة الجديدة يظهر ان تأثير البيئة لا يفرق بين الصغير والكبير .

طرائف غربية



شاعر تحدى الموت !

● وليام بتلر ييتس William B. Yeats الشاعر الانجليزي الشهير (١٨٦٥ — ١٩٣٩) يروون عنه ، انه عاد يوما الى مدينة دبلن قادما من اجازة قصيرة ، امضاها في اسبانيا ، وقد حمل معه تقريرا خاصا من احد كبار اطباء القلب الاسبان الى طبيبه اوليفر جوجارتي .

وكان الشاعر الكبير يشكو من مرض القلب في شيخوخته ، فما كاد يصل الى بيته في دبلن حتى عاوده طبيبه ، فاخرج ييتس التقرير ، وسلمه اليه ، وقال وهو يبتسم : « انا اعرف ما في هذا التقرير انه حكم عليّ بالاعدام ! » .

وقرا الطبيب ، تقرير زميله الطبيب الاسباني واكفهر وجهه ! ثم ما لبث ان طلب الى الشاعر المريض ان يستلقى ليسمع باذنه ما طرا على قلبه .

وما كاد ينتهي من الكشف عليه حتى نظر اليه وقال في توسل : « لن استطيع ان اتركك وحدك في هذا البيت ، لا بد من ان احملك معي الى المستشفى .

« ستأتي السيارة في ساعة مبكرة من صباح الغد وارجو ان تكون مستعدا للذهاب معي ! » .

وقال ييتس ضاحكا : « ولماذا ننتظر الى الغد ، لماذا لا اذهب معك الآن ، الا يحتمل ان يتوقف قلبي خلال الساعات الاربع والعشرين القادمة ! » .

وخرج الطبيب ليحضر سيارة الاسعاف من المستشفى . وبعد ساعة واحدة كان يطرق باب بيت صديقه الشاعر .. ولكنه لم يجد احدا ..

لقد ترك ييتس فراشه ، وجمع كتبه واوراقه ، وترك البيت ، الى حيث لم يعرف احد المكان الذي اختاره ليقضي فيه آخر ايامه !

وفي بيت ريفي صغير في ضواحي دبلن، عاش ييتس اربع سنوات كاملة ، كتب فيها اروع اعماله ، قبل ان يودع هذه الدنيا ، كتب يقول في ديوان شعره : « القصائد الاخيرة » :

« لم اكن مستعدا للموت ، فرحل عني .
« وقلبي المريض ، عاد ينبض بقوة .
« عندما امسكت بالقلم لاصور الحياة وما فيها من جمال » .
وقد ظل القلب ينبض .
الى ان احسست ان القلم قد جف مداده .
فكان لا بد لي من الذهاب .



العالم الذى كان مرضه نعمة لا نقمة !

● جون فلامستيد John Flamsteed العالم الانجليزى الشهير (١٦٤٦ — ١٧١٩) ، الذى اسموه ابو علم الفلك الحديث، قضى معظم سنى حياته مريضا، ملازما لفراشه لا يبرحه ! ولكن مرضه لم يكن نقمة وانما كان نعمة !

سالوه يوما : « كيف استطعت ان تحول هزيمتك فى مرضك الى هذا النجاح الكبير الذى سجلته لك كتب التاريخ ؟ »

قال : « بدأت قصتى مع المرض فى صيف عام ١٦٦٠ ، وهى نفس السنة التى تصّب فيها شارل الثانى ملكا على بريطانيا ، وكنت وقتها فى الرابعة عشرة من عمرى، عندما دعانى اصدقائى للذهاب معهم للعوم فى البحر ..

« واصبت يومها بنوبة برد شديدة ، ترتب عليها بعد ذلك اصابتى بروماتيزم حاد فى المفاصل ، واشتدت وطأة المرض على ، حتى لم اعد قادرا على الحركة فتركت المدرسة ، بعد مرور عامين ، ولازمت فراشى لا ابرحه .

« ولم اكمل تعليمى ، ولكننى لم اياس، لقد كانت هوايتى قراءة كل شيء يتصل بعلم الفلك، ورحت اقرأ ، ولم امل القراءة ابدا حتى فى اشد لحظات المى ومرضى ! »

كتب هـ . ج . ولز يصف فلامستيد قال : « لقد امضى هذا الفتى كل سنى حياته منذ ان بلغ الرابعة عشرة حتى ساعة رحيله عن هذه الدنيا .. امضى كل هذه السنوات يصارع الالم والمرض .. ومع هذا مضى الشاب يقرأ ويفكر ويعمل حتى استطاع ان يتوج اعماله فى النهاية باقامة اول مرصد لبريطانيا فى جرينوتش Greenwich .

قال فلامستيد يوما بعد ان اعترفوا به عالما من ابرز علماء الفلك فى بريطانيا : « لم تكن الصحة هى التى افتقدتها فى حياتى ، ولكننى افتقدت امى ، تلك المرأة العظيمة التى لم تتح لى فرصة معرفتها .. فقد رحلت امى بعد ثلاث سنوات من وصولى الى هذا العالم ! »

درس للمؤلف الناشيء !

● روى برنارد شو Bernard Shaw فيلسوف بريطانيا الساخر ، قصة طريفة لمؤلف انجليزى ناشيء ، جاءه يوما يحمل اصول كتاب اعده للنشر ، وطلب من برنارد شو ان يكتب بقلمه مقدمة لهذا الكتاب الذى كان باكورة انتاجه الادبى .

وامسك شو بالصفحات، وراح يقلبها بين يديه ، محاولا ان يعرف مضمون الكتاب ، ويستوعب محتوياته فى اقصر وقت ممكن ، قبل ان يكتب مقدمته !

وما كاد يفعل ذلك ، حتى فوجيء الفيلسوف الكبير ، بكلماته هو تتراقص امام عينيه من بين السطور .. لقد نقل الكاتب عن برنارد شو ، نقلا حرفيا ، واستشهد بجانب كبير من اقواله فى كل ما اراد ان يقدمه لقراء كتابه « الجديد » دون ان ينسب منها شيئا لقائلها !! » ولم يلبث ان طوى برنارد شو صفحات الكتاب ، واعادها الى صاحبها، ثم امسك بقلمه، ليكتب المقدمة التى ارادها المؤلف،

قال الفيلسوف ، الساخر : « محاولة طيبة ، ولكننى اعيب على المؤلف انه نقل اقوالا سخيفة لكتاب مجهولين، ارجو ان يحالفه الحظ فى محاولته القادمة ، فينقل آراء وافكارا لكتاب كبار ، وان ينسبها لاصحابها !! » .



لمسات من...

بقلم : الدكتور زكى نجيب محمود

■ كان حديثا مشبوبا بانفعال ملتهب بينى وبين صاحبى ، قال لى فيه : انك ما تنفك داعيا الى العصر والمعاصرة ، كأنما ترانا وقد سُدَّت فى وجوهنا ابواب الحضارة ، فلَبثْنا خارج اسوارها ، لا نسمع منها الا صرير اقلامها واصداء عجلاتها ؟ ولست فى الحق أرى ما تراه اذا كان هذا هو الذى تراه ، فهاهى ذى مطابعنا تدور بالوف من الكتب والصحف والمجلات ، فنتابع خلالها ما يجرى فى انحاء العالم من شرقه الى غربه ، وها هى ذى معاهدنا وجامعاتنا تنتج العلوم وتخرج العلماء ، واذا ادرت البصر فى ارجاء بلادنا رايت يابسها وماءها وسماءها تعج بكل ضروب الاجهزة والمكنات فى البيوت وفى الشوارع وفى المصانع وحيثما وجهت البصر ، فماذا تريد ؟ لا ، بل اننا بعد ان نقلنا هذا كله من عصرنا فعاصرناه ، زدنا عليه حفاظا على الاخلاق فلم تنهدم اركانها هنا كما انهدمت هناك !

فقلت : ان اربعين سنة قضيتها فى التعليم ـ والتعليم عندى معظمه حوار سقراطى يخرج خبىء المعانى ـ قد علمتنى بدورها درسا ، هو ان الفجوة فسيحة وعميقة عميقة عند الكثرة الكاثرة من الناس ، بين فروع المعرفة واصولها ، اعنى بين سطوحها البادية واعماقها المضمرة ، او بين ما يظهر منها وما يخفى ، فقلة قليلة جدا منا نحن المثقفين ـ ودع عنك سواد الناس ـ هى التى تريد ، واذا ارادت ، تستطيع ان ترد الافكار الدائرة على اطراف الالسنة فى الاحاديث الجارية ، الى جذورها المستوردة لتطمئن الى ما بين الفكرة وجذورها من اتساق ، فانت لا تكاد تغوص مع محدثك الى ما قد غيَّبته فى حنايا الصدر من معتقدات دفينة راسخة الاسس ، حتى ينكشف لك ـ ولا اقول ينكشف له ، لأنه فى معظم الحالات يرفض أن يرى ـ كم يكون من التضاد بين ما يعلنه من الفكر وما يخفيه من المعتقد ، لا عن عمد خبيث منه ، بل عن غير وعى حتى تلفت اليه وعيه ، وهو فى اكثر الحالات ـ كما قلت ـ يغمض عينيه على اوجه التضاد حتى لا يراها فتفزعه ، ولقد شهدت بعينىَّ وسمعت باذنىَّ عشرات من « العلماء » المتخصصين فى فروع الفزياء والكيمياء وغيرهما من ضروب « العلم » باحدث معانيه ، لا يقلقهم ان يقفوا فى معاملهم وامام تجاربهم طيلة نهارهم ، حيث لا يأخذون الا بما تشهد لهم به تجربة يرونها ويسمعونها ، ان لم يكن باجهزة السمع والرؤية ، فلا اقل من ان يكون ذلك بالحواس العارية ، حتى اذا ما خلعوا عن اجسادهم معاطفهم البيض ، وخرجوا من

الفجوة عميقة بين الكثرة من الناس بين سطوح المعرفة البادية، وأعماقها المضمرة.

معاملهم الى حيث يستريحون ويسمرون ، رايتهم يديرون الحديث ــ بكل نفس مطمئنة ــ عن خوارق ، اذا صدق ما يروونه عنها،انهدمت علومهم من اساسها ، وهيهات لك أن تشير الى فجوة التضاد بين « علم » النهار و « خوارق » الليل .

رواسب القرون

فاذا سمعت الناس يحدثونك عن العصر وفكره وحضارته ، وظننت انهم قد اجروا في شرايينهم عصارة زمانهم ، فلا تنخدع ، وصابرهم على تحليل مكنوناتهم ، واغلب ظنى انك كاشف في دخائلهم رواسب قرون خلت ، برغم ما قد صبغوا بـه جلودهم من الوان القرن العشرين وزخارفه ، وساضرب لك امثلة توضح ما اريد :

احسب الا خلاف على أن فكرة « التقدم » هي من أبرز ما يميز العصر الحديث كله ، لثلاثة قرون مضين والى يومنا ، فلا اظنك مصادفا في جموع الناس احدا يرضى لنفسه ان يكون عدوا « للتقدم » في شتى جوانب الحياة العقلية والمادية، فمهما يكن مذهبه الذى يدعو اليه ، فهو يزعم لنفسه وللناس انه مذهب يعمل على تقدم الحضارة بكل فروعها والا لما دعا اليه .

الى هنا والناس على اجماع ، فلناخذ في تحليل الفكرة لنرى كم منهم يظل صامدا في دعوته الى « التقدم » : انك لكى « تتقدم » من حالة الى حالة،لا بد ان تعد الحالة الاولى متخلفة بالنسبة للحالة الثانية ، فالنقلة لا تكون تقدما الا اذا كان وراء ذلك فرض هو انها نقلة مما هو اسوأ الى ما هو افضل ، لا مما هو حسن الى ما هو حسن آخر ، فضلا عن ان تكون نقلة من الافضل الى الاسوأ ! ومعنى ذلك في عبارة صريحة هو ان « الماضي » دائما وفي كل الظروف اقل صلاحية من « الحاضر » دائما وفي كل الظروف ، ذلك ان زعمنا ان الحضارة « تتقدم » والا فقدت هذه الكلمة معناها .

وها هنا نضع اصابعنا على ركيزة اولى ، لا محيص لنا عن قبولها اذا اردنا ان نتشرب روح عصرنا ، وهى ان نزيل عن الماضي كل ما نتوهمه

له من عصمة وكمال ، فمهما تكن وسائل الماضي الثقافية والحضارية ملائمة لظروف عصرها ، فهي بالضرورة تفقد هذه الصلاحية في ظروف عصرنا ، فاذا وجدت مكابرا يدعي بانه عصري الوقفة والنظر ، ثم وجدته في الوقت نفسه يتمنى لو كرّت الايام راجعة بحيث تعود الى الناس ما كان للاسلاف من رؤية وسلوك ، فاعلم ان سطحه الفكرى مناقض لاعماقه ، وانه بعيد عن عصره بُعْدَ ما بين السطح والاعماق ! وليس يعنى هذا بترا للماضي ، كلا ، فبغير الماضي لا تكون للحاضر هويته ! وانما يعنى تطويرا له ، فالشباب لا ينسخ الطفولة نسخا ، لكنه يطورها بحيث تظل هوية الشخص الواحد قائمة ، والرجولة لا تنسخ الشباب لكنها تطوره ليكون حاضر الانسان امتدادا لماضيه ، امتدادا لا يكرر ذلك الماضي ، بل ينبثق منه كائنا جديدا ، يحمل من ماضيه بعض ملامحه ويضيف اليها بحاضره ملامح اخرى .

المبدأ والمنتهى

اذا آمنا « بالتقدم » ايمانا يجاوز نطقنا باللفظة صوتا تفوه به الشفتان ، كانت النقلة الفكرية بعيدة بعدا فسيحا ، لاننا عندئذ سنقلب الميزان ، فنجعل معيارنا هو المستقبل المرجو بعد ان كان الماضي الذى خلفناه وراء ظهورنا ، اى ان معيارنا بعدئذ لا يكون هو « المبدأ » بل « المنتهى » ، لا ما قد كان بل ما سوف يكون ، فلو سئلنا عندئذ : ماذا ترى في هذا السلوك المعين يسلكه الافراد ، او في هذا التشريع المعين تسنه الدولة ، او في هذا الوضع او ذاك من اوضاع الحضارة السائدة، لم يكن جوابنا عندئذ : انتظر حتى اقيسه الى سلوك الآباء وتشريعهم واوضاعهم الحضارية ، بل يكون الجواب : انتظر حتى احسب النتائج المترتبة على هذه الاشياء ، فاذا وجدت النتائج مزيدا من علم ومن صحة ومن حرية .. الخ ، قبلت السلوك ورضيت بالتشريع واقبلت على الاوضاع الحضارية الجديدة ، ان السؤال عندئذ لا يكون : ماذا كان بالامس ؟ بل يكون : ماذا سيكون غدا ؟

كان « للمبادىء » رهبة تدنو من التقديس ان لم تكن هى التقديس نفسه ، وكان سر الرهبة كامنا في ان مصدر المبادىء مجهول ، فازدادت بذلك الفازا يصرفنا عن تحليلها والنظر في محتواها هل يصلح مقياسا للعصر او لا يصلح ، ولذلك رأينا فلاسفة الاخلاق على طول الزمن ، من اليونان الاقدمين الى مشارف العصر الحديث ، لا يسألون انفسهم : ما حقيقتها ؟ بل يسألون : من اين جاءت ؟ وهنا اختلف الفلاسفة في ذلك مذهبا ، فقال قائل انها منبثقة من فطرة الانسان ، سواء كانت هذه الفطرة عندهم « عقلا » او « ضميرا » او ما شاء لكل منهم مذهبه ، وقال قائل آخر : بل نزلت من السماء وحيا يهدى البشر سواء السبيل ، على ان ما نزل على الناس وحيا وما انبثق من دخائلهم يتساويان آخر الامر ، كانما الشريعة السماوية عقل ظاهر ، والعقل في توجيهه شريعة باطنة، وهكذا اخذتهم الحيرة امام «المبادىء» بين ظاهر وباطن ، بين سطح واعماق ، على اختلافهم بعد ذلك في ماذا يكون السطح وماذا تكون الاعماق : أيكون على السطح رغبات واهواء ربما جمحت بصاحبها لولا أن في اعماقه عقلا يوجهها نحو ما ينبغي ان يكون ؟ (هذا هو الفيلسوف الالماني « كانْت » في القرن الثامن عشر) ، أم يكون « العقل » هو القشرة السطحية البادية واما اعماقه فوجدان صادق يوجه ويملى ؟ (وهذا هو جان جاك روسو في القرن الثامن عشر ايضا)، ترى هل يكون على السطح الظاهر مجتمع يفرض على الافراد ما اراده لهم من تقاليد ، يتقيد بها هؤلاء الافراد وكانها قيود من حديد ، واذ لا نتوقع في الخفى الباطن الا جَيَشانا وغليانا يلتمس طريقه الى الخروج في ثورات الاحتجاج حينا بعد حين ؟ (وهذا شيء قريب مما ذهب اليه ماركس)، او لعل الذى خفى عن الابصار هو تقاليد المجتمع واوامر الدولة،خفيت عن الابصار واتخذت لنفسها كيانا مطويا في حنايا النفس ونطلق عليها «الضمير»، واما الذى ظهر على السطح فهو النزوات الفردية التى تنزو باصحابها ان يفلتوا من رقابة المجتمع والدولة فما يلبثون ان يسمعوا صوت الضمير في انفسهم صارخا ومؤنبا ؟ ام هل يكون الظاهر وعيا صاحيا مدركا لكل ما فرض علينا من قيود ، يُبَطّنه اللاوعي او اللاشعور الذى اذا لم يجد لنفسه متنفسا في عالم الصحو التمسه في دنيا

النعاس والاحلام ؟ .. مذاهب اختلفت كما ترى في اى الجوانب هو ظاهر الانسان وايها هو باطنه ؟ لكنها اتفقت جميعا على افتراض ظاهر وباطن معا ، وما ذلك كله الا لانهم سلموا بمقدمة لم يجادلوها وهى ان ثمة «مبادىء» ترسم صور السلوك الامثل، فمن اين جاءت يا ترى ؟!

اجرأ خطوة

والذى يفرض قيام هذه المبادىء قبل خوض التجربة الحية ، انما يكون قد خطا بالناس اجرأ خطوة نحو صورة من صور الاستبداد السياسي ، لان المبادىء قواعد ، فاذا انت جعلتني اقدم على حياتي ونصب عيني هذه القواعد الاولية فقد حددت الاطار العام لسلوكى ، ثم ما هو الا ان يخرج على الناس مارد من هؤلاء المردة الجبابرة ، فياخذ لنفسه حق تفسير هذه القواعد ، ليضع اعناق العباد في اى شكيمة اراد ، مسدلا على وجهه قناع « المثل العليا » التى يسعى الى تحقيقها ، والويل عندئذ لمن اخذته في الامر ريبة او اجترأ على طرح سؤال على الملا ! وفيم الريبة وفيم السؤال ؟ ان « القواعد » بحكم طبيعتها ومنطقها تبرر نفسها ، خذ قواعد لعبة الكرة مثلا ، فهل يحق للاعب وهو في معمعان اللعب ان يسال : لماذا يكون خط الجزاء هنا وليس هناك ؟ ولماذا يجوز مس الكرة بالقدم ولا يجوز مسها بالاصابع ؟ لا ، انها « قواعد » اللعبة التى تقبل ابتداء ، لانه بغيرها لا يكون لعب يمكن الحكم عليه بالصواب او بالخطا ، ولذلك « فالحكَم » في لعبة الكرة هو حاكم مطلق ، وله امر ، وامره نافذ .. وهكذا قل في كل ضروب « القواعد » بما فيها قواعد الاخلاق ، فاذا نحن سلمنا بقيامها قياما مسبقا ، فقد مهدنا الطريق امام الحاكم المستبد يظهر كما ظهر الشخص الذى يريد ذلك ويستطيعه .

البيروقراطية

ومع الحاكم المستبد يظهر ما يسمونه بالبيروقراطية ، اى ذلك الضرب من الحكومة الذى يجيز ان تهبط الاوامر من اصحاب المكاتب والمناصب لتهوى على ارواح البشر وهم في ميادين نشاطهم كانها ضربات القدر ، وقد تسالني : لكن القواعد الخلقية نراها مفروضة حيث يظهر الحكم المستبد والبيروقراطية وحيث لا يظهران على السواء، فلماذا ترتب على قيامها الحالة الاولى ولا ترتب عليه الحالة الثانية ؟ والجواب هو ان الشان في هذا هو كالشان في اشياء كثيرة اخرى ، فالماء يرويك من ظما والماء يقضي عليك بالغرق فيه ، والنار تنضج لك الطعام والنار تدلع الحريق المدمر ، فكذلك القواعد ايا كانت حين يقال عنها انها مفروضة من حيث لا ندرى ، فهى اما تَصْلُحُ اداة للحاكم المستبد ، واما تتخذ اداة لحكم الشورى ، والفرق بين الحالتين هو ان الحاكم المستبد يطبق القواعد على الناس ويعفي نفسه منها ، واما الحاكم الديمقراطى فهو يطبق القواعد على الناس وعلى نفسه سواء بسواء .

من اجل هذا كله، تسود عصرنا هذا فكرة اخرى يريد اصحابها ان يحلوها محل « المبادىء » او القواعد التى كان يقال انها مفروضة علينا من حيث لا ندرى ، الا وهى فكرة « الاهداف » ، فنحن ندخل حياتنا ــ او ينبغى لنا ــ وليس في ايدينا القيد ولا في ارجلنا الاغلال ، وانما ندخلها وفي رؤوسنا « اهداف » يراد تحقيقها ، وكل سبيل نراه محققا لها ، لا رؤية « فردية » شخصية ، بل رؤية « جماعية » مشتركة ، فهو السبيل النموذجي الامثل، وواضح انه كلما تبدلت الاهداف تبدلت السبل ، وبالتالى تغيرت المثل العليا ، وها هنا فليسال من شاء ان يسال : لماذا تسلك هذا السبيل ولا تسلك ذاك ؟ لتبين له ان سبيلا منهما يؤدى الى الهدف المقصود والآخر لا يؤدى .

فكرة التقدم

انى لاخشى ان يكون هذا الاستطراد الطويل قد شتت معالم الطريق ، فلنذكر اننا اردنا ان نوضح كيف ان الناس كثيرا ما يعيشون في القرن العشرين بما يدور على السنتهم من كلمات ، اما ما وراء ذلك في بواطنهم فهم يعيشون به في القرن العاشر ! اقول القرن العاشر ؟ لماذا اظلم القرن العاشر وهو قرن الفارابى وابن سينا واخوان الصفا ؟

لماذا اظلمه وهو عصر المتنبي في الشعر وابي حيان التوحيدي في النثر الذي يعمق بالفكرة ولا يزخرف باللفظ !

ولكي اسوق مثلا يوضح ما اوردت توضيحه اخذت فكرة واحدة تصف العصر بغير حاجة الى جدال ، وهي فكرة « التقدم » ، فهي حديثة الظهور في تاريخ الفكر ، واما قبل ظهورها على مر القرون الطويلة فكان الاغلب على الناس ليس هو ان العالم يسير من نقص الى كمال ، بل انه يسير من كمال الى نقص ، يكفي تصويرا لهذا الاتجاه المضاد قصص كثيرة كانت تروى لتؤكد ان العصر الذهبي انما هو عصر مضى وهيهات له ان يعود ، اذن ففكرة « التقدم » طابع يميز فكرنا المعاصر ، وسل من شئت من الناس: هل تؤمن « بالتقدم » ؟ وكن على يقين انه سوف يجيبك بالايجاب المصحوب بدهشة على ان يكون ذلك موضعا لسؤال ، لكن امض معه بعد ذلك في تحليل الفكرة لتخرج له مكنونها ، فيعلم انه يتحتم نتيجة لقبوله هذه الفكرة ان يكف عن دعوة الحاضر الى اتخاذ الماضي نموذجا ، وان يمسك عن اقامة مثله العليا من مبادىء هبطت اليه من حيث لا يدري لتقيده دون الحركة الحرة نحو تحقيق اهدافه، فعندئذ سترى اى شخص تخاطب، سترى ذلك الذي قبل فكرة «التقدم» لنفسه حتى يكون معاصرا ، قد ثار عليك ثورة اخشى عليك من آثارها لانها يغلب ان تركب صهوة الغضب الجموح ، فصاحبنا ــ كما ترى ــ معاصر باللفظة متخلف باللباب .

وبعد ذلك فلانتقل بك الى فكرة اخرى مما يميز العصر ، لترى مرة اخرى كم من الناس حولك يقبلها بفروعها الظاهرة وجذورها الخافية معا ، وكم منهم تكفيه الفاظها على طرف اللسان ، واما ان تورطه في مضموناتها فدون ذلك خرط القتاد كما كان قدماؤنا يقولون ، واعني فكرة « التغير » في مقابل « الثبات » ، والتغير نسبي والثبات مطلق .

محور التطور

الحق انه خلال ما يقرب من قرنين من الزمان ، بادئا من اوائل القرن التاسع عشر والى يومنا الراهن ، ودنيا الفكر باسرها تدور حول محور جديد لم تألفه بهذا الاطراد وبهذا الاصرار فيما مضى ، الا وهو محور « التطور » ، والفرق بعيد بين ثقافة تقيمها على افتراض وجود الثوابت الازلية الابدية ، وثقافة اخرى تقيمها على تطور لا يلبث على حالة بعينها حتى يتحول بها الى حالة اخرى ، ولقد كان افتراض الثوابت هو مشغلة الفلاسفة جميعا منذ نشأت على وجه الارض فلسفة ، وذلك ان هؤلاء الفلاسفة ، كسائر عباد الله ، نظروا حولهم فوجدوا تيارا دافقا من ظواهر ما تنفك تتحول وتتبدل ، فالوان يتبع بعضها بعضا ، واشكال وطعوم ، وكائنات تجيء وكائنات تذهب ، وفصول تتعاقب ، ونهار بعد ليل وليل بعد نهار ، الى آخر هذا الخضم الهائل من ظواهر متغيرة ، فسألوا انفسهم : هل يمكن ان تكون هذه المتغيرات هي البداية والنهاية ، والظاهر والباطن جميعا ؟ ذلك عندهم محال ، اذن فماذا يا ترى تكون الاسس الثابتة وراء هذه التحولات ؟ واخذ الفلاسفة يجيبون ــ وما زالوا الى يوم الناس هذا يجيبون ! كل بجواب يقترح به ثابتا يراه او عددا من ثوابت بحسب ما يرى ، ثم اسموا هذه الثوابت « جوهرا » واما ما يطرأ عليها من تغيرات ظاهرة فهي « اعراض » لذلك الجوهر ، بل هم لم يتصوروا كيف يمكن ان تقول عن شيء انه تغير ، دون ان يتضمن هذا القول افتراضا بان له جانبا ثابتا هو الذي طرأ عليه ذلك التغير ، كانما هو ينضو ثوبا ويرتدي ثوبا ، اما هو فهويته ثابتة لا تتغير بما نضا وما ارتدى ، ولقد جعل ارسطو اسسا للتفكير الانساني بغيرها لا يكون تفكير على الاطلاق ، واولها ما اسماه « قانون الهوية » الذي يتصور عملية التفكير امرا محالا اذا لم يكن هنالك هوية ثابتة لكل شيء ، هي التي تدير عليها عملية التفكير هذه .

ولست اطيل ، لانها قصة شرحها يطول ، وحسبي الآن أن اقرر امام القارىء بأن الخلفية الثقافية والفكرية كانت دائما وعلى امتداد التاريخ تفترض للاشياء حقائق ثابتة ، ثم تجيء عليها موجات الظواهر المتغيرة وتنحسر لتجيء سواها ، فاذا استطعنا ان نعرّف هذه الحقائق الثابتة بما يحددها وبعيّن قوانينها كنا بذلك قد امسكنا بناصية الطبيعة كلها ، في هذه الحالة ــ وارجو

من القارىء ان يتامل ذلك على مهل لاهميته – في هذه الحالة يكون « الزمن » غير ذى شان في علمنا بحقائق الاشياء ، اذ ماذا يكون شانه اذا كان الجوهر الثابت لكائن مـا ، هو بحكم تعريفه « ثابت » على حالة واحدة ، فكان ماضيه كحاضره وكما سوف يكون في مستقبله ؟ ماذا يكون شانه لو عمّر الف عام او الف الف او آلاف الملايين ؟ انه « ثابت » على جوهر واحد ، ولا يتغير عليه الا ما يطرأ من ظواهر ، والظواهر ليست بذات موضوع في ادراكنا للحق كما هو قائم من ازله الى ابده .. او هكذا كانوا يقولون ، ولذلك كانوا يؤمنون بان لمحة واحدة تدرك بها ادراكا صحيحا لما هو قائم في هذه اللحظة الحاضرة من مجرى الزمن ، كفيلة لك – اذا احسنت الاستدلال – ان تكر بها راجعا الى الماضي كله ، وتجرى بها قدما الى المستقبل كله ، فتعرف منها وحدها – عن طريق الاستدلال – كل ما مضى وكل ما هو آت ! ولم لا وامتداد الزمن طال او قصر لا يغير من حقيقة الامر شيئا ؟

التغير مكان الثبات

هكذا كانت الحال حتى جاء عصرنا بتصور جديد وضع « التغير » مكان الثبات ، وجعل « التطور » اساسا وحيدا تفسّر على ضوئه الاشياء،ولا يكون تباين بين شيئين اشد من التباين بين ثقافتين ، احداهما تجعل سكونية الثبات والدوام اساسها، واخرى تجعل دينامية الحركة والتطور اساسا لها، ومصدر التباين بينهما كامن في فكرة كل منهما عن حقيقة « الزمن » : اهو خط اشبه بالخطالهندسي ليس بين اى جزءين متساويين من اجزائه فـرق جوهرى ، اذ لا فرق بين طول مقداره سنتيمتر في اول الخط وطول آخر بنفس المقدار في آخر الخط ، اى ان الطول نفسه لا يدل بذاته ان كان قد تقدم في ترتيبه من التعاقب او تاخر ، وهكذا قل" في « الزمن » على ضوء هذه الفكرة : فاذا كان القرن طوله مائة عام مما نعرف ، فلا فرق في الجوهر بين قرن زمنى جاء في قديم وآخر جاء في حديث ، ام ان الزمن طبيعته ليست هندسية رياضية على هذا النحو ، لكنهـا اقـرب شبها بمخروط يتسع كلما استطال ، وفي هذه الحالة يكون الفرق كل الفرق بين طولين متساويين تاخذهما من موضعين مختلفين ، لان احدهما سيكون اغنى حصيلة من الآخر ، واوسع افقا .

هذا التصور المخروطى للزمن انما يكون اذا ما تصورنا العالم متطورا ناميا ، فهو الآن اغزر حياة منه في اى عهد مضى ، وسوف يكون في مقبل الزمن اغزر حياة مما هو الآن ، هذه واحدة ، والاخرى هى ان الفكرة القديمة كانت تلازمها فكرة اخرى ، هى ان الاشياء لا تتحرك بدفعة داخلية فيها ، ولذلك فهى تحتاج دائما الى محرك خارجى يحركها كيف شاء ، واما الفكرة التطورية بمعناها السائد في عصرنا (هى ليست بهذا المعنى عند دارون) فيلازمها ايضا فكرة اخرى ، وهى ان العالم مدفوع متحرك من ذاته ، كالكائن الحى حين ينمو بحركة ذاتية منبثقة من طبيعته ، ولك" على ضوء هذا القول ان تراجع فلاسفة التطور المعاصرين من امثال برجسون ومورجان والكسندر وهوايتهد و"مـن" شئت ، لترى كيف انعكست هذه الفكرة الجديدة في فلسفاتهم ، واذن فانت مساير لعصرك ظاهرا وباطنـا ، اذا وجدت نفسك على استعداد كامل لقبول هذا التصور بكل ما يقتضيه من نتائج ، واقل ما يقتضيه هو استحالة ان يكون المـاضي اكثـر رشدا من الحاضر واخصب فكـرا واهدى سبيلا ، اما اذا وجدت نتيجة كهذه لقمة عسرة الهضم في معدتك ، لا تميل الى الاخذ بها وانت مطمئن ، فلك الخيار ، ولكن اعلم في يقين انك معاصر باللفظة وحدها ، عتيق اذا قيس امرك بمضمونها وفحواها .

الانتماء الى العصر

لعل موضوع الحديث لم يغب عن ابصارنا ، فنحن نزعم منذ بدايته ان الناس كثيرا ما يظنون بانفسهم المعاصرَة مخدوعين بما يحيط بهم من ادوات هى من نتاج العصر ، حتى اذا ما حللنا مواقفهم الفكرية ، لا من حيث ما « يقولونه » باللفظ عن انفسهم ، بل من حيث ما تكشف عنه في خفايا نفوسهم ، وجدناهم لا ينتمون الى هذا العصر الا باوهن الاسباب ، واخذنا نضرب الامثلة ، فمن خصائص هذا العصر ايمانه بالتقدم ، وما اهون

ان يصف الناس انفسهم بانهم من اخلص المناصرين للتقدم ، فاذا ما بينت لهم على اى النتائج تنطوى هذه الفكرة جزعوا وانكروا ، ثم انتقلنا الى مثل آخر يتصل بأسس الاخلاق ، فهل تقاس افضلية الفعل الى مبدأ توارثناه جيلا بعد جيل على انه النموذج الاسمى ، او تقاس تلك الافضلية الى هدف يتحقق او لا يتحقق دون ان نكبل انفسنا بافكار مسبقة ، ها هنا ايضا قد تجد من الناس من يظنون بأنفسهم عصرية الروح ، حتى اذا ما واجهناهم بهذه النسبية الاخلاقية التى هى من معالم العصر ، اخذهم الفزع مما يسمعون ، وبعدئذ عرضنا مثلا ثالثا ، هو الانتقال من تصور الثبات المطلق لحقائق العالم الى تصور التغير والتطور الذى يجعل كل حقيقة امرا نسبيا مرحليا ، ينتسب الى ما يؤدى اليه ، واوضحنا للقارىء بعض ما يترتب على هذه النظرة من رؤى عند مقارنة الماضي بالحاضر على وجه الخصوص ، وخيل الينا ان هذا القارىء ربما أبت نفسه قبول هذه الرؤى . امثلة تبين كلها كم منا لا يصلح لعصره بحكم تكوينه الفكرى ، مهما زعم انه متجدد متطور مساير لحركة الزمن .

معرفة الانسان لنفسه

ولنضرب مثلا رابعا واخيرا ، هو تصور «الفردية» التى نود ان تتميز بها اشخاصنا واوطاننا ، فقد كانت الفكرة القديمة عن هذه الفردية انها «ذات» مستقلة قائمة برأسها حتى ولو لم يكن في الدنيا سواها ، وانك لترى هذا التصور منعكسا في الفلسفة قديمها ووسيطها وحديثها على السواء (ولم اذكر المعاصرة منها لانها تختلف) ، فهذا هو سقراط يطالب الانسان ان يعرف « نفسه » على ظن منه ان هذه المعرفة فيها مفتاح معرفته لسائر الاشياء ، وذلك لانك اذا امعنت النظر في نفسك حتى عرفتها ، عرفت بالتالى طرائقها في الادراك ، ومتى تظفر بالصواب وكيف تزل في الخطأ ، ومعرفة الانسان لنفسه على هذا النحو لا تشترط ان يكون الى جواره ناس آخرون ، فهو وحده ـ كالجزيرة المعزولة ـ يمكن ان يستبطن ذاته من داخل فيعلم ما يريد ان يعلمه ، وذهب الزمان وجاء ديكارت بقولته المعروفة « انا افكر ، فانا ـ اذن ـ موجود » ، اكتفى بان ينظر الى دخيلة نفسه ليرى « الانا » وهى تفكر ، فجعل ذلك برهانا على وجوده ، بل جعله اساسا لكل برهان سواه ، ثم تبعه في ذلك ليبنتز الذى افاض القول في ان الذات الانسانية ـ بل كل ذات مهما كان نوعها ـ هى كالذرة المصمتة التى ليس لها نوافذ تطل منها على سواها ، فهى في حقيقتها اقرب الى شريط ملتف على نفسه ، وما حياة الكائن الحى بعد ذلك الا ان ينبسط هذا الشريط شيئا فشيئا حتى ينتهى ، واذا خيل الينا ان افراد الناس يتبادلون الآراء وغيرها ، مما قد يدل على ان بينهم صلات لا تكون الا اذا كانت لديهم الوسائل التى يطلون منها بعضهم على بعض ، انبأنا ليبنتز هذا بان ذلك وهم ، فما التوافق الذى تراه بين فردين او اكثر الا كالساعات المضبوطة كلها تدل على الزمن الصحيح دون ان يكون بينها « تفاهم » ولا اتفاق بالتبادل .

صورة من فردية الفرد كان يسهل على الناس قبولها ، وقد ظهرت في صور ادبية او فكرية كثيرة ، فانظر ـ مثلا ـ الى قصة روبنسن كروسو وهو في فرديته على الجزيرة المعزولة ، وانظر في تراثنا الفكرى العربى الى ما تصوره ابن باجة في « تدبير المتوحد » او الى ما تصوره ابن طفيل في « حى بن يقظان » ، تجد تصويرا للفردية المستقلة بذاتها ، بغض النظر عمن يحيط بها من آخرين ، واتسعت فكرة الفردية هذه بعض الشيء لتشمل فكرة الانسان عن قومه او امته ، فكأنما هذا « القوم » او هذه « الامة » فرد ضخم متعدد الاعضاء ، لكنه متميز كل التميز عن سائر الاقوام وسائر الامم .

تعديل اساسى لفردية الانسان

وجاء العصر الراهن بتعديل اساسى في هذا التصور لفردية الانسان ، وهو تصور انعكس بدوره في الفلسفة وفي الادب بل وفي مذاهب السياسة نفسها ، وخلاصته ان الفردية القديمة ضرب من المحال ، « فالانا » لا وجود لها بغير « الانت » اعنى انك لكى تكون على علم بنفسك ، لا مناص لك من مخاطبة سواك ، فلئن قال سقراط « اعرف نفسك » فقد جاء عصرنا ليضيف الى النفس سواها

حتى يمكنها ان تعرف ، فكان الاصوب ان يقال : « اعرف نفسك عن طريق معرفتك لسواك » ، واذا كان ديكارت يقول : « انا افكر فانا موجود » فقد قال له الفلاسفة المعاصرون (مثل هوسرل) تفكر في ماذا ؟ فلا فكر الا فيما عداه ، وبالتالى فلا « انا » الا بسواها .

وَسِّعْ هذا المعنى يكن لك اتجاه عصرنا في التصور « الجماعي » للفرد ، فالفرد « عضو » لا مجرد فرد قائم بذاته ، انه عضو ينتمي حتما الى جماعات مهما يكن نوعها ، وبغير هذا الانتماء الضرورى يفقد ذاته ويتيه في ضياع ، ولذلك لم يعد انتماء الفرد الى وطنه او الى امته امرا عرضيا له ان يختاره وله أن يرفضه ، بل هو في صميم الصميم من وجوده،اذا تنكر له تنكر لحياته نفسها ، وحتى اذا أصرّ على رفضه الانتماء لامته ، فعليه ان يبحث له عن مجموعة اخرى ينتمى اليها ، حتى وان كانت مجموعة غير متجمعة فيمكان واحد ، كأن ينتمى الى العلماء اذا كان صاحب علم ، او الى رجال الفن اذا كان منهم ، او الى العمال اذا كان عاملا او الى الشباب اذا كان في مرحلة الشباب . وهكذا .

وهذهالفردية الجماعية ـ اذا صح هذا التعبير ـ ما تزال توسع من حلقاتها ، حتى لتراها توشك ان تجمع الانسانية كلها في مجموعة واحدة ، فانا « مصرى » انتمى الى بنى وطنى ، ولكن هذا الوطن المصرى يظل قلق الوجود ما لم يدخل في دائرة اعم كالوطن العربى الكبير ، وبهذا اصبح مصريا عربيا ، وسرعان ما ترى الدائرة العربية ان وجودها يتطلب انتماء اوسع ، فلا عجب ان نشهد العالم متكتلا في احلاف تجمع اجزاءه على اساس الاهداف المشتركة ، والامل هو ان يجيء اليوم الذى يشعر الناس فيه بايمان صادق ـ لا بمجرد ترديد اللفظ على طرف اللسان ـ ان هذا الانتماء الضرورى الحتمى لن تكتمل دائرته الا اذا اصبحت الارض وطنا واحدا يسكنه مواطنوه الذين هم بنو الانسان ، وهيئة الامم المتحدة بداية متعثرة نحو هذه الغاية القصوى، لكن الطريق قد يستقيم لها بعد حين ـ ذلك هو عصرنا ، فاذا احسست في نفسك نفورا من ان تدمج نفسك مع سواك في وحدة تربطكما معا في وجود واحد ، كنت غريبا في عصرك بمقدار ما عندك من نفور .

اساس جديد لبناء فكرى جديد

لست اشك لحظة واحدة في ان اساسا عميقا لبناء الفكر القديم بشتى ظواهره قد تشقق بحيث اصبح البناء كله منهارا او على وشك الانهيار ، ليخل محله اساس جديد يقام عليه بناء فكرى اخر ، فبعد ان كانت فكرة « الجوهر » ـ بمعناها الفلسفى ـ هى المحور الرئيسي للتفكير ، ويقصد « بالجوهر » النواة التى تلتف حولها خيوط الظاهرة المعينة دون ان تنكشف هى لاى ضرب من ضروب الادراك الحسي ، وانما يُفرض وجودها لاستحالة تعليل الظواهر الا بها ، اقول بعد ان كانت فكرة « الجوهر » هى محور التفكير ، رأينا اليوم انه لم يعد لافتراض وجودها ضرورة ، اذ استطعنا اننفسر الظواهر جميعا بغير حاجة اليها، كنا لا نتصور ظواهر الانسان ـ مثلا ـ الا معلقة على مشجب داخلي غير منظور ، هو « الجوهر » ، وهو الذى نطلق عليه اسم العقل او النفس او ما له هذا المعنى من الاسماء ، فاصبحنا اليوم نفهم هذه الظواهر على صورة اخرى ، وهى انها مجموعة متلاحقة من احداث يرتبط بعضها ببعض بضروب من « العلاقات » حتى لا تتوهم انها قد اصبحت ـ لتماسكها ـ ذات هوية واحدة ، على حين انها في حقيقتها مجموعة احداث يتكون منها قطعة من تاريخ ، وعلى هذا الاساس نفسه نفهم اليوم كل شيء ، فمثلا ، ليست مدينة « القاهرة » شيئا محددا له ثبات ودوام ، بل هى افراد واحداث تموج مع زيادة او نقص ، ويتصل بعضها ببعض على نحو يوحى بأن تلك المجموعة متماسكة في شيء واحد معين ، على حين ان شأنها اقرب الى خلية النحل ، فيها مفردات وحركة ، لكنها تتشكل في مجوعة ذات اطار تقريبى يحقق لها نوعا من الهوية ، وعلى هذا القرار نفسه تستطيع ان تفهم الاشياء جميعا ، من الذرة الصغيرة الىالمجرة الفلكية ، ومثل هذا الفهم الجديد ينتهى بنا الى نتائج بعيدة المدى ، لان اهمية « الكيانات » المعينة ـ اشخاصا واشياء واممـا واوطانـا وغيرها ـ ستنتقل الى « العلاقات » التى تربط مجموعة من الاطراف ، ومن ثم جاءت صورة « الفردية الجماعية » التى اشرنا اليها ، وجاءت ايضا فكرة التغير الذى لا يجعل امرا واحدا يستقر على وضع واحد الا ريثما يتحول الى وضع جديد .

هذه الانتقالة البعيدة من رؤية الدنيا على انها « أشياء » و « كائنات » الى رؤيتها على انها « علاقات » ، قد نقلت منطق الفكر نفسه من اقامة التدليل والبرهان على اساس الادراك الكيفي للانواع والاجناس ، الى اقامة ذلك التدليل والبرهان على اساس رياضي بحت ، مما اخرج لنا ما يسمونه اليوم بالمنطق الرياضي الذى جاء ليحل محل المنطق الارسطى القديم ، كان ارسطو ـ مثلا ـ يكفيه دقة في العبارة ان يقال : « كل انسان فان » ، كانما « الانسانية » و « الفناء » امران ندركهما بالبصر المباشر ، مع ان كل فكرة من هاتين الفكرتين قوامها مجموعة ضخمة من التفصيلات التى يتركب بعضها على بعض بعلاقات تخضع لدقة الحساب ، والا لظل معناها مرنا غامضا يختلف فيه المدركون كل على حسب خبرته وثقافته ، اما اليوم فدقة الادراك العلمى تقتضينا الا نقبل الفاظا عائمة المعانى كهذه ، بل نحللها الى الذرات الفكرية الصغيرة البسيطة التى تدخل في تكوينها ، ونصوغ هذه الذرات الفكرية في دالة رياضية تضبط لنا روابطها الداخلية التى بررت ان نعدها تصورا ذهنيا واحدا ، وان تحليلا كهذا قمين ان يغوص بنا في تشكيلات من رموز ، يبدو للوهلة الاولى انها عقدت علينا ما كان بسيطا ، مع انها في الحقيقة حولت لنا ما كان غامضا الى صيغة رياضية دقيقة ، والحق انه تحولا يسيغه من ألِفَ قبول المعانى المبهمة ، حتى لقد وجدت هذه النزعة الفلسفية التحليلية الجديدة معارضة اشد المعارضة وسخرية امر السخرية عندما ادخلها الى الفكر العربى لاول مرة العبد الفقير لله كاتب هذه السطور ، وممن كانت المعارضة وكانت السخرية ؟ من اساتذة الفلسفة في الجامعات العربية انفسهم ، حتى لقد كتبوا يعارضون ويسخرون ، والله وحده عليم بمقدار ما علموه من هذا الاتجاه الفلسفى المعاصر ، وهل يكفى لابداء الرأى فيه او لا يكفى .

قشرة على السطح نقلناها

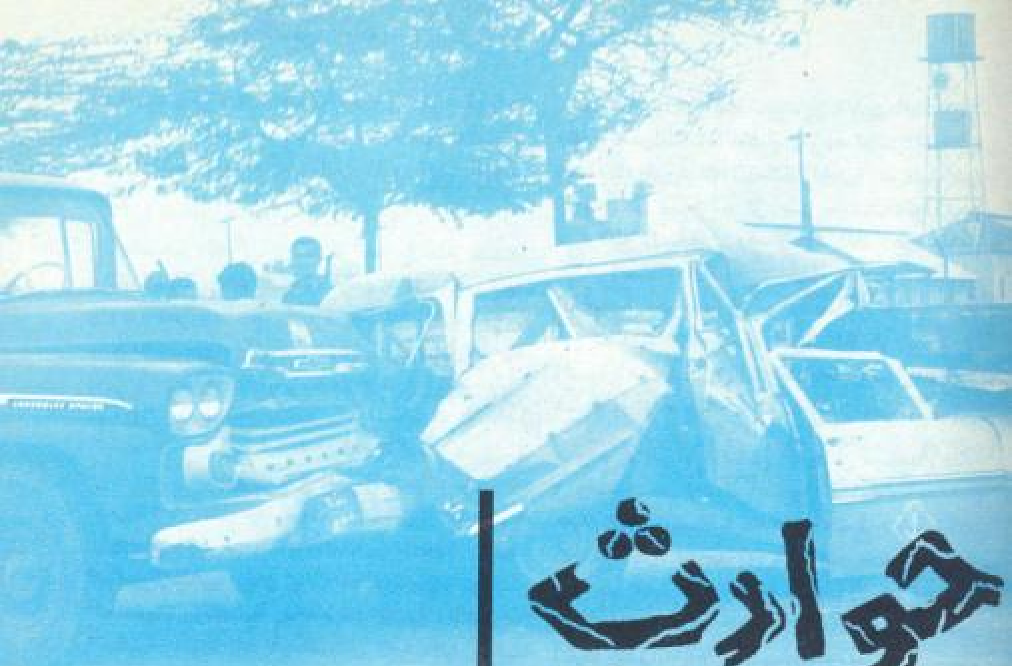
اما بعد ، فلنعد الى ما بدانا به حديثنا : لقد عجب صاحبى الذى كنت احدثه كيف اشكك في مسايرتنا لروح عصرنا ، ودنيانا قد امتلأت بعلوم العصر واجهزته ومكناته ، فاجبته بان ذلك كله قشرة على السطح نقلناها ، ولم تمس منا اللباب ، وبيّنتُ له على مدار الحديث ، بامثلة كثيرة اوردتها ، كيف يحدث غالبا الا يكون عند الانسان من الفكرة المعينة الا اسمها ، فيقبل الاسم ويظن انه قد قبل كذلك معناه بكل ابعاده ولواحقه ، حتى اذا ما تكشفت له تلك الابعاد واللواحق اخذه الفزع والنفور .

وليس لاحد سلطان على احد في ان يساير العصر او ان يتنكر له ، لكن الذى ليس من حقك ولا من حقى ، هو ان ندعى الانتماء للعصر بفكره وثقافته عندما تكون في حقيقتك منطويا على ما يناقضه ، فاحد امرين : اما ان تعتد بما في دخيلة نفسك فتمحو ما يبدو على ظاهرك ، واما ان تعتد بما هو ظاهر في لفظك فتقبر ما قد ترسب في طويتك من رواسب الماضي ، اما ان تعاصر زمانك بظاهر اللفظ وتعارضه بباطن الايمان ، فذلك موقف اقل ما يقال فيه انه غموض في الرؤية او هو نفاق ثقافي لا نرضاه . ■■

زكى نجيب محمود

في المناظـــرة

● اجتمع متكلمان فقال احدهما : هل لك فى المناظرة ؟ فقال على شرائط ، ان لا تغضب ، ولا تعجب ولا تشغب ، ولا تحكم ، ولا تقبل على غيرى وانا اكلمك ، ولا تجعل الدعوى دليلا ، ولا تجوّز لنفسك تاويل آية على مذهبك الا جوزت الىّ تاويل مثلها على مذهبى ، وعلى ان تؤثر التصادق وتنقاد للتعارف ، وعلى أن كلا منا يبنى مناظرته على ان الحق ضالته والرشد غايته .



حوادث الطرق

وباء القرن العشرين

بقلم : الدكتور ملاك جرجس

■ يلقى مائة الف شخص مصرعهم فى حوادث الطرق فى جميع انحاء العالم كل عام ، يقابل كل قتيل منهم عدد من المصابين بجروح خطرة يتراوح بين ١٠ ، ١٥ شخصا ، وعدد من المصابين بجروح طفيفة يتراوح بين ٣٢ ، ٤٠ شخصا .

وقد جاءت هذه الاحصائية في تقرير نشرته هيئة الصحة العالمية التابعة للامم المتحدة وقالت فيه انه رغم هذه الارقام الضخمة فان حملات سلامة الطرق لا تزال تجرى على اساس غير منظم ، وانه ينبغى القيام بحملات فعالة ، الامر الذى يتطلب معرفة افضل للاسباب غير المباشرة لحوادث الطرق.

وقد ذكر التقرير انه اذا عولجت حوادث الطرق على انها « وباء » فان الحقائق العلمية المطلوب معرفتها للسيطرة على هذا « المرض » والحيلولة دون الاصابة به تماثل المعلومات التى يتطلبها القضاء على وباء « السل » او السرطان او مرض « القلب » واكد تقرير هيئة الصحة العالمية ان الوفيات نتيجة لحوادث الطرق في الدول التى بها نسبة عالية من السيارات تفوق الوفيات نتيجة لكل الامراض المعدية مجتمعة في هذه الدول .

ومن اهم الحقائق التى احتواها التقرير الذى وضع بعد حلقة دراسة خاصة لبحث هذا الموضوع ان حوادث الطرق نادرا ما تكون مجرد حوادث عرضية . اى انها في الحقيقة لا تكون راجعة عادة الى الصدفة البحتة ، وانما الى سلسلة من العوامل التى تكشف عنها التقارير والاحصاءات

الرسمية . والمشكلة الاساسية التى تهم السلطات لا تخرج عن ايجاد سبب طبى للوفاة او الاصابة والتاكد مما اذا كانت قوانين المرور قد انتهكت ام لا .

ويضيف التقرير ان هناك عدة اسئلة فنية هامة تتعلق بحالة السيارة وجهاز التوجيه فيها وآلات الجر والدفع والمحرك واسئلة فنية اخرى تتعلق بمدى الرؤية في مكان وقوع الحادث والاحوال الجوية والاضاءة وعرض الطريق ومنسوبة الى غير ذلك من الاسباب الفنية .

العامل الانساني

واعطى التقرير في الوقت نفسه اهمية خاصة للعامل الانساني ومدى كون السائق يتمتع بالقدرات الجسمية والنفسية والعقلية اللازمة للقيادة السليمة ، وما اذا كان السائق قد تعاطى عقاقير مخدرة ، او كان يعاني من الاكتئاب او انه يعاني من ميول انتحارية او ميول اجرامية تدفعه لا شعوريا للقتل والاعتداء بالوقوع في حوادث .

والواقع ان حوادث الطرق تأتي في المرتبة الثالثة بين الاوبئة التى تجتاح حياة الجنس البشرى ، ففى الوقت الذى يسير فيه الطب بخطى واسعة في طريق شفاء الامراض المستعصية تزداد الحوادث زيادة خطرة مما حدا بالمسئولين في منظمة الصحة العالمية ان يخصصوا عام ١٩٦١ ليبدأ فيه على المستوى العالمى حملة توعية ضد الحوادث والتعريف بوسائل الاقلال منها .

وتحتل الآن حوادث السيارات في العالم كله الصدارة بين الحوادث بانواعها المختلفة اذ يموت في العالم كل تسعين ثانية رجل او امراة او طفل او يصابون بجروح بالغة تفضي الى الموت نتيجة لحوادث الطرق ، وهؤلاء الضحايا الذين يسقطون كل يوم صرعى انما يمثلون ثلث مجموع قتلى الحوادث الطارئة كافة .

مسئولية سائق السيارة

ورغم ان الحديث في كل بلاد العالم لا ينقطع عن حوادث المرور التى تزداد على وتيرة مطردة فان اغلب المشرفين على قطاع النقل العام وعلى المرور لا يدركون العوامل العديدة المؤدية الى الموت نتيجة لاكثر الحوادث شيوعا في القرن العشرين . وتلقى الدراسات العلمية والاحصاءات التحليلية التبعة الاولى لهذه المشكلة الخطرة على السائقين، اذ تبين ان تسعا من كل عشر حوادث تقع نتيجة ما يرتكبه السائق . وقد رددت ذلك اخيرا تقارير هيئة الصحة العالمية ، هذا ولو ان الاسباب الحقيقية لحوادث المرور تنحصر في عوامل ثلاثة هى : السائق والسيارات والطريق ، الا ان السائق هو العامل الاكثر شيوعا وعليه يقع اكبر قسط من المسئولية .

وقد ساهم علم النفس الصناعي مساهمة فعالة في وضع اسس اختيار اصلح السائقين وبذلك ادى خدمة كبيرة للانسانية عامة وللمجتمع خاصة ، ذلك المجتمع الذى لم يعد اى عامل فيه يصلح لاى عمل ولم يعد العمل فيه وسيلة لكسب الرزق فحسب، بل اصبح اختيار العامل لمهنة ما اساسه ميول الفرد وقدراته العقلية والنفسية وسمات شخصيته، كما اصبحت الكفاية الانتاجية للعمال عامة تتوقف على اختيار انسب العمال لانسب الاعمال التى يصلحون لها وتعتمد لدرجة كبيرة على التدريب لاداء العمل بطريقة سليمة آمنة واقتصادية في نفس الوقت، كما ان العمل اصبح وسيلة للرزق ولارضاء حاجات ودوافع نفسية لدى الفرد كالحاجة الى الشعور بالامن والطمانينة والحاجة الى التقدير الى غير ذلك من الدوافع والحاجات الانسانية .

الناحية النفسية وواجبات القيادة

ولا يتحقق اختيار اصلح الافراد للعمل كسائقين الا اذا انتقوا على اساس تحليل عمل السائق من نواح عديدة وخصوصا الناحية النفسية التى تتفق وواجبات القيادة وحركاتها الاساسية ثم من الناحية السيكولوجية التى تتلخص في القدرات والاستعدادات البدنية والنفسية والسمات الشخصية الفردية للعمل كسائقين ، وعلى هذا الاساس تتم دراسة شاملة للافراد المتقدمين للعمل كسائقين فتفحص قدراتهم الجسمية والحسية والحركية واستعداداتهم العقلية والنفسية وفي ضوء هذا التحليل تتم عملية اختيار اصلح الافراد، وفيما يلى ملخص للقدرات التى يجب توافرها في الفرد قبل ان يسمح له بالتدريب للعمل كسائق في ميدان النقل العام او بقيادة سيارة ما .

١ ـ ان يكون ذكاؤه في حدود المتوسط على الاقل ـ (الذكاء حتى ولو كان عاليا لدرجة كبيرة لا يكفى وحده بدون العوامل الاخرى للنجاح في مهنة قيادة السيارات) .

٢ ـ ان يكون على درجة معقولة من التكييف النفسي واتزان الشخصية .

٣ ـ ان يكون كليا Wholistic في نظرته للمواقف وليس (جزئيا) Atomistic ، وان يكون مدى ابصاره العملى في حدود معينة بحيث يتمكن من ان يلمح ما يدور عن يمينه وعن يساره دون الانقطاع عن رؤية ما يحدث امامه .

٤ ـ ان يكون قادرا على تقدير السرعات والمسافات بالنظر .

٥ ـ ان تكون استجابته سريعة ومتناغمة .

٦ ـ الا يكون مصابا بعمى الالوان وان يكون جيد الابصار عند انخفاض الضوء وقت الغسق وفي الليل .

٧ ـ ان يكون قادرا على مقاومة الزغللة في حدود معينة وان يستعيد تكييفه البصرى بسرعة.

٨ ـ ان يتمتع بقوة عضلية معينة ، وان يكون قادرا على تحمل التعب وبذل المجهود الذى تتطلبه قيادة السيارات خصوصا سائق النقل العام وبحيث لا يصاب بسرعة بالتعب النفسى الحركى .

٩ ـ ان يمكنه التحكم في حركات اليدين والقدمين بحيث لا تتبع اليد الواحدة او القدم الواحدة ، اليد او القدم الاخرى حركتها .

١٠ ـ يحسن ان تكون له سابق خبرة بالقيادة وميكانيكة السيارات .

فترة التدريب

وتقدر فترة التدريب التى يجب ان يقضيها العامل للتاهيل لقيادة سيارات النقل العام من شهر الى ثلاثة شهور وفقا لدرجة درايته السابقة بالقيادة ويجب ان يجتاز في نهاية التدريب امتحانا عناصره هى القدرة على استخدام الضوابط بنجاح ، والقدرة على المناورة في الطريق بسهولة، والقدرة على القيادة في الطرق المفتوحة والطرق المزدوجة داخل المدينة ، والقدرة على اتباع تعليمات المرور .

وقد لجات بعض الهيئات التى تعمل في ميدان النقل العام باحدى الدول العربية الى انشاء مراكز تدريب لنقص عدد السائقين الصالحين بسوق العمالة ولاتساع نطاق العمل في ميدان النقل العام ، وقد حسبت التكاليف المباشرة لتدريب الفرد الواحد فتبين انها توازى مائة وعشرين دينارا في المتوسط ، ونظرا لان مراكز التدريب هذه بدات في تدريب العمال بدون اختيار على اساس نفسي،فان عددا كبيرا ممن دربوا ثبت بعد التدريب عدم صلاحيتهم وقد بلغ في بعض الاحيان ٧٠٪ من مجموع المدربين وذلك لعدم توافر القدرات اللازمة فيهم او لاضطرابهم نفسيا وعقليا او لضعف ثقتهم بانفسهم اثناء القيادة . او لانهم من المستهدفين للحوادث ، يهوون السرعة من غير تقدير للمواقف، الى غير ذلك مما يشكل خطرا على الركاب والمارة وعلى السيارة مما اضطر هذه الهيئات الى عدم تسليمهم العمل على خطوطها او سحبهم من العمل بعد فترةوجيزةمن استلامه ـ وكان في ذلك خسارة مادية كبيرة ، تمثلت في مصاريف التدريب وفي تكاليف الحوادث التى ارتكبها هؤلاء العمال في السيارات التى تلفت بسبب الحوادث .

بعض اسباب الفشل

وفيما يلى بعض امثلة لسائقين بعد التمرين ممن لم يتم انتقاؤهم على اسس سيكولوجية .

ـ السائق ج.ع ٢٤ سنة اعزب اتم تدريبهونجح في الاختبار النهائى ولكن سحب بعد ايام من تسلمه العمل وذلك لان قلم المرور رفض اعطاءه رخصةقيادة لرسوبه في القدرة على تمييز الالوان (عمى الالوان في معظم الاحوال لا ينتظر ان يتحسن او يشفى) .

ـ السائق ت.ج ٢٧ سنة متزوج وكان اثناء التدريب يعد من احسن العمال خلقا وطاعة ولكن اثناء التمرين في الطرق المفتوحة ، كان يصاب بعجز كلى عن النطق ويضطر للذهاب الى المستشفى للعلاج ، والذى يتلخص في حقنه بحقنة من الكحول فيصرخ من الالام ويتكلم ، وهذه الحالة نفسية مرضية ، وهى حالة هيستيريا .

ـ السائق أ.ح ٢٦ سنة اعزب ، رفض في الاختبار النهائى ، لانه رغم التدريب الطويل

والنصح المتكرر كان دائما مندفعا اثناء القيادة لا يأبه بالمارة ، سريع الاضطراب عند المفاجآت وقد دلت نتيجة الفحص النفسي انه يعاني من حالة شعور بالعظمة . اعراضها الثقة الزائدة بالنفس والشك الشديد والشعور بالاضطهاد . وكان اثناء اختباره يعرض الراكبين معه من اعضاء لجنة الامتحان للخطر فاضطرت اللجنة الى ايقافه وفصله بعد ان قضى في التمرين ثلاثة شهور .

ـ السائق م.ع اتم تدريبه واثناء الاختبار الاول تبين انه عديم الاكتراث بادب القيادة بالطرق الرئيسية ، غير ملم بقواعد المرور والاشارات غير قادر على القيادة الصحيحة واستعمال الضوابط خصوصا في مداخل الميادين وقد كان ذلك طول مدة التمرين ، وقد دل الفحص النفسي ان ذكاءه اقل من المتوسط .

ـ السائق م.م.ج ثبت في نهاية تمرينه انه متراخ لا يستعمل الضوابط بسرعة ويحتاج لوقت وجهد كبيرين قبل ايقاف السيارة عند ظهور مفاجآت في الطريق ، وقد اثبت الفحص النفسي انه بطيء الاستجابة وانه يعاني من حالة قلق نفسي من اعراضها السرحان واحلام اليقظة والخوف الشديد وعدم الثقة في النفس .

ـ السائق ع.س ٢٧ سنة مطلق لم تتم اربعون يوما من تسلمه العمل بعد انتهاء فترة تدربه الا وكان قد ارتكب عدة حوادث كان اهمها اصطدامه في سيارة اخرى وتحطيمها والانحراف بسيارة الاوتوبيس بمن فيها من ركابه ثم الاصطدام في سور شاطىء البحر ولولا السور لاندفعت السيارة بمن فيها في البحر وقد اصيب في هذا الحادث ثلاثة مواطنين بالاضافة الى السائق نفسه والمحصل وقد نقلوا جميعا للمستشفى . وقد هشمت سيارة الاوتوبيس وحدثت بها تلفيات جسيمة ، ودل فحص هذا السائق على انه اقل من المتوسط في الذكاء ولذلك فانه لا يقدر النتائج ولا يمكنه التصرف بحكمة في المواقف ـ وقد تقرر فورا عدم تشغيله كسائق مطلقا .

عوامل جسمية وعوامل نفسية

هذه الامثلة معدودة من حالات كثيرة للاستشهاد بها على خطورة تمرين العمال لقيادة السيارات من غير فحصهم نفسيا والتأكد من تمتعهم بالقدرات الخاصة ونسبة الذكاء ودرجة تكيف الشخصية المطلوبة في السائق لتفادي الخسارة المادية التي تتمثل في تكاليف التدريب وفي نتائج الحوادث التي يرتكبها السائق غير السوي .

وفي الواقع ان العوامل الشخصية هي من اهم العوامل التي يتسبب عنها الحوادث الصناعية عامة وحوادث قيادة السيارات خاصة ، وهذه العوامل ترجع الى الشخص نفسه وتنقسم الى قسمين الاول عوامل جسمية او بيولوجية ، كضعف الصحة العامة او ضعف حاسة من الحواس الخ ، والثاني عوامل نفسية او عقلية كالاندفاع « والنرفزة » والاكتئاب والملل وعدم الاكتراث او قصور الذكاء او اضطراب الشخصية .

فقد امكن علميا اثبات ان العوامل النفسية والعقلية اهم بكثير من العوامل الجسمية اذ ان العوامل الانفعالية وحدها مسئولة عن ثلث الحوادث عامة ، كما ثبت ايضا ان ٢٠٪ من العمال عامة مسئولون عن ٨٠٪ من الحوادث لان الشخص غير السوي يتورط في اكثر من حادث بصفة متكررة ، كما ان هنالك اشخاصا يكثر تورطهم في الحوادث بحكم تكوينهم النفسي، وهم من يسمون بالمستهدفين للحوادث ، وهؤلاء يجب ان يكتشفوا في ميدان النقل العام قبل قبول المرشحين للتدريب على العمل كسائقين ، وبالتالي بين من يعملون فعلا من السائقين القدامى وبين كل من يقود سيارة عامة او خاصة ، فهؤلاء الاشخاص جميعا ترتفع نسبة حوادثهم حتى في بيوتهم .

الرغبة في الاعتداء على الغير

والمستهدفون للحوادث من السائقين يتصفون عادة بانهم مندفعون دائما يؤثرون اللذات العاجلة على الاهداف البعيدة واغلبهم ممن لا يحبون ان يسيطر عليهم احد فانهم يتعمدون مخالفة التعليمات كما ان شخصياتهم تقترب من حيث طرازها لشخصيات الاحداث الجانحين مع فارق بسيط هو ان الجانح يكسر القانون بينما السائق المستهدف للحوادث يكسر عظامه وعظام غيره ، كما يكسر سيارته ، والكثيرون منهم مرضى بامراض نفسية او عقلية خصوصا بمرض « البارانويا » ، ومن اعراضه الرغبة الدفينة في الاعتداء على الغير او في عقاب النفس ، مع الثقة الزائدة في النفس .

ويمكن للهيئات الصناعية وشركات النقل العام واقلام المرور ان تحقق الامن والسلامة بأن تقوم ، بالاضافة الى انتقاء السائقين الجدد على اساس علمى ، ان تباعد بين المستهدفين للحوادث والمرضى نفسيا او عقليا من السائقين ، وبين العمل في قيادة السيارات ، ونقلهم لمهن اخرى . ونورد فيما يلي بعض امثلة واقعية من حالات سائقين قدامى اقتضى الامر ابعادهم فورا عن العمل .

ـ السائق ع.ع.ع. ٢٥ سنة متزوج وليس له اولاد يعمل منذ ثلاث سنوات ـ تقدم بطلب اعفائه من العمل كسائق لانه حدثت منه عدة حوادث وذكر في طلبه ثمانية منها ، وقرر ان السبب فيها انه يعاني من ضعف اعصابه وان المخاوف تنتابه اثناء القيادة . وقد تم فحصه جسميا ونفسيا فتبين انه من الناحية الصحية الجسمية لا يعانى من اى مرض ، الا انه ثبت من الفحص النفسي انه مريض بحالة قلق نفسي حاد ، ومن اعراضه الخوف الشديد وتوقع الخطر دائما والتوتر الجسمى نتيجة توتره النفسي فيعتقد خطأ بانه مريض جسميا فتارة يشكو من قلبه وتارة يشكو من الصداع او غير ذلك .

ـ السائق ع.ت.م ٣٥ سنة تكررت حوادثه ، وانقطاعه عن العمل وتقدم يشكو من ارتخاء الاعصاب كلما ذهب للعمل ومن صداع اثناء العمل وسخونة ، والام في العمود الفقرى تزول بمجرد بعده عن العمل مما يضطره دائما الى ترك العمل احيانا بعد تسلمه السيارة بساعة او ساعتين على الاكثر ثم التبليغ بانه مريض وغير قادر على اتمام اليوم . وقد لجأ لعلاج نفسه بالانزواء في خلوة في الظلام للصلاة والصوم من وقت لآخر لا يكلم احدا ولا يرى احدا فيستريح بعض الشيء ، ولكن بمجرد خروجه للعمل تعاوده نفس الاعراض التى يشكو منها ، فيعود للمنزل باكيا .

الشعور بالاضطهاد

وقد دل فحص هذا السائق على انه يعاني لدرجة كبيرة من الشعور بالاضطهاد لدرجة انه يعتقد ـ بان العالم كله مجند ضده ، كما انه يعانى من درجة كبيرة من الشعور بالشك الشديد في كل شيء ومن الشعور بالعظمة ، كما انه يعانى من هلوسة سمعية وبصرية،ولذلك فانه كان من السهل عليه ان يشتبك اثناء العمل في نزاع لا مبرر له ـ وهذه الاعراض في الواقع هى اعراض مرض عقلى هو جنون العظمة .

وقد منع هذا السائق من العمل كلية وارسل لمستشفى الامراض العقلية للعلاج .

هاتان الحالتان تبينان مدى اهمية تسجيل حوادث كل سائق والكشف عليه للتأكد من مدى خطورته او صلاحيته للعمل اذا كنا نريد كفاية انتاجية وسلامة في ميدان النقل العام .

أثر المخدرات

هذا وقد تبين ان سائقى السيارات من سن ٥٠ وما فوق من المصابين بارتفاع ضغط الدم يرتكبون من الحوادث ضعف ما يرتكبه غيرهم من نفس السن وبدون ارتفاع في ضغط الدم ، كما لوحظ ان تعاطى المخدرات لها تأثير واضح في وقوع الحوادث فهى تضعف الانتباه لاشارات المرور والبيئة الخارجية كما تبطىء من سرعة استجابة العينين واليدين والقدمين كما تزيد من مدى تغيير الاداء ، وتولد شعورا زائفا بالثقة في النفس ولذلك فانه من المهم للغاية دراسة تأثير الخمر والمخدرات مثل الحشيش والافيون في اداء السائقين ، لما لانتشار استعمالها بين العمال عامة وبين السائقين خاصة ، من تأثير على نسبة الحوادث وعلى كفايتهم الانتاجية .

ان الحوادث ليست موزعة بين السائقين توزيعا عشوائيا بل تتبع توزيعا خاصا هى ادنى ان تصيب فريقا من السائقين بدرجة اكثر من غيرهم ، وان واجب الشركات في قطاع النقل العام ، واقلام المرور ان تعنى كل العناية في انتقاء السائقين خصوصا الجدد ، ومراقبة السائقين الذين يعملون حاليا من وقت لآخر ، لابعاد المستهدفين منهم للحوادث وايضا المرضى نفسيا او عقليا والمدمنين على تعاطى الخمر او المخدرات ، وذلك لان مجال قيادة السيارات ميدان حيوى له اثر كبير على الكفاية الانتاجية للبلاد عامة وعلى الاقتصاد القومى خاصة .

ملاك جرجس

أجب على ١٠ أسئلة لتفوز بجائزة

■ .. وهذه مسابقة اخرى تتألف من١٢ سؤالا .. والمطلوب منك ان تبحث عن الاجابة الصحيحة لعشرة اسئلة بين الاجابات الثلاث التى اوردناها بعد كل سؤال ..

انها مسابقة لا تحتاج منك الى جهد كبير ..

فكر بترو واربح ..

الاسئلة



١ ـ هذا النصب التذكارى للجندى المجهول يرتفع فى عاصمة عربية هى :

القاهرة ـ دمشق ـ بغداد .

٢ ـ ما هى العاصمة المؤقتة لدولة الامارات العربية :

ابو ظبى ـ الشارقة ـ خورفكان .

٣ ـ نيروبى عاصمة كينيا ، ورئيس جمهورية كينيا هو :

جوليوس نيريرى ـ جومو كينياتا ـ احمد سيكوتورى .

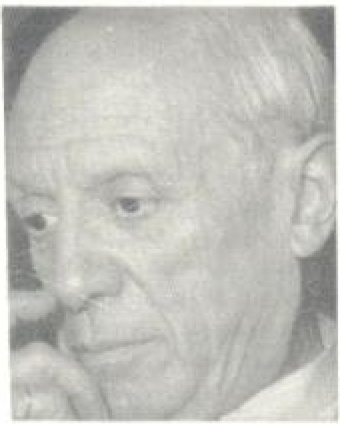


٤ ـ تقع مدينة دير الزور السورية على نهر :

الفرات ـ العاصى ـ الليطانى .

٥ ـ من هو الرسام الاسبانى الذى احتفل اخيرا بعيد ميلاده التسعين :

سلفادور دالى ـ بابلو بيكاسو ـ فاساليرى .



٦ ـ تشتهر البصرة بمحصول زراعى وفير هو :

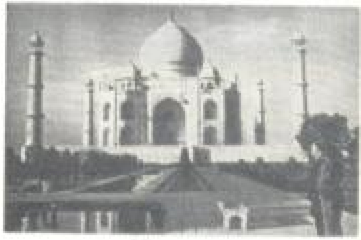
الارز ـ القمح ـ التمر .

٧ ـ الورق الذى كان يكتب عليه المصريون القدماء ، هو ورق :

الغار ـ القنب ـ البردى .

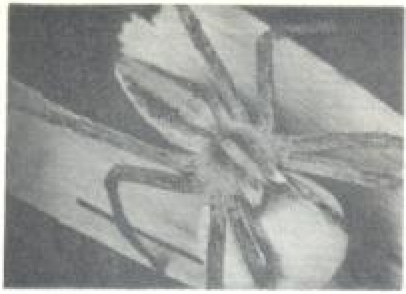
٨ ـ في ٢١ مارس من كل عام يحتفل العالم باحد الاعياد الآتية :

عيد العمال ـ عيد الام ـ عيد المعلم .



٩ ـ تاج محل ، ذلك الاثر التاريخي الذي يخلد ذكرى زوجة وفية اقامه لها زوجها الامبراطور :

نادر شاه ـ شاه جيهان ـ نظام حيدر اباد .



١٠ ـ العنكبوت له من الارجل :

ست ـ ثمان ـ عشر .

١١ ـ اسم الممر الذي يوصل بين ايطاليا والنمسا :

ممر برنر ـ ممر سيمبلون ـ ممر مسينا .

١٢ ـ بانكوك عاصمة تايلند ، ولكن تايلند كانت تدعى قبل ذلك باسم :

الهند الصينية ـ ماليزيا ـ سيام .

★ ★ ★

شروط المسابقة

١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :

مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٦١ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر مايو (أيار) ١٩٧٢ .

★ ★ ★

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي : الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع . ■■

كوبون مسابقة العدد ١٦١

سعيد بن

مؤسس أمبراطورية عربية

كان لها أسطول بحري

هو الثاني

في المياه الآسيوية الأفريقية

بعد الأسطول البريطاني.



■ هناك جوانب كثيرة في تاريخنا العربي الحديث تحتاج من المؤرخين العرب الى اعادة كتابتها وتقييمها من جديد ، خاصة تلك الجوانب التى اقتصرت المصادر الاوربية على كتابتها والتعبير عنها بوجهة تختلف عن وجهة نظرنا .

ولعل منطقة الخليج العربي من اولى المناطق العربية التى تحتاج من مؤرخينا الى اعادة تصحيح تاريخها بحكم النظرة الاستعمارية التى غلبت على تفسير احداثها ومعالجة تاريخها من زاوية المصلحة الاستعمارية وحدها دون اى اعتبار يذكر للسكان الذين عاشوا في المنطقة وساهموا بدور لا يمكن اغفاله في تطويرها السياسى والحضارى .

شخصية فريدة ظهرت فى منطقة الخليج

ولقد وقع اختيارنا على شخصية فريدة في نوعها ظهرت في منطقة الخليج العربي خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر ولعبت دورا كبيرا في نقل المؤثرات العربية الحضارية الى سواحل شرق القارة الافريقية ودواخلها وهي شخصية « سعيد بن سلطان » الذى يعد بحق من ابرز حكام اسرة بو سعيد التى لاتزال تحكم في سلطنة عمان حتى وقتنا الحاضر ، بل يعد بحق من ابرز الشخصيات التى انجبتها الجزيرة العربية في العصر الحديث وان كان مما يبعث على الدهشة ان شهرته في العالم الخارجي كانت تفوق باضعاف شهرته في العالم العربي ، ويرجع ذلك الى ما كانت تحرص عليه السياسة البريطانية في خلال القرن التاسع عشر وحتى النصف الاول من القرن الحالى على عزل منطقة الخليج عزلا ثقافيا وفكريا عن بقية اجزاء وطننا العربي .

ممتلكاته

وسوف نشير الى تلك الشخصية فيما يلى باسم « السيد سعيد » ، ولقب السيد هو اللقب الذى اشتهر به ، كما اشتهر به سلاطنة مسقط عموما . واهمية عهده انه استطاع ان يربط بين

سلطان أطاح بهما الاستعمار

بقـــلم
الدكتور جمال زكريا قاسم

استاذ التاريخ الحديث المساعد
بجامعة عين شمس

ممتلكاته في الخليج والجزيرة العربية وشرق افريقيا ويضمها جميعا في اطار سياسي واقتصادي موحد حتى أصبحت تلك الممتلكات تكون اكبر دولة محلية عرفتها الاجزاء الغربية من المحيط الهندى خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر ولذلك كان من الطبيعي أن تكون دولته هدف بريطانيا في تمزيقها باعتبارها تشكل خطرا على مواصلاتها الامبراطورية الى الهند .

في عهده
كانت البحرية العمانية في اوجها

امتد حكم السيد سعيد فبلغ نصف قرن من الزمان (١٨٠٦ - ١٨٥٦) عاصر في خلالها أحداثا خطيرة حاول أن يتفادها ويحولها الى ما فيه مصلحته ومصلحة بلاده فلم يستطع . واذا كان حكمه في عمان وشرق افريقيا يمثل القمة التى وصلت اليها دولته فانه يمثل أيضا بداية الانحدار السريع . بدا حكمه في عمان في وقت بلغ فيه التنافس الاستعمارى أشده بين انجلترا وفرنسا في بحار الشرق ومع ذلك فقد نجح في الاحتفاظ بكيان سلطنته وسط هذا الصراع بفضل ما ورثه من مجد بحرى عمل على انعاشه ، ففى سنوات حكمه الاولى كانت البحرية العمانية على درجة من القوة الى حد جعلته يرفض الالتزام بسياسة الحصار القاري التى فرضها بونابرت ضد الانجليز واستمر في تعامله مع الموانى البريطانية في سواحل الهند وغيرها .

كذلك آثر الوقوف على الحياد في خلال الصراع الانجليزى الفرنسى ، كما استمر في علاقاته التجارية مع جزيرة موريس ، التى اتخذها الفرنسيون قاعدة لهم في الجزء الغربى من المحيط الهندى ، رغم قوة الاسطول البريطانى وان كان سقوط تلك المستعمرة في عام ١٨١٠ قد دفع به الى الارتباط أكثر بالانجليز آملا أن يستفيد من محالفته وصداقته لهم .

سعيد بن سلطان
ينتقل الى افريقيا

وعلى الرغم مما بدا واضحا في سنوات حكمه الاولى أن الظروف يمكن أن تساعده في توطيد دعائم حكمه في عمان وسواحل الخليج الا أن هذه الظروف اثبتت أنها كانت في غير صالحه وسرعان ما ادرك انه قد أصبح من المستحيل عليه أن يستمر في جهوده لتوطيد نفوذه على سواحل الخليج بسبب اتجاه السياسة البريطانية الى تثبيت سيطرتها على تلك السواحل متخذة من تصفية القوى المحلية في المنطقة سبيلها الى ذلك ، وهكذا رأى أن ينتقل بعاصمة حكمه من مسقط الى ممتلكاته في شرق افريقيا ، وبالفعل تم هذا التحول في عام ١٨٣٢ حيث اختار جزيرة زنجبار عاصمة لممتلكاته الآسيوية والافريقية واستمر في تلك الجزيرة حتى وفاته في عام ١٨٥٦ .

وليس من شك في أن اتجاهه الى شرق افريقيا انما يرجع في الدرجة الاول الى الصلات القوية التى ربطت بينها وبين عمان منذ ازمنة بعيدة اذ توارث هذه المقاطعات عن أسلافه الذين توارثوها بدورهم عن دولة اليعاربة صاحبة الفضل الاول في بسط السيادة العمانية على تلك الجهات ، كما اعتادت السفن العمانية على التردد على تلك السواحل الافريقية وتاسست بالفعل اسرات كثيرة حكمت اجزاء من الساحل الشرقى لافريقية كان معظمها من الاسرات العربية التى ظهرت في سواحل الخليج العربي كاسرة المزروعى في ممبسة

والاسرة النبهانية في جزيرة بات واسرة الحارثي ، في جزيرة زنجبار .

سعيد ورجاله في افريقيا

وقد حرص السيد سعيد على أن يصطحب معه عند انتقاله الى مركز حكمه الجديد مئات من عرب عمان والجزيرة العربية فازدهرت التجارة بمقدمهم وانتعشت الى درجة لم تكن معهودة من قبل ، كما ساعد الازدهار الاقتصادي على كثرة توافد الهنود ، وبينما كان نشاطهم يقتصر على موانى الساحل ، توغل العرب في الداخل في المناطق التي لم يكن قد ارتادها احد من قبل حيث استقر الكثير من الجماعات العربية حول المراكز التجارية التي جهدوا في تقويتها .

اهتمام سعيد بالزراعة

والجدير بالذكر ان كثيرا من المصادر الاوربية قد حرصت على التهوين من دور العرب وتأثيرهم الحضاري فهم مثلا لم يهتموا بادخال الزراعة الا بالقدر الذي يكفي استهلاكهم وجل ما انصرفوا اليه هو اشباع نهمهم في تجارة العاج والذهب والرقيق ، وقد يكون حقيقة أن العرب وجهوا اهتمامهم للتجارة أكثر من الزراعة فهذه هي طبيعتهم ومع ذلك فانه مما يؤثر للسلطنة العربية اهتمامها بالزراعة الى جانب التجارة ، فالى السيد سعيد يرجع الفضل في تشجيع زراعة القرنفل Cloves وذلك باستغلاله خصوبة بعض الجزر الافريقية وعلى الاخص جزيرتي بمبا وزنجبار حتى ان هاتين الجزيرتين لاتزالان تمدان العالم بالقسط الاعظم من احتياجاته حتى وقتنا الحاضر. وفضلا عن ذلك فقد عرف عن السيد سعيد شغفه الكبير بالتجارة وحبه لممارستها من ذلك انه كان يقوم بالاشتغال بها لحسابه الخاص .

وكان لسعيد اسطول هو الثاني بعد الاسطول البريطاني وجعله للتجارة لا للحرب

وعلى الرغم من انه كان يمتلك اسطولا كبيرا كان يعد أكبر قوة بحرية في المحيط الهندي بعد الاسطول البريطاني الا انه كان يستخدم اسطوله هذا في التجارة لا في الحرب ولقد أثر عنه قوله « انني تاجر قبل ان أكون سلطانا » ، وكانت سفنه تصل في رحلاتها التجارية الى موانىء فرنسا وبريطانيا وغيرها للتبادل التجاري وتأكيدا للروابط الودية والاقتصادية التي حرص على توطيدها خاصة بينه وبين بريطانيا .

واتجه سعيد الى التوسع في الساحل الافريقي والداخل

اتجه السيد سعيد في سياسته الافريقية الى التوسع في الساحل والداخل معا ففي عام ١٨٣٧ نجح في ضم ممبسة الى حكمه والقضاء على الأسرة التي كانت تحكم فيها وهي أسرة المزروعي التي تشتتت في الداخل ، كذلك حاول الامتداد بسيطرته الى جزيرة مدغشقر حيث قدم مشروعا للتحالف مع ملكتها بل انه عرض الزواج منها . كما توسع في سواحل الصومال توسعا سلميا وكان سبيله الى ذلك ربط موانئها بنظامه الاقتصادي الحر . وعلى الرغم مما بدا واضحا خلال النصف الثاني من حكمه توجيه ثقله الى القسم الافريقي من ممتلكاته الا انه لم يغفل عن معالجة شئون ممتلكاته الاخرى في الخليج والجزيرة العربية وانما كان كثير التردد عليها كما أن المسافة البعيدة بين مسقط وزنجبار والتي تزيد عن الفي ميل لم تضعف من وحدة الدولة التي ربط الاسطول العربي بين شطريها الافريقي والآسيوي .

ويبدو ان هدف السيد سعيد في تأسيس امبراطورية عربية افريقية قد وضح في ذهنه بعد بضع سنوات من اقامته في زنجبار . وكان يرى ان يمتد بتلك الامبراطورية الى داخل القارة الافريقية بعد ما تأكدت له السيطرة على سواحلها الشرقية من راس جردفون شمالا الى خليج دلجادو جنوبا . وليس من شك في أن سيادته الداخلية ارتبطت بما بذله العرب من نشاط تجاري حيث نشطت القوافل العربية في تحركاتها واصبحت تصل الى جهات نائية في قلب القارة الافريقية وكان كثيرون من التجار يذهبون في رحلاتهم بحثا

عن العاج والرقيق الى الاجزاء العليا من نهرى الكونغو والنيل وسط الغابات وفي ظروف مناخية وطبيعية شاقة . واذا عرفنا ان الواحدة من تلك الرحلات او بالاحرى تلك المغامرات كانت تستغرق زمنا يمتد من سنتين الى ثلاث سنوات كان من اللازم ان يقوم هؤلاء التجار بتاسيس المحطات والمراكز التجارية التى كانوا يعتمدون عليها في تنقلاتهم ، وكانت هذه المراكز المتناثرة الممتدة الى اواسط الكونغو ومنطقة البحيرات الاستوائية تعد ولا شك امتدادا لنفوذ السلطنة العربية حتى لقد اشتهر المثل السواحلي القائل « حينما يلعب احد على المزمار في زنجبار يرقص الناس طربا على البحيرات » .

وصل سعيد اقتصاده بالاقتصاد العالمي

وكان للسيد سعيد بالاضافة الى ذلك اثر كبير في وصل اقتصادياته بالاقتصاد العالمي عن طريق مجموعة من المعاهدات التجارية التى عقدها مع كل من انجلترا وفرنسا وهولندا والولايات المتحدة الامريكية وبعض الولايات الالمانية المشتركة في اتحاد الهانسا مما كان سببا في ذيوع شهرته في العالم الخارجي باعتباره حاكما مستنيرا فتح أبواب بلاده لتشترك بنصيب في التبادل التجارى وفي انتقال المؤثرات الحضارية اليها بفضل ما اجازه لهذه الدول من علاقات اقتصادية ومنح شركاتها التسهيلات اللازمة وتشجيع الاجانب على الاقامة في بلاده وتاسيس القنصليات والوكالات التجارية بهـا .

وتحول التدخل الاقتصادى الاوروبي الى تدخل استعمارى سياسي سافر

وعلى الرغم مما يراه بعض الباحثين ان هذا التدخل الاوربي الاقتصادى لم يكن ضارا اذ افادت منه السلطنة العربية الافريقية فائدة كبيرة حيث تضاعف دخلها عشرات المرات وتحولت زنجبار من ميناء صغير الى اعظم ميناء في الاطراف الغربية للمحيط الهندى ، الا أن من المؤكد أن هؤلاء قد تناسوا حقيقة هامة وهى أن التدخل الاقتصادى للدول الاوربية كان بمثابة تمهيد لتدخلها السياسي والعسكرى السافر وهذا ما حدث بالفعل في كافة المناطق التى اتخذ فيها النشاط الاوربي في بادىء الامر طابعا اقتصاديا ثم ما لبث ان تحول بعد ذلك الى طابع استغلالي واستعمارى . ففى حركة تقسيم افريقيا مثلا نجد أن الدول التى كان لها نشاطات اقتصادية هى نفسها التى اقتسمت مناطق النفوذ فيما بينها .

واتخذ الاوروبيون من المبشرين طلائع للحركة الامبريالية

ولم يقتصر اهتمام الاوربيين بالسلطنة العربية الافريقية على النواحى الاقتصادية وحدها وانما استخدمت منافذها الساحلية بمثابة قواعد للولوج الى المقاطعات الداخلية اذ نجح المبشرون والمستكشفون في تاسيس الكثير من المراكز التبشيرية والاستكشافية في مقاطعات الشرق الافريقى ومن المهم ان نؤكد هنا ان هذه الطلائع الاولى من المبشرين والمستكشفين كانوا بمثابة مقدمات للحركة الامبريالية التى اجتاحت القارة الافريقية في النصف الثانى من القرن التاسع عشر . وقد لقى هؤلاء الكثير من عناية السيد سعيد ورعايته وكثيرون منهم اعترفوا بالعون المادى والادبى اللذين قدمته لهم السلطنة العربية مما كان له اثر كبير في نجاح عملياتهم التبشيرية والاستكشافية .

ونحن اذا ما عرضنا لتلك المقدمات الامبرياليـة التى اتخذت شكل غزو تبشيرى واستكشافي ، وما سبق ذلك من نشاطات اقتصادية استطعنا ان ندرك مقدار الخطر الذى كان يتربص بتلك الممتلكات التى حاول السيد سعيد ان يقيم منها امبراطورية عربية في شرق افريقيا . والنتيجة أن آمال هذا الرجل لم تتحقق لان تلك الآمال كان من الصعب تحقيقها في غضون القرن التاسع عشر ذلك القرن الذى شهد تفوق قوة أوربا العسكرية والصناعية وشهد هذا الرتل الطويل من المستكشفين والرواد والمبشرين والتجار الاوربيين الذين انتهوا الى تلك الحقيقة وهى أن هناك أمكنة في افريقيا صالحة للاستغلال وانها قارة جديرة بالامتلاك والسيطرة . وهكذا شاءت الظروف أن تصطدم رغبة السيد

سعيد في تأسيس امبراطورية عربية في افريقية برغبة الدول الاوربية في السيطرة على تلك القارة واستعمارها واقتسامها فيما بينها . وقد علق بعض الباحثين على ذلك بان السيد سعيد ولد متأخرا وفي وقت غير ملائم لتحقيق آماله .

صداقة بين سعيد وبريطانيا كانت بريطانيا الكاسبة الكبرى فيها

وليس من شك في أن السيد سعيد كان يقدر مدى القوة والنفوذ اللذين بلغتهما بريطانيا في بحار الشرق ولذلك كان يدرك جيدا أن سلامة ممتلكاته تعتمد في الجانب الاكبر على صداقته لبريطانيا فحرص على توطيد علاقته معها . ولكن الحقيقة أن بريطانيا استفادت من صداقته لها اكثر مما استفاده هو من صداقتها له ، فبفضل هذه الصداقة استطاعت ان تقمع تجارة الرقيق في شرق افريقيا ، وكانت بريطانيا قد تزعمت منذ اوائل القرن التاسع عشر تلك الحركة التي عرفت باسم الحركة المضادة للرق Anti - slavery Movement وهذه الحركة ، وان كانت قد انطوت على جوانب اقتصادية وانسانية دعا اليها المفكرون من أمثال آدم سميث وويلبر فورس وأثيرت بسببها الحملات البرلمانية ، الا أن بريطانيا استفادت من تزعمها لها فائدة كبيرة ظهر ذلك في تأكيد سيادتها على البحار والمحيطات بحجة القيام بعمليات التفتيش والقمع البحري .

وتعاون سعيد في الحد من تجارة الرقيق

ومما يذكر أن السيد سعيد رفض أن يأخذ من الحكومة البريطانية أية تعويضات مادية لما سببته سياسة قمع هذه التجارة من عجز كبير في ميزان دخله ، تأكيدا لميوله الانسانية ، ولذلك كان موضع تقدير الكثير من الهيئات العالمية فقد رشحته الجمعية الآسيوية الملكية في عام ١٨٢٥ ليكون عضو شرف فيها اعترافا بتعاونه مع الحكومة البريطانية في الحد من تجارة الرقيق وتقديرا للجهود التي يبذلها لادخال الحضارة في بلاده ، ومساهمته في تقدم العلوم البحرية خاصة في موضوعي بناء السفن والملاحة . وليس من شك في أن اشتراك السيد سعيد في تلك الجمعية وغيرها ساعد على تردد اسمه في المجتمع الاوربي .

هداياه لبريطانيا اتسمت بكرم مفرط

وذلك قد كلفه الكثير من الهدايا التي كان يقدمها عن بذخ من ذلك انه اهدى كبرى سفنه الى الملك وليام الرابع كرمز على اخلاصه وصداقته الوطيدة ، والحقت هذه السفينة بالاسطول الملكي البريطاني ومجاملة له سميت باسم الامام ! . وفي عام ١٨٥٤ أعلن عن تنازله للملكة فيكتوريا عن جزر كوريا موريا ، ولم يبد على طلب الحكومة البريطانية بالتنازل عن تلك الجزر اى اعتراض بل على العكس اظهر انه على أتم استعداد لكي يتنازل عنها دون مقابل قائلا بصدد ذلك انه « اذا احتاجت جلالة الملكة الى اى قسم آخر أو الى ممتلكاتي بأجمعها سواء في الجزيرة العربية او في افريقيا فانني على أتم استعداد لكي اتخلى عنها » .

وتخلت عنه بريطانيا عندما طلب عونها

وبينما كان الرجل يتصرف عن طيب خاطر كانت المؤامرة البريطانية تنسج شباكها لتفكيك ممتلكاته والسيطرة عليها وابتلاعها جزءا بعد آخر . فبريطانيا نفسها رغم صداقتها للسيد سعيد هي التي ساعدت فارس على استرجاع سيطرتها على ساحل مكران وميناء بندر عباس وشبه جزيرة هرموز في الخليج العربي وكانت هذه المناطق تخضع للادارة العربية في عمان . وقد انتهزت فارس فرصة انشغال السيد سعيد بشئون ممتلكاته الافريقية لالغاء الادارة العربية . وعبثا حاول السيد سعيد ان يستعين بصداقته لبريطانيا التي تخلت عنه مراعاة لفارس التي كانت تحرص

على التودد اليها في ذلك الوقت خوفا من الاطماع الروسية .

شهدت السنوات الاخيرة من حكمه تفككا اقليميا

كما شهدت السنوات الاخيرة من حكمه تفككا اقليميا حادا في عمان حيث كانت سياسته العلمانية مدعاة لتوسيع الهوة بينه وبين زعماء المقاطعات الداخلية من الحزب الدينى الاباضي الذين كانوا يكرهون اخذه بالاساليب الاوربية وحسن استقباله للاجانب في بلاده ، كما ازداد العداء له من جراء المعاهدات التي كان يعقدها مع الدول الاجنبية مما كان سببا في حدوث الكثير من الثورات المناهضة لحكمه وبدا أن الرجل على الرغم من المهابة التى كان يتمتع بها قد فشل في تحقيق الاستقرار لحكمه. وفيما يبدو انه كان مقدرا للوضع الحرج الذى وصلت اليه دولته فراى ان يقسم ممتلكاته بين ابنائه .

مات سعيد فاختلف ابناؤه

والواضح انه كان يستهدف تقسيما اداريا وليس تقسيما سياسيا ، ولكن بريطانيا لم تلبث ان فرضت من نفسها ـ بعد وفاته ـ محكمة في الصراع الذى نشب بين ابنائه وتدخلت بين الاخوة المتنازعين حول ارث ابيهم محرضة بعضا منهم على البعض الآخر مستهدفة بذلك تقسيم الدولة واضعاف اسطولها واعتبرت خطتها هذه بمثابة جزء من المؤامرة الاستعمارية لشطر وحدة الامبراطورية العربية الافريقية .

لجنة بريطانية للتحقيق بين مسقط وزنجبار

ففى عام ١٨٦١ أرسل اللورد كانتج ـ نائب الملك في الهند ـ لجنة تحقيق الى كل من مسقط وزنجبار هدفها في الظاهر بحث اسباب النزاع بين ابناء السيد سعيد وهدفها الحقيقى اعطاء المبرر الشكلى لتقسيم ممتلكات الدولة . وقد راس هذه البعثة البريجادير كوجلان المقيم السياسي في عدن وكان من بين اعضائها الدكتور برسي بادجر وهو احد المتخصصين في تاريخ عمان ، ولا شك ان بريطانيا قدرت ان في تاييدها لمطالب احد الاخوة المتنازعين في الاستقرار بحكومة زنجبار بمثابة تدعيم لنفوذها ، وبذلك تستطيع ان تتحكم في كل من سلطنة مسقط باعتبارها واقعة في منطقة نفوذها في الخليج ، وسلطنة زنجبار لما سيكون لها من فضل في حماية حاكمها ضد تهديدات اخيه سلطان مسقط .

صدر حكم المحكمة بفصل مسقط عن زنجبار

ولذلك اصدر اللورد كانتج تحتيمه المشهور بفصل سلطنة مسقط عن سلطنة زنجبار على انه نظرا للفرق الواضح بين موارد دخل السلطنتين فقد جاء في قرار التحكيم ان يدفع سلطان زنجبار مبلغا من المال سنويا الى اخيه سلطان مسقط وقد استمر ذلك الشرط معمولا به الى أن عقدت بريطانيا مع سلطان زنجبار معاهدة خاصة بالغاء تجارة الرقيق ، ولما كان هذا الالغاء قد اثر في موارد سلطنة زنجبار فقد اخذت بريطانيا على عاتقها دفع الاموال المقررة لسلطنة مسقط من زنجبار ، وبذلك استطاعت ان تكتسب لنفسها نفوذا ادبيا وماديا في كلتا السلطنتين معا ، سلطنة مسقط التي اصبحت تعتمد في مواردها المالية عليها ، وسلطنة زنجبار التى اعتمد سلاطينها في استقلالهم على حماية بريطانيا لهم .

والنهاية التفكك والتمزق

وهكذا انتهى الامر بتلك الدولة الآسيوية الافريقية التى كانت تعد واحدة من أهم الامبراطوريات الشرقية في القرن التاسع عشر ، والتى وصفها أحد المراقبين البريطانيين بالدولة البحرية الاولى الى تلك الحالة من التمزق والتفكك بفعل السياسة البريطانية التى وصلت الى درجة احداث الوقيعة بين ابناء البيت الواحد حتى تمكن لنفسها السيطرة على اقليمي الدولة وهو ما تحقق لها بالفعل .

جمال زكريا قاسم

مواقف رجال في تاريخنا

بقلم : عبد الستار فراج

■ فى كل زمان ومكان يبلغ رجال من الفضل قمته ، ومن السمو غايته ، تتجلى مواقفهم الرائعة مثلا أعلى يبهر باشراقه العيون ، ويأسر بقوته النفوس ، اما بتضحية فى قتال أو لتمسك بحق كريم فى اشد الساعات حرجا وخطرا ، واما عن شجاعة أدبية تصون المرء عن التمادى فى خطأ ، او بحسن تقدير لمستحقى الاجلال والتقدير .

ولئن كانت البطولة فى القتال فضيلة عظمى ، فان التصدى للسلطان الغاشم فى عصور التقديس للسلطان هو أعظم ما يذكر فى مقام الثناء والمديح .

ذلك ان المقاتل قد ينتصر ، وقد يذهب شهيدا محمود الذكريات ، أما الوقوف في وجه صاحب السلطان المطلق فان احتمال النجاة فيه قليل ، والضياع فيه كثير ، مع ما قد يصحب الضياع من تقولات وافتراءات ، تلقى سحبا على نور الحق . وقلّ ان تزال ، ولئن زالت فبعد حين لا ينفع صاحبه ولا أهله فيه الانجلاء .

على ان هناك أيضا مواقف من المروءة والشهامة تستحق الاعجاب بجميل صنيعها ، وتصغى للحديث عنها الاسماع .

وكثير من دهاة الحكام حفظوا لذوى الكرامة كرامتهم ، اعجابا بما تحلوا به من عزة النفس ، او رعاية لجمع الكلمة وحسن السمعة لدى عامة المحكومين .

وفيما أعرض هنا انما اتخير بعض الطريف من الاخبار ، مع تعريف بمن اورد لهم خبرا ، لتكون الفائدة مزدوجة ، والعبرة واضحة . والشيء الذى يروى عن أناس لهم في التاريخ وجود ، ولهم في العلم والجاه منزلة مرموقة ، يكون لوقعه في النفوس أجمل الآثار ، ومن الحقائق ما هو أبدع من الخيال .

الاحنف بن قيس

ومن أمثلتنا التى تزهو باهرة ، وتفرض احترامها وتقديرها ، رجل كان زعيم قومه بحق ، وضعته الظروف في أيام كلها نزاع واختلاف ، فما سقطت منزلته لدى عدو أو حبيب ، ذلكم هو الاحنف بن قيس التميمى الذى يضرب به المثل في الحلم .

ادرك عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يسعد بصحبته ، ولما وصلت دعوة الرسول الى قومه قال لهم الاحنف انه ليدعوكم الى مكارم الاخلاق ، وينهاكم عن ملائمها . فاسلموا واسلم الاحنف . ولم يَفِدْ على رسول الله ، وانما وفد على عمر بن الخطاب أيام خلافته ، شهد بعض فتوحات خراسان في زمن عمر وعثمان ،

العربي

وشهد وقعة صفين مع علي كرم الله وجهه ، ولم يشهد وقعة الجمل مع احد الفريقين .

ولما استقر الامر لمعاوية وصار خليفة للمسلمين دخل عليه الاحنف يوما ، فقال له معاوية : والله يا احنف ما اذكر يوم صفين الا كانت حزازة في قلبي الى يوم القيامة . فقال له الاحنف ، والله يا معاوية ان القلوب التى ابغضناك بها لفى صدورنا ، وان السيوف التى قاتلناك بها لفى اغمادها ، وان تدنُ من الحرب فِتْرا تدنُ منها شبرا ، وان تمش اليها نهرول اليها .

ثم قام وخرج .

وكانت اخت معاوية من وراء حجاب تسمع كلامه فقالت : يا امير المؤمنين ، من هذا الذى يتهدد ويتوعد ؟ قال : هذا الذى ان غضب غضب لغضبه مائة الف من بنى تميم لا يدرون فيم غضب.

اخاف الله ان كذبت

ولما نصب معاوية ولده يزيد لولاية العهد اقعده في قبة حمراء ، فجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يميلون الى يزيد . وجاء رجل ففعل ذلك ، ثم قال لمعاوية : يا امير المؤمنين ، اعلم انك لو لم تولّ ابنك هذا امور المسلمين لاضعتها . وكان الاحنف بن قيس جالسا ولا يتكلم . فقال له معاوية : ما بالك لا تقول يا ابا بحر ؟ فقال : اخاف الله ان كذبت ، واخافكم ان صدقت . فقال له معاوية : جزاك الله عن الطاعة خيرا ، وأمر له بالوف ، فلما خرج الاحنف لقيه ذلك الرجل بالباب فقال له : يا أبا بحر ، انى لأعلم أن شرّ من خلق اللهُ تعالى هذا وابنه ـ يعنى معاوية ويزيد ـ ولكنهم قد استوثقوا من هذه الاموال بالابواب والاقفال ، فليس يطمع في استخراجها الا بما سمعت . فقال له الاحنف : امسك عليك فان ذا الوجهين خليق ان لا يكون عند الله وجيها .

عزل وولى وهو ساكت

وكان زياد بن أبيه في مدة ولايته بالعراق كثير الرعاية لحارثة بن بدر الغُدَاني وللاحنف ابن قيس ، فلما مات زياد وتولى مكانه ولده عبيد الله بن زياد أبعد عنه حارثة بن بدر ، لانه كان مكبا على الشراب ، فخاف أن يُظَن به مثله .

وأما الاحنف فانه تغيرت منزلته عند عبيد الله أيضا ، وصار يقدّم عليه من لا يساويه ولا يقاربه .

ثم ان عبيد الله جمع أعيان حاشيته وفيهم الاحنف ، وتوجه بهم الى الشام للسلام على معاوية ، فلما وصلوا دخل عبيد الله على معاوية ، واعلمه بوصول رؤساء ولايته ، فقال : أدخلهم اليّ اولا فاولا ، على قدر مراتبهم عندك ، فخرج اليهم وأدخلهم على الترتيب حسب منزلتهم عنده ، وكان آخر من ادخله الاحنف بن قيس .

فلما رآه معاوية ـ وهو العارف بمنزلته وتقدمه وسيادته ـ قال له : اليّ يا أبا بحر . فتقدم اليه ، فاجلسه معه على مرتبته ، وأقبل عليه يسأله عن حاله ويحادثه ، وأعرض عن بقية الجماعة . ثم ان أعيان الولاية أخذوا في الشكر من عبيد الله والثناء عليه ، والاحنف ساكت . فقال له معاوية : لم لا تتكلم يا أبا بحر ؟ فقال : ان تكلمت خالفتهم . فقال له معاوية : اشهدوا عليّ أنني قد عزلت عبيد الله عنكم . قوموا وانظروا في أمير أوليه عليكم وترجعون اليّ بعد ثلاثة ايام .

وخرجوا من عنده . وكان فيهم جماعة يطلبون الامارة لأنفسهم ، وفيهم من عَيَّن الامارة لغيره وسَعَوْا في السر مع خواص معاوية ان يفعل لهم ذلك ، ثم اجتمعوا بعد انقضاء ثلاثة أيام ، كما قال معاوية ، وحضر معهم الاحنف بن قيس ، فدخلوا على معاوية ، فاجلسهم على ترتيبهم في

المجلس الاول ، واخذ الاحنف اليه وقربه منه ، كما فعل من قبل ، وحادثه ساعة ، ثم اتجه الى اعيان الاقليم وقال لهم : ماذا فعلتم فيما اقترفتنا عليه منذ ثلاثة ايام ؟ فجعل كل واحد يذكر شخصا ، وطال حديثهم في ذلك ، حتى افضى الى جدال ومنازعة ، والاحنف ساكت ، ولم يكن في الايام الثلاثة تحدث مع احد في شيء ، فقال له معاوية : لم لا تتكلم يا أبا بحر !

فقال الاحنف : ان وليت أحدا من أهل بيتك لم تجد من يعدل عبيد الله ولا يسد مسده ،وان وليت من غير اهل بيتك فذلك الى رايك . ولم يكن في الحاضرين الذين بالغوا في المجلس الاول في الثناء على عبيد الله بن زياد منذ ثلاثة أيام من ذكره في هذا المجلس الحاضر ، ولا سأل معاوية ان يعيده اليهم .

فلما سمع معاوية مقالة الاحنف قال للجماعة : اشهدوا عليّ أني أعدت عبيد الله الى ولايته . فكل منهم ندم على عدم اختياره لتعيين عبيد الله، وعلم معاوية ان شكرهم له من قبل لم يكن لرغبتهم فيه ، بل كان كما تجرى العادة في مدح المتولى لامور الناس .

فلما خرج الجماعة من مجلس معاوية خلا بعبيد الله وقال له : كيف ضيّعت مثل هذا الرجل ـ يعني الاحنف ـ فانه عزلك واعادك الى الولاية وهو ساكت ، وهؤلاء الذين قدّمتهم عليه واعتمدت عليهم لم ينفعوك ولا عرّجوا عليك لما فوضت الامر اليهم . فمثل الاحنف من يتخذه الانسان عونا وذخرا .

وكانت في ذلك عظة لعبيد الله بن زياد ، فلله در الاحنف الذي كان من كلامه :

ما ادخرت الآباء للابناء ، ولا أبقت الموتى للاحياء افضل من اصطناع معروف عند ذوى الاحساب والآداب . والاحنف اسمه الضحاك بن قيس ولقب بالاحنف لميل كان في رجله ، مات بالكوفة بين سنة سبع وستين واحدى سبعين من الهجرة وعمره سبعون عاما .

الامام مالك

وثاني ما نذكره من المواقف الكريمة هو عن مالك بن أنس ، صاحب المذهب المعروف في الفقه ، ومالك غني عن التعريف به ، ويكفي أن يضرب به المثل فيقال « لايفتى ومالك بالمدينة » .

وان الامام الشافعي كان اذا سئل عن شيء يقول : هذا قول الاستاذ ـ يعني مالكا ـ وقال فيه : مالك أستاذي ، ومالك معلمي ، وعنه اخذنا العلم .

والامام مالك أعظم الناس توقيرا لاداء حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان اذا جلس للحديث توضأ ، وجلس على صدر فراشه ، وسرّح لحيته ، وتمكن في جلوسه بوقار وهيبة ، ثم حدّث . فقيل له في ذلك ، فقال : أحب ان أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أحدث به الا على طهارة متمكنا . وكان يكره أن يحدث في طريق قائما ومستعجلا . ولم يكن يجلس على المنصة الا اذا حدّث عن رسول الله .

بين مالك والرشيد

حدث ان قدم هارون الرشيد المدينة ، ووجّه الى مالك رسولا ، وقال له : احمل لي الكتاب الذى صنفته حتى اسمعه منك ـ يعني بذلك كتابه الموطأ المشتمل على الاحاديث ـ فلما ابلغ الرسول مالكا كلام هارون الرشيد حزن من ذلك واغتم ، وقال للرسول : اقرئه السلام ، وقل له : العلم يزار ولا يزور ، وان العلم يؤتى ولا يأتى . فرجع الرسول الى هارون واخبره بذلك ، فغضب ، واوغر بعضهم صدره على الامام مالك ، وان الناس سيبْلغهم انه وجّه الى مالك فخالفه ولم يسمع لقوله . واشاروا عليه أن يأمر بحضوره . وقبل أن يصدر أمره بذلك اذا بمالك قد دخل فسلم وليس معه كتاب ، ولم يَفُتْ ذلك على هارون ، فسأله عنه ، فقال مالك : يا امير المؤمنين ، ان الله تعالى بعث الينا محمدا صلى الله عليه وسلم ، وأمر بطاعته ، واتباع سنته ، وان نرعاه حيا وميتا ، وقد جعلك في هذا الموضع بعلمك ، فلا تكن أول من ضيّع العلم فيضيعك الله ، لقد رأيت من ليس هو في حسبك ولا نسبك يُعزّ هذا العلم ويجعله يُوقّر حَمَلته ، فانت أحرى ان تُجِلَّ علم ابن عمك .

ولم يزل يعظه حتى بكى .

ثم قال هارون : قم بنا الى منزلك ، فاتى منزل مالك ، فدخل مالك واغتسل . ولبس ثيابا جددا ، وتطيب ، ووضع مجامر فيها عود ، وجلس ، فقال لهارون هات ـ أي اذكر ما تريد ـ فقال هارون : تقرأ عليّ . قال مالك ما قرأت على احد منذ زمان . قال هارون فاخرج عني الناس حتى اقرأه عليك . فقال مالك : ان العلم اذا

منع من العامة لاجل الخاصة لم تنتفع به الخاصة.

فأمر هارون بعض اصحابه يقرؤه . وكان هارون قد استند الى جنب مالك . فلما بدأ القارىء يقرأ له قال مالك : يا أمير المؤمنين : من تواضع لله رفعه الله ، فقام هارون فقعد بين يدى مالك ، فلما فرغ عاد الى مكانه .

لا تحمل الناس على كتابي

وكان ابو جعفر المنصور من كبار اهل العلم ، فلما تولى الخلافة قال لمالك : يا أبا عبد اللـه، ضم هذا العلم ، ودوّن كتبا وجنب فيها شدائد ابن عمر ورخص ابن عباس ، وشواذ ابن مسعود، واقصد اوسط الامور وما اجتمع عليه الائمة والصحابة ، واني عزمت أن اكتب هذه نسخا ، ثم ابعث الى كل مصر من امصار المسلمين بنسخة ، آمرهم بأن يعملوا بما فيها ، ولا يتعدّوها الى غيرها .

فقال مالك : يا أمير المؤمنين : لا تفعل ، فان الناس قد سبقت لهم أقاويل ، وسمعوا أحاديث وروايات ، واخذ كل قوم بما سبق اليهم ، وعملوا به ، من اختلاف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم ، وانّ ردّهم عما اعتقدوا شديد ، فدع الناس وما هم عليه وما اختار اهل كل بلد لانفسهم . فقال أبو جعفر : لو طاوعتني على ذلك لأمرت به .

ووضع مالك الموطأ ، فلم يفرغ منه حتى مات ابو جعفر المنصور .

ولقد قال أبو جعفر المنصور لمالك : ان رابك ريب في عامل المدينة او عامل مكة او احد من عمال الحجاز في ذاتك ، او ذات غيرك ، أو سوء سيرة في الرعية ، فاكتب اليّ بذلك أنزل بهم ما يستحقون . وقد كتبت الى عمالي بهذا أن يسمعوا منك ويطيعوا في كل ما تعهد اليهم ، فانههم عن المنكر وأمرهم بالمعروف ، تؤجر على ذلك ، وانت حقيق أن تطاع ويسمع منك .

المال عندي على حاله

ومن بعد المنصور قدم المهدى على المدينة ، فجاءه الناس مسلمين عليه ، فلما أخذوا مجالسهم استأذن مالك ، فقال الناس : اليوم يجلس مالك آخر الناس . فلما دنا ونظر الى ازدحام الناس قال : يا أمير المؤمنين . أين يجلس شيخك مالك ؟ فناداه المهدى : عندي يا أبا عبد الله ، فتخطى الناس حتى وصل اليه ، وأجلسه بجواره ، ثم ان المهدى بعث الى مالك بألفي دينار أو بثلاثة آلاف ، مع وزيره الربيع ، فلما خرج من عنده قال مالك : يا جارية ، لا تمسي هذا المال ، فاني قد تفرست حين نظرت وجه الربيع ورأيت فيه امرا منكرا ، ولهذا المال سبب .

فلما حج المهدى ، وقدم المدينة اتى الربيع ، مالكا ، فقال له : ان أمير المؤمنين يقرئك السلام ، ويحب أن تعادله الى مدينة السلام ــ أي يريد ان يركب معه في الشق المعادل له من المحمل ليحادثه في طريقه حتى يصل بغداد ــ فقال مالك : أقرىء أمير المؤمنين السلام ، وقل له : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » والمال عندي على حاله ، أخرجيه يا جارية ، أخرجيه .

فأبى الربيع أن يقبله ، فلم يزل به مالك حتى اخذه ، فأتى الربيع المهدى . فعمته ردة المال ، فلما كان وقت رحلته شيعه الناس ، فوصلهم ، ووجه الى مالك فجاءه وودعه . ولما عاد مالك الى منزله وجه اليه المهدى ستة آلاف دينار ، فالتفت مالك الى من كان حاضرا وقال : من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا مما ترك .

يحيى بن يعمر

وبعد مالك نأتي على حديث يحيى بن يعمر .

كان يحيى من التابعين ، لقي عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس ، رضي الله عنهم جميعا ، وروى عنه جماعة من العلماء ، وكان يعد من قرّاء البصرة . وممن أخذ عنه عبد الله بن ابي اسحاق الحضرمي ، وعن عبد الله بن ابي اسحاق وغيره أخذ ابو عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة .

هذا الى جانب ما برع فيه من النحو واللغة . كان بالبصرة . وانتقل الى خراسان . وهو من قبيلة عدوان المشهورة التي منها ذو الاصبع العدواني الشاعر المشهور .

حياة يحيى بن يعمر

يقول ابن خلكان عنه انه كان من الشيعة الاولى، القائلين بتفضيل اهل البيت ، من غير تنقيص لذي فضل من غيرهم ، كما قال عنه ايضا انه كان ينطق بالعربية المحضة ، واللغة الفصحى ، طبيعة فيه غير متكلف .

وحكى الاصمعي قال : حدثنا ابي قال : كتب

يزيد بن المهلب بن ابي صفرة وهو بخراسان الى الحجاج كتابا يقول فيه انا لقينا العدو، فاضطررناهم الى عرعرة الجبل ، ونحن بالحضيض . فقال الحجاج : ما لابن المهلب ولهذا الكلام ؟ فقيل له : ان ابن يَعْمَر عنده ، فقال فذاك اذنْ ..

توفي يحيى رحمه الله في سنة تسع وعشرين ومائة ١٢٩ هـ .

بين يحيى بن يعمر والحجاج

والخبر الذي ينبيء عن موقف لابن يعمر عظيم يروى في عدة مصادر وانا انقله باستيفاء عن مختصر (جَمْهرة النسب) .

بلغ الحجاج أن يحيى بن يعمر يقول ان الحسن والحسين ابنا رسول الله صلى عليه وسلم . فكتب الى قتيبة بن مسلم ـ وكان بخراسان ـ ان وَجِّهْ اليَّ يحيى بن يعمر . فدعاه قتيبة في الليل فقال له : ان الحجاج كتب اليَّ ان اوجّهك اليه ، وقلَّ ما كتب في رجل بمثل هذا الكتاب الا قتله ، فاذا خرجت من عندي فلا آرَيَنّك . اى اراد منه ان يختفي . فقال : لا ، بل احملني اليه . قال قتيبة : انه قاتلك الآنْ . قال : احملني . فحمله على البريد ، فلما صار بباب الحجاج آخبر الحجاج أن يحيى بن يعمر بالباب ، فدعا بمصحف ، فوضع بين يديه ، ثم ادخله ، فقال : انت القائل ان الحسن والحسين ابنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، قال الحجاج : لتخرجنّه من هذا المصحف او لاقتلنك ، قال : فتَصَفَّحَ يحيى بن يعمر في المصحف ، حتى بلغ « ووَهَبْنا له اسحق ويعقوب كلاً هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمن وايوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين . وزكريا ويحيى وعيسى والياس». قال ابن يعمر للحجاج : فاخبرني اليس قد جعل الله عيسى ابنه ـ اى ابنا لابراهيم ـ وانما هو ابن بنت .

وفي رواية ابن خلكان للخبر انه قال : وما بين عيسى وابراهيم اكثر مما بين الحسن والحسين ومحمد صلوات الله عليه وسلامه . فقال الحجاج: ما اراك الا قد خرجت، والله لقد قراتها وما علمت بها قط . ثم رده الى خراسان، وكتب الى قتيبة: اذا جاءك كتابي هذا فاجمل يحيى بن يعمر على قضائك ، والسلام .

ابنة ابن يعمر وموقفها من طالب زواجها

ولقد عاد يحيى بن يعمر الى البصرة ، وعاش بعد وفاة الحجاج بن يوسف اكثر من ثلاثين عاما . وكانت له بنت ذات جمال وعقل اسمها عائشة وابوها كما علمنا صاحب علم ومال وفضل . لهذا كانت الرغبة في ابنته ظاهرة . وهو كان لها مكرّما . ولرأيها مقدّرا . فهذا محمد بن بشير الخارجي العدواني ـ وهو شاعر مشهور ، وليس الخارجي نسبة الى الخوارج ، وانما نسبة الى بني خارجة من عَدْوان ـ ويقيم ببوادي المدينة ، قدم البصرة في طلب ميراث له . فخطب عائشة بنت يحيى بن يعمر ، فابت أن تتزوجه الا بعد أن يقيم معها بالبصرة ويترك الحجاز ، أو يكون امرها في الفرقة اليها متى شاءت . فابى أن يقبل ذلك وقال :

أرِقَ الحزينُ وعادَه سُهُدُه
لطوارقِ الهَمّ الذي يَرِدُه
وذكرْتُ من لانَتْ لَه كَبِدي
فَابَى فليس تلين لي كَبِدُه
وأبَى فليس بنازل بَلَدي
ابداً وليس بمُصْلِحي بَلَدُه

وخاطب اباها يحيى بن يعمر في ذلك فقال له : انها امراة بَرْزَة عاقلة ، ولا يُفتَأت على مثلها بأمرها . ولست براغب عنك ، ولكنها امراة في خلقها شدة ، ولها غيرة ، وقد بلغني ان لك زوجتين ، وما اراها تصبر على أن تكون ثالثة لهما ، فانظر في امرك وشاور فيه ، فاما أن اقمت بالبصرة معها فعفت لك عن صاحبتيك اذ لا مجاورة بينهما وبينها ولا عشرة ، وان شئت ففارقهما واخرجها معك .

فصار محمد بن بشير الى رحله مغموما، وشاور ابن عم له فقال له : ان في يحيى بن يعمر الرغبة لثروته وكثرة ماله ، وما ذكر من جمال ابنته ، وما تحب ان تفارق زوجتيك .

وانتهى امره بعدم زواجها .

بين ابن زهر وابن عبدون

وقبل عصور الطباعة ، وايام قلة الورق ، وغلاء اجرة النسخ وبخاصة اجرة من كانت خطوطهم جميلة ، هذا الى تكلف المراجعة مرة اخرى لضمان صحة النص ، كان العلماء يفضلون حفظ الكتب عن ظاهر قلب بنصها حرفيا . ولم

تكن اذذاك مشاغلهم متشعبة ، والذين لهم هذه الحافظة القوية في استيعاب الكتاب مهما يكن طوله هم قلة نادرة بالنسبة الى افراد الشعب. فلا عجب ان يكون انصرافهم الى كثرة المحفوظ على حساب مظهرهم ، وحسن هندامهم ، ولا عجب ايضا ان يصلوا الى عظيم التقدير عند من يعرفون فضلهم وانصرافهم الى تجميل باطنهم اكثر من ظاهرهم :

وقصة رواها الوزير محمد بن عبد الملك بن زهر ، وهو من اهل بيت كلهم علماء رؤساء حكماء وزراء ، نالوا المراتب العالية ، وتقدموا عند الملوك ونفذت اوامرهم .

قال ابن زهر :

بينا انا قاعد في دهليز دارنا ، وعندي رجل ناسخ امرته ان يكتب لي كتاب الاغاني ، فجاء الناسخ بالكراريس التي كتبها ، فقلت له : اين الاصل الذي كتبت منه لاقابل معك به ، قال : ما اتيت به معي ، فبينا انا معه في ذلك دخل الدهليز علينا رجل بذ الهيئة ، عليه ثياب غليظة اكثرها صوف ، وعلى راسه عمامة قد لاثها من غير اتقان لها . فحسبته ـ لما رأيته ـ من بعض اهل البادية ، فسلم وقعد وقال لي : يا بني ، استاذن لي على الوزير ابن مروان ـ يريد ابي ـ فقلت له : هو نائم ، قلتها في جفوة ، حملني على ذلك نزوة الصبا ، وما رأيت من خشونة هيئة الرجل ، ثم سكت عني ساعة وقال : ما هذا الكتاب الذي بايديكما ؟ قلت له : ما سؤالك عنه ؟ فقال : احب ان اعرف اسمه ، فاني كنت اعرف اسماء الكتب ، فقلت : هو كتاب الاغاني ، فقال : الى اين بلغ الكاتب منه ، قلت : بلغ موضع كذا . وجعلت اتحدث معه على طريق السخرية به والضحك على قالبه . فقال : وما لكاتبك لا يكتب ؟ قلت : طلبت منه الاصل الذي يكتب منه لاعارض به هذه الاوراق فقال لم اجيء به معي . فقال : يا بني ، خذ كراريسك وعارض ، قلت : بماذا ؟ واين الاصل ؟ قال : كنت احفظ هذا الكتاب في مدة صباي . قال : فتبسمت من قوله ، فلما راى تبسمي قال: يا بني ، امسك عليّ . قال : فامسكت عليه وجعل يقرا ، فوالله ما اخطا واوا ولا فاء ، قرا هكذا نحوا من كراستين . ثم اخذت له في وسط السّفر وآخره ، فرأيت حفظه في ذلك كله سواء، فاشتد عجبي ، وقمت مسرعا حتى دخلت على ابي فاخبرته بالخبر ، ووصفت له الرجل . فقام كما هو من فوره ، وكان ملتفا برداء ليس عليه قميص ، وخرج حاسر الراس ، حافي القدمين ، لا يَترفق على نفسه ، وانا بين يديه ، وهو يُوسعني لوما ، حتى ترامى على الرجل وعانقه ، وجعل يقبّل راسه ويديه ويقول : يا مولاي اعذرني، فوالله ما اعلمني هذا الجلف الا الساعة.

وجعل يسبني والرجل يهون عليه ويقول : ما عرفني ، وابي يقول : هَبْهُ ما عرفك ، فما عذره في حسن الادب . ثم ادخله الدار ، وأكرم مجلسه ، وخلا به ، فتحدثا طويلا ، ثم خرج الرجل وابي بين يديه ، حتى بلغ الباب ، وأمر بدابته التي يركبها فاسرجت ـ اي دابة الوزير نفسه ـ وحلف عليه ليركبها ثم لا ترجع . فلما انفصل قلت لابي : من هذا الرجل الذي عظمته هذا التعظيم ؟ قال لي : اسكت ويحك ، هذا اديب الاندلس وامامها . وسيدها في علم الآداب . هذا ابو محمد عبد المجيد بن عبدون ، أيسر محفوظاته كتاب الاغاني ، وما حِفْظه في ذكائه وخاطره وجودة قريحته ؟ وما والاغاني الذي هو اقل محفوظه اكثر من عشرين مجلدا كل مجلد اكثر من ثلاثمائة صفحة .

وهذا الذي احتفى بابن عبدون هذه الحفاوة البالغة هو عبد الملك بن زهر ، كان اكبر طبيب في زمانه ، عمل في دولة المرابطين ثم صار وزيرا وطبيبا لاول امراء الموحدين . وله كتب مشهورة في الطب ، ولد سنة ٤٦٤ وتوفي سنة ٥٥٧ هـ .

اما ابن عبدون ، فهو عبد المجيد بن عبد الملك بن عبدون الفِهْري ، ولد وتوفي في يابُرَه . استوزره بنو الافطس الى انتهاء دولتهم سنة ٤٨٥ ، وانتقل بعدهم الى خدمة المرابطين ، وتوفي سنة ٥٢٩ وله القصيدة المشهورة التي يرثي بها بني الافطس ومطلعها :

الدهر يفجع بعد العين بالأثر
فما البكاء على الأشباح والصور

وهي قصيدة حافلة بالاشارات التاريخية ، تدل على قدرة عظيمة ، وعلى غزارة المعلومات ، وسعة الاطلاع . وقد شرحها ابن بدرون شرحا جميلا .

ان في رياض تراثنا كل بديع رائع ، لو اننا اقتبسنا مما تحفل به ، لقدمنا باقات تجمع كل حسن كريم يتضوع روائح عطرة ، ويبهر الوانا تسر الناظرين . ■■

عبد الستار احمد فراج

التصوف الاسلامي

بقلم : سعيد زايد

■ اقبل المسلمون ـ في الجيل الأول من الاسلام ـ على الدين ، وزهدوا في الدنيا ، فلم يكونوا في حاجة الى وصف يمتاز به أهل التقى والعكوف على الطاعات والانقطاع لله ، ولذا لم يتسم افاضلهم وقتئذ بتسمية سوى صحبة الرسول ـ اذ لا افضلية فوقها ـ فقيل لهم : الصحابة . ولما أدركهم أهل الجيل الثانى ، سمى من صاحب الصحابة بالتابعين .

وفشا الاقبال على الدنيا في القرن الثانى الهجرى وما بعده ، وجنح الناس الى مخالطة المتاع الدنيوى ، ولكن وجد من اعتنى بأمر الدين عناية شديدة ، فقيل لهم : الزهاد والعباد ، ثم ظهرت الفرق الاسلامية فادعى كل فريق أن فيهم زهادا وعبادا . وانفرد من أقبل على العبادة من أهل السنة باسم الصوفية والمتصوفة . ولذا فقد اشتهر هذا الاسم قبل المائتين من الهجرة ، فهو اسم مُحدث بعد عهد الصحابة والتابعين .

لفظ عرف قبل الاسلام ؟

وقد قال بعض العلماء ان هذا الاسم عرف في الاسلام من قبل ذلك ، بل ذهب بعضهم الى انه لفظ جاهلى عرفه العرب قبل ظهور الاسلام . فقد ذكر عن محمد بن اسحق بن يسار المتوفى سنة ١٥٠ هـ في الكتاب الذى جمع اخبار مكة ، أن مكة ـ قبل الاسلام ـ قد خلت في وقت من الاوقات ، حيث كان لا يطوف بالبيت احد ، وكان يجيء من بيت بعيد رجل « صوفي » فيطوف بالبيت وينصرف .

التصوف من الصوف

واذا كان الكلام قد كثر بالنسبة لظهور كلمة التصوف ، فقد كثر ايضا بالنسبة لأصل التعبير ، فقد قال القشيرى في الرسالة القشيرية انه لفظ جامد غير مشتق ، وقال غيره انه مشتق من الصفاء او الصفو ، وقال قوم ان اللفظ ماخوذ من الصوف كما روى عن الطوسي في كتاب اللمع . وهناك اقوال ضعيفة تنسب الصوفي الى الصف الاول ، او تنسبه الى صوفة القفا اى ما يتدلى من نقرة القفا من شعر يرسلونه متلبدا كالصوفة ، او تنسبه الى صوفة بن مروان . ويرى بعض العلماء أن أرجح الاقوال واقربها الى العقل مذهب القائلين بأن التصوف منسوب الى لبس الصوف ، اذ أن لهذا القول وجها سائغا للاشتقاق .

بين العقل والالهام

من المعروف أن الفلسفة تعتمد على المنهج العقلى في تفسير كل الظواهر الكونية ، فنظرية المعرفة عند الفلاسفة أساسها العقل ، تفسر به كل شيء ، وتدخله في فهم كل موضوع ، وتحل به جميع القضايا حلا يتفق والمنطق : فان وافقت الظاهرة المفسَّرة العقل فهى مقبولة ، والا فهى وهم أو حديث خرافة .

على انه في فترات معينة من تاريخ الفكر استطاع

فرق بين العقل والإلهام

وجعل القلب، لا العقل، سبيل المعرفة بالله

« الالهام » أن يحل محل العقل ، واستطاع الذين يقولون به ان يجعلوه اساسا لنظرية المعرفة. ولهذا التحول اسباب كثيرة ، أهمها موجة الشك التى تغمر النفوس احيانا ، فيقف بازائها التفكير المنطقى عاجزا عن الوصول الى الحقيقة، ويتخبط في سيره تخبط العشواء ، واذ ذاك يلتفت الانسان فلا يرى الا القلب من هاد ، ويترك هذا المنطق الذى اتعبته مقدماته ونتائجه ، وبذا يصبح أساس المعرفة هو اللقانة والغيبوبة والوجد والالهام والكشف .

من الفلسفة الى التصوف

وهنا ننتقل من الفلسفة الى التصوف ، فنؤمن بضرورات العقل ونثق بها ، لا بترتيب المقدمات واستخلاص النتائج ، بل بنور يقذفه الله تعالى في الصدر ، ومن هذا النور يطلب الكشف ، وهو نور ينبجس من الجود الالهى في بعض الاحايين ، ويجب الترصد له،كما قال صلى الله عليه وسلم : « ان لديكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها » .

القلب عند المتصوفة

والقلب الذى هو محل العلم عند المتصوفين لا يعنى اللحم الصنوبرى الشكل المودع في الجانب الايسر من الجسم ، بل تلك القوة اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح ، المطاعة المخدومة من جميع اعضاء الجسم،وهى بالاضافة الى حقائق المعلومات كالمرآة بالاضافة الى صور المتلونات ، فكما أن للمتلون صورة ينطبع مثالها في المرآة ويحصل بها، كذلك لكل معلوم حقيقة ، ولتلك الحقيقة صوره تنطبع في مرآة القلب وتتضح فيها . فالعالم عند الصوفي عبارة عن القلب الذى فيه مثال حقائق الاشياء ، والمعلوم عبارة عن حقائق الاشياء ، والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة ، والقلب مرآة مستعدة لان تتجلى فيها حقيقة الحق في الامور كلها .

ولكن ، ألم يستعمل الصوفيون كلمة العقل ؟ انهم استعملوه ، وتمثوا به معنى غير الذى يستخدمه الفلاسفة . فالعقل عندهم يُعبّر عنه أحيانا بالعقل الاول ، ويشيرون في ذلك الى قول النبى صلى الله عليه وسلم : « أول ما خلق الله العقل ، فقال له : اقبل ، فاقبل ، ثم قال له : أدبر ، فادبر » . أى أقبل حتى تستكمل بى ، وأدبر حتى يستكمل بك جميع العالم دونك . وهو الذى قال الله تعالى له : « وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أعز عليّ ولا أفضل منك ، بك آخذ وبك أعطى » .

ويعبر عنه أحيانا بالنفس الانسانية ، ويعبر عنه أحيانا اخرى بصفة النفس ، وهو بالنسبة الى النفس عندهم كالبصر بالنسبة الى العين ، وهى بوساطته مستعدة لادراك المحسوسات ، وعندهم انه هو الذى قال صلى الله عليه وسلم فيه عن ربه عز وجل : « وعزتى وجلالى لأكمننك فيمن أحببت » .

وعلى كل حال ، فان ألفاظ النفس والروح والقلب والعقل يراد بها في التصوف الاسلامى النفس الانسانية التى هى عندهم محل المعقولات .

النفس عند الصوفية

وتتلخص نظرية الصوفية في المعرفة ، في ان النفس جوهر غير جسماني مستقل عن البدن في وجوده وتصرفاته ، وهذه النفس كانت منفصلة عن البدن في عالم علوي ثم هبطت الى العالم الأرضي فنسيت ما كانت قد علمته ايام ان كانت في الملأ الاعلى . وبالرياضة البدنية والنفسية والمجاهدات ودوام الذكر يتحرر الانسان من قيود البدن وتزول الحجب لتنكشف للنفس الحقائق العلوية ، وتنعكس على مرآتها ، كما تنعكس صور المرئيات على المرآة .

وقد وصف الصوفية نفس الانسان باوصاف مختلفة بحسب اختلاف احوالها ، فهي النفس المطمئنة اذا سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات ، والنفس اللوامة اذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها ، والنفس الأمارة بالسوء ان تركت الاعتراض واذعنت واطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان .

ومعرفة النفس هي المفتاح لمعرفة الله تعالى ، فقد قال تعالى : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » . وقال الرسول صلوات الله عليه : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » . وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، يا رسول الله ! اين الله ؟ في الأرض او في السماء ؟ قال : « في قلوب عباده المؤمنين » . فخاصة الانسان العلم والحكمة ، واشرف انواع العلم هو : العلم بالله وصفاته وافعاله ، فيه كمال الانسان ، وفيه كمال سعادته وصلاحه لجوار حضرة الجلال والكمال . فالبدن مركب النفس ، والنفس محل للعلم ، والعلم هو مقصود الانسان وخاصته التي لأجلها خلق ، فخاصية الانسان هي معرفة حقائق الاشياء . وجملة عالم الملكوت والملك اذا أخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لأنها محيطة بكل الموجودات ، « اذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى ، وافعاله ومملكته وعبيده من افعاله ، فما يتجلى من ذلك للقلب فهي الجنة حسب سعة معرفته ، وبمقدار ما تجلى له من الله وصفاته وافعاله » .

طرق المعرفة عند الصوفية

اما طرق المعرفة فهي عند الصوفية ليست ضرورية ، وهي تحصل في القلب في بعض الأحوال ، وتارة يلهم بها ، وتارة أخرى تأتي عن طريق الاستدلال والقياس وغيرهما من طرق العلم فتكون مكتسبة .

والقلب عندهم مستعد لان تنجلي فيه حقيقة الحق في الأشياء كلها ، لولا الحجب التي تحجب عنه هذه الحقائق ، وقد تهب ريح الألطاف فتنكشف الحجب عن اعين القلوب ، فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ، ويكون ذلك في المنام احيانا ، او بالموت احيانا أخرى ، كما يتجلى في قول علي بن ابي طالب رضي الله عنه : « الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا » . وقد ترتفع في اليقظة بلطف خفي من الله تعالى ، فيلمع في القلب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف ، واخرى على التوالي الى حد ما ، ودوام هذه الحال في غاية الندور .

الصوفية لم يحرصوا على دراسة العلوم

من ذلك يتبين أن الصوفية لم يحرصوا على دراسة العلوم وتحصيلها طلبا للحقيقة ، وانما أخذوا أنفسهم بالرياضة والاقبال على الله اعتقادا منهم أن ذلك هو طريق المعرفة . فانا نكاد نراهم مجمعين على أن الدليل على الله هو الله وحده ، وسبيل العقل عندهم في حاجة الى الدليل ، لأنه مُحدَث ، والمحدث لا يدل الا على مثله . جاء رجل للثوري ، وقال : ما الدليل على الله ؟ قال : الله ، قال : فما العقل ؟ قال : العقل عاجز والعاجز لا يدل الا على عاجز مثله . وقال ابن عطاء : « العقل آلة للعبودية لا للاشراف على الربوبية » . وقال النحطبي : « من لحقته العقول فهو مقهور الا من جهة الاثبات ، ولولا أنه تعرف اليها بالالطاف لما أدركته من جهة الاثبات » .

وقال بعض الصوفية : « لا يعرفه الا من تعرف اليه ، ولا يوحده الا من توحد له ، ولا يؤمن به الا من لطف له ، ولا يصفه الا من تجلى لسره ، ولا يخلص له الا من جذبه اليه ، ولا يصلح له الا من اصطنعه لنفسه » .

ويفسر الكلاباذي : « من تعرف اليه » بمعنى

من تعرّف الله ، ومعنى من « توحد له » أى أراه انه واحد .

وهناك أقوال لمحمد بن واسع بن عطاء تدل كلها على أن الله تعالى عرفنا نفسه بنفسه فقال : « شاهد المعرّف من المعرفة بعد تعريف المعرّف بها » .

ويرى الغزالى أن السبيل الموصلة لمعرفة الله هى معرفة صفاته وأفعاله ، وأن معرفة الله الحقة مؤدية الى أن نعرف أن (الله أكبر) . وهذه المعرفة تصل بك الى أن يكون رجاؤك في الله وحده وخوفك منه وحده ، وعملك له وحده ، وهذا يصل بك الى أعظم مرتبة من مراتب التوحيد، وتصل بك هذه المرتبة العظيمة الى ما هو أعظم منها بأن تنكشف لك الأفاعل الا الله تعالى ، وأن كل شيء في الوجود من الله وبالله ولله .

ويقول الشيخ زكريا الأنصارى : « انه رأى الصوفية لا يطلقون العارف الا على من توالى عليه العلم بالله وصفاته .. حتى قالوا : من عرف الله كلّ لسانه ، أى شغلته معرفته به عن ذكر غيره ، لأن من عرف الله لا يستغنى عن النظر في عبادته لوقعها بحسب ما طلب ، وهذا حق ، ولا بد من دخوله في قلبه ، والشيطان عدوّه له لا يسكت عنه وذلك باطل ، ولا بد أن يدركه بقلبه ثم يتقيه » .

المدركات فى رأى الغزالى

ويقسم الغزالى المدركات الى ما يدخل في الخيال والى ما لا يدخل فيه كذات الله تعالى والارادة فمن رأى انسانا ثم غضّ بصره ، وجد صورته حاضرة في خياله كأنه ينظر اليها ، ولكنه اذا فتح عينه وأبصر ، أدرك تفرقة بينهما . ولا ترجع التفرقة الى اختلاف في الصورتين ، لأن الصورة المرئية تكون موافقة للمتخيلة وانما الاختلاف أتى من زيادة الوضوح والكشف ، فان صورة المرئى صارت أتم وضوحا وانكشافا . فالخيال أول الادراك ، والرؤية هى الاستكمال لادراك الخيال ، وهى غاية الكشف ، لا لأنه في العين ، بل لأنه ادراك كامل . وللمعرفة وادراك المعلومات التى لا تتشكل في الخيال درجتان : احداهما أولى ، والاخرى استكمال لها : وبين الأولى والأخرى من التفاوت في مزيد الكشف والايضاح ما بين المتخيل والمرئي . والمشاهدة والتجلى هى التى تسمى رؤية، ولا يفوز بدرجة النظر والرؤية الا العارفون في الدنيا . واذا كان نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى ، فحبّ الله تعالى بقدر معرفته ، فأصل السعادات هى المعرفة .

ويستشهد الغزالى بقوله تعالى : « والذين آمنوا أشدُّ حبّاً لله » . وحب الله يكتسبه العبد بسببين ، هما : أن يقطع علاقته بالدنيا ، ويخرج من قلبه حب غير الله ، ف « ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » . والواصلون اما أناس أقوياء ، وهم يعرفون الله تعالى من أول درجة ، ومن هذه المعرفة يعرفون غيرهم ، والضعفاء ، وهم يعرفون الأفعال أولاً ، ثم يتدرجون منها الى معرفة الفاعل .

الفرق بين المعرفة والعلم

وقد فرّق صاحب كتاب « مدارج السالكين » بين المعرفة والعلم ، فالمعرفة تتعلق بذات الشيء .. أما العلم فيتعلق بأحواله ، والمعرفة غالبا ما تكون لما غاب عن القلب بعد ادراكه ، فاذا أدركه قيل : عرفه .. وهى أيضا تمييز للمعروف عن غيره ، والعلم تمييز ما يوصف به عن غيره ، وهى علم بعين الشيء مفصلا عما سواه والعلم يتعلق بالشيء مجملا . ويدلل صاحب المدارج على ذلك ببعض الآيات ، مثل قوله تعالى : « مما عرفوا من الحق » . وقوله : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » . وقوله : « فاعلم انه لا اله الا الله » . وقوله : « شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو » .

ويقول ان لفظ العلم أكثر وأوسع اطلاقا من لفظ المعرفة . وقد اختار الله سبحانه وتعالى لنفسه اسم العلم وما تصرف منه .. فوصف نفسه بأنه عالم وعليم وعلام، وأخبر ان له علماء، دون لفظ المعرفة في القرآن ، وانما جاء لفظ المعرفة في القرآن في مؤمنى أهل الكتاب خاصة ، مثل قوله تعالى : « ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون » ، الى قوله : « مما عرفوا من الحق » . وقوله : « والذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » .

وهناك طائفة ترجح المعرفة على العلم ، وأهل الاستقامة أشد الناس وصية للمريدين بالعلم

وعندهم انه لا يكون وليٌّ لله كامل الولاية مـن غير اولى العلم ابدا . ثم يذكر صاحب المدارج ان الصوفية قـد تكلمـوا على المعرفـة بآثارها وشواهدها ، فقال بعضهم : « من امارات المعرفة بالله حصول الهيبة منـه فمن ازدادت معرفتـه ازدادت هيبته » .

المعرفة ثلاث درجات

ويذكر عن بعض الصوفية انه قسم المعرفة الى ثلاث درجات : معرفة الصفات والنعوت ، ومعرفة الذات مع اسقاط التفريق بين الصفات والذات ، ومعرفة مستغرقة في محض التعريف لا يوصـل اليها الاستدلال ، ولا يدل عليها شاهد ، وهـي على ثلاثة اركان : مشاهدة القرب ، والصعود عن العلم ، ومطالعـة الجمع وهي معرفـة خاصـة الخاصة .

وتمام المعرفة بالله هو تمام انكار الذات ، وهي الحالة التي يعبر عنها بالفناء . ودرجات الفناء هي :

١ ـ فناء اهل العلم المتحققين به .
٢ ـ فناء السلوك والارادة .
٣ ـ فناء اهل المعرفة المستغرقين في شهود الحق.

وهذا الاخير على ثلاث درجات ايضا هي :

١ ـ فناء المعرفة في المعروف ، وهو الفناء علما.
٢ ـ فناء العيان في المعاين ، وهو الفناء جحدا.
٣ ـ فناء الطلب في الوجود ، وهو الفناء حقا .

فالاول هو غيبة العارف بمعروفه عن شعوره بمعرفته ومعاني هذه المعرفة ، فيفنى به سبحانه وتعالى عن وصفه هنا وما قام به ، فان المعرفة فعله ووصفه ، فاذا استغرق في شهود المعروف فنى عن صفة نفسه وفعلها . ولما كانت المعرفة فوق العلم واخص منـه ، كان فنـاء المعرفة في المعروف مستلزما لفناء العلم في المعرفة ، فيفنى اولا ، ثم تفنى المعرفة في المعروف .

والثاني هو فناء العيان في المعاين ، فالعيان فوق المعرفة ، فان المعرفة مرتبة فوق العلم ودون العيان ، فاذا انتقل من المعرفة الى العيان فَنِيَ عيانه في معاينته كما فَنِيَتْ معرفته في معروفه .

والثالث هو فناء الطلب في الوجود ، فهو ألا يبقى لصاحب هذا الفناء طلب ، لانه ظفر بالمطلوب المشاهد ، وصار واجدا بعد أن كان طالبا ، فكان ادراكه اولا علما ، ثم قوى فصار معرفة ، ثم قوى فصار عيانا ، ثم تمكن فصار وجودا .

وبعـد ، فهـذه آراء بعض الصوفية في نظرية المعرفة ، وقد ظهرت هذه الآراء واضحة في الدور الثالث من ادوار التصوف الاسلامي ، اى في القرن الثالث الهجرى ، وهى الفترة التى أصبح الزهد فيها لا غاية ، بل وسيلة للوصول الى المعرفة والاشراق .

ملخص نظرية المعرفة عند المتصوفة

ويضع الاستاذ نكلسون ملخصا لنظرية المعرفة في التصوف الاسلامي في قوله : « لقد ميز الصوفية بين ثلاثة اشياء ، اى بين القلب والروح والسر ، فالقلب يستطيع ان يتعرف كل الاشياء وماهياتها ، واذا اضيء بالايمان والمعرفة استطاع أن يعكس على صفحته كل ما يحويه العقل الالهى . ويتنازع القلب قوتان : احداهما المعرفة التى تفيض من الله على العبد ، والاخرى هى اوهام الحس . والمرء لا يعرف الله بالحس ، لأنه لا مادى ، ولا بالعقل والمنطق ، لانهما لا يخرجان عن دائرة المتناهى ، بل بالفيض والوحى والالهام . فالقلب يضم بين جوانحه العالم كله ، والله وحده هـو الذى ينير القلوب ، ويزيل ما يغشيها من شوائب الحس ، وذلك بتآزر العبد مع الرب في ذلك » . أعنى بالمجاهـدات والرياضات ، والافعـال التى لا تصدر عن الله افعال باطلة ، وكل ما يعمله الصوفي معرفة مباشرة لانها تستند على الوحى ، او على الرؤية المباشرة ، فهى ليست نتيجة لاية عملية عقلية ، وانما تعتمد كلية على ارادة الله ومحبته وفيضه على من اصطفى مـن عباده . وبالرغم من اتفاق المسلم العادى والصوفي من ان الله واحد ، فان الاول يعنى بذلك انه واحد في ماهيته وصفاته ، اما الآخر فيرى ان الله هو الواحد الحقيقى الذى لا يوجد غيره في الكون ، فهو يتضمن كل الظواهر الاخرى ولما كان الصوفي لا يعرف الله وكل اسرار الوجود الا اذا وجدها في نفسه ، فهو بذلك يعتبر عالما صغيرا ؟ فمعرفة الصوفي اذن هى اتحاد . ■■

سعيد زايد
المراقب العام بمجمع اللغة العربية بالقاهرة



العِلْم ومُشكِلات العَصْر

موارد الأرض تتضاءل أمام الزيادة المخيفة لسكانها

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

■ لم يعد ثمة شك في ان العلم هــو الوسيلةالاولى والاخيرة ، لاحداث اى تقدم في اى مجتمع ، وقد تقدمت بالعلم دول وشعوب وصلت الى أعلىمستوى حضارى ، وتقاعست أخرى عن الأخذ بأسباب العلم ، فوُصِمت بالتأخر والتخلف ،وعلى ذلك سميت الأولى«الدول المتقدمة »وسميت الثانية « الدول المتخلفة » ، وان استعمل التعبيرالمهذب « الدول النامية » ومن الحق أن نقول ان هذه وتلك تتعرض الى مشكلات خطيرة ، اصطلحعلى تسميتها مشكلات العصر ، لعل من أخطرها « التلوث » و « التدمير البيئى » و « الانفجار السكانى » ، ويضاف اليها في الدول المتخلفة تلك الأمية المتفشية بين قطانها ، وما يتبع ذلك من فقر وجهل ومرض ويندر أن تخلو مجلة علمية في السنوات الأخيرة ، من موضوع أو أكثر ، يعالج مشكلة من هذه المشكلات، يحمل تحذيرا الى سكان هذا الكوكب ، الا يكونوا سببا في تدمير الحياة على سطحه ، وأن ينتبهوا الى ما يوشك ان يحيق بهم من دمار ، بسبب اهمالهم في علاج هــذه المشكلات ، وتلافي أسبابها ، واتخاذ العلم وسيلة لعلاجها . فقد غدا العالم صغيرا ، وما يحدث في اى رجا من ارجائه ، تتأثر به سائر الأرجاء ، ولا ينبغى أن ينظر الانسان الى بيئته المحلية فحسب، سواء من الناحية العلمية أو الاقتصادية ، بل ينبغى ان تتكامل هذه وتلك مع السياسة والاخلاق والصحة ووسائل التنمية على مستوى تخطيط دولى ، طويل المدى ، بالنسبة لكوكب الارض ككل . وتعددت في السنوات الأخيرة المؤتمرات والندوات ، التى خصصت لدراسة هذه المشكلات وكلها تقرع نافوس الخطر محذرة من آثار التقدم والتخلف معا .

موارد الارض وسكانها

ويكاد يكون من المؤكد ، ان سكانالارضسيبلغون اربعة الاف مليون نسمة في بضع سنين في توزيع غير منتظم على قارات العالم ودوله ، فقد اخذت الدول المتقدمة حِذرها ، فلا يكاد يزيد سكانها في خلال عشرات السنين الأخيرة الا بمقدار محافظة من هؤلاء على مستوى الحياة الراقية الــذى بلغوه بجدّهم وعملهم وثبارهم . على حين يتزايد سكان الدول المتخلفة بمعدل سريع جدا ، فيهبط مستوى المعيشة مع ازدياد الاعداد ، ان كانت الموارد لا تزيد بنفس المعدل . فيزداد الفقر ، وتسوء التغذية وتقل الموارد ، وتضعف الامكانيات، ولذلك كان لزاما على الدول النامية أن تفرض القيود الصارمة لتحديد النسل ، وايقاف هذا

التكاثر المروع عند حد ، حتى لا تتدهور الحالة الى الدرجة التي يستحيل معها العلاج ، وانما يكون ذلك بنشر الوعي السكاني ورفع المستوى الثقافي والاجتماعي بين الناس ، حتى يعلموا انهم بذلك انما يخدمون اوطانهم ، بل يخدمون اولادهم واحفادهم وذرياتهم من بعدهم ، فلا يتركونهم فريسة للفاقة والعوز والفقر والمرض ، وانه خير لهم وللانسانية جمعاء أن يتركوا قلة تعيش في رغد وبلهنية ، بدلا من كثرة تعيش في بؤس وشقاء. ولا بد من تخطيط دولي لهذه المشكلة وغيرها من مشكلات العصر ، اذ ان الرخاء والسلام لا يتجزآن، ومن المحقق أنه ينبغي على الدول المتقدمة ان تاخذ حذرها من الدول المتخلفة من هذه الناحية او تلك .

اما حماية البيئة من التدمير ، فلم تعد مشكلة محلية ، تهم هذا البلد او ذاك ، ولكنها غدت هي الاخرى مسالة دولية عالمية، فهي الآن عامل مهم في العلاقات بين الدول وفي كثير من البلاد اصبحت هدفا سياسيا ووطنيا ، وقد وضحت أبعاد المشكلة في مؤتمر دولي نظمته هيئة اليونسكو اخيرا . وفي خلال السنوات القليلة الماضية ، عقد كثير من مثل هذه المؤتمرات والندوات والدراسات في العالم كله . فقد ترك التقدم الظاهر للمدنية آثارا بالغة الضرر على البيئة الطبيعية ، وكان التحات وقطع اشجار الغابات عاملا اضافيا في اتلاف مساحات كبيرة من الارض كانت يوما خصبة وثمة عشرات من انواع الحيوانات مهددة بالانقراض من العالم وبالمعدل الحاضر للزيادة في اساطيل الصيد ، فان العلماء قد غدوا متشائمين بالنسبة لمستقبل موارد السمك في بعض المحيطات التي ظن يوما انها لا تنفد ، فضلا عن ان تلوث الماء والجو مما يفسد البيئة التي تعيش بها هذه الأحياء ، وقد يجعلها مستحيلة بالنسبة لبعضها .

الزراعة في الارض

ان الحياة البشرية والانتاج الزراعي كليهما يعتمد على الطبقة السطحية للارض ، وان نحو ١٠٪ من سطح الارض في الكرة الارضية يزرع ، وفي بعض البلاد تزيد النسبة كثيرا ، فهي في فرنسا ٤١٫٥٪ ، و٣٢٫٥٪ في المانيا ، و٢٦٫٥٪ في الولايات المتحدة الامريكية على حين انها لا تجاوز ٣٪ في مصر . ولذلك يجب العناية بالارض وحمايتها من عوامل التحات سواء بالريح او الماء . وقد حسب أحد العلماء مقدار ما دمرته الريح والماء من ارض بسبب التحات في القرن الماضي ، فاذا هو نحو ٥٠٠٠ مليون فدان او نحو ١٥٪ من سطح الكرة الارضية وتمثل ٢٧٪ من الاراضي المستغلة في الزراعة فعلا . وفي اوكرانيا سبب التحات استبعاد ملايين الأفدنة كانت تزرع فعلا ، ولذلك تبذل جهود جبارة للحماية من التحات فتزرع الغابات كمصدات للرياح فتحمي التربة كما تحمي المحاصيل . وقد انشئت مراكز لتنمية واستصلاح الاراضي واستزراع الغابات ووقف التحات بالماء والريح ، والتحكم في معدل تدفق الأنهار ، وتزرع الأشجار على شواطيء الانهار والمنحدرات وتزرع الأودية بالاشجار وبذور الحشائش . وعلى حين تستنفد الصناعة كميات ضخمة من الماء ، فان فضلات الصناعة تلوث موارد الماء فيكون غير صالح للاستعمال ، وفي بعض البلاد اصبح تلوث الأنهار والبحيرات مسالة ذات أهمية قومية ، وقد تحولت الولايات المتحدة الامريكية نحو حكومة كندا تطلب موارد الماء العذب لتقابل الاحتياجات الصناعية والمنزلية في بعض الولايات ، ولما كان الطلب على الماء متزايدا كان من الواجب الحفاظ عليه ، بانشاء السدود والخزانات واستنباط الماء الارضي لاستغلاله وتنقية المياه الملوثة بسبب تسرب مخلفات المصانع والمجاري وغيرها . وفي بعض البلاد أعطيت محطات تنقية المياه الاولوية لدى جميع الشركات الصناعية .

مشكلة التلوث

اما مشكلة التلوث ، فهي ثالثة الأثافي كما يقولون ، ويستشري خطرها في البلاد المتقدمة والمتخلفة على السواء ، ففي البلاد المتقدمة بسبب التقدم الهائل في الصناعة والتكنولوجيا الحديثة ، وفي البلاد المتخلفة ، بسبب الفقر والجهل ، وما يتصل بهما من اهمال وقذارة مع تزايد السكان وما يصاحبه من جوع ومرض وسوء الأحوال الصحية.

ففى جميع انحاء العالم ، تنتج الصناعة سنويا مئات الملايين من الأطنان من المخلفات الضارة التى تلوث الجو ، وتجعله ضارا وخطرا على حياة النبات والحيوان ، كما أن النمو السريع للنقل بالطرق باستعمال الوقود ذى الأساس البترولى قد اضاف الى تلوث الهواء بزيادة محتوى ثانى أكسيد الكربون على حساب الأكسجين ، كما أن اول أكسيد الكربون وثانى أكسيد الكبريت والهدروكربونات والرصاص ، كلها مواد ضارة .

ان التكنولوجيا الحديثة تساعد الانسان على نقل الجبال وتحويل مجارى الأنهار حسب الارادة ولكن الانسان في تسخيره قوى الطبيعة ، يترك جروحا وندَبات مخيفة .

ان مشكلة التلوث ظاهرة عالمية،ينبغى التخطيط لها على مستوى الكوكب الارضي كله ، فقد نشرت بعض الانباء عن قتل جماعي للاسماك في بعض الانهار بسبب تلوث حرارى او كيماوى في خليج فنلنده وبحر قزوين ونهرى الفولجا والدون ، وكانت مشكلة التخلص من الزيت حيث تصب معامل تكرير البترول مخلفاتها مباشرة في بحر قزوين ، بالاضافة الى هبوط مستوى الماء في العشرين سنة الأخيرة ، فنقصت المساحات التى كانت تبيض فيها أسماك الكافيار الى الثلث ، وكذلك في بحر الاورال مما يهدد الأحياء المائية هناك . وثمة مشكلات تلوث مشابهة في البحيرات العظمى بأمريكا الشمالية وبحيرة بيكال وغيرها .

التلوث الاشعاعى

أما التلوث الاشعاعى ، فانه هو الآخر ، أشهر من أن نشير اليه في هذا الحديث (١) .

وكذلك يبدو أن التلوث ظاهرة عامة في العالم تحتاج الى معالجة جذرية ، وكذلك هو التدمير البيئى حيثما وجد ، انه ظاهرة متعددة الوجوه ، التى يجب دراستها مع مشكلات النمو والتعليم ، انها مشكلات العصر التى يجب التخطيط لها على مستوى الكرة الارضية،وذا كان الحال كذلك في البلاد المتقدمة، فماذا عسى أن تكون الحال في بلادنا وفيها ما تعلم من جهل وفقر ومرض وأمية ما تزال رغم الجهود التى تبذل هنا وهناك لتحسين الحال ، انها تحتاج الى جهد مضاعف للاستفادة مما حققته الدول المتقدمة بالعلم والتكنولوجيا ضد اخطار العصر من تلوث وتدمير بيئى وانفجار سكانى والله ولى التوفيق . ■■

عبد الحليم منتصر

---

(١) وقد عالجنا موضوع التلوث الحرارى في عدد اغسطس الماضي من العربى .

في التربيـــــة

● أوصى هشام بن عبد الملك سليمان الكلبي لما اتخذه مؤدبا لولده ، قال : ان اول ما آمرك به ان تأخذه بكتاب الله ، وتقرئه فى كل يوم عشرا ، يحفظه حفظ رجل يريد التكسب به ، ثم رَوِّه من الشعر احسنه ، ثم تخلل به فى احياء العرب واسواقها ، فخذ من صالح شعرهم هجاء ومديحا ، وبصّره طرفا من الحلال والحرام والخطب والمغازى ، ثم اجلسه كل يوم للناس ليتذكر ولا تكرهه على علم فيمله، ولا تدعه فيهجره، ولا تخرجه من علم الى علم حتى يحكمه ، فازدحام العلم فى السمع مضلة للفهم .

الشيخ أحمد عارف الزين

منشئ مجلة العرفان

جاهد في سبيل الحرية نصف قرن من الزمان

بقلم : وداد سكاكيني

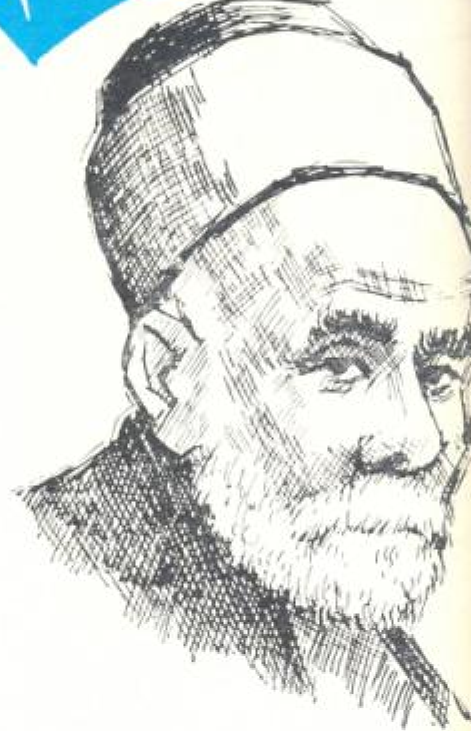
● اسس الدكتور يعقوب صروف والدكتورفارس نمر ، وهما من أوائل المتخرجين في الجامعة الامريكية في بيروت ، مجلة « المقتطف » عام١٨٧٦ ، وبعد خمس سنوات من ظهورها بالصبغة العلمية التي عرف بها الدكتور يعقوب صروف ،شاء الزميلان أن ينتقلا بالمجلة من بيروت الى القاهرة حيث يتسع لهما مجال العلم والعمل كما اتسع للسابقين من أندادهما الذين هاجروا الى مصر فعملوا في الصحافة والترجمة والتعليم ،وكان الحكم العثماني عنيفا برقابته على حرية الرأي وطموح الموهوبين والاحرار في بلادهم ،فلقيت « المقتطف » في نقلها حفاوة بثقافتها المنوعة ونزعتها العلمية التي اتسمت بالتجديد الفكري فيبحوثها ومقالاتها حتى حملت مشعلها في الوعي العربي الحديث زهاء خمسة وسبعين عاما .

وفي العام ١٨٩٢ كان جرجي زيدان في القاهرة ساعيا الى نشر مجلته « الهلال » ، أسوة بصديقه يعقوب صروف ، فظهرت هذه المجلة بالصبغة الادبية والتاريخية التي عرف بها مؤسسها زيدان في مقالاته ومؤلفاته ، ولا تزال « الهلال » التي ادركت عهد الثورة المصرية عام ١٩٥٢ ماضية مع الايام في موضوعاتها التي كتبتها وتقدمها اقلام سحافية وفكرية لنوابغ من الشيوخ والشباب على مدى أجيال ثلاثة .

مدرستان جوالتان

كانت « المقتطف » و « الهلال » في ظهورهما بزاد الفكر والمعرفة واسباب التطور والتحرر من آفاق الشرق والغرب اشبه بمدرستين جوالتين في المعاهد العربيةوالندوات وفي البيوت والمجتمعات حاملتين في كل شهر علما جديدا وأدبا وفنا ، فاقبل عليهما في مصر والعالم العربي قراء وكتاب وجدوا في المجلتين ما يرضي العقل المتفتح والذوق والموهبة المرجوة

وفي عصر « الهلال » و « المقتطف » تعددت المجلات لمعالجة قضايا اللغة والدين والاصلاح ، كالضياء والمنار والزهراء وغيرها ، غير انها لم تعش طويلا لاسباب شتى ، وكانت تلتقي بهما من بعيد مجلة عربية متواضعة ، لم تظهر في مدينة كبيرة او عاصمة ضخمة ، بل اطلت على الفكر والعقيدة والوطنية من بلدة تاريخية أغنتها أصالتها عن سمتها ، فهي صيدان ــ لبنان ، حيث لا تعيش الصحافة والصحف ، ولا يروج الكتاب



أو يبرز الكاتب والشاعر مع قلة الأمية في الحرف والوعي بالمقارنة مع غيرها من أرض لبنان الجنوبي، وكان منشىء المجلة هو الشيخ الفتى أحمد عارف الزين الذي أبى الا أن تكون « العرفان » في بلدته الضيقة ذات القلعة البحرية والمنار ــ منارا فكريا تحرريا للمنطقة التي يعيش فيها ومنها جيل عامل العربي الاصيل الذي ضاق بنبوغ المعدودين من ذويه وتطلع كل مقدام همام الى بعيد ، فانطلقوا الى المهاجر الامريكية والافريقية مكافحين للعلم والرزق والثراء ، وقد جعل الشيخ عارف الزين مجلته ملتقى للنازحين المغتربين والعلماء والمقيمين والمتعلمين ، يتداولون الرأى في توعية جيل بعد جيل وتنمية الفكر بالثقافة العربية والمقتبس من الاجنبية . فاقدم هذا الاديب الفتى على هذه المغامرة الشريفة وكانت الهمة على قدر الهمة فبذل لصحيفته من علمه وعزمه وماله ما اعانها على الحياة والبقاء ، وهو الذي عاش قانعا بما كان يكفيه من ارث خفيف يؤمن بتدبيره التكاليف للمجلة ويضمن المعيشة لأسرته وبيته ، ولعل صاحبها كان يعول على نصرة المؤيدين لكفاحه من المهاجرين الذين كانوا يمدونه بمعونة الاشتراك في المجلة .

وقد عجب الدكتور يعقوب صروف صاحب المقتطف كيف استطاعت العرفان ان تظهر في بيئتها الضيقة ، وان انسانا بهذه الهمة وهذا الطموح وهذا الادب لم ينتقل الى بيروت أو القاهرة كما كان يصنع المفكرون وأعلام اللغة والبيان والوطنية ممن ضاقت على آمالهم وأعمالهم معايشهم وآفاقهم

تعليمه وثقافته

تلقى الفتى الشيخ احمد عارف الزين دراسته كما كان يتلقاها لداته واقرانه في زمانه على ثقات في العربية والفقه والتاريخ وقد خرّجته مدرسة الرائد الاول في التعليم بالنبطية السيد حسن يوسف وعلى أساتذتها الاجلاء أحمد رضا وسليمان ظاهر وهما من أعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق فيما بعد ومحمد جابر المؤرخ الثقة كما أخذ الزين الفتى بنصيب من ثقافة العلماء حسين نعمة ومحمود مغنية وعبد الحسين شرف الدين من أهل عاملة في لبنان وغيرهم ، وقد تعلم التركية والفارسية اللتين شاعتا في عصره ثم الفرنسية على معلم مختص بتدريسها .

وكان صاحب العرفان موهوبا في الأدب منهوما في المطالعة ومراجعة الكتب القديمة والحديثة حتى برزت خصائصه ومزاياه الفكرية في بواكير مقالاته ورسائله قبل أن يؤلف الكتب في الأدب والتاريخ والتحقيق . ولما أعلن الدستور العثماني ١٩٠٨ وتفتحت الآمال للعرب في تغيير وتجديد يدخلان على حياتهم النور والطمأنينة والثقة بعد يتزحزح فيه التخلف والتعسف ، ويشيع العلم والعدل بين الناس، شاء الصحافي الأديب أحمد عارف الزين أن ينشيء مجلته عام ١٩٠٩ لتكون مجالا لدعوة الحق والحرية والمحبة ، تنطلق من أفق بلاده وتبشر بما

كان يرتجي رواد الاصلاح والتحرير في بلاد الشام على الاصطلاح القديم

وفتحت « العرفان » صفحاتها لأقلام العلماء والادباء والباحثين في مقومات الحياة العربيه ، ولم يكتف صاحب المجلة بما انشا فقد اسس جريدة اسبوعية باسم « جبل عامل » لتكون عنايتها منصرفة الى شؤون الجبل وحاجاته وقد جاء في بيان خطتها بانها مستقيمة لا تتغير اهدافها معتصمة بالحق لا تحيد عنه ولو ادى بها الى الزوال ، وان الجريدة لم تعلن عن نفسها كما تفعل بعض الصحف فان ظهورها بكفاح المعوقات للوعي والنهضة هو احسن اعلان عنها ...

حكم غاشم

وأدى النقد الصحيح والقول الصراح في جريدة «جبل عامل » الى غيابها واحتجابها بعد عام . فقد افسدت عليها حرية الراي الحكم الغاشم والمتزعمين الناقمين من أهل البلاد ، اذ تخوفوا من مكافحة الظلم والظلام فقاوموا الجريدة وعوقب صاحبها بتوقيفها وسجنه شهرا ونصف الشهر بحكم من المجلس العرفي في بيروت ، وهو غير الديوان الذي نفذ أمر الطاغية التركي في عاليه ، فانصرف الشيخ عارف الى مجلتـه كاتبا فيها مقالاته الفكرية والاصلاحية دون سخط أو تهديد ، ولما بدرت بوادر الحرب العالمية الاولى بنكباتها للعرب أوقف منشيء « العرفان » مجلته عن الصدور مؤثرا السلامة والعكوف على كتبه ومؤلفاته ، غير انه لم يسلم في هذه العزلة من أذى المتربصين ، فقد أصيب بما أصاب انداده من المفكرين العرب والعلماء المصلحين فسيق معهم الى المجلس العرفي بعاليه ـ لبنان وهناك لم يتبين الحكام للفتى الشيخ علاقة مريبة او صفحة مشبوهة فنجا من حبال السفاح محسودا .

الحركة الوطنية

ولما استبشر العالم العربي خيرا بانتهاء الحرب والحكم المستبد تنادى رواد الفكرة الوطنية الى تاليف حكومة عربية دعي صاحب « العرفان » للمشاركة في مناصبها فاثر عليها مجلته وقد عاد اليها مجددا همته في رسالتها الفكرية في العهد الجديد ، الذي لم يدم طويلا فقد اقتحم الاحتلال افرنسي لبنان وسورية واخذ يحدد ويهدد في قيام حكمه وتقسيم الارض لاصطناع الاقليمية والطائفية، وفي هذه المحنة عرضت على صاحب « العرفان » بواسطة صديقه المستعرب المشهور « ماسينيون » مطبعة حديثة اذا سالم وتغاضى عما جرى ، فغضب الشيخ العارف وازداد نقمة على من خيبوا آمال العرب في الحرية والسيادة والقومية ، فدعا قادة الأمة وزعماءها للعمل على ما فيه التجاوب والتقارب ، ليكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا في البفتات والخطوب ، وتفتحت الاعين على مجلة « العرفان » التي اخذت تذكر العرب بمن بنى حضارتهم وثقافتهم وبما حفظ بيانهم وكرامتهم في حياة لائقة مرموقة ، وكانت مقالات « العرفان » تفيء القلوب والدروب حتى احتدمت الثورة السورية عام ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦ فسارع الحكم الغاشم الى اعتقال الشيخ عارف الزين بتهمة التابيد لهذه الثورة وهو اللبناني الذي يدعو الوحدة الوطنية في بلاده للوحدة العربية .

وبعد خروج صاحب « العرفان » من السجن مع رفاق النضال للاستقلال وكان بينهم الزعماء عبد الحميد كرامة ، عبد اللطيف البيار ، رياض الصلح وعمر بيهم ، دعي هؤلاء الثوار للقاء « المفوض من المحتلين دومارتيل » فقال لهم :

ـ ما لكم وللوحدة العربية كيف تدعون لها وللسورية وأنتم من لبنان ؟

فانبرى الشيخ الزين للجواب قائلا :

ـ اذا نظرت الى « لاروس » الذي يتعلم منه اطفالنا فانك تجد أن علماء اللغة في فرنسة كتبوا الى جانب لبنان تعريفا به « جبل في سورية » ..

فاهتاج المفوض السامي وأنهى اللقاء محتدا

نهدا ، على أن هذا اللقاء ما زاد « صاحب العرفان » الا مضيا في تبصير قومه وبلاده ودعوة المسؤولين والاهلين لتعليم ابنائهم وبناتهم واعدادهم للمشاركة في الكفاح والاصلاح .

مجلة العالم العربي كله

ولم تكن صفحات « العرفان » مفتوحة لادباء بلادها والباحثين فيها والمؤرخين فحسب ، بل كانت للاقلام الناضجة الموهوبة من العالم العربي كله ، عرفنا على صفحاتها كتابا مصريين وأعلاما من علماء الازهر والمتخرجين منه في الدين واللغة والبيان ، وكان منشيء المجلة يعرف اثر مصر في نهضتنا الفكرية المعاصرة ، فلما زارها قبل الثورة الاخيرة اصدر عددا خاصا بمآثر الادباء والنقاد على ضفاف النيل ، وشيوع الفكرة العربية التى ضاق بها دعاة القومية الضيقة ولم يترك جانبا من جوانب التطور والانبعاث الا جلاه باقلام الباحثين والمحصين فكان هذا العدد من العرفان تحية لمصر وذكرى .

وكان اعتزاز العرفان بعلماء العراق وأدبائه مقرونا بأروع الانطباعات والذكريات وقد عرفنا منهم الشبيبي والشرقي والخليلي والوائلي وجمال الدين وعبد الرزاق محيي الدين الذى يمثل الوحدة الوطنية والعربية في سيرته ووجهته ، ويناضل بقلمه وبيانه من أجل اللغة التى اتقنها وحمى مقوماتها ، ولكم قرأنا لشاعرات العراق من القصيد الجديد على صفحات « العرفان » ، لو بقيت آثار هؤلاء النوابغ في آفاقهم لما قرأناها الا قليلا فيما يصل من صحفها الى البلاد العربية .

منارة فكرية باقية

على أن قراء « العرفان » والمستمعين لمؤسسها في المؤتمرات الوطنية والادبية خطيبا قبل الاستقلال وبعده كانوا يحسبون أن همة الشيخ الوقود ستفتر بعد مضي نصف قرن على انشاء مجلته وامتداد جهاده ، لكن العجب كان يأخذهم كلما وجدوه برأيه وايمانه أشد اهتماما بقضايا العروبة والوطنية في عهد البناء والتقويم ، ولم يكن تأثيره في بيئته ومجلته لانه كان اديبا عالميا مبدعا أو عالما مخترعا ، بل كان اثره في سيرته وتقواه وجهاده الذى ما كان يرتجي منه منصبا ولا مكسبا ، وما اروع الحق في مقالاته التقليدية باداتها ، لكان الصدق في الشعور والتفكير كان يتفجر نورا في سطورها وحبا بدين محمد عليه السلام فعزز هذه القصيدة في صحيفته ومشى على هداها معتنقا مذهب الحسين سيد الشهداء في الوفاء والفداء للكرامة والحقيقة .

وبعد فان العالم العربي الذى تنبه على أصوات العلماء والادباء منذ مطالع هذا العصر ليحفظ للمصلحين منهم والرواد فضل الجهاد بمساعيهم واقلامهم ، ولا ينسى المنارات الفكرية التى اقيمت في آفاقه بصحف ومجلات سبقت المعاهد والجامعات الى حمل المشاعل والمصابيح ، وكانت شيخاتها الثلاث التى طالت أعمارها وتعددت آثارها هي « المقتطف » و « الهلال » على ضفاف النيل و « العرفان » على شاطىء لبنان .

فالاولى توقفت وبقيت مجلداتها مراجع للباحثين والدارسين والثانية قد جاوزت الثمانين وكأنها في عز الشباب بتجاوبها مع الحياة ، اما « العرفان » فناهزت اليوم السبعين بعد غياب منشئها عنها وهي في الستين اذ توفاه الله عام ١٩٦٠ في خراسان فدفن في حضرة الامام علي الرضا رضى الله عنه وفي جوار الشيخ بهاء العاملي صاحب الكشكول والحر العاملي صاحب الوسائل في الحديث ، وقد نهض بتكاليفها وتحريرها فتى « العرفان » الاديب الصادق الاستاذ نزار الزين الذى أعده والده للحفاظ على هذه الامانة بكلمة الحق والاخلاص في مجلته البانية للامة العربية في مقومات الفكر والتراث والوطنية .

وداد سكاكيني

اعرف وطنك أيها العربي

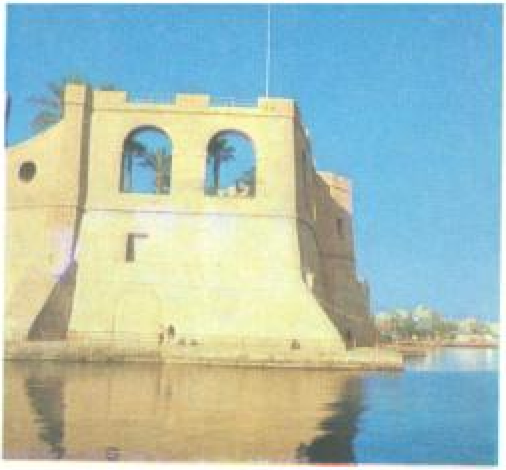
طرابلس عاصمة ليبيا في حاضرها اليوم

- المدينة الصاخبة تحولت الى مدينة جادة خالية من اللهو
- القوانين تستمد كلها من الشريعة الاسلامية

تمثال الامبراطور سيفروس ، احد الاباطرة الرومان الذين حكموا ليبيا في الماضي .







استطلاع بقلم

محمد طنطاوى

تصوير

عبد الناصر شقره

الى اليسار : قلعة طرابلس القديمة او السراى الحمراء أصبحت الآن تضم عدة متاحف تحتوى على الكثير من الآثار التى تدل على تاريخ ليبيا العريق . **والى اسفل :** صورة عامة لكورنيش طرابلس .



■ في السنة الاولى من عمر «العربي» قامت المجلة باستطلاع عن مدينة «طرابلس الغرب» . ومرت سنوات طويلة .. وحدثت تطورات كثيرة في ليبيا .. وقامت ثورة الاول من سبتمبر في عام ١٩٦٩ . تلك الثورة التي كان لها اصداء بعيدة في جميع انحاء العالم ، وكان لها ردود فعل متناقضة متباينة على المستوى الدولي والعربي . ومع هذه التطورات التي حدثت في الجمهورية العربية الليبية تردد في اذهاننا هذا السؤال الكبير : ماذا يحدث الآن في طرابلس الثورة ؟! تلك المدينة ، بل تلك الدولة ، التي تعتبر من اهم الدول على شاطىء البحر المتوسط والتي اصبح اسمها يتردد على كل لسان .

وطارت بعثة « العربي » الى طرابلس الثورة لترى وتسجل ما يحدث الآن في مدينة عربية بدأت تتغير وتنفض عنها آثار التخلف وتتطلع الى مستقبل جديد يليق بما لها من تاريخ عريق قديم .

في الطريق الى طرابلس

هبطت بنا الطائرة في مطار طرابلس بعد رحلة طويلة استمرت اكثر من ٧ ساعات ومن الغريب انه ليس هناك طائرة مباشرة من الكويت الى ليبيا وكلاهما دولة عربية . وهناك طريقان للوصول الى طرابلس اولهما عن طريق القاهرة وثانيهما عن طريق روما .. كانت الساعة الحادية عشرة والنصف مساء .. عندما غادرنا المطار متجهين الى قلب المدينة الذي يبعد حوالي ٣٥ كيلو مترا .. وعلى طول الطريق كانت هناك علامات تشير الى التغير الذي يحدث في المدينة .. مبان لمصانع جديدة تنشأ .. طريق جديد يصل المدينة بالمطار ويوفر عددا من الكيلو مترات .

ووصلنا الى قلب المدينة .. الهدوء شامل .. لا احد يسير في الشوارع .. كل الدلائل تشير الى ان هناك شيئا جديدا قد طرا على حياة طرابلس .. لقد كانت في الماضي القريب مدينة صاخبة تعج شوارعها الرئيسية بالنوادي الليلية ومحلات اللهو ، اما الان والساعة لم تتجاوز نصف الليل فالشوارع خالية ، والناس نيام وليس هناك نواد ليلية ولا صخب .

مكاتب الموظفين للعمل فقط !!

في الصباح الباكر قمنا بجولة نقابل فيها بعض المسئولين .. ولاحظنا شيئا جديدا ..

ان المكاتب الحكومية قد ازيلت منها تلك المقاعد الوثيرة التي كانت تملأ غرف الموظفين وسألنا عن السبب وجاءت الاجابة : لقد امر الاخ العقيد بازالة هذه المقاعد حتى لا تتحول مكاتب الموظفين الى ديوانيات للزيارات التي لا تتعلق بالعمل وتؤثر على الانتاج .. ان وقت الموظف يجب ان يخصص كله للعمل لا لاستقبال الزوار .

خريطة تبين موقع مدينة طرابلس الغرب في الجمهورية العربية الليبية .





برج الساعة أحد المعالم الرئيسية في مدينة طرابلس الغرب .

في سراي الحمراء

السراي الحمراء تعتبر من ابرز معالم طرابلس الغرب ، وهي من اهم المعالم القديمة الباقية الى الان وهي تقع في نهاية الكورنيش من الناحية الغربية والى جوارها يقع الجزء القديم من المدينة والذي يضم سوق المشير او سوق الترك وهو اقدم سوق في المدينة ، وقد اشار اليها كثير من الرحالة العرب والاجانب واشادوا بأهميتها التاريخية واعتبروها سجلا حيا لمختلف العصور التاريخية التي مرت على طرابلس. ويقول بعض علماء الآثار ان اصل هذه القلعة كان معبدا يعود الى العهد الروماني ويؤيدون قولهم هذا بما اكتشف داخلها من بقايا اعمدة رخامية ضخمة ترجع الى تلك الفترة . ومن المرجح ان معظم المباني الموجودة داخل القلعة بنيت في العهد العثماني ثم العهد القرة مانلي اى في الفترة من عام ١٥٥١ م الى ١٨٢٥ م. كما ان الاسبان عندما غزوا طرابلس في عام ١٥١٠ م ثم جاء بعدهم فرسان القديس يوحنا في عام ١٥٣٠ م اقاموا داخل القلعة بعض التحصينات لمواجهة العثمانيين الذين ظهروا كقوة اسلامية اوقفت التوسع الاسباني في بلدان شمال افريقيا .

وفي اثناء الاحتلال الايطالي (١٩١١ ــ ١٩٥٢ م) تم ادخال بعض التعديلات والترميمات على السراي الحمراء او قلعة طرابلس واستخدمت الحكومة الايطالية جزءا منها مقرا للحاكم الايطالي العام . وفي عام ١٩٢٢ خصص جزء آخر من القلعة لاقامة متحف تاريخي يضم الاثار التي اكتشفت في منطقة طرابلس . وبعد الاستقلال اى منذ عام ١٩٥٢ م تم بناء عدة متاحف داخل القلعة هي متحف الآثار الكلاسيكية ، ومتحف ما قبل التاريخ ، ومتحف العاديات والازياء الشعبية . وهذه المتاحف بها الكثير من الآثار التي تعود الى مختلف العهود التي مرت على تاريخ ليبيا القديم .

قامت بلدية طرابلس بانشاء سوق جديد الى جوار سوق الترك أطلق عليه اسم السوق البلدي او السوق المحلي . وتباع في هذا السوق المنتجات اليدوية والتقليدية التي تشتهر بها ليبيا .



المزارع المستردة
ثروة عادت الى اهلها

تعتبر مدينة طرابلس من اكبر مدن الجمهورية العربية الليبية ، فهي عاصمة ليبيا الثانية .. وتعداد سكانها حوالي ٤٠٠ الف اى حوالي ٢٠٪ من سكان الجمهورية كلها . وهي مدينة جميلة تقع على شاطىء البحر المتوسط تحيط بها مروج خضراء

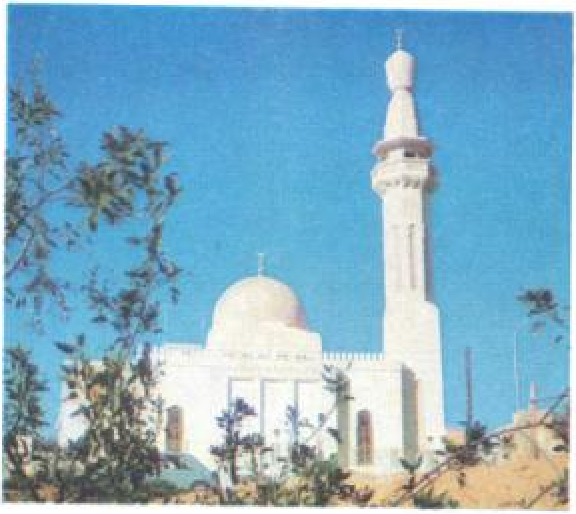
الى اليمين : ميدان الغزالة وهو من اشهر ميادين طرابلس ويقع بالقرب من شاطىء البحر ، **والى اسفل :** منظر عام لميناء طرابلس ، وهو من اكبر موانىء ليبيا ، والحركة فيه نشيطة لدرجة ان الكثير من بواخر الشحن تنتظر عدة ايام قبل تفريغها او شحنها ، ويظهر في الصورة ايضا مبنى نادي ضباط الجيش .

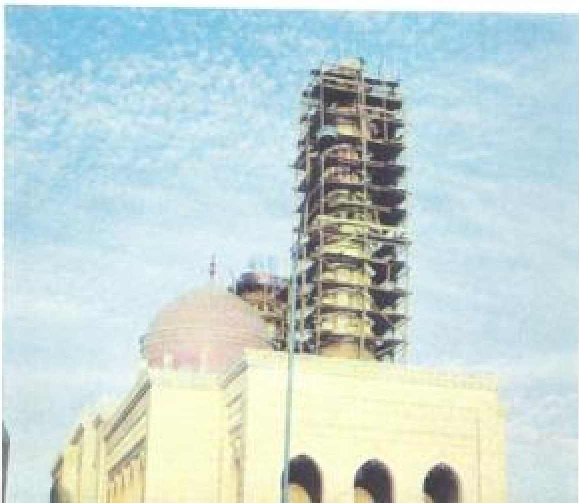






الى اليسار : صانع الملابس الليبية التقليدية يجلس في محله بسوق الترك حيث يقوم بتطريز الصدارى التقليدية . **والى اسفل اليسار :** صورتان لمسجدين كبيرين في طرابلس .







من اشجار النخيل والزيتون والبرتقال والعنب . والاراضي المحيطة بطرابلس اراضي خصبة لم يكن الليبيون يملكون منها الا اقل القليل ، فقد اغتصبها الايطاليون اثناء احتلالهم لهذا الجزء من الوطن العربي واقاموا فيها بعد الاستقلال .. الى ان جاءت الثورة واعادت هذه المزارع الى الشعب الليبي وطردت الايطاليين منها متخلصة بذلك من آخر آثار الاستعمار الايطالي .. بعد الاستيلاء على مزارع الايطاليين المحيطة بطرابلس وعددها حوالي ٢٢٠ مزرعة تبلغ مساحتها الاجمالية ٣٣ الف هكتار (حوالي ٨٢٥٠٠ فدان) بدأت حملة دعائية ضخمة ضد ليبيا .. قيل يومها ان هذه المزارع ستبور بعد ان تركها الايطاليون .. وان الليبيين لن يستطيعوا ادارتها. ولكن الحقيقة التي شاهدناها تكذب كل هذه الاقوال المغرضة .. لقد قمنا بزيارة عدد من المزارع المستردة والتي تقع في ضواحي مدينة طرابلس وهناك رأينا مشاريع زراعية ضخمة ، ورأينا حدائق غناء من البرتقال واليوسفي واشجار الزيتون .. وفي واحدة من هذه المزارع تقوم هيئة الاصلاح الزراعي بانشاء مزرعة كبيرة للدواجن لتنتج اكثر من ٣ ملايين دجاجة سنويا . حركة اصلاح وتعميق آبار المياه في المزارع تجرى على قدم وساق لتوفير المياه اللازمة للاشجار بعد ان ترك الايطاليون الآبار تجف او تكاد تندثر تحت الرمال

بوابة سوق المشير او سوق الترك ، وهو السوق الذي يتوسط الحي القديم الاتراك . والصورة الثانية تمثل روعة الفن الاسلامي داخل مسجد احمد



عمدا عندما احسوا بان الثورة ستقدم على تصحيح الاوضاع التى استمرت حوالى النصف قرن .

حديث مع مدير الاصلاح الزراعي

بعد الجولة التى قمنا بها في المزارع المستردة كان لنا لقاء مع مدير الاصلاح الزراعى جمعة المقدمى وهو شاب ليبى في مقتبل العمر ، حديثه مدعم بالارقام والتفاصيل يقول المقدمى : « ان الايطاليين تركوا العديد من المزارع في حالة سيئة وخاصة تلك المزارع المجاورة للمدينة فقد كانوا يتعمدون تجفيف الآبار وترك الاشجار تموت من العطش لكى يحصلوا على تصاريح لتحويل هذه المزارع الى أراضي بناء بحجة انها لم تعد تصلح للزراعة ثم يقومون ببيعها كارض مبان بالمتر محققين بذلك ارباحا خيالية !! » .

وقد تسلم الاصلاح الزراعى هذه الاراضي في يونيو عام ١٩٧٠ ومنذ ذلك الحين وهو يقوم بانشاء آبار جديدة وتجديد شبكات الرى التى كانت شبه مستهلكة . وقد بلغ عدد اشجار الزيتون في هذه الاراضي ٤٢٠٫ الف شجرة زيتون ، وبلغ عدد اشجار العنب الأرضي ما يقرب من ١٫٧٥٠٫٠٠٠ شجرة ، والحمضيات ٢٥٠٫ الف شجرة ، و ٢٠٩ آلاف شجرة فواكة مختلفة . ولا يزال الاصلاح الزراعى يدرس حتى الآن امكانية توزيع هذه الاراضي ، التى يديرها الان ، على المواطنين ..

الصورة مئذنة جامع احمد باشا ، وتعود مباني هذا الحي كله الى عهد على اطلال المسجد القديم الذى بناه عمرو بن العاص عند دخوله الى طرابلس .



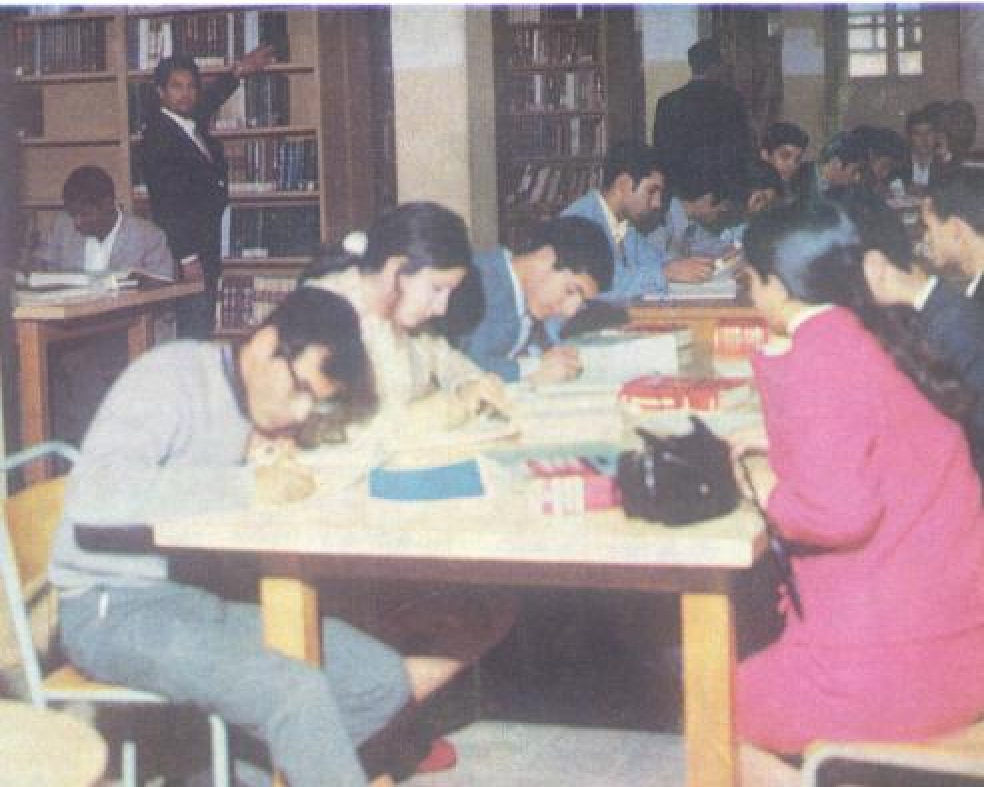
مبنى المكتبة العامة الجديدة للجامعة الليبية فرع طرابلس وقد تم الانتهاء من المباني ، وينتظر ان تفتتح المكتبة في العام الدراسي القادم وستضم العديد من المراجع ، وكذلك مركزا للوثائق .



في معمل الكهرباء بكلية الهندسة وقف الاستاذ الدكتور محمدى سقر يشرح لطلبته درسا عمليا على احدث الآلات الكهربية المزودة بها معامل الكلية . ان الاقبال على كلية الهندسة كبير جدا .



في مكتبة الجامعة القديمة جلس الطلبة والطالبات يطالعون في المراجع الحديثة التى تضمها المكتبة .

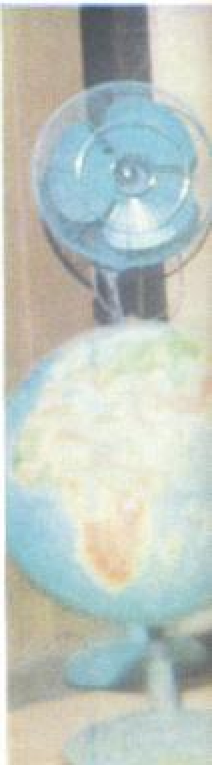




الآنسة فوزية سكته المبدة في قسم النبات بكلية الزراعة تقوم باجراء أبحاثها في مشتل الكلية .



احد المباني الرئيسية الجديدة في الجامعة ، وينتظر افتتاحه في العام الدراسي القادم . وهناك مشروع يتكلف ٦ ملايين دينار لتوسيع كلية الزراعة وبناء معامل جديدة لها .





ومن بين هذه الدراسات اقتراح بيع المزارع التى تقل مساحتها عن ٢٥ هكتارا للمزارعين بأثمان تقسط على ٢٠ عاما وان يحتفظ الاصلاح الزراعى بالمزارع الكبيرة التى لا يمكن تقسيمها لتدار لحساب الدولة .

مشاكل عديدة فى قطاع الزراعة

وهناك مشاكل عديدة في قطاع الزراعة .. اهمها قلة اليد العاملة وارتفاع تكاليفها ، فالعامل الزراعي يتقاضى دينارا وربعا عن عمل ٨ ساعات في اليوم الواحد ، وبالرغم من ذلك فهناك نقص شديد في العمال الزراعيين حتى ان الحكومة اضطرت لدعوة الطلبة والموظفين ورجال الجيش للتطوع في حملات جمع الزيتون ، وقد نجحت هذه الفكرة وتم جمع ٤٠٠ الف قنطار في اسابيع قليلة .

وتتجه النية الان الى مشروعات الميكنة الزراعية. وقد تم انشاء جمعيات تعاونية زراعية تقدم الخدمات للمزارع الخاصة والبذور والاسمدة والتوجيهات الزراعية . مما شجع الكثير من الليبيين على اقتناء مزارع خاصة بهم .

اما بالنسبة للثروة الحيوانية في المنطقة فهى ضئيلة جدا ، وبعد ان كانت ليبيا في الماضي تقوم بتصدير الاغنام الى البلاد المجاورة فقد اصبحت هى بلدا مستوردا ، لذلك تقوم وزارة الزراعة بدراسة عدة مشروعات لتشجيع الاكثار الحيوانى واقامة مزارع للابقار والاغنام .

سد وادى المجينين !

في شهر سبتمبر ١٩٦٩ تعرضت مدينة طرابلس لسيل كبير اجتاح المدينة وقتل وشرد عددا من

زجاجات المياه المعدنية يتم فحصها أمام جهاز كهربائي خاص يكشف عن أية مواد غريبة في الزجاجات قبل طرحها للبيع في الاسواق .





الى اليمين : مصنع بن غشير للمياه المعدنية يتم فيه تعبئة ٤ آلاف زجاجة كبيرة و ١٢ الف زجاجة صغيرة في الساعة . وتباع الزجاجة الكبيرة بـ ٤ قروش والزجاجة الصغيرة بقرشين .

الى اليسار :
تدريب اليد العاملة الفنية للصناعة امر يهتم به المسئولون في ليبيا ولذلك انشئت المدارس الصناعية الفنية لتخريج عمال مهرة .. الصورة في معهد نصر الدين القمى الصناعى لطلبة يتدربون في ورشة الكهرباء .

سكانها .. وهذه السيول تهدد المدينة دائما عندما تكثر الامطار على سلسلة جبال « نفوسة » التى تمتد من الجزائر وتونس وتنتهى عند منطقةالخمس فى ليبيا .

وبدأ التفكير فى بناء سد لحماية مدينة طرابلس من اخطار السيول وللاستفادة فى نفس الوقت بهذه المياه فى تحويل الاراضي الصحراوية الى ارض زراعية ، وفي نهاية عام ١٩٦٩ تم اعتماد ٦ ملايين دينار لانشاء سدين رئيسيين مع سدين آخرين فرعيين في وادى المجينين حيث يتم حجز كمية من المياه تقدر بحوالى ١٢٫٠٠٠٫٠٠٠ متر مكعب لتكون بحيرة كبيرة تستغل مياهها فى اصلاح حوالى ٢٥٠٠ فدان . ويقدر عمر السدود فى المنطقة بحوالى ١٠٠ عام تنتهى بالاطماءوهى سدود صماء ويتم التحكم فى المياه المخزونة عن طريق برج تحويل يصب فى مجرى خلف السد الرئيسي .. وينتظر ان يتم الانتهاء من تنفيذ المشروع فى اواخر عام ١٩٧٢ . ومن الطريف ان تسمية هذا الوادى بوادى المجينين قد اتت من ان الامطار تهبط عليه فجاة وتتحول الى سيول جارفة مجنونة تنشر الدمار فى كل مكان بالوادى..ولذلك اسموه وادي « المجينين » وهو على الأرجح تحريف باللهجة المحلية لكلمة « المجانين » .

مشروعات زراعية ضخمة

فى منطقة محافظة طرابلس تتم الانعدة مشروعات زراعية ضخمة اهمها مشروع تاورغا وهو يقع على بعد ٢٥٠ كيلو مترا شرقى مدينة طرابلس . وهو يقوم اساسا على استغلال مياه عين « تاورغا » والتى تقدر بحوالى ٢٤٠٠ لتر فى الثانية .

ويتكلف المشروع حوالى ٧ ملايين دينار والغرض منه اصلاح ٧٥٠٠ فدان من الاراضي الصحراوية القاحلة كمرحلة اولى وتقوم شركة البحيرة لاستصلاح الاراضي بتنفيذ هذا المشروع الذى يقدر له ان ينتهى فى آخر العام الحالى .

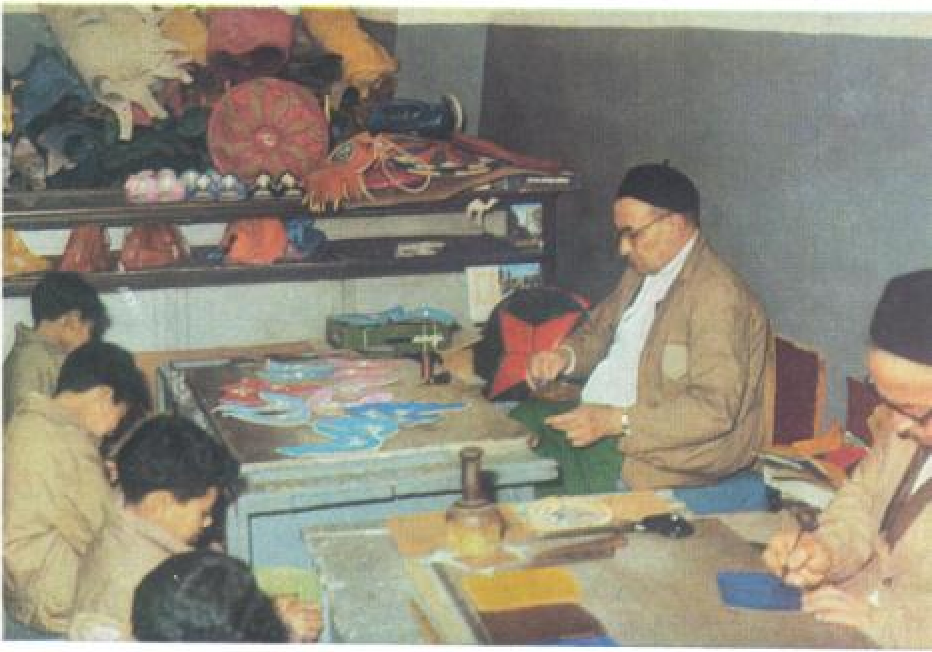
وهناك ايضا مشروع الهضبة الخضراء وهو يبعد عن مدينة طرابلس بحوالى ٢٥ كيلو مترا والغرض الاساسي من المشروع هو استغلال مياه مجارى طرابلس للرى .

مصنع المياه المعدنية .. بن غشير

وكما اهتمت الحكومة الليبية بالمشروعات الزراعية فانها اهتمت ايضا بالمشروعات الصناعية .. واهم هذه الصناعات هى الصناعات الغذائية وذلك لكى تحد من استيراد هذه المواد . ومن بين المصانع القريبة من طرابلس مصنع للمكرونة ، ومصانع لمنتجات الالبان ، ومصنع للمواسير .. وكلها مصانع حديثة ضخمة ، ومن بين المصانع ايضا



٣ صور تمثل نشاط الطلبة الايتام الصغار في مدرسة الفنون والصنائع الاسلامية ، وقد انشئت في عام ١٨٩٥ م .**الصورة الى اقصى اليسار :** تمثل الفرقة الموسيقية النحاسية. **اما الصورة التي الى اليسار:** تمثل طالبين يقومان بعمل الاواني الخزفية ذات النقوش التقليدية ، **والى اسفل :** عدد من الطلبة الصغار يتلقون دروسا عمليا في صناعة الجلود من اثنين من الصناع القدامى .









تعليم الفتيات الليبيات أمر تهتم به وزارة التربية الليبية اهتماما كبيرا ، **والى اليمين :** بعض طالبات معهد جميلة الازمرلي يتلقين دروسا في التربية البدنية ، **والى اليسار :** بعض الطالبات اثناء درس عملي عن التفصيل .

مصنع لتعبئة المياه المعدنية في بن غشير وهو مصنع حديث يتم فيه تعبئة ٤ الاف زجاجة مياه كبيرة و ١٢ الف زجاجة صغيرة في الساعة الواحدة . وتراعى فيه عمليات التعقيم وخلو المياه من اى تلوث ، وقد اصدرت الحكومة الليبية قرارا بعدم استيراد المياه المعدنية من الخارج اكتفاء بانتاج البلاد منها . كما تعاقد المصنع على تصدير كمية من انتاجه الى مالطة والجزائر وهناك مفاوضات بشان تصدير هذه المياه الى المملكة السعودية وجمهورية مصر العربية .

اليد العاملة الفنية مشكلة تواجه التصنيع

من اهم مشاكل التصنيع في ليبيا الثورة مشكلة عدم توفر اليد العاملة الماهرة ..

ويشعر المسئولون الليبيون ان اعداد جيل جديد من العمال الفنيين امر واجب لتدعيم حركة التصنيع التي بدات في البلاد .. وفي طرابلس يوجد معهد صناعي ضخم لتخريج عمال فنيين مهرة .. وهو معهد نصر الدين القمي الصناعي في جنزور (على بعد ١٠ كيلو مترات من طرابلس) ، وتضم مباني المعهد الحديثة والقامة على مساحة تبلغ العشرة افدنة تقريبا ، ٥ اقسام رئيسية هي : الحدادة ، والميكانيكا ، والسيارات ، والكهرباء ، والنجارة. والمعهد ينقسم الى اعدادى وثانوى ويضم ٤٤٦ طالبا من بينهم ٣٠٠ في القسم الداخلي ويصرف لكل طالب بالثانوى مكافاة شهرية قدرها ١٢ دينارا للطالب بالقسم الخارجي و٨ دنانير للطالب بالقسم الداخلي ، اما طلبة الاعدادى فتصرف لهم مكافاة شهرية قدرها ٨ دنانير لطالب القسم الخارجي ، و ٥ دنانير لطالب القسم الداخلي . وتشجيعا للطلبة على الالتحاق بهذا المعهد صدر قرار بالسماح لطلبة القسم الثانوى بالالتحاق بكلية الهندسة بعد حصولهم على شهادة اتمام الدراسة الثانوية الصناعية .

مدرسة الفنون والصنائع الاسلامية

وهناك في قلب العاصمة توجد مدرسة صناعية اخرى يعود تاريخها الى عام ١٨٩٥ م هي مدرسة الفنون والصنائع الاسلامية وهي مخصصة للطلبة اليتامى المسلمين من الليبيين وبها ٢٠٠ طالب كلهم في القسم الداخلي . وتضم قسمين : ابتدائي واعدادى ويتم فيها تاهيل هؤلاء الايتام ليصبحوا صناعا مهرة . وتهتم اساسا بالصناعات التقليدية كصناعة الجلود والاحذية ، والفخار ، والآلات الميكانيكية ، والنسيج . ويصرف لكل طالب بها مبلغ ربع دينار اسبوعيا ، كما تصرف له مكافات نتيجة عمله توضع في المصارف باسمه حتى تكون راسمال له عند تخرجه من المدرسة يساعده على بدء حياته العملية .

الاقبال على تعليم البنات

بعد الاكتشافات النفطية الضخمة، وما صاحبها من ارتفاع لمستوى المعيشة، بدات النهضة التعليمية في البلاد ، وبعد ان كانت الفتيات لا يذهبن الى المدارس نتيجة للعادات القبلية التي كانت سائدة في البلاد بدات الفتاة الليبية تاخذ فرصتها في



٣ فتيات ليبيات ، يعملن الآن مدرسات في معهد جميلة الأزمرلي للمعلمات يراجعن جداول المدرسة مع الناظرة وهي ايضا فتاة ليبية من خريجات الجامعة الليبية .

التعليم .. وانشئت مدارس البنات على مختلف مستوياتها الابتدائية والاعدادية والثانوية. وبالرغم من ان اغلبية السيدات الليبيات لا يزلن حتى الان محجبات يرتدين « الفراشية » او العباءة التى تغطى المرأة كلها ولا تنفتح عن جسمها الا عن عين واحدة ، الا ان الاقبال على مدارس البنات يزداد عاما بعد عام.. وفي قلب مدينة طرابلس قمنا بزيارة لمعهد « جميلة الازمرلى » للمعلمات وهو يضم ٦٥٠ طالبة يدرسن فيه ليصبحن بعد تخرجهن مدرسات في المدارس الابتدائية للفتيات . وهناك ايضا مكافأة شهرية للطالبة التى تدخل المعهد بعد حصولها على شهادة الاعدادية وهى تبلغ ١٢ دينارا شهريا للطالبة غير المقيمة في المعهد و ٨ دنانير للطالبة في القسم الداخلي .

والمعهد يضم معامل حديثة للكيمياء والطبيعة والأحياء وكذلك معامل للوسائل التعليمية لتدريب مدرسات المستقبل على استعمال احدث الوسائل لتعليم بنات وطنهن .

ويهتم المسئولون الليبيون بالتعليم اهتماما كبيرا وقد اعتمد في الميزانية الاخيرة ما يقرب من ٣٠ مليون دينار للانفاق على التعليم وتدريب الايدى العاملة ، كما تقوم الدولة الآن بارسال بعثات عديدة الى الخارج .

٦ ملايين دينار لتطوير كلية الزراعة

وفي طرابلس توجد ٤ كليات جامعية تابعة للجامعة الليبية ، فالجامعة هناك تنقسم الى فرعين رئيسيين فرع في بنى غازى يضم كليات الطب والاقتصاد والتجارة والآداب والفرع الاخر في طرابلس ويضم كليات الهندسة والزراعة والتربية والعلوم . وفرع الجامعة الليبية في طرابلس يلقى عناية كبيرة من حكومة الثورة .

كلية الزراعة مثلا ، وهى انشئت في عام ١٩٦٦ ، تم اعتماد مبلغ ٦ ملايين دينار لتطويرها وقد روعى في المشروع الجديد ان يكون متمشيا مع حاجة البلاد للمهندسين الزراعيين المتخصصين في كافة المجالات التى تستلزمها المشروعات الزراعية الجديدة وتقوم الكلية حاليا بعدة بحوث ميدانية تشمل امراض النباتات والبساتين وتحسين زراعة البرسيم



مدينة الاندلس السياحية لا يزال العمل يجرى فيها لافتتاحها قبل موسم الصيف القادم وهى من اهم المشروعات السياحية في ضواحى طرابلس .

وغيرها من البحوث التطبيقية التى تفيد المجال الزراعى في البلاد . ويبلغ عدد طلبة كلية الزراعة في العام الدراسي الحالى ٤٢٣ طالبا .

٢٢٣٨ طالبا وطالبة في كليات الجامعة الليبية بطرابلس

ويبلغ عدد الطلبة والطالبات في كليات الجامعة الليبية بطرابلس ٢٢٣٨ طالبا وطالبة يدرسون معا .

وتضم كلية الهندسة ٧٤١ طالبا وطالبة ويوجد عليها اقبال شديد من الطلبة لان حاجة البلاد ماسة للمهندسين الاكفاء نظرا للمشروعات الصناعية الحديثة التى يتم تنفيذها بسرعة ، وقد انشئت كلية الهندسة في ١٩٦٢ وكان عدد طلبتها يومئذ ٤٧ طالبا وطالبة واحدة فقط .

ويوجد بالكلية قسم خاص بالكيماويات البترولية



تتميز المزارع الليبية بجمال تنسيقها وهم يهتمون بزراعة هذا النوع من الاشجار في مداخل المزارع مما يكسبها منظرا طبيعيا خلابا

مبنى السد الرئيسي في وادى المجينين ، وهو سد اسمنتي يتم التحكم في منسوب المياه به من طريق البرج الظاهر في يمين الصورة . ويتكلف المشروع الذى يتكون من سدين رئيسيين وسدين آخرين حوالى ستة ملايين دينار ، ومن طريق هذه السدود يتم حماية مدينة طرابلس من خطر السيول

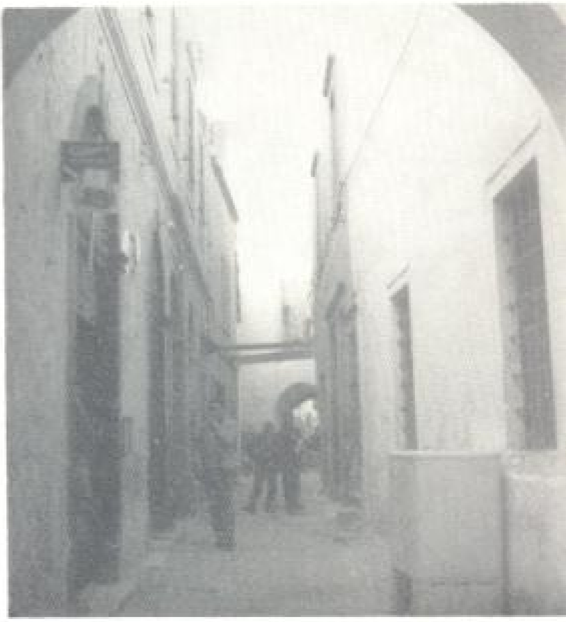


انتهت حملة جمع الزيتون التي شارك فيها كل افراد الشعب الليبي بنجاح كبير ، والصورة تمثل مجموعة من العمال يقلمون شجرة زيتون بعد ان انتهى جمع محصولها .



تقوم وزارة الزراعة الليبية بابحاث لتحسين اشجار الموالح ، وقد قامت باستيراد شتلات لانواع ممتازة من ولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة ، وقد نجحت تجارب زراعة هذه الانواع الجديدة في مزارع الوزارة، وينتظر توزيع شتلات من هذه الانواع على المزارع الخاصة خلال السنوات القادمة.





لا يزال في الحى القديم بمدينة طرابلس بعض المبانى التى انشئت ايام حكم العثمانيين وكلها تقع بالقرب من سراى الحمراء والى جوار سوق الترك .

عدا اقسام الكهرباء والميكانيكا والالكترونيات والاقسام المدنية . والكلية مزودة باحدث الالات في الورش والمعامل وبها عدد كبير من اقدر الاساتذة العرب والاجانب .

وهناك مشروعات ، تنفذ الان ، لتوسيع الجامعة في طرابلس : مبنى جديد ضخم للمكتبة ، مبنى رئيسي لادارة الجامعة ، معامل جديدة لكلية الزراعة ، وغيرها من المشروعات الانشائية التى باتمامها تصبح الجامعة هناك من احدث واكبر الجامعات العربية .

قوانين اسلامية جديدة

من اهم التطورات التى حدثت في الجمهورية العربية الليبية بعد ثورة الاول من سبتمبر عام ١٩٦٩ ، الاتجاه الاسلامى الذى تميزت به هذه الثورة .. فبعد الثورة صدر قانون تحريم الخمور .. واقفلت النوادى الليلية وبيوت اللهو غير البرىء .. كما صدر اخيرا في عام ١٩٧١ قانون فرض الزكاة وهو ينص على انشاء ادارة عامة لشئون الزكاة بوزارة الخزانة تتلقى الاقرارات من المكلفين باداء الزكاة وفحصها والتحقق من مقدار الزكاة الواجب اداؤه وجبايتها وتوريدها الى الجهات التى تقوم بالصرف منها في الوجوه المقررة شرعا .

ونص القانون على ان من حق الادارة العامة ان تستدعى مقدم الاقرار اذا شكت في صحة المعلومات المكتوبة فيه ، كما نص ايضا على توقيع غرامة لا تجاوز قيمة مثلى الزكاة المستحقة على كل من لا يقدم اقرار الزكاة .

ولم تمض شهور على صدور قانون الزكاة الا وصدر قانون جديد ينظم اجراءات النفقة للزوجات المطلقات وينص القانون على ان لا تحصل رسوم قضائية على قضايا النفقة وعلى ضرورة البت في هذه القضايا بسرعة . وقد لاحظنا في مدينة طرابلس حركة دائمة في انشاء مساجد جديدة .

لجان لتطوير القوانين
بحيث تتفق مع الشريعة الاسلامية

وفي نفس الوقت تم تشكيل عدة لجان لتطوير القوانين المدنية والتجارية والجنائية بحيث تتفق مع الشريعة الاسلامية ، وتم تاليف لجنة عليا يراسها رئيس المحكمة العليا ولجان فرعية متخصصة تقوم كل لجنة منها بدراسة قانون من القوانين . وينتظر ان تنتهى هذه اللجان من اعمالها خلال العام الحالى وبذلك يتم تحويل كل قوانين البلاد بحيث تتفق مع الشريعة الاسلامية .

مدن سياحية على شاطىء البحر

تتميز مدينة طرابلس بموقعها الساحلى الجميل على شاطىء البحر المتوسط ويمتد هذا الساحل اللازوردى الجميل عشرات الكيلو مترات غرب وشرق طرابلس . وقد بدىء فعلا في اقامة مدن سياحية على الشاطىء واقرب مدينة سياحية الى طرابلس هى مدينة شاطىء الاندلس وهى تبعد ٩ كيلومترات عن المدينة ومقامة على ارض مساحتها ١٠١ر٧٧٣ مترا مربعا تشتمل على مبنى رئيسي يضم ناديا

ومطعما ومكتبا للاستقبال والصالونات ، ثم حمام سباحة للكبار وآخر للصغار وغرفا لخلع الملابس. و ٥٠ وحدة تتكون من غرفة معيشة واحدة ومطبخ وحمام ، وهناك ٤٠ وحدة اخرى تتكون من غرفة معيشة وغرفة نوم وحمام ومطبخ ، و ٥١ وحدة اخرى تتكون من غرفتى نوم وغرفة معيشة والحمام والمطبخ ، و ١٠ فيلات من ٤ غرف .

ويتضمن المشروع ايضا انشاء سوق مركزى ، ووحدات من الشرطة السياحية والاسعاف وعمال الانقاذ ، و ٤ ملاعب تنس ، وملعب مينى جولف.

وملحق بالمدينة السياحية محطة توليد كهرباء خاصة بها ، وكذلك شبكة مياه ومجار خاصة بها. وقد بلغت تكاليف اقامة المدينة بما في ذلك ثمن الارض ومحطات الكهرباء والمياه والمجارى مليون دينار ليبى . ويساهم في تمويل المشروع مصلحة السياحة والقطاع الخاص .

آثار مدينة صبراته

منطقة طرابلس مشهورة بجمال مناظرها وسواحلها وغناها بالآثار القديمة . فهناك حول طرابلس عدة مدن اثرية اهمها صبراتة ولبدة ، وتبعد صبراتة حوالى ٦٧ كيلو مترا عن العاصمة طرابلس وهى احدى المدن الثلاث التى نسبت اليها قديما اراضي الجزء الغربى الشمالى من ليبيا والذى اسماه قدماء اليونان « تريبوليس » ومنه جاء اسم « طرابلس » العربى . وآثار صبراتة الموجودة حاليا يعود معظمها الى القرنين الاول والثانى الميلادى وان كانت المدينة قد تاسست في مطلع

المساكن الجديدة بدات ترتفع بسرعة في طرابلس وذلك لمواجهة حركة الهجرة المتزايدة الى المدينة لقد اصبح تعداد السكان الآن حوالى ٤٠٠ الف مواطن بعد ان كان لا يتعدى نصف هذا العدد منذ سنوات قليلة







السراى الحمراء من الداخل ، وهى تضم
عدة متاحف يقبل السياح على زيارتها .

رقصة شعبية فولكلورية تؤديها راقصتان من فرقة الفنون الشعبية الليبية ،
وقد حصلت هذه الفرقة على عدة جوائز في مهرجانات الفن الشعبي التي
اقيمت في قرطاجة بتونس .





الى اليسار : لوحة اثرية من الموزايكو تمثل الفصول الاربعة ويعود تاريخها الى القرن الاول الميلادى ، **والى اسفل :** المدرج الرومانى الكبير في مدينة صبراته الاثرية .



الالف الاول قبل الميلاد . واول ما يلفت النظر في صبراتة اطلال المسرح الروماني . وبالرغم من غنى المنطقة بجمال الطبيعة وروعة الآثار الا ان الحركة السياحية في البلاد لم تنشط بالدرجة التي نشطت بها حركة السياحة على الشواطيء التونسية القريبة من ليبيا . وتدل الاحصائيات على ان عدد السياح الذين زاروا الجمهورية العربية الليبية خلال المدة من يناير الى سبتمبر من عام ١٩٧١ قد بلغت حوالي ٢٠٠ ٩٧ سائح من بينهم ٩٦٩ ٧٢ من العرب والباقي من مختلف الجنسيات ، وتقدر عدد الليالي السياحية التي قضوها بـ ٧٠٧ ٢٢٦ ليلة اى بمعدل حوالي ٢ ليال للسائح .

واهم اسباب عدم اقبال السياح الاجانب على زيارة ليبيا هو تحريم الخمور..وعندما درس هذا الموضوع رفض العقيد القذافي السماح بالخمور باى شكل من الاشكال .

عادات وتقاليد !

لا تزال التقاليد والعادات القبلية القديمة تتحكم في اغلبية الشعب الليبي الذي يصل عدده حسب احصائيات الامم المتحدة الى حوالي ٢ مليون نسمة . النساء لا يزلن يرتدين الزى التقليدي المسمى بالفراشية ، عدد كبير من المواطنين الرجال يرتدى الزى القومي المكون من الصدار المطرز والسروال والعباءة .

اما العادات التي تثقل كاهل كل شاب فهي تلك العادات المتبعة في الزواج وغلاء المهور فزى العرس وحده يتكلف مئات الدنانير بالنسبة للفقير والافها بالنسبة للغنى . فالفتاة تتحلى بالفضة والذهب من قمة راسها الى اخمص قدميها اثناء حفل الزفاف . وهى تقاليد تجعل الشبان يتحملون من التكاليف فوق طاقتهم .

الهجرة الى المدينة

وتعاني مدينة طرابلس منمشكلة الهجرةالمتزايدة اليها من المناطق الريفية والصحراوية المحيطة بها، وهى ظاهرة يعاني منها العالم كله الان . وقد امتدت مباني العاصمة الليبية حتى وصلت الى الضواحي القريبة منها مكونة مدينة واحدةمتصلة، وتقوم الدولة الان بانشاء مساكن جديدة لمتوسطي الدخل في محاولة منها لحل مشاكل الاسكان . وكذلك ترى في كل شارع من شوارع المدينة عمال المياه والمجارى والكهرباء يعملون في ايجاد شبكات جديدة تتحمل زيادة عدد السكان . وهناك ايضا حركة نشيطة في توسيع الطرق ورصفها وانشاء عدد من الحدائق العامة للاطفال في الميادين مزودة بالعاب للتسلية .

الغلاء وارتفاع مستوى المعيشة

مع ارتفاع مستوى المعيشة نتيجة لزيادة الدخل القومي وما صاحبه من زيادة دخل الافراد وارتفاع اجور العمال والزراع بدأت موجة الغلاء تشتد .. وارتفعت اسعار الحاجيات واهمها المواد الغذائية . ويشكو الفرد الليبي العادى من غلاء المعيشة فالسكن غال, وكذلك كل شيء تضاعف سعره في السنوات الاخيرة .

ظاهرة صحية

ولكن هناك ظاهرة صحية لاحظناها في طرابلس . فبالرغم من الاحتياطي الضخم الذى تملكهالحكومة الليبية فان هناك تقشفا في الانفاق الحكومي . لقد امر العقيد القذافي بعد الثورة بالتخلص منسيارات الركوب الحكومية الفخمة التي كانت مخصصة للوزراء وكبار موظفي الدولة وبيعتهذه السيارات الفخمة بالمزاد العلنيوحلتمحلها سيارات صغيرة. كانت هناك رشوة ومحسوبيات وشددت الحكومة الجديدة الرقابة على اموال الدولة وقدمتالكثيرين للمحاكمة بتهمة الرشوة وافساد الحكم . كان هناك تراخ في العمل واصدرت الحكومة اوامر بالغاء الاجور الاضافية واجور ساعات العملالزائدة عن اقتناع بان من واجب كل موظف ليبي انيقوم بخدمة بلده دون تراخ او كسل .

★ ★ ★

هذه هي بعض المشاهدات التي رأيناها في « طرابلس الثورة » . ولعل فيما سجلناه ما يلقى بعض الضوء على السؤال الذي طرحناه : « ما الذي يحدث الآن في طرابلس الثورة ؟ » .

صحيح ان الثورة الليبية لا يزال امامها الكثير الذي سوف تحققه . وان هناك الكثير من الظروف التي تعوق سيرها بالسرعة التي يريدها لها قادة الثورة ، ولكن صحيح ايضا انها قد وضعت قدمها علىاوائل درجاتالتقدم السريع ان شاء الله. ■■

محمد طنطاوى

الشابي

متأثرا.. بأدب المهجر



بقلم: الغزالي حرب

■ منذ اواخر القرن التاسع عشر ، شرعت تنزح الى بلاد كولمبوس ، جماعات من ابناء البلاد العربية ، ولا سيما من لبنان وسوريا ، بعضها هربا من جور الاتراك ، وبعضها انتجاعا للرزق ، والبعض الثالث للسببين معا، وبين تلك الجماعات المهاجرة ، كانت طائفة من الشبان ، الذين تتوافر بين جوانحهم قلوب متوثبة للحرية ، وفي رؤوسهم آفاق رحاب من الفكر النير والخيال الخصيب واولئك كانوا من الرعيل المثقف الواعي، الذي عز عليه ، ان يعيش اسيرا للظلم والعوز ، فانطلق يبحث عن الحرية والاكتفاء ، وهؤلاء هم ادباء المهجر .

ادباء المهجر فئتان

وقد هاجر بعضهم الى الولايات المتحدة الامريكية فعرفوا بادباء المهجر الشمالي، وهاجر آخرون الى البرازيل على ضفاف الامازون فعرفوا بادباء المهجر الجنوبي .. ومن هاتين الفئتين قامت « مدرسة ادب المهجر .. ذلك الادب الذي وصفه جورج صيدح فيما وصفه بانه « ادب طفل" ولد مع القرن العشرين ، بعد ان تمخضت به الجاليات العربية زهاء نصف قرن » في امريكا .. وفي شعراء هذه المدرسة قال الاستاذ الدكتور طه حسين « قوم منحوا طبيعة خصبة ، وملكات قوية وهم مهيأون ليكونوا شعراء مجودين ، ولكنهم لم يستكملوا ادوات الشعر، فجهلوا اللغة او تجاهلوها ثم اتخذوا هذا الجهل مذهبا » .

سؤالان

ولست اريد هنا ان ادفع تهمة الجهل او نقص ادوات الشعر ، عن شعراء المهجر .. بقدر ما اريد الاجابة عن السؤالين الآتيين : ـ

١ ـ اتأثر ابو القاسم الشابي في نثره وشعره بمدرسة المهجر ام لا ؟

٢ ـ وأيّ المدرستين تأثر بها اكثر من الاخرى : مدرسة المهجر الشمالي ، أم مدرسة المهجر الجنوبي ؟ والى اى مدى وصل تأثره بها ؟

مدرسة المهجر الشمالي

لا يخالجني شك في تأثر ابى القاسم الشابي ، في نثره وشعره بمدرسة المهجر بعامة ومدرسة المهجر الشمالي بخاصة ـ ومن المعلوم ان مدرسة المهجر الشمالي ، كانت متحررة من التأثر بمقاييس الادب العربي وتقاليده وان لم تتحرر من موازين

شعره غالبا ، كما كانت متحررة من التأثر بالمجد العربى القديم والمفاخرة به او التحسر عليه ، وبالتالى كانت متحررة من الانتماء الى القومية العربية ، من بعيد او قريب .. ولا سيما كاهن هذه المدرسة المهجرية الشمالية ، « جبران خليل جبران » الذى وصفه عيسى الناعورى بانه « لم يؤمن قط بفكرة القومية العربية ، بل كان من ناحية الشعور القومى ، لبنانيا اقليميا والا فهو انسانى واسع العاطفة » .

مدرسة المهجر الجنوبى

فلا عجب ان كان من خصومه ، اعضاء مدرسة المهجر الجنوبى ، الذين كانوا يعتزون ايما اعتزاز بأدبهم العربى القديم ويعتصمون بقيمه وتقاليده وموازينه ومقاييسه ، كما كانوا يعتزون بالمجد العربى العريق ، اعتزازا عبروا عنه بتسمية جماعتهم ، « العصبة الاندلسية » منذ ولادتها عام ١٩٣٣ .. على حين أن الشماليين دعوا جماعتهم « الرابطة القلمية » منذ انشائها عام ١٩٢٠ .. ولم يشذ منهم عن التنكر لقوميته العربية الا « أمين الريحانى » الرائد القومى العظيم ، مؤلف « ملوك العرب » وصاحب «الريحانيات» والخصم الاول في هذه الناحية لجبران خليل جبران .. ومن خصومه كذلك غضبا للقومية العربية الياس فرحات ، الذى قال في جبران،وفي الرابطة القلمية ما قال من هجاء ، ترونه في « رباعيات فرحات » .

الشابى تأثر بجبران في عدم احتفائه بالقومية العربية

وبيدو لى ان شاعرنا ابا القاسم الشابى ، على الرغم من عروبته الحرة الثائرة وعلى الرغم من اشعاره المتوهجة الحارة ، قد تأثر بطريق مباشر او غير مباشر بجبران في عدم احتفائه بالقومية العربية ، ودعائم القومية العربية ، التى لا نكاد نرى لها مكانا فضلا عن مكانة في ديوانه الوحيد الذى بلغ عدد ابياته في احدث طبعة له ٢٥٧٤ بيتا وما رأينا في هذا الديوان قصيدة او قطعة قومية، من طراز الاشعار القومية ، التى رأيناها للمؤمنين بالقومية العربية من شعراء المهجر .. ولا رأينا ـ وواحسرتاه ـ سطرا واحدا من « مذكرات الشابى » تتوهج فيه قوميته العربية ، كما رأينا مثلا في نثر امين الريحانى .. وها هو ذا ديوانه بين ايدينا .. أرونى فيه مثلا شعرا قوميا حارا ، من طراز اشعار الشاعر القروى رشيد سليم الخورى او جورج صيدح،صاحب ديوان «النبضات» الذى لا يعتبر ديوانا شعريا فحسب ، وانما هو مجموعة من زفرات الالم القومى والايمان العربى وقد اهداه « الى كل عربى اللسان والوجدان » ومن روائع قومياته قوله يخاطب عاصمة الارجنتين:

لا تسائى : من أين جاء فحسبه
نسب العروبة أشرف الانساب

خلا ادب المهجر الشمالى كما خلا الشابى من التحدث بالاندلس

وكما خلا ادب المهجر الشمالى منحرارة القومية العربية ـ حاشا ادب امين الريحانى ـ خلا من حرارة البكاء على المجد العربى الغابر ولا سيما المجد الاندلسى .. وفي هذه الناحية كذلك تأثر ابو القاسم الشابى بهذا الادب المهجرى الشمالى، نثرا وشعرا .. فليس في نثر الشابى الذى بين ايدينا ، مقال واحد من طراز مقال «نور الاندلس» للريحانى .. وليس في شعره اندلسية واحدة من طراز « تحية الاندلس » لالياس فرحات او للشاعر القروى .. او من طراز « رثاء الاندلس » و « حمراء غرناطة » و « الى فتاة اندلسية » ، للشاعر الياس طعمة او من طراز « غرناطة » لشفيق المعلوف او « الاندلسية » .. « وعلى شواطئ الاندلس » للشاعر شكر الله الجر ..

وعلى الرغم من ثورة الشابى العاصفة ، على القيود والاغلال الرجعية والاستعمارية ، التى اهاب بشعبه ووطنه ان يتحرر منها ، لم تهيىء له ظروفه تربة خصبة يترعرع فيها شعره الوطنى .. وادبه الوطنى .. الذى لا يقف على قدم وساق أمام « وطنيات » المهجر من طراز :

أ ـ كتاب « النبى » لجبران خليل جبران ، وما هو الا حنين وطنى جارف ..

ب ـ وقصيدة ابى ماضى التى منها :

اثنان أعيا الدهر أن يبليهما
لبنان والأمل الذى لبنيه

جـ ـ وقصيدة « حنين » لشفيق المعلوف .

د ـ وقصيدة « جورج صيدح التى منها هذا البيت الوطنى الرائع » :

عهد الشباب وعهد الشام ان مضيا
فكل ما ابقت الأيام حرمان

هـ ـ وموشحة « بنت لبنان » لابى الفضل الوليد (الياس طعمة) .

و ـ وقصيدة « النهاية » لنسيب عريضة ، التى يحن فيها ابما حنين الى وطنه الحبيب « حمص » .

ز ـ وقصيدة « المسافر » التى تروتها فى ديوان « اغانى الدراويش » .. لرشيد أيوب .

ح ـ وقصيدة « حنين » فى ديوان « زنابق الفجر » للشاعر شكر الله الجر .

ط ـ وقصيدة « محاكمة » فى « ديوان فرحات ».

نواحى تأثر الشابى بأدب المهجر

ثم تعالوا بنا نحاول عرض ما تيسر من ابرز نواحى تأثر الشابى بادب المهجر بعامةوادب جبران خليل جبران بخاصة :

أولا ـ ناحية المذهب الادبى فى جملته ، قال الاستاذ عيسي الناعورى :

« واما المذهب الادبى ، الذى يشترك فيه الادب المهجرى اجمالا ، فهو :

أولا ـ المذهب الرومانسي ، الذى تأثر به المهجريون كثيرا فى افكارهم واساليبهم ثم المذهب الواقعى والقومى ، وقال الاستاذ رجاء النقاش :

ان ابا القاسم الشابى التقى بجبران فى ظلال المدرسة الرومانسية وآرائها وافكارها فوجد فيه رفيقا صادقا لروحه ومشاعره واستطاع الشابى بقوة مواهبه الشعرية ، ان يفوق جبران ، فى التعبير عن هذه الآراء .

ثانيا : ناحية بعض النظرات الادبية والنقدية ولا سيما النظرة التى تعتبر « رهافة الاحساس » هى روح الشعر الاصيل .. كما ذهب الى ذلك ميخائيل نعيمة الناقد الرائد فى كتابه « الغربال » الذى كان .. « وما يزال وسيظل الى امد طويل ، دستورا فى النقد الادبى يردد افكاره ومقاييسه واحكامه كل مشتغل بالنقد الادبى الحديث عند العرب » .. وقد طبع هذا الكتاب فى مصر عام ٢٣ اى قبل وفاة الشابى باحد عشر عاما تقريبا وكتب مقدمته الاستاذ العقاد قائلا من هذه المقدمة « وسيشهد الخالون من الغرض ان ميخائيل نعيمة عمل على تصحيح كثير من مقاييس الادب فافاد وافلح » .

وكما ذهب الى ذلك امين الريحانى فى مقاله « روح اللغة » وترونه فى الجزء الثالث من « الريحانيات » .

ثالثا ـ ناحيةبعض نظراته الاجتماعية الاصلاحية ولا سيما نظرته الى المرأة نظرة احترام وتقدير .. بل نظرة عبادة وتقديس .. وهو فى هذه النظرات الاجتماعية ، متأثر بجبران خليل جبران ، فى كتابه « النبى » الذى عالج فيه كثيرا من القضايا الاجتماعية ، معالجة المفكر المصلح الراغب فى السعادة والخير للانسانية ومتأثر كذلك بميخائيل نعيمة فى مؤلفاته الاجتماعية ولا سيما « الاوثان » و « المراحل » .

رابعا ـ ناحية النثر الرشيق المحلق بجناحى الشعر ، من طراز نثر جبران الفنان المبدع الممتع ونثر امين الريحانى الذى هو اول من اطلق على مثل هذا النثر اسم « الشعر المنثور » من طراز قوله يناجى امواج البحر المتوسط على رمل الاسكندرية : انه ايتها الامواج الخالدة .. كم شاهدت من امواج الانسانية ، ومن بحورها امام عيونك الزرقاء وفى ظل ابتسامتك الفضية ، كم تبخر بحر ، وكم تبددت تحت اقدامك موجة هادرة شامخة من امواج الناس .. من ميازيب ذهبية فى بساتين من النور الازلى الروحانى .. »

الا يذكرنا هذا النثر الريحانى الجميل فى رشاقته الفاتنة ، وخياله الرائع بما قاله ابو القاسم الشابى ـ كما فىمذكرات الشابى ص ٧ ـ: « هانذا انظر الى غيابات الماضي ، وأحدق بظلمات الابد الغامض الرهيب .. فارى صورا كثيرة ، تعاقبت على نفسي كغيوم الربيع وتحركت حولى كانسام الصباح وتعانقت حول قلبى كاوراد الجدول .. ثم انظر فاذا رسوم غامضة متقلبة كامواج البحار » .

خامسا ـ ناحية « القصة الشعرية » التى برع فيها شعراء المهجر من طراز « الحكاية الازلية » والشاعر والسلطان الجائر « والشاعر فى السماء » و « الاشباح الثلاثة » ، و « المجنون » لايليا ابى ماضي .. او من طراز « حضن الام » للشاعر القروى،او من طراز «احلام الراعى» و «الراهبة» لالياس فرحات ، او من طراز « آدم وحواء » لفوزى المعلوف واحسب ان شاعرنا ابا القاسم الشابى لم يمارس فن القصة الشعرية ، الا مرة واحدة فى قصته الشعرية التى اختار لها عنوان

« فلسفة الثعبان المقدس » ص ٢٧٦ من ديوانه ، وقد قدم لها - رحمه الله - بقوله : « فلسفة الثعبان المقدس ، هي فلسفة القوة المتقفة في كل مكان ، وكما تحدث الثعبان ، في القطعة التالية الى الشحرور ، بلغة الفلسفة المتصوفة ، حينما حاول ان يزين له الهلاك الذى اوقعه فيه فسماه تضحية ، وجعله السبيل الوحيد للخلود المقدس، كذلك تتحدث اليوم سياسة الغرب ، الى الشعوب الضعيفة بلغة الشعر والاحلام ، حينما تحاول ان تسوغ طريقها الى ابتلاعها ، والعمل لقتل مميزاتها القومية فتسميها : « سياسة الادماج » وتتكلم عنها كالسبيل الوحيد ، الذى لا معدى عنه لهاته الشعوب اذا ارادت نيل حقوقها في هذا العالم ، وبلوغ الكمال الانسانى المنشود » .

وقد افتتح الشابى هذه القصة الشعرية التى تبلغ خمسة وثلاثين بيتا بقوله :

كان الربيع الحي روحا حالما
غض الشباب ، معطر الجلباب
يمشي على الدنيا بفكرة شاعر
ويطوفها في موكب خلاب
وكذاك تتخذ المظالم منطقا
عذبا لتخفي سوءة الآراب

وهذه القصة الشعرية اليتيمة مؤرخة في الديوان بيوم ٩ من جمادى الاولى ١٣٣٢ هـ - ٢٩ اغسطس سنة ١٩٣٤ م اى قبل وفاته باربعين يوما في ٩ من اكتوبر سنة ١٩٣٤ .

سادسا : ناحية الحيرة والقلق الذى يعترى الملهمين الباحثين عن الحقيقة .. من طراز جبران خليل جبران ولا سيما في قصيدته « المواكب » وايليا ابي ماضي في قصيدته « الطلاسم » وقصيدته « أسطورة الوجود او الحكاية الازلية » .. ونسيب عريضة في ديوانه « الارواح الحائرة » ومنه قصيدته « على الطريق » وشكر الله الجر صاحب ديوان « زنابق الفجر » الفياض بالحيرة والقلق والتامل ..

وبهؤلاء جميعهم او بعضهم تاثر شاعرنا ابو القاسم الشابى في قلقه وحيرته التى تتمثل في قصيدته « شكوى ضائعة » ص ٢٢٢ من ديوانه ومطلعها :

يا ليل ما تصنع النفس التى سكنت
هذا الوجود ومن اعدائها القدر ؟

ومنها :

هذا هو اللغز عمّاه وعقّده
على الخليقة وَحْش" فاتك حذر
حار المالكين وارتاعوا وأعجزهم
ان يحذروك وهل يجديهم الحذر ؟

وقصيدته « شجون » ص ١٦٧ ومطلعها :

عجبا لى اود ان افهم الكون
ونفسى لم تستطع فهم نفسى
لم اجد من حقائق الكون الا
اننى في الوجود مرتاد رمسى

وقصيدته « الابد الصغير » ص ١٥٤ ومطلعها :

يا قلب كم فيك من دنيا محجبة
كأنها حين يبدو فجرها ارَمُ
كانك الابد المجهول قد عجزت
عنك النهى واكفهرت حولك الظلم

★ ★ ★

وعلى هذا المنوال من الحيرة والقلق والاضطراب، نرى قصائده الاخرى : قصيدة «الى قلبى التائه» ص ١٣٤ ، وقصيدة « صوت تائه » ص ١١٩ ، وقصيدة « يا رفيقى » ص ١١١ .

سابعا : ناحية الحنين الدافق الى الغاب :

وكان طبيعيا - وهذا مبلغ حيرته وقلقه واضطرابه - ان يلازمه الشعور بالغربة الموحشة، حتى بين اعز الناس عليه فهو في قصيدته « مفاجاة عصفور » ص ١٠٨ يناجى عصفوره قائلا :

يأيها الشادى المغرد هينا
تملا بغبطة قلبه المسرور .

★ ★ ★

انا طائر متفرِّد مترنم
لكن بصوت كآبتى وزفيرى
يهاجنى صوت الطيور لانه
متدفق بحرارة وطهور
ما في وجود الناس من شيء به
يرضى فؤادى او يسرُّ ضميرى

★ ★ ★

وهو في « نشيد الاسى » ص ١٢٢ يتساءل ولا مجيب :

ما للرياح تهب في الدنيا ويدركها اللغوب
الا رياحي فهي جامحة لمردها عصيب ؟
مالي تعذبني الحياة كأنني خلق غريب
وتهد من قلبي الجميل فهل لقلبي من ذنوب ؟!!

ثم يمضي في تساؤله ــ وقد هزه الحنين الى الغاب الحبيب ــ قائلا :

مالي يضيق بي الوجود وكل ما حولي رحيب !
مالي شقيت وكل ما في الكون أخاذٌ عجيب ؟
مالي وجمت وكل ما في الغاب غرِّيد طروب ؟!!!

★ ★ ★

فليهرع الى الغاب تحت وطأة شعوره بالغربة الموحشة ..

كما هرع اليه من قبله استاذه الروحي جبران خليل جبران الذي سمع وأسمعنا في الغاب ما طاب من الحان السعادة في قصيدته المشهورة «المواكب» والغاب هو رمز البساطة والجمال ــ كما قال جبران ــ او هو ــ كما قال نسيب عريضة ــ « كتاب مقدس كلماته تعاويذ تشفي من لذعات فلسفة الحياة » او هو ــ كما قال ميخائيل نعيمة ــ « عنوان الحياة الشاملة التي تطعم ذاتها من ذاتها، فلا موت الحمل عندها مأتم ، ولا غذاء الذئب وليمة او هو ــ كما قال ابو القاسم الشابي نفسه من قصيدته الغاب ص ٢٦٦ من ديوانه « أغاني الحياة » :

بيت بنته لي الحياة من الشذى
والظل والاضواء والانغام
بيت من السحر الجميل مشيَّدٌ
للحب والاحلام والالهام
في الغاب سحر رائع متجدِّدٌ
باقٍ على الايام والاعوام
في الغاب دنيا للخيال وللرؤى
والشعر والتفكير والاحلام

★ ★ ★

وهنا في الغاب وجد نفسه مسحور الشاعر حالما « نشوان القلب بهذا المعبد الحي المقدس » الذي « تنوح رياحه على ميت الايام وتردد اناشيد الرعاة فيه كالحان اليمام ، وتبدو ادواحه الضخمة كأعمدة السماء ، ويهتف الصمت العميق فيه بغرائب النغمات » ولماذا هرع شاعرنا الشابي الى الغاب ؟

أ ــ أهرع اليه للصلاة في معبد الجمال والالهام والحياة :

المعبد الحي المقدس ها هنا
يا كاهن الاحزان والالام
فارفع صلاتك للجمال عميقة
مشبوبةً بحرارة الالهام

ب ــ ام هرع اليه فرارا من الناس والدنيا ، وسعيا وراء السعادة الحقيقية التي عنون بها قصيدته « السعادة » ص ٢١٨ قائلا :

فاترك الى الناس دنياهم وضجتهم
وما بنوا لنظام العيش أو رسموا
واجعل حياتك دوحا مزهرا نضرا
في عزلة الغاب ينمو لم ينعدم
واجعل لياليك احلاما مغرِّدة
ان الحياة وما تدوي به حُلُم

★ ★ ★

ج ــ ام هرع الى الغاب ليجرع مرارة اليأس من اصلاح احوال شعبه الذي لم يستمع له ولم يحفل به ، ولم يره الا مصابا بمس او جنون ، وما جنون الشاعر ــ كما قال افلاطون ــ الا جنون غير طبي او غير مرضي ، وما هذا الشاعر المجنون الا النبي المجهول الذي حدثنا عنه الشابي في قصيدته « النبي المجهول » ص ١٤٩ :

انني ذاهب الى الغاب يا شعبي
لأقضي الحياة وحدي بيأسي
انني ذاهب الى الغاب علّي
في صميم الغابات أدفن بؤسي
لم انسك ما استطعت فما انت
بأهل لخمرتي ولكأسي
سوف اتلو على الطيور اناشيدي
وأفضي لها بأشواق نفسي
فهي تدري معنى الحياة وتدري
أن مجد النفوس يقظة حسّي

★ ★ ★

واحسب ان اشعار ابي القاسم الشابي في «الغاب» وفلسفة الغاب قد سلمت في مجموعها ــ ان لم نقل فيها جميعها ــ من معظم المآخذ التي اخذها المرحوم عباس محمود العقاد على جبران خليل جبران في نقده « للمواكب » متمنيا عليه ان يعدل عن الشعر الى ما سموه « الشعر المنثور » وناصحا له بالاقلال من « الرمزية » التي اعتبرها العقاد من بقايا الكهانة البائدة ، وذاهبا الى ان الغاب هنا ــ وفي « مواكب » جبران ــ ليست غابا بالمعنى الضيق وانما هي الطبيعة في سعتها اللانهائية. ■■

الغزالي حرب

أمراض شائعة

ارتفاع ضغط الدم

أسبابه وأعراضه وعلاجه

زيادة نسبة حدوثه مظهر من مظاهر المدنية الحديثة

بقلم : الدكتور محمد محمد أبو شوك

■ يحق لكل انسان ان يسأل لماذا اصبحنا نرى كثيرا ممن اصيبوا بارتفاع ضغط الدم ، او ممن ابتلوا بمضاعفاته . ويحق لكل انسان ان يتساءل ماذا حدث للناس حتى تكون فيهم هذه الاعداد الهائلة التى تعانى من ارتفاع ضغط الدم . ان بعض الاحصائيات تدل على أن ٢٥ ٪ ممن هم بعد سن الاربعين يعانون من المرض . وقبل النظر فى تعليل هذه الزيادة ، ارى ان القى بعض الضوء على حقيقة ضغط الدم ، ومستواه الطبيعى .

ضغط الدم

هو ذلك المعيار الذى يشير الى مدى صلاحية القلب كمضخة تضخ الدم في الدورة الدموية لتفى بمتطلبات الاجهزة والانسجة المختلفة ، وفي الوقت نفسه يعطينا فكرة على مدى صلاحية الانابيب – الشرايين – التى يسرى فيها الدم ، أضيقة متصلبة هى ، أم مرنة تتسع وتضيق حسب ما يتطلبه الجسم ؟

أن ضغط الدم يعتمد على عاملين اساسيين هما كمية الدم التى يضخها القلب في الدقيقة ، ومدى مقاومة الشرايين لسير هذه الكمية التي تجرى فيها.

ضغط الدم الطبيعي

ما هو ضغط الدم الطبيعي ؟

سؤال طالما يتردد على السنة الناس والمرضى منهم خاصة، ولقد بذلت مجهودات كثيرة ودراسات مختلفة للتوصل الى معرفة مستوى الضغط الطبيعي – ولقد وجد أن هناك مؤثرات مختلفة تؤثر في هذا المستوى من لحظة الى اخرى . ونسمى هذه التغيرات بالتغيرات الطبيعية : منها الانفعالات كالغضب والخوف ، القيام بمجهود عضلى ، حتى أن تناول الوجبات يحدث تغيرا فيه .. زد على ذلك أن السن ، والوزن، والجنس والنوع كلها عوامل تغير في هذا المستوى .

والناس تختلف في المفهوم المقصود بالضغط الطبيعي ؟ فالبعض يعرّفه بانه المستوى الذى لا يسبب ضررا او تاثيرا بسيطا على الدورة الدموية في الانسان مهما امتد به العمر . والبعض يعرفه بانه هو الضغط الموجود في اكبر نسبة من مجموع السكان حسب النوع ، والجنس والسن ، والبيئة .

الضغط شقان

والضغط الطبيعي يتكون من شقين : الشق العلوى ويعرف بالضغط الانقباضي Systolic Pressure ، والانقباض هنا هو انقباض القلب .



والشق السفلي ويعرف بالضغط الانبساطي Diastolic Pressure ، والانبساط هنا هو انسياب القلب من بعد ضغط ، وهو يعتمد فيما يعتمد على مدى مقاومة الشرايين لتدفق الدم داخلها ، ويعتمد بالذات على مدى ليونة الشرايين Elasticity .

والملاحظ دائما أن الناس يهتمون كثيرا بالضغط الانقباضي ، وترتعد فرائصهم عندما يسمعون ان هذا الضغط هو ٢٠٠ مثلا في حين ان ضغطهم الانبساطي ٩٠ مم من الزئبق . وهذا خطأ شائع حتى بين الاطباء ، اذ ان الضغط الانبساطي هو المهم ، لانه يؤثر على القلب تأثيرا شديدا ، ولانه لا يتأثر كثيرا بالمؤثرات الخارجية ويبقى ثابتا ، عكس الانقباضي الذى ربما يعود الى الطبيعي عندما يهدأ الفرد ويأخذ قسطا من الراحة النفسية والجسمانية .

وملاحظة اخرى عند قياس الضغط حتى لا نتجنى على المريض ونجعله يتناول علاجا بدون داع مدى الحياة، ونسلكه في سلك اصحاب الضغوط المرتفعة تحت وهم قاتل ، هذه الملاحظة هي أن نتحرى الدقة في القياس ، فيجب ان يكون الشخص مستلقيا على ظهره ، ويكون هادئا ، ولا يؤخذ الضغط اول الكشف عندما يكون المريض متوترا واذا وجد عند اول الكشف ان هذا كان مرتفعا يؤخذ مرة ثانية في آخر الفحص ، حتى يهدأ المريض . ولا بد ان تكون الاكمام واسعة او يكون الذراع غير مغطى ، حتى لا تضغط الملابس على الذراع وتسبب ارتفاعا في ضغط الدم ، واذا نسي الطبيب هذه الملاحظات فمن واجب المريض تذكيره اياها ، لان هذا من مصلحته . واذا وجد الطبيب ان هناك ارتفاعا في ضغط الدم ، فلا بد قبل التسرع في اخبار المريض بذلك من ان يقيسه عدة مرات ويتأكد من ثبوت هذا الارتفاع وذلك على فترات متكررة ومختلفة .

ولقد استقرت اغلبية الآراء على ان الحد الاعلى للضغط الطبيعي هو ١٥٠/٩٠ اى ١٥٠ للضغط الانقباضي ، ٩٠ للضغط الانبساطي غير أن منظمة الصحة العالمية عادت وعدلت هذا المستوى الى ١٦٠/٩٥ . على ان للطبيب الرأى الاخير فيما اذا كان مريضه ، بارتفاع بسيط في الضغط ، يحتاج الى علاج أو لا . ففي بعض حالات المرضى المسنين مثلا اذا كان ضغط المسن هو ١٧٥/١٠٠ مثلا فاننا اذا حاولنا انقاصه بالعلاج فقد تتأثر حالته ، ومنهم من يزداد سوءا . وهو يحس بنشاط وقوة مع ضغطه المرتفع نسبيا ، فيجب ان يترك المسن على ضغطه ولا نصر على انقاصه بأى طريقة ما .

اسباب ارتفاع ضغط الدم

تنقسم حالات ارتفاع ضغط الدم الى نوعين :

النوع الاول : ارتفاع ضغط الدم الاولى او الاساسي Essential Hypertension .

النوع الثانى : ارتفاع ضغط الدم الثانوى Secondary Hypertension .

النوع الاول : هذا النوع من الضغط لا يعرف

سبب ظاهر له رغم التقدم في العلوم واختراع الآلات ، وهنالك نظريات عدة تلقي بعض الضوء على اسبابه الا انها ليست ثابتة ، وهذا النوع من ارتفاع ضغط الدم يكوّن معظم الحالات ، وتتراوح بين ٨٠ ـ ٩٠٪ .

النوع الثاني : ارتفاع الضغط الثانوي ويكون من ١٠ ـ ٢٠٪ من حالات ضغط الدم . ورغم قلته فاننا دائما نحاول استبعاده بشتى الفحوصات السريرية والمخبرية اذ ان معظمها قابل للشفاء ، اذا اكتشف السبب مبكرا وامكن علاجه في الوقت المناسب ، كالتدخل الجراحي مثلا . واذا شفي المريض فانه لا يحتاج الى علاج آخر مثل صاحب الضغط الاولي الذي يحتاج الى علاج مدى الحياة. وهنالك عدة اسباب لهذا الضغط الثانوي نذكر منها :

١ ـ امراض الكليتين :

ـ التهاب الكلى الحاد والمزمن
ـ التهاب الكلى الصديدي
ـ تكيس الكلى
ـ أورام الكلى
ـ مرض الكلى الناتج عن مرض البول السكري
ـ أمراض الكلية الخلقية الاخرى .

ومن الممكن في بعض الحالات أن تستاصل الكلية المريضة اذا لزم الامر على شريطة ان تكون الكلية الاخرى سليمة ، وبهذا يشفى ارتفاع ضغط الدم.

٢ ـ امراض الغدد الصماء :

أ ـ زيادة افراز الغدة الدرقية ، التسمم الدرقي .

ب ـ زيادة افراز الغدة فوق الكلية او الكظرية.

أعراض كشنج

Cushing Syndrome (Pheo Chroma Gyoma)

مرض كون Conn's Disease

ج ـ زيادة افراز الغدة النخامية

مرض كشنج

Cushing's Disease (Achromegaly)

٣ ـ تسمم الحمل (اكلامبسيا Eclampsia

٤ ـ بعض امراض الاوعية الدموية :

أ ـ ضيق شريان الابهر الخلقي
ب ـ ضيق الشريان الكلوي
ج ـ التهاب الشرايين العقدي

Polyarteritis Nodosa

٥ ـ بعض امراض الجهاز العصبي :

ـ مثل التهاب المخ .
ـ اورام بعض اجزاء المخ .
ـ التهاب الاعصاب .
ـ انسداد شرايين المخ ـ او النزيف داخل المخ.

وهذه الاسباب الثانوية ـ لها اعراض اخرى تميزها ـ وفحوصات يمكن بواسطتها تشخيصها والوصول اليها ، وكما قلت اذا عولجت مبكرا كانت سببا في شفاء المريض من ارتفاع ضغط الدم.

ارتفاع ضغط الدم الاولي أو الاساسي

ونعود الى امراض ضغط الدم الاولي او الاساسي .

وهي كما قلت تكون نسبة كبيرة ٨٠ ـ ٩٠٪ من امراض ارتفاع الضغط وهي اكثر الامراض انتشارا بعد سن الاربعين ، اذ ان هناك ٢٥٪ من الاشخاص يعانون من هذا المرض وذلك في المجتمعات المتقدمة .

ولاهمية هذا المرض وتاثيره على القلب وعلى حياة المرضى اجريت احصاءات عدة منها ما هو في انجلترا وثبت فيها أن ٤٪ من مجموع الوفيات ترجع الى ارتفاع ضغط الدم في جميع الاعمار .

وفي الولايات المتحدة بسبب هذا المرض ١٣٫٥٪ من الوفيات فوق سن الخمسين .

وهنالك عوامل عدة تؤثر على الضغط الاولي وربما كانت عوامل مساعدة في حدوثه ونخص من هذه العوامل :

الوراثة

١ ـ الوراثة : لقد وجد ان ارتفاع الضغط يكون وراثيا لو حدث في عائلة من العائلات ، وهو يصيب في بعض الاحيان افرادا عدة منها ، ولقد لوحظ انه اذا كان الوالدان مصابين بارتفاع في ضغط الدم فان حوالي ٤٥٪ من الابناء يصابون بالمرض . واذا كان احد الابوين مصابا فان النسبة تنخفض الى ٢٨٪ من الابناء وتصل الى ٢٪ فقط اذا كان الابوان سليمين ، من هنا يتضح اهمية الوراثة في المرض .

السلالة

٢ ـ السلالة : ربما يكون للسلالات تاثير على

ارتفاع ضغط الدم بان يكون ذلك لاستعداد طبيعي في هذه السلالة او تلك ، او ان ذلك يرجع الى عادات ومعتقدات في هذه السلالات تؤثر في ضغط الدم .

فلقد وجد ان الزنوج اكثر استعدادا لارتفاع ضغط الدم ، فهم يصل فيهم الى اضعاف ذلك عند البيض بل وربما وصل الى سبعة اضعاف كما هو الحال في بنما . وعندما اجرى البحث على الزنوج الموجودين في موطنهم الاصلي لم توجد حالات مصابة بارتفاع في ضغط الدم . وكذلك وجد ان نسبة ارتفاع ضغط الدم قليلة بين الصينيين والفليبينيين والهنود الحمر وسكان استراليا الاصليين في حين ان النسبة مرتفعة في الجنس الابيض واليهود .

السن

ونسبة المصابين بارتفاع ضغط الدم تزداد بتقدم السن حتى تصل الى ٢٥٪ من الناس عند سن الاربعين والى ٨٠ - ٩٠٪ فيما بين سن ٤٠ - ٧٠ سنة .

ولقد لوحظ ان النسبة تكون عالية بين الرجال قبل سن الاربعين وتقل بين النساء ، في حين ان هذه النسبة تكون عالية في النساء بعد سن الاربعين .

التدخين

لقد وجد من التجارب العديدة ان التدخين يرفع ضغط الدم سواء في ذلك في حالة عدم التدخين او الادمان على التدخين . ولوحظ كذلك ان كثيرا من المدخنين لا يصابون بارتفاع في ضغط الدم ، ولكن وجد ان هناك علاقة قوية بين التدخين والاصابة بتصلب الشرايين وانسداد شريان تاجي القلب .

لذلك يكون التدخين في حالة ارتفاع ضغط الدم عاملا قويا على حدوث مرض الجلطة القلبية.

السمنة

والسمنة من العوامل التى تساعد على رفع ضغط الدم . فلقد وجد ان معدل الضغط يزداد بنسبة ١٣ مم زئبق في اصحاب السمنة المفرطة عنه في حالة الوزن الطبيعي ، ووجد ان نسبة المصابين بهذا المرض في حالة السمنة تتراوح بين ضعفين الى اربعة اضعاف الذى يعانون من النحافة .

ولقد اثبت هذه الظاهرة العلماء في لينجراد وهولندة اثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها ، ففى فترة الحرب وقلة المواد الغذائية ، ونقص وزن اصحاب السمنة المفرطة ، وجد ان ضغطهم انخفض بنسبة كبيرة حتى وصل الى المستوى الطبيعي ، وعاد بعد ذلك الى الارتفاع بعد الحرب عندما توفرت المواد الغذائية وارتفع وزن المصابين. ونلاحظ نحن هنا ، وربما يلاحظ مثل ذلك معظم الاطباء في العالم الاسلامى ، ان الضغط اثناء شهر رمضان ينخفض اثناء الصيام خصوصا عندما ينقص وزن المريض ، ويرجع الى حالته الاولى بعد شهر الصوم . وفي الكويت نرى ان البدو الذين لا يسرفون في تناول الطعام نحاف الاجسام ، ونادرا ما نجد بينهم حالات ارتفاع في ضغط الدم ، في حين ان الذين يسرفون في الطعام والمرضين الى السمنة ترتفع نسبة المصابين منهم بارتفاع في ضغط الدم.

ولكى لا يقال اننا نتجنى على اصحاب السمنة نقول انه ليس كل سمين مصابا بارتفاع في ضغط الدم ، وقد يبقى طوال حياته لا يصاب بهذا المرض ، ولكن الاحتمال موجود بين اصحاب السمنة المفرطة كما اسلفت . وملح الطعام اذا اخذ بكثرة يساعد على تجمع السوائل في الجسم فيساعد على زيادة الوزن وارتفاع ضغط الدم ، لذا ننصح دائما من يعانون من ارتفاع ضغط الدم ان يقللوا من ملح الطعام .

الاضطرابات النفسية

وهذا عامل رئيسي في ارتفاع ضغط الدم ، ومما لا شك فيه ان نسبة المصابين قد ارتفعت في عصرنا الحاضر ، لما يكتنف الناس من اضطرابات عصبية ونفسية ، ولم لا ، وعالمنا كله هموم ، يتساوى في ذلك الغنى والفقير ، والعالم والجاهل ،والكبير الصغير ، لان الحياة اصبحت اشد صراعا ، وادعى للتنافس القوى . والبقاء صار لمن يقدر على خوض غمارها . ولنقارن حالنا بحال اجدادنا الذين كانوا يرضون بكل ما قسمه الله لهم . هدات نفوسهم ، واطمانت قلوبهم فكانت حياتهم هادئة . وكان يعمّر الفرد منهم دون ما تدهور في صحته ، اللهم اذا قربت منيته . ومن خبرتى في المهنة زهاء ربع قرن ارى ان نسبة ارتفاع الضغط

في المسنين قليلة في بيئتنا الشرقية التى تعيش فيها .

وفي الغرب حيث الصراع اشد واقوى ، والتوتر العصبى يزداد يوما بعد يوم ، نرى ان نسبة ارتفاع الضغط كبيرة ، يستوى في ذلك الشباب والشيب ، ولعل ادل على فعالية الاضطرابات النفسية في ارتفاع الضغط،هو ما قام به الباحثون من ابحاث وجدوا فيها ان هذه النسبة ضئيلة جدا بين الزنوج في البيئة البدائية في افريقيا . وهؤلاء انفسهم عندما يتركون هذه البيئة ويذهبون الى العمل في امريكا او اوربا ترتفع النسبة تبعا لما يعانونه من توتر عصبى واضطراب نفسي . وأنّى لزنجي ان يهنا وسط زوابع عاتية من الاضطرابات والتفرقة العنصرية،هو في وسطها كريشة لا يستقر على حال .

ثم هذه التجربة التى اجراها جراهام Graham على ٦٩٥ جندى من جنود لواء المدرعات حاربوا في الصحراء الغربية لمدة سنة او اكثر ، وبعد مرور شهر من انتهاء المعارك . وجد ان حوالى ٢٧٪ منهم يعانون من ضغط مرتفع ، وقد اعاد فحص ٣٣ من هؤلاء ذوى الضغط المرتفع بعد مرور شهرين آخرين في راحة نفسية بعيدا عن ميدان المعركة فاذا بثمانية وعشرين منهم اصبح ضغطهم طبيعيا .

ثم هذا الذى نشاهده كل يوم عندما نعطى مرضانا مهدئات فاننا نجد ان عددا منهم يشفى على هذه المهدئات والمنومات فقط . وهذا الذى يرتفع ضغطه عندما يجبر على عمل لا يقبله ، وتلك التى تعانى من اضطرابات عاطفية ، وهذا الذى يندب حظه لفقدانه جاها او ثروة ، كل هؤلاء نراهم يستجيبون الى المهدئات وبعدهم عما ينغص عليهم حياتهم .

اعراض المرض

ان الكثير من المرضى الذين يعانون من ارتفاع بضغط الدم لا يشعرون باعراض خاصة.ويكتشف ذلك عندما يُفحصون لاى سبب من الاسباب ، او حتى عندما يطلب بعضهم على سبيل المزاح أن يقاس ضغطه عندما يحضر مع مريض لمساعدته . وكثيرا ما تكتشف الحالات عند التقدم الى وظيفة او عمل او عند التامين على الحياة .

ويعتقد البعض ان ما يشكو منه مريض من ارتفاع الضغط راجع الى الاضطرابات النفسية التى يعانى منها مثل الصداع ، والدوخة ، والقلق والاحظ ان بعض المرضى يحسون بأن ضغطهم مرتفع عندما يشعرون بصداع او الم خاص بالرأس او الرقبة . وكثيرا ما اجد ان هذا الحس صحيح . ويذهب البعض من هؤلاء الى ان يتعاطى كمية الدواء حسب احساسه هذا . ولما كانت نسبة ارتفاع ضغط الدم تزداد بعد سن الاربعين كان من الواجب على من بلغ هذه السن ، اكتشاف المرض مبكرا ، وليمكن علاجه بسهولة ، ان يعرض نفسه على طبيبه ليقيس له ضغطه . ويا حبذا لو تكررت هذه العملية كل سنة ليطمئن الانسان على نفسه . ولا يخدعن انسان نفسه او يضع اللوم على الاطباء اذا كان ضغطه يرتفع وينخفض في اول الامر فربما يجيء اليوم الذى يستمر الضغط فيه مرتفعا ، وليأخذ حذره ويعرض نفسه على طبيبه من آن الى آخر حتى يتأكد ان الضغط اصبح ثابتا ، اما طبيعيا واما مرتفعا ليأخذ العلاج لذلك .

وفي بعض الحالات يحضر المريض الى عيادة الطبيب بمضاعفات ارتفاع ضغط الدم ، ويكتشف الضغط المرتفع واهم هذه المضاعفات هى :

اما تأثير الضغط على القلب ، فيكون اما تضخما في القلب من الجهة اليسرى ، او احساس المريض بضيق في التنفس عندما يقوم بمجهود عضلى . وفي بعض الحالات يقوم المريض من نومه مع ضيق شديد في التنفس وسعلة شديدة مصحوبة برغوة ، ربما تكون مدممة ، وذلك بسبب احتقان الرئتين ، واذا تقدمت حالة المرض حدث هبوط القلب من الجهة اليمنى ايضا مع تورم الجسم خصوصا في الاطراف السفلية والبطن والظهر ، وتضخم في الكبد ، وضيق شديد في التنفس . وربما يحدث ذلك والمريض في سريره حتى دون قيامه بأى مجهود عضلى .

ومن المضاعفات الاخرى تأثر الكلى مع قصور في عملها ، وكذلك يؤثر الضغط المرتفع على الشرايين فيسبب تصلبها ، وتعرضها من آن الى آخر ، اما الى الانسداد او الى ان تنفجر ، فاذا انسدت شرايين المخ سببت الشلل النصفى ، او شرايين القلب التاجية سببت مرض الذبحة الصدرية او الجلطة القلبية ـ واذا كان ذلك في شرايين الاطراف سببت مرض الغنغرينا او شرايين العينين سببت

ضعفا في الابصار ، وهكذا . على انه وجد ان هذه المضاعفات لا تحدث الا اذا اهمل المريض العلاج وارتفع الضغط بدون حدود ، لذا كان من الواجب الاسراع في العلاج والاستمرار عليه .

العلاج

هناك نصائح لمرضى ارتفاع ضغط الدم لا بد ان يتقيدوا بها :

اولا : التردد على الطبيب من آن الى آخر ليعرف مدى تأثر المرض بالعلاج ، ولا يهملن احد في علاجه عندما يصل الضغط الى المستوى الطبيعي فمعنى ذلك ان الدواء الذي يتناوله مناسب له وكميته تفي لان تتغلب على المرض .

ثانيا : ان يحيا حياة هادئة ما امكن ، دون افراط في كل شيء بل الاعتدال ، وليمش على قدر طاقته فان رأى من نفسه ان هذا الجهد الذي بذله قد اثر عليه فليرجع الى ما دونه ، وليمش في هذه الحدود التي لا تجهده . وليسترح بعد كل وجبة ولينم مبكرا . ولا يرهقن نفسه في عمل ليستريح في اليوم الذي يليه . بل حياة منتظمة يسودها الهدوء .

ثالثا : ان يجعل لنفسه وقتا للراحة في نهاية الاسبوع يقضيها بعيدا عن عمله ، وليأخذ كل سنة اجازته مهما كلفه ذلك ، لان هذه راحة لاعصابه وبدنه وفكره وتخلق فيه نشاطا للعام الذي يليه ، ولا يقولن احد دع هذا العام يمر دون اجازة وخذ اجازة طويلة في العام القادم فذلك ارهاق للجسم والفكر ومدعاة لارتفاع ضغط الدم وحدوث مضاعفاته .

وبعد هذه النصائح يكون العلاج اما علاجا بسبب ظاهر كما هو الحال في الضغط الثانوي او علاج الضغط الاساسي .

علاج الضغط الثانوي

بعد هذا التقدم العلمي في ميدان الطب سواء كان ذلك في الفحوصات المخبرية والشعاعية وفي التخدير امكن التوصل الى اسباب كانت خافية واجريت لها العمليات الناجحة مما ساعدت على شفاء معظم الحالات التي تعاني من ارتفاع في الضغط لورم من الاورام او مرض عضو من الاعضاء كازالة كلية ضامرة ملتهبة مثلا ، او اورام الغدة الكظرية او ضيق في الابهر .

علاج الضغط الاولى

اولا : التحكم في العوامل المساعدة اذا امكن ذلك ، ويتخلص ذلك في عدم الافراط في الاكل والتغلب على السمنة المفرطة والامتناع او الاقلال من ملح الطعام ، والبعد عن التدخين ، واخذ المهدئات اذا كان الشخص يعاني من التوتر الشديد، ثم الابتعاد ما امكن عما يعكر صفوه ويزيد من انفعالاته .

العلاج بالعقاقير

اولا : مدرات البول .

ثانيا : المهدئات .

ثالثا : مستحضرات جذور نبات الراولفيا سربنتينا والمواد الفعالة المستخرجة منها مثل الرسربين Reserpine (Serpasil)

رابعا : المستحضرات التي تؤثر على العقد العصبية Ganglion Blodking Agents مثل فيجوليسين Vegolysin والانسوليسين Ansulysen والانفرسين Inversine

خامسا : المستحضرات التي تؤثر على الجهاز العصبي السمبثاوي Adrenergic Blocking Agents مثل الاسميلين Ismelin والاسباتال Esbatal .

سادسا : الالدوميت Aldomet وغيرها .

ولن ادخل في مناقشة مفعول هذه العقاقير واستعمالاتها فان هذا من اختصاص الاطباء ويجب على المرضى عدم استعمالها الا تحت اشراف طبي لما لها من اعراض جانبية ومضاعفات اذا اسيء استعمالها . المهم انها وغيرها تعتبر اسلحة قوية لمعالجة ارتفاع الضغط ، وباستعمالها فرادى او في مجموعات حسب الحالة فانه يمكن السيطرة على ارتفاع الضغط وتحسن حالة المريض في اغلب الحالات .

بعد هذا كله ارجو ان اكون قد وفيت الموضوع حقه ، وقمت ببعض الواجب حيال مرضى ارتفاع ضغط الدم ، هذا الذي زادت نسبته مع ما نعمنا به من اسباب المدنية الحديثة .

واعود فاقول ان العلاج الناجع لمرضى ارتفاع ضغط الدم هو ان يكون المريض متعاونا مع طبيبه، مستمرا على علاجه ، فيمكنه بعد ذلك ان يحيا حياة طيبة كلها سعادة وهناء . ■■

محمد محمد ابو شوك

كيف نفهم.. المرأة؟

النساء لسن بلغز كما يتصورهن بعض الرجال!

بقلم: منير نصيف

■ قال الشاعر الانجليزى الشهير توماس اليوت Thomas Eliot (١٨٨٨ – ١٩٦٥)، عندما سألوه يوماعن رأيه فى المراة: «لم استطع ان اعرفها، ولم يزدنى قربها منى الا حيرة فى امرها.. ولكننى استطيع ان اقول شيئا واحدا، وهو اننى لم ار رجلا واحدا، استطاع ان يعيش بغير امراة.. ولكن قلة هم الذين استطاعوا ان يعيشوا لامراة واحدة!».

ولم يكن فى هذا الذى قاله اليوت منذ نصف قرن من الزمان او يزيد، جديدا، فما زال الرجل فى كل زمان ومكان، ينظر الى المراة، نظرة ملؤها الشك والريبة، وهو يرى نفسه يتراجع امامها، ليفسح لها الطريق فى شتى مجالات الحياة التى راحت تغزوها فى ثقة واعتزاز وايمان بالمستقبل.

هى، فى نظر الرجل، ذلك المخلوق الغامض الذى عجز عن سبر اغواره، وربما كان هذا احد الاسباب التى ادت الى تقلبه وعدم استقراره، ودفعه دائما الى عدم التعلق بامراة واحدة، والبحث عن غيرها، لعله واجد فيها ما ينشده من فهم وادراك لحقيقة نفسها، وما تخبئه!

كيف ترى المراة نفسها؟

اما هى، فترى نفسها انسانا بسيطا، غير مكتمل، ولا يمكن ان يكتمل، الا بعد ان يلتقى بنصفه الاخر.. بالرجل، حتى تصبح الحياة دائرة مكتملة الاستدارة، وهى تعرف ما تريد، وتبذل كل ما فى وسعها لتحقيق هدفها من الحياة، فاذا بلغت هذا الهدف، تمسكت به وحرصت عليه، وضحت بكل شيء فى الدنيا فى سبيل اسعاد رجلها وبيتها واطفالها..

وبالرغم من هذا، لا يكف الرجل قط عن ترديد تلك العبارة التى جاءت على لسان الشاعر اليوت: «اننى لا استطيع ان افهم المراة!»

ومع هذا، فمن الصعب ان نجد امراة واحدة تؤمن بصدق قول الرجل فيها.. فهى تعلم انها ليست لغزا، وان الرجل يستطيع ان يفهمها، لو انه بذل فى سبيل ذلك جهدا بسيطا، لن يكلفه اكثر من مجرد التوقف والتفكير، قبل ان يتخذ قرارا من تلك القرارات المتسرعة الطائشة التى كثيرا ما تدمر حياته، وتقضي على سعادته وسعادة بيته واطفاله.



عندما تبكى المراة

يقول الكاتب الامريكى الشهير « نورمان فنسنت بيل » Norman Vincent Peale عندما تبكى المراة في يأس ، وتقول لرجلها : « انت لا تعرف شيئا عن طبائع النساء ، ولو انك تعرف ، لما فعلت ما فعلت ! » .. عندما تقول المراة هذا الكلام لرجلها في غمرة حزنها ، انما هى تريد في واقع الامر ان تدفعه دفعا الى بذل محاولة ، ولو يسيرة لفهم حقيقة مشاعرها ! انها تريد ان تصور له قسوة الاصابة التى لحقت بها نتيجة لفشله في الاحساس بالحرج الذى اصابها من صنعه ، وادمى قلبها ! انها تريد ان تقول له : « خذنى بين ذراعيك ، فانا في حاجة الى عطفك وحبك ورعايتك ! »

ويقول فنسنت بيل ان من بين الاسباب الاساسية التى تساهم في فشل الرجل في حياته مع امراته هو شعوره بانها تطلب منه اكثر مما تحتمله طاقته. فهو يتصور مثلا انها تريد ان تمتلكه ، تريده ان يفكر بعقلها هى ، ويتصرف وفقا لما ترتضيه هى ، ويفعل ما تشير عليه به . فيصور له تفكيره في النهاية انه لو فعل كل هذا الذى تريده به امراته ، لم يجد بعد ذلك الوقت الذى يستطيع ان يتفرغ فيه لعمله ورزقه ، وبالتالى يصبح انسانا مسلوب الفكر والارادة .

سجن الزواج !!

وشيئا فشيئا، يبدا الرجل في الشعور بالسخط على هذه الحياة التى اصبحت سجنا من حوله ، يسير اليه بقدميه كل يوم، عندما يحين موعد عودته الى البيت ، بعد انتهاء عمله !

وينمو هذا الشعور ، ويستبد بالزوج ، حتى نراه وقد بدا يكره اللحظة التى تجمعه بزوجته واطفاله تحت سقف واحد !

ويبدا الرجل يفكر في الهروب من هذا السجن ، ولكن الى اين ؟

يقول بيل : « والرجال صنفان .. رجل يتعلق بامه ، حتى بعد الزواج ، وقد يزداد تعلقه بها اذا احس انه افتقد الحنان الذى كانت تغدقه عليه الأم ، في المراة التى اختارها زوجة له . فقد تعود ان يأخذ من امه حبها ، وعطفها وحنانها، دون ان تسأله او تحاسبه !

فالام تعطى دائما ولا تطلب ابدا .

وصنف آخر من الرجال يهرب من البيت ، بحثا عن الدفء الرخيص بين ذراعى امراة اخرى، تقدمه له بعد ان يدفع الثمن ! ولكنه سرعان ما يكتشف ان « الحب » الذى اشتراه بماله ، بدا يتلاشى عندما لم يعد قادرا على الاستمرار في دفع الثمن !

غريب بين اهله

الاول عاوده الحنين الى البيت الذى نشا فيه بين احضان والديه واخوته ، هؤلاء الذين عرفوه وعرفهم ، ظنا منه انه سيجد وسطهم « الحرية » التى كان ينعم بها قبل الزواج ! ولكنه ما يلبث ان يدرك مدى الخطا الذى وقع فيه .. فهو يشعر بالوحدة . ان حياته الاولى تلك التى خرج منها ، ليبدا حياة جديدة مع المراة التى اختارها له زوجة ، قد اصبحت غريبة عليه ، كما اصبح هو غريبا عليها .. لقد اصبح الزواج عادة ، برغم كل ما صوره له عقله من مساوىء هذه العادة !

اما الرجل الثانى ، ذلك الذى هجر بيته ، بحثا عن « الحب » الذى دفع ثمنه من ماله وسمعته ، فلن يطول به الوقت ، حتى يعود الى بيته وامراته نادما مستغفرا ، عندما يستيقظ ضميره ، ويشعر بالجريمة التى ارتكبها في حق زوجته واطفاله !

هل تلام المراة ؟

هل نلوم المراة وحدها في كل هذا الذى حدث ؟

يقول نورمان فنسنت بيل : « لا توجد امراة واحدة ، ترضى بغير هذا الشعور الذى يسيطر على كل امراة ، وهو ان ترى زوجها ملكا لها وحدها ، لا يشاركها فيه انسان .. وهذه النزعة تختلف من امراة الى امراة ، فهى عند البعض منهن قد تتخذ احيانا طابع العنف والغيرة من كل شيء تحس ازاءه بخطر يتهدد حياتها ويهدد بسلب رجلها منها ..

« ولكن اذا ادركنا ان ميل المراة الى امتلاك زوجها ، لا يقل قوة عن ميلها الى ان يمتلكها زوجها ، فتصبح له وحده ، تعيش من اجله وتفنى حياتها كلها من اجل اسعاده واسعاد بيتها واطفالها .. اذا ادركنا هذا الميل الطبيعى من جانبها ، استطعنا ان نتقوّم من مسلكنا ازاءها ، ونرضى نزعاتها ، ونستكشف ما غمض علينا من تصرفاتها، وعرفنا اخيرا كيف نفهم حقيقة مشاعرها واحاسيسها .

قصة زوجين سعيدين

يروى فنسنت بيل قصة زوجين لقيهما يوما في قاعة المسافرين في احد مطارات اوربا ، يقول :

« كانا يمشيان ببطء وهدوء ، وكانهما ينتزعان اقدامهما من الارض انتزاعا .. وكان الزوج يحمل في يده حقيبة صغيرة من ذلك النوع الذى يحمله المسافرون .. اما هى فكانت تتابط ذراع زوجها بذراعها الايمن ، بينما كانت تمد ذراعها الايسر بين لحظة واخرى الى وجهه لتديره ناحيتها تتامله في حب وحنان ، وهو لا يكف عن الابتسام ، واخيرا يقف الاثنان ، ويبحثان بعيونهما عن مكان يجلسان فيه ريثما يحين موعد اقلاع الطائرة ..

« والتقت عينى بهما ، فاقتربا منى ، وافسحت لهما مكانا ، وشكرنى الرجل بايماءة من راسه ، وجلسا .. وقد تشابكت ايديهما ، ومالت الزوجة براسها الصغير الجميل فوق كتف زوجها !

كانت في اواخر العقد الرابع من عمرها ،صغيرة الجسم ، حلوة التقاطيع ، اما هو فقد كان يبدو انه يكبرها بخمس او ست سنوات على الاقل ..

فراق ودموع

« وانقضت بضع دقائق ، قبل ان اسمع صوت بكاء خافت ، والتفت اليهما ، فوجدت عينى الزوجة غارقتين في الدموع .. لقد كانت تبكى .. واسرع الزوج يخرج لها منديله من جيبه ، ويجفف به دموعها ، ويربّت على كتفها ويطبع على وجنتيها قبلات طويلة حارة ، ولكنه ما لبث هو الآخر ان انفجر باكيا ..

لم يعد قادرا على التحكم في مشاعره ..

« وحانت اللحظة اخيرا، وانطلق صوت المضيفة معلنا عن قيام الطائرة عبر المايكروفون .. وقاما في تكاسل شديد ، وكانهما لا يريدان ان تنتهى فترة الانتظار بهذه السرعة .. ووقفا بضع لحظات ينظران الى بعضهما البعض ، وقد امتلات عيونهما بالدموع ، وما لبثت الزوجة ان ارتمت بين ذراعى زوجها الذى راح يمطرها بالقبلات .. وظل ممسكا بيدها ، وهى تتقدمه ، حتى حانت لحظة الفراق .. لحظة الوداع فتركها ، ثم وقف وراء الباب الزجاجى يلوح لها بيديه،الى ان اختفت السيارة التى اقلت الركاب الى الطائرة تماما ..

« ولكن الزوج لم يترك مكانه .. لقد بقى واقفا ، ينتظر الساعة التى ستغيب فيها الطائرة عن عينيه حاملة اعز انسانة الى قلبه .. وبدات الطائرة تتحرك .. واسرعت الى حيث كان يقف

الزوج ، وقلت في هدوء دون ان اقدم له نفسي : « لا بد انك تحبها كثيرا ! »

صديقتي وزوجتي

قال : « انها اول مرة نفترق فيها منذ زواجنا الذي دام لاكثر من عشرين عاما .. انها زوجتي ، وصديقتي وام اطفالي ، وكل شيء في حياتي .. لا اعرف كيف ساطيق العودة الى البيت وحدي ، وامضي اسبوعين طويلين ريثما نلتقي من جديد .. كان لا بد لها ان تسافر لتزور امها المريضة .. وسافرت ! »

وقلت وانا ادعوه الى تناول قدح من الشاي : « تعال معي ، وحدثني عنها .. فلعلك تجد في حديثك عن زوجتك خير سلوى في غيبتها ! »

وجلسنا نتحدث .. قلت اسأله : « ماذا تصنع من اجل عيشك وكسب رزقك ؟ »

قال : « انني طبيب، اعمل في احد المستشفيات الحكومية في الصباح ، واستقبل مرضاي في عيادتي الخاصة في المساء ! »

حياتي في البيت جزء من عملي

قلت : « لا بد ان عملك يستغرق كل وقتك اذن! فكيف استطعت ان توفق بين عملك وبين وقتك الذي تقضيه في بيتك مع زوجتك واطفالك ؟ »

قال الرجل : « ان حياتي في بيتي مع زوجتي وابنائي الثلاثة ، هي جزء اساسي من عملي ، فانا لم انس في وقت من الاوقات ، انني زوج ، وانني اب .. كانت زوجتي بالنسبة لي دائما ، الصديق المخلص الوفي الذي الجأ اليه في مشاكلي ومتاعبي . انني اشركها معي في كل قرار ، واسالها النصح في اية ازمة تواجهني في عملي .. لم اشعرها يوما بانها اقل مني معرفة ودراية بحقائق الامور. لم افرض عليها رأيا ولم افرض من نفسي سيدا .. ولم اكن اجد في كل هذا الذي افعله واجبا عليّ ، كنت افعل ما افعل ، وانا سعيد راض . كنت ارتاح لعشرتها واطرب لحديثها معي ..

اجمل لحظات حياتنا

لا اذكر يوما انني اسأت اليها .. كانت تحدث بيننا خلافات من ذلك النوع الذي يحدث بين كل الازواج . ولكنني كنت احرص دائما على ان انهيها في اسرع وقت ممكن . كانت اسعد لحظاتنا هي تلك التي نقضيها معا في البيت ، نتبادل الحديث في مستقبل ابنائنا ، وفي مشروعاتنا ، وفي البيت الصغير الذي ننوي شراءه لنتخذ منه عشا سعيدا يجمعنا في شيخوختنا .. لا اذكر يوما انني عدت الى البيت ووجدتها عابسة مضطربة .. كانت تستقبلني دائما بابتسامة رقيقة وكانت ابتسامتها الحلوة تنسيني كل متاعبي !

« كنت احرص دائما على ان اوفر لها كل ما تبغي وتشتهي ، ولكن في حدود امكانياتي ، بطبيعة الحال ، لم انس مناسبة من تلك المناسبات العزيزة الى نفسها ، وكانت اقل هدية ترضيها ، وابسط كلمة تسعدها ..

كل شيء في دنياها

« لم تكن تنظر الى كزوج واب لاطفالها فحسب، بل كانت ترى في ابا لها ، واخا اكبر ، وكل شيء في دنياها وهكذا اصبحنا صديقين » .

وانهى الزوج حديثه ، واخرج منديله يجفف به دموعه . وودعني وهو يقول : « سوف افتقدها .. لا ادرى ماذا افعل وانا ارى تلك الايام المقبلة ، تمضي بطيئة متثاقلة ، وكأنها دهر ! »

اعطاها .. واعطته

هذا الزوج العاقل الوفي ، استطاع بقدر يسير من التفكير السليم ، والتروى ان يفهم امرأته .. لقد اعطاها من وقته وعطفه ، ما جعلها تنسى كل شيء في الدنيا ، الا هو ، الا بيتها ، والا ابناءها .. لقد احبها فاحبته،واخلص لها فاعطته قلبها وروحها ، ومد اليها يده ، فاحتضنتها بكلتا يديها !

يقول فنسنت بيل : « اجمل شيء في الحياة ان يحاول المرء ، رجلا كان ام امرأة ، ان ينفذ ببصره وفكره داخل النفس البشرية فيرى ما تخبئه من حب يبحث له عن منطلق ، وقد لا يستطيع كل واحد منا ان يفعل ما فعل ذلك الرجل في حياته مع امرأته .. ولكن البعض يحاول ، ولا يمل المحاولة ابدا .. وفي محاولاته هذه ، لا بد واجد في النهاية السعادة التي ينشدها ويتطلع اليها في حياته » .

■■

منير نصيف

مجالس الشيخ محمد عبده

بقلم : انور الجندى

■ كانت دار الامام الشيخ محمد عبده فى « عين شمس » من أشهر مجالس العهد الماضي فقد حفلت بجلسات تاريخية شهدت كثيرا من المواقف الحاسمة فى تاريخ مصر والاسلام والازهر ، وعرفت بروادها العديدين من تلاميذ الشيخ ومريديه وصفوة أصدقائه وهم يومئذ ابرز الشخصيات فى مجتمع القاهرة :

وكان فى مقدمة هؤلاء حسن عاصم وقاسم امين وفتحى زغلول وعبد العزيز جاويش ومحمد المهدى واحمد الاسكندرى وحفنى ناصف واسماعيل صبرى وعلي بهجت واسماعيل رافت واحمد ابراهيم وعبد الوهاب النجار وكلهم من نوابه مصر .

وكان حافظ ابراهيم ورشيد رضا من الاعمدة الثوابت التي لا تتخلف عن مجلس ابدا .

وكان الشاعر الرحالة البريطاني الشهير « بلنت » Blunt يزور مجلس الشيخ في بعض الاحيان . وقد وصف صاحب المنار مجلساً من هذه المجالس فقال : ان الشيخ كان يعود بعد الغروب الى الازهر فيقرأ الدرس ويتجه بعد العشاء قاصدا داره في عين شمس فيجد العفاة واصحاب الحاجات ينتظرونه في المحطة وفي البيت يعرضون عليه حاجاتهم ، وبعد هذا كله لم تكن تخلو داره من السامرين الذين يتكلمون معه في الادب والمصالح العامة والخاصة .

قال لطفي جمعة : وكان مجلسه يحفل بكبراء مصر وادبائها وبعض الاجانب كما كان بيته في « عين شمس » ملجا الكثيرين من ذوى الحاجات وطلاب المقاصد الشريفة ، وكان بين الشيخ وبين مستر (بلنت) اواصر مودة قوية . وكان (بلنت) يقيم في قصر فخم ذى حديقة في قرية الشيخ عبيد على مقربة من (عين شمس) وهو الذى اقطع الشيخ الارض التي بنى عليها بيته بالطوب الآجر الذى لم تنضجه النار ، وكان يزور الشيخ لابسا عباءة وعقالا ومعظم حديثهما بالعربية .

وكان الاستاذ يدعو بعض نجباء المصريين الى مجالسه التي يحضرها (بلنت) ليأنس اليهم ومنهم محمد المويلحى وعلي يوسف وحافظ ابراهيم ، وكان (بلنت) يقيد احاديثهم وآراءهم .

وكان الاستاذ الامام « اذا تحدث يتدفق كالسيل ولكن في هوادة ورقة ، ولئن شعر السامع بقوة الحديث وكلامه وتدفقه فانما يشعر ايضا بانه ماء النيل علب السلسبيل » . وكان الشيخ عدا احاديثه في المسائل العامة على هذا الاسلوب المتالق يتكلم احيانا ويروى (ملحا) يطلق عليها اسم (اللطائف) وبعضها مقتبس من الاداب الاجنبية .

وقد احصى كثير من تلاميذ الامام نماذج من الاحاديث والموضوعات التي كانت تدور في ندوته وهي في الاغلب تتصل بالازهر والاصلاح الاجتماعي والدفاع عن اللغة العربية ومحاولة خلق صحافة كريمة وانشاء اسلوب حديث في الكتابة يجمع الى براعة الاداء حسن الصياغة وبعدها عن الزخرف والسجع القديم .

اصلاح الازهر

ومما كان يرويه الامام في احاديثه عن الأزهر قوله :

ان نفسي توجهت الى اصلاح الازهر منذ كنت مجاورا فيه ، بعد التلقى عن السيد جمال الدين. وقد شرعت في ذلك فحيل بيني وبينه، كنت اترقب الفرص فما سنحت الا واستشرفت لها واقبلت عليها ، حتى اذا صدفت الموانع لويت وصبرت مترقبا الى فرصة اخرى . وبعد ان عدت من المنفى حاولت اقناع الشيخ محمد الانبابى شيخ الازهر بشيء من ذلك فلم يصادف قبولا .

فقلت له مرة ، هل لك ايها الاستاذ ان تأمر بتدريسي (مقدمة ابن خلدون) في الازهر ووصفت له فوائدها فقال : ان العادة لم تجر بذلـــك ، فانتقلت به الى شجون الحديث الى ذكر الشيوخ وسألته : منذ كم مات الاشمونى والصبان ، قال منذ كذا ، فقلت انهما حدیثا عهد بوفاة وهذه كتبهما تقرأ بعد ان لم تجر العادة .

فسكت ولم يدخل في الحديث .

ويمضي الشيخ الامام فيقول : ان بقاء الازهر متداعيا على حاله في هذا العصر محال فهو اما ان يعمّر واما ان يتم خـــرابه . واني ابذل جهد المستطاع في عمرانه ، فان دفعتني الصوادف الى اليأس في اصلاحه فانني لا أيأس من الاصلاح الاسلامي ، بل اترك الحكومة واختار افرادا من المستنيرين فاربيهم على طريقة التصوف التي ربيت عليها ليكونوا خلفا لي في خدمة الاسلام .

لم اؤلف كتابا في بيان حقيقة الازهر امثل فيه اخلاق اهله وعقولهم ومبلغ علومهم وتأثيرهم في الوجود وانشره باللغة العربية ولغة افرنجية .

وقال رشيد رضا وهو يروى وقائع بعض هذه المجالس :

كنت في الامتحان اسأل احد الطلبة عن عبارة ليكمل الفاظها المفردة بادخال ضمائرها وبيان متعلق ظروفها . هذا ان احسن الجواب فاسأله عن المراد بهذه العبارة فلا يجد جوابا .

ترقية الصحافة

وكان الشيخ محمد عبده يتحدث في مجالســه عن ترقية الصحافة ، وكان عبد الرحمن البرقوقي ورشـــيد رضا من تلاميذه الابرار ، انشأ الاول

دعوتُ إلى أمرينِ عظيمين :

تحررُ الفكرِ من قيد التقليد،
وتحريرِ الإنسانِ العربيِّ
من السجعِ والزخرف.



(البيان) وانشأ الثاني (المنار) في ظل توجيهاته ومفاهيمه .

يقول البرقوقي : طرحت في مجلس الامام ثلاث مسائل ، فقلت ان مقطع الحق قد غاب عني فيها : كيف يكتب العالم وكيف يكتب الصحفي وكيف يكتب الاديب وما هي مفاصل الحدود بين الثلاث .

قال الامام : اراك تمهد لغرض ، ويخيل الي ان لك هوى في مزاولة الصحافة فقلت : هو ذاك يا مولاى ، وما بي ان اعلم الا ما أعمل ، والا فاين افع من ادبك اذن .

قال الشيخ : فاعلم ان الحقائق النفسية مطلقة لا قيد لها وان الحد لا يثبت على الحقيقة بتمامها، وهي معنى الكمال الا اذا كان للكمال المطلق حد محدود ، وانما تؤتى هذه الحقائق من جهة العرف في امة من الامم وتنتقص في مواضعات الناس ، وانت خبير بأن مجرى العرف في امة من الامم لا يكون الا بحسب ما في مجموعها العقلي من القوة والضعف . لقد تواطأت على ان من ينشيء صحيفة وان كتبها غيره ، سميناه صحفيا . وتواضعنا من قديم على ان من يحفظ قطعة من اللغة سميناه اديبا ، وليست الصحافة عندنا باحوج الى الحقيقة الصحفية عن غيرنا منها الى حقيقة العلم والى حقيقة الادب ، فان اردت ان تصحح معنى العرف وتصلح خطأ الاصلاح ورغبت في ان تكون بحق احد الثلاثة فكن الثلاثة جميعا .

الارتفاع عن الخصومة

وكانت مجالس الشيخ محمد عبده تحفل بالحديث عما يجرى من الخصوم ، وكان حافظ ابراهيم يتحدث اليه كثيرا في هذه الامور .

وفي احدى هذه المجالس ، دار الحديث عن ما يرميه به حاسدوه من الرشوة فقال :

« والله يا حافظ لو كنت اقبل الرشوة لسال هذا الفناء ذهبا » .

وكان الخديو عباس بعد ان وقع الخلاف بينه وبين الشيخ : ينتظر حتى يتقدم اليه بمشروعاته الخاصة بالأزهر والقضاء الشرعي فيطلب اليه ان يعود لعرضها عليه بعد يومين او ثلاثة ، ثم يبعث الى ستة او ثمانية من العلماء يجمعهم حوله ويقول لهم : غدا او بعد غد سيحضر الشيخ عبده ليعرض مشروعاته وها انا ادفع اليكم بها من الآن لتدرسوها وتحفظوا ملاحظاتكم عليها وسأجمعكم به غدا او بعد غد ، وسأرى من الذى سيغلب هو او أنتم ، ثم كانوا يحضرون عرض الشيخ عبده لمشروعاته فيقول الخديو : ما رأيكم يا مشايخ .

فينبرى له المشايخ يعارضونه ويناقشونه ، وكان معهم في المناقشة الشيخ بخيت ، وكان من وجوه امعانه وضروب استفزازه ، انه لا يخاطب الشيخ عبده الا بقوله : لا ، لا ، يا شيخ محمد ، (مش كده) يا شيخ محمد ، وكان من شأن ذلك كله ان يوسع دائرة المناقشات في مجالس الشيخ فضلا عما كانت تنشره بعض الصحف من الغمزة به مما كان يكتبه محمد ابو شادى صاحب جريدة الظاهر ومما نشره صاحب (حمارة منيتي وفرح انطون صاحب مجلة الجامعة) .

وكان الامام يواجه كل هذه الحملات بالصبر .

يقول رشيد رضا ، مما ينقمون منه انه يركب الحصان ويلبس الجزمة عند ركوبه . ولما ولاه الخديو السابق القضاء قال لناظر الحقانية : لقد خلقت لان اكون معلما لا ان اكون حاكما ، فقل للخديو يجعلني في دار العلوم . فلم يقبل الخديو وقال : ان الحكومة ارادت الاصلاح . وكان يردد في مجالسه كلما ذكرت هذه الوقائع :

انه لا حياة للامة الا بشيء واحد هو التربية والعلم الصحيح وان جميع ما حولنا يدل على اليأس، ومع هذا فثم لي أمل كامل ، ويوجد رجل اخر في مصر له نصف امل،وهو عبد الكريم سلمان.

ما يقرأ وما يكتب

وكان تلاميذه واصدقاؤه يسألونه دائما في كل مجلس عما يقرأ من الكتب والابحاث واجاب ذات مرة فقال : انى انظر في ثلاثة كتب عربية اقرأ المسألة في كل منها . انها ثلاثة كتب في أصول الفقه ، وفي السنوات الاخيرة سئل عن كتابه الذى بعده ولم يتمه : (السيرة النبوية) فقال انه لم يتمه وانه لابد له منه ومن كتب اخرى ، ولكنه يحتاج الى مساعد صادق امين ، يفحص عن النصوص ، فان جميع أرباب التآليف الكثيرة كالغزالي وغيره كانوا كذلك والا فان الوقت لا يتسع لتلك المؤلفات وانه لم يجد ذلك المساعد ولا المال .

وقال الشيخ رشيد وكان حاضرا : ستجدني ان شاء الله من الصالحين ،

وتحدث في احدى مجالسه عن انه تلقى خطابا يهدده فيه مرسله بالقتل فقال له الشيخ رشيد :

ان لك اعداء لا يخافون الله وانك تجيء دارك في الليل وهى في الخلاء بعيدة عن العمران فلو

نظرت في ذلك فابتسم في صمت . وساله مرة اخرى : ماذا تصنع اذا هجم عليك لص في الليل ، اتطلق عليه الرصاص .. فقال : لا يجوز اطلاق الرصاص في البيت فانه يزعج النساء والعيال وليس عندي للص الا القبض عليه والاخذ بتلوف رقبته .

وكان الشيخ يؤمن باهمية الكلمة المسموعة ويقدرها ويرى انها اعظم من التاليف وقد اشار الى ذلك عندما ساله سائل عن اهمية التاليف : فقال الاستاذ الامام :

ان الكتب لا تفيد القلوب العمى ، ولا تفيد الكتب الا اذا صادفت قلوبا عالة بوجه الحاجة التى تسعى في نشرها ، فاذا وصل كتاب الى ايدى هؤلاء العلماء وفيه غير ما يعلمون لا يعقلون المراد منه ، واذا عقلوا منه يردونه ولا يقبلونه ، واذا قبلوه صرفوه الى ما يوافق علمهم ومشربهم كما جروا في نصوص الكتاب والسنة . اما الكلام المسموع فهو يؤثر في النفس اكثر مما يؤثر فيه الكلام المقروء لأن نظر المتكلم وحركاته واشارته ولهجته في الكلام كل ذلك يساعد على تفهم مراده .

الرحلة

ولطالما كان الشيخ محمد عبده يتحدث فيمجلسه عن رحلاته بعد عودته من واحدة منها ، وقد زار تونس والجزائر ، كما زار سويسرا عددا من المرات في اجازة الصيف . يقول : سافرت مرات الى اوربا وافريقيا فكان اثر الاسفار في بلاد المسلمين زيادة البصيرة فيما عرفت اساسا من ان مرض المسلمين نشا من امرين :

(الاول) الجهل بدينهم وابداع ما لم يكن منه والصاقه به ، واختلاط ما هو من الدين بما ليس منه ، حتى صار ما هم عليه دينا اجنبيا عن اصل الدين الاسلامى الطاهر الرفيع . والأمر الاخر هو الاستبداد .

« وكانت اسفارى الى اوربا تجدد الامل في اصلاح احوال المسلمين ، غير ان هذه الامال كانت تضعف في نفسى عندما اعود الى ديارى لكثرة ما الاقى من العنت وشدة ما اصادف من المتاعب .

وكان الشيخ محمد عبده يتحدث بمرارة عن خصوماته ، والمعروف انه اصيب في ايامه الاخرة بمرض خطير رده جميع عارفيه الى الكمد والحزن الذى واجهته محاولة الاصلاح كلما قام بها .

اما هو فكان جلدا قادرا على المقاومة ولطالما ردد امام زواره عبارته التى سجلها رشيد رضا من عديد من مجالسه :

ان هناك محاولات لتزهيد الرجل النافع من العمل العام ، حيث تعمل ضده قوى من قوى الظلام وتحاول تخييب مساعيه في كل اتجاه يقصده وقد تصل المحاربات المذكورة الى درجة تجعل حياة الشخص وكيانه المعنوى وعقله في خطر .

غير ان العقل السليم لا يهزم امام الحوادث مهما عظمت وان كان يعتريه الم او اضطراب ولكنه لا يفقد مطلقا توازنه ولا يتاثر جوهره كذلك كيانه المعنوى يحتفظ بقوة ارادته .

ولم تقتصر مجالس الشيخ محمد عبده على داره في عين شمس ، فقد كان يعقدها احيانا في دار احمد تيمور في درب سعادة او عند حفنى ناصف او اسماعيل صبرى ، او في اى مكان يحل فيه . وهى تختلف عن حلقته في الرواق العباسي التى كان يقصرها على تفسير القران ولا يقبل فيها الا نماذج معينة من الشباب والرواد ، وقد اشار السيد رشيد في بعض كتاباته الى انه كان يقترح بعض اسماء الشباب المثقف على الاستاذ الامام لحضور هذه الندوة ومن بين هؤلاء الشيخ عبد العزيز جاويش وغيره .

وكان الشيخ عبده نموذجا جديدا بين العلماء ، تطبيقا لمفهوم الاسلام المتحرر من التقليد ، فكان يكره تقبيل يده ، او أن ينشد امامه شعر ، او ان يقرا شي في مدحه ، وكان جمال الدين يطلق عليه ابان اقامته في مصر : « روح الجماعة او عقل الحلقة » . وعند سفر جمال الدين من مصر قال: لقد تركت في مصر محمد عبده .

ومع اختلاف المناهج والاساليب والمزاج النفسي بين جمال الدين ومحمد عبده وكذلك اسلوب العمل للاصلاح ، فقد استطاع محمد عبده انيترك اثرا بعيد المدى وان يحقق تطويرا كبيرا طالما اشار اليه في مجالسه وكتاباته :

يقول : ارتفعصوتيبالدعوة الى امرين عظيمين:

(الاول) تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الامة قبل ظهور الخلاف والرجوع في كسب معارفه الى ينابيعها الاولى .

(الثانى) اصلاح اللغة العربية في التحرير سواء في المخاطبات الرسمية او الانشاء والكتابة وتخليصها من السجع والزخرف . ■■

(القاهرة) انور الجندى





طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

لاتستعمل المضادات الحيوية

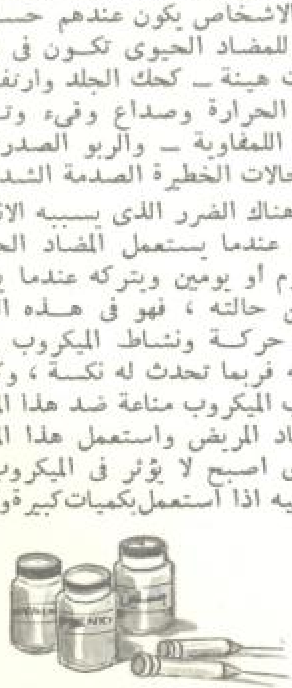
الا تحت اشراف الطبيب

● **هل هناك ضرر من استعمال المضادات الحيوية مثل البنسلين وغيره لمدة طويلة او دون استشارة طبيب ؟**

– ان المضادات الحيوية سلاح ذو حدين – حد نافع بقتل ميكروب المرض، وحد ضار بسبب ضررا للمريض اذا استعملت فى غير موضعها ، فمثلا هناك بعض الاشخاص يكون عندهم حساسية ضارة للمضاد الحيوى تكون فى بعض الحالات هينة – كحك الجلد وارتفاع فى درجة الحرارة وصداع وقىء وتورم بالغدد اللمفاوية – والربو الصدرى – وفى الحالات الخطيرة الصدمة الشديدة.

ثم هناك الضرر الذى يسببه الانسان لنفسه عندما يستعمل المضاد الحيوى مدة يوم أو يومين ويتركه عندما يحس بتحسن حالته ، فهو فى هذه الحالة يسكن حركة ونشاط الميكروب ولكن لا يقتله فربما تحدث له نكسة ، وكذلك يكتسب الميكروب مناعة ضد هذا المضاد فاذا عاد المريض واستعمل هذا المضاد الحيوى اصبح لا يؤثر فى الميكروب او يؤثر فيه اذا استعمل بكميات كبيرة وتكون هذه الكميات ضارة او تسبب مضاعفات. لذا كان من الواجب عند استعمال اى مضاد حيوى أن لا تقل مدة استعمال الدواء عن اربعة أيام بحال من الاحوال . واستعمال المضاد الحيوى لفترة طويلة لا بد وان يكون تحت ملاحظة الطبيب فبعض هذه المضادات الحيوية يسبب مضاعفات خطيرة اذا تجاوزت فترة الاستعمال حدا معقولا مثل الكلوروميستين فهو يقتل الكرات الدموية البيضاء ويكون لذلك الخطر الداهم على على حياة المريض اذ أن الكرات البيضاء تكون خط دفاع قوى ضد الميكروبات . وبعض المضادات الحيوية مثل التيراميسين تقتل البكتريا التى تقوم بصناعة مركبات فيتامين ب فى الامعاء مما يسبب نقصا فى هذا الفيتامين، لذا اذا استعملت هذه المضادات كان الواجب اعطاء المريض كمية كافية من فيتامين ب المركب .

وبعض الناس يستعمل هذه المضادات دون ما حاجة لها وهذا يشكل ضررا له كما اسلفت اذ من الواجب استعمال هذه المضادات عندما يصفها الطبيب ويكون استعمال المضاد الحيوى المناسب فى الوقت المناسب وللمدة المناسبة .



التـــدخين يــؤثر على القلب والرئة والدورة الدمويـــة

ويسبب قرحة المعدة والاثنى عشرى

● ادخن بكميات كبيرة ونصحت دائماان اقلع عن التدخين عندما ارى الاطباء، علما باني ارى بعضهم يدخن ، فمـاضرر التدخين بالتحديد ؟



ــ ان التدخين بكثرة يسبب اضرارا كثيرة للجسم .

ففى الجهاز التنفسى ربما سبب التهابا بالحنجرة او التهـاب الشعب الرئوى المزمن وما يتبع ذلك من سعال وبلغم وضيق فى التنفس فى بعض الحالات . واذا استمر الحال فانه يسبب تمـددا فى الشعيبـات الهوائيـة وتمـددا فى الحويصلات الهوائية ، وعندما تتقـدم السن يكون الشخص معرضا لهبوط فى القلب مع زرقة الوجه والشفتين التى تلاحظ فى هؤلاء المرضى ، ويتبع ذلـك النهجان الشديد الذى يلاحظ على هؤلاء المرضى عند قيامهم بأى مجهود عضلى ولو بسـيط . ولقد وجد من الاحصائيات المختلفة فى كثير من الـدول ان نسبة سرطان الرئة تزداد بين المدخنين .

ويتأثـر الجهــاز الهضمى كذلـك بالتدخين ــ فيتغير لون الاسنان، وتكون عرضة للتلف ــ وتلتهب الشفاه واللسان والحلق فى بعض الحالات .

ويحدث التهاب المعدة المزمن بل ربما آل ذلك الى تقرحات بها وبالاثنى عشرى ونسبة حدوث القرحة فى المدخنين بدون شك عالية عنها فى الذين لا يدخنون .

زد على ذلك فقدان الشهية للاكل والاكتفاء باللفائف (السجاير) واقداح القهوة مما يزيد الطين بلـة ــ ويكون الاستعداد للقرحة كبيرا جـدا ــ هذا زيادة على نقص فى الغذاء وما يكتنف ذلك مـن نقص فى المـواد الهامـة للجسم كالفيتامينات والاملاح وغيرهـا وتعرض الجسم للامراض الناتجة عن ذلك .

ولقد وجـد أن نسبة ارتفاع ضغط الدم تكون عالية بين المدخنين ولا يخفى علينا مضاعفات ارتفاع ضغط الدم مع هبـوط فى القلب وتصلب فى الشرايين ومرض الجلطة وغير ذلك .

ولقد لوحظ ان ضغط الدم ينخفض فى هؤلاء المرضى عند الاقلاع عن التدخين وتتحسـن حالتهم . ويؤثر التدخين على العينين ، فيكون تأثيره عـلى العصب البصرى فيضعف البصر وتقل الرؤيـة بالتدريج وفى بعض الاحيان فى الاشخاص الذين عندهم استعداد ، ربمـا سـبب فقدان البصر .

ولا يخفى علينا الاضطرابات النفسية التى يعانى منها المرضى من اهتزازات فى اليـدين ــ والادمان على التـدخين ثم التمادى فيه وزيادة الكمية يوما عن يوم مما يسبب زيادة فى المضاعفات .

والناحية المادية لها اثرها على بعض الاشخاص خصوصا ذوى الدخل المحدود، فيؤثر ذلك فى صرفهم على اسرهم على الغذاء والكساء فتضطرب حياة الاسرة معنويا وصحيا .

فصد الدم

لا يزال له مكانه فى الطب الحديث

● **فصد الدم او الحجامة هل مازال له دور فى العلاج فى هذه الايام ؟**

ـ كثيرا ما كان يستعمل فصد الدم قديما لعدم وجود الادوية التى تؤثر على الامراض المختلفة ، فكان يستعمل مثلا فى ارتفاع ضغط الدم فيؤخذ من وريد المريض حوالى نصف لتر دم فيقلل ذلك من احساسه بالصداع الشديد الذى يصحب المرض وكذلك الضيق الذى كان يعانى منه فى صدره واحتقان رئتيه . وكانت الحجامة تستعمل فى امكنة عدة من الجسم كالراس فى اوجاع الراس وعلى الظهر فى اوجاع الظهر ، فكان يعتقد أن هناك دما فاسدا ولا بد من الخلاص منه اذ انه يسبب هذه الامراض . وكثيرا ما نقرأ فى كتب الطب القديمة استعمل هذا العلاج فى هذا المرض ، وان لم يستفد المريض فافصده لاعتقادهم بان اخلاط الجسم اصبحت فاسدة ولا بد من الخلاص منها .

اما وقد تقدم الطب وظهرت الادوية التى تؤثر على هذه الامراض المختلفة اصبحنا لا نحتاج كثيرا الى فصد دم او الى الحجامة . على انه فى بعض الحالات التى نريد ان نقلل من كمية الكرات الدموية الحمراء او كمية الدم عامة فى الجهاز الدورى بسرعة فاننا نفصد المريض الى ان تبدأ الادوية فاعليتها . ففى هبوط القلب نتيجة لأمراض الرئة وارتفاع نسبى فى كرات الدم الحمراء فاننا نفصد المريض ونأخذ منه حوالى نصف لتر وسرعان ما نجد ان حالة المريض تتحسن بسرعة اذا كان لا يستجيب للعلاج بواسطة الدواء فقط وفى هذه الحالة يكون الفصد علاجا مساعدا .

وفى مرض سرطان الدم الاحمر Polycythoemia Vera والذى يكون مصحوبا بارتفاع كبير فى عدد الكرات الدموية الحمراء والتى تزيد من كثافة الدم وتجعله يسبب انسدادا فى الشرايين والاوردة فاننا كثيرا ما نضطر لعمل فصد كل اسبوعين للتقليل من عدد الكرات الحمراء . ونضطر لهذه الطريقة اذا كان المريض يخشى عليه من استعمال الاشعة العميقة أو الفوسفور المشع ، الذى يستعمل فى مثل هذه الحالات لانه وجد انه لو استعملت هذه الطريقة ربما ادت الى سرطان الدم الابيض .

فى بعض حالات هبوط القلب المستعصية والشديدة الناتجة من ارتفاع شديد فى ضغط الدم ربما يساعد الفصد مع اعطاء الادوية اللازمة لانخفاض الضغط وهبوط القلب وتستعمل هذه الطريقة اذا كان هناك احتقان شديد فى الرئتين ولا يستجيب للعلاج بسرعة فيساعد الفصد على التحسن فى اول الامر الى ان تبدأ الادوية فى التاثير على الجسم .

■■





ميناء الحديدة باليمن

● **نحن من ابناء اليمن المقيمين في السعودية ، نتقدم اليكم والى اسرة مجلة « العربي » بجزيل الشكر والتقدير ، ونتقدم بطلبنا هذا اليكم ولنا وطيد الامل بان تستجيبوا اليه ، وهو ان تقدموا لنا استطلاعا عن مدينة الحديدة ميناء اليمن الوحيد ، لقد سبق وان قدمتم استطلاعا عن هذه المدينة في عام ١٩٦٣ في العدد ٦٠ من العربي ، نحن الان في عام ١٩٧٢ ولا بد انه قد حدثت تغيرات كبيرة في هذه المدينة خلال هذه الفترة .**

عنهم/احمد محمد علي/السعودية

الابناء حين يركبون ظهور الآباء

● **سمعت في احد برامج التلفاز ان الملك لويس الرابع عشر كان يداعب اولاده ويركبهم على ظهره، واعتبرت المذيعة هذا من اعظم الامثلة الانسانية .**

ابو سعد بن احمد ـ الكويت

العربي : ان صح أن هذا من اعظم الامثلة فأود ان انبه الى ان هذا كان شائعا عند العرب وعند عظمائهم ، وفي سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه امثلة هي غاية في السمو ، وقدوة لمن شاء .

والاسوة الحسنة في رسول الله . منها ان ابنته زينب وهى كبرى بناته،كانت لها بنت اسمها امامة بنت ابى العاص بن الربيع . وامامة وهى طفلة حملها النبى على عاتقه وهو قائم يصلى ، فاذا سجد وضعها على الارض واذا عاد من سجوده قائما حملها ، حتى قضى صلاته . وذلك على مراى من بعض اصحابه .

وسبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين ، ابنا علي كرم الله وجهه . من السيدة فاطمة بنت الرسول ، روى ان النبى كان يخطب اذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران، يمشيان ويعثران ، فنزل من المنبر فحملهما .

وحدث عبد الله بن الزبير انه راى الحسن ، يجيء النبى وهو ساجد فيركب رقبته ـ او ظهره ـ فما ينزله ، حتى يكون هو الذى ينزل ، قال عبد الله بن الزبير : ولقد رايت الحسن يجيء النبى وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر .

وروى ابو هريرة قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الحسن والحسين ، هذا على عاتقه ، وهذا على عاتقه ، وهو يلثم هذا مرة ، وهذا مرة ، حتى انتهى الينا فقال : من احبهما فقد احبني،ومن ابغضهما فقد ابغضني.

اننا نرى ان هذه الاعمال كانت في الصلاة ، ولا شك ان اكثر من ذلك بكثير كان في المنزل حيث يخلو الانسان بذريته يسبغ عليهم من عطفه ما شاء .

فاي مثل اعظم من هذه الامثلة ، واى تعليم للامة يفعله النبى بنفسه امام جميع الصحابة مرات ليقتدوا به ويسيروا على نهجه .

وانها لعاطفة انسانية قل ان يتجرد منها احد . فذلك عمر بن الخطاب وهو أمير المؤمنين عهد لبعض العرب بكتاب يتولى به ولاية ، فأقبل صبى صغير فجلس في حجر عمر . وجعل عمر يلاطفه ويقبّله . فسأله هذا الرجل الذى كُتِب له كتاب بالولاية ، اتقبّل هذا يا أمير المؤمنين . ان لى عشرة اولاد ما قبلت احدا منهم ، ولا دنا احدهم منى . فقال له عمر ، وما ذنبى ان كان الله عز وجل قد نزع الرحمة من قلبك . انما يرحم الله من عباده الرحماء .

ثم امر عمر بتمزيق الكتاب ، ولم يوله الولاية ، وجعل يقول :

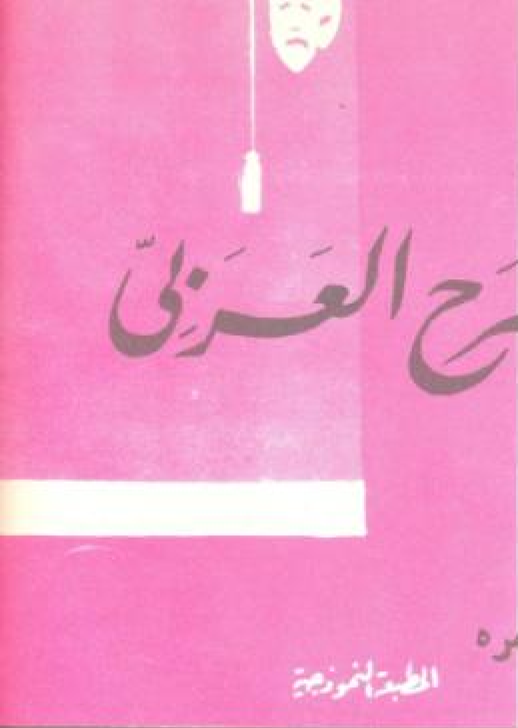
انه اذا لم يرحم اولاده فكيف يرحم الرعية .

الليث بن سعد وقلقشندة

● **في العدد ١٥٤ ورد اسم الليث بن سعد وكنا نود ان نعرف عنه اكثر مما نعرف ، هذا وذكر ان قلقشنده تبعد حوالي ١٢ ميلا عن القاهرة . والحقيقة انها تبعد ٢٤ كيلومترا .**

المهندس مختار محمد بن أدريس القلقشندى

العربي : اقرا ما كتب في العربي عن الليث ابن سعد في العدد الصادر في شهر ٧/سنة ١٩٦٦.



طلائع المسرح العربى

تأليف : محمود تيمور

عرض : الدكتور محمود السمره

■ هذا نوع من الكتب اتمنى ان تغنى بمثله المكتبة العربية ، وهو فى المكتبة الغربية كثير . انه من ذاك النوع من الكتب التى يضعها رجال الخبرة والاختصاص مسجلين فيها مشاهداتهم وذكرياتهم فى الميادين التى كانت لهم بها صلة . والاستاذ محمود تيمور فى كتابه هذا ، « طلائع المسرح العربى » ، يحفظ لنا وللاجيال القادمة وللتاريخ ذكرياته عن المسرح العربى فى مصر ، هذا المسرح الذى شهد نمو بذوره الاولى ، ثم عاش فترة اشتداد عوده وازدهاره ، وشارك فيه بكتابة المسرحيات له .

وهذا الكتاب في تسعة فصول قصار ، تروى بلمسات فنية بارعة ، ذكريات المؤلف الخاصة عن المسرح . وهذه الفصول هى : اول نظرة ، احمد تيمور والفنون ، مسرحيات بلا غناء ، جمعية انصار التمثيل ، يوسف وهبى ومسرح رمسيس ، المسرح الضاحك ، الفرق الحكومية ، في عالم الموسيقى والغناء ، المسرح والادباء .

اول نظرة

« لا استطيع ان انسى الليلة الاولى التى دخلت فيها المسرح ، وشهدت على المنصة اول رواية تمثيلية ، كنت يومئذ في السابعة من عمرى ، وكان المسرح تياترو اسكندر فرح في شارع عبد العزيز . بالقرب من ميدان العتبة الخضراء .. اما الرواية التمثيلية الاولى التى شهدتها على ذلك المسرح القاهرى ، فهى رواية « توسكا » ، قام بتمثيلها نفر من الهواة ، بطلهم الاول اسماعيل عاصم بك ، وهو الذى ترجمها الى العربية » هكذا بدأ الاستاذ تيمور كتابه .

وقد كان امرا غير مالوف ان يدخل فتى من اسرة كريمة غمار الحياة الفنية ، لان الناس في ذلك الوقت كانوا ينظرون الى المسرح باستخفاف ، ويرون فيه مفسدة للاخلاق . ورغم هذه العقبات ، فقد ترجم اسماعيل عاصم بعض المسرحيات ،



طلائع المسرح العربي

محمود تيمور

● في مصر نمت بذوره الأولى، وكان الاشتغال بالمسرح يعد مفسدة للأخلاق، ولكن قوى المسرح وقوى عوده وازدهر رغم أنف التقاليد.

والف بعضها ، وقدمها على المسرح . وكان الشيخ سلامة حجازى يشارك في هذه المسرحيات بتقديمه مقطعات غنائية تتخللها . وآخر عمل فنى قدمه اسماعيل عاصم هو اقامة حفل تابيني للمرحوم الشيخ سلامة حجازى في دار الاوبرا ، « ويبدو أن الستار الذى انسدل على حفل التابين طوى فيما طواه ذلك الفنان المصرى المبكر ، فلم نعد نسمع بعمل فنى له .. »

واذا كانت رواية « توسكا » اول ما شاهده المؤلف على المسرح لنفر من الهواة ، فان رواية « صلاح الدين الايوبى » كانت اول مسرحية شاهدها لجوق من الممثلين المحترفين ، وهو جوق اسكندر فرح . وفي هذه المسرحية شاهد الشيخ سلامة حجازى لاول مرة ، وكان وقتئذ في عنفوان شبابه ، وقد تجاوزت شهرته مصر الى البلاد العربية الاخرى .

وقد التقت في شخصية الشيخ سلامة حجازى موهبتان : موهبة التلحين ، وموهبة التمثيل . وبهما اصبح طرفة فنية نادرة . ومن اشهر الادوار التى عرف بادائها دور هملت، رغم ما في هذا الدور من صعوبة وتعقيد .

وقد عرف الشيخ سلامة في حياته بكرم الخلق، وتواضع النفس ، واجابته طلب من يقصده . وكان انسانا قنوعا : لقد كان يعرف ان اسكندر فرح ، صاحب الجوق ، يستاثر دونه بالارباح الكثيرة ، ومع هذا فانه لم يشك ، وبقى قانعا راضيا بخمسين جنيها يتلقاها منه كل شهر ، نظير قيامه بالدور الاول في الفرقة ، تمثيلا وغناء . واخيرا انفصل الشيخ سلامة عن جوق اسكندر فرح ، واسس لنفسه جوقه الخاص سنة ١٩٠٥، وذلك في المسرح الذى عرف باسم « دار التمثيل العربى » ، على مقربة من حديقة الازبكية . وكان هذا الجوق مستهل ولبة جديدة في المسرح المصرى في عناصره الفنية : المناظر، والثياب، والتمثيليات.

وهكذا اصبح الشيخ المحدود الثقافة ، والذى كان مقرئا يؤذن للصلاة في مسجد اسكندرى ، فنانا تردد اغانيه الاقطار العربية في المشرق والمغرب.

وكانت الفصحى هى لغة التمثيليات الرئيسية، وهى ظاهرة قد تثير العجب لان نسبة المتعلمين كانت ضئيلة . ولكن هذا العجب يزول اذا تذكرنا ان هذه التمثيليات كانت تعبيرا عن الروح التى

كانت سائدة في تلك الحقبة،وهي احياء الفصحى. « فالوطنية يومئذ وطنية عربية تتوق بها النفوس الى استرجاع مجد الامة العربية في ازدهار اللغة وازدهار الحضارة. اما الوطنية المحلية الاستقلالية فلم تكن قد نمت وتوضحت معالمها بعد .. ولم يكن للغة العامية الدارجة من نصيب في ادب الشعب الا ميدان الزجل وبعض الاغاني والملح والاضاحيك.»

احمد تيمور والفنون

وهذا الفصل يديره المؤلف حول والده ،وشغفه بالفنون ، وولعه واشتغاله بالمسرح .

كان احمد تيمور ، والد المؤلف ،ولوعا بالمسرح، لا يكاد يفلت مسرحية ، وكان يحجز لنفسه مقصورة دائمة في مسرح اسكندر فرح بشارع عبد العزيز . وحبه للمسرح مظهر من مظاهر حبه الشامل للفنون الجميلة : فقد كانت له مشاركة في الرسم، وغرام بالورود والرياحين واستنباتها ، وشغف بروائع النغم حيث كان يعقد في منزله حلقات الغناء ، مستدعيا لها كبار المطربين . ولهذا السبب كانت تربطه بالشيخ سلامة حجازي صداقة ومودة .

ولكن كل هذا الولع الشديد بالفنون خبا في نفسه بعد وفاة زوجته ، واصابته بمرض القلب ، فانصرف الى اقتناء الكتب وركوب الخيل ، نزولا على نصيحة الاطباء . ومع هذا فقد كان ابناؤه ، محمد واسماعيل ومحمود ، يحملونه احيانا على مصاحبتهم لمشاهدة ما تعرضه فرقة عكاشة وفرقة جورج ابيض من تمثيليات.والمسرحية التي اعجبته اكثر من غيرها هي مسرحية « الشيخ متلوف » التي مصرها عثمان جلال بالزجل ،واصلها مسرحية « طرطوف » للاديب الفرنسي موليير .

وقد حضر الوالد ايضا مسرحية ابنه محمود تيمور المسماة « العصفور في القفص » التي قدمتها فرقة عبد الرحمن رشدي ، وكان من ممثليها سليمان نجيب . وقد اعجب الوالد بموضوع التمثيلية واداء الممثلين لادوارهم ، ولم يفته ان في بعض شخصياتها ملامح من افراد الاسرة ومن يعيشون في منزلها .

ويذكر المؤلف ان والده قد حدثه بان « ابو خليل القباني » هو الذي حبب اليه التمثيل . وابو خليل القباني سوري الاصل ، ارتحل الى القاهرة سنة ١٨٨٤ ، والف لنفسه فرقة تمثيلية، اخذت تقدم مسرحياتها على مسرح بالقرب من دار الاوبرا .

ويذكر الاستاذ محمود تيمور كيف ان اختلافه واخويه محمد واسماعيل الى المسرح ، اجج في نفوسهم حب المحاكاة والتقليد ، فشرعوا في انشاء فرقة منزلية ، الفوا هم انفسهم لها المسرحيات ، واتخذوا من جنبات المنزل منصات للتمثيل . وكان نظارة هذا المسرح من يستطيعون تصيدهم من اهل المنزل ، واترابهم في الحي ، ومن تربطهم بهم علاقة قرابة او جوار . وبهذا المسرح المنزلي التحق زكي طليمات ، فكان محور التطور لذلك المسرح المنزلي الصغير ، الذي بفضله انتقل من الحجرات الصغيرة الى الابهاء والردهات والحدائق .

« وليلة والفرقة تؤدي رواية « عايدة » ، والموقف حماسي حار ، سمعنا صوت ابي يطلب احد الغلمان في شأن من الشئون ، وكان ابي لا يدري من امر حفلتنا التمثيلية شيئا ، وكان الغلام في هذه اللحظة يمثل دور « عم ناصر » والد عايدة في لحيته الكثة ، ووجهه المربد ، فما سمع الغلام صوت ابي يناديه حتى قفز من المنصة دون وعي ، مستجيبا للنداء . فلما اقبل في هيئته وشارته ، ادرك ابي على الفور ما كنا منهمكين فيه ، فصرف عنه البطل الممثل والد عايدة ليستكمل اداء دوره ، وانتحى هو ناحية من الدار يشرف منها ـ دون ان يراه احد ـ على تمثيلنا الصبياني الانيس . »

مسرحيات بلا غناء

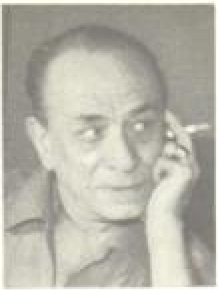
بعد ان انفصل الشيخ سلامة حجازي عن فرقة اسكندر فرح ، اخذت هذه الفرقة تقدم مسرحيات عصرية ليس فيها غناء ولم يلبث سلامة حجازي بفرقته الجديدة التي الفها ان ترك المسرحيات الغنائية ، واخذ يقدم مسرحيات لا غناء فيها ، ومن هذه المسرحيات : عواطف البنين ، والنجم الافل ، وغادة الكاميليا ، وابن الشعب . ولعل من الطريف ان نذكر ان الذي ترجم « غادة الكاميليا » هو الشيخ عبد القادر المغربي الذي كان محررا بجريدة « المؤيد » والذي اصبح فيما بعد من المع رجالات المجمع العلمي بدمشق ، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة . ولعل من المناسب



سيد درويش



يوسف وهبي



زكي طليمات

ان نضيف ان استاذنا الدكتور احمد زكي قد قام ايضا بترجمة « غادة الكاميليا » .

وقد كان قيام الشيخ سلامة حجازى بتمثيل مسرحيات لا غناء فيها خطوة جريئة منه ، وهو الذى قامت شهرته على الغناء . وهكذا نجده يترك هذه المسرحيات الخالصة لغيره ليعود الى تقديم المسرحيات الغنائية . ومن اشهر الفرق التى كانت تقدم مسرحيات خالصة لا غناء فيها : فرقة عزيز عيد التىاشتهرتبتقديم الملهاة «الفودفيل»، وفرقة جورج ابيض التى كانت تقدم المأساة « التراجيديا » .

وقد تألفت فرقة جورج ابيض الاولى سنة ١٩١٢ ، وصاحبها من عمالقة الفن المسرحى . وكان فى مطلع حياته ناظرا لمحطة سيدى جابر ، ثم سافر الى فرنسا ودرس التمثيل فيها ، ونال اجازة المعهد العالى للتمثيل . وعندما عاد الى مصر ، اسس فرقته ، وكان من بين اعضائها ممثلون معروفون ، مثل : عبد الرحمن رشدى ، وعزيز عيد . وانضم اليها زكي طليمات كهاو . وانضمام عبد الرحمن رشدىالى فرقة جورج ابيض ظاهرة تستحق ان نقف عندها : فهو محام نابه ، وهو بانضمامه الى اسرة المسرح قد حطم الفكرة التى كانت مسيطرة على الاذهان ، وهى أن المسرح مثابة للهو الرخيص . ولم يلبث عبد الرحمن رشدى ان استقل عن فرقة جورج ابيض ، والف لنفسه فرقة خاصة ضم اليها نخبة من الممثلين المثقفين ، كان منهم سليمان نجيب ، ومحمل فاضل ، وزكي طليمات . ولكن عيب الرجل الاول كان عدم قدرته على ادارة الفرقة،ولهذا فانها لم تلبث ان فشلت، وعاد عبد الرحمن رشدى ليزاول المحاماة من جديد ، وفى نفسه للمسرح اشواق ظامئة .

ومن اشهر المسرحيات التى قدمتها فرقةجورج ابيض : اوديب ، ولويس الحادى عشر ، وعطيل .

وقد نجحت مسرحية « عطيل » نجاحا باهرا حتى انها بقيت تمثل على المسرح اعواما تلى اعواما . وقدمت ايضا : « الحاكم بامر الله » لابراهيم رمزى ، ومسرحيتين لفرح انطون هما : صلاح الدين ومملكة اورشليم ، ومصر الجديدة . ومن اشهر المسرحيات المترجمة التى قدمتها الفرقة : مضحك الملك ، والشرف اليابانى ، والايمان ، والشيخ متلوف وهى ماخوذة عن « طرطوف » لموليير . وقدمت الفرقة مسرحية « قلب المرأة » لمحمد لطفى جمعة .

واسس ابناء عكاشة (عبد الله ، وزكي ، وعبد الحميد) فرقة عرفت باسم « شركة ترقية التمثيل العربى » وكان مقرها فى حديقة الازبكية، فى المسرح الذى انشاه لهمطلعت حرب ، مؤسس بنك مصر . وهذه الفرقة هى التى اظهرت اسم الشاب توفيق الحكيم فى رواية مصرية اسمها « المرأة الجديدة » ، وفى رواية عربية اسمها « على بابا » وذلك قبل ان يسافر توفيق الحكيم الى فرنسا للدراسة .

جمعية انصار التمثيل

وهكذا شاع عند الجيل الجديد فى مصر وعى فنى ، واخذت تتالف جمعيات من اجل النهوض بالتمثيل . ومن اشهر هذه الجمعيات « جمعية انصار التمثيل » التى اسسها وتولى رئاستها محمد عبد الرحيم ، وهو شقيق القاص المعروف محمود طاهر لاشين.وخلفه فى رئاسة الفرقة محمد تيمور ، ثم تلاه سليمان نجيب .

ومن ذكريات الاستاذ محمود تيمور عن مؤسس الفرقة محمد عبد الرحيم انه عرفه كاستاذ يعلمه الجغرافيا : « فى السنة الرابعة من المدرسة الناصرية الابتدائية ، عرفته ، وجلست منه مجلس التلميذ من معلمه . واذكر اليوم الاول الذىلقيناه

فيه على غير عهد سابق ، اذ قدم علينا وفي حركاته خفة ، وعلى وجهه بشاشة ، وفي روحه مرح .. وما لبث ان قدم الينا نفسه ، وكأنه يتلهى بالحديث ، قائلا :

ـ انا مدرس الجغرافيا .

ودار الدرس الاول حول الارض ، وافلاك السماء ، فالفيناه يخرج من جيبه جنيها ذهبا تلتمع صفرته ، ويثبته باصبعه على السبورة ، وهو يمثل به كروية الارض .. وتغامز الطلاب به ، وتناقلوا نكاتهم ازاء هذا التصرف ، وسرعان ما احس صنيعهم به ، وموقفهم منه ، فشاركهم في المفاكهة والمباسطة ومطارحة المزاح » .

وغاب محمد عبد الرحيم عن مصر فترة يطلب العلم في انجلترة ، فبهره المسرح الانجليزى . وعندما عاد الى وطنه الف «جمعية انصار التمثيل» ، وانضم الى الجمعية محمد تيمور ، ومحمد عبد القدوس ، وزكى طليمات . ولم تلبث المنية ان عاجلت رئيس الجمعية وهو في عنفوان الشباب ، فخلفه في رئاستها محمد تيمور .

ومحمد تيمور يكبر شقيقه محمودا بعامين . وقد رحل الى فرنسا ليدرس الحقوق ، ومكث فيها ثلاثة اعوام ، وهو وان كان لم يكمل دراسة الحقوق ، فانه عبَّ من فنونها وآدابها . وما ان عاد الى مصر حتى القى بنفسه في خضم البيئات الفنية ، يهبها وقته وجهده : يكتب في الصحف ، ويخطب في المجامع ، وينظم القصائد ، ويؤلف القصص والمسرحيات . وبزغ نجمه في حفلات النادي الاهلى ، التى كان يكتب لها قصائده التمثيلية ، ويشترك في ادائها .

والف محمد تيمور للمسرح اربع مسرحيات ، اولاها هى مسرحية « العصفور في القفص » التى مثلتها فرقة عبد الرحمن رشدى سنة ١٩١٨ . والمسرحية الثانية هى « عبد الستار افندى » التى مثلتها شعبة عزيز عيد بفرقة منيرة المهدية . والثالثة هى «العشرة الطيبة» التى قدمتها فرقة الريحانى ، وهى تمثيلية غنائية مقتبسة عن الفرنسية بلباقة ومهارة . وقد اختار لها المؤلف عهد المماليك ، فجعل منها مسرحية شرقية الطابع ، مصرية الاشخاص . وتشيع في هذه المسرحية روح الفكاهة ، والسخرية من حكام ذلك العهد . وقد وضع الحانها سيد درويش وكان يقوم في بعض الحفلات بتمثيل شخصية الوالى التركى في المسرحية . وقد نجحت هذه المسرحية نجاحا منقطع النظير .

وكانت المسرحية الرابعة هي مسرحية «الهاوية» وقد مثلتها فرقة عكاشة « على أن شقيقى لم يستمتع بشهودها ، اذ قضى نحبه قبل ان تظهر للنظارة .. وبموت محمد تيمور سنة ١٩٢١ انطفأ مصباح وهاج لم يستكمل من عمره الثلاثين . »

يوسف وهبى ومسرح رمسيس

استهل يوسف وهبى حياته الفنية ، وهو في شرخ الصبا ، بالقاء المونولوجات في حفلات السمر ، مصاحبا لشقيقه اسماعيل وهبى المحامى ، الذى كان في مقدمة المترجمين للمسرح ، والمعنيين به . وكان الفتى على خلاف مع والده عبد الله باشا وهبى ، الذى كان ينكر على ابنه ، وهو من السراة ، ان يتزلق الى مستوى التمثيل والممثلين .

واختفى يوسف وهبى مدة عن المسرح ، قضاها في ايطاليا يدرس الفن على كبار اساتذته . وعندما عاد الف فرقة رمسيس ، وكان اعضاؤها صفوة الشباب ، وكانت اول مسرحية قدمتها فرقة رمسيس هى مسرحية « المجنون » التى اقتبسها يوسف وهبى عن رواية سينمائية ايطالية . « وقد مثل يوسف بطولة المجنون في هذه المسرحية ، فهز المشاعر بروعة مواقفه ، وصدق ادائه ، حتى حسبنا انه هارب حقا من مستشفى الامراض العقلية » .

ومن اشهر المسرحيات التى قدمتها الفرقة مسرحية « النسر الصغير » لادمون روستان ، و « غادة الكاميليا » لاسكندر ديماس الصغير . « ويوسف وهبى نابغة المسرح المصرى لا ريب ، وهبه الله حنجرة مسرحية قوية ، يستطيع التعويل عليها في تطويع الاداء لمطالب كل موقف . وكثيرا ما اسعفته بديهته حين تخونه ذاكرته .. ومما يتناقل الظرفاء من امره في هذا الصدد ، انك لو شهدت موقفه في ليال متعاقبة ، لسمعت منه في كل ليلة جديدا من القول غير ما سمعت البارحة ، لانه يمثل ويؤلف في وقت معا .»

وعندما مثل يوسف وهبى رواية « الذبائح » لانطون يزبك ، وهى رواية حافلة بالفجائع

والمآسي ، راينا يستهويه هذا اللون من المبالغات التى تصل درجة الشذوذ ، فاذا بفرقة رمسيس تدخل عهدا جديدا ، تقدم فيه من المسرحيات ما يستهوى الجمهور ، ويعكس رغبته في التوجع والشكوى والانين . واخذ يوسف وهبى يقدم مسرحياته الفارقة في الذبائح الدامية ، وكان بعض هذه المسرحيات من تاليفه ، وبعضها الآخر من اقتباسه . ومن اشهر هذه المسرحيات : راسبوتين، واولاد الفقراء ، واولاد الذوات ، وخفايا القاهرة ، وجوهرة في الوحل ..

والطابع العام لهذه المسرحيات هو الرثاء والاشفاق على التعساء والبائسين ، والتنديد بالطبقة الراقية وما اتيح لها من سطوة وسيطرة واقتدار ، والتشهير بما يمرحون فيه من ترف واستخفاف بالمثل العليا .

ومن اشهر الممثلين في مسرح رمسيس : روز اليوسف ، وفاطمة رشدى ، وزينب صدقى ، وامينة رزق ، واحمد علام ، وحسين رياض ، وفؤاد شفيق ..

المسرح الضاحك

كان الجو في مصر ، خلال الحرب العالمية الاولى وفي اعقابها ، خانقا : فالحماية الانجليزية تذل الشعب ، والحريات مكبوتة . وكان مثل هذا الجو مهيا لاستقبال المسرح الضاحك الذى يجد فيه الشعب متنفسا . وكان اول مسرح ضاحك يتمثل في فرقة عزيز عيد ، التى كان من نجومها روز اليوسف ، ونجيب الريحانى .. وقد زخرت المسرحيات التى كانت تقدمها بمشاهد تعد من الادب المكشوف .

واستقل الريحانى عن عزيز عيد والف لنفسه فرقة خاصة به ، واشتهر بتمثيله شخصية كشكش بك عمدة كفر البلاص . وكان من نجوم فرقة الريحانى سيد درويش ، الذى كان مختصا بتلحين الروايات . والحان سيد درويش تتميز بخفة الروح وعذوبتها ، واصالة ارتباطها بالطابع المصرى الشعبى . ولهذا السبب سارت هذه الالحان على السنة الشعب في الطرقات والبيوت ، وفي مكاتب الموظفين .

ومن الاسباب التى جعلت فرقة الريحانى تنجح هذا النجاح الباهر انها كانت ايضا تنطوى على انعكاسات للاحوال التى كانت تعيشها مصر في السياسة والاجتماع ، « فكان مسرح الريحانى كان منبرا من المنابر العامة التى تنطلق فيها مشاعر الجمهور . »

وهو مسرح قد نجح ايضا لانه كان يؤمن بالتطور ومسايرة مقتضيات الزمن : ومثال ذلك اننا نجد الريحانى يطور في شخصية كشكش بك عمدة كفر البلاص ، فيلقى عنه عمامته وجبته وقفطانه ، بعد ان استنفدت اغراضها ويلبسه حلة افرنجية ، ويظهره عصرى الزى واللهجة والروح .

الفرقة الحكومية

عندما غزا الفلم الاجنبى مصر ، وتلاه بزوغ نجم الفلم المصرى ، انصرف الجمهور عن المسرح الى السينما . وهنا اخذ الفنانون الحريصون على المسرح يخشون عليه ان يقضي نحبه ، فلاذوا باصحاب الشان في الدولة يرجونهم التدخل لانقاذه قبل ان ينهار . وهكذا شهد المسرح ميلاد « الفرقة المصرية » التى ضمت معظم العناصر القوية في المسرح المصرى . وقد اجرت الدولة على الممثلين في الفرقة رواتب شهرية ، وتولى ادارتها خليل مطران ، وكان امينها طاهر حقى .

وقد قدمت الفرقة المصرية نماذج جيدة من الفن الرفيع . وكان في طليعة من اشتركوا فيها زكى طليمات ، الذى درس فنون الاخراج والتمثيل في باريس . ومن اكبر مآثره سعيه الى تاسيس « معهد التمثيل الحكومى » . وكان على راس من شجعوه وامدوه بالعون وزير المعارف مراد سيد احمد ، الذى كان من احرار الفكر ، ومحبى الفن . ولكن لم يلبث هذا المعهد ان تعرض للاعاصير ، وعندما ترك مراد سيد احمد الوزارة، وخلفه فيها محمد حلمى عيسى ، الذى اصدر امرا بالغاء المعهد وجعله قاعة محاضرات في التمثيل ، وذلك نزولا عند رغبة المحافظين الرافعين راية الفضائل والتقاليد . ومنذ ذلك الحين لقب المرحوم محمد حلمى عيسى بوزير التقاليد ، على سبيل التهكم .

وبعد اعوام غير قليلة عاد معهد التمثيل الى الوجود ، وزكى طليمات في مكان الصدارة منه . والف زكى طليمات « فرقة المسرح الحديث » وهى

التى كونها من خريجى معهده . « ولعل من الطريف ما حدث له في مناسبة اخراج مسرحية لي هي : « المخبأ رقم ١٣ » التى عالجت فيها تطور النفس البشرية .. وذلك في اطار من احداث الحرب العالمية التى عاصرناها وقتئذ ، فانه اراد ان تقدمها الفرقة الحكومية على مسرح الاوبرا ، واتخذت العدة لاخراجها ، وبدأ بعرض تجاربها .

وكانت الفرقة تابعة لوزارة الشئون الاجتماعية ، فدعى وزيرها لشهود احدى التجارب ، فلما رآها اشار بالعدول عن تقديمها ، فلما سئل عن علة ازوراره عنها قال بصريح العبارة : « هذه المسرحية خالية من النكات .. وهاتوا لنا مسرحية عامرة بالتنكيت !! » .

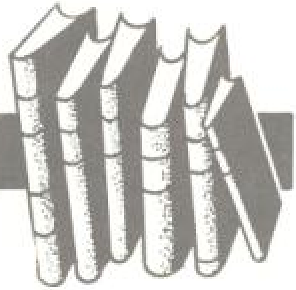
وقد قدم زكى طليمات على مسرح الاوبرا ست روايات للمؤلف ، بين تاريخية وعصرية ، هي : حواء الخالدة ، واليوم خمر ، وابن جلا ، وكذب في كذب ، والمنقذة ، والموكب . وقام زكى طليمات في رواية « ابن جلا » بتمثيل شخصية الحجاج ، بطلها الاول . كما قدم له على مسرح البلدية في تونس رواية « صقر قريش » او « عبد الرحمن الداخل » ، وقام هو بدور صقر قريش .

★ ★ ★

هذا طرف من ذكريات الاستاذ محمود تيمور عن المسرح المصرى الذى عايشه ، وشارك فيه ، وهو اثر نافع وممتع ينضم الى آثاره الجميلة الكثيرة التى اغنى بها تراثنا ، وحياتنا . ■■

محمود السمره

من الكتب التى وصلتنا



الامراض الزهرية وعلاجها

تاليف : الدكتور محمد الحمدانى .
الناشر : مطبعة حداد ــ بصرة عشار ــ العراق .

● كتاب يدرس الامراض الزهرية وطريقة علاجها وان هذه الامراض توجد في جميع بقاع العالم وفي كل قطر متمدنا كان او متاخرا وهذه الامراض توجد حيث يوجد الاتصال الجنسي المشبوه . وقد قسم المؤلف كتابه الى ثلاثة اقسام ثم ملحق تحدث فيه عن البنسلين لانه اصبح العقار المختار في علاج اكثر الامراض الزهرية .

اما القسم الاول فيدرس جميع انواع الامراض الزهرية والقسم الثاني بحث فيه المؤلف الامراض التى تلحق بالامراض الزهرية لانها تنتقل بطريقة الاتصال الجنسي وقد تنتقل بطرق اخرى ، اما القسم الثالث فيتحدث عن بعض امراض الجلد التى تظهر على الجهاز التناسلي ولا تنتقل بالجماع.

الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا

تاليف : الدكتور محمد عاطف العراقى .
الناشر : دار المعارف بمصر ــ القاهرة .

● يدرس هذا الكتاب جانبا من جوانب تفكير فيلسوف الشرق ابن سينا لا يقوم على العرض الموضوعى الشامل لعناصر فلسفته الطبيعية ، بل تقدم هذه الدراسة تفسيرا ذاتيا وتأويلا جديدا وتحليلا نقديا لجوانب هذه الفلسفة كما تعرض المؤلف لهذه النظرية من خلال ما سبقها من فلسفات منذ القرن الخامس قبل الميلاد وحتى القرن العشرين بحيث تظهر فلسفة ابن سينا من خلال تاثرها بالفلسفات السابقة عليها . ومن خلال تاثيرها في افكار من جاء بعده من فلاسفة ، فهذه الدراسة تحلل جوانب هذه الفلسفة مقسمة اياها الى نظريات وعناصر ، تتناول دراسة مبادىء الموجودات الطبيعية وعللها والغائية في عالم الطبيعة ولواحق هذه الموجودات من حركة وزمان ومكان وخلاء ، كما يدرس موضوعات السماء والعالم والكون والفناء والفطريات* السينوية في هذين المجالين .

ادبنا الضاحك

تأليف : عبد الغني العطري .

الناشر : دار النهار ـ بيروت ـ لبنان .

● هذا الكتاب يدرس اللون الضاحك والباسم من ادبنا العربي الذي اهمله النقاد وقصروا جهودهم على دراسة فلسفة ابي العلاء وتصوير البحتري وتجديد ابي تمام ومدائح المتنبي ، فرضوا الصورة الجادة العابسة من هذا الادب ، ولقد فاتهم ان كبار المصنفين العرب لم ينسوا ان يجمعوا اخبار العرب الضاحكة ونوادرهم الشيقة وطرائفهم واجوبتهم المسكتة ، ويكفي ان تعلم ان المكتبة العربية تضم بين مصنفاتها وكنوزها الثمينة كتابا كالاغاني فيه المطرب والمرقص من اخبار العرب الضاحكة وادبهم الساخر ، وان بين هذه الكتب كتابا كالعقد الفريد وزهر الآداب والمستطرف وغيرها تحفل بادب العرب الضاحك واخبارهم المرحة .

ان ادبنا العربي ضاحك كل الضحك مشرق كل الاشراق مرح الى ابعد حدود المرح ومن الجحود والنكران ان نولي ظهورنا الى النواحي اللطيفة من ادبنا وان نعطيه صفة الجد الدائم والعبوس المستمر والتقطيب الذي لا ينتهي .

الجامعة العربية وقضايا التحرر

تأليف : محمد على رفاعي .

الناشر : الشركة المصرية للطباعة والنشر ـ القاهرة .

● عنى هذا الكتاب ببيان العوامل المضادة للاستعمار التي ساهمت في تحقيق تصفيته في العالم العربي ، وتمتع الدول العربية باستقلالها وسيادتها مبرزا دور جامعة الدول العربية في هذا الميدان ، وقد تحدث المؤلف عن الثورات التحررية وحركات الكفاح القومي المنظم التي نادى زعماؤها بان تتمتع شعوبهم بنفس الحقوق التي تتمتع بها شعوب الدول الاستعمارية ، ثم ركز المؤلف على ابراز دور الجامعة العربية وجهودها في مؤازرة قضايا التحرر ونصرة الشعوب العربية والوقوف بجانبها بشتى الوسائل في جميع مراحل نضالها المجيد ، فضلا عن العمل على كسب الرأى العام العالمي ضد الاستعمار وطغيانه ، كما اشار المؤلف الى جهود الجامعة حيث امتدت هذه الجهود لتساند اقاليم غير عربية آسيوية وافريقية في نضالها للتحرر الوطني والى ان مساعيها قد تناولت العمل للقضاء على سياسة التمييز العنصري .

في النقد الادبي دراسة وتطبيق

تأليف : الدكتور كمال نشأت .

الناشر : مكتبة الاندلس ـ بغداد ـ العراق .

● كتاب في النقد الادبي يتضمن فكرة ملتزمة ذات هدف اجتماعي نافع معروضة باسلوب شيق متجدد ومشفوعة بامثلة ونماذج لادباء محدثين من الشباب يتسمون بروح ثورية خلاقة . والكتاب يقع في ثلاثة ابواب . يتناول في الباب الاول تعريفا دقيقا للادب ويميز بينه وبين العلم بالاضافة الى تحليل النتاج الادبي الممتاز وعناصره .

والباب الثاني يتضمن بحث فنون الادب من شعر ونثر وقد صنف المؤلف الشعر الى الشعر الغنائي والملحمي والدرامي اما النثر فقد اقتصر بحث الكتاب على فنين رئيسيين من فنونه هما فن القصة والرواية وفن المسرحية ، كما بحث المؤلف في الباب الثالث ماهية النقد المعاصر وجذوره التاريخية وتناول بالتفصيل المدارس النقدية المختلفة فصنفها الى المدرسة الفنية والمدرسة التاريخية والمدرسة النفسية والمدرسة الواقعية وعرضها عرضا موضوعيا مبينا محاسنها ومساوئها ثم عرض لمدرسة النقد المتكامل التي تدعو الى الاستفادة من المدارس الادبية والنقدية المختلفة .

مشاهد العترة الطاهرة واعيان الصحابة والتابعين

تأليف : السيد عبد الرزاق كمونة الحسيني

الناشر : مطبعة الآداب في النجف الاشرف ـ العراق .

● يوضح هذا الكتاب الاماكن التي دفن فيها مشاهير العترة الطاهرة من اولاد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومدافن اعيان الصحابة والتابعين ثم الاخبار الصحيحة عن استحباب زيارتهم لما جاء عن النبي من احاديث في فضل هذه الزيارة ، وقد رتب مؤلف الكتاب اسماء من عناهم على حروف المعجم تسهيلا للطالب كما رتب المدن التي فيها تلك المراقد التي تضم رفاة هؤلاء الصحابة والتابعين على نفس النهج .

العلاقات الدبلوماسية بين مصر وبريطانيا

تاليف : الدكتور نادر العطار .

الناشر : مطبعة الانشاء ـ دمشق ـ سوريا .

● فصول تحكي قصة القضية المصرية بموضوعية تامة وبساطة ووضوح وقد لجا المؤلف في متن بحثه الى ايراد الوثائق بنصوصها ومن هذه الوثائق بيان رئيس الوزراء المصري امام مجلس النواب في ١٩٤٧/١/٢٧ حول قطع المفاوضات ومسالة السودان وبيان وزير الخارجية البريطانية عن نفس الموضوع ثم رد المؤلف المسالة المصرية الى اطارها العالمي واستعرض موقف بريطانيا في الميدان الدولي وتاثيره على سياستها المصرية كما تعرض المؤلف الى احوال مصر الداخلية كالثورة لانها سجلت تاريخا في الواقع المصري ، واهمية هذا الكتاب تنحصر في انه يستعرض نماذج للوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية المصرية وتبدا المستندات المنشورة في هذا الكتاب منذ حملة بونابرت على مصر وحكم محمد علي والاحتلال البريطاني حتى الثورة وقرار التاميم واتصالات مصر بمجلس الامن الى ان تنتهي برد انطوني ايدن على الانذار الروسي ابان العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦ .

موازين الشعر العربي باستعمال الارقام الثنائية

تاليف : الدكتور محمد طارق الكاتب .

الناشر : مطبعة مصلحة الموانيء العراقية ـ البصرة ـ العراق .

● نظرية جديدة في تحويل التفعيلات الخليلية الى ارقام ثنائية ليسهل فيها عملية معرفة صحيح الشعر من فاسده . فعلم العروض لم يطرا عليه اي تغيير منذ ان وضعه الخليل بن احمد الفراهيدي في القرن الثاني الهجري ، ولم يفكر احد في طريقة لتسهيل صعبه او ان يضيفوا شيئا على ما وضعه الخليل له من دوائر ومصطلحات وما فرعه من اقسام وجوازات .

والنظرية الجديدة التي جاء بها المؤلف وعمله الاساسي هو الهندسة تمتاز بخصائص اهمها سهولة الماخذ فان ابسط طلاب المتوسطة او الثانوية يستطيع ان يعرف وزن البيت وبحره ونوعه بتحويل الحروف المتحركة والساكنة الى ارقام ثنائية وعشرية ثم الرجوع الى الجداول الملحقة بالكتاب كما يرجع طالب علم الرياضيات الى جداول اللوغاريتمات .

اما الخاصة الثانية لهذه النظرية وهي الغاء طريقة التفعيلات ومعرفة ما فيها من زحافات وعلل تختلط على الطالب لكثرة مصطلحاتها وتشابهها والاكتفاء بذلك باستبدال رقم برقم يدل على جوازات كل بحر وهذه الارقام الاصلية والبديلة لا تخرج عن اربعة ارقام وهي ٢ ، ٤ ، ٨ ، ١٦ في كل الابحر .

اما الخاصة الثالثة لهذه النظرية فهو تحويل العملية العروضية الى عملية رياضية معاصرة ومضبوطة بحيث يمكن ضبط الاوزان باستعمال الالة الحاسبة .

القرآن والقصة الحديثة

تاليف : محمد كامل حسن المحامي .

الناشر : دار البحوث العلمية ـ بيروت ـ لبنان .

● يدرس هذا الكتاب فن كتابة القصة وتطورات هذا الفن عبر القرون ، فمن المعروف ان فن كتابة القصة ليس فنا مستحدثا بل هو فن قديم اتخذه رجال الدين وسيلة واسلوبا لنشر افكارهم على الناس وحملهم على الايمان بمعتقداتهم بل ان هذه الوسيلة كانت من انجح الوسائل التي لجا اليها القدماء في توجيهاتهم الدينية او الاجتماعية او السياسية فعلى الرغم من وفرة المؤلفات العربية في الادب والبلاغة والشعر واصول النثر الا ان احدا لم يقدم مصنفا يعالج فيه القصة علاجا موضوعيا بناء ، وهذا القصور ينطبق كذلك على مؤلفي الغرب فلا يوجد بحث درس هذا الموضوع درسا موضوعيا في اصول فن القصة وكتابتها .

وهذا الكتاب محاولة لبحث مفهوم فن القصة ومدخل لقواعد كتابتها واصولها الفنية .

الدرهم الاسلامي

تاليف : ناصر آل السيد محمود النقشبندي .

الناشر : مطبوعات المجمع العلمي العراقي ـ بغداد ـ العراق .

● بحث يتناول خلاصة ما توصل اليه المؤلف في دراسته للدرهم الاسلامي « الفضة » ونشاته وتطوراته منذ بداية ضربه في الاسلام ، وقد خصص المؤلف هذا الجزء لدراسة دراهم الخلفاء الراشدين ودراهم الدولتين الاموية والعباسية المضروبة على الطراز الساساني .

الورق النقدي

تأليف : عبد الله بن سليمان بن منيع .
الناشر : مطابع الرياض ـ الرياض ـ السعودية .

● دراسة تتناول الورق النقدي من الناحية الفقهية حيث يرى بعض الفقهاء ان الورق النقدي سند بدين اعتمادا على ان هذا هو وضعها الحقيقي حسبما تقتضيه صيغة الاقرار بالمديونية المسجلة على كل ورقة نقدية . اما البعض الآخر فيرى ان ورقة النقد لا تعدو ان تكون سلعة من السلع وعرضا من عروض التجارة اعتمادا على وضعها بانها مال متقوم تختلف فيه الرغبات وتخضع قيمته لقاعدة العرض والطلب . اما الفريق الثالث فيرى ان هذه الاوراق تشبه الفلوس وهي القطع النقدية التي لا تسك من المعدنين الثمينين الذهب والفضة وانما تسك من المعادن الرخيصة الاخرى حيث تعتمد على قيمتها الثمينة على تقرير العرف او القانون ، اما الفريق الرابع فيرى ان هذه الاوراق النقدية بدبل او فرع عن احد الثمنين الذهب والفضة فلكل عملة ورقية حكم ما تفرعت عنه فان كانت متفرعة عن الذهب فلها حكم الذهب وان كانت متفرعة عن الفضة فلها حكم الفضة وذلك اعتمادا على ان اصدارها يقضي بتغطيتها باحد هذين الثمنين وبالتالي فهي بديل او فرع لما غطيت به .

وهذا البحث في جانبه الوصفي تصوير للتطور التاريخي للفكرة الفقهية عن هذه المشكلة وهو في جانبه الانشائي تحقيق لنهاية هذا التطور بادراك ان الورق النقدي له وضع فقهي مستقل يختص باحكامه الملائمة له ضمن روح التشريع واطارها العام .

المرأة في الاسلام

تأليف : الدكتور علي عبد الواحد وافي .
الناشر : مكتبة غريب ـ القاهرة .

● لقد اعطى الاسلام للمرأة في تشريعاته منزلة رفيعة لم تصل الى مثلها في اية شريعة من شرائع العالم قديمه وحديثه وسوى بينها وبين الرجل في معظم شؤون الحياة ، لم يفرق بينها الا حيث تدعو الى هذه التفرقة طبيعة كل من الجنسين ومراعاة الصالح العام وصالح الاسرة وصالح المرأة نفسها . وهذا الكتاب يقع في بابين احدهما لدراسة وجوه المساواة بين الجنسين في الاسلام والآخر لدراسة وجوه التفرقة بينهما ، كما يدرس المؤلف في الباب الاول تسوية الاسلام بينهما في خمس نواح هامة وهي : الحقوق المدنية وحق التعليم والثقافة وحق العمل وشؤون المسؤولية والجزاء والقيمة الانسانية المشتركة كما يدرس في الباب الثاني اهم النواحي التي قرر الاسلام فيها التفرقة بين الرجل والمرأة والتي ترجع الى سبعة امور وهي بعض التكاليف الدينية والاعباء الاقتصادية والميراث والاشراف على الاسرة والشهادة وواجب الطاعة والطلاق . ثم درس المؤلف حقين منحهما الاسلام للرجل ويظهر في بادىء الامر ان استخدامهما يلحق ضررا بالمرأة وهما تعدد الزوجات والتسري ويستبين من هذه الموازنة مبلغ سمو الاسلامي ودقة تعاليمه وعجز الشرائع الاخرى عن الاتيان بمثله وقصورها عن تحقيق ما يحققه من اهداف .

ثورة الزنج

تأليف : الدكتور فيصل السامر .
الناشر : مكتبة المنار ـ بغداد ـ العراق .

● دراسة مستفيضة عن ثورة الزنج التي قادها علي بن محمد والذي يلقب بصاحب الزنج ، تتناول هذه الدراسة احدى الحركات الاجتماعية في الاسلام التي لم تحظ بما حظيت به النواحي السياسية والحربية من الاهتمام من جانب القدماء والمحدثين على السواء ، والمؤلف في هذا البحث يدحض ما اتهم به الشرق الاسلامي من عقم وجمود في النواحي الفكرية والهزات الاجتماعية ويلقي التبعة على المؤرخين الاسلاميين الذين مازال اكثرهم يحتذي حذو الاسلاف في كتابة التاريخ ، فيدرس سير الخلفاء والامراء والوزراء في حياتهم الخاصة ، بمعزل عن التيارات الاجتماعية والفكرية المعاصرة .

والمؤلف هنا يحاول ان يضع ثورة الزنج في مكانها التاريخي الصحيح مستندا على النصوص التاريخية بعد البحث والتمحيص . والصعوبة التي يلاقيها المتصدي لهذه الدراسات ، هي في اهتمام المؤرخ القديم بتفاصيل الاشتباكات الحربية بين الزنج والعباسيين دون ان يحاول بحث طبيعة الحركة ومبادئها وتنظيماتها ، وقد حاول المؤلف لم شتات هذا الموضوع فقدم فكرة شاملة واضحة عن هذا الموضوع من جميع وجوهه فدرس علاوة على الوجه العسكري لهذه الثورة طبيعتها وبرنامجها وتنظيماتها الداخلية وعلاقتها بالحركات الاخرى . ■■



ايرادات الدول من النفط
خلال السنوات العشر الماضية

● اختلفت مع صديق في تحديد مقدار ايرادات دول البترول ، كيف كانت وكيف اصبحت ، فهل عندكم ما يتيسر لنا الطريق ؟

سالم الزعترى ـ الكوت / العراق .

ـ ننشر لك فيما يلي جدولا بايرادات بعضالدول النفطية خلال السنوات العشر الماضية ، والارقام المذكورة مقدرة بملايين الدولارات :

السنة	الكويت	السعودية	ايران	العراق	ليبيا	فنزويلا	ابوظبي	الجزائر	ج٠م٠ع	قطر	آخرون
١٩٦٠	٤٦٥	٣٥٥	٢٨٥	٢٦٦	—	٨٧٧	٠٠	—	—	—	—
١٩٦١	٤٦٤	٤٠٠	٣٠١	٢٦٦	٣	٩٣٨	٠٠	—	—	٥٣	١٣
١٩٦٢	٥٢٦	٤٥١	٣٣٤	٢٦٧	٣٩	١٠٧١	٢	—	—	٥٦	١٣
١٩٦٣	٥٥٧	٥٠٢	٣٩٨	٣٢٥	١٠٩	١١٠٦	٦	—	—	٥٩	١٣
١٩٦٤	٦٥٥	٥٦١	٤٧٠	٣٥٣	١٩٧	١١٢٢	١٢	—	—	٦٥	١٤
١٩٦٥	٦٧١	٦٥٥	٥٢٢	٣٧٥	٣٧١	١١٣٥	٣٤	—	—	٦٨	١٦
١٩٦٦	٧٠٧	٧٧٧	٥٩٣	٣٩٤	٤٧٦	١١١٢	١٠٠	—	—	٩٢	١٩
١٩٦٧	٧١٨	٨٥٢	٧٣٧	٣٦١	٦٣١	١٢٥٤	١٠٦	—	—	١٠٢	٢٤
١٩٦٨	٧٦٦	٩٦٦	٨١٧	٤٧٦	٩٥٢	١٢٥٣	١٥٣	٢٦٠	٤٠	١٠٩	٨٣
١٩٦٩	٨١٢	١٠٠٨	٩٣٨	٤٨٣	١١٣٢	١٢٨٩	١٨٧	٤٠٠	٦٠	١١٥	١١٨
١٩٧٠	٨٩٩	١٢٠٠	١٠٧٦	٥١٣	١٢٩٥	١٤٠٦	٢٣١	٤٤٠	١٠٠	١٢٢	١٥٠

● هذا عدا ما فقدت مصر بفقدان سيناء عام١٩٦٧ خمسة ملايين ونصف مليون طن تنتجها آبار سيناء . اما جدول « الاخرون » فيشمل ايراداتنفط البحرين ، وسلطنة عمان التى بدا تدفق نفطها منذ عام ١٩٦٧ وامارة دبي التى بدا تدفقنفطها عام ١٩٦٩ .

(س . ز)



قلق الاطفال ...
اسبابه وكيفية التخلص منه

● انا ام لطفلين ، بنت في الثامنة ، وولدلم يتجاوز بعد عامه الثالث ، وهو طفل ذكي خفيف الروح لا يكف عن الحركة ومداعبةوالده طوال الفترة التى يقضيها الوالد معنا في البيت ، وهكذا كانت اخته التى تكبره بخمس سنوات ، الا انني لاحظت في العامين الاخيرين ان ابنتي لم تعد تهتم باستذكاردروسها ، ولا تريد الذهاب الى المدرسة ، واصبحت تتعلق بي بصورة لم اعهدها فيها من قبل ، فهي لا تريد ان تفارقني حتى اثناء النوم ، انها تصر على ان تنام بجوارى ، بعدان تركت غرفتها التى كانت تنام فيها مع شقيقها .. لقد فارقها مرحها ، وبدات تتخلف في دراستها .. انني في حيرة من امرها ، لا اعرف ماذا دهاها ؟ هل اجد عندكم تفسيرا لهذا التغيير المفاجيء الذى طرأ على ابنتي .

ح . ن - سوريا



- واضح من خطابك الطويل الذى اخترنا منه هذه الفقرات القصيرة ياسيدتى ، انكما توليان اهتماما خاصا بالطفل الاصغر ، وقد لا يكون هذا التصرف مقصودا من جانبكما ، فليس هناك ام تؤثر احد اطفالها على الاخر ، كما اننا من النادر ان نجد ابا يميز بين ابنائه في معاملته لهم ، وذلك لان كل الابناء عند الاباء سواء . وان كان يحدث احيانا ان نجد طفلا ينعم بنصيب اكبر من الرعاية والعناية ، الا ان مرد ذلك يرجع الى اعتبارات اخرى ، لاتمت بصلة الى مقدار ما يكنه الوالدان من حب تجاه هذا الابن او ذاك ، فحب الوالدين موزع على ابنائهم بالتساوى ، ولكن قد يجد الاب او الام ان احد الاطفال في حاجة الى المزيد من الاهتمام والرعاية لسبب او لاخر ، كان يكون هذا الطفل ضعيف البنية او عليلا ، او انه اصغر اخوته سنا ، وهو تصرف طبيعي لاغبارعليه بشرط الا نجعل بقية اشقائه يشعرون بهذا الاهتمام الخاص الذى يلقاه شقيقهم .

فالطفل حساس ، لكل ما يصدر عن والديه ازاء اخوته ، وتزداد هذه الحساسية وتشتد كلما وصل طفل جديد ، واحتفلت الاسرة كلها بقدومه ، الا ان هذا القادم الجديد قد لا يثير غيرة اخوته في شهور حياته الاولى ، فهم ايضا يحتفلون به ويعطفون عليه ، ولكن هذا الشعور لا يلبث ان يتحول الى غيرة شديدة ، بعد مرور سنة على مولده ، عندما يرونه يمشي بينهم

ويشاركهم العابهم ، ويتعلم منهم ما تعلموه هم عندما كانوا في مثل سنه !

هنا يبدأ اخوته في الشعور بالخطر عندما يرون ان كل حركة يقوم بها شقيقهم الطفل ، وكل بادرة تصدر عنه ، تثير اهتمام والديهما ، اللذين لا يكفان عن مبادلته دعاباته الحلوة ، في هذه السن وما بعدها التي هي اجمل سني حياة الطفل .

وهذا هو ما حدث لطفلتك الكبرى ياسيدتي . عودي اليها ، وحاولي ان تجعليها تشعر بان حبك لها واهتمامك بها لم يفترا بعد مجيء شقيقتها الاصغر .. حاولي ان تعيدي الاطمئنان الى قلبها الصغير ، فهي تمر بفترة قلق ، وقد انعكس قلقها هذا على مسلكها وتصرفاتها واقبالها على استذكار دروسها !

(م . ن)

الفرق بين الدراما والتراجيديا ..

● ما هو معنى لفظ دراما وما هو الفرق بين الدراما والتراجيديا .. ؟

د . توفيق غنيم ــ بغداد

ــ الدراما Drama هي التمثيلية او كل ما يقوم بادائه الممثلون من اي نوع على خشبة المسرح. فاللفظ اغريقي الاصل وهو مشتق من كلمة Dran ومعناها في اليونانية « يصنع » او « يمثل » . ولم يتغير مدلول الدراما الاصطلاحي عن مفهومها اللغوي هذا كثيرا . اذ لا يتضمن هذا المدلول الاصطلاحي اكثر من العمل المسرحي او التمثيلية بصرف النظر عن الطابع الذي تتسم به هذه التمثيلية او الغاية التي تستهدفها .

وفي هذا الطابع وهذه الغاية بالذات يتركز الفرق بين الدراما والتراجيديا ــ او المأساة . ذلك ان المأساة تمثيلية يغلب عليها طابع الجد ان لم نقل العنف ، وتتسم بالحزن ولا سيما في نهايتها . وهذا يعني ان كل مأساة هي دراما ، على ان تتوفر في هذه الدراما شروط الرصانة والحزن .

ومن طريف ما يذكر عن اصل لفظ تراجيديا الاغريقي هو انه مركب من كلمتين : تراجوس Tragos ، ونعني التيس ، وكلمة اوبدى Oidé ومعناها اغنية . وهذا يعني ان المدلول اللغوى للفظ تراجيديا هو « اغنية التيس » . ويعزى ذلك الى ان الشعراء الشعبيين الذين كانوا يرتلون القصائد الشعرية لجماهير اليونان في تاريخهم القديم ، كانوا يرتدون جلود التيوس ويسمون شعراء التيوس .

على ان التراجيديا اليونانية ما لبثت ان اتخذت نفس المعنى تقريبا الذى تدل عليه في الوقت الحاضر، بل انها بلغت في ايام بركلس ذروة تعتبر من اعلى الذرى التى بلغتها التراجيديا على مر الاجيال .

وتجدر الاشارة الى ان الكوميدياComedy، وهي كما لا يخفى تمثيلية فكاهية ، هي الاخرى ذات اصل اغريقي Comoedia . وهو مكون من لفظين يونانيين . كوموس ويعني الصخب ، ولفظ ايدين Aeidein ، ومعناه يغني . وقد دل لفظ كوميديا ايام اليونان والرومان على التمثيلية الفكاهية ذات الخاتمة المفرحة ، كما يدل عليه في هذه الايام .

ولعل الفارق الوحيد بين مفهوم الكوميديا والتراجيديا عند اليونان والرومان ومفهومهما في هذه الايام هو في الموسيقى والغناء . اذ كانت هذه عناصر اساسية في التمثيليات عموما في تلك الايام وليست هي كذلك الآن .

(ى . ز)



دموع التماسيح !

● هل تبكى التماسيح حقا .. وما المقصود بقولهم دموع التماسيح ؟

فارس سلطي فاقيش / الزرقاء / الاردن

ـ ساد الاعتقاد في الماضي البعيد ، ايام انتشرت اساطير الاولين ، ان التماسيح تبكى وانها تذرف الدموع قبيل انقضاضها على فريستها او اثناء التهامها تلك الفريسة ، وخاصة اذا كانت هذه الفريسة انسانا .

وما لبث هذا الاعتقاد الاسطورى ان تسرب الى الآداب الاوروبية، فانتشر التشبيه بدموع التماسيح في شتى كتب الشعر والادب . ويستعمل هذا التشبيه لوصف الدموع الزائفة والبكاء المضلل . على ان العلم لا يتجاوب والاساطير في هذا الصدد . فالتماسيح عنده لا تبكى ولا تذرف دموعا ، لا حين الانقضاض على الفريسة ولا اثناء التهامها .

(ى . ز)

البنيلوكس ، اتفاق اقتصادى يضم بلجيكا وهولندا ولكسمبرج

● تصادف عدة مرات وانا اقرا بعض المقالات الاقتصادية ان ورد ذكر دول البنيلوكس وقد حاولت ان افهم معنى هذه الكلمة هل هي تكتل اقتصادى اوروبى مثلا ام مجرد اسم يطلق على مجموعة من الدول . فارجو ان تتكرموا بافادتي عن معنى هذه الكلمة وما هي هذه الدول ؟

مأمون تويهض ـ بيروت ـ لبنان

ـ البنيلوكس Benelux ، هو اتحاد اقليمي للتجارة والجمارك يضم ثلاث دول اوروبية هي بلجيكا وهولندا ولكسمبرج . وقد اتت لفظة البنيلوكس من اختصار اسماء الدول الثلاث فحروف BE تمثل بلجيكا و NE تمثل هولندا وهي تسمى بالانجليزية Netherland و Lux تمثل لكسمبرج .

وقد تم الاتفاق على تكوين هذا الاتحاد الاقليمي للجمارك والتجارة في عام ١٩٤٤ اثناء وجود حكومات الدول الثلاثة في المنفي في لندن وذلك لأن الحرب العالمية الثانية لم تكن قد انتهت بعد وكانت أراضي هذه الدول محتلة بالجيش الالماني .

وقد نص هذا الاتفاق على الغاء الجمارك بين

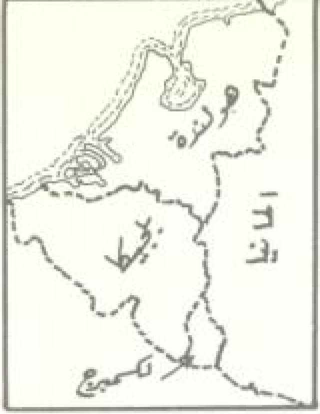
البلاد الثلاث بمعنى ان ما ينتج في هولندا مثلا يصدر الى بلجيكا دون أن تحصل عليه اية رسوم جمركية والعكس صحيح .

كما نص أيضا الاتفاق على تعريفةجمركية موحدة تخضع لها كل واردات الدول الثلاثة .

اما البند الثالث في الاتفاقية فهو ينص على تقسيم عوائد الجمارك على البلاد الثلاثة بنسب متفق عليها .

وفي يوليو عام ١٩٤٧ تمت الموافقة على اتفاقية البنيلوكس نهائيا واعتمدت الحكومات الثلاثة البروتوكول النهائي للاتفاقية .

وفي يناير عام ١٩٤٨ بدا تنفيذ الاتفاق ليصبح



اول اتفاق اقتصادى اوروبي يطبق عمليا . ومن المفيد ان تعرف ان دول البنيلوكس الثلاثة تضم حوالي ١٨ مليون نسمة .

(م.ط)

مجلة وجريدة
الاولى كلمة عربية أصيلة

● كلمتان في حياتنا اليومية هما مجلة وجريدة ، ما أصلهما في المعنى وهل هما جديدتان على اللغة العربية او استعملتا منذ زمن بعيد ؟

محمد برهم ـ بنغازى

ـ المجلة كلمة عربية اصيلة في أدائها لأغلب المعنى المتعارف عليه اليوم من التخصيص الاصطلاحي،فلفظ مجلةيعني في القواميس اللغوية : صحيفة يكتب فيها ، او الصحيفة فيها الحكمة ، وقال أبو عبيد : كل كتاب عند العرب مجلة « وفي حديث سويد بن الصامت قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لعل الذى معك مثل الذى معى ؟ فقال : وما الذى معك ، قال مجلة لقمان » يريد : كتابا فيه حكمة لقمان : من هذا نرى ان كلمة مجلة اقتبست من اللغة وخصصت لأداء كل ما يصطلح عليه الآن . ولفظ مجلة وزنه مفعلة مشتق من الجلال : جَلَّ جَلالاً ، وبعضهم يرى انها معربة . وأحب ان اذكر هنا انه ليس كل لفظ يكون مشتقا ، فهناك اسماء جامدة مثل صخر وحجر .

اما الجريدة بمعنى الصحيفة التى تصدر يوميا او اسبوعيا او كل نصف شهر مثلا لنشر المبادىء السياسية والاخبار وترويج الآراء واعانة النهضات الاجتماعية وغيرها فليس في اللغة في مادة (جرد) ما يدل على ذلك او على بعضه . فالجريدة في اللغة هي السعفة الطويلة رطبة كانت او يابسة ، او هي التى تقشر من خوصها كما يقشر قضيب الشجرة من ورقه . واستعملت الجريدة في فرقة من الخيالة بحيث لا يكون معهم مشاة ، كما استعملت الجريدة في البقية من المال . والابل الجريدة هي الخيار الشداد .

ويبدو أن اول من اطلق على صحيفته لفظ الجريدة هو المرحوم احمد لطفي السيد ، فقد صدرت في سنة ١٩٠٧ عن شركة يراسها صحيفة يومية مصرية اطلق عليها اسم « الجريدة » وقد احتجبت سنة ١٩١٥ ولعل خفة لفظها ، وقرب تاويل انها تشبه فرقة الخيالة ، او اقتباسا من جريدة النخل في انها تشذب وبخاصة انهم كانوا في القديم يكتبون على بعض النخيل هو الذى صيَّر اسم الجريدة معروفا في كل ما نسميه اليوم باسم الصحيفة وجمعها صُحُف ، ومهنتها الصحافة ، تلك اللفظة التى اتخذت مكانها الحقيقي ، لقربها من التأويل اللغوى السليم .

(ع . ف)



عائدة الليل

■ عندما تسكن الأنفاس في المستشفى .. وتتمهل أنفاس الليلِ ولَهىَ على الغرف والظُّلل ينطلق شبح من عالم بعيد ....
بعيد ....

أتمـلاه في عيني فتاة ....

وفي خواطري . وفي أحلامي ملاكاً حالماً ....

يا صَوْتَها بَعَثَ الحياةَ بخافقي … وسَرَى يُنَوِّر لى دُجَى أيَامى
غَنّى فأنسانى جراحاتى التى … نَزَفَتْ دِمَاىَ وعَطّلَتْ أنغامى

★ ★ ★

وأعادَ لى أملَ الحياةِ ورَدَّنى … لِبشائرى لِصبابتى .. لِغرامى
النور . كلُّ النورِ مِلءُ جوانحى … والحبُّ .. والأفراح تملأُ جامى

★ ★ ★

يالَيْلةً تَسبِى الزمانَ صَباحَها … واسيْتِ فيها جُرحَ قلبٍ دامى
وسكبتِ أنغامَ الحياةِ رقيقةً … بِدمى . ونَوَّرتِ الوجودَ أمامى

★ ★ ★

هى ليلةٌ ياعُمْرُ مَرّتْ مثلما … تمضى سِراعاً أسعدُ الأحلامِ
طَربتْ لها رُوحى .. وغنّى للمنى … قلبٌ دهتْهُ عواصفُ الأيامِ

★ ★ ★

أسقى من النغمِ الحنونِ مشاعرى … وأهيمُ في دنيا من الإبهامِ
هى جنّتى ، وظِلالُها ، وزهورها … وعبيرُها ، . ونشيدُها المتسامى

★ ★ ★

يا صَوْتَها ... ياكلَّ أحلامِ المنى … أأعيشُ للمنصورِ من أحلامى؟ ■■

مصطفى عبد الرحمن

الشيخ درويش وما جرى له

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

■ لو كنت رايتني وانا في طريقي لأتسلم عملي كمفتش للرى في بنها لحسبت انني ذاهب الى الجنة . كنت سعيدا طروبا احس انني امشي على السحاب وكانهم عينوني وزيرا للاشغال لا مدير مكتب رى بسيط . ولكنني كنت شابا انطلع الى بساط العمر الممدود امامي مفروشا بالورد ، ولا احس بشيء من متاعب الواقع حولي .. حقا ان الشباب حلم جميل : طالما نحن نستمتع به فنحن نيام ، فاذا افقنا كان الشباب قد ولى وفات وعاد اجمل ما في الحياة مجرد ذكريات ! اجل ، ما كان في جيبي اذ ذاك غير جنيهات سبعة ولكنها كانت تغطيني وتزيد كانها سبعة الاف ! ، وعندما جلست في القطار نظرت الى حقيبتي البالية واستعرضت في ذهني ما بداخلها من ملابس قليلة ورخيصة لم احس انني احتاج الى احسن منها ، لانني كنت اكتسي اذ ذاك حلة الشباب الباكر عندما يبدو الانسان وسيما في كل ثياب .

وكنت الى جانب ذلك مهندس رى ، مصدرة ــ باشمهندس رى ــ وهو شيء عظيم بمقاييس تلك الايام . كنت اقول في نفسي : عندما يقف القطار في محطة بنها ساجد مظاهرة من الناس تنتظرني : اربعة من المساجين ، خمسة فراشين ، طباخ ، بستاني وعدد لا باس به من المزارعين الذين يعملون في ارض التفتيش ، وقد يكون كاتب التفتيش اخطر المركز فاجد على المحطة مندوبا من المديرية ومفتش الصحة وربما المامور وناظر المدرسة الثانوية .. من يدرى ؟ ان باشمهندس الرى موظف خطير من موظفي المديرية ولا بد ان رجال الحل والعقد هناك قد اعدوا العدة لقدومي كما هي التقاليد في هذه الظروف ...

وكان يزيد في سعادتي انني اصطحبت معي اختي هدى ، وكانت قد المت بها ظروف قاسية جعلتها في اشد الحاجة الى التسرية عن نفسها . كانت هدى تكبرني بخمس سنوات ، اى انها كانت في الحادية والثلاثين من عمرها ، ولا اجد حرجا في ان اقول الآن انها كانت اجمل نساء الدنيا ــ في نظرنا طبعا ــ فقد كبرت الآن واصبحت جدة ، وما اظن الا انها ستضحك وهى تقرا هذه الحكاية. كانت بيضاء ذات شعر كستنائي يضرب الى الشقرة ، وكان هذا الشعر غزيرا جدا يحيط بوجهها المستدير ويطل على جبينها المشرق وعينيها الخضراوين فيزيدهما جمالا ، وكان هذا الشعر يسترسل وراء ظهرها ، ولا تزال طول اليوم تهذبه وترسله الى خلف اذنيها بيدها ، وكانت فارعة الطول ذات قوام بديع ، وما اذكر ان احدا راها الا استوقفت بصره فظل شاخصا نحوها لحظات .

وكانت قد تزوجت صغيرة جدا من طبيب شاب كنا نعده من نوابغ الاطباء ، فقضى معها خمسة اعوام ، ثم ارسلوه الى انجلترا للتخصص في

جراحة القلب ، فسافرت معه ، وبعد سنتين عادت وحدها لتلد عندنا ، ووضعت بنتا ، ثم عاد زوجها وعينوه مديرا لمستشفى طنطا ، مع انه كان في الخامسة والثلاثين من عمره فحسب . وفي العام قبل الماضي ، وبينما كان عائدا مع زوجته وابنته الى القاهرة بالسيارة اصطدمت سيارتهم بشاحنة صدمة عنيفة مات فيها هذا النابغة الشاب ، وبعد ايام ماتت الطفلة ، وظلت اختى وحيدة في الحياة ما يستطيع احد مواساتها بكلمة ، وقد اصيبت بنوع من الذهول شهورا ، ثم بدأت تعود الى نفسها شيئا فشيئا حتى عادت الى حالتها الطبيعية ، ولكنها ظلت حزينة غارقة في افكارها معظم الوقت ، تقضى معظم نهارها وحيدة في غرفتها تقرا او تطرز او تحيك ثيابها ..

ولكن اعظم ما اهمنا من امرها هو انصرافها عن التفكير في الزواج تماما . لقد انقضت على ماساتها سنتان ولكن احدا لا يجرؤ على مفاتحتها في زواج او خطبة . خطابها بالعشرات دون مبالغة ، في كل يوم يأتي ناس ويتحدثون مع امى : ناس ذوو مراكز وآخرون من أهل المال او من الشباب المرموق في كل ميدان ، ووالدتي تقص اخبارهم على اختى ، واختى تسمع ولا تعلق كأن الامر لا يعنيها ، او كأنها خرجت من عالم الزواج جملة ، فاذا اثقلنا عليها بالكلام قالت في هدوء :

ـ لقد اخذت نصيبي . اعطاني الله الرجل الذى كنت اتمناه والبنت التى كنت اتمناها ثم اخذهما . هذا حظى ونصيبي . ليس لي حظ او نصيب بعد ذلك . ليذهبوا لغيرى . هناك بنات كثيرات جدا لم يأخذن نصيبهن بعد . . .

ـ ولكن ياهدى ... انت لازلت شابة وجميلة ومستقبلك امامك ..

ـ شبابي كان شباب زوجي ومستقبلي كان مستقبله .. لا يصح ان يكون لي مستقبل بعده .. وبنتي ؟ من يذكرها اذا انا تزوجت ؟



ـ انك الآن تعيشين معي ومع امك .. ولكن غدا .. الا تفكرين في غد ..

ـ لا .. لا افكر في غد . ليس لي غد افكر فيه .

ثم تتركنا وتذهب الى غرفتها ، وتغلق بابها عليها فلا نراها الا ساعة العشاء . وربما في صباح اليوم التالي .

والغريب انها لم تكن حزينة او تعسة او باكية ، وانما كانت انسانا جمد كل ما فيه عندما وقع له الحادث كانها ساعة توقفت فجاة ، فكل ما فيها لا يدل على تعطل الا اذا قارنت الوقت الذى تشير اليه بما تشير اليه عقارب الساعات الاخرى ..

وعندما ازمعت السفر الى بنها عرضت ان تسافر معي لتقوم بشئون بيتى ، فاسعدنى ذلك ، وها هي الآن الى جوارى في القطار ، جميلة كما هي دائما ، متشحة بالسواد كعهدها ، ولكنها مسرورة فيما يبدو بهذا التغيير الكبير في اسلوب حياتها .

★ ★ ★

استقبلونا في المحطة بمظاهرة صغيرة . معظم الذين اتوا لاستقبالي حسبوها زوجتى وعاملوها اول الامر على هذا الاساس .ووصلنا الى التفتيش في زفة . كان منظر البيت يشرح القلب : الخضرة والزهور وماء النيل والاشجار وجماعات الاوز والبط التى تسبح في الماء . للمرة الاولى رايت وجه هدى يشرق بالسعادة . كانوا قد اعدوا لنا طعاما يكفى اسرة من عشرة انفار لمدة اسبوع على الاقل . ما اشد سذاجتنا عندما نسخو . دواجن وطواجن وصوانى ودفاقى ومحمرات ومشويات .. واين يذهب هذا كله ولا ثلاجات هناك ولا حتى ثمثليات محترمة .. ! ولكنه ذهب . بقدرة قادر ذهب . في الليل لم يكن قد بقى من ذلك كله الا آثار وظلال ، وبارك الله في صحاحينا الاربعة وفراشينا الاربعة وحواشيهم ، لقد نظفوا المطبخ بعناية ولم يدعوا لنا ـ بعد العشاء ـ الا صينية رقاق بقدر ما يكفى شخصين وقطعة حلوى اظنها بقلاوة مصابة بالانيميا . اكلنا هذه وتلك وغسلنا الوعائين ، ودارت اختى على المطبخ تنظفه وتلمعه. من غرفتى سمعتها تغنى ، ربما للمرة الاولى من ست سنوات او سبع . الى ما بعد منتصف الليل كنت اسمع وقع اقدامها رائحة غادية تنظم وترتب وتسوى وتفرش . كانت سعيدة بالفعل . وكنت سعيدا معها .. قضيت الاسبوع الاول في الزيارات التقليدية والمعاينات الرسمية . التعرف على الزملاء موظفى المديرية والمركز ، زيارة مواقع العمل ومكاتب المراقبة والمقاييس وما الى ذلك . في كل يوم كنت اعود الى البيت بعد الظهر فاجد هدى اكثر مسرة وسعادة واجد البيت اكثر اشراقا وجمالا ...

وصدق او لا تصدق : قبل ان ينقضى اسبوعان على اقامتها معى بدأ الخطاب يتقدمون الي . اتانى مامور مركز قريب وتحدث معى جديا في مصاهرتي . لا ادرى كيف رآها . كان يلح في ان استجيب لرجائه ، وعرضت عليها الامر فضحكت وقالت : مامور مركز حتة واحدة ؟ ولماذا لم يتزوج الى الآن ...

ـ سألته في ذلك فقال انه ما كان يريد ان يتزوج اصلا ... ولكنك قلبت كيانه ...

فنظرت الي في سرور وقالت :

ـ لو كان انفه اصغر قليلا .. !

وضحكت هي .. وضحكت انا ..

لا ادرى لماذا ضحكت

اما أنا فاعرف لماذا ضحكت . ضحكت لان عقدة اختى انحلت ، ومادمنا قد دخلنا في تفاصيل الانوف والعيون والافواه ، فغدا او بعد غد يأتي من يوافق المزاج ...

★ ★ ★

ولكن الذى اتى كان لا يوافق اى مزاج ...

كنت ارى في مرورى في البلد وما يجاوره من القرى دعيا من ادعياء المشيخة والولاية يسير في الطريق علىهيئة تثير النفور، من خلفه جماعة من مريديه هم اقرب الى اللصوص .

كانوا يسمونه الشيخ درويش ويقولون انه مستجاب الدعوة ..

كان شابا ياسيدى طويلا عريضا ذا شعر كثيف وشارب غليظ ، وكانت له عينان سوداوان تدوران في المحاجر كانهما عينا صقر ، وكان نظره ـ لسر لا يعلمه الا هو ـ لا يحط الا على النساء .. وكان

يتوسط لهن لدى المشايخ الكبار فلا تلبث الاماني ان تصير حقائق .

قابل عزيزة زوجة عم بسيوني ، وكانت امنيتها الكبرى ان تنجب ولدا تسميه الحسين .. قابلها وسط القيسارية ، ونظر اليها طويلا وقال :

ـ وحدّيه ياعزيزة .. ياعزيزة وحديه .

ووحدّته عزيزة ...

وصاح : لن ياتيك الحسين .. لا .. الحسين لن ياتى هذا العام .. ستاتي زينب .. قبل ان تمر السنة ستكون عندك زينب .. وبعدها بسنة ياتي الحسين ايضا .. قولي هذا لبسيوني .. والحلاوة من عندك انت .. تصلين الصلوات الخمس من الآن فصاعدا ... اياك انتتركي صلاة واحدة .. هذا وعد ، والوعد سعد !

وحديه يا عزيزة .. وحدوه ياناس ..

ووحدته عزيزة ... ووحده الناس ...

وكما قال ...

صلت عزيزة الخمس يوميا ..

وجاءت زينب ...

ثم جاء الحسين ...

وفعل شيئا قريبا من هذا مع فتحية زوجة امين شونة البنك .. قبضوا على زوجها بتهمة الاختلاس ، وحبسوه .. وبكت واستعطفت وزارت المشايخ ونذرت ..

وقابلها الشيخ درويش عند باب المستشفى الاميرى ..

وصاح بها :

فتحية يا بنت سالم . ليش ما تصلى على الشفيع ؟

وصلت فتحية بنت سالم على الشفيع ..

وتقدم منها الشيخ الجرىء ورفع حجابها ونظر اليها ـ وكانت ذات جمال ـ وقال :

ـ تبارك الخلاق .. جوزك في السجن ما يبات. ربك استجاب للدعوة يافتحية .. بكره يتغدى جوزك في بيته ..

فتحية يا بنت سالم .. ليش ما تصلى على الشفيع ؟

وصلت فتحية على الشفيع ..

وفي اليوم التالى كان زوجها عبد الوهاب تعيلب يتغدى معها ، كشكا وفراخا بعد ان أخلى سبيله لعدم كفاية الادلة ..

لا عجب ان افتتن به الناس ...

ولكنى كنت انفر منه نفورا شديدا ..

ما رايته مرة من بعيد الا احسست برغبة في في ان اسرع نحوه فاصفعه واركله وافضح امره امام الناس .

★ ★ ★

وبدلا من ان اسرع نحوه انا .. اسرع هو نحوى ..

شيء عجيب ..

احسست ان هذا الملعون يحوم حول البيت ..

كان البيت ـ او التفتيش ، كما كنا نسميه ـ يقع بعيدا عن البلد وسط حقول وحدائق ..

ما الذى دفعه الينا ..

الامر واضح ..

فكل النساء اللاتى صنع هذا الرجل معهن « كرامات » كن نساء جميلات لهن مشاكل .

هكذا كانت عزيزة امراة عم بسيونى وفتحية امراة عبد الوهاب ووهيبة امراة عمدة القلابات قبلى وياسينة بنت سليمان القبانى .. وانا ايضا عندى في البيت امراة جميلة لها مشكلة ..

هذا الثعلب ، لا بد من كسر رجله ، لا بد من تحطيم ارجله الاربع !

دخل البيت مرتين وانا غائب . في كل مرة يصيح : وحدوه ... ! وحدوه ! ياناس وحدوه !

في احدى المرتين كانت اختى خارج البيت ولكن في المرة الثانية كانت هناك ، وراها في الشرفة .. ونظر اليها من بعيد ونادى اصحابه وقال :

ـ هاهى .. هاهى ام الخير .. هاهى ام السعد .. هاهى ام النور .. تبارك الذى خلق .. صلوا على كامل النور ..

وصلى الفراشون والخدم على كامل النور ...

وفرت اختى داخل البيت في فزع ..

وصاح الدعى الجرىء :

ـ تهرب من بختك ليه اذا كان بختك في رجليك ..

ادى السعادة على قدم ، ليه الندم .

فات اللى فات ، فات ومضى .

ليلنا انقضى ... عيشنا رضى ..

ليه الندم .. ليه الندم ..

ثم طلب ماء وطعاما واكل وشرب ومضى ..

وعندما عدت حدثونى بذلك كله ..

وقررت يومها الا اكتفى بكسر ارجله بل لا بد من قطع رقبته ايضا ..

★ ★ ★

في المرة الثالثة كنت في البيت .

كان الوقت بعد العصر بقليل ..

كانت هدى في الشرفة تقرا صحيفة .. وكنت اقرا بعض خطابات من الاهل وصلتنا مع بريد اليوم .. ودوى صوت الثعلب : وحدوه !

وردد مريدوه ـ اربعة او خمسة ـ لا اله الا الله !

وانزلت هدى الجريدة ونظرت بعينين واسعتين نحو مصدر الصوت ونهضت واقفة ..

ودخل يلف ويدور في حوش البيت ومضى يصرخ ...

ـ وحدوه ياناس وحدوه .. !

جات السعادة على قدم ، ليه الندم .

فات اللى فات ، فات ومضى .

والباشمهندس يرزقه ربك كثير .

ياست هدهد ربنا فرجه كبير ..

ولم ادعه يتم هذا التهريج ..

نزلت السلم اعدو وشياطين الدنيا كلها في عينى . كان سلما خشبيا يؤدى من الفرندة الى الحوش . من خلفى اسرعت اختى تجرى وتمسك بي خشية ان اقتل الرجل كما كنت اقول .

وفي لحظات وجدت نفسى امام ذلك الرجل بوجهه الجامد الكالح . رفعت يدى لالطمه ولكن منظر عينيه اوقفنى . كان تائه البصر ينظر خلفى . حسبته ينظر في الفراغ . انفاس اختى المتسارعة في ظهرى افهمتني انه كان ينظر اليها . فمه المفتوح دلنى على انه في حالة ذهول . ذلك زاد غيظى . كانت في يده عصا خيزران فانتزعتها وانهلت بها ضربا عليه . لم يتحرك ولا دافع عن نفسه ولا تألم . تقدم اثنان من مريديه ليردا هجومى ولكنه رفع يده واوقفهما مكانهما . تكسرت العصا على كتفيه وهو لا يتحرك .

كففت عن الضرب فظل صامتا لحظة ثم قال :

ـ اضرب كمان .. اضرب .. انا استحق .. انا تخطيت مقامى .

كانت عمامته قد انفكت وسقطت على عنقه . جذبها بيده ، واستدار وسار نحو الباب . عندما كان عند البوابة تعثر ووقع على الارض مغمى عليه. اسرع اليه انصاره وبعض الخدم وحملوه ومضوا به خارجا ..

نظرت الى بقية العصا في يدى ثم القيتها بعيدا . وصعدت السلم على مهل ومن خلفى اختى . عدت الى مقعدى في الفرندة ودخلت هي غرفتها ..

كنت احاول ان افهم ما حدث ولكننى كنت احس بشيء من الرضا .

اخيرا استطعت ضرب هذا الانسان البغيض وطرده من بيتي ..

ولكن .. الا يمكن ان يعود لياخذ بثاره ؟ ..

في تلك اللحظة بدا لى ذلك مؤكدا ..

دون وعى منى ناديت :

ـ عم عطية .. اعمل لى فنجان قهوة ..

ومن الداخل سمعت صوت هدى تقول :

ـ خليها فنجانين يا عم عطيه ..

واذهلنى ذلك حتى كدت اقع بدورى كما وقع الشيخ درويش ..

كنت اظنها في حالة رعب شديد بعد ما حدث .

ولم تلبث ان خرجت الى الشرفة بعد ان اصلحت هيأتها ومشطت شعرها ، ونظرت اليّ وضحكت وتشاغلت بقراءة الصحيفة . فازحت الجريدة باصبعى وقلت لها :

ـ كنت اظنك قد متّ خوفا ..

ـ من ماذا .. ؟

ـ من هذا الحيوان الذى كان على وشك ان يفترسك ..

ـ ها انت ترى انه لم يفترسنى .

ونظرت بعيدا ، ثم التفتت الي وقالت في سرور شديد بعض الشيء ..

ـ ترى ، من منا الذى افترس الآخر ؟

وسبح كل منا في بحر افكاره ، ثم قلت .

ـ كنت افكر في ان تعودى الى القاهرة ...

وبدون اكتراث ، ودون أن ترد بصرها عن الافق الذى كانت تنظر اليه قالت :

ـ خوفا عليّ من ذلك المسكين ؟

ـ مسكين .. انه مجرم اثيم .. لا بد ان يحاول الانتقام لنفسه :

ـ لن يحاول شيئا .. لقد مات . هذا الشيخ درويش انتهى ..

ونظرت الى عينيها الخضراوين . كانتا كبحيرتين عميقتين . فهمت كل شيء . هنا غرق الشيخ درويش . غرق وهبط الى القاع .

★ ★ ★

بعد عشرة ايام او نحوها ، كنت جالسا في مكتبي في الدور الارضي اصفي بعض الاوراق عندما سمعت وقع اقدام . كنت وحدي لاننا كنا بعد ظهر يوم الخميس . كان كل من في البيت تقريبا قد ذهبوا الى سوق الخميس ولم يعد منهم احد بعد . اما اختي فكانت قد ذهبت لزيارة زوجة سكرتير عام المديرية ..

ودخل رجل . رفعت رأسي فاذا هو درويش . احتجت الى بضع لحظات لاعرفه . كان قد خلع لباس المشيخة وارتدى جلبابا ابيض جميلا وعليه معطف اسود طويل ، ووضع على رأسه طربوشا . كان قد قص شعره وهذب هيأته . رأيته يبتسم فابتسمت . قال :

ـ فاجأتك بزيارتي ؟

ـ بل بهيأتك ..

ـ عندك حق .. لقد انتظرت اياما كثيرة حتى اخلو بك تماما ..

ـ لتاخذ بثارك ..

فخلع طربوشه ووضعه على المكتب ، وناولني سيجارة ، واشعل لي ولنفسه ، ونفث الدخان ثم قال :

ـ بل لكي اشرح لك ما حدث .. ليس بيني وبينك ثار .. انت لم تفعل بي شيئا ، ولو اردت ان اقتلك يومها لفعلت .. ولكنني انا الذي صنعت ذلك بنفسي ..

ـ وما الذي صنعته بنفسك .. ؟

ـ لا ادري .. ساقول لك ، وانت تحكم .. معذرة ، ساتكلم بكل صراحة .

ان السيدة اختك ليست هنا .. انا اعرف ذلك . لهذا استطيع ان اتكلم بصراحة حديث رجل لرجل .. فنهضت الى النافذة ونظرت منها وقلت :

ـ قل ما تريد .. صدقني انني اشعر الآن ببعض الاسف ..

ـ لاداعي للاسف .. انت لا تدري انني احببت هذه السيدة ..

ـ فنظرت اليه مستنكرا فقال :

ـ لاتغضب ، انا لم آت لاغضبك بل لاصارحك بامر . انه من الواجب عليّ نحو نفسي ان اصارحك به .. ولم يصدر مني شيء في حقكم على اي حال .. وهل لي يد مثلا في انني عندما رأيت اختك للمرة الاولى شعرت وكان صاعقة اخترقت جسدي ..

ونظر اليّ ليرى اثر ذلك في وجهي ، فوجدني جامدا فمضى يقول :

ـ رأيتها ذات صباح ، كانت خارجة من بيت طبيب المركز .. لا ادري كيف وقعت عيني عليها ، فوقفت جامدا مكاني .. وظللت هكذا حتى يفهمني اصحابي ، وظللت يا اخي بعد ذلك اياما لا انام ولا استريح ولا آكل ولا اشرب .. صدقني انها قتلتني ! مضيت اسأل عنها حتى عرفت عنها كل شيء .. ومضيت اسعى وراءها التمس نظرة منها كالمتسول الذي يلتمس كسرة خبز .. ولم تتنبه اليّ هي مرة واحدة ..

هنا تنبهت الى حقارة نفسي .

وللمرة الاولى نظرت الى نفسي في مرآة .. هالتني بشاعة منظري .. فكرت في الهرب من هذه الناحية كلها .. ثم خطر ببالي ان اختطفها .. صدقني .. فكرت في ان اختطفها واهرب بها .. هكذا كما اقول لك ..

اتيت الى هنا مرتين مع اصحابي لادرس معهم كيف نفعل ذلك ..

وفي المرة الثالثة وجدتك هنا .. ووجدتها هيء ووقفت امامها وجها لوجه .. في هذه اللحظة تبينت انني لا استطيع حتى مجرد الوقوف امامها .. لقد شلت نظراتها حركتي تماما .. عندما نظرت الى عينيها عن قرب خيل اليّ انني ارى نفسي في عينيها الخضراوين .. رأيت نفسي انسانا اشعث اغبر بشع الهيئة قذر الثياب .. لهذا يا اخي اغمي عليّ فيما اعتقد .

عندما عدت الى بيتي قررت ان اخلع عن نفسي ذلك الثوب الذي كنت اتنكر وراءه .. ثوب الشيخ درويش ، وان اعود الى شخصي الحقيقي .. اتعرف من انا يا باشمهندس ..

ـ ليست عندى اى فكرة ..

ـ ومع ذلك فانت تعرفنا جيدا .. عندما سألت عنك عرفت انك كنت في يوم ما مهندس رى في ناحيتنا : ناحية حوش عيسى مركز ابو المطامير مديرية البحيرة ..

ـ نعم ، كان ذلك اول تفتيش رى عملت فيه .

ـ اذن فانت تعرف اولاد رضوان ..

ـ طبعا .. الحاج عبد الحميد رضوان واولاده .. زكريا ويحيى وامين ...

فالتفت نحوى وابتسم وقال :

ـ انا امين رضوان ياباشمهندس .

فتفرست في وجهه وقلت :

ـ ربما .. ربما .. الآن اذكر ملامحك .. لقد رأيتك من خمس سنوات ..

ـ من ست وانت الصادق ..

ـ وماذا جرى لك ..

ـ اختلفت مع ابى لمحاباته اخوىّ علىّ ، هجرت البيت والقرية والاموال وذهبت الى طنطا لادرس ..لم استطع. عز علىّ ان اعود الى بلدى خائبا. كان امامى احد امرين : ان اتحول الى لص قاطع طريق وشيخ منسر او مشعوذ .. لم استطع ان اكون مجرما .. فصرت مهرجا ..

ـ ولم يتعرف عليك احد ؟

ـ حتى انا لم اعرف نفسى ! رأيت نفسى للمرة الاولى في عينى الست هدى .. فقلت متضايقا :

ـ دعنا من هذا يا امين ..

فنظر الي في هيئة جادة وقال :

ـ باباشمهندس .. انني اخطب اليك اختك ..

فظللت واجما ، فكررها عليّ فقلت :

ـ يا امين ... انها تكبرك بست سنوات ..

ـ او بستين ..

ـ دعك من هذا يا امين وعد الى بيتك .. هدى ليست لك ولا انت لها .. لقد عدت الى نفسك وانقذك الله فلا تضيع نفسك مرة اخرى ...

ـ ولماذا لا تعرض الامر عليها ...

فقلت في حزم ..

ـ لن اعرضه ..

ـ لماذا .. ؟

ـ لان لى هذا الحق .. نحن الرجال في اسرتنا نقدر شئون بناتنا ..

ويبدو ان لهجتى كانت حاسمة جازمة ، فلبس طربوشه في بطء ، واشعل سيجارة ، واصلح هيئته والقى علي التحية وقال :

ـ لن تروني بعد الآن ..

★ ★ ★

قصصت ذلك على اختى في الليل .

كانت تصغى اليّ في اهتمام شديد . كان على وجهها تعبير لم افهمه ابدا . تركتنى حتى انتهيت من كلامي ثم قالت :

ـ وهل قلت له اننى اكبره بست سنوات .

ـ نعم .. وماذا في ذلك ..

ـ ست سنوات .. كم يظنون عمرى اذن !

ـ وماذا يهمك ذلك .. هل كان من الممكن مثلا ان تقبليه زوجا .

ـ وما يدريك انت ؟

ـ هدى ، ارجوك ، لا يذهب بك العبث الى هذا الحد ..

فوضعت يدها على كتفى ونظرت اليّ في عطف وقالت :

ـ يا اخى الاصغر .. يا من حملته على كتفى .. هناك امور كثيرة لا تفهمها الا النساء ..

ونظرت الى اختى في دهشة كاملة وقلت :

ـ انني لا افهمك ياهدى .. لا افهمك اطلاقا .

ـ ليس من الضرورى يا اخى ان تفهم المرأة .. خذها كما هي .. هذا هو سرها ..

قلت لها :

ـ اصنعى لى فنجانا من القهوة ..

وسبحت مع افكارى .. وعادت بالقهوة .. وتناولت هدى فنجانا ورشفت منه رشفة ونظرت اليّ وقالت في شيء من الخبث ..

ـ صاحبك المأمور كيف حاله ؟

ـ انه يلح عليّ في طلب يدك ليل نهار ..

ـ اتدرى ان انفه ليست طويلة كما تصورت .. وانفجرت ضاحكة ..

ووضعت انا فنجان القهوة في حذر خشية ان اسكبه على ملابسي ، وانفجرت بدورى ضاحكا ..

■■

الكويت : حسين مؤنس


لكافة معاملاتكم
المصرفيّة
البنك التجاري
في خدمتكم دائماً
ممثلون في :
● بيروت
بنك الريف ش.م.ل
● دبي
بنك دبي التجاري المحدود
● لندن
بنك الكويت المتحد المحدود
البنك التجاري الكويتي
ش . م . ك .
كويت . ص . ب : ٢٨٦١ / برقيا : بنكتجاري . كويت / تلكس : ٢٠٠٤-٢١٦٧ / تلفون : ٤٢٤١٤١/٢٠ خط


OLMA
OLMA
Automatic
25 JEWELS
لـه
لـها وللجميع
ساعة
أولما
الاوتوماتيك والعاديه
تحكم الوقت بدقة ..!
الوكيل العام بالكويت
مراد يوسف بهبهاني
ساحة الصفاة و حولي

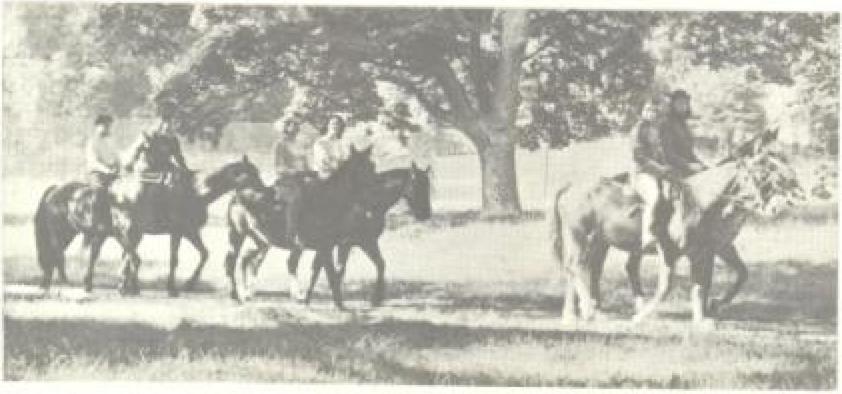


كلية البنات الداخلية
لتعليم اللغة الانكليزية
فى مصيف ايستبورن الجميل بانجلترا
للطالبات المبتدئات والمتوسطات والمتقدمات

مقررات عامة فى اللغة الانكليزية
تدريبات على أعمال السكرتارية مع مقررات فى الانكليزية
مقررات للعطلات الصيفية
تقدم ايضا مقررات فى رياضة ركوب الخيل والتنس والجولف
والموسيقى وغيرها
تطلب النشرة التوضيحية المصورة من مديرة المدرسة (A L)

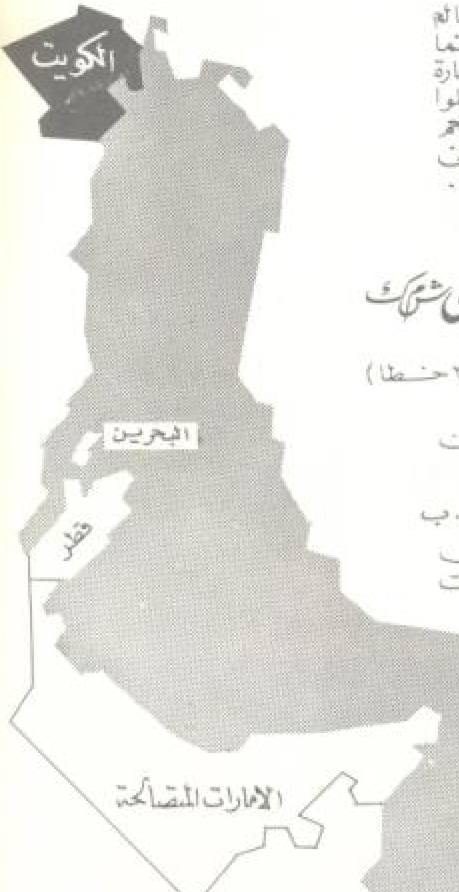
L.T.C. LADIES' COLLEGE OF ENGLISH AND SECRETARIAL STUDIES

Compton Park, Eastbourne, Sussex, England.



الكويت -
في رأس الخليج العربي

ان الذي يجعل الكويت من أغنى دول العالم اليوم ليس موقعها الجغرافي فحسب ، وانما ثروتها المعدنية وازدهار العمران والتجارة فيها . ولمزيد من المعلومات عنها اتصلوا ببنك الكويت الوطني الذي يملك أضخم موجودات معلنة واكبر شبكة فروع في البلاد تقدم لكم كافة الخدمات المصرفية .



بنك الكويت الوطني ش.م.ك

تأسس عام ١٩٥٢

المركز الرئيسي : صندوق بريد رقم ٩٥ الكويت الهاتف : ٢٢٠١١١ (٢٠ خطا)

مؤسسات شقيقة :

لندن : بنك الكويت المتحد ، لندن

باريس : بنك فراب

البحرين : بنك البحرين والكويت ش.م.ب

دبي : بنك دبي الوطني ، دبي

بيروت : بنك الريف ، ش.م.ل ، بيروت

ضاعف متعتك مع الاثنين - في - واحد



راديو / مسجّلة كاسيت سوني



انه راديو FM/AM ... انه مسجلة اشرطة كاسيت ... انه الاثنان في آن واحد! برامج الاذاعة تصدر عن واضحة جالية. وان احببت ما تسمعه، فاضغط على الزر الخاص وسجل البرنامج رأساً من الراديو الى الكاسيت.. دون اسلاك او وصلات خارجية. وهنالك مجموعة واسعة من راديوات / مسجلات كاسيت سوني كي تختار من بينها الموديل الذي يناسبك تماماً بثمنه وحجمه وتصميمه وادائه. شاهده لدى احد موزعي سوني وضاعف متعتك مع الاثنين - في - واحد.

راديو / مسجلة كاسيت CF-300
يتضمن مايكروفون سوني ذا المكثف الالكتروني الذي يلتقط الاصوات من اية جهة صدرت بحساسية ووضوح مذهلين. وهو انيق، يزين المكان الذي تضعه فيه وله ضوابط بشكل ملامس البيانو. وهو يسمح بارجاع الشريط دون ضغط زر التوقيف. كما انه ينبهك عن انتهاء الشريط للتسجيل وللاعادة البث.
اداء من الدرجة الاولى من جهاز فائق الاناقة.

سوني SONY.



باستخدام المركبات الحوامة "الحقيقية" طراز "بي إتش سي"

شركة بريتش هوفركرافت كوربوريشن

الرائدة في ميدان المركبات الحوامة

BHC WORLD HOVERCRAFT LEADERS

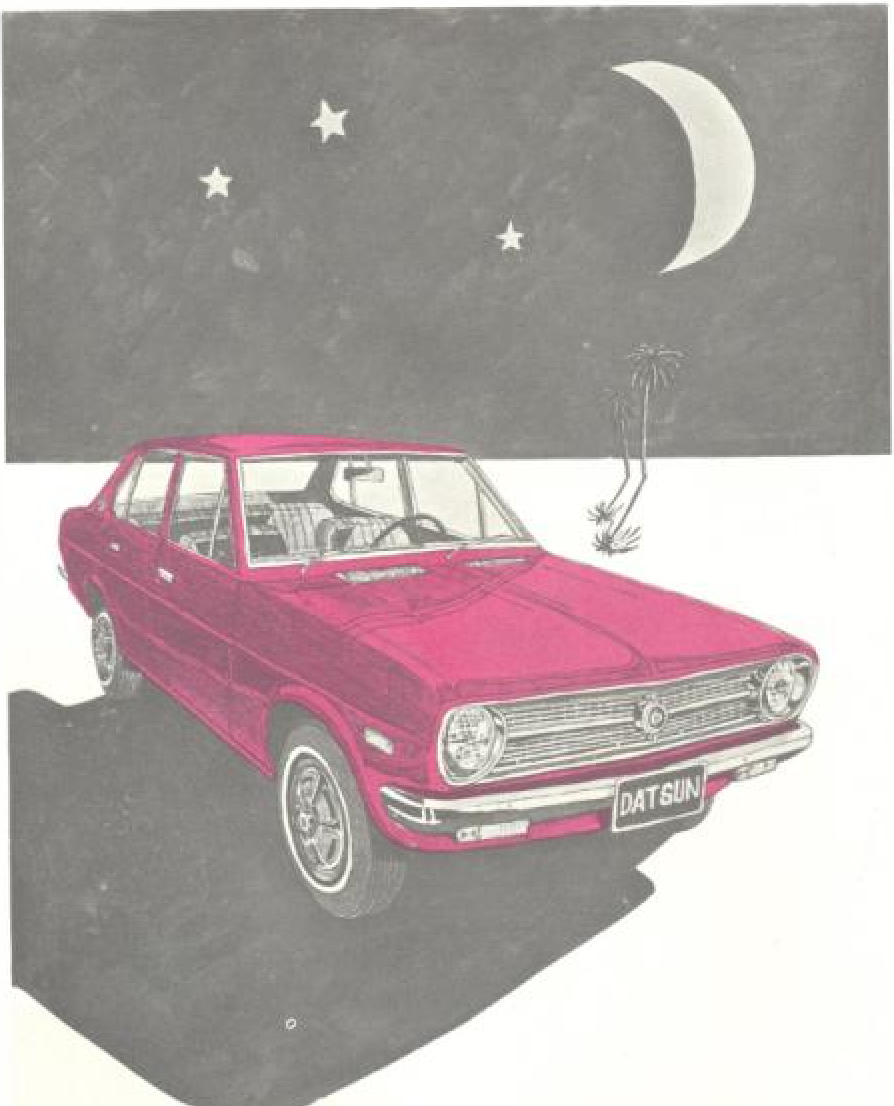
british hovercraft corporation

EAST COWES · ISLE OF WIGHT · ENGLAND

المركبات الطراز "الحقيقية" طراز "بي اتش سي" تستخدم حاليا مع قوات الدفاع في ايران وبريطانيا والولايات المتحدة الامريكية وايطاليا وبروني. وهنالك مركبات حوامة أخرى تنتج في الوقت الحالي للقوات الدفاعية للمملكة العربية السعودية وايران.

المركبات العسكرية الحوامة طراز "إس آر. إن-٦" و "بي اتش ٧" تنتج الآن بالجملة بمصانع شركة برتيش هوفركرافت كوربوريشن وقد فتحت امكانياتها الجوية الكبيرة أفقا جديدة واسعة في ميدان الدفاع نظرا لقدرتها الهجومية وامكانياتها في النقل وعمليات الاستكشاف ونقل الجنود والعتاد الحربي على المياه الساحلية الضحلة التي يصعب اجتيازها بواسطة وسائل النقل الأخرى.

التجارة العربية الانكليزية



انتهى اليوم ، وغداً هو يوم آخر

NISSAN MOTOR CO., LTD.

DATSUN


PIAGET
ساعات
بياجيت
PIAGET
نزار يوسف بهبهاني

HITACHI
هيتاشي



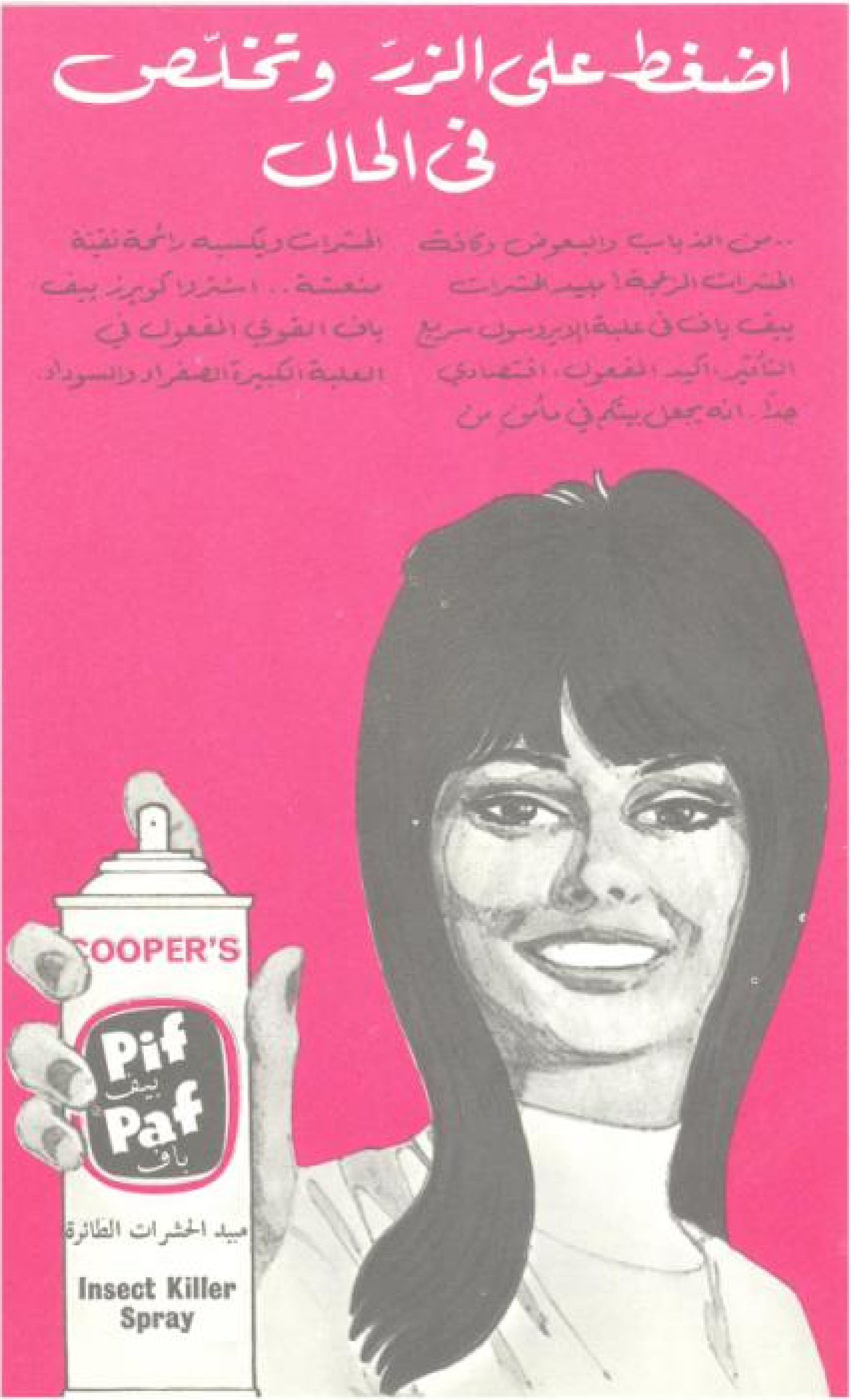
KCT-1250S

ليست هي
بفنانة محترفة
ومع ذلك
فإنها تسجل اغنية بصوتها



على مسجلتها هيتاشي موديل KCT-1250S
مسجلة كاسيت ذات الجودة الرفيعة .
وصديقها ايضا اذا أراد ان يستمع الى
الفنانين المحترفين لا يستعمل غير
مسجلة هيتاشي KCT-1250S
التي هي في الوقت ذاته جهاز راديو
بموجة اف ام وموجة متوسطة . فهو
في الواقع يستطيع ان يسجل عليها
من الراديو مباشرة .
وبامكانه استعمال هذا الجهاز KCT-1250S
في اي مكان يشاء .
لانه يعمل على البطارية
ويتميز بمظهر جميل خلاب
في كل مكان
ذلك لان صندوقه المصمم تصميمًا
عصريًا قد صنع من البلاستيك
الجوزي اللون .

موديل KCT-1250S
هو وحدة كاملة فذة للمحترفين
والهواة على حد
سواء .



اضغط على الزرّ وتخلّص
في الحال
..من الذباب والبعوض وكافة
الحشرات الزاحفة! مبيد الحشرات
بيف باف في علبة إيروسول سريع
التأثير، أكيد المفعول، اقتصادي
جداً. انه يجعل بيتكم في مأمن من
الحشرات ويكسبه رائحة نقية
منعشة.. اشتروا كوبرز بيف
باف القوي المفعول في
العلبة الكبيرة الصفراء والسوداء.
COOPER'S
Pif
بيف
Paf
باف
مبيد الحشرات الطائرة
Insect Killer
Spray

المال

احصل على فائدة مضمونة بإيداع أموالك لدى "لومبارد نورث سنترال" في حساب الادخار

ان حسابا للادخار لدى « لومبارد نورث سنترال » يؤمن فائدة حسنة ، مع ضمانة كاملة لراسمالك ، مما يؤدى لراحة بالك . ان الايداعات التى تخضع لطلب مسبق لسحبها قبل ستة اشهر تستفيد من ٦٪ فائدة سنويا . ويمكنك سحب حتى ١٠٠ جنيه استرلينى سنويا دون انذار مسبق . والفائدة تدفع كل ستة اشهر دون حسم اى ضريبة .

٦٪

الايداعات من ٥٠٠٠ جنيه استرلينى وما فوق ولمدد محددة يمكنها الحصول على فوائد اعلى .

ويمكنك الحصول على مزيد من المعلومات عند الطلب . ان فتح حساب هو البساطة بعينها . اكتب الآن الى مدير حسابات الودائع لطلب معلومات اوفر ونسخة عن « حساب الادخار » كتيب رقم ١٨٢ A O

Lombard North Central

LIMITED

Head Office: LOMBARD HOUSE, CURZON STREET, LONDON W1A 1EU, ENGLAND.
Tel: 01-499 4111.
City Office: 31 LOMBARD ST., LONDON EC3, ENGLAND
Tel: 01-623 4111.

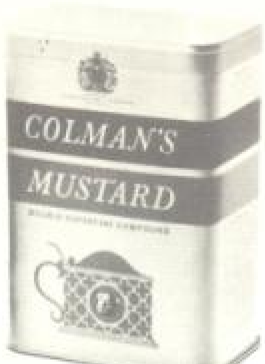
لومبارد نورث سنترال ليمتد عضو فى ناشونال وستمنستر بنك كروب الذى يزيد راسماله مع الاحتياطى على ٣٢٨٠٠٠،٠٠٠ جنيه استرلينى .

يجب ان يتوفر في كل منزل...



سافورا ـ ذو النكهة اللذيذة الفاتحة للشهية

سافورا هي أفضل المواد التي يمكن اضافتها إلى السلطة واللحوم والسمك والجبن وهي تزيد من لذة طعمها . . . وهي المادة ذات النكهة اللذيذة الفاتحة للشهية التي يحبها جميع أفراد العائلة . احفظوها دائماً في المطبخ .



خردل (مستردة) كولمان للاضافة إلى الطعام

وخردل (مستردة) كولمان هو أشهر أنواع الخرادل الانكليزية وهو يضفي نكهة لذيذة على اللحوم والسمك والجبن . كما يمكنكم اضافته إلى الصلصة العادية أو صلصة السلطة .

ستيرادنت لتنظيف وانعاش الاسنان الصناعية

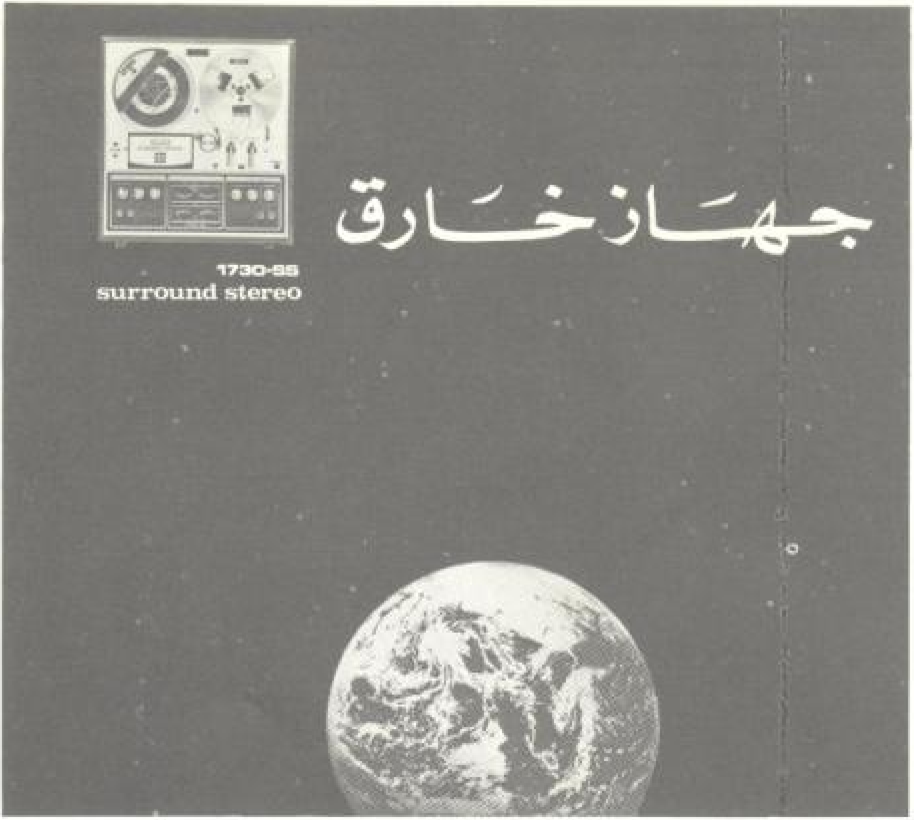
تحتاج الأسنان الصناعية إلى منظف خاص مثل (ستيرادنت) الذي يتوفر في شكل أقراص أو مسحوق (بودرة) . وهو ذو رغوة لطيفة المفعول . . . مفعول بنظف الأسنان الصناعية بفعالية عظيمة وأمن تام . وهو يزيل التلوثات الخفيفة في فترة تقل عن ١٠ دقائق . يجب أن تحتفظوا به في غرف الحمام واستعماله بصفة مستمرة .



ديتول ـ المطهر المثالي للمنازل

استعملوه للجروح وتكشطات الجلد وكمطهر منزلي بسيط . وهو متعدد الاستعمالات ويوصي باستعماله الأطباء في جميع انحاء العالم بفضل مفعول وقوة تطهيره . احتفظوا به في غرف الحمام .

خردل (مستردة) كولمان ، سافورا ، ديتول ، وستيرادنت من منتوجات شركة ريكت وكولمان



ان الاصوات التي يولدها مسجل آكاي SS-1730 ذو الاربع اقنية / القناتين ستريو هي حقاً اصوات عالم جديد ! انه يجعلك تستمتع بأبعاد جديدة للصوت وبواقعية اصدق . فالصوت يحيط بك من جميع الجهات بواسطة اربع مكبرات للصوت اثنان في الامام وآخران في الخلف . ان عالم الصوت الجديد هذا يعطيك " احساسا بالوجود " ... احساسا بأنك تحيا وسط حفلة حية .

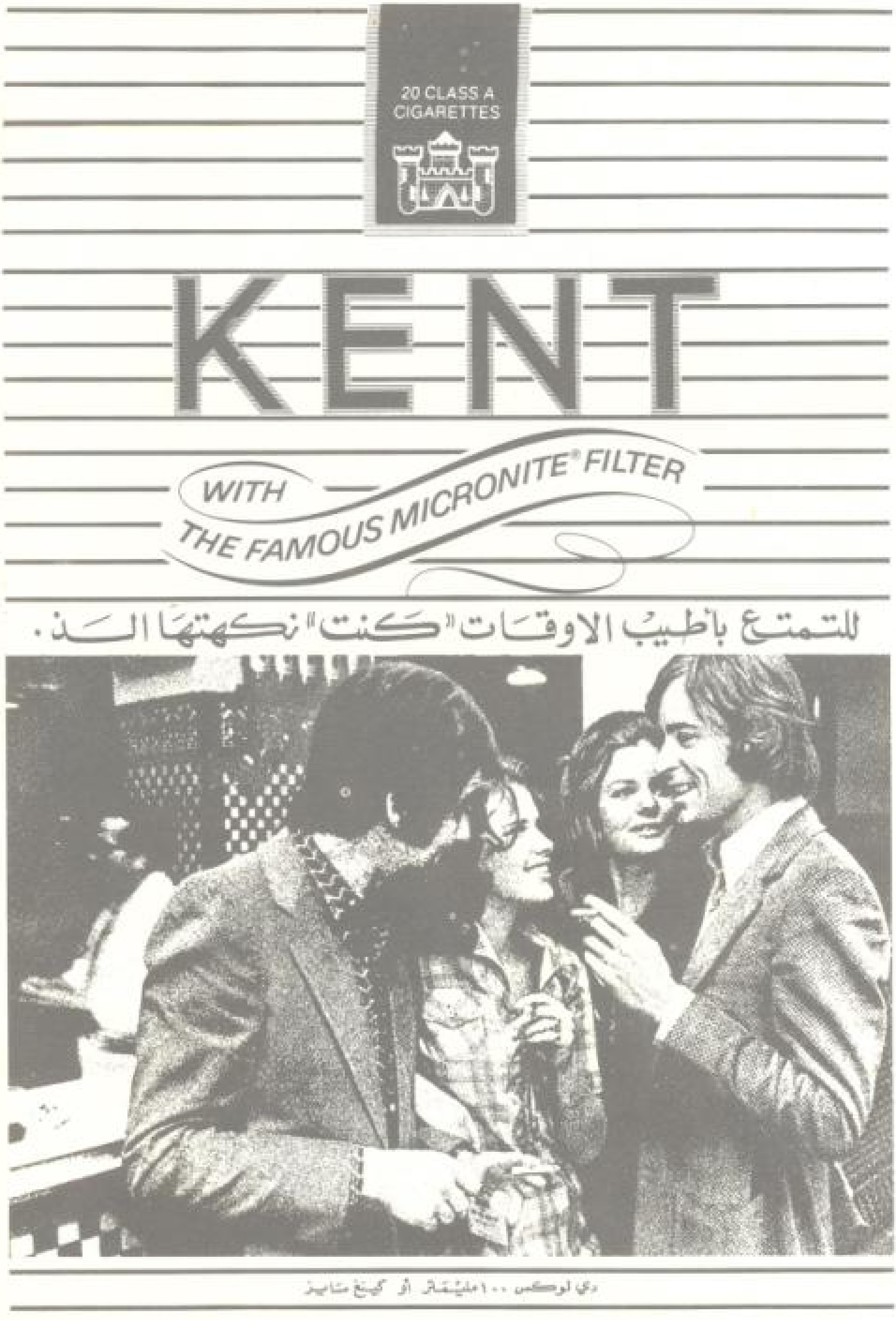
ان المسجل SS-1730 المجهز بمضخم ضمني ذو قناتين ومكبرين للصوت مصمم لاستعمالات متعددة . فبالاستطاعة استعماله طبعا كمسجل ستريو كامل ذي قناتين ولكن الشيء فيه هو امكانية استعماله كمسجل ستريو ذي اربع اقنية اذا أضفت مكبرين للصوت من صنع آكاي الى نظام التسجيل وتكبير الصوت الستريو ذي القناتين . فانتقل الى جهاز الستريو ذي الاربع اقنية واستمتع بأبعاد الاصوات المتعددة التي لايمكن لأي جهاز ذي قناتين ان يماثلها .

ولدينا ايضا جهاز التسجيل آكاي SS-1730 D ذو الاربع اقنية / القناتين ستريو .
وهذا الجهاز يتوافق تماما مع مضخم الصوت آكاي AA-6100 ذي الاربع اقنية .

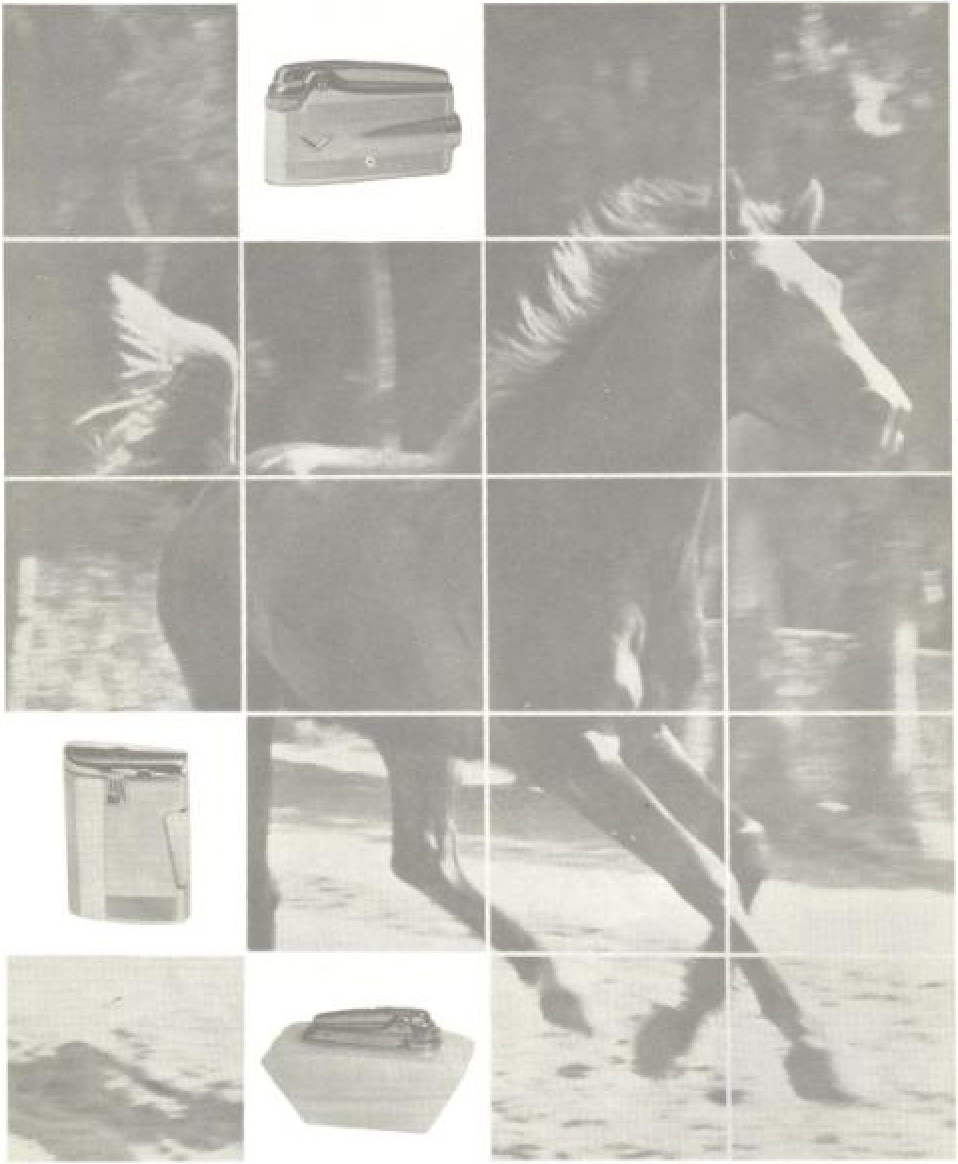
Audio & Video

AKAI®

AKAI, ELECTRIC CO., LTD.
Ohta-ku, Tokyo, Japan


20 CLASS A
CIGARETTES
KENT
WITH
THE FAMOUS MICRONITE® FILTER
للتمتع بأطيب الاوقات "كنت" نكهتها ألذ.
دي لوكس ١٠٠ مليمتر أو كينغ سايز

هدية اصيلة



امينة ، يُعتمد عليها ، ترافقك المسافات
الطوال والسنين العديدة .
أصالة هديتك تذكر اصدقاءك دومًا بأنه
يمكنهم الاعتماد عليك . ولاعة رونسون
الشيقة والامينة لا تخذلك ابدا .



تدم أكثر
من هدية
قدم
رونسون
RONSON



QR-4500

صانصوي يدعوك إلى عالم جديد شيّق
عالم الستيريو ذي الأربع أقنية

إذا كنت قد سمعت جهاز ستيريو «٤ أقنية» من صنع صانصوي ، فإنك ، ولاشك ، تقدّر التقدم الهائل في ميدان الصوت الستيريوفوني إن هذا التحول العجيب من ستيريو مسجل على قناتين ، كما هي الحال في الأسطوانات وأشرطة التسجيل إلى ستيريو «حي» أخاذ وكأنك في قاعة العزف ، أصبح ممكنا بفضل صانصوي . فسواء كنت تريد اقتناء جهاز ستيريو «٤ أقنية» جديد تماما ، أم كنت تود الإضافة إلى جهازك الحالي ليصبح ذا ٤ أقنية فستجد دائما القطعة المناسبة لهذا الغرض أو لذاك لدى صانصوي وبكلفة معقولة جدا .

راديو صانصوي QR 4500 ذو ٤ أقنية

يجمع في جهاز واحد جذاب مقويا للصوت Amplifier قوة ٢٤٠ واط وجهازا لاقطا فائق الحساسية AM/FM ستيريو ومدى الذبذبة يتراوح بين ٢٠ و ٣٠٠٠٠ هيرتز بينما نسبة التحريف دائما أقل من ٠,٥ بالمئة . إن الأزرار المزود بها هذا الجهاز تمكنك من انتقاء أحسن أداء موسيقي تريد ، تبعا لما تختاره من موسيقى . للحصول على جهاز ستيريو «٤ أقنية» مكتمل ، يكفيك اقتناء الجهاز QR 4500 وأربعة مكبرات للصوت .

صانصوي QR 6500 ذو ٤ أقنية . الفرق بينه وبين الـ QR 4500 هو قوة مقوي الصوت التي تبلغ ٢٨٠ واط

The Symbol of SANSUI 4-Channel Sound

Sansui

KUWAIT: **MORAD YOUSUF BEHBEHANI** P.O.B. 146, Kuwait - JORDAN: **JORDAN AUTO PARTS** P.O.B. 281, Amman - IRAN: **TEHERAN ELECTRIC CO., LTD.** Aluminium Bldg. Shah Av., Teheran - SOUTHERN YEMEN: **BHICAJEE COWASJEE LTD.** Steamer Point, Aden - BAHRAIN: **AMBASSADOR STORES** P.O.B. 237, Bahrain Is. - QATAR: **AHAMAD ALUTHMAN & BROS.** P.O.B. 218 Doha - TRUCIAL STATES: **VITHALDAS V. & SONS** P.O.B. 105, Dubai, P.O.B. 784 Abu Dhabi - MOROCCO: **MONACO** B.P. 34, R.C. Tanger No. 1214, Tanger - LEBANON: **KAMERA PHOTO-CINE** P.O.B. 2248, Beirut - SAUDI ARABIA: **AHMED ALI BADOCHAISH** P.O.B. 65 Alkhobar, P.O.B. 815 Jeddah, P.O.B. 238 Riyadh - LIBYA: **BROTHERS TRADING CO.** P.O.B. 733, Tripoli - MUSCAT-OMAN: **YAHYA MOHAMMAD NASIB & BROS** P.O.B. 22, Muscat - ANGOLA: **INTERTRONICA LDA.** C.P. 5079, Luanda - CANARY Is.: **R. HASSARAM** Calle La Naval 87, Las Palmas - CONGO: **J. L. F. VIEGAS, SUCC.** B.P. 413, Kinshasa - CYPRUS: **ELECTROACOUSTICSUPPLY CO., LTD.** P.O.B. 625 Limassol - ETHIOPIA: **ETHIOPIAN TOURIST ORGANIZATION** P.O.B. 5640, Addis Ababa - FRENCH SOMALILAND: **AU CHIC PARISIEN** P.O.B. 149 - Djibouti: **SOCIETE COMMERCIALE INTERNATIONALE** P.O.B. 600, Djibouti - IVORY COAST: **SOGIEXCI-S.A.** B.P. 20,806 Abidjan - KENYA: **ELITE PHOTOGRAPHIC (WHOLESALE)** P.O.B. 683, Nairobi LIBERIA: **RASAMNY BROTHERS CORPORATION** P.O.B. 104, Monrovia - MADEIRA: **JOAO A. F. COSTA MIRANDA** P.O.B. 266, Funchal MOZAMBIQUE: **A. IMPORTADORA, LTD.** P.O.B. 608 Beira - **SANSUI ELECTRIC CO., LTD.** 14-1, 2-chome, Izumi, Suginami-ku, Tokyo, Japan.



عندما تكون مصرفاً عالمياً سريع الحركة مثل تشيس فإن وسائل الاتصال التي تستخدمها ستكون حتماً حديثة جداً

يعتمد زبائننا على تلك الوسائل. ويعتمدون علينا لاستخدام أية وسيلة للحصول على المعلومات (حتى ولو اضطررنا لاستخدام علبة صفيح فارغة). وكذلك يعرف زبائننا أننا نحاول استباق كل ما يحدث في حقل التمويل العالمي. نفعل ذلك بواسطة الاخصائيين، كما نستعين بأحدث الحاسبات وأساليب التجهيز المعروفة، وهذه الإمكانات متوفرة لدينا في جميع أنحاء العالم. حدّد موعداً لمقابلة الموظف المختص في تشيس. تشيس... هو المصرف الذي يحرك الأحداث ولا تنس أن لك صديقاً في

بنك تشيس منهاتن

THE CHASE MANHATTAN BANK

NATIONAL ASSOCIATION

المقر الرئيسي : 1 Chase Manhattan Plaza, N.Y., N.Y. 10015, U.S.A. –

فرع بيروت ومكتب الممثل في الشرق الأوسط وشمال افريقيا : شارع رياض الصلح ، ص. ب. ٣٦٨٤ ، بيروت - لبنان. الهاتف : ٢٥١٥٨٠

بنك مشترك في دبي والخليج العربي : بنك دبي التجاري المحدود ، ص. ب. ١٧٠٩ ، دبي

فرع البحرين ص. ب. ٣٦٨ (الافتتاح ديسمبر ١٩٧٦)


RADO
RADO
NCC 101
1 MON 15
دياستر
٨
رادو
نموذجان
فريدان
انتصاران
عالميان
رادو
الساعة الوحيدة في العالم
الغير قابلة للخدش
UNIVERSE KUWAIT
أينما كنتم : اطلبوها من الوكيل المعتمد

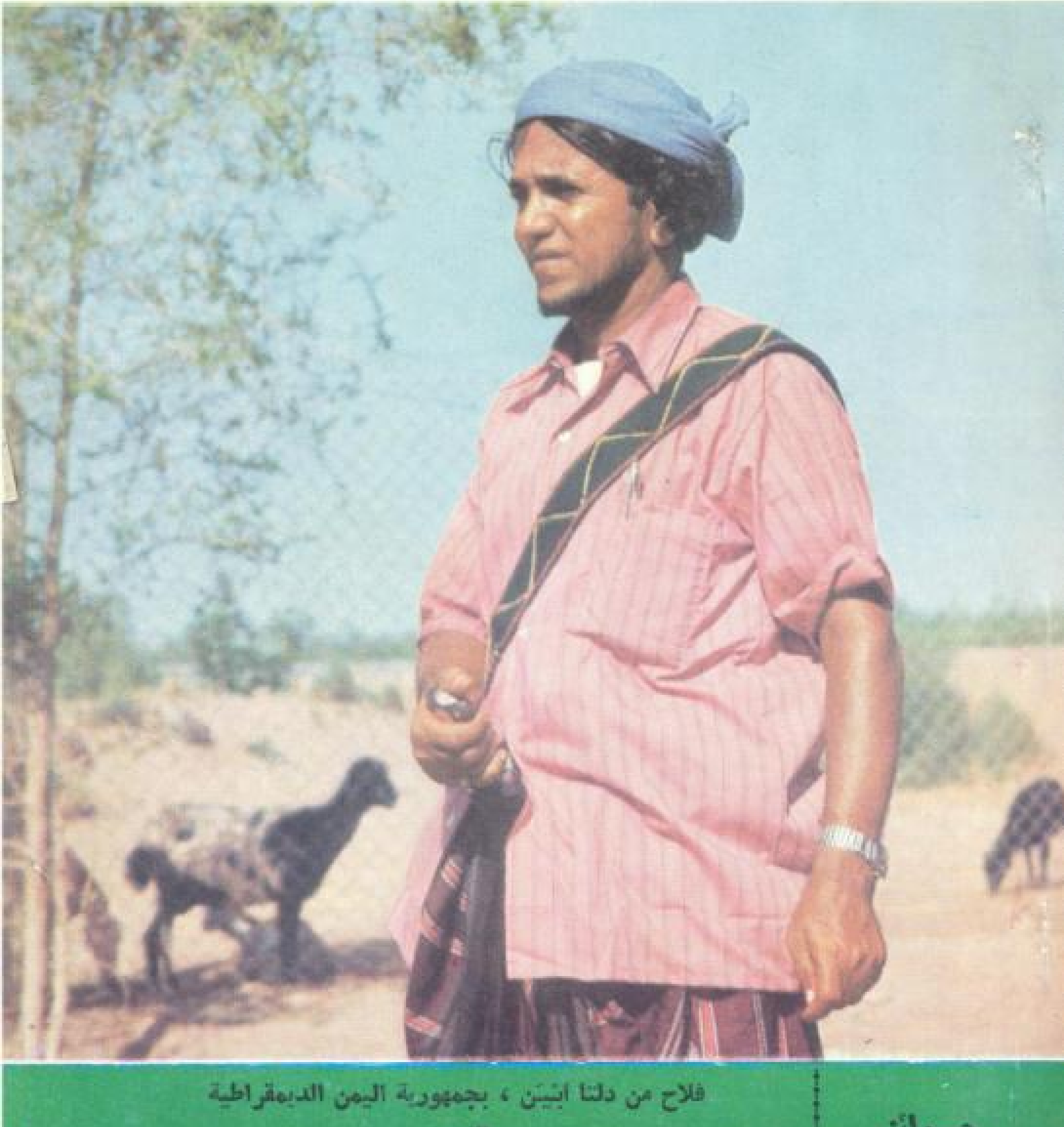

مارلبورو
رمز الجودة
FILTER CIGARETTES
Marlboro
Marlboro
Marlboro
20 CLASS A CIGARETTES
Marlboro
SELECTED
FINE TOBACCOS
Soft Pack or Flip Top Box.
أفخر سجاير كنج سايز فيلتر
AMERICA'S FINEST FILTER
A quality product of Philip Morris Inc. Richmond, Va., USA



هذا الجهاز المحكم
مشحون بالمميزات الديلوكس ولا يزال
صغير الحجم بشكل لا يصدق
ثلاثة مصادر مختلفة للطاقة
التيار العادي، بطاريات الاضاءة العادية أو بطارية كادنيكا "اختياريا" حيث يمكن إعادة شحنها مئات المرات.
مقياس الشريط
مراقبة التنغيم
مراقبة الصوت
AUTO STOP
التوقف الآلي
اذهبوا إلى النوم أثناء استماعكم إليه، فالجهاز يتوقف تلقائيا لوقاية النظام الآلي والشريط وانتم من الاجهاد.
عداد مراقبة البطارية
SANYO
في الداخل راديو بموجتين
موديل MR-4141F راديو AM/FM
موديل MR-4141W راديو MW/SW
ميكروفون نابض
اضغطوا على زر صغير ليندفع الميكروفون المكثف بقوة بصورة كافية لاتاحة التسجيل بأسهل طريقة ممكنة
القياسات: ١٠¼" (عرض) ٢¹¹/١٦" (عمق) ٥¼" (ارتفاع)
الوزن: ٤,٣ ليبرا.
SANYO
سانيو
Sanyo Electric Trading Co., Ltd.

العربي

العدد ١٦٢
ربيع الاول ١٣٩٢
مايو
(أيار) ١٩٧٢



فلاح من دلتا ابيَن ، بجمهورية اليمن الديمقراطية

جوائز ١٢٠٠ دينار سنويا

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢ دينار
اليمن	٢٫٥ ريال	ج.م.ع.	١٠ قروش	المغرب	٢ درهم



من روائع الفن الإسلامى

● احدى صور مقامات الحريرى ، وهي موجودة حاليا في المكتبة الوطنية بباريس . وتعتبر هذه الصورة الملونة في طليعة صور المقامات اتقانا ، سواء ذلك من حيث تصوير الانسان فيها او الحيوان .

(انظر صفحة ١٥٠)

عزيزي القارئ

● هذا أول الشهر الخامس ، شهر أيار ، الشهر الذى قال فيه ابن الرومي :

تشتاق أيّارَ نفوسُ الورى   وانما الشوق الى ورده

وهو شهر الربيع الأوسط ، فصل الحياة والبهجة ، وفصل ميلاد كل جديد .

فهو فى حكم الطبيعة شهر فرح ، وسرور بالحاضر ، وشهر أمل فى المستقبل .

ولكنك تنظر وجوه الناس فتجد عليها غمامة قاتمة هى بشهر البرد والثلوج ، شهر الشتاء ، أجدر .

والحق ان الناس تعيش دائما فى جوين متزامنين ، جو مصدره الأرض والسماء ، وجو مصدره قلوب الناس .

وان يكن جو اليوم الحاضر خضرة وزهرا ، وعطرا من الزهر يفوح ، فجو القلوب معتم ممطر كله رعد وبرق .

وان يكن جو الأرض والسماء جو مطبوع ، فجو القلوب جو مصنوع ، صنعته الصحف اليومية ، والاذاعات الاخبارية . وصنعه الذين يصنعون الأخبار ، وهدفهم سياسي ، ولو أنهم راعوا أثر ذلك كله فى أنفس الناس ، وأشفقوا ، ورحموا ، لما ملأ القلوب كل هذا الاعتام ، والظلام .

واني لاقترح ، وهذا فصل الاجازات ، ان يأخذ الناس اجازاتهم ، شهرا او شهرين ، من قراءة الأخبار فى صحف ، والاستماع اليها فى اذاعة او تلفاز . وان يعيشوا الحياة صافية كما خلقها وأرادها الله . ومن بعد اجازة يعودون الى استماع بآذان أوسع ، وعقول أفهم ، وأجسام أصح ، ومع صحة الأجسام وصفاء العقول آمال أوسع .

المحرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 162 May 1972 P. O. Box 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ــ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ــ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



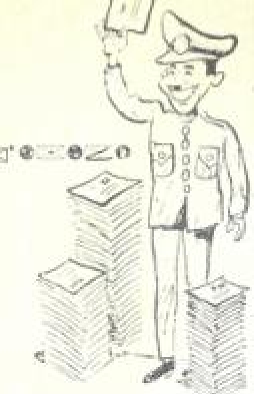
صورة الغلاف

● تنقلك « العربي » في هذا العدد الى دلتا ابْيَن .. قطعة من ارضنا الطيبة المجهولة في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .. انها دلتا كبيرة مساحتها ١٢٠ الف فدان ، تمتد بين واديين تندفع فيهما السيول . ويعيش فلاح « ابْيَن » حياة صعبة يكافح فيها المصائب التي تراكمت عليه نتيجة الاهمال والاستعمار والحروب الاهلية .

(انظر الاستطلاع ابتداء من صفحة ١٠٨)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطري ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج.م.ع ١٠ قروش، تونس ٢٠٠ مليم، الجزائر ٢ دينار جزائري، المغرب ٢ درهم، اليمن ٥ر٢ ريال، ليبيا ١٥٠ درهما، جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس.

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



بريد القراء

جائزة تبحث عن صاحبتها

● ترجو مجلة العربي من الآنسة نجوى محمد احمد زبارة ، التي فازت بجائزة في مسابقة العدد ١٥٧ ، أن ترسل لنا عنوانها الصحيح كي نتمكن من ارسال الجائزة اليها . « العربي »

الاقلام الناشئة

● ايمانا بفضلكم على شبابنا توجيها وتثقيفا ،وثباتكم على مبدأ ارتضيتموه لبناء جيل همه اقتناص الوان العلم والمعرفة والثقافة من كافةمصادرها والوانها قديمها وحديثها لا يسعنى الا ان اعبر لكم عن شكرى وتقديرى وليسمح لىسيادتكم ، وان كان في ذلك تجاوز منى ، أن اعتب عليكم في عدم اتاحة الفرصة لناشئة العرب فيالمشاركة تحت ارشادكم وحسن رعايتكم في بحوث ومقالات مجلتكم التى لن ابالغ اذا وصفتها بانهامجلة شبابنا بل وشيوخنا الاولى .

عبد الله فراج الشريف ــ الطائف

العربي : ذكرتم الاقلام الناشئة ، والاقلامالناشئة أنواع كثيرة منها الضعيف ومنها القوى ، ومنها المازح ، ومنها الجدى ، ومنها المتناسق فيمعانيه وغير المتناسق ، فهل أنت ترى أنه يكفى فقط للنشر في العربى أن يكون القلم ناشئا ، ليران حقوق القراء وهم يبلغون في الشهر نحو نصف مليون ، أولئك الذين من حقوقهم علينا أننا لانقدم لهم الا المقال النافع المفيد ، وبذلك لا نكون سببا في اضاعة أوقاتهم في غير الناضج من الكلام . حقوق القراء يجب الا تنسى .

وحدة الخلق

● ارجو ان تتكرموا وتبلغونا بموعد صدور كتاب « وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه » ، وبثمنه ايضا ، ولكم منا جزيل الشكر .

صباح سلمان داود
بغداد/العراق .

العربي : وحدة الخلق تنشر الآنتباعا فيالعربي، وعندما تتم ، نرجو ان تجمع في كتاب أسوة بكتاب « في سبيل موسوعة علمية »

الطريق الى عالم أفضل

● في كل مرة يطلع علينا العربى ، بموضوع علمي جديد ، نحس بعد قراءته أننا استكشفنا أغوارا مجهولة . زيدونا بالله عليكم من العلم واخباره ، ومن دراسات العلماء وابحاثهم . فالعلم هو المستقبل ، وهو الطريق الى عالم افضل وحياة ارقى واعظم .

عبد الرحمن محمد بن سلم
مكة ــ السعودية

السد العالى ، وطمى النيل

● اطلعت على مجلة العربي العدد ١٥٩ اول فبراير ١٩٧٢ وقد اطلعت على العربي الصغير فوجدت كلمة عن سد اسوان العالي رمز النهضة الاقتصادية الحديثة .

وبهذه المناسبة ، اذكر انى قرأت في جريدة الاهرام المصرية بتاريخ ١٩٧١/١٠/١٧ مقالا بعنوان « طمى النيل المحجوز امام السد » تناول الموضوع تجارب مثيرة لحل المشاكل الحيوية العاجلة والمنتظرة على المدى الطويل بسبب اندفاع النيل بلا طمى وسط الاراضى المصرية حتى لا يجىء يوم يصعب فيه رى الاراضى الزراعية وتتعرض فيه اساسات القناطر القامة على النيل للخطر ويزحف البحر الى دكرنس وتضيع رأس البر وتتحول رشيد الى مدينة عائمة مثل البندقية .

ارجو ان توضحوا لنا هذه المشكلة وشكرا .

حسين علي حسن

العربي : لعلنا نعرض هذا الموضوع على اهل الذكر ونفيدكم بما يرون فيه .

عبد الملك بن مروان
وقبة الصخرة

● ذكرتم تحت احدى صور استطلاع بيت المقدس (العدد ١٦٠) وعلى الصفحة ٥٣ أن الخليفة عبد الملك بن مروان انما بنى مسجد الصخرة ليكون كعبة ثانية يحج اليها المسلمون ويطوفون حولها على نحو ما يفعلون في مكة، عند أداء فريضة الحج .

ولقد عجبت من ذلك حيث ان الكاتب لم يشر الى المصدر الذى نقل عنه هذا الكلام . نرجو أن تذكروا لنا ذلك المصدر لكي نتحقق من صحة ذلك.

محمد نبهان الخباز ـ حماة .

العربي : بيت المقدس له عند المسلمين قداسة عريقة ، تجد تفصيلها في اكثر مراجع التاريخ الاسلامي .

أما ان عبد الملك بن مروان بنى مسجد الصخرة ودعا اهل الشام الى الاكتفاء بزيارتها عن الحج فقول ردده الكثيرون من مؤرخي العرب المسلمين . قال اليعقوبي في تاريخه المعروف (الصفحة ٢٦١ من المجلد الثاني طبعة دار صادر بيروت) .

« ومنع عبد الملك اهل الشام من الحج ، وذلك ان ابن الزبير كان يأخذهم ، اذا حجوا ، بالبيعة ، فلما رأى عبد الملك ذلك منعهم من الخروج الى مكة ، فضج الناس ، وقالوا ، تمنعنا من حج بيت الله الحرام ، وهو فرض من الله علينا ! فقال لهم : هذا ابن شهاب الزهرى يحدثكم أن رسول الله قال :

لا تشدّ الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى ، ومسجد بيت المقدس ، وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام ، وهذه الصخرة التي يروى ان رسول الله وضع قدمه عليها ، لما صعد الى السماء ، تقوم لكم مقام الكعبة ؛ فبنى على الصخرة قبة ، وعلق عليها ستور الديباج ، واقام لها سدنة ، واخذ الناسَ بان يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة ، واقام بذلك ايام بنى أمية . »

وقال ابو الفداء في كتابه تقويم البلدان (طبعة باريس الصفحة ٢٢٧) :

« قال الحسن بن احمد المهلبي في كتابه المسمى بالعزيزى : ان الوليد بن عبد الملك لما بنى القبة على الصخرة ببيت المقدس بنى ايضا هنالك عدة قباب وسمى كل واحدة باسم ، منها قبة المعراج ، وقبة الميزان ، وقبة السلسلة ، وقبة المحشر . قال وانما فعل ذلك ليعظم موقع القدس في نفوس اهل الشام وينتهوا به عن الحج الى بيت الله الحرام . قال فانه كان يكره مسير الناس الى الحجاز » .

ويظهر من ذلك ان ما صنعه عبد الملك بن مروان انما صنعه بدافع السياسة لا بقصد التغيير في الدين .

اما ما ذكره المؤرخون الافرنج من ذلك فهم انما اخذوه عن مؤرخي العرب .

● ● ●

تصويبات

● ورد خطا طباعى في مقال الدكتور مصطفى الصاوى الجوينى في العدد (١٥٩) في الصفحة (٤٥) .. حيث ذكر ان الجاحظ توفي سنة (٢٢٥ هـ) والصحيح انه توفي سنة (٢٥٥ هـ) في خلافة المعتز ، وقد ورد ذلك في غير كتاب ، ومنها معجم الأدباء لياقوت الحموى رحمه الله .

بكر على ذياب ـ معهد بلجرشي
العلمى ـ المملكة العربية السعودية

تاريخ فتح القسطنطينية

● جاء في عدد مجلتكم العربى رقم ١٦٠ في الاجابة على حلول مسابقة العدد ١٥٨ أن الاتراك فتحوا القسطنطينية في سنة ١٤٥٢ والصحيح كما جاء في كتب التاريخ أن فتح القسطنطينية تم في ٢٩ مايو سنة ١٤٥٣م فارجو ملاحظة ذلك .

جليل احمد الحليبى
مدرسة الحورة الثانوية للبنين
المنامة ـ دولة البحرين

حديث الشهر

الجامعات في الأمم المتخلفة

بقلم رئيس التحرير

■ ونبدأ بالتعريف .

اما الجامعات فمعاهد التعليم التي تاتي بعد التعليم الثانوى .

واما الأمم المتخلفة فهي الأمم التي لم تحظ بعد من حضارة العصر الحاضر بنصيب مذكور وافر ، واغلب هذه الأمم كانت مغلوبة على أمرها ثم استقلت ، او كانت على استقلال ظاهراً ، مغلوبةً على امرها باطناً . او كانت على استقلال ، الاستعمار أخف منه وطأة .

والحرب العالمية الثانية ، هذه الماضية التي انتهت في عام ١٩٤٥ ، هي التي مهدت على غير انتظار الى تحرير كثير من الأمم .

والناظر الى أمم الأرض اليوم يستبين انها انقسمت الى ثلاث فرق ، فالولايات المتحدة وأمم الغرب الضالعون معها ،

- الجامعات كانت من أوّلِ حاجات الاستقلالِ فى الأمم المتخلّفة.
- قِلّة فى الأساتذة شديدة، مع زيادة فى عَدَدِ الطلبة عارمة.
- مُدرِّسو الجامعات فى فَقْرٍ، وَسُوءِ عَيْش.
- لُغَة التَّعليم عَقَبَة كُبْرى.
- إنشاء الجامعات الوطنية، أم الاكتفاء بالبعثات إلى الجامعات الأجنبية.
- الطلبة والرُّوح الجامعيّة.
- بين الجامعات، والحكومات، فى الأُمَمِ المتخلّفة.
- حُرِّيّة الجامعات تحميها الشعوب.

وروسيا وأهل الشرق من أوروبا الضالعون معها، ثم تلك الأمم الحديثة الاستقلال التى خشيت أن تتبع فوقفت على الحياد، وأسماها من أسمى بالدنيا الثالثة.

وشمل معنى الدنيا الثالثة التخلف الحضارى أساسا.

وشملت الدنيا الثالثة آسيا باستثناء اليابان، وباستثناء جهود بذلتها الصين للخروج من التخلف، وشملت الدنيا الثالثة كل افريقيا باستثناء دولة جنوب افريقيا، وكانت موطن الاستعمار الأكبر فى العالم، وشملت الدنيا الثالثة كذلك أكثر دول أمريكا الجنوبية.

استقلال غير منتظر

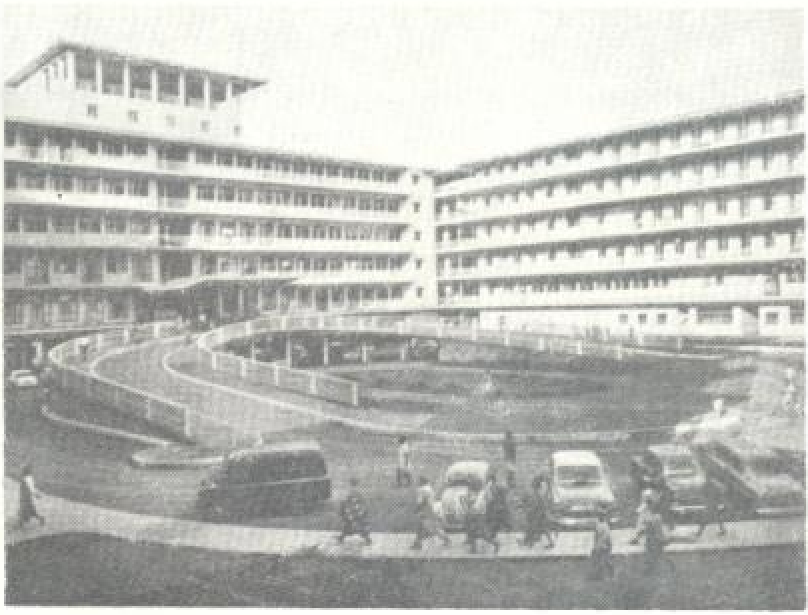
والحق أن الاستقلال الذى جاء الكثير من الأمم بعد الحرب العالمية الثانية

جاء بغتة . فهو باغت مستعمرا ، وباغت مستعمرًا على حد سواء . والدولة المستعمرة الحاكمة لم يدر فى خاطرها انها سوف تترك البلاد التى تستعمر على مثل هذه الفجاءة ، فكل عمل كانت تقوم به فى الدولة المستعمرة كان يوحى بأن الاستعمار باق الى الأبد . فلما خرج المستعمر ، وخرج رجاله ، انكشفت البلاد ، بمعنى أنه لم يكن بين ابنائها من أعدهم المستعمر ليوم كهذا ، ليوم يقومون فيه بتقلد الحكم فى البلاد . لا بتقلد مناصب الشرطة والجيش وحدها ، ولكن بتقلد كل المناصب الأخرى المدنية التى تجرى المرافق وتسهل سبل العيش للمواطنين .

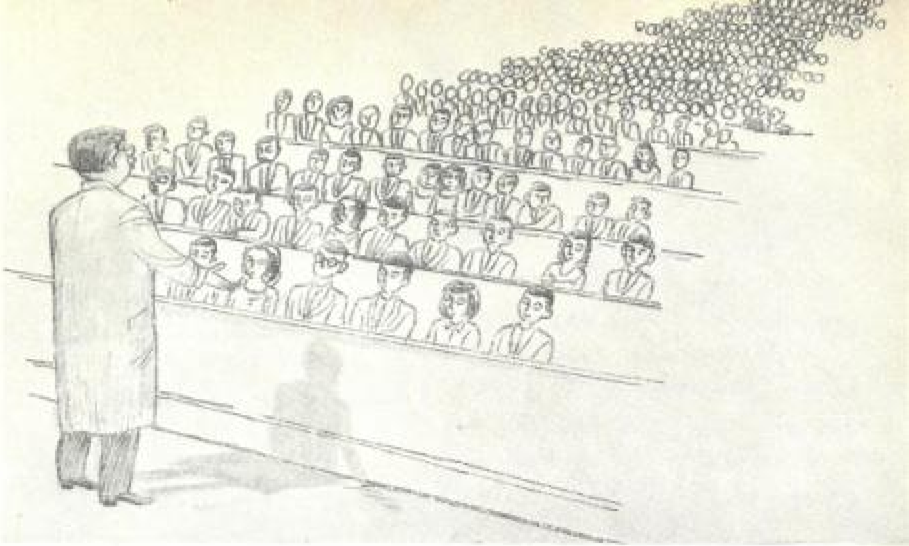
الجامعات كانت أول حاجات الاستقلال

من اجل هذا كانت الجامعات من اول حاجات الاستقلال . انها تخرج الفئة المثقفة المختارة التى تدير رحى العيش فى الدولة الجديدة . فى ادارة . فى شرطة . فى دفاع . فى صحة ومرض . فى زراعة وطعام . فى تربية حيوان . فى بناء منازل وجسور ، فى استغلال ثروة ارض وماء . فى تعليم بنين وبنات . فى خبرة فن ، وخبرة مال واسواق . فى خبرة محاماة وقضاء . الف حاجة من حاجات العيش وحاجة .

ودول من الدول المتخلفة بدأت تبنى استقلالها ببناء اول حجر فى جامعة .



مستشفى طبى للتعليم يتبع الكلية الجامعية في مدينة ابدان بنيجيريا ، وهو اكبر واحدث مستشفى في افريقيا الغربية ومن احسنها في العالم تكلف ٥ر٤ مليون جنيه انجليزى ، وبه ٥١٠ من الاسرة ، ومنه يتخرج في العام ٥٠ طبيبا مؤهلا و ٨٠ ممرضة وحكيمة .



هكذا صار الامر في الجامعات المتخلفة، نقص في الاساتذة ، وكثرة من الطلاب ، وتساهل في شروط دخول الجامعة .

★ ★ ★

ولكن الكثير منها ، تحت الاستعمار ،كان حظى ، فى السنوات القليلة الأخيرة فقط، ببناء جامعات ، أقامها المستعمر تحت ضغط الظروف . فى افريقيا وفى الملاى : فى كمبالا ، ونيروبى ، وليوبولدفيل ، وداكار ، وفرى تون ، وليجون ،وابدان، وسنجابور ، وكوالالمبور .

وحرص المستعمر احتفاظا بسمعة بلاده العلمية أن يهيىء لهذه الجامعات الأساتذة القديرين . وعمل على ان يصل الكثير من هذه الجامعات بجامعات شهيرة ببلاده تقوم بالوصاية على الجامعة بالمستعمرة ، لا سيما فى الرقابة على الداخلين فى الجامعة من طلبة الثانويات الوطنية . كانت تتشدد فى شروط الدخول . واذن تخرج من هذه الجامعات العدد القليل ، ولكن بدرجات فى الاحسان مبتغاة .

وجامعات أخرى أذنت لكل من هب ودب بالدخول فساءت العقبى .



دول الغرب تعانى من قلة المدرسين الجامعيين لاتساع قائم في التعليم الجامعى في هذه الدول .

قلة فى الأساتذة شديدة
مع زيادة فى عدد الطلبة عارمة

ومع استقلال هذه البلاد زاد عدد الطلبة المنتظمين فى الجامعات زيادة عارمة. ولنضرب مثلا لذلك جامعة الهند ، فقد كانت تضم فى عام ١٩٣٩ ، عام اندلاع الحرب العالمية الثانية ، من الطلبة ١٥٠٠٠٠ ، فاذا بها تضم فى عام ١٩٦٤ من الطلبة ١٢٥٠٠٠٠ .

هذه الزيادة فى الطلبة لم يكن من الميسور ملاحقتها باعداد المدرسين الجامعيين لها .

وقد يقال لم لا تستورد هذه الجامعات، من آسيوية وافريقية وغيرها، من المدرسين الجامعيين الأجانب ما تستورد .

والجواب على ذلك أن دول الغرب ، من الولايات المتحدة ، الى بريطانيا ، الى فرنسا ، الى المانيا ، كلهم يعانون ، من قلة المدرسين الجامعيين لاتساع قائم فى التعليم الجامعى فى هذه البلاد . وحتى لو وجد فى هؤلاء المدرسين الغربيين فضل يستطيع الوفاء بهذا النقص فى الدول المتخلفة ، فان هذه الدول المتخلفة لا يروق لها اليوم ان تاتى باجانب يقومون بالتدريس فى جامعاتها . ذلك لأن الأجانب يمثلون عندهم اليوم سادة الأمس .

مدرسو الجامعات
فى فقر ، وسوء عيش

يقول الأستاذ ادوارد شلز ، استاذ علم الاجتماع بجامعة شيكاجو ، والزميل بجامعة كمبردج ، وعنه انقل ، يقول :

استاذ جامعة نهارا ، ويفرغ من عمله فيصبح طاهيا ليلا ، ان الاستاذ له معدة كسائر الناس لا بد ان تملأ





هكذا تكون مكاتب الجامعات ، هدوءا ورحابة .

ان التعليم الجامعى ، فى البلاد المتخلفة حيث الطلبة فى الجامعات حشود كبيرة ، يقوم به على الغالب الأغلب مدرسون أو أساتذة من أهل البلاد . ويهبط بمستوى هذا التعليم هذه الحشود الحاشدة من الطلبة كما يهبط به صفر الأجور التى يحصل عليها هؤلاء المدرسون.

ففى أندونيسيا نرى الكثير من مدرسى الجامعات يعملون فى أكثر من جامعة ليحصلوا على الرزق الذى يكفى لحياتهم . أو هم يمارسون العمل فى هيئة تجارية أو مهنية خارج الجامعة .

وفى جامعات امريكا الجنوبية لا يشتغل أساتذتها فيها الا بعض الوقت ، أما عملهم الأصلى ، ومنه يأتى أكثر ريعهم، ففى أعمال توجد فى القطاع الخاص .

وفى الهند نجد أكثر المدرسين فى التعليم العالى يقومون بتدريس عدة ساعات فى الاسبوع بأجر ، وكثير منهم يزيد هذا الأجر بكتابة مذكرات للطلبة .

كل هذه الأمور ، بما يتصل بهيئات التدريس ، وما يتصل بالطلبة ، وما هم فيه من سوء حال، لا تؤدى أبدا الى درجة من العلم والتثقيف محمودة .

والمكتبات فى الجامعة مزدحمة ، وكذا المختبرات . وقليل ما بقى ليدفع الطالب ويحفزه على العمل للنجاح . وبالطبع فى ظروف كهذه لا يرجى لقاء أستاذ بطالب .

ولغة التعليم
عقبة كبرى

والتعليم فى كل من افريقيا وآسيا انما يجرى باحدى اللغتين ، الانجليزية

او الفرنسية . والظاهر انه لم تقم الى اليوم معارضة فى هذا الأمر .

ولاستخدام اللغة الاوروبية فى التعليم العالى فوائده ومضاره .

اما المضار ، فان الطلبة لا يبلغون فى تعلم اللغة الاوروبية ، فى اول امرهم ، المبلغ الذى يسهل لهم قراءة كتب العلوم والآداب على اتساعها ، فهم يفهمون مادة الكتب الدراسية نصف فهم . والمحاضرات يستمع لها الطالب ، وهى تلقى باللغة الأجنبية ، فيلتقط مما يقول المدرس قليلا ، ويفوته الكثير .

اما فوائد اللغة الأجنبية فى التعليم الجامعى ، فمنها انها لغة العلم الحاضر ، والأدب الحاضر ، ولغة الفن ، ولغة الحضارة الحاضرة عامة . فالذى يتقن هذه اللغة تنفتح له ابواب العلوم والحضارة جميعا . ثم بعد الفراغ من دراسة ما دون الدرجة الجامعية الاولى ، والترحل الى البحوث العلمية ، يجد الطالب مصادر هذه البحوث ، مجاميع هائلة باللغات الحضارية الحاضرة ، وليس فيها ما هو مكتوب بلغة قومية آسيوية او افريقية .

واللغة القومية ، تدرس بها العلوم والآداب والفنون ، لها فوائد ظاهرة . منها ان الطالب يفهم كل الفهم ما يقرأ ، فتكون الدراسة بها أيسر ، وايسر كثيرا . ولكن تتعسر عليه الأمور فيما بعد الدرجة اذا هو دخل نطاق البحوث . انه عندئذ يجد خزائن العلم مليئة بسجلات العلم ، ولكنها تبقى فى نظره كالخزائن المغلقة التى ضاعت منه مفاتيحها .

ومن مؤيدى اللغة القومية فى الدراسات الجامعية من يقول ان فى استطاعة اى دولة أن تترجم أصول العلوم الجامعية ، وتهديها للطلاب . ويرد المعارضون لهذا الأمر بأن كتب ما قبل الدرجة الجامعية ، يمكن ترجمتها . ولكن ، بينا يجد الطالب فى لغته القومية كتابا واحدا ، يجد فى اللغات الاوروبية عشرات الكتب ومئاتها فى العلم الواحد ، وفيها من اختلاف المناهج ما يرضي العقل الحر المتفتح . اما من حيث خزائن العلم المتراكم على السنين والقرون ، فلا سبيل بالطبع الى ترجمتها .

على ان الروح القومية هى اليوم الغالبة . فالحكومة الهندية اتخذت قرارا فى عام ١٩٦٥ بأن تكون اللغة الهندية هى اللغة الرسمية للحكومة . وغلبت الروح القومية كذلك فى اندونيسيا ، وفى برما ، ولا بد من استطلاع هذه البلاد لمعرفة مقدار النجاح الذى احرزته الجامعات هناك ، أو مقدار الفشل .

وأراح الله افريقية . فمواطنوها ، على كثرة أوطانهم ، ليس توجد بينهم لغة افريقية واحدة ، سوى اللغة السواحلية ، ينطق بها من السكان العدد الكافى الذى يميزها فتكون لغة العلم والآداب فى افريقية . ولكن بتغليب هذه اللغة على سائر اللغات تنشأ الخصومات .

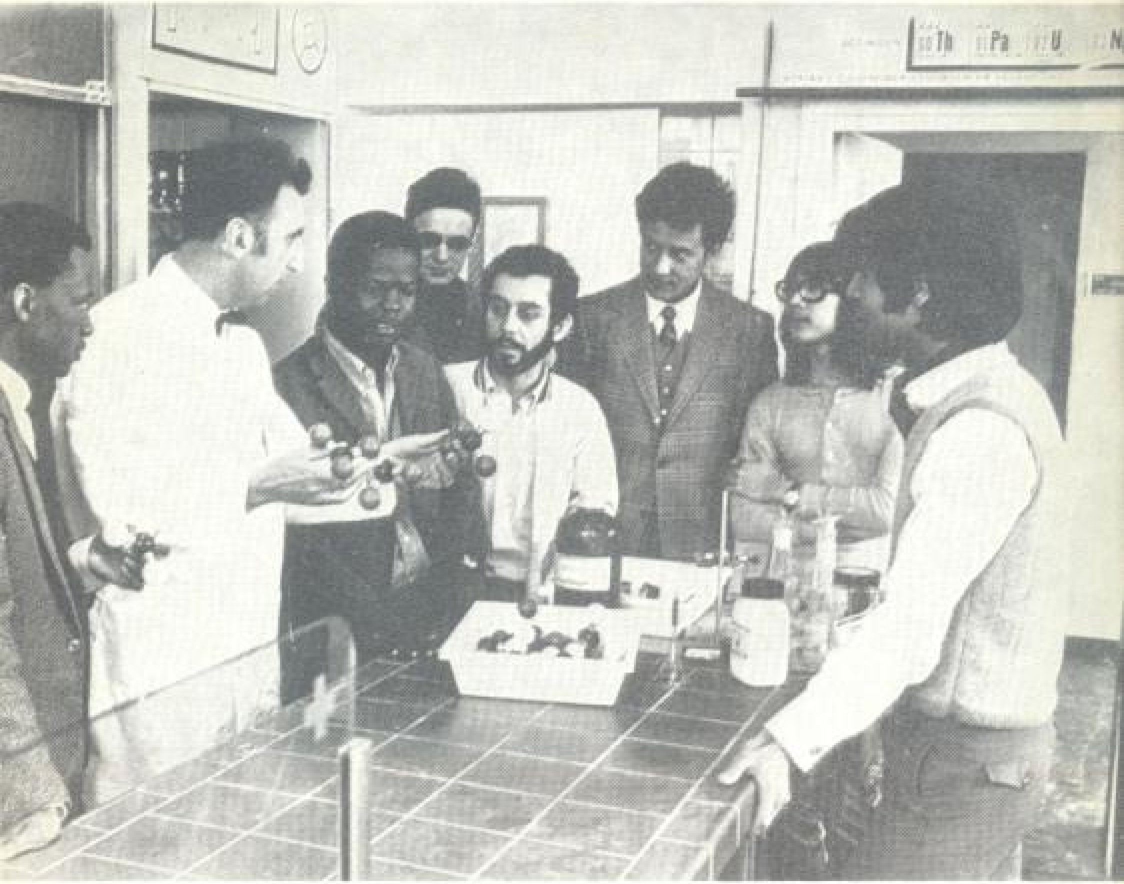
وعدا ذلك ، فليس بين اللغات الافريقية لغة واحدة ، صدرت بها كتب علمية وآداب تأذن لها بأن تتميز فتكون لغة الجامعات .

انشاء الجامعات الوطنية
أم الاكتفاء بالبعثات ترسل الى الجامعات الأجنبية

ان كثيرا من دول افريقية ، رغما عن وجود جامعات فيها وطنية ، قد دابت على ارسال طلاب منها يتعلمون فى بلاد الغرب شتى العلوم والفنون ، وذلك لاستكمال هيئات التدريس فيها . هذا علما بأن اكثر هذه الجامعات حديث .

ومسألة انشاء الجامعات الوطنية ، ام ارسال البعثات والاستغناء بهم عن الجامعات الوطنية ، مسألة نوقشت فى كثير من الدول المتخلفة .

والرأى السائد ، هو الرأى الذى



لا يزال ، من الجامعات في الامم المتخلفة ، من يرسل ابناءه في بعثات الى اوروبا . وهذه مجموعة بها طالبان في جامعة المانية يحضران فصولا خاصة تؤهلهم للاندماج في الدراسة بعد ذلك .

تطامنت اليه الكبرياء الوطنية من بعد استقلال ، ذلك انشاء الجامعات الوطنية مهما كانت الكلفة .

والحق أن انشاء الجامعات الوطنية يكلف في أول الأمر مالا كثيرا ، اذا ما قيس بعدد من تخرج هذه الجامعات من المؤهلين في سنواتها الأولى . ولكن بعد مضى السنين ، وتكاثر الخريجين الخارجين من الجامعة الوطنية ، تقل الكلفة كثيرا . هذا الى أن الجامعات مصنع لانتاج الرجال . وانتاج الرجال في المصانع الوطنية ، ربما كان أجود من انتاجهم في المصانع الأجنبية . على ان ابواب الجامعات الاجنبية جاز أن تغلق يوما في وجه طلبة البلاد غير الأوروبية،أو يضيق عليهم فيها . فالمأذون به اليوم يصبح غير مأذون به غدا . والعلم ، وهو بضاعة هي اليوم ميسورة ، بثمن ، قد تصبح عسيرة غدا ، فلا تشترى بالمال ، وانما تشترى بالولاء السياسي ، فتحرم منه امم ، وتعطاه امم .



والمظاهرات تسللت الى الجامعات، في البلاد المتخلفة، فصارت
طريقة لاسماع الحكومات والشعوب آراءهم ومطالبهم

الطلبة والروح الجامعية فى جامعات الدول المتخلفة

روح الطلبة فى الجامعات الوطنية ، فى البلاد المتخلفة ، روح غير راضية ، وعلاقة الطلاب بالأساتذة تكاد تكون مقطوعة . وان قيل ان المدرسين والأساتذة فى هذه الجامعة أو تلك حاولوا وصل ما بينهم وبين الطلاب ، وتحبيبهم فى العلم ، أو حتى ايقاظهم لخطورة المهنة التى هم يطلبونها ، فقد حاولوا ، ولكنهم لم يفلحوا . وكيف يفلح أستاذ فى التأثير فى أعداد من الطلبة مئات يحضرون محاضرته، ثم ينصرفون.

ان كثرة هؤلاء الطلبة جزعون قلقون غير راضين عن حاضر هُمْ فيه ، وعن مستقبل ينتظرهم وينتظرونه . هكذا يقول الثقاة . وما مظاهراتهم الصاخبة ، واضراباتهم المتكررة ، الا اعراضٌ لامراض . وكثير من هذه الاضطرابات له لون سياسي، وكثير منها، لا سيما في الهند، ما له لون جامعي : أساتذة غير كفاة ، وصالات لمحاضرات تكتظ بطلابها اكتظاظا، وقاعات لكتب تسع مائة قارىء ،والقراء الوف ، والكتب غالية الثمن ، وهى تزيد كل سنة غلاء . ثم المستقبل . قلّ من الجامعات من تخطط له . فالطالب اليوم فى جامعة ، وهو لا يدرى فى الغد على اى باب من ابواب العمل يطول وقوفه .

وقد اثبت طلبة الجامعات فى امريكا

الجنوبية انهم اعنف من اخوان لهم فى سائر قارات الارض الأخرى . فهم يضربون عن حضور الدروس ، والجامعات تغلق ابوابها فى وجه طلابها الأسابيع والأشهر .

وفى افريقيا بلغ من ثورة الطلاب ان جامعة نيجريا عينت مديرا لها لم يرض عنه الطلاب ، فما كان منهم الا ان ضربوه بالسكين فى ظهره ، وهذه كانت طريقتهم فى تبليغ جامعتهم عدم الرضى .

بين الجامعات والحكومات فى الدول المتخلفة

من الأقوال المأثورة ان الجامعات لها استقلالها ، وليس لأحد ان يتدخل فى امورها .

ولكن اكثر ، بل كل الجامعات فى الأمم المتخلفة يعيش من مال الحكومة القائمة، فهي التى تدفع للجامعات كل النفقات ، واذن نرجع الى الحديث المشهور وهو : اليد العليا خير من اليد السفلى .

ومعنى هذا بالطبع الا تستطيع جامعة فى دولة متخلفة ان تناصب الحكومة العداء . واذا نظرنا للواقع ، وجدنا ان مواقف الحكومات من هذه الجامعات تختلف اختلافا كبيرا . فمن الحكومات ، لا سيما الجديدة ، ما تفخر بجامعاتها لأنها شارة من شارات استقلالها ، ومعهد تخريج المرجو من ابنائها . ولكن موقف الجامعات من الحكومات قد يكون موقف الناقد ، ولو بحسن نية ، اعمالها . وهي قد تنقد بحكم ما لها من حرية فى الراى، مزعومة، وبحكم ان الجامعات رجالها ارفع ثقافة من رجال الحكم ، وآراؤهم لبعدهم عن غوغاء الناس أوثق .

وقلّ من هذه الحكومات الحديثة ، فى البلاد الحديثة الاستقلال ، من يطيق نقدا. وكثيرا ما اجابت الحكومات نقادها بالبطش ، فعزلت ، وسجنت ، واغلقت من ابنية الجامعات ما اغلقت. حدث هذا فى رنجون عندما هدمت الحكومة نادى الطلبة ، وحين اغلقت الحكومة الجامعة نفسها . وعندما صنع الرئيس نكروما برجال الجامعة ، جامعة غانا ، ما صنع ، عندما اختلفوا واياه فى امر يتصل بالشبيبة الاشتراكية التي كانت تناصره ، الى غير ذلك مما جرى فى « سيارة ليوني » ، وفى سنغافوره ، وفى البرازيل عندما اخذت الحكومات تلاحق اساتذة الجامعة ، وقد تشتتوا فى البلاد .

ولسنا هنا نناصر الحكومات او نناصر الجامعات ، ولكنا نقول انهما مزاجان مختلفان ، كلاهما حديث فى الزمان ، تعسر ائتلافهما .

على ان الخصومة الكبرى التى بين الجامعات والحكومات خصومة حلها مستعصٍ على جامعة وعلى حكومة على السواء ، تلك ضغط الحكومة على الجامعات ان تفتح ابوابها لكل من اراد ان يدخل جامعة ، ولو لم يحصل على النصاب الادنى . والحكومة تنزل بالمستوى الذى يجيز للطالب دخول جامعة ، لأن الشعب وراءها يطلب لابنائه ان يدخلوا الجامعة ، لأنها فى نظره ، هي الطريق الوحيد لحياة افضل . فنزول بمستوى التعلم عند دخول الجامعة ، يجتمع فى الجامعة بمدرسين جامعيين اسما ، وهم غير كفاة لما يتصدون له من

التعليم . حالان الجمع بينهما يُخرج الخرّيجين وهم انصاف متعلمين. وهؤلاء يدخلون فى مرافق الدولة يديرونها، وهم غير اهل لها ، وتكون العاقبة خسارة جامعة شاملة .

الشعب لابد ان يرضى . والجامعة لابد ان تخضع. والمرافق لابد ان تسوء.

حرية الجامعات تحميها الشعوب

حرية الجامعات مطلب من مطالب الجامعيين عزيز .

وقد اشتهرت جامعات انجلترا بان لها من الحرية الجامعية ما تريد، والسبب فى ذلك ، انها استقلت بمواردها المادية ، فاستقلت من اجل ذلك بشئونها العلمية. وتبحث هذه الجامعات فى مجالات المعرفة بحرية ، وتنشر ما تبحث ، فلا يكون من حق احد ان يعترض على ما تبحث وما تنشر . وسياسة تخطها الجامعات تحدد سلوكها فى تعليم او بحث تكون هي الكلمة الأخيرة فى هذا الأمر او ذاك .

ثم حدث قبيل منتصف القرن الحاضر ان ضاقت موارد الجامعات عن الوفاء بما تقوم به من تدريس وبحوث، فتقدمت الحكومة تعين الجامعات فيما عجزت عنه من نفقات . وعندئذ هال الجامعيين ما حدث. قالوا ان لكل شيء ثمنا ، والمعونات الحكومية هذه ثمنها انتقاص من حرية الجامعات فيما تتصرف فيه .

هذا فى حين ان جامعات اوروبا ، واوروبا الغربية خاصة ، جامعات تدفع الحكومة كل نفقاتها . فبمقتضى الخشية التي خشيتها الجامعات الانجليزية ، وجب ان لا يكون للجامعات الأوروبية ، من فرنسية ، والمانية ، وغير ذلك، حرية قط فى تصريف شئونها .

وفى امريكا ، واعنى الولايات المتحدة خاصة ، بها جامعات تعرف بجامعات الهبات Donation Universities وتمولها كما يدل اسمها ، هبات وهبها اياها اهل الخير . وهذه الجامعات هى الجامعات التي لها اشهر ما نسمع من اسماء، مثل هرفرد ، وييل، وكولومبيا. وبالولايات جامعات حكومية State Universities تدفع الحكومة كل نفقاتها. وبقدر ما تستغنى الجامعات عن معونات الحكومات ، تكسب من حريتها عند العمل .

ولكن واقع الأمر ، ان الشعوب المتقدمة جرى فيها استقلال الجامعات مجرى سائر الحريات التي تتطلبها الديمقراطية، ويتطلبها العلم والمعرفة فى هذه الحضارة العصرية القائمة .

فالحكومات اليوم ، دفعت من نفقات الجامعات او لم تدفع، لا تتدخل فى شئون الجامعات، حتى لو اختل النظام فى الحرم الجامعي، واستدعى ذلك استدعاء رجال حفظ النظام ، لم يدخل فى الحرم جندى واحد الا اذا كان مدير الجامعة هو الذى استدعاه ، واذن له بدخول .

هذا هو العرف فى الأمم المتقدمة .

ومع هذا ، فلابد لي من القول ، اننا الآن فى زمن اسهل شيء فيه العبث بالأعراف .

●●

أحمد زكي

النبي قدوة للمؤمنين

- جار للرسول دعاه هو والسيدة عائشة فاستجاب
- ووليمة عرس حضرها الرسول وقامت العروس بنفسها على خدمة الضيوف

بقلم : احمد حسن الباقورى
مدير الجامعة الازهرية ووزير الاوقاف سابقا

■ كذلك قال الله « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » .

وكذلك مضى المسلمون يقتدون به عليه السلام ويمضون على اثره فى كل ما لم يكن خصوصية له فى نفسه او فى نسائه ، حتى لقد كان بعض اصحابه يحرص على ان يتتبع اثره فى امور عادية لا صلة لها بالعبادة ، كما كان عبد الله ابن عمر يفعل حين يسافر بين مكة والمدينة فينزل عن راحلته فى موضع كان النبى قد نزل عنده ذات يوم ، ولم يكن لعبدالله ابن عمر من حاجة فى هذا المنزل الذى نزله سوى ان يفعل ما كان النبى قد فعل دون حكمة تدعو اليه او غرض يتحراه منه . وكذلك كان بعض اصحابه عليه السلام يفعل ما لا حكمة له ولا داعى اليه سوى مجرد الامتثال لامره ، فيجلس على باب المسجد او فى السوق ، لا لشىء الا لانه سمع صوته آمرا المسلمين ان يجلسوا ، فاذا الرجل يجلس حيث بلغه صوته،ثم يظل جالسا حتى يمر به النبى فيسأله ما الذى جعله يجلس على هذه الصورة التى لم يتعارفها الناس فيقول له الصحابى الجليل : لقد سمعتك تامر المسلمين أن يجلسوا، فحين انتهى صوتك الى مسمعى جلست حيث ترانى .

جار للرسول دعاه الى طعام فلم يستجب له حتى شملت الدعوة زوجته عائشة

فهكذا كان المسلمون يطيعونه ويتحرون الاقتداء به والاخذ بسنته فى كل شأن من شئون الحياة سواء منها الجليل والدقيق وما يتصل بشئون الدنيا وما يتصل بشئون الدين ، فيما عدا شيئا واحدا لم تتظاهر

الاخبار بانهم حرصوا عليه واقتدوا به فيه ، وهو أن يصحب أحدهم زوجته فى أدائه حقا أو اجابته دعوة أو زيارته دار جار أو صديق ، مع أن رسول الله فعل هذا ، على ما يروى مسلم والنسائى عن أنس رضى الله عنه ان جارا لرسول الله فارسيا صنع طعاما ثم دعاه اليه ، فرغب عليه السلام فى ان تصحبه زوجته عائشة ، ولكن الرجل لم يوجه الدعوة اليها مع النبى ، ولهذا لم يستجب عليه السلام هذه الدعوة فردها مرتين ، حتى اذا كانت المرة الثالثة وجه الرجل الدعوة الى زوجة رسول الله معه فقبل النبى وقام ومعه زوجته فأتيا منزله وطعما من طعامه .

وليمة عرس ، استجاب لها الرسول هو وأصحابه ، فقامت العروس تشرف على خدمتهم

وفى حديث آخر ان ابا اسيد الساعدى احد اصحابه جاء اليه ذات يوم يدعوه مع اصحابه الى وليمة عرس فاستجاب الدعوة ، فلما اجتمعوا فى دار الداعى قربت اليهم عروس الساعدى نفسها الطعام وقامت تشرف على خدمتهم حتى اذا فرغوا من طعامهم قدمت الى النبى نقيع تمرات كانت قد اعدته لهم من قبل .

فهذان خبران ترويهما الصحاح من كتب السنة ، واحدهما يدل على ان النبى حرص فى اصرار شديد على أن تصحبه زوجته الى مأدبة غداء او عشاء فى دار جار أجنبى غريب ، وثانيهما يدل على ان للمراة ان تستقبل مع زوجها ضيوفه وان تقوم بتكريمهم وتشرف على خدمتهم .

اذن يسوغ للناس ما اساغ النبى

وكلا الخبرين يسوغ للمسلم ان يصحب زوجته الى المآدب يقيمها جار او صديق ، كما يسوغ له أن يدع زوجته تستقبل ضيوفه وأن تشرف بنفسها على تكريمهم ، وكلا الخبرين يتقرر به ان هذه الصور ليست مما يأباه الاسلام ، وان الآخذين بها من ابناء الأمة الاسلامية فى عصرنا الحاضر لا يأخذون بجديد وافد عليهم ولكنهم يأخذون بسنة عريقة سنها لهم رسول الله وان كانوا اغفلوها فلم يأخذوا بها ولم ينزلوا على حكمها .

ومن اجل ذلك كان غريبا أشد الغرابة ان يستقر فى المجتمع العربى الاسلامى عرف بالحجاب الثقيل الذى فرض على المراة فحيل بينها وبين مجالس الرجال ، مع ان النساء فى هذه المجالس حواجز عن الكلمات النابية ، ودوافع الى ان يؤثر الرجال اللائق من السلوك ويتخيروا المحتشم من الكلام ، فاذا المجتمع بهن على ذلك اقرب الى الصورة التى حرمتها محتاجة ابين حاجة اليها مجالس المسلمين .

ان الرجل ـ بحكم الفطرة التى فطر الله الناس عليها ـ شديد الحرص على الظفر بتكريم المراة له واحترامها اياه ، فهو لذلك يبذل من ذات يده ، بل من ذات نفسه ، ما يقربه اليها ويظفره بتقديرها له واعجابها به .

وآية ذلك خبران :

خبر أبى البخترى بن هشام

احدهما ما يرويه ابن هشام من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه فى موقعة بدر : من لقى منكم ابا البخترى بن هشام فلا يقتله ، فانه كان لا يؤذى المسلمين بمكة ولا كان يأتى اليهم شيئا يكرهونه ، ولقد قام فى نقض الصحيفة التى تعاهد فيها المشركون على مقاطعة بنى هاشم مقاطعة كاملة فلا يصهرون اليهم ولا يتعاملون معهم حتى يضطروهم الى التخلى عن رسول الله ، وانطلق أصحاب النبى يبحثون عن أبى

البختري بن هشام فلما ظفروا به في ساحة المعركة اخبروه ان رسول الله قد عفا عنه وانه قد نهاهم عن التعرض له ، وكان يسير مع ابى البختري هذا زميل له فقال لهم : وهل نهاكم محمد عن قتل زميلي هذا ايضا كما نهاكم عن قتلي ؟ فقالوا له : انه لم يتحدث الينا بذلك فنحن نتركك دون زميلك ، فقال الرجل العربي الجاهلي اذن والله لاموتن انا وزميلي جميعا ، والله لا تتحدث عني نساء مكة أنى تخليت عن زميلي حرصا على الحياة .

خبر عيسى بن مصعب بن الزبير

وثاني الخبرين وقع في خلافة عبدالملك ابن مروان ، والاسلام لا يزال غضا في نفوس المسلمين . وخلاصة الخبر ـ نقلا عن المؤرخ الثقة ابن ابي الحديد ـ ان عبد الملك بن مروان حين سار الى قتال مصعب بن الزبير بنفسه وتقاعد من مصعب اصحابه وقواده وخذلوه ، فامر ابنه عيسى ان ينجو بنفسه الى مكة وان يخبر عبد الله بن الزبير بما صنع اهل العراق به ، واخبره انه لا محالة مقتول ، فقال له ابنه عيسى : لا والله . لا تتحدث نساء قريش أنني فررت عنك ، ولكن اقاتل دونك حتى تقتل . ثم قاتل دونه حتى قتل .

كلاهما طلب حسن الاحدوثة عند النساء

فهذان حديثان . احدهما جرى على لسان عربي جاهلي ، وثانيهما على لسان مسلم حفيد للزبير بن العوام ، وكلا الرجلين اللذين جرى الحديث على لسانيهما مضى الى الموت غير ضائق به ولاناكل عنه لا لشيء سوى حسن الاحدوثة عنه عند نساء مكة او عند نساء قريش ، وكان المتوقع من حفيد الزبير بن العوام ان يذكر في هذا الموطن مرضاة الله وحسن ثوابه لا نساء قريش وابتغاء مرضاتهن وتجنب سوء الاحدوثة عنه منهن .

اثر المراة في حياة الرجل اثر بالغ

ان المراة في حياة الرجل ذات اثر بالغ ، وفي كيان المجتمع كله ذات معنى جليل ، فالضيق بها وفرض الحجاب عليها حجابا كثيفا يحول بينها وبين مجالس الرجال هو تصرف ليس له من الاسلام سند ، وليس له في المجتمع ثمرة ، بل انه على العكس من ذلك ذو نتائج سيئة بالغة السوء ، وخير من حجاب المراة والنظر اليها على أنها وسيلة شر أن نلفتها الى ما يوفر للمجتمع الانتفاع بها وما أكثر الوجوه التي ينتفع الناس بالمراة فيها اذا احسن توجيهها واستنقذت من براثن الجهالات والضلالات .

لو كان التعصب لحجاب المراة الدين لكان الخطب سهلا

على ان الذين يتعصبون لحجاب المراة ويحرصون على الدعوة اليه ويسوغونه للقائمين به لو كان دافعهم الى ذلك هو الدين لكان الخطب به سهلا وقبوله امرا ميسورا ، ولكنهم في ذلك كله لا يصدرون عن الدين بدليل أنهم يقسمون النساء قسمين : قسم يعمل في القرى والبوادي بغير حجاب فلا يتعرض للحديث عنهن أحد ، وقسم في المدينة يعمل او لا يعمل وهن محجوبات مستورات ، فالحديث عن الحجاب دائما يجري حول هذا القسم الثاني ، فالأمر اذن ليس امر دين ، والا كان الحكم منسحبا على المراة حيث كانت وكيف كانت في البادية او في الحاضرة ومن الفقيرات أو من صواحب الثروات .

ما احوجنا الى العدل في قضائنا والنصفة في احكامنا والنظر الى حياتنا بالعين التي ترى الحق فتقصد اليه نقيا من الاهواء بعيدا عن الأثرات والشهوات .

■■

احمد حسن الباقوري

سوء التواصل بين العاملين في منشآتنا هو المسئول عن:

فشل معظمها

بقلم: الدكتور السيد أبو النجا

■ كتبت فى عدد سابق من مجلة العربى أن العالم العربى تنقصه الادارة قبل ان تنقصه التكنية . واليوم أعالج فى شىء من التفصيل ناحية هامة من نواحى هذا التخلف الادارى .

ان ركن الأركان في أي تنظيم هو الوضوح ، وضوح الاهداف امام العاملين جميعا . هو وقوف كل عامل على دوره في المنشاة التى هو فيها . هو تعرفه بالضبط مدى حقه في السلطة ومدى مسئوليته عن الخطأ . واعنى بالحق ما يملك ابرامه من موضوعات دون الرجوع الى سلطة أعلى ، كما أعنى بالمسئولية ما يتحمله من مؤاخذة على مدى اهماله في أداء واجبه ، لا على مدى ما ترتب على هذا الاهمال من نتائج قد لا تتناسب مع مقدار الخطأ . لقد يخطىء العامل خطأ جسيما ولكن السماء تخفف من آثاره ، وقد يخطىء خطأ طفيفا ولكن سوء الحظ يرتب عليه خسائر جسيمة .

والوضوح يقتضي ان تصل المعلومات اولا فاولا الى المستويات الادارية في اتجاهات ثلاثة :ـ

من أعلى الى ادنى ، ومن ادنى الى اعلى ، وفي اتجاه افقى .

واليك كلمة عن كل اتجاه :

الاتصال من أعلى الى ادنى

ان المقصود بهذا الاتصال هو اعلام الواقفين في مواقع التنفيذ بالسياسات التى تقررت ، والبرامج والخطط التى وضعت ، والسلطات والمستويات الادارية التى استحدثت . ولا بد أن تمر المعلومات في طريقها المرسوم من أعلى الهرم التنظيمى مارة بكل المستويات دون أن تتخطى احدا في المستويات الوسطى أو الدنيا .

وهنا اذكر حادثا لا يمكن أن يبرح ذاكرتى . كان في مصر رجل استرالى يبيع الترفيه للجنود الأمريكان ايام الحرب الأخيرة ، وكانت له قطعة ارض امام مؤسسة صحفية كنت مديرها ، فاردت أن أشترى الارض لها ، ولكنى رأيت أن اطمئن قبل كل شيء الى موقف الرجل من مصلحة الضرائب ، وفي المصلحة وقفت على قصة صارخة من قصص التخلف في التواصل الادارى .

لقد نمى الى مأمور الضرائب أن لدى الرجل مجموعتين من الدفاتر : واحدة منها لمصلحة الضرائب وهى مزورة ، والاخرى يحتفظ بها لنفسه وفيها ارباحه الحقيقية . فضبط المأمور المجموعة الثانية واودعها المصلحة في انتظار التقاضي .

وذهب الممول يوما ليقابل مدير المصلحة ، ولكنه ظل ينتظر في مكتب السكرتير حتى انصرف المدير

التواصل الإدارى له اتجاهات ثلاثة :

إلى أعلى
إلى أدنى
اتجاه أفقى



والتواصل يكون :

بالإيحاء
بالمشافهة
بالتحرير

وقد أوفت الساعة على الثالثة بعد الظهر ، وخرج الموظفون جميعا من مكاتبهم ، فانصرف الممول شاردا حزينا لعجزه عن تسوية الخلاف ، ثم حانت منه التفاتة الى أحد المكاتب الخالية ، فاذا هو يلمح دفاتره المضبوطة موضوعة في دولاب خشبي مفتوح ! ونادى على الفور ساعيا كان يسير في الدهليز فطلب اليه في لهجة آمرة أن يحمل هذه الدفاتر الى سيارته . وانصاع الرجل للأمر دون تردد اعتقادا منه أن الآمر موظف كبير في المصلحة. واتجه الممول بسيارته مسرعا الى جوف الصحراء فاحرق دفاتره .

وجاء يوم المحاكمة فوقفمحامى مصلحة الضرائب يقول « أيها المستشارون . ان أمامكم الآن مجرما خطيرا ارجو أن تحكموا عليه بالسجن لانه يحتفظ بمجموعتين من الدفاتر .. » فلما انتهى من كلامه عقب محامى الممول قائلا : « لو لم يكن الاستاذ المحامى زميلى لقلت انه يختلق . حقا ان لدى موكلى مجموعتين من الدفاتر خوف الحريق ولكنهما متطابقتان كل التطابق ، وانا اطالب الزميل أن يقدم المجموعة التىلديه للمحكمة لتحيلها الى خبير حسابى يتأكد من صحة قولى » .

وذهب المحامى الى المصلحة فاكتشف الحقيقة الرهيبة . ان المجموعة غير موجودة ! وجاء يوم الجلسة الثانية ، فاتهم محامى الممول مصلحة الضرائب بانها تعمدت اخفاء الدفاتر بعد ما تأكدت من مطابقتها للدفاتر الموجودة ، وطالب بالتعويض عن تأثيم الناس بالباطل .

ما هى عبرة هذا الحادث ؟ ان الموظفين في المكتب لم يكونوا يعرفونقيمة الدفاتر والا لوضعوها بعيدة عن الأعين في خزانة مقفلة . والساعى لم يكن يعرف موظفى الادارة التى يعمل فيها والا لما انصاع لأوامر دعى من الخارج .

الاتصال من أدنى الى أعلى

المقصود بهذا الاتصال هو البيانات الصاعدة التى مهمتها ابلاغ الرؤساء بما تم وما لم يتم من أعمال ، بالمشكلات التى ظهرت في التنفيذ . بالانحرافات التى لم تكن في الحسبان . واخيرا بالاقتراحات التى يتقدم بها العاملون .

وقد علمتنى التجربة ان البيانات الصاعدة تميل عادة الى « الاخبار الطيبة » فتحمل اخبار النجاح وزيادة الانتاج والتجويد فيه ، وتخفى أخبار المشاكل والخلافات القائمة بين العاملين ، أو تتخفف منها خوفا من تأخير الترقية ، وحرصا على أعصاب الرؤساء . ومن ذلك تعاون العاملين على اخفاء الاخطاء كلما زارهم مفتش خارجى لمراجعة الاعمال في المنشاة .

وللوقوف على حقائق الاشياء يجب ان يكون

الرئيس متاحا لمرؤوسيه . ولست بهذا انادى بسياسة الباب المفتوح التى يتبعها بعض القادة الاداريين سعيا وراء الشعبية ، فقد ثبت انها مضيعة للوقت حتى قال عنها المثل الانجليزى : « الباب المفتوح دليل على العقل المغلق » .
« The open door means closed mind »

وانما اقصد ان يزيل الرئيس من حوله جو الرهبة الذى يحيط به فيصبح قائدا محبوبا كما ذكرت فى مقال سابق .

ومن ابرز الامثلة على ما قد يثور من شك فى المعلومات الصاعدة اننى كنت عضوا فى احدى اللجان التى اشتركت فى وضع الخطة الخمسية الاولى . وكانت المناقشة تدور حول مضاعفة الدخل فى عشر سنوات . فاتفقنا على البدء بالزراعة . وقيل لنا ان فلانا حاصل على الدكتوراه فى الحشرات ، وفلانا فى الرى ، وفلانا فى الدورات الزراعية ، فدعوناهم جميعا وسألناهم : هل نسير افقيا فى الزراعة فنستصلح الصحراء ، او نسير راسيا فنحسن وسائل الاستزراع ؟ . وجاء ردهم بالاجماع « ان الاتجاه الراسى افضل ، ولكن مكافحة الحشرات هى ما يجب ان نبدأ به . وهذه المكافحة تحتاج الى كثرة التفتيش ، والتفتيش يحتاج الى مزيد من السيارات » . وأدرك مدير التخطيط قصدهم فسألهم فى سخرية :

« وأى السيارات أفضل فى مكافحة الحشرات : مرسيدس ٦٦ أو ٦٧ ؟ » .

التواصل الأفقى

المنشأة تضم عادة ادارة فنية ، وادارة حسابية ، وادارة قانونية .. الخ ، ولا بد ان يضرب الجميع على نوتة موسيقية واحدة . فلو تصورنا عازف الكمان يلعب على هواه ، وعازف العود يضرب على وتر يختاره ، وعازف البيانو لا يعترف بالاثنين ، لما كانت هناك موسيقى على الاطلاق . ويكفى للدلالة على فساد الاتصال الافقى فى العالم العربى ما نشاهده من تشريح فى عواصمه . فان الشوارع ترصف دون التأكد من ان اسلاك الهاتف ومواسير المجارى وخطوط الكهرباء ليست فى حاجة الى تغيير او اصلاح . والنتيجة أن مصلحة الهاتف او المجارى او الكهرباء كلما أرادت اصلاحا حفرت الشارع فاحتاجت مصلحة التنظيم الى رصفه من جديد .

وقد اشترى احد الفلاحين قطعة ارض من مصلحة الاملاك فى بلد عربى ودفع ثمنها وبدأ فى استغلالها فاذا برجال الرى يحررون له مخالفة بعد سنتين لانه ظهر أن هذه الارض من المنافع العامة ، وانها فى مكان ترعة عمومية . ولو ان مصلحة الاملاك كانت تعرف هذه الحقيقة لما اقدمت على بيع الارض .

وسائل التواصل ثلاث : هى الايحاء والمشافهة والتحرير . وعلى قدر ما يبدو فى هذا القول من بداهة فان فيه ما يستحق التعليق .

الاتصال بالايحاء

الايحاء انطباع ينتقل من تصرفات القائد الادارى الى نفوس العاملين معه . ولذلك فكلما أراد القائد ان يفرض اتجاها على معاونيه فعليه ان يبدأ بنفسه . اذا ارادهم أن يواظبوا على الحضور الى العمل فى تمام الساعة الثامنة صباحا فعليه أن يكون فى مكتبه فى هذه الساعة من كل صباح . واذا كان كبار الموظفين يرون فى الامضاء عند الحضور تصغيرا لشأنهم فانهم يفعلون ذلك بارتياح حين يرون رئيسهم يمضي مثلهم . انه بهذا الامضاء يوحى بان النظام سيد الجميع .

واذا أرادهم الا يسرفوا فى تأثيث مكاتبهم فعليه أن يبدأ بمكتبه فيجعله بسيطا نظيفا لا صالونا من صالونات البيوت .

ومن الايحاء أن مشروبا غازيا فى القاهرة هاجمته احدى الصحف بوصفه محتويا على دم خنزير ، فنزلت مبيعاته الى الحضيض ، ولكن الادارة ، تلك التى تصنع هذا المشروب ، لم تواجه هذا الهجوم، وانما لجأت فى صدّه الى الايحاء ، فقدمت لبوفيه المحكمة الشرعية صندوقا من هذا المشروب بالمجان تحية للقضاة الذين كانوا مجتمعين لتحديد اليوم الذى يبدأ فيه رمضان . وفى الصباح طالع الناس أخبار الصيام وقضاة الشرع يرفعون الزجاجات الى افواههم فى براءة وعليها اسم المشروب ، فآمن القراء بان الحملة كاذبة .

ومن الايحاء تثبيت العقائد الصالحة كأن نغرس فى نفوس الناس ان الوظيفة العليا لا تعنى ان شخص شاغلها اكرم ممن هم دونه . ان الملازم حين يرفع يده بالتحية للنقيب لا يمجده ، وانما يعلن استعداده لتنفيذ اوامره .

ومن الايحاء الا يوقع الرئيس العقوبة بوصفها انتقاما ، وانما باعتبارها اجراء تفرضه المصلحة العامة . ولذلك لا يصح أن يصاحبها التشفى ، بل تكون مقرونة بالنصح .

واذا سرق موظف فلا يصح ان يوصف بانه لص ، وانما يقال له « هذه سرقة » والفرق بين القولين واضح ، فالاول سب شخصي والثاني حكم على التصرف .

وهنا عادة جفوة بين العمال والمديرين ، لان المديرين يمثلون في نظرهم طغيان السلطة . ولا يزيل الاقناع هذه الجفوة وانما يزيلها الانطباع . ان في الرحلات والرياضة والمؤاكلة والاجتماعات المشتركة في المناسبات ما يجمع الزملاء والرؤساء على مفهوم اجتماعي مشترك . وصحيفة المنشأة تلعب دورا هاما في ذلك ، فهي تنشر اخبار اعياد الميلاد وعقد القران والترقيات والاسفار .. الخ.

الاتصال بالمشافهة

ان الحديث انصات وارسال ، والغريب انه رغم أن الله جلت قدرته خلق لنا اذنين ولسانا واحدا لنسمع ضعف ما نتكلم ، فان الناس يتعلمون الكلام في سنتين ، وينفقون العمر كله في تعلم الانصات !

واذكر بهذه المناسبة انني حضرت جلسة البرلمان البريطاني التي ابيح فيها الشذوذ الجنسي . وقام احد الاعضاء ـ وهو مصاب بالشذوذ ـ فقال انه اذا كان يملك المقعد الذي يجلس عليه فان من حقه ان يفعل به ما يشاء ، وأن الشذوذ الجنسي هو أحسن وسيلة لتحديد النسل .. واستمر في حديثه المثير دون أن يقاطعه احد من مخالفيه حتى انتهى . ثم وقف ماكميلان ـ وكان رئيسا للوزراء ـ فبدأ ردّه بشكر العضو المحترم على معلوماته القيمة التي يعترف بانه استفاد منها كثيرا ، ولكنه يختلف معه في انه استند الى المنطق وحده واهمل النظام العام ، وطالب الاعضاء في نهاية رده بان يصفقوا له كما صفقوا للعضو المحترم !

الانصات عملية ايجابية مهمتها التعرف على ما يبديه المتكلم ، وعلى الحوافز التي دفعته الى ما يقول ، والشواهد على صحة قوله. اما الارسال فهو عملية أسهل . انه يبدأ عادة بالتعليق على حديث المتكلم ليكون التعليق دليلا على فهم ما قال. ان من يرسل عليه أن يكسب المستقبل كبشر والا كان كالمحب الولهان الذي يرسل خطابه الغرامي ثم لا يلقيه في صندوق البريد .

والمتحدث اللبق هو الذي يكون مستعدا دائما لان يتنازل في رفق عن الفكرة النيرة للمخاطب كما لو كانت صادرة عنه، وبذلك يتبناها هذا فيتحمس لها وهو المطلوب .

الاتصال بالتحرير

تتميز الكتابة بانها تحمل الكاتب على مزيد من التفكير في ابراز الحقائق والارقام . ذلك انه يكتب وهو يعرف ان الورقة ستنفصل عنه وتتداول.

ان الموظف الذي يقرر شفويا ان مشروعا يغل دخلا قدره ثلاثون الف جنيه يجده اقل من ذلك كثيرا حين يمسك قلمه . فانه يفكر فيجد النفقات اكثر مما ظن اول الامر ، ويفكر فيجد الايرادات اقل مما قدّر .

واكثر ما تكون الكتابة في التقارير ، وللتقارير أصول مرعية ، فهي تستند الى الارقام والنسب المئوية ، ولا تستند الى الصفات وافعل التفضيل، فعند مقارنة مبيعات سنة بأخرى فلا بد من ذكر الفرق بالرقم والنسبة المئوية . لقد ذكر احد اصحاب المدارس الحرة مرة ان نتيجته في الشهادة الثانوية ١٠٠٪ ثم اتضح أن المتقدم من مدرسته تلميذ واحد نجح .

على ان الرقم وحده لا يكفي . فاذا قيل ان متوسط الاعمار في مدرّج هو ٢١ سنة فالذي يتبادر الى الاذهان ان التلاميذ شباب وقد يتبين بعد ذلك ان نصفهم من الشيوخ ونصفهم من الاطفال. ولذلك ورد في علم الاحصاء ما يسمى بمعدل التشتت (Deviation Rate) .

ومن القواعد التي لا بد من اتباعها في كتابة التقارير ، الا ينتقد الكاتب نظاما الا اذا اقترح بديلا عنه . فليس يكفي ان يورد عيوب النظام القائم وانما يجب أن يبين طرق تلافيها .

اتصالات أخرى

يمكن ان يضاف الى وسائل الاتصال الرئيسية الثلاث وسائل أخرى منها : الشكاوى والاستفتاءات والمؤتمرات واستدعاء الخبراء الاستشاريين . كما يصح ان يضاف الى الاتصالات الداخلية اتصال المنشأة بجمهورها وبالسلطات المشرفة عليها، ولكنّ هذا بحث طويل في العلاقات العامة ليس هنا مكانه.

ان الاتصالات الناجحة تعمل في الادارة عمل الشرايين في جسم الانسان . ومهما يكن من أمر فلا يصح ان تقف العوائق دون تدفق البيانات . ان شستر برنارد صاحب المرجع الكلاسيكي في وظائف القائد الاداري يقول : « ان من اول مهام المدير الناجح ان يقيم نظاما فعالا للاتصالات ». ■■

السيد أبو النجا

في سبيل موسوعة علمية

الجبال

قالوا إنّ الأرض، كالتفاحة، بردت فانكمشت وتجعدت، فكان من التجاعيد جبال ووديان

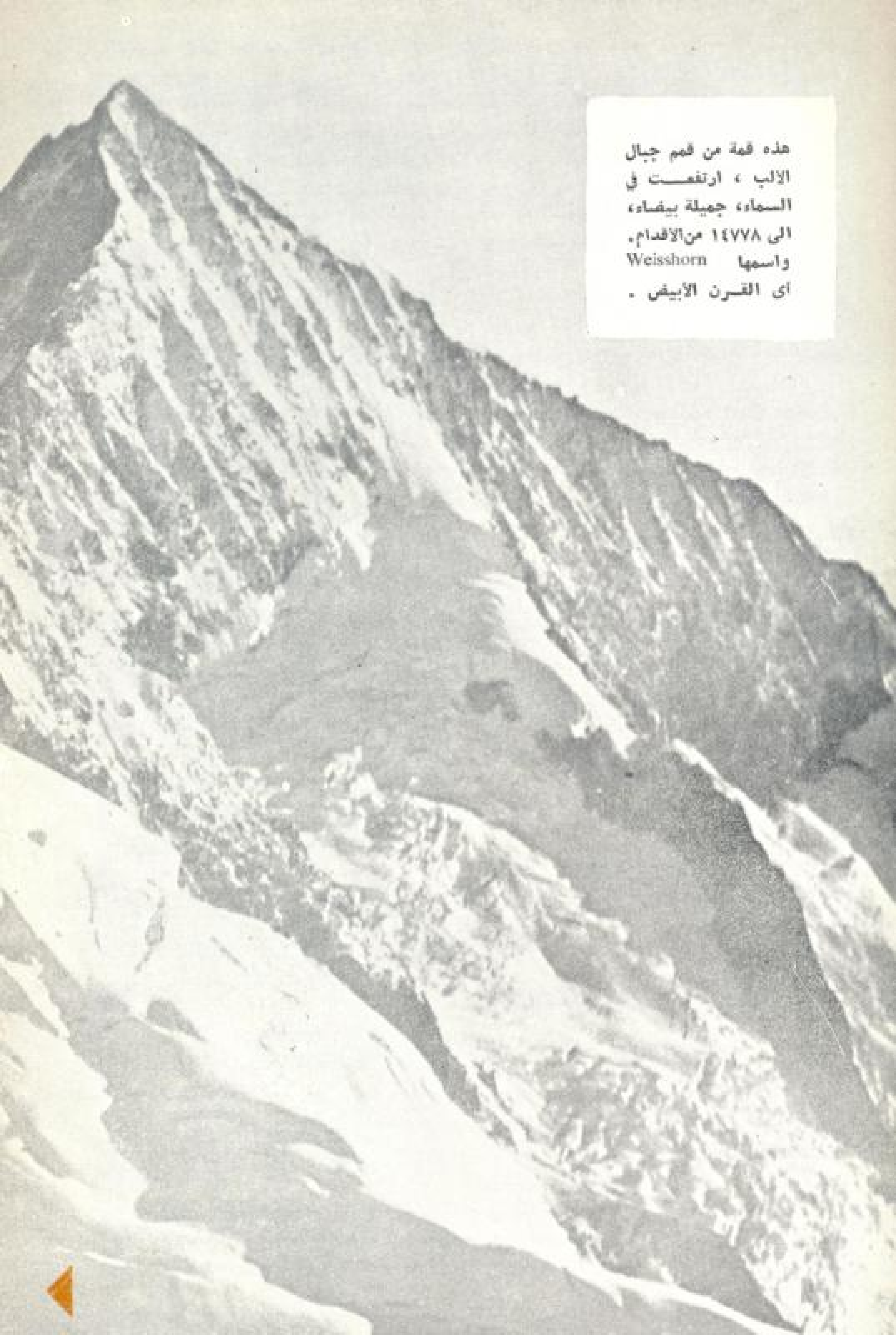
جعل اليونان منها مساكن لآلهتهم، ومن الجبال ما قدسته اليابان

بقلم الدكتور أحمد زكي

■ ليت شعرى كيف احس الرجل الاول ، وهو يصعد اول جبل .

لاشك ان موطن الرجل الاول كان الارض البسيطة ، مشى فيها ، وسلك ما سلك من دروبها ، وجاء الغابة فهاله ما فيها من شجر ، ومن حيوان حي ، بعضه المستانس ، وبعضه النافر . وبين الشجر والثمر ، والمستانس من الحيوان الحي ، حط الرجل الاول برحاله ، وفي هذه الارض البسيطة عاش ما عاش ، وكان سطح الارض عندئذ ، كما هو اليوم ، كثرته الكاثرة البسيط .

التقى الانسان اول مرة بالجبل فهابه . وفي الروع ، يستند الرجل الى عون فوق عون الطبيعة . فقالوا بالآلهة . وكان للناس من الآلهة كثرة ظنوها معزوانة . وكان لا بد لهذه الكثرة من الآلهة من منازل يسكنونها ، فجعلوا لها في الجبال منازل . فهكذا فعل اليونان الاقدمون . جعلوا من جبل الاولمب



هذه قمة من قمم جبال الالب ، ارتفعت فى السماء، جميلة بيضاء، الى ١٤٧٧٨ من الاقدام. واسمها Weisshorn اى القرن الأبيض .

Olympus مسكنا لكبير آلهتهم زيوس Zeur .
وغير اليونان فعل اقوام بجبالهم مثل ما فعل اليونان ، واسبغوا عليها قداسة حين كان كل شيء يبهر الناس مقدساً .

★ ★ ★

واتخذ الانسان من الجبال مواقع حصينة ، تدفع عنه غائلة المعتدين . وفى هذا قال السموأل فى قصيدته المشهورة:

لنا جبل يحتله من نجيره
منيع يرد الطرف وهو كليل

وفى القرون الوسطى بنى الاقطاعيون حصونهم فوق جبال ، ومنهم من اتخذ الذروة موقعا لبناء قلعة ، حيث الجبل له حوائط قائمة لا تغرى عدوا غازيا بتسلقها .
ومن الجبال ما سكنه الانسان، وربط رزقه بالذى فيها من موارد .

★ ★ ★

ويسقط المطر ثلجا يغطي الجبل ، راسه والجوانب ، بفرش بيضاء هي غاية فى الروعة . وتعلم الانسان كيف ينزلق على هذه الثلوج فقامت فى الجبال ألعاب التزحلق ، فكانت رياضة عالمية يهرع اليها الناس من كل مكان .
وتذوب الثلوج فتنزل من فوق الجبل مقادير هائلة من الماء تصنع الأنهار .
ويعمل انسان هذه الأيام الحاضرة عمله اليومي متصلا ، ولا يكتمل العام حتى يستحق اياما يقضيها فى راحة او فى متعة . والناس ترود المتعة ، اما على سواحل البحار ، واما فى فنادق باعلى الجبال .

★ ★ ★

وقد يكون الجبل عند خط الاستواء قائما . والجبل قدم وراس . اما عند قدم الجبل فالحر شديد فى الصيف . ولكنك تتسلقه فتجد البرد فى اعاليه . انه ارتفاع يبدل تلك الفصول تبديلا .
والجبال تتألف من صخور شتى ، ارتكم بعضها فوق بعض . وفى الصخور ثروات كثيرة من مواد فى الصناعة ثمينة. فالجبال كثيرا ما تكون مخازن خامات للصناعة تمد الناس بالثروة .

★ ★ ★

وتطلب اشهر مرصد يرصد النجوم فى السماء ، فتعلم انه مرصد بالومار Palomar ، وانه فى كلفورنيا بالولايات المتحدة ، وتعلم ان به اكبر تلسكوب فى الدنيا ، وانها مرآة عاكسة قطرها مائتا بوصة . وتذهب تطلبها فتجد انك صاعد اليها جبلا هو جبل بالومار Palomar ، وانهم وضعوا التلسكوب هناك ، على ارتفاع ٥٠٠٠ قدم ، ليذهبوا به بعيدا عن غوغاء الأرض واجوائها ، الى جو فى الجبل أصفى ، لا يحجبه ضباب او غيم .

★ ★ ★

وللجبال ساكنون غير من يسكن المنبسط الواطىء من الأرض . انهم لا يسكنون الذروة من الجبال العالية ، فهذه تغطيها الثلوج ، ولا يحيا فيها حيوان او انسان ، ولا ينبت فيها نبت كان ما كان . وانما هم يسكنون الجبال حيث يقوى الزرع على الانبات ، وتتغطى التربة بحشائش ترعاها الخراف والماشية .
ورجال الجبال فيهم الحرية طبعا ، وفيهم الفردية صفة متأصلة . وهم يعيشون فى هواء اخف كثافة من هواء عند ساحل البحر ، ومن اجل هذا كان لساكني الجبال رئتان اوسع ، وقلب اكبر ، ودم كراته الحمراء اكثر . وكل هذا انما كان وفقا لطبائع الخلق .

باطن الأرض
من أى شىء او أشياء تألف

السائد اليوم عند العلماء ، فى علم الأرض ، ان سطح الأرض يتألف من قشرة مصنوعة من تربة ورمل وصخر ، عمقها فى المتوسط نحو من اربعين ميلا .
ونذهب فى الأرض اعمق من هذا ، لو استطعنا ، فنجد طبقة تختلف عن تلك

القشرة اختلافا كبيرا ، فهي لدنة كسائر اللدائن Plastics ، وهي تمتد في اعماق الأرض نحوا من ١٨٠٠ ميل . وتسمى هذه الطبقة بالعباءة Mantle . هكذا سماها العلماء .

وتحت العباءة تأتي الطبقة الثالثة الأعمق من الكرة ، وهي من النيكل والحديد غالبا ، وتمتد ١٣٠٠ ميل سفلاً حتى مركز الكرة .

ومن حيث الحرارة والبرودة وجد العلماء ان حرارة الأرض تزيد كلما هبط فيها الهابط . وهم هبطوا في مناجم ، منها ما يبعد بعمقه ميلين عن سطح الأرض ، وارتفعت الحرارة كلما تعمقوا وانتهوا على ان الحرارة تزيد درجة واحدة بكل ٦٠ قدما يهبطونها .

ومعنى هذا، ان الحرارة ترتفع ارتفاعا عظيما كلما زدنا في الارض هبوطا .

وهي تنتهي بأن تجعل من محتويات الطبقة الثالثة ، التي تصل الى مركز الأرض ، طبقة حارة منصهرة مائعة .

ومن دلائل صدق ارتفاع الحرارة كلما هبطنا في الأرض ، ان البراكين تخرج من بطن الأرض حمما من الصخر المنصهر .

ومن هذه الدلائل منابع الماء الساخن الذي يخرج من ثقوب الأرض ، ومعه بخار الماء دافعا مدفوعا .

كيف تكونت الجبال

بعد وصف باطن الأرض ، يسهل علينا ان نذكر من النظريات التي تصف من تكوّن الجبال ما تصف .

والنظرية الاولى تعتمد على الرواسب التي تحملها الانهار لتصبها مع مائها في البحار . ان الأنهار تصب في البحر من الغرين الشيء الكثير، ولا تتوقف . وينزل الغرين الى البحر فيشكل طبقة من الطين لا تلبث ان تتماسك وتتجمد . ومن فوق هذه الطبقة تأتي طبقة ثانية فثالثة . وهلم جرا . وقد حسبوا ، فوجدوا ان النهر اذا نشط فباستطاعته ان يكوّن طبقة من الطين سمكها قدم في قرن واحد.

وفي البحار تتكون من حيوانها والأسماك ، عندما تموت ، رواسب تصل الى القاع ، فتكون الطبقات ، وهي من مادة الجير اصلا . وقد حسبوا فوجدوا ان هذه الطبقة الراسية قد يبلغ سمكها في قاع البحر قدَما في ٦٠٠٠ عام .

وهذه الرواسب لها اوزان تزداد ثقلا على مدى الدهور . وهي تثقل حتى لا يستطيع قاع البحر ان يحتملها ، واذن هو يهبط تحت ثقلها الى اسفل . وهذا الضغط يصل من القشرة الأرضية الى العباءة التي تحتها ، وبها من اللدانة ما بها . وينتقل هذا الضغط عن طريق العباءة الى قشرة الأرض في ناحية اخرى. وهو ضغط يحدث ، فيما يحدث ، انبعاجا الى اعلى في العباءة ، واذن ، ففي القشرة التي فوقها . وترتفع القشرة وتتكون الجبال .

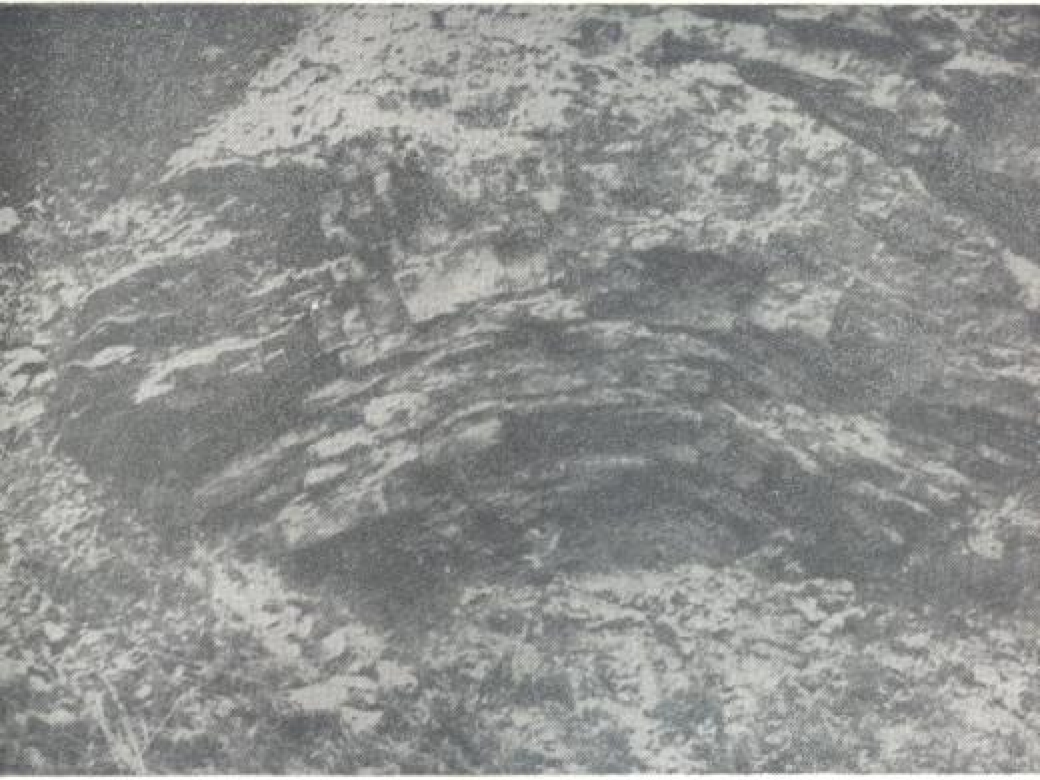
فهذه نظرية واحدة من نظريات عدة ، ليس منها ما بلغ حد اليقين .

نظرية التفاحة

وهناك نظرية بناها اصحابها على ان الأرض ، وكانت ساخنة في اول امرها ، سائلة مصهورة ، ثم اخذت تبترد وتتصلب على مر السنين ، انتهت بأن برد سطحها، واخذ على الدهور المتطاولة يزداد ابترادا . والحرارة تمدد كثيرا من الاجسام وتزيد في احجامها . والبرودة تقلص هذه الأجسام ، وتنقص من احجامها . واذ بردت الأرض ، واخذت تنكمش ، تجعد سطحها هنا وهناك . وشبهوا ذلك بالتفاحة المتروكة حين يتجعد سطحها بالقدَم . فالذى ارتفع من السطح فهو الجبال ، والذى هبط فهو الارض البسيطة او الوديان .

نظرية العناصر المشعة

ونظرية اخرى قالوا فيها ان الارض ما بدات عندما بدات كتلةً من الصخر المنصهر ، قذفت بها الشمس ، فلما



ان الصخور تقع تحت ضغوط كبيرة ، فاذا هي انضغطت من جانبيها بقوة تتغلب على ما بها من مرونة، تهبط بطونها الى اسفل . ومن مثل هذا تتكون الجبال ووديانها . وفي الصورتين المرفقتين ترى في

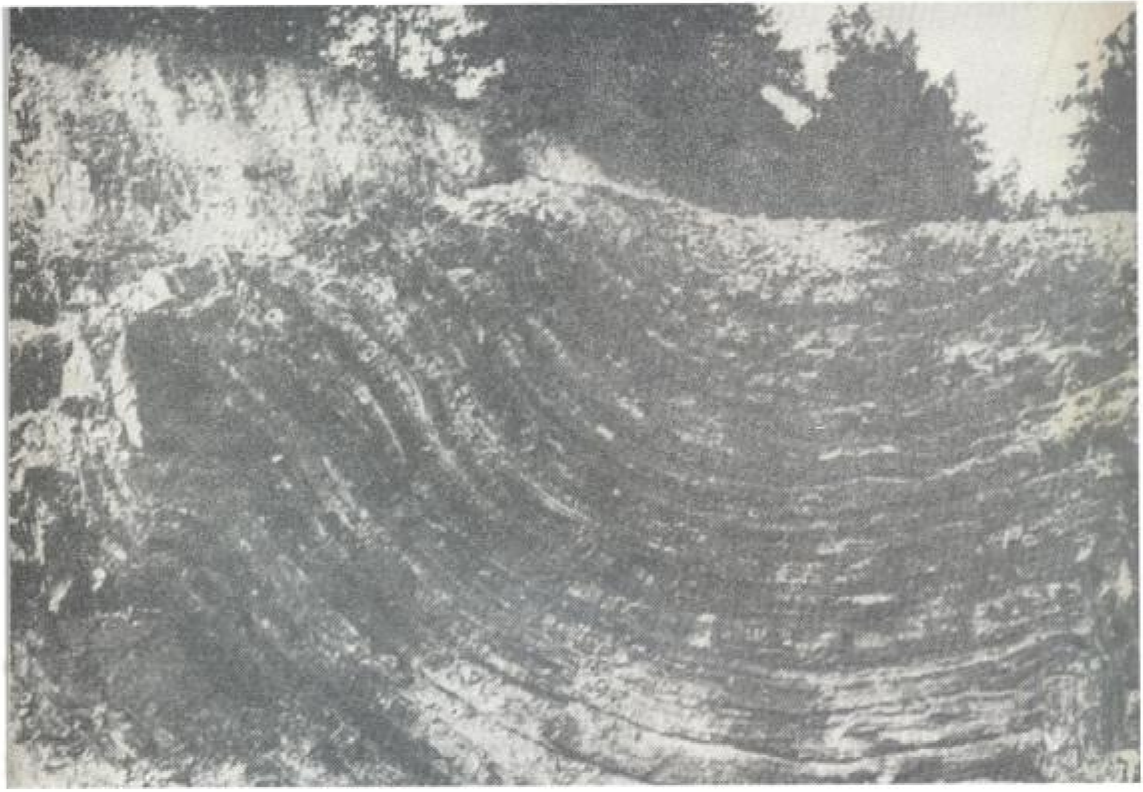
ابتعدت عنها اخذت تدور حولها دوران الكواكب . وقالوا ان الأرض ، باطنا وظاهرا ، لا تبترد على الأيام كما يقول الآخرون . وانما هي دائما تحترّ بسبب ما فيها من عناصر مشعة . واتخذوا من هذه الحرارة سببا لما يجرى في باطن الأرض ، من تغيرات كبرى يكون من بعض نتائجها ظهور الجبال ، وانفتاح افواه البراكين اذ ترمي بحممها .

نظرية تحرك القارات

ومن العلماء من اراد ان يحيي النظرية القديمة التي تقول بتحرك القارات على سطح الأرض ، بحسبان انها عائمة او شبه عائمة في الطبقة الأرضية التي سميناها العباءة ، وبها من الميوعة ما بها . وترتطم القارات بعضها ببعض فتحدث من ذلك ضغوط تنشأ منها الجبال ، وضربوا مثلا لذلك جبل الألب. قالوا : ان افريقيا تحركت فارتطمت بأوروبا فنشأ عن ذلك الحزام الجبلي الممتد بين جبال البرنيز الى جبال الكرباث ، ومنه جبال الألب .

نظرية ان الموازنة بعض طبيعة الارض

ونقف وقفة قصيرة عند نظرية اخرى



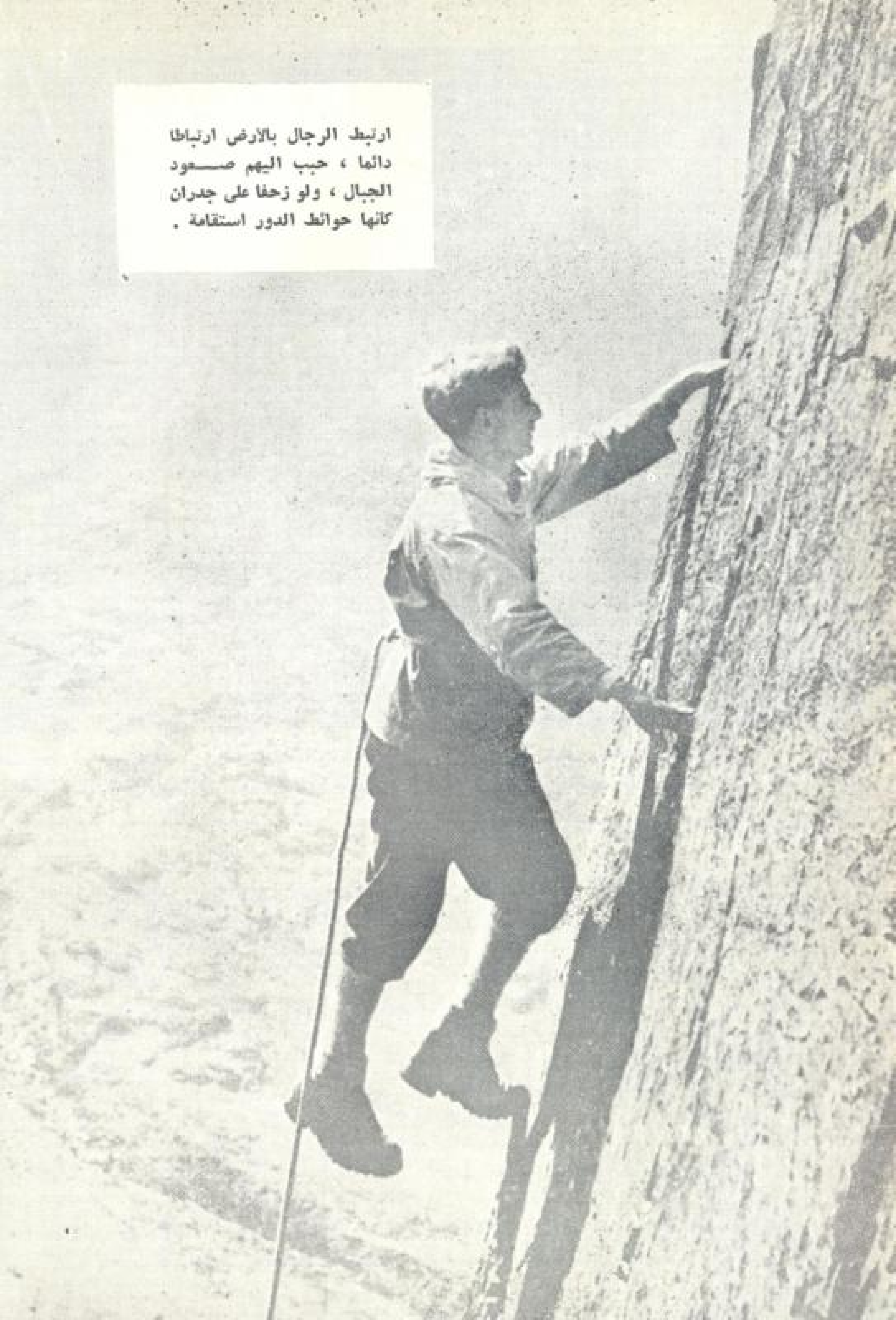
انبعجت ، فكونت طبقات من الارض مقوسة ترتفع بطونها الى اعلى ، وطبقات اخرى من الارض مقوسة احداهما الطية الأرضية المحدبة Anticline ، وفي الأخرى ترى الطية الارضية المقعرة Syncline .

تقول بان الأرض بها طبيعة يقظة تحفظ الكرة الأرضية من ان يزيد سطح منها وزنا ، دون ان يقابله وزن مماثل آخر في جهة اخرى من سطح الكرة .

ان كرة تسير حول نفسها ، وتسير فوق ذلك حول الشمس ، لا بد ان تتخبط في سيرها المنتظم ، فتميد ، اذا لم تتوازن اثقال في شرقها باثقال في غربها وبكل ناحية فيها ، واذن فهي تعمل دائما على توزيع هذه الاثقال على سائر سطحها حتى تكون موازنة . والضغوط التي تصنع هذا التوزيع هي التي تصل الى القشرة الأرضية فتثنيها وتلويها ، وهي في اثناء ذلك ترتفع منها ما يعلو ومنه تتكون الجبال .

من اى الصخور تتألف الجبال

ان الصخور انواع ثلاثة ، الصخور النارية ، وهي التي كانت منصهرة في العباءة الأرضية ثم بردت ، ومن امثلتها الجرانيت والبازلت . والصخور الراسبة ، وهي التي رسبت من الماء في نهر او بحر ، ومنشؤها الأول من الصخور النارية ، ومن امثلتها الحجر الجيري ، والصخور الراسبة قد تقع في باطن الأرض تحت الضغط والحرارة ، فتتحول من



ارتبط الرجال بالأرض ارتباطا دائما ، حبب اليهم صعود الجبال ، ولو زحفا على جدران كأنها حوائط الدور استقامة .

طبيعتها الاولى ، وهي عندئذ تسمى بالصخور المتحولة، ومن امثلتها الرخام، وهو حجر جيرى (صخر راسب) تبلور .

والجبال تتألف عموما من الصخور الراسبة والمتحولة ، ولكن قد يدخل فى تركيبها صخور نارية كذلك ، تقتحمها وهي فى بطن الارض اقتحاما .

التعرية ونصيبها فى بناء الجبال

ذكرنا من الصخور الراسبة ما ذكرنا، وذكرنا انها جاءت بها الانهار غرينا فصبته مع مائها فى الانهار . وفى البحار ترسبت وتكونت منها الطبقات الثقال على مر الدهور .

ولكن من اين جاءت الانهار بهذه الرواسب ، بهذا الغرين ؟

انها عوامل التفتيت تلعب دورها اولا فى قشرة الارض الجامدة ، من عالية ، ومنها الجبال، ومن سافلة. واخص هذه العوامل اختلاف درجة حرارة الصخر بين ليل ونهار ، وبين صيف وشتاء . ثم الريح تهب فتزيح الفتات ليظهر صخر جديد يتفتت من جديد . ثم ماء المطر يأتي من عل فيحمل هذا الفتات عن الصخر حملا، ويذهب به الى الانهار ومن الانهار الى البحار .

الى هنا تحدثنا عن ظاهرة كلها هدم .

ومن هنا تبدا النظريات تتحدث عن بناء الجبال . وهو حديث يتضمن تراكم الصخر فى البحر . وقيام قوى فى البحر تعمل فى طبقات الصخر فتلويها وتثنيها فتكسر ما تكسر منها ، وفى الركام الناتج، يسقط فى البحر من الصخر ما يسقط ، ويرتفع عن سطح البحر ما يرتفع ، وتلك هي الجبال تصنع من جديد .

عوامل التعرية تعمل فى الصخر، نراها راى العين فى الظاهر المرئي من سطح الارض ، وعوامل اخرى فى بطون الماء ، ماء البحار ، تعمل خافية ، لتصنع الجبال من جديد ، لا على الاعوام او القرون ، ولكن على الملايين من السنين .

وعوامل التعرية تعرى الجبال فتفقد من مادتها ما تفقد ، وعوامل فى البحار تعوض الارض عما فقدت بظهور جبال فى نواح من قشرة الارض شتى .

ونتحدث ولا نذكر الزمان ، لان زمان الارض ليس كزماننا .. فالقرن من قروننا هو فى عمر الارض وعمر الصخر كلحظة واحدة من عمر رجل او عمر امرأة ومن اجل هذا يتراءى دائما للانسان ان الجبال ابدية سرمدية ، وما هي بذلك . ان عوامل التعرية تعمل فيها دائما ابدا . ولولا هذه العوامل لظلت الجبال مؤلفة من صخور حادة الاضلاع قاطعة كالصخور التي وجدوها فى سطح القمر ، حيث لا تعرية ، فلا ماء ولا هواء .

اشكال للجبال اربعة

الجبل المتطوى Folded Mountain

اول هذه الاشكال شكل ينشأ عن التثنى فى طبقات الارض . مثال ذلك ان قشرة الارض المنبسطة يقع عليها الضغط من جانبيها ، فتنحصر الطبقة بينهما ، وينتج عن ذلك ان الطبقة تضيق بالوضع الذى هى فيه ، تريد أن تنكمش فلا تستطيع ، واذن فهى تنثنى وتظهر فيها طية أو طيات . تماما كالذى يحدث فى سجادة ، تدفعها أفقيا من طرفيها فيظهر فيها الثنية من بعد الثنية .

والطية الحادثة ترتفع عن مستوى السجادة . وهكذا هى فى الصخر ، ترتفع عن سطح الارض فتظهر كالقبة . ويسمى الجبل الناشىء بالجبل المتطوى Folded Mountain اى الذى لو كشفت عن باطنه لوجدته يتألف من طية فى الصخر من بعد طية .

ومن أمثلة ذلك جبال الأطلس بالمغرب، وجبال الألب بسويسرا ، وجبال اليورال بروسيا .

الجبل المتصدع Faulted Mountain :

وهو جبل يعطيك وجها منه كالصفحة انبساطا . وهو ينشأ عندما تعمل القوى الباطنية فى صخر القشرة الأرضية بحيث لا تكتفى بثنيها ، فيكون من جراء ذلك كسرها وانصداعها . ونصف منها يصعد فهو الجبل،ونصف يهبط فلا تراه العين او قد تراه ولكن منخفضا .

الجبل البركانى

ويبدأ تكونه بخروج حمم من بطن الأرض ، ينثقب لها سطح الأرض . وتتراكم هذه الحمم ما ظل البركان فى نشاطه . وتبرد ويتألف منها الجبل .

وقد اطلع الناس على جبل بركانى ظهر حديثا فى المكسيك ، وبالتحديد فى عام ١٩٤٣ . كان هذا فى حقل قمح . بدأ بأن خرج من أرضه سحابة كثيفة من دخان . ومضى يوم فاذا بكومة من صخر ورماد تكونت حول الفم الذى خرج منه الدخان ، وكان ارتفاعها ١٠٠ قدم . وظل البركان يقذف حممه ، وظل الركام يزيد ، وبلغ ارتفاعه ٤٥٠ قدما بعد أسبوعين ، وبلغ ٩٣٠ قدما فى ثمانية أشهر . وتوقف نشاط البركان فى عام ١٩٥٢ وكان ارتفاعه قد بلغ ١٣٥٠ قدما .

والجبال البركانية لا تخفى أشكالها على أحد ، فشكلها كشكل المخروط أو القمع الهائل وضعناه مكفوءاً على الأرض .

والكثير من جبال الأرض جبال بركانية عظيمة تكونت قبل ظهور الانسان على ظهر الأرض .

ومن أشهر هذه الجبال جبل كليمان جارو Kilimanjaro ، وهو نشأ فى سهول افريقيا عند خط الاستواء ، وارتفاعه يبلغ ١٩٥٠٠ قدم .

ومن أشهرها جبل فوجى ياما ، وهو جبل اليابان المقدس ، ويبلغ ارتفاعه ١٢٣٨٨ قدما .

الجبل المقبب Dome Mountain .

وهى جبال كادت أن تكون جبالا بركانية . ذلك أنها بدأت بأن سرى الصخر المنصهر فى بطن الأرض يبحث لنفسه مخرجا من سطحها فلم يوفق . لقد جرى الصخر المنصهر فى شقوق من الأرض عديدة ، ولكنه لم يقو على اختراق القشرة كلها . فهو رفعها هنا وهنا ، وتكون من ذلك قبة ، هى الجبل فوق سطح الأرض .

الجبال عوائق عاقت اختلاط الناس أجيالا طوالا

عاقتهم،وعاقت الصلات بينهم ، مثل ما عاقت البحار والمحيطات .

فجبال الهملايا فصلت بين الصين والهند فصلا دام قرونا . والى اليوم لم تقم سكة حديدية تربط بين هذين البلدين الكبيرين .

وجبال الأنديز Andes ، وهى تمتد على الساحل الغربى لأمريكا الجنوبية ، لم تخترقها سكة حديدية الا فى عام ١٩١٠ .

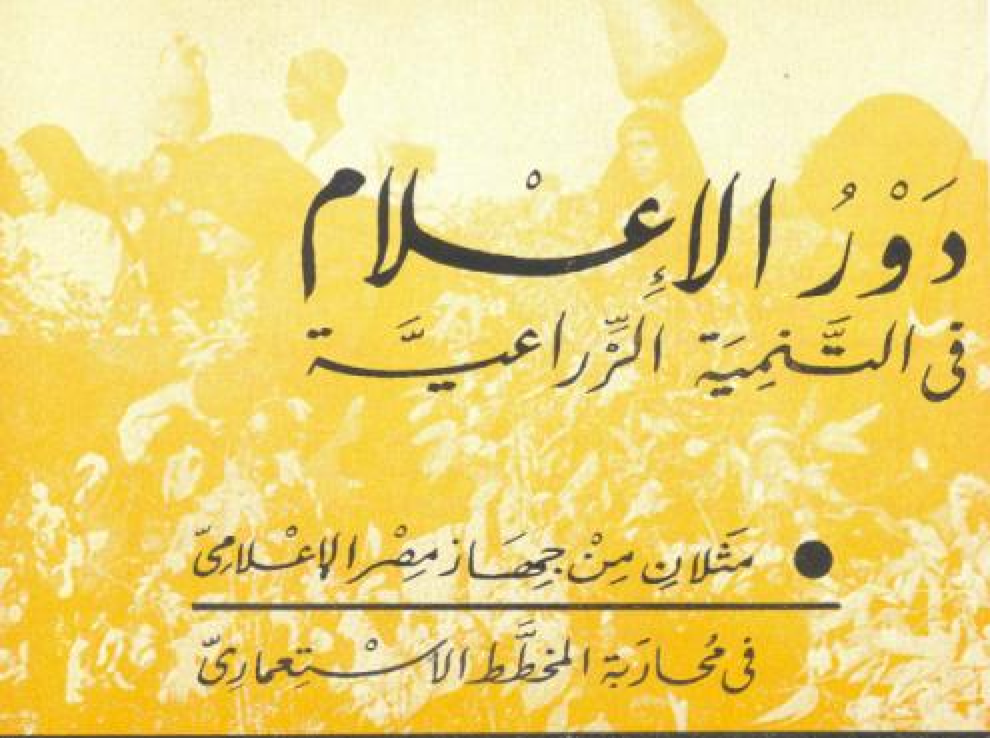
وجبال البرنيز أغلقت الباب بين اسبانيا وفرنسا وسائر أوروبا سنوات عديدة .

وجبال الألب فصلت بين ايطاليا ، سلالة اللاتين ، والجرمان .

وهذا التحاجز كان له نفع ومضرة . أما نفعه فهو أنه حمى الأضعف من الأمتين الواقعتين على جانبيه من غزو الأمة الأقوى . وأما مضرته فهى كل ما ينتج عن فصل الروابط بين الناس من أسواء .

على أن تكنية هذا العصر ، وهى مصنوعة ، تخطت كل عوائق الطبيعة ، حين جاءت الطائرات تعلو فوق الجبال، وتعلو علوا كبيرا ، تنقل بين الأمم المتجاورة التى هى بالجبال متحاجزة ، تنقل أسباب الخير كما تنقل أسباب الشر على حد سواء .

أحمد زكى



دَوْرُ الإعْلام فى التَّنمِيَةِ الزِّرَاعيَّةَ

مِثَالان مِنْ جِهَازِ مِصْرَ الإعْلامىّ فى مُحَارَبَةِ المُخَطَّطِ الاسْتِعمَارِىّ

بقلم : مصطفى محمود فرحات

معهد الاعلام ـ جامعة القاهرة

■ تعانى الدول النامية فى العالم الآن من مرحلة الانفجار السكانى ، وهذه الدول تقع فى جنوب شرق آسيا وفى جنوبها وفى الشرق الاوسط وفى افريقيا وفى امريكا اللاتينية ، وتتصف هذه الدول بأنها زراعية فى الغالب الاعم ، وان كانت تحاول ان تأخذ باسباب التصنيع المرتبط بالزراعة ـ الصناعات الخفيفة او الصناعات الاستهلاكية والغذائية ـ اما عن عبورها الى مرحلة التصنيع الثقيل ـ الصناعة التى تنتج مصانع او صناعات اخرى ـ فهذا لم يتأت لها بعد.

والتنمية الزراعية في هذه البلاد هى محاولة للقضاء على اسباب الجوع الكمى او الجوع الكيفى ، بان تحصل كل دولة من خططها الزراعية على اكبر غلة من وحدة المساحة فيها ، وبان تنتج منها اكثر من محصول واحد في العام الواحد كلما سمحت بهذا المواسم الزراعية ومهارة الايدى البشرية العاملة فى ميدان الزراعة .

فاصبحنا نسمع في الفيلبين عن الارز العملاق .. وفي العراق عن القمح المكسيباك ، وفي مصر عن القطن جيزة ٦٧ وجيزة ٦٨ وعن الالف مصنع ، وفي الهند استنبط في حقل الابحاث بترومباى بالقرب من بومباى صنف جديد من الارز TR-1 ينضج مبكرا ثلاثة اسابيع ويتفوق في متوسط الغلة بنسبة ٢٠٪ .. وغير هذه الاصناف المستنبطة الممتازة ـ عالميا ـ نجد كل دولة من الدول النامية تسارع الى استكمال وسائلها الفنية والاقتصادية والزراعية حتى تتكامل هذه كلها وتؤدى الى معدل من التنمية يوازى ان لم يتفوق على معدل النمو السكانى في كل منها ، والا فانها تكون ثابتة في مستواها المتخلف ولا تتقدم للامام بل تزداد تخلفا .

وتحتاج عملية التنمية الزراعية في دول جميع تلك المناطق الى مساندة البرامج والمشروعات

الزراعية ببرامج اعلامية وبنظم اتصال تتواءم في نظرياتها واسسها مع خطورة المرحلة التى تمر بها هذه الدول . ودور الاعلام Mass Communication له خطورته كما يتضح عمليا وتطبيقيا من المثالين التاليين :

قصة بذرة القطن
المثل الاول

في عام ١٩٢٥ والمكان هو ريف مصر ظهرت في المحالج بذرة القطن بعد حلجه وكبسه ليشحن الى لنكشير ـ ليصنع هناك حينئذ ـ وظهرت بظهور بذرةالقطن المعاصر لعصر الزيت واستخلاصه ويبقى كسب بذرة القطن .. الواح من بقايا مكونات البذرة بعد عصرها واستخلاص الزيت منها .. ولم يجد هذا الكسب ـ حينئذ ـ طلبا عليه فتكدس في احواض المحالج واروقة المعاصر حتى تعاقدت على شرائه شركات صناعة علف الحيوان الاجنبية. وكما شحنت البواخر بالبالات من القطان الشعر المحلوج المكبوس شحنت ايضا بكسب بذرة القطن، وعبرت البحار والمحيطات لتدخل هى الاخرى ـ في بلاد غربية ـ ضمن صناعات علف الحيوان لتتحول في جسمه الى لحم شهى وبروتين من لبن وبيض يبنى للغرب سواعد قوية لتعود وتغتصب القطن وغير القطن من خامات اولية زراعية وصناعية .

تمتلىء البواخر بخامات القطن (شعر ـ بذرة ـ كسب) كلما وجد المستعمر الدخيل لها سبيلا .. تمتلىء من مصر ـ ومن غيرها ـ وتفرغ في موانىء بلاد اجنبية وتعود لتمتلىء مرات ومرات .. وتمر سنوات على هذا الحال وسنوات .. ثم يسافر على ظهر احدى البواخر طالب مصرى هيا له نبوغه وتفوقه السماح له بالسفر في بعثة دراسية، وتخصص في التغذية .. في كيمياء تغذية الحيوان .. وعرف من قيمة كسب بذرة القطن ما عرف ، وجرب فيه من التحليل ما جرب ، ثم كتب الى والده في ريف مصر يخبره بنتيجة علمه .. وقرا الوالد له .. وارضاء لابنه الغائب بعيدا في بلاد الغرب قدم الوالد في عليقة البعض من ماشيته قليلا من كسب بذرة القطن وراى النتيجة طيبة فيما تدره الماشية من لبن وفيما يحويه من زبد ومن جبن .

اخبر الوالد اخوته وجيرانه . وقد سره ما حدث . بالذى اضافه الى عليقة ماشيته وبالذى حدث من زيادة في انتاجها .. فقدموا هؤلاء الكسب للبقر وللجاموس في خوف وتريث اولا ثم ـ للنتائج الطيبة ـ قدموه في جراة واطمئنان فيما بعد ، واصبح الوالد مجيبا للسائلين المستفسرين عن فوائد كسب بذرة القطن اذا ما اكلته الماشية.

وكان الوالد لمكانته ولسابق اتصالاته بالناس ولما اتصف به من صدق وجدية ونجاح في بيته وفي غيطه له تاثير فيمن حوله .. كان الوالد من قادة الراى في هذا السبيل .. أصبح الوالد حينذاك قائد راى او كما يعرف في علم الاتصال بـ Gate Keeper واشترى الناس ممن حوله الكسب من اقرب المحالج والمعاصر بالمنطقة .. ولاحظ الخواجة مدير المحلج والمعصرة تكرار الطلب على كسب بذرة القطن ، وحملت اسلاك البرق هذه الملاحظة الى الخواجات اصحاب المحالج والمعاصر ، وتدارسوا فيما بينهم هذه الظاهرة الجديدة .. الفلاحون يقبلون على شراء كمية الكسب في منطقة كذا .. والكمية التى يشترونها تتزايد والوجوه المترددة للشراء تتزايد في التردد على المحالج والمعاصر لهذا الغرض .. وربما ينتشر هذا الوعى من فلاح الى آخر ومن قرية الى اخرى حتى تبتلع طلباتهم كميات الكسب الناتجة .. فتصبح طلبات الكسب من الخارج بلا معروض منه بالداخل ، وعندما يزيد الطلب الداخلى سيسبب العجز لدى خواجات المحالج والمعاصر فلا يقدرون آنئذ على الوفاء بطلبات الشراء المقدمة من البلاد صاحبة الامتياز ـ حينذاك ـ والمستعمرة ..

اذن ماذا يفعلون ؟

وهداهم فكرهم الاستنزافي ووجودهم الاستغلالى الى فكرة .. في هذه المنطقة يسير قطار سكك حديد الخطوط الضيقة بين القناطر الخيرية وبين مدينة بنها .. وهذه القطارات يستعمل فيها فحم الكوك كوقود ..

لا ! .. وبامر سلطات الاستعمار وبتدبير خواجات المحالج .. لا ! .. لا ! .. ستسير قطارات شركة سكك حديد الخطوط الضيقة (قطارات الدلتا) باستخدام كسب بذرة القطن ـ كوقود ـ بدلا من استخدام فحم الكوك لهذا الغرض .. ويصبح الاهالى وهم يرون الواح كسب بذرة القطن محملة في مخزن الوقود بالقاطرات بدلا من الفحم ، ويقوم وقادو القاطرات باطعامها الواح الكسب .. يقومون

يملأ افرانها بالكسب بدلا من قطع الفحم .. ويتصايح الاهالى من الفلاحين . الوابور بحرق الكسب .. يمشي بالكسب، الوابور تدور ماكيناته بكسب بذرة القطن .. ويضيف الخواجات لملاحظة الاهالى عبارة وابو فلان يقول لكم اضيفوه للعلائق .. ؟ ابو فلان مسكين .. ويشيرون بأصابعهم الخمسة مفرودة في حركة دائرية ترددية حول اصداغهم .. يشيرون الى الفلاحين بما يشككهم في قول ابى فلان حول اطعام الكسب للماشية .. ويتعجبون في كل مرة يلتقون فيها بالفلاحين .. ويتندرون بكسب بذرة القطن الذى تحرقه القاطرة لتسير وبنفس الكسب (الولعة) الذى ينادى ابو فلان بأن يطعموه لماشيتهم .. للبهائم .. ومسكينة جدا جدا .. البهايم .. يا (خرام) .. كيف تأكل النار لتنتج اللبن كيف ؟!

واحجم الناس شيئا فشيئا عن تقديم الكسب للماشية .. وحتى الذين كانوا قد تأثروا بأبى فلان هذا بدأوا يرتدون .. بدأوا يلجأون الى غير الكسب من علائق .

وتوفرت كميات كسب بذرة القطن للبواخر الاجنبية وللطلبات الخارجية .. ونجحت الاشاعات المضادة Anti - Rumors لاستخدام الكسب في علائق تغذية الحيوان ثم صاحبتها من قبل الخواجات وعملائهم اشاعات توقعية Anticipatory Rumors مؤداها ان يتأكد نفوق الماشية من اكلها كسب بذرة القطن .

وهكذا ضاعت فائدة العلم المتسرب من طالب البعثة في دوامة الاشاعات التى لا اساس لها من الصحة والتى تغذيها احقاد المستعمرين المستفيدين .. تدعيما لخطة استنزاف خامات مصر .

وتوالت السنوات من اواخر الثلاثينيات من القرن العشرين لتقوم مع نهايتها الحرب العالمية الثانية ، وصارت لا تهتم البواخر ـ حينئذ ـ الا بالحرب وما يخدمها، وتتبدل الاساطيل التجارية العابرة للبحار والمحيطات ليل نهار .. الى اساطيل حربية متلصصة ..

ويبقى كسب بذرة القطن حيث هو في اماكن انتاجه بالمعاصر وفي اروقتها .. وترتفع اسعار كل شيء حتى سعر البيع لعلائق الحيوان ، مما يضطر بعض الناس الى العودة لتجربة اطعام الماشية على كسب بذرة القطن وامرهم لله .. وقاتل الله الحرب وايامها السود .. هكذا كانوا يقولون .. وبدأ التفات الفلاحين الى الكسب من جديد وتتسع دائرة الوعى بفائدته تلقائيا او نتيجة الاتصال الشخصي او الاتصال الجمعى في الاسواق المحلية وفي لقاءات الفلاحين

Personal or Group Communication

حتى يحل عام ١٩٥٥ ويتدخل القانون ليتحكم في توزيع الكسب بين الناس في ريف مصر ، وتقوم عليه تجارة واسعة بل ويتقاتل الناس من اجل الحصول عليه والاتجار فيه .. بعد عشرين عاما مضت بلا ادنى جهد اعلامى مقصود سليم ، فلم يكن في هذه الفترة اى عام ١٩٣٥ وما بعدها ـ علم الاعلام قد شاع آنذاك الا لاغراض عسكرية وسياسية مثل الدعاية النازية والفاشستية والدعاية المضادة .. اما الاعلام الزراعى فلم يهتم به الناس في تلك السنين ليخدم الثروة الحيوانية عندنا عن طريق نشر المعلومة الزراعية حسب قواعد ونظم علوم الاتصال والاعلام .. معلومة خلاصتها « استخدم كسب بذرة القطن في علائق الحيوان والدواجن بنسب كذا وكذا لتحصل على انتاج اوفر .. وانتاج اجود » ..

هذه المعلومة الزراعية الاقتصادية ما كانت لتحتاج الى مدى عشرين عاما (١٩٣٥ ـ ١٩٥٥) لتنتشر وليستفيد بها الناس والمجتمع والانتاج .. ما كانت لتحتاج الى عشرين عاما ليطبقها الناس لو ان حملة اعلامية ساندتها حتى يتحقق تأثيرها .

وقصة الذرة الشامية
مثلا ثانيا

في عام ١٩٦٤ والمكان هو ريف مصر ايضا حيث تعرضت البلاد للضغوط الاقتصادية ولمحاولة بعض الاحتكارات العالمية ان تحاصرها ، وبخاصة في مجال القوت ومحاصيل الحبوب وخاصة الذرة الشامية، Zia Mais التى يصنع منها رغيف الخبز لملايين الفلاحين .. كان العداء بين مصر وبين الاستعمار الجديد لا يتورع ان يتخذ اى سلاح من الاسلحة الناجحة في حرب هذه الدولة الآخذة بأسباب النمو .. والتى حصلت لشعبها حديثا على جلاء المستعمر ، وحصلت لجيشها على السلاح، وحصلت لمشروعاتها واهمها السد العالى على التمويل .. وبدأت تختط لتحولها الاجتماعى طريقا هو الاشتراكية ، وحرية الوطن والمواطن او حرية لقمة رغيف الخبز .. فكثيرا ما صادرت الفاقة حرية الفقراء في التعبير بصدق عن حقهم السياسي

ممثلا في التصويت .. لذلك اراد المستعمر ان يحاول حربه مع الناس في مصر من خلال منع الذرة الى هذه الدولة التي تتمسك بشيء من القيم الجديدة التي يكرهها المستعمرون الجدد .. عداء شمل حينئذ ـ للان ـ حرب القوت والثبوت كما فهمها في مصر الناس وكل الناس من اكبر كبير الى اصغر صغير ، من القمة الى قواعد جمهور الفلاحين والعمال .. عرفوا جميعا ان حصارا اقتصاديا سيفرض على الوارد من الذرة ، وادرك الاهالي والساسة الاقتصاديون والمهندسون الزراعيون بخاصة هذه الحقيقة .. صراع على لقمة العيش لا بد واقع بالبلاد .. ان لم يتخذ ما يقابل هذه المعركة من احتياطات انتاجية واقتصادية وزراعية .. احتياطات يقابل بها الشعب المصري هذا التحدي امام سلاح التجويع الذي سيشهر في ميدان حرب الذرة ..

اذن كيف يتغلبون في معركة حصار اقتصادي ؟

اجتمع المهندسون الزراعيون بكل فئاتهم ، الباحث في تربية الذرة Plant Breeders والباحث في وقاية الذرة من الآفات والامراض Pla Pathologists or Entomlogists وعلماء التربة وتغذية النبات والمقننات المائية .. والاقتصاديون الزراعيون ورجال الصحافة والاذاعة والتلفزة .. وكلهم اجمعوا الرأى على هدف واحد هو :

النهوض بمحصول الذرة الشامية ، واقرب وسيلة بل واسرعها الى هذا الهدف هو تحويل موسم زراعة مساحة الذرة من النيلي (خلال اشهر يوليو واغسطس وسبتمبر اى تموز وآب وايلوم) الى الصيفي (خلال مايو الى النصف الاول من يونيو ، اى من ايار الى النصف الاول من حزيران) مع توفير الري والسماد الكيماوي المطلوب واتباع المعاملات الزراعية المثلى والمناسبة لكل مناطق زراعة الذرة الشامية ، والتي هي ميدان لمعركة عرفت في مصر ، بمعركة حرب الذرة الشامية والتجويع .

حملة اعلامية منظمة

وقام المسئولون بتوفير كميات الاسمدة وساعد مخزون المياه على توفيرها خلال فترة زراعة المحصول الصيفي ، وبكر الناس بحصاد القمح في اوائل مايو (ايار) وتمت عملية طفي الشراقي ـ اى رى ارض القمح بعد حصاده ونقله من الحقول ـ مبكرة في مساحة زادت عما قدره المسئولون .. وفاقت المستهدف تحويله من العروة النيلية الى العروة الصيفية والذي قدر بما يقرب من ٦٠٠ الف فدان ، وبلغ ٩٩٦ الف فدان ، وارتفع فيها متوسط انتاجية الفدان من الذرة بما يبلغ ٢ر٣ اردبا بلغت حصليتها المليونى اردب من الذرة ثمنها خمسة عشر مليونا من الجنيهات ، وهذا المبلغ هو نتيجة مباشرة لحملة اعلامية مركزة تستند على اسس ونظريات ونظم الاتصال المختلفة اذ شملت الاتصال الشخصي Personal Communication والاتصال الجمعي سواء على مستوى الجماعة الصغيرة Microgroup Communication او الجماعة الكبيرة ، وتابع المشرف الزراعي رجع الصدى* نتيجة كل هذه الاتصالات ، وعدلت كثير من اللقاءات من حيث مستوى الحديث ونوعيته ومحتواه ، وموعد لقاء الناس المستمعين للحديث .. وتمت لانجاح هذا البرنامج الاعلامي الهادف عدة حملات اعلامية عن طريق اقناع مستمعي الاذاعة والقلة ممن لديهم اجهزة تلفزيون (وهذه كانت قليلة الاثر في الاعوام الاولى اذ بدا تشغيل التلفزة في مصر عام ١٩٦٠ ولم يكن الفلاح قد اقتناها اللهم الا نسبة ضئيلة جدا في القرى المكهربة) في الريف ، الا انه تجدر الاشارة الى الاف الفلاحين في كل مركز (قضاء) ممن اشتروا الراديو الترانزستور سواء من السوق المحلية او الذين حصلوا عليه هدية من ابنائهم الجنود العاملين في وحدات خارج مصر في تلك السنين ، وقد انتشر هذا الجهاز البسيط والصغير الحجم والرخيص الثمن لدرجة ان منظره بيد عامة الناس في القرى اصبح لا يثير دهشتهم ولا يبعث فضولهم ..

ويمكن تحديد الصورة الاعلامية التالية التي تمت ابتداء من فبراير ١٩٦٤ (شباط ١٩٦٤) واستمرت خلال الاشهر التالية من نفس العام حتى شهر (سبتمبر ايلول ١٩٦٤) .. يمكن تحديد الآتي :

١ ـ يتم اجتماع يومي بين المهندس الزراعي وقادة رأى القرية (يوميا في كل مكان ومع من يقابلوم) ، ويبسط لهم الهدف من زراعة العروة الصيفية واغراضها كما وصفت سابقا .

---

*رجع الصدى : Feed Back

٢ ـ يتم لقاء اسبوعى بين مهندسي زراعة المركز (القضاء) وبين قادة الرأى وزراع المركز في الاماكن التى يتجمعون بها مثل المساجد والكنائس والوحدات المجمعة والوحدات الزراعية .. لنفس الهدف .

٣ ـ يتم لقاء شهرى بين مديرى الزراعة والمحافظ ورؤساء مجالس المدن والقرى وقادة الرأى من الزراع ومهندسي الزراعة بالمحافظة ومهندسي الرى ، واعضاء التنظيمات السياسية والصحافة والاذاعة .. وسجلت افلام للتلفزيون (البرنامج الزراعى) ..

٤ ـ يتم اجتماع وزيرى الزراعة والاصلاح الزراعى مع الفلاحين بحضور المسئولين عن الصحافة الزراعية والبرامج الزراعية في الاذاعة والتلفزيون .. وكبار المسئولين عن الزراعة في الوجهين القبلى (مصر الوسطى حيث بمصر العليا تزرع الذرة الرفيعة) والبحرى حيث المساحة الكبرى المزروعة بالذرة الشامية .

٥ ـ خدمة للنهوض بمحصول الذرة صدرت نشرات مصورة بالالوان توضيحية لكل الجوانب الفنية في عملية الانتاج الجيد .. وباسلوب مبسط يتناسب مع مستوى من تعلم من الزراع ، وصدرت المجلات الدورية الزراعية مثل مجلة الارشاد الزراعى (١٥٠ الف نسخة ملونة مصورة) والمجلة الزراعية (٣٠ الف نسخة بالروتوجرافير) ومجلة الصحيفة الزراعية وهى تخاطب مهندسي الزراعة المشرفين على البرامج المنفذة والمسئولين عن التوعية المستهدفة كسلاح في حرب الذرة ، وقد ادت الكلمة المكتوبة والصورة تأثيرها لدى نسبة المتعلمين الالفبائيين من الزراع (٢٥٪ منهم) .

٦ ـ قامت الاذاعة المصرية (ركن الريف حينذاك) بتعديل خطته خلال اشهر الحملة لهذا الغرض .

٧ ـ زرعت الادارة العامة للارشاد الزراعى بالاضافة الى جهودها الاعلامية السابقة حقولا في القرى مجاورة لحقول الاهالى حتى تكون وسيلة ايضاح حية وقريبة يلمسها الفلاح بالنظر ويلحظها ويدرك بالمقارنة فائدة التطبيق العلمى السليم في المعاملات الزراعية ..

٨ ـ اسهمت الجرائد اليومية بصفحات زراعية مليئة بالاحاديث والتحقيقات الصحفية الناجحة وخاصة ما تمت ميدانيا مع الزراع ومهندسي الحقول في صميم الريف ..

٩ ـ استحدثت الوزارة المسئولة عن الانتاج الزراعى نظام كؤوس الانتاج بين المحافظات ومنحت للمحافظات الفائزة مع جوائز مالية للعاملين الذين اسهموا في تحقيق التفوق هذا .

١٠ ـ اعلنت الوزارة العاملين فيها بانها ستكافىء ماليا ومعنويا رجالها ومهندسيها ممن يحققون زيادة على غيرهم في محصول الذرة من المساحات التى تقع تحت مسئوليتهم .

ونجحت الخطة

ولم تر مصر خطة زراعية تساندها اجهزة الاعلام كالتى رأتها في في هذه السنة من قبل .. ولقد جاء تأثير الاعلام واضحا محققا رقما بالملايين من الجنيهات في صورة انتاج اوفر من محصول الذرة .. ولنجاح هذه الحملة منذ ١٩٦٤ (في سبعة اشهر من فبراير الى سبتمبر اى من شباط الى ايلول) وللنجاح الذى يتحقق في محصول الذرة بصورة طيبة تذكرها احصاءات الامم المتحدة في كتابها السنوى ، ويشعر بها المواطن المصرى الذى يعيش في ريف مصر على رغيف الخبز من الذرة .. للنجاح ارتباط وثيق بدور الاعلام .

ومن المثال الاول والمحروم من مساندة الاعلام ومن المثال الثانى والذى حظى بدور طيب من مساندة الاعلام يمكننى ان اقول بحتمية اخذ الدول النامية بالوسائل الاعلامية الحديثة بجانب تخطيطها العلمى الزراعى وبمصاحبة التطبيق السليم في الانتاج الزراعى .. ايا كان نوعه .. زراعيا نباتيا ، او حيوانيا .. من الزرع او من الضرع .. من الحقل او من البستان او من الغابة .. او من المياه .. والبلاد النامية غنية بمواردها وبثرواتها .. لكنها تقع تحت عبء الضغوط الاقتصادية المباشرة وغير المباشرة ، وهى ايضا يحيط بها الصراع العالمى الذى يبرز ما نلاحظه من قلة نصيب البلاد النامية من الزيادة العالمية في التجارة الدولية .. رغم زيادة المنهوب من خاماتها وثرواتها في ظل عدة مفاهيم وخداع وصراعات من الدول المتقدمة .. واعتقد ان لدور الاعلام الفضل في انجاز بعض البلاد النامية لخططها الزراعية التى تساعدها لى تنمية مواردها وسد حاجة من يرنو من بنيها الى رفع مستوى معيشتهم .. وتجويد غذائهم وتنوير عقولهم . ■

مصطفى محمود فرحات

مع ...

الله

في الأرض

وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه
وقدرة الله تتراءى في بديع صنعه

الديدان المدورة

ROUND WORMS

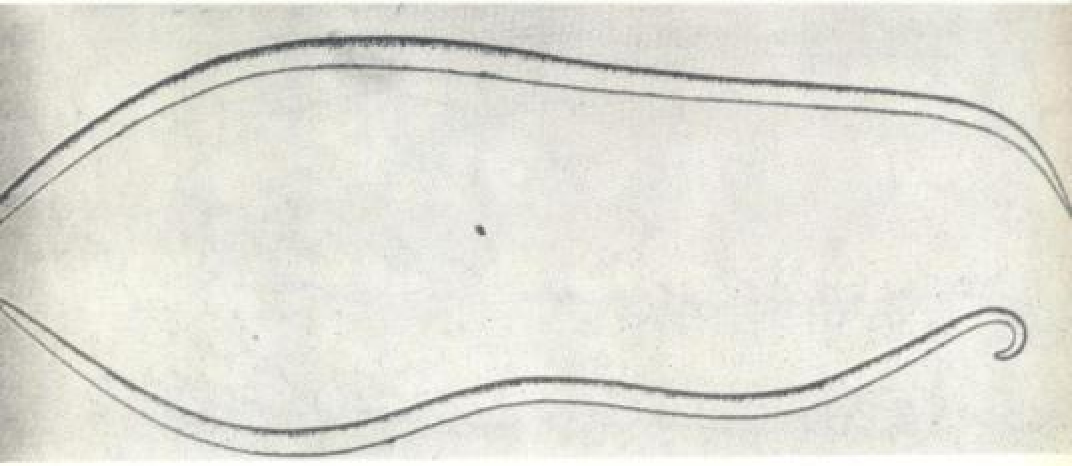
وفيها تستتم القناة الهضمية طرفيها فيكون لها فم .. ويكون لها است معا

■ وهكذا كل ما سوف نذكر من الحيوانات ، ونحن نرتقى السلم الحيوانى بعد ذلك . لها فم ولها است معا .

وهذه الديدان تتميز بوجود تجويف فى جسمها يفصل بين القناة الهضمية وحائط الجسم الذى يشكل قناة اخرى ، فالقناة الهضمية قناة داخل قناة . وهذه الفجوة التى بين القناتين مملوءة بسائل ، وهذا السائل يقوم بوظيفة نقل الاشياء من مكان فى الجسم الى مكان ، وهو يقوم بنقل الدم فى غيبة اوعية له . وهو يقوم بنقل الأغذية . وفى هذا التجويف توجد الأعضاء التناسلية ملفوف بعضها حول بعض .

والدودة ، فى الدود المدوّر ، نجدها لاول مرّة فى مسحنا لعالم الحيوان ، اما ذكرا واما انثى . والانثى قد تبيض فى اليوم الواحد بضعة آلاف بيضة .

ومن اجل هذا التجويف ، سميت الشعبة التى تتضمن الديدان المدورة ، وأمثال لها ، بشعبة الدود التجويفى Phylum Aschelminthes وهى تحتوى على بضع مئات من الآلاف من الانواع



دودة مدورة عادية كبيرة توجد في معدة الصغار من الخيل

Species أكثرها عددا الدود المدوّر .

والدود المدوّر ، ويسمى كذلك بالدود السلكى Nematodes ، يتراوح فى الطول ما بين ما هو مكرسكوبى الطول، وما طوله متر .

التطفل والديدان المدوّرة

ان الذى يهمنا من دراسة الديدان وغيرها ، فى بحثنا الحاضر ، هو مكانها فى صف التقدم الحيوانى الذى بدأناه بالأميبة لنختمه بالانسان . لندلل على الخطة التدريجية التى سارت عليها سنة الخلق جميعا . مع احتفاظ كل الاحياء بضرورات الحياة ، ما تبسط منها وما تعقد .

والديدان التى تعيش على استقلال ، فتسعى على انفراد للحياة ، تجد الرزق، وتقوم بالهضم ، وتدفع الأعداء وحدها. وهذه هى الحالة السوية التى فيها نقرن حيا بحى عند المقارنة .

وهذه الحيوانات اذا تطفلت ، فقد تنازلت عن بعض عمليات الحياة، واعتمدت فيها على الحيوان الذى تطفلت عليه ، فهو يعطيها غذاءها ، فهى لا تحتاج الى السعى على الطعام ، ولا الى هضمه الا ان يكون اتماما له . واذن تختلف فيها الأعضاء عن حالها السوىّ . ونحن بذلك نخرجها عند المقارنة فى ارتقائنا السلم الحيوانى ، لأنها خَلْق غير كامل .

ولكن الديدان المتطفلة ، تطفلت على الحيوانات والانسان ، فهى تصيب الحيوان المُضيف بشتى الأمراض، لذلك كان فى ذكرها هنا ، فى ايجاز ، نفع للقارىء بحسبانه انسانا .

ومن الدود المتطفل الدودة المعروفة بالدودة الترخينية Trichinello وهى تسبب فى الانسان مرض الترخينة ، ويحدث له بسبب اكل لحم خنزير لم يتم نضجه .

ومن الدود المتطفل الدودة المعروفة بالدودة الصنّارية Hookworm ، وهى تدخل الى جسم الانسان عن طريق الجلد ، فيما بين اصابع القدم ، وتصل اخيرا الى المعى الدقيق حيث تمتص منه الدم ، وتصيب صاحب الضيافة بفقر دم شديد .

الدِّيدان المُحَلَّقة

RING WORMS

وهي أتمّ الدِّيدان خلقًا

بها المخ والأعصاب وبها قلب ودورة دم
وبها الجهاز الهضمي وتوابعه



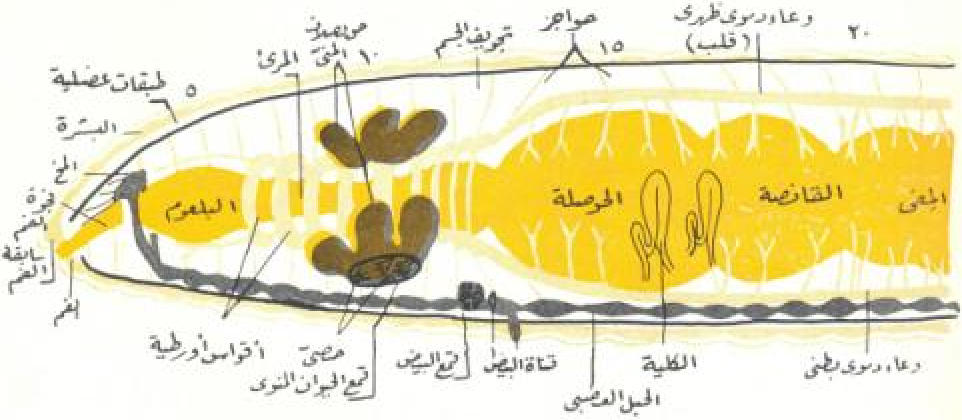
وتكون الديدان الحلقية Ringworms شعبة من الحيوانات ، من اشهرها دود الارض ، وهو دود مستقل العيش غير متطفل ، وتشمل الشعبة كذلك الدود المسمى بالعلق Leeches وهو دود يمتص دم المرضى ، ولذلك كان الطب القديم يستخدمه علاجا ، فهو دود متطفل .

ودودة الأرض تمثل هذه الشعبة من الديدان خير تمثيل . فأنت تنظر الى ظاهرها فتجده مقسما فلقا يفصلها حلق على طول جسمها . وقد تزيد هذه الفلق ، أو الحلقات ، على مائة ، وتزيد كثيرا .

اما في باطن الدودة فتجد أن الاعضاء وسائر الأجهزة تتكرر ، من فلقة لفلقة . وهذه الأعضاء تزداد تخصصا وتزداد كفاية عن اشباه لها سبقت في ما درسنا من حيوانات . ومن بينها نجد الجهاز الهضمي ، والجهاز الافرازى Excretory

←

دودة ارضية وهي كما ترى طويلة فهي نحو مترين



رسم ايضاحى للتركيب الداخلى للديدان الأرضية ، وفيه نرى تقسّم الجسم الى حلقات عددنا فى الرسم منها عشرين حلقة ، فهو رسم" غير كامل . ونرى فى أحد الأقسام ، وهو بين قسم ١٥ وقسم ٢٠ ، رسما اكليتين صغيرتين يتكرر وجودهما فى كل قسم من أقسام الجسم تقريبا . وفى الرسم نرى الجهاز الهضمى مكتملا حتى الاست (وهو فى الخلف المحذوف من الصورة) . والقناة الهضمية مرت بطول الدودة ، فى كل أقسام الجسم ، ولكنها تخصصت وظائفها اثناء ذلك . وفى الرسم نرى الوعاء الدموى فى ظهر الدودة ، وهو يتقبض انقباضات ايقاعية تدفع الدم فيه ، وهو يعمل عمل القلب . ويخرج من هذا الوعاء فروع لأوعية دموية ، عند كل قسم من أقسام الدودة ، وتنتهى شعيرات هذه الأوعية بأن تصب فى الوعاء الدموى الذى ببطن الدودة . وفى الصور تجد كذلك أعضاء التذكير والتأنيث فى الجسم الواحد . وليس هذا هو الحال فى سائر الدود المتحلق . ولكن كان لا بد من هذا الجمع فى حيوان يعيش فى الأرض ، فى ظلام منها دامس ، ليس من السهل أن يلتقى فيه الذكر بالأنثى .

والجهاز العضلى ، والجهاز العصبى ، وجهاز الدورة الدموية وهو يعمل عمل القلب .

ونرى الأغذية بعد انهضامها تخترق جدار المعى وتدخل الى الدم .

والأكسجين يدخل الى الدم عن طريق الجلد ، ويحمله الدم الى حيث الحاجة اليه فى الجسم وبالتنفس يخرج ثانى أكسيد الكربون ويخرج من الجلد .

من ذلك نرى أن الدود الحلقى تقدم، من حيث الخلق ، والأعضاء ، ووظائف الأعضاء ، تقدما كبيرا ، ساد به كل ما سبق أن وصفنا من حيوانات،ومن دود . ومن العلماء من يسمى الدود المتحلق بالدود المكتمل ، أى مكتمل الخلق ، اذا ما نسبناه الى سائر أنواع الدود .

ودودة الأرض لها فى الارض فوائد عديدة تنتفع منها زراعتها. فالدودة تأكل التربة ، تملأ بها فمها ، وتمر بها فى أنبوبتها الهضمية ، وتخرج التربة آخر الأمر من الاست . والدودة تأخذ ما تجد فى هذه التربة من طعام . فالدود يقوم فى التربة مكان المحراث ، يصنع بالارض صنعه ، من تهوية وتغير بيولوجى ينفع النبات عند استنباته فى الأرض .

والدودة الأرضية تغطى ظاهرَ جلدها بشرةٌ جامدة متصلبة ، يتصلب بها عود الدودة ، فهى اذا حفرت فى التربة استطاعت بصلابة عودها أن تخترقها .

وتختلف دودة الأرض عن سائر الدود الحلقى . وكل يختلف ليستجيب لضرورات تركيبه ، وضرورات العيش فى بيئته .

●●

أ . ز

عَلَّمَتْنِي الحَيَاة

بقلم: أنور العطار

■ خُلُودُ الفَنِّ :

عَلَّمَتْنِي الحياة أَنَّ مِنَ الفَنِّ فُنُوناً لا يَنْقَضِي وَحُبُورَا
فيه ما شِئْتَ مِنْ جَزَاءٍ على الجَهْدِ فلا تَرْجُ مِنْ سِوَاهُ شُكُورَا
وأَفَنَّ فيه تَعِشْ على الدهر حيّاً لا تَخَلْ عُمْرَهُ القَصِيرَ قَصِيرَا
نَهْلَةٌ منه تُسْعِدُ القَلْبَ إِسْعَاداً وتُقْصِي الأَسَى وتُدْنِي السُّرُورَا

★ ★ ★

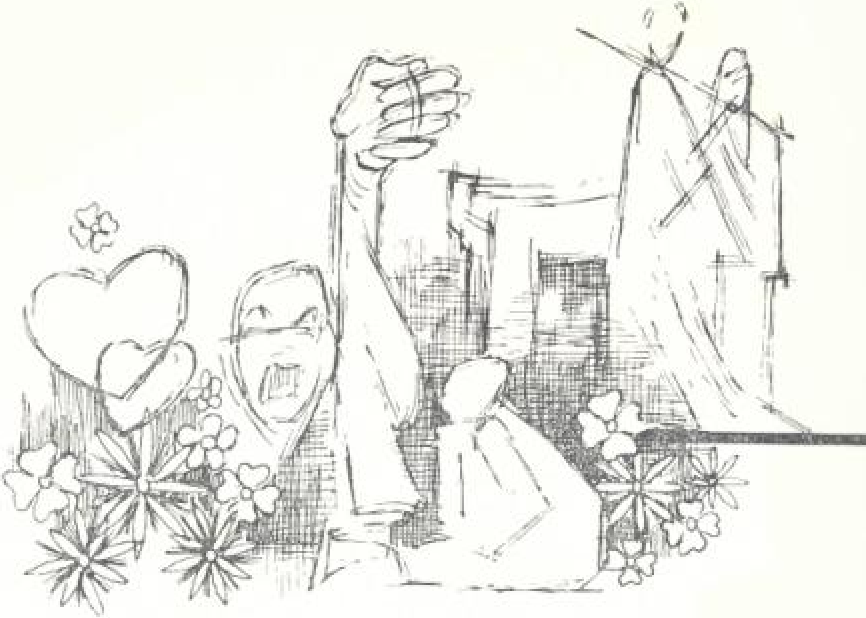
الأَشْوَاق :

عَلَّمَتْنِي الحياة أَنَّ مِنَ الأَشْوَاقِ سُقْماً يُفْضِي وَدَمْعاً يَبُوحُ
ما عليها إِنْ نَمَّ يَوْماً عَلَيْهَا خَافِقٌ مِنْ رَسِيسِهَا مَجْرُوحُ
إِنْ أَلَمَّتْ بالرُّوحِ منها الرَّزَايَا وَشَجَاهَا التَّسْهِيدُ والتَّبْرِيحُ
صَاغَتِ الشِّعْرَ لم يَصُغْهُ لسانٌ مَازَهُ الصِّدْقُ والبَيَانُ الصَّرِيحُ

★ ★ ★

المحبّة شِفَاءٌ :

عَلَّمَتْنِي أَنَّ المَحَبَّةَ طِبٌّ وَسَبِيلٌ إلى الشِّفَاءِ وَدَرْبُ
يَتَدَاوَى بها الأُلَى نَشَدُوا البُرْءَ وأَضْنَاهُمُ مِنَ العَيْشِ كَرْبُ



أنبلُ الحبِّ ظاهراً وخفيا … أنْ يموتَ المُحبُّ فيمن يُحبُّ
يالنفسٍ ترمى على النأي نفساً … يالقلبٍ بحبيهِ في البعدِ قلبُ

★ ★ ★

يومُكَ عمرُكَ :

علَّمتني الحياة أنَّ منَ الحا … ضرِ ما يملأُ الفؤادَ سرورا
فتمتَّعْ باليومِ ما دمتَ فيهِ … لا تُكدِّرْ نعيمَهُ تكديرا
ودعِ الأمسَ لاتحُمْ حولَ مثواهُ … ولا توقظِ النَّوومَ الغريرا
وابتعِدْ عن غدٍ فما هوَ منّا … ولا نحنُ منه حتى يزورا

★ ★ ★

في الصراعِ مقاومةٌ للمللِ :

علَّمتني أنَّ الملالةَ لا ينـ … ـجيكَ منها إلاّ الصراعُ الطويلُ
فتشبَّثتُ بالشجاعة فازددْ … تُ مضاءً ، وللمضاءِ سبيلُ
فاشحذِ العزمَ مثلَ سفكِ شحذٍ … فهو الضامنُ النصيرُ الكفيلُ
واطرحْ بأسكَ المشينَ اطراحاً … ينبثقْ منه فجرُكَ المأمولُ

■■

دمشق : انور العطار

اجتهاد الرسول الكريم في الأمور التشريعية

بقلم : الشيخ بدر المتولى عبد الباسط

■ مقدمة لا بد منها قبل الخوض في هذا البحث . احب ان اقرر مسائل مفروغا منها وهي ان اجتهاد المجتهدين في الامور التشريعية ينحصر في اربع حالات:
الاولى : التحقق من ثبوت النص ،وهل ثبوته قطعي او ظني .
الثانية : ترجيح احتمال على احتمال اذا كان النص يحتمل اكثر من معنى وهو ما يعرف عند العلماء بالنص الظني الدلالة .

الثالثة : ترجيح دليل على دليل عند التعارض.

الرابعة : الحاق امر مسكوت عنه بأمر منصوص عليه أو بتطبيق الفروع على أصول الشريعة .

ثم انه لا جائز ان يكون للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ اجتهاد في التحقق من ثبوت النص.

فكل ما أوحى اليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ سواء كان قرآنا ، او كان وحيا غير متلو وهو السنة بالنسبة اليه ، امر مقطوع بثبوته ، وظنية الثبوت او قطعيته انما هما امران قائمان بالنسبة الينا دونه صلى الله عليه وسلم .

ولا جائز ان يكون اجتهاده ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ترجيح احتمال على احتمال في النصوص الظنية الدلالة ، لان هذا الظن انما هو قائم بالنسبة الينا ، فوظيفة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ البيان ، فاذا رجح احتمالا على احتمال فليس هذا من قبيل الاجتهاد وانما هو من قبيل البيان الذى هو وظيفته كرسول،ولا يكون ذلك منه ـ صلى الله عليه وسلم ـ الا عن توقيف ووحى لا عن نظر واجتهاد .

ولا جائز ايضا ان يجتهد الرسول في ترجيح دليل على دليل عند التعارض ، لانه ان كان تعارضا لا يمكن فيه الجمع بين الدليلين كان الدليل الثانى ناسخا للاول ، ومعرفة الناسخ من المنسوخ تتوقف على معرفة تقدم احدهما على الآخر ، والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ اول من يعرف المتقدم من المتاخر ، وان كان تعارضا يمكن فيه الجمع بين الدليلين بأى وجه من الوجوه كان الجمع بينهما من وظيفة الرسول كمبين لما انزل الله تعالى ، اليه .

فلم يبق الا الحالة الرابعة وهى الحاق مسكوت عنه بمنصوص عليه ، او بتطبيق الفروع على اصول الشريعة وقواعدها العامة من عرف ورعاية مصلحة وجلب مصلحة او درء مفسدة الى غير ذلك من الاصول المقررة في الشريعة .

★ ★ ★

اذا تقرر هذا فاقول : ان العلماء اختلفوا في جواز الاجتهاد ، بهذا المعنى الاخير للرسول ـ صلى الله عليه وسلم .

فمنهم من نفاه ومنهم من اجازه . والذين أجازوه اختلفوا ـ هل الجواز عقلي فقط ام شرعي (ولا يكون شرعيا الا اذا كان جائزا عقلا) .

الذين قالوا بجوازه شرعا اختلفوا ، اوقع منه فعلا ؟

ومن قالوا بوقوعه فعلا اختلفوا في جواز خطئه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن قالوا بجوازه اختلفوا اوقع منه خطأ في الاجتهاد ؟

وحتى لا يتشعب البحث وندخل في متاهات من الجدل الذى اقل ما يقال فيه انه من قبيل الترف العلمى او ما يسمى ـ الآن ـ بالبحوث الاكاديمية البحتة ، وتقريبا للقارىء ، اقرر ان المحققين من

العلماء ذهبوا الى جواز اجتهاده ـ صلى الله عليه وسلم ـ عقلا وشرعا وانه اجتهد فعلا في المسائل التشريعية ـ بالمعنى السابق ـ وانه عوتب من الله ـ تعالى ـ على بعض هذه الاجتهادات.

تحديد معنى الخطأ في الاجتهاد بالنسبة للرسول الكريم

يطلق الخطأ ويراد به مجانبة الصواب ، وهذا المعنى لا يجوز اطلاقه على الرسول الاكرم . كذلك يطلق الخطأ ويراد به ترك الاكمل وان اصاب المجتهد الكامل من الآراء ، وهذا المعنى هو المراد من قول العلماء بجواز الخطأ ووقوعه منه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو ـ كما يقولون من باب « حسنات الابرار سيئات المقربين » .

وبهذا التحديد لمعنى الخطأ ساغ اسناد الخطأ الى الرسول الكريم .

وجهة نظر المانعين لاجتهاده

اهم ما احتجوا به قوله ـ تعالى ـ في سورة النجم « ما ضلّ صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحي يوحى ، علّمه شديد القوى » الايات ٢،٣،٤،٥ .

ولا حجة لهم في هذه الآيات ـ أولاً ـ لان الاجتهاد ليس نطقا بالهوى ، اذ الهوى هو ما يصدر من الانسان عن تشهٍّ وميل نفسي من غير نظر في دليل او اعمال فكر .

وثانيا : ان الضمير في قوله ـ تعالى : « ان هو الا وحي يوحى » يجوز جوازا راجحا ان يكون عائدا على القرآن الكريم ، على انه ـ صلى الله عليه وسلم ـ مطالب ـ كأمته ـ ان يجتهد فيما لا نص فيه ، فان النصوص محصورة ، والحوادث متجددة ولولا الاجتهاد لكانت الشريعة قاصرة عن معالجة مشاكل المجتمع الانساني وهذا لا يقول به مسلم .

وجهة نظر القائلين باستحالة الخطأ عليه

ان اقوى ما احتجوا به ان القول بجواز ذلك يفتح باب التشكيك في الشريعة فيقول قائل : هذا من قبيل اجتهاده ـ صلى الله عليه وسلم ، ويحتمل ان يكون قد اخطأ فيه ، وفي هذا ما فيه من الخطر على الشريعة .

ويجاب عن ذلك ان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا اجتهد فلم يصب الاكمل من الاحتمالات لا يُترك بل ينبهه من الله فورا . واذا اجتهد في مسألة ولم ينبهه الله ـ تعالى ـ كان هذا تقريرا من الله ـ تعالى ـ له فيكون تشريعا من الله ـ سبحانه . وبهذا لا يكون ـ هناك ـ فتح لباب التشكيك فيما صح عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كرسول .

ولعل قائلا يقول ولماذا يتركه الله ـ تعالى ـ ليقع في هذا القدر الضئيل من الخطأ ، وهلاّ جنبه هذا بان يوحى اليه بما هو اكمل بادىء ذي بدء . وانا نقول لهؤلاء : ان الله ـ تعالى ـ يريد لهذه الامة ان لا تجمد امام ما يستجد من احداث ونوازل ليس فيها نص من كتاب او سنة بل عليهم ان يجتهدوا لتعرف حكم الله فيها فان اصابوا وجه الحق فبها ونعمت ، وان لم يصيبوه فلهم في الرسول الاكرم قدوة حسنة .

والفرق بينه وبينهم انه ينبه على خطئه من الله ، وهم لا ينبهون .

الحوادث التى اجتهد فيها الرسول

احب ان اقرر ـ هنا ـ انني لا أدعى تتبع الحوادث التى اجتهد فيها فنبهه الله ـ تعالى ـ على انه لم يصب فيها الوجه الاكمل ، ولكنني سأذكر بعض هذه الحوادث لتكون دليلا على وقوع الاجتهاد منه مع عدم اصابة الاكمل من الاحتمالات.

قصة اسارى بدر

وحاصل هذه القصة ـ كما وردت به الاخبار الصحيحة المستفيضة ـ انه وقع في يد الرسول والمسلمين في غزوة بدر الكبرى اسارى من مشركي مكة ، ولم يكن قد نزل في شان الاسارى قرآن او اوحى اليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في امرهم بشيء ، وكان من هديه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ان يستشير اصحابه في كل امر يعرض له لم يكن فيه وحي ، فاستشار ابا بكر ـ رضي الله عنه ـ فقال ـ يا رسول الله ـ هم بنو العم والعشيرة ، ارى ان تاخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله ان يهديهم الى الاسلام ، ثم قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما ترى يا ابن الخطاب ؟ فقال : والله يا رسول الله ، ما ارى الذى رأى ابو بكر ولكنني أرى ان تمكن عليا من عقيل اخيه فيضرب عنقه، وتمكنني من فلان (قريب لعمر) فاضرب عنقه ، فان هؤلاء ائمة الكفر وصناديده ، فمال رسول الله ـ صلى الله عليه

وسلم ـ الى ما قاله ابو بكر ، ولم يمل الى ما قاله عمر .

فلما كان الغد جاء عمر فوجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وابا بكر قاعدين يبكيان ، فقال: يا رسول الله : اخبرني من اى شيء تبكي انت وصاحبك ، فان وجدت بكاء بكيت ، وان لم اجد بكاء تباكيت لبكائكما فقرأ عليه قوله ـ تعالى ـ « ما كان لنبي ان يكون له اسرى ، حتى يثخن في الارض ، تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم ، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم ، فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم »(١)

وبهذه الايات احل الله ـ تعالى ـ الغنيمة وكذا الفدية .

وكل ما قيل ـ ردا على الاستدلال بهذه الايات ـ تعسف ، فان هذا العتاب الشديد لا يكون الا عن عدم اصابة الاكمل من الاراء ، ولكن سبقَ قضاء الله ـ تعالى ـ ان لا يعذب مجتهدا بذلَ جهده وطاقته ، ولم يحكم هواه ، ولعل هذا هو المراد من قوله تعالى « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عظيم » .

فان قيل : ان هذه القضية من مسائل الحرب، وهي الى السياسة اقرب منها الى التشريع ، وان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ تصرف فيها كامام وحاكم لا كرسول ومفت وليس الكلام في اجتهاده كامام .

والجواب ان هذا اجتهاد في الحرام والحلال اذ الموضوع ان اخذ الفدية وترك قتل الاسارى احلال ام حرام ؟ وهذا من صلب التشريع .

مسالة اذنه صلى الله عليه وسلم ـ للمتخلفين عن غزوة تبوك

وحاصل هذه المسالة ان كثرة كثيرة من المنافقين تخلفوا عن الخروج مع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في غزوة تبوك المعروفة بغزوة العسرة . وكانوا يستاذنونه ـ صلى الله عليه وسلم ـ متعللين باعذار واهية ، فياذن لهم ، فنزل قوله ـ تعالى ـ « عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ، لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين ، انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون »(٢) .

وهذا ـ ايضا ـ من صلب التشريع ، اذ المقام ، اينبغي للامام والحاكم ان يفتح باب الاعتذار عن الحرب للمترددين وضعاف العزائم بالاعذار الواهية ام لا ؟

موقفه صلى الله عليه وسلم من عبد الله ابن ام مكتوم الاعمى

وحاصل هذه القصة ان عبد الله هذا جاء الى الرسول الاكرم ليتذكر امور دينه ، وهو من المسلمين الاولين . وكان صناديد قريش يتحدثون مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان يدعوهم الى الاسلام ويطمع في اجابتهم له . فاعرض وتولى عن عبد الله هذا ثقة بايمانه ، واقبل على هؤلاء الرؤساء رجاء ان يؤمنوا فيؤمن بايمانهم خلق كثير فنزل قوله ـ تعالى ـ « عبس وتولى ، ان جاءه الاعمى ، وما يدريك لعله يَزَّكَّى ، او يذَّكَّر فتنفعه الذكرى »(٣)

وهذا ـ ايضا ـ مبدا هام في الدين ، وهو درس للدعاة المرشدين أن لا يعرضوا عن اتباعهم المخلصين، ويقبلوا بالموعظة على من لا ترجى هدايتهم .

هذه كلها اجتهادات منه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يقره الله عليها ، بل عاتبه فيها ، وورود هذه الايات والقصص في القرآن الكريم دليل قاطع على أن هذا الكتاب من عند الله ، وان الرسول الاكرم بلغه كما انزل لم يكتم منه شيئا ، فلو كان من عند محمد كما زعم الحاقدون لستر مثل هذه الاحداث ، ولم ينشرها لتكون قرآنا يتلى في كل وقت وحين . وصدق الله العظيم اذ يقول : « يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته »(٤) .

هذه بعض الاجتهادات التي عوتب عليها ، وهناك اجتهادات لم يقره الله عليها ولكن لم يعاتبه ، ومنها قصة الظهار .

قصة خولة بنت ثعلبة مع زوجها اوس بن الصامت

وحاصل هذه القصة ان خولة ـ هذه ـ كانت زوجة لابن عمها اوس المذكور ، وكان شيخا فيه شيء من سرعة الغضب، فطلب منها امرا لم تستجب

(١) سورة الانفال الايات ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) سورة التوبة الايات ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ .

له فقال لها : انت علي كظهر امي ، وكان الظهار في الجاهلية يعتبر تحريما مؤبدا ، فاتت خولة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تسأله فقال: « لم ينزل علي فيك شيء ، وما اراك الا قد حرّمت عليه » . بنى حكمه هذا على العرف عند عدم النص ، وهذا من اصول التشريع .

فقالت : يا رسول الله ان لى منه صبية ، ان ضممتم اليّ جاعوا لعجزى عن الانفاق عليهم. وان ضممتهم اليه ضاعوا لانهم لن يجدوا من يقوم بخدمتهم . الى كلام كثير .

كل هذا والرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ يقول : « ما اراك الا وقد حرّمت عليه » واخذت تجادل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم نزل عليه الوحى بأوائل سورة المجادلة « قد سمع الله قول التى تجادلك في زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير » الى آخر آيات الظهار .

فنزل تشريع جديد غير ما كان معروفا في الجاهلية. فهل يعتبر هذا نسخا ام تشريعا مستأنفا ؟ هذا لا يعنينا وليس من بحثنا ، ولكن الذى يعنينا انه ـ صلى الله عليه وسلم ـ اجتهد حيث لم يكن ـ هناك ـ وحى ، وكان ـ تارة ـ يُقرّ على اجتهاده فيكون تشريعا عاما ، وتارة لا يقر فيصبح غير ذى موضوع .

وبعد فان ما سقناه من آيات واحداث تدل على ما يأتى :

أولا : انه ـ صلى الله عليه وسلم ـ مهما وجدت مصلحة في مخالفة نص لا يترك النص بحال من الاحوال ولا أدل على ذلك من سبب نزول آيات اللعان فقد صح انه لما انزل قوله ـ تعالى ـ « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون ، الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم»(٥)

موقف سعد بن عبادة حين نزلت آيتا القذف

صح انه لما نزلت هاتان الآيتان قال سعد ـ وهو سيد الانصار ـ رضي الله عنه ، اهكذا انزلت يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يا معشر الانصار : « ما يقول سيدكم » ؟ فقالوا : يا رسول الله : لا ، فانه رجل غيور ، والله ما طلق امرأة قط فاستطاع احد منا ان يتزوجها بعده من شدة غيرته ، فقال سعد ، والله يا رسول الله انى لأعلم انها حق ، وانها من الله ولكن قد تعجبت انى لو وجدت لكاعا (اى امرأة سيئة الخلق) قد تفخذها رجل ، لم يكن لى ان اهيجه حتى آتى بأربعة شهداء ، والله لا آتى بهم حتى يقضي حاجته . فما لبثوا الا قليلا حتى جاء هلال بن امية ، وهو احد الثلاثة الذين خلفوا ثم تاب الله عليهم ، ونزلت فيهم (الآية ١١٨ من سورة التوبة) من ارضه عشاء فوجد عند اهله رجلا ، فرأى هلال بعينيه ، وسمع بأذنيه ، فلم يهجه ، حتى اصبح فاتى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحدثه الخبر فقال له الرسول الاكرم « البينة او حد في ظهرك » وكرر ذلك عليه، فقال هلال : والذى بعثك بالحق انى لصادق ، ولينزلن الله ما يبرىء ظهرى من الحد ، فنزلت آيات اللعان ، وهى الآيات من ٦ ـ ١٠ من سورة النور .

والعبرة في هذه القضية ان الرسول لم يلتفت الى ما قاله سعد بن عبادة ـ بالرغم من وجاهته ـ لان ـ هناك ـ نصا يوجب حد القاذف ، زوجا او غيره ، ولولا نزول آيات اللعان لطبق الرسول الاكرم حد القذف على هلال .

وهذا يؤكد المبدأ المشهور انه لا اجتهاد في مقابلة النص ولو كان المجتهد ـ هو ـ الرسول نفسه .

ثانيا : ان المبدأ الذى كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يبنى عليه اجتهاده هو ـ رعاية المصلحة كمسألة الاسارى ومسألة الاعمى ومسألة المتخلفين عن الجهاد ، وان لم يقر على هذه المسائل بالذات لأن الله ـ تعالى ـ يريد أن يأخذ في الامور بالاحزم من الآراء . واحيانا كان يبنى اجتهاده على العرف كما وقع في مسألة الظهار .

ثالثا : ان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما كان يقر على خطأ مهما كان يسيرا فان علو قدره وسمو مكانه يتطلب اسمى المراتب واعلى المقامات.

وبهذا تندفع كل شبهة حول اجتهاده ـ صلى الله عليه وسلم ـ . ■■

بدر المتولى عبد الباسط

(٣) سورة عبس من ١ ـ ٤ . (٤) سورة المائدة ٦٧ . (٥) سورة النور الآيتان ٤ ، ٥ .



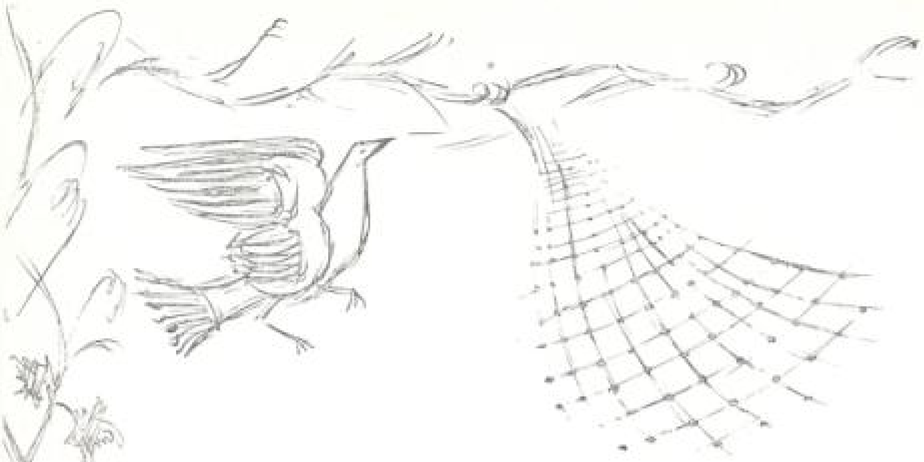
الطائر الغريب

بقلم : محمد التهامى

■ يـا طائرى لا تنطلــقْ   أخاف من أن تحـترقْ
أخاف وَمضةَ الشهابِ فى مجاهِلِ الأُفُـــقْ
أخاف لَفْحَــةَ الرِّغاب ، والجَمال يأْتَلِــقْ . . .
فتنــبرِى لــه الضِّبــاعُ تقتفِــى وتَستبِــقْ . . .
وطائرى هــذا الغريــبُ يَســتريحُ للمَلَـــقْ
وعَيْبُــه فــى أنــه ، فِي كلِّ مَنْ يَلْقَــى يَثِــقْ
ياوَيْلَــه إذا الجنــاحُ فــى شباكِهــم عَــلِقْ
يَمضِــى بِصُــارِعِ الحبالَ والحِبالُ تَلتصِــقْ
وقلــبِيَ البعيــدُ عنــه قد أذابَــه القَــلَقْ

★★★

يَــراه في مجَاهِــلِ الطريق لَفَّــه الغَسَــقْ
يَعــدُو يــدُقُّ في الطــريقِ والطريقُ يَنغلِقْ
فإن مشــت خُطَــا الخبيرِ في دُجاه تَنزلِــقْ
وذَا الغَــرِيرُ في حَماسَــةِ المَســيرِ يَنْدَفِــقْ
ولَيْتَه رأى الفِخَــاخَ في مفَــارق الطُّــرُقْ
قــد راحَ يَقصِــد القِلاعَ في جِدارِهــا طَــرقْ
وصَوْتُــه قــد بُــحَّ بالتوسُّــلات واختنَــقْ
وكَفُّــه بَنانُهــا الصغيرُ في الدِّمَا غَــرِقْ
ونــور قلبِــه الكبيرِ عالَــمٌ من الأَلَــقْ
يكــاد يستضيء من سَنَــا جلالِه الأُفُــقْ
وعَالَــمُ الضَّيَــاعِ لِلضَّياعِ كُلّه خُلِــقْ . . .
فقلبُــه الأصَــمُّ للتوسُّــلات ماخَفَــقْ





ياطائرى العزيزَ : عبرةٌ منَ الذى سبَقْ
شَربت قبْلَكَ الأَظَى ، سكبْتُ قبلكَ العَرَقْ
قطعتُ موحِشَ الطريقِ ، والظلامُ ينطبِقْ
فصرْتُ فى دُجَى الخُطوبِ كَوْمَةً مِنَ المِزَقْ
فصَحْوتى إلى الضَّنَى ، ونَومتى إلى الأَرَقْ
ونظْرتِى إلى السَّما ، وبالترابِ أَلْتَصِقْ
ومِنْ مخالبِ الوُحوشِ فى الظلامِ أرْتزِقْ

★★★

حاولْتُ أركبُ النِّفاقَ ، قلْتُ : حَسْبَمَا اتَّفقْ
فخانَنِى به الجوادُ بعدَ خطْوةٍ نفَقْ
وقد عرفْتُ أنه مطيَّةٌ لمَنْ حَذَقْ
ومَنْ يخُضْ بحارَه بلا درايةٍ غَرِقْ
فعالَمُ المُنافقينَ أهلُه لهم فِرَقْ
وحولَ كلِّ فرقةٍ سياجُها لايُخْتَرَقْ
يردُّ أىَّ صادقٍ إنْ كانَ فى يومٍ صَدَقْ
فقُلْ لنا ياصاحِبى قُلْ كيفَ أنَا نَتَّفِقْ
وفى الضلوعِ خافقٌ لغيرِ صدقٍ ماخفَقْ
قد عاشَ يعشقُ الوفاءَ مُخْلِصاً لِمَا عشقْ
لم يعرِفِ السجودَ مرةً لغيرِ مَنْ خلَقْ
ياطائرى : لاتنطلِقْ ، ياوَيْلَنا إنْ نفْترِقْ ■■

محمد التهامى

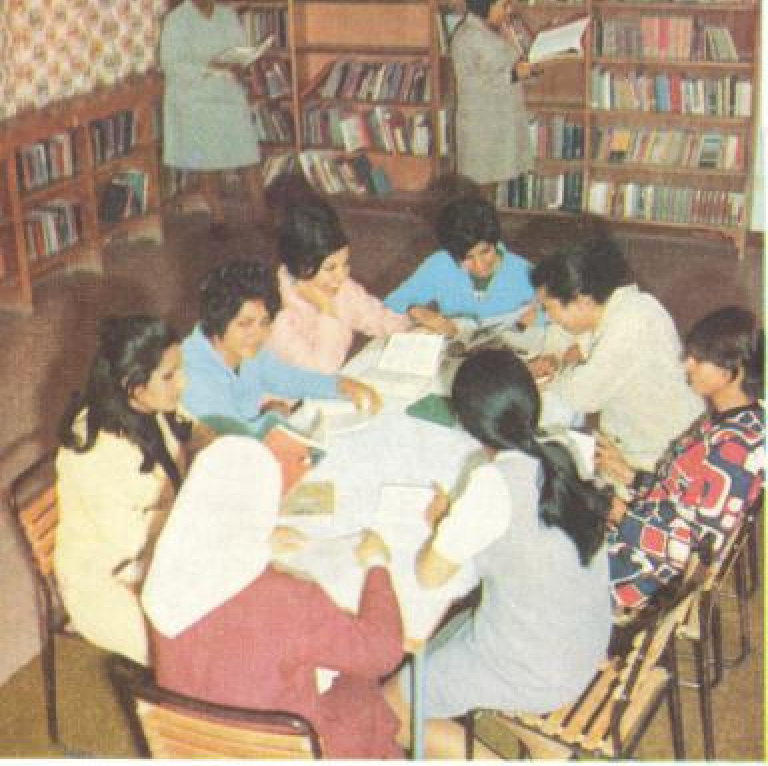
استطلاع الكويت

مَعْهَدُ المعَلّمَاتْ

شُعَبْ أرَبَع لتَخريج مُدَرّسات المدارِس الابْتدائية ورِيَاضِ الأطفَال

استطلاع بقلم: **منير نصيف** تصوير: **عبد الناصر شقره**





الى اليسار : مجموعة من هيئـــة التدريس بمعهد المعلمات أثنـــاء مطالعتهن لأحدث الكتب التربوية التي ترد الى مكتبة المعهد ، وقـــد ارتدت كل معلمة الزى الخاص الذى يميـــز تخصصها .



الى اليسار: درس عملي تؤديه بعض طـــالبات شـــعبة التربية الفنية في الرسم والزخرفـــة تحت اشراف مدرســـة الفنون .

الى اليمين : جانب من طالبات المعهد في الطابور الصباحي اثناء تأديتهن تحية العلم .. انـــه منظر يتكرر كل صـــباح مع بداية اليوم الدراسي

■ تطورت سياسة التعليم فى الكويت خلال السنوات العشرين الاخيرة تطورا كبيرا ، وخاصة بعد هذا التغيير الجذري الذى طرا على حياة اهل هذا البلد العربي ، عندما تفجر البترول فى ارضه معلنا بداية عهد الرخاء .. فقد قامت حكومة الكويت باعداد سياستها التعليمية على ضوء تلك التطورات الاقتصادية والاجتماعية ، وما كانت تتطلبه من انشاء العديد من المدارس الابتدائية والثانوية ، ومن تنويع للبرامج التعليمية فى البلاد لتوفير الاعداد الكافية من الفنيين من ابنائها لسد حاجة البلاد فى مختلف الميادين ، فانشأت الدولة الكلية الصناعية والمدرسة التجارية ومعاهد التربية الخاصة ، ومعهدى المعلمين والمعلمات وغيرها من المعاهد الفنية الاخرى .

فى المعهد الجديد

والذى يعنينا من هذه السياسة التعليمية لدولة الكويت في استطلاعنا اليوم هو معهد المعلمات وقد سبق للعربى ان قدم لقرائه معهد المعلمين في العدد الذى صدر في شهر اغسطس من عام ١٩٧٠ ، وكان من المقرر أن يشمل هذا الاستطلاع السابق ، الحديث عن معهد المعلمات أيضا ، فهو المعهد التوأم ولكننا رأينا ان نرجىء الحديث عنه حتى يكتمل البناء الجديد الذى شيد ليكون مقرا لطالبات اليوم ومدرسات الغد ..

لقد بدأت الدراسة في المبنى الجديد لمعهد المعلمات في العام الدراسي ١٩٧٠ - ١٩٧١ ، وبلغت تكاليف هذا المقر الحديث بما يحويه من معدات واجهزة مبلغا يصل الى ٧٤٤ الف دينار كويتى .

مديرة المعهد تتكلم

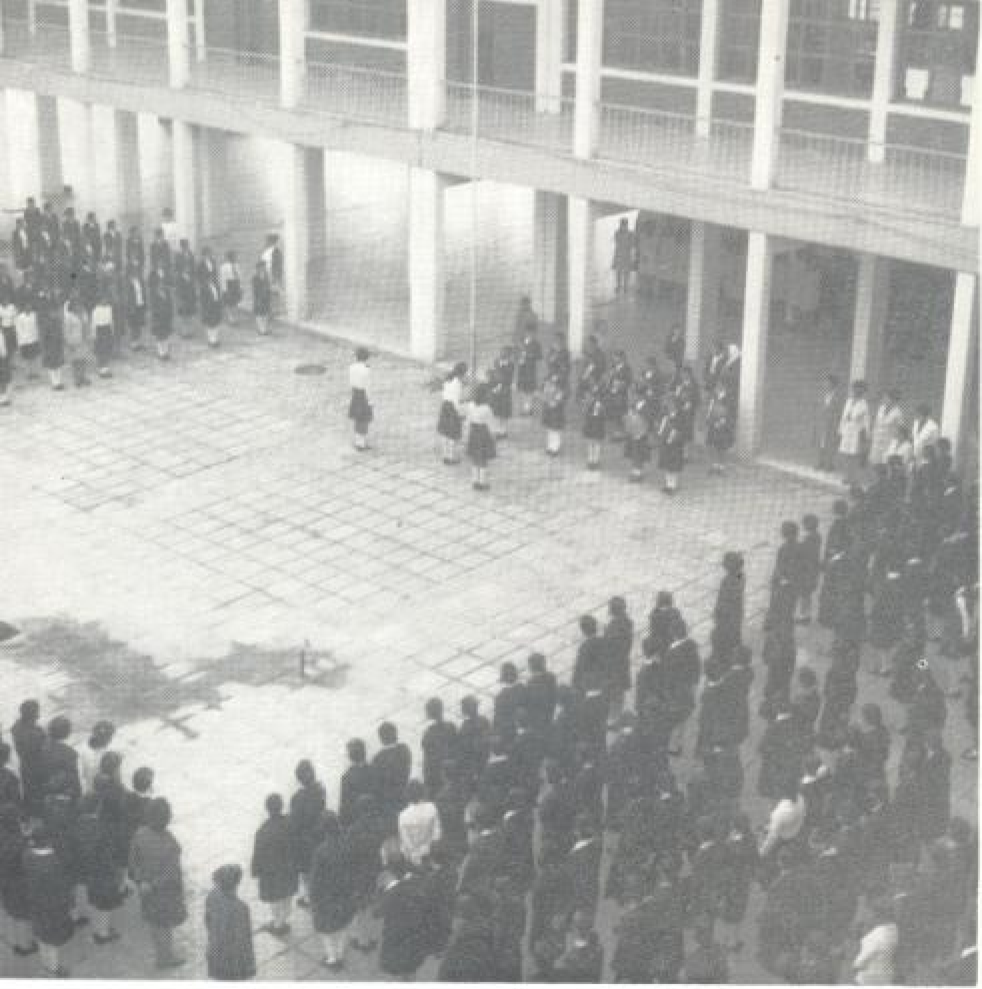
قصدنا اليه بعد أن حددت مديرة المعهد السيدة مريم عبدالله الزيد الخالد ، موعدا للقائنا ، وجلست المربية الفاضلة تحدثنا عن المعهد الذى تشرف على ادارته ، قالت : « ان الهدف الأساسي من انشاء هذا المعهد هو اعداد معلمة مرحلة رياض الاطفال والمرحلة الابتدائية ، فنحن نريد أن نخرج جيلا من المعلمات من بنات الكويت، لاطفال الكويت.. معلمات قديرات يستطعن ان يساهمن بدورهن كاملا في تنشئة ابناء الجيل الجديد ، وارساء القيم المعنوية والادبية التى يؤمن بها هذا المجتمع ، في قلوب ابنائه وبناته من الأطفال الصغار . »

قلنا : « ما هو الفرق بين الطالب الذى يتخرج مدرسا في معهد المعلمين ، وبين المدرسة التى تتخرج في معهد المعلمات ؟ » .

قالت السيدة مريم : « هناك فارق كبير ، ولكن لا في برامج التعليم في المعهدين ، فهى متطابقة تماما ، وكذلك شروط الالتحاق والمناهج الدراسية حتى الامتحانات فهى نفسها التى يؤديها الطلبة والطالبات في المعهدين .. باستثناء ما يتأهل له الطالب أو تتأهل له الطالبة عند التخرج من المعهد . فالفرق هو بين عمل المدرس والمدرسة، بعد التخرج ، فالمدرس يعين في المدارس الابتدائية وحدها أما المدرسة فتعين للتدريس في رياض الأطفال ، أو في المدارس الابتدائية طبقا لرغبتها ، بعد استيفاء حاجة المدارس الابتدائية بطبيعة الحال.

مديرة المعهد ، السيدة مريم عبدالله الزيد الخالد توقع بعض الاوراق التى قدمتها اليها سكرتيرتها ، قالت لنا المديرة : « اننى اقدس النظام فهو اساس كل عمل ناجح .. اننا ننمى حب النظام واحترامه في طالباتنا ، لكى يتعلمن كيف يغرسنه في نفوس الصغار عندما يتخرجن ويصبحن معلمات » .





جانب من المبنى الحديث لمعهد المعلمات ، أثناء اصطفاف الطالبات في طابور الصباح ، وهو يبدأ بدعاء ثم الفاتحة ثم تحية العلم والسلام الاميرى واخيرا الهتاف بحياة الكويت والأمة العربية وأمير البلاد .

رياض الأطفال

« فنحن نعلم أن مدرس الروضة لا يمكن أن يكون رجلا ، لأن المرأة بطبيعتها أقدر على فهم نفسية الطفل ومزاجه ، فرياض الأطفال هي مرحلة للانتقال بهم من حياة البيت الى نوع من التربية المدرسية التي تهدف أول ما تهدف الى تنمية شخصية الطفل وقدراته الذهنية والحسية وتعويده السلوك الطيب والاعتماد على النفس مع توفير الرعاية الصحية والتربية العقلية والخلقية للاطفال . »

ومضت مديرة المعهد تقول : « واذا عرفنا أن عدد الأطفال في الروضة ، طبقا للاحصاء الذي اجرى في العام الدراسي ١٩٦٩/١٩٧٠ يربو على الاثنى عشر الفا و ٨٨٣ طفلا من الجنسين ، موزعين على ٤٣ روضة ، يعمل فيها ٦٦٦ مدرسة ، ادركنا مدى الاهتمام الكبير بمعلم المراحل الاولى من التربية والدراسة في حياة الطفل ..

ومضت السيدة مريم في حديثها تقول : « اننا نستطيع أن نقول باختصار ان الفارق بين مناهج الدراسة في معهد المعلمين ومعهد المعلمات ، يتلاءم مع الفارق في التكوين الفسيولوجي بين الرجل والمرأة .

شروط الالتحاق

« أما عن شروط الالتحاق ، فالمعهد يقبل



بعض طالبات شعبة الموسيقى أثناء درس عملي في العزف على الآلات الموسيقية الشرقية وهي العود والقانون والكمان .

اختبار في اللغة العربية ، وقد وقفت المدرسة تراقب الطالبات اثناء تأديتهن للامتحان .. ان طالبات المعهد يدرسن منهجا مشابها لمنهج الدراسة الثانوية .

احدى طالبات شعبة التربية الف
الكويتي .. لقد أظهرت طا







التربية الرياضية لها شعبة بها خاصة وفي الصورة بعض الطالبات يؤدين الحركات الرياضية التي سيقمن بتعليمها للصغار في المستقبل ..

التدريب على صناعة « العرائس » جزء من برنامج الدراسة العملية في شعبة التربية الفنية ، ان هناك اهتماما كبيرا بالتربية الفنية لتلاؤمها مع طبيعة المرأة .



بتلوين لوحة من الفن الشعبي
ـد مواهب فنية متنوعة .





الطالبات الكويتيات مع زميلاتهن الاندو
في مطعم المعهد ، اثناء تناول طعام الاف



درس في الكيمياء في المعمل ، وقد كان موضوعه التركيب الالكتروني للذرة الجديد ، وترى احدى الطالبات تستمع الى شرح مدرستها بينما انهمكت زميلاتها في تسجيل ملاحظاتهن .

الطالبات الكويتيات اللواتي حصلن على الشهادة المتوسطة ، بأعلى مجموع ، بشرط أن يجتزن اختبارا شخصيا وتحريريا تشرف عليه لجنة خاصة تضم مجموعة من مدرسات المعهد ، والهدف من الاختبار هو اكتشاف قدرة الطالبة وصلاحيتها لتحمل عبء المهمة الكبرى ، مهمة تعليم وتربية الجيل الجديد من ابناء هذا البلد .

شعب أربع

« واما مدة الدراسة في المعهد ، فهي اربع سنوات ، وفي السنة الاولى من هذه السنوات الاربع تشترك كل طالبات المعهد في الدراسة ، ويكون منهج هذه السنة ، هو اشبه ما يكون بمنهج السنة الاولى من الدراسة الثانوية . وبعد انتهاء هذه السنة توزع الطالبات على شعب اربع، وفقا لميولهن ولما اظهرن في تلك السنة الاولى من استعداد وموهبة .

اما هذه الشعب الاربع فهي :

(اولا) الشعبة العامة ، وهي التي تتأهل لها الطالبة ، لتتخرج فتكون مدرسة عامة لا تختص بمادة دراسية دون مادة ، فهي قد تجمع عدة مواد تدرسها لتلاميذها الصغار . ومن أجل ذلك نجد ان برنامج التدريس في السنوات الثلاث الباقية



درس في علم الأحياء، وقد وقفت احدى الطالبات تستمع الى شرح مدرسة العلوم على نموذج يمثل جسم الانسان، بينما انهمكت بقية الطالبات في فحص عينات من الطحالب بالميكروسكوب .



ألف من شوربة العدس والبيض والجبن والبرتقال .



التدريب على التدريس يبدأ من الصف الثاني ، فاذا انتقلت الى الصف الثالث بدأت في ممارسة التدريس بالفعل ، وفي الصورة احدى الطالبات اثناء تدريبها العملي في احدى المدارس الابتدائية .

لطالبات هذه الشعبة هو أشبه ما يكون ببرنامج الدراسة الثانوية .

« أما الشعبة الثانية فتدرس فيها الطالبة الى جانب مواد الدراسة المعتادة من لغات وعلوم ورياضة مواد تتصل بالتربية الفنية من تطريز وحياكة وتصوير ونحت وتلوين وغيرها وتستمر في هذا ثلاث سنوات ، وتتخرج لتدريس هذه الفنون لتلاميذها الصغار .

واما الشعبة الثالثة فهي كالسابقة مدة ودراسة مع اختلاف التخصص ، فطالباتها يتخصصن في التربية البدنية .

بقيت الشعبة الرابعة والأخيرة وفيها الموسيقى من غناء وعزف على الآلات الموسيقية المختلفة ورقص توقيعى ، هي مادة التخصص .

الاهتمام بالتدريب العملي

ومضت مديرة المعهد تقول : « ويلقى التدريب العملي اهتماما خاصا ، فالمعهد يُعنى بالناحية العملية عناية لا تقل عن الناحية النظرية ، بل ربما تأتي اهمية التدريب على التعليم ، قبل الدراسة واستذكار المواد النظرية .

« وتدرب طالبات المعهد على انتاج الوسائل التعليمية الحديثة مثل النماذج المختلفة لجسم الانسان والحيوان والطيور .

« اما التدريب على التدريس ، فيبدأ من الصف الثاني ، اى بعد التخصص مباشرة ، فتقوم الطالبات بعد توزيعهن على مجموعات يشرف على كل منها معلمة لها خبرتها الطويلة في التدريس في رياض الأطفال ، وفي المرحلة الابتدائية ، بزيارة المدارس يوما كل اسبوع ، وتدخل الطالبات الفصول مع مدرساتهن ويجلسن في الصف كمراقبات فقط ويسجلن ملاحظاتهن طوال الحصة ، حتى اذا عدن الى المعهد ، اقيمت لهن ندوات لمناقشة ما سجلنه من انطباعات . »

طالبات اليوم ، مدرسات الغد

وقالت المديرة : « أما طالبات الصف الثالث، فهن يبدأن في التدرب على ممارسة التدريس بالفعل ، فاذا اجتزن هذه المرحلة بنجاح ووصلن الى الصف الرابع ، بدأ المعهد في توزيع الحصص

عليهن في مختلف المدارس الابتدائية ورياض الأطفال ، وهنا تنقلب الصورة فبدلا من أن تلقى المدرسة الخبيرة الدرس ، نجدها تجلس في الفصل كمراقبة ، بينما تقف الطالبة لالقاء الدرس على الأطفال ، تحت اشراف مدرستها التى تنحصر مهمتها في التوجيه والنصح والارشاد . »

وبهذه الصورة يقوم المعهد باعداد طالباته ، معلمات الغد ، اعدادا عمليا لمواجهة المهمة الملقاة على عاتقهن .

جولة سريعة في المعهد

وقمنا نجول في ارجاء المبنى الحديث الذى انتقل اليه المعهد في العام الدراسي الماضي ، من مبناه القديم الذى كان ملحقا بالمدرسة القبلية الثانوية . لقد اقيمت المباني فوق أرض فسيحة بلغت مساحتها حوالى ١٤٠ الف متر مربع .. الفصول الدراسية النظرية والعملية ، احتلت الجانب الأكبر من المعهد الذى يضم حاليا ٦٥٠ طالبة تشرف على تدريسهن هيئة المدرسات المتخصصات في شتى فروع العلوم والتربية ،وتضم هيئة التدريس ١٣٤ مدرسة ، بينهن اثنتا عشرة مدرسة كويتية .

وسط المبانى التى تتألف من طابقين ، والتى اقيمت على شكل مربعات تدخلها الشمس والهواء انتشرت الساحات الفسيحة التى تضم ملاعب كرة السلة والتنس ، والكرة الطائرة ، وغيرها ، بينما أقيم مبنى آخر مستقل للألعاب السويدية . وفي ركن آخر من فناء المعهد ، اقيم المطعم الذى تتناول فيه الطالبات وجبة الافطار في الساعة العاشرة صباحا ، وهي وجبة دسمة تقدمها وزارة التربية لابنائها بالمجان ، وتتألف من شوربة العدس في الشتاء والبيض والجبن واللبن الحليب والفواكه .

مكتبة و١١ الف كتاب

واخيرا المكتبة التى شيد لها مبنى حديث خاص بها ، وهى تضم قاعة كبرى للمطالعة ، ونحوى ما يزيد على ١١ الف كتاب مصنف ، عدا قصص الأطفال باللغتين العربية والانجليزية . وبين هذه الكتب ٦٧٧٨ كتابا عربيا مصنفا في الأدب والتاريخ والفلسفة وعلم النفس الى آخر فروع العلم والمعرفة ، و٤٨٩٣ كتابا انجليزيا .

هيئة التدريس والزى المدرسي

وفي المكتبة التقينا بمجموعة من أعضاء هيئة التدريس .. لقد كن يجلسن حول احدى الموائد المنتشرة في قاعة المطالعة ، يقرأن احدث الكتب والمراجع التى ترد باستمرار الى المكتبة في شتى المواد العملية والنظرية .

ثمة شيء لفت نظرنا ، لقد كانت كل مدرسة من المدرسات العشر اللواتى اجتمعن في المكتبة للاطلاع ترتدى زيا مختلفا عن الأخرى .

قالت مديرة المعهد تشرح هذه الظاهرة : « لقد تركنا لمدرسات المواد المختلفة في المعهد حرية اختيار الزى المناسب لهن ، فاختارت مدرسات اللغة العربية اللون الأحمر القاتم ، ومدرسات التربية وعلم النفس ، اللون الاصفر ،ومدرسات اللغة الانجليزية الأخضر الفاتح ، ومدرسات الرياضيات اللون البرتقالى ، ومدرسات علم الاجتماع ، اللون الأزرق ، ومدرسات التربية النسوية اللون الفستقى ، ومدرسات التربية الفنية اللون الأزرق والاحمر والابيض ، ومدرسات التربية الرياضية الرمادى والأبيض ، ومدرسات التربية الموسيقية اللون البيج ، ومدرسات العلوم اللون الأزرق على شكل مربعات .

« والهدف من هذا ، هو التعرف على المادة التى تشرف المدرسة على تدريسها ، من زيها . »

وانتهت جولتنا السريعة في معهد المعلمات ، وشكرنا مديرة المعهد ، وانصرفنا .

حديث مع وكيل وزارة التربية

وفي مكتب الأستاذ يعقوب غنيم وكيل وزارة

يقبل معهد المعلمات ، الطالبات من الدول العربية والاسلامية ، ولكن بقرار خاص طبقا لنظام البعثات المعمول به في الوزارة ، وفي المعهد الآن اربع طالبات اندونيسيات مسلمات .





الاستاذ يعقوب غنيم وكيل وزارة التربية ، قال لنا : « ان مستوى الخريجين في معهد المعلمين والمعلمات ، مستوى طيب ، ولكننا ننسى دائما الخبرة .. ان الخبرة لا تدرس في مدرسة أو في جامعة ، وانما هي تكتسب بالعمل والممارسة »

التربية ، كان لنا لقاء مع الرجل الثاني المسئول عن تربية وتعليم أبناء الكويت وابناء الدول العربية الشقيقة الذى يتلقون علومهم في مدارس الكويت ومعاهدها .

قلنا نسأله : « حدثنا عن مستوى المعلمة التى تتخرج في معهد المعلمات . »

قال الوكيل : « لقد قرأت في بعض الصحف المحلية في الكويت أن خريجي معهدى المعلمين والمعلمات لم يبلغوا المستوى المطلوب . وانا اعتقد أن مثل هذا الحكم على هؤلاء المدرسين والمدرسات من شباب الكويت وفتياتها الذين يحملون اليوم عبء تربية وتعليم النشء من أطفال هذا البلد ، هو قرار متسرع لا يقوم على أساس .

« فقد نسي هؤلاء أن أساس النجاح في العمل، أى عمل ، هو الخبرة ، والخبرة لا تدرس في مدرسة أو جامعة ، وانما هى تكتسب عن طريق المران .. فالخبرة هى التى تولد المهارة وتولد القدرة ، وهى لا تتحقق الا عن طريق العمل ، وعن طريق الممارسة الفعلية لمهنة التدريس . »

دورات للتنشيط

ثم قال : « ونحن مثلا اذا نظرنا الى خريجات معهد المعلمات اللواتي انقضى على ممارستهن لمهنة التدريس ، عامان أو ثلاثة ، وجدنا أنهن قد أثبتن جدارة وتفوقا في التدريس ، لم تصل اليهما بعد المعلمة المتخرجة حديثا من المعهد بطبيعة الحال . »

ومضى الاستاذ يعقوب يقول : « ويجب الا ننسى الدور الهام الذى تقوم به الدورات الخاصة للتنشيط وهى تعقد من آن لآخر ، وتشترك فيها مجموعات من المدرسات خريجات المعهد ، كذلك دور المشرف الاول المقيم داخل المعهد ، وهو رجل فنى ، أمضى في ممارسة مهنة التدريس اعواما طويلة ، وهو يحضر الحصص مع المدرسين والمدرسات ويوجههم ، ويعطيهم من خبرته كل ما يحتاجون اليه . »

وقال الوكيل : « ولعلكم تعلمون أن الوزارة تعتزم ابتداء من العام الدراسي المقبل ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣ ، تطوير الدراسة في معهدى المعلمين والمعلمات ، فسوف يكون الالتحاق بالمعهدين مقصورا على الطلبة والطالبات الذين اجتازوا بنجاح المرحلة الثانوية ، وحصلوا على شهادة الثانوية العامة ، وسوف يشمل هذا التطوير بطبيعة الحال المناهج الدراسية العملية منها والنظرية وكذلك مدة الدراسة التى ستستمر لمدة عامين فقط بدلا من أربعة أعوام . »

الفنون الشعبية

قلنا للوكيل ونحن نودعه شاكرين : « بقى شيء قد لا يكون متصلا بالدراسة في المعهد ، اتصالا مباشرا ، لمسناه واحسسنا به اثناء جولتنا في المعهد ، وتفقدنا لأقسامه . لقد لاحظنا أن هناك اهتماما كبيرا بالتربية الموسيقية ، كما لاحظنا استعدادا ملموسا طيبا من جانب عدد كبير من الطالبات الموهوبات ، للارتقاء بهذا الفن . هل فكرتم في تشجيع هؤلاء على تكوين فرقة حديثة من الطلبة والطالبات تعمل على تطوير الفنون الشعبية في الكويت ؟ »

وقال الوكيل: « انني احبذ هذا الرأى للنهوض بالفن الشعبى في الكويت ، ونحن من جانبنا نشجع أصحاب الهوايات في المدارس في شتى المجالات ، بشرط الا يتعارض هذا مع استمرارهم في الدراسة، ولكنني أرى أن وزارة الاعلام هى الجهة التى يدخل في اختصاصها تبنى مثل هذه الفكرة . »

منير نصيف ■■

طرائف

يتفرس فيه الخير

● قال ابو بكر الصديق عندما عقد لعمر بن الخطاب البيعة وخلافة المسلمين ، يا قوم انى استعملت عليكم ابن الخطاب ، فان بر وعدل فذاك علمى به ورأيى فيه ، وان جار وبدل وظلم فلا اعلم بالغيب ، وانما الخير اردت ، ولكل امرىء ما اكتسب ، وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين .

الناس

● حكى ان صعصعة بن صوحان وكان من حكماء العرب ومفكريها ، انه دخل يوما على معاوية بن ابى سفيان، فسأله معاوية قائلا يا ابن صوحان صف لى الناس ، قال : خلق الناس اطوارا ،

على والتنجيم

● حكى انه لما عزم امير المؤمنين على ابن ابى طالب على المسير الى النهروان اتاه بسام المنجم فقال : لا تسر فى هذه الساعة يا امير المؤمنين ومر فى وقت كذا، فقال له الامام على : ولم ؟ قال : لأنك ان سرت فيها أصابك ضرر شديد ، وان سرت فى وقت كذا ظفرت . فقال على :ما كان محمد صلى الله عليه وسلم يعلم ما ادعيت . وقال : اللهم لا طير الا طيرك، ولا خير الا خيرك ، وما كان لعمر بن الخطاب منجم وقد فتح بلاد كسرى وقيصر . وقال الامام على : من تعلم بابا من النجوم فقد تعلم بابا من السحر فان زاد ازداد .

* * *

يحاولون اغضابه

● كان الاحنف بن قيس مشهورا بالحلم وعدم الغضب . فاجمع بعض اصحابه على أن يغضبوه ، فجاءه واحد منهم يخطب اليه امه فقال له : لسنا نردك انتقاصا بحسبك ، ولا قلة رغبة فى مصاهرتك ، ولكن والدتى امراة قد علا سنها واشرفت على السبعين، وانت شاب، وفى ريعان الصبا، تحتاج الى امراة ودود ولود، تأخذ من خلقك وتستمد من ادبك، ثم قال للشاب : ارجع الى قومك واخبرهم انك لم تغضبنى .

عربية

طوائف

طائفة للسيادة والولاية ، وطائفة للفقه والسنة ، وطائفة للبأس والنجدة ؛ ورجرجة بين ذلك يغلون السعر ؛ ويكدّرون الماء ، اذا اجتمعوا ضروا واذا تفرقوا لم يعرفوا .

في الحسد

● اجتمع ثلاثة من الاعراب فتكلموا عن الحسد فقال أحدهم لصاحبه : ما بلغ من حسدك ؟ فقال : ما اشتهيت ان افعل باحد خيرا قط . فقال له الثاني انك رجل صالح ، اما انا ما اشتهيت ان يفعل أحد بأحد خيرا قط. فقال الثالث ما في الارض أفضل منكما. انا ما اشتهيت ان يفعل بى احد خيرا قط .

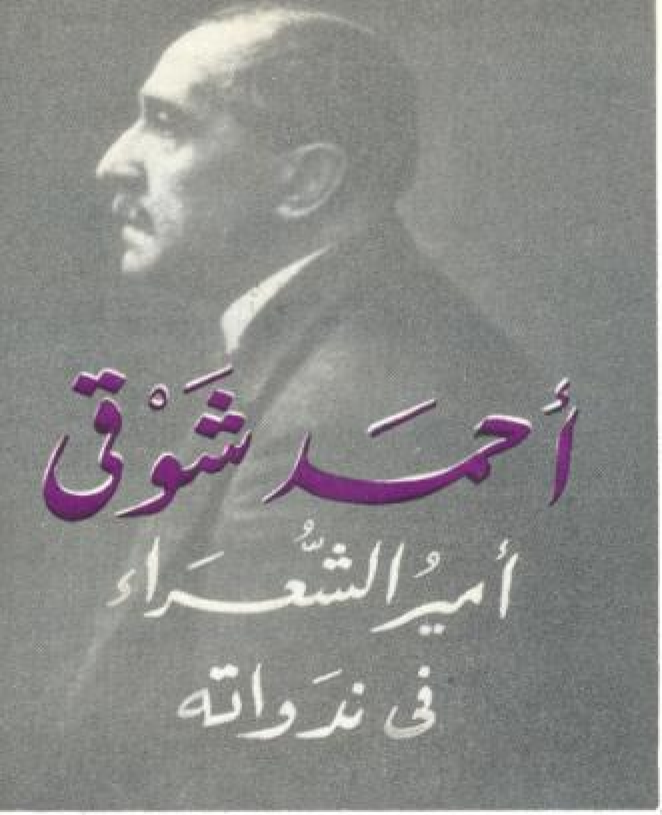
اساء في واحدة

● قيل ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب كان يعسّ ليلة ، فسمع غناء رجل من بيت ، فتسور عليه فرآه مع جماعة يشربون الخمر فقال : يا عدو الله ارايت يسترك الله وانت على معصية؟ فقال : لا تعجل يا امير المؤمنين ! ان كنت عصيت الله فى واحدة فقد عصيت انت فى ثلاث : قال الله تعالى «ولا تجسسوا» وقد تجسست ، وقال :«واتوا البيوت من ابوابها » وقد تسورت عليّ ، وقال : « لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » وقد دخلت بغير سلام ! فقال امير المؤمنين عمر بن الخطاب اسأت فهل تعفو ! فقال: نعم ، وعلى أن لا تعود .

* * *

لم اختاروا العقوبة

● حضر احد اشراف مكة مجلس الخليفة المنصور فقربه الخليفة حتى جلس بمحاذاته . فقال الرجل يا امير المؤمنين لقد هجمت بالعقوبة حتى كأنك لم تسمع بالعفو . فأجابه الخليفة قائلا : ان بنى مروان لم تبل رممهم بعد ، وآل ابى طالب لم تغمد سيوفهم ، ونحن بين اقوام قد راونا بالأمس سوقة واليوم خلفاء وأمراء ، فليس تتمهد الهيبة فى صدورهم الا باطراح العفو واستعمال العقوبة .



ندوات لها تاريخ

أحمد شوقي

أمير الشعراء في ندواته

بقلم
انور الجندي

● كانت لشوقى ندوات متعددةومجالس كثيرة فى محل الحلوانى صولت او جروبى ، او فى منزله كرمة ابن هانى.

وكانت الموائد تقام فى بيته مرات ومرات وتضم اصدقاءه من الادباء والكتاب والاعلام ، وفى مقدمتهم عبد العزيز البشرى ، والدكتور محمد حسين هيكل ، والدكتور محجوب ثابت وكامل كيلانى وحافظ ابراهيم والشيخ التفتازانى وعبد الرحمن الجديلي وفكرى اباظة .

وكثيرا ما يحضر هذه الندوات اصدقاؤه من ادباء العرب وشعرائهم ومنهم اسعاف النشاشيبى وعبد العزيز الثعالبى وكرد علي والاخطل الصغير .

وفي هذه الندوات تدور احاديث طويلة متعددة لها طابعها الخاص ، اما في مجالسه في صولت او جروبى فقد كان الامر على خلاف ذلك حيث يجتمع حول الشاعر الكبير بعض تلاميذه والمعجبين به من شباب الادباء والشعراء وفي مقدمتهم احمد محفوظ وسعيد عبده .

وفي هذه المجالس كان كثير من شعراء الشباب يقبلون على شوقى فيحدثونه ويعرضون عليه شعرهم ويتلقون ملاحظاته وتوجيهاته ، كما يحضر اليه اصحاب الصحف الصغيرة الذين كانوا يلتمسون عطاءه ويذودون عنه خصومه من النقاد . وكان يغدق عليهم ويقربهم وفي مقدمة هؤلاء احمد فؤاد صاحب (الصاعقة) والشيخ فهيم صاحب (عكاظ) ، اما هو فكان شديد الحرص على صداقة رؤساء تحرير الصحف اليومية الكبرى : عبد القادر حمزة (البلاغ) والدكتور هيكل (السياسة) وتوفيق دياب (الجهاد) وداود بركات وانطون الجميل (الاهرام) .

وكانت هذه الصحف تتنافس على انتاجه وآثاره، فجريدة السياسة تعلن انها تدفع خمسين جنيها عن كل قصيدة لشوقي الى الجمعية الخيرية الاسلامية، وهيكل هو الذى قدم ديوان شوقي ، وداود بركات هو الذى اطلق اسم (الشوقيات) على ديوان شوقي .

وكان شوقي يتحدث عن كل شيء الا عن الشعر، ولم يكن شوقي من المحدثين بل كان رجلا قلقا، تحس في مجلسه انه غائب عن الوعي، الا من كلمات قليلة، ولكنه كان يسأل دائما عن كل جديد في عالم الادب والفكر ولا يفوته شيء مما تنشره الصحف، وكان غيورا على شعره، يكره النقد، ولا يرى مانعا من استرضاء خصومه، وتحويلهم الى اصدقاء.

ولكن الريح لم تكن تمضي رخاء حتى يقع من الاحداث ما يثير الخلاف من جديد، وكانت علامات الرضى وعلامات الجزع تبدو واضحة في مجالسه واحاديثه.

يقول احمد محفوظ : لم اره جازعا يوما كيوم ظهور كتاب (الديوان) للعقاد والمازني متضمنا نقد اشهر قصائده.

وكان العقاد والمازني قد اتخذا من معارضةشوقي سبيلا الى الشهرة والدعوة الى مذهبهم الجديد في الشعر ومن هنا كان شوقي يعتمد على صحيفتي الصاعقة وعكاظ في مواجهة حملاتهما بمقالات كانت تنشر بتوقيعات رمزية او بدون توقيع اصلا. يروي احمد محفوظ بعض هذه الصور فيقول :

جاء هذا الصحفي لشوقي في صولت وكنت اجلس معه في نفر من اصدقائه فسلم عليه فلم يبش له واظهر الضيق به لانه كان يعتقد ان هذا الكاتب وامثاله انما يزورونه طمعا في عطائه، وكنت قد قرات مقالا لهذا الزائر في الصباح في هذه الصحف : فاخذت اناقشه في بعض ما جاء في مقاله، عندئذ تنبه شوقي وتغير الحال وبان التطلق في وجهه ونظر اليه بعين غير التي كان ينظر اليه بها ورحب به (١).

اما فارسه الاول في هذا المجال فكان (فؤاد الصاعقة) وصفه محفوظ بانه كان لا يجارى في سلاطة لسانه وانه كان « يختار كلامه سجعا مسموما فكان يطلق هذه السهام على خصوم شوقي في براعة. وكان له حصة الاسد في تقدير الشاعر العظيم له ويليه الشيخ فهيم صاحب صحيفة عكاظ، وكان هؤلاء كوحوش السرك اذا غفل عن احدهم شوقي واسترخى سوط ماله عن الهابهم، وثبوا عليه .. »

(١) حياة شوقي لاحمد محفوظ.

وكان شوقي يحرص على ان تضم مجالسه الدكتور محجوب ثابت وعبد العزيز البشرى وفكرى اباظة (الذى كان ينوب عنه في القاء قصائده في الاحتفالات والمناسبات) وسر حرصه هو الرغبة في الاستمتاع بجو من الدعابة والمرح والفكاهة. وكان شوقي يتحدث كثيرا في ندواته عن هجرته الى الاندلس عندما نفي اليها وعن آثار هذهالهجرة التي اتاحت له الفرصة الواسعة لقراءة آثار الادب العربي : يقول : جمعت عائلتي واصطحبت مكتبتي وغادرت مصر الى برشلونة (وهو ثغر على شاطىء البحر الابيض يشبه مرسيليا في المدنية) فادخلت أولادى المدارس الراقية ثم عكفت على قراءة كتب الادب العربي فاستوعبت منها ما لم اكن قد استوعبت وطالعتها كلها حتى أكاد اقول : انه ليس في الادب العربي كتاب لم استوعبه خلال السنين الخمس التي مكثتها في اسبانيا وقد ساعدني على ذلك طبيعة الجو اللطيف الذى يشبه جو الاسكندرية وجمال المناظر التي تحاكي ضواحي الاستانة في رشاقتها ونظامها.

وكان شوقي يفاجيء زواره ورواد ندوته بان يغادرهم فجأة بدون وداع وربما يعود بعد قليل وربما لا يعود.

ومصدر ذلك في الاغلب انه يكون قد احس بالرغبة في املاء شيء من الشعر او ان خاطرآ من الخواطر التي تتعلق بالنظم قد ملأ عليه مشاعره، يقول سكرتيره أحمد عبد الوهاب انه كان يدخل عليه فجأة فيملى عليه، ثم يقول له : لا تبعد عني حتى اذا جاءني شيء أمليته عليك. وكان يحدث كثيرا ان يدخل زائر او زائرون فيحدثهم ويحدثونه حتى اذا انتهت الزيارة التفت الي وقال : اكتب، فيسرع في الاملاء واسرع في الكتابة كأنه لم ينقطع، وكان ذهنه لم يكن مشغولا باستقبال احد، بل كان احدا لم يقطع عليه ما كان ذهنه يعمل فيه. ولاحظ ذات مرة دهشتي من قدرته على نظم الشعر على هذا النحو فقال : لا تظن ان محادثتي للناس تعطلني عن عملي. وقال صديقآخر انه لازم شوقي ليلة في احدى مجالسه على كوبرى قصر النيل، وكان قد شرع في نظم قصيدة النيل التي مطلعها :

من اى عهد في القرى تتدفق
وباى كف في المدائن تغدق

وكان كل نصف ساعة يركب مركبة خيل،

ويسير في الجزيرة بضـــع دقائق ، ثم يعــود الى المنضـــدة التي كان يجلس اليها فيكتب عشرة او اثنى عشر بيتا .

٤ مسرحيات في وقت واحد !

وكان رد الفعل للتحدي الخطير الذي واجهه اثر اتســـاع حركة التجديد ، هو اتجاهه الى عمل (المسرحية الشعرية) وكان ينظم في روايات اربع في وقت واحد هي قمبيز وعلى بك ، والبخيلة ، وهدى .

يقول احمد عبد الوهاب : انه كان يشتغل في الاربعة معا فيملي عليّ قائلا : اكتب في روايـــة قمبيز ، ثم اذا انتهى ، قال اكتب في رواية علي بك ، وربما انتهى من الاملاء ، وقال انتظر قليلا فربما ياتي شيء ، ويقـــول : كنا اثناء قـــراءة (بروفات) مجنون ليلى أو كيلوباتره كثيرا ما يقول لي : زد تحت بيت كذا هذا : ويملي أربعـــة أو خمسة ابيات ، هذا وهو يسمع لي ولم اكن قد انتهيت بعد الى آخر الصـــفحة التي قال زد في اولها كذا . ويقول عبد الوهاب : ان شوقي كان اذا شغلته اشياء عن قصيدة طلبت منه ولـم يتذكرها الا قبل ميعادها بساعات أو عند طلبهـــا ابتسم وطلب أن يتناول صفار ثلاثة من البيض ثم بدأ في النظم .

احداث لا تنسى

وقد سئل شوقي ذات مرة في احد مجالســه عن اخطر الاحداث التى مرت به فقال : انه كان يجلس في قهوة في ميدان الاوبرا ومعه اوراقه وقد انتحى بها ناحية ، وكان يتنقل بين العمل والاصدقاء حتى لا يخل بواجب ، وفي الساعة الواحدة كان قد اتم ما عمل فعاد الى منزله ، ولكنه بعد أن خلع ملابسه وراجع اوراقه وجد ان بعضها قد فقد ، يقول : فارتديت ملابسي في الحال وعدت الى القهوة فاذا ابوابها مغلقة ولا اعرف منزل صاحبها ، ولما كانت الاوراق المفقودة ذات اهمية كبرى وقفت امام الباب حائرا لا ادرى ماذا افعل وهـل هي ما زالت على المائدة ام تناولتها يد ، وكانت هذه الجملة ملازمة لدقات قلبي ، وفي الساعة السادسة صباحا جاء الجرسون وكان يونانيا وعندما رآني اسرع الخطى قال :

« انني بكرت من اجلك وقد حفظت اوراقــك عندى » .

يقول شوقي : كانت هذه الجملة مع عجمتها من يوناني من الذ ما سمعت في حياتي بعد ان وقفت اكثر من أربع ساعات مضطرب الفكر فناولته كل ما كان معي وكان حول العشرة جنيهات وعدت فرحا ولم انم بعد في هذا اليوم .

اما الحادث الآخـــر فكان عام ١٩١٥ وكنا في طريقنا الى المنفى باســـبانيا وقبل ان نصل الى مارسيليا بقليل علا الموج فاضطربت الســـفينة وانذرنا بالخطر فعلا الضجيج وهذا فضلا عما كنا فيه أنا وعائلتي من غم وتفكير لمفارقة الوطن فجأة .

فكانت ساعة هـــول عظيم ، وكلما نظرت الى ولديّ (علي وحسين) ازداد قلبي رعبا وطار لبي .

وبقينا اكثر من ساعة في عذاب شديد حتى أراد الله وبشرنا رجال السفينة بزوال الخطر .

((آكلة)) على حساب العقاد

وكانت مائدة شوقي تحفل بالاطعمة كما تحفل بالضيوف ، وكثيرا ما كان حافظ ابراهيم يقترح الوانا من الاطعمة ويحضرها معه ، ويحضر البشري هذه الندوات ويفيض عليهـــا من فكاهاتـــه ويظل حافظ والبشري يتطارحان . وكان شوقي يستطرف اثارة احاديث بين زائرين مختلفين في وجهات النظر والرأى ، وبعد ان يذكي نارها ، يترك المختلفين في حوار عاصف وهو يبتسم « فاذا ذكت النار وعلا لهيبها وانذرت بسوء العاقبة ولّى تاركا الفارسين وهما على وشك المبارزة بالالسن والايدى » .

ومن قصص ندوات شوقي ما رواه ابراهيـــم عبد القادر المازني حين قال :

كنت ذات ليلة اشهد رواية على مسرح رمسيس مع امين الرافعي ، فلما هممت بالانصراف وكانت ليلة الجمعة قال : تعال غدا الى الاخبار قبـل الظهر قلت : خيرا ان شاء الله .

قال نتغدى معا وسيكون معنا الشيخ جاويش .

قلت اين ، وعند من ، قال : يا سيد ابراهيم تعال والسلام فحضرت فذهبنا الى « جروبى » ثم قدمنا الشيخ جاويش في سيارة وانتظر فيهـــا ، فقمنا اليه وركبنا معه وكان معه الدكتور محجوب ثابت وعبد الحليم العلايلي وحامد العلايلي (صهر شوقي) وانطلقت بنا السيارات وانا اجهل الى اين نحن ذاهبون ، حتى بلغنا كرمة (ابن هانيء) فهكذا كان شوقي يسمي داره القديمة في المطرية قبل أن ينتقل الى الجيزة فلم استغرب شـــيئا واحتفى بي شوقي فلم استغرب ايضا لاني ضيف ،

وانصرفنا وفي الطريق قال الشيخ جاويش : اظنك الآن غيرت رأيك في شوقي فقلت ببساطة : (باكلة) ؟ قال معاذ الله ولكنك رأيت كيف يكرمك الرجل وانا اعرف انه يقدرك ويثني عليك وانا ارى من الخير ان تكف عن نقده . فدهشت فما كنت نقدت شوقي قبل ذلك .

هنالك مال الشيخ جاويش على اذني وافضى الي بالاشاعة التي كانت تملأ الاندية عن (الديوان) فقد طارت اشاعة انى انا ناقد شوقي والرافعي وان العقاد هو ناقد المنفلوطي وتبادلنا التوقيع ، فوضع اسمه على مقالاتي ووضعت اسمي على مقالاته .

والمهم ان شوقي صدق هذه الاشاعة وان اخوانه سعوا الى اصلاح ذات البين .

فلما سمعت الاشاعة على هذا النحو ضحكت وقلت :

هي اذن اكلة على حساب العقاد (١) .

خوف من الموت

وقد كان رواد ندوة شوقي يعلمون طباعه جيدا فلا يقحمون في مجلسه غير ما يريد من حديث . وقد عرف عن شوقي انه قليل الحديث ، كثير الصمت حتى انه كان ينزعج اذا فاجأته بتحية او بدأته بحديث وهو غافل ، وكان يحب الحياة حبا عظيما ويخاف الموت خوفا عظيما ويكره أن يتحدث عنه كما كان يكره غيره ان يتحدث عنه امامه فلا ينعى ميت ولا يجرى الحديث عن الموت .

يقول احد حضور مائدته انه كان يضع امامه زجاجة اليود وبجوارها كوبة فارغة ، فاذا جاء الى منتصف طعامه افرغ قليلا من الماء ومزجه بخمس نقط من اليود وشرب ذلك ثم دخن سيجاره وقال ان ذلك يطهر الحلق من المكروبات .

ولكنه كان غاية في الرقة مع الناس وغاية في التواضع مع زائريه ، فكان يلقب اى زجال واى ناشىء في الادب بلقب الاستاذ ويحتفل بكل من يزور مجلسه ويدله على مراجع يقرأها وكتب ينظر فيها ليجيد ويتقن صناعته وكان لا يحب نقد شعره ولا يحب من يردد هذا النقد في مجلسه .

مؤامرة على محجوب ثابت

ولكنه كان لا يترك مجالسه دون مداعبة او (مقلب) مضحك ، وكان محجوب ثابت احد ضحايا هذه المؤامرات ، فقد اراد شوقي من (احمد محفوظ) تدبير امر ، قال له اذا جاء فلان فادخل به ودعه يمثل ضابطا وانه حضر في بيتي للقبض على محجوب ، يقول محفوظ : فخرجت الى حديقة الدار وانتظرت (فلان) فلما جاء حملته اليه عبث شوقي بمحجوب ، وافهمته دوره في الملهاة وكان ممثلا بارعا ، وكان من عادة محجوب اذا اطمأن به مجلس صال وجال وطلب النزال وسب الانجليز وكشف عن ساعديه علامة الجهاد وسلب الجالسين السنتهم فلا يتكلم الا هو . فبينما هو كذلك وقد احتدم الوطيس ، دخل (فلان) وقد اصطنع وجه الصرامة ، وتقدم الى شوقي ورفع يده بالتحية العسكرية وقال : يا سعادة البك انا آسف لأني حضرت في شأن ثقيل على نفسي ولكن الاوامر هي الاوامر .

فتظاهر شوقي بالانزعاج وقال : خير يا بني ، ماذا هنالك ؟ .

قال : عندى اوامر بالقبض على الدكتور محجوب ثابت ، فلم يكد يسمع محجوب هذه الكلمات حتى زاغ بصره ورقت لحيته واصفر لونه وتراخت اوصاله ، ونظر الى الجميع ، ثم تظاهر بالشجاعة ووجد القول فيها لا يفيره بعد ان نزل البلاء .

فصاح : «انظروا الى القوة الغاشمة كيف حضرت لتنتشلني من بينكم الى السجن فلتحيا الحرية » .

فلم يستطع الحضور حبس قهقهاتهم من هذه الكوميديا ، فقد انفجر الجميع ضاحكين ، ففطن الى السر ، فكان فرحه وقهقهته اقوى من الجميع واسرع الى الضابط بحركة من اصبعه ولسانه .

وبعد فقد كان شوقي يختار لمجالسه من يشاء من انصاره ومن الندماء واصحاب الفكاهة والمرح فلا تخلو ندواته منهم ، وكان يتحدث مع رواد ندواته في كل شيء الا الشعر والموت .

وكان قلقا قد يفارق الندوة فجأة ، وقد يعود وقد لا يعود ، ولم يكن محدث الندوة بالفعل ، بل كان حريصا على أن يسمع ما يذود عنه الملل او يدخل اليه المسرة ، فهي ندوة شاعر كبير حالم تشغله طاقة من الوحي والخيال هي سر ابداعه ومصدر شعره الذى مازال يهز القلوب . ■■

« أنور الجندى »

(١) الهلال م ١٩٤٧ .

عام ١٩٧١

العام العربي لمحو الأمية في العالم العربي

- الامية عقبة امام التطور الاقتصادى والاجتماعى فى الدول العربية
- التعليم الوظيفى للكبار وسيلة حديثة لمعالجة الامية فى الدول العربية من اجل التنمية
- التعليم والتدريب يجب ان يرتبطا بالتنمية الاجتماعية والاقتصادية

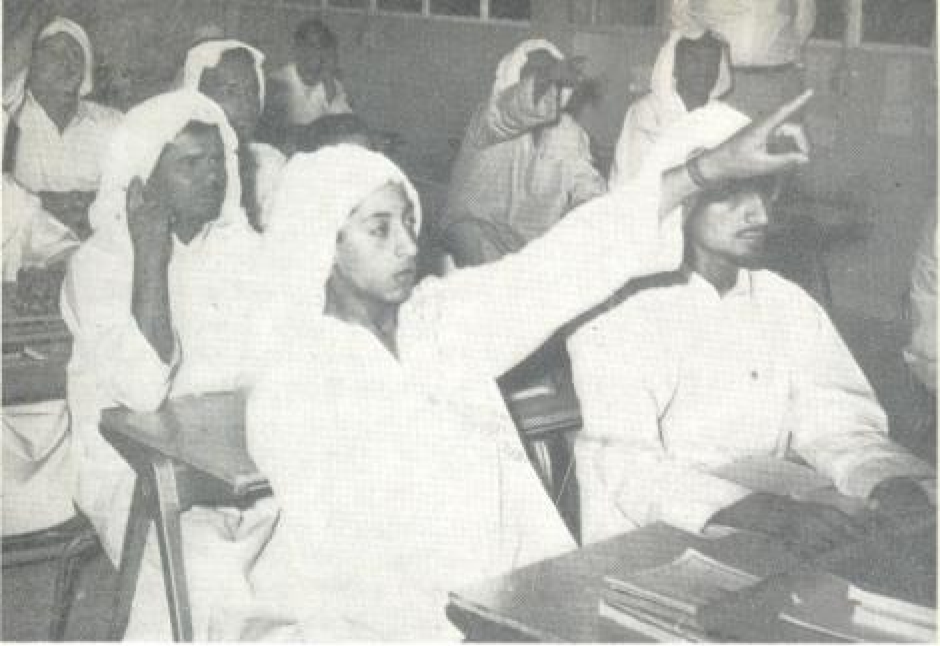
بقلم : اسحق يعقوب القطب

■ لقد اقر وزراء التربيـــة والتعليم العرب فى المؤتمر الذى دعت اليه منظمة التربية والثقافة والعلوم الدولية فى شهر يناير عام ١٩٧٠ والذى حضره المسئولون عن التنمية الاقتصادية فى الدول العربية ان يكون عام ١٩٧١ عاما لدعم الجهود وحشد الطاقات واتخاذ الترتيبات اللازمة لمكافحة الامية فى العالم العربى بكافــة الوسائل الممكنة .

وجاء قرارهم هذا نتيجة للاهتمام المتزايد في معالجة مشكلة الامية التى تعانى منها الدول النامية عامة والدول العربية خاصة بالرغم من الجهــود المتواصلة التى تبذلها الحكومات والهيئات العربية في هذا الصدد . ويرجع السبب ذلك الى الزيادة المطردة للسكان كل عام بنسبة تفوق ما يمكن للمدارس الابتدائية المتزايدة العدد ان تستوعب كل الاطفال في سن الدراسة . هذا بالاضافة الى ان منابع الامية في المجتمعات العربية متعددة وكثيرة ، منها التسرب من المدارس الابتدائية عــن طريق الرسوب ، ثم الفصل ، وكذلك عدم الانتظام في المدارس ، خاصة في مجتمعات البادية والقــرى البعيدة عن المدن . هذا بالاضافة الى ان الاعداد الكبيرة من البنات لا يحصلن على التعليم الابتدائى او الثانوى لاسباب ترتبط بالقيم والعادات والتقاليد التى تمنع تزويد المرأة بالتعليم المناسب لان ذلك « يشكل عارا على الاسرة ويدخل الى المسكن مشاكل ومتاعب لا يمكن التغلب عليها » .

وعلى سبيل المثال فقد بلغ عدد سكان العالم العربي لفئات السن ذوى ١٥ سنة واكثر ، عام ١٩٦٠ ، حوالى ٠٠٠ر٠٠٠ر٦٢ر٧ نسمة ، في حين ان هذا العدد وصل في عام ١٩٧٠ الى ٠٠٠ر٠٠٠ر٦٨ر٢ نسمة . وفي خلال العشر السنوات المذكورة زاد عدد الاميين من ٠٠٠ر٠٠٠ر٤٢ر٨ نسمة عام ١٩٦٠ الى ٠٠٠ر٠٠٠ر٤٩ر٩ نسمة عام ١٩٧٠ . اما نسبة الاميين في هــذه الفئات فقد نقصت خــلال هذه الفترة فقد كانت ٢ر٨١٪ عام ١٩٦٠ وانخفضت الى ٢ر٧٣٪ عام ١٩٧٠ .

ويرجع السبب في انخفاض النسبة المئوية الى التوسع في قاعدة التعليم الابتدائي وزيادة عــدد المدارس وعدد المعلمين والطلاب الذيــن يلتحقون بالمدارس الابتدائية الحكومية والخاصة على حد سواء ، علاوة على الجهود التى تبذل لمحو الامية بين الكبار .



الجدول التالى يوضح نسبة الامية فى البلاد العربية بين الذكور والاناث من سن ١٥ سنة فأكثر

الدولة	نسبة الامية بين الذكور ١٥ سنة فاكثر	نسبة الامية بين الاناث ١٥ سنة فاكثر	السنة
المملكة الاردنية الهاشمية	٥٠٪	٨٥٪	١٩٦٢
الجمهورية التونسية	٧٤٪	٩٦٪	١٩٦١
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية	٨٥٪	٩٤٪	١٩٦٢
جمهورية السودان الديمقراطية	٧٧٪	٩٧٪	١٩٦١
الجمهورية العراقية	٧٢٪	٩٢٪	١٩٦٢
المملكة العربية السعودية	٩٥٪	٩٩٪	١٩٦٢
الجمهورية العربية السورية	٤٦٪	٨٢٪	١٩٦٢
الجمهورية العربية الليبية	٧١٪	٩٨٪	١٩٦٤
جمهورية مصر العربية	٧٠٪	٨٦٪	١٩٦٠
الجمهورية العربية اليمنية	٩٥٪	٩٩٪	١٩٦٢
دولة الكويت	٧٩٪	٩٠٪	١٩٦٢
الجمهورية اللبنانية	١٣٪	٣٠٪	١٩٦٢
المملكة المغربية	٧٨٪	٩٤٪	١٩٦٠
* جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية			

* لا تتوفر الاحصاءات .

منابع الأمية

ان منابع الامية كثيرة ومتعددة منها عدم وجود المدارس لالتحاق الاولاد والبنات خاصة في المناطق النائية والريفية ، او عدم وجود المقاعد الكافية لجميع من هم في سن التعليم . هذا بالاضافة الى ان اعدادا كبيرة من الطلاب تتسرب من

المدارس في المرحلة الابتدائية .

فقد جاء في تقرير اليونسكو الذي عرض في مؤتمر وزراء التربية والتعليم والمشار اليه في المقدمة ان في عام ١٩٦٣ من بين كل ١٠٠ طفل يلتحقون في الفصل الاول الابتدائي ٨٦٫٩٪ منهم ينتقلون الى الثاني الابتدائي و ٨٢٫٨٪ من هؤلاء الى الصف الثالث و ٧٦٫٨٪ من هؤلاء الى الرابع و ٧١٫٩٪ الى الخامس الى ان تصل النسبة الى ٦٣٫٥٪ من الطلاب يجتازون مرحلة السادس الابتدائي . اى ان حوالى ٣٦٫٥٪ من الطلاب يرتدون الى الامية .

وتنخفض نسبة الطلاب الذين ينهون مرحلة السادس ابتدائي في بعض الدول العربية الى ٢٩٪ من مجموع الطلاب الذين يلتحقون في الصف الاول الابتدائي كما في السودان واليمن .

نسبة الطلاب فى مراحل التعليم

واذا اخذنا نسبة الطلاب والطالبات في المرحلة المتوسطة (الاعدادية) والثانوية الى مجموع عدد السكان في سن ١٢ – ١٧ من العمر فنجد ان المعدل العام لجميع الدول العربية هو ١٧٫٥٪ فقط ، اما توزيع هذه الانسب بين الدول العربية فهو كالاتي :

معدل ٢٩٫٩٪ في كل من ج.م.ع. والاردن والكويت ولبنان وقطر والبحرين .

معدل ١٥٫٧٪ في كل من الجزائر والعراق وليبيا والمغرب واليمن الجنوبية الشعبية وسوريا وتونس .

ومعدل ٣٫٨٪ في كل من المملكةالعربية السعودية والسودان واليمن .

اما نسبة الطلاب الملتحقين بالجامعات والمعاهد العليا في البلاد العربية الى نسبة السكان ممن تتراوح اعمارهم ما بين ١٨ و ٢١ سنة لجميع الدول العربية فقد بلغت ٣٫٩٪ . وهذا يعنى ان من كل مئة من الشباب الذكور والاناث في السن المذكورة حوالى ٤ فقط يلتحقون بالتعليم الجامعى العالى ، وتختلف النسب من دولة الى اخرى .

الجهود المبذولة لمعالجة الامية

اخذت معظم الدول العربية في الحقبة الاخيرة من الزمن الاهتمام بمكافحة الامية ودابت على اعداد التشريعات اللازمة لمباشرة هذا الجانب من النشاط . وتختلف درجات التنظيم القومى فبعض الدول العربية شكلت مجلسا اعلى لمحو الامية كما في جمهورية مصر العربية والعراق والاردن ومن الدول العربية ما نسب برامج محو الامية وتعليم الكبار الى وزارة التربية والتعليم كما هو في السودان وليبيا والبحرين وقطر وابو ظبى . وبعض الدول عهدت بهذه المسئولية الى وزارة الثقافة والارشاد كما هو الحال في سوريا .

وبناء على هذه التنظيمات فقد قامت المدارس النهارية والليلية للاميين من الذكور والاناث ويقوم بالتدريس فيها فئات من معلمى ومعلمات المدارس الابتدائية مستعملين الكتب والمواد التعليمية التى يتلقاها طلاب المدارس الابتدائية مع تعديلات بسيطة غالبا لا ترتبط بالبيئة والمهنة والمشكلات التى تواجه الاميين في قطاعات الصناعة والزراعة . اما بالنسبة الى فترات الدراسة فتمتد من ستة شهور الى تسعة شهور غالبا ما تنقطع ولا تتوافر الحوافز والادوات اللازمة لمتابعة الفصول ولاتاحة الفرصة للاميين للمتابعة بعد التخرج من فصول محو الامية ولهذه الاسباب ولعوامل اخرى نجد ان نسبة كبيرة من الاميين يرتدون الى الامية ثانية دون ان يترك التعليم الذى اخذوه اثرا في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية .

البرامج التجريبية العالمية لليونسكو فى الدول العربية

عقدت اليونسكو مؤتمرا عالميا ضم وزراء التربية والتعليم لبحث موضوع مكافحة الامية وكان ذلك في طهران بايران عام ١٩٦٥ وتوصل المؤتمر الى ان وجود الملايين من الاميين الكبار في الدول النامية يشكل عقبة في التطور الاقتصادى والاجتماعى وفى معظم الحالات فان احتمالات نجاح مشروعات التنمية الزراعية والصناعية والخدمات تكون ضئيلة بسبب عدم توافر الايدى العاملة الماهرة وبسبب انتشار الامية في صفوف القوى العاملة ومنذ هذا التاريخ بدأت فكرة التعليم الوظيفى للكبار بالظهور والانتشار .

التعليم الوظيفى

التعليم الوظيفى هو ذلك النمط من التعليم

الذى يوجه للكبار فى سن الانتاج اى ما بين سن الخامسة عشرة والخامسة والاربعين ويشتمل على برامج تساعد الامي (من الذكور والاناث) على اكتساب مهارات الاتصال (القراءة والكتابة والحساب) والتأهيل المهنى وزيادة المعرفة الفنية بالاضافة الى اكسابه تطوير عادات اجتماعية وجوانب سلوكية تساعده على التاقلم والتكيف الى بيئته الجديدة .

ولمساعدة الدول النامية اسهمت اليونسكو لتاريخه بما يقرب من ٥٠ مليون دولار على مشروعات تجريبية عالمية اقيمت في اكثر من ١٢ دولة آسيوية وافريقية. وتأخذ مساعدة اليونسكو للدول الاعضاء التى تطلب المساعدة في انشاء وتطوير التعليم الوظيفى للكبار عدة اشكال ونماذج ووسائل منها :

ا ــ ان يتم الاتفاق بين اليونسكو والدولة على ان يكون برنامج التعليم الوظيفى للكبار وحده في مشروع تنمية زراعى او صناعى تتعاون فيه الدولة مع المنظمات الدولية الاخرى .

ب ــ ان تودع الدولة مبلغا مرصودا لدى اليونسكو وتطلب الدولة ان تقوم اليونسكو بالتخطيط والتنظيم والتنفيذ للمشروع الذى يتلاءم مع اهداف الدولة ويحقق حاجاتها .

ويتضح من هذا ان الدول العربية الاعضاء يمكنها ان تستفيد من معونة هذه المنظمة الدولية في المجالات الفنية والخبرات والادوات اللازمة لتطوير برامج تعليم الكبار بحيث ترتبط بمشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

اما الدول العربية التى تستفيد من الخدمات الفنية والعلمية والمادية التى تقدمها المنظمة الدولية في اطار المشروع التجريبى العالمى لمحو الامية فهى :

الدولة	المشروعات ونوعها	تاريخ بدايتها	الهيئات الدولية المشتركة	التكلفة الاجمالية بالدولار	عدد الاميين المراد تعليمهم
الجزائر	* ستاولى ــ زراعى * ارزو ــ صناعى * عنابة ــ زراعى وصناعى	١٩٦٧/١/٣	اليونسكو العمل الدولية	٦٧٦ر١٦٠ر٤	١٠٠ر٠٠٠ مائة الف
السودان	* خشم القربة زراعى * الخرطوم بحرى صناعى	١٩٦٦/٢/١٩	اليونسكو	٢٠٠ر١٩٣ر١	٧٠ر٠٠٠ سبعون الفا
سوريا	الغاب ــ زراعى	١٩٧٠	اليونسكو الاغذية والزراعة	٠٥٠ر٤٢٦	٣٠ر٠٠٠ ثلاثون الفا
تونس *	المرتقاق ــ زراعى تاضدية الرسالة (اعداد وتدريب ومواد تعليمية)	يناير ١٩٦٨	اليونسكو	ــ	(انتهت بتدريب ٣٢٠ اميا)

ملاحظة :

* مشروع تونس من المشروعات الصغيرة محدودة النطاق .

* ان جمهورية مصر العربية والجمهورية العراقية في صدد تخطيط وتنظيم برامج للتعليم الوظيفي في قطاعى الصناعة والزراعة بالتعاون مع اليونسكو .

مطالب التعليم الوظيفي للكبار ومستلزماته

الهدف من تعليم الكبار

لماذا نعلم الكبار ؟ ولماذا نقوم باعداد البرامج التعليمية لهم ؟ وهل القصد هو اتاحة الفرصة لهم لقراءة الجرائد وكتابة الرسائل وقراءتها ومعرفة جدول الضرب او فك الحروف والكلمات ؟ والى اى مدى يجب ان يستعمل البرنامج التعليمي في احداث تغيرات اساسية تساعدهم على التأقلم في البيئات الجديدة والمجتمعات المتغيرة ، وكيف يمكن ربط برامج تعليم الكبار ومحو الامية والتعليم الوظيفي بمشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية :

تقوم كل دولة بصرف المبالغ الطائلة لعملية التعليم الا ان العائد من هذا التعليم لا يتكافأ مع الاموال المصروفة ، ويتمثل ذلك في عدم التحسن في الانتاج ، واستمرار المشاكل الاجتماعية ، وتدهور التربية وخاصة لدى الشباب ، والجيل الناشيء ، والفاقد الاقتصادي في الصناعة والزراعة الناجم عن عدم الاستفادة من المواد والادوات التكنولوجية الحديثة بسبب الامية والنقص الواضح في المعرفة الفنية والمستوى المنخفض من المهارات المهنية اللازم توافرها في الصناعة الحديثة .

ولتحقيق اهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية في مجالات الزراعة والصناعة والخدمات لا بد ان يرتبط كل نمط من انماط التعليم الابتدائي والثانوي والجامعي وتعليم الكبار على حد سواء بمشروعات وخطط التنمية الاقتصادية .

واما بالنسبة الى مستلزمات تعليم الكبار فتتلخص في الآتي :

١ ـ وجود تشريع ينص على الالزام والترغيب في محو الامية وبشكل لجنة عليا على مستوى الدولة تمثل فيها مختلف الوزارات والهيئات .

٢ ـ ادارة تخطيطية تشرف على تخطيط وتنظيم وادارة وتمويل البرامج التعليمية للكبار وللتنسيق بين برامج التعليم واجهزة الدولة . وانشاء الوحدات والاقسام الادارية والفنية والمالية اللازمة لاختيار المدرسين وتدريبهم والقيام بالدراسات والبحوث اللازمة لدراسة البيئة والتعرف على المشكلات والعوائق ومواقع الاختناق في الانتاج الزراعي والصناعي وذلك بهدف اعداد البرامج التعليمية المناسبة .

٣ ـ استخدام الوسائل السمعية والبصرية والراديو والتليفزيون وكل ما يلزم في اعداد المواد والمفاهيم والطرق التعليمية التي تربط ما بين تعليم مهارات الاتصال والجوانب الفنية والمعرفة المهنية والجوانب السلوكية .

اما بالنسبة الى مزايا برامج التعليم الوظيفي للكبار فهي :

١ ـ ان تربط برامج التعليم الوظيفي للكبار بمشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

٢ ـ ان تبدأ برامج تعليم الكبار بين الفئات التي تبدو اكثر استعدادا واستجابة للشعور بالحاجة الى التعليم والتي ترتبط بطريقة مباشرة او غير مباشرة بالانتاج الزراعي والصناعي والخدمات .

٣ ـ ان ترتبط برامج تعليم الكبار بالاولويات الاقتصادية اى تنتشر في المناطق التي يجرى فيها التوسع الاقتصادي مثل المجتمعات المستحدثة .

٤ ـ يجب الا تقتصر برامج التعليم على القراءة والكتابة والحساب بل تشتمل ايضا على اكساب المهارات الفنية والمعرفة الفنية والجوانب السلوكية واشراك الاميين في الحياة الاقتصادية والاجتماعية .

٥ ـ ان يكون تعليم الكبار جزءا اساسيا في النظم التربوية والتعليمية الرسمية وغير الرسمية .

٦ ـ ان يمول تعليم الكبار عدة مصادر منها الحكومية والاهلية والاستثمارات المختلفة .

٧ ـ ان توجه برامج تعليم الكبار الى الاهداف الاقتصادية والاجتماعية مثل زيادة انتاج القوى العاملة في الزراعة والصناعة والخدمات ، انتاج المواد الغذائية ، التصنيع ، المجتمعات المستحدثة ، التنوع الاقتصادي .. الخ .

المركز الدولي للتعليم الوظيفي في سرس الليان

المركز الدولي للتعليم الوظيفي في سرس الليان

انشيء من قبل اليونسكو بتاييد الدول العربية واستضافته جمهورية مصر العربية منذ عام ١٩٥٢ حين بدأت برامجه بالتدريب على التربية الاساسية ثم تحول الى التدريب على برامج تنمية المجتمع ثم ما لبث أن تحول الى التدريب على التعليم الوظيفي للكبار من اجل التنمية .

ويقدم المركز خدمات للدول العربية وقام بتدريب حوالى ١٥٠٠ من المسئولين والمسئولات عن التنمية الاجتماعية وتعليم الكبار منذ انشائه ويهدف الى مساعدة الدول العربية في :

أ ـ تدريب الكوادر على تطوير وتنظيم برنامج تعليم الكبار لتتلاءم مع اهداف البيئة في الدول العربية بناء على حاجاتها وطلباتها .

ب ـ القيام بالبحوث والدراسات التى تكشف عن ابعاد الامية ووسائل التغلب عليها وفعاليات البرنامج الوظيفي في التنمية والتغير في المجتمعات المستحدثة .

ج ـ اعداد نماذج من المواد التعليمية والوسائل السمعية والبصرية التى يمكن استخدامها في الدول العربية والاسترشاد بها .

د ـ تقديم الخدمات الاستشارية والمعونة الفنية عن طريق ايفاد خبراء المركز لمساعدة الدول في مجالات التخطيط والبحث والتقويم واعداد المواد واستخدام الوسائل السمعية والبصرية .

هـ ـ المساعدة في طبع الكتب والمواد التعليمية على مطابعها لخدمة الدول العربية والخدمات الاخرى .

هذا بالاضافة الى ان الجهاز الاقليمي العربي لمحو الامية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في الجامعة العربية يقدم المساعدات الفنية والمالية للدول العربية ويسهم في تطوير برامج محو الامية في ضوء حاجات كل بلد عربي . ويتعاون الجهاز الاقليمي والمركز الدولي في تقديم الخدمات في البحث العلمي والتدريب والتمويل لخدمة الوطن العربي .

السنة العربية لمحو الامية

ان آثار الامية على التنمية والانتاج ليست بحاجة الى دليل او برهان ، وان عصر الذرة وريادة الفضاء وعصر التغير والتكنولوجيا لا يمكن ان يمتد الى العالم العربي ما دام يعاني من نسبة كبيرة من الاميين وكذلك يعاني من الامية المهنية والعلمية في مختلف صورها واشكالها .

وان وزراء التربية والتعليم قرروا ان يكون عام ١٩٧١ السنة العربية لمحو الامية ايمانا منهم باهمية المشكلة وضرورة اتخاذ كافة التدابير للتغلب عليها وعلى الدول العربية حكومة وشعبا ومؤسسات حكومية واهلية وعلى نطاق الافراد ان يقدموا في هذا العام كل ما من شأنه ان يسهم في التخفيف من حدة انتشار الامية واستفحال اثرها على التطوير والنمو .

اما بالنسبة الى البرامج فتتعدد وفق امكانيات كل دولة وبحسب ظروفها الحالية الا ان الموضوع لا بد ان يناقش ويخطط له على اعلى المستويات الادارية والمهنية والفنية وان تقوم البحوث والدراسات وان تتخذ سياسات جديدة في تطوير التعليم الموجه للكبار واعداد المعلمين الجامعيين لهم وربط هذا التعليم بمشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والاستعانة بالمنظمات الدولية المختلفة ومنها المراكز الدولية في بيروت وسرس الليان والمراكز العربية التى تتبناها جامعة الدول العربية .

والطريق طويل وشاق وتتطلب مكافحة الامية عشرات السنوات قبل ان تمحى تماما او تنخفض نسبتها الى اقل من ١٠٪ ولذا فان انشاء الكليات المتخصصة لها وادراج منهج التعليم الوظيفي في مناهج ودور المعلمين وكليات الادارة والاقتصاد وكليات البنات أمر عملي ويسهم في تطوير برامج تعليم الكبار مستقبلا .

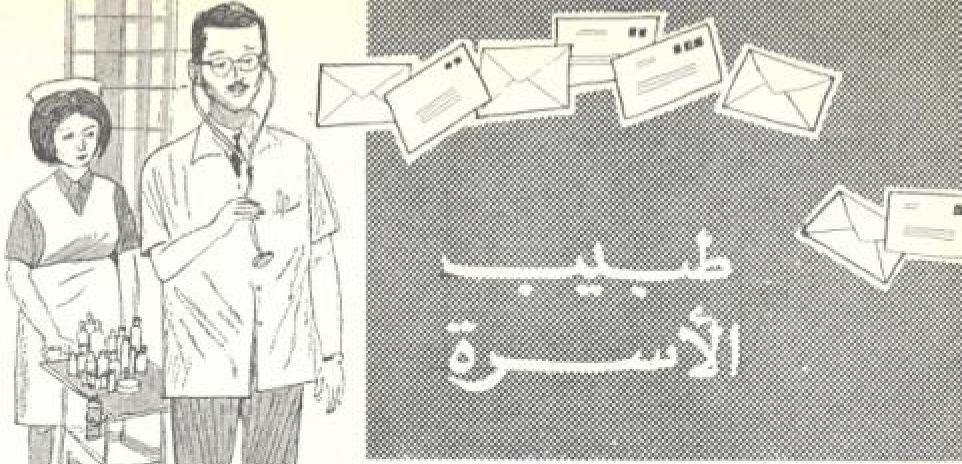
واخيرا فان مكافحة الامية لا بد وان يشترك فيها كل مواطن وبطريقته الخاصة وضمن امكانياته وظروفه بالتعاون مع اجهزة الدولة .

«وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون»

■■

اسحق القطب

رئيس قسم العلوم الاجتماعية
المركز الدولي للتعليم الوظيفي ، سرس الليان ،
منوفية ج.م.ع



يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

ضمور الخصية .. هل يؤدى الى عدم الانجاب ؟!

● انا شاب في الثلاثين من عمرى تزوجت منذ ٣ سنوات ، ولم أنجب اطفالا ، واخبرنى الطبيب أنه لا توجد حيوانات منوية في السائل المنوى نتيجة ضمور الخصيتين ، فما سبب هذا الضمور ، وهل هناك أمل في الانجاب ؟

ــ ان عدم انجاب الاطفال يرجع الى اسباب عديدة منها ما هو فى **الرجل** ، ومنها ما هو فى المراة وضمور الخصيتين هو احد هذه الاسباب فى **الرجل** ، وقد يكون هذا الضمور خلقيا نتيجة نقص او اضطراب فى الهرمونات وعادة يكون مصحوبا بأعراض أخرى نتيجة ذلك النقص ، وقد تبقى الخصية معلقة . او لا تنزل بعد الولادة وتبقى هكذا بعد سن البلوغ حيث تضمر فى مكانها . وهناك عوامل خارجية كثيرة Eyogenous Factors تؤدى الى الضمور ، مثل بعض الحميات والأمراض المزمنة خاصة التهاب الغدة النكفية ، الملاريا، التيفويد، التدرن الرئوى ، كذلك وجود بؤرة صديدية مزمنة بالجسم مثل التهاب الجيوب الأنفية أو الالتهاب المزمن بالبروستاتة ، قد يؤدى الى بعض الالتهاب والضمور . كما أن استمرار التعرض للحرارة الشديدة ولأشعة اكس له مضاره ، وكذلك النقص الغذائى الشديد والادمان المزمن للمشروبات الروحية يؤديان الى الضمور .

وبعض الامراض مثل الدوالى والقيلة المائية تسبب الضمور نتيجة الضغط المستمر على الخصية واضطراب الدورة الدموية فيها ، كما ان فى بعض عمليات الفتاق والدوالى قد تصاب الأوعية الدموية المغذية للخصية او يحدث ضغط عليها مؤديا الى حدوث بعض الضمور بعد العملية .

وهناك عوامل طبيعية Eendogenous Factors مثل اضطراب الغدد الصماء أو حدوث التهاب أو اورام بها خاصة الغدة الدرقية أو النخامية أو الكظرية .

ولكن على الرغم من كل هذه الأسباب فقد لا نستطيع التوصل الى السبب الرئيسى لضمور الخصية أو لا نجد مرضا معينا حاليا ، ولذا يجب أخذ التاريخ المرضى للشخص جيدا منذ ولادته حتى نتوصل الى معرفة السبب الكامن وراء هذا الضمور .

ولذلك فالوقاية من الحميات والأمراض المعدية مهمة جدا ، وكذلك الكشف على تلاميذ المدارس قبل سن البلوغ لملاحظة حالات عدم نزول الخصية أو اضطراب



تسلخ أصابع القدم أسبابه وعلاجه

● هناك احمرار مع قشور بيضاء وتسلخ بين اصابع قدمى ، وكثيرا ما يصحبها حكاك ، واستمرت عدة اشهر ، فما هى هذه الحالة ، وما علاجها ؟

ــ هــذا المرض منتشر فى كثير مــن الاشخاص ، وهــو مــرض فطرى معد ويسمى Tinea Interdigitalis ويبدأ المرض عادة بين الأصبع الرابع والخامس على شكل قشور وتسلخات وتشقق ثم ينتشر بين الاصابع الاخرى ، وقد يمتد الى القدم او اليدين او الى اى جزء من الجسم ، وهو مرض مــزمن وعادة غير مؤلم ، ولذلك لا يلجأ المريض الى الطبيب الا بعد ان ينتشر المرض او تحدث له مضاعفات مؤلمة مما تجعله يسرع الى الطبيب . وقد يؤثر المرض على الأظافر او ينتشر فى القدم باكملها وتتكون به فقاعات وقشور بيضاء سميكة لينة ذات رائحة كريهة . وعادة ينتشر فى الحمامات الجماعية او حجر خلع الملابس فى النوادى الرياضية او غــيرها او فى حمامات السباحة ، ويلاحظ ان العرق بين الأصابع يزداد مما يساعد على سرعة انتشار الفطر .

والوقاية مهمة جدا فى هذا المــرض حيث انه سريع الانتشار ، كذلك يجب على المريض اتباع هذه النصائح حتــى يساعد على سرعة شفاء المرض ، ومن أهم هذه النصائح عدم السير حافى القدمين فى الاماكن المعرضة للعدوى مثل حجــر خلع الملابس وحمامات السباحة ، وبعد الحمام مباشرة يجب تجفيف القدمين والاصابع جيدا ، واستعمال البــودرة المطهرة المناسبة فى الأشخاص المصابين او الذين عندهم قابلية للاصابة ، والمعروف ان هذا الفطر يفضل العيش فى الأقمشة الصوفية والجلدية والأماكن الرطبــة المظلمة .

وفى العلاج يجب ملاحظة وجود اى مضاعفات مثل الالتهابات الصــديدية وعلاجها بمضادات الحيويات واستعمال المواد المطهرة والمهدئة مثــل محلــول برمنجنات البوتاسيوم او اسيتــات الالومنيوم . ثم بعد ذلك استعمــال الدهانات المضادة للفطريات مثل اليــودو الاستــيرول وحامض الساليلك ، ودهان كاستلانى، ومرهم ويتفيلد وغيرها كثير . كما ان هناك بودرة ضد الفطريات لاستعمالها بين الاصابع وداخل الجوارب مثل بودرة استيرول وبودرة فيتودرمين .

الهرمونات وعلاجها قبل سن البلوغ .

ويعتمد العلاج على السبب ، كمــا يجب علاج اى بؤرة صديدية بالجســم ، واعطاء الفيتامينات فى حالة نقص فيتامين A.B.E وارجنين ، اما الهرمونات فتعطى حسب احتياج الشخص ســواء هرمون الغدة الدرقية او هرمون الخصيــة Gonadotropic Hormones ويعتمد تقدم الحالة من عدمها على الضمور اذا كان شاملا أم جزئيا ، ولذلك يفضــل اخذ عينة من الخصيــة لفحصها لمعرفــة مدى الضمور الموجود ، وكذلك ســبب الضمور ، اذا كان نتيجة نقص هرمونى ام انه خلقى، ام ان الضمور حدث مؤخرا، وكذلك لتبين مدى قدرة العلاج فى التأثير على الحالة .

الحساسية للادوية .. ما هى وما علاجها ؟!

● اصابنى مرض جلدى على الاعضاء التناسلية واخبرنى الطبيب انه حساسية لأدوية معينة ، ثم عاودنى نفس المرض ثانية مع بقعة غامقة على الشفاه بعد استعمال حبوب مسهلة ، فما هى هذه الحساسية وما علاجها ؟

ـ ان الحساسية او التفاعل الكثير من الأدوية والمواد الكيماوية معروف حيث ان حوالى ٥ ـ ١٠٪ من الاشخاص قد يصابون باحدى هذه الحساسية ، وبعض هذه الأدوية قد يؤدى الى تفاعلات شديدة وربما الى الوفاة ، كما فى حالة البنسلين ، وبعضها ما هو خفيف يؤدى الى مجرد طفح بسيط . وبعض الأدوية الى نوع ثابت من الحساسية يسمى Fixe Drug Eruption بحيث انه عندما يرى الطبيب هذه الحساسية فانه يعرف مباشرة الدواء المسبب لها ، ومن هذه الأدوية بعض انواع الحبوب الملينة ، او المسهلة ، كالتى استعملتها انت ، ويدخل فى تركيبها المادة المعروفة باسم Phenolphthalein ولذلك تسمى هذه الحساسية التى اصابتك باسم Phenolphthalein Fixed Eruption وفيها تكون الاصابة عبارة عن رقعة مستديرة او بيضاوية محددة بنية أو بنفسجية اللون ، وعادة فى بداية الاصابة يكون الطفح عبارة عن رقعة واحدة ، واثنتين ، ولكن بتكرار الاصابة يزداد عدد اللطع ، وقد تصاب الشفاه والأعضاء التناسلية فقط بمفردها ، أو تكون مصحوبة بلطع ملونة على الجسم ، وبعد الشفاء تستمر هذه الصبغة فترة وتزول تدريجيا ، وعادة يظهر الطفح فى نفس المكان أو الاماكن فى كل مرة يستعمل فيها الدواء . وتعتمد شدة الطفح على كمية الدواء المتعاطى وقد تتكون فيه بعض البثور او الفقاقيع المتلئة بسائل أصفر شفاف ، كما انه قد يتكون معها نوع من الارتكاريا ، الا ان شكل اللطع



واللون البنفسجى يميزان تلك المادة التى تستعمل فى بعض الحبوب الملينة كما تستعمل فى بعض أصباغ الطعام ، وتزداد اللطع وصبغتها فى الاشخاص الملونين عنها فى غيرهم .

ولعلاج تلك الحالة يجب ايقاف هذه المادة قطعيا واستعمال بديل لها من مواد مسهلة اخرى اذا كنت لا تزال تشكو من الامساك مثل مادة الكسكارا او زيت البارافين او ملح الماغنسيوم او علاج سبب الامساك الأساسى . ثم استعمال المواد الشافية للحساسية ، وكذلك المراهم الموضعية الشافية للحساسية مثل مرهم انتستين او مرهم يحتوى على كورتيزون .

بين خماعة بنت عوف ومروان القرظ

بقلم : عبد الستار فراج

■ لم تخل جزيرة العرب فى جاهليتهامن غارات تشنها بعض القبائل على بعض ، وعلى من بعد منها أو قرب ، فيصيب رجالا منهم القتل دون رحمة ، ويحل برجال منهم الاسر طلبا لاجتلاب المال بالفداء ، وتسبى النساء وتملك كالاماء والجوارى .

واذن فما أكثر طلب الثأر وما أشد الرغبة فى الانتقام .

ولا ينقطع هذا البلاء وسفك الدماء الا في الاشهر الحرُم التى يمتنعون فيها عن الحرب ، فلا يعتدى أحدهم على احد ، ولا يناله منه مكروه مهما تكن بينهما من ضغائن واحقاد .

وان الرجل ليلقى عدوه ومن له عنده ثار ، ولا يحول دونه حائل ، فلا يقتله ، وهو قادر على ذلك لو أراد . والاشهر الحرم هي : رجب ثم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم .

ومن خلال هذه الظلمات الحالكة قبل مجيء الاسلام كانت تشرق لمحات نيرة من الخُلق الكريم ، اهمها الوفاء بالوعد ، وحفظ العهد ، وحماية الجار ، واكرام الضيف ، واغاثة المستجير .

بنت عوف بن محلم ومروان القرظ

ولقد كانت خُماعة بنت عوف بن مُحلّم الشيباني متزوجة رجلا اسمه ليث بن مالك .

وفي يوم اقبل جماعة من بنى عبس برياسة مروان القَرَظ الذى ضُرب به المثل في عزه فقيل « أعز من مروان القرظ » ، فاغاروا صباحا على خيام ليث بن مالك فاخذوا فرسه وسلاحه ، ثم مالوا الى خبائه فاخذوا أهله ، وسبوا امرأته خُماعة بنت عوف .

وكان الذى أخذها هو ذؤاب بن أسماء ، وشاركه في ذلك عمرو بن قارب .

وتقدم منها رئيس المغيرين مروان القرظ فسألها عن اسمها ونسبها ، فقالت له : انا خماعة بنت عوف بن محلم الشيباني . فعرف مروان قدرها ، لما يعرفه لأبيها من شهرة وفضل وكرامة . فانتزعها من ذؤاب وعمرو ، وقال لها : غطى وجهك ، والله لاينظر اليه عربي حتى اردك الى

ابيك . وقال لعمرو وذؤاب : حكّماني في خماعة . قالا : قد حكمناك . قال : فاني اشتريها منكما بمائة من الابل . فقبلاها . وادخل مروان خماعة الى اهله معززة مكرمة .

ايصال خماعة الى ابيها

وجاء موسم عكاظ ، وهو سوق من اسواق العرب تجتمع فيه القبائل من كل فج ، فيتبايعون ويتناشدون ، ويتفادون أسراهم وهم آمنون من البطش والغدر وغائلة الانتقام ، لان هذه السوق كانت تقوم في هلال ذى القعدة وتستمر عشرين يوما ، وذو القعدة كما عرفنا من الاشهر الحُرُم .

فخرج مروان القرظ بخماعة بنت عوف حتى انتهى الى منازل بنى شيبان المقامة في سوق عكاظ وقال لها : هل تعرفين منازل قومك ومنزل ابيك ؟ فقالت : نعم ، هذه منازل قومي ، وهذه قُبّة ابى . قال : فانطلقى الى ابيك . فانطلقت وخبرت اباها وقومها بما صنعه مروان معها من الاستنقاذ والرعاية والاكرام . فعدها له ابوها يدا كريمة لا تنسى .

تسجيل ما فعله مروان

رَدَدْتُ على عـــوفٍ خُماعةَ بعدما
خلاها ذُؤابٌ خلوةً غيرَ خاطبِ

ولو غيرها كانت سبيةَ رُمْحـــه
لجاء بها مقرونة بالذوائـــــب

ولكنه ألقى عليهــا حجابــــه
رجاء الثواب أو حِـذارَ العواقب

فدافعت عنها (ناشبا) وقبيلـــه
وفارس يَعْبُوبٍ وعمْرَو بن قارب

ففاديتها لما تَبيّنَ نُصْفُهــــا
بكوم المتالى والعشارِ الضَّوارب

وواضح من هذا الشعر ان ذؤاب بن أسماء هو الذى أراد الاستئثار بها . وانه لم يعاملها معاملة السبايا ، لطمعه في ان ينال الثواب من أهلها ، او لخوفه من عاقبة ايذائها ، وأن مروان القرظ حين انتزعها بعد أن عرفها لقى معارضة من ذؤاب ومن شاركوه في النهب ، وهم جماعة كثيرون فُرْسان، ثم أرضاهم لما عرف استحقاقها للاكرام والانصاف ، بالنيـاقِ الكُومِ المتالى . اى السمينة التى تتبعها أولادها .

مروان القرظ وكثرة غاراته واسره

ومروان كثير الغارات والغزوات ، وقد اغضب عليه بعض الملوك الذين كانت لهم في العـرب كلمة مسموعة نافذة وأمر مطاع . ثم ان مروان اغار على بعض قبيلة بكر بن وائل ، فتتبعوه حتى ادركوه وغلبوا أصحابه ، وأسره رجل منهم وهو لا يعرفه ، فأتى به امه ، فلما دخل عليها قالت له امه : انك لتختال باسيرك كانك جئت بمروان القرظ . فقال لها مروان : وما ترتجين من مروان: قالت ارتجي عظيم فدائه . قال : وكم ترتجين من فدائه : قالت : مائة بعير ، قال : أنا أضمن لك على شريطة أن تذهبي بي الى خُماعة بنت عوف ابن مُحَلّم . فمضت به المرأة اليها ، وبعثت به خُماعة الى أبيها عوف ، فنالت المرأة المائة التى طلبتها .

لا حرّ بوادى عرف

ومكث مروان عند عوف معززا مكرما . وتسامع الناس ان مروان في جوار عوف ، وبلغ الخبر عمرو بن هند أحد ملوك العرب فبعث الى عوف يطلب منه أن يأتيه بمروان القرظ . فقال عوف للرسول الذى جاءه : قل للملك : ان مروان قد أجارته ابنتى وليس اليه سبيل . فبعث عمرو الى عوف : انى قد أليت أن لا أعفو عنه الا أن يضع يده في يدى . فما كان رد عوف الا أن قال للرسول : قل له يضع يده في يدك على أن تكون يدى بينهما . فأجابه عمرو بن هند الى ذلك ، . فجاء عوف بمروان ، وأدخله عليه ، فوضع يده في يده . ووضع عوف يده بين ايديهما. فعفا عنه عمرو بن هند وقال : « لا حرَّ بوادى عوف » فسارت هذه الجملة مثلا مأثورا يضرب

للرجل يسود القوم فلا ينازعه أحد منهم سيادته ، وفيه يقول الشاعر :

وأصبح ممسكا منحبْلِ عــوف
بلا رثّ الجوار ولا ذمـــيم

نصيحة زوجة عوف لابنتهـا

وما دمنا قد عرضنا لعوف في وفائه وسمو مكانته فلا يفوتنا ان نذكر مايتعلق بمنزله الداخلي منأدب وحسن رعاية ، هو في الحقيقة سمو في الاخلاق ، ورقي في التربية يتحقق على مر الاجيال .

ان عوف بن محلم رزق زوجة ذات عقل وفضل اسمها أمامة بنت الحارث . وكانت لها بنت أيضا منه ذات جمال وكمال ، فبلغ الحارث بن عمرو ، أحد الملوك ، ما هي عليه من جمال ، فارسل امراة الى امها أمامة للتحقق من صدق ما وصفت به ، فلما فاتحت أمها في الامر ، نادت بنتها وقالت لها : ان هذه خالتك ، اتتك لتنظر بعض شأنك ، فلا تسترى عنها شيئا ان ارادت النظر من وجه او خلق،وناطقيها ان استنطقتك.

وهكذا عرفت المرأة كل ما ارادت أن تعرف ، فخرجت وهي تقول « ترك الخداع ، من كشف القناع » فصار هذا مثلا .

ثم ذهبت الى الملك ووصفتها له باحسن وصف، فبعث الى ابيها يخطبها ، فوافق على زواجها ، وبعث الملك اليها من الصداق بمثل مهور نساء الملوك . فلما حان أن تحمل الى زوجها دخلت اليها أمها لتوصيها فقالت : يابنية ، ان الوصية لو تركت لعقل او ادب او مكرمة وحسب لتركت لك ، ولكن الوصية تذكرة للعاقل ، ومنبهة للغافل ، يابنية . انه لو استغنت المرأة عن الزوج ليغنى أبويها وشدة حاجتهما اليها كنت أغنى الناس عن الزوج ، ولكن الرجال خلقوا للنساء ، كما هن خلقن للرجال ، أى بنية . انك فارقت بيتك الذى منه خرجت ، وعشك الذى فيه درجت الى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تالفيه ، فاصبح بملكه عليك رقيبا ومليكا . فكوني له أمة يكن لك عبدا وشيكا . يابنية احملى عنى عشر خصال . يكنَّ لك ذخرا وذكرا .

اما الاولى والثانية فالخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع له بالطاعة .

واما الثالثة والرابعة : فالتفقد لموضع عينه وانفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك الا اطيب ريح .

وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه ، فان حرارة الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة .

واما السابعة والثامنة : فالاحتراس بماله ، والارعاء على حشمه وعياله . وملاك الامر في المال حسن التقدير ، وفي العيال حسن التدبير .

واما التاسعة والعاشرة : فلا تعصى له آمرا ، ولا تفشى له سرا ، فانك ان خالفت امره أوغرت صدره ، وان أفشيت سره لم تأمنى غدره .

ثم اياك والفرح بين يديه اذا كان ترحا ، والكآبة بين يديه اذا كان فرحا ، فان الخصلة الاولى من التقصير،والخصلة الثانية من التكدير، وكوني أشد ما تكونين له اعظاما ، يكن أشد ما يكون لك اكراما . وأشد ما تكونين له موافقة يكن أطول ما تكونين له مرافقة . واعلمى انك لن تصلى الى مرادك منه حتى تؤثرى رضاه على رضاك ، وهواه على هواك ، فيما أحببت وكرهت والله يخير لك ، ويصنع برحمته لك .

وحملت هذه الفتاة الى زوجها واقترن بها فعظم موقفها منه ، وولدت له أبناء عدّوا من ملوك العرب .

آمروا النساء في بناتهن

وان هذه المرأة امامة امراة عوف ، لجديرة بان يصدق عليها قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث يقول « آمروا النساء في بناتهن » وفي ذلك يقول ابن الاثير : هو من جهة استطابة انفسهن وهو أدعى للالفة ، وخوفا من وقوع الوحشة بينهما اذا لم يكن برضا الام . اذ البنات الى الأمهات أميل ، ولسماع قولهن ارغب، ولان المرأة ربما علمت من حال بنتها الخافي عن أبيها أمرا لا يصلح معه النكاح ، من علة تكون بها ، أو سبب يمنع من وفاء حقوق النكاح . ■■

عبد الستار أحمد فراج

أمراض شائعة

الآلام البطنية

المغص المعوى

بقلم : الدكتور سالم نجم

■ ربما كان الألم هو السبب الأول المباشر الذى يدفع المريض الى استشارة الطبيب . وبصفة عامة تعدد اشكال الألم وصوره وتفاوت حدته ما بين وخزة دبوس الى الم يقض مضجع الانسان ويبدد سعادته .

فى هذا المقال سوف اتناول الموضوع من جوانب ثلاثة :

١) فلسفة الالم ٢) ميكانيكية الالم ٣) الآلام البطنية خاصة ما يتعلق منها بالجهاز الهضمى .

١) فلسفة الألم

لم يكن الألم ضمن الحواس الخمس (النظر والسمع والشم والذوق واللمس) التى ذكرها ارسطوطاليس منذ اكثر من الفى عام ولا تزال موضع اتفاق حتى اليوم . كما انه ليس الحاسة السادسة التى يتحدث عنها بعض الناس حيث يختلف المعنى باختلاف المناسبة . اما القدماء فلقد قالوا بأن الألم ما هو الا حالة احساس مضادة لحالة السرور حيث اعتقدوا أن الطبيعة قد وضعت الانسان تحت سيطرة احدى حالتين هما الألم والسرور .

وفى العصور الحديثة بدأ العلماء يميلون الى تفسير الألم بانه ظاهرة فسيولوجية ذات اسباب محددة وان الشعور بالألم ان هو الا ادراك الانسان لمؤثر ضار يدفعه الى التخلص منه بأى وسيلة باستجابة مضادة . وانطلاقا من هذا المفهوم برزت فى الطب الحديث نظريتان قد تبدوان لأول وهلة بانهما متعارضتان ولكنهما فى الحقيقة متكاملتان .

هل الألم ظاهرة صحية أم مرضية وبمعنى آخر هل الألم مفيد أم ضار ؟

اولا : ــ هل الالم ظاهرة صحية مفيدة ؟

يعتبر العالمان هيلتون وشرنجتون Hilton and Sherrington على راس الفريق الذى يؤكد بأن الألم هو الضوء الاحمر الذى ينبه الانسان الى خطر يتعرض له فهو اذن عنصر هام من عناصر الدفاع عن الجسم اوجدها الخالق ــ جلت قدرته ــ



ليحفظ الكائن الحي من الفناء . وكلما كان الالم شديدا كانت الحالة المسببة له خطرة وقاتلة . بهذا المعنى يصبح الألم مفيدا في معظم الاحيان .

ثانيا : ـ هل الألم ضار بصحة الانسان ؟

يذكرنا الطبيب العالم زيجلر Ziegler بأن اللفظ الانجليزي للألم Pain يشبه في الرسم والنطق كل من الكلمة الفرنسية Pein والايطالية Pena واللاتينية Poena وجميعها تعني العقوبة في تلك اللغات .

فالألم اذن نوع من العقوبة يحكم به على الانسان مسببا اضرارا نفسية وبدنية بليغة ومن المعلوم طبيا أن الألم اذا استمر فترة طويلة فانه يتعدى وظيفته الدفاعية ويحدث بالجسم والروح اضرارا عظيمة قد تفوق تلك التي نتج الألم عنها في باديء الامر . وفي هذا المضمون كتب جراح الاعصاب الامريكي ميتشل Mitchel في نهاية القرن التاسع عشر ولأول مرة عن الألم كمرض بذاته له خصائصه المميزة ويحتاج الى علاج مستقل وليس عرضا يشير الى مرض دفين يتعين على الطبيب اكتشافه . وبالتجربة على الحيوانات المختبرية ثبت يقينا أن الألم القاسي المتكرر بصورة معينة يؤدي الى تلف حقيقي في أنسجة الجسم كما ينشأ عنه تغير مرضي في رسم القلب الكهربائي لذلك الحيوان .

بعد استعراض النظريتين يتضح لنا أن الالم يعتبر ناقوس الخطر الذي يدق والاشارة الحمراء التي تضيء منبهة الى موطن الخطر ومكمن الداء فهو عنصر وقائي مفيد . ولكن اذا ما استمر بصورة عنيفة متكررة كمرض لمرض عضال فانه في هذه الحالة يكون في ذاته مصدرا مرضيا بدنيا ونفسيا جديدا وحينئذ يجب على الطبيب علاج الالم كحالة مستقلة اذا اقتضت الظروف ذلك آخذا بعين الاعتبار المرض المسبب للألم باديء ذي بدء .

٢) ميكانيكية الألم

كيف يشعر الانسان بالألم ؟

هنالك أطراف عصبية منبثة في كل مكان من الجسم ـ في الجلد وفي الاعضاء الداخلية على حد سواء ـ هذه الأطراف العصبية هي التي تحمل رسالة العامل المؤثر ـ مثل وخزة سكين او ضربة عصي أو تقلص امعاء ـ عن طريق النخاع الشوكي الى المراكز الحسية العليا في المخ والتي تسيطر على الشعور الواعي . وبمجرد وصول الرسالة الى تلك المراكز يحس الانسان بالألم وتتفاوت سرعة توصيل رسالة الألم من أربعة أمتار الى مئة متر في الثانية الواحدة تبعا لسمك وغلاف الطرف العصبي الناقل للرسالة . فكلما كان الطرف العصبي سميكا ومغلفا كانت السرعة فائقة والعكس صحيح . ولكن لا بد من التأكيد على أن درجة الاحساس بالألم تختلف من شخص الى آخر حيث تتداخل عوامل كثيرة نذكر منها : قوة احتمال الفرد ـ خبرته بالألم ـ البيئة والتأقلم ـ المستوى العقلي والنفسي للفرد ـ توقع حدوث الألم الى غير ذلك من المؤثرات ، ولهذا كان من المنطق أن تختلف شكوى المرضى المصابين بداء واحد اختلافا كبيرا .

ميكانيكية الآلام البطنية

تنقسم الام البطن الى أقسام ثلاثة :

١) ألم الغلاف البريتوني Parietal Pain وهذا الألم يشير الى مرض عضوي حاد . وينتج عن تعرض الغشاء البريتوني المغلف لجدار البطن للاصابات المرضية أو التهتكية حيث أن هذا الغلاف غني بالأطراف العصبية الحسية . وافضل مثال لهذا الألم ما يشعر به المريض عند التهاب زائدته الدودية (الاعور) ويتميز الالم هنا بالخصائص التالية : فهو وخزي عميق ـ حدته

شديدة متصلة ـ يسهل تعيين مكان الألم بدقة ـ تزداد درجة الألم عند لمس مكانه ـ يصاحب هذا الالم اعراض أخرى مثل ارتفاع في درجة حرارة الجسم ـ زيادة في النبض ـ يصاب المريض بقيء شديد مع تغيير في صفات بوله واحيانا برازه هذا بالاضافة الى وجود علامات مرضية أخرى يكتشفها الطبيب . وعلاج مثل هذه الحالة هو التدخل الجراحي في معظم الأحيان .

٢ ـ آلام الاعضاء الجوفية : Visceral Pain

وغالبا ما تشير الى ارتباك وظيفي وليس الى مرض عضوي حقيقي . نذكر من اعضاء التجويف البطني القناة الهضمية ، الكبد والطحال ، غدة البنكرياس ولا تحتوي هذه الاعضاء على اطراف عصبية حسية ولذلك فان قطعها بسكين لا يسبب الما مطلقا . غير ان هذا النوع من الالم يحدث نتيجة انتفاخ او تمدد او تقلص هـذه الاعضاء . ولقد ثبت بالتجربة العلمية ان الانسان يشعر بالالم في معدته اذا ما تعرض جدار المعدة الى ضغط يبلغ ٢٠ جم على السنتيمتر المربع وتزداد حدة هذه الآلام اذا كانت هذه الاعضاء ملتهبة او محتقنة او منقبضة .

وخصائص هذا النوع من الالم تكاد تكون على عكس ما جاء ذكره في النوع الاول فهي غير شديدة ومتقطعة وكثيرا ما تكون حارقة وتلازم الانسان فترات طويلة قد تمتد الى شهور بل الى سنين دون التأثير على صحة الانسان وليس هناك اعراض اخرى مصاحبة للالم مثل الذى ذكرته في النوع الاول . ورغم ان هذا النوع هو اكثر الآلام البطنية شيوعا فانه ليس بالخطورة التي يتميز بها سابقه. غير انه لا بد من استشارة الطبيب لتحديد العضو المصاب واتخاذ ما يلزم من الفحوصات الطبية اللازمة لاستبعاد اى داء عضوى . وعلاج هـذا النوع يكون بالعقاقير ولا يحتاج الى تدخل جراحي.

٣ ـ الـم المساريقا : Mesenteric Pain

وهو اندر انواع الالم.والمساريقا هي الغشاء المغلف للامعاء ويثبتها بالجدار البطني . وانسجة تلك الطبقة لا تحمل اطرافا عصبية حسية وانما يشعر الانسان بالالم اذا ما توتر هذا الغشاء ووقع عليه شد او ضغط . ونلاحظ هذا النوع مـن الالم حينما تحتبس كمية من الغازات في جزء من الامعاء فتنتفخ وتتمدد وبالتالي تشد معها جزءا من المساريقا . والالم هنا مبهم وغير محدد المكان ويزول بزوال الحالة المسببة له ولكن الاعراض الاخرى المصاحبة لاحتباس الغازات في الامعاء تكون واضحة المعالم وميسرة التشخيص من قبل الطبيب الفاحص الذى يركز اهتمامه في علاج الحالة الاصلية اما بالعقاقير واما بالجراحة .

٢) آلام الجهاز الهضمي (المغص المعوى)

لعل الآلام البطنية وخاصة ما يتعلق منها بالجهاز الهضمي هي اكثر الامراض شيوعا بين الناس في معظم بلاد العالم . فلقد دلت الاحصائيات على ان ٥٥٪ من مجموع المرضى المراجعين في العيادات العامة والمستشفيات يشكون من امراض تتعلق بالقناة الهضمية وملحقاتها ، بل انه من النادر ان تجد انسانا لم يتعرض في فترة من حياته الى نوبة عسر هضم او تلبك في الامعاء او خمول في وظائف المرارة او الكبد او المعدة . ولكن من حسن الحظ ان النسبة الكبرى من امراض الجهاز الهضمي تنشأ عن عدم انتظام وتناسق وظيفي بين وحدات هذا الجهاز ، كما ان تلك الاعراض ليست ناشئة عن امراض عضوية ذات اثر ضار بانسجة الجسم او تعوق وظائفه الاساسية من هضم وامتصاص وتمثيل . ولذا فان الملاحظ ان اصحاب هذه الحالات يتمتعون بصحة جسدية طيبة . وان نتيجة الفحوصات المختبرية والشعاعية جميعها سلبية . غير انهم لا ينعمون بكمال الصحة كما يشتهون ـ على الاقل من الناحية النفسية ـ نتيجة لما يشعرون به من اضطرابات بطنية واحيانا صدرية او قلبية . ان هؤلاء المرضى يعانون فعلا من آلام حقيقية واعراض ملموسة فهي ليست اوهاما او خيالات من بنات افكارهم وواجبنا نحن الاطباء ان نعترف بهذه الحقيقة ونعمل جاهدين على فهم حالة المريض ومن ثم معاملته كانسان متكامل جسدا وروحا .

في الفقرات التالية سوف استعرض اهم انواع الام الجهاز الهضمي الناتجة عن خلل وظيفي في حركة وافرازات الجهاز المذكور .

الالم الحارق :

ويشعر به المريض في اسفل الصدر واعلى

البطن عند نهاية عظمة القص وتحت الضلوع الامامية وكثيرا ما يعبر عنه المرضى بانه الم الحموضة بل ان بعض اعلانات التلفزيون التجارية في كثير من البلاد تعطيه هذا الوصف وتقترح علاجه باقراص ضد الحموضة وسوء الهضم وباساليب مغرية وجذابة . غير ان الواقع يختلف تماما فالالم الحارق بعد الدراسة العلمية السريرية والتجريبية ينتج عن ارتباك وظيفي في اتجاه وانتظام حركة المريء والمعدة بسبب ضعف التناسق بين التجمعات العصبية في عضلاتهما وليس سببه زيادة افرازات الحوامض المعدية اذ ان العصارة المعدية لكثير من المرضى لا تحتوى على حوامض مطلقا او تكون نسبة الاحماض فيها قليلة للغاية بل ان بعض مرضى فقر الدم والذين تكون غدد الجدار المعدى فيهم متليفة يشكون من الآلام الحارقة تماما كما يشكو منها اصحاب المعدة السوية . والالم الحارق ظاهرة نلاحظها في بعض السيدات الحوامل كما يشكو منه المصابون بقلق الامعاء الغليظة .

وقد يصاحب هذا النوع من الالم تجشؤ المريض لبعض محتويات المعدة لتصل الى الفم وبالطبع يشعر المريض بالطعم الغريب لتلك السوائل والتي كثيرا ما توصف بانها حمضية . ان ذلك لا يعني ان السبب هو الاحماض ولكنه يعني ان انعكاس اتجاه الحركة من المعدة الى المريء هو سبب الالم كما انه سبب صعود محتويات المعدة الى اعلى .

ان المريض المصاب بالآلام الحارقة يحاول التخلص منها بالتجشؤ باخراج بعض الغازات من معدته فهو يشد قامته ويخفض ذقنه ويستنشق نفسا عميقا من الصدر وخلال ذلك قد تخرج فقاعة من الغاز يشعر الشخص بعدها بالارتياح . ان دل ذلك على شيء فانه يدل على ان الاحماض لا تؤدى دورا ايجابيا في ميكانيكية الالم .

التشنجات المعوية (المغص المعوى) :

يصفها المريض بسهولة ويفهمها الطبيب بيسر ويستمر هذا الالم لفترات قصيرة ولكنه ياتي في دورات « منتظمة او غير منتظمة » ويعتقد المريض المصاب بهذا النوع من الالم بانه في حالة خطرة فهو من الشدة بحيث تدفعه الى استشارة الطبيب في اقرب فرصة وخاصة في أول الاصابة به . والمريض بالمغص البطني لا يهدأ فهو دائم الحركة لا يستقر على وضع وغالبا ما يصاحب الالم اعراض أخرى مثل القيء والاسهال وتصبب العرق . ومن صفات التقلصات المعوية انها تشمل البطن كله ولو انها قد تبدأ في الناحية اليسرى من البطن او حول السرة او اسفلها ولكنها لا تلبث ان تنتشر في ارجاء البطن والخاصرتين واحيانا الصدر . ويختلف وصف المغص المعوى من مريض الى آخر . البعض يصفه بانه تمزق في الامعاء او التواءات عنيفة بها او تقطيع بسكين او شرارة كهربائية تتنقل في جنبات البطن او عقدة في الامعاء او ان كل اعضائه الداخلية اختلطت وتعجنت أو نزعت من اماكنها . وبعضهم يصفه بان الالم قطعة من نار في جوفه والآخر يقول بان بالونا انحشر في فم معدته او ان مصارينه بها قطع زجاج متناثرة الى غير ذلك من الاوصاف . ولكنهم يجمعون على أن الالم خطر وينذر بمضاعفات واختلاطات مميتة .

بعض المرضى يتنبأ بالمغص المعوى بعد انفعالات نفسية كالحزن العميق او المفاجاة السارة او بعد التعرض للبرد وقد يعزوها الى اصناف معينة من الطعام كما ان المريض لا يستطيع بالتحديد فيما اذا كانت هناك وسيلة لتخفيف الالم فاحيانا يزول بعد التبرز واحيانا اخرى بعد الاكل أو ان المريض يشعر بالراحة اذا غير وضع جسمه او بيئته . وقد يزول الالم بعد تعاطى العقاقير واحيانا لا تفيد كل تلك الوسائل ويظل الالم يظهر ويختفي لفترات طويلة .

نصيحة وتحذير :

رغم ان الآلام المذكورة اعلاه تنشأ ــ في معظمها ــ نتيجة خلل وظيفي في الجهاز الهضمي يجب ان اشير الى ان آلاما مشابهة قد تدل على وجود امراض عضوية في المرارة او في المعقد (البنكرياس) او في المريء والمعدة والامعاء اذ ان الالم في كلا الحالتين (الخلل الوظيفي والداء العضوى) سببه تقلص وانقباض في عضلات جدران الجهاز الهضمي . اذن لا بد من استشارة الطبيب المختص حتى يتعرف بوسائله الطبية على السبب الحقيقي للالم ثم يتولى بنفسه علاج الحالة المرضية بما تقتضيه الظروف والملابسات لكل نوع من الآلام .

■■

سالم نجم
رئيس قسم الابحاث الطبية
مستشفى الصباح ــ كويت

نتيجة مسابقة العدد ١٦٠

روسيني وحلاق اشبيلية

■ اعتمدت مسابقة العدد ١٦٠ من « العربي » كسابقتها على الخرائط والصور في توضيح الاجابة ، بل ان الصور والخرائط كانت أساسا في وضع المسابقة . وقد لوحظ أن المسابقة حظيت بفيض من الرسائل حيث بلغت ما يقرب من عشرة آلاف رسالة ، اما موضوع المسابقة فقد اعتمد على المعلومات العامة ، وبخاصة مادتي الجغرافيا والتاريخ .

واليك أيها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ، ثم أسماء من فازوا بالمسابقة .

١ ـ مئذنة الجامع الاموي توجد في دمشق .

٢ ـ اسم الدولة الافريقية التي تغطيها البقعة السوداء في الخريطة هي يوغندا .

٣ ـ حكيم اليونان الذي ينسب اليه جدول الضرب هو فيثاغورس .

٤ ـ السلسلة الجبلية الممتدة من المنطقة القطبية حتى بحر قزوين هي سلسلة جبال أورال .

٥ ـ الحوت يلد ولا يبيض .

٦ ـ الاسم السابق لجمهورية ملاوي هو نياسلند

٧ ـ معبد ابو سنبل شيده رمسيس الثاني .

٨ ـ كاتب موسيقى اوبرا حلاق اشبيلية هو روسيني .

٩ ـ اسم المضيق الذي يفصل بين أمريكا وآسيا هو مضيق بيرنج .

١٠ ـ بطل تركيا الشهير والذي سمي باتاتورك هو مصطفى كمال .

١١ ـ اول سيارة سارت على سطح القمر تحركها الكهرباء .

١٢ اسم ملكة الحب والجمال في الميثولوجيا الرومانية القديمة فينوس .

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : **عبد القادر زبوانة** / دمشق / سوريا

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : **حسين حسن حسن** / البقاع / لبنان .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : **عبد الكريم محمد سعيد الرضي** / دبي / الامارات العربية .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها :

١ ـ **ابراهيم صالح العلي المطوع** / الفحيحيل / الكويت .

٢ ـ **علي هاشم البابا** / جدة / السعودية .

٣ ـ **عبد الفتاح حمد الله العناسوة** / السلط / الاردن .

٤ ـ **حنفي فهيم عثمان** / القاهرة / ج.م.ع .

٥ ـ **سمير وليم أرتين** / بغداد / العراق .

٦ ـ **علي مسعود المقدمي** / بنغازي / ليبيا .

٧ ـ **حيدر انور راشد** / عدن / اليمن الديمقراطي .

٨ ـ **جعفر محمد مكي عمران** / البحرين .

وسترسل الجوائز الى أصحابها .

الفن: بين الفكر واليد

● الإنسان هو الحيوان المفكر الذي يستطيع أن يصنع بيديه الأعاجيب

بقلم: الدكتور زكريا ابراهيم

■ ليس بين انشطة البشر نشاط واحد يخلو تماما من كل أثر من آثار الفكر: فان «الحيوان الناطق» يصدر في كل ما يعمل، ويحقق، وينتج، عن نشاط ذهني قوامه التأمل، والتدبر، والاستدلال العقلي.

لا يمكن ان يقوم فن بدون فكر

وقد يكون النشاط الفني أبعد أنشطة الانسان عن التفكير والبرهنة واستخلاص النتائج من المقدمات، ولكن من المؤكد مع ذلك انه لا يمكن ان يقوم فن بدون فكر، اللهم الا اذا امكن ان يقوم شكل بدون مضمون، او صورة بدون موضوع! والحق ان الفنان انسان يفكر، ويواجه مشكلات، ويحاول الاهتداء الى حل او حلول لما يواجه من مشكلات.. الخ. ومهما يكن من أمر اختلاف تفكير الفنان عن تفكير العالم، فان كلا منهما لا يملك سوى اعمال عقله في مواجهة المواقف التي يجد نفسه بازائها، محاولا الوصول الى المعادلة الصحيحة التي يضمن عن طريقها تحقيق التوافق بين «ما في ذهنه» من جهة، و«ما في العالم الخارجي» من جهة اخرى. ولعل هذا هو السبب في ان الكثير من الفنانين لم يكونوا يرون في انتاجهم الفني مجرد ثمرة لنشاط تلقائي، بل كانوا يرون فيه ثمرة لجهد عقلي شاق! وقد لا نجانب الصواب اذا قلنا ان الغالبية العظمى من الفنانين كانت تتمتع بذكاء عقلي نادر، وقدرات ذهنية فائقة، وقد زعم بعض علماء النفس ان النشاط الفني ذاته هو صورة من صور الذكاء! ولا نرانا في حاجة الى تذكير القارىء بما قاله الفنان الشهير ليوناردو دافنشي عن «التصوير» من انه «شيء ذهني» La Pittura e Cosa Mentale: فانه لمن الواضح ان النشاط الفني هو صورة من صور «النشاط العقلي» بالمعنى العام لهذه الكلمة.

الفنان هو الرجل الذي يفكر بيديه

بيد ان هذا لا يعنى ان يكون النشاط الفنى مجرد تفكير خالص يتحقق على المستوى الذهنى الصرف، وانما ينبغي ان نقرر — منذ البداية — ان الفنان هو ذلك الرجل الذى يفكر بيديه! فليس الفنانون عقولا صرفة قد استغرق اصحابها في تأملاتهم وافكارهم، بل هم — اولا وقبل كل شيء — كائنات مبدعة، قد زودها الله بأيد تعرف

كيف تجسم « الفكرة » في « المادة » ، وتجسد « الخيال » في « عالم الواقع » ...

والحق ان « الفكرة » ـ في اصلها ـ خاطر سريع عابر ، فلابد لليد من ان تأخذ على عاتقها مهمة الامساك بذلك الخاطر الشارد ، من اجل العمل على تثبيته وتشكيله . وكثيرا ما تكون « الصور الذهنية» اخيلة شاردة تسودها الفوضى والالتباس الى ان تجيء « اليد » فتخلع عليها ضربا من الثبات والاستقرار ، وعندئذ لا تلبث تلك الصور الذهنية المهوشة المشوشة ان تستحيل الى اعمال فنية متناسقة متكاملة . وربما كان الفارق الاساسي بين « الحلم » و « الحقيقة » : اننا في الحلم نرى الكثير من الرؤى الجميلة ، دون ان نتمكن من تحويلها الى اعمال فنية ، لان ايدينا ـ عندئذ ـ تكون غارقة في نوم عميق ، في حين اننا قد نستطيع في لحظات اليقظة ان نبدع اعمالا فنية حقيقية ، لاننا نستخدم عندئذ نشاطنا اليدوى في تجسيم افكارنا وتجسيد اخيلتنا . ولعل هذا ما عبر عنه احد علماء الجمال المعاصرين حين كتب يقول : « ان الفن يصنع باليدين » : L'art Se Fait (1) Les Mains

الفنان يتعرف على الأشياء بأصابعه

والحق ان اليد ليست مجرد اداة للابداع فحسب ، بل هي ايضا اداة للمخاطرة . وآية ذلك ان الفنان يستخدم يده في عملية البحث الجمالي ، كما انه يستعين بيده في الاضطلاع بمهمة المعرفة . وكما كان الرجل البدائي يتحسس الاشياء ، ويشق طريقه في العالم مستخدما يديه للتعرف على الموضوعات ، فكذلك نجد ان الفنان يسائل المادة مستخدما يديه ، ويتعرف على الاشياء عن طريق الاستعانة باصابعه ! ومن هنا فان الفنان يلمس الاشياء ، ويتحسسها ، ويزنها ، ويقيس الحيز الذى تشغله ، ويحاول الوقوف على معالمها المختلفة ، قاصدا من وراء ذلك الى تصور « الشكل » او « الصورة » التي يمكن ان تتقبلها هذه « المادة » او تلك . وهذا ما يقوم به المصور ـ مثلا ـ حين يحاول ان يركب من « لغة اللمس » لغة الرؤية ، مستخدما الوانا دافئة واخرى باردة ، او الوانا ثقيلة واخرى خفيفة ، او خطوطا جامدة واخرى لينة .. الخ .

الفكر واليد يكونان معا جهازا مشتركا

وكثيرا ما يخيل الينا ان موقف اليد من الفكر هو كموقف العبد من السيد ، ولكن الحقيقة ان اليد قلما تقف من الفكر مثل هذا الموقف السلبي الانفعالي الصرف . صحيح ان « اليد » لا تقوم بدون « الفكر » ، ولكن « الفكر » ايضا لا يقوم بدون « اليد » . وقد يكون الادنى الى الصواب ان يقال ان الفكر واليد يكونان معا جهازا مشتركا، او عاملا موحدا ، يضطلع في آن واحد بمهمة التصور ومهمة الاداء . وعلى الرغم من أننا قد دابنا على القول بوجود تعارض بين « الفكر » الذى « يأمر » ، و « اليد » التي « تأتمر » ، الا ان التجربة لتشهد بأن « اليد » ذاتها عاقلة ، حاسة، ملهمة . وليس من النادر ان يقال عن بعض اصحاب المهارات (سواء أكانوا من رجال الحرف ، ام من أهل الفن) انهم يملكون « ذكاء » في اطراف اصابعهم ! . وقد يكون هذا الوصف اكثر انطباقا على الفنان : فان فكر الفنان كامن في اصابعه ، ان لم نقل ان كل ذكائه (او جله على الاقل) مركز في يديه ! وهذا ما حدا ببعض فلاسفة الجمال الى التحدث عن بلاغة اليد ، او مقدرتها الشعرية، وكان عبقرية الفنان مجرد صدى لمهارته اليدوية . وقد نلتقي ـ في بعض الاحيان ـ باعمال فنية ناجحة ، لا نكاد نجد فيها خطا يعيبها او نقصا يشينها ، ولكننا نلاحظ ـ مع ذلك ـ انها ليست اعمالا فنية رائعة . تشيع فيها الحياة ، وتنبعث منها الانغام الجميلة العذبة ! وربما كان السبب في ذلك أن هذه الاعمال الفنية قد بقيت مفتقرة الى ذلك « السحر » الخاص الذى تستطيع « اليد » البارعة ان تضفيه على « العمل الفنى » .

اليد قد تكون رائدة والفكر يتبع

والواقع ان الفنان يعرف ـ بمقتضى خبرته ـ ان ثمة تآزرا وثيقا يتحقق بين « الفكر » و«اليد» ، وأن لليد دورا غير قليل في صميم عملية « الانتاج الفنى » ، فهو قد لا يرى مانعا من القول مع بعض فلاسفة الجمال بان « الفكر يصنع اليد ،

(١) Focillon : « La Vic des Formes », Paris, P.U.F., 2 ed., 1949, p.107

كما ان اليد تصنع الفكر » . ولا ريب ، فان لليد رسالة تربوية هامة تضطلع بها ـ بالقياس الى الفكر ـ فتحمل اليه ثمار تجربتها الخاصة ، وتنقل اليه نتائج احتكاكها بالمادة . صحيح ان اليد تعرف مقاومة المادة ، وتكتشف تمنعها وتمردها ، ولكنها ايضا هي التي تعرف كيف تخضع المادة ، وكيف تنتزع منها المطاوعة والتكيف . وكثيرا ما يتوافر لدى « اليد » من « الحدس » (او « البصيرة ») ما تستطيع معه تحسس الاشياء ، والتعرف على خصائصها ، لدرجة ان « اليد » قد تكون هي « الرائد » الذى يتقدم « الفكر » ، لكي يكتشف امامه معالم الطريق ، او لكي يفتح امامه بعض الافاق الجديدة المجهولة . فليس من المستبعد على « اليد » ان تكون مصدرا لبعض « الافكار » او معينا خصبا لبعض «التصورات» ، ولكن على شرط ان تتوافر لدى الفنان من الخبرة او الدربة او الدراية ، ما يستطيع معه استخدام يديه في حرية وبراعة ومهارة ، بحيث يتوصل عن هذا الطريق الى كشوف فنية ، وحدوس جمالية، وانتصارات تكنيكية .. الخ .

وهنا قد يحق لنا ان نتوقف قليلا عند دور « اليد » في « العمل الفني » ، لكي نقف على اهمية المهارة اليدوية في الانتاج الفني . والحق اننا لو نظرنا الى اى « موضوع جمالي » ، لوجدنا انه ينطوي بالضرورة على اثر ساكن لمسار حققه النشاط البشرى في حركته الانتاجية . وهذا « الاثر » هو المظهر الاوحد الذى لابد لعالم الجمال من ان يعمل له الف حساب عند دراسته للنشاط الفني. فالفن لا يوجد الا حين تكون اليد قد تحركت ، سواء أكان ذلك لكى تخط كلمات ، ام لكى تحدث ايقاعات ، ام لكي تحقق بعض اللمسات ، ام لكي تسجل بعض الاصوات... والموضوع الجمالي انما هو ـ اولا وقبل كل شيء ـ اثر لفعل ، او ثمرة لفاعلية ، او نتيجة لعملية Operation وربما كان هذا هو ما عناه فيلسوف الجمال المعاصر ريمون باير R. Bayer حين كتب يقول : « ان في الفن مسارا آنيا (او مسارا يريد ان يكون كذلك) ، الا وهو ذلك الذى نلمحه لدى كبار الرسامين حيث نرى انتقالا عجيبا يتم كالسحر من الموضوع الى العين ، ومن العين الى القلم[1] » . فالمهم في الفن هو ان تجيء اليد فتحدث اثرا : لان هذا الاثر نفسه هو الفن ، والفنان ، والموضوع الفنى على السواء ! وحينما يمضى قوس الفن المنعكس من الاحساس الى اليد ، فهنالك لابد للجميل من ان يتسجل على شكل « ناتج » Produit ، يكون مظهرا للانتصار اليدوى او النجاح الصناعي ومن هنا فانه ليس في الفن نرجسية : لان الفنان لا يعرف التأمل السلبى ، بل هو في صميمه احساس لا يكلّ ، وعيان لا يعرف الاعياء ، ونشاط لا موضع فيه لاية مشاهدة سلبية. وربما كانت الفلسفة الوحيدة التي يستند اليها كل فنان في نشاطه الفنى هى فلسفة النجاح: اعنى تلك الواقعية الفعالة التي ترتكز على المهارة اليدوية . وهذا ما يدفعنا الى القول ـ مع ريمون باير ـ مرة اخرى بان : « في اعماق كل عمل فني متحقق ، انما يكمن الدليل القاطع على تهافت المثالية . » [2]

فى فلم سبق

ولو اننا عدنا الى الفلم الذى قدمته لنا السينما المعاصرة ـ منذ عدة سنوات ـ عن حياة المصور الكبير بيكاسو Picasso ، لراعتنا تلك اللقطات الرائعة التي تمثل الفنان العبقرى في لحظات عمله. فلم تكن يد المصور الكبير تتوقف عن الحركة ، والنشاط ، والايقاع ، كما لم يكن فكره يكف عن التامل ، والتدبر ، والاشراق المستمر . صحيح ان يد الفنان العظيم كثيرا ما كانت تبدو لنا ـ خلال الفلم ـ كما لو كانت يدا سحرية ترسم من تلقاء نفسها ، ولكن من المؤكد ان هذه اليد الماهرة لم تكن تخلو هي نفسها من فكر ، وعلم ، ومعرفة ! وقد يخيل الينا ـ في بعض الاحيان ـ ان هذه اليد السريعة ، البارعة ، المتيقنة من نفسها ، تعمل وحدها ، دون ان يكون في استطاعة الفكر اللحاق بها او التحكم فيها ، ولكننا لا نلبث ان نرى الفكر يعود ـ بدوره ـ فينطلق في آفاقه الواسعة ، لكي يكتشف عوالم جديدة مجهولة ، وكانه يريد ان يلزم اليد بان تنسخ ما فعلته ، او ان تبدأ من جديد ! وهنا تعود اليد فتمسك بزمام المبادرة ، وتحاول

---

(۱) R. Bayer : «Essais sur La Methode en Esthetique », 1953, P. 109

(۲) ارجع الى كتابنا « مشكلة الفن » (رقم ۳ في مجموعة مشكلات فلسفية) ، مكتبة مصر ١٩٦٧ ص ٣٣ .

الاخذ بيد الفكر على صعيد الاكتشاف ، آملة من وراء ذلك ان تساعد رفيقها المشدوه على اجتلاء تلك العوالم الجمالية التي لم تخطر له على بال ! وهكذا يستمر الحوار بين اليد والفكر ، وكأنهما قوتان سحريتان تنبعث عنهما تلك المشاهد المسرحية العجيبة التي تحفل بالاعيب الصور وافانين الابداع! وليس من شك في ان كل نشاط فني ــ كائنا ما كان ــ لا يمكن ان يخلو تماما من مثل هذا الحوار الشيق بين الفكر واليد ، اللهم الا اذا كان هذا النشاط صنعة حرفية لا اثر فيها للابداع ، او حدسا جماليا ما يزال يفتقر الى التحقيق او الاداء ...

على الرسام ان يكون في ذهنه صورة كاملة للوحة التي يريدها

حقا ان الفنانين جميعا لا يملكون دائما مثل هذه « اليد » الماهرة ، البارعة ، التي تعرف كيف ترتاد الطريق امام « الفكر » المتعثر ، المتردد ، الذي يخشى المخاطرة ، ولكن من الملاحظ ــ في العادة ــ ان « الفكر » نفسه هو الذي قد يجيء فيحد من سَورة « اليد » ، او يعمد الى الوقوف في وجه حريتها وتلقائيتها . وربما كان السبب في ذلك ان الفنان قد يرغب ــ احيانا ــ في التعرف سلفا على الطريق الذي سيكون عليه ان يرتاده ، وكأنه يريد ان يحدد لنفسه ــ منذ البداية ــ معالم ذلك الطريق ، دون ان يترك ليده الحق في القيام بأية مغامرة ، او الاضطلاع بأية مخاطرة ! ومن هنا فقد كان المصور الفرنسي انجر Ingres يقول انه لابد للرسام او المصور من ان يكون في ذهنه صورة كاملة للوحة التي يريد رسمها، قبل الشروع في تنفيذها ، مع اعترافه في الوقت نفسه بان مهمة « تعقل » اللوحة ــ ككل ــ هي اعسر مهمة واطولها بالنسبة الى المصور او الرسام . ولم يكن انجر يقصد بعملية « تعقل اللوحة » سوى النشاط الذهني الذي يقوم به المصور حين يعمل من اجل الاهتداء الى الصورة الملائمة للوحة التي يريد تنفيذها (١) .

الغاية هي التفاعل بين الذات والموضوع

بيد ان الكثير من علماء الجمال قد اعترضوا على هذه النظرة المثالية (او التصورية) التي تقرر ان الفنان يتعقل في ذهنه ــ سلفا ــ كل لمسة من لمسات ريشته ، وكأنه ليس من شأن استخدامه للريشة ان يضيف شيئا الى ذلك العمل الفني الذي سبق له ابداعه في ذهنه ! والواقع ان الفنان الاصيل يعرف ان انتاجه متوقف على ضرب من التفاعل الذي يتم بين الذات والموضوع ، فهو يقوم برد فعل ضد تلك النماذج التي رسمها للاشياء في فكره او مخيلته ، وهو ــ كما لاحظ عالم الجمال الانجليزي بوزانكيت Bosanquet ــ كثيرا ما يعمل حسابا لتلك المقاومة التي يلتقي بها من جانب المادة ، وكان من شأن موضوع العمل نفسه ان يجيء فيؤثر على فكر الفنان او يسهم في تحديد نوع انتاجه الفني . وعلى الرغم من ان المصور او النحات (او غيرهما) ينطلق في نشاطه الفني من « فكرة » ، الا انه لا يملك في البداية « صورة ذهنية » كاملة للعمل الذي سيقوم بتنفيذه ، لانه لا يجد بين يديه ــ سلفا ــ نموذجا واضحا محددا لا يكون عليه من بعد سوى ان يحققه في مادة معينة! فليس أمعن في الخطأ من ان نتصور وجود « مثال عقلي » محدد ، واضح المعالم ، عامر بالتفاصيل الدقيقة، لا يكون على الفنان سوى العمل على تنفيذه، بعد ان يكون قد نجح في تصوره عقليا ! والحق ان الفنان قلما يهتدى الى « الصورة » التي يريدها ، اللهم الا اثناء « العمل » ، ومن خلال المقاومة التي يلقاها من جانب « المادة » ، حتى لقد قال الان Alain : « ان السر الاكبر في الفنون جميعا ان الانسان لا يخترع الا بقدر ما يعمل » . ولا ريب فان تفكير الفنان لا يمكن ان يكون تفكيرا تجريديا يتحرك في عالم ذهني من المعاني او التصورات ، بل هو تفكير تجسيمي لا يتحرك الا في عالم من الصور او الاشكال . وقد نظن ان الافكار تولد عارية في ذهن الفنان ، ثم يحاول الفنان من بعد ان يكسوها ، او ان يخلع عليها بعض الاشكال ، ولكن الحقيقة ــ كما قال اوسكار وايلد O.Wilde ان المثال لا يحاول ترجمة فكره الى لغة الرخام ، بل هو يفكر منذ البداية (وبطريقة مباشرة) بلغة الرخام ! وبالمثل ، قد يكون في وسعنا ان نقول ان المصور يفكر بلغة الالوان والاشكال ، والمهندس المعماري يفكر بلغة السطوح والاحجام ، والشاعر يفكر بلغة الالفاظ والانغام ،

(١) E. Gilson « Peinture et Realite », Paris, P. 138 .

وهلم جرا . وربما كان الفارق الاساسي بين العمل الفني الجيد والعمل الفني الرديء ، ان الاول منهما عامر بالحياة ، دافيء بالحرارة الفنية ، لانه قد صدر منذ البداية عن حدس جمالي ظل يتطور ويترقى ، الى ان تحقق واكتمل ، في حين ان الثاني منهما قد صدر عن « مخطط » مرسوم من ذى قبل فلم يكن انتاجه سوى عملية آلية تم فيها تنفيذ ذلك « المخطط » !

لابد للفنان من دراية اولية بما يريد العمل فيه

ولكن ، اذا كانت القاعدة ـ في النشاط الفني ـ هي ان الفنان لا يهتدى الى ما يريد ، الا حين يشرع في العمل ، فهل يكون معنى هذا ان ذهن الفنان يخلو تماما من كل تفكير ، في اللحظة التي يشرع عندها في البحث ؟ الواقع اننا لا نملك سوى الاجابة علىهذا السؤال بالسلب : فانه لمن الواضح ان الفنان ما كان ليهتدى الى اى شيء ، لو انه كان يجهل منذ البداية كل ما يريد ! وكما ان كل مخترع لابد من ان يكون على علم ـ ولو غامض مهوش ـ بما يريد الوصول اليه ، فكذلك لابد للفنان من ان يكون على دراية بما يبغي العمل على تحقيقه . وبعبارة اخرى يمكننا ان نقول ان الفنان ينطلق دائما من « فكرة » ، ولو ان هذه « الفكرة » لا تمثل بالضرورة « تصورا » عقليا واضحا ، او « صورة ذهنية » دقيقة محددة .. ولو كان لدى الفنان ـ منذ البداية ـ وعى ذهني واضح محدد بما سيكون عليه عمله الفنى بعد تحققه ، لكان العمل الفنى نفسه شيئا جاهزا معدا من ذى قبل، وبالتالى لما وجد الفنان اية صعوبة في تنفيذ عمله، ولما كانت اية مفاجآت او نتائج غير متوقعة في الانتاج المتحقق ! ولكن الواقع نفسه شاهد على ان « العمل الفنى » كثيرا ما يكون مفاجاة يدهش لها الفنان نفسه ، وكانه المتفرج الاول الذى يعجب لانتاجه الفنى ، لانه ما كان يحلم ـ هو نفسه ـ بالنتيجة المتحققة !

الانسان هو الحيوان الذى يستطيع ان يصنع بيديه الأعاجيب

والحق اننا اذا كنا قد حاولنا ـ في هذهالمجالة القصيرة ـ ان نبرز دور « اليد » في النشاط الفني ، فما ذلك الا لكى نضع بين يدى القاريء صورة واضحة لتلك المتعة الجمالية التي يحصلها الفكر البشرى من وراء تلاعبه بالمادة ، وقدرته الابداعية على التحكم في الاشكال الطبيعية . فالانسان هو ذلك الحيوان المفكر الذى يستطيع ان يصنع بيديه الكثير من الاعاجيب ! واذا كان للعمل اليدوى سحره وشعره ـ في نظر الانسان ـ فما ذلك الا لانه مظهر لقدرة الموجود البشرى على تكييف المادة ، وتشكيلها ، وتطويعها ، وفقا لما يريده عقله ، وما يرغب فيه وجدانه ، وما يمليه عليه تخيله . وليست متعة الاصابع الماهرة ، والايدى البارعة (او المتيقنة من نفسها) سوى متعة العقل القادر على التحكم في قوى الارض ، والفكر المبدع المتمكن من السيطرة على المقاومة الطبيعية ! وبهذا المعنى يمكننا ان نقول ان ثمة قيما انسانية تجمع بين كل من « الفكر » و «اليد» وتلك هي قيم الحرية ، والابداع ، والمبادأة .

ولو اننا تصورنا النشاط الفنى على انه عمل ابداعى يهدف من ورائه الفنان الى خلق اشياء ، لكان في وسعنا ان نقول انفكر الفنان ويده رافدان اساسيان يتعاونان على تغذية المجرى الاصلي لنهر الابداع الفنى . فالفنان انسان يصارع المادة بفكره ويده معا ، وهو يضع بين ايدينا اعمالا فنية تستثير عقلنا وحواسنا معا . ونحن نعجب بروائع الفن لاننا نرى فيها نماذج حية لانتصار الفكر البشرى على المادة ، وهو ذلك الانتصار الذى لا يتم الا باليد او من خلال اليد ! ومن هنا فان المتعة الجمالية ـ سواء أكانت متعة ابداع ام متعة تذوق ـ لابد من ان تكون متعة عقلية وحسية في آن واحد : لانها تخاطب عقلنا ، وحواسنا ، في الوقت نفسه . وهكذا نخلص الى القول بان النشاط الفنى مظهر لاتحاد الفكر واليد ، او العقل والحس ، ان لم نقل بانه يمثل اعلى صورة من صور التقاء العمل واللعب ! وهل ننسى ان الاصل في النشاط الفنى هو الحرية ، والتلقائية ، والابداع ؟ واذن أفليس من حقنا ان نقول ان الفنان هو ذلك الانسان الذى يفكر حين يعمل ، ويعمل حين يلعب، ويلعب حين يطلق قواهالجسمية والنفسية من عقالها ؟ الا يمكننا ان نقول ـ في خاتمة المطاف ـ ان الفن هو ذلك النشاط البشرى الذى يجعل من الفكر واليد صنوين ، ومن العمل واللعب توأمين ؟! ■■

زكريا ابراهيم

مسابقة العربي

١٠ إجابات صحيحة و ١٠٠ دينار جوائز

■ هذه مجموعة متنوعة جديدة من الاسئلة ، عليك ان تجد الاجابة الصحيحة على عشرة منها على الأقل ، لتفوز باحدى الجوائز المالية ، التي يبلغ مجموعها ١٠٠ دينار .



١ ــ مصطفى لطفي المنفلوطي (١٨٧٦ ــ ١٩٢٤) الكاتب المصري الشهير وصاحب النظرات والعبرات تتلمذ على يد : سعد زغلول ــ محمد عبده ــ عبد الرحمن الكواكبي ؟

* * *

٢ ــ العاصمة الحالية لجمهورية موريتانيا الاسلامية هي نواكشوط .. ولكن هذه البلاد كانت لها عاصمة اخرى ، كان يطلق اسمها على الجمهورية الحالية كلها .. ما اسمها : تمبكتو ــ افنى ــ شنقيط ؟

* * *

٣ ــ المارسييز Marseillaise **هو النشيد الوطني لدولة اوروبية هي :** سويسرا ــ المانيا ــ فرنسا ؟

* * *

٤ ــ اصغر بلد في العالم موجود بين سويسرا والنمسا : لوكسمبرج ــ ليشتن شين ــ موناكو ؟



٥ ــ هذه البقعة السوداء على الخريطة تمثل دولة لها حدود مشتركة مع الهند والصين .. ما اسم هذه الدولة : التبت ــ منغوليا ــ نيبال



٦ ــ الكنجر ... حيوان من ذوى الجراب في بطنه ، وهو يحمل فيه ولانده ، وهو يوجد في : السويد ــ روديسيا ــ استراليا ؟

* * *

٧ ــ ما اسم اله الشمس في مصر القديمة : رع ــ تبتون ــ بعل



٨ ـ عايدة اشهر الأوبرات العالمية كتبها الموسيقى العالمي : بيتهوفن ـ فردي ـ موزار ؟

* * *



٩ ـ جزر الكنارى ، الواقعة في المحيط الأطلسي قرب سواحل المغرب ، تابعة حاليا لواحدة من هذه الدول : البرتغال ـ اسبانيا ـ المغرب ؟

١٠ ـ الموناليزا (او الجيوكاندا) لوحة ليوناردو دافنشي الرائعة موجودة الآن في : متحف اللوفر بفرنسا ـ المتحف البريطاني بانجلترا ـ مكتبة الاسكوريال باسبانيا ؟



* * *

١١ ـ رحالة دانمركي (عاش من ١٧٢٣ الى ١٨١٥) ، وقام برحلة شهيرة الى اليمن السعيد ، وكتب عنه كتابا اسماه (وصف بلاد العرب) يعتبر من اوائل الكتب التي كتبت عن اليمن ، ما اسم هذا الرحالة : كارستن نيبور ـ ليفنجستون ـ عبد الله فيلبي ؟

١٢ ـ ما اسم ممر الماء الذى يصل بين المحيط الهادي والبحر الكاريبي : قناة بنما ـ مضيق ماجلان ـ قناة سيناء ؟

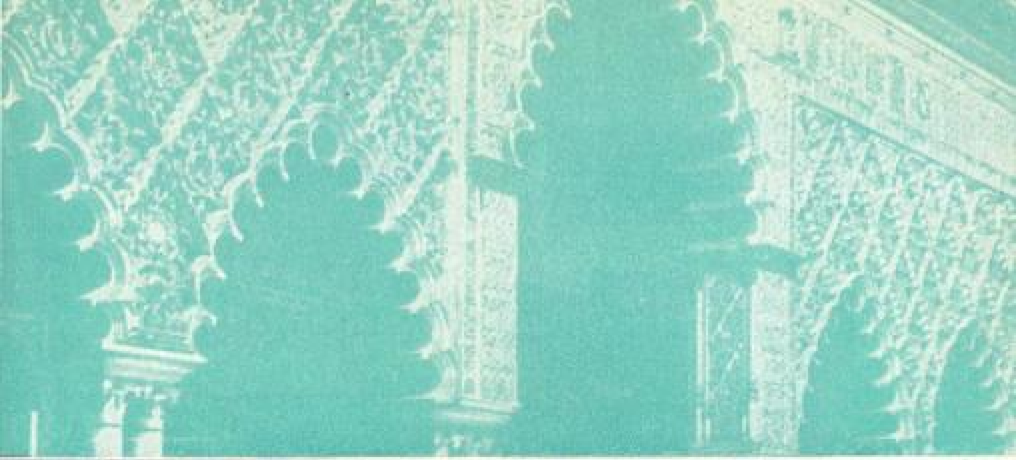
شروط المسابقة

١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة
٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٣ ـ ضع اجابتك في مظلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :
مجلة العربى ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٦٢ » .
٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر يونيو (حزيران) ١٩٧٢

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :
الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .
٨ ـ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقراع . ■■

كوبون مسابقة
العدد ١٦٢



كتابٌ باللُّغَة الأسْبانِيَّة عَنْ: تارِيخ بِلنْسِيه الإسْلامِيَّة

بقلم : محمد عبد الله عنان

■ صدر أخيرا فى اسبانيا كتاب بالاسبانية عن « التاريخ الاسلامى لبلنسية واحوازها » Historia Musulmana de Valencia y su Region بقلم صديقى العلامة المستشرق الاسبانى الاستاذ أمبروزيو هويثى ميرانده . وصوغ عنوان «تاريخ بلنسية الاسلامية» على هذا النحو الذى اختاره المؤلف ، يرمز الى غرض جوهرى ، هو الذى حمل المؤلف على وضع كتابه، وهو عرض المصادر والروايات الاسلامية ، لتاريخ بلنسية ، وشرق الأندلس .

عميد الاستشراق الاسبانى المعاصر

والاستاذ هويثى ميرانده Huici Miranda يعتبر عميد الاستشراق الاسبانى المعاصر ، وهو اليوم فى التسعين من عمره ، وقد لبث فى شبابه أعواما طويلة استاذا للغة اللاتينية بجامعة بلنسية، ولكن نشاطه الحقيقى كان متجها الى دراسة العربية ، ودراسة التاريخ الأندلسي ، من المصادر العربية . وبدأ جهوده فى هذا الميدان ، بترجمة كتاب « روض القرطاس » لابن ابى زرع الفاسي ، وترجمة الجزء الثالث من كتاب « البيان المغرب » لابن عذارى ، عن مخطوطته الاولى ، التى كانت معروفة « بمخطوط مدريد وكوبنهاجن » المجوول . ثم قام بعد ذلك بنشره بنصه العربى (تطوان سنة ١٩٦٣) عن عدة مخطوطات مغربية كاملة . كما ترجم الى الاسبانية كتاب « المعجب » لعبد الواحد المراكشي ، وكتاب « الحلل الموشية » لأبى العلاء ابن سماك المالقى . وساهم بقسط كبير فى «دائرة المعارف الاسلامية » فكتب بها عن سائر المدن والاعلام التاريخية ، الواقعة فى الشرق الأندلسي .

ومؤلفان له كبيران

على أن جهود الأستاذ هويثى، في ميدان التاريخ الأندلسي والمغربى ، تتمثل بالاخص في مؤلفيه الكبيرين اللذين وضعهما باللغة الاسبانية ، أولهما عن « معارك عهد الاسترداد الكبرى » وهى المواقع العظيمة الحاسمة ، التى وقعت بين المسلمين من المرابطين والموحدين وبنى مرين ، وبين الاسبان في شبه الجزيرة الاسبانية . والثانى عن «التاريخ السياسي للامبراطورية الموحدية » في مجلدين كبيرين . (سنة ١٩٥٦ و ١٩٥٧) . عدا بحوث وتحقيقات عديدة ، نشرت في مختلف مجـــلات الاستشراق مثل مجلة « الاندلس » الاسبانية ، وهسبريس الفرنسية وغيرهما .

وقد نشر الأستاذ هويثى منذ أعوام قلائل ، كتابا طريفا عنوانه « كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين » لمؤلف مجهول ، وقام على نشره معهد الدراسات الاســلامية المصرى بمدريد سنة ١٩٦٥ .

الأستاذ هويثى فى مؤلفه الجديد

ويأتى كتاب « التاريخ الاسلامى لبلنســية واحوازها » ليتوج جهود الأستاذ هويثى ، فيميدان التاريخ الاندلسي (سنة ١٩٧٠) وهو مؤلف ضخم يقع في ثلاثة مجلدات كبيرة ، تشغل نحو الــف صفحة . وينوه الأستاذ هويثى في مقدمته ، بعدم معرفة الباحثين الاسبان المعاصرين ، في تاريـخ العصور الوسطى ، للغة العربية ، وعجزهم بذلك عن الانتفاع المباشر بالمصادر العربية، وهى الوحيدة للوقوف على ما كان يجرى في اسبانيا المسلمة . وحتى فيما يتعلق باتصال الجهتين النصرانيــة والمسلمة ، فان الرواية المسلمة أكثر تفصيلا من النصرانية ، ومن ثم فانه بدون العربية ، لا يمكن أن يكتب تاريخ اسبانيا المسلمة، في معظم الأحيان، الا كتابة قاصرة . ويدلل الأستاذ هويثى على ذلك بكتاب المؤرخ الاسبانى الكبير ، الاستاذ مننديث بيدال ، عن « اسبانيا في عصر السيد » فانه قد استوعب المصادر الاسبانية وعرضها أبدع عـرض ، ولكنه لم يستطع أن يتفوق على الترجمـــات والفصول النقدية ، التى قدمها اثنان من أعظم علماء العربية المستشرقين ، هما دوزى ، وليفى بروفنسال ، وظهر عجزه عن دراسة المصـــادر العربية ، ومن ثم كان تحامله وانحيـازه ضــد المسلمين .

ويقول لنا الأستاذ هويثى عن مهمته في مقدمـة كتابه ، انه أخذ على نفسه أن يجلى النقــط الغامضة في هذا التاريخ ، بالاستفادة من المصادر الجديدة التى لم تدرس ، وأن يلتزم الحيــدة التاريخيةفي الحكم على علائق النصارى والمسلمين. بيد انه لم يجد من نفسه مقدرة لدراسة النشاط الفكرى ، والحياة الاقتصادية والزراعية والفنية، فهذه تنتظر اليد السحرية التىتستطيعمعالجتها.

أوصاف بلنسية

ويخصص الاستاذ هويثى الجزء الاول من مؤلفه للتحدث عناوصاف الجغرافيين والمؤرخين المسلمين لبلنسية ، منذ الرازى والعذرى ، وعن خِططها وابوابها وقناطرها ، حسبمـا سجلتهـا اوصاف المؤرخين المسلمين والنصارى ، وحسبما حققها عن عصر ما بعد الفتح مباشرة ، باحثون مثل ريبرا ، وسبيرا ، وشاباس ، وينوه بمعاهدها وحدائقها ومتنزهاتها الجميلة ، ولا سـيما « المُنيـة » « والرُصافة » وهى التى تغنى بها شاعر بلنسية الكبير ابن خفاجة . ولقد اشاد شعراء الاندلس بجمال قصور قرطبة ، والزهراء ، والزاهرة ، والصمادحية في المرية ، وقصور بنى ذى النون في طليطلة ، والحمراء في غرناطة ، ولكنهم تغنوا في بلنسية بحقولها وحدائقها النضرة ، وبحيرتها ، واعتبروها جنة من الجنات .

أوضاع بلنسية الادارية

ويتحدث بعد ذلك عن اوضاع بلنسية الادارية في عهد الامارة ، ثم الخلافة الاموية ، ويقول لنـا انها لم تكن تقدم في ذلك صورا غير عادية . ثم يتحدث عن النظم المالية والعسكرية ، ولا سيما في عهد المرابطين والموحدين، وعن الاحوالالزراعية.

وفى الحياة العائلية الاسلامية فيها

ثم يحدثنا عن الحياة العائلية الاسلامية داخل

المنزل ، وكونها كانت حياة محافظة ، وعن الاطعمة والمطبخ الاسلامي في القرن الحادي عشر ، ولا سيما في منطقة بلنسية . ثم عن شوارع بلنسية وميادينها في العهد الاسلامي ، ويقول لنا انها كانت ضيقة وغير منتظمة ، وكذلك كانت الحوانيت صغيرة وضيقة ، وكانت هذه الحالة تسود بلنسية طوال العصور الوسطى .

وكان لها من السكان عناصر ثلاثة : العرب والبربر والنصارى

اما عن عناصر السكان ، فقد كانت الخلافة الاموية ، ومن قبلها الامارة ، تحرص دائما على ضمان ولاء العناصر الثلاثة التي يتكون منها السكان ، وهم العرب والبربر والنصارى . وكان المنصور بن ابي عامر من بعد الخلافة ، اشد حرصا على ذلك ، ولكن هذا الهيكل الاجتماعي ، لم يلبث ان تحطم بعد وفاته ، وثارت الفتنة القامرة في قرطبة بين العرب والبربر . اما في بلنسية وشرق الاندلس ، فلم يك ثمة بغض بين الطوائف ، لبعده من مسرح الفتنة . وقد استطاع الزعماء والفتيان العامريون ، ان يقيموا في شرق الاندلس حكومات متحررة من نفوذ البربر ، تحتفظ في نفس الوقت ، بصورة النظم الاندلسية التقليدية . وكان شعب شرقي الاندلس يتكون من ابناء الفاتحين العرب ، ومن اكابر الاسر والاشراف ، والمولدين او المسلمين الاسبان . وقد كان امتزاج هؤلاء المسلمين الجدد (المولدين) باسر الفاتحين الاوائل سواء من العرب او البربر ، مفضيا الى قيام طبقة ارستقراطية ، كان نفوذها في الاقاليم اقل منه في العاصمة . والى جانب هذه الطبقة كانت توجد الطبقة الوسطى من الصناع والعاملين ، من البربر والمولدين المتحررين ، وتكون مع النصارى واليهود المماثلين ، اغلبية الشعب ، كما كان الشان في معظم مدن الاندلس الكبرى ، وكان معظم المزارعين من المستعربين (النصارى المعاهدين) وقد كانت اكثر الطبقات محافظة ، وكان نشاطها في الشرق ، من اهم العوامل في اثرائه ورخائه عن طريق الزراعة .

وكان سكان شرق الاندلس ، اكثر عددا في الولايات الوسطى ، نظرا لتقدم زراعاته ورخائه ، وكان عدد المسلمين الداخلين وفيرا . وكان المستعربون يدرسون اللغة العربية بسرعة ، ويستبقون في نفس الوقت لغتهم الرومانية اللاتينية . وقد ادخلوا منها في اللغة العربية كثيرا من الكلمات ، ولا سيما في محيط الزراعة . وقد اسفر هذا المزيج العنصري بين ابناء الفاتحين وبين زملائهم الداخلين في الاسلام ، عن قيام نوع من السكان الجزائريين Peninsular ، يمتاز بصفاته الخاصة . وكان الاصل النصراني للزوجات الشرعيات ، والخلائل ، والرقيق ، والمحررين ، والمترزقة ، مما يدعم عواطف التسامح التي كانت سائدة بين المسلمين والنصارى .

ويحدثنا المؤلف عن فتح الاندلس

يحدثنا المؤلف بعد ذلك عن فتح الاندلس ، وتسليم تيودمير امير الشرق للفاتحين ، وكيف تمت المصاهرة بين هذا الامير القوطي وبين بني خطاب ، اعيان مرسية ، حيث تزوج ابنهم خطاب من ابنته . وقد نسل من هذا الزواج ، بنو خطاب ، الذين لبثوا دهرا ، من اكابر سادة مرسية ، وهم الذين استضافوا المنصور وسائر جيشه عند مسيره الى غزوة برشلونة ، مدى ثلاثة عشر يوما ، وذهبت قصة هذه الضيافة ، مثلا على بذخ هذه الاسرة الشهيرة وجودها .

وقد لبث الشرق ، ايام الامارة ، مسرحا لكثير من الحوادث الخطيرة ، فقد كان ايام عبد الرحمن الداخل حدا بينه وبين ثوار الشمال ، ومحاولات الفرنج في الثغر الاعلى ، وقد تحطمت على شواطئه حملة ابي العلاء بن مغيث ، مبعوث الخليفة العباسي ، وفشلت محاولة الامير عبد الله البلنسي ابن عبد الرحمن الداخل ليقيم لنفسه في بلنسية سلطانا ، يناوىء به سلطان ابن اخيه الامير الحكم ابن هشام .

وفي ايام الطوائف

وفي ايام الطوائف غدت بلنسية ومنطقة الشرق مسرحا لتطورات هامة ، فقد وفد عليها الزعماء والفتيان العامريون ، هربا من الفتن والثورات التي اجتاحت الاندلس . وحكم بلنسية ، الفتيان مظفر ومبارك ، ثم حكمها عبد العزيز بن عبد الرحمن المنصور ، وجدد حصونها ، وانشا بها المنية

الشهيرة ، التى اتخذها منزلا لنزهاته وحفلاته ، والتى افتن الادباء والشعراء في وصفها ، والتغنى بمحاسنها . وخلفه في رياستها ولده عبد الملك ، ثم ابو بكر بن عبد العزيز . وقامت في نفس الوقت، في الشرق ، الى جانب بلنسية ، مملكة دانية البحرية الشهيرة ، وعلى راسها مجاهد العامرى ، اعظم بحار اندلسي في عصره ، وسيطر منها على الجزائر الشرقية (البليار) ولبثتاساطيله عصرا، تسيطر على هذه المياه ، وخلفه في رياستها ولده على . ولكنه لم يلبث حتى غلب عليه صهره المقتدر بن هود ، صاحب سرقسطة ، وانتزع رياستها منه .

وعندما سقطت طليطلة

ولما سقطت طليطلة في ايدى النصارى ، لجا صاحبها القادر بن ذى النون الى بلنسية . وكان ملوك الطوائف قد استغاثوا في تلك الاثناء ، باخوانهم المرابطين في المغرب ، وعبر المرابطون الى شبه الجزيرة ، وهزموا النصارى في معركة الزلاقة الشهيرة (٤٧٩هـ ـ ١٠٨٦م) هزيمة ساحقة، وخبت بعد ذلك موجة العدوان النصراني، على اراضي الاندلس ، مدى حين .

ولكن حدثت عندئذ في الشرق تطورات خطيرة ، وظهر على مسرح الحوادث ذلك المغامر القشتالى الجرىء ـ السيد الكمبيادور ـ واخذ يجول بقواته المرتزقة في انحاء الشرق ، ويستولى على حصونه واراضيه . وانتهى بالاستيلاء على بلنسية التى مزقتها الفتن الداخلية (٤٨٧هـ ـ ١٠٩٢م). وكان استيلاء السيد على بلنسية من اشهر حوادث العصر ، وكان له اعظم وقع في الاندلس . واستمر السيد يسيطر على بلنسية حتى وفاته (١٠٩٩م) ومن بعده القشتاليون مدى ثلاثة اعوام اخر . ثم استردها المرابطون من النصارى ، وعادت الى حظيرة الاسلام (١١٠٢م) .

وحوى الجزء الثانى من الكتاب احتلال السيد لبلنسية

وتشغل حوادث الشرق ، واحتلال السيد لبلنسية ، وما صاحبه من الحوادث من مؤلف الاستاذ هويثى جزءا باسره هو الجزء الثانى . وقد تحدث فيه طويلا عن الاعوام الاخيرة من حياة السيد ، وكل ما قيل عنها من الروايات والاساطير، وعرض فيه سائر الروايات العربية والقشتالية ، المتعلقة بحوادث بلنسية في تلك الفترة ، وما عاناه الشعب البلنسي خلالها من المصائب والمحن. ويورد لنا المؤلف خلال هذه الفترة من حياة بلنسية الاسلامية كثيرا من الصور الاخاذة ، والمواقف المؤثرة .

وتضمن الجزء الثالث بلنسية في عهد المرابطين والموحدين

وفي الجزء الثالث يستعرض المؤلف تاريخ بلنسية والشرق ، في عصرى المرابطين والموحدين، فيحدثنا عن حكام بلنسية ومرسية من المرابطين ، ثم عن سقوط سَرَقُسطة ، وعن حملة الفونسو المحارب ملك اراجون (ابن رذمير) الى بلنسية ، ثم الى الاندلس ، وما وقع بين الفونسو والمرابطين من صراع مستمر ، ووقائع متوالية ، انتهت بهزيمته الساحقة ، ومصرعه في موقعة افراغة الشهيرة (١١٣٤م) . ثم يحدثنا عن انحلال المرابطين وسقوطهم ، وقيام الثورة ضدهم في معظم انحاء الاندلس ، وخاصة في بلنسية ، حيث استطاع اهل بلنسية طرد الحاكم المرابطى ابن غانية ، وعهدوا برياستها الى قاضيها مروان بن عبدالعزيز. ولجا بنوغانية الى الجزائر الشرقية (البليار) وسيطروا عليها ، واقاموا لهم دولة صغيرة ولكن قوية ، واستطاعوا فيما بعد ، ان يغزوا افريقية الموحدية ، وأن يسيطروا على كثير من قواعدها .

ولما انهار سلطان المرابطين ، وخلفهم الموحدون، في ملك المغرب والاندلس ، تطورت الحوادث في بلنسية كرة اخرى ، وقام في رياستها زعيم اندلسي جديد ، هو محمد بن سعد بن مردَنيش ، يخاصم الموحدين، ويدعو الى تحرير الاندلس من سلطانهم. ويحدثنا المؤلف طويلا عن ابن مردنيش ، ونشاته وصفاته ، ثم عن صراعه المستمر مع الموحدين ، واستيلائه على وادى آش وغرناطة، بمعاونة صهره القائد الشهير ابن هَمُشْك . وقد بذل الموحدون جهودا فادحة . في محاربة ابن مردَنيش ، وانتهوا

بهزيمته في موقعة فحص الجلاب (١١٦٤م) ثم بحصاره في مرسية . واستمر الحصار طويلا ، وتوفي ابن مردنيش خلال الحصار (١١٧٢م) وانهارت بذلك ثورته ، واستولى الموحدون على بلنسية ومرسية ، واستسلم آل مردنيش جميعا ، الى الخليفة الموحدى ، وتمت بذلك سيطرة الموحدين على سائر انحاء الاندلس .

الفصل الأخير من قصة بلنسية الاسلامية

وهنا يأتي الفصل الاخير في قصة بلنسية الاسلامية . ذلك ان الجيوش الموحدية ، لقيت هزيمتها الساحقة في الاندلس على يد النصارى ، في موقعة العقاب الشهيرة ، (٦٠٩هـ ـ ١٢١٢م) وتضعضع بذلك سلطانهم في الاندلس والمغرب . وقامت في شرق الاندلس ثورات جديدة ، اسفرت عن قيام المتوكل بن هود في مرسية ، وزيان بن مردنيش في بلنسية ، وهو من احفاد ابن مردنيش الكبير . وكان ملك أراجون في ذلك الوقت خايمي الفاتح ، يزحف بجيوشه جنوبا نحو اراضي الشرق . ويقاومه زيان جهد استطاعته ، وهزم البلنسيون اخيرا في موقعة أنيشة (١٢٣٧م) فارتدوا الى مدينتهم وتحصنوا بها ، ووضع خايمي الحصار على بلنسية ، وصمم الا يتركها حتى يستولى عليها . وابدى المسلمون منتهى البسالة في الدفاع عن مدينتهم ، وفي تحمل ويلات الحصار . وبعث الامير زيان بصريخه الى ملك تونس (افريقية) الامير ابى زكريا الحفصى ، على يد سفيره الكاتب والشاعر الكبير ، ابن الابار القضاعي، وبعث ابو زكريا لانجاد بلنسية باسطول مشحون بالعتاد والاقوات والاموال ، ولكنه لم يوفق الى الاتصال بالمحصورين ، وانتهت المأساة بأن سقطت بلنسية في يد خايمى الفاتح ، وذلك في صفر سنة ٦٣٦هـ (اكتوبر سنة ١٢٣٨م) . وسيطر الأرجونيون بعد ذلك تباعا على مدن الشرق، شاطبة ، دانية ، مرسية ، أوريولة ، وغيرها ، وانتهى بذلك سلطان الاسلام في تلك المنطقة من شبه الجزيرة الاسبانية، واجتمعت اشلاء الاندلس الجريح بعد ذلك في جنوبى الاندلس ، حيث قامت مملكة غرناطة الصغيرة لتحمل علم الاسلام والحضارة الاندلسية ، مئتين وخمسين عاما اخرى .

هذه خلاصة وافية ، للمؤلف الكبير ، الذى يعالج فيه الاستاذ هويثى ميرانده ، تاريخ بلنسية الاسلامية ، بافاضة ممتعة واسلوب جزل . ويعتمد فيه اكبر الاعتماد على المصادر الاسلامية . وهذه الميزة الهامة التى يمتاز بها الكتاب ، تجعله يقدم الينا صورة جديدة ، وثيقة ، وضاءة ، عن تاريخ بلنسية الاسلامية ، وعن علائق الاسلام والنصرانية في شرقى الاندلس ، وهى غير الصورة المشوهة المبتورة ، التى تقدمها الينا معظم التواريخ الاسبانية ، التى كتب معظمها من جانب واحد ، والتى يطبعها بذلك كثير من التحيز ضد المسلمين، وضد مظاهر الحضارة الاسلامية . ■■

محمد عبد الله عنان

التسع لك

● مر احد اصدقاء اشعب به فقال له : لو صرت الى العشية تتحدث ونتجاذب الشعر فقال اشعب : اخاف ان يحل ثقيل علينا فيعكر صفو مجلسنا فقال صديقه : ليس معنا ثالث ، فمضى معه ، قال : فلما صلينا العشاء ودعونا بالطعام ، اذا بشخص يدق الباب فقال اشعب : ترى انا صرنا الى ما نكره ؟ فقلت : انه صديق وفيه **عشر** خصال ان كرهت واحدة **منها** لم آذن له . قال : هات . قلت : انه لا يأكل ولا يشرب عند الناس ، قال : التسع لك . . ائذن له .

البيروني



أشهر عباقرة زمانه

بقلم : عباس فاضل السعدي

■ هو ابو الريحان محمد بن احمد البيروني ، الخوارزمي مولدا ، العربي ثقافة وتفكيرا ، الغزنوي* نشأة . ويعتبر من اشهر عباقرة المسلمين الذين عاشوا بين اواخر القرن الرابع واوائل القرن الخامس الهجريين ، حيث بز العلماء الآخرين من العرب وغيرهم في شتى العلوم .

مولده ونسبه

مع تباين الآراء حول سنة ولادته ، فالراجح انه ولد في (خيوة) ، وهي احدى ضواحي خوارزم ، في اليوم الثاني من ذي الحجة عام ٣٦٢ هـ ـ ٤ ايلول سنة ٩٧٣ م .

ويستدل فريق من الباحثين من خلال نسبته (البيروني) انه من ضواحي خوارزم وليس من نفس المدينة ، باعتبار ان بيرون باللغة الفارسية تعني البراني او الضاحية اي خارج المدينة كما ذكر ياقوت الحموي .

* نسبة الى (غزنة) الواقعة جنوب غرب كابل عاصمة افغانستان .

حياته

يرى بعض المؤرخين ان عائلتـه كانت تشتغل بالتجارة ، وتعيش خارج اسوار المدينة للتخلص من المكوس « الضرائب » المفروضة على دخول البضائع الى المدينة . الا ان المعروف عنه انـه ولد في عائلة مغمورة ، وكان يصرح دوما انـه لا يعرف نسبه ، فهو القائل :

وذاكـرا في قـوافي شـعـره حسبي
ولستُ والـلـه حقـا عارفا نسبي

اذ لست اعرف جدي حق معرفة
وكيف اعرف جدي اذ جهلت ابي

لقد نشأ علامتنا يتيما بفقد ابيه منذ صغـره فتربى في كنـف ورعـايـة العالم الفلكي والرياضي ابي نصر منصور الذي كان ينتمي الى الاسرة الحاكمة في مدينة خوارزم (١) .

وبصورة عامة يمكن تقسيم حياته الى ثـــلاث مراحل :

المرحلة الاولى من حياته : ٣٦٢ـ٤٠٨ هـ

اكتسب البيروني شهرته كباحث ابان هـذه المرحلة . فعندما بلغ الثامنة عشرة من عمره بدأ في بحوثه الفلكية بمرصده الذي اقامه في قرية جبلية صغيرة من وطنه، واجتهد في تطبيق ما حققه من الارصادات الشمسية التي قام بها ابو الوفاء استاذ ابي نصر في ذلك العصر .

وعقب احد الانقلابات غادر خوارزم وهو في سن العشرين (سنة ٣٨٢ هـ) ، فرحـل الى سواحل بحر قزوين وتجول في ايران الشمالية . وفي جرجان التقى باكبر اساتذته وهو الطبيب والفلكي ابو سهل عيسى المسيحي ، ثم التحق سنة ٣٩٠ هـ ببلاط امير جرجان وطبرستان شمس المعالي قابوس الذي كان بلاطه يحفل بالعلماء كابن سينا الذي تبودلت بينه وبين البيروني مجموعة رسائل نشرت في « جامع البدائع » سنة ١٣٣٥ هـ تحت عنوان « اجوبة عن مسائل ابي الريحان »، وقد طبعت كذلك في ترجمتها الفارسية .

وفي هذه المرحلة كتب البيروني كتابه المشهور « الآثار الباقية » واهداه الى قابوس . وفي سنة ٤٠٠ هـ ـ ١٠١٠ م قامت حركة مسلحة اطاحت بعرش قابوس،فرجع البيروني الى موطنه خوارزم، واستقر في مدينة (جرجانية) التي اصبحتعاصمة للدولة الخوارزمية . وعمل استاذا في مجمـع العلوم الذي اسسه امير خوارزم ابو العباس مامون ابن مامون بن محمد خوارزمشاه ، وكان يزامله في نفس المجمع الشيخ الرئيس ابن سينا ،والمؤرخ العربي ابن مسكويه .

وابان هذا الدور من حياته اهتم ابو الريحان بدراسة الفلك والجغرافية الطبيعية . كما اقام مرصدا في القصر الملكي ، ووضع نموذجا مجسما لنصف الكرة الارضية بقطر ١٥ قدما رسم عليه اطوال البلدان وعروضها،واشتغلبحساب مساحة الكرة الارضية ، واتجه الى البت في ميل دائرة البروج .

المرحلة الثانية من حياته

وفي سنة ٤٠٧ هـ قام بعض جنود ابي العباس المامون بثورة ضده فقتلوه مما ادى الى دخول صهره محمود الغزنوي خوارزم بحجة الانتقام من القتلة . وبعد احتلال خوارزم سنة ٤٠٨ هـ ـ ١٠١٧ م يبدأ الدور الثاني من حياة ابي الريحان. وقد احتلها السلطان محمود الغزنوي ابن سبكتكين وضمها الى مملكته ، وقبض على البيروني ، وكان عمره حينذاك ٤٦ سنة واتهمه بالكفر والقرمطة . وظل معتقلا لمدة قصيرة مع عدد من العلماء ومنهم استاذه عبد الصمد الحكيم .

وقيل للسلطان ان البيروني امام زمانه في علم النجوم ، وان الملوك لا يستغنون عن مثله ، فاخذه معه عند دخوله بلاد الهند . وهناك اقتبس علومهم وتعلم لغاتهم ، وخاصة السنسكريتية . وقيل انه مكث نحو (٤٠) سنة في الهند . ويعتبر البيروني اقدم من دون ملاحظاته في تلك البلاد . وكانت حصيلة دراساته ورحلاته اخراج كتاب الهند الذي يعد اهم كتب ذلك العصر في حقل الجغرافية الاقليمية ، وعالج فيه تأثير العوامل الجغرافية في الظواهر البشرية . وابان هذه المرحلة تمكن من زيارة مسقط رأسه خوارزم سنة ٤٢٦ هـ ـ ١٠٣٤ م .

(١) يروى انه عاش بخوارزم عالم يوناني لا يعرف اسمه ، كان يختلف اليه البيروني حاملا النبات والبلور والثمار يسأله عن أسمائها اليونانيةفيدونها .

المرحلة الثالثة

وتعد من اهم مراحل حياته العلمية ، وقد قضاها في غزنة منصرفا كليا الى بحوثه العلمية حتى وافته المنية . وفي هذه المرحلة الف كتابه « القانون المسعودي » واهداه الى السلطان مسعود ابن محمود سنة ٤٢١ هـ ـ ١٠٣٠ م . وفي عهد السلطان مودود ، خليفة مسعود ، الف ثلاثة كتب هي «التفهيم» و « الجماهر » و «الصيدنة» (اى الصيدلة) .

وبعد عمر نيف على الثمانين عاما انطفأ الضوء الساطع ، فقد توفي علامتنا بغزنة . ومع اختلاف الآراء في تحديد سنة وفاته ، وجد بخط تلميذه ابي الفضل السرخسي صاحب كتاب «جوامع التعاليم» ، وكان من اقرب ملازميه ، ما نصه : « توفي الشيخ العالم رحمه الله بعد العتمة في ليلة الجمعة في الثاني من رجب سنة ٤٤٠ هـ نور الله حضرته » . وفي موضع آخر مكتوب بخط غيره : « كان عمر الحكيم ابى الريحان البيروني سبعا وسبعين وسبعة اشهر قمرية » .

ويؤكد عدد كبير من الكتاب تاريخ تلك الوفاة الا انهم ذكروا انها في الثالث من رجب سنة ٤٤٠ هـ ـ ١٢ ايلول عام ١٠٤٨ م . ويبدو ان فرق يوم واحد يرجع الى اختلافهم في تمام الشهر السابق له ، فتلميذه اعتبر الشهر السابق ٢٩ يوما ، اما هؤلاء فاعتبروه ٣٠ يوما .

وذكر المستشرق (مايرهوف) رايا مقبولا ، فهو يروى ان وفاته لا يمكن ان تكون قبل عام ٤٤٢ هـ ـ ١٠٥٠ م ، لان البيروني يقول في مقدمة كتابه « الصيدنة » انه نيف على الثمانين . واذا كان ميلاده سنة ٣٦٢ هـ فانه يكون قد ظل حيا الى سنة ٤٤٢ هـ ، وان وفاته تكون في تلك السنة او بعدها . ويميل الى هذا الراى الدكتور جمال مرسي بدر .

« صلته بالعروبة »

ومع ان البيروني فارسي الاصل كان عربى الثقافة والتفكير . فكان يعتز بالعروبة ويفخر ان ينسب اليها ولا يقبل غيرها بديلا . وقد عشق العربية واختارها دون اللغات الاخرى لتدوين بحوثه العلمية . فهو يقول في مقدمة كتابه « الصيدنة » : « الهجو بالعربية احب الى من المدح بالفارسية » وذلك لحسن ادائها للمعاني . وفي هذا الخصوص يقول المستشرق (ماسينيون) : « لقد فهم البيروني تمام الفهم الدور العالمي للغة العربية بوصفها ـ بين اللغات السامية ـ اهم لغة حضارة ، وادرك مقدرتها على التركيز والتجريد وتراكيبها عن طريق الاشتقاق بدلا من الزوائد وقيمتها في توحيد المتكلمين بها » .

وبالرغم من ان البيروني عربى النشاة واللغة والتفكير ، فاننا نرى الفرس والازبكستانيين والترك يحتفلون بذكراه ، ويصر كل منهم على ان البيروني يمت بالصلة اليه ويتفقون على ان لا صلة له بالعرب . فالفرس يحتجون بنسبه الفارسي بانه عاش في ايران ردحا من الزمن ، بينما يذهب الازبكستانيون الى ان مولده في (خيوة) من خوارزم ، وهى الان في جمهورية ازبكستان السوفيتية . اما الاتراك فان البيروني في اعتقادهم كان تركيا من اواسط آسيا .

« مؤلفاته »

لاحاطة البيروني بشتى العلوم ، عدّ جمهرة فريدة فيها . كما امتاز بدقة تجاربه ، وصواب آرائه لحدة ذكائه ، وكثرة مؤلفاته واصالتها لابتكاره اياها . ويدين له الغربيون في اكثر علومهم وخاصة الرياضيات والطبيعيات والفلك . فكان « مكبا على تحصيل العلوم ، منصبا الى تصنيف الكتب .. ولا تكاد تفارق يده القلم ، وعينه النظر ، وقلبه الفكر » . قال البيهقي : « زادت تصانيفه على حمل بعير ، صنف كتبا كثيرة ، رايت اكثرها بخطه » .

وبعد ان يعدد ياقوت بعض كتبه يقول : « واما سائر كتبه في علوم النجوم والهيئة والمنطق والحكمة فانها تفوق الحصر ، رايت فهرسها في وقف الجامع بـ (مرو) في نحو الستين ورقة بخط مكتنز » .

ويقدر الدكتور حسن ابراهيم حسن عدد مؤلفاته بـ (١٠٠) مائة مؤلف ، والاستاذ قدرى طوقان بـ (١٢٠) عشرين ومائة مؤلف نقل بعضها الى اللغات اللاتينية والانكليزية والفرنسية والالمانية. وذكر على احمد الشحات اسماء (٤٣) مؤلفا .

وسطر العالم الالماني « سخاو » في مقدمته لكتاب البيروني الموسوم بـ « الآثار الباقية » العشرات من مؤلفاته ومقالاته ورسائله . وقدر الاب (جاك بوالو الدومنكي) عدد مؤلفاته ـ بين موجود ومفقود، وبين مطبوع ومخطوط ـ بـ (١٨٠) مؤلفا . وعلى

راى احمد سعيد الدمرداش (١٨٣) كتابا ضاع الكثير منها والباقي موزع في مكتبات العالم . وفي ما يلي ابرز مؤلفاته :

« الآثار الباقية عن القرون الخالية »

وهو اول كتاب وضعه عندما كان في بلاط جرجان واهداه الى اميرها قابوس سنة ٣٩٠ هـ ــ ١٠٠٠ م . وهو يبحث عن التقاويم والشهور عند مختلف الامم . ويتخلل ذلك بحوث رياضية وطبيعية وفلكية عديدة . كما يحوى معلومات تاريخية عن ملوك آشور وبابل والكلدان والقبط والروم واليونان . وعنى « سخاو » بنشر نص هذا الكتاب وطبعه في (ليبزك) عام ١٨٧٨ . كما ترجمه الى الانكليزية ونشره في لندن سنة ١٨٧٩، وطبع طبعة جديدة مع شروح سنة ١٩٢٣ .

« القانون المسعودي » :

مصنف ضخم يحتوى على ١٤٣ بابا في ١١ مقالة ، الفه في غزنة واهداه الى سلطانها مسعود ابن محمود سنة ٤٢١ هـ ، فمنحه السلطان اموالا طائلة ولكنه ردها الى الخزينة بحجة انه انما يخدم العلم للعلم ، لا للمال . والكتاب يبحث في علم الفلك والهندسة والجغرافية . طبعته مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند في ثلاثة اجزاء : الاول سنة ١٩٥٤ والثاني ١٩٥٥ والثالث ١٩٥٦ .

« تحقيق ما للهند من مقولة معقولة في العقل أو مرذولة » :

ويحتوى على (٨٠) بابا ، تناول فيه احوال الهند وأعيادها وتقاويمها وقوانينها وسكانها ، وذكر معتقداتهم بالله والموجودات العقلية والحسية وغيرها . نشره « سخاو » في لندن سنة ١٨٨٧ . وترجمه الى الانكليزية في جزءين سنة ١٨٨٨ . طبع طبعة جديدة في لندن سنة ١٩١٠ . كما طبعته مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن سنة ١٩٥٧ عن النسخة القديمة المحفوظة في المكتبة الاهلية بباريس .

« التفهيم لاوائل صناعة التنجيم » :

الفه في غزنة ، بالعربية والفارسية ، سنة ٤٢٠ هـ ــ ١٠٢٩ م ــ وقيل سنة ٤٢٥ هـ ــ على طريقة السؤال والجواب في الفلك والرياضيات، وقدمه لريحانة بنت الحسن الخوارزمية . نشره « رمزي رايت » مع ترجمة انكليزية في لندن سنة ١٩٣٤ عن مخطوط محفوظ في المتحف البريطاني .

« الصيدنة » :

ترجمة في الهند الى الفارسية ابو بكر بن عثمان الاصفر الكاساني في عام ٦٠٧ هـ ــ ١٢١١ م . استقصى فيه معرفة ماهيات الادوية ، واسماءها واختلاف آراء المتقدمين وما تكلم كل واحد من الاطباء وغيرهم فيه ، وقد رتبه على حروف المعجم. نشره مع ترجمة مقدمته في برلين عام ١٩٣٢ ماكس مايرهوف ويقوم الان بتحقيقه المستشرق السوفيتي الكيميائي عبد الله كاديموف من كلية الدراسات الشرقية بجامعة البيروني بطشقند ، وقد اطلق عليها الروس اسم البيروني تمجيدا له .

« الجماهر في معرفة الجواهر » :

الفه للملك مودود بن مسعود ، وهو يبحث في علم الجيولوجيا والمعادن والاحجار الكريمة ، قام بتحقيقه المستشرق السوفيتي (كرمكوف) ، كما طبعته جمعية دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن سنة ١٣٥٥ هـ ــ ١٩٣٦ م .

« تحديد نهايات الاماكن » :

يحوى معلومات دقيقة في علم الجيولوجيا ، توجد منه نسخة مكتوبة بخط المؤلف في مكتبة استامبول ، ويعود تاريخها الى سنة ٤١٦ هـ . وقد نشر « زكي وليدى » بعض اقسام هذا الكتاب في مجلة مسح الآثار القديمة الهندية (مذكرة رقم ٩٣ ، ص ٥٨ وما بعدها) . وطبع النص الكامل سنة ١٩٦٢ في انقرة بتحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، وتقع هذه الطبعة في ٢٩٤ صفحة وقام المستشرق السوفيتي (د. بوكاكوف) بتحقيقه حديثا .

« الفلسفة الهندية » :

ذكر فيه احوال الهند ، واعتقادهم في الله وفي الموجودات العقلية والحسية ، وفي سبب الفعل وتعلق النفس بالمادة وغير ذلك من الامور الفلسفية. راجعه وقدم له الدكتور عبد الحليم محمود ،

وعثمان عبد المنعم يوسف . طبع بالقاهرة بمطبعة احمد علي مخيمر .

« استخراج الاوتار في الدائرة » :

صنفها في رجب سنة ٤١٨ هـ ، وتعود كتابة النسخة الموجودة بحيدرآباد الدكن الى آخر ذي القعدة سنة ٦٣١ هـ ، حققها احمد سعيد الدمرداش وطبعت بالقاهرة .

« رسائل البيروني » :

طبعت بمطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن سنة ١٩٤٨ . وتتكون من اربع رسائل في الرياضيات ، وعلى الاخص الهندسة ، وهي :
١ ـ استخراج الاوتار في الدائرة . ٢ ـ افراد المقال في أمر الظلال . ٣ ـ تمهيد المستقر لمعنى المر . ٤ ـ راشيكات الهند .

ومن مؤلفاته الاخرى « مقالة في النسب » ويتضمن خلاصة ابحاثه في الوزن النوعي ، و « الاسطرلاب » وقد وردت فيه نظرية لاستخراج محيط الارض ، و « تقاسيم الاقاليم » الذي كتبه بخطه سنة ٤٢٢ هـ عندما كان بغزنة .

وله مؤلفات غيرها منها : تسطيح الصور ، وتحديد المعمورة ، وجوامع الموجود لخواطر الهنود في حساب التنجيم ، والدستور ، وتنقيح التواريخ ، وتاريخ ايام السلطان محمود واخبار ابيه ، والمسامرة في اخبار خوارزم ، وتهذيب الاقوال في تصحيح العروض والاطوال ، وتصحيح الطول والعروض للمساكن المعمورة في الارض ، وتصحيف المنقول من العروض والطول ، والتعلل باحالة الوهم في معاني نظم اولي الفضل .

« عبقـريته »

كان البيروني شعلة من ذكاء ، فاقت عبقريته عباقرة المسلمين في عصره . وهو قوي الذاكرة ، غزير العلم ، وفير الانتاج . برز في مختلف العلوم والفنون ، كما سلف ذكره ، وكما سيرد ، حتى لقب بالاستاذ . وهو لقب لا يحصل عليه الا المتعمقون في شتى العلوم .

وكان هم البيروني التحري عن الحقيقة ، فالتزم بالمذهب التجريبي العلمي ، ولم يكن يسلم بما يقال من آراء ، بل كان يعمد الى اجراء التجارب بنفسه . وبعد ان يطمئن الى صحتها يعكف على تثبيتها وتدوينها . لذا فاننا نجده دائما « يدعم اقواله بالبراهين المادية والحجج المنطقية » . وفي ما يلي خلاصة بالميادين التي برز فيها ابو الريحان:

« اللغات والفلسفة » :

ومن مظاهر ذكائه اتقانه عدة لغات كالسريانية والخوارزمية والفارسية والعبرية والسنسكريتية اضافة الى العربية . كما كان يعرف لغات اخرى كاليونانية والتركية.وقد درس الفلسفة اليونانية بالهند وتعلم هناك الهندية . قال عنه فيليب‌حتي : « وكان من اهل الشيعة ومن الذين يميلون الى اللاأدرية فقتنته فلسفة الهنود » . واخذ ينقل من السنسكريتية الى العربية وبالعكس . وكانت بينه وبين ابن سينا مراسلات وموازنات‌قيمة بين‌المذاهب الفلسفية والصوفية عند المسلمين والهنود والمسيحيين. وقد اظهر وجوه التوافق بين‌الفلسفة الفيثاغورية والافلاطونية والحكمة الهندية‌والمذاهب الصوفية . واشاد بالفلسفة اليونانية ، اذ لاحظ ان بلاد الهند لم تنجب فيلسوفا مثل سقراط . ورأى ان العلم اليقيني يحصل من احساسات مختلفة يؤلف بينها العقل تأليفا منطقيا ، وان الحياة تقتضينا فلسفة عملية نميز بها العدو من الصديق . وكان له الفضل الاكبر في تغيير المفهوم الاغريقي الاستاتيكي للكون الى المفهوم الاسلامي الديناميكي .

« الرياضيات » :

والبيروني من الذين بحثوا في تقسيم الزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية.وكان ملما بعلم‌المثلثات، وتدل كتبه على انه عرف قانون تناسب الجيوب. وقيل انه وبعض معاصريه عملوا الجداول الرياضية للجيب والظل . ومن ابتكاراته في الرياضيات : المتواليات الهندسية ، وتثليث الزوايا ، وحل كثير من مسائل الهندسة والتي اصبحت تعرف بالمسائل البيرونية . ووضع نظرية لاستخراج‌محيط الارض اسماها العلماء الغربيون بـ « قاعدة البيروني » . وقد نشر معهد الدومنيكان للدراسات الشرقية بالقاهرة في السنوات الاخيرة بحثا بلغ ما يخص الرياضيات منها (٢٤) مؤلفا .

الفلك :

واهتم بالفلك وعمل الجداول الفلكية وصحح

الجداول التى وضعها سابقوه ، وصنع الاسطرلاب الاسطوانى لرصد الكواكب .

الطبيعيات :

وفي ميدان العلوم الطبيعية ادرك ان سرعة الضوء تفوق سرعة الصوت بمقدار هائل . وقام بتجربة لاستخراج الوزن النوعى ، واستطاع ايجاد الوزن النوعى لـ (١٨) عنصرا ومركبا ذكرها في كتابه الموسوم بـ « مقالة في النسب التى بين الفلزات والجواهر في الحجج » . واستعمل في تجاربه العملية ، لاستخراج الوزن النوعى ، آلته المخروطية التى صنعها . وفي ما يلى جدول يبين الثقل النوعى كما حدده البيرونى وكما هو معروف لعلمائنا المعاصرين :

المادة	الثقل النوعى عند البيرونى	الثقل النوعى عند المحدثين
الذهب	١٩ر٠٥	١٩ر٢٦
الزئبق	١٣ر٥٩	١٣ر٥٩
النحاس	٨ر٨٣	٨ر٨٥
الصفر	٨ر٥٨	٨ر ٤
الحديد	٧ر٧٤	٧ر٧٩
الصفيح	٧ر١٥	٧ر٢٩
الرصاص	١١ر٢٩	١١ر٣٥
الياقوت الازرق	٣ر٢٩	٣ر٩٠
الياقوت الاحمر	٣ر٧٦	٣ر٥٢
الزمرد	٣ر٦٠	٢ر٧٣
اللؤلؤ	٢ر٦٢	٢ر٧٥
البلور الصخرى (الكوارتز)	٢ر٥٨	٢ر٥٨

والبيرونى وابن سينا من الذين شاركوا ابن الهيثم في رأيه القائل بان شعاع النور يأتى من الجسم المرئي الى العين . وشرح ابو الريحان بعض الظواهر الطبيعية التى تتعلق بضغط السوائل وتوازنها وتفسير صعود مياه الفوارات والعيون الى الاعلى ، وتجمع مياه الآبار بالرشح من الجوانب حيث يكون مأخذها من المياه القريبة اليها . ومن هنا يستدل ـ كما يقول قدرى طوقان ـ على انه من الذين وضعوا بعض القواعد الاساسية في علم الميكانيكا والايدروستاتيكا .

علم الاحياء :

وفي مجال علم الاحياء شرح بعض حالات شذوذ الخلقة في النبات والحيوان بما فيها حالة التوائم السيامية .

الجغرافية :

وفي حقل الجغرافيا لعب دورا هاما، فقد وصف الهندوفام بتحديد خطوط الطول والعرض، وتحديد الاماكن . وله في الجغرافية الرياضية عشرة مؤلفات . والف اربعة كتب في هيئة الارض ، وقام برسم الخرائط الفلكية بطريقة تشبه ما نشره (بارنو) فيما بعد . وصحح كثيرا من الاخطاء التى كانت شائعة عند الاغريق ، وقاس محيط الارض وذكر نتائج قياساته في آخر كتاب الاسطرلاب. ويعترف (نيللينو) بان قياساته تلك من الاعمال العلمية المأثورة للعرب .

ومن مظاهر اهتمامه بالجغرافية تفسيره لكيفية تكوين سهل هندستان ، فذكر ان مكانه كان قاع بحر ملأته الترسبات الطموية ، وهو تفسير قريب من الفكرة الحديثة . وورد في كتابه «تحديد نهايات الاماكن لتصحيح مسافات المساكن» آراء في كيفية تكوين القشرة الارضية . وله آراء في العصور الجيولوجية ، وصنف عدة مؤلفات على قدم الارض وعمرها وما اعتراها من ثورات بركانية وزلازل وتعرية . وهو من المتحدثين عن حفر قناة السويس في كتابه « تحديد نهايات الاماكن » .

التاريخ :

وهو في التاريخ مؤرخ محقق مدقق واسع الاطلاع ، شامل المعرفة ، قادر على الاستقراء والاستنتاج . ويرى اغلب الكتاب مؤلفاته في التاريخ من خير المراجع لاستطلاع اخبار الشعوب الشرقية وحوادثها واساليب معيشتها وخاصة الشعوب الهندية .

الجيولوجيا :

وفي ميدان علم الجيولوجيا جمع الاحجار والمعادن وصنفها وفحصها ووصفها وصفا دقيقا معتمدا على التجربة . وقد تنبأ بمعلومات لم تكن معروفة في زمانه، كاعتقاده بحدوث التطورات الارضية البطيئة. وكان يعتقد بان وادى السند (مهران) كان في العصور الماضية حوض بحر قديم ملأته الرواسب التى حملها النهر .

الادب :

كان ابو الريحان اديبا اريبا لغويا ، له تصانيف

في ذلك راى ياقوت الحموى منها « مختار الاشعار والآثار » ، وكتاب « شرح شعر ابى تمام » الذى راه بخطه ولم يتمه . واهتم البيرونى بالشعر اضافة الى اهتمامه بالعلم ، وان لم يكن شعره في الطبقة العليا الا انه جيد . ومن قوله في مدح ابى الفتح البستى :

فلا زال للدنيا وللدين عامرا
ولا زال فيها للغواة مواسيا

ومن قوله لاحد الشعراء :

المدح والذم عندى يا أبا حسن
سيان مثل استواء الجد واللعب

وله ايضا :

ومن حام حول المجد غير مجاهد
ثوى طاعما للمكرمات وكاسيا

وله :

فانى اسرع الثقلين طرا
الى خوض الردى في وقت باس

وله :

اتاذنون لصب في زيارتكم
ان كان مجلسكم خلوا من الناس
فانتم الناس لا ابغى بكم بدلا
وانتم الراس والانسان بالراس

المفكرون وآراؤهم فى البيرونى

لا شك ان عبقريا فذا ، وعالما جليلا ، ومفكرا كبيرا كالبيرونى لا بد ان يتطرق الى ذكره وذكر ماثره عدد كبير من المفكرين والعلماء من العرب والمستشرقين قديما وحديثا .

فالنيسابورى يقول في حقه : « له في الرياضيات السبق الذى لم يشق المحضرون غباره ، ولم يلحق المضمرون المجيدون مضماره » . وذكر ابن العبرى ان البيرونى متبحر في فنون الحكمة اليونانية والهندية ومتخصص بانواع الرياضيات ، وصنف فيها الكتب الجليلة ، ومصنفاته متقنة محكمة .

وذكر احمد امين انه كان درة في تاج الدولة الغزنوية كابن سينا في الدولة السامانية .واشار فيليب حتى الى عظمته حينما قال انه يعد اعظم بحاثة وعالم في الاسلام ، في العلوم الطبيعية والرياضية . وقال على احمد الشحات عنه : « عالم متبحر في علومه وثقافته ، موسوعى في مؤلفاته ، متعمق في ابحاثه ، ساهمت قريحته الوضاءة في تقدم علوم الفلك والرياضة .. والجيولوجيا والطبيعة ، كما اضفى على علوم التاريخ والجغرافيا والطب ماثر لا تنكر ومجهودا يشكر » .

اما المستشرقون فقد اعطوه حقه اذ نشروا ماثره وذكروا فضله عليهم واقتبسوا نتائج تجاربه ، واستفادوا من مبتكراته ومؤلفاته . فالعلامة ادوارد سخاو Sachau وصفه قائلا : « انه اكبر عقلية عرفها التاريخ .. وانه اعظم علماء عصره ومن اعظم العلماء في كل العصور » .

وشيديو هو الآخر يقول فيه : « واستمد منه ابو الفداء الجغرافية في جداول الاطوال والعروض، وكذا ابو الحسن المراكشي » .

ومايرهوف يقول : « اسم البيرونى ابرز اسم في موكب العلماء الكبار واسمى الافق الذين يمتاز بهم العصر الذهبى للاسلام » . كما اشاد به سمث وقال انه « كان ألمع علماء زمانه في الرياضيات وان الغربيين مدينون له بمعلوماتهم عن الهند وماثرها في العلوم » .

وقال فيه كراتشكوفسكى : « فالبيرونى هو تلك الشخصية الفذة التى طفت على شرقى العالم الاسلامى في القرن الحادى عشر في ميدان العلوم المتصلة بالجغرافيا ، خاصة الجغرافية الرياضية» .

وذكره العلامة جورج سارتون في كتابه « المدخل الى تاريخ العلم » بقوله : « ان النصف الاول من القرن الحادى عشر يمثله من وجهة العلم العالمى البيرونى اكثر مما يمثله ابن سينا » . وقال ايضا : « كان البيرونى باحثا فيلسوفا رياضيا جغرافيا ومن اصحاب الثقافة الواسعة بل ومن اعظم عظماء الاسلام ومن أكابر علماء العالم» .

اما المستشرق الامريكى آرثر بوب فيقول : « في اية قائمة تحوى اسماء أكابر علماء الدنيا يجب ان يكون لاسم البيرونى مكانه الرفيع .. ولقد كان البيرونى من ابرز العقول المفكرة في جميع العصور » .

كلمة أخيرة

واخيرا فان عبقرية البيرونى، وشخصيته الفذة، ومكانته الرفيعة ، وخدماته الجلى تستوجب منا ان نحقق ونطبع مؤلفاته المخطوطة ، وان نشيد له تمثالا يرمز الى عظمته .. منه نستلهم نهضتنا وعليه نشيد بنياننا ، وبه نذكر العالم اننا كنا ثم كانوا بنا . ■■

بغداد — **عباس فاضل السعدى**

الزواج

مثله مثل قصة على مسرح
نجاحها وإخفاقها في أيدي ممثليها !



■ الرجال ثلاثة رجال .. هكذا قال هنرى نيومان Henry Newman ، استاذ علم النفس بجامعة بركلى بولاية كاليفورنيا ..

« رجل يتزوج لارضاء نزوة .. او لتحقيق منفعة عن طريق هذا الزواج .

ورجل يتزوج لأنه ملّ حياة الوحدة ، فخرج يبحث عن انسان يشاركه هذه الحياة .

ورجل ثالث يتزوج لأنه يريد أن يستقر ويصبح أبا لأسرة كبيرة سعيدة . »

ثم يقول نيومان : « ولكن ليس هناك تعريف محدد حتى اليوم للعوامل التى يجب ان تتوفر لقيام زواج سعيد .. فقد تختلف الدوافع عند الرجل ، ولكنها عند المرأة هى هى لا تتغير .. فأمنية كل امرأة ، البحث عن رجل يستطيع ان يسعدها ويعطيها من حبه ، ما يعوضها حنان والديها وعطفهما ورعايتهما لها ..

فهى تتقدم فى كل الحالات على هذه التجربة ، لأنها تعلم انه ليس هناك امرأة تستطيع ان تعيش بدون رجل وبدون زواج ! » .

النجاح والفشل فى الزواج

ثم يقول نيومان : « والواقع انه مهما اختلفت

الدوافع التى أدت بالرجل الى الاقدام على الزواج ، فاننا لا نستطيع أن نقول ان هناك زواجا بدأ ناجحا وزواجا كتب له الفشل قبل أن يبدأ .. باستثناء تلك الحالات غير الطبيعية التى قد يتعذر على اى من الطرفين اكتشافها الا بعد الزواج، كأن يكون الزوج مريضا أو الزوجة عاقرا لا تنجب!

« فنجاح الزواج أو فشله يعتمد اعتمادا أساسيا على تصرفات الزوجين ومسلكهما تجاه بعضهما البعض ، وادراكهما لحقيقة هذا الرباط الذى جمع بينهما ، حتى لو كان الهدف الاساسى منه تحقيق منفعة خاصة أو ارضاء نزوة عابرة !»

الزواج تآلف وانسجام

« فالزواج ليس مجرد وحدة بين جسدين ، ولكنه تآلف واتفاق وانسجام بين شخصيتين ، تختلفان اختلافا جذريا فى التكوين والتفكير .. وقد يبدأ الزوجان حياتهما بغير حب ، ولكن لا تلبث الأيام أن تقرب ما بين قلبيهما !

وعلى النقيض من ذلك تماما ، فقد يتزوج الرجل بفتاته التى عرفها وأحبها قبل الزواج ، واذا به يكتشف أن ما كان بينهما هو ذلك السراب الذى يراه السائر فى الصحراء .

ليست هناك اذن قاعدة يمكن أن نستند اليها فى تحديد العوامل التى تساعد على نجاح الزواج .. أى زواج ! »

الملل أعدى أعداء الزواج

كيف يكون موقف الزوج اذن ، وكيف يكون موقف الزوجة بعد الزواج ؟

يقول الفيلسوف الامريكى ايمرسون : « ان أعدى أعداء الزواج هو الملل ! »

والملل شعور يصيب الرجل والمرأة على السواء. وهو ينتج عن عوامل عدة ، تختلف وتتباين من زوجين الى زوجين . فقد يكون الباعث عليه هو شعور أحد الزوجين أو كليهما بأنهما استنفدا الأغراض المباشرة للزواج، وقد يكون العكس تماما، فقد تشعر الزوجة بأن حياتها الجديدة مع زوجها لم توفر لها ما كانت تعيش فيه من بحبوحة فى بيت والديها .. وقد يشعر الزوج بالعبء الذى بدأ يتحمله وعجزه عن الوفاء بمسئولياته والتزاماته ازاء بيته وأطفاله ، بعد أن أصبح أبا !

ويقول علماء النفس : « ان هذا الشعور بالملل ليس مقصورا على الازواج فى سنى حياتهما الاولى، فهو قد يصيب اى زوجين فى اية مرحلة من مراحل زواجهما ، مهما تقدمت بهما السن !

ولو أن الأسباب فى هذه الحالة الأخيرة تختلف عن الأسباب التى ولدت هذا الشعور ، فى مراحل مبكرة .

المرأة أكثر احساسا بالملل

ان المرأة فى هذه الحالة الأخيرة تكون أكثر احساسا من الرجل بالشعور بالملل ، فهى فى هذه السن المتقدمة لا تجد حولها من رفيق يؤنس وحدتها ، بعد أن كبر أبناؤها وتزوجوا وتركوا البيت ، سوى زوجها الذى شاركته حياته الطويلة .. ومن اجل هذا تبدأ الزوجة تشعر بالغيرة تأكل قلبها من كل شىء يأخذ زوجها منها .. من الكتاب الذى جلس يقرأ فيه ، ومن الافلام التى ينقلها التلفاز الى داخل بيتها .. من أصدقائه وزملائه الذين يجتمع بهم ليقضى معهم جانبا من أوقات فراغه من عمله ، اذا كانت صحته ما زالت تسمح له بأن يستمر فى مهنته التى ظل يزاولها أعواما طويلة ، طبيبا كان أم مؤلفا أم عالما باحثا..

غيرة المرأة من المرأة

أما الزوجة الشابة التى أمضت مع زوجها بضعة أعوام أنجبت له خلالها أطفالا ملأوا حياته وبيته ، فهى الأخرى تشعر بالغيرة ، ولكن لا من عمله الذى يقضى فيه جانبا كبيرا من وقته ، لأنها تعلم أنها لكى تتمكن من الانفاق على بيتها وتربية أطفالها ، فلابد لزوجها أن يعمل ويهتم بعمله ، حتى يستطيع ان يضاعف من دخله،فتراها تقف بجواره وتشجعه وتدفعه الى المضى فى طريقه ، فهذه هى سن العمل والكفاح من أجل حياة أفضل ، ولكن الذى يثير غيرة المرأة فى هذه السن ، هو المرأة نفسها .. فهى تدرك أنها قد شاركت زوجها فى سنوات عمله وكده ، كما شاركته لحظات سعادته ، وقد حملت وولدت وأنجبت له ثلاثة أو أربعة من الأطفال .. وسهرت الليالى بعد هذا تعنى بهم وتقدم لهم الغذاء والدواء .. وقد سرق منها هذا المجهود الكبير الذى قامت به كلّ أو جزءا مما كانت تتمتع به من حيوية الشباب ونضارته وجماله ..

ناقوس الخطر

« واذا أحست الزوجة بالهزيمة في مجال المنافسة بينها وبين اية فتاة اخرى ، لم تمر بعد بهذه التجربة من سنى العمل والكد والسهر .. احست بناقوس الخطر يدق بعنف فيزلزل كيانها !

« فهى تشعر بالغيرة اذن ولكن لأسباب اخرى تختلف اختلافا كليا عن تلك التى تراها عندما تتقدم بها السن ..

هذه هى بعض أسباب الخلافات التى تنشب بين الرجل وزوجته ، سواء في سنى زواجهما الأولى ، أو عندما تتقدم بهما السن .. فالغيرة من طباع المرأة ، والمرأة التى لا تغار ، ماتت ودفنت منذ زمن طويل !

يقول نيومان : « بالرغم من أن الكثيرين من العلماء يرون أن المسئولية الواقعة على عاتق المرأة اكبر بكثير من تلك التى يحملها الرجل في نجاح الزواج او فشله ، فانني أرى العكس ، فالرجل المسئول الاول عن انجاح حياته .. ففى الزواج ، لا بد للرجل من أن يسعى دائما ، والا يكف عن السعى ابدا ، لاقناع زوجته بحبه واخلاصه لها ، فاذا افلح في ذلك استطاع أن يفوز بثقتها .. واذا وثقت فيه ، خفت حدة غيرتها ، وادركت أن كل ما يصنعه رجلها ، انما هو لخيرها ولخير بيتها وابنائهما ..

وليس معنى هذا أن الغيرة لا تعرف طريقها الى قلب الرجل ، فهو انسان ، ولا يمكن لبشر ان يكون مجردا من تلك العواطف الانسانية .. فالرجل يغار على امرأته ، ولكنه لا يشعر بالخطر الذى تشعر به هى عندما تراه يهتم بامرأة أخرى ، حتى ولو كانت دونها جمالا .. فهو رجل .»

أثر التعليم على الزوجة

ويقول نيومان : « ولقد قال البعض بان الزوجة المتعلمة المثقفة ، اقدر من أختها التى لم تنل نصيبا من التعليم في المحافظة على بيتها وزوجها ، فهى أقل استسلاما للافكار السوداء التى كثيرا ما تسيطر عليها وتستبد بها ، وتؤدى في النهاية الى تقويض بناء أسرتها من أساسها ..

« وهذه خرافة .. فقد أثبتت الاحصائيات التى اجريت في كثير من بلدان العالم أن اكثر حوادث الطلاق تتم بين المثقفين، فليس للتعليم علاقة بطبيعة المرأة ، ومهما بلغ الرجل من علم ومعرفة ومكانة، فكثيرا ما نجده يضعف امام مغريات الحياة .. فالرجل هو الرجل ، والمرأة هى المرأة ، منذ أن كانت هناك حياة على هذه الارض » .

قصة زوجة عظيمة

روت اليانور روزفلت ، زوجة الرئيس الامريكى الأسبق فرانكلين روزفلت ، قصة طريفة وقعت لها في عام ١٩٢٩ ، عندما كان زوجها حاكما لولاية نيويورك .. وقد سجلتها في مذكراتها بعد سنوات طويلة من رحيل زوجها ، قالت : « لقد كنت زوجة لرجل عظيم ، كان زوجي يحب بيته ، ويمضي وقته كله ينتظر اللحظة التى تجمعه بأبنائه الخمسة ليقضي معهم لحظات كان يرى فيها السعادة كلها من حوله .. ولقد كنت ربة بيت ممتازة واما مثقفة عاقلة ، وكنت بعد هذا أعبد زوجي ، وأعد الساعات التى يعود بعدها من الخارج ، لاعد له الطعام الشهى ، وأعاونه في عمله ، فقد كنت زوجة وسكرتيرة واما لاطفاله، وكل شيء في حياته . لا يخطو خطوة الا استشارنى فيها . ولا يتخذ قرارا الا بعد مناقشته معى ، ولا يظهر في مكان الا وكنت معه !

« كان كل الذين عرفوا أسرتنا السعيدة يحسدوننا على ما نحن فيه من حب وود وتفاهم .. الى ان جاء ذلك اليوم الذى طرق فيه بائع زجاجات اللبن باب البيت ، فلم افتحه له ، كما كنت أفعل دائما في صباح كل يوم . وفوجىء بائع اللبن بزوجي يمد اليه يده ليأخذ منه زجاجة اللبن ، ثم يشكره ويغلق الباب .

« وانقضت أسابيع طويلة لم ير فيها بائع اللبن لسيدة البيت أثرا .. لقد رأى كل من في البيت .. رأى زوجى وأبنائى ، الذين كانوا يتبادلون استلام زجاجات اللبن ، الا أنا ..

« واستبدت به الحيرة وهو يحاول معرفة أسباب اختفائى المفاجيء.. ولعل سر اهتمامه بى هو توقف تلك المساعدات المالية الصغيرة التى كنت اقدمها له من حين لآخر ، لاعاونه على تحمل نفقات أسرته التى كانت تتألف من زوجته وأمه وأطفاله الثلاثة ..

ثم شاع الخبر

« وما لبث الخبر أن انتشر بين الجيران .. لقد اختفت مسز فرانكلين .. تركت البيت وتركت زوجها وأولادها الخمسة ، وذهبت ، ولكن الى أين ؟

« ولم يجرؤ أحد على أن يسأل زوجي ، وهم يرونه في ذهابه وايابه ، وقد اختفت ابتسامته ، وحلت محلها سحابة من الكآبة والحزن ، وكان زوجي المسكين مصابا بشلل الأطفال ، وكان يسير متكئا على عكازين غليظين .

« ولكن سر غيابي عن بيتي ما لبث أن شاع وعرف الجميع أن خلافا وقع بيني وبين زوجي ، قمت على اثره وحزمت حقائبي وعدت الى بيت أسرتي .. »

ظلمت زوجي

قالت اليانور وهم تختتم قصة أول وآخر خلاف وقع في حياتها الزوجية الطويلة مع الرجل الذي شاركته حياته السياسية الحافلة ، وراحت تعنى به في مرضه الذى دام لاكثر من ربع قرن من الزمان ، وهو يتنقل على كرسي متحرك ، بعد أن اصيب نصفه الاسفل بالشلل .. قالت :

« انني كلما تذكرت ظروف هذا الحادث،اغرورقت عيناي بالدموع ، لقد ذهبت اليه يوما في مكتبه لاعود به الى البيت كعادتي ، فوجدت سكرتيرته الحسناء تجلس امامه ، وقد جلس هو يضحك حتى سالت الدموع من عينيه !

« وكان المنظر اقوى مما تتحمله أعصابي ، فخرجت من مكتبه مسرعة غير عابئة بصوته وهو يناديني ..

لقد عاد زوجي بعد ثلاثة أسابيع يطرق باب بيت والدى ، طالبا منى أن أعود معه الى بيتى واولادى ، ولم يقل يومها سوى كلمتين : « لقد ظلمتني يا اليانور ! » ، ونظرت اليه وهو جالس في مقعده المتحرك ، ورحت أتأمل عينيه ، فوجدت فيهما كل الصدق ! لقد ظلمته ، وكان يعرف انه مظلوم ، ولكن حبه لي جعله ينسى كل شيء الا ان أعود اليه ! » . ■■

(م٠ن)

كلاكما لئيم

● قيل أنه تشاجر رجلان من ثقيف فقال كل واحد منهما انا الأم منك ! فتحاكما الى رجل فقال: قد حكمتماني فاخبراني باخلاقكما . فقال احدهما : ما مر بي احد الا اغتبته ، ولا ائتمنني احد الا خنته . وقال الآخر : انا ابطر الناس في الرخاء واجبنهم عند اللقاء واقلهم عند الحياء . فقال الرجل كلاكما لئيم والأم منكما الحطيئة فانه هجا اباه وامه ونفسه ومَنْ أحسن اليه .

هجا أباه فقال :

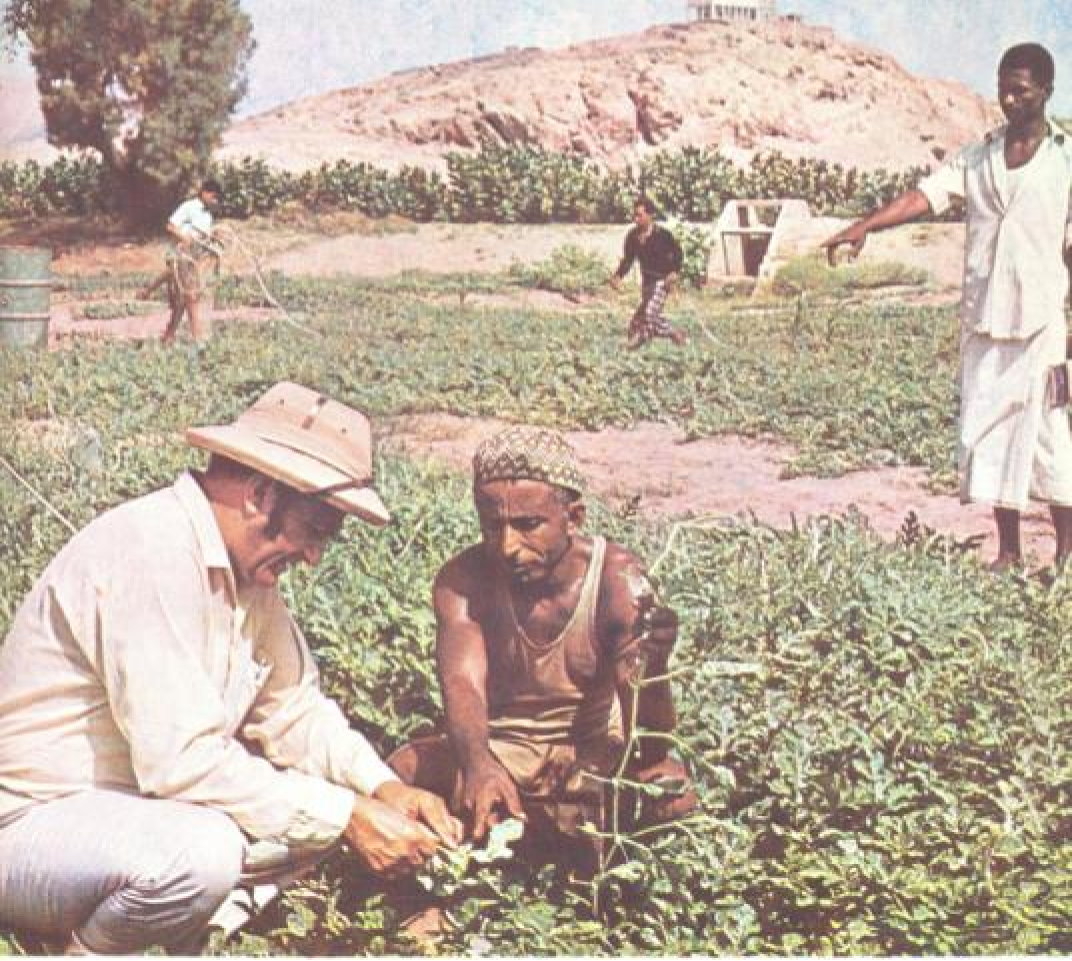
لحـاك الله ثـم لحـاك أبـًا
ومـا الحـاك مـن عـم وخـال

وقال يهجو نفسه :

أرى لي وجها شـوّه الله خَلْقه
فقُبـح من وجـهٍ وقُبح حامله

وقال فيمن اعطاه :

سُئلتَ فلم تبخل ولم تعط طـائلا
فسيان لا لـوم عليك ولا حـمد



عباد بن عقيل المسعدى فلاح من أبين ، يبين لفؤاد دياب خبير الامم المتحدة، الاصابات التى الحقتها الحشرات بمزرعته

اعرف وطنك
أيها العربى

دلتا أبين

رقعة خضراء بجمهورية اليمن الديمقراطية تجرى عليها تجارب دولية لتنقذها من شتى الأمراض الزراعية

استطلاع
سليم زبال

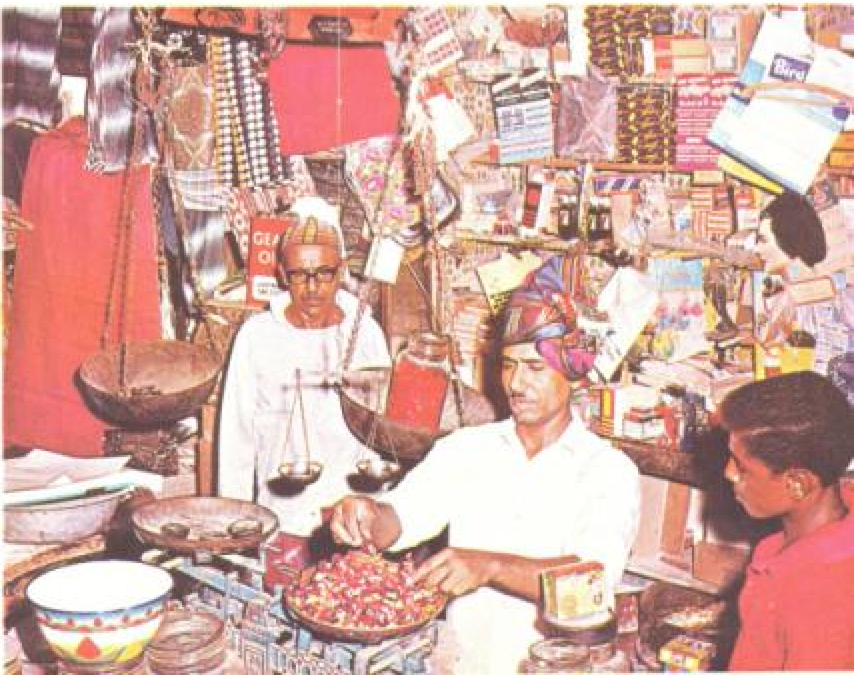
تصوير
اوسكار مترى





قليل من نساء دلتا أبين يعملن في الحقول مع الرجال ، أما الغالبية فيجلسن في منازلهن يتسلين بأشغال الإبرة .

الى اسفل : متجر باهترون في قرية الحصن يبيع ٤٠٠٠ صنف وصنف .. ابتداء من الشبابك ، حتى دواء « النامس » أى الناموس



■ ترى ما هو سر الاهتمام الزائد الذي تبديه الامم المتحدة ، والدول الاجنبية ، وبعض الدول العربية ، بقطعة ارض زراعية تدعى دلتا ابْيَن في جمهورية اليمن الديمقراطية ؟

الجميع يساعدونها ، ولو انصفنا لقلنا : يعالجونها من العقم الذي أصابها .. عقم الأرض في هذه الدلتا المجهولة المنسية ..

انها ليست دلتا نهر ، وانما هي دلتا واديين كبيرين ، يمتدان من جنوب جبال اليمن حتى بحر العرب ، يعيش فوقها ٣٥٠ الف نسمة ، .. وهذا الرقم يمثل ثلث مجموع السكان الذين يرتبطون في اليمن الديمقراطي (الجنوبي سابقا) بالارض والزراعة .. انه ارتباط مستمر منذ الاف السنين على وتيرة واحدة .. ارتباط لا بد له من تطوير ، فاليمن يبني نفسه من جديد متحديا التأخر والضائقة المالية الخانقة ، التي تخيم عليه ..

لقد ظل اليمني الجنوبي ١٢٩ عاما منغلقا محبوسا ، وعندما انفتحت الابواب انطلق يريد الحياة .. حياة كريمة مليئة بالآمال الواسعة .. لم يكن يأبه لشيء في انطلاقته ، فلم يكن لديه اي شيء يخسره ، فهو يبدأ من نقطة الصفر .. هكذا كان يتصور حاله حرا طليقا ، ولكنه ما كاد يبدأ في البحث عن نفسه حتى وجدها غارقة في لجج من الايديولوجيات والشعارات والعميات والسلبيات التي تسللت الى جميع مظاهر حياته .

حتى بعض ادباء بلاده انطلقوا ينظمون قصائد من شعر اللامعقول . وهذا نموذج لما كتبه احدهم في كبرى مجلات اليمن الادبية .. قال لا فض فوه :

في ضمير السندباد
سلسال من صدأ الطريق
عبر الطريق
الى بلاد المعجزات
والترهات النائمات على الحرير
على جلود المومسات
وعلى تجاعيد العبيد
فلم يعد بالاسئلة
والمسألة :
هل يرتجي اليوم نهارا
في بخور الحذلقات
وكل اجدادي النقات

لا تحاول أن تفهم ، فنحن كذلك لم نفهم شيئا !!

انها فترة انتقال صعبة .. تحتاج الى وقت حتى يجد الانسان اليمني الجنوبي نفسه ..

فتح الهمزة

ولنرجع ثانية الى دلتا ابْيَن .. انها واحدة من المديريات الثلاث التي تتكون منها المحافظة الثالثة في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .

وهذه المحافظة كانت تضم قبل الاستقلال اراضي ست سلطنات ومشيخات : الفضلي ، ويافع ابن قاسم ، ويافع العليا ، والعوذلية ، والعوالق السفلى . ودثينة ..

ونكتب كلمة أبين بفتح الالف ، وقد أرجع ياقوت اسمها الى أبين بن زهير بن أيمن بن حمير ابن سبأ ..

وابْيَن لها في التاريخ صيت كبير يجهله أغلبنا لعدم تجميعه ، ولكنك سرعان ما ستجده امامك عندما تفتح بعض امهات الكتب ..

أبين وإرَم ذات العماد

فمثلا ذكر الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب: ان ارَم ذات العماد كانت تقوم في تيه ابين » .

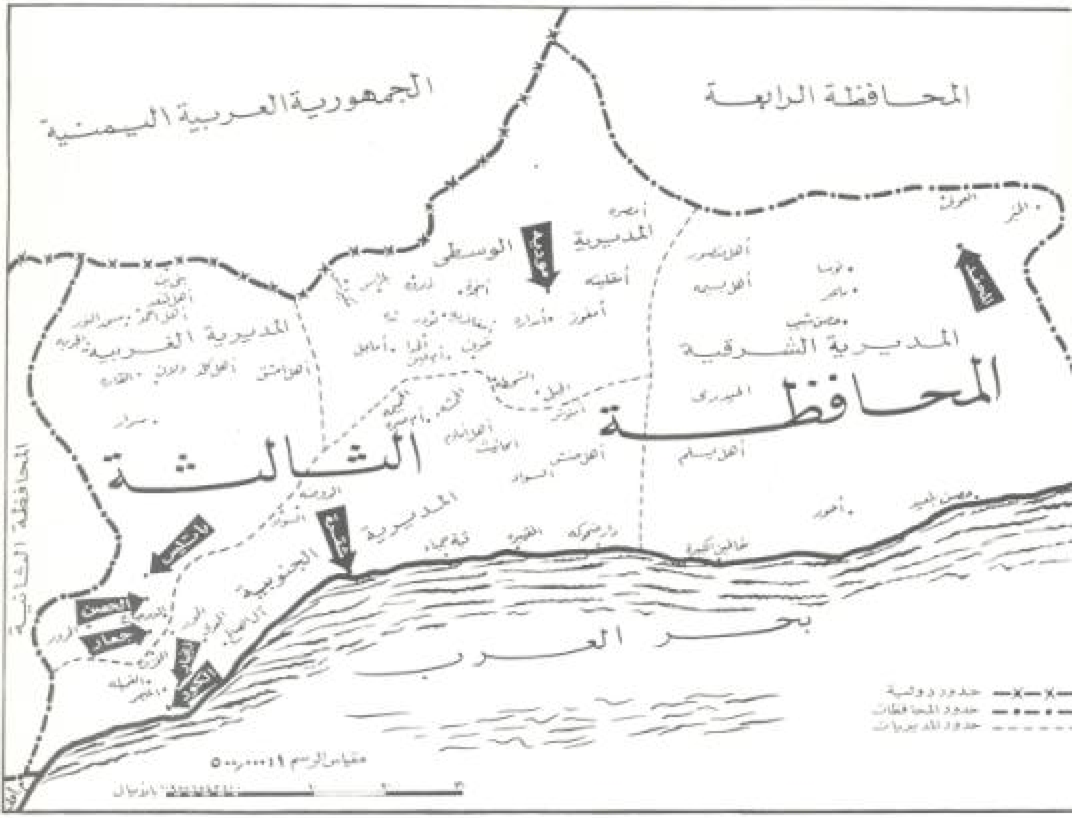
وهذا قول غريب اذ ان الاعتقاد السائد كان يرشح دمشق او الاسكندرية كموقع لهذه المدينة المجهولة،

أحد المباني في قرية مودية .. لاحظ الاسلوب اليمني القديم في هندسة البناء ، والنقوش التي عليه وينسبونها الى سبأ ، وهي المملكة القديمة التي كانت بلقيس ملكتها .





تنقسم جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية الى ست محافظات ، وكل محافظة تنقسم الى عدة مديريات ، لكل منها مأمور، وعدد سكان الجمهورية مليون ونصف مليون نسمة تقريبا ، منهم ٢٥٠ الف يعيشون في المحافظة الثالثة ، التي تضم دلتا أبين في مديريتها الغربية ، وهي موضع استطلاعنا في هذا العدد . وقد اشرنا باسهم الى المناطق التي ورد ذكرها في المقال .



التي يقال انها « كانت تضم للاثمائة الف قصر شيدوها بالذهب والفضة والجواهر واليواقيت .

لقد حاول شداد بن عاد من الجبابرة بناء ارمَ ذات العماد على صفة الجنة ـ هكذا زعموا ـ فجند لها أمهر الصناع وجمع لها كل الثروات .. حتى الاشجار في المدينة كانت من الذهب وثمارها كانت يواقيت ولؤلؤا .. واستغرق بناء المدينة ٥٠٠ عام وعندما حاول شداد بن عاد دخولها مع للاثمائة الف من أتباعه ، جاءت صيحة هائلة من السماء ، فمات هو واصحابه اجمعون ... وساخت المدينة في الأرض ولم يعثر لها على أثر ..

هكذا وردت القصة في معجم البلدان لياقوت الحموي .

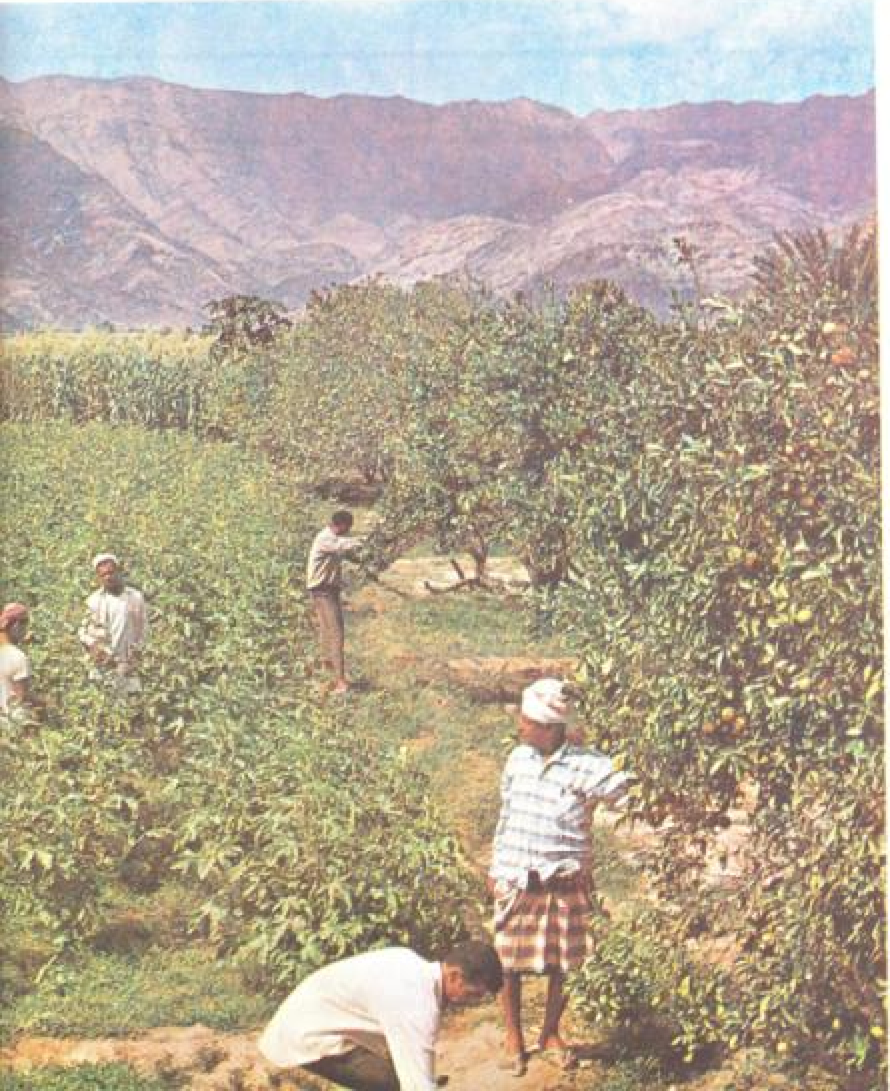
مطلوب مبيدات حشرية

وفلاح دلتا أبين لا يكترث كثيرا أو قليلا بارَمَ ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ،



الى اليمين : لاول مرة تزرع شتلات اشجار الزينة والظل في شوارع جعار .. وهؤلاء طلبة مركز التدريب الصناعي يقومون بالزرع ، ويضعون الاقفاص فوق الاشتال لحمايتها من الماعز ..

الى اسفل : مزرعة (محمد سعيد هيثم الظهر) في قرية مودية ، تنمو فيها اشجار الليم (أى الليمون) الحامض والحلو واليوسفي بنجاح كبير .. ولكن حشرة الموالح السوداء تسبب اضرارا فادحة للاشجار والمحصول .





الى اليسار: دراسة تفصيلية لامكانية تطوير وادى ابين ، يقوم بها بعض الاخصائيين اثر توقيع اتفاقية قرض بين جمهورية اليمن الديمقراطية ، والصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية

الى اسفل : لا توجد اية مؤسسة صناعية تذكر في المحافظة الثالثة .. ولكن أهل البلاد يميلون الى صنع عقود الفل والياسمين بأيديهم ، لاهدائها الى نسائهم ..







تضم المحافظة الثالثة ١٠٥ قرية ومدينة الشرقية ، وباقي المدن مجهول عددها المواصلات .. وترى هنا قرية المقبابة تعيش

فهو يعيش حاضره الصعب ، يحارب المصائب التي تراكمت عليه،نتيجة الاهمال والاستعمار والحروب القبلية ، التي ما كانت تهدأ الا لتبدأ من جديد .

وفي مقدمة المصائب التي تواجه فلاح ابين : الحشرات ... فهي على أنواع ... كل منها له ذوقه الخاص .. فحشرة الموالح السوداء معجبة بطعم شجرة البرتقال ، والحفار يتسلى بقضم ساق شجرة القطن ، والدودة السودانية تكتفي بالاوراق ، والحائكة تفضل بذور السمسم ، والخنفساء تنخر لمار الحبحب (البطيخ) .. حشرات عديدة تخرب وتدمر على هواها لغياب المبيدات الحشرية التي لا وجود لها في المنطقة ..

بلهارسيا وملاريا وفقر دم

وبينما الحشرات تفتك بالمحاصيل ، نجد الامراض تفتك بجسم الفلاح المسكين ، الذي ميزه الله بقدرة عجيبة على تحمل الامراض والآلام ..

وفي مستشفى الشهيد ناجي ، حيث تعمل البعثة الطبية الصينية بمفردها ، جلسنا نتحدث الى رئيس البعثة الدكتور « لو ـ كاو » عن الامراض ومشاكلها في المنطقة ، فقال :

« السبب الرئيسي في انتشار الامراض هو الاستعمار .. فقد ظل البريطانيون في هذا البلد ١٢٩ عاما ثم رحلوا ، مخلفين وراءهم تأخرا وجهلا وأمراضا عديدة ، أكثرها انتشارا هي الملاريا والبلهارسيا ، وأمراض الصدر والمفاصل ، وسوء التغذية ..

« لقد وصلنا الى هنا في ابريل ١٩٧٠ وعددنا ٦ أطباء وصيدلي وخمسة ممرضين ، ونحن نعمل ٢٤ ساعة في اليوم لعلاج آلاف الحالات ، التي تأتي من كل مكان الى المستشفى الوحيد الذي لا يضم اكثر من ١٢٠ سريرا . »

ويتابع الدكتور « لو ـ كاو » حديثه قائلا :

« والمريض هنا لا يأتينا غالبا الا عندما تنهكه الامراض ، ويعجز تماما عن الحركة والعمل ، وعند تشخيصنا لمرضه ، نجده يحمل عدة أمراض في وقت واحد : بلهارسيا وملاريا وفقر دم .. ونبدأ في علاجه ، ويتماثل من أمراضه ، ولكن سرعان ما نراه مرة ثانية حاملا معه نفس الامراض التي قضينا عليها في السابق .. ومن تجرباتنا وجدنا أن علاجنا يصبح عديم الفائدة لانعدام الوقاية والوعي الصحي . » .

دم صيني لامرأة عربية !

ودعانا الاخ صالح محسن ، المسئول اليمني في المستشفى الى جولة في اقسامه المليئة بالمرضى .. التهوية معدومة ، فالمستشفى مشيد في حفرة اختاروها في الماضي لأسباب سياسية ، فهي تقع على الحدود بين سلطنتي الفضلي واليافعي ، وكان لكل منهما نصف المستشفى بالتساوي .

وعندما سألنا الاخ صالح محسن : « أين الاطباء العرب ، ولماذا لا نجد لهم اثرا في المنطقة ؟ »

فأجابنا بمرارة : « ليس الأطباء العرب وحدهم الغائبين عن المنطقة ، وانما أطباء جمهوريتنا كذلك .. جميعهم يرفضون العمل في الريف .. انهم يفضلون المدينة ..

« وشتان بين موقفهم ، وموقف هؤلاء الصينيين الاجانب ، ذلك الموقف الذي لمسناه منذ أيام عندما جاءتنا امرأة تنزف دما بغزارة اثر انفجار داخلي في الرحم .. وفحصها الأطباء ، ولم تكن



جنوبية و٣٦ قرية ومدينة في المديرية
لغربية والوسطى ، لانعدام طرق
تحمان ورَدفان بالمديرية الوسطى .



ما زال الناس في (أبين) يستعملون الجمال للنقل وجر العربات الصغيرة ، لقد اشترى صاحب هذا الجمل كمية من « البوش » أى عيدان الذرة الجافة بمبلغ خمسة شلنات ، وهو سيبيعها بمبلغ ١٢ شلنا للأهالي علفا لأغنامهم . أى ان ربحه اليومي ٧ شلنات فقط !

هناك وسيلة لانقاذها الا بنقل الدم اليها ... والمستشفى ليس فيه بنك دم ، واسقط في يدنا، ولكن سرعان ما تقدم بعض المرضين الصينيين واليمنيين وتبرعوا بدمائهم .. وفعلا أخذنا من دماء أربعة منهم ، وانقذنا المريضة المسكينة من موت محقق .. »

نقص في الأطباء

وتابعنا جولتنا في أقسام الجراحة والأمراض الباطنية والعظام والنساء والصدر .. وسألنا مرافقنا : « هل تجرون عمليات جراحة صدر في المستشفى ؟ »

فأجاب : « للاسف لا يوجد عندنا طبيب صدر في المستشفى ، كما انه لا توجد جراحة صدر في انحاء الجمهورية كلها .. وكذلك لا يوجد عندنا في أبيَن أطباء أسنان ، ولا عيون ، ولا انف ، ولا اذن ، ولا حنجرة ، ولا امراض جلدية».

مسلسل رهيب

والحديث عن الصحة في أبيَن ، يحتاج الى اسهاب وتطويل ، فكل علل المنطقة تكمن في صحة المواطن : لان الايدى المريضة تؤثر على كمية الانتاج .. وقلة الانتاج تؤدى الى ضعف الدخل .. وانخفاض الدخل يؤثر على مستوى التغذية والسكن الصحى ، خاصة أن متوسط أفراد الأسرة في ابيَن هو سبعة أشخاص .. وهذه الزيادة في الأفراد سببها انتشار تعدد الزوجات بين الأهالي ..

ماساة الطب الوقائي

وقالوا لنا : « لماذا لا تقابلون خبير الصحة الوقائية المنتدب من الأمم المتحدة ؟ »

واحسسنا بثورة عارمة على هذا المسئول قبل أن نراه ، واتجهنا اليه فكان استجوابا اكثر منه سؤالا ، وجلسنا الى حسين عبد القادر وزيرى شاب سوداني منتدب من حكومة السودان ،وليس من الأمم المتحدة للعمل في المحافظة الثالثة .. وتردد الأخ حسين كثيرا في الكلام ، ولكن امام اتهامنا الصريح له بالتقصير وانعدام كل اثر للطب





تقدم الصين الشعبية القروض المالية ، والمساعدات الفنية من اجل النهوض بمشاريع التنمية المختلفة في جمهورية اليمن الديمقراطية .. وفي الصور الثلاث المنشورة فوق هذا الكلام **والى اليسار** ، تظهر مجموعات من الخبراء والعمال الصينيين الذين يعملون في شق طريق جديد من أمعين الى المحفد ، مستعملين تراكتورات ومعدات صينية .. **والى اليمين** طبيبة صينية تعالج مريضة يمنية في مستشفى الشهيد ناجي بقرية جعار ، مستعينة بادوية صينية ، تقدمها الصين مجانا الى الجمهورية اليمنية


رمزا للصداقة



الوقائي في المنطقة ، قال : « في جمهورية اليمن الديموقراطي يخضع الطب العلاجي لوزارة الصحة ، أما الطب الوقائي فيخضع للادارة المحلية والبلدية .. وهذا هو أساس المشكل ، فالبلديات هنا لا تملك امكانيات مادية أو بشرية أو كوادر فنية .. والعاملون في البلدية بحاجة الى تدريب لتولي مسئولية الصحة الوقائية ..

« وليس هذا كل ما في الموضوع ، فالعمل المطلوب يفوق كل امكانيات البلاد .. فبعض مناطق دلتا أبْيَن تعتبر موبوءة ، تماما بالملاريا والبلهارسيا .. وعلاج هذا لا يمكن أن يتم الا بتدخل مباشر من منظمات الأمم المتحدة ، لتقوم باعداد الفنيين ، ونشر الوعي الصحي بمختلف الوسائل : من عرض أفلام سينمائية ، ووضع ملصقات في الشوارع ، وارسال عيادات متنقلة ، مع باحثين وباحثات للتعرف على مشاكل وأمراض هذا المجتمع الريفي .. »

« تركني وسافر ليأتي بعيش ، ومضت عليه ٣ سنوات لم يرجع ولم يكتب ، ولم يترك نفقة .. وأنا مدينة بـ ١٦١ شلن ، وأنا متأكدة أنه تزوج .. وأنا اطلب الورقة » والمقصود ورقة الطلاق .. وقد تبين للمحكمة أن هجر الزوج لزوجته زاد على سنتين ، لهذا ارسلت له خطاب انذار ، فلم يمتثل . لهذا حكمت بالطلاق والحجر على أملاكه .



قليل من الجغرافيا

ولنترك مشاكل الامراض والصحة ، وتعالوا نتعرف على المنطقة ..

ان جغرافيتها هي جغرافية اليمن .. سهل ساحلي يتراوح عرضه بين ٤ و ٤٠ ميلا .. يطل على بحر العرب .. وبعد السهل ترتفع الارض على هيئة هضبة ارتفاعها ثلاثة آلاف قدم ، ثم تبدأ سلسلة الجبال الى ارتفاع يتراوح بين ٥٠٠٠ و ٨٠٠٠ قدم .

وبين هذه الجبال والهضاب نجد وديانا كثيرة ، بعضها جاف وبعضها واسع تنساب فيه المياه بغزارة ، ناقلة معها الطمي الذي يصنع الارض الطيبة على جانبي الوادي ..

والواديان اللذان نحن بصددهما الآن هما وادي بناء ووادي حسان .. **وبين هذين الواديين تقع أراضي دلتا أبين .. أرض واسعة مساحتها ١٢٠ الف فدان . يمكن زراعة ٨٠ الف فدان منها فقط .. وهي مساحة محترمة تمثل ٣٢٪ من مجموع مساحة الارض الصالحة للزراعة في الجمهورية اليمنية كلها ومقدارها مليون فدان ، لا يزرع منها فعلا الا ٢٥٠ ألف فدان .. والفدان هنا بمعنى ACRE ومساحته ٦٠×٧٠ مترا ، أي ٤٢٠٠ متر مربع .**

ودلتا أبين أرض طيبة تكونت من ترسبات الطمي الذي تنقله السيول معها .. الا أن المزروع من أراضي هذه الدلتا لا يتعدى ثلثها ، أي ٢٨ ألف فدان : ثلاثة الاف منها تروى بمياه الآبار الارتوازية ، والباقي يروى بوضع سدود أمام السيول ، فتتجه الى أرض المزارع ترويها لفترة ٦ أو ٧ ساعات ، ثم يطلقها لأرض جاره ، حسب عرف متفق عليه من قديم الزمان ..

القطن هو المحصول الرئيسي

والمحصول الرئيسي الذي يزرع في أبْيَن هو القطن .. يزرع عندما تتدفق السيول لمدة اربعة أشهر من ١٥ يوليو الى اول اكتوبر ، ثم يبدأ جني المحصول من يناير حتى مايو .

لقد بدأت زراعة القطن في دلتا أبين عام ١٩٤٩ اثر قيام بريطانيا بالضغط على القبائل المتقاتلة ومصالحتها ، وبعدها خرجت الى حيز الوجود لجنة أبْيَن ، التي تولت ادارة جميع عمليات القطن من البذرة حتى التصدير .. وكانت اللجنة



هذه هي جعار ، اشتقت اسمها من الضباع التي كانت تملأ المنطقة .. وجعار أصبحت اليوم عاصمة المديرية الجنوبية ، ومقرا للجنة (أبين) ، ومقرا لمركز التدريب الزراعي التابع للأمم المتحدة .

بادارة انجليزية دخل معها بعض السلاطين على أساس أنهم يمثلون المزارعين ..

فكان المشروع وجد ليخدم فئة معينة ، أما الفلاح فكان دخله لا يزيد على ما يجود به المالك .. وجاء الاستقلال فقلب الوضع رأسا على عقب .. أزيلت طبقة السلاطين وملاك الارض، واصبحت لجنة آبْيَن تشترى المحصول من المزارع مباشرة وتدفع له ثمنه تحت الحساب ، وتبيع المحصول في أسواق العالم المختلفة بعد أن كان وقفا على سوق ليفربول .

وقال لنا الأخ محمد علوى السكرتير الادارى للجنة أبين : « نحن نزرع أنواع لامبرت السودانية الطويلة التيلة فقط .. وفي العام الماضي اجرينا تجربة ادخال السماد الكيماوى على زراعة القطن فكانت النتائج رائعة مشجعة .

« لقد بعنا في العام الماضي لاسواق اليابان والهند وهولندا والمانيا والصين حوالى ٦٠٠٠ بالة من القطن ، أي ما يوازى ٢٠٪ من الانتاج الكلى للجمهورية .. وكان البيع كله بالنقد .. »

ضعف الأرض

ولكن أرقام هذا الانتاج لا تعنى كثيرا ، ففى محطة الابحاث بمنطقة الكود ، وجدناهم يقومون بدراسات من أجل انقاذ القطن من التدهور لان انتاج الفدان كان ٤٣٠ رطلا من القطن في عام ١٩٥٠ أما اليوم فانخفض الى ٢١٦ رطلا ..

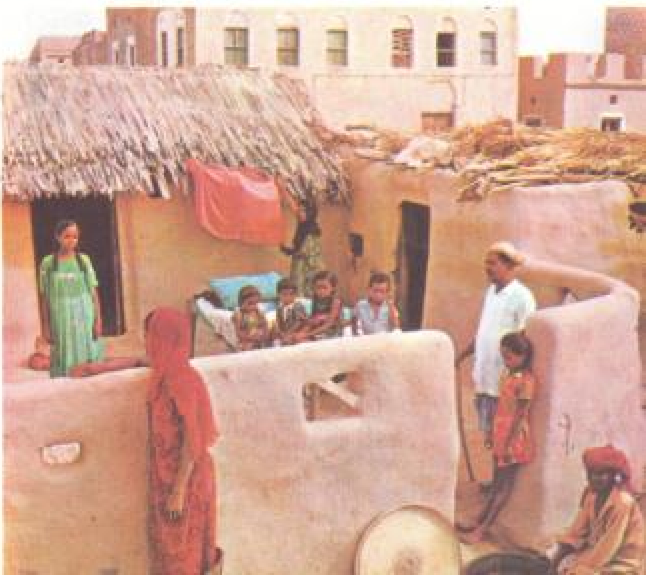
هذا ما قاله لنا رئيس قسم المحاصيل الأخ حسن على الذى تابع كلامه قائلا : « والسبب هو عدم وجود دورة زراعية معتمدة ، الى جانب طرق الرى البدائية ، والآفات الزراعية ، وجهل المزارع بالاساليب الزراعية الحديثة .. »

١١ صنفا من الموز

وليس القطن هو المحصول الوحيد في دلتا آبْيَن ، فهناك محاصيل اخرى ولكنها كلها للاسف ليست على درجة طيبة ، لهذا شاهدنا خبراء محطة الكود الزراعية يجرون عليها تجارب وأبحاثا عديدة لتحسينها .. ولكن انعدام



لاتزال المرأة اليمنية تواجه صعوبات كثيرة أمام امكانيات انطلاقها وتقدمها .. وفي مدن المحافظة الثالثة تعيش المرأة في فراغ قاتل ، فالعادات تمنع خروجها من منزلها .. وفي الصورة العليا صورة لعائلة محمد حسين ، انه يربح ٢٠ دينارا شهريا (الدينار الجنوبي يساوي جنيها استرلينيا) ، وأخته تعمل ممرضة بمرتب ٢٥ دينارا، يعولان بها أسرة مكونة من ٩ أشخاص .. والصور اليمنى لعائلة سالم سعيد بركات وهو متزوج من ثلاث نساء ، بنى لكل منهن منزلا من الطين،وله ١٤ ولدا وفتاة يجهل أسماء أغلبهم !!







. طالبات المدرسة الاعدادية وهن مرتديات الحجاب والعباءة السوداء ، في طريقهن الى المدرسة ، التى كانت سابقا قصرا لأحمد عبد الله الفضلي .. وفي المدرسة تنزع الفتاة الحجاب وتلقي بالعباءة ، وترتدي فتيات الفصول الاعدادية التنورة الخضراء،بينما بنات الابتدائي يرتدين التنورة الزرقاء .. (الصورةالسفلى)



الاعتمادات المالية يجعل من أبحاثهم وتقاريرهم حبرا على ورق .. رغم اهميتها الزائدة .

وفي حديثنا مع مدير مركز أبحاث الكود الاخ أحمد الزبيدى قال لنا : « على الشريط الساحلى لدلتا أبين تنمو اشجار البابايا والمانجو والموز بنجاح مذهل ، ويفيض انتاج الموز عن حاجة المنطقة ، ولكن رداءة نوعه وصغر حجمه، بالاضافة الى سوء عمليات القطف والشحن والحرث ،تجعله لا يصلح بتاتا للتصدير .. ونحن في انتظار نتائج تجاربنا على ١١ نوعا جديدا من الموز ، لاختيار النوع الأكثر ملاءمة وتربة أرضنا .. »

الثروة الحيوانية

« أما ثروتنا الحيوانية فتمر بمرحلة صعبة للغاية » .. هكذا بدأ ضابط الثروة الحيوانية أحمد القاسم حديثه الذي تابعه قائلا :

« فالانواع الموجودة قديمة جدا لم تجر لها أى عملية فرز او خلط .. والفلاح يجهل تربية الحيوان ، ويقدم له القصب الجاف غذاء فينتفخ له بطنه دون أن يغذيه مما أضعف كمية ادرار الحليب ، وأنزلها الى الحضيض .. ولا علاج لهذا الوضع الا بادخال نوع جديد من البرسيم واستيراد لقاحات من ثيران أجنبية أصيلة ، وهو ما نفعله حاليا . »

الى اسفل : في خلال اربعة شهور بدلا من ستة ، أقام المهندسون الصينيون هذا الجسر الخراساني على مسافة ٣٩ كيلو مترا من عدن . ان بناء هذا الجسر قضى على مشكلة مياه السيول التى كانت تقطع طريق السيارة المؤدى الى قرية زنجبار .



طماطم بحجم الباذنجان

وفي الاجزاء الشمالية من المحافظة الثالثة ، أى في لودر ومودية ، تنمو اشجار الحمضيات بصورة مذهلة..رغم الحشرات الكثيرة التى تصيبها،والى جانب الحمضيات تنجح زراعة البصل والطماطم فيصل حجم الحبة منهما الى حجم حبة الباذنجان الكبيرة ..

والدخن كذلك (اى الذرة الصفيرة) تنمو بنجاح زائد .. وهم يخلطون حبانها بعد طحنها ، مع الحليب والماء ويضعون الخليط على النار حتى ينضج ، ويتركونه يبرد قبل ان يصبوا عليه الحساء وزيت السمسم المحلى أو السمن .. انها العصيدة ، وهى سهلة الهضم لا تثقل على المعدة، على حد قولهم !!

والعقبة الرئيسية في عدم امكانية تسويق هذا الانتاج المذهل من الخضار والبطاطا والبصل، هو عدم وجود طرق معبدة تؤدى الى تلك المناطق..

لهذا نجد الفلاح لا يزرع الا مقدار حاجته واستهلاكه ، بينما تنفق عشرات ملايين الدنانير لاستيراد أطنان المأكولات من الخارج لتموين الجمهورية .

١٤ مليون دينار تكاليف الطريق

وجلسنا الى وزير الاشغال اليمنى الاخ حيدر أبو بكر العطاس نسأله عن الطرق فقال :

« هكذا استلمنا البلاد بدون طريق واحد يربط بين اجزائها ، واليوم بدأنا بشق طريق سيوصل عدن بالمكلا طوله ٣٢٠ ميلا ، وهو لن يربط المدينتين فقط بل سيربط خمس محافظات بعضها ببعض .

« لقد قدمت لنا الصين الشعبية قرضا لتعبيد هذا الطريق ، الذى ستصل تكاليفه الى ١٤ مليون دينار ، وهذه التكاليف ليست ذات بال اذا قورنت بالفوائد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الهائلة التى ستجنيها المنطقة من جراء شقه .. انه سينتشلها من عزلة ظلت تعيش فيها منذ وجودها .. وفي نهاية عام ١٩٧٢ نأمل ان يكون الطريق قد انتهى حتى بلدة المخفد ، وبعدها

يبقى لنا شق ٢٣٠ ميلا حتى نصل الى المكلا .. انه طريق جبلي وعر ، يتطلب انشاء ٣١ جسرا ونسف عشرات الالوف من أطنان الصخور لشقه ».

هل اقتربت نهاية القات ؟

ووقفنا ننظر الى العمال اليمنيين يعملون مع الصينيين ، فوجدنا حماسة واندفاعا من الجانبين .. الصيني يريد اظهار قدرته وغيرته ، واليمني يريد أن يوصل الطريق بأسرع وقت الى مناطق ما زالت مجهولة ، يعالج الناس فيها - الى اليوم - مرضاهم بالكي بالنار ، وبتعليق التعاويذ والأحجبة المصنوعة من اغصان شجرة الشيدر !

ومن المؤسف انه كلما امتد الطريق ازداد انتشارا القات ، فهو ينقل بالسيارات .. وتستورد البلاد ما يعادل مليونا ونصف مليون دينار سنويا من القات .. ومضغ القات يختلف في اليمن الجنوبي عنه في اليمن الشمالي ، فهنا يستعمل مخلوطا بمواد أخرى مخدرة ، مثل المورفين والافيون والمسكرات وغيرها ..

ونتيجة لما نشرته العربي في العدد رقم ١٤٧ تم توزيع هذا العدد مع ترجمة فرنسية لمقال القات المنشور فيه ، على أعضاء لجنة المخدرات بجنيف التابعة للامم المتحدة ، فأصدرت اللجنة قرارا يوصي منظمة الصحة العالمية بأن تستأنف بنشاط أعمالها التي سبق أن بدأتها لتحليل المواد الفعالة التي تحتوي عليها أوراق القات وتأثير القات على الصحة والمجتمع ..

الضباع تعطي المدينة اسمها

وحتى نتعرف على الحياة الاجتماعية تعالوا نتجه الى بلدة جعار كبرى مدن دلتا أبين ، ومركز تموين المناطق الشمالية .

انها قرية صغيرة انشئت لتكون مركزا للجنة "أبين" بعد الحرب العالمية الثانية ، ثم اقامت فيها الأمم المتحدة مركزا لتدريب ابناء اليمن ، فازدهرت جعار وأصبحت مركزا مهما ، بعد ان كانت منذ ٢٥ عاما فقط ، حرشا ترتع فيه الضباع التي أعطت اسمها للمدينة ، لأن جعار معناها لغويا « الضبع » .

زخم الحياة

وأشهر معالم جعار مئذنة جامعها . وتحت ظل هذه المئذنة يقع ميدان البلدة الكبير وفي كل ليلة كنا نجلس مع الناس في المقهى الشعبي الوحيد نشرب البارد أو الشاي مع الحليب ولا شيء غير هذا .. لا توجد دومينة ، ولا ورق لعب ، ولا طاولة ، ولا شطرنج .. وانما الراديو مفتوح على أعلى صوته ..

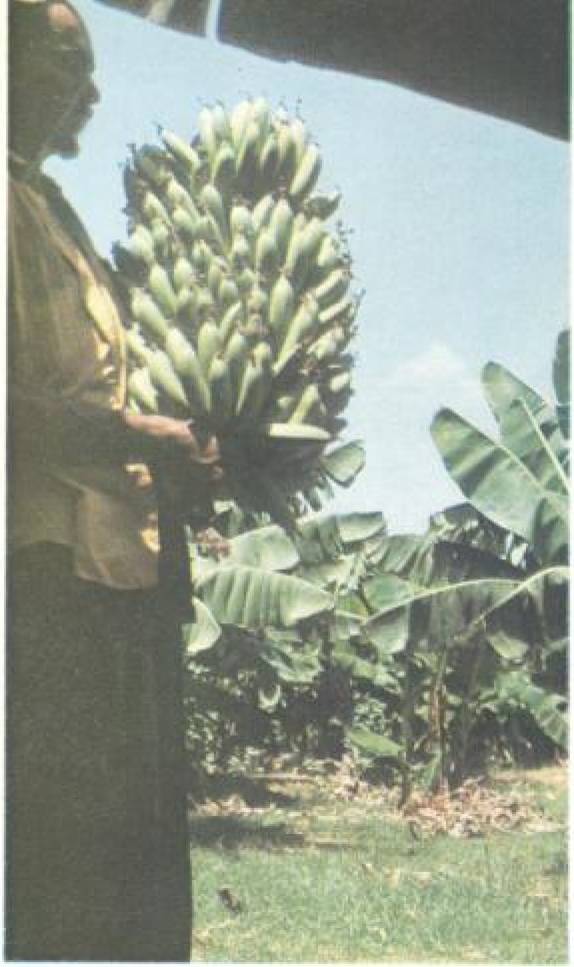
وعلى الرصيف المقابل يقف بائع اللحم المشوي فتملأ رائحة الشواء الأنوف ، ويصرخ الجرسون بأعلى صوته من بعيد على الطلبات التي يستلمها ويتردد صدى صوته في الساحة مثل صياح الضباع في قديم الزمان !!

ويقف بائع الذرة الى جانب الرصيف ، ويقترب الماعز الجائع ليلتهم أوراق الذرة .. وتمر عربة تجرها الجمال تسير بسرعة نسبيا ، فقد وضعوا لها اطارات من المطاط بدلا من الخشب ..

واردنا الحصول على بعض الأرقام والمعلومات عن البلاد ، فقالوا : لا بد أن تتجهوا الى مقابلة المسئولين في زنجبار عاصمة المحافظة الثالثة ..



مئذنة مسجد (جعار) ، ارتفاعها ٩٤ قدما ، ومشيدة بأحجار البازلت وأحجار أخرى متعددة الالوان .. وبانيها هو (علِّيوي بن صلاحي) أحد أبناء المنطقة ، ويقوم حاليا ببناء مئذنة شبيهة بها في قرية (لودر) .



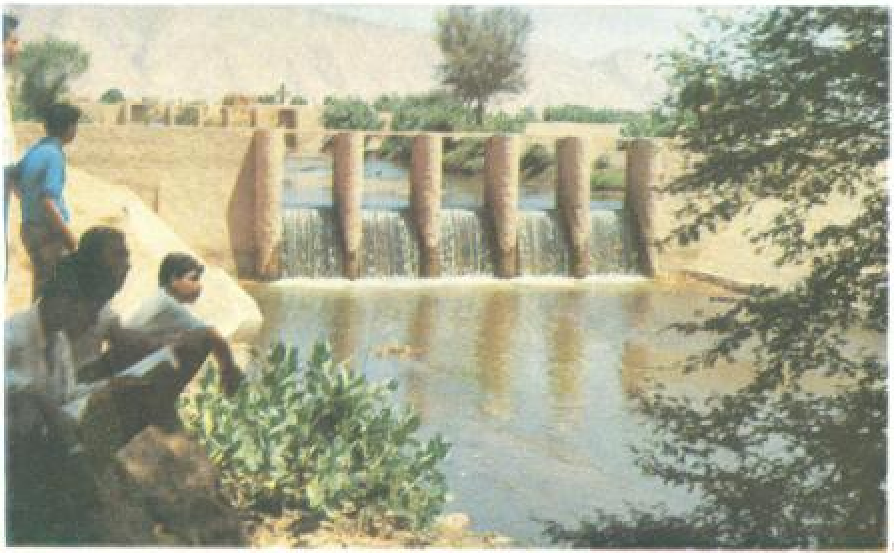




البابايا والموز والحبحب (البطيخ) من المحاصيل التى تنمو بنجاح في دلتا أبين ، ولكن كل منها له مشاكله : البابايا Paw-Paw تزرع في أضيق نطاق ، ويستهلك انتاجها محليا .. الموز المزروع من فصيلة رديئة رغم كميات الانتاج الزائدة ... والحبحب (البطيخ) يعطى ثمارا كثيرة رغم الاضرار الفادحة التى تسببها له الخنفساء .. ان السوق الوحيدة لهذه المنتجات هو سوق عدن..وأسعار الخضراوات والفواكه تقررها الجمعيات التعاونية .. اما المانجو فهى الفاكهة الوحيدة التى تصدر بكميات صغيرة للخارج ، لأن ثمارها تنضج في شهر مارس أى مبكرة عن مواسم المانجو في البلاد الأخرى .



الماء يتدفق لاول مرة من بئر اولوارية بالقرب من قرية زنجبار.. انها واحدة من ٢٠ بئراً سيتم حفرها خلال الخطة الثلاثية .. **والى اسفل :** السيول تتدفق في وادي بناء .. أحيانا تكون كمياتها ٢٠٠ مليون متر مكعب ، فتسقى الاراضي ، وأحيانا تنخفض كمية مياه السيول الى ٨٠ مليون متر فتروى نصف الاراضي فقط !



وفوجئنا باسم زنجبار ففهمنا بزنجبار اسم لجزيرة كبيرة .. فلما استوضحناهم قالوا : في السابق كان اسمها أبْيَن ، ولكن ناصر بن عبد الله الفضلى ، الذى نفى الى جزيرة زنجبار عاد الى أبْيَن وابدل اسمها بزنجبار أبْيَن ، ومع الايام ازيحت أبْيَن وبقيت زنجبار ... وزنجبار ما هى الا شارع كبير تقوم على جانبيه المتاجر العديدة الشعبية ، التى تحوى من البضاعة اقل بكثير مما تحويه من القذارة !! انها مركز زراعى على طريق زراعى ، ستزداد اهميتها عندما ينتهى شق الطريق الى المكلا .. ويعتقد أهلها أن مدينتهم سوف تحتل مركز عدن التجارى قريبا ! .

المراة لا تحتاج لمحام

وفي « مدينة » زنجبار توجد المدرسة الاعدادية الوحيدة للبنات بالمحافظة الثالثة ، وفيها تتعلم ١١٩ فتاة ، قبل انتقالهن الى المدارس الثانوية في عدن لعدم وجود ثانوية في المحافظة الثالثة .. وجلسنا نستمع الى نور ناصر عمر مديرة المدرسة ، تحدثنا عن الطالبات والمراة فتقول :

« كان عندنا فرع للاتحاد النسائى ولكنه أغلق حاليا لعدم وجود .. »

وهنا قاطعها الاخ سالم الحايك مسئول اتحاد الطلبة قائلا : « لا تستطيع المراة أن تشرح وجهة نظرها بوضوح ، لهذا سأقوم بشرح الموضوع لكم : « لقد تأسس الاتحاد النسائى عام ١٩٦٨ وظل يمارس نشاطه حتى شهر مايو ١٩٦٨ ..

وهنا قاطعناه بدورنا وقلنا للسيدة نور : « هل تحتاجين الى محام للتعبير عن وجهة نظرك؟ » . فقالت : « أبدا أبدا .. »

فسألناها عن مشاكل التعليم فقالت : « من مشاكلنا تنوع المنهج والقرارات ، فالحساب يتبع المنهج المصرى ، والجغرافيا والتاريخ عراقيان وهكذا .. ولكننا سنتلافى هذا التضارب عندما يتم توحيد المنهج في العام القادم .. ومن مشاكلنا نقص أدوات التدريب العملى ، ونقص عدد المعلمات ، وهذا يجعل كل معلمة ـ بما فيهن المديرة ـ مسئولة عن تقديم ٣٥ حصة أسبوعيا .. وعدد مدرساتنا حاليا ثمانية : ٤ محليات و٢ من العراق وواحدة فلسطينية واخرى سودانية .. »

وهؤلاء المعلمات هن اللواتي يحركن فرع الاتحاد النسائى ، وعندما يتغيبن يغلق الفرع أبوابه .

قطع الأشجار لدعم صندوق الاتحاد

وانتقلنا بعد ذلك الى مقر الاتحاد الوطنى للطلبة مع الاخ سالم الحايك .. المقر كان قصرا لاحد السلاطين السابقين .. الباب مخلوع من مكانه ، الارض طيبة والحديقة مهملة جافة .. اشجار الكافور العالية قطعت وملقاة على الارض قلنا للاخ سالم : « لماذا تقطعم الاشجار ؟ » .

قال : « نقطعها لنبيعها خشبا ، حتى ندعم صندوق الاتحاد قليلا .. »

وصعدنا المبنى .. الجدران ملطخة ، وفوقها كتبت شعارات مختلفة بالطلاء الاحمر ، تحمل معنى خاصا ..

رسالة الى الفتاة اليمنية

وكان اول ما طالعنا في مبنى الاتحاد صحيفة حائط ، مقالها الافتتاحى بقلم بثينة تقول فيه :

« ها أنا أكتب اليكِ لاول مرة في تاريخ تقاليدنا الريفية على صفحات يقوم بتحريرها أخوتنا الشباب .. ولكن الى متى نظل هكذا ؟ ألسنا فيما يقال اننا في القرن العشرين ؟ ماذا نعرف عنه ؟ بل ماذا نعرف حتى عن مجتمعنا غير كلمة : عيب .. عيب .. عيب .. ولكن اسمحى لى ان اسألك كيف نكون أمهات لأبناء الغد الاكثر علما ووعيا ، ونحن لا نعرف شيئا عن اليوم الذى نعيشه .. كيف .. كيف .. ؟

اختك : بثينة ..

وانتقلنا الى غرفة المكتبة والمطالعة ، فوجدنا قاعة فسيحة خالية من كل شيء ما عدا طاولة صغيرة في وسطها صفت مجموعة من الكتب، اقتربنا منها نطالع عناوينها فوجدناها : حياة لينين .. والشبيبة اللينينية ، ماوتسي تونغ .. كيم ايل سونغ ..

فسألنا سالم الحايك : « كيف تصلكم هذه الكتب ؟ » .

فقال مبتسما : « جمعتها من السفارات في مدينة عدن » .

قلنا : « لا اعتراض لدينا على وجود هذه الكتب ، فالاطلاع يجب أن يشمل جميع فروع المعرفة ، ولكن اعتراضنا على عدم وجود أى كتاب عربى آخر بجانبها .. ترى هل حاولت الاتصال بسفاراتنا العربية في عدن ؟ » .



لاول مرة يشهد أهل قرية الحصن فلما سينمائيا عرضه عليهم رجال مركز التدريب الزراعي التابع للامم المتحدة .. وكان موضوع الفلم : زراعة الصحراء في الكويت ، مع أفلام أخرى صغيرة عن الزراعة في مختلف أنحاء العالم .

فقال : لا فائدة ترجى من ذلك ، فهم ليس عندهم اى شيء .. ومع ذلك سوف أحاول .. **قالها لارضائنا .**

وهذه الحادثة تضع أمامنا استفهاما كبيرا : ترى ما هو نشاط سفرائنا وقناصلنا العرب في عدن؟ ولماذا لا تسخو السفارات بالكتب والنشرات **ـ وما أرخصها ـ** على فروع اتحادات الطلبة والاندية الرياضية ، التي تشكو قحطا في الكتب والمعلومات ؟

لماذا تترك الساحة خالية يحط عليها كل طير من كل جنس ؟

اسئلة كثيرة ، تحتاج الى عمل للرد عليها ، اكثر من حاجتها الى خطاب !!

عقبات في وجه الطلاق وتعدد الزوجات

وفي محاولة للنهوض بمجتمع المحافظة الثالثة ، اجتمع المحافظ مع مجموعة من القضاة والمهتمين بامور الشرع ، وأهل العلم في المحافظة ، وبعدها اصدروا لائحة داخلية او قانون الزواج ، يعمل بها مؤقتا حتى يتم اعداد قانون الاحوال الشخصية الشامل للجمهورية كلها ..

ونظرا لأهمية هذه اللائحة المطبقة حاليا ، نورد هنا أهم الفقرات التي وردت فيها :

جاء في المقدمة : عقدت الثورة الشعبية العزم على تغيير المجتمع المتخلف بكافة علاقاته الفاسدة، الى مجتمع جديد تقدمي .. **وبعد هجوم عنيف على أولياء الأمور الذين يعتبرون المرأة سلعة تباع وتشترى بالمهور العالية ، بينت اللائحة ان نتائج هذا العمل كانت عزوفا بالشباب عن الزواج لقلة المال .. ثم عرجت اللائحة على مأساة تعدد الزوجات والمشاكل الأخرى التي تنخر في المجتمع ، وأمام كل هذا وجدت اللجنة نفسها مضطرة لوضع اسس علمية موضوعية (على حد قولها) لمعالجة هذه المشاكل ، نلخصها فيما يلي :** « حدد المهر بمبلغ اربعة آلاف شلن ، اى ٢٠٠ دينار جنوبي .

× منع زواج الفتاة دون أخذ موافقتها ، يذهب اليها كاتب المحكمة ليستمع الى رأيها ويأخذ توقيعها بالرضى ..

× **لا تتزوج الفتاة الا عند بلوغها سن الرشد ،** وحددوه بخمسة عشر عاما ..

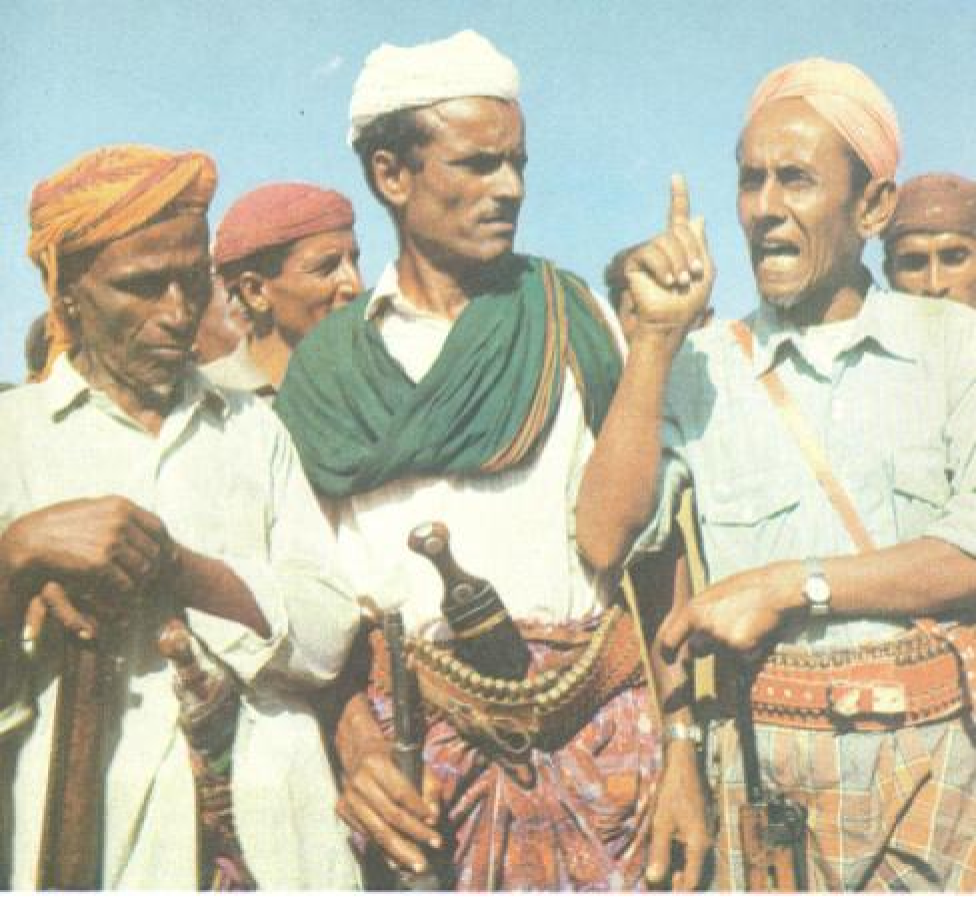
× **لا يجوز بأي حال من الاحوال أن يتم الطلاق** خارج المحاكم الشرعية ، مع وجوب توفير الأسباب الشرعية المقبولة لدى الشرع .

× يمنع الزواج بأكثر من واحدة الا في الحالات التالية : « مرض الزوجة المزمن ـ عدم الانجاب ـ ثبات خيانة الزوجة لحق الزوجية » .

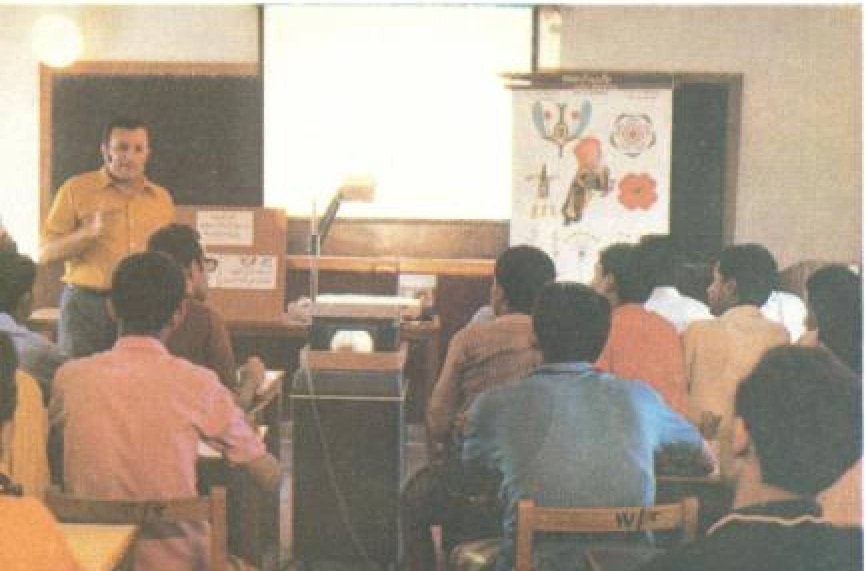
× اذا هجر الزوج بيت الزوجية لفترة تزيد على السنتين ، فان المحكمة تنذره فاذا لم يمتثل ، تقوم المحكمة بفسخ عقد الزواج .

تعميق اللائحة

وسالنا قاضي زنجبار الشرعي يحيى عبد الله قحطان عن مدى تطبيق هذه اللائحة في محكمته فقال: « في البداية دائمة هناك صعوبات ، ولكننا وجدنا وعيا متوفرا بين الجمهور مكننا من تطبيق بنود هذه



ثلاثة رجال من قرية امعين : كل منهم له زوجتان .. وهم من اليمين : خضر حسن وعنده ١١ ولدا وبنتا .. وناصر الجونه وعنده ١٠ اولاد وبنات .. وعلى هادى توفيت احدى زوجتيه وعنده ١١ ولدا وبنتا .. واجمل شيء في نظرهم هو المطر .. وامنيتهم فتح طريق الى قراهم ..





« قبلة » و « قمر » .. طالبتان تتلقيان تعليمهما في المدرسة الاعدادية بزنجبار .. اما التعليم الثانوي فيتطلب ذهابهما الى عدن.



الى اليمين : درس نظري لطلبة مركز التدريب الزراعي التابع للامم المتحدة في جثمار ، مع توضيح بالفانوس السحري.

الى اليسار : ٤٤٣ قضية نظرتها المحاكم المدنية بالمديرية الجنوبية في ثلاثة شهور .. كانت قضايا الأطيان هي الغالبة سابقا .. اما اليوم فاصبحت قضايا الحقوق والقضايا الجنائية هي السائدة .

اللائحة ، التي تحتاج الى تعمق حتى يقتنع بها الجمهور .. » .

واستطرد القاضي الشرعي قائلا : « وهذه اللائحة لا تتنافى مع الشريعة الاسلامية .. لان تحديد الزواج والطلاق يتمشى تماما مع قوله تعالى : « فان خفتم الا تعدلوا فواحدة » .

الارض ملك لمن يفلحها

ولم يتوقف التغيير الجذري عند هذا الحد بل تعداه الى ملكية الارض ، فبعد أن كان تحديد ملكية الارض يخضع للعرف القبلي ، وبعد أن كان السلاطين السابقون يملكون معظم الاراضي ، صدر بعد الاستقلال قانون الاصلاح الزراعي الذي صودرت بموجبه الاراضي من الطبقات الحاكمة سابقا ، وحددت الملكية الزراعية بحد أعلى بلغ ٢٥ فدانا في الاراضي المروية و٥٠ فدانا في الاراضي البعلية ..

وبدأت عملية توزيع ٣ أو ٥ افدنة على العائلات الصغيرة ، ولكن كثيرا من السلبيات ظهر بعد صدور القانون فلم يطبق القانون كما يجب ، وظلت مساحات كبيرة من الارض المصادرة تحت ادارة الدولة .. ورغم هذا صدر قانون جديد يخفض مرة ثانية الحد الأعلى لملكية الارض الى ٢٠ فدانا للارض المروية و٤٠ فدانا للاراضي البعلية ، وأعلن أن الارض ملك لمن يفلحها ..

وفي أوائل سبتمبر ١٩٧١ طبق الفلاحون الفقراء (كما يحلو للمسئولين والصحف في عدن تسميتهم) هذا المبدأ فاستولى كل عامل زراعة على قطعة أرض .. وبارك رئيس الجمهورية هذه الخطوة وهاجم بشدة منتقديها وقال للصحفيين العرب في اجتماعهم الاخير الذي عقد بعدن : « لقد حاول البعض وصف هذه الحركة بأنها عملية فوضوية ، ولكننا نقف مع هذه الانتفاضة لأننا نؤمن أنها الطريق الصحيح لاسترداد الفلاحين الفقراء لحقوقهم من الاقطاعيين وملاك الارض » .

.. حتى جني المحصول

وتلعب الجمعيات التعاونية ، دورا خطيرا في دلتا ابين ، فقد اصبحت هذه الجمعيات من الكثرة وتعدد الأهداف ما يصعب علينا حصره .. ، فهي تبيع للفلاح الشاي والسمن والسكر نقدا ، فاذا تعذرت عليه السيولة النقدية ، تأجل الدفع حتى جني المحصول .

والجمعية التعاونية هي التي تقدم للفلاح سلف التمويل عن طريق قروض تسدد عند جني المحصول .

والجمعية التعاونية هي التي تقدم للفلاح الآليات وتحرث له ارضه .. وعليه أن يدفع الثمن بعد جني المحصول ..

ان النظام التعاوني نظام رائع ، ولكنه هنا تحول الى نظام جعل من الفلاح مدينا على مدى السنين للجمعيات التعاونية ، تماما مثلما كان غواص اللؤلؤ قديما .. كان مدينا مدى الحياة لصاحب المركب .

الغد أفضل ..

واخيرا وبعد انتهاء جولتنا في دلتا أبْيَن وضواحيها جلسنا نعصر رأسنا ونتساءل : ترى ما هو الحل لهذه المشاكل الموروثة والحديثة، التي تعصف باليمن الديمقراطي ، ومن أين يبدأ الاصلاح ؟

ولم نكن وحدنا نتساءل ، فهناك بعثة كاملة ارسلت على نفقة الكويت الى دلتا أبْيَن لتدرس الوضع من جميع ابعاده ، دراسات يقوم بها ١٢ مهندسا و٥ متخصصين بدرجة الدكتوراه ، لعمل تقرير شامل كامل عن الوضع الاجتماعي والصحي والحيواني والجيولوجي والمالي والزراعي ، واحسن الوسائل لاستغلال الارض في دلتا أبْيَن .

لقد بدأت البعثة عملها في أول مايو (ايار) ١٩٧١ ولن تنتهي من دراساتها المتكاملة قبل نهاية عام ١٩٧٢ .

ان الغد يحمل في طياته آمالا كبارا لمنطقة دلتا ابين .

فغدا سوف يقضى على الأوبئة والحشرات .

وغدا سيتوافر الماء لسقي الارض العطشى كلها ..

وغدا سوف تنطلق السيارات بدلا من الجمال على الطرقات ..

وغدا سينتهي عذاب ابن ابين ، ولن يستمر وقوفه بالساعات على قارعة الطريق تحت اشعة الشمس انتظارا لسيارة تنقله ..

ان الغد سيكون افضل من اليوم ، بالرغم من أن اليوم افضل من الأمس !

سليم زبال

قضية مدام لافارج

بقلم : حسن الجداوى

■ لو تتبعنا وقائع هذه القضية ـ ولا اقول الجريمة ـ فقد مضى ازيد من قرن من الزمن والناس بين مصدق ومكذب بحسب تواريخهالبدت جناية قتل بالسم عادية لا مجال فيها للشك . وها هى الوقائع :

في ٤ يوليو ١٨٣٩ قابلت الآنسة مارى كابيل (٢٤ سنة) فتاة يتيمة ميسورة الحال باريسية فتاة عند بعض الاصدقاء شارل لافارج ارمل ٢٨ سنة ، لم يرزق باولاد، صاحب مصنع حديد، رجل متقشف تعوزه الرقة والكياسة ، دموى الطبع ، مرتبك ماليا يريد باية وسيلة ان يتخلص من مازقه .

في نفس اليوم صارحها برغبته في الزواج وفي الغد تقدم يطلب يدها فاجيب الى طلبه .

بعد اربعة ايام اعلن اسماهما على ابواب العمودية والكنيسة .

وفي ٢٣ يوليو بعد مضى خمسة عشر يوما بدون اعتراض تزوجا .

وفي ٢٤ يوليو سافرا الى منزلهما حيث وصلا في يوم ٢٨ يوليو .

وفي ١٥ اغسطس طلبت مدام لافارج ان يعيد لها زوجها حريتها لانها تحب رجلا آخر او هكذا قالت .

ومضت ثلاثة اشهر ـ بالطول او بالعرض ـ ثم حرر الزوجان ـ في ١٢ نوفمبر ـ وصيتين يوصي كل منهما للاخر بثروته .

وفي واوائل ديسمبر سافر الزوج لانه اكتشف طريقة جديدة لصناعة الحديد يريد ان يسجلها لنفسه لاستغلالها .

وفي ١٥ ديسمبر اشترت مدام لافارج واحدا وثلاثين جراما من الزرنيخ من صيدلية في ليموج .

وفي ١٨ ديسمبر تسلم لافارج فطيرة من زوجته فقسم منها قطعة فوجد لها طعما غريبا وبعد بضع دقائق احس بالام شديدة واخذ يتقايأ طوال الليل. ولكن ذلك الحادث مضى بسلام ولم يبق منه اى اثر في الغد ، فالقى بالفطيرة ، وعاد الى منزله في اليوم الثالث من يناير ١٨٤٠ . متعبا ، وآوى الى فراشه وبدات تنتابه الالام والقىء .

وفي اليوم الخامس والعاشر اشترت مدام لافارج كميات اخرى من الزرنيخ .

وفي اليوم الحادى عشر رآتها فتاة تقيم في المنزل ، لعمل صورة لها ، ترش بدرة بيضاء على اللبن المعد للمريض .

وبعد ثلاثة ايام قضى شارل لافارج نحبه بين الام لا تطاق .

واتجهت الشبهات فورا الى مارى ونصح لها بعض الاصدقاء ان تهرب ولكنها بقيت حتى قبض

عليها في ٢٤ يناير وبعد تحقيق استمر سبعة اشهر قدمت لمحكمة الجنايات وفي ١٩ سبتمبر قرر المحلفون انها مذنبة ومنحوها الظروف المخففة (؟) وحكم عليها بالاشغال الشاقة المؤبدة .

وفي عام ١٨٥٢ بعد اثنتى عشرة سنة اصرت طوالها على انها بريئة منحها الامبراطور نابوليون الثالث عفوا صحيا وتوفيت بعد اشهر معدودة .

★ ★ ★

حول هذه الوقائع ـ غير المنكورة ـ نشرت كتب ودراسات قدرها بعضهم باربعة الاف مجلد بلغات مختلفة لدراسة قضية مدام لافارج . واتجهت الابحاث الى حلول اربعة .

هل مات لافارج مسموما بيد زوجته ؟ او كان موته من مصران اعور متقيح ؟ او تناول السم بطريق الخطا ؟ واذا كان قد مات مسموما فهل لم يكن بجوار زوجته شخص آخر اعطاه السم ؟

★ ★ ★

دعونا نطوى الوقائع القهقرى ـ على حد تعبير امير الشعراء ـ لنرى كيف امكن لهذه القضية على بساطتها ان تشغل الراى العام تلك الفترة الطويلة .

ان مارى كابيل فتاة قد قرات كثيرا . تقرض الشعر وتعشق الموسيقى . وتكتب برشاقة . وقد ورثت ذلك عن احدى اسلافها الكاتبة الشهيرة مدام جنليس . غنية تملك من المال السائل في ذلك الوقت ما يعادل عشرة آلاف جنيه في هذه الايام . اعد لها بعض الاصدقاء مقابلة مع شارل لافارج فقد كانت الزيجات في تلك الايام ترتب بين الاسر .

واليكم راى مارى في ذلك الرجل الذى قبلته زوجا لها . قالت في خطاب كتبته لاحدى صديقاتها في يوم ٨ يوليو :

« عزيزتى . سافضي اليك بخبر هام . خبر سيدهشك كما هو مدهش لى . فانا ـ الصعبة ، الكثيرة التفكير في الجانب المظلم للامور سأتزوج على جناح السرعة . ففى يوم الاربعاء قابلت رجلا فاعجب بى ، ولم يعجبنى . وفي يوم الخميس رايته ثانية فلم اشعر نحوه بكراهية . وفي يوم الجمعة طلب يدى فلم اقل نعم . وفي يوم السبت لم اقل لا . واليوم الاحد ظهر اعلان الزواج . ان اسمه لافارج . ليس بالاسم الجميل . (شارل) لا باس به . ليس جميلا ولا قبيحا . مظهره متوحش ولكن به طيبة . اسنانه جميلة ليأكلنى بها . سمعته طيبة ، املاكه في مقاطعة ليموزين على بعد مائة وخمسين كيلومترا من باريس . قصره جميل بقدر ما استطيع ان احكم من الرسومات التى ارانيها .. ثم هو يعبدنى وهذا يلذ لى » .

★ ★ ★

ولكن ـ مع الاسف ـ ان قصر شارل لافارج ليس الا بناء كبيرا باردا ، في وسط حزين ، متطرف ورطب . وكان هذا اول زوال للغشاوة عن عينيها ، بعد رحلة عسل قضت على احلامها . ان زوجها يحبها ـ ما في ذلك شك ـ .. ولكن بعنف . فما كادا يصلان عند اول مرحلة في الطريق ، وبينما هى في الحمام ، اذا بطرقات شديدة تهز الباب وصوت امر ـ صوت الزوج ـ يطلب منها ان تتعجل فهو لا يدرك ما خجل الباريزية الشابة . واضاعت مارى بعض الوقت في ارتداء ملابسها . فاذا به يصيح ويهدد ويكاد يشتم .

★ ★ ★

واستراح الزوجان مرة ثانية عند بعض اقرباء الزوج . كانت نكاتهم وضحكاتهم العالية وتلميحاتهم المكشوفة سببا في مضايقة مارى وازالة احلامها . ولما وصلت الى القصر (؟) كان المطر يطرق زجاج النوافذ بشدة ويسيل على الجدران ، والاثاث عادى والكراسى عرجاء والستائر ممزقة والطريق مقفر واصوات طيور الليل تزعج .

وانهارت اعصاب مارى فكتبت خطاب ١٥ اغسطس . خطاب مجنون كان اساس التهمة فيما بعد . انه خطاب فظيع بلا شك .

« شارل . اننى اطلب عفوك جاثية على ركبتى . لقد غششتك بطريقة دنيئة . اننى لا احبك بل احب شخصا غيرك . يا الهى . لشد ما تألمت . دعنى ـ انت الذى اقدرك ـ اموت ، قل لى موتى وانا اغفر لك وغدا اقتل نفسي .

« ان راسى تنفجر . فهل ستأتى لتشفقنى ؟ استمع الي استمع الي شفقة بى . ان اسمه شارل هو الاخر . انه جميل . انه نبيل . لقد نشا بجوارى واحب بعضنا بعضا منذ ان عرفنا الحب . ومنذ عام اختطفت امراة اخرى قلبه منى



واحسست انني لن اعيش واردت من باب النكاية ان اتزوج . ورأيتك وكنت اجهل اسرار الحياة الزوجية . واحسست بالسعادة حين وضعت يدك في يدي . ولسوء الحظ اعتقدت ان كل ما سينالني منك قبلة على الجبين وانك ستكون لي ابا رحيما.

« فهل تدرك مقدار ما تألمت ؟ هل تدرك انك ان لم تنقذني فلا بد ان اموت ؟ »

★ ★ ★

ويحسن بنا ان نذكر من الان انه لا شيء في هذه الاعترافات الحزينة يمثل الحقيقة . فان ماري كابيل لم يسبق ان احبت احدا او احبها احد . ومع ذلك كانت تعلم حق العلم من قراءاتها ومن حياة الحرية التي عاشتها — في باريس — كل ما تدعي انكاره من اسرار الزواج .

والحقيقة انها كاتبة واسعة الخيال وخطابها رواية من نسجها .

واستمرت في خطابها تقول :

« سأعترف لك بكل شيء انني احترمك .

ولكن العادات والتربية اقاما بيننا حاجزا ليس من السهل تخطيه . انه جاء يتبعني الى هنا وقد رايته . وسوف ارتكب الخطيئة رغما عني . فانقذني منك ومنه . اذا سمحت فساسافر الى بوردو ومنها الى ازمير واعيش من عملي ، واترك لك كل ثروتي فانك تستحقها وارجو ان تنميها لك . ولا تذكر لاحد اين انا . واذا اردت اترك ملابسي على احد المرتفعات واعتبر انه لم يعد لي وجود . وان شئت اتناول انا الزرنيخ فان لدي كمية منه » .

يقول مؤيدو التهمة . يا له من تنبؤ صادق . انها لم تتناول الزرنيخ ولكنها ناولته .

وتنهي هذا الخطاب اللامعقول بما يزيد في لامعقوليته .

« لو لم اكن احبه اكثر من الحياة لربما كنت احببتك بمقدار احترامي لك . ولكن من وقت ان علمت انني ساكون لك شيئا اخر غير اخت اقسمت ان اموت . اخذت كمية من الزرنيخ ولكنها لم تكن قاتلة . وكل شيء الان متوقف عليك . كن الملاك الحارس لليتيمة المسكينة او اقتلها او قل لها تقتل نفسها »

انه هوس . مجرد هوس كل ما يستنتج منه ان ماري لن تستطيع ان تعيش في قصر حزين كقصر لافارج مع شخص لم تخلق له ولم يخلق لها بينما لافارج الذي لم يعتد في تجاربه الريفية مثل هذه التعبيرات الغرامية اعتقد انها ازمة طارئة لن يلبث الزمن ان يطفيء جذوتها .

★ ★ ★

ويوم مات لافارج اخطرت امه النيابة وطردت من تلقاء نفسها ماري من منزل الزوجية واشترك جميع اعضاء اسرة لافارج في اتهام ماري بقتله الا ابنة عم واحدة ظلت تؤمن ببراءة ماري .

★ ★ ★

وحين قدمت القضية لمحكمة الجنايات كان النائب العام المترافع متحاملا على الزوجة وجرى بينهما الحوار الاتي :

س ـ في ديسمبر الماضي بمجرد ان بدأ زوجك ياكل من الفطيرة وجد لها طعما منفرا ورماها .

ج ـ لو انه ظن ان بها سما لما رماها بل لارسلها للتحليل .

س ـ ولكن الثابت انه تقايأ وبقي متعبا طوال الليل ؟

ج ـ اي واحد منا يا سعادة النائب لم يتقايا بعد اكلة سببت له عسر هضم وان لم يكن بها سم ؟

س ـ ان هذا القيء كان مصحوبا بمغص شديد يثبت التسمم بالزرنيخ .

ج ـ انا لا اعرف مظاهر التسمم بالزرنيخ ولكن زوجي لم يكن متعبا الى هذه الدرجة بدليل انه بقي بباريس اسبوعين تولى فيهما اعماله .

س ـ انني مضطر ان الاحظ انه اوى الى سريره بمجرد عودته وساءت حالته بسرعة .

ج ـ ولماذا لا تلاحظ يا سيدي ان احدا من الاطباء الذين عالجوه طوال هذه الاحد عشر يوما الفظيعة لم يشخص اي نوع من التسمم ؟ لا طبيب العائلة ـ الدكتور باردون طبيب زوجي من قبل الزواج ـ فقد عالجه من مرض في الزور . والدكتور ماسينا الذي استدعي في ١٠ يناير شخصها قرحة في المعدة . والدكتور بوشيه لاحظ علامات غريبة ولكنه لم يقل ابدا انها تسمم .

واغتاظ النائب العام وجلس ثم هب واقفا وقال « ولكن الدكتور ليسبيناس اكد انها حالة تسمم »

وقالت ماري « هذا حق . ولكن كان يجب عليك امانة ان تقول ان الدكتور ليسبيناس ـ الذي لا اشك في امانته وحسن نيته ـ انما طلبه واستقبله المستر دينيس خادم زوجي الذي كان يكرهني والذي كان يحسن بالعدالة ـ في رايي ـ ان تبحث دوره الحقيقي في هذه المأساة .

س ـ ماذا تقصدين ؟

ج ـ الامر بديهي .

س ـ اذا كان دينيس يكرهك فلماذا كلفته بان يشتري لك الزرنيخ ؟

ج ـ ايه يا سيدي . هل لو كان هذا السم لقتل زوجي هل كنت اكلفه بشرائه ؟ انني اكون اذا في منتهى الغفلة .

س ـ وهذا الزرنيخ ما قولك عنه ؟

ج ـ لقد زعم المحقق انني حصلت على كمية هائلة منه . هائلة ؟ كان هذا تعبيره ولا ادرى ان كان يمكن ان توصف بانها هائلة كمية لم تصل الى مائة جرام ؟

النائب العام ـ انها تكفى لقتل عشرين شخصا بكل بساطة .

ماري ـ وهذا يثبت انني لم اشترها لقتل شخص واحد . وهذا الزرنيخ . هل اشتريته في السر ؟ وهو ما كنت افعله لو كنت انتوى ارتكاب جريمة ؟ لقد طلبت تذكرة من الدكتور باردون بحضور حماتي واخت زوجي وطلبت تذكرة اخرى يوم ١٠ يناير وارسلت دينيس على مسمع ومرأى من الجميع ولم يدهش ذلك احدا .

س ـ اكان عندكم كثير من الفيران ؟

ج ـ نعم وكانت تقلق منام زوجي .

س ـ لماذا عندما ارسلت الفطيرة لزوجك طلبت منه ان ياكلها بمجرد استلامها ؟

ج ـ حتى لا تفقد طراوتها فالمسافة طويلة من هنا لباريس . ولو انني وضعت فيها سما اكنت اطلب منه ان ياكلها مع اختي ان استطاع ان يتصل بها ؟ هل تتهمني ايضا بانني اردت قتل اختي ؟

س ـ انك تدافعين عن نفسك بمهارة . وانا لا اشك في ذكائك .

ج ـ ليتك تؤمن بأمانتي .

س ـ وما ردك على اقوال الآنسة برون التي رأتك ترشين بدرة بيضاء في اللبن الذى كنت تعدينه لزوجك ؟

ج ـ افهم الاهمية التي قد تعلقها على هذه الشهادة لو كنت تعتقد في جديتها . ان الآنسة برون فتاة رأتني ارش البدرة على اللبن فتصورت نفسها في البندقية او فلورنسا ايام السموم التي اشتهرت بها اسرة بورجيا . الم يخطر لها انني لو كنت ازمع قتل زوجي لما رششت الزرنيخ في المطبخ حيث الحركة مستمرة وكنت افعل ذلك في غرفة النوم حيث لا احد يراني . ان الذى وضعته في اللبن بدرة صمغ لتخفيفه .

س ـ ان لديك جوابا لكل شيء .

ج ـ طبعا لانكم تتهمونني في كل شيء .

واستمرت المحاورة ستة عشر يوما والاتهام لا يتقدم خطوة بل على العكس . وماري تدافع عن نفسها بمهارة ومحاميها ـ بايبه ـ شيخ المحامين ـ يقوى من دفاعها ، اين الباعث يا سيدى النائب العام ؟ فما من جريمة الا ولها باعث . ويرد النائب العام « ان ماري لم تكن تحب زوجها » .

ويرد المحامي « يا لجرأتك يا سيدى النائب . استطيع ان تحكم على اسرار القلوب لتعرف من يحب ومن لا يحب . ان عمالقة الطب الذين كلفوا بفحص احشاء المتوفى اختلفوا . وهل كل زوجة لا تحب زوجها ـ جدلا ـ تدس له السم ؟ اذا لخلت الصيدليات من السم .

لقد اخرجت جثة لافارج لتشريحها مرة اخيرة فوجدت في حالة تحلل تام . والمعروف ان الزرنيخ يحافظ على الجثث ولا يحللها .

واراد النائب ان يجد الباعث في الوصية . وقال المحامي ان الوصية كانت مزدوجة . والزوج هو الذى كان مرتبكا ماليا . والمتهمة سلمت كامل اموالها للزوج . وحتى بعد وفاته تعهدت لاحد الدائنين بسداد ديون كان مصنع الزوج معرضا للاغلاق بسببها .

ومع ذلك صدر الحكم بالادانة . لماذا ؟ ذلك ان المحلفين وكلهم من الريفيين حقدوا عليها جمالها وثقافتها وذكاءها الوقاد فاعتبروها مذنبة ولو كانت عقيدتهم ثابتة في انها سمت زوجها لما منحوها الظروف المخففة التي لا محل لها الا تسرب الشك في عقيدة بعضهم .. او كلهم .

والآن وبعد اكثر من مائة سنة لا نستطيع تصور اثر هذا الحكم . فقد انقسمت فرنسا قسمين ـ كما فعلت ايام قضية دريفوس ـ وكان البرنس لويس بونابارت من انصار البراءة بدليل انه عفا عنها بمجرد توليه حكم فرنسا سنة ١٨٥٢ . ■■

حسن الجداوي

طرائف غريبة

الحكم الذاتي وشياطين جهنم !

● لويد جورج Lloyd Georga ،رئيس وزراء بريطانيا الاسبق (١٨٦٣ ـ ١٩٤٥) ، الرجل الذي استطاع بفضل ما كان يتمتع به من قوة الشخصية ونفاذ الراي ان يساهم في انزال الهزيمة بالمانيا في الحرب العالمية الاولى ، يروى عنه انه جلس يوما عندما كان رئيسا لحزب الاحرار البريطاني في مجلس العموم يشترك في مناقشة عن الحكم الذاتي . وطالت المناقشة حتى غلب النعاس الكثيرين من نواب الحكومة والمعارضة التي كان هو احد زعمائها .

واخيرا فوجيء المجلس بالسيد لويدجورج يقفز من مقعده ويقول في صوت اقرب ما يكون الى الصياح .

« ولماذا تنكرون على الشعوب حقها في حكم نفسها بنفسها .. انني اطالب بمنح الحكم الذاتي لايرلندا ، والحكم الذاتي لاسكتلنده ولمقاطعة ويلز ، بل انني اطالب بالحكم الذاتي لانجلترا نفسها .. فقد ثبت لي بعد الذي شاهدته اليوم من مناقشاتكم واحاديثكم الملتوية انكم لا تمثلون الشعب الانجليزي ! »

وهنا وقف احد نواب الحكومة، وقال في غضب تشوبه السخرية : « ان مستر جورج بدا في حديثه ، كما لو كان يريد منا ان نمنح الشياطين في جهنم ، الحكم الذاتي ايضا !! »

وصفق المجلس طويلا لصوت الحكومة، وتوقعوا ان ينسحب لويد جورج متخاذلا .. ولكنهم ما لبثوا ان فوجئوا به يقهقه بصوت عال ، ثم نظر الى حيث كان يقف نائب الحكومة ، وقال في سخرية لاذعة : « لم اكن أعلم ان هناك دولة للشياطين على هذه الارض .. على اية حال ليس غريبا ان يتحدث المرء عن البلد الذي ينتمي اليه .. ان الفرق واضح بيننا فانا رجل انجليزي .. اما انت فلابد وان تكون شيطانا نزل الينا من جهنم ! »





صفات ومبادىء كان الرئيس نيكسون يعجب بها ويؤمن

● ريتشارد نيكسون الرئيس الامريكى الحالى، الرجل الذى فشل حتى الآن في ان يرسم صورة واضحة للسياسة الامريكية في مناطق الازمات من العالم،هذا الرجل وقف في يوم ٣٠ مارس ١٩٦٩، يلقى كلمة تحية الى صديقه الراحل الرئيس الامريكى الاسبق دوايت ايزنهاور ، قال نيكسون:

لقد مس ايزنهاور شيئا اساسيا في الولايات المتحدة .. شيئا لا يستطيع سوى رجل يتمتع بقدرة ذهنية وروحية هائلة ان يعيد اليه الحياة بمثل هذه القوة الدافقة ..

« لقد كان ايزنهاور يقف في صفوف العظماء الذين دخلوا التاريخ ، ولكنه كان يؤمن بان هؤلاء العظماء هم بشر اولا . كان يقف في مقدمة الصفوف ، ولكنه كان يعلم ان القائد العظيم ، هو الذى يؤمن بالديمقراطية والحرية كحقائق حية لا مجرد شعارات .

« لم يكن غريبا ان يصبح القائد الذى قاد قوات الحلفاء الى النصر في الحرب العالمية الثانية ، داعية للسلام في كل مكان على الارض .. لقد كان سعيه الى السلام هو هدفه الاسمى في الحياة ، وهو الذى عاش ويلات الحرب ..

« لقد نعمت الولايات المتحدة في عهده بفترة سلام لم تشهد لها مثيلا في الداخل وفي الخارج على السواء !

« ان عظمة ايزنهاور لم تكن مستمدة من الكرسي الذى جلس عليه طوال فترة رئاسته لامريكا من عام ١٩٥٣ حتى عام ١٩٦٠ ، ولكن عظمة الرجل كانت مستمدة دائما من الشعوب .. الشعوب في كل مكان خارج حدود امريكا ! » .

ترى اين الرئيس نيكسون اليوم بعد ان قضى ثلاثة اعوام في الحكم ، من هذه المثل والمبادىء التى قال انه كان يقدسها في صديقه واستاذه الراحل * ..

* كان نيكسون نائبا للرئيس الامريكى ايزنهاور طوال فترة حكمه من ١٩٥٣ حتى عام ١٩٦٠ .

ديموقراطية قائد

● الفيلد مارشال مونتجومرى قائد القوات البريطانية التي خاضت معركة العلمين الشهيرة فى الحرب العالمية الثانية، اشتهر بين جنوده بعطفه الشديد على اصحاب الرتب الصغيرة منهم ، وكان يحرص دائما على ان يتجول بين صفوفهم ويزورهم فى خيامهم ومعسكراتهم ، يقف منهم على اسباب شكواهم ، ويبذل كل جهده فى ارضائهم !

حدث يوما ان استدعى الجنرال مونتجومرى الى الجزائر للاجتماع بالجنرال ايزنهاور القائد الاعلى لقوات الحلفاء ، عقب التغييرات الاساسية التي اجراها على خطته الخاصة بغزو جزيرة صقلية .

وفى مطار مدينة الجزائر، كان الجنرال بيدل سميث Bedell Smith ، رئيس هيئة اركان حرب الجنرال ايزنهاور فى استقبال مونتجومرى . وما كاد سميث يمد اليه يده مصافحا ، حتى قال له مونتجومرى : « اعرف انني شخص غير محبوب كثيرا هنا ، اليس كذلك ؟ »

فقال بيدل سميث : « سأنقل لك سرا ، وارجو الا تبوح به لاحد ، لقد حضرت بالأمس اجتماعا خاصا رأسه الجنرال ايزنهاور لبحث خطتك الجديدة بالهجوم على صقلية ، فهل تعرف ماذا قال عنك : « انها ميزة عظيمة ان يعمل الجندى تحت امرتك ، وامر محتمل ان يعمل القائد فى صفك ، ولكنه الجحيم بعينه اذا شاء سوء حظ اى قائد ان يكون رئيسا لك ! »

وقال مونتجومرى : « وماذا ينوى الجنرال ايزنهاور ان يفعل ليخرج من هذا الجحيم ؟ »

فأجاب بيدل سميث : « سوف يترك لك انت رئاسة هذا المؤتمر الذى استدعيت لحضوره ! »

أنت تسأل .. ونحن نجيب

حاملات الطائرات
تعجز الامم الكبرى عن نفقاتها

● سمعنا عن الحركات التي قامت بها حاملة الطائرات الامريكية (انتر برايز) في الايام الاخيرة من الحرب الباكستانية الهندية . وسؤالنا الذي نرجو ان تجيبونا عليه في باب انت تسأل ونحن نجيب هو : كم تملك الولايات المتحدة من هذه الحاملات وكم تملك روسيا .. ؟

ـ زاهي سليم صالح ـ ليبيا .

ـ لايملك الاتحاد السوفياتي اية حاملةللطائرات Attack Aircraft Carriers . فهذه الطائرات العائمة ، او ، ان شئت ، القواعد العسكرية المتنقلة ، تكاد تكون وقفا على الولايات المتحدة الامريكية ، وقد بلغ ما تملكه منها ١٥ حاملة ، موزعة بين اساطيلها الاربعة المنتشرة في محيطات الارض وبحارها .

واول ما يلفت النظر في حاملات الطائرات هذه ضخامتها . فالانتربرايز Enterprise مثلا ، وهي الحاملة التي ذكرتها في سؤالك ، والتي تم بناؤها سنة ١٩٦٢ ، يتسع ظهرها لمائة طائرة ، تضم عددا من طائرات الفانتوم . اما وزن الحاملة فيزيد على ٧٥ الف طن . وهي تسير بالقوة النووية ، وتقدر قوتها باكثر من ٣٠٠,٠٠٠ حصان .

لا عجب اذن ان كان الدور الذى تلعبه حاملات الطائرات دورا خطيرا للغاية . فهي تضيف الى قوة الاسطول البحرية القوة الجوية التي تشكل اكبر تهديد لها . وهذا يعني ان الاساطيل التي تشمل الحاملات ليست هدفا سهلا لطائرات العدو . اذ لا تكاد هذه الطائرات تظهر على شاشة الرادار حتى تتصدى لها الطائرات الجاثمة على ظهر الحاملات . وهذا يعنى ايضا ان الاساطيل التي





لا تشمل حاملات للطائرات ، ولا تتمع بالتالي بغطاء جوى ، لا تستطيع الدخول في مجابهة مباشرة ، وفي عرض البحر ، مع الاساطيل التي تشمل الحاملات .

اضف الى ذلك ان الاساطيل المجهزة بحاملات للطائرات تكون في الغالب مجهزة بسفن حربية اخرى مختلفة تلتحق بالحاملات ، وتشكل معها وحدة متكاملة الاجزاء يسمونها القوة الضاربة Task Force. وتشمل سفن هذه القوة ، فيما تشمل ، سفنا حربية مختلفة بالاضافة الى سفن التموين والوقود وبالاضافة ايضا الى السفن التي تحمل جنود البحرية Marines ، وغير ذلك . اما الاغراض التي تستهدفها فهي ، كما لا يخفى ، احتلال الشواطىء التي تصدر لها الاوامر باحتلالها.

ومن هنا كان التمييز بين الاساطيل الهجومية ، وهي التي تشمل حاملات الطائرات، وبين الاساطيل الدفاعية وهي التي لا تشمل مثل هذه الحاملات .

ولعل لأثمان حاملات الطائرات ونفقاتها الباهظة صلة بوجودها لدى بعض الدول وعدم وجودها لدى البعض الاخر . فثمن الحاملة الواحدة يبلغ في المتوسط نحو ٢٢٠ مليون جنيه استرليني . اما نفقاتها ، وتكاليف صيانتها ، وصيانة الطائرات التي تحملها ، وما الى ذلك من نفقات ، فتبلغ بمجموعها نحو ٧٥٠ مليون جنيه استرليني سنويا للحاملة الواحدة . (ذكرت هذه الارقام في صحيفة الصنداي تايمز اللندنية) .

وقد تكون ضخامة هذه النفقات من بين الاسباب التي حدت بالولايات المتحدة الامريكية قبل حين الى التفكير في الاستغناء عن عدد من حاملاتها .

وتجدر الاشارة بعد هذا الى ان فرنسا تملك حاملتين للطائرات وان بريطانيا لا تملك الا حاملة واحدة . هذا وقد اشارت التقارير مؤخرا الى ان الاتحاد السوفياتي ماض في بناء حاملة للطائرات على شواطىء البحر الاسود . ولو ثبتت هذه التقارير لكانت دليلا على تحول جذري في الاستراتيجية السوفيتية البحرية .

ولم نشر في كلمتنا هذه الى حاملات طائرات الهليوكبتر ، وما يوجد لدى روسيا منها . فهذه تختلف اختلافا كبيرا عن الحاملات التي تحدثنا عنها . وتملك منها روسيا اثنتين . اما الولايات المتحدة فتملك عشرا .

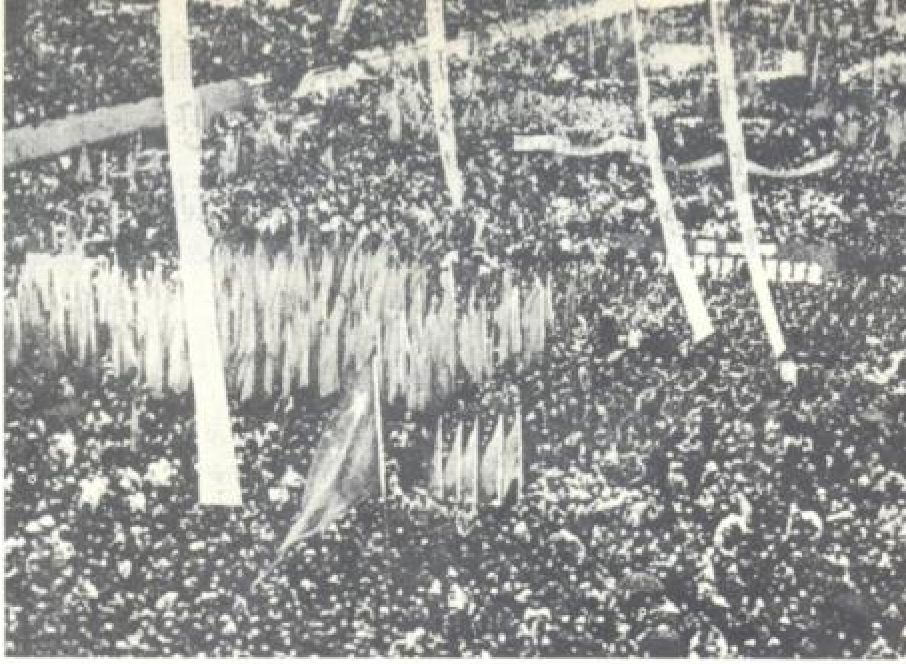
(ى. ز)

« الثورة الثقافية » في الصين
بدأت بالفوضى وانتهت بتحقيق اهداف « ماو » كاملة

● ما المقصود « بالثورة الثقافية » التي حدثت في الصين ؟ وما هي اهدافها ونتائجها ؟

طلال سليم ابي جعفر
محافظة الانبار/العراق

— في يناير عام ١٩٦٥ اعلن ماوتسي تونغ زعيم الصين الشعبية تكوين لجنة مكونة من خمسة أشخاص تحت رياسة أحد كبار رجال الحزب الشيوعي في بكين وهو بنغ شن Peng Chen وأطلق عليها اسم « مجموعة الثورة الثقافية » وتم تكليف هذه المجموعة بوضع خطة تصحيح جديدة لمواجهة خطر المرتدين خاصة داخل الحزب الشيوعي الصيني وبين المثقفين . وكانت هذه هي بداية الثورة الثقافية الفعلية في الصين ، ولكن نشاط هذه المجموعة جمد بسبب ظروف الخلاف بين زعماء الحزب الشيوعي الصيني بسبب بعض شئون السياسة الخارجية . وفي سبتمبر ١٩٦٥ أعلن ماوتسي تونغ ، في اجتماع المكتب السياسي للحزب الشيوعي الصيني ، بداية



الصراع من أجل القضاء على التفكير البرجوازي الرجعي وبدأت عجلات الثورة الثقافية تدور ويحركها ماوتسي تونج نفسه ، وفي عام ١٩٦٦ بدأت زوجة ماو وهي « شيانج شنج » تدخل الى ميدان الثورة الثقافية وتم اعطاء وزير الدفاع ، في ذلك الوقت ، لين بياو Lin Piao سلطات واسعة وبعدها أعلن أنه قد تم منح الجيش الصيني دورا سياسيا جديدا وانه هو الأداة التي اختارها ماو لتنفيذ الحركة الثورية العظمى التي ستشهدها البلاد .

وفي ابريل عام ١٩٦٦ بدأت الحملات الصحفية والطلابية على المرتدين من داخل الحزب وبدأت حركة التصفية بين الكوادر العليا للحزب الشيوعي الصيني .

وفي ١٦ يوليو عام ١٩٦٦ قام ماو بسباحته المشهورة لمسافة ٩ أميال في نهر يانجتسي وكان قد اختفى عن الظهور للشعب لمدة ٦ شهور ترددت فيها الكثير من الشائعات عن حالته الصحية ، ولكن قيامه بهذه السباحة قضى على كل الاشاعات. وتولى ماو بعد ذلك بنفسه الاشراف على الثورة الثقافية ، وفي اجتماع اللجنة المركزية تم ابعاد ليوتشاوتشي وكان يعتبر خليفة ماو ، وكذلك تنج هسيانج وهو رئيس سكرتارية الحزب . وبدأت الثورة الثقافية تتخذ شكل المواكب والاستعراضات والمظاهرات واشترك فيها ٥٠ مليونا من الحرس الاحمر الذي ضم الشباب والفتيات وحتى بعض الطلبة الذين لا تصل سنهم الى الرابعة عشرة . وانقلبت الصين راسا على عقب وانخفض معدل الانتاج الصناعي والزراعي . ولكن في نفس الوقت تحطمت بيروقراطية الحزب ونشأت ايديولوجية جديدة تنافس الايديولوجية السوفيتية. وتم وضع أسس مجتمع تكنى تسوده المساواة وهو مجتمع لا يصبح فيه الرقي الاجتماعي قائما الا على اختلاف القدرات التكنية أو نوعها . وهو كما وصفه الصينيون أنفسهم مجتمع تكنوقراطي يتكون من الكوادر المتعددة النوعيات للجماهير العمالية حيث يكون « الضروري » في متناول الجميع ولا يتمتع أحد « بالكمال » على الاطلاق .

وبعد أن حقق ماو غرضه ، رأى أن الفوضى قد عمت وخاصة بعد ما حدث في شنغهاي واستيلاء ٣٢ منظمة من الحرس الاحمر على كل السلطات في المدينة . وفي يناير ١٩٦٧ بدأ ماو يستعين بالجيش لوضع حد للفوضى .

وفي عام ١٩٦٨ بدأت عملية تطهير في الجيش بعد ان قوي نفوذه وكان الحزب الشيوعي مضعضعا نتيجة ما حدث للكثير من أعضائه الذين يحتلون مناصب رئيسية فيه .

وفي منتصف عام ١٩٦٨ تم اعادة تنظيم الحزب الشيوعي . وانتهت فوضى الحرس الاحمر مع استمرار بقائه . وعاد الانتاج كما كان .

(م. ط)

نزاهـــة التوزيع لجائزة نوبل

● هل تعتقدون ان توزيع جوائز نوبل يتم بنزاهة .. وان كان هذا رأيكم فكيف تفسرون فوز الدول الكبرى بنصيب الاســد مــن هذه الجوائز ..

ـ احمد عبد الفتاح الفحام ـ الزقازيق ـ ج٠م٠ع

ـ ليس صحيحا ان الدول الكبرى تفوز بنصيب الاسد من جوائز نوبل . هذا اذا اخذنا بعين الاعتبار عدد الفائزين بهذه الجوائز ، لا في المدة الاخيرة فحسب ، ولكن طيلة السنوات ال ٧١ التي مضت على المباشرة في منح تلك الجوائز سنــة ١٩٠١ . اضف الى ذلك ان مجموع الفائزين الذي ذكرنا لا يفي بغرض المقارنة السليمة بين الــدول المعنية . فالذي يهمنا هنا ليس مجرد عدد الفائزين بجوائز نوبل ، وانما نسبة عددهم الى مجموع الســكان .

واليك فيما يلي احصائية اقتبسناها لك من دراسة مفصلة اجرتها قبل حين الدكتورة هاريت زوكرمان ، استاذة علم الاجتماع في جامعة كولومبيا الامريكية . وقد رُتبت الدول المعنية في هذه الاحصائية على الاساس النسبي الذي يأخذ بعين الاعتبار عدد الفائزين بجوائز نوبل في كل مليون نسمة من عدد السكان ، وذلك طوال المدة ١٩٠١ ـ ١٩٦٧ . ونجد الى جانب أسماء الدول الثلاث والعشرين النسبة التي ذكرنا ونجد ايضا مجموع عدد الفائزين .

النسبة		المجموع
٢ر١	١ ـ السويد	٩
٢ر١	٢ ـ سويسرة	٧
١ر١	٣ ـ الدانمرك	٥
٩٧ر٠	٤ ـ النمسا	٧
٨٦ر٠	٥ ـ المملكة المتحدة	٤٧
٧٣ر٠	٦ ـ هولندة	٩
٦٠ر٠	٧ ـ المانيا	٤٦
٤٤ر٠	٨ ـ الولايات المتحدة	٧٤
٤٠ر٠	٩ ـ فرنسا	٢٠
٣٥ر٠	١٠ ـ ايرلندة	١
٣٠ر٠	١١ ـ هنغاريا	٣
٢٠ر٠	١٢ ـ بلجيكا	٢
٢٠ر٠	١٣ ـ فنلندة	١
١٧ر٠	١٤ ـ استراليا	٢
١١ر٠	١٥ ـ البرتغال	١
١٠ر٠	١٦ ـ كندا	٢
٠٩ر٠	١٧ ـ ايطاليا	٥
٠٧ر٠	١٨ ـ تشيكوسلوفاكيا	١
٠٥ر٠	١٩ ـ الارجنتين	١
٠٤ر٠	٢٠ ـ الاتحاد السوفيتي	٩
٠٣ر٠	٢١ ـ اسبانيا	١
٠٠٣ر٠	٢٢ ـ الصين	٢
٠٠٢ر٠	٢٣ ـ الهند	١

وهكذا ترى ان الدول الصغرى ، امثال السويد وسويسره والدانمرك والنمسا هي التي تأتي في الطليعة ، في حين تأتي الولايات المتحدة الامريكية في المرتبة الثامنة ، والاتحاد السوفياتي في المرتبة العشرين .

اضف الى ذلك ان اختيار الفائزين بجوائز نوبل انما يعتمد على الترشيحات التي تقدمها هيئات مختصة محايدة لا علاقة لها بمؤسســة نوبل Nobel Foundation .وقد مضت السنوات السبعون الماضية دون أن تتعرض تلك الترشيحات او الهيئات التي تقوم بها لنقد أو طعن يذكر . بل على العكس كانت جوائز نوبل باعثا على فخر جميع الدول التي يظفر مواطنوها منها بنصيب . (ى ٠ ز)



الحب الافلاطوني

● جمعنا مجلس ضم بعض أهل الفكر ، وتطرق الحديث الى الحب ، ولكن أحد الحاضرين ما لبث أن وقف متحمسا لنوع آخر غير هذا الحب المألوف بين الجنسين كنا قد قرأنا كثيرا عنه ، ولكننا لم نفهم شيئا عن أصله وطبيعته ، الا وهو «الحب الافلاطوني» . هل صحيح ان هناك حبا روحانيا لا يؤمن بالجنس ، افيدونا افادكم الله

حمدي عيسى ـ الاردن .

ـ الحب أقوى رابطة جمعت بين الجنسين ، انسانا كان ام حيوانا ، حتى بين اضعف وابسط انواع الحشرات ، وهي رابطة وجدت منذ أن قامت حياة على هذه الارض .. فالحب هو الجنس ، وهو النسل ، وهو استمرار الحياة ..

اما هذا الحب الافلاطوني او الحب العذري ، كما شاء للبعض ان يسموه ، نسبة الى قبيلة بني عذرة التي تغزل شعراؤها في الحب الروحاني ، فهو ظاهرة لا يمكن ان ننكر وجودها في مجتمعنا الحاضر والماضي على السواء .. وقد نسبوه الى الفيلسوف افلاطون ، لانه نادى به وآمن بوجوده ، ولو انه عاد بعد ذلك في كتابه « الجمهورية » The Republic يتنصل من نظرته هذه الى الحب الذي ظل ينسب اليه عبر القرون ، ويعلن ايمانه بالحب الجنسي بل ويتحمس للاباحية المطلقة .

وقد يتساءل سائل : « هل ناقض افلاطون نفسه ؟ » .

والجواب لا ، فهو لم يناقض نفسه ، ولكن الذي حدث ان الفيلسوف الكبير ، قد عرف في وقت ما من سني شبابه المبكر ، هذا الحب ، وهو شعور ينتاب بعض الشباب في سن المراهقة ، ويجدون فيه متنفسا عما يعتمل في نفوسهم من كبت .. يرى الشاب فتاة جميلة ، فيحبها ، ويكتفي بحبه لها ، بالنظرة ولو من بعيد ، ويعود الى بيته قانعا راضيا بما رأى وبما استمتع به من جمال لمحاسن وجهها فيسترسل في احلامه مرددا قول الشاعر :

ما في العاشقين احسن مني
انا اكتفي بنظرة من بعيد

ولكن الحب الذي نعرفه يا بني ، هو العاطفة التي تربط بين كل رجل وامرأة وهو اساس الحياة وما تأتي به هذه الحياة ، فالحب الطبيعي او الحب المألوف كما ذكرت في سؤالك ، هو اقدس واعظم عاطفة عرفتها البشرية .. فهو الجنس ، عملية الخلق والنماء ، في ظل الله .

(م. ن)

المأكولات المعلبة في وطننا العربي

● درج الناس في هذه الايام على شراء المواد الغذائية المعلبة بدلا من الطازجة .. وحيثما ذهبنا نجد في الاسواق مواد معلبة اجنبية وعربية .. فما مدى تقدم هذه الصناعة في وطننا العربي ؟

عبد العزيز العمران ـ العمارة/العراق

ـ ما من شك ان هناك صناعة للتعليب قائمة بالفعل في بعض البلاد العربية منذ فترة طويلة .. وفي عام ١٩٧١ أصدر مركز التنمية الصناعية للدول العربية ، دراسة مختصرة عن صناعة حفظ الاغذية بالتعليب ، وفي هذه الدراسة نلحظ مقدار فقر بلادنا الى الاحصائيات الجادة ، ففي هذه الدراسة التي قام بها مركز تابع لجامعة الدول العربية ، نجد بعض احصائياته ترجع الى عام ١٩٦٤ كما نراه يتحدث عن انتاج مصنع للتعليب مقام في مدينة الخليل !! ومرة يذكر الاسعار بالعملة المحلية ، ومرة لا يذكرها .. ومن المؤسف انه لا حيلة لنا الا الاعتماد على هذه الدراسة لنعطيك الرد على سؤالك ، تقول الدراسة :

« ما زال هناك الكثير للارتقاء بصناعة التعليب في وطننا العربي سواء من حيث الكم او من حيث الجودة » .

« ونظرة واحدة على خريطة الوطن العربي ، تجعلنا ندرك ان هناك دولا وبلادا عربية غنية



بثرواتها الزراعية والحيوانية والسمكية ، تلك المواد التي هي خامات التعليب ، مما يجعل أمام هذه الدول فرصة كبيرة لقيام صناعة حفظ الاغذية بالتعليب ، وخاصة أن بجانبها دولا عربية فقيرة ، معدومة الزراعة والحيوانات ، وهذه الدول الفقيرة يمكن ان تصبح سوقا مستهلكة لمنتجات البلاد الغنية بثرواتها الزراعية والحيوانية .. »

ثم تتحدث الدراسة عن وضع صناعة التعليب في بعض البلدان العربية فتقول :

تشتمل صناعة المعلبات في جمهورية مصر العربية على المنتجات الآتية : الطماطم ـ العصير والشربات ـ المربى والمرملاد ـ الخضراوات المختلفة ـ المخللات ـ البقوليات (الفول والبازلاء) ـ الاسماك .. واكثر الاصناف التي لاقت رواجا كبيرا في الاسواق المحلية والاجنبية على السواء ، هي عصير المانجو والبرتقال والجوافة . وفي عام ١٩٦٨ بلغ انتاج مصر من المواد المعلبة ١١٢٥٦ طنا .

اما في المغرب ، حيث تنتشر زراعة الفاكهة والخضراوات في مساحات شاسعة ، وحيث الثروة السمكية الهائلة ، نجد ان صناعة التعليب قد تطورت تطورا سريعا جدا وقد بلغت كمية الانتاج من المربيات والفواكه المعلبة ٢٠ الف طن ، والخضار المعلب ٢٩ الف طن ، بينما بلغ انتاج الاسماك المعلبة ٢٢١٢٠٠٠ كرتونة (كذا في الاصل) هذا بالاضافة الى ١٥ الف طن من الزيتون المعلب . وهذه الارقام عن عام ١٩٦٧ .

اما في لبنان فصناعة التعليب تأخذ اشكالا عديدة منها : تعليب مواد مطبوخة كاملة ، مثل الحمص بطحينة والمتبل (اى باذنجان مع طحينة وليمون) الى جانب المنتجات الاخرى . وقد بلغ انتاج لبنان من المربيات المختلفة ٨٢٨ طنا ، ومن معلبات الخضار المحفوظة ٨٠٣ أطنان ، ومن صلصة الطماطم ٨٢٦ طنا ومن الحبوب المعلبة (حمص وفول) : ٣١١ طنا ، وهذه الارقام عن عام ١٩٦٩ .

اما في الجمهورية السورية فتحتل الصناعات الغذائية المرتبة الثالثة بعد صناعة الغزل والنسيج وتكرير البترول ، وبلغت كمية الانتاج من مختلف انواع المعلبات ١٥٣٦ طن ، بلغت قيمتها ٢٫٤٩٢٫٠٠٠ ليرة سورية خلال عام ١٩٦٩ ومن المزمع انشاء ٥ مصانع للتعليب خلال الخطة الخمسية الثالثة .

وفي الاردن توجد ثلاث مؤسسات لحفظ الاغذية في المعلبات ، بلغ قيمة انتاجها ١٨٣٠٠٠ دينار في عام ١٩٦٨ .

وفي جمهورية السودان بدأت صناعة المعلبات تطل برأسها ، واول مصنع اقيم لتعليب الخضر والفاكهة كان في بلدة كريمة عام ١٩٦٢ وفي عام ١٩٦٧ اقيم مصنع لتعليب الخضر والفاكهة في مدينة واو .. وامكانيات صناعات التعليب امامها فرصة كبيرة للازدهار في السودان ، لتوفر المواد الخام اللازمة ، سواء كانت زراعية او حيوانية .

وفي العراق ازدادت اهمية صناعة حفظ المأكولات بالتعليب ، وفي كربلاء مصنع طاقته الانتاجية ١٥٠٠٠٠٠٠ علبة لتعليب المربيات والفواكه والمخللات ، ومن المتوقع لهذه الصناعة ازدهارا كبيرا في العراق . وقد بلغت قيمة الانتاج الاجمالي من المعلبات في العراق ٢١١٦٦٦ دينارا في عام ١٩٧٠ .

اما في تونس فان صناعة المعلبات اخذت دورا كبيرا ، وخاصة في تعليب الاسماك التي بلغت كمياتها حوالي ٦٠٠٠ طن ، والى جانبها انتجت مصانع تعليب صلصة الطماطم ١١٠٠٠ طن بالاضافة الى ٩٠٠٠ طن من الفواكه المعلبة (احصاء ١٩٦٤) .

واذا القينا نظرة على الدول المستهلكة التي ليس فيها ثروة زراعية او حيوانية ، نجد ان الكويت تستهلك سنويا حوالي ٣٢٠٠ طن من معجون الطماطم ، وتستورد حوالي ٥ مليون علبة من المأكولات المحفوظة ، تستوردها من مختلف دول العالم . ■■

(س . ز)

حُبِّي أَنَا..

بقلم : الدكتور حسان حتحوت

■ وَقَفَ السَّعْدُ ببابِكْ وتهادَى في رِكابِكْ
وحَباكِ الله سِرَّ الحُسْنِ تاجاً فزها بك
يا ملاكي جَلَّ مَنْ لي من ذُرَى الخُلْدِ أتى بك
ضَمَّنا الرحمن من بَعْدِ اغترابي واغترابك
ساقنا أهلاً لأهل ورأى بي ما رأى بك
زفّنا مجداً لمجد فحباك وحبا بك

★ ★ ★

يا مَدَى حُبِّي تحياتٌ مِلاحٌ كشبابك
أكتب الحبَّ وذَوْبُ القلبِ يجري في كتابك
أنا في خَلْقٍ قشور لا أرى غير لبابك
وأنا ان جَفَّ لِيَ الدَّهْرُ رَوِيٌّ في رحابك

★ ★ ★

أيها الدهر(١) لقد أوغلتَ في هَجْرِ صوابك
تحسَبُ الكُلَّ عبيداً لك يا سوءَ حسابك
اختلفنا أيها الدهر فما بي غيرُ ما بك
فتعاتَبْنَا وغيري من يُبَالي بعتابك
فتحدَّيتَ فماذا أيها الدهر حَدَا بك

---

(١) المقصود أهل الدهر وحالهم .



فتحاربنا فما أجدت كليلات حرابك
أنا يا دهر اذا كشرت .. لي ناب كنابك
وأنا ان سقت لي الخيل .. مكر بسنابك
أنا غلابك يا دهر وغلاب صعابك
أنا خواض عبابك ووطاء ترابك
أنا صيادك يا دهر وحصاد رقابك
أنا هذا أيها الدهر .. فماذا في جرابك ؟

★ ★ ★

أيها الدهر اختلفنا أنت أولى بصحابك
فاجعل الدنيا وما فيها عظاما لكلابك
غر غيري بسرابك واسق غيري من شرابك
الغنى الصادق بالأخلاق والايمان لا بك

★ ★ ★

حبة القلب وأشعاري قطر من سحابك
أنت فيها الوحي والملهم من خلف حجابك
قربة لله في يوم حسابي وحسابك
حسبك اليوم وحسبي أنها بعض ثوابك ■■

حسان حتحوت

أنباء الطب والعلم والاختراع

دجاج قزم يوفر ٢٠٪ من تكاليف انتاج البيض والدجاج

● بعد نجاح تجارب القمح والارز القصيرين واللذين يطلق على كل منهما اسم القزم Dwarf ؛ بدأ علماء الوراثة فى الحيوان محاولة استغلال النتائج التى وصل اليها علماء الوراثة فى النبات وتطبيقها على الدجاج . وقد نجح هؤلاء العلماء فى انتاج دجاج قزم عن طريق توليد سلالة من الديوك تتمتع «بالجينة» التى تتولد منها صفة القزامة واستطاعوا بعد ذلك الحصول على دجاجات بياضة من الاقزام من فصيلة « اللجهورن » . وتستطيع هذه الدجاجات ، والتى يبلغ حجمها ثلثى الحجم الطبيعي للدجاج العادى ، ان تنتج ٢٠٠ بيضة سنويا ذات حجم عادى فى حين ان الدجاجة العادية من نفس نوع اللجهورن تنتج حوالى ٢٤٠ بيضة سنويا. ولكن فى نفس الوقت فان القفص الذى يتسع لدجاجتين بالحجم العادى يتسع لثلاث دجاجات من الاقزام ، اما كمية الغذاء المستهلك لكل دجاجتين من الحجم العادى فهى تكفى لغذاء ثلاث دجاجات قزمة . وهذا وحده يكفل لاصحاب مزارع الدجاج زيادة انتاجهم بما يقدر باكثر من ٢٠٪ مع عدم حدوث أى زيادة فى تكاليف تغذية الدجاج . اما بالنسبة للدجاج المنتج للفراريج فانه يحقق توفير نفس النسبة فى تكاليف الغذاء اللازم للدجاج .

وقد اذيع نجاح التجارب فى انتاج دجاج قزم بواسطة العالم الامريكى هت F.B Hutt ، فى جامعة كورنل بالولايات المتحدة الامريكية .

وقد بدات بعض الشركات الأمريكية تطرح فى الأسواق كميات من الدجاج القزم الذى ينتج فراريج ذات حجم عادى فى ولاية بنسلفانيا ـ كما أن هناك شركات امريكية اخرى تقوم ببيع الدجاج القزم البياض فى عدة ولايات مختلفة وقدر عدد ما بيع من هذا الدجاج القزم بحوالى مليون دجاجة سنويا .

ويقوم الآن بعض علماء الوراثة بدراسة امكانية تقزيم الابقار لانتاج اللحوم باقل التكاليف .

وهكذا يثبت العلم كل يوم انه لا حدود له .

انتاج الكهرباء من الذرة يتضاعف في الولايات المتحدة الامريكية خلال السنوات العشر القادمة

● تخطو الآن الولايات المتحدة الأمريكية خطوات سريعة فى سبيل انشاء محطات نووية جديدة لتوليد الكهرباء .. ولن تمضى ١٠ سنوات ، منذ الآن ، الا ويكون لدى أمريكا محطات نووية لتوليد الكهرباء يبلغ انتاجها حوالى ١٥٠٠٠٠ر ميجاوات (مليون وات) وهذا المقدار يقدر بربع كمية الكهرباء المستخدمة فى امريكا كلها . وتقول لجنة الطاقة الذرية فى الولايات المتحدة ان الاتجاه الى انشاء العديد من محطات التوليد النووية قد أتى نتيجة الدراسات التى تؤكد أن تكاليف توليد الكهرباء بالطرق التقليدية (بالفحم . أو بالماء الساقط) تزيد على المدى البعيد ، على تكاليف الكهرباء بالمولدات النووية .

وفى خلال عام ١٩٧٠ تم افتتاح ٥ محطات نووية لتوليد الكهرباء فى كل من الولايات الأمريكية الآتية وهى : الينوى ، وكارولينا الجنوبية ، وكونكتكت ، وويسكونسين ، ومنسوتا . وقد تم التعاقد فى خلال نفس هذا العام على اقامة ١٤ مفاعلا نوويا لتوليد الكهرباء تبلغ طاقتها ١٥ر٠٠٠ ميجاوات .

وقد بلغ عدد المفاعلات النووية الموجودة فى محطات توليد الكهرباء بالذرة فى امريكا حتى نهاية عام ١٩٧٠ ما يقدر بـ ١٠٨ مفاعل يبلغ انتاجها من الكهرباء حوالى ٨٦ الف ميجاوات وتنتشر فى ٢٨ ولاية أمريكية . وقد بين تقرير لجنة الطاقة الذرية فى الولايات المتحدة الامريكية أن صناعة توليد الكهرباء عن طريق المولدات النووية قد حققت فرص عمل أمام ١٥٥ الف شخص وذلك منذ انشاء اول محطة تجريبية فى ولاية بنسلفانيا عام ١٩٥٧ حتى الآن . وينتظر ان تستوعب هذه الصناعة الجديدة أعدادا أخرى من الفنيين مما يساعد على خلق فرص جديدة للعمل فى الولايات المتحدة الأمريكية .

احدى المحطات النووية لتوليد الكهرباء وهي لا تزال تحت الانشاء في ولاية الينوى الامريكية



شمع الاذن يكشف عن اصل الانسان وسلالته

● لم تكن الفروق الفسيولوجية بين البشر ذات نفع فى تحديد عرق الانسان واصله الذى ينحدر منه ، فمثلا الاختلاف فى فصيلة الدم ، او وجود عمى الألوان ، أو المقدرة على تذوق مادة الفنيل ثيو كارباميد Phenylthiocarbamide كلها فروق فسيولوجية ولكنها موزعة على مختلف الأجناس بحيث لا يمكن عن طريقها تحديد عرق الانسان تحديدا قاطعا .

واخيرا تم اكتشاف طريقة جديدة يمكن عن طريقها التفريق بين الانسان الذى ينحدر من اصل مغولانى Mongoloid وبين بقية السلالات الأخرى .

وهذه الطريقة تعتمد اساسا على ان شمع الاذن اما ان يكون جافا او سائلا ، وقد لوحظ ان شمع الاذن يكون جافا فى الأصول المغولانية بينما يكون سائلا فى الأصول البشرية الاخرى وذلك لأن هذه السلالات غير المغولانية تتمتع بوجود عدد كبير من الغدد العرقية الخاصة بافراز شمع الاذن Lipid secreting apocrine sweat glands بينما يقل عدد هذه الغدد فى الأصل المغولانى .

وقد دل تحليل شمع الاذن فى عدد من الأشخاص فى بلاد آسيوية مختلفة على ان نسبة جفاف هذا الشمع تزداد كلما كان اختلاط الأصل المغولانى بالسلالات الاخرى اقل ، والعكس صحيح .

وقد وجد ان اقل نسبة من الاشخاص الذين يتمتعون بسيولة شمع آذانهم توجد فى الصينيين الشماليين وقد قدرت بما يتراوح باقل من ٥٪ من السكان .

ودلت التجارب التى اجريت ايضا على ان سكان سيبيريا الشرقية من قبائل التنجس Tungus ، الذين يتمتعون بسيولة شمع الاذن تصل النسبة الى اقل من ٦٪ ، وارتفعت هذه النسبة قليلا فى الكوريين ووصلت الى ٨٪ يليهم شعب الكالكا Khalkha ، وهم يعيشون فى منغوليا ووصلت هذه النسبة الى ١٠٪ بينما وصل متوسط الشعب اليابانى الى ١٦ ٪ .

واثبتت البحوث ايضا ان الاختلاط والتزاوج بين شعوب جنوب شرق آسيا يرفع نسبة سيولة شمع الاذن فقبائل الهاكا Hakka ، وهم اقلية يعيشون فى جنوب الصين تصل نسبة من يتمتعون بسيولة شمع آذانهم الى ٣٥٪ من الاشخاص الذين اجريت عليهم التجارب .

وترتفع نسبة من يتمتعون بسيولة شمع الاذن فى البيض واهل البلاد الاصليين الذين ينحدرون من سلالات بيضاء فقد وصلت نسبة هؤلاء فى شعوب الآينوس Ainus ، فى اليابان الى ٨٦٫٧٪ بينما وصلت الى ٩٧٪ فى الاشخاص الذين ينحدرون من أصل المانى فى وستفاليا

وقد دلت البحوث المحدودة التى اجريت على بعض البشر من السود ان نسبة من يتمتع بسيولة شمع الأذن من بينهم تصل الى ٩٩٪ .

اما فى الهنود الحمر بأمريكا ، والذين كان اجدادهم من اصل مغولانى ، فان نسبة سيولة شمع الاذن بينهم تتراوح بين ٢٥٪ الى ٨٠٪ باختلاف درجة اختلاط القبائل المختلفة الموجودة حاليا بينما تصل هذه النسبة الى ٩٠٪ بين بعض القبائل التى تقيم فى امريكا الوسطى (المكسيك) .

يقول العلماء ان هذه البحوث علاوة على انها تحدد الأصل المغولانى بدقة الا انها تدل ايضا على ان سيولة شمع الاذن خاصية مميزة لهؤلاء الذين يعيشون فى الأجواء الاستوائية الحارة .



حفريات جديدة في كاليفورنيا تثبت ان التاريخ يكرر نفسه بعد ٧ آلاف سنة !!

● من الثابت تاريخيا ان سكان امريكا قبل التاريخ المكتوب كانوا يقتلون الجاموس البرى المعروف باسم البيسون Bison ، عن طريق مطاردة قطيع من هذا الجاموس حتى يصل الى منحدر من الجبل ويقع من فوقه الى الوادى السحيق .

وقد اكتشف علماء الحفريات منحدرا جبليا فى غرب بلدة سان انطونيو فى ولاية تكساس يقع تحته واد ضيق وجدوا فيه عظام مئات من « البيسون » حددوا تاريخها بحوالى عام ٧٥٠ ق.م.

ولكن الجديد فى الموضوع أن هؤلاء العلماء ، الذين استمرت حفرياتهم فى المنطقة حوالى ٨ اعوام وجدوا اخيرا عظام ١٢٠ جثة من نوع معين من « البيسون » وقاموا بفحصها بالكربون ١٤ المشع لتحديد عمرها وجاءت النتيجة مذهلة ان عمر هذه العظام يعود الى ٨٠٠٠ عام قبل الميلاد .

وقد اثبت هذا البحث ان هذا المنحدر الجبلى كان يستغل لقتل البيسون منذ ذلك العام ، وان الهنود الذين جاءوا بعد ذلك بـ ٧ الاف سنة استعملوا نفس الطريقة التى كان انسان ما قبل التاريخ المرقوم يستعملها ..

وهكذا اثبتت الحفريات أن التاريخ يكرر نفسه حتى ولو انقضت ٧ آلاف سنة . ●●

مقامات الحريري

دخلها الفن إيضاحاً وزينة

بقلم : يوسف زعبلاوى

■ يبدو ان حب المعرفة والاقبال عليهاهو من اكثر ما تتميز به الامم فى نهضاتها، وأن النفور منها والاعراض عنها هو فىطليعة ما تتسم به فى أدوار انحطاطها . وقد لا يصدق هذا الراى على امة بقدرما يصدق على أمتنا العربية ، سواء فى أوجها الذى بلغته حوالي القرن الرابع/ العاشر ، أو فى انحطاطها الذى آلت اليه منذ قرون وبلغت منه الحضيض فىهذا القرن العشرين . ولست أرى ما يجعلنا والسلف الصالح علىطرفى نقيض،كالشغف بالعلم والنزوع الى المعرفة .

ولو انت القيت نظرة فاحصة على صورة الصفحة الثانية من هذا العدد ، ومن العدد الذى سبقه ، لادركت ان تلك النزعة تبدو وكانها المدلول غير المباشر في كلتا الصورتين ، وهما من الصور العديدة التى زُينت بها مخطوطات مقامات الحريرى . لا عجب اذن ان نحن وقفنا قليلا عند تلك النزعة .

يقول اسامة بن منقذ ، (٤٨٨/١٠٩٥ ـ ٥٨٤ / ١١٨٨) ، وهو الامير العربي الذى فقد أمواله واملاكه على يد الصليبيين ، يقول في مذكراته :

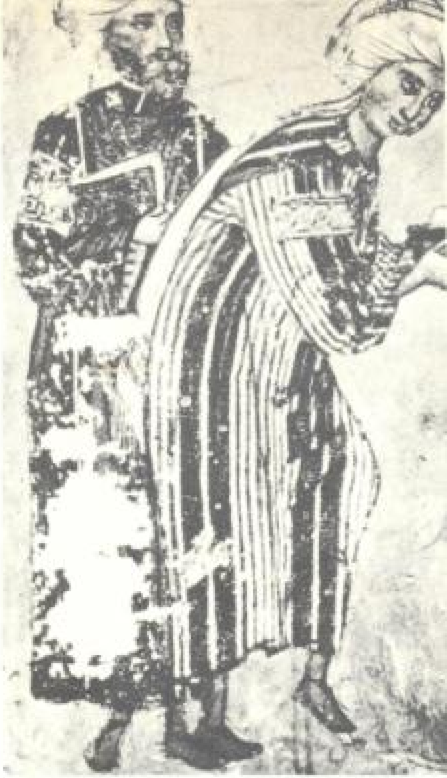
« ان سلامة اولادى وابناء اصدقائي ، ونسائنا ، خففت من الآم فقدى لكل ممتلكاتي .. ولكن خسارتى لكتبي آلمتنى آلما شديدا .. لقد كانت ٤٠٠٠ مجلد (فقط) .. ولكنها كتب قيمة وغدا فقدها باعث حزني طوال عمرى . » .

لاحظ المقارنة بين الآم فقد الممتلكات ، كل الممتلكات ، والآم فقد المكتبة !! ولاحظ ايضا حجم المكتبة الخاصة آنذاك ، ٤٠٠٠ كتاب ، بل مخطوطه ، تضاهى ٢٠٠٠٠ أو ٤٠٠٠٠ كتاب من كتب هذه الايام . هذا وصاحبها يعتبرها صغيرة .. علما ان اسامة بن منقذ لم يكن من رجال العلم خاصة ولكن من رجال الحرب والسياسة ..

ولنترك اسامة بن منقذ ولنعد الى الوراء قليلا ، الى ايام بنى العباس وبخاصة هارون الرشيد والمأمون .. فقد بلغ من تقدير الناس للعلم والمعرفة آنئذٍ انهم قاسوا ثراء بعضهم البعض بعدد ما ضمت مكتباتهم من كتب قيمة . اى ان الكتب احتلت من قلوبهم مثل المكان الذى تحتله من قلوبنا أرصدتنا المصرفية والعقارات والسيارات والمجوهرات !!

على ان أعجب ما يذكر في هذا الصدد هو الدور الذى لعبته الكتب في الحروب في تلك العصور . فقد كانت المخطوطات الاغريقية على راس تعويضات الحرب التى فرضها اولئك الخلفاء وغيرهم ، على البيزنطيين ، عقب المعارك التى هزموهم فيها ، كعمورية مثلا .

والغريب ان البيزنطيين سعدوا لتسليم تلك المخطوطات والتخلص منها بقدر ما سعد العرب للظفر بها . فهي لم تكن ذات قيمة تذكر في نظرهم ، واعطاؤها العرب يوفر عليهم دفع التعويضات المالية او العسكرية ، على كل حال . بل ان البيزنطيين أعرضوا عن كتب الاغريق، وكثيرا ما القوا بها في الاقبية فآل امرها الى التلف او الضياع .. هذا اذا لم يحرقوها على رؤوس الاشهاد ، باعتبار انها وثنية .



صورة اخرى من صــــور مقامات الحريرى، صدّرت بها مجلة اليونسكو Courier عددها الصادر في يناير الماضي بمناسبة سنة الكتاب . ولعل في اختيارهم هذه الصورة شعارا لهــذه المناسبة بادرة تذكرنا بما كان عليــه الســلف الصالح من حب بالمعــرفة وتقدير للكتاب .

وهكذا كثرت بعثات بغداد وقرطبة الى بيزنطية. لقد كانت هذه بعثات حضارية فريدة في التاريخ ، وقد استهدفت شراء مخطوطات الاغريق غير المعرّبة، باى ثمن ، واستهدفت ايضا البحث والتنقيب عما اختفى مــن تلك المخطــوطات في السراديب والكهوف . وقد اصابت تلك البعثات من النجاح ما فاق كل تقدير .

لاغرابة اذن ان قلنا بان الدور الذى لعبه العرب في تاريخ الحضارة الانسانية لم يقف عند ترجمة كتب ارسطو وافلوطين وغيرهما من مفكرى الاغريق . حقا لقد عربوا تلك الكتب وشرحوها بحيث امكن لاوربا فيما بعد فهمها وهضمها . الا انهم فعلوا اكثر من ذلك . فقد انقذ العــرب ببعثاتهم التى ذكرنا طائفة كبيرة من كنوز الحضارة الاغريقية . انقذوها من التلف والضياع والنيران . واسدوا بذلك خدمة جليلة للمدنية الانسانيــة التي ما كانت لتقوم اصلا ، او لتنهض نهضتهــا الحديثة في اوربا ، لولا تراث الاغريق .

* * *

نعود الآن الى مقامات الحريرى ، بل الــى صورها ، والى الفن الاسلامي ، موضوع هــذا الباب . فقد لا يرى القارىء العربي في هذه الصور وامثالها من الروعة والجمال بقدر ما يرغب . بل انه يكاد ينفر من هذا الطابع البدائي الذى يغلب على تلك الرسوم جميعا ، ويجد في اقتصارها على بُعْدين ، بدلا من ابعاد الطبيعة الثلاثة ، وكذلك في افتقارها الى المقاييس المتناسبة ، ما يمكــن اعتباره مآخذ على الفن الاسلامي .

والمآخذ المذكورة وغيرها صحيحة لاريب فيها . الا انها مآخذ على فن القرون الوسطى اجمالا ، وهي تؤخذ على الفن الاوروبي الوسيط بقدر ما تؤخذ على الفن الاسلامي . ولو انت قارنت بين روائع من الفن الاسلامي وروائع اخرى من الفن الاوروبى معاصرة لها، لما خفى عليك الشبه بين الفنين، بل انك لتتحسّس من المزايا في الفن الاسلامي ما قد يرجحه على نظيره الاوروبي . فالجمال نسبي ، بالمفهوم التاريخى على الاقل، ولا سبيل الى تقديره واصدار الاحكام فيه ما لم يؤخذ بالاعتبار اطاره الزمني .

ومهما يكن مــن امــر ، فقــد اظهر رمبراند (Rembrandt) ، فنان هولنده الشهير في العصور الحديثة ، اظهر من الاعجاب بروائع الفن الاسلامي ما حمله على اقتناء عدد منها ، وعلى الشروع في محاكاة بعضها بريشته . ولولا الضيق المــادى الخانق الذى مرّ به رمبراند لما باع هذا الفنان تلك اللوحات المحببة الى قلبه . ويفخر متحف اللوفر والمتحف البريطاني حاليا ، بامتلاك بعض تلك اللوحات وامثالها من روائع الفن الاسلامي .

هذا بالرغم من ان الفن الاسلامي لم يسمح له بتحقيق ذاته . ذلك ان تصوير الانسان والحيوان، سواء في الرسم او النحت ، كان محرما في شتى عهود التاريخ الاسلامي .

ولا يستند هذا التحريم الى القرآن الكريم ،

وانما الى السنة والحديث وقد حرموه خشية ان يميل العرب المسلمون الى ما كانوا تعودوه في الجاهلية من عبادة الاوثان . فهو تحريم وقائي ، اخذ به الفقهاء ، وحال بين الفن الاسلامي وبين بلوغ غايته .

ومهما يكن من أمر فقد طبق هذا الحظر بصرامة واحكام داخل المساجد ، ولم يلق مثل ذلك التطبيق خارجها . والادلة على ذلك اكثر من ان تحصى . فالمتاحف في الغرب والشرق تشهد على كثرة ما حفل به الفن الاسلامي من تماثيل وصور للانسان والحيوان .

وحسبنا ان نشير هنا الى خمارويه حاكم مصر في القرن العاشر الميلادي ، وابي قطر الندى الشهيرة . فقد احتفظ بكثير من التماثيل المنحوتة التي تمثله وتمثل زوجاته وقيانه . اما عبد الرحمن الثالث ، خليفة الاندلس المعروف ، فقد اقام تمثالا لزوجته الزهراء في قصر الزهراء . هذا الى جانب الصور الجصية (Frescoes) التي يزخر بها حمام عَمْرَه في القصير ، وقد شملت رسوما عديدة لشتى المخلوقات ، والى جانب صور الراقصات والطيور التي نراها بكثرة في سامراء .

* * *

ومن سامراء ننتقل الى البصرة ، حيث عاش الحريري طول حياته (٤٤٦/١٠٥٤-٥١٦/١١٢١م). فقد ولد ابو محمد القاسم بن علي بن عثمان الحريري البصري ، (والنسبة الى صناعة الحرير) في المشان ، القريبة من البصرة آنذاك ، وسكن حيا من احياء البصرة عرف بمحلة بني حرام (النسبة الى قبيلة بني حرام) .

والحريري اديب ولغوي ، تتلمذ على ابي القاسم الفضل بن محمد البصري وغيره وكتب في اللغة فيما كتب : « درة الغواص في اوهام الخواص » و « ملحة الاعراب » وهي منظومة في النحو ، « وشرح الملحة » وكتب ايضا العديد من الرسائل التي جمعت في ديوان . هذا الى جانب شعره الكثير ومقاماته الخمسين .

يقول تاج العروس ، نقلا عن اساس البلاغة للزمخشري : « قام بين يدي الامير بمقامة حسنة : بخطبة او عظة اوْ غيرهما » .

لا عجب اذن ان كان المدلول الاصطلاحي الذي دل عليه اللفظ أول مادل هو الخطب والمواعظ الدينية ، الا انه ما لبث ان اكتسب مفهوما اصطلاحيا ثانيا حينما اصبح يدل على خطب الكُدْية .

والكُدْية هم جماعة من طلاب اللغة العربية وفقهها وآدابها ، ظهروا قبيل القرن العاشر الميلادي ودرجوا على الطواف والارتحال من مكان الى مكان طلبا للرزق . وكانت مواهبهم الفنية وقدرتهم في اللغة العربية هي سبيلهم الى المال . يتقربون في تجوالهم من الامراء والاثرياء ، ويلقون بين ايديهم الخطب التي كثيرا ما عادت عليهم باجزل العطاء .

وانتصف القرن العاشر الميلادي ، واذا بلفظ مقامات يدل على فن في النثر الادبي بديع . ويذهب البعض الى ان الفضل في تأسيس هذا الفن انما يعود لابن دُريد لا لبديع الزمان الهمذاني كما اعتقد الكثيرون . ولعل هذا القول صحيح . الا انه لا يتنافى وواقع الحال وهو ان مقامات الهمذاني هي اولى المقامات التي وصلت الينا وعرفناها حتى الآن .

وهكذا اصبحت المقامات قصصا وحوادث ومغامرات لا اتصال بينها تدور حول بطلها ، ويحكيها عنه راويتها . أما بطلها فخبيث ماكر يخطط دوما ويتآمر ويخدع ويحتال من أجل المال . فهو من الكدية ، ومن اردأ صنوفهم . والغاية في نظره تبرر الوسيلة ، والذهب الرنان هو غاية الغايات . الا ان هذا البطل موهوب في اللغة والادب على كل حال . وله من الكفايات في هذه المجالات ما يضمن له بلوغ غايته . واما راوية المقامات ، وهو يمثل كاتبها ، فعلى صلة وثيقة بالبطل ، يراقبه عن كثب ويروي مغامراته ، رواية شاهد العيان .

ولعل اول ما يلفت النظر في المقامات سجعها واسلوبها الادبي البديع . على ان سجعها ليس من النوع الاجوف الممل ، الذي يسخر المعنى فيه من اجل اللفظ المسجع. ويكاد يشعر المرء وهو يقرأ مقامات الحريري والهمذاني ان الفاظها المسجعة ، وغير المسجعة ، هي افضل ما يمكن استعماله للتعبير عن المعنى المقصود .

اضف الى ذلك المزايا الانشائية والمحسنات البديعية التي تجد وفرة كبيرة منها في المقامات .

على ان اكثر ما يسترعي الانتباه في المقامات هو ما تحفل به من حوار وسرد وغير ذلك من بوادر الكتابة القصصية المسرحية .

وتصدق المزايا التي ذكرنا كلها على مقامات الحريري بقدر ما تصدق على مقامات الهمذاني التي سبقتها بنحو مائة عام .

غير ان الحريري جعل من فن المقامات صناعة متمكنة ، وقد وقف به الهمذاني عند عفو الخاطر . وان اعتبر بديع الزمان بحكم الرائد في انشاء هذا الفن ، فان الحريري هو الذي بلغ بفن المقامات اعلى ذراه . ولعل من العسير ان تجد في الادب العربي كله ما يضاهي مقامات الحريري من حيث الاحاطة بفنون الكتابة الادبية والالوان البديعية . هذا الى جانب ثروة كبيرة بالمفردات ، لا تغنيك عنها المعاجم مجتمعة . ولعل من العسير ايضا ان تجد خيرا من مقامات الحريري لتدريب طلاب الجامعات على نوع من الكتابة العربية المتمقة ، فيما لو اتسعت مناهج جامعاتنا لمثل هذا التدريب اصلا .

يقول ياقوت : « لقد وافق كتاب المقامات (الحريري) من السعد ما لم يوافق مثله كتاب » ... علما بان الحريري لم يكن من الكدية ، ولا تجوّل كالهمذاني ، وانه كتب مقاماته بناء على تكليف احد وزراء المسترشد بالله ، الخليفة العباسي انذاك . ويضيف ياقوت ويقول : « وكان الحريري من اعيان دهره وفريد عصره ، وممن لحق طبقة الاوائل وغبّر عليهم في الفضائل » .

اما بروكلمان ، المستشرق الالماني الشهير ، فيقول : « ظل العرب يرون في مقامات الحريري وقصائد المتنبي اكمل تعبير عن روحهم حتى مطلع العصر الحديث » .

ونختم كلمتنا هذه بمختارات اقتطفناها لك من مقامة القبور ، وهي المقامة الحادية عشرة التي يبلغ فيها الحريري ذروة مقاماته جميعا ، سواء من حيث النثر او الشعر او حتى المعاني والنظرة الى الحياة .

يقول الحريري : « حدث الحارث بن همّام قال : آنست من قلبي القساوة ، حين حللت ساوة ، (بلد قريب من الري انذاك) ، فاخذت بالخبر المأثور في مداواتها بزيارة القبور ، فلما صرت الى محلة الاموات ، وكفات (قبور) الرفات ، رأيت جمعا على قبر يُحفر ، ومجنوز يُقبر ، فانحزت اليهم متفكرا في المآل ، متذكرا من درج من الآل (الأهل) ، فلما الحدوا الميْت ، وفات قول ليْت، أشرف شيخ من رباوة، متخصرا بهراوة ، وقد لفّع (غطى) وجهه بردائه ، ونكّر شخصه لدهائه ، فقال :

لمثل هذا فليعمل العاملون ، فادّكروا ايها الغافلون وشمّروا ايها المقصرون، وأحسنوا النظر ايها المتبصرون ، مالكم لا يحزنكم دفن الاتراب ، ولا يهولكم هيلُ (صب التراب وتراكمه)التراب، وتعباون بنوازل الاحداث ، ولا تستعدون لنزول الاجْداث (القبور) ، ولا تستعبرون لعين تدمع ، ولا تعتبرون بنعيٍ تسمع ولا ترتاعون لالف تفقد».

واستمر الشيخ على ذلك الى ان انشد ، فيما انشد ، (وهو من نظم الحريري كما لا يخفى) :

أيا من يدعي الفهم
إلى كم يا أخا الوهم
أما بان لك العيْب
أما أنذرك الشيب
أما تخشى من الفوْت
وتحتاط وتهتم
وحتّامَ تجافيك
وإبطاءُ تلافيك
وإنْ أخفق مسعاك
تلظّيْت من الهم
وإنْ لاح لك النقْش
من الأصفر تهتش
وإنْ مر بك النعْش
تغامَمْت ولا غم

■■

يوسف زعبلاوي

سمرست موم
فلسفة حياته في كتابه (الخلاصة)

بقلم : علي أدهم

■ كان الكاتب الروائي البريطاني سمرست موم الذى توفى فى سنة ١٩٦٥ يضمن رواياته وقصصه واقصوصاته وكتبه فى الرحلات آراءه وخواطره ، ويفسر فيها تجاربه ومشاهداته، وارجح ان أجمع كتبه لفلسفة حياته ، وادلها على نزعات تفكيره ، واتجاهات آرائه ونظراته، هو الكتاب الذى احسن اختيار اسمه ، وهو كتاب « الخلاصة » فقد اشتمل هذا الكتاب على خلاصة آرائه فى الادب والحياة والفن ، وهو صورة امينة صادقة ، وخلاصة دقيقة وافية لفلسفة حياته .

كتاب « الخلاصة » لسمرست موم

ويقول الناقد البحاثة ريشارد كوردل في كتابه الذى وقفه على دراسة أدب سمرست موم ، وهو يتحدث عن كتاب « الخلاصة » ليس في هذا الكتاب شيء جديد للقارئ الذى اطلع على كتب السيد موم الأخرى وقرأ مقدماته وتصديراته المتنوعة ، فهو خلاصة لافكاره في الادب والفن والاخلاق والدين والدراما ، مع اشارات من الحين الى الحين لبعض ملابسات حياته .. وهو لم يقصد بكتابته ان يكون ترجمة ذاتية ، وانما هو خلاصة لأفكار ونظريات طال ترددها في مختلف انحاء وعيه حسبما اتفق ، وهو يؤكد ان الكتاب قد كتب ليطلق سراح نفسه من أسر آراء وخواطر لم تترك له سبيلا للراحة الا بعد ان استجمع شواردها وعبر عنها .

محاولة سمرست لتحسين اسلوبه

وهو يحدثنا عن المحاولة التى بذلها لتحسين اسلوبه ، واجادة التعبير عن نفسه ، فيقول « لقد عكفت على متابعة بذل الجهد في تجويد كتابتى ، وكشفت حدودى ، واستبان لى ان الشيء الوحيد المعقول هو أن اهدف الى محاولة الاجادة في نطاق



في ملهاة « كما تهوى » للشاعر البريطاني الكبير شيكسبير يقول تتشتون للراعي كورن حينما التقيا في غابة اردن « الك حظ من الفلسفة ؟ »

فيقول كورن في جوابه « ليس لي منها نصيب اكثر من علمي ان الانسان كلما زاد ضعفه قلت راحته ، وان الذى يعوزه المال واسباب المعيشة والقناعة يفتقد الاصدقاء الثلاثة الاخيار ، وان خاصة الغيث ان يبل والنار ان تحرق ، وان المرعى الممرع يسمن الغنم ، وان أهم اسباب حدوث الليل مغيب الشمس ، وان الذى لم يرزق الحصافة ، ولا تهيات له اسباب اكتسابها ، لم ينشا نشاة صالحة ، او انحدر من سلالة جمة الغباء » .

وراعى غابة اردن يدلل بهذا الكلام على ان كل انسان فيلسوف الى حد ما ، وهي حقيقة تبدو غير واضحة الوضوح كله ، ولكننا اذا نظرنا في اجابة الراعى لتتشتون نجد فيها اثر العمليات العقلية التي تقوم بنفس كل انسان ، فكل فرد له العقل اللماح بطبيعته الكامن وراء كل فلسفة ، وعن طريقه يدرك ان له ذاتا ، وان هذه الذات تفكر ، فهو لذلك موجود كما يقول ديكارت . وراعى غابة اردن بقوله « اعرف » يؤكد ان له ذاتا ، وان هذه الذات تستطيع ان تفكر في الدنيا وفي الحياة كما استرسل في حديثه ، وقول كل انسان « أنا » قد يبدو شيئا عاديا مألوفا ، ولكنه مع ذلك هو لب لباب الفلسفة ، وجوهرها الاصيل ، لانه يجعل الانسان مركزا لما يدور حوله ، وكل انسان قد وهب موهبة العقل ، فهو يعيش في ضوء عقله ، وظل وعيه ، ويكون المفاهيم والكليات ، والفلسفة هي تفسير التجربة الانسانية وتقويمها ، وهذا هو ما يشغل بال الناس طوال حياتهم ، وكل انسان الى حد ما فيلسوف لانه ما ينفك يفسر تجاربه ومشاهداته ، واحاسيسه وتصوراته ، وقد يحسن او يسيء في هذا التفسير ، ويوفق او يخطئه التوفيق .

تلك الحدود ، وعرفت انني تنقصني النغمة الغنائية في التعبير ، وان رصيدى من الالفاظ قليل، ولم تنجح الجهود التى بذلتها للتوسع والاستكثار، ولم ارزق سوى القليل من القدرة على الاتيان بالمجاز والاستعارة ، ولم اوفق الا في الفلتات الى التشابيه الاصيلة الرائعة ، والوثبات الشعرية والومضات الخيالية من وراء قدرتي ، واستطيع ان اعجب بها في الآخرين كما اعجب بغريب المجازات واللغة الموحية التى يضمنونها افكارهم ، ولم يهدنى ابتكارى قط الى مثل هذه الزخارف .

وقد اعيتنى محاولة الاتيان بما يأتينى في سهولة ويسر ، ومن ناحية اخرى قد رزقت القدرة على الملاحظة الدقيقة ، وبدا لى اننى ارى اشياء كثيرة لا يلحظها غيرى من الناس ، واننى استطيع أن أعبر عما رأيته في لغة واضحة . وعندى حاسة منطقية ، واذا كان ينقصنى الشعور بثراء الالفاظ وغرابتها فانى في شتى الاحوال اقدر جرسها تقديرا حيا ، وانى اعرف اننى لن اصل في الكتابة الى الاجادة التى اريدها ، ولكننى رأيت انه ببذل الجهد أستطيع أن أصل الى مستوى الكتابة الذى تسمح به عيوبى الطبيعية ، وظهر لى بعد ادامة التفكير أن على أن اتحرى الوضوح والبساطة ، وتجنب المماظلة ، وقد وضعت نصب عينى هذه الصفات الثلاث حسب الاهمية التى انطقها بكل واحدة منها » .

موم يكشف عن آراء تأتيه غريبة فظيعة

ويقول موم عن نفسه وعن النفس البشرية « من ناحيتى فاننى لا ادرى اننى خير او شر من معظم الناس ، ولكننى اعرف اننى لو دونت كل عمل من اعمال حياتى وكل فكرة خطرت بعقلى فان العالم سيعدنى هولة في الشذوذ والتواء الخلائق ، وانى

لاعجب كيف يجترىء اى انسان على ادانة الآخرين حينما يعيد النظر في افكاره الخاصة. والاسترسال في الهواجس يشغل جزءا كبيرا من حياتنا ، وكلما كثر نصيبنا من الخيال كانت تلك الهواجس أكثر تنوعا ، واشد وضوحا . وكم منا الذين يستطيعون مواجهةهواجسهم لو سجلت تسجيلا ذاتيا ووضعت امامنا ؟ ان الخجل سيغلبنا ، وستعلو صيحتنا باننا لا يمكن أن نكون في الواقع بمثل هذه الضعة والشر والصغار والاثرة والادعاء والغرور والرقة العاطفية ، ومع ذلك فان هذه الهواجس من المؤكد انها جزء منا مثل افعالنا ، واذا كان هناك كائن يدرى دخائل نفوسنا فاننا سنكون مسؤولين عنها كمسؤوليتنا عن افعالنا ، والناس تنسى الافكار الفظيعة التى جالت بعقولهم ويحتويهم الغضب حينما يكشفون هذه الافكار في غيرهم » .

موم يحكى عن محاولاته تعرف الطبيعة البشرية

ويحدثنا موم عن تجربته خلال السنوات التى قضاها في ممارسة مهنة الطب بمستشفى القديس توما قبل أن يحترف الكتابة والتأليف فيقول « لا أدعى أن السنوات التى قضيتها في مستشفى القديس توما قد مكنتنى من أن أعرف الطبيعة البشرية معرفة كاملة ، ولا أحسب احدا يستطيع أن يؤمل في الوصول الى هذه المعرفة ، ولقد قضيت أربعين سنة في دراسة النفس الانسانية بوعى وبغير وعى ، ولا أزال أرى أن طبائع الناس غير قابلة للتفسير ، فالذين أعرفهم معرفة صميمة يستطيعون أن يثيروا دهشتى باتيانهم بعض الافعال التى لم اكن اظنهم قط اهلا للقيام بها ، او يكشفون سمة تظهر جانبا من نفوسهم لم اكن اتوقع بحال وجوده ، ومن الممكن المحتمل ان تكون تجربتى قد اعطتنى فكرة منحرفة ، لان القوم الذين كنت احتك بهم واخالطهم في المستشفى كان اكثرهم من المرضى والفقراء والذين لم يتلقوا مقدارا كافيا من التعليم ، وقد حاولت ان احتاط لذلك ، كما حاولت أن أكبح ميولى الخاصة ، وليس عندى ميل طبيعى الى الثقة بالغير ، ويغلب على أن انتظر منهم الاساءة أكثر مما اتوقع الخير ، وهذا هو الثمن الذى يدفعه الانسان اذا كان قد اوتى حاسة الفكاهة ، فحاسة الفكاهة تجعل الانسان يجد سرورا ومتعة في متناقضات الطبيعة البشرية ، وهى تؤدى بك الى عدم الثقة باصحاب المهن الكبيرة ، والبحث عن البواعث غير الكريمة التى يخفونها ، ويسليك ويرضيك التفاوت بين المظهر والحقيقة ، وتميل الى أن تخلقه اذا لم تجده ، وتنزع الى اغماض عينيك عن الحق والجمال والخير لانها لا تتيح لك مجالا لممارسة حاسة الضحك ، والميال الى الفكاهة سرعان ما يلحظ الدجل والزيف ، وتغيب عنه على الدوام معرفة مواطن القداسة ، ولكن اذا كان النظر الى الناس من جانب واحد هو الثمن الذى يدفع لحاسة الفكاهة فان هناك كذلك ما يعوض عن ذلك تعويضا له قيمته ، فانك لا تغضب من الناس حينما تضحك منهم ، وتسخر بهم ، وحاسة الفكاهة تعلم الاعتدال ، والساخر الفكه أميل الى أن يهز كتفيه بابتسامة ، وربما بابداء الاسف منه الى توجيه اللوم والادانة ، ولا يشغل باله بالوعظ ومحاولة تهذيب الاخلاق ، وانما يكتفى بالفهم ، وفي الحق ان الفهم يصحبه العطف والتسامح ، ومع هذه التحفظات التى حاولت دائما أن اتذكرها فان على ان اسلم بان تجربة السنين التالية زادتنى تأكدا من الملاحظات التى كونتها عن الطبيعة البشرية ، وهى ملاحظات لم اتعمد الاتيان بها ، فقد كنت حينذاك لا ازال في أوائل مراحل الشباب ، وانما تجمعت بنفسى بغير وعى في اقسام المرضى الوافدين على مستشفى القديس توما والمقيمين في حجراته ، وقد رأيت الناس منذ ذلك العهد كما رأيتهم حينذاك ، وصورتهم على هذه الصورة ، وقد لا تكون صورة صادقة ، واعرف ان الكثيرين قد رأوا انها صورة غير سارة ، وهى من غير شك غير خالية من التحيز ، لانى بطبيعة الحال متأثر بمزاجى في مشاهدتى للناس ، والانسان السليم المتحمس المتفائل العاطفى قد يرى الناس أنفسهم في صورة مخالفة ، ولست أدعى أكثر من أننى قد رأيتهم في صورة متماسكة ، ويبدو لى أن كثيرين من الكتاب لا يلاحظون على الاطلاق ، ويخلقون شخصياتهم على الانماط المألوفة التى تصورها لهم أوهامهم ،

فهم يشبهون الرسامين الذين يرسمون الصور من الذكريات القديمة، ولا يحاولون أبدا رسم النماذج الحية ، واقصى ما يبلغه جهدهم أن يقدموا لنا صورا للاوهام التى طافت بعقولهم ، فاذا كانت عقولهم نبيلة فانهم يستطيعون أن يقدموا لنا صورا نبيلة ، وربما يكون امرا قليل الاهمية لو ان هذه الصور كان ينقصها التعقيد الذى لا نهاية له الموجود في الحياة العادية ، ولقد كنت دائما ابدا تصوير الشخصية من انموذج حى » .

عظماء النفوس يجمعون بين الصفات العظيمة والسقطات الكبيرة

ويرى موم أن الصفات العظيمة والعيوب والسقطات الكبيرة كثيرا ما تلتقى فيﻧفوس العظماء، وهو من أجل ذلك يخالف القائلين بأن عيوب مشاهير الرجال يحسن ان يسدل عليها ستار النسيان ، وهو يرى أن من الخير أن نعرف كل شيء عنهم ، ونقف على مزاياهم وعيوبهم ونواحى القوة ونواحى الضعف في شخصيتهم ، وهو يرى أن هذه المعرفة لا تقوم عقبة في سبيل محاولتنا الاقتداء بهم في فضائلهم ، وأرجح سداد هذا الرأى ، فان العصمة للانبياء، والانسان الكامل المبرأ من العيوب يندر وجوده ، وتصوير كل عظيم في صورة الانسان الكامل الخالى من العيوب يبعث على الشك في حقيقة الصورة ، ويقطع الصلة بينه وبين البشر العاديين ، وعلى الذين يتصدون للكتابة عن العظماء ان يحسنوا الفهم ، ويجيدوا التصوير ، اما محاولة اخفاء وتبرير الاخطاء والاسراف في تجميل الصورة فهى ضرب من ضروب التزييف والاعتداء على الحقيقة .

ويرى موم أن قيمة الثقافة رهن بتاثيرها في الاخلاق ، ولا يعجبه الزهو الذى يتملك في بعض الاحيان المثقفين ، وهو يقول في ذلك « قيمة الثقافة في تاثيرها على الاخلاق ، ولا فائدة منها اذا لم تزد الانسان نبلا وقوة ، وليست غاية الثقافة الجمال، وانما غايتها الصلاح والخير ، وهى ـ كما نعرف ـ كثيرا ما تبعث على الرضا عن النفس ، ومن منا لم يلحظ الابتسامة الساخرة على شفة الاديب حينما يصحح لاحد الناس خطاه في الاستشهاد بنص من النصوص الادبية، او الخبير بالفن حينما يمتدح احد الناس صورة لا يحفل بها ولا يعدها من طرائف الفن ؟ وليس هناك مزية في قراءة الف كتاب اكثر مما في القيام بحرث الف حقل، والقدرة على تصحيح وصف صورة ليس افضل من القدرة على معرفة اصلاح السيارة ، وهى في الحالتين معرفة خاصة ، وسمسار البورصة له خبرته ودرايته ، وكذلك صاحب الصنعة ، وانه لتعصب سخيف من المثقفين اعتقادهم أن ما عندهم من المعرفة هو وحده الذى له قيمة ، والحق أو الخير او الجمال ليس مقصورا على الذين تخرجوا من المعاهد الغالية الاجور ، او على الذين نقبوا في المكتبات، وزاروا المتاحف ، ولا عذر للفنان في شموخه وتعاليه حينما يعامل غيره من الناس ، ومن الحماقة ان يذهب به الظن الى أن معرفته أكثر أهمية من معرفتهم ، ومن البلاهة أن لا يرتاح الى لقائهم على قدم المساواة .

موم ترك الكتب جانبا ليفرغ لتعلم تجربة الحياة

وكان موم شديد الولع بالقراءة والاطلاع ،ولكنه وجد انه بوصفه كاتبا أن عليه أن يخوض معترك الحياة ويمارس تجاربها ، وهو يصارحنا بذلك قائلا « لقد وضعت الكتب جانبا لانى ادركت أن الزمن يمضي ، وان من واجبى أن أعيش ، ولقد ذهبت الى الدنيا لانى وجدت ذلك لازما لتحصيل التجربة التى بدونها لا استطيع ان اكتب شيئا ، ولكنى في الوقت نفسه ذهبت الى الدنيا لرغبتى في التجربة من اجل ذاتها ، فقد كان يبدو لى أنه لا يكفى ان اكون كاتبا فحسب ، والنمط الذى صممته لنفسي كان يستلزم أن اقوم باكثر قسط مستطاع في تلك المحاولة الخيالية ، وهى محاولة أن أكون انسانا ، ورغبت في أن أشعر بالام الناس عامة ، واستمتع بمسراتهم ، التى هى جزء من نصيب البشر جميعهم ، ولم أر سببا يدعو الى جعل مطالب الحس خاضعة لاغراء مطالب الروح ، وصممت على أن احصل من الحياة على كل ما يمكن أن تجود به .. وكنت أعود بعد ذلك الى كتبى والى صحابتى راضيا » .

العمل الفني ليس نتيجة معجزة ، وهو يتطلب اعدادا

ويرى موم أن الكاتب لا بد له من سعة الاطلاع ومداومته ، وانه لا يكفي الاعتماد على المواهب مهما يكن نصيبه من العبقرية ، وهو يقول « انتاج العمل الفنى ليس نتيجة معجزة ، وانما يتطلب اعدادا ، والثرى مهما يكن غنيا خصبا يلزم أن يتغذى ، والكاتب الفنان عليه ان يوسع آفاق شخصيته ويعمقها وينوعها بالتفكير والجهد المتواصل » .

موم يتحدث عما في مهنة الكتابة من ميزات

ويحدثنا موم عن مهنة الكتابة قائلا « لقد احترفت الكتابة كما لو كنت قد احترفت مهنة الطب أو مهنة المحاماة ، وهي مهنة محببة ،وليس العجيب أن الكثيرين يتخذونها دون أن تكون عندهم المؤهلات اللازمة لها ، فالكاتب حر في اختيار المكان الذى يعمل به ، واختيار الزمن الذى يباشر فيه عمله ، وهو حر في أن يخلى نفسه من العمل اذا شعر بالمرض او انحراف المزاج ، ولكنها مهنة لها متاعبها ، ومن هذه المتاعب انه ولو ان العالم جميعه بمن فيه وما فيه من المشاهد والاحداث هى المادة التى يتناولها الكاتب ، فانه مع ذلك لا يستطيع أن يتناول منها الا ما يتجاوب مع نبع سرى في طبيعته ، والمنجم حافل اعظم حفول ، ولكن كل انسان لا يستطيع ان يستخرج منه سوى مقدار محدود من المعادن ، وهكذا في وسط الكثرة الغامرة قد يقضي الكاتب نحبه من المسغبة ، وقد تخذله مادته ونقول عنه انه قد استنفد ما عنده ، وأكبر ظنى أن قليلين من الكتاب هم الذين لم يغش نفوسهم الخوف من ذلك ، وهناك مصدر آخر للمضايقة قد يعترض سبيل الكاتب ، وذلك أن الكاتب المحترف عليه أن يسر الناس ، فاذا لم يقبل على قراءته العدد الكافي من الناس فانه يموت جوعا ، وفي بعض الاحيان يكون ضغط الظروف شديدا عليه ، ويضطر الى النزول على رغبة الجمهور وهو ملآن من حنق صدرا ، والكتاب الذين يعيشون في ظروف تكفل لهم الاستقلال عليهم أن يعطفوا على اخوانهم من الكتاب الذين تفرض عليهم الضرورة القاسية أن يكتبوا أشياء مبتذلة لا أن يستخفوا ويسخروا منهم ، ولقد قال أحد صغار حكماء شاسي : ان الكاتب الذى يكتب من اجل الحصول على المال لا يكتب له ، ولقد قال هذا الحكيم اشياء كثيرة حكيمة (وهو ما يجب على الحكماء ان يفعلوه) ولكن هذه الكلمة كانت بالغة السخف . لان القارىء ليس له شأن بالدافع الذى حفز الكاتب الى الكتابة ، والذى يعنيه هو النتيجة ، وبعض الكتاب في حاجة الى مهماز الضرورة لمباشرة الكتابة ، ولكنهم لا يكتبون من أجل المال » .

مسألة وجود الشر وكيف نبرره في هذه الدنيا

ويعرض موم لمشكة من المشكلات التى اختلفت فيها آراء الفلاسفة ورجال الدين ، وتضاربت آراؤهم ، ولم يصلوا فيها الى جواب مقنع يرضاه العقل ، وتطمئن اليه النفس ، وهى مشكلة وجود الشر ، وكيف نبرر وجوده في هذه الدنيا ؟ وما الفائدة من وجوده ان كان هناك فائدة مرجوة منه ، ويستهل موم حديثه عن مشكلة الشر بقوله « يهتم الرجل العادى بالفلسفة من الناحية العملية ، وهو يريد أن يعرف ما قيمة الحياة ، وكيف يجب أن يعيش ، وما هو المعنى الذى يمكن ان يعزوه الى الكون ، وحينما يتراجع الفلاسفة ويرفضون أن يقدموا حتى محاولات للاجابة عن هذه الاسئلة فانهم يتخلون عن تبعاتهم ، والمشكلة العاجلة التى تواجه الرجل العادى هى مشكلة الشر ومن العجيب أن الفلاسفة حينما يتحدثون عن الشر يضربون مثلا له الم الاسنان ، وهم يقولون بحق : انك لا تستطيع أن تشعر بألم الاسنان الذى يصيب غيرك من الناس ، والفلاسفة في حياتهم السهلة الموفقة كانهم يرون أن الم الاسنان هو الالم الوحيد الذى الم بهم وكربهم ، وقد يحمل ذلك الانسان على أن يستخلص من ذلك ان يتقدم طب الاسنان في أمريكا فانه يمكن ان تحل المشكلة حلا مناسبا ، وقد خطر لى في بعض الاحيان انه من الامور المستحسنة ان يقضى الفلاسفة قبل حصولهم على الاجازات التى تمكنهم من ان ينقلوا حكمتهم الى الشبان ـ اقول أن يقضوا سنة في الخدمة الاجتماعية بأحد الاحياء التى يسكنها الفقراء في مدينة كبيرة ، أو أن يحصلوا على ما يسد حاجاتهم بطريق العمل اليدوى ، ولو انهم رأوا كيف يموت

الطفل من الالتهاب السحائي لواجهوا بعض المشكلات التي تعنيهم بعيونهم » .

مشكلة الشر عند الفيلسوف البريطاني برادلي

وقد حاول موم أن يستنير في هذا الموضوع الشائك بالاطلاع على ما كتبه الفيلسوف البريطاني برادلي في كتابه المعروف « المظهر والحقيقة » فلم ترضه الطريقة التي تناول بها الفيلسوف هذا الموضوع ، فهو يقول عن الفصل الذي عقده برادلي في كتابه لتناول مشكلة الشر « انه يترك عندك الانطباع بانه ليس من اللائق المناسب أن تعلق أهمية كبيرة على وجود الشر، ومع ضرورة التسليم بوجوده فانه ليس من المستصوب ان تقيم الدنيا وتقعدها حول وجوده ، ومهما يكن الامر فاننا نبالغ في شانه ، ومن الواضح ان فيه الكثير من الخير ، ويرى برادلي انه ليس هناك الم بوجه عام ، وان « المطلق » يزداد ثراؤه من كل خلاف وتنافر ، ومن كل انواع التنوعات التي يحتويها ويستوعبها، وهو يحدثنا بانه كما ان الضغط والمقاومة في أجزاء الآلة ــ تخدمان غاية تتجاوز هذه الاجزاء فكذلك قد يكون الشان على مستوى أعلى مع « المطلق » ، واذا كان هذا ممكنا فانه من غير شك واقعي ، فالشر والخطأ يخدمان خطة اوسع نطاقا ، وهي تتحقق بذلك ، وهما يقومان بنصيب في خير اسمى، وهما بهذا المعنى صالحان ، وان كانا لا يدريان ذلك ، وموجز الكلام أن الشر من خدع الحواس وليس اكثر من ذلك » .

وحاول موم بعد ذلك ان يقف على راي الفلاسفة الذين ينتسبون الى مدارس فلسفية اخرى في هذا الموضوع ولكنه لم يجد مادة كثيرة ، وعلل ذلك بان مجال القول في هذا الموضوع قد لا يكون متسعا ، ومن الطبيعي ان الفلاسفة لا يعطون اهمية الا للموضوعات التي يستطيعون أن يطيلوا فيها القول ، ويواصلوا البحث ، ولم يجد موم في هذا القليل الذي قراه لهم حول هذا الموضوع ما يرضيه ويشفي غليله ، والشر الذي يصيبنا قد يعلمنا ويسمو بنا ، ولكن الملحوظ لا يسمح لنا بان نرى أن هذا هو القاعدة العامة، وقد تكون الشجاعة والعطف من الصفات البارعة ، وانهما لا يظهران بدون التعرض للخطر ، ومعاناة الشقاء ، ومن الصعب أن نرى كيف أن وسام فكتوريا الذي يكافأ به الجندي الذي عرض حياته للخطر لينقذ رجلا ضريرا سيسلي هذا الضرير عن فقد بصره ، واعطاء الحسنة يظهر البر ، والبر فضيلة ، ولكن هل هذا العمل الخير يعوض المقعد الذي استدعى فقره القيام به عن الشر الذي اصابه ؟

الشرور موجودة في كل مكان

ان الشرور موجودة وماثلة في كل مكان ، فهناك الالم والمرض وموت الذين نحبهم والفقر والجريمة والخطيئة والامل الخائب ، وهي قائمة لا نهاية لها ، فما هي التفسيرات التي يقدمها الفلاسفة ؟ بعضهم يقول ان الشر ضرورة منطقية لكي نعرف الخير ، وبعضهم يقول ان الدنيا بطبيعتها فيها التعارض بين الخير والشر ، وان كلا منهما من الناحية الميتافيزيقية لازم للآخر ، وما هو التفسير الذي يقدمه اللاهوتيون ؟ بعضهم يقول ان الشر قد وجد ليتعلم منه الناس ، وبعضهم الآخر يقول ان الشر قد سلط على البشر عقابا لهم على آثامهم وذنوبهم ، ولكني قد رأيت طفلا يموت من الالتهاب السحائي ، ولم اجد سوى تفسير واحد يرضي حساسيتي وخيالي ، وهذا التفسير هو مذهب تناسخ الارواح ، وهذا المذهب كما هو معروف يفترض أن الحياة لا تبدأ عند الميلاد ، ولا تنتهي بالموت ، وانما هي حلقة في سلاسل غير نهائية من الحيوات ، تحتم كلا منها الاعمال التي يعملها الانسان في وجوده السابق ، فالاعمال الخيرة قد تسمو بالانسان الى أعالي السماوات ، والاعمال الشريرة قد تنزل به الى أعماق الجحيم، وكل الحيوات لها نهاية ، حتى حياة الآلهة ، ولا تلتمس السعادة الا في الخلاص من دورة الميلاد ، والظفر بالطمأنينة في تلك الحالة التي لا يعتريها اى تغير المسماة بالنرفانة ، ويجد الانسان صعوبة أقل من احتمال ما يصيبه في الحياة من شر اذا فكر في أن هذا الشر كان نتيجة ما ارتكب من اخطاء في حياته السالفة ، وسيكون المجهود الذي يبذله ليحسن الصنيع اقل كلفة ما دام هناك امل في أن السعادة ستكون جزاءه في الحياة المقبلة ، ولكن اذا كان الانسان يشعر بما يصيبه من الآلام شعورا اشد واقوى من شعور الغير بها بالامهم فان الام الآخرين تثير حنقه ، ومن الممكن ان يصل الانسان الى

الاستسلام من ناحية الآلام التى تصيبه ولكن الفلاسفة وحدهم الذين ملأ وجدانهم الاعتقاد بكمال المطلق هم الذين يستطيعون أن ينظروا الى آلام غيرهم التى تبدو في الغالب أنهم لا يستحقونها وهم هادئون ، واذا كانت « الكارما » صادقة فان الانسان يستطيع أن ينظر اليهم نظرة عطف واشفاق ولكن في تجلد واحتمال ، ولن يكون هناك مكان للنفور ، وسيكون للألم معنى ويكون ذلك جوابا على الحجة التى كان يدافع بها المتشائمون عن موقفهم ، ولا يسعنى الا الاسف لأنى اجد أن هذا المذهب غير ممكن تصديقه » .

موم لا ينكر ان مستقبل الانسانية خير من حاضرها

ومع ما يبدو في كتابات موم من تشاؤم وسوء ظن بطبيعة الانسان فانه لا ينكر أن هناك تقدما ، وأن مستقبل الانسانية قد يكون خيرا من حاضرها، وقد عرض لذلك في حديثه عن مظاهر الفاقة والحرمان في المدن الكبيرة ، وهو يقول في ذلك « انه لمكفوف البصر هذا الذى لا يرى البؤس والاضطراب في حياة الفقراء في المدن الكبيرة ، ومن الصعب على الانسان أن يستسيغ فكرة ان أحد الناس لا يجد عملا ، أو ان يكون عمله عملا مملا جافا ، وأن يعيش فريق من الناس مع زوجاتهم وابنائهم على حافة الحرمان من القوت وأن لا يتوقعوا شيئا في النهاية سوى الاملاق ، فاذا كانت الثورة تستطيع علاج ذلك فلتأت الثورة ولتأت مسرعة ، وحينما نرى الوحشية التى يعامل بها الناس بعضهم بعضا في البلاد التى تعودنا ان نسميها بلادا متمدنة فانه يكون من التسرع أن نزعم انهم في حالة احسن من الحالة التى كانوا عليها ، ولكن برغم ذلك كله يبدو انه ليس من البلاهة ان نرى أن العالم بوجه عام اصبح مكانا أصلح للحياة مما كان في الماضى الذى يعرضه علينا التاريخ ، وأن حظ الاكثرية العظمى على رداءته اقل نكرا مما كان حينذاك ، ويمكن انتامل في حدود المعقول ان تزايد المعرفة مع ظهور بطلان الكثير من الخرافات المستفظعة والتقاليد البالية واقتران ذلك بالعطف الحانى قد يزيل الكثير من الشرور التى يشقى منها الناس ، ولكن لا بد من أستمرار وجود شرور كثيرة ، فنحن الاعيب في يد الطبيعة ، وستظل الزلازل تحدث الدمار المروع ، والجفاف يفسد المحاصيل ، والفياضانات غير المنتظرة تهدم الابنية المحكمة التى اقامها الانسان، ومن بواعث الاسف ان الحماقة الانسانية ستظل تبتلى الامم بالخراب من جراء الحرب ، وسيظل يولد ناس غير صالحين للحياة ، وتكون الحياة عبئا ثقيلا على كواهلهم ، وما دام هناك قوى وضعيف فان الضعيف سيدفع به الى الحائط ، وما دام الناس مصابين بلعنة حب الامتلاك وهى في اعتقادى ستظل ملازمة لهم فانهم سينتزعون ما يستطيعون انتزاعه من هؤلاء الذين لا يستطيعون المحافظة على ما في حيازتهم ، وما دامت فيهم غريزة تأكيد الذات فانهم سيمارسونها على حساب سعادة الغير ، وموجز القول ان الانسان ما دام انسانا فعليه أن يكون مستعدا لمواجهة كل النكبات التى يستطيع احتمالها ، وليس هناك تفسير لوجود الشر ، وعلينا ان ننظر اليه باعتباره جزءا من نظام الكون ، ومن السذاجة تجاهله ، ولا معنى لاطالة الشكوى من وجوده » .

موم ليس متشائما

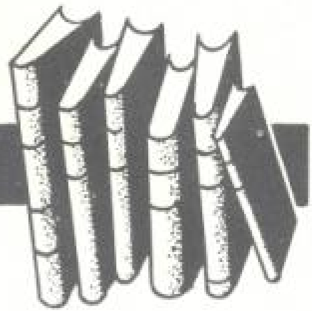
ومع ذلك كله ينفى موم انه من المتشائمين ويقول « لست متشائما ، وفي الحق انه من غير المعقول أن اكون كذلك ، فقد كنت احد المحظوظين ، وطالما عجبت من حظى الحسن ، وأعلم علما ليس بالظن أن الكثيرين ممن هم اكثر استحقاقا منى لم يظفروا بالحظ السعيد الذى أصبته » .

ويتواضع موم ، ويذكر ان ما اصابه من حظ سعيد لم يكن مرجعه الى مواهبه ومزاياه ، وانما كان مرجعه الى الظروف المواتية والمناسبات الحسنة ، ولا يضيق موم بالشيخوخة ، ولا يخشى قدومها لانه اذا كان للصباح اشراقه وجماله فان للمساء روعته وجلاله ، ويقول موم « للشيخوخة لذائها ومباهجها ، وهى وان كانت تختلف عن لذات الشباب ومباهجه فانها ليست أقل منها ، وطالما قال لنا الفلاسفة اننا عبيد اهوائنا فهل التحرر من عبودية الاهواء شيء قليل القيمة ؟ ان شيخوخة الاحمق ستكون حمقاء ، ولكن شبابه كان كذلك ، ان الشاب يزوى وجهه عنها من الخوف لانه يظهر انه حينما يبلغها سيظل مثلهقا

على الاشياء التي يمنحها له الشباب ، ولكنه مخطىء في ذلك ، فحقيقة ان الرجل الذي تقدمت به السن لن يستطيع تسلق الالب ، ولا ان يثير الميل الجنسي عند الآخرين ، ولكنه ليس بالقليل أن يتحرر الانسان من آلام الحب الذي لا يجد استجابة ، ويتخلص من عذاب الغيرة .. ولكن هذه هي التعويضات السلبية للشيخوخة ، وللشيخوخة تعويضاتها الايجابية ، انها تملك متسعا اكثر من الوقت ، وقد يبدو ذلك متناقضا ، وحينما كنت في غضاضة السن عجبت لقول فلوطارخس ان « كاتو » بدأ يتعلم اليونانية وهو في الثمانين من عمره ، ولكنني الآن لا أعجب من ذلك ، فالشيخوخة مستعدة لان تتصدى للنهوض بأعمال ينكل عنها الشباب لانها تستلزم وقتا طويلا ، وفي الشيخوخة يصقل الذوق ، ومن الممكن الاستمتاع بالفن والادب دون ان يفسد الميل الشخصي علينا متعتنا وأحكامنا » .

والواقع ان كتاب الخلاصة مزيج من الترجمة الذاتية ، والاعترافات والمذكرات الشخصية ، وقد قدم فيه موم لقرائه خلاصة حياته ، وعصارة تجربته ، وجماع فلسفته ، في أسلوب واضح شائق ، وصراحة مستحبة . ■■

علي ادهم



مِنَ الكتب التي وصَلتنا

نظرات جديدة في تاريخ الأدب

تأليف : الدكتور احمد لوساني ــ بيروت ــ لبنان .

● يعرض هذا الكتاب لبعض وجهات النظر المعينة في بعض جوانب تاريخ الادب العربي ، ففي مقدمة الكتاب بحث عن الكتابة العربية حروفا واملاء ، وقد طبع هذا الكتاب بقواعد تعدل بعض ما هو سائد من قواعد الكتابة العربية .

اما البحث الثاني فيتناول حسان بن ثابت ومسألة اتهامه بالجبن ، ثم الاصول التي يجب اعتمادها والعناصر الواجب تمحيصها في كل دراسة ادبية ، فالمؤلف ينتقد الروايات الواردة في المصادر العربية عن جبن حسان بن ثابت ، فيحكم بضعفها وينتهي الى رفضها .

اما البحث الثاني ، فيدرس شخصية عبد الله ابن المقفع ، والتشكيك في كتابيه « الادب الكبير » و «الادب الصغير» ، وهل هما منحولان الى ابن المقفع ، وهل ابن المقفع منشىء هو أم مترجم ، وهل كتب ابن المقفع ادبا للاحداث .

اما البحث الاخير فيدرس الشعوبية ، وهل كانت نتيجة عفوية لاحتكاك العنصريات في المجتمع الاسلامي ام انها حركة متعمدة رمت الى تحطيم المجتمع الاسلامي من الداخل ، وهل الشعوبية كانت لها علاقة حميمة باليهودية ، ثم هل كان العرب والاعاجم ضحية لعبة دنيئة أو عنصرية دفعت بهم الى صراع ، وبالتالي الى هدم كيان المجتمع الكبير الذي جمعهم ركنين لحضارته .

تاريخ الانبار

تأليف : علي بن الحسين الهاشمي الخطيب النجفي .

الناشر : دار الثقافة بيروت ــ لبنان .

● دراسة عن مدينة الانبار العراقية واهميتها التاريخية واحداثها الدامية وثوراتها المرعبة عبر التاريخ ثم دراسة من نبغ فيها من مفكرين وادباء وشعراء واهمية موقعها الجغرافي حيث كانت هذه المدينة الحد الفاصل بين بادية العرب ومملكة فارس .

ثم تناول الكتاب دراسة تاريخ هذه المدينة القديمة ، فيذكر انها كانت مدينة فارسية في بدء عمارتها قبل الفتح الاسلامي ثم صارت مدينة اسلامية عند الفتح الاسلامي وازدهرت في العهدين الأموي والعباسي واتخذها ابو العباس السفاح عاصمة له .

الاخطل الكبير
حياته وشخصيته وقيمته الفنية

تاليف : الدكتور فخر الدين قباوة .

الناشر : دار الاصمعي للنشر والتوزيع ـ حلب ـ سوريا .

● هذا الكتاب يقع في اربعة فصول يدرس الفصل الاول حياة الاخطل اسمه والقابه واسرته ثم قبيلته تغلب ونشاطها في صدر الاسلام ، أما الفصل الثاني فيختص بحياة الاخطل منذ مولده حتى وفاته ، وكيف صار نصيرا للامويين على الانصار ومن ثم امسى شاعر الدولة ، ثم كيف صار بعد ذلك احد شعراء النقائض المشهورين .

والفصل الثالث يدرس فيه المؤلف شخصية الاخطل ومحاولة رسم خطوط شخصيته من خلال اخباره واشعاره وكيف ان ادمان الخمرة لعب دوره الاساسي في تكوين سلوكه ومواقفه ومنازعه ، ثم ما تميزت به سماته العقلية من ثقافة عربية صافية . فاذا هو واع لتاريخ القبائل وانسابها ملم باساليب الشعر وفنونه وموضوعاته ففي الميدان السياسي نجده في قبيلته تغلب سيدا مرموقا يذود عن حياضهم بلسانه وبيانه ثم نجده يسير في ركاب الامويين يروج شعاراتهم ويهاجي خصومهم .

اما الفصل الرابع فيدرس فيه القيمة الفنية للاخطل والتباين في بيان منزلته الفنية فهو عند بعضهم اشعر العرب لا يجاريه احد وفي بعضهم الآخر يكون واحدا من شعراء الطبقة الاولى بعد الاسلام وفي روايات اخرى نراه مقدما على جرير والفرزدق ثم نجد بعد ذلك من يفضل بعض فنونه او قصائده ومن يجعله دون اقرانه .

أنوار الربيع

تاليف : السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني .

حققه وترجم لشعرائه : شاكر هادي شكر .

الناشر : مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف ـ العراق .

● كتاب من كتب التراث العربي يقع في ثمانية مجلدات كبيرة يتضمن بديعية صاحبه المشهورة مع شرحها وخلاصة لكل المصنفات التي سبقته في علم البديع وقد قارن المؤلف فيه بين بديعيته المذكورة وبين بديعيات الصفي الحلي وابن جابر الاندلسي وعز الدين الموصلي وغيرهم ، وتوسع في ايراد الشواهد ولكنه احسن الاختيار الى درجة تثير الاعجاب وتصرف في الشروح فاورد خلال تلك الشروح من الحوادث التاريخية والمواعظ والنكات والطرائف الادبية ما يشرح الخواطر ويبهج النفوس ويوسع المدارك .

والمعروف ان هذا الكتاب طبع في حياة مؤلفه مرة واحدة طبعة حجرية في ايران سنة ١٣٠٤ هجرية وهذه النسخة مشوبة بالتصحيفات والتحريفات الى درجة فظيعة كما ان بعض الكلمات والجمل ممسوحة تماما لذلك قام المؤلف بمقابلة النصوص مع مئات الاصول التي اقتبست منها واشار الى كل خلاف بينها في الهامش كما قام المحقق بترجمة لكل شخص وعرف كل كتاب وكل موضع ورد ذكره في الكتاب ولما وجد ان هذه التراجم كثرت اكتفى بترجمة مختصرة لكل شخص استشهد المؤلف بشيء من شعره مع ذكر المصادر التي ترجمت لذلك الشخص .

ذكريات عارية

تاليف : السيد ابو النجا .

الناشر : دار المعارف بمصر ـ القاهرة .

● هذه ذكريات فيها الوان من النقد الذاتي والموضوعي فهي خواطر عن طفولة وصبا وشباب وكهولة وملاحظات ناقدة عن الكاتب ونشأته وتربيته وعن بعض من عرفهم في حياتهم منهم المدرس والعامل ، ورجل الاعمال والسياسي ، والصحافي والفتاة المصرية والاوربية ، انماط متباينة من الناس وهو هنا اذ يسجل ذكرياته ايام موقفين متقابلين موقف الكاتب الراوي وموقف الناقد الساخر .

ويبرز في هذه الذكريات تطور عقلي واضح لصاحبها في مختلف مراحل حياته فهو في نشأته محمل بخرافات وتقاليد كثيرة حتى اذا ذهب الى الغرب في بعثة تكامل تحرره العقلي واستقر في نفسه ان الغاية المثلى للمناقشة البحث عن الحقيقة لا غلبة الخصم وقهره ، كما يؤكد المؤلف في غير موضع من ذكرياته ان كل ما اصابه من توفيق ونجاح انما هو ثمرة ظروف عارضة خارجة عن ارادته .

تولستوى فنانا

تاليف : الدكتورة حياة شرارة .
الناشر : مطبعة سلمان الاعظمى ـ بغداد ـ العراق .

● دراسة عن الكاتب الروسي ليوتولستوى وما يمتاز به أدبه من محتوى انساني عميق ، ودعوته للخير وسيادة العلاقات البشرية ، ونقده الشديد للظلم والطغيان والفساد والانحطاط ، ثم ما تمتاز به رواياته من آراء في التاريخ والفلسفة والقضية الفلاحية .

وقد تقصت المؤلفة خصائص اسلوب تولستوى وطرقه الادبية في كشف شخصية البطل ، وتقصي حياته النفسية والفكرية ، والتغيرات والتقلبات التى تطرا عليه ، ثم التحليل الداخلى لابطاله والطرق التى تسلكها والمنعطفات التى تطرا عليها ، فقد تناولت المؤلفة عناية الكاتب بالفرد ومشاكله الفكرية والعاطفية بارتباطها بقضية الدفاع عن حرية الانسان وتحريره من القيود الاجتماعية والاقتصادية التى كانت تكبله وتسحق شخصيته وتحول دون تفتحها وتطورها الطبيعي .

والمؤلفة تناولت تراث تولستوى في فترة نشوئه الادبى وكتاباته الاولى حتى سنوات الثمانين من عمره ، كما اعتمدت المؤلفة بصورة خاصة في هذا التحليل علىروايتي الحرب والسلام وآنا كارنينا . نظرا لاهمية هاتين الروايتين في انتاج تولستوى ولنضوج اسلوبه وتكامله فيهما بشكل واضح .

سوسيولوجية ثورة

تاليف : فرانز فانون .
ترجمة : ذوقان قرموط .
الناشر : دار الطليعة ـ بيروت .

● يرسم هذا الكتاب صورة واقعية للتغيير الذىيولد مجتمعا ثوريا جديدا فهو يبحثانسحاق المجتمع المستعمر وردود فعله العفوية ، وتأثير الثورة على البنية التقليدية ، والعلاقاتالاجتماعية السائدة في المجتمع وقد اتخذ المؤلف الثورة الجزائرية مثالا لدراسته لهذه الظاهرة .

يقول المؤلف ان الاستعمار يشوه الطبيعة الانسانية وهو وان لم يستطع أن يسحق الانسان المستعمر نهائيا ويقتلع منه جذور ثقافته فانه يضعه ويضطره على الأقل الى الانغلاق على نفسه والاعتماد باشكال من الثقافة بالية ، بل انه ممتنع عن الاخذ بارقى اشكال الحضارة الحديثة اخذا سليما عفويا .

فعندما اندلعتشرارات الثورة الجزائريةتجاوب الشعب معها وان هذا الشعب بالحاح مقتضيات الثورة اى بالحاح رغبته العميقة في الاستقلال بدأ يستمع الى الاذاعة ويتبنى السفور ويقبل على التداوى ، وكذلك قبل بانخراط المراة في المقاومة بل وافتخر بذلك . بعد ان رفض هذا المجتمع دعوة رجل الاحتلال له بالسفور وبعد ان كان يرفض الطب ويقبل على العقاقير والاحجبة .

فهذا الكتاب في الحقيقة يتناول دراسة آثار الثورة على المجتمع وهو ينطلق من الايمان بان الثورة تحمل الى النفوس البرء والطهر ويستطيع المجتمع ان يتخلص من ادران الجمود والتاخر بل ان هذا المجتمع يدفع تلك الاوهام المزمنة والافكار البالية ويتصل مباشرة بينبوع الحياة المتجدد ، كذلك فان هذا المجتمع لا يتبنى اكثر اشكال الحضارة تقدما فحسب بل يضعقيما جديدة ويبنى حضارة ويتكشف عن قدرة فائقة على الاتقانوقابلية مذهلة للتجدد والتطور .

العالم حقائق وارقام

تاليف : حمد محمد السعيدان ـ الكويت .

● كتاب يجمع بين دفتيه المعلومات العديدة المختلفة عن العالم الذى نعيش فيه ، فهو يحوى معلومات عن الانهار والجبال والمحيطات والبحار والجزر والبحيرات ، كما ان هناك معلومات قيمة عن قارات الدنيا ومساحتها وسكانها وبلدانها ، كما حوى معلومات عن الايام والشهور والاحداث الهامة في تاريخ البشرية منذ مطلع القرن العشرين، ويضم الى جانب ذلك معلومات اخرى عن كل بلد وكل قطر عن منتوجاته وعواصله وشعاراته واعلامه ثم معلومات اخرى عن غلات العالم وعواصمبلدانه.

الفرائد الغوالى على شواهد الامالى للسيد المرتضى

تاليف : الشيخ محسن آل الشيخ .
الناشر : مطبعة الآداب فى النجف الاشرف ـ العراق .

● موسوعة عامة تبحث فى العلم والتفسير والعقيدة والتاريخ والآداب . ■■

إمامُ الحَرَمَيْن (٤١٩ – ٤٧٨ هـ)

الجُوَيْنِي ورأيُهُ في المَعْرِفَة

بقلم : الدكتورة فوقية حسين محمود

■ اصولى ذاع صيته فى القرن الخامس الهجرى : هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن عبد الله بن حيوية . ابو المعالى الجوينى النيسابورى . لقب بامام الحرمين لانه جاور بمكة اربع سنوات .

وربما يحق لنا ان نعرّف به وبمصنفاته ، قبل ان نعرض لآرائه فى المعرفة . .

ولد بولاية خراسان ، ببلدة صغيرة تسمى « بشتنقان » او « بشتنكان » وهى من ضواحى نيسابورسنة ٤١٩ هـ .

أبوه

وقد يتبادر الى الذهن انه خراسانى الاصل .. الا ان والده طائي سنبسي ، وسنبس ابو حيّ من طيء ، وطيء ، كما نعلم قبيلة مشهورة من قبائل العرب ..

تربى عبد الملك في بيت علم وتقوى ، فوالده هو : ابو محمد عبد الله بن يوسف الجويني صاحب التصانيف في الاصول، فله كتاب «الفرق» و « السلسلة » و « التبصرة » ثم له « تفسير كبير » وغير هذا وذاك من المصنفات القيمة .

يحكى عنه انه كان يقول في دعاء قنوت الصبح : « اللهم لا تعقنا عن العلم بعائق ، ولا تمنعنا عنه بمانع » . وكان يخشى الوقوع فيما فيه شبهة ، فكان يحاسب نفسه حسابا عسيرا في امور حياته عامة وفيما يتعلق بتربية ولده خاصة . فالمراجع تحدثنا عن موقفه من الجارية التى ارضعت ابنه عبد الملك ، دون أن يأذن لها اصحابها . فما كان منه الا ان قلب ابنه وبوّءه حتى لا يبقى في بطنه شيء مما ابتلعه .

رعاية لعبد الملك خاصة

وهذا يعنى ان عبد الملك ، قد لقى منذ نعومة اظفاره رعاية خاصة وجهته وجهة العلوم الاسلامية من جهة ، ومن جهة اخرى جعلته يعيش مواقف حية في تلك البيئة الاسلامية الخالصة ، فتعرف على معانى الحق والواجب ، وخشية الله ، وبغض الحرام والاقبال على الحلال . وقد كان لهذا كله اثره في ان شب وقد تحلى بخلال حميدة ومعان اسلامية عميقة ملأت نفسه ، فأدبتها ، فاذا به ،

وهو الذى حباه الله بعقل راجح ، يقبل على علوم عصره ويختار منها ما يدافع به عن امور الدين .

فلقد عاش امام الحرمين في عصر (٤١٩ هـ ـ ٤٧٨ هـ) تميز بالفتن والقلاقل السياسية والدينية فقد اندثرت في عهده دولة البويهيين ـ وهم من الموالين لاولاد على اى الشيعة ـ وظهر السلجوقيون الموالون لاهل السنة ـ ويحكى لنا التاريخ ان الفتن كانت قد تعددت ببغداد والبصرة ونيسابور قبيل ظهور السلاجقة ـ وفي بدء عهدهم حيث كثر تناطح الفرق بالحجج والبراهين العقلية فكان لزاما على من يعهد في نفسه المقدرة على الدفاع عن الدين ان يفعل ذلك ـ وهذا ما كان من امام الحرمين .

اجتهاده في المذهب

فبعد ان اخذ الفقه عن والده ، جد واجتهد في المذهب والخلاف والاصول ، وتلقى الحديث عن منصور بن دامس ، وسعد النضدوى وسعد بن عليك ، وغيرهم . كما تلقى الكلام عن الاسفراييني (+ ٤٥٢ هـ) والخبازى (+ ٤٤٩ هـ) وبلغ درجة عالية في التحصيل حتى انه قعد للتدريس مكان والده ، وهو ما زال في سن مبكرة .. وقيل له الشيخ ، وصار اماما وهو لم يبلغ العشرين ربيعا .. ولم يمنعه الجلوس للتدريس عن مواصلة تحصيل العلم .. وبقى على هذه الحال يتلقى العلم ويلقنه مدافعا عن العقائد ..

حتى اندلعت الفتنة

حتى اندلعت فتنة بنيسابور امتهنت فيها كرامة اهل السنة ، وكان ذلك حوالى عام ٤٤٦ هـ فنزح عنها مع جماعة من اصحابه من بينهم ابى قاسم القشيرى وتوجه الى العسكر ومنها الى بغداد ثم رحل الى الحجاز حيث جاور بمكة ، يفتى ، ويناظر وينشر العلم . ويقال انه كان يقضى ليله طائفا متعبدا في الكعبة الشريفة حتى قيل انه خاض في علوم الصوفية ـ فكان يبكى الحاضرين ببكائه لاحتراقه في نفسه وتحققه بما يجرى من دقائق الاسرار .

رجع الجوينى الى نيسابور بعد انتهاء نوبة التعصب ضد اهل السنة وذلك حين تولى الملك ألب ارسلان السلجوقى حكم خراسان ومعه وزيره نظام الملك .

بناء المدارس النظامية

ولما كانت سياسة نظام الملك تقوم على توطيد اركان الحكم ببث الطمانينة في النفوس وتثبيت العقائد في العقول فقد بنى المدارس التى عرفت باسم « النظامية » واقعد فيها كبار ائمة اهل السنة للتدريس والفتوى ـ وقد ورد عنه انه قال ـ عندما وشي به الواشون لدى ملك شاه ، بان الاموال التى ينفقها على المدارس تقيم جيشا يركز رايته في سور القسطنطينية ـ قال وهو في معرض الدفاع عن نفسه :

« انى اقمت جيشا يسمى جيش الله ، اذا نامت جيوشك ليلا قامت جيوش الليل على اقدامها، صفوفا بين يدى ربها ، فارسلوا دموعهم ، واطلقوا السنتهم ، ومدوا الى الله اكفهم بالدعاء لك ، ولجيوشك ، فانت وجيوشك في حضانتهم تعيشون، وبدعائهم تتبتلون ، وببركاتهم تمطرون وترزقون ».

بنى نظام الملك المدارس وجلس امام الحرمين للتدريس بالمدرسة النظامية ، بنيسابور وبقى بها يناظر ويفتى ويدافع عن الديـن حتى اخريات ايامه ، اى لفترة تزيد على الثلاثين عاما .

وفاته

وتوفي امام الحرمين في ليلة الاربعاء الخامس والعشرين من شهر ربيع الاخر من سنة ثمان وسبعين واربعمائة ٤٧٨ هـ .

خلف وراءه تصانيف كثيرة

وقد ترك لنا تراثا قيما فقد صنف في الفقه ، واصوله ، واصول الكلام والخلاف والجدل وعلوم اخرى . ويصل عدد مصنفاته التى عثرنا لها على نسخ بالمكتبات الى سبعة وعشرين مصنفا . وان كانت المصادر القديمة تذكر له عددا وفيرا من المصنفات . وليس غريبا على امام الحرمين ان يغزر انتاجه وهو الذى كرس حياته للتدريس وشرح المذهب .

واغلب مصنفاته ما زال مخطوطا اذ لم يطبع

منها سوى سبعة فهو صاحب « الارشاد الى قواطع الادلة في اصول الاعتقاد » و « الشامل في اصول الدين » و « العقيدة النظامية » و « لمع الادلة في قواعد عقائد اهل السنة والجماعة »(١) .

ومن ابرز مصنفاته المخطوطة « البرهان في اصول الفقه » و « نهاية المطلب في دراية المذهب » .

آراؤه فى المعرفة

اما عن ارائه في المعرفة (٢) ، فانه كاصولي ــ له باع في العلوم الاسلامية . قد حرص على ان يكشف عن منهجه في التحصيل وبين رأيه في كيفيته والحدود التى يحد بها نفسه ، طبقا لما تقتضيه طبيعة الموضوعات التى يبحثها .

ولذلك نجده يستهل امهات كتبه بفصل او فصول في « العلم ومداركه » مثل كتاب « البرهان في اصول الفقه » و « الارشاد الى قواطع الادلة في اصول الاعتقاد » . وغيرهما .

ويهمنا ــ ونحن بصدد التعرض لآراء هذا العالم السنى الكبير في المعرفة ، انتثبت امرا طالما تشكك فيه البعض فاثبتوا عنه آراء تحيد عن الصواب . اما هذا الامر فهو : مدى صحة الاستعانة بالعقل في العلوم الدينية وصحة ذلك بالنسبة لاهل السنة الذين يحافظون على الدين على طريقة السلف .

لقد تبين الجوينى انه ليس في العقل ما يتعارض مع نصوص النقل ، الا اذا حاد العقل عن العلم الصحيح وانحرف النقل عن الصورة التى نزل بها . هذه حقيقة عقلها المسلمون الاوائل ، وكبار الائمة ممن ارتوت نفوسهم بمفاهيم الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة ووعت عقولهم معانيهما الدقيقة .

لقد نهج كبار ائمة المسلمين ، في مختلف العلوم، الدينى منها وغير الدينى ، مناهج لم يهتد اليها ، من هم ليسوا من اهل الكتاب الا فيما بعد وربما نقلا عنهم ، لان ما تكشف عنه اقوالهم في كيفية تحصيل العلم مثلا ــ يثبت انهم قد وقفوا على حقائق لم يستطع كبار مفكرى الغرب ان يقفوا عليها الا بعد قرون وقرون ، مما يجعل السبق لائمة المسلمين ، في التعرف عليها . مثال ذلك : وعى ضرورة اختلاف المناهج باختلاف الموضوعات ، وضرورة تكيف اساليب العرض بمقتضيات العقول الدارسة طبقا للون ومستوى ثقافة هذه العقول ، وارتباط النظر بالعمل ، وعدم الفصل بينهما على نحو ما كان عليه الفكر الغربى المتأثر بالاتجاه اليونانى القديم .. الى غير ذلك من الاسس والمبادىء التى اهتدوا اليها بفضل هدى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

ان الكتاب الكريم يحض على النظر ــ والايات التى تثبت ذلك متعددة ، فالنظر واجب بالشرع ، وقد دعا النبى (ص) المسلمين الى التعلم ، بل جعل العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ،دعاهم الى النظر العقلى ، كوسيلة من الوسائل التى تهيىء لهم التماس الحقيقة التى يبغونها ، طالما ان هذه الحقيقة في متناول القدرة الحادثة ، اى قدرة البشر اى طالما انها ليست من الغيبيات التى نهى الكتاب الكريم عن الخوض فيها . فلقد قال الله تعالى فيما يتعلق بالروح مثلا :

« وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى . وما أُوتِيتُم مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً » (٨٥/ ١٧ الاسراء) .

فهناك اذن علوم تفوق مستوى الوعى البشرى ، وهذا يعنى ان الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة قد وضعا للعقل حدودا وهذه الحدود تتمثل في تعذر العلم بحقيقة الغيبيات وان كان من المتيسر اثبات وجودها بالحجج والبراهين العقلية : فهناك فرق في باب العلم ، بين التعرف على حقيقة المعلوم والقدرة على اثبات وجوده .

١ ــ تقديم وتحقيق كاتبة هذه السطور .

٢ ــ انظر كتاب « الجوينى امام الحرمين »سلسلة اعلام العرب رقم ٤٠ (الدار المصرية للتأليف والترجمة) طبعة اولى عام ١٩٦٤ ــالطبعة الثانية ١٩٧٠ م تأليف كاتبة هذه السطور.

اعتراف الجوينى بحدود العقل

ولقد اعترف الجوينى بحدود العقل وتحدث عن تنوع الموضوعات ، وميز بين مواجهة الموضوع لمعرفة حقيقته ، ومواجهته لاثبات وجوده ، فتراه يقول في كتابه « العقيدة النظامية »(٣) بقصور العقل عن التعرف على حقيقة الذات الالهية ـ وهذه بالطبع حقيقة غيبية ـ ويعترف بقدرته فقط على اثبات وجوده أى الله سبحانه وتعالى .

ولا يقتصر التنوع لديه على حقائق غيبية واخرى غير غيبية ، وانما تجده يفرق فيما يتعلق بالحقائق غير الغيبية بين ما هو نقلى وما هو غير نقلى ، بين ما هو بسيط وما هو مركب ، بين ما هو عقلى وما هو حسي ، بين ما هو نفسي وغير نفسي .. الخ . معترفا باكثر من مصدر للمعرفة .

فنجده مثلا يبين ان حقائق الاشياء وبعض المفاهيم مثل استحالة المستحيلات ، وجواز الجائزات، ووجوب الواجبات العقلية، لا التكليفية الضرورية منها والنظرية ، يمكن أن تدرك بالعقل وحده .

اما ما يدرك بالسمع وحده فهو وقوع الجائزات وانتفاؤها بمعنى ان كل ما هو ممكن ومقدور لله تعالى ، وأخبر عنه مخبر" انه وقع يصح تصديقه ، طالما المخبر صادق .

وأخيرا نجده يحدد موضوعات تدرك بالسمع والعقل جميعا وهى تلك التى ترد عن طريق السمع ولا يطمئن اليها العقل ، وهذه ، يحث الامام على ان يعمل الباحث فيها عقله ، حتى يزول عنها اللبس . والاصول تدخل في هذا اللون من المعرفه.

الانسان جبل على ادراك المستحيلات العقلية

وهو يرى أن الانسان قد جبل على ادراك المستحيلات العقلية ، فالعقل هو « ذلك التهيؤ الذهنى لرفض بعض الاعتبارات وقبول غيرها ، واعتبار الاولى « المستحيلات » والثانية «الممكنات» وهذا علم بديهى ومصدره العقل وحده . ولفظ « عقل » هنا بالمعنى الضيق : اى ، تلك الملكة المنطقية التى تتعرف على ما هو مستحيل وما هو جائز ، كما ذكر الامام ـ وليس بالمعنى الواسع اى بمعنى الوعى العام او الوجدان الذى يستعمل فيه اللفظ في بعض الاحيان ، سواء لدى امام الحرمين أو لدى غيره من القدامى او المحدثين .

الجوينى يعترف بالمعرفة تأتى عن طريق الحواس

ثم يعترف الامام بالمعرفة الاتية عن طريق الحواس ـ كالاصوات المدركة بحاسة السمع والالوان المتعاورة على الذات والطعوم والروائح والحرارة والبرودة . ويرى انها نوع من العلم غير المقدور للانسان . مثله في ذلك كمثل البديهيات .

وكذلك النفس تحقق علما يدرجه الامام ضمن البديهيات ويقول في ذلك « اذا قدر الواحد على التقلب في الجهات ، فيعلم من نفسه حال القادرين بداهة ، ووضوح ذلك يغنى عن الاغراق فيه » (البرهان ل : ١٧) ويحدد الامام ان السمعى من العلوم يحصل عن طريق المرشد والادلة السمعية.

ويعرفنا بالمرشد فيبين انه هو الذى يقول بكلام صادق ، ووسيلته لدعوة الخلق الى قبول هذا الكلام : المعجزات. والادلة السمعية هى «الكتاب» و « السنة » .

المعجزة لديه

والمعجزة لديه ، تقتضي صدق من ظهرت على يديه ، فالمعجزة خارقة بطبيعتها للعادات ، فقيام مدعي النبوة بالعمل الخارق يجعل المرء يشعر تجاهه شعورا مباشرا بانه ينفرد بقدرة خاصة فيصدق به . هذا الشعور يشبه البديهيات التى تحدث في العقل اذ يقول : « ان وجه دلالة المعجزة يقرب من اشعار قرائن الاحوال بالعلوم البديهية».

كان يربط العقلى بالتجريبى

اما العقلى فيربطه بالتجريبى ويقرر ان العقل قد جبل على الالمام بالجزئي ، الذى تتم معرفته بالاستقراء وتقرير احكام تتفق والواقع .. وقد فطن الامام الى حقيقة لها اهميتها ، وهي أن ما لا يمكن معرفته الان ، من الجزئي ـ كخاصة الجذب بالمغناطيس مثلا ، يمكن معرفته فيما بعد عندما تتهيأ النفس بمزيد من الاحتكاك بالطبيعة

٣ ـ تحقيق الشيخ زاهد الكوثرى ص ١٦ .

الخارجية . فكلما تحقق اتصال الباحث بمجال جزئي من مجالات الطبيعة فطن الى اساليب تناوله وتهيأت النفس لبحث حقائقه ومعرفة كنهها (البرهان ل : ٢١) .

اما ما يشترك السمع والعقل في ادراكه فيتبع فيه صناعة الحد « ان امكنت عبارة سديدة على ذلك » (البرهان ل:٢) معطيا للنص مكان الصدارة والاولوية : وكل ما يتطلبه هذا المنهج ان تتفق خطوات الباحث فيه وما قرره لنفسه آنفا من حدود ، فالجويني يقيد نفسه في منهج الاصول بالنصوص المنزلة .

وقد فرق بين هدف كل معرفة ، فالهدف فيما يتعلق بالغيبيات هو على وجه الخصوص : اثبات وجود المعلوم ، والهدف من العلوم الاخرى هو التعرف على حقيقة المعلوم وكنهه .

السمعيات
التي يكون فيها التصديق واجبا

فالسمعيات التي يكون التصديق بها واجبا ، يكون دور العقل فيها محدودا من حيث معاونة الفرد على تثبيت ما سبق وقبله وآمن به بالقلب وذلك عن طريق الحجج والبراهين العقلية المعتمدة على النص . فالغاية هي ارساء قواعد الدين في النفس . فالعقل بهذا يكون له مكانته فيما يتعلق بالاصول من حيث انه يكسب هذا العلم درجة من اليقين ترتاح اليها النفس .

غير انه لما كان الامام يعتقد ان للعقل حدوده التي لا يملك ان يتعداها فهو يبين انه وحده غير قادر على حمل المرء على التفكير في الله سبحانه وتعالى وفي نعمه وافضاله ـ وان الامر التكليفي في الشرع يعاون الفرد على استكمال ما لا يستطيع الفرد القيام به . بدون الشرع . ثم النفوس في حاجة الى منبه او ملفت لا ينبثق من داخلها ، وانما يأتيها من الخارج ، من الشرع الحنيف ، ولذلك جعل البحث ، في العلوم الدينية يقوم على اصل شرعي ينبه النفس ويوقظها من سباتها العميق . فالعقل بالنسبة للسمعيات يجيء في مرتبة تالية ، ولا يهدف الا الى تثبيت ما سبق وقبله القلب بالايمان .

وهذا يختلف تماما عن موقف الباحث من العلوم غير الدينية حيث يكون الهدف هو التعرف على حقيقة الموجود كما هو موجود في الواقع الخارجي .. وقد يتيسر للباحث ذلك بصفة فورية وقد يتطلب وقتا من اجل ان يقع على الاسلوب المناسب لاستخراج الحقائق من الجزئيات التجريبية .

علوم ضرورية واخرى نظرية تعتمد عليها

فاذا اردنا الان ان نتبين كيفية تحصيل العلوم لديه نجد انه يعتبر ان هنالك علوما ضرورية واخرى نظرية ، تعتمد على السابقة ، فهو يصرح بان ما تقدمه مصادر المعرفة ، من : عقل وحس ونفس يمثل في اساسه معرفة ضرورية او « علما ضروريا » يدركه الفرد دون نظر اذ يحصل من تلقاء نفسه « كالعلم باستحالة اجتماع المتضادات » و «الالوان المعتورة على الذات » و « علم المرء بنفسه » فهذه كلها علوم غير مقدورة للانسان وهي اساس للعلوم النظرية .

اما العلوم النظرية وكيفية كسبها فهو يصرح بان النظر عبارة عن تراوح بين العلوم البديهية او الضرورية بانماطها الثلاثة من عقلية وحسية ونفسية ، والربط بينها وبين فرض جديد اي ربط الفرض الجديد ببديهية راسبة في العقل . وعملية الربط هذه تقتضي الانتقال بين النفي والاثبات اي التراوح بينهما ، الى ان تتكشف الحقيقة وترتاح النفس الى فرض معين وقد يطول الفكر وقد يقصر وذلك حسب « حدة القرائح وكلالها » كما يقول الامام ـ اي حسب استعداد الذهن الفطري ليتبين الحقيقة فكان تبين الحقيقة لديه يتم عن طريق معاناة نفسية تقوم على مواجهة مباشرة بين العقل والمشكلة حتى يتبين له احد القسمين « اما النفي او الاثبات » وهذا ما يسميه الجويني « بالتردد بين انحاء الضروريات » .

ويلاحظ انه لا يقبل من الادلة سوى التراوح بين « النفي والاثبات » فلا اصل « لبناء الغائب على الشاهد » ، ولا « علة ولا معلول » ولا « استدلال بالمتفق على المختلف » . فهو يحصر نفسه في « النفي والاثبات الذي يدل بصفة لازمة فيه » و « لا يتقرر في العقل وجوده غير دال على مدلوله » . فالباحث يجد نفسه وجها لوجه امام المشكلة .

الفترة الحرجة

ويحدثنا الجويني عن هذه الفترة الحرجة فيبين خطورتها ، ويثبت ان الباحث يكون عرضة اثناء تراوحه بين النفي والاثبات ، لان يعتقد اعتقادا مخالفا للعلم الصحيح ، فيقع في الخطا او تطول فترة الانتقال بين النفي والاثبات فيقع في الشك . ويسمي الجويني حالات الخطا « عقودا » تتعلق بمعتقد على خلاف ما هو به ، والحقيقة لديه مثل الضروريات – موجودة في النفس – واحتكاك النفس بالخارج هو الذي يجعلها تنبثق وتظهر .. فكان الجويني يحرص على ان يثبت ان العلوم كلها – الضروري منها والنظري – تنبعث من النفس بعد احتكاكها بالواقع الخارجي ، المنفصل عنها والذي له وجوده في ذاته ولكنه يمثل للنفس – وينبثق منها مثله في ذلك كمثل البديهيات والحسيات وغيرها من المدركات المباشرة .

ولم يفت الجويني ان يتحدث عن الخبرة ، وقيمتها في جعل كسب المعرفة صحيحا ، او يتم في وقت اقصر – فهو يقول « ان موقف التمييز بين ما هو مطلوب وما ليس بمرغوب فيه ، يقتضي لكي يحسن اداؤه خبرة » (برهان ل : ٢١) كما يقول « العلم لا يحصل لا محالة من غير تقدير فرض خبرة فيه ، ولن يبلغ المرء مبلغ التحقيق في ذلك حتى يعرف مذهبا في حقيقة النظر » (البرهان ل : ١٤) .

اما المعيار او المحك الذي يعتبره الجويني دليلا على الحقيقة اثناء معاناة الباحث للتراوح بين النفي والاثبات ، اى اثناء التساؤل فهو : الشعور بالارتياح . ويقول في ذلك « ان الذي على علم حقيقي يشعر في نفسه بالارتياح والثلج والثقة » (البرهان ١٤) .

فهو بهذا قد ربط بين النظر والعمل من جهة او بين الذات والتجربة او الواقع الخارجي . ومن جهة اخرى فرق بين انماط الموضوعات بحيث اعطى لكل موضوع حقه من المنهج الذي يناسبه معتبرا ان للاصول منهجا خاصا يجمع النقل والعقل ويعطى للنقل مكان الصدارة – لا من حيث التقديم والتاخير ولكن من حيث المكانة التي يجب ان تجعل العقل تابعا للنقل . في الحدود التي لا تمس حرية انطلاقه . فكلنا يعلم ان الحرية لا تعني الفوضى في الانطلاق .

ان التعرف على اقوال الجويني امام الحرمين في المعرفة او « العلم » ينتهي بالباحث الى تبين اصالة في الفكر تستحق كل اهتمام وتقدير فقد قدم مذهبا يعد من ادق المذاهب التي عرفت بين العرب حتى ذلك الحين .

امام الحرمين شخصية لها مكانتها

فامام الحرمين شخصية اسلامية ، لها مكانتها في الفكر الاسلامي ولها اثرها ، في بناء صرح العلم الحديث ، بما قدمت من اسس منهجية لها قيمتها في تحصيل العلوم .

ولقد قال فيه معاصره : الشيخ الامام ابو اسحق الشيرازي « تمتعوا بهذا الامام ، فانه نزهة هذا الزمان » وقال له مرة اخرى : « يا مفيد اهل المشرق والمغرب ، لقد استفاد من علمكم الاولون والاخرون » .

وفقنا الله جميعا الى ما فيه خير المسلمين. ■■

د . فوقية حسين محمود

صلاة اعرابيــة

● حكى الاصمعي قال : خرجنا نريد البصرة فنزلنا على ماء لبني سعد ، فاذا اعرابية نائمة ، فانبهناها للصلاة ، فأتت الماء فوجدته باردا ، فتوجهت الى القبلة قاعدة ، ولم تمس الماء فكبرت ثم قالت : اللهم قمت وانا عجلى ، وصليت وانا كسلى ، فاغفر لي عدد الثرى . قال : فعجبنا ، وقلنا : ما تجوز لك الصلاة ، وما هذه بقراءة .. قالت : والله ان هذه لصلاتي منذ اربعين سنة .

تِتْدُو . مَلِكَةُ العِرَاقِ وَالجَزِيرَة

بقلم : سـنية قراعة

■ كان معلمها الشيخ الطيب يجلس امامها وقدراحت تنصت اليه في شغف وفضول وهو يحدثها عن تاريخ العراق بلدها الحبيب ، والاحداث التيمرت به منـذ اجتاحته جحافل المغول فازالوا شارات الخلافة العباسية وامجادها ، واقاموا حكما عنصريا قاسيا بداه القائد الرهيب«هولاكو».

وجعلت الصغيرة تصغى بعواطفها الى معلمهاالشيخ وقد اغمضت عينيها متأثرةبما كانتتسمع، ولم يفتها أن تتخيل الاحداث الهائلة التى شهدتهاتلك البقاع العريقة ذات التاريخ العظيم الذى عجز جبروت المغول عن طمس معالمه ..

وضحك المعلم الشيخ وهو يقول في النهاية ، ان للعدوان نهايته غير المتوقعة ، وان الشعب العريق مهما استكان واستسلم فلا بد ان تعاوده الروح فيقدم في لحظة على معجزة ربما عجز عنها لبضع سنين ..

واعتدل المعلم الشيخ في جلسته اخيرا وهو ينظر الى تلميذته المصغية اليه بكل حواسها وقد تبدت على ملامحها آيات الضيق والتبرم الفجائي وكأنما تستحثه على أن يسمعها المزيد مما احبت أن تعرف عن تاريخ بلدها الغالى ، فاذا بالشيخ يقول في النهاية : ان الطغيان المغولى الذى ظل جاثما على صدر العراق لمدى نصف قرن من الزمان زال الى غير رجعة ، وعلى يد الشعب الذي وقف بكل جهوده ومعنوياته تشد ازره العائلة « الجلايرية » لتطرد من بغداد والى الابـد عـز الدين جيهان تيمور ، آخر حكام المغول واباطرتهم القساة ..

وعلى الوجه البرىء الفاتن ، وجه الطفلة التى كانت تخطو نضرة فتانة كزهرة زاهية في ربيع مشرق ، نحو مراحل الشباب المبكر ، شـاعت ابتسامة الرضى والفرح وأصداء كلمات معلمها الاخيرة تدوى في مسمعها وقد حدثها عن طـرد المغول ، وتحرير ارض العراق على يد العائلة « الجلايرية » وهو يقول « انها عائلتك يا اميرتى الذكية » .. وكان راسها جدك الاكبر الشيخ حسن الجلايرى الذى تسلطن على العراق ، وجعل بغداد العظيمة عاصمته ، وتلقب بالقاب الخان الملكى ..

وتملك الشابة الصغيرة احساس طاغ بالزهو وقد عرفت من هى ، ومن كان أهلها البواسل واي مكانة عظمى كانت لهم في تاريخ العراق .

كانت الشابة التى لم تصل بعد الى أول مراحل الشباب تبدو أكبر من سنها ، وارجح عقلا ، وكانت رغم انها في عمر الورد النضر ، عمـر البهجة والمرح تعيش في تصورات كرهت أن تكون اخيلة وصورا غير ذات وجود ، لانها ما شغلت نفسها بتصورها الا لأنها تؤمن انها سوف تستطيع أن تترجمها الى حقائق ذات يوم ، فتكون هى الاخرى من صانعات التاريخ ..

★ ★ ★

واحب الشيخ أن يترك مريدته الى أحلامها البراقة الطموح ، وقد وقف بها عند بدايةمرحلة من أدق مراحل التاريخ لتعيش فيها بالتخيل لمدى لحظات قد يكون زادها مع الغد القريب ، يوم تكون لها القدرة على التخلص من الاخيلة المحمومة لتجعل منها حقائق ذات وجود ..

ونهض الشيخ في هدوء من أراد التسلل حتى لا تحس ذهابه ، واذا بضحكة رنانة صادقة فياضة بالسعادة تنطلق من البهو ويتبعها صوت يسأل عن الاميرة ..

انه ابن عمها المرح الامير شاه ، وقد جاء يطلبها في النهاية وقد تأخرت عن موافاته في موعدهما اليومى المحدد ليطوفا بالحدائق ، ويستمتعا بمرح الطفولة المسرعة الى الشباب في هذه الساعة المبكرة من الصباح ..

لقد كان الشيخ يرجو أن يئول عرش العراق



يوما الى الامير شاه ولد شاه زاده بن أويس ، وكان يتمنى أن تكون الاميرة « تندو » بنت حسين ابن أويس شريكته فيه ، فتلك فرصتها لتعمل وتحقق ما يفيض به قلبها الكبير من أحلام وآمال .

وخرج المعلم الشيخ .. وتنفس الامير الصعداء في غمرة من سعادته الطاغية وقد أسرع الى الاميرة بنت عمه يعاتبها في رقة لانها تهتم بالجلوس الى معلمها اكثر من اهتمامها به ..

وضحكت الاميرة وهي ترجوه أن يجرب ، وان يخلو الى المعلم الشيخ معها ذات يوم فسيحبه ويقبل على دروسه ، ولكن الامير شاه عاد يسخر منها ويقول انه امير له مكانته ، ولن يكون يوما في حاجة الى أن يكسب لقمته عن طريق دروس يلقيها على مريديه في علم التاريخ .

وفي الوقت الذى كانت الاميرة تندو تنظر فيه الى ابن عمها نظرات الدهشة ، كان الامير المرح يجذبها من يدها لتتبعه ، فقد أعد لها مفاجأة سيرقص لها قلبها بالفرح وتعرف ان الامير شاه لا يفكر في احد سواها على الاطلاق ..

كان الامير شاه يتصور أن مجرد اعداده نزهة خلوية على ظهور الصافنات العتاق مع أميرته ، هو الامنية الحلوة الغالية ، ومن هنا .. وامام هذا الاختلاف في مجالات التصور والطموح ، كان من العسير أن يتم اللقاء الروحي المرجو بين الاثنين اللذين كانت الهوة تزداد بينهما اتساعا مع الايام .

★ ★ ★

حدث ذلك ايام حكم « شيخ على خان » راس العائلة الجلايرية وسلطان العراق وما حولها عام ٧٨٥ هجرية ، وكان الاميران « شاه وتندو » يتركان وراءهما آخر مراحل الطفولة الغريرة ويخطون نحو عتبات الشباب والطموح والآمال و .. الحب ..

كانت الحياة في نظر الامير السعيد قصة حب مشوقة لا يمل فصولها ولا تكرار حوادثها .

ولكن كانت الاميرة رغم انها لم تتخط الرابعة عشرة ، تؤمن انها انما يجب أن تعيش في الواقع الذى كان يحوطها من كل ناحية .

وامام اختلاف وجهات نظر الاميرين ، وتباين طموحهما وطباعهما ، اخذت تندو تحاول التباعد جهدها عن الامير شاه حتى تضع حدا لتماديه في خيالاته .

كانت الاميرة تكره من كل قلبها مجرد التصور ان الاهل جميعا قد اعدوها والامير العاشق لحياة زوجية قادمة كما كانت تكره في نفس الوقت ان تكون موضوع صفقة عائلية ولو وصلت بها هذه الصفقة الرابحة في نظر الاهل الى كرسي الحكم ومركز السلطان .

ان البلاط السلطاني في ذلك الوقت،كان بعيدا عن الواقع الذى كان من الواجب ان يعيش فيه ، اذ كاد السلطان وامراؤه ينسون الواقع ويعودون الى حياة الترف والنعيم ، ولا يذكرون الامس القريب الذى لم تغب اشباحه البغيضة عن العيون ..

كان عالم الشرق بأسره يعلم عن يقين أن تيمور الاعرج يعد جحافله ، وآلات الدمار التي يملكها لمغامرات جديدة في ارض الاحلام ، ولكنهم وفي قصر السلطان شيخ على خان كانوا يتغافلون عن ذكر ذلك ، وكأنما يؤمنون بأن ثمة معجزة سوف تحدث اذا تحركت جحافل تيمور الاعرج نحوهم لتنقذهم منه وتبعد عنهم شروره فيظلوا حيث تصوروا أنهم سيكونون ..

من أجل هذا كانت الاميرة « تندو » بعيدة عن محيط اهلها وعن تصوراتهم الرعناء ، وبالرغم

من أن حكم الاسرة الجلايرية التى لتنتسب اليها كان امتدادا للحكم العنصرى المغولى ، كانت تحس انها لم تكن مغولية بالقدر الذى كانت تؤمن فيه انها من صميم أهل العراق ..

كانت « تندو » تحس انه من اللازم ان تكون عراقية ومن صميم الشعب وان صلتها المغولية قد انقطعت منذ وفد اهلها الى ارض العراق فلا تحيد عنها ولا تميل .

ذلكم كان مدى ايمان الاميرة تندو بنفسها وقدر بلادها ، وهو ايمان لم يكن الامير شاه ولد شاه زاده قد ارتقى الى مراتبه بعد ، وانها من أجل هذا تراه ابن عم ولا أكثر من ابن عم ، فشاب له مثل تفكيره المغلق من العسير ان تربط حياتها به ، ولو صار اليه الملك وبقيت هى مواطنة عادية من صميم الشعب .

كانت تندو بنت حسين بن اويس شبت يتيمة فى رعاية عمها الطيب احمد بن اويس الذى اولاها الرعاية والاخلاص والحب ، والذى كان يتمنى ان تكون شريكة حياة ابن اخيه الآخر الامير شاه ولكنه ، ومع مرور الايام ، آلمه أن الهوة التفكيرية كانت تتسع بين الاميرة والامير ، وانه سيكون من غير المحتمل ابدا ان يجمعهما بيت سعيد ..

وتولى عام ، ومرت ايامه التى كانت تحمل فى طياتها مفاجئات لم يكن قد حان الوقت لان تظهر على مسرح الوجود .. وجاء عام جديد ، وان كانت ملامحه تحمل نفس طابع العام الذى سبقه .

العراق يموج بالشائعات وفى افقه كانت تتجمع النذر كلها .. همسات خفية تدور ، واحاديث علنية كان يجاهر بها ، وقد راحت الانباء تتوارد كلها مجمعة على الحديث عن تحركات الطاغية الرهيب تيمور الاعرج واتجاهاته ومطامعه ..

فى حين كان الصمت يخيم على قصر السلطان فى بغداد وكأنه لا يهم الاسرة الحاكمة الجلايرية ما كان يحدث ، اذ كان افرادها يعيشون بعيدا عن الناس وقد شغلهم ان المرض قد طال أمده بالسلطان شيخ على خان فساءت صحته وقد بلغت بـه العلة مداها حتى بات الجميع يترقبون موته ..

وذهب شيخ على خان .. وجاء من بعده الامير احمد سلطانا على العراق ، ونودى به باسم القان احمد بن اويس ، وكأنما كان فى ولاية العرش منجاة للقان من توسلات الامير شاه ابن اخيه ، فالقان الاعظم اصبح عليه ان يواجه تبعات اخطر بكثير من مشكلة زواج الامير من بنت عمه الفاتنة تندو ..

وبروح جديد .. وعزيمة صلبة قوية ، متجددة بالأمل والرغبة فى نفع الشعب بدأ القان احمد يعمل ، وكان هذا سر تحيز تندو لعمها واقبالها عليه ، ورغبتها فى ان تكون الى جانبه ..

واخذت عجلة الايام تدور .. واهل عام ٧٨٧ الهجرى .. وتجددت الشائعات تؤكد أن تيمور لنك قد بدأ يتحرك فى نفس الخط الذى سار فيه « جنكيز خان » من قبل و « هولاكو » من بعده .. وراح القان احمد يقلب الامر على وجوهه المتعددة وهو يسائل نفسه كيف يستطيع ان يواجه زحف التتار وان يوقف تقدم تيمور الاعرج ان هو سار الى هدفه الذى يرجوه ، وباية قوات قادرة يستطيع ان يتصدى له .

بالامس القريب وقفت أمم هذا الشرق وشعوبه كلها وقفة رجل واحد تصد جحافل التتار .. لقد استطاعت الوحدة ان تصنع معجزة الخلاص .. وكان الاتحاد المعنوى بين الاشقاء وابناء العم والخال من القوة بحيث زود « قطز » و «بيبرس» بالاصرار على احراز النصر الاعظم فى عين «جالوت» فتم الخلاص ، وحدثت معجزة النصر ، وسلم الاسلام والمسلمون من بطش أعداء الله ، وتبددت قوات « هولاكوخان » وفقد معظم جيوشه .. وخلال محاولات المغول ايام الناصر محمد بن قلاوون استطاع ان يهزم الجحافل الطامعة مرة اخرى وان تضيع أحلامها فى معركة فاصلة بأرض الشام ولكن ..

واسرع القان احمد بن اويس يحصن بغداد فضاعف هذا العمل من معنويات أهلها ، وثبت لهم ان القائمين بالامر فيهم قد اخذوا موقف الاهبة والاستعداد ..

وتحركت جحافل التتار نحو عاصمة الخلافة العباسية .. وبدأت الجيوش تستعد .. ووقف القان احمد وسط رجاله ليصد الهجوم ، واذا برسالة تصله من الداهية الماكر تيمور خان ..

وفض القان احمد رسالة الطاغية تيمور ، واذا به يجد نفسه امام مفاجأة لم يكن يتوقع حدوثها ابدا ، فرسالة تيمور خان اليه لم تكن فى واقعها امرا بالخضوع ، ولا هى كانت انذارا بالتسليم والامتثال والقاء السلاح ، وارهابا وتخويفا من عواقب التمرد والعصيان اذا لم يخضع القان وبلاده للطاغية ، بل كانت الرسالة دعوة اخاء ،

ورغبة صادقة في تدعيم اسس الود بين تيمور والعائلة الجلايرية عن طريق التصاهر ..

انها دعوة حب وسلام واستقرار ، وانه لمن الجنون ان يضيعها القان العاقل الذى عاد يقرأ الرسالة من جديد وهو يرجو ان لا تكون قد خدعته عيناه ..

اذا .. فهى لم تكن الحرب اللعينة كما تصور القان احمد بن اويس ، وانه لينحى باللوم على نفسه فقد جسدت له المخاوف ان تيمور خان لن يكون وراء قدومه غير شر مستطير .

وتملكت الفرحة القصر ومن فيه .. وراحت الحاشية وخاصة الاهل ، وبتوجيه من القان يعدون الاعدادات الرائعة للموكب العظيم اللائق باستقبال الصهر المحبوب الذى اشعرهم مقدمه براحة القلب ، وهدوء الضمير وجعلهم يسرعون باستبدال لبوس الحرب واللقاء باردية الفرح والسلام .

كل من في قصر القان احمد بن اويس تملكه الفرح .. راح يستعد لاستقبال الصهر القادم اليهم بالحسب والسلام والاخاء والامجاد ..

كلهم كانوا على تلك الحال من الاغراق في التفاؤل .. الا تندو الذكية ، البعيدة النظرة ..

كانت الاميرة تندو هى الوحيدة بين افراد العائلة الجلايرية التى احست ان هذه الرسالة الواردة على غير اساس من سوابق الود ، تخفى سرا خطيرا . فداخلتها في الامر ريبة .

وصاحت الاميرة تندو في اصرار ان وراء كلمات هذه الرسالة خدعة دنيئة ، وان على عمها القان الطيب احمد الا يسرف في حسن ظنه بعدوه ، فلا يلقى السلاح كل السلاح وهو خارج لاستقباله ، بل عليه ان يخرج ليستقبل الصهر العزيز وهو على اتم استعداد لرد اية مباغتة ، وان يترك قواته وجيوشه في مواقعها وهى على خير حال من الاستعداد .

وبالرغم من ان الجميع وقفوا في وجه تندو الذكية ، البعيدة النظر ، ابت ان تتنازل عن رأيها ، واستمرت تجاهر به .

وحل الموعد المرتقب .. وخرجت مواكب القان السعيد تستقبل الطاغية الماكر ، الذى كادت الفرحة تاتى عليه لنجاح خطته على تلك الصورة وقد راى نفسه وجيشه يدخلون ارض العراق دون قتال .. وتلك كانت الخطة الاولى ، حتى اذا اطمانوا الى وجودهم ، وانصراف شتى القوى عن مواجهتهم ، والتفكير في التعرض لهم ، اقبلوا على تنفيذ خطتهم الثانية المكملة للاولى وهى كشف النقاب عن وجوههم واظهار نواياهم ، ومفاجاة القان احمد واهله وحاشيته بالامر الواقع الذى لم يكن يخرج في شيء عن الاحاطة بهم ، والانقضاض عليهم في مذبحة لا تبقى على احد منهم ولا تذر !!

★ ★ ★

حدث هذا كله عام ٧٩٥ الهجرى .. وبان وجه المؤامرة واعلن المنافق الغادر تيمور احتلال بغداد ثم ..

ثم انقلب رجاله وحوشا ضارية راحت تتبع آثار هروب القان احمد بن اويس وعائلته المنكوبة، وكان قد خرج هاربا من بغداد .

واستطاع القان احمد بن اويس بعد جهد ان يصل وعائلته الى حلب ، ووصلت الانباء الى السلطان الظاهر برقوق بوصوله ، وقرر السلطان برقوق ان يبعث الامير ، « ازدمر الساقى » لاستقبال القان الضيف الكريم وان تكون معه شتى احتياجات القان واسرته وابلاغه ترحيب مصر والشام والسلطان بقدومه .

وترك القان احمد بن اويس حلب بعد ان اطمان بها واستراح من وعثاء السفر وكانت قد وصلته اعطيات السلطان برقوق فتقبلها شاكرا واستعد للسفر الى القاهرة ..

وظل موكب استقبال القان احمد بن اويس في رحلته عبر الصحراء حتى وصل الى الريدانية في يوم الثلاثاء ٧ ربيع الاول ٧٩٦ هجرية حيث نزل السلطان الظاهر برقوق من « القلعة » وخرج لتلقيه ..

وامام حادث لجوء القان احمد وعائلته في مصر، ونزولهم مكرمين في ضيافة السلطان الظاهر برقوق، وفي بيت من افخم بيوت امرائه بناحية « بركة الفيل » قرب مسجد ابن طولون يقف بنا التاريخ امام تزاحم احداث كان من اللازم ان تفرض وجودها على مسرح المفاجئات ، فوصول القان احمد الى القاهرة لم يكن معناه الامن والامان تماما له ، وان يده قد نفضت الى الابد من سيرة تيمور الاعرج ووجوب جهاده ، ذلك لان الطاغية الذى ثمل بخمر النصر ، بدأ يزحف من جديد تاركا بغداد مسرعا نحو غايةوهدف جديدين متخيرا ميدانا يفاجيء فيه شعوبا كتب الله عليها جهاده والقضاء عليه ، أحداث يقف بنا التاريخ امامها

حتى لنقف حيارى، ايها نتخير ، ومع من منها نسير، وكلها يصل بنا الى نهاية هذا البحث في سيرة الامبرة تندو بنت حسين بن اويس التى لم تكد تستقر في القصر الذي اختاره لهم السلطان برقوق حتى بدات تفكر في أهلها ووطنها من جديد ..

واحست الامبرة الحذرة أن هناك عينا كانت تراقبها، فاسرعت تلتفت وراءها لتجد عمها الطبيب الفنان احمد بن اويس يرقبها في حنان .

وابتسم الفنان احمد بن اويس وهو يتصور انها سوف تطير من الفرح ساعة تعرف أن مضيفهم الكريم السلطان الظاهر برقوقا قد خطبها لنفسه وان عمها اقر هذه الخطبة ، ووافق على زواجها.

وشهقت الامبرة وقد اخذها النبأ المفاجىء ، وظن العم انها صيحة الفرح ، ولكن ذلك لم يكن من الحقيقة في شيء ، فهى لا تريد من دنياها اكثر من أن تعود الى العراق وان تعيش هناك مواطنة عادية تعمل جاهدة لتضمد الجرح العميق الذى اصاب تيمور اللعين به وطنها العزيز ..

وامام المفاجاة التى حملها عمها اليها ، واحساسها بان السلطان برقوقا قد طوق عنقها وعنق اسرتها كلها بجميل لا ينسونه ، لا تجد غير ان تطاطىء راسها وتعطى عمها الطبيب الفنان احمد حق اتخاذ ما يراه في أمر هذا الزواج ..

وزفت الامبرة تندو بنت حسين بن اويس الى السلطان الظاهر برقوق واصبحت ثالثة زوجتين كان السلطان قد تزوج بهما من قبل ..

وخلال لحظات السعادة الغامرة التى احسها افراد الاسرة الجلايرية وقد صارت بنتهم سلطانة ذات مقام عظيم ، كان شاه زاده يتفطر حزنا ، وقلبه يتمزق ، وهو يتمنى لو انه فقد الروح ولم يفقد تندو حبيبة القلب وامنية الروح ..

واستيقظ السلطان ذات صباح وعقب ايام معدودات من زواجه على نبأ مثير .. لقد خرج الغادر تيمور وراح يقترب من هدف جديد .. ونسى الظاهر برقوق عروسه السلطانة الفاتنة تندو، واسرع يلبس عدة الحرب ويأمر بالحشد العام .

★ ★ ★

وخرج برقوق الى الجهاد والقضاء على الطامع الشرير تيمور خان .. وخرج معه الفنان احمد بن اويس وسائر الامراء، وجدوا في المسير حتى وصلوا الى دمشق في الثاني عشر من ربيع الآخر عام ٧٩٦ الهجرى حيث مكث لبعض الوقت ثم اسرع الى حلب ، وجعل يتقصى انباء تحركات جيش تيمور خان ، فعرف انه وصل الى بلدة « البيرة » وهناك حدثت المفاجاة التى اعدها الظاهر برقوق للطاغية الاعرج الشرير تيمور حيث فاجاه ودهم معسكره تحت جنح الليل واوقع بقوى الشر والعدوان هزيمة نكراء ..

وكانت الضربة القاصمة التى تلقاها تيمور لتلك وجيشه من الجبروت والقوة بحيث جعلت الطاغية القادر يراجع نفسه ، ويتبين عظم خسائره ويرى ان المغامرة بمعاودة الكرة والاقدام على هجوم جديد قد يكون فيه فناء القوات التى تبقت معه ، ومن هنا اصدر اوامره بالانسحاب المفاجىء السريع .

وقبل ان يفكر السلطان برقوق ان يتبعه بجيشه ليقضي عليه .. عاد تيمور الاعرج الى بلاده ، او هكذا اشيع عنه ، ولما كان الغدر من طبيعته فقد ابى السلطان الظاهر برقوق ان يصدق ان الثعبان الماكر قد انسحب فعلا ، عائدا الى جحره الاول في بلاده البعيدة ، وانه انسحب من الميدان .

وجاء الرسل الى السلطان الظاهر برقوق بان الاعرج اللعين قد انسحب بجيشه فعلا عائدا نحو بلاده فاطمان السلطان الى ما سمع ، وتنفس الناس الصعداء .

وكان على السلطان المنتصر بعد هذا ان يعود الى عاصمته .. الى عروسه الفاتنة « تندو » وقد اضطر الى تركها بعد ايام من الزواج ..

أما أحمد بن أويس فله هو الآخر محبوبة ما كان اشد حنينه الى العودة اليها ، وما كان اعظم شوقه لها وقد راح يتضاعف مع الايام القاسية التى بدات تتجاب اشباحها مع بوارق النصر ، فكان على العاشق المحب أن يعود بدوره الى محبوبته الغالية .. ارض العراق ..

وافترق الصهران الحليفان، واسرع الفنان احمد الى بلاده ومن كان معه في ميدان الحرب من أهله وفيهم الامير شاه ولد شاه زاده مع أمل أن يلحق به البقية الباقية من عائلته بالقاهرة في ضيافة السلطان برقوق ..

كان موكب السلطان يقترب من حدود بلاده وقد سبقته انباء النصر فراحت القاهرة ، وراح الشعب يستعد ليستقبل القادم العظيم.. وكانت السلطانة تندو بدورها تحسب الف حساب لتلك الفترة الحاسمة التى يطالعها فيه وجه زوجها برقوق ..

كانت قد عرفت كل ما حدث .. وان افكارها

اليوم لتعبث بها .. وان دموعها لتتزاحم في عينيها ولكنها تغالبها خشية ان تفضحها فتفسح مجالا للتقولات والتكهنات ..

انها تريد ان تتكلم .. ان تجاهر برأى كانت تؤمن به وترى انه من العار ان تخفيه وخاصة عن زوجها برقوق الذى يجب ان يعرف كل شيء عنها ولكن .. كيف كانت تستطيع ان تقول ، وباى لسان تتكلم والسلطان لم يقصر في حبها ..

كانت تعرف انه يحبها وانه فضلها على نسائه جميعا .. وكانت هى الاخرى تحبه ولكن ..

ولكن هذا الحب القوى الآخر الذى يعصف بقلبها .. كيف تقاومه .. كيف تستطيع كتمانه وعدم البوح به وخاصة لزوجها برقوق !!

وثارت ضجة وصول السلطان الى القلعة .. واسرع السلطان العاشق الى جناح سلطانته «تندو» ليخلو اليها ، ويحدثها حديث اللوعة ويبثها الام الفراق ويحمل اليها بنفسه بشرى الانتصار .. ولقى السلطان سلطانته في شوق غامر ، وقد رآها على الصورة التى تخيلها .. عروسا من عرائس المروج ..

كم بدت رائعة ، فاتنة ، ان برقوقا ليقبل عليها وهو يسالها ان تتمنى عليه .. ويعدها بانه سوف يحقق لها الامنية التى ترجوها ..

ودون وعى تمنت السلطانة على زوجها ان يسمح لها بان تعود الى وطنها .. الى العراق .. فهناك حياتها .. وهناك مسارح طفولتها وعالم احلامها وامانيها .. وهناك امالها التى تؤمن انها لن تخرج الى النور الا هناك ، وعلى ارض العراق .. كانت مفاجاة مذهلة تحملها برقوق العاشق في كبرياء من راى من واجبه الوفاء بوعده ، فكان ان طلق سلطانته الفاتنة المحبوبة ، وامر بان تعود الى وطنها مع البقية الباقية من اهلها الى بغداد .

وعادت أميرة الاحلام الى ارض احلامها الوردية .. عادت تندو ليحس ابن عمها الامير شاه بدبيب الحياة مع عودتها ، فاذا به يجدد محاولاته واذا به يوسط عمه القان لديها لتقبله زوجا ..

كان القان يعرف ان الامير شاه هو وريثه الوحيد في العرش ، وكان يرى فيه مع اسفه وحسرته ابعد الناس صلاحية للعرش وان تندو مثلا كانت اليق بالعرش منه ولكن ماذا كان بيده ان يفعل ..

وخيل الى القان احمد انه وجد الحل الذى يرجوه والذى همس به في اذنى بنت اخيه وهو يصارحها به فاذعنت واطاعت وقبلت الزواج بالامير شاه ..

★ ★ ★

ومرت الشهور تترى .. وراحت شموس تغرب .. وشموس تشرق .. وفي عام ٨٠١ الهجرى غربت شمس السلطان الظاهر برقوق بعد عام او يزيد من طلاق تندو .

شموس غربت .. وشموس راحت تشرق ومعها كواكب نحس وشرور .. وتولى الملك الناصر زين الدين ابو السعادات فرج بن السلطان الملك الظاهر برقوق عرش ابيه .. واشرقت شمس سعده في الوقت الذى عاد فيه كوكب تيمور الاعرج الى الظهور !!

وتجددت الاغارات على الشرق من جديد .. وفي عام ٨٠٤ هجرية مات الطاغية اللعين تيمور مشيعا باللعنات ..

حياة غير مستقرة عاشتها الاميرة « تندو » ورغم هذا كانت تنظر الى الغد بعين متطلعة وهى ترجو ان تتحقق احلامها مع ذلك الغد المأمول ..

وعادت الاعوام تمر ، وبالرغم من ان القان احمد ابن اويس قد عاد الى ملكه بعد موت تيمور الاعرج كان من الضعف بحيث لم تسعفه موارد بلاده من حماية العراق من المغيرين الطامعين .

وفي عام ٨١٣ الهجرى قتل القان احمد وارتقى العرش من بعده القان شاه ولد شاه زاده بن اويس .

ولم يكن حسن السيرة ، وانتهت ايامه غير ماسوف عليها وعليه ، ولكن تندو لم تنفرد بعده بالملك ، بل شاركها في ذلك خليفته ووريثه السلطان محمود .

ومرت الايام ..

ايام انتظمتها قلة من الشهور عرفت الملكة تندو خلالها كيف تتخلص من شريكها لتنفرد هى بالحكم بعد ان احكمت جمع السلطة في يدها ..

واقبل الشعب على حياته يمارسها بقلب مؤمن وقد راح يتبع خطوات ملكته تندو ويبارك خطواتها السديدة من اجل اتمام رفاهية البلاد ..

وظلت الملكة تندو تحكم بالعدل وتسوس الرعية بالحب حتى عام ٨٢٢ الهجرى حيث وافتها المنية فراحت مبكيا عليها من شعب لم تغب عن ذهنه ذكراها . ■■

سنية قراعة



اتجاهات

تخطيط القوى البشرية

في الأردن

■ اصبح مفهوم « تخطيط القوى البشرية » شائع الاستعمال خلال العقدين الاخيرين فقط . وقد يمكن لأحدهم اعتباره تعبيرا غير محبب اذ كيف يمكن تخطيط القوى البشرية بنفس الطريقة التي تخطط فيها المدن او يوضع فيها مخطط لعمارة ما. غير ان هذا المفهوم بعيد جدا عن الحقيقة ، فالانسان ليس مجرد مصدر دخل اقتصادي ، منساقا بحوافز الربح او بأوامر الدولة بل ان له ايضا عقلا خاصا به يحس ويفكر . وضمن هذا المفهوم فان اعماله وردود فعله غالبا ما يصعب التكهن بها . ومع ذلك فان التطوير الاقتصادي يعتمد على مهاراته وصحته وحماسه وعلى اتجاهاته التي تحدد كلها اهمية ومعدل واتجاهات التنمية.

والحالة هذه قد يتساءل المرء عما يمكن للحكومات ان تعمله في هذا السبيل ؟ هل تستسلم لليأس بالنظر للتعقيد الذى تتميز به هذه المشاكل على امل بان الامور ستحل نفسها بنفسها ، وانه سيكون بالامكان معالجة اختناقات القوى البشرية كل على حدة عند نشوء مثل هذه الاختناقات ؟ هذه هي الطريقة السهلة وكثير من البلدان تتبعها. وهم بذلك يحاولون تطمين انفسهم باجراء زيادة سنوية على المصروفات في سبيل تطوير القوى البشرية يحدوهم الاعتقاد المخلص بانهم يسيرون في الطريق السوى .

هذا بينما قامت بلدان اخرى، بشعورها الطاغي في الواجب ، بادخال تخطيط تنمية القوى البشرية كوسيلة لبناء المهارات التى يتطلبها التقدم الاقتصادى والاجتماعي .

من الواضح جدا بان تخطيط التنمية الاقتصادية والاجتماعية يتضمن عادة تقييما دقيقا للتنظيم في سبيل الاستغلال الامثل للموارد البشرية والمادية للبلد . وبذلك فان تخطيط القوى البشرية كعامل انتاج يعتبر جزءا لا يتجزأ من التخطيط الانمائي الشامل .

تخطيط القوى البشرية يخدم ثلاثة أغراض رئيسية

اولا : يشكل اختبارا لجدوى مخططات التنمية الاقتصادية ، اذ انه سيكون من المشكوك فيه تامين نجاح تنفيذ اية خطة اذا لم يؤخذ بعين الاعتبار الاختناقات والنقص في القوى البشرية المدربة اثناء اعداد الخطة ، فضلا عن الاجراءات الواجب اتخاذها لتلبية الاحتياجات المتعلقة بالمهارات النادرة ووضع البرامج التدريبية الملائمة.

ثانيا : يحول دون هدر الموارد المالية والبشرية ويؤمن المعلومات اللازمة عند اتخاذ القرارات المتعلقة بتخصيص الاموال لقطاعات التعليم والتدريب . وبعبارة اخرى فان الدليل الرئيسي لتخطيط القوى البشرية هو توجيه الاستثمار نحو الاحتياجات الحاضرة والمنظورة على ان تقرر هذه الاحتياجات بدورها في ضوء الموارد المتوافرة والاهداف الموضوعة .

ثالثا : يضع الخطوط العريضة للاجراءات التى يتوجب على الامة اتخاذها لتامين توفير المورد المناسب من الاشخاص الذين يتمتعون بمهارات

في مجالات التنمية

بقلم : الدكتور محمد صوان

ادارية وعلمية وفنية ، في الوقت المناسب لمواجهة المتطلبات العاجلة من هذه المهارات على اقل تقدير.

نستنتج مما تقدم بان عملية تخطيط القوى البشرية تهدف الى تنمية الموارد البشرية وتنظيم عرضها ، وزيادة حركتها جنبا الى جنب بما يتفق ونمط الطلب الكلى المتوقع وذلك لتفادي عدم التوازن في حالة العرض والطلب او سوء استغلال الكفاءات والمواهب .

اوضاع القوى البشرية في الاردن

لقد بين تعداد السكان والمساكن الذى جرى في الاردن بتاريخ ١٩٦١/١١/٢٨ بأن مجموع عدد السكان في المملكة هو ١٫٧٠٦٫٢٢٦ بالاضافة الى وجود ٦٢٫٨٦٣ شخصا من بين الاسر التى جرى تعدادها كانوا يعيشون خارج الاردن وقت اجراء التعداد العام .

وبلغت نسبة الاحداث الذين هم دون سن الخامسة عشرة من اعمارهم خلال عام ١٩٦١ ، ٤٥٫٤٪ من مجموع السكان . وتعتبر هذه من أعلى النسب في العالم كما انها تعكس صورة لما تتصف به الكثير من البلدان الفقيرة . ان لهذا الجيل الناشيء متطلبات كبيرة من تغذية وتعليم وممكنات كقوة عاملة .

وشكلت القوة العاملة في الاردن فقط ٢٢٫٩٪ من مجموع السكان عام ١٩٦١ . (او ما مجموعه ٣٨٩٫٩٧٨ شخصا ، منهم ٣٦٧٫٩٢٦ من الذكور و ٢٢٫٠٥٢ من الاناث) . ويوضح هذا المعدل المتحفظ نسبيا ارتفاع معدل الاعالة للشخص الواحد والنسبة القليلة للاناث اللواتى يشاركن في النشاط الاقتصادى .

ويوفر قطاع الزراعة العمل الى ٣٥٪ من مجموع القوة العاملة في البلاد ، بينما يعمل ٨٪ فقط في الصناعة ، اما في قطاع الخدمات (بما في ذلك النقل والسياحة) فيعمل ١٧٪ والبناء ١٠٪ والتجارة ٨٪ .

وبالرغم من ان تعداد عام ١٩٦١ قد احصى ٢٧٫٣٢٠ شخصا كعاطلين عن العمل (او ما يعادل ٧٪ من مجموع القوة العاملة) فان مشكلة البطالة تعتبر اكثر خطورة مما دلت عليه الاحصاءات. ان الكثيرين من بين هؤلاء المستخدمين يعملون في اشغال ذات انتاجية محدودة . ان مشكلة البطالة المقنعة او البطالة الجزئية هى بالحقيقة مشكلة مزمنة اكثر خطورة مما يشير اليه المعدل المنخفض للبطالة ، وذلك بالرغم من عدم توافر اسلوب عملى لقياس هذا المعدل كمًّا .

زيادة مطردة في عدد السكان

ان ظاهرة النمو السكاني في الاردن خلال المدة الواقعة فيما بين عام ١٩٤٧ – ١٩٥٠ تعود الى تقسيم فلسطين الذى تمخض عن هجرة اللاجئين وغير اللاجئين من السكان . على كل حال فان نمو السكان مطرد بمعدل سريع،فقد ازداد عدد السكان خلال السنوات ١٩٦٠ و ١٩٦٥ بنسبة ٣٫٤٪ في السنة ، وتمثل هذه الزيادة ضعف الزيادة السنوية المقدرة في عدد السكان في العالم ١٫٧٪ .

هذا وقدر عدد سكان الاردن في عام ١٩٦٦ بمليوني نسمة ، منهم ٩٤٠٫٠٠٠ شخص او ما يعادل ٤٧٪ يعيشون في الضفة الغربية من الاردن. غير ان حرب حزيران عام ١٩٦٧ قد أثرت كثيرا على الهجرة الداخلية للسكان وذلك بنزوح ما يزيد على ٤١٠٫٠٠٠ نتيجة للاحتلال الصهيوني للضفة الغربية، مما سبب في نشوء مشاكل اقتصادية واجتماعية جديدة .

وبلغت نسبة الامية بين السكان الذين تزيد اعمارهم عن ١٥ عاما ٦٨٪ في عام ١٩٦١ ، وكانت نسبة الامية بين الذكور ٥٠٪ في الوقت الذى تجاوزت النسبة ٨٥٪ للاناث . ومن الناحية الثانية فقد تبين بان الاقبال على التعليم قد عكس تقدما كبيرا في توسيع فرص التعليم خلال المدة ١٩٥٠ –

١٩٦٥ ، اذ ازداد عدد الطلبة الذين التحقوا بالمدارس بمعدل ٧٥٪ مقابل ازدياد عدد السكان خلال الفترة ذاتها بمعدل ٥٠٪ .

ان المملكة الاردنية الهاشمية ، تعتبر من البلدان التي تتميز بارتفاع نسبة القوى البشرية المدربة . كما ان تصدير القوى البشرية ذات الكفاءة العالية من الاردن الى مختلف البلاد العربية وخاصة الى المملكة العربية السعودية والكويت وليبيا قد اثبت بانه دعامة للاقتصاد الاردني الذي يتميز بسوقه المحدودة من ناحيتي العمالة والمنتجات .

الدارسون في الخارج

ويرسل الاردنيون الذين يعملون في الخارج تحاويل مالية كل سنة الى اقاربهم ، وبذلك يسهمون في زيادة الدخل القومي لبلدهم . وقدرت قيمة هذه التحويلات خلال الفترة ١٩٦٠ ـ ١٩٦٦ بمعدل ٧ر٥ مليون دينار سنويا . وبموجب نشرة احصائية اصدرتها مؤخرا دائرة الاحصاءات العامة للطلبة الاردنيين الذين هم في المرحلة الثالثة من التعليم فقد بلغ عدد الطلبة الاردنيين المسجلين في الجامعات والمعاهد العالية ٢٧٫٨١٠ طالبا وطالبة خلال السنة الدراسية ١٩٦٩/١٩٧٠ ، من بينهم ٣٥٣٠ طالبة و ٢٤٢٨٠ طالبا . يدرس في الاردن ٤٢٠٠ طالب وطالبة من مجموع ال ٢٧٫٨١٠ بينما يدرس ١٨٦١٠ طالبا وطالبة في البلاد العربية ، ٢٠٠٠ في اوروبا الغربية ، ١١٠٠ في الاقطار الاميركية ، و ١٢٠٠ في اوروبا الشرقية و ٧٠٠ في البلاد الاسيوية . ويقدر المصروف الكلي لهؤلاء الطلبة الذين يتلقون تعليمهم العالي خارج الاردن بمبلغ ٤ر٧ مليون دينار سنويا .

ان هذه المصاريف على التعليم العالي ليست وليدة استثمار حكومي ولكنها استثمار خاص في التعليم عن طريق تحويل المدخرات الخاصة للافراد لتعليم ابنائهم بغض النظر عن احتياجات المجتمع الاردني .

ان اكثر ما يفتقر اليه الاردن هو التخطيط الفعال للتعليم العالي الى حد ان الكثيرين من الخريجين الذين يعودون الى بلدهم يجدون صعوبة كبيرة في ايجاد اعمال تتناسب مع مؤهلاتهم ومهاراتهم الجديدة التي حصلوا عليها . ويبدو عدم التنسيق بين التعليم العالي ومتطلبات التنمية الاقتصادية واضحا عندما نعلم بأن ٥٢٪ من مجموع المسجلين في الكليات للعام الدراسي ١٩٦٩/١٩٧٠ كانوا متخصصين في العلوم الانسانية .

ان نسب التسجيل في حقول الدراسة الاخرى هي كما يلي :

التجارة والاقتصاد والادارة	٢٤٪
العلوم الطبية	١٠٪
الهندسة	٨ ٪
العلوم العامة	٤ ٪
الزراعة	٢ ٪

ان السؤال الكبير الذي يبرز هنا هو فيما اذا كان هنالك سوء استعمال في تخصيص الموارد المحدودة للتعليم العالي . مما لا شك فيه ان التعليم يمكن الفرد من تقوية شخصيته واكتساب مهارات جديدة بالاضافة الى زيادة طموحه في سبيل تحسين مستواه المعيشي ، مما يقود بالتالي الى التقدم الاقتصادي والاجتماعي .

وبتطبيق تحليل المنافع الى التكاليف للاستثمارات المختلفة في تنمية القوى البشرية ، فاننا سنكون حتما قادرين على تخفيض تبديد الموارد ورفع الكفاءة الى اقصى حد ممكن .

الفجوة في التخطيط الاقتصادي الاردني

بذلت الحكومة الاردنية جهودا كبيرة مركزة وقامت بمحاولات متصلة لرفع معدلات التنمية الاقتصادية والاجتماعية منذ تاسيس مجلس الاعمار عام ١٩٥٧ . ان اهداف تنمية القوى البشرية عن طريق زيادة فرص الاستخدام قد وضعت بين الاهداف الرئيسية في كل من برنامج السنوات الخمس للتنمية الاقتصادية ١٩٦٢ ـ ١٩٦٧ وبرنامج السنوات السبع للتنمية الاقتصادية ١٩٦٤ ـ ١٩٧٠ . وقد جاءت الاهداف الاجتماعية في خطة السنوات السبع ممثلة بزيادة مسؤوليات الحكومة في قطاعات التعليم والصحة والاسكان والرعاية الاجتماعية والتعاونيات . وقد حاولت الخطة تنسيق متطلبات التنمية مع الاهداف الاجتماعية معترفة بمدى الدعم الذي تقدمه التنمية الاجتماعية الى الجهود الرامية لرفع المستوى الانتاجي للفرد . وقد اخذت المشروعات الانمائية بعين الاعتبار احتياجات القوى البشرية كما تبدو لنا لدى مطالعة

فصول برنامج السنوات السبع للتنمية الاقتصادية. وبالرغم من ذلك فان الاهتمام باحتياجات القوى البشرية على مستوى المشروعات الفردية لم يقابله جهد مماثل على مستوى الاقتصاد الوطني ككل. وبعبارة اخرى فان امكانية الجهاز التعليمي والتدريبي بالنسبة الى تخريج الاعداد الملائمة من القوى البشرية المدربة، هو امر لم يتعرض له برنامج السنوات السبع من بعيد او قريب. وباختصار فان البرنامج كان يعاني نقصا كبيرا في حقل تنمية القوى البشرية واستغلالها لدرجة ان اهداف الاستخدام او حتى التحليل الكمي الشامل لها اعتبرت خارج نطاق البرنامج.

وحتى يكون بالامكان ملء الفجوة في التخطيط الانمائي في الاردن قام مجلس الاعمار بانشاء وحدة تخطيطية للقوى البشرية في صيف عام ١٩٦٩. وقد تمكنت هذه الوحدة التخطيطية من توسيع مهام المجلس باعتباره الهيئة المركزية للتخطيط في البلاد وذلك لغايات تامين التنسيق والتكامل في ما بين تخطيط القوى البشرية والتخطيط الاقتصادي.

استراتيجية تخطيط القوى البشرية

ان خلق فرص الاستخدام المناسبة سوف يستمر باعتبارها احدى المشكلات الهامة للسنوات القادمة، وترجع هذه المشكلة لحقيقة كون حوالي ٤٥ر٤٪ من مجموع السكان في الاردن تقل اعمارهم عن ١٥ سنة حسب نتائج تعداد السكان لعام ١٩٦١. اضف الى ذلك وجود نسبة عالية من البطالة المقنعة في البلاد. وانه لمن الاهمية بمكان كبير لزيادة سرعة التنمية الاقتصادية والاجتماعية الاستمرار في تنمية الموارد البشرية واستغلالها بطريقة اكثر فعالية. ويتطلب تخطيط القوى البشرية تأمين فيض من الاحصاءات والمعلومات عن القوى البشرية بصورة مستمرة ومنتظمة، حيث ان ذلك سيكون الواجب الاول والرئيسي لوحدة تخطيط القوى البشرية في مجلس الاعمار.

لقد تمت خلال الاعوام الماضية ١٩٦٠، ١٩٦٤، ١٩٦٥، ١٩٦٦، ١٩٦٧ عدة دراسات للقوى البشرية محدودة الشمول والاهداف، اذ كانت غايتها الرئيسية جمع المعلومات والتعرف على احوال المؤسسات موضوع الدراسة من ناحية العمالة وانواع المهن المتوافرة والدخل والحالة الاقتصادية وغير ذلك. وقد اصبحت مهام جمع المعلومات عن القوى البشرية في المؤسسات الكبرى اي التي تستخدم عشرة اشخاص فاكثر من مسؤوليات دائرة الاحصاءات العامة منذ عام ١٩٦٧.

وقد قام مجلس الاعمار بالتعاون مع دائرة الاحصاءات العامة باعداد مسح للقوى البشرية في المؤسسات التي تستخدم خمسة اشخاص فاكثر في جميع القطاعات غير الزراعية، وقد ابتدات الاعمال الميدانية الخاصة بهذه الدراسة في اوائل شهر آب/اغسطس عام ١٩٧٠، وستظهر نتائج هذا المسح قريبا وستكون مقرونة بسجل وطني للقوى البشرية ذات المستوى العالي.

هذا وقد جرى الاعداد لاجراء دراسة للاسرة متعددة الاهداف على اساس العينة. وقد تقرر البدء بها في مطلع شهر نيسان ١٩٧١ وستوفر لنا هذه الدراسة معلومات عن وضع العمالة والبطالة في البلاد والخصائص للقوة العاملة وغير ذلك.

وهكذا يتبين لنا بان تخطيط القوى البشرية في الاردن قد اولى اهتماما مناسبا باعتباره نشاطا انتاجيا ضروريا للتنمية المتوازنة السريعة لامة تعمل جاهدة في سبيل الرقي والتقدم.

وستعطى اولوية عالية للمشاريع ذات الاهداف التالية: —

١ — رفع مستوى القوة العاملة عن طريق اعداد البرامج التدريبية المدروسة في داخل البلاد وخارجها

٢ — اجراء مسوحات للقوى البشرية ودراسات محددة لتقييم متطلبات التنمية من اجل موازنة العرض والطلب للقوى البشرية ذات المستوى العالي، ووضع الحلول العلمية للاختناقات التي تعيق عملية تنفيذ البرامج الانمائية.

٣ — اعادة تنظيم وتقييم النمط الاداري لمختلف الوزارات والدوائر وذلك وفق الاساليب العلمية الحديثة.

٤ — اجراء دراسات للقوى البشرية وابحاث علمية اخرى مما يتطلب توافرها مسبقا لتامين نجاح الجهود المبذولة في سبيل مخططات التنمية. ■■

محمد صوان

مدير التنمية بمجلس الاعمار — الاردن

بداية الطريق

قصة بقلم : محمد رؤوف بشير

■ كان يحس بقشعريرة باردة تسرى في بدنه كلما امسك بالقلم ليكتب ، وكأنه قد تحول في كفه شيئا قذرا يثير الاشمئزاز،ألقى به جانبا ، مسح نظارته ، ومد يده الى درج الطاولة ، سحبه برفق ، واخذ يحدق في المرآة الصغيرة القابعة فيه متأملا وجهه ، اغلق الدرج ، انـه ما يزال شابا ، وتلك التجاعيد العميقة ما قيمتها .. الاصل هنا .. هنا في القلب ووضع يده فوق صدره .. اما بقية الشعر الابيض ، فسيصبغه ، بل سوف يسرحه بالمشط السحرى ، يقولون انه يعيد اليه طوله ولونه الطبيعى . وبسهولة اقنع نفسه بالصبا والقوة ، بل اكد لها انه اكثر حيوية ومرحا من ابنه البكر .. وانه ما يزال في اول الطريق ، بداية عهده به .

وتنهد ، شيء ما بداخله يكذبه ، يفضح احلام الشباب المصبوغ .. هذا السعال الذى ترتجف له كل قطعة عظم في جسده .. وآلام المفاصل .. وحبوب الضغط كيف يتخلص منها جميعا ؟ هل ثمة دهان لها ؟ ..

وزفر بحسرة وهو يقول :

« .. ايه دنيا .. » ..

لقد استطاع ان يفلت مرة من القطيع البرى .. لم يعد ابن ريف .. بل ابن مدينة حقيقيا افندى ومتمدن ، لكنه اليوم يشعر انه علىمفترق طرق ، وعاد بذاكرته الى الوراء .. الى آخر مرة انحدر فيها من قريته وهو ما يزال يحمل هويتها الى هذه المدينة الكبيرة والرائعة . شيء ما كان يجذبه اليها فيحتج لابيه وزوجه بمختلفالاسباب ليلقى بنفسه في دوامتها اللذيذة .. مقاه .. ملاه .. انوار متلالئة .. « بيكوات » و « افندية » محتالون ونصابون .. واشياء اخرى كثيرة كان يلتقى بها .. تمتزج بروحه مخدرا يشده اليها دائما في رحلات عديدة الى ان استقر به المقام فيهـا .

رحلته الاخيرة تلك كانت شيئا آخر ، كيف التقى بذلك الانسان الكبير ؟ .. واخذ يفكر ، صدفة .. محض صدفة .. جلسة انس في مقهى « الكلدانى » .. « طبخ ونفخ » .. او سواه لم يعد يذكر قادته الى التعرف بثلاثة من الشبان .. كانوا اخوة .. لم يفعل من اجلهم شيئا يذكر دفع عنهم قيمة « الشكلة » شكروه بنبل والحوا في دعوته لتناول طعام الغداء في دار والدهم الموظف الكبير ، من هنا كانت البداية .

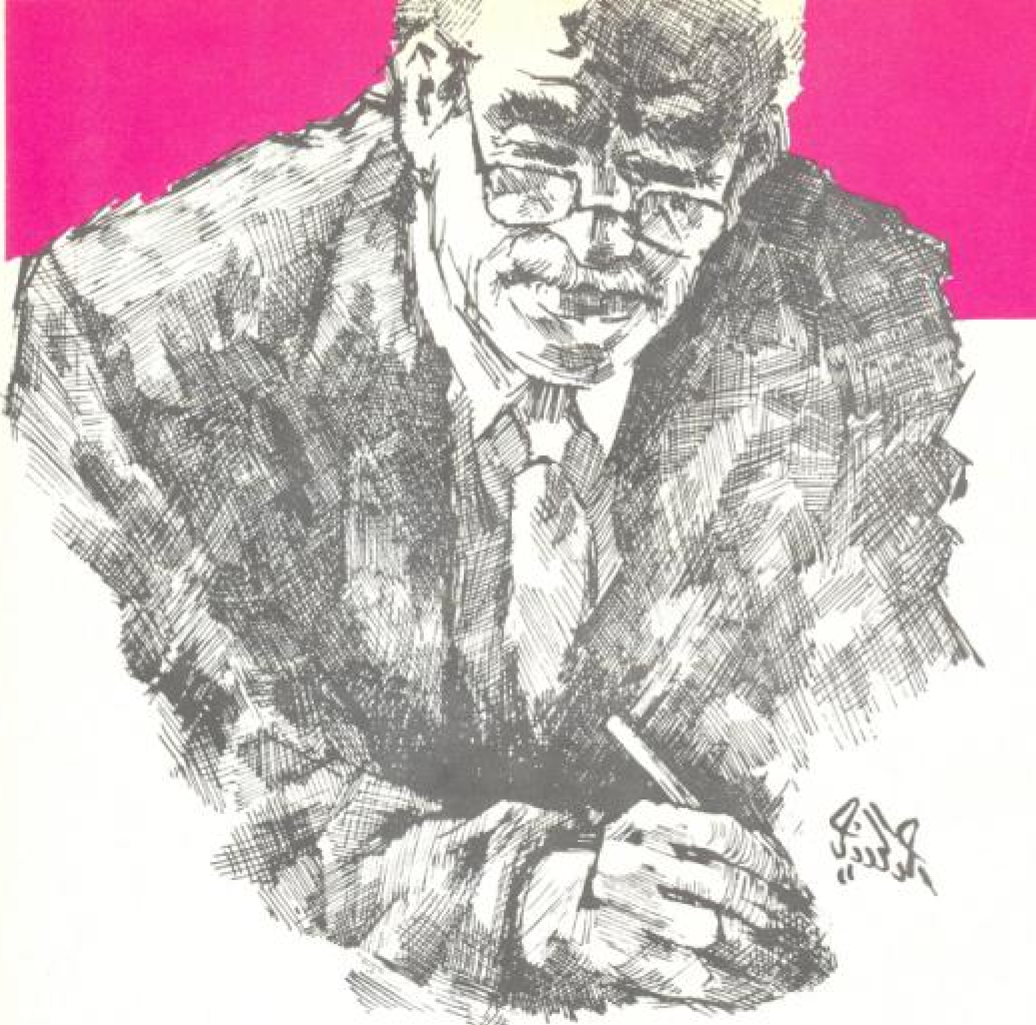
كان منظر المائدة جديدا عليه ، السعة . والوان من الطعام .. والى صدرها كان يجلس الاب رجلا وقورا ذا مهابة وجلال .. شعر قبالته انه صغير كطفل .. كأحد ابنائه وغمره احساس بالبنوة .. ذابت المائدة ، تلاشت بكل ما تحويه من صنوف الطعام ولم يبق امامه سوى هذا الانسان الكبير .

ماذا تعمل ؟ ..

قالها برقة وهدوء .

ـ لا شيء .. اننى ابحث عن وظيفة ..

هل كان حقيقة يسعى وراء وظيفة ؟ .. لا احد يدرى .. ربما حتى تلك اللحظة لم تكن لديـه فكرة واضحة عما يريد .. شيء كالسحر .. كحلم



بعيد المنال .. كان ينمو بداخله يجره الى هذه المدينة اللعوب التي عشقها منذ ان وطئت قدمه ارضها دون ان يعرف كيف ينالها وها هي فجاة بارقة امل ، بل الامل كله في ان يحضنها وتصبح ملك يديه .

ساله والد الرفاق .

ـ وهل تحمل شهادة .. اية شهادة ؟ ..

ـ .. درست في كتاب القرية .. حفظت القرآن الكريم على ظهر قلب .. خطي جميل . واعرف القراءة والكتابة .. و ..

كانت الكلمات تقفز من فمه وراء الحلم الذهبي بالحاح مؤكدة قدرته على العمل .. اى عمل في هذه البلدة ..

ناوله الاب صحيفة كانت قريبة منه وطلب اليه ان يقراها .. وما ان تلا منها اسطرا قليلة حتى اشار اليه قائلا :

ـ حسنا قابلني غدا ..

هكذا كانت البداية سهلة ، سريعة وسعيدة .. اذ لم تنقض ايام قليلة حتى نقل بيته وزوجه الى المدينة..واستبدل بثيابه الريفية بذلة ورباط عنق وطربوشا احمر ليصبح لائقا بمركزه الجديد كموظف .. ابن حكومة ، له كرسي وطاولة يجلس

خلفها ، وقد نضدت فوقها اقلام واوراق ممهورة بخاتم الدولة .. واقبل اصحاب الحاجات يراجعونه مهذبين خجولين .

ــ احمد افندى .. منفضلك القضية .. احمد افندى .. شكرا .. وابتسم . لاول مرة في هذا النهار يجد الابتسام الى وجهه سبيلا .. تذكر ابناء قريته وهم يفدون اليه يستشيرونه في امورهم ويرجون مساعدته في قضاياهم .. لقد جعلت منه الوظيفة انسانا آخر في نظرهم لكنه في قرارة نفسه لم يتغير .. كان وما يزال ابن ريف طيبا ، بسيطا ومستقيما .. هو وهذه الطاولة التى يجلس اليها لم يتغيرا .. لا يمكن ان يتغيرا ، رابطة قوية كانت تجمع بينهما فلا يريد ان يفارقها ابدا .. لعلها هى الاخرى انحدرت من ريفه .. من هناك في الشمال .. جاءت الى المدينة من قمة الجبل او بطن الوادى فظلت تتحرك معه طوال اربعين عاما ضمن هذا المكتب وهى تتقدم شبرا شبرا وتتنقل زاوية زاوية الى ان اصبحت معه في صدر المكان رئيسا للديوان ، والطاولات على حد سواء .

وتأمل وجوه مرؤوسيه يتصفحهم واحدا واحدا يقرؤهم ككتاب مفتوح مر به سطرا سطرا خلال عمله الطويل ، كم رئيس تعاقب عليه الى ان وصل الى مرتبته الحالية .. في البداية كانت طاولته هناك قرب الباب ، حول نظره اليه ليلتقى بعينى احد الموظفين .. انه شاب لم يتجاوز العشرين من عمره .. يحمل كل نضارة وقوة تلك الايام .. ايام زمان عندما كان في مثل سنه .

عادت اليه موجة السعال واخذت تهزه بعنف .. اصيب بالبرد منذ مدة طويلة .. والى الآن لم يشف منه .. كان المرض في الماضى اخف وطأة .. يزول بسرعة .. وطرد عن ذهنه فكرة شيطانية .. مؤكدا قوته وشبابه وشفاءه القريب .

امسك بالقلم من جديد .. احس بيده ترتجف والورقة تهتز امامه..انه يكره انيخوض الموضوع ثانية .: لكن شيئا اقوى منه كان يحركها ، يدفع بها كالشبح ليلقى بروحه في مركب احلامه :

وبدأ يكتب:

سيادة وزير .... الموقر

تأمل الخط ، اعجبه..العنوانفي مكانه المناسب،

يجب ان يكون كذلك .. فانللخط الجيد والعرض المنسق اثره الحسن في نفوس الرؤساء ، فكيف اذا كان الكتاب موجها الى اكبر هؤلاء . وفكر فيما اذا كانت عبارة « سيادة » كافية لوحدها لادخال الرضا الى قلب الوزير ام ان من الخير لو يستبدلها بكلمة « فخامة » او « معالى » كما كانت الالقاب في الماضي ، لكنه تراجع مقررا انها العبارة الاكثر انسجاما مع واقع الحال ، فالجميع قد اصبحوا أسيادا . وان اى تغيير او عودة الى الوراء قد يعكس النتيجة ويكون له رد فعل غير محمود العواقب .

وتابع :

« مقدمه : ...   رئيس ديوان ... »

ثم لم يلبث ان توقف ، ما جدوى كل ذلك ؟ .. وتمنى لو ان القلم يسقط من يده ، او يتكسر بين اصابعه ويتفتت ، وتطير صحيفة الورق من امامه .. فهو يفهم القانون ويعرف سلفا الجواب، وغمره شعور بالضعف . وحرارة غير طبيعية .. سرت في بدنه .. فاخذ العرق يتفصد غزيرا من جبهته .. حل رباط عنقه الذى احس به يكاد يخنقه .. واخذ يسعل بشدة ، أحجم عن الكتابة خوفا من ان يفسد الاهتزاز خطه الجميل فلا يرضى عنه الرئيس الكبير .

« المعروض : جرى تعيينى موظفا في مديريتكم العامرة .. »

اطربته الجملة الاخيرة ، واعجب بقدرته الفائقة على الانشاء .. واخذ بناء المديرية يعلو امام ناظريه ويرتفع شامخا اهراما منالرؤوس والاوراق والاختام ليتربع فوقها سيادة الوزير الذىيستطيع باشارة من اصبعه السحرية ان يفعل كل شيء حتى ان يعيد اليه شبابه الغارق في بحيرة الشيخوخة الآسنة .

« ولا يخفى على سيادتكم اننى كنت طوال هذه المدة مثال الموظف الكفء والنشيط بشهادة رؤسائي » .

وما ان وصل الى هذه النقطة حتى امتدت يده عفوا الى محفظة خاصة في جيبه .. فتحها برفق واخرج منها بضع وريقات اصفر لونها بفعل تفاعل

العرق والجلد معها على مر الايام ، بينما رسمت فوقها الثنيات خطوطا تكاد تفصلها الى اربع قطع متساوية تنذر بالسقوط والتبعثر عند اول لمسة او نسمة هواء مداعبة .

واخذ يتاملها .. هذا هو رصيده .. كل حصاد السنين الطويلة من الجد والاستقامة ولا بد لها ان تشفع له وتساعده على اجتياز محنته او تأجيلها على الاقل .

« .. ولما كان هناك قانونان .. » وامسك عن الكتابة .. انه ليس عادلا في هذا القول .. فها هو وللمرة الاولى في حياته يحاول المراوغة ويبتعد عن الحقيقة .. فسواء اكان هناك قانونان او ثلاثة فكلها واضحة .. يعرفها جيدا .. وجميعها تؤدى الى نتيجة واحدة .

« .. وهما يختلفان بعض الشيء في التحديد بدقة تاريخ احالتى على التقاعد .. »

التقاعد : مع هذه العبارة اعتقد وكأن العالم قد انتهى ، وان حدادا رسميا قد اعلن على وجه الارض ، وها هى الجنازة الحافلة تسير ، انه وراءها ، بل لعله داخل التابوت ينقل الى مثواه الاخير .

وتجهم وجهه .. ثار ، لم كل هذا الحزن ، بل لماذا يتمسك بهذه الوظيفة الملعونة الى هذه الدرجة . كثيرون غيره سبقوه .. وهو ليس الا واحدا منهم على الدرب الطويل . الراتب لن ينقص الا قليلا .. بل ان هذا الفرق الضئيل لايوازي النفقات التى يضطر الى تحملها ثمن قهوة.. اجور ضيافات ومواصلات ، ناهيك عن مضايقات المراجعين واوامر الرؤساء .. وما كل ذلك الا بسبب هذا العمل .

احس نوعا من الراحة المطمئنة بعد هذه المحاكمة ، واعتدلت لديه كفتا الميزان ، فاذا قدر له ان يبقى فهذا خير وان تمت احالته على التقاعد فان لتلك مزاياها ايضا ، سيكون حرا ، يستيقظ متى شاء .. ويذهب حيث يريد .. هكذا عود نفسه ، منذ الصباح الباكر ان يتوجه الى عمله يدفن فيه سحابة نهاره حتى اذا ما انتهى الدوام عاد الى بيته ليتناول طعام الغداء مع اسرته ، ثم



يغفو قليلا ليستيقظ بعد ذلك فيقضي بعض الوقت مع الصغار ثم ..

آه اين الصغار ؟ .. مدة طويلة انقضت على تلك الايام ، لقد أصبحوا كبارا وفرغ البيت بعد ان تزوجوا وتفرقوا في المدن والامصار .. واضحى كل منهم ابا له بيته وهمومه لا يكاد يلتقى بهم الا

لماما في المناسبات .. والاعياد التي لولاها ربما انقطعوا عنه نهائيا او لعلهم مثل الحكومة يريدون احالته على التقاعد ان لم يكن قد انهوا خدماته وعلاقاتهم معه فعلا .

وايقن انه محاصر .. ولم يبق امامه من سبيل سوى زوجه العجوز ، ونرجيلة المقهى ورفاق من سنه يلعب معهم الطاولة او « الدمينو » .. زفر بعمق ..

ـ الا ما اتعسها حياة ..

اضافها لافكاره وهي تطفو سابحة بين راسه وعينيه ، وعاد الميزان الى الاضطراب بقوة ورجحت كفة البقاء في الوظيفة اطول مدة ممكنة فتابع : « .. راجيا في كافة الاحوال التكرم بتمديد مدة بقائي سنتين اخريين خاصة وانني اتمتع بصحة جيدة .. » .

ختم الكتاب هكذا بسرعة بعد ان فاجاه السعال وهو يفكر .. سنتان تكفيان الان ، فقد يعدل قانون التقاعد نفسه ، وتتغير الاحوال .. او يستعيد نشاطه وقوته ، من يدري ؟ . اشياء كثيرة يمكن ان تحدث خلال هذه الفترة .

ثم اضاف « .. وختاما تفضلوا بقبول فائق الاحترام سيدي .. » .

كتب التاريخ .. ومهر الكتاب بتوقيعه الانيق.

وما ان انتهى حتى القى بالقلم جانبا وقد ادركه اعياء شديد ، فاخذ صدره يعلو وينخفض لاهثا ، استند بكوعيه الى الطاولة واعاد قراءة المعروض ، وجد فيه نقصا فادحا اكمله في الزاوية .

« .. وهذه شهادات رؤسائي وكلها تشهد على كفاءتي واستقامتي .. » .

بعد قليل عاوده بعض الهدوء فاخذ يتساءل ما جدوى هذا الكتاب ؟ .. ما فائدته ، ولم تمض اكثر من ايام على مثيل له ارسله حول نفس الموضوع ، اوليس من الخير لو تريث قليلا ؟ .. ان الالحاح قد يعكس الامور ويجعلها تسير لغير صالحه ، حسنا قبل نهاية الدوام سيقرر ايهما افضل ، الانتظار أم رفعه الى سيادة الوزير .

وبذلك حسم المناقشة موقتا ، نظر في ساعته .. وقت الدوام يكاد ان ينتهي واكد... قد وضعت امامه على الطاولة . اخذ يفض الغلافات ، يقرأ الرسائل والبلاغات ويحيل كلا منها الى الموظف المختص مشفوعة بالتعليق اللازم .

فجاة اخذ قلبه يخفق بشدة ،وجمدت عيناه فوق كتاب بخط يده .. وهما تجتازان السطور بسرعة خاطفة لتتوقف على جملة في اسفل الصحيفة.

« .. جوابا على كتابكم المرفق نعلمكم بانه سيجرى احالتكم على التقاعد بتاريخ .. » اعاد قراءة الجواب .. وامعن في النظر،لم يفهم التاريخ .. تطلع الى المفكرة امامه .. هذا يعني بعد ثلاثة ايام .. ثلاثة ايام فقط وينتهي كل شيء .. الى اين .. الى اين سوف يذهب ؟ .. الى زوجه العجوز .. الى ابنائه المبعثرين هنا وهناك في مدن القطر ، أم الى المقهى ؟ .. وقريته هناك في الشمال ؟ .. وكيف يذهب اليها مجردا من كل شيء بلا طاولة واختام وسجلات .. ولقب افندي يتبع اسمه كظله .. لا .. قالها بصوت مرتفع فاشرابت نحوه عيون الموظفين .. واخذ السعال يهزه بقوة .. فغشيت نظارته سحابة كثيفة حجبت عنه رؤية ما حوله ، رفعها بيد مرتجفة ، وضعها جانبا . تراقصت حوله وجوه مرؤوسيه واختلطت الصور ، اعادها الى مكانها فوق ارنبة انفه ، بصعوبة استطاع ان ينهض واقفا خلف الطاولة . لملم منها حاجياته الخاصة .. التفت عيناه بالمرآة في قعر الدرج . لم ينظر اليها .. تركها مكانها .. وبهدوء اخذ يمر بالموظفين يصافحهم واحدا واحدا وهو يتجه نحو الباب قبلهم ربما لاول مرة في حياته .

عند الطاولة الاخيرة توقف طويلا ، صافح الموظف الشاب بحرارة ، انحنى فوقه وطبع على وجهه قبلة والدموع تترقرق في عينيه وهو يقول :

ـ خاطرك يا ابني ..

في اليوم الثاني لم يحضر احمد افندي الى عمله ، عمل بدلا عنه تقرير طبي جاء فيه انه مصاب بالتهاب الرئة الحاد ويحتاج الى الراحة لمدة اسبوع يراجع بعدها الطبيب . ■■

محمد رؤوف بشير

حلب ـ سورية

النشرة الاعلامية رقم ٥٤ عن منتجات آكاي



لأول مرة رأس GX في مسجل كاسيت، رأس ثوري رائع، مصنوع من الزجاج ومن بلورة واحدة من الفريت، يدوم العمر كله ولا يعلق الغبار عليه، يقدم لك اداءً رائعاً خالياً من التشويش في مجالات الترددات المنخفضة والعالية على السواء بفضل فجوة قليلة العمق تركز حقل الانحراف في دائرة ضيقة.



GXC-40

اداء صوتي رائع للكاسيت بفضل رأس GX

قابل بين مسجلنا الجديد الكاسيت الستريو GXC-40 وبين افضل المسجلات ذات البكرة المفتوحة، فتعشق مدى الحياة، المسجلات الكاسيت كما نصنعها. ومن الميزات الرائعة التي يتمتع بها هذا الطراز من المسجلات، ستلاحظ خاصة مفتاحاً خاصاً لحذف تحريف الصوت حتى نسبة ١٫٥ ٪ المذهلة (النسبة المماثلة لما تقدمه المسجلات ذات البكرة المفتوحة في السرعات المرتفعة)، ومحركاً متزامناً ذا دوار خارجي، ومفتاحاً خاصاً بالشريط (يستخدم مع الشريط المصنوع من ثاني اوكسيد الكروم) يرفع تجاوب التردد العالي الى درجة مذهلة: ١٨٫٠٠٠ هرتز (± ٣ دي سي بل).

ولتحصل على الجودة المثلى في اداء الاصوات الطبيعية، ارفق بهذا المسجل الكاسيت الفريد من نوعه مكبران للصوت مدهشان ... من طراز SW-35 JET STREAM قياس ½ ٥ إنش.

ولا شك ان اقرب بائع منك سيسره اثبات هذا الامر لك، بل انه قد يقترح عليك ان تلقي نظرة على جهاز التسجيل الكاسيت الستريو GXC-40D.



SW-35

AKAI®

AKAI ELECTRIC CO., LTD.
Ohta-ku, Tokyo, Japan

الكويت -

في رأس الخليج العربي



ان الذي يجعل الكويت من أغنى دول العالم اليوم ليس موقعها الجغرافي فحسب ، وانما ثروتها المعدنية وازدهار العمران والتجارة فيها . ولمزيد من المعلومات عنها اتصلوا ببنك الكويت الوطني الذي يملك أضخم موجودات معلنة واكبر شبكة فروع في البلاد تقدم لكم كافة الخدمات المصرفية .

بنك الكويت الوطني ش.م.ك

تأسس عام ١٩٥٢

المركز الرئيسي : ص.ب رقم ٩٥ الكويت   الهاتف : ١١-٢٢-١١ (٢٠ خطا)

مؤسسات شقيقة :

لندن : بنك الكويت المتحد . لندن

باريس : بنك فراب

البحرين : بنك البحرين والكويت ش.م.ب

دبي : بنك دبي الوطني . دبي

بيروت : بنك الريف . ش.م.ل . بيروت


BAUME & MERCIER
GENEVE
1830
قف وانتبه !
الساعة المعجزة
BAUME & MERCIER
بوم اي مرسييه
أضخم إنتاج في حقل صناعة الساعات
غاية في الدقة - رائعة في الجمال - أوتوماتيكية
آلتها المرصعة بثلاثين حجر كريم تعمل لمدة ٥٥ ساعة بدون
الوكيل العام بالكويت
مراد يوسف بهبهاني
MORAD YOUSUF BEHBEHANI
ص. ب ١٤٦ كويت - تلفون المعرض ٣٣٧٧٠



ضاعف متعتك مع الاثنين - في - واحد

راديو / مسجّلة كاسيت سوني



انه راديو FM/AM ... انه مسجلة اشرطة كاسيت ... انه الاثنان في آن واحد! برامج الاذاعة تصدر عن واضحة عالية. وان احببت ما تسمعه، فاضغط على الزر الخاص وسجل البرنامج رأساً من الراديو الى الكاسيت.. دون اسلاك او وصلات خارجية. وهنالك مجموعة واسعة من راديوات / مسجلات كاسيت **سوني** كي تختار من بينها الموديل الذي يناسبك تماماً بثمنه وحجمه وتصميمه وادائه. شاهدها لدى احد موزعي **سوني** وضاعف متعتك مع الاثنين - في - واحد.

راديو / مسجلة كاسيت CF-300 يتضمن مايكروفون **سوني** ذا المكثف الالكتريت الذي يلتقط الاصوات من اية جهة صدرت بحساسية ووضوح مذهلين. وهو انيق، يزين المكان الذي تضعه فيه وله ضوابط بشكل ملامس البيانو. وهو يسمح بارجاع الشريط دون ضغط زر التوقيف. كما انه ينبهك عند انتهاء الشريط للتسجيل وللاعادة البث.

اداء من الدرجة الاولى من جهاز فائق الاناقة.

سوني SONY.



أتيحوا الفرصة
أمام الصغير عبدالله!



الكآبة تسيطر على الصغير عبدالله.
من المفضل بالتأكيد أن يكون
الإنسان في بيته، ولكن ليس
في كل الوقت. إن الصغير
عبدالله يريد أن يجول فيما يحيط
به، وأن يشاهد العالم، أو على
الأقل أن يشاهد ما يجري على
مسافة أميال قليلة. وهل هناك من
وسيلة لإدخال السرور إلى قلب
عبدالله أفضل من اتاحة الفرصة أمامه
لقيادة سيارة **نيسان الجديدة**.
أنكم تعرفون كل شيء يتعلق بسيارة **داتسون** ذات
الشهرة الواسعة، من حيث المتانة والاختبار الدقيق.
اضافة إلى كافة انتصارات **داتسون** في السباقات العنيفة
التي حققتها بسهولة، بفضل التقدم الهندسي.
وأثناء قيام عبدالله بجولاته، فإن جيرانكم سوف
يبدون اعجابهم بالتناسق البديع الذي
جلبته الشهرة لسيارات **داتسون** في
الترمن ١٢٠ يبدأ مختلفاً، وجعلها مفضلة
لدى الفنان الشخصي في كافة أنحاء العالم.

أنتم وداتسون تشكلون
انسجاماً رائعاً!

NISSAN MOTOR CO., LTD.

DATSUN

عندما تكون مصرفاً عالمياً
سريع الحركة مثل تشيس
فانك ستعرف حتماً جميع السُبُل الى أسواق الاستيراد والتصدير

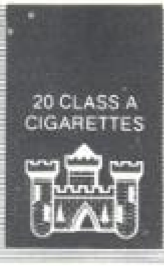
في الأسواق السريعة الحركة التي يتميز بها هذا العالم عليك ان تكون مستعداً للذهاب الى أي مكان في أي وقت وبأية طريقة . (حتى بالقارب) . وبما ان تشيس لديه الخبرة (لدينا أكبر حصة من الضمانات المالية في بنك الاستيراد والتصدير) ، فاننا نعرف أفضل السُبُل لتمويل عمليات الاستيراد والتصدير . وفي مقدور خبرائنا في التجارة الدولية ومدرائنا الفنيين توفير المعلومات التي تحتاجها للتعامل في الأسواق الدولية . انهم يعملون معاً ليرشدوك الى أماكن الشراء والبيع . اتصل بالموظف المختص في تشيس ليساعدك . تشيس ... هو المصرف الذي يحرّك الاحداث . ولا تنسَ أنّ لك صديقاً في

بنك تشيس منهاتن
THE CHASE MANHATTAN BANK
NATIONAL ASSOCIATION

المقر الرئيسي : – 1 Chase Manhattan Plaza, N.Y., N.Y. 10015, U.S.A.

فرع بيروت ومكتب الممثل في الشرق الأوسط وشمال افريقيا : شارع رياض الصلح ، ص. ب. ٣٦٨٤ ، بيروت ـ لبنان الهاتف : ٢٥١٥٨٠
بنك مشترك في دبي (الخليج العربي) : بنك دبي التجاري المحدود ، ص. ب. ١٧٠٩ ، دبي
فرع البحرين ص. ب ٣٦٨ (الافتتاح ديسمبر ١٩٧١)





KENT

WITH THE FAMOUS MICRONITE® FILTER

للتمتع بأطيب الاوقات «كنت» نكهتها الـذ.



دي لوكس ١٠٠ مليمتر أو كينغ سايز



glass & x'tal
ferrite head
رأس من الفريت الزجاجي والكريستال وتوافق متقن
SW-170A
GX-365D
AA-8500
رأس الفريت الزجاجي و الكريستال هو الاول من نوعه في العالم . ففي الرؤوس التقليدية تنخفض نوعية الصوت بسبب غبار الشريط وبلائه بينما الرأس الثوري GX لاينتج غباراً ولا يبلى ، ويولد حقلا مركزاً للانحراف . ويلغي تماماً كل تشويه في تسجيل الاشارات العالية التردد واداثها . وهو مضمون لخدمة فعلية تتجاوز ١٥٠،٠٠٠ ساعة . عندما يكون مسجل ما مجهزاً برأس كهذا ، فمن الطبيعي ان يعطي اداءً فائقاً وهذا هو حال GX-365D مسجل المحترفين الستريو . واذا جمعت به المنغم المضخم المضاعف الارسال AM / FM حالة صلبة AA-8500 ونظام تكبير الصوت هاي - فاي ستريو SW-170 A ، حصلت على مجموعة كاملة تعطيك اجود ما يمكن الحصول عليه في حقل الستريو .
GX - 365 D مسجل المحترفين الستريو
ميزاته : رأس GX عكس متواصل اوتوماتيكي ، ضابط اوتوماتيكي للصوت ، ثلاثة محركات ، عاكس حساس للشريط ، ٣ رؤوس ، ٣ محركات ، حساسية التردد ٣٠ الى ٢٨،٠٠٠ هرتز (± ٣ دسي بل) لسرعة ٧½ انش في الثانية .
AA - 8500 المنغم المضخم للضاعف الارسال AM / FM حالة صلبة
ميزات : طاقة ٢٤٠ واط ، تقنية جديدة للوحة الازرار ، FET دائرة متكاملة (IC) ، عدادات لقراءة قوة الاشارة AM/FM ، مفتاح AFC يمكن معه استعمال مضخم متعدد القنوات ، حساسية التردد ٢٠ الى ٥٠،٠٠٠ هرتز (± ٣ دسي بل) . نسبة S/N افضل من ٧٠ دسي بل (FM)
SW - 170 A نظام تكبير الصوت هاي - فاي ستريو .
تصميم فريد من نوعه . نظام تكبير صوت طاقته ٨٠ واط ، ذو خمس وجهات ، يتألف من ٦ مكبرات للصوت ، حساسية التردد ، من ٢٠ الى ٢٠،٠٠٠ هرتز ، مكبر صوت خاص بالتردد المنخفض (WOOFER) ١٥ انش ، مكبر صوت خاص بالتردد المتوسط (MIDRANGE) ، ٥ انش ، مكبر صوت خاص بالتردد العالي (TWEETER) ٢½ انش × ٢ انش ، مكبر صوت خاص بالتردد العالي (SUPER TWEETER) ٣٠ انش ، مكبران اثنان للصوت (SUPER DOME) ٢½ انش .
اوديو و فيديو
AKAI
AKAI ELECTRIC CO., LTD.
Ohta-ku, Tokyo, Japan

ع ٣٠٤

فائدة

مرّتان في السنة

مضمونة

طول السنة

عند فتح حساب توفير في بنك لومبارد نورث سنترال

ان حسابا للادخار لدى « لومبارد نورث سنترال » يؤمن فائدة حسنة ، مع ضمانة كاملة لراسمالك ، مما يؤدى لراحة بالك . ان الايداعات التى تخضع لطلب مسبق لسحبها قبل ستة اشهر تستفيد من ٦٪ فائدة سنويا . ويمكنك سحب حتى ١٠٠ جنيه استرلينى سنويا دون انذار مسبق . والفائدة تدفع كل ستة اشهر دون حسم اى ضريبة .

الايداعات من ٥٠٠٠ جنيه استرلينى وما فوق ولمدد محددة يمكنها الحصول على فوائد اعلى .

٦٪

ويمكنك الحصول على مزيد من المعلومات عند الطلب . ان فتح حساب هو البساطة بعينها . اكتب الآن الى مدير حسابات الودائع لطلب معلومات اوفر ونسخة عن « حساب الادخار » كتيب رقم ١٨٢ A O

Lombard North Central

LIMITED

Head Office: LOMBARD HOUSE, CURZON STREET, LONDON W1A 1EU, ENGLAND.
Tel: 01-499 4111.
City Office: 31 LOMBARD ST., LONDON EC3, ENGLAND
Tel: 01-623 4111.

لومبارد نورث سنترال ليمتد عضو في ناشونال وستمنستر بنك كروب الذى يزيد راسماله مع الاحتياطى على ٣٢٨،٠٠٠،٠٠٠ جنيه استرلينى .


RADO
RADO
1 MON
NCC 101
دياستر
٨
رادو
نموذجان
فريدان
انتصاران
عالميان
رادو
الساعة الوحيدة في العالم
الغير قابلة للخدش
UNIVERSE KUWAIT
أينما كنتم : اطلبوها من الوكيل المعتمد

مارلبورو

رمز الجودة



Soft Pack or Flip Top Box.

أفخر سجاير كنج سايز فيلتر

AMERICA'S FINEST FILTER

A quality product of Philip Morris Inc. Richmond, Va., USA

تبريد المكاتب والمتاجر
لزيادة الكفاءة في العمل وارتياح الزبائن



التبريد المريح يزيد من نشاط موظفي مكاتبكم وإتقانهم للعمل. كما أن زبائنكم سيجدون المتعة في التردد إليكم. إن مكيفات سانيو الجبارة يمكنها توفير التبريد الذي تحتاجون اليه. ان الموديل SA-168 BK، مثلاً، بامكانه تبريد غرف كبيرة تتراوح مساحتها من ٢٢٥ – ٥٤٠ قدم مربع، إذ تبلغ سعته ١٨,٠٠٠ وحدة حرارية "BTU" إن كثيراً من المميزات في تشغيله تؤمن خدمة ممتازة وعدم حدوث اعطال.

ان التحكم في الحرارة يتم بواسطة جهاز الثيرموستات كما أن التحكم في توجيه الهواء يتم بواسطة روافع ثنائية. ويمكن تشغيله باستخدام المروحة العالية أو الخفيفة، وبالتبريد العالي أو التبريد الخفيف، للحصول على الجو الذي يلائمكم.

للحصول على الربح الوفير والراحة التامة، حسنوا الأجواء المحيطة بكم واتصلوا اليوم ببائع منتجات سانيو.



AAA/S/72

SANYO سانيو

SANYO ELECTRIC TRADING CO., LTD. Japan

سانيو الكتريك تريدنغ كومباني، ليمتد. اليابان.

العربي

العدد ١٦٣
ربيع الثاني ١٣٩٢
يونيو
(حزيران) ١٩٧٢



ميناء بيروت تديره شركة خاصة لا الحكومة

جوائز ١٣٠٠ دينار سنويا

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الأردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢ دينار
اليمن	٢٫٥ ريال	ج.ع.م.	١٠ قروش	المغرب	٢ درهم



من روائع الفن الإسلامي

● اناء من ذهب ، جميل الشكل بديع الصنع والزخرف ، يوجد حاليا في احد متاحف واشنطن ، ويعود بنا الى عهد البويهيين (٩٤٥ – ١٠٥٥م) . ونذكر من هؤلاء البويهيين ، الذين اتخذوا من شيراز عاصمة لهم ، والذين كانوا حكام بغداد الحقيقيين ، أشهرهم عضد الدولة . فهو الذى مدحه المتنبي .. والذى وضع ابو على الفارسي كتابه « الايضاح في النحو » لتقديمه اليه. وعضد الدولة هذا هو الذى بنى مستشفى البيمارستان العضدى في بغداد .



عزيزى القارئ

● العرفان بالجميل صفة الأحرار . والعبيد هم الذين يتنكرون لصانع الخير ، والصابر للشدائد ، ان قولا ، وان فعلا ، وان كتابة فى الصحف .

وهذا الشهر ، اعتزل رجل عرفناه بخلقه الكريم ، وعرفناه باخلاصه العميم ، وعرفناه بصبره الذى هو من صبر أيوب . ومع هذا لم ينل من كتّاب العرب ، ومن يحسبون أنهم فى العرب من كتابهم، كفاية من تقدير ، بل كثيرا ما كان مكان التقدير التقليل ، والسخرية ، والتهزىء . والتقليل من مثل عمل أمين عام هيئة شديدة المراس ، مختلطة المنازع ، كثيرة الأهواء ، وكل هذا على الضعف لا على القوة ، انما هو تقليل لأعمال هذه الهيئة . وكأمين الجامعة العربية ، أمين عام هيئة الأمم المتحدة ، كلاهما فى الحظوظ سواء ، وكلاهما حظه من حظ الهيئة التى عمل لها .

عملا على المشقة ، وعملا والابتسامة لا تزال ظاهرة ، تحجب من تحتها عبوسة الأيام ، ولما اعتزلا لم يجد الناقدون من شىء يصبون عليه غضبهم ، واكثره غضب مصطنع ، الا الرجال . ونسوا ما وراء الرجال من هيئات هى النقمة ، ولن تجد نقمةً أشد من هيئة تحتل مركز الصدارة ، ومركز التبعة العليا ، وهى لا تستطيع أن تغير من أمور الأمم وأمور الدنيا شيئا .

فالى السيد عبد الخالق حسونة منا الشكر أكبر الشكر ، والشكر الذى أكثره على الصبر ، وعلى المحن يتلو بعضها بعضا .

المحرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

اسلاميات :

عروبة :

لغة وادب :

استطلاعات مصورة :

طب وعلوم :

ركن الأسرة والمرأة :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No. 163 Jun 1972 P. O. B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤١٤٤١٢٧ تلغرافيا « العربي »

الاعــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســــلات : تكون باسم رئيس التحرير



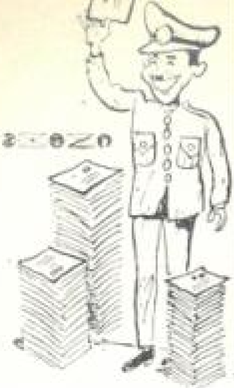
صورة الغلاف

● من وسط مدينة بيروت يمتد ميناؤها الكبير الذى تديره شركة ، وعلى ارصفة هذا الميناء وقفت ٢٣٢٩ باخرة افرغت وشحنت حوالى اربعة ملايين من الاطنان من البضائع خلال عام ١٩٧١ وهذه الحركة الدائبة في الميناء انعكست على مدينة بيروت نفسها ، فنشطت وانتجت .

(انظر استطلاعنا عن بيروت ابتداء من صفحة ١٠٠)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطرى ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج.م.ع ١٠ قروش ، تونس ٢٠٠ مليم ، الجزائر ٢ دينار جزائرى ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٢ر٥ ريال ، ليبيا ١٥٠ درهما ، جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٢٢٨٤ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



بريد القراء

استطلاعات العربي

● اني اكتب هذه الرسالة لاقول رايا حول ماجاء في رسالة الاخ السوري اسحق سعودي الذي يقول في رسالته : « لماذا تهتم (مجلة العربي) بالوجه المظلم من وطننا العربي دون الوجه المشرق ؟؟ » وقد نشرت رسالته في عدد فبراير من عام ١٩٧٢م . واجيب على سؤاله بان استطلاع (مجلة العربي) في أجزاء الوطن العربي ، هو لتعريف المواطن العربي بكل ما يحدث من تقدم وتخلف في مختلف ارجائه . ولا بد لمجلة العربي من أن تستمر في رسالتها من أجل المعرفة ، ومن اجل تعريف كل عربي بما في وطنه الكبير من تخلف وتقدم على السواء .

محمد بن محمد شميم
كريتر ـ عدن

● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ●

مسيرة الرسول الكريمة

● الشيء الذي دفعني للكتابة الى سيادتكم هو ذلك الاستطلاع في العدد ١٥٨ ذو القعدة ١٣٩١هـ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٢ الذي يتناول الاماكن الاسلامية المقدسة ، وكذلك الاماكن التي كان لها ذكر في التاريخ الاسلامي . وللحقيقة انها أعظم محاولة لتسجيل مسيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، بين مكة والمدينة المنورة على الاطلاق .

وتتمنى من مجلتنا المحبوبة لو انها أكثرت من مثل هذه الاستطلاعات الاسلامية علها توقظ امة طال سباتها بتذكيرها بمجيد ماضيها والعودة له باخلاص ويقين حتى يفصل الله بيننا وبين أعدائنا ونقدم لهذه البشرية الضالة التعبة الهدى والرشاد .

محمد عثمان حسن ـ الكويت

مع الله في السماء

● كم سمعت وقرات وتحدث متحدث امامي عن كتابكم القيم « مع الله في السماء » واخيرا ابتعته وقراته في سويعات مستمرة فصلت بفترات قصيرة ، منها للتعبد ، فترة بسيطة ، وللطعام اخرى مثلها ، وللنوم فترة ثالثة بعدها . قراته من اوله الى آخره ، بالتسلسل ورغبتي ، ان اقراه مرة اخرى ومرات بعدها . وامنيتي ايها الدكتور أن أهدي بعض اصدقائي نسخا من هذا الكتاب ولو استطعت لاهديت كل الاصدقاء .

وهناك شيء آخر ، تحدثني به نفسي : « ماذا لو ألفت هذه المجلة جوائز مسابقتها الشهرية بعض الأشهر وارفقت نسخة من هذا الكتاب مع كل عدد من المجلة كهدية في شهر يوليه لكونه الشهر الذي نزل فيه الانسان على كوكب غير كوكبه الذي يعيش عليه ليتطلع الى القدرة العظيمة المدبرة لهذا الكون الغامض ؟ » .

المخلص ، السيد علي النواخ ـ البحرين

زعيم الملثمين

● في باب أنت تسأل ونحن نجيب في العدد ١٥٧ جاء ما يأتي عن الملثمين ، وأول من جمعهم وحرضهم على القتال واطمعهم في تلك البلاد هو عبد الله ابن تاشفين الفقيه .

وهذا الاسم المذكور لم يرد قط في تاريخ الملثمين او المرابطين كما نسميهم نحن ، واظن ان الامر اختلط بين عبد الله بن ياسين ويوسف بن تاشفين. فعبد الله بن ياسين الجزولي وهو المقصود من تلامذة الشيخ ابى عمران الفاسى ، وقد جرح في احدى المعارك التى جرت بينه وبين قبائل برغواطة حيث توفي متأثرا بهذه الجروح .

الرباط ــ بوتاجا عبد الله

العربي : ما ابتناه عن عبد الله بن تاشفين هو ماقاله ابن خلكان تحقيق الشيخ محمد محيى الدين فى ترجمة يوسف بن تاشفين . حيث ذكر اصل الملثمين وسبب تسميتهم. فارجع اليه واعد قراءته فلن تجد فيه الا ما ذكرنا ، واذا كان الاسم فيه محرفا او كان الخلط منه فعليك اثبات ذلك بالنسبة له او بالنسبة لمحققه وطابعيه .

البلوش هل هم عرب أو غير عرب ؟

● في استطلاعكم عن مولد الامارات العربية المتحدة الذى قام به الاستاذ سليم زبال ، لفت نظرى ذكره للبلوش ضمن الشعوب الأعجمية الوافدة على المنطقة ، مع ان الحقيقة التى يعرفها غالبية الشعب العمانى هى أن هؤلاء القوم هم عرب بالأصل ، وينتمى معظمهم ان لم نقل كلهم الى قبائل عربية عريقة حكمت عليها الظروف وكذلك موقع الارض التى قطنوها واعنى بها اقليم بلوخستان ، والتى انتقلوا اليها عبر قرون عديدة منذ عهد حضارة الرافدين الى ما بعد قرون قليلة من موجة الفتح الاسلامى . تلك الظروف ادت الى قلة اتصالهم بالبلاد العربية وعمل بعض الجهات على طمس عروبتهم تدريجيا، مما دفع الكثيرين منهم الى الهجرة الى عمان وبعض الاقطار العربية الاخرى . وكم يودى ويود الكثيرين من البلوش أن تقوم مجلة العربى ببحث حول تاريخ الشعب البلوشي وايضاح علاقته بالعرب والعروبة .

محمد احمد البلوشي ــ البحرين

دولة الامارات العربية

● فى العدد ١٦٠ صفحة ١٢٦ وقع خطأ مطبعى فى ترتيب اسماء حكام امارات ساحل عمان ومساحة اماراته . وفيما يلى نعيد نشر الاطار مصححا :

الامارة	المساحة التقريبية بالاميال المربعة	السكان (احصاء ١٩٦٨)	اسم الحاكم
ابو ظبى	٢٦٠٠٠	٤٦٥٠٠	الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان
دبى	١٥٠٠	٥٩٠٠٠	الشيخ راشد بن سعيد بن مكتوم
الشارقة	١٠٠٠	٣١٥٠٠	الشيخ سلطان بن محمد القاسمى
راس الخيمة	٦٥٠	٢٤٥٠٠	الشيخ صقر بن محمد القاسمى
الفجيرة	٤٥٠	٩٧٠٠	الشيخ محمد بن حمد الشرقى
عجمان	١٠٠	٤٢٠٠	الشيخ محمد بن حميد النعيمى
ام القيوين	٣٠٠	٣٧٠٠	الشيخ احمد بن راشد المعلا
	٣٠٠٠٠	١٧٩١٠٠	

(البقية على صفحة ١٦٩)

حديث الشهر

تَرْبِيَةُ ابْنِكَ كانَتْ تَبِعَتَكَ فصارَتْ تَبِعَةَ الدَّوْلَةِ فيما صارَ إليها مِنْ تَبِعاتٍ

بقلم رئيس التحرير

■ لا ادرى لماذا انظر الى الطفل والى الصبى كما انظر الى نسخة من كتاب ، واذن انظر الى البيت كما انظر الى المطبعة ، تستنسخ الكتب على فترات ، ولكنها كتب اشباه .

الفرق بين الاثنين ان المطبعة قد تتم نسخ كتاب فى ساعات او ايام ، ولكن البيت لا يتم الكتاب ، الناشىء فيه ، انتساخا ، الا بعد سنوات .

وكثيرا ما تصـــورت المستحيل ، والمستحيل لا يمكن لانسان ان يحصل عليه الا تصورا ، فخلت صبيا بلغ سنته السابعة ، وهو بغير اب وبغير ام وبغير اهل ، كيف يكون . فادركت على التو انه يكون فاقد اللغة ، فمهما تحدثت اليه

- مجتمع اليوم نسخة من مجتمع الأمس ، والجيل هو أول معلم للجيل .

- التعليم ، منزلي غير مرسوم ، ومدرسي مرسوم .

- استقلت الدولة بالتعليم الرسمي دون الآباء والأمهات .

- قرون الزمان سارت بطيئة ، ثم أخذت تتحرك بعنف واعتزام .

- يقظة إنسانية ، أيقظت الإنسان عاملا ، وأيقظته مفكرا .

- أنت ، غير ابنك ، غير جدك ، وزمانك ، غير زمان ابنك ، وزمان جدك .

فهو لا يفهم ، ومهما اشرت اليه فهو لا يفقه . وحاجات العيش جميعا هو فاقدها،فهى،الا ما التزمت به الفرائز ، مما يتعلمه الانسان وهو ما تعلم . انه صبى ، ان جاز وجوده ، صفحة كالصفحات التى تخرج خطا من مطابعها بيضاء . انه ليس نسخة من ابيه ولا من امه ، ولا من احد . فمطبعة البيت ، حينما تنسخ الطفل ، انما تنسخه على الأسابيع وعلى الأشهر والسنين . كل يوم سطر ، وكل أسبوع سبعة أسطر ، وكل شهر اسطر عدة . انه جمع حروف وطبع فى آن . وهذا الطفل الذى أتصوره ما اخذ حرفا أو سطرا من أحد .

ماذا اريد ان اقول اختصارا ؟

مجتمع اليوم نسخة من مجتمع الأمس

اريد ان اقول اختصارا واختزالا ان مجتمع اليوم انما هو نسخة مكررة من مجتمع الامس ، وان المجتمعات الانسانية جميعا ، وكثيرا من المجتمعات الحيوانية ، تقوم ، بحكم الطبع ، بواجبين اثنين لا يمكن ان تتخلى عن ايهما . اما الواجب الاول ، فهو السعى للعيش ، لوصل الحياة ودفع الموت . اما الواجب الثانى ، فتنشئة جيل قادم يحل محل هذا



وفي مجتمع الطير ،
يعلم الجيلُ الجيلَ كيف يطير .

الجيل الحاضر الذى هو لا بد ذاهب ، وذلك لكى تتصل الحياة باتصال الاجيال .

الجيل اول معلم للجيل

ومعنى هذا أن الجيل هو اول معلم للجيل ، ولو قلَّ من يدرك ذلك . وهو يعلّم الجيل الجديد كل حقائق الحياة الأصيلة الأولى ، يعلمه الاكل ، ويعلمه الشرب ، ويعلمه التخلص من الفضلات، ويعلمه النوم واليقظة ، ويعلمه المشى والجرى ، ويعلمه الكلام والضحك ، ويعلمه كيف يتصرف لكل انفعال . وهذا كله يتصل ما بقي الطفل طفلا . ثم يبدأ الصبى يتبع امه او اباه فى مسالك العيش، فيأخذ يتعلم من الحياة اكثر فاكثر .



وقرات لرجل هندى يصف حياته الأولى بين قومه .

قرات لرجل هندى من هنود امريكا الحمر يصف تلك الحقبة الأولى من حياته ، بين قومه ، وهم على الفطرة قائمون . قال :

نعم . تعلمنا من آبائنا ما تعلمنا . وكان تعلمنا أشبه ما يكون باللعب . فكنا نخرج مع آبائنا ، ومن هم أكبر سنًا منا، يصطحبوننا الى حيث يذهبون . ونرى ونسمع ونقلد ما يصنعون . ففى الغيط كنا نساعد على وضع البذور فى الأرض، ونخلص الارض من الضار من النبت . وخرج بنا الشيوخ فى رحلات علمونا فيها الكثير عن سائر النباتات ، وكيف نحصدها . وصحبتنا الامهات فخرجنا معهن ، فعلمننا كيف نجلب البوص لعمل الاسبتة ، وذهبنا معهن الى حيث كن يجمعن طينة الخزف ، وتعلمنا منهن كيف نجمعها . وذقناها كما ذقنها لنتبين اطيب أصنافها . ودرنا معهن على الحقول نتعلم كيف نطارد عنها الطير والقوارض من الحيوانات . ومعهن جمعنا الخوخ ونشرناه فى الشمس ليجف ، وركبنا من الخمير صفارها عند حصاد

الذرة ، ورعينا الأغنام . وبهذه الطريقة تدربنا على عمل الأشياء . وكنا نسمع دائما من كبارنا أن البطالة عار،وأن الولد الكسلان لا بد أن يجلد .

فهذا مثل الجيل كيف يعلم الجيل.

وفوق الذى ذكره الذاكر يتعلم الصبى على هذا النحو كل ما يتصل بالعيش من فكر ، وما يتصل من عقيدة حتى ولو كانت خرافة ، وما يتصل من آداب .

بعد التعليم المنزلى غير المرسوم جاء التعليم المدرسى المرسوم

فهذا التعليم المنزلى هو التعليم الأساسى الذى ساد حياة الانسان فى أكثر العصور . وهو كما ترى لا يتشكل شكلا واحدا وانما أشكالا ، ولا نمطا واحدا ولكن انماطا .

وبتقدم الانسان ظهرت فى المجتمعات المدارس على المدى الطويل ، واتسعت المدارس وتعددت حتى لم يكن بد من أن تقوم بها الهيئات العامة والحكومات .

ومن بعد المدارس جاءت الجامعات .

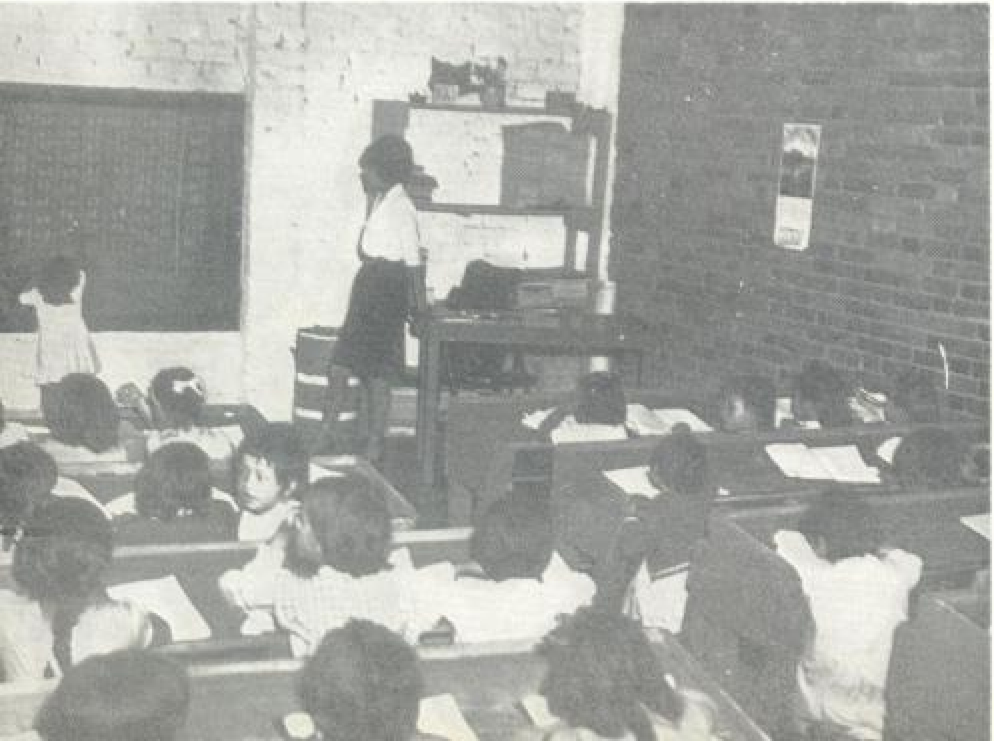
وهذا هو ما نسميه اليوم بالتعليم الرسمى أو المرسوم .

وله اليوم من النظم ذات الخطورة فى حياة الأمم،ما للحكم فيها،وما للسياسة، وما للأديان .

واستقلت الدولة بالتعليم الرسمى دون الآباء والأمهات

فى كتابة تاريخ الأمم عنى المؤرخون أكبر عناية بتاريخ الملوك والرؤساء ، وتاريخ الحروب ، من انتصارات وهزائم ، وقل عندهم تاريخ الشعوب . ومن تاريخ

واتسعت المدارس وتعددت ، حتى لم يكن بد من أن تقوم بها الهيئات العامة والحكومات .











ثم نشأت في اوروبا فكرة الوطنية ، لما اخذت اوروبا تتفاصل الى امم لها لغات . فهذا فرنسي ، وهذا ايطالى ..

الشمرب تاريخ التعليم والمدارس ، فلم يذكر التاريخ منها الا مجملا مختصرا لا يروى ظمأ .

والفكرة الشائعة عن المدارس ومعاهد التعليم أنها كانت للقلة من الناس ،على شتى العصور . وان الاكثرية كانت ،على السائد الأعم ، امية . ولكن لم تمنعها امية من ذكاء لتدبير الحياة وتيسير صعابها .

والظاهر ان فكرة الديمقراطية ، ولو انها فكرة قديمة،لم تحظ دولة بتطبيقها، من حيث الشمول فى الخدمات ،كخدمات التعليم ، الا بعد العصور الوسطى فى أوروبا الحديثة .

نشات فكرة الديمقراطية ، بمعناها ومبناها ، مع فكرة الوطنية ، لما اخذت اوروبا تتفاصل الى امم لها لغات خاصة بها ، وملوك يرعون امورها ، وفروق تفرق بين أجناسها ، فهذا فرنسى ، وهذا بريطاني ، وهذا ايطالى ، وهذا اسبانى وهلم جرا .

وبنشوء الدولة الوطنية ، نشأت فكرة اللغة القومية ، ونشأت معها الحاجة الى التعليم . وقد بدأ التعليم فى اول امره محدودا تقوم به جمعيات خاصة وهيئات، ولا سيما الهيئات الدينية ، ثم اصبح رويدا رويدا من بعض واجبات الدولة.

واذا صار للدولة ، وهى لا تفرّق بين ابنائها ، وجب ان يعم التعليم ويشمل . ورويدا رويدا تزول الأمية عن الأمم الاوروبية ، ورويدا رويدا يمتد التعليم حتى يصبح فى آخر امره الزاميا،الى عمر يتم الفتى فيه نضجا أو بعض نضج .

وفوق ذلك ، فهو الزامى تدير عجلاته مفاتيح لا توجد الا عند الدولة ، فهى تخطط البرامج وهى تنفذها ، وهى تنفق عليها . والذى بيده النفقة بيده زمام الأمر كله .

واختصارا ، باستقرار الديمقراطية ، وتقدم الحضارة الغربية ، خرج زمام التعليم من ايدى الآباء الى ايدى الدولة. ولأول مرة فى التاريخ هى التى تحكمه ، وهى التى تتحكم فيه ، بهذه السلطة الكاملة الواسعة .

قرون الزمان سارت بطيئة
ثم اخذت تتحرك بعنف واعتزام

ونقول التعليم قد تغير ، وقد تبدل ، والحق ان الدنيا التى عاشها الانسان



حتى نابليون لا نرى صورته اليوم الا ممتطيا ظهر جواد .

قديما ، قد تغيرت وتبدلت ، وتحركت معها قرون من الزمان ما كادت تعرف الى التغير سبيلا .

مضى من الزمان القرن فالقرن ، ونقول فيما «قبل الميلاد» ، وفيما « بعد الميلاد » ، ونقول في « الجاهلية » وفي « الاسلام » ، ونقول في « الحروب الصليبية » والعهود « الأيوبية » ، والأخرى « المملوكية » ، وهي عهود جرت فيها احداث عظام ، وتغيرت فيها وجوه العيش صغرى وكبرى ، ولكن جمع بينها جميعا سمات متشابهة ، يكفي أن نقول في مشابهتها أن السيف ظل الى آخر ايامها هو سلاح الحرب الأول ، وظل الفرس هو حامل ابطالها الأوحد . حتى نابليون ، وهو في الوضع الأحدث من الزمان الذي نعرف ، لا نرى صورته الى اليوم الا ممتطيا صهوة جواد .

قرون متشابهة ، تلا بعضها بعضا ، تختلف اسماؤها ، والنعوت واحدة . حتى اذا اراد الله بالكون تغييرا الب الانسان فيه على نفسه . واختار لهذا الانسان انسان أوروبا . واختار له عدوا من نفسه ملأ الحياة ظلما ، والعقول

الثورة الفرنسية أم الثورات الحديثة جميعا



ظلاما . والذى يهوى فى مهاوى الانسانية المظلمة دركات ، لا بد صاعد مثلها الى النور درجات . حتى اذا تنسم هـذا الانسان اشراقة للنور ثار للأمل الجديد حتى لغفل فى ثورته عما يصنع .

وتلت الثورة فى أهل أوروبا الثورة . فمن ثورة النهضة ، الى ثورة الاصلاح ، الى ثورة الفكـر والعلم ، الى الثورة الصناعية ، الى الثورة الاقتصادية ،ومع كل هذه الثورات تتغير صور الحكم ، ويتغير حال الناس فيما بينهم ، وفيما بينهم وبين حكامهم .وحتى الطعام يتغير ، ويتغير اللباس ، وتتقارب من الأرض أبعادها ، وتتقارب الأبعاد بين الأرض وقمرها ، وبين الأرض والكواكب .

وفى هذا المخاض العارم ، يتكشف التعليم فى الامم عن أشياء تمارسها الدولة وحدها ، غالبا ، والى الدولة



جاليليو
من اوائل البادئين بالثورة العلمية

يسلم الآباء أبناءهم ، تفعل بهم الدولة ما تشاء . ويخرج الابناء عن بيوتهم كل يوم الى المدارس .

وينجلى هذا المخاض العارم الشامل عن ولادة أنماط فى العيش ، وانماط فى الحكم ، وانماط فى الثقافات كثير منها الجديد.ومن جديدها التعليم .تقشعت السحب فاذا التعليم فى أكثر أمم الأرض الناهضة ، وفى أوروبا خاصة ، محيط شامل ، هو من صنع الدولة نفسها . هى تصنع للمدارس أبنيتها،وهى تملؤها بأثاثها ، وهى تزودها برجال تعليمها ، وهى هى التى تصنع هؤلاء الرجال ، وتصنع لهم البرامج على شتى المراحل .

والأب منا يسلم ولده كل صباح الى الدولة لتملأ عقله بالحقيقة التى تملأ ، وتغذى قلبه بالعاطفة التى تغذى ، وتصنع له الآداب ، فهذا محمود ، وهذا ممقوت .

كانت البيوت فى الذى انطوى من ايام،



ثورة الاصلاح الدينى
وبداها مارتن لوثر ، وهو
هنا يعلن احتجاجه على باب الكنيسة



استيفنسن
مخترع الآلة البخارية

البيت على الاقل هو الذى يختار له المدرس والمدرسة التى يريد ، وكانت المدارس الوانا شتى ، وطعوما مختلفة ، واذا بالأبناء ، وكذا البنات ، تصنعهم الدولة وتيرة واحدة .

انا فى عصر الصناعة بالجملة . عصر الانتاج على أوسع ما يمكن Mass Production **كان فى البيت الواحد المغزل الواحد ، والمنسج الواحد ،يصنع الثوب الواحد . وتختلف الأثواب التى تخرج من البيوت . وجاء العصر الصناعى بمكناته الفخمة ، فأنتج من الثياب ، لا المتر الواحد ، ولا الأمتار العشرة ، ولكن الأمتار الألوف ، وألوف الالوف ، وكلها شكل واحد ، ورسم واحد وألوان واحدة .**

وتلبس المرأة من هذا الثوب . وتلقى اختها فى مثل هذا الثوب . فتتحرج ، لان الاصل فى الجمال ان يكون نسخة واحدة لا تتعدد . ولكن يوفر على المراتين الكثير من الحرج انها الديمقراطية . وان الديمقراطية الى التوحيد ، فلا عجب ان تنتج اثوابا سواء ، لنساء وجب ان يكن فى الراى الديمقراطى سواء . كما وجب ان يكون ابناء تنتجهم الديمقراطية ابناء سواء ، لهم عقول حشوها سواء . واوتار قلوب اذا نقرتها اعطت انغاما سواء .

تصنع الرغيف الذى تريده ، فهى تختار دقيقة ، وهى تعجنه ، وهى تخمره ، وهى تخبزه . فاذا الزمن يتغير ، ويأكل الناس الرغيف الواحد الذى تصنعه الحكومة او تصنعه الشركات ، وهذا حصيلة ما وقع من تقدم صناعى ، وما آمن به الناس ، او لم يؤمنوا ، من تقدم ديمقراطى .

والذى حدث فى امر الارغفة ، ارغفة الخبز ، حدث فى امر الابناء . كان الابن يصنعه على الاغلب اهل البيت ، وكان

صناعة السيارات بالجملة



يقظـــة انسانية
ايقظت الانسان عاملا
وايقظته مفكـرا

ونعني بها ، في غير خفاء ، تلك اليقظة الاوروبية ، تلك التي بدأت عند ختــام ما اسموه بالقرون الوسطى ، او العصور المظلمة Dark Ages ، وزامن ذلك العصر الذي أصاب فيه النعاس رؤوس اهل الشرق ، حيث العروبة والاسلام ، فأخذت تميل بالأذقان، وهو العصر الذي استرد فيه الغرب ما كان اخذه الشرق من بقاع ، اخليناها بعد أن ارقنا علــى ارضها من الدموع ما بقيت آثاره الى اليوم تصنع في الادب العربي باقات من باقات الورد التي يودعها الزائرون على المقابر ، تحية ، وعبرة ، وذكرى .

استيقظ الغرب حين نام الشرق ، وكانت جرعة من علم وانماش خلفهــا الشرق ساعدت في ايقاظ النيام .

وكان تبادل النوم واليقظة، كالأرجوحة: ساق طويلة ترتكز على اوسطها ، لا يكون في طرف منها ارتفاع ، حتى يكون في الطرف الآخر هبوط .

واستيقظ الغــرب للفكــر والادب والفلسفة اول استيقاظ ، ثم استيقظ للعلم ، بداه جاليليو فيمن بدأ ، ووصله نيوتن وديكرت ، وطائفة متميزة من بواكير العلماء ، بدأت في القرن السادس عشر ، وظلت قائمة الى اليوم . ثم ثورة علــى الحكم في القرن السابع عشر ففي الثامن عشر . وكانت ثورة الطبقات الوسطى . ومع ثورة الحكم بدأت ثورة الصــناعة . ومع ثورة الحكم وثورة الصناعة كانت الثورة الاقتصادية ، فالثورة العمالية ، والثورة الاجتماعية الاشتراكية ، وقــد اجتمعت كلها ، واجتمعت على اشدها ، في القرن التاسع عشر .

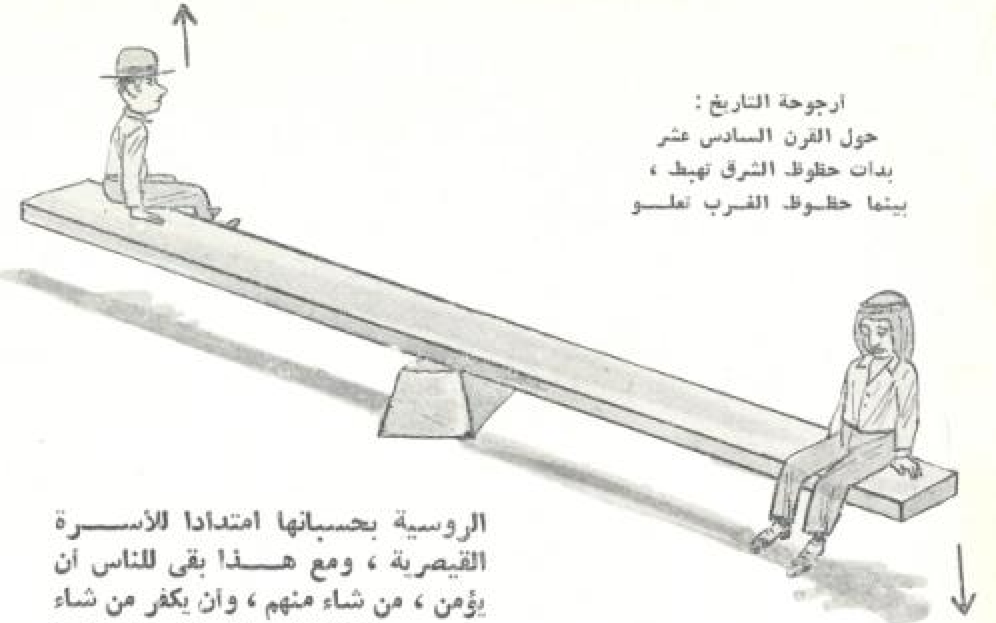
وسلكت الثورات الحديثة جميعــا ، على اختلاف الوانها ، وتداخل معانيها ، مسلكين كبيرين ، مسلك جرى في الأيدي ، فخلق من الصناعات والمصانع ما خلق ، ومسلك جرى في الفكر ، فانتج من العقائد الفكرية والمذاهب العقلية ما انتج .

ولا احسب ان عصرا من العصور تفرق فيه الفكر وتبعثر تفرقه وتبعثره في هذه العصور الحاضرة ، هذه العصور الذى بلغ فيها الكاتبون القارئون ، اهل الفكر في الدنيا ، اعدادا لم يبلغوها في أى عصر مضى .

اهل السياسة
اهل السيطرة على مستقبل الأمم

ونقول الثورة العلمية ، والثــــورة الصناعية ، والثورة الاجتماعية والثورة الصناعية ، والثورة الاجتماعية والثورة الديمقراطية، وندرك ان وسيلة تأثر الامم بتلك الثورات، ان حميدة أو غير حميدة، انما تكون عن طريق حكوماتها . فالحكومات هي التي تأذن ، وهي التي تمنع . وهي التي تقبل وهي التي ترفض . وهي من حيث النظــــم الديمقراطية هي التي توحدها في الامم ، وقل: من الحكومات اليوم ، الحكومات المحافظة . حتى تلك الحكومات المحافظة التي نعني بها تلك التي من غاياتها المحافظة على قديم ما في الأمة من قيم ، هي محافظة فقط الى درجة محدودة . فحيث الجو العالمي كله الى تبدل والى تغير ، لا تستطيع حكومة محافظة ان تستبقي من ماضي الأمة كل هذا الماضي . انها عادة تعنى بقيم دينية، او قيم اجتماعية ، تريد المحافظة عليها. ولكن وراء ذلك من القيم الف قيمــــة وقيمة، لا يتعارض معها دين ولا تتعارض محافظة اجتماعية رجعية .

ان عمل الحكومات الرقابة علــــى المجتمع الحاضر ان يعيد نفسه . وعمل آخر هو الرقابة على المجتمع الحاضر ان يجدد نفسه ، ذلك لأن كل شيء الى قدم وبلى، حتى المحافظون لا بد أن يتجددوا،



ارجوحة التاريخ :
حول القرن السادس عشر
بدأت حظوظ الشرق تهبط ،
بينما حظوظ الغرب تعلو

الا فى مناطق خاصة ، تتصل عادة بعقيدة او مذهب ، فالمحافظ لا يأبى ان يتجدد صناعة ، وان يتجدد صحة ، وان يتجدد علما وطبا ومعرفة، وان يعيش فى مستوى من الحياة أفضل . فهو يقبل كل الحضارة الحاضرة فى مظاهرها المادية ، وانما هو يأباها فيما قد تتطرق اليه من آراء ، ليس لها فى الواقع اثر كبير فى ابطاء سير عجلات الحضارة الحاضرة او اسراعها .

ومن دلائل ذلك ان الحضارة الاوروبية، واعنى بها الغربية ، بها المحافظون والمتحررون المتفتحون للزمان ، وترى دولهم سائرة فى طريق واحد ، غلب على الحكم المحافظون او غلب المتحررون . فالحضارة وحاجات الزمان عند كليهما هى الغالبة .

وحتى اهل الحضارة الاوروبية ، الشرقية ، الاشتراكية ، وهى حضارة تصحبها ثورة ، جرت على الاكثر فى مسالك حياتها ، صناعة وانتاجا ، ومعاملة وآدابا ، كما جرى اخوانهم الآخرون الغربيون .

ونعم بدأ الروس ثورتهم بقلة الثقة باهل الدين ، وبقلة الاطمئنان الى الأسرة الروسية بحسبانها امتدادا للأسرة القيصرية ، ومع هذا بقى للناس ان يؤمن ، من شاء منهم ، وان يكفر من شاء منهم . ولا زال فيهم الى اليوم ايمان ، هو بعض الجبلة الانسانية التى لا حيلة الانسان فيها .

ويمضى الزائر اروسيا ، فى مدنها وبين اهلها ، وفى شوارعها ، ويمضى الزائر ، فى صويحباتها من الدول الشيوعية ، فلا يرى الا مظاهر المدنية واحدة ، عند غرب ، وعند شرق ، لانها مدنية الزمان المسيطرة ، والتى نسمى نحن العرب ما نسمي ، فى مدارس وفى كليات وجامعات ، وفى مصانع ومزارع ، لنقتبس منها ، لنخرج به عما نحن فيه من تخلف . وما الخروج من تخلف الا اللحاق بالمتقدمين من اهل الحضارة الحاضرة ، نقتبس منهم كل ما يروق ، ونتفل من الثمر كل ما تتعثر به افواهنا من قشور والياف لا نفع فيها .

الحضارة
تعليم وتثقيف

وسواء قام المجتمع الحاضر بتجديد نفسه ، وتحضير المجتمع الجديد الذى يحل محله عندما يعتزل هو الحياة ويتقاعد ، بتلك السرعة البطيئة القديمة التى كانت تقارضها المجتمعات العتيقة ،

او بتلك السرعة المتسارعة التى هى صفة هذه العصور الحاضرة ، عصور الثورات الكثيرة المتنوعة المتلاحقة ، فيجب ان لا ننسى أنه لا يتم شيء من ذلك الا عن طريق التعليم .

والتعليم طرائقه شتى ، اخصها الذى يجلس له الشباب بين حوائط اربعة يستمع بينها لصوت واحد هو صوت معلم مسئول ، فتلك هى المدارس والكليات والجامعات والمعاهد العليا والسفلى على اختلاف غاياتها وعلومها وفنونها ، وتداريبها ، وأعمها كل شيء يحمل الى اى انسان فى الشعب علما جديدا ، والصحف وسيلة تعليم ، ووسائل الاعلام وسائل تعليم . حتى الخطاب يأتيك من صديق من عاصمة من عواصم الغرب يحكى لك عما فيها من تقدم ، ومن فكر ، ومن نهضة ، هذا الخطاب هو بعض ادوات التعليم .

فالحضارة تتألف من الف صنف وصنف . منها المادى فهو منها ولو كان قارورة ترموس ، أو مقلاة لا يلصق اللحم بقاعها الساخن ، أو قلم حبر جاف . ومنها الفكرى ، كالبرق الذى تنظر اليه فتعلم ما علمتك اياه المدنية من انه شحنة كهربائية تفرغت فى اخرى ، فيحدث منها البرق الذى ترى ، والرعد الذى تسمع من بعده . ومنها العاطفى الذى يحبسك عند صورة عالية فى متحف بالزيت رائعة .

اتساع الحضارة اسقط التعليم عن الأسرة وجعله تبعة الدولة

والحضارة ، بما اتسعت ، وبما تفرعت طرائقها وتشتتت ، وبما تطلبت من التعليم ان يتسع ، وأن يتفرع وأن يتشتت ، جعلت من قيام الدولة بهذا التعليم ضرورة لازمة . فالدولة وقد تولت شئون الناس جميعا ، فى مدينة أو ريف ، وفى صناعة وزراعة ، وفى علم اكديمى وعلم تكنى ، وفى وسائل حرب واجهزة دفاع ، صارت وحدها هى الجديرة بالتجهيز لكل هذه الحضارة . وهذا التجهيز يبدأ بالتعليم . واذن فقد صار التعلم من تبعة الدولة ، وسقطت تبعته عن الأب وعن الام وعن الأسرة ، سقطت اضطرارا ، سقطت عن العاجز ، ليحملها القادر . لتحملها الدولة .

أنت غير ابيك غير جدك

فى القرن العاشر لم يختلف الرجل الانسان ، اينما كان ، عن ابيه كثيرا ، ولا اختلف ابوه عن جده . كان الزمان كما قلنا يسير الهوينا . فكما نشأ الابن ، نشأ الأب ونشأ الجد . وربما تخرجوا جميعا من مدرسة واحدة ، أو مدارس فى المدينة الواحدة .

وعرف الوالد انه علا عن ابيه ، بحكم تقدم العصر ، خطوة . وعرف ان ابنه تقدم عليه ، بحكم تقدم العصر ، خطوة .

ولكن غير ذلك رجل أوروبا فى القرن التاسع عشر ، ورجل أوروبا فى القرن العشرين . حين تقدم الجيل على الجيل لا بالخطوة الواحدة ، ولكن بالخطى الكثيرة .

والرجل العربى ، فى القرن العشرين ، سبق اباه ، ولكن بخطوة أو خطوتين ، وذلك لأن القرن العشرين ، ان يكن كان لأهل اوروبا قرن ثورة ، فقد كان للعرب ، عصر ثورة ، ولكن من بعيد . هزيم رعد وبرق ، ولكن لم يبتل الرجل منهم بالمطر الهاطل ابتلالا كثيرا .

ومع هذا ، فلا نزال نتمثل بالقول المأثور :

علموا اولادكم الحكمة ، فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم .

احمد زكى

تايلند، كان اسمها سيام !

■ تميزت مسابقة العدد ١٦١ من« العربي » بالسهولة واليسر . فعلى الرغم من وصول «العربي »الى الاسواق متأخرة بعض الشيء الا أن القراء لم يدعوا الفرصة تفوتهم فبعثوا بآلاف الرسائل آملين الفوز باحدى جوائز المسابقة ، اما اسئلة المسابقة فكانت متنوعة ، فهناك اسئلة عن شخصيات عالمية الى أخرى تناولت معالم عربية وعالمية ، الى ثالثة فى جغرافية العالم .

واليك أيها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ، ثم أسماء من فازوا بالمسابقة .

١ ـ **النصب التذكارى للجندى المجهول يرتفع فى** بغداد .

٢ ـ **العاصمة المؤقتة لدولة الامارات العربية هى** ابو ظبى .

٣ ـ **رئيس جمهورية كينيا هو** جوموكينياتا .

٤ ـ **تقع مدينة دير الزور السورية على** نهر الفرات .

٥ ـ بابلو بيكاسو **هو الرسام الاسبانى الذى احتفل أخيرا بعيد ميلاده التسعين .**

٦ ـ **تشتهر البصرة بمحصول زراعى وفير هو** التمر .

٧ ـ البردى **هو الورق الذى كان يكتب عليه المصريون القدماء .**

٨ ـ **فى ٢١ مارس من كل عام يحتفل العالم** بعيد الأم .

٩ ـ **تاج محل ، ذلك الأثر التاريخى الذى يخلد ذكرى زوجة وفية اقامه لها زوجها** شاه جيهان .

١٠ـ **العنكبوت له من الأرجل** ثمان .

١١ـ **اسم الممر الذى يوصل بين ايطاليا والنمسا هو** ممر برنر .

١٢ـ **بانكوك عاصمة تايلند ، ولكن تايلند كانت تدعى قبل ذلك** باسم سيام .

الفائزون بالجوائز

الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :**محمد نبيل صادق القادرى** / الشرقية/مصر .
الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فازت بها :**عطية محمد عبد المجيد** / الكويت .
الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها :**الفاضل عوض الكريم حسين**/السودان .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ـ **الياس سبير قانم** / الفحيص / الاردن .
٢ ـ **عادل محمد الربيعى** / بغداد / العراق .
٣ ـ **حبيب جعفر الجبيل**/الظهران /السعودية.
٤ ـ **نجم الدين الهادى المختار**/الزاوية/ليبيا .
٥ ـ **احمد عارف الفانى** / بيروت / لبنان .
٦ ـ **أمينة توفيق سعيد** / حلب / سوريا .
٧ ـ **عبد الله سعيد أحمد المرسى** / كريتر / عدن .
٨ ـ **على الرومانى** / منسوتا / أمريكا .

وسترسل الجوائز الى اصحابها . ■■

الماس

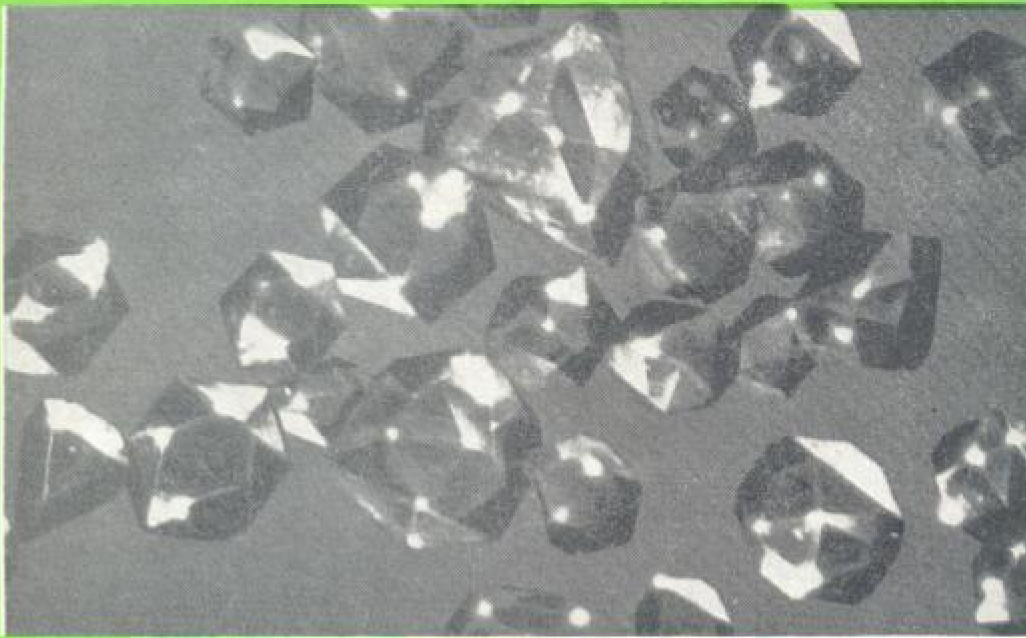
هل حقاً من الفحم والكربون خلقوه؟ والعالم الفرنسى مواسان، هل خدع الناس لما أعلن تخليقه إياه، أم خدعوه؟

بقلم الدكتور أحمد زكى

• ما من طالب مرّ بالتعليم الثانوى الا عرف ما الماس . فاولا هو عرف ان الماس هو افضل الجواهر عند الناس ،وذلك لصفائه ، ولان الضوء يقع عليه فلا يلبث ان ينفذ منه ، ناصعا ، وقدتلوّن بعضه بألوان الطيف الزاهية . ولانه اثبت الأشياء،فهو اذا احتك بشىء،اثر هو فى الشىء فخدشه ، اما هو فلا ينخدش ، لأن المأثور عنه انه اصلب الأشياء ، ومن اجل هذا هو يستخدم فى قطع الزجاج ولا يؤثر فيه الزجاج .

وعرفنا عنه ، ونحن طلبة ، شيئا تراءى لنا عندئذ عجيبا حقا ، ان الماس ما هو الا فحم خالص (كربون) . فهو والكربون عنصر واحد ، رغم ان هذا اسود لا يابه للضوء ظاهرا ، وذاك ابيض يلعب بالضوء لعبا ، ورغم ان هذا معتم وذاك شفاف ، وغير ذلك فروق كثيرة .

وكأنما «مدرسنا راى الريبة فى وجوهنا» فاردف بقوله ، تحقيقا لأن الفحم والماس شىء واحد ، ان الكيماوى الفرنسى الشهير مواسان Moissan ، وهو مات فى اوائل هذا القرن ، استطاع ان يخلق الماس من مادة الفحم ، وحصل من هذا الفحم على بلورات من الماس



زادت فى تحقيق ما زعمه الزاعمون من ان الفحم والماس شيء سواء .

وتمضى السنون

وتمضى السنون ، ويحاول العلماء تكرار التجربة التى اجراها العالم الفرنسى الشهير ، الجليل ، فيخفقون . وصحة الحقيقة العلمية انما تتاكد بأنها تتكرر ، وينجح التكرار .

واذن فماذا حدث؟ هل خدع مواسان العالم ، ام خدع هو ، ام ماذا ؟

ومواسان نال جائزة نوبل فى عام ١٩٠٥ جزاء ما ابدع للعلم . وما كان رجل فى مثل مكانة مواسان ليخدع الناس ، ويخدع العلماء خاصة .

واخيرا ، ماذا جرى لهذه الحقيقة العلمية المذكورة : ان الماس يتخلق من الفحم ؟ هل صحت على الزمن . وان تكن صحت ، وهى فى الصميم من الحقائق ، فمن قام بانجاز ذلك ؟

القصة من اولها

صور الفحم

الفحم ينشأ من تسخين الاجسام النباتية ، فى غيبة الاكسجين . والشيء الناتج الاسود أغلبه العنصر الكيماوى المعروف بالكربون .

والكربون يأخذ صورا عدة ، منها الفحم النباتى ، وسناج المصابيح ، وفحم الكوك ، وغيرها ، وهى عينات من الكربون غير نقية . والكربون فيها غير متبلور .

ثم صورتان بلوريتان هما : الجرافيت والماس .

والتبلور ينشأ عن نظام تتخذه ذرات المادة خاص بها .

فالماس كشفوا فى علم البلورات انه يتألف من ذرة من الكربون متحدة بثلاث ذرات أخرى من الكربون فى أبعاد من الفضاء ثلاثة ، طول وعرض وارتفاع . ويتكرر هذا النظام الى ما شاء حجم البلورة . ومن اجل هذا نجد لخواص الماس ما نجد .

والجرافيت كشفوا عنه انه يتألف من ذرة من الكربون متحدة بثلاث ذرات اخرى من الكربون ، ولكن فى مستوى واحد . ويتكرر هذا النظام الى ما يشاء مقدار ما لدينا من الجرافيت . والجرافيت من اجل ذلك يتألف من صفائح مستوية ، بعضها فوق بعض ، يربطها تجاذب كهربائى ضعيف ، ومن اجل هذا كان انزلاقها ، بعض فوق بعض . ومن اجل هذا كان الجرافيت مزلقا ، وهكذا هو يستخدم فى كثير من الغايات .

وتبلور العناصر والمركبات هو عادة دليل على نقائها .

ان الماس كربون نقى

ثبت هذا باحتراق الماس ، لا سيما فى جو من الاكسجين ، فهو يتحول كسائر صور الكربون الى ثانى اكسيد الكربون.

وكان اول من اثبت هذا رجل انجليزى اسمه تنانت Smithson Tennant وذلك فى عام ١٧٩٧ (أى والثورة الفرنسية قائمة) .

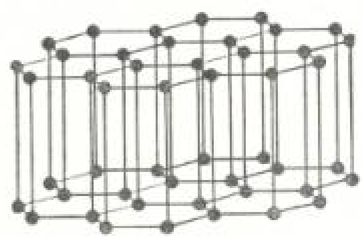
تخليق الماس من الكربون

بعد أن ثبت ان الماس ، ليس الا كربونا ، اتجه الكثير الى محاولة تحويل صنوف الفحم الى ماس . ودخل فى هذا الميدان الكثير من العلماء الصادقين ، ومن العلماء الزائفين ، وما اكثرهم فى كل جيل .

تجربة الاسكتلندى هاناى

من المحاولات التى لفتت الكثير من

هكذا توزعت ذرات الكربون فى بلورة الجرافيت



هكذا توزعت ذرات الكربون فى بلورة الماس



الأنظار ودار حولها حوار كثير تلك التي قام بها الاسكتلندي هاناى J. B. Hannay .

وضع خليطا من الكربون الادروجيني Hydrocarbons (مصدرا للكربون) ، وشيئا من زيت العظم Bone Oil ، ومعهما معدن اللثيوم Lithium فى انبوبة من الحديد، وسدها ختما ، ثم وضع الانبوبة فى النار حتى صارت حمراء اللون ، وبذلك ازداد الضغط بداخل الأنبوبة ازديادا كبيرا كان من نتيجته أن من الانابيب الثمانين التي صنع بها هذا ، انفجر سبع وسبعون ، وسلم الثلاث الباقون .

وادعى هاناى انه وجد الماس فى هذه الثلاث من الانابيب .

وقبل الناس هذه النتيجة عندما اعلنها صاحبها . ثم يمضى الزمن وتعاد التجربة ، فلا يخرج منها شيء . واليوم فالذي يعرفه الناس ان هاناى كان كاذبا مفتريا .

تجربة مواسان

ومن التجارب التاريخية الشهيرة تجربة مواسان .

وضع هنرى مواسان خليطا من الجرافيت والحديد فى بوتقة ، وسخنه فى فرن كهربائى ، ثم هو بعد ذلك اسقط البوتقة بما فيها فى ماء لتبرد .

واذ برد الخليط تجمد ظاهره ، ولما برد باطنه واراد ان يتمدد ، عاقه هذا الظاهر السابق الى التجمد دون ان يتمدد، فوقع باطن الخليط تحت ضغط باطني عظيم هائل ، كان هو والحرارة المرتفعة سببا فى تحول بلورات الجرافيت الى بلورات ماس . او هكذا كان الهدف .

وبردت البوتقة فعالجها مواسان



مواسان

بالكيمياء ، ثم أعلن انه وجد فى الرصيد المتبقى قطعا من الماس .

واعاد غيره من العلماء بعد ذلك تجربة هذا العالم الشهير دون ان يخرجوا منها بشيء ذى بال . ومع هذا ظل يتناقلها الناس على انها حقيقة واقعة . فما كان رجل فى مثل مكانة مواسان أن يتدنى الى الكذب والخداع ، وهو كاشف غاز الفلورين ، ومخترع الفرن الكهربائى ، وعليهما نال جائزة نوبل فى عام ١٩٠٥ .

ثم حدث بعد ذلك ان قالت ارملة مواسان تفسر ما حدث . قالت : ان احد اعوان مواسان خدعه بأن دس قطعا من الماس فى الخليط .

الماس لم يتخلق من الفحم الا فى عام ١٩٥٥ ..

جاءت بعد ذلك محاولات ودعاوى فى تخليق الماس لم يقدر لها النجاح او الاستمرار .

والراى القائم اليوم ان هذا التخليق لم يتحقق حقا وصدقا الا فى عام ١٩٥٥، وكان ذلك فى مختبرات البحوث بالشركة

الشهيرة ، شركة جنرال الكتريك General Electric بمدينة اسكنكتادى Schenectady بالولايات المتحدة .

ابتدا الباحثون بعدة تجارب لا حاجة لتفصيلها هنا ، وانتهوا الى هذه الطريقة المثلى :

جاءوا بمادة كبرتيد الحديد ، وغرسوا بها قطعة صغيرة من الماس ، ووضعوا ذلك في انبوبة من الجرافيت ، اغلقوا طرفيها بقرصين من عنصر التنتالم Tantalum ، ثم وضعوا الأنبوبة بالذى فيها في آلة ضاغطة ، وشغلوها فضغطت الأنبوبة بالذى فيها ضغطا بلغ ...٩٥٠ ضغط جوى ، وهى محفوظة عند درجة حرارة مقدارها ..١٥٠ درجة مئوية ، وذلك لبضع دقائق .

وفتحوا الأنبوبة بعد ذلك فوجدوا بها الكثير من البلورات اللامعة ، ثبت لهم انها الماس .

واعادوا التجربة فعادت نفس النتيجة .

واذن اذاعت الشركة خبر تخليق الماس من الجرافيت ، وذلك في فبراير من عام ١٩٥٥ .

وظهر من بعد ذلك ان اضافة قطعة الماس ، بادىء ذى بدء ، لا حاجة اليها . وانه لا بد من اضافة فلزات خاصة تعين على التخليق ، عمل العوامل المساعدة ، فتنزل بالحرارة وبالضغط .

اثـر تخليق الماس في التجـارة

عندما اعلنت شركة جنرال الكتريك خبر تخليق الماس ، هبطت اسهم شركة الماس الشهيرة دى بيرس De Bears بعض الشيء ، ولكن ما لبثت ان استردت سعر الأسهم . ذلك انه تبين ان تخليق الماس لم ينتج عنه شيء من الماس الجوهر ، وانما نشأ ماس اسود واسمر ، وهو صغير ، فهو من الماس التجارى الذى يستخدم في الصناعة بسبب ان الماس أصلب مادة معروفة في العلم واقساها . فهو يستخدم في الصناعة في قطع الأجسام الصلبة ، وفي السحق اسحق ما هو من الصخر وغيره اقل قسوة) وفي الصقل .

ونعم قد توصلت الشركة الى تخليق قطع من الماس كبيرة نسبيا ، وزن الواحدة منها قيراط ، وقطرها نحو ربع بوصة . ولكنها معتمة ، وهى من حيث الصناعة ليس بها كفاية من قسوة .

والقيراط ، وبه يوزن الماس ، يساوى ، على ما ساد في العالم اليوم ، خمس جرام .

ولكن فائدة كبرى جنتهـا الولايات المتحدة من نجاح شركتها ، ان هذه الشركة تخلق هذا الماس اليوم بالجملة بحيث تغنى الولايات المتحدة عن مصـادر خارجية اذا حال دون استيراده حائل او قامت دونها حرب .

ولأهل اللغة نقول

كان الماس يعرف من قديم الزمان ، وعند الاغريق . وذكره بلينى Pliny الروماني في القرن الأول من الميلاد . وسماه الاغريق Adamas وهو لفظ معناه الشيء الذى لا يقهر ، ولعل هذا كان لصلابته ، ثم تغير اللفظ فصار Adamant ، ثم Diamant ثم Diamond وفي العربية تسميه العامة الماظ ، وهو اقرب الى اللفظ الاغريقي الأول . واذن وجب ان يكون اسمه في الفصحى الالماس ، اى أل للتعريف ، وال اصلية . ولكن الكتاب اختصروا ، فقالوا ماسا .

●●

احمـد زكى

السوق العربية المشتركة

دراسة للمشاكل التي .. تواجهها

بقلم : الدكتور حسن عبد الله أبو ركبه
ماجستير ودكتوراه في ادارة الاعمال والتسويق من القاهرة وامريكا

■ فى الاعداد الاخيرة من « العربي » رقم ١٥١ ، ١٥٢ ــ اطلعت على مقالتين عن التكامل الاقتصادي لكل من الاستاذين الدكتور السيد ابو النجا واسماعيل العربي . وفى الحقيقة عالج كل منهم وباسهاب امكانية الاندماج الاقتصادى بين الدول العربية ، وعدد المزايا التى يمكن ان تنتج عن ذلك غير ان كلا من الدكتور ابو النجا والاستاذ العربي قد أغفل المشاكل التى تواجه الدول العربية فى هذا الصدد . وبالرغم من اعتبار كل منهما لهذه المشاكل الا انهما لم يعطياها مركزها من الاهمية .

ان تحديد المشاكل والاسهاب في سردها لا يعنى ان الاندماج الاقتصادى امل لا يمكن تحقيقه وانما يعنى في حد ذاته الحرص قبل الاقدام على الاندماج باتخاذ الحلول لتذليل مثل هذه العقبات والا اصبح الفشل هو النتيجة الحتمية لمثل هذا المشروع .

وحيث ان السوق العربية المشتركة هو ما تهدف الدول العربية اليه ــ فاننا نقتصر على تحديد المشاكل التى تواجه انشاء هذه السوق .

انشاء سوق مشتركة

ان انشاء سوق مشتركة يرتبط بالغاء القيود والحواجز التى تحد من حرية انتقال الافراد والخدمات ورؤوس الاموال وجميع وسائل الانتاج الاخرى داخل حدود المنظمة . ولست مع الدكتور ابو النجا في رأيه ان الهجرة لو ابيحت بين البلاد العربية « لامكن ان ينتج العالم العربى من القمح والقطن والزهور والخضراوات والفواكه والماشية والطيور ما يكفى اهله ويفيض عنهم الى الاسواق الاوروبية» . لقد اغفل الدكتور ابو النجا ان الهجرة قد قد يترتب عليها تحركات الايدى العاملة من البلاد ذات الدخل المحدود الى الدول الاعضاء التى تتمتع بدخل مرتفع . فالحقيقة التى لا يمكن تجاهلها هو ان فرص العمل سوف تحكم تحركات الايدى العاملة وانه لا بد من اتخاذ الاجراءات اللازمة للحد من هذه التحركات والا تسبب ذلك عن نتائج لا يمكن اغفالها .

كذلك الحال بالنسبة لتحركات رؤوس الاموال التى سوف تتحول الى الدول التى يكون العائد والفائدة من الاستثمار فيها الافضل والاحسن . وبالتالي لا بد من وجود سياسات للحد من تحركات رؤوس الاموال بين الدول الاعضاء الى درجة معينة .

اخيرا ان السوق المشتركة تعنى ارتباط الدول

الاعضاء بتعرفة موحدة Comm.N tariff ، واهمية التعرفة كمصدر دخل بالنسبة لمعظم الدول العربية امر لا يمكن اغفاله . هذا الاعتماد على الدخل من التعرفة الجمركية لتمويل المشاريع والبرامج الحكومية يجعل هذه الدول تتردد قبل الاقدام في مناقشة تتناول تخفيض هذه التعرفة او الارتباط بعدم زيادتها .

اختلاف الانظمة الاقتصادية

من المشاكل الهامة التي ستواجه السوق العربية المشتركة اختلاف الانظمة الاقتصادية في الدول العربية فهناك منها من يطبق النظام الاقتصادي الحر Laissez - Faire Economy ومنها من يتبع النظام الاشتراكي Socialist Economy ، وكلا النظامين يختلف في ابعاده ومعالجته للامور الاقتصادية . فمثلا النظام الاشتراكي وما يتطلبه من ملكية الدولة لوسائل الانتاج ، والمصانع ، وتجارة الجملة والتجزئة ، والبنوك وشركات التامين وما يقتضيه من تحكم في الاسعار والتجارة الخارجية يثير اسئلة عديدة ـ هل يسمح هذا النظام للمؤسسات الخاصة في ظل السوق المشتركة ـ بحرية الاستيراد والبيع ام يضع القيود في طريقها وما يتعارض مع انشاء السوق المشتركة ؟ فما هو مصير الشركات التي تنشأ في الدولة العضو باشتراك رؤوس الاموال من دول اخرى؟ هل يطبق التاميم على هذه الشركات ليؤثر ذلك في تثبيط وتهاون راس المال في الاستثمار في هذا البلد العضو ... الى آخر ذلك من الاسئلة العديدة التي تحتاج الى اجابة سريعة وعاجلة .

ارتفاع تكاليف الانتاج

ويرجع ارتفاع تكاليف الانتاج الى ان الدول العربية تعتبر حديثة العهد بالتصنيع ولا تزال تعتمد على الآلات والمواد الخام المستوردة الى حد كبير . كذلك الحال بالنسبة لضعف انتاجية الايدي العاملة وعدم توافر الخبرة مما يدعو الى الاستعانة بالخبرات الاجنبية الامر الذي يؤدي الى ارتفاع تكاليف الانتاج .

ضيق نطاق السوق العربية

اكد السيد اسماعيل العربي « .. ان الاندماج من شانه توفير اسواق واسعة مما يؤدي الى اتساع نطاق الصناعات بحيث تتمكن من استخدام الآلات الكبيرة ومن شراء كميات كبيرة من المواد الخام » ولم يبين السيد العربي ما الذي يعنيه من اتساع السوق . هل هو زيادة تعداد السكان والمساحة الجغرافية نتيجة الاندماج ؟ .

ان حجم السوق يرتبط ارتباطا وثيقا بالاضافة الى تعداد السكان بحجم الدخل ومستوى التعليم وتوافر وسائل المواصلات .. الخ . والسوق العربية ضيقة اذا ما اخذنا هذه الاعتبارات في الحسبان مما يؤثر على حجم الصناعة لتحقيق الوفورات الاقتصادية والتسويقية .

نيركس Nurkse احد زعماء الاقتصاد اكد أهمية السوق بالنسبة للتقدم الاقتصادي بقوله :

« ليس من الصعب ايجاد امثلة عديدة تؤكد ان صغر حجم السوق يقلل من امكانية استخدام الآلات الصناعية الحديثة الكبيرة . فالكثير من السلع الشائعة الاستخدام بالولايات المتحدة الامريكية يمكن بيعها لدولة ذات دخل منخفض بكميات محدودة جدا حتى ان الآلة التي تعمل فقط لايام او اسابيع قليلة يمكنها ان تنتج ما يكفي هذه الدولة لاستهلاك عام كامل ◆

ولو اعتبرت الدول العربية السوق الخارجية لتصدير الفائض عن احتياجاتها فسوف تواجه صعوبات تسويق منتجاتها بالخارج نظرا للمنافسة الشديدة التي سوف تواجهها من الدول المتقدمة .

تسويق المنتجات العربية

ان المزايا التي تترتب على انشاء سوق مشتركة خاصة في الدول النامية لا يمكن ان تتحقق اوتوماتيكيا الا اذا توافرت التسهيلات والمنظمات التسويقية القادرة على توزيع منتجات هذه السوق وتصريفها داخلها وخارجها مثل :

١ ـ ابحاث السوق
٢ ـ وسائل المواصلات
٣ ـ وسائل الاعلام

[1] Ragnar nurdse, Problems of capital Formation in Underdeveloped countries (NEW YORK : OXFORD UNIVERSITY PRESS, 1953)

٤ ـ مؤسسات الائتمان
٥ ـ شركات التأمين
٦ ـ المخازن العامة
٧ ـ خلاف ذلك .

وتوافر هذه التسهيلات والمنظمات التسويقية سوف يساعد على تركيز المنتجات العربية وتدعيم منافذ التوزيع وبالتالى اتساع نطاق السوق . فمثلا لا يمكن أن تتحقق الوفورات الاقتصادية الا اذا كانت هناك شبكة مواصلات تربط الدول الاعضاء وتسهل عملية نقل البضائع بينها باقل التكاليف. ونمو المؤسسات التسويقية مرتبط ارتباطا وثيقا بمدى توافر الائتمان. وخلق الثقة في المنتج العربى يحتاج الى وسائل دعائية قوية يمكن بواسطتها التاثير على المستهلك العربى ودفعه لشراء المنتجات الوطنية وتفضيلها الى حد ما عن المنتجات الأجنبية.

وتركز المنتجات الأجنبية في الاسواق العربية يجعل من الصعب عملية الاحلال ولقد أعطى ديتشر مثالا بسيطا لتفضيل المنتجات وارتباطه بالحالة النفسية المتركزة في الشعور بعدم التكافؤ. ويتعلق هذا المثال بشركة لانتاج الحليب* بمراكش (المغرب) :

« لقد عدلت الشركة الكتابة على علبة الحليب من الفرنساوى للعربى لارضاء المستهلكين بمناسبة استقلال بلادهم . واظهر البحث فيما بعد انه بدلا من شعور المستهلكين بالرضا نتيجة لهذه السياسة الجديدة كان الاستياء العام هو رد الفعل بالنسبة لهذه السياسة . ولقد ذكر بعض المستقصى منهم ان ما يعتبر مقبولا للشعب الفرنسي يعتبر كذلك بالنسبة لنا . اننا لا نريد الحليب العربى نريد الحليب الفرنسي الذى يشتريه الفرنسيون أنفسهم. ونتيجة لذلك عدلت الكتابة مرة أخرى للغة الفرنسية لخلق الثقة في المنتج فازدادت المبيعات » * .

ان هذا المثال البسيط يعطى دلالة واضحة على الجهد المطلوب لخلق الثقة في المجتمع العربى. فالتعديل في حد ذاته لم يكن كافيا لدفع المستهلك لشراء الحليب . كان من الواجب أن يصحب ذلك سياسات تسويقية ناجحة لاقناع المستهلك بعدم وجود فروق بين المنتج العربى والاجنبى والتاثير في العوامل الوطنية لدفعه على ايثار المنتجات العربية على غيرها واستخدام الوسائل الدعائية القوية لدفعه على تجربتها .

نجاح السوق العربية المشتركة

ان نجاح السوق العربية المشتركة لن يتحقق بفرض رغبات بعض الدول على الدول الاخرى . فلكي يسعى الجميع لقبول فكرة انشاء هذه السوق وتدعيمها لا بد من وجود الثقة المتبادلة . انه اذا ثبت لكل دولة عضو في السوق أن سيادتها واستقلالها محفوظان وأن الفائدة سوف تخص جميع الدول الاعضاء سوف تقدم على المساهمة بروح من التعاون والجهد لدعم هذا المشروع . فمن الصعب جدا على الدول العربية الصغيرة ان تؤيد فكرة الاندماج الاقتصادى مع الدول الكبيرة نسبيا اذا كانت الاخيرة ترغب في الاختصاص بالجزء الاكبر من الفائدة .

قدوة حسنة

اننى اخالف ما ذكره الدكتور ابو النجا من ان السوق الاوربية تعتبر قدوة حسنة للعرب . ففى اعتقادى أن الدول العربية استفادتها أكثر من تجارب الدول النامية في هذا المجال مثل :

١ ـ السوق المشتركة لامريكا الوسطى
Central American Common Market .
٢ ـ جمعية التجارة الحرة .
Latin American Free Trade Association .

فهذه الدول النامية لا تزال مثلها مثل الدول العربية حديثة العهد بالتصنيع ، والتسهيلات والمنظمات التسويقية لا تزال في مرحلة التحسين والتطوير ، والخبرات لا تزال غير متوفرة .

وددت لو يتسع المجال لتحليل المقالين تحليلا تفصيليا . ولكن اقتصر عند هذا الحد لأعرب للكاتبين الكبيرين اننى ما قصدت النقد لغرض النقد ولكن لاننا لا نريد أن نظل على عادتنا نحن العرب نعيش على احلام وآمال لا حدود لها نعتبر المزايا ونتجاهل المشاكل والعقبات حتى تصدمنا الحقيقة الواقعة ونستمرىء الفشل ويجب ان أسجل استفادتى من قراءة هاتين المقالتين واعجابى بهما في نفس الوقت ■■

الدكتور حسن عبد الله ابو ركبه

* Ernes. Dichter, " The World Customer "
Harvard Business Review, Vo. 40, No. 40 Ausust 1962, pp. 115 - 116

يامعشر العرب

إما أن نكون..

• الصهيونيون سجنوا أنفسهم في سجن الصلف والغرور

بقلم : أحمد السقاف

■ تواجه الأمة العربية تحديا خطيرا يهدد وجودها ، ويتجلى هذا التحدى فى الصلف الصهيونى المدعم بالعون الأمريكى المستمر ، وفى تفكك الفئات الواعية المخلصة وانقسامها وانشغالها بالمهاترات والاتهامات ، كما يتجلى بعد ذلك فى الحفر والأخاديد التى يحفرها فى طريق مسيرتها القومية فئات من اليمين الأصم ، وفئات أخرى من اليسار الأعمى ، ولقد بلغ الصلف الصهيونى قمته بعد هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ ، تلك الهزيمة التى مضت عليها خمس سنوات ، وما كنا نظن فى ذلك الشهر الكئيب أن خمسا من السنين ستمضي دون أن نثأر لشرفنا وكرامتنا ونسترد أرضنا وديارنا . ولقد أدركنا اليوم بعد هذا الوقت الطويل الفرق الذى كان بين استعدادنا وبين استعداد عدونا ، ولعلنا اليوم قد نجحنا فى ازالة هذا الفرق ، وتفوقنا على العدو بالعدد الذى له فى كل حساب شأن كبير . أن من يتتبع تصريحات المسئولين من الصهاينة ، وعلى رأسهم رئيسة الوزراء ووزير الدفاع ، ليعرف أن هؤلاء القوم قد سجنوا أنفسهم فى سجن الصلف والغرور بعد النصر الرخيص الذى حصلوا عليه .

ففى الشهر الماضي سمعنا رئيسة وزراء العدو تعلن أن القدس قد توحدت ولن تعود الى العرب ابد الدهر ، وهذا الأبد الذى تعلنه زعيمة العدو يدل على حالة الصرع التى انتابت هؤلاء القوم بعد هزيمة حزيران ، ولن تعود العقول الى هؤلاء المسجونين في سجن الغرور والنصر الرخيص الا بضربة تعيد اليهم عقولهم وتشفيهم من مرض الصرع الذى يعانون .

المعوقون ، من اهل اليمين واهل اليسار

حقا لقد كانت حالتنا فى العام المنصرم مخيفة ،

أولا نكون

صوتٌ مِن طنجة يُهاجِم أعداء العربيّة

فالانقسام كان واضحا اشد الوضوح . كان واضحا في العلاقات العربية ، وكان واضحا في الجبهات الداخلية المخلخلة ، وكان المعوقون من اليمين الأصم يحاولون أن يعيدوا عقارب الساعة الى الوراء مستفيدين من ذلك التمزق وتلك الانقسامات ، وكان المعوقون من اليسار الأعمى يستعجلون الأحداث التى افتعلوها ، وحين تمخضت ولدت نتنسة مؤلمة محزنة أصابتهم في الصميم وعرقلت المسيرة العربية بعض الوقت . ولم يجن اليسار الاعمى ثمار تلك الأحداث وانما ذهبت ثمارها الى سلال الاعداء . ولقد كنا نقول وما زلنا نقول لهؤلاء وأولئك ان الأمة العربية ستنتصر مسيرتها رغم ما يحفرون في طريقها من حفر واخاديد ، فلا عقارب الساعة راجعة الى الوراء ولا مزايدات اليسار الأعمى مقبولة لدى الجماهير .

زاد من رسالة السماء ، ومن العروبة السمحة

ان الشعب العربى يستطيع بهدى من رسالة محمد وبايمان من المبادىء القومية الانسانية ان يتجاوز هذه المحنة ، وانتصاره على قوى الشر وقوى التعويق انتصار مؤكد ما دام يستمد زاده الروحى من رسالة السماء وانسانية العروبة السمحة . ان محاولة بعض المعوقين التفرقة بين الدين وبين العروبة ما هى الا محاولة فاشلة ستنهزم أمام وعى الجماهير العربية في كل قطر من أقطار العروبة ، ولن تنتصر دعوة تتمسح بالدين ما دامت تحارب العروبة ، فما كان الدين ولن يكون دينا شعوبيا يقوم على بغض العرب وانتقاص أمجادهم ومحاربة قوميتهم ، ولن تنتصر عروبة جوفاء بعيدة عن رسالة السماء تكره الدين وتحاربه وتطعن في التراث وتحتقره ، وتتهجم على المقدسات والحرمات . ان على ابناء هذه الأمة العظيمة لا سيما حملة الاقلام الشريفة المؤمنة أن ينيروا الدرب أمام الجماهير العربية ، ويصونوا وعيها مما يبثه الاعداء والمعوقون ، فلا حياة ترجى لهذه الأمة ما لم تفتخر بأن قوميتها ترتكز على مبادىء محمد العظيم ، وأن دينها نزل في كنف العروبة وانتشر بجماجم صناديد العرب.

والمحتوى الاقتصادى ينتزع من الارض العربية لا غيرها

اما المحتوى الاقتصادى فانه يجب أن يكون منتزعا من الارض العربية نفسها ومما يسمح به التطور ، فالمهم ان تكون ايديولوجية القومية العربية ايديولوجية عربية نابعة من المثل العربية، والسجايا والأخلاق العربية ، مستمدة من آلام هذا الشعب وآماله ومن طموحه واهتماماته ، والهدف بعد ذلك تحقيق العدالة الاجتماعية دونما حقد او اثارة للبغضاء بين الطبقات ، ذلك ان الشعب العربي يخوض اليوم وسيخوض بعد اليوم ايضا معارك طاحنة ضد الصهيونية وضد الاستغلال الامبريالى العالمى ، وهو لذلك يحتاج الى كل جهد ، ويحتاج الى كل طاقة ، والدعوة الى الصراع الطبقى انما هى دعوة مشبوهة ، وهى في الوقت نفسه ترخيص للصهيونية العالمية بأن تبقى وتتوسع في الارض العربية ، وهى ترخيص ايضا للاستغلال الأجنبى بان يستمر ما دامت الجماهير العربية مشغولة بنفسها في صراع قد يستغرق مئات السنين .

العدالة الاجتماعية تتباين أشكالها بين قطر وقطر

ان العدالة الاجتماعية يمكن ان تأخذ الشكل الذى يسمح به التطور في كل قطر من اقطار الوطن العربى،فالتباين بين المستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية يحتاج الى تطبيق فيه شيء من التباين بين قطر وآخر ، وليست التسمية لتطبيق العدالة الاجتماعية تحتاج الى خلاف او اختلاف ما دام الهدف واحدا لدى القائمين على هذا التطبيق . ولا نحب ان نخوض في التفاصيل حرصا على وصول هذه المجلة الى جميع القراء ، ولكن الطبقات الكادحة والطبقات المحرومة يجب أن تكون الشغل الشاغل لجميع المصلحين في الارض العربية .

التحدى الخطير : نكون أو لا نكون

اننا اليوم امام تحد خطير فاما أن نكون قادرين على المواجهة ، مصممين على النصر واما ان نرضى بما نحن فيه وما هو آت لا محالة . ان اليمين الأصم لعلى استعداد لمسايرة القومية العربيةبعض الوقت،وان اليسار الأعمى لعلى استعداد أيضا للتظاهر بمناصرة قضية فلسطين ومسايرة القومية العربية ، ولكننا مدعوون الى المزيد من اليقظة والحذر ، فلا هؤلاء ولا أولئك يرضون عن مسيرتنا القومية ، ولا هؤلاء ولا اولئك على استعداد لتركنا نسير دون حفر وأخاديد ، ومع ذلك كله نقول مخلصين ان الجهد العربى يجب أن يوجه نحو التحدى الخطير الا وهو أن نكون او لا نكون!! وعلى ذلك يتحتم على القومية العربية أن تقبل مهادنة اليمين الاصم واليسار الأعمى كيلا تضيع الجهود سدى وتقطف الصهيونية ومن يقف معها ثمار أى صراع .

ان الاختلاف في مواجهة العدو جريمة

اننا في هذا الظرف ندعو مخلصين كافة القوى الوطنية الى التماسك ، فالجدل البيزنطى حول ايديولوجيات بعيدة عن الفكر العربى فيه مضيعة للجهد ومضيعة للوقت وليس من الحكمة في شيء ان نضيع الوقت والجهد في جدل عقيم والعدو رابض على الارض العربية . ان الشرف العربي قد داسته اقدام الاعداء ، ولن يستطيع عربي واحد ان يرفع الراس ما لم تتطهر الارض العربية من الغزاة المحتلين . ان الاختلاف في مواجهة العدو جريمة وان اختلاق الصراع بين القوى العربية خيانة ، فليعلم العرب كل العرب أنهم امام امتحان عسير ، والويل ثم الويل لكل من رضي بالذل ونكص عن ساحة الشرف ، ومكن للعدو البقاء في ديار العروبة .

ان القلب ليتمزق اسى وحزنا حين يرى القومية تستدرج الى معارك وهمية لن يستفيد منها سوى العدو الصهيونى ومن يقفون وراء هذا العدو من الامبرياليين .

ان الجهد العربى يجب أن يوجه نحو المعركة، وان القومية العربية مازالت في كل قطر من اقطار العروبة تواجه الكثير من المتاعب والمصاعب .

في زيارة للمغرب

منذ سنتين كنا في زيارة للمغرب بدعوة من اتحاد كتاب المغرب ولمسنا ذلك الصراع العنيف

بين دعاة العروبة وبين المعوقين ، ولقد كانت دعوة العناصر القومية تشمل فيما تشمل المطالبة بتعريب التعليم في كافة مراحل الدراسة .وكان المعوقون يناهضون هذا المطلب . فلقد الفوا لغة المستعمر وروضوا السنتهم عليها واحتلوا أعلى المناصب في الدولة فتمت لهم السيطرة الشاملة فحاربوا اللغة العربية من المراكز القوية التى احتلوها ، ولقد كتبنا حين عدنا من المغــرب عن ذلك الاضطهاد الذى تلاقيه اللغة العربية في تلك الديار العربية ، وكنا نمنى النفس بأن تحذو السلطة في المغرب حذو السلطة في الجزائر فتنهض باللغة العربية ، ولكننا ادركنا ان أولئك المعوقين ما زالوا يصولون ويجولون متشبثين باللغــة الدخيلة لا يرضون عنها حولا ، ولكم كان سرورنا عظيما حين حمل الينا البريد من طنجة قصيدة تدل على ان صوت العروبة السمحة الشـجاعة لا يهاب المعوقين، فها هو فضيلة الاستاذ عبدالله كنون عضو مجمع اللغة العربية وكبير علماء طنجة يصرخ في وجوه اولئك المعوقين منددا بمحاربتهم للغة العربية حيث يقول : ـ

جهلوها فناصبوها العـداء
ومن الجهل ما يكون بـلاء

ليت شعري ما يعلمون وان كا
نوا ادعـاءً يطاولون السماء

فصحٌ في رطانةِ الرومِ والافـ
رنج لا يخرمون منها بناء

يلتوي نطقهم بأبنيـة الضـ
اد كعلجٍ قدْمٍ يعاني الهجـاء

ويخطـون أحرفاً كالهراوى
ليتها في رؤوسهم أشلاء

★ ★ ★

ثم يتشكك في اصول هؤلاء القوم ، بعد ان يشكل عليه الأمر أهو عقوق من هؤلاء ام ان البصيرة لا تبصر فيتابع القول ، لا فض فوه : ـ

أتراهم من العقوق أصيبوا
أم دهوا من بصيرةٍ عمياء

أم نمتهم للأجنبي دماءٌ
فأفاءوا لأصلهم وأفاء

★ ★ ★

وينكر عليهم انتسابهم للعرب وان كانوا يدعون انهم عرب اقحاح فيقول لهم ، لو كنتم عـربا اقحاحا لما هانت عليكم العربية ولكنكم أدعياء لستم بعرب : ـ

لا تقولوا من هاشمٍ نحن أو من
عبدِ شمسٍ صليبةٌ لا ولاء

ما أهنتم شأنَ العروبةِ الا
حين كنتم في يعربٍ أدعياء

★ ★ ★

رحم الله طارقاً فهو أولى
بقريشٍ منكم وأدنى انتماء

لم تكنْ من كلامهِ ولقد بزّ
بنيها برّاً بها واعتناء

و «ابن تاشفين» اذ حماها من الغز
و فزادت عزّاً به واعتلاء

و « المصاميد » بعده اذ رعوها
فأفادتْ غنىً بهم ونماء

و « مرينا » وحزبها حين أعلوا
رايةً بيننا لها ولواء

★ ★ ★

فالعروبة ليست دماء وانما هي روح وايمان وسلوك وعطاء فكم من اناس يتشدقون بالنسب الرفيع وهم حرب على العرب، ويسترسل الشاعر فيشيد باولئك الذين خدموا اللغة العربية وهم ليسوا من القحطانيين ولا العدنانيين فيقول : ـ

عرباً كان هـؤلاء وناهيـ
ـك بهم أريحية وإباء

هم كسلمانَ من أعاريبَ جاء الـ
وحيُ نصاً عليهم وثناء

ما رضوا قطُّ ان يكونوا ذيولاً
لأعاديهم ولا أولياء

ورضيتم أنتم بها في كلامٍ
ونظامٍ ذميمةً صفراء

وهجرتم كتابَه واطرحتم
سنةً في بيانه غرّاء

وانسلختم من قومكم واندمجتم
دخـــــلاءً فى طغمـــةِ دخـــلاءَ

وعهدتـم اليهـــم ببنيـكم
وتخذتم منهـم لكـم نصحــاء

★ ★ ★

ضـل شـعبٌ ألقى مقاليدَهُ ما
بين أيـدى خـوارجٍ عمــلاء

★ ★ ★

ما عهدنا « أبا رغــال » زعيمـا
كيـف صرتم فى قومنـا زعمـاء

★ ★ ★

تزعمون النهوضَ بالشعب هل يَنْ
هض بالشــعب مـن يسيرُ وراء

★ ★ ★

ان شعبا بغيـر خلقٍ وتطقٍ
لا يساوى بين الشـعوب هباء

ولقد اشار الشاعر الكريم فيما سبق الى الحديث الشريف « ان العربية ليست منكم باب ولا أم ولكن من تكلم لغتنا فهو منا » ولا شك ان الرسول الكريم قد عنى اولئك الذين كانوا يتكلمون العربية عن حب ومواطنة وولاء ، اما الذين لا يكنون ولاء لبلاد العرب ، ولا يهز وجدانهم ما يجيش في صدور العرب فهم دون شك غرباء عنا وان تكلموا لغتنا .

القومية العربية تشجب الدعوة العنصرية

اننا نؤكد ان القومية العربية تشجب الدعوة العنصرية لانها قومية انسانية تحترم كافـة القوميات وتقف مع الكفاح العادل لجميع شعوب الارض ، ولقد انهزمت العنصرية الالمانية لاستعلائها على البشر ، وستنهزم العنصرية الصهيونيـة لاستعلائها وعدوانها وظلمها ، فلا حجة للشعوبيين حين يهاجمون القومية العربية متسترين بالدين حينا وبالتقدمية حينا اخر .

ومهما يكن من امر فان الابيات التى اخترناها من قصيدة الاستاذ الجليل لتدل على ان المؤمنين بالقومية العربية لا يهابون عنت المزيفين ممن يجيدون حفر الاخاديد امام المسيرة العربية .

فيا ايها المؤمنون بالعروبة في كل مدينة عربية وفي كل قرية عربية وفي كل مرعى من مراعى السهول والوديان والصحارى والقفار من الارض العربية ، اننا اليوم نواجه تحديا خطرا ، فاما ان نكون او لا نكون .

قضية التعريب على رأس القضايا العربية

وليس هذا التحدى ينحصر في الحرب الدائرة بيننا وبين الصهيونية العالمية ، وفي الحفـر والاخاديد التى يحفرها اليمين الاصم واليسار الاعمى ، وانما هناك مشاكل حضارية يجب أن يلتفت اليها المسئولون العرب بكل شجاعة قبل فوات الاوان ، والا وجد الانسان العربى نفسه بعد ذلك عاجزا عن التصدى لهذه المشاكل . ولعلنا لا نتجاوز الحقيقة حين نضع قضيةالتعريب على رأس هذه المشاكل ونستصرخضمائر المسئولين في الأمة العربية بوجوب المبادرة الى رصد الأموال وتجنيد الغيارى من رجال الفكر والعلم واللغة لانقاذ اللغة العربية من خطر داهم محقق . ذلك ان المخترعات العلمية اليومية في الدول الصناعية الكبيرة كالمانيا وروسيا وأمريكا وبريطانيا وفرنسا تحمل كل يوم أكثر من مائتى اسم جديد يجب أن يوضع لها ما يقابلها في اللغة. أما اذا استمر الحال على هذا المنوال فلن تستطيع اللغة العربية ان تجارى مستلزمات الحياة في المستقبل وستكون لغة متخلفة بكل ما تعنى كلمة التخلف من معنى رهيب . لقد استطاع الاعداء في فترة وجيزة أن يحيوا اللغة العبرية بالجد والبذل والعزيمـة فاصبحت اللغة العبرية ـ وهى لغة ميتة دون مبالغة ـ لغة الغاصبين في فلسطين وهـؤلاء الغاصبون كما يعرف العالم نفايات شعوب ذات لغات مختلفة ، افلا يستطيع هذا الشعب العظيم بامكاناته الهائلة وموارده المالية الضخمة أن ينقذ اللغة العربية من خطر يتهددها ؟

انها لصرخة من الأعماق واننا لمنتظرون ...

الكويت ـ **أحمد السقاف**



الأرملة..

شعر: أحمد عبد الغنى

على الشط .. على صخرة
تمضي الليل فى حيرة
تناجي الموج فى زفرة
وقد طافت بها الفكرة
ترى يا ايها الموج
متى ياتي لنا الزوج ؟

* * *

وتقبل نسمة تسري مع الفجر
تردد هذه الهمسات اذ تسرى
مضمخة بما فى الشوق من عطر
توصلها الى الموج .. الى البحر
ترى يا ايها الموج
متى ياتي لنا الزوج ؟

* * *

وتأتي نسمة اخرى
تحلى صدرها البشرى
ونسمات بدت تترى
تزف الفرحة الكبرى :
الا قد اقبل الفوج
فهل ياتي به الزوج ؟

* * *

ترن الآن دقات
وبعد الدق صيحات
مواويل .. وآهات
فللقيا علامات
وقلب خافق يرجو
بان ياتي لها الزوج ؟

* * *

تهادى الموكب المشتاق
بما يحويه من اشواق
ومالت نحوه الاعناق
وهاج البشر فى الاعماق
وقلب خافق يرجو
بان ياتي لها الزوج ؟

* * *

واضحى كل غواص لدى اهله
ونادى كل بحار على خله
ووافى كل مشتاق الى مثله
وارسى كل ولهان الى ظله
وقلب واحد يرجو
بان ياتي لها الزوج

* * *

ووجه صارم جهم .. وعينان
على عجل وفى شغف تدوران

وبعد البحث فى وجل تعودان
الى خوف وآلام واحزان
وظل فؤادها يرجو
بان ياتي لها الزوج

* * *

يدب بجسمها الوَهَن
ويفرى نفسَها الحُزن
توقف عندها الزمن
فلا نوم ولا وَسَنْ
وظل فؤادها يرجو
بأن ياتي لها الزوج

* * *

يمر اليوم تبتهل
ويملأ صدرها الامل
سيأتي زوجها البطل
وتمسح دمعَها القُبَل
وظل فؤادها يرجو
بأن ياتي لها الزوج

* * *

تكاد تحس اشباحا مهمهمة
تكاد تمس أرواحا مغمغمة
فتفتح فى ضنىً فاها متمتمة
وتهتف من دخيلتها مرتّمة :
ترى يا ايها الزوج
سيأتيني بك الموج ؟

* * *

وتهمس فى ثنايا الليل أصوات :
كثير من رجال الغوص قد ماتوا
ويطرق اذنها نوح وآهات
فتصرخ :لا..وما هذى الخرافات؟
سيلقاني هنا الزوج
أليس كذاك ياموج

* * *

سألقاه ... ويلقاني
ويطفيء نار اشجاني
يظللني .. ويرعاني
بفيض فؤاده الحاني
سيطفيء غلتي الزوج
أليس كذاك يا موج ؟

* * *

ويطفو قربها حوت .. فترتعد
ويسبح نحوها فرحا .. فتبتعد
الا يا حوت خبرها بما تجد
كفى ياموت طال العهد والامد
وهل يا ايها الموج
سيطفيء شوقها الزوج؟

* * *

وترنو اختنا للحوت تسأله :
ترى ياحوت ماذا اليوم يشغله ؟
وهل فى الشط او فى الماءِ موئله ؟
انعيٌ ذاك ما قد جئت تحمله ؟

* * *

ترى ياحوت قد وافى علي فكيك مصرعه ؟
وهل فى بطنك المملوء بالظلماءَ تودعه ؟
فيضحك قائلا:فى البطن ياحسناء مضجعه
وداعا . لا وربى لا أودعه

* * *

وتقذف نحوه صخرا
وتجعل راسه شذرا
فيهوى يطلب القعرا
ويطفو مرة اخرى

* * *

فتخطفه الى الدار
تقربه من النار
تجففه .. بمقدار
وتهتف : هاك يا جارى

* * *

فهذا الحوت اخفيه
من الاعداء احميه
وفوق الصدر أبقيه
فزوجي مائل فيه .

■■

احمد عبد الغني

شعراء النبوة

بقلم : الدكتور محمد محمود الدش *

■ قد لا نبعد كثيرا عن مجالنا اذا ذكرنا أن الشعر العربى حين شارك مشاركة لها قيمتها ودلالتها في تسجيل الأحداث الخطيرة المتلاحقة في عهد النبوة المحمدية ـ فان هذه المشاركة سبقت زمن البعثة النبوية ذاتها ـ اذ سجلت شيئا من طوالعها ومقدماتها ، على لسان بعض الشعراء الذين عاشوا فترة الارهاص والتمهيد والترقب .

ولا نريد أن نبعد كثيرا في أعماق التاريخ وما حفلت به الكتب ـ العربية وغير العربية ـ عن حديث المقدمات البعيدة والنبوءات الكثيرة التى سبقت مولد محمد عليه الصلاة والسلام ومبعثه الكريم ، وانما نقف قريبا بين المولد والمبعث عند حس يرى ويتوقع ، يلمس ويترقب ، يسمع وينصيخ .

انه الحس المدرب بالقراءة وتيقظ الجوارح وصحة البصيرة ، لدى طائفة من الذين ضاق صدرهم بما يرونه فاشيا بين أهل زمانهم ، واشرأبت نفوسهم الى اصلاح يمحص ويطهر ويزكى البناء ، في الفترة التى كان يسعى المصلح فيها بينهم ، ولما يأته نداء السماء .

ورقة بن نوفل

فقد كان « مَيْسَرة » غلام خديجة بنت خويلد عاد من الشام بعد أن رافق الأمين في رحلته التجارية اليها : وتحدث ميسرة الى خديجة بقصة الراهب الشامى الذى رأى الأمين في ظل شجرة ، فقال : ما نزل تحت هذه الشجرة قط الا نبى . كما تحدث اليها بما كان يرى من اظلال الملكين اياه من الشمس حين يشتد الحر وتنزل الهاجرة .

وتسرع خديجة الى ابن عمها ـ وَرَقَة بن نَوْفَل ، الذى اعتزل قومه وما يعبدون ، وعكف يطلع على كتب الدين ، نصرانية ويهودية ، فتتبعها ، وعَلِم من علم الناس ـ فتنقل اليه حديث غلامها ميسرة فيجيبها ورقة : « لئن كان هذا حقا يا خديجة فان محمدا لنبىّ هذه الأمة وقد عرفتُ انه كائن لهذه الأمة نبى يُنتظر ، هذا زمانه » . وجعل ورقة يستبطىء الأمر ، ويقول : حتى متى ؟ .

---

* توفي الدكتور محمد محمود الدش في يوم الاثنين الثالث من أبريل ١٩٧٢ ، وقد كان من كتاب العربي المجيدين . حمد العربي منه كما حمد اخوانه خلقه المتين ، وانا لله وانا اليه راجعون.

وبسجل الشعر ذلك ، في مثل قوله :

لَجِجْتُ وكنتُ في الذكرى لجوجا لهمٍّ طالما بعث النشيجا
ووَصْفٍ من خديجةَ بعد وصْفٍ فقد طال انتظاري ياخديجا
ببطن المكتين على رجائي حديثك أن أرى منه خروجا
بما خبّرتنا من قول قَسٍّ من الرهبان أكره أن يعوجا
بأن محمداً سيسود فينا ويخصم من يكون له حجيجا
ويظهر في البلاد ضياء نور يقيم به البرية أن تموجا

الى آخر القصيدة .. واذا كان لنا أن نقول :ان هذه القصيدة تعتبر اول الشعر الذى قيل في شان نبوّة محمد عليه الصلاة والسلام ، فاننانستطيع ان نضيف الى ذلك ان الشعر جرى على السنة الشعراء مقدّما هذه النبوة الكريمة للناسمسجلا طوالعها قبل نزول الأمر الالهى بها ، باكثر من خمس عشرة سنة .

وبرغم هذا التبكير الشعرى ، لا يزال معظممؤرخى ادبنا العربى مصرّين على ان يقفوا عند حياة الشعر في عهد النبوة وقفة يسيرة لا تلبثالا قليلا ، ان لم يمروا عليها مر العابرين ، غير محتفلين بذلك القدر الكبير من الشعر الذى ظهرحينذاك،والعدد الكثير من الشعراء الذين سجلتهم مصادر السيرة العطرة،وأسفار المغازى والصحابة،وكتب الأدب ومراجع التاريخ .

وقد آدحض الأستاذ الدكتور شوقى ضيفما شاع بين الباحثين من عرب ومستشرقين ، من ان الاسلام انحسر عن أثر ضئيل نحيل في اشعارالمخضرمين ، الذين شهدوا الجاهلية والاسلام ، وبيّن ان الله تعالى أتم على هؤلاء الشعراء نعمةالاسلام ، وانتظم كثيرون منهم في صفوف المجاهدين في سبيل الله داخل الجزيرة العربية وفي الفتوح،وهم في ذلك كله يستلهمون الاسلام ويعيشون له ، ويعيشون به ، يريدون ان ينشروا نوره في اطباقالارض ، وقد مضوا يصدرون عنه في اشعارهم صدور الشذى عن الأزهار الأرجة .

ابو طالب

ومنذ فجر النبوّة الصادقة المجيدة ، دخلالشعر معركة الجهاد والجلاد ، وصال فرسان الشعر وجالوا الى جانب فرسان السيف والرمح،وكان كثيرون منهم فرسان الحلبتين والمجالين جميعا، وان كانت صولة الكلمة سبقت جولة السيف .وحين قال النبى عليه الصلاة والسلام كلمته الحاسمة : « والله لو وضعوا الشمس في يمينيوالقمر في يسارى ، على أن أترك هذا الأمر ، حتى يظهره الله أو أهلك فيه ، ما تركته » عرفعمّه ابو طالب صدقه واصراره ، فقال له : اذهب يابن اخى ، فقل ما احببت فوالله لا اسلمكلشيء ابدا .

ولم يقف أبو طالب الى جانب الأمين بعقلهوجهده وكياسته فحسب ، بل مضى يرسل الشعر قصيدة بعد قصيدة ، مناصرا لابن اخيه ، محاورالأحلام قريش وعقولهم مرة ، منذرا اياهم وهاجيا مرة اخرى ، ومن ذلك قوله :

إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر فعبد مناف سرها وصميمُها
وإن حُصّلت أشراف عبد منافها ففي هاشم أشرافها وقديمُها
وإن فخرتْ يوما فإن محمدا هو المصطفى من سرّها وكريمُها

ومن قصيدة طويلة له ايضا ، يقول :

كذبتم وبيت الله نترك مكـــــة ونظعن إلا أمركم في بلابـــل
كذبتم وبيتِ الله يُبْزَى محمَّدٌ ولمّا نطاعن دونه ونـنـــاضل
ونُسْلمه حتى نُصرّع حولـــه ونذهل عن أبنائنا والحـــلائل
لقد علموا أن ابننا لا مكـــذّبٌ لدينا ولا يُعْنى بقول الأباطـل
حدبْتُ بنفسي دونه وحمَيْته ودافعتُ عنه بالذُرا والكـلاكل

(نظعن : نرحل ، بلابل : وساوس الهموم ، يبزى : المراد لا يبزى اى لا يقتهر ولا يستذل ، الحلائل : الزوجات ، حدبت : عطفت ومنعت ، الذروة أعلى الشيء ، والكلكل عظم الصدر) .

ويمضي شعر ابى طالب مسجلا الكثير من الأحداث والأشخاص في هذه الفترة الرهيبة من عهد النبوة التى سبقت الهجرة الى المدينة ، بما في ذلك ضيق المسلمين بانفسهم وبوطنهم ورحيلهم الى الحبشة اذ يقول شعراً للنجاشي يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم ، وقد شارك في تسجيل هذا الرحيل عبد الله بن الحارث السهمي ، بما فيه من مديح وحمد للنجاشي الذى امنهم واحسن جوارهم ، وعتاب وذم للطغاة الذين اكرهوهم على ترك الأهل والدار .

سجلت الأشعار اسلام شخصيات كبيرة

هذا ، ولم يفت مؤرخى السيرة العطرة ، ان يثبتوا الأشعار التى سجلت اسلام الشخصيات الكبيرة باعتباره من الأحداث المهمة في عهد النبوة ، كذلك الذى نقلوه من اشعار لحمزة بن عبد المطلب ، وعمر بن الخطاب ، حينما أسلما ، وشعر عبد الله بن الزِّبَعْرَى في اسلام عثمان بن طلحة وخالد ابن الوليد وعمرو بن العاص ، وشعر أبى سفيان بن الحارث حين أسلم ، ثم شعر الكبار الذين جاءوا مسلمين معتذرين مثل الأعشى وكعب بن زهير .

صارت مكة للكثير من الشعر

على انه ينبغى ان نسجل منذ الآن ان مكة ، التى لم تكن موطنا للشعر في الجاهلية ، ولم يلمع منها شعراء يطاولون فحول الشعر الجاهلى ، ولايقاربونهم ــ اصبحت منذ تفجر عهد النبوة منبعا للكثير من الشعر ، وكان القوم فيها انحلت عقدة ألسنتهم الشعرية ، منذ الهبت الدعوة المحمدية نفوسهم وافاقت نزعاتهم وعواطفهم ، فبدانا نسمع الأشعار الصادرة من بطن مكة وبطاحها على ألسنة كثير من رجالها ، واشترك في هذا الصدور جماعة من نسائها ، من مثيلات هند بنت عتبة ، وصفية بنت مسافر ، وقتيلة بنت الحارث ، في جانب ، وفي الجانب الآخر صفية بنت عبد المطلب اخت حمزة رضي الله عنه ، وغيرها .

بعد الهجرة تفجرت عواطف الشعراء

وبعد الهجرة النبوية الكريمة ، اشتجر القصيد كما اشتجرت الرماح ، ودخل الشعر الملاحم الكبيرة والصغيرة ، وتفجرت عواطف الشعراء مع الوقائع والأيام والغزوات والسرايا ، تارة بالاثارة والتهييج والتحميس ، وتارة اخرى بالبكاء والرثاء والنشيج ، وبين القصدين ، فخر ووصف

وعتاب ومدح وهجاء . ويقال ان اول شعر قيل في الهجرة بيتان ، قالهما ضِرَار بن الخطّاب بن مِرْداس الفِهْرِيّ ـ شاعر قريش وفارسها ـ فينبرى له شاعر النبوة حسان بن ثابت مجيبا :

فلا تَكُ كالوَسْنانِ يَحلمُ أنه ... بقَرْيَةِ كسرَى أو بقريةِ قيصرا
ولا تكُ كالشاة التى كان حتفُها ... بحفْرِ ذراعيها فلم تَرْضَ مَحفرا
فإنّا ومَن يُهدِي القصائدَ نحونا ... كمُستبضعٍ تمراً إلى أرضِ خيبرا

مجاوبات الشعراء

ثم هاج هياج الشعراء ، وعلا هدير الشعر الى جانب قعقعة السلاح ، بل اصبح الشعر سجالاً ، فيه كرّ وفر ، وفيه بدء ورد . فاذا قال حمزة بن عبد المطلب مباهيا بالنصر في بدر قصيدته :

ألم ترَ أمراً كان من عجبِ الدّهْرِ ... وللحَيْنِ أسبابٌ مبيّنة الأمْـرِ

اجابه الحارث بن هشام بن المغيرة :

ألاَ يالَقَومي للصبابةِ والهَجْـرِ ... وللحزْنِ مني والحرارةِ في الصدْرِ

واذا ابتدر القول ضِرار بن الخطاب بقصيدته يوم بدر :

عَجِبْتُ لِفخْرِ الأوْسِ والحَيْنُ دائرٌ ... عليهم غدا والدهرُ فيه بصائـرُ

تصدّى له كعب بن مالك بقصيدته :

عَجِبْتُ لأمْرِ الله ، واللهُ قادرٌ ... على ما أراد ، ليس لله قاهـرُ

وحتى حين يصيح عبد الله بن الزِّبَعْرَى باكيا قتلى قريش في بدر :

ماذا على بَدْرٍ وماذا حولَـه ... مِن فتيةٍ بيضِ الوجوهِ كِـرامِ

فان حسان بن ثابت يستدر دموعه والتياعه فيقول له :

ابْكِ ، بكتْ عيناكَ ثم تبادَرَتْ ... بدمٍ تَعُلّ غُروبَها سَجّـامِ

وتختلط دموع الرجال من قريش على هزيمتهم الجسيمة في بدر ، وفقدهم فرسانهم على أيدى ابطال المسلمين ـ تختلط بصياح النساء ونشيجهن : اذ يقلن شعرا فيه لوعة وفيه حُرقة ، من مثل لوعة هند بنت عتبة وحرقتها على ابيها :

ياعين بكّـي عُتْبَـــهْ ... شيخاً شديد الرّقبـــهْ
إني عليـــه حَرِبَـــهْ ... ملهـوفةٌ مُسْتَلَبَـــهْ

ومثل حرقة صفية بنت مسافر على اهل القليب ، الذين قتلوا يوم بدر ، وكان بينهم

كثيرون من سادة قريش ورجالاتها ، فامر النبيعليه الصلاة والسلام بان تطرح جثث القتلى في القليب ، فبكت صفية قائلة :

يامَنْ لعيْنٍ قذاها عائرُ الرَّمــدِ   حَدَّ النهار وقرنُ الشمس لم يَقِدِ
أُخبرتُ أن سَرَاةَ الأكرمين معاً   قد أحرزتهم مناياهم إلى أَمَدِ
وفرّ بالقوم أصحاب الرِّكاب ولم   تعطِفْ غداتئذٍ أُمٌّ على ولـدِ

واما كعب بن الأشرف شاعر اليهود ، الـذيبكى أصحاب القليب من قريش ، واتخذ من بكائه ذريعة للتحريض على رسول الله ، في قوله :

طحنتْ رَحَى بدْرٍ لمَهْلِكِ أهلِه   ولِمِثْلِ بَدْرٍ تستهِلُّ وتدمعُ

فان اثر استفزازه لم يقف عند حد اثارة حسانشاعر الرسول ، الذى تصدّى له بالرد ، وانما تجاوز ذلك الى امرأة من المسلمين من بنى مُريْد،هى ميمونة بنت عبد الله التى أجابت ابن الأشرف ساخرةً منه ، زاريةً عليه :

تحنّن هذا العبد كلَّ تحنُّـــــنِ   يُبكّي على قتلَى وليس بناصِبِ

فاستشاط ابن الأشرف غيظا من ميمونة ،واجابها بشعر منه :

أَتَشْتُمني أن كُنْتُ أبكى بعَبْرة   لقومٍ أتانى وُدُّهم غير كـاذبِ

الشعر سجل الكثير من الأحداث والاسماء

ومهما قيل في حق هذا الشعر وصحته او صحةنسبته الى قائليه ، فان كثرة ما جاء منه تظل دليلا على ان الدعوة النبوية انطقت الكثيرين ،رجالا ونساء ، بالشعر ، ورفعت مكان جماعة من الشعراء في تاريخ الشعر العربى ؛ وشاهدا علىان الشعر لم يتخلف عن المعارك التى كان يستعر أوارُها فوق لظى الرمال العربية وزمهريرها ، بلشاركها مشاركة فعالة لها قيمتها وجدواها ، فضلا عن انه سجل الكثير من الأحداث والأسماء التيجرت وسرت في عهد النبوة الكريمة .

وقعة أحد وكثرة ما قيل فيها

واذا وقفنا عند وقعة أحد ، نجد انها استأثرتباكبر قدر من الشعر ، وحظيت بعدد من الشعراء اكثر من غيرها . وذلك لعظم شانها ، وخطورةنتائجها ، وكثرة قتلاها من الفريقين جميعا ، فقد غمرت المحنة المشركين والمسلمين وغطت الخسارةهؤلاء وهؤلاء . ولقد حزن المسلمون حزنا شديدا لما منوا به من آثار هذه الوقعة ، اذ اصيب فيهاالنبى عليه الصلاة والسلام ، وقتل عدد كبير من المسلمين وفي مقدمتهم احـد فرسانهـم الأفـذاذوابطالهم الصناديد وشعرائهم المجيدين، عمالرسول حمزة عليه الرضوان .

ومنذ وقعة بدر ، والفريقان يستعدان للمعركةوالنزال ، والشعراء من ورائهم يجارون بالحث

(١) في الاصابة « مرين » أما في الروض الانف فهو « مريد » .

والالهاب والتهييج ، لم تقدم معركة احد ، ويدخل الشعر حلبتها ويوقد اوراها ، فهذه هند بنت عتبة تخوض بشعرها فتحرض المشركين ، والنسوة يشاركنها هذا التحريض . ويشعر ابو دُجانة ، وفوق راسه عصابته الحمراء ، وفي يده سيف الرسول اعطاه اياه ، ويشعر ابو سفيان بن حرب ، ويتولاه بالرد حسان بن ثابت ، والحارث بن هشام ، وحينما تتشفى هند بنت عتبة في شعرها بعد التمثيل بحمزة تتولى الرد عليها هند بنت اثاثة .

قال عمر بن الخطاب لحسان بن ثابت : لو سمعت ما تقول هند ، ورايت أشرها ، قائمة على صخرة ترتجزبنا ، وتذكر ما صنعت بحمزة ؟.. قال حسان اسمعنى بعض قولها أكفيكموها . فانشده عمر بعض ما قالت ، فقال حسان :

أشِرَتْ لكاعِ وكان عادتـهـا لُؤماً إذا أشرت مع الكفـر

قال ابن هشام : وهذا البيت في ابيات له تركناها ، وابياتا ايضا له على الدال ، وابياتا اخر على الذال ، لانه اقذع فيها .

بكاء حمزة والرد على المشركين

وينثال الشعر في بكاء حمزة انثيالا ، بكاه حسان ومالك بن كعب في قصائد رائعة ، وبكته اخته صفية بنت عبد المطلب ، وانضم اليهم الشاعر الفارس عبد الله بن رَواحة ـ وذلك بالاضافة الى تصديهم بالرد على قصائد المشركين من امثال هبيرة بن أبى وهب وابن الزبعرى وضرار بن الخطاب الفهرى ، مذكرين اياهم بيوم بدر حين هزموا هزيمة منكرة ، متوعدين بايام اخر ، معتدين برسول الله بينهم ، وباصحابه الأبطال المغاوير .

خفتت أصوات وارتفعت اخرى

ونلاحظ في يوم أحد ان بين شعراء المشركين اصواتا خفتت وكانت عالية ، والسنة قطعت وكانت طويلة من قبل ، من مثل ابى سفيان بن الحارث ، وعباس بن مرداس ، وكذلك شعراء اليهود الذين كانوا يستفزون المشركين بعد هزيمة بدر ، مثل كعب بن الاشرف . وفي اجلاء بنى النضير بعد ان هموا بقتل رسول الله يُقتل ابن الأشرف ، فيطلع شاعر غيره هو سَمّال اليهودى ، ويعاونه عباس ابن مرداس في امتداح بنى النضير ، فيتلقفهما بالجواب كعب بن مالك ، وابن رَواحة وخَوّات ابن جُبَير وقيل على بن أبى طالب . واما حسان فقد اضطلع بيوم بنى قريظة من يهود مجليا كدابه مع أصحابه من شعراء النبوة .

مؤتة واستشهاد ابن رواحة

ويستشهد عبدُ الله بن رَواحةَ في يوم مؤتة ، وكان النبى عليه الصلاة والسلام قد أمّر على الجيش زيد بن حارثة ، وقال : « ان اصيب زيد فجعفر بن ابى طالب على الناس ، فان اصيب جعفر فعبد الله بن رَواحة على الناس » . فودّع ابنُ رواحة رسولَ الله بابيات من الشعر ، ثم مضى يشجع بشعره على القتال ، وما ان استشهدَ زيد ، وتلاه جعفر ، حتى تقدم ابن رواحة فاخذ الراية ، وارتجز قائلا :

يانفس إلاّ تُقْتَلِي تَموتـي هذا حِمَامُ الموتِ قد صَلِيتِ
وما تَمنيتِ فقد أُعطيـتِ إن تَفْعَلِي فِعلَهمـا هُديتِ

فقاتل حتى قتل ، واخذ الراية خالد بن الوليد. فبكاه وبكى اصحابه حسان وكعب بن مالك بكاء حارا .

فتح مكة وكثرة الشعراء

ولم تمض شهور اربعة على مقتل ابن رواحةحتى كان النبى عليه الصلاة والسلام يتجهز لفتح مكة ، فعوّض الله النبوة عن ابن رواحة جماعةغيره من الشعراء . فقد أسرع الى الاسلام أبو سفيان بن الحارث وقدّم الى الرسول شعرهمعتذرا . وصنع صنيعه عبد الله بن الزِّبَعْرَى . واسلم عباس بن مِرْداس السُّلَمى ، وعلا صَوْتبُجَيْر بن زُهَيْر ، والجَحاف بن حكيم السُّلمى، ومالك بن عوف النَّصرى ، وفَرْوَةُ بن مُسَيكِالمرادى ، ومالك بن نمط الهَمْدَاني ، ولبيد بن ربيعة العامرى ، وعبد الله بن قيسٍ النابغةُ الجَعدى ، كما احتازت النبوة شاعرها الفذ كعب ابنزهير بن ابي سُلْمَى، صاحباللاميةالشهيرة :

بانَتْ سعاد فقلبى اليوم مَتْبُــولُ ... مُتَيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مكْبولُ

وفيها يقول :

كلُّ ابنِ أنثى وإن طالت سلامتُه ... يوماً على آلة حدباءَ محمــولُ
أُنبئتُ أن رسول الله أوْعَدَنــى ... والعفو عند رسول الله مأمــولُ
مَهْلاً هــداك الذى أعطاك نافلةَ ... القــرآنِ فيها مواعيظٌ وتَفْصيلُ
إن الرسول لَنورٌ يُستضاءُ بــه ... مهنّدٌ من سيوف الله مسلــولُ

انشدها بين يدى النبى عليه الصلاة والسلام فيالمسجد ، فخلع عليه بُرْدَتَه ، التى ظلت فى ابنائه حتى اشتراها منهم معاوية بعشرين الفدرهم ، ثم كان يلبسها الخلفاء بعد معاويــة فى العيدين .

استمد الشعر
أروع المعانى وأجل الافكار

وهكذا عاش الشعر حياة جديدة ، في اهم مرحلةمن مراحل تاريخ البشرية باسرها ، فى رحابالنبوة الكريمة ، يتفيا ظلالها ، برًا وخيرا ورحمة ،مُستمِدًا منها اروع المعانى ، واجل الأفكار ، فى الايمان والاطمئنان والتوحيد والسلوك ، مسجلابقى النماذج واخلدها ، من الأحداث والرجال ؛ احداثِ القوة والباس والحق والعدل والتضحيةوالايثار ، ورجالِ الخير والصدق والصبر والاستغناء والزهد والقناعة . مستلهمًا صوغهومبناه وموسيقاه من كلم الله ، وجوامع مصطفاه، وانغام السماء ـ عاش ما عاش من حياة ، فى ظلاخصب حياة وأندر حياة ، حتى اذا جاء قضاء الالـه ، ابتدرتْ عيون الخلقِ والمرْسَلاتِوالشعْرِ ، وقال شاعر النبوّة حسان بن ثابت :

فبيناهم في ذلك النور إذ غَــدَا ... إلى نورهم سهم من الموت مقصِدِ
فأصبح محمودا إلى الله راجعــا ... يُبكّيه جَفْنُ المُرْسَلاتِ ويَحْمَدُ
فبكى رَسولَ الله ياعينُ عــبرةً ... ولاأعرِفَنْكِ الدهرَ دَمعكِ يَجمُدُ
وجُودى عليه بالدموع وأعْولى ... لفقدِ الذى لا مثلُه الدهرَ يوجَدُ
وما فَقَدَ الماضون مثلَ محمــدٍ ... ولا مثلُه حتى القيامةِ يُفقَدُ

■■

محمد محمود الدش

وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه
وقدرة الله تتراءى في بديع صنعه

شعبة الحيوانات الرخوة

القوقع ، والمحار ، والحبار ، والأخطبوط

■ وصفنا الديدان ، وفي وصف الديدان ذات الحلق قلنا انها اتم الديدان خلقا .

ومن الديدان ننتقل الى الحيوانات المعروفة بالحيوانات الرخوة Molluscs ومعنى هذا انا ، بالدخول فيها ، قد خطونا في السلم الحيواني مرة اخرى خطوات الى الأمام ، فهي اتم اعضاء ، واعضاؤها أكثر تخصصا ، واتم لوظائفها اداء . وليس معنى هذا انها بلغت من التخصص وحسن الأداء ما بلغته أعضاء الانسان ، او حتى المألوف من الحيوانات ذوات الفقار او ذوات الأثداء . ولكنها بلغت من ذلك ما يأذن لها بأن تحتل موضعها هذا الذي هي فيه من السلم ، الذي هو سلم الخلائق جميعها .

وقد احتلت هذه الخلائق فيه المواضع التي اذن بها المخطط العام للخلق جميعا . ومن صفاته الأولى التدرج الذي يصل في نهايته الى القمة ، تلك التي يحتلها الانسان . وهو مخطط واحد ، تلتزم به الخلائق التزاما .

الرخويات أكثر من ١٠٠٠٠٠ نوع

وشعبة الحيوانات الرخوة تحتوى اليوم على أكثر من ١٠٠٠٠٠ نوع من هذه الحيوانات .

وهي ما كانت شعبة Phylum الا لاتحاد هذه الأنواع جميعا في بعض صفات خاصة بها . وهذا هو مظهر الوحدة القائمة في الشعب .

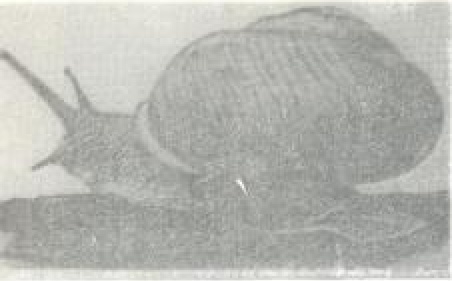
وتسمى هذه الشعبة بشعبة الرخويات لان انواعها الـ ١٠٠٠٠٠ حيوانات رخوة ، اى ذات أجسام طرية . ومن أجل ذلك دخل بعضها الى طعام الناس ، كالمحار وام الخلول . والناس تفتح من هذه الحيوانات اصدافها لتبلع لحمها الطرى بلعا .

وقلنا الأصداف ، وهي غطاؤها ، وهي درعها وحاميها . وقد كان لابد للجسم الرخو من درع يحميه .

ثم صفات أخرى تتبين عند وصف ما



القوقع البحرى ، وهو يزحف ، وقد حمل زائدتين كالقرنين فوق راسه ، هما مجستان .



قوقع ارضي يزحف على بطنه وقد حمل قوقعته فوق ظهره.

نصف من طوائفها ، وقد نعود اليها بعد ذلك اجمالا .

الحيوانات الرخوة ذات الصدفة الواحدة
القواقـــــع

ونختار من الرخويات امثلة تتمثل فيها اكثر صنوفها شهرة، ونبدا بالقواقع Snails والقواقع طائفة من طوائف هذه الشعبة معروفة مشهورة . وللقوقع صدفة واحدة حلزونية الشكل يختبيء فيها عند الخوف وعند الحاجة . وتنظر اليه فلا ترى منه غير القوقعة . وبسبب شكل القوقعة سمى هذا الحيوان ايضا بالحلزون .

ونقول عن فلان عندما يعتزل الناس انه تقوقع ، اى دخل قوقعته .

ويخرج القوقع من قوقعته فنراه ، ان كان يسكن الارض اليابسة ، يسير على قدم مبسوطة على الارض يزحف بها على الارض زحفا . او كان مما يسكن البحر او النهر فهو يزحف على القاع او الصخر .

ومرفق مع هذا الكلام صور فوتغرافية للقوقع ، وهي تريك اياه حين تراه وهو زاحف ويحمل قوقعته فوق ظهره .

ومع الصور رسم خطي يوضح لك من اي الأعضاء يتألف جسم الحيوان الطرى ، ذلك الجزء الذى يقى منه فى القوقعة ، وما خرج وانبسط على الأرض للزحف ونسميه قدما .

ونلاحظ ان القدم احتوت على الراس ، والمجسات الحساسة Tentacles (وتكون زوجا واحدا او زوجين) ، وهى

القوقع : وفى هذا الرسم التخطيطى مجمل من اعضائه .



تحمل الأعين ، ويأتي بعد ذلك فى القدم الفم ، فالمعدة ، وبعض اجهزة التناسل ، ومن اجل هذا سُميت القواقع بطنية القدم ، لأن قدمها احتوت بطنها Gastropods .

وفى القدم خلايا غددية تفرز المخاط ، وهذا يزلج طريق القدم ، وهى تزحف ، ويسهل سيرها .

والقوقع منتشر ، فهو يسكن المحيطات والأنهار والبحيرات ، ومنه ما يسكن الأرض . وهو يكثر فى الغابات الاستوائية .

والقوقع الذى فى الانهار او على الأرض اليابسة اتخذه الانسان طعاما منذ عرفه . وهو الى اليوم طعام ممتاز فى اقطار مختلفة من جنوب اوروبا وغربها ، وكذلك فى كثير من مدن العالم الكبيرة والعواصم . والقواقع لها مَرابِ كثيرة ، وتقوم على تربيتها فيها هيئات ورجال ، وهى تمد الأسواق بها . ولها مزارع معروفة فى الجنوب من فرنسا . وفى ايطاليا واسبانيا . والمزرعة التى مساحتها نحو ثلاثين قدما مربعا قد تحتوى على عشرة آلاف قوقع . وهم يغذونها باللحم والخُضَر والرّدّة .

وكما للقواقع منافع ، فكذلك لها مضار . وهى تهدد اليوم الهند وسيلان والصين وبرما وجاوة وسومطرة وفرموزا ، وكثيرا من جزائر جنوب المحيط الهادى لأنها تنتشر كثيرا فى الحقول والغابات ، فتأكل الكثير من مختلف ما تجد .

والقواقع تكوّن طائفة كلها من ذوات الصدفة الواحدة Univalves . وهناك طوائف اخرى تجمعها جميعا انها من ذات الصدفة الواحدة ، وهى أشباه .

الحيوانات الرّخوة ذات الصدفتين ومثلها المحار

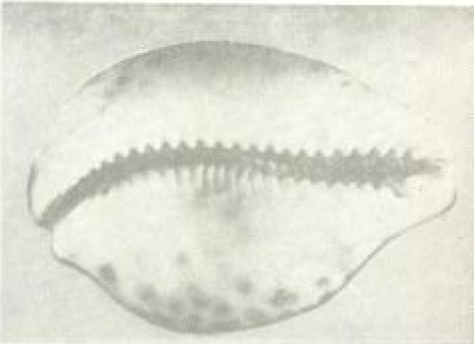
وهى صنوف عدة لعل اشهرها المحار Oysters ، وهو حيوان رخو الجسم ، تضمُّ جسمه صدفتان تنطبق احداهما على الأخرى ، فيختفى الحيوان فيهما ويحتمى .

والمحار معروف عند كثير من الامم ، فهو طعام مستطاب لا سيما فى الجنوب من اوروبا ، وفى فرنسا خاصة . وتوجد لتربيته مرابِ خاصة كبيرة واسعة .

والعرب ، وعرب الخليج خاصة ، تعرف المحار ، لأنه مظنة اللؤلؤ . فالغاطسون الجامعون للؤلؤ ، انما يجمعون هذا المحار اولا . ثم هم من فوق سفينتهم يفتحون الصدفتين وينظرون الجسم الرخو ، هل تضمن لؤلؤة أم لا .

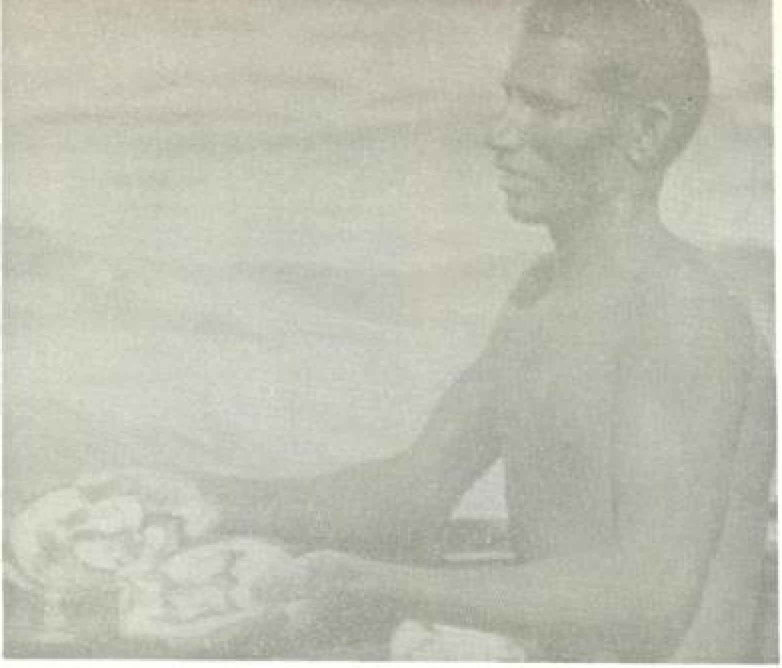
والواقع أن الناظر الى الصدفة من

صنف آخر من القوقع
اسمه ودعة النمر Tiger Cowry



نوع آخر من القوقع يعرف
بمحارة الاذن Conch





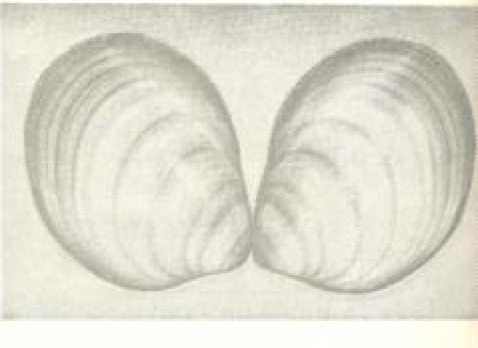
محارة في يد الغاطس في ماء الخليج العربي باحثاً عن اللؤلؤ ، وقد فتحها بين يديه .

الداخل يراها مغطاة بطبقة لامعة اشبه شيء بمادة اللؤلؤ ، وتعرف بعرق اللؤلؤ Mother of Pearl وتفرزها العباءة وهي الغشاء الذي يضم جسم الحيوان . تلك العباءة تقوم بافراز مادة الصدفة عندما تتكون . وهي مادة مكونة من كربونات الكلسيوم المتبلور . وكذلك عرق اللؤلؤ ، وكذلك اللؤلؤة اذا تكونت .

وهي انما تتكون بأن يكون قد دخل الى جسم المحار الرخو حبة صغيرة من مادة تزعجه . واذن فالجسم يقوم بعزلها على طريقته ، وذلك بلفها بعرق اللؤلؤ ، فتصبح آخر الأمر لؤلؤة .

اما ما يحتويه جسم المحار الرخو من اعضاء فتراه عندما نتناول وصف الحيوان الرخو المعروف بالبطلينوس . فهو مثل ما وصفنا من امر المحار ، وله صدفتان ، واعضاؤه تتمثل فيها أعضاء اجسام الرخويات عامة .

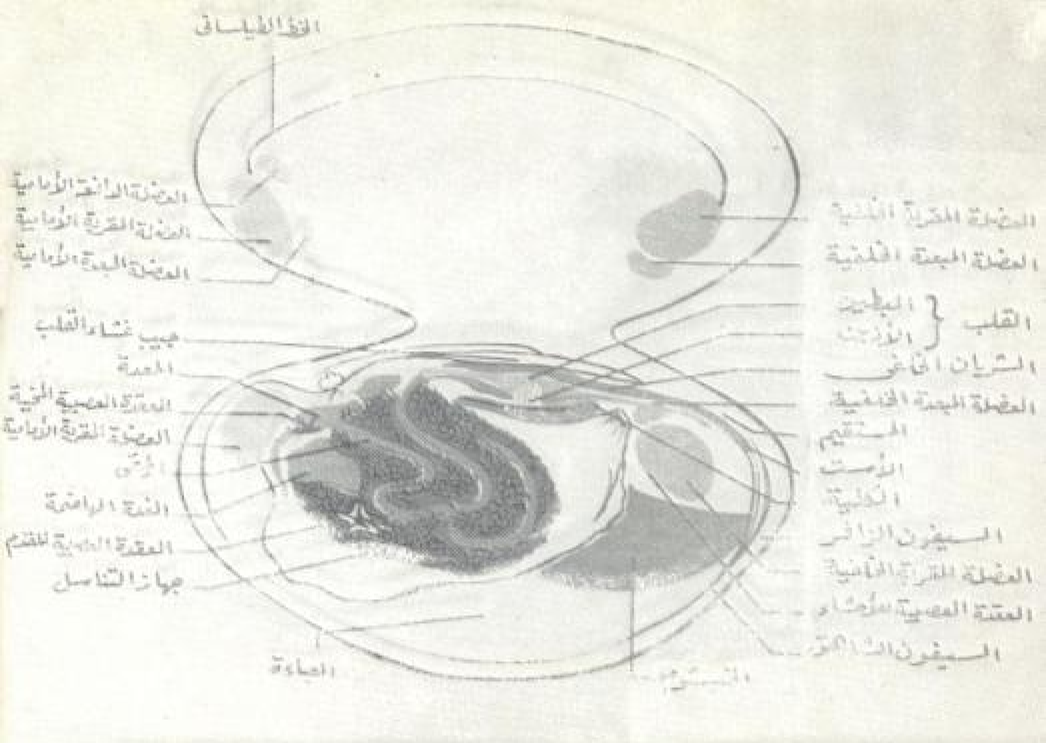
صنف آخر من المحار
اسمه الكوكل Cockle



والبطلينوس مثل المحار

والبطلينوس Clam حيوان شبيه بالمحار في أكثر من وجه ، وهو في تكوينه التشريحي يمثل الحيوانات الرخوة عامة . ولذلك نثبته هنا .

وهو يتألف ، كالمحار ، من جسم رخو تضمه صدفتان (فهو من ذات الصدفتين Bivalve) ؛ تفتحهما وتغلقهما عضلات خاصة بذلك . ومن الرسم الخطي المرفق تتبين أعضاء الحيوان الداخلة ، وهي تتضمن المعدة ، والمِعَى ،



المحار المعروف بالبطلينوس [Clam وقد جئناي هذا الرسم بأعضائه تفصيلا ، لأنه يمثل تراكيب الحيوانات الرخوة بصفة عامة

والاوعية الدموية والقلب ، والكلى ، والمثانة البولية ، والجهاز العصبى .

ومن هذا يتبين ان الحيوانات الرخوة أكثر تعقدا فى البناء ، وأكثر تقدما فى الوظائف،مما عالجنا فى الشعب الحيوانية السابقة .

والبطلينوس ، ذو الصدف الرقيق ، طعام يشتهيه الفواة. وهو يسهل صيده، لان هذا الحيوان يعيش فى قاع البحر ، ويدفن نفسه فى الرمل . وبجسمه دورة مياه لها مدخل للماء ومخرج له . والحيوان يدفع الماء ، ماء البحر ، ليدور فى أوعية الماء بجسمه هذا،ثم هو يخرجه من بعد ذلك من انبوبة الخروج . ويسمى هذا الجهاز بالسيفون. وهذا الماء يحمل من البحر شتى أنواع الطعام الى البطلينوس . وهو يحمل معه كذلك الاكسجين الذائب فيه . وهما حاجتان من حاجات الحياة ضروريتان .

ومن البطلينوس، البطلينوس العملاق Giant Clam ، وهو يعيش فى قيعان البحار الرملية او المتوحلة ، على اعماق تبلغ الى ٥٠ قدما .

وهذا البطلينوس العملاق هو اكبر الحيوانات الرخوة ذات الصدفتين . وصدفته قد يصل قطرها الى ٣ اقدام ، وقد تزن كلتاهما ٥٠٠ رطل .

وتحكي القصص عما يلقاه رواد البحار من هذا الحيوان. فهم اذا ايقظوه وأثاروه، اقفل صدفتيه على رجل الرجل ، ويكون فى هذا القضاء عليه الا ان يعرف كيف ينجو . وسبيل ذلك مطواة تكون معه أو سكين ينال بها العضلات التى تضم الصدفتين فيقطعهما ، واذن ، تنفتح الصدفتان وينجو الرجل .

الحيوانات الرخوة الرأسية القدم

ذكرنا من طوائف الحيوانات الرخوة ،

او الرخويات ، الحيوانات ذات الصدفة الواحدة Univalves ، ومثلنا لها بالقوقع Snails . ثم ذكرنا الحيوانات ذات الصدفتين Bivalves ومثلنا لها بالمحار Oysters والبطلينوس Clams

ونأتي الآن على طائفة تعرف ، لا بصدفتها خاصة ، ولكن بموضع راسها من اقدامها . فلقد علمنا ان القوقع يزحف على قدم احتوت بطنه ، ولهذا سميناه بطنيّ القدم Gastropod .

والآن نأتي على طائفة ثالثة تنقسم قدمها الى اقدام عدة ، نسميها عادة اذرعا ، لأن الحيوان يستعين بها على احتواء فريسته . وهذه الأقدام (الأذرع) تحوط راس الحيوان بينا نجد الأعين في هذا الراس ظاهرة واضحة .

وتسمى حيوانات هذه الطائفة من اجل ذلك بالحيوانات الراسية القدم Cephalopods .

واشهر حيواناتها اثنان :

١ ــ السّبيدج أو الحبّار

٢ ــ الأخطبوط

١ ــ السبيدج أو الحبّار

والسبيدج Squid حيوان بحرى مشهور في البلاد التي تقع على البحار والتي تعنى بالذى بها من احياء .

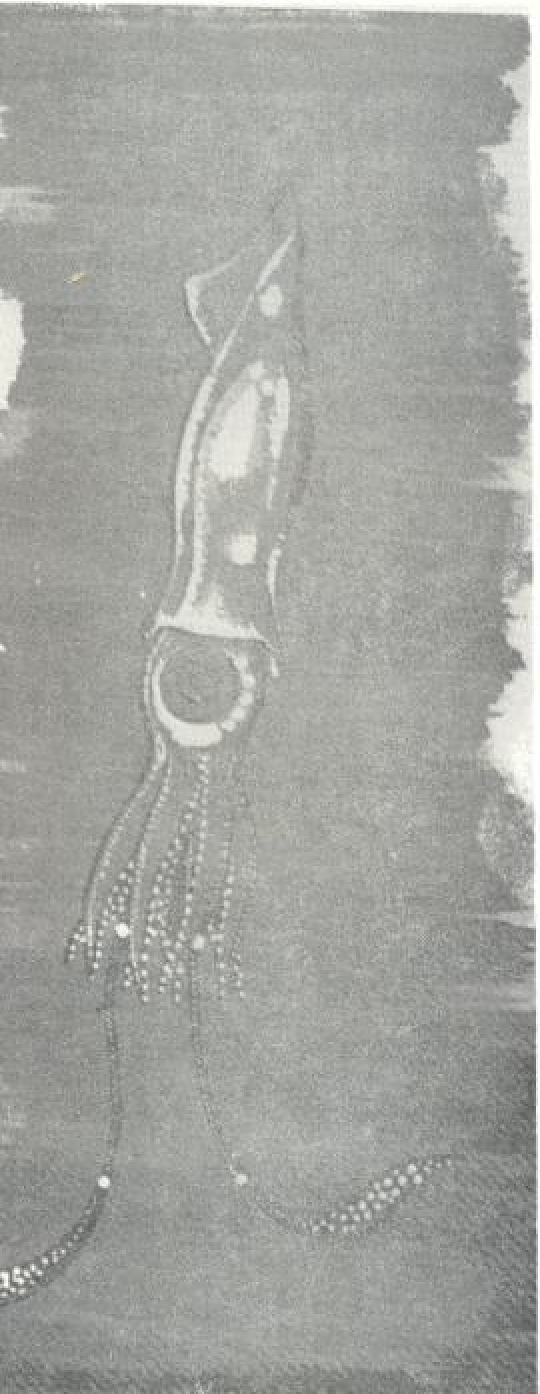
وهو طعام مستطاب في حوض البحر الأبيض المتوسط وفي المشرق عامة .

وجسمه له شكل المغزل ، ويسمى احيانا بسهم البحر لأنه يخرج احيانا من الماء كالسهم ، لا سيما اذا هاج البحر ، وكثيرا ما يراه السماكون وقد حط على سفنهم . وسبيله في ذلك ماء البحر ، يأخذ منه في جسمه ما يأخذ ، ثم يدفعه بقوة الى الخارج .

وتراه في الصورة المرفقة ، وهي تمثله وهو في اعماق البحر . وعندئذ هو يضيء جسمه بنور من ذات جسمه يخيف به الأعداء فينصرفون عنه .

وفي الصورة ترى أذرعه العشرة ، منها

السبيدج او الحبّار Squid وهو في اعماق المحيط . وفي الظلام شع جسمه بالضوء الذى يصنعه جلده ارهابا لعدو يلحق به او تضليلا له .



اثنتان طالتا عن غيرها ، وقد حملت كل منها عددا من أجهزة تمتص الفريسة اذا التفت عليها الأذرع امتصاصا فلا تدرى كيف تتحرك بعد ذلك .

ويخرج من عباءة السبيدج زعنفتان تضبطان سيره فى الماء وتوجهاته ،وكذلك تتحركان فتحركان الحيوان ، فيسير فى الماء .

والسبيدج يعرف ايضا بالحبّار، لأنه يقذف بمادة سائلة لها لون الحبر ،عندما يعتريه الخوف من عدو يتبعه ، وهو يبخ هذا السائل فى الماء ليعكره ، فيضل عنه العدو التابع .

والسبيدج العملاق حيوان هائل مخوف ، وهو اكبر الحيوانات غير ذات الفقار ، وقد يبلغ طوله ، بما فى ذلك جسمه والأذرع، خمسين قدما أو يزيد.

والسبيدج من طعام الحيتان ، وقد وجدوه فى امعدتها عندما صادوها . فهو كسائر الخلق آكل وماكول .

٢ ـ الاخطبوط

وهو حيوان له سمعة تخيف ، لعل اكثرها يرجع الى شكل الحيوان المرعب. فله راس به عينان واسعتان تحدق فى الناظر اليهما تحديقا . وبالراس منقار خبيث المظهر يحطم فريسته تحطيما ، ثم أذرع ثمان تحيط بالراس على استعداد لان تلتف بالضحية ، فلا تفلت منها لا سيما اذا بدأ المنقار ، وهو كمنقار الببغاء ، يعمل فيها .

وقلنا أنها أذرع ثمان ، ومن هنا جاء اسم الحيوان ، فهو اخطبوط ، و « اخطو » باليونانية معناها ثمانية ، ومن الاسم الافرنجي Octopus جاء الاسم العربي بالتعريب ، فهو اخطبوط .

والأخطبوط منه الصغير ومنه الكبير، وطوله يتراوح ما بين بضع بوصات الى ثلاثين قدما ، ويدخل فى هذا الطول الجسم والأذرع. وهو قد يزن ٧٥ رطلا.

والأخطبوط يستطيع ان يمشى فى قاع البحر على أذرعه . وهو احيانا يعوم بان يشفط ماء فى جسمه ، ثم هو يدفعه خارجه ، وبذلك يتحرك فى الماء. وهكذا يفعل السبيدج .

وطعامه فى البحر الأسماك والسرطان (السلطعون او ابو جلنبو) وغيرهما .

وهو بدوره طعام مستطاب فى كثير من مدائن الشرق وجزر المحيط الهادى .

الصفات العامة للرخويات

من بعد ذلك نستطيع ان نجمل الصفات العامة للحيوانات الرخوة ، او الرخويات ، فنقول :

اولا : ان لها قدما عضلية تستخدم

المحار المعروف بالاسقلوب Scallop وصدفته مروحية الشكل .



في الحركة ، وكذلك في الحصول على الطعام .

ثانيا : ان احشاءها تؤلف كتلة متضامة تحتوى على الأعضاء الداخلية ، وهى تنتهى عادة ، من امام ، براس متطور ، قليلا او كثيرا ، يحمل الفم ، واحيانا الأعين ، وملامس الاحاسيس أو مجساتها .

ثالثا : ان احشاءها يلفها معطف كالعباءة ، يفرز صدفة ، خارجية او داخلية ، مصنوعة عادة من كربونات الكلسيوم المتبلورة ، وهذه الصدفة يغطيها غشاء من البروتين يحميها .

رابعا : وفى داخل الحيوان يوجد الجهاز الهضمى الأنبوبى ، وهو عادة منحرف السير ، ومرتبط بغدة هضمية كبيرة ، وهو فى سيره هذا يلتقى بالأعضاء التناسلية،وبالكلى ، وبالقلب ، وبالأوعية الدموية .

خامسا : والحيوان يتنفس عن طريق بشرته ، او بواسطة تركيبات خيشومية او رئوية تتزود بحاجتها عن طريق شعريات الدورة الدموية . وفى العادة يحمل الدم الاكسجين متحدا بصبغة تحتوى النحاس . Hemocyanin وهى شبيهة بالهيموجلوبين ، ولكنها تزرق عندما تتحد بالأكسجين .

سادسا:والجهاز العصبى فى الرخويات يحتوى على ثلاثة « امخاخ » او ان شئت فقطع من النسيج العصبى . وهى العقد المخية التى موضعها الراس ، وتنقل معلومات احساسية من سائر أعضاء الاحاسيس وتحكم الحركات المتصلة بالتغذية . ثم العقد القدمية ، وتتحكم في الاقدام . ثم عقد الأحشاء وتنظم عمل الأعضاء الداخلة .

ان شعبة الرخويات من اكبر الشعب، وهى من أكثر الشعب اشكالا مختلفة ، ولكن هذه الاشكال لا تستطيع ان تخفى وحدة بينها هى فى مخطط الخلق واحدة .

ومن حيث الاختلاف نستطيع ان



الاخطبوط وله ثمانية أذرع تحيط براسه . وتراه في الصورة وعينه في الراس واضحة .

نقول اجمالا،ان القوقع وسائر الحيوانات البطنية القدم تعيش على النبات وعلى غيره من الاحياء الحيوانية ، ولها البحر والنهر والارض مسكنا . وقليل منها الذى يعيش بدخول الماء اليه فى دورة ليستخلص منه الغذاء كما فى المحار واضرابه .

ونقول ان القوقع وخدينه البطلينوس كليهما على العموم قعيد أكثر ما يعيشان فى الرمل والطين ، بقيعان البحار والمياه، ويرتبطان بالصخر فتثقل حركتهما . وهما من اجل هذا يعيشان بالغذاء يدخل اليهما مع ماء البحر فى دورة مائية هما يجريانها باجسامهما .

وفى راسيات القدم ، كالسبيدج او الحبار ، وكالاخطبوط ، نقول انها من الرخويات التى تعيش على افتراس غيرها من الحيوانات ، وهى من اجل ذلك نشيطة . وجهازها العصبى واحاسيسها ناشئة متقدمة ، ولها أذرع قوية بها ماصات تلصق بالضحية فلا مهرب لها بعد احتواء الأذرع اياها .

●●

أ ، ز

طرائف

موصوف بأنواع من المعائب

● قال ابراهيم بن المدبر في رجل وصف بانواع من المعائب : هو غث في دينه ، قذر في دنياه ، رث في مروءته ، سمج في هيئته ، منقطع الى نفسه ، راض من عقله ، بخيل بما وسع الله من رزقه ، كتوم لما آتاه الله من فضله ، حلاف لجوج لا ينصف الا صاغرا ، ولا يعدل الا راغما ، لا يرتفع عن منزلة الا ذل بعد تعززه فيها .

اخترنا

● جلس المنصور يوما مع عشيرته من أمراء ووجهاء بني العباس يتذكرون كيف آل اليهم الحكم بعد قضائهم على خلافة بني امية . فقال المنصور ما أيدت بما أيد به من كان قبلي من بني امية ، فقد أيد معاوية بعمرو بن العاص ،

نعيمان وسويبط

● حكي ان سويبط كف بصره بعدرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقيه نعيمان في المسجد ـ وكان مزاحا ـ وهويقول : من يخرجني حتى ابول ؟ قال : انا . واخذ بيده فمضى به الى زاوية في المسجد عامرة بالناس وقال له : ها هنا. فلما كشف ثوبه صاح الناس عليه من كل ناحية . فقال من غرني ؟ قالوا : نعيمان . فقال : لله علي لئن لقيته لاضربنه بعصاي هذه . فلقيه سويبط بعد ايام فقال له نعيمان : أتحب ان ادلك على نعيمان لتوفي نذرك . قال : نعم لله ابوك ، فاخذ بيده حتى اتى عمرو بن العاص وهو يصلي ، وقال : هذا هو . فرفع عصاه كي يضربه فصاح به الناس انه عمرو بن العاص . فقال من قادني ؟ قالوا : نعيمان . قال : لا يغرني بعدها.

★ ★ ★

عـلام الهجاء ؟

● قيل لنصيب الشاعر انك لاتحسن الهجاء . فقال : لقد رايت الناس ثلاثة رجال : رجلا لم اساله فلا ينبغي ان اهجوه ، ورجلا سالته فمنحني وهو الممدوح ، ورجلا سالته فلم يعط ، فنفسي احق بالهجاء اذ سولت لي ان اساله .

وقال عبد الملك بن مروان للعجاج :بلغني انك لا تحسن ان تهجو ، فقال : من يقدر على تشييد امكنة يمكنه اخرابها، فقال : وما يمنعك من ذلك . قال : ان لنا عزا يمنع من ان تظلم ، وحلما يمنع من ان تظلم ، فعلام الهجاء ؟ .

عربية

قالوا في القلم

● قال ابن المعتز : القلم يخدم الارادة ولا يمل الاستزادة ، يسكت واقفا ، وينطق سائرا . وقال ابن المقفع : القلم بريد القلب ، يخبر بالخبر وينظر بلا بصر .

وقال ابن ابي داود : القلم سفير العقل ورسول الفكر وترجمان الذهن .

قتله

وأيد عبد الملك بن مروان بالحجاج بن يوسف . فقال له المهدى يا أمير المؤمنين قد أيدت بمن فوقهما ، فقال المنصور : تعنى أبا مسلم الخراساني ؟ فقال : نعم . قال : قد كان كذلك ، لكن خيّرنا بين أن يقتلنا أو نقتله ، فاخترنا قتله .

حسبي هذه

● دخل احد البخلاء على الحسن بن زيد وهو امير المدينة فقال : جعلت فداك ! اني عصيت الله ورسوله . قال: بئس ما صنعت ! وكيف ذاك ؟ قال : لان الله عز وجل يقول :

«وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«لا يفلح قوم ولّوا امرهم امراة» . وانا أطعت امراتي فاشتريت غلاما فهرب . فقال امير المدينة : اختر واحدة من ثلاث، ان شئت ثمن الغلام. فقال البخيل: بأبي انت ، قف عند هذه فلا تجاوزها . قال : اعرض عليك الخصلتين ؟ قال : حسبي هذه .

★ ★ ★

يعارض أباه بالسب !

● كان لحنظلة النميري ابن عاق يقال له مرّة ، فقال له يوما : يا مرة انك لمر ! فقال : اعجبتني حلاوتك يا حنظلة! فقال: انك خبيث كاسمك ! فقال : اخبث مني من سماني به . فقال : كأنك لست من الناس ! فقال : من اشبه أباه فما ظلم ! فقال : ما احوجك الى ادب ! فقال الذي نشأت على يده احوج اليه مني ، فقال : عقمت ام ولدتك . قال : اذ ولدت من مثلك! فقال: لقد كنت شؤما على اخوتك، دفنتهم وبقيت ! فقال : اعجبني كثرة عمومتي ! فقال لا تزداد الا خبثا فقال : لا يجنى من الشوك العنب .

اجتهاد الصحابة

بقلم : الشيخ بدر المتولى عبد الباسط

■ أن للصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ عصرين متميزين تمام التمييز فترة حياته ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثم الفترة التالية ، ولكل فترة خصائصها ومنهجها .

فى حياته صلى الله عليه وسلم

اثار العلماء جدلا عنيفا حول جواز اجتهادهم في حياته ــ صلى الله عليه وسلم ــ في حال حضرته أو غيبتهم عنه ، وان دل هذا الجدل على شيء فانما يدل على سعة صدر اسلافنا من العلماء ومناقشة كل راى ودفع الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان .

اجتهاد الصحابة فى حضرته صلى الله عليه وسلم

والحق أن ذلك جائز وواقع اذا كان باذن منه ــ صلى الله عليه وسلم ــ والدليل على ذلك ما وقع من الشيخين أبي بكر وعمر ــ رضي الله عنهما ــ في غزوة بدر الكبرى حينما استشارهما الرسول الاكرم في شان الأسارى ــ ولم يكن قد نزل في شانهم وحى ــ فاشار ابو بكر بالاكتفاء باخذ الفداء منهم واخلاء سبيلهم ، واشار عمر بوجوب قتلهم ، اليس هذا اجتهادا في حكم شرعى ، وقد بين كل منهما وجهة نظره ، فابو بكر بنى رايه على رعاية حال المسلمين من الفقر والحاجة الى المال ، كما طمع أن يؤمن هؤلاء الأسرى ــ فيما بعد ــ فيؤمن بايمانهم خلق كثير .

واما عمر فراى ان هؤلاء ائمة الكفر وان قتلهم كسر لشوكة المشركين .

ووجهة نظر كل منهما لها اعتبارها في نظر اى مجتهد ، فان مدار الأحكام الشرعية على المصلحة، ما لم تكن هذه المصلحة قد الغاها الشارع ، لأن الضرر الذى يقابل المصلحة اضعاف هذه المصلحة .

وهذا سعد بن معاذ ــ رضي الله عنه ــ سيد الانصار يحكمه الرسول الاكرم في شان بنى قريظة ويقبلون هذا التحكيم ، فيحكم بأن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم جزاء نقضهم للعهد وخيانتهم للمسلمين في وقت الحرب .

اليس هذا اجتهادا منه ــ رضي الله عنه ــ بناء على رعاية المصلحة وتقدير ظروف الجريمة ودوافعها .

ولم يشا ان يحكم فيهم بما سبق ان حكم على الخونة ــ قبلهم ــ من يهود بنى قينقاع وبنى النضير من الاكتفاء باجلائهم لأن جريمة بنى قريظة كانت افحش واغلظ .

هذان مثالان وغيرهما كثير .

واما اجتهادهم في حضرته من غير اذنه فان ذلك لم يقع ، لانه افتئات عليه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ورجم بالظن مع امكان اليقين بالرجوع اليه ، ولانهم كانوا أشد الناس توقيرا واجلالا له ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

كانوا يلتمسونَ الحكمَ مِنَ الكتابِ ، ثمّ منَ السنّةِ ، ثم يطبّقونَ قواعدَ الشريعةِ العامّةِ مِنْ رعايةِ مصلحةٍ أوْ دَرْءِ مفسـدةٍ .

اجتهادهم
ـ في حياته ـ بعيدا عنه

والحق أن هذا جائز وواقع كثيرا ، فقد كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يرسل الأمراء والقضاة وتعرض عليهم قضايا الناس فان وجدوا فيها نصا ـ من كتاب او سنة ـ أخذوا به ، والا اجتهدوا ثم يرجعون اليه فان أقرهم كان شرعا مقررا والا بين لهم وجه الخطأ في اجتهادهم من غير أن يلومهم على هذا الخطأ الا اذا كان خطأ فاحشا لا ينبغي الوقوع فيـه .

فمن اجتهادهم الذى أقرهم عليه ما يأتى :

أولا : أنه بعد أن انصرف المشركون الى بلدهم ـ في غزوة الخندق ـ نادى منادى الرسوم الأكرم : « الا لا يصلين احد العصر الا في بنى قريظة » فمنهم من رأى أن المراد السرعة لا تأخير العصر ، ومنهم من اخذ بحرفية الأمر فرأى أنه لا تصح صلاة العصر الا هناك ، فلم يصلوا الا بعد العشاء الأخير ، ولم ينكر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على هؤلاء أو أولئك .

ثانيا : ثبت في الصحاح أن سرية من سراياه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانت تغزو قريبا من البحر فجزر البحر عن حوت عظيم ، فقال بعضهم : نحن رسل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد علم الله ـ تعالى ـ حاجتنا الى طعام فأرسل الينا هذا الحوت فأكلوا منه وقددوا كثيرا مـن لحمه ، وقال البعض : انه ميتة فلا تحل لنا الا اذا كنا في مخمصة (جوع شديد جدا) فتحرجوا من أكله ، فلما رجعوا الى الرسول الأكرم أخبروه ، فقال : « هل معكم منه شيء » فقالوا : نعم ، فأخذ منه وأكل ، وأخبرهم أن ميتة البحر طاهرة حلال أكلها .

ثالثا : حديث معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اختاره قاضيا لليمن ، فقال له : « بم تقضي ؟ » فقال ، بكتاب الله ، فقال : « فان لم تجد » قال فبسنة رسول الله ، قال : فان لم تجد قال : أجتهد رأيى ولا آلو (اقصر) فضمه رسول الله ـ صلى الله عليـه وسلم ـ وقال : « الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضي الله رسوله » .

وهذا الحديث ـ بالرغم مما قيل في اسناده ـ فهو قد اشتهر وتلقته الامة بالقبول واعتبر أصلا من أصول التشريع .

وهذا الحديث يدل على أن اجتهاد الصحابة ـ في حياته ـ أمر جائز مقبول شرعا .

اجتهادات ردها الرسول
صلى الله عليه وسلم

اولا : ان قوما من الصحابة لقوا رجلا فالقى عليهم السلام ـ والسلام شعار المسلمين ـ فظنوا انه انما فعل ذلك تقية ونفاقا فقتلوه واستاقوا ما معه من غنم ، فلما رجعوا الى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأخبروه الخبر غضب غضبا شديدا ، ودفع لأهل الرجل ديته ، ورد اليهم غنمه ، ولم يقتل القتلة ، لأنهم كانوا متأولين ، فكان لهم شبهة وهى وان كانت واهية تسـقط القصاص ، لان القصاص كالحدود يدرأ بالشبهات .

ثانيا : صح ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أرسل سرية في مهمة حربية وفي ليلة باردة امر قائدها الجند بايقاد نار ، ثـم أمرهـم أن يقتحموها ، فأبوا عليه ذلك ، فقال لهم قائدهم ، ألم يأمركم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن تطيعونى ، فقالوا : بلى ، فقال : اذن اقتحموا هذه النار ، فأبوا فلما رجعوا أخبروا الرسول الخبر ، فقال : « لو اقتحمتموها لبقيتم بها الى يوم القيامة » .

وهذا لوضوح أنه لا طاعة لمخلوق في معصيـة الخالق .

هذه أمثلة قليلة من اجتهاد الصحابة في حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتبين منها ما يأتي :

١ ـ ان المدار ـ أولا وأخيرا ـ على رأيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فما أقره كان شرعا مقررا ، وما انكره ورده أصبح غير ذى موضوع .

٢ ـ انه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما كان

يؤنب مخطئا ـ في اجتهاده على خطئه الا اذا كان خطؤه شنيعا واضح الفساد .

٣ ـ ان منهجهم في الاجتهاد التماس الحكم من الكتاب ثم من السنة ثم تطبيق قواعد الشريعة العامة من رعاية مصلحة أو دره مفسدة .

٤ ـ لم يكن لهم مصدر من قوانين أمم سابقة ، فقد كانوا امة أمية ، نعم كانوا يعتمدون ـ احيانا ـ على الأعراف السائدة في عهدهم ما لم يلغها الشارع، فان العمل بالعرف غير الملغى مبدأ أقره الاسلام.

اجتهاد الصحابة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم

بعد انتقال الرسول الأكرم الى الرفيق الأعلى جدت احداث واحداث لم يكن للمسلمين بها عهد ، وها هو الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى كان مرجعهم قد انتقل الى جوار ربه ، وها هو وحي السماء قد انقطع بوفاته الى يوم القيامة ، وكان لزاما أن يجدوا لكل مشكلة حلا يتفق مع دينهم ، فقد كملت الشريعة يوم نزل قولـــه ـ تعالى ـ : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » .

وحتى تكون الصورة واضحة امام القارىء احب أن أضع بين يديه صورة مجملة أرجو أن تكون وافية لهذا المجتمع الذى رباه محمد بن عبد الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ .

صورة للمستوى الفكري والاخلاقي عند الصحابة

عرفنا ـ فيما سلف ـ أن الصحابة كانوا يجتهدون في حضرته باذنه ، كما كانوا يجتهدون في غيبته ثم يرجعون اليه فكان يقرهم ـ حينا ـ ويرد آراءهم ـ حينا ـ من غير تعنيف اللهم الا في القليل النادر حينما يكون الخطأ شنيعا واضح الفساد .

بهذه السياسة الرشيدة ترك ـ صلى الله عليه وسلم ـ نخبة طيبة من أصحابه حملوا عبء الدعوة ، ومهمة تطبيق الشريعة على ما سيجد من احداث سواء منها ما يتصل بسياسة الحرب والسلم أو يتصل بالتشريع العام ، وترك ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعلاما في عالم الفكر الانساني والفكر الفقهي لا يعتبرون مفخرة العرب والمسلمين، بل مفخرة الانسانية كلها ، لا ينكر فضلهم الا حقود لدود ، فهل عرفت الانسانية مثل أبي بكر في قوة عزيمته عندما يجب الحزم ، ولين عريكته عندما تتطلب الحكمة الرحمة ، وسرعة بديهته عندما يحكم البرهان .

وهل عرفت البشرية مثل عمر في حسن سياسته: لين في غير ضعف وشدة في غير عنف ، وتطبيق روح الشريعة تطبيقا يذهل عقول العلماء ويثير اعجاب الأولياء والأعداء على السواء .

ولم يكن عثمان ـ رضي الله عنه ـ بعيدا عن منهج صاحبيه لولا اثرة أهله وضعف شيخوخته .

وهذا علي كان ـ عنده ـ لكل معضلة حل ، ولكل مشكلة تفسير مقنع ، ولولا أن أصحابه خذلوه وشغبوا عليه لكان تاريخ خلافته معينا لا ينضب لكل مشاكل الحياة .

وليس التفوق الفكري مقصورا على الخلفاء الأربعة بل ـ هناك ـ عشرات يعتبر كل منهم مفخرة لعهده وعزا لامته فهناك ابن مسعود وابن عباس وزيد بن ثابت وهناك امهات المؤمنين اللواتي قمن بدور لا يقل عن دور الرجال في تثقيف النساء في الشئون التي يعف الرجال عن الحديث فيها ، بل قمن باعلام الرجال بأحكام لا سبيل الى معرفتها الا من قبلهن ، وعلى رأسهن أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق عائشة ـ رضي الله عنها .

ان لله سنة لا تتخلف ، انه اذا اراد أمرا هيأ له اسبابه ، واذا أراد لأمة حياة كريمة أوجد فيها جيلا له طبائعه ومميزاته ، والله سبحانه ـ حينما اختار محمدا من العرب ليحمل عبء أضخم رسالة سماوية وآخر شريعة الهية اختار له أتباعا ـ وان كانوا من البشر ـ الا أن لهم نفوس الملائكة وعقول الفلاسفة الخالية من التعقيد وتواضع المساكين لا ضعة المستضعفين ، وحزم الأقوياء لا تكبر الأدعياء ، وكان الواحد منهم يجلس الى الرسول الأكرم جلسة أو جلسات معدودة فيقوم من عنده وقد كاد لفقهه أن يكون حكيما ، ميزهم بالقرائح السليمة والطبائع القويمة صقلها الايمان وأفاض الله عليهم مددا من بركة الرسول الأكرم ، فعالجوا المشاكل بالحكمة ، واجتازوا الصعاب بالقريحة الصادقة، فكانوا ـ حقا ـ خير أمة أخرجت للناس، وصدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسليم ـ اذ يقول : «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » .

ليس معنى هذا أن كل الصحابة كانوا على مستوى واحد من نضوج الفكر ، وسعة الأفق أو سمو الخلق ، بل كانوا متفاوتين في ذلك كله تفاوتا كبيرا مرجعه طول صحبتهم للرسول الأكرم

واستعدادهم الفطري .

وسمو أي مجتمع أو انحطاطه لا يقاس بكل أفراده، بل بوجود أفراد لامعين في كل مناحي الحياة، وحسن تقبل الجماعة لتوجيههم، ورفض الجماعة - كجماعة - لكل انحراف .

وهذا التصوير يكاد يكون الصورة الحقيقية لمجتمع صحابة النبي - صلى الله عليه وسلم -.

وزيادة في الايضاح يمكننا تقسيم عهد الصحابة الى عهدين : عهد كبار الصحابة وعهد صغارهم.

عهد كبار الصحابة

ويبتدىء هذا العهد بوفاة الرسول الأكرم الى انقضاء عصر الخلفاء الراشدين بقتل على بن ابى طالب - رضي الله عنه وكرم الله وجهه - وعهد صغارهم، وينتهى بين الستين والسبعين من الهجرة لأن اللامعين من صغار الصحابة انقرضوا حوالى هذا التاريخ .

وليس معنى ذلك أن هذين العصرين مختلفان تمام الاختلاف منقطعا الصلة فيما بينهما بل ان كل عصر من العصرين كانت له مشاكله وطابعه مع التوافق حينا والاختلاف حينا .

عهد كبار الصحابة

وهذا العهد - أيضا - له فترتان متميزتان، فترة ما قبل الفتنة التى انتهت بقتل عثمان - رضي الله عنه - وفترة ما بعد الفتنة التى انتهت بقتل على - رضي الله عنه وكرم الله وجهه - فقد كان للفتنة أثرها في اختلاف الآراء وتشعب المذاهب .

عصر ما قبل الفتنة

وسأتناول فيه ما يأتى من المباحث :

١ - المصادر التى اعتمدوا عليها في استنباط الأحكام .

٢ - كلمة عن الاجماع تتصل بموضوعنا .

٣ - مبدأ الشورى، وكيف كان يطبق .

٤ - قضايا هامة جدت في هذا العهد وكيف عولجت .

المصادر التى اعتمد عليها كبار الصحابة

مما لا شك أن مصادر التشريع لم تخرج عما كان عليه عهد الرسول الأكرم، رجوع - أولا - الى كتاب الله، ثم الى سنة رسول الله ثم الى الاجتهاد بأوسع معانى الاجتهاد .

نعم جد مصدر جديد وهو الاجماع سنتكلم عليه - فيما بعد - بشيء من التفصيل .

الى أى مدى كان اعتمادهم على القرآن الكريم فى استنباط الاحكام ؟

كررنا القول كثيرا في أن في القرآن آيات محكمات قطعية الدلالة - كما هى قطعية الثبوت - كما أن فيه آيات تحتمل أكثر من معنى، وهى تعرف بظنية الدلالة .

ومن البدهى أيضا أنه وقع خلاف بينهم في فهم الآيات القطعية الدلالة، ومن البدهى أيضا أنه وقع خلاف بينهم في فهم الآيات الظنية الدلالة، ومنشأ الظنية ان يكون في الآية لفظ يحتمل أكثر من معنى، أو قرينة تدل على حمل اللفظ على غير ظاهره أو تكون هناك آية ظاهرها التعارض مع آية أخرى فهنا تختلف الآراء وتتشعب المذاهب كاختلافهم في عدة المطلقة من ذوات الحيض أهى الطهر أم الحيض ؟ وكاختلافهم في عدة المتوفى عنها زوجها وهى حامل، أبوضع الحمل أم بأبعد الأجلين ؟ الى غير ذلك من المسائل الخلافية التى سنتعرض لها في بحث مستقل ان شاء الله .

والى أى مدى كان تمسكهم بالسنة ؟

من المؤكد أنهم - رضي الله عنهم - اذا لم يجدوا في الكتاب العزيز نصا يسعفهم التمسوه في سنة الرسول الأكرم، ولا يعدلون عنها الى الاجتهاد والقياس الا اذا غلب عليهم ظنهم أنه ليس في الحادثة الطارئة سنة مقررة .

وكانوا - أحيانا - يرفضون الخبر اذا غلب على ظن المجتهد منهم أن الراوى نسي أو وهم، كما قيل في مسألة نقض الوضوء بمس الفرج، وكانوا - أحيانا - يحملون ما ورد عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنه من خصائصه، كمسألة نقض الوضوء بقبلة الرجل زوجته .

وبالجملة فان أى خبر عن الرسول - متى صح عندهم - لم يرفضوه وإنما يأخذون به أو يؤولونه تأويلا صحيحا معتمدين على أدلة أخرى .

وفي عهد كبار الصحابة جد مصدر جديد لم يكن في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو الاجماع .

فلعلنا نعطى فكرة عنه في وقت آخر .

والله ولى التوفيق .

بدر المتولي عبدالباسط

استطلاع الكويت

مصنع الأطراف الصّناعية

مِنهُ يخرُجُ الأملُ إلى كُلِّ مَنْ فقدَ ساقًا أو ذِراعًا

استطلاع بقلم : محمد طنطاوى   تصوير : فهد الكوح

شاب في مقتبل العمر فقد ساقه في حادث .. وقام خبراء مصنع الاطراف الصناعية بصنع ساق صناعية له .. والصورة للشاب اثناء تدربه على استعمال ساقه البديلة ..





الى اعلى : مجموعة مختلفة من السيقان الصناعية ، بعضها القدم فقط ، والبعض ما تحت الركبة، ان هذه السيقان تأتي نصف مصنعة من الخارج ثم يتم تصنيعها في الكويت بأيد عربية .



الى اليسار : اجهزة الشلل من اهم الاجهزة التى يقوم مصنع الاطراف الصناعية بصنعها ، ان هذا المصنع يحمل الامل من جديد لهؤلاء الذين اقعدهم الشلل عن الحركة .

الكويت تنتج الأحذية والأحزمة الطبية وأجهزة الشلل وما إليها

■ مئات بل الاف من البشر يعيشون بيننا بعد ان فقدوا طرفا من اطرافهم ، اما بسبب حادث او بسبب مرض خلقي ، من اجل هؤلاء ومن اجل غيرهم ممن اصابهم الشلل واقعدهم عن الحركة انشيء قسم الاطراف الصناعية الملحق بمستشفى العظام بالكويت .

لقد عرف الانسان البدائي كيف يعوض ساقه اذا فقدها .. فقد اثبتت الحفريات أن الانسان الذى عاش على الأرض منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام كان يستعمل ساقا خشبية يصنعها من جذع شجرة ويربطها بدل ساقه التي فقدها ويسير عليها .. ولكن الفضل في تطور صناعة الاطراف الصناعية يعود الى الجراح الفرنسي امبرواز باري Ambroise Paré في القرن السادس عشر .. وبدات صناعة الأيدى والسيقان والأقدام الصناعية من المعادن في القرن السابع عشر .. ولكن الحرب ـ وخاصة الحربين العالميتين الأولى والثانية ـ خلفت وراءها الآلاف من الضحايا الذين بترت سيقانهم او سواعدهم .. ونتيجة للحاجة الملحة بدأت صناعة الاطراف الصناعية تتطور حتى اصبحنا نرى سيقانا ذات مفاصل تتحرك .. ولا تستطيع أن تتبين عندما يستعملها المصاب انه قد فقد ساقا ويستعمل أخرى صناعية .. وكذلك الأيدى .. أصبحت هناك أيد صناعية يقوم المريض بتحريك اصابعها حركات بدائية ولكنها مفيدة ..

الاطراف الصناعية وقصتها في الكويت

وفي الكويت ،بدا التفكير في انشاء قسم للأطراف الصناعية ، مع النهضة الحديثة التي شهدتها البلاد في منتصف الخمسينيات من القرن الحالي، وتم انشاء القسم فعلا في عام ١٩٥٥ وألحق بالمستشفى الأميرى واقتصر على انتاج الأحزمة الطبية المستعملة في امراض الفتق والدوالي وكان يضم ٥ فنيين من الأجانب فقط .. اما السيقان والأيدى الصناعية وأجهزة الشلل فكلها كانت تؤخذ مقاساتها وترسل الى الخارج لتأتي مصنعة ويتم تركيبها للمصاب في الكويت بعد أن تمضي عليه عدة شهور في حالة من الضياع . واستمر هذا الحال حتى عام ١٩٦٧ عندما بدأت الكويت تقوم بتصنيع الأطراف الصناعية فيها وبأيدى فنيين كويتيين وعرب وتحت اشراف خبير كويتي شاب هو ابراهيم العطار الذى درس العلاج الطبيعي في اسكتلندة ثم قام بدراسة الأطراف الصناعية في لندن لمدة عامين وعاد بعدها الى الكويت ليشرف على قسم الأطراف الصناعية الجديد في مستشفى العظام .

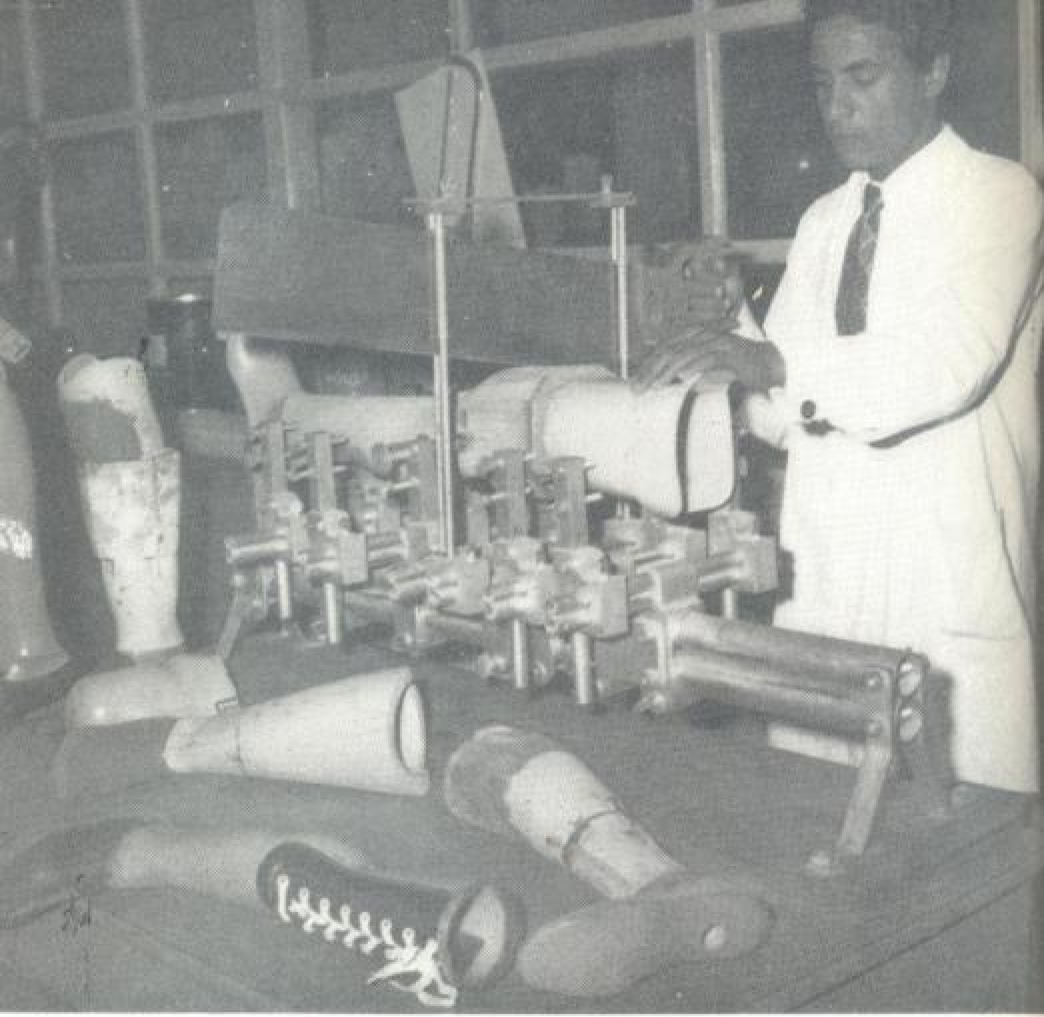
السيقان الصناعية ٥ أنواع

وفي قسم الأطراف الصناعية يتم حاليا تصنيع الأرجل الصناعية بأنواعها وهي :

(١) ساق كاملة وتسمى T.T أى اختصار Tilting Table ومعناها المائدة المائلة وهى : تستعمل حين يكون البتر حتى آخر الفخذ عند التحامه مع عظام الحوض .

هذه الفتاة تعاني من شلل في ساقها اليمنى . ويرى في الصورة أحد العاملين في مصنع الأطراف الصناعية ، وهو يقوم بمساعدتها على استعمال جهاز الشلل الذى سيساعدها على المشي .





المشرف على مصنع الأطراف الصناعية يساهم بنفسه في كثير من الأحيان في صنع الاطراف الصناعية . وفي الصورة يقوم الخبير الكويتي بوضع اللمسات النهائية في ساق صناعية فوق الركبة .. ان هذا العمل الانساني يتطلب دقة وصبرا .

(٢) ساق صناعية فوق الركبة .

(٣) ساق صناعية خلال الركبة .

(٤) ساق صناعية تحت الركبة .

(٥) القدم فقط ..

وبتم استيراد المواد الخام من الشركات المتخصصة في لندن والمانيا وأمريكا وايطاليا وتاتي على شكل سيقان نصف مصنعة Semifabricated مصنوعة من خشب الصفصاف Willowwood ويتم تصنيعها بأيد عربية .

والساق الصناعية تتكلف الكثير ، ولكن المصاب في الكويت لا يدفع فيها سوى ثمن رمزي لا يزيد عن ١٣ دينارا و ٧٥٠ فلسا ، في حالة الساق فوق الركبة مثلا .. وذلك لكي يقوم المصاب بالاعتناء بساقه الصناعية لانه قد دفع فيها ثمنا ولو كان رمزيا ..

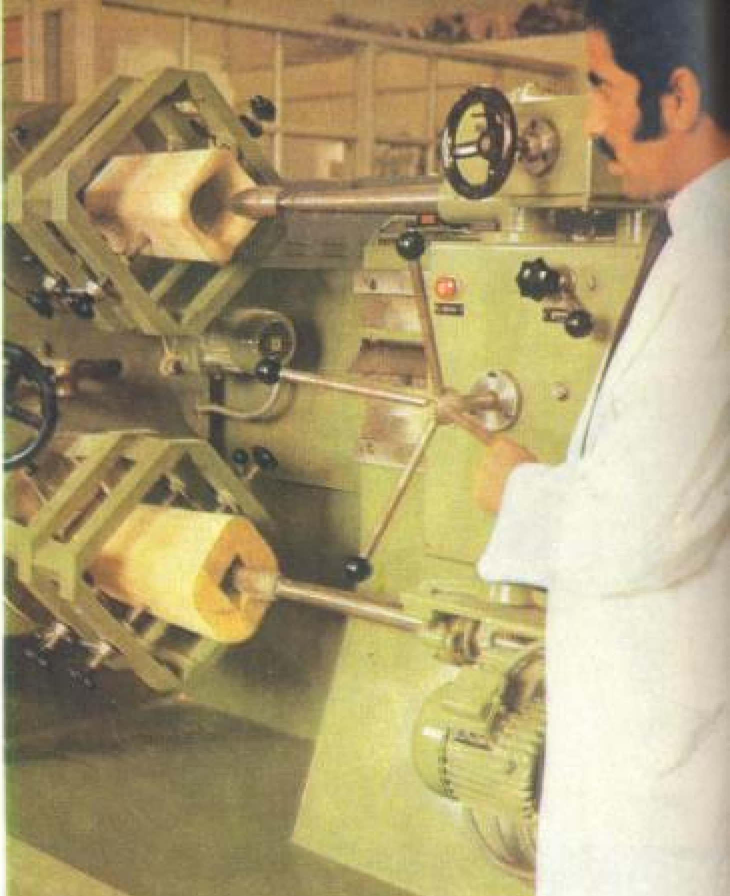
وقد قام القسم بتصنيع ٥٠ ساقا في عام ١٩٦٩ من مختلف الانواع . ويتم اخذ المقاسات للمصاب داخل القسم بعد اندمال البتر ومرور أكثر من شهر عليه ، ثم يتم بعد ذلك تدريب المصاب على استعمال الساق الصناعية .. ويقول ابراهيم



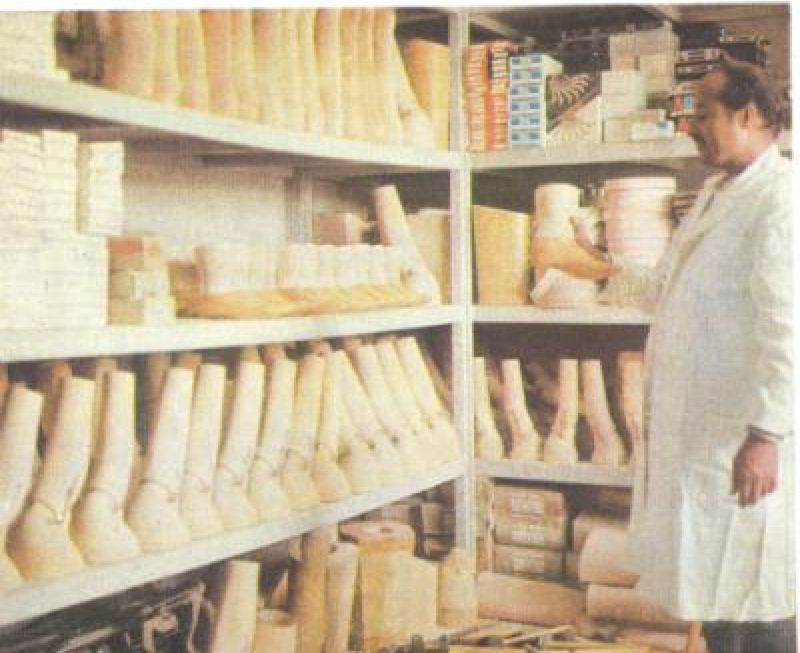


الى اعلى : هذه الفتاة اصيبت بشلل الاطفال وهي صغيرة .. وهي الآن تستطيع السير بفضل جهاز الشلل الذي زودها به مصنع الاطراف .

الى اليسار : هذه الاحذية التي قد تظن لاول وهلة انها احذية عادية هي في الحقيقة احذية طبية ، كل حذاء منها يخفي تشوها معينا في القدم ويساعد المريض على المشي دون تعب .



الى اليمين : هذه الالة الحديثة تقوم بتصنيع البقان الصناعية حسب المقاسات المطلوبة بدقة تامة . وهي من احدث الالات التي زود بها مصنع الاطراف الصناعية مؤخرا .



الى اليسار : في هذا المخزن يتم تخزين البقان نصف المصنعة المستوردة من انجلترا وامريكا وذلك الى حين الحاجة اليها ثم تصنيعها طبقا للمقاسات الخاصة بكل مصاب يحتاج اليها .

المطار المشرف على القسم ان بعض المصابين يتمكنون من استعمال السيقان الصناعية في فترة لا تتجاوز اسبوعين من بداية التدريب في حين ان البعض الآخر لا يتمكن من ذلك قبل مضي ٦ اشهر من التدريب .

قسم أجهزة الشلل

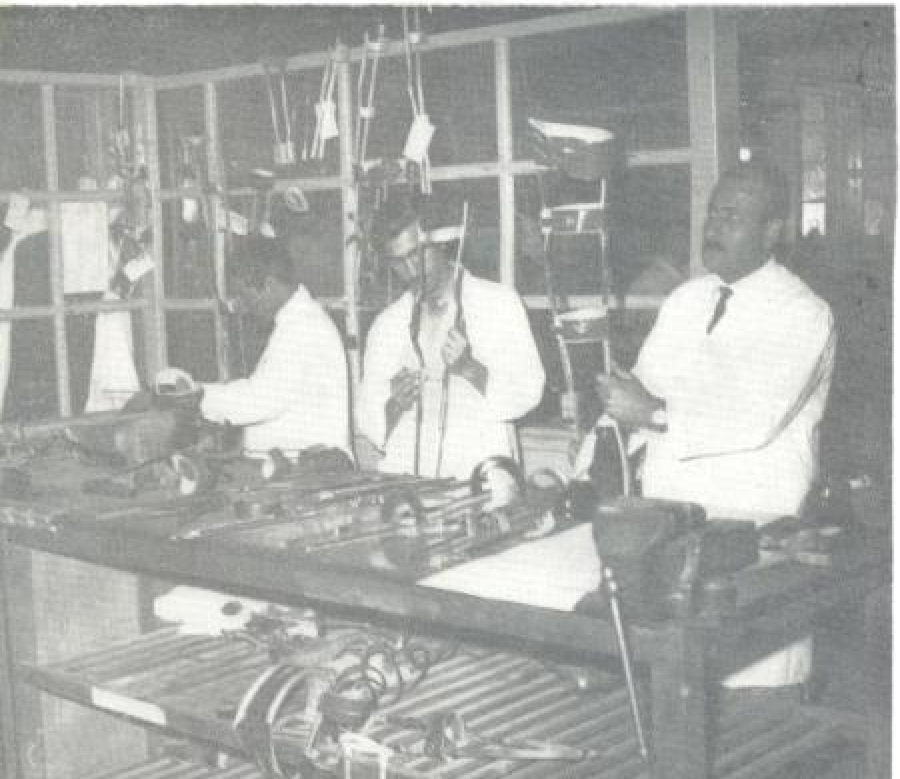
من أهم الاقسام في مصنع الاطراف الصناعية قسم اجهزة الشلل .. وهو يقوم بتصنيع الأجهزة التي تساعد المصابين بشلل الاطفال ، واغلبهم من صغار السن ، وهناك عدة انواع من هذه الاجهزة، فمنها المزود بمفصل ومنها بدون مفاصل. ومن بينها اجهزة كاملة تشمل القفص الصدري وتسمى باجهزة ميلوكي ومن بين اجهزة الشلل ايضا ما يشتمل على حزام للحوض . وبعد عمل الجهاز بالمقاسات المعينة لمصاب ما فانه يتم تدريبه على استعمال هذا الجهاز في قسم العلاج الطبيعي بمستشفى الصباح تحت اشراف اخصائيين . وقد بلغ عدد ما تم انتاجه من أجهزة الشلل المختلفة في عام ١٩٦٩ نحو ١٥٩ جهازا للاطفال والكبار .

الأحذية الطبية

القسم الثالث الهام في مصنع الاطراف الصناعية ، هو قسم الأحذية الطبية والأحذية الطبية يستعملها الكثير من المصابين . وهى تلك الاحذية التى تصنع لتتلاءم مع شكل القدم التى قد تكون مشوهة نتيجة لعيب خلقى ، أو نتيجة لحادث ، او في حالة قصر ساق عن الاخرى . أو في حالات القدم المفلطحة .

وعندما زرنا قسم الأحذية الطبية وجدنا الصناع عاكفين على صنع احذية مختلفة وكان لكل حذاء منها قصة .. حذاء ذو كعب عال يصل الى ١٤ سم .. لان صاحبه يعاني قصرا في ساقه اليسرى يصل الى ١٤ سم عن ساقه اليمنى .. حذاء

٣ من الفنيين في قسم اجهزة الشلل يقومون بصنع هذه الأجهزة التى تساعد المشلولين على المشي بعد أن أعجزهم المرض .



اخر شكله عادى تماما ولكنه مصمم لمهندس مصرى يعمل في شركة المطاحن الكويتية فقد اصابع قدمه في حادث أثناء محاولته انقاذ احد عماله من الموت بعد ان انحشر بين عجلات الماكينة الضخمة التى يقوم بتشغيلها .. حتى الأحذية كانت تروى قصصا انسانية ..

وقد قام هذا القسم بانتاج ٢٣٢ زوجا من الأحذية الطبية في عام ١٩٦٩ ويكلف الحذاء في المتوسط ١٤ دينارا وهو يباع للمصابين من غير الكويتيين بمبلغ ٤ دنانير فقط ، وللكويتيين بمبلغ دينار ونصف .

الأيدى الصناعية فى طريقها للتصنيع

حتى الآن لم يتم تصنيع الأيدى الصناعية في الكويت . ولا يزال المصنع فى انتظار الآلات الخاصة بانتاج هذه الأيدى . وتعتبر صناعة الأيدى بالذات ادق بكثير من السيقان الصناعية . لما تتطلبه من حركة بسيطة في الأصابع وهناك نوع آخر لا يتحرك ولكن يتطلب ان يكون كشكل اللحم والجلد تماما حتى لا يظهر فقدان اليد بصورة منفرة .

الأحزمة الطبية

وفي المصنع ايضا قسم خاص بصنع الاحـزمة الطبية على مختلف انواعها .. احزمة الفتق ، واخرى للدوالى ، وجبائر لليد وكلها يتم عملها طبقا للمواصفات والمقاييس الطبية لكل مريض . وهى تباع للمرضى باقل من سعر التكلفة .

وهناك ايضا أحزمة خاصة للظهر تستعمل في حالات اصابة المريض بسل العظام ، وهى حالة متفشية في بادية الكويت ، وتستخدم مـادة البوليثيلين Polythyline في صنع هذه الأحـزمة بالذات .

مشروعات المستقبل

وقد اعتمدت حكومة الكويت في ميزانية عـام ١٩٧٢ المبالغ الكافية لانشاء مبنى جديد لمصنع الأطراف الصناعية . وسيخصص جزء كبير من هذا المبنى الجديد لتدريب المصـابين على استعمال أجهزتهم الصناعية .

ويعمل في المصنع الآن ٣٢ فنيا من بينهم ١٢ كويتيا والباقون من جنسيات عربية مختلفة .



في مصنع الاطراف الصناعية قسم خاص للاحزمة الطبية ، وتعمل فيه فتاتان ، ويتم فيه اعداد الاحزمة الطبية الدقيقة طبقا للمقاسات التى يتم اخذها للمريض أو المريضة .

وقد تم ايفاد عدد من المبعوثين الكويتيين الى الخارج في بعثات بعضها تابع لمنظمة الصحة العالمية وذلك للتخصص في هذه الصناعة ذات الغرض الانسانى .

خدمات للفدائيين والمصابين من السعودية والخليج العربى والعراق وايران

وتدل الاحصائيات عن الذين زودهم مصنع الأطراف الصناعية في الكويت بأجهزة تعوضهم عن اطرافهم التى فقدوها أن عددا من الفدائيين الفلسطينيين قد تم تزويدهم باطراف صناعية مجانا،وذلك تقديرا من الكويت لدورهم البطولى.

كما ان هناك أيضا عددا من المصابين من المملكة السعودية ، والعراق ، ودول الخليج قد زودهم المصنع بأطراف صناعية .

وهكذا يقدم هذا المصنع الصغير خدمة انسانية كبيرة لأهل الكويت والدول المجاورة ممن شاء لهم القدر أن يفقدوا عضوا من أعضائهم .

حيوا معى هؤلاء العاملين في صـمت الذين يساهمون بعملهم في تخفيف الام المصابين وتأهيلهم لمواجهة الحياة من جديد . ■■

محمد طنطاوى

مواقف
رجال

بين قاضي القضاة

بقلم : عبد الستار فراج

من خيار الرجال الذين يفخر بهم العلم ومنصب القضاء أبو عبد الله محمد ابن سعيد بن بشير بن شراحيل المعافري، واشتهر باسم محمد بن بشير ، وهو عربي أصيل ، انتقل قومه الى باجه ، وبها كانت نشأته ، ثم رحل الى المشرق ، فوصل المدينة ، ولقي الامام مالكا وجالسه وسمع منه . واقتبس أيضا من علماء مصر في عودته، ثم انصرف الى الاندلس، فلزم ضيعته بباجه ، الى ان استدعى ليتولى القضاء بقرطبة في أيام الامير الحكم بن هشام .

وصف المؤرخين لـه

قالوا عنه : انه كان من عيون القضاة الهداة ، ومن أولى السداد والمذاهب الجميلة ، وأصالة الرأى ، والسيرة العادلة ، والذكر الجميل الخالد . وكان شديد الشكيمة ، ماضي العزيمة . صلبا في الحق ، لا هوادة عنده لأحد من أصحاب السلطان ، ولا مداهنة لديه لأحد ، لا يؤثر غير الحق في احكامه ، جيد الفطنة قوى الادراك .

وكان مصعب بن عمران يتولى القضاء ، وكان محمد بن بشير كاتبا له ، لم تخلى عن الكتابة ، فلما توفي مصعب استشار الامير الحكم بن هشام من حوله فيمن يستقضيه ، فاجمع له وزراؤه وأعلام الناس على ان يولى محمد بن بشير ، فولاه الامير الحكم القضاء ، فأبَرَّ على « مصعب » وبعد في الفضل والعدل صيته ، وخلدت آثاره بعده ، فلم يزل قاضيا الى ان توفي بقرطبة سنة ثمان وتسعين ومائة ١٩٨ هـ فاستقضى الحكم بعده ابنه سعيد بن محمد .

ابن بشير والوزير

كان ابن فطيس وزيرا للامير الحكم بن هشام . وقد تقدم أحد خصومه الى القاضي محمد بن بشير مدعيا بحق له عليه ، وقدم الشهود الذين وثق بهم القاضي ، وقبل شهادتهم ، فاصدر حكمه على الوزير ابن فطيس ، دون أن يبعث اليه او الى وكيله أسماء الشهود الذين اعتمد على شهادتهم في اثبات الحق عليه ، ودون انتظار حضوره هو او وكيله ، وذلك لامر في نفس القاضي لم يبده، فشكا ابن فطيس ذلك الى الامير الحكم ، وتظلم منه . واهتم الامير بالامر ، وبعث الى القاضي محمد بن بشير بذلك ، وعرفه بشكوى الوزير من انه أمضى القضاء عليه دون اعذار ،

وأميره الحكم بن هشام

ودون أن يذكر له أسماء الشهود الذين اعتمد شهادتهم ، مع أن هذا حق له باجماع اهل العلم .

فكتب القاضي ابن بشير الى الامير الحكم يقول له : ليس ابن فطيس ممن يتعرّف بمن شهد عليه ، لأنه ان لم يجد سبيلا الى تجريحهم لم يتحرج عن اذاهم فيتركوا الشهادة هم ومن اقتدى بهم فيضيع امر الناس .

ابن بشير والامير الحكم

وكان للامير الحكم بن هشام عم اسمه سعيد الخير . وقد كان لهذا العم وكيل وكله ليخاصم له عند القاضي محمد بن بشير في مطلب له يريد اثبات حقه فيه . وكانت عند سعيد الخير وثيقة فيها شهادات جماعة من الناس الموصوفين بالعدالة والصدق ، لكنهم كلهم ماتوا ، ماعدا شاهدين ، تقدم احدهما فادلى بشهادته وقبلها القاضي محمد ابن بشير ، ولكنه لم يصدر الحكم لصالح سعيد الخير ، في انتظار ان يتقدم شاهد ثان ليثبت بهما الحق ، ولم يكن الشاهد الثاني الباقي حيا الا ابن أخي سعيد الخير ، وهو الامير الحكم نفسه ، فاضطر سعيد الى أن يلجأ الى ابن اخيه ، ليقدم شهادته لدى القاضي . فدخل عليه وعرفه حاجته الى شهادته . وكان الامير الحكم معظما لعمه ، فقال له : ياعم ، أعفني من هذه الكلفة ، فقد تعلم اننا لسنا من أهل الشهادة عند قضاتنا ، اذ التبسنا من فتن هذه الدنيا بما لا نرضى به عن انفسنا ، ولا نلومهم على مثل ذلك فينا ، ونخشى ان توقفنا مع هذا القاضي موقف خزى نفديه بملكنا . فسر في خصومتك الى حيث ينتهي بك الحق ، وعلينا ان نخلف لك ما ينقصك ، وأن نعطيك اضعافه .

ولكن عمه سعيدا لم يقبل ذلك ، وألح على ابن أخيه ، الى أن وجه بفقيهين يحملان شهادته نيابة عنه ، ويؤديانها الى القاضي محمد بن بشير . وحضرا اليه ، وأديا الشهادة التي حملاها ، فقال لهما القاضي : قد سمعت منكما فقوما راشدين .

وجاء دور وكيل سعيد الخير ،فتقدم مدلاً واثقا بالحكم لموكله فقال : أيها القاضي : قد نقلت اليك شهادة الامير ، فما تقول ؟ فاخذ القاضي كتاب الشهادة ، وأعاد النظر فيها ، ثم قال : هذه شهادة لا تقبل عندى ، فجئني بغيرها .

فمضى الوكيل الى سعيد ، وأعلمه بما حدث ، فركب من فوره الى الامير الحكم وهو يتميز من الغيظ وقال : ذهب سلطاننا ، وأهينت عزتنا ، بتجرؤ قاضيك على رد شهادتك . هذا ما لا يجب أن تتحمله عليه .

وأكثر من هذا الكلام ، وأخذ يغرى الامير بالقاضي ابن بشير والامير الحكم مطرق . فلما فرغ من كلامه قال له : ياعم ، هذا ما قد ظننته ، وقد أن لك ان تقصر عنه بالحق فالحق اولى بك ،

والقاضي قد اخلص يقينه لله ، وفعل ما يجب عليه ، ولو لم يفعل ما فعله لأجال الله بصيرتنا فيه ـ بان يجعلنا ننظر في أمر عزله ـ . فاحسن الله جزاءه عنا وعن نفسه . ولست والله أعترض على القاضي بعد ذلك فيما احتاط لنفسه .

اما القاضي فقد كانت حجته فيما فعل مـن اعظم ما يتخذ ذريعة لحماية حقوق الناس . ذلك ان بعض اخوان القاضي محمد بن بشير لامـه فيما فعله ، فقال له القاضي : يا عاجز ، الا تعلم انه لا بد من الاعذار في الشهادات ، فمـن كان يجترىء على الدفع في شهادة الامير لو قبلتها ، ولو لم اعذر لبخست المشهود عليه حقه .

الخليفة يدعو بالليل

ومثل هذه المواقف مما يقدرها المخلصون الذين يريدون الخير للرعية ، ويحرصون على بقاء امثال هؤلاء الرجال في مناصبهم لصيانة الحقوق .

ولقد وُجد الامير الحكم في احدى الليالي قائما تحت شجرة يصلي ويدعو ويجتهد في الدعـاء فلما انصرف الى مرقده سالته حظيته التـي رأته يفعل ذلك عن السبب الموجب لهـذا الوقـوف والدعاء ، وظنت ان امرا قد دهاه وطرقه ، فقال لها : ما فعلت ذلك الا ان محمد بن بشير القاضي في سكرات الموت ، فاشفقت من فقده واعجزني الاعتياض منه ، فقد كنت جعلته فيما بيني وبين الله في احكام الناس ، فاعتمدت منه على ثقة اذ كانت نفسي مستريحة الى عدله ، فناجيت الله تعالى ودعوته دعوة مضطر الى اجابته في ان يحسن عزائي ، ويجعل لي عوضا منه .

ومات محمد بن بشير سنة ثمان وتسعين ومائة (١٩٨ هـ) ومات الامير الحكم سنة ٢٠٦ هـ اى بعده بثمانية اعوام .

مواطن الامتحان من الانسان

ويقال ان محمد بن بشير لما وجه اليه ليذهب الى قرطبة عدل في طريقه الى صديق له عابد ، وقال له صديقه ما أرى انه بعث اليك الا لتولى منصب القضاء ، فقد مات قاضي قرطبة . فقال له ابن بشير . فاذا قبلتها فما ترى ؟ فانصح لي واشر علي . قال له العابد : اسالك عن ثلاثـة اشياء فاصدقني فيها : كيف حبك لاكل الطيب ، ولباس اللين ، وركوب الفاره ـ من الدواب ـ فقال ابن بشير ، والله ما ابالي ما رددت بـه جوعي ، وسترت به عورتي ، وحملت به رجلي . فقال : هذه واحدة ، فكيف حبك للوجوه الحسان وشبه هذا من الشهوات ؟ فقال ابن بشير هـذه حالة والله ما استشرفت نفسي اليها قط ، ولا خطرت ببالي . قال . هذه ثانية فكيف حبـك للمدح والثناء وحبك للولاية وكراهتك للعزل ؟

قال : والله ما ابالي في الحق من مدحني أو ذمني ، وما اسر بالولاية ، ولا استوحش للعزل . فقال له صديقه العابد : اقبل القضاء ولا بأس عليك .

ثم تولى القضاء واظهر صلابته في أحكامـه ، فعزل فرجع الى بلده ، فما لبث الا يسيرا حتى اتى فيه بريد من قبل الامير الحكم بن هشـام ليرجع الى قرطبة ، فعدل في بعض الطريق الى صديقه الزاهد وقال له : قد أرسل في الامير واظن انه يردني على القضاء ثانية ، فما ترى ؟ فقال له صديقه : ان كنت تعلم انك تنفذ الحق على القريب والبعيد ، ولا تأخذك في الله لومة لائم فلست أرى لك أن تحرم الناس خيرك . وان كنت تخاف أن لا تعدل فترك الولاية أفضل لك . قال ابن بشير : اما الحق فلست أبالي على من اقررته اذا ظهر لي . فقال له ، لست أرى ان تمنع الناس خيرك . فورد قرطبة ، وولي القضاء ثانية . وكان مما اشترط على الامير الحكم لقبوله المنصب : ان ينفذ حكمه على كل أحد ، من أعلى درجة في الوظائف الى اقل الدرجات . وأنه ان ظهر له في نفسه عجز واستعفى فعلى الامير أن يعفيه .

وهكذا يكون الرجال ، وهكذا تعظم الاقـدار وتخلد الآثار . ■■

عبد الستار احمد فراج

علم النفس و علم الاجتماع
يدخلان ميادين الصناعة

الهندسة البشرية

ومشاكل الإنتاج

بقلم : الدكتور ملاك جرجس

يتميز القرن العشرون بازدياد المشاكل الاقتصادية والتربوية والمهنية والتجارية تعقدا وخطرا فى كل المجتمعات نتيجة للتطور الصناعى الذى يكتسح العالم ، وهذه الخطورة تتفاوت وفقا لمدى انتشار الصناعة وتقدمها فى كل مجتمع، وقد أدت هذه الحالة الى ضرورة البحث عن وسائل تساعد القائمين على شئون المصانع ودور التجارة والمدارس والجيش على حل المشاكل التى تعترضهم لا سيما وبعض هذه المشاكل يصل احيانا الى درجة تهدد كيان المجتمع خصوصا فى الميدان الاجتماعى .

علم الاجتماع وعلم النفس يدخلان علم التربية

وقد سبق رجال التعليم غيرهم في دراسة مشاكلهم في ظل المجتمع الصناعى ووجدوا في العلوم الاجتماعية وعلم النفس ما ساعدهم على تفهم هذه المشاكل ، فنشأ بذلك علم الاجتماع التربوى وعلم النفس التربوى وكلاهما يعنى بالتوجيه والاختيار المدرسي ، واختيار نوع من الدراسات يصلح لطفل معين ، بحيث يستطيع هذا الطفل أن يواصل دراسته الثانوية بنجاح فلا يتعرض للفشل والخيبة في الامتحانات نظرا لوجود نقص في شخصيته أو ذكائه أو في بعض القدرات التى يتطلبها نوع ما من الدراسة . كذلك تعنى هذه العلوم باختيار المهنة التى يصلح لها الفرد ، أى هل يستطيع الطالب الذى يطلب اليه أن يتدرب على مهنة معينة في مدرسة صناعية

مثلا ، أن يصبح في المستقبل عاملا ماهرا ، او ان هناك مهنة أخرى تسمح له استعداداته بان يتفوق اذا زاولها تفوقا يزيد عن تفوقه في المهنة الاولى .

لقد تقدمت العلوم التربوية الآن فاصبحت المدرسة والجامعة في الدول الراقية مسئولتين عن فحص وتوجيه كل طالب من ابناء الشعب توجيها عمليا ومهنيا حتى لا يخطئ في انتقاء نوع الدراسة او المهنة التى يجب ان ينمى قدراته فيها وفقا لميوله ولاستعداده الشخصي ، وحتى تتحقق في النهاية سعادته وسعادة المجتمع الذى يعيش فيه ، وذلك لما يعود على المجتمع من زيادة في الانتاج لاستغلال قدرات افراده استغلالا حسنا ، وبنقص في عدد حالات الاضطرابات السلوكية كالامراض النفسية والعقلية والاجرام والتشرد التى كثيرا ما يساعد على ظهورها وضع الفرد في عمل لا يتفق وقدراته .

علم النفس وعلم الاجتماع يدخلان ميادين الصناعة والتجارة لحل مشاكلها

وقد تنبه بعض اليقظين من رجال الاعمال لما احرزه رجال التعليم من نجاح لحل المشاكل التربوية فبدأوا يسخرون علم النفس والعلوم الاجتماعية لتفهم وحل مشاكلهم في ميادين الصناعة والتجارة ، حتى ادركوا اخيرا ان نجاح المؤسسة الصناعية او التجارية لا يتوقف على رأس المال والآلات الحديثة فحسب، بل يتوقف على ما سموه « بالعوامل الاخرى » ومنها ظروف العمل وفن انتقاء العمال واكتشاف قدراتهم الخاصة، ووسائل تدريبهم لتنمية هذه القدرات ، وفن اثارة الدوافع لدى العمال لانتاج اكبر قدر ممكن باقل جهد جسمى وعقلى وباقل نسبة من الحوادث ودرجة رضا العمال وسعادتهم الى غير ذلك من العوامل ـ كما ادركوا أيضا أن رأس المال والآلات الحديثة، وان كانا لا بد منهما لانشاء المؤسسات الصناعية والتجارية فان فعلهما بعد انشائها يزول ويصير الفضل كل الفضل لهذه « العوامل الاخرى » وذلك لان مستقبل المصنع أو المتجر من حيث كمية الانتاج ، وروح الابتكار والمهارة الفنية يتوقف بدرجة كبيرة على هذه العوامل، اذ بدونها لا تصبح المؤسسة قادرة على المنافسة والتكييف وفقا لمطالب وحاجات الاقتصاد القومى وأذواق الناس وهى حاجات وأذواق متغيرة .

مشكلة الانتاج مشكلة انسان قبل أن تكون مشكلة آلة

ان الحقيقة الواقعة هى ان مشكلة الانتاج في العالم ليست في الحاجة الى الات احسن من الآلات التى توصلَّ الانسان الى اختراعها ، أو الى خبرة أكبر لاستغلال رأس المال ، بقدر كونها مشكلة كيفية استخدام القوى الانسانية التى تدير هذه الآلات ، ومما لا شك فيه ان علم النفس الصناعى والعلوم الاجتماعية احرزت كثيرا من النجاح في استخدام هذه القوى الانسانية والتحكم فيها لصالح صاحب العمل وللفرد وللمجتمع ، سواء من حيث زيادة الانتاج وخفض نفقاته او من حيث سعادة الفرد وتكييفه النفسي والاجتماعى أو من حيث نمو الاقتصاد القومى للبلاد ـ وبمعنى آخر أن الهدف لهذه العلوم الانسانية والسلوكية هو تحقيق اكبر زيادة ممكنة في الانتاج باقل مجهود انسانى ممكن ، ومن غير أن يتكلف صاحب العمل اى زيادة تذكر في مصاريف الانتاج ، بل على العكس فهى تساعده على توفير الكثير من المال والجهد، وتوفر عليه الصعاب التى تظهر في الميدان الصناعى والتجارى باسم « مشاكل العمال » .

فى المجتمعات الصناعية المتقدمة هجر أساتذة النفس والاجتماع الجامعات الى كبريات المصانع

ويتوقف مدى تقدم استخدام علم النفس الصناعى والعلوم الاجتماعية الاخرى في ميادين الصناعة والتجارة على مدى انتشار الصناعة في المجتمع ، وفي امريكا مثلا حيث تقدمت الصناعة تقدما عظيما،

اصبحت دور الصناعة اكبر منافس للجامعات والكليات والمعاهد العليا في اجتذاب كبار الاساتذة في ميادين العلوم السلوكية للعمل فيها ، وقد كانت هذه الدور فيما مضى تستعين بآراء هؤلاء الأساتذة من حين الى حين ، وتقف الجامعات اليوم في حيرة امام هذا التنافس ، لان المصانع في وسعها ان تدفع للاساتذة والعلماء اضعاف اضعاف ما في وسع الجامعات أن تدفعه ، وقد عمت الشكوى من هذا التنافس في كل من انجلترا وفرنسا وايطاليا وامريكا وغيرها من الدول ، لدرجة ان المؤتمر الدولى لاساتذة الجامعات الذى عقد في فينا سنة ١٩٥٤ خصص شطرا كبيرا من بحوثه لهذا الموضوع.

درجة التصنيع في مصر وأمريكا

ولكى ندرك سر التفاوت الشديد في الاهتمام بالاساليب العلمية في الميدان الصناعى وفقا لمدى انتشار ورقى الصناعة في المجتمعات المختلفة ، نورد فيما يلى مقارنة بين درجة تصنع كل من مصر وامريكا ، فمصر اليوم بلد صناعى متخلف نصيب الصناعة من الدخل القومى فيه لا يتجاوز ١٢٪ من هذا الدخل ، وعدد العمال المشتغلين بالصناعة فيه لا يتجاوز ١٣٪ من مجموع الايدى العاملة من الذكور ، هذا بالاضافة الى أن الصناعة في مصر لا تزال متخلفة وحرفية في كثير من أوجه النشاط الصناعى ، هذا مع استثناء بعض الصناعات الكبيرة والصناعات الحديثة مثل صناعة الحديد والصلب وغيرها من الصناعات التى انشئت حديثا لتكون ذات طاقة انتاجية كبيرة – اما في امريكا فان عدد العمال الذين يعملون في الزراعة لا يزيد على ٣٠٪ من الايدى العاملة فيها .

عمال الزراعة في البلد المتخلف يبلغون ٦٠ في المائة فما فوقها

وتطلق الدول الصناعية على الدول التى تصل نسبة الايدى العاملة في الزراعة فيها الى ٦٠٪ صفة البلاد « المتخلفة اقتصاديا » . وكلما قلت هذه النسبة في بلد ما دل ذلك على تقدم الصناعة فيها ، فاليابان مثلا متوازنة في التوزيع في الايدى العاملة بين الصناعة والزراعة ولكنها بمرور الزمن تمتص عددا اكبر في الميدان الصناعى، ومن ثم يزيد الدخل القومى فيها تباعا .

التخلف الصناعى والعلمى يصحبهما دائما تخلف زراعى

وجدير بالذكر ان ضعف الصناعة والتاخر العلمى في بلد ما يصاحبهما تخلف الزراعة ايضا ، ويبدو ذلك واضحا من احصاءات الدخل القومى في العالم، فاكثر من نصف سكان العالم يعيش بدخل يقل عن خمسين دولارا في العام وهؤلاء يعيش اغلبهم في الدول الزراعية في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، في حين ان الدول الصناعية كدول غرب اوربا والولايات المتحدة الامريكية وكندا واستراليا ونيوزيلند فان متوسط الدخل فيها عال جدا .

ومع العلم لا بد من تطبيق الخدمات السلوكية

ان زيادة الدخل القومى وازدهار الصناعة لا يمكن ان يتحققا الا في مجتمع علمى ، والخدمات التى يمكن للعلوم السلوكية تحقيقها في ميدان زيادة الانتاج امر لا يمكن لمجتمع صناعى يبغى التقدم والنجاح أن يغض النظر عنها . ومن اهداف هذه السياسة بحث أساليب الانتاج في المصنع وانتقاء الصناع وتدريبهم ، الى غير ذلك من العوامل التى تحقق زيادة الانتاج باقل قدر من التكاليف الاقتصادية والجهد الانسانى .

اصبح للعمال مهندس بشرى كما للآلات مهندس ميكانيكى

ان اهمية الاخصائي السيكولوجى في المصنع وفي ميادين ادارة الاعمال المختلفة اصبحت لا تقل باى

حال من الاحوال عن اهمية المهندس الذى يشرف على الآلات ، فالاول مهندس من نوع جديد « مهندس بشرى » ينظر الى السلوك الانسانى على انه نتيجة لمجموعة من القوى الطبيعية التى تسلك في عملها سبلا لم تكن تعرفها من قبل ، وينظر الى اضطراب السلوك نظرة الطبيب ازاء المرض الجسمى ، ونظرة المهندس الميكانيكى الى الاضطراب هو الكشف عن مسبباته ومعالجتها ، ثم النصح بتفاديها في ادارة الأعمال .

القرن العشرون عصر العلوم السلوكية

والقرن العشرون في الواقع يعتبر عصر العلوم السلوكية كما يعتبر القرن التاسع عشر عصر العلوم البيولوجية ، وما قبله من القرون عصور العلوم الفيزيائية والكيمائية ، ذلك لانه لم توجه العناية الى فهم السلوك الانسانى من قبل كما وجهت في عصرنا هذا ، فتقدم مثلا علم النفس واساليبه التطبيقية تقدما كبيرا حتى اصبح يستغل لدرجة كبيرة في المؤسسات والمستشفيات (علم النفس المرَضي والاكلينيكى) ، وفي فهم سلوك الجماعات ودراسة اتجاهاتها « علم النفس الاجتماعى » وفي فهم سلوك الطفل (علم نفس الطفل) وفي دراسة السلوك الحيوانى والاستعانة به في فهم ودراسة السلوك الانسانى (علم النفس الحيوانى) . وفي دراسة الجهاز العصبى والحواس، كالسمع والنظر واثرها على السلوك (علم النفس الفسيولوجى) وفي دراسة المشاكل الانسانية في الحروب وسيكولوجية العمليات الحربية (علم النفس الحربى) الى غير ذلك من الميادين الانسانية الجديدة التى يطرقها علماء النفس كلما تقدمت اساليبهم العلمية في فهم السلوك الانسانى ، وكلما تيسر لهم سبل البحث العلمى خصوصا من ناحية التمويل ، هذا كما اصبح علم الاجتماع الصناعى وعلم النفس الاجتماعى من اهم العلوم السلوكية في الميدان الصناعى .

اهداف العلوم السلوكية في الميدان الصناعى

ترمى العلوم السلوكية أو علم الهندسة البشرية الى تحقيق الاهداف الآتية :

اولا ـ زيادة الكفاية الانتاجية :

يقصد بزيادة الكفاية الانتاجية زيادة القدرة الانسانية على الانتاج ويتأتى ذلك بتوجيه العمال وتكوينهم تكوينا مهنيا صحيحا ـ بحيث يؤدى ذلك الى قيام العامل الانسانى بدوره خير قيام ، وبانسجام مع عوامل الانتاج الاخرى والعوامل الفنية والاقتصادية والادارية التنظيمية . ومن ثم تتحقق زيادة الانتاج وتعود بالفائدة على العمال واصحاب الاعمال وعلى المجتمع .

ثانيا ـ زيادة توافق العامل في عمله :

يتحقق توافق العامل وعمله بانتقاء العمال للاعمال التى تتفق وقدراتهم الشخصية وبمساعدتهم على التكيف في اعمالهم مع الاقتصاد في المجهود ، وتأمينهم على مستقبلهم واتاحة الفرصة امامهم للتقدم والترقى ، ومعاملتهم بالاحترام وحفظ كرامتهم الانسانية ، فيتفق بذلك تكييف العامل للمهنة وللمؤسسة وللعكس بالعكس .

فيشعر نحوها بالولاء والارتباط كعضو عامل وليس مجرد آلة او جزء متمم للآلة في المصنع .

ثالثا ـ الاستقرار الصناعى :

يتحقق الاستقرار الصناعى بازالة مصادر الشكوى والمنازعات بين العمال واصحاب العمال ، وذلك بوضع سياسة للتوظيف والاجور ، ونظام لتوزيع الارباح الناتجة عن زيادة الانتاج . ويتأتى عادة بتصنيف الوظائف وتحديدها وتحليلها لتقدير الجهد اللازم لاداء كل منها وتعيين مراحل تعلمها سواء من الوجهة النفسية او الوجهة الفعلية ، مع مداومة ادخال التعديلات اللازمة في هذا التحليل وعمل التحسينات الضرورية في نظام العمل من وقت لآخر بما يحقق للعامل اسباب الراحة والانسجام في عمله ، والشعور بالاستقرار والطمأنينة على اساس كونه عضوا عاملا في المؤسسة .

وسائل العلوم السلوكية في المجال الصناعي

يعنى اخصائي العلوم السلوكية بالميادين والمشاكل الآتية في المجال الصناعي :

١ ـ تحليل العمل Job Analysis وتعيين مراحل تعلمه من الوجهتين النفسية والحركية وتحديد القدرات الخاصة بكل مهنة Abilities and Aptitudes لادائهما على احسن وجه يحقق الكفاية الانتاجية .

٢ ـ اختيار اكفا الموظفين والعمال Employee and Labour Selection لكل نوع من الاعمال ، وتحقيق تكييف العامل للمهنة والمهنة للعامل باختيار كل للعمل الذي يتفق وقدراته واستعداده الطبيعي.

٣ ـ المساهمة في تهيئة احسن الظروف للعمل من حيث الاضاءة والتهوية والحرارة ودرجة الضوضاء الى غير ذلك مما يؤثر على راحة العمال وبالتالى على قدراتهم الانتاجية .

٤ ـ دراسة مشكلة الاجهاد في العمل Psychological Fatigue خصوصا من الوجهة النفسية لازالة عوامل الضجر والملل والتعب السريع ، لما لذلك من أثر ضار على القدرة الانتاجية ، ثم اتخاذ الخطوات اللازمة لتفاديها ، وقد يتأتى ذلك في تعديل سياسة وطريقة الانتاج ، او بالعمل على ازالة الحركات الضارة او العائقة أو الضائعة مما يؤدى الى اقتصاد المجهود ، الى غير ذلك من أساليب العلاج .

٥ ـ دراسة الدوافع التى تعتمل في نفوس العمال وتؤثر على قدرتهم الانتاجية وبث الدوافع التى تحقق زيادة هذه القدرة .

٦ ـ دراسة مشكلة الحوادث واسبابها ومواعيدها والتاكد من أن من يتعرضون كثيرا للحوادث ليسوا من الافراد الذين لهم صفات نفسية خاصة تجعلهم يقعون فيها Prome to Accidents ورسم سياسة علاجية من النواحى الفنية والوقائية ، مع وضع المستهدفين للحوادث في اعمال لا تعرضهم للاصابة.

٧ ـ تنظيم الاعداد المهنى لتغذية المصنع باكفا العمال عن طريق التدريب ، والتوجيه المهنى للعمال وفقا لاستعدادات وقدرات كل منهم ، لتتحقق بذلك الكفاية الانتاجية كما يتحقق التقدم والترقى للعمال .

٨ ـ الاهتمام بالروح المعنوية Morale في المؤسسة والعمل على جعلها دائما عالية وذلك بالتعرف بواسطة الاساليب العلمية ، وبكل الطرق الممكنة على اتجاهات العمال Attitudes نحو العمل وظروفه ونحو رؤسائهم ونحو المؤسسة التى يعملون فيها بوجه عام . ومحاولة الوصول الى الحلول المرضية للعمال وللادارة .

٩ ـ دراسة مشكلة دوران العمل واسبابها خصوصا العوامل النفسية منها ومحاولة الحد منها على قدر الامكان لما في ذلك من ضرر مادى على المؤسسة وأثر معنوى بالنسبة لباقى العمال .

١٠ ـ تقنين الاختبارات المهنية والسيكولوجية والسوسيومترية كلما دعت حاجة العمل وتطوره الى اختبارات جديدة .

١١ ـ مساعدة العمال في حل مشاكلهم النفسية والتكييف لظروف العمل بحيث يتحقق الوئام مع رفاق العمل .

١٢ ـ عمل الدراسات من وقت لآخر لمعرفة مدى تكييف العمال في حياتهم خارج المصنع . لما لذلك من أثر مباشر على قدرتهم الانتاجية .

هذه الخطوط الرئيسية التى يعنى بها علماء علم النفس الصناعى وهى ترمى في الواقع الى التوفيق بين مصلحة العمل والانتاج وحاجات العمال المادية والنفسية والاجتماعية . ■■

ملاك جرجس
رئيس قسم العلوم السلوكية
معهد الادارة العامة بالقاهرة

طرائف غريبة

أحببت الحياة فى التسعين

● كتبت فى مذكراتها يوما تقول : « اليوم بلغت الحادية والثلاثين من عمرى ، ولكننى لا اجد شيئا اشتهيه فى هذه الحياة الجوفاء من حولى ، الا الموت .. لقد حاولت ان املأ حياتى ، ركبت البحر ، وزرت بلادا غريبة ، والتقيت باناس طيبى القلب ، لم اترك فرصة تمر دون ان انتهزها لأجعل لحياتى طعما .. ولكننى فشلت .. لم اذق للحياة طعما فى يوم من الأيام .. يا الهى ارشدنى .. اننى فى حيرة فانا لا ادرى ماذا اصنع بنفسى ! »

بهذه الكلمات ، وصفت فلورنس نايتنجيل Florence Nightingale (١٨٢٠ ـ ١٩١٠) ، الفتاة الانجليزية الثرية احاسيسها ومشاعرها عندما بلغت الحادية والثلاثين من عمرها فى عام ١٨٥٠ ، وهى ترى نفسها سجينة المجتمع الفاسد المنحل من حولها !

ولم تكن تدرى الفتاة وهى تخط هذه الكلمات ، انها استطاعت ان تشعل ثورة فى هذا المجتمع الذى حقدت عليه ، فلم تكد تنقضى خمس سنوات حتى أصبح اسم « فلورنس » على كل الشفاه ، لقد كانت اول امرأة وضعت اسس فن التمريض الحديث ، الذى بقى اعواما طويلة فى ايدى حفنة من النساء الماجنات الخليعات !

لقد عاشت فلورنس وماتت من اجل التخفيف عن آلام الجرحى والمرضى والفقراء ، الذين كانوا كلهم أبناءها !

ولما بدأت تفقد نور عينيها عندما بلغت التسعين ، منحوها وسام الجدارة ، فحملته ، وجلست فوق فراشها تبكى ، ثم عادت الى مذكراتها وطلبت من احدى صديقاتها ان تكتب على لسانها : «أليس غريبا أن اشعر اليوم بعد ان بلغت التسعين بأننى لا اريد ان أفترق عن هذه الحياة الجميلة التى ساهمت فى صنعها !! » .

وماتت فلورنس ، ولكن رسالتها بقيت تنبض بالحياة حتى يومنا هذا !



نايتنجل



غذاء فى الثمانين !

كان سومرست موم ، الكاتب الانجليزى الشهير (١٨٧٤ ـ ١٩٦٥) مولعا بالقراءة ، وكان يخصص ست او سبع ساعات يوميا لقراءة احدث الكتب، ولم تكن كتب الادب والتاريخ وحدها التى تستهويه ، فقد كان مولعا ايضا بقراءة كل جديد فى الطب والعلوم .

وقد ظل على عادته هذه حتى بعد ان جاوز الثمانين ! سألوه يوما : « لقد نصحك الأطباء بالاقلال من القراءة ، فقد تعبت عيناك ، لماذا لا تترك الكتب جانبا، او تطلب الى سكرتيرتك ان تقرأ لك ؟ »

واجاب الكاتب الكبير وشبح ابتسامة ترتسم على شفتيه : « انكم كمن جاء يطلب منى ان اعيش بلا غذاء ، او ان أكتفى بما تأكل سكرتيرتى لاشبع انا . لا، لن أكف عن القراءة مهما تعبت عيناى ، لا لاننى اريد ان اشبع فحسب ، بل لاننى احس بعد قراءة كل كتاب جديد ان أسلوبى فى الكتابة قد تحسن !! »

درس من عالم كبير



يروى عن سير الكسندر فلمنج Alexander Fleming ، مكتشف البنسلين ، انه ذهب يبحث عن غرفة خالية فى احد فنادق استكهلم ، عاصمة السويد ، عندما سافر اليها فى عام ١٩٤٥ ليتسلم جائزة نوبل ! وكان العالم الانجليزى الكبير ، قد فضل الا يعلن عن موعد وصوله !

واخيرا توقفت به السيارة التى كان يستقلها من المطار ، امام احد الفنادق الكبرى ، ونزل سير الكسندر ،واقترب من السيدة التى كانت تقف امام مكتب استقبال النزلاء ، وسألها عما اذا كانت لديها غرفة خالية !

ولكن السيدة ، سرعان ما اعتذرت قائلة ان جميع الغرف محجوزة للعلماء والوفود الذين سيحضرون للاحتفال بتوزيع جوائز نوبل !

وكانت احدى الفتيات العاملات بالفندق ، تستمع الى هذا الحديث ، وقد راحت تتأمل وجه الرجل الذى كان قد استدار فى طريقه الى الخارج ، وتقارنه بالصورة التى حملتها صحف الصباح للعالم الفائز بجائزة نوبل .

وعندما تأكدت من شخصيته ، اقتربت من زميلتها وهمست فى اذنها باسمه !

وفجأة تركت السيدة مكتبها،وهرولت وراء سير الكسندر ، وهى تعتذر بشدة عما بدر منها ، وتقول : « لم اكن ادرى انك شخصية لها اهميتها يا سيدى . ساعمل فورا على ايجاد جناح خاص لك!»

وتوقف سير الكسندر لحظة ، ثم نظر الى محدثته، وقال : « شكرا لك ، ولكن يجب ان تعلمى ان لكل انسان يا سيدتى شخصيته ، وانا لا اريد جناحا وانما اريد غرفة ، وسوف اجدها فى فندق آخر ، الى اللقاء !! »



الجلطة الدموية (أو تخثر الدم)

بقلم : الدكتور احمد حافظ يوسف

■ رغم ان الجلطة قديمة قدم الدورة الدموية الا ان الانسان لم يفترض وجودها قبل عام ١٧٣١ حينما حاول بيتى Petit للمرة الاولى تفسير توقف النزيف ، بانه نتيجة لتجلط الدم . وبعد حوالى خمس سنوات من ذلك عزا موراند Morand توقف النزيف الى تقلص الاوعية الدموية وكانت كل هذه المحاولات لا تزيد عن مجرد افتراضات ، اذ ان الشعيرات الدموية وهى معروفة الان بقيامها بدور رئيسى فى عملية ايقاف النزيف ، لم يتم اكتشافها تحت المجهر قبل عام ١٦٦١ بواسطة مالبيجى Malpighi بعد ان جعل هارفى Harvey من وجودها ضرورة منطقية .

اما اكتشاف اول دليل مادى قاطع على تجلط الدم (التجلط هو التخثر وهو مصدر مشتق من اللفظ الانجليزى Colt) فيرجع الفضل فيه الى العالم الايطالى مالبيجى حينما تمكن من عزل الياف الفيبرين المتماسكة البيضاء من نقطة دم متجلط بعد غسلها . وفى عام ١٧٧٢ اثبت العالم هيوسن Hewson ان هذه الالياف تتكون داخل التجلط .

وتلا ذلك اكتشاف وعزل المادة الاساسية اللازمة لتكوين هذه الالياف ، والتى سماها دنيس Denis بلازمين Plasmin عام ١٨٥٩ وهى المادة المعروفة الان باسم فيبرينوجين Fibrinogen .

ولكن ، كيف يتحول الفيبرينوجين الى فيبرين ؟

اجاب بوكانان Buchanan فى عام ١٨٣٥ على هذا التساؤل بوضعه نظرية التخمر وبافتراضه ان عملية تجلط الدم تشبه الى حد كبير عملية تخمر اللبن بمادة الرنين Rennin . وسميت الخميرة او المادة المسئولة عن تجلط الدم بعد ذلك ثرومبين Thrombin . وهى تتولد من مادة اخرى متوفرة فى الدم بصورة غير فعالة وتعرف باسم بروثرومبين

Prothrombin . ويحتاج تحول البروثرومبين لثرومبين الى وجود الثرومبوبلاستين Thromboplastin واملاح الكالسيوم .

فالجلطة تنتج اذن من تحول الفيبرينوجين الى الفيبرين اى تحول الدم من مادة سائلة الى كتلة متماسكة حمراء لانها تحصر داخلها كرات الدم الحمراء وعناصره التكوينية الاخرى .

وترجع سيولة الدم في الجسم الطبيعى الى حالة توازن دقيق داخل الاوعية الدموية حيث يتكون الفيبرين ببطء شديد ويذاب بواسطة أنزيم الفيبروليسين Fibrolysin بصورة مستمرة كلما تراكم على جدران الاوعية . ويشترك في عملية التوازن هو اكثر من عشرين عاملا معروفا حتى الان بين مخثر للدم ومذيب للجلطة .

ويتم تكوين الجلطة داخل الجسم والتخلص منها على اربع مراحل هى :

المرحلة الاولى : او نشوء الثرومبوبلاستين نتيجة احتكاك الدم بسطح غريب وتنشيط عوامل التجلط المختلفة الموجودة في البلازما والصفائح الدموية . ويعرف الثرومبوبلاستين المتولد داخل الدم باسم (الثرومبوبلاستين الداخلى) ويختلف في ذلك عن مادة الثرومبوبلاستين المتوفرة في جميع انسجة الجسم والتى قد تتسرب خارج الخلايا نتيجة تلفها . وقد يدخل ثرومبوبلاستين الانسجة (او الثرومبوبلاستين الخارجى) الدورة الدموية عن طريق اوعية مقطوعة ويجلط الدم داخل تلك الاوعية .

المرحلة الثانية : وفيها يتحول البروثرومبين الى ثرومبين بواسطة الثرومبوبلاستين بالاضافة الى املاح الكالسيوم .

المرحلة الثالثة : وفيها يؤثر الثرومبين على الفيبرينوجين ، ويحوله الى جلطة (فيبرين) .

المرحلة الرابعة : وبها يتخلص الجسم من الجلطة المتكونة وتنقسم هذه المرحلة الى :

١ ـ نتيجة لوجود دم متجمد داخل الاوعية تتولد مادة البلازمين Plasmin من مادة اخرى موجودة في الدم ومعروفة باسم البلازمينوجين Plasminogen .

٢ ـ تحلل الجلطة بواسطة البلازمين وتحويلها الى سائل مرة اخرى .

ويحافظ الدم على سيولته داخل الاوعية الدموية رغم توفر كل عوامل التجلط فيه ، ويعتمد في ذلك على سرعة الدورة الدموية وخلوها من اى سطح غريب، وكذلك على وجود مادة الهيبارين Heparin ومواد التجلط الاخرى بنسب طبيعية . ولا شك ان تمييز الدم بين السطح الطبيعى والسطح الغريب يتطلب تغييرات فيزيائية وكيمائية معقدة وغير معروفة تماما حتى الان ، الا انها تعد من اهم المشاكل المتعلقة بمسببات الجلطة الدموية والتى يجب التوصل لمعرفتها .

اسباب الجلطة الدموية

رغم ان الجلطة قد تحدث بدون اى سبب ظاهر الا انه يمكن تلخيص اسبابها في نقاط ثلاث :

اولا : تلف في جدار الوعاء الدموى اثر التهاب او جرح،وبعد عملية الوضع او العمليات الجراحية. كذلك قد يتلف جدار الوعاء نتيجة غزوه بخلايا سرطانية او التهابات زاحفة من انسجة مجاورة .

وتدل حالة الشرايين عن عمر صاحبها Aman Is as Old As His Arteries فتتصلب تدريجيا وتفقد مرونتها كلما تقدم العمر بالانسان .ويساعد على تصلب الشرايين عدة عوامل ، منها الوراثة واجهاد الشريان نتيجة ارتفاع ضغط الدم واضطراب التمثيل الغذائى خصوصا زيادة نسبة الدهن الحيوانى في الدم وبالذات نسبة الكولسترول Cholesterol .

ومن المعتقد ان زيادة الكولسترول في الدم عن معدله الطبيعى تفسح المجال لحدوث الجلطة بالطرق الاتية :

١ ـ يترسب الكولسترول والمواد الدهنية الاخرى داخل جدار الشريان فيؤدى الى تصلبه وضيق تجويفه. وقد يتقرح جدار الشريان المصاب نتيجة تحلل تلك الدهنيات كما يحدث احيانا في الاورطة وشرايين الكبد والقلب والمخ . وتعرف هذه الحالة باسم تصلب عصيدى Atheroma .

٢ ـ ارتفاع نسبة الكولسترول في الدم يزيد من سرعة تجلطه بدليل ان تجلط البلازما الطبيعية يتاخر اذا فصلت منها الدهنيات .

٣ ـ وجود الدهنيات بكثرة في الدم يضعف من قدرته على اذابة الجلطات ويزيد من عدد ولزوجة الصفائح الدموية . فقد وجد ان الوقت اللازم لاذابة الجلطة عند الارنب يتضاعف اربع مرات اذا زادت نسبة الكولسترول في غذائه .

ثانيا : بطء الدورة الدموية نتيجةهبوط بالقلب او ملازمة الفراش لمدة طويلة خصوصا في المرضى المسنين او المصابين بهزال شديد .

ثالثا : زيادة قابلية الدم للتجلط
Hypercoagulable States.

هذه الحالات يصحبها عادة تلف في انسجة الجسم او ارتفاع في نسب العوامل المجلطة او نقص في كمية المواد المانعة للتجلط . ونتيجة لذلك يضطرب توازن الدم نحو اسراع في تكوين جلطة وبطء نسبي في ازالتها . ورغم انه يمكن قياس تركيز ونسب عوامل التجلط المختلفة في الدم الا ان ذلك لا يفيد كثيرا في تشخيص وعلاج امراض التجلط رغم فوائده المؤكدة في امراض النزيف .

دور الصفائح في تكوين الجلطة

تلتصق الصفائح الدموية Platlets بعضها وبجدران الاوعية نتيجة وجود جرح بتلك الجدران او جزيئات غريبة داخل الدورة الدموية (كالكورات العنقودية) . ويمثل تراكم الصفائح الدموية على جدار الاوعية النواة الاولى للجلطة لانه يسبق عملية التجلط نفسها وتكوين الفيبرين وسط الصفائح المتجمعة .

كذلك يحتوي جسم الصفائح على مواد هامة لا تتسرب خارجها الا بعد التصاقها ، فتساهم بها في مراحل التجلط المختلفة .

ومن اهم تلك المواد نذكر :

١ ـ مادة الادينوزين Adenosine Di-Phosphate Or A. D. P. التي تجتذب مزيدا من الصفائح وتلصقها بزميلاتها وبذلك تزيد من حجمها .

٢ ـ مادة ثرومبوبلاستين الصفائح ، وهي مادة اساسية لاتمام المرحلة الاولى للتجلط .

٣ ـ مادة مضادة للهيبارين يقلل وجودها من سيولة الدم داخل الجسم . وبتقدير نسبة هذه المادة في الدم قادني البحث الى اكتشاف طريقة جديدة للتنبؤ باحتمال حدوث جلطة قبل ان يشعر بها المريض نفسه .

٤ ـ مادة الثرمبوستينين Thrombosthenin التي تسبب انقباض الصفائح الموجودة داخل الجلطة مما يؤدي الى انقباض الياف الفيبرين وتسرب السيرم الغني بالثرومبين خارج الجلطة . ويحول الثرومبين المتسرب مزيدا من الفيبرينوجين الى فيبرين . وتشبه هذه المادة كيماويا زميلتها القابضة للعضلات .

٥ ـ مادة السيروتونين Serotonin التي تعمل على انقباض جدران الاوعية الدموية فيضيق مجراها مما يؤدي الى ركود الدورة الدموية في الجزء المصاب وتسهيل تجلط الدم .

مما تقدم يتضح ان درجة سرعة الدم ومكوناته المختلطة من جهة، والاوعية الدموية من جهة اخرى تكونان وحدة متكاملة ومسئولة عن اسباب الجلطة. كذلك يتضح ان هناك اوقاتا حرجة كالنفاس والعمليات الجراحية يمر بها الانسان ، ويكون فيها عرضة للجلطة اكثر من اى وقت آخر . ويرجع ذلك الى بطء الدورة الدموية وزيادة نسبة عوامل التجلط في الدم وارتفاع عدد ولزوجة الصفائح الدموية . وهذه الامثلة البسيطة بما فيها من اسرار خفية ان هي الا جزء يسير من عوالم الاسرار التي اودعها الله سبحانه وتعالى هذا الانسان مما يجعل العلم ـ مهما بلغ من كشف لخفايا الحياة ـ يقف امام هذه المعجزات خاشعا لعظمة الخالق جل وعلا .

الادوية المانعة لتجلط الدم

تستعمل هذه الادوية في علاج الجلطة لتزيد من سيولة الدم داخل الجسم وبذلك تحد من انتشار الجلطة وتقلل من نسبة الانسداد التجلطي . وبما ان كمية الدواء اللازمة للمريض تختلف من وقت لآخر تبعا لحالته الصحية واسلوبه المعيشي . كما ان زيادة نسبتها في الدم تعرضه لخطر النزيف، فان استعمالها يتطلب عمل فحوصات دم دورية يحددها الطبيب المعالج . ومن اهم تلك الادوية نذكر :

١ ـ الهيبارين، ويعمل كمضاد للثرومبوبلاستين في مرحلة التجلط الاولى . وكذلك يتحد الهيبارين مع عامل مساعد له موجود في البلازما ليضاد مفعول الثرومبين المتولد في المرحلة الثانية للتجلط. ويعطى الهيبارين في الوريد كل ٤ ـ ٦ ساعات .

٢ ـ اقراص الدنديقان والوارفرين والترومكسان .. ومثيلاتها ، وهي تعطى بالفم فتعمل على منع استخدام الكبد لفيتامين ك الذي يصنع منه البروثرومبين وبعض عوامل التجلط الاخرى . وبنقص تلك العوامل تقل قدرة الدم على التجلط وتزيد سيولته .

٣ ـ اقراص الاسبرين (حامض استيل الساليسليك) : في عام ١٩٦٨ كان لي شرف اكتشاف مفعول الاسبرين على تجلط الدم في الانسان واستخدامه في علاج الجلطة والوقاية منها . ولقد

وجدت ان الاسبرين يمنع تسرب المادة المضادة للهيبارين خارج الصفائح الدموية وبالتالى يساعد الدم على الاحتفاظ بسيولته . وكان مفعوله ملحوظا لدرجة ان اقل من الجرام الواحد (٣ اقراص او ٩٠٠ ميلجرام) كانت له نتائج ايجابية بعد ساعتين من تناوله واستمر مفعوله في الدم لمدة ثلاثة ايام على الاقل . وعلاوة على ذلك ، فان الاسبرين يمنع لزوجة الصفائح الدموية وتجمعها على جدران الاوعيةالدموية وبالتالىيحول دون تكون الجلطة .

أماكن الجلطة

قد تصيب الجلطة الدموية اى وعاء في الجسم الا انى ساقتصر في هذا المقال على ذكر اهمانواع الجلطات واكثرها انتشارا وهى جلطة القلب . وجلطة المخ ، وجلطة الاوردة .

أولا : جلطة القلب (التجلط التاجى)

Coronary Thrombosis

تصيب جلطة القلب الشريان التاجى او احد فروعه ، وتختلف عن الذبحة الصدرية في طول مدة الالم ، وحدوث تلف في عضلات القلب احيانا . وتتوقف مساحة هذا التلف على حجم الوعاء المسدود وكفاءة الدورة الدموية الجانبية علىتغذية العضلة المصابة .

وعلاوة على الجلطة الدموية فان هناك اسبابا اخرى قد تؤدى الى تلف عضلات القلب نتيجة اختلال في التوازن بين متطلباتها من الدم من جهة ، والكمية المتوفرة لها من جهة اخرى . وهذا يحدث احيانا في حالات الانفعال الشديد والارهاق الزائد والصدمات العنيفة . كذلك فان لانسداد الشريان التاجى للقلب اسبابا اخرى عدا الجلطة كالنزيف داخل جدار الشريان .

اعراض جلطة القلب : تختلف اعراض جلطة القلب اختلافا كبيرا من حيث نوعيتها وشدتها . ويشكو المريض عادة من الم قابض او هارس تحت عظمة القص او بعرض الصدر . وقد يستمر هذا الالم لمدة طويلة ولا تفيد الراحة او الادوية الموسعة للشرايين في تهدئته .

ويصحب تلف عضلات القلب اعراضا مميزة كارتفاع درجة الحرارة وعدد الكريات البيضاء ، وزيادة سرعة ترسيب الدم ، كما ينخفض عادة ضغط دم المريض عن معدله الطبيعي . وقد يشعر المريض بضيق في التنفس نتيجة قصور البطين الايسر للقلب عن القيام بوظيفته .

ويعتمد تشخيص جلطة القلب في الدرجة الاولى على التغييرات المميزة التى تظهر في تخطيط القلب علاوة على الاعراض السالفة الذكر .

مضاعفات تلف عضلات القلب المصاب بالجلطة

١ ـ هبوط بالقلب : ويصحب عادة تلفمساحة كبيرة من جدار البطينالايسر . ومن المعروف ان الاوعية المغذية لتلك المنطقة من القلب اكثر عرضة للجلطة من غيرها . وقد يزول هبوط القلب مع شفاء المريض من اثر الجلطة او قد يلازم المريض بصورة مزمنة .

٢ ـ لغط بالقلب ـ الذى يصيب حوالى ثمانين في المائة منمرضى جلطة القلب . وقد يختفى بعد مدة قصيرة ، كما قد يلازم المريض طيلة حياته ، وخصوصا الرجفان الاذينى الليفى .

٣ ـ انسداد تجلطى في اوعية الرئتين نتيجة تجلط في الجهة اليمنى للقلب او في شرايين المخ اذا كانت الجلطة في جهة القلب اليسرى . ولقد اثبتت الاحصائيات خلال السنوات الاخيرة ان استعمال ادوية منع التجلط قد حد من حدوث تلك المضاعفات،وقلل بالتالى من نسبة الوفيات المترتبة عليها .

٤ ـ صدمة نتيجة عدم قدرة القلب على ضخ الدم للمخ بكميات كافية . لذلك يكون المريض فاقد الوعى مصفر الوجه بارد الاطراف .ويصحب ذلك تصبب عرق غزير وانخفاض في ضغط الدم .

٥ ـ انفجار القلب : نتيجة ارهاقمفاجىء خلال الاسبوع الاول من حدوث الجلطة . ويمكن تفادى مثل هذه المآسي بالراحة التامة .

علاج جلطة القلب

ويشمل العلاج الفورى عند تشخيص المرض ثم تتبع المريض حتى يشفى تماما ، وكذلك علاج المضاعفات ، ويمكن توضيح العلاج في النقاط التالية :

١ ـ تخفيف الالم وضمان راحة المريض الجسمانية والذهنية ، وذلك باعطائه كمية مناسبة من المورفين بالوريد . واذا كان المريض في مكان عمله او بعيدا عن منزله فيجب نقله سريعا للمستشفى بعد اعطائه المورفين .

٢ ـ علاج الصدمة وهبوط الدورة الدموية : ويشمل تدفئة المريض ورفع ارجله واستنشاقه الاوكسجين . كذلك فان حقن النور ادرينالين Levophed تعمل على رفع ضغط المريض بدون اثارة او ارهاق لقلبه .

ورغم أن عمق الصدمة دليل سيء على شدة المرض الا ان شفاء بعض المرضى منها واستجابتهم للعلاج يستوجب بذل كل مجهود ممكن من جانب الطبيب في مثل هذه المواقف .

٣ ـ محاولة احياء واعاشة المريض : ان الخطوات الواجب اتخاذها بسرعة لضمان استعادة القلب لوظيفته قد تنقذ المريض من موت مفاجيء. وقد تحدث الوفاة خلال دقائق معدودة من بدء الازمة القلبية اما نتيجة رجفان بطيني او سكتة قلبية . وتتمثل هذه الخطوات في عمل تنفس صناعي مناسب طيلة مدة الازمة ومعالجة زيادة حموضة الدم وعمل تدليك خارجي للقلب او ربما فتح الصدر لتدليك القلب .

٤ ـ اعطاء المريض ادوية منع التجلط تفاديا لحدوث انسداد تجلطي . ورغم ان لهذه الادوية فائدة اكيدة في متابعة علاج القلب الا ان عدم تاثيرها على بعض المضاعفات كهبوط القلب مثلا يجعل فائدتها محدودة . وتستعمل الادوية المانعة للتجلط لمدة ستة شهور الى عامين من بدء الجلطة وبصورة مستمرة .

٥ ـ ملازمة المريض للفراش : ان الارهاق الجسماني لمرضى جلطة القلب يزيد من نسبة مضاعفات المرض . لهذا يحتاج المريض الى راحة تامة بالفراش لمدة ستة اسابيع على الاقل ، وهي المدة التي تحدث فيها معظم المضاعفات . ثم يسمح للمريض بعد ذلك بمغادرة الفراش والعودة تدريجيا الى نشاطه تحت رقابة طبية مستمرة. وعلى المريض ان ينظم غذاءه ووزنه وان يكيف حياته في حدود طاقته ، وان يتفادى المضايقات النفسية والقلق وعدم النوم الكافي .

عواقب جلطة القلب : تحدث معظم الوفيات من جلطة القلب خلال الاربع وعشرين ساعة الاولى من بدء الجلطة ثم خلال الاسبوع الاول . ويقل بعد ذلك عدد الوفيات بصورة ملحوظة خلال الستة اسابيع التالية .

ومن اهم اسباب الوفاة السريعة تكرار انسداد اوعية القلب او رجفانه او هبوط جهته اليسرى. اما الوفاة المتاخرة فتحدث نتيجة هبوط احتقاني بالقلب او هبوط بطيني أيسر أو انسداد شريان رئوي او انفجار بالقلب .

ثانيا : جلطة شرايين المخ

Cerebral Thrombosis

ويقصد بها انسداد احد شرايين المخ نتيجة جلطة دموية مما يسبب تلفا وتحللا في خلايا المخ التي تعتمد في غذائها على الشريان المسدود . وقد تتكون هذه الجلطات محليا في اوعية المخ او قد تصل اليها كسدادة بعد انفصالها من جلطة مبعثها احد اوعية القلب او احد صماماته الضيقة .

وتصيب جلطة المخ كل الاعمار ، فقد تحدث في الاطفال كمضاعفات الحمى الحادة وللشباب نتيجة زهري اوعية السحايا ، وللمسنين اثر تصلب شرايينهم .

اعراضها : تظهر اعراض جلطة المخ تدريجيا لتتبلور خلال ساعات او ايام . ويشكو المريض عادة من صداع واحيانا من قيء . وقد يفقد وعيه جزئيا او كليا . كذلك فان هناك اعراضا مركزية تعتمد على منطقة المخ المصابة كالشلل النصفي الناتج عن انسداد الشريان الاوسط للمخ. وتتوقف آثار المرض على موضع الجلطة من المخ وحجمها ، ومن المشاهد ان جلطة المخ تتكرر عادة بعد شفاء المريض .

علاجها : يشمل العلاج الاهتمام بالمريض الفاقد الوعي من محافظة على تنفسه ووقايته من الالتهابات الرئوية . كذلك يعتبر العلاج الطبيعي والعناية بنظافة المريض من اهم العوامل التي تعجل شفاءه .

ومن المستحسن عدم استعمال الادوية المانعة للتجلط في مراحل العلاج الاولى تفاديا لحدوث نزيف في المخ . ولكن خطر تكوين جلطة ثانية يستوجب استعمال ادوية منع التخثر بعد شفاء المريض .

وهناك علاج جراحي يستهدف محاولة استخراج الجلطة من المخ واعادة فتح اوعيته المسدودة . ونجاح هذه الجراحات يزيد من كمية الدم التي تصل المخ ويساعد على منع حدوث سدادات اخرى. هذا ويجب استعمال ادوية منع التجلط بعد التدخل الجراحي .

ثالثا : جلطة الاوردة وتنقسم الى :

١ ـ جلطة الاوردة العميقة

Deep Vein Thrombosis

يكثر حدوث تلك الجلطات في الاوردة العميقة للرجلين خصوصا في الوريد الصافن والوريد الفخذى العميق . اما جلطات كل من الوريد الابطى والطحالى والحوضي فهى قليلة نسبيا .

وهناك عوامل كثيرة تساعد على حدوث جلطة الاوردة العميقة منها ركود الدم داخل تلك الاوردة وفقد عنصر الماء من الجسم وارتفاع عدد الصفائح الدموية . كذلك قد تصحب الجلطة امراضا التهابية كالحمى التيفودية والالتهاب الرئوى . وتكثر نسبة هذا المرض بعد العمليات الجراحية والوضع وملازمة الفراش لمدة طويلة .

وتكمن خطورة هذه الجلطات في انفصال جزء منها واندفاعه للرئتين عن طريق القلب فيسبب انسدادا بالشريان الرئوى وتلفا بانسجة الرئة المصابة . لذلك يجب بذل كل جهد ممكن لتفادى حدوث مثل هذه الجلطات واذا ثبت وجودها فيجب الاسراع في علاجها .

اعراض جلطة الاوردة العميقة : غالبا ما تكون تلك الاعراض بسيطة مثل ارتفاع طفيف في درجة الحرارة او في عدد كريات الدم البيضاء . وقد يشكو المريض من الم في بطن الساق خصوصا عند تحريك اصابع قدمه . ويستمر هذا الالم عادة لبضعة ايام ثم يختفى .

وقد يبين فحص المريض ورما بسيطا في رسغ القدم او الما عند لمس بطن الساق او تغيرا في لون جلد الفخذ . واحيانا تكون اعراض الانسداد الرئوى اول دليل على تشخيص جلطة الاوردة العميقة .

العلاج وينقسم الى :

١ ـ الوقاية من الجلطة : يجب تفادى ركود الدم في الرجلين بعد العمليات الجراحية والوضع واثناء المرض الطويل وذلك بتشجيع المريض على تحريك الطرف المصاف وعمل تمرينات للتنفس . اما المرضى الذين سبق اصابتهم بجلطات دموية من أى نوع، فيجب اعطاؤهم أدوية مانعة للتجلط . وفي حالة جلطة الرجل يمكن ان يرتدى المريض جوربا ضاغطا للحد من انتفاخ اوردة بطن ساقه .

٢ ـ علاج الجلطة : عند حدوث جلطة حادة يجب توفير الراحة التامة للمريض وللمكان المصاب، حتى يزول الالم والورم منه ، ويعود نبض وحرارة المريض لمعدلهما الطبيعى . وتستغرق مدة الراحة عادة من اسبوع الى اربعة اسابيع منعا لتكسر الجلطة وتسرب اجزاء منها الى اماكن اخرى في الجسم ، ويمكن تنشيط الدورة الدموية في الطرف المصاب بعمل تدليك بسيط له . كذلك يجب استعمال ادوية مانعة للتجلط حتى تزول كل الاعراض المرضية ويستانف المريض نشاطه الطبيعى . ويستحسن ارتداء جورب ضاغط لمدة ثلاثة الى ستة شهور .

وهناك نوع من تجلط الاوردة العميقة لا يستجيب لاى علاج غير الاستئصال الجراحى لجزء الوريد المصاب ، ويعرف هذا النوع باسم التجلط الزاحف .

٢ ـ جلطة الاوردة السطحية

Superficial Vein Thrombosis

تحدث هذه الجلطات عادة في الاوردة الصافينية للفخذ نتيجة التهاب بجدران تلك الاوردة او كمضاعفات للدوالى . وفي هذه الحالات يشكو المريض من الم مكان الجلطة التى يمكن تحسسها داخل الوريد على هيئة عقد أو حبل .

هذا ويندر حدوث سداد رئوى من هذا النوع من الجلطات .

العلاج

العلاج : يختلف علاج جلطة الاوردة السطحية باختلاف سبب الجلطة .

ا ـ ففى حالة وجود دوالي يسمح للمريض بالمشي غير المرهق بعد وضع سند محلى فوق مكان الجلطة وبعد لف الطرف المصاب برباط ضاغط يمتد من اصابع القدم الى ما فوق الجلطة . كذلك قد يحتاج المريض لادوية مسكنة للالم كالبوتازوليدين في الاسبوع الاول من العلاج، ولا يستحب استعمال الادوية المانعة للتجلط في مثل هذه الحالات . واذا تعرضت دوالى الرجلين في المريض لجلطات متكررة فيجب استئصالها جراحيا .

ب ـ اذا كانت جلطات الاوردة السطحية مصاحبة لالتهاب حاد بجدار تلك الاوردة فيجب استعمال الادوية المانعة للتجلط بالاضافة الى الادوية المسكنة ووضع رباط ضاغط على الطرف المصاب . ■■

احمد حافظ يوسف

صفحة في اللغة

أَلفاظٌ في الشعْرِ
لم تذكرها القوامِيس
في موادّها

■ يحسب بعض القارئين لكتب اللغةانها قد حصرت كل ما قالـه العـرب ، وجمعت كل تصاريف الكلمة ، او كـل معانيها ، أو انهـا جمعت كل رؤوس المواد ، وهذا الحسبان فيه بعض الثقةالتى تجعل بعض القراء يسارع حين يقرأ نصا فيقول ان هذا غير موجود في اللغة،بل ان بعض القليلي الاطلاع ، يكتفـون بمراجعة المادة في معجم صغير او وسطبين الصغير والكبير ، ثم يجرؤون عـلى تخطئة ما لم يجـدوه امامهم في معجمهمالصغير او الوسط .

اللاحقون زادوا على السابقين

واصحاب اللغة جمعوا والفوا ، وجاء بعدهماناس ونظروا في كتب السابقين ، واضافوا من هذا ومن ذاك ومن غيرهما ما لم يكن في كتاب كـلمنهم . فابن بَرّى ، صاحب الحواشي علىالصحاح زاد على الصحاح شواهد ومعانى ، وكذلك رضيالديـن الصاغانى صـاحب التكملة والعباب زاد معانى وشواهد بل ومواد لم توجد فيالصحاح،ولا توجد في اللسان مع سعته . واستفاد من ذلك شارح القاموس ، فاستدرك مواد فاضافها سواءاكانت دالة على اعلام ام دالة على معان لغوية . ومع كل هذا اذا رجعنا الى كتب الادب الكبيرةودواوين الشعر التى يستشهد بقول قائليها ، والمجاميع الشعرية نجد تصاريف ومعانى لم تدونفي المادة الخاصة بها . وهذه بعض الامثلة .

تحنان وتسجار وتطيار

قالوا في مادة (حنن) : حَنّ يَحِنّ حنينـاً ، واكتفوا بهذا المصدر «الحنين» فيمادته الخاصة به .

وقالوا في مادة (سجر) : سَجَرت الناقة تَسجُر سَجْراً وسُجُوراً : إذا حَنّت فطَربتْ . ولم يذكروا في المادة غير هذين المصدرين « السَّجْروالسُّجور ».

وقالوا في مادة (طير) « طار يطير طَيْراً وطَيَرَاناً وطَيْرورة » . ولم يذكروا في المادة غير هذه المصادر الثلاثة .

وإننا لنجد البارودى قال في شعره :

سِواى بتَحْنَان الأغاريد يطرب   وغيرى باللّذات يلهو ويلعب

ولم يكن البارودى قليل الاطلاع على اللغة وأدبها من شعر كثير ، ويكفى أن نعلم أن له « مختارات البارودى » في أربعة أجزاء ، تحوى حوالى خمسين ألف بيت من الشعر ، وهى مختارات ، فكم ألفًا اختار منها هذه الألوف الخمسين ؟

ولو بحثنا في دواوين الشعراء وجدنا الخنساء قالت في شعرها الذى ترثى به أخاها :

لا تَسْمَنَ الدَّهْرَ في أرض وإن رُبِعَتْ   فإنما هو تَحْنَانٌ وتَسْجَارُ

والخنساء من اللاتى يُحْتَج بشعرهن في اللغة . فذكرت مصدرا هو « تحنان » ومصدرا هو « تَسْجَار » .

ونجد عَمرو بن حُمَمَة الدَّوْسىّ وهو جاهلى يقول :

فأصبحت بين الفَخ والعُش ثاويًا   إذا رام تَطْيارًا يقال له قَعِ

فذكر مصدرا هو « تطيار » .

تنسّر وهل نقيس عليها

وفي اللسان والتاج في مادة (نسر) قالوا : تَنَسَّر الحَبْلُ : انتشر وانتقض . وتَنَسَّر الجُرْح : انتقض وانتشرت مدته . ولم يذكرا من معانى تَنَسَّر : اصطاد النسورَ . مع أن هذا المعنى ذكره السكرى في شرح أشعار الهذليين صفحة ٨٦٣ شرحا لعجز بيت في شعر أميّة بن الأسكر وهو جاهلى .

وهذا العجز هو :

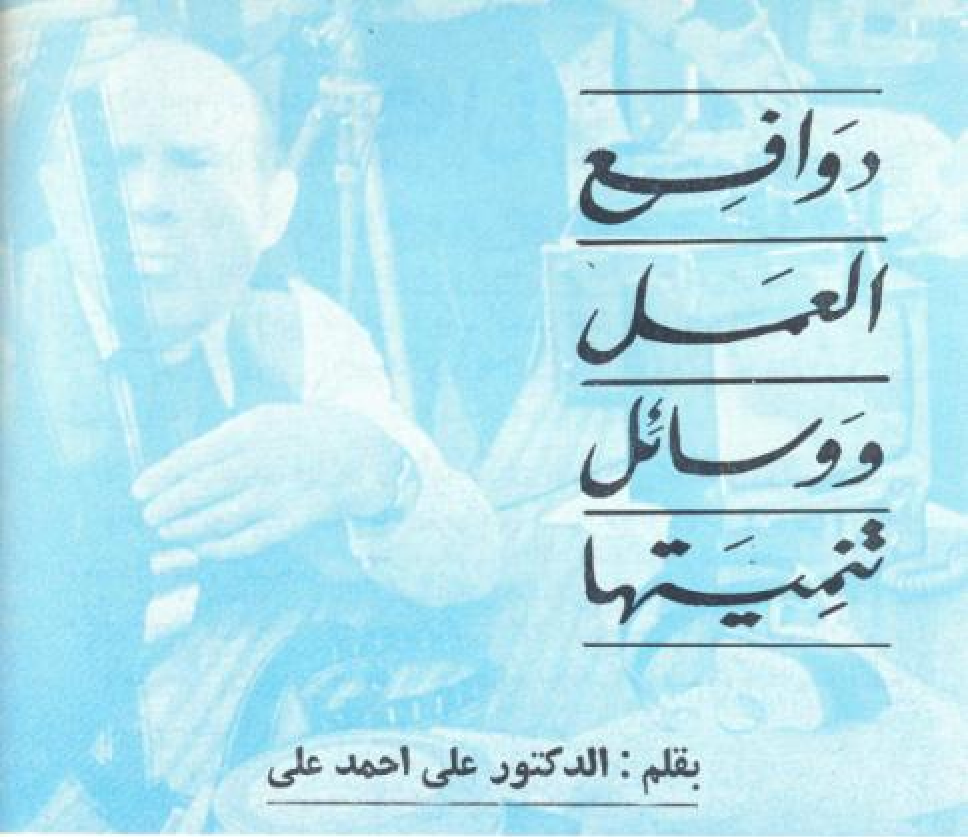
مُقِيتًا عليه قاعدًا يتَنَسَّرُ .

والصاغانى في كتابه الذى لم يطبع — وقد جمع فيه بعض ما فات اللغويين — ذكر هذا المعنى الذى قاله السكرى .

ولنا أن نتساءل : هل يمكن أن نقيس على هذا فنقول مثلا : تَصَقَّر : اصطاد الصقور ، وتأسّد اصطاد الأسود ؟ ثم ألا يجوز أن يكون « تَغَزَّل » أصلها : اصطاد الغزلان ، ثم تطور المعنى حتى صار يقال في الكلام الحسن الذى يُطرِى الحِسَانَ ليكون ذَرِيعةً لصيدهنَّ .

والغَوَانى يَغرُّهُنَّ الثناءُ .

ع • ف



دوافع العمل ووسائل تنميتها

بقلم : الدكتور على احمد على

العمل بين الماضى والحاضر :

■ منذ ان وجد الانسان على وجه الارض وهو يعمل ويسعى ويكدح ، والانسان منذ بدء الخليقة وهو يحافظ على وجوده ويحصل على قوته وعلى مسكنه عن طريق العمل . فالعمل هو حياة الافراد منذ القدم . ولكن القيمة التى أعطيت للعمل تغيرت من عصر الى عصر ومن زمن لآخر ، واختلفت هذه القيمة باختلاف نوع العمل ، ففى وقت من الاوقات مثلا اعطيت قيمة كبيرة للعمل العقلى وانخفضت النظرة للعمل اليدوى، وظهرت بعض اعمال ترتبط بوظائف تتميز بمركز ادبى ممتاز ، ولكن هذا المركز الادبى تغير ايضا بتغير العصر والزمان .

وقد قدرت معظم الاديان السماوية العمل ، لذلك كان انبياء هذه الاديان : محمد وموسى وعيسى عليهم السلام من الممارسين للاعمال السائدة في مجتمعات عصرهم : التجارة والرعى ، وهى اقرب الى الاعمال الصناعية والزراعية في عصرنا الحاضر .

وقد جاء القرآن الكريم حافلا بتقدير قيمة العمل حتى ان الايمان ذكر في عشرات من الآيات البينات مقترنا بالعمل . فالايمان اولا والعمل ثانيا ، والايمان بلا عمل ما هو الا ايمان اجوف لا يقوم على جهد او على سعى ، وهذا القول توضحه الآيات الكريمة التالية :

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا » « ان الله يدخل الذين آمنوا

وعملوا الصالحات جنات » « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم » « ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله » « أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض» « وما يستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء »

والعمل الصالح يشمل كفاح الانسان الصادق المخلص في دنياه وما يعمله ذخرا لآخرته ، ولا ننسى القول المأثور : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » والعمل والكفاح المخلص في سبيل لقمة العيش اعتبره الاسلام عبادة لا تعلوها عبادة .

لماذا يعمل الانسان في عصرنا الحديث ؟

قد يتساءل القارىء عن دوافع العمل بالنسبة للفرد ، والرد على هذا التساؤل قد يكون سهلا بالنسبة لانسان العصر القديم ، فقد كانت دوافع العمل في ذلك الوقت متصلة اتصالا وثيقا بالمحافظة على الذات . فمن طريق العمل استطاع الانسان الاول ان يبنى لنفسه كوخا يقيه الحيوانات المفترسة وتقلبات الجو. وعن طريق العمل استطاع ان يحصل على مأكله من الحيوانات التى يشترك في صيدها أو من زراعة الارض . فدوافع العمل في ذلك الوقت كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بوجود الانسان وبالمحافظة على حياته وتأمينها ضد الاخطار .

ولكن ما هى دوافع العمل في عصرنا الحديث ؟

قد يرد بسرعة على هذا التساؤل ان كسب العيش يعتبر الدافع الرئيسي للعمل . فالحاجة لكسب العيش والحصول على المال الذى يحفظ أود الانسان وأود أولاده واضحةلاتحتاج الى بحث أو مناقشة . والواقع أنه في الحالات التى يكون فيها العمل هو مصدر الدخل الوحيد ، تتضاءل جميع الدوافع الأخرى للعمل . ويظهر ويبرزكسب العيش كدافع أساسيللعمل . ولكن بالنسبة لبعض الأفراد ـ وخاصة أولئك الذين يضمنون عن طريق غير العمل اشباع حاجاتهم الأساسية من مأكل ومشرب ومسكن ، كيف نفسر اتجاه هؤلاء الى العمل رغم عدم حاجتهم اليه من الناحية المادية ؟

وانى لأذكر في هذا المجال حالة مدرس في احدى المدارس الثانوية كان مخلصا متقنا لعمله بالرغم من انه كان يحصل على دخل من عمله يساوى المرتب الذى يمنحه لسائق سيارته الخاصة ، فقد كان هذا المدرس ذا مال وجاه ، ولكن هذا لم يشبع دوافعه للعمل ، لان العمل بالنسبة له يعمل على اشباع حاجات نفسية اجتماعية لا يمكن اشباعها عن طريق آخر غيره .

ومن الأمثلة الاخرى التى تساق ردا على الذين يدعون أن الدافع الوحيد للعمل هو كسب العيش والحصول على المال اللازم للحياة ، حالة الزوجة التى تعمل بالرغم من أن زوجها له دخل كبير يغطى ويزيد جميع نفقات الأسرة،وكذلك يتساءل البعض عن كيفية التوفيق بين الادعاء بأن الدوافع الوحيدة للعمل هى الحصول على المال وكسب العيش وبين رفض بعض العمال ترك أعمالهم الى أعمال أخرى بالرغم من أن العملالجديد قد يمنحهم دخلا وأجرا أكبر مما يحصلون عليه من عملهم الحالى .

دوافع اخرى للعمل

عندما نناقش حالة الأفراد الذين يعملون بالرغم من انهم لا يحتاجون للدخل الذى يحصلون عليه من عملهم لشراء الضروريات أو حتى الكماليات لان كل شيء متوفر لهم ، والمال كثير بين أيديهم عن طريق الارث وغيره ، فاننا نجد أن الدافع الاقتصادى غير كاف لتفسير سلوك هؤلاء الأفراد ، وتفسيرالتجائهم للعمل بدل الخلود للراحة والانجاه للهو . وقد دفع هذا الباحثين في المجالات الاجتماعية والنفسية الى جمع مزيد من الملاحظات والمعلومات عن الدوافع التى تجعل الانسان يعمل بالرغم من عدم حاجته للدخل الذى يأتى عن طريق هذا العمل . وقد كان من نتيجة الدراسات والأبحاث التى أجريت في هذا المجال الوصول الى عدد كبير من الدوافع الاجتماعية النفسية التى تشبع عن طريق العمل ، وهى التى تدفع الانسان الى العمل حتى يحقق الاشباع المناسب لهذه الدوافع . وهناك اختلافات بين نتائج الأبحاث بالنسبة لمسميات دوافع العمل ومحتواها وتفصيلاتها ، ولكن هناك شبه اتفاق بين جميع الابحاث على بعض الدوافع الاساسية . وفيما يلى مناقشة لبعض هذه الدوافع النفسية والاجتماعية:

(أ) الأمــن

تعتبر الحاجة للأمن من الحاجات الأساسية للفرد . فكل فرد يريد أن يحس وان يشعر بالطمأنينة والأمن ، فهو يريد أن يكون آمنا في حياته الحاضرة وفي مستقبله ويخشى كل ما يعرّض مستقبله للخطر . وفي المجتمعات الاشتراكية التي تقاربت فيها الطبقات واختفى او كاد يختفي فيها الأفراد الذين يرثون الغنى عن طريق الارث وغيره من الطرق ، نجد ان العمل قد أصبح مصدر دخل الغالبية العظمى للأفراد . وعن طريق العمل يمكن أن يشعر الانسان بالأمن ، لان حياة الفرد المستقرة ودخله يمكن ضمانهما عن طريق العمل . وطالما أن الفرد يعمل وطالما ان لديه القدرة على العمل وكسب العيش ، فهذا يعطيه شعورا بالطمأنينة والأمن .

والعمل في مجتمعنا حق لكل مواطن كما انه واجب على كل مواطن . كما انه أيا كان نوعه أو مستواه فيه شرف للفرد طالما انه بهذا العمل يسهم في تقدم المجتمع وفي رفاهية ابنائه . فمن طريق العمل يمكن أن يحقق الفرد لنفسه الشعور بالأمن وأن يقي نفسه الفقر والعوز في الحاضر والمستقبل.

(ب) الانتمـاء

الانتماء يعتبر من الحاجات النفسية الاجتماعية للفرد . فكل فرد يريد أن يشعر بان له مكانة في الجماعة التي يعيش فيها ويريد ان يحس بمكانته في هذه الجماعة ، لذلك فانه يجب عليه أن يدعم الروابط التي تشده الى جميع أفراد هذه الجماعة . وعن طريق العمل يمكن للفرد اشباع هذه الحاجة . فمن طريق العمل يحس الفرد بالانتماء الى الجماعة ، وعن طريق العمل ايضا يسهم الفرد بجهده مع جهود غيره لتحقيق المصلحة العامة . فالعمل هو الصلة التي تربط الفرد بغيره وبمجتمعه ، ولولا العمل لساد الفرد شعور الوحدة والعزلة .

(ج) تحقيق الذات

ويعتبر تحقيق الذات Self Fullfilment من الحاجات الأساسية التي يسعى الى اشباعها وسبيله الى ذلك هو العمل . فالعمل يشعر الفرد بقيمته وبقدراته ، وعن طريق العمل يكتسب الفرد الثقة بالنفس والقدرة على القيام بعمل مفيد ومثمر . وعن طريق العمل يلعب الفرد الأدوار الاجتماعية الرئيسية في حياته على مسرح الحياة.

والعمل دليل الفرد على نفسه ، لانه يشغل دورا رئيسيا في حياة الفرد ، حتى ان تعريف الفرد الآن لا يتم بغير معرفة عمله . فقد تقابل شخصا ما ويقدمه آخر لك وقد تعرف عن هذا الشخص : اسمه وسنه وحالته الاجتماعية ودخله ومكان سكنه وديانته ، ولكن مع كل هذه المعلومات فمعرفتك به لا تكتمل بدون معرفة بيان آخر أغنى عن كل بيان ، وهذا البيان هو : ماذا يعمل هذا الشخص ؟ ولهذا فقد ارتبط المركز الادبى للفرد في المجتمع الذى يعيش فيه بعمل الفرد ومهنته . ولم يصبح المال والجاه وحده قادرا في المجتمعات الحديثة على تحقيق المركز الأدبى الممتاز للفرد أو تمكينه من تحقيق ذاته . وهذا يفسر لنا لماذا يلجأ أبناء أصحاب الملايين في بعض البلاد الأجنبية الى الدخول في ميادين عمل تحتاج الى الكثير من الجهد والعرق ، وبالرغم من عدم حاجتهم على الاطلاق الى اى دخل يأتى عن طريق هذا العمل ، ولكن سلوك هؤلاء الأفراد عادة ما يكون مدفوعا بدافع تحقيق الذات عن طريق العمل وتدعيم مركزهم الأدبى عن طريق بذل الجهد والعرق لتحقيق عمل مثمر ومنتج .

ولكى يمكن للافراد تحقيق ذاتهم يجب أن يوجه هؤلاء الأفراد لأعمال تتفق مع استعداداتهم وامكانياتهم وميولهم حتى يحققوا فيها نجاحا ، والا فقد العمل قيمته بالنسبة للفرد .

(د) التقدم والنجاح

ومن دوافع العمل أيضا اشباع حاجة الفرد للتقدم والنجاح . فمن طريق العمل يحس الفرد بمدى تقدمه عندما يتدرج في مختلف الأعمال والوظائف ، وعندما يجد نفسه يترقى الى اعلى المناصب . وعن طريق العمل يمكن اشباع حاجة الفرد الى النجاح،فالعمل مليء بالمواقف المختلفة التي يختبر فيها الفرد قدراته وامكانياته ، وعندما يتمكن من مواجهة هذه المواقف فان هذا كفيل باشباع حاجته الى النجاح وتدعيم فكرة الفرد عن نفسه وزيادة احساسه بالتقدم .

(هـ) التدين كدافع العمل

يعتبر التدين احد دوافع العمل ، وقد اعتبر الكثير من الأديان العمل جزءا لا يتجزأ عن العبادة، بل وفضل العمل على العبادة في بعض الأحوال . والقرآن الكريم ينوه بالعمل ويحفز اليه ويجعله مناط الجزاء : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » كما انه قرن العمل بالايمان في ثلاثمائة آية من آياته البينات ، وذلك يشعرنا بقيمة العمل عند الله سبحانه وتعالى . فالعمل بالنسبة لغالبية المتدينين هو نوع من العبادة لا تعلوها عبادة .

خلق وتنمية الدوافع في مجال العمل والانتاج

ولقد كثر الحديث في السنوات الأخيرة عن الانتاج وضرورة زيادته وتدعيمه . وزيادة الانتاج تتطلب عناية خاصة بعناصر الانتاج وتوجيه هذه العناصر للحصول على أفضل النتائج الممكنة . ولا يمكن ونحن نذكر عناصر الانتاج أن ننسى أهم عنصر ألا وهو العنصر البشرى فبغير اهتمام وفهم لطبيعة هذا العنصر البشرى لا يمكن أن يصل أى مشروع الى اهدافه . والعاملون الذين يمثلون هذا العنصر البشرى لهم دوافعهم وحاجاتهم . ودوافع العاملين قد تختلف في شدتها وطبيعتها من عامل الى آخر . وهذه الدوافع مستمرة متجددة نظرا لأن حاجات هؤلاء العاملين لا حدود ولا نهاية لاشباعها . فالعامل يعمل للحصول على حاجاته الأساسية من مأكل ومشرب ومسكن . ولكن عندما تشبع هذه الحاجات على مستوى معين ، تظهر حاجات أخرى تدفع العامل الى محاولة اشباعها على مستوى آخر أكثر ارتفاعا . فالعامل الذى يسكن في مسكن متواضع قد يجد بعد عدد من السنوات أن هذا المسكن غير لائق بالنسبة له ويحاول البحث عن مسكن آخر أكثر مناسبة . والعامل الذى كان يرضيه ويكفيه الأجر الصغير ويجد فيه الاشباع الكافي لحاجاته ، قد يفقد هذا الأجر قدرته على هذا الاشباع ، وهذا يدفع العامل الى البحث عن عمل يمنحه أجرا أكبر . والعامل الذى كان يكتفى بالتعليم الابتدائى بالنسبة لأولاده ، قد يتطلع الآن الى أن يتم أولاده تعليمهم حتى يصلوا الى أعلى مراحل التعليم . وهكذا فان مطالب وحاجات العامل دائما متجددة ودوافعه متجددة أيضا في محاولة منه لمواجهة هذه المطالب واشباع هذه الحاجات .

الارتفاع بمستوى الدافع

ولكن كيف يمكننا أن نرتفع بمستوى الدافع بين العاملين ؟ وكيف نرتفع بروحهم المعنوية التى تعتبر ترمومترا لدوافع هؤلاء العاملين ؟ وكيف ندفع العاملين الى بذل مزيد من الجهد في أعمالهم راغبين وبأقل قدر من الضغوط . الواقع انه يمكن تحقيق ما تقدم عن طريق ما يأتى :

أولا : محاولة اشباع الحاجات والمطالب الأساسية للعاملين ، فالعاملون عادة ما يبذلون أقصى جهد في عملهم ويرتبطون به ارتباطا وثيقا اذا كان هذا العمل يشبع حاجاتهم الأساسية وقد ذكر Maslow خمسا من هذه الحاجات النفسية وهى :

١ ـ الحاجات الفسيولوجية: وتتمثل في الحاجة الى تزويد الجسم بمطالبه الأساسية من شراب وطعام وكساء وغيرها مما يحفظ على الفرد وجوده وحياته واتزانه الداخلى .

٢ ـ الحاجة الى الأمن : والحاجة الى الأمن ترتبط بالحاجات الفسيولوجية السابقة ، لأن الفرد لن يستطيع أن يحفظ وجوده ويضمن بقاءه الا اذا كان آمنا بعيدا عن مواطن الخطر ، وبذلك يضمن الاستمرار في اشباع حاجاته الأساسية ، فالعامل الآمن في وظيفته عادة ما يحس بالطمأنينة من ناحية امكانية الاستمرار في اشباع حاجاته الأساسية من مأكل ومشرب ومسكن وغيرها .

٣ ـ الحاجة الى الانتماء : فكل فرد يريد أن يكون متقبلا من الآخرين ويريد أن يكون عضوا فعالا في جماعته . ولهذا ينتمى الفرد الى مختلف الجماعات مثل جماعة الأسرة وجماعة العمل وجماعة النقابة وجماعة النادى وغيرها من الجماعات سعيا وراء اشباع حاجته للانتماء وتكوين أصدقاء.

٤ ـ الحاجة للتقدير والاحترام : وهذه الحاجة تتمثل في محاولة الفرد أن يسلك سلوكا معينا يحظى عن طريقه بتقدير واحترام الآخرين له .

فالعامل في الظروف العادية يتصرف في عمله بالطريقة التي تجعله موضع احترام وتقدير رؤسائه وزملائه.

٥ - الحاجة الى تحقيق الذات : فكل فرد يسعى الى تحقيق ذاته واثبات وجوده ، خاصة عن طريق العمل وعن طريق ممارسة الانشطة التي تشبعه من النواحي النفسية والاجتماعية .

والذي يهمنا من حاجات ماسلو Maslow ونحن نتحدث عن خلق الدوافع وتنميتها أن وضع هذه الحاجات في الاعتبار عند التعامل مع العاملين وكل جهد يبذله الرؤساء والمشرفون نحو الاشباع المعقول لهذه الحاجات ، سيؤدي حتما الى زيادة دافعية العاملين للعمل وزيادة ارتباطهم وتمسكهم به .

الحاجات الفسيولوجية

وقد يتساءل البعض عن اي الحاجات السابقة والتي ذكرها ماسلو اكثر اهمية ، وايها اكبر اثرا على سلوك الافراد ، وللاجابة على هذا السؤال يمكن القول بان الحاجات الفسيولوجية لها المرتبة الاولى ، ولكن يتوقف الامر على مدى الحاح هذه الحاجات . فالفرد الذي يظل بدون طعام لعدد من الايام لا يمكن أن نتصور أن يسعى وهو في هذه الحالة من الجوع الشديد الى اشباع حاجته الى التقدير او حاجته للاحترام . ولكن تصرفاته في هذه الحالة تكون اقرب الى الحيوانية حيث يسعى ويندفع لاشباع حاجته للطعام بكل جهده وطاقته .

وقد اثبتت بعض الدراسات أن الحاجة للانتماء عادة تأتي في وضع متقدم بالنسبة للحاجات النفسية الأخرى . فالفرد كثيرا ما يتصرف باسلوب معين قد لا يرضى هو عنه ، لمجرد الحصول على موافقة الجماعة وتأييدها .

ثانيا : تأكيد دور الأهداف في الارتفاع بمستوى دافعية العاملين وحفزهم للعمل . فالعاملون الذين يعملون في ادارة معينة وبلا أهداف محددة واضحة، عادة ما يكون مستوى دافعيتهم للعمل منخفضا . اما العاملون الذين يعملون في ادارة قد حددت اهدافها بوضوح واشترك وأسهم كل واحد من العاملين او من يمثلهم - في تحديد هذه الأهداف، وعرف كل واحد منهم دوره في تحقيقها فعادة ما تكون الروح المعنوية لهؤلاء العاملين مرتفعة ، ويكون مستوى دافعيتهم مرتفعا بالمقارنة بالمجموعة الأولى.

والمهم لكي تكون للاهداف قدرتها على الحفز وتحريك السلوك أن تكون واضحة المعالم ،موضوعة بشكل يمكن معه تحقيقها . كما يجب أن تكون هذه الأهداف واقعية لأن الأهداف صعبة التحقيق مثلها مثل الاهداف البسيطة التافهة عادة ما تفقد قدرتها على تحريك سلوك العاملين وعلى دفع هذا السلوك. ومن المفيد أن تقسم الأهداف الكبيرة والبعيدة المدى الى اهداف اصغر قصيرة المدى ، وذلك حتى يشعر العاملون بلذة تحقيق هذه الأهداف بدل الانتظار لاشهر أو سنوات طويلة يتمكنون فيها من تحقيق هذه الأهداف الكبيرة .

ثالثا : اشعار العاملين بقيمتهم ، وبقيمة العمل الذي يقومون به مهما كان هذا العمل صغيرا وبسيطا . فلا شك أن هذا يدفع العاملين ويحرك سلوكهم ويعتبر دافعا لهم على الاجادة والتقدم وبذل الجهد .

رابعا : استخدام الحوافز المادية والمعنوية ، فهذه الحوافز لها اثرها في خلق وتنمية الدافع للعمل . والحوافز يمكن تقسيمها الى حوافز موجبة والى حوافز سالبة . وكل نوع من هذه الحوافز الموجبة المادية وتتمثل في الترقية أو المكافأة أو منح بعض الامتيازات المادية للعاملين . والحوافز الموجبة المعنوية وتتمثل في كلمات الشكر والتقدير والثناء والترقية الادبية وغيرها ، وبجانب ذلك تكون هناك الحوافز السلبية المادية وتتمثل في الحرمان من العلاوة او الخصم من المرتب أو منع بعض الميزات المادية عن العاملين ، وذلك بجانب الحوافز السلبية المعنوية والتي تتمثل في الانذار والتهديد وكلمات التأنيب والحرمان من الترقية الأدبية وغير ذلك . والواقع أن الحوافز الموجبة والسالبة لها اثرها في تحريك السلوك ودفعه اذا استخدمت بفن وبحذر وبالقدر وبالشكل المعقول ووجهت الى العامل المناسب .

الحوافز المادية

ويجب أن نحذر من أن بعض الحوافز المادية الموجبة التي لها طابع الاستمرار قد تفقد قيمتها

وأثرها بعد فترة معينة . فالعاملون الذين يحصلون على أجر اضافي او مكافأة اضافية نتيجة لظروف خاصة أو عمل جيد يقومون به . قد يفقد هذا الاجر الاضافي أو هذه المكافأة قدرتها على الحفز اذا استمر حصول العاملين عليها لفترة طويلة بحيث تصبح ثابتة ، فينظر اليها العاملون على انها حق مكتسب كالأجر العادى سواء بسواء .

خامسا : تزويد العاملين بكل المعلومات والأخبار الممكنة عن المنشأة التى يعملون بها . فقد وضح اثر ذلك في الارتفاع بمستوى دافعية العاملين للعمل ، وفي زيادة احساسهم بالانتماء الى هذا العمل وارتباطهم به ، وفي زيادة شعورهم بقيمتهم. وقد وجد بالبحث أيضا أن قلة المعلومات والأخبار التى يزود بها العاملون في المنشأة تؤدى الى انخفاض روحهم المعنوية والى شعورهم بالعزلة وقلة القيمة والى انخفاض مستوى الدافع الى العمل بين صفوفهم .

سادسا : توجيه الأفراد داخل المنشآت المختلفة نحو الاعمال التى تتفق مع قدراتهم واستعداداتهم وميولهم ، فهذا يكفل الارتفاع بمستوى الدافع بين صفوف العاملين . فعندما يقوم الفرد بعمل يتفق مع قدراته واستعداداته وميوله عادة ما يجد نفسه ويحقق ذاته في هذا العمل . كما يستطيع أن يحقق نجاحا في هذا العمل وأن يشبع عن طريق ذلك حاجاته الى الأمن والتقدير والنجاح . ولا شك أن هذا هو خير طريق لتحريك سلوك العاملين وتوجيهه التوجيه المناسب .

سابعا : اشعار العاملين بنتيجة عملهم . فهذا يدفع العاملين الى بذل مزيد من الجهد والى التفانى في العمل . فكل عامل يجب أن يعرف نتيجة جهده وعمله ، والا تنسب النتائج والأهداف التى تحققها المنشأة في النهاية الى فئة قليلة من المديرين ، وهذا على خلاف بعض المنشآت التى تسودها كلمة نحن ونسمع فيها مثل هذه العبارات التالية تتردد في جنباتها وخاصة على ألسنة القادة الاداريين : « نحن جميعا أسهمنا في تحقيق أهداف المنشأة ـ بجهدنا جميعا حققت المنشأة هذه الانجازات الكبيرة في مختلف المجالات » ـ « بجهد جميع العاملين امكن تحقيق هذه الارباح الكبيرة » . فكلمة نحن تعكس هنا روح الفريق ، كما تعكس اتجاه الادارة في المنشأة نحو العاملين وتعكس أيضا تقدير الادارة لجهودهم وتقديرها لاسهامهم في تقدم المنشأة ونجاحها . ولا شك ان شعور العاملين بقيمة عملهم واحساسهم بالتقدم النجاح يعتبران أكبر دافع لهم نحو مزيد من التقدم وبذل الجهد . أما في المنشأة التى تنسب فيها الاعمال الجيدة دائما الى قلة من المديرين ، فعادة ما يكون مستوى الدافع بين العاملين منخفضا .

فاذا أردنا أن نرتفع بمستوى الدافع بين أية مجموعة من العاملين ورفع روحهم المعنوية فلا بد أن نشعرهم بنتيجة جهدهم ونشعرهم بتقدير الادارة لهذا الجهد .

ثامنا : كثيرا ما يكون للكلمة الطيبة مفعول السحر على العاملين ، فكلمات التقدير اذا احسن المديرون والرؤساء استخدامها واختيارها وتوقيتها، وتوجيهها بالقدر المناسب نحو الشخص المناسب، فعادة ما يكون أثرها كبيرا على تحريك سلوك العاملين ودفعهم .

تاسعا : عادة ما تؤدى رعاية العاملين من جميع النواحي وتأكيد انسانيتهم من خلال هذه الرعاية الى الارتفاع بمستوى الدافع بين صفوف هؤلاء العاملين . فلا يجب أن يكون الاهتمام كله في المنشأة التجارية موجها نحو الانتاج وكميته وجودته أو نحو الآلة التى يعمل عليها العامل ، بل يجب الاهتمام أيضا بالعامل ككل وكذلك برئيس العمال او المشرف الذى يطلق عليه صانع الانتاجية والروح المعنوية . ويجب أن يكون الاهتمام موجها نحو رعاية العامل من النواحى الاجتماعية والصحية والعائلية ومساعدته على حل مشكلاته الشخصية، التى قد تؤثر تأثيرا سيئا على العمل وتؤدى الى تخفيض الدافع الى الاتقان والاجادة وبذل الجهد. ومن الخطأ الاعتقاد ان المشكلات الشخصية والاسرية للعامل تخص العامل وحده وليس من وظيفة المنشأة توجيه أى عون للعامل بخصوصها ، لان في ذلك اغفال لكلية حياة العامل . فالعامل لا يستطيع أن يفصل بين حياته الخاصة وبين حياة العمل . وعادة ما يحضر ويحمل العامل معه الى مكان العمل الكثير من مشكلاته الأسرية والاقتصادية والاجتماعية ، فتؤثر تأثيرا سيئا على جهده وانتاجه . ■■

على أحمد على

مسابقة العربي

٧ أسئلة اختيارية و ٣ إجبارية

■ مسابقة هذا العدد تنقسم الى قسمين، قسم يشتمل على عشرة اسئلة، وقسم يشتمل على ٣ اسئلة .

والمطلوب منك معرفة سبع اجابات صحيحة ـ على الأقل ـ من القسم الأول .. اما القسم الثاني ، فيجب عليك العثور على الاجابات الصحيحة لاسئلته الثلاثة حتى تفوز باحدى الجوائز ، التي مجموع قيمتها ۱۰۰ دينار .

★ اسئلة القسم الأول ★

١ ـ ما اسم النهر العربي الذي يمر في اراضي سوريا ولبنان :

نهر الكلب ـ نهر الحاصباني ـ نهر العاصي .

٢ ـ الكافيار.. نوع من المأكولات الغالية الثمن، وهو يصنع من :

عيون السمك ـ كبد السمك ـ بيض السمك .

٣ ـ من كان كبير الآلهة في الميثولوجيا الاغريقية :

زيوس ـ نبتون ـ هرقل .



٤ ـ مدينة الموصل في العراق تقع على نهر :

شط العرب ـ نهر الفرات ـ نهر دجلة .



٥ ـ كان مزارعا ودخل الجيش ثم حكم بريطانيا حكما ديكتاتوريا حتى وفاته عام ١٦٥٨ فمن هو :

لورد ليفنجستون ـ اوليفر كرومويل ـ لورد كارازون .

٦ ـ اكبر نفق في العالم طوله ١٥٧٧١ قدما ، وهو يمتد اسفل :

نهر هدسون ـ بحر المانش ـ جبال الالب .



٧ ـ اذكر اسم البلد المبين بالأسود على الخريطة:
الصومال الفرنسي ـ تنزانيا ـ نياسالند .

٨ ـ في عام ١٩١٩ بعد الحرب العالمية الاولى ، وقعت معاهدة سلام صار اسمها :
معاهدة سايكس بيكو ـ معاهدة فرساي ـ معاهدة مونترو .

٩ ـ البوسنة اسم دولة قديمة ، اصبحت اليوم جزءا من دولة اوروبية هي :
تشيكوسلوفاكيا ـ النمسا ـ يوغوسلافيا .

✶ اسئلة القسم الثاني ✶

اما اسئلة هذا القسم فيحتم عليك العثور على اجاباتها كلها ، وهي :

١ ـ اين ولد الشاعر الضرير ابو العلاء المعري ؟

٢ ـ ما اسم وجنسية السكرتير العام الجديد لهيئة الامم المتحدة ؟

٣ ـ هذا رسم لاحدى عجائب الدنيا السبع القديمة .. ما هي ؟







شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .
٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :
مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٦٣ »
٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر يوليو (تموز) ١٩٧٢ .

✶ الجوائز ١٠٠ دينار ✶

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :
الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .
٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .



الانسجام بين الزوجين ضرورة ملحة

الحديث فن جميل والصمت فن أجمل وعلى الزوجين أن يتعلما الفنين معا

بقلم : منير نصيف

■ نحن نقرأ ونسمع عن الزواج المثالى ، وعن الأسباب التى جعلت منه زواجا مثاليا . فالمشاركة والحب ، والتعاطف والانسجام وعدم الأثرة وحب النفس ، كلها عوامل تبنى الزواج ، وتنمى وتطور العلاقة بين الرجل والمرأة فى هذا الرباط الذى جمع بينهما ، ليضمن للحياة استمرارها ..

ثم نسمع أيضا عن الزواج غير الموفق .. الزواج الفاشل ، الذى تعصف به الريح ، ويتهدده ذلك المصير المظلم الذى يخشاه الرجل وتخشاه المرأة أضعاف خشية الرجل .. لأنه يعنى بالنسبة لها نهاية حياة قد تكون لها بداية أخرى ، وقد لا تكون .. !

ونحن نقرأ مع قصة كل طلاق يقع بين زوجين ، أسبابا شتى ، تختلف وتتباين ، ولو أنها فى جوهرها تكاد تكون واحدة لا تتغير ، وهى أن الزوجين لم ينسجما ..

حوادث الطلاق

وقد أحصى أحد معاهد الأبحاث الاجتماعية المعروفة عدد حوادث الطلاق التى تقع بسبب عدم انسجام الزوجين ، فوجد أنها تشكل أكثر من ٦٠٪ من مجموع حالات الطلاق في الدول المتقدمة، وحوالى ٣٠٪ في الدول النامية .

والفرق بين النسبتين ، هو نفسه الفرق بين شخصية المرأة عندنا وعندهم .. فالمرأة في مجتمعنا ما زالت مغلوبة على أمرها رغم ما حققته من أسباب الارتقاء بمستواها التعليمى والثقافى والاجتماعى والأدبى .



ولكن هذا موضوع آخر ..
ولنعد الى موضوعنا اليوم .

معنى الانسجام

ما الذى عناه الباحثون بالانسجام ؟ هـذه الكلمة التى عرفنا ، لها معان كثيرة ، ولكننا ضللنا الطريق فى التوصل الى اكتشاف وسيلتنا الى تحقيقه .. فهو شيء يتطلب جهدا ، ومثابـرة ، كأى عمل آخر نقوم به ، ونبذل فى سبيل ادائه واتقانه من وقتنا وأعصابنا ما يحقق له النجاح ..

ان الانسجام ، هو التآلف الفكرى والروحى ، وما يتصل بهذا التآلف من عادات ، وهوايات واهتمامات ، تكون متباعدة متنافرة فى البدايـة ، ولكنها لا تلبث ان تختلط وتمتزج وتتفاعل وتتقارب حتى تذوب وتنصهر فى بوتقـة الحياة الجديدة ، تلك التى أصبحت تحوى عنصرين اساسيين ، بعد الزواج ، بحيث لا يمكن الفصل بينهما ، الا اذا سمحنا بادخال مادة جديدة غريبة ، قد تتفاعل مع أحد العنصرين ، فتعود لتفصل ما كان بينه وبين العنصر الآخر !

من أين يبدأ الطريق الى تحقيق الانسـجام بين الرجل وامرأته ؟

الحـديث فن

تقـول الباحثـة الاجتماعيـة مارجورى هولمز Marjorie Holmes ، أستاذة علم النفس ، التى أمضت أكثر من أربعين عاما تقدم نصائحها للأزواج والزوجات .. تقول فى كتابها « حديث المائدة » ان الطريق الى تحقيق الانسجام بين الرجل وزوجته ، يبدأ من الحديث والمناقشة .

كيف يتحدث الرجل الى امرأته ، وما يقول لها ، وبماذا تجيب ، ومتى يتكلم ، ومتى تسكت ، وأخيرا كيف تتعلم « فن الانصات » ؟ .

وتقول الكاتبة : « ان الفتاة قبل الزواج تتعلم

اشياء كثيرة تنصحها بها امها ، فهي تتعلم كيف تطهو لزوجها الأطباق اللذيذة ، وتتعلم كيف تتودد اليه ، وترمي شباكها حوله ، ولكنهم نادرا ما يعلمونها كيف تنصت اليه وتهتم بحديثه ، بعد أن يقع في الشباك التي نصبتها له !

والانصات فن

ثم تقول الكاتبة : « ولو عرفت المراة ، التأثير الذي يتركه اهتمامها بحديث زوجها ، في نفسه ، لقضت حياتها كلها جالسة امامه تستمع اليه » .

ولكن ليس معنى هذا ان تتحول المراة الى تمثال ، لا يتحرك ولا يتكلم ، ولا يغضب ، ولا يثور .. لأنها لو فعلت لاصبحت « فينوس » أخرى ، تلك التي تغزل قدماء اليونان بجمالها ، وصنعوا منها الهة خرساء !

فالانفعال هو الدليل على وجود الحياة ..

وتقول مارجوري : « ما من امراة لقيتها او عرفتها ، الا ووجدتها تشكو : «ان زوجي لا يحدثني في اي موضوع .. انه متعب دائما .. وان تحدث فلكي أُلبي له طلبا ، أو احقق له رغبة ، وليس معنى هذا انه رجل كتوم قليل الكلام ، لا يحب الحديث .. فهو محدث لبق . ليتكم ترونه وهو يجلس الى أصدقائه ومعارفه وزائريه .. ليتكم تسمعونه وهو يحدثهم في أمور الدنيا حديث العارف بأسرارها الخبير بمشاكلها ، وسبل الخلاص منها ! »

ترى ما الذي يدفع الرجل الى العزوف عن تبادل الحديث مع زوجته واشراكها في كل ما يتصل بعمله وبمشاكله ومتاعبه وعلاقته بالناس ؟

مشاكل الزوج وهمومه

تقول الكاتبة : « ان كل رجل يحن الى اللحظة التي يستطيع فيها أن يخرج ما في صدره من مشاكل وهموم ، فيجلس الى شخص يثق فيه ويرتاح اليه ، ليحدثه ويتبادل معه الرأي فيما يشغل تفكيره ويقلق باله !

« وهو قد يجد هذا الشخص في أبيه أو أمه ، أو في أخ كبير ، أو أستاذ يحمل له في قلبه الاحترام والتقدير .. ولكننا لا نلبث أن نجده قد استبدل بكل هؤلاء امراته ، عندما يتزوج ، ويصبح ابا لأسرة . وهل هناك اقرب الى الرجل من ام اطفاله وشريكة عمره ؟

« وكل زوجة تسعى الى كسب صداقة رجلها وثقته ، ولكن قليلات هن اللواتي يعرفن كيف يعثرن على ذلك المفتاح الصغير الذي يفتح لهن الطريق الى قلبه وفكره !

الزوجة الانسانة

« والمراة العاقلة هي تلك التي تدرك انها اذا ارادت حقا أن تعرف كل شيء عن زوجها ، وعن عمله وعن مشاكله ومتاعبه ، فلا بد لها ان تتعلم اولا كيف تنصت اليه وهو يحدثها ، كيف تعطيه اذنا صاغية ، عندما يبدأ في سرد الأسباب التي تسبب له هذا الضيق الذي يشعر به او القلق الذي يحتويه ويسيطر عليه .

« انه يريد ان يحس أن الحياة كلها قد توقفت من حوله عندما يتكلم .. يريد ان يشعر بأنه امام انسانة رقيقة متعاطفة تقدر ظروفه ، وتفهم تماما اسباب قلقه ، فلا تقاطعه أثناء الحديث ، ولا تبدي رأيا متسرعا ولا تشغل نفسها بشيء آخر قبل أن ينهي حديثه .. حتى اذا ما انتهى تماما من سرد قصته ، واحست أن القلق ما زال يسيطر عليه ، جلست تخفف عنه ، وتهون عليه ، دون أن تبدي رأيا أو تقترح حلا لمشكلته ، قبل أن يطلب منها هو مثل هذه الحلول والآراء ..

موقف الزوجة من مشاكل زوجها

« وقد تجد الزوجة في المشكلة التي يحملها زوجها فوق راسه وكتفيه ، مشكلة بسيطة لا تستحق منه كل هذا القلق والتفكير ، وقد تكون المشكلة خطيرة فعلا ، فهي تتعلق بعمله ومستقبله ..

« المهم انها يجب ألا تسخر منه اذا اكتشفت تفاهة الأسباب التي تسبب لزوجها الضيق والقلق . كما يجب ألا تجزع وتفزع اذا احست بخطورة مشكلته ، فثقة زوجها بها تتوقف على قدرتها في اخفاء مشاعرها ، والسيطرة على اعصابها ..

« وليس في هذا خداع ، فهي لم تحاول ان تخدع زوجها عندما كتمت مشاعرها ، وانما حاولت فقط الا تقلل من اهمية الموضوع الذي يشغله ، او تضاعف من خطورة المشكلة التي يواجهها .. أما رأيها في الحالتين فهو قائم ، ولكن ليس بالضرورة أن تجاهر به ، بمجرد الانتهاء من حديثه معها ، كما أن الزوج لا يتوقع منها دائما ان تبدي رأيا ..

الثقة بالنفس

وتقول الكاتبة : « ان ابتسامة رقيقة او قبلة

حنون تضعها الزوجة على جبين زوجها ، يمكن ان تصنع المعجزات ، فهى تعيد للزوج ثقته بنفسه ، وتضاعف في الوقت نفسه من ثقته بزوجته ، وارتياحه لحديثه معها ، ولا باس بعد ذلك من ان تشرح وجهة نظرها ، وتبسط رايها في هدوء دون أن تفرض عليه هذا الرأى ، أو تحاول ان تشعره بانه الحل الوحيد لمشكلته ! » .

ثم تمضي الكاتبة بعد ذلك في تعديد الاسباب التى تدفع الرجل الى اخفاء متاعبه وعدم اشراك زوجته في المشاكل التى تواجهه ، فتقول : « ان من بين الاسباب الاساسية التى تجعل الرجل عازفا عن الحديث مع زوجته ، ما يرجع الى طبيعة المرأة نفسها ، فهى بحكم وضعها الاجتماعى ، لا تزال في اغلب الاحيان ، مسئولة عن تدبير شئون البيت والأطفال ، فهى تقضي جانبا كبيرا من نهارهـا وحدها في البيت ، بعد ان ينصرف الزوج الى عمله ، ويذهب الأطفال الى مدرستهم ، دون أن يكون هناك احـد تتحدث معه ، أو تشكو اليه متاعبها ، فللزوجة متاعب ومشاكل كثـيرة ، تصادفها كل يوم، وهى تقف وسط مملكتها الصغيرة، في محاولات دائبة لا تهدأ مع كل شيء يحتاج الى ترتيب وتنظيم وتدبير !

للزوجة مشاكل أيضا

« ومن أجل ذلك ، فهى تمضي نهارها تنتظـر الساعة التى يعود فيها زوجها الى البيت ، لأنها تجد فيه الانسان الوحيد الذى تستطيع أن تلجأ اليه في متاعبها ، فتنطلق في حديث طويل عـن مشاكلها مع الجيران ومع الأطفال !

« ولكن الزوج متعب ، انه يريد أن يستريح بعد يوم شاق ملىء بالعمل ! او هو قلق لأن هناك مشكلة تشغل تفكيره ، وقد كان يتطلع الى اللحظة التى يعود فيها الى بيته ليستريح ، أو ليتحدث هو مع زوجته عن متاعبه !

« وتكون النتيجة احد امرين فاما أن ينفجر ثائرا ، أو يلوذ بالصمت ، حتى ليبدو وكما لو كان قد فقد القدرة على الحديث او الانصات !

من أجل هذا يجب على الزوجة ان تختار الوقت المناسب للحديث في مشاكلها هى »

المرأة اللحوح

« وهناك أيضا المرأة اللحوح ، التى تتوق الى معرفة كل شيء عن زوجها وما صنعه بنفسه ، وبعمله ، منذ اللحظة التى ترك فيها البيت في الصباح ، حتى موعد عودته من العمل . فهى تقف امامه تستجوبه وهو يخلع ملابسه ، أو وهو يتناول طعامه على مائدة الغذاء ، أو وهو راقد في فراشه محاولا أن يجد بعض الراحة في اغفاءة قصيرة ، أو حتى وهو يقرأ صحيفته ، أو يستمتع بقراءة الكتاب الجديد الذى اشتراه !

« وقد يجد الزوج شيئا ، يجيب به علـى أسئلة زوجته المتلاحقة في بادىء الأمر ولكنه لا يلبث أن يمل الاستماع الى اسئلتها ، عندما لا يجد شيئا جديدا يضيفه الى ما قاله لها بالأمس، وفي اليوم الذى سبقه ، وفي الاسبوع الذى سبق وهكذا . .

محكمة فى البيت !

فليس هناك شيء يثير الضيق في نفسه ، اكثر من الروتين ، وخاصة اذا أحس أن امرأته قد تحولت الى قاض ، قد يستعين فى بعض الاحيان بشهود من أصدقائه وزملائه، لكى تصدر عليه حكمها في النهاية بالبراءة . اذا فشل في اقناعها بأن عمله هو الذى اضطره الى التأخر عن موعد عودته الى البيت !

« على أن اكثر ما يضايق الرجل ، ويجعله يحجم عن الحديث الى امرأته ، هو شعوره بأنها لا تستطيع أن تكتم ما يبوح لهـا به ، سواء كان هذا السر يتصل بعمله أو بعلاقته مـع زملائه وأصدقائه .. ولقد كان برنارد شو ساخرا في تقديره لطبيعة المرأة عندما قال يوما : « اذا أردت أن تنشر خبرا فانقله الى امرأة ، بشرط الا تنسى ان تؤكد لها أهمية الاحتفاظ بهذا الخبر وسريته!!»

الانصهار فى بوتقة الزواج

ان تحقيق الانسجام في الحياة بين أى زوجين ، لا يمكن أن يتحقق ، الا اذا تعلمت المرأة ، كيف تنصت الى حديث زوجها ، وكيف تستمع اليه !

واذا تعلمت المرأة كيف تحول بيتها الى عش سعيد يلجأ اليه الزوج كلما شعر بمشكلة تقلقه وتشغل تفكيره ، اذا عرفت كيف تجعله يحن الى اللحظة التى يلتقى فيها معها لكى يبثها اشجانه ومتاعبـه ، فهى تكون قد نجحت في اسـتمرار انصهار وذوبان حياتهما معا في بوتقة الزواج ! ■■

منير نصيف

الحسن بن محمد الوزان

رحالة عربى ومصنف فرنجى

بقلم : الدكتور جمال زكريا قاسم

استاذ التاريخ الحديث المساعد بجامعة عين شمس

يعد الحسن بن محمد الوزان آخر العلماء العرب الذين نبتوا فى ظل الحضارة الاسلامية فى بلاد الاندلس . كما يعد الكتاب الذى وضعه من المصنفات الهامة التى ساهمت فى التعريف ببعض المناطق الافريقية والقاء الضوء عليها .

وكثير من المصادر الاوربية تميل الى اعتبار الوزان ، أو (ليو الافريقى Leo Africanus) وهو الاسم الذى تطلقه عليه، من مصنفى الفرنجة. وقد يكون ذلك لسبب هام وهو ان كتابه الذى عرف باسم « وصف افريقيا وتاريخها » لم يصل الينا باللغة العربية ، وانما وصل باللغة الايطالية التى اجادها المؤلف وكتب بها كتابه هذا . غير انه كان لظروف تدوين الكتاب باللغة الايطالية ملابسات خاصة سنوردها فى خلال عرضنا للمؤلف وكتابه ، وان كنا نميل الى اعتبار مصنفه على الرغم من اللغة التى كتب بها من الاعمال الهامة التى ساهم بها العرب فى تقدم المعرفة الجغرافية والتاريخية بممالك السودان الغربى وبعض المناطق الافريقية الاخرى . وتحدونا لذلك عوامل كثيرة .

عربى المولد والنشأة

اولها ان مؤلف الكتاب عربى النشأة ، ولد فى غرناطة الاسلامية ، ونشأ فى الشمال الافريقى . وثانيها انه رحل الى المناطق الافريقية التى تحدث عنها فى كتابه قبل ان يقيم فى روما . هذا فضلا عن ان هناك احتمالا قويا فى ان يكون قد وضع كتابه باللغة الايطالية اعتمادا على مذكرات سبق له تدوينها باللغة العربية عن رحلاته ولم تصل الينا . واخيرا انه عاد فى آخريات حياته الى تونس كما عاد الى الدين الاسلامى الذى كان قد تركه الى المسيحية خلال سنوات اقامته بايطاليا .

مبدأ ظهور كتابه وصف افريقيا

وقبل ان نعرض لهذه الملابسات ينبغى ان نشير

غيّروا اسمه فجعلوه ليو الأفريقي

عاش أغلب عمره في ايطاليا فصنّف بلغتها

هنا الى ان كتاب الوزان ظهر حول منتصف القرن السادس عشر الميلادى حينما سلط الاضواء عليه احد المصنفين الايطاليين ، ويدعى جيان بانيستا راميسو Ramusio في مجموعته المعروفة بمجموعة قصص الرحلات والاسفار . وقد حمل الوزان اسماء عديدة فقد عرفه الاوربيون بجيوفاني ليو ، وقد اخذ هذا الاسم عن البابا ليو العاشر الذى كان يعرف قبل وصوله الى عرش البابوية باسم جيوفاني دى ميدتشي.ولما كان الوزان يرجع بأصله الى غرناطة فقد اطلق عليه في بعض الاحيان اسم « ليو الايبيرى » . وباعتبار نشأته في افريقيا وكتابته عنها فقد اشتهر باسم « ليو الافريقى ».

غرناطة وفاس وتونس

وتلقيبه بالغرناطى احيانا وبالفاسي في احيان اخرى ، تجعلنا نصل الى حقيقة هامة ، وهى انه ولد في غرناطة ، ونشأ في مدينة فاس في شمال غرب افريقيا اذ انه،بعد سنوات قليلة من مولده هاجرت اسرته مع غيرها من الاسر الاسلامية الى بلاد المغرب ، خوف اضطهاد المسيحيين ، وقد استقرت اسرته في تونس في بداية الامر ، غير انها ما لبثت ان تحولت الى فاس التى كانت تحكمها في ذلك الوقت اسرة بنى وطاس . وقد عرفت هذه الاسرة بتشجيعها للثقافة والارتفاع بمستوى الحضارة ، على الرغم من الازمات السياسية التى كانت تمر بها ، اذ ترتب على سقوط الدولة الاسلامية في الاندلس انتقال مركز الثقافة الى مدينة فاس التى غدت كعبة للعلماء ومركزا للثقافة العربية الاسلامية . وحتى قبل سقوط الدولة الاسلامية استطاعت اسرة بنى وطاس ان تستقطب اليها العلماء وبالفعل كان يهاجر الى مراكش كثير من علماء قرطبة واشبيلية وغرناطة ، ومن هؤلاء الفيلسوف العربى ابن رشد ، كما ظهر في فاس الكثير من العلماء الذين كان لهم باع كبير في العلم خلال الفترة من القرن الثانى عشر حتى القرن السادس عشر الميلادى .

مراكش ودويلاتها

ويستدل من التاريخ المعروف لدينا عن مراكش انها كانت في الفترة التى وصل اليها الوزان في حالة من عدم التكامل السياسي والفوضى الاجتماعية . اذ لم يتمكن بنو وطاس من السيطرة الا على القسم الشمالى من مراكش حتى صارت دولتهم تسمى بمملكة فاس ، بينما قامت حكومات اخرى متعددة في كل من سجلماسة ومراكش وغيرهما ، كما نشب صراع سياسي حاد بين الوطاسيين والسعديين . وشهد الوزان هذا الصراع الذى نشب بين القوى الاسلامية من ناحية ، وبين القوى الاسلامية والمسيحية في الحوض الجنوبى من البحر المتوسط من ناحية اخرى ، ففى خلال الفترة التى عاشها الوزان في فاس اى في السنوات الاولى من القرن السادس عشر الميلادى كان للبرتغاليين الكثير من القواعد البحرية في الشمال الغربى من افريقيا ، مما شجعهم على اشعال حرب هجومية ضد المسلمين ، وبالفعل شهدت موانىء شمال غرب افريقيا عدة غارات برتغالية شديدة الوطأة .

تعلمه فى فاس وتقلده بعض الوظائف

وفي مدينة فاس شب الوزان عن طوقه وتلقى العلوم في مدارسها ومكاتبها وعلى ايدى علمائها ، واهلته ثقافته الواسعة لتقلد بعض الوظائف الرسمية الهامة وهو في مقتبل حياته ، فقد ذكر في كتابه ان سلطان فاس اسند اليه عدة بعثات سياسية هامة ، ففى عام ١٥٠٩ اوفده الى سلطان مراكش ليبحث معه مشروعا للتحالف ضد البرتغاليين الذين اخذوا في تعقب فلول المسلمين

الفارين من الاندلس عقب حركة الاسترداد المعروفة. كما اوفده بين عامى ١٥١١ و ١٥١٣ الى ملك تمبكتو وقد اتاحت له هذه البعثة الاخيرة الفرصة للتوغل في الممالك الاسلامية والوثنية بغربى افريقيا .

تنقله في البلاد

والثابت ان الوزان لم يقتصر في رحلاته على شمال افريقيا والسودان الغربى ، وانما زار اقطارا اخرى في آسيا وفي اوربا ، كما انه حج الى مكة ، ومر على القاهرة وهو في طريقه الى الحج ، فهو يحدثنا في كتاباته عن مصر انه ركب النيل من القاهرة الى اسوان ثم عاد الى قنا ، حيث اجتاز الصحراء الى البحر الاحمر . وقبل رحلته هذه كان قد زار الاستانة التى اخذت تجتذب اليها بشكل واضح انظار العرب حينما بدأت اوطانهم تدور في فلك الدولة العثمانية منذ السنوات الاولى من القرن السادس عشر الميلادى . وقد اشار الوزان بالفعل انه زار مناطق كثيرة في آسيا وفي اوربا . ولكنه ذكر انه لا يود ان يصف رحلاته هذه في كتابه هذا الذى خصصه لاسفاره في افريقيا خوفا من ان يبعده ذلك عن الموضوع الرئيسى للكتاب « ولكن اذا ما وهبنى الله عمرا فانى سأعمل على وصف المناطق الاسيوية التى ارتحلت اليها ، وان اصف الصحراء العربية السعيدة واجزاء من بلاد التتار ، كما أرجو ان اصف رحلاتى الاخيرة من فاس الى القسطنطينية ومن القسطنطينية الى مصر ، ومنها الى ايطاليا » . وللاسف اننا لا ندرى شيئا عما اذا كانت الفرصة قد واتته للكتابة عن هذه المناطق التى اشار اليها او لم تواته فرصة ، وان كان بعض الدارسين يعتقد انه قد يكون كتب عنها ولكن فقدت كتاباته او على الاقل لم يتسن العثور عليها .

بدء رحلاته ونهايتها

بدأت رحلات الوزان في عام ١٥١١ وقد يكون من الصعب تحديد تواريخ تحركاته على وجه الدقة ، وهى على اية حال انتهت في عام ١٥١٨ بنهاية بدا كانها نهاية محزنة ، اذ انه وقع اسيرا في ذلك العام وهو في طريق عودته من القسطنطينية الى بلاده . ولا ندرى أكان هذا من سوء حظه ام من حسن حظه ، اذ انه اتيح له بسبب اسره هذا ان يصل الى معقل هام من معاقل النهضة الاوربية كما اتيحت له الفرصة لتوثيق صلته بالعلماء الاوربيين والتزود باللغات الاوربية والتردد على المكتبات والاكاديميات والجامعات التى حفل بها عصر النهضة الاوربية الحديثة في ايطاليا .

تفصيل أسرة واهدائه للبابا

وتفصيل ذلك ان الوزان وقع في أسر بعض القراصنة المسيحيين الذين كانوا يجوبون البحر المتوسط عند مدينة جربة الواقعة بين تونس وطرابلس . وفيما يبدو لنا ان اولئك القراصنة كانوا على درجة من الوعى حينما ادركوا انهم امام شاب من نوع جديد لم يقع بين ايديهم من قبل . فلم يسمحوا لانفسهم ببيعه مع غيره من شباب المغرب في اسواق النخاسة في الموانىء الايطالية كما كان الحال متبعا ، وانما حملوه الى نابولى ومن ثم الى روما حيث قدموه هدية الى البابا ليو العاشر . وكان البابا ليو من باباوات عصر النهضة الذين ظهروا من اسرة المديتشى Medici ، وهو ابن لورنزو أمير فلورنسة ، وقد عرف باعتناقه للمذهب الانسانى المستنير Enlightend Humanism وهو الذى بحث مع فرانسوا الاول ملك فرنسا في عام ١٥١٥ مشروع حملة صليبية ضد الاتراك العثمانيين . وكان من جراء ذلك ان ازداد الاهتمام بالشرق في ايطاليا بحيث كان من المستحيل الا يسترعى العلامة المأسور نظر البابا ليو العاشر الذى ادرك بدوره ان القراصنة لم يخطئوا حين ظنوا هديتهم له هدية لا تعادلها هدية أخرى، خاصة ان البابا ـ وهو سليل اسرة المديتشى التى اكتسبت مجدها وثروتها من التجارة العالمية ـ كان حريصا على ان يتعرف حالة العالم الافريقى من وراء الحاجز الذى اقامه المسلمون في وجه اوربا في الشمال الافريقى .

تعميد الوزان وتغيير اسمه

وفيما يبدو ان البابا قدر ان هذا الشاب يمكن ان يكون امله في هذه المعرفة ، فاطلق سراحه ، واعاد اليه حريته ، واجرى عليه معاشا طيبا حتى لا يحدث في نفسه الرغبة في تركه ، واسماه باسمه « جيوفانى ليو » بعد ان عمده بنفسه الى النصرانية .

ويعتقد بعض الباحثين ان تحول الوزان الى

المسيحية انما حدث بوازع من نفسه دون اجبار في ذلك ، ونحن نذهب مع هذا الرأى وخاصة انه من المحتمل ان يكون قد احس في اثناء وجوده في المجتمع المسيحى الذى انتقل اليه ان من باب اللياقة الادبية ان يعتنق المسيحية . وان كنا لا نسلم بما ذكره بعض هؤلاء الباحثين في ان التحول الى المسيحية كان امرا مالوفا لدى المغاربة في ذلك الوقت . حقيقة حدثت تحولات كثيرة الى المسيحية ، وخاصة بعد ان اصدرت الحكومة الاسبانية في عام ١٤٩٩ قرارا بتعميد ابناء المسلمين قسرا تحت تاثير الاسقف اجزمنيس ، ولكن من الثابت ايضا انه قد ترتب على ذلك هجرة آلاف من المسلمين الى الساحل الشمالى الغربى من افريقيا وهم يحملون معهم روح النضال ضد الدول المسيحية . وقد ساهم هؤلاء بنصيب كبير في تنشيط حركة الجهاد، وفي شن الغارات المفاجئة على سواحل اسبانيا والبرتغال والاتصال ببقايا المسلمين هناك ، وتشجيعهم على الثورة ضد الحكم المسيحى .

حياته فى روما وتاليف كتابه

وفي روما عاش الوزان، او كما اصبح يعرف منذ ذلك الحين بليو الافريقى ، في صلات مع العلماء وتحت رعاية البابا الذى كان معروفا بحمايته للعلماء وبتشجيعه للعلوم والآداب ، فيسر له ذلك سبل التفرغ للنشاط العلمى . ولما كان البابا مهتما بالدراسات الافريقية فقد شجع الوزان على الكتابة باللغة الايطالية ليصف رحلاته التى اخرج منها كتابه « وصف افريقيا وتاريخها » . وكان لمعرفة الوزان بالاسبانية الفضل الكبير في سهولة تعلمه بل واجادته لكل من اللغتين الايطالية واللاتينية كما اتيحت له فرصة تدريس اللغة العربية في جامعة بولونيا ، وقد ذكر راموسيو انه بفضل اجادته اللغة الايطالية تمكن من ترجمة كتابه العربى الذى اشار انه كان يحمله معه اثناء اسره اليها وذكر راموسيو بصدد ذلك ان البابا استقبله استقبالا حسنا حينما عرف انه يحمل معه كتابا في الجغرافيا وقد استند بورى Pory صاحب الترجمة الانجليزية الاولى للكتاب ، وهى الترجمة التى صدرت في عام ١٦٠٠ على ما ذكره راموسيو فقال : ان القراصنة اهدوه وكتابه الى البابا ، وبعد ان اجاد الوزان اللغة الايطالية قام بترجمة كتابه هذا الى الايطالية. ولذلك جاء العنوان الذى اختاره بورى للترجمة الانجليزية متفقا مع ذلك على النحو التالى :

«A Geographical Historie of Africa Written in Arabicke and Italis»[17]

اما شيفر Schefer صاحب الترجمة الفرنسية للطبعة العلمية من الكتاب فعلى الرغم من انه لم ينف ان الوزان سبق له ان كتب كتابه هذا باللغة العربية يشير الى ان النسخة العربية ربما تكون قد فقدت منه في الاسر . ولذلك اعتمد في تدوين كتابه على بعض ملاحظات سجلها وليس على الكتاب الاصلى ، وطبيعى ان يكون قد اضاف الى النسخة الايطالية اضافات كثيرة نتيجة لما ترتب على اقامته في ايطاليا من فرصة دراسة اللغة اللاتينية والتردد على المكتبات الايطالية .

محتويات كتابه وصف افريقيا وتاريخها

وقد يكون من المناسب ان نعرف بمحتويات الكتاب ، وهو ينقسم وفقا للنص الايطالى الى الاقسام التالية التى نوردها هنا نقلا عن ترجمة بورى الانجليزية ، وهى واحدة من اقدم الترجمات التى وضعت لذلك الكتاب . وقد اطلق الوزان على الاقسام التى قسم اليها كتابه هذا بالكتب ، وهى تبلغ تسعة :

القسم الاول من الكتاب

الكتاب الاول تحدث فيه عن افريقيا بصفة عامة، مع ملاحظة ان مفهومه لافريقيا لم يتعد المناطق الواقعة شمال خط الاستواء وهى ارض البربر ـ ليبيا ـ السودان الغربى ـ اثيوبيا .

الاقسام الخمسة التالية للاول

اما الاقسام الخمسة التالية فقد تحدث فيها عن مدن شمال غرب افريقية كمراكش وتلمسان وفاس ومكناس ، كما تعرض الى وصف القرى والجبال والانهار ، الى جانب اشاراته المتوالية عن الانظمة القبلية السائدة وعادات الناس وتقاليدهم . كما خص القسم السادس من كتابه بليبيا فوصف مدنها واقاليمها كما اشار الى الاتصالات التجارية التى كانت قائمة بين مصراته وفزان وبين اقاليم السودان الغربى ، كما ركز

بصفة خاصة على طريق القوافل الذى كان يربط مصر بشنقيط .

القسم السابع وهو اهمها

اما القسم السابع من الكتاب فهو من الاقسام الهامة التى خلدت الكتاب ومؤلفه، اذ انه خصصه لمناطق كانت لا تزال مجهولة بالنسبة للمعرفة الاوربية ، ولذلك ركز كثير من الباحثين على ذلك القسم باعتباره تعرض للمناطق الداخلية من افريقيا ، فساعد بذلك على ادخالها في نطاق المعرفة الانسانية وخاصة انه كان شاهد عيان لكثير من المناطق التى تعرض لها بالوصف والدراسة ، وقد يكون حقيقة ان الوزان لم يكن اول من زار هذه المناطق ، اذ سبقه اليها الكثيرون ، ولكنه اختلف عن غيره في انه كان اكثر توغلا في تلك الاقاليم ، واكثر موضوعية في الكتابة عنها. ومن الملاحظ انه ذكر نهر النيجر بالتخصيص على خلاف ابن بطوطة الذى حسبه احد اذرع النيل اذ كتب الوزان يقول « انه يجرى في اواسط بلاد السود ويبدأ في صحراء تسمى « السو » حيث يخرج من بحيرة كبيرة . وفي راى بعض جغرافيينا ان النيجر فرع من النيل الذى يختفى ويخرج ليكون هذه البحيرة وبعض الناس يرى ان النهر يخرج من الجبال في الغرب ويتجه الى الشرق ليكون البحيرة وهذا ليس مضبوطا ونحن انفسنا ابحرنا في ذلك النهر من تمبكتو في الشرق الى ممالك جن ومالى الواقعة الى الغرب من تمبكتو » . كما اورد الوزان وصفا شائقا لمدن السودان الغربى مختصا تمبكتو باهمية بالغة ، لانها كانت في اوج ازدهارها عند زيارته لها ، كما اطنب في الحديث عن جاجو فقال : ان مقدار التجارة التى تجيء وتصدر منها كل يوم ثمن عال وانواع فاخرة ، ثم تصدى للذهب في اسواق المدينة ، فذكر انه اكثر مما تطيق قدرات الناس على شرائه حتى ان التجار يعودون من الاسواق ومعهم الكثير غير المباع منه . ولا شك ان العالم الاوربى حينما قدر له أن يقرأ ما اورده الوزان عن ثراء المنطقة قد تاق شوقا اليها ، ولكن المراكشيين سبقوا اوربا الى هذه الاقاليم التى كانوا يعرفون عنها ذلك ، بل واكثر مما اورده الوزان حيث كانت قوافلهم التجارية دائمةالاتصال بين الشمال والجنوب .

القسم الثامن وفيه اوضاع مصر

اما القسم الثامن من كتاب الوزان فهو قد يهم بصفة خاصة المتخصص في اوضاع مصر في العصر المملوكى فقد وصف فيه مدينة القاهرة فاحياءها المجاورة ونهر النيل وبعض المدن المصرية ، كما عرض شيئا من عادات المصريين . ومما ينبغى الاشارة اليه بصدد ذلك انه زار القاهرة في عام ١٥١٧ وهى سنة التحول الخطيرة في تاريخ مصر التى انهارت فيها دولة المماليك واصبحت مصر ولاية عثمانية . وقد اشار الوزان بالفعل الى مقتل السلطان قنصوه الغورى،وذكر ان السلطان سليما الاول الغى السلطنة المملوكية ، وغير وبدل في الانظمة التى كانت قائمة في عهد المماليك ، ومع ذلك فقد اورد وصفا للانظمة المملوكية ، ولاصل المماليك ، واهم المناصب الدينية والعسكرية في السلطنة المملوكية قبل سقوطها . ويعتبر هذا القسمآخر ما كتبه الوزان منالناحيتين الجغرافية والتاريخية .

القسم التاسع

اما القسم التاسع وهو القسم الاخير من كتابه فقد افرده لانهار وحيوانات وطيور واسماكونباتات افريقيا ومعادنها ، ولذلك يمكن اعتبار هذا القسم بمثابة القسم العلمى من كتابه ، ومع ذلك لم يكن في وضعه لهذا القسم دقيقا بالدرجة التى عهدناه فيها ، اذ خانته ملكة النقد في نواح كثيرة لدرجة انه يذكرنا عند قراءتنا له بما نعرفه عادة من كتب عجائب المخلوقات وغرائب القدرة التى حفل بها كثير من المصنفات العربية في العصور الوسطى . واذا كان واضحا في هذا القسم اشاراته الكثيرة الى بيلينيوس فقد اشار ايضا الى بعض المصادر العربية عند معالجته للاقسام الاخرى من كتابه ، وان كان يلاحظ بصفة عامة انه كان مقلا في ذكره لهذه المصادر . وهو حين يشير اليها يوردها في اغلب الظن من ذاكرته ، لانه كما يعترف بنفسه لم يطلع في اثناء اقامته على مصنف عربى واحد وان كان مما لا شك فيه انه اطلع على الكثير منها في اثناء وجوده بفاس قبل اقامته بروما .

قيمته في ملاحظاته الشخصية

وعلى اى الاحوال فان قيمة كتاب الوزان لا تكمن فيما نقله عن غيره ، وانما تتجلى قيمة كتاباته في

ملاحظاته الشخصية التى تشغل القسم الاساسي منها . ومن الطريف انه ـ على الرغم من وضعه لمصنفه باللغة الايطالية ـ احتفظ بروحه العربية الاصيلة التى تتمثل في القصص المتحولة التى يسردها ليستخرج منها العبرة والموعظة ، شأنه في هذا شأن مؤلفي المجموعات الادبية التى اشتهر بها الادب العربي في زمنه .

تعريفه بكتابه

اما الاهداف التى وضعها الوزان نصب عينيه فيمكن استجلاؤها مما ذكره في مقدمة كتابه . « هذا على وجه ما ابصرته من الاشياء الغريبةالتى علقت بذهني انا ، جيوفاني ليوني عن جميع افريقية التى عبرتها من اقصاها الى اقصاها ، وقد دونت بجد واجتهاد من يوم لآخر تلك الاشياء التى رأيتها بعيني رأسي ، وبدا لي انها تستحق الذكر ، وما لم أره بنفسي بسبب ضيق الوقت او صعوبة الطريق فقد جهدت في الحصول عليه من اهل الثقة ممن شاهدوه بانفسهم ، ثم بذلت جهدي في جمع شتات هذه المادة وصياغتها في شكل كتاب انتهيت من تدوينه اثناء وجودي بروما ، وذلك في اليوم العاشر من شهر مارس ١٥٢٦ من ميلاد المسيح » . والواقع ان الوزان في هذه الفقرة انما يحدد المنهج الذى التزمه في اخراج وتصنيف كتابه . وهو منهج يقرظه جميع من توافروا لدراسة هذا المصنف ومؤلفه .

له مؤلفات اخر

ولم يكن كتاب وصف افريقيا وتاريخها هو المصنف الوحيد الذى وضعه الوزان ، وانما من المؤكد انه وضع مصنفات اخرى ، منها ما فقد ، ومنها ما هو معروف لدينا . ومن اهم هذه المصنفات الاخيرة تراجم لبعض الاطباء والفلاسفة العرب وقد نشر هوتنجر H ottinger هذه التراجم باللغة اللاتينية في عام ١٦٦٤ ، وتتضمن ترجمة لثلاثين عالما من افذاذ العرب والمسلمين في الطب والفلسفة . ولا شك ان هذه التراجم كانت ذات اهمية بالغة في التعريف بتاريخ تطور العلوم عند العرب . كما وضع الوزان بالاضافة الى ذلك معجما عبريا لاتينيا . وقد سبق ان اشرنا الى ما كان لدى الوزان من رغبة في الكتابة عن رحلاته في آسيا واوربا ، كما ان هناك ما يستدل منه على انه حاول وضع سجل موجز للتاريخ الاسلامي .

لكن وصف افريقيا اهمها

ومع ذلك فان كتاب وصف افريقيا هو اهم مؤلفاته المعروفة لدينا ، وكان لهذا الكتاب تاثير كبير لدى الرحالة والعلماء الاوربيين منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر الى ثلاثة قرون فيما بعد ذلك ، اى الى بداية حركة الكشوف الاوربية الحديثة لافريقيا ، بحيث لم يكن في استطاعة اى كاتب في خلال هذه الفترة ان يتجاهل ما كتبه ليو في مجال حديثه عن افريقيا . اما تقدير المستشرقين لهذا الكتاب فقد كان على الدوام تقديرا عاليا ، من ذلك ما ذكره المستشرق الالماني هارتمان ان مصنف ليو يعد كنزا من الذهب ولولا وجوده لخفيت علينا اشياء . اما المستشرق الفرنسي شيفر فقد ذكر في تقديمه للطبعة الفرنسية العلمية لهذا الكتاب بان ما اورده ليو في وصف المغرب كان يتميز بالدقة الشديدة ، وقد اثبتت الابحاث الحديثة صدق قوله حتى في تلك المواقف التى اثارت الشكوك فيما مضى .

عودة للوطن والدين

واخيرا فقد استمرت حياة ليو في ايطاليا من عام ١٥١٨ الى عام ١٥٥٠ والثابت انه تمكن من الافلات بطريقة ما الى تونس ، حيث عاش بقية حياة لا ندرى من امرها شيئا ، وللاسف اننا لا نعلم ماذا فعله الوزان حينما عاد الى تونس اكثر من رجوعه الى الدين الاسلامي . وقد ذكر « الدوميلي » بصدد ذلك أن اقامة الوزان في معزل عن محيطه العربي الاصيل كانت بلا ريب ثقيلة على نفسه ، ولذلك رجع الى تونس ليحظى بالوفاة في ارض الاسلام وفي حمى دينه الحقيقى . ويرجح انه توفي في عام ١٥٥٢ م في عهد آخر ملوك بني حفص .

ونرى ان نختتم هذا المقال بالتنويه بان الوزان ومصنفه قد حظيا في واقع الامر بكثير من اهتمام وعناية الاوربيين . في حين انهما لم يحظيا بهذا القدر من جانب المؤرخين او الجغرافيين العرب ، وحبذا لو توفر احد الباحثين او مجموعة منهم على نشر هذا التراث الانساني واخراجه في ترجمة عربية امينة طالما انه لا يحتمل التعرف على النسخة العربية من هذا الكتاب ، وذلك اذا ما افترضنا وجودها بالفعل . ■■

جمال زكريا قاسم



اعرف وطنك أيها العربي



بيروت

عاصمة لبنان تستأثر بنصف عدد السكان بها الحرية بخيرها وشرها

استطلاع
سليم زبال

تصوير
أوسكار متري

الى اليسار : شارع الحمراء في الليل ، اضواء السيارات تختلط باضواء المقاهي ودور السينما ، فتجعله اكثر شوارع بيروت حركة وحيوية ، حتى قال لنا سائح امريكي : غالبا ما نأتي الى الشرق ونقول انكم تعيشون في القرن الثامن عشر ، ولكني عندما سرت في شارع الحمراء شعرت اني انا الذي اعيش في القرن الثامن عشر ، وانتم في القرن العشرين !


ALHAMRA
ALHAMRA
Travel Agency
CARRY ON LOVING
ITA

■ كل الناس يعرفونها .. وكلهم يجهلونها !

كلهم يحبونها .. وكلهم يسبونها !

لقد احترنا معهم في الحكم عليها ، فهي تجمع بين مختلف التناقضات : فوضى ونظام .. جمال وقبح .. فضيلة ورذيلة .. جنس وطهارة .. حتى قالوا انها من اكثر مدن العالم فسادا !

وقالوا اشياء اخرى كثيرة .. ولكنهم تناسوا ان في بيروت شيئا قل وجوده .. فيها : **الحرية !**

تفعل ما تريد ، وتقول ما تريد ، دون رقيب ولا حسيب ، وهي سبب كل تلك التناقضات التي ذكرناها .. ففي اجواء الحرية ، لا سيما المطلقة ، ينبت الخير والشر على حد سواء ..

المدينة الدولة

بيروت اليوم تضم نصف سكان لبنان ، حتى كادت ان تصبح المدينة الدولة .. فيها دوائر



قصر سرسق متحف رائع في وسط بيروت .. ترأس صاحبته جمعية حماية الابنية القديمة في لبنان ، انها تحاول المحافظة على المنازل اللبنانية ذات الطابع القديم ، وانقاذها من « غول » التخطيط الحديث ، الذي كدس المنازل بجوار بعضها ، وجعل كل جار في مواجهة الاخر !

الحكومة ، والميناء ، والمطار ، والبنوك ، وشركات السفر ، والمحاكم ، والاطباء ، والمحامون ، وشركات التامين .. و ..

انها المركزية التي ورثها لبنان من العهد العثماني ولم يستطع منها انفكاكا الى اليوم .. كل أهل لبنان ملزمون بالتوجه الى بيروت .. الفلاح من سهل البقاع ، والقروي من اعالي الجبال يهبط لملاحقة اوراقه ومعاملاته في دوائرها.

وبقدر جمود العمل في الجهاز الحكومي ، وجدنا ديناميكية ، وحركة ، وحيوية هائلة في القطاع الاهلي .. امة يعمل افرادها على تطوير انفسهم ومدينتهم ، وفق أسلوبهم التجاري الخاص .

وامتد الطموح ببعضهم فاخذوا زمام المبادرة من الحكومة في كثير من الميادين .. فميناء بيروت الكبير تديره شركة لبنانية .. ومحطتا تلفاز بيروت تديرهما شركتان .. وشارع الحمراء يتنافس مهندسان ، من اجل شق نفق وعمل متاجر تحت أرضه .. وهكذا مشاريع ومشاريع ، كل فرد في بيروت يحب المغامرة ويصبو الى حياة أفضل ، وسرعان ما يترجم الاماني الى حقائق ، تتدرج من بناء ناطحة سحاب الى حمل معصرة برتقال على عربة يد ، يتسلل بها في الأزقة والطرقات بعيدا عن أعين شرطة البلدية ..

فجل وحديد

وشارك الأشقاء العرب ابن بيروت في آماله فاندفعوا بدورهم يبنون ويشيدون العمارات والضواحي الجديدة ..

وبين ليلة وضحاها تحول صاحب الأرض في بيروت من زارع للفجل والخس والملفوف ، الى فارس للحديد والاسمنت والأحجــار في الارض الطيبة .!

الشملة بنصف ليرة

كان أهل بيروت حتى عهد قريب يصيفون في الأشرفية ، والسيوفي .. ولا يذهبون الا جماعات لمنطقة الحمراء ، خوفا من الواوية (أى الثعالب)، التى كانت منتشرة هناك !! وكان أصحاب الارض في تلك المناطق يبيعون أرضهم لمن يريد وبالسعر الذى يريد ..

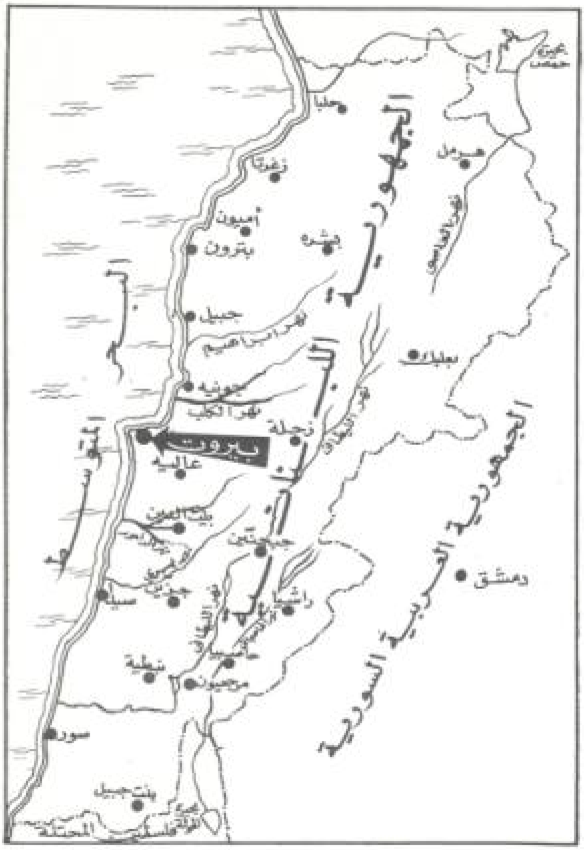
ولم تكن عملية البيع تخلو من طرافة ، فحتى لا يهرب المشترى كان البائع يفك الشملة ـ اى الحزام الذى يربط به سرواله ـ ويبدأ قياس الأرض به ، طولا وعرضا .. وكان سعر الشملة ـ وطولها نحو خمسة أمتار ـ هو نصف ليرة فقط !

بهذا الثمن البخس كانت تباع الارض .. أما اليوم فقد ارتفعت قيمتها الى أسعار خيالية .. فمثلا بيعت قطعة أرض بشارع البنوك في وسط بيروت بمبلغ ٨٠٠٠ ليرة للمتر الواحد .. وفي شارع الحمراء ، وهو من أجمل شوارع بيروت ، يعرض أحدهم بيع أرضه بمبلغ ٦ ملايين ليرة ، ومساحتها لا تزيد على الالف متر .

١١ بلدية لبيروت !

مبان ترتفع في كل ركن ، وكأنها العشب البرى .. مما يجعل مساحة بيروت تمتد وتبتلع كل شيء في طريقها ، حتى أصبحت حدودها الطبيعيــة الواقعية ، تمتد مسافة ٤٠ كيلو مترا على ساحل البحر المتوسط .. من نهر الدامور جنوبا ، حتى نهر الكلب شمالا .

ولكن هذا الامتداد الطبيعي غير معترف به رسميا .. فبيروت الرسمية ، التى تخضع لبلدية بيروت، لا تتعدى قطعة أرض شبه دائرية لا يتجاوز قطرها خمسة كيلومترات .. أما باقى بيروت التى تبدو للزائر وكأنها هى والمدينة قطعة واحدة ،



تحتل بيروت مركز القلب في وسط الجمهورية اللبنانية ، التي تمتد اراضيها على هيئة مستطيل ضيق طوله ٢١٠ كيلو مترات ، وعرضه يتراوح بين ٤٠ و ٧٥ كيلو مترا . وهذه المساحة الصغيرة تجعل بيروت على مسافة نصف ساعة بالسيارة من مراكز الاصطياف الجبلية الرئيسية ، وعلى مسافة ٣ ساعات بالسيارة من اكثر المناطق اللبنانية النائية.

فتشرف عليها عشر بلديات لها جهازها الادارى المستقل عن بلدية بيروت ..

وهذه البلديات الاحدى عشرة تتصارع وتتضارب فيما بينها ، يساندها نوابها في البرلمان ، الذين يصرون على استقلال كل منها ، رغم الضرر الفادح الذى يصيب بيروت نتيجة هذا التقسيم ..

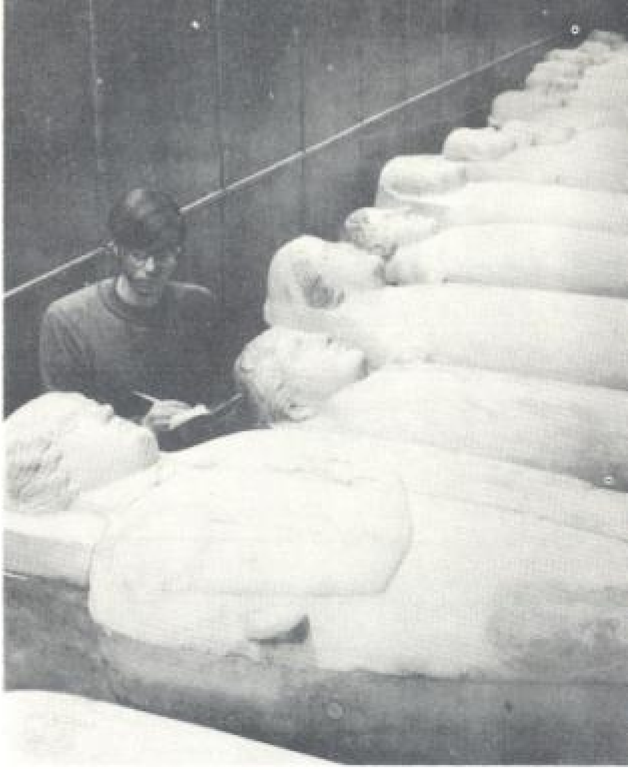


تحولت زراعة الزهور في بيروت الى عمل اقتصادي تجاري يدر ربحا ثابتا على صاحبه ، واسبح لتزيين الزهور وتنسيقها دراسة خاصة في بيروت .. وفي أغلب الشوارع قامت متاجر لبيع مختلف أنواع الزهور : المزروع منها محليا داخل البيوت الزجاجية ، والمستورد من أوربا ودول البلقان .. بأسعار تتراوح بين ٢٥ ليرة لزهرة الأوركيد ، وخمس ليرات لعصفور الجنة ..





ساحة الشهداء .. أو « البرج » ، كما يقول أهل لبنان.. هنا قلب بيروت النابض.. وهنا نصب جمال باشا السفاح المشانق في ٦ مايو ١٩١٦ لينفذ حكم الاعدام شنقا بأربعة عشر رجلا من المسلمين والنصارى بتهمة الموالاة للقضية العربية .. وتخليدا لذكراهم أقامت الحكومة اللبنانية في وسط الساحة ، نصبا تذكاريا كبيرا .. والى جانبه ساعة زهور كبيرة ، تدق كل نصف ساعة .. (الصورة اليمنى) ومما يذكر أن هناك عدة مشاريع لتخفيف ازدحام المواصلات في هذا الميدان ، منها : منع دخول سيارات الأجرة اليه .



في متحف بيروت مجموعات رائعة من الاثار .. ومن بينها ٢٧ ناووسا (تابوتا) من الرخام عثروا عليها في صور .. انها تمثل التأثير المصري واليوناني على مدينة صور القديمة .. فكرة التابوت مصرية ، اضاف عليها اليونانيون نحت وجه المتوفى .



كشفت الحفريات عن وجود
..وفي خان البيض قرب «العاز
انها من بقايا هيكل قديم.. وا

محافظ بيروت يتحدث



وجلسنا الى محافظ بيروت الأستاذ شفيق ابو حيدر نسأله عن بيروت ومشاكل بيروت ومشاريع بيروت ، فقال :

« منذ ٢٠ عاما كان عدد سكان بيروت ٣٠٠ الف نسمة فقط أصبحوا اليوم أكثر من مليون نسمة .. وينقص هذا العدد في الليل لأن الكثيرين ينتقلون في النهار الى بيروت لحاجات وأعمال يقومون بها ..

« وبلدية بيروت ليس لها حق الاشراف الا على قطعة أرض ضيقة كما عرفتم ، وهذا يسبب لها الكثير من المتاعب التي تدفعنا الى السعي لتوسيع حدود بلدية بيروت بحيث تشمل الأماكن المجاورة ، سواء بضمها ، او بخلق جهاز مشترك ، تكون له سلطة اتخاذ قرارات ملزمة لجميع المجموعات المنضوية تحت لوائه .. »

بيروت تختنق

ويتحدث المحافظ عن الازدحام فيقول : « اما قولكم أن بيروت مدينة تختنق ففيه شيء من الصحة ، لأن تكاثر السكان وتزايد المواصلات بناء على ذلك ، مع بقاء حدودها الادارية كما هي ، يجعلنا نشاطر البعض بالقول ، انها صغيرة في مساحتها بالنسبة لمن فيها .

« وأنا أعتقد أن الحياة في بيروت ، والانتقال فيها ، قد يتعرضان بعد سنوات معدودة الى صعوبات جمة ، ما لم نفكر منذ الآن في اقامة





...الية الرية تحت بيروت الحديثة ...شفوا عدة اعمدة رومانية يعتقد ...ة العناية بهذه الاثار، وتسليط ...يط الاضواء عليها .

في بيروت عاش وتوفي الامام الفقيه الشيخ عبد الرحمن الاوزاعي عام ١٥٧هـ . (٧٧٣م) . ودفن في قرية حنتوش ، التي اصبحت اليوم تعرف باسم الاوزاعي . وبجوار قبر ومسجد الاوزاعي يوجد قبر المغفور له رياض الصلح احد رؤساء الوزارات اللبنانية السابقين.

شوارع ذات طبقات متعددة ، يعلو بعضها . وهذا ما بدأناه فعلا في شوارع فؤاد شهاب والمدخل الشرقي ، وشارع ساسين ..

« ان مشكلة المرور هي أهم مشاكلنا ، وهي التي تؤثر على معظم مشاريعنا ، فمثلا مشروع المجاري .. درسناه وعرفنا أن تكاليفه ستكون مائة مليون ليرة .. البعض يقول ان المال يمكن تدبيره ، لكن العقبة هي عند التنفيذ .. فالحفريات ستجعل من شوارع بيروت ورشة عمل هائلة قد توقف الحياة في المدينة ..

« وهذا ما نعانيه اليوم دون مجار ، فعندما يقع حادث تصادم في ساحة البرج مثلا ، يضطرب المرور ويتوقف الى عدة كيلومترات.. لأن السيارات تسير في شوارع بيروت وكأنها كتلة واحدة متلاصقة متلاحمة .. فما بالك لو أغلقنا في وجهها الشوارع بالاسابيع والشهور من أجل عمل حفريات لوضع الانابيب فيها ؟ .

« وهذا لا يعني أننا لا نفكر في مشكلة المجاري فقد اتفقنا مع شركة فرنسية من أجل معالجة النفايات وقلبها الى سماد عضوي وحرق الزائد وهذا المشروع يلزمه سنة ونصف ليصبح جاهزا للعمل .. » .

بليرة .. بليرة ..

وخرجنا من مكتب المحافظ . .الى ساحة الشهداء .. الساحة التي تستقبل يوميا الوف القادمين من الضواحي والقرى الى بيروت .. كل قادم يحمل معه طابعا خاصا .. هذا من عقال الدروز في بعقلين .. وهذا بدوي من حوران يحمل كمية من عناقيد البامية الجافة ، جاء ليبيعها في أسواق بيروت .. وهؤلاء بعض الشباب يحملون اواني زجاجية ملونة صنعت في جنوب لبنان .. وتلك عائلة جاءت بأكملها لتشتري ملابسها من بيروت .. ويستعد الباعة المتجولون لاستقبال





تبولة .. كبة .. مناقيش بالزعتر .. شاورما .. لحم بعجين .. مغربية .. فطاير بالسبانخ .. أسماء لمأكولات لبنانية .. أما كلمة مازة فهي كلمة سحرية تقريبا ، فما تكاد تذكرها حتى يتوالى عليك أكثر من أربعين طبقا مليئة بالمشهيات .. والصور الثلاث هنا لقالب الشاورما الذى يحوى نحو ٩٠ كيلو جراما من لحم الخروف الممزوج بالتوابل ، والى أسفل بائع « اللحم بعجين » لحم غنم مفروم مخلوط بالطماطم والبصل والبقدونس والقرفة والكمون والكراوية ، مع قليل من الليمون .. **والصورة اليسرى** لمجموعة من الفتيات مع أطباق المازة قرب صخرة الروشة الشهيرة .





القادمين بصيحاتهم المرتفعة معلنين عن بضاعتهم : بليرة .. بليرة أربعة أمشاط .. ويتقدم بائع اليانصيب حاملا اوراقه صارخا : « علق السحب علق السحب ..» ويسير بائع الساعات حاملا في يده مجموعة ساعات في معرض متنقل هاتفا : ساعة .. ساعة اوماتيك .. مين بده ساعة .. ويتجمع القرويون حول بائع الجوارب الذى اثار اهتمامهم بصياحه : بليرة .. بليرة أوكازيون .. بليرة الكلسات ..

وتغطى صفارة شرطى المرور على اصوات الباعة، ومن الحافلات الحمراء تنزل مجموعات من الناس .. وتأتى سيارات « السرفيس » وتنزل ركابها في البرج .. انه قلب بيروت النابض بالحياة والحركة التى لا تهدأ ..

٤٩ جريدة يومية

وعلى أرض ساحة البرج يعرض باعة الصحف



« ابو ملحم » من الشخصيات الشعبية التي تظهر على شاشة التلفاز في بيروت .. وتوجد في بيروت قناتان تبثان البرامج التلفازية بالعربية والفرنسية والانجليزية.. تديرهما شركتان لبنانيتان

الجرائد والمجلات بصورة جذابة تلفت النظر .. ووقفنا مع الواقفين نتطلع الى العناوين .. انها مكتبة عامة على قارعة الطريق ، يقرأ فيها المواطن نصف الجريدة مجانا .. !

وتحتار اى الجرائد تقرأ ، وأيها تشترى لكثرتها وتنوعها .. ففى صباح كل يوم ومع صياح الديك، تخرج الى اسواق بيروت ٤٩ جريدة لبنانية يومية ..تلحقها ٥٢ مجلة بين اسبوعية ونصف شهرية وشهرية وسنوية ..

وهذا السيل من الصحف والمجلات يحمل بلبلة من العناوين المثيرة ، هذه بعض النماذج منها : « اريد أن اقلب هذا النظام ـ حشيش الى كل الانحاء ـ الانتخابات مهزلة مستمرة منذ العهد العثمانى ـ التمييز بين الرجل والمرأة أصبح شيئا قديما ـ تمردوا ما دمتم خارج سور الحياة ـ رجل يقتل ابنه في النهر ـ دعوة للتظاهر والاضراب .. »

انها حرية الصحافة ، وحرية التعبير عن مختلف الآراء والافكار ..

٧٣ بنكا فى بيروت

ولا ينافس الصحف في كثرتها الا البنوك ، التى وصل عددها الى ٧٣ بنكا في بيروت فقط ..

وجلسنا الى الدكتور سليم الحص ، رئيس لجنة المصارف في المصرف المركزى ، نسأله عن البنوك في بيروت فقال : « في بيروت ٦ بنوك عربية و١٢ بنكا أجنبيا ، و٥٤ بنكا مشتركا ، أى لبنانى عربى ، أو لبنانى أجنبى .

« وهذه البنوك أدخلت عليها اصلاحات مصرفية عديدةمنها انشاء لجنةلمراقبة المصارف وميزانياتها، منعا لتكرار الأزمة المصرفية التى انفجرت في بيروت عام ١٩٦٦ ونتيجة لهذه الاصلاحات أمكن توفير عدة أمور أساسية :

« أولها : استبعاد وقوع عجز في البنوك .

« ثانيها : أصبحت جميع الحسابات البنكية والودائع الصغيرة ، حتى مبلغ ٣٠ ألف ليرة مؤمنا عليها من لجنة الرقابة على المصارف .

ثالثها : اعادت الرقابة على المصارف ثقة المدخر بالبنوك اللبنانية فبدأت أموال الاهالى والمغتربين تملأ خزائن البنوك من جديد .. »



ما زالت في بيروت مناطق فضاء لم يبن عليها بعد .. وهذه منطقة في الروشة ترعى فيها الابقار مختلف الاعشاب : الحمضية والخبيزة ، وزهور المارجريت والبنفسج ..

المهاجر لا ينسى وطنه

ان هجرة اللبناني لم تفقر بلاده بل بالعكس زادته تقدما ورقيا ، فابن المهجر لم ينس وطنه الاصلي ولا اهله .. وكان لفزارة عودة رؤوس اموال المهاجرين ، التي بلغت حوالى ٤٨٥ مليون ليرة عام ١٩٧٠ أن انتعشت البنوك وزادت موجوداتها وودائعها أكثر من الضعف ، حتى بلغت ٤٦٥٧ مليون ليرة في شهر ديسمبر عام ١٩٧٠ مقابل ٤١٥٠ مليونا في نهاية عام ١٩٦٩ (الجنيه الاسترليني يساوى نحو ٨ ليرات) .

الهجرة لا تؤثر على نمو السكان

واللبناني يهاجر لانه يشعر أن مساحة بلاده الضيقة لا تتناسب مع سعة طموحه .. هكذا يعتقد ..

والمعلومات عن هذه الهجرة وارقامها غير دقيقة، ولكنها هجرة بدأت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وما زالت مستمرة الى اليوم بمعدل ١٠ آلاف مهاجر يتركون لبنان عن طريق ميناء ومطار بيروت .. وبلغت هذه الهجرة حدها الاعظم حوالى عام ١٩٠٠ ويقدرون عدد المهاجرين اللبنانيين بما يزيد على مليوني مهاجر ، اكبر نسبة منهم تعيش في البرازيل ، حيث بلغ عدد اللبنانيين هناك نحو ٨٠٠ الف مهاجر ..

والغريب ان هذه الهجرة الزائدة لم تقلل من معدل نمو السكان في لبنان .. فما زال رقم معدل الزيادة الطبيعية هو ٢ر٧٪ سنويا ، اذا احتسبنا المواليد فقط وعددهم ٧٥٩٨٣ مولودا ، واستبعدنا الوفيات ، وعددهم ١١٥٢٢ متوفى (احصاءات ١٩٧٠)

اما اذا اضفنا عدد المهاجرين من البلاد العربية الى لبنان ، وعددهم ٨١١٠٥ نسمة عام ١٩٧٠ واستبعدنا ٩٧٤٥ لبنانيا تركوا بلادهم في نفس المدة ، لوجدنا ان مجموع عدد سكان لبنان البالغ ٢٣٦٧١٤١ نسمة زادوا بمقدار ١٣٥٨٢١ نسمة خلال عام ١٩٧٠ أى بنسبة ٥ر٥٪ وهى نسبة كبيرة مزعجة للغاية ، لما يترتب عليها من مشاكل وامراض سكانية ..

النفقات تزيد على الايرادات

وسألنا احد أبناء بيروت : « كم يلزم من المال شهريا ليعيش رجل متوسط الحال في بيروت ؟» .

فاجاب قائلا : « مهما كان دخل مثل هذا

الى اليمين : في عام ١٩٥٣ حصلت المرأة اللبنانية على حق الانتخاب ، ومنذ هذا التاريخ وهي تعمل وتكافح الى جانب الرجل . وهذه هي الآنسة جمال كريم تعمل في محطة بنزين وتقول : **« انها مهنة مثل اي مهنة اخرى ، وانا افضلها على الجلوس في مكتب محبوسة بين اربعة جدران .. »**

الى اليسار : بيت المحترف اللبناني .. اقامته مصلحة الانعاش الاجتماعي تشجيعا لأصحاب الحرف ، وتصريفا لانتاجهم ومراقبة لجودته .. بدأ بيت المحترف بعرض ١٦٨ صنفا عام ١٩٦٥ واليوم اصبح عنده ١٤٥٠ صنفا . باع في العام الماضي بما قيمته مليون ليرة .

الى اسفل : امام جهاز مقياس الطيف وهو جهاز لتحليل الضوء يكتشف بتحليله عن الذرة التي اعطته ، وقفت الفتاة بجانب الفتى تستمع الى شرح للدكتور لوس البلجيكي .. ويبلغ عدد طلبة كلية العلوم بالجامعة اللبنانية ٢٢٠٥ طلاب ، نصفهم تقريبا من الفتيات .

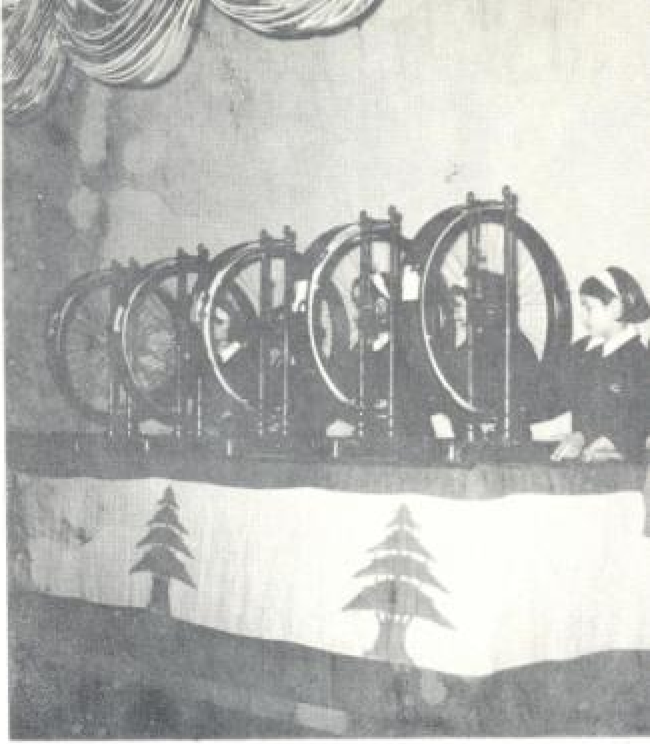








٢٠٠٠ عامل يعملون في مصانع المنـ
ضريبة ، ويقومون بتصنيعها قبل ا
بالملابس، يقوم يوميا بصنع ٢٥٠ قميـ



٥٢ سحبا تجرى سنويا على تذاكر اليانصيب الوطني .. ويتراوح سعر التذكرة بين ليرتين و ٢٠ ليرة .. وقيمة الجوائز الأولى تبدأ من ٢٥ الف ليرة الى ٢٥٠ الف ليرة !!

الشخص ، فان مصاريفه ستزيد حتما عن ايراداته .. هذا اذا أراد العيش والتمتع بالحياة .. أما اذا كان يريد الانزواء والانطواء فأنصحه الا يعيش في بيروت .. »

وأردنا أن نعرف كيف يعيش ابن بيروت ، وأين ينفق أمواله فهالنا الأمر ، فالموظف الصغير يعيش في غرفة ومع ذلك يشترى سيارة جديدة كل عام، ويسهر أكثر من مرة في الاسبوع .. واغلب ابناء بيروت يعملون في عدة وظائف في نفس الوقت .. وابن بيروت من أكثر الناس مطالبة بحقوقه ، فهو يطالب بتوسيع الطرق ، ولكنه يتهرب من دفع الضرائب.. وأسلوبه الاجتماعي غريب ففى الصباح يذهب للصلاة في الجامع والكنيسة ، وفي المساء تجده في اندية الليل والكازينو .. ان له فلسفته الخاصة في ممارسة حريته الشخصية ..

ارتباك فى الحمراء

وقالوا لنا : « اذا أردتم معرفة صخب الحياة البيروتية فاذهبوا الى شارع الحمراء .. »

وسرنا في الحمراء .. شارع لا يتجاوز طوله الكيلو متر ، ولا يزيد عرضه على التسعة أمتار .. اكتسب دعاية فريدة وشهرة كبيرة .. الأضواء تشع من كل اركانه .. دور السينما فيه تقارب نصف عدد دور السينما ببيروت كلها .. فيه أكبر المقاهى والمطاعم ، وأجمل المحلات التجارية وأغناها ..

وسرنا في الشارع ، وشعرنا بارتباك شديد ، فعيون الجالسين على المقاهى تمزقنا بنظراتها المتفحصة الفضولية .. وجلسنا على أحد الموائد منعا للارتباك ..

استعراض أزياء

وبدورنا بدأنا نستعرض المارين ، الذين كانوا يستعرضوننا بدورهم .. خلق من كل نوع ، وملابس متنوعة تتضاءل أمامها استعراضات



…حرة .. هنا يستوردون البضائع دون …صديرها . وهذا المصنع الخاص …٧٠٠ بنطلون .



المشكلة الاولى في بيروت هي السير ، ويقوم ٣٠٠ ضابط وشرطي بتنظيم السير وتحرير ٢٥٠٠ مخالفة يوميا ، يسدد الجمهور قيمتها بالبريد . ولكن المشكل يكمن في استهتار السائق ، والمارة على حد سواء !

الأزياء .. ويمر أمامنا انسان نحتار في معرفة نوعه : رجل هو أو امرأة ؟ شعر طويل ينسدل على وجهه وكتفيه .. وملابس حمراء وزرقاء .. ونسمع صوته فنعرف انه رجل ..

وتمر أسراب الحسان يرتدين مختلف الألوان والأزياء ، ابتداء من الماكسي ، والميدي ، والميني ، والميكرو ، الى البنطلون الساخن والشورت الفاضح .. وبعضهن يرتدين ملابس غريبة لم نجد لها تسمية !!

وأزياء الرجال تنافس أزياء النساء في تنوعها .. هذا يضع الشاشية التونسية الحمراء على رأسه .. وآخر يرتدى القبعة الاوربية أو البيريه .. وهذا الهندى يسير رابطا لحيته الكثة بشعر رأسه .. وبجانبه هيبى تدلت العقود فوق ملابسه القذرة .. وهذا عربى يتهادى بالدشداشة البيضاء والعقال الاسود .. وذاك باكستاني يمر بقميصه خارج سرواله ..

شريط عجيب من الناس يمر أمامك ، وأنت جالس الى مائدة المقهى ..

عيش السرايا دواء للكبد

ويأتي الجرسون فيضع أمامنا مفرشا من الورق مطبوع عليه « حظك هذا الاسبوع .. » ونبحث عن برج الدلو فنقرأ الآتي :

« كبدك الضعيفة بحاجة الى مراقبة دقيقة لاصناف الطعام .. اكثر من تناول الأطعمة الخفيفة ، مثل كوكتيل القريدس « أي الجنبري » والشاتوبريان والاسكالوب .. ولا تحرم نفسك من الكاتو وبالأخص عيش السرايا ولا من « الشوكولاه موه » أي الشوكولاته السائلة الباردة .. »

وطلبنا ما طلبنا حتى شبعنا .. وجاء الحساب ونظرنا الى الأرقام فوجدناها في حدود المعقول رغم ضخامة الديكور وكثرة الاضواء .

وسألنا عن السبب فقالوا : «حقيقة ان صاحب

المقهى قد دفع ٤٥٠ ألف ليرة «خلو رجل» لهذا المكان الذي تجلسون فيه، ولكن كثرة المقاهي والتنافس فيما بينها لاجتذاب الجمهور هو الذي يتحكم في تحديد الأسعار ..»

للكبار فقط

وتركنا المطعم متابعين سيرنا، ومعنا ابنة من أهلنا تتلقى تعليمها الداخلي في مدارس بيروت ووقفنا أمام دار للسينما، نحاول التعرف على الفلم قبل الدخول للدار، ولكن سرعان ما سحبتها من يدها قبل أن تشهد الصور التي شهدتها .. انه «فيلم للكبار فقط»**، وحاولت الدخول الى دار أخرى ولكن دون جدوى فجميعها كانت** «للكبار فقط» ..

وذهبت الصبية الى مدرستها، وعدت بمفردي الى دار السينما جامعا أطراف شجاعتي لأواجه



نهر بيروت او نهر ماغوراس قديما، كانت بيروت تشرب منه في العهد الروماني، ولكن مياهه لم تعد تصلح للشرب بسبب المياه الملوثة التي تلقى فيه .. ولحماية بيروت من فيضانه، اقيمت قناة بالخرسانة المسلحة مكان مجراه الطبيعي، تكلفت مع الطرق الجانبية ٢٥ مليون ليرة.

بها واحدة من صور حياة الليل في بيروت ..

واخذت تذكرة من الشباك، وكلي خجل ان يراني صديق او زميل .. وأسرعت الخطى للدخول الى القاعة، وعند الباب شاهدت معركة بين موظف الباب وأحد الشباب، الذي كان يصيح بلهجته اللبنانية: «شو بدك انت؟ اعطيني الضبط وما تخاف .. بيي بيفكلك ياها .. اعطيني ياها»

واحببت ان افهم فقال أحد الموجودين: «ان موظف السينما طلب هوية الشاب ليعرف كم عمره فوجده أقل من ١٨ عاما، فرفض ادخاله قاعة السينما، حسب نص القانون .. ثم أضاف موظف السينما، ان الشرطة حرروا له امس مخالفة بمبلغ الف ليرة، لانه أدخل شخصا أقل من ١٨ سنة .. ولكن الشاب صمم على الدخول قائلا: .. ان والدي من الذين لهم سطوتهم، لهذا أعطني ورقة الضبط التي حرروها لك، حتى يلغيها لك والدي في الحال» .. كل هذا نظير أن يسمح له الموظف بدخول الفيلم الممنوع .. ولكن الموظف أصر على منع الشاب من مشاهدة «فيلم الكبار».

ودخلت قاعة السينما، وخرجت بعد الفيلم وأنا أعتقد أن المنع يجب أن يشمل الذين فوق الثامنة عشرة كذلك !!

ولكن هذا الكلام لا يعني أن جميع الافلام هي للكبار فقط **لأن هناك بعض دور السينما تعرض أفلاما عالية ثقافية اجتماعية نظيفة .. أما الأطفال فتخصص لهم حفلات خاصة مرة في الأسبوع.**

يانصيب في السوق السوداء

وعند باب الخروج تقدم منا بائع اليانصيب ووضع تحت أنوفنا مجموعة من الأوراق صارخا: «مين بدو يتخلص من همومه؟»

طريقة مبتكرة لترغيبك في شراء تذكرة يانصيب، تعبر تماما عن مدى تأثير أوراق اليانصيب الوطني على المواطن اللبناني .. وجلسنا نستمع الى الشيخ محمد الباشا مدير اليانصيب الوطني وهو يقول: «في العام الماضي استنجدنا برجال الشرطة والمباحث لمواجهة الازدحام والقضاء على السوق السوداء لبيع تذاكر اليانصيب، التي ارتفع



بيروت مدينة قديمة اختلف المؤرخون في تاريخ تأسيسها ، وفي أصل تسميتها ، وهل هو مشتق من كلمة باروت أي البئر بالفينيقية أم لا ؟ وهي تقع على شاطىء البحر ، ولكنها لا تراه من كثرة تكدس المنازل القديمة والحديثة فيها (الصورة السفلى) أما الترام الذي كان يسير في وسطها فأوقفوه منذ خمس سنوات ، وتحولت ثلاث عربات منه الى مطعم عند مدخل « الرملة البيضاء » ، حيث العمارات العالية التي تباع طوابق مستقلة تتفاوت أسعارها بين ٦٠ و ١٥٠ الف ليرة للشقة .







اعضاء مجلس ادارة جمعية الشابات المسلمات تتصدرهن الرئيسة عبلة يكن .. وعدد عضوات الجمعية اللواتي يسددن الاشتراك ١٠٠ فقط ، وللجمعية نشاطات مختلفة لتعليم وتدريب الفتيات ، ولكن نقص المال يوقف العديد من مشاريعهن الخيرية .

٨٨ طفلا لرعاهم الآنسة لل
المسيحية للشابات، ادار الط
التي تضم ٥٠٠ عضوة ، ي
وزيادة خير

ثمنها من ٢٠ ليرة الى ٥٠ ليرة في السوق السوداء على جائزة قيمتها ربع مليون ليرة .. ان هذا اليانصيب الوطني هدفه نبيل انساني اجتماعي ، نبني من ايراده المستشفيات والملاجيء والمصحات وملاجيء المجانين ، ونساعد الجمعيات الخيرية والاجتماعية ..

« وفي عام ١٩٧١ قدمنا للحكومة مبلغ خمسة ملايين ليرة لهذه الاغراض ..

« واليانصيب الوطني ليس عملية مقامرة ، لاننا نأخذ من الشعب باليمين، ونعيد له ما أخذناه باليسار ، وعندنا حاليا ٢٥٠٠ عائلة تعيش على اليانصيب ، فضلا عن الجمعيات والمؤسسات التي تعيش من دخل هذا اليانصيب »

لقد تحول اقبال الأهالي على شراء أوراق اليانصيب الوطني الى شبه ادمان ، حتى اصبح بند شراء أوراق اليانصيب يحتل مركزا دائما في ميزانية الأسرة !.

(٢ ــ ٧) !!

اما المقامرة الصريحة فقد وجدناها في حلبة سباق الخيل .. عالم صاخب من الناس .. كلهم من الطبقة الدنيا أو المتوسطة ، لا أثر للأثرياء بينهم .. ويتجمع بعضهم حول رجل قصير سمين، يسألونه عن الحصان الذى سيربح السباق .. وبعد لحظات صمت يخرج « الخبير » صوتا كالفحيح من بين شفته المطبقتين على سيجار ضخم قائلا : « اتنين ــ سبعة » .. ويهرع المساكين الى اكشاك البيع ، يخرجون كل ما في جيوبهم من نقود ليشتروا التذاكر التى تحمل رقمى ٢ و ٧ .

وفي ركن آخر يقف مجموعة من المتراهنين يقلبون صفحات جريدة هبت المتخصصة في السباق يحللون كلماتها باهتمام غريب ، جعلنا نتحسر على أسلوب قراءة مجلاتنا الأدبية والعلمية والاجتماعية!



حصي في دار الطفولة بالجمعية
ي واحدة من مناشط هذه الجمعية
بالتطوع أعمالا لتنمية شخصياتهن،
ي مختلف مجالات الحياة .



وفي ميدان التجارة والمال ، اصبحت المرأة تدير الاعمال بحنكة تفوق الرجال .. وهذه مدام لينا تقوم بادارة متجر يمثل اشهر دور ملابس الرجال الأوربية .. ان الذوق السليم في اناقة الرجل ، تشعر به المرأة اكثر من الرجل .

لمن تدق الأجراس ؟

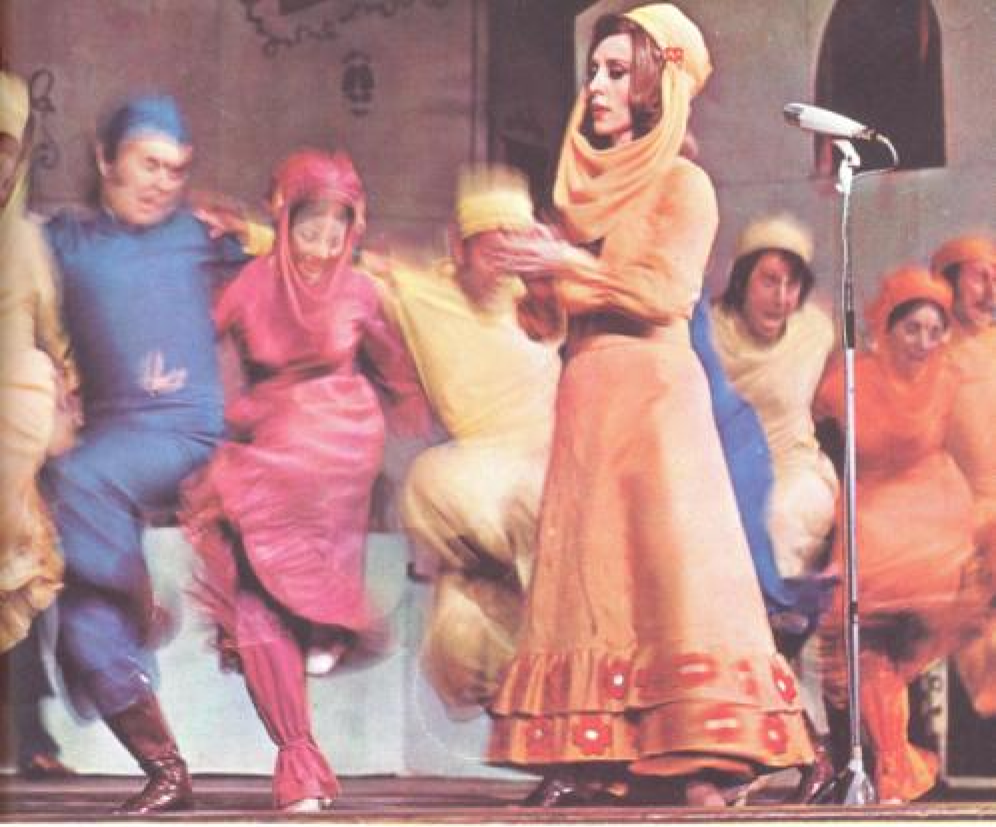
ويدق جرس المدرسة في ساحة السباق ، ويستجيب السياس للنداء ، فتبدأ عملية وزن الجوكية والاحصنة .. الناس تروح وتجيء بعصبية ظاهرة ، وكأنهم في مستشفى الولادة ينتظرون مولودهم الجديد .. البعض يضحك ضحكة صفراء وآخرون غاض الدم من وجوههم ، ينفثون دخان سجائرهم بانفعال وعصبية ...الكل عابس لا أثر للابتسامة على الوجوه .. ويقترب الناس وينزلون من المدرجات ، ويلتصقون بالسور الخشبي حول الحلبة ليصبحوا أقرب ما يكونون الى الأحصنة المتسابقة .. وتدوى طلقة المسدس فتنطلق الجياد ويتزاحم الناس ويتدافعون ويهتفون، وعيونهم معلقة على الأرقام البلاستيكية السوداء المعلقة على أسرجة الأحصنة .. وينتهي السباق بفوز الحصان رقم ٥ ويفقد الجمهور شعوره ، فينفس عن غضبه باطلاق سلسلة من الشتائم واللعنات !

شركة تدير الميناء

واذا كان ميدان السباق عالما مستقلا ، فان ميناء بيروت يمثل دولة داخل دولة .. له تقاليده وتاريخه المستقل الفريد .. وليست الدولة هي التي تستثمره ، وانما شركة مساهمة أهلية كانت عثمانية ثم فرنسية ، قبل أن تصبح لبنانية حاليا ، تقع عليها مسئولية ادارة واستثمار مرفا بيروت حتى عام ١٩٩٠ .

ان وجود شركة لادارة هذا المرفق الهام جعل العمل فيه يختلف عن بقية الموانيء .. فهنا يوجد رب عمل مادي ــ وليس معنويا ــ يحاسب العامل على اهماله ، ويكافئه على نشاطه .

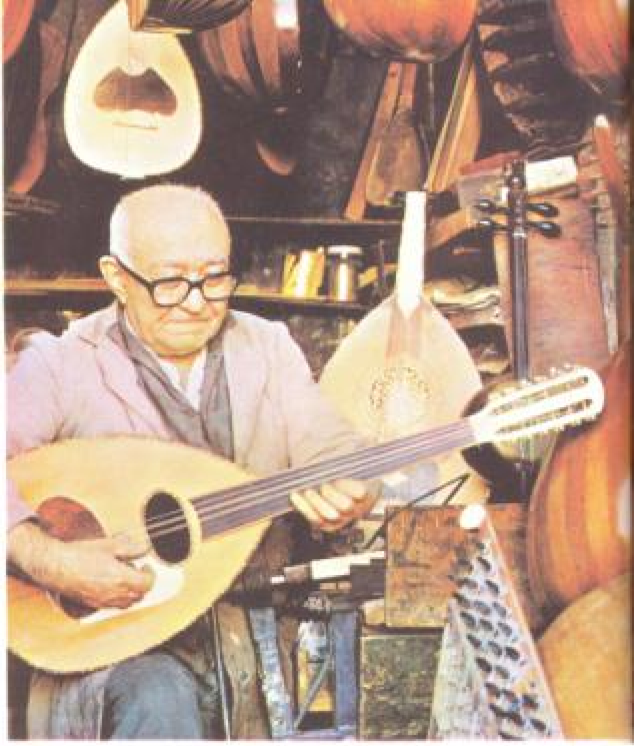
وهذه الرقابة انعكست على نشاط الميناء ، لان



ما تكاد « فيروز » تغني حتى تدغدغ العواطف والخيال ، ولم تعد فيروز مطربة فقط بل تحولت الى ممثلة غنائية تطرب أهل بيروت كل ليلة بتمثيلية « ناس من ورق » ، تغني فيها لأول مرة قصيدة من قصائد كتاب « النبي » لجبران خليل جبران .. وعند غروب الشمس يحمل الصيادون المجلات معهم ليستمعوا الى اغاني فيروز ، وهم يصطادون سمك المرجان والبوري قرب الشاطىء **(الصورة السفلى)** .



الى اليمين : حب اللبناني للطرب تلمسه عند سماعه للاغاني الشعبية ، مثل الميجانا والعتابا وابو الزلف .. وهذه الاغاني يصاحبها ، دائما ، العزف على العود .. ونرى هنا ديكران نجاريان يعمل منذ ٥٠ سنة في صناعة وتصليح الاعواد .. يبيع الواحد منها ابتداء من ١٠٠ حتى ٢٥٠ ليرة .



الى اسفل : كان رجال بيروت يرتدون السراويل الواسعة والقنابيز المقلمة .. بينما النساء يرتدين الملابس المخملية الملونة ، ويضعن الطناطير العالية فوق رءوسهن .. هكذا كانت ازياء أهل بيروت في مستهل القرن التاسع عشر ، اما اليوم فلم تعد المرأة ترتدى هذا الزى الا في الحفلات المدرسية .. والتنكرية !





الاطفال يلعبون في حرش المشاريع لهذا الحرش ، لاقامة مدرسة خاصة لتعليم وتقاطعات واشارات



١٠٠ فندق تضم ١٠٧٥٧ سريرا موجودة في بيروت فقط ، وهذا العدد الضخم من الفنادق يحتاج الى يد عاملة ، لهذا اقامت الحكومة مدرسة فندقية داخلية تقوم بتدريس جميع الصناعات الفندقية مجانا لابناء لبنان . ومقابل الف ليرة لغير اللبناني .

شركات الملاحة لا تهتم كثيرا بالعواطف والقوميات بقدر اهتمامها بسرعة التفريغ وتبسيط الروتين .. وهذا ما تجده في ميناء بيروت الذى يصل متوسط التفريغ فيه ١٠ الاف طن يوميا .. وهذه السرعة جعلت شركات الملاحة تنقل البضائع الى بيروت بسعر ارخص من نقلها الى الموانىء الاخرى، لانها تعرف أن حمولتها سيتم تفريغها في الحال ولن تحتاج الى انتظار .

والطول الحالي لأرصفة الميناء هو ثلاثة كيلو مترات وربع ، ترسو عليها ٢٤ باخرة مرة واحدة .. وسيرتفع هذا الرقم الى ٤٠ باخرة عندما تتم مشاريع توسيع الميناء .

الحكومة وانا ..

وأروع ما في ميناء بيروت هو المنطقة الحرة .. حركة مستمرة لا تهدأ .. وهذه المنطقة اقيمت لخدمة الدول المجاورة أكثر من خدمة بيروت .. فهنا تستورد البضائع الخام دون ضرائب ، ويتم تصنيعها داخل مصانع المنطقة الحرة ، قبل اعادة تصديرها دون فرض أية ضرائب عليها ..

ان فائدة المبادرة الشخصية تلمسها في ايرادات الميناء ، ففي العام الماضي قدمت شركة الميناء اربعة ملايين ليرة لبنانية ايرادا صافيا للحكومة اللبنانية ، في حين بلغ ربح الشركة مليونين ونصف مليون ليرة ..

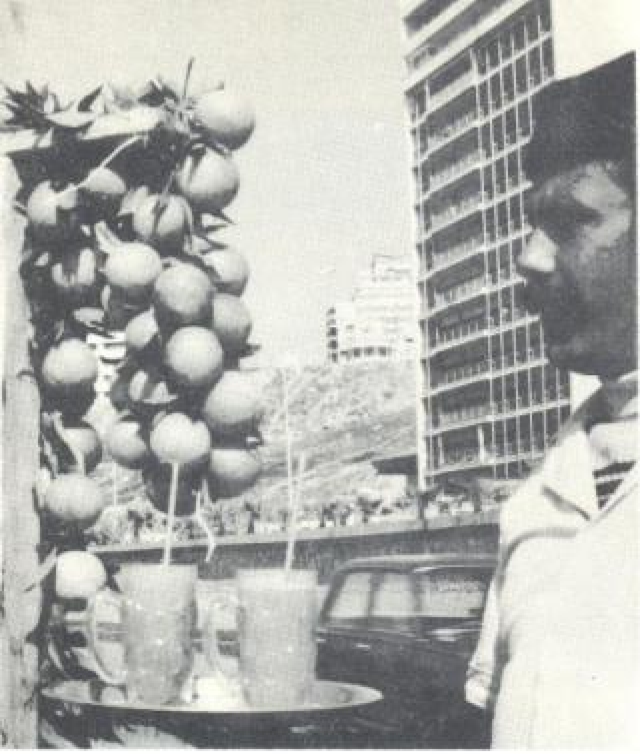
السائح المدلل

ان انفتاح بيروت والحرية الزائدة فيها ، يجعلان حياة أبنائها حياة صعبة مرهقة ..

خذ مثلا السائح في بيروت ، أصبح له شرطة سياحة مستقلة تضم ٢٠٠ شرطي ، هدفها راحة



ت اشجار الصنوبر .. ومن
ساحة ٤ آلاف متر مربع منه ،
سيارات للاطفال ، وسط طرق
نقام خصيصا لهم .



زيد الجرماني ، اقام معصرة برتقال متنقلة على عربة يد في الرملة البيضاء .. يقدم للمارة عصير ٦ برتقالات بنصف ليرة .. واحيانا يبيع اللوز الاخضر ، او الذرة المشوية ، او الكستنة ، او الفستق الاخضر .. حسب المواسم .

السائح ، وحل أى شكوى يتقدم بها خلال نصف ساعة ، دون حاجة للذهاب الى القضاء او قسم البوليس .. وتقف شرطة السياحة في المطار تعمل متعاونة بشكل وثيق مع رجال الجمارك حتى لا يتاخر السائح ، واذا فقد احدهم جواز سفره ارسلوه له في فندقه مع باقة ورد وبطاقة تمنيات من عادل عبدالرحيم مدير شرطة السياحة!.

وفي الصيف الماضي قام افراد هذه القوة بحل ٨٠٠ شكوى سياحية .. ووضعوا في كل فندق صندوق شكاوى يفتح يوميا .. وفي الصيف يمتد نشاط شرطة السياحة الى كل المصايف اللبنانية ..

ان الشعبية التى يتمتع بها مدير شرطة السياحة ، تجعل له دالة على اصحاب الفنادق والتجار لحل مشاكل السياح ، حتى لو كان القانون في صف التاجر .. لكن صالح لبنان فوق كل شيء ..

أكثر الناس شكوى

والسائح في بيروت ينفق دون حساب لا تهمه « المصارى » او الليرات .. ينفقها في المنطقة الحرة وفي الاسواق ، فترتفع الأسعار ، ومعها صراخ الناس ، حتى قال لنا سائق سيارة الأجرة : «اللى معاه مصارى هو بس اللى بيعيش في هالبلد» .. وسألناه : « هل انت من اصحاب المصارى الكثيرة ».. فاجاب : « أبدا طفران » .. فقلنا : «اذن كيف تعيش ؟ » فلم يحر جوابا .. وابتسم .. ان ابن بيروت هو اكثر الناس شكوى وأنينا .. لقد تعود على الشكوى ، فلم يعد يستطيع التخلص من هذه العادة .

وقال لنا صبى يمسح الأحذية : « الله يساعد الفقير في هالبلد .. صندوق مليح ثمنه ٢٥ ليرة ، كله صور ملونة وبه خمسة قطرميس (قنينة



قال لنا محافظ بيروت : **« انا من انصار ابقاء احياء بيروت القديمة واسواقها ذات الطابع الشرقي القديم على ما هي عليه لتظل متعة للزائر ، شرط أن تنظم صحيا ، وان يمتد التجديد الى ما هو خارج هذا الاطار »** .. والصورتان على هذه الصفحة تجسمان هذا التفاوت الكبير ، اليمنى لسوق الخضار والفاكهة قرب البرج ، والسفلى لمجمع سكني حديث ضخم في بيروت .



صغيرة) كل واحد بخمسة وسبعين قرشا .. أخذتهم كلهم شرطة البلدية .. ربنا لا يكسبهم .»

وعود تحتاج الى تنفيذ

وليس ماسح الاحذية هو الوحيد الذى يصب لعناته على البلدية فأهل بيروت كلهم ساخطون عليها .. والشكوى المرة هى من نقص الحدائق .. وذهبنا الى المسئولين نستطلع رأيهم فقالوا :

« ما من شك أن انشاء الحدائق في بيروت أمر محدود بالنسبة للامكانات المالية ، لأن ثمن الاراضي باهظ جدا فيها .. ومع ذلك قمنا بعمل عدة حدائق للاطفال مع النافورات .. ولكن مشروعنا الكبير هو تحويل « حرش بيروت » الى حديقة عالمية .. وقد فتحنا المجال لمن يرغب من دول العالم لزرع حدائق على أسلوب بلادها في هذا الحرش .. على أن تتعهد نحن بصيانتها والعناية بها » .

وفرحنا بما قاله المسئول، وواجهنا «الحاقدين» بهذه الأقوال فابتسموا بمرارة قائلين :
« لا تصدقوهم واذهبوا بأنفسكم الى حرش بيروت وحدائقها لتروا حالتها .. ان فكرة عمل حديقة دولية في حرش الصنوبر ، تعود الى سنوات وسنوات مضت .. كلها وعود دون تنفيذ .. لقد وعدت فرنسا بغرس ١٢٠ ألف غرسة مختلفة في عام ١٩٦٧ وحتى اليوم لم تغرس وردة واحدة .. كان حرش بيروت منتزها شعبيا منذ ٩٠ عاما ، أما اليوم فصار مستنقعا للبعوض .»

لا ماء ولا ضوء

وذهبنا الى الحرش ، فوجدناه غابة كبيرة من اشجار الصنوبر البرى الرائع ، نتمنى وجود مثلها في كل بلادنا ، عملت فيها يد الانسان تقطيعا وتقسيما الى أجزاء متباعدة تفصلها طرقات عامة واسعة .. ونتيجة لهذه الاعمال تقلص حجم الحرش من ١٤ ميلا مربعا الى اقل من ميلين فقط ..

وحرش بيروت وجد قبل وجود بيروت نفسها .. فيه كان هيكل لعبادة عشتروت ، اندثر فتحول الحرش الى مرتع للوحوش والضوارى .. قسا عليه الغزاة فاستأصلوا الكثير من أشجاره ، حتى جاء الأمير فخر الدين فرمم منشآته ، وزاد من اشجاره .

هكذا كان الحرش في السابق،أما حاليا فيعيش في احد أجزائه الصغيرة الوف من اخوتنا اللاجئين الفلسطينيين داخل خيام وعشش من الصفيح ، نصبوها تحت اشجاره العالية .. بينما تحول الجزء الكبير التبقى من الحرش ، الى حديقة مشوهة ، كلها أتربة ، ومواسير ، وأخاديد .. مياه البرك ، أصبحت آسنة ، الاطفال يغوصون فيها حتى ركبهم .. والنافورة الملونة مغلقة مكسرة المصابيح ، لا ماء فيها ولا ضوء ..

تعددت الجمعيات والهدف واحد

وأمهات بيروت وبناتها يعملن في جميع الحقول، ولكن السلك الدبلوماسي لا يقبل الا الفتاة غير المتزوجة .. وفي مجال العمل الاجتماعي تبذل المرأة نشاطا واسعا ضمن اطار الأندية والجمعيات .. واصابتنا الحيرة من أين نبدأ ، ومع من نتحدث .. وما هى الجمعية التى تمثل المرأة اللبنانية ؟

فالجمعيات النسائية تفوق بعددها عدد الأحزاب السياسية .. كل مجموعة تكون جمعية .. هذه جمعية الشابات المسلمات ، وهذه الجمعية المسيحية للشابات ، وتلك جمعية نهضة المرأة الدرزية ، وهذه لجنة الأمهات ، وتلك جمعية رعاية الطفولة والأمومة .. جمعيات لا يمكن حصرها ولكن يكاد يكون هدفها واحدا .. وهو النهوض بالمرأة والمجتمع والطفل ..

نطالب بالمساواة التامة مع الرجال

وكان اجتماعنا الأول مع مجلس ادارة جمعية الشابات المسلمات .. وجلسنا معهن نحو ثلاث ساعات .. انهن ثورة نسائية عارمة على التقاليد البالية التى تخالف الشرع الاسلامي، لاننا نعتبر أن الشريعة الاسلامية قد أعطت المرأة جميع الحقوق التى تجعلها انسانا يستطيع الحياة في دنيا المدنية الحاضرة .. حثها على العلم وعلى التمسك بالاخلاق ، وأعطاها حق اختيار أسلوب حياتها الشخصية .. وساواها في العقوبات والواجبات : الزانى والزانية ، والسارق

والسارقة . وفي أوقات الصلاة نصلي خمس مرات في النهار والليل مثل الرجال ، ونصوم مثلهم .. والبعض يعرف أن نصيب الأنثى في الارث هو نصف نصيب الذكر .. لكنه يتجاهل ما كفله الشرع لنا من المهر والنفقة عند الزواج .. اننا نطلب بالتساوي التام مع الرجل في جميع المجالات .. فالتفرقة بين الرجل والمرأة أصبحت شيئا مرذولا » .

وارتفعت أصوات المجتمعات بالموافقة على رأي السيدة حبيبة يكن رئيسة جمعية الشابات المسلمات .. وتابعت رئيسة الجمعية كلامها قائلة: « لقد اجمعنا رأينا على الدخول الى الندوة السياسية اللبنانية .. مع العلم أننا مقصرات في حق أنفسنا ، ولو أردنا لدخلنا بأعداد كبيرة الى المجلس ، لأننا أكثر عددا من الرجال ، ومن يدري فلو حجبنا أصواتنا عن الرجال ومنحناها للنساء فقد يتغير وجه لبنان .. الى الأحسن في هذه الحالة .. »

« شو المشكلة هايدي ؟ »

وسألنا العضوة السيدة هالة يكن أن تحدثنا عن المجتمع اللبناني ، فقالت : « انه مجتمع في طريق النمو .. فأين نحن من مجتمعات أوربا وأمريكا .. اننا ما زلنا في بداية الطريق .. »

قلنا : « ما رأيك في الاختلاط ، والتعليم المختلط ؟ »

فاجابت مستغربة بلهجتها اللبنانية المحببة : « شو المشكلة هايدي .. ما عندنا هذه المشكلة ، ولا نشعر بها ..

« اننا أصبحنا أقوى من أن نتأثر بالرواسب البالية لأن الاختلاط عندما يتم في أجواء نظيفة كمحراب العلم يجعل المرأة تتعود على امتلاك زمام نفسها ، ويتعود الرجل على رؤية المرأة كانسان عادي .

« ونرجو الا تأخذوا صورة عنا اننا منطلقات ، بل نحن محافظات متدينات ، نرعى تقاليدنا وتتقيد بها ، ولكننا نضطر الى مسايرة الحياة .. »

نهاية العبودية

وسألنا الآنسة سهام شهاب المحامية عن الطلاق والزواج فقالت : « تشير الاحصائيات اللبنانية الى وقوع ١٢٥١ حادث طلاق و ١٦٨١٧ حادث زواج خلال عام ١٩٧٠ وأكبر نسبة طلاق موجودة بين الطبقة المتوسطة في لبنان ، لأن المرأة أصبح لها استقلالها الذاتي تعمل وتكسب ، وتشارك في الانفاق ، فلم تعد تقبل بالعيش تحت عبودية الرجل ..

« أما الطبقة الغنية الموسرة فأصبح الرجل يعيش حياته .. والمرأة تعيش حياتها .. روح الأسرة موجودة .. ولكنها مفككة .. »

صاروخ الى الفضاء

اما وجه بيروت الناصع فقد وجدناه في الجامعات الأربع الموجودة فيها .. لقد عرف لبنان التعليم الجامعي في العصر الحديث حوالى عام ١٨٥٥ والجامعات الأربع تضم حوالى ٣٠ الف طالب ، وكل جامعة منها لها قصة ومشكلة ، وهذه الجامعات تحتاج الى استطلاع خاص للحديث عنها وعن طلبتها وطالباتها ومتاعبهم وآمالهم ، وتجاربهم العلمية المتقدمة التى وصلت حد اطلاق صاروخ بنجاح الى ارتفاع ١٦ كيلو مترا في الفضاء !!

ضريبة الحرية

ان بيروت مدينة متعددة الوجوه ، والحديث عنها يحتاج الى أكثر من استطلاع ليكون وافيا .. لقد عشنا مع ابنها ونقلنا صورة واقعية لحياته وآماله وآلامه ، ورأينا ما يمكن أن نفعله حرية الكلام .. وحرية البنوك .. وحرية البناء .. وحرية دخول الأجانب .. وحرية عرض الافلام ..

وعندما جلسنا الى اسعد المقدم مدير عام مجلس السياحة ، امتد الحديث الى نقد جارح لبعض الأوضاع اللبنانية ، فكان رده : « ان الاطار الديمقراطي الذي نعيش في ظله ، والذي يسمح لنا ولكم بنقد أوضاعنا بكل صراحة ، وبدون خوف ، هو الذي يجعلنا نتحمل جميع المنغصات التي تشاهدونها .. انها ضريبة الحرية ندفعها عن طيبة خاطر .. فهي أثمن شيء عندنا .. » ■■

سليم زبال

كان .. حلماً !

بقلم : خليل الهنداوى

يا ربيعَ العمر مهـلا   هل ترى في الكرم إلا ...
شجراتٍ عاريـاتٍ   لم تعد تنشرُ ظِـلاّ
كم ملأْنا الحقلَ ورداً !   وغرسْنا الدربَ فُـلاّ !
كم جهلنا دون عقـلٍ   ورأينا العقلَ جهـلا !
كم شربْنا الوصلَ نَهْـلاً   وجرعنا الإثم عَـلاّ !

★ ★ ★

وَيْحَ قلبي ! صرتُ كهـلاً   أيظلُّ الدهرَ طفـلا ؟
أيها الخافقُ رِفْقـاً !   هل تُطيقُ اليومَ حَمْـلا ؟
ملّت الأيامُ منى   وهو منها لم يَمَـلاّ
إن رأى الحسنَ ترامـى   خاشعاً للحسن ، ذُلا
ما الذى يَنْشُـد منـهُ ؟   هل تُراه يتسـلّى ؟

★ ★ ★

لم يمتْ قلبي ، ولكـنْ   قد نأى عنه المصـلّى
هو تِبْغٌ للغوانـى   دون أن يرجُوَ وصـلا
إن عداه الـوردُ لمساً   فبريـاهُ تملّـى
لم تزل ترنو عيـونى   أينما الحسـنُ أطـلا
علّ أنفاسَ الغوانـى   تبعثُ الميْتَ . . لعـلاّ
لمسةٌ من كفّ ليلـى   تيّمتْ مجنونَ ليلـى

★ ★ ★

كل هذا – ويْحَ قلـبي   كل هـذا قد تولّـى
كل هذا كـان حُلمـاً   هـزّ طرفي واضمحلاّ
وغـداً ... يبلى فـؤادى   وهـواه ليس يبـلى ■■

خليل الهنداوى

ابن جني

صديق المتنبي وشارح ديوانه

■ في الثامن والعشرين من صفر سنة ١٣٩٢ هـ ، المصادف الثالث والعشرين من آذار (مارس) سنة ١٩٧٢ م سيكون قد مضى الف عام هجري على وفاة العالم اللغوي ابي الفتح عثمان بن جني ، والعربية مدعوة بالملايين من ابنائها للاحتفال بهذه الذكرى الالفية الخالدة ، فابن جني راوية المتنبي ، واول شارح لديوانه . قراه عليه فاجازه ، ولطالما ناقشه لغويا وفكريا ومنطقيا مما جعله يقول : «ابن جني اعلم بشعري مني !» .

ابن جني قرأ ديوان المتنبي عليه

ورغم ما يدعيه ياقوت الحموي من ان ابن جني لم يقرا الديوان على المتنبي اعتدادا منه بنفسه(١) فان ابن جني يعترف عكس ذلك في شرحه الموسوم بـ « النسر »(٢) اذ يقول : « واذكر ما كان شجر بيني وبينه من المباحثة وقت قراءتي ديوانه عليه»(٣).

وفي موضع آخر يقول : « ومما استدللت به على حصافة لفظه ، وصحة صنعته ، ودقة فكره ، انني سالته يوما عن قوله (من الطويل) :

وقد عادت الاجفان قرحاً من البكا
وعاد بهاراً في الخدود الشقائق

فقلت : « اقرحى » محال ، ام « قرحا » منون، جمع « قرحة » ، فقال : « قرحا » منون ، ثم قال : الا ترى بعده : وعاد بهارا في الخدود الشقائق ؟

يقول : فكما ان بهارا جمع بهاره وانما بينهما الهاء ، فكذلك « قرحا » جمع « قرحة » وانما بينهما الهاء ، يوفق بذلك بين الكلام(٤) .

نستدل من ذلك على ان نقاشا دقيقا جرى بين الراوية والشاعر وان المتنبي كان عالما من علماء اللغة فضلا عن كونه من نوابغ الشعراء(٥) .

ولم يكتف ابن جني بمجرد السؤال والاستفسار بل كان ينقده احيانا فيقول مثلا :

قلت له في بعض ما كان يجري بيني وبينه : « تستعمل (ذا) و (ذي) في شعرك كثيرا » . فامسك قليلا ، ثم قال : « ان هذا الشعر كله لم يعمل في وقت واحد » . قلت له : « صدقت ، الا ان المادة واحدة ! » فامسك (٦) .

---

(١) معجم الادباء : جـ ٥ ص ١٧ ــ ١٨ وص ٢٥ (طبعة مرجليوث ، مصر ، ١٩٢٨) .

(٢) وقد قمنا بطبع الجزء الاول منه سنة ١٩٧٠ (طبعة مرجليوث ، مصر ، ١٩٢٨) .

(٣) النسر ، جـ ١ ص ١٢ ، وكذلك ص ٣٥٨ حيث جاء فيها : « وحدثني المتنبي وقت القراءة » .

(٤) نفسه ، ص ٢٤ .

(٥) ذكر ياقوت في معجمه جـ ٥ ص ١٧) : « كان أبو الفتح عثمان بن جني يحضر بحلب عند المتنبي كثيرا ويناظره في شيء من النحو . »

(٦) النسر ص ١٠٨ .



في الذكرى الألفية لوفاته

بقلم : الدكتور
صفاء خلوصي

فادعاء ياقوت الحموي اذن مردود وان ديوان المتنبي قد قرىء على المتنبي من لدن راويته وصديقه ابن جني .

كان ابن جني صادق الاعجاب بالمتنبي ، بعلمه وشعره

ولقد كان صادق الاعجاب بالمتنبي واعتبره في العلماء والشعراء معا واكد ذلك بقوله : « حقا اقول لقد شاهدته على خلق قلما تكامل الا بعالم موفق ، فاما اختراعه للمعاني وتغلغله فيها واستفاؤه لها مما لا يدفعه الا ضد، ولا يستحسن معاندته الا ند ، وما احسبني رأيت احدا يتناكر فضل هذا الرجل ردحا من الزمان الا وشاهدته بعد ذلك قد رجع عنه وعاد الى تفضيله » . وفي عبارته الاخيرة اشارة الى استاذه ابي علي الفارسي الذي كان بعيدا عن الاعجاب بالمتنبي وشعره الى ان حببه اليه تلميذه ابن جني فشاركه اعجابه وتقديره له .

ولم يكن ابن جني لغويا ونحويا فحسب بل كان ناقدا ادبيا كذلك ، وان لم يعترف به معاصره الشاعر سعد بن محمد الازدي الملقب « بالوحيد » الذي علق على آرائه النقدية في ثنايا « الشرح » بعبارات قاسية ،فباعتقاده انه اراد ان ينصف المتنبي من ابن جني الذي ظلمه ـ على حد قوله ـ ظلما عبقريا في كثير من تفسيره .

اخطأ الأزدي حين قال : ليس نقد الشعر من صناعة النحو

وركب سعد الازدي متن الشطط حين زعم ان ليس نقد الشعر من صناعة النحو، ونحن نستغرب كيف لا يمكن للنحوي ان يكون ناقدا وقد بدأ النقد العربي في احضان اللغويين والنحاة ، وكذلك كان في الادبين الانجليزي والفرنسي ، ونكتفي بذكر الاصمعي عند العرب والدكتور جونسن Johnson عند الانكليز وبوالو Boileau عند الفرنسيين .

ابن جني لا يؤمن بجودة الشعر الذي يفتقر الى ما تقدمه

ولابن جني كناقد ادبي آراء خاصة فهو لا يؤمن بجودة الشعر الذي يفتقر الى ما تقدمه ، فبيت المتنبي في كافور :

وما زال أهل الأرض يشتبهون لي
اليك فلما لحت لي لاح فرده

يحتمل معنيين مدحا وهجاء ، فلو كان في هجاء لاحتمله ، ولكنه في مدح ، وما كان من هذا النوع ـ في عرفه ـ فليس بفاخر من الشعر ، لفقره الى ما تقدمه .

ابن جني يثير اعجاب ابي علي الفارسي بالمتنبي

وبقدرة الناقد الادبي الحصيف استطاع ان ينتقي اجود ابيات المتنبي فيثير اعجاب ابي علي الفارسي ، وكان قبلها متنكرا للمتنبي وشعره ، كما اسلفنا ، وقد بدا بميميته واكد على بيته :

وشر ما قنصته راحتي قنص
شهب البزاة سواء فيه والرخم

فلم يزل يستعيده منه الى ان حفظه ، وقال « ما رايت رجلا في معناه مثله ! »

ابن جني اقرب الى التستر على عيوب المتنبي

وقد اتبع الاسلوب النقدي ـ فضلا عن اللغوي ـ في شرح الديوان ، فقال : « اذم شارد لفظه واميز ما يداخل قوة الصنعة من نقص في بعضه » . غير ان الذي لاحظناه انه اقرب الى التستر على عيوب المتنبي وتمحل الاعذار لها منه الى فضحها، والا فاي عَرُوضي يسمح بالهاء الاصيلة في الكلمة ان تعتبر وصلا في قول المتنبي :

عذلُ العواذلِ حولَ قلب التائه
وهوى الاحبة منه في سودائه

مع ذلك فابن جني يقول : « وجعل (الهاء) في (التائه) وان كان اصلا وصلا ، وذلك جائز مشروح في القوافي » .

وقد احس ابن جني ان المتنبي في مدحه لسيف الدولة « يتسع التسيب بالديح » ابتداء من بيته :

ومهجتي يا عاذلي الملك الذي
اسخطت اعذل منك في ارضائه

ويشير احيانا من طرف خفي الى ان المتنبي قد اقتبس بعض معانيه من شعراء سبقوه فهو حين يشرح مثلا بيته :

ان كان قد ملك القلوب فانه
ملك الزمان بارضه وسمائه

لا يتردد من ان يقول : بالغ في قول السماء ، كانه من قول الفرزدق :

أخذنا بآفاق السماء عليكم
لنا قمراها والنجوم الطوالع

ومن نظراته الصائبة في النقد تعليقه على بيت المتنبي :

ابن الثلاثة من ثلاث خصاله
من حسنه وابائه ومضائه ؟

بقوله : « ولو قال : (واين) بالواو لكان اعذب ، لان الواو يخلط الثاني بالاول ، فلا يجعل لاحدهما مزية على الاخر في التقدم والتاخر ، واذا لم يات بالواو صار الكلام كانه منقطع » .

نقد ابن جني لبيت المنبجي

غير اننا لا نرى وجها لنقد بيت المنبجي :

ضدان لما استجمعا حسنا
والضدُّ يظهر حسنَه الضدُّ

ولا لتفضيله بيت المتنبي التالي عليه وهو يكاد يكون صدى له :

ونذيمُهم وبهم عرفنا فضلَه
وبضدِّها تتبين الاشياء

فهو يقول ـ والكلام عن المنبجي ـ : « هذا بيت مدخول لانه ليس كل ضدين اذا استجمعا حَسُنا . الا ترى ان الحَسَنَ اذا قرن بالقبيح بانَ حُسن الحسن وقُبح القبيح ، ولم يحسنا جميعا ؟ وبيت المتنبي اسلم، لان الاشياء باضدادها، يصح امرها لما عليها ، حسنة « ظهرت ام قبيحة » وهو بهذا يخالف كلمة هنريك ابسن Henrik Ibsen المشهورة : There is Beauty In Ugliness ، ومعناها « في القبح جمال » .

والمقصود بشطر المنبجي « ضدان لما استجمعا حسنا » ، انهما جميلان باجتماعهما ، لا ان القبح جميل بمفرده ، وانما تخف وطاته عندما يجاوره جمال فتنصرف العين تارة اليه وتارة الى الجمال فتجد سلونها وعزاءها فيه .

الا ترى ان الرسام البارع يضع الاوزة المذبوحة الى جنب مزهرية ورد ، او وعاء مليء بالفواكه ، ليخفف من قبح الذبح بجمال الزهور او الفواكه ؟ هذا معنى : « ضدان لما استجمعا حسنا » وهو واضح وجميل وضوح وجمال قول المتنبي : « وبضدها تتبين الاشياء » .

ابن جني يمدح حشو المتنبي

وحتى « حشو » المتنبي عند ابن جني « في

غاية الملاحة والظرف » فهو يقول في ثاني البيتين التاليين من مدح المتنبي للادراجي :

يـا ايهـا المجـدى عليـه روحـه
اذ ليس يأتيـه لهـا اسـتجداء
احمد عفاتك ، لا فجعت بفقدهم
فلترك ما لـم يأخـذوا اعطـاء

« هذا يزيد في تفسير البيت الذى قبله ، وقوله : (لا فجعت بفقدهم) حشو في غاية الملاحة والظرف ! » .

خروج المتنبي عن القواعد

ويبرز ابن جنى خروج المتنبي على المألوف من قواعد اللغة والعروض والقافية ، دون ان يقدم برهانا معقولا ، وانما يكتفى بقوله : « وسنذكره في موضعه ان شاء الله تعالى » وتبحث عنه في موضعه فلا تجده فاما ان يكون مجرد تخلص او محض نسيان !

فمن ذلك مثلا تبريره تصريع التنبى للبيت اثناء القصيدة دون تغيير الموضوع كما في قوله :

تَمَمتَ حتى المُدْنَ منك ملاءً
ولَفَتَّ حتى ذا الثناءُ لَفاءُ

فقد صرع البيت ــ كما يقول ابن جنى نفسه ــ وهو في اثناء المدح لم يخرج منه من صفة الى صفة اخرى معترضة ، غير انه يضيف قائلا : « الا انه جائز ، وسنذكره في موضعه ان شاء الله تعالى » . ونحن نقول له انه غير جائز لان التصريع المفاجئ في القصيدة انما وضع كدقة الجرس تنبيها بتغير مجرى الموضوع .

هجوم سعد الازدى على المتنبي

ويتعرض ابن جنى لهجوم عنيف من سعد الازدى عندما يقول : ان بيت المتنبي :

لم تحك نائلك السحاب وانما
حُمَّتْ به فصبيبها الرُّحضاء

ابلغ من بيت ابى نواس :

ان السحائب لتستحيي اذا نظرت
الى نداك فقاسته بما فيها

« لان الحمى ابلغ من الحياء ، الا ان بيت ابى نواس اعذب لفظا »

فينهال عليه الازدى معنفا ويقول : « هذا كلام معذور ليس من شأنه نقد الشعر ، وليس بين البيتين ما يجب ان يُمثَّل بينهما . فاما قوله ان الحمى ابلغ من الحياء فليس كذلك ، فقد يحم الانسان من غيظ من لا يعترف له بفضل واجلال واعظام ، فان كانت المبالغة هى الشعر فقد قصر المتنبي عن مذهبه ، اذ لم يقل نحرت نفسها غيظا وحسدا ، وهذا دمها ، واشباه هذا . وليس الشعر ما يذهب اليه . وايضا فان الحاسد لا يحسد الا من قارب حاله ، لان السوقة لا تحسد الملوك ، والحياء من كل صغير يواجه كبيرا ، فبيت ابى نواس ابلغ واعذب لفظا ، وعليك بعلمك فارجع اليه ، وقد تقدم ان الشعر ليس هو الغلو في المعانى . ولو كان ذلك ، لكان المحدثون اشعر من الاوائل ، ولما كان حاذق المحدثين اذا قرأ اشعار العرب سجد لها واقر بالعجز عنها ، وانما هى اساليب عبروا بها على المعانى تاخذ بالقلوب وتسحر العقول . ثم اقول : ان الشعر ثلاث طبقات : اولها المطرب كشعر جرير وجميل وغيرهما وتبعهم البحترى ، والثانى المعجب ، كشعر كثير والفرزدق وهو الجزل الجيد المعانى ، ثم المضحك(٧) . وكلما غالى الشاعر في المعانى وعمق ، بعد من القلوب ، خاصة ان افرد ذلك في كلام غريب ، فلا حظ له في الاسماع . ورايت صاحب الكتاب(٨) ليس يفاضل بين الشعر الا بالمعانى والمبالغة ويترك ما سوى ذلك ، وسيمر بك في احكامه في الشعر ما تعجب لـه » .

هذا رأى سعد الازدى وكان سيىء الرأى بابن جنى والمتنبي ، وكان هو نفسه يرمى المتنبي بسوء الرأى ويدعى انه كان يعرفه معرفة شخصية ، فيقول ، والحديث عن خروج المتنبي من مصر : « ولمعرفتى ، كانت (اساءة الصنعة بذكر لون كافور) بسوء رأيه ، لما يغلب في ظنى انه تعمده بذلك ، فان هذا ابعد من ان يخطىء به العاقل وفيه الهلاك ، ولكن الرجل كان سيىء الرأى متهورا . وسوء رأيه اخرجه من حضرة سيف الدولة وشدد تعرضه لعداوة الناس » .

---

(٧) مع انه لا يذكر امثلة فالمقصود ما كان على نمط شعر ابن الحجاج وابن سكرة .

(٨) يعنى ابن جنى .

ويعود كرة اخرى فيقول : « انه سيىء الرأى وما قلت الا عن مشاهدة منى له وخبرة به . كان معجبا برايه قليل القبول ممن يشير عليه ، لا يعمل الا ما يقع في نفسه من غير محاسبة لنفسه » .

والنقد الادبى ـ باعتقادنا ـ منوط بالذوق الشخصي فلا نرى وجها لاستغراب الازدى من عدم ابداء ابن جنى اعجابه ببيت او ابيات معينة من شعر المتنبى قد تكون موضع اعجاب غيره ، فمن ذلك مثلا سكوت ابن جنى عن قول المتنبى :

ومن جهلت نفسه قدره
رأى غيره منه ما لا يرى

فيقول الازدى : « هذا البيت شاهد بجودة لفظه واستقامة نسجه وصحة معناه ، فما رأيته التى عليه فيه ، ولا تحرك له . للرجل والله قصة قد رابتني ! » .

ليس في الامر ما يريب فقد يكون الرجل قد غفل عن هذا البيت او احتفظ باعجابه لبيت آخر اجمل واروع في نظره، فالابيات الشعرية كالصورة الزيتية تختلف النظرة اليها من شخص لآخر .

من القواعد النقدية لابن جنى

ومن القواعد النقدية التى وضعها ابن جنى قوله : « المحدثون يستشهد بهم في المعانى كما يستشهد بالقدماء في الالفاظ » .

هذا حق ولكن الى اى حد ينسحب خط القديم فيعزله عن الحدث ، فما كان محدثا في زمن ابن جنى هو قديم بالنسبة لنا ، بل جد قديم بالنسبة للامم الاخرى التى لم تكتسب لغاتها الصفة الادبية الا قبل خمسمائة او ستمائة سنة كلغات الشعوب اللاتينية التى ما كانت غير لهجات محلية عامة اشتقت من اللغة اللاتينية الادبية التى كانت هى اللغة الأم .

اعتقد انه قد آن الاوان لان نمنح لغتنا شيئا من المرونة لنحاشي قانون التطور الطبيعى الذى انحنت امامه اللغات الحية جميعا وفي مقدمتها الانكليزية التى عمت البسيطة ، وليس بعيدا ان تصبح يوما ما لغة سكان القمر والاجرام السماوية الاخرى اذا استوطنت .. اقول لا بد ان نمنح العربية ما منحته الانكليزية من مرونة فنحور قانون ابن جنى ونقول ، مع الاعتذار لروحه و ذكراه الالفية : « نوابغ المحدثين والقدامى يستشهد بهم في المعانى كما يستشهد بهم في الالفاظ » .

ولسنا في معرض مؤاخذة ابن جنى على قاعدته فلربما كانت تصح في زمانه ، ولقد اجتهد فتوصل الى هذا المدى ، ولسنا نتوقع منه الكمال في كل اجتهاداته ، فالكمال لله وحده ، ومن طلب الكمال المطلق فقد اتعب نفسه في غير طائل ، كحكاية ذلك الذى طلب ابتياع حمار تتوفر فيه كل الصفات الممتازة ، ويرويها ابن جنى نادرة « ذات مغزى » في ثنايا نقده الادبى فيقول :

ابن جنى وقصة الحمار

حكى ان بعضهم قال لنخاس : « اريد ان تبتاع لى حمارا حسن الذهاب ، مليح الاياب ، قريب الركاب ، لين الانسياب ، يلعب بيديه ويمرح برجليه . ان هيّمته هام ، وان اشرت اليه قام ، كانه صبيب في جدول ، او عباب في منهل » . فقال له النخاس : « انظرنى الى ان يمسخ حكيم الفرس حمارا فابتاعه بهذه الصفة ! » .

ابن جنى يتطلب النادر الشاذ

وكان لا بد لابن جنى وهو اللغوى المتبحر ، ان يتطلب النادر والشاذ فيقرنه بالمشهور المستعمل، مما اثار حفيظة الشاعر « الوحيد » ـ وهو لقب سعد الازدى كما اسلفنا ـ فقال : « انه الغراب على الناس وفي ذلك افساد اللغة ،لأن أبا زيد وأبا عمرو والشيبانى واللحيانى وأبا مسحل وابن الاعرابى، ومن عمل النوادر ، انما سموها بهذا الاسم ليعلموا الناس انها غريبة شاذة عن منهاج الكلام الواضح ، فهذا الرجل (اى ابن جنى) شديد التعلق بها يفتش عليها ويوجه لها وجوهها من الاعراب ويعتقد العمل عليها ، وانما هى بنيات الطريق والمحجة الواضحة أسلم له لو لزمها » .

نستدل من هذا ان معاجم المفردات الغريبة الشاذة لم توضع ليستعملها الناس وانما ليتجنبوها الى الفصيح الواضح ، فهى مجرد صوى ومعالم في طريق التطور اللغوى ، وهذه نظرية يحسن الاخذ بها .

الازدى يذهب الى ان القرآن غريب اللفظ على زمن هو فيه

غير ان « الوحيد » يذهب الى ابعد من هذا

حين يؤاخذ ابن جنى لقوله : « (يقذف) كلمة فصيحة عربية لا عيب فيها ، ولكن قياسه الشعر على القرآن ليس بقياس صحيح ، وذلك لان القرآن نزل بلغة قوم فهموه واكثره لا يفهم او يفسر لاهله ، والشعر في زماننا معمول لاهله ، فينبغى ان يكون على ما يفهمونه » .

هذا نص جرىء دُوّن قبل الف عام ، وفيه دعوة الى فصل لغة الشعر عن لغة القرآن ، وادعاء بان لغة القرآن في اكثرها غير مفهومة في القرن الرابع للهجرة الا اذا فسرت ، وهو ادعاء لا يخلو من مبالغة لان لغة القرآن ـ على العموم ـ مفهومة حتى من لدن ابناء القرن الرابع عشر الهجرى ، في عصرنا الحاضر . وتدل العبارة الاخيرة على فكرة تقريب لغة الشعر من لغة النثر ، وهى فكرة لم تلق رواجا حتى في ايامنا هذه ، مع انها صائبة ويجب ان يؤخذ بها ، وقد اخذت بها لغات العالم المتحضر كافة .

جسارة المتنبى

ويعترف ابن جنى بان المتنبى كان يتجاسر في الفاظه جدا ، ويدعم ذلك بقوله : « الا تراه يقول لفاتك وهو يمدحه :

وقد يلقبه المجنون حاسده
اذا اختلطن وبعض العقل عقال

اولا ترى كيف ذكر لقبه على قبحه وتلقاه به ، وسلم مع ذلك احسن سلامة ، ولولا جودة طبعه وصحة صنعته ما تعرض لمثل هذا » .

فيأتيه الرد العنيف من الشاعر الازدى اذ تسمعه يصرخ عبر عشرة قرون : « واخلافاه ! تعالوا اسمعوا العجب . يصفه بالخطأ والتخلف ، فيقول هو صحيح الصنعة . ان الصناعة ـ عافاك الله ـ لا توجب مثل هذا القول (والاشارة هنا الى البيت السالف الى قول المتنبى) :

يعلمن حين تحيّى حَسنَ مبسمها
وليس يعلم الا الله بالشنب

(في رثائه لاخت سيف الدولة) ولا هو محتاج الى ذكر هذا القول في امراة ميتة ، ولو كانت مَحرما له ، فكيف وليست له بمحرم ، ولها اخ ملك قاهر ، فقد اخطأ في الصناعة اذ اورد ما لا يحتاج اليه الرائي في مرثيتها ، واخطأ في الرأى لنفسه ، واما قول صاحب الكتاب (اى ابن جنى) : « وسلّم احسن سلامة » ، يعنى من فاتك ، فليست سلامته دليلا على اصابته . قد يخطىء الانسان ويسلم ، ويصيب فيهلك . ذلك امر غير صناعة الشعر .. وليس من ادخل في غرض من الاغراض ما لا يليق به منسوبا الى الحذق ، وكذلك ذكره مبسمها وحسنه وشنبه ومفرقها في البيت الذى يتلوه ، ومن الذى كان يجسر على سيف الدولة ويذكر هذا من اخته ؟ » .

كل هذا كلام ما كان له داع

كل هذا كلام لا داعى له . ان الذى اراد ان يثبته ابن جنى هنا هو ادعاء المتنبى حين يقول :

لا تجسر الفصحاء تنشد هاهنا
بيتا ولكنى الهزبر الباسل

انه كان يستطيع ان يتفوه باشياء لا تجرؤ الشعراء على ذكرها ، ويتخلص ، مع ذلك ، حسن تخلص من دون خدش لكرامة المخاطب ومشاعره ، وهذه مزية امتاز بها المتنبى بين القلة القليلة من الشعراء .

ان هذه التعليقات وامثالها للشاعر الازدى على الاتجاه النقدى لابن جنى جعلت احد النساخ القدامى يعلق على حاشية بعض صفحات «الفسر» بالعبارة التالية : « ما انصفه ـ يعنى الازدى ـ ما هذا النقد ؟ » .

والحق ان نسخة « الفسر » التى قمنا بتحقيقها ونشرها تبين اتجاهين في النقد : الاتجاه اللغوى الادبى المعتدل ، ويمثله ابن جنى ، والاتجاه الادبى العنيف ، ويمثله الازدى ، والاول اقرب الى الطريقة العلمية المقبولة ، والثانى الصق بالاندفاع التهورى المتذرع بالعبارات الكاسحة دون تحفظ من نحو قوله :

ابن جنى يتحدث عن الحسد بين العظماء

« صاحب الكتاب لا يعرج على هذه الطريق ، ولا له فيها اثر خف ولا حافر » .. اعتقد انه مما لا يليق بالذوق الادبى الرفيع لشاعر ان يستعمل اللفظة الاخيرة ، ولا سيما اذا كان في صدد الحديث عن نابغة عصره في اللغة . اللهم انه الحسد الذى ما خلا منه عصر وقلما ارتفع فوقه انسان ، وقد

اشار الى هذه الظاهرة ابن جنى نفسه في الفصل الاستهلالى من « النسر » فقال :

« ومن ذا الذى يسلم من قالة الناس وحسدهم، وهل خلا الصدر الاعظم والجمهور الافخم من اهل العلم وذوى الالباب والفهم من هذه المنافقة والمناقضة والتعصب والتحزب على قديم الوقت والى زماننا هذا ؟ » . ثم يمضى ابن جنى بعد ذلك ليبين ما كان بين عبد الله بن ابى اسحق والفرزدق ، وبين الاصمعى وابى عبيدة وابى زيد ، وبين الخليل ويونس ، وما كان بين الخليل ايضا وخلف الاحمر ، وبين سيبويه والكسائي ، وابى زيد الانصارى وابى عمرو الشيبانى ، وبين المبرد وثعلب ، واخيرا ما كان بين ابن الاعرابى وابى تمام، ويختم مواقف الحسد بين مشاهير اللغويين الشعراء الذين سبقوا عصره بقوله : « فاذا كان الفضلاء واولو الحنكة والبصائر يستجيز بعضهم غض بعض ونقصه والوضع منه ، وجميعهم مع ذلك عندنا كالانجم التى يستضاء بنورها ، فكيف الان مع اخلاق الادب ودروس مناره وامحاء اثاره ؟ » .

ثم ينتقل الى الحديث عن سبب تهجم المعاصرين على المتنبى فلا يجد لذلك سببا سوى انه متاخر محدث ، فتساءل مستغربا : « وهل هذا لو عقلوا ، الا فضيلة له ومنبهة عليه ، لانه حامى زمن يتعقم الخواطر ويتصدى الاذهان ».. وما قاله ابن جنى في عصره واهل عصره يكاد يصدق على عصرنا واهل عصرنا .. فما اشبه الناس بالناس في كل زمان ومكان !

نقد الازدى عاطفى لفظى فى اكثره

وقد رد ابن جنى ضمنا على سعد الازدى حين تناول تحاسد الادباء واللغويين ، وفي اعتقادنا ان نقد الازدى عاطفى لفظى في اكثره ، من نحو قوله : « هذا جهل طريف وخطأ غريب لا يقع فيه من له ادنى علم » او قوله : « هذا الرجل يشتهى ان يتكلم بكل ما عنده في تفسير هذا الديوان ، فنتحمله ونصبر عليه ! » .

هذه كما اسلفنا « مطلقات » او عبارات كاسحة لا قيمة لها في ميزان النقد الادبى الصحيح .

ابن جنى فصل بين دين الشاعر وشعره

وقد وضع ابن جنى قاعدة في النقد الادبى لم يتوصل اليها نقاد الادب الغربى الا بعده بقرون ذلك انه فصل بين الدين والاخلاق من جهة وجودة الشعر ورداءته من جهة اخرى ، حين تعرض لشرح بيت المتنبى :

وابهر آيات التهامى انه
ابوك واجدى ما لكم من مناقب

فقال : « اكثر الناس القول في هذا البيت ، وهو في الجملة شنيع الظاهر ، وقد كان يتعسف في الاحتجاج له والاعتذار منه بما لست اراه مقنعا ، فاضربت عن ذكره ، ومع ذلك فليست الاراء والاعتقادات في الدين مما يقدح في جودة الشعر ورداءته ، لان كلا منفرد من صاحبه ، ولم اقصد في هذا الكتاب الى شرح مذهبه ، بتصحيح او غيره » .

هذا ـ كما يرى القارىء ـ رأى في النقد الادبى يجعل الجمال الفنى فوق الاعتبارات الدينية والاجتماعية والاخلاقية ، ولسنا نشايعه ، انما نذكره مستغربين كيف يجاهر به في القرن الرابع دون ان يتعرض لسخط الراى العام انذاك ، وهو بهذا قد ضرب الالتزام في الادب عرض الحائط ، ونادى بمذهب الفن للفن Art For Art,s Sake قبل جون رسكن واوسكار وايلد وبنديتو كروتشي بمئات السنين ..

ان الانسان ليكاد بعد هذا يزداد ايمانا بقول من يقول : « لا جديد تحت الشمس » واننا لو نقبنا وبحثنا في الاف المخطوطات العربية التى تركها السلف للخلف ، لعثرنا على كثير من نظريات واراء الغربيين المحدثة التى نعتبرها جديدة رائعة ، وان هى في الحق والواقع الا اصداء مكررة معادة لما نادى به نوابغنا في ثنايا كتبهم ورسائلهم عبر القرون ، وهذه هى الفائدة الاولى المرجوة من اقامة المهرجانات والاحتفالات الالفية لمفكرينا وحكمائنا وشعرائنا ، فمثل هذه المناسبات تكون حافزا لنا للتعمق اكثر فاكثر في اغوار ما تركوه من تراث فكرى خصب ، وتامل متشعب الارجاء بعيد المدى .

فلابن جنى كناقد ادبى الف تحية ، عدد السنين الالف التى مضت على وفاته ! ■■

صفاء خلوصي

مكتبة جامعة ليدز (انجلترا)





الاقراص المنومة ..
كيف الخلاص منها ؟!

ما هي الاعراض التي تظهر على شخص تعاطى اقراصا منومة ؟ وما هي الاسعافات اللازمة في مثل هذه الحالة ؟

– هناك انواع عدة من الاقراص المنومة وهي كلها من مشتقات حامض الباربتوريك Barbiturates فمنها ما هو سريع الفعالية ولمدة قصيرة مثل السيكونال ومنها ذو الفعالية الطويلة الأمد مثل اللومينال ومنها المتوسط الفعالية ولفترة متوسطة مثل النمبيوتال وتختلف كمية الاقراص اللازمة لقتل المريض حسب نوعها ففي حالة اللومينال مثلا تكفي ستة جرامات وفي حالة السيكونال ثلاثة جرامات . اما اذا اخذ المريض كميات أقل من الكميات القاتلة فيكون في حالة نعاس في بادىء الامر مع امكان ايقاظه باستعمال منبه ، ولكن المصاب لا يعي المكان ولا الزمن . وفي بعض الاحيان يتفوه بكلام غير مفهوم واذا زادت الكمية فان سرعة التنفس تقل ، واذا اوقظ المصاب بهزة شديدة فانه يكون في حالة (توهان) وسرعان ما يعود الى حالة النعاس .

وفي الحالات الشديدة لا يمكن ايقاظ المصاب بأي طريقة من الطرق حتى ولو استعملت المنبهات المختلفة كوخز بالابرة مثلا – وتكون سرعة التنفس بطيئة جدا وتنخفض حرارة الجسم ويكون النبض ضعيفا ويهبط ضغط الدم .

على انه اهم شيء في الاسعافات الاولية اذا عرف ان المصاب اخذ كمية من الحبوب ولم يفقد وعيه بعد فيعطى كميات كبيرة من الماء المضاف اليه بعض الملح ثم يضع المصاب اصبعه في فمه ويتقيأ عدة مرات ؛ وبذلك يمكن طرد الاقراص الباقية من المعدة قبل ان تذهب الى الامعاء وتزيد من تأثيرها على الجسم – وينقل المريض في اسرع وقت الى المستشفى اذ ان كل وقت يمر يزيد من تأثير الاقراص المنومة على الجهاز العصبي ويشله وتكون العواقب وخيمة وربما لا يصحو المصاب ويموت في حالة غيبوبة .



الجرب قد تنتقل عدواه من الحيوان الى الانسان

● ظهرت حبيبات صغيرة على جسم ولدى مصحوبة بحكاك شديد وقالوا انها حساسية ، ولكن اصيبت ابنتى بعد ايام بنفس المرض فاخبرنى الاخصائى بان ذلك مرض معد فهو الجرب ، وسالنى عما اذا كانت عندى حيوانات او ارانب بالبيت ، فهل لذلك صلة ، وما هو ذلك المرض ؟

ــ الجرب Scabies هو مرض جلدى معد ينتج عن الاصابة بطفيل يسمى Sarcoptes Scabiei الذى يعيش على الجلد ثم تخترق الانثى بعد تلقيحها الجلد لتضع البيض . وهذا المرض يحدث فى الانسان ، كما انه يصيب كثيرا من الحيوانات مثل الكلاب ، والماشية والخنازير ، والغنم ، والماعز ، والجمال ، والارانب ، والخيول ، حيث يمكن ان تنتقل العدوى للانسان من هذه الحيوانات .

ويتميز المرض بوجود حبيبات صغيرة على الجلد قد تكون مصحوبة ببعض الفقاعات ، وهذه الحبيبات تؤدى الى خنادق على شكل خيط او خط غامق اللون طوله يختلف من بضعة مليمترات الى ١ سنتيمتر ، وفى آخر الخندق قد تجد الطفيل ، وهذه الحبيبات عادة تظهر على اليدين خاصة بين الاصابع وعلى المعصم ، وفى الابط ، والصدر والبطن ومنطقة الفخذ . وفى المراة تكثر الاصابة فى الصدر بينما فى الرجل تزداد الحبيبات والحكة على الاعضاء التناسلية ، ولا يؤثر المرض فى الوجه والراس فى البالغين ، أما فى الاطفال ، فانه يمكن ان يصيب جميع أجزاء الجسم بما فيها القدم والوجه والراس نظرا لرقة الجلد .

ويتميز الحكاك فى الجرب فى انه خفيف بالنهار ، ولكنه يزداد شدة بالليل لدرجة أن بعض المرضى لا يستطيع النوم من شدة الحك . واذا استمر المرض لفترة طويلة فان الشخص يكون معرضا لحدوث التهابات ثانوية أو أكزيما فى هذه الحبيبات خاصة فى الاطفال ، وعامة يختلف الطفح من شخص لآخر تبعا لطريقة العدوى ، ودرجة نظافة الشخص ، وطول او قصر فترة المرض والعلاج المستعمل ، وهذه هى الاصابة الاولى للشخص أم انه سبق له الاصابة بنفس المرض .

وفى العلاج يجب ملاحظة وجود حيوانات بالمنزل قد تكون مصابة بنفس المرض والتخلص منها ، كما أنه يجب فحص المخالطين للتاكد من خلوهم من المرض ، وهل هناك اشخاص آخرون من نفس العائلة او يسكنون فى نفس المنزل ، ويشكون من حكة تزداد بالليل فانه يجب التفكير فى أن السبب هو الجرب ، وللتاكد من ذلك يمكن اخذ عينة من المريض من نهاية الخندق فى آخر الحبيبات لفحصها للتاكد من وجود طفيل الجرب فيه .

والعلاج يتكون من دهانات خارجية فقط واكثرها استعمالا وافضلها هو دهان ٢٥ ٪ Benzyl Benzoote يدهن



الالتهابات والتسلخات الجلدية ، أسبابها وعلاجها

● انا سيدة وأم اطفال ، اصابني احمرار وتسلخ تحت الصدر وعالجته، ولكنه كثيرا ما يعود الى الالتهاب والتسلخ ، فما سببه وعلاجه ، وطرق الوقاية منه ؟

ـ ان التسلخات Intertrigo تحدث نتيجة لزيادة الحرارة والرطوبة فى مناطق الاحتكاك ، خاصة تلك المناطق صعبة التنظيف ، ويكون الجلد فيها رقيقا ، ويكثر فى الشخص البدين ، خاصة تحت الصدر فى المرأة نظرا لزيادة الاحتكاك والسخونة وكثرة افراز العرق والدهن ،علاوة على قلة التهوية فتلتهب المنطقة وتصبح حمراء لامعة ويتسلخ الجلد فيها،وقد يتشقق ويفرز سائلا شفافا أصفر، جاعلا السطح قلويًا ، مما يساعد على نمو الميكروبات ،وقد تتكون كذلك فطريات على سطح الجلد المصاب مثل المونيليا ،وكذلك قد ينتشر التسميط فى مناطق الاحتكاك الأخرى ، مثل الابط والفخذين ومنطقة السرة ، ويشكو المريض من حكاك وحرقان علاوة على الاحمرار والتسلخ وعلاج هذه الحالة سهل وبسيط وممكن شفاؤه خلال أيام ، ولكن المهم هو الوقاية حتى لا يعود المرض ثانية، وذلك بتخفيف احتكاك الجلد بعضه ببعض ، واستعمال رافعات أثداء من القماش اللين بحيث يكون مضبوطا ومريحا ومصنوعا من غير النايلون ، هذا الى جانب التعرض للشمس والهواء ، والنظافة الشخصية والتهوية واستعمال البودرة المطهرة والمزيلة للعرق .

ولعلاج التسميط يمكن استعمال بودرة تيرامايسين او محلول زنك مع سلفا ، وعمل مكمدات برمنجنات بوتاسيوم ، واستعمال الكريمات الملطفة والمهدئة خاصة بالمساء ، حتى تظل على الجلد حتى الصباح مثل كريم فيوفورم ، أو فيوفورم هيدروكرتيزون ، كذلك استعمال دهان الجنشيانا الا ان لونه غير مستحب .

واذا كانت هناك التهابات بكتيرية ثانوية أو فطريات مصاحبة للمرض ، فيجب علاجها بالمضادات الحيوية وعلاج الفطر سواء عن طريق الفم أو العلاج الموضعي ، وفى الحالات المستعصية ،وهذه نادرة جدا ، نلجأ الى استعمال اشعة اكس ، على الوجه الذى ينصح به الطبيب المختص .

الجسم كلية من الرقبة حتى أصابع القدم بالدهان خاصة ثنايا الجسم ، وذلك بعد اخذ حمام بالماء والصابون ، ويترك الدهان على الجسم لمدة يوم كامل ثم يستحم بالماء والصابون ، وتغير الملابس والشراشف التي يجب تعقيمها ، وقد تكون دهنة واحدة كافية ، ويكرر الدهان مرة أخرى بعد ٣ أيام ، ويفضل تغيير الملابس والشراشف يوميا لمدة ٤ أيام لتجنب العدوى ثانية .

وهناك دهانات أخرى مستعملة مثل Topocide أو دهان Kwell . وفى بعض الاشخاص تستمر الحكمة أسبوعا أو أسبوعين بعد العلاج وفى هذه الحالة تعالج بالدهانات الخاصة بالحكة والملطفة فقط .

كنفشيوس

والصين الحديثة

بقلم : على أدهم

■ يعد كنفشيوس من اعظم الرجال الذين عرفتهم الحضارة الصينية ، وابعدهم اثرا في حياتها السياسية والاجتماعية والثقافية ، وقد قال عنه الحكيم الصينى منشيوس بعد مرور قرنين على وفاته انه اعظم الحكماء قاطبة . وشدة اكبار الصينيين لمكانته جعلتهم يَحيكون حول حياته الأساطير ، ويَعزون اليه اقوالا لم تصدر منه ، وحملت الحكماء الصينيين وسائر اصحاب النحل والمذاهب الذين جاءوا بعده ، ونهجوا منهجه ، على أن يفسروا آراءهم في ضوء افكاره ، وينهجوا بمذهبه الأخلاقى الاتجاه الذى يلائم مذاهبهم الخاصة ، وافكارهم المستجدة ، ليدعموا مكانتهم، وتظفر تعاليمهم بالثقة المطلوبة، والتأييد المرجو . ومن أجل ذلك يجد المتخصصون في دراسة حكمة كنفشيوس واحداث حياته انهم في حاجة ماسة الى اطالة التحقيق وكثرة التحرى .

نشـــأته

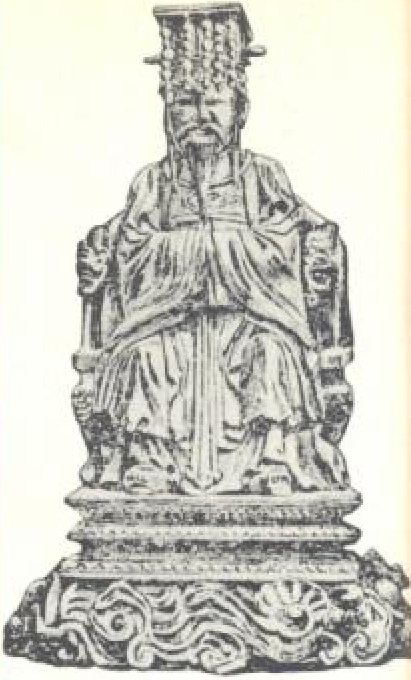
والمعروف عن كنفشيوس انه ولد في عـــام ٥٥١ ق.م في مدينة تشوفو ، وهى احدى البلاد التى كانت تكو‌ن وقتئذ امارة (لو) ، والتى تدعى الآن بولاية شان تونج ، وكان والده احد المجاهدين الشجعان ، والاداريين الكفاة ، وقد صار أبوه حاكما في احدى المدن ، ومديرا لاحدى مقاطعات ولاية (لو) ، وكانتهذه الولاية تعد في هذه الفترة ارقى ولايات الصين حضارة ، واكثرها تقدما ، وكانت الوظائف الحكومية بها وراثية ، وقد ولى كثيرون من اسرة كنفشيوس وظائف الحكومة جريا على هذا النظام الذى كان سائدا .

وقد تيتم في باكورة حياته وظهر ميله الشديد الى التحصيل منذ صغره ، فلم يكد يبلغ الرابعة عشرة من عمره حتى كان قد وعى كل ما عند معلمه من ذخائر المعرفة ، وفي الوقت نفسه كان لا يكف عن مباشرة التمرينات الرياضية ، وكان له ولع خاص بالموسيقى والعزف على القيثارة ، كما عرف بحبه للشعر وباستقامة الاخلاق ورجاحة العقل ورباطة الجاش .

فى وظيفة حكومية

ولما بلغ أشده عين في وظيفة حكومية متواضعة، اذ وكل اليه الاشراف على أحد الاهراء وبعض الاراضي العامة التابعة للحكومة ، ولكى يزيد دخله القليل صار يعطى دروسا لبعض الطلبة ، واظهر تفوقا ملحوظا في التدريس مما جعل الطلبة من الأسر النبيلة يؤمون داره لتلقى العلم ، وسرعان ما ذاعت شهرته ، واثبت انه اغزر سكان الولاية علما ، واوسعهم معرفة .

ولم تكن‌ولاية (لو) ناعمة بالهدوء والاستقرار ، فقد كان الامير حاكمها مسلوب الحول ، وكان يسيطر على الجيش ثلاثة وزراء من آبناء عمومته، وكانوا يتوارثون الوزارة ، وكان هناك صراع على



السيطرة بين الامير ووزرائه ، وتنافس بين الوزراء على النفوذ والاستغلال .

كنفشيوس فى المنفى

وحينما بلغ كنفشيوس الخامسة بعد الثلاثين من عمره كانت الامور قد تأزمت ، فقد حاول الامير جاو Jao ، أن يفاجيء رئيس الوزراء بالهجوم ، واستطاع القبض عليه واعتقاله ، وهو الفيسكاونت بنج Ping ، من قبيلة جي Ji ، ولكن الامير لم يستمتع بهذا الانتصار طويلا ، فبينما كان يداول الرأى مع حاشيته في قتل بنج أو الابقاء عليه جمع الوزيران الآخران جموعهما وهاجما الامير ، واستنقذا الوزير بنج من الأسر ، ولم يجد الامير بدا من الفرار ، وقد مات في المنفى ، وتبع كنفشيوس الامير الى منفاه ، ويبين لنا هذا المسلك جانبا من الاتجاهات السياسية ، فقد كان من الموالين للحكم القائم ، ولم يكن من محبذي الخروج على سلطة الامير ، والتنكر للسلطة الشرعية .

عاد كنفشيوس من المنفى ومارس التدريس

ولم يكن الامير السابق من الامراء الذين يحسنون الحكم والنهوض باعبائه ، ولم يلبث كنفشيوس في المنفى طويلا ، وعاد الى الولاية التى نشأ بها ، ولكنه رفض قبول الوظيفة الحكومية في عهد بنج الذى استأثر بالسلطة وتقلد زمام الامور بعد فرار الامير السابق ، واستأنف كنفشيوس مهنة التدريس ، ويبدو أنه كان اول من احترف تدريس الموضوعات السامية التى كانت تعلو على المعلومات الدارجة المألوفة التى كان يتلقاها الطلبة قبل عهده ، وقد قدم بذلك مثلا يقتدى به ، وجرى الصينيون منذ ذلك العهد على اتباع مثاله واتخاذه قدوة ، ولما كان كنفشيوس عالما جليل الشأن ومدرسا موهوبا فقد رفع ذلك من قدر العلماء والمدرسين ، وجعلهم مناط الاحترام والتبجيل في تاريخ الثقافة الصينية .

بالصين كتب أكثر مما فى العالم

ويقول الباحثون في تاريخ الحضارة الصينية ان الصين كان بها من الكتب اكثر مما في سائر العالم ، وان كنفشيوس بتعاليمه المأثورة ، وحكمته العميقة كان اقوى حافز للصينيين على طلب التثقيف الذاتي ، والعناية بتحصيل المعرفة ، والاستزادة من العلم ، والتعمق في البحث .

اضطراب أشد خطرا

وبعد ثلاث عشرة سنة حدث في (لو) اضطراب داخلي اشد خطرا من الاضطراب السابق ، فقد اقدم ثلاثة من الشبان المنتسبين الى اسر الوزراء تحت زعامة شاب مغامر على تدبير مؤامرة لقتل الوزراء الثلاثة القائمين بالامر ، والاستيلاء على مناصبهم ، وكشفت المؤامرة في اللحظة الاخيرة ، ولكن اخماد الثورة استلزم ستة اشهر من النزاع العنيف والحرب الشعواء ، وقد اقنع هذا الموقف الحكام المسيطرين انهم في حاجة ماسة الى الاستعانة بتعاليم كنفشيوس التى توصي بالاستقامة وأخذ النفس بمجافاة المطامع الذاتية ، ولذلك دعى الى تقلد وظيفة في الدولة ، وكان على رأس الحكومة في ذلك الوقت امير من اسرة جي Ji ، والوزير هوان Huan . وقبل كنفشيوس الوظيفة في هذه المرة ليجنب وطنه الويلات ويرده الى السير في الطريق السليم .

تعيينه مديرا للجريمة

وجريا على الطريقة الصينية رئى أن يعهد

الى هذا العالم الحكيم بالادارة في احدى المدن من قبيل التجربة ، وبعد مضي عام استدعى الى البلاط واسند اليه منصب عال ، فقد عيّن « مديرا للجريمة » وهو في تقديري يعادل منصب قاضي القضاة ، وتجلت في تلك السنة شجاعته وقدرته الفائقة على الحسم في المشكلات العارضة ، وسداد تفكيره ، وبعد نظره حينما عقد اجتماع بين أمير لو والامير تسي Tsi صاحب الامارة الاكبر رقعة المجاورة لامارة لو .

خطة لاعادة السلام للامارة

وعرض كنفشيوس خطته لاعادة السلام ، وضمان استقرار الأمن في امارة (لو) ، وتضمنت هذه الخطة أن على الوزراء الثلاثة أن يعيدوا الى الامير السلطة والاشراف على حكم الامارة ، وينزلوا له عن سيطرتهم الحربية بأن يجردوا قلاعهم في المدينة من وسائل الدفاع والهجوم الموجودة بها ، وهي التي يعتمدون عليها في الاستئثار بالنفوذ ،وكانت هذه الخطة تبدو غير قابلة للتنفيذ ، فانه لم يعرف من قبل ان احد النبلاء قد تنازل في يسر اوسهولة عن القوة الحربية التي يعتمد عليها في توطيد قدمه واعلاء شأنه ، ولكن هذه الخطة كانت الطريقة الوحيدة التي تكفل عودة السلام والاستقرار، وتجنب الهزاهز والاضطرابات ،وذلك بتركيز السلطة في يد الحاكم الشرعي ، وكان كنفشيوس يعلم جيد العلم خطورة ما أقدم عليه ، وان وضعه هذه الخطة سيعرضه لعداوات لا تخبو لهيبها ، ولا تهدأ حدتها ، ولكنه كان يشعر بأن الواجب يقتضيه المصارحة برأيه ، والدعوة الى الأخذ بخطته ، وكان حرصه على مصلحة بلاده أقوى من حرصه على الابقاء على حياته .

ومما يدل على حسن تفكيره وسلامة تقديره أن كثيرين من الاشراف الادنى منزلة من الوزراء ومعظم تلامذته ومريديه أيدوه في ذلك ، ولم يكن ما بين الوزراء المستأثرين بالنفوذ عامرا ، فقد كان كل منهم ينافس الآخر ، ويغار منه ويحسده، ويود لوكان الأمر جميعه بيده . وتظاهروا بالموافقة على قبول الخطة المعروضة ، وشرع أحدهم في تجريد قلعته من الحصانة . وحاول الوزير هوان ان يتحاشى الخروج على الاتفاق في العلانية ، فعمد الى اعداد فرقة من رجاله للاستيلاء على العاصمة.

ويرجح انه كان يقصد كنفشيوس،ولكن كنفشيوس كان يتوقع ما سيعرضه له من الاخطار فقد استهدف عداوة الوزراء ، ولذلك أخذ حذره ، واستطاع بقوة تدبيره وحسن سياسته أن يضع الوزير(هوان) في مأزق يلزمه فيه ، اما أن يؤيد في وضح النهار الفرقة التي أغراها بالهجوم على العاصمة ، واما أن يتخلى عنها ويعرضها للهزيمة ، ولو انه قام بمناصرتها لعد ذلك نقضا منه للاتفاق ، وثورة على الامير ، وكان في هذه الحالة يثير عداوة نواب الامارة ، ويبعثهم على التحالف ضده ، فاحجم عن الاقدام على مساعدة الفرقة ، واسفر الهجوم على العاصمة عن الاخفاق والهزيمة ، واضطر الوزير برغم الانف الى أن يجرد حصنه من آلات الدفاع .

وقد أثار كنفشيوس بذلك ثائرة الوزير ، وجعله اضحوكة الشعب الصيني ، وهكذا استطاع عالم مدرّس أن يجعل وزيرا خطرا ومجاهدا مقداما في موقف مخز !

وأبى الوزير الثالث أن يجرد قلعته من السلاح، واعلن ذلك ، ولم يستطع الامير أن يستولي على قلعته ، بمحاصرتها ، ورأى كنفشيوس أن حياته عرضة للخطر ، واضطر الى الهجرة ، ولم يعد الا بعد ثلاث عشرة سنة ، كان الوزير (هوان) قد قضى نحبه ، واتفق أن أحد تلامذة كنفشيوس قام بخدمة جليلة للدولة فيسر له ذلك ترغيب الوزير كانج Kang في أن يدعو كنفشيوس الى العودة لبلده ، ومات كنفشيوس بعد مضي خمس سنوات في (لو) في الرابع من شهر مارس سنة ٤٧٩ ق.م.

قدرته الدبلوماسية

ومحاولة كنفشيوس اصلاح حكومة (لو) تبين انه كانت له قدرة دبلوماسية كبيرة ، وانه كان له نصيب موفور من الشجاعة الأدبية والصراحة ، وقد رغب في أن يضحي بمستقبله من اجل خير وطنه ، وكان يمكن أن تنجح خطته لو أن الوزير (هوان) لم يخل بتعهده . وقد أكبره اتباعه لانهم رأوا فيه رجلا بعيد النظر ، سامي الاخلاق ، جم الاخلاص ، لا يتردد في جعل مصلحة وطنه فوق مصلحته الخاصة ، ويقدم لهم المثل الأعلى في حياته الخاصة وفي ولائه للدولة ، وكانت خدمة الدولة عند كنفشيوس هي الواجب الأسمى .

اعتماد كنفشيوس حكمة قدماء الصين

ولم يدع كنفشيوس الاصالة في تقرير تعاليمه وارسال نصائحه ووصاياه ، ولم يقل انه ابتكر المثل العليا التى نادى بها ودعا الى تحقيقها ، وكان شديد الاكبار للتقاليد المرعية ، ولم يستطع ان يحمل نفسه على الاعتقاد بأن الرجال العظماء الغابرين قد قدموا مثلا عليا دون المثل التى ابدها ، ولذلك كان يقرأ ويستبين مُثله العليا في حكمة الصين القديمة وتعاليم فلاسفتها وحكمائها السالفين ، ويلقنها لتلامذته على هذا الاساس ، وربما كان كنفشيوس يغمط نفسه بذلك جزءا من حقها ، ولكنه كان يرى أن تعاليمه لا تثمر ثمرتها وتؤتى أكلها الا اذا كانت مستندة الى حكمة القدماء ، وقد استطاع بذلك أن يؤثر في عصره وفيما بعد عصره تأثيرا بعيد المدى الى حد انه كان كثيرا ما يقال ويردد أن كنفشيوس هو الصين ، وان الصين قد صاغت نفسها على مثاله ، وان الصينى سواء كان بوذيا او طاويا - من أتباع لوتزى - فانه في الوقت نفسه وقبل كل شيء كنفشيوسي ولا يستطيع الافلات من كنفشيوسيته، وقد اثر كنفشيوس كذلك في حياة اليابانيين وصار جزءا من كيانهم ، وكثير من اليابانيين يقولون ان اليابانى سواء كان شنتويا او بوذيا فانه مع ذلك كنفشيوسي ، لأن الكنفشيوسية لا تصادم الشنتوية ولا تعادى البوذية .

كنفشيوس واهتمامه بالآداب

والفضيلتان اللتان يركز عليهما كنفشيوس اهتمامه اولا بآداب اللياقة بمعناها الواسع ، ومفهومها الشامل ، فهى تشمل آداب المجتمع وآداب البلاط ، والشعائر الدينية ، ونظم العدالة ، وقواعد السلوك الحسن ، والمبادىء الاخلاقية القويمة ، ولا يكتفى كنفشيوس بأن يطالب الانسان بأن يكون سلوكه في حياته مطابقا لتلك المبادىء بل هو يريد قبل كل شيء ان يشعر بها قلبه ، ويمزج بها احاسيسه ، حتى يكون اخلاصه في اتباعها صادرا عن أعماق ذاته ، ودخائل نفسه ، وخفايا وعيه ، ويتمثل ذلك في استجابته الى احترام النظام القائم والعرف المتبع ، ولكنه يتضمن كذلك نقده لهذا النظام في سبيل مثل أعلى للسلوك الاخلاقى ، وكان كنفشيوس مثلا اعلى للسيد السميدع من أرقى طراز .

العطف الانسانى عند كنفشيوس

والفضيلة الثانية التى يدعو اليها كنفشيوس ويصر عليها ويؤكدها هى فضيلة العطف الانسانى، ويشمل هذا العطف حب الآخرين ، وطيبة القلب، وسلامة النية ، وان لا نعامل الناس بما لا نحب ان نعامل به ، والحب عند كنفشيوس في طليعة الفضائل التى يدعو اليها ، وقد نهج في ذلك منهج السيد المسيح وبوذا .

وكانت الصين في عهد كنفشيوس خاضعة للنظام الاقطاعى ، وفي ظل هذا النظام تختلف واجبات الانسان نحو زملائه حسب مكانته ، فواجبات السيد المطاع غير واجبات التابع ، وليس في المجتمع الاقطاعى مساواة .

وفضائل اخرى أولها حسن الولاء

وعلاوة على فضيلتى السلوك الحسن والحب لقن كنفشيوس تلامذته فضائل اخرى وبخاصة صدق الولاء، واستشعار الخجل،ورقة الحاشية، والتواضع والحكمة ، وان على الانسان أن لا يضع نفسه في مكان الصدارة وطليعة الصفوف ، وان عليه أن ينتظر حتى يضعه الناس في الطليعة ، وعليه في هذه الحالة أن يرفض اى تشريف يعرض عليه اول مرة ، وان لا يقبل اى تشريف الا اذا عرض عليه ورفض غير مرة ، وتكرر الالحاح عليه في قبوله ، وأن السيد الاريب الحق يسير دائما في طريق التقدم ، فهو موطا الاكناف وذو كفاية ، وهو شجاع وحسن المخالطة وبارع في تناول المشكلات المعقدة ، وفضيلته الأساسية هى حب الغير .

تدينه

وكان كنفشيوس عميق التدين ، ولو انه مثل سقراط قليل الحديث عن الدين ، ولما كان استاذا في آداب السلوك فقد كان المنتظر منه أن يعنى بالشعائر الدينية والطقوس المرعية ، وهو يلحقها جميعها بالتقاليد التى يلزم تلامذته باحترامها ، ولكنه كان يصرح بأن أداء الفرائض والواجبات الدينية لا يحمل الآلهة على المحاباة ، ولا يؤكد الباحثون في الكنفشيوسية أن كنفشيوس يعتقد بوجود الأرواح والآلهة ، ويرون أنهم قد يكونون في رايه مجرد عوامل لتنفيذ ارادة الاله الأسمى ، وهو السماء ، فاذا كان للآلهة وجود فهم بمثابة

الملائكة في الديانة المسيحية ، ويرى كنفشيوس أن الانسان اذا أساء الى السماء فلن ينفعه التقرب الى الآلهة والتماس العون منهم ، وليس في الوجود سوى اله واحد ماضي الارادة وهو السماء ، ونرى من ذلك أن في العهد الذى غلبت عقيدة تعدد الآلهة كان كنفشيوس لا يؤمن الا باله واحد ، وبأن هذا الاله قد أرسله ليعلم الناس ، وانه سيحميه ما دام في حاجة اليه،ويبدو من خلال هذا الاعتقاد أن العناية الالهية تتدخل في شؤون البشر ، وتتخذهم عوامل لحمايتهم في القيام بواجباتهم .

تعلق الصينيين بآرائه الأخلاقية

وقد تعلق الصينيون بآراء كنفشيوس الاخلاقية تعلقا شديدا ، ولم ينحرفوا عنها الا في النادر ، والملحوظ في تاريخ الأمم والحضارات أن فرط التعلق بمذهب من المذاهب او نظرية من النظريات قد يعوق حركة التقدم ، ولكن الميزة الواضحة للكنفشيوسية أنها كانت خلال القرون الماضية القوة التى جنبت الصين تفرق الشمل ، وتصدع الوحدة،وحافظت على كيان الامبراطورية الصينية، وليس معنى ذلك أن الصين لم تتعرض في تاريخها لموجات من الاهتزازات العنيفة، والثورات المدمرة، ولكن حياة الأمم والحضارات لا تخلو من النكسات، ونوبات التصاعد والسقوط ، ومزية الكنفشيوسية أنها كانت على الدوام تعين الصين في استعادة التماسك بعد تمزق الشمل ، واسترداد الهدوء والاستقرار بعد التقلقل والاضطراب .

الحكيم الصينى لوتزى

وكان الحكيم الصينى لوتزى أقدم الحكماء المعاصرين لكنفشيوس ، والمفروض والمظنون أنه قد التقى به ، واكثر أنصار لوتزى من النساك المنصرفين عن الحياة ومشكلاتها ، وهو يدعو الى الاستغراق في التأمل ، وترك الأمور تجرى في أعنتها، وعدم المبالاة برأى العالم والامتناع عن المجاهدة ، والوقوف من الحياة موقفا سلبيا ، وقد نازع مذهب لوتزى الكنفشيوسية حينا من الزمن ،ولكن آراء كنفشيوس العملية واتجاهاته الدنيوية تغلبت على مذهب لوتزى ، كما تغلبت على البوذية التى نازعتها حينا من الدهر ، ويبدو أن الكنفشيوسية أقرب الى طبيعة الصينيين من أية عقيدة أخرى .

آراء كنفشيوس سيطرت على الصين ألف عام

وقد حاول الامبراطور شي هوانج تي Shih Huang-ti أن يثبت أن التاريخ يبدأ به وان يلغى تأثير آراء كنفشيوس وتعاليمه فأمر بحرق كتبه ، وكان الكثيرون من العلماء الصينيين يحفظون تعاليمه عن ظهر قلب وَخبأ بعضهم الكتب الكنفشيوسية معرضين أنفسهم لخطر القتل ، وقد حكم هذا الامبراطور من سنة ٢٢١ ق. م الى سنة ٢١١ ولكن الأباطرة الذين جاءوا بعده ردوا لتعاليم كنفشيوس اعتبارها ، وشادوا له الهياكل والمعابد،وأدخلوا تعاليمه في برامج تعليم الشبان، ومنهم من أمربنقش تعاليم كنفشيوس على الحجارة، وفي عهد أسرة زونج نشأت مدرسة كنفشيوسية جديدة أضافت الكثير من الشروح والتعليقات ، وظلت مبادىء كنفشيوس من أول عهد أسرة هان الى سقوط أسرة منشو أى ما يقرب من الف عام مسيطرة على العقلية الصينية .

بين الصين ودول الغرب

وقد كان الصينيون يرون أنفسهم أكثر الناس ثقافة ، وأوفرهم نصيبا من الحضارة ، وأن سائر شعوب العالم يعدون من الهمج المتخلفين اذا قرنوا بهم،وكان اتصالهم بالعالم الخارجى محدودا فيما عدا البلدان المتاخمة للحدود وبعض الثغور الواقعة على المحيط الأعظم ، ولما ارسلت الامبراطورية البريطانية في النصف الاول من القرن التاسع عشر بعض السفراء للتفاوض مع البلاط الصينى الامبراطورى جرى في وهم رجال البلاط الصينى ان هؤلاء الوافدين من الغرب جاءوا لدفع الجزية وتقديم فروض الطاعة والولاء للامبراطور ابن السماء،ولكن الأحداث المتوالية الفاجعة والنكبات المتلاحقة أيقظت الصينيين من الاحلام التى كانوا يغطون فيها ، واخذت أمم الغرب تدق أبواب الصين دقا عنيفا ، وتدمر استحكاماتها الساحلية، وتبسط سيطرتها على أجزاء شتى من اراضيها ، وأقلق هذا بطبيعة الحال خواطر الصينيين ، وحملهم على أن يرسلوا النظرة الناقدة فيتاريخهم ومأثور حدثهم ، ويتطلعوا الى المستقبل فيدهشة وارتياب ، وبدا أن الصين ستغدو نهبا مقسما بين الدول الغربية الطامعة في الحصول على الامتيازات السياسية والاقتصادية والتى تنظر

الى الصينيين بوصفهم أمة متخلفة ، ورأى الصينيون أن استمساكهم بالفضائل الكنفشيوسية غير كاف ، وانه ليس في وسعهم متابعة الاستمرار في الاستمتاع باسلوبهم التقليدي في الحياة ومواجهة المشكلات ، وانه لا مندوحة لهم عن أن يضيفوا الى ثقافتهم القديمة معرفة الفنون الحديثة والاتجاهات العلمية المعاصرة ، فاقبلوا على التزود من حضارة الغرب ، وقاموا بنقل الكثير من المؤلفات العلمية والادبية الى اللغة الصينية ، واخذوا في تهذيب حواشي لغتهم وتذليلها لتلائم التعبير عن الحياة المعاصرة ، وتأكدوا من أن الثبات في مواجهة الغرب يفرض عليهم تعديل نظمهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وحاول بعضهم أن يتخذ الكنفشيوسية أساسا للحياة الديمقراطية ، ورأى الصينيون المحافظون الحرص على انماط الحياة القديمة والاستمساك الشديد بتعاليم كنفشيوس ، ولكن المعتدلين من الصينيين رأوا أنه لا مفر من ادخال الكثير من التعديل والتحوير على الآراء القديمة والتقاليد المرعية حتى لا تكون عقبة في سبيل التجديد المطلوب ، واليقظة المنشودة ، وظهر في الوقت نفسه فريق الغلاة المتطرفين الذين رأوا أن مواجهة تحدي الغرب تستلزم نبذ التقاليد القديمة بحذافيرها على وجه التقريب والاخذ بالاساليب الحديثة في التصنيع والاقتصاد والسياسة والاجتماع بوجه عام أو على الأقل تطوير أساليب الحياة المألوفة بحيث تلائم الموقف الراهن والأحوال الماثلة .

حركة « التيار الجديد »

وفي سنة ١٩١٧ تأثر المثقفون الصينيون بحركة عرفت باسم « التيار الجديد » وقد نادى بها هوشيه أحد طلبة الفيلسوف الامريكي المعروف جون ديوى ، وقد برز بين قادة حركة الاصلاح الصينية ورواد الاحياء والتجديد الزعيم صان ياتشي (١٨٦٦ – ١٩٢٥) وقد درس الطب في هنلنج وتأثر بالثورة الروسية (سنة ١٩١٥ – ١٩١٧)وحشد القوى الثورية لقلب الاسرة الحاكمة واسقاطها واقام برنامجه على ثلاثةمبادىءاساسية، وهي استقلال القومية الصينية ، والأخذ بالمبادىء الديمقراطية والنظام الجمهوري ، والعمل لمصلحة الشعب بازالة النظام الطبقي وايجاد المساواة الاقتصادية ، وكان لانتصار ثورة أكتوبر الروسية أثر كبير في اتجاهاته السياسية ، فقد قربته من الحزب الشيوعي وجعلته يعيد تنظيم الحزب القومي (الكومنتنج) ويطالب بثورة ديمقراطية جديدة ، وكانت الاسرة الصينية الحاكمة قد سقطت سنة ١٩١٠. بتخلي الامبراطور الشاب عن العرش .

الصين والنظام الشيوعي

وكان رجال الاعمال الغربيون يعيشون في الصين على الاستغلال وانتهاب الثروة القومية ، ويتعالون على الصينيين مما جعلهم يسيئون الظن بالديمقراطية الغربية ، ويقتربون من النظام الشيوعي ، والديمقراطية الحقة تقدر الحرية وتقدر الفرد وتنكر أى سلطة غير محدودة للدول ، وكذلك الحال في الآداب الكنفشيوسية ، وتنازل الروسيون للصينيين عن الاراضي التى كانوا يحتلونها في الصين ، وقد أثار ذلك حماسة الصينيين وحبب اليهم النظام الشيوعي ، ولم تكن هناك عقيدة دينية تعترض تقبل هذا النظام ، والآداب الكنفشيوسية تكاد تكون خالية من الاستعانة بما وراء الطبيعة ، واتجاهها اتجاه دنيوى خالص ، وقد رمى بعض الشيوعيين كنفشيوس بأنه الخصم اللدود للتقدم ، ولكن فريقا آخر رأى فيه بطلا من أبطال المطالبة بحقوق الشعب ، وتاريخ الصين الحديثة يرينا أن الهزائم الحربية واستبداد رؤوس الاموال الاجنبية ومطامع الامبريالية مهما تبلغ بها القسوة والميل الى العدوان والاذلال لا تستطيع في المدى المتطاول أن تستبد بأمة موفورة الموارد الاقتصادية دافقة الحيوية ذات تاريخ حافل مثل الأمة الصينية ، وبعض الشيوعيين الصينيين يقتبسون من آراء كنفشيوس ومنشيوس وغيرهما من حكماء الصين وفلاسفتها القدامى ولا يشهر بهم ، بل يستغل مكانتهم في تأييد الاتجاه الشيوعي ، ولن يفكر أحد بطبيعة الحال تفكيرا مطابقا كل المطابقة لتفكير كنفشيوس أو غيره من حكماء الصين في الوقت الحاضر ، كما لا يمكن أن يتفق تفكير أى فرد في العصر الحديث مع كافة آراء سقراط أو أفلاطون، ومع ذلك فان آراء سقراط ومحاورات افلاطون لا تزال لها اهميتها ولا تزال جزءا هاما من تراث الحضارة الغربية وكذلك الحال فيما يتصل بالفلسفة الصينية وحكمة حكماء الصين وفي طليعتهم كنفشيوس .

علي أدهم ■■



أنت تسأل .. ونحن نجيب

اقتصاد الضفة الغربية

هل هو اقتصاد مزدهر

أو في سبيله الى الانهيار

● تضاربت أقوال الذين زاروا مدن الضفة الغربية في الصيف الماضي . فقال بعضهم بتردي تلك الأوضاع ، وقال آخرون وهم الكثرة ، بسلامتها بل ازدهارها .. وذكر هؤلاء فيما ذكروا أن العمال العرب العاملين في اسرائيل يتقاضون أجورا مرتفعة تكفل لهم الرخاء والرفاهية وانهم يلفون من الكثرة بحيث لم يعد للبطالة وجود في نابلس وطولكرم وغيرهما من مدن الضفة الغربية .. نرجو أن تحدثونا في هذا الأمر .

مصطفى محمد

عمان ـ الاردن

ـ يبلغ عدد العمال العرب العاملين لحساب اسرائيل ، نحو ٤٠,٠٠٠ عامل . وهم يغادرون مدن الضفة الغربية صباح كل يوم ، الى رام الله والقدس والخليل، والى مدن اسرائيل نفسها، ثم يعودون في المساء الى منازلهم وفي جيوبهم كامل الأجر اليومي الذى تدفعه لهم الهيئات العمالية في اسرائيل . ولا يقل هذا الأجر اليومي عن ١,٤٠ جنيه استرليني ، أو ما يعادل ذلك بالعملة الاسرائيلية .

اذن فالقول الذى نسبته بحق الى اكثر الذين زاروا مدن الضفة الغربية لا يبعد عن الواقع كثيرا . فهذا الحشد الكبير من العمال وهذه الأجور المرتفعة يوحيان ولا ريب ، بالميزتين اللتين ذكرت : الرخاء وانعدام البطالة . ولكن الميزتين زائفتان ، مع الأسف .

فالأجور المرتفعة التي يتقاضاها العمال العرب من المنظمات العمالية الاسرائيلية يقابلها أسعار مرتفعة في الضفة الغربية . ولا ريب في أن هذا الارتفاع في الأسعار ، وقد بلغ ٢٠٠٪ بالقياس الى ما قبل ١٩٦٧ ، يضاهي الارتفاع في أجور أولئك العمال ، ان لم يجاوزه ويزد عليه . ولعل المستوى المعيشي الذى يتمتع به العمال المنتفعون بهذه الأجور حاليا لا يعلو كثيرا على المستوى الذى ألفوه في الماضي .

على أن لارتفاع الاسعار والأجور في الضفة الغربية جانبا آخر لا يقل شأنا عما ذكرنا . فالغلاء هناك شامل تقريبا ، وهو يصدق على الكماليات والضروريات بلا استثناء ، اما الأجور المرتفعة (١,٤٠ جنيه استرليني يوميا) ففي شاملة ، يتقاضاها العمال العرب العاملون لحساب اسرائيل ، ولا يتقاضى مثلها زملاؤهم الذين يعملون في مزارع الضفة الغربية ومرافقها ومصانع الصابون فيها .

اما فيما يتصل بانعدام البطالة فحسبنا أن نتعرض الى نقطتين : الاولى هي أن العمال العرب الذين يعملون في اسرائيل انما يملاون الشواغر التى خلفها العمال اليهود . فقد ترك هؤلاء أعمالهم والتحقوا بالجيش الاسرائيلي منذ سنة ١٩٦٧ . فعلوا ذلك ، لا بدافع النخوة ، وانما وفق نظام ثابت سارت عليه اسرائيل منذ البدء . فالجيش الاسرائيلي النظامي مكون من فئتين ، فئة الجنود المتفرغين وفئة الجنود غير المتفرغين . وقوام هذه الفئة الأخيرة عمال المصانع والمزارع ، ناهيك بالأطباء والمهندسين وخلافهم . أى أن العمال في



اسرائيل عمال وجنود مدربون في الوقت نفسه . وهم يدعون الى حمل السلاح في حالات التعبئة العامة ثم يعودون الى أعمالهم لدى انتهاء حالة الحرب التي استدعت تعبئتهم . وهذا يعني أن العمال العرب الذين يعملون في اسرائيل في الوقت الحاضر سيسرحون من أعمالهم في اللحظة التي تنتهي فيها حالة الحرب القائمة ، ويغادر الجنود اليهود فيها ثكناتهم .

أضف الى ذلك ، وهذه هي النقطة الثانية ، أن أكثر العمال العرب العاملين لصالح اسرائيل انما يعملون في أعمال البناء والتعمير القائمة على قدم وساق حول القدس ورام الله والخليل . وهذه الاعمال لن تستمر الى الأبد ، والوحدات السكنية التي تستهدف اقامتها قد أوشكت على الانتهاء ، وقد اكتمل العمل في الكثير منها في المدة الاخيرة . وعندما تنتهي أعمال البناء هذه ستضطر الهيئات العمالية في اسرائيل الى تسريح عمال الضفة الغربية العرب المشتركين فيها . وعندها يعودون الى الضفة الغربية فيصعب عليهم ايجاد عمل في مزارعها. ولو انهم وجدوا عملاً في مصانعها او قطاع خدماتها لما كان الاجر الذي يحصلون عليه مجزياً .

نخلص من هذا الى القول بأن انعدام البطالة في الضفة الغربية مؤقت ، وهو في الغالب زائل ان عاجلا او آجلا . (ي . ز)

جمهورية زائرى هي الكونجو كنشاسا

● كثيرا ما تغير الدول الافريقية أسماءها بحيث أصبحنا لا نعرف الدول المقصودة لدى ذكر أسمائها . وأخص بالذكر « جمهورية زائرى » وقد تردد هذا الاسم مؤخرا ، ولا نعرف ان كان المقصود به هو الكونجو برازافيل أو الكونجو كنشاسا أو غير ذلك . نرجو التعرض الى هذا الموضوع بشيء من التفصيل في باب انت تسأل .. ولكم الشكر .

بشر السنوسي – ليبيا

– شاع تغيير الأسماء بين الدول الافريقية في المدة الأخيرة . ولعلك تلاحظ أن الدول الافريقية التي اقدمت على تغيير أسمائها هي في الغالب من الدول الحديثة العهد بالاستقلال ، كمدغشقر واصبحت تسمى ملاجاسي وتنجانيقا اصبحت تعرف بتنزانيا وهكذا .

ولا يخفى باعث تلك الدول على ذلك . فقد شعرت لدى تحررها من الاستعمار بضرورة التحرر من رواسب الاستعمار . والأسماء التي فرضها او رضي عنها المستعمر هي في نظرهم على رأس تلك الرواسب . لا عجب اذن أن راجت حركة تغيير الأسماء هذه في افريقيا ، وقد اعتبرت حركة وطنية واصبحت تعرف بحركة « البحث عن الاصالة » .

وقد شملت هذه الحركة ، فيما شملت ، بلاد الكونجو بدولتيها الاثنتين : الكونجو كينشاسا والكونجو برازافيل . وهاتان الدولتان اللتان لا ثالث لهما في الكونجو تقعان الى جنوب نهر الكونجو والى شماله، على التوالي، وقد خضعتا قبل الاستقلال للحكم البلجيكي والحكم الفرنسي – على التوالي أيضا – وسميتا بالكونجو البلجيكي والكونجو الفرنسي (أو الاوسط) .

وجاء عام ١٩٦٠ واستقلت الدولتان ، واعقب

استقلالهما عهد من الفوضى والاضطراب .ولكنهما لم تلبثا ان ظهرتا ثانية بمعالم واضحة وبأسماء اخرى جديدة كالتالي :

الكونجو البلجيكي واصبح يسمى الكونجو الشعبية (او الكونجو كنشاسا للاختصار) .

الكونجو الفرنسي واصبح يسمى جمهورية الكونجو الديمقراطية (او الكونجو برازافيل للاختصار) .

وبقيت الأمور على هذا المنوال حتى اقدمت جمهورية الكونجو كنشاسا على تغيير اسمها مرة ثانية ، بحيث اصبح جمهورية زائرى . وقد تم ذلك قبل نحو ستة شهور في مهرجان شعبي تزعمه موبوتو رئيس الجمهورية .

اما سبب هذا التغيير الثاني فمتصل بمعاني الأسماء . ذلك أن لفظ كونجو يعني «قلب الظلام» ويتجاوب ضمنا والتفكير الاستعماري . فعلى الرغم من اصالة هذا الاسم لغة فقد قرر موبوتو التخلي عنه واستبداله باسم زائرى ، علما بان هذا الاسم الاخير ، الذى لم نستطع ان نجد لمعناه تحديدا ، يحمل في طياته اصولا برتغالية ، ولربما جذورا عربية أيضا .

وصاحب تغيير اسم الجمهورية تغييرات أخرى في أسماء الشوارع والميادين ، وصاحبه أيضا تغيير في أسماء الاشخاص انفسهم ، وعلى راسهم الرئيس موبوتو نفسه . فقد أصبح اسمه الجديد (سس ـ سكو ـ كوكو ـ تجنيدو ـ وادا ـ بانجا) .

اما معنى هذا الاسم الجديد فهو :

« المحارب الغضوب وابن الارض الذى لا يعرف الهزيمة وذلك نظرا لقدرته على الصمود في المعارك ولارادة النصر التى لا تلين فيه » .

(ى . ز)

أم تخشى على ابنتها الطبيبة أن تفشل في حياتها الزوجية

● انني أم لاربع فتيات وولد واحد ،تزوجوا جميعا ، ما عدا ابنتي الصغرى ، التي رفضت الزواج قبل أن تكمل دراستها الجامعية . وهي الآن طبيبة بأحد المستشفيات الحكومية ، وقد تقدم اليها اخيرا شاب جامعي في مثل سنها تقريبا . وصارحتني ابنتي بانها لا تمانع في الزواج منه . وهو شاب ممتاز فعلا . خلقا وعلما وادبا . ولكن مشكلتي هي انني اخشى الا تكون ابنتي مستعدة لهذا الزواج . فهي لم تتعلم من شئون البيت شيئا، وهي تقدس عملها ، وتضعه فوق كل اعتبار آخر ، حتى لو كان زوجها نفسه . انني في حيرة هل اصارح الشاب برايي في ابنتي ام اتركها تتزوجه ، وابارك هذا الزواج . لقد صارحت ابنتي بمخاوفي هذه . فلم القى منها جوابا يريحني !

س . ت/القاهرة .



ـ مخاوفك ليست في محلها يا سيدتي .. ان ابنتك فتاة متعلمة ، تعرف مالها وما عليها من حقوق وواجبات ، ثم لا تنسي انها طبيبة ، فهي اذن انسانة . لقد ذكرت في رسالتك الطويلة ان ابنتك قد صارحتك بانها لا تعارض في زواجها من هذا الشاب الذى تشفقين انت عليه من هذه التجربة . ولكنك لم تذكرى شيئا عن مشاعر ابنتك الحقيقية تجاه هذا الشاب، هل قالت لك فعلا انها تحبه او انها تميل اليه وترتاح الى حديثه .

لابد ان تتأكدى اولا من شعور ابنتك نحو هذا

الرجل . دعيها تفتح لك قلبها وتحدثك بصراحة اكثر .

ولابد لك ان تثقي بعد هذا من انه ليس هناك فتاة مستعدة للزواج واخرى غير مستعدة لهـذا الزواج. فالزواج هو امل كل فتاة مهما بلغت من درجات العلم ومراتب الحياة ، بل ان الفتاة المتعلمة ربما تشعر بحاجتها الى الزوج ، اكثر من شعور الفتاة غير المتعلمة .

وكم من فتيات تزوجن ، وهن لا يدرين عن امور الحياة شيئا ، واصبحن بعد الزواج ربات بيت ناجحات وامهات صالحات . نعرف فتاة وحيدة مدللة ، تزوجت أخيرا بمن أراده لهـا والداهـا زوجا ، وابتعدت الفتاة عن بيت والديها فترة من الزمن ، فلما عادا اليها ، اذهلتهما المفاجاة ..

لقد اصبحت ابنتهما اما لطفلين صغيرين جميلين، واستطاعت ان تحول بيتها الصغير الى جنة ترفرف عليها السعادة . وتعلمت كيف تطهو الطعام وتنظم البيت وتقتصد ، فرفعت رصيد زوجها في البنك الى اضعاف ما كان عليه يوم تقدمه لخطبتها ، ولم تكن تجد غضاضة في ان تسير على قدميها لمسافة لا تقل عن كيلو مترين في بعض الاحيان ، لكي تشترى ما تحتاج اليه من الجمعيات الاستهلاكية بسعر ارخص مما تباع به في المحال التجارية القريبة من البيت !

حتى دراستها التى كانت قد تركتها بعد اتمام المرحلة الثانوية ، عادت فاستانفتها حتى حصلت على درجة جامعية والتحقت بوظيفة لتساعـد زوجها ، الذى راحت تشجعه هو الاخر على اتمام دراسته العليا .

اتركى ابنتك تختار طريقها في الحياة ، ولا تخشي عليها من هذه التجربة .

(م . ن)

منغوليا دولة على حـدود روسيا والصين بدأت تتحول الى بلـد حديث

● جاء في نتيجة مسابقة العدد ١٥٥ من مجلة العربي ان منغوليا دولة مستقلة ذات سيادة.. فأين تقع هذه الدولة، وما هي أهم مواردها، وكم يبلغ عدد سكانها ، وما نظام الحكم فيها.

علي عماش الرغيب
الرياض ــ المملكة العربية السعودية .

ــ تقع دولة منغوليا في الشمال الشرقي من قارة آسيا ويحدها من الشمال مقاطعة سيبيريا الروسية ومن الجهات الثلاث الاخرى اراضي الصين الشعبية ، ويسمى أهلها المغول وشعبها بالشعب المغولي او المنغولي . وتبلغ مساحة منغوليا ٥٩٢ر٦٦٤ ميلا مربعا ، ويبلغ تعداد سكانها حوالى ١ر٢٤٠ر٠٠٠ حسب احصائيات الامم المتحدة لعام ١٩٦٩ . والجزء الاكبر من اراضي هذه الدولة عبارة عن هضبة مرتفعة مليئة بالمراعى الخضراء بينما توجد بها بعض الصحارى المقفرة والتي تكون جزءا من صحراء جوبى الشهيرة في آسيا .

ولمنغوليا تاريخ عريق قديم وقد وصلت الى قمة مجدها العسكرى والسياسي في القرن الثالث عشر عندما قام جنكيز خان وخلفاؤه باكتساح الصين كلها والاستيلاء عليهـا وقاموا بغزوات عسكريـة مشهورة في التاريخ دعموا بها سلطانهم حتى وصل الى المجر وبولندا في اوربا بعد اجتياحهم للبلاد العربية وتخريبهم المشهور لبغداد وقضائهم على خلافتها على يد هولاكو وهو منهم . وبعد قرون اضمحلت الامبراطورية المغولية وأصبحت منغوليا نفسها تحت سلطان الصين .



وعندما اندلعت ثورة عام ١٩١١ في الصين اعلنت منغوليا استقلالها بتأييد من الاتحاد السوفيتي. وفي شهر مارس عام ١٩٢٣ تم اعلان منغوليا جمهورية شعبية تحت حكم الحزب الشيوعي المنغولي ولكن الصين ظلت تطالب بعودة منغوليا تحت سيطرتها الى ان جاء عام ١٩٥٤ واعترفت الصين باستقلال هذه البلاد .

وعندما نشأ الخلاف الصيني السوفيتي انحازت منغوليا تماما الى جانب روسيا . ويعتبر الكثيرون من المعلقين السياسيين الغربيين ان منغوليا ليست الا قطرا تابعا لروسيا في كل نواحي السياسة الدولية والنظام الداخلي للبلاد .

وكانت منغوليا حتى بداية عام ١٩٦٠ تعتمد اساسا على تربية الماشية مستغلة بذلك المساحات الواسعة من المراعي الخضراء التي حبتها بها الطبيعة ، وكانت الحياة هناك حياة الرعاة غير مستقرة ولكن هذه الصورة بدأت تتغير بواسطة المعونات الفنية التي قدمها الاتحاد السوفيتي لتلك البلاد المتاخمة لحدوده . وتم تحويل الكثير من المراعي الى أراضي زراعية تستعمل فيها المكنات ووسائل الري الحديثة وانشئت مصانع النسيج وتعبئة اللحوم والاسمنت وبدأت حياة الرعي تضمحل في البلاد لتتحول الى حياة مستقرة مما ادى الى ازدهار المدن وازدحامها بالسكان .

ويوجد في منغوليا عدة ثروات معدنية اهمها مناجم الفحم .

وعاصمة البلاد هي اولان باتور Ulan Batur ، اما اللغة الرسمية فهي لغة الكاكا المنغولية كما ان اغلبية السكان يدينون بالبوذية وليس بينهم مسلمون.

(م . ط)

لفظ مورو أصله ومعناه

● احيانا وبحكم المباشرة والتعامل اسمع كلمة Moro (مورو) الاسبانية، وهي ذات معان مختلفة ولكن معظمها يوحي بالاحتقار ، ويقصدون بها العرب او المغاربة، فما أصل هذه الكلمة وما معناها الحقيقي ؟

موسى عطية العمودي ـ غرناطة .

ـ اطلق الرومان اسم Moro ومفرده Maurus على سكان الجزء الغربي من ساحل الشمال الافريقي .

ولكن لفظ ماوري Mauri ، غلب في تسمية اهل المغرب جميعا مع الزمن ، وعندما دخل المسلمون شبه جزيرة ايبريا فاتحين مع طارق بن زياد في رجب ٩٢ (ابريل ـ مايو ٧١١) اطلق عليهم السكان هناك اسم ماوري ، لان غالبية الذين اشتركوا في حملة طارق كانوا من البربر اهل المغرب الاصلاء ، وبهذا الاسم يذكر المسلمون في كل النصوص اللاتينية التي كتبها كتاب النصارى من اهل اسبانيا ، وقد تحرف اللفظ في اللاتينية الدارجة التي استعملها كتاب العصور الوسطى الاولى الى Mauro ، وجعلها الاسبان في لغتهم الدارجة التي تفرعت عن اللاتينية Moro وجمعوها على Moros ، ويريدون بها المسلمين جميعا ، ولم يظهر لفظ Mahometano ، الا في العصور الوسطى المتاخرة .

وعن الاسبانية انتقل اللفظ بهذا المعنى العام الى اللغات الاوروبية الاخرى ، فصار Maura في الفرنسية وMoor في الانجليزية وMauser في الالمانية و Moro في الايطالية .

وفي كل الكتابات الاسبانية التي كتبت ابتداء من القرن الحادى عشر نجد لفظ مورو والجمع موروس مرادفا لكلمة مسلم ، ولم يكن للفظ في اول الامر اى معنى مهين ، ولكن طول فترة الصراع بين المسلمين والنصارى في الاندلس ، ثم توالى الهزائم على المسلمين ، هبط بمعنى اللفظ ، وخاصة عندما كان بعض المسلمين يقعون اسرى ، فيستعملون فيما يستعمل فيه الارقاء ، ولكن هذا المعنى المهين لم يصبح عاما الا بعد سقوط غرناطة في ٢ يناير ١٤٩٢ فبعدها لم يبق من المسلمين في شبه الجزيرة الا اتباع خاضعون للحكم النصرانى او ارقاء ، ولهذا هبط معنى اللفظ على السن الاسبان وخاصة العوام منهم .

ولكن اللفظ ظل يحتفظ بطابع فروسي في كتب الادب الاسباني والقصص الشعبي الاسباني ، ففي « قصائد الثغور » التى تصف الحروب بين المسلمين والنصارى خلال غرناطة يتحدث الشعراء الشعبيون كثيرا عن الفرسان المسلمين الشجعان Los Valientes Caballeros Moros ، اما التغزل في المسلمات السمراوات Los Moras Morenas فكثير ومن الواضح ان لفظ Moreno ، ومعناه الاسمر في اللغة الاسبانية مشتق من Moro لان الشعوب الاسلامية الافريقية تغلب عليها السمرة .

وكانت الجمهوريات التجارية الايطالية تستعمل جندا مرتزقا من أهل المغرب ويسمونهم Mori وكانوا يصلون الى مراكز القيادة ، وفي الغالب كانوا سمر الالوان ، ومن هنا اخذ شيكسبير شخصية روايته المشهورة عطيل ، المغربي البندقي Cthello, The Moor of Venice .

ويصغر اللفظ على Morisco ، ومعناه المسلم او المغربي الصغير ويجمع على Moriscos ، وهو مستعمل بصورته هذه « موريسكى وموريسكيون » للدلالة على المسلمين الذين اقاموا تحت الحكم الاسباني وتنصروا .

(ح ٠ م)

ايرادات مرور النفط
فوق الاراضي العربية

● ذكرتم في العدد الاسبق عن ايرادات بعض الدول من النفط المستخرج من اراضيها . ولكنكم لم تذكروا لنا شيئا عن الايرادات التي تجنيها بعض الدول العربية من مرور النفط فوق اراضيها ؟

احمد السالم ـ البصره

ـ يمر النفط فوق اراضي ثلاث دول عربية هي : سوريا ولبنان والاردن ، وهذا النفط يتدفق داخل انابيب طويلة مدتها شركات النفط العاملة في العراق والمملكة العربية السعودية ، لتنقل نفطها الخام الى موانىء سوريا ولبنان على ساحل البحر المتوسط .. اما الايرادات التى تجنيها كل من سوريا ولبنان والاردن نظير مرور النفط فوق اراضيها ، فالجدول التالي يوضحها بالارقام ، وهي مقدرة بملايين الدولارات :

السنة	سوريا	لبنان	الاردن
١٩٦٧	٣٦ر٣	١١	٤
١٩٦٨	٥٧ر٦	١٤ر٥	١ر٥
١٩٦٩	٥٥ر٥	١٢ر٧	٤
١٩٧٠	٥٢ر٩	١١ر٤	١ر٧

والانخفاض الملحوظ في الايرادات ، ولا سيما في ايرادات الاردن ، عائد الى توقف ضخ نفط المملكة العربية السعودية في انابيب « التابلاين » نتيجة عطل طرأ على الخط في شهر مايو ١٩٧٠ واستمر حتى نهاية العام تقريبا .. ولكن استمرار تدفق النفط من حقول العراق حافظ على دخل طيب لكل من سوريا ولبنان .

(س . ز)

أنباء الطب والعلم والاختراع

رادار يتولى ارشـاد سائقي السيارات في حالات الضباب وعدم وضوح الرؤية

● كثير من حوادث السيارات ينجم عندما يشتد الضباب ، وتتعذر الرؤية .. وقد فكر العلماء كثيرا فى كيفية الحد من هذا الخطر ، وفكروا فى الرادار كحل ، خصوصا بعد النجاح الذى تحقق بالنسبة لهبوط الطائرات تحت اسوا الظروف الجوية ، والرؤية المعدومة بواسطة الرادار . ولكن العلماء قوبلوا بمشاكل عديدة بالنسبة لاختراع رادار يساعد قائدى السيارات على تلافى خطر الاصطدام عند انعدام الرؤية بسبب الضباب . ومن اهم هذه المشاكل التى واجهتهم ان اجهزة الرادار التى تعمل فى الطائرات تكتشف الاشياء التى تبعد عنها بمئات الاقدام او بالاميال ، فى حين ان قائد السيارة فى حاجة الى اكتشاف العقبات التى لا تبعد عنه سوى اقدام قليلة ، ولذلك يصعب تطبيق نفس نظام الرادار الخاص بالطائرات للسيارات . واخيرا نجحت معامل شركة مولارد Mollard للبحث فى انتاج جهاز رادار يعمل بهوائي الكتروني ثابت ، وغير متحرك ، ويستطيع اكتشاف العقبات التى تقع امام السيارة مباشرة ، وعلى بعد يكفي لتوجيه السائق لتفاديها . ويعمل هذا الرادار بان يبين صورة الاشياء التى تقع امام السائق وتشكل عقبة فى طريقه على شاشة اشبه بشاشة التليفزيون . وقد تمت تجربة هذه الاجهزة بنجاح ، ولكن تطبيقها العملي بالنسبة للسيارات لا يزال امامه وقت طويل ، وان كانت بعض المطارات قد بدأت فى تزويد سيارات ارشاد الطائرات فيها بمثل هذه الاجهزة لان هذه السيارات بالذات تعمل تحت اسوا الظروف الجوية والتى تجعل الرؤية شبه معدومة .

البيض غذاء كامل

● اثبتت تجربة اجريت على الفئران الصغيرة ان البيض غذاء كامل ، وانه يضم كل العناصر الغذائية اللازمة لهذه الفئران لكي تنمو وتبقى على قيد الحياة متمتعة بصحة جيدة . وفى نفس الوقت فان غذاء مكونا من الحبوب المقواة ببعض المواد مثل الثيامين Thiamine والريبو فلافين Riboflavin والنياسين Niacin والحديد اثبت عدم كفايته لاستمرار نمو هذه الفئران والمحافظة على حياتها . اما تغذية الفئران بغذاء مكون من اللحوم المفرومة فقط فقد اثبتت ان هذه الفئران



يزيد وزنها لفترة تتراوح بين ٤٠ و ٥٠ يوما، ثم تبدأ صحتها في التدهور وتفقد وزنها، في حين ان الفئران التى تمت تغذيتها بسمك التونة المحفوظ بدات تنمو ببطء، ولكن استمر نموها لفترة ٨٠ يوما . ووجد العلماء الذين اجروا التجربة ان اللبن فقط هو الذى اعطى نتائج قريبة من البيض ، ولكن نقص الحديد والنحاس فيه كغذاء بدات تظهر آثاره المرضية على الفئران بعد ٦٠ يوما من بداية التجربة .

ووجد العلماء ان الفئران التى تمت تغذيتها بالبيض فقط قد استطاعت ان تضاعف وزنها ٦ او ٧ مرات خلال ٧٥ يوما .

وقد اجريت هذه التجارب فى جامعة تكساس بالولايات المتحدة الامريكية لاثبات ان المنتجات التجارية من الحبوب والخبز الذى يباع على انه مقوى بالفيتامينات والمواد الكيماوية كالثيامين والريبوفلافين لا يعطي التأثير الذى يدعيه منتجو هذه المأكولات بالنسبة للتغذية .

واستطاع العلماء الذين أجروا هذه التجارب ان ينتهوا الى اكتشاف مواد اخرى يمكن اضافتها بكميات ضئيلة جدا الى الدقيق بحيث يصبح رغيف العيش محتويا على عناصر غذائية كاملة، وبتكاليف لا تزيد عن سنت واحد لكل رغيف (الدولار = ١٠٠ سنت) . والمواد التى يقترح هؤلاء العلماء اضافتها الى كل رطل من الدقيق هي :

- ٢ ملليجرام بيريدوكسين Pyridoxine
- ٥ر٤ مليجرام بانتوسينيت Pantothenate
- ٢ر٢ ميكروجرام كوبالامين Cobalamine
- ٢١٦٠ وحدة من فيتامين أ A
- ٢٠ مليجرام فيتامين E
- ٥ مليجرام حامض الفوليك Folic Acid
- ٥ر جرام ليسين L-Lycine
- ٣٠٠ مليجرام كالسيوم
- ٧١٣ مليجرام فوسفات
- ١٥٠ مليجرام ماجنزيوم
- ٢٠ مليجرام كبريتات المنجنيز Manganase Sulfate
- ٤ مليجرام كبريتات النحاس Copper Sulfate

نقل الدم من انسان الى انسان عندما يكون دمهما من فصيلة واحدة .. فلم لا ننقل الدم من الشخص الى نفسه عند الحاجة ؟

● من المعروف ان من اهم مشاكل عمليات نقل الدم هو خشية اصابة المريض بالتهاب الكبد الوبائي Hepatitis وكذلك التأكد من ان الدم المنقول يماثل فصيلة دم المريض .

ونتيجة لهذا ، بدأ الاطباء يتساءلون : لماذا لا تتم عمليات نقل الدم بواسطة دم المريض نفسه ؟!

ومن المؤكد ان هذا لا يمكن ان يحدث فى الحالات الطارئة والعاجلة . ولكن من الاحصائيات نجد ان حوالي ٦٥٪ من عمليات نقل الدم تتم اثناء او بعد العمليات الجراحية ، وغالبا ما يكون هناك وقت قبل اجراء العملية لتحضير المريض .

وقد قام ثلاثة اطباء امريكيون من كلية الطب بجامعة كولورادو Colorado

يبحث هذه المسألة ونشروا تقريرا عن ابحاثهم فى المجلة الطبية الامريكية The Journal of the American Medical Association

ويقول الاطباء الثلاثة فى بحثهم ان ١٧٨ مريضا قد نقل اليهم دم اخذ منهم فى الفترة ما بين اعوام ١٩٦٢ و ١٩٦٦ . وان عملية اخذ الدم تتم قبل اجراء العمليات الجراحية لهم بمدة ٤٨ ساعة . ويعقب هذه العملية حقن المريض بمادة ديكستران الحديد Iron Dextran عن طريق الوريد ، وذلك لتنشيط عملية انتاج كريات دم حمراء جديدة فى جسمه ، تعوض كمية الدم التى اخذت منه .

ويقول هؤلاء الاطباء ، انه بالرغم من ان اول عملية نقل دم مريض اليه هو شخصيا قد تمت بنجاح فى عام ١٩٢١ ، الا ان كثيرا من الاطباء لا يقدمون عليها الا نادرا وفى حالات الضرورة القصوى ، وخاصة عندما يكون دم المريض من فصيلة نادرة ، ويصعب الحصول على شخص له نفس فصيلة الدم لتتم عملية النقل . ويعود تردد الاطباء ، الى خشيتهم من ان تؤدى عملية اخذ الدم من المريض قبل اجراء عملية جراحية له الى ان تسوء حالة المريض نتيجة نقص حجم الدم او اجهاد مخزونه الحيوى .

وقد اثبتت التجارب التى اجريت فى كلية طب « كولورادو » ان حقن حديد الديكستران يزيد من قدرة الجسم على انتاج خلايا حمراء جديدة بمقدار يصل من ٤ الى ٦ اضعاف القدرة العادية . ونتيجة لهذا فانه اذا كان من المطلوب نقل كمية من الدم للمريض لا تزيد عن زجاجة واحدة حجمها ٥٠٠ مليلتر ، فان عملية اخذ الدم من المريض تتم قبل اجراء العملية الجراحية له بمدة تتراوح بين ٤٨ ، ٧٢ ساعة . اما اذا كان المطلوب ضعف هذه الكمية فان عملية اخذ الدم تتم على دفعتين ، المرة الاولى قبل اجراء العملية بخمسة او



ستة ايام والمرة الثانية قبل اجراء العملية بـ ٤٨ ساعة .

ويقول الاطباء ان هناك بعض الاشخاص الذين لا يمكن ان يؤخذ منهم الدم لاعطائه لهم فيما بعد ، وخاصة هؤلاء الذين لا تستطيع اجسامهم الاستجابة لحقن الديكستران لتنشيط عملية تعويض الدم المأخوذ . ولكنهم فى نفس الوقت يؤكدون ان اكثر من نصف المرضى الذين يعدون لاجراء عمليات جراحية لهم يصلحون لاعطاء دمائهم لانفسهم .

اما الفوائد التى تتحقق من هذه العملية ، فهى ببساطة : وقاية المرضى من اى عدوى قد تنتقل اليهم من الدماء المأخوذة من اشخاص آخرين ، وكذلك توفير نفقات نقل الدم ، فزجاجة الدم الواحدة تكلف المريض حوالي ٤٠ دولارا ، فى حين انها لا تكلفه اذا أعطى هو دمه لينقل اليه اكثر من ١٥ دولارا .

عصر جديد في رحلات الفضاء!

● بدأ عصر جديد فى رحلات الفضاء. وهو عصر محاولة اكتشاف الكواكب التي تقع بعد المريخ .. فقد اطلقت الولايات المتحدة فى شهر مارس الماضى مركبتها الفضائية غير المأهولة « بايونير ١٠ » فى طريقها الى كوكب « المشترى » فى رحلة تستغرق ١٩ شهرا وتقطع فيها حوالي ٦٠٠ مليون ميل . ويتوقع العلماء ان تفتح هذه الرحلة فصلا جديدا فى مجالات استكشاف الفضاء والحصول على معلومات جديدة عن الكواكب الخمسة البعيدة عن الارض وهي : المشترى ، زحل ، اورانوس ، نبتون وبلوتو . وقد قامت الاكاديمية الوطنية للعلوم فى امريكا بنشر تقرير مطول تحت عنوان « عمليات استكشاف الكواكب الخارجية ما بين ١٩٧٢ ـ ١٩٨٥ » .

ويقول التقرير ان الجزء الاكبر من المجموعة الشمسية يقع بعد مجال كوكب المريخ .. ويقول هؤلاء العلماء ان هناك ثلاثة احتمالات لرحلات اكتشاف الفضاء الخارجي والكواكب البعيدة ، وهذه الاحتمالات تتوقف على الميزانية التى سترصد لهذه الرحلات .. والاحتمال الاول ان توافق الحكومة الامريكية على اعتماد مبلغ ٤٠٠ مليون دولار سنويا ، اما الاحتمال الثاني ان تتم الموافقة على ٢٥٠ مليون دولار سنويا فقط ، والاحتمال الثالث ، ان لا يعتمد لهذه البرامج اكثر من ٤٠ مليون دولار سنويا.

والاحتمالان الاول الثانى هما فقط اللذان يمكنان علماء الفضاء الامريكيين من ارسال رحلات فضائية الى الكواكب البعيدة فى اواخر السبعينيات وخاصة لان هناك فى هذه الفترة انحرافات فلكية تساعد سفن الفضاء على الاستفادة من جاذبية كوكب المشترى ، وبذلك تستطيع الوصول الى الكواكب التى تليه فى البعد فى وقت اقل ، وباستهلاك اقل فى الطاقة اللازمة . وبالرغم من هذه الظروف الفلكية المواتية فان اى مركبة فضائية يلزمها ٨ سنوات للوصول الى كوكب « بلوتو » . ويقول علماء الفضاء ان هذه الظروف الفضائية المؤاتية لن تتوفر مرة اخرى الا بعد حوالي ١٨٠ سنة !!

وقد انتهى علماء الفضاء من وضع كافة المواصفات الخاصة بمركبات الفضاء التى ستقوم بهذه الرحلات الى الكواكب البعيدة بحيث تتلاءم مع الظروف الفضائية على ذلك البعد السحيق . فاشعة الشمس بعد المريخ تكون ضعيفة جدا بدرجة لا تصلح معها ان تكون مصدرا للطاقة الدافعة لمركبات الفضاء . ولذلك فان هذه المركبات تحتاج الى مولد حرارى للكهرباء Thermoelectric Generator تبلغ قوته حوالي ٤٠٠ وات .

وسيكون وزن المركبة من هذا النوع حوالي ١٤٠٠ رطل ، وتحمل ٢٠٥ رطل من المعدات العلمية التى تمكنها من نقل المعلومات من الفضاء الى الارض .

وستزود هذه المركبات بعقل الكترونى يسمى ستار Star مصمم لكي يقوم باختبار الآلات الدقيقة التى بالمركبة ، واصلاح اى خلل يحدث فيها . وهو مزود بطاقة تكفيه للعمل بكفاءة لمدة ١٠ سنوات على الاقل .

وبينت التصميمات ان هذه السفن سيتم اطلاقها الى الفضاء بواسطة صاروخ من طراز تيتان ذى سبع مراحل .

ويتوقع علماء الفضاء ان يحصلوا على معلومات جديدة تماما عند تنفيذ هذه الرحلات لاكتشاف الكواكب البعيدة .



قصة السلم

للكاتب الاسباني فرنانديث فلوريث

■ بالأمس سألني احد اصدقائي قائلا : هل تعلم من الذى عاد من باريس ؟ قلت : من اين لي علم ذلك ؟ قل لي انت من يكون هذا . قال : هو « ماريانيتو » ، والآن اقص عليك تلك الدوافع التى حدت بهذا السيد ان يذهب الى باريس .. منذ اربعة اعوام مضت ، وفي الحادية عشرةمساء، قادتني قدماى نحو منزلي الذى اقطنه سالكا اكبر طريق يؤدى اليه ، وبينما انا اسير احسست بضربة قوية على ظهرى . فادرت وجهي في دهشة بلهاء فرايت ان الضربة قد جاءتني من سلم يحمله سيد على كتفه .. نعم يحمله سيد محترم ، او هكذا خيل الي !! وكان هذا مما ضاعف من دهشتي وقد تابع سيره عجلا دون ان ينبس ببنت شفة ، بل وفي تصرف ينبيء عن عدم استعداده حتى للاعتذار عما بدر منه ، بيد انه خيل الي انه يحدث نفسه بصوت منخفض مبهم فبقيت متعجبا اتبعه ببصرى حتى عرفت فيه صديقي «ماريانيتو» ذلك الشاب اللامع المثقف الذى يعمل موظفا في وزارة المالية ، والذى يعيش بقلب شاعر ، وبروح موسيقى ، وبرغم انني كنت واثقا من شخصه الا انني قلت في نفسي : لا يمكن ان يكون هو الا اذا كان قد اصيب بلوثة من الجنون ، ومع ذلك فقد القيت في اثره صيحات مناديا اياه .. ماريانيتو .. ماريانيتو !! ولكنه لم يلتفت الى الوراء ، وكانت تلك ليلة من ليالي شهر فبراير صافية الاديم قارسة البرد ، والطريق تكاد تكون خالية ، فقلت بعد ان ناديته فلم يرد : هذا شخص احمق ليس من السهل علاجه ، شخص محترم مثل هذا يسير في الطريق حاملا سلما على كتفه كأى حمال عادى .. اى سر غامض هذا ؟

انه لم يكن يسرع في مشيته فقط بل كان يطير طيرانا ، فالسلم الذى يحمله كان من الخفة والقصر بحيث مكنه من العدو السريع .

واخيرا وصل الى نهاية الطريق الذى كنا نسلكه، وبدلا من ان يتجه نحو القصر الذى ظننت انه يهدف اليه ، ادهشني انه اتجه نحو القنطرة ، واذذاك قفزت الى راسي فكرة قاتمة ازاء هذا التعس ، ماذا يريد ان يصنع بنفسه ؟ لقد فرغ حراس القنطرة الآن من اغلاق بابيها درءا لحوادث الانتحار التى كثيرا ما كانت هذه القنطرة مسرحا لها ولا سيما من اولئك الذين قد بلغت بهم الاستهانة بالحياة درجة لا تكلفهم اكثر من قفزة من اعلى القنطرة الى قاع النهر فاذا بهم قد عبروا الحياة الى العالم الآخر ..

ومهما يكن من امر فقد تابع « ماريانيتو » سيره نحو القنطرة ، ووجدتني مضطرا لان اسرع حتى اكون قريبا منه ، وحتى اراقبه من حيث لا يشعر بمكاني ، وهنالك اسند السلم على حافة القنطرة، وابتدأ يرقى درجاته في ارتباك ظاهر ، ولم امهله بل جذبته من الخلف بقوة مجبرا اياه على النزول .. فصاح في باصرار : مجنون، اتركني .. اتركني وكان في عينيه بريق غريب يوحى بانه مستعد الى



وجلسنا معا في مكان منعزل .. و .. آه .. مستحيل .. مستحيل ان اقص عليك ما قالت .. وكيف قالت . كانت عيناها .. او صوتها هو ما قتلني .. آه .. لا بل هي كلها .. عيناها .. صوتها .. اهتزازات جسمها .. عدم وفائها .. كلها .. كلها .. لقد قالت لي انني احبك ولكني سأتزوج ..

مصارعتي حتى يصل الى هدفه ، ولقد تهيبته اول الامر ، ولكني ما لبثت ان استجمعت رباطة جاشي ، وصحت فيه قائلا ماذا تريد ان تصنع بنفسك ؟ وكيف اتركك ؟ ناولني يدك وسر معي ، والا ايقظت الحراس فيقودونك الى السجن .. وفي الحقيقة لم يكن هنالك حراس ، ولكن نبراتي القوية كانت كفيلة بان تقنعه بالانقياد الي ، وبانه قد اصبح من المستحيل عليه ان ينفذ جريمة الانتحار في نفسه ، فناولني يده في استسلام ضعيف مطاطىء الراس وتبعني ، وما لبث ان

احسست ان قطرات من دمعه الملتهب تتساقط على يدي ..

تابعنا سيرنا معا خلال ساعة تقريبا صامتين وانا في عجب من امره ، حتى اشرفنا على داره وهنالك قلت له : انك رجل سعيد ، يقدره زملاؤه ، ورؤساؤه ، محبوب من النساء بوجه عام ، وبوجه اخص من خطيبتك الفاتنة الساحرة فاكشف لي عن سرك ، فانا في حيرة من امرك ، انك على وشك ان تستكمل سعادتك وتحقق حلمك الذهبي ، الست على وشك الزواج من معبودتك ؟

فتاوه آهات حزينة ثم اردف قائلا : « خوليا » لا تحدثني عنها ، فاصابتني حيرة مفاجئة ، ثم قلت له : ماذا تقول ؟ انها ذات جمال رائع ، طيبة المنبت ، انها صورة متحركة من الانوثة النزقة ، الم تقل لي هذا عنها مائة مرة ؟ فقال : نعم .. نعم قلته لك .. ولكن .. من الذي يستطيع ان يصل الى اعماق ذلك الكائن العجيب الذي يسمونه قلب المراة ، لقد خدعتني .. حبها لي كان كذبة كبرى ، ووجهها الملائكي لم يكن الا قناعا يخفي وراءه صورا من المشاعر المتناقضة .

فقلت : لا افهم ما تقول ، فاسرد على قصتك مفصلة ، ثم قصتك كلها .. لا تخفي منها شيئا .. الست صديق طفولتك ، هل تشك في صداقتي واخلاصي لك ؟ قال : لا .. لا اشك في شيء من هذا ولو انك قد انقذت حياتي على الرغم مني .. على كل .. اليك القصة .. انك تعلم انني كنت قد رغبت صادقا في زواجي من « خوليا » من جهة لانني احبها .. ومن جهة اخرى لان امها كانت قد اشارت على في تهديد مهذب ان اطلب يد ابنتها .. او لا اتردد على دارها اكثر ، انا ما شككت في حب « خوليا » لي ، واي شك يعتريني ؟ انني ما زلت احبها حتى الآن ، ولقد كنت انتظر ان اسعد بجوارها ، .. لقد اقلقني منها نوعا ما ولعها الشديد بحسن هندامها ، واناقة مظهرها وحرصها دائما على شراء كل شيء غال ولو لم تكن في حاجة اليه ، بل وكرمها الزائد الذي لا يعرف حدودا ولا قيودا ، الامر الذي كلفني في بادىء الامر ان انفق كثيرا في دور السينما والتمثيل واماكن اللهو ، والشيء الذي اجد لدى الآن شجاعة لذكره . ليس هذا فحسب بل كثيرا ما كانت تشترى الاشياء الثمينة الغالية ثم لا تلبث ان تهديها الى صديقاتها ، ولكني لم اكن اجد في هذا ما اساوم به في حبها ، اذ كنت ارى انه من المألوف بالنسبة للمراة ان تفعل هذا احيانا ، ولا سيما اذا كانت تلك المراة رائعة الجمال كـ « خوليا » ، وكنت اقول في نفسي انها عندما تتزوج سوف تصبح ربة منزل وسوف تشغلها حياتها الجديدة عن كل شيء ، بل سوف تصير احسن امراة .. هذا وفي اليوم الذي طلبت فيه يدها وعندما عرفت هي ذلك لم تستطع ان تكتم سرورها وسعدت ما اسعفتها السعادة .. ولكنها في نفس الوقت قالت لي : لا تتعجل الامور .. لعلك معي في انه كان جوابا غريبا .. ولكنها ايضا قالت لي انني احبك كثيرا وكثيرا جدا .. اكثر مما تتخيل ولكنني لست كامي اتعجل الامور واسبق الحوادث .. واردفت قائلة : الم تقل لي انهم سوف يرقونك سريعا في منصبك ؟ وان ذلك الوزير وهو صديقك يسعى لكي يضعك في مركز لائق ؟ ثم اية مشروعات مهمة لديك تنوى ان تحسن بها مركزك ؟ الا تعتقد في حبي لك ؟ انني اقسم لك انني لن اكون لغيرك بحال .

لست ادرى حينذاك اى اضطراب قد سيطر على واية رعشة قد سرت في بدني .. ان عينيها كانتا تؤكدان صدق حبها لي . ولكن عباراتها ..

اما امها فقد كانت بادية السرور بالخطبة لدرجة انها دعتني الى تناول الغداء في ذلك اليوم قائلة : تناول غداءك اليوم معنا ، وسيكون من المدعوين الى الغداء السيد « بلاتيدو » وهو احد الاصدقاء القدامى لزوجي المتوفي ومن اولئك الذين يتمتعون بثروة طائلة ، ويبدو لي انه سيرجع الى سالف عهده في علاقته الودية بنا بعد ان هجرنا فترة ليست قصيرة ، انظر ما قام باهدائه الى «خوليا» وارتني علبة زجاجية موشاة بالفضة من ذلك النوع الذي تضع فيه المراة قفازها وهي غالية الثمن ، وما كدت ارى هذه العلبة حتى انتابتني مشاعر مبهمة لا اعرف كنهها ، فقلت وانا متجه بنظرى الى « خوليا » : ان من يقدم مثل هذه العلبة كهدية لا بد ان يكون على جانب عظيم من الثراء .. فطاطات راسها «خوليا» وجعلت تقلب «البوما» من الصور كان في يدها ، فسالت وهل هو شاب ؟ فقالت لي الام : هو في عمر عامة الناس .. في الخمسين ..

لقد تناولت في ذلك اليوم طعامي معهم ومع صاحب الثروة هذا ، ومع السيدة « ماتيلدى » وهي خالة خوليا ، وخلال تناول الطعام لم يكن لصاحبنا الثرى هذا من حديث سوى ملايينه وضياعه وبذخه الذي لا يجارى ، ثم خبرته بالمتدبات وولعه بالرقص ومعرفته بفنونه .. لقد

كان مسترسلا في حديثه بينما قالت له السيدة ام « خوليا » ولكن قل لي ايها السيد : ان ما أشرت اليه في حديثك مما لا ينبغي ان يقوم به رجل ارمل مثلك . !

فترك كلماتها تمر عبر اذنيه ثم قال : انني افكر في زواجي ، قال هذا وهو يوجه الى «خوليا» نظرة ذات معنى معين .. وادع لك انت ان تتصور وقع كلماته في قلبي ..

السيد « بلانيدو » هذا كان كهلا سمينا جدا قصيرا احمر اللون ، ولكنه لم يكن ثقيل الظل على الرغم من انه كان مغرورا جدا وان حديثه قلما كان يتجاوز ثروته شأن الاغنياء من امثاله ، كان اكولا كأنه فيل ، وعندما اكل معنا في ذلك اليوم لم يبق شيئا تقريبا مما جعلني اهم بالانصراف لولا ان طلبت مني خالة « خوليا » ان ابقى لان لديها ما تريد ان تقوله لي .. وكنت قد لاحظت ان الام والخالة كلتيهما قد تحدثتا مع السيد « بلانيدو » بعيدا عني حيث اراهم ولا اسمعهم ، واحسبني لاحظت ان ملامح الام كانت تعبر عن دهشة ممزوجة بالرضى ، ولعلها وجهت اليَّ بعض نظرات فيها شيء من الشفقة ، فرأيتني مضطرا ان اقترب من الخالة لاقول لها : ارجو ان تبلغي « خوليا » انني اريد ان اتحدث اليها ، فاذا لم تأت فقد انصرف تصرفا لا يرضي ، .. جاءت « خوليا » وجلسنا معا في مكان منعزل .. و .. آه .. مستحيل .. مستحيل ان اقص عليك ما قالت .. وكيف قالت . كانت عيناها .. او صوتها هو ما قتلني .. آه .. لا بل هي كلها .. عيناها .. صوتها .. اهتزازات جسمها .. عدم وفائها .. كلها .. كلها .. لقد قالت لي انني احبك ولكنني سأتزوج .. فكدت اصعق ثم قلت : اي تعس انا ؟وهل تحول كل حبنا في مثل لمح البصر الى شيء غير ذي بال ؟ خرجت من المنزل مترنحا كأنني ميت يجر قدميه وقضيت تلك الليلة اجوب الطرقات على غير هدف ، وما لبثت بعد ايام ان علمت ان حفل زفافها سيكون اليوم نعم .. اليوم .. اتفهمني .. فقلت مسكين يا صديقي .. وعانقته في عطف ظاهر وقدته الى منزلي حيث انفقنا بقية الليلة في احاديث لا تنتهي ..

وفي اليوم التالي رافقته الى منزله حيث تلقته خادمته قائلة : سيدي في الداخل سيدة تنتظرك ، تقول ان اسمها « ماتيلدي » .. وما كادت السيدة تراه حتى قدمت اليه رسالة فقال لها : ما هذا ؟ فقالت : هذه رسالة اليك من « خوليا » ففض غلاف الرسالة بيد مرتعشة وقرأ « وداعا الى الابد يا « ماريانيتو » اغفر لي ، انني لاضرع الى السماء ان تثأر لك ، وان تنتقم مني ، « خوليا ».

نظر الى السيدة « ماتيلدي » بلهفة فيها تساؤل ، فقالت له هذه : ان الامر واضح . ماذا يدور بخلدك ؟ فقال : لست ادري، لا افهم شيئا، فقالت هي مسكينة .. مسكينة يا ابنة اختي .. بالامس كان محددا موعد زفافها .. ولكن اي زفاف ؟ لقد حسدها الجميع .. بعد ان تناول السيد « بلانيدو » بالامس طعام غدائه احس بالم ما لبث ان تحول ذلك الالم الى نوبة قلبية عنيفة لم تمهله الا بضع ساعات فقضى على اثرها نحبه مساء ، وعندما تلقت خوليا هذا النبأ ظلت جامدة كقطعة من الرخام ، لم تتحرك شفتاها ، ولم ترق دمعة واحدة .. كانت قد ذهبت الى دار السيد « بلانيدو » بيد انها لم تطق ان تراه ميتا ، وبعد هنيهة خرجت الى الطريق الكبير وسلكته في منظر فتاة حمقاء ، وجعلت تصيح .. لقد اصمت كل شيء .. لقد اصمت كل شيء ، وبالرغم من الليل ووحشته فقد استطاعت ان تصل الى القنطرة .. ماذا اقول لك اكثر ؟

عندئذ اغمض « ماريانيتو » عينيه وغطاهما براحتيه ومن غير ان ينظر الى السيدة قال متسائلا : ولكن جدار القنطرة مرتفع ، فكيف استطاعت ان تتسلقه ، وان تلقي بنفسها الى النهر ؟

فقالت له الخالة لقد كان هناك سلم ، لا يعلم متى جيء به ؟ او من الذي جاء به ؟

لم يستطع «ماريانيتو» ان يستمع منها الى اكثر بل سقط على الارض يتلوى . ■■

ترجمة : الدكتور محمد الأمين محمد

كتاب الشهر

الصهيونية الأمريكية وسياسة أمريكا الخارجية

تأليف : رتشارد ستيفنز
عرض : الدكتور محمود السمره

■ هذا بحث علمي عميق عن الصهيونية فى اميركا ، ونفوذها ، بحيث كانت قادرة على تسخير السياسة الامريكية لصالحها، كما أنها باعلامها النشيط جعلت الشعب الاميركي يقف معها . والمؤلف ، رتشارد ستيفنز درس فى جامعة جورج تاون ، ودرس فى عدة جامعات فى اميركا وخارجها .

والكتاب فى ثمانية فصول هي : مؤتمر بلتمور (Baltimore) ويهود اميركا ، وسائل الصهيونية فى كسب الشعب الاميركى اليها، الجبهة السياسية ــ ١٩٤٤ ، الصهيونية وروزفلت ، الجبهة السياسية والراى العام الاميركي ١٩٤٥ ــ ١٩٤٦ ، الصهيونية وترومان ١٩٤٥ ــ ١٩٤٧ ، التقسيم ، بعد التقسيم . ويلي هذه الفصول ملحق ، وثبت بالوثائق والمراجع .

مؤتمر بلتمور

ان نشاط الصهيونية في امريكا بدا بشكل فعال في مؤتمر بلتمور Baltimore ، الذى عقد في فندق بلتمور ، بنيويورك ، في مايو (ايار) ١٩٤٢ . وقد اتخذ المؤتمرون ثمانية قرارات ، جاء في القرار الاخير منها ما يلي : « ان المؤتمر يعلن ان العالم الجديد الذى سيقوم بعد تحقيق النصر، لا يمكن ان يقوم على السلام والعدالة والمساواة ما لم تحل مشكلة اليهود المشردين . ولهذا فان المؤتمر يطالب بالامور التالية : فتح ابواب فلسطين امام الهجرة اليهودية ، وأن تكون الوكالة اليهودية هي المسؤولة عن تنظيم الهجرة وتعمير البلاد ، وان تصبح فلسطين ، دولة يهودية ضمن مجموعة العالم الديمقراطي » .

ومن أجل تحقيق هذه الغايات اتخذت الصهيونية

جهود لصهينة الشعب الأمريكي لم يكن لها في التاريخ مثيل

تتحرك في امريكا بنشاط وتنظيم ، ساعية قبل كل شيء الى كسب الشعب الامريكي الى جانبها .

وسائل الصهيونية في كسب الشعب الامريكي

وقد استخدمت الصهيونية وسائل عدة من اجل ان تكسب الشعب الامريكي الى جانبها ليؤيدها في اقامة الدولة اليهودية في فلسطين . وقد ركزت على المعاني التالية :

١ ـ الصهيونية هي وسام شرف يحمله كل يهودى ينتمي اليها .

٢ ـ ما قام به اليهود من تحضير لفلسطين هو فخر للجنس البشرى .

٣ ـ اليهود في كل مكان يكونون شعبا واحدا ، وما يحدث لهم في اى مكان يؤثر في الاخرين اينما وجدوا .

٤ ـ الصهيونية هي الوسيلة البناءة لحل مشكلة اليهود . وعلى اليهود ان يعتمدوا على انفسهم اولا في حل مشاكلهم ، ثم على مساعدة الاصدقاء . ولا حل لمشكلتهم الا بعودتهم الى فلسطين .

٥ ـ الدولة اليهودية في فلسطين لا بد قائمة : فقد بشر بها الكتاب المقدس .

٦ ـ اقامة الدولة اليهودية في فلسطين تتفق مع مصالح امريكا ، لان هذه الدولة ستكون سدا في وجه اعداء الديمقراطية ، ونموذجا تقتفي خطواته دول المنطقة .

٧ ـ من أجل هذا كله فانه مطلوب من الشعب الامريكى ان يؤيد قيام هذه الدولة .

اما الوسائل التى اعتمدتها في بث هذه المفاهيم بين الامريكيين فكثيرة ، منها :

الصحافة والمنشورات

وتذكر الاحصائيات التى صدرت عام ١٩٢٣ انه لم يكن في نيويورك سوى جريدة يهودية واحدة لا تتبنى الافكار الصهيونية . وفي عام ١٩٤٥ كانت الصحف الامريكية الصهيونية تصل بانتظام الى ٤٢٥،٠٠٠ عائلة يهودية ، اى الى ثلث عدد اليهود الامريكان .

وكانت المؤتمرات الصحفية التى يعقدها زعماء الصهيونية تحاط بدعاية ضخمة ، فكان المرء كان يشهد فيها صورة من المؤتمرات الصحفية التى كان يعقدها رئيس الولايات المتحدة . وكان يحضر هذه المؤتمرات ممثلون عن كل الصحف المشهورة ، وشبكات الراديو والتلفاز .

ونشطت الهيئات المختلفة للمنظمة الصهيونية في توزيع المنشورات والكتب التى تشرح اهدافها ، فوزعت في عام ١٩٤٣ ـ ١٩٤٤ اكثر من مليون منها ، وذلك على المكتبات العامة ، ورجال الدين المسيحى ، والجمعيات ، والتربويين ، والوزراء ، والكتاب ، وكل انسان يمكن ان يكون له دور في الدعاية لاهداف الصهيونية .

وتذكر الاحصاءات انه في عام ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥

كان يباع من الكتب الصادرة عن المنظمة الصهيونية بين ثلاثة آلاف واربعة آلاف كتاب شهريا .

عقد الاجتماعات وتنظيم المظاهرات

وقد نشطت في امريكا المظاهرات الضخمة تأييدا للصهيونية بعد أن تولى رئاسة المنظمة في امريكا الدكتور سيلفر Silver في اغسطس (آب) ١٩٤٣. وكان سيلفر ضد سياسة المنظمة الصهيونية التي تهدف الى ايصال آرائها الى الجماهير والمسؤولين بالطرق الهادئة . وكان يرى ان على اليهود ان يخلقوا قوة ضاغطة تستطيع التأثير في الذين يسيرون شؤون امريكا . وقد استطاعت الصهيونية ان تحقق الكثير عن طريق حشد الاعداد الضخمة في اجتماعاتها ، وتسيير مظاهرات الاحتجاج التي تضم عشرات الالوف ، واغراق المسؤولين بمذكرات الاحتجاج ، والبرقيات . وكان شعار المنظمة هو « ان الاجتماعات والمظاهرات يجب أن تكون منظمة ، ومؤقتة ، وذات أعداد كثيرة ، لان اجتماعا يضم مئات من الناس لا يكون له اى تأثير . » ونستطيع ان نقول ان المنظمة الصهيونية كانت قادرة على حشد عشرات الالوف في اى وقت تشاء ، وفي اى مكان من امريكا .

المدارس اليهودية

وانشا اليهود في انحاء الولايات المتحدة مدارسهم التي تربي الاجيال على الايمان بمبادىء الصهيونية ، واقبل اليهود وغيرهم عليها لرقي مستواها . اما المدارس غير اليهودية فقد حاولوا السيطرة عليها عن طريق دخولهم في مجالسها الادارية وقد نجحوا في هذا الى حد كبير .

المجالس والجمعيات

وكان « المجلس الامريكي الصهيوني للطوارىء » هو القوة المحركة وراء كل هذه النشاطات ، وهو مجلس يضم كل التنظيمات الصهيونية في امريكا . وقد تألف هذا المجلس قبيل اندلاع نار الحرب العالمية الثانية : فقد رأى الصهاينة أن الحرب قد تحول دون اتصال الوكالة اليهودية في فلسطين باليهود في امريكا ، لهذا فانهم اسسوا هذا المجلس ليستمر في تنفيذ برنامج المنظمة الصهيونية دون حاجة للرجوع الى المركز . وبقي هذا المجلس مستمرا في نشاطه حتى بعد انتهاء الحرب . وكان من ابرز رجالاته امانويل نيومان Newmann الذى تولى مركزا قياديا فيه عام ١٩٤١ . وقد عمل نيومان الكثير جدا من أجل كسب تأييد الشعب الامريكي للصهاينة في دعوتهم الى اقامة دولة لهم في فلسطين ، وكسب للصهيونية مناصرا قوى النفوذ هو السناتور روبرت وجنر Wagner ، ممثل نيويورك . وكان وجنر هو الذى عمل في عام ١٩٤١ على تأسيس « الجمعية الامريكية الفلسطينية »، وضم اليها عددا كبيرا من رجال الكونجرس ، وكان وجنر وراء العريضة التي وقعها سبعون من شيوخ الكونجرس ، وفيها اعلنوا تأييدهم للصهيونية في دعواها بأن الحل الوحيد للمشكلة اليهودية هو فتح ابواب فلسطين امام الهجرة اليهودية .

وقد بلغ عدد اعضاء هذه الجمعية ، عندما انتهت الحرب ، ٦٥٠٠ ، منهم الشيوخ ، ورجال الكونجرس ، والوزراء ، وحكام الولايات ، وكبار موظفي الدولة ، والمحامون ، والقضاة ، ورجال الدين ، والمربون ، والكتاب ، واصحاب دور النشر ، والقادة في ميادين الصناعة والحياة العامة .

وهناك مجلس آخر قام بتأثير من (نيومان) ، وهذا هو « المجلس المسيحي لفلسطين » الذى تأسس في أخريات عام ١٩٤٢ . وما ان حل شهر ابريل (نيسان) ١٩٤٥ حتى كان عدد اعضائه نحو (٢٤٠٠) . وكان هذا المجلس يضم بين اعضائه كثيرا من الطائفة البروتستانتية ، الذين كانوا يرون في عودة اليهود الى فلسطين تحقيقا لنبوءة « الكتاب المقدس » .

ورغم ان الصهاينة حشدوا الى جانبهم كثيرين من ذوى النفوذ والكلمة ، الا ان انظارهم كانت دائما مركزة على الشعب الامريكي . ومن اقوال الزعيم الصهيوني المشهور الدكتور سيلفر : « ان علينا أن نعتمد أولا وأخيرا على مساندة الشعب الامريكي لنا ، فهو القادر على التأثير في الرجال المسؤولين . ومع اجلالي العميق لكل هذه الشخصيات البارزة لنا ، الا انني اقول لكم : لاتضعوا كل ثقتكم في الافراد . ولا تتركوا مستقبل حركتنا في ايدى افراد ، مهما كان اخلاصهم لنا .

خاطبوا امريكا كلها ، واقيموا صداقات مع الناس في كل مكان . » .

وتنفيذا لهذا القول ، الذى اصبح سياسة تتبناها المنظمة الصهيونية ، اقيمت المراكز في كل انحاء امريكا بحيث امكن ايصال الدعاية الصهيونية الى كل بيت فيها . ورأى الصهاينة ان يجربوا مدى تأثير دعايتهم في الشعب الامريكي ، فاختاروا قرب انتهاء الخمس سنوات المحددة في « الكتاب الابيض » الصادر في ١٧ مايو (آيار) ١٩٣٩ ، والذى فيه حددت الحكومة البريطانية الهجرة الى فلسطين ، على ان تتوقف نهائيا بعد مرور خمس سنوات على صدوره . وصدرت التعليمات الى كل اجهزة المنظمة الصهيونية وفروعها في الولايات الامريكية للبدء بتنظيم المظاهرات ، وارسال البرقيات ، وكتابة النشرات. واشترت المنظمة الصهيونية لها ساعات تبث خلالها دعايتها في ١٨٢ محطة اذاعة امركية و ٥٠ محطة اذاعة كندية ، لمدة ربع ساعة كل يوم في كل محطة، وطوال تسعة وثلاثين اسبوعا . وكان اسم البرنامج « فلسطين تتكلم » . وقد تطوع للتحدث في هذا البرنامج مشاهير الامريكان في الميادين المختلفة ، وكبار نجوم السينما .

وقد نجحت هذه الحملة نجاحا باهرا دفعت حكام اربعين ولاية الى ان يكتبوا عريضة الى رئيس الولايات المتحدة يطالبونه فيها بان يساعد في اقامة دولة يهودية في فلسطين . وكان هذا انتصارا كبيرا للصهيونية ، ودليلا لها على ان وسائلها التى استخدمتها للدعاية لمبادئها قد اثمرت .

الجبهة السياسية ـ ١٩٤٤

وقد ألبتت تحركات رجالات الكونجرس ، وزعماء كل من الحزب الديمقراطي والجمهورى لصالح الصهيونية ، مدى تاثير الدعاية الصهيونية فيهم : ففي ٢٧ يناير (كانون الثاني) ١٩٤٤ صدر عن مجلس الكونجرس بيان ورد فيه بعد المقدمة « ولهذا فان من واجب الولايات المتحدة الامريكية أن تبذل جهودها وتعمل على ان تفتح ابواب فلسطين امام الهجرة اليهودية ، بحيث تؤدى في النهاية الى اقامة دولة يهودية فيها » . وكان هذا البيان متفقا تماما مع ما ورد في برنامج مؤتمر بلتمور الذى اشرنا اليه .

وفي ٩ مارس (آذار) أعلن الرئيس روزفلت ان الحكومة الامريكية لم توافق على ما ورد في « الكتاب الابيض » الصادر في عام ١٩٣٩ ، وانها يسعدها ان ترى ابواب فلسطين وقد فتحت امام الهجرة اليهودية .

ولكن مثل هذا القول من روزفلت لم يرض الصهاينة تماما ، لم يكونوا يكتفون باقل من اعلان تاييده لقيام دولة يهودية فيها ، والعمل على مساعدتهم لتحقيق ذلك .

وفي الوقت نفسه صدر عن كل من الحزب الجمهورى والحزب الديمقراطي بيان يؤيد بحماسة اقامة دولة يهودية في فلسطين . كما وقع (١٧٠٠) من اساتذة الجامعات الامريكية ، من (٢٥٠) جامعة او معهدا ، عريضة موجهة للرئيس يطالبونه فيها باقامة الدولة اليهودية في فلسطين . وقد استغل الصهاينة هذه العريضة فاذاعوا محتواها من محطات الاذاعة ، ونشروها في الصحف على نطاق واسع .

الصهيونية والرئيس روزفلت

كان روزفلت في بداية عهده بالرئاسة يرى ان فلسطين من اختصاص بريطانيا ، ولا علاقة لامريكا بها . وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية ازداد تاكيده على ان فلسطين ، ومنطقة الشرق الاوسط بكاملها ، هي من صلاحيات بريطانيا . وهذا هو السبب الذى جعل الزعيم الصهيوني ، ويزمن ، يقول بعد مقابلته لروزفلت في فبراير (شباط) ١٩٤٠ : « ان رحلتى الى امريكا لم تكن مرضية » .

وقد اقنعت وزارة الخارجية الامريكية الرئيس روزفلت بان من المصلحة تجنب اخذ جانب الصهاينة ضد العرب ، لحاجة الحلفاء الى العرب في الحرب . وقد بلغ من حذر الخارجية الامريكية ان سفير امريكا في لندن قال لويزمن ، وهو يهم بالسفر الى امريكا عام ١٩٤٢ : « خير لك ان تكرس وقتك للكيمياء » . وعندما وصل ويزمن الى امريكا ، طلب روزفلت من وزارة الخارجية

ان تقيم له عشاء ، فاوصى وزير الخارجية كبار موظفيه بان يجعلوا الحفلة عادية جدا « ولا لون لها ما امكن » .

وفي الحرب العالمية الثانية، كان روزفلت ما زال يرى ان مشكلة اليهود هي مشكلة لاجئين : ولهذا السبب اتصل بتشرشل طالبا منه ان يسمح لـ ....١٠٠,٠ من اليهود بالهجرة الى بريطانيا ، كما ستسمح اميركا ايضا لعدد منهم بالهجرة اليها ، وبهذا يضربان المثل للدول الاخرى فتحذو حذوهما . ولكن هذا العرض من الرئيس الاميركي قوبل بالرفض من الصهاينة ، لان ما يريدونه هو : فتح ابواب فلسطين امام الهجرة اليهودية ، واقامة الدولة اليهودية .

وفي ابريل (نيسان) ١٩٤٣ كتب الملك عبد العزيز بن سعود الى روزفلت قائلا : انه قد سكت ولم يعلق على النشاط الصهيوني خلال الحرب حتى لا يحرج اميركا ويجلب لها المتاعب . ولكن بما ان الحرب قد انتهت فان الملك يطلب من الرئيس روزفلت الا يتخذ خطوة بشان فلسطين قبل ان ياخذ رايه فيها . وفي ٢٦ مايو (أيار) رد روزفلت على رسالة ابن سعود واعدا اياه بان اى اجراء لن يتم بشان فلسطين الا اذا لقي القبول من العرب واليهود معا .

وبناء على طلب ويزمن ، ارسل روزفلت الى ابن سعود رسولا ليرى ان كان يستطيع ان يجتمع بويزمن او باى واحد من الوكالة اليهودية ، فرد ابن سعود غاضبا بانه لا يملك حق التحدث بشان فلسطين ، من ناحية ، ولا يمكن ان يخطر بباله ان يعمل ما من شانه ان يجعلها فريسة لليهود ، من ناحية اخرى .

وحلت سنة ١٩٤٤ ، وهي سنة انتخابات الرئاسة ، فاقترح وزير الخارجية ان يقوم الرئيس روزفلت باسداء النصيحة الى كل من الحزب الجمهوري والحزب الديمقراطي بان يتجنبا التنافس على كسب تأييد اليهود من اجل اصواتهم في الانتخابات . ولكن الرغبة في الفوز في الانتخابات دفعت الحزبين دفعا الى تملق اصوات الناخبين اليهود . وبدأ ديوي دعايته الانتخابية بتأييده المطلق لمطالب الصهيونية ، ولم يلبث روزفلت ان حذا حذوه وقد بذل الصهاينة الجهد ، وفوق الجهد ، لاقناع الحزبين المتنافسين بان اصواتهم هي التى تقرر النتيجة .

وقد عبر الرئيس روزفلت عن تبنيه لبرنامج مؤتمر بلتمور في رسالته التى وجهها للسناتور وجنر ، لكى ينقلها الى اجتماع كانت قد عقدته المنظمة الصهيونية ، وفي هذه الرسالة يؤيد الرئيس الاميركي اقامة دولة يهودية في فلسطين ، ويقول : « وساسعى الى المساعدة في تحقيق قيامها » .

وفاز روزفلت في الانتخابات .

ولكن ما ان انتهت الانتخابات ، واعيد انتخاب روزفلت ، حتى عاد الى سياسته الاولى ، ولكن رسالته الى وجنر اثارت العرب ، وكتب اليه ابن سعود غاضبا ، فرد عليه بانه لم يزل على الوعد الذى قطعه له ، وان شيئا من موقفه لم يتغير . وحدث بعد هذا اجتماع روزفلت بابن سعود بعد مؤتمر يالطا ، حيث انكر ما كان قد قاله من حرصه على الا يتم شيء بغير رضا العرب واليهود . وعندما عاد روزفلت الى واشنطن خطب في الكونجرس فقال مشيرا الى لقائه بالملك : « ان خمس دقائق مع ابن سعود جعلتني اعرف الكثير عن فلسطين ، والجزيرة العربية ، والمسلمين ، والمشكلة اليهودية .. » وقد اثارت هذه الكلمة ثائرة اليهود . ولهذا فانه لم يلبث ان عاد ليؤكد للصهاينة ما سبق ان قاله في رسالته الى وجنر .

والامر الواضح الذى لا لبس فيه هو ان روزفلت بقي حتى مماته يحاول ان يقنع كلا من العرب واليهود انه حريص كل الحرص على مصالحهم . ولذلك كان يقول القول ونقيضه .

الصهيونية ورئاسة ترومان (١٩٤٥ ـ ١٩٤٧)

في الثاني عشر من شهر ابريل (نيسان) ١٩٤٥ توفي روزفلت ، وخلفه في الرئاسة هاري ترومان ، نائبه . وبعد ثمانية ايام فقط من توليه الرئاسة ، بدأ ضغط الصهاينة عليه لتنفيذ ما وعدهم به الحزب الديمقراطي من تاسيس دولة لهم في فلسطين ، وما وعدهم به الرئيس روزفلت . ولكن الواقع ان ترومان لم يرث من روزفلت سياسة واضحة بالنسبة لفلسطين ، كما ادعى الصهاينة .

وهبت وزارة الخارجية تعمل بنشاط من اجل اقناع الرئيس الجديد ان يتمهل في اتخاذ موقف مؤيد للصهيونية ، ومعادٍ للعرب ، خوفا مما يتوقع ان يقوم به العرب ردا على مثل هذه السياسة ، كما ان مثل هذا الموقف من ترومان مخالف للوعد الذى قطعه روزفلت لابن سعود .

ولكن ترومان لم يستطع ان يقاوم كثيرا الضغوط الصهيونية ، وبخاصة من اجل كسب تاييدهم في الانتخابات ، ولهذا فقد اتخذ في ٣١ اغسطس (اب) ١٩٤٥ اول موقف مؤيد للصهيونية ، اذ كتب الى اتلي Attlee ، رئيس الوزارة البريطانية طالبا السماح لـ (١٠٠) الف من اليهود بالهجرة الى فلسطين . وكان رد اتلي على رسالته غير مشجع ، اذ بين له رئيس الوزارة البريطانية ان هذا مخالف للوعود التى قطعتها بريطانيا للعرب ، ومع هذا فان بريطانيا مستعدة للموافقة على طلب ترومان اذا تعهد بارسال جنود من الجيش الامريكي الى فلسطين ، في حالة حدوث اضطرابات . ولم يرض هذا الرد ترومان لانه لم يكن ليرضى بارسال جنوده الى اى مكان خارج الولايات المتحدة . ثم ان اليهود انفسهم لم يرضوا عن طلب ترومان ، لان ما يريدونه هو تاسيس دولة لهم في فلسطين ، ولم يكونوا ليرضوا باقل من هذا . وهكذا وجد ترومان نفسه في عام ١٩٤٦ امام معضلة بدت له مستعصية على الحل .

وتحركت كل القوى الصهيونية في امريكا للضغط على ترومان ، ودفعه الى تبنى انشاء الدولة اليهودية في فلسطين : فلوحوا باصواتهم الانتخابية . وتقدم ديوى ، المرشح المنافس للرئاسة ، يكيل الوعود للصهاينة بلا حساب . هنا تقدم ترومان واعلن عن تاييد الولايات المتحدة المطلق لتقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، وهو ما وافقت عليه الوكالة اليهودية . وقد علقت الصحف الامريكية على هذا القرار كثيرا ، وكلها رأت فيه موقفا املته السياسة الداخلية والتنافس بين الحزبين الديمقراطي والجمهورى من اجل كسب اصوات اليهود في الانتخابات .

وقد علق جيمس رستون Reston ، المحرر المشهور في جريدة « نيويورك تايمس » في العدد الصادر في ٧ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٤٦ ، فقال : « ان البيان الذى اصدره ترومان بشأن فلسطين يوضح كيف ان العوامل التى تؤثر في السياسة الداخلية ، تتحكم ايضا في سياسة امريكا الخارجية : فالرئيس ترومان قد أدار ظهره لنصيحة رجاله في وزارة الخارجية ، ووضع يده في يد الصهاينة من اجل ان يضمن لحزبه الفوز في الانتخابات ، ويبقى للحزب الديمقراطي الاكثرية في الكونجرس . لقد سار ترومان في هذا الطريق ، مع علمه ان هذا الموقف سيضر بسمعة امريكا في الخارج » .

ومنذ ان اصدر ترومان بيانه هذا اصبح دور وزارة الخارجية بالنسبة لفلسطين محدودا جدا ، حتى ان رجال البيت الابيض طلبوا من وزارة الخارجية ان تكف عن انتقاد سياسة الرئيس هذه .

احتجاجات العرب

ولم تلبث الاحتجاجات ان صدرت عن المسؤولين في العالم العربي : فارسل الملك عبد العزيز رسالة حادة الى ترومان ، واتهمه انه ببيانه المذكور قد نقض ما سبق ان اتفق عليه مع روزفلت . ورد عليه ترومان برسالة بتاريخ ٢٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٤٦ ، مدعيا ان سياسة امريكا كانت دوما الى جانب اقامة دولة يهودية في فلسطين . وقد هلل الصهاينة كثيرا لهذه الرسالة،واعتبروها نصرا كبيرا لهم ، وتاكيدا آخر يتعهد فيه رئيس الولايات المتحدة بالعمل على اقامة الدولة اليهودية في فلسطين ، ووصفوها بانها « اوضح تصريح صدر عن الرئيس في تأييده لحق الشعب اليهودى في وطنه . » !!

وقد اثار كل من البيان والرسالة المسؤولين البريطانيين ، الذين كانوا يحسون ان مثل هذه السياسة تحرجهم في فلسطين ، وتخلق لهم المتاعب . ولعلهم كانوا يؤمنون ايضا ان امريكا تحاول ان تحل محلهم في المنطقة ، ولكن بريطانيا التى خرجت من الحرب منهكة ، ودولة من الدرجة الثانية ، لم تستطع عمل شيء . ووقف بيفن Bevin ، وزير الخارجية البريطانية في البرلمان ليهاجم ما صدر عن ترومان ، ثم ليعلن ان حكومته

قد قررت ان تحمل القضية برمتها الى الامم المتحدة .

القضية الفلسطينية في الامم المتحدة

في الثاني من شهر ابريل (نيسان) ١٩٤٧ تسلمت الامم المتحدة طلبا رسميا من بريطانيا تحيل فيه القضية الفلسطينية اليها لحلها . وبدا الضغط من امريكا على السكرتير العام للامم المتحدة من اجل ان يعقد دورة خاصة للنظر في هذا الموضوع . وفي الخامس عشر من شهر مايو (ايار) الفت الامم المتحدة لجنة خاصة من احدى عشرة دولة من الدول الصغرى ، لتدرس القضية وتقدم توصياتها . وقد عقدت هذه اللجنة ستة عشر اجتماعا عاما ، وستة وثلاثين اجتماعا خاصا ، قابلت فيها عربا ويهودا في ليك سكس ، والقدس ، وبيروت ، وجنيف .

وبعد ان انتهت اللجنة من التحقيق الذي قامت به ، لم تستطع ان تتفق على توصية واحدة ترفعها للامم المتحدة ، ولهذا قدمت توصيتين : اما التوصية الاولى فهي تدعو الى تقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، وتبنت هذه التوصية كندا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وجواتيمالا ، وهولنده ، وبيرو ، والسويد ، واروجواي . اما التوصية الثانية فتدعو الى قيام دولة واحدة في فلسطين يمثل فيها سكان البلاد بحسب اعدادهم ، وقدمتها الهند ، ويوغسلافيا ، وايران . ولم تؤيد استراليا ، وهي الدولة الحادية عشرة ، ايا من هاتين التوصيتين .

وفي الثالث من سبتمبر (ايلول) ١٩٤٧ الفت الجمعية العامة لجنة مثلت فيها كل الدول الاعضاء في الامم المتحدة ، لكي تنظر في هاتين التوصيتين ، وعقدت هذه اللجنة اربعة وثلاثين اجتماعا استمعت خلالها الى ممثلي العرب واليهود . وهذا الفصل من الكتاب الذي يكشف بالوثائق عن الاساليب التي تبعتها الولايات المتحدة ، والصهيونية ، هو اجل كسب الاصوات الى جانب التقسيم ، هو أهم فصل في الكتاب في رايي . ونذكر هنا ان جارسيا جراندوز Garcia Granades ، ممثل جواتيمالا ، ورودريغوز فيرجات Redriquez Fabergat ممثل اروجواي ، كانا من اشد المتحمسين للتقسيم ، وقد اغرقهما الصهاينة بالهدايا والمال بسبب موقفهما هذا .

وفي مساء السادس والعشرين من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) كاد ان يتم التصويت على مشروع التقسيم المقترح ، ولو صوت عليه لفشل في الحصول على ثلثي الاصوات ، وهي النسبة التي يجب توفرها لكي يصبح نافذا . ولكن عندما لاحظت امريكا ان الموقف لا يسير حسب خطتها ، عملت على تأجيل التصويت لكي تستخدم نفوذها في الضغط على الدول الاعضاء التي تستفيد من مساعداتها . وهكذا فاننا نجد رئيس الجلسة ، وهو مندوب البرازيل ، يعلن تأجيل الجلسة بحجة انه لم يعد هناك متسع من الوقت للاستماع الى كلمات من يريدون التحدث من الاعضاء . ولم تكن هذه الحجة صحيحة ، اذ كانت الساعة هي السادسة والنصف مساء فقط ، وكان من عادة المجلس ان يستمر في جلساته المهمة الى منتصف الليل . وقد ادرك مندوبو الدول العربية الخطة المبيتةوان تأجيل التصويت الى يوم آخر مشبوه ، فتقدموا طالبين شطب اسمائهم من بين المتحدثين ، ومع ذلك فان رئيس الجلسة رفض الاستمرار في مناقشة الموضوع .

وانفضت الجلسة ، وجند البيت الابيض كل رجاله ، وحشد الصهاينة كل امكانياتهم ، من اجل الضغط على الدول الاعضاء لجعلها الى جانب التقسيم .

ويقول المؤرخ اليهودي الصهيوني هوروويتز Hcrowitz : « لقد هببنا جميعا للصراع ، وعبرت مكالماتنا التليفونية المحيطات ، والاف الاميال لنتصل بالمسؤولين في كل انحاء العالم ، وارسلنا سيلا من البرقيات غمرنا بها كل مسؤول يمكن ان يساعدنا في كسب الاصوات . وفي منتصف الليل ايقظنا رجالنا من فراشهم وارسلناهم الى كل بلد لا يقف ممثله معنا لكي يتصل بالرجل الاول هناك . ولم نجد اى يهودى يعتذر عن القيام باى عمل كلفناه به ، سواء اكان هذا اليهودى

صهيونيا ام غير صهيوني .واعطينا شيكات مفتوحة لكل من كان مترددا في تأييدنا . » .

ومن الامثلة على الاغراءات والضغوط التي استعملها كل من الصهاينة ، والحكومة الامريكية ، ما يلي : لقد ارسل الصهاينة معاطف فراء المنك الى زوجات ممثلي دول امريكا اللاتينية ، الا ان زوجة ممثل كوبا ردته ، كما رد زوجها الشيك المفتوح الذى أرسل اليه ، ثم أعلن ذلك على الملأ.

وكان ممثل هايتي قد صوت ضد التقسيم الا ان حكومته امرته بالتصويت الى جانبه بعد اتصال من الحكومة الامريكية ووعود بمساعدات اقتصادية ضخمة.ومندوب الارجنتين الذى عارض التقسيم، عاد فاستنكف عن التصويت بسبب ضغط الحكومة الامريكية على حكومته . ومندوب ليبريا الذى عارض التقسيم بشدة ، ايده عند التصويت لان امريكا هددت حكومته بقطع المعونات الاقتصادية عنها .

الضغط الامريكي

ولعل من اوضح الامثلة على ما لجأت اليه الحكومة الامريكية من ضغط على الدول الاعضاء ، ما حدث بالنسبة للفلبين : فقد وقف مندوب الفلبين الجنرال روميولو Romulo وهاجم بعنف مشروع التقسيم . وعندما أجل الاجتماع ركب الباخرة عائدا الى بلاده قبل التصويت ، وحل مكانه سفير الفلبين في واشنطن ، ولكنه قبل سفره حذر المندوبين العرب من المؤامرة التى تحاك ضد قضيتهم . وبدأت الحكومة الامريكية والصهاينة بالضغط على السفير الفلبيني ، فاتصل بالجنرال في البحر ، فامره بان يعارض التقسيم . وازداد الضغط على السفير فعاود الاتصال بالجنرال . فكرر له كلامه السابق . ولكن في ليلة الجمعة جاء الامر الى السفير من رئيس جمهورية الفلبين بان يصوت مع التقسيم .

واما مندوب سيام فقد صوت ضد التقسيم ، ولكن حدث ان وقع انقلاب في بلاده في هذا الوقت، فاعتبر رئيس الجلسة صوته لاغيا .

وترومان نفسه يعترف في مذكراته بان الضغط على هذه الدول قد وقع ، فهو يقول : « ان الضغوط التى تعرض لها البيت الابيض من أجل استعمال نفوذ امريكا لدى الدول الاعضاء لاقرار مشروع التقسيم ، لم ارلها مثيلا ابدا . » .

ويقول صمرويلز Summer welles :

« ان الاحداث تثبت بما لا يدع مجالا للشك بان الحكومة الامريكية لم تترك وسيلة الا واستعملتها من اجل كسب اصوات الدول الاعضاء تأييدا للتقسيم . وقد حدث هذا بامر من البيت الابيض . » .

ويقول المؤرخ الصهيوني سوروويتز :

« وبامر من الرئيس الامريكي ، قامت وزارة الخارجية باستعمال كل انواع الضغوط ، والاغراءات من اجل ان تجعل الدول المعارضة للتقسيم تؤيده . ويجب ان نعترف انه لولا هذا التدخل لما امكن لمشروع التقسيم ان ينجح . » .

ان كل الاحداث والوثائق تثبت أن مشروع التقسيم كان مشروعا امريكيا : وضعته ، وقامت على اقراره .

وفي وجه كل هذه المؤامرات ، والقوى الضخمة، تقدم المندوبون العرب بمشروع يدعو الى فلسطين موحدة . وقد قدم هذا المشروع يوم السبت في التاسع والعشرين من نوفمبر (تشرين الثاني) ، ولكن الجمعية العامة لم تنظر فيه لان جونسون مندوب امريكا ، وجروميكو ، مندوب الاتحاد السوفييتى ، رأيا عدم اضاعة الوقت (!!) في مناقشة مقترحات جديدة .

وعرض مشروع التقسيم على التصويت ، فكانت النتيجة كما يلي : ثلاثة وثلاثون صوتا مع التقسيم ، وثلاثة عشر ضده ، وعشرة استنكفوا ، وغاب واحد .

اما الدول التي وقفت ضد التقسيم فهي الدول العربية والاسلامية . ■■

محمود السمره

مِنَ الكتب التي وصلتنا

من اشراقات السيرة الزكية

تاليف : عزيز اباظة .

الناشر : مكتبة مصر ــ القاهرة .

● هذه ملحمة السيرة النبوية الشريفة فهى بيان موصول بسيرة سيد الناس محمد بن عبدالله التى كانت رسالته وستظل معالم للكرامة التى كرم الله الانسان بها .

وهذه الملحمة توضح ملامح السيرة الشريفة سواء في ذلك ما كانت تتطلع اليه قبل مولده ورسالته وما ظفرت به بعد مولده وبعد رسالته من اعزاز للانسان وتكريم لقواه المذخورة فيه ، والذى يقرأ هذه الملحمة لا بد له من ان يتأمل فيما يحتاج الى تأمل وان يستزيد فيما يحتاج الى الاستزادة، ولا بد انه سوف يظفر في هذه السيرة بل في سيرة خلفاء الرسول وعماله بأصول لا يستجيب خير الا بها ولا يقوم بناء اصلاحى صادق الا عليها ، وهى حسن الاسوة وصدق الاتباع وسلامة المنهاج.

كذلك كانت سيرته صلوات الله عليه في حياته الخاصة بين اهل بيته وفي حياته العامة في زيارته بيوتهم وتعهده شئونهم وفي معاركه دفاعا عن الحق وابتغاء للخير ، لا لنفسه ولا لولده ولا لقومه ، ولكن للانسانية جمعاء في اى بقعة وجدوا .

عائشة والسياسة

تاليف : سعيد الافغانى .

الناشر : دار الفكر ــ بيروت .

يعطى هذا الكتاب صورة حية لصدر الاسلام ، فيعرض لاعنف نشاط سياسي شهدته الجماعة الاسلامية من خلال الحوادث والازمات التى مرت على الجماعة الاسلامية في ذلك الوقت ، وسوف يجد القارىء ان المؤلف يساير الحوادث هنا مسايرة زمنية ليرى مولد تلك المشاركة السياسية القوية العنيفة للسيدة عائشة زوجة النبى ، متى بذرت بذورها الاولى ، وكيف نمت وترعرعت ثم اشتدت وتفاقمت حتى جرفت الهدوء والاطمئنان من حياة المسلمين ، وحتى ذهبت بحياة الخليفة الصابر عثمان بن عفان وعصفت بخلافة الامام على.

كما يوضح الكتاب لونا آخر غير النشاط السياسي هو ذلك الادب الغزير من نثر وشعر واراجيز وخطب زخرت بها تلك الحوادث الجسام التى اكتوى بها العالم الاسلامى يومئذ حيث اخرج ابطال القتال وفرسان البلاغة ادبا حيا تقرؤه فتشارك قائليه شدائدهم واهوالهم .

والمؤلف يدعو القارىء لهذا الكتاب ان يقرؤه بنفس طيبة سمحة زايلها التعصب ، فالتعصب عدو العلم ، عدو الحق ، عدو الخير .

في ظلال الاندلس

تاليف : سلمى الحفار الكزبرى .

الناشر : مطابع الف باء الاديب ــ دمشق .

● مجموعة محاضرات تناولت بلاد الاندلس التى حكمها العرب حينا من الدهر ، وبقيت لهم فيها من الآثار ما تزال حتى يومنا شاهدة على ما بلغوا من رقى وتقدم في مجالات الحضارة والمدنية .

ففى محاضرتها عن (ولادة وابن زيدون) تحدثت عن الحب والشعر وما يؤدى اليه هذا الحب من خلق للمواهب وبناء للحضارات ، ورفع من قدر الامم والافراد ، كما عرفت دقائق الشعر، فعاشت مع ولادة وحبيبها ابن زيدون تريننا فتنة الجمال ، وتسمعنا آهات الحب .

اما في محاضراتها (آثارنا في اسبانيا) فقد انعشت القلوب بذكراها، واجلت الفكر العربى تحت سماء الاندلس ، والى استفاضة العلوم والفنون في آفاقها ، والى شيوع الادب والموسيقى في بقاعها ، ثم انتشار الفلسفة والعلوم والعمران والزراعة والصناعة والتجارة الى غيرها من مظاهر الحضارة.

وفي محاضرتها عن (المراة العربية) صورت عظمة المراة العربية فابرزت طائفة من نساء العرب المشهورات مع ذكر لفضائلهن ، فوصفت ما انفقت المراة العربية في كل مجال من مجالات الحياة في الادب والموسيقى وغيرها من امور كثيرة .

فرحة العودة

تاليف : محمد احمد الشمي .

الناشر : المطبعة العصرية ـ الكويت .

● مسرحية تقع في اربعة فصول استلهم المؤلف وقائعها من تراث الكويت القديم ، ذلك الجيل المكافح الصابر الذين تحدوا المخاطر والاهوال فخاضوا عباب البحر ، وقهروا الامواج، وكافحوا، فامتزج عرقهم ودمعهم ودمهم بماء البحر ورماله ، وتسلخت جلودهم على المراكب الشراعية واكتوت أجسامهم بنار الشمس المحرقة ، هؤلاء هم الذين استلهم المؤلف منهم نصوص هذه المسرحية التى ارادها ان تكون مكرمة لذكراهم وتمجيدا لكفاحهم البطولى فيسبيل الحياة ، وهو بذلك يعيد للذاكرة صورة حقيقية لنمط من الحياة فرضته الاقدار على أولئك الرجال المكافحين .

سجل البارزين

اصدار : مؤسسة دار الهلال ـبغدادـ العراق.

● يقدم هذا السجل خدمة اعلامية هامة بنشره المعلومات والبيانات الخاصة بالمؤسسات والهيئات الاقتصادية العربية ، ولما كانت اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية المعقودة بين سبع دول عربية ، وهى سوريا والعراق والاردن ومصر والسودان والكويت واليمن ، تستهدف المساهمة في سرعة النمو الاقتصادى للدول المتعاقدة عن طريق تكاملها الاقتصادى في وحدة اقتصادية ونقدية بينها ، تضم اسواقها في سوق واحدة كبيرة تتميز بتشجيع الانتاج وزيادة المردود اذ تسود فيها حرية التبادل التجارى بين هذه الدول .

لذلك اصدر هذا السجل ليكون دائرة معارف اقتصادية، وجسرا حيويا بين المؤسسات والهيئات الاقتصادية البارزة ورجال الاعمال الذين ساهموا في ترسيخ دعائم الاقتصاد العربى في كافة ارجائه .

كما يحوى هذا السجل حصيلة ضخمة من الاحصاءات والبيانات والمعلومات عن نشاطات المؤسسات والهيئات ومميزات اجهزتها في كافة الدول العربية،كما يحوى هذا السجل استطلاعات جامعة عن رجال الاعمال ممن قاموا بالادوار الاساسية في ارساء اسس اقتصاديات البلدان العربية واثروا فيها التاثير المباشر .

جمهرة الأمثال البغدادية

تاليف : عبد الرحمن التكريتي .

الناشر : مطبعة الارشاد ـ بغداد .

● كتاب في الأمثال البغدادية يتناولها بالشرح الوافي ، حيث اعتبر المؤلف المثل البغدادى غاية في ذاته ، فقام بشرحه والتعليق عليه .

اما مصادر بحث هذا الكتاب ، فكان ما يسمعه من افواه الناس هو المصدر الاول ، كما كانت كتب الامثال والتراث،المصدر الثاني من مصادره.

وقد قام المؤلف بالاتصال بارباب الحرف لشرح ما اشكل عليه من الامثال ذات العلاقة بحرفهم ، ثم بالتالى ، قام بالاتصال ببعض علماء بغداد وادبائها من كبار السن الذين ادركوا الجيل الماضي وعاشوا بعض هذه الامثال ، فكان ذلك احد مصادره .

اما طريقته في البحث ، فقد اورد من الامثال البغدادية ما اشتهر تداولها اكثر من نظيراتها في اللفظ والمعنى مشكلة وبحرف بارز ورتبها حسب سياقها الهجائي وفقا لطريقة المعجم كما قام بشرحها والتعليق عليها ما امكن ، وفي اى مناسبة قيلت والمجال الذى يضرب به .

سياسة الصبيان وتدبيرهم

تاليف : ابن الجزار القيروانى .

تحقيق وتقديم : الدكتور محمد الحبيب الهيلة .

الناشر : الدار التونسية للنشر ـ تونس .

● كتاب من كتب تراثنا القديم ، وهى رسالة فريدة في فن من فنون الطب ، وهذا الفن هو طب الاطفال الذى لم يتناوله البحث من جانب الاطباء القدامى الا بصورة عابرة ضمن دراستهم للطب بشكل عام ، وتعتبر هذه الدراسة اول دراسة مركزة موضوعية تسلك مسلك الاختصاص في طب الاطفال ، كما تحوى هذه الدراسة معلومات دقيقة عن المحيط الاجتماعى بالقيروان وافريقيا اثناء القرن الرابع الهجرى ، كما ان القارىء سيجد متعة في وصف اوضاع المرضعات والوان الطعام الذى يجب ان يقدم للاطفال ، وفي تصور لباسهم ، كما درس المحقق في بداية كتابه ترجمة ضافية لابن الجزار ـ حياته وآثاره .

الأمراض المعدية

تأليف : الدكتور عبد الحسين بيرم
الناشر : مكتبة الحياة/بيروت/لبنان

● كتاب يدرس الامراض المعدية وكيفية انتشارها وطرق الوقاية منها ويعتبر هذا الفرع من علم الطب اخطر انواعه ، فقد قام المؤلف بتتبع هذه الامراض خلال حياته العملية في تطبيب مرضاه من سكان المستنقعات والأهوار وسكان القرى النائية والقرى القريبة من المحلات النائية .

وقد افرد المؤلف لكل مرض من هذه الامراض المعدية قسما ، فتكلم في البداية عن الامراض المعدية ، والمكروبات المسببة لهذه الامراض وطرق مقاومة الشخص لهذه الامراض وقابليته ، ثم افرد قسما خاصا للجدرى والجديرى والحصبة والحمى القرمزية والسعال الديكى الى اخر هذه الامراض المعدية ، كما اورد المؤلف دراسات تاريخية عن جميع هذه الامراض وعن تاريخ الموجات الوبائية التى اجتاحت العالم في العصور القديمة والحديثة بصورة تجلب الشوق واللذة للقارىء .

الزجل فى المغرب
القصيدة

تأليف : الدكتور عباس بن عبد الله الجرارى
الناشر : مطبعة الامنية / الرباط

● بحث نال به المؤلف درجة الماجستير من جامعة القاهرة يدرس التراث الشعبي للمغرب ، هذا التراث الذى يعطي صورة للشخصية الوطنية، مهما كانت باهتة فهي اوضح من الصورة التى يعكسها الادب المدرسي المثقف ، كما ان دراسة الادب الشعبي تعزيز لاقليمية الادب وتقرير لمذهبه ، ومن ثم فان الادب الشعبي مكمل للادب المدرسي ، وان من شان دراسته ان تساعد على الربط بين الادبين واجتياز الهوة الكبيرة التي تفصل بينهما .

وقد قسم المؤلف كتابه الى مدخل وثلاثة ابواب ، ففي المدخل درس القصيدة الزجلية والغناء الشعبي في المغرب وما يصاحب القصيدة الزجلية من موسيقى اندلسية ، وموازنها وما يصاحبها من الات . ثم ناقش شعبية الزجل شعرا وغناء .

اما الباب الأول فقد خصص لدراسة الشكل وتحدث في الفصل الاول فيه عن مفهوم الزجل وانواعه واوضح فيه مدلول كلمة الزجل سواء في اللغة او في الاصطلاح الادبي ، ثم انواع الزجل المغربي ، والفصل الثاني درس لخصائص العامية ونشأتها ، والفصل الذى يليه كلام في العروض يتناول البحور في بناء القصيدة ثم الحربه او ما يسمى باللازمة ونظام القافية .

اما الباب الثاني من الكتاب فقد خصص لموضوعات الزجل ويتكون من اربعة فصول تتناول المراة ، ثم نظرة الزجال المغربي للحياة في جانبيها الحسي والتجردى ، ثم المدح والرثاء والهجاء ، اما الفصل الأخير منه فقد تتبع فيه حب الشاعر الشعبي للرسول صلى الله عليه وسلم واستعراض لأوصافه وشمائله وجوانب من سيرته .

اما الباب الثالث فقد سماه ، المؤلف الاعلام فاستعرض فيه بعض الأسماء والنصوص التي امكنه العثور عيها منذ عهد الموحدين حتى عصر المرينيين قبيل منتصف القرن التاسع الهجرى . ثم درس لمرحلة التطور،ثم اخصب فترة ازدهر فيها الزجل مع كثرة ما نبغ فيها من شعراء ومحاولة لاستعراض اعلامهم واسماء الزجالين المعاصرين مرتبة حسب مدنهم .

كتاب التعازى

تاليف : ابو الحسن على بن محمد المدائنى
تحقيق : ابتسام مرهون الصفار وبدرى محمد فهد .
الناشر : مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف ـ العراق .

● كتاب من كتب تراثنا العربى القديم يتكون من جزءين ، اما الاجزاء الباقية فهى مفقودة ، والكتاب نسخة فريدة وجدت في المكتبة الظاهرية بدمشق ، ويقع هذا الكتاب بجزءيه في اربع وعشرين ورقة ، كان نصيب الجزء الاول منها احدى عشرة ورقة ، والجزء الثانى ثلاث عشرة ورقة ، ولم يجد المحققان منهجا معينا للمؤلف في تقسيمه للكتاب الى اجزاء ، بل ان المؤلف يسير على وتيرة واحدة يعرض موضوعا واحدا يدور حول التعازى والمراثى حيث يورد الاخبار والروايات دون ان يلتزم بالتقسيم الزمنى او الفنى لها كما يحوى الكتاب في مقدمته ترجمة موجزة عن المدائنى تدرس حياته وعصره . ■■



بقيـة بـريـد القـرّاء

حول كتاب جامع الاصول

● جاء في العدد ١٥٧ ، ١٥٨ من العربي ان كتاب جامع الاصول من احاديث الرسول لم يطبع واود ان اشير الى ان هذا الكتاب طبع اغلبه بالفعل وليس مخطوطا كما جاء في المقالين .

فهد بن عبد الرحمن الرومي
الرياض .

العربي : جاءت تعليقات كلها من المملكة العربية السعودية من الاستاذ عبد الرحمن احمد برهمين — بمكة والاستاذ سعود بن سعد الدريب من الرياض وغيرهما يذكرون ما يأتي :

ان جامع الاصول طبع منه اثنا عشر جزءا سنة ١٩٤٩ بمطبعة السنة المحمدية واشرف على الطبع فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم وصححه فضيلة الشيخ محمد حامد الفقى ، ولم تكمل اجزاؤه ، وان هذه الطبعة كانت على نفقة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود ، وان المستودع العام للمطبوعات السعودية قام بتوزيعه على بعض العلماء وبعض طلاب كلية الشريعة بمكة .

ويعقب الاستاذ عبدالرحمن احمد برهمين بقوله. فالكتاب مطبوع اذن ولكنه بقي كالمخطوط في ندرته. وان ما طبع منه يمثل ركنين من اركان الكتاب . وبقي الركن الثالث وهو في الخواتيم لم يطبع الى الان . كما ذكروا ايضا في رسائلهم ان الكتاب يعاد الآن طبعه في دمشق ولم ينجز بعد .

والعربى اذ يسجل هذه الحقائق شاكرا للاساتذة الذين ذكرناهم ليعجب كيف لم يكمل طبع الكتاب ، مع انه كان على نفقة المغفور له جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، وانها لنعذر كل من يذكر انه لم يطبع لامرين : اولهما عدم اتمام طبعه ، وثانيهما لعدم عرضه في الاسواق العربية للبيع ، وانما يوزع على بعض العلماء وبعض طلاب كلية الشريعة ، هدية من المستودع العام للمطبوعات بالسعودية .

والامل كبير فى ان يطبع كاملا محققا وليس ذلك بكثير على من خلف المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود من ابنائه الاكرمين .

الجامعات العربية

● ارجـو منكم ان تقدمـوا لنا مزيـدا مـن الاستطلاعات عـن الجامعات الموجودة في الوطـن العربي الكبير وانظمتها والحياة الجامعية فيها مثل جامعة الازهر والقيروان .. وغيرهما كثير . تلـك الجامعات التى هي منار للعلم والثقافة وشعاع للامل . امل كل طالب في الدرس والتحصيل ولكم مني ومن كل عربي جزيل الشكر .

احمد ناصر الحمدان
الاحساء/المملكة العربية السعودية

صور من النجاح

● قرات في العدد الممتاز من العربي رقم ١٥٨ ، مقالا بعنوان « صور من النجاح ، جاءت من بعد فشل » وقد اعجبني المقال حقا ، لما حواه مـن قصص لرجال حققوا نجاحا ، وقد ظنوا ان الفشل هو كل نصيبهم من الحياة . زيدونا مـن مثـل هذه الموضوعات التى تتصل بحياة الناس .

احمد عبد العزيز الدبينخي
الدمام — المملكة السعودية .

هدية العدد الممتاز اخفاها الباعة

● تحية طيبة وتهنئة من القلب لما وصلت اليه مجلتكم العظيمة « العربي » ، ولكن عندما ذهبت لاشترى العـدد الاخير يناير ١٥٨ لم اجـد الهدية معه وهي « جسم الانسان » وكنت في حيرة من ذلك ولكنني وبالرغم من هذا اشتريت العدد وخصوصا لوجود ما يختص بالاسلام والرسول الكريم ، فارجو من سيادتكم ان ترسلوا الـى الهدية فقط واكون شاكرا لكم هذا الصنيع .

محمد جمال الدين عبد السلام

النخلُ الوفيُّ

لأوسكار وايلد

■ « ابرز الفار راسه من جحره ذات صباح . وكان له عينان تشبهان الخرزتين المضيئتين ، وشوارب تشبه في لونها الرماد ، وذيل كانه قطعة مستطيلة من المطاط ذى اللون الاسود ..

وكان هنالك بطات صغيرات تعوم فوق مياه الغدير وهي أشبه ما تكون بسرب من طيور الكنارى الصفر ، وعلى مقربة منها أمها البطة الكبيرة ذات الريش الأبيض الناصع والرجلين الحمراوين ، وهي تحاول ان تعلمها كيف تقف على رؤوسها في الماء ..

وكانت تقول : ان البطة لا تكون من اسرة الفئة الرفيعة اذا هي لم تستطع الوقوف على راسها على نحو ما افعل . وكانت ما تفتأ بين حين وآخر ترى فراخها بنفسها كيف يمكن ان يتم هذا العمل بكل سهولة ويسر .

غير ان البطات الصغيرات لم تكن لتحفل بقولها ذاك أو تقيم له وزنا ، وكان لها شفيع من صغرها المفرط الذي لم تكن تعرف معه قيمة الانتساب الى الفئة الرفيعة من اسرة البط .

وصرخ الفار المسن حانقاً : أي عقوق هذا الذى أرى ؟ من هؤلاء الصغيرات العنيدات ؟ انها تستاهل الغرق جزاءً فماذا ترقبين ؟ .

فقالت البطة الأم : لست اشايعك في ما ترى اذ ان كل صغير يبدأ سيره بمحاولة ، وما على الوالدين حينئذٍ الا أن يلتزموا الصبر ما وسعهم ذلك .

فقال الفار : لست أعرف شيئاً عن مشاعر الآباء فما انا بأبٍ لانني لم أتزوج ، وما اظنني سوف اتزوج مع انني اعلم ان الحب شيء جميل ممتع ، على أن الذى اعرفه هو ان الصداقة اسمى من الحب ولن يجد المرء في حياته اندر من صديق مخلص .

وتصدى للفار عصفور أخضر كان يحط على غصن من شجرة الصفصاف القريبة من الغدير ، فساله قائلا : وما واجب ذلك الصديق المخلص في نظرك ايها الفار ؟ .

فاجاب الفار : ما هذا السؤال الغريب ؟ انني اترقب من صديقٍ مثلك ان يكون مخلصا لي في كل ما يصدر عنه من قول أو عمل .

فقال العصفور : وما الذى تبذله لذلك الصديق في مقابل ذلك الاخلاص الذى تريده منه ؟ .

فقال الفار : لست ادرك ما تهدف اليه من تساؤلك هذا ؟ .

وهنا هبط العصفور عن غصن الشجرة الى الشاطىء ، وقال للفار :

دعني اسرد عليك قصة طريفة في الموضوع .. وتابع قائلا :

زعموا انه كان هناك انسان طيب القلب حسن السيرة اسمه السيد (هانز) ، له وجه ينطق بالسذاجة المفرطة والتسامح المتناهي . وكان يعيش بمفرده في كوخ متواضع حقير ، ويصرف نهاره كله يعمل جاهداً في حديقته التي تزدع فيها أجمل الزهور من ورد وقرنفل ومنثور وبنفسج بين الأرجواني والأبيض .. وكانت حديقته حافلة بالزهور دونما انقطاع ، فهي تستوقف العابرين بها لجمال منظرها وطيب شذاها .

وكان للسيد (هانز) اصدقاء كثيرون ، ولكن اشد هؤلاء الاصدقاء اخلاصاً هو السيد (هيو) الطحان البدين المفرط في البدانة ، الذى يعرف بثرائه ونعمته . وكان من ابرز علامات الاخلاص

وازدادت العاصفة هياجاً ، وجعل المطر يهطل وابلاً ، وضلّ السيد (هانز) طريقه في الظلام ، فاذا به ينتهي الى حفرةٍ عميقةٍ غمرها الماء فسقط فيها وغرق .





التي يظهرها هذا الطحان الثرى ، هي انه لا يمر بحديقة السيد (هانز) دون ان ينحنى من فوق سورها ويملأ قبضته من ازاهيرها اليانعة العطرة ، او يملأ جيبته بما نضج من فاكهتها التي غالبا ما يختار من بينها البرقوق والكرز .

وكان هذا الطحان الثرى يقول دائما : ان واجب الاصدقاء ان يجعلوا اموالهم مشاعا فيما بينهم . ويغتبط السيد (هانز) ويشعر بالفخر حين يجد مثل هذه الآراء القيمة عند صديق وفي من اصدقائه المقربين الى نفسه .

وفي كثير من الاحيان كان جيران السيد (هانز) يعجبون من امر صديقه الطحان البدين ، وذلك انه لم يكن يقدم اليه اية هدية مقابل ما يتلقاه من صديقه ، مع انّ في حوزته مئة غرارة من الدقيق غصت بها طاحونته ، ولديه ست بقرات سمينات تدر جميعها اللبن الغزير . كما انه يملك قطيعاً من الغنم .

غير ان السيد (هانز) لم يكن ليشغل نفسه بمثل هذه الصغائر من الأمور ، لأن الغبطة والمسرة اللتين كان يشعر بهما حين يستمع الى حكم صديقه الطحان عن الصداقة والاصدقاء ، لم يكن ليعدلهما جميع ما في الأرض من غرائر الدقيق وقطعان البقر والماشية .

وظل السيد (هانز) يقبل على العناية بحديقته ، يثير أرضها بين الحين والآخر ، ويزيل ما فيها من اعشاب طفيلية ، ويغرسها بالزهور الجديدة حتى لا ينفد فيها أيّ نوع من انواعها . وظل هذا شأنه في الربيع والصيف والخريف . ولا ينقطع نشاطه هذا الا في ايام الشتاء حين تقفر من ازهارها واثمارها فلا يجد فيها شيئاً يبيعه .

وفي هذه الفترة من العام كانت تشتد وطأة

الجوع على السيد (هانز) حتى انه ليطوى معظم لياليه جائعاً ، لا تصل يده الى أكثر من بضع حبات من الجوز اليابس ، وفي هذه الفترة من العام كان يعيش في عزلة تامة ، اذ ان صديقه الطحان لا يأتي لزيارته مطلقاً .

وكان الطحان البدين يقول لزوجته في مثل هذه الأيام .

لست أرى من الصواب أن أذهب لزيارة صديقي الوفي السيد (هانز) في مثل هذه الأيام الرهيبة ، لأن الناس اذا ما كانوا في ضيق من العيش وجب على اصدقائهم ان يدعوهم وشأنهم ، يتدبرون ضيقهم ذاك دون ان يزعجوهم بزياراتهم الثقيلة المباغتة ، هذه هي نظرتي الى الصداقة واظنني على صواب . ولذا فسوف اترقب حلول فصل الربيع وحينئذ أزوره . وعندها فقط سوف يتمكن من ان يهدي الي سلة مليئة بالزهور العطرة ، وهذا وحده كفيل بان يجعله يشعر بالسعادة والارتياح .

وأجابت المرأة الطيبة . لشد ما تعجبني يا عزيزى (هيو) بحديثك عن الآخرين، وخاصة حديثك عن الصداقة والأصدقاء . انه حديث ممتع حقا ويلذ لي سماعه دائما ، ولن يستطيع الواعظ في يوم الاحد ان يأتي بحديث يشابهه ، مع انه يقطن بيتاً يتألف من ثلاث طبقات ويلبس في أصبعه الذهب .

وتصدى ابن الطحان البدين ليقول :

اليس في الامكان يا ابتي ان تدعو السيد (هانز) الى ضيافتنا ما دمتم تقولون انه في ضيق شديد ، انني على استعداد لان اقدم له نصف ما يصيبني من الحساء الشهي ، وان اريه كذلك ارانبي البيض ..

فصرخ الطحان البدين في وجهه :

اصمت ايها الغلام المعتوه .. انني لا اجد أي نفع من ذهابك الى المدرسة ما دمت لم تتعلم فيها شيئا . ان صديقي الوفي (هانز) لو دخل بيتنا ورأى فيه هذه النار المتأججة التي تبعث الدفء والسعادة ، ورأى طعامنا الشهي ونبيذنا الاحمر ، لامتلأ قلبه بالحقد والحسد والضغينة ، وذلك مما يسبب له الأذى والمضرة ، ولن اسمح في حال من الأحوال ان يكون ما نحن فيه من نعيم سبباً لجلب الأذى لصديقي الوفي السيد (هانز) فانا افضل اصدقائه لديه ، ومن حقه على ان ارعى شعوره .

اضف الى ذلك كله ، ان هنالك احتمالا وهو ان رؤيته لما نحن فيه من نعيم ربما دفعه الى ان يطلب منا بعض الدقيق ديناً مؤجلا ، وهو ما سوف ارفضه من غير شك ، اذ انني اعتبر الصداقة شيئاً والدقيق شيئا آخر ، وليس يجوز لي أن امزج بينهما في حال من الاحوال .

وقالت امرأته تعقب على كلامه بعد ان ملأت لنفسها قدحاً كبيرا من النبيذ :

ـ ان كل حديث اسمعه منك لا يكون الا شهياً ممتعاً ، فما ابرعك يا عزيزى (هيو) ..

فقال الطحان البدين وهو يحشو في فمه الكبير لقمة ضخمة من الطعام :

ـ ان الذين يعملون اعمالاً طيبة كثيرون جداً ، ولكن الذين يتكلمون كلاماً طيباً قلائل جداً ، بل لست اغالي اذا قلت انهم في غاية الندرة ، وهذا وحده يدل دلالة واضحة على أن الكلام الطيب اكثر صعوبة من العمل الطيب ، بل واكثر جمالا وروعة .

وسأل الفار الكهل : وهل هذه هي نهاية قصتك ايها العصفور اللطيف ؟ .

فقال العصفور : بل هذه هي بدايتها ايها الفار الكهل .

فقال الفار : يظهر لي أيها الصديق انك رجعي متخلف . اذ ان القصاصين في ايامنا هذه يبدأون القصة من خاتمتها ، ثم يتبعون ذلك بالبداية وأخيراً ينهونها بوسطها .. هذه هي الطريقة المثلى كما سمعت من ناقد حديث كان يشرحها بتفصيل مسهب لاحد الفتيان ، وليس عندى أدنى ريب بانه على حق في كل ما قال لانه ذو منظار أزرق ورأس اصلع .

وكيفما كان الامر فاني اتوسل اليك ان تكمل قصتك لانني اصبحت اميل ميلا شديدا الى الطحان البدين.. ذى الفم المحشو بالطعام الدسم الشهي.

واستأنف العصفور سرد قصته :

ـ وحين انقضى فصل الشتاء ودبت الحياة من جديد في حديقة السيد (هانز) وعادت وروده الجميلة الى التفتح، قال الطحان الطيب لزوجته.

سوف أذهب لزيارة صديقي الوفي السيد (هانز) لاتمتع برؤية حديقته واحضر منها بعض الورود ثم اسأله عن حاله .

فقالت الزوجة الصالحة :

ـ لكم أنت طيب القلب يا عزيزى (هيو)

وخاصة حين تهتم بالآخرين كما تفعل الآن .. ارجو ان لا تنسى سلة الزهور الكبيرة لكي تاخذها معك .

وعند باب الحديقة اليانعة الزهور والورود ، استقبله السيد (هانز) بابتسـامته المشرقة فسأله الطحان البدين عن حاله في فصل الشتاء ، فرد عليه قائلا :

ـ اشكرك غاية الشكر على تكرمك بالسؤال .. اشكرك جداً .. لقد كانت فترة قاسية عصيبة ولكنها مرت ، وها هو قد جاء الربيع واني لمسرور غاية السرور بقدومه الجميل ، وان زهوري لتبشر بمحصول طيب كما ترى .

فقال الطحان البدين :

ـ لقد كنت انا وزوجتي نفكر اعمق التفكير في حياتك القاسية طيلة ايام الشتاء وانا لنعجب كيف استطعت ان تتغلب عليها وتجتازها بسلام .

فقال السيد (هانز) :

انك ايها الصديق الوفي لتدهشـني انت وزوجتك بكرم اخلاقكما ، ولقد كنت اظن انكما نسيتماني ..

فاجاب الطحان البدين :

ـ اني لأعجب من أمرك يا عزيزي .. وهل يمكن ان تنساك ؟ ان الصداقة شيء لا ينسى ابداً ، وهذا هو اعجب ما فيها . وان اخوف ما اخافه عليك ان يفوتك الكثير من ادراك بعض الخفايا الغامضة من فن الحياة .. ولن يفوتني بالمناسبة ان اشير الى جمال زهورك الفاتنة الاخاذة .

فقال السيد (هانز) :

انها جميلة اخاذة حقا ، وانها كثيرة ايضا ، وسوف اقطفها غدا لكي ابيعها في السوق واسترجع عربتي من الرجل الذى اشتراها .

فقاطعه الطحان البدين قائلا :

ـ تسترجع عربتك ؟ هل تعنى انك بعتها ؟ ان كان هذا قد وقع فهو شيء فظيع جداً وما كان عليك ان تقدم على فعله .

فقال السيد (هانز) منكسراً حزيناً :

ـ ان هذا قد وقع بالفعل ، وقد اضطرني اليه فرط حاجتي اثناء الشتاء القاسي ، وذلك حين لم اجد ما اشترى به خبزاً .. لقد بدات ببيع ازرار معطفي الفضية اولا ، ثم اتبعتها بسلسلتي الذهبية ، وفي النهاية اضطررت ان ابيع عربتي . وها هو الوقت الذى يجب أن استردها فيه جميعا .

فقال الطحان البدين متعاليا :

ـ سوف امنحـك عربتي القديمة يا عزيزى (هانز) وعلى الرغم من انها لا تحتاج الى اصلاح كبير فسوف اقدمها اليك ، وانا اعلم ان ذلك كرم ما بعده كرم . وسوف يظن الكثيرون انني اسرفت كثيراً حين اعطيتك اياها وهذا ناتج عن جهلهم بانني لست كبقية الناس الذين لا يرون الا مصلحتهم الخاصة فقط ، اذ انني اؤمن ايمانا عميقا بأن الكرم هو جوهر الصداقة ، ومع ذلك كله فقد اشتريت لي عربة جديدةفلا تفكر بى ، واطمئن الى انني سوف اعطيك عربتي .

فاستبشر السيد (هانز) مما سـمع ، حتى ظهرت آثار هذا البشر على وجهه الكبير الذى تقرأ السذاجة على صفحتيه بوضوح وبيان .. وقال :

ـ يا صديقي الوفي .. ان هذا كرم منك لا يفيه الشكر في حال من الأحوال ، وان عندى لوحا كبيراً من الخشب واظنه سيكون كافياً لكي اصلح به العربة .

فقال الطحان البدين مغتبطا :

ـ لوح كبير من الخشب ؟ هذا ما كنت ابحث عنه لأصلح به ثقبا واسعا في سقف مخزني . لكم كان مدهشا ان تذكر هذا اللوح امامي . الست معي ان الفعل الجميل سرعان ما يسبب فعـلا جميلا من مثله ؟ انني منحتـك عربتي كما ترى ، ولـسوف تمنحني انت بدورك هذا اللـوح الكبير مقابل ذلك ، على الرغم مما بين اللوح والعربة من تفاوت كبير في القيمة والثمن . ولكنني لا اقيم وزنا لهذا التفاوت الكبير ، اذ ان الصـداقة الصحيحة لا تكترث بمثل هذه الصغائر ..

ارجوك يا صديقي الوفي ان لا تضيع وقتـك عبثاً وان تسرع لاحضار اللوح الخشبي ..

واسرع السيد (هانز) الطيب فاحضر لـوح الخشب الكبير ، وقدمه راضياً لصديقه الطحان البدين الذي سرعان ما تناوله متلهفا بكلتا يديه وهو يقول : ـ

ـ انه لوح كبير حقاً يا عزيز (هانز) واخشى ان لا يتبقى منه فضل لكي تصلح به عربتك والآن ما دمت قد منحتك عربتي فانا واثق من انك سوف

تهدى الي بعض زهورك الجميلة العطرة لقاء هديتي لك .. ها انذا قد احضرت لك سلة الزهور الكبيرة لتملأها الى حافتها .

وكانت السلة كبيرة جدا ، وكان السيد (هانز) الطيب يعلم تمام العلم بانه اذا ما ملأها الى حافتها فلن يبقى في حديقته من الزهور ما يكفي للذهاب به الى السوق غدا .. فسأل صديقه الطحان خجلاً متردداً :

ـ هل تريد ان تملأها بالفعل الى حافتها ؟ .

فأجابه الطحان البدين على الفور :

ـ نعم .. نعم ، انني وقد اعطيتك عربتي لا أجد في ان تملأها الى حافتها مبالغة او اسرافا ، ولعلي اخطيء فيما أرى الا ان يقيني الذى لا احول عنه هو ان الصداقة الوثيقة لا تعرف الانانية ..

وهنا هتف السيد (هانز) مغتبطاً ممتناً بصديقه الحكيم :

ـ يا صديقي الوفي ، يا صفوة الاصدقاء جميعا ، ان جميع ما في حديقتي من ورد وأزاهير هو رهن اشارتك وملك يمينك دون آرائك الحكيمة في الصداقة لأثمن الف مرة من عربتي وسلسلتي وازرارى الفضية جميعا ..

ومضى (هانز) يعدو الى الحديقة ، فقطف افضل ورودها وزهورها وملأ بها السلة الى حافتها على نحو ما أراد صديقه تماما ، فاخذها الطحان البدين ومضى في سبيله . وعاد السيد (هانز) الى عمله في الحديقة مغتبطاً مسروراً وهو يشعر بمنتهى السعادة لما فعل .

وفي الصباح من اليوم التالي اقبل الطحان البدين وعلى ظهره غرارة من الدقيق ، والتمس من صديقه السيد (هانز) ان يحملها الى السوق ليبيعها نيابة عنه ، فاعتذر السيد (هانز) الطيب بكثرة مشاغله في الحديقة ، فقال الطحان البدين حانقا :

ـ ارجو ان تقارن يا صديقي بين اعطائي لك العربة ، وبين رفضك لمطلبي البسيط وحينئذ تجد ان عملك هذا لا يتمشى ابدا مع روح الصداقة الاكيدة .

وعندئذ تنبه السيد (هانز) الى امر غاب عنه ان يتنبه اليه ، فصاح متداركا ما فات :

ـ لا تقل هذا القول يا صديقي الوفي ، ان صداقتك في نظري لا يعادلها شيء مما في الدنيا مهما غلا وارتفع .. هات الغرارة ..

وترك ما في يديه من عمل ، وحمل الغرارة على ظهره وسار بها الى السوق ليبيعها ، كما اراد صديقه . وكان اليوم شديد الحر ، وكان الطريق كثير الغبار طويلا ، فخارت قواه واحس بتعب شديد . ولكنه واصل السير حتى بلغ السوق وباع الغرارة ، ولم يعد الى كوخه الا مع الليل .. فوصل مجهداً مكدوداً ، ولكنه خفف عنه عناءه شعوره بالغبطة لانه ابقى على صداقة الطحان الكريم ، الذى سوف يعطيه عربته القديمة . ومن اجل ذلك نام قرير العين .

وعندما جاء الصباح التالي كان السيد (هانز) لا يزال يحس بالتعب الشديد بسبب ما بذله في اليوم السالف من جهد ، وحين اقبل الطحان البدين لياخذ نقوده وجده لا يزال راقدا في فراشه فصرخ في وجهه محتجاً :

ـ ما هذا يا صديقي الوفي ؟ انك كسول جدا . ولعلك تذكر انني سوف امنحك عربتي من غير مقابل ، وهذا وحده يكفي لأن يحملك على ان تبذل جهدا اكبر . وان الكسل بحد ذاته خطيئة كبيرة ، ولن ارضى أن أجد صديقاً من اصدقائي ، كسولاً لعل صراحتى لا تسوءك وان الصديق الصدوق لا يداهن ولا ينافق ، وما كنت لأفعل ذلك وانا من تعلم في صداقتك .

وتحامل السيد (هانز) على نفسه ونهض من فراشه ليكمل العمل الذي اهمله امس في حديقته، الا ان صديقه الطحان البدين امسك يده برفق ليقوده الى حيث الثقب الكبير في سقف مخزنه ، فلم يستطع المسكين رفض طلبه ، فترك عمله في الحديقة مرة ثانية ومضى مع صديقه الوفي يصلح له سقف مخزنه ، وبقي في عمله ذاك حتى غروب الشمس ، حيث أتم اصلاحه على أحسن وجه .

وحينئذ جاءه صديقه الطحان البدين ليقول له :

ـ انه ليس افضل من صنيع نقدمه للآخرين .

فقال السيد (هانز) :

ـ ان الاصغاء الى حديثك تكريم لا يعدله تكريم، ولست ادرى متى سيكون بوسعي أن أقول افكاراً جميلة مثل أفكارك هذه ؟ .

فقال الطحان البدين :

ـ من يدري فلعل ذلك يتهيأ لك ذات يوم ، الا انه يتطلب منك ان تبذل من أجله جهدا كبيرا ، وما دمت تباشر الصداقة بالفعل ، فلن يكـــون بعيداً عنك ذلك اليوم الذي تعرفها فيه من حيث المعنى . والآن هيا الى منزلك لكي تستريح من عناء النهار ، اذ انني اريدك ان تبكر اليّ غداً لكي تقوم على رعي غنمي في الجبل القريب من المدينة .

ولم يكن بوسـع السـيد (هانز) ان يخالف لصديقه الوفي مطلباً ، ولذا فقد بكر بالحضور اليه مع الصباح ومضى الى الجبل مع الغنـــم يرعاها حتى أقبل الليل ، وحين عاد الى بيته كان تعباً مجهداً ، فاوى الى فراشـــه ولم يلبث ان استغرق في سبات عميق .

ولما كان الصباح هم بالذهاب الى الحديقة لينجز اعماله فيها، ولكن صديقه الطحان البدين فاجأه قبل ان يخرج الى عمله وطلب اليه ان يقوم ببعض اعماله .. وما زال الطحان يكلفه كل يوم بعمل من اعماله وهو لا يرفض له مطلباً ، بل يقول في نفسه :

ـ لا بأس في ذلك ، انه سوف يعطيني عربته وذلك كرم لا يوازيه جميع ما قمت به من اعمال .

وظل السيد (هانز) يعمل للطحان البدين وهو يتحدث اليه احاديث جميلة عن الصداقة والاصدقاء ولا يفوته ان يدونها جميعاً في كتاب كبير لكي يعاود قراءتها عند المساء .

وذات ليلة استيقظ السيد (هانز) على قرع عنيف على الباب ، وكانت ليلة عاصفة باردة واذا به صديقه الطحان البدين وبيده فانوس ، وقد جاء يطلب اليه أن يذهب الى الطبيب يستدعيه لعيادة ولده المريض . وكان منزل الطبيب بعيداً ، فطلب منه ان يعيره فانوسه لكي يرى به طريقه في الظلام ، ولكن الطحان البدين اعتذر عن ان يجيبه الى طلبه ، واحتج بأن الفانوس ما يزال جديداً ، وبانه يخشى ان يسقط من يده فيصيبه عطب .

وخرج السيد (هانز) من منزله يلبي رغبـة صديقه الوفي ، الذي تكرم فمنحه عربته القديمة وما زال يتخبط في ظلام الليل يواجه الريح والمطر والبرد . حتى بلغ منزل الطبيب ، فخف هذا يلبي الدعوة فوق ظهر جواده ، وخلف من ورائه السيد (هانز) يتخبط في طريق عودته خبط عشواء ..!!

وازدادت العاصفة هياجاً ، وجعل المطر يهطل وابلاً عنيفا ، وضلّ السيد (هانز) طريقه في الظلام ، فاذا به ينتهي الى حفرة عميقة غمرها الماء فسقط فيها وغرق .

وفي الصباح عثروا على جثته طافية فوق المـاء العكر في الحفرة ، فحملوه الى حيث شيعت جثته لتوارى التراب ، وسار الناس خلف الجنازة وعلى رأسهم صديقه الوفي الطحان البدين ، لانه اقرب المقربين اليه على حد تعبيره .

وقال حفار القبور :

ـ لقد كان موت السيد (هانز) خسارة لجميع الذين اسعدتهم المصادفة بمعرفته ..

فرد عليه الطحان البدين دامع العينين :

ـ اما انا فقد كانت خسارتي تفوق خسـارة جميع الناس الذين عنيتهم ، لقد كنت مصمماً على ان امنحه عربتي القديمة ، ولست أعرف ماذا يجب ان افعل بها الآن ؟ انها تسد الطريق الى منزلي وهي لن تكون صالحة للاستعمال من غير اصلاح ، واصلاحها يتطلب كثيراً من المال ، وهي لا تجيء بثمن يذكر لو عرضتها للبيع .

سيكون فيما حدث لي عبرة ـ وما اكثر العبر في حياة الانسان ـ وعليّ بعد اليوم ان لا افكر في ان اعطي احداً شيئا ، فليس الكرم بالأمر الهين كما توهمت .

وقال الفار العجوز متسائلا :

ـ وماذا كان من أمر الطحان البدين بعد ذلك ؟ فاجابه العصفور ودونما اكتراث :

ـ انه لم يكن يهمني ان أعرف شيئا عن مصيره ، ولذا لم يخطر ببالي ان اتسقط اخباره .

تلك هي القصة من بدايتها الى نهايتها ..

ولقد اغراني صديقي بمقارنته تلك ان التمس فيها موضع الشـبه كما قلت في البداية ، ومن يدري ، فقد يجد القارىء في نفسه مثـل هذه الرغبة ، ويحاول مثل الذي حاولت ، واني لعلى يقين من اننا سوف نصل في النهاية الى غايـة واحدة .. ■■

ترجمة : محمد سليم رشدان

عمان ـ الاردن

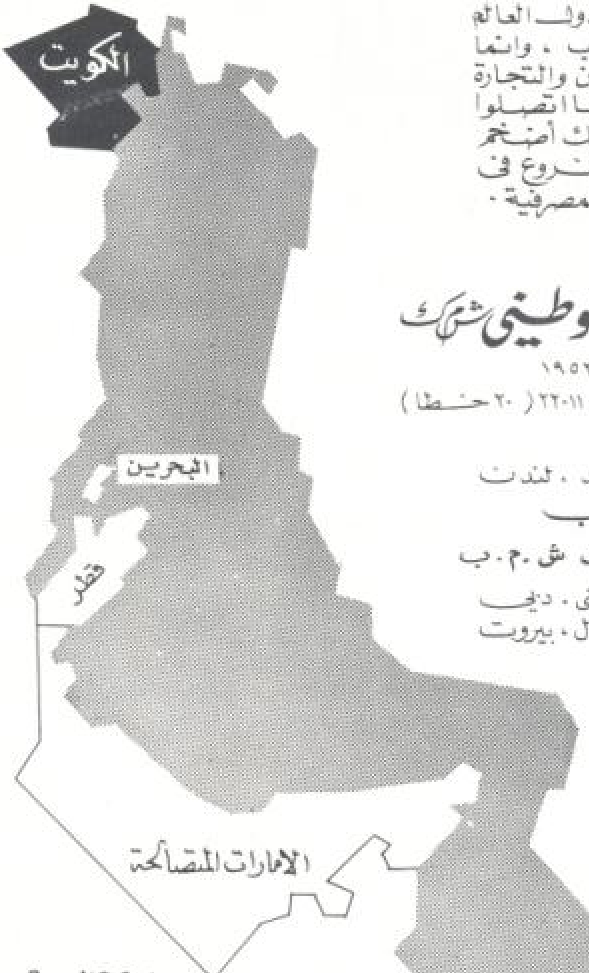


PIAGET
The world's most accurate grand luxe watch
ساعات
بياجيه
PIAGET
مراد يوسف بهبهاني
2110

الكويت -

في رأسِ الخليج العربي

ان الذي يجعل الكويت من أغنى دول العالم اليوم ليس موقعها الجغرافي فحسب . وانما ثروتها المعدنية وازدهار العمران والتجارة فيها . ولمزيد من المعلومات عنها اتصلوا ببنك الكويت الوطني الذي يملك أضخم موجودات معلنة واكبر شبكة فروع في البلاد تقدم لكم كافة الخدمات المصرفية .



بنك الكويت الوطني ش.م.ك

تأسس عام ١٩٥٢

المركز الرئيسي : ص.ب رقم ٩٥ الكويت   الهاتف : ٢٢٠١١ (٢٠ خطا)

مؤسسات شقيقة :

لندن : بنك الكويت المتحد . لندن

باريس : بنك فراب

البحرين : بنك البحرين والكويت ش.م.ب

دبي : بنك دبي الوطني . دبي

بيروت : بنك الريف . ش.م.ل . بيروت

نشـرة منتجات
اكاي الاعلاميـة
رقـم ٦١



الانفرتوماتيك، اول جهاز من نوعه يتميز بقلب الكاسيت تلقائياً. اضغط على الزر الآلي اثناء الاداء فتنقلب الكاسيت تلقائياً عند انتهاء الشريط، في بضع ثوان ويتابع الاداء الى حين تضغط زر التوقيف. اذا ضغط الزر الآلي اثناء التسجيل، تنقلب الكاسيت مرة واحدة فقط ويتوقف التسجيل تلقائياً عند طرف الشريط، في نهاية جانب الكاسيت الآخر.



SW-35

CS-55D

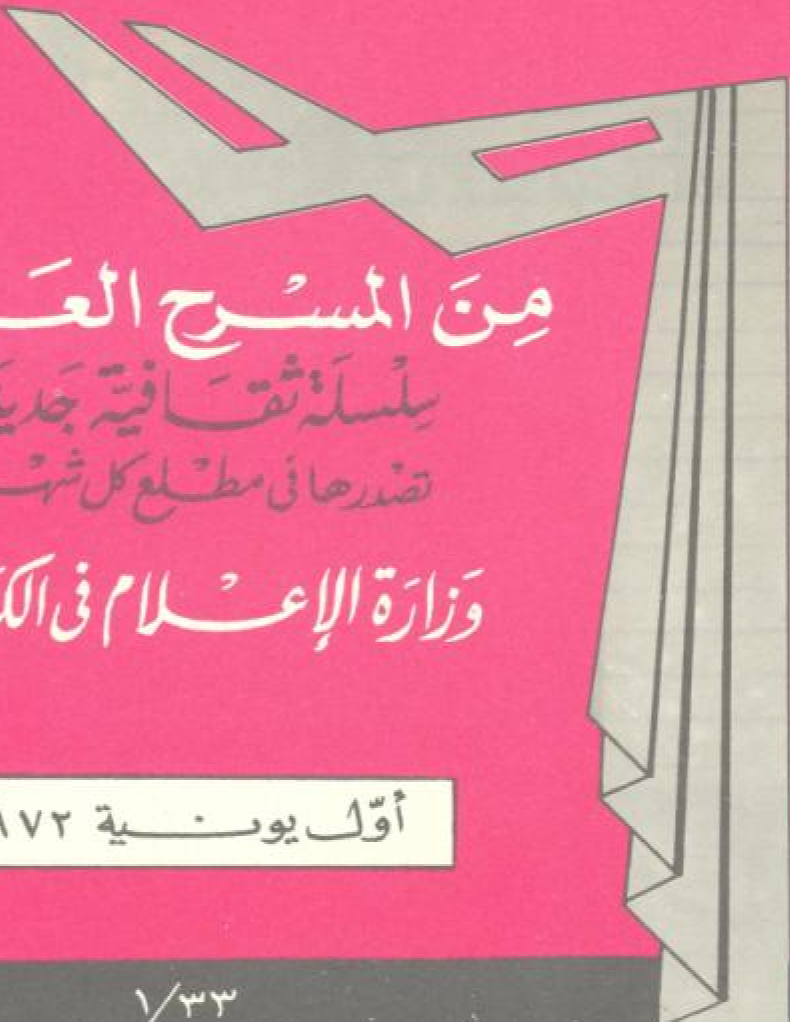
هـذا المسـجل يعطيـك اداءً متواصـلاً بواسطـة قلب الكاسيت تلقـائيـًا، انه حقـًا رائـع.

لما كنا نود ان تستمعوا بصورة متواصلة، لا انقطاع مزعج فيها بالالحان العذبة الصافية التي عرفنا بها، فقد زودنا جهاز التسجيل الستريو CS-55D بميزة خاصة جداً: الانفرتوماتيك الذي يضمن لكم اداءً متواصلاً كان في السابق امتياز المسجلات ذات البكرة فقط. ولنؤمن لكم اداءً مماثلاً لأداء هـذه المسجلات ضمّنا اليه الرأس ذو فجوة الميكرون الواحد المشهورة (تجاوب تردد لاتحريف فيه من ٣٠ إلى ١٦٠٠٠ هرتز ± ٣ دسي بل")، ومحرك تخلفي متزامن ذو دوار خارجي (انسياب ثابت للشريط. وتفاوت في الصوت اقل من ٢ر٠ ٪). ونقترح لمساندة جهاز CS-55 D المنغم/ المضخم الستريو FM / AM حالة صلبة آكاي AA 6200 (ويحتوي قسم FM/AM منه على مرشحات خزفية تؤمن انتقائية افضل للترددات، وترانزيستور ذي مفعول مجالي يضمن حساسية اضافية، كما يقدم طاقة موسيقية تبلغ ٤٠ واطاً)، ونوعج من انظمة تكبير الصوت من طراز SW-35 جهت ستريو (مع مكبر الصوت قياس ٥ ½" ذو الكباس المتحرك طولياً). لماذا لا تذهب الى اقرب بائع اليك وترى بنفسك روعة هذا الجهاز.

(اوديو وڤيديو)

AKAI®

AKAI ELECTRIC CO., LTD.
Ohta-ku, Tokyo, Japan



مِنَ المسرح العالمي

سلسلة ثقافية جديدة

تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام في الكويت

أول يونية ١٩٧٢

١/٣٣

من الأعمال المختارة

جورج برنارد شو (١)

- بيوت الأرامل
- العابث

ترجمة وتقديم : محمود علي مراد

مراجعة : د. عبد الرزاق العدواني

20 CLASS A
CIGARETTES

KENT

WITH
THE FAMOUS MICRONITE® FILTER

للتمتع بأطيب الاوقات "كنت" نكهتها ألذ.



دي لوكس ١٠٠ مليمتر أو كينغ سايز

المال

احصل على فائدة مضمونة
بإيداع أموالك لدى
"لومبارد نورث سنترال"
في حساب الادخار

٦٪

ان حسابا للادخار لدى « لومبارد نورث سنترال » يؤمن فائدة حسنة ، مع ضمانة كاملة لراسمالك ، مما يؤدى لراحة بالك . ان الايداعات التى تخضع لطلب مسبق لسحبها قبل ستة اشهر تستفيد من ٦٪ فائدة سنويا . ويمكنك سحب حتى ١٠٠ جنيه استرليني سنويا دون انذار مسبق . والفائدة تدفع كل ستة اشهر دون حسم اى ضريبة .

الايداعات من ٥٠٠٠ جنيه استرليني وما فوق ولمدد محددة يمكنها الحصول على فوائد أعلى .

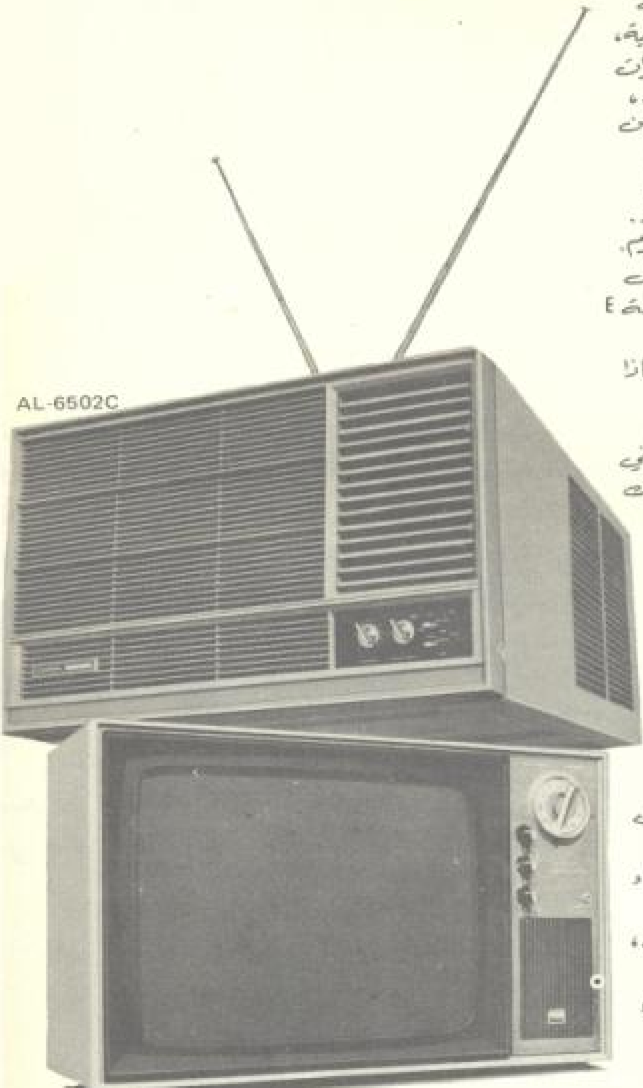
ويمكنك الحصول على مزيد من المعلومات عند الطلب . ان فتح حساب هو البساطة بعينها . اكتب الآن الى مدير حسابات الودائع لطلب معلومات اوفر ونسخة عن « حساب الادخار » كتيب رقم ١٨٢ A O

Lombard
North Central
LIMITED

Head Office: LOMBARD HOUSE, CURZON STREET, LONDON W1A 1EU, ENGLAND.
Tel: 01-499 4111.
City Office: 31 LOMBARD ST., LONDON EC3, ENGLAND
Tel: 01-623 4111.

لومبارد نورث سنترال ليمتد عضو فى ناشونال وستمنستر بنك كروب الذى يزيد راسماله مع الاحتياطي على ٣٢٨،٠٠٠،٠٠٠ جنيه استرليني .

هل ترغب بمشاهدة التلفزيون في غرفة حارّة.؟


AL-6502C

TH-14EV

هنالك عدة مميزات رائعة للتلفزيون الجديد النقال "جنرال" ١٤ انشاً ذو الأقنية UHF/VHF (موديل TH-14EV. أو TH-14EU حسب التركيب) نذكر منها اسلوب الضوابط الأوتوماتيكي. الذي هو جزء من جهاز دارات متكاملة وليدة سبع براءات اختراع. فلقد ابدعت "جنرال" اسلوب التذبذب الأفقي الجديد والتجهيزات الضابطة الخاصة بمنع جميع انواع التداخلات الكهربائية، كالتشويش أو الضجيج الناتج عن مرور الطائرات أو استعمال الأدوات المنزلية الكهربائية، وبالتالي لتأمين صورة ثابتة تماماً. ومن جهة ثانية، فإن قناة الشاشة الرمادية اللون تؤمن لك صورة نقية واضحة حتى في الغرف الساطعة النور. إذاً فلا مجال لتعب العينين بعد اليوم. إن هذا الجهاز من "جنرال" يمكن ان يعمل ايضاً على بطارية ١٢ فولت بشرائط الأشرطة الاختيارية المعدة لذلك.

أمّا وقد لديك الآن جهازاً تلفزيونياً رائعاً، فلماذا تشاهده في غرفة حارّة؟ فهنالك جهاز ملطف الهواء الجديد "جنرال" AL-6502C ذي الطاقة الهائلة ١٥،٠٠٠ BTU والتي تكفي لعدة غرف. إن ابرز ما ترغب في ان نذكرك به "جنرال" هو أن ضاغط الهواء في هذا الجهاز هو من نوع "تيكومسيه".

وتيكومسيه هي أضخم معامل لضاغطات الهواء في العالم، مع العلم ان الضاغطة هي قلب كل ملطف جيد للهواء. أمّا الأداء والمتانة، فلا مثيل لهما. كما ان ضوابط هذا الجهاز الرائع موجودة في أسفل الزاوية اليمنى لسهولة الاستعمال خصوصاً إذا ما أردت ان تثبت الجهاز في الحائط.

أما الميزات الأخرى التي ستدعو انتباهك فهي اسلوب التغيير الأوتوماتيكي لإتجاه الهواء على سعة انابيب توجيه الهواء الى اية زاوية في الغرفة، واسلوب تنظيم الحرارة الأوتوماتيكي، والهدوء التام أثناء العمل، والتزامن في العمل بين الهواء المستنفد والنقي

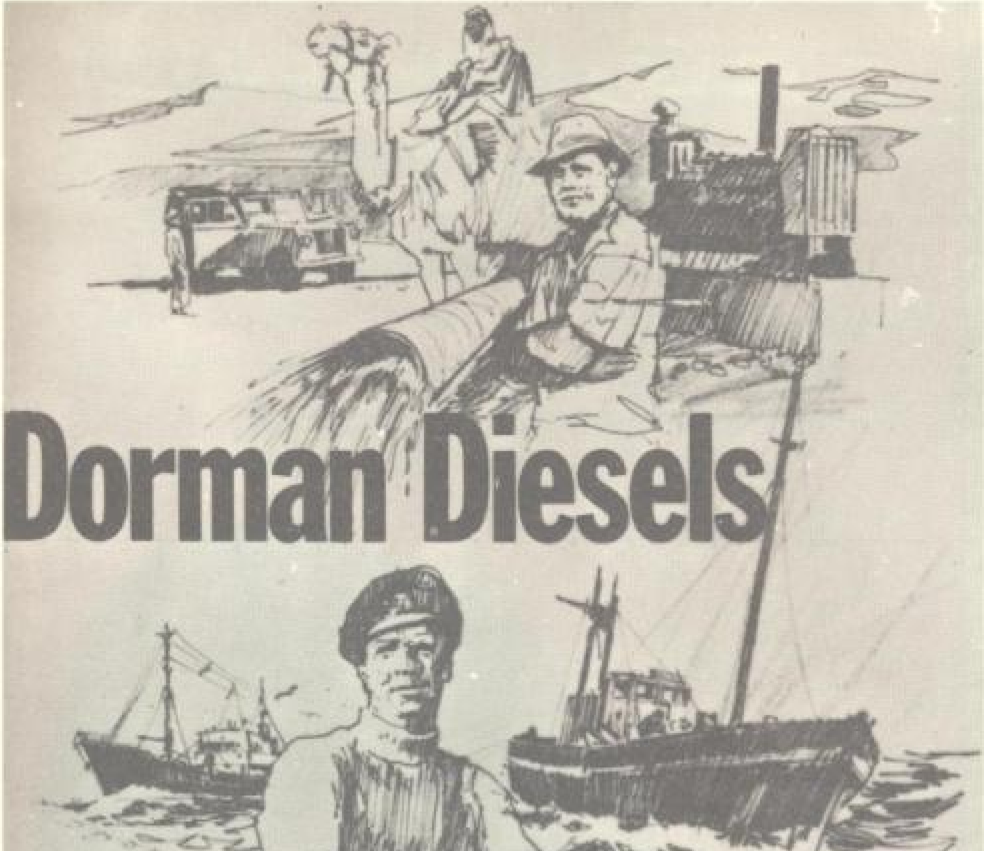
GENERAL

الجمهورية العربية السورية: فلالوكيه وشركاه - ص.ب ٩٥٤ - دمشق (سوريا) **الامارات العربية المتحدة**: الشركة الوطنية للاستيراد والوكالات - ص.ب ٧٣٦ - ابوظبي
الكويت: شركة الاتحاد التجارية ذ.م.م - ص.ب ٢٨٠٣ - كويت. **البحرين**: ابراهيم محمد خليل وأولاده - ص.ب ٦٧٠ - منامة.
الدار البيضاء: شاره الكترونيك - ١١٤ شارع القاهرة. **ايران**: شركة باسفا المحدودة - شارع نادري، باساج فروغاني رقم ٦ طهران.
ليبيا: نظرعبدالجواد - ص.ب ٢٩٩٤ - طرابلس. **قطر**: المشيرجي ستورز - ص.ب ١٦٢٠ - الدوحة.

اضغط على الزرّ وتخلّص في الحال

...من الذباب والبعوض وكافة الحشرات المزعجة! بيد الحشرات بيف باف في علبة الإيروسول سريع التأثير، أكيد المفعول، اقتصادي جداً. انه يجعل بيتكم في مأمن من الحشرات ويكسبه رائحة نقية منعشة... اشتروا كوبرز بيف باف القوي المفعول في العلبة الكبيرة الصفراء والسوداء.





powerful arguments for long term reliability

On land or at sea—home or abroad—it's always the toughest assignments that call for Dorman and Kelvin diesels. In earthmoving plant, pumping sets and site generators, aboard tugs, fishing boats and barges. All these applications need exceptional guts, endurance and reliability. They get them from Dorman and Kelvin. With economy, advanced design, minimal maintenance and exceptional power to weight/size ratios.

Air and water-cooled models available covering the range 6-827 bhp

Dorman Diesels Ltd
Dorman Works, Tixall Rd., Stafford, England

Kelvin Marine Division
254 Dobbies Loan, Glasgow C4, Scotland

© D.632-2



عندما تكون مصرفاً عالمياً سريع الحركة مثل تشيس فإن وسائل الاتصال التي تستخدمها ستكون حتماً حديثة جداً

يعتمد زبائننا على تلك الوسائل . ويعتمدون علينا لاستخدام أية وسيلة للحصول على المعلومات (حتى ولو اضطررنا لاستخدام علبة صفيح فارغة) . وكذلك يعرف زبائننا أننا نحاول استباق كل ما يحدث في حقل التمويل العالمي . نفعل ذلك بواسطة الاخصائيين ، كما نستعين بأحدث الحاسبات وأساليب التجهيز المعروفة ، وهذه الإمكانات متوفرة لدينا في جميع أنحاء العالم . حدد موعداً لمقابلة الموظف المختص في تشيس . تشيس ... هو المصرف الذي يحرك الأحداث . ولا تنس أن لك صديقاً في

بنك تشيس منهاتن

THE CHASE MANHATTAN BANK

NATIONAL ASSOCIATION

المقر الرئيسي : – 1 Chase Manhattan Plaza, N.Y., N.Y. 10015, U.S.A.

فرع بيروت ومكتب الممثل في الشرق الأوسط وشمال افريقيا : شارع رياض الصلح ، ص. ب. ٣٦٨٤ ، بيروت ـ لبنان الهاتف : ٢٥١٥٨٠

بنك مشترك في دبي (الخليج العربي) : بنك دبي التجاري المحدود ، ص. ب. ١٧٠٩ ، دبي

فرع البحرين ص. ب ٣٦٨ (الافتتاح ديسمبر ١٩٧١)

ولكن ...
فيه أكثر من مجرد راديو بموجة متوسطة وموجة اف ام
ان هيتاشي KH-3000 يتيح لك ان تجمع
محطات وموجات كثيرة (بالاضافة الى الموجة المتوسطة
والاف ام بطبيعة الحال).
بامكانك مثلاً ان تستمع الى الموجة البحرية والموجة
الطويلة واربع موجات قصيرة (وهي اكثر الاذاعات شعبية).
هيتاشي KH-3000 يجمع ثمانية موجات في
جهاز واحد.
ويتميز هذا الجهاز بخصائص كثيرة تجعل من السهل
عليك ان تلتقطها كلها بوضوح وصفاء وحيثما كنت
فهو يعمل جهاز KH-3000 على اية قوة
كهربائية في البيت كما يعمل على بطاريات الناحية. وهو مزود
بمفتاح مضاء لاختيار المحطات، ومفتاح التركيز وخارطة
تريك الوقت في جميع انحاء العالم، وهوائي ثنائي
الاستقطاب وجهاز اخر اسمه (AFC) للقضاء
على كل تشويش.
كل هذه العالم بسعر أقل كثير مما تتوقع. فاستمع
اذن الى راديو هيتاشي KH-3000
واصغ الى شيء لم تسمعه من قبل.

هذا شيء لم
تسمع بمثله من قبل
يسمونه راديو





أتيحوا الفرصة أمام الصغير عبدالله !

الكآبة تسيطر على الصغير عبدالله. من المفضل بالتأكيد أن يكون الإنسان في بيته، ولكن ليس في كل الوقت. إن الصغير عبدالله يريد أن يجول فيما يحيط به، أن يشاهد العالم، أو على الأقل أن يشاهد ما يجري على مسافة أميال قليلة. وهل هناك من وسيلة لإدخال السرور إلى قلب عبدالله أفضل من إتاحة الفرصة أمامه لقيادة سيارة **نيسان الجديدة**.

إنكم تعرفون كل شيء يتعلق بسيارة **داتسون** ذات الشهرة الواسعة، من حيث السلامة والأداء الدقيق، إضافة إلى كافة انتصارات **داتسون** في السباقات العنيفة التي حققتها بسهولة، بفضل التقدم الهندسي.



وأثناء قيام عبدالله بجولته، فإن جيرانكم سوف يبدون إعجابهم بالتناسق البديع الذي جلب الشهرة لسيارات **داتسون** في أكثر من ١٢٠ بلداً مختلفاً، وجعلها مفضلة لدى الفتيات النشيطات في كافة أنحاء العالم.

أنتم وداتسون تشكلون انسجاماً رائعاً !

NISSAN MOTOR CO., LTD.

DATSUN

منتوجات شركة ريكت وكولمان التي يجب ان تتوفر في منازلكم

براسو ـ للاوعية النحاسية

« براسو » هو أشهر المنتوجات في العالم لتلميع المعادن . وهو يضفي على الأوعية النحاسية الصفراء أو الحمراء الجديدة أو القديمة على السواء بريقاً طويل العمر. بريقاً يسرك ان تكتشفه .

هارپيك ـ للمراحيض

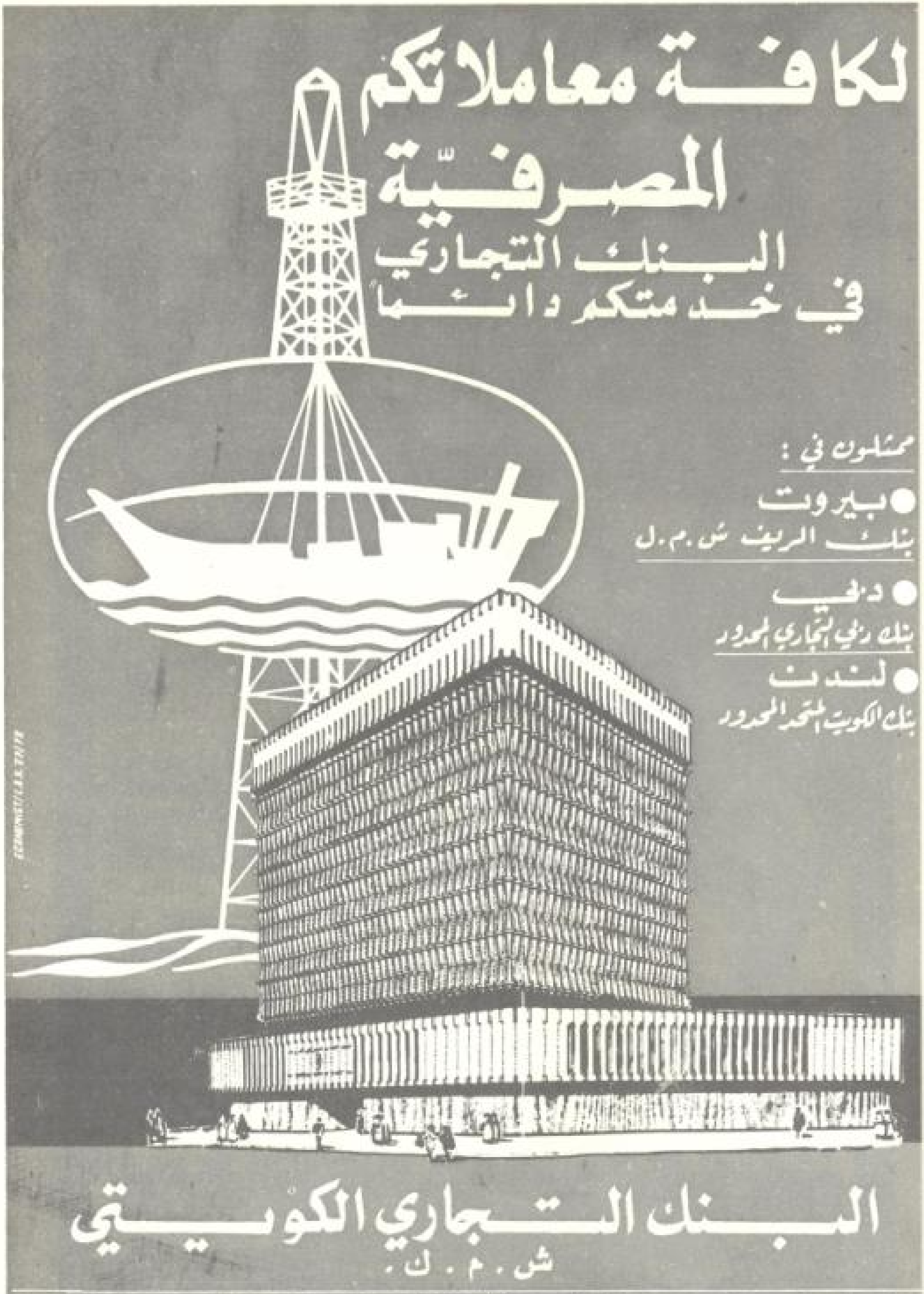
يلحظ الناس إذا كانت مراحيضكم ليست نظيفة نظافة تامة . فلماذا لا تفخروا بمنازلكم باستعمال « هارپيك » الذي يتألف من تركيبات خاصة تنظّف وتطهر وتصل إلى الاماكن التي لا يمكن ان تصل إليها الفرشاة ، وهو يقضي على الجراثيم بسرعة ويترك الهواء منعشاً نقياً .



بولز هيد بلو للغسيل

استعملوا « بولز هيد بلو » في الشطف الأخير عند الغسيل . وسوف تغدو ملابسكم أنصع بياضاً ، كما ان « بولز هيد بلو » يضيف إلى ملابسكم الملونة بريقاً خاصاً .

هارپيك وبراسو وبولز هيد بلو من منتوجات شركة ريكت وكولمان



لكافة معاملاتكم
المصرفيّة
البنك التجاري
في خدمتكم دائماً
ممثلون في :
● بيروت
بنك الريف ش.م.ل
● دبي
بنك دبي التجاري المحدود
● لندن
بنك الكويت المتحد المحدود
البنك التجاري الكويتي
ش . م . ك .
كويت - ص.ب: ٢٨٦١ / برقيا: بنكتجاري - كويت / تلكس: ٢٠٠٤-٢١٦٧ / تلفون: ٤٢٤١٤١/٢٠ خط


OLMA
OLMA
Automatic
25 JEWELS
24
لـه
لـها وللجمـيع
سـاعـة
أولـمـا
الاوتوماتيك والعـاديه
تحكم الوقت بدقة..!
الوكيل العام بالكويت
مراد يوسف بهبهاني
ساحة الصفاة و حولي

16 WEEKS IN LONDON AND A NEW START IN LIFE



London! Educational centre and No. 1 tourist attraction of the world! And now, the city that offers you a unique opportunity: to get into the fastest-growing industry in the world—Computers. And not just on the bottom rung of the ladder, but as a key-man: a COMPUTER PROGRAMMER. With tremendous earning potential, a secure future, and high standing in the business community.

In only SIXTEEN weeks, you could be ready to play your part in this brand-new, booming industry where the job opportunities are world-wide due to the desperate shortage of trained computer personnel. That's all the time it takes to train you at the Academy of Computer Training, the world's most dynamically successful commercial computer college.

All you need is a certain aptitude, nothing whatever to do with educational standards. But as this aptitude is essential, ACT send you a special Aptitude Test to complete before accepting you as a student.

If you have an urge to get out of the rut, 'Swinging' London and ACT together offer you the biggest opportunity ever to come your way. For details of our course and special arrangements for overseas students, complete and post the coupon NOW!

ACADEMY OF COMPUTER TRAINING,

K19, Oxford House, 9-15 Oxford Street, London, England.

FREE and without obligation, please send me the fascinating details of your COMPUTER PROGRAMMING course.

Name______________________________

Address____________________________



ضاعف متعتك مع الاثنين - في - واحد

راديو / مسجّلة كاسيت سوني



انه راديو FM/AM ... انه مسجلة اشرطة كاسيت ... انه الاثنان في آن واحد! برامج الاذاعة تصدر عنه واضحة عالية. وان احببت ما تسمعه، فاضغط على الزر الخاص وسجل البرنامج رأساً من الراديو الى الكاسيت.. دون اسلاك او وصلات خارجية. وهنالك مجموعة واسعة من راديوات / مسجلات كاسيت سوني كي تختار من بينها الموديل الذي يناسبك تماماً بثمنه وحجمه وتصميمه وادائه. شاهدها لدى احد موزعي سوني وضاعف متعتك مع الاثنين - في - واحد.

راديو / مسجلة كاسيت CF-300 يتضمن مايكروفون سوني ذا المكثف الالكتريت الذاتي يلتقط الاصوات من اية جهة صدرت بحساسية ووضوح مذهلين. وهو انيق، يزين المكان الذي تضعه فيه وله ضوابط بشكل ملامس البيانو. وهو يسمح بارجاع الشريط دون ضغط زر التوقيف. كما انه ينبهك عن انتهاء الشريط للتسجيل ولاعادة البث.

اداء من الدرجة الاولى من جهاز فائق الاناقة.

سوني SONY.



باستخدام المركبات الحوامة "الحقيقية" طراز "بي اتش سي"

المركبات الحوامة "الحقيقية" طراز "بي اتش سي" تستخدم حالياً مع قوات الدفاع في ايران وبريطانيا والولايات المتحدة الامريكية وايطاليا وروسيا. وهناك مركبات حوامة أخرى تنتج في الوقت الحالي للقوات الدفاعية للمملكة العربية السعودية وايران. المركبات العسكرية طراز "اس آر. ان-٦" و "بي اتش ٧" تنتج الآن بالجملة بمصانع شركة بريتيش هوفركرافت كوربوريشن وقد فتحت امكانياتها البحرية الكبيرة افقاً بحرية واسعة في ميدان الدفاع نظراً لقدرتها الكبيرة وكفاءتها في النقل وفي العمليات القتالية ونقل الجند والعمل البرمائي في المياه الضحلة التي يصعب اجتيازها بواسطة وسائل النقل الاخرى.

شركة بريتيش هوفركرافت كوربوريشن

الرائدة في ميدان المركبات الحوامة

BHC WORLD HOVERCRAFT LEADERS

british hovercraft corporation

EAST COWES · ISLE OF WIGHT · ENGLAND

التجارة العربية الانكليزية


RADO
RADO
1 MON 15
NCC 101
دياستر
٨
رادو
نموذجان
فريدان
انتصاران
عالميان
رادو
الساعة الوحيدة في العالم
الغير قابلة للخدش
UNIVERSE KUWAIT
أينما كنتم : اطلبوها من الوكيل المعتمد



مارلبورو
رمز الجودة
FILTER CIGARETTES
Marlboro
20 CLASS A CIGARETTES
Marlboro
SELECTED
FINE TOBACCOS
Soft Pack or Flip Top Box.
أفخر سجاير كنج سايز فيلتر
AMERICA'S FINEST FILTER
A quality product of Philip Morris Inc. Richmond, Va., USA

تبريد المكاتب والمتاجر
لزيادة الكفاءة في العمل وارتياح الزبائن



التبريد المريح يزيد من نشاط موظفي مكاتبكم واتقانهم للعمل. كما أن زبائنكم سيجدون المتعة في التردد إليكم. إن مكيفات سانيو الجبارة يمكنها توفير التبريد الذي تحتاجون اليه. ان الموديل SA-168 BK، مثلاً، بامكانه تبريد غرف كبيرة تتراوح مساحتها من ٢٢٥ - ٥٤٠ قدم مربع، إذ تبلغ سعته ١٨٫٠٠٠ وحدة حرارية "BTU" إن كثيراً من المميزات في تشغيله تؤمن خدمة ممتازة وعدم حدوث اعطال.

ان التحكم في الحرارة يتم بواسطة جهاز الثيرموستات كما أن التحكم في توجيه الهواء يتم بواسطة روافع ثنائية. ويمكن تشغيله باستخدام المروحة العالية أو الخفيفة، وبالتبريد العالي أو التبريد الخفيف، للحصول على الجو الذي يلائمكم.

للحصول على الربح الوفير والراحة التامة، حسنوا الأجواء المحيطة بكم واتصلوا اليوم ببائع منتجات سانيو.



A.A.A./S/72

SANYO سانيو

SANYO ELECTRIC TRADING CO., LTD. Japan

سانيو الكتريك تريدنغ كومباني، ليمتد، اليابان.

العربي

العدد ١٦٤
جمادى الاولى ١٣٩٢
يوليو
(تموز) ١٩٧٢



الفن الشعبي فى تونس بمدينة « سوسة »

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢ دينار
اليمن	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

من روائع الفن الإسلامى



● قنديل خزفي بديع من قناديل مسجد الصخرة في بيت المقدس ، وهو موجود حاليا في المتحف البريطانى بلندن . ولهذا القنديل قيمة خاصة نظرا لأنه يعود الى منتصف القرن السادس عشر ميلادى ، الى سنة ١٥٤٩ ، بالتحديد ، وهى السنة التى صنع فيها ببلدة استك ، في تركيا . والمدهش في هذا القنديل لمانه ومادته الخزفية التى تشبه بصلابتها ونقائها البورسلان الى حد كبير .



● وهذا قنديل آخر من القناديل التى صنعت في تركيا من أجل اضاءة المساجد ، حوالى منتصف القرن السادس عشر . وهو موجود أيضا في احد متاحف لندن . ولعله يتميز في زخرفته الدقيقة المنمقة ، كما تلاحظ .

عزيزي القارئ

● كثيرا ما يدعو العرب الى الوحدة ، وينشيدون بالوحدة ، ولكن قلما تتيسر الظروف التى تتمكن فيها الوحدة العربية من الظهور ، ولو صورة . وهى اذا امكنت صورة ، فقلما تتجسد ليرى فيها كل راء انها شجرة ذات ثمر طعاما طيبا للآكلين .

واليوم تمكنت الوحدة العربية ان تكون صورة ، ثم صارت بعد ذلك جسدا ، عندما اممت العراق آبار زيتها نكاية بالمتآمرين عليها، ثم عندما هرعت كل البلاد العربية ، كل فيما استطاع ، الى دعم ما طلبت العراق من استقلال فى امورها ومن حرية .

فهنيئا للعراق ، وهنيئا لكل دولة معوان .

بقى أن نقول ان لكل نقلة جبارة كهذه تحضيرا وتمهيدا. فعسى ان يكون العراق قد سبق فاتخذ عدته ليحل عربى محل كل اجنبى مفارق . وليت هكذا سوف يتجهز الآخرون حتى لا يكون فى ادارة عجلات المصالح العربية الكبرى غير عربى عندما يحل الاوان .

والله الموفق ،

المحـــرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 164 July 1972 P. O. Box 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤١٤١٧٢ ؛ تلغرافيا « العربي »

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف



● سوسة مدينة عربية صاعدة ، لها في التاريخ عراقة ، وفي الحاضر نهضة سياحية كبرى ، ويقصد هذه المدينة المسماة بجوهرة الساحل الاف السياح الاجانب سنويا ، حيث يتمتعون بشواطئها الجميلة ، وآثارها العربية والبيزنطية القديمة ، ومشاهدة الوان مختلفة من الفن الشعبي التونسي ، ذلك التراث الفنى الذى ادت النهضة السياحية الى حمايته من الاندثار .

(اقرأ الاستطلاع عن مدينة سوسة ص ١٠٠)

ركن الاسره والمراه :

تربية وعلم نفس :

فلسفة :

تاريخ وتاريخ اشخاص :

كتب :

قصص وقضايا :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطرى . البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى. العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش. تونس ٢٠٠ مليم. الجزائر ٢ دينار جزائرى. المغرب ٢ درهم. اليمن ٥ر٢ ريال. ليبيا ١٥٠ درهما. جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس.

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



بريد القراء

استطلعوا الجامعات

● منذ ان ولدت مجلة « العربى » قبل ثلاث عشرة سنة ، فقد برزت لتسد فراغا كبيرا كان يحسه كل من جعل الاطلاع وتوسيع مداركه الانسانية غايته المثلى ووسيلته لبلوغ افاق جديدة في مضمار الثقافة الانسانية . وفي هذا الصدد اقترح ان تحمل مجلة (العربى) بين طياتها في المستقبل تحقيقات مفصلة عن الجامعات والدراسات الجامعية في البلدان العربية حتى نصبح على علم بما يجرى داخل تلك المراكز العلمية العليا .

هاشم كاظم المحمودى

جامعة البصرة / كلية الاداب

● ● ● ● ●

العربى فى البرازيل

● اننى من قراء العربى الدائمين وبخاصة مقال رئيس التحرير « حديث الشهر » ولكن لسوء الحظ لا اشبع نهمى بالمطالعة بسبب افتقارنا « للعربى » خاصة وغيرها من المجلات والكتب العربية ، في مهجرنا هنا في البرازيل .

والكتب التى تصلنا عن طريق بعض المكتبات العربية القليلة الموجودة هنا في عاصمة البرازيل او عواصم الجمهوريات اللاتينية . لا تفى بالمطلوب عدا كتب الأدب الهزيل والقصص الخرافية او الجنسية الرخيصة .

اننى من هواة المطالعة ومن عاشقى الكتب وخاصة التى تحمل بين صفحاتها البحوث القيمة والكلمة البناءة ، فلا تحرمونا منها .

نجيب أبو عسلى / البرازيل

سد الفرات

● ارجو ان كان ذلك بامكانكم القيام باستطلاع لسد الفرات بمنطقة الطبقة في الجمهورية العربية السورية ، فهو يعد ثانى سد في الوطن العربى بعد السد العالى في اسوان ، لما له من أهمية كبرى في حياة سوريا الاقتصادية .

ع٠ج٠ع

الجمهورية العربية السورية

الطبقة / سد الفرات

العربى : فعلنا ، وسيظهر استطلاع سد الفرات في شهر أغسطس القادم باذن الله .

الفسر لا النسر

● في العدد ١٦٣ من «العربى» مقالة للدكتور صفاء خلوصي، عنوانها ابن جنى ، صديق المتنبى، وشارح ديوانه وفي هذه (ص ١٢٨) اشارة الى شرح ابن جنى لديوان المتنبى ، وان اسم هذا الشرح هو « النسر » وصواب الاسم هو « الفسر » أى التفسير أو الشرح ، ونزيد هنا أن جزءا من الفسر قد تولى الدكتور خلوصي تحقيقه وطبعه في بغداد .

« العربى »

استدراك فى كلمة قرآنية

● ارجو استدراك الخطأ المطبعى الذى وقع في الآية القرآنية في العدد ١٦٢ ص ٤٨ من مجلتنا العربى ، في موضوع « اجتهاد الرسول الكريم في الأمور التشريعية ، وصواب الآية : لولا كتاب من الله سبق لمسّكم فيما أخذتم عذاب عظيم ».

فقد سقطت كلمة « عذاب » في الطبع .

دمتم في خدمة البحوث الاسلامية وجميع نواحى المعرفة .

حسن عطا الله ـ الاحمدى

العربى : نأسف لوقوع هذا الخطأ المطبعى ، ونشكر لكم ولأمثالكم غيرتكم على حفظ القرآن الكريم ، ومبادرتكم بهذا التصحيح اللازم .

الاسـلام
علم لا جهـل
وأدب لا أسفاف فيه

اقرا صفحة ١٤٣

يحجبون العربي عن قرائه

● بعد انتظار طويل استلمت عدد العربى من البائع بعد معركة تدخل فيها ضباط الشرطة لفض النزاع بيننا ، وكم كنت سعيدا عند استلامها علما بأن مكتبتى قد خلت من بعض أعدادها ، وذلك بسبب بائعى الصحف والمجلات الذين يحجزونها في محلاتهم ويبيعونها باضعاف ثمنها لفئة معينة من الناس ويحرمون الكثيرين منهم وبذلك يحرمونهم من المعرفة التى تنقلها العربى في كتابها الشهرى الذى هو كالغذاء بالنسبة للشباب العربى المتطلع الى العلم والثقافة انني أرجوكم الاكثار من المقالات العلمية المعززة بالصورة الواضحة .

طارق محمد الجبورى . بغداد

العربى الصغير الباعة يخفونه

● اقترح عليكم ان تكتبوا على غلاف مجلة العربى من الخارج ، أن العربى الصغير مرفق بالمجلة لأن الكثيرين من الباعة يخفونه ولا يقدمونه لنا ثم يبيعونه منفردا فيما بعد . وشكرا لكم .

حمد الله غيائى ابراهيم ـ القاهرة

العربى : نرجو من كل من يحجز البائع عنه العربى الصغير ، أن يرسل الينا باسمه وعنوانه ومكانه ، فقد نسعى لحرمانه من بيع العربى اذا تحققنا من ذلك .

اجمعوا المقالات فى كتب

● اكتب الى مجلة العربى القراء برجاء وهوان تتكرموا بجمع ما كتب الدكتور احمد زكى عن الكون وعن الفلك وعن العلوم ووضعه في كتاب خلال السنوات التى خلت .

وأرجو أن أقترح أن يكون كل كتاب بعد طبعه هدية تهديها «العربى» مع العدد الممتاز بأول يناير في السنوات المقبلة ان شاء الله ، حتى يمكن للايين القراء ، قراء العربى ، الاستفادة من هذه المقالات الوافية التى تكتبونها وعلى الأخص المقالات التى هى بقلم الدكتور احمد زكى رئيس التحرير . حتى يمكن الاستفادة منها لمن فاته بعضها ولمن يجيء بعدنا من الأجيال .

واتمنى أن تتكرموا بالشروع باسرع ما يمكن في جمع وتبويب هذا العمل الكبير .

حسين عز الدين الجمل
كلية الطب ـ جامعة القاهرة

(البقية ص ١٤٣)

حديث الشهر

سألوه: كم لك من

فأجاب: أكسب في

بقلم رئيس التحرير

■ السؤال غريب .

فهو يبدأ بكم ؟ وكم هذه تفيد المقدار . والمقدار تعبّر عنه بالقياس ، او نعبّر عنه بالوزن . تقول كم طول هذا الشارع، فأقول كيلومتران . او تقول ما مقدار هذا الزبد ، فأقول نصف كيلوجرام . اما ان تسأل عن الحرية ، كم لها من طول ، وكم لها من عرض ، أو كم لها من وزن ، فالجواب يكون : ان الحرية لا توزن ولا تقاس .

والجواب الذى كان ، غريبٌ كذلك .

قال: اكسب في الشهر عشرين دينارا . . انه قوّم حريته في الشهر بعشرين دينارا .

ان الحرية اذن شيء يباع ويشترى .

بعد قليل من دهشة رحت ابحث عن تقويم آخر للحرية فلم اجد اصدق من هذا .

معنى هذا : ان لك من الحرية بمقدار ما في جيبك من مال .

فالذى لا مال له لا حرية له .

له حرية السير في طريق الناس ،وله حق المشاركة في هواء يتنفسه الناس ، ثم يقف به الأمر ، بل تقف الأمور كلها عند هذا .

من اجل هذا هو يتعلم ، او يعلمه ابوه

الحُرِّيَّةُ فى هَذَا العَيْشِ ؟

الشَّهْرِ عِشْرِينَ دِينَارًا !



وامه صغيرا ، حين هم يأوونه ، حتى اذا تركوه وحده تركوه وبيده صنعة يرتزق بها .

ان هذه الصنعة هي ذخيرة الحرية الأولى ، صنعها له ابوه وامه ، وبقي عليه أن يزيد منها لينتفع ، وليكون نصيبه من الحرية بين الناس اكبر واكثر .

واذن ماذا نصنع بالذين قالوا : ان الناس ولدتهم امهاتهم احرارا ؟

ان الذين قالوا : ان الناس ولدتهم امهاتهم احرارا ، انما عنوا انهم ولدوا متأهلين للحرية ، يكتسبونها ، اول ما يكتسبون ، بالكسب .



قالوا ان الناس ولدتهم امهاتهم احرارا ، وهذا حق ، ولكن لا حرية الا مع عمل .

وقالوا : يولد الناس احرارا ، ولم يقولوا تولد النساء حرائر ، لأن النساء لا يكتسبن ، وانما هن يشاركن من يكتسبون ، فيشاركنهم ما لهم من حرية تنقص أو تزيد .

فهذا الرجل الذى اجاب عن مقدار ما له من حرية بما اجاب ، لو انا سألنا زوجته كم لها من حرية ، لكان جوابها الصادق:زوجى يكسب فى الشهر عشرين دينارا . .

ومن اجل هذا كانت حظوظ النساء من الحرية ، فى القرون الغابرة ، دون حظوظ الرجال . وحتى اليوم . فحظ الكاسب ليس كحظ المشارك فى كسب .

والى اليوم لا ضمان لحرية المرأة ، الا بأن تكسب هى حريتها بالعمل المناسب لأنوثتها ، فاذا سئلت كم لها من حرية ، قالت : اكسب عشرين دينارا أو مائة .

ويكون فى هذا بلاغ .

الذين يدعون الى القناعة والرضا بالقليل

وفى الناس أقوام جعلوا من صناعتهم أن يهونوا من امر الدنيا ، وأن يمتدحوا الصبر على الجوع ، ويمتدحوا الصبر على العرى ، وهم يتحدثون على هذا النحو باسم الله ، ولله سبحانه شأن فى هذه الأمور آخر .

ان الله سبحانه هو الذى خلق الجوع ، وخلق الشبع . وهو الذى خلق الأمعدة وخلقها لتمتلىء لا لتفرغ . وهو الذى أعطى الناس العضل وأعطاهم السيقان ، وأعطى السعى ، والسعى للرزق خاصة .

والله سبحانه هو الذى خلق الأبدان ، أبدان الناس ، وحرمها من شعر الحيوان ، الذى به تكتسي وتدفأ ، وتدفع عن نفسها غوائل البرد والمرض . كان للخراف الفرو وللمواشى الشعر ، وكان لبنى الناس العرى يحتمون منه بالقطن والصوف والشعر يشترونه من كسبهم .

وواعظ سمعته فى التلفاز ، هو اليوم ذو مكانة مرموقة ، كان يصف من امر عمر ما يصف . فذكر فيما ذكر ان عمر ، وهو الخليفة ، كان بثوبه بضع عشرة رقعة . وكرر هذا القول ، وهو يكاد يصعق من هول ما يقول ، وعيناه تذرف الدموع . لم ادر ماذا كان يريد الشيخ الجليل أن يفهم الناس المشاهدون للتلفاز من هذا . ابمثل عمر يقتدون ؟ أم انه يرجوهم وقد سمعوا بالذى كان عليه عمر الخليفة ، من رقع فى ثيابه ، أن يصبروا على ما فى ثيابهم هم من رقاع .

زيارة للدير

وزيارة لأحد الأديرة اذكرها بالخير الكثير . وكنا صحبة قليلة طيبة ، منها احمد امين ، وعبد الرزاق السنهورى ، وغيرهما من الأحباب الراحلين .

واكرمونا اكراما بالغا طال اياما . وبقى أن نزور مكانا من الدير نائيا . وترددوا فى الأمر . ثم علمنا أنه راهب يعيش فى حفرة من الرمل منذ سنين ، يعيش فيها عيشة الكلاب تعبدا وترهبا ، واليه

يحملون الطعام . وهو يخرج من الحفرة ليتناوله ثم الى حفرته يعود .

قالوا انه يريد استرضاء الله عن طريق الألم .

فلم نفهم .

وادركنا انه لعله بعض التعبد والتصوف الذى اخذ به القوم الآخرون .

وما كان تعبد ليصرف الناس عن كسب الرزق، وما كان من سمات التعبد العوز والفقر .

جاء فى الأثر ان صحابيين جاءا النبي عليه السلام، يحملان اخا لهما ، فسالهما النبي عنه ، فقالا : « انه لا ينتهي من صلاة الا الى صلاة ، ولا يخلص من صيام الا الى صيام ، حتى ادركه من الجهد ما ترى » .

فقال : « فمن يرعى ابله ، ويسعى على ولده ؟ »

فقالا : « نحن »

فقال : « انتما اعبد منه » .

قناعة وقناعة

نزل الأدب العربى الينا بفضائل عدة، منها الصدق ، ومنها الصبر ، ومنها الود ، واشياء كثيرة أخرى ، من بينها القناعة .

والرجل القنوع محمود .

والرجل الذى لا يقنع ملموم .

والرجل القنوع هو الذى ياكل ويكف دون أن يشبع ، ويطلب الطيب من ثمرات الأرض ويقف دون الكثير حتى يكون لغيره نصيب . وهو الذى يلبس الثياب نظيفة مريحة لا بَهرج فيها ، ويفى بمطالب العيش ولكن فى اعتدال .

والرجل القنوع هو الذى يقنع بالعيش المحدود ، شريطة أن يكون هو الذى يَحدُّ منه . والرجل القنوع هو الذى يرضى بالعيش القليل شريطة أن يكون هو الذى يقلل منه ليبقى منه شيء ينتفع به ذو رحم أو ذو صداقة او ذو جيرة ، أو ذو حاجة من غير هؤلاء .

راهب اكتفى من الدنيا بحفرة يتعبد فيها . وحَمل اليه الطعام .





القناعة ان تأكل فلا تشبع .
وتطلب طيب العيش ولكن تترك لغيرك نصيبا منه .
وان تلبس في غير تبرج .

وليس من القناعة ان يقنع المرء بالعيش الزرىء الذى تفرضه عليه الأيام فرضا ، ذلك الذى نسميه بالفقر ، فما كان الفقر يوما بزينة ، وما كان صبرٌ على فقر له اجر فى دنيا أو آخرة ، والرجل قادر على تغييره . اما ان يطلب الفقر عمدا ، فى اليوم الحاضر رجاء أجر مرجوٍ غدا ، ففكرة تعجز عن فهمها العقول ، وهى لم يخالطها مخالط .

ومع هذا ، فهذا الفقر المقصود المأجور غدا ، على ما يتراءى لنا مما نقرأ مما خلّف القدماء من الأجداد ، كان عندهم غاية مأثورة من مآثر الحياة . وسموه زهدا . وحمدوا الزهد . وفاتهم انه أضاع من حمد الزهد والزهّاد انهم ما رفضوا أجره ، وانما أجّلوه فهو نسيئة .

والعهود التى اشاد فيها هؤلاء القدماء بالفقر ، ورفعوا من قدر الزهد ، كانت عهودا فيها الأمراء والسادة لباسهم الحرير ، وصِحاف موائدهم الذهب ، وقصورهم مرمر ، وحدائقهم جنات ، وشرابهم ماء الكوثر .

واقتضى بذلٌ فى الأعالى حيث السادة والأمراء ،

ان تكون قناعة فى الأسافل حيث سواد الناس والرعية .

فكان تمجيد الفقر الفاحش تمهيدا للثراء الفاحش .

واختلفت الأيام

ومن اختلافها ان أصبح الفقر اليوم رذيلة ، لا يفخر بها احد ، ولا يطلبها احد ، ولا يصبر عليها الا عاجز .

ومن اختلاف الأيام،ان الناس بالأمس كانوا كالسوام . حكام غايتهم ان يسود الأمان ويسود العدل بقدر ، هذا ان كانوا صالحين . اما السعى الى العيش، والتدرب على كسب الأرزاق ، فمتروك للناس ، من اهتدى منهم اهتدى ، ومن ضلّ ضلّ . ومن وجه سبيله الى التعليم، وما كان اقله سبلا ، فقد تعلم ، وقد تنفتح له بالتعلم ابواب الأرزاق . ومن التعليم كان تعلم الحرف ، فى زرع ، وفى صناعة بادئة ، وكان منها يأتى الزاد بمقدار . **وسهّل على الناس هذا الحال قلة الناس ، واتساع رقعات الأرض . فالبلد الذى به اليوم خمسون مليون نسمة ، ربما كان فيه بالأمس مليونان او خمسة ملايين.وصلة الناس بصاحب الأمر والنهى فيهم كانت تظهر فقط عند الكوارث والمفارح.ومن الحكام من صنعوا الخير ، وما كان أنزره . ومنهم من صنعوا الشر ، وما كان أكثره .**

والزارع انصرف لزرعه ، وكل أمله ان لا يتصل به الحاكم ولا يتصل برجاله . وكذا الصانع . وكذا التاجر .

وجرى الناس فى اسواقهم ،وفى ازقتهم ، وفى اتراحهم وافراحهم ، فى مجتمع فيه كثير على ما نخال من المحبة . ولكن غاب عنهم انهم مجتمع .

الفرد والمجتمع فكرة حديثة

فكرة الفرد والمجتمع ، وواجب الفرد للجماعة ، وواجب الجماعة للفرد ،فكرة حديثة . قد يكون القدماء ادركوا وجها من وجوهها ، ومارسوا شيئا من تلك العلاقات لا سيما فى الأزمات . ولكن المجتمعات القديمة كانت سائبة ، لا تخطيط فيها ولا تنظيم .

ان الجيش السائب غير الجيش المنظم المنضبط . الجيش المنظم مقسم اقساما بيّنة ، وبه مراتب . وكل قسم وكل مرتبة لها عملها وشأنها . وفى الأقسام التخصص . ولا يعمل قسم منها الا للوفاء بتخصصه . وغير ذلك الجيش السائب . الجيش الذى اذا دعوت جاءك آلافا ، لكلٍّ لباس ، ولكلٍّ سلاح ، واختلفت الأسلحة وتنوعت ، ومع تنوعها اختلطت .

ان الشعوب ما دخلها النظام الا حديثا، وأكثر الشعوب هى الى اليوم سوائب .

ولكن ما من شعب الا انضبطت فيه أمور ، وبقيت تنتظر انضباطا . التعليم انضبط . كل فرد لا بد أن يتعلم . والمدارس تجهزت وكثرت . والذى لا يذهب ليتعلم له العقاب . والصحة انضبطت . والمواصلات . وكل شىء فى حياة الشعوب دخل اليه الضبط والربط، وكل ما يجهز فردا للعيش .

وبتجهيز الناس لكسب الأرزاق منعوا الفقر ، درجات ، أن يكون .

فالفقر اليوم سبة . سبة للفرد . وسبة للمجتمع .

الفقر سبة للفرد لان مع الفقر الجهل، والعلم حاجة كسائر الحوائج لا بد ان تشترى . والفقر سبة للفرد لان مع الفقر المرض ، والصحة حاجة كسائر الحاجات يقتنيها ، على التبصر اهل الغنى . والفقر سبة للفرد لان مع الفقر الضعفين ، ضعف الجسم ، وضعف النفس ، وكلاهما سبيل الضعة والمذلة، فالفقير لا يكاد يرفع يديه ليدفع،

ولا يكاد يرفع بصرا ، لأنه تعود النظر الى الأرض .

والفقر سبة للجماعة ، وسبة للامة التى اكثر اهلها فقراء ، فى عصر حضارى قل فيه ما تشاء ، الا أن يكون فيه مكان للزهد والتقوى ونصرة الضعفاء .

لا ادعو الى سرقة

المال المال ، يجب ان يعمل على كسبه كل فرد .

بل انه الثراء كل الثراء ، ادعو اليه كل مواطن .

بالمال يشترى العلم .
وبالمال تشترى الكتب .
وبالمال تشترى اجهزة المختبرات وادوات الجراحة
وبالمال يشترى الجسم السليم والعقل السليم .
ومع الفقر الجهل والمرض .



لا أدعوه اليه سرقة ، ولا أدعو اليه اختلاسا ونهبا . ولا أدعو اليه بخيانة أمانة ، ولكن أدعو اليه بالعمل الكثير ، ومع العمل العرق الصبيب .

ثم تكون مع الثراء قناعة . والقناعة تكون بعد الثراء لا قبله .

ولا بأس من البحبوحة ، فالناس ناس ، ولكن بمقدار .

فلا ادثل جسما بحرير .

ولا افسد معدة بدسم زائد ، او شهوة طعام .

والسيارة للمواصلات ، والصغرى مرحب بها فى كل شارع .

والمنزل لا القصر . فالمنزل ادفا ، وهو احنى ضلوعا ، وهو اصدق صحبة .

ثم ما بقى ، فللاهل والناس ، وللدولة تعز به ، وعزة الدولة عزة لبنيها وبناتها .

ثم لا ننسى ان نذكر بأن ما يعطى للناس انما هو صاع من كل اربعين صاعا . والزيادة خير . فهذا نصيب الفقراء . وبالفقراء هنا اعنى من نزل بهم الفقر غصبا ، لا من طلبوه تقشفا وزهدا .

وأعود الى السؤال الذى بدأت به هذه الكلمة .

سالوا الرجل : كم لك من حرية فى العيش ؟

فاجاب : اكسب فى الشهر عشرين دينارا .

جواب ما كان ابعده عن سؤال ،ولكنه جواب ملىء باكثر من مقال وتسآل .

●●

احمد زكى



صورتي هذه .. أم الوهم سمّى ..!

بقلم : يوسف ابو الدان

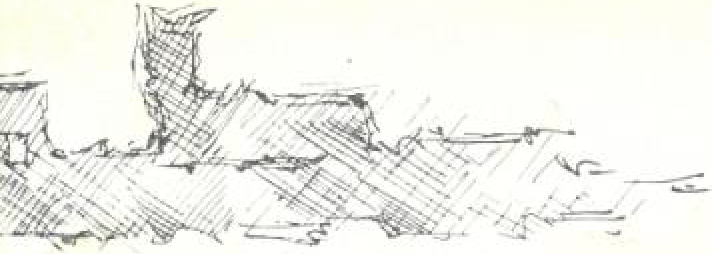
■ صورتي هذه أم الوَهْم سَمّى ... وتَجلّى في شخصيَ المخلوقِ
أي شيء رأيتُ فيكِ حياتي ... ألمُعنَّى . مذكان يوم شروقي
أنتِ وَهْمٌ . أنا كذلك وَهْمٌ ... وكلانا إلى قرار عميق
جئتُ أعمى إلى الوجود ولمّا ... أبصَرَ العقلُ واهتديت طريقي
شِمْتُ نفسي إلى المساخر تمشي ... وإلى الغيب في ظلام سحيق

* * *

صورتي! صورتي ! وأنتِ بقايا ... ما سيبقى من عالمي المدفونِ
أنْ أظلَّ الغداةَ باقي حياتي ... أنهب العمرَ في انتظار المَنُونِ
فستَرْوِينَ ماحفظتِ حكايا ... لحُطامٍ من الأسى والشُجونِ
وإذا متُّ عشْتِ ظلاً كظلّي ... بعضَ حينٍ في قلبِ كلِّ حزينِ
ثم تأتي « كان » التي لاترانا ... غيرَ وهمٍ على حواشي السنينِ

* * *

ويح نفسي أهذه « أنا » ذِكرى ... ألهذا المصيرِ تدنو حياتي ؟
وإذا كنت للفناءِ سأمضي ... أي فرق بين الوجود وذاتي ؟
أي فرق بيني وبين عظيم ... أو صغير من أحقر الذرّات ؟
فسواء قضيت دهري شقياً ... أو سعيدا مُمتَّعَ اللذّات
هل أنا غير ذلك الوهم غنّى ... ثم ولّى في أسرع اللحظات



عبثا أطلب القرار لفكري   أفبعد البِلى يكون المقرُّ؟
شُبَهٌ بعضُها يزاحم بعضاً   ومخازٍ وفتنةٌ تستحرُّ
وعقولٌ تكُدُّ دوماً لتبني   ووَشيكاً ما تنتهي وتَقَرُّ
قد يصير البعيد يوماً قريباً   ويقول الإنسان : أين المَفرُّ ؟
إنما أنت يا إلهي مستبقي   ذلك الفجرُ ليس يتلوه فجرْ

* * *

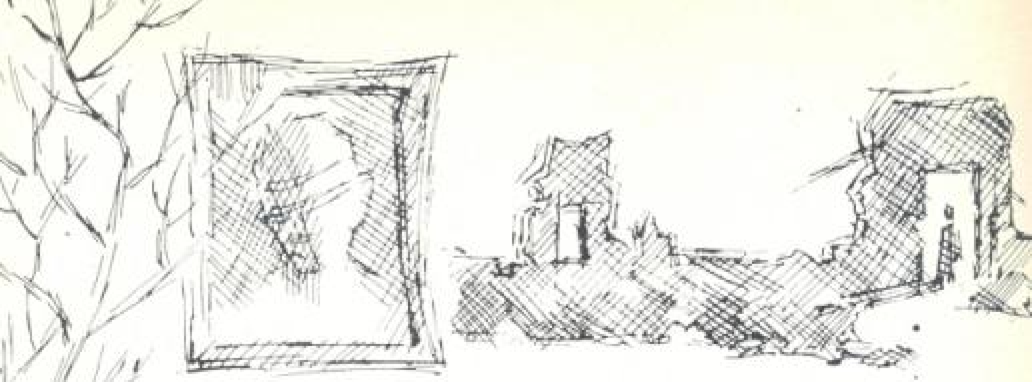
أسدلوا فوقك الحجاب فضلوا   واستجابوا لكلِّ صرخةِ آثمْ
وكأنَّ العيون فيهم بريقٌ   من جَمادٍ أعمى البصيرةِ ناقمْ
وكأنْ لم يروْا صنيعك يوماً   يغمرُ الصدْرَ بالهُدى والمعالمْ
إنه الضَّعف قد يئول ، غُرورٌ   وراءَ الجحودِ فظُّ السرائر قائمْ
إنه الشك والرجاء ودُنيا   حُلوةُ الوجهِ والهوى والمظالمْ

* * *

صاحِ إن الشتاء يغمر أرضاً   تُنبت الزهرَ من دِماَ الأمواتِ
رُبَّ عظمٍ تدوسه الآن كِبْراً   كان بالأمسِ قِبلةَ الساداتِ
وثُغورٍ تنالها من ثُغورٍ   شفَتِ الوَجْدَ مُترَعَ الكاساتِ
وكما ذُقْتَ سوف تُمسي مذاقاً   وستغدو كبعض هذي الرُّفاتِ
لستَ إلاّ كنُقطةِ الوَصْلِ تأتي   بين ماضٍ دامي العيونِ وآتي

* * *

فلماذا نُثيرها فلسفاتٍ   تستذلُّ الأذهانَ والأفهاما
فلكَمْ نام في الثَّرى مِن حكيمٍ   كان بالأمسِ يُنطِق الأقلاما
وكما فاهَ للحياة بسرٍّ   قادَه السرُّ للممات فناما
هل جلا اللُّغزَ فاستطاع انطلاقاً   ؟ أم تُرى كان قَوْلُه الأوهاما
فاغتنِمْها قبلَ الرحيلِ حياةً   واسْمُ فيها إذا أردْتَ السلاما



خَلِّ عنك التأويلَ والتعليـــــلا ... واتركِ القلبَ يُدْرِك المعقـولا

فإذا كنتَ بالمُغَيَّبِ أغْبَـى ... مِن جَهول يُقَـرِّر المجهـولا

وإذا كان كلَّ شـيءٍ تـراه ... حائـر اللُّبِّ سائـلاً مسؤولا

فلماذا لاتُسْلِمُ الأمـرَ طوعـاً ... للذي سَنَّ للوجـود السبيـلا

ولمـاذا وأنت أضعف جُـزْءٍ ... تُنفِق العُمرَ في اكتِناهِ الهيُولَى

* * *

صاحِ هَبَّا إذا أردت الصَّــوابا ... فاصْطَحِبْنِي إلى «حِراءَ» اصطحابا

واتركِ القِيلَ والمَقـال لرَهْـطٍ ... عقَدُوا الكَوْنَ ضَلَّلُوا الألبـابا

رُبَّ كوخٍ عن المآثم نَـاءٍ ... في قِفارٍ تُنِضُ عنها النِّقابـا

كل زادي من الحيـاة صلاحٌ ... وعشيرٌ أُضِـيء منـه الشِّهابـا

ذاك عندي النعيم . أي نعـيم ... فاق مُلْكـاً وزُخْرُفـاً وشَرابا

* * *

رَبِّ يارَبِّ ما رَكِبْتُ الخيَـالا ... إنما سُقْتُ ما اعتقدْتُ كَمـالا

أطلُبُ الخيرَ للعبـاد وأسعـى ... أن يكونوا كما أرَدْتَ مِثـالا

أنا لولاك ما اكتسبْتُ وُجـودي ... لا . ولا سِرْتُ للفَنـاء انتقـالا

عيشتي فِكْرَةٌ وعُمري ثَـوانٍ ... وكما جئْتُ سوف أمضي زَوالا

صُورتي هذه أمْ الوَهْمُ سَمِّـى ... أم تُراني مازِلْتُ أبغِـي المُحَالا

أنا لاشَـيْءَ . بل أنا كلُّ شَـيْءٍ ... وسأبقَى مَدَى الحياةِ سُؤالا ■■

حماه / سوريا ـ **يوسف ابو الدان**

مسابقة العربي

أجب على ٨ أسئلة .. واربح جائزة !

■ مسابقة هذا العدد تتكون من ١٠ أسئلة من مختلف ميادين المعرفة . والمطلوب منك أن تجيب اجابة صحيحة على ٨ أسئلة لكى تفوز باحدى جوائز المسابقة . وهذه هى الأسئلة .

١ ـ أيها أكبر مساحة :

كندا أم الصين

البرازيل أم الهند

استراليا أم الاتحاد السوفياتى

* * *

٢ ـ أيها أكثر سكانا :

اندونيسيا أم اليابان

البرازيل أم نيجيريا

بريطانيا أم ايطاليا

* * *

٣ ـ ميكويان وجورفتش عالمان روسيان تعاونا على تصميم وصنع طائرة حربية تصنعها المصانع السوفياتية على نطاق واسع في الوقت الحاضر . فما اسم هذه الطائرة ، علما بأن في اسمها دليلا على التعاون الوثيق الذى قام بين العالمين من أجلها .

* * *

٤ ـ من هم مؤلفو الكتب الاربعة التالية ، وهى ، كما لا يخفى ، من أبرز كتب التراث الاسلامى :

ا) القانون

ب) مروج الذهب

جـ) الفهرست .

د) الحاوى



٥ ـ الحوت والوطواط :

يحسب الناس الاول سمكا والثانى طائرا ولكن هناك شيء يجمع بينهما فيخرج الاول عن أن يكون سمكا ويخرج الثانى عن أن يكون طائرا . فما هو هذا الشيء ؟

* * *

٦ ـ المواضيع او العلوم التالية يقترن اسم كل منها بأحد أسماء المفكرين والعلماء في القائمة التى تقابلها :

نظرية النشوء والارتقاء ـ مندل

التحليل النفسانى ـ ابن خلدون

تعبيد الطرق بالاسفلت ـ فرويد

علم الاجتماع ـ دارون

علم الوراثة ـ مكادام

المطلوب هو أن تجمع بين كل اسمين متلائمين.

٧ ــ بحر سراجوسا : أين يقع ؟!

* * *

٨ ــ ما هي اللغة التي يتكلم بها أهل كل من : البرازيل ــ الفيليبين ــ كوبا ــ الارجنتين ــ بناما .

* * *

٩ ــ طال وجود البرتغال في الشرق الاقصى وقد خلفت فيه مستعمرات لا تزال الى اليوم تنطق باللغة البرتغالية . وتوجد واحدة من هذه في القارة الهندية وقد استقلت حديثا ولا يتكلم أهلها الا اللغة البرتغالية . فما اسمها ؟ .

* * *

١٠ ــ العاصمة ليست دائما المدينة الكبرى في الدولة التي هي عاصمتها . ويصدق هذا على دول كثيرة نذكر منها الولايات المتحدة حيث المدينة الكبرى ليست العاصمة واشنطن التي يبلغ عدد سكانها نحو ٣/٤ مليون وانما نيويورك التي يزيد عدد سكانها على ٨ ملايين نسمة . ونذكر من هذه الدول أيضا البرازيل . فعاصمتها برازيليا ويبلغ عدد سكانها ربع مليون أي نحو ١/١٦ من سكان ريودوجانيرو العاصمة القديمة . والمطلوب هو ذكر دولة واحدة أخرى من هذا القبيل .



فرويد



داروين

شروط المسابقة

١ ــ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .
٢ ــ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٣ ــ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :
مجلة العربي ــ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٦٤ »
٤ ــ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر اغسطس (آب) ١٩٧٢ .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ..١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :
الجائزة الاولى **.٣ دينارا .** الجائزة الثانية **.٢ دينارا .** الجائزة الثالثة **.١ دنانير .**
٨ جوائز مالية : **قيمتها .٤ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .**

كوبون مسابقة
العدد ١٦٤

الإسلام والمجتمع المتطور

أحكام الإسلام جاءت في الغالب مجملة لتتسع

بقلم : الدكتور محمد سلام مدكور

▪ التشريع الاسلامى يدفع الى العمل فى الحياة ، ويساير الفطرة السليمة ، ولقد اسس على ركائز قوية وقواعدمتينة ، فهو لا يوقع المؤمنين به فى حرج وضيق ، ولـذا فان احكامه جاءت فى الغالب مجملة ، وتقف فى الكثير الغالب عند القواعد العامة، وخاصة فى معاملاتهم ونظمهم السياسية والمالية ، حتى تتسع لكل جديد ، ويمكن ان تطوى تحتها كل تطور سليم . على ان التكاليف التى جاء بها الاسلام قليلة كى لا يرهق كاهل الناس بها ، ولكى تبقى مسائلهم تستنتج احكامها دون مصادقة لمصالح الناس التى تختلف باختلاف العصور ، وحتى يمكن تبدل الحكم بما يساير العرف ويحقق المصلحة .

مراعاة المصالح من عمد التشريع الاسلامي

ومراعاات المصالح من عمد التشريع الاسلامي ، ولذا فان الشارع علل الاحكام ليرشدنا الى ان الحكم يتبع علته ، ويتغير بتغيرها في الكثير الغالب ، وخاصة في مسائل المعاملات التي كثيرا ما تتاثر باختلاف المكان وتغير الزمان . ومراعاة مصالح الناس في امور معاملاتهم امر أساسي في التشريع الاسلامي بدليل توسع الشارع في بيان عللها ليدور الحكم مع علته وجودا او عدما ، ولذا لزم ان تتاثر الاحكام بالبيئة وتغير الازمان فتتبدل تبعا لذلك ، وعند تضارب المصالح تقدم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة دفعا للضرر الاكبر بالضرر الادنى.

ومن اجل مراعاة المصالح لم يتناول القرآن بالتفصيل أحكام المعاملات المالية الجنائية والدولية والقضائية والدستورية وما شابه ذلك مما يتغير بتغير البيئة ويتاثر باختلاف النظم ، وما كان سكوت الشارع عن هذا نسيانا منه ، اذ لا يضل ربى ولا ينسى ، انما كان رأفة بالناس حتى يكون ولاة الأمر والمجتهدون في كل عصر في سعة من أن يفصلوا قوانينهم فيها حسب ما يحقق مصالح الناس في حدود الأسس العامة للتشريع الاسلامي من غير اصطدام بنص قطعي فيها .

مراعاة المصالح من عمد التشريع الاسلامى

أجمع الأئمة والفقهاء على احتمال تغير الأحكام

لِكُلٍّ جديدٍ مُتَطَوِّر بتغير ظروف الزمان

باب الاجتهـــاد مفتوح فى كل عصر

الاستقلال الفكرى ماتت روحه فى أنفس الفقهاء

الفقه الاسلامى كفيل بمسايرة الحياة

والتشريع الاسلامى يتفق معه في احكامه قانون الأخلاق، ويتصل بالضمير الانسانى اتصالا وثيقا ، ونحن واثقون من أن الفقه الاسلامى بمذاهبه العديدة والآراء المختلفة كفيل بمسايرة الحياة المتطورة ، واذا ما أجهد الفقهاء في العصر الحاضر انفسهم لمواجهة الحياة مواجهة فعلية ، ووضعوا كل جديد على بساط البحث ، لخرجوا بنتائج طيبة تجعل الفقه يساير الحياة ، ويكفل لنا الرقى والفوز والفلاح في الدارين ، ولكنا في الصدارة كما كان سلفنا الصالح حينما استنبطوا الأحكام في ضوء المصالح العامة .

باب الاجتهاد مفتوح فى كل عصر

وباب الاجتهاد يجب أن يكون مفتوحا في كل عصر أمام من تتوافر فيهم شروط الاجتهاد ، ولا يصح ـ كما ينص فريق من فقهاء الحنابلة وغيرهم ـ أن يخلو العصر من مجتهد اذ الوقائع متجددة والحاجة الى معرفة حكم الله مستمرة ، وهذا الامام علىّ يقول : لن تخلو الارض من قائم لله بحجته ، وفي الحديث الصحيح أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : ان الله يبعث لهذه الأمة على راس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها .

اجمع الأئمة والفقهاء على تغير الاحكام بتغير ظروف الناس والزمان

وقد تتبع الفقهاء الأحكام فوجدوا أنها موضوعة لمصالح الناس ، كما يدل على ذلك قول الله تعالى: « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » ،وأساس الرحمة جلب المنفعة ودفع المضرة يقول ابن القيم : « الشريعة مبناها وأساسها على الحِكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد » . ويقول الشـاطبى : « وضع الشرائع انما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معا » . وقد اتفق المعتزلة على أن أحكامه تعالى معللة برعاية مصالح العباد ، وأنه اختيار اكثر الفقهاء المتاخرين .

والواقع ان اعتبار المصلحة هو المشعل الـذى أضاء السبيل أمام الفقهاء فاستطاعوا أن يجتهدوا على ضوئه ، وأن يسيروا في التصرف على هديه ومقتضاه ، وأن يجعلوا الحكم يدور مع علتـه وجودا وعدما فيتغير تبعا لذلك من حال الى حال.

والتغيير من بعض الأحكام الى بعض أمر معروف

في الشريعة الاسلامية بالنسبة للأحكام الظنية . يقول ابن عابدين الفقيه الحنفى : « كثير من الأحكام تختلف باختلاف الزمان لتغير عرف أهله أو لحدوث ضرورة، أو فساد أهل الزمان ، بحيث لو بقى الحكم على ما كان عليه لزم منه المشقة والضرر بالناس ولخالف قواعد الشريعة المبنية على التخفيف ورفع الضرر والفساد ، ولبقاء العالم على أتم نظام وأحسن أحكام . ولهذا ترى مشايخ المذاهب خالفوا ما مضى عليه المجتهد في مواضع كثيرة » .

وهذا الامام الشافعي العربي القرشي قد تأثر في كثير من أحكامه الخاصة بالمعاملات والبيئة والعرف مما أدى بتلاميذه أن ينقلوا عنه مذهبين : مذهبا يصور آراءه وهو بالعراق متأثرا ببيئتها وما اعتاده الناس فيها ، ثم مذهبا آخر بعد ذلك يصور آراءه بعد أن رحل الى مصر ، وتأثر بما عليه الناس فيها ، ونجد الرأى في المذهب الجديد يختلف عنه في المذهب القديم ، وفي كتب الحنفية ما يصور هذا فيقولون كثيرا : « ان هذا اختلاف عصر وزمان لا اختلاف حجة وبرهان » . وهذا القاضي أبو يوسف الفقيه الحنفى صاحب أبى حنيفة. فانه قد عدل في الخراج الواجب على الارض عما كان عليه مقداره أيام عمر بن الخطاب لما رأى أن مصلحة المجتمع في ذلك .

تطور في الحياة جديد ، يسأل فيه الفقهاء فيخشون ابداء الرأى فيه

والتطور سنة الحياة ، وضمان استمرار سيرتها على نحو يمنع التخلف ويوفر النجاح ، وتطور المجتمع الحديث وانتقاله الى عصر الصناعة والتنقل في الفضاء ، واستخدام الاثير وزرع الجنين ونقل بعض أعضاء من جسم انسان لآخر ، وتفتيت الذرة. كل هذا جديد على الفقه الاسلامي لم يكن عند ظهور الاسلام ولا في عصر ازدهار الفقه . وقد ترتب على هذا أمور كثيرة مستحدثة يراد معرفة حكم الله فيها ، وكذلك ما جد في حياتنا من معاملات مالية ومصرفية اقتضاها التطور، وعلاقات وارتباطات لم تكن من قبل أيضا ، الى غير ذلك من صور الادخار ، والاستثمار وعقود التأمين بأنواعها . كل هذه أمور جديدة اقتضتها طبيعة العصر ، وانتشرت بين الناس ، واتصلت بحياتهم ومجتمعاتهم ، ويسأل المسلمون دائما عن حكمها وموقف الاسلام منها ، ويحجم الكثير من العلماء عن الاجابة عنها ، ويهمس البعض أو يتجرأ فيجهر بأن مبادىء الاسلام وأهدافه لا تعارضها . فيناله من نقد القائلين بتحريمها ما يؤذيه ويظهره بمظهر المروق على الدين والتحلل منه ، والرقة فيه .

ليس كل حديث مستحدث بحرام

والقول بتحريم كل جديد مستحدث لم يرد بخصوصه نص شرعى أمر ميسور لا يكلف القائل به جهدا ما دام لا يوجد فيه نص يحكمه ، ولاقياس جلى يشمله ، وكان ما لم يرد به حكم أو جهل حكمه الاصل فيه الحظر والمنع لا الاباحة والحل ، وكان الله سبحانه فصل لنا ما أحله وترك ما دون ذلك محرما ؟!

روح الاستقلال الفكرى ماتت في أنفس الفقهاء

وهل لو كان الأئمة السابقون الذين عالجوا أمور الحياة في عصورهم معالجة جعلتهم خير أمة بحق وجعلت قانونهم أفضل قانون ، ونهضتهم بارزة تضيء لجميع الأمم والشعوب ، وتفيض عليهم . لو كان هؤلاء الأئمة في عصرنا الحاضر ، ورأوا تطورات المجتمع وما جد فيه فهل كانت تبلغ بهم الحيرة هذا المبلغ ، ويترددون هذا التردد ، ويفصلون الفقه عن واقع الحياة ، ويجعلونه فقها نظريا صرفا ، لا يسع الناس الأخذ به واللجوء اليه الا مع المشقة والحرج الشديد ؟! أم كانوا ييسرون على الناس حياتهم ، وييسرون عند استنباطهم للأحكام في وادى المصالح ، ويأخذون بالاستحسان ان لم يسعفهم القياس. والاستحسان كما ينقل ابن العربى عن ابن القاسم عن الامام مالك أنه تسعة أعشار العلم ، وكثيرا ما خرج فقهاء الحنفية عن القياس أخذا بالاستحسان لأنه الأيسر على الناس ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول فيما روى عنه « يسروا ولا تعسروا . بشروا ولا تنفروا . »

لكن سرعان ما تغيرت شخصية الفقهاء ، وماتت في نفوسهم تدريجيا روح الاستقلال الفكرى وركنوا الى التقليد، وأصبح الفقيه يلتزم مذهبا لا يتعداه،

فلا يشغل نفسه بالاجتهاد والاستنباط ولا اعداد نفسه لذلك . وبذا تخلف الفقه الاسلامي حقبة من الزمن ، واضطر الناس للتحايل على الأحكام أو الخروج عليها ، كما اضطرت الحكومات للتطلع الى القوانين الاخرى والاقتباس منها .

فلا بد من قبول الأحكام المبنية على المصلحة التى لم يرد نص قطعى يعارضها ويمنعها ، حتى لا يكون هناك انفصال بين الأحكام وشئون الناس ومصالحهم ، وذلك لا يتحقق اذا التزمنا بالاحكام الاجتهادية التى بنيت على عرف سابق تغير ، او كان ملاحظا فيه مصالح الناس ثم تغير وجه المصلحة، او لمعنى من المعانى ثم تغير ذلك المعنى وحدث معنى آخر يقتضي تغيير الحكم .

ينقل الزيلعى الحنفى عن فقهاء (بلخ) : « ان الاحكام قد تختلف باختلاف الازمان » ويقول القرطبى المالكى : « ان الجمود على المنقولات ابدا ضلال في الدين وجهل بمقاصد علماء المسلمين والسلف » .

ونحن نرى أن الشارع في تصرفه منذ كان يتنزل القرآن هو الذى رسم لنا تلك الخطة بالتغيير في الأحكام بالنسخ لبعضها والتدرج في تشريعها مسايرة لمصالح الناس بالأخف والأيسر عند الحاجة ، أو انتقالا الى الاشق كذلك عند الحاجة، تمرينا للنفوس ،، ومقاومة لما فيها من رعونات قد تجر الى فساد الاخلاق والعداوة بين الناس ، وان في هذا التصرف لتعليما لولاة الأمر من الحكام والعلماء ان يسلكوا مسلك التصرف ، وان يتخذوا من حكمة الشارع حكمة تمكن الناس من خلافة الله في الارض بالتماس ما يصلحهم ، والدوران حول ما تتطلبه حاجاتهم ومنافعهم اذ النسخ كان في فترة الوحى فقط ومن اختصاص المشرع وحده .

وان فيما تصوره السنة النبوية من ذلك ما يركز في نفس الفقيه أن الحكم المجتهد فيه لا ينبغى ان يكون ملزما للناس دائما بحيث لا يقبل التبديل والنظر . فقد روى أحمد وغيره أن عليا قال يا رسول الله اذا بعثتنى في شيء أأكون كالسكة المحماة ـ اى كالآلة فلا أتصرف ـ ام الشاهد يرى ما لا يراه الغائب ؟ . فقال صلى الله عليه وسلم : « بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب » ، وهذا يدل على أن التصرف في الاحكام بما يلائم الواقع أمر مشروع .

كما روى أن الامام عليا بدّل حكما يتصل بتضمين الصناع فقال : يجوز التضمين ما لم يقم الصانع بينة على أنه لم يتعد ، وكان الحكم قبل ذلك بعدم تضمينهم لأن يدهم يدّ امانة،ويد الامين غير ضامنة ، وانما عدل الامام على رضي عنه لانه رأى الناس لا يحتاطون في حفظ الأمانات وربما من نقد القائلين بتحريمها ما يؤذيه ويظهره بمظهر والشحناء بين الناس .

كما روى أن عثمان بن عفان أمر بالتقاط ضوال الابل وبيعها فاذا جاء صاحبها أعطى ثمنها . مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم كما في البخارى سئل عن ضالة الابل ، هل يلتقطها من يراها ؟ فنهى النبى عن التقاطها لانه لا يخشى عليها وأمر بتركها ترد الماء وترعى الكلا ، وكان الحكم على ذلك حتى خلافة عثمان ، ثم لما رأى الناس قد دب اليهم فساد الأخلاق وامتدت أيديهم الى الحرام بدّل الحكم . وهو في الحقيقة لم يترك النص ولم يعطله تقديما للمصلحة عليه ، وانما بنى الحكم على مقصود النص ، فلو أبقى الحكم على ما كان مع ما لاحظه من فساد أخلاق الناس لآل الأمر الى عكس المقصود من النص الذى يتضح انه مبنى على رعاية أحوال الناس وأخلاقهم في ذلك الحين .

تصرف الصحابة وعلى رأسهم عمر

وهكذا من تتبع تصرفات الصحابة وعلى رأسهم عمر الذى طالما غير بعض الأحكام الى ما يرى انه مصلحة ، مع تفسيره للنصوص تفسيرا يتفق مع المصلحة ، وان كان ظاهره قد يشعر بالمخالفة ، كما في منع سهم المؤلفة قلوبهم ، ومنعه تسليم ارض العراق وارض الشام الى الغزاة الفاتحين ، ومن ذلك معاقبته الناس باعمال عباراتهم وايقاع اتجاها منه نحو التيسير لأن المصلحة في مراعاته ، ومن ذلك معاقبته الناس بأعمال عباراتهم وايقاع الطلاق الثلاث بلفظ واحد ثلاثا ، مع انه كان يقع في عصر الرسول طلقة واحدة وكذا في خلافة ابى بكر وسنتين من خلافة عمر . وقد اعتبر العلماء ذلك من باب تقييد المباح لمصلحة وهى التشديد عند الاقتضاء ، وقد اتجه أولو الرأى بعد ذلك الى الرجوع الى الحكم الأول واعتباره طلقة واحدة .

رفض الرسول التسعير، واجازه التابعون

وصور تغير الاحكام تبعا للمصلحة في عصر الصحابة كثيرة ، كما درج التابعون على ذلك فافتوا بجواز التسعير مع نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك فيما روى عنه ، فقد روى اصحاب السنن عن انس رضي الله عنه انه قال : « غلا السعر على عهد رسول الله فقالوا يا رسول الله : لو سعّرت ؟ فقال : ان الله هو القابض الباسط الرازق المسعّر ، اني لأرجو ان القى الله عز وجل ولا يطالبنى احد بمظلمة ظلمتها اياه في دم ولا مال » . لكن في عصر التابعين تغيرت اخلاق التجار بعض الشيء ، فقالوا : ان الناس قد ضجروا بما اصابهم من الجشع ، واراد الفقهاء مقاومة ذلك عملا بحديث « لا ضرر ولا ضرار » الذى يقتضي بعمومه العمل على رفع الغبن ومقاومته ، فاذا كان النبى صلى الله عليه وسلم اراد ان يأخذ جيله الصالح بذلك الأسلوب ، فهل يمنع ذلك اذا نشأ الفجور في التجار أن يضرب الامام على ايديهم بما يقضي على تلك المضارة ويقاوم ذلك المحظور ، وفي هذا يقول ابن القيم : « ان نهى النبى عن التسعير لعدم وجود ما يقتضيه ، ولو كان هناك مقتض لفعل » وهذا يفيد أن الحكم يدور مع علته ويرتبط بالمصلحة وانه يتبدل ويتغير تبعا لذلك .

افتى ابو حنيفة ومالك بجواز دفع الزكاة لبنى هاشم

وفي عصر الائمة بقى مسلكهم مستمدا من مسلك سلفهم الصالح ، ودرجوا عليه ، فقد أفتى ابو حنيفة ومالك بجواز دفع الزكاة لبنى هاشم ، وفهموا أن النص الذى يحرم الزكاة عليهم لم يكن على اطلاقه ، ولكنه مقيد باخذ نصيبهم من بيت المال ، فلما زال القيد زال التحريم منعا للضرر ، وليس في شيء من هذا تقديم للمصلحة على النص ، وانما هو تصرف في تفسير النص عن طريق الاجتهاد البيانى .

ذهب الاساتذة وجاء تلامذتهم بعكس ما جاء به الأساتذة

ومن بعد الأئمة جاء تلاميذهم فاخذوا في كثير من المسائل الفقهية بعكس ما افتى به ائمتهم ووصفوا قاعدة فقهية عامة « لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان » ومن ذلك اختلاف الامام أبى حنيفة وصاحبيه في تعديل الشهود لتحقق العدالة المطلوبة في الشهادة . فالامام لا يشترط ذلك لانه كان في عصر تغلبت فيه العدالة فلم يشترط الا في الحدود والقصاص لابتناء أمرهما على الدقة والدرء بالشبهة ، وأما الصاحبان فقد اشترطا التعديل لكل شهادة لما رأياه من فساد الزمان . ثم تغير الحكم بعد ذلك لاختلاف الزمان ايضا اذ لاحظ الفقهاء المتأخرون – ما بعد منتصف القرن الثامن الهجرى – لاحظوا ندرة العدالة الكاملة ، ووجدوا أن القاضي اذا تطلب دائما نصاب العدالة الشرعية في الشهود شق الأمر على المكلف باقامة البينة مما قد يترتب عليه عجزه عن الاثبات وضياع حقه ، فافتوا بقبول شهادة الأمثل فالأمثل . اى انهم تنازلوا عن شرط العدالة المطلقة الى العدالة النسبية .

ويقول ابن عابدين الفقيه الحنفى : ان الأحكام المبنية على العرف يجرى فيها التغيير بتغير العرف فقد كانت العطايا الكافية تعطى للمشتغلين بتعليم القرآن مما جعل أبا حنيفة يمنع اعطاء الأجر على تعليمهم القرآن ، فلما انقطعت هذه العطايا بعد ذلك . افتى المتأخرون بجواز الأجر على القيام ببعض الأعمال الدينية كالامامة وتعليم القرآن .

وينقل ابن قدامة الحنبلى . ان الامام احمد ابن حنبل جوّز تخصيص بعض الاولاد بالهبة لمعنى يقتضي ذلك مثل زيادة الحاجة او لزمانة او عمى أو اشتغال بطلب العلم ، مع ورود النهى عن التفضيل من غير تفصيل .

وقد توسع القاضي أبو يوسف في اعتبار العرف وابتناء الاحكام عليه حتى قال : « اذا ورد النص على اساس عرف مستقر وقت وروده ثم تغير العرف بعد ذلك فان الحكم يتغير تبعا بتغيره » ، ويقول القرافي المالكى : « ان جميع أبواب الفقه المحمولة على العوائد اذا تغيرت العادة تغيرت الاحكام في تلك الابواب » .

تغير الاحكام لاختلاف اوضاع الحياة

بقى أن نقول ان تغيير الاحكام لم يكن مقصورا على

تغير الأزمان واختلاف العصور فقط ، وانما قد يكون ناشئا عن حدوث اوضاع تنظيمية اقتضتها اساليب الحياة . ومن هذا قصر اعطاء الأمان على الوالى ، مع انه كان يباح للافرد اعطاؤه ، ومن ذلك الاكتفاء في عصرنا ببيان العقار المبيع بذكر رقم العقار وعنوانه ومساحته ، مع انه كان لابد من ذكر الحدود ، وكذا بان الاجتهاد القضائى استقر على اعتبار تسليم العقار المبيع حاصلا بمجرد تسجيل العقد فينتقل ضمان هلاك المبيع من عهدة البائع الى عهدة المشترى من تاريخه ، مع ان التسليم كان قديما لا بد فيه من التسليم الفعلى او التمكين منه ، ولا ينتقل ضمان الهلاك الا بهذا . فحدوث هذه الأوضاع التنظيمية يقتضي ولا شك أن يتبدل الحكم الفقهى الاجتهادى لينتفق مع متطلبات العصر ، ويساير مصالح الناس .

تسجيل العقود وتوثيقها

فما معنى ان الفقهاء لا يقولون من وقت ان عرف تسجيل العقود وتوثيقها وخاصة بالنسبة لعقود الزواج ان التسجيل أمر ضرورى ، ولماذا لم يتجهوا من زمن بعيد لاشتراط الشهود واعلام الزوجة لايقاع الطلاق ما دامت المصلحة تقتضى ذلك والنصوص لا تمنعه بل تحتمله ، وهكذا بالنسبة لكثير من أحكام الاسرة التى هى أمس شيء بحياة الفرد .

والمخدرات

وهل ينبغى أن نقف جامدين أمام المخدرات بسمومها ولا تصدر فتوى جماعية على تحريمها وتطبيق نفس عقوبة الخمر عليها ، مع أن ضررها على الفرد والمجتمع قد يكون اشد من الخمر نفسها ، وهل ينبغى أن يترك الكثير من المسائل التى وجدت في عصرنا وتغلغلت فيه مما لم يرد فيه نص قاطع ولا اجماع سابق دون أن ننتهى فيه الى راى نيثر لا يشق على الناس ولا يجعلهم يتخلفون عن مجتمعهم علميا أو سياسيا أو اقتصاديا او اجتماعيا . مع أن نصوص الشريعة كلما زاد العلماء فيها بحثا زادتهم هدى .

عقود التامين وامثالها

الواقع أن مسائل كثيرة في عصرنا يحتاج الناس فيها الى راى صريح جماعى. فعقود التامين بانواعها واليانصيب والأعمال المصرفية بما فيها صناديق التوفير ، وعقود المضاربة والكمبيالات والشركات المساهمة ، وما تطرحه من سندات ، والقروض الحكومية وشبه الحكومية ، والجراحات المختلفة والتشريح للدراسات الطبية ، ونقل الدم ، ونقل جزء من الميت لانقاذ الحى الى غير ذلك مما جد في عصرنا . ويسأل الناس عن حكم الاسلام فيه . والأصل أن الاسلام تشريع عام صالح للتطبيق في كل عصر ، ومقصد الشريعة هو تحقيق الخير والسعادة للناس . وحكم الله دائما ما يحقق المصلحة ما دام لم يرد الغاء من الشارع لها . وقد السابقون : « أينما كانت المصلحة فثم شرع الله»، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث فقيها او وفدا من الصحابة الى بلد قال لهم — على ما ذكرنا — « يسروا ولا تعسروا » كما انه قد روى عنه انه قال : « اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه » .

ومقتضى الاخذ بهذين الحديثين يفصل فصلا بينا صريحا في اعتبار مصالح الناس والأخذ بها، وان الاعراض عنها مع عدم وجود نص قطعى بمنعها يعتبر تنطعا في الدين وجمودا على ما ورد في كتب السابقين، وقصورا للشريعة عن صلاحيتها للتطبيق بين المعاصرين ، وحكما عليها بالتخلف وهى براء من هذا التخلف والقصور .

فاجتمعوا يا أئمة علماء المسلمين ، وانظروا في كل هذا في ضوء مصالح الناس ، ولا تكونوا بسبب تقصيركم سببا في تخلف المسلمين عن ركب الحضارة في العلم والاقتصاد والاجتماع . وقولوا رأيكم بعد بحث ودراسة شاملة . والرأى أمانة ، وهو عند الاقتضاء قضاء ، ولكل مجتهد نصيب .

وينبغى أن يكون الاجتهاد في هذه الأمور جماعيا حتى نمنع البلبلة ، ونقطع على كل مشاغب شغبه، ولنتذكر قول الرسول صلوات الله عليه : « لا تزال طائفة من أمتى قائمة على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله » .

محمد سلام مدكور

مع ...
الله
في الأرض

وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه
وقدرة الله تتراءى في بديع صنعه

الحيوانات

ذوات الأرجل ذوات المفاصل
أو
الشعبة المفصلية

بقلم الدكتور أحمد زكي

■ بعد شعبة الرخويات السابقة Mollusks او الحيوانات الرخوة ، تأتي الشعبة المعروفة بالمفصلية Arthropods ، او مفصلية الأرجل .

ومن امثلتها النحل والنمل والخنفس والجراد، والربيان Shrimps وسرطان البحر Grab وجراد البحر Lobster ، والعنكبوت والعقرب .

وهي اكثر الشعب احتواء انواع Species .

لماذا سموها مفصلية

وسموها بالمفصلية لأنها حيوانات : من غير ذوات الفقار ، تحمل اطرافا مزدوجة يتألف الواحد منها من ثلاثة اجزاء تربطها مفاصل . كذلك اجسامها ، تتألف من ثلاثة اجزاء مترابطة ، هي الرأس ، والصدر Thorax، والبطن Abdomen وهذه بالطبع اولى الصفات التي توحد بين هذه الحيوانات .

صفات اخرى توحد بينها

وصفات اخرى توحد بين افراد هذه الشعبة الكبيرة . والوحدة هدف هذه الدراسة الاولى .

ومن هذه الصفات ان لها هيكلا خارجيا يضم جسمها ويحميه Exoskeleton

ومن هذه الصفات ان الاعضاء الداخلية لافراد هذه الشعبة (وكذلك اكثر الحيوانات في شعبة الرخويات)



وَمِنْ أَمْثِلَتِهَا

النَّحْل و الرُّبْيَان و العَنكبُوت

و النَّمْل و سَرطان البَحر و العَقْرب

و الخُنْفس و جَراد البَحر و القراد

يغمرها الدم غمرا . فالدم هنا له الدورة المفتوحة Open Circulatory System، وهي تختلف عن دورة الدم المغلقة Closed ، تلك التى تتالف من اوعية مغلقة يجرى الدم فيها . لقد تقدمت حيوانات هذه الشعبة الى ان صار بها دم . ولكنها لم تتقدم حتى تصير بها دورة للدم مكتملة .

ومن صفات حيوانات هذه الشعبة الاحاسيس ، فلها تراكيب اكثر تقدما عن مثلها فيما سبق من حيوانات، لا سيما الأعين .

هذا عدا التقدم العام فى سائر الوظائف عما سبق من حيوانات .

ونجد ان الجنس كذلك فيها تقدم . فهذه الحيوانات المفصلية افترق الجنسان فيها ، فهذا ذكر ، وتلك انثى ، الا فى القليل منها .

توحيد يشمل مئات الألوف من الأنواع

قلنا ان هذه الشعبة ، شعبة الحيوانات المفصلية الارجل ، هي اكبر شعب الحيوانات عدد انواع . وقالوا ان بها نحوا من ٨٠٠٠٠٠ نوع موصوف فى العلم مرقوم . وقالوا ان عددها فوق ذلك كثيرا .

وهذا عدد قد يثير بعض القراء ضخامته . ولكن اثارته للقارىء ذى الحس العلمي اكبر ، وذلك لأن رقما يقول ان هناك نحو مليون نوع من الاحياء توحد بينها الصفات التى ذكرنا ، لهو رقم لهفي المعاني الوحدوية خطر عظيم .

ثلاث طوائف
فى المفصليات هامة

شعبة المفصليات تتألف من عدة طوائف C asses اهمها ثلاث :

الحيوانات القشرية Crustaceans .

والحشرات Insects .

والعنكبوتيات Arachnids .

والطوائف هى الاقسام التى تنقسم اليها الشعب .

الحيوانات القشرية

من اشهر حيوانات هذه الطائفة فى حياة الناس ، الحيوان البحرى المعروف فى بعض البلاد العربية بالربيان والاربيان وبرغوث البحر والجمبرى والقريدس .

ثم الآخر المعروف بالسرطان ، والسلطعون وابو جلمبو ، والكبوريا Crabs .

ثم جراد البحر او الكركدن او اللبستر Lobster .

ثم ذلك الحيوان البحرى الآخر المعروف باسم Crayfish ولم نجد فى المراجع العربية اسما له مقنعا الا الاستكوزا وسرطان الماء العذب .

وهكذا تتعدد اسماء الاشياء فى المعاجم العربية ولا يصحبها تحديد لمعانيها ، ولا سيما فيما يتصل بالأسماك ، واحياء البحار ، ولقد تجد فى القطر العربى الواحد ، للسمكة الواحدة او الحيوان البحرى الواحد اكثر من اسم ، وتختلف الأسماء باختلاف موانىء الصيد . ولقد عرفنا ان الاسم فى الاسكندرية غيره فى السويس ، غيره فى عدن .

والقشريات هي احدى طوائف شعبة الحيوانات ذوات الارجل المفصلية ، واذن فلها صفات حيوانات تلك الشعبة .

وبما ان القشريات تؤلف طائفة داخل هذه الشعبة ، فاذن حيواناتها تتحد فى صفات فوق تلك التى ذكرناها للمفصليات عامة ، تزيد فى معنى التوحيد بينها .

وبرغم هذا التوحيد فى الصفات تدخل الى الحيوانات القشرية صفات جديدة ، غير واحدة ، تكون سببا فى الاختلاف بين افرادها ، واذن فسببا فى ظهور الانواع Species المختلفة .

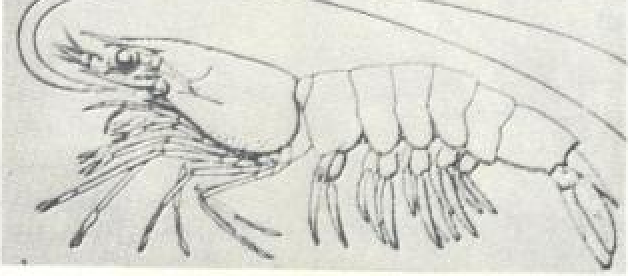
وحدة دائمة متعددة ، يصحبها اختلاف ، هما سنة الخلائق .

من الصفات التي توحد بين القشريات
الراس والصدر

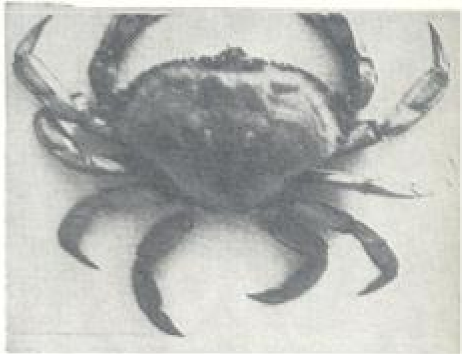
اجسام هذه الحيوانات القشرية تنقسم ، كاجسام ذوات الارجل المفصلية عامة ، الى راس وصدر وبطن ، ولكن هنا نجد الصدر والراس عادة قد التحما كتلة واحدة .

الهيكل الخارجي

ويوجد حول الجسم الهيكل الخارجى Exoskeleton الذى يوجد حول اجسام الحيوانات المفصلية ، ويتكون من مادة صلبة مرنة تعرف بالكيتين Chitin تمتزج



ربيان
(جمبرى)



سرطان البحر (أبو جلمبو أو كراب) من الاسكا . ولـه من الأطراف اربعة ازواج ، وكلابتان (لم تشملهما الصورة كاملتين)

بها مادة كربونات الكلسيوم ، وهي مادة الحجر الجيرى ، ويتالف من الاثنين غطاء واق اشبه بالصدفة يحمى جسم الحيوان من ان يناله السوء .

ويحدث ان ينمو جسم الحيوان القشرى فيضيق به الهيكل الخارجي ، فينشق ، لينخلع عن الحيوان . وعندئذ ينتهز الحيوان هذه الفرصة فينمو سريعا ، ويظل الحيوان على هذه الحال فترة من الزمن تسمى فترة « الهيكل الرقيق » ، وهو فى هذه الفترة يعتزل ويبتعد عن اعين الاعداء حتى ينمو لـه هيكل من القشر صلب جديد .

قـرون القشريات

وللقشريات زوجان من القرون يتزودان بأعضاء للحس ، وفى بعض القشريات الصغيرة تقوم بعض هذه القرون فى البحر بعمل المجاديف .

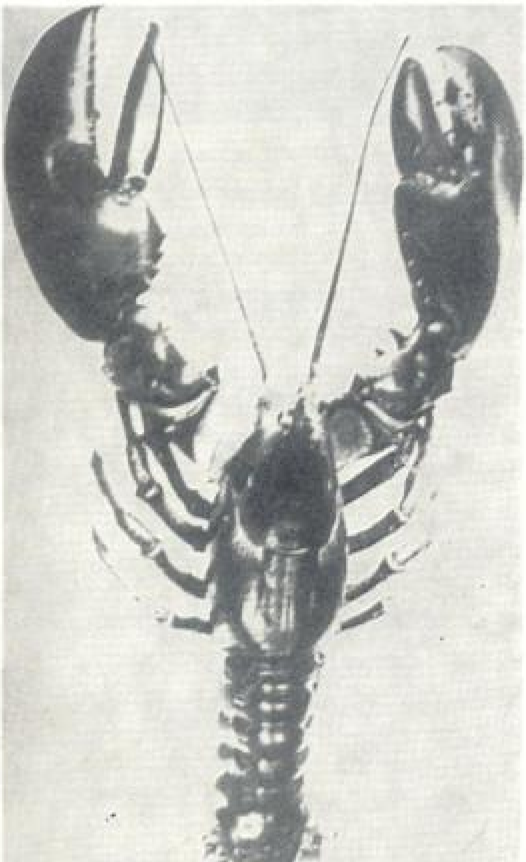
ويوجد فى فم الحيوان القشرى فكان صلبان Mandibles لمضغ الطعام ، وزوجان من شبه افكاك اخرى Maxillae وفكيكات Maxillipeds لاختبار الطعام ودفعه فى الفم .

وللقشريات عيون

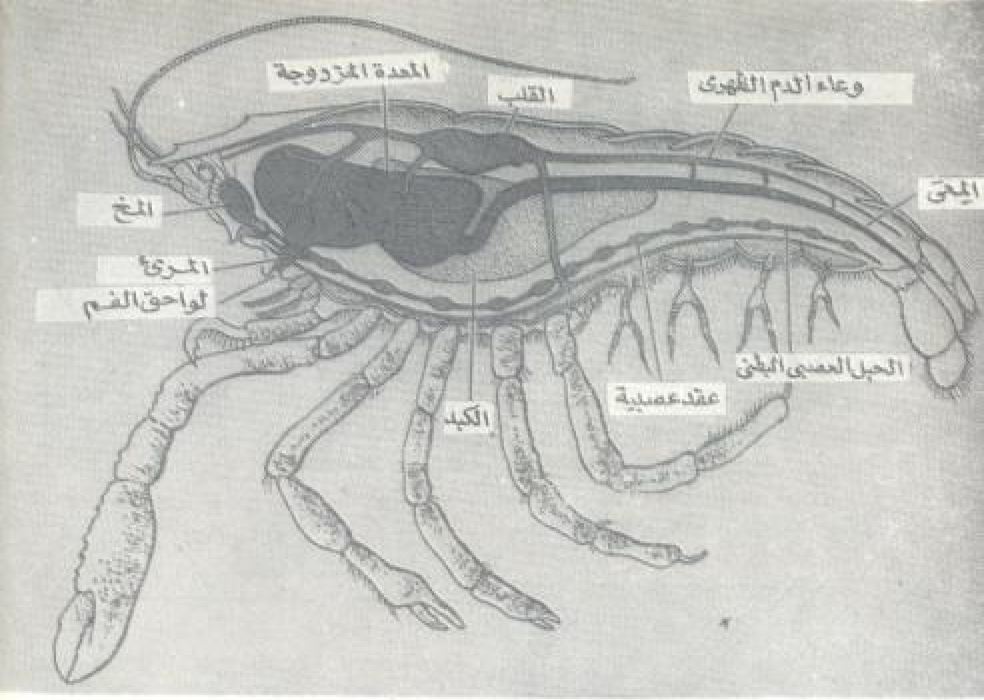
وهي عيون محمولة فى كثير من انواع القشريات على سيقان متحركة . وهي فى بعض الأنواع عيون مركبة تتألف من عدد من الوحدات البصرية . ومن امثلة ذلك الحيوان القشرى المعروف بلفظ Crayfish ، ولعله سرطان الماء العذب كما قدمنا ، فله عينان اثنتان بكل منهما نحو ٢٥٠٠ وحدة بصرية .

عدد الارجل في القشريات

وعدد الارجل، او ان شئت فالاطراف



جراد البحر (لبستر) ، من بحار أمريكا وهو قد يطول حتى يبلغ قدمين . واللبستر من الأطعمة الممتازة في مطاعم الغرب .



جراد البحر في الماء العذب Crawfish وهو كجراد البحر الذى يعيش في الماء الملح Lobster ، وقد اتخذنا من تخطيطه التشريحى مثلا لما تكون عليه الحيوانات القشرية اجمالا.

أو اللاحقات Appendages التى تخرج من اجسام القشريات ، تختلف باختلاف النوع .

واللاحقات المتصلة بالصدر تستخدم عادة للمشي ، وقد يكون الزوج الاول منها كبيرا فيستخدم للامساك بالأشياء ، كالكماشة .

ويخرج من بطن بعض القشريات لواحق اصغر تستخدم للسباحة فى الماء .

وظائف الأعضاء الداخلية فى القشريات

ان الأعضاء الداخلية فى القشريات الكبيرة متقدمة فى اداء وظائفها ، وتقوم بالهضم ، وبالتنفس ، وبالدورة ، والافرازات ، وبالانسال ، واعصابها تستجيب لعمل الأعصاب .

والقشريات الصغيرة يعوزها الجهاز التنفسي ، فهي تتنفس ولكن طريق ذلك سطح الجسم كله .

الانسال فى القشريات

ويكون الانسال فى هذه الحيوانات عن طريق البيض. وتتفقس البيضة عن دودة طليقة تسبح فى الماء ، وهى تمر بالأدوار التى يمر بها الدود لكي تصل الى البلوغ. هذا فى ماء البحر الملح . اما فى الماء العذب فلا يمر الانسال بدور الدودة ، وتتفقس البيضة عن حيوان كامل .

اين تعيش القشريات

اكثر القشريات تعيش فى الماء ، الماء الملح فى البحار ، او الماء العذب . والقليل من الانواع يعيش على الارض . والكثير من القشريات ، كسرطان البحر Crab وجراد البحر Lobster ، يعيش على الحيوانات والنباتات مما يلقى حيث يعيش .

●●

احمد زكى

نتيجة مسابقة العدد ١٦٢

الكنجر موطنه استراليا

■ تميزت مسابقة العدد ١٦٢ من « العربى » بتنوع اسئلتها فى شتى فروع المعرفة ، وقد حظيت مادة الجغرافيا بنصيب اكبر من هذه الاسئلة . اما الأسئلة التاريخية والفنية فقد كان لها نصيب لا بأس به . اما رسائل القراء فقد كانت قليلة ، وهذا يرجع الى تأخر وصول « العربى » الى الأسواق فى مواعيدها المناسبة .

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة، ثم اسماء من حالفهم التوفيق بالفوز فى المسابقة .

١ ـ مصطفى لطفى المنفلوطى الكاتب المصرى الشهير تتلمذ على يد الامام **الشيخ محمد عبده.**

٢ ـ عاصمة موريتانيا قديما كان اسمها **شنقيط.**

٣ ـ المارسييز هو النشيد الوطنى **لجمهورية فرنسا .**

٤ ـ أصغر بلد في العالم هى **ليشتن شتين .**

٥ ـ البلد ذات الحدود المشتركة مع الصين والهند هى **نيبال .**

٦ ـ حيوان الكنجر موجود في **استراليا .**

٧ ـ اله الشمس في مصر الفرعونية هو **رع .**

٨ ـ اوبرا عايدة كتبها الموسيقى العالمى **فردى .**

٩ ـ جزر الكنارى في المحيط الاطلسي تابعة **لاسبانيا .**

١٠ ـ الموناليزا لوحة رائعة لليوناردو دافنشي توجد في متحف **اللوفر في باريس .**

١١ ـ الرحالة الدنماركى الذى زار اليمن وكتب عنها كتابا هو **كارستن نيبور .**

١٢ ـ الممر الذى يصل بين المحيط الهادى والبحر الكاريبى هو **قناة بنما .**

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : **سالم عبد الله العمودى** ـ المكلا ـ اليمن الديمقراطى

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : **عبد الرسول عبد النبى الفردان** ـ البحرين .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : **شاكر طوفان العيساوى** ـ النجف ـ العراق .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير فاز بها :

١ ـ **فؤاد داية** ـ دمشق ـ سوريا .

٢ ـ **دولت حسن خليل رسمى** ـ القاهرة ـ مصر.

٣ ـ **ابراهيم احمد محمد عنبر** ـ الكويت .

٤ ـ **عمر عفيف وهبى** ـ صيدا ـ لبنان .

٥ ـ **احمد جمعة موسى** ـ طرابلس ـ ليبيا .

٦ ـ **محيى الدين محمد ياسين** ـ عمان ـ الاردن.

٧ ـ **سارة خلف الله الرشيد** ـ الخرطوم ـ السودان .

٨ ـ **جبر محمد البطش** ـ الدوحة ـ قطر .

وسترسل الجوائز الى اصحابها . ■■

مواقف رجال

ربيعة بن مكدم

بقلم : عبد الستار احمد فراج

الشجاعة الحقة لها مبادئها الكريمة، وقواعدها المحمودة، التى بدونها لا تسمى بطولة، وانما تسمى فتكا اواجراما. فالشجاع البطل حين يلقى فردا مثله لا يأخذه على غرة، ولا يلجأ الى الغدر والخيانة. وانما يلاقيه وجها لوجه حيث يتبارزان فى ميدان الضراب والطعان، امّا مجالدةً بالسيوف او مطاردة بالرماح. والأبطال فى الجاهلية، وفى كل عصر، كانوا يعرفون قدر من يقارعهم ويصاولهم فى ساحات الحروب وقد يضنّون به على الموت اذا كان له فى حسن الفعال نصيب، وفى الشهرة المحمودة قسط كبير. ولقد كان بين فرسان العرب فى الجاهلية من تفخر بهم القبائل وتتغنى بأفعالهم الركبان، كما كان منهم من صار بالخسة والغدر فى الدرك الأسفل الوضيع، واحط هذه الطبقة (تأبط شرا) الذى كان يحل ببعض الخيام النائية المنفردة ضيفا، وبعد أن يكرمه صاحب الخباء ينتظر الى ان ينام، فيفتك به وبمن حوله، سواء أكان شيخا ام طفلا، ثم ينهب ما بلغته يداه، ولذلك عدوه من اللصوص ولم يسلكوه فى عداد الفرسان.

اما الرجال ذوو الشهامة والمروءة فانهم كثيرون، منهم عمرو بن مَعْدِ يكرب الزُّبيدى، ودُرَيد ابن الصِّمَّة الجُشَمى الهَوازنى، من غَزِيّة بن جُشَم من هوازن. وعلى راس الجميع فى الفتوة والبطولة كان فى الجاهلية الفتى رَبيعةُ بنُ مُكَدَّم، من بنى فِرَاس من كِنانة. يقول عنه رواة اخباره: انه احد فرسان مُضَرَ المعدودين، وشجعانهم المشهورين..

هذا والحديث عن امثاله كان محببا الى الرجال فى مجالسهم، حيث تدار ذكرى اعمالهم سمرا يأنسون به ويعجبون، لانهم كانوا حُماة للضعفاء، وذادة عن الحريم، فى عهود لا يحكمها قانون، ولا يردعها سلطان، بل الغلبة فيها للاقوى، والتقدير فيها لخيار الرجال.

عمرو بن معد يكرب يقص اخبارا

روى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله

حامي نساء قومه

عنه قال يوما لعمرو بن معد يكرب الزبيدي الفارس المشهور : أخبرني يا عمرو ، عن أشجع من رأيت. قال : يا امير المؤمنين . ساخبرك عن أحيل الناس، وعن أجبن الناس ، وعن أشجع الناس . فقال له عمر بن الخطاب : هات ، فقال :

أحيل الناس

ركبت فرسي ، وكانت كأحسن ما رأيت وذلك في الجاهلية قبل أن يهديني الله الى الاسلام . وقد آليت على نفسي انى لا القى أحدا الا قتلته. فخرجت الى البادية ، فاذا أنا بفتى ، فقلت له : خذ حذرك فاني قاتلك ، واني عمرو بن معد يكرب ـ ونلحظ هنا ما في عظمة الشجاعة من انه لايقتل احدا على غرة ، بل ينبهه ليستعد ويجابهه ـ ولكن الفتى كان يعرف عمرو بن معد يكرب وما هو عليه من القوة .

وعمرو بن معد يكرب كان يكنى أبا ثور ، فقال الفتى : يا أبا ثور أنا أعزل كما ترى ، ولا بد أن تنصفني ، بأن تمهلني حتى آخذ نبلي . قال عمرو : فقلت له : وما الذي تغنيه نبلك عنك ؟ قال : امتنع بها منك . قلت : خذها. قال : لا آخذها الا أن تعطيني من العهود ما أطمئن به انك لا تؤذيني حتى آخذها . فعاهدته انى لا أفعل به شيئا حتى يأخذ نبله . فقال : واله قريش لا آخذها ابدا . فتركته يذهب وسلم منى . فهذا أحيل الناس .

أجبن الناس

ثم مضيت أسير حتى أقبل الليل ، وطلع القمر زاهرا ، واذا انا بفتى على فرس ، وهو يغنى ويقول :

يالُبَيْنَا يالُبَيْنَا
لَيْتَهُ يُعْدَى عَلَيْنَا
ثم يُبْلَى مالَدَيْنَا

ثم يخرج حنظلة من مخلاته فيرمي بها الى السماء ، ويوتر قوسه ويصوبها اليها ، فلا تبلغ الارض حتى يكون قد اصابها بنبله . فقلت له ، يا هذا ، خذ حذرك فاني قاتلك ، وانا عمرو ابن معد يكرب ، فمال عن فرسه ، فاذا هو في الارض مضطجعا ، فقلت ، ما هذا الا استخفاف ، وصحت به : ويلك ، ما أجهلك ، قم وحارب . فلم يتحرك من مكانه ، فدنوت منه وشككته بسن الرمح ليقوم، فاذا به كأنه قد مات منذ سنة . فهذا أجبن الناس .

أشجع الناس

ثم مضيت عنه ، ولما انقضى الليل وأصبحت، نظرت فرأيت أبياتا ، فملت اليها ، فاذا فيها جوار ثلاث كأنهن النجوم حسنا . فبكين حين رأينني ، فقلت : ما يبكيكن . فقلن : اننا ابتلينا بك ، ولا شك انك ستمضي بنا مع اننا لنا اخت هى أجمل منا ، ولا نحب أن نفارقها وهى وراء هذا المرتفع من ورائنا .

ودب الطمع في قلب عمرو وأحب الظفر بهذه الحسناء التي تفوقهن بهاء ، ا سعد المرتفع ، وأشرف لينظر اليها أين هى .

قال عمرو : فاذا بى ارى من لم ابصر قط

احسن منه ومن وجهه ، وهو غلام يخصف نعله ، وعليه ذؤابة طويلة . فلما رآني وثب الى الفرس بجواره مبادرا فسبقني الى البيوت ، فوجد النساء خائفات مرتاعات ، وسمعته يقول :

مَهْلاً نُسَيَّاتِي إذًا لا تَرْتَعْنْ
إن تُمْنَعِ اليومَ نِساءٌ تُمْنَعْــــنْ
أَرْخِينَ أَذْيالَ المُروطِ وارْبَعَنْ

فلما دنوت منه قال : من انت : قلت انى عمرو بن معد يكرب واني قاتلك : فقال : ان الذى يحكم بيننا هو الطراد ـ والطراد هو ان ينطلق الفارس بفرسه ويتبعه الآخر بفرسه ليصيبه برمح فاما اتقاه ، واما ادركه فارداه .

قال الفتى : اتطردني أو اطردك : قلت بــل اطردك ، فانطلق بفرسه ، وركضت بفرسي في اثره حتى اذا اقتربت منه مكنت سناني ليكون بين كتفيه ، واتكأت عليه ليصيبه فيصرعه ، فاذا هو قد تحرك في خفة فصار في صدر فرسه ، مخليا مكانه من سرجه ثم عاد في سرعة مستويا على سرجه كما كان ولم يصبه شيء. فقلت له : اقلني. قال اطرد الثانية ، فطردته ، حتى ظننت ان السنان سيخترق نقرة قفاه ، فاتكأت عليــه ليصيبه فيصرعه فاذا هو قد قفز قائما في الارض والسنان بعيد عنه لم يصبه ، ثم قفز مستويا على فرسه كما كان ، فقلت : اقلني . قــال : اقلتك فاطرد الثالثة ، فطردته ، حتى اذا امكنت السنان من ظهره اتكأت عليه وانا اظن انى قد فرغت منه ، ولكنه مال بسرعة في سرجه حتــى رايت يده في الارض ، ومضى السنان فلم يصبه، ثم استوى مكانه وقال: قد انتهت طرداتك الثلاث، فماذا تريد بعدهن ، هيا لكي أطردك ، ثكلتك امك ، فاندفعت امامه وأنا مرعوب منه ، فلمـا ادركني التفت فاذا هو يطردني بالرمح بلا سنان، ثم كف عني ، وطلب الى أن انزل عن فرسي ، فنزلت ونزل ، فجز ناصيتي ثم قال : انطلق فاني أضن بك عن القتل . ثم قال عمرو بن معد يكرب لعمر بن الخطاب : لقد كان ذلك عندى يا امير المؤمنين اشد من القتل ، فذلك اشــجع من لقيت . وسألت عنه فقيل لى انه ربيعة بن مكدم الفراسي من بنى كنانة .

والحق أن ما دار بينهما من طراد ، وما اظهره ربيعة بن مكدم من براعة فائقة ، في خفة الوثب وسرعة الحركة ، وقوة الجنان ، وتقديره للرجال الأبطال يبعث على اشد الاعجاب والتقدير .

حامي الظعينة

وروى أن دريد بن الصمة خرج في فوارس من بني جشم ، حتى اذا كان بواد لبنى كنانة يقال له «الاخرم» وكان دريد يريد الغارة على بنى كنانة . فبينا هو يسير راى من بعد رجلا مــن ناحية الوادى ممتطيا صهوة جواده ومعه ظعينة ـ والظعينة هى المراة تكون في الهودج على جمل او ناقة ـ فلما نظر اليه قال لفارس من أصحابه اذهب اليه وصح به أن خل الظعينة وانج بنفسك.

يقضي على فارس

فاندفع الفارس اليه وصاح به ، واكثر من صياحه ، فلما اقترب ولم يقلل من صــياحه ، القى الفتى زمام الناقة الى المراة التى بداخل الهودج وقال :

سِيري على رِسْلِكِ سَيْرَ الآمِنِ
سَيْرَ رَداحٍ ذاتِ جَأْشٍ ساكِنِ
إنَّ انْثِنائــي دون قِرْنِي شــائني
فابْلِي بلائي واخْبُرِي وَعايِـــني

ثم حمل على الفارس فقتله ، وعاد الى زمام الناقة فاخذه .

ويقضي على فارس آخر

فبعث دريد فارسا آخر لينظر ما صنع صاحبه، وقد انعطف بهم الوادى فلم يروا ما جرى بينهما، فاقبل الفارس ، فرأى صاحبه صريعا . فصاح بقائد الظعينة . فتصامم صاحبها عليه ولم يجبه. فظن الفارس انه لم يسمع ، فهجم عليه مقتربا منه ، فالقى الفتى زمام الظعينة ، ثم حمل على الفارس الثانى فصرعه وهو يقول :

خَلِّ سبيلَ الحُرَّةِ المَنيعَهْ
إنَّكَ لاقٍ دونَها رَبيعَـــــهْ

فِي كَفِّهِ خَطِّيَّةٌ مُطِيعَهْ
أَوْلَا فَخُذْهَا طَعْنَةً سَرِيعَةْ
فَالطَّعْنُ مِنِّي فِي الوَغَى شَرِيعَةْ

ويثلث بآخر

فلما ابطأ الفارسان على دريد ارسل في اثرهما فارسا آخر ، لينظر ما صنع صاحباه . فانتهى اليهما ، فرآهما صريعين ، ونظر الفتى يقود ظعينته ويجرّ رمحه ، فقال له الفارس : خل عن الظعينة ، فالقى الفتى بزمام الناقة الى المرأة التى بداخل الهودج وقال : اقصدى نحو البيوت، ثم اقبل على الفارس وهو يقول :

ماذا تُرِيدُ مِنْ شَتِيمٍ عَابِسٍ (١)
أَمَا تَرَى الفَارِسَ بَعْدَ الفَارِسِ
أَرْدَاهُمَا عَامِلُ رُمْحٍ يَابِسِ

ثم طعنه فصرعه ، وانكسر رمحه .

دريد يذهب بنفسه

ثم ان دريد بن الصمة ارتاب في امر اصحابه الثلاثة ، والوادى قد اخفى الجميع عنه ، وظن انهم قد قتلوا الفتى واخذوا الظعينة . فقال لمن معه من الفرسان : انتظرونى حتى ارى الخبر، ثم ادرك الفتى وليس معه رمح ، وقد اقترب من الحى ووجد اصحابه الثلاثة قد قتلوا ، فقال له دريد : ايها الفارس ، انى اضن بمثلك على القتل. وان الفرسان ورائى سيثأرون منك بأصحابهم ، ولا ارى معك رمحا ، واراك حديث السن فدونك هذا رمحى فانى راجع الى اصحابى ومثبطهم عنك. وفعل دريد ذلك ، ولم يسأله الفتى من يكون ولم يسأل هو الفتى عن اسمه ومن يكون ورجع الى اصحابه قائلا لهم . ان صاحب الظعينة قد حماها . قتل فوارسنا وانتزع رمحى ، ولا طمع لكم فيه فهو شديد البطش ، وقد اصبح الآن بين خيام حيه .

فانصرف القوم ، وقال دريد بن الصمة :

مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ
حَامِي الظَّعِينَةِ فَارِساً لَمْ يُقْتَلِ
أَرْدَى فَوَارِسَ لَمْ يَكُونُوا نُهْزَةً
ثُمَّ اسْتَمَرَّ كَأَنَّهُ لَمْ يَفْعَلِ
مُتَهَلِّلاً تَبْدُو أَسِرَّةُ وَجْهِهِ
مِثْلَ الحُسَامِ جَلَتْهُ كَفُّ الصَّيْقَلِ
يُزْجِي ظَعِينَتَهُ وَيَسْحَبُ رُمْحَهُ
مُتَوَجِّهاً يُمْنَاهُ نَحْوَ المَنْزِلِ
وَتَرَى الفَوَارِسَ مِنْ مَخَافَةِ رُمْحِهِ
مِثْلَ البُغَاثِ خَشِينَ وَقْعَ الأَجْدَلِ
يَالَيْتَ شِعْرِي مَنْ أَبُوهُ وَأُمُّهُ
يَا صَاحِ مَنْ يَكُ مِثْلَهُ لَمْ يُجْهَلِ

اما ربيعة بن مكدم فقد قال في ذلك :

إِنْ كَانَ يَنْفَعُكِ السُّؤَالُ فَسَائِلِي
عَنِّي الظَّعِينَةَ يَوْمَ وَادِي الأَخْرَمِ
إِذْ هِيَ لِأَوَّلِ مَنْ أَتَاهَا نُهْبَةٌ
لَوْلَا طِعَانُ رَبِيعَةَ بْنِ مُكَدَّمِ
إِذْ قَالَ لِي أَدْنَى الفَوَارِسِ مِنَّةً (٢)
خَلِّ الظَّعِينَةَ طَائِعاً لَا تَنْدَمِ
فَصَرَفْتُ رَاحِلَةَ الظَّعِينَةِ نَحْوَهُ
عَمْداً لِيَعْلَمَ بَعْضَ مَا لَمْ يَعْلَمِ
وَهَتَكْتُ بِالرُّمْحِ الطَّوِيلِ إِهَابَهُ
فَهَوَى صَرِيعاً لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ

---

(١) الشتيم : الاسد (١) الاجدل : الصقر (٢) اى اقربهم منًّا وتفضلا على *

ومنحتُ آخرَ بعدَه جيَّاشَةً
نَجلاءَ فاغرةً كشِدْقِ الأعلم
ولقد شفعتُهما بآخرَ ثالثٍ
وأبَى الفِرارَ لِيَ الغداةَ تكرُّمِي

كنانة تأسر دريد بن الصمة

ثم ان بنى كنانة رهط ربيعة بن مكدم اغاروا على بنى جشم رهط دريد بن الصمة فقتلوا منهم واسروا دريد بن الصمة وهم لا يعلمون من هو . واخفى هو نفسه فلم يكشف عن حقيقته . فبينما هو عندهم أسير محبوس جاء نسوة يتهادين اليه ، فلما رأينه صرخت احداهن قائلة : واسوأتاه ، ماذا جرّ علينا قومنا . هذا والله الذى أعطى ربيعة رمحه يوم الظعينة .

ثم ألقت ثوبها عليه وقالت : يا آل فراس ، أنا جارة له منكم،هذا صاحبنا يوم الوادى . فسألوه من هو فقال : أنا دريد بن الصمة فمن صاحبي فيكم ؟ قالت المرأة : انه ربيعة بن مكدم . قال فما فعل . قالت : قتلته بنو سليم ، قال فمن المرأة التي كانت معه في الهودج ؟ قالت : أنا رَيْطة بنت جِذْلِ الطعّان وأنا امرأته .

ردوا جميل دريد

ثم اجتمع القوم وتشاوروا فيما بينهم وقالوا : لا ينبغي أن نكفر نعمة دريد بن الصمة عندنا . وقال بعضهم : والله لا يخرج من أيدينا الا برضا «مُخارق» الذى أسره . فانبعثت ريطة بنت جذل الطعان في الليل فقالت :

سنَجزى دُريداً عن رَبيعةَ نعمَةً
وكلَّ امرئ يُجزَى بما كان قدَّمَا
فإن كان خيراً كان خيراً جزاؤهُ
وان كان شراً كان شراً مُذَمَّمَا
سنَجزيه نُعْمَى لم تكن بصغيرة
بإعطائه الرُّمْحَ السديدَ المُقَوَّمَا
فقد أدركَتْ كفَّاهُ فينا جزاءهُ
وأهلٌ بأن يُجزَى الذى كان أنْعَمَا
فلا تكفروه حقَّ نُعماه فيكمُ
ولا تركبوا تلك التى تملأ الفمَا
فلو كان حيًّا لم يَضِقْ بثوابِه
ذِراعاً ، غنيًّا كان أو كان مُعْدِمَا
ففُكُّوا دُريداً من إسارِ مُخارِقٍ
ولا تجعلوا البُؤْسَى إلى الشرِّ سُلَّمَا

فاصبح القوم وقد اجمعوا على ان يسلموا دريدا الى ريطة . فجهزته ، وزودته ، ولحق بقومه .

ولم يزل ممتنعا عن غزو بنى فراس الى ان مات .

كيف مات ربيعة

اما نهاية ربيعة بن مكدم ، فلها قصة تدل على منتهى الرجولة والبطولة . وقد ساقها أئمة اللغة والاخبار . وفحواها انه وقع بين نفر من بنى سليم بن منصور ، وبين نفر من بنى فراس ، خصومة واشتباك ، فقتل بنو فراس رجلين من بنى سليم بن منصور . ثم وقع صلح ، بان دفع بنو فراس دية القتيلين . ثم انه بعد مدة من الزمن خرج نُبَيْشَةُ بن حَبيبٍ السلمى غازيا مغيرا ، فلقى ظُعُناً من بنى كنانة بالكديد ، ومعها رجلان، احدهما ربيعة بن مكدم ، وكان محمولا في محفة ، لانه كان مصابا بمرض الجدرى . واما الآخر فكان أخاه الحارث بن مكدم ، وقال الحارث : ان هؤلاء جماعة من بنى سليم يطلبون ثأرهم الذى دفعنا ديته من قبل ، فنزل ربيعة من محفته وقال : أنا اذهب حتى أعلم نبأ القوم ، فآتيكم بخبرهم . وامتطى جواده ، وعطفه نحوهم ، فلما سار موليا ظهره لمن معه قالت احدى النساء وهي فيهودجها : هرب ربيعة وقالت اخته: أين تنتهى فَرَّةُ الفتى؟ فعطف ربيعة فرسه وقد سمع قول المرأتين فقال :

لَقَدْ عَلِمْتِ أَنَّنِي غَيْرُ فَرِقْ
لأَطْعَنَنَّ طَعْنَةً وأَعْتَنِــق
أُعْمِلُ فيهمْ حِينَ تَحمَرُّ الحَدَقْ
عَضْباً حُساماً وسِناناً يَأْتَلِقْ

ثم انطلق يعدو به فرسه ، فحمل عليه بعض القوم من بني سليم . فاستطرد له ربيعة . وانفرد به رجل من القوم ، فقتله ربيعه ، ثم رماه احدهم بسهم او طعنة فاصيب بجرح ، فلحق بالظعن وهو يسيل دمه ، حتى انتهى الى امه ام سيار فقال :

شُدِّي عَلَيَّ العَصْبَ أُمَّ سَيَّارْ
فَقَدْ رُزِيتِ فارساً كالدِّينارْ
يَطْعَنُ بالرُّمْحِ أَمامَ الأَدْبارْ

فقالت امه :

إنَّا بَنِي ثَعْلَبَةَ بنِ مالِــــكْ
مُرَزَّءٌ خِيارُنا كَذَلِــــكْ

وشدت امه عليه عصابة. فاستسقاها ماء فقالت له امه : ان شربت الماء الآن مت . فاذهب الى القوم وكرّ عليهم .فكرّ راجعا يشد عليهم ويدفعهم، والدم يسيل منه ، حتى ضعف ، فاقبل على الظعن وقال : اسرعن نحو الحي حتى تصلن الى منازلنا ، فاني صائر الى الهلاك ، وسوف اقف دونكن لهم على العقبة واعتمد على رمحى ، فلن يقدموا عليكن . ففعلن ذلك واسرعن في سوق ابلهن حتى بلغن مامنهن ، اما ربيعة ، فكان قد اوقف فرسه ، واعتمد وهو فوقه على رمحه ، وفاضت روحه ، او صار في النزع ، والقوم ينظرون اليه، ولا يستطيعون ان يقدموا عليه . وقال نبيشة بن حبيب السلمي : انه مائل العنق ، وما أظنه الا قد مات . ثم امر رجلا ان يرمى الفرس بسهم ، فرماها ، فقمصت وتحركت من مكانها ، فوقع ربيعة عنها وهو ميت.ورجع القوم ، وقد فاتهم الظعن . . وكان اخوه الحارث قد تاخر قليلا ليمنع وصول القوم اليهن فادركوه وقتلوه .

رثاء الشـــعراء

وعرف الناس خبر ربيعة ، وانه حمى النساء حيا وميتا . ولم يفعل ذلك احد قبله ، وقد رثاه بعض الشعراء ، منهم عبد الله بن جذل الطعان وكعب بن زهير . وحسان بن ثابت او غيره . ومما قالته اخته ترثيه

أَبْكِي على هالِكٍ أَوْدَى وأَوْرَثَنِي
بعدَ التَّفَرُّقِ حُزْناً بعدَهُ باقِي
لو كان يَرْجِعُ ميتاً وَجْدُ ذي رحِمٍ
أَبْقَى أخِي سالماً وجْدِي وإشفاقي
لو كان يُفْدَى لكان الأَهْلُ كلُّهمُ
وما أُثَمِّرُ من مالٍ له واقِــي
لكنْ سِهامُ المنايا من نَصَبْنَ له
لم يغْنه طِبُّ ذي طِبٍّ ولا رَاقِي
فاذْهَبْ فلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ من رجلٍ
لاقَى الذي كلُّ حيٍّ مثْلَه لاقِي
فسوفَ أبكيكَ ما ناحتْ مُطَوَّقَةٌ
وما سَرَيْتُ مع السارِي على ساق

ومما قاله عبد الله بن جذل الطعان :

حَلَّى على رَبيعةَ بنُ مُكَـــدَّمٍ
حُزْناً يكادُ له الفُؤادُ يَــزولُ
فإذا ذَكَرْتُ ربيعةَ بنَ مُكَدَّمٍ
ظَلَّتْ لِذِكراه الدُّموعُ تَسيلُ

حقا ان ربيعة بن مكدم فتى جدير بالرثاء ، وقد برز اسمه في فلك الابطال ، فصار نجما شديد اللمعان . ■■

عبد الستار احمد فراج

دراسة نفسية

اليمين و اليسار

بقلم : محمود محمود

■ شاع اخيرا استخدام لفظتى اليمين واليسار للتعبير اجمـــالا عن موقفين مختلفين فى السياسة والاجتماع ،موقف المحافظة على القديم ، وموقف الميل نحو الرأى الجديد . ومن ثم فاليمين يتسم بالجمود ، واليسار يتصف بالتقـدم ، اليمينيـون محافظـون . واليساريون تقدميون، الاولون لا يميلون الى التغيير، والآخرون يريدون احداث التغيير .

واود في هذا المقال أن أضع حدودا فاصلة وفروقا واضحة بين اليمين واليسار ، وان كانا كثيرا ما يختلطان ويشق تمييز احدهما عن الآخر . وتقوم هذه الدراسة على أساس من علم النفس وضع خطوطه العريضة الأستاذ فلوجل Flügel العالم النفسانى المعروف ، الذى يحاول أن يطبق قواعد التحليل النفسانى الحديث على المشكلات السياسية والاجتماعية .

نلاحظ بوجه عام أن كل بلد ديمقراطى لا بد أن ينشأ فيه حزبان متعارضان ، أحدهما يميل الى سرعة التحول الاجتماعى ، والى رفع مكانة عامة الناس ومحو الظلم الذى حاق بهم قرونا طويلة ، ونقل السلطة من ايدى أفراد قلائل الى الجمهور العريض ، والغاء الامتيازات الاجتماعية والسياسية بانواعها كافة ، واذابة الفوارق بين الطبقات ذاتها وصهرها جميعا في طبقة اجتماعية واحدة . اما الحزب الآخر فيتمسك عادة بالتقاليد السائدة . وبما هو قائم فعلا ، مما كان ــ في ظنهم ــ نتيجة للتجارب السابقة ولخبرة السنين السالفة ، وبحصر السلطة في طبقة معينة تتميز عن غيرها في الثراء والمستوى الاجتماعى ، لأنها تتميز ــ في رأيهم ــ عنصرا وقدرة وذكاء . ومن ثم فهؤلاء يرون أن الطبقات نظام طبيعى لا غنى عنه لحفظ كيان المجتمع .

هذان الاتجاهان من التفكير ــ التقليد والتجديد ــ لا ينحصران في شئون السياسة والاجتماع ، وفي الآداب والفنون وحسب ، وانما يمتد تأثيرهما الى الأفراد أنفسهم ، ويكاد كل فرد على حدة أن يكون اما محافظا أو تقدميا طبقا لميله الطبيعى وأثر التربية فيه .

- ضربان متعارضان
- محور التقليد والتجديد
- الزعامة والجماعة
- الأسـرة
- التربية والنظام
- الحركة النسائية

- الجنس
- القومية والعالمية
- نظام الطبقات
- الاخلاق التقليدية
- الديـن
- حق الملكية

وقد دلت الاحصاءات التى قام بها الباحثون في علم النفس التجريبى على وجود عامل نفسي يسمونه « محور التقليد والتجديد » يحدد موقف الفرد في عدة ميادين قد تبدو لأول وهلة متباعدة لا يربطها رابط من منطق ، ولكنها في واقع الأمر تترابط في انماط اجتماعية وسياسية معروفة . وهـذه الميادين تتعلق في الأغلب بالدين ، والسياسة والاقتصاد ، والجنس ، والعقوبة ، والتربية . المجددون في هذه المجالات غير متزمتين في الدين ، تقدميون في السياسة أو دعاة للدولية أو العالمية لا يتشبثون بالقوميات ، يميلون الى الاشتراكية في النظام الاقتصادى ، متحررون في العلاقات الجنسية ، اكثر ميلا نحو تخفيف العقوبات والى الحرية في نظام التعليم . وعلى النقيض من كل ذلك تماما يقف المحافظون .

وعندما نريد تصنيف الأفراد وفقـا لهذين النمطين نجد أن قلة منهم تنتمى الى النمط الاول، وقلة مثلها تنتمى الى النمط الثانى . اما الكثرة الغالبة فهم افراد عاديون لا يتطرفون الى اليمين او الى اليسار .

ولا يكفى العالم النفسانى أن يقف عند هـذا الحد من التقسيم ، ولكنه يتساءل : لماذا تميل مجموعة معينة أو فرد معين نحو اليمين أو اليسار؟ هناك بالتأكيد عوامل التاريخ والتقاليد الموروثة ، ولكنها عوامل اجتماعية بيئية لا بد أن يكون وراءها تأثير نفسانى أعمق . وهنا يقول علماء التحليل النفسانى ان هذا التأثير مرده الى العلاقة الأبوية البنوية . أصحاب اليمين كانوا في طفولتهـم يخضعون لسيادة الآباء (أو من يقوم مقامهم) ويطيعونهم طاعة عمياء ، يعجبون بمسلكهـم ويتشبهون بهم ، ثم يطبقون هذه العلاقة على العالم الخارجى ، ويجعلونها مثلا عليا ، أساسها كلها التقليد والمسايرة ، يحتذونها في كل عمل يقومون به . اما أصحاب اليسار فهم أولئـك الذين كانوا يحاولون شق عصا الطاعة علـى الآباء وأولياء الامور في باكورة حياتهم ، ويضعون رأيهم فوق آراء هؤلاء ، ومثلهم الذاتية أعلـى من مثلهم وأسمى من السائد المألوف .

وسأحاول فيما يلى أن أحلل تفصيلا موقف التطرف يمينا أو يسارا في بعض مجالات الحياة:ـ

١ ـ الزعامة والجماعة :

ان زعيم الجماعة او القبيلة أو الأمة هو من

وجهة نظر التحليل النفسي بديل عن الابوين او عن الوالد بصفة خاصة ، ومن ثم فهو محوط بالمشاعر التى يحسها الطفل في بداية حياته نحو ابويه . ونستطيع ان نقول ان الزعيم بالنسبة الى شعبه كالأب بالنسبة الى ابنائه ، يشعرون نحوه بعواطف متناقضة : الحب والولاء والاحترام من ناحية ، والحقد والبغض والتمرد من ناحية اخرى . ويؤدى هذا الازدواج في الشعور عادة اما الى ولاء اجماعى من الابناء او الى تعصب عام يتخذ شكل التمرد والثورة ضد الكبار والشيوخ في حالة الأسرة ، واستبداد الحكم في حالة الدولة . فاذا ما اشتد هذا الشعور بالكراهية فانه حتما يؤدى الى عزل الحاكم الذى يمثل الأب . وهذا هو اساس نظرية فرويد الشهيرة التى تزعم ان الاخوة عصبة تشترك في محاولة تجريد الأب من نفوذه . وقد كانت هذه الظاهرة النفسية باعثا لكثير من البحوث العلمية والقصص الادبية ، ومنها ما كتبه هوبكنز تحت عنوان « الآباء والأبناء » . وليس نداء الثورة الفرنسية المعروف « الحرية والاخاء والمساواة » سوى صرخة من الجماعات التى تمثل الأبناء في وجه الملك(او الزعيم) الذى يمثل الآباء لازالة التسلط الذى يقع على الصغار من الكبار .

وموقف اليمينيين من الزعيم يطابق موقف الولاء من الأبناء نحو الآباء او من يقوم مقامهم ، وموقف اليساريين يمثل التآمر الجماعى من الأبناء ضد الآباء او الكبار بوجه عام . ولما كان هذان الموقفان من طبيعة النفس البشرية كان لا بد من قيام الأحزاب التى تؤيد وجهة النظر الاولى او الثانية، ويتجمع حولها من تغلب عليه هذه النزعة او تلك. ولو تدبرنا التاريخ تبين لنا انه يسير في دورة دائمة من الاستبداد الى الثورة ، ومن الثورة الى الثورة المضادة ـ اى من نفوذ الأب او الزعيم الى عصيان الأبناء او الشعب ، ومن العصيان الى الخضوع مرة اخرى .

واحب في هذا الصدد ان انبه الى ان معنى اليمين هنا غلبة الولاء للزعيم ولما يمثله (او احيانا لحفنة من السادة حينما يسود النظام الارستقراطى) على الولاء للجماعة التى تتماسك في سبيل الخضوع لقائدها . في حين ان الاتجاه الأساسى في حالة اليسار هو نحو الجماعةوالاخوة في نطاق المجموعة ، وليس القائد في هذه الحالة من طينة اخرى غير طينة الجماعة ، وانما هو على حد التعبير المعروف « الاول بين اقرانه » ، وجوده لازم لحاجات التنظيم الاجتماعى كما هو لازم لضرورة نفسية تدعو الى وجود شخصية تمثل الأب يخضع لها الناس ويؤدون لها الاحترام .

٢ ـ الأسرة :

يرتبط نظام الأسرة في اغلب الاحيان بنفوذ الأب ومحاولة الابناء ان يتحللوا من هذا النفوذ ،وذلك بفرارهم من دائرة الأسرة الضيقة الى المجتمع الأرحب الذى لا يكون نفوذ الأب فيه ملموسا . وقد يحدث ان يتعارض الولاء للأسرة في مقتبل العمر مع الولاء للمجتمعات الأوسع مجالا . ولعل هذا التعارض هو الذى حمل المفكرين المؤمنين بضرورة تقوية نفوذ الجماعة من عهد افلاطون وما بعده على النظر الى نظام الأسرة بعين الريبة ، والى الحد من سلطانها الذى يعدونه منافيا لنظام الجماعة .

ليس من شك في ان الأسرة وحدة بيولوجية اجتماعية ، الا ان الانسان يستطيع بطبيعته ان يستبدل بهذه الوحدة وحدات اجتماعية اخرى . ومن ثم تفاوتت أهمية الاسرة من عصر الى عصر ومن ثقافة الى اخرى ، ومرت طبقا لما يراه بعض علماء الانثروبولوجيا بأربع مراحل :

في المرحلة الاولى او المرحلة البدائية تؤلف الأسرة البيولوجية الوحدة الاجتماعية الضرورية في مجموعة من السكان متناثرة ليس بين افرادها رابط . ومن اجل هذا كان نفوذ الأب باعتباره رب الأسرة عظيما جدا . وفي المرحلة الثانية تحل القبيلة محل الأسرة ، ويتنزل الأب عن سلطانه الى مجموعة من الشيوخ كبار السن هم الذين يتزعمون القبيلة . وبتقدم الثقافة وازدياد السكان ينتقل النظام الاجتماعى الى المرحلة الثالثة . في هذه المرحلة تبقى الأسرة البيولوجية وحدة صغيرة داخل وحدة اكبر هى الدولة . وهنا يعود الأب الطبيعى مرة اخرى الى الوحدة الصغيرة ربا لأسرته ويعود له شيء من نفوذه القديم . ونحن نعيش اليوم في مرحلة التحول من هذا النظام الى النظام الأحدث ـ او المرحلة الرابعة ـ حيث يميل الفرد

تدريجا الى أن يربط ولاءه وواجباته ومزاياه الشخصية بالمجموعة الاجتماعية الكبرى ـ بالانسانية عامة ـ اكثر مما يربطها بالأسرة او القبيلة او الدولة . وهذه المجموعة الاجتماعية الكبرى سوف تشمل في المستقبل القريب أو البعيد الجنس البشرى بأسره . وعندئذ يزداد استقلال الفرد مع انتمائه الى اخوانه في البشرية جميعا وينكمش نفوذ الأسرة كما نعرفها ونفوذ الأب بطبيعة الحال.

ومن اليسير أن نتبين في الوقت الحاضر بعض المؤثرات التى تعمل في هذا الاتجاه ، ومنها الاقتصادية التى نلمسها في ميدان الصناعة ، والسياسية التى تتمثل في الاشتراكية والشيوعية والفاشية التى تخلق أنظمة جديدة تبتلع نظام الأسرة لينتمى اليها الشباب ، والثقافية التى تتخذ وسيلتها الكلمة المطبوعة والاذاعة وافلام السنما ، ونقدم سبل المواصلات التى تزيل الحواجز بين الوحدات الاجتماعية الصغيرة .

ومن اليسير أيضا أن نرى أن الفكر اليسارى يحبذ هذا الانتقال ، وان الفكر اليمينى يعارضه على وجه الاجمال ، ومن ثم فهو يعزز نظام الأسرة الطبيعية . ونستطيع بمعونة البحوث النفسية أن نتبين أن تحقيق ما يسمونه « الذات العليا » (التى تسمو على الذات) لا يتم ـ في نظر أهل اليمين ـ الا اذا تمثل في الفرد على صورة «الأب» البدائى ، في حين ان اليساريين يرون أن هذه « الذات العليا » لا تتحقق الا « باسقاطها » على الجماعة . ولما كانت فئة من اليساريين تؤمن باهمية الفرد مستقلا عن الجماعة فان هذه الفئة تضع « الذات » فوق « الذات العليا » .

ونستطيع اجمالا أن نقول ان المرحلتين الثالثة والرابعة تمثلان الميل نحو اليسار بعد المرحلة السابقة التى كان يسودها اليمين .

٣ ـ التربية والنظام :

هنا يظهر بصورة واضحة النزاع بين الابن والأب ـ بين « الذات » و « الذات العليا » في حدود تعابير علم النفس التحليلى . اليساريون في هذا النزاع يؤيدون الطفل ويتخذون جانبه ، واليمينيون يؤيدون الأب ويدعون الى تعزيز نفوذه. الاولون لا يفتأون يتشدقون بمزايا الحرية في التربية ، والآخرون يمجدون النظام والشدة . وهذه النظرة الى مركز السلطة بوجه عام تنعكس في موقف كل من الطرفين ازاء طريقة معاملة الطفل في البيت والمدرسة ، ومعاملة السجين المخالف للقانون . ويوجد من علماء النفس من يرون أن هناك مركبا لدى المرء يدفعه الى حب الايذاء ـ أو الى حب توقيع العقوبات على الآخرين ـ ويسمونه مركب أو عقدة بوليكراتس نسبة الى الحاكم اليونانى المستبد المعروف في التاريخ ، وهؤلاء يخشون أن يؤدى اى تهاون في النظام ، أو تخفيف العقوبات ، أو ازالة العقبات ، الى انحلال المجتمع . وهذا الخوف من الانحلال يلعب دورا هاما في تحديد موقف اليمين من كل مشكلة ترتبط بصرامة النظام وضرورة العقوبة ، في حين أن موقف اليسار يتأثر بالاعتقاد في الميل التلقائى عند الانسان نحو حب « فعل الخير » .

٤ ـ الحركة النسائية :

في هذا المجتمع الابوى الذى نعيش فيه نجد أن السلطة تتركز اساسا في أيدى الذكور ، كما نجد ان الأب هو المثل الذى يحتذى والذى يمثل « الذات العليا » . ومن ثم كان النساء ـ كالاطفال وان يكن بدرجة أقل ـ في المحل الثانى في المجتمع. وللاحتفاظ بكيان الاسرة وبنفوذ الأب المطلق كانت عفة المرأة أمرا لا بد منه لضمان شرعية الأطفال ، ولارضاء رغبة الزوج في التملك، وللابقاء على قدسية الحياة المنزلية . ومن أجل هذا كان أهل اليمين يميلون الى معاملة النساء معاملة غير كريمة لا تقوم على أساس المساواة مع الرجل، وكثيرا ما يتستر الرجال في تبرير هذا السلوك وراء فكرة حماية المرأة من الأخطار . أما أهل اليسار فيميلون الى معاملتهن كافراد لهم حق المساواة مع الرجال . وتنبع الحركة النسائية اساسا من حب المرأة لابراز «ذاتها» يعاونها في ذلك الرجال الذين يرون في اخضاع المرأة مظهرا من مظاهر النفوذ الابوى الغاشم ، والذين يحتجون على الحقوق الجنسية التى يحب الأزواج ان يستأثروا بها مع زوجاتهم ، وهى حقوق قائمة ـ في ظنهم ـ على أساس واه من عقدة اوديب .

٥ ـ الجنس :

وتقودنا هذه النقطة الأخيرة بطبيعة الحال الى الحديث عن الجنس . لما كان كثير من المحرمات الكبرى يتعلق بالجنس على صور مختلفة في سن الصبا ، والمراهقة ، والرشد ، فانه من الطبيعي ان يسعى ذوو النفوذ في المجتمع الى الابقاء على هذا التحريم ، وان يسعى المعارضون الى انكاره. ومن ثم كان اليساريون في آرائهم يدعون الى مزيد من الحرية الجنسية ، والى وضع قانون جديد ينظم العلاقات الجنسية على أساس من العقل المطلق الذى لا يتأثر بعاطفة أو تقليد قديم . غير ان المحرمات الجنسية ترجع في الواقع الى جذور عميقة في الطبيعة البشرية ، ولذا فان الدعوة الى التحرر منها لا تلقى قبولا الا لدى المتطرفين من اليساريين وحدهم . ومن أجل هذا فانا نجد ان اعداء الاشتراكية والشيوعية يشيرون دائما في برامجهم الى تمرد اليساريين على العلاقات الجنسية المشروعة ويكتسبون في دعواهم تأييد الجماهير . في حين ان اهل اليسار يشعرون فعلا بالحرج عندما يحاولون ان يدفعوا عن انفسهم هذه التهمة أو ان يصارحوا الناس بحقيقة ما يرونه فيما يسمونه « اصلاح العلاقات الجنسية » . وقد يستجمعون شجاعتهم ويقفون موقف المصلحين في الشئون الجنسية ، فيعبرون صراحة عن آرائهم اليسارية التى لا تتمشى مع ما الفه الناس . وعندئذ يجتذبون الى جانبهم كثيرا من الافراد الذين ملئوا شرح الاشتراكية والشيوعية على اسس اقتصادية بحت ، وبعض اليساريين يخفون عقائدهم لكى لا يفقدوا عطف الجماهير . ولو سبرت غورهم تبين لك مدى ايمانهم بالتحرر من قيود الجنس ، وكل ما يمت اليه بصلة في امور الطلاق ، وتحديد النسل ، والعلاقات الزوجية ، والاجهاض وغير ذلك من الموضوعات التى يختلف الرأى فيها باختلاف درجات الايمان بالحريات الجنسية .

ويرى الدكتور فلوجل العالم النفسانى المعروف ان المرء يميل بطبيعته في كثير من الاحيان الى الحرمان والى التحريم ، ويجد لذة نفسية في الامتناع عن المتع الحسية بصورها كافة. وتأسيسا على هذا الميل يبشر اليمينيون بالقيود الجنسية وبالتحريم في كثير من شئونه ، ويجدون من مجموع الناس استجابة لهذه الدعوة ، ويرون في استهتار اليساريين في هذا المجال عودة الى الهمجية الاولى والى تحطيم المجتمع وقواعد الاخلاق والمتع البريئة التى يقودها الانسان المهذب بتمسكه بكثير من محرمات الجنس .

٦ ـ القومية والعالمية :

في هذه المرحلة من تاريخ الانسان تمثل القومية مكانة كبرى في مجال السياسة . وتعزز هذه القومية تقاليد قديمة عميقة الجذور ومدارس فلسفية ظهر اكثرها في القرن الماضي ، ومقتضيات التطور الاقتصادى والاجتماعى التى القت مسئولية كبرى على عاتق الدولة ، وذيوع الرموز القومية (كالاعلام ، والعملة ، وطوابع البريد ، والازياء الرسمية ، والاناشيد الوطنية ، الى غير ذلك) . وطبيعى تحت هذه الظروف ان يقف الى جانب الدولة اولئك الذين يضعون ثقتهم في السلطات القائمة باعتبار الدولة دعامة قوية للاخلاق والنظام . ويقول علماء التحليل النفسانى ـ فوق هذا ـ ان الدولة او القطر الذى ينتمى اليه الفرد تلقى من اللاشعور قبولا حسنا لان الدولة ترمز الى علاقة الطفل بابيه ، بل لقد شاعت في اللغة عبارات تشير الى هذه العلاقة كقولنا « بلد الآباء » وما شابه ذلك في اللغات الاجنبية مثل Fatherland و Motherland وكلمة Patriotism (الوطنية) ذاتها ترجع في اشتقاقها الى كلمة Pater باللاتينية ومعناها الأب . ومن ثم كان من اليسير على النفس البشرية ان تنقل ولاءها المبكر وطاعتها للابوين الى الدولة. وحينما يدعو الداعى الى القتال او الاستشهاد في سبيل الوطن يشعر المرء انه انما يقاتل أو يستشهد في سبيل الدفاع عن شخصية يكبرها ويعزها وعن نظام اجتماعى يستمد العطف عليه من احلال الولاء له محل الولاء للآباء ، والدفاع عن الوطن محل الدفاع عن الاعراض . ولا عجب اذن ان نخرط في سلك الخونة كل من يتخاذل من « ابناء » الوطن في سبيل الدفاع عن بلد « الآباء » . والتمرد هنا تمرد على سلطة من السلطات القوية التى نخضع لها بحكم التقاليد . والقلائل الذين يتمردون ، الذين يفرون من الجندية مثلا او خدمة الجيش أو اظهار الشعور على الاقل نحو

مصلحة الوطن ينقسمون طوائف أربع . فهم اما من أولئك الذين يعتمدون اساسا وقبل كل شيء على ضميرهم الشخصي الذي يوعز اليهم عدم التعرض للحروب على أية صورة من الصور ، واما من أولئك الذين يدركون ادراكا عميقا ذلك التناقض القائم بين ما تدعو اليه الاديان من السلام وبين استخدام القوة الغاشمة في الحروب والعدوان ، واما من أولئك الذين يجدون في « شعورهم الطبقي » أو ما يشبهه من الشعور بالولاء لجماعة معينة بديلا عن الولاء للدولة ـ وهو ولاء يدفعهم الى توجيه محبتهم أو كراهيتهم في اتجاهات اخرى غير ما يتجه اليه الوطنيون المتحمسون ، واما من اولئك الذين يربطون بين مثلهم العليا وفكرة الانسانية عامة ، فينظرون الى الناس جميعا باعتبارهم اخوة لهم يحبونهم كما يحبون افراد اسرتهم .

وتتداخل نزعات هذه الطوائف الاربع بطبيعة الحال . وليس معنى حب السلام ـ وبخاصة عند اولئك الذين ينتمون الى الفئة الاولى أو الثانية ـ انعدام الرغبة في الاعتداء ، بل انهم كثيرا ما يعتدون في سبيل اغراض اخرى غير الغرض الوطني . غير ان موقف هؤلاء جميعا على اية حال يمثل محاولة للحد من السلوك العنيف مما يتمشى مع تقاليد الديانات السماوية الكبرى وفلاسفة الاخلاق على مر العصور .

وهؤلاء في المجتمع أقلية ملحوظة ، لأنهم انما يقاومون ميلا خلقيا ثابت الجذور في الانسان يدفعه الى حب العدوان.ومن ثم فهم لا يستطيعون أن يعبروا عن آرائهم الا ان كانوا من العصاة المتمردين ـ او من اليساريين في حدود التعابير السياسية الحديثة . بيد انا يجب الا ننسى ان هذه القلة من الناس ـ حتى ان كانت شاردة متمردة ـ تعتنق رأيا ينفع المجتمع في تطبيقه . مثلهم العليا تستند الى المنطق البحت الذي لا تستسيغه الكثرة من الناس ، ومن ثم كانت مجاهرتهم بالرأى الصريح اعتداء على مشاعر الجماهير التى تنزع بطبعها الى العدوان .

اما اولئك الذين ينتمون الى الفئة الثالثة ، الذين يقوى لديهم « الشعور الطبقى » ، فهم عادة لا يحاولون اخفاء حبهم للعدوان ولكنهم أشبه بعصبة من الاخوة المتمردين على ابيهم ، وهذا العدو الذى يوجهون اليه سخطهم ليس عدو البلد الذى ينتسبون اليه ، انما هو طبقة معينة من المجتمع الذى يعيشون بين ظهرانيه مثل طبقة الراسمالية او غيرهم من الطغاة . وافراد هذه الفئة لا يصادقون ولا يعادون طبقة من الطبقات في حدود الوطن الذى يعيشون فوق ارضه ، وانما تمتد صداقتهم أو عدوانهم الى طبقة ما بجميع افرادها في جميع الاوطان . ومن ثم فانهم برغم تقسيمهم المجتمع الى عدو وصديق ، يمدون مشاعرهم هذه عبر حدود الوطن . فهم الى العالمية اقرب منهم الى الوطنية في ميولهم . ومن اجل هذا كانوا بين افراد امتهم من بين أهل اليسار الخارجين على التقاليد الوطنية .

اما الفئة الرابعة . من محبى الانسانية عامة ـ ولعلها اقل الفئات افرادا ، برغم اتفاق اتجاهاتها مع ما تنادى به الاديان السماوية ـ فهى ترى في « الجنس البشرى » وفي الاتجاه « الدولى » علاقة الاخوة الصحيحة ، فالعالم بأسره اسرة كبرى تنقسم الى مجموعة من الأسر الصغرة تتمثل في القوميات ، التى ينبغى أن تتبادل المحبة وكأنهم افراد قبيلة واحدة لها زعيم او اب واحد اكبر ، هو اشبه « بالاب السماوى » الذى يستطيع أن يمنح المرء من الحماية ما لا يستطيع أن يمنحه « الأب الانسانى ». وهؤلاء أيضا لا يمثلون القومية المتعصبة التى يعتنقها اليمينيون المحافظون .

٧ ـ نظام الطبقات :

الطبقات الاجتماعية القائمة ـ شأنها شأن القوميات القائمة ـ تبعث على الطاعة والولاء لها نظرا لدوامها وثباتها وتقاليدها القديمة . غير ان الطبقات تختلف عن القوميات (أو الدول) في انها وحدات غير معروفة الحدود ، نهاياتها مائعة يمكن تخطيها والانتقال من طبقة الى اخرى اعلى منها اذا كانت لدى المرء المهارة في تسلق السلم الاجتماعى ـ اللهم الا اذا كان النظام صارما كنظام المنبوذين في الهند . وهذه الحدود المائعة يمكن ـ فوق ذلك ـ في الحضارات المعقدة المتقدمة ان تتقاطع مع حدود فئات اجتماعية عديدة اخرى ، مثل الجمعيات والنقابات التى لا حصر لها ، والاحزاب السياسية ، والروابط المهنية وغيرها ـ

مما يشحذ في اكثر الناس قدراتهم ومذاهبهم ومواردهم . ثم ان الاعتماد المتبادل بين الطبقات التي ينقسم اليها سكان بلد من البلدان اوضح بكثير منه بين الدول المختلفة التي قد تستطيع ان تكتفي بذاتها . فالطبقات قطعا اقل اكتفاء بذاتها واضعف شمولا من القوميات . وهذه الحقائق مجتمعة تجعل دوام الولاء للطبقة اشد عسرا منه للقومية . وحرب الطبقات اقل شراسة من حروب الدول . فاذا ما احتدم نزاع بين القومية والطبقية انتصرت القومية عادة ، وتكف الطبقات عن الشحناء فيما بينها ازاء اى خطر واهم يهدد كيان الدولة .

وبرغم هذه الفوارق الماثلة بين الطبقات فان الطبقة العليا يمكن ان تقوم مقام الأب المتسلط أو تمثل « الذات العليا » كما تفعل الدولة تماما. ومن اجل هذا فان أهل اليمين يميلون الى ان ينظروا الى الطبقة الحاكمة باعتبارها تجسيدا لمثل اعلى تجب طاعته وتمجيده والسعي الى بلوغه . في حين أن أهل اليسار ينظرون اليها باعتبارها سلطة ظالمة يجب تحطيمها وازالتها . غير ان المطابقة بين الفرد وطبقة معينة والتسليم المطلق لاتجاهات هذه الطبقة وما يترتب عليه من شعور بالايثار ، والاستمتاع بهذا الشعور ـ كل هذا يلعب دورا هاما في احترام الطبقات العليا وتعزيزها من جانب اولئك الذين لا ينتمون بالفعل اليها ، كما يبدو احيانا من تفاخر واعتزاز وتعال من جانب توابع هذه الطبقات المتملقين بها ، ومن جانب الصحف التى تحفل باخبار علية القوم . وبالرغم من ان التفاخر بمزايا الغير أمر يدعو الى السخرية الا انه لا شك عنصر من عناصر الاستقرار في المجتمع ، وقد يؤدى وظائف اجتماعية معينة لا يتسنى اداؤها في جو آخر . يقول ماكدوجل « ان المحور الاجتماعى يحل احيانا محل المحور الرسمى » فيخلص الناس ـ الى حد ما ـ من الطاعة الصارمة للرؤساء والبيروقراطيين ، وان تكن هذه الطاعة تقوم احيانا على منطق اكثر سدادا من منطق التبعية أو طبقة ما . ويقول احد علماء النفس انك قد تجد في البلاد الديمقراطية . « شعبا فيه ارستقراطية يفخر بها ، ولا تجد ارستقراطية لها شعبها » ونجاح مثل هذا التركيب الاجتماعى يعنى بالطبع ان الارستقراطية مشبعة بقدر من الاحساس بالمسئولية وروح النبل التى تدفع الى اداء الواجب . واختفاء هذه الروح هو الذى ادى الى سقوط الارستقراطية في فرنسا وروسيا وغيرهما من الدول ، لان الطبقة العليا المتحلة لا تقوم في هذه الحالة مقام « الذات العليا » . وبالرغم من هذا فان وجود طبقة عليا توحى بالاعجاب والتقدير (حتى ان كان ذلك على غير اساس من العقل) يشبع فينا الميل الى ارضاء « الذات العليا » فنمسي من أهل اليمين،في حين ان المجتمع اللاطبقي ـ وهو هدف اليساريين ـ يمثل ، بقدر المستطاع ، تحقيق ما يهدفون اليه من تحقيق الاخوة والمساواة التى يزول فيها التسلط الأبوى المتخلف في نفوسنا من الطفولة بطريقة ترضى عنها الجماعة .

٨ ـ الاخلاق التقليدية :

ان الاخلاق العرفية ـ بل والعرف عامة ـ تمثل التقاليد الشائعة في مجتمع من المجتمعات ، كما تصور « الذات العليا » التي ينتقل الايمان بها من الآباء الى الابناء . فلا غرو ـ مع هذا ـ أن يثور اليساريون ـ في كل ما جل أو دق ـ ضد هذه السلطة التقليدية ، وان يعبروا عن انفسهم بالاستهانة بالعرف السائد ، فهم لا يابهون بارتداء الازياء الشائعة او مراعاة المجاملات المعروفة . ولما كانت العلاقة وثيقة بين مراعاة مواضعات المجتمع والاخذ بمحللاته ومحرماته من ناحية ، ورغبة الحفاظ على التمييز الطبقى من ناحية اخرى ، فان أهل اليمين يميلون بطبيعة الحال الى تأييد العرف وتعزيز التقاليد .

٩ ـ الدين :

لما كان الاله او (الآب) كما يسميه المسيحيون أحيانا هو أعظم من يمثل « الذات العليا » كانت معصيته هي اكبر المعاصي . لذلك كان من الواضح أن يتمسك اليميني بدينه ، وأن يثور عليه اليسارى ، وان تكن ثورته لا يمكن أن تخلو من الشك ، لان الاحساس ، بالذنب يلح عليه دائما والايمان بالعقوبة والمثوبة أمر لا يتمرد عليه حتى اكبر المثقفين من غير المؤمنين . كما ان الالحاد قد يقود صاحبه في بعض الظروف الى الاعتماد المطلق على « ذاته العليا » الخاصة به وهي

اشد صرامة من « الذات العليا » التى يمثلها الاله الاعظم . وتاريخ الانسان يدلنا على ان المرء اذا تخلى عن العقيدة الدينية التقليدية بحث عن بديل لها عاطفى لضرورة الايمان النفسية على اية صورة من الصورة ، فقد يؤمن بدين الانسانية او بغير ذلك من العقائد الدنيوية السابقة . وهو في طاعته للدولة او للحزب يجد احيانا بديلا له عن الدين ، وفي ايمانه بكتاب مثل « كفاحى » لهتلر او « رأس المال » لكارل ماركس يستبدل بالكتاب المقدس السماوى كتابا مقدسا من وضع الانسان .

ومن هذا يتضح ان اليسارية المطلقة في العقائد الدينية تكاد ان تكون امرا مستحيلا .

١٠ ـ حق الملكية :

اشرنا من قبل الى ان اصحاب الملكية (وبخاصة في المجتمعات التى تقدرها قدرا كبيرا) يميلون بطبيعة الحال الى ناحية اليمين ، الى ان يكونوا اشد محافظة من اولئك الذين لا يملكون ، فان لديهم ما يفقدونه اذا تغير نظام الحكم . اما الاخرون فيتولد لديهم الامل ـ اذا حدث انقلاب في الحكم ـ في رفع المستوى وتحسين الحال . ثم ان الملكية في المجتمعات الرأسمالية ـ فوق ذلك ـ تزيد من القيمة الاجتماعية لصاحبها . بل لقد ينظر في هذه المجتمعات احيانا الى الشخص « المعدم » الذى لا يملك موردا للعيش على انه يرتكب جرما يستحق عليه العقاب . ولا تفكر هذه المجتمعات في ان وجود امثال هؤلاء المعدمين عيب اجتماعى على الدولة ان تعالجه .

ان صاحب « راس المال » يمثل ـ من الوجهة النفسية ـ الاب في الاسرة ، له احترامه وله سلطانه . وهو الذى يثور عليه من لا يملكون او من يفتقرون الى المزايا التى ينعم بها المالكون . فالراسمالى اذن ـ من وجهة نظر بعض علماء النفس ـ يهدف الى ان يمثل دور الاب لغيره من الناس ، في حين ان الشيوعى يهدف الى الاخوة والى المساواة بين الناس اجمعين . غير انه من الواضح ان التطابق ليس كاملا بين الوضع الاقتصادى والاجتماعى من ناحية والميل نحو اليمين او اليسار من ناحية اخرى ، وذلك لان هذا الميل لدى اى فرد يحدده موقفه في ميدان او اكثر من الميادين التى عرضنا لها من قبل . كما ان المرء قد يطابق الى حد كبير بين نفسه وبين المجموعة التى لا ينتمى اليها حتى في المجال الاقتصادى ، كأن يكون من الفئة الممتازة ويتكون لديه احساس بالذنب لانه يمتلك اكثر مما يمتلك الاخرون ، اى انه ظالم لغيره (وهو ميل آخذ في الشيوع لحسن الحظ في هذه الايام) ، وقد يكون الشخص من المعدمين ولكنه يتأثر بما يسمونه في علم النفس « عامل الايثار » الذى يوهمه انه يستمتع بمزايا الاغنياء . وهذا العامل الاخير يتضافر مععوامل كثيرة اخرى ـ بعضها اقتصادى ـ كان يكون الفرد من الطبقة الاقتصادية الاجتماعية الادنى ولكنه يملك شيئا من رأس المال . والواقع ان كثيرا من اسباب القلق التى تنشأ في الطفولة يزداد فعلها في النفس عندما تتهدد الملكية على اية صورة من الصور ، فينفر المرء من فكرة « الشيوعية » او « البلشفية » لمجرد خوفه من مجهول ، لا عن دراسة واعية او ادراك لمضمون مثل هذه النظم . فهناك مثلا الخوف من الجوع والحاجة ـ وهو خوف ينمو في المرء مع نموه منذ الصغر مما يدفعه الى الادخار والى العمل على استقرار دخله وضمانه ، معتمدا على نفسه، غير واثق في اية هيئة او نظام حكومى .

وكذلك يخضع اليساريون لمشاعرهم التى تكونت لديهم ايام الطفولة ، فيتملقون بثوراتهم الصبيانية ضد الكبار وتحكمهم فيهم . فيميلون ـ اذا اشتد لديهم هذا الدافع ـ الى التحطيم ، وهو الخطر الكامن في كل حركة ثورية ، والذى يجعل الحركة منفرة ومفزعة لكثير ممن لا يوغر الحقد صدورهم ، فيبذلون جهودهم لاقامة نظام جديد يتزعمه رجل قوى يمثل الاب ، فيكون دكتاتورا او حاكما مستبدا .

وانما ذكرت هذه الملاحظة الاخيرة لكى لا ننسى ان الميل نحو اليمين او نحو اليسار لا يمثل سوى اتجاهات عامة ، ولا تكون خالصة في اكثر الاحيان ، وقل من احزاب اليمين او اليسار ـ بل ومن الافراد ـ ما يمثلها على الوجه الاكمل. وبينما نجد ان موقف اليسار بعامة يمثل التقدم، فان اليسارية المتطرفة تؤدى حتما الى حركة رجعية تميل نحو اليمين . ■■

القاهرة

محمود محمود

مجاهر العلم ثلاثة

▪ المجهر الضوئى
▪ المجهر الإلكترونى
▪ المجهر الإلكترونى الكاسح

▪ وان عز عليك فهم « المجهر » فهو المكرسكوب Microscope

واذن تكون المجاهر الثلاثة هى

Light Microscope
Electron Microscope
Scanning Electron Microscope

واقدم الجميع أولها ، وأحدثها آخرها .

المجهر الضوئى

ويتألف المجهر الضوئى البسيط أساسا ، كما لا يخفى على القارىء العادى ، من عدستين زجاجيتين ، عدسة تكون فوق الجسم المراد تكبيره (وهو منير ، ينيره ضوء الشمس أو ضوء المصباح الكهربائى ، فينتج عن ذلك صورة له ، تقوم العدسة الثانية عدسة العين ، بتكبيرها مرة أخرى . ثم تأتى العين فترى الصورة مكبرة مرتين .

والذى تراه العين يمكن تصويره بالكمرة الفوتوغرافية ، وينتج عن ذلك الصورة المجهرية الفوتغرافية Micrograph للشىء المنظور .

والشىء المنظور ان كان مجسما ، فالذى نصنعه به عادة أن نأخذ شريحة منه رقيقة شفافة هى التى نضعها تحت العدسة ، ثم نمركزها عليها ، وهى عندئذ تعطينا صورة لسطح أفقى واحد من الشىء المنظور . ذلك لأن الشريحة ، على رقتها ، لها سمك ، يتألف من عدة مستويات ، لا نستطيع ان نمركز عدسة المجهر السفلى ، فى الوقت الواحد ، الا على واحد منها . ومعنى هذا أن الصورة الناتجة لها بعدان اثنان افقيان ، طول وعرض مثلا ، ولكن لا عمق لها . وقد نهبط بالعدسة المجهرية قليلا فنمركزها على مستوى من الجسم المنظور اوطا ،







كرات الدم الحمراء ماخوذة بالمجهر الالكتروني الكاسح

الصورة العليا مكبرة ١٥٠٠ مرة تكبيرا طوليا. والثانية مكبرة ٥٠٠٠ مرة . والثالثة مكبرة ١٥٠٠٠ مرة . وترى أقراص كرات الدم الحمراء في جميعها ، وقد حبستها في مواضعها شبكة من خيوط الفبرين Fibrin أو الليفين .

او نرتفع بالعدسة المجهرية قليلا فنمركزها على مستوى من الجسم المنظور اعلى . ولا ينتج فى اى من هذه الحالات غير صور ذات بعدين اثنين .

واذن فلا يمكننا ان نرى مثل هـذا الجسم ، على هذا النحو ، وبهذا المجهر ، مجسما .

المجهر الالكترونى

والمجهر الالكترونى شبيه بالمجهر الضوئى .

المجهر الضوئى يرينا الأشياء بالضوء ، سواء كان ضوء الشمس او ضوءا مصطنعا كالضوء الكهربائى .

والمجهر الالكترونى يرينا الأشياء بواسطة الالكترونيات . وهى الكرات الصغيرة جدا التى تجرى فى الاسلاك فتحدث بها الكهرباء . والمفروض ان الالكترون Electron هو من بعض علم القارىء .

وفى المجهر الضوئى نستخدم العدسات الزجاجية للم اشعة الضوء ، ومركزتها ، وفى المجهر الالكترونى نستخدم ما قد نسميه بالعدسات المغناطيسية ، وهى حلقات ممغطسة تضم شعاعات الالكترونات اذ تمر بها ، تماما كما يفعل زجاج العدسات بشعاعات الضوء .

وليس من غرضنا الآن ان نزيد المجهر الالكترونى العادى وصفا ، فهو امر قد يطول .

والذى قلناه فى الصورة الناتجة فى المجهر الضوئى ، من انها صورة ذات اتجاهين لا ثلاثة ، فهى ليست صورة مجسمة فى راى العين ، نقوله الآن فى الصور التى تنتج فى المجهر الالكترونى العادى . انها صور ذات بعدين .

ونزيد فنقول ان الشريحة من الشىء المراد رؤيته بالمجهر الالكترونى يجب ان تكون ارق من شريحة المجهر الضوئى ، وارق كثيرا ، ذلك ان الذى يصنع الصورة انما هى تلك الالكترونات النافذة من الشريحة ولها طاقة واحدة . اما اذا نفذت الالكترونات وهى على عدة طاقات خرجت الصورة مبهمة غير واضحة .

ومن اجل هذا جرى العمل على ان لا تزيد ثخانة الشريحة المستخدمة فى المجهر الالكترونى العادى عن ٥٠ جزءا من مليون من المليمتر الواحد .

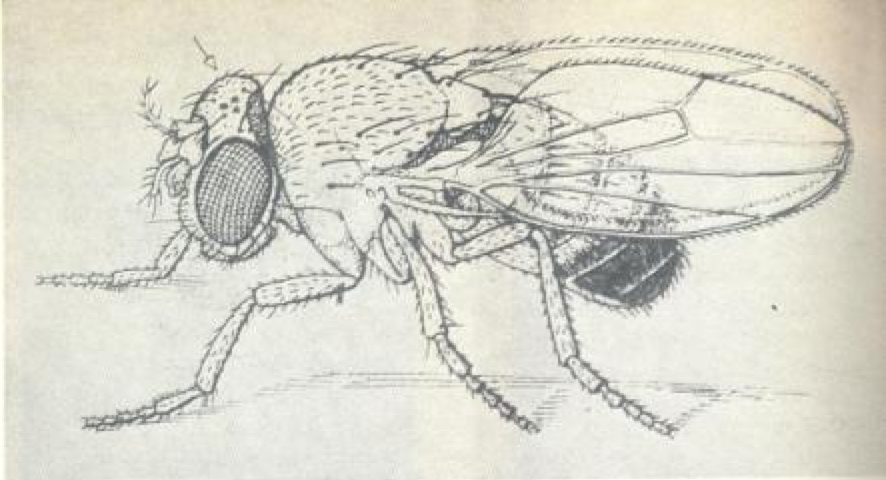
المجهر الالكترونى الكاسح

وهو فى الحقيقة الهدف من هذه الكلمة بسبب حداثته وحداثة نتائجه فى العلم .

وهو يعطى صورة الشىء المنظور مجسّمة . هذا بالاضافة الى القدرة الهائلة على تكبير صور الأشياء التى للمجاهر الالكترونية عامة .

ومن اجل هذا لا نقدم الجسم المنظار الى المجهر شرائح . انما ندهنه بدهان رقيق موصل للكهرباء ، ثم نضعه فى الماسكة بداخل المجهر ، ثم يفرّغ المجهر كالعادة مما فيه من غازات (المجاهر الالكترونية لا تعمل الا فى فراغ) .

ونختصر الحديث لنقول ان الذى يكشف صورة الجسم المنظور مجسمة ، انما هو شعاع الكترونى ، متمركز على الجسم ، يتنقل على سطحه بطريقة منتظمة ، وبسرعة هائلة ، تماما كما يحدث فى الكمرة التلفازية . من اجل هذا لا يرينا المجهر الكاسح صورة الشىء المراد تكبيره ، بان يقدم لنا صورة كل نقاط الجسم ، وهى الف ، فى وقت واحد ، كما يحدث فى المجهر الضوئى والمجهر الالكترونى العادى . انما هى صور متلاحقة تدركها العين ، وكأنها



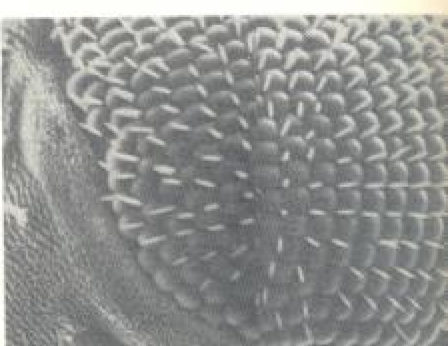
ذبابة الفاكهة
تحت المجهر الالكترونى الكاسح



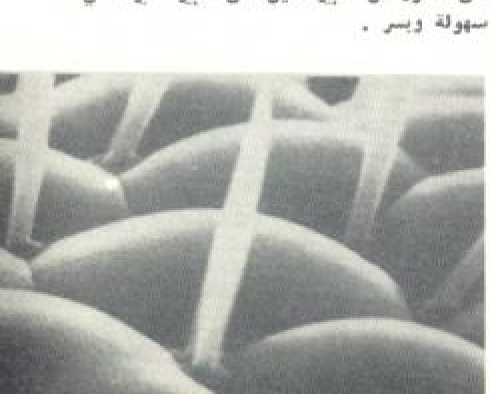
من الأمور المحيرة للعلماء فيما يختص بالحشرات وجود عيون بسيطة في رؤوسها الى جانب عيون مركبة أعنى أنها كثير من العدسات او اشباهها . فهكذا هي ذبابة البيت ، وكذلك هي نحلة العسل .

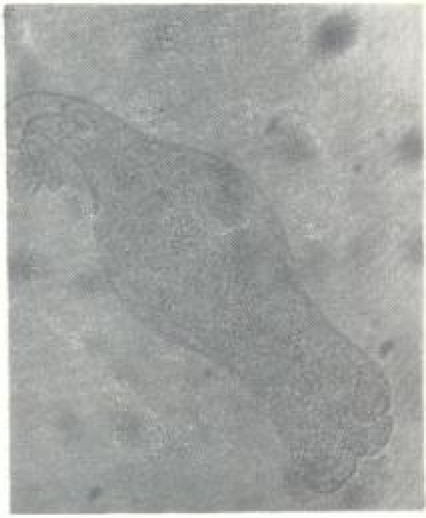
ومثلها ذبابة الفاكهة Fruit Fly ، فانت واجد على ظهر راسها ثلاث عيون بسيطة صغيرة ، عدا ما على جانبي الرأس من عينين مركبتين .

وقد استخدم في الحصول على الصور المرفقة المجهر الالكترونى الكاسح . والصورة الأولى (اليمنى) هي صورة راس ذبابة الفاكهة ، وهي مكبرة ١٨٠ مرة تكبيرا طوليا . وترى فيها الثلاث الأعين الصغرى كالدوائر الثلاث التى تصنع رؤوسا مثلثة ، وترى فيها أيضا العين المركبة اليمنى ، وهي عظيمة المساحة ، وبها ما يشبه الشوك . وفي الصورة الثانية تجد العين المركبة مكبرة ٤٥٠ ضعفا . وفي الصورة الثالثة (السفلى) ، تجد نفس العين ، او بعضها ، وهو مكبر ٤٥٠٠ ضعف.



وهذه هي ميزة المجهر الكاسح ، انك تنتقل به على الفور من تكبير قليل الى تكبير كثير ، في سهولة ويسر .







مقارنة بين المجاهر الثلاثة

ثلاث صور : الصورة الأولى (اليمنى) لحيوان من الدوارات Rotifer وهى حيوانات مجهرية ٢٤٠ قطرا . والصورة الثانية (الوسطى) وهى لجزء رقيق مقتطع من باطن هذا الحيوان ، . والصورة الأخيرة ، وهى مكبرة ايضا ٢٤٠.. مرة محسوبة على طولها ،

متزامنة ، كما ترى صور التلفاز على الشاشة .

وهذا الشعاع الالكترونى المتمركز المتنقل على الصورة ، يمسحها مسحا ، ويكسحها كسحا ، بمروره على مئات من الخطوط المتوازية فيها ، بالذى فيها من نقاط عديدة ، فى وقت قصير ، انما ينقل الى أعيننا كل هذه الصور ، فى كل هذه النقاط بكل هذه الخطوط ، فنحسبها صورا أخذت لحظة ما من الزمان واحدة .

والتلفاز بلوحة كمرته ٥٢٥ خطا أفقيا مثلا .

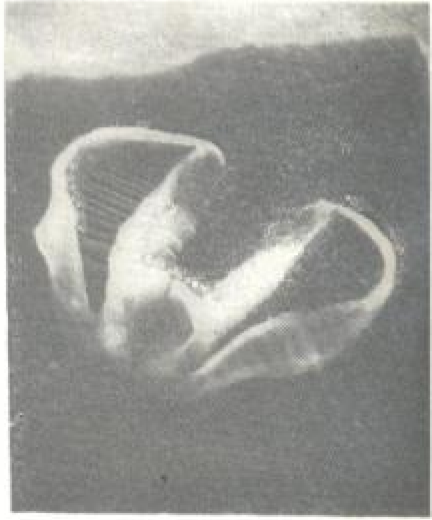
ولكن بلوحة هذا المجهر الالكترونى الكاسح Scanning مائة خط او ألف خط . واللوحة ذات الخطوط الاكثر هى التى تعطينا الصور المجهرية الأدق .

وهذا المجهر يكبر لك الأشياء بمقدار ما يكبرها المجهر الضوئى ، او حتى عدسة الجيب ، وبمقدار ما يكبرها المجهر الالكترونى العادى . اى يكبر القليل ويكثر الكثير .

فضل المجهر الالكترونى الكاسح على سائر المجاهر

وفى المجهر الكاسح يستطيع الانسان أن يمضى من التكبير القليل الى التكبير الكثير .

ان هذا المجهر مجهر حديث بدأوا فى بحوثه فى السنوات الثلاثينية الماضية . وفى السنوات الاربعينية من هذا القرن ، نجح البحاث فى جامعة كمبردج فى اخراج مجهر الكترونى كاسح . وفى عام ١٩٦٣ خرج من هذه الجامعة ، وبناء على رسومها وتخطيطها ، اول مجهر كاسح فى السوق .



«قد اخذت بواسطة مجهر ضوئي ، وهي مكبرة بمقدار بواسطة مجهر الكتروني عادي ، وهي مكبرة ٢٤٠٠ بواسطة مجهر الكتروني كاسح .

وما اسرع ما انتشر فى معاهد العلم ، وظهرت نتائجه التصويرية فى المجلات العلمية ، وحتى تلك التى تنشر المعرفة فى أسواق كبيرة واسعة .

والذى ميز هذه الصور فوق غيرها ان لها ابعادا ثلاثة، فان ترها كما تراها على طبيعتها رأى العين . فهذا البعد الثالث يعطى لرائيها احساسا بحقيقتها، فحقيقة الأشياء جميعا لا تتم اذا فاتها البعد الثالث . وانت ترى الرجل فى الصورة الفوتغرافية العادية فلا ترى منه الا ظلا على حائط . شيئا لا سمك له .

قدرة التفصيل وقدرة التكبير فى المجاهر

المجهر يفصل لك فى الصورة اجزاء الشيء ، وكل جزء منها مفصول عن صاحبه ، وعندئذ نقول ان الصورة بها التفاصيل واضحة .

ولكن للمجاهر حد للقدرة على هذا التفصيل .

المجهر الضوئى : ان المجهر الضوئى له قدرة قصوى على التفصيل Resolution تقع بين ٢٠٠ أو ٣٠٠ جزء من مليون من المليمتر ، معنى هذا ان المجهر يفصل من الصورة النقاط التى تبعد احداها عن الأخرى ، بمقدار هذه المسافة ، اما ما نقص عن هذه المسافة فلا يستطيع المجهر تفصيله .

ونقول ان اكبر قدرة على التكبير للمجهر الضوئى هى نحو ١٠٠٠ .وليس معنى هذا اننا لا نستطيع ان نأتى بصورة مكبرة ٢٠٠٠ مرة . ولكن هذه الصورة الأخيرة لن تزيد على الصورة الاولى وضوحا . اى لن يكون فيها تفصيل جديد نشأ عن كبر الصورة .

المجهر الالكترونى العادى: وان احسن مجهر الكترونى عادى Transmission Electron-Microscope له من قدرة التفصيل ما بين ٢ر٠ و ٥ر٠ اجزاء من مليون من المليمتر .

ومعنى هذا ان التكبير يزيد على مليون مرة لقطر الشيء المنظور .

المجهر الالكترونى الكاسح : اما المجهر الكاسح فمفيد . وهو يكبر تكبيرا قطريا طوليا يقع ما بين ١٥ مرة و ١٠٠٠٠٠ مرة ، ولو ان الصورة تبدأ تتغبش اذا بلغ التكبير نحو ٢٠٠٠٠ مرة . وصانعو هذا المجهر يضمنون ان يكون له قدرة تفصيل تبلغ ٢٠ جزءا من مليون من المليمتر .

●●

أ. ز

الإنسان

بين "اليقظة" و "المنام"

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

■ مَنْ مِنّا لم يؤرّقه « السهر » يوما ، فتمنى على الله لو استطاع ان يظفر برقاد هادىء عميق ؟ من منّا لم يصبه « الأرق » يوما ، فراح يصطنع شتى الحيل حتى يظفر بسبات قرير طويل ؟ .. اننا جميعا نشعر بالتوتر ، ونحنّ شوقا الى حالة « الاسترخاء » ؛ فنحن ننفر من حالة « الأرق » ، ونشعر بضرورة «النوم» ، خصوصا بعد ساعات العمل المرهق ، او بعد ليالي « السهر » الطويل . وليس من شك فى ان «النوم» ضرورة فسيولوجية تفرضها علينا حاجة « الجسم » الى الراحة والاسترخاء ، وكانّ من شان « الحياة الواعية » ان تتطلب ـ بين الحين والآخر ـ نوعا من « الغيبوبة » او « اللاوعي » او « النسيان » ! فنحن لا نستطيع ان « نحيا » ، دون أن نهرع ـ بين فينة واخرى ـ الى عالم « اللاشعور » ، حتى نجد في احضان « النوم » ضربا من التخفيف او الترويح عن آلام «الواقع» ! وكثيرا ما يلوذ العصابيّون بالنوم ، وكانهم يريدون ان ينسوا ـ او يتناسوا ـ واقعهم الأليم ، بالارتماء فى احضان « الحلم » ! ولكنّ الأسوياء انفسهم قد لا يجدون حرجا فى الاعتراف بأن «النوم» نعمة من نعم الله الكبرى على الانسان . ولعلّ هذا ما عبر عنه الفيلسوف الفرنسي الكبير ڤولتير حين كتب يقول :

« ان السماء قد ارادت أن تعوضنا عن بعض ما ابتلتنا به من محن فى هذه الحياة ، فمنحتنا الأمل من جهة ، والنوم من جهة اخرى » ! والواقع ان « النوم » صورة من صور « النسيان » : فنحن ننام لننسى : ننسى آلامنا ومشاغلنا ؛ ننسى واقعنا وحياتنا التجريبية ؛ ننسى انفسنا ومواقفنا الشعورية ! وحين ابتدع لساننا العربى كل تلك الالفاظ التى تحمل معنى «النوم» ـ كالنعاس ، والكرَى ، والوَسَن ، والسُّبات ، والرقاد ... الخ ـ فانه لم يكن يشير بذلك الا الى اهمية « الاسترخاء » فى حياة الموجود البشرى بوصفه « كائنا محاربا » يعانى مشقة السهر ، والكفاح ، والصراع المستمر !

لماذا يبغض الطفل « النوم » ؟

بيد اننا لو انعمنا النظر في سلوك الموجود البشري ، لوجدنا انه يقضي جانباً غير قليل من حياته في « النوم » . فنحن نقضي ثلث حياتنا ـ ان لم يكن اكثر ـ في « النوم » ، حتى ان الشخص الذي يعيش ٦٠ عاماً ، يكون قد قضى حوالى ٢٠ عاما من حياته ـ او اكثر ـ نائما ! وقد تختلف حاجتنا الى النوم من مرحلة الى اخرى (من مراحل تطورنا) ، ولكن من المؤكد انه قد تحين علينا لحظة تتحسر فيها على كل تلك الساعات التى ضاعت من عمرنا هباء ! اجلْ ، اننا « ننام » ، فلا نكاد نشعر بشيء ، وكاننا قد

فقدنا الاحساس بالحياة نفسها ؟ بل السنا نلاحظ ان الطفل نفسه كثيراً ما يكره « النوم » ـ وان كان في حاجة ماسة اليه ـ لأنه يشعر بأن «النوم» سوف يحرمه متعة « اللعب » ؟ فهل من غرابة بعد ذلك في أن نرى الطفل يحسد الكبار : أولئك البالغين الذين « يسهرون » ، ويستمتعون بلذة « اليقظة » ، وينعمون ببهجة «الحياة الواعية» ؟!

الناس يمضون في الحياة « نياما » أو « شبه نيام » !

ولكن ، هل من الحق أننا ـ نحن الكبار ـ ننعم فعلاً بحياة الوعي واليقظة ؟ هل استجاب البالغون حقا لنداء روستو حين راح ينصح كل واحد منهم قائلاً : « اخرج من طفولتك ـ يا صديقي ـ وانهض من سباتك » ؟!

... اننا جميعاً نتوهم أننا قد تجاوزنا عهد الطفولة ، وأننا قد فتحنا اعيننا على الحقيقة ، فنحن على ثقة من أن حياتنا قد اصبحت حياة وعي ويقظة ، لا حياة حلم وسكرة ! ولكن التجربة ـ مع الأسف ـ كثيراً ما تجيء مكذبة لهذا الوهم : اذ سرعان ما نتبين اننا « نحلم » مستيقظين ، أو اننا نكاد نسير « نائمين » ! وقد لا نجانب الصواب اذا قلنا : « ان الغالبية العظمى من الناس ـ على المستوى العقلي والروحي ـ لا تكاد تعرف حياة اليقظة ! » . انهم يسيرون بعيون مفتوحة ، ولكنهم في الحقيقة نائمون أو شبه نائمين ! فالسواد الأعظم من الناس يحيا في غيبوبة أو شبه غيبوبة : لأنه يمارس عمله بآلية ، ويؤدي وظيفته في الحياة بنوع من الرتابة ، ويتلاقى مع الآخرين عبر صلات اجتماعية فاترة ... بل انك قد تتحدث الى بعض الناس ، فلا تكاد تجد لديه ادنى استجابة، وكأنه لا يعرف حتى مجرد الانصات أو الاستماع ! وليس أكثر في الحياة من أولئك « الحاضرين ـ الغائبين » : فان المجتمعات البشرية حافلة بتلك المخلوقات « النائمة » التي لا تكاد تفيق من سُباتها الآلي الرتيب !

قد يكون « الانتباه » من أعسر الأمور ...

والحق اننا قلما نعرف كيف ننتبه الى الأشياء، وكيف ننتبه الى الآخرين ، وكيف ننتبه الى انفسنا . وربما كان السبب في ذلك أن «الانتباه» عملية نفسية شاقة ، ان لم نقل بأنه مهمة سيكولوجية عسيرة . وحين قال بعض الباحثين «ان الانتباه صورة من صور اليقظة أو الصحو أو السهر » ، فانهم كانوا يعنون بذلك أن « الانتباه » يقتضي جهداً اراديا لا يقل في صعوبته عن الجهد الذي تتطلبه عملية « السهر » . ونحن نقول عن الأم التي « تنتبه » الى طفلها : انها « تسهر على راحته» ، كما نقول عن الحاكم الذي يولي المحكومين ما هم اهل له من رعاية وعناية انه « يسهر على راحتهم » ، وهلم جرا . ومعنى هذا أن الانتباه مظهر من مظاهر الاهتمام : لأن المرء لا ينتبه الا الى ما يثير اهتمامه ، أو ما ينجح في انتزاعه من حالة اللامبالاة أو عدم الاكتراث . ومن هنا فان الانتباه صورة من صور « اليقظة الروحية » التي يستطيع معها الانسان أن يخرج من سُباته الذاتي ، لكي يهتم بالآخرين ، ويعمل من أجل مصلحة الآخرين ، ويحيا مع الآخرين وللآخرين ! ومهما يكن من شيء فاننا كثيراً ما نضيق ذرعاً بحياة اليقظة : لأننا ندرك انها حياة الانتباه ؛ وليس أشق على نفوسنا من حياة الانتباه بما يجيء معها من توتر !

لغة اليقظة ولغة النوم (أو الحلم) ..

لقد رُوِيَ عن الفيلسوف اليوناني الكبير هيرقليطس انه قال : « ان للأشياء ـ في نظر أهل اليقظة ـ تنظيما واحدا مشتركا بينهم جميعا ، وأما الغارقون في النوم ، فان كلاًّ منهم مستغرق في عالمه الذاتي الخاص» ، وواضح من هذه العبارة ان اليقظة ـ في نظر هيرقليطس ـ تجمع بين الناس ، في حين ان النوم يفرّقهم ، ومن ثم فان اهل اليقظة يمثلون « جماعة » أو « مجتمعا » بينما يبقى النائمون مجرد « ذوات » أو «أفراد». وعلى حين أن النائمين يهيمون في عوالم وهمية ، ويسبحون في تهاويل ذاتية ، نجد ان المستيقظين يحيون في عالم الواقع ، ويدركون عالما واحدا مشتركا . ومعنى هذا أن « الموضوعية » هي لغة «اليقظة» ، في حين ان «الذاتية» هي لغة «النوم» (أو ـ على الأصح ـ لغة « الحلم » .). ونحن حين نستيقظ ، فاننا نودّع عالم الأوهام والأحلام، لكي ننغمس في عالم الأشياء والوقائع ، صحيح ان البعض منا قد يستبقي أحلامه الذاتية ـ حتى في صميم حياته الواعية ـ ولكن من المؤكد ان هؤلاء « الحالمين » لا يكادون يعرفون « اليقظة » :

لأنهم يحلمون ـ أثناء النهار ـ بعيون مفتوحة ، دون أن يخطر على بالهم يوما أن النهار قد جُعل للوعي والعمل ، لا للحلم والوهم !

الفيلسوف هو «الرجل المتيقظ» ..

.. « ان معظم الناس ـ فيما يقول أفلاطون ـ يسيرون نياما ، في حين أن الفيلسوف هو ـ على وجه التحديد ـ الرجل المتيقظ » . وليس بدعا أن يقرن أفلاطون « الفلسفة » بـ « اليقظة » : فان من شأن الفيلسوف ـ في العادة ـ أن يتسم بالوعي، والقدرة على الدهشة ، والرغبة المستمرة في التساؤل . وعلى حين أن الرجل العادى يجد كل شيء عاديا مألوفا ، نلاحظ أن الفيلسوف يجد في كل شيء مشكلة وسرًّا . والسبب في ذلك أن لدى الفيلسوف من « اليقظة الروحية » أو « الحساسية الوجودية » ما يشعر معه بأن كل شيء من حوله يدعوه الى البحث والتمعن ، في حين يرى الرجل العادى كل شيء « طبيعيا » ، ومن ثم فانه لا يكاد يشعر بما في الأشياء من غرابة أو غموض . وليست « الحساسية الوجودية » سوى مجرد تعبير عن تفتح الذهن لكل ما حوله ونفاذه الى ما في الأشياء من معان دقيقة وأسرار غامضة . ولعلّ هذا ما عناه أفلاطون حين قال عن الفيلسوف انه أكثر المخلوقات وعيا وتيقظا .

وقد أفاض الفيلسوف الألمانى المعاصر كارل يسبرز Karl Jaspers في الحديث عن «اليقظة الفلسفية»، فقال انها تمرّ بمراحل ثلاث متعاقبة، الا وهى : « مرحلة الدهشة » ، ثم « مرحلة الشك » ، وأخيرا « مرحلة الانقلاب أو التحوّل الحاسم » . والمرحلة الاولى من هذه المراحل هى مرحلة التعجّب التى تحمل معنى التساؤل ، في حين أن المرحلة الثانية هى مرحلة الارتياب التى تنطوى على معنى الانكار ، بينما تجيء المرحلة الأخيرة فتكون بمثابة مرحلة « صدمة » عقلية كبرى تقلب تفكير الفيلسوف رأسا على عقب ! والحق أنه ما دامت الفلسفة حليفة الوعى واليقظة ، فسيظل الفيلسوف هو رجل الدهشة ،والتساؤل، والشك ، والانكار ، والتحوّل ، والتجديد .. الخ . ولا غرو ، فانه ليس من طبيعة الروح الفلسفية أن تقتنع بما بين أيدى أهل عصرها من قيم ومعايير ، بل هى لا بد من أن تضع كل شيء موضع الشك ، حتى يتسنّى لها أن تعيد بناءه من جديد ، بحيث تقيمه على دعائم نقدية يقرها العقل ..

... الذين يبقون « مستيقظين » في وسط « حَشْد البشرية النائم » !

والحق أننا لو أخذنا « النوم » بمعناه المجازى، لكان في وسعنا أن نقول أن البشرية جمعاء لهى أشبه ما تكون بحشد نائم ، ان لم نقل بحشد مُنوَّم (قد تم تنويمه عن قصد) ! ولا شك أن الذين يجدون مصلحتهم في غفلة الآخرين ، لا بد بالضرورة من أن يصطنعوا شتى الحيل ، حتى يبقى الغافل في غفلته ، دون أن تتاح له الفرصة يوما لأن يفيق من سكرته ! ومن هنا فان « تخدير الجماعات » عملية سيكلوجية هامة تضطلع بها حتما « شرذمة المستيقظين » من أرباب المصالح الخاصة،وأصحاب المنافع الذاتية . ولكن التاريخ شاهد ـ لحسن الحظ ـ على أن ثمة قلة نادرة، بل صفوة ممتازة ، كانت تبقى دائما مستيقظة ـ في وسط ذلك الحشد الضخم من النائمين أو المخدَّرين ! وليست هذه الصفوة الممتازة سوى جماعة الرسل، والأبطال ، والقادة ، والمصلحين ، والقديسين ، والمتصوفين ، وغيرهم من أصحاب الرسالات .. انهم « أهل اليقظة»من بنى البشر، وهم قلة نادرة قد نيطت بها مهمة بعث الهمم الخامدة ، وايقاظ الضمائر النائمة ، وتحريك الارادات الجامدة !

وقد يكون من الحديث المعاد أن نقول ان تاريخ البشرية حافل بفترات طويلةمنالسبات أو الرقاد، بينما تبدو لحظات اليقظة أو النهضة بمثابة ومضات سريعة خاطفة ! ولسنا ننكر أن البشر قد عرفوا « التقدم » ، وأن البشرية قد خلّفت وراء ظهرها الكثير من عهود « التخلّف » ،ولكننا نميل الى الظن بأن « الليل » ما يزال ـ في تاريخ الكثير من الشعوب ـ هو الشريعة السائدة ، وأن « النوم » ما يزال ـ في حياة الكثير من الأفراد ـ هو القاعدة !

قد يأتي « الفشل » فيوقظنا من سُباتنا !

وربما كان من بعض أفضال « الفشل » ـ على الأفراد والشعوب ـ أنه كثيرا ما يجيء فيوقظهم من سُباتهم الروحى . فالأفراد الذين يصطدمون

بعوائق تحول دون تقدمهم ، والشعوب التي تلتقى بأزمات تقف حجر عثرة في سبيل ترقيتها : هؤلاء واولئك لا بد من أن يجدوا انفسهم مضطرين الى « مراجعة حساباتهم » من اجل العمل على مواجهة « الفشل » ، ومجابهة الحقيقة ! ومعنى هذا أن الفشل هو « اشارة التحذير » التي تقوم بمهمة التنبيه ، أو هو الناقوس الذي يدقّ ـ بين الحين والآخر ـ ممثلنا لنا أنه قد آن لنا الأوان لأن نستيقظ من سُبات التخلف أو جمود التأخر .. ولعلّ هذا ما عناه أحد الفلاسفة المعاصرين حين كتب يقول « انه لولا الفشل ، لبقى الناس غارقين في وجودهم التجريبي العاديّ » ، مستغرقين في حياتهم المادية التافهة » ! فالعائق أشبه ما يكون بذلك الموضوع الخارجي الذي يلتقى به أهل « الجولان النومى » Somnambulism ، فلا يلبث الواحد منهم أن يفيق من حلمه اللاشعورى! والفشل الذي لا يكون من شأنه سوى أن يوقظ صاحبه،انما هو في الحقيقة « عائق » قد استحال الى « واسطة » . ومن هنا فان كل تجربة اليمة يكون من شأنها أن توقظ فينا الهمة الخامدة ، لا يمكن أن تكون الا ناجحة . أليس من حقنا اذن ان نقول ان كل ما يولد لدينا « اليقظة » ، أو يبعث فينا « الوعى » ، لا يمكن الا أن يكون ـ في حدّ ذاته ـ « خَيْرًا » ؟

... الحياة ـ في نظرنا ـ هي الوعي واليقظة ...

.. ان الحياة قد تعنى ـ في نظر البعض ـ مجرد « الوعى » أو « الصحو » أو « اليقظة » ، وكان في مجرد الشعور بالأشياء والأشخاص من حولنا ما قد يكفى لتبرير معنى الحياة ! ولما كان الانسان العادى يجد متعة كبرى فيما تجلبه له حواسه من ادراكات وانفعالات وأحاسيس ، فليس بدعا أن نراه يجد في حالة « الوعى » نفسها ما قد يكفى في نظره للتمسك بأهداب الحياة ! واذا كان ثمة أناس يجزعون أشد الجزع ، حين يكون عليهم أن يدخلوا غرفة « العمليــــات الجراحية » ، فذلك لأنهم يقلقون سلفا لحالة « الغيبوبة » أو « اللاوعى » التي سوف تفرضها عليهم حالة « التخدير » .. انهم لا يريدون أن يفقدوا وعيهم ، لأنهم يعرفون أنهم سيكونون عندئذ مجرد كائنات «لا واعية» يستطيع الغير أن يتصرفوا فيها كيفما يشاؤون !

والحق اننا اذا كنا نقرن الحياة بمعاني الوعي واليقظة ، فذلك لأنّ الموت ـ في نظرنا ـ هـو حليف الرقاد واللاوعى المطلق . والانسان حريص على الوعى والتنبّه واليقظة والسهر ، قبل أن يحين الموت فلا يعود ثمة وعى أو انتباه أو يقظة أو سهر ! .. اننا نعرف أن « الموت » يترقبنا بالمرصاد ، ونحن نخاف « الموت » : لأنه «النوم» الذى لن تكون بعده يقظة ! ومهما يكن من ايماننا بالخلود ، فاننا نرهب ذلك « الرقاد » الذى لن تكون فيه أحلام ! ولعلّ هذا هو السرّ في ذلك الخوف المرضي من«النوم»ـ لدى بعض العُصَابيين ـ وكان الواحد منهم يخشى أن « ينام » دون أن « يستيقظ » أو كأنه يجزع لذلك « الرقاد » الذى قد لا يكون بعده «صحو» !

هل نحن نتوق ـ فعلاً ـ الى رقاد الموت ؟

لقد اقام بعض الكتّاب الانجليز ـ يوما ـ احتفالا كبيرا دعوا اليه الكاتب المشهور هـ. ج. ويلز H.G. Wells ، بمناسبة بلوغه سن السبعين . ووقف المحتفى به يردّ على أصدقائه فقال : « ان هذا الاحتفال ليذكرني بمشاعري ابان الطفولة ، حينما كانت مربّيتي تدعوني قائلة : يا مستر هنرى ، انها الآن ساعة النوم !» .. ان الطفل لا بد من أن يثور ويتمرّد ، حين تجيء ساعة النوم ، ولكنه يعلم في قرارة نفسه أن النعاس لن يلبث أن يتغلب عليه ، وأن الفراش نعمة لا تقدّر ! » . ثم استطرد ويلز فقال : « ان الموت مربّية ودودة وقاسية معا ، فحينما تحين ساعة الرقاد ، نراها تتقدم الينا قائلة : « يا سيد هنرى ، انها الآن ساعة الرقاد ! » . وقد نتململ أو نعترض ، ولكننا نعرف في قرارة نفوسنا اننا لا نشتاق الى شيء قدر اشتياقنا الى هذا الرقاد حين تحين الساعة .. » !

ويبقى أن نتساءل : أترانا ـ حقا ـ نشتاق الى لحظة الرقاد ؟ أترانانتوق بالفعل الىالانغماس في طوايا اللاوعى ؟ أليس الانسان هو ذلك «الوعى» الذى لا يملك تصوّر ذاته الا في حالة شعور ؟ فلماذا لا نقول اذن أن الانسان ـ والانسان وحده ـ هو ذلك « الحيوان الواعي » ، الذى يريد لنفسه أن يبقى « مستيقظا » حتى في صميم « نومه » ؟!

■■

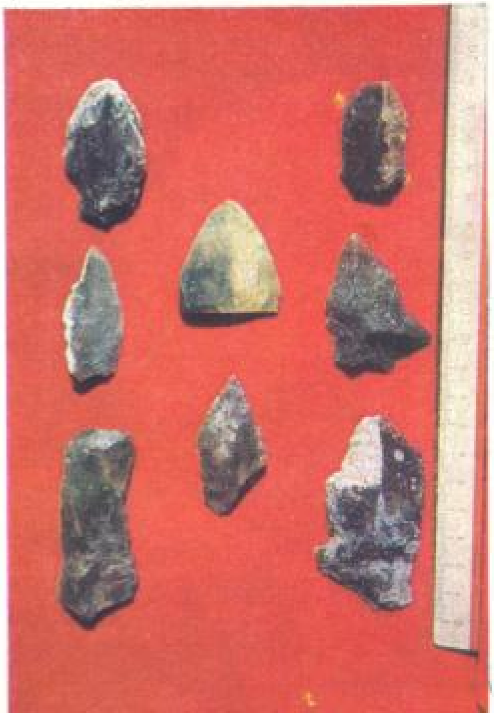
زكريا ابراهيم

استطلاع
الكويت



إنسان العصر الحجري عاش

ماذا يعني العثور على جعران مصري فرعوني بين آثار الكويت؟



الى اسفل : هذه القطع الحجرية الصوانية التى عثر عليها أخيرا في منطقة الصليبخات ، يعتقد بأنها تعود الى العصر الحجرى الوسيط ، مما يثبت ان الكويت كانت مأهولة منذ أكثر من ٧ الاف عام.

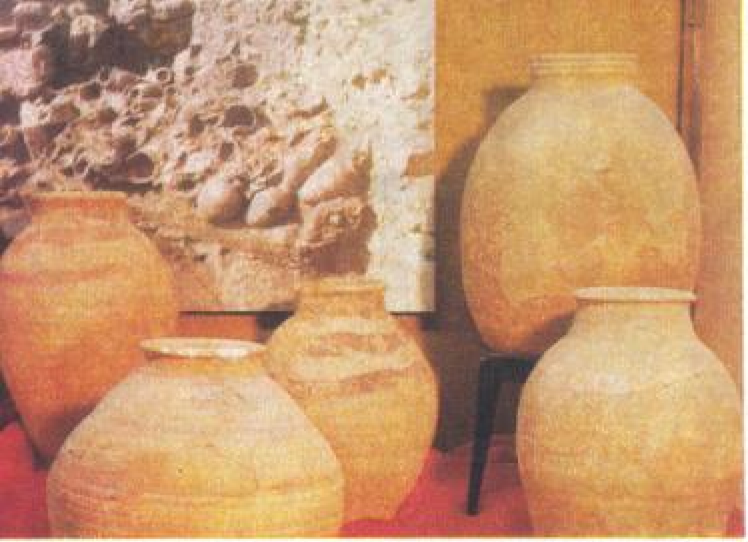
استطلاع : **سليم زبال**

تصوير : **اوسكار مترى**

■ جعران صغير ، لا يتجاوز حجمه حجم حبة اللوز ، ومعه بضع مئات من الاختام المستديرة المدببة ، اثارت ضجة كبرى بين رجال الآثار ، فقد اثبتت هذه المكتشفات بانه كانت فى الكويت حضارة ازدهرت ثم اندثرت ، فنسيها العالم .. وبنسيانها فقد تاريخ المنطقة حلقة هامة من حلقاته .

عمر الكويت

حقيقة ان اهل الكويت مشغولون اليوم ببناء حضارتهم الحديثة ، ولكن هذا الانشغال لم



الى اليسار : مئات من الجرار التي يعود تاريخها الى العصور البرونزية ، عثر عليها في جزيرة فيلكا.

ى الكوَيْت



هذا التمثال الذي يعود تاريخه الى أواخر العصر البرونزي الحديث ، وجد في جزيرة فيلكا، مما يدل على أن حضارة دلون قد تأثرت بحضارات جيرانها ، نتيجة للتبادل التجاري بين أهل الجزيرة وتلك البلاد .

يمنعهم من الالتفات الى الوراء بحثا عن ماض ضاع في متاهات الزمان ..

ونتيجة لهذا الضياع أصبح الناس ، يرددون عن جهل ، أن عمر الكويت الحقيقي هو ٢٥ عاما ، اى ابتداء من تاريخ تصدير النفط فقط .

والحقيقة ان تدفق النفط ساهم في دفع عجلة الحياة في الكويت بسرعة تعادل سرعة انطلاق الصواريخ .. دفعها ولم يوجدها .. فالحياة كانت موجودة في الكويت قبل وجود النفط بزمان بعيد .. بعضهم اعادها الى عهد الاسكندر قبل وفاته عام ٣٢٣ ق.م نتيجة للاكتشافات الاغريقية في جزيرة كويتية تدعى فيلكا ، تقع على مسافة ٢٠ كيلو مترا من بر الكويت .

وكان التركيز الدعائي على آثار هذه الجزيرة من الضخامة بحيث بات الاعتقاد سائدا بان الحياة القديمة كانت مزدهرة في هذه الجزيرة فقط ، دون أن يكون هناك اى اثر للحياة على بر الكويت.

خمسة تلال مريبة

هكذا كانوا يتخيلون حال الكويت القديمة .. وكان رجال متحف الكويت يسمعون هذا الكلام ويتميزون غيظا ويتحرقون شوقا لدحض هذا الاعتقاد الخاطيء .. وكانوا يشيرون باصابعهم الى خمسة تلال موزعة على بر الكويت بين مناطق الصُلَيبخات ، وبُرقان ، والشقايا ، وكاظمة .

خمسة تلال مريبة التكوين تكاد تنطق بان ما في جوفها من آثار سوف يقلب تاريخ المنطقة .

وسنحت الفرصة لرجال متحف الكويت بتحقيق امنيتهم ، عندما استدعت وزارة الاعلام الكويتية ، الدكتور رشيد الناضوري ، استاذ الآثار في جامعة الاسكندرية ، لدراسة امكانية اجراء مسح اثري شامل لاراضي الكويت .. فقد قام رجال المتحف مع الدكتور الزائر برحلات استكشافية الى التلال الخمسة ، وفوق تل الصليبخات وقفوا يتطلعون الى تربته ، فوجدوها مليئة بقطع من الاحجار الصوانية المحددة الاطراف ، جمعوها وبدأوا في فحصها ، فوجدوا انها ادوات كان يستعملها انسان العصر الحجري الوسيط (الموزوليتيك Mesolithic)

منعطف في تاريخ المنطقة

وعلى مسافة ٤٠ كيلو مترا جنوب تل الصليبخات ، كانت جماعة اخرى ، هم اعضاء جمعية التاريخ الطبيعي في الاحمدي ، يبحثون بدورهم عن آثار الانسان الاول في تل قرين ، قرب تل برقان .. وتكللت مجهوداتهم بالنجاح ، اذ استطاعوا تجميع ١٧٠ قطعة من الاحجار الصوانية، مشابهة لتلك الأحجار التى عثر عليها في تل الصليبخات ، ولكنها تختلف عنها في انها ترجع بتاريخها الى العصر الحجرى القديم المتأخر والعصر الحجري المتوسط ، اى ان تاريخها لا يقل عن ٥٠٠٠ سنة ولا يزيد على ١٠ الاف سنة ق.م.

ان اكتشاف هذه القطع من الاحجار الصوانية القديمة يشكل منعطفا هاما في تاريخ الكويت القديم ، ولن يحسم الامر ويحدد اهمية هذا الكشف تماما ، الا تعريض هذه الاحجار الصوانية لجهاز الكربون المشع ، لتقدير تاريخها الحقيقي..

التيارات الفكرية مع البضائع

وبقدر الغموض الذى يكتنف فترة العصر الحجرى ، نجد الرؤية اكثر وضوحا فيما يختص بالعصر البرونزي في الكويت .. لقد تميز هذا العصر بوجود طريقين للتجارة يخترقان الجزيرة العربية ، واحد غربي يمتد بمحاذاة ساحل البحر الاحمر ، والآخر شرقي يمتد عبر الخليج العربي ويربط حضارة الهند بحضارات العراق ووادى النيل والبحر الابيض المتوسط ..

وهذا المركز التجارى الممتاز للخليج العربي ، جعل البضائع تتدفق اليه من كل حدب ، ومع البضائع تدفقت التيارات الفكرية المختلفة ، مما كان له اثر كبير في قيام مملكة ذات حضارة خاصة هي مملكة دلمون ..

حجر فيلكا

وجاء اكتشاف آثار الحضارة الدلمونية في الكويت نتيجة للصدف .. فقد كان سكان جزيرة فيلكا يأخذون احجار بناء مساكنهم من التلال الصغيرة العديدة المتناثرة في اجزاء جزيرتهم ، وعندما كانوا يعثرون على تماثيل حجرية كانوا يكسرونها في الحال باعتبارها اصناما محرمة ..

حتى كان عام ١٩٣٧ عندما حمل احد سكان الجزيرة حجرا كبيرا من احد تلال الجزيرة ليبنى به مسكنه . وتطلع الرجل الى الحجر فوجد عليه كتابة منقوشة بحروف غريبة ، وعلم المعتمد البريطاني آنذاك ، الكولونيل ديكسون ، بقصة الحجر فاخذه وظل محتفظا به حتى شرعت دائرة

المعارف الكويتية في اقامة متحف لاثار الكويت في عام ١٩٥٧ فسلمه لها .. وسمي هذا الحجر بحجر فيلكا ، ويحمل على احد جوانبه كتابة باللغة اليونانية ترجمتها : « سوتيلوس المواطن الاثيني والجنود قدموا هذا الى زوس سوتر المخلص ، والى بوزيدون والى آرتميس المخلصة .. » .

بقايا مدن تحت كل تل

وعندما قدمت بعثة الاثار الدانمركية الى الكويت للتنقيب بدعوة من حكومتها ، كانت على ثقة من انها سوف تكتشف آثارا تعود الى عصر الاسكندر الاكبر .

وبدات حفرياتها عام ١٩٥٨ بالاشتراك مع موظفي متحف الكويت ، في جزيرة فيلكا ، التي يبلغ طولها ١٢ كيلو مترا وعرضها ٦ كيلو مترات .. وكم كانت دهشتهم بالغة عندما اكتشفوا ان تحت كل تل في جزيرة فيلكا ، بقايا مدن لا تنتمى الى عصر الاسكندر فقط ، وانما تمتد الى العصور البرونزية بادوارها الثلاثة : العصر البرونزى القديم (٣٠٠٠ – ٢١٠٠ ق.م) والعصر الوسيط (٢١٠٠ – ١٦٠٠ ق.م) والعصر البرونزى الحديث (١٦٠٠ – ١٢٠٠ ق.م) .

عندما تتكلم الاحجار

ونتيجة لهذه الاكتشافات ، تمكن العلماء من استنطاق الاحجار الصماء ، وجعلوها تروى لهم فصولا من حضارة دلون المنسية المجهولة ..

.. كانت دلون مملكة تتألف من عدة جزر ، مركزها جزيرة البحرين ، تليها جزيرة فيلكا .. وامتدت الحضارة الدلونية على مدى العصور البرونزية الثلاثة .. وعاصرت الحضارات السومرية والاكادية والبابلية والفرعونية ..

وهيأ موقع مملكة دلون الفرصة لابنائها لان يكونوا همزة الوصل التى تربط بين حضارة وادى السند ووادى الرافدين ووادى النيل .

وكان اهل دلون يستعملون الاختام المستديرة المدببة ، وهى اختام نادرة الوجود ، تختلف تماما عن الاختام الأسطوانية العراقية ، والاختام المربعة الهندية ..

وفي جزيرة فيلكا والبحرين اكتشفوا المئات من هذه الاختام النادرة ، واعتبروها من اهم الاثار



لقد شيد الاغريق في جزيرة فيلكا هذا المعبد تكريما لالهتهم المخلصة سوتير ، وكانوا يحجون اليه لتقديم الذبائح والقرابين .

المكتشفة في البلدين .. ويحمل عدد كبير منها رسوما للسفن الشراعية التي كانت رمز الحضارة الدلونية .. اما بقية الاختام فتحمل رموزا وكتابات صورية لم تحل رموزها الى اليوم .

جعران والبستر فرعونيان

وبين الاختام العديدة التى عثروا عليها وجدوا ختما غريبا عنها في شكله وموضوعه ، فهو على هيئة الجعران المصرى الفرعوني ، غير انه يحمل في الجهة الاخرى نفس نقوش حضارة دلون الموجودة على الاختام المستديرة المدببة .. وزاد الموضوع أهمية العثور بين الآثار على قطعة من اناء مصنوع من حجر الالبستر المصرى القديم ..

كل هذه الدلائل تشير بما لا يقبل الشك ، الى ان حضارة دلون في الخليج العربي ، كانت على اتصال وثيق مع حضارة الفراعنة في وادى النيل ..

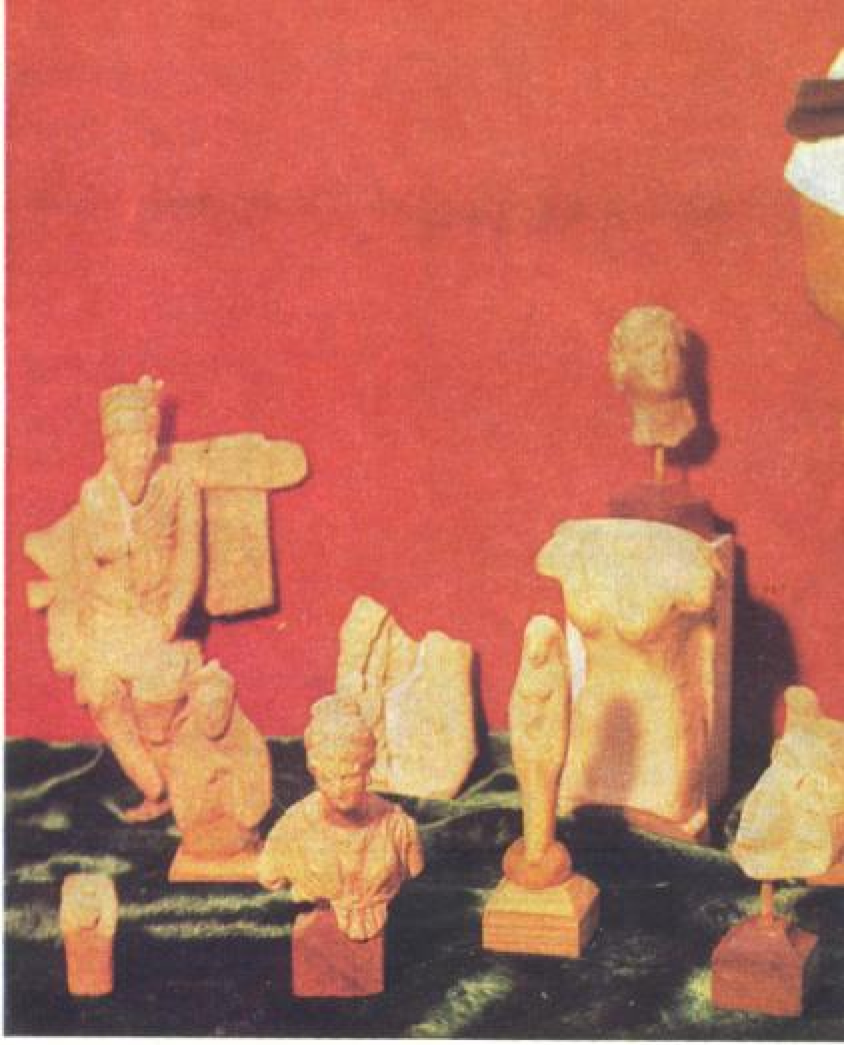
والى جانب الاختام عثروا على بقايا معبد للاله

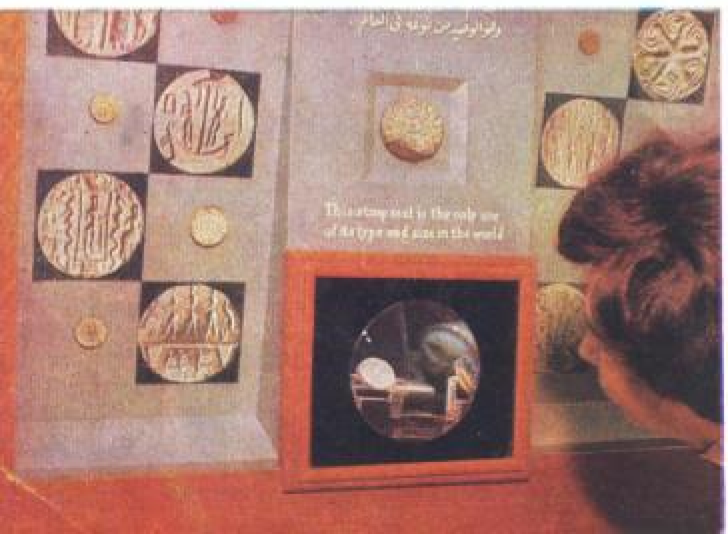


الى أسفل : حجر ايكاروس .. أشهر القطع الأثرية في متحف الكويت .. كان موضوعا في الأصل عند مدخل معبد سوتيرا « المخلصة » بجزيرة فيلكا في عهد الاغريق ، وقد نقشت عليه رسالة ملكية مكونة من ٤٤ سطرا باللغة اليونانية موجهة من انكرار خوس ، ممثل البلاط الاغريقى في الدولة السلوقية ، الى ايكاديون حاكم جزيرة ايكاروس ، وباكتشاف هذا الحجر ، الذى عرضه ٦٢ سنتيمترا وطوله ١١٦ سنتيمترا وسمكه ١٥ سنتيمترا ، أصبح من المؤكد أن فيلكا هى « ايكاروس » ، التى كان يعرفها مؤرخو اليونان والرومان أمثال اريان وبلينى ، وقد ذكروها في كتاباتهم .. أما فحوى الرسالة فتجد ترجمتها الحرفية في المقال ..



الى أعلى : أحد ابناء الكويت يتطلع الى مجموعة من التماثيل الاغريقية التى يعود تاريخها الى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد .. وتضم هذه المجموعة تماثيل لرأس الاسكندر ، وتماثيل لأفروديت ملكة الجمال ، ولفارس أثينى ، وملك على عرشه





الى اليسار : يضم متحف الكويت حوالى ٤٠٠ ختم من الاختام المستديرة المدببة والمربعة، ذات الطابع الخاص بحضارة الدلمون.. وهذه الاختام المستديرة نادرة الوجود في العالم، الا في فيلكا والبحرين .

انزاك كبير الهة دلون ، وعلى آثار مدينتين متقابلتين تزخران بالقطع الفخارية والسكاكين والحراب ، والنبال ، والميادير (السنارة) لصيد الاسماك .. وكلها تطابق تماما في شكلها وصناعتها القطع المكتشفة في البحرين ..

جنود الاسكندر مروا من هنا

وينقضي العصر البرونزي بادواره الثلاثة ، وتنقضي معه حضارة دلون .. وتنفتح صفحة جديدة في تاريخ الخليج .. انه عصر الاسكندر الاكبر والاغريق ..

لقد مر جنود الاسكندر من هنا بقيادة الامير نيارخوس ، في طريق عودتهم من فتوحاتهم في المشرق الاقصى ..

طمع الاسكندر في الخليج

والمؤرخ اليوناني اريان ، الذي دون اخبار الاسكندر في عام ١٧٠ ميلادية معتمدا على كتب المتقدمين من قبله ، يروى لنا كيف ان الاسكندر الاكبر اخذ يرسل البعوث الصغيرة الى الخليج العربي قبل وفاته لاستكشاف سواحله وجزره ، وكانت خطته اعمار الساحل والجزر لاعتقاده بانها لن تقل في ثروتها بعد اعمارها عن ثروة فينيقيا .. وغرضه من ارسال الاسطول الى الخليج هو اخضاع السكان العرب الذين لم يرسلوا اليه اى وفود لاعلان طاعتهم وصداقتهم واحترامهم كما فعل غيرهم .

ويتابع اريان كلامه قائلا : « وطمع الاسكندر في البلاد لانه سمع بانها مصدر للصبر والمر والقرفة، وفيها موانيء كثيرة صالحة لرسو سفن اسطوله .. وعندما اخبروه بان في البحر جزيرتين ، احداهما تبعد ٢٢ كيلو مترا عن مصب نهر الفرات ، وهي الصغرى ، وفيها مزارع للاغنام والغزلان المقدسة ترعى تحت حماية الالهة ارتميس ، أمر الاسكندر أن تسمى هذه الجزيرة ايكاروس ، باسم جزيرة يونانية تقع في بحر ايجه .

« واما الجزيرة الكبرى فانها تبعد عن مصب نهر الفرات مسيرة يومين بالمركب الشراعي اذا كانت الريح موالية ، وقد اسموها تايلوس ، وهي جزيرة تصلح فيها زراعة اشجار الفاكهة والمحاصيل طوال ايام السنة . » .

وقد ثبت ان ايكاروس هي جزيرة فيلكا .. اما تايلوس فيكاد يكون من المؤكد انها البحرين ..



هذا الجرن الفخاري الضخم يعود تاريخه الى العصور البرونزية حوالى ٢٥٠٠ عام ق.م. لقد اكتشفت عدة أجران مشابهة في البحرين وفيلكا.

ايكاروس هي فيلكا

واول مرة اكتشف فيها اسم ايكاروس في فيلكا كان في عام ١٩٦١ عندما عثر على نصب حجرى (انظر الصورة صفحة ٦٠) ملقى بالقرب من مدخل معبد المخلصة سوتيرا .. وعليه نقشت رسالة ملكية باللغة اليونانية من الملك سلوقيوس كنيكوس الى ايكاديون ، ممثل البلاط الملكي الاغريقي في بلاد الدولة السلوقية يامره فيه ان يرسل الى انكزار خوس رسالة يوصلها الى سكان جزيرة ايكاروس .

وهذه ترجمة عربية للاربعة والاربعين سطرا المنقوشة باللغة اليونانية على الحجر ... تبدأ الكتابة بمقدمة ثم نص الرسالة كالآتي :

من ايكاديون الى انكزارخوس سلام .. ان الملك مهتم بجزيرة ايكاروس حيث انه كان بنية اسلافه تقديم وبناء معبد المخلصة (أى الالهة سوتيرا) وقد كتبوا الى ضباطهم لتنفيذه غير ان اولئك لم يقوموا بذلك .. اما لانهم منعوا من ذلك أو بسبب آخر .. ولكن بعد أن كتب الملك الينا قررنا اتخاذ الاجراءات الفورية ورتبنا الالعاب الجمنازية وعيّنّا عشرة من الكهنة تلبية لرغبة الملك واسلافه ، وأما فيما يتعلق بسدنة المعبد وغيرهم من السكان فان

القرابين ستقدم ..... و .... يسكنون حول المعبد . ويجب عدم الالحاح ولكن الانتباه بأن الناس ... وملاحظة اذا حدث خطأ في حقهم ، وعلى الا يطردوا . واذا كان البعض منهم يرغب باستثمار أراضي الجزيرة بالزراعة وانشاء الحدائق لانفسهم والتي يقومون عليها عن طريق الايجار الموروث . وسيكون هناك ضمان ضد اغتصاب الاراضي ، كما سيعفون من الضرائب كما هو ممنوح لهم من قبل اسلاف الملك لكل شخص يتجه الى الجزيرة او الى الجانب المواجه من بلاد العرب . ولا تعفوا ولا تسمحوا بامتيازات اخرى حتى يمتنع الناس من مخالفة ما ذكر في اعلاه . وسيستلمون الرسالة بطريق مباشر وتنقش على نصب في ساحة المعبد .

سنة ٧٢ – ١٧ ارتيميسوس

آثار اغريقية بالجملة

اما الآثار الاغريقية الاخرى التي عثر عليها فعديدة متنوعة ، فمن قصر للضيافة يضم ١٢ غرفة، الى قلعة ذات ستة ابراج ، ومعبد للالهة سوتيرا ، وعشرات التماثيل الصغيرة بعضها لراس الاسكندر الكبير ، وبعضها لافرودبت وملك على راسه تاج ، ومصابيح فخارية وقوالب تماثيل لتقديمها قرابين في معبد المخلصة سوتيرا ، ومجموعة من نقود فضية مسكوكة باسم الاسكندر الاكبر ، وتحمل صور هرقل وابوللو وزيوس وانطيوخس الثالث ..

خمود بعد حركة دائبة

وانتهى عهد الاغريق ، وجاء عهد الرومان ، واشتد الصراع والحروب حول منطقة الخليج ، فتحولت الطرق التجارية الى البحر الاحمر ، وقلت اهمية الخليج .

من هذه اللمحة المختصرة السريعة عن « الكويت في بطون التاريخ القديم » ندرك ان منطقة الخليج العربي شهدت عصورا حضارية متقدمة .. عصورا تميزت بالحركة التجارية الدائبة التي انعكست آثارها على المنطقة فجعلتها قطعة تزخر بالحياة .

الامطار تكشف الآثار !

ويقول الاستاذ ابراهيم البغلي مدير متحف الكويت : « ترتبط حضارة الساحل الغربي بعضها ببعضها ، عن طريق حضارة دلمون المشتركة بين دول المنطقة .. فالآثار التي تكتشف في الكويت .. وفي البحرين وفي قطر وفي ابو ظبي ، يكمل بعضها بعضا ، وتسلط الاضواء على الاسرار والالغاز المحيطة باصل وجنس الانسان الذي سكن الخليج قديما .. ان الآثار عندنا كثيرة ، حتى انه عندما هطلت الامطار بغزارة في الشهور الماضية وجدنا انها ازالت كميات من الرمال ظهرت تحتها مجموعة من الاختام المستديرة الهامة .. » .

نريد آثارنا في بلادنا

وتوجهنا الى الاستاذ سعدون محمد الجاسم وكيل وزارة الاعلام التي تشرف على الآثار والمتاحف فقال لنا : « ما من شك ان الآثار التي اكتشفت الى الان في جزيرة فيلكا لا تمثل اكثر من ١٥٪ من مجموع الآثار التي ما زالت مطمورة تحت الارض.. وهذه الآثار تحتاج الى دراسات عميقة وصعبة لفك رموزها ونقوشها ، كما تحتاج الاحجار الصوانية ، التي يقال انها لانسان ما قبل التاريخ، الى فحوص بالآلات الحديثة لتحديد قيمتها وتاريخها على وجه التأكيد ..

« وانا أؤمن بأن هذا العمل الكبير يحتاج الى توحيد وتنسيق الجهود بيننا وبين الشقيقات في الخليج حتى لا تكون هناك ازدواجية في العمل ..

« لقد مضت اكثر من خمسة قرون على وجود الآثار تحت ارضنا ، واعتقد ان استمرار وجودها بضع سنوات اخرى تحت الارض لن يضيرنا كثيرا انتظارا لتخرج دفعات من ابنائنا الجامعيين المتخصصين في شئون الآثار والتاريخ ليتولوا بانفسهم عمليات التنقيب والبحث والدرس .. حتى تظل آثارنا في بلادنا ولا تتسلل الى متاحف العالم ، كما حدث لمعظم الآثار العربية القديمة التي تفخر بها متاحف العالم حاليا .. » .

متحف طبيعي هائل

واخيرا نختم هذا المقال بقول كتبه مستشرق امريكي قال فيه : اينما تحفر في الكويت تعثر على النفط .. واينما تحفر في جزيرة فيلكا تجد الآثار .. انها متحف أثري طبيعي هائل مليء بالقيم التاريخية المجهولة .. » ■■

سليم زبال







الاقتصاد الاسلامى

كيف أغفل المسلمون تدريسه وتطبيقه

بقلم : الدكتور محمد شوقي الفنجرى

المستشار بمجلس الدولة
والأستاذ المنتدب بكليتى التجارة والشريعة
بجامعة الازهر

■ الاقتصاد الاسلامى هو ذلك الاقتصاد الذى يوجه النشاط الاقتصادى وينظمه وفقا لأصول الاسلام وتعاليمه ،ولا تدرس مادة الاقتصاد الاسلامى سوى فى مصر وبجامعة واحدة هى جامعة الأزهر ، وبكليتين منها هما كلية التجارة (قسم الليسانس / السنة الرابعة)وكلية الشريعة (قسم الدراسات العليا/ دبلوم السياسة الشرعية) .

ولم يتقرر هذا الا حديثا بمقتضى القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ فى شأن اعادة تنظيم الازهر والهيئات التى يشملها . وذلك رغم أن الاقتصاد الاسلامى ذاته قديم بظهور الاسلام منذ أربعة عشر قرنا ... ورغم انعقاد الرأى حتى من غير علماء المسلمين ان الاقتصاد الاسلامى هو اقتصاد متميز قائم بذاته وان الاصول والمبادىء التى يدين بها ذلك الاقتصاد هى أصول سليمة تلبى احتياجات العصر وتكفل سعادة البشر فى الدنيا والآخرة .. بل ورغم تحمس المسلمين شعوبا وقادة لاعمال تعاليم الاسلام والأخذ بالاقتصاد الاسلامى ..

ويبدو ان فى الأمر حلقة مفقودة ونحاول بيان ذلك باختصار فيما يلى : ـ

اولا : حداثة مادة الاقتصاد الاسلامى .

ثانيا : اغفال تدريس مادة الاقتصاد الاسلامى .

ثالثا : اغفال تطبيق الاقتصاد الاسلامى .

الفرع الاول : حداثة مادة الاقتصاد الاسلامى

١) الاسلام ـ كما هو معروف ـ ليس مجرد دين فقط ، وانما هو ايضا وباعتباره خاتم الاديان ، تنظيم سياسي واجتماعى واقتصادى للمجتمع وهو ما يعبر عنه البعض بأن الاسلام



• عِلمٌ قديمٌ طويناه، مع طيّ الاجتهادِ في الدّين، منذُ قرون

* * *

• نحتاجُ اليومَ إلى الكشفِ عن أصولِه، والتوسّعِ في دراساتِه وبحوثِه قبلَ تدريسِه

دين ودنيا ، وما يعبر عنه البعض الآخر بان الاسلام عقيدة وشريعة .

فلم يات الاسلام شان المسيحية لمجرد الغاية الروحية (وان أعط ما لله لله وما لقيصر لقيصر) وانما جاء أيضا لتنظيم حياة البشر في مختلف نواحيها سياسية كانت او اجتماعية او اقتصادية. ولم يكن الرسول محمد عليه الصلاة والسلام نبيا هاديا فحسب ، ولكنه كان ايضا حاكما منفذا .

٢) ورغم ان الاقتصاد الاسلامى قديم بظهور الاسلام منذ أربعة عشر قرنا الا أن تدريسه كمادة مستقلة حديث للغاية . وما زالت بحوث هذه المادة ومجالات تدريسها محدودة ايضا .

ولسنا هنا بصدد تقصي أسباب هذا القصور او ذاك التناقض .. فقد نشا هذا الاقتصاد بمجيء الاسلام منذ اربعة عشر قرنا بمبادىء جديدة واصول متميزة في المجال الاقتصادى .. ثم ازدهرت دراسة الاقتصاد الاسلامى حتى القرن الثالث الهجرى ، فنجد كتب الفقه القديمة مليئة بالافكار الاقتصادية الاصيلة التى تضاهى أعظم الافكار والنظريات الاقتصادية الحديثة ، بل ان اولى المؤلفات الاقتصادية التى تتسم بالصفة العلمية لم تظهر الا منذ القرن السابع الميلادى في ظل الاسلام وعلى يد الكتاب العرب . ثم حدث ان انتكست دراسة الاقتصاد الاسلامى بقفل باب الاجتهاد منذ القرن الرابع الهجرى ، فتوقفت الدراسات الشرعية منذ ذلك الحين وجمدت المبادىء الاقتصادية الاسلامية عن مواجهة حاجات المجتمع المتغيرة .

وقد انتهى الامر الى تخلف دراسة الاقتصاد الاسلامى ، حتى تناساه المسلمون انفسهم وتجاهله علماؤهم .

٣) واذ تعلو الاصوات الآن بضرورة العودة الى تعاليم الاسلام وتطبيق مبادئه الاقتصادية واسهامها في حل مشاكل العالم ، فانه يتعين قبل ذلك أن نبين بوضوح هذه الأصول الاقتصادية وكيفية اعمالها وتطبيقها بما يحقق مصلحة كل مجتمع بحسب ظروف الزمان والمكان .

فانه لا جدوى من هذه المطالبات او المزايدات، ما لم نبذل الجهد في ابراز تعاليم الاسلام السياسية والاجتماعية والاقتصادية بروح العصر وما لم نبين كيفية اعمالها وتطبيقها بما يحقق مصالح المجتمع المتغيرة . وحينئذ بدلا من أن نحاول فرض تعاليم الاسلام بالكلام والتعصب ، ستفرض هذه التعاليم الالهية نفسها ، لا على العالم الاسلامى فحسب ، ولكن على العالم اجمع ، باعتبارها دائما وفي كل زمان ومكان طوق النجاة وسبيل السلام والسعادة للبشرية جمعاء .

ومن هنا ندرك ضرورة ان يكون للاقتصاد الاسلامى مادة او مواد مستقلة ، تتسع لدراسات علمية واسعة لمشاكل العصر الاقتصادية وتضع لها حلولها الاسلامية .

الفرع الثانى :

اغفال تدريس مادة الاقتصاد الاسلامى

١) والاقتصاد الاسلامى – على نحو ما هو معروف – هو اقتصاد مستقل قائم بذاته وهو اقتصاد متكامل له سياسته الاقتصادية المتميزة التى تجمع بين كافة المصالح سواء كانت خاصة او عامة ، وسواء كانت مادية أو روحية ، وهى

تعتبر تغير الزمان والمكان وتحقق في النهاية كافة المزايا وتتجنب كافة المساوىء .

بل نسمع اصواتا اجنبية عالمية ، تعلو مؤكدة ان المذهب الاقتصادى الاسلامي هو امل الانسانية في انقاذها من التطرف الذى يلجا اليه كل من المذهبين الراسمالى والاشتراكى .

٢) ورغم ذلك فان جامعات العالم بما في ذلك جامعات العالم الاسلامى نفسه تدرس الاقتصاد الراسمالى والاقتصاد الاشتراكى ولا تدرس الاقتصاد الاسلامى .

وفي مصر تنشا كليات متخصصة للاقتصاد ككلية الاقتصاد والعلوم السياسية دون ان تتضمن اى ذكر او اشارة لدراسة الاقتصاد الاسلامى . بل وتقام معاهد متخصصة للدراسات الاسلامية كمعهد الدراسات الاسلامية العالى ولا تدرس فيه مادة مستقلة للاقتصاد الاسلامى التى هى اجدر الدراسات الاسلامية بالاهتمام والرعاية .

وتكاد تكون جامعة الأزهر هى الجامعة الوحيدة الرائدة التى تقوم بتدريس مادة الاقتصاد الاسلامى كمادة مستقلة . ولكن استمر تدريس هذه المادة منذ تقريرها سنة ١٩٦٤ حتى الآن في حدود ضيقة وبصورةلاتساعد باى حال من الاحوال على تنمية هذه المادة .

٣) قد تعتذر الجامعات والمعاهد المتخصصة بان مادة الاقتصاد الاسلامى هى مادة حديثة ولم تتضح معالمها بصورة كافية ، ومراجعها المباشرة محدودة .

ولكن اليس ذلك اولى بان تنشا بالجامعات والمعاهد العالية كراسى متخصصة لهذه المادة وحينئذ تتعدد ابحاثها وتتسع وتنشط دراساتها وتعمق وتفرض وجودها على الفكر الانسانى وتلعب دورها الفعال في خدمة الاسلام وتوجيه حياة المسلمين .

انه اذا انشئت في جامعات العالم الاسلامي ومعاهده المتخصصة كراسى للاقتصاد الاسلامى فانه سيكون على شاغليها مهام شاقة ومتعددة اخصها : ـ

ا ـ ابراز نصوص القرآن والسنة في المجال الاقتصادى ، وبيان كيفية اعمالها بما يتلاءم وظروف الزمان والمكان ، واقتراح الحلول الاسلامية لمختلف مشاكل العصر الاقتصادية .

ب ـ دراسة مقارنة للمذهب الاقتصادى في الاسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة ، ومدى اختلاف الانظمة والتطبيقات الاقتصادية باختلاف هذه المذاهب ، وتقييم كل منها .

ج ـ مراجعة كتب الفقه القديمة واستخراج الاحكام التفصيلية المتعلقة بالاقتصاد ، وتدوينها في كتب مستقلة .

د ـ دراسة الفكر الاقتصادى لدى مختلف العلماء المسلمين في مختلف الاقطار والازمان ، وتقصى صور واسباب الخلاف بينهم ، وتقييم هذه الافكار .

هـ ـ تبادل الرسائل والمجلات والابحاثالعلمية، وندوات ومؤتمرات الاقتصاد الاسلامى .

بل اننا لا نذهب بعيدا ، اذا نتطلع الى اليوم الذى تنشا فيه بالعالم الاسلامى معاهد عالية متخصصة للاقتصاد الاسلامى ـ فالاقتصاد هو المجال الذى تتجلى فيه قوة الاسلام المادية والروحية ، وهو الذى يتحقق من خلاله تماسك الامة الاسلامية وعظمتها ورسالتها العالمية . وحينئذ ستكون اولى مهام هذه المعاهد دراسة الاوضاع الاقتصادية للعالم الاسلامى ، وتقصى ما يعانيه هذا العالم من تخلف واستعادة مجده السابق ، ورسم الطريق المدروس لاقامة صروح اقتصادية اسلامية في العالم الاسلامى ، وتحقيق تعاونه وتكامله الاقتصادى .

الفرع الثالث :
اغفال تطبيق الاقتصاد الاسلامى

١ ـ لا يشك احد في ايمان المسلمين بالاسلام . ولا ينازع احد في ايمانهم بسلامة المبادىء التى يقوم عليها هذا الدين ، لا سيما في مجال تنظيم المجتمع في مختلف اوجه النشاط السياسى والاجتماعى والاقتصادى .

وتعلو الاصوات على مختلف المستويات الشعبية والرسمية ، بل يُبَحّ بعضها ويتشنج الاخر ،

مطالبا باعمال أصول ومبادىء الاسلام الاقتصادية .

وتجد هذه الاصوات آذانا صاغية وصدى قويا لدى المسئولين ، كما تجد تجاوبا صادقا ورغبة اكيدة من جانب الحكام والقادة .

.... ثم يقف الامر عند هذا الحد !!!

٢ ـ فرغم ان الراى منعقد لدى المسلمين قادة وشعوبا على سلامة مبادىء الاسلام الاقتصادية وضرورة اعمالها ، نراهم يتلمسون حلولهم لمختلف مشاكلهم الاقتصادية خارج الاسلام ، متخبطة مجتمعاتهم بين الاقتصاد الراسمالي والاقتصاد الاشتراكي ، مغفلة اقتصادها الاسلامي .

وليس ذلك اعراضا عن الاسلام ، أو شكا في تعاليمه الاقتصادية ولا هو غفلة من المسلمين ، او ردة من القادة والمسئولين ... وانما لان الحلول التى تقدم باسم الاسلام لحل مشاكل عصرنا الحالى ، وهى مشاكل اقتصادية معقدة ، هى حلول ساذجة او غير عملية . ذلك ان الذى يتقدم بهذه الحلول هم رجال الدين ، والذين يتعصبون عادة لآرائهم مستندين في ذلك الى تفسيرات واجتهادات بعض الائمة والفقهاء القدامى . وهم بذلك يتناسون امرين اساسيين :

اولهما : ان الاسلام لا يعرف رجال الدين ، فكل المسلمين رجال دين ، وانما يعرف رجال العلم . وانه لا يكفى ان يكون العالم ذا ثقافة اسلامية فقهية عريضة ، حتى يتصدى للافتاء في المسائل الاقتصادية الحديثة المعقدة ، بل لا بد ايضا الى جوار ذلك ان يكون ذا ثقافة اقتصادية متخصصة تلم بأصول الاقتصاد وتفاصيله .

وثانيهما : ان اجتهادات ائمة الاسلام السالفين والفقهاء القدامى ، رغم قيمتها الكبيرة ، لا تؤخذ على اطلاقها ، اذ هى في ذاتها ظنية . هذا فضلا عن ان اغلب هذه الاجتهادات قيلت في زمان غير زماننا ، وفي ظروف غير ظروفنا ، ولمشاكل غير مشاكلنا ، واننا مطالبون اليوم بالاجتهاد مثلهم للكشف عن حكم الاسلام في المعاملات المالية الجديدة والمشاكل الاقتصادية المستحدثة .

٣ ـ ورد المشكلة في النهاية ، انه لا يوجد عندنا علماء متخصصون في الاقتصاد الاسلامى . وهنا في رأينا يكمن الداء ، وهنا الحلقة المفقودة .

فاقتصاديونا الفنيون تعوزهم الدراسات الاسلامية العميقة ، ومن ثم فهم يعزفون تلقائيا عن دراسة الاصول الاقتصادية في الاسلام ، او تلمس الحلول الاسلامية لمشاكل العصر الاقتصادية. وعلماء الدين عندنا تعوزهم الدراسات الاقتصادية الفنية ، ومن ثم فهم لا يحسنون اعمال الاصول الاقتصادية الاسلامية بما يتلاءم ومقتضيات العصر، او لا يحكمون ربطها بما هو واقع فعلا بعالمنا الاقتصادى المعقد الحالى .

ومن هنا فان المسلمين اليوم ، شعوبا وقادة ، يدورون في حلقة جهنمية مفرغة ، يتطلعون الى الاقتصاد الاسلامى ويطالبون بالحلول الاسلامية ، ثم يتوزعون بين الاقتصاد الراسمالى والاقتصاد الاشتراكي ويطبقون الحلول الراسمالية او الاشتراكية . وفي النهاية يعيشون في كنف انظمة اجنبية لا يرضونها او يطمئنون اليها .

وليس من سبيل لعلاج هذه الحال ، او التخلص من هذه الحلقة الجهنمية المفرغة ، الا باعداد العالم في الاقتصاد الاسلامى الذى يجمع بين (الثقافة الاسلامية الفقهية اللامحدودة) وبين الثقافة الاقتصادية الفنية المعاصرة . ولن يكون ذلك عن طريق استصراخ الهمم ، أو مناشدة علماء الاقتصاد او علماء الدين بالتخصص ، وانما عن طريق انشاء كراس لهذه المادة بالجامعات الاسلامية ومعاهد الاقتصاد وكليات الحقوق . وبهذا الاسلوب العلمي المنظم نستطيع ان نبرز اصول الاسلام الاقتصادية بروح العصر ، وان نطبقها بما يتفق وحاجات المجتمع المتغيرة . وبهذا الاسلوب وحده نضع حدا لكافة صور التعصب الاعمى والمزايدات الجوفاء ، ويتمكن الاقتصاد الاسلامى من النمو والازدهار مساهما في حل مشاكل العالم واقرار السلام ...

انها صرخة من الاعماق اوجهها الى كافة المسئولين ، وخاصة رجال الاقتصاد منهم ورجال الدين . من اجل العلم والحق ، ومن اجل الاسلام والمسلمين .

... اللهم هل بلغت ، اللهم فاشهد . ■■

محمد شوقى الفنجرى

رفاعة الطهطاوى



بقلم : فاروق شوشة

■ « وليس رفاعة الطهطاوى رائدا للحركة الفكرية فحسب ، وانما هو ايضا امام المترجمين فى العصر الحديث بفضل معالجته لالفاظ الحضارة الحديثة ، ومصطلحات العلوم ، محاولا أن يصبُها جميعا فى قالب عربي ، ولسان عربي » .

« وحسبه أنه كان فى مستهل تاريخ انفتاح هذه الامة على العصر الحديث ، نقطة الوصل المضيئة ، ومثلا أعلى للمواطن المستنير ، الغيور على لغته ووطنه ، المستوعب لروح عصره وجيله، المناضل دائما من اجل غد أفضل » .

« عبقريتان .. متماثلتان »

كثيرة هي محاولات التجديد والتطوير واعادة الحياة ، التى قام بها الرواد الأوائل على طريق لغتنا الجميلة ، واذا كان تراثنا العربي القديم يقدم لنا نموذجا فريدا لهذه الريادة هو أديب العربية الكبير الجاحظ ، الذى تفجر عنه العصر العباسي ، عصر ازدهار الحضارة العربية والثقافة العربية ، لسانا لهذا العصر ، وترجمانا أمينا له ، وواضعا لأساس لغة الاتصال بالجماهير ، ودائرة معارف كاملة ، اتسعت لكل ما حفل به العصر من ثقافات وآداب وعلوم ـ فان عصر النهضة الحديثة يقدم لنا في مستهله ، رائدا فذا من هؤلاء الرواد الأوائل ، هو رفاعة رافع الطهطاوى رائد الحركة الفكرية ـ في مصر ـ خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ..

وكما اتسعت عبقرية الجاحظ ، لروح عصره ، ومنجزاته و صيدنامه الحضارى وتفاعله مع الثقافات الأجنبية المعاصرة له من هندية ويونانية وفارسية ، متأثرا ومتجاوزا ، فقد استطاعت عبقرية الطهطاوى ان تتمثل روح الحضارة الغربية الأوربية ، عندما أتيح له أن يتفاعل معها خلال سنوات بعثته التعليمية الى باريس بين عامى

ولغة الاتصال بالجماهير

١٨٢٦ و ١٨٣١ ، تلك البعثة التى سجل كل ما يتصل بها في كتاب ممتع طريف سماه « تخليص الابريز في تلخيص باريز » .

« أول بعثة علمية الى فرنسا »

كانوا أربعين شابا حملتهم السفينة الحربية الفرنسية « لاترويت » للدراسة في باريس سنة ١٨٢٦ ، ويلخص رفاعة في كتابه القيم قصة سفره مع هذه البعثة موفدا من الشيخ حسن العطار ، بل انه يجعل من الكتاب مصدرا مباشرا لاستعراض موضوعات دروسه وامتحاناته ومراحل تطور عقله وثقافته خلال خمس سنوات .. هى عمر هذه البعثة العلمية الأولى .

لقد عاد الطهطاوى الى وطنه في عام ١٨٣١ زاخر النفس بمعانى تلك الحياة الأوروبية ، التى كانت جديدة على عقله وحسه ووجدانه . وهو حين يحاول تسجيل ذلك كله يكتشف أن بين يديه لغة جامدة محافظة ، شبه ميتة ، جمدت على أيدى الوراقين والناسخين وكتاب الذيول والشروح والحواشي ومصنفى المختصرات وناظمى القواعد والمتون ، ومن خلال تعامله مع المعانى الجديدة والمسميات الجديدة التي يمتلىء بها عقله ووجدانه، يكتشف رفاعة أيضا أن هذه اللغة التي يكتب بها ويعبّر لا يمكن أن تفى باحتياجات النهضة الحديثة ومتطلبات المجتمع المتغير ، فعليه اذن ان يعد العدة للقيام بمغامرة رائدة ، يطوع فيها هذه اللغة الجامدة لمستحدثات العصر ومنجزات الحضارة ومسميات الحياة الحديثة ، ويوسّع من اهابها وينفخ في روحها ، حتى تنهض باعباء الترجمة والتعبير عن الجديد من المعانى والافكار والمصطلحات والمسمّيات .

«تخليص الابريز فى تلخيص باريز»

ويستوقفنا العنوان قبل الكتاب . ان رفاعة لا يكتفى بهذا العنوان لكتابه ، وانما يسجل له عنوانا آخر هو : «الديوان النفيس بايوان باريس» .. وهذا السجع المنظوم في العنوانين يستوقفنا أيضا ، ثم ان الجناس واضح بين كلمتى «تخليص» و « تلخيص » وكلمتى « ابريز » و « باريز » كما هو واضح بين ديوان وايوان . بل ان الطريف ان رفاعة ما زال حائرا يتردد بين حرفي السين والزاى عند كتابة اسم العاصمة الفرنسية ، وينبغى الا نعجب لهذا ، فهى المرة الاولى التى يكتب فيها اسم العاصمة الفرنسية بالحروف العربية ، لذلك فان رفاعة يكتبه مرة « باريز » ومرة أخرى « باريس » .

على أن أخطر ما يمثله هذا الكتاب الطريف ، ليس في كونه سجلا حيا فريدا لهذه البعثة التعليمية الأولى فيتاريخ البلاد الىفرنسا – والتى كان رفاعة أحد طلابها – وانما فيكونه يعكس بصورة غير مباشرة محاولات رفاعة الجاهدة لاستيعاب منجزات الحضارة الاوروبية ، وترجمتها وتعريبها ، والتعبير عنها بلسان عربى مبين . وانطلاقا من هذا المفهوم لا يصبح رفاعة رائدا للحركة الفكرية فحسب ، وانما هو أيضا امام المترجمين في العصر الحديث ، بفضل معالجته لالفاظ الحضارة الحديثة ، ومصطلحات العلوم ، ومفردات الحياة العامة – منخلالاللغة الفرنسية– محاولا أن يصبها جميعا في قالب عربى ولسان عربى

فما الذى فعله رفاعة ؟

الطهطاوى .. امام المترجمين المحدثين

يفصح رفاعة عن الهدف من وضع كتابه «تخليص الابريز في تلخيص باريز» في هذه السطور من الخطبة التمهيدية للكتاب : «ليكون نافعا في كشف القناع عن محيا هذه البقاع ، التي يقال فيها انها عرائس الاقطار ، وليبقى دليلا يستهدى به الى السفر اليها طلاب الاسفار ، خصوصا وانه من اول الزمن الى الآن ، لم يظهر باللغة العربية على حسب ظني شيء في تاريخ مدينة باريس ، كرسي مملكة الفرنسيس ، ولا في تعريف أحوالها، وأحوال أهلها ..»

ولقد نشطت ذاكرته ـ وهو يترجم ـ في استدعاء مصطلحات من تاريخ النظم الاسلامية والعربية تعادل المصطلحات الفرنسية وتقابلها ، ووجد في هذا بعض بغيته . وكان هذا الذي وجده نقطة البدء ـ بالنسبة لمن جاءوا بعده ـ في تلقى هذه المصطلحات والتراكيب والالفاظ ـ فهو مثلا يترجم النصوص العلمية مستعملا تسميات العلوم القديمة عند العرب ، فيترجم «الميكانيكا» بعلم الحيل ، والتاريخ الطبيعي بعلم «التولدات» أو «المواليد الثلاثة» ، والفلك او الجغرافيا الرياضية بعلم «الهيئة» .. ان اللغة العربية التي بين يديه ـ وهي لغة التراث ـ قد تحجرت منذ قرون طويلة ، وتخلفت عن ركب الحضارة عندما تخلف أصحابها انفسهم وتخلفت مجتمعاتهم ، وأصبحت عاجزة عن ايجاد تسميات شاملة وسريعة للمنجزات الحديثة ، ولكنه مع ذلك يتفنن من أجل نقل الفكرة والمعنى ـ في ابتكار عبارات عربية تؤدي المعاني الفرنسية التي لم يجد ما يقابلها في العربية وهو أحيانا يلجأ الى تعريب اللفظ الفرنسي بوضعه في صيغة عربية ملائمة ، فهو مثلا يترجم الخزانة العامة ببيت المال والمصلحة أو الهيئة بالعمالة ، والقانون بالشريعة .. وهكذا ..

وهو عندما لا تسعفه اللغة ، ويستعصي عليه التعريب أو الترجمة ، ينقل أسماء الاعلام الأجنبية نقلا صوتيا ـ في حروف عربية ـ مع شرح معناها للقارئ،مثل : سيكلستاكل،فسيولوجيا،أمنبوس، رسطراطور ، جورنال ، اكدمة (اكاديمية) ، بال (حفل راقص) ابتازونيا (الولايات المتحدة) وسهنجتون (واشنطون) والكوليج (أي المدرسة)، وهكذا يحتفظ بالكثير من الاسماء الأجنبية راسما اياها في حروف عربية خاصة اذا كانت من الاسماء الجغرافية او اسماء الاعلام أو أسماء الشهور ..

مقارنات بين الفرنسية .. والعربية ..

ومن أمتع فصول الكتاب ، الفصل الذي يحدثنا فيه رفاعة عن اللغة الفرنسية مقارنا بينها وبين اللغة العربية ، فاللغة الفرنسية ـ في رأيه ـ واسعة المجال غنية بالمعاني .. : «حتى لكان لسانهم من اشيع الألسنة واوسعها ، بالنسبة لكثرة الكلمات غير المترادفة ، لا بتلاعب العبارات والتصرف فيها ، ولا بالمحسنات البديعية اللفظية فانه خال عنها ، وكذا غالب المحسنات البديعية المعنوية ،وربما عدّ ما يكون من المحسنات العربية ركاكة عند الفرنسيين . مثلا لا تكون التورية من المحسنات الجيدة الاستعمال الا نادرا ، فان كانت فهي من هزليات أدبائهم ، وكذلك الجناس التام والناقص ، فانه لا معنى له عندهم» .

ويختم رفاعة المقارنة الطريفة بين اللغتين بقوله: «وبالجملة فلكل لسان اصطلاح ، واصطلاح اللغة الفرنساوية تقليل التصريف ما أمكن ، وتصريف الفعل مع فعل آخر . مثلا اذا اراد الانسان ان يخبر بانه اكل فانه يقول : «أملك ماكولا ، واذا اراد أن يقول : «خرجت ، يقول : انا اكون مخرجا ، يعني خرجت ، وهكذا . ويسمى فعل الملك وفعل الكينونة فعلين مساعدين ، يعني أنهما يعينان على تصريف الافعال وينجردان عن معناهما الاصلي (يشير الطهطاوى هنا الى الفعلين Avoir , Etre الداخلين في تصريف الافعال في اللغة الفرنسية) .

ثم يقول : «ثم ان اللغة الفرنساوية كغيرها من اللغات الافرنجية لها اصطلاح خاص بها ، وعليه ينبني نحوها وصرفها وعروضها وقوافيها وبيانها وخطها وانشاؤها ومعانيها وهذا ما يسمى اغرمانيقي الخ .. ، نعم ليس كل مائع ماء ، ولا كل سقف سماء .. ولا كل بيت بيت الله ، ولا كل محمد رسول الله ، وكما قال الشاعر :

وهيهات ما كل النسيم حجازيا
ولا كل نور يبهج الشرق والغربا

وقال آخر :

وما كلُّ مخضوب البنان بثينة
ولا كل مسلوب الفؤاد جميل

فلا شك أن لسان العرب هو أعظم اللغات وأبهج:

* وهل ذهب" صرف" يُحاكيه بهرج *

وهى سطور تنطق بعصبية الطهطاوى للغته العربية ، وانتصاره لها ، وتفضيلها على غيرها من اللغات .

الترجمة .. تفسد الشعر

ويتحدث رفاعة فى ختام هذا الفصل من كتابه عن العلوم الادبية الفرنساوية ، وعن لغتها وأشعارها المبنية على عادة جاهلية اليونان وتاليههم ما يستحسنونه فيقولون مثلا اله الجمال واله العشق واله كذا .. وينفر رفاعه بحسه الدينى من هذه التسميات التى تتضمن فى رايه كفرا صريحا ، وان كان يعترف بانهم لا يعتقدون بما يقولون ، وانما هو من باب التمثيل ونحوه .

يقول رفاعة : « وبالجملة ، فكثير من الاشعار الفرنساوية لا باس به ، ولنذكر لك شيئا من بعض اشعارهم مترجمة من كلام بعضهم للعبد الفقير ، من القصيدة المسماة نظم العقود فى كسر العود للخواجة يعقوب المصرى منشا الفرنساوى استيطانا .. وقد اعتنيت بترجمتها سنة الف ومائتين واربعين واخرجتها من ظلمات الكفر الى نور الاسلام :

زاد بى الحال اذ صفا لىّ حالى
وغنانى بالعود والألحان

باسم ربى والسادة الاعيان
وترنمت شجوة بالحنان

وبسعدى ذات الجبين المفدى
فتغنى سمعها الى انشادى

ورمى النار لحظها فى فؤادى
فلهذا شعرى بدا فى اتقاد

وبدا من حماسه فى انفراد
لذوى الفهم والمعارف يهدى

وهنا يلاحظ رفاعة ببصره الثاقب وحسه المرهف أن ترجمة الشعر من لغة الى أخرى تفسده وتذهب برونقه وبهائه فيقول :

« وهذه القصيدة كغيرها من الاشعار المترجمة من اللغة الفرنساوية عالية النفس فى أصلها ، ولكن فى الترجمة تذهب بلاغتها ، فلا تظهر علو نفس صاحبها ، ومثل ذلك لطائف القصائد العربية فانه لا يمكن ترجمتها الى غالب اللغات الافرنجية من غير أن يذهب حسنها ، بل ربما صارت باردة.»

ومرة ثانية تلتقى عبقرية الطهطاوى بعبقرية الجاحظ ، الذى سبقه منذ قرون الى اكتشاف هذه الحقيقة ـ حقيقة أن الشعر لا يترجم ، فانه اذا تُرجم نثرا فَقَدَ رَوْعته ، كما أن اشعار العرب لو ترجمت لما كان لها جمالها وبيانها وروعتها .. يقول الجاحظ فى كتابه « الحيوان » :

« الشعر لا يستطاع أن يترجم ، ولا يجوز عليه النقل ، ومتى حُوّل تقطّع نظمه ، وبطل وزنه ، وذهب حسنه ، وسقط موضع التعجب منه ، والكلام المنثور المبتدا احسن واوقع من المنثور الذى تحول من موزون الشعر ، وجميع الناس يحتاجون الى الحكم فى الدين ، والحكم فى الصناعات والى كل ما أقام المعاش ، وبوّب أبواب الفطن ، وعرّفهم وجوه المرافق ، حديثهم كقديمهم ، واسودهم كأحمرهم ، وبعيدهم كقريبهم ، والحاجة الى ذلك شاملة لهم ، ولو حولت حكمة العرب لبطل ذلك المعجز الذى هو الوزن ، فقد صح أن الكتب ابلغ فى تقييد المآثر من الشعر .. »

وما أروعه لقاء بين عبقريتين !

فكر يقظ .. ونظر ثاقب

لقد كان رفاعة ينقب بعينه وقلبه وفكره فى كل ما حوله من مظاهر الحياة الأوروبية ومستحدثات الحضارة الحديثة ، لم يترك شيئا فى باريس الا عرض له بالذكر والتعليق والتحليل والتفسير : الملابس ، المتنزهات ، الصحة ، فعل الخير ، الدين ، الأغذية ، الطب ، العلوم والفنون والصنائع ، الثورات والفتن ، الامتحانات، تقسيم اللغات ، الوزراء ، القضاة ، المساكن .. الخ . وهو فى كل مجال من هذه المجالات ، يتأمل ويسجل

بعين اليقظ الخبير ، والأريب الفطن الذى لا يفوته شيء ، كما لا يغيب عنه حس المقارنة بين الحياة في مصر والحياة في فرنسا ، ولا يخمد في صدره ـ لحظة واحدة ـ وهج الوطنية المتقدة ، والحماس لكل ما يمس معتقداته ونزعاته . لقد قضى رفاعة في ربوع فرنسا خمس سنين ، لكن عينيه كانتا دائما على مصر ، تتأملانها في كل ما يرى وفي كل ما يكتشف في كل ما يجرب ويعاني .. ثم هو يخوض في وقت واحد معركة متعددة الجبهات ، انه يتعلم اللغة الفرنسية ويحاول اتقانها ، ثم هو يلم بمبادىء العلوم الحديثة ويحاول استيعابها ، ثم هو يعاني كتابة هذه الصفحات من كتابه « تخليص الابريز » محاولا تسجيل خواطره، وتصنيف افكاره ، والسيطرة على اداة تعبيره ..

ولئن كان رفاعة قد استحق بفضل هذه الريادة الفكرية المتقدمة ، وبهذا التنوير العام الذى أيقظ به وجدان وطنه بعد عودته من البعثة ـ استحق ان يكون المعلم الأول لشباب مصر الحديثة ، فان جهوده في مجال الترجمة والتعريب من أجل تطويع اللغة العربية وتطويرها ، واثراء تعابيرها ومفرداتها ومصطلحاتها ، قد جعلت منه امام المترجمين المحدثين دون منازع ..

نموذج للغة في التعبير .. وأسلوب في الكتابة

وبوسعنا نحن الآن أن نلمس حقيقة هذا الدور الكبير الذى قام به رفاعة ، عندما نتأمل نموذجا لأسلوبه في الكتابة ، وللغته في التعبير ، من خلال ادراكنا لروح العصر والمستوى العام للكتابة الذى كان يحيط برفاعة في ذلك الوقت . والذى كان يتلخص في لغة جامدة محافظة ، تمتلىء بالزخارف والمحسنات البديعية ، وتعتمد على الترصيع البلاغي الأجوف والرنين اللفظي الكاذب .. وهكذا كانت لغة رفاعة وأسلوبه بمثابة الشهاب المضيء الذى أضاء ما حوله ، وترك تأثيره العميق على معاصريه ، وعلى تلاميذه من بعده ..

يقول رفاعة في سياق حديثه عن اللغة العربية : « نعم .. اللغة العربية أفصح اللغات واعظمها واوسعها واحلاها على السمع ، فحينئذ العالم باللغة اللاطينية (يقصد اللاتينية) يعرف سائر ما يتعلق بها ، فله ادراك في النحو في حد ذاته وفي غيره كالصرف ، فمن الجهل أن يقال : انه لا يعرف شيئا ، بدليل جهله باللغة العربية ، واذا تبحر الانسان في لغة من اللغات كان عالما باللغة الأخرى بالقوة ، يعني انه لو ترجم له ما في اللغة الاخرى وعبر له كان قابلا لتلقيه ومقابلته بلغته ، بل ربما كان يعرفه من قبل ، ويعرف زيادة عليه ، ويبحث فيه ، ويبطل منه مالا يقبله العقل .. كيف والعلم هو الملكة.. وحينئذ فقد لا يعرف الانسان المطولات باللغة العربية ، ويعرف ذلك باللغة الفرنساوية لو ترجم له » ..

وهي سطور تنطق بلغته الصافية المباشرة التى تخاطب العقل دون أن تكون مثقلة بزخارف البلاغيين ومحسنات البديعيين ، وتنفذ الى صميم الهدف والفكرة في مراعاة لطبيعة المتلقى .. انها لغة تتملص من رق التراث محاولة جهدها التحليق في آفاق المعاصرة ..

لقد أتيح للغة التعبير على يدى رفاعة الطهطاوى ـ ممثلة في هذا الكتاب النفيس ـ نقلة جديدة ، دفعت بالدماء الحارة الى شرايينها فايقظتها من طول همود وخمود ، ودفعت بها الى مستوى الوفاء بمتطلبات العصر ، وقدمت للآخرين نموذجا يحتذى في لغة الكتابة ، وأساليب التعبير ، ومواجهات معضلات الحياة الحديثة ..

نقلة جديدة في لغة الاتصال بالجماهير

ولقد أتيح لرفاعة من الأسباب ما مكنه من تحقيق ذلك ..

فهو ـ أولا ـ ابن التعليم الأزهرى العريق ، وعاه وتمثله وأتقنه واستظهره ، وتحققت له من خلاله دعامة لغوية وعقلية متينة ، لم يكن بمقدوره أن ينتقل بدونها الى رحاب المعاصرة ..

ثم هو ـ ثانيا ـ يلتقى به في خضم المعاناة والتجربة الجديدة ، التى تفجر طاقاته وامكانياته وملكاته الخلاقة المبدعة ، من خلال حياة جديدة

عليه ، تمتلىء باسباب التحدى والصدام والمواجهة في بلاد الافرنج : لغة وثقافة وعادات وتقاليد ومواضعات .

ومن خلال هذا المخاض والتفاعل ، بين ثقافة التراث ولغته من ناحية ، وثقافة الغرب ولغته من ناحية أخرى ، ولدت على يدى رفاعة لغته الجديدة ، لغة الاتصال بالجماهير ، طيعة ، سمحة ، تتسع لكل ما حوله ، وتمتلىء بمكنونات نفسه وهمسات خاطره ونجاوى قلمه ، وتتعثر حينا في يديه ، فلا يلبث التيار المتدفق أن يجد متسربا يدور به ويتابع ويستمر ، وليجرب رفاعة كل أسلحته التى شحذها لمعركته الفريدة من ترجمة وتعريب ونحت ووضع واشتقاق ، انها جميعا ركائز هذه اللغة الجديدة واسلحتها ـ لغة الاتصال بالجماهير ـ ولينشىء مدرسة الالسن لتسلح المصريين بوسائل الاتصال بحضارة الغرب وثقافاته ، وليصبح الداعية الأول ـ وهو الأزهرى العريق ـ لهذه الحضارة الحديثة التى بهرته وملكت عليه جوانب نفسه ، وان كان لم يغمض عينيه طول الوقت عما فيها من نقائص ومساوىء لم تسغها تقاليده ولا معتقداته .. وهكذا لم يمنعه اعجابه بهذه الحضارة أن يشير الى هذه المثالب هنا وهناك في مواطن شتى من كتابه .

ولم تضع جهود رفاعة هباء ..

فمنذ فجر القرن العشرين ، والمجامع العلمية المتخصصة تتتابع في عواصم الوطن العربى ، في القاهرة ودمشق وبغداد ، تحمل المشعل وتواصل الرسالة ، كمجمع البكرى ومجمع نادى دار العلوم ومجمع اللغة العربية في القاهرة ، والمجمع العلمى العربى في دمشق والمجمع العلمى العراقى في بغداد ، وتواكبت المحاولات الجادة المثمرة التى قام بها العلماء الرواد على طريق لغتنا الجميلة من امثال : أحمد فارس الشدياق وعلى مبارك ومحمد عبده وابراهيم اليازجى وأحمد تيمور وانستاس الكرملى وأحمد رضا وبطرس البستانى ولويس المعلوف وغيرهم .. ، يضعون المعاجم الحديثة ، ويصنفون القواميس العصرية ، ويترجمون التراكيب والمصطلحات ، ويقترحون مسميات جديدة لألفاظ الحضارة الحديثة ، ويبحثون في متن اللغة ، ويناقشون نحوها وصرفها وطريقة كتابتها وقواعد املائها ، مما تفيض به اليوم أبحاث المجامع ومؤلفات المتخصصين .

★ ★ ★

لكن دور رفاعة الريادى سيظل دائما عميق الأثر في وجدان هذه الأمة ، وحسبه انه كان في مستهل تاريخ انفتاحها على العالم الحديث نقطة الوصل المضيئة ، ومثلا اعلى للمواطن المستنير ، الغيور على لغته ووطنه ، المستوعب لروح عصره وجيله ، المناضل دائما من أجل غد افضل . ■■

فاروق شوشة

العربى : الجماهير العربية شملت الأمية منهم ٧٠ في المائة ، وهى كانت أزيد من ذلك في القرن الماضي ، قرن رفاعه الطهطاوى ، فكيف كان هو واضع أساس لغة الجماهير ، وهى جماهير كثرتها الكاثرة كانت أمية . والذى ينطبق على الطهطاوى ينطبق على الجاحظ وعصره ، وقبل أن تكون كتب تتداول وتكون مطابع ، وكيف انفتح الطهطاوى على لغة الجماهير مع الذى أورده لنا الكاتب هنا من مقتبسات من كتابه من سجع وجناس ، حتى اسم كتابه وجب أن يكون مسجوعا . ان اقحام « الجماهير » لاستفزازهم ليرتفعوا فيه الخير ، وأما اقحام الجماهير في الوقائع التاريخية فتحتاج الى درس وصبر وترو . ثم ان الصيغة التى كرهها الكارهون في اللغة العربية انما كانت في بعض العصور العربية المتأخرة ، فما بال اللغة في صدر الاسلام وفيما بعده بقرنين وثلاثة . هل استعجمت هذه اللغة على الجماهير ؟

طرائف غريبة

ابن ملك الصحافة !

● وليام راندولف هيرست William Randolph Hearst الصحفي الامريكي (١٨٦٣ ـ ١٩٥١) ، الذى شيد اكبر امبراطورية للصحافة فى العالم ، اشتهر بالبخل الشديد ، والتقتير على المحررين



الذين يعملون فى الصحف والمجلات التى يملكها والتى تصدر فى مختلف انحاء الولايات المتحدة الامريكية !

حدث يوما ان تلقى هيرست خطابا بالبريد المسجل ، ارسله اليه صحفى ناشىء من المحررين الذين يعملون معه ، وفض هيرست الرسالة ، فاذا بها تقول: « لقد اكتشفت بعد اربع سنوات من العمل معكم اننى أنفق فى سبيل المحافظة على اسم هيرست وسمعته فى عالم الصحافة ، أكثر مما أنفق على بيتى واولادى . ان العمل فى صحفكم رفاهية لا يستطيع مرتبى المتواضع ان يتحملها!»

وطوى امبراطور الصحافة الرسالة، ثم امر باستدعاء كبير المحاسبين ، وقال له : « اريد ان اعرف كيف يعيش هذا الشاب !

وبعد ايام عاد المحاسب وفى يده تقرير جاء فيه :

« ان هذا المحرر هو ابنك يا سيدى ؟!»

وامر هيرست برفع مرتبات العاملين فى صحفه بنسبة ٣٠٪ ، وكانت هذه اول وآخر مرة يوقع فيها هيرست علاوة للصحفيين !

الممثلة والطبيب

يروى ان سيدة جلست يوما تنعم بحمام شمسى فوق ظهر باخرة تعبر الاطلنطى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة فى طريقها من الولايات المتحدة الأمريكية الى انجلترا. وتصادف ان جاء مقعد السيدة بجوار رجل كان يعطس بشدة ، وقد بدا عليه انه مصاب بنوبة انفلونزا!

وفجاة التفتت السيدة اليه ،وقالت: «لابد انك تشعر بتعب شديد يا سيدى؟

ونظر الرجل اليها بعينين متعبتين ، ثم هز راسه فى هدوء مؤيدا!

وعادت السيدة تقول : « اذن ، فما عليك الا ان تعود فورا الى غرفتك ، وتتناول كوبا من الليموناده الساخنة مع قرصين من الاسبيرين ، ثم ترقد فى فراشك وتغطى جسمك باكبر عدد ممكن من البطاطين الصوفية .

سوف تشعر بالعرق يتصبب من جسمك ، وعندئذ فقط سوف تتخلص من البرد ! »

وسكتت السيدة قليلا ، ثم اردفت : « انى أعنى ما اقول، فانا ادرى بمصلحتك منك . وما عليك الآن الا ان تفعل ما اشرت به عليك ! »

ويبدو انها تذكرت شيئا ، فعادت تقول : « نسيت ان اقدم لك نفسى ، انا بيلى بيرك Billy Burke ممثلة الكوميديا فى هوليود ! »

وهنا نظرت الى الرجل المريض فوجدته يبتسم ابتسامة عريضة ، ثم ما لبث ان ترك مقعده ونهض واقفا ومد اليها يده مصافحا ، وقال : « اشكرك يا سيدتى ، اما انا فادعى الدكتور مايو صاحب مستشفى مايو (المستشفى العالمى الشهير) ! وسوف انفذ ما نصحتنى به فورا ، بشرط ان تقبلى العمل معى فى المستشفى ، وسادفع لك ثلاثة اضعاف دخلك من التمثيل ! »

وقبلت السيدة هذا العرض المغرى ، وجاءت لتعمل فى المستشفى .. يقول الدكتور مايو : « لقد كانت بيلى اول ممرضة لم تتعلم فن التمريض ، فقد كانت تجيد فنا آخر .. كانت تعرف كيف تنتزع الضحكات من قلوب المرضى .. »

الجبن الفرنسى ، والسياسة في راى ديجول !

سالوا الرئيس الفرنسى الراحل الجنرال ديجول يوما ، قبل ان ياتى الى الحكم ، خلال الثورات المتعاقبة والاضطرابات السياسية الخطيرة التى اجتاحت البلاد .. سالوه : « من هو الرجل الذى يستطيع فى رايك ان يحكم فرنسا ؟ »

واجاب ديجول وابتسامة عريضة ترتسم على وجهه الذى قلما رآه خصومه مبتسما : « هل تعلمون ان فرنسا تنتج اكثر من ثلاثمائة صنف ، من اصناف الجبن الذى اشتهرت به فى مختلف انحاء العالم ؟ ان هناك علاقة وثيقة بين هذه الانواع المتعددة من الجبن ، وبين السياسة ، فهذا التنوع يعكس اختلاف امزجة هذا الشعب . وفى رايي ان اصلح رجل قادر على تولى الحكم فى فرنسا هو ذلك الذى يستطيع ان ياكل كل ما يقدم له من هذه الاصناف العديدة من الجبن، دون ان يصاب بعسر هضم ، او يشكو من الاسهال ! » .



وجود الله ووحدانيته في فلسفة الكندي

بقلم : الدكتور محمد عاطف العراقى

مدرس الفلسفة بجامعة القاهرة

اولا : تمهيد :

■ لا يخفى على المشتغلين بالفكر الفلسفى العربى ، أن قضية التدليل على وجود الله ، ومحاولة البرهنة على وحدانيته ، من القضايا الفلسفية التى خاض فيها اكثر فلاسفة الاسلام ، سواء فى المشرق العربى كالكندى والفارابى وابن سينا ، أو فى المغرب الاسلامى كابن رشد الفيلسوف الاندلسى .

وفي مقالتنا هذه سندرس هذه القضية عند اول فلاسفة الاسلام وهو الكندى . وذلك من خلال المؤلفات والرسائل التى تركها الكندى . تلك الرسائل التى نجد بين ثناياها محاولة قوية من جانبه للتدليل على وجود الله وتقرير وحدانيته تعالى ، من عدة زوايا وجوانب ، نكاد نقطع من جانبنا انها تنظر الى المشكلة من كل زواياها وابعادها ، حتى تبدو بصورة اقرب ما تكون الى الوحدة والتكامل .

نقول هذا ونحن ناخذ في الاعتبار ، ارتباط بحثه لهذه القضية ، بقضية حدوث العالم وقدمه، تلك القضية التى بحث فيها الكندى ومن جاء بعده من فلاسفة الاسلام .

نوضح ذلك بالقول باننا اذا رجعنا الى كتاب « تهافت الفلاسفة » للغزالى ، نجده يذهب الى ان الفلاسفة الذين قالوا بقدم العالم قد تناقضوا مع انفسهم حين حاولوا التدليل على وجود الله . وهذا معناه ان كل فيلسوف يقرر ان العالم قديم، ثم يسوق ادلة على وجود الله ، فانه يتناقض مع نفسه فيما يقرر الغزالى .

وسبب هذا ان شرط الفعل عند الغزالى هو ان يكون حادثا ، لان الحادث لا يوجد من نفسه ، بل يحتاج الى صانع . أما اذا قلنا بقدم العالم واثبتنا له مع ذلك صانعا ، أى خالقا ، فان هذا يدلنا على التناقض فيما يرى الغزالى .

هذا يعنى أن هناك من المفكرين كالغزالى من يربط بين القول بحدوث العالم والقول بوجود

الله ، بحيث ان التسليم بحدوث العالم يؤدى لا محالة الى التسليم بوجود الله . كما يربط بين القول بقدم العالم ، والقول بعدم الاعتراف بعلة للكون .

ومن هنا فان بحث الكندى الذى يقول بحدوث العالم يرتبط تماما بتدليله على وجود الله . اى أن العالم عنده اذا كان حادثا ، فان هذا الحادث لا بد له من علة أحدثته واظهرته الى الوجود . وهذه العلة هى الله .

فما هى اذن اهم ادلة الكندى على وجود هذه العلة ؟ وكيف اثبت لنا وحدانية الله ؟ .

ثانيا : أدلة الكندى الفيلسوف على وجود الله :

لا يخصص لنا الكندى رسالة بعينها او مبحثا محددا يعرض لنا فيه أدلته على وجود الله ، بل نراه يتناول دراسة هذه القضية فى كثير من رسائله . ونذكر منها على سبيل المثال ، « رسالته في وحدانية الله وتناهى جرم العالم » ورسالته « في حدود الاشياء » ، ورسالته «الابانة عن العلة الفاعلة القريبة للكون والفساد » .

١ ـ دليل العناية والغائية فى الكون :

نستطيع ان نقول ان هذا الدليل من اهم الادلة التى نجدها في رسائل الكندى الفلسفية .

فالكندى يستدل على وجود الله بالاستناد الى فكرة الغائية والعناية الالهية . يقول الدكتور محمد عبد الهادى ابو ريدة : « ان الكندى يردد في كثير من رسائله تأكيد القول بعظم القدرة الالهية وسعة الحكمة وفيض الجود وكمال العناية بكل شيء وجعل بعض الاشياء اسبابا وعللا للبعض الآخر »[١] .

ونود ان نشير من جانبنا الى أن الكثير من الفلاسفة سواء فلاسفة اليونان او فلاسفة العصر الوسيط او فلاسفة العصر الحديث قد أكدوا على القول بالغائية في العالم وبالنظام والاتقان الموجود فيه . وقد صعد اكثرهم من ذلك الى القول بوجود اله للكون . أى أن العناية والغاية البارزة في أرجاء الكون سمائه وارضه ، تؤدى عندهم الى تقرير وجود علة للكون . وهذه العلة هى الله .

نجد هذا عند أفلاطون وأرسطو قديما،وليبنتز وكانت حديثا ، مع ما بين افكارهم في هذا المجال من تفاوت وتباين أحيانا . الا انهم يعبرون في اقوالهم بصورة او باخرى ، عن تلك الفكرة الهامة.

واذا نظرنا الى ما تركه لنا فلاسفة الاسلام من مؤلفات ورسائل ، نجد فكرة الغائية والعناية الالهية بارزة بروزا ظاهرا ، حين يستدلون على وجود الله . ونجدهم أيضا قد ربطوا ربطا وثيقا بين فكرة الغائية وفكرة العناية الالهية . ولعلهم ارادوا من ذلك تفادى ما في مذهب ارسطو من نقص . ذلك النقص الذى يتمثل في تلك الفجوة بين الله والعالم . اى أنهم ارادوا أن يؤكدوا وجود علاقة بين الله والعالم ، بدليل تلك الغائية والعناية الالهية المشاهدة فى الكون الذى نعيش فيه سمائه وارضه ، أى العالم العلوى والعالم السفلى .

نجد هذا مثلا عند ابن سينا الذى يركز على القول بالعلة الغائية ، كعلة رابعة من علل الموجودات الطبيعية . ثم يحاول أن يصعد من ذلك ـ حين يبحث في مجال الالهيات ـ الى الربط بين وجود هذه العلة وبين وجود مسبب لها ، بحيث يبدو الكون مظهرا لعناية الخالق به .

كما نجد ذلك ايضا عند ابن رشد فيلسوف المغرب الاسلامى ، حين يقرر العناية والغائية ، بحيث نجد عنده استدلالا على وجود الله يستند على فكرتى العناية والغائية [٢] .

تقرير الغائية والربط بينها وبين العناية الالهية، تعد اذن من الظواهر الملاحظة التى نجدها عند اكثر فلاسفة الاسلام من خلال مؤلفاتهم . فالكندى له نصوص عديدة يحاول فيها الاستدلال على الغائية والحكمة والعناية الالهية . ورغم أننا لا نجد له

(١) مقدمته لرسائل الكندى الفلسفية ص ٨٠ .

(٢) د . محمد عاطف العراقى : النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد ص ٢٢٧ ـ ٢٣٠ . (دار المعارف بالقاهرة)

بحوثا مستقلة وقائمة بذاتها في موضوع العناية والغائية في الكون ، بحيث تكون هذه البحوث ممثلة لفكرته تمام التمثيل ، الا اننا لو جمعنا بين اقواله المتناثرة حول هذا الموضوع في كثير من رسائله ، استطعنا ان نقول انه يركز على القول بالغائية ويربط بينها وبين العناية الالهية ،بحيث يكون ممثلا للاتجاه الفكرى الاسلامى،الذى يستند الى كثير من آيات القرآن التى تثبت وجود عناية وغاية في الكون .

ومن هذه الآيات قوله تعالى : الم نجعل الارض مهادا ، والجبال اوتادا ، وخلقناكم أزواجا ، وجعلنا نومكم سباتا ، وجعلنا الليل لباسا ، وجعلنا النهار معاشا ، وبنينا فوقكم سبعا شدادا، وجعلنا سراجا وهاجا ، وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا ، لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا (٣) .

وقوله تعالى : « تبارك الذى جعل في السماء بروجا ، وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا »(٤) .

وقوله تعالى : « الذى جعل لكم الارض فراشا »(٥) .

وقوله تعالى : « فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق »(٦) .

وقوله تعالى : « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت »(٧) .

وقوله تعالى : « يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء ، فاخرج به من الثمرات رزقا لكم ، فلا تجعلوا لله أندادا وانتم تعلمون »(٨) .

وقوله تعالى : « أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء »(٩) .

والكندى حين يقرر وجود العناية والغائية ويصعد من ذلك الى اثبات وجود الله ، اما أن يبين لنا تلك الغائية الموجودة في هذا الكون الارضي وأما أن يحاول الربط بين الظواهر الكونية الارضية ، والظواهر الجوية العلوية . اى يحاول بيان استناد الظواهر الارضية الى عوامل علوية ، وفي كل ذلك ما يشهد بوجود خالق أحسن كل شيء صنعا .

نوضح ذلك فنقول باننا اذا رجعنا على سبيل المثال الى رسالته في « الابانة عن العلة الفاعلة القريبة للكون والفساد »(١٠) ، نراه يذهب الى ان نظم هذا العالم وترتيبه ، وتسخير بعضه لبعض، واتقان هيئته ، لأعظم دلالة على أتقن تدبير وعلى أحكم حكمة . وهذا التدبير وهذه الحكمة تدل عند الكندى على وجود مدبر حكيم .

واذا كنا قد ذكرنا منذ قليل أن الكندى يحاول الربط بين الظواهر العلوية والظواهر الارضية ، ويصل من ذلك الى اثبات وجود الله ، فان ذلك يتضح من خلال الكثير من الامثلة والشواهد التى يضربها لنا الكندى كأمثلة للعناية الالهية والغائية سواء في العالم العلوى ، أو العالم السفلى . وهذا كله يدل على وجود خالق حكيم .

فهو مثلا يرى أن قوام الاشياء الموجودة في عالم الكون والفساد ، يرجع الى اعتدال الشمس في فلكها ، بحيث تدنو من مركز الارض تارة ، وتبعد عنه تارة .

وما يقال عن الشمس ، يقال عن القمر . اذ لو لم يكن اعتدال بعده من الارض على ما هو عليه الآن ، بل اقرب ، لمنع تكون السحاب والامطار ، لانه كان يحل البخار ويبدده ويلطفه ولا يدعه أن يجتمع ولا يكثف .

وهكذا يضرب لنا الكندى الكثير من الامثلة سواء في رسالته هذه ، أو في العديد من رسائله الاخرى ، لاثبات العناية والغائية ، وكيف أنها تؤدى لا محالة الى وجود الخالق وهو الله سبحانه

---

(٣) الآيات من ٦ الى ١٦ من سورة النبأ (٤) الآية ٦١ من سورة الفرقان (٥) الآية ٢٢ من سورة البقرة (٦) الآية ٦ من سورة الطارق (٧) الآية ١٧ من سورة الغاشية (٨) الآية ٢٢ من سورة البقرة (٩) الآية ١٨٥ من سورة الأعراف (١٠) ص ٢١٥ من نشرة الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريده .

وتعالى . يقول الكندى : « فقد تبين ان كون جميع الاشخاص السماوية على ما هى عليه من المكان الذى هو الارض والماء والهواء ، وتنضد ذلك وتقسيطه ، هو علة الكون والفساد فى الكائنات الفاسدات ، الفاعلة القريبة ، اعنى المرتبة بارادة باريها هذا الترتيب الذى هو سبب الكون والفساد. وان هذا من تدبير حكيم عالم قوى جواد عالم متقن لما صنع ، وان هذا التدبير غاية الاتقان »(١١) .

٢ ـ دليل المشابهة والتماثل بين النفس فى البدن والله بالنسبة للكون :

هذا دليل آخر من أدلة الكندى على وجود الله . فاذا رجعنا الى رسالته فى حدود الاشياء ، نجده يشير الى دليل على وجود الله يعتمد على فكرة المشابهة أو التمثيل بين عمل النفس بالنسبة للبدن ، وبين الله بالنسبة للكون أو العالم كله .

نوضح ذلك بالقول بان النظام فى الجسم الانسانى ، اذا كان يدل على وجود قوة خفية غير مرئية ، وهى النفس التى تسير الجسم ، فان التدبير فى الكون يدل على وجود مدبر له .

ومعنى هذا اننا اذا كنا نستدل على وجود النفس التى لا ترى ، بوجود تنظيم فى شيء مرئي وهو الجسم الانسانى ، فاننا نستدل ايضا على وجود خالق للكون لا يرى ، من وجود التدبير فى هذا العالم المرئي . يقول الكندى : ان العالم المرئي لا يمكن أن يكون تدبيره الا بعالم لا يرى ، والعالم الذى لا يرى ، لا يمكن أن يكون معلوما الا بما يوجد فى هذا العالم من التدبير والآثار الدالة عليه.

وهكذا يسوق لنا دليلا على وجود الله تعالى يعتمد على فكرة المقارنة بين عمل النفس فى البدن ، وعمل الله فى الكون . اى ان وجود النظام فى الكون يدل على وجود منظم له وهو الله ، تماما كما تدل افعال البدن على وجود نفس له ، تدبره وتسيره .

٣ ـ دليل الوحدة والانسجام :

وهذا دليل ثالث من ادلة الكندى على وجود الله . فهو يلاحظ ان هذا العالم سواء ما كان منه سماويا أو أرضيا ، يعد مركبا وتعتريه الكثرة والتغير .

ولكن هذه الاشياء تعد ـ فيما يرى الكندى ـ اشياء عارضة فى هذا العالم ، اى ليست جوهرية اساسية له ، ومن هنا لا بد ان نرجعها الى علة واحدة ، ليست داخل هذا العالم ، بل هى خارجة عن العالم . وهذه العلة هى الذات الالهية ، الواحدة غير المتكثرة .

اتضح لنا الآن كيف حاول الكندى جهده فى تقديم الكثير من الادلة على وجود الله . ولعل القارىء قد لاحظ تنوع هذه الادلة . فمنها ما يستند الى تقرير الغائية والعناية الالهية . ومنها ما يقوم على الصعود من التركيب والكثرة والتغير الذى نراه فى عالمنا هذا ، الى ذات الهية واحدة ، تعد خارج هذا العالم . ومنها ما يعتمد على التمثيل بفكرة النفس فى البدن الانسانى ومقارنتها بضرورة وجود الله لتدبير العالم سمائه وارضه .

ثالثا : اثبات وحدانية الله عند الكندى :

اذا كان الكندى ـ كما سبق أن راينا ـ قد برهن على وجود الله ، فانه بحث ايضا ـ شانه فى ذلك شان أكثر فلاسفة الاسلام ـ فى موضوع الوحدانية ، كصفة من صفات الله ، وانتهى الى اثبات الوحدانية لله سبحانه وتعالى .

والكندى يعبر فى ذهابه الى الوحدانية ، عن الروح الاسلامية ، بمعنى أن ما يسوقه لتقرير وحدانية الله يعتمد على الآيات التى نجدها فى القرآن والتى تؤيد ان الله واحد ليس كمثله شيء ، وانه واحد لا شريك له .

ونود ان نشير قبل ان نعرض لفكرة الكندى الفلسفية عن الوحدانية ، والتى تستند فيما

---

(١١) رسالته فى الابانة عن العلة الفاعلة القريبة للكون والفساد ص ٢٣٦ .

قلنا منذ قليل ، على اسس دينية اسلامية ، الى ان طريق الشرع قد بني على ثلاث آيات هي : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا »(١٢) ، « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله ، اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون »(١٣) ، « قل لو كان معه آلهة كما يقولون،اذا لابتغوا الى ذىالعرش سبيلا»(١٤).

ومع هذا فلا تخلو آراء الكندى في هذا المجال ، من التأثر بالتراث الارسطى . وسنشير الى هذه المسألة بعد قليل .

قلنا ان الكندى قد حاول اثبات وحدانية الله . ففى رسالته الى المعتصم بالله في الفلسفة الاولى، ورسالته في وحدانية الله،نجده يؤكد علىوحدانية الله ببيان انه تعالى لا يشبه خلقه ، اى يختلف عن بقية الموجودات المخلوقة .

توضح ذلك بعبارة هامة للكندى . فهو يقول : « ان الفاعل الاول ليسكثيرا ، بل واحد غير متكثر، سبحانه وتعالى عن صفات الملحدين علوا كبيرا ، لا يشبه خلقه ، لان الكثرة في كل الخلق موجودة، وليست فيه بتة ، ولانه مبدع وهم مبدعون، ولانه دائم وهم غير دائمين ، لان ما تبدل تبدلت أحواله وما تبدل فهو غير دائم »(١٥) .

الى هنا يكون فيلسوفنا الكندى قد اثبت الوحدانية لله . ومن اللازم في هذا المجال ان نقرر من جانبنا اليوم على صفحات هذه المجلة ، ان الكندى في استدلاله على الوحدانية ، كان متأثرا بالآيات الثلاث الموجودة في القرآن الكريم ، والتى سبق ان ذكرناها منذ قليل ، بقدر ما كان متأثرا ببعض جوانب فلسفة ارسطو .

ومعنى هذا ان قضية التوحيد عند الكندى تعتمد ـ فيما نرى ـ على روح اسلامية ، تتمثل في آيات القرآن ، وروح ارسطية يونانية .

صحيح أننا لا نجد قضية التوحيد عند ارسطو واضحة وحاسمة من كل وجوهها ، ولكن صحيح أيضا القول بأن لارسطو بعض العبارات التيتثبت فيها وحدانية الاله .

توضح ذلك بالقول باننا اذا رجعنا الى مقالة اللام من كتاب ما بعد الطبيعة لارسطو ، نجده يؤكد القول بان الاله واحد ، معتمدا على ان العالم واحد . بمعنى أن العالم لما كان واحدا ، فان العلة الاولى لا بد أن تكون واحدة .

بل ان ارسطو يذهبايضا الى تقرير الوحدانية من زاوية أخرى ، وذلك في آخر كلماته في مقالة اللام من كتاب ما بعد الطبيعة .

فيرى انه لو كانت المبادىء كثيرة ، لم تكن السياسة خير السياسات ، يوضح ذلك ابن رشد في تفسيره لما بعد الطبيعة لارسطو ، فيقول : أن كانت المبادىء الاولى للعالم مبادىء مختلفة ، فالموجودات التى ها هنا لا يمكن ان توجد فيها خير السياسة ، ولا نظام يشبه نظام السياسة وخيره ، كما انه اذا كانت الرئاسات كثيرة ، لم يوجد للسياسة نظام ولا استقامة واعتدال . ولذلك كما قال : لا خير في كثرة الرؤساء ، بل الرئيس واحد (١٦) .

نخلص من هذا كله الى القول بأن الكندى ، كما حاول جهده في تقديم الكثير من الادلة على وجود الله ، فاننا نراه باحثا أيضا الادلة التى تنهض على وحدانية الله . ولعله يكون قد اتضح لنا الآن ، كيف ذهب الكندى الى اثبات وحدانية الله معتمدا على أدلة قرآنية ، تتمثل في اكثر من آية ، كما تأثر أيضا تأثرا ظاهرا ببرهنة أرسطو على وحدانية الاله في كتاب ما بعد الطبيعة له .

■■

محمد عاطف العراقى

---

(١٢) آية ٢٢ من سورة الأنبياء .

(١٣) آية ٩٠ من سورة المؤمنين .

(١٤) آية ٤٢ من سورة الأنبياء .

(١٥) ص ٢٠٧ من رسالته في وحدانية اللهوتناهى جرم العالم .

(١٦) مجلد ٣ ص ١٧٣٥ ـ ١٧٣٦ .

مع الكاتب الروسي الشهير

بُشكين

في روايته (افجيني انيجين)

هي تصوير للحياة الروسية في القرن التاسع عشر ذلك الذي مهد للقرن العشرين وكبير أحداثه

بقلم : الدكتورة حياة شرارة

■ سار الادب الروسي في القرن التاسع عشر بخطوات مطردة في تطوره وازدهاره ونمائه . ولم يعان من التأخر الذي كانت تعانيه روسيا في المجالات الاقتصادية والاجتماعية ، بل نما نموا سريعا بحيث احتل في فترة وجيزة مكانة مرموقة لا على الصعيد الروسي فحسب بل على الصعيد العالمي ايضا .

وقد كان للنخبة الروسية من اهل الفكر اهمية بالغة ومكان فريد في التعبير عن آمال الامة وطموحها . فهي تختلف في هذا المضمار عن امثالها في الغرب بان لعبت دورا رئيسيا في الكشف عن العيوب والنقائص والآفات الاجتماعية التي تنخر الحياة الروسية وفي مقدمتها النظام الاستبدادي الذي كان يمسك المجتمع بيد من حديد ويخنق انفاسه . ولم يلتفت الكتّاب فقط الى تصوير هذا الواقع المر بل اهتموا بالبحث عن طريق الخلاص منه ، وقد كانت لهم آراء ومعتقدات متباينة في انقاذ روسيا وتخليصها من الحياة المظلمة التي كانت تعيشها .

بشكين ابو الادب الروسي

ويحتل بشكين Pushkin (١٧٩٩ – ١٨٣٧) مكانا كبيرا في الادب الروسي ، ويعتبر اباه بحق ، وواضع حجر الزاوية في صرحه الشامخ . انه كما يقول ب . بورسوف « على الرغم من ان ولادة الادب الروسي تعود الى القرن الثامن عشر فبشكين هو اول من صور روسيا والانسان الروسي



في خصائصهم القومية وفي ارتباطهم بتطور البشرية العام » (١) ولبشكين فضل كبير في تطوير اللغة الادبية واعطائها طابعها القومي وفي خلق انواع واشكال ادبية جديدة وعكس الصفات والسمات الخاصة بالفرد وتبيان الخصائص الوطنية والطابع القومي للحياة الروسية .

الرواية الروسية في مستهل القرن التاسع عشر

ويعود لبشكين الفضل في تطوير الرواية الروسية الواقعية ، وخلق اطارها الفني المحدد ومضمونها القومي الفني . وقد استطاع ان يقوم بدور هام في هذا المضمار لانه عاش في عصر آخر غير العصر الذى عاش فيه اسلافه . وقد تهيأت للرواية الروسية في مستهل القرن التاسع عشر نفس الاجواء التى نمت فيها الرواية الاوربية الغربية . فمن الواضح ان الرواية الاوربية وجدت أرضا خصبة لنشوئها في ظروف الثورات العاصفة والانقلابات الاجتماعية الهائلة التى هزت اوربا لفترة طويلة ، كثورة كرومويل في انكلترا ،والثورة الفرنسية والثورة الالمانية . وقد زعزعت هذه الثورات اركان المجتمع وقلبت الحياة القائمة ، ولقي هذا الانقلاب الاجتماعي صداه في الادب والفن والموسيقى . فظهرت الرواية لتعبر عن الانسان الاوربي وتصوره في حياته الجديدة وتبين آماله ومطامحه ولتظهر الهزات العميقة التى تعرض لها المجتمع بمختلف طبقاته من خلال حياة الانسان العادى .

لقد حدث شيء شبيه بذلك في روسيا خلال القرن التاسع عشر . فبعد حملة نابليون عام ١٨١٢ وفشلها تزعزعت العلاقات الاجتماعية ، وبدا التفكك يسرى في اوصال النظام الاستبدادى واخذ الانقسام الطبقي يتبلور اكثر فاكثر ، وطفق الصراع مع النظام القيصرى يبرز الى الوجود بشكل واضح جلي . وجاءت انتفاضة الديسمبريين التى اعدت لها جماعة من النبلاء الاحرار تعبيرا عن التغيرات الاجتماعية والفكرية التى طرات على الحياة الروسية .

ان قمع الانتفاضة واعدام خمسة من قادتها ونفي الآخرين الى سيبيريا لم يوقف الهزة العميقة التى تعرض لها المجتمع .

جاءت الرواية الروسية لتعكس هذا التخلخل الذى تسرب الى اوصال المجتمع والذى اخذ بالازدياد والتصاعد . وكان لا بد للاديب ان يصور مشاعر الفرد وعواطفه وافكاره مرتبطة بالارضية الاجتماعية وبالعصر الذى يعيشه ، اى لم يعد ممكنا تصوير الانسان منعزلا عن محيطه وعائشا في عالم من الوحدة والاحلام والآمال التى لا تمت بصلة الى الواقع . ان التصوير الرومانتيكي لحياة الفرد الذى كان سائدا في ذلك الوقت لم يعد يفي بالغرض . اذ اصبح اظهار الجوانب المختلفة التى تشد الانسان الى ارضه امرا ضروريا تطرحه متطلبات العصر ومقتضياته .

رواية افجيني انيجين

وقد ارسى بشكين اسس هذا الاسلوب الادبي الجديد وكانت روايته « افجيني انيجين » Evgeni Onegin فتحا مهما في هذا المضمار . ولذلك استقبلها النقاد بحرارة وباهتمام كبيرين . فقد ادركوا عناصر الابداع الفني والمضمون الاجتماعي الجديد الذى تنطوى عليه الرواية . لانها طرقت ابوابا كانت شبه منسية في الادب الروسي وفتحت امام هذا الأدب آفاقا جديدة للازدهار والنمو والتفتح . ويقول الناقد غ . غوكوفسكي بهذا الصدد : « ان رواية بشكين تفيض بالتفاصيل البيئية وملامح المرحلة التاريخية في سماتها اليومية . انه يعطي لوحة لروسيا عام ١٨٢٠ ولتقاليدها ونظام الحياة فيها وثقافتها وعاداتها بغنى لا نظير له سواء في الشعر او النثر » (٢) .

لقد ادرك بشكين ان كتاباته الرومانتيكية السابقة لم تعد قادرة على تطوير اسلوبه الادبي او نقل الواقع الذى يريد تصويره على حقيقته ، واحس بضرورة الكف عن الكتابة حول ذات الانسان وآلامه واشجانه ، والانتقال الى العالم الارحب الذى يحيطه والذى يترعرع وينشا فيه ويكون جزءا مهما منه مهما كان انفصامه النفسي والفكرى قويا عنه . ويتعرض بشكين في رواية « افجيني

(١) ب . بورسوف . الخصائص القومية للأدب الروسي . لينينغراد ـ ١٩٦٧ ـ ص ٨٧ .
(٢) غ . غوكوفسكي . بشكين وقضايا الاسلوب الواقعي . موسكو ١٩٥٧ ص ١٣٩ .

انيجين » متهكما على الاهتمام بتصوير الحياة الفردية للانسان قائلا :

كانما لم يعد بمستطاعنا .
أن نكتب قصائد عن الآخرين .
وانما عن انفسنا فقط .

اعترض بعض اصدقاء بشكين مثل رايفسكي على رواية « افجيني انيجين » باعتبارها لا تدور حول شخصية البطل ولا تركز على ذاتيته وانما تتجاوزه الى جوانب وزوايا اخرى بعيدة عنه . وقد اوضح بشكين طريقته الجديدة في الكتابة ، وابان قصور كتاباته السابقة عن الالمام بالحياة من جميع منعطفاتها ، واشار الى ضرورة الاقلاع عن التصوير الوحيد الجانبي للفرد والاحاطة بـه من جهاته المختلفة .

شرع بشكين في كتابة رواية « افجيني انيجين » عام ١٨٢٣ وانتهى من وضعها عام ١٨٣١ . وكان الشاعر قد بلغ اوج نضوجه الفني في هذه الفترة . فقد ازدادت تجاربه الادبية ثراء ، وتفتحت مواهبه الشعرية ، واغتنى بخبرات حياتية واسعة وبمعرفة كبيرة لدقائق الحياة الروسية ، فـلا عجب ان تصبح رواية « افجيني انيجين » من اشهر مؤلفاته الادبية واكثرها انتشارا لانها تمثل خلاصة ابداعه الفني .

بشكين كتب روايته شعرا

لم يكتب بشكين روايته نثرا ولو انه في كتاباته اللاحقة اتجه نحو كتابة القصص النثرية لمقدرة النثر على التعبير عن افكار الكاتب واغراضه الفنية ضمن اطار ارحب مجالا من الشعر . غير ان الشاعر طرق نوعا ادبيا جديدا فقد سمى مؤلفه رواية . اذ بعث برسالة الى فيازمسكي سنة ١٨٢٣ يقول فيها « لا اكتب الآن رواية نثرية وانما شعرية من نوع دون جوان ، والبون شاسع بين الاثنتين » . اما ملاحظته بان روايته ذات علاقة بدون جوان للشاعر الانكليزي بيرون فقد عدل عنها فيما بعد اذ كتب الى بيستوجوف عام ١٨٢٥ قائلا ان لا علاقة لروايته الجديدة بدون جوان .

سخرية وانتقاد للحياة التافهة

تسجل الرواية بداية الانفصام والانقسام في في المجتمع الروسي . فقد اخذ الصراع بين القديم والجديد يبرز على مسرح الوجود معلنا عن نفسه بوضوح وجلاء . فعدد كبير من الجيل الفتي الطالع لم يعد ينسجم مع مفاهيم ومعتقدات وعادات آبائه ، وفقد الايمان باسلوب الحياة القائم آنذاك ، وشعر بضرورة التغيير والتبديل لكي يصبح للحياة معنى وهدف . ولذلك تسود الرواية نغمة سخرية وانتقاد للحياة التافهة التي يعيشها الناس وانغمارهم بالاهتمامات اليومية العادية وبصغائر الامور . ويصور بشكين التفاهة والفراغ لا في حياة اهل القرية فقط بل والمدينة ايضا فالفراغ الروحي وانعدام المعاني والمثل السامية يجمع بين ملاكي القرية ونبلاء المدينة . فلو القينا نظرة على حياة خال انيجين في القرية لرأيناه يحيا حياة هادئة عادية لاتتجاوز الاكل والشرب والثرثرة والنوم .

ويصف الشاعر حياته وبيته قائلا :

قضى اربعين عاما يشتم ربة البيت
وينظر من النافذة ويضرب الذباب
كل ما في البيت بسيط : الارض خشبية
وهناك خزانتان وطاولة واريكة من الوبر
ولا اثر لبقع الحبر
فتح انيجين الخزانتين
فوجد في احداهما دفتر المصروفات
وفي الثانية صفا من قناني المشروبات
وقلة من عصير التفاح
ورزنامة لثماني سنوات خلت
وكان لدى العجوز أشغالاً كثيرة
لذلك لم يتصفح كتابا .

ان الكتب والمجلات والورق والحبر لا مكان لها في حياة جده وامثاله . فهو منهمك في عيشه اليومي الرتيب الخالي من الجهد والعمل والتفكير .

اما مجتمع المدينة فالحياة فيه ناعمة كسولة ، ومصقولة المظهر ، وتمتاز بالبريق الخارجي الخادع غير أن معدنها صديء أيضا . ان ارتياد المسارح والذهاب الى الحفلات والاحاديث الرقيقة والملابس الانيقة الجميلة والالفاظ المهذبة والابتسامات الحلوة تخفي وراءها فقرا روحيا وقصرا في التفكير وابتعادا عن جوهر الحياة ومعناها . ففي الحفلات نلاحظ « الضجيج والقهقهات والتنقل السريع والانحناءات والقفز ورقصات المازوركا والفالس ».

اما نظرة الناس الى الامور الحياتية فتدور حول مظاهرها فقط وتصبح الحياة نوعا من المراسيم والتقاليد التي يؤديها الناس . فيقول الشاعر « لا تطيق ان ترى امامك فقط حفلات الغداء ، وصفا طويلا من المدعوين الذين ينظرون للحياة كنوع من الطقوس ، والركض وراء اصحاب النفوذ الذين لاتشاركهم آراءهم ولا رغباتهم » .

يتحرك بطل الرواية في هذا الاطار الاجتماعي المذكور . فقد ولد انيجين على ضفاف نهر النيفا في بطرسبورغ ، واشرف مدرس فرنسي على تعليمه وتهذيبه عندما كان طفلا ولما غدا فتى يافعا اصبح يلبس وفق احدث « الموضات » ويتكلم الفرنسية بطلاقة ويرقص المازوركا بخفة ، ولذلك رأى فيه المجتمع الارستقراطي شخصا ذكيا ولطيفا . انه يعرف جميع الاصول الاجتماعية معرفة دقيقة بالاضافة الى ثقافته الواسعة التي تبهر كثيرا اذا قيست بثقافة ابناء محيطه . بيد ان انيجين كان يشعر بكسل وخمول مؤلمين . فالدعوات والحفلات والذهاب الى المسارح والرقص والمآكل اللذيذة والثرثرة والاحاديث التافهة لم تعد تملأ حياته الروحية ولم تشبع متطلباتها .

تسلم انيجين في هذه الفترة رسالة تخبره بوفاة خاله وتركه ارثا له . فذهب الى القرية وقام بمراسم الدفن . وفي الايام الاولى طابت له القرية بحقولها الهادئة المنعزلة واشجارها الرائعة وجداولها وغاباتها وتلالها . غير انه « احس بان السام يلازمه في القرية ايضا ، رغم انعدام الشوارع والقصور ولعب الورق والحفلات والقصائد فيها . فالكابة تنتظر حراسته وتتبعه كالظل ، وكالزوجة الوفية » . ولاجل « قضاء الوقت » قرر انيجين ان يدخل بعض التغييرات على حياة فلاحيه . فالغى السخرة ، واحل محلها دفع جزء عيني من المحصول او اعطاء كمية من المال ، بالطبع تعتبر هذه الخطوة التي اقدم عليها انيجين - لا عن تفكير مسبق او اهتمام بحياة الفلاحين - مهمة في التخفيف من اعباء حياة القن ، ولكنها القت الخوف في قلوب جيرانه من الملاكين الذين لايرغبون باجراء اي تعديلات في نظام القنانة القروي ، ولذلك « قرروا كجوقة واحدة ، ان انيجين غريب الاطوار وخطر » . وعندما اخذوا يزورونه لم يرق لهم تصرفه وسلوكه فابتعدوا عنه ورأوا فيه انسانا شاذا غير طبيعي .

يلتقي انيجين في القرية بتاتيانا وهي فتاة طيبة وبسيطة ، فتحبه وتعجب به ، وتكتب له رسالة تكشف فيها بصراحة عن عواطفها تجاهه وثقتها به . ان اقدامها على كتابة رسالة غرامية ينطوي على جراة ومغامرة كبيرتين من جانبها غير ان ثقتها به وحبها له واستعدادها للتضحية من اجله كان مبعث تصرفها . ثمن انيجين عواطف تاتيانا والصراحة التي اعلنت فيها مشاعرها تجاهه والتي لا يمكن العثور عليها الا نادرا في مجتمع المدينة . لقد هزته رسالتها بحيث « اثارت مشاعره الراكدة منذ زمن بعيد » . غير ان تاثير الرسالة - رغم اعجابه باخلاق تاتيانا - لم تتعد مرحلة الانفعال المؤقت ولم تستطع ان تبعث الحرارة في اوصاله او تخلصه من الخمول والكسل اللذين يسيطران عليه .

يدعى انيجين في عيد القديسة تاتيانا الى بيت لاريني اي اهل تاتيانا . ولما كان الضجر والسام قد اخذا بخناقه فقد حاول ان يسلي نفسه فابدى اعجابه باولغا اخت تاتيانا ورقص معها رقصات الفالس والمازوركا وغيرها وعصر يدها وهمس في اذنها مادحا وملاطفا . فاخذت الغيرة والحمية خطيبها لينسكي وطلب انيجين للمبارزة لكي يدافع عن شرفه وقتل انيجين صديقه لينسكي في هذه المبارزة .

يقوم انيجين بالتجول في انحاء روسيا عسى ان يجد في ذلك التطواف ما يشغل به نفسه ويملأ الفراغ الذي يحيط به . ونلتقي به ثانية في نفس المجتمع الارستقراطي في احدى الحفلات حيث يرى تاتيانا وقد تزوجت من جنرال معروف . فيعجب بها ويقع في غرامها . ان انيجين لا يحب مؤخرا تاتيانا الفتاة القروية البسيطة التي لم يهتم بها عندما اطلعته على اسرار قلبها بل احب تاتيانا الارستقراطية التي اصبحت جذورها القروية ضائعة في الماضي . « فرغم انه نظر بامعان اليها لم ير آثار تاتيانا التي عرفها سابقا » . وعندما يلمس اهمالها له وعدم مبالاتها به تستيقظ عواطفه نحوها بقوة وتتخذ شكلا محموما . فتعود اليه الاحلام والآمال التي كانت تراوده عندما كان صبيا ويستولى عليه القلق والاضطراب ويفارق النوم عينيه وتغلي دماء الحياة في عروقه ثانية وينجلي عنه صدأ البرود واللامبالاة ، اذ تصبح مبادلة تاتيانا الحب له محور تفكيره فنسمعه يقول « لكي

تستمر حياتي ، فعليّ ان اكون على ثقة من رؤيتك في الصباح » . وهكذا يبعث الحب انيجين مجددا ويمده بالحياة الحية الملتهبة ويلقي به في دوامة القلق والاضطراب وتعاوده الروح الرومانتيكية والآمال التي كان مفعما بها عندما كان صبيا .

ان تاتيانا لم تكن مستعدة للتخلي عن حياتها الزوجية ولن تترك زوجها في سبيله . ولذلك قالت له « انني لازلت احبك فعلام المراوغة ؟ ولكنني اصبحت لغيرك وساخلص له طوال حياتي » . وهكذا يقف حب انيجين امام باب موصد ، فلن يبلغ الغاية التي يرمي اليها وهي تكون عائلة سعيدة منه ومن تاتيانا . وكما يقول شكلوفسكي « .. يقع انيجين في الحب ويغير هذا الحب نظرته للعالم ويجعله يفقه معنى الحياة ولكنه في الوقت ذاته يفقد كل امل بالسعادة (٣) » وتنتهي الرواية والبطل واقف وحده في بيت تاتيانا كالمذهول بعد ان وضحت له موقفه السابق من عواطفها ورفضها الاستجابة له في الوقت الراهن بعد ان تقرر مجرى حياتها الى الابد .

يعرض بشكين لوحة متعددة الالوان لحياة انيجين ، فالبطل كما يشير الناقد ا . سوكولوف « يقدم لنا لا في حاضره وفي شكله الحالي فحسب بل في ماضيه وفي تاريخ تطوره وفي ديناميكية تكوينه وخلقه (٤) » فنحن نتعرف على حياة انيجين منذ ولادته في بطرسبورغ وكيف تتلمذ ونما ومن اشرف على تعليمه وتثقيفه وكيف يقضي وقته وما هي رغباته وكيف تطورت شخصيته وتغيرت في الفترة الاخيرة .

ان المأساة في حياة افجيني انيجين ، والغربة التي يحس بها في بيته وبين معارفه وفي وطنه ليست وليدة نزعة البطل الفردية وانما هي نتيجة للتغيرات التي طرات على المجتمع واخذت تنخره من الداخل . فالبطل يشعر بالقيود وبتفاهة الحياة التي يحياها ويتوق لعمل شيء ما يعود بالفائدة عليه وعلى الاخرين ، بيد انه يجد الطريق مسدودا امامه وينتظره مصير مظلم . فهو يقول : « انني شاب ودماء الحياة دفاقة في عروقي ولكن ماذا انتظر ؟ .. الكآبة .. الكآبة » .

وهذا ما كان يشعر به العديد من النبلاء الذين اخذوا يعون ضرورة اجراء بعض التغيرات في المجتمع فالبطل ليس انسانا معزولا عن الوسط الاجتماعي الذي يحيا فيه بل هو ممثل لعصره وللتيارات الفكرية التي تولد فيه .

لقد ابتعد بشكين عن تصوير ذات البطل وعواطفه وحدها وصوّره مرتبطا بالواقع الاجتماعي . وقد اشار ميلاخ الى ان « تناول بشكين الجديد لمشكلة الابطال في رواية افجيني انيجين لا تتحدد فقط بربطهم بالعصر ، ان تفكيرهم واحاسيسهم وافعالهم وتصرفاتهم لاتعينها النزوات العاطفية وانما الظروف التاريخية والزمان والوسط وتنبع كحتمية غير مشروطة من الاوضاع الملموسة وترتبط بالخصائص المحسوسة الذاتية والعامة للفرد (٥) » يمثل انيجين افكار الثوريين في عصره الذين قاموا بانتفاضة على الحكم القيصري في شهر ديسمبر وترمي الى اجراء بعض الاصلاحات الاجتماعية . فغاية متنوري العصر هي ايجاد الظروف التي تتيح للانسان التطور والنمو الكاملين وتخلق امامه السبل والمجالات لانطلاق شخصيته وتحقيق مثله وآماله في الحياة . بيد ان الضغط والقمع الذي يتعرض له الانسان يخلق تناقضا وتعارضا بين مطامحه وافكاره من جهة والواقع الاجتماعي الذي يقف حاجزا منيعا امامه من جهة اخرى ولذلك يشعر البطل بالوحدة والغربة في وسطه . وسنلاحظ التناقض بين شخصية البطل والاطار الاجتماعي الذي يتحرك فيه بشكل اوضح واجلى من كتابات الادباء اللاحقين مثل ليرمنتوف وتورجنيف وتولستوى .

لا يصور بشكين البطل كممثل لابناء عصره المتنورين فقط بل يثبت الخصائص الفردية التي يتميز بها عن غيره ، والتي تخلق منه انسانا له سماته الخاصة وعواطفه وافكاره التي ينفرد بها ، انه لم يكن نموذجا عاما فحسب بل نموذجا ذاتيا ايضا . ولذلك نجد ان معاصري بشكين رأوا في شخصية انيجين بعض اصدقاء الشاعر مثل

---

٣ ـ ف . شكلوفسكي ، قصص حول النقد ، موسكو ١٩٦٦ ص ١٦

٤ ـ ا . سوكولوف . تاريخ الادب الروسي في القرن التاسع عشر ، موسكو ١٩٦٥ جـ ١ ص ٥٦٦ .

٥ ـ تاريخ الرواية الروسية ، مقال ب . ميلاخ « افجيني انيجين » موسكو ـ لينينغراد ١٩٦٢ جـ ١ ص ١٢٧ .

تشاديف ورايفسكي وغيرهم . فهو يحمل شيئا من اخلاقهم وسلوكهم وتفكيرهم . ويذكر بشكين كذلك بعض الصفات التى تجمع بينه وبين بطله فيقول « كنت حقودا وهو عابس ، وقد عرف كلانا لعبة الحب المشبوب واتعبتنا الحياة وانطفات في قلبينا الحرارة .. » ان هذا ينطبق على بشكين اكثر من افجيني انيجين فالشاعر يعبر عن جزء من ذاته وافكاره خلال بطله وهذا لا يعني ان شخصية البطل والشاعر متدمجتان ومتداخلتان فيبعضهما ، فغالبا ما نتحسس انفاس بشكين في المناجاة الغنائية التى تتخلل الرواية بينما البطل يتجسد امامنا في احداث القصة ومسارها .

يؤمن بشكين بضرورة التصوير المتعدد الجوانب للبطل . فهو يصور منابع متعددة فيتفكيره وتيارات متضاربة في عواطفه ومشاعره . فانيجين رغم بعده عن الوسط الارستقراطي لا يزال يسترشد في بعض تصرفاته بعاداته واحكامه التى يسخر منها هو نفسه . فعندما دعاه لينسكي للمبارزة دفاعا عن شرفه سلك انيجين كاي ارستقراطي ووافق على المبارزة وقتل صديقه رغم انه شعر بتانيب الضمير فيما بعد . ان اعتياده على السير في اكثر الاحيان وفق الاحكام المتعارف عليها هي التى حالت بينه وبين التفكير في عاقبة الاقدام على مثل هذا العمل .

اما تاتيانا فقد نشات في القرية قرب سكانها البسطاء السذج وعاشت في جو مشبع بالاساطير والحكايات الشعبية وترعرعت بين ربوع الطبيعة الروسية وانهارها وغاباتها. فلا غرابةانتمثلتاتيانا الروح الروسية الصميمة وحتى اسم تاتيانا يعتبر اسما روسيا شعبيا يظهر « للمرة الاولى على صفحات رواية لطيفة » كما يقول الشاعر فليس من العادة ان يستعمل الادباء او الشعراء الاسماء الشعبية في كتاباتهم . ويؤكد الشاعر على انعزال تاتيانا عن المحيط الذى تعيش فيه وانطوائها على نفسها . فهي « وحشية وكئيبة وساكتة وخائفة مثل الغزال البرى ، وتبدو صبية غريبة فيعائلتها نفسها » و « غالبا ما تجلس وحيدة طوال النهار قرب النافذة » و « حتى في سنوات الطفولة لم تمسك اللعب بيديها ولم يتحدث احد معها باخبار المدينة والموديلات » . لقد كانت طبيعة تاتيانا هادئة انطوائية تميل الى الوحدة والابتعاد عن الناس . وكانت تحب المطالعة « فقد ولعت مبكرا بقراءةالروايات وفضلتها على الاشياءالاخرى واحبت دهاء ريتشاردسون وروسو » . لقد كانت تجد لذة في القراءة لانها تنقلها الى عالم آخر غير الذى تعيشه اقرب الى نفسها وروحها .

نرى ان الغربة والوحدة الفكرية تجمع بين انيجين وتاتيانا ، فكلاهما يتوق لحياة اخرى اكثر نشاطا وانتاجا . فتاتيانا على الرغم من المجال الضيق امام المراة في ذلك الحين للقيام بفعالية ما فقد كانت تحاول ان تكرس حياتها لشيء ما يحقق امانيها ومطامحها وآمالها . وعندما رات انيجين وجدت فيه الشخص الذى يمكن انيجمعها به رباط فكرى وتقارب روحي لذلك احست بقلبها ينبض بحبه . ينتزع الحب تاتيانا من هدوئها غير ان هذا الحب لا يجلب لها السعادة او الهناء بل الدموع والاضطراب والقلق والياس . فانيجين لا يمكن ان يتجاوب معها رغم انها كانت تظن انه سيفهم عواطفها ووضعها . فنراها تقول في الرسالة التى كتبتها له « تصور : انني هنا وحيدة ، ولا احد يفهمني ، لقد اضناني التفكير ، وعلى ان اهلك وحيدة » . وفي رسالتها له تعبر عن هذه الشكوك التى تراودها محاولة ان تتبين حقيقته قائلة « من انت ؟ هل انت ملاكى وحارسي ام مضلل شرير ؟ انجلي يا شكوكي . قد يكون كل هذا كلاما فارغا وضلالا نفسيا بسيطا وسيكون لي مصير آخر تماما » . وعندما تلتقى به فعلا يعظها ويبين لها انه يكره الزواج والحياة العائلية وان مصيرها معه سيكون مظلما . وتزور تاتيانا دار انيجين محاولة ان تستشف من خلاله اخلاقه وطباعه « ان دخول تاتيانا في بيت انيجين يعتبر دخولا في عالمه الداخلي وفي معرفة نفسيته » كما يقول أ . سلانيمسكى . فقد استطاعت ان تعرف اتجاهاته وهواياته من الرسوم المعلقة في الحائط مثل صور بيرون Byron ومن الكتب التى يقراها ومن السطور التى وضع تحتها خطوطا . وبذلك اصبحت ميول انيجين ونزعاته واضحة امامها بعض الشيء .

تسافر تاتيانا الى موسكو بعد ان اضناها حبها الفاشل لانيجين وتوافق هناك على الزواج من احد الجنرالات المعروفين ، وتصبح احدى سيدات الصالونات المعروفات وتتغير وتتقلبحياتها الخارجية تماما ، بيد انها نفسيا وفكريا لا تنسجم معمجتمع المدينة ولا تؤخذ بمظاهره البراقة وتظل تشعر بالوحدة الروحية وتقترن هذه الوحدة بحنينها

الى القرية وطبيعتها الجميلة الهادئة ، فنسمع الشاعر يصفها في احدى الحفلات حيث الضوضاء والضجة قائلا « تنظر تاتيانا ولا ترى ، انها تكره صخب المجتمع الراقي ، وتكاد تختنق هنا ، انها تعود باحلامها الى حياة الحقول الى القرية وفلاحيها الفقراء الى المكان المنعزل حيث يجرى الجدول المضيء الى زهورها وقصتها مع انيجين حيث ظهر لها عند الغسق بين الممرات المحاطة باشجار الزيزفون » . ان كرهها لحياة المدينة المصطنعة المتكلفة يقابله حبها للحياة الروسية القروية البسيطة الخالية من التعقيد والمظاهر الكاذبة . فالقرية تتخذ طابعا شاعريا جميلا في خيال تاتيانا ينسجم مع طبيعتها الطيبة وتصرفاتها العفوية الخالية من التكلف. ويؤكد الشاعر بتثبيته لهذه الجوانب في شخصية تاتيانا غنى عالمها الداخلي وتشبعها بحب الحياة الروسية الصحيحة .

ولا يمثل انيجين وحده شباب بداية القرن التاسع عشر بل يمثلهم الشاب لينسكى ايضا . ان شخصية لينسكى في مسودات الرواية قريبة الى الثوريين الذين شاركوا في انتفاضة الديسمبريين فهو متمرد وشاعر يحب الحرية ويؤمن بها . وقد اشار البعض الى انه يمثل الشاعر الثورى كوخيلبيكر . وقد طرأت بعض التبديلات على شخصيته في النصف الاخير .

يعرفنا بشكين على لينسكى في القرية التى حل فيها انيجين . فهو ملاك جميل في ريعان الشباب وشاعر يهوى الفيلسوف كانت ، جاء من المانيا الضبابية حاملا ثمار علومها وحب الحرية وهو متوقد الروح وغريب لحد ما وحديثه حماسي يتدلى شعره الاسود حتى كتفيه » . ثم يغنى شخصيته بتفاصيل عديدة اخرى « فغاية الحياة عنده لغز مقر اتعب رأسه في التفكير به واعتقد روعتها » . وكان معجبا باشعار شيلر وجوته يحب الغنى ويتغنى بالحب .

نلاحظ ان لينسكى متفتح للحياة واثق بها مفعم الاحلام الرومانتيكية والنظرة المتفائلة البريئة لمستقبل والتطلع المتوقد اليه . فهو بعد لم يزه الحياة بهمومها ومشاكلها ولم يتعرف بعد لى تناقضاتها وتعقيداتها ، انه يحمل نظرة صافية نية عنها ويؤمن بامكانية تحقيق اماله ومطامحه بها . فلينسكى رومانتيكى النزعة والميول طوباني التفكير بعيد عن الاحاطة بالواقع الاجتماعى الذى يعيشه .

رغم التناقض بين انيجين ولينسكى فقد جمعتهما رابطة الصداقة وكانا في البداية مثل « الموجة والحجر ، الشعر والنثر ، الجليد واللهيب » . غير ان هذا التباين والاختلاف بينهما اخذ يتقلص وازداد تقاربهما . واذا قارنا انيجين بلينسكى ظهر الاول وقد خاب امله بالحياة والحب والاصدقاء ويراوده الشك في كل شيء بينما كان لينسكى يتصف بالطيبة والسذاجة في فهم الناس . لقد كان يعتقد انه اذا أهين فان « اصدقاءه مستعدون لدخول السجن دفاعا عن شرفه » . اما انيجين فانه يخشى الاصدقاء لكثرة ما رأى من غدرهم ونفاقهم وايقاعهم به .

يشارك لينسكى تاتيانا ايضا نظرتها الرومانتيكية للحياة وابتعادها عن الوسط الاجتماعى الذى تحيا فيه . بيد ان منبع رومنتيكيتهما مختلف . فتاتيانا تستمد نظرتها الشاعرية الرومانتيكية من التراث الشعبى الروسي ومن حبها للطبيعة الروسية وشغفها بجمالها. اما لينسكى فلروحه الرومانتيكية التى يتحلى بها رافد آخر يعود الى تأثر تفكيره بالفلسفة والادب الالمانيين والى نظرته الحياتية المتفائلة وسموه على مجتمع النبلاء وعدم معرفته للواقع الروسي .

تخطى بشكين في رواية « افجيني انيجين » التقاليد الادبية السائدة في عصره والتى تمثلها المدارس الكلاسيكية والعاطفية والرومانتيكية وسار في طريق آخر غير محدد المعالم والاتجاه هو طريق التصوير الواقعى للحياة الاجتماعية . وقد املى عليه هذا التجديد استخدام اسلوب مغاير لاسلافه فلغة أبطال الرواية تتسم بالبساطة والوضوح وتبتعد عن التعقيد في المعنى والالفاظ ولذلك كان للرواية اهمية كبيرة في بلورة اللغة الادبية وتخليصها من الاستعارات والتشابيه المعقدة وجعلها تتصف بالايجاز والاقتضاب والجلاء . ولم تكن الرواية من ناحية المحتوى الاجتماعى الذى انطوت عليه باقل اهمية من الاسلوب فهى ذات طابع وطنى وقومى صميم فلا عجب ان يسميها ناقد روسيا الكبير بيلنسكى «انسكلوبيديا الحياة الروسية».

■■

حياة شرارة

كلية الآداب ــ جامعة بغداد قسم اللغات الاوربية

هوشي منه

صانع الحلوى الذي قاد الثورة في فيتنام

●● ان من يتصدى لتاريخ هوشي منه ، يجد له أكثر من وجه ، واختلف الناس في هذه الوجوه ، فهو له وجه وطني واضح صبوح بارع في الدفاع عن بلاده لا ينكره احد. وله وجه آخر اشتراكي والناس تختلف في الاشتراكية كثيرا ونحن يعنينا من هذين الوجهين أوضحهما ؛ فهو الوجه الذي واجه به اكبر قوة في العالم الحاضر . واعجزها عن ان تعجزه .

بقلم : منير نصيف

■ قال عنه اتلي : « لقد كان واحدا من الرجال الذين صنعوا تاريخ العالم الحديث »

ووصفه ديجول بعد هزيمة بلاده في الهند الصينية « بانه الرجل الذي اذل فرنسا ! »

وقال عنه الزعيم الهندي الراحل نهرو : « انه رجل عبقري ! » .

اما هو فقد قال عن نفسه يوما : « انني لم اتزوج ، فلم يكن عندي وقت للزواج ، وبالرغم من هذا ، فقد رزقني الله بسبعة عشر مليونا من الابناء ! »

هذا هو هوشي منه (ومعناها النور) Ho Che Minh او العم « هو » كما كانوا ينادونه ، رئيس جمهورية فيتنام الشمالية الذي ترك هذه الملايين العديدة من ابنائه في فيتنام ورحل ، بعد ان علمهم كيف يصنعون الحياة من الموت ، ويحصدون من بعد الهزيمة نصرا .. ثم كيف يقدسون الحرية وينزلون الهزيمة في النهاية باكبر دول العالم واقواها !

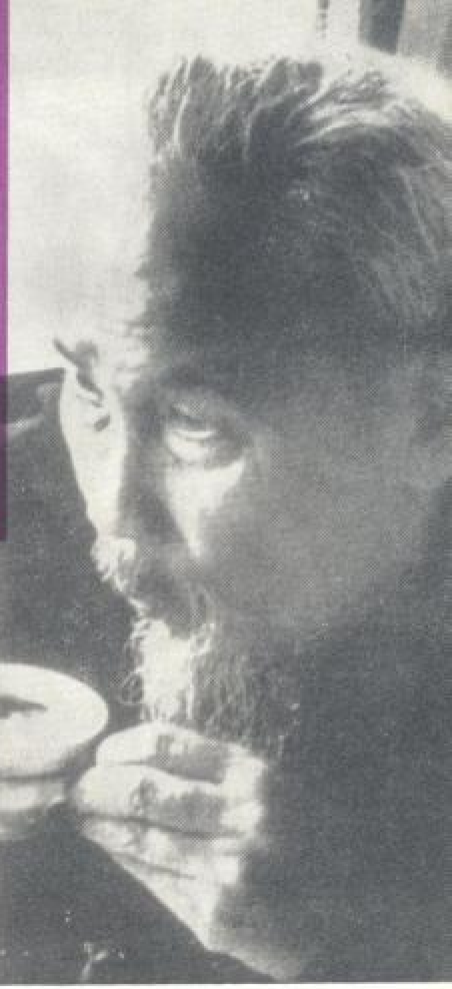
ابن لاسرة ثائرة

لقد عرفته بلاده ، ابنا لاسرة ثائرة ، قبل ان يعرفه العالم الخارجي مدافعا عن قضايا الحرية والاستقلال .. عرفته بريطانيا عندما وقف مناهضا لسياستها ، مؤيدا لقضية استقلال ايرلندا عن التاج البريطاني ..

وعرفته امريكا عندما كان يقف بين زنوجها في هارلم ، حي الزنوج في نيويورك مدافعا عن حقوق الرجل الاسود ابان الحرب العالمية الاولى ..

وعرفته فرنسا عندما خرج يدعو الى تحرير كل الشعوب المستعبدة في آسيا وافريقيا ..

رجل مهما قال فيه من قال، فلن ينساه التاريخ أبدا



رجل اسطورى

كيف بدات حياة هذا الرجل ، الذى اصبح اسطورة تتناقلها الكتب والصحف وتجرى على السنة الناس عبر اجيال طويلة .. حتى اذا مات لم تخل صحيفة واحدة او مجلة فى شتى انحاء العالم بما فيها تلك التي اعلنتها عليه وعلى معتقداته حربا خلال سنى حياته الطويلة ، من الكتابة عنه ، ونشر صوره فى مكان بارز منها .وكان من أولاها ، صحف امريكا نفسها ، التى فعل بها ما فعل .

ماتت أمه فى السجن

لقد ولد هوشي منه في عام ١٨٩٠ ، في اقليم نجى آن Nghe An فى المنطقة التي اصبحت اليوم دولة فيتنام الشمالية .. ولد في بيت ثائر ، كما ذكرنا ، فقد كان ابوه قاضيا ، ولكنه مالبث ان فقد وظيفته فى الادارة الامبراطورية بعد ان اقترن اسمه بالحركة الوطنية المعادية لفرنسا وكذلك كانت امه التى ماتت قبل أن يبلغ « هو » عامه العاشر ، فقد ضبطوها يوما تسرق الاسلحة من احد معسكرات القوات الفرنسية فى الهند الصينية ، لتوزعها على الثوار .. وقدمت الام للمحاكمة وسجنت وماتت فى سجنها ..

الوطنى

ولم يكن « هوشى منه » ، اسمه عند مولده ، ذلك ان اباه اختار له اسما آخر ، ربما اراد ان يعبر به عما كان يعتمل فى صدره من ثورة وطنية على الظلم الواقع عليه وعلى ابناء بلده ، فقد اسماه تات تانه Tat Thanh ، ومعناها « الوطنى » . فقد كانت الحركة الوطنية فى تلك الحقبة من الزمن الواقعة فى الجزء الاخير من القرن التاسع عشر مازالت تحبو وتبحث عن مؤيدين ومناصرين لها ، وان كانت قد نشطت فى اوائل القرن العشرين واصبحت قوة حقيقية تهدد الوجود الاجنبي فى جنوب شرق آسيا وافريقيا نتيجة لانتشار مبادىء الاشتراكية الدولية فى أوربا ..

ظلم واضطهاد

ودخل هوشى منه المدرسة وتعلم ، ولكنه لم

ينس مدرسته الاولى .. البيت ، وما تعلمه فيه من والديه ، ومن ابيه بصفة خاصة ، فقد قتلوا امه ، قبل ان يعى الصبي الصغير الحياة ، وما تحمله له ولابناء بلده من ظلم واضطهاد على ايدى المغتصب الاجنبي ..

وما كاد يكبر ويبلغ مبلغ الرجال ، حتى بدأت الصورة تظهر وتتضح معالمها .. لقد نظر الى الحياة من حوله ، فهاله ما رأى .. ابناء بلده ووطنه في الشارع يكدحون ويعرقون ويقومون بكل عمل حقير تأباه نفوس المحتلين المستعمرين الذين جلسوا في النوادى والحدائق الخاصة ،يحتسون اقداح النبيذ في المساء .. واكواب اللبن الساخن في الصباح ، ويغلقون الابواب في وجوه أهل البلاد، ويتوعدون كل متمرد ، ثائر بالتعذيب والموت والاضطهاد .

بداية الرحلة الطويلة

وجاء الشاب الى ابيه يوما يقول له : « سأرحل يا ابي .. سأسافر الى اوربا لا هربا من طغيان الفرنسيين وانما رغبة مني في الاقتراب من دعاة الحرية .. هؤلاء الذين يبشرون بالحرية لبلادى ولكل البلاد المستعبدة وسوف اعود ، ولكنني لا اعلم على وجه التحديد متى ستكون عودتي ! »

وكان في الثانية والعشرين من عمره عندما قرر ان يبتعد عن الارض التي ولد فيها ونشأ عليها ..

وعلى الشاطىء الذى اصطفت فيه سفن القتال الفرنسية ، وقف الشاب ينظر الى الوراء ليلقي نظرة اخيرة على بيته واهله ووطنه .. وفي يده حقيبة صغيرة حمل فيها ملابسه ، وفي قدميه حذاء قديم ، وفي جيبه قطعة نقود فضية اعطاها له ابوه ، وبقيت تلازمه طوال حياته !

ثورة في رأسه

وترقرقت دمعة كبيرة من احدى عينيه فاخرج منديلا مسحها به ، ومسح العرق الذى كان يتصبب من جبينه ، واحس برأسه يغلي « بالثورة » .. تلك التي كانت طابعه طوال السنوات الثماني والعشرين التي تقاذفته فيها امواج الحياة وهو يعيش في المنفى متجولا بين اركان العالم الكبير ..

وعلى ظهر سفينة الشحن الفرنسية التي اختارها لرحلته ، راح هوشي منه يعمل مقابل بضعة فرنكات ، دفعمتها ثمن تذكرة سفره بالدرجة الثالثة



ظل هوشي منه خلال ما يقرب من ثلاثين عاما عاشها في منفاه الاختياري ، يطوف بعدد كبير من بلدان العالم الغربي والشرقي .. والصورة له في شبابه قبل ان يطلق لحيته ، أثناء انعقاد مؤتمر الحزب الاشتراكي الفرنسي في باريس عام ١٩٢٠ ، وكان « هو » احد أعضائه .

.. فغسل الاطباق ، ومسح ارض السفينة وقدم النبيذ بيديه للركاب الفرنسيين !!

بائع الصحف !

وحطت السفينة على شواطىء بريطانيا .. فنزل الشاب الغريب يضرب في شوارع لندن على غير هدى ، باحثا عن عمل يرتزق منه ، وعن مكان يأوى اليه .. وباع الصحف في الشوارع والميادين .. والتحق بعدة أعمال صغيرة ، كان اجره عليها لايكاد يكفي قوت يومه ، قبل ان تقوده قدماه اخيرا الى « المجد » .. وكان هذا « المجد » وقتها متمثلا في مطبخ فندق كارلتون ، الذى اشتهر بصنع الحلوى على يد الطباخ الفرنسي الكبير ايسكوفييه Escoffier فقد اصبح هوشي منه تلميذه الذى يفخر به ويقدمه لزبائنه بقوله : « لقد جاء خصيصا من الشرق البعيد ليعمل معي في مطبخي ! »

صانع الحلوى الثائر

وفي لندن امضى « هو » عدة سنوات مع استاذه الكبير دون ان يفطن الاستاذ يوما الى ان صانع الحلوى هذا هو نفسه الذى كان البوليس البريطاني يبحث عنه بتهمة تغذية الثورة الايرلندية التي

كانت قد اشتعلت فى ذلك الوقت بزعامة ايمون ديفاليرا قبل الحرب العالمية الاولى .

ولم يتصور ايسكوفييه يوما أن تلميذه هذا كان يسافر سرا في تلك الاجازات الطارئة الى دبلن ليلتقى بثوارهـا ويخطب فيهم مناصرا مؤيـدا لقضيتهم ، الى ان سمع به الزعيم ديفاليرا يوما ، فارسل يدعوه للقائه ، وقال يسائله :

« من انت .. وما سر تحمسك لقضيتنا ؟ »

وقال الشاب الثائر : « انا وطني من فيتنام ، ويكفى ان تكون قضيتكم ، قضية حرية ، لتصبح قضيتي ! »

قصة حب

ولكن « هو » مالبث ان ضـاق بالحيـاة فى بريطانيا ، فترك صناعة الحلوى ، وعبر المانش فى سفينة صغيرة اقلته الى شواطىء فرنسا .

وفى باريس ، عمل الشاب بستانيا ومصـورا فوتوغرافيا ، واحبته فتاة فرنسية صغيرة كانت تعطف عليه ، وكان يدعوها لتقاسمه طعامه لانه لم يكن ياكل كثيرا .. فيجلس الاثنان وياكلان ، ويقول « هو » : « هذا كل ما استطيع ان اقدمه لفتاة جميلة مثلك ! »

يعبر الاطلنطي الى امريكا

وفى يوم من ايام صيف عام ١٩١٧ ، وقف «هو» يودع فتاته ويودع فرنسا .. لقد قرر ان يعبر الاطلنطي الى امريكا .. وهناك عاش متنقلا بين مدن بوسطن وسان فرانسيسكو واخيرا نيويورك ، حيث استقر به المقام ، طوال سنى الحرب العالمية الاولى ، وعمل « جرسونا » فى احد مطاعم هارلم ، حي الزنوج .

وفى هارلم كان لقاؤه الاول وجها لوجه بقضية السود فى امريكا .. كتب يقول يوما : « لقد ذكرني سلوك الرجل الابيض فى امريكا ، بموقف المستعمر فى بلدى ، كلاهما يقول لنا : « قف ، انت لست منا ، وليس مكانك بيننا ! »

صديقه الاسود

وفى مدينة بوسطن بولاية ماساشوسيت ، نشات بينه وبين شاب زنجي ، علاقة صـداقة قوية . وبالرغم من ان احدا لم يستطع ان يعرف شخصية هذا الشاب ، الا ان هوشى منه قال مرة يصـف صديقه الاسود : « انني اتوقع ان يلعب هذا الرجل دورا هاما فى قضية المواطنين السـود فى امريكا »

وما كاد العالم يفيق من اهوال الحرب الاولى العالمية ، حتى كان هوشى منه ، قد عاد الى باريس مرة اخرى . ولكنه فى هـذه المرة لم يكـن نفس الشاب الذى زارها منذ بضع سنوات باحثا عن العمل والرزق .. كان شخصا آخر يختلف اختلافا كبيرا .. فقد كانت صورة الثورة على الاحتلال قد بدات تتحدد فى رأسـه .. وكـان الطريق الى تحقيقها قد اتضحت معالمه او كادت ..

اعتنق الاشتراكية

ولكن من اين يبدأ .. ؟ ولم تطل وقفته .. فقد راح يتصل بالعناصر الوطنية الاسيوية الذيـن كانوا يجيئـون الـى باريس للالتقـاء بالعناصر الفرنسية المتحررة ، وكان يجتمع بهم ويتحدث اليهم ويناقشهم فى قضايا بلادهم ، وما اعدوه لها من برامج وخطط .. وكانت الدول الاسيوية التي ظلت تئن مـن الاستعمار الانجليزى والهولندى والفرنسي ، قد بدات وقتها تستيقظ وتتململ .

واعجبته مبادىء الاشتراكيين ، فاعتنقها ، وراح يدعو لها ويبشر بها .. ولكنه ما لبث ان تذكر فجاة ان جيبه قد خلا من المال ، وانه لابد له ان يعمل لكى يعيش .. فعـاد الى آلـة التصـوير الصغيرة يحملها ويدور بها على النوادى الليلية ، يلتقط صور الناس ، ويبيعهـا لهم مقابل بضعة فرنكات زهيدة !

برنامج وودرو ويلسون

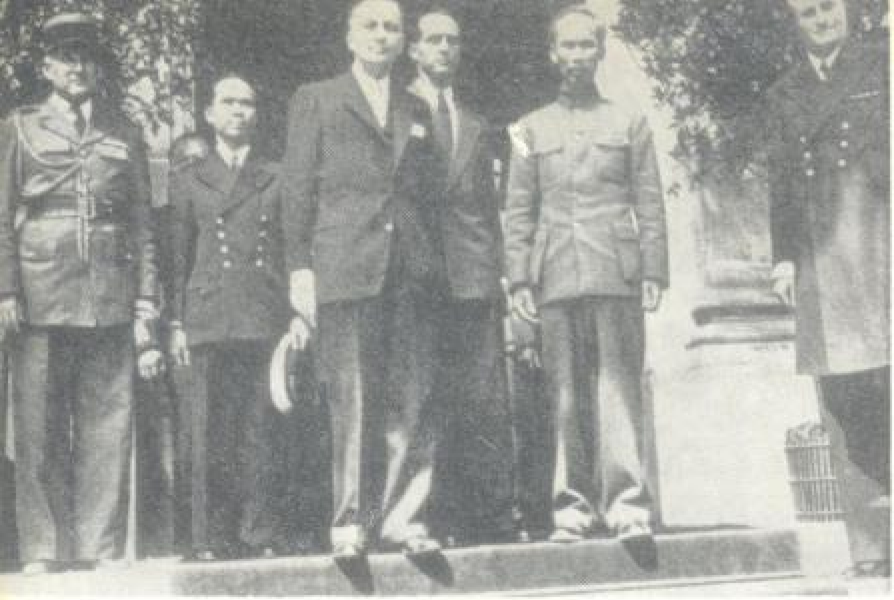
وظل هذا حاله ، الى ان حانت الفرصة اخيرا ، او هكذا بدا له ، عندما اعلن الرئيس الامريكي الاسبق وودرو ويلسون ، اثناء وجوده فى باريس لحضور مؤتمر * فرساى عام ١٩١٩ ، برامجه الخاصة بمنح الاستقلال القومى للشعوب المقهورة.

وتصور هوشى منه ، انه وجد الخلاص لبلاده ، فى هـذا البرنامج المعلن .. واسرع الى قصـر فرساى ، ووقف امام بوابته الضخمة حاملا لافتة كبيرة سجل عليها دعوته الى تطبيق برنامج ويلسون على بلاده فيتنام ..

ولكن اللافتة الصغيرة تاهت وسـط عشرات

---

* عقد مؤتمر فرساى بالقرب مـن باريـس لبحث شروط السلام بعد الحرب الاولى العالمية التي دامت من عام ١٩١٤ الى ١٩١٨ .



في صيف عام ١٩٤٦ ، عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية طار هوشي منه الى باريس في محاولة لانتزاع استقلال بلاده من الفرنسيين بطريق المفاوضات .. وفي الصورة جورج بيدو رئيس وزراء فرنسا آنذاك (الرابع من اليمين) أثناء استقباله للوطني الثائر القادم من الهند الصينية .

اللافتات التي حملها ابناء الشعوب الاخرى الذين جاءوا بدورهم يطلبون الحرية لبلادهم ..

أمل لم يتحقق !

واخيرا استقر رأيه على مقابلة ويلسون مهما كان الثمن .. ولكنه صحا فجاة على حقيقة مؤلمة .. ان شابا في مثل مظهره الفقير لايمكن ان يخطو خطوة واحدة وراء اسوار قصر فرساي .. واسرع يستأجر بدلة أنيقة ويضع على رأسه قبعة ، كتلك التي كان يضعها ابناء الطبقة الارستقراطية في فرنسا .. ثم ينتعل حذاء انيقا حرص على تنظيفه وتلميعه بيديه .. واتجه الى القصر في خطوات هادئة مقلدا النبلاء وكبار القوم ..

ولكن يبدو ان شيئا من هذا كله لم يستطع ان يخفي حقيقة شخصية الزائر الغريب القادم .. فقد اوقفه حرس القصر ورفضوا ادخاله ..

مولد القائد المناضل

وعاد الشاب يجر ذيول الخيبة ، الى غرفته بالفندق المتواضع الذي كان ينزل فيه .. لقد تبخرت آماله تماما .. ولم ينم هوشي منه في تلك الليلة .. قال يصفها في مذكراته فيما بعد :

« احسست بالثورة تتفجر في اعماقي .. فقد وصلت الى نهاية الطريق المسدود .. ولم اجد املا جديدا اتعلق به ، غير قوة الشعوب التي تريد الحرية .. ان القوة وحدها هي التي تستطيع ان تنتزع استقلال بلادي » .

وفي تلك الليلة ، ولد هوشي منه القائد المناضل .. اما ثورته فقد انطلقت لتسير في طريق آخر غير هذا الذي اختاره لها .. طريق القوة .. وكانت اولى بوادر ثورته على نفسه ، ثم على معتقداته وعلى الاشتراكية الدولية التي آمن بها واخيرا على المستعمر الجاثم فوق صدر بلده .. فانشق على الاشتراكيين ، بعد التمزق الذي اصاب الفكر الاشتراكي ، عقب انتهاء الحرب العالمية الاولى وانضم الى الحزب الشيوعي الفرنسي الذي ولد أثناء وجوده في باريس عام ١٩٢٢ ، ووقف يؤيد دعوته في الاجتماعات العامة !

دعوة الى موسكو

وقبل ان يفرغ من قراءة كتب ماركس ولينين ، كان قد تلقى دعوة لاتمام دراسته في موسكو .. وفي العاصمة السوفيتية ، جلس هوشي منه يكتب سلسلة من المقالات عن مشاكل المستعمرات نشرتها الصحف والمجلات السوفيتية ، قبل ان يسافر بعد ذلك في مهمة خاصة الى هونج كونج ،

دون ان يدرى ان البريطانيين قد علموا بوصوله فدبروا كمينا لاعتقاله فى عام ١٩٣١ .

مات هوشي منه !

ولم تكد تمضى بضعة اسابيع على وجوده فى السجن ، حتى نشرت الصحف الفرنسية نبأ وفاته ، مؤكدة ان هوشى منه مات فى سجنه ! واعلن الزعماء السوفييت الحداد على الوطنى الفيتنامي الثائر .. ولكنهم ما لبثوا ان رفعوا الاعلام المنكسة من جديد عندما ظهر هوشى منه فجاة فى موسكو . اما قصة هروبه من ايدى الانجليز فقد بقيت سرا لا يعرفه أحد حتى اليوم.

ومن موسكو عاد هوشى منه الى التنقل مرة اخرى بين تايلاند وماكاو ، وبعض مدن الصين ، الى ان استقر به المطاف اخيرا فى كانتون .. وفى هذه المدينة الاخيرة بدأ يستعد للعودة الى بلاده وتحريرها .. وراح يعمل بسرعة ، فوجد ان الوطنية هي الشيء الوحيد الذى يمكن ان يصبح اساسا لاستقلال بلاده .. وبدأ يجمع الشبان الوطنيين الفارين مثله من فيتنام ويبنى فى هدوء منظمته الصغيرة ، التي اصبحت فيما بعد الجهاز الذى اعتمد عليه فى الوصول الى الحكم ..

الحرب العالمية الثانية

ولكن جهود القائد المناضل ، ما لبثت ان اصيبت بنكسة نتيجة لنشوب الحرب العالمية الثانية ، وبدء الغزو الياباني للصين .. وكان هوشى منه قد فرغ لتوه من بناء منظمته التى اسماها منظمة

فشلت مفاوضات الاستقلال في فرنسا .. وعاد هوشى منه الى بلاده وقد صمم على انتزاع حرية بلاده بالقوة ولم تكد تنقضى بضعة شهور حتى كانت الثورة قد اندلعت فى الهند الصينية بأكملها .. وظلت فرنسا تخوض حربا امتدت تسع سنوات كاملة ، انتهت بانتصار ارادة الشعب الفيتنامى



فيتمنه واقام لها قاعدة بالقرب من حدود الصين ، وكان دور هذه المنظمة في الظاهر ، هو قيادة حركة المقاومة ضد اليابانيين ، بينما هي في الواقع تشكل سيفا مصلتا على رقاب الفرنسيين ..

اتصاله بالمخابرات الامريكية

وبهذه الصفة استطاع هوشي منه ان يتصل بالمخابرات الامريكية ، املا منه في كسب تأييد الولايات المتحدة لقضية فيتنام . واستطاع ان يقدم للامريكيين الدليل على صدق نواياه في التعاون معهم ، وكان تأثر الامريكيين واضحا عندما جاءهم رجال القائد الفيتنامي الذى ذاع صيته وانتشر ، حاملين يوما عددا من الطيارين الامريكيين الجرحى الذين اسقط اليابانيون طائراتهم في منطقة الحدود بين الصين واليابان ..

كتب المؤلف الامريكي تشارلز فن Charles Fenn الذى يعيش الآن في ايرلندا ، وكان ضابطا في البحرية الامريكية ببحر الصين الجنوبي وقت نشوب الحرب العالمية الثانية ، واحد المتحمسين لجهود هوشي منه وقضية بلاده ، كتب يروى قصة الرسالة التي تلقاها من القائد الفيتنامي عقب انتهاء الحرب .. قال هوشي منه في رسالته : « لقد كسبتم الحرب .. ولكننا نحن الشعوب الصغيرة المستضعفة ، لم يكن لنا نصيب في هذا النصر الـذى حققته الحرية والديمقراطية .. واغلب الظن اننا سنضطر الى القتال لكي نحصل على نصيبنا كاملا ! » .

الحرب وهزيمة فرنسا

وكان هوشي منه ورجاله قد اتصلوا بالفرنسيين عندما بدا دوى القنابل يهدأ في مياه المحيط الباسفيكى ، وطلبوا اليهم اعطاء بلادهم نوعا من الحكم الذاتي ، او على الاقل تقديم وعد بمنح فيتنام استقلالها في المستقبل .. ولكن الفرنسيين تجاهلوهم تماما ! وكان ان اعلن هوشي منه قيام دولة فيتنام المستقلة .. وانتشر رجاله في السهول والجبال والاحراش مبشرين بدعوة زعيمهم ، داعين كل قادر الى حمل السلاح في سبيل تحرير الارض الطيبة ..

وكانت الثورة ، وكانت الحرب التي دامت تسع سنوات كاملة بين القوات الفرنسية والقوات الوطنية الثائرة قبل ان يجيء النصر اخيرا في موقعة « دين بين فو » Dien Bien Phou الشهيرة في عام ١٩٥٤ ويخرج الفرنسيون من الهند الصينية كلها .. ولولا تدخل الاتحاد السوفيتي وسياسة الضغط التي مارسها على الزعيم الفيتنامي المنتصر في مؤتمر جنيف ، لكانت حكومته الآن تسيطر على فيتنام بقسميها ، ولما اندلعت تلك الحرب الجديدة المفروضة بين فيتنام المستقلة ، وفيتنام الجنوبية ومن ورائها قوات امريكا ..

هذا هو القائد الثائر الذى انهى الموت حياته الطويلة الحافلة عن ٧٩ عاما ..

رأيه في الحرب مع امريكا

قال يوما لبعض الصحفيين الامريكيين عن حربه مع امريكا ، عندما سألوه : لماذا لا تريد أن تضع نهاية لهذه الحرب التي يموت فيها المئات يوميا ، قال : « يجب ان تذكروا ايها السادة انها ليست بلادى هي التي تقذف امريكا بالقنابل ، وانما هم الامريكيون الذين جاءوا ليضربونا بقنابلهم .. انني لا اشعر بالحزن على ابنائي الذين يموتون فحسب ، بل انني احزن ايضا على هؤلاء الامريكيين الابرياء الذين ترسلهم حكومتهم ليلقوا حتفهم فوق اراضينا ..

« اننا نحترم الشعب الامريكي ، فهو شعب ذكي متعلم خلاق .. ولو ان الامريكيين جاءوا ليقدموا الينا خبرتهم وفنهم في بناء بلادنا ، لرحبنا بهم كاخوة واصدقاء .. فقد عرفتهم وعشت بينهم وقرات تاريخ بلادهم ، حتى قبل ان اقرأ عن الاشتراكية ، لقد كان ابراهام لنكولن اعظم رجل انجبته امريكا ! »

وحديث عن الموت !

لقد درس « هو » الاشتراكية والفابية وقرأ لبرنارد شو وبرودون المؤرخ الفرنسي الاشتراكي قبل ان يدرس تعاليم ماركس ولينين .. وعندما مات لينين ، كان هوشي منه واحدا من الزعماء الاشتراكيين القلائل الذين فضلوا موقف العزلة على التورط في الخلافات المذهبية التي هزت العالم الشيوعي .. ■■

منير نصيف

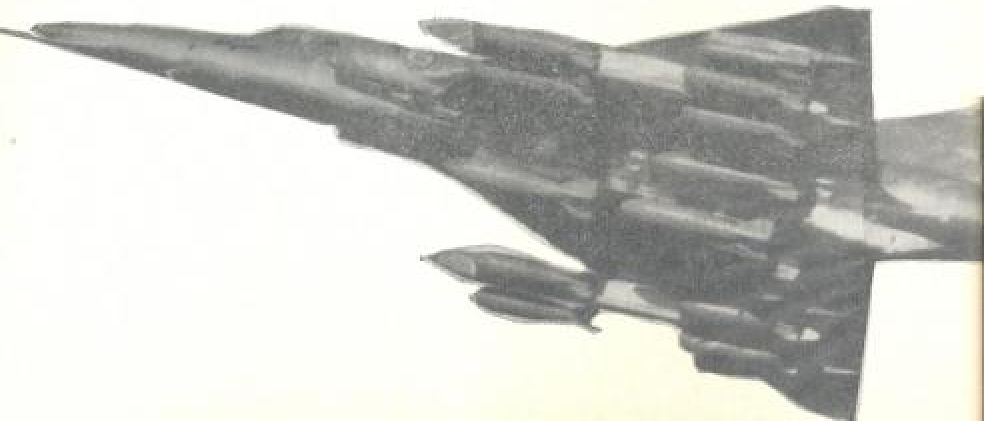
أنباء الطب والعلم والاختراع

الدول الكبرى وتجارة الموت !

اسلحة قيمتها ٥ر١ بليون دولار صدرتها الدول الكبرى الى الدول النامية في عام ١٩٧٠

● من الغريب ان كل الحروب التى حدثت فى العالم خلال الخمسة والعشرين عاما الماضية كانت كلها حروبا بين الدول المتنامية بعضها وبعض ، وقد خاضت هذه الدول المتنامية او دول العالم الثالث ــ كما يحلو للبعض تسميتها ــ هذه الحروب كلها باسلحة حصلت عليها من الدول المتقدمة وخاصة الدولتين العملاقتين روسيا وامريكا .

وقد اتضح من الاحصائيات ان تدفق الاسلحة الرئيسية مثل الطائرات والدبابات والسفن والصواريخ من الدول الكبرى الى الدول المتنامية قد ازداد زيادة كبيرة خلال العشرين عاما الماضية. فمنذ عام ١٩٥٠ حتى عام ١٩٧٠ ازداد ما يصدر من الاسلحة الى دول العالم الثالث بمقدار سبعة اضعاف. وقد وصلت قيمة الاسلحة التي بيعت لدول العالم الثالث فى عام ١٩٧٠ الى ما يزيد على بليون ونصف بليون دولار . وهذه الزيادة تصل نسبتها الى ٩٪ سنويا ، وهي تعادل ضعف نسبة الزيادة السنوية



التى تتحقق بالنسبة للانتاج القومي لدول العالم الثالث .

وقد جاءت هذه المعلومات فى دراسة من ٩١٠ صفحة ، تحت عنوان « تجارة الاسلحة مع دول العالم الثالث » نشرت اخيرا بواسطة معهد بحوث السلام الدولي فى استكهلم International Peace Research institute وقد استغرقت هذه الدراسة مدة اربع سنوات . وقام بها عدد كبير من الباحثين تحت رئاسة الاقتصادى البريطانى فرانك بلاكابى Frank Blackaby . وقد احتوت هذه الدراسة على احصائيات بالاسلحة التى بيعت الى كل دولة من دول العالم الثالث ، عاما بعد عام ، طوال العشرين سنة الماضية ، مع تحليل لهذه الاحصائيات يتضمن التاريخ الاقتصادى والسياسى لكل دولة فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية .

وقد لقي العاملون فى هذه الدراسة صعوبات شديدة فى الحصول على الاحصائيات الخاصة بتجارة الاسلحة نظرا لأن هذه الارقام لا ترد فى الاحصائيات المختصة بالتجارة الدولية ، او يتم اخفاؤها او عدم الاعلان عنها . وبعد عمل شاق اعتمد على مصادر متفرقة تم جمع تفاصيل عن اربعة آلاف صفقة اسلحة بالنسبة لـ ٩١ بلدا من بلدان العالم الثالث .

ومن اهم الحقائق التى كشفت عنها هذه الدراسة ان ٨٧٪ من مجموع الاسلحة المصدرة الى دول العالم الثالث فى خلال الفترة ما بين عام ١٩٥٠ وعام ١٩٦٩ ، تم تصديرها من اربع دول كبرى فقط هي: امريكا ، والاتحاد السوفييتي ، وبريطانيا ، وفرنسا . وقد ارتفعت النسبة بعد ذلك الى اكثر من ٩٠٪ . وبالرغم من ان الاتحاد السوفييتي قد دخل الى ميدان تزويد الدول المتنامية بالاسلحة متاخرا ، الا انه اصبح الآن يلي امريكا مباشرة فى ترتيبه بين الدول المصدرة للاسلحة ، ويبلغ مجموع ما تصدره امريكا وروسيا من الاسلحة لدول العالم الثالث ما يقدر بثلثي مجموع حركة تصدير الاسلحة لهذه الدول .

وتبين الدراسة ان ٧٠٪ من مجموع ما سلم لدول العالم الثالث من الاسلحة الرئيسية قد ذهب الى الشرق الاوسط وآسيا . ويقدر نصيب الشرق الاوسط وحده بحوالي ٢٥٪ من مجموع هذه الاسلحة التى صدرت منذ عام ١٩٥٠ حتى عام ١٩٧٠ . وبلغ نصيب فيتنام والشرق الاقصى ٣٠٪ ، بينما حصلت شبه القارة الهندية على ١٥٪ ، وافريقيا على ٨٪ .

وتدل ايضا هذه الدراسة على ان تدفق الاسلحة الرئيسية قد بدا يزداد بالنسبة للدول الواقعة على الخليج العربي فى السنوات ما بعد ١٩٦٩ .

وتناقش الدراسة بعض اقتراحات تنظيم تجارة الاسلحة ، وهل هي اقتراحات فعالة فى الحد من تزايد مخزون الاسلحة فى دول العالم الثالث . وتستخلص من هذه المناقشة انه لكي يتم وضع حد لسباق التسلح بين الدول النامية فانه يجب ان توضع قيود على انتاج الاسلحة فى الدول الكبرى تتناسب مع القيود التى قد تفرض على تجارة الاسلحة . اما اذا فرضت القيود على التجارة فقط ، فان دول العالم الثالث لن توافق على اية مقترحات بهذا الشأن .

وتستخلص الدراسة انه لكي يتم التوصل الى الحد من بيع الاسلحة لا بد من حدوث تقارب فى الآراء بين كل من امريكا والاتحاد السوفييتي ...

وساعتها فقط قد ينتهي سباق التسلح فى دول العالم الثالث التى هي فى الحقيقة محتاجة لكل مبلغ تنفقه على التسلح لكي تساهم به فى مواجهة مشاكل التغذية والتنمية .



انواع جديدة من المخدر الجراحى تؤثر على المراكز العليا للمخ

● خلال العشر سنوات الماضية تم تحضير واختبار انواع جديدة من العقاقير المخدرة المستعملة فى التخدير الجراحى تختلف عن الانواع التقليدية المستعملة حتى الآن .

وقد اطلق على هذه الانواع الجديدة اسم « المخدر الفاصل » Dissociative Anesthesia .

ولهذه الانواع الجديدة ميزتان رئيسيتان ، اذ انها عند ما يتم استعمالها بالطريقة الصحيحة ، فانها لا تؤثر على تنفس المريض ولا على دورته الدموية . وحيث انها لا تسبب ارتخاء عضلات اللسان او الحلق فانها لا تؤثر على الممرات الطبيعية لدخول الهواء بالنسبة للمريض . ويرجع الاطباء هذه المميزات الى طريقة تاثير هذه الانواع الجديدة من المخدرات . فانواع المخدرات الجراحية التقليدية تتكون اساسا من الهيدروكاربونات Hydrocarbons ، والباربيتيورات Barbiturates ، وهي تؤثر على المراكز السفلى والاولية للمخ فى حين ان « المخدر الفاصل » يؤثر فقط على مراكز الاتصال بين لحاء المخ Cortex والمخ الاوسط Mid brain بينما يترك المراكز السفلى والاولية دون اى تاثير وهذا معنى كلمة الفاصل فى المخدر الجديد .

وقد قام العالم الامريكي جون بندر John W. Pender ، باستعراض تاريخ « المخدرات الفاصلة » فى مقال مطول فى مجلة الجمعية الطبية الامريكية ذكر فيه كل شيء عن تركيبها الكيماوى وتأثيراتها الاكلينيكية والتأثيرات الجانبية لاستعمالها . وقد تم اكتشاف ٣ انواع من المخدرات الفاصلة تمت تجربتها على الانسان وبعد بحوث مطولة تم اختيار واحد منها فقط للاستعمال على نطاق واسع واصبح يباع على نطاق تجارى للمستشفيات وعيادات الجراحة. وهذا النوع هو كيتامين هيدروكلوريد Ketamine Hydrochloride ، ويتم استخدام الكيتامين عن طريق حقنه بالوريد وهو يجعل المريض فى حالة لا يشعر فيها بالالم مع عدم فقدان للوعي وكذلك يفقده ذاكرته مؤقتا ، وهو يجعل الجسم فى حالة تصلب شمعي Waxy rigidity ، بدلا من ان يكون رخوا . وقد تظل اعين المريض مفتوحة وقد تتحرك مقلة العين حركة بطيئة لا ارادية . وهذا قد يثير الظن ان المريض لا يزال يحدق حواليه . وعادة ما يقوم المريض تحت هذا المخدر بحركات قليلة لاغرض

منها وهي ايضا ليست ناتجة عن اى شعور بالالم . ويقول الدكتور بندر انعلى طبيب التخدير الذى تعود على ان يفسر اى حركة للمريض تحت التخدير بانها تعنى ان كمية المخدر ليست كافية ، عليه ان يتعلم كيف يفرق بين هذه الحركات التخشبية Catatonic وبين الحركات التى تصدر عن المريض بسبب احساسه بالالم .

ويقول « بندر » فى نهاية تقريره انه يمكن استعمال المخدرات التقليدية مع المخدر الجديد المسمى كيتامين وذلك لمنع اى حركة من المريض قد تتدخل فى العملية الجراحية التى تجرى له .

● ● ● ● ● ●

خطر جديد يهدد المحاصيل الناشئة بالتهجين!

● كان اهم حدث فى الابحاث الزراعية خلال الاعوام القليلة الماضية هو الحصول على بذور جديدة مهجنة ومحسنة للمحصولات الزراعية الغذائية الرئيسية مثل الذرة والقمح ، وذلك بعد عمليات بحث وتهجين استغرقت وقتا طويلا وادى ذلك الى الحصول على بذور جديدة تعطى محصولا اوفر .

ولكن ثبت اخيرا ان هذه البذور الجديدة قد تحمل بين طياتها عوامل القضاء على المحاصيل لا وفرتها . لقد ثبت ان اقبال المزارعين على اصناف البذور المهجنة يفوق الوصف لما تعطيه من محصول وفير . وعادة ما يقبل المزارعون على النوع الذى يعطى محصولا اكثر وبذلك يعتمدون فى الاغلب على نوع واحد من هذه البذور المهجنة . ومن المحتمل فى مثل هذه الحالة ان يأتى نوع جديد او متوطن من الفطريات او الامراض النباتية ويهاجم المحصول الذى لم تكن بذوره تحتوى على عناصر المقاومة الطبيعية ضد هذه الفطريات او الامراض ، وفى مثل هذه الحالة يتم القضاء على اغلب المحصول .. وقد حدث هذا فعلا فى الولايات المتحدة الامريكية فى صيف عام ١٩٧٠ عندما تعرض محصول الذرة المهجنة فيها الى الاصابة بنوع من الفطريات ادى الى الفتك بـ ١٠٪ من مجموع محصول الذرة فى الولايات المتحدة الامريكية .

وقد ادى ما حدث فى عام ١٩٧٠ بالولايات المتحدة الى تكوين لجنة للبحث فى خصائص الضعف الوراثى للمحاصيل الرئيسية ، وذلك لكى تقوم بابحاث تتعلق بهذه المسألة ، ولمحاولة استنباط انواع جديدة من البذور المهجنة تكون لها قاعدة وراثية عريضة لكى تكون بها عناصر المقاومة الطبيعية ضد الفطريات والامراض النباتية . وتقوم هذه اللجنة الآن باعداد تقرير عن انواع البذور المستنبطة الجديدة والتى قد تتعرض اكثر من غيرها للاصابة بالامراض والفطريات ومحاولة استبدال انواع اخرى بها تكون داخلها عناصر المقاومة الطبيعية ضد الامراض متوفرة .

المركبة الفضائية الروسية فينرا (٧)

وهبوطها على سطح الزهرة

العلماء السوفييت يزيحون الستار عن تفاصيل ذلك

● كانت فينرا ٧ Venera 7 السوفييتية هي اول مركبة فضائية تهبط برفق فوق سطح كوكب الزهرة ، وذلك في ١٥ ديسمبر ١٩٧٠ .

وكان السوفييت قد فشلوا قبل ذلك ٣ مرات في انزال مركبة فضائية على سطح هذا الكوكب . واخيرا ازاح العلماء السوفييت الستار عن تفاصيل عملية هبوط فينرا ٧ الناجحة على سطح كوكب الزهرة في تقرير نشرته مجلة علوم الفضاء السوفييتية .

يقول التقرير ان كبسولة الهبوط كانت على شكل بيضاوي وتزن ١٠٠ كيلوجرام ، اى اكثر من الكبسولات التي حملتها مركبات الفضاء الثلاثة التي سبقت فينرا «٧» . ويقول العلماء السوفييت ان هذه الزيادة في الوزن كانت لتزويد الكبسولة بقوة عازلة اضافية لحمايتها من درجات الحرارة العالية التي يعتقد انها هي كانت السبب في اتلاف جهاز الارسال في الكبسولات الثلاث الاولى .

ويقول العلماء السوفييت ان مظلة الهبوط الخاصة بالكبسولة قد صنعت من مادة تتحمل درجات حرارة عالية تصل الى ٥٣٠ درجة مئوية . وان الكبسولة صممت لتتحمل نفس درجة الحرارة المذكورة ودرجة ضغط تصل الى ٢٧٠٠ رطل للبوصة المربعة . وان درجة حرارة الكبسولة قبل وصولها مباشرة الى اجواء كوكب الزهرة كانت حوالي –٧ .

وقد زودت كبسولة الهبوط بمقاييس دقيقة للضغط تستطيع قياس درجات الضغط من ٧ الى ٢٢٠٠ رطل للبوصة المربعة كما زودت بمقاييس للحرارة تستطيع قياس درجة الحرارة من ٢٥ الى ٥٤٠ درجة .

ويقول التقرير السوفييتي ان عملية الهبوط استغرقت ٣٥ دقيقة فقط . اى اقل من الزمن الذى تنبأ به العلماء السوفييت ب ٢٥ دقيقة ، وان السبب في ذلك غير معروف . وقد انفتحت مظلة الهبوط عندما اصبحت درجة الحرارة حوالي ٢٠٠ درجة . ووصلت الكبسولة الى سطح الكوكب بسرعة تصل ١٦٫٥ متر في الثانية اى حوالي ٣٧ ميلا في الساعة . وقد استطاع العلماء السوفييت تسجيل هبوط الكبسولة على سطح كوكب الزهرة عندما لاحظوا انخفاضا مفاجئا في قوة الاشارات التي يرسلها جهاز الارسال في الكبسولة ، ويبدو ان هذا الانخفاض يعود سببه الى التغير المفاجىء في اتجاه هوائي جهاز الارسال . وقد استلزم الأمر استعمال الحسابات الالكترونية لتحليل الاشارات الصوتية المرسلة من الكبسولة والتي استمرت في الوصول مدة ٢٣ دقيقة بعد الهبوط . وقد استطاعت الكبسولة ان تسجل درجات الحرارة على سطح كوكب الزهرة ، وهي ٤٧٤ درجة (مع احتمال خطأ ما بين ٢٠ درجة بالزيادة او النقص) .

اما درجة الضغط على سطح الكوكب وهي تقاس لاول مرة فقد كانت ٩٠ كيلوجراما للسنتيمتر المربع اى حوالي ١٣٠٠ رطل للبوصة المربعة .

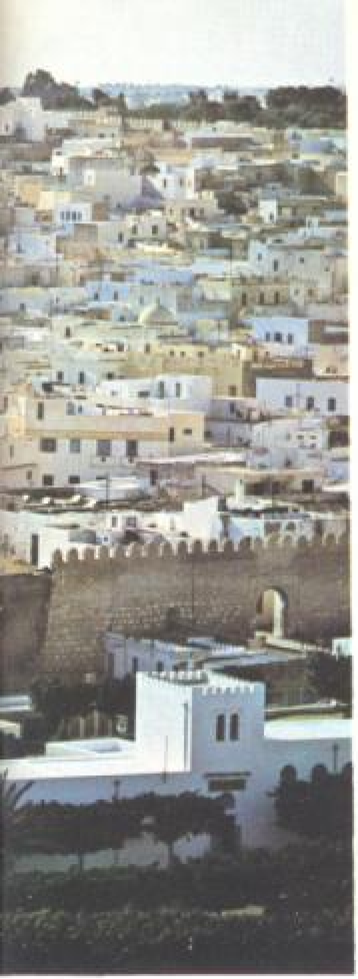
واستطاع العلماء السوفييت ان يستخلصوا من المعلومات التي حصلوا عليها من الكبسولة التي هبطت على سطح كوكب الزهرة انه من المؤكد ان سطح هذا الكوكب صلب بدرجة كافية لايقاف مركبة فضاء تهبط عليه بسرعة شديدة .

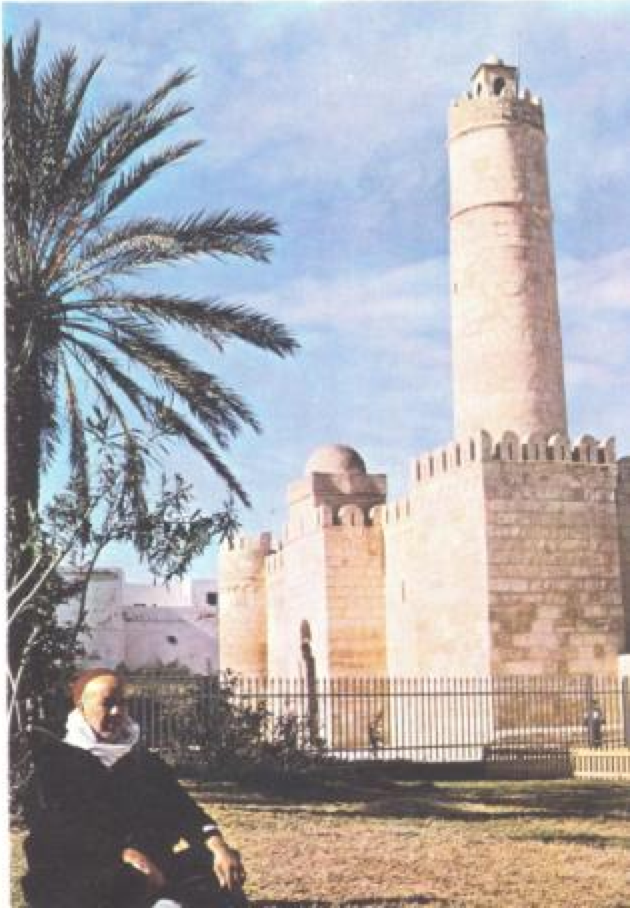
سوسة

جوهرة الساحل في تونس

استطلاع بقلم
محمد طنطاوى

تصوير
عبد الناصر شقره





٣ صور تبين معالم مدينة «سوسة» .. الصورة **الى اعلى** لنظر عام للمدينة ويظهر فيه السور التاريخي وهو يحيط بالمنازل القديمة ثم مبنى الرباط الشهير الذي يعتبر من أهم المعالم الاسلامية بالبلدة ، **والى اليمين** منارة الرباط وتعتبر من أقدم المنائر في الاسلام وتمثل الصورة **الى اليسار** كورنيش سوسة وقد تناثرت عليه المباني الحديثة .





مِنْ مِينَاءِ سُوسَة خَرَجَ أَسَدُ بنُ الفُرَاتِ لِفَتْحِ صَقَلِّيَة

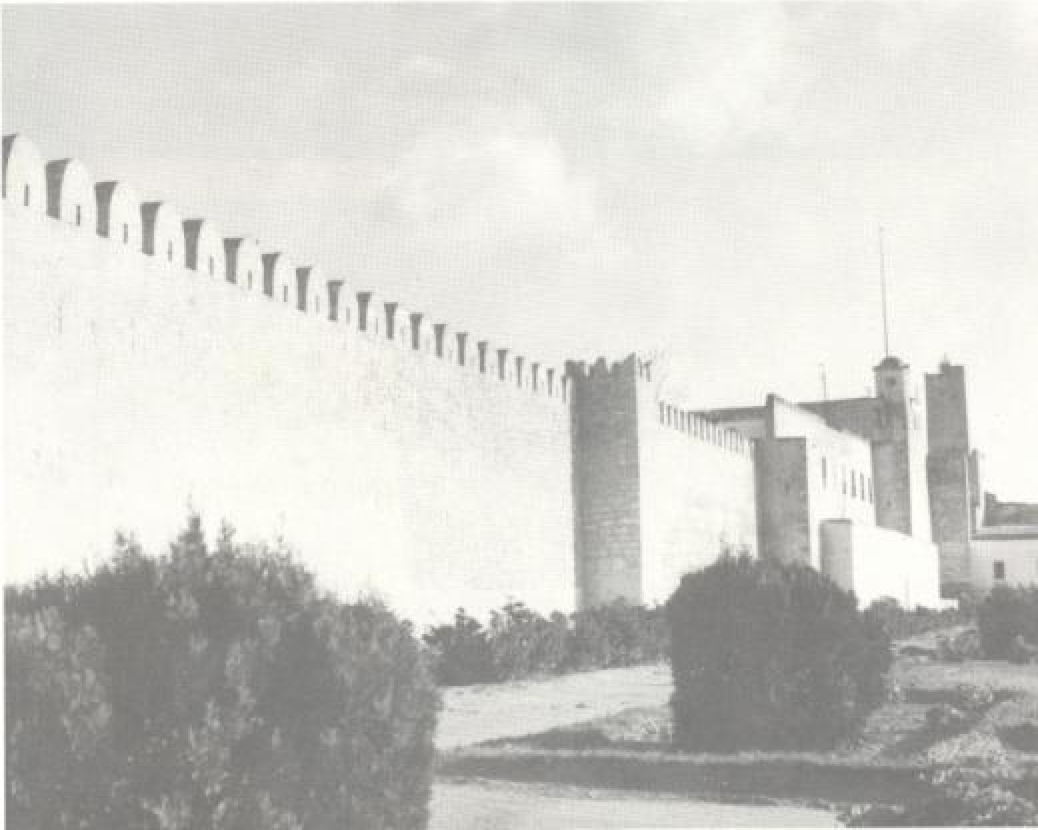
وَإِلَيْهَا يَحُجُّ آلافُ السُّيَّاحِ مِنْ أُورُبَّا كُلَّ عَام

■ فى اقتصاديات العالم الآن عصا سحرية جديدة .

وعصاة القرن العشرين السحرية يطلقون عليها اسم السياحة ، وهي عندما تستغل الاستغلال الصحيح الكامل ، تحقق المعجزات ، وتحول الخرائب الى جنات يانعة ، والصحارى الى مدن زاهرة ، والفقر الى غنى ، والجهل الى ثقافة .

كان التفكير في السياحة وما يمكن ان تحققه من معجزات بالنسبة للبلاد النامية هو بعض ما يشغل بالنا ونحن في طريقنا الى مدينة سوسة الشهيرة في تونس ، تلك المدينة التي يرجع تاريخها المعروف الى الألف الثانية قبل الميلاد .. وقد شهدت سوسة الكثير من التقلبات .. ازدهرت في عصور ثم اندثرت في عصور اخرى .. وتعرضت للخراب والدمار في الحرب العالمية الثانية تحت قنابل الألمان والأمريكيين والحلفاء ، تهدمت منازلها ، تخرب ميناؤها تحطمت مصانعها ، هجرها أهلها

ميناء سوسة ، له في التاريخ أمجاد قديمة ، ولعل ابرزها هو خروج أسد بن الفرات منه الى فتح صقلية .. لقد بنى الاغالبة اسطولا كبيرا سيطروا به على البحر المتوسط وكانت سوسة من أهم موانيهم وذلك منذ عام ١٨٤ هجرية حتى عام ٢٩٦ هجرية .



فرارا من الموت ، تحولت الى مدينة للاشباح .

ومضت سنوات بعد انتهاء الحرب ، وحصلت تونس على الاستقلال في عام ١٩٥٥ ، وامتدت عصا السياحة السحرية الى سوسة المدينة التاريخية المنسية على شاطىء البحر المتوسط ... وبدأت المعجزات تتوالى ، معجزات تحققت بالعمل والجهد والخطط المرسومة بدقة . وتحولت «المدينة الاشباح» الى واحدة من أشهر المدن السياحية في حوض البحر المتوسط . وتدفق السياح من كافة انحاء العالم اليها ، كل فوج جديد منهم يحمل معه مزيدا من الرخاء والازدهار .

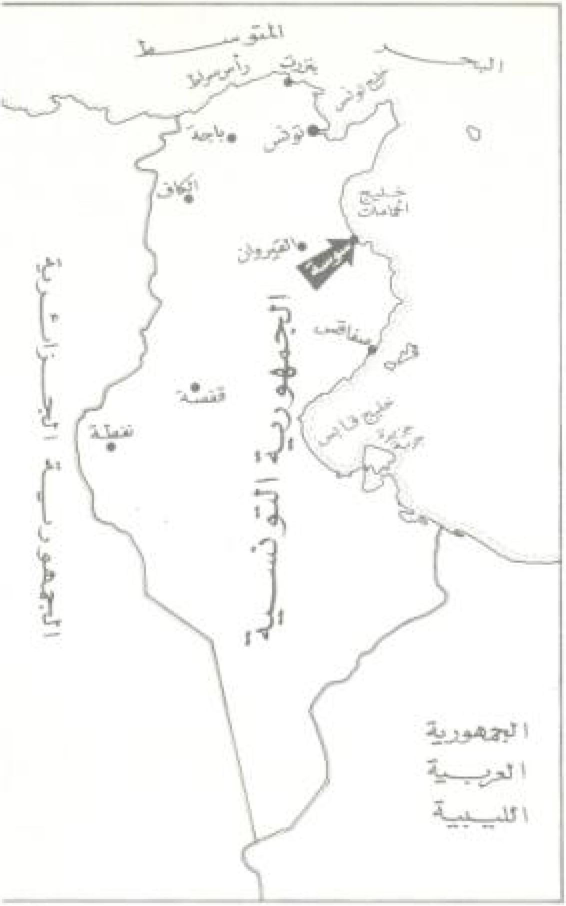
واستعادت المدينة العريقة أمجادها التاريخية القديمة .. استردت رونقها وجمالها ، واستردت لقبها القديم « جوهرة الساحل » .

ولكن كيف تحققت المعجزة .. وبعثت المدينة من بعد موت ؟! هذا هو ما سنحاول أن نجيب عليه في استطلاعنا هذا الذى نسجل فيه ما شاهدناه في سوسة عاصمة الساحل .. واكبر مراكز السياحة في تونس المعصرية ..

اجراءات جمركية سريعة وسهلة

عندما هبطت بنا الطائرة في مطار تونس الدولى كان الزحام شديدا ، مئات من السياح الاجانب من كل جنس وملة ، منهم من هبط لتوه ، ومنهم من يستعد لمغادرة البلاد بعد أن أمضى اجازته في تونس . وعندما وصلت الحقائب الخاصة بنا وجدنا امامنا طريقين ، طريق عليه اشارة حمراء لكل من يريد ان يعلن لرجال الجمارك أن معه شيئا يستحق ان يدفع عليه رسوما ، وطريق مضاء باشارة خضراء لكل من ليس لديه اى شيء يعلن عنه . واخترنا الطريق الاول لكى نعلن لرجال الجمارك أن معنا عددا من أدوات التصوير ، وذلك لاننا تعودنا في البلاد العربية التى زرناها من قبل ان تتعقد الأمور بالنسبة لأدوات التصوير هذه ، وعلينا في كل مرة ندخل فيها بلدا أن نقدم قائمة دقيقة بهذه الالات ، وبعد أن نحصل على توقيعات مختلفة على هذه القائمة علينا أن نحتفظ بصورة أخرى منها نقدمها ثانية لرجال الجمارك عند خروجنا من هذا البلد او ذاك .

ووصلنا الى رجل الجمارك ، وبعد ان القى نظرة سريعة على جوازات السفر التى تحملها



خريطة تبين موقع مدينة سوسة في تونس ، وهى تبعد حوالى ١٤٥ كيلو مترا عن العاصمة تونس ، وسوسة هى عاصمة محافظة الساحل ويبلغ تعداد سكان المدينة حوالى ٧٠ ألف نسمة حسب الاحصائيات التقديرية الأخيرة .

سألنا هل معكم ممنوعات ؟! وأجبنا عليه أن معنا بعض آلات التصوير والافلام ، وبلطف شديد قال ولماذا اذن دخلتم من هذا الباب ؟! تفضلوا ادخلوا الى بلادنا ان اجراءاتنا هنا سهلة لتشجيع السياحة .

وغادرنا المطار بعد أن اكتشفنا على الاقل سببا واحدا من اسباب رواج صناعة السياحة في هذه البلاد .

في الطريق الى سوسة

الطريق من تونس العاصمة الى « سوسة » عاصمة الساحل طريق معبد يمر مخترقا عدة مدن

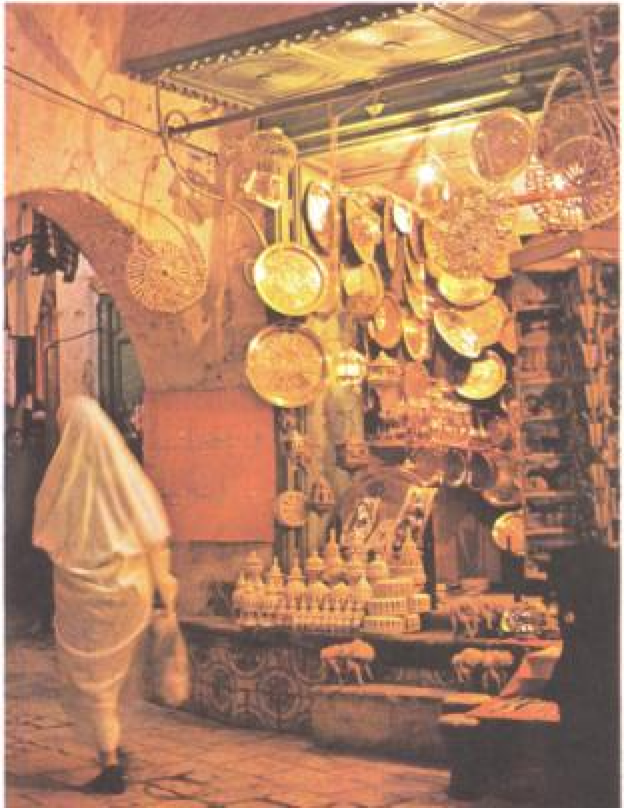


لا يزال عدد كبير من أهل تونس يرتدون الازياء الوطنية ، وفي الصورة رجلان أولهما يرتدي القشابية ، والثاني البرنس يجلسان على أحد المقاهي في الحي القديم بسوسة.

ميناء سوسة ، له في التاريخ امجاد قديمة ، ولعل ابرزها هو خروج أسد بن الفرات منه الى فتح صقلية .. لقد بنى الاغالبة اسطولا كبيرا سيطروا به على البحر المتوسط وكانت سوسة من اهم موانيهم وذلك منذ عام ١٨٤ هجرية حتى عام ٢٩٦ هجرية .







الى أعلى : جامع سوسة الكبير وقد أنشىء في بداية القرن الخامس الهجري . ومن المرجح أن هذا الجامع كان قلعة بني في وسطها جامع صغير أخذ يتوسع بمرور الزمن وتوالي العهود حتى شمل القلعة كلها .

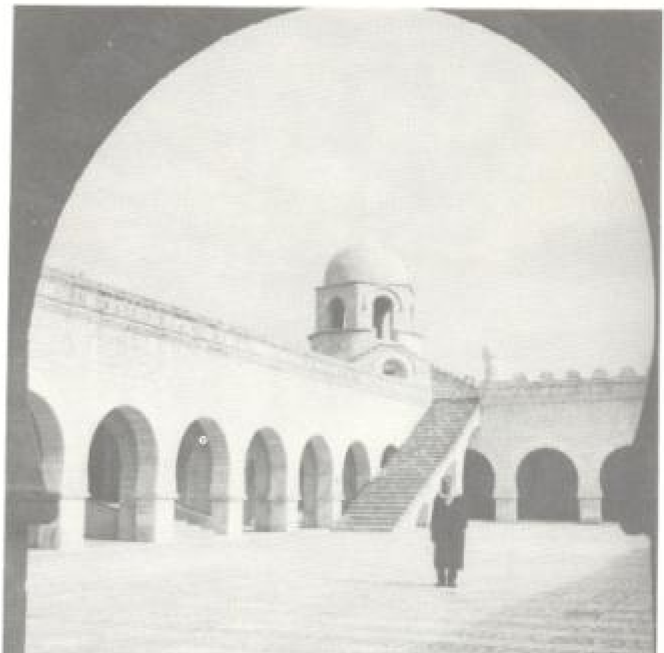
الى اليسار : متجر للمصنوعات التقليدية التي تشتهر بها تونس في الحي القديم بمدينة سوسة .

وقرى تونسية تقع وسط المزارع الخضراء الجميلة وأشجار الزيتون والبرتقال التي لا حصر لها، وسوسة تبعد عن العاصمة حوالى ١٤٥ كيلومترا تقطعها السيارة في اقل من ساعتين .. وعندما اقتربنا من مشارف « سوسة » شاهدنا منظرا رائعا .. منازل بيضاء صغيرة يحيط بها سوق قديم ضخم وفي وسطها قلعة اثرية ضخمة هي قصر الرباط المشهور الذى بناه الامير الاغلبى زيادة الله الاول حوالى عام ٢٠٠ هجرية . ومن وسط قصر الرباط ترتفع المنارة الضخمة التى تعتبر من أقدم المنارات في العالم الاسلامى . وعندما اقتربنا اكثر شاهدنا ساحل البحر اللازوردى الذى تزدان شواطئه بالنخيل والاشجار والزهور وتقع عليه مباشرة مبان حديثة مرتفعة ذات طراز معمارى جميل يراعى فيه التراث الفنى الذى اكتسبته تونس من تاريخها القديم الحافل .

ولعل في استعراض تاريخ مدينة « سوسة » بالذات استعراضا سريعا ما يفيدنا هنا قبل أن نستعرض « سوسة » في حاضرها .

سوسة اسمها التاريخى حضرموت

تتميز مدينة سوسة بوجود مجموعة كبيرة من المبانى الاثرية التى لا يوجد مثلها في المدن التونسية الأخرى . والسبب في ذلك يرجع الى تاريخ هذه المدينة القديم الذى يعود الى القرن التاسع قبل الميلاد حين نزل الفينيقيون الكنعانيون Punics الى ارض تونس حيث اسسوا مراكزهم التجارية على السواحل وكانت سوسة من اول المراكز التجارية التي اسسها هؤلاء الفنيقيون أو البونيقيون واسموها هدروماتوم Hadrumetum ، أو كما يقول بعض المؤرخون « حضرموت » .. وازدهرت المدينة اثناء الحرب البونيقية الثانية ٢٠٣ ق.م حينما جعل منها القائد القرطاجنى الشهير حنبعل Hannibal مقر اركان حربه وأخذ يعبىء فيها جيشه الذى زحف به الى مدينة « جامة » حيث دارت معركة رهيبة بينه وبين قوات الرومان دارت فيها الدائرة على حنبعل فانسحب مرة اخرى الى « سوسة » ولكن قرطاجنة فضلت الصلح .. وهرب حنبعل الى المشرق . وعندما قامت الحرب



القبة الصنهاجية في جامع سوسة الكبير ، وكان هذا الجامع قلعة ثم تحول الى جامع في عهد المعز بن باديس وذلك بسبب هجرة أهل المدن الداخلية الى الساحل .

البونيقية الثالثة استولى الرومان على سوسه واعترفوا لها بالاستقلال الذاتى ولقبوها بالمدينة الحرة .. وازدهرت المدينة في عهد يوليوس قيصر واستمر حكم الرومان لهذه المنطقة حتى جاء الفاندال واحتلوها في النصف الأول من القرن الخامس الميلادى واستمر احتلالهم لها ما يقرب من ٩٥ عاما (٤٣٩م - ٥٢٤م) .

البيزنطيون يحتلون سوسة

في عام ٥٢٤م ظهرت طلائع الجيش البيزنطى حول « سوسة » ورحب اهل البلاد بالجيوش البيزنطية ، وقام الاهالى بتغيير اسم بلدهم من « حضرموت » الى « جوستنيانوبوليس » نسبة الى الامبراطور جوستنيان كتعبير عن شعورهم بالامتنان له لتحرير بلدهم من حكم الفاندال .

سوسة .. العربية

في عام ٦٤٧م. دارت معركة بين قوات الامبراطور قسطنطين والقوات العربية بقيادة عبد الله بن الزبير في مدينة سوسة . واستطاعت الجيوش العربية الحاق الهزيمة بقوات قسطنطين ولكن عبد الله بن الزبير عاد الى مقر الجيش العربى في ذلك الوقت بمدينة « جلولة » وترك « سوسة » ليدخلها عقبة بن نافع الذى جعل عليها حامية عربية . وبدأت سوسة تتقلب تحت عهود مختلفة من الحكام العرب .. فاتى الأغالبة الذين اعادوا بناء سور المدينة والجامع الكبير وقصر الرباط .. وانطلقت قوات الاغالبة من ميناء سوسة بقيادة أسد بن الفرات الى صقلية حيث فتحوها واصبحت سوسة في عهدهم قلعة من قلاع الجهاد ونشر المذهب السنى الاسلامى .

وزالت دولة الأغالبة في نهاية القرن الثالث الهجرى وحل محلهم الفاطميون ثم تلاهم بنو زيرى. واشهر من له فضل على سوسة منهم هو «المعز بن باديس» ودام حكم بنى زيرى من عام ٣٦٢ هـ الى عام ٥٥٥ هـ . وتلاهم الموحدون ثم الحفصيون وفي عام (١٥٣٥م.) فتح الاسبان سوسة ولكن اهلها قاوموهم بشدة ووضعوا أنفسهم تحت حماية درغوث باشا الذى اشتهر بانه بحار تركى شديد المراس وله اسطول اقض مضاجع أوربا به .

وقعت سوسة تحت حكم الاتراك الذى استمر من عام ١٥٧٤ حتى عام ١٨٨١ ميلادية وسادته



منارة قصر الرباط ، وتعتبر من أقدم المنارات في العالم الاسلامى بعد منارة رباط المنستير .

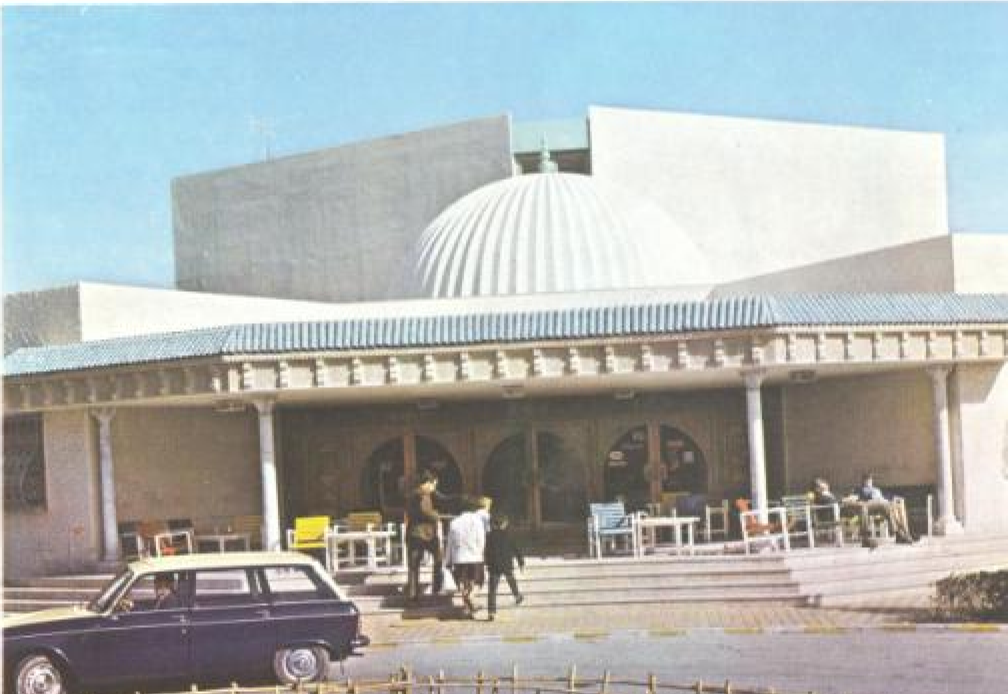
الفتن والثورات والدسائس . وأدى ذلك الى زوال حكمهم واستيلاء فرنسا على تونس كلها واستمر الاستعمار الفرنسي لتونس حتى قام الشعب التونسي بثورته وحصل على استقلاله في عام ١٩٥٥ .

١٥ فندقا سياحيا

تتميز مدينة « سوسة » بجمال موقعها على ساحل البحر المتوسط .. وهى تنقسم الى قسمين رئيسيين ، الحى القديم ويحيط به السور ويقع في وسطه الرباط الشهير وبه اغلب الآثار العربية والرومانية القديمة ، كما يتميز أيضا باسواقه القديمة التى تباع فيها المصنوعات التقليدية مثل الزرابى والمصنوعات الخشبية والنحاسية ، اما القسم الحديث من « سوسة »



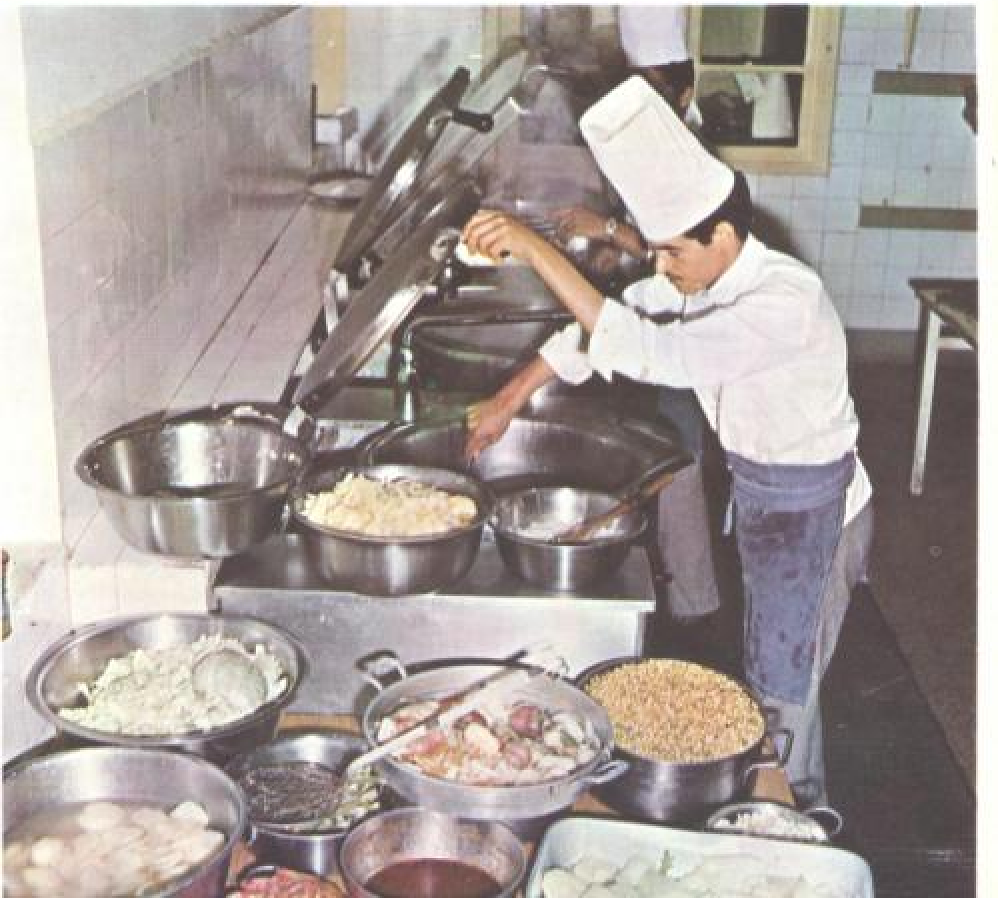
تتميز أغلب فنادق سوسة والتى تقع على شاطىء البحر بالذات بطرازها المعمارى الفريد الذى يجمع بين جمال القديم وترف الحديث ولكل فندق منها حديقة كبيرة ، وشاطىء خاص ، وحمام سباحة ، وملهى يقع في وسط الحديقة بينما تمتد غرف النزلاء على هيئة أجنحة تطل كل غرفة منها على البحر والحديقة ، والصورتان العليا والسفلى تبينان الجمال المعمارى لهذه الفنادق .





هذه البناية الضخمة ليست عمارة سكنية ولكنها فندق من فنادق سوسة وهو يختلف عن بقية الفنادق الواقعة على شاطىء البحر.





صورتان من مدرسة الفنادق ، **الى اعلى** الطالبات يتدربن على أعمال الخياطة والكي ، **والى اسفل** الطلبة يتدربون على طهي الطعام .

فهو يمتد ٥ كيلومترات على شاطىء البحر ويتميز بمبانيه الحديثة وهي في الواقع ليست عمارات سكنية ولكن اغلبها فنادق لكل فندق منها شاطئه الخاص وحمام سباحة ، وملاعب ، وملهى ليلى يقدم فيه الفولكلور الشعبي ، وحديقة جميلة . وبيلغ عدد الفنادق السياحية في سوسة الآن ١٥ فندقا بها ما يقرب من ٧ الاف سرير .

وتتميز فنادق سوسة بأن اكثرها انشيء على اشكال هندسية عربية جذابة وهي مكيفة الهواء .. وعندما قمنا بجولة في فنادق المدينة ، وكانت زيارتنا لها في فصل الشتاء وهو يعتبر من الفصول التي تهدأ فيها الحركة السياحية ، اكتشفنا ان نسبة الاشغال في كل فنادقها تصل الى اكثر من ٦٠٪ ، ووجدنا سياحا من كل بلد في اوربا .

فهذا فوج الماني ، وهذا فوج من انجلترا ، وآخر من هولندا ، ورابع من دول اسكندنافيا .

وهكذا وجدنا انفسنا نعيش في مجتمع دولي !!

كيف بدأت النهضة السياحية ؟!

كان السؤال الذي يتردد في اذهاننا هو كيف ازدهرت سوسة سياحيا ؟!

حقيقى انها تتميز بجمال موقعها، ولطف مناخها، ووجود آثار قديمة كثيرة بها .. ولكن هناك بلاد عربية اخرى كثيرة لها نفس المميزات ولا تزال كماً مهملا في عالم السياحة الدولية .

وذهبنا للقاء السيد حسن بوسعيد نائب مدير البلدية .. واستمر لقاؤنا أكثر من ٣ ساعات ! استعرض فيها نشأة السياحة في سوسة وجزءا من تاريخها القديم ، والمشروعات السياحية التي ستتم في المستقبل القريب .

ومن حديثنا مع بوسعيد خرجنا بحقائق كثيرة اهمها أن « سوسة » اسم اطلقه العرب على المدينة، اما اصله التاريخي فهو غير معروف وان كان البعض ينسبونه الى وجود أشجار السوس في ذلك الوقت

متحف سوسة وهو يضم الكثير من الآثار الرومانية والبيزنطية ويقبل على زيارته السياح الذين يفدون الى المدينة من كل بلاد أوربا .





صورة « لنزل بو جعفر » وهو الاسم الذى أطلق على أول فندق سياحى ينشأ في « سوسة » عام ١٩٦٣ .. وبعدها توالت عملية انشاء الفنادق السياحية حتى وصل عددها الى ١٥ فندقا.

بهذه المنطقة ، ولكن المؤرخين ينفون هذا تماما .

ويبلغ عدد سكان المدينة حاليا ما يتراوح بين ٧٠ الى ٨٠ الف مواطن ، « وكانت سوسة » قبل الحرب العالمية الثانية ثانى مدينة في تونس كلها بلا منازع ، فهى ميناء هام يتم تصدير الفوسفات منه، ومنها كانت مصر تستورد البطاطين السوسية التى اشتهرت بها المدينة ، كما انها كانت مركزا لتجارة الحبوب والزيوت . ولكن الحرب وويلاتها جرت الخراب على المدينة .. وظلت سوسة تعانى من الركود الاقتصادى حتى بدأ التفكير في استغلال جمال الطبيعة والآثار الموجودة بها .. وتم انشاء اول فندق سياحى بالمدينة في عام ١٩٦٣ واطلق عليه اسم « نزل بوجعفر » (وهو عالم من علماء السنة مدفون بجوار الفندق) ومع بناء هذا الفندق بدأت الدعاية لسوسة في الخارج لجلب السياح اليها . وقامت جمعية الآثار بدعوة عدد كبير من اساتذة الاثار في أوربا الى زيارة سوسة في عام ١٩٦٤ .. وادت هذه الزيارة الى نشر الكثير من البحوث التاريخية عن آثار سوسة في العالم ، مما جلب انظار شركات السياحة العالمية .

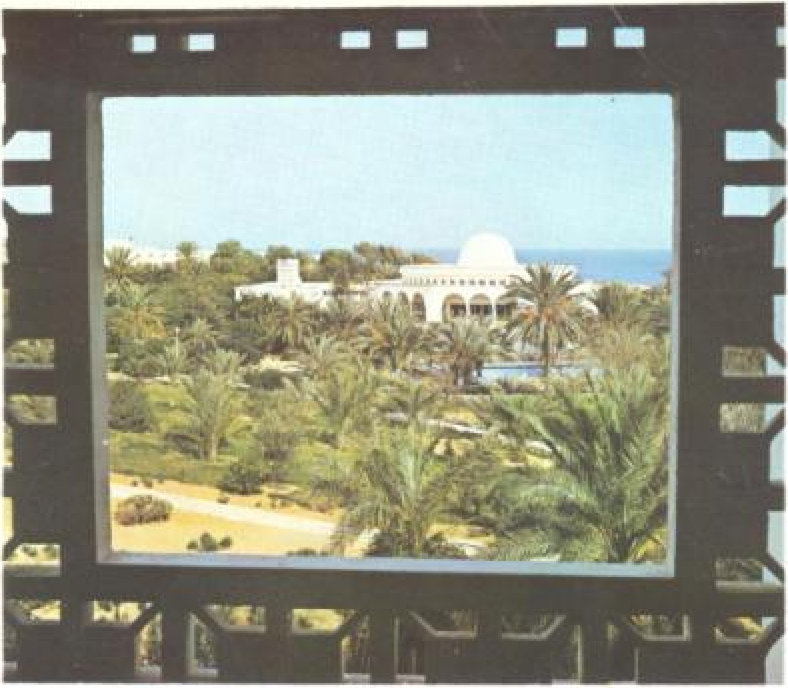
انشاء الفنادق .. والمحافظة على النظافة

لم تنتظر بلدية سوسة أن يأتى السياح وبعدها تطور المدينة ، بل اسرعت الى العمل على اصلاح الطرقات ، وانشاء طرق جديدة على الساحل ، وبدأ راس المال الخاص يقوم ببناء الفنادق بسرعة، وانيرت الشوارع بالكهرباء ، وبدىء في تنفيذ مشروع المجارى . وكانت « سوسة » تعانى من البعوض والذباب فبدأت حملة مركزة لمقاومتهما .. كل عام وقبل بداية فصل الصيف تبدأ عملية الرش بالمبيدات الكيماوية وبذلك يتم القضاء على البعوض والذباب قبل توالدهما بكثرة ... وفي نفس الوقت تقام حواجز على الطرق الرئيسية

٤ **صور** تبين بعض الأسباب التي من
أجلها يقبل السياح على مدينة سوسة
الصورة الأولى الى اليمين راقصتان
تونسيتان تؤديان رقصة شعبية
والى اسفل حمام للسباحة ملحق بأحد
الفنادق والسياح يتمتعون بالسباحة
فيه ، **والى اعلى اليسار** حديقة فنا
ملحقة بأحد الفنادق بينما ظهر فيه
مبنى الملهى الليلى ، **والى اسفل
اليسار** فرقة للفنون الشعبية التونسية
تؤدى رقصة السيوف وسط المناظر
الطبيعية الجميلة .











الحى القديم في سوسة وهو لا يزال محافظا على طابعه ومبانيه القديمة التى أنشئت في عهد الاتراك . ويقبل السياح على زيارة هذا الحى .

التى تصل سوسة بمدن تونس الاخرى ويتم عندها عملية رش وتطهير كل حافلة أو شاحنة تكون في طريقها الى « سوسة». ونجحت الحملة وتخلصت « سوسة » من البعوض والذباب وهما من أشد الآفات ازعاجا للسياح الأجانب ، ومع تلك الحملة قامت حملة للنظافة وتوعية الأهالي بأهميتها لبلدهم ولصحتهم هم أنفسهم . وبدأت البلد في الازدهار سياحيا وتدفق عليها السياح . وتم التعاقد مع الكثير من وكالات السياحة على احضار مجموعات سياحية بالطائرات للتمتع بجو « سوسة »الدافىء الجميل وممارسة مختلف الرياضات المائية كالسباحة والتزلج على الماء . وتم انشاء مطار في مدينة « المنستير » التى تقع على بعد حوالى ٢٠ كيلومترا من سوسة وبذلك يمكن للسياح القادمين لزيارة « سوسة » أن يأتوا رأسا اليها دون الهبوط في مطار تونس .

وتم تنظيم مهرجان سياحى للمدينة يقام في شهر أغسطس من كل عام . .

وتدفق السياح على « سوسة » واستعادت مكانتها الاقتصادية بعد تدهور دام ٢٠ عاما . وبدأ متوسط عدد السياح الذين يزورون المدينة سنويا يزيد على الثمانين الف سائح . وذلك بخلاف عدد السياح الذين يأتون اليها وهم في طريقهم الى المدن السياحية الاخرى في تونس . وقد أثبتت الاحصائيات السياحية الأخيرة أن عدد السياح الذين زاروا جمهورية تونس في عام ١٩٧١ وصل الى ٦٢٠ ألف سائح انفقوا ١١٠ مليون دولار .

مدرسة للدراسات الفندقية

أدى النشاط السياحى الى الحاجة الى انشاء فنادق جديدة في « سوسة » .. ومع كل فندق

جديد ينشأ كانت الحاجة الى ايد عاملة مدربة تشتد .

وفي عام ١٩٦٦ تم انشاء مدرسة السياحة والفنادق في « سوسة » ، بتعاون مع خبراء سويسريين . وتضم المدرسة حاليا ٢٢٤ طالبا وطالبة وتقوم بتخريج المختصين بالعمل في الخدمة الفندقية ، والمطبخ ، والمشرفات على الحجرات ، كما تقوم بتدريس اللغات الاجنبية لهم . ويتضمن برنامجها فترة تدريبية في الفنادق .

صناعات ميكانيكية ومصنع للسيارات

لم تقتصر نهضة سوسة الاقتصادية على النشاط السياحي فقط ، بل تعدته الى مجال الصناعة ، وبعد ان كانت سوسة ، وهي عاصمة محافظة الساحل ، تعتمد اساسا على انتاجها من زيت الزيتون ، اصبح بها الآن عدد من المصانع الحديثة .. اهمها مصنع البلاستيك ، ومصنع للآلات الميكانيكية ومصنع لتجميع السيارات، عدا مصانع النسيج الآلي التي تنتشر في القرى المحيطة « بسوسة » واهمها « قصر هلال » .

وفي كل هذه المصانع التي زرناها تقوم العاملات بالعمل جنبا الى جنب مع العمال حتى في مصنع الالات الميكانيكية .

ولكل مصنع من هذه المصانع قصة نجاح تستحق الذكر ولعل في الارقام والاحصائيات ما يلخص لنا قصة نجاح الصناعة في « سوسة » .

مصنع البلاستيك مثلا بدأ براسمال قدره ١٢ الف دينار تونسي في عام ١٩٥٩ واصبح الآن راسماله ١٠٠ الف دينار ، اما انتاجه السنوي الآن فيصل الى ٤٥٠ الف دينار وتقدر ارباحه بحوالي ٤٠ الف دينار سنويا .

والمصنع يستورد المواد الخام المكونة من البوليتلين Polythylene ، والاميلين Amiline ، والصودا من الخارج ثم يقوم بتصنيع البلاستيك منها وهو يقوم بانتاج الاكياس البلاستيك، واوراق البوليستر والادوات المنزلية والقوارير البلاستيك .

منظر للحي الجديد في سوسة تظهر فيه العمارات الحديثة العالية ، وشاطىء البحر .. وكذلك بعض الآثار الاسلامية التي تحيط بالحي القديم .









الى اليمين : قسم الاصباغ في مصنع النسيج «بقصر هلال» ان هذا المصنع ينتج أكثر من ٢٤ مليون متر من المنسوجات سنويا .. **والى اسفل :** القاعة الضخمة التي تضم ألف نول آلي ويعمل في هذا المصنع ١٢٥٠ من العمال والعاملات وهو واحد من اكبر ٦ مصانع نسيج كلها في بلدة «قصر هلال».

في كل منزل بمدينة « قصر هلال » يوجد نول يدوى قديم يقوم رب البيت بالعمل عليه في أوقات فراغه (**الصورة العليا**) وفي نفس الوقت تقوم الزوجة والابنة بالعمل في النسيج اليدوى أو الآلى البسيط .. **وفي الصورة الى اسفل** ابنة صاحب البيت تعمل على ماكينة تريكو بينما جلست امها على الارض تستعمل نولا يدويا صغيرا من الطراز القديم . ان أهل هذه المدينة قد ورثوا صناعة النسيج عن أجدادهم منذ قرون عديدة ولا يزالون يحافظون على هذا التراث .





انتاج قطع الغيار وأدوات الفنادق

اما مصنع الآلات الميكانيكية فقد تم الاتفاق على انشائه في عام ١٩٦٢ وفي عام ١٩٦٧ بدأ الانتاج التدريجي وبكميات تجارية .

وتستورد المواد الخام وهى الصلب غير القابل للصدأ ، والبرونز ، والنحاس من الخارج . ويبلغ راسمال هذا المصنع مليون دينار تونسي وهو يقوم بانتاج قطع الغيار الخاصة بآلات المصنع نفسه ، وغيرها مما يكلف به ، وكذلك كل الادوات التي تستعمل في البناء مثل الحنفيات والاقفال والاجهزة الكهربائية الخاصة بالمباني ، والادوات الزراعية الصغيرة المصنوعة من الصلب، والأدوات الميكانيكية كالكلاليب والمفاتيح ، والمصابيح البترولية ، وبه قسم خاص لانتاج أدوات المائدة من الصلب غير القابل للصدأ . وانتاجه يغطى حاجة الفنادق في « سوسة » .

ويعمل في هذا المصنع حوالى ٥٧٠ عاملا وعاملة .. وكل الفنيين فيه من التونسيين .

مصنع تجميع السيارات

وقد اقيم في سوسة مصنع لتجميع سيارات الركوب والنقل ، والحافلات ، وهو يقوم بتجميع سيارات رينو وبيجو للركاب ، وحافلات بيرليه وسيارات نقل حمولة ١٢ طنا.وهو ينتج...٢سيارة رينو ، و...١ سيارة بيجو كل عام . وهناك خطة لتوسيع المصنع بحيث يتم فيه بعد ذلك انتاج شاسيهات سيارات النقل .

وانتاج المصنع يوفر لتونس ما يقدر ب ٣ ملايين دولار من العملات الصعبة سنويا . وهو يضم ٥٠٠ عامل وموظف .

٣ آلاف عامل فى صناعة النسيج

تعتبر صناعة النسيج من الصناعات الرئيسية



زيت الزيتون من أهم المواد الغذائية في تونس فهو يدخل في طهى كافة أنواع الأطعمة التونسية .. وتمثل الصورة جانبا من معصرة لزيت الزيتون حيث يخزن محصول الزيتون قبل عصره .



البرتقال واليوسفي من المحاصيل الرئيسية في تونس ، ويتم عرضها بطريقة جذابة في واجهات محلات بيع الفاكهة .. ويعتبر انتاج تونس من الحمضيات من أحسن انتاج دول البحر المتوسط .

في منطقة « سوسة » والمدن المحيطة بها . وهنالك بلدة على بعد ٢٥ كيلومترا من سوسة اسمها « قصر هلال » تعيش على صناعة النسيج منذ القدم . وفي كل بيت من هذه المدينة يوجد نول يدوي .. وبها ٦ مصانع الية للنسيج يعمل فيها ٣ الاف عامل .

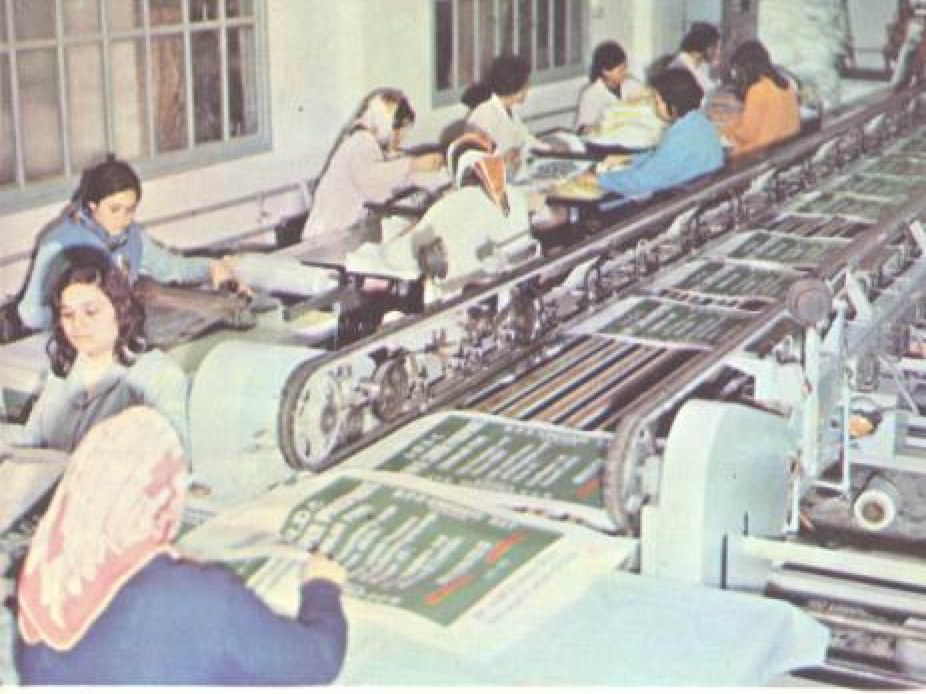
وفي مصنع الشركة العامة لصناعات النسيج يعمل ١٢٥٠ عاملا وعاملة وهذا المصنع ينتج ٢٤ مليون متر من الاقمشة المصنوعة من القطن والياف البوليستر سنويا وبه الف نول آلى . اما عمال المصنع فانهم يقضون اوقات فراغهم في منازلهم امام الانوال اليدوية القديمة حيث يقومون بمزاولة مهنة النسيج اليدوي التي ورثوها عن اجدادهم منذ قرون عديدة وفي نفس الوقت يرفعون مستوى معيشتهم بهذا الدخل الاضافي .

١٦٠ الف طن من الملح تصدر الى الخارج من سوسة

من المناظر المميزة لمدينة « سوسة » عند مدخلها من ناحية بلدة « المنستير » جنوبا منظر تلال الملح .. وعندها توجد ملاحة كبيرة يتم استخراج ما يزيد عن ٢٠٠ الف طن من الملح منها سنويا .. وتقوم تونس بتصدير ١٦٠ الف طن سنويا من هذا الملح الى البلاد الاوروبية ومختلف البلاد المجاورة . ويعتبر الملح مصدرا رئيسيا من مصادر الحركة التجارية في ميناء سوسة الذى بدات الحياة تعود اليه ، وان كان الفوسفات يصدر الآن من ميناء « صفاقس » الذى ينافس ميناء « سوسة » في الحركة التجارية .

زوز ... وباهي

يعتبر الحى العربى القديم في سوسة قبلة السياح .. فهو مزدحم ليل نهار .. ويوجد في هذا الحى السوق العربى التقليدى وهو سوق مسقوف أنشيء أيام الأتراك .. وهو مكتظ بالمحلات التى تعرض المنتوجات التقليدية من الزرابى (البطاطين الصوفية الملونة) ومنتجات الخزف والمطروقات النحاسية . وفي هذا السوق تشاهد آخر ازياء باريس واوربا جنبا الى جنب مع الأزياء الوطنية التونسية .. القشابية والبرنس والحوكى واللحفة .. ولغة التفاهم الرئيسية بين السياح وبائعي التحف والصناعات التقليدية هى الفرنسية .. فكل الشعب التونسي يتحدث الفرنسية بطلاقة حتى وان لم يكن يستطيع القراءة والكتابة .. اما اللهجة العربية التونسية فهى تتميز بكلمات مثل باهى .. ومعناها حسن او موافق .. وزوز

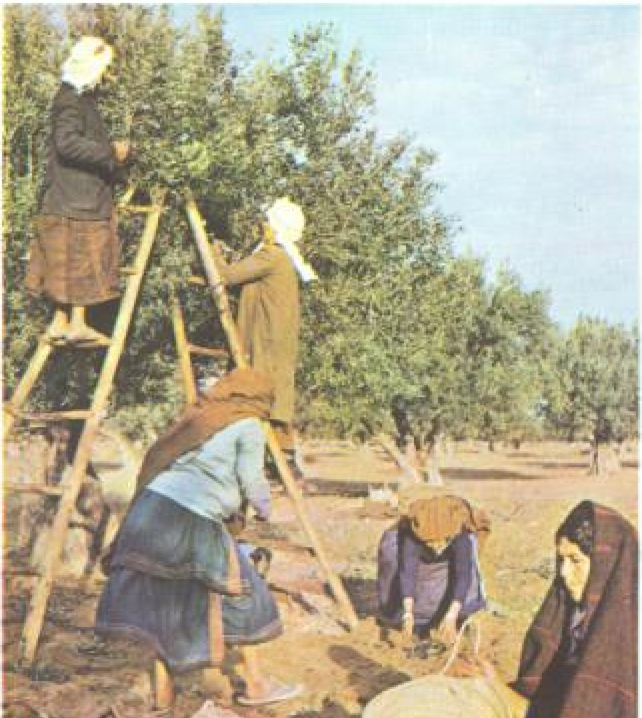


لم تقتصر النهضة الاقتصادية في مدينة سوسة على السياحة فقط بل تعدتها الى ميدان الصناعة . **وفي الصورة العليا** بعض العاملات في مصنع البلاستك يقمن باعداد أكياس من البلاستك ستصدر الى الجزائر .

الى اسفل خط تجميع السيارات في مصنع السيارات بسوسة والذى يتم فيه تجميع سيارات الركوب الصغيرة من طراز بيجو ورينو وكذلك الشاحنات الضخمة من طراز برليه .. لقد وفر هذا المصنع لتونس ما قيمته ٣ مليون دولار من العملات الصعبة في عام واحد.







الى أعلى : تلال الملح .. منظر يجذب النظر في مدينة سوسة .. حيث تقع واحدة من أكبر الملاحات في تونس. ويبلغ ما يصدر من انتاج هذه الملاحة الى الخارج ١٦٠ الف طن سنويا ، ويتم تصديرها من ميناء سوسة .

الى اليسار : محصول الزيتون من المحاصيل الرئيسية في تونس وفي الصورة مجموعة من الفلاحين والفلاحات يقومون بجمع الزيتون في احدى المزارع الواقعة بالقرب من مدينة سوسة .



أحد العمال التونسيين المهرة يقوم بعملية لحام بالكهرباء في مصنع تجميع السيارات في « سوسة »



اى زوج بمعنى اثنين .. وعندما تسال البائع عن ثمن شيء ما .. فهو يرد عليك قائلا : ثمنه زوز دينارات .. اى ثمنه ديناران !!

الملاهى الليلية والفن الشعبى

والشبان التونسيون يحبون حياة الليل والمرح .. وقد بدأ البعض منهم يتأثر بما يراه من السياح الهيبيين الذين يفدون على البلاد بكثرة .. فاطال عدد منهم شعرهم .. وارتدى البعض الاخر ازياء غربية .. ولكن هذه الظاهرة تقل كلما ابتعدت عن المدن .. وحياة الليل في سوسة مزدهرة .. فكل فندق سياحى به ملهى كبير يقدم لزواره من السياح عروضا من الرقص الفولكلورى التونسي.. الى جانب بعض العروض الاجنبية والرقص الغربى

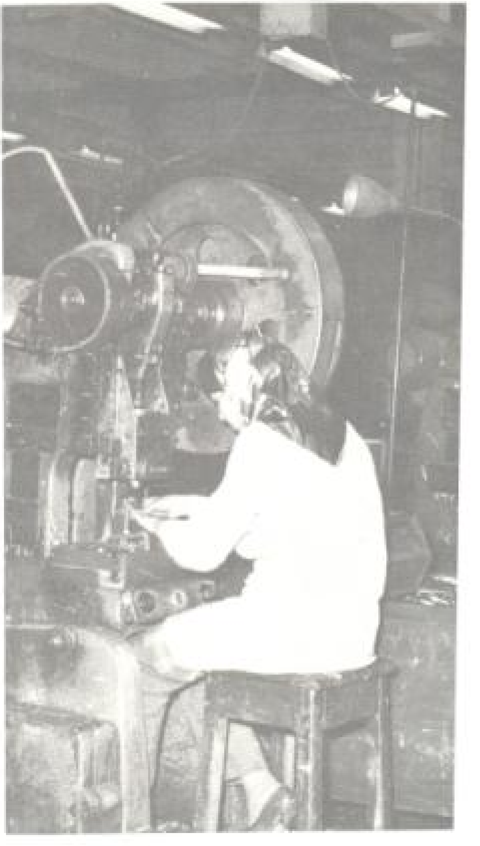
.. وفي قلب الحى القديم وداخل السور التاريخى « لسوسة » نجد السياح يتوافدون كل مساء على ملهى ليلى صغير يدعى « الوكالة العربية » وهناك يمتزج الفن التونسي الشعبى مع موسيقى الجاز الغربية ويقضي السياح ليلة من ليالى الف ليلة وليلة تمتاز بسحر الشرق وغموضه ومعها ما تعودوا عليه من رقصات غربية مجنونة ..

البوخا .. والهريس .. وزيت الزيتون

ولاهل «سوسة» أكلات شعبية يحبون تناولها وهم يستعملون زيت الزيتون في طهى كل طعامهم ، كما يستعملون أيضا الهريس (معجون الفلفل الاحمر) في كثير من الأكلات .. وهو معجون شديد

الى اليمين : أثبتت المرأة التونسية كفاءتها في كافة المجالات وفي الصورة بعض العاملات التونسيات في مصنع الآلات الميكانيكية ، وهو يعتبر من المصانع الحديثة التى أنشئت في سوسة ويقوم بانتاج المصنوعات الحديدية والنحاسية ورأسماله مليون دينار تونسي .

الى أسفل : فتاة تونسية في مصنع النسيج ، انها واحدة من الفتيات العاملات في المصنع الذى يضم أكثر من ٥٠٠ فتاة يقمن بالعمل جنبا الى جنب مع العمال .





الحرافة ويلهب فم كل شخص غير متعود على تناوله .. ومن المشروبات الشعبية التى يقبل عليها الشباب التونسي مشروب كحولى قوى أبيض اللون يطلقون عليه اسم « البوخا » .. أما النبيذ التونسي فيتناولونه ظهرا ومساء ويقبل عليه السياح اقبالا كبيرا كما يتم تصدير كميات منه الى فرنسا والمانيا ..

★ ★ ★

هذا عرض سريع لمشاهداتنا في مدينة « سوسة » جوهرة الساحل والمدينة الصاعدة في دنيا السياحة .. ولعل فيما ذكرناه ما يلقى الضوء على النجاح الهائل الذى حققته سوسة في جذب السياح اليها. ■■

محمد طنطاوى

تحفة الفتنة

بقلم : سنية قراعة

■ ذات صباح من ايام الربيع الباسمة، وقد تزينت بغداد عاصمة العباسيين بأبهى زينة .. كان عجوز متغضن الوجه شرس الملامح يدخلها من احد ابوابها العديدة ، ولم يكن وحده وقتها ، ولكنه شغل بجمال بغداد عمن كانت معه ، وفى الوقت الذى راح يحملق فيه بعينى الشره الطامع فى القصور والجنات اليانعة ، كانت عيون عابرى السبيل تحملق فى اعجاب واكبار الى من كانت معه !! .

جارية نضرة ، رخصة العود ، فى ريق صباها ، وروائع حسنها وكامل طغيان فتنتها ، وهب لها الخالق المصور المبدع ابهى ما يمكن ان يهبه لفاتنة ساحرة فى هذا الوجود .

وراح اهل بغداد ممن تركوا دورهم في هذا الوقت المبكر من الصباح ، بين فقير معدم ، وغني واسع الثراء ، يحملقون في الجارية التي ما رفعت اليهم عينا ولا شعرت لهم بوجود ، وقد راحوا جميعا يتساءلون : هل هي ابنة العجوز الجهم الوجه ، الشره الملامح ، او هي جاريته ... هل هو من اهل بغداد ، او ضاحية من ضواحيها الغنية ، وهل هو من طبقة اهل الثراء ، او انه احد الراغبين الذين اعتادوا القدوم الى حاضرة العباسيين يلتمسون نداها ، ويغترفون من ورد ثرائها ، ثم يعودون بما كانوا يحلمون به من ذهب ومال ...

واخذ الوقت يمر في تكاسل لم يشعر به كل من وقفوا يرقبون الفتاة المليحة ، حتى انتبه الشيخ الجهم الوجه في النهاية ، ورأى العيون كأنها تكاد تلتهم صاحبته ، فرقص قلبه طربا واتسعت مع رقصات قلبه آفاق الأماني والأحلام التي أسرع في اخفائها ضنا بها من ان يلمحها القوم ...

ثم ضاعف الرجل من تقطيب وجهه ، وتفنن في اظهار آيات الصرامة والجد ، وعلا صوته المزمجر صارخا في القوم ان يتباعدوا وهو يعجب لتكاثرهم حوله ، ومد يده في هدوء فاخذ بيد الشابة ومضى في سبيله وهي الى جانبه صامتة لا تتكلم، ولا تهتم بمن حولها ...

وتقدم الشيخ في خطوات ثابتة وكأنه كان يعرف غايته ، في حين انه لم يكن يدرى الى أين يذهب ، فتلك كانت أول مرة يدخل فيها بغداد ...

وتعالت الزفرات ، ووجفت القلوب الملتاعة ، ونكس غير القادرين من الناس عيونهم في ذلة ومضوا ، وكلهم يحاول أن يتخلص من تأثير فتنة الجارية النادرة الحسن التي كانت تصحب العجوز الجهم الوجه ، في حين راحت عيون القادرين من اهل الثراء تتبعها متمنية لو تظفر بها ، ولكن .. كيف السبيل اليها او الى الرجل الجهم الوجه .. !! .

تلك كانت الفكرة الطاغية التي تملكت قلوب القلة من اثرياء القوم ، وكبار اهل الجاه فيهم ، وقد ترددوا في التقدم منه ، أو التحدث اليه في أمر فتاته ، خشية أن تكون زوجته أو جاريته التي يضن بها على الناس اجمعين ..

وظل العجوز في سيره ، وبدأت القلة المتمنية من علية القوم تتناقص ، ولعل السير في أثر الرجل وفتاته اتعبهم فراحوا يتخلفون حتى لم يبق منهم

غير شيخ متالق الذكاء ، في عينيه بريق الفطنة الذى أكد له من مسيرة الرجل وجاريته انه بدأ يتردد ، ويضطرب خشية ان يضل الطريق ، وهنا ابتسم الشيخ الماكر ، ولم تلبث ابتسامته ان اتسعت وازدادت اشراقا وقد وصل الرجل الجهم الوجه الى درب ضيق لا مخرج منه ...

ووقف الرجل حائرا لا يدرى كيف يعود والى اين ، وخاصة ان الجارية سحبت يدها من يده في



بريشة
احمد الوردجي

عصبية ، ووصل الى مسمعيه صوتها الهادر بالغضب ، وهي تقول في نبرة هامسة عابثة انها تعبت وانها لا تستطيع السير اكثر مما سارت ، فالارهاق يضنيها والجوع يرهقها ، وهي تريد ان تعرف الى اين يمضي بها والى اي وجهة كان يسير ..

وحار الرجل الجهم الوجه فعلا ، وفي الوقت الذى اراد ان يتكلم فيه ليطمئن جاريته ويشجعها، كان الشيخ الذكي يتقدم منه في دهاء الثعلب ، وخفة النمر المتوثب ليرحب به ، ويعرض عليه خدماته ..

ورفع الرجل وجهه الى الشيخ يسأله اي خدمات تلك التي يعرضها عليه ، واذا بالشيخ

الماكر يقول انه على استعداد للتفاهم معه في امر الجارية لو تفضل وانفرد به لحظة بعيدا عنها !!

واستطاع الشيخ الذكي الماكر في النهاية ان يوقع الرجل الجهم الوجه في شرك ذكائه ، فعرف منه انه قدم الى بغداد ليعرض فتاته في سوق الجوارى ، وهو يرجو من وراء بيعها غنما كبيرا ولا جدال ...

وعرض الشيخ خدماته ، وقدم داره المتواضعة

للرجل وفتاته واتفق الاثنان على جعل معلوم يدفعه الرجل للشيخ ان هو ساعده كما يشتهي في بيع جاريته بثمن يسيل له اللعاب ...

وعرف الشيخ الذكي باسلوبه الذى اعتاده كيف

يتحدث عن الفتاة في مجالس هواة الجمال وعشاق الحسن ، وطالبي الفتنة المشبوبة التي يميزها دلال ، وحسن حديث ، ورقة معاملة ، ثم صوت طروب يخلب اللب ويعبث بالافئدة .. وظل يتحدث ، ويصف ويطنب ، حتى جعل الآذان تعشق قبل العيون ، والقلوب تتمنى قبل الرؤية والمشاهدة ، وحتى صار اهل الجاه والثراء يحلمون بالجارية ، ويتمنون ان تكون لهم ، واسرعوا يغرون الشيخ بالعطايا والهبات ..

واستقر راى الشيخ في النهاية ـ وامعانا منه في اثارة فضول الراغبين ـ ان يعرض الشابة في سوق الجوارى ، وهنا ضج اصحاب التمني وخشوا مغبة المزايدة والمغامرة ، ولم يجد اكثرهم مالا واوسعهم ثراء الا ان يسرع بالاتفاق سرا مع الشيخ ليبيعها له لقاء مبلغ ضخم وفير ..

وتفاهم الاثنان .. واسرع طالب الحسن ليظفر بالنظرة المتمنية ، وصحب الشيخ الى حيث اراد ان يصحبه ، ليشهد الحسناء المعطرة التي لم يستطع مقاومة اغراء فتنتها ولا سحر انوثتها ، فلم يجد غير ان يغامر ويدفع فوق ما كان يتصور الشيخ وصاحبه الجهم الوجه ...

واقبلت الحسناء في موكب بهائها ، ووقفت امام صاحبها الذى استحلها بماله ، والذى وقف يرقبها في ذهول ، واذا به في غمرة اعجابه يردد كلمة واحدة ويكررها مرات ومرات وهي « تحفة .. تحفة الفتنة !! » .

واقبل الشاب الثرى على الشيخ الذكي وصاحبه الجهم يسالهما عن اسم الجارية ، واذا بالشيخ يقول في دهاء : انه لا يجد لها اسما خيرا من الاسم الفريد الذى ناداها به وهي تحفة !! .

وهكذا صار اسمها تحفة ، وظلت تحفة حيثما سارت وايتما حلت ..

واذا كان الخيال قد لازم شخصية رابعة العدوية فلا عجب ان يلازم شخصية « تحفة » هذه التي آزفها اليوم الى القراء في صورة لا مبالغة فيها ولا تحريف ..

لقد بيعت تحفة الجارية الفاتنة الى سيد من اثرياء بغداد ، اخذه جمالها وخلب لبه حسنها الفتان . فاقبل عليها بحسه وعواطفه ، طابت له واشبعه هواها ، وراح يوفر لها كل اسباب الراحة ، ويزودها قدر استطاعته بكل ما استطاع ان يزودها به من علم وفن ، فقد كانت بديعة الصوت ، فجمعت بهذا بين حسن التطريب وبداعة المنظر ..

واستجلب لها اساتذة في ضروب العزف دربوها على استعمال الآلات وحسن الأداء ، فتعلمت في سرعة مذهلة ، لانها كانت آية في البراعة . والمقدرة على التفهم وحسن الأداء ...

وكانت اسعد ليالي صاحبها تلك الليالي التي كان يخلو فيها اليها فيسمعها ويسكره حسنها ، ويذهله صوتها .

وكان ضنينا بها غاية الضن فلم يحدث عنها احدا في مجالس اللهو والسمر في بغداد .. ولم يجعل احدا ممن كانت قصورهم حافلة بالجوارى المغنيات يصغى الى تحفة او يسمع بها .

وهكذا عاشت في قصر سيدها امرة ناهية سعيدة قريرة العين ، حتى لقد شغلته عن مجالس كان من عادته ان يغشاها ويجتمع بمن فيها ، فطلبه اصحابه وقد اذهلتهم غيبته ، وعجبوا لأمر انقطاعه الفجائي ، وحاول بعضهم أن يتقصى سبب هذا الانقطاع ولكن دون جدوى ، اذ كان الرجل من الحرص والغيرة بحيث لم يسمح لأحد أن يقترب من حريمه او يسمع شيئا عن جواريه وخاصة « تحفة الفتنة » التي شغلته عن المجتمع وعن الناس ومجالس الناس ..

وقنعت « تحفة الفتنة » بحياتها هذه .. اسعدها ان تكون بعيدة عن الناس .. بعيدة عن مخالطة الجوارى ، وقد سمعت بمكرهن وحيلهن الشيء الكثير ، وانها لتحمد الله ، اذ وهب لها السيد الذى صانها عن المخالطة ، وابعدها عن مجالس التعرف الى الآخرين ، فاحبت حياتها واقبلت عليها بنفس راضية ، ولم يكن لها من هم ولا شاغل الا ارضاء ذلك السيد النبيل .. وظلت في قصر سيدها كما عهدناها وتصورناها .. وامعانا منه في ارضاء حبه لها لم يبرح مجلسها الذى اغناه عن مجالس الناس ، فطلبه من كانوا وثيقي الصلة به ، ولعل الزاهد العابد الكبير السرى السقطي كان ممن تلمسوا السيد في غيبته واقبلوا بدافع الاخاء الانساني يسالون عنه ويتعرفون سر انقطاعه عن المجتمع وحياة الناس ..

وتردد السرى السقطي ولا شك على سيد تحفة ليس بالامر الهين الذى يمر هكذا مرور الطيف

العابر الذى لا يحفل به ، فالسرى السقطى عابد له مكانته ، وصاحب اسم عريض طالما دوى في المسامع واستقر في الاذهان ، وتردده على بيت سيد « تحفة » لم يكن من باب المجاملة والسؤال فحسب .. بل لوصل ما انقطع بين الرجلين من حديث شهي طيب ، كان مثله جديرا ان يجمع بين العابد الزاهد الكبير وبين احد معارفه وهو سيد تحفة ..

وهنا نستطيع ان ندرك أن مجلس سيد تحفة مع السرى السقطى كان مجلس علم ومدارسة .. فالسرى السقطى لم يكن عابدا راسخ القدم في التصوف فحسب ، بل كان مقدما على اهل زمانه في رواية الاحاديث الصحيحة لسيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام .. ولا بد ان مجلسي الرجلين وبعض الخلصاء من معارفهما كان مجلس علم ومدارسة واصغاء للحديث الصادق والرواية المؤكدة التي كان يؤديها الزاهد العابد الكبير ..

وسيد" حَرِصَ" على تثقيف جاريته وتهذيبها مثل سيد تحفة ، كان من الحكمة وبعد النظر بحيث لا يفوته توجيه جاريته الذكية ذات الحافظة المصقولة الى مثل هذه المجالس .. وهنا نقول ان تحفة لا بد قد شهدت الشيء الكثير منها من وراء ستار ، واصغت الى حديث السرى السقطى وعظيم مواعظه التي كان يرددها الخاصة قبل العامة . اذ كانت التوجيه الصحيح الى الخلق القويم .

وكما حذقت تحفة فنون الغناء والتطريب احست انها تقبل على العلم بكل عواطفها ومشاعرها ، فكانت تجد في اقوال السرى السقطى مشتهاها وغايتها ، فوعت عن فهم دقيق ما كان يقول .. وحاولت جهدها ان تشغل نفسها في اوقات فراغها بترديد تلك الحكم والمواعظ والتدبر فيها ...

ان تحفة لتجد نفسها ، ومع التفكير الطويل في كلمات السرى السقطى وحكمه وتوجيهاته ، تدخل طورا جديدا من أطوار الفكر والتصور ، حتى لقد رقّ وجدانها ، واحست بقيمة الحياة ، وقد فهمت سر الوجود ووظيفة الانسان التي لم تكن هي اللهو للهو وحده .. بل الاقبال على الحياة في حدود طاعة الخالق وتقديره حق قدره .. واعظامه واجلاله والعمل باوامره في حدود الاقبال على العمل الدنيوى والاخلاص له .. لأن الاخلاص لله هو سر الاخلاص في العمل .. وسر الاخلاص للناس وحب الناس ..

« من أراد أن يسلم دينه ، ويستريح قلبه وبدنه ، ويقل غمه ، فليعتزل الناس لان هذا زمان عزلة ووحدة » .

انها لتردد في شغف هذه الحكمة فقد سمعت السرى السقطى يرددها ويعظ بها في تفهم ماهية الحياة والمحافظة على قداسة الدين وحدوده .. وكيف يحافظ المؤمن على دينه حتى يسلم ويكون منزها من الشوائب بعيدا عن الاغراض ، فتقرب بهذا مسافة البعد بين الخالق والمخلوق ، وتتلاشى الابعاد الزمنية والمكانية ، ويكون الانسان قريبا الى خالقه ، يسأله فيستجيب له .. ويرجوه فيقبل رجاءه .. ويتوسل اليه فيقبل توسله ، وهو القائل سبحانه وتعالى « واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » ..

هكذا وجدت تحفة نفسها تدخل الهداية من اوسع ابوابها ، وتسترشد في مسيرتها المستنيرة بضوء وهاج .. هو ضوء الدين وكتاب الله وتوجيهات السرى السقطى التي لم تبرح خيالها ، والتي كانت تدوى في انحائه طوال ساعات وحدتها .. وانها لتصغى من جديد الى قول آخر من رائع حكمه وعظيم توجيهاته وهو يقول في مجلس علمه ..

« الامور ثلاثة » .. أمرٌ بانَ لك رشده فاتّبِعْه .. وامرٌ بان لك غيّه فاجتنِبْه .. وامر أشكلَ عليك فقِفْ عنه وكِلْهُ الى الله عز وجل .. وليكن الله دليلك ، واجعل فقرك اليه تستغن عما سواه » ...

وان تحفة لتصغى الى اصداء ترشدها الى الطريق وتأخذ بيدها اليه ، فلا تستطيع غير الطاعة والمثول .. فقد حان لها الرشد ومن واجبها أن تتبعه.. فلتقبل على الله بقلبها وعواطفها استجابة لامره « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » ..

وانها بعد هذا وعلى ضوء الحكمة ونورانية المعرفة لترى طريق الغى فتحول وجهها عنه في سرعة ، وتنصرف عنه في تباعد وكراهية ، فقد بان الرشد من الغى ومن واجبها ان تبتعد عن الغى والضلالات مبالغة منها في الطاعة ، وزيادة في التقرب الى الله ..

ولا تكاد « تحفة » وهي في غمرة تخيلاتها تجتاز

هاتين المرحلتين الدقيقتين من مراحل توجيه الحكمة ، حتى تقف من جديد امام قول السرى السقطي في بقية حكمته التي بدات تتبعها .. « وامر اشكل عليك فقف عنده وكِلْه الى الله عز وجل » ..

ان تحفة اليوم لتحس عن يقين انها على حال غير حالها بالامس ، وانها مع غدها المأمول المبكر لتود في اخلاص وحرارة ان تسابق الزمن ، حتى لكأنها تريد أن تهرب من الماضي وما حوى ، لتستقبل الغد المرجو المجهول الذى لم يخلق بعد ، والذى تخيله وتنشده ، لتتلقاه بنفس مقبلة ، وقلب مطمئن اليه ، ففيه سوف تتحقق سعادتها التي تصورها ، وراحتها التي ترجوها ، وانها لتردد كلمات جديدة من توسلات استاذها ، وموجهها الروحى السرى السقطي وهو يقول :

« اللهم ما عذبتني بشيء ، فلا تعذبني بذل الحجاب .. » .

لقد خلص القلب ، ورق الوجدان ، واستحالت عتمة الضمير شفافية روحانية ، طهرته من ادران الدنيا ، ووصلت به الى مراتب الوعي الصحيح حتى انها اليوم ، وأمام ما عرفت ، وما قد استنار به وجدانها من اضواء الحقيقة ، لتشعر انها بدات تختار باب « الأحوال » وتتخطاه في طريقها الى مراتب « المقام » فتسرع ، وتحث الخطى ، يستخفها الشوق والحنين والاخلاص ، وهي تتمنى أن يرفع عنها حجاب الجهالة الذى يخفي عنها اضواء الحقيقة ، لتعرف وتصل وتستنير ، وتزداد قربا من الله الحق ، فيستجيب لضراعاتها اليه ، وهي تساله في ذل الراغبة ان يخرج بها من الظلمات الى النور ، لتعرف وتحس انه قد استجاب لها وهي تردد في اخلاص « اللهم لا تعذبني بذل الحجاب .. »

كانت تحفة الفتنة تشعر في قرارة نفسها انها برغم ما وصلت اليه ما زالت في حاجة الى التوجيه الروحي ، والارشاد الوجداني ، الصادر من ينابيع النفس الصافية ، حتى انها لتساله سبحانه وتعالى هاتفة ضارعة ، تردد قوله عز من قائل « وقل رب زدني علما .. » .

والعابد الأمين ، الصادق في سؤاله ، المخلص في ضراعته ، لا بد ان يستجيب له الحق سبحانه ، فقد كتب الاستجابة على نفسه حيث قال وهو أصدق القائلين « ادعوني استجب لكم .. » وانها اليوم لتشعر انها تقترب وتقترب ، حتى لقد بدات تنظر الى الحياة الدنيا وزينتها نظرة المستريبة التي ترى في تلك المظاهر قيدا يحول دون قلبها وسرعة الحركة الى رحاب الحق ..

ومرت الايام .. واذا بتحفة الفتنة تصبح تحفة الاخلاص ورعاية العهد ، المقبلة على طلب الرحمة والرضوان بالطاعات والضراعة والصلاة وهجر الدنيا ، بكافة الوانها ...

وغلبها الوجد ، وسمت شفافية الروح على عتمة الجسد ، فشرد منها الفكر ظاهريا لأنه أصبح يتصوره غريبا عن دنيا الناس ، قريبا من عالم الخلد ، فشرد متباعدا ، واذا بها تحس بأنها كائن غير كائن ، وموجود بلا وجود ، وجسد وأن ارتبط بالترابية فان روحه تسمى الى عوالم النور ..

* * *

لقد بلغ الوجد مداه من تحفة ، وغلبها جوى الاخلاص الروحى للذات القادرة ، فاختلطت عليها الأمور ، أو هكذا بدا يراها سيدها العاشق المفتون بها ، فجن جنونه وكاد لبه يطير هلعا على تحفة الغالية ، واقبل عليها مواسيا وهو يخشى أن يكون قد اقدم على فعل اغضبها منه وابعدها عنه وراح يرجو ويسأل ويتقصى ، وهي منصرفة عنه الى تصوراتها التعبدية ، حتى بدأ كأي رجل في الوجود يضيق بها وقد حرمته ما كان يتمناه ، ولم تعطه ما كان يرجوه منها من هوى وشغف وارضاه حِسٍ واشباع رغبة !! .

وبدا الشك يتسرب الى قلبه من ناحيتها ، وقد ظنها تحولت عنه الى غرام جديد ، وراح يتقصى ويحاول الاهتداء ، فلم يصل الى ما كان يرجو ، واذا بأمر تحفة يصبح مشكلته الكبرى وعلته المستعصية وكان أن بدا يخرج بنتيجة غريبة مروعة ، وهى أن تحفة الفتنة قد اصابها مسٌ من الجنون ، فسلبها العقل الراجح وتركها جثة حية ميتة لا تعى ، ولا تشعر لذاتها بوجود !! .

واستقدم سيدها من استطاع استقدامهم من اهل الطب والتنجيم ، فزادوا الأمر بلبلة ، وخرج الجميع برأى واحد هو ان الجارية التي خلبت الالباب وسحرت العقول ، وعبثت بالافئدة ، قد أصبحت مجنونة !! .

وسمعت تحفة ، المتصرفة بكل وعيها الى التوبة

والتعبد .. سمعت بما قيل عنها .. واذا بها تبكى بكاء الفرح وتقول منشدة مترجمة عن احساسها :

معشرَ الناس ، ما جُننت ولكنْ
أنا سكرانة وقلبيَ صاحي
قد غللتُمْ يدى ولم آتِ ذنباً
غير جهدى في حبه وافتضاحي
أنا مفتونة بحب حبيب
لست أبغي عن بابه من براحِ
فصلاحي الذى زعمتم فسادى
وفسادى الذى زعمتم صلاحي

واستبد الوجد بتحفة .. وتصور سيدها انه الشرود والجنون فاسرع بادخالها الى «البيمارستان» عساها تجد هناك الشفاء ، وقد سيقت وقتها مغلولة اليدين اذ تصوروا انها ربما اصابتهم او اصابت نفسها بضر ، ووضعوها داخل حجرة فردية ، فاطلقت من عينيها الدموع ، وراحت تناجي الحبيب الأعظم الذى اخلصت له الحب ، وتفانت في الوفاء لطاعته ، حتى لقد اعتبر سيدها هذه الطاعة عصيانا له وتمردا عليه :

أُعيذك أن تغلَّ يدى
بغير جريمةٍ سبقتْ
تغلّ يدى إلى عنق
وما خانتْ وما سرقتْ
وبين جوانحي كبدٌ
أحسّ بها قد احترقتْ
وحقّك يا مُنى قلبي
يميناً برّةً صدقتْ
فلو قطّعتها قطعاً
وحقّك عنك ما رجعتْ

وظلت تحفة في حبسها الانفرادى باكية ضارعة ، بعيدة بعقلها وتصوراتها عن الناس ودنيا الناس ، مدة من الزمان ، ثم زارها العابد الزاهد « السّرى السقطى » ليصل الى تعرف ذاتها ، ومدى ما الحق بها من حيف وظلم ، وسمعها ساعة دخوله تنشد مترنمة وهي في غيبوبة :

ألبستَني ثوبَ وَصْلٍ طاب مَلْبَسُه
فأنت مولَى الوَرَى حقاً ومَولائي
كانت بقلبيَ أهواءٌ مُفَرّقَةٌ
فاستجمعتْ ، مذ رَأتْكَ العينُ ، أهوائي
قلبي حزينٌ على ما فات مِن زَلَلي
والنفس في جسدى من أعظمِ الداءِ
والشوق في خاطرى مِنّي ، وفي كبدى
والحب مِنّي مصون في سُوَيدائي
إليك منك قصدْتُ البابَ ضارعةً
وأنت تعلم ما ضَمّتْهُ أحشائي

ورق لتحفة المظلومة قلب السري السقطي ، واقبل عليها يواسيها ويحاول ادخال الهدوء الى قلبها الذى كان ينعم فعلا بالامان ، وجاء سيدها ليعودها ، فعرض عليه أن يشتريها ، وعجب السيد للسري ، وكيف يقدم على شراء جارية غالية الثمن رغم فقره ، ولكنه اصر على طلبه ، واسرع الى صاحب له يستقضيه ثمن تحفة ، وعاد به الى سيدها الذى حز ذلك في قلبه ، فزالت عن عينيه غشاوة المادية المقيتة واقبل على السرى السقطى يقول له : انا أولى منك بفك رقبتها وعتقها لوجه الله الكريم الذى انصرفت اليه ..

وهكذا اعتقها واعطاها حريتها ، ولم يعرف احد بعد ذلك عنها شيئا ، ولعل زحمة الوجود قد جرفتها الى حيث شاء لها الحق سبحانه وتعالى فعاشت حياتها مجهولة بعيدة عن الناس !! .

■■

القاهرة ــ سنية قراعة

طرائف

الهوى

● قال العلماء : الهوى أنواع ، أوله العلاقة ، وهو الشيء يحدثه النظر والسمع فيخطر بالبال ، ثم ينمو فيقوى فيصير محبة ، والحب اسم مشترك يجمع ضروبا من ميل النفس كحب الولد والمال ، ثم الهوى ، ثم المودة ، ثم الصبابة ، ثم العشق ، ثم الوله ، والهيام ، والتتيم ، وهو أرفع درجات الحب لانه التعبد .

أنبلهما

● قيل ان مقاتل بن حسان كان واليا على مدينة البصرة ، فساله رجل عن مسالة ، فقال : لا اعرف الجواب . فقال له الرجل : انت قاض ، ولا تحسن ان تجيب على اسئلتنا ؟ قال : نعم ، لأن

احبها فتادب

● قيل ان رئيس قبيلة عربية كان له ابن أهله كي يخلفه فى رئاسة القبيلة من بعده ، وكان هذا الفتى ساقط الهمة ، ردىء النفس ، سيىء الخلق ، فضمه ذلك ، ووكل به من يعلمه ، فلم يكن يتعلم . فقال المعلم لرئيس القبيلة : كنا نرجوه على حال فحدث منه ما ايأسنا ، وهو انه عشق بنت احد الأشراف ، فقال الوالد : الآن رجوت صلاحه . ثم دعا ابا الجارية ، فقال انى مستسر اليك سرا ، فلا يعدوتك ، اعلم ان ابنى عشق ابنتك ، واريد ان ازوجها منه ، فمرها بأن تطمعه من غير ان يراها ، فاذا استحكم طمعه فيها أعلمته انها راغبة عنه لقلة أدبه . ثم قال للمعلم خوفه بى ، وشجعه على مراسلة المراة .

وفعلت المراة ما أمرت به فقال الغلام فى نفسه : انا أجتهد فى تحصيل ما اصل اليها به ، فاخذ فى التأدب ، وتعلم الشجاعة . ثم قال أبوه للمعلم : شجعه على ان يرفع امرها ، ويسألنى ان ازوجها منه ، ففعل ، فزوجها من ابنه ، وقال له : لا تزدرين بها فى مراستلها اليك ، فانى كنت أمرتها بذلك ، وان من صار سببا لعقلك فهو أعظم الناس بركة عليك . وفى ذلك يقول الشاعر :

ومن يعشق تهذبه الليالى   فلم يك عاشق الا اديبا

من أولى بالغم ؟!

● حضر احد الاعراب مجلس ابا عمرو بن العلاء ، فساله حاجة ، فوعده ان ينجزه بعد أيام قليلة . ولكن الأيام مرت وحالت الظروف بابن العلاء ان ينجز وعده ، فقال الرجل : اخلفت يا ابن العلاء . فقال : فمن أولى بالغم ؟ قال الرجل : انا . فقال : بل انا لأنى وعدتك فأبت بفرح الوعد ، وابت بهم الانجاز ، ثم عاق القدر عن بلوغ الارادة ، فلقيتنى مذلا ولقيتك محتشما .

الناس

● جلس معاوية بن ابى سفيان يوما في مجلس، فسال معاوية الاحنف ابن قيس وقال : صف لنا الناس يا احنف ؟ فقال : رؤوس رفعها الحظ ، وكواهل عظمهم التدبير ، واعجاز شهرهم المال،واذناب" الحقهم الأدب ، ثم الناس بعدهم بهائم ، ان جاعوا ساموا ، وان شبعوا ناموا .

...عظمهما

...الثور اعظم من الحمار ، ولا يحسن ان ...ركض ركض الحمار . قال : ايها القاضي، ...بهذا مثلك . قال : نعم هـذا مثلى ، ...مثلك . قال : فأيهما أنت ؟ قال ابلهما ...اعظمهما ـ يعنى الثور .

انتهازية ووصولية

● اقبل رجل من اهل الكوفة الى الشام ايام خلافة معاوية بن ابى سفيان، يريد أن يحظى بمكانة عند معاوية . فقال الرجل : اصطنعنى يا امير المؤمنين فقد قصدتك من عند اجبن الناس وابخلهم والكنهم ! فقال معاوية : من الذى تعنيه ؟ قال الرجل : على بن ابى طالب ! فقال :كذبت يا فاجر . اما الجبن فلم يكن قط فيه ، واما البخل فلو كان له بيتان ،بيت من تبر وبيت من تبن ، لأنفق تبره قبل تبنه . اما اللكن ، فما رايت احدا بعد رسول الله احسن من على اذا خطب. قم قبحك الله .

مآكل

● دخل احد الأعراب على الخليفة المأمون وكان مشهورا بحبه للاكل وتذوقه لأنواعه ، فسأله المأمون عن الثريد فقال: ثريدة دكناء من الفلفل ، رقطاء من الحمّص ، ذات حفافين من الصبغ ، لها جناحان من العراق ، أضرب فيها ضرب الولىّ السوء في مال اليتيم .

ثم قال له ما تقول في الراس ؟ فقال :هو شيء واحد ذو الوان عجيبة واطعمة مختلفة . فقال : ما تقول في الهريسة ؟ فقال : روى ان نبيا من انبياء الله شكى ضعفا في بدنه ووجعا في صلبه ، فأوحى الله اليه أن اطبخ اللحم بالبر ، وكل ، فانى قد جعلت القوة فيهما .

ثم قال له ما تقول في الباذنجان ؟ قال : لونه لون بطون العقارب ، واذنابه كأذناب المحاجم ، وطعمه طعم الزّقوم ، فقيل له ، انه يحشى باللحم ويقلى بالزيت . فقال : لو حشى بالتقوى وقلى بالمغفرة ، وطبخته الحورُ العين ،وحملته الملائكة ، ما كان الا بغيضا .

عند الزواج

يتحدث الشباب

بيتاً جديداً مكان بيتٍ قديم

وحباً طريفاً ، مكان حبٍ تالد

■ ما هو مدى تأثير حب الوالدين لابنائهم ، على حياة هؤلاء الابناء ، عندما يكبرون ويتزوجون ، ويستقلون بحياتهم ؟

كيف يجب ان يكون موقف الآباء من الابناء ، وموقف الابناء من الاباء ، بعد الزواج ؟

لقد كانت هذه الاسئلة ــ وغيرها كثير ــ عن العوامل المؤثرة في حياة الابناء بعد الزواج ، موضع بحث ودراسة من جانب فريق من الباحثين وعلماء النفس الذين خرجوا من دراستهم بنتائج عدة ، لعل اهمها هو ذلك الراى الذى ضمنه الدكتور سمايلى بلانتون ، عالم النفس الشهير ، كتابه « اما الحب واما الفناء » Love or Perish ، وقد تناول فيه بعض الاسباب التى تؤثر تأثيرا مباشرا على علاقة الشاب بزوجته ، وعلاقة الفتاة برجلها فى مستهل حياتهما الزوجية .

الارتباط بحياة الاسرة

يقول بلانتون ان في مقدمة هذه العوامل ، ارتباط الزوجين بحياة الأسرة التى الفاها بين الوالدين والاشقاء .. وفشل الآباء في كثير من الاحيان في مساعدة ابنائهما على فك قيود هذا الرباط ، وتكييف حياتهما الجديدة ، ومحاولة بناء رابطة اخرى تقوم على اساس من الحب والتفاهم والاحترام المتبادل .

ان مسئولية الفشل في بناء اسرة جديدة لا تقع على عاتق الابناء ، بقدر ما تقع على عاتق الآباء .. وعلى الام بصفة خاصة ، تلك التى لا تريد ان

في الزواج يستبدل الزوجان حبا بحب وحياة جديدة بحياة قديمة .. لقد بدأت الخليقة بآدم وحواء وحدهما وستبقى المرأة والرجل وحدهما أساس الخلق ما دامت هناك حياة .







الام التي تتشبث بابنها تقضي عليه وتحكم على زواجه وحياته الجديدة مع عروسه بالاعدام حتى قبل أن يولد هذا الزواج .

تدرك حقائق الحياة ، فهي تحب ابنها ، ولا تريد لاحد ان ينافسها في حبها له.. ناسية او متناسية، ان العجلة تدور ، وهي في دورتها ، لا بد ان تحقق الاستمرار للحياة ..

حكم بالاعدام

وعندما يستبد هذا الاحساس ببعض الامهات ، تتصور الام انها فقدت ابنها الى الابد .. وكم من امهات انهرن ، وهن يشاهدن ابناءهن يخرجون من البيت لآخر مرة ، ولا يعودون اليه الا في الاعياد والمناسبات !

مثل هذه الام تقضي على نفسها ، وتقضي على ابنها ، وتحكم على زواجه وحياته الجديدة مع عروسه بالاعدام حتى قبل ان يولد هذا الزواج !

على ان موقف ام الشاب ، يختلف عن موقف ام الفتاة ، فالثانية اكثر ميلا واكثر استعدادا لمساعدة ابنتها على تكييف حياتها الجديدة ، وبناء اسرتها ، واسعاد بيتها ، وخاصة اذا كانت هي نفسها تنعم بحياة سعيدة مع زوجها ووالد ابنائها !!

والسبب في هذا الاختلاف الواضح بين موقف ام الزوج وام الزوجة ، هو ان الاولى تتصور ، كما قدمنا ، بانها قد فقدت ولدا ، بينما تشعر الثانية ، بانها قد كسبت ابنا ، كما كسبت ابنتها اخا وزوجا يرعاها ويحميها .

من هنا كان الاختلاف بين موقف ام الفتى وام الفتاة بعد الزواج .

تكيف الحياة

يقول بلانتون : « على ان خطر محاولة استحواذ الام على ابنها بعد الزواج ، لا يقل عن خطر شعور هذا الابن بان والدبه واخوته عن قصد او عن غير قصد ، قد تخلوا عنه او انهم كفوا عن الاهتمام به واهملوه بعد الزواج ! فنجده في الحالة الاولى ، قد نزع الى النفور من امه ، التي لا تكف عن محاولاتها لاستعادته .. بينما نجده في الحالة الثانية ، عاجزا عن ان يكيف حياته الجديدة ، بعد ان آلمه ما احس به من جفوة ليس لها ما يبررها ، من جانب هؤلاء الذين احبهم ونشا بينهم وعاش وسطهم ، سني طفولته ، وجانبا كبيرا من عمره في شبابه ورجولته !

« وتكون النتيجة اذن ان يعجز هذا الشاب عن ان يكيف حياته ويعود نفسه على هذا الاسلوب الجديد من الحياة التي لم يالفها ! فنجده قد بدا يحن الى الحياة التي الفها قديما في بيت

اسرته ، وينفر من الحياة الجديدة ، تلك التى اختارها لنفسه ، ولم يفرضها عليه احد ، وبذل في سبيل توفيرها كل غال ورخيص فلما اكتملت وتحققت ، تسارع الى الهرب منها هربا !

اسباب هذه الظاهرة

ويمضي الدكتور بلانتون في تفسيره لهذه الظاهرة التى قد تنتاب بعض الشباب ، وهم بعد مازالوا يقفون على اولى درجات سلم الحياة الزوجية يقول : « وليس معنى هذا ان مثل هذا الشاب قد بدا يكره حياته الجديدة مع زوجته ، فهو يحب هذه الحياة ويحب زوجته ! ولكن معناه انه قد اصبح عبدا « للعادة » تلك التى الفها في حياته بين والديه واخوته .. فاحبهم واحبوه .. والحب نفسه « عادة » ، وكذلك الزواج .. فهو يصبح عادة .. ولكن المشكلة تكمن دائما في البداية .. في تلك المحاولات الدائبة التى يجب الا تتوقف ابدا للتخلص من عادة قديمة ، والتعود على شيء جديد وحياة جديدة ..

الفرق بين الانسان والحيوان

« وهذا هو الفرق بين الانسان والحيوان .. فالانسان يفكر ، ومع التفكير يجد المرونة ، ويجد الحلول لمتاعبه ، وكل ما يصادفه من مشاكل في الحياة .. لان حياة الانسان لا ترسم له ، ولا تخضع لمخطط موضوع ، فهو الذى يرسمها ، وهو الذى يخططها لنفسه ..

« اننا لسنا مثلا كالعنكبوت الذى لا يجد امامه من خيار ، سوى ان يستغل كل جهده وطاقته في بناء بيته من تلك الخيوط الرفيعة الدقيقة .. فهو لا يعرف وسيلة اخرى ، يحصل بها على قوته وزاده .. وهو يمضي حياته كلها في نسج هذه الخيوط !

« ونحن لسنا كالعصفور ، الذى يبنى عشه بدافع الغريزة ، من فروع الاشجار الصغيرة التى يستطيع أن يحملها بمنقاره ، لكى يضع فيه بيضه .. وهو يفعل ذلك كل عام ، وقد يعود لبناء عشه في نفس المكان ، حتى لو تعرضت صغاره للافتراس ..

« اما الانسان ، فقد اتاحت له الدنيا مجالا واسعا للخيار ، وهو يستطيع بفضل ما حباه الله من عقل وذكاء ان يصنع بنفسه وحياته ومستقبله ما يشاء في اى وقت وفي اى مكان شاء ..

« فنحن نبنى المنازل او نصنع السفن .. ونغزو الفضاء او نفلح الارض .. ونؤلف الكتب او نكرس حياتنا لاكتشاف دواء لداء عضال .. فنحن اذن نختار ، ونحن الذين نحدد بايدينا وعقولنا حاضرنا ومستقبلنا ..

اختيار الرجل لاسلوب حياته

ويمضي الدكتور بلانتون في تحليله لحرية تصرف الرجل واختياره لاسلوب حياته ومستقبله، يقول :

« على ان العقل ليس وحده الموجه لتصرفاتنا ، ومسلكنا في الحياة ، فهناك بجانب العقل ، العاطفة ، وهي التى تتحكم في مشاعرنا واحاسيسنا ، منذ ان نرى النور ، حتى نودع الدنيا .. فنحن نحب ونكره ، نسعد ونتالم .. نثور ونهدأ ، طبقا لما تحركه فينا عواطفنا ..

« حقيقة قد يكون للعقل دور فيما يعترينا من انفعالات ، ولكن العاطفة هي التى تحركنا ، وهي الغالبة في توجيه تصرفاتنا ازاء الناس وازاء ما يصادفنا في حياتنا من احداث وتطورات .. » .

الحب اسمى عاطفة

ثم ينتقل بلانتون الى الحديث عن اسمى واعظم عاطفة في الوجود .. عاطفة الحب .. يقول :

« ان الحب اعظم نعمة ، على انه قد يصبح نقمة اذا تجاوز الحدود او وصل الى حد الافراط في قلب المحب .. فالام التى تفرط في حب ابنها ، الى حد تصورها بانها قد اصبحت مالكة له ، تقتل بيدها حب ابنها لها .. وكذلك الزوجة التى اعماها حبها لزوجها ، فاصبحت تشك في كل تصرف يبدر منه ، حتى لقد باتت تغار عليه من نفسها !

« ان الحب العاقل ، هو اساس كل عمل ناجح في الحياة .. وهو الحافز الى كل محاولة يبذلها الرجل لتكييف نفسه ، مهما اختلف اسلوب الحياة التى تعودها ،ومهما تباينت صورها

واشكالها على مر السنين .. ان الحب ، هو السبيل الوحيد لتخليص الانسان من عبودية العادة ..

« واذا لم تجد هذه الطاقة مخرجا لها تنطلق فيه الى حيث يجب أن تستقر وتنمو وتكبر وتتطور ثم تتحول مع الايام ، فلن يجد الرجل مجالا لاسعاد نفسه ، او اسعاد من هم حوله ممن عرفهم وعرفوه ، وعاش حياته وسطهم من الطفولة حتى النضوج ، ومن الرجولة حتى الشيخوخة ، مهما امتد به العمر .. فقلب الرجل لا يكف ابدا عن ان يخفق بالحب ، حتى آخر ايام حياته ..

نمو الحب وتحوله

ويمضي الدكتور بلانتون في شرحه لنمو الحب وتطوره ثم تحوله ، يقول : « في بدء الحياة ، يركز الطفل حبه كله لنفسه ، فهو يبكى اذا جاع ، ويصرخ اذا تألم ، ثم يكبر الطفل قليلا ، ويبدأ يحس بمن حوله فيعرف امه التى ترضعه ، وتقدم له الغذاء وتسهر على راحته .. انها اقرب الناس اليه ، واكثرهم التصاقا به ، ويبدأ حبه كله يتحول اليها .. الى امه ..

« وتكون هذه هي اول تجربة يمر بها الانسان عندما يجد منطلقا لهذه العاطفة ، دون ادراك منه، فهو يرى وجها يبتسم له ، وصدرا يحنو عليه ، ويدا تمتد اليه لتعاونه وتسانده ، فيتشبث بها ، ولا يرضى بغيرها بديلا ..

منطلق اوسع واشمل

« ثم تمضى الحياة ، ويكبر الطفل وتنمو معه عاطفة الحب وتكبر في قلبه .. لقد وجدت لها متنفسا ومنطلقا اوسع مدى واشمل ، فهو قد عرف اخوته فاحبهم ، وهو قد عرف اباه فاحبه، وربما كان له اصدقاء صغار في هذه السنوات المبكرة من حياته !

« ويذهب الطفل الىالمدرسة، ثم الى الجامعة، وتتسع دائرة هذه العاطفة اكثر فاكثر ، فتجده قد احب زملاءه ، واحب اساتذته ، ويبدأ حبه يخرج الى الدنيا الواسعة من حوله .. وهو في هذه الحالة قد تطور ونما ، واصبح حبا ناضجا .. وهكذا يتحول الحب الصغير الذى كان يخص به الطفل امه وحدها ، الى حب للناس والاصدقاء والحياة وكل ما فيها من صور جميلة . » .

يقول بلانتون في ختام حديثه موجها نصائحه لكل شاب ، وكل فتاة ارتبطا بالزواج .. وشرعا معا في بناء حياة جديدة سعيدة ، يقول : « اذا لم يستطع الرجل ان يتخلص من القيود التى كانت تربط حبه بهذا الشريط الضيق الذى عرفه في طفولته ، فهو رجل قد فشل في ان يقيم اية علاقات انسانية في هذه الحياة ..

« وكذلك الفتاة ، فهي لكى تكبر وتنمو وتشعر بالنضوج في حياتها الجديدة مع زوجها ، فلا بد لها من ان تعلم ان هذا النمو ، يجب ان يبدأ اول ما يبدأ في عقلها وفي قلبها ..

دور الآبـاء

ان على الوالدين واجبا ازاء الابناء بعد الزواج .. ان دور الآباء لا ينتهي ويجب الا ينتهى عند زواج ابنائهم .. ولكنه دور استشاري .. اذا شاء الابناء ان يستعينوا به ، قدمناه لهم واذا شاءوا ان يعيشوا بدونه كان لهم ما ارادوا .. ولكن علينا الا نكف ابدا عن تشجيعهم ونصحهم ومعاونتهم على أن يتعودوا حياتهم الجديدة دون ان نحاول ان نفرض عليهم رأيا أو نشعرهم بأنهم ما زالوا اطفالا ..

« وليس هناك وصف للحياة السعيدة ، اجمل واروع من الذى سجله ايمرسون اذ قال : « انها محاولة دائبة لا تهدأ للبحث عن بديل لموضع الحب الاساسي .. وليس هناك بديل لحب الابوين لابنائهما ، وحب الابناء للوالدين ، اعظم واسمى من حب الزوجين بعضهما لبعض .

« بهذا الحب وحده ، يستطيع الرجل ان يشرح لامه معنى الحياة ، وهو معنى غير غائب عن ذهنها ، فقد عرفته من قبل منذ سنوات بعيدة مضت عندما التقت بوالده .. وهو معنى يستطيع الزوجان في النهاية ان يستعيدا به اسرتيهما ، اذا احسا ان احدا لم يعد يهتم بهما كما تصورا..

« لقد بدأت الخليقة بآدم وحواء وحدهما ، وستبقى المراة والرجل وحدهما اساس الخلق ، ما دامت هناك حياة . » ■■

(م . ن)



آلام المفاصل

بقلم : الدكتور محمد محمد ابو شوك

● من منا لم يعانِ من آلام المفاصل ليوم أو بعض يوم ، أو حتى لفترة أو فترات تطول او تقصر ، هذه الآلام التي ربما يصاب بها المولود بعد ولادة عسرة بشد على طرف من الأطراف ، او ضغط على جزء من اجزاء الجسم ـ او ربما أصيب بها وهو طفل بعد حادث الم به ، او حمى روماتيزمية داهمته . ولعله يعاني من هذه الآلام وهو شاب ، أو في متوسط العمر لأمراض تعتريه ـ ويعاني منها عندما تتقدم سنه ، وربما جعلت منه مقعداً لا يستقيم له عود ، أو تنفرج للسير قدماه .

من هنا نرى أن الام المفاصل لا تفرق بين طفل يافع او بين الشباب والشيب فالكل يكتوي بها ، هذا الاكتواء الذى ربما يقسو بعض الشيء ، أو يزيد من قسوته فيكون مبرحا يؤرق المصاب ، ويجعل من حياته جحيما لا يطاق .

تركيب المفاصل :

والمفصل هو عبارة عن ملتقى عظمة او اكثر .

وتتجلى قدرة الخالق في تركيب المفاصل ، فعلى قدر ما يتطلب من المفصل يكون تركيبه ، لذا نرى ان هناك انواعا ثلاثة من المفاصل في الجسم .

اولا : المفاصل الليفية : Fibrous Joints

والتى لا تتحرك الا بقدر ضئيل جدا ويكون التلاقي بين العظمتين ، وارتباط الواحدة بالاخرى

بواسطة الياف عابرة بينهما ، وترى مثل هذه المفاصل على سبيل المثال بين عظام الجمجمة .

ثانيا : المفاصل الغضروفية :

Cartilaginous Joints

وفي هذا النوع يفصل ما بين طرفي العظمتين المتلاقيتين غضروف أملس يسهل الحركة بينهما ـ والمفصل عندئذ يتحرك بدرجة محدودة ويتمثل هذا النوع في المفاصل بين فقرات العمود الفقرى والعظام الامامية للحوض .

ثالثا : المفاصل ذات السائل الزلق :

Synovial Joints

وهذه تكون معظم مفاصل الجسم وهى تتميز بالآتى : ـ

أ ـ تغطى العظام المكونة للمفصل عند التقائها بغضروف املس وهذه العظام بعيدة الواحدة عن الاخرى اى ليست ملتصقة .

ب ـ هناك فراغ داخل المفصل ، وهو من النوع الكامن لا يظهر الا اذا امتلا بسائل .

جـ ـ يحيط المفصل غلاف مغطى بغشاء رقيق تحيط به اربطة المفصل من الخارج .

د ـ غشاء رقيق يغلف المفصل من الداخل عدا الغضاريف التى تغطى اطراف العظام المكونة للمفصل .

هـ هناك أربطة تربط العظام التى تكون المفصل بعضها ببعض .

و ـ لوجود هذه العوامل مجتمعة فان هناك اختلافا في مدى الحركة في هذه المفاصل فبعضها تنزلق العظمة فوق الأخرى ـ كما هو الحال في عظام الرسغ وبعضها تكون الحركة في اتجاهات مختلفة وعديدة كما هو الحال في مفصل الكتف .

ولاهمية هذه المفاصل ولانها كثيرا ما تصاب بالامراض المختلفة فقد تعمدت ان اصفها بالتفصيل. لانه في بعض الحالات تصاب العظام المكونة للمفصل وينتشر المرض منها الى المفصل نفسه ، ويصاب الغلاف المحيط بالمفصل ، أو يلتهب الغشاء الداخلى ويفرز سائلا داخل المفصل ويسبب تورما بها ، يكون في بعض الحالات صديديا ـ او ان الغضاريف تتآكل وتتعرى العظام المكونة للمفصل ـ وفي كل حالة من هذه الحالات يظهر المرض بمظهر مختلف ، ويكون العلاج تبعا لذلك .

ولآلام المفاصل اسباب عدة اوجزها فيما يلى :

١ ـ الآلام التى يحس بها المريض بعد اصابة المفصل ، وتكون هذه الاصابة شديدة ، او اصابات بسيطة متعددة تؤدى في النهاية الى تاثر المفصل تاثرا بالغا .

٢ ـ التهاب المفاصل المتقيح وينتج هذا عن ميكروبات تصل الى المفصل وتنتشر به وبداخله.

٣ ـ التهاب المفاصل الذى يصحب الحمى الروماتيزمية .

٤ ـ الام المفاصل الناتجة من الالتهاب المفصلى الشبه روماتيزمى .

٥ ـ الالتهاب المفصلى الذى يصحب امراضا عدة مثل الهيموفيليا وغيرها من الامراض .

٦ ـ الالتهاب المفصلى العظمى المزمن .

٧ ـ النقرس .

وسانعرض بطريقة شاملة لهذه الاسباب حتى يلم القارىء بمعظمها .

اولا : الآلام التى تنتج من اصابات المفاصل :

واكثرها حدوثا هو التواء المفصل او حدوث شد قوى على احد المفاصل او اصابة اى جزء من اجزاء المفصل . ويصحب ذلك آلام تشتد كلما مر الوقت بعد الاصابة وحدوث تورم بالمفصل .

ويقع تحت هذا أيضا تهتك الأربطة حول المفصل او الغضاريف الموجودة داخلها او نزف دم داخل المفصل ، او الانزلاق الغضروفي الذى يحدث في الظهر اثر رفع ثقل من الارض ، او خلع المفصل من شد او حركة شديدة او غير طبيعية .ونصيحتى للمصاب او من يكون بصحبته ان لا يحاولوا تحريك المفصل او محاولة ارجاعه ـ او التدخل فيما لا يعرفون لان ذلك من اختصاص الاطباء ،

ولا بد ان يوضع المفصل في الوضع المريح – وتوضع حوله جبيرة ويكون المريض في وضع يخفف عنه آلامه الى أن يذهب الى المستشفى للعلاج . وكم واجه الأطباء حالات حاول بعض مدعي الطب ان يعالجوها قبل ارسالها الى المستشفى ، وعانى اصحابها من تشوه حدث نتيجة اهمال في العلاج او التدخل الخطأ او علاج ضار بالمريض .

وهناك اصابات بسيطة تصيب المفاصل دون أن تسبب آلاما مبرحة ولكنها بمرور الوقت تسبب اضطرابا شديدا بالمفصل – هذه الالتواءات الشديدة التي يقوم بها سائق السيارة وتأثيرها على الرسغين ، ووضع الأطراف في وضع غير طبيعي لفترات طويلة كانثناء الذراعين أو الساقين أو صدمات بسيطة تصيب الأطراف .

ثانيا: آلام المفاصل والحمى الروماتيزمية:

Rheumatic Fever

وهذا كثيرا ما يحدث بين سن الخامسة والخامسة عشرة – ويحدث في معظم الحالات التهاب اللوزتين لمدة يومين وبعد ذلك بعدة ايام ربما تمتد

مفاصل طفل مصاب بالحمى الروماتزمية



الى اسبوع أو أسبوعين يحس المريض بآلام مبرحة في أحد المفاصل الكبيرة كالركبة مثلا ، ويحدث ورم نتيجة لازدياد السائل داخل المفصل الناتج من التهاب الغشاء المبطن للمفصل – ويكون المفصل ساخنا عن باقي المفاصل ، مع آلام شديدة عند الحركة أو عند لمس المفصل وتحريكه . ويصحب ذلك ارتفاع في حرارة الجسم مع فقدان للشهية – ويبقى هذا الالتهاب والالم بالمفصل فترة ثلاثة أو أربعة أيام ثم تتحسن حالة المفصل ، ولكن ينتقل المرض الى مفصل آخر – وهكذا الى ان تتأثر معظم المفاصل الكبيرة في الجسم . ويحتاج المريض للراحة التامة بالفراش مع اعطائه العلاج اللازم من مضادات حيوية ومركبات حامض السالسيليك (الاسبرين وغيرها) الى أن تزول كل الاعراض وتتحسن حالة المريض اذ الخوف كل الخوف ان يمتد المرض الى القلب فيصاب المريض بروماتيزم القلب . واحب أن انوه هنا انه ليس كل انسان يصاب بالتهاب في الحلق لا بد أن يصاب بالحمى الروماتيزمية ولا كل من يصاب بروماتيزم المفاصل لا بد أن يصاب بروماتيزم القلب فهناك استعداد في الاشخاص للاصابة بمثل هذه المضاعفات . واذا كان الطفل ممن يعانون التهاب اللوزتين المزمن ، ورأى الأخصائي ازالة اللوزتين فلا بد من ازالتها لتقلل من التعرض للحمى الروماتيزمية ، وكذلك ننصح في بعض الحالات أن يعطى الطفل جرعات البنسلين من آن الى آخر لتحميه من هجوم الحمى الروماتيزمية اذا كان من أولئك الذين عندهم استعداد لذلك .

ثالثا : التهاب المفاصل نتيجة لاصابتها بالميكروبات المختلفة : Septic Artheritis

تدخل هذه الميكروبات من على الجلد بعد جرح فوق المفصل ، أو امتداد الالتهاب في العظم المجاور للمفصل ، أو وصول الميكروب عن طريق الدم الى المفصل ، كلها تؤول في النهاية الى تورم في المفصل واحمرار الجلد فوقه ، وتجمع صديد داخله ، مع آلام مبرحة لا تطاق اذا لمس المفصل ، أو حركه حركة بسيطة جدا – ويتبع ذلك ارتفاع في درجة الحرارة مع قشعريرة تجتاح الجسم من آن الى آخر ، ويعاني المريض معاناة

شديدة ليل نهار – مع فقدان للشهية وارق بالليل – وتختلف هذه الميكروبات ما بين سبحية وعنقودية ، وميكروب السيلان ، والالتهاب الذى نتج من الدرن (التهاب مفصلى درنى) او الذى يتبع مرض الزهرى .

هذه الالتهابات المفصلية المتقيحة تحتاج الى علاج سريع بواسطة المضادات الحيوية المناسبة – مع راحة المفصل راحة تامة في الوضع المريح – وفي بعض الحالات عندما يزداد تورم المفصل – ينزل السائل من داخلها فيقل الالم وتتحسن الحالة بسرعة ، ويمكن زرع السائل لمعرفة الميكروبات المسببة للمرض واعطاء العلاج اللازم تبعا لذلك .
هذا النوع من الالتهاب اذا لم يعالج بسرعة وبدقة ولمدة طويلة فانه في معظم الحالات يترك اثرا يسبب ما نسميه بالتهاب المفصل المزمن نتيجة لتغير في تركيب المفصل الطبيعي مما يسبب آلاما تصيب المريض من آن الى آخر يتعذر معها العلاج الناجع المزيل للمرض ازالة تامة . وكم من مريض اهمل في علاجه او تعجل العلاج فقاسى من مفصله طوال حياته .

واحب ان انوه هنا على اهمية استئصال او علاج اى بؤرة بها ميكروب في الجسم حينما نعالج هذا النوع من الالتهاب المفصلى . وهى نقطة يغفل عنها المريض ، وحتى الطبيب في بعض الحالات ، مما يسبب استمرار المرض لفترات طويلة ، مثال ذلك علاج الاسنان واللوزتين – والتهاب عنق الرحم – التهاب المرارة المزمن – التهاب البروستاتا والكلى المزمن وغير ذلك .

رابعا : آلام المفاصل الناتجة من الالتهاب الشبيه بالروماتيزمى Rheumatoid Artheritis

وهو نوع من الالتهاب المفصلى غير المتقيح ويصيب الصغار في بعض الاحيان ويسمى باسم مكتشفه (Still,s disease) وكذلك يصيب الكبار في السن ما بين الاربعين والخمسين ويكون تاثيره على الاناث ثلاثة اضعاف الرجال . ولا يعرف للآن ميكروب يسببه ولكنه نتيجة لتفاعلات داخل الجسم (Auto - immune disease) ينتج عنها اضطرابات



التهاب مفصلى شبيه بالروماتزم

في النسيج الضام ، وغيره من الانسجة المكونة للمفصل (Collagen tissues) وهناك عوامل مساعدة على ذلك منها الاستعداد الشخصي ، اضطرابات في هرمونات الجسم والاضطرابات النفسية والعصبية ، سوء التغذية – وقد لوحظ زيادة نسبة المرض في الاماكن الباردة والرطبة ، ووجود بؤرة التهابية في الجسم يساعد على حدوث المرض .

وفي اول المرض يكون الالتهاب في الغشاء الرقيق المبطن للمفصل – فيمتلىء التجويف داخل المفصل بسائل – وهنا يكون العلاج في بادىء الامر علاجا ناجعا ومفيدا فلا يترك تشوهات او تآكل داخل المفصل اذ ان الالتهاب يكون محدودا .

اما اذا ترك المرض فانه يمتد الى الكيس المبطن للمفصل والاربطة والغضاريف فتلتهب هذه وتتآكل بل وتتليف بل وفي الحالات الشديدة تتكلس ويتشوه المفصل ويتيبس ويصبح عديم الفائدة للمريض – بل واكثر من ذلك يكون مصدر الم ينغص عليه حياته من حين الى آخر .
ويلاحظ المريض قبل التهاب المفاصل انه يحس

بانهاك شديد عند قيامه بمجهود بسيط مع شحوب في اللون ، ونقص في وزن الجسم ، واسراع في دقات القلب ، مع الشعور بتنميل في الاطراف ، وتيبس في العضلات خصوصا في الصباح المبكر .

وبعد هـــذه الاعـــراض بشهـور تبـدأ التهابات المفاصـــل وتكون عـادة في المفاصل الصـــغيرة في أصـابع اليدين والقدمـــين ثم في الرسغين ، وفي مفاصل القدمين وتنتشر الى المفاصل الكبيرة وفي الظهر ـ وهي ليست كمثيلاتها الحمى الروماتيزمية تنتقل من مفصل الى مفصل بعد أن يشفى المفصل الاول ، ولكن الالتهاب عام ومتقدم ومنتشر يزداد سوءا بمرور الوقت . مع التهاب هذه المفاصل يكون تيبس العضلات حولها بدرجة شديدة، ويزداد الالم نتيجة لالتهاب المفصل وتيبس العضلات ، ثم بعد فترة يلاحظ ضمور هذه العضلات حول المفصل ـ ويتبع هذا ارتفاع في درجة الحرارة وفقر الدم وفقدان الشهيـة ونقص الوزن ـ والعرق الغزير وزيادة ضربات القلب ـ والانهاك الشديد .

وفي اول الامر يتميز المرض بتحسن في الحالة ثم ينتكس بعد ذلك ، وبعد فترة من الوقت وعندما يتمكن المرض من المفصل وينتشر به مؤثرا على الغضروف بتآكل وتضيق المسافة بين عظام المفصل ـ هنالك يأخذ المرض طابعا جديدا وهو الاستمرار مع تشوه المفصل كما أسلفت .

وللاشعة الدور الكبير في اظهار مدى تأثر المفصل وعليها يتوقف العلاج ، وكما اسلفت لا بد من العلاج المبكر حتى نتحاشى التشوه والتصلب الذى يحدث في المفاصل .

ويتركز العلاج في بادىء الامر على الراحة التامة واعطاء المقويات بما في ذلك الفيتامينات والحديد ـ والمهدئات ـ واعطاء المضادات الحيوية اذا كان هناك ما يستدعى ذلـك ثم مركبـات الاسبرين (Aspirine) والبيوتازولدين (Butazolidine) والتاندريل (Tenderil) والاندوسيد Indocid ومركبـات الكورتيزون (Cortisone) في بعـض الحالات . وكلما قل الالم في المفصل وتحسن الورم نحاول ان نحركه حتى تقوى من العضلات التي حوله ، فلا يحدث لها ضمور ـ فـاذا استمر العلاج على هذا المنوال لفترة يقدرها الطبيب زال الخطر على أن نبقى له بالمرصاد عنـد حـدوث اعراض اخرى واعطاء العلاج مرة ثانية حتى لا تحدث مضاعفات .

والعلاج بحقن الذهب يكون مفيدا في بعض الحالات الا أنه يحتاج دائما الى مراقبة طبيـة شديدة اذ أن له مضاعفات بالغة تؤثر على الجلد والدم والكلى والكبد والامعاء والفم ولا يعطى لمن يعانى المرض في الكلى أو الكبد أو اى امراض جلدية أو من عنده نقص في كرات الدم البيضاء .

وفي بعض الحالات تستعمل مركبات الكلوروكوين التى تستعمل ضد مرض الملاريا ، وقد اثبت بعض المعالجين بها انها تعطى نتائج مرضية في حوالى ٧٠ ـ ٨٠٪ من المرضى ـ ولكن المضاعفات بهـذا العلاج ، خصوصا اذا كان لمدة طويلة، تكون مرتفعة في حوالى ٥٠٪ من المرضى وتكون على هيئة طفح جلدي ، وحكة في الجلد وارتباك الجهاز الهضمى وصداع واضطرابات نفسية والتأثير على الكرات الدموية البيضـاء ، وفي بعض الحالات بضعف البصر لترسب الدواء في القرنية او يحدث التهاب بالشبكية وكلها تؤدى الى ضعف في قوة الابصار .

واذا استعملت مركبات الكورتيزون لمدة طويلة فيجب أن نلاحظ أن كمية الدواء لابد وأن تكون قليلة حتى لا تحدث المضاعفات من هذا الدواء الذى له خطورته ولابد أن يكون تحت ملاحظـة الطبيب المعالج .

وعندما يتقدم المرض فالعلاج هنا هو اعطـاء المسكنات للمريض لتتحسن حالته ويمكنه بذلك أن يتحرك فلا تضعف عضلاته . وربما استعنا على ذلك بحمامات الشمع ، أو الماء الساخن أو البخار مع التدليك والتمرينات الرياضية ـ وبذلك تقلل قـدر الامكـان من حدوث تيبســات في المفاصل والتشوهات بها ، وما المنتجعات المنتشرة في العالم والتى يزورها المرضى من كل صوب وحدب الا امكنة متخصصة تساعد مرضى المفاصل على القيام بمثل هذا العلاج والذى نسميه بالطب الطبيعى .

اما الذين لم يحالفهم الحظ وتشوهت مفاصلهم فهناك الامل عند الجراح ليصلح من هذا التشوه



الالتهاب المفصلي المزمن

مع العلاج الطبيعي حتى يستفيد المريض بقدر الامكان من هذه المفاصل المصابة .

خامسا : الآلام المفصلية العظمية المزمنة

Osteo - artheritis

ويتميز هذا النوع من آلام المفاصل بانه يحدث تآكلا في الغضاريف مع تكون نتوءات عظمية حول حافة المفصل المصاب ويحدث ذلك في الاناث في معظم المفاصل في السن ما بين الخمسين والستين ويصيب المفاصل الكبيرة والصغيرة معا ، وكذلك مفاصل العمود الفقري وتسبب هذه النتوءات بضغطها على الأعصاب آلاما مبرحة تشكو منها المصابة . وفي معظم الحالات يصاب مفصل كبير أو مفصلان ، ويحدث ذلك في المسنين في كلا الجنسين ـ ولو حدث هذا المرض في سن مبكرة فيرجع ذلك الى اصابة المفصل اثر حادث او التهاب كما اسلفت .

ويساعد على حدوث هذا المرض الاستعداد الشخصي لتآكل الغضاريف وكذلك السمنة المفرطة.

وتظهر الاعراض تدريجيا ، ويتألم المريض فترة قصيرة ويظهر ذلك عندما يجلس المريض لفترة طويلة ثم يبدأ في استعمال المفصل ـ فاذا ما ابتعدت العظام المصابة الواحدة عن الاخرى قل الالم وامكنه التحرك ـ وعندما يتقدم المرض تتأثر العضلات حول المفصل وتضعف ويحدث بها تيبس يساعد على اضعاف حركة المفصل . وتزداد حدة المرض عندما يفقد المفصل معظم غضروفه الاملس ليحل محله طرفا العظمتين أو العظام المكونة للمفصل ووجود نتوءات كثيرة بل وقطع من العظام هائمة تساعد كلها على وجود رشح او سائل داخل المفصل ، ويزداد هذا السائل اذا حدث أن التوى المفصل مصحوبا بآلام شديدة لا تطاق مع تورم المفصل .

وملاحظة اخرى يلاحظها المصاب بالمرض ، انه يحس او يسمع صوتا عند تحرك المفصل ، وهذا ناتج من احتكاك العظام بعضها ببعض ، وكذلك يحس بالالم عند الضغط على اربطة المفصل أو الانسجة المحيطة به .

واذا كانت اصابة المفاصل عامة كما يحدث كثيرا في الاناث بعد سن اليأس فيلاحظ ذلك ايضا في مفاصل الاصابع وتظهر نتوءات عليها تكون مؤلمة .

والمرض يتقدم بتقدم السن ، وبمدى استعمال المفصل المصاب ، لذا كان من الواجب اذا كان هذا المفصل يستعمله المصاب كثيرا في عمله ـ ويؤخذ ذلك في عين الاعتبار ـ أن يغير المريض طبيعة عمله الى عمل اخف وطأة ، وكذلك السمنة وما تسببه من تحمل المفصل وزنا لا يطيقه لا بد من تفاديها وعلاجها بالحمية الخاصة ـ واذا حدث وكانت الآلام شديدة مع تورم بالمفصل وجبت الراحة بالفراش مع استعمال مسكنات من اسبرين وبيوتازولدين وباراستامول (Paracetamol) وبونستانت (Penstant) كلها تخفف من حدة الالم ، وكذلك استعمال الحمامات الساخنة او وضع مواد ساخنة كالشمع والطين فوق المفصل ـ وعندما يتحسن الالم يبدأ في تحريك المفصل تدريجيا لكي نبقى على قوة العضلات المحيطة به . وفي بعض الحالات الشديدة تحقن مادة الكورتيزون مع مخدر موضعي في المفصل لازالة الالم واعادة الحقن كل شهرين او ثلاثة اذا لزم الامر ، وبعض الحالات المستعصية تتحسن بالعلاج بواسطة الاشعة العميقة ، اما اذا لم يجد كل هذا فللجراحة دور

في تخفيف الالام ـ كاستخراج الطيمات الهائمة في المفصل ، أو تثبيت المفصل او تغطية العظام المتآكلة بمادة الفيتاليوم (Vitalluim Cap.) .

سادسا : مرض النقرس أو داء الملوك :

ولقد استأثر هذا المرض بمقالة كاملة على صفحات العربي ـ وهناك مثل يقول اذا احترت في تشخيص مرض المفصل ففكر في النقرس ولا حرج في ان اشير الى بعض اعراضه الهامة والتى تنتج من ارتفاع نسبة حامض اليوريك (الحامض البولي) (Uric Acid) وتسبب التهابا حادا بالمفصل يبدأ عادة في مفصل اصبع القدم الكبيرة مع احمرار وتورم به والم لا يطاق يوقظ المريض من نومه ويؤرقه ولا يقوى حتى على لمس المفصل المصاب ـ وينتشر المرض الى مفاصل اخرى كثيرة بل ربما يتعداها الى المفاصل الصغيرة ـ واذا استمر دون علاج وازمن سبب تشوها وتكلسا بالمفاصل، وعدم القدرة على استعمالها، ويصاحب هذا كله ترسبات في الجلد وحول الاذن ، وفي البول حيث يتكون حصى في مجرى البول ربما سبب التهابا مزمنا بالكلى مع هبوط في عملها بمرور الوقت ، وارتفاع في ضغط الدم وتأثر القلب تبعا لذلك . وفي الحالات الحادة يستريح المريض بالفراش ويعطى المسكنات . وفي بعض الحالات ربما احتاج الطبيب الى مخدر كالبثدين والمورفين ثم يعطى مركبات البيوتازولدين أو الكولشسين او مركبات الكورتيزون الى أن تذهب النوبة الحادة ـ ثم يعطى المريض الادوية التي تقلل من نسبة الاملاح البولية في الدم مثل البنيميد (Benemid) أو الزيلورك (Zyluric) .

سابعا : آلام المفاصل التى تصحب الأمراض التى تصيب الجسم :

وهناك عديد من الامراض تكون من ضمن اعراضها الام بالمفاصل شديدة حتى ان الاطباء في بعض الاحيان يحتارون ويبحثون عما اذا كان المرض الاصلى هو المرض المفصلي أو مرض بالجسم . فالحميات مثلا على اختلاف انواعها ، الهين منها والشديد ، كلها تكون مصحوبة بالام مفصلية شديدة ومن منا ينسى آلام الانفلونزا ـ وحمى الدنج ، والحمى التيفودية ، والحمى المالطية امثلة من قائمة طويلة ـ والدوسنطاريا كذلك تعقبها آلام مفصلية ، وعلاج مثل هذه الحالات هو علاج المرض الاصلى بطبيعة الحال ، وتتحسن تبعا لذلك الالام المفصلية .

ثم الالام المفصلية التى تصحب امراض الدم واهمها : الهيموفيليا ، والفرفورا وسرطان الدم ـ وفي بعض هذه الحالات يحدث نزيف داخل المفصل ويسبب تورما مع احمرار المفصل وآلام شديدة وربما ادى في نهاية الامر الى تشوه المفصل اذا لم يعالج العلاج السريع الكافي .

ثم الالام المفصلية التى تحدث بعد التطعيم ضد الكوليرا والتيفود والتيتانوس وغيرها ـ او اخذ مصل ضد مرض من الامراض لرفع مقاومة الجسم .

ثم الالام المفصلية التى تحدث مع الالتهابات المزمنة في الرئة كتمدد الشعب الهوائية وسرطان الرئة ، وامراض الجلد المختلفة ، وكلها تصحبها اعراض اخرى ممكن تمييزها والتوصل الى التشخيص السليم ، والتعرض للتيارات الهوائية والبرد القارس الشديد ووضع المفصل في الوضع غير الصحيح كلها تسبب آلاما مفصلية .

وهناك امراض نادرة الحدوث ولكنها تكون مصحوبة بآلام مفصلية أرى انه لا داعى لذكرها خوفا من بلبلة الافكار ولكل مرض من هذه الامراض طابعه الخاص الذى يميزه ، مع الاستعانة بالتحاليل وغيرها من الوسائل الطبية .

من هذا يتضح جليا أن آلام المفاصل لها اسباب عديدة ومتفرعة وانه من الواجب علاجها في اسرع وقت ممكن حتى لا نعرض مفاصلنا الى ان تكون مستعصية على العلاج وسببا من اسباب الضيق بحياتنا وبحياة غيرنا ـ فما اسعده من انسان ذلك القادر على الحركة والعمل والكسب ، والتمتع باسباب الحياة ، والقيام بعمل يفيد اسرته ومجتمعه في صباه وشبابه وشيبه ـ ذلك كله لا يتأتى الا بالمحافظة على جهازنا الحركي الذى يقوم على المفاصل السليمة القوية . ■■

محمد محمد أبو شوك



الاسلام علم لا جهل وادب لا اسفاف

● احييكم اطيب تحية واقدر المجهودات الشاقة التى تبذلونها ..

في العدد ١٦٠ (مارس ١٦٢) ، وفي استطلاع بعنوان قبة الصخرة والمسجد الاقصى في ظلال الاسرائيليين .. استرعى انتباهى ضمن التعليق المطبوع تحت صورة الصخرة – ما كتب من ان فوقها تقدم سيدنا ابراهيم بابنه بقصد التضحية.

والذى ذكر لي ان سيدنا ابراهيم الخليل ، عندما هم بذبح ابنه كان في مكة المكرمة وفي « منى » بالذات .. افيدونا افادكم الله .

محمد عبد الله عمر المحجوب

سكرتير ادارة الخبرة القضائية بوزارة العدل

بنغازى – ليبيا .

العربي : اختلف المسلمون في امر الذبيح . وذهب الكثيرون منهم الى انه اسحق وان محاولة ذبحه وقعت حكما في بيت المقدس ، نظرا لان اسحق لم تطأ قدماه ارض مكة .

يقول ابن جرير الطبرى ، وهو المؤرخ الاسلامى الاول المعروف : « واختلف السلف من علماء امة نبينا صلى الله عليه وسلم في الذى امر ابراهيم بذبحه من ابنيه ، فقال بعضهم : هو اسحاق بن ابراهيم ، وقال بعضهم : هو اسماعيل بن ابراهيم. وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا القولين ، لو كان فيهما صحيح لم نعده الى غيره ، غير ان الدليل من القرآن على صحة الرواية التي رويت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : « هو اسحق » اوضح وابين منه على صحة الاخرى . » (تاريخ الطبرى طبعة المعارف ، الجزء الاول صفحة ٢٦٣)

ويقول النويرى في كتابه نهاية الارب : « وكان اسحق يخرج مع ابيه الى بيت المقدس . فبينما ابراهيم في مصلاه اذ غلبته عينه فنام ، فأتاه آت في منامه وقال : ان الله يأمرك ان تقرب قربانا . فلما اصبح عمد الى ثور فذبحه ، وفرق لحمه على المساكين ، فلما كان الليل رأى في منامه الذى أتاه وهو يقول : يا ابراهيم ان الله يأمرك ان تقرب له قربانا اعظم من الثور . فلما اتته ذبح جملا وفرق لحمه على المساكين . ثم رآه في الليلة الثالثة ، وهو يقول : ان الله يأمرك ان تقرب قربانا اعظم من الثور والجمل . قال ابراهيم : وما هو ؟ فاشار الى ولده اسحق ، فانتبه فزعا ، واقبل على اسحق وقال لـه : الست تطيعني يا بني ؟ قال : بلى ، ولو كان في ذبح نفسي .

فانصرف ابراهيم الى منزله ، واخذ الشفرة والحبل ، فوضعهما في مخلاته وقال : يا اسحق ، امض بنا الى الجبل .. » (الصفحة ١٢١ من الجزء ١٣ طبعة دار الكتب المصرية) .

ونذكر بهذه المناسبة ان صحيفة محلية تعرضت لما اورده العربي في موضوع الذبيح وذلك في كلمة عنونتها « العربي وطريق الهدم .. مرة اخرى » ، وقالت فيها : « ان تقدم ابراهيم بابنه فوقها (اى صخرة بيت المقدس) بقصد التضحية قول لم يقله المسلمون ابدا وهو طعن صريح في العقيدة الاسلامية ، نسبته مجلة العربي الى المسلمين وهم منه براء .. حيث ان الذبيح في الشريعة الاسلامية هو سيدنا اسماعيل عليه السلام ، وكان يسكن مكة مع امه .. » ومضت الصحيفة تحاول دعم رأيها الى ان انتهى بها الامر الى الاسفاف الذى يتنافى والآداب الدينية من اسلامية وغير اسلامية.

ونحن ننصح كاتب هذه الكلمة وامثاله الا ينصّبوا انفسهم حماة للدين الحنيف وهم في شؤون دينهم وتاريخهم جاهلون .



مع تراث العرب الفنى في صناعة المعادن والزجاج

بقلم : الدكتور نادر العطار

■ لعل اهم ما يلفت النظر فى تاريخ العرب المجيد أنهم لم يقتصروا فى دورهم التاريخى الهام عبر العصور على الفتوحات العسكرية ، بل كانوا أيضا بناة حضارة مزدهرة ، ورسل فنون زينت صفحات التاريخ ، وامتدت عبر الزمان الطويل ، والبلاد الشاسعة التى ضمتها الامبراطورية العربية الكبرى ، بحيث يمكن القول بحق ان الفن العربى يعتبر من أجمل واعرق الفنون على الاطلاق .

وقد استطاع العرب في السنين الاولى ان يستوعبوا فنون البلاد التى حكموها في القرن الاول الهجرى ويحاكوها ، ثم اجتاز فنهم مرحلة الطفولة فنهض الى صباه ، وبلغ ذروة نضجه وكماله في القرنين السابع والثامن الهجريين (الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين) ، ثم طغت تطورات الحياة الاقتصادية على جمال الفن واتقانه ، حين اصبح الناس يتوخون الانتاج السريع والكلفة القليلة ، فدخل فنهم مرحلة الشيخوخة منذ القرن الثانى عشر (الثامن عشر الميلادى) ايام الامبراطورية العثمانية ، بعد ان خلف للعالم ثروة من التحف والنفائس التى لا تزال تزين واجهات المتاحف ، وتملأ دور الآثار ، وتحظى باهتمام البحاثة والعلماء على مر العصور .

فى صناعة المعادن

في صناعة المعادن مثلا ، اجاد العرب بادىء ذى بدء في تقليد المصنوعات المعدنية التى كان يستعملها ابناء البلاد المفتوحة ، ونرى الاثر الساسانى بارزا في مختلف هذه الادوات من اباريق وتحف معدنية على هيئة الحيوانات أو الطيور والشمعدانات والمصابيح والمباخر . ثم انتقلوا الى التغيير والابداع . من امثلة ذلك قفل عربى من النحاس الاصفر على شكل حصان ، محفوظ في متحف دمشق ، يتجلى فيه اثر الطراز الساسانى ويعود الى القرن ١١م (شكل رقم ١) وكان قفل آخر

شكل رقم (١)

قفل عربى من النحاس الاصفر على شكل حصان يعود الى القرن (١١) الميلادى .





شكل رقم (٢)
قفل عربي من الحديد والفولاذ يقوم على مبدأ النابض المتوتر يعود الى القرن (١٢)م.

من الحديد والفولاذ يقوم على مبدأ النابض المتوتر يعود الى القرن ١٢ م ويبلغ طوله وهو مغلق حوالى ١٢٫٩ سم (شكل رقم ٢) .

واشتهرت الموصل بصناعة التحف البرونزية والنحاسية ، وخصوصا في التكفيت (١) أيام السلاجقة ، ثم الاتابكة الزنكيين الذين عرفوا بتشجيع الفن والفنانين ، الا أن أشهر هؤلاء الفنانين هجروا الموصل في القرن الثالث عشر متجهين الى حلب ودمشق والقاهرة حيث وضعوا فنهم ومهاراتهم في خدمة الايوبيين . وفي متحف دمشق زهرية من النحاس المكفت بالفضة مزينة بكتابات وزخارف نباتية محورة تعود الى ذلك العصر (شكل رقم ٣) .

أما عصر المماليك فقد تميز بغزارة التحف المعدنية وجودة صنعها ، وأضيفت الى طريقة تزيينها مواضيع زخرفية جديدة،كتابية وهندسية ونباتية ، واتبعت في صنعها مختلف الطرق التى كانت معروفة بالتجويف والتحزيز والتطريق والضغط على القالب ، وفي متحف دمشق قطعة من النحاس مزينة بزخارف فنية نباتية وكتابية موزعة ضمن تربيعات هندسية ذات مواضيع كتابية ونباتية تعود الى القرن ١٤ م (شكل رقم ٤) ، كما يوجد في نفس المتحف سفرق من النحاس المبيض مزين بزخارف دقيقة وكتاباته غاية في الابداع ضمن حواتق مستديرة او اهليلجية يعود الى القرن ١٤ ــ ١٥ م (شكل رقم ٥) . ويلاحظ أن الفنان لجا في هاتين القطعتين الى شريط دقيق من الزخارف الحلزونية البسيطة عند الحافة العليا ، أتبعها بشريط أعرض من الزخارف النباتية أو الهندسية، أما الجذع فقد زين بشريط عريض قسم الى حواتق او مربعات تضمنت مختلف الزخارف النباتية والهندسية والكتابات الزيتية .

ولا بد ، قبل اختتام هذه الفقرة عن صناعة المعادن من الاشارة الى حذاقتهم في صنع الحلى ،



شكل رقم (٣)
زهرية من النحاس المكفت بالفضة مزينة بكتابات وزخارف نباتية محورة ، صناعة عربية .

(١) تزيين النحاس بمعدن ثمين كالذهب والفضة.



شكل رقم (٤)

قصعة (باطية) من النحاس الاصفر مزينة بزخارف نباتية وكتابة موزعة ضمن تربيعات هندسية ، وجدت في دمشق ، تعود الى القرن ١٤م. أحد الآثار العربية .

من خواتم مضفورة ، واقراط مخرمة ، واساور مشبكة ، ترى أمثلة عنها في الشكل رقم (٦) حيث تبدو في الأسفل خرزة ذهبية مخرمة ، بشكل موشور متعدد الجوانب، تنتهي في كل من الجانبين بنصف كرة (تعود الى القرن ١١ - ١٢ م) ، والى جانبها خاتم من الذهب المضفور محلى بحجر ياقوت أحمر وحبيبات (القرن ١١ - ١٢ م) ، والى يسار الخاتم خرزة اخرى او حبة عقد ذهبي، أسطوانية الشكل تعود الى القرن (١٣ م) . وفوق ذلك فردة قرط ذهبي بشكل هلال مخرم بطريقة جميلة (القرن ١٣ م) ، والى جانبها قلادة ذات شكل هرمي مزينة بخيوط ذهبية تعود الى القرنين ١١ - ١٢ ، وجميع هذه الحلي موجودة في متحف دمشق الذي يضم مجموعة نفيسة من الحلي تبرز ذوق الفنان واهتمامه بتزيين المرأة العربية ، يظهر بعضها واضحا في الشكل رقم (٧) حيث يتميز في الأعلى سوار عريض من الذهب المشبك (وجد في الرقة يعود الى القرن ١٢ م) ،

شكل رقم (٥)

سقرق من النحاس المبيض يعود الى القـــرن١٤ - ١٥ م.





شكل رقم (٦)

١ ــ خرزة ذهبية عربية تعود الى القــرن١١ ــ ١٢م.

٢ ــ خاتم من الذهب المعقود يعود الى القرن١١ ــ ١٢م.

٣ ــ حبة عقد ذهبى تعود الى القرن ١٣م.

٤ ــ فردة قرط ذهبى عربى بشكل هــلال يعود الى القرن ١٣م.

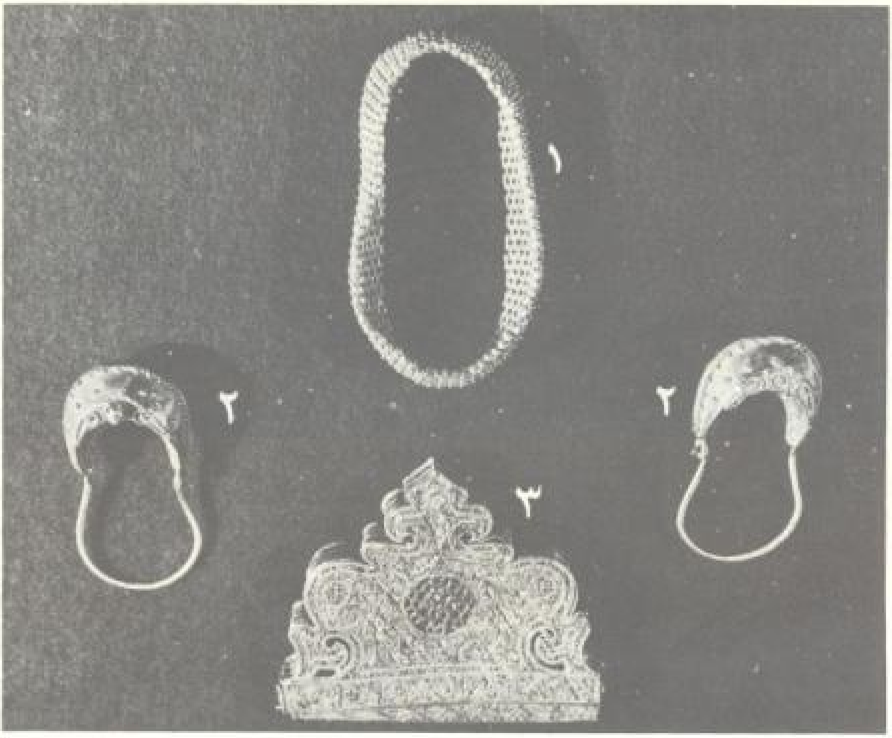
٥ ــ قلادة ذات شكل هرمى مزينة بخيــوط ذهبية تعود الى القرن ١١ ــ ١٢م.

والى الأسفل على جانبيه زوج من قرط ذهبى على شكل هلال ذى طوق كبير من السلك المجدول مزين بحبيبات ، وجد في وادى الفرات ويعود الى القرن (١٢) الميلادى ، اما الشكل السفلى الشبيه بالمثلث فهو بيت حجاب من الذهب مخرم بشكل بديع ، وجد في حلب ويعود الى القرن (١٢) الميلادى ، كتب عليه تخريما : (عز يدوم واقبال لصاحبه) .

ويلاحظ أن الفنان العربى استعمل في صنع الحلى مختلف الطرق : كالتخريم والضــغط والترصيع ونسج الخيوط الذهبية والســحب والتطريق وغيرها ، وذلك بمهارة نادرة تظهر في جمال القطع الأثرية ودقة صنعها .

ومن المصنوعات المعدنية الاجهزة العلمية والفلكية

هذا ولم تقتصر المصنوعات المعدنية العــربية على الأدوات التى تستعمل في الحياة اليومية ، او الحلى التزينية ، بل تعدتها الى الاجهــزة العلمية والفلكية ، فقد برع العرب في علم الفلك وبنوا مختلف المراصد كمرصد بغداد الذى شيده الخليفة المامون ، ومرصد شرف الدولة البويهى. كما برز عــدد مــن العلماء الفلكيين كالبتانى (٨٧٧ ــ ٩١٨) الذى عمت شهرته الشرق والغرب حيث عرف باسم Battenius ، والصوفى صاحب كتاب (الصور) الشهير المحتوى على صور مختلفة اعتمدها هو لمجموعات النجوم (ومخطوط الكتاب محفوظ في متحف دمشق) ، وقد استطاع علماء العرب فعلا تحقيق دراسات هامة عن مدارات النجوم السيارة والكسوف والخسوف وقياس درجات الارض باعتبارها كروية ، وغير ذلك مما يثير الاعجاب اذا عرفنا الادوات التى كانــوا يستعملونها آنئذ كالبوصلة والكرات الســماوية التى رسمت عليها مجموعات النجوم والارباع الفلكية والاصطرلابات . وفي متحف دمشق نماذج عنها ، منها اصطرلاب نحاسي اقتبسته اوربا مع



شكل رقم (٧)

١ ـ سوار عريض من الذهب المشبك يعود الى القرن ١٢م.

٢ ـ زوج قرط ذهبى على شكل هلال يعود الى القرن ١٣م.

اسمه العربي Astrolabe (٢) ، يفيد في قياس زاوية ميل نجم القطب عن الافق ، لتعيين درجة عرض المكان الذى يوجد فيه (شكل رقم ٨) .

ولا يتسع المجال لتعداد روائع المتحف المعنية العربية الموجودة في متحف العاصمة الاموية ، تلك التحف التى كانت وغيرها من النفائس شـواهد ناطقة على الحضارة العربية التى كانت نبراسا اهتدت به الحضارات التى تلتها .

صناعة الزجاج

كذلك برع العرب في صناعة الزجاج ، وكتبوا فيه أجمل الصفحات في تاريخ هذا الفن الجميل ، حتى اشتهروا به ،واقتبسته عنهم الامم والشعوب. على مر الزمان .

والواقع ... ان الزجاج مادة قديمة جدا في التاريخ ، يذهب بعض المؤرخين الى ان بعض تجار النطرون من الكنعانيين حاولوا اعداد طعامهم مرة على الشاطىء الشامى بالقرب من عكا ، ومكثوا بعض الوقت يفتشون عن مساند لقدورهم دون جدوى ، فلما اعيتهم السبل عمدوا الى وضع القدور على كتل النطرون نفسها واشعال النار تحتها ، واذا بنترات البوتاس تنصهر بتأثير الحرارة الشديدة وتمتزج برمال الشاطىء مكونة

(٢) العربى : ظاهران الاسطرلاب ليس بالاسم العربى .



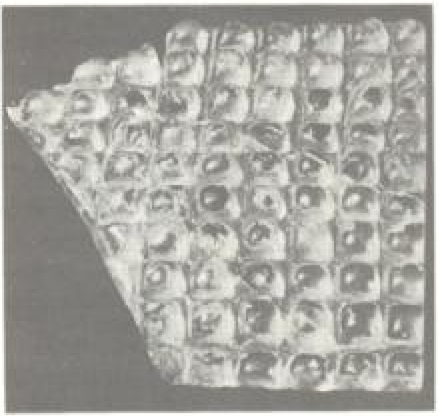
شكل رقم (٨)

اصطرلاب نحاسي يفيد في قياس زاوية ميل نجم القطب عن الافق .

معها سائلا شفافا كان أول زجاج عرفه الجنس البشرى في هذه البقعة من العالم .

وسواء كانت هذه القصة حقيقة واقعة ، ام اسطورة خيالية ، فان الحفريات المختلفة ـ دلت على ان الزجاج عرف ووجد منذ الالف الرابع قبل الميلاد ، وتعددت طرق صناعته ، وما زالت في ارتقاء مستمر حتى بلغت ايام الرومان شاوا عظيما من التقدم والجمال .

وجاء الفتح العربى بوحد بين مختلف الحضارات من فارسية وبيزنطية ومصرية وغيرها ، ويصهرها في بوتقة دولة امتدت من الهند والصين شرقا حتى اواسط فرنسا غربا ، وكان من الطبيعى ان يقتبس الفاتحون الجدد من الحضارات التى سبقتهم وأن ينسقوا بينها قبل مرحلة التجدد والابداع ، وهكذا حافظت صناعة الزجاج على خط سيرها وتقدمها بعد الفتح العربى ، وابتكرت عناصر زجاجية جديدة في البناء منها الشمسيات والقمريات (٣) والفسيفساء (الموزاييك) الزجاجية التى استعملت في مسجد قبة الصخرة والجامع الاموى على نطاق واسع ، ومنها البلاط الزجاجى الذى وجدت نماذج عنه في الرقة ، وهى عبارة عن مستطيلات مخضرة ذات نتوءات بشكل أقراص نصف كروية بلطت بها احدى باحات قصر المعتصم هنـاك (شكل رقم ٩) حفظت نماذج عنها في المتحف الوطنى بدمشق وتعود الى القرن (٩ م) ، اما الادوات الزجاجية ، وأوانى الاستعمال اليومى، من قوارير وزهريات واكواب وغيرها ممـا كان يستعمل يوميا فقد حافظت على تقاليدها الموروثة فترة من الزمن بعد الفتح العربى ، وشاعت في سورية بصورة خاصة في تلك الفترة ذاتها طريقة تزيين الاوانى الزجاجية بالاقـراص البارزة ، والخيوط الزجاجية النافرة على سطح الاناء ، وفي متحف دمشق الوطنى من امثلة ذلك حقة من الزجاج السميك مزينة بخيوط غليظة تشكل على الجذع ما يشبه الحيوان التجريدى حوله صفان من الاقراص البارزة وتعود الى القرنين ٧ ـ ٨ م ، كما عمد الفنانون الى زخرفة الزجاج المعتـم بخيوط بيضاء مضغوطة على سطح الاناء نفسـه



شكل رقم (٩)

تربيعة من الزجاج السميك مسطح الوجـه ، مضرس الاسفل (أسفله بشكل أضراس) ، كانت بلاط احدى قاعات القصر ب في الرقة ، عربية ، تعود الى القرن (٩)م.

(٣) الشمسيات والقمريات قطع من الزجاج تغطى فتحات النوافذ المخرمة التي جعلت لادخال الضوء مع تخفيف حدة الشمس المحرقة .

بشكل متعرج أو متموج يشبه زخارف المرمر ، وفي المتحف الوطني بدمشق نماذج جميلة لذلك ، منها حقة بطحاء ذات عروتين من الزجاج المعتم المزين بخطوط متعرجة غاطسة في الوسط الزجاجي تعود الى القرنين ٨ ـ ٩ م ومنها شكل عصفور من الزجاج القاتم المزين بخيوط مسحبة بيضاء ، من القرن ٩ م.

تشكيل الزجاج

ولكن كيف كانت الاواني الزجاجية تاخذ اشكالها المختلفة ؟

لقد استعملت في ذلك طريقة القالب ، وتتلخص في تهيئة قالب متماسك من الرمل الممزوج بالماء مع شيء من الفخار احيانا وغطسه في الزجاج الذي تكون قد صهرته الحرارة ، وعند اخراجه تكون طبقة من الزجاج قد كسته واتخذت شكله تماما ، ولا تلبث تلك الطبقة ان تجف وتتصلب بعد ان تجرى عليها الاصلاحات والعناصر التزيينية اللازمة، بينما تجف رمال القالب الداخلي ويتفتت غضاره بفعل الحرارة ، فيخرج الصانع ذراته من الاناء . ويبقى الوعاء الزجاجي بشكله المطلوب .

وهناك طريقة النفخ بقالب من المعدن او الفخار او الخشب ، واحيانا بقالبين الواحد بعد الاخر ، ثم يجمع الجزءان بعد تحريرهما من القالبين ليؤلفا اناء واحدا بالشكل المطلوب ، ويزخرف الاناء الزجاجي بخيوط مضغوطة على سطحه ، او بآلات معينة كالمنقاش او الملقط وغيرهما للحز والقطع (خصوصا في البلور او الزجاج الصخرى « الكريستال ») .

طلاء الزجاج بالمعادن وشتى أكاسيدها

وفي القرن التاسع الميلادى شاع استعمال أكسيد الفضة في صناعة الزجاج العربي لاكسابه نوعا من البريق المعدني ، مما اضفى على القطع الزجاجية العربية صبغة جميلة خاصة ، كما استعملت طريقة اخرى جديدة في التذهيب وهي طلاء اجزاء معينة من الآنية الزجاجية بالزئبق الممزوج بالذهب ، فيزول الزئبق بحرارة الفرن ويبقى الذهب على الاناء ، وهي طريقة افضل من وضع رقائق الذهب على الزجاج عند تذهيبه كما كان يفعل البيزنطيون قبل ذلك ، وهكذا تطورت صناعة الزجاج في الشرق العربي باستمرار ، خصوصا في بلاد الشام التي اشتهرت منها حلب والرقة بصنع افضل انواع الزجاج . وانتقلت منها الى دمشق ثم الى مصر ، وظهرت طريقة تمويه الزجاج (اى طلاؤه بالمينا ، وهي مادة تتكون من الرصاص الذائب الممزوج بمختلف الاكاسيد المعدنية حسب اللون المطلوب، يمزج بأكسيد النحاس مثلا للحصول على اللون الاخضر، وبأكسيد الحديد للون الأحمر، وبأكسيد القصدير للون الابيض الخ..) وبلغ هذا الفن اوجه في القرن ١٣ واوائل القرن ١٤ ، عندما استعملت مختلف انواع الزخارف التي ميزت الفن العربي من نباتية وهندسية وكتابية ، وجمعت طريقة تمويه الزجاج مادتي المينا والذهب معا ، واقبل الناس على استعمال الاواني الزجاجية للزينة والحاجات اليومية على السواء ، كما صدرت تلك الاواني من بلاد الشام الى العراق وآسيا الصغرى وايران والصين وغيرها .

لقد عرفت حلب عصرا جميلا من الرخاء والتقدم الاقتصادى ايام الزنكيين منذ النصف الثاني من القرن ١٢ م وكان تشجيع الايوبيين خير حافز للفنان الحلبي على الابداع في صناعة الزجاج المذهب المطلي بالمينا ، الامر الذى جعل لهذه المدينة التجارية طرازا خاصا في صناعته ، ومكن مصنوعاتها الزجاجية من التفوق والاشتهار في سائر انحاء العالم ، ولكن تكرر هجمات التتار على حلب روع سكانها ، وجعل كبار صناعها وفنانيها ، ومنهم صانعو الزجاج ، يهجرونها الى دمشق . وبذلك انتقل ازدهار هذه الصناعة الى العاصمة الاموية منذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر ، كما نتج عن سفر بعض اولئك الفنانين الحلبيين الى مصر ان انتقلت اسرار هذه الصناعة الدقيقة والتحسينات التي ادخلت عليها الى القطر المصرى ، وهكذا خبا اسم حلب والرقة في هذا الميدان وبرز اسم دمشق والقاهرة والفسطاط وغيرها .

واقتنى السوريون الخزف الصيني

وكانت العلاقات بين المشرق العربي والصين قد ازدهرت ، فاقتنى السوريون الخزف الصيني الشهير ، واستورد الصينيون الزجاج السورى بكميات كبيرة خصوصا الزجاج المموه بالمينا والذهب ، ونتج عن هذا التبادل التجارى ان تأثر السوريون بالفن الصيني فاصبحوا يزخرفون

مصنوعاتهم الزجاجية بمواضيع طبيعية متناسقة التوزيع على الاناء كله بدلا من المواضيع المحورة عن الطبيعة (النباتية او الحيوانية) التى كانوا يجعلونها في حواتق او اشكال هندسية متتابعة ، وقد ساعد على رقى صناعة الزجاج آنئذ الرخاء الناتج عن التبادل التجارى الواسع مع الشرق والغرب على السواء ، واقبال العرب انفسهم على استعمال الاواني الزجاجية على نطاق واسع ، واشراف الدولة على هذه الصناعة الجميلة ورفع شعاراتها عليها ، والنظام الحرفي الذى كان يجبر العامل على اتقان صناعته ليحق له ممارسة المهنة .

ومصابيح المساجد والمشكاوات

وهكذا تفنن العرب في اعداد المصنوعات الزجاجية على اختلاف انواعها ، واحتفلوا في زخرفتها وتمويهها ، خصوصا مصابيح المساجد او المشكاوات ، وهي من اجمل التحف الزجاجية العربية ، تكون عادة مخروطية العنق بشكل ينفتح الى الاعلى ، منتفخة البطن ذات قاعدة تنفرج الى الاسفل ليمكن وضعها على الارض عند الحاجة ، وتزين كلا من اقسامها الثلاثة (العنق والبطن والقاعدة) زخارف متنوعة ، ولها في بطنها ثلاث (او ست) عرى لتعليقها في المسجد ووضع المنبع الضوئي داخلها ، الامر الذى يدخل الهيبة الى نفس زائر المسجد لجمالها ودقة صنعها وطريقة الاضاءة غير المباشرة التى تضفيها على المكان ، وفي المتحف الوطني بدمشق مشكاة من هذا النوع (شكل رقم ١٠) وجدت في مدفن خالد بن الوليد بحمص ، تعود الى أواخر القرن ١٣ اى العصر الذهبي لصناعة الزجاج السورى ، يبلغ ارتفاعها ٣٢٫٣ سم زينت بطنها بنطاق عريض برزت فيه كتابة بالخط الثلث وامتزج فيها اللون الذهبي مع اللونين الازرق والاحمر بشكل متناسق بديع ، واستعملت لتزيينها الزخارف الكتابية والنباتية والحيوانية واحاطت بها ثلاث عرى لتعليقها .

والقماقم لحفظ ماء الورد والزهر

كذلك توجد في متحف دمشق الوطني ، مجموعة من القماقم التى كانت تستعمل لحفظ ماء الزهر



شكل رقم (١٠)

مشكاة عربية وجدت في مدفن خالد بن الوليد بحمص تعود الى أواخر القرن ١٣م.

او ماء الورد او للرش منه على المدعوين في الحفلات ، منها القمقم الذى يرى في الشكل (١١) الذى وجد في بصرى سنة ١٩٣٥ ، ويعود الى القرن ١٢ ــ ١٣ ، وهو مثال طبيعي لنوع القماقم العربية آنئذ ، بطنه بشكل التفاحة ، عنقه طويل ، يعرض قليلا بعد البطن ثم يضيق حتى يصبح عند الفوهة دقيقا ، وهو مضغوط من الجانبين ، زينت بطنه بشريط من المينا الزرقاء التى يحيط بها خط احمر داخله عروق مذهبة تمثل اشكالا نباتية .

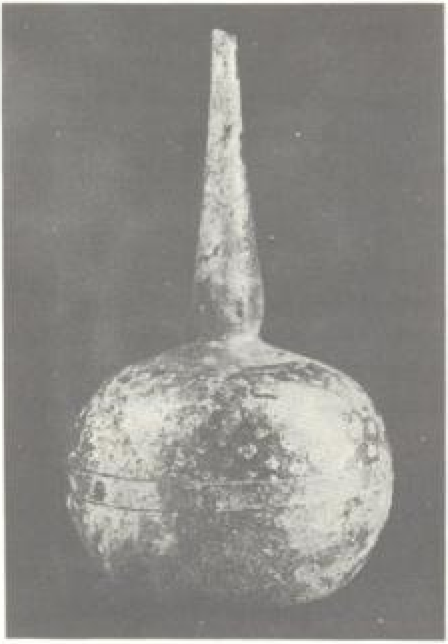
والكؤوس المموهة بالذهب

اما اهم الاصناف التى صنعت بكثرة ، فهي الكؤوس العربية المموهة بالمينا والذهب ، منها ذات الشكل الاسطواني التى تنفرج قليلا قبل نهايتها

العليا ، ومنها الكؤوس المخصورة ذات الشفة الواسعة والقاعدة الواسعة ، ومنها المخروطية الشكل التي تنفرج الى الاعلى ، مع اطار زجاجي بارز دائما حول القاعدة لوقاية الكاس من الصدمات ، وقد استورد الاوربيون بصورة خاصة كميات كبيرة من هذه الكؤوس ، لان اقتناء رجال الدين لعدد منها اضفى عليها صبغة دينية خاصة ، وفي متحف دمشق كاس جميل يعود الى القرن الرابع عشر تأثرت زخارفه بالفن الصيني ، صنع من الزجاج الشفاف ، اسطواني الشكل يزداد عرضه قليلا في اعلاه ، على جذعه ثلاث دوائر مذهبة تحيط بها اشرطة حمراء ، مثل في كل منها طير كاسر ينقض على بطة ، وبين هذه الدوائر موضوع نباتي يمثل زهرة اللوتس ملونة بالاحمر والابيض والاصفر اما الجزء السفلي فقد زين باشكال اسماك مذهبة حدد شكلها بالخطوط الحمراء وجعلت باوضاع مختلفة قريبة من الطبيعة

شكل رقم (١١)

قمقم عربي وجد في بصرى سنة ١٩٣٥ يعود الى القرن ١٢ ـ ١٣ م.



دون تحوير ، ويلاحظ في كل ذلك اخلال بمبدأ التناظر الذي كان متبعا من قبل .

في ظلال المغول والمماليك

ثم ابتدأ دور الانحطاط في صناعة الزجاج ، فقد قام المغول بغزوتهم القاتلة بقيادة تيمور الاعرج سنة ١٤٠٠ م فاجتاحوا بلاد الشام ونهبوا خيراتها ثم ساقوا عند انسحابهم احسن فنانيها وصناعها ، ومنهم صناع الزجاج . كما ان المماليك اخذوا بعد ذلك يسيئون معاملة التجار الاوربيين ويضايقونهم بالمكوس والاتاوات فتحولت التجارة عن بلاد المشرق ، خصوصا بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح المباشر الى الهند ، ولم تعد السوق الخارجية تستورد المصنوعات الزجاجية كما ان قلة الموارد لم تعد تساعد السوق الداخلية على استهلاك هذه البضاعة الفاخرة ، اضف الى ذلك ان السلطان سليم الاول العثماني استدعى الى الاستانة بعد فتح الشام ومصر (١٥١٦ ـ ١٥١٧ م) عددا كبيرا من فناني القطرين وصناعها المهرة ، فتقهقرت صناعة الزجاج ، وانتقلت مراكز انتاجها الى ايران والبندقية وغيرهما حتى اصبح الباشوات العثمانيون فيما بعد يستوردون المصنوعات الزجاجية من المدن الايطالية لتزيين المساجد والمنازل ، ولم يبق في المشرق الا بعض المراكز لصنع الاقراط والاساور الزجاجية الملونة والمصابيح والقناديل ومختلف الادوات الزجاجية الاخرى منها مصنع ارمناز قرب حلب .

لقد علم الشرق العربي العالم صناعة الزجاج بأروع اشكاله ، ويحدثنا الثعالبي في القرن (١١ م) (الخامس الهجري) انه كان يضرب المثل بدقة الزجاج السوري وصفائه ، حتى طبقت شهرته الافاق ، وقصد تجارة والراغبون فيه بلاد الشام من كل حدب وصوب ، الا ان العرب اشتبكوا فيما بينهم في منازعات وخلافات انقصت من هيبتهم واطمعت فيهم الاعداء ، فانقضوا عليهم من الشرق والغرب على السواء ، وانعكس كل ذلك على الحضارة العربية التي تقلصت وذبلت ، وبقيت لنا منها الآثار في المتاحف ودور المقتنيات ، تدلنا على عظمة الجدود ، وتخلد مجدهم وتحفظ ذكراهم على مر السنين . ■■

دمشق ـ **نادر العطار**





طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

اشعة الشمس قد تتسبب في زيادة اللطع البنية اللون على الوجــه

● ظهرت في وجهي لطع بنية اللون عندما كنت حاملا واخبروني انها تزول بعد الولادة ، ولكنها استمرت للآن رغم مرور ثلاثة شهور على الولادة ، فما سببها ، وما علاجها ؟

ــ ان هذه اللطع البنية كثيرا ما تظهر أثناء الحمل بسبب التغير الذى يحدث فى الهرمونات أثناء فترة الحمل وتسمى الكلف Chloasma وهى عادة تكــون ملساء ناعمة ، وتظهــر على الوجنتين والجبين وأحيانا الرقبة، وتكون مصحوبة كذلك بلون غامق تحت الابط وفى الثدى والفخذين . وعادة تختفى بعد الولادة ببضعة أسابيع أو شهور ، ولكنها قد تمتد الى فترة طويلة . ولكن يجب ان نعرف بأن هناك أنواعا من الكلف قد تحدث نتيجة أمراض فى الجسم مثل تليف الكبد ، اضطراب المبايض ،والسل والسرطان خاصة فى الأعضاء التناسلية للمرأة ، كذلك يحدث الكلف نتيجــة استعمال دهانات أو مواد كيماوية على الوجه ، او نتيجة الأشعة او الضــوء ، كما أنه فى كثير من الاحيان قد يظهــر الكلف بدون الحمل وبدون اى ســبب ظاهر فى الجسم ، ولعلاج هذه الحــالة يجب أن نبحث أولا اذا كان هناك سبب مرضى ونعالج هذا السبب ، ثم يأتى بعد ذلك استعمال الادوية والدهانات الموضعية مع بعض الملاحظات البسيطة التى تمنع



زيادة اللون الغامق ، مثل عدم التعرض لاشعة الشمس ولبس الملابس الفاتحة التى تعكس الاشعة . ولذلك نجد الكلف يكون اكثر وضوحا فى فصل الصيف عنه فى الشتاء ، كما انه يمكن استعمال الكريمات والمراهم المحتوية على مواد كيماوية للحماية من اشعة الشمس مثل Para-Aminobenzoic Acid او Benzyl Salicylate

كذلك يمكن تقشير هذه اللطع البنية باستعمال المراهم المقشرة Peeling Creams او استعمال مواد كاوية عند الطبيب المختص مثل الفينول او حامض الخليك.

ومن احدث المراهم المبيضة Bleachig Creams مرهم بينوكوين ولكن يجب استعماله تحت اشراف الطبيب المختص لانه قد يحدث حساسية او حروقا من سوء استعماله ، كما انه يُحبذ استعمال حبوب فيتامين ت مع ذلك المرهم لزيادة مفعوله .

وكذلك استعمال حبوب الكورتيزون قد يؤدى الى اختفاء الكلف او على الاقل يمنع زيادته ، وفى الحالات المزمنة التى لم تستفد من المراهم والحبوب يمكن استعمال سنفرة الجلد عند المختص .

● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ●

العلاج الموضعى .. خير دواء للثآليل

● ظهرت فى يدى زائدة صغيرة فالوالى انها ثؤلول ولا ضرر منها ، ولكنى لاحظت ظهور عدة ثاليل اخرى فى نفس اليد ، فهل هى معدية ، وهل هناك طريق اخر لعلاجها غير الجراحة ؟

ــ الثآليل Warts ما هى الا بثور صغيرة بسيطة سببها نوع خاص من الفيروس ، وتنتقل العدوى بواسطة التلقيح الذاتى ، وقد اثبتت التجارب انه بالتلقيح او الخدش ، فان الثؤلول يظهر بعد فترة حضانة تمتد من اربعة اسابيع الى عدة سنوات . وهناك انواع كثيرة من الثآليل معتمدة على شكلها ومكان حدوثها وبعض العوامل المحلية او الموضعية ، فقد تكون مسطحة كتلك التى تنتشر على الوجه وخلف اليدين فى الاطفال ، وقد تكون عادية مستديرة كالحبة الصغيرة ، مختلفة الحجم من راس الدبوس الى حبة البسلة ، وسطحها خشن رمادى او بنى اللون ،



وعادة تحدث على اليدين والقدمين مفضلة الاصابع على غيرها ، وعادة تكون كثيرة العدد ، كما ان هناك انواعا اخرى تحدث فى الكف او بطن القدم . وهناك الانواع الخيطية او الاصبعية او الانواع القرنبيطية التى عادة تحدث فى الاجزاء التناسلية . وعامة تحدث الثآليل فى الاطفال والشباب .

ويلاحظ ان كثيرا من الثآليل فى اطفال المدارس تختفى تلقائيا بدون اى علاج ، ولذلك يحاول البعض استعمال العلاج النفسى او العلاج الاقتراحى Suggestion Treatment . ولعلاج الثآليل قديما كانوا يستعملون المواد الكيماوية مثل مركبات الزئبق عن طريق الفم ، ثم بدأ بعد ذلك استعمال حقن البزموت بالعضل او بعض مركبات البزموت بالفم مثل Bistrimate . ولكن يفضل الآن العلاج الموضعى للثآليل ، وهناك عدة طرق لذلك

عشى البصر او عدم وضوح الرؤية

● اعانى من عدم وضوح الرؤية ، فانا عندما احدق في شيء اراه وكانه مهزوز .. وكذلك عندما احاول القراءة ، فان الحروف تبدو غير واضحة ، وقد اقلقنى هذا الامر ، علما باننى ارتدى نظارة طبية ..



ــ من سؤالك نرجح ان ما تعانى منه هو عشى البصر .. وهناك نوعان من العشى هما :

(أ) عشى البصر الدورى :

Periodic Blurring of vision

ينشأ فى أغلب الاحوال من استرخاء العضلة الهدبية التى تتعلق بها عدسة العين ، ويؤدى هذا الى فقد القدرة على تكيف العين ، ونعنى بذلك ، القدرة على تغيير تقوس او انحناء عدسة العين بحيث يتلاءم هذا التغيير مع بعد الشيء المرئى عن العين لدرجة تمكن الأشعة الضوئية من الانكسار بطريقة صحيحة وتامة ، بحيث تسقط صورة الشيء المرئى على شبكية العين بوضوح تام. هذا الاسترخاء فى العضلة الهدبية قد يحدث نتيجة اسباب متعددة منها :

١ ــ الاجهاد النفسى او العصبى او الارهاق فى العمل .

٢ ــ وجود قصور فى النظر ، وخصوصا طول النظر .

٣ ــ مرض الشقيقة Astigmatism

(ب) عشى البصر الدائم Constant Blurring of Vision

يرجع هذا الى الاسباب المذكورة سابقا اذا لم تعالج او لوجود أمراض بقاع العين مثل أمراض الشبكية والمشيمة . العلاج : علاج السبب اذا أمكن ، او العلاج النفسي والعصبي للحالات الناشئة عن اضطرابات نفسية وعصبية ، ووضع نظارات طبية فى حالات قصر النظر ، وعلاج مرض الشقيقة ، وعلاج أمراض الشبكية والمشيمة ، ولو ان نتيجة العلاج فى الحالات الاخيرة غير مضمونة .

تبعا لنوع الثؤلول . فالنوع القرنبيطى يستجيب بسرعة لدهان البودوفلين ، كما أنه يمكن استعمال بعض المواد الكاوية لعلاج بعض الأنواع الاخرى مثل الفينول ونترات الفضة ، وحمض الخليك ، او بودرة حمض الساليسيك ، ولكن اكثر الطرق انتشارا هى الكى الكهربائى Electrodesiccation تحت البنج الموضعى ، وهى افضلها لسهولتها ولبساطتها ، كما انه يمكن استعمال الجراحة لازالة الثآليل الكبيرة بالمشرط.

وفى الحالات المستعصية او المؤلمة او التى يصعب ازالتها بالطرق العادية قد يلجأ الطبيب المختص لاستعمال الأشعة او الراديوم لعلاج تلك الثآليل التى تختفى عادة فى خلال شهرين او ثلاثة ، وعلى اى حال فان الطبيب المختص هو وحده الذى يحدد كيفية او نوع العلاج الذى يجب اتباعه ، حيث أن كل طريقة لها مزاياها ، كما أن لها عيوبها او مضاعفاتها.

قصة



ليلة العيد

بقلم
عبد الله كبير

■ في منتصف السادسة كنت في مقهى «جروبي» افتش عبثا عن ليلة العيد !

الناس من حولي يغدون ويروحون مستبشرين ، يتدافعون بالمناكب ،ويتزاحمون على المقاعد ، ويرشفون خلاصة الليالى فرحين ، او قانعين بما هم فيه ففرحوا ، ثغورهم باسمة، وقلوبهم الخالية تتراءى في عيونهم الساذجة ، وهم جميعا يخاصرون ليلة العيد ، فليت شعرى ، لماذا عنتي وحدى لوت وجهها ليلة العيد ؟!

يجب ان تكوني فريدة في الليالى ، يا ليلة العيد ! .. هذا ما ردده خاطرى ، وانطوى عليه اعتقادى ، فجعل تلك الليلة ، أو هذه اللحظة من هذه الليلة ، فريدة الدمامة في اللحظات !

واني لاعجب كيف يكون الزمن ظرفا لكل هذا الضيق ، وذلك النوع من السأم ، اللذين ملكا عليّ أقطار نفسي ، فجعلاني أتساءل جادا في حنق : اانا حي ؟ وهل هذا شعور ينبعث عن حياة ؟! ام انا ميت ؟! .. لكني احس بما انا فيه ، وبالا طاقة لى على احتماله ، وباني وشيك ان انفجر منه ، وتتناثر شظايا جسمى !

ويحى ! اانا عاقل ؟ او ان هذه هى فاتحة الجنون ؟! .. لكم انا خائف من الجنون ! .. وجعلت اتصور حالى فيه ، فقف شعر راسي ، وعجزت ، وانفجرت ابكى ..

الام افر ، وانا اكره كل شيء ، وانفر من كل شيء ؟! بل اني لاكره نفسي ، واحس انها هى ايضا تكرهني ، وانها توشك ان تخليني ان لم اخلها ! .. هذه السوداء الكالحة الدميمة الأمارة بالسوء يصيح في جوانبها حرمان ثقيل لا يؤذن بالانتهاء كليل الهموم ! .. وهانذا احس الخواء في قلبى ، والسأم على كتفى يثقل حلتى ، ويضاعف وزنها ! آه ! لو أمكنني أن اتجرد من ثيابى وامشي عريان ! اما كفاني ثقل نفسى ؟ اليس هذا راسي قد اصبح عبئا علي ؟! انى لاحس شعر راسي كأنه عشب ثقيل ينحط من عل ،



فيوقرني ، واكاد انوء به ، فاعمل يدى فيه شدا ونزعا !

كيف افضي هذه اللحظات ؟ ابالقراءة في مجلة بيدى ؟ وكيف تستقر عيني على الحروف فضلا عن تفهمها ؟ .. ان عيني ما تكادان تستقران على شيء الا ابصرتا اسخف ما فيه ، وشر ما فيه ، وهما دمامة وقبح ! .. ابالجلوس وعدم الحركة ؟ وكيف لي بالسكون والقرار على هذا الحال ؟! .. لو كان مِقوّد الزمن بيدى لألهبته - اذا - سياطا دامية حتى يخرج من اهابه حركة وعدوا ، فانفلت منه الى مكان غير المكان ، وانقلبت منه الى وجود غير الوجود ، فما دوائي في غير التحول والتغير والانتقال !

اريد ان اكون حزينا ابكى لهول فاجعة ، او جريحا اصرخ من شدة الالم ، وارى الدم ينزف من اعضائي ، فاجزع ، واشفق على نفسي ! .. اريد ان اكون متماديا يستفزنى الحنق ، فامسك بتلابيب خصمي ، وانشب اظفارى في عنقه ، فاما صرعني ، واما صرعته !

اريد ان اعرف ماذا اريد ! فانى اشعر انى اريد شيئا ، وافتقد غائبا ، وهذا الذى اريده وافتقده هو سر شقائي الحاضر ، بل هو ما ضاعف شقائي الحاضر ، وجعله شيئا لا يقوم مع الحياة .. اريد ان اقدر على شيء ، فما انا بقادر على شيء ! انى مسجون مقيد بالسلاسل والاغلال ، وكأن يدا تطبق على عنقي وتخنقني .. ام اين الهواء ؟ واين الاكسجين فيه ؟ ام كيف يتخلخل الهواء هنا ، فان انفي ليضعف ان يجذب الهواء الى صدرى ، وكأنما اصبح التنفس حركة ارادية ، فارانى اجهد نفسي بالزفير والشهيق ، واجدهما عملا مضنيا شاقا ، كمن يدفع عربة ثقيلة الحمل !

ماذا ؟ كيف اخلص نفسي من اسار هذا الضيق ؟ .. آآكل « بقلاوة » ام فطيرة ؟ ولكن .. أانا جوعان ؟ ام انا في حاجة الى هاضمات ؟ .. اأشرب عصير الليمون او عصير البرتقال ، ام

اشرب فنجانا من القهوة او الشاي ؟ .. لكن أأنا في حاجة الى شراب ؟ وهل تنفعني الاشربة منبهة او غير منبهة ؟ ..

ولما وجدتني اكاداسترعي انتباه الناس بحركاتي السريعة المضطربة ، ونظراتي الشاردة البلهاء ، انتزعت نفسي فجاة، فوجدتني امشي وادخل سينما « مترو » ، فأحتجز لنفسي مقعدا بعد تردد لم يطل امام شباك التذاكر . وكانت الساعة لم تؤذن بالدخول بعد ، فضربت في الشارع أزاحم واتصادم، وكأنما رد الي المشي نفسي قليلا ، فامكنني أن اقنعها بشرب كوب من اللبن ، وكان المحل خاليا، أو يكاد ، فعاد الي ضيقي كاملا مجسما ، واحسست بالسكون شرا من الجلبة ! مطارق من حديد تصك الاسماع ، وتنفر الاخيلة والهواجس والتمنيات ، فتناولت اللبن شيئا ابيض في عجلة، واسرعت الى دار الخيالة حيث اخذت مقعدي وانتظرت ..

كانت السابعة لم تنتصف بعد ، فبقيت زهاء ربع الساعة في سكون ، فبدأت افيق شيئا ، وعلمت أني احسن حالا من ذي قبل حينما احسست باشفاقي على نفسي ، وبما هي فيه من وحدة وضيق وحرمان، ورأيت الدموع تغشى عيني حزنا عليها ، ورأيتني أواسيها وامنيها ، وشعرت ـ كما شعر أديب من قبلي ـ بالراحة التي يجدها الباكي غِبّ سكب دموع غزار ..

وبدأت العواطف والغرائز تنبت في قلبي ، فهذا الحب يداعبني ، وهذه الكبرياء تنفخ في اوصالي ، وهذه التضحية تلوح لي ندية ناعمة كالمخمل ، فتمسح نفسي في رفق ولين ، وتخيل لي اني رجل ممتاز ! .. وبدأ الناس يبدون ناسا ، والاشياء اشياء ، والزمان والمكان زمانا ومكانا، والدنيا تولد من جديد في اهاب جديد، وتتكشف كائنا حيا يغرى بالحديث والسماع والخيال والذكرى !

وابتدأت مقدمة الرواية ، وكانت حفلة موسيقية راقصة . ولم اكن أتوقع من جلبة السينما وصورها المتحركة أكثر من أن تاخذ بيدي مما انا فيه ، فاملك اعصابي ، ويعود الى صفاء ذهني ، واعتدال مزاجي ، لكن لم تكد النغمات يتردد صداها في جو المكان ، وتاخذ طريقها الى اذني ، حتى خيل الي انها شيء مادي يصل الى نفسي الخاوية ، فيُغنيها قليلا قليلا ، وينتشيها شيئا فشيئا ، وينتزعها من ضيقها ، ويرفعها درجة درجة ، حتى نسيت ، او كدت انسى ، الغرائز الحيوانية التي كانت تقلقني من قبل، وشعرت بالوجود ، وبالدنيا على وجه بهيج جديد ، وانقلبت ـ مع الحب ـ أبا للناس جميعا : اعتذر لهم ولم يسالوني ، وافند دعاوىَ نفسي والناس في مثالبهم ونقائصهم، وما اقاموني محاميا عنهم، واكبر خصالهم ومواهبهم، وهم لا يكادون يحسون بوجودي! .. فهذا الجندي عن يميني يستحق ان اطاطىء رأسي احتراما له ، فهو ان لم يكن يدافع عن الحرية للحرية يبذل نفسه في سبيل تحرير ارضه ومجد وطنه واستعادة كرامته !..وهؤلاء الحسناوات والفتيات المصاحبات عن يساري ، ومن امامي وخلفي ، مَن لي بأن اطوف بهن جميعا حانيا مربتا على ظهورهن ، هامسا في آذانهن : أنعمن النظر ، وحكّمن العقل، ولا تبعدن مع الهوى ، فان اللذة عابرة ، وشقاؤها لا يبرح يقيم ، والشرف هو الجوهرة التي لن يحور ضياؤها، والتي ستفتقد دائما مها تنوسيت، او اضلتها جماح الشهوات ! .. احتفظن بصحة اجسامكن بالقصد والاعتدال ، فليست نضرة الشباب بباقية مع العبث والمجون ! .. ويا أيها الفتيان المصاحبون ، لتطب لكم الحياة ، ولتنعموا بالحب الهنيء ، لكن حذار من التغرير بالطائشات الغريرات ، فان توبيخ الضمير سيظل يقض مضاجعكم ، ولن تفلتوا من تقريعه مدى الحياة !

واحببت ان اقنع نفسي باني مؤثر ، واؤكد لها اني خيّر عطوف بالفطرة ، لا انتظر مثوبة ، ولا تدفعني عوامل خارجية ، فذكرني ذلك بما كان مني منذ لحظات من بغض لنفسي وللناس جميعا ، فتفلسفت وقلت : اتعطف على الجائع الا بعد ان تشبع نهمك ، وتدخر للغد كفايتك ؟! .. أوَ تواسي الحزين الا اذا ملك الفرح قلبك ، فاحببت ان تطرد شبح هذا السواد أن يُغشي افق السرور من حولك ؟! ..

وذكرت غريزة التفوّق والبقاء ، والشقاءَ الذي يجرعانه الانسانية ، فانتهى بي ذلك الى التفكير في الاشتراكية ، والنظم الاجتماعية عامة ، والكون وخالقه القدير !

وكانت هذه الخواطر تغزو نفسي متعاقبة او

متراكبة ، متصلة او منفصلة ، في عمر ارتداد الطرف . ولو اصدق الآن كل الصدق ، واوفق كامل التوفيق في التعبير عنها ، لاضحكت من نفسي والغريب ، لكن الموسيقى كانت لي ملاكا حارسا ، فانتشلتني من غمار هذه الهواجس بنغمة حالمة رقيقة شعرت بها تهز قلبي،وكانما قد اصبح لها وترا على الحقيقة لا المجاز .. وخيّل اليّ انى ارى صور النغم تترنح في جو المكان ، وكانى احس الاصوات بعيني وقلبي قبل سمعي ! بل انى ارشفها ، واكاد اشعر بها تمر في حلقي ، وتصل الى اعماق نفسي فترويها ، ففاضت نفسي احساسا وشعرا ، وبدت روحا خالصة كالنغم ، فلو حدثتني لما سمعت ، ولو هززتني لما رجعت ! ووجدت العبرات تترقرق في مقلتي ، وصوتي المختنق يدندن مع قلبي مرنما : ليلة العيد ، ليلة العيد ، هذه انت يا ليلة العيد !

ولو سالتني ساعتذاك عن تفسير هذه الترنيمة، وتوضيحها بالتزيد فيها ، لما رايتني قادرا عليه ، فانه يبدو لي شيئا تعجز عنه الالفاظ ، وتقصر دونه الافهام .. انها رمز لمعان دقيقة عالية ، وايماء الى دنيا سحرية مثالية ، تنطوى تحت كل حرف من حروفها ، وما بالمادة طاقة على التصوير ، لانها اجل من ان تحيطها مادة بتصوير! انها لا تحس الا بباطن النفس كالاحلام ، وبهدى القلب الذى عرف الله من غير حاجة الى كلم او برهان ! ..

ولم يمض وقت طويل حتى هبت عاصفة من الرقص اثارتها الموسيقى ، ودعا اليها النغم ، فكانما تلك الاعضاء ـ وهي تثور وتفور ، وتتلوّى وتتمطى ، وتتقابل وتتنافر ـ جسم لهذه النغمات التى تسكن فيها ، وتملي لها .. ورايت جسمي ـ وقد سرت فيه الموسيقى ـ يريد ان يستجيب لها ، وان يميل معها حيث تميل، فامسكت بمقعدي خشية ان الفت الانظار ، ونفسي في ثورة داخلية لهذا الكبت الذى ترزح تحت اعبائه ..

اريد ان اكون كما تريدني الموسيقى ، وكما ارادت لهؤلاء الراقصين : اعصارا يقتلع ويبعثر ، او اسدا يفترس وينقضّ ، او نجما يطفى ويغرق، او نارا تشهق وهي تفور !

ما هذا النفاق الاجتماعى الذى ارى ؟! ام ما الذى يحول دون ان يقوم هذا الجمع الحاشد من النظارة معبرا عما حركته الموسيقى في جوانحه من غرائز الغضب والنقمة والفتك والانتقام بحركات تشبه تلك التى تبدو على الشاشة ؟!

واطلقت الموسيقى حينذاك نسيما رخاء ، تهوّم في تضاعيفه بيض اجنحة الملائك ، فصرفتني عما انا فيه ، لاحلم واتمنى .. وتخيلت الراقصة تقول : ان جسمي جميعه مطيع قابل ، وان جميع المعاني قد فصلت عليه تفصيلا ، فهاك التوسل والاسترحام ، والتعاطف والرفق،واللوعة والحنين وهاك المجهول المطوى في الغيب ، يطل كله من عيني ، وثنايا يدي ، وجذعي ، وساقي ، في وزن واتساق ! .. وتخيلت النظارة تقول : بهذا اعجبت ، وله طربت ، ومنه اخذت وسحرت ! .. رايتني اعيد متمتما : ليلة العيد ، ليلة العيد ، هذه انت يا ليلة العيد ! .. الجمال كله ملك يميني . ولم لا ؟! وما يملك ابو الجميلة، او اخوها ، او زوجها ، اكثر مما املك الآن منها ؟! وهي غير حافلة بشخص بعينه ، ولا خاضعة لرغبة خاصة .. انها تصرف جمالها للوجود ، وتسكبه على العالم وحدة متناسقة ! انها يراد لها لا تملك ارادة!انها اشعاع الفرحة في هذا الكمال والتناسق، وهي به سعيدة اكثر مما تسعد بالوليد ! .. ولو كنت المسيطر عليها ، فماذا استمنحها او اخذ منها اكثر من هذه الارواح والمعاني والافراح التى تجيش الآن في نفسي !

وعدت اردد : الجمال كله ملك يميني ، وقد امكنت الاماني ! .. لا ماضي اندم عليه ، ولا مستقبل اشفق منه ! جُبّ الزمان هنا يا ليلة العيد ! فلله انت يا ليلة العيد !

غاضت شهوات الحس ، وهانت ، ونفقت غرائز الاثرة ، واداله[ا] ما هو اسمى منها وانبل، وباتت الاماني غير اماني ، والاحلام .. اين هي الاحلام ؟!

لم اكن اقدرك في هذا الجمال والجلال الذى يطوى في صدره كل الاماني والاحلام حتى لا يترك بعده زيادة لمستزيد ! فيا ليلة العيد ، اليوم آمنت بانك حق ، يا ليلة العيد ، فلله انت يا ليلة العيد !

■■

القاهرة عبد الله كبير



أنتَ تسألُ .. ونحنُ نجيبُ

اقدم عملة عربية ترجع الى سنة ٧٦ هجرية

● متى عرف العرب النقود .. ومن أول من استعملها وسكها من الملوك ؟

محمد برغوث ـ حلب

ـ نحيلك في اجابتنا الى بعض الفقرات من محاضرة عن النقود العربية في العصر الاسلامي ، القتها الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف ، استاذة ورئيسة قسم التاريخ بجامعة عين شمس ، قالت فيها :

« لم يكن للعرب في شبه الجزيرة العربية نقود خاصة بهم حين ظهر الاسلام ، فكانوا يتعاملون بالدراهم الفضية الساسانية، وبالدنانير البيزنطية الذهبية ، لمجاورتهم لهاتين الدولتين .. واشتهر عند العرب الدينار الهرقلي ، فكانت دنانير هرقل الذهبية ترد على اهل مكة في الجاهلية .

« ومع ذلك كانت هناك نقود عربية متداولة بين العرب في الجاهلية في نطاق ضيق جدا ، مثل نقود اليمن الحميرية ، كذلك اقتبس الانباط ـ في البتراء ـ من الاغريق والرومان ضرب النقود . ووصلت الينا نقود عن عصر ملك الانباط الحارث الثالث (٨٧ ـ ٦٢) ق.م

« كذلك كان لدولة تدمر نقود بشكل نقود الاسكندرية الرومانية ، عليها كتابة وصور . وقد وصل الينا نقد زنوبيا (الزباء او زينب) ملكة تدمر (٢٦٧ ـ ٢٧٢م) وعلى احد وجهيه صورة راسها وكتفيها .

« كل هذا يعني انه ظهرت نقود خاصة بالعرب في دول وممالك اطراف شبه الجزيرة العربية .. وكما استعمل العرب الدينار البيزنطي ، نقلوا اسمه من اليونانية اللاتينية Denarivs واطلقوا عليه اسم الدينار ، او الدينر (من غير الف) .

« ويذكر البلاذري انه لما ظهر الاسلام اقر الرسول عليه الصلاة والسلام النقود المتداولة بين العرب من دراهم ودنانير ، وكذلك فعل من بعده خليفته ابو بكر الصديق .

« وتكاد المصادر الاسلامية القديمة تتفق على ان المسلمين بدءوا يضربون الدراهم منذ عهد عمر





ابن الخطاب ، ولكنها لا تتفق على من بدأ من الخلفاء او الامراء بضرب الدنانير الذهبية .

« ويذكر المقريزي في كتابه « النقود القديمة الاسلامية » انه في سنة ثماني عشرة من الهجرة ضرب عمر بن الخطاب الدراهم » على نقش الكسروية وشكلها باعيانها غير انه زاد في بعضها «الحمد لله» وفي بعضها « محمد رسول الله » وفي بعضها « لا اله الا الله وحده » .

« وكان التعامل بالدنانير البيزنطية والدراهم الفارسية جنبا الى جنب مع الدراهم والدنانير التي ضربها الخلفاء والامراء ، حتى جاءت خلافة عبد الملك بن مروان (٦٥ – ٨٦) هـ – (٦٨٥ – ٧٠٥) م . الذى امر بالاستغناء عن النقود الاجنبية رومية كانت او فارسية ، وضرب الدنانير الاسلامية .

« واقدم دينار اسلامي عثر عليه لعبد الملك بن مروان مؤرخ سنة ٧٦هـ . ضربه عبد الملك على الطراز البيزنطى ، وفيه تصوير يمثل الخليفة متقلدا سيفا ، وتاريخ الضرب بحروف كوفية .

« وفي سنة ٧٧هـ . احدث عبد الملك ضرب الدينار على طراز اسلامي عربي مغاير للطراز البيزنطى ، فظهر الدينار لا يحمل الا كتابات كوفية .. واستمر ضرب النقود بهذا الشكل الاخير الى نهاية العصر الاموى » . (س . ز)

صناعة السيارات

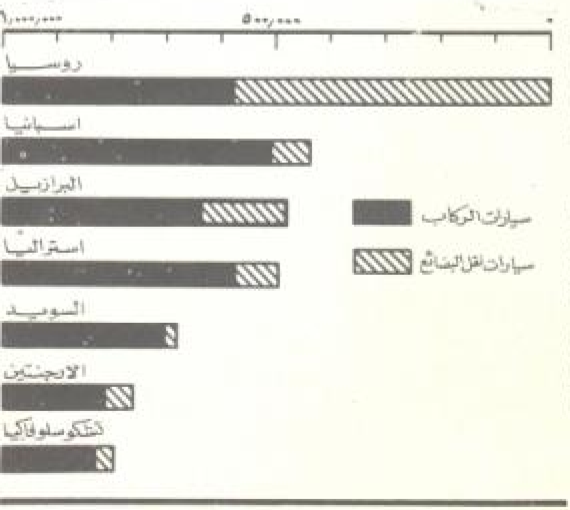
● نسمع كثيرا بأن السيارات السويدية متينة ودقيقة الصنع الا أنه ليس لدينا فكرة واضحة عن حجم هذه الصناعة . فكم تصنع السويد من السيارات سنويا وما هي المكانة التي تحتلها بين الدول المعروفة بصناعة السيارات ؟

خليل سماحة – اللاذقية

– يمكن تقسيم الدول المعروفة بصناعة السيارات الى فئتين : فئة الدول القديمة العهد بهذه الصناعة وفئة الدول الحديثة العهد بها . اما دول الفئة الأولى فهى الولايات المتحدة واليابان والمانيا الغربية وبريطانيا وفرنسا وايطاليا واما دول الفئة الثانية فهي روسيا واسبانيا والبرازيل واستراليا والارجنتين وتشيكوسلوفاكيا والسويد ، التى تسألنا عنها .

فبالرغم مما ذكرت من متانة السيارات السويدية ودقة صنعها فان انتاجها محدود. ولعل لارتفاع مستوى المعيشة في السويد وارتفاع مستوى الاتقان الصناعي فيها علاقة بغلاء السيارات السويدية وقلة ما يباع او يصنع منها . ومهما يكن من امر فان السويد لا تصنع من السيارات اكثر من ٣٢٠٠٠٠ سيارة في السنة ، منها

صناعة السيارات في الدول الحديثة العهد بهذه الصناعة



...ر٢٠ سيارة لنقل البضائع والباقي للركاب وهذا يعني انها تحتل المرتبة الخامسة بين الدول الحديثة العهد بالسيارات كما يبين لك الرسم البياني الاحصائي (انظر الصفحة السابقة) .

ويتبوأ الاتحاد السوفياتي ، كما تلاحظ ، المكانة الاولى في هذا الرسم ، وقد بلغ مجموع انتاجه من السيارات سنة ١٩٧١ ، مليون سيارة، منها ... ٥٩٠. سيارة لنقل البضائع والباقي للركاب .

ولعل هذا ليس بغريب على دولة عظمى كروسيا، كانت السباقة في غزو الفضاء . ومن يدري فقد لا يمضي وقت طويل حتى يأخذ الاتحاد السوفياتي مكانه بين دول الفئة الاولى ، المتقدمة في صناعة السيارات .

على ان الغريب حقا هو ان تأتي البرازيل في المرتبة الثالثة في هذا الاحصاء ، بالرغم من ان صناعة السيارات فيها لا تبلغ من العمر اكثر من ١٤ سنة . وقد يجد المرء تفسيرا لهذا التقدم السريع في كثرة سكان البرازيل (٩٢ مليون نسمة) ووفرة خيراتها ، وفي الخطوات الواسعة التي خطتها مؤخرا في سبيل التصنيع والتنمية .

ومهما يكن من امر فان لمصانع فولكس فاجن الالمانية الشهيرة صلة وثيقة بذلك التقدم . ذلك ان اهم مصانع السيارات في البرازيل انما تملكه المصانع الالمانية التي ذكرنا ، تشاركها في ذلك بقدر محدود رؤوس الاموال البرازيلية . لاغرابة اذن ان كان ٢/٣ مجموع السيارات التي تصنع في البرازيل هي من نوع « الفولكس فاجن » او سيارة الشعب كما تعني التسمية الالمانية . ولا عجب ايضا ان قررت المصانع الالمانية انشاء مصنع جديد لها في البرازيل ، وقد بلغت ارباح مصنعها الاول الصافية نحو ٥ر١٠ مليون دولار في السنة الماضية .

وتجدر الاشارة بعد هذا الى آخر الاحصاءات التي تدل على ان انتاج السيارات في الولايات المتحدة واليابان قد بلغ في سنة ١٩٧١ وعلى التوالي ٦ر١٠ ملايين سيارة و ٦ ملايين سيارة. والدولتان المذكورتان تحتلان كما لا يخفى المرتبة الاولى والثانية في صناعة السيارات في العالم اجمع .

(ى . ز)

جيش فتنام الجنوبية يضم ٠٠٠ر٠٠ر١ر١ ضابط وجندي

● نقرأ في الصحف أن أمريكا تحاول الآن فتنمة الحرب في فتنام وذلك ببناء جيش قوى من أهل فتنام الجنوبية فهل لكم أن تفيدونا عن عدد رجال هذا الجيش ومدى تسليحه ؟

محمد حسام الدين ـ القاهرة ـ ج.م.ع

ـ لقد اصبح لدى فتنام الجنوبية جيش يبلغ عدد رجاله ....ر...ر١ر١ رجل بعد أن كان عدد افراد هذا الجيش لا يزيد عن ٧٣٠. الف رجل في عام ١٩٦٨ . وبذلك اصبح ثاني اكبر جيش في آسيا بالنسبة لعدد افراده ، فهو يأتي بعد الجيش الصيني مباشرة والذي يصل عدد افراده الى ....ر٧٠٠ر٢ جندي . اما اذا اضفنا رجال الميليشيا الى عدد رجال الجيش النظامي ، فان تعداد الرجال تحت السلاح في فتنام الجنوبية ، يصل الى ....ر...ر٢ من الجنود .

وقد قامت امريكا بسحب عدد كبير من قواتها من فتنام واصبح لديها الآن ٦٩ الف جندي فقط داخل فتنام الجنوبية . ومنذ ان بدأت سياسة فتنمة الحرب في عام ١٩٦٩ قامت الولايات المتحدة بتسليح جيش فتنام الجنوبية باحدث المعدات العسكرية. وقد امدت الولايات المتحدة اخيرا هذا الجيش بـ ٦٤٠. الف بندقية سريعة الطلقات من طراز M.16 و٤٠ الف جهاز اتصال لاسلكي، و٢٠ الف شاحنة عسكرية و٥٦ دبابة من طراز M.48 و...٢ طائرة مقاتلة ، و٣٠ زورقا حربيا



و ٦٠٠ طائرة للنقل والاستطلاع والتدريب و ٥٠٠ طائرة هليكوبتر .

ولكن بالرغم من هذا العتاد وهذا العدد فان قوات الفيتكونج تدعمها فتنام الشمالية تلحق بالجيش الفتنامى الجنوبى الهزائم المتكررة . ويعود السبب في هذا الى ان قيادات جيش فتنام الجنوبى تعانى من البيروقراطية العسكرية التى تحد من سرعة التحرك ، علاوة على ان مستويات فرق الجيش النظامى الفتنامى تختلف اختلافا كبيرا بالنسبة لقدرة افرادها القتالية . وقد قامت فرقة كاملة من الجيش الفتنامى الجنوبى بالهرب من الميدان تاركة اسلحتها . واتضح بعد ذلك ان كل افراد هذه الفرقة جندوا من المنحرفين والمحكوم عليهم في قضايا سرقة . ومن هذا يتضح أن سياسة فتنمة الحرب قد لا تؤدى الى النجاح الذى كانت تتوقعه الولايات المتحدة الامريكية عندما بدات هذه السياسة في عام ١٩٦٩ .

(م. ط)

● ● ● ●

ملح الطعام في الوطن العربى

● هل يمكننا معرفة كميات ملح الطعام التى تنتجها كل دولة عربية ؟

شاكر شبيب ـ لبنان

ـ آخر الارقام المتعلقة بكميات انتاج الملح في الوطن العربي غير متوفرة.. وفي نشرة مركز التنمية الصناعية للدول العربية الصادرة في عام ١٩٧١ وجدنا ان اخر الارقام لديهم تعود الى عام ١٩٦٧ مع اغفالهم لانتاج الكثير من الدول العربية .. وفيما يلي كشف بتطور انتاج الملح في بعض الدول العربية خلال ٤ سنوات :

(الكميات بالالف طن)

اسم البلد	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧
الاردن	٢٠	٢٠	١٣	١٢
تونس	٢٥٣	٤٠٧	٣٢٨	٢٥٧
الجزائر	١١٦	١١٦	١١٦	١١٧
السودان	٦٠	٥٢	٤٣	٥٨
العراق	٢٧	٣٨	٣٧	٤١
سوريا	١٦	٢١	١٢	٤٠
ليبيا	١٢	١٢	٨	٢٥
مصر	٦٧٥	٤٩٤	٦٢٧	٥٨٤
لبنان	٢٠	٢٤	٢٥	٢٥
المغرب	٦١	٣٤	٣٩	٢١
اليمن الديمقراطي (الجنوبي)	٩١	٤٩	٧٥	٧٢
الكويت	٣	٤	٤	٤

ومما يذكر ان مركز التنمية الصناعية التابع لجامعة الدول العربية، اعتمد على الكتاب السنوى للامم المتحدة الصادر عام ١٩٦٨ للحصول على هذه الارقام والاحصائيات العربية .. مأساة !؟!

(س . ز)

الهنود الحمر في الولايات المتحدة

● كثيرا ما نسمع ونقرأ عن الزنوج من سكان الولايات المتحدة الامريكية . أما الهنود الحمر من سكانها فلا نسمع عنهم شيئا ، باستثناء ما تقدمه عنهم أفلام السينما .. ترى هل انقرضوا .. واذا هم لم ينقرضوا فما هو عددهم وما هي احوالهم ؟.

سليم علي احمد ـ عمان

● يبلغ عدد الهنود الحمر في الولايات المتحدة الامريكية ٧٩٣٫٠٠٠ نسمة . أى انهم يشكلون اقل من ٠٫٥٪ من مجموع سكان البلاد البالغ الان نحو ٢٠٥ ملايين نسمة . فهم اذن لم ينقرضوا ، وانما تقلصوا كثيرا . ولا يخفى ان الهنود الحمر هم سكان الولايات المتحدة الاصليون ، وقد كانوا سكانها الوحيدين قبل الفتح الاوربي لها .

على ان لقصة الهنود الحمر في الولايات المتحدة جانبا اخر اوقع واشد اثرا من جانبها العددي . ذلك ان هنود الولايات المتحدة فقراء لا تكاد تكفل لهم دخولهم الضروريات . اذ يبلغ دخل الفرد الواحد منهم ١٥٠٠ دولار في السنة الواحدة . وهذا دخل ضئيل للغاية في بلاد اشتهرت بغلاء المعيشة من جهة وارتفاع الاجور والدخول من جهة أخرى .

اضف الى ذلك ان الهنود الحمر مضطهدون . فهم محرومون من الحقوق المدنية ولا يتمتعون بالمساواة في المعاملات ولا ينعمون باى قدر من المساواة وتكافؤ الفرص في مجال الاعمال .

وبمكن تقسيم هنود الولايات المتحدة الحمر الى فئتين متساويتين في العدد تقريبا : فئة العشائر التي تسكن الارياف ، وفي مناطق خاصة بهم ، وفئة سكان المدن . وقد آثرت الفئة الاولى البقاء في معزل عن الحياة الامريكية ، وذلك بامل الحفاظ على تراث الاباء والاجداد . الا ان هؤلاء العشائر لا يعملون ولا يبذلون جهدا من اجل التراث ولا حتى من اجل الحياة . وهم يعتمدون الى حد كبير على المعونة التي يتلقونها من حكومة واشنطون، ومن دائرة الشؤون الهندية في تلك الحكومة (BIA) ، خاصة . لا غرابة اذن ان غلب عليهم الجمود والخنوع وباتوا لا يطمحون في واقع الحال الى اكثر من مجرد البقاء على قيد الحياة . فهم ، لا يشبهون الاسلاف الا من حيث تمسكهم بالعلاقات القبلية اساسا لحياتهم الاجتماعية ، فضلا عن



المظاهر والثياب . وقد قال فيهم هنود المدن : انهم حمر في الخارج وبيض في الداخل .

على ان هنود المدن هؤلاء ليسوا احسن حالا من العشائر . فقد كان لمحاولتهم الاندماج في الحياة الامريكية مثل الاثر الذى كان لانكماش العشائر عنها . وحسبنا ان نذكر ادمانهم الشديد على الخمور ، وقد بلغ حدا يتعذر معه على الكثيرين منهم القيام ولو بأتفه الاعمال . لا غرابة اذن ان كانت معنوياتهم محطمة ونفسياتهم وضيعة ، حتى انهم لا يكادون يذكرون امجاد آبائهم واجدادهم الا على سبيل السخرية .

بيد ان حركة تبشر بخير ظهرت مؤخرا بين هنود المدن في الولايات المتحدة الامريكية . وتعرف هذه الحركة التي بدات نشاطها قبل ثلاث سنوات في

مدينة منيابوليس والتي يقدر اعضاؤها بنحو...٩٥ عضو ، تعرف بحركة الهنود الامريكيين American Indian Movement او اختصارا AIm ، . وتعمل هذه الحركة على تدارك حاجات سكان المدن من الهنود ، وهي الحاجات التي لا تهتم بها ولا تلبيها الدائرة الحكومية التي ذكرنا . على ان لحركة الهنود الامريكيين اهدافا اخرى غير ذلك . فهي تسعى الى حصول الهنود الحمر في الولايات المتحدة على حقوقهم المدنية التي حرموها ، وتستهدف القضاء على التفرقة العنصرية ، وقد جعلت شعارها : « الكرامة وحرية تقرير المصير » . غير ان هذه الحركة لا تلجأ الى العنف بل انها تتخذ من الوسائل السلمية سبيلا لها .

(ى . ز)

معجم الفاظ القرآن

● نعلم ان مجمع اللغة العربية في القاهرة قائم في اخراج معجم للالفاظ القرآنية ، ولا ندرى الى اى مدى بلغ المجمع من هذا المشروع ، ذلك المشروع الذى هو ضرورة لازمة لكل مسلم، ليتفهم قرآنه على احسن وجه.

عبد الرحيم خالد ـ دمشق

ـ ان مجمع اللغة العربية قد قام مشكورا بعمل معجم لالفاظ القرآن الكريم ، وقد اصدر الطبعة الاولى ونفدت ، واعيد طبعه طبعة ثانية في العام الماضي. والجدير بالذكر ان اللجنة التى تولت عمله مكونة من خيرة رجال الدين والعلم .

وبهذه المناسبة نذكر ان المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي ، وعنوانه : ٨ شارع الانتيل ـ ص.ب (٢٩٠) الرباط ـ المغرب ، قد اعلن عن اعتزامه تنظيم مسابقة الغاية منها وضع معجم حول الدراسات القرآنية والحديثية ، وقد رصد لهذه الغاية جوائز قيمتها عشرة الاف درهم (اى ما يعادل ....٢ دولار) قامت المملكة العربية السعودية بدفعها ، وستوزع الجوائز باسمها .

ومن اراد مزيدا من التفاصيل حول هذه المسابقة ، فليكتب الى المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي على العنوان المذكور آنفا .

(ع . ى)

حسبك من شر سماعه

● جمعنا مجلس كنا نتحدث فيه عن هزائمنا، فقال أحدهم:«حسبك من شر سماعه» فمن قائل هذا المثل؟

حسان الحربى ـ دمشق

ـ لهذا المثل ، كما للكثير من الامثال ، قصة ، بدونها يصعب فهم المثل، واليك قصة هذا المثل :

من النساء المنجبات فاطمة بنت الخرشب من بنى انمار بن بغيض ، واشهر ابنائها الربيع بن زياد ، كان ذا عقل ومشورة ، وهو من قبيلة عبس التى منها عنترة بن شداد ، ورئيس القبيلة في ايامه هو قيس بن زهير بن جذيمة ، وله شهرة كبيرة في حسن الرأى .

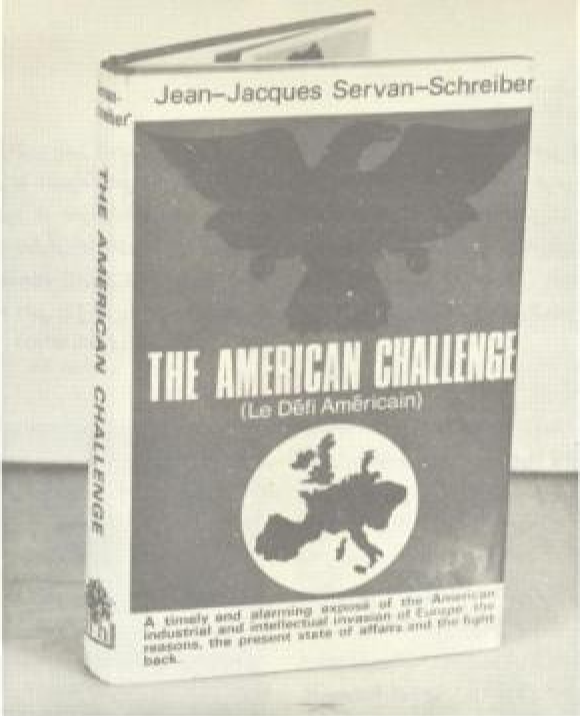
حدث ان وقع بين قيس بن زهير، رئيس القبيلة وبين ابنها الربيع بن زياد ، جفاء ونفور بسبب درع اخذها الربيع من قيس ولم يردها، على الرغم من الحاحه .

ومهما يكن المرء عاقلا يحدث منه في بعض الفلتات ما لم يفكر في عواقبه ، فقد كانت فاطمة ام الربيع سائرة على راحلة لها في بعض تنقلاتها ، فجاء قيس بن زهير ، واراد ان يجر جملها وهي عليه ، ليرتهنها عنده مقابل الدرع التي له عند ابنها الربيع ، ولكن فاطمة كانت من الحكمة والفهم بحيث ردته الى صوابه قائلة : ويحك يا قيس ، اين غاب عنك عقلك ؟ اترى بنى زياد مصالحيك وقد ذهبت بامهم يمينا وشمالا ، وقال الناس ما قالوا وشاءوا ؟ وان حسبك من شر سماعه .

فذهبت هذه الجملة الاخيرة مثلا، فتركها قيس، وكأنما افاق من حلم .

لقد تحدثت له عن شر يقع ، فاستمع له ، واكتفى به عن انتظاره الشر حتى يكون . حسبك من شر سماعه .

(ع . ف)



كتاب الشهر

عرض وتلخيص :

الدكتور سبع ابو لبده

التحدي

إمّا أن تستيقظ أوروبا لهذا التحدّي ، وإلا استعمرَ غالباً مغلوباً ، وعالماً جاهلاً ، ومتقدّماً متخلّفاً . فتلك سُنّة الحياة .

■ عندما صدر كتاب التحدى الاميركي (The American Challenge) Le D'efie American فى فرنسا عام ١٩٦٧ تخاطفته الأيدى وفاقت مبيعاته فى اول ثلاثة شهور مبيعات اى كتاب صدر فى فرنسا منذ الحرب العالمية الثانية ، فبيع منه اكثر من ٦٠٠٠٠٠ نسخة، واصبح اكثر الكتب رواجا فى العالم فى عام ١٩٦٧ – ١٩٦٨ اذ ترجم الى عشرين لغة فى اقل من سنة ، كما ترجم الى العربية ايضا . وفى طول أوروبا وعرضها لم يبق سياسى او استاذ جامعى او صحافى او رجل مال او أعمال او موظف او مهندس الا وقراه واقتبس منه واستشهد به . وفى

امريكا بلغ الاهتمام به الى حد انهم دعوا صاحبه ليناقشوه فجاء ونازلهم على شاشة التلفزيون . وفى الكتاب دراسة تحليلية لهذا التحدى وصورة عملية لكيفيةالرد يجدر بنا أن نعيها ونفيد منها فى مقاومة هذا الأخطبوط الذى يطبق على أعناقنا ويكاد يزهق ارواحنا .

والكتاب ليس الا صورة من نضال المؤلف من أجل بلده بل من أجل أوروبا، وحلقة من حلقات كفاحه فى سبيل رفعتها ، وهو لم يدخر وسعا فى سبيل خدمتها ولا يزال يخوض المعركة تلو المعركة عسى ان يسجل نصرا حاسما لها ، فلنتتبع نشأته ونضاله .

الأمريكي

المؤلف

ولد جان جاك سرفان شرايبر Jean Jacques Servan Schreiber في باريس عام ١٩٢٤ . كان والده صحافيا ، اما هو فقد درس في معهد جانسون دوسيلى ومعهد جربنوبل والتحق في معهد البوليتكنيك (مدرسة العلوم التطبيقية) Polytechnique ، ولكنه هرب من فرنسا عام ١٩٤٢ ابان الحرب وذهب الى الولايات المتحدة ليتلقى تدريبه كطيار مقاتل ولينضم الى صفوف قوات فرنسا الحرة .

وبعد الحرب عاد الى معهد البوليتكنيك وتخرج منه مهندسا ثم عمل محررا للسياسة الخارجية مع جريدة لوموند Le Monde (١٩٤٨ ـ ١٩٥٢) واسس بعد ذلك مجلة الاكسبريس L'Express ، وفي اثناء حرب الجزائر هاجم الحكومة الفرنسية وافلح بتعليقاته اللاذعة في اثارة الشعب ضدها . فعمدت هذه ، انتقاما منه الى دعوته للخدمة العسكرية وارسلته الى الجزائر ، فكان ان الف كتابه « ملازم في الجزائر » (١٩٥٧) ما ادى الى اتهامه بالحط من معنويات الجيش الفرنسي وايذائه . ولكن المحكمة برات ساحته وعاش بعد ذلك في خطر دائم بسبب تهديد منظمة الضباط الفرنسيين OAS باغتياله ، تلك المنظمة التى كانت تعارض حصول الجزائر على استقلالها .

وقد نجح مؤلف الكتاب نجاحا باهرا في ميدان الصحافة فتحولت الاكسبريس من مجرد نشرة الى مجلة عالمية توزع يوميا اكثر من ٦٥٠٠٠٠ نسخة وتبلغ ارباحها السنوية مليونى دولار . وهو يملك الآن ٤٠٪ من اسهمها .وقد رفض حديثا ان يبيع نصف هذه الاسهم لمجموعة البنوك بستة ملايين دولار . وقد لقبته جريدة لاناسيون الديغولية بملك بائعي الجرائد، وبالنسبة لحالته الاجتماعية فقد تزوج مرتين المرة الاولى في عام ١٩٤٧ وقد انتهت بالطلاق ، ثم تزوج ثانية ١٩٦٠ وله ثلاثة أولاد .

وفي السياسة فقد تمكن من القفز من ميدان الصحافة الى ميدان السياسة فاصبح نائبا عن مدينة نانسي وامينا عاما للحزب الراديكالى الاشتراكي ، وعمل مع قادة اليسار الحر مثل منديس فرانس في الخمسينات ، وجاستون ديفير في الستينات .

وفي أواخر عام ١٩٧٠ وكان الغرور قد ملاه ، فترشح ضد رئيس الوزراء جاك شابان دالماس Jacques Chapan Delman لملء مقعد بوردو الشاغر ولكنهسقط فعاد منجديد الىالاكسبريس. ولكن عودته ولدت شقاقا بينه وبين اسرة التحرير التى كانت تخشى من ان يجعل المجلة مذياعا لافكاره ووسيلة لانعاش مستقبله السياسي مما يضر بمستقبلها ويعرض استقلالها للخطر ، وانتهى الخصام بالاتفاق على تخصيص ركن له يدعى « بدفتر المذكرات » Bloc Notes يعبر فيه عن رأيه الشخصي .

كتب للمؤلف أخرى

لقد صدر للمؤلف ، بالاضافة الى كتابي «ملازم في الجزائر» (١٩٥٧) و«التحدى الامريكي»

(١٩٦٧) ، كتاب «روح مايو» (أيار) ١٩٦٨ وفيه يعيد النظر في الظروف الاقتصادية والسياسية الفرنسية ، ويحلل ثورة الطلاب في ١٩٦٨ التي يعتبرها احدى الخطوات الحاسمة المؤدية للتغير وبالتالي الى استيقاظ فرنسا . ثم البيان الراديكالي او كتاب « سماء وأرض » Ciel et terre الذي صدر في شباط (فبراير) ١٩٧٠. وهو مكمل لكتاب التحدي الامبركي وفيه ينادي بالفصل بين السلطة الاقتصادية والسياسية ، وبتامين حاجات العمال المتضررين من التطور التكنولوجي ، وتضييق الهوة الاجتماعية ،وذلك باذابة الفوارق الثقافية بين الأغنياء والفقراء ، وبايجاد نظام تربوي جديد ومستمر ، واستبدال الخدمة المدنية الاقتصادية التربوية الاجتماعية بالخدمةالعسكرية،وازالةانتقال ملكيةوسائل الانتاج بطريق الوراثة،واعادة توزيع السلطة وذلك بتكوين منظمات ديموقراطية وتكوين ولايات متحدة اوروبية.

لقد وقف شرايبر حياته على بلده فخدمها جنديا وكاتبا وصحفيا وسياسيا بارعا وهم يلقبونه بكيندي فرنسا وذلك لما بينه وبين رئيس الولايات المتحدة الراحل ، من شبه في الذكاء وموضوعية التعبير والمنطق الجدلي والنشاط السياسي والشجاعة الفائقة والشباب والحيوية واخيرا وليس آخرا تبني شرايبر للطريقة الامبركية في خوض الانتخابات وربط السياسة بالحياة .

بين المؤلف وديغول

ويشبه شرايبر الجنرال ديغول في انهما يهدفان الى انقاذ اوربا من السيطرة الأمبركية وجعلها سيدة نفسها وتمكينها من المشاركة في قيادة العالم، ولكنهما يختلفان في تشخيص المشكلة وعلاجها . الجنرال يرى ان مشكلة التحدي تتلخص في رغبة الولايات المتحدة في ان تصبح زعيمة للعالم وان الغزو الاقتصادي الامبركي هو نتيجة لتضخم الدولار ، كما يرى ان الرد يتلخص في تعاون الاقطار الاوروبية بزعامة فرنسا على اتخاذ اجراءات دفاعية تغلق اوروبا في وجه النفوذ الاقتصادي والسياسي الامبركي .

اما شرايبر فيرى ان المشكلة نابعة من حيوية المجتمع الامبركي ، وتقدمه في فن التنظيم ، وقدرته على استثمار ما لديه من ذكاء ومواهب وتجنيده للقيام بالاختراع والتنمية والتسويق ، وتحريره لطاقة الفرد وذلك بلا مركزة سلطة البت او اتخاذ القرارات اللازمة ، وتنمية المبادرة والمسئولية الفردية . وهو يرى ان الرد يتلخص في انشاء ولايات متحدة اوروبية ، تضم بريطانيا ، وتصطبغ بالصبغة الديموقراطية والعدالة الاجتماعية وان الامل يكمن في اصلاح التربية وتحديث فن التنظيم وتوسيع التخطيط وتحسين استثمار الموارد البشرية الاوروبية .

الكتاب

يتالف الكتاب من اربعة وعشرين فصلا تتوجها خاتمة ، وهي موزعة على ستة ابواب : الانزال في اوروبا ، القواعد الخلفية لامبركا ، اوروبا بلا استراتيجية،الهجوم المعاكس،المسالة السياسية، ثم مناجم القوة . وفيها يرى الكاتب ان هناك حربا ضروسا تدور رحاها بين الامبركيين والاوروبيين . انها حرب التقدم ، وسلاحها ليس المدافع والدبابات ولا الدولار او الزيت والفولاذ او حتى الآلات الحديثة ، بل التصور المبدع والموهبة التنظيمية . انها مجابهة بين الحضارات لا في معارك تقليدية تزهق فيها الارواح ، بل في ميدان تكنولوجية عصر ما بعد الثورة الصناعية ، والمعارك التي تجرى الآن هي معارك تعدين التيتانيوم ، والعقول الالكترونية ، والدوائر التكاملية المستعملة في توجيه الصواريخ . وقد تمكن الامبركيون من اكتساح اوروبا والتغلغل في اعمق اعماقها ، فبدأ نظامها الاقتصادي ينهار تحت وطأة الصناعة والأعمال الامبركية واخذ اطارها السياسي والنفسي في التصدع وبدأت تشهد افلاسها التاريخي .

واذا بقي الحال على هذا المنوال ، ولم يرد الاوروبيون على هذا التحدي الامبركي قبل فوات الأوان ، فان اوروبا كمركز رائد للمدنية ستختفي وستنحط الى مرتبة الامم المتخلفة . والرد لا يتطلب وجود شاعر يستنهض الهمم ، فالحقائق وحدها تكفي وهي ، مزودة بقوة هائلة وشحنة انفعالية تحرك من لا يتحرك . الا يكفي ان يشاهد الاوروبيون الاستثمارات الامبركية تخترق العالم بخفة طائر ، وان يرقبوا كيف تندفع وتلتف وتهاجم وتمزق الفريسة ثم تحمل بعيدا ما تظفر به .

ان الغرض من هذا الكتاب كما يقول المؤلف ، هو العثور على حل يمكن اوروبا من عكس هذه

الحال الخطرة ، ومن ثم البقاء في حلبة السباق بين الحضارات المتنافسة وذلك بتمكينها من السيطرة على قدرها ورسم مصيرها .

وهذا ما سيعرضه لنا المؤلف في الفصول التالية :

١ ـ الانزال في أوروبا :

قد لاتكون القوة الصناعية الثالثة في العالم ، بعد امريكا والاتحاد السوفياتي في الخمسة عشر عاما القادمة ، أوروبا ، بل الصناعة الامريكية في اوروبا . والدليل على ذلك ان حجم الاستثمارات الامريكية في اوروبا يبلغ حاليا حوالى ١٤ بليون (... ... ... ١٤) دولار ، وان للثاستثمارات امريكا في الخارج هو في اوروبا الغربية ، كما ان نصف الأعمال الامريكية الجديدة التى قامت خارج الولايات المتحدة هو في اوروبا . كذلك ان الشركات التى تقوم بهذا التغلغل الاقتصادى شركات في منتهى الضخامة ، وذات مرونة عجيبة، وقد اقامت لنفسها مراكز قيادية في أوروبا مخولة بصلاحيات لاتخاذ قرارات واصدار تعليمات تتخطى حدود الدول المختلفة التى هى قائمة فيها ،فخلقت بذلك سوقا امريكية مشتركةفي اوروبا بينما لا يزال الأوروبيون يحاولون خلقها .

واذا اخذنا صناعة الالكترونيات وهى من أهم صناعات القطاع الاقتصادى ، نجد أن الشركات الأمريكية في اوروبا تسيطر على ١٥٪ من انتاج البضائع الاستهلاكية كاجهزة الاذاعة والتلفاز .. و ٥٠٪ من الانابيب الالكترونية ، و ٨٠٪ من العقول الالكترونية اعنى الحاسبات ، و٩٥٪ من الدوائر التكاملية وهى دوائر كهربية مصغرة تستعمل في الصواريخ الموجهة والجيل الجديد من العقول الالكترونية .

والمستقبل ايضا مظلم بالنسبة لأوروبا اذ لن تكون في سنة ٢٠٠٠ من المجتمع الصناعى المتفوق وستحتل مركزا وسطا بين الاقطار فوق الصناعية كالولايات المتحدة وكندا واليابان والسويد ، والاقطار الآسيوية والافريقية المتخلفة .

وقد حاولت الشركات الاوروبية الرد على هذا التحدى وذلكبالتمركز والانصهار معا لتصبح اقدر على المواجهة ، ولكن ذلك اقتصر على المظهر لا الجوهر وبقيت هذه الشركات تنتظر التشريعات الضرورية وازالة العقبات التى لا تسمح بخلق شركات واعمال اوروبية على نطاق القارة . فكان هذا التلكؤ بالاضافة الى المد التكنولوجى وفن التنظيم الامريكى عاملا ساعد على تقهقر اوروبا الى المرتبة الثانية .

وفكر البعض باقامة الموانع والحواجز في وجه الغزو الصناعى الامريكى ولكن الاقتصار علىسياسة الدفاع امر يضر باوروبا ، اذ سيبطىء من نموها الاقتصادى والتكنولوجى الذى تزيد من تسارعه الصناعات والأعمال الامريكية . والحل البديل وهو اتخاذ موقف اللامبالاة أمر لا تستطيع أوروبا قبوله اذ انه يعنى ترك الشركات الامريكية تفترس الصناعات الأوروبية وتشكل اقتصاد اوروبا على هواها .

والتاميم حل لا يناسب اوروبا المتقدمة ، فالسلطة تستطيع ان تؤمم جدران المصنع والالات ولكنها تعجز عن تاميم العناصر غير المادية مثل المقدرة التكنولوجية والمهارات الخلاقة. ان التاميم رد فعل المتخلف ولا يناسب بلدا عصريا ، وهو في غضون اشهر قلائل سيقتل تيار الخلق والابداع ويحيل الشركة المؤممة الى مؤسسة متخلفة ويؤدى بالتالى الى انهيارها ، وهكذا تصبح سلاحا يعيق تقدم البلاد .

ويرى آخرون ان المشكلة يمكن ان تحل بترك الاوروبيين مهمة ادارة صناعاتهم للامريكيين شريطة ان يشاركوا في جني الارباح ، ولكن هذا الحل لا يعنى سوى الحكم على اوروبا بالتخلف وتحكم امريكا فيها اذ ستصبح العلاقة بينهما كالعلاقة بين مستعمِر ومستعمَر . واذا اضحت امريكا تتخذ القرارات واوروبا تطبقها فانها ستصبح عاجزة عنتطوير نفسها بنفسها وسيكون الاوروبيون مجرد وكلاء للامريكيين ، وفي خلال جيل واحد ستغدو اوروبا تابعا Satellite يدور في فلك امريكا .

٢ ـ امريكا ، وكبر صناعاتها وضخامة امكانياتها :

كي تستطيع اوروبا مجابهة امريكا بنجاح لا بد لها من فهم سر قوتها ، وهذه القوة ملموسة ، ولكن كنهها غير معروف تماما ، وهى تتطور بسرعة هائلة لدرجة ان كل وصف صادق لها اليوم يصبح في الغد غير صادق . وعلى سبيل المثال تنتج

الولايات المتحدة من السلع والخدمات ضعف ما تنتجه اوروبا بما في ذلك بريطانيا ، واكثر بمرتين ونصف مما ينتجهالاتحادالسوفياتي . واذا قارناها بالعالم نجد ان انتاجها يبلغ الثلث ، ولديها ثلث الطرق ايضا ، وطائراتها تقوم بنصف الرحلات . ولديها شاحنتان من كل خمس توجد في العالم كما تملك سيارتين من كل خمس ايضا . ومن بين الشركات التي تقوم باعمال يزيد حجمها عن بليون دولار يوجد ستون شركة امريكية بينما لا يوجد سوى سبع وعشرين شركة في بقية اقطار العالم .

وبفضل التكنولوجية والمهارة الاداريةزاد الانتاج بالنسبة لكل فرد بمقدار ٦٠ ـ ٧٠٪ عنه في فرنسا والمانيا وبريطانيا كما ارتفع معدل دخل الاسرة ارتفاعا كبيرا . وفي حقل التعليم يبلغ عدد الطلبة الامريكيين الذين يتابعون دراساتهم العليا ثلث طلبة العالم . ومن بين كل الف شخص يوجد تسعة وعشرون أمريكيا يدرسون في الجامعة يقابل ذلك ثمانية عشر روسيا وعشرة اوروبيين .

والحال عكس ذلك في اوروبا. الشركاتالاوروبية تتمركز وتتحول الى شركات ضخمة لتصبح اقدر على المواجهة فتترك بذلك منتصف الهرم الصناعي خاليا من المؤسسات المتوسطة . ونمو المبيعات لديها اقل منه لدى الشركات الامريكية ، والاسعار ارتفعت في اوائل الستينيات في اوروبا بينما بقيت ثابتة تقريبا في امريكا . والمؤسسات الاوروبية تتمتع بنصف قدرة مثيلتها الامريكية . وتمويل الابحاث فيامريكا يبلغ ضعفه فياوروبا. والامريكيون اكثر تجديدا في البضائع والتنظيم مما يتيح لهم حظا اوفر بالفوز في منافسة غيرهم ، كما ان الحكومة الفيدرالية تلعب دورا كبيرا في خلق تكنولوجية متفوقة وهذا مالم يفهمه الاوروبيون . فهي مثلا تمول ٩٠٪ من صناعة الطيران والفضاء، و ٦٥٪ من صناعة الكهرباء والالكترونيات و ٤٢٪ من صناعة الادوات العلمية و ٣١٪ من صناعة الالات و ٢٠٪ من صناعة الكيماويات .

وسر قوة امريكا يتلخص في كبر حجم الشركات وضخامةامكانياتها العلمية والتكنولوجية ومساعدة الحكومة الفيدرالية لها ، وتعاقدها معها لتنفيذ المشاريع ، والقيام بالابحاث اللازمة للتطور والتجديد مما يزيد من ربحها ويساعدها على النمو الذى يزيد بدوره من ربحها . وخلف قصة نجاح الصناعة الامريكية تكمن موهبة تشجيع التغير والترحيب به . كما ان تقدمها التكنولوجي ناجم عن المهارة الفائقة في الادارة ، والاثنان هما نتيجة للقفزات الخاطفة التي حققتها امريكا في ميدان التربية وهذا ما ساعدها على ان تتفوق على غيرها واوجد بينها وبين اوروبا هوة تزداد اتساعا بمرور الزمن .

هذه الهوة نجمت عن التربية ولا يمكن اغلاقها الا عن طريق التربية . ومن الواضح ان اوروبا ضعيفة تربويا اذا ما قورنت بالولايات المتحدة ، وهي ضعيفة في تعليمها العام والتكني ولا سيما في تعليمها الاداري . واذا ارادت اوروبا اغلاق هذه الهوة عليها ان تحسن تعليمها العام والخاص كما وكيفا ، وان تستثمر وتنمي امكانياتها البشرية الى الحد الاقصى . وبدون تنمية الطاقة البشرية عن طريق التعليم والتدريب فان كل تقدم يصبح مستحيلا اذ ان الاستمرار في التعليم هو القوة المحركة للتجديد التكنولوجي ، وهذا سيؤدى الى ثورة صناعية ثانية ممثلة بالحاسبات Computers (العقول الالكترونية) تلك التى ستسيطر على اقتصاد عام ١٩٨٠ ، وستجعل الولايات المتحدة مجتمعا « متفوقا في صناعته » يتميز بالتحول الكلى الى المدن Total Urbanization والى التلقائية تعم كل المصانع Autowation ، وبثورة في وسائل الاتصال والمواصلة ، وهذه العوامل الثلاثة ستخلق مشاكل جديدة وستؤدى الىزيادة الطلب على التربية . وفي الثلاثين سنة القادمة ستؤدى الى تخفيض ساعات العمل وتتيح الفرصة للعمال لان يتثقفوا ويزاولوا ما يشتهون . وستنتج الات وادوات جديدة تمكن العامل من استثمار فراغه والترويح عن نفسه وافناء خبرته . وستتيح التكنولوجية والانتاج بالجملة فرصة اوسع للاختيار .

وبواسطة العقول الالكترونية فان امريكا ستستطيع لأول مرة في تاريخ البشرية الاستفادة من جميع المعلومات التى توصل اليها الانسان ، وسيرد العقل الالكتروني على مختلف استفسارات الفرد الامريكي ، ويزوده بمختلف وجهات النظر والاحتمالات الممكنة والقرارات البديلة التي يمكن اتخاذها .

٣ ـ اوروبا بلا استراتيجية :

ان التحدى الامريكي ليس تحديا صناعيا او

ماليا فحسب ، وانما هو تحد لقدرة أوروبا على الخلق والابداع وتحويل الافكار الى أعمال.وبالرغم من أن امريكا واوروبا مجتمعان صناعيان متماثلان الا ان الاولى تسبق الثانية بخمسة عشر عاما . ومن المحتمل أن تدخل امريكا عالما آخر في عام ١٩٨٠ . واذا فشلت اوروبا في اللحاق بها فان الامريكيين سيحتكرون القدرة الفنية والعلم والقوة وستبقى امريكا وحدها في الميدان وهذا ما لا يقبله الاوروبيون ، وسيكون ذلك كارثة بالنسبة للعالم، اذ انها ستحتكر عالم القوة فتفكر في الاستعمار ، وهو خطر على امريكا نفسها ، وذلك لغياب المنافسة الحافزة على التطور والابتكار .

ان وضع أوروبا محزن للغاية فهي قد خلقت سوقا مشتركة استفادت منها الصناعات الامريكية قبل الاوروبية،وهي الآن مصدرة للعلماء ومستوردة للاختراعات ، والجهود الفردية في محاولة التقدم والرد لم تثمر ، فقد تضافرت جهود فرنسا وبريطانيا في صنع طائرة الكونكورد وتفوقتا في سرعة ما فوق الصوت على الولايات المتحدة ،ولكن لثلاث سنوات فقط وبعدها ستستعيد امريكا مركزها اذ ستنتج طائرتها التى هى أسرع بمقدار النصف وستحمل ضعف العدد من الركاب ، كما انها بنيت على أفكار ثورية في عالم الطيران تمكنها من الحياة لمدة ١٥ ــ ٢٠ عاما قادمة . اما جهود اوروبا في حقل الفضاء فهي متواضعة وعلى اوروبا أن تتعاون وتكرس مواردها للفتوحات في هذا الميدان والا وقع بأسره وما يتبعه من صناعات تحت سيطرة الامريكين والروس . وترجع مشكلة اوروبا في هذا المضمار الى ان كل دولة من دولها تعجز عن غزو الفضاء بمفردها ، كما ان النعرة القومية تحول دون تعاون الأقطار الاوروبية بشكل فعال . ولعل موقف فرنسا ومحاولاتها المستقلة تقدم لنا ابلغ دليل على عدم جدوى الجهود الفردية .

وتستطيع اوروبا أن ترجىء غزو الفضاء وان تستمر في صناعة طائرات أقل تقدما مما يصنعه الامريكيون ولكنها لا تستطيع ان تخسر معركة (العقل الالكتروني) Computer ، التى تدور رحاها الآن . انها معركة حياة او موت بالنسبة لها ، واذا خسرتها فانها ستخضع لسيطرة امريكا وستفقد الصناعات الأوروبية استقلالها . ولذا كان على جميع الاقطار الاوروبية اذا ارادت تجنب هذه الكارثة ان تتحد صناعيا لتتمكن من تجنيد كل قواها وتكريس مواردها لاحراز قصب السبق في الميادين الهامة كالالكترونيات والفضاء والطاقة النووية ، اما البديل عن النجاح فهو التبعية الصناعية لامريكا .

٤ ــ الهجوم المضاد :

تقاتل أوروبا في هذه الحرب الصناعية،وظهرها مستند الى الحائط ، وهي ضعيفة مفككة ومنقسمة على نفسها ، وكل دولة اوروبية تحاول الرد عليها بطريقتها الخاصة ، وهذه الجهود الفردية لم تثمر . والسوق الاوروبية المشتركة لم تكتمل ، وأوروبا بوضعها الحالى عاجزة عن القيام بهجوم مضاد لانقاذ نفسها من براثن السيطرة الامريكية، وبامكان الاوروبيين اتهام امريكا بالامبريالية عندما يعجزون عن مواجهتها ، ولكن المشكلة تبقى بدون حل . وعلى أوروبا اذا أرادت أن تواجه الغول الامريكي بنجاح أن تغير بِنيتيها الاقتصادية والاجتماعية وتقيم اتحادا اقتصاديا حقيقيا وتبنى وحدات صناعية عملاقة قادرة على الرد .

ان مشكلة اوروبا ليست مالية او صناعية او علمية تكنولوجية بل سياسية وتنظيمية وتتلخص في غياب الارادة السياسة الهادفة الى فدرلة او توحيداوروبا اقتصاديا توحيدا حقيقيا . فالدول الأوروبية على الرغم من تعاونها واستعدادها للسير قدما في هذا الطريق لا تزال ماضية في تشجيع ما هو وطني وقومي . وهذا يعنى عدم القيام بحشد الموارد الكافية لاحراز قصب السبق في بضعة ميادين كالذرة والفضاء والالكترونيات والطيران الأسرع من الصوت بحيث تستطيع أوروبا مواجهة التحدى الامريكي في عام ١٩٨٠ .

ان استعادة أوروبا للسيطرة على مقدراتها يتطلب وضع خطة هجوم معاكس تتلخص فيما يلي:

١ ــ خلق وحدات صناعية كبرى قادرة على مناطحة العملاق الامريكي .

٢ ــ القيام بعمليات رئيسية كتحقيق انجازات هامة في ميادين الفضاء والطاقة النووية والطيران الاسرع من الصوت بحيث تمنع استغلال امريكا لاوروبا مستقبلا .

٣ ــ ايجاد حد ادنى من القوة الفدرالية بين

الاقطار الاوروبية لحماية صناعاتها والنهوض بها.

٤ ـ تطوير العلاقة بين عالم الاعمال والجامعات والحكومة .

٥ ـ تزويد الشباب بتربية اوسع واعمق ، والبالغين بتربية مستمرة ومتخصصة .

٦ ـ تحرير الطاقات الحبيسة وذلك بتثوير الطرق الاجتماعية ، ثورة تبعث الحيوية في الصفوة او القادة وفي علاقات الأفراد .

وكي تنجح اوروبا في هجومها المضاد لا بد من ان تسرع فتجعل بريطانيا عضوا فعالا في السوق المشتركة . فهي وحدها تملك من الشركات الدولية عددا يساوي تقريبا ما تملكه فرنسا والمانيا وايطاليا مجتمعة. كما انها تقوم ب ٦٠٪ مما تقوم به اوروبا من الابحاث . وهي تركز جهودها في الصناعات التي يجب ان تطورها اوروبا لتتفوق على الولايات المتحدة .

٥ ـ المسالة السياسية :

والمؤلف يرى انه كان على جيل ما بعد الحرب ان يختار بين اوروبا موحدة ضمن العالم الشيوعي ، او الحفاظ على استقلال اوروبا الغربية . وجيل اليوم يواجه نفس المشكلة اذ عليه ان يختار بين بناء اوروبا مستقلة او تركها تصبح تابعة لأميركا. وتجنب هذا المصير المؤلم ممكن وذلك بالتكيف للمنافسة العالمية ، والتحلل من القيود القطرية ، وحشد الموارد الاوروبية المبعثرة وتبني قواعد للسير صارمة ، والكف عن التبذير في رؤوس الأموال والأفذاذ في الرجال . والبديل لهذا الرد هو ، كما اسلفنا ، دوران اوروبا في فلك الولايات المتحدة الاميركية ، وهذا يحطم انطلاق حضارتها ، واذا تخلت للاميركيين عن قطاعها الاقتصادي فان التبعية الاقتصادية ستؤدي الى تبعية سياسية اذ ان الطرف الذي يتحكم في اقتصاد الطرف الاخر سيملي ارادته عليه بشكل غير مباشر . كما ستؤدي الى تبعية تربوية ثقافية ، فالشركات الاميركية ستتوصل الى السيطرة على الشركات المنتجة والمالكة لوسائل الاعلام ومن ثم على التربية بمعناها الواسع ، وستحدد بطريق غير مباشر للاوروبيين ما يجب وما لا يجب أن يعرفوا ، وذلك بتحديدها ما ينشر ويذاع .

وهذه التبعية في مختلف صورها لن تؤدي الى الاندماج والوحدة مع اميركا وبالتالي المشاركة في عالم القوة وذلك بمشاطرة الولايات المتحدة فتوحاتها الصناعية ومكاسبها ، اذ ان الاميركيين اقاموا اتحادا ذا شكل نهائي لا يسمح بانضمام الاوروبيين . وحتى لو كان ذلك ممكنا فان اوروبا ترغب في الاحتفاظ بمميزاتها وخصائصها ، وهي قادرة على النمو بمفردها ودون ان تفقد شخصيتها، وهذا ما حدث بالفعل في بلدان اخرى كالسويد واليابان . كذلك العالم بحاجة الى اوروبا قوية مستقلة تشكل قوة صناعية دون مخالب استعمارية ولتعدل ميزان القوة في العالم .

وكي تلعب اوروبا دورا قياديا يجب ان يتوفر لديها الطموح السياسي ، اما القدرة التكنولوجية فلا تنقصها . واذا بقي جيل اليوم مستكينا عاجزا عن مواجهة التحدي الاميركي فانه سيترك اوروبا للجيل الذي يليه ، في عام ١٩٨٠ ، خارج خط سير التاريخ ويجعلها تحيا في ظل الولايات المتحدة بدون هدف او حيوية . اما اذا اراد ان يلحق باميركا وينافسها فعليه ان يحقق التكامل الاجتماعي وان يقضي على الحرب الأهلية التي يخوضها اليسار ضد اليمين ، والمعارضة ضد الحكومة ، والعمال ضد الادارة . واليسار بالذات مدعو لان يتخلى عن اوهامه ، كنزع السلاح والغاء الفوارق الطبقية واقامة حكومة عالمية ، وان يكون واقعيا فيعمل لمواجهة التحدي الاميركي ويحقق بذلك اهدافه . اما اذا ترك اميركا تفترس أوروبا فكل الاحاديث بعد ذلك والمناقشات المتعلقة بمقرطة التعليم والمعرفة والعمل .. الخ ستكون سخيفة ومضحكة . ان الامل في خلق اوروبا المستقبل مرتبط ارتباطا وثيقا باعادة الحيوية الى اليسار الذي يتعلق بالمثل ، ويعيش في عالم المستقبل والاحلام ، ويتنقل بين الحقيقة وعالم الخيال بين عام ١٩٦٨ وعام ١٩٨٨ . بيد أن مشكلته ترجع الى فساد بعض قيمه ، فهو يعتبر ان كل ما هو خاص شر وان كل ما هو عام خير . كما انه مارس التاميم وهذا ادى الى توقف نمو الشركات وجمود اساليبها ، كما وقف اليسار بعد التاميم لا يدري الى اين يتجه . وحاليا ليس امامه الا ان يتكاتف مع الراسمالية الأوروبية ليشارك في مواجهة التحدي الاميركي . وهو بمفرده لا يستطيع ان يسير في سياسة مختلفة جدا عما هي عليه فيما لو

كان في سدة الحكم . ان الجيل الاوروبي ، على اختلاف ملله ونحله على موعد مع القدر ،ومطلوب منه ان يرتقي باوروبا الى مستوى قادة العالم .

٦ ـ للقوة مصدران : المصدر الاول هو النمو مع العدالة ، والمصدر الثانى هو الاستثمار الانسانى .

النمو مع العدالة

ان معيار الادارة الجيدة هو معدل النمو الاقتصادى ، فاذا كان فوق ٤٪ فهو يعنى النجاح والا فانه يعنى الفشل . وهو أيضا نقطة الانطلاق لاى سياسة خارجية او داخلية . ومن الواضح ان النمو ليس هدفا بحد ذاته . والتركيز عليه كثيرا ما يؤدى الى اهمال الانسان وحاجاته . ومن المؤكد أن درجة الاستقلال الذاتى ، والازدهار الاقتصادى والعدالة الاجتماعية مترابطة معا وتتوقف جميعها على النمو،فكل بلد يتمتع بالنمو السريع يتمتع بالحرية في تحديد شكل حضارته . اما المجتمع الجامد المتحجر فلا يستطيع أن يمارس بالفعل حق تقرير المصير .

والظاهرة الملازمة للنمو هى التغير . فلا يوجد تقدم الا بالتنازل عن بعض الامتيازات المكتسبة ، وهجر الادوات العتيقة ، الافكار والمهارات البالية التيلاتتفق وروح العصر ، ولا بد من تطوير النظام التربوى المتحجر ليتلاءم مع طرق الادارة المتغيرة. ان التغير جوهر النمو ، وهو ابدال وتحويل اكثر مما هو اضافة وتراكم،وهو محاولة دائمة للتكيف. والدولة تتغير دوما بتغير الرجال وبيئتها الاقتصادية والا فانها ستبذر مواردها . ويعتبر انشاء السوق الاوروبية محاولة لاحداث تغير مستمر . فالتلقائية (التشغيل الآلى للمصنع) Automation والعقول الالكترونية ستكون اعم والتجديد أسرع وسيزداد المداخيل ، وتتنوع الأذواق ، وستموت أشياء ولكن ستولد بدلا منها اشياء اخرى اكثر تقدما . وستقوم اضرابات وسيتعطل عمال ولذا فلا بد من ادخال الاعتبارات الانسانية في هذا التغير . وسيرحب العمال به اذا كان لا يؤدى الى بطالتهم ولا يضر بهم . وهذا يمكن تلافيه باعادة تدريبهم وتسليحهم بالخبرات الجديدة والمهارات التكنولوجية اللازمة للتكيف الوظيفى وبتحقيق العدالة الاجتماعية التى هى سر حيوية الصناعة وشرط من شروط النمو المستمر . ويستطيع اليسار بفضل تمتعه بثقة الطبقة العاملة ، اذا تعاون مع اليمين ، أن يحقق مكاسب جمة عن طريق التشريع وأن يعيد توزيع الدخل في المجتمع عن طريق المفاوضات .

الاستثمار الانسانى

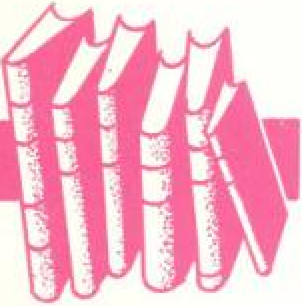
لقد حدثت القفزة الجبارة الى الامام في الولايات المتحدة ، لا لان الامريكيين أذكى البشر ، بل لان العوامل الانسانية ، كالقدرة على التكيف ،ومرونة تنظيماتهم ، والقدرة على الابداع لدى فريق العمل ، هى عندهم مفتاح نجاحهم . والسر في هذا النجاح يكمن في ثقة المجتمع في ذكاء ابنائه وقدرة مواطنيه على اتخاذ القرارات بانفسهم . وبالايمان بدور البحث كعامل مساعد على التغير ، وباعتبار الأفكار أدوات لتغيير العالم وليس حليًا للزينة . ولهذا كان تعليم الكبار في امريكا عملا استثماريا وليس عملا انسانيا بحتا ، فكثيرا ما يلحظ زوار الجامعات الامريكية انها مكتظة بالكبار الذين جاءوا يتزودون بمهارات جديدة .

وعلى العكس من ذلك في اوروبا ، فهناك احتقار لتطبيق الأفكار وهذا يتجلى في الصناعة وبالتطوير البطيء للابحاث وبندرة الابحاث الادارية وقلة الاهتمام بها . كما يستفاد من القوى العقلية كما يجب في مختلف الميادين . اما عن عدم الثقة في الانسان فحدث ولا حرج . فالفرنسي مثلا يشك في جاره ، وهو يفترض انالانسان عدوانى بطبيعته ولذا فقد حمى الفرنسيون انفسهم بشبكة معقدة من القوانين التى حدت من حريتهم وعطلت احداث التغير . وقصة انعدام الثقة بين اليمين واليسار معروفة . أما على الصعيد الحكومى فالموظف نظرا لانعدام ثقة رؤسائه به لا يستطيع ان يشترى مثلا آلة حاسبة بسيطة يحتاجها مع أن ثمنها تحت تصرفه ، وحتى لو كان قد وفر مبلغا لشرائها . كما أنه لا يستطيع ان يرسل زميلا له في مهمةخارج البلدة دون اذن مسبق . ورئيس اية شركة حكومية لا يعرف بالضبط ما هى سياسة الحكومة في مجال عمله .

ان الادارة الجيدة تتوقف على الثقة في نضج

الانسان وفي ذكائه . وهذه الثقة تعتبر المصدر الوحيد لسياسات ثلاث تشكل وحدة واحدة وتتالف من استثمار ذكاء الانسان وتحرير مبادآته ، والاختيار الواعي لمستقبله الجماعي . وبصدد استثمار ذكاء الانسان ، فلا خلاف في ان التاخر التربوي يصيب امكانيات اوروبا بالعقم . وأن التدريب المهني غير الملائم هو احد الأسباب الرئيسية لتحجر الصناعة الاوروبية . وأن فقر الابحاث يهدد اوروبا بالتبعية الاقتصادية . لقد حاولت اوروبا اصلاح هذه النقائص بزيادة مخصصات التربية ولكن لم تضع خطة شاملة لاستثمار القوى البشرية . ان المسألة ليست مسألة اصلاح تعليم بل هي اوسع من ذلك بكثير فهي تشمل تدريب الكبار لرفع كفاءة الموظفين الى ثلاثة امثالها ، وتخويلهم الصلاحية بتحميلهم المسئولية مهما اختلفت مستوياتهم . واتاحة الفرصة لهم لان يتعلموا ويفكروا ويعملوا . ■■

سبع ابو لبده



من الكتب التي وصلتنا

الدولة في السلم والحرب

تاليف : اللواء معن ابو نوار

الناشر : مطبعة القوات المسلحة الاردنية

● يحاول هذا الكتاب ان يوضح المفاهيم للدولة المستقلة والعناصر التي تشكل بمجموعها وعطائها القوة الحقيقية التي تتمتع بها الدولة ذات السيادة ، وهي الارض ومصادر الثروة الطبيعية والطاقة البشرية وعبقريتها والتقنية والعقيدة والنظام والمعنويات والقيادة .

فلا شك ان لكل دولة مستقلة اهدافا وطنية تسعى لتحقيقها من اجل خير شعبها وسعادته وتستخدم الدولة في سبيل ذلك جميع عناصر قوتها داخل حدودها ، وتلجا الى وسائل في سبيل تحقيق اهدافها الوطنية وهي الدبلوماسية والاعلام والحرب النفسية والحرب الاقتصادية والحرب ، وتستخدم وسيلة الحرب من قبل الدولة كآخر وسيلة ضغط لتحقيق الاهداف الوطنية ، ويتبع استخدام وسيلة الحرب تطبيق مبادىء معينة وهي المحافظة على الهدف والمحافظة على المعنويات والعمل التعرضي والامن والمفاجاة وحشد الجهد الى غير هذه الوسائل التي يريدها ويقيمها ويحافظ عليها متطورة الى الافضل والاقوى .

فلسفة الامام الصادق

تاليف : محمد الجواد الجزائري

الناشر : مكتبة الاتحاد بيروت – لبنان .

● يحاول هذا الكتاب ان يعرض حلولا لمشاكل رئيسية استعصت على الافهام زمنا طويلا ويسرت لنا السبيل لاقتلاع الشبهات حيث اختار المؤلف من كلمات الامام الصادق ايماءات الى تلك الحلول ، وقدم الى جانب ذلك ابحاثا مشبعة بالاستدلال على وجهات النظر التي ارتآها ويقول في مقدمة كتابه : ان علماء الطبيعة درسوا نواحي المادة دراسة عميقة وخبروا أحوالها واستطاعوا أن يبعثوا فيها روحا جديدة يوجهونها توجيها حيا ، ولكن الذي استهدفوه لا صلة له بالانسانية ومبادئها الروحية وانما هو مقصور على ما يقبل المشاهدة والتجربة ، لأن العلوم الطبيعية التي درسوها ليس من شانها ان تخولهم حق اليقين والقول الفصل في المسائل المعنوية ، فهم كلما اتجهوا وعملوا واستنتجوا في ميادين الحس وتعاليمه بعدوا عن الانسانية واهملوها .

ان عناصر المادة مهما تمين بعضها من بعض وتميزت لها اشكال وصفات وتطورت في ائتلافها ، وتعالت تراكيبها واستحكمت صورها فليست هي شيئا فيه كمال الغرائز الانسانية ، وأيا كان البحث في جوهر المادة وشؤونه فجملة ما نفهمه منه ان المادة آلة صماء يستعين بها الانسان في حملها لقواه التي بها تحصيل كماله ونيل سعادته.

الحرية والادب

تاليف : الدكتور عباس الجراري .
الناشر : مطبعة الامنية ــ الرباط .

● يدرس هذا الكتاب قضية الحرية والادب كما صاغها ادباء العربية في العهود الماضية وتحسس مواطن هذه الحرية وحصر معانيها وابعادها وتحديد رؤى الادباء لها ، كي يتناولها النقاش ويثار حولها الجدل ، فالامة العربية تجتاز فترة دقيقة وعصيبة من تاريخها ، لذلك فان الحديث عن الحرية لن يكون مجردا ونظريا بعيدا عن اى موقف لان الحرية من حيث هى قيمة ومبدا لا تختلف عند الناس ، وحتى عند اعدائها الا من حيث الموقف الذى يتخذونه ، وفكرة الحرية مرتبطةدائما بوضع الجماهير وتطلعاتها ومنبثقة من واقع المواطن فالامة تتاثر به وتؤثر فيه بعد ان تصبح حقيقة .

اغــراب

تاليف : ناثانيال بنشلى .
ترجمة : لجنة من الاساتذة الجامعيين .
الناشر : منشورات دار الافاق الجديدة .
بيروت ــ لبنان .

● ترجمة لقصة مختارة من نتاج كبار كتاب العالم المعاصرين تهدف الى فتح نوافذ ثقافية مضيئة لقراء العربية تطل بهم على آفاق عالمية ذات مستوى رفيع ، وتفتح امامهم مجالات جديدة للعلم والادب والفن لم يطلعوا عليها من قبل ، وتاخذ بدورهم الى مزيد من التفهم والمعرفة للعلوم والفنون الاجتماعية والسياسية والقانونية والاقتصادية التى دفعت بالامم من حولنا الى قمم عالية من الرقى والتقدم .

الاختزال العربى

تاليف : اسكندر لوقا .
الناشر : مكتبة اطلس ــ دمشق ــ سوريا .

● كتيب يتناول بالدراسة الاختزال على الطريقة العربية واهمية هذا العلم ودوره في حياة المثقفين والعاملين في دوائر ومؤسسات الدولة وحقول الاعلام فقد اصبح هذا العلم ضرورة ربما لا يصح تجاوزها كما يتناول مؤسس هذا العلم الاستاذ اسحاق بيتمان ومقتبس هذه الطريقة ومؤلفها باللغة العربية الاستاذ محمدمحمد على سالم ، ويلاحظ ان علاماته في اللغة العربية تشتمل على عشرين حرفا وذلك لان علامات الاختزال صوتية بمعنى ان الحروف التى تتشابه بالصوت تشترك كل مجموعة منها في علامة اختزال واحدة ومن السهل تمييز المقصود من علامات الاختزال الصوتية لمجرد معرفة معنى الكلمة في سياق الجملة .

شبه حول الاسلام

تاليف : سعدى عبد العزيز تميمة .
الناشر : مطبعة الاداب ــ النجف الاشرف .

● عنى هذا الكتاب بتنفيد ودحض الشبه التى الصقت بالاسلام في مجالات العقيدة او في مناحيه التشريعية ، فقد شن الغرب غزوا فكريا وحملات مضللة على العقيدة ، فاتهموا الاسلام بانه لا يصلح لمعالجة شئون الحياة ، وانه هو السبب في تاخر المسلمين كما زعموا ان الاسلام يناهض العلم ويدعو الى الجمود وسيادة الجهل .

والمؤلف هنا يرد على هذه المزاعم بصورة موضوعية مشيرا الى ما اثير حول الاسلام من شكوك واوهام فيحلل ابعادها ، ويكشف زيفها وبعدها عن المنطق ويدلل على ما ذهب اليه الاسلام من واقعية متسمة بالتوازن وخدمة الانسان في جميع مراحل حياته .

ليبيا قبيل الاحتلال الايطالى

تاليف : الدكتور احمد صدقى الدجانى .
الناشر : المطبعة الفنية الحديثة ــ ليبيا .

● يعالج هذا الكتاب فترة هامة من تاريخ ليبيا الحديثة تمتد ثلاثين عاما قبل الغزو الايطالى للبلاد عام ١٩١١ ، حيث كانت ليبيا ولاية عثمانية تعرف باسم ولاية طرابلس وتبدا هذه الفترة الهامة حين اصبحت طرابلس الغرب هى الولاية الوحيدة الباقية للدولة العثمانية في شمال افريقيا بعد ان احتلت فرنسا تونس عام ١٨٨١ واحتلت بريطانيا مصر عام ١٨٨٢ . وتعتبر هذه الفترة الهامة من فترات التحول في تاريخ ليبيا حيث كانت ليبيا خلالها وكجزء من منطقة الوطن العربى احتدم فيها الصراع بين قوى ثلاث ، قوة الدولة العثمانية وهى في صحوة الموت وقوة الاستعمار الغربى وهو في مده واوجه وقوة اليقظة العربية الصاعدة وهى في بداية تفتحها وبذلك تمثل هذه الفترة تاريخ ليبيا في الستين عاما الاخيرة فنجد فيها تفسير السياسة العثمانية وموقفها من الغزو ونجد فيها ما يسلط الضوء على السياسات الاستعمارية التى طوقت ليبيا خلال المرحلة التالية ونجد فيها جذور النضال الشعبى واليقظة العربية هناك . ■■

من غرائب القضايا

«فانوس» رمضان

بقلم : حسن الجداوى

■ قام بدور هام في هذه القضية « فانوس » صغير من النوع الذى يلعب به الأطفال في ليالى الكرنفال ، اذ يجوبون به الشوارع ، ويغنون الأغانى ، ويطرقون الابواب يدخلون بذلك المرح على سكانها ويتناولون ما يجود به السكان من الشراب وقطع الحلوى . بل قام هذا الفانوس بالدور الهام في هذه القضية ، فقد انارت شعلته الخافتة الطريق امام بوليس سكوتلانديارد ، كأنه كشاف قوى ، مكنه من اكتشاف الجانيين في قضية قتل غامضة بعد أن كان قد فقد الأمل في الوصول اليهما .

ذلك انه في صباح يوم ١٤ فبراير سنة ١٨٩٦ ، اى منذ ٧٥ سنة ، طلعت صحف لندن وبها خبر العثور على جثة السيد هنرى سميث البالغ من العمر تسعة وسبعين عاما ، والذى يقيم بمفرده في فلة يملكها باعلى مرتفعات مزّول ـ احدى ضواحى العاصمة ـ مقتولا بطريقة بالغة الوحشية باسفل الدرج الموصل للدور الثانى من الفلة .

وقالت الصحف ان السيد سميث هذا كان شخصا غريب الأطوار اختار لسكنه سكنا باطراف المدينة لا يجاوره سكن آخر . وكان ثريا يتحدث عن ثرائه ولا يخفيه ، ويسّره أن يشرح ـ لكل من هب ودب ـ انه يحتفظ بمنزله باشياء ثمينة نادرة ومبالغ كبيرة بخزانة حديدية متينة بغرفة نومه ، وانه حوّل منزله وغرفة نومه الى شبه قلعة يستحيل على اللصوص أن يقتحموها لما أودعه فيها من تركيبات تنطلق من تلقاء نفسها اذا ما حاول لص دخول المنزل او اقتحام غرفة النوم أو فتح الخزانة .

وكان هذا الحديث الذى يكاد يتكرر يوميا يتردد في مقهى المدينة حيث يجتمع حثالة القوم ـ ردّ السجون كما نقول ـ ولا يجرؤ احد منهم على الاقدام على تحدى السيد سميث . الى أن جاء الى المدينة مجرم عتيد اسمه فولر Fowler افرج عنه بعد تمضية ثلاثة ارباع المدة عن جريمة سرقة بالاكراه ، ووضع تحت مراقبة البوليس . واتجه صاحبنا فورا الى المقهى الذى يجتمع فيه امثاله ـ شأن الطيور التى على أشكالها تقع ـ فاستقبله روادها استقبال الأبطال ، واستمع الى حديث الفلة المنيعة وما بها من غنائم ، فسال لها لعابه ، واستغرب أن احدا من زملائه لم يفكر في اقتحام تلك التركيبات الميكانيكية التى وصفوها فانتوى في نفسه ان يثبت لهم العكس ووقع اختياره على زميل سابق له طالما شاركه في سرقات سابقة اسمه البيرت ميلسون .

* * *

كان ميلسون هذا يختلف اختلافا كبيرا عن فولر فبينما كان فولر عملاقا جريئا متهورا لا يبالى بالاخطار كان ميلسون قزما ضئيلا ضعيفا . قوته في تدبيراته وحسن تنظيمه لعمليات السطو التى يشارك فيها ويعد لنفسه دائما مخرجا . ولذلك فكثيرا ما اشترك في عمليات سرقة وسطو ولكنه كان يخرج منها كما تخرج الشعرة من العجين .. فلما اقترح عليه فولر أن يشاركه في السطو على فلة سميث وقال له ان تلك الاحتياطات موهومة وأن الفلة ليست جبال الهملايا ولا خزانة بنك انجلترا ، تردد ميلسون كثيرا ، لا اعتقادا منه باستحالة اقتحام الفلة ولكن لعلمه أن فولر لن يتردد في قتل مستر سميث اذا بدت منه بادرة مقاومة .. وهو ـ أى ميلسون ـ يحترف السرقة



.. اما فولر فقد ملأ جيوبه قدر ما استطاع مما خف حمله وغلا ثمنه وحرص على اخفاء كل اثر قد يدل عليه ونزل درجات السلم وفي يده « الفانوس » . ولكن رجله عثرت عند نهاية السلم ..

ولكنه ينفر من القتل لأنه لا يحب أن تتدلى رقبته من حبل المشنقة .

ولكن فولر أخذ يلح عليه ويغريه ويصور له سهولة المحاولة . وفي ذات ليلة بعد أن لعبت الخمر برأسه وجد ميلسون نفسه في نحو الساعة العاشرة مساء قد اجتاز — بجوار فولر — حديقة فللة السيد سميث في سهولة . واختبأ الاثنان وراء شجرة واخذا يرقبان الضوء المنبعث من غرفة النوم حتى انطفأ . ثم انتظرا حتى دقت الساعة منتصف الليل فايقنا أن ساعة العمل قد أزفت .

واتجها الى المنزل ولم يجدا صعوبة في دخوله. كسرا شراعة نافذة في الدور الارضي . وكان الظلام دامسا فاضاء ميلسون فانوسا صغيرا كان قد احضره من منزله وهو لعبة غلام صغير اسمه البرت ميلر* — اخ زوجته . وهو فانوس عادى — لعبة أطفال — ليس به علامات مميزة ، يوجد من مثله مئات الآلاف بين أيدى أطفال البلاد .. ولم يكن ميلسون يتصور ، حين ذهب للاشتراك مع فولر في جريمة سرقة ، أنه يحمل في يديه شاهدا صامتا سوف تفك عقدة لسانه — فيما بعد — وسوف يصرخ باسمه من فوق أسطح المنازل .

★ ★ ★

وفيما يشبه الظلام — لأن ضوء الفانوس الخافت لم يكد يضيء موضع اقدامهما — وجدا انفسهما اسفل السلم الموصل للدور الثانى . وقبل أن يضعا اقدامهما على أولى الدرجات سمعا حركة في الدور العلوى . فاصغيا بانتباه وايقنا أن السيد سميث قد احس بحركة في الدور الارضي واقبل — وفي يده شمعة — في طريقه ليهبط السلم . وتشاور اللصان فيما يحسن بهما أن يفعلاه . اما ميلسون فكان رأيه أن ينسحبا فورا ، وحجته انهما لو كانا قد وجدا سميث نائما لكان من السهل أن يمسك به احدهما ، بينما يتم الآخر فتح الخزانة والاستيلاء على النقود . أما الآن وقد استيقظ فالأمر مختلف جدا . ان ميلسون يعرف خطورة شريكه فولر . ويعرف أنه لن يتردد أو يتراجع . وحاول اقناعه بالانسحاب ولكن فولر — الذى أحس بأن الغنيمة في متناول يده ، أصم اذنيه وصمم على السير في الأمر حتى النهاية . وبدأ سميث يهبط درجات السلم . وعندها أسرع ميلسون بالهروب من النافذة التى دخلا منها وعاد الى الاختباء وراء الشجرة . بينما توارى فولر وراء السلم ، حتى اذا ما أصبح صاحب المنزل في محاذاته انقض عليه واطبق بيديه الغليظتين على رقبته ولم يتركه الا جثة هامدة .

ورأى ميلسون من مخبأه خيال فولر يتحرك في

غرفة النوم ، فادرك أن الجريمة التى كان يخشاها قد تمت . ومع ذلك لم يجرؤ على اللحاق بصاحبه وانتظر .

* * *

أما فولر فقد ملأ جيوبه قدر ما استطاع مما خف حمله وغلا ثمنه وحرص على اخفاء كل أثر قد يدل عليه ونزل درجـــات السلم وفي يده « الفانوس » . ولكن رجله عثرت عند نهاية السلم فسقط الفانوس من يده ووجد نفسه في ظـــلام كامل . ولكنه استرشد بتيار الهواء الداخل من الشباك الذى كسر شراعته واتجه الى الشجرة التى كان ميلسون مختبأ وراءها .

كانت الساعة قد بلغت الواحدة بعد منتصف الليل . ووصل الاثنان الى الطريق العام . ثم تذكر فولر الفانوس واراد أن يعود الى المنزل للبحث عنه ، ولكن ميلسون - الحذر ؟ - افهمه خطورة العودة الى المنزل وقال له ان الفانوس لا يختلف عن غيره من آلاف الفوانيس ولا يمكن ان يفيد البوليس منه . ذلك ان نظام الاحتفـــاظ ببصمات الأصابع للاسترشاد بها لم يكن قد انتشر .

* * *

وقصد المجرمان - وقد حشيا جيوبهما بالمال والجواهر ، الى مدينة ليفربول ، واستمتعا في الصباح بقراءة أنباء الجريمة التى حيرت بوليس انجلترا مما حمل مدير اسكوتلانديارد أن يتولى بنفسه مطاردة مرتكبيها .

ووجد المحقق نفسه أمام حائط مسدود ، والأثر الوحيد الذى يمكن الارتكان عليه - مع عدم وجود نظام بصمات الأصابع في ذلك الوقت هو ذلك الفانوس الذى يصنع بالآلاف لتسلية الأطفال والذى يوجد بكل بيت به أولاد . وبديهى أن الجريمة لم يرتكبها طفل أو طفلة . فلا فائدة من محاولة الاستعانة بهذا الفانوس ووضعه المحقق ضمن ملف القضية وكاد ينساه .

وفي ذات يوم - بينما هو في حيرته اخذ يقلب الفانوس بين يديه ولاحظ أن فتيلته ليست من الفتائل العادية وانها مقطوعة من فستان سيدة . واحس ان هذا خيط رفيع يمكن السير وراءه ولكنه رفيع لدرجة انه لا قيمة له ... الا بمعجزة وقد مضى عهد المعجزات .

ولكن المعجزة حدثت .

* * *

كان القانون يحتم على فولر - المفرَج عنـه تحت شرط - أن يبلغ البوليس عن تنقلاته حتى نهاية مدة العقوبة . ولكنه اختفى . وزميله الدائم ميلسون هو الآخر لم يعد يظهر في الاماكن التى اعتاد التردد عليها . افترض البوليس أن فولر لا بد يتردد على ميلسون فاوفد أحد رجاله لمنزل ميلسون لسؤال زوجته عن مكان وجوده . وسأل رجل البوليس زوجة ميلسون عن مكان وجود زوجها . وما كانت لترشد البوليس حتى لو كانت تعرف مكان زوجها ، فاكدت أنها لا تعرف مكانه . وكاد رجل البوليس ينسحب واتجه نحو باب الخروج ، فاذا به يسمع صوت غلام في الداخل يسأل أخته - زوجة ميلسون - ان كانت قد رأت فانوسا صغيرا اشتراه في الاسبوع الماضى ، وتركه في غرفة الاستقبال ، ولكنه لم يجده .

وكان الفانوس المفقود في جيب رجل البوليس ولكن رجل البوليس أدرك أنه لو أظهره فان الغلام - لطول مخالطتـه لزوج أختـه اللص المحترف - سوف يدرك أن في الأمر ما يريب وينكر أن الفانوس فانوسه . فاعتزم - فيما بينه وبين نفسه - أن يتخذ للأمر عدته .

عرف رجل البوليس من تحرياته أن الغـلام البير يتردد على دكان في الناحية يبيع مختلـف الأشياء ، فاتفق مع صاحبه - بعد أن أوضح له حقيقة الموضوع - أن يضع الفانوس في مكان ظاهر من متجره بحيث يقع عليه نظر الغلام بمجـرد حضوره الى المتجر . وتوقع أن البير سيدعى أن الفانوس فانوسه ويدلل على ملكيته له ويكـون رجل البوليس مختبئا يستمع الى تلك الحجج التى يبديها الغلام لاثبات ملكيته .

وصح ما توقعه فما كاد يقع نظر البير علـى الفانوس حتى قال لصاحب المتجر « هذا الفانوس فانوسي . فمن أين جاءك ؟» . وقال التاجر : «لا . ليس فانوسك . فقد اشتريته » . ورد البير متحمسا « بل فانوسي وبه علامات مميزة . » وقال التاجر « اية علامات ؟ » . وقال الغــلام.

لقد نظفته من الخارج بورقة سنفرة لا تزال قطعة آثارها موجودة به . وغيرت فتيلته . » وساله التاجر « من اى شيء صنعت الفتيلة ؟ » وأجاب الفلام « من قطعة قماش سلختها أختى من ذيل جلباب ابنها الذى يرتديه الآن . »

وكانت هذه الجملة كافية لاثبات التهمة على قاتلى مستر سميث .

* * *

ولكن ثبوت التهمة شيء وتنفيذ العقوبة شيء آخر . اذ لا بد من الامساك بالارنب قبل طهوه كما يقول المثل الانجليزى . ذلك أن المجرمين بعد ارتكاب جريمتهما قد أخذا يتنقلان من مدينة لمدينة ولا يستقران في مكان واحد ويغيران عملهما من مهنة لمهنة .. واستقر بهما المطاف ــ آخر الأمر ــ للعمل في سيرك متجول يقوم فيه فولر بدور العملاق الجبار القوى الذى يناسب جسمه وقوة عضلاته بينما يقوم ميلسون بدور المهرج .

ولكن عيون البوليس كانت لهما بالمرصاد . فقد اكتشفهما في مدينة (باث) وانتظرهما بقوة من رجاله حتى انتهت الحفلة بعد منتصف الليل وتتبعهما حتى منزلهما . وفي الساعات الاولى من الصباح اقتحموا المسكن ، وقام فولر فزعا من نومه وحاول أن يخرج من تحت وسادته مسدسا ، ولكن رجال البوليس بعد معركة عنيفة استطاعوا تكتيفه ووضع الحديد في يديه . اما ميلسون فاستسلم دون مقاومة .

* * *

وعند التحقيق بادر ميلسون ــ محاولا انقاذ رقبته ــ فاعترف بجميع الوقائع املا في أن يصبح شاهد ملك . اما فولر فحاول الانكار في البداية فلما اكتشف أن ميلسون قد اعترف بكل شيء أدرك ان اللعبة قد انتهت فحاول الانتحار مرة بعد اخرى ولكنه كان ينقذ في آخر لحظة لينال جزاءه الحق .

* * *

واكتظت قاعة اولد بيلى (محكمة جنايات لندن) بجمهور كبير جاءوا ليشهدوا محاكمة هذين المجرمين العتيدين اللذين ملأت أخبار جريمتهما صحف لندن . وعند النداء عليهما واقبل فولر الى قفص الاتهام ــ من السلم الموصل من السجن الى القفص ــ بقامته المديدة التى تزيد على المترين وجسمه الضخم ، سرت في الموجودين رعشة رعب وخوف . ثم جاء وراءه ميلسون قزما ضئيلا ازداد ضآلة بالمقارنة لزميله .

* * *

وقرأ كاتب الجلسة صحيفة الاتهام وسألهما السؤال التقليدى ان كانا يعترفان بالتهمة أو ينكرانها ، فأجاب فولر أنه غير مذنب ، وحدق في القاضي والحاضرين بنظرة ازدراء وسخرية . اما ميلسون فاجاب بصوت خافت لا يكاد يسمع أنه لا يد له في جناية القتل .

وبينما ممثل الاتهام ينسج في مهارة ودقة حبل المشنقة حول رقبتيهما كانت اعصاب ميلسون في حالة ثورة شديد لا يكاد يستقر على حال يراد به . يقف ويجلس . وعيناه تنتقلان بسرعة من القاضي الى ممثل الاتهام والجمهور ، وفي جميع هذه الحركات الهستيرية يختلس النظرة بعد الأخرى نحو شريكه في القفص ، بينما جلس فولر لا يهتم بما هو حاصل حوله كانما عرف النتيجة المحتومة واعتبر أن كل ما هو جار تحصيل حاصل وضياع وقت .

* * *

وكان محامي فولر يدرك أن مهمته عسيرة . فالموكل قد اعترف أثناء التحقيق بالتهمة . اما اجابته على سؤال المحكمة بانه « غير مذنب » فانما هى اجابة تقليدية ليمكن لمحاميه من المرافعة . اذ لو انه قال انه « مذنب » لما كان هناك مجال لمحاولة ممثل الاتهام اثبات التهمة ، ولما نوقش الشهود اثباتا ونفيا ، ولاقتصر الأمر على شرح الظروف المشددة أو المخففة للعقوبة .

وكان المخرج الوحيد لطلب البراءة ــ في حالة فولر ــ هو اثبات أنه لم يكن موجودا في مكان الجريمة وقت ارتكابها . وهو ما يسمى بالانجليزية Alibi .. أى دفع بالغيبة . والمجرمون العتاة يعرفون قيمة هذا الدفع ويعدون له العدة عند التدبير لجريمة او بعد ارتكابها .

لذلك اقترب المحامى من قفص الاتهام وسأل فولر بصوت خافت « اين كنت في ليلة الحادث ؟ » ورد فولر « لم اكن في اية جهة » . وقال المحامى « انتبه اليّ . هل تريد أن تموت شنقا ؟ » فقال فولر « لا » وقال المحامى « ان الدفاع الوحيد لك

ان تثبت انك لم تكن موجودا بمحل الجريمة عند ارتكابها » وأجاب فولر«ولكنني كنت هناك ولست مستعدا للكذب مهما كانت النتيجة » .

* * *

ومع ذلك بذل المحامي جهدا جبارا لاقناع المحلفين بوجود شك في ادلة الاثبات بقوله ان الدليل المادي الوحيد هو الفانوس (فانوس رمضان كما سميناه) الذي ثبت انه كان مع ميلسون ، وليس مع فولر ، وان ميلسون انما يكذب لينقذ رقبته . أما اعتراف فولر فكان تحت تأثير نوع من الاكراه بعد اعتراف ميلسون .

وهنا قد يتساءل القارىء ـ وهو السؤال التقليدي الذي يسمعه المحامون من غير رجال المهنة ـ « كيف يقبل المحامي على ضميره أن يطالب لموكله بالبراءة بعد ان يكون قد تأكد انه ارتكب الجريمة . والواقع ان المحاماة تكافؤ فرص . ومباراة يبذل كل طرف فيها قصارى جهده ليقنع الحكم(الذي هو القاضي او المحلفون) بحقه . فممثل الاتهام يقدم دليل ارتكاب الجريمة والمحامي يقف الى جوار المتهم ليثبت براءته ان كان مقتنعا بها او يدلل على أن أدلة الاثبات لا تكفي للحكم على المتهم ، ولكنه لا يحمل ضميره أن ينفي عن موكله ارتكاب الجريمة بل يكتفي بالتشكيك والشك يفسر دائما لمصلحة المتهم .

واختلى المحلفون الى غرفة مداولتهم لاصدار قرار لم يعد محل شك لدى كل من بالقاعة .وكان ميلسون ـ طوال فترة الانتظار ـ لا ينفك يلقي بنظرات خاطفة خائفة نحو زميله في القفص ، بينما كان فولر يحدق بعينيه في سقف القاعة كأنه لا يشعر بوجود ميلسون وينتظر صدور القرار بغير قلق .. وفجأة ـ وعلى غير توقع من الحراس، انقض على شريكه في الجريمة انقضاض الصاعقة وصرخ كالنمر المجروح وامسك برقبة ميلسون وطرحه ارضا . وبدأ يضغط بأصابعه الجبارة على رقبته وميلسون يستعطفه بصداقتهما القديمة ويقول له « يا عزيزي انك تقتلني » . ولم يكن فولر بحاجة لمن يقول له ذلك فهذا بالفعل ما كان يريد . فقد صمم على القضاء على صديقه الذي خانه وغدر به . ولكن رجال الأمن الموجودين بالقفص والذين بالقاعة تكالبوا عليه وحدث هرج ومرج . واختلط الحابل بالنابل وتطاير زجاج القفص المتين . وبعد جهد جهيد امكن تخليص ميلسون من بين براثن فولر وهو ينتفض من الخوف والألم وحاولوا انزاله الى السجن أسفل القفص . وعندما احس فولر أن فرصته للقضاء على غريمه ستفلت منه استطاع بحركة سريعة ان يفلت من أيدي حراسه الثمانية او التسعة الذين كانوا ممسكين به وهجم للمرة الثانية على ميلسون واستمر العراك بينه وبين الحراس نحو ربع ساعة حتى تمكن الحراس من تخليص ميلسون وابعاده، كما أنزلوا فولر الى السجن انتظارا لاتمام المحلفين مداولتهم وعودتهم الى القاعة .

* * *

وكان القاضي ـ اثناء تلك المعركة او المعركتين ـ التي لم يحدث مثلها في قاعة اولد بيلي ـ جالسا على كرسيه لا تنبض في وجهه حركة ولا تبدو من عينيه التفاتة ـ كأنه لا يسمع ولا يرى ولما عاد المحلفون الى قاعة الجلسة أمر باحضار المتهمين من السجن فجيء بهما في حراسة مشددة وقد وضعوا الحديد في يدي فولر . وازدحم قفص الاتهام بالحراس اليقظين وكان قرار المحلفين كما كان منتظرا ادانة للاثنين بغير ظروف مخففة .

وسأل القاضي المتهمين ان كان لديهما ما يقولانه حتى لا يصدر الحكم عليهما بالاعدام فقال ميلسون بصوت بين الأنين والانتحاب انه لا بد له في جريمة القتل . وسقط قناع المنجهية والعجرفة عن فولر فقلد ميلسون في قوله ثم اخذ يهذي باصوات غير مفهومة .

ووضع القاضي القلنسوة السوداء على رأسه ونطق بحكم الاعدام .

ويقول سير سيمور هيكس ـ الممثل البريطاني المشهور الذي تابع المحاكمات في اولد بيلي طوال خمس واربعين سنة ونشر مذكراته عنها ـ انه توقع ان القاضي سيشير في حكمه الى تلك المعركة ولكنه استمر في هدوئه وكأن شيئا لم يكن . وامر بالنداء على القضية التي عليها الدور .

■■

حسن الجداوي

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية

تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام في الكويت

أول يوليه ١٩٧٢

(٣٤)

ثلاث مسرحيات طليعية

قرافة السيارات • فاندو وليز • الشجرة المقدسة

تأليف : فرناندو أرابال

ترجمة : أحمد يونس

مراجعة : د. سيد حنفي

ستة من كبار النجوم يعزفون لكم في جوقة إن. إي. سي الموسيقية



20·TP1

[illegible]

8·TP1

[illegible]







20·G7D

[illegible]



12·TP11

[illegible]



23·Y94

[illegible]



17·P1

[illegible]

NEC ان.اي.سي

Nippon Electric Co., Ltd. Tokyo. Japan

الكويت -
في رأس الخليج العربي

ان الذي يجعل الكويت من أغنى دول العالم اليوم ليس موقعها الجغرافي فحسب ، وانما ثروتها المعدنية وازدهار العمران والتجارة فيها . ولمزيد من المعلومات عنها اتصلوا ببنك الكويت الوطني الذي يملك أضخم موجودات معلنة واكبر شبكة فروع في البلاد تقدم لكم كافة الخدمات المصرفية .

بنك الكويت الوطني ش.م.ك

تأسس عام ١٩٥٢

المركز الرئيسي ، صرب رقم ٩٥ الكويت الهاتف : ٢٢٠١١ (٢٠ خطا)

مؤسسات شقيقة :

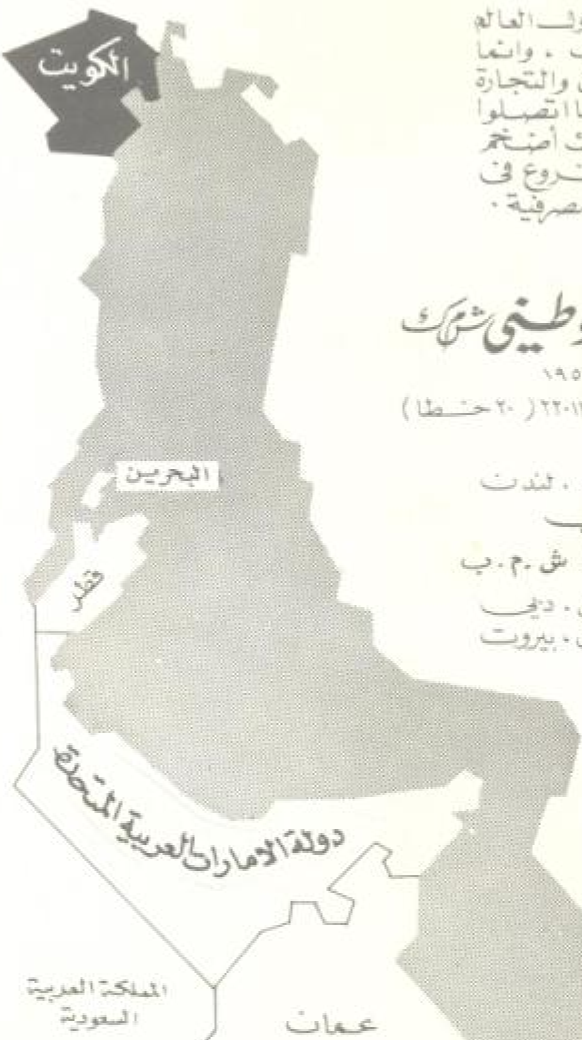
لندن : بنك الكويت المتحد ، لندن

باريس : بنك فراب

البحرين : بنك البحرين والكويت ش.م.ب

دبي : بنك دبي الوطني ، دبي

بيروت : بنك الريف ، ش.م.ل ، بيروت





أتيحوا الفرصة
أمام الصغير عبدالله!

الكآبة تسيطر على الصغير عبدالله، من لا يشعر بالكآبة أن يكون الإنسان في بيته، ولكن ليس في كل الوقت. إن الصغير عبدالله يريد أن يحول إنما يحيط به، أن يشاهد العالم، أو على الأقل أن يشاهد ما يجري على مسافة أميال قليلة. وهل هناك من وسيلة لإدخال السرور إلى قلب عبدالله أفضل من إتاحة الفرصة أمامه لقيادة سيارة نيسان الجديدة.



إنكم تعرفون كل شيء يتعلق بسيارة داتسون ذات الشهرة الواسعة، من حيث السلامة والاختبار الدقيق. إضافة إلى كافة انتصارات داتسون في السباقات العنيفة التي حققتها بسهولة، بفضل التفوق الهندسي.

وأثناء قيام عبدالله بجولته، فإن جيرانكم سوف يستمتعون أيضاً بالتناسق البديع الذكي جلب الشهرة لسيارات داتسون في أكثر من ١٢٠ بلداً مختلفاً، وجعلها مفضلة لدى الفتيان النشيطين في كافة أنحاء العالم.

أنتم وداتسون تشكلون انسجاماً رائعاً!

NISSAN MOTOR CO., LTD.

DATSUN

هل ترغب بمشاهدة التلفزيون في غرفة حارّة؟

هنالك عدة مميزات رائعة للتلفزيون الجديد النقال "جنرال" ١٤ انشاً ذو الأقنية UHF/VHF (موديل TH-14EV أو TH-14EU حسب التركيب) نذكر منها اسلوب الضوابط الأوتوماتيكي، الذي هو جزء من جهاز ذات متكاملة وليدة سبع سنوات اختراع.

فلقد أبدعت "جنرال" اسلوب التذبذب الأفقي الجديد والتجهيزات الضابطة الخاصة بمنع جميع انواع التداخلات الكهربائية، كالتشويش أو الضجيج الناتج عن مرور الطائرات أو استعمال الأدوات المنزلية الكهربائية، وبالتالي لتأمين صورة ثابتة تماماً. ومن جهة ثانية، فإن قناة الشاشة الرمادية اللون تؤمن لك صورة نقية واضحة حتى في الغرف الساطعة النور. إذاً فلا مجال لتعب العينين بعد اليوم. إن هذا الجهاز من "جنرال" يمكن ان يعمل أيضاً على بطارية ١٢ فولت بشرائك الأشرطة الاختيارية المعدة لذلك.

أما وقد اريتك الآن جهازاً تلفزيونياً رائعاً، فلماذا تشاهده في غرفة حارة؟ فهنالك جهاز ملطف الهواء الجديد "جنرال" AL-6502C ذي الطاقة الهائلة ١٥٠٠٢ BTU والتي تكفي لعدة غرف. إن ابرز ما نرغب في ان نذكرك به "جنرال" هو ان ضاغط الهواء في هذا الجهاز هو من نوع "تيكومسيه".

وتيكومسيه هي اضخم معامل الضاغطات الهواء في العالم، مع العلم ان الضاغطة هي قلب كل ملطف جيد للهواء.

أما الأزرار والمتانة، فلا مثيل لها. كما ان ضوابط هذا الجهاز الرائع موجودة في أسفل الزاوية اليمنى لسهولة الاستعمال خصوصاً إذا ما أردت ان تثبت الجهاز في الحائط.

أما الميزات الأخرى التي ستروق لك فهي اسلوب التغيير الأوتوماتيكي لإتجاه الهواء على ستة انابيب توجيه الهواء الى اية زاوية في الغرفة، واسلوب تنظيم الحرارة الأوتوماتيكي، والهدوء التام أثناء العمل، والتزامن في العمل بين الهواء المستنفد والنقي.



AL-6502C

TH-14EV

GENERAL

الجمهورية العربية السورية: ... دمشق، ص.ب ٩٥٤ ... **الإمارات العربية المتحدة**: الشركة الوطنية ... ص.ب ٧٣٦، أبوظبي.
الكويت: شركة الأعمار التجارية ... ص.ب ٢٨، الكويت. **البحرين**: ابراهيم ... ص.ب ٦٧٠، المنامة.
الدار البيضاء: ... ١١٤ شارع ... **ايران**: شركة ... رقم ٦ طهران.
ليبيا: ... ص.ب ٢٩٩٤، طرابلس. **قطر**: ... ص.ب ١٦٢٠، الدوحة.

حان الوقت لك للتمتع باقتناء راديو سوني



سوني هو تقريبًا اشهر اسم في العالم بالميدان السمعي. وهذا الجهاز هو احد اسباب هذه الشهرة. انه نقال فعلاً: فهو يزن ٤ ليبرات تقريبًا في حقيبته شبه الجلدية الانيقة السوداء. لكنك تجد فيه موجتين قصيرتين بالاضافة الى الموجة المتوسطة الاعتيادية. وبطارياته الثلاثة قياس " D " تعطيك طاقة ١ وات على الأقل كي تحصل على صوت رخيم فعلاً من الحاكي قياس ٤ انش. وفيه هوائي (انتينا) تلسكوبي لالتقاط الموجات القصيرة، وهوائي بشكل قطعة فيريت لالتقاط الموجة المتوسطة بوضوح. ما رأيك اذاً باقتناء راديو سوني؟... هذا الموديل، مثلاً

SONY سوني

فائدة
مرّتان فى السنة
مضمونة
طول السنة
عند فتح حساب توفير فى بنك لومبارد نورث سنترال

٦٪

ان حسابا للادخار لدى « لومبارد نورث سنترال » يؤمن فائدة حسنة ، مع ضمانة كاملة لراسمالك ، مما يؤدى لراحة بالك . ان الايداعات التى تخضع لطلب مسبق لسحبها قبل ستة اشهر تستفيد من ٦٪ فائدة سنويا . ويمكنك سحب حتى ١٠٠ جنيه استرلينى سنويا دون انذار مسبق . والفائدة تدفع كل ستة اشهر دون حسم اى ضريبة .

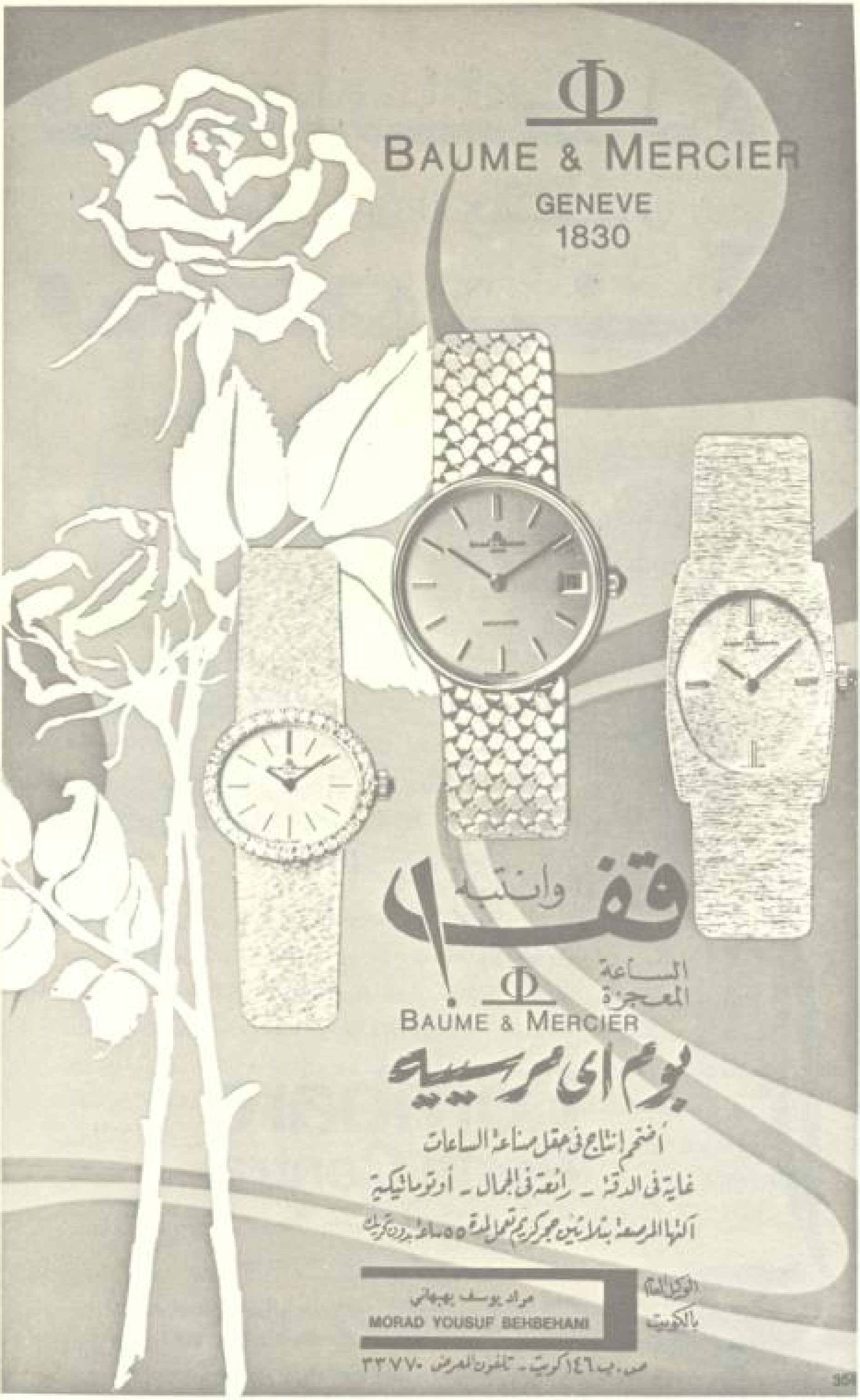
الايداعات من ٥٠٠٠ جنيه استرلينى وما فوق ولمدد محددة يمكنها الحصول على فوائد اعلى .

ويمكنك الحصول على مزيد من المعلومات عند الطلب . ان فتح حساب هو البساطة بعينها . اكتب الآن الى مدير حسابات الودائع لطلب معلومات اوفر ونسخة عن « حساب الادخار » كتيب رقم ١٨٢ A O

Lombard North Central
LIMITED

Head Office: LOMBARD HOUSE, CURZON STREET, LONDON W1A 1EU, ENGLAND.
Tel: 01-499 4111.
City Office: 31 LOMBARD ST., LONDON EC3, ENGLAND
Tel: 01-623 4111.

لومبارد نورث سنترال ليمتد عضو فى ناشونال وستمنستر بنك كروب الذى يزيد راسماله مع الاحتياطى على ٣٢٨،٠٠٠،٠٠٠ جنيه استرلينى .


BAUME & MERCIER
GENEVE
1830
قف وانتبه !
الساعة المعجزة
BAUME & MERCIER
بوم اى مرسيه
أضخم انتاج في حقل صناعة الساعات
غاية في الدقة ـ رائعة في الجمال ـ أوتوماتيكية
آلتها المرصعة بثلاثين حجر كريم تعمل لمدة ٥٥ ساعة بدون
الوكيل العام بالكويت
مراد يوسف بهبهاني
MORAD YOUSUF BEHBEHANI
ص.ب ١٤٦ كويت ـ تلفون المعرض ٣٣٧٧٠

النشرة الاعلامية رقم ٥٤ عن منتجات آكاي



لأول مرة رأس GX في مسجل كاسيت، رأس ثوري رائع، مصنوع من الزجاج ومن بلورة واحدة من الفريت، يدوم العمر كله ولا يعلق الغبار عليه، يقدم لك اداة رائعا خاليا من التشويه في مجالات الترددات المنخفضة والعالية على السواء بفضل فجوة قليلة العمق ترتكز حقل الانحراف في دائرة ضيقة.



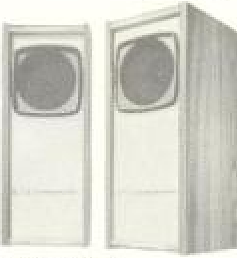
GXC-40

اداء صوتي رائع للكاسيت بفضل رأس GX

قابل بين مسجلنا الجديد الكاسيت الستريو GXC-40 وبين افضل المسجلات ذات البكرة المفتوحة، فنعشق مدى الحياة، المسجلات الكاسيت كما نصنعها ومن الميزات الرائعة التي يتمتع بها هذا الطراز من المسجلات، ستلاحظ خاصة مفتاحا خاصا لحذف تحريف الصوت حتى نسبة ١,٥ ٪ المذهلة (النسبة المماثلة لما تقدمه المسجلات ذات البكرة المفتوحة في السرعات المرتفعة)، ومحركا متزامنا ذا دوار خارجي، ومفتاحا خاصا بالشريط (يستخدم مع الشريط المصنوع من ثاني اوكسيد الكروم) يرفع تجاوب التردد العالي الى درجة مذهلة: ١٨,٠٠٠ هيرتز (± ٣ دي سي بل).

ولتحصل على الجودة المثلى في اداء الاصوات الطبيعية، ارفق بهذا المسجل الكاسيت الفريد من نوعه مكبران للصوت مدهشان... من طراز SW-35 JET STREAM قياس ½ ٥ إنش.

ولاشك ان اقرب بائع منك سيسره اثبات هذا الامر لك، بل انه قد يقترح عليك ان تلقي نظرة على جهاز التسجيل الكاسيت الستريو GXC-40D.



SW-35

اوديو وفيديو

AKAI®

AKAI ELECTRIC CO., LTD.
Ohta-ku Tokyo, Japan

20 CLASS A CIGARETTES

KENT

WITH THE FAMOUS MICRONITE® FILTER

للتمتع بأطيب الاوقات "كنت" نكهتها الذ.



دي لوكس ١٠٠ مليمتر أو كينغ سايز

وسيلتان سائغتان للتخفيف والتلطيف من آلام الامساك



إذا كنتم تعانون من الامساك فلا شك في انكم تعرفون تماماً انه يسبب لكم مضايقات شديدة فضلا عن كونه غير صحي . ولذلك يجدر بكم مقاومته باتباع الوسيلة السائغة واتخاذ « بروكلاكس » أو « بونومينت » . وبروكلاكس هو عبارة عن شكولاته مسهلة لذيذة . . . وبونومينت هو المضيغة (اللادن) المسهل اللذيذ المنعش امضغوا « بروكلاكس » أو « بونومينت » قبل النوم . وسوف تحصلوا على راحة تامة عند الاستيقاظ في الصباح . وفي الواقع يخفف « بروكلاكس » أو « بونومينت » الآلام أثناء الليل . وعلى الرغم من انهما لطيفان إلا انهما شديدا الفعالية والتأثير .

بروكلاكس وبونومينت من منتوجات شركة ريكيت وكولمان

احصـل على الصـورة كـاملـة بواسـطة تلفزيـون فيليبس

دع الصورة على شاشة التلفزيون تتحكم بقرارك عندما تعتزم شراء جهاز تلفزيون. فصورة التلفزيون الجيدة النوع، هي الصورة الناصعة الحادة التي تمكنك من رؤية كل التفاصيل. ثم انها الصورة الثابتة تماما التي لا تتعب عينيك. كل هذا تحققه لك وبافضل شكل، شاشة تلفزيون فيليبس. الا ان فيليبس تقدم لك الكثير غير هذا. تقدم لك التصميم الجذاب الرائع. الق نظرة لتتأكد من ذلك على جهاز × ٢٤ ت ٦٨٤ بهيكله الخشبي الفاخر وبابه الجرار الذي يغطي الشاشة في حالات عدم استعمال الجهاز. ثم تقدم لك الصيانة السريعة الناجزة المتميزة بخبرة فنية وشبكة عالية لا تضاهى. كل هذه الخصائص جعلت من صورة تلفزيون فيليبس الصورة الكاملة.



PHILIPS

عندما تكون مصرفاً عالمياً
سريع الحركة مثل تشيس
فانك ستعرف حتماً جميع السُبُل الى أسواق الاستيراد والتصدير

في الأسواق السريعة الحركة التي يتميز بها هذا العالم عليك ان تكون مستعداً للذهاب الى أي مكان في أي وقت وبأية طريقة ، (حتى بالقارب !) . وبما ان تشيس لديه الخبرة (لدينا أكبر حصة من الضمانات المالية في بنك الاستيراد والتصدير) ، فاننا نعرف أفضل السبل لتمويل عمليات الاستيراد والتصدير . وفي مقدور خبرائنا في التجارة الدولية ومدرائنا الفنيين توفير المعلومات التي تحتاجها للتعامل في الاسواق الدولية . انهم يعملون معاً ليرشدوك الى أماكن الشراء والبيع . اتصل بالموظف المختص في تشيس ليساعدك . تشيس ... هو المصرف الذي يحرك الاحداث . ولا تنس أن لك صديقاً في

بنك تشيس منهاتن
THE CHASE MANHATTAN BANK
NATIONAL ASSOCIATION

المقر الرئيسي : – 1 Chase Manhattan Plaza, N.Y., N.Y. 10015, U.S.A.

فرع بيروت ومكتب الممثل في الشرق الأوسط وشمال افريقيا : شارع رياض الصلح ، ص.ب. ٣٦٨٤ ، بيروت ـ لبنان الهاتف : ٢٥١٥٨٠

بنك مشترك في دبي والخليج العربي : بنك دبي التجاري المحدود ، ص.ب. ١٧٠٩ ، دبي

فرع البحرين ص.ب ٣٦٨ (الافتتاح ديسمبر ١٩٧١)




RADO
RADO
MON 15
NCC 101
دياستر
٨
رادو
نموذجان
فريدان
انتصاران
عالميان
رادو
الساعة الوحيدة في العالم
الغير قابلة للخدش
UNIVERSE KUWAIT
أينما كنتم : اطلبوها من الوكيل المعتمد



مارلبورو

رمز الجودة

Soft Pack or Flip Top Box.

أفخر سجاير كنج سايز فيلتر

AMERICA'S FINEST FILTER

A quality product of Philip Morris Inc. Richmond, Va., USA

تبريد المكاتب والمتاجر
لزيادة الكفاءة في العمل وارتياح الزبائن



التبريد المريح يزيد من نشاط موظفي مكاتبكم واتقانهم للعمل. كما أن زبائنكم سيجدون المتعة في التردد إليكم. إن مكيفات سانيو الجبارة يمكنها توفير التبريد الذي تحتاجون اليه. ان الموديل SA-168 BK ، مثلاً ، بامكانه تبريد غرف كبيرة تتراوح مساحتها من ٢٢٥ – ٥٤٠ قدم مربع ، إذ تبلغ سعته ١٨,٠٠٠ وحدة حرارية "BTU" إن كثيراً من المميزات في تشغيله تؤمن خدمة ممتازة وعدم حدوث اعطال.

ان التحكم في الحرارة يتم بواسطة جهاز الثيرموستات كما أن التحكم في توجيه الهواء يتم بواسطة روافع ثنائية. ويمكن تشغيله باستخدام المروحة العالية أو الخفيفة ، وبالتبريد العالي أو التبريد الخفيف ، للحصول على الجو الذي يلائمكم.

للحصول على الربح الوفير والراحة التامة ، حسنوا الأجواء المحيطة بكم واتصلوا اليوم ببائع منتجات سانيو.



A.A.A./S/72

SANYO سانيو

SANYO ELECTRIC TRADING CO., LTD. Japan

سانيو الكتريك تريدنغ كومباني ، ليمتد . اليابان .

العربي

العدد ١٦٥
جمادى الآخرة ١٣٩٢
اغسطس
(آب) ١٩٧٢



سد الفرات حاضر سوريا ومستقبلها

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢ دينار

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

● هذا هو المعطف الملكي الذى ارتداه الامبراطور روجر الثاني اثناء تتويجه ملكا على جزيرة صقلية سنة ١١٣٣ م . وروجر الثاني هذا ، هو ابن الكونت روجر الاول ، القائد النورماني الذى انتصر على العرب ، وطردهم من صقلية ، بعد ان امتدّ حكمهم فيها نحو مائتين وخمسين سنة : (٨٣١ – ١٠٧١) .

والصورة التي تراها مطرزة بالذهب وسط المعطف الاحمر انما ترمز الى ذلك النصر الحاسم . فالأسدان اللذان يمثلان النورمان قد انقضا على الجملين اللذين يمثلان العرب ، واخذا في افتراسهما .

الا ان هذا النصر النورماني العسكرى اعقبه نصر عربي حضارى لا يقل عنه خطورة ، فالحضارة العربية في صقلية اصابت من الازدهار والتألق ايام الملوك النورمان مثلما اصابت ابان الحكم العربي ، او يزيد . ويصدق هذا بخاصة على الامبراطور روجر الثاني ، وقد اتقن لغة الضاد وبلغ من تعلقه بالفلسفة والآداب العربية ، ومن اقتفائه اثر المسلمين في عاداتهم وتقاليدهم ، ان اعتبره البعض من رعيته نصف مسلم ، واعتبره آخرون في عداد الكافرين ، وحسبنا ان نذكر ان الادريسي ، الجغرافي العربي الشهير ، كان من بين المفكرين والعلماء العرب الذين اجتذبهم روجر الثاني للعيش في بلاطه ، والعمل في كنفه .

ولعل في ذكر سنة ٥٢٨ هـ على المعطف بدلاً من ١١٣٣ م دليلا على اعتماد الملوك النورمان التقويم الهجرى عوضاً عن الميلادي وعلى مدى تأثرهم واخذهم بالحضارة الاسلامية .



عزيزى القارئ

سألنا سائل :

قرأت ان الجمهورية العربية اليمنية اعادت علاقاتها مع الولايات المتحدة . واعادت الولايات المتحدة اليها ما كانت تعطيه اياها من معونات. وقرأت كذلك ان الجمهورية السودانية الديمقراطية توشك أن تفعل مثل ذلك . وقالت انها ستفعل ذلك بسبب ١٨ مليون دولار وهبتها امريكا للسودان لاسكان العائدين من أهل الثورة الجنوبية السودان .

فما بال الدول العربية الاخرى لم تفعل مثل ما فعلت هاتان الدولتان العربيتان الصميمتان، أم أن هناك فى السياسة امورا تجل عن فهم سواد الناس من أمثالي ؟

ونحن بدورنا نسأل السائل : انت اذا غضبت من صاحب لك ، فماذا انت فاعل به ؟ تقطع لا شك علاقاتك به . ثم يمضى الزمن فتعود المياه الى مجاريها ، ولو كدرة ، وهذا ما حدث بالضبط بين بعض الدول العربية وأمريكا الامبريالية .

فانت ان اقتنعت بما نقول ، وبصحة ما نقول ، فى هذا القطع ثم الربط ، فانت لك من الحظ الدنيوى والذكاء الفطرى شىء عظيم ! ذلك الحظ الذى نسميه سهولة الاقتناع بظواهر الأمور .

٥/٧/١٩٧٢ المحرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

اسلاميات :

لغة وآداب :

عروبة :

استطلاعات مصورة :

طب .. وعلوم :

ركن الأسرة والمرأة :

تاريخ .. وتاريخ اشخاص :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

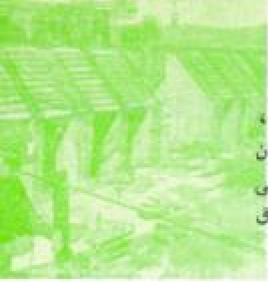
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 165 Augest 1972 P. O. Box 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ــ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ــ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● في محطة توليد الكهرباء بسد الفرات في منطقة الطبقة بسوريا ، وقفت مهندسة الامن الصناعي مع أحد زملائها المهندسين السوريين يدرسان تقريرا في موقع العمل .. انها المهندسة السورية الوحيدة التي تشرف على سلامة العمال والمهندسين وتحذرهم من خطر الاصابات اثناء العمل وطرق الوقاية منها ..

(اقرأ الاستطلاع صفحة ١٠٨)

تربية وعلم نفس :

فلسفة :

شعر .. وشعراء :

اجتماع :

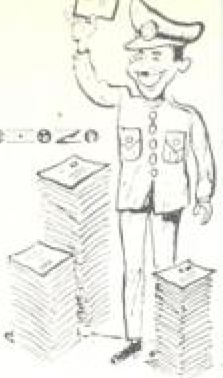
كتب :

قصص :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطري . البحرين ٢٠٠ فلس بحريني، العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش، تونس ٢٠٠ مليم، الجزائر ٢ دينار جزائري، المغرب ٢ درهم، اليمن ٢ر٥ ريال، ليبيا ١٥٠ درهما، جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس.

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت – ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



بريد القراء

عبد الخالق حسونة

● شعرت ان لا بد ان ارسل لك هذا ، وانافي سورة احساسي بالتقدير لموقف كريم وقفه ، لم ار غيرك قد وقفه ، واعني بذلك افتتاحيتك في مجلة « العربي » التي وصلتني اليوم ، تقديرا للاستاذ عبد الخالق حسونة . انا واثق ان كلمتك ـ وخصوصا انها منكم بالذات ـ سوف تكون بلسما على قلب وروح هذا الرجل الكريم . انالا اعرفه شخصيا ، ولكني اعرف « الانسان » ، واستطيع ان اقدر ما يحتمل في اعماقه حين يشعرفجاة ان ظلام الجحود والنسيان قد لفه باسرع مما يتصور ، ويتصور له الناس ، وقد كان ملءالسمع والبصر . ثم اعرف الانسان النبيل الذى يهتز حسا ورهافة وانسانية ، فيقدر من اهمل ،ممن وجب عليهم الا يفعلوا . فيقف وحيدا في ميدان الانسانية الرفيعة .. انسانا ، حفظك اللهلنا ورعاك .

محمد داود التنير

استاذ بكلية طب الاسنان / جامعة القاهرة

★ ★ ★

بلاد المهرة .. والصور الملونة

● انني اتابع مجلتنا الحبيبة ـ العربي ـ من خلال ما تقدمه من مقالات وموضوعات شائقة خصوصا عن وطننا العربي الكبير ، فحمدت الله كثيرا على ما وصل اليه هذا الوطن من تقدم ، غير أن هناك جانبا آخر ما زال مظلما وهو بحاجة الى نور ، ففي استطلاعكم عن بلاد المهرة عدد ـ ١٥٩ ـ قدمتم صورة عن ذلك الجانب الحزين الذي ينقلنا ونحن في هذا القرن الى عصور الكهوف والرعي وحياة البداوة . فشكرا لكم على هذا الاستطلاع .

وبهذه المناسبة اقول انني لاحظت في الآونة الأخيرة أن بعض الاعداد من مجلتنا الزاهرة لا تكون الصور الملونة فيها واضحة فهي في صفحات لا ترى فيها الا سطحا ملونا بالوان مبعثرة هنا وهناك . كان ذلك في العددين ١٥٧ و ١٥٩ .

زياد عبد القادر طربية/الاردن

العلم اولا

● ان ما اخذت الاحظه على مجلة العربي هو ان مواضيعها الأدبية والتاريخية أخذت تتوسع على حساب المواضيع العملية في وقت اصبح فيه العلم اساس كل شيء في حياتنا الحاضرة . رجائي هو الالتفات الى هذه الظاهرة .

طالب عبد الناصر الدليمي

العراق / محافظة الانبار

بعض الأعداد خلت من الموسوعة العلمية

● ارجو عدم الغاء احد الأبواب الهامة وهو « في سبيل موسوعة علمية » لأني لم ار ذلك الباب في اعداد العربي . واقترح ان تقدموا لنا في « مكتبة العربي » الكتب العلمية المترجمة لفائدتها الكبرى . وان تعيدوا ركن الذرةوالفضاء.

رشيد زيات / صور

ضاعفوا أعداد العربي
نـــداء من العراق

● اننى اشكو من قلة اعداد العربى التى تصل الى العراق ، ولولا الصداقة التى بينى وبين صاحب المكتبة التى توزع العربى في احد احيــاء بغداد ، لما استطعت ان احصل على اى عـــدد من اعدادها .. ضاعفوا ما تطبعونه وتوزعونه من هذه المجلة ، جزاكم الله خيرا .

محمد رشيد ــ بغداد/العراق

•• ومن سوريا

● لا تكاد العربى تنزل الى الاسواق حـــتى تنفد بعد ساعات من ظهورها ، وتكون النتيجـة ان يحرم منها العديد من القراء الذين ينتظرون صدورها بفارغ الصبر .. ولقد رجونا ، وما زلنا نلح في الرجاء ، ان تزيدوا ما ترسلونه من نســخ للقطر السورى ، فهل من مجيب ؟ . قولوا لنا بالله عليكم ماذا نفعل لنضمن الحصول علــى العربى ؟

سليم سامح ــ حلب/سوريا

•• ومن الجزائر

● الى متى نبقى محرومين من مجلة العربى ، منهل العلم بما تحمله كل هذه الكلمة من معان ، اننا اذا رأينا عددا منها او عددين لم نر بقيـــة اعداد اشهر السنة كلها .. واذا وصل العدد جاء بعد موعد صدوره بخمسة او ستة أشهر !!

قاسمى عبد الرحمن
الواحات / الجزائر

•• ومن الاردن

● نرجوكم رجاء حارا ان تضاعفوا الكميات التى ترسلونها من العربى الى الاردن ، حتى يســهل على القراء الحصول على هذا الزاد القيم الحبيب .. اننى أشترى العربى بعد جهد جهيد ، انني اقرأ العربى ، ويقرؤها معى عشرة او عشرون من اصدقائى ومعارفى ، وعندما تعود الى في النهاية تكون قد بليت وتمزقت صفحاتها الحبيبة ، فاحاول ان اصلح منها بقدر ما أستطيع ، لكى أضمها الى مجموعتى التى تحوى كل اعداد العربى منـــذ صدورها .

جهاد عبد الحميد
عمان / الاردن

•• ومن مصر

● لقد أصبحت العربى جزءا لا يتجزأ من حياتنا ، فنحن نترقب صدورها ، وننتظر وصولها من البلد الشقيق الكويت ، ولكنها لا تكاد تظهر في اكشاك بيع الصحف ، حتى تختفى .. فالمعروض منها أقل بكثير من الطلب عليها .. وكم من مرة اضطررنا لدفع ضعفى ثمنها لكى نضمن حجــز نسختنا قبل نفادها . هل من وسيلة لمضاعفة الكميات التى ترسلونها الينا ؟

طلعت فهمى/ القاهرة

•• ومن اليمن

● العربى لا تصلنا .. وان وصلت ، جاء موعد وصولها متأخرا جدا .. بعد مضى شهر أو شهرين على صدورها ، وكثيرا ما يرسلون الينا عددين في وقت واحد .. وان هى الا لحظات قصيرة ، حتى تكون العربى قد اختفت تماما من الاسواق بعــد ظهورها الخاطف ... نرجوكم أن ترسلوا الينا المزيد من أعداد هذه المجلة الحبيبة ، حتى لا نحرم من قراءتها .

محمود اسماعيل
صنعاء ــ اليمن الشمالى

الزعامة والزعماء

لا يصلح الناس

بقلم رئيس التحرير

■ **هذا بيت شعر مشهور :**

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

والسراة من كل شيء أعلاه . وسراة الجبل قمته . والشاعر كنى عن سراة القوم بالقادة والزعماء . والزعيم من زعم على القوم . وأزعم عليهم وتزعم ، فهو زعيم ، تقدم وهم تبعوا ، وترأس عليهم وهم أطاعوا .

فى كل خلائق الله زعامة

والزعامة بهذا المعنى تجدها فى كل فئة من فئات الناس ، بل احسب انك واجدها فى كل الخلائق ما كان فيها مجتمع يجتمع فيه أفراد ، ويحيون فيه حياة متواصلة متعاونة .

انا انظر الى قطيع الغنم وهو سائر الى مرعاه ، فأجده يتقدمه واحد منه ، والبقية تتبع . وليس هذا الواحد هو

- من الزعامات ما حلّت بها الكوارث والنكبات
- فى كل خَلْقٍ من خلائق الله زعامة وزعامة فى الناس، خافية وصريحة
- الزعامة تكون فرضًا والزعامة تكون طوعًا

فوضى لا سَراة لهُم

- صفة الزعيم زعيم الطّوع وزعيم الفَرْض
- زعامات بلغت فى شعوبها مكانا قُدسيًّا
- قدسية الزعامات تسبقها نفسية مواتية فى الشعوب

الرجل الراعي ، ولكنه الخروف الذكر ، وهو غالبا ذو قوة ، وذو ضخامة وذو قرون عظيمة .

وانظر الى طائفة من الطير فى السماء ، ترود مطعما ، او ترود فى المساء مستراحا ، وهي عشرات ، أو وهي مئات ، فاجدها يتقدمها طير منها ، هو السابق ، وهو الهادى ، وهو المتحسس لما تطلب من حب حقل أو وارف شجر ، ويطير قدما فتسير معه قدما ، وينثنى ، فتنثنى جميعا ، فكأنما هي خط يرسمه قلم واحد على صفحة السماء .



قطيع الغنم ، يتقدمه واحد منه ، والباقي يتبعه

فهذه هي احيـاء الارض . وهذه هي احياء السماء . بقي أحياء الماء .

والأسماك عرفنا عنها ، لا سيما عندما يحين فصل انسالها ، انها تخرج تطلب من البحر مواضع معلومة معروفة تضع فيها بيضها . وتخرج الى هذه المواضع باحتفال عظيم ، كأنما هو الحج الى بيت الله . وهي غاية قدسية لا شك فيها . بعض خلق الله يريد ان يمدّ في خلقه ، ويزيد في نسله . وتخرج الاسماك الوفا مؤلفة ، يسبقها سـابقٌ فردٌ وحده ، وهي تتبع . زعامةٌ لا شك فيها .

زعامة ضلت الطريق

لقد حكى علماء الحياة عن طائفة كهذه، من السمك ، خرجت ترتاد مضـاجع لذريتهـا ، آلافا مؤلفـة وراء آلاف . وأخطأ الهادى أو أخطأ الهداة ، فدخلوا الى بحيرة ماء ، قليلة محصورة . وظل السمك يتبع رغم الضـلال ثم يتبع . حتى اذا امتلأت هذه البحيرة الصغيرة بهذه الأعداد الكبيرة ، لم يكف السمكَ ليتنفس ما في الماء من هواء ، ولم يكفه ما في الماء من غذاء . وعزّ عليه الخـروج فمات جميعه .

زعامةٌ ضلت الطريق .

الزعامة منتشرة في الناس ، وحيث لا نظن ان هناك زعامة

انه اذا اجتمع اثنان معا فاكبر الظن



والطير في السماء، يتقدمها طائر منها، هـو السائق ، وهـو الهادي



السمك ، الذى ضل قائده ، فدخل به الى البحيرة التى لا مخرج لها ، فمات جميعه

ان احدهما سيتصرف تصرف الزعيم ، بينا الآخر يتصرف تصرف التابع .

ويضربون المثل فى ذلك بالقصة الشهيرة قصة ربنسن كروزو Robinson Crusoe وهذه القصة تحكى عن كروزو انه رجل تحطمت به سفينة فى البحر قرب جزيرة صغيرة ، ونجا هو بان بلغ هذه الجزيرة ، وعاش بها وحده . ثم تجرى الحوادث فينضم اليه رجل من قوم غزاة ويعيش معه . وسماه جمعة لأنه نزل اليه فى يوم جمعة .

واذ انضم جمعة الى كروزو ، فقد تكون منهما مجتمع ، ولو من اثنين . واذن فزعيم ومزعوم عليه .

معنى هذا ان بكل جماعة انسانية زعيم ، مهما صغرت الجماعة . وهو زعيم ، سموه زعيما ، او سكتوا عن تسميته . انها زعامة خافية .

واصغر المجتمعات ، الأسرة ، فالأسرة لها زعيم ، هو الأب الزوج .

وكل رجل فى عمل من اعمال الحياة ، فى مجتمع ، هو زعيم او يتبع زعيما . هو زعيم فيمن دونه . وزعيمه من هو فوقه ، فى كل كدر منتظم من كدور الحياة .

الذين يحفرون الأرض فى الطريق لهم من بينهم زعيم ، ليس هو مهندس الطريق .

والجند فى الميدان ، وقبل الميدان ، لهم من بينهم زعيم .

الزعامة قد تكون فرضا ، وقد تكون طوعا .



ولم اجد احدا اطوع لزعامة، من الشعب لرجال الشرطة

الزعامة تكون فرضا

فالجندي الذي ذكرنا ، له الضابط الزعيم ، يفرض عليه ذلك الزي العسكري الذي يلبسه الضابط، وما على كتفه من نجوم . والزعامة في الجيش طبقات يفرضها ما على اكتاف الرجال من شارات .

والفرض لا يستفاد منه عدم الرضى ، او انه الغصب . فالجندي يتقبل هذا الفرض كما يتقبل المزارع المطر ينزل اليه من السماء في حينه او غير حينه . والجندي يطيع الامر حتى الكريه، وليس اكره للنفس من التعرض للموت . ومن اجل هذا هم يعودونه على قبول هذه الزعامة ، وعلى هذه الطاعة بالتدريب الكثير . وهو تدريب جثماني ونفسي في آن واحد . والنفسي منه يتعلق بالطاعة والاستجابة الى الامر .

والممرضة بالمستشفى، بل والممرضات جميعا ، لهن الطبيب زعيما . اعط هذا المريض حقنة في جلده ، وارقمي درجة حرارته كل ٣ ساعات ، وعدّي ضربات قلبه . اوامر من الزعامة تجيب عليها الممرضة بنعم ، واستجابة يفرضها لباس الممرضة الأبيض ، وشارة التمريض التي قامت فوق جبهتها . كما تفرضها تلك السماعة التي يدور بها الطبيب على مرضاه ، وطرفاها عالقان برقبته .

وكرجل الجيش ، وكممرضة المستشفى ، رجل الشرطة . ولم اجد احدا اطوع لزعامة من الشعب لرجال شرطته . رجل شرطي واحد يقف في الطريق المزدحم بالناس ، فيه الغادون الف ، والرائحون الف ، ويرفع ساعديه يسدّ بهما الطريق ، فتشل الحركة من كل ماش على الأرض . واين السلطة في هذه الزعامة ؟ هي سلطة تلك السترة السوداء ذات الأزرة النحاسية الصفراء .

والزعامة في الدولة هي عادة زعامة فرض . فرئيس الدولة الزعيم الأول . يليه رئيس وزرائه ، وهو يتزعم الوزراء زعامة واجبة عند الطرفين . والوزير زعيم وكلائه . والوكلاء زعماء اداراتهم . وهلم جرا . والزعامة افعل كلما كانت اقرب ، وهي اضعف كلما بعدت .

فالمدرس احسُّ بزعامة ناظر مدرسته منه بزعامة وزير تربيته .

وكل هذه زعامات رسمية ، الزعامة فيها مرتبطة بالطاعة ، وكلاهما فرض واجب .

والزعامة تكون طوعا

وقد اسميها زعامة مكتسبة ، كسبها الزعيم بحكم ما فيه صفات ، وكسبها دون ان يسعى اليها . فهي مفروضة عليه هو ، اما عن التابعين فهم فرضوها له على انفسهم ، طوعا .

وهذه الزعامة أشد الزعامات مسلكا .

ان الزعيم يكتسبها عادة فى المجال الحر بين فئة من الشعب احرار ، او فى الشعب كله ، لصفات فيه ، تعطيه السلطة ، او تلف حوله التابعين رجاءً ومحبة . وهي فى هذه الحالة سلطة متصلة بشخصه لا بوظيفة يتقمصها . ويحبه الناس ، ويزدادون له حبا ، وهو يحس بذلك او لا يحس فيزداد لشعبه او لفئته خدمة ، وتتحقق له الزعامة بدون قانون وبدون مرسوم .

صفة الزعيم

هما زعيمان ، زعيم يكون فرضا ، وزعيم يكون طوعا . او هو زعيم داخل الحكم ، وزعيم خارجه .

اما الزعيم الناجح داخل الحكم فاكثر صفاته المؤهلات الفنية ، ثم صدق النية فى ادائها . ثم الخلق الانساني الحميد ، وهو الذى ينطوى على العدل والرحمة معا .

اما الزعيم الذى يكون بالطوع فقد جرت فى البحث عن صفاته ابحاث احصائية كثيرة ، لم اجد فيها ما يشبع . وكلها صفات حميدة ، ولكن ليست كلها مما يقنع . والسبب فى ذلك اختلاف الزعماء فى الأمم ، واختلاف ظروفهم وظروف اممهم واختلاف اوضاعهم



من الشروط اللازمة لنجاح الزعيم الصدق فى الدعوة ، ثم المجازفة فى غير سفه



روبسبير



نابليون

ومشاكلهم . ولكن يصح ان نقول ان من شروطهم اللازمـــة للنجاح الايمان بما يدعون اليه ، والصـدق في الدعـوة ثم المجازفة في غير سفه. ثم معرفة الشعوب وطرق استمالتها ، وليس طـريق ذلك دائمـا بالطريق المستقيم ، فالزعامة بين الشعب تحتاج الى مرونة . اخيرا وليس آخرا ، اللسان الفصيح ، والصـوت الضخم الذي يحمل حرارة العاطفة حينا، كما يحمل برودة المنطق حينا .

عندما يتحول زعيم الطوع الى زعيم الفرض

والزعيم الذي يكون طوعا ، في المجال الحر ، كثيرا ما يتحـول فيلبس ثياب الحكم ، لأن الحكم وسيلة .

وكذلك فعـل هتلـر ، وكذلك فعل موسيليني ، وكذلك فعل لينين ، وكذلك فعل نهرو . وكذلك فعل الكثير من زعماء الشرق .

وهم بذلك جمعـوا الى السـلطة الشخصية التي دان بها الناس لهم قبل ان يعرفوا ما الحكم ، السلطة الحكومية التي هي سلطة الحكم .

ومن الزعماء من ارتفعوا بزعامتهم عن ان تكون فرضـا . ومن هؤلاء غاندى ، فقد ظل رئيسا روحيا الى ان اغتاله من اغتال .

زعامـات بلغت في شعوبها مكانا قدسيا

وهي زعامة اطلق عليها علماء السياسة وعلماء الاجتماع لفظ كارزما Charisma واقرب ترجمة لهذا اللفظ هو «القداسة» . فالزعامة كارزميـة Charismatic ، فهي قدسية .



موسيليني



هتلـر

كان اول من عرّفها عالم علم الاجتماع الشهير ماكس فيبر Max Weber (١٨٦١ ـ ١٩٢٠) ، قال : انها الصفة التي تيسر للرجل الواحد التأثير الخارق فى الناس ، وحفزَ الجماعات الى ان تتجمع خلفه وتسير حيث سار ، بدون ميزة تفوق ميزات اتباعه ، وبدون اعتزازه بالانتماء الى فئة من فئات الحكم ، وبدون اى منصب شغله او يشغله يرفع من قدره .

القدسية عند هذا الرجل وامثاله لا يفسرها منطق ، ولا يفسرها عرف ، ولا يعرف لها منبع سابق من منابع القوى . ان الزعيم المستقدَس هذا يحمل شخصية ينفرد بها دون اقرانه ، وهم يعاملونه معاملة الرجل الذى خطا خطوة فوق البشرية ، خطوة فوق خطى الانسان المعهودة ، ومن اجل ذلك عُدَّت مباركة، وعُدَّ صاحبها على هذا الاساس زعيما تنصره قوى خافية من وراء حجاب .

وهذه القدسية التي تفعل هكذا فى الاتباع لا تلبث ان تفعل مثل ذلك فى الزعيم ، الزعيم الذى عنده كارزما . . . قدسية . . انه لا يلبث ان يدرك ان الأقدار اختارته لرسالة ، وانه لا بد مبلغها .

وهو يبدا بتحدى النظام القائم ، او النظم القائمة ، ويتحدى الزعامات الراهنة ، والقوانين الجارية . وهو بهذا يبدا بعداء قوى الدولة الحاضرة . وهو لا يبالي ان يفعل لأن سنده الجماهير . ثم تأخذ مواقف بعض القادة ان تتغير منه وتنتهي بالانضمام اليه . وهذا ما كان من امر الكثيرين من رجال التاريخ .

هذا ما كان من جراكى Gracchi فى روما القديمة ، ذلك الزعيم الشعبي الذى عمل على تقسيم الأرض اقساما أصغر ، ليقوم بزراعتها وامتلاكها عدد من الناس اكثر .

واذا نحن هبطنا الى ازمان اقرب ، فهذا ما كان من امر القديس فرنسيس

St Francis في ايطاليا ، وامر كرومول Cromwell في بريطانيا ، وروبسبير Robespiere في الثورة الفرنسية ، ونابليون من بعد الثورة الفرنسية ، ثم موسيليني في ايطاليا الفاشية ، واخيرا هتلر في المانيا الهتلرية .

كل هؤلاء قامت في وجوههم النظم القائمة حائطا حاجزا مانعا ، ثم تهاوت . وكل هؤلاء ، في وقت من زمانهم ، احسوا ان التاريخ صنعهم أكثر مما صنعتهم امهاتهم .

حتى الزعيم الهندي نهرو ، وقد تقلب مزاجه الوانا شتى ، فمن مزاج منطقي ، الى مزاج شكاك ، الى مزاج ضاق بالناس لما زعموا انه رجل المعجزات والخوارق ، كتب مرة يقول : « **... وعندئذ جمعت كل هؤلاء الرجال ووضعتهم حفنة في كفي ، وقمت فكتبت وصيتي على صحيفة السماء بحروف من نجوم** » .

وقدسية الزعماء
تسبقها نفسية مؤاتية في الشعوب

وليس الزعيم المستقدس نحن واجدوه في كل عصر ، وفي كل امة . انه كالبذرة التي لا بد لها من خصوبة ارض تنبت فيها .

من اجل هذا يسبق الزعماء الذين هم من هذا الطراز او من قاربوه ، حالة نفسية في الشعب ، هي عادة نفسية من ضيق ، وضياع آمال . وذو الأمل الأمل الضائع يتوجه عادة آخر الأمر الى السماء . فان قام في الشعب قائم ينادى بالايمان من بعد كفر ، او بالاصلاح من بعد فساد ، او بالنجاح من بعد خيبة ، او بالأمل من بعد يأس ، فما اسرع ما يخلط الناس بين هذا الداعي ودعاة السماء ، ويزعمون انه صوت قدسي تمثل في حنجرة انسان . ويقولون انه : القدر ، ويقولون انه : روح القدس تمثل بشرا ، وما اكثر الأقداس . كل هذا تحدثه في الشعوب الأزمات .

حالة نفسية تتقبل ما يأتي بعدها ، وتسهله .

فنابليون سبقته الثورة الفرنسية .

وهتلر سبقته معاهدة فرساي ، وما كان منها مما اصاب الالمان من ضيق في الحياة شديد .

واتجنب ذكر العرب في كل هذا ، احتفاظا به الى اليوم الذي يكون فيه في الصدور رحابة ، لا في قطر واحد ، او اثنين او ثلاثة ، ولكن في الاقطار الثمانية عشر كلها .

واذكر هتلر ، واذكر اني كنت اسمع بعض خطبه في ايام سطوته، وكان يتحدث بقوة من يملك شئون هذه الأرض أكثر مما تملك الناس منها جميعا . واحيانا خلت من قوة صوته ، ومن قوة معانيه ، ان قوة وراء قوة البشر تمده . ويذكر الله ، ويذكر ارادة الله ، ولكن كأنما هو كان صانعها .

والشعب الالماني اليائس ، الطامع ، التاجج تحت زعامة هذا الرجل ، البشر ، هو الذي دفع به فاحله هذا المحل العالي ، بين ارض الله وسمائه .

من الزعامات
ما حلت بها ومعها الكوارث والنكبات

انهما زعامتان ، زعامة تنتسب الى

السماء زورا ، حتى لتكاد تدعي انها تشركها فيما تصنع من اقدار ، وزعامة تنتسب الى الأرض ، وتصنع على ترابها ما يصنع الرجال للرجال وبالرجال .

والعجيب ان التاريخ يحدثنا بان تلك الزعامات الأولى اغلبها انتهى بالكوارث ، وهي كوارث شملت اصحاب الزعامات وشعوبها معا .

واعود ، بذكر هذه الزعامات ، وذكر احداثها الى زعامة هتلر . فهي اشبهها ، بهذا النوع الذي نصف . واسموه القائد Fuhrer . ويلقى الالماني الالماني فيمد يده في الهواء ويصيح « هَيْل هتلر » . وهي صيحة لو ترجمناها الى العربية لكانت « سلام على هتلر » ، او لعلها « عاش هتلر » كما يقول الآخرون « عاش الملك » . وهي صيحة تكون عند اللقاء ، ويكون مثلها عند الفراق . وهتلر والحق يقال صنع الكثير من الخير لامته بادئا ، على الرغم مما اشاعه الحلفاء ، ودقت به طبولهم ، وذهبت به الى الآفاق ابواقهم .

ومضت بهتلر الايام رصينة ناجحة ، بالمعاضدة والمشاورة من كل من حوله .

حتى اذا اخذ يصدق ما اراد له الشعب من ايمان ان يكون قد خلق من نار ونور ، لا من ماء وطين ، اخذ يصنف خلق الله ويضعهم درجات ، ويجعل امته في اعلى درجة . وكانت من حوله زمرة تهدي . ومن شأن التأله التفرد ، فاخذ يصفي هذه الزمرة شيئا فشيئا . وكلما تأزمت به الامور ازداد تفردا . وجاء بخير قواده ، ذلك رومل Rommel ، ثعلب الصحراء ، ففرض عليه السم يتعاطاه . انه جبروت اله الارض يريد به ان يشابه جبروت السماء ، فحاد وظلم .

وعندما وقعت الواقعة ، وضيقوا عليه ، ولم يكن مفر ، احرق نفسه ، فالآلهة لا تؤسر . وحبيبته التى عايشها معايشة الأزواج الها ، تلطف فتزوجها حتى لا يكون لذكراها عبق كريه بين الناس .

وقال قوم ان هتلر خال انه كان يتنزل عليه الرأى وحيا كما يتنزل على الانبياء ، وما كان هتلر نبيا .

وما احسب ان هتلر كان دجالا مخادعا . وعندى انه كان المانيا قحا . وظل كذلك الى ساعة خرج ريح الشواء من جسمه . ولكنه كان ضحية نفسه ، وضحية شعبه . وضحية الزعامة التى رفعها الشعب الى حيث فارقت اجواء الارض ، واخذت تدق ابواب السماء .

تلك الزعامة التي تجذب الناس اليها على الرغم منهم . وحسبها الناس سماوية ، واسماها علماء الاجتماع بالكارزما واسميناها نحن بالزعامة ذات القداسة والقدسية .

الزعامات
معتدلة وكاسحة

والزعامات ضرورة لازمة ، لا سيما وهي تحمي الشعوب من يأس قاتل .

والزعامات معتدلة في زعامتها وكاسحة . وهي في هذا كالأدوية الشافية والسموم القاتلة . فالادوية مركبات يتناول منها المريض القليل فيصح ، ويتناول منها الكثير فيموت ، فهي سموم . ●●

احمد زكي

مسابقة من .. تراثنا العربي

■ هذه مسابقة فى جوانب من تراثنا العربى ، ذكرنا فيها أسماء عشرة من امهات الكتب فى هذا التراث ، واسماء مؤلفيها العشرة دون ترتيب ، والمطلوب منك أن تختار منها ثمانية كتب، وتنسب كل كتاب تختاره الى مؤلفه .

وقد ذكرنا أمام كل كتاب اشارة سريعة للتعريف به :

أولا : المؤلفون :

(١) ياقوت الحموى (٢) المسعودى (٣) ابن عبد ربه (٤) ابو الفرج الاصفهانى (٥) الجاحظ (٦) أبو العلاء المعرى (٧) الخليل بن أحمد (٨) ابن خلكان (٩) سيبويه (١٠) الثعالبى .

ثانيا : الكتب :

١ ـ يتيمة الدهر : **معجم لتراجم شعراء العربية الذين عاصروا المؤلف فى القرن الرابع الهجرى ، او سبقوه بقليل ، وكانوا منتشرين فى جميع انحاء العالم الاسلامى الذى كان يومئذ يمتد من حدود الصين شرقا حتى أقصى المغرب والاندلس غربا ، وقد ذكر المؤلف اسماء شعراء كل قطر معا ، وذكر فى الغالب مع كل شاعر قطوفا من شعره .**

٢ ـ **العقد** : (وقد اشتهر خطأ باسم العقد الفريد) كتاب جامع لجوانب كثيرة من التراث العربى الادبى منذ العصر الجاهلى حتى أيام المؤلف الذى عاش فى الاندلس الى أوائل القرن الرابع الهجرى ، فهو يشمل كثيرا من أخبار العرب ومعارفهم وخطبهم وشعرهم وعقائدهم وانسابهم ودولهم ومعاركهم وفرسانهم فى تلك الحقب ، التى تبلغ اربعة قرون .

٣ ـ الكتاب : **هكذا اشتهر اسمه ، وهو أقدم كتب النحو التى وصلت الينا ، وكان معنى النحو يومئذ طريقة العرب فى الكلام ، وهذا أوسع من معناه اليوم ، ولذلك يشمل الكتاب مباحث صرفية ولغوية وصوتية كثيرة .**

٤ ـ **العين** : اقدم معجم لغوى عربى عام ، رتبه صاحبه على الحروف وفق مخارجها من أقصى الحلق حتى الشفتين ، ولذلك بدأه بحرف « العين » ، وبهذا سمى الكتاب واشتهر .

٥ ـ معجم البلدان: **ويدل اسمه على موضوعه، فهو معجم جغرافى رتبت فيه أسماء البلدان ترتيبا هجائيا ، وهى البلدان التى عرفها العرب أو سمعوا بها حتى عصر المؤلف فى القرن السادس ، وفيه كثير من الاخبار التاريخية والنصوص الادبية شعرا ونثرا .**

٦ ـ **مروج الذهب** : بهذا الاسم اشتهر ، وتضاف اليه أحيانا تكملته (ومعادن الجوهر)

كما سماه مؤلفه ، وهو كتاب في التاريخ ، ولكن فيه كثيرا من البحوث الجغرافية ، وقد ذكر باختصار تواريخ الامم التى عرفها المسلمون حتى ايام المؤلف في أوائل القرن الرابع الهجرى ، كما ذكر بلاد هذه الامم ، وفيه آراء يمكن أن تدخل الآن فيما يسمى « فلسفة التاريخ » انتفع بها ابن خلدون في مقدمته المشهورة .

٧ ـ البخلاء : **اطرف كتاب عربى في موضوعه واقدمه ، ذكر فيه مؤلفه بعض أسباب البخل ، ونوادر البخلاء ، وصور بعض شخصياتهم تصويرا ساخرا ، ولكن في عطف ولباقة ، وذكر بينهم بعض شيوخه واصدقائه .**

٨ ـ **الأغانى :** جمع فيه مؤلفه الاشعار التى تغنى بها المغنون في مجالس الخلفاء ، ولا سيما هرون الرشيد ، وقد ذكر مع كثير من الاشعار أسماء قائليها ، والمناسبات التى قيلت فيها ، ومن تغنوا بها ، والالحان التى عزفت على وقعها ، وافاض في تراجم أكثر هؤلاء وغيرهم ، واكثر من ذكر اخبارهم وآثارهم ، فهو موسوعة أدبية تاريخية ضخمة ، وقد طبع في واحد وعشرين جزءا .

٩ ـ رسالة الغفران : **رسالة ضخمة ، رد فيها مؤلفها على أديب أرسل اليه رسالة يمدحه فيها ، ويسأله عدة اسئلة ، وقد أجاب المؤلف على اسئلة الاديب ، ووصف رحلة تخيل فيها ان هذا الاديب قد غفر له يوم القيامة ، ومن هنا اشتهار اسمها (رسالة الغفران) فدخل بعض اقسام من الجنة ، واقسام من النار ، وقد لقى في رحلته هنا وهناك كثيرا من الادباء والشعراء وغيرهم ، فجرت بينهم وبينه محاورات في مسائل ادبية وتاريخية .**

١٠ ـ وفيات الأعيان : معجم كبير مهم في تراجم الاعلام من العرب وغيرهم ، ولم يقتصر على الادباء بل شمل غيرهم من المشهورين ، أو (الاعيان) كما سماهم ، وقد رتبه مؤلفه على وفق الحروف الهجائية ، واهتم بضبط كثير من الاسماء ، وبتحقيق وفاة كل من ترجم لهم ، ومن هنا تسمية كتابه .

وهذه الكتب العشرة من امهات الكتب التى يحرص على اقتنائها كل الدارسين والمهتمين بالتراث العربى .

شروط المسابقة

١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :

مجلة العربى ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٦٥ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر سبتمبر (ايلول) ١٩٧٢ .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتى على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى **٣٠ دينارا** . الجائزة الثانية **٢٠ دينارا** . الجائزة الثالثة **١٠ دنانير** .

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .

كوبون مسابقة العدد ١٦٥

الإسلام كرّم المرأة

بقلم: الشيخ احمد حسن الباقورى

■ نعم . والذين يرتادون برهان هذه الحقيقة يرونه قريب التناول فى السنة واقلام اولئك الذين يظن بهم معاندة الحضارة الاسلامية ومعاداتها من كواتب الغرب وكتابه . فحديث هؤلاء الغربيين أحق فى هذا الموطن بالاعتبار واثقل فى الموازين من حديث الذين يعتزون الى الاسلام ويتعصبون له .

وما اكثر اولئك الغربيين الذين استطاعوا ان يستخرجوا من بطون الكتب ويستنتجوا من وقائع التاريخ ما لم يتنبه اليه عامة المسلمين من تكريم الاسلام المراة يوم كان الذوق العربي الاصيل هو المشرف على توجيه السلوك الحضارى الاسلامى فى دنيا الناس . ولا ريب ان الالف صارف للمرء فى كثير من الاحيان عن التدبر واستجلاء دقائق المعانى ، مهما تكن منزلته من بعد النظر والقدرة على الموازنة والاستنتاج .

ومن هنا يكون سهلا ميسورا التماس وجه العذر لعلمائنا وادبائنا الذين يطيب لهم ان يستشهدوا المنصفين من الغربيين فيما يخرجون للناس من معارف وعلوم ، من حيث كنا نحن أهل الحضارة الاسلامية بما الفنا منها مصروفين عن التنبه لما تضمنته من روائع ، وكانوا هم بما لم يالفوا غير مصروفين ، فادركوا ما لم ندرك ، وعرفوا ما لم نعرف .

يقول الاستاذ الفرنسى
« جوستاف لوبون »

يقول الاستاذ الفرنسي جوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب) حول تكريم الاسلام المراة : كان الرجال قبل ظهور محمد يرون منزلة النساء وسطا بين الانعام والانسان من بعض الوجوه ، اذ كانوا يرونها مجرد أداة للخدمة والاستيلاد . فاذا أردنا أن نعرف درجة تاثير القرآن في أمر النساء ، وجب علينا أن ننظر اليهن أيام ازدهار حضارة العرب ، فقد كان لهن في ذلك الزمان من الشان ما اتفق لأخواتهن حديثا في اوروبا ، وذلك ابان انتشار فروسية عرب الاندلس وظرفهم . فالاسلام اذن – لا النصرانية – هو الذى رفع المراة من الدرك الاسفل الذى كانت فيه ، خلافا للاعتقاد الشائع بين عامة الناس .

وتقول الاستاذة الالمانية
« سيجفريد هونكه »

وتقول الاستاذة الالمانية سيجفريد هونكه حول هذا المعنى في كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب) : لقد علّم العرب رجال الغرب احترام المراة الى درجة التقديس ، والحرص على رضاها الى درجة التزلف ، فكل أدب يسلكه الغربى في مجتمعنا حيال المراة هو أدب تلقيناه نحن الاوروبيين عن العرب ، وورثه الاسلاف الاخلاف حتى عاد طبيعة ثانية فينا نكفر به عن عادات قديمة في عصور متطاولة كان يخضع فيها جداتنا للرجال ، تكفيرا عما ارتكبته أمنا حواء من اثم .

فتزلف الرجل للمراة وخطبه ودها – سواء

فليلزم سبيله المؤمنون

كان هذا من باب الأدب او كان من باب الحب الصادق ـ هو أدب عربي لم يكن ليتفق مع اصول الحب في المجتمع الجرماني الذى كان يرنو الى مساواة تامة بين الرجل والمرأة ، ويدعو كلا منهما الى اعتداده بنفسه حريصا على التسوية في الحقوق والواجبات . وقد كان هذا الاتجاه العربي في تقديس المرأة يعارض أيضا ما كان سائدا في دول البحر الابيض التى لم تكن ترضى عن تزلف جنس لآخر ، طالبة من كل من الجنسين على السواء بذل الجهد لحوز رضا الجنس الآخر . وقد كان الكتاب المقدس أيضا يعارض ذلك المسلك العربي بما كان ينص على ان الرجل سيد المرأة ، وبما كانت الكنيسة تنشط في محاربة كل ما يخالف هذا النص من افكار ، باذلة كل ما في وسعها لابقاء المرأة تحت سيطرة الرجل تبعا لمشيئة الرب .

وعلى الرغم من هذا قاوم العرب كل التيارات المادية ، واستطاعوا القضاء على العداء للمرأة والطبيعة ، جاعلين من منهجهم مثالا احتذاه الغرب ولا يملك الآن منه فكاكا ، فاصبح الاستمتاع بالجمال والغزل جزءا من حياة الاوروبيين ، ارادوا ذلك أم لم يريدوه .

وتمضى الاستاذة الدكتورة في حديث ممتع ينطوى على مناقشات واعتراضات تتولى فيها بمنطق السيدة الدارسة الفقيهة مهمة الاستاذ الغيور على تصحيح الافكار في رءوس تلامذته ومريديه ، فتمضى ضاربة الامثال من قلب الصحراء قبل أن يفسد الذوق العربي ، ثم تتبع ذلك العصور التى استبد فيها الرجال بالنساء استبدادا سلبهن حريتهن ومكانتهن ، ثم تعود اخيرا لتوازن بين المرأة العربية في الاندلس والمرأة الغربية ابان خطواتها الاولى الى الحضارة، لتخرج من ذلك كله بنتيجة لا يرقى اليها الشك ، هى أن العرب بعروبتهم الاصلية ودينهم القويم ، كان لهم أكبر الفضل على الحضارة الاوروبية عامة ، وعلى النساء الغربيات خاصة .

زوجة الحارث بن عوف

ومن افضل ما ضربته العالمة الفضالة في هذا المجال مثلا كريما للمرأة العربية ، زوجة الحارث ابن عوف المرّى ، صاحب النبى ، اذ حرضته زوجته هذه على القيام في الصلح بين عبس وذبيان ، وقد تفانوا في حرب ضروس أكل القوم فيها بعضهم بعضا ، فقام الحارث هذا المقام الكريم ، وبذل من وساطته وامواله ما تم به الصلح وصينت الدماء وقر السلام ، وهو الصلح الذى خلدته معلقة زهير بن أبى سلمى .

ولعله لو لم يكن وراء الحارث هذه الزوجة العربية العظيمة بهيسة بنت أوس ، محرضة زوجها على مكارم الاخلاق ، لاكلت الحرب جزيرة العرب ، وحرم التاريخ انباء رجولة تسترخص في سبيل المجادة وحسن الاحدوثة كرائم الاموال، ثم حرم اللسان العربي معلقة زهير الخالدة على وجه الزمن بما اشتملت عليه من الاشادة بخلق رفيع في ادب رائع وحكمة بالغة ومثل شرود .

ولو قد كان للدكتورة الفضالة أن تلتمس لكرامة المرأة العربية وشرفها في تقدير قومها امثالا أوثق سندا وأكرم موردا ، لوجدت من ذلك ما تعتز به الانسانية على اختلاف العروق والاجناس والمذاهب والديانات .

وأم المؤمنين خديجة

فهذه أم المؤمنين خديجة في شرفها وثروتها وكثرة المتزلفين اليها والراغبين فيها تعرض عن أولئك جميعا لتبعث الى محمد برغبتها فيه ، زوجا حسيبا نسيبا أمينا حسن الخلق صادق الحديث فلا ينكر عليها ذلك من قومها منكر ، من حيث كان العرف جاريا على أن المرأة مطلوبة لا طالبة .

وابنة النبي العربي شعيب

ولا ريب انها كانت تصدر في ذلك عن الفطرة

السليمة التى فطر الله الناس عليها ، والتى صدرت عنها ـ من قبلُ ـ اخت" لها في القديم ابنة النبي العربي شعيب ، في اختطابها موسى زوجا لها ، تتبوأ في ظلال وارفة من قوته وامانته السعادة والامن والسلام ، فلم يصرفها الخجل الضعيف عن ذكرها اياه لابيها ، ووصفته باجمل صفتين يتحلى بهما رجل شريف ، وترغب فيهما امراة حَصان" ، ويرضى عنهما أب كريم ، فلا يسع نبيَّ الله شعيبا الا أن يستجيب رغبة ابنته، واثقا من حسن تقديرها وصدق تعبيرها حيث تقول « يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوى الامين » في خمس آيات من القرآن الكريم تروى للمؤمنين والمؤمنات قصة الفتاة وأبيها والرجل القوى الامين الذى اختير ليكون زوجا واخا وابنا في أسرة شريفة عريقة هى اسرة شعيب عليه السلام .

وأم سلمة ، أم المؤمنين

ثم هذه ام سلمة ام المؤمنين ، تقف مع رسول الله في غزوة الحديبية موقفا يراب الصدع ويجمع الكلمة وياخذ الطريق على فتنة كانت تطل على صفوف المسلمين ، وذلك أنه لما فرغ النبى من كتاب الصلح بينه وبين قريش التى رفضت أن يدخل المسلمون مكة فيتموا عمرتهم ويطوفوا بالبيت ، أمر عليه السلام أصحابه أن ينزلوا على حكم المعاهدة فينحروا ويحلقوا ، غير أن أحدا منهم لم يستجب دعوة رسول الله ، فكرر أمره ثلاث مرات ، ولكنهم كانوا آسفين على ما توهموه من ذل أصابهم فلم يستجيبوا ، ولم يجد النبى بدا من ان يدخل على زوجته ام سلمة ويذكر لها ما لقى من الناس ، فتقول له السيدة العربية ذات الراى الحصيف : اخرج اليهم ولا تكلم احدا منهم حتى تنحر ثم تدعو بحالقك فيحلقك ، فخرج صلوات الله عليه ، لم يكلم منهم أحدا ، حتى فعل ذلك ، فلما رآه الاصحاب قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا ، وبذلك قضت السيدة المفضالة على الفتنة بهذا الراى مشيرة به على رسول الله الذى يأتيه الوحى بخبر السماء .

وفتاة تشكو الى النبي اباها

ثم . هذه فتاة من عامة الناس وسوادهم تجيء الى رسول الله منكرة أن يزوجها أبوها دون أن ياخذ رأيها ويستوثق من رضوانها ، فيقف رسول الله معها ضد أبيها ، على ما تذكر عائشة رضى الله عنها أن فتاة قالت للنبى : ان ابى زوجنى من ابن أخيه ليرفع بى خسيسته ، وأنا لذلك كارهة . فارسل النبى الى أبيها فجاء ، ثم جعل الامر اليها . فقالت الفتاة : يارسول الله انى قد اجزت ما صنع ابى ، ولكن اردت ان اعلم النساء انه ليس للآباء من الامر شيء .

فهذه صور شريفة في تاريخ العرب والمسلمين تبدو للناس كانها شيء غريب عنهم لا صلة له بتاريخهم في دنيا او دين لشدة ما جهله العامة ، واغضى عن الاعتزاز به الخاصة .

واذا كان من حق الاسلاف على اخلافهم أن يتلفتوا الى الوراء اليهم ويقتدوا بهم ، فان على المتنسبين الى العروبة والاسلام في عصرنا الحاضر أن يتدبروا ذلك ويتأملوا فيه ، ليخلصوا منه بعبرتين لا ندحة عنهما لتصحيح المنهج وتقويم السلوك ، حتى يكون الاخلاف خلفاء بالانتساب الى أسلاف ماجدين .

عبرتـــان

العبرة الاولى : أن لأمتنا في المجال الحضارى آثارا عظيمة ، وثمارا طيبة ، يعرفها غير العرب وغير المسلمين بقدر ما يجهلها العرب والمسلمون .

وثانية العبرتين : ان المراة العربية في حياتنا المعاصرة تتعرض من نظام الاسرة وأثقال الجهالة لما يشقيها ويشقى بها . والا فكيف يسيغ ذوق" يحترم شرف عرفٍ أو ينزلُ على حكم دين ، أن يجلس الزوج الهمام في بيت الطاعة ينتظر زوجته مسوقة اليه بقوة الشرطة ، خلافا لأدب الله تعالى « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » ، فاية رحمة وأية مودة تلك التى يكون عنوانها قبضة شرطى غليظ تسوق زوجة الى زوجها في مذلة بادية وعَبرة مُهراقة وأسى بليغ .

كيف يسوغ ...

ثم كيف يسيغ ذوق يحترم شرف عرف أو يعتز بادب دين ، أن يشترط زوج على زوجته التنازل له عن اولادها منه ، بحيث لا ياذن لها أن تراهم

ولا يسمح لهم أن يروها ، مع ما يعرف الناس من شدة تعلق الاولاد بامهم والام باولادها ، فهي بين امرين خيرهما شر ، فاما أن تنزل على شرطه فتحرم سعادة الأم باولادها ويحرم الاولاد من سعادتهم بها، واما أن تبقى تحت سلطان زوج يذيقها العذاب الوانا حيث شاء متى شاء كيف شاء ، دون أن يحسن عشرتها زوجة ، أو يرسلها طليقة ، خلافا لأدب الله تعالى « فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف » .

واخيرا كيف يسيغ ذوق يحترم شرف عرف ، أو يقدس حكم دين ، ان يترك زوج ينظر الى زوجته كما ينظر التاجر الجشع الى سلعة يتربص بها سوقا سوداء ، فلا هو يحسن عشرتها فيأسرها بذلك ، ولا هو يرسلها لتجد عند غيره ما لم تجد عنده ، فيظل مثل هذا الزوج على هذا العناد حتى تفتدى منه زوجته بمال لعلها لا تجد السبيل اليه ، خلافا لقول الله تعالى « ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه» . فاى اعتداء شر من هذا الاعتداء ، وأى ظلم ابلغ من هذا الظلم .

ان النفس الانسانية لا ترجع عن غيها ما لم يكن لها من داخلها واعظ ، أو من خارجها زاجر . فاذا غفا من الداخل واعظها وجب أن يستيقظ من الخارج زاجرها ليقيمها على حاق الطريق ، والا شقى المجتمع شقاء بغير رجاء في سعادة ، ثم فسد فسادا بغير امل في اصلاح .

ما صنعه جلة من العلماء

ولعل الناس لا يزالون يذكرون اليوم ما كان قد صنعه علماء فضلاء برياسة وتوجيه الأستاذ الاكبرالشيخ المراغى شيخ الجامع الازهر ، فقد تناول أولئك الجِلة من أهل العلم بالتعديلقانون الأحوال الشخصية ، تناولا اصبح للمجتمع مصدر سعادة كانت قد خفيت أعلامها وانطمست معالمها بجهل الجاهلين وتعصب المتعصبين ، اذ كانت الجماعة المذكورة قد التمست من مختلف المذاهب ما يسرت به سبل التدين للمتدينين الذين كانت تشقيهم سفاهة النظم ، ويعنتهم سوء القوانين .

ولعل اولئك الفضلاء الذين مضى على صنيعهم هذا اكثر من ثلث قرن كانوا قد استصحبوا في تفكيرهم واجتهادهم وحسن صنيعهم روح الشريعة السماح التى تمثلها أصدق تمثيل قولة الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز « تحدث للناس اقضية بقدر ما احدثوا من الفجور » .

ومن هنا تستطيع الحكومات الشورية في امتنا أن تتخذ ممن سلف ، أئمة هدى ومنارات اصلاح، ولن يعجز اهل العلم اليوم أن يلتمسوا من قواعد الشريعة ما التمسه أسلاف لهم في مختلفالعصور مما يسوغ للحاكم التدخل لاستنقاذ الاسرة من براثن الشقاء ، وحماية المجتمع من عوامل الفساد . والله الهادى الى سواء السبيل .

■■

احمد حسن الباقورى

« **العربي** » : هذه أبيات من معلقة زهير التيأشار اليها الاستاذ الكاتب ، موضوعها الصلح الذى تولى عقده الزعيمان العربيان : الحارثابن عوف ، وهرم بن سنان ، أو أخوه خارجة ابن سنان ، والزعيمان من بنى غيظ بن مرة ، حيمن القبيلة الكبيرة قيس بن عيلان ، ولم يكن الزعيمان طرفا في الحرب ، ومع ذلك غرما مئاتمن الأنعام ديات للقتلى من القبيلتين المتحاربتين عبس وذبيان ، فأعادا اليهما السلام،ووصلا بينهماالأرحام ، والى كل ذلك تشير هذه الأبيات :

سعى ساعيا غيظ بن مرة ، بعدما
تبزل ما بين العشيرة بالدم

فاقسمت بالبيت الذى طاف حوله
رجال بنوه من قريش وجرهم

يمينا ، لنعم السيدان وجدتما
على كل حال : من سحيل ومبرم

تداركتما عبسا وذبيان بعدما
تفانوا ، ودقوا بينهم عطر منشم

وقد قلتما : ان ندرك الصلح واسعا
بمال ومعروف من الأمر - نسلم

فاصبحتما منها على خير موطن
بعيدين فيها من عقوق ومأثم

عظيمين في عليا معد ، هديتما
ومن يستبح كنزا من المجد يعظم

فاصبح يجرى فيهم من تلادكم
مغانم شتى ، من نتاج مزنم

موقفنا نحن العرب من المذاهب الفلسفية المعاصرة

بقلم : الدكتور زكى نجيب محمود

■ من أفدح الكوارث التى يشقى بها المشتغلون « بالفلسفة » ، أنها ـ فى العصر الواحد ـ لا تستقر لنفسها على معنى واحد ، حتى لقد ينظر الرائى فاذا هو امام ضروب من النشاط العقلى اختلف بعضها عن بعض ، ومع ذلك فكلها « فلسفة » على حد سواء ، ثم جاء عصر الناس هذا ، فزادت الكارثة فداحة ، لان ضروب ذلك النشاط العقلى قد ازدادت تشعبا ، واوشكنا ان نبلغ حدا يستحيل معه الاجماع على راى واحد فيما عسى أن يكون مجال البحث ، عندما نسمى هذا البحث « فلسفة » والباحث « فيلسوفا » ، وذلك لأن موضع الاختلاف فيما مضى كان ينحصر عادة فى موضوع البحث الفلسفى ماذا يكون ؟ واما اليوم فقد اتسعت هوة الخلاف بحيث تناول منهج البحث أيضا كيف يكون ؟

كان لكل عصر فى الفلسفة هدف

كان العصر الواحد ـ فيما مضى ـ يكاد يتفق على هدف واحد ، يضعه المفكرون امامهم ليشخصوا اليه جميعا بابصارهم ، ثم يكون التباين بعد ذلك فى الوسيلة التى يراها كل منهم محققة لذلك الهدف ، بعبارة أخرى ربما كانت اوضح : كان لكل عصر مسالته الرئيسية يطرحها امام الناظرين ، فيكون الاختلاف بعد ذلك فى « الحلول » المقترحة لتلك « المسالة » المتفق عليها من الجميع .

انظر معى نظرة عجلى الى مراحل التاريخ الفلسفى :

عصر ما قبل سقراط

فعصر « ما قبل سقراط » اتفق على

ثقافتنا أصيبت بالإسهال اللفظي والإمساك عن العمل

كل فكرة لا تؤدي إلى عمل لا معنى لها

مسألة واحدة ، هي جوهر الوجود الذى يكمن وراء المتغيرات ، أليس البادى امام حواسنا هو أن الموجودات يتحول بعضها الى بعض ، فما هو اليوم تراب قد يتحول غدا ليصبح شجرة وثمرة ؟ فما هو ذلك الجوهر الثابت الأصيل الذى يلبس اليوم لبوسا فاذا هو تراب ، ويلبس غدا لبوسا آخر فاذا هو شجرة أو ثمرة ؟ كان ذلك هو السؤال ، اتفق عليه الجميع ، ثم اختلفت اجاباتهم عنه .

عصر سقراط

وذهب ذلك العصر اليونانى الاول ، وتلاه عصر كان سقراط فاتحته ، فاختفى سؤال وظهر سؤال ، اتفق عليه العصر كله ، ثم اختلفت عنه الاجابات ، وكان السؤال هذه المرة هو هذا : ما حقيقة الانسان ، وعلى أى أساس ينبغى أن يقيم سلوكه فردا ومجتمعا ؟ وهكذا دار البحث حول «الانسان» فى أخلاقه وسياسته وخيره وشره وسعادته وشقائه وفنائه وخلوده ، لكن الرأى اختلف عندما عرض رجال الفكر الفلسفى حلولهم للسؤال المطروح .

العصر الوسيط

وذهب عصر قديم وجاء عصر وسيط ـ فى الغرب المسيحى وفى الشرق الاسلامى على السواء ـ فاتفق الفلاسفة هنا وهناك على الهدف ، واختلفوا على الوسيلة ، اذ اتفقوا جميعا على أن يكون هدفهم تحليلا لمفهومات الدين بحيث يقام البرهان على انه لا تناقض ـ عموما ـ بين دين جاء وحيا وبين فلسفة أنتجها فلاسفة اليونان عقلا ، غير أن وحدانية الهدف لم تمنع أن يكون لكل مفكر فكرته التى يعرضها للحل .

عصر أوروبا الحديث

ثم دخلت أوروبا ـ وحدها هذه المرة ـ تاريخها الحديث بنهضة أخرجتها من عصورها الوسطى ، فكان السؤال الرئيسي المطروح طوال قرون ثلاثة امتدت من عصر النهضة الاوروبية ـ فى القرن السادس عشر ـ الى عصرنا هذا الأخير الذى بدرت بدرته فى القرن الماضي ، هو : كيف يعرف الانسان ما يعرفه عن الطبيعة الخارجية أو عن نفسه الباطنية أو عن الله ؟ ولذلك رأينا معظم الجهد منصرفا الى تحليل « العقل » لنرى كيف يعمل ، فنفهم بذلك كيف حصّل ما حصّله من معرفة ، لكن الاتفاق على السؤال لم يكن معناه أن يتفق المجيبون على جواب .

عصرنا الحاضر

ثم جاء عصرنا هذا ، فلم يكن كسوابقه متفقا ـ بشكل واضح ظاهر ـ على المسألة المطروحة ، مختلفا على حلولها ، بل تعددت فيه المسائل الرئيسية نفسها ، فانقسم المفكرون حيالها ، كل فريق منهم يؤثر لنفسه احداها دون الباقيات ، ولم يكن فى ذلك من بأس ، لأنه قد يعد علامة غنىً لا علامة فقر ، وجئنا نحن ـ أعنى رجال الفكر الفلسفى فى الأمة العربية ـ واردنا أن ننقل عن الغرب فى هذا الميدان ما استطعنا نقله ، فلم نقصر أمر التفرق على اختلاف فى زاوية النظر ، بل جاوزنا ذلك ، فتحول الميدان على أيدينا ميدانا للصراع الفكرى ، يتبادل فيه الأطراف الوان السباب ، فضاع الحق فى غمرة النقع المثار، فاذا تذكرنا ما لا بد أن يبقى مذكورا دائما ، وهو انه لا المسائل المثارة مسائلنا نحن أثرناها



ارسطو

منبعثة عن ازمات في ضمائرنا عانيناهـا ، ولا الحلول المعروضة حلولنا نحن ، كدنا الذهن حتى انتهينا اليها ، وانما المائدة بكل ما عليها أعدها طهاة غيرنا ، ولم يكن منا الا ان استوينا على المائدة الممدودة لنأكل ، كلٌ من الطبق الذى يشتهيه . عرفنا كيف ان صراعنا الفكرى كان أجدر به سوانا ، لأن الأمر كله بالنسبة الينا كالشَعر المستعار وضعناه فوق رؤوسنا وضعا دون ان ينبت مـن جلودنا ويتغـذى بدمائنا ، هاهنا يكون التفرق تمزقا هو الى ان يكون علامة فقر اقرب منه الى أن يكون علامة غنى .

حقيقة الموقف الفلسفى فى عصرنا

ومع ذلك فقد كان في وسع الفكر العربى أن يقف أمام اختلافات الفلسفة المعاصرة ، ليلتمس لنفسه مدخلا فيها ، يكون ذا صلة بحياتنا ، وفي هذا المقال محاولة في هذا السبيل ، لكننا نريد اولا أن نرسم للقارىء حقيقة الموقف الفلسـفى في عصرنا بخطوط عريضة ، لعله يشارك في قبول المحاولة او رفضها .

فكرة ارسطية قديمة

ان من الافكار القديمة ما قد تفقدَ قيمته في الموضوع الذى قيل فيه أساسا ، لكنه ربما صلح وسيلة للتوضيح في موضوعات أخرى ، من ذلـك فكرة مشهورة لأرسطو عن « العلل الأربع » التى ظن أنها السبيل الى تعليل أى شيء نريد تعليله، فافرض مثلا أننا نعلل لتمثال مقام في ميدان من مدينة ، فأولا ــ نسأل عن الفنان الذى نحتـه (وهذا هو ما أسماه أرسطو بالعلة الفاعلة) ، وثانيا ــ نسأل عن الغاية التى من اجلها صنع الفنان هذا التمثال ، فاذا عرفناها كانت هي ما أسماه أرسطو بالعلة « الغائية » ، وثالثا ــ نسأل عن المادة التى صيغ منها التمثال ، فتكون هى العلة « المادية » ورابعا ــ نسأل عن أسـلوب صياغته ، فيشار لنا الى مقومات هـذا الاسلوب فيكون ذلك هو « العلة الصورية » ــ بهـذه الاسئلة الأربعة ، واجاباتها الأربع ، يتم لـك تغطية المجال من جميع جوانبه ، فيتم لك فهم ما أردت أن تفهمه .

هى فكـرة أرسـطية قديمـة ، اذ لبثت هذه « العلل الأربع » على مر الزمن تتآكل وتتساقط واحدة بعـد اخرى ، كلمـا وجـد المشتغلون «بالعلم» أنهم لم يعودوا بحاجة اليها في تفسيراتهم العلمية للظواهر المختلفة ، حتى زالت كلها الآن ، ولم تعد فكرة « السببية » نفسها ذات شان في ميدان العلم ، اذ حلت محلها فكرة أخرى ، هى فكرة « القانون العلمى » الذى يصاغ في دالة رياضية لا تميز بين سبب ومسبَّب ، بل تحـدد المتغيرات الداخلة في موضوع البحث وطرائـق تجاوبها أو تفاعلها بعضها مع بعض ... فكـرة أرسطية قديمة اذن هى فكرة « العلل الأربع » ، لكنني سأستعين بها على توضيح الموقف الفلسفى في عصرنا ، وانى لأراها تعين .

عصرنا يعج بنتائج العلم ، ويضطرب ويموج بتغيرات الأنظمـة الاجتماعية جميعا ، ومهمـة « الفلسفة » أن تفهمه ، فماذا صنع الفلاسفة في هذا السبيل ؟ اريدُ أن أصورهم للقارىء وكأنما هم جماعة وقفت أمام الخضم الهائل الذى هو عصرنا بكل ما فيه ، واخـذت تسأل الاسئلـة الارسطية الأربعة ، لكنها سألت تلك الاسئلة من سائلين متفرقين ، أعنى أن الشخص الواحد لم يسأل الاسئلة الاربعة كلها ، بل اكتفى لنفسـه بسؤال واحد ، وترك البقية للآخرين ، فاكتفى كل منهم بدوره بسؤال واحد ، فكان ان سأل فريق : ما الذى أدى الى الموقف الراهن كله ؟ (كأنه يسأل عن العلة الفاعلة) وكـان أشهر الاجابات في ذلك جواب المادية الجدلية ؟ وسأل فريق آخر سؤالا آخر : ما الهدف من هذا أو ذلك مما نقول ونسمع ؟ (سؤال عن الغاية) وكان أشهر الاجابات جواب الفلسفة البرجماتية ، وسأل فريق ثالث سؤالا ثالثا : مم صنع هـذا العلم كله وهذه المذاهب الفكرية كلها ، بمعنى : على أى نحو نسجت اللحمة بالسدى ليتكون هذا القماش الفكرىالمحدود أمامنا ؟ (سؤال عن الكيان ومادته) وكان أشهر الاجابات في ذلك جـواب الفلسفة التحليلية ويلحق به جواب الوضعيـة المنطقية ، وسأل فريق رابع سؤالا رابعا : أليس

من حقنا أن نفترض بأن وراء هذا الفكر كله البادى فيما يقال ويكتب ، « وعيا » ذا خصائص معينة ، لا بد من النظر اليه قبل أن ننظر الى ما نبع منه ؟ (سؤال عن العلة الصورية) وكان أشهر الاجابات هنا اجابة مذهب الظاهراتية (الفينومينولوجيا) ويلحق به الفلسفة الوجودية .

ما كان يقتضيه الانصاف

ذلك مخطط تقريبي لجوانب الموقف ، افلم يكن الانصاف يقتضي أن ننظر الى هذه الوقفات الأربع باعتبارها مكملة احداها لبقيتها ، ما دامت كل منها تقتنع بجانب واحد وتترك الثلاثة الجوانب الاخرى لسواها ؟ نعم ، ولكن يحلو دائما لمن لا يرى الموقف في مجمله ان يقول : ان هناك « صراعا » مذهبيا بين اتجاهات اربعة تغطى الميدان الفلسفى المعاصر ، وحقيقة الامر عندنا هى الا صراع ، بل تكامل ، والفهم الكامل يتطلب الاجابات الأربع جميعا ..

تفسير الاتجاهات الرئيسية

لكنى ارسل حديثي وكأنما القارىء على علم كاف بهذه الاتجاهات الرئيسية الاربعة : المادية الجدلية ، البرجماتية ، الفلسفة التحليلية ، والظاهراتية ! واحسبنى مطالبا بشىء ولو يسير من الشرح ، ليتاح لنا جميعا بعد ذلك أن نشترك في التفكير : ما موقف الفكر العربى من هذا كله ؟

المادية الجدلية

أما المادية الجدلية ، فهى « مادية » بمعنى أن مرد الكائنات جميعا الى مادة ، على ان « المادة » هنا لا تعنى خصائص سكونية ثابتة لا يصيبها تغير ، اذ ان مادة الطبيعة دائبة التطور والتغير وفق قوانين « الجدل » (الدياكلتيك) ، والمقصود « بالجدلية » هو أقرب شىء الى ما يحدث بين متحاورين يتعارضان ، احدهما يقول الراى والاخر يقول نقيض ذلك الراى ، حتى اذا ما تصادم النقيضان تولد عنهما راى ثالث هو الصحيح ، او قل ان « الجدلية » هى عملية شبيهة بما يحدث اذا انت « جدلت » او ضفرت خيطين ليتكون منهما — آخر الأمر — ناتج يحتويهما معا ، فهكذا الحال في الطبيعة وفي المجتمع ، يتصادم اثناء سيره النقيضان فيتولد وضع جديد ، وبذلك يتحقق التطور .

وانهم ليصوغون قوانين السير الجدلى هذا في ثلاثة : أولها أن يعد التناقض مقوما اصيلا في الطبيعة ، لانه كان يستحيل التغير الى جديد مالم يكن في صلب القديم ما ينقضه ، وثانيها ان هذا النقض الذى ينسخ الحالة الاولى لينقلها الى حالة جديدة ، لا بد بدوره أن يجد هو الآخر ما ينقضه ليدوم السير على طريق التطور ، وثالثا انه كلما تراكمت التغيرات من جنس واحد ، وصلت حدا انقلب معه ذلك الكم المتراكم الى كيف جديد ، أى الى حالة من جنس آخر ، وهكذا يسير العالم : من وضع معين قائم الى نقيضه ، ثم الى وضع ثالث يؤلف بين النقيضين ، وما ان يصبح هذا الوضع الجديد هو الامر الواقع حتى ينسخه نقيضه فالى وضع يجمع النقيضين وهلم جرا .

المادية التاريخية

وتطبيقا لهذا السير المثلث الخطوات ، على تاريخ الانسان ونظمه الاجتماعية، تنشأ ما يسمونها « بالمادية التاريخية » ، ومؤداها انه لما كان البناء الاقتصادى للمجتمع هو أهم جوانبه ، ثم لما كان هذا البناء الاقتصادى قائما على ما ينشط به الناس نشاطا عمليا ، نتج عن ذلك ان جوهر الانسان ليس هو انه كائن يعقل الفكرة النظرية (الحيوان الناطق كما كان يقال عنه) بل هو الكائن الذى « يعمل » العمل المنتج في زراعة او تجارة او صناعة او فيما شئت من ضروب النشاط في دنيا الاقتصاد ؟ وبهذا المعيار يتحد الفكر بالعمل اتحادا يجعلهما حقيقة واحدة ذات وجهين، ومن ثم جاءت عبارة ماركس المشهورة : « لقد حاول الفلاسفة تفسير العالم بطرق شتى ، مع ان الاهم هو أن يغيروه » — ورجائي أن يحتفظ القارىء بهذه النتيجة التى جعلت لنا الفكر وعمليات التغيير شيئا واحدا ، لاننا سوف نرى هذه النتيجة نفسها او ما يقرب منها — في المذاهب الفلسفية الاخرى ، مما يكاد يجعلها هى روح عصرنا وصميمه ، وقد يوحى لنا بالموقف الذى نريده للفكر العربي .

الفلسفة العلمية

يعتقد أنصار المادية الجدلية أن فلسفتهم هى

الفلسفة العلمية ، لأنها هي التي تتناول واقع العالم تناولا علميا سليما ، ولعلهم في استخدامهم لكلمة « العلمية » انما يقصدون « المادية » ، فالمعرفة العلمية كلها مرهونة بما هو مادي وبما هو واقع في التجربة الحسية ، فاذا كانت هنالك كائنات عضوية ، رددناها جميعا الى أصل لا عضوى ، واذا لحظنا في أنفسنا حالات وعمليات وجدانية او عقلية ، أرجعناها كلها الى اساس فسيولوجي ، فمهما تكن النظرية العلمية ومهما يكن موضوعها ، فما لم تكن قابلة للرد الى ما هو واقع في التجربة الحسية ، تجردت من علميتها واصبحت لغوا ـ ومرة اخرى نرجو القارىء ان يحتفظ بهذه النتيجة التي تحتم أن تتبنى النظرة العلمية على تجربة وتطبيق ، لأنها نتيجة ستصادفها هي الاخرى في مذاهب فلسفيةغير المادية الجدلية ، مما قد يشير الى انها علامة تميز المعرفة العلمية اليوم ، ومما قد يوحي بما نجعله اساسا ضروريا في الموقف الذي نختاره للفكر العربي .

البرجماتية

اذا حق لنا القول عن « المادية الجدليـة » (ومعها المادية التاريخية) بأنها فلسفة للتاريخ ، بمعنى أنها تصوب النظر الى الماضي لترى كيف سار حتى انتهى به السير الى الحالة الحاضرة الراهنة ، حق لنا كذلك أن نقول عن فلسفة « البرجماتية »انها فلسفة المستقبل ، بمعنى أنها تقيس الأمر الراهن الى ما يترتب عليه من نتائج عملية تستطيع الحكم عليه بقبول أو برفض ، ان المعنى الحقيقي للفكرة ـ أى فكرة ـ هو مجموع التصرفات العملية التي نؤديها بناء عليها ، فاذا كان لديك ما تزعم له أنه « فكرة » ، ثم بحثت فلم تجد عملا واحدا تؤديه بناء عليها ، فاعلم أنها ليست من الفكر في شيء ، لقد كان « تشارلس بيرس Charles Peirce » امام البرجماتية في العصر الحديث(وتبعه على التوالي ثلاثة آخرون: وليم جيمس James ، وشلر ، وجون ديوى Dewey ،فكانت اربعتهم عُمُد المذهب البرجماتي) ، وفي العبارة الآتية التي قالها «بيرس» ما يبرز أهم خصائص هذا المذهب : « اذا كانت لديك فكرة، وأردت تحديدا لمضمونها، فانظر : ماذا عسى أن يكون لها من فكرتك » ، وبعبارة أخرى ، ان قولك : « انى أعرف كذا »


شلر

مساو لقولك : « انى أستطيع أن أعمل كذا » وما ليس في وسعك أن « تعمل » به شيئا ، لا يكون لك به « علم » ، لأن علما بلا عمل يؤديه ، كلامٌ ينقض نفسه بنفسه .

مذهب الاجرائية

ويتصل بالبرجماتية اتصالا وثيقا مذهب يقال له « مذهب الاجرائية » في فهم المعاني او الافكار ، فالفكرة معناها هو مجموعة الاجراءات التي نجريها في تحقيقها ، وهو قول ـ كما ترى ـ مطابق لما تقوله البرجماتية ، لولا أن « الاجرائية » لا تقصر الأمر على الاجراءات المادية التي تتم في سلوك منظور ، بل توسّعه حتى تشمل به الاجراءات التي تتم في العقل ، كما يحدث في تناولنا لمسألة رياضية او ما يشبهها .

ولنعد بالقارىء الى نتيجتين اوردناهما فيالفقرة السابقة ، ورجوناه أن يحتفظ بهما في ذاكرته ، وهما : أن الفكر وعمليات التغيير وجهان لشيء واحد ، وأن التجربة على الواقع المحسوس هي أساس التفكير العلمي ، فترى أن البرجماتيـة برغم اختلافها عن المادية الجدلية في « اتجاه » النظر ، الا انهما يشتركان في رفض «التأملات» العقيم ، التي لا تلد للناس « عملا » يؤدونه ، ولا تنسل لهم « تغييرا » يبدلون به وجه الحياة اذا فسد .

التحليل الفلسفي

ننتقل الآن الى جماعة ثالثة من أبناء عصرنا ، هي جماعة « التحليل الفلسفي » و « التحليل المنطقي » (وبينهما اختلاف في المعنى نغض عنه النظر) ، فلئن كانت المادية الجدلية تنظر الى « سير التاريخ » وكيف انتهى الى ما نحن فيه ، وكانت البرجماتية تنظر الى ما يراد عمله واجراؤه فيما هو آت من زمان ، فان أصحاب التحليـل يقفون حيث هم ليروا اولا ماذا تحت أقدامهم !



جون ديوى

لنضرب مثلا موضحا حتى لا نشطح بالقارىء في سماء التجريد ، افرض أن فكرة عرضت لنا ، تقول : « حضارة هذا العصر مادية » فماذا نحن صانعون بقول كهذا ؟ أم هل يراد به أن يمضي مع نسمات الهواء حيث تمضي ونحن قاعدون له نستمع ؟ كلا ، ان الفكرة الجادة يراد بها أن تكون منطلقا لوثبة نثبها في هذا الاتجاه أو ذاك ، وها هى ذى فكرة جادة كثيرا ما تعرض لنا على اقلام الكاتبين ، فماذا نحن صانعون بها ؟ فلو كنت من أصحاب المادية الجدلية في النظر ، لثنيت عنقى الى الوراء انظر الى خطوات التاريخ كيف كانت بحيث انتجت لنا اليوم هذه «الحضارة المادية » ، ولو كنت من أتباع البرجماتية لأرسلت بصرى الى امام أبحث عن النتائج الفعلية التى تترتب على هذه الفكرة ، فان وجدتها كانت هى نفسها « معنى » الفكرة ، وان لم أجدها كانت الفكرة يعوزها المعنى ، وها نحن أولاء مع جماعة ثالثة هى جماعة « التحليل » ، فهؤلاء يؤثرون القيام بعملية « تشريح » لهذا الجسم اللفظى أولا ، لنرى ماذا يمكن أن يكون لهذه العبارة من معنى ، لا على أساس النتائج الفعلية المترتبة عليها كما قال البرجماتيون ، بل على أساس منطق اللغة نفسه ، اذ كثيرا جدا ما نرص الفاظا بعضها الى جوار بعض ، حتى يكتمل لنا بناء تقبله قواعد النحو ، لكن منطق العقل يرفضه ولكى يرفضه منطق العقل أو يقبله ، لا بد بادىء ذى بدء من تحليله حتى نتبين عناصر بنائه وما بين تلك العناصر من روابط ، وعندئذ يتبدى اللغو الفارغ من الكلام ذى المعنى .

ولكن التحليل ليس العوبة

لكن الأمر في هذا التحليل ليس العوبة لاعب بلهو ، فما تكاد تهم به حتى تتوالى عليك أعوص المسائل ، واهمها أن تردّ العبارة التى بين يديك الى صورة يمكن أن يكون بينها وبين « الواقع » شبه في التركيب اذا كانت صادقة ، وأن يمتنع هذا الشبه اذا كانت كاذبة ، فاذا تذكرنا أن حقائق الواقع هى دائما « أفراد » جزئية ليس فيها تعميم ولا تجريد ، بمعنى أنك لن تجد على أرض الواقع أو في سمائه الا مفردات معينة محددة ، فهنالك هذه الشجرة وهذا الرجل وذلك الطائر وتلك السحابة وهكذا ، أقول اننا اذا تذكرنا ذلك عرفنا أن تحويل الجملة المراد الحكم عليها بالمعنى أو بالخلو منه ، يجب أن يتجه نحو أن نستخرج منها قائمة طويلة من جمل لا تتحدث الواحدة منها الا عن « فرد » واحد ، وعندئذ فقط يمكن المقابلة بين العبارة اللفظية من جهة ، ودنيا الواقع التجريبى من جهة أخرى ، ولنعد الى الجملة التى سقناها مثلا موضحا ، وهى : « حضارة هذا العصر مادية » ولنبدأ بكلمة « حضارة » ، فما هى مجموعة المفردات التى تتكون منها حضارة هذا العصر ؟ اذا قلت مثلا : هى نتاج العلم ونتاج الفن و .. و .. ، كان علينا أن نعود الى كل واحد من هؤلاء ، فما نتاج العلم بالشيء الواحد الذى تمسكه دفعة واحدة بيديك ، وما نتاج الفن بالشيء الواحد الذى تنظر اليه نظرة واحدة في لمحة بعينيك، بل نتاج العلم هو ألوف القضايا، ونتاج الفن كذلك الوف التماثيل واللوحات والمعزوفات الموسيقية ، وبعد هذا التحليل ، نعود فنضع كل فرد واحد من تلك الألوف ، والوف الألوف ، في جملة واحدة ،لنقول عنه انه «مادى»، وقد نتبين ساعتئذ أن معظم الجمل في هذه الحالة سيكون بغير معنى ، اذ ما معنى أن نقول عن قانون علمى معين انه مادى ؟ وما معنى أن أقول عن لوحة فنية أو قطعة موسيقية انها مادية ؟ وقد نمضي مع هذا النحو حتى نستيقن من أن العبارة التى تلوكها الأفواه في استخفاف واعنى عبارة « حضارة هذا العصر مادية » انما هى صف من ألفاظ ينتهى بنا الى لا شيء ، أو قد ينتهى بنا الى معنى ، لكنه معنى ينتج لنا بعد عناء التحليل الذى يبين لنا ما نحن قائلوه .

ومدرسة التحليل هذه لا تجعل « العبارات » التى نقولها مجرد صور تعكس به « أفكارا » في رؤوسنا ، بل يجعلونها هى هى الأفكار ، وبذلك نقلوا التقابل الذى كان الفلاسفة يجرونه بين « الفكر » و « الواقع » دون تحديد لطبيعة

الفكر ، نقلوا هذا التقابل فجعلوه بين « العبارة اللغوية » و « الواقع » ، وبذلك لم يتركوا مجالا لكائنات شبحية تعرقل سيرنا نحو الوضوح .

واني لأرجو القارىء هنا أيضا أن يحتفظ بهذه النتيجة ، وهي أن الجملة « والجملة = فكرة » لا يكون لها معنى الا اذا وجدناها ــ بعد تحليلها الى عناصرها ــ على تقابل مع واقعة من وقائع العالم التجريبي ، وما لم نجده كذلك من الجمل « اي من الأفكار » كان لغوا بغير معنى ، والقارىء اذا احتفظ بهذه النتيجة ، ثم ضمها الى ما كان احتفظ به من « المادية الجدلية» ومن«البرجماتية» وجد نفسه امام وجهة نظر مشتركة بين هذه الفلسفات المتباينة ، وهي ضرورة أن تكون العلاقة وثيقة بين الفكر والعمل .

فلسفة الظواهر العقلية

اما « الظاهراتية » أو « علم الظواهر العقلية» أو « الفينومينولوجيا » ، فموقف رابع من الفلسفة المعاصرة يريد أصحابه تحليل الوعي الانساني في ادراكه للاشياء لعلنا نقع على حقيقته وحقيقة تلك الأشياء في آن معا ، نعم ، كانت هذه في مقدمة المحاولات التي بذلها الفلاسفة قبل « هوسرل » Husserl ، لكن هؤلاء الفلاسفة كانوا يفترضون دائما فروضا مسبقة على ضوئها يقومون عملية الادراك من وجهة نظرهم ، فاذا كانوا من التجريبيين قالوا ان نقطة البدء في الادراك هي « المعطيات » الاولية،فارضين من عندهم أن تلك المعطيات الاولية لا تكون الا انطباعات تقع من الأشياء على حواسنا،وان كانوا مثاليين او عقلانيين قالوا ان الأساس الأولي هو وجود أطر صورية عقلية في فطرة الانسان ــ يسمونها « مقولات » ــ فتكون هذه الأطر بمثابة الشباك تصيد من الدنيا التي حولنا مضمونات من هنا وهناك ، حتى اذا ما امتلأ اطار معين بمضمون معين ، كان لنا بذلك شيء من المعرفة العقلية بالعالم المحيط بنا ، فكان الجديد الذي دعا اليه « هوسرل » هو أن نواجه الأشياء بلا فروض مسبقة ، فتكون حقيقة الشيء الذي ندركه هي بالضبط كما ندركه ، حتى اذا ما سألنا سائل : أهي حقيقة حسية أم حقيقة عقلية ، أجبناه بأننا نرفض هذه التفرقة من أساسها ؟ فهذه الزهرة التي أراها وأعي صورتها لونا وشكلا ورائحة وكل شيء ، هي كما أراها واعيها ولا تحليل لها عندي وراء ذلك ، فلا أنا بالذي يزعم انها جاءتني معطيات حسية مبعثرة أول الأمر ثم قام ذهني بجمع المبعثرات في زهرة ، ولا انا بالذي يفترض أن عقلي كانت به أطر صورية مركوزة في فطرته هي التي جذبت اليها مدركات الزهرة وصبتها في قوالبها حتى تكاملت في تصوري زهرة ، وانما الذي أقوله هو انني ادركت الزهرة كما ادركتها ، واذن فهذه هي حقيقتها .

على أن الذي يهمنا نحن من هذه «الظاهراتية » (وهي التي عنها تفرعت بعض فروع الفلسفة الوجودية الحاضرة) هو أن الوعي الذي نعي به الأشياء ليس بمثابة كيان مستقل قائم بذاته مثل الذراع أو اللسان ، وانما الوعي عبارة عن«انتباه» او « التفات » ، ومن ذا الذي يتصور « الانتباه » كيانا له استقلاله وحدوده ؟ انه « اتجاه » أو اشارة ، انه كشعاع الضوء يسقط هنا أو هناك فيظهر بسقوطه شيء ما ، وأهم ما يميز الوعي هو ما أسماه هوسرل « بالقصدية » ، أي انه دائما يقصد باتجاهه المعين الى مسقط ما يسقط عليه فتدركه ، وعلى هذا الأساس (وأرجو من القارىء حصر انتباهه هنا لأهميته في موضوعنا) يكون من التناقض أن ندعي بأننا نعي فكرة ما دون أن يكون لهذه الفكرة ما تشير اليه في دنيا الواقع ، ان عملية الادراك لا تتم الا بهاتين الشعبتين معا : لفتة من الوعي ، وشيء معين نقصد اليه تلك اللفتة ، اما أن يقال عن اللفتة انها لا تلتفت الى شيء فذلك ينفي عنها طبيعتها ، أو أن يقال اننا أدركنا ما أدركناه بلا التفات اليه فهو تناقض ممتنع الحدوث ، لقد كان مما أخذه هوسرل على ديكارت قول ديكارت « أنا أفكر . . » كأنه جزيرة وحده معزولة عن العالم وعن الآخرين، على حين انه محال أن تحدث عملية تفكير الا اذا تعلقت بقصد معين يكون هو الشعبة الثانية التي يتم بها الموقف الادراكي ، فالأمر هنا كالمقص لا يكون مقصا باحدى شعبتيه دون زميلتها .

وبهذا الجانب من « الظاهراتية » تلتقي مع المذاهب الفلسفية الثلاثة التي أسلفناها ، في انها جميعا تربط الفكر بالاشياء ، والا تنتفي عن الفكر طبيعته .

الفلسفة المعاصرة مدارها البحث عن المعنى

لقد قيل عن الفلسفة المعاصرة انها تتميز

ـ عموما ـ بأنها جعلت مدارها الرئيسي هو البحث عن « المعنى » وبعض ما يُقصد اليه بهذا الوصف ، هو أنها أصبحت تشترط لكل فكرة تطوف بذهن ، ولكل عبارة ينطق بها لسان ، مشارا اليه ، تشير اليه الفكرة أو العبارة ، فيكون هذا المشار اليه هو مدلول الفكرة أو معنى العبارة ، فاذا لم تجد للفكرة المعنية أو للعبارة المعنية مشارا اليه في دنيا الواقع ـ سواء كان ذلك وجودا بالفعل أو وجودا بالامكان ـ لم تتردد في ان تقول عن الفكرة المزعومة انها تشبه الأفكار وليست منها ، وعن العبارة انها لغو بغير معنى، ذلك هو موقف الفلسفة المعاصرة باجمعها ، كائنا ما كان مذهبها ، مادية جدلية او برجماتية ، أو تحليلية ، أو ظاهراتية ووجودية ، فماذا يكون موقف الفكر العربى من ذلك كله ؟

حاملو الفكر العربى اقتسموا تلك المذاهب الأربعة

اننا لو قصدنا « بالفكر العربى » أشخاص الرجال الذين حملوه ، تدريسا في الجامعات او تحريرا في الكتب والمجلات ، وجدنا امرا عجبا، لاننا واجدون هؤلاء الرجال قد اقتسموا فيما بينهم تلك المذاهب الفلسفية الأربعة ، كل اخذ منها بما يتفق مع تكوينه العقلى ، فما من مذهب منها الا وقد كان له الاتباع المؤيدون العارضون الشارحون، ثم اضيفت الى هؤلاء جميعا فئة خامسة انتشر افرادها على مدارج المثقفين من اعلاها تخصصا الى أدناها علما ، وهى فئة جمعت قوما لا يكادون يعرفون عن عصرهم شيئا ، واكتفوا بزاد كثير أو قليل يقطفونه من كتب الأقدمين ، وقد اقتضى دفاع هؤلاء عن انفسهم ـ أحيانا عن قصد ووعى وأحيانا أخرى عن غير قصد ولا وعى ـ أن يوجهوا سهام النقد ـ والشتم في كثير من الحالات ـ الى ما ليس يعرفون عنه شيئا ، اعنى انهم يوجهونها الى العصر وفكره وأهله ؟ فلنتركهم في كهوفهم يظلمون .

المؤيدون لمذاهب عصرهم

ولننظر الى المؤيدين لمذاهب عصرهم هذا ، على اختلافهم بعد ذلك في اىّ من تلك المذاهب يؤيدون ، وها هنا سنجد الأمر العجب الذى اشرت اليه ، وهو انه بينما المذاهب المعاصرة جميعا تتفق آخر الأمر في وجوب ارتباط الافكار بالاشياء والافعال ، فان واحدا منها فقط هو الذى يجعل هذا الارتباط الضرورى موضوعه الخاص ، وذلك هو مذهب التحليل المنطقى ، على حين يظل ذلك الارتباط مضمرا الى حد بعيد او قريب في سائر المذاهب ، ومع ذلك ، فلما شاءت المصادفة النافعة أن يتصدى لمذهب التحليل المنطقى مَن أولاه اهتمامه وعنايته ، فعرضه محاضرا وكاتبا ، تألب عليه الآخرون تألبهم على عدو ظهر في الميدان ، يخشون أن تنقلب عصاه حية تبتلع سائر الحيات ، لماذا ؟ لأن المفكر العربى ـ شأنه شأن الانسان العربى على اطلاق ـ يخاف ان تجعلها له صريحة ، بأن الفكرة أو العبارة اما تحولت الى عمل واما كانت وهما ولغوا ، انه يخاف ذلك لأننا قوم نأكل لفظا ونشرب لفظا ونتسلى في أوقات فراغنا بلفظ ؟ وقد يعمل منا العاملون ، لكن أعمالهم ـ مع ذلك ـ تكون في عالم لا يؤثر ولا يتأثر بعالم اللافظين .

عالم الكلام هو عالم التخطيط

وهذا هو أول الاصلاح الفكرى في حياتنا : أن ندمج العالميْن في واحد ، فيكون عالم « الكلام » هو جانب « التخطيط » لعالم العمل والتطبيق، انه لم يكن مصادفة أن أصبح « التخطيط » علامة من أبرز العلامات المميزة لعصرنا ، لأن التخطيط تحليله هو أن « الفكر » خطة لعمل نؤديه أو هو لا يكون فكرا ، فعملية التخطيط التى شاعت انما هى انعكاس لفلسفة العصر كلها ، أو ان شئت فقل ان فلسفة العصر قد استقت ماءها من ميول العصر واتجاهاته .

لا فكر الا اذا أدى الى تغيير

فالمدخل الذى اقترح أن يكون بابنا الذى ندخل منه الى ساحة الفلسفة المعاصرة ، هو الوصول الى هذه الحقيقة الكبرى بشتى السبل، حقيقة ان الفكر لا يستحق أن يكون فكرا بمعناه الصحيح ، الا اذا رسم الطريق المؤدى الى التغيير، وهى حقيقة التقت عندها كل مذاهب العصر كما اسلفت ، فلا ضير على المتفلسف منا أن يختار أيا ما شاء من تلك المذاهب ، ليدرسه لنا بكل

تفصيلاته ، ولن يكون في اختلافنا فيما يختاره كل لنفسه « صراع » بقدر ما ينتج عنه التأييد والتركيز لما نحن في اشد الحاجة الى تأييده وتوكيده ، وهو ـ واقولها مرة ثانية وثالثة وعاشرة بلا ملل ـ ان « الفكر » ليس له في عصرنا معنى الا أن يكون أداة لتغيير ما نود تغييره مما يحيط بنا : من مواقف في السياسة الى شئون في الاقتصاد او في التعليم او في نقد الفنون او فيما شئت أن تغيّره .

لم تكن الدنيا على هذا الاهتمام كله بالجانب التطبيقي العملي من الفكرة في اى عصر مضى ، لان فكرتنا عن «العلم» نفسها قد تغيرت مع العصور : كان « العلم » عند اليونان الاقدمين هو أن تصنف الكائنات أنواعا وأجناسا ، ثم ترتب تصوراتك الذهنية عن تلك الأنواع والاجناس ترتيبا يصعد بها من الأخصّ الى الأعم على صورة هرمية ، وتستطيع أن تلم بالعلم كله ـ على هذا النحو ـ دون أن يكون في يدك جهاز واحد ، ودون ان تحرك من كائنات العالم جناحا لبعوضة ، وجاء العصر الوسيط ، فكان « العلم » هو ما مهد الطريق الى السعادة في الآخرة ، واذا شئت فاقرأ ـ مثلا ـ كتاب الغزالى « احياء علوم الدين » لترى كيف يكون العلم في تصوره رسما لكل خطوة يخطوها من أراد نعيم الآخرة ، أو اقرأ له « ميزان العمل » ، وكانوا جميعا على هذا المنوال نفسه في تصورهم « للعلم » ، ثم جاءت النهضة الأوروبية وما بعدها ، فنشأ العلم الطبيعى نشأة متكاملة بعد أن اجتاز مراحل التمهيد قبل ذلك ، لكنه كان أيضا علما نظريا الى حد كبير ، فقد ينشر نيوتن ـ مثلا ـ نظريته الجاذبية ، فيعلمها دارسو العلم ، لكن شيئا من أوضاع الحياة العملية لا يتغير ، وأما في مرحلتنا التاريخية هذه ، فقد تغير الموقف من أساسه ، وأصبح العلم ممزوجا بالأجهزة التى تعين على انتاجه ، مزجا جعل النظر والعمل وجهين لكل خطوة نخطوها في مجاله، ثم لا تكاد النتيجة العلمية الجديدة تظهر حتى تبنى عليها أدوات للحياة العملية تراها في كل ركن من أركان الدنيا ماثلة .. هذا هو «العلم» الذى فلسفناه في المذاهب الفكرية التى اختلفت منهجا واتفقت في نتيجة عظمى ، هى أن الفكرة اداة للعمل ، وهى النتيجة التى تلزمنا ـ أعنى الأمة العربية ـ اكثر مما تلزم سوانا ، للاسهال اللفظى الذى اصيبت به ثقافتنا ، دون أن يحدّ اللفظَ انجازٌ في دنيا العمل .

وقد يسالنى سائل ممن يحبون القول ويكرهون العمل : أتريدنا على أن نقيد كل لفظ نلفظه بعمل يتبعه ؟ واجيب مسرعا بالنفى ، فلك مجالات كثيرة تستطيع فيها أن تمرح بلفظ غير مسئول ، اما حيث تقف أمامنا مشكلات الحياة تتحدى مطالبة بالحلول ، فها هنا لن يزحزح اللفظُ جبالها مهما زخرفته ببيان وبديع ، وضبطت له الوزن والقافية ، ها هنا لا بد أن يرسم خطة للعمل الذى نؤديه حيال المشكلة القائمة ـ ذلك هو الدرس الذى نتعلمه من مذاهب الفلسفة المعاصرة جميعا ، وذلك وحده هو جواز المرور الذى لا يمكنك الدخول في أجواء هذا العصر الا به .

القرآن والعمل

وهل في هذا الذى يتطلبه منا العصر شيء جديد كل الجدة على ما ورثناه عن تراثنا الفكرى من مبادىء ؟ ان القرآن الكريم كلما وجه الخطاب الى « الذين آمنوا » أضاف الى ذلك قوله « وعملوا الصالحات » ، كأن الايمان لا يكون ايمانا كاملا الا اذا اقترن بالعمل الصالح ، وصلاحية العمل انما تكون بالنسبة الى الهدف المنشود والى نوع الموقف الذى نواجهه ، كالمفتاح لا يكون «صالحا» للباب الا اذا نفع في فتحه واقفاله ، والسيارة لا تكون صالحة الا اذا دارت آلتها على النحو المطلوب للسير ، وكذلك السياسي لا يكون صالحا الا اذا رسم لقومه خطة للعمل الناجح، والاقتصادى لا يكون صالحا الا اذا عرف الطريق الذى ينقذنا من التخلف ، وهكذا ، كل هؤلاء عاملون للصالحات التى وان بدأت بدنيا الناس ، فهى الطريق الى مرضاة الله ، فليست تعوزنا المبادىء النظرية في ثقافتنا الموروثة ، ولكن ماذا تجدى المبادىء اذا لم تنسكب في سلوك الناس «عادات» يحيون على أساسها ؟ بمثل هذه العادات ، ننشأ عليها في ربط القول بصلاحيته في دنيا العمل ، ننخرط في تيار عصرنا ، وفي الوقت نفسه نلتزم ميراثا كريما ورثناه . ■■■

زكي نجيب محمود

صُوَرٌ وراءَ كُلٍّ مِنْهَا خَبَر



يريدون اللحاق بالركب

● ليس من شك في ان المراة لها من الاعمال ، واحوال البشر على الطبيعة وعلى السلم الذي اراده الله، ما يبعد بها عن الأعمال الشاقة كالحرث الذي نراه في هذه الصورة .

ولكن دواعي الحياة قد تتطلب من الانسان ما ليس يرضى . وعن الصين كنا نقرا ونحن صغار ، كم يموت في بلد مثل شانج هاي كل يوم . يموتون جوعا ويموتون مرضا . وتأتي الشرطة في الصباح الباكر فتجمع اجسامهم كما تجمع القمامات . والناس هناك ينظرون . وبحكم العادة ، في سبيل حياتهم يمضون .

ولا شك ان اطعام ربع سكان الارض، المقيمين على أرض الصين ، قد اضطر اهلها الى استخدام النساء هكذا في فلاحة الارض . انه اما العمل واما الجوع ، في تلك الأمة المتكاثرة التي لا يكاد المرء يرى فيها نهاية لهذا التكاثر . واستخدام النساء في زرع او غير زرع ، له لا شك أسباب وحوافز أخرى ، تعم اكثر الدنيا ، لا سيما المتحضرة منها .

بقي ان نذكر ان الارض التي يقوم على تقليبها النساء في هذه الصورة ارض سهلة الحفر والحرث ، لاتحتاج من الاداة لغير الفؤوس ، ولا الى الأيدي لأكثر من ايدي النساء .



أول لقاح ضد الجدرى

● انها صورة من الصور التاريخية التى صنعت الخير للناس على مر الأجيال .
انها صورة الانجليزى ادوارد جنر Edward Jenner (١٧٤٤–١٨٢٣) وهو يلقح صبيا بلقاح ضد مرض الجدرى .

ومن اوائل من جرب هذا اللقاح من اهل اوروبا الملكة كترين الكبرى (١٧٩٢ – ١٧٩٦) ، ملكة روسيا ، وكانت استدعت « جنر » الى عاصمة الروس عندئذ الى سان بيتربرج ، لهذا الغرض .

والغرض من اللقاح ، هو اثارة الجسم الى مقاومة الداء ، وهو على صورة خفيفة جدا ، وذلك بأن يصنع من مواد الجسم دواء يوقف مفعول الجدرى ، ويذهب بأسبابه . وغير المرضى يتلقحون ، حتى اذا جاءهم الداء وجد فى اجسامهم ما يكافحه .

اعطس ولكن فى منديلك

● انت تعطس ، ولا تدرى كم مساحة او حجم ملأت عطستك من الجو ؟ وذلك لأنك لا ترى رشاش العطسة وهو ينتشر .

والآن ، وقد رأيته كيف انتشر فى الصورة ، فانت لا شك حام من حولك منه عندما تعطس . انه قد يحمل الى غيرك ما قد يكون فى فمك من اسباب المرض .

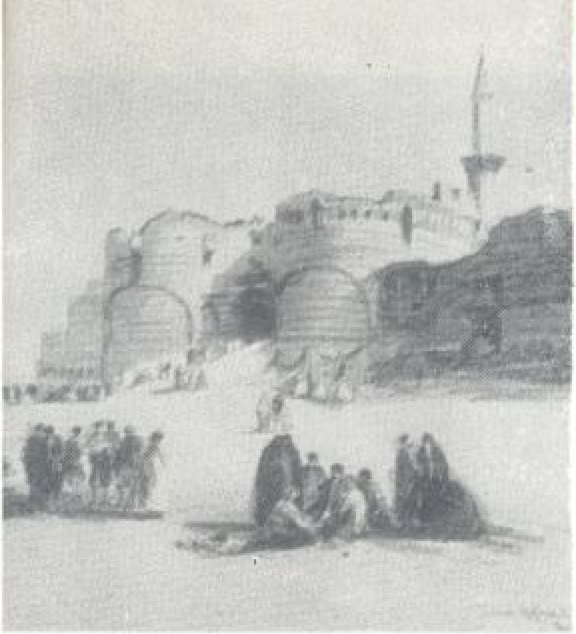


اللغة الصينية

بها أكثر من ٥٠٠٠٠ رمز

● ابتدع الصينيون للطبع حروفا متنقلة ، ولكن كانت عند الجميع من الصعوبة بمكان ، ذلك لأن الرموز التى فى اللغة الصينية كثيرة جدا . لقد زادت على ٥٠٠٠٠ وجب على كل متمكن من اللغة أن يحفظها . وفى الصورة ترى جامع أحرف وأمامه صندوق الحروف ، وهو تائه فيه ينظر ليجد الحرف الذى يطلب .





مُشكِلة تَدهْوُر المُدن في تاريخنا الحضاريّ

بقلم: الدكتور حسين مؤنس

■ من الحقائق التي نعرفها ونقررها عن عالم الاسلام انه عالم مدن، فتاريخه تاريخ مدن، وحضارته حضارة مدن، وكذلك نظمه والطابع الغالب على تشريعاته، كلها مدنية.

وتاريخنا في حقيقته تاريخ مدن، فالذي يؤرخ للعراق انما يؤرخ لبغداد والبصرة والكوفة وغيرها من المدن، ومادار من صراع حولها، وكذلك من يؤرخ للشام فانه يؤرخ في الغالب لدمشق وحلب، ومؤرخ مصر يؤرخ في الحقيقة للفسطاط ثم القاهرة وهكذا.

والناس عندنا سواء في الماضي او الحاضر مولعون بالمدن والحياة فيها، فكل المصريين يريدون ان يعيشوا في القاهرة، وكذلك كل العراقيين يريدون العيش في بغداد وهكذا، بل يصل الامر الى اننا نجد نصف سكان لبنان تقريبا يعيشون فعلا في بيروت.

وكذلك كان الحال في الماضي، ومن الطريف ان عرب الجزيرة ـ وهم في صميمهم اهل بواد وواحات ـ عندما خرجوا من جزيرتهم مع الغزوات تجمعوا في المدن ولم يرتاحوا الى الانتشار في الارياف، حتى في بلاد جميلة الريف كالاندلس نجد العرب يتزاحمون على السكنى في قرطبة حتى يضطر احد الولاة وهو ابو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي الى تفريقهم في الارياف بالقوة لكي يتخلص من



❊ رغم ان عالم الاسلام عالم مدن الا ان مدننا كانت دائما في تدهور
❊ حقائق عن المدينة وطبيعتها المميزة
❊ لم تعرف حضارتنا نظما خاصة لحكومة المدن والعناية بشئونها
❊ لماذا تختفي المدن الدائرة تحت تلال الرمال والتراب ،
❊ لا يمكن ان تزهر مدينة اذا اطلقت السكن فيها دون حدود
❊ مدننا كانت دائما يتيمة الاب والام ، لا يرعاها احد ..

تدخلهم في شئون السياسة ، ومع ذلك فعندما تفرقوا عن العاصمة تركزوا في مدن الارياف .

ويبلغ من تركز الحياة والنشاط في المدن عندنا اننا نقرأ تاريخا كتاريخ الطبري فلا نكاد نشعر ان هناك ريفا او فلاحين ، فاذا ذكر الريف مرة كان ذلك لمناسبة ثورة قامت فيه او جائحة نزلت باهله من مثل حريق اوفيضان ، كان الريف في احساسه مجاهل لا يسكنها الا من كتب الشقاء عليه ، وهذا بالفعل ما يفهم من كلام الجاحظ في الكثير من كتبه .

والامر بخلاف ذلك في غير عالمنا

وبخلاف هذا نجد الغرب مثلا ، فان القرى والارياف هناك من قديم الزمان مراكز نشاط وقوة ، وفصول كبيرة من تاريخ بلاد مثل انجلترا وفرنسا صنعها بارونات والاقطاعيون يسكنون حصونا في طول البلاد وعرضها ، ولكل منهم رجاله وجنوده من اهل القرى في ناحيته ، ومن قديم الزمان يتفرق جمال فرنسا في ريفها وقراها ، وانت اذ تطوف في المانيا يستوقفك جمال القرى اكثر مما يجتذبك جمال المدن ، وتحس ان هذا الجمال قديم ، اى انه كان لهذه القرى منذ كانت في التاريخ .

وبقدر ما نولع نحن بالمدن يعشق الناس هناك الريف ويفضلون الحياة فيه على المدن اذا استطاعوا ،وجانب كبير من اهل لندن مثلا يسكنون في قرى وبلاد صغيرة تبعد بعد مدينة بنها عن القاهرة مثلا .

وعندما نقرأ تاريخ العلم في اوروبا نجد ان عددا كبيرا من علمائها قضوا معظم حياتهم في قراهم ، وهناك اجروا تجاربهم والفوا كتبهم ، فاذا انتقل احدهم من قريته الى المدينة فانه لا يقطع صلته بقريته ، ولا يزال يتردد عليها طول عمره ، وفي غالب الاحيان نجده يعود الى قريته في سنوات شيخوخته وفيها يموت ، ومن حين قريب فقط راينا كيف ان شارل دي جول كان يعتبر نفسه من سكان قرية كولومباى ليدوز ايجليز Colombey les Deux Eglises لا من سكان باريس طول حياته .

وقد نرد ذلك الى ان الريف عندنا يهمل وان الحياة فيه عسيرة مجردة من تيسيرات المدن ومرافقها ، ولكن هذه الحقيقة نتيجة لنفورنا الطبيعي من العيش في الريف ، فلو اننا كنا نحب الريف ونتمسك بقرانا التي ننشأ فيها لما وصلت ارياقنا الى هذا الحد من الاهمال .

الاهتمام بالتاليف في وصف المدن

ونتيجة لهذا الولع بالحياة في المدن كثرت المدن في عالمنا الاسلامي وتنوعت واصبح لكل شخصية مميزة وتاريخ طويل ، فمع انك تحس اذا انتقلت من بغداد الى القاهرة مثلا انك تعيش في نفس الجو الحضاري فانك تحس باختلاف بيّن في الشخصية بين الاولى والثانية .

وقد فطن مؤرخونا لتلك الحقيقة فاكثروا من التاليف في المدن وفضائلها وتواريخها كما أرخوا للدول والممالك ، وبعض هذه المؤلفات اعمال علمية جليلة انفق في تصنيفها اصحابها السنوات الطوال ، وقضوا العمر يدرسون الآثار وينقبون في الارض كما يفعل علماء اليوم ، وأمامك مثلا تاريخ مكة للازرقي ، ووفاء الوفا بالتعريف بمدينة المصطفى للسمهودي ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، وخطط الشام لابن عساكر ، ووصف القاهرة المعروف بالمواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار للمقريزي ، وأمثال هذه من المؤلفات التي نعتبرها من المصادر الاساسية لتاريخنا الحضاري .

وبصفة عامة لا اظن ان هناك مدينة كبيرة واحدة في تاريخنا لم يؤلف الماضون في وصفها وتاريخها ، هذا بالاضافة الى كتب الجغرافيين والرحالة وهي حافلة بالكلام على المدن ووصفها .

ومع ذلك فان مدننا كانت في حالة اضمحلال دائم

وعلى الرغم من هذا الاهتمام بالمدن والولع بالعيش فيها في عالمنا الاسلامي فاننا نجد ان الكثير من كبار مدائننا التاريخية قصيرة العمر ، بل ان فترات الازهار والرونق والجمال في تاريخ معظمها قصير ، وسنضرب صفحا عن مدن كبيرة اختفت تماما مثل الكوفة ، ونركز كلامنا هنا على المدن التي عاشت وطاولت الدهر كالبصرة وبغداد والقاهرة وفاس وننظر في أحوالها في أيام ازهارها .

بصفة عامة ، وعلى رغم ما نقرأ احيانا من اوصاف المباني السامقة والشوارع الفسيحة نلاحظ بصورة عامة ان هذه المدن كلها ازهرت فترات قصيرة فتوسعت وعمرت بالناس وقامت فيها المباني الجميلة ، ثم أخذت كلها دون استثناء تضمحل وتخرب رغم كثرة الناس فيها ورغم انها ظلت عواصم لدول كبيرة .

فبغداد ، مدينة السلام التي انشاها ابو جعفر المنصور في هيئة دائرة مركزها المسجد الجامع وقصر الخلافة وتحيط بها الأسوار لم تلبث ان ضاقت باهلها واتسخت شوارعها ، وقلّ الامان فيها وكثرت خرائبها ، وفي القرن الرابع الهجري مثلا وهو العصر الذهبي لبغداد كانت الحياة في بغداد عسيرة كل العسر ، وتراكمت مشاكل المدينة واستعصت على الحل واشتدت شكوى الناس فيها من قلة الأمن وعدوان اللصوص ..

والقاهرة التي بناها جوهر الصقلي لتكون مدينة ملكية لخلفاء الفاطميين ، ظلت مدينة ملكية حقا لا يدخلها الناس الا بحساب شديد حتى أيام الحاكم بامر الله ، ثم اخذت تضمحل ، فضاقت شوارعها وتلفت مرافقها وتزايد السكان فيها . والمقريزي في خططه يقدم لنا صورا من متاعب الحياة فيها . وفي العصر التركي اصبحت الخرائب في القاهرة أكثر من المباني العامرة ، وفي آخر العصر المملوكي ، وبينما كان السلاطين يجتهدون في بناء المساجد الكبرى التي هي مفخرة القاهرة اليوم ، كان البلد يموت فعلا ويحط عليه الفقر والتراب طبقات بعد طبقات . وهذه هي صورتها عند رحالة مثل لويس بوركارت الذي زار القاهرة في اوائل عصر محمد على وأعطانا عن الحياة فيها صورة محزنة .

ولم تكن أحوال المدن الاسلامية الأخرى أحسن من هذا باستثناء الاستانة ، فقد كانت لها ظروف حفظت عليها رونقها بعض الشيء . وربما كان البلد الاسلامي الوحيد الذي احتفظت المدن فيه بجمالها ونظافتها وسارت في طريق التحسن هو الأندلس نفسه وتطور تاريخه السياسي والاجتماعي .

المدينة ، تولد مدينة ، وتظل مدينة على طول تاريخها

وقد تنبه ابن خلدون الى حقيقة اضمحلال المدن هذه،ولكنه لم يفطن الى أسبابها الحقيقية، لأن ابن خلدون رغم علمه الواسع واهتمامه بقضايا العمران لم يعرف الموضوع الأساسي فيما يتصل بالمدن وهو حقيقة المدينة نفسها : ما هي وكيف تعيش ولماذا تتقدم ولماذا تموت .

فالمدينة ليست كما ظن مكانا يتجمع فيه الناس للتعاون في شئون المعاش ، كذلك هي ليست قرية كبيرة ولا مساكن تحيط بحصن ولا معسكرا .

وانما هي مركز تجمع بشرى ، والناس يتجمعون بطبعهم بدافع من الطبيعة البشرية نفسها ثم بدوافع الأمن وطلب المعاش وتيسير الحياة وما الى ذلك ، وهذا كله يتيسر في أي موضع يجد الانسان فيه موردا دائما لمياه الشرب ، وهذه المواقع كثيرة جدا ومعظمها تقوم فيه قرى ، وفي مصر وحدها ٦٠٠٠ قرية ، ولكن الغالبية العظمى من هذه نشأت قرى وظلت قرى آلاف السنين وستظل قرى أيضا في المستقبل .

ولكن بعض هذه المواضع كان يحقق منذ البداية مصالح للناس أكثر من الأمن وطلب المعاش وتيسير الحياة واشباع غريزة التجمع ، فبعض هذه المواضع قام في نقط يكثر مرور جماعات الناس فيها ، وبعضها الآخر كان في موقع متوسط مكن لأصحابه من السيطرة على ما حولهم .وهناك مواقع قامت على مرتفعات تشرف على ما يحيط بها فاجتهد أصحاب السلطان في السيطرة عليها ، وهناك أيضا مواقع على البحر تأمن السفن فيها من العواصف والأمواج ويستطيع أهل الصيد أن يتجمعوا فيها .

هذه المواقع كلها تصبح مدنا بطبيعتها : تكبر وتتسع ويتكاثر الناس فيها ويهتم الملوك بالاستيلاء عليها وجعلها عواصم أو مدنا كبيرة في بلادهم ، أي أن الموقع يتطور بسرعة الى مدينة لأنه يحقق لأصحابه مصالح سياسية واقتصادية وبشرية أكثر مما يحققه غيره . ولهذا يقال ان المدينة تولد مدينة مهما صغر حجمها بالضبط كما تولد شجرة السنديان وطولها بعدُ نصف متر ، وقد يقال كذلك ان المدينة تولد قرية ، ولكنها تكون منذ البداية قرية ــ مدينة وتتطور سريعا . ولهذا لا نعجب اذا سمعنا أن مدينة بنيت وهدمت سبع مرات مثل طروادة، لا لأن الناس متمسكون بأحيائها بل لأن موضعها لا بد أن تقوم فيه مدينة .

فالقرية تحقق الأمن ومطالب العيش لسكانها ، اما المدينة فتحقق الأمن لدولة أو لشعب ، وتؤمن مطالب العيش لسكانها وغير سكانها ، لأن الصانع المجيد والتاجر الطموح يقصدانها ، ويهتم رجل السياسة والسلطان بالاستيلاء عليها وتأمينها فيزداد اقبال الناس عليها ، وهي تنمو على قدر ما تساعدها ظروفها الطبيعية من توفر المياه والأقوات ووسائل الاتصال ومصادر الثروات ، فهناك مدينة تصل الى أن تصبح عاصمة اقليمية ثم تقف عند هذا الحد ، وأخرى تمكنها ظروفها الطبيعية من أن تكون عاصمة قطر كبير،وقد تتدهور العاصمة وتخرب وتفتقر حسب الظروف السياسية السيئة ولكنها تظل رغم ذلك عاصمة ورئيسة لغيرها . وقد يتخذ ملك من الملوك بلدا عاصمة له ويحاول أن يجعل منها مدينة كبيرة فلا ينجح ، ويظل البلد دائما قرية كبيرة كما ترى في العواصم الكثيرة التي اتخذتها دول اسلامية ثم تلاشت بعد زوال تلك الدول . لأن ارادة الحاكم لا تنشيء المدينة وانما الظروف الطبيعية للمدينة هي التي تنشئها ، وتستطيع أن تقول انه كان هناك دائما مدينة كبيرة في منطقة القاهرة ومدينة كبيرة في منطقة بغداد ، وأخرى في منطقة البصرة أو دمشق أو بيروت أو القدس .

السبب الرئيسي في اضمحلال مدننا : لم تكن لها حكومات محلية أي بلديات

وما دمنا قد وصلنا الى تحديد ماهية المدينة وطبيعتها فسنذكر الحقيقة الأساسية التي غابت عن ابن خلدون فحالت بينه وبين أن يصل الى حقيقة الأمر في موضوع المدن كما وصل في موضوعات

اخرى كثيرة .. غاب عنه أن المدينة كائن حي يعيش ويتنفس وينمو ويمرض ويصح ،وأساس حياته وصحته هي مرافقه كما أن الكائن الحي يعيش بأعضائه وأجهزته وما تقوم به هذه من وظائف .

وأهم مرافق المدن التي لا تعيش بدونها هو جهاز التنظيف واخراج الفضلات من المدينة الى مكان بعيد لأن الجماعات البشرية المتجمعة في مكان واحد تنشأ عنها مقادير ضخمة من الفضلات والمواد المتبقية بعد الاستعمال : بقايا الطعام ، الاجزاء التي لا تستعمل من الخضراوات واللحوم وبقايا مواد البناء والصناعة وما الى ذلك ، أي كل ما نجمعه تحت قولنا اليوم « القمامة » . هذا الى جانب الفضلات الطبيعية للبشر والمياه المستعملة أو القذرة ، وتصريفها في ذاته مشكلة حيوية للمدن .

هذه كلها لا بد لها من انظمة تعمل باستمرار لابعادها عن المدينة ، والا فان تراكمها لا يلبث أن يطمر المدينة ويخنقها ..

ولا يمكن ان يتم هذا الا اذا كانت للبلد حكومة قائمة بذاتها مهمتها العناية بنظافة المدينة وانقاذها من الاختناق ورعاية الأمن والحياة فيها .

وهذا هو ما تسميه عادة بالمجلس البلدي أو البلدية أو مجلس المدينة او ما شئت من تسميات أخرى .

هذه الهيئة لا بد أن توجد وتقوم بعملها بصورة مستمرة حتى تظل للبلد نظافته ورواؤه وجماله ، وبدونها لا بد أن تختنق المدينة شيئا فشيئا ..

وفي كل مدن العصور القديمة مثل مدن مصر القديمة او مدن بلاد الاغريق او الرومان قامت هذه الأجهزة وظلت تعمل بنظام ولهذا عاشت مئات السنين طيبة ، ومنف وأثينا واسبرطة وروما زاهرة نظيفة جميلة . والشيء الأساسي في هذه الهيئات أن تكون العناية بالمدينة هي عملها الوحيد ، فلا يمكن أن يعهد في العناية بالمدينة الى المحتسب أو القاضي أو واحد من الأمراء ، فيعهد هذا بالأمر الى من دونه وتكون النتيجة الا تؤدى الوظائف الحيوية ..

القمامة والفضلات تقتل المدينة

وأوساخ المدن وقمامتها تتراكم يوما بعد يوم بكميات لا تصدق ، وفي العادة عندما تتراكم الاقذار في حي من المدينة تقل أهمية الحي كله ويهجره أهل المال والسلطان الى أحياء جديدة فيحل محلهم الفقراء والباعة والمتسولون واللصوص فلا يلبث الحي كله أن يموت ، اذ تتخرب دوره مع الزمن ولا تجد من يبنيها لتفرق ملكيتها في الورثة الكثيرين ويصبح العائد منها على كل منهم لا يساوي عناء البناء ..

ولعلك قرأت أن الاثريين اذا ارادوا الكشف عن مدينة قديمة اخذوا يحفرون في موقعها ليعثروا عليها وليس معنى هذا أن المدينة غارت في الارض بل تراكمت فيها الاقذار والقمامة والفضلات ، ثم اخذت البيوت تتخرب وهجرها الناس ثم حطت عليها الأتربة فتتحول المدينة التي كانت زاهرة بالأمس الى تل من الأتربة والأقذار .

ومن اسف أن مدننا الاسلامية خلت من هيئات خاصة بالعناية كما كان الحال مع مدن اليونان والرومان ..

ومهما قرأنا في تواريخ مدننا فاننا لا نجد بلديات أو ما يشبهها ، حتى بغداد عندما وضع تصميمها أبو جعفر المنصور لم يفكر في ذلك .. بين الحين والحين نجد هذا الخليفة أو ذاك ينتبه لسوء الحال ويأمر رجلا من رجاله بمعالجة ازمة طارئة تعانيها المدينة ، وفيما عدا ذلك فقد كانت المدن متروكة لأهلها ..

ومن المعروف أن رعاية مرافق المدن تتكلف مالا كثيرا جدا ، وهذا الانفاق ينبغي أن يستمر يوما بعد يوم ، واهمال أسبوع واحد يجعل مدينة زاهرة جحيما لا يطاق السكن فيه .

لأن القمامة تربي التراب والبعوض والجرذان والكلاب الضالة والقطط وبنات عرس وما اليها ، وهذه كلها تطرد الناس وتقرض الحياة من بدن المدينة قرضا ، لأن محاربتها تحتاج الى عمل منظم فاذا لم يوجد هذا العمل تزايدت أعدادها وخاصة اذا كانت مقادير القمامة نفسها تتزايد .

في مدننا كان الذين يعنون بالمدينة هم سكان الحواري والأزقة والشوارع ، ولكن هؤلاء ما كانوا يستطيعون أن يعملوا الا الضروري الخاص بهم من كنس أمام البيوت وكسح للخزانات ، ولكن

الكناسة تظل دائما داخل المدينة اذ لا يوجد جهاز عام لاخراجها ، ومقاديرها تزيد يوما بعد يوم .

لهذا كانت مدننا تخرب وتتدهور .

وقد قال ابن خلدون ان الكوفة مثلا خـــربت لأن موقعها الطبيعى لم يكن ملائما لقيام مدينة ، وليس هذا بصحيح ، لأن موقع الكوفة اذا نظرنا اليه وجدناه موقعا مناسبا جدا لقيام مدينة ، فهى تقوم على الباب بين الجزيرة العربية والعـــراق وبلاد الشرق ، فهى محطة أساسية ومركز تجارى هام ، ولو وجدت عناية لازهرت .

ولكن الكوفة لم تجد قط من يعنى بها ..

نشأت معسكرا وعاشت القرن الاول من تاريخها معسكرا ومنزلا للمهاجرين من الجزيرة العربية : يحطون فيها ريثما يعرفون الى أين يذهبون : الى خراسان أو سجستان أو اذربيجان أو ديار بكر أو ديار ربيعة .. ثم يتركونها ويمضون عنهـــا مخلفين وراءهم أكواما من الفضلات والقمامة . وخلال القرن الهجرى الثانى كان البلد مركـــز حروب طاحنة وقلاقل سياسية لا أول لها ولا آخر.

كانت دائما مدينة بلا سكان دائمين وبلدا بـلا صاحب ..

ولا بد للمدينة من سكان دائمين حتى يقوموا بالحد الادنى من الخدمات ، ولا بد من ان يكون لها صاحب أو سـيد من مثل ملك أو أمير أو مجلس محلى حتى يعنى بأمورها وينفق عليهـــا ويرعاها .

لهذا كان لابد أن تموت الكوفة ، ولكن لغير السبب الذى ذكره ابن خلدون ..

وليصدقنى القارىء اذا قلت له انه اذا كانت الكوفة قد ماتت تماما فان البصرة وبغداد والانبار وغيرها كانت انصاف اموات ، كانت مدنا تحتضر دائما ..

لا يمكن ان تزهر مدينة اذا كانت السكنى فيها مباحة دون حدود

وهناك سبب كاف لاضمحلال المدن عندنا وهو انها كانت ولا تزال مدنا مفتوحة الأبواب علـى مصاريعها ينزلها من يريد .

ولا يمكن أن تعيش مدينة حياة سليمة اذا كانت أبوابها مفتحة على مصاريعها على هذه الصورة.

ففى كل المدن الناجحة في العصور القديمـــة والوسطى والحديثة لا بد من نظام لسكنى المدن..

ففى مدن مصر القديمة وبلاد الاغريق والرومان كان لا يمكن لأى ريفى أو غريب أن يدخل البلد ويقيم فيه فترة ما الا باذن سلطات المدينة ، بل ان الاقامة الدائمة في المدينة كانت تعتبر عضوية في هيئة سكان المدينة Membership of a borough or local Municipal Corporation.

ولهذه العضوية أو المساكنة أو المواطنة شروط لا بد من أن يستوفيها الانسان والا طرد من المدينة، وكانت أهم الشروط في العصور الوسطى أن يكون للانسان مورد رزق معروف ومعترف به أو يكون ابنا لمواطن في المدينة وان يدفع مبالغ معينة من الضرائب ويشترك في الدفاع عن المدينة ، ولهذا كانت السكنى في المدينة تعتبر ميزة لها ثمـن مقابل ، وهناك فرق قانونى كبير بين ســاكن المدينة Citizem وبين مـن لا يسكنهـا ، فساكـن المدينة عضو في هيئة لها نوع من الاستقــــلال والميزات ، اما من لا يسكنها من أهل القرى فهم رعية Subjects ، ولا يستطيع أى رعية أن يدخل المدينة ويقيم فيها كانها ميدان مباح .وفي اللغات الاوروبية كلها تعتبر السكنى في المدينـــة أو المواطنة في المدينة Citoyenneté بالفرنسية و Cittadinanza بالايطالية و Ciudadania و Burgerrecht بالالمانية) وضعا قانونيا خاصا له حقوقه وعليه واجباته ، بل ان الكلمة الالمانية تعنى بالذات « حق المواطنة في المدينة » .

ونتيجة لهذا نجد ساكن المدينة مسئولا عـن مدينته او على الأقل يشعر انه مسئول ، وهـو يشترك في انتخاب الهيئة الحاكمة للمدينة ويؤدى ضرائب خاصة للمحافظة على المدينة ، ومن هنا فلم يكن من الممكن لأى انسان أن يدخل المدينة ويقيم فيها دون أن تصرح له سلطاتها بذلك .

بل ان سكنى المدينة أصبحت تعنى مستوى اقتصاديا معينا ، فساكن المدينة يعتبر في الغالب اغنى او أيسر حالا من غير ساكنها ، ومن هنـا أصبح لفظ Bourgeois وهو الساكن داخـل أسوار المدينة والمتمتع بحماية ابراجها Bourgs

يعني الانسان الميسور ، ونتيجة لذلك أصبح المياسير يكونون طبقة تسمى La bourgeoisie وهو لفظ ابتذلناه وأصبح الناس يستعملونه دون تدقيق أو فهم ، ومعظم من يسخرون امامك من البورجوازية لا يفهمون ما هي .

وهذا المستوى الاقتصادى هو الذىلايزال يحمى مدن الغرب من التدهور .

فليس هناك قانون اليوم يحرم اى فرنسي من سكنى باريس أو انجليزى سكنى لندن أو سويسرى سكنى زيوريخ ، ولكن سلطات هذه المدن لا يمكن أن تسمح لاى انسان أن يعيش فيها في الطريق كما يحدث في الكثير من مدننا ، ولا يمكن لرجل في لندن أن يفرش قطعة من القماش ويضع عليها فاكهة ويجلس الى جانبها طول النهار كما يحدث في مدننا . اذ لا بد للتجارة من محل أو من عربة نظيفة ترضي سلطات البلدية عن هيئتها. ولهذا فان السلطات تقوم بطرد المخالفين.

ثم ان مستوى الحياة في هذه المدن مرتفع والأسعار عالية ، والانسان لا يستطيع هناك أن يعيش على خبز وماء .. وحتى اذا لم تطرده السلطات فهو نفسه لا بد أن يبارح المدينة .ومن المعروف أن الحياة في المدن الاوروبية تقرض الفقراء وتقضي عليهم من تلقاء نفسها ، فالفقير العاجز عن الكسب هناك اما أن يلجا الى ملجا أو تقبض عليه سلطات الامن أو يموت من الجوع والبرد .

وهذا هو السر في نظافة تلك المدن .

ولو تصورت مثلا ما تتحمله الدولة في مصر مثلا لكى يعيش رجل في القاهرة على كومة أكواز من الذرة يضعها علىالرصيفويوقد ركوة نار ويشوى ويقشر ويرمى القشر .. هذا الرجل يعيش تعسا وهو يكلف الدولة من التنظيف والحراسةما يدفعه ثلاثة أو اربعة من دافعى الضرائب . ومن الخطأ الجسيم أن نعتبر هذه وسيلة مشروعة لكسب العيش ، فان هذا الرجل يؤذى المدينة ويكلف الدولة مالا جسيما ، ثم انه هو نفسه لا يعيش .

ولكن ، هل تفهم سلطاتنا ذلك ؟

المهم أن ذلك كله جعل المدينة في الغرب ملكا لاهلها وساكنيها وحفظ عليها مستواها وصانها من الهجرات المتوالية من الخارج ومن الريف ، وحافظ على مظهرها ورونقها ورعى مبانيها ومنشآتها وحال بين السلطات والعدوان على اهلها وحقوقهم ، واقتدرت البلديات على خدمة المدينة ومرافقها وتنظيفها وتجميلها ، وهذا ظاهر لكل من يزور مدينة أوروبية .

مدننا كانت ولا تزال يتيمة الاب والام ، لا يرعاها احد

من هذا كله لم تعرف المدينة الاسلامية شيئا ، فقد كانت دائما كلأ مباحا ، يدخلها ويسكن فيها من يريد ، ولم يكن لها مجلس بلدى أو بلدية ، ولم يؤد الساكن فيها ضريبة تمكن سلطاتها من القيام بشئونها ، ولهذا فقد أصبحت ضحية الطارئين من كل ناحية ، ومنذ أيام الحجاج ابن يوسف نلاحظ ظاهرة الاندفاع نحو المدن للسكنى فيها ، لأن ساكنها لا يكاد يخضع لسلطة في حين ان ساكن القرية كان يخضع لحاكم القرية سواء أكان عمدة أم مختارا وكان يعيش تحترقابة جابى الضرائب والحاشد اى الذى يأخذ الشبان للجندية .

هذا كله كان جانبا من ديمقراطية المجتمع الاسلامى ، وهذه الديمقراطية شيء مشكور ولكن عيوبها أنها تحولت في كثير من الاحيان الى فوضى. وفيما يتصل بموضوعنا نجد أنها أفسدت المدن وساعدت على خرابها واضمحلالها ولا يزال هذا العامل نشيطا في افساد رونق مدننا الى اليوم ، ومعظم ما تراه من تدهور مدن كالقاهرة يرجع الى تلك الهجرة غير المنظمة أو المحدودة من الريف الى العاصمة ، وهى هجرة تضر بالريف ولا تنفع المدينة ، ولا يمكن اصلاح أحوال المدن الا اذا أوقفت أو وضعت لها شروط ونظم .

وهناك عوامل أخرى كثيرة لاضمحلال المدن عندنا ، وهى عوامل سياسية واقتصادية ربما استطعنا عرضها في مقال آخر ، ولكننا على أى حال عرضنا أهم أسباب انهيار مدننا وألقينا شعاعا من الضوء على ظاهرة من ظواهر تاريخنا الحضارى . ■■

حسين مؤنس

للجريمة عالمٌ هو العالمُ السُّفليّ



عالم للرذيلة منعزل منبوذ !
لا يدخل إليه إلا من نبذه المجتمع !
ولا يخرج منه إلا من نبذته الحياة !

بقلم : الدكتور عدنان الدوري
دكتوراه علم الاجرام ـ استاذ مساعد بجامعة الكويت

■ هكذا سموها عوالم : عالم الحيوان ، وعالم النبات ، وعالم السياسة ، وعالم الفن ، وعالم المرأة . عوالم صغيرة هي اجزاء متميزة من عالم اوسع كبير . بل هي في الواقع عوالم مجازية اطلقوها لغرض التمييز او الفصل او التخصيص . تمييز طبقة كبيرة من الناس او فصل حرفة واسعة من الحرف او تخصيص حقل معين من حقول المعرفة العلمية او الفنية او التطبيقية .

وعالمنا اليوم لاشك عالم منقسم متخصص يكاد يتناول التخصص فيه كل جانب من جوانب الحياة . وصار اذن للجريمة عالم خاص بها . واطلقوا عليه «العالم السفلي» The under world وسموه سفلياً ليكون عالماً تحتانياً هو اسفل عالمنا العلوي السوي في معاييره ونظمه .

انعزال في طبقات المجتمع ، سالبة وموجبة

والحقيقة ان ظاهرة انعزال بعض طبقات المجتمع

عن بقية اجزاء المجتمع الكبير ليست بجديدة او فريدة . انما هي ظاهرة اجتماعية قديمة عرفتها مختلف الحضارات عبر عصور التاريخ المتعاقبة . فالجماعات كالافراد قد تختار لنفسها اسلوباً فريداً من اساليب العيش بحيث يختلف في تركيبه ومقوماته وفي اهدافه وغاياته عن تلك المتعارفات الجماعية التى درجت عليها الاغلبية الساحقة من افراد المجتمع الكبير . تلك هي حقيقة اشار اليها بعض علماء الاجتماع وبوجه خاص علماء علم البيئة البشرية Human Ecology . ذلك انهم يرون ان عملية انعزال بعض الجماعات البشرية عن السواد الاعظم لافراد المجتمع هي من العمليات الطبيعية المالوفة التى تنشأ نتيجة للتفاعلات الاجتماعية بين الافراد والجماعات .

وهم يقسمون مثل هذه التفاعلات الى مجموعتين رئيسيتين اولاهما تلك التفاعلات السالبة التى تجرى بصورة تلقائية وذلك نتيجة للتنافس الشديد بسبب ظروف المهنة او اسلوب كسب العيش . والتفاعلات الاخرى ايجابية واعية وهذه تنشأ عن وعي وادراك وذلك كردود فعل الاغلبية تجاه سلوك الاقلية . ومثل هذه التفاعلات تؤدى بالنهاية الى انعزال بعض الجماعات عزلة متميزة واضحة . منها ما يكون عزلة جغرافية او عزلة مهنية او عزلة اجتماعية .

عالم الجريمة

ولنعد الى ما اسموه بالعالم السفلي انه مجتمع صغير يعيش داخل المجتمع الكبير . وقد يتبادر الى الاذهان ان لكل مجتمع من مجتمعاتنا المعاصرة نصيباً معيناً من مثل هذا المجتمع الاجرامي ، سيما وان ظاهرة الاجرام لا تقتصر على مجتمع معين دون آخر . والحقيقة ان الجريمة شيء ومجتمع الجريمة او العالم السفلى شيء آخر . هذا العالم متمثل في الجريمة المنظمة او الاجرام المنظم . وقد لا يوجد مثل هذا الا في تلك المجتمعات الصناعية الكبيرة التى بلغت الجريمة فيها مرحلة متقدمة من الخطورة والكمية والتنظيم .

الجريمة بالاحتراف والجريمة بالعادة

وهو عالم منعزل يتميز بسمات تشخيصية تتصل بطبيعة تركيبه وبتنظيمه وبمؤسساته وبمعايره وببيئته وباسلوب الحياة فيه وطبيعة الروابط القائمة بين افراده . ان افراد هذا المجتمع يشكلون طبقة اجتماعية تتألف من طبقتين هما طبقة المجرمين احترافا وطبقة المجرمين عادة . المجرم المحترف Professional هو من جعل الجريمة مهنة وحرفة واسلوباً من اساليب العيش . فهو لا يعرف سواها مورداً من موارد الرزق . يعيش فيها ويعيش عليها طيلة حياته . أما المجرم بالعادة abitual ، فهو الذى يعتاد على ارتكاب الجريمة تحت تأثير حاجة ملحة لاشباع عادة ضارة لا يقدر على مقاومتها او الكف عنها . وهؤلاء هم طبقة الكحوليين والمدمنين على العقاقير المخدرة والمتسكعين والمتشردين . وهم في الغالب يرتكبون الجريمة غير الخطيرة بباعث تيسير المال اللازم لسد حاجتهم لشراء مسكر او مخدر وينقطعون عن ارتكابها عند اشباع هذه الحاجة . وفيما بين هذا وذاك فقد يعمل احدهم ببعض اعمال مؤقتة تافهة ولكنها مشروعة .

طبقية في المجتمع الاجرامي

ومع هذا فان مجتمع الجريمة مجتمع طبقي يقف المجرم المحترف على قمته حيث ينظر الى المتادين والمتسكعين نظرة ازدراء واحتقار . ولعل طبقية كهذه قد لا تختلف في مقوماتها عن تلك الطبقية التقليدية المالوفة في عالمنا اللااجرامي . انها مجموعة متكاملة من العناصر الشخصية التى تصعد بالافراد الى قمة النجاح والشهرة . فالذكاء والمهارة والاقدام والجراة وقوة الارادة واللياقة البدنية هي من ابرز الصفات التى تيسر للمجرم طريق الصعود الى القمة . ومع هذا فقد لا يحسب لجميع هذه الصفات حساب اذا لم تتجسد بعمل جدى مقبول او تتكلل بالنجاح الفعلى في ارتكاب الجريمة او في تخطيطها ، فالمجرم المحترف هو الناجح في ميدان عمله والذى أصاب حظا كبيرا يلفت الانظار . اذ كلما حقق المجرم نجاحا ماديا كبيرا في عالم الجريمة ذاع صيته وتردد اسمه وعلت منزلته وصار على الدرب السريع الى القمة . ففوق هذه القمة يقف اعرك المجرمين مراسا واقواهم سطوة واشدهم قسوة وامكرهم حيلة وامهرهم حرفة واكثرهم ثراء واقدرهم

زعامة وابرزهم شهرة واعلاهم مركزا ومنزلة . وفى اسفل هذا السلم يقف صغار المجرمين من متشردين ومتسكعين ممن لا أمل لهم في الحياة ولا مصير ينتظرهم غير ان يعيشوا على هامش الحياة .

القبول فى عالم الاجرام غير يسير

اما القبول في العالم السفلى فهو ليس بالامر الهين على جميع المجرمين . انه مجتمع مغلق Exclusive لا يدخل اليه الا من نبذه المجتمع الى غير رجعة وحيث لم يعد له مكان فيه . وليس كل المجرمين مؤهلين للقبول او الانتماء . المجرمون يعرف بعضهم بعضا ، ولا مجال لقبول جديد الا من ثبت نفعه وصلاحه ولا خطر من ورائه . والامر كله منوط بكسب ثقة الجماعة ومدى قدرة القادم الجديد على تاكيد ذاته وتحقيق اسباب الانتماء والولاء .

مساكن الاجرام والمجرمين

وموطن عالم الجريمة يخضع لشروط ايكولوجية اجتماعية خاصة . يعيش المجرمون المحترفون والمعتادون في مناطق سكنية رخيصة تقع على حافة مناطق صناعية آهلة بالسكان . هناك حيث تتلاشى الفوارق الاجتماعية بين الافراد وحيث يشعر كل فرد بالانتماء والوجود . وهناك حيث يشيع التسامح في التصرف والسلوك ، وحيث تنعدم الرقابة الاجتماعية ، وحيث لا اثر للمؤسسات الرسمية والاجتماعية العاملة على تحقيق الضبط الاجتماعي . وهذا ينسجم وطبيعة حياة المجرم .

المجرم المحترف والمعتاد لا يابه لملكية عقار ثابت ولا يطمع في اقامة ثابتة مستقرة . المجتمع الكبير يرفضه ويرفض التعامل معه ولذلك فهو يختار من أجزاء هذا المجتمع ما يناسب عيشه وما يحقق اهدافه وغاياته . ان حياته لا يمكن ان تعرف الثبات والاستقرار . ينتقل من هنا الى هناك كلما راق له ظرف مناسب افضل او كلما شعر بخطر يوشك ان يهدد حياته او عمله .

اماكن يتردد عليها المجرمون

ولكل فئة من هؤلاء المجرمين مألف معين Hangout يترددون عليه عند كل فرصة او حاجة. هو المكان الذى يقصده كل من اراد القبول والانتماء . وهو في العادة مكان عام غير كبير قد يكون حانة صغيرة او مطعما غير معروف ، او ناديا صغيرا من نوادى المقامرة او العاب الحظ . يهرع الى هذا المكان الخارج من السجن فور اطلاق سراحه . وهو مكان للجد والعمل . يخطط فيه ارتكاب الجريمة وتدرس خطوات تنفيذها . وهو مكان تبادل الراي والمشورة . وهو مكان لتدبير امر التخلص من مواد مسروقة او التصرف في مواد ممنوعة . وهو المكان الذى تعالج فيه مختلف المواقف الحرجة التى يقع فيها الاعضاء من خلال تعاملهم مع رجال الشرطة او المحققين او القضاة او المحامين والشهود . هو ندوة حرة يتبادل فيها المجرمون الراي حول كل ما هو حرام وممنوع .

اسلوب المجرمين فى الترفيه والترويح

وللمجرمين في عالمهم الخاص اسلوبهم الخاص بالترفيه والترويح عن النفس . ان طبيعة حياتهم تعتمد على العزلة وسرعة الانتقال . وهم لذلك لا يميلون الى محاكاة الاخرين في طرق تسليتهم وفى اسلوب قضاء اوقات فراغهم . انهم على العموم لا يميلون الى ارتياد الاماكن التقليدية العامة التى توجد فيها الاغلبية الساحقة في المجتمع الكبير . فهم لا يريدون الاتصال بالآخرين الا في حدود نشاطهم الاجرامي . وفيما عدا ذلك لا يطمعون بغير الاختلاط باقرانهم ومجالسة بعضهم بعضا في حانة صغيرة نائية او ملهى ليلي رخيص او ناد رياضي مغمور . ان ما يطلبون متعة عاجلة يشعرون خلالها بالانتماء وتاكيد الذات .

الاسرة عبء على المجرم

والمجرمون في عالمهم لا يعرفون حياة عائلية سليمة ولا يابهون لتكوين اسرة واطفال. ان الحياة العائلية التقليدية التى تقوم على تكوين علاقات دائمة هي عبء على المجرم يعيق حياته ويتعارض

ومفاهيمه الخاصة للحياة . ان علاقة المجرم بالآخرين بوجه عام هي عدم الثقة بالآخرين واستغلالهم الى ابعد حد ممكن . انها حياة المنفعة وتبادل المنافع . الزواج اذن يكون علاقة طارئة يمكن استغلال منافعها دونما التورط بمسئولية الارتباط الشرعي الدائم . ولذلك قلّما يتزوج المجرمون . وهم ، ان تزوج بعضهم ، انتهى زواجهم الى الفشل السريع ، او كان زواجاً مؤقتاً سرعان ما تنحلّ روابطه وتتلاشى آثاره . ولعل في زواج مدني عابر ، أو مساكنة الخليلات ، ما يعوض للمجرم عن زواج شرعي دائم . وهو ان رغب في زواج شرعي فقلّما يجد الزوجة التي ترضى به زوجا . اذ هي مطالبة بمشاطرته عيش الجريمة وفقاً لاسلوب حياته وبالتكيف لحياة زوجية قلقة يكتنفها الغموض وتتهددها المخاطر والمفاجئات . وربما تعيش ليومها او لساعتها ، سيما وأن مصيرها مجهول أقلّ ما فيه أن يغيب عنها زوجها فجأة غيبة غامضة قد تمتد الى سنين . وعليها عندئذ ان تيسر له المال طيلة مدة غيبته او سجنه . وعليها أن تتصل بهذا او ذاك لتنفيذ أغراض تتصل بأعمال غير مشروعة . اذ غالبا ما يطلب اليها أن تكون حلقة الوصل بين الزوج في عزلته او غيبته وبين عالم الجريمة والمجرمين .

لغة المجرمين

ولعالم الجريمة لغة دارجة خاصة بافراده . هي مجموعة مصطلحات يشيع استعمالها بين المجرمين في نطاق عالمهم الاجرامي . وهي ككل لغة خاصة تعتبر وسيلة للتواصل الاجتماعي وتحقيق مزيد من التضامن الاجتماعي او التكافل الاجتماعي بين افراد الجماعات الصغيرة . والحقيقة أن مثل هذا ينطبق على كل مهنة او طبقة اجتماعية حين يشيع بين افرادها بعض مصطلحات خاصة يتوارثونها جيلاً بعد جيل . فكم سمعنا عن بعض كلمات شائعة هي من لغة الصيادين واخرى هي من لغة الفلاحين . انها لغة خاصة مميزة يقبل الافراد على تعلمها ويحرصون على استخدامها على نطاق واسع . لقد وضع بعض علماء الجريمة معجما خاصا لمفردات العالم السفلي جاوزت المئات من الالفاظ الشائعة التي يتداولها المجرمون .

في الاجرام فن مهارة

وكما تنتقل اللغة بين افرادها بالتقليد والتلقين فكذلك شأن المهارة والفن الاجرامي الذي يتصل باسلوب ارتكاب الجريمة . انهم يطلقون على اسلوب ارتكاب الجريمة مصطلح Modus Operandi اي طريقة ارتكاب الجريمة . ان عالم الجريمة اليوم هو الآخر عالم فني متخصص يقوم على مهارة وخبرة متخصصة . لقد خرج مجرم اليوم من نطاق الهواية الساذجة الى ميدان التخصص الفني والعلمي احياناً . المجرم الناجح في عالم الجريمة هو الذي يعتمد اصول المهنة ويتعهد قواعد الصنعة في جميع مراحل التخطيط والتنفيذ . وقد لا يقف هذا التخصص عند جمود اسرار المهنة . انه عالم متطور متغير يستلزم مواصلة التعلم ومواكبة كل حديث جديد . فاى جدوى من وراء تعلم طريقة فتح اقفال قديمة الصنع اذا كانت اقفال اليوم تختلف اختلافا جوهرياً يجعل امر فتحها بالطرق القديمة يكاد يكون مستحيلاً .

ولعل ابرز ما يميز عالم الجريمة هو ذلك الاطار الثقافي المعنوي الذي يشد المجرمين الى نظام قيمي معين ويوجههم نحو فلسفة تبريرية شاذة تقف وراء أسلوب عيش جانح يقود بالنهاية الى تكوين ما يعرف بالشخصية الاجرامية Criminal Personality .

اجرام دائم ، وآخر موسمي

غالبا ما يعمل المجرمون ضمن جماعات عمل منظمة بعضها دائم والبعض الآخر موسمي ينتهي بانتهاء موسمه وتحقيق اغراضه . ويعمل افراد المجموعة الواحدة كفريق واحد يعمل تحت زعامة فردية مطلقة . الولاء المطلق في عالم الجريمة هو حجر الاساس لاستمرار العيش فيه . والويل لمن يخرج على هذا الولاء بارتكابه خيانة او تواطؤاً او غشا او خداعا او سرقة . انها افعال شائنة

يستنكرها المجرمون في كل مكان اشد الاستنكار . ان الخيانة او الوشاية فعل خطير قد يعاقب صاحبه بالموت الفوري دون رحمة . والسرقة وخيانة الامانة والكذب والغش والخداع بين المجرمين افعال شائنة قبيحة يعاقب فاعلوها بالنبذ او الطرد او التعذيب او الموت احيانا . ان الروابط الاجتماعية في عالم الجريمة هي الولاء والتعاون والصدق في التعامل . ان الجماعة قبل الفرد ومصلحتها فوق مصلحته اينما كانت هذه المصلحة وكيفما كانت . ان مساعدة الزميل على الهرب وطمس معالم الجرم المشهود وتلفيق الادلة القضائية وتأمين شهادة الزور واخفاء الادلة الثبوتية وتزوير الوثائق والسجلات والمساعدة المالية هي بعض الواجبات التقليدية المعروفة في عالم الجريمة . انها سجلات شرف يتسابق المجرمون على المباهاة بانجازها . ولبعض طوائف المجرمين المحترفين صندوق ضمان نقدي لتأمين حماية قضائية او كفالة او ضمان اطلاق سراح .

فلسفة المجرمين

وللمجرم في عالمه الاجرامي فلسفة خاصة هي فلسفة فكر وعمل . هي وسيلته الى تبرير حياته الجانحة وقبول اسلوب عيش شاذ . انها وسيلته الدفاعية لربط حياة آثمة مجرمة باطار قيمي فكري يسهل للمجرم العيش مع ضميره بهدوء وطمانينة . ذلك انه ينظر من خلالها الى الجريمة نظرة خاصة . الجريمة لديه عمل حر قد لا يختلف في بواعثه وفي اهدافه عن اي نشاط تجاري يقوم به الافراد في عالمهم التقليدي . طالما كان الباعث في هذا او ذاك مبدأ الكسب وتأمين الربح الذي يضمن للفرد البقاء في معركة الحياة . أما الغش والنصب والسرقة واستغلال الآخرين ومخالفة نص القانون وروحه فتلك عند المجرم اهداف شائنة يكاد لا يخلو منها عمل من الاعمال الحرة . ان لكل مهنة وسائلها الخاصة لتحقيق ربح غير مشروع وبطريق مشروع . والمعيار الفارق بين المجرم وبين غير المجرم ان الاول لا تعوزه الجرأة ولا ينقصه الذكاء والاقدام على استغلال الفرصة واستغلال الآخرين . فان خدمه الحظ حقق لنفسه ربحاً ورغد العيش . وان اخفق في مسعاه فتلك نتائج محتملة لا يخلو منها مشروع عمل بقصد الربح والكسب العاجل . هذا بعض ما يبرر المجرم به جريمته . انها فلسفة خاطئة ملتوية . الغش والسرقة واستغلال الآخرين صفات بطولية يتعامل من خلالها المجرم مع عالمه الخارجي الكبير ولكنها افعال شائنة قبيحة يأنف من اتيانها في عالمه الداخلي الصغير . انه عالم غريب تقلبت فيه عناصر الشر على عناصر الشر وصار المجرم في نهايته عدواً للمجتمع الذي يعيش فيه . ان المجتمع الكبير بالنسبة للمجرم المحترف هو مصدر رزقه . انه المحيط الغني الذي يتطفل على غذائه . انه يعيش عليه بكل ما لديه من مكر وقدرة على استغلال الآخرين . ان جميع افراد المجتمع الكبير هم ضحاياه وغالباً ما يدفعون من سذاجتهم وسوء تقديرهم ثمناً لجريمته واستغلاله. وغالبا ما يسعى بعضهم الى حتفه بظلفه كما يقولون . بل يذكر بعض علماء الجريمة ان عددا كبيرا من ضحايا النصب والاحتيال غالباً ما يسعون باختيارهم الى حيث يكونون ضحية سهلة للنصب والاحتيال والسرقة . ذلك شأن من تغريهم مكاسب العاب الحظ أو شراء بضاعة مسروقة أو مهربة بثمن بخس زهيد . ان المجرم المحترف لا يرحم الشخص الذي لا يأبه لحماية نفسه أو ماله .

وهكذا يتم انعزال المجرمين عن المجتمع الكبير . كلما زاد احتراف المجرم زادت انتمائيته الى عالم الجريمة وصعب عليه الخروج منه . انه عالم المجرم الذي يجد فيه كل اسباب الانتمائية وتأكيد الذات . انه عالم يقوم على تجسيد فلسفة حياة اجرامية ملتوية تجمع بين عيش منحرف ونظام فكري قيمي شاذ .

وعسى ان نكون قد وفقنا بعض الشيء الى رسم ملامح هذا العالم الاجرامي السفلي ووصف بعض جوانب العيش فيه . وأحسب أن ليس اقدر على غير هذا الا بعض اصحابه ممن عاشوا فيه . وعسى ان يكون حظنا من مثل هذه التجربة الشاقة اقل من القليل . ■

عدنان الدوري

الشيخ محمد عَبْدُه صحفياً



بقلم : الدكتور أحمد عبد الرحمن عيسى

■ عاش الشيخ محمد عبده ثلاثين سنة صحفية . بدأها هاويا من هواة الصحافة فى مرحلته الاولى بجريدة الاهرام ، وتدرج فيها الى منزلة الكاتب الصحفى فى صحف الافغانى . وأسلمته هذه المنزلة الى مركز الصحفى العامل المسئول فى جريدة الوقائع وفيها بلغ ذروة فنه الصحفى . وقاده ذلك المركز الى مركز آخر مثله ليكون عاملا صحفيا مسئولا على مستوى العالم الاسلامى فى مجلة العروة الوثقى . وسار به امتداد الملكة ليظل حاملا قلمه هنا وهناك فى نضال ومبارزة وتامل . سلسلة متصلة الحلقات موصولة التموجات ، ما كادت الحلقة الاولى منها تتشكل حتى أخذت السلسلة تتبلور حلقة اثر حلقة فى توائق وارتباط تسقى جميعها بماء واحد هو نبع العالم المحرر .

ونقطة البدء عنده هى الأسلوب ، ولهذا كان جوهر فنه الصحفى هو التحرير ، وحاسته الصحفية هى صحافة الراى .

وهذا هو المحور الذى دار عليه فنه الصحفى : طريقة التحرير لابداء الراى . وفي مساره من أول الشوط الى آخره برزت له آثار هامة واضاف جديدا الى الفن الصحفى في عصره حيث قامت الصحافة حينذاك على الموهبة والاستعداد الفطرى القديم . ولكى نوضح هذا التعميم نقول :

١ ـ كان أسلوبه في بواكيره الاولى بجريدة الاهرام أسلوبا مرتفعا بالنسبة لاسلوب تحرير الاهرام نفسها حينئذ . وقد عاب طريقة الاهرام ونقدها . فاسلوبه تحررى وان جنح فيه الى السجع والتزمه في غالبية مقالاته بها . ولكنه سجع

قصير الفقرات يسير فيه على طريقة عبد الله باشا فكرى المقتبسة من طريقة بديع الزمان الهمذانى ، فلغته سهلة مباشرة تخالف ما كان عليه الكتاب السوريون والأدباء الأزهريون ، وكان هذا بين التقليديين وحتى بين الطلائع التقدمية التى كان الأفغانى يعدها لمهنة الصحافة ورسالة الاصلاح . بدأ الشيخ محمد عبده تحية القدوم على الأهرام بتقريظها ، هادفا بذلك الى متابعة النشر فيها حتى يصبح من أسرة التحرير بها ، اذ نشر مقاله (تقريظ الاهرام) بالعدد الخامس الصادر في ٢ سبتمبر ١٨٧٦ وبعده كتب فيها أربعة مقالات قيمة هى : الكتابة والقلم ، والمدبر الانسانى والمدبر العقلى الروحانى ، والعلوم الكلامية والدعوة الى العلوم العصرية ، والتحفة الأدبية . وهذا المقال الاخير شركة بينه وبين جمال الدين الأفغانى .

٢ ـ في مرحلته الثانية بصحف الأفغانى كالتجارة ومصر وغيرهما ، نراه قد أقل من السجع وبدأ يطيل في العبارة نوعا ما ، على حين كان فيه أديب اسحق حريصا على السجع مع الاقتباس من الشعر . وكان الشيخ محمد عبده يزين أسلوبه بالاقتباس من آى الذكر الحكيم ، ويكثر في كلامه ألفاظ معينة مثل النورانية والفطرة والغريزة والاستعداد والقابلية والدعوة الى الأخذ بأسباب التجارة والزراعة والصناعة والحديث عن تعليم الشعب وتربيته . ولما كان المفهوم الخاص بكل من الصحافة والأدب حينئذ ممتزجا بالآخر امتزاجا شديدا كان لأسلوب الشيخ محمد عبده وزن كبير في الصحافة .

لعب قلم الشيخ محمد عبده على صفحات هاتين الجريدتين دورا هاما ظاهرا ومستترا ، ينشر فيهما تارة باسمه ، وتارة بما يدل على نعوته وأوصافه . وأثر أسلوبه واضح فيهما بعبارات تدل عليه كقوله (ترجيح بلا مرجح) وقوله (ان كان كذا .. فالأمر كذا ..) وهو أسلوب الجدل الفلسفى والافتراضات العقلية التى غلبت على الأفغانى ومحمد عبده . نشر فيهما مقالى التربية والصناعة على سبيل العرض لآراء جمال الدين ، ومقالات عن الدوسة وكرامات الأولياء ومظاهر العامة في المواسم الدينية ، ومقال المأمور والفلاح ومقالات خواطر وغيرها .

٣ ـ في مرحلته الثالثة بجريدة الوقائع المصرية وادارة المطبوعات . وهنا نراه يقفز فجأة الى أسلوب الترسل والانطلاق من أول مقال له بالوقائع وهو افتتاحية العدد ٩٣٢ ويأخذ في كتابة المقالات الاجتماعية ، حتى اذا بدت نذر الثورة العرابية اتجه الى الكتابة السياسية ، فاذا ما شبت الثورة تحولت كتاباته الى نداءات وطنية وأصبحت الوقائع جريدة عسكرية يصدرها الشيخ محمد عبده للأمة . وفي جريدة الوقائع رأيته يضع التنظيم لصحافة الخبر ، كما يضع التنسيق والتوضيب والاخراج والنشر والتوزيع ، كما حاول التحقيق الصحفى . ومما أدهشنى أن وجدت الشيخ محمد عبده ـ في هذا العصر الذى يسمونه عصر الطفولة الصحفية في مصر ـ وجدته قد وضع ست قواعد للتحرير وقاعدتين لاخراج الصحيفة ، وكان ذلك تحقيقا لقوله في افتتاحية عدده الأول « وأن تسابق ـ الوقائع ـ الصحف الشهيرة ، في غزارة المواد المفيدة على نمط تألفه النفس ولا يمجه الطبع » وكان يقوم بمهمة سكرتير التحرير فيوزع المواد على أبواب الصحيفة ، وكانت الظروف هى التى تحكم تحديد المساحات ضيقا وسعة ، وعلى يديه تحولت الوقائع الى منبر لنشر الدعوة واعلان الشكوى واسماع الحكومة ما تريد أن تسمعه وما لا تريد أن يسمع بحال .

والصحافة بمعناها القديم والحديث هى تحقيق الاتصال بصفة عامة بين القارىء وبين ما يدور حوله من قريب ومن بعيد ، وهذا هو صنيع الشيخ في الوقائع التى بلغ فيها ذروة فنه الصحفى . وكان طبيعيا أن يعدل عن الألفاظ الغريبة لأنه يكتب أدبا هو أدب الصحافة لكل الشعب ، واذا ورد في كلامه سجع فالطبع هو الذى يسوقه .

واذا كان رئيس التحرير في الصحيفة هو صاحب الدور الجوهرى في توجيه الاعلام ورسم الخطة الصحفية لصحيفته ، فان ذلك منصب لا يرقى اليه الا ذوو مؤهلات خاصة . وكان الشيخ رئيس التحرير ابن عصره في اطلاعه وثقافته وتجربته

وخبرته ، وكان ذا بصيرة نافذة وعقل منظم ، مستقل الرأى مع اتزان ، لا يخشى سطوة احد ، يحافظ على شرف مهنته فلا يتخذها وسيلة للكسب المادى ، اعتنق مبدأ الخدمة العامة مع التقيد بالوازع الخلقى في كل ما كتب .

كانت دعوته الاصلاحية ثورة صحفية ذات شعب، تعددت ميادينها من ثورته على أساليب الدواوين الى ثورته على أساليب الصحافة ، الى ثورته على أساليب الأدباء ورجال الازهر ، الى نفاذه في الرقابة الادارية وقانون المطبوعات ، الى ثورته على طريقة العلاقة بين الحكومة والشعب ، الى حملته على البدع في الدين والمجتمع .

ومن مقالاته الاجتماعية ، حكومتنا والجمعيات الخيرية ، واحترام قوانين الحكومة واوامرها ، وحب الفقر وسفه الفلاح ، والمعارف ، وخطا العقلاء وغيرها . ومن مقالاته السياسية الشورى ، والشورى والقانون ، والحياة السياسية ، والوطن والوطنية . ومن حملاته الصحفية فتح المدارس الليلية ، ومشكلات الكتابة في الدواوين . ومن تحقيقاته الصحفية مقالات المعارف ومقالات حب الفقر وسفه الفلاح. وهو في كل ذلك مصلح اجتماعى ومعلم للشعب وناقد فذ . ومن نداءاته الوطنية غداة اندلاع الحرب العرابية مقالة (اعلان الى الأمة المصرية) ومقالات الامدادات العينية والمالية للجيش، ونداؤه لمعونة المهاجرين لكى يسلم البناء الاجتماعى للامة في اثناء القتال.

ان الثلاثة والعشرين شهرا التى قضاها الشيخ محمد عبده في تحرير الوقائع وادارة المطبوعات كانت كونا حافلا بالأمجاد اذ كتب فيها عشرات من المقالات التى اصبحت أدبا يعاش فيه، وبدراستنا وتحليلنا لأدبه الصحفى وجدناه أدبا خالدا يتسم بالتروى والتأمل والعمق ، مرتفعا على ضرورات السرعة والعجلة التى يقتضيها عادة تحرير صحيفة يومية ، بريئا من سوقية الأدب الاستهلاكى الذى لا يصلح الا غذاء يوميا للمطابع .

٤ ـ في مرحلته الرابعة بمجلة العروة الوثقى. وهى صحيفة رأى قصدا وبالذات ، ولهذا كان الفن الصحفى فيها هو تحرير المقالات والفصول والعمود ونصف العمود . ولهذا أيضا جاءت الأخبار فيها على هيئة مقال العمود . ومحررها هو الشيخ محمد عبده بالاجماع . وأما الكلمة المشهورة بأن الافكار في العروة الوثقى كلها لجمال الدين ، وأن العبارة كلها للشيخ محمد عبده فقد انتهينا في دراستنا لها الى أن كثيرا من الافكار كانت شركة بين الرجلين . وأما التعبير والتحرير فهو صناعة الشيخ محمد عبده ، وان كان لايخلو من نفحة روحية ينفثها الأفغانى في عبارة الشيخ فتأتى حارة قوية . وكما كان الشيخ محمد عبده كل شيء في الوقائع فاذا مرض احتجبت ، كان هو كذلك كل شيء في تحرير ديباجة العروة الوثقى اذ غاب عنها شهرا في مهمة سياسية بلندن فاحتجبت ، حتى عاد من هذه المهمة التى أوفده لها الافغانى فعاودت ظهورها أسبوعية كما كانت . وكما كان جمال الدين الافغانى قوة دافعة للشيخ محمد عبده ، كان هذا الشيخ سماء سطع بها كوكب الافغانى .

وطريقة الترسل والانطلاق في الوقائع فاض بها قلم الشيخ فى العروة الوثقى مع نهر جديد يجرى فى ثناياها بالتدفق والحرارة ، وذلك لأن محمد عبده الهادىء الرزين اذا كان مع جمال الدين فهو الثائر الداعى الى الاصلاح الناجز السريع ، فاذا افترقا عاد كل منهما الى طبيعته . فمحمد عبده في الوقائع غير محمد عبده في العروة الوثقى، اذ هو في الأولى مصرى يدعو الى اصلاح مصر بالترفق والتدرج . وفي الثانية ثائر اسلامى يطل من عل لكى ينفض بنظره رقعة العالم الاسلامى من ادناه الى اقصاه ، داعيا جماعة المسلمين كافة لكى تتكتل وتضرب ضربتها من حديد . وكان لتحريره في العروة الوثقى سمات بارزة ، منها التصوير الفنى وهو تجسيم المعنويات والاعتماد على أسلوب التشبيه بصوره البلاغية المختلفة ، واستخدامه الطريقة الجدلية والعبارات الموحية وسيطرة الآيات الكريمة والأحاديث النبوية على عناوين المقالات ، وان كان ينزع في كثير من المواقف الى الناحية الخطابية، ويبدو أن تلك ضرورة اقتضتها مخاطبة الجماهير في انحاء العالم الاسلامى الأوسع. وقد تميزت مقالات العروة الوثقى بسعة الافق وشمول الثقافة ، ولعل النصيب الاكبر في ذلك كان من سهم جمال الدين . وقد امتاز أسلوب العروة الوثقى بروح السخرية والتهكم ، وظهرت

فيها لازمة من لوازم الشيخ محمد عبده وهي استعمال صيغة (فَعَلَة) من جموع الكثرة وهي صيغة موسيقية مثل حملة ونقلة وملكة وسكنة جمع حامل وناقل ومالك وساكن .

ومن الفن الصحفي فيها التنبيه الى ذكر الخبر للتعقيب عليه بما تدعو خدمة الحق لذكره . وقد كانت العروة الوثقى فتحا جديدا في الصحافة اذ كانت ميلادا للصحافة الدينية الى يومنا هذا.

ومبدأ الحياد الصحفي الذي التزمه الشيخ محمد عبده في الوقائع كان كذلك ديدنه في العروة الوثقى حيث يقول : هذه جريدة لا سعة فيها للتنابذ والتقاذف . .

ولكن اين اعداد المجلة نفسها ؟ لقد صدر من مجلة العروة الوثقى ثمانية عشر عددا اصبحت في ذمة التاريخ . ولولا ان الله هيأ لها أناسا من ذوي الغيرة جمعوها على هيئة كتاب يتداوله الناس لضاعت الى الأبد . واذكر ان الدكتور عثمان امين قال لي في حديث معه بهذا الصدد : ان أعداد العروة الوثقى موجودة في مكتبة حكومية بباريس وانه اطلع عليها وسمح له بتصوير بعض صفحات منها يحتفظ بها ، وانه تشفع لدى المسئولين في هذه المكتبة ذات مرة لكي تسمح باطلاع أحد الباحثين العرب عليها .

صدر العدد الأول منها في باريس يوم الخميس ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٠١ هـ (١٦ اكتوبر ١٨٨٤) حيث كتم الانجليز انفاسها فاغلقت أبوابها ونفر قطباه' جمال الدين ومحمد عبده الى الغرب في الآفاق وافترقا الى غير لقاء ، فراقا أبديا لا رجعة بعده في الدنيا . ويقول السيد رشيد رضا في تاريخ الأستاذ الامام ص ٣٠٥ جـ ١ « وقد رأينا لكل من هذين الحكيمين مقالات كتباها بعد ذلك فلم نر لها من الروعة والدهشة والسلطان على الارواح ما لمقالات العروة الوثقى ، بل قال لي الأستاذ الامام نفسه : انني لا استطيع الآن ان اكتب مثلها . وعلل ذلك بما أشرت اليه من تأثير الزمان والمكان والحال والانفعال والآمال . . . » وليس هنا مجال التفصيل لذلك فقد كتبنا عنها دراسة موسعة مستفيضة لما فيها من آيات بينات، نرجو أن تأخذ طريقها قريبا الى المطبعة .

٥ ـ في مرحلته الخامسة في الصحف المتفرقة : كان محمد عبده في هذه المرحلة يراوح بين السجع الرشيق والترسل المنطلق ، فقد وصل الى مرحلة التأمل والتأنق الهادىء ، ويختلف أسلوبه باختلاف طبيعة الموضوع ، ففي موقف نراه وقد سيطرت عليه روح النضال والدفاع عن الرأي كمقالاته في المؤيد والمقطم حول اصلاح الأزهر ونظم التعليم فيه ، ومقالاته في نضال العقيدة وبخاصة معركته مع هانوتو التي بلغت تسع مقالات أساسية اشتركت فيها جريدة المؤيد والاهرام العربية والفرنسية واللواء والمنار . وفي موقف نراه مثقفا يمتاز بسعة الثقافة وقوة التصوير ويكتب لنا ادبا سياحيا يميزه الطابع القصصي واللمحة الفكاهية ، وذلك في مقالاته الأحد عشر التي كتبها في رحلة العودة الى مصر من تونس والجزائر عن طريق ايطاليا وصقلية .

وفي موقف تسيطر عليه الفلسفة الادبية فكانت شيئا جديدا الى جانب ما عرف عنه من الفلسفة العقلية والفلسفة الاجتماعية ، وحسبنا في ذلك مقاله (الصور والتماثيل) وحديثه عن الفنون الجميلة ، وموازنته بين الأديب والرسام،وقوله: ان الرسم ضرب من الشعر الذي يرى ولا يسمع، والشعر ضرب من الرسم الذي يسمع ولا يرى. ومن هنا يتحدد المفهوم الدقيق لمدرسته الادبية اللغوية التي حققت مفهوما جديدا للاداء الأدبي والنقد الأدبي ، ورسمت الطريق لجماعة من الأدباء تسميهم (الاماميين) وهم الذين ساروا على نهج الأستاذ الامام في اعتبار أن اللغة تحصيل ملكات لا تحصيل قواعد ومصطلحات وأنها وسيلة لا غاية .

ان الطابع الصحفي كان علامته المميزة في هذه المواقف جميعا ، يدفعه الى ذلك حساسية الصحفي الذي يلتقط موضوعه الناجز من أعمدة الصحف أو من مجرى الاحداث أو من حركة الافكار أو من السياحة في ملك الله او استقراء التاريخ. وهكذا انتج للناس أدبا يعاش فيه .

■■

أحمد عبد الرحمن عيسى

قلب صناعى يعمل بواسطة آلة ذرية

● عندما يصاب قلب الانسان بمرض او تلف ، فانه يجب شفاؤه او اصلاح التلف المصاب به ، او حتى استبداله ، والا نتج عن هذه الاصابة او التلف الموت الأكيد . وتعتبر عمليات زراعة القلب احدى الوسائل التى يتم بها استبدال قلب آخر سليم بقلب الانسان التالف ، ولكن هذه العمليات تتكلف الكثير علاوة على أن جسم الانسان غالبا ما يقوم بمقاومة ورفض العضو الدخيل الجديد مما يسبب الوفاة . .

ولكن ما هو البديل لعمليات زرع القلوب ؟

والجواب على هذا السؤال يتمثل فى كلمتين : « قلب صناعى » .

وقد قام المعهد القومى للقلب والرئة National Heart and Lung Institute باعلان اكتشاف جديد قام به فريق من باحثيه تحت اشراف الدكتور لويل هارمسون Lowell Harmison . ويتلخص هذا الاكتشاف فى عمل قلب صناعى جديد مزود بآلة نووية صغيرة تقوم بتشغيله . . وتعمل هذه الآلة الذرية بوقود ذرى عبارة عن ١٠٠ جم من بلوتنيوم ٢٣٨ Plutonium 238 وهذه الآلة مغلفة بكبسولة معدنية مكونة من ٣ طبقات لكى تتحمل اية حوادث .



نموذج للقلب الصناعى والى جانبه الوقود الذرى الصغير وهو على شكل اسطوانة

وقد قام هذا الفريق من العلماء بصنع أول آلة من هذا النوع لتجربتها على احد العجول ، وهى عبارة عن اسطوانة تزن حوالى ٥ر٢ كيلو جرام وتبلغ مقاييسها ٦ر٧ سم × ٢٠ سم . . ويتوقع العلماء أن تكون الآلة الذرية التى ستركب للانسان اصغر حجما من هذه الآلة ، وسيتم تركيبها داخل بطن الانسان . . ويتوقع الدكتور هارمسون انه يمكن تخفيض حجم الآلة الذرية فى المستقبل بحيث يمكن تركيبها بين اذينات القلب الصناعى نفسه . والقلب الصناعى ، الذى سيزرع للانسان أو الحيوان يشبه

فى تكوينه العام القلب الطبيعى ويمكن تشغيله بواسطة الذرة او الكهرباء . .

وقد تم فى شهر فبراير الماضى زرع نظام مساعد للقلب مزود بآلة ذرية فى احد العجول ، كما تمت ايضا تجربة عمليات زرع قلوب صناعية تعمل بالكهرباء فى عدد من الحيوانات . ولكن هذه التجارب كلها كانت تتم لفترة قصيرة . . والخطوة القادمة هى اجراء تجارب على زرع هذه القلوب الصناعية فى الحيوانات لفترات طويلة . . ويتوقع الدكتور هارمسون أن تصبح القلوب الصناعية فى متناول الأطباء لاستعمالها بالنسبة للانسان فى نهاية العقد الحالى . وان هذه الاجهزة ستكون مصممة بحيث تستمر فى عملها لمدة ١٠ اعوام داخل الجسم .

بقى شىء واحد وهو ان العلماء يؤكدون انه لا يزال امامهم طريق طويل لمعرفة ردود فعل الجسم تجاه هذا القلب الصناعى ، ومدى استجابة هذا القلب الصناعى للتغيرات الفسيولوجية داخل الجسم . وكذلك تاثير الحرارة الناتجة عن هذا القلب فى الانسجة المجاورة له .

مقاييس جديدة للكفاءة الصناعية تعتمد على نسبة استهلاك الطاقة

● يميل رجال الصناعة الى التفكير فى الكفاءة الصناعية على اساس السرعة وعدم التعقيد وبذلك يعتقدون أن الطائرات النفاثة والسيارات السريعة ذات كفاءة عالية . ولكن يبدو ان مقاييس الكفاءة الصناعية ستتغير وخاصة بعد القلق الذى يعترى الكثيرين بالنسبة لاستهلاك الطاقة المتزايد .

وقد قام العالم الأمريكى ريتشارد رايس Richard Rice وهو يعمل بجامعة كارنجى ميلون Carnegie-mellon بدراسة عن كافة وسائل النقل ودرجة كفاءتها مقدرة على اساس ما يقطعه الراكب من الأميال بكل جالون من الوقود . وقد ضمن هذا العالم تقريره ايضا ، ما يستهلكه الفرد من سعر حرارى فى المشى او ركوب دراجة وحوّله الى ما يساويه من الأميال بالنسبة لكل جالون من الوقود . وقد اسفرت ابحاث « رايس » عن معلومات طريفة ، اهمها ان الانتقال بواسطة الدراجة يعتبر من اكفا الوسائل ،



الدراجة ، اثبتت الدراسات انها اكفا وسيلة للمواصلات بالنسبة لاستهلاك الطاقة

اذا لم تدخل فيه عامل الوقت والسرعة واقتصرنا فقط على ناحية استهلاك الوقود ، فان كل الف ميل يقطعها راكب الدراجة لا تحتاج لاكثر من جالون واحد من الوقود (محسوبة بالأسعار الحرارية) . ويلي الدراجة من ناحية استهلاك الطاقة القطارات ذات الطابقين فهي تكفل ٢٠٠ ميل لكل راكب باستهلاك جالون من الوقود . في حين ان الطائرات البوينج طراز ٧٠٧ تكفل ٢١ ميلا للراكب في الجالون الواحد من الوقود . ويعادل هذه النسبة في الاستهلاك السيارات التي لا تحمل اكثر من شخص واحد أو شخصين .

اما بالنسبة للطائرات التي تفوق سرعتها سرعة الصوت فانها تقطع ١٣٫٥ ميلا في الجالون الواحد من الوقود، وهذا يعني ان استهلاكها اكثر من الطائرات الأخرى .

ويقول رايس في تقريره ان ٧٧٪ من الطاقة اللازمة لوسائل النقل سيتم استهلاكها بواسطة السيارات والطائرات في عام ١٩٨٠ ، وسترتفع هذه النسبة الى ٨٢٪ في عام ١٩٩٠ .

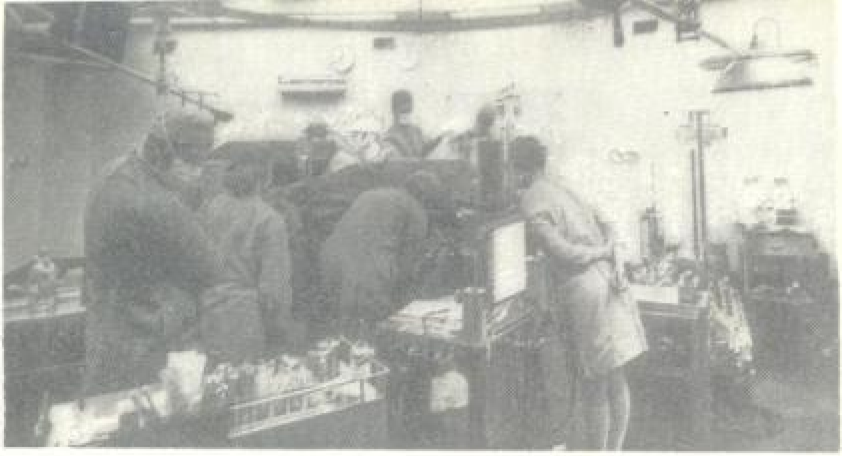
تعريف قانوني جديد للموت !!

● ما الموت . . . ؟

هذا السؤال اجابت عليه الهيئة التشريعية لولاية كانساس بالولايات المتحدة الامريكية مؤخرا بقانون يحتوي على التعريف الآتي للموت : « يعتبر الانسان ميتا عندما يقرر الطبيب انه لا يوجد تنفس او نبضات قلب او عندما يكتشف توقف عمل المخ . ويجب اعلان الوفاة قبل انهاء عمليات التنفس الاصطناعي او عمليات ضخ الدم الاصطناعية ، والتي قد تساعد المريض على الاستمرار في الحياة ، ويعتبر اعلان الوفاة ضروريا قبل ان يقوم الأطباء بنقل اي عضو رئيسي من جسم الميت بغرض اعادة زرعه في جسم مريض آخر » .

وقد اثار هذا النص القانوني عن تعريف الموت ، وهو الأول من نوعه في اي قانون في العالم ، جدلا كبيرا في المجلات الطبية في الولايات المتحدة الأمريكية . وقد هاجم المحامي البريطاني ايان ماكول كندي Ian Mccoll Kennedy هذا النص القانوني الجديد ووصفه بانه مثال سيىء غير مرغوب فيه . وانه قد صيغ بسبب التفكير في عمليات زرع الاعضاء ونقلها من الموتى . وانه يجب أن لا تعاد كتابة القانون العام لكي يكون في صالح هؤلاء الاشخاص الذين يستفيدون من زرع اعضاء جديدة في اجسامهم ، وعلى حساب هؤلاء الذين قد تنزع منهم هذه الأعضاء . ويقول كندي ان قرار اعلان موت المريض يجب أن يتخذ بواسطة طبيبين على الاقل لا يكون لهما اى علاقة بعمليات زرع الاعضاء . وان تعترف به هيئة قضائية . وهذا الاجراء لا يستدعي وجود قانون موضوع عن تعريف الموت .

وفي نفس الوقت يقول الدكتور دون هاربر ميلز Don Harper Mills وهو يحمل شهادة في الطب واخرى في القانون ، ان هذا القانون الذي اجازته الهيئة التشريعية في ولاية كانساس يعتبر قانونا ضروريا ، وخطوة جريئة جديدة . ويقول ميلز ان صدور هذا التعريف القانوني للموت ، لم يكن بسبب عمليات زرع الاعضاء فقط ، ولكن بسبب التقدم العلمي الذي نتج عنه وجود آلات صناعية تساعد على ابقاء الحياة في اجساد المرضى الميئوس منهم فترات طويلة . فهذا القانون يساعد الاطباء على تحديد اللحظة لاتخاذ قرارهم بايقاف عمليات اطالة الحياة بوسائل اصطناعية .



التعريف القانوني الجديد للموت يساعد الاطباء على تحديد اللحظة التى يتخذون فيها قرارهم بايقاف عمليات اطالة الحياة عن طريق الآلات التى تساعد على ابقاء الحياة فى اجساد المرضى الميئوس من شفائهم .

ويثنى ميلز على القانون وخاصة النص الخاص بتحديد علاقة توقف المخ عن العمل بالموت .

وهكذا يثير التقدم العلمي الحديث مشاكل قانونية جديدة لم تكن تطرا على بال الاطباء فى العهود السابقة .

علماء المستقبل .. كيف يتم اعدادهم ؟!

● تعتمد الدول الحديثة المتقدمة على العلم فى الابقاء على تقدمها .. واهم ما يواجه هذه الدول هو اعداد جيل جديد من العلماء يحفظ لها قصب السبق فى الميدان العلمي . ولكن كيف تشجع هذه الدول شبانها على الاقبال على دراسة العلوم والتفوق العلمي ؟ ان الاجابة على هذا السؤال تكمن فى هذا المثال الذى سنقدمه هنا .. فى شهر مارس الماضي فاز ٤٠ طالبا منهم ١٢ طالبة من المدارس الثانوية فى الولايات المتحدة الامريكية ، من بين ١١٣٢ طالبا من ٥٠ ولاية امريكية ، فى مسابقة علمية اقامتها هيئة البحث عن المواهب العلمية . والفرض من هذه المسابقة هو اكتشاف وتنمية المواهب العلمية بين طلبة الصف النهائي فى المدارس الثانوية . وتتركز المسابقة فى ان يقدم الطالب المشترك بحثا علميا مكتوبا ، ويُرفق به تقرير من مُدرّسه ومعلومات عن درجاته فى المدرسة . وبعد ان يتم فحص كل المشروعات المقدمة يدعى الطلبة الفائزون الى حضور مؤتمر عام لهم يعقد فى مقر معهد المواهب العلمية فى واشنطن . ويستمر هذا المؤتمر عدة ايام حيث تتم مناقشة بحوثهم المقدمة . وتختار اللجنة المكونة من اساتذة كبار ١٠ ابحاث من بينها يحصل اصحابها على منح دراسية لمدة ٤ سنوات . وتتراوح قيمة كل منحة ما بين ٤ آلاف دولار الى ١٠ آلاف دولار . ويمنح بقية الفائزين جوائز نقدية تبلغ قيمة كل منها ٢٥٠ دولارا . اى ان مقدار المنح يصل الى ٦٧٫٥٠٠ دولار .

بقي ان نعلم ان هذه المنح تقدم من شركات خاصة ، ومن ميزانياتها المخصصة للبحث العلمي .

وهكذا نرى كيف تتقدم الدول . وكيف تبنى اجيالا جديدة من العلماء .

●●

مصنع البطاريات للسيارات في الكويت

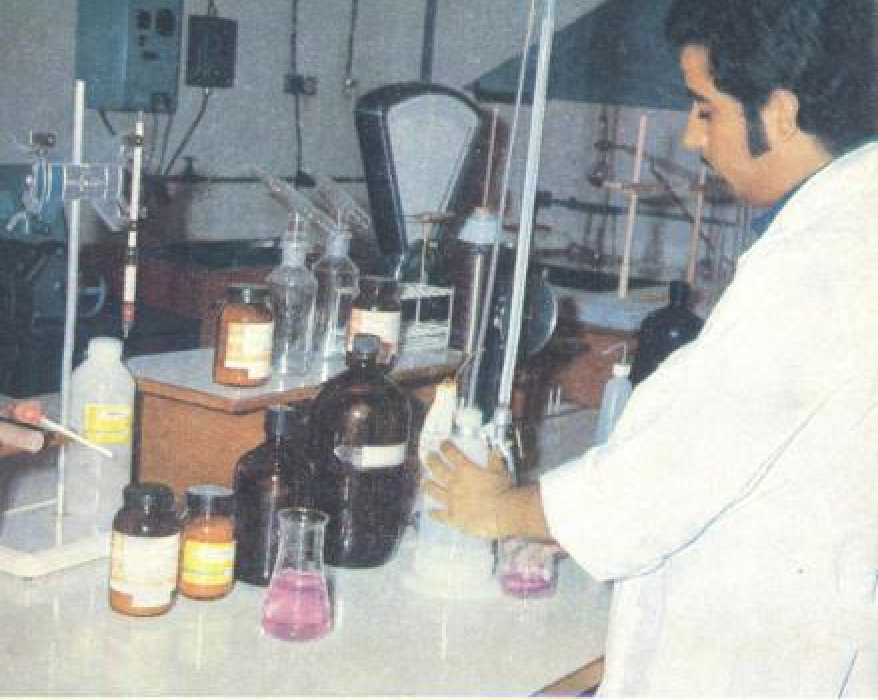
ينتج ٥٠ ألف بطارية في عامه الأول

٩٠ ألف بطارية يتم إنتاجها سنويا بعد تشغيل المصنع بكامل طاقاته

استطلاع بقلم
محمد طنطاوى

تصوير
فهد الكوح





٣ صور تمثل بعض مراحل صناعة البطاريات في المصنع الجديد بالكويت ، الى اليمين : المرحلة النهائية للبطارية ، والى اعلى ، المعمل الكيماوى الذى يتم فيه اجراء التجارب على المواد الكيماوية المستوردة ومطابقتها للمواصفات ، والى اسفل ، عملية وضع قطع الرصاص التى توصل بين الخلايا الكهربائية للبطارية .



■ فى الكويت نهضة صناعية حديثة.. وفى كل عام يتم افتتاح عدة مصانع جديدة تعمل على تدعيم هذه النهضة. واليوم اصبح فى الكويت مصانع عديدة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، مصنع الاسمدة الكيماوية والذى يتم تصدير انتاجه لعدة بلاد آسيوية وعربية، ومصنع كبير للاسمنت، ومصنع للبيوت الجاهزة يعتبر الاول من نوعه فى المنطقة. وغير هذه كثير.

واحدث مصنع فى الكويت تم افتتاحه مؤخرا هو مصنع بطاريات السيارات، والذى سيفي بحاجة الكويت من البطاريات ثم يتم تصدير فائض انتاجه بعد ذلك. ولهذا المصنع الجديد قصة طويلة بدأت منذ حوالي ١٠ سنوات ومرت بمراحل عديدة الى ان تحقق الامل.. واصبح هذا المصنع حقيقة واقعة، وتم انتاج البطاريات الكهربائية فى الكويت بايد عربية وبمساعدة خبراء من السويد. ولنبدأ القصة من اولها.

دراسات علمية واقتصادية

فى عام ١٩٦٣ بدأ التفكير فى انشاء مصنع للبطاريات الكهربائية فى الكويت بعد ان دلت الدراسات على ان استهلاك الكويت من هذه البطاريات يزيد عن ال ٥٠ الف بطارية سنويا، وان هذا الاستهلاك فى ازدياد مستمر نتيجة لزيادة السيارات فى الكويت. وبدأت الفكرة فى شركة الصناعات الوطنية. وبعد دراسات اقتصادية مستفيضة عهدت الشركة الى معهد البحوث الصناعية فى بيروت بدراسة المشروع. وقدم المعهد نتيجة الدراسة للمسئولين فى شركة الصناعات الوطنية فى عام ١٩٦٩. وفى شهر يوليو عام ١٩٧٠ تم الاتفاق مع شركة سويدية على توريد الآلات اللازمة للمشروع وكذلك الاستعانة بالخبراء السويديين لتركيب هذه الآلات وتشغيلها ثم تدريب العمال العرب عليها. وفى اكتوبر عام ١٩٧٠ بدىء فى انشاء المباني اللازمة للمصنع، بعد ان روعي فيها ان تكون ملائمة لاى توسع فى المستقبل.

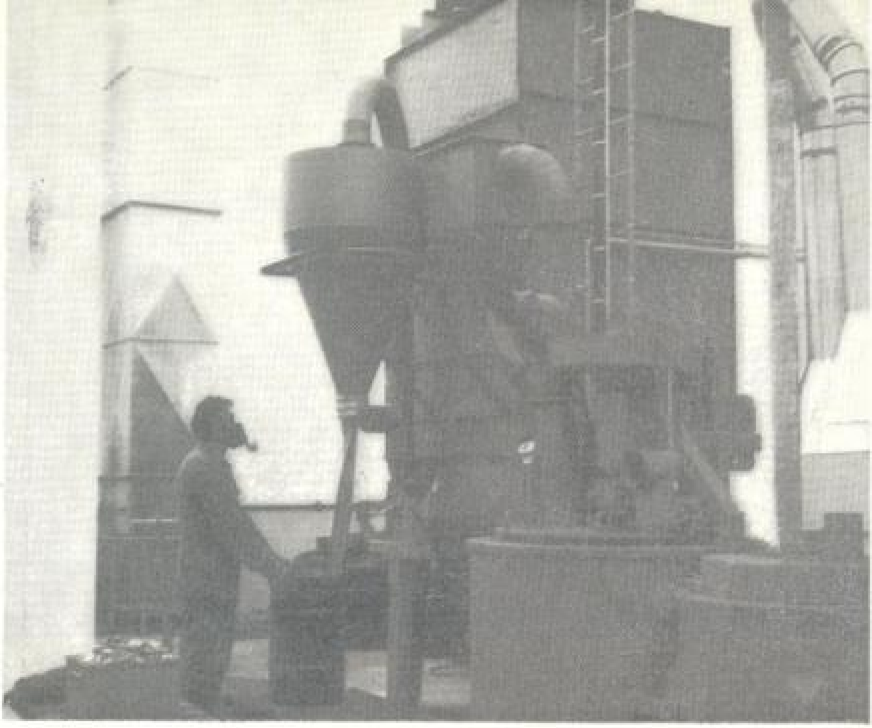
وفى نهاية شهر يوليو عام ١٩٧١ انتهى العمل فى المصنع ووصلت الآلات بعد ذلك بشهر وبدىء فى تركيبها. ولم تمض اربعة شهور الا وجميع آلات المصنع قد تم تركيبها وفى شهر فبراير من العام الحالي بدأت الآلات تدور فى مرحلة التجربة.

الانتاج الجديد مطابق للمواصفات الدولية

بعد ان تم انتاج عدد من البطاريات مختلفة الاحجام والقدرة، تم ارسالها الى معهد البحوث الصناعية فى بيروت لفحصها واختبارها من ناحية تطابق الانتاج مع المواصفات العالمية. وقد اثبتت نتيجة الفحوص ان انتاج المصنع من البطاريات يضارع انتاج المصانع العالمية من ناحية المواصفات والجودة وقوة الاحتمال. وقد ارسل معهد البحوث الصناعية شهادة رسمية بهذه النتيجة الى مصنع البطاريات الكويتي.. وبعد ان تسلم المسئولون عن المصنع هذه الشهادة، بدأ الانتاج يدخل الى مرحلة الانتاج التجارى بعد ان كان لا يزال فى دور الانتاج التجريبي.

فى مصنع البطاريات

وقامت « العربي » بزيارة مصنع البطاريات الجديد. المصنع يقع فى منطقة الشويخ الصناعية بمدينة الكويت. وقد اقيم على مساحة ضخمة تزيد على العشرة آلاف متر، ويعمل فيه حاليا ٢٨ عاملا من الفنيين. ويشرف على العمل مدير المصنع وهو مهندس كويتي متخصص فى الكهرباء هو المهندس سليمان عبد الله الزيد الناصر. ويعاونه المهندسان الكويتيان سعود مبارك الفرج



عملية تصنيع اكسيد الرصاص ، وهي تتم داخل هذه الآلة الميكانيكية وتعتبر من العمليات الخطرة على صحة العمال للذلك يقوم العمال بارتداء كمامات خاصة عند قيامهم بهذا العمل تقيهم من التسمم بالرصاص.

كمراقب للانتاج والصيانة، وعبد الحميد الشرهان كمسئول كيماوى .

وفى اقسام المصنع المختلفة تتبعنا عملية تصنيع البطاريات من بدايتها الى نهايتها .

البطارية ما هى ؟!

وقبل ان نتتبع عملية تصنيع البطاريات فى مصنع البطاريات بالكويت لا بد لنا من كلمة موجزة عن البطارية الكهربائية . . .

ان البطارية هي عبارة عن مجموعة خلايا كهربائية ، تنضم بعضها الى بعض .. فمثلا بطارية السيارة من النوع المعتدل القوة بها عادة ٦ خلايا كهربائية Electric Cells . كل منها تولد كهرباء ضغطها ٢ فولت ولا تسمى الخلية بطارية الا اذا تعددت الخلايا .

والخلايا يرتبط بعضها مع بعض على اسلوبين . الاسلوب الاول المعروف بالسلسلى In Series وفيه نربط القطب السالب من الخلية بالموجب للخلية الثانية والسالب من الثانية بالموجب من الثالثة وهلم جرا . وهذا الاسلوب يعطينا بطارية ضغطها الكهربائي ١٢ فولت اذا كان عدد الخلايا ستة . وهذا هو المتبع فى السيارات العادية .

اما الاسلوب الثاني فنوصل الاقطاب الموجبة من كل الخلايا الكهربائية بعضها ببعض ونجعل منها قطبا واحدا ، ونفعل مثل ذلك فى السالبة ،ونجعل منها قطبا واحدا . والناتج بطارية ضغطها الكهربائي ٢ فولت ولكن مقدار الامبيرات الناتجة منها مضاعف .

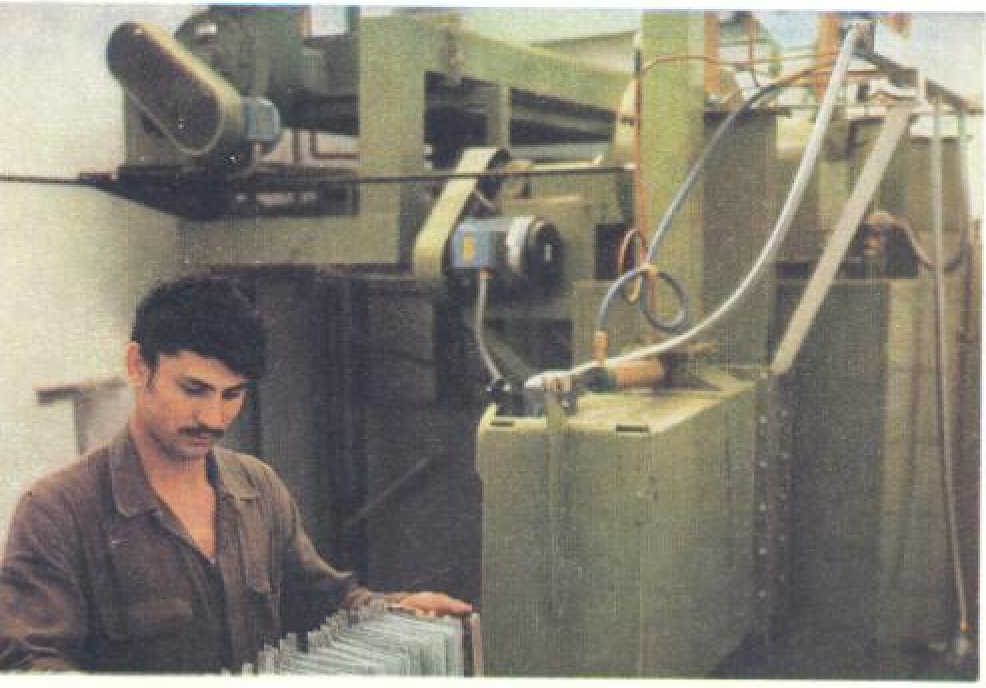
تصنيع الالواح الموجبة والسالبة

وتبدأ عملية التصنيع باسالة الرصاص وعمل أكسيد الرصاص .

وبعد أن يتم صهر الرصاص فى فرن



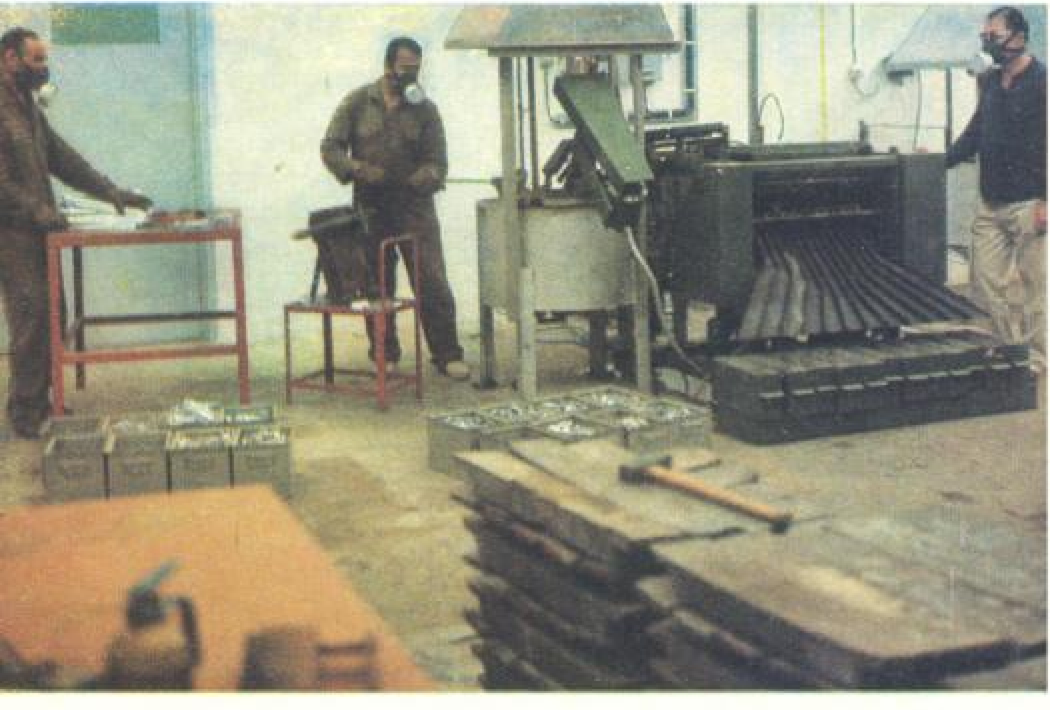
الى اعلى : الالواح الرصاصية التي تبدو على هيئة شباك دقيقة . وهذه الالواح تغطى بعد ذلك بمعجون كيماوى خاص ، ثم يتم وضعها في محلول حامض الكبريتيك ويمرر عليها تيار كهربائي مستمر . **والى اسفل** الآلة الخاصة بتحويل الرصاص المصهور الى شباك معدنية ذات سمك معين .

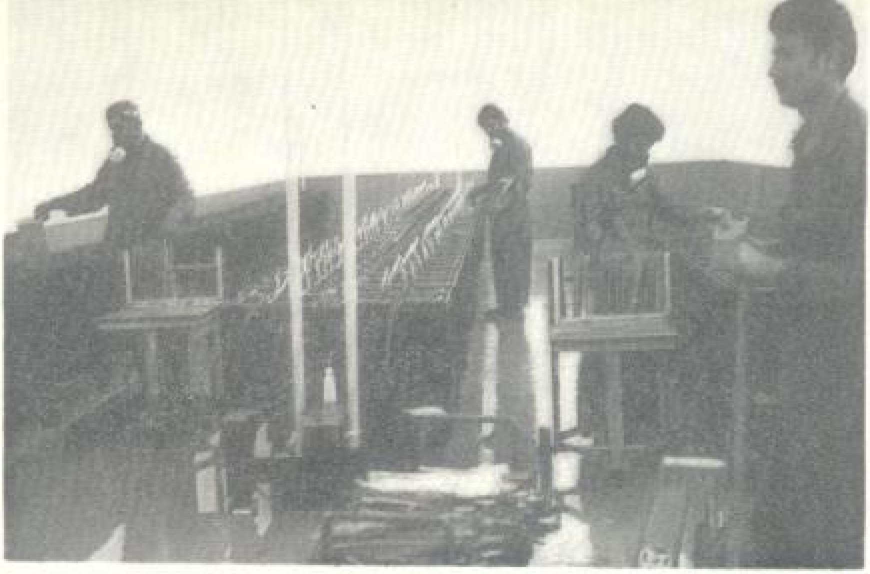




عملية صهر القطران لتغطية البطارية بعد وضع الخلايا الكهربائية داخل الوعاء الخاص بالبطارية ، وهي المرحلة النهائية في تصنيع البطاريات الكهربائية .

هذه الآلة تقوم بتحويل الرصاص الى قطع رصاصية صغيرة تستعمل في صناعة البطاريات . وفي الصورة العمال وهم يرتدون الكمامات الخاصة لوقايتهم من التسمم نتيجة تصاعد بخار الرصاص .





هنا توضع الالواح الرصاصية في اوعية خاصة بداخلها محلول مخفف من حامض الكبريتيك ، ويمرر عليها تيار كهربائي مستمر لتشكيل جزيئات المعجون وترتيبها بحيث تتفق مع المهمة التى ستؤديها هذه الالواح في توليد الكهرباء داخل البطارية .

ضخم . تبدأ المرحلة الثانية وهى صنع الالواح الرصاصية التى تبدو على هيئة شباك رقيقة . وهناك آلات اوتوماتيكية تقوم بهذا العمل الدقيق . ويتم تحديد سمك الالواح حسب استعمالها. فاللوح الموجب اسمك من اللوح السالب . وكل نوع من هذه الالواح توضع عليه علامة مميزة . وبعد ان تخرج الالواح مشكلة على هيئة شباك بأحجام معينة يتم بعد ذلك تنظيفها ثم تبدأ عملية تغطيتها بالمعجون الكيماوى الخاص المكون من اكسيد الرصاص والمواد الكيماوية الاخرى ويطلق عليها اسماء تجارية مثل Black and white expander وتخلط هذه المواد بنسب معينة وتختلف بالنسبة للالواح السالبة عنها فى الالواح الموجبة . ويتم تغطية الشبكات بالمعجون الكيماوى المطلوب ، سالبا او موجبا ، بواسطة آلة اوتوماتيكية ثم تترك بعد هذه العملية لمدة ٣ ايام لتجف . وبعد هذا تبدأ عملية التشكيل وذلك بوضع هذه الالواح فى اوعية خاصة مملوءة بحامض الكبريتيك المخفف ، ويسلط عليها تيار كهربائي مستمر .

وتحدد كمية هذا التيار حسب نوع الالواح المطلوب . وكل نوع، سالب او موجب ، يحتاج الى كمية معينة من الامبير لتشكيل جزئيات المعجون وترتيبها بحيث تتفق مع المهمة التى ستؤديها هذه الالواح فى توليد الكهرباء داخل البطارية.

وبعد أن تنتهي عملية تشكيل الالواح بواسطة التيار الكهربائى تبدأ عملية غسل الالواح لازالة آثار الاحماض التى عليها ثم يتم فصل الالواح السالبة حيث يتم تجفيفها فى مجففات خاصة يطلق عليها اسم « مجففات الكيروسين » Drvers Kerosine ، اما الالواح الموجبة فيتم تجفيفها عن طريق تمرير هواء ساخن عليها .

المرحلة النهائية للبطارية

بعد ان يتم الانتهاء من اعداد الالواح السالبة والموجبة تبدأ المرحلة النهائية فى تصنيع البطارية . ويتم وضع الالواح داخل جسم البطارية المصنوع من اللدائن الخاصة ، وهذا الجسم او وعاء البطارية

Con.ainer يتم استيراده جاهزا من الخارج . وذلك لانه يحتاج الى مصنع خاص به ، وبالدراسة وجد ان استيراده جاهزا سيكون أوفر من الناحية الاقتصادية . وكل نوع من البطاريات يختلف عن النوع الآخر من ناحية عدد الالواح الموجودة داخله . ولن نتعرض بالتفصيل هنا لهذا الامر . وما ان تتم عملية وضع الالواح بترتيبها الخاص ، وباعدادها المختلفة ، حتى يتم توصيلها بالروابط الرصاصية التي توضع فوقها . ثم يتم وضع قطبي البطارية السالب والموجب كل في ناحية .

وبعدها تتم تغطية وعاء البطارية بواسطة القطران السائل ، والكشف عليها بآلة كهربائية خاصة تبين عدم وجود اى اتصال او ماس كهربائي بين الالواح .. وبهذا تصبح البطارية جاهزة للعمل بعد أن يتم شحنها بالكهرباء عند الحاجة اليها بعد ملئها بالماء المقطر .

وهذه البطاريات ، على النحو الذى وصفناه ، من خصائصها الهامة انها اذا فرغت الشحنة منها امكننا ان نعيد شحنها بامرار تيار كهربائي مستمر فيها ، فهذا يعيد الكيماويات التى فى البطارية الى تركيبها الاول الذى بدانا به .

٥٠ الف بطارية فى العام الاول

ومن خلال حديثنا مع مدير المصنع علمنا ان المصنع سيقوم بانتاج ٥٠ الف بطارية فى العام الاول من الانتاج . وانه سينتج ١٤ نوعا مختلفا من بطاريات السيارات من بينها ٥ أنواع من البطاريات قوة ٦ فولت ، و٩ انواع من البطاريات ١٢ فولت ، وكل نوع منها يختلف عن النوع الاخر من ناحية سعة البطارية بالنسبة لقدرتها الكهربائية .

وبعد العام الاول سيبدا المصنع فى زيادة قوته الانتاجية ليصل الى انتاج ٧٥ الف بطارية فى العام ، وهو نفس الرقم الذى تستهلكه الكويت سنويا الآن من البطاريات . وبعد ذلك سيتم انتاج ٩٠ الف بطارية سنويا وبذلك يبدأ تصدير انتاج المصنع الى دول الخليج والدول المحيطة بالكويت .

حماية جمركية

وسيتم بيع البطاريات المنتجة محليا باسعار تتساوى تقريبا مع البطاريات المستوردة . وفى الوقت نفسه سيتم فرض ضريبة جمركية على البطاريات المثيلة المستوردة لحماية الانتاج المحلي . وقد تصل هذه الضريبة الى حوالي ١٥٪ . وهذه الحماية الجمركية للمصنوعات المحلية امر مطبق فى جميع دول العالم صغيرها وكبيرها .

حماية العمال من تسمم الرصاص

ويتم فى المصنع الجديد استخدام احدث الوسائل العلمية لوقاية العمال والمهندسين من تاثير أبخرة الرصاص الناتجة عن عمليات صهر الرصاص وتصنيعه . وكل عامل مزود بكمامة خاصة يرتديها اثناء العمل . وتزوده ادارة المصنع بلتر من اللبن يوميا ، والمعروف ان اللبن يساعد على منع حالات تسمم الرصاص . وفى المصنع عيادة طبية خاصة للعمال . كما تطبق فيه قواعد الامن الصناعي . وخاصة لان العمال يستخدمون الكيماويات والاحماض فى عملهم .

★ ★ ★

وبعد فهذا وصف سريع لمصنع من مصانع الكويت الجديدة . وصورة مشرقة لمجتمع صناعي جديد بدا العمل على تنويع مصادر دخله بعد ان كان يعتمد فى الماضي القريب على دخله من المصدر الطبيعى الواحد . ■■

محمد طنطاوى

مواقف رجال

سُحْنُون

لَمْ يَخْشَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لائِم

بقلم : عبد الستار أحمد فراج

■ كان العلماء فى العصور السابقة يمتنعون عن تولى منصب القضاء حتى لو أكرهوا على ذلك ، ويرون فى هذا الامتناع ايثارا للسلامة فى دينهم ودنياهم ، ونحن نعجب من ابائهم ، ونعد لهم ذلك من المفاخر ، لزهدهم فى المال والجاه .

ولو بحثنا عما كان عليه الحكم والسلطان والأعوان فى تلك الأزمنة لرأينا أنهم كانوا يفرون عن تولى القضاء معذورين .

ان المنصب نفسه جزء هام من تكوين الدولة ، ولا يمكن ان يخلو منه عهد من العهود ، وفي الاسلام من ايام الرسول والخلفاء الراشدين اسندت مناصب القضاء للصحابة والتابعين ، فما قرأنا ان احدا منهم امتنع عن ذلك ، لأن النفوس سليمة ، والاحوال غير معقدة ، والحرية متروكة للقاضي في ان يجتهد رأيه ولا يقتصر فيما لم يجد فيه حكما في كتاب الله أو سنة رسوله .

كثرت المذاهب واختلف الفقهاء

ثم كثرت المذاهب ، واختلف الفقهاء ، وتعددت الاقوال ، وتبع كل قسم من الدولة رأيا لفقيه ، فهذا حنفى ، وذلك مالكى ، وآخر شافعى ، وغيرهم حنبلى وبعضهم ظاهرى أو على مذهب الأوزاعى أو الليث بن سعد . ثم هناك الشيعة وآراء بعض اختلافهم فى فهم النصوص أو الاعتماد على

بعض الروايات.والى جانب ذلك كله نجد الخوارج ولهم آراء تخالف في تطبيقها ما سار عليه غيرهم ويقف القاضي بين كل هذه الأمور المختلفة والآراء المتشعبة ليحكم . وليست هناك جامعة قد حصرت أقوال الفقهاء ، ولم يبلغ عالم من سعة المعلومات ما يجعله يحيط بكل ما قيل ، وبما افتى به علماء العراق مثلا ، أو علماء الشام ، أو علماء مصر ، أو علماء الحجاز فضلا عن علماء المغرب والاندلس، وهناك علماء المشرق ، الى آخر بلاد الهند ، وكل من هؤلاء واولئك له فقهه ، وله ما حفظه من الأحاديث ، وما استنبطه من نصوص القرآن والأحاديث .

واذن فالأمر الاول الداعي للامتناع انه ليس هناك مذهب واحد يلزم به الناس ، مع العلم أن المذهب الواحد يختلف بعض فقهائه في جزئياته أشد الاختلاف .

ولا استقلال للقضاء

والأمر الثاني انه لم يكن هناك استقلال للقضاء، ذلك الاستقلال الذي يجعل القاضي يحكم حسب ما ادى اليه اجتهاده غير خائف من وقوع الضرر عليه .

ثم زادت المشكلة أن صار السلطان مطلقا ،يعزل من يشاء ، ويولي من يشاء اتباعا لهواه ، أو بايحاء ممن يحيطون به ، وكل منهم له أتباعه ،والطامعون في عونه وتأييده ، والمبلغون بالحق وبالباطل : أن هذا معك ، وأن هذا عليك ، والمسافات بعيدة، وكثيرون هم الذين يحولون بين المغضوب عليه وبين ابلاغ حجته الى أعلى جهة في الدولة ، سواء أكان خليفة أم أميرا للمؤمنين ، أم ملكا مستقلا أم اميرا متسلطا . وما أكثر ذوي القرابة واصحاب الجاه والحجاب ، وكل اولئك حينما يرغبون في شيء ، أو يغضبون على شيء ، يصلون الى ما يريدون ولو أدى هذا الى عزل قاض أو رئيس .

والتاريخ حافل بذلك الداء الذي استشرى وأدى الى الفساد والضياع ، والى عهد قريب .

ولقد ضرب أعظم الفقهاء وسجن بعض العلماء وقتل بعضهم ، لاختلاف في رأي ، أو لفتوى لم تعجب صاحب السلطان .

اغلب الظلم من الحاكمين ومن حولهم

وأهم امر أن اغلب الظلامات والطغيان كان يأتي من قبل الحاكمين واهلهم واعوانهم ، والذي يتولى القضاء واقع بين نارين : اما أن يقبل فيهم الخصومة ويحكم عليهم ، واما أن يتنحى عن ذلك أو يجاملهم ، ولو انه تجرأ فحكم عليهم وضع نفسه حينئذ هدفا للكيد والدسائس ، وربما لحقه شر كثير . اما اصدقاء الذي يتولى القضاء، فسيلقون منه انعزالا عنهم ، وردا لبعض شفاعاتهم او ردا لشهاداتهم ، لان الشروط التي ينبغي أن تتوافر في الشهود في غاية الدقة ، وحينئذ يبتلى القاضي بتفرق من كانوا حوله من الاصدقاء الا قليلا ممن يؤثرون الحق على سواه .

ويخشون أن يخطئوا

ولن ننسى أن القضاة كانوا يحكمون بشريعة الله فهم يخشون أن يخطئوا فيما أمر الله به ، أو نهى فيظلموا ، وحينئذ يتحملون وزر ما كان من ظلمهم ، وليس امامهم الا اجتهادهم . ووازع الدين جعلهم في خشية من العقاب في الآخرة .

لكن القوانين الوضعية صدرت عن اناس يجوز عليهم الخطأ ولا تتفق كل مبادئهم مع مصلحة كل البيئات ، واذا خالف القاضي في بعض النصوص الوضعية ، سواء أكانت تلك المخالفة عن خطأ أم عن عمد فلا رهبة لديه من عقاب الله في الآخرة .

نص مبتور اشتهر

ان النص الذي اشتهر بين الناس ويرهب القضاة وهو «قاض في الجنة وقاضيان في النار..» يروى مختصرا كمن يروى بعض الآية الكريمة « لا تقربوا الصلاة » ولا يكمل ما بعدها وهو « وأنتم سكارى » .

ونص الحديث الذي رواه ابو داود وابن ماجه ـ ويلاحظ كما نص صاحب مشكاة المصابيح انه لم يروه البخاري ولا مسلم ولا الترمذي ولا النسائي ولا الامام أحمد ولا الامام مالك ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « القضاة ثلاثة : واحد في الجنة واثنان في النار . فاما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به . ورجل عرف الحق

فجار في الحكم فهو في النار . ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار . »

فاللذان في النار استحقا ذلك ، لجور الاول عن الحق الذى عرفه ، ولجهل الثانى الذى قبل أن يقضي بين الناس وليس له من العلم والفقه نصيب .

فالرسول لا يَخَوّف من المنصب نفسه ، وانما يَخَوّف من الجور عن الحق ، ومن قبول العمل على جهالة .

ان سماحة الاسلام جعلت للمُخلصين في عملهم أجرا اذا اجتهدوا وكانوا على علم بالاجتهاد فاخطئوا. وجعلت أجرين لمن يجتهدون فيصيبون.

وكل ما تحذّر منه الشريعة أن يطلب الانسان العمل لنفسه دون أن يقع عليه الاختيار بعد الاختبار .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذى وابو داود وابن ماجه « من ابتغى القضاء وسال وُكِلَ الى نفسه ، ومن أكره عليه أنزل الله عليه مَلَكا يُسدده .»

ومن هذا انفرد ابو داود أيضا برواية حديث عن رسول الله ، يبيح أن يطلب المرء لنفسه تولى المنصب فقد قال « مَن طلب قضاءَ المسلمين حتى يناله ثم غلَب عدْلُه جَوْرَه فله الجنة . ومن غلَب جَوْرُه عدْلَه فله النار » فالمهم في الشريعة تحرى العدل وتجنب الجور .

والاجتهاد يتطلبه الدّين ، لما يَحْدُث للناس من اقضية . وهذا مُعاذ بن جبل فيما رواه الترمذى وابو داود والدارمى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثه الى اليمن قال :

كيف تقضي اذا عرض لك قضاء" ؟ قال اقضي بكتاب الله . قال : فان لم تجد في كتاب الله . قال : فبسُنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال : فان لم تجد في سنة رسول الله ؟ قال : اجتهد رأيي ولا آلو ـ أى لا اقصر في الاجتهاد ـ قال : فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدره وقال : الحمد لله الذى وفّق رسول رسول الله لما يرضى به رسول الله .

لا يعقل أن الشريعة تحذر من منصب القضاء من حيث انه منصب ، والا لتعطل اهم ركن من اركان بناء الدولة ، وانما المقصود كله تجنب شهوة الحكم بدون مؤهلاته السليمة ، وتجنب الجور عن الحق اتباعا للهوى وميل النفس . وكل الخشية التى كانت تمتلك قلوب العلماء من قَبْل ، حينما كانوا يطلبون لتولى القضاء هى مما قاله الرسول عليه الصلاة والسلام .

« من سَنّ في الاسلام سُنّة حسنة فعَمِلَ بها بعده كُتِبَ له مثلُ أجر من عَمِل بها ولا يَنْتقص من أجورهم شيء ، ومن سَن في الاسلام سُنّة سيئة فعَمِلَ بها بعده كُتب عليه مثل وِزْر من عَمِلَ بها ولا يَنْتقص من أوزارهم شيء». في حين ان هذا الحديث ينطبق على كل من يقوم بعمل ، سواء أكان قاضيا ام فقيها يفتى أم خطيبا يؤثر في الناس ، أم حاكما يَفرض ما شاء ، أم صاحب جاه يَتبعه الناسُ فيما يفعل ويقول . وما ملاحظة القضاة لهذا الحديث ، الا من ناحية أن يصدر عنهم حكم قد يكون خطأ،فيطبقه القضاة بعدهم ممن لم يكونوا في الفقه والفهم ذوى قدرة واضحة على معرفة الخطأ ، فيصير الظلم الواقع منهم بناء على حكمهم السابق من السّيئات التى تضاف اليهم كلما تعدد الاخذ بحكمهم الخاطىء لأنهم هم الذين سَنّوه .

من القضاة الذين اتصل العدل بهم

قال الخُشَنيّ مؤلف كتاب « قضاة قرطبة » في معرض حديثه عن احد قضاتها ، ذاكرا من كانوا في الاقاليم الاخرى من الرجال الذين تولّوا القضاء فاتصل العدل بهم في آفاق الارض ،«واما سَحْنُون بن سعيد التنوخى فانه ولاه قضاء افريقية محمد بن الأغلب التميمى سنة اربع وثلاثين ومائتين ٢٣٤ هـ وتوفي سحنون قاضيا غير معزول سنة اربعين ومائتين (٢٤٠ هـ) .

ومحمد بن الأغلب التميمى أبو العباس ولد سنة ٢٠٦ هـ وتولى سنة (٢٢٦ هـ) الى آخر سنة (٢٤١ هـ) .

والاسم الحقيقى لسحنون هو عبد السلام ، اما سحنون فهو اسم طائر حَديد الذّهن ، لقبوا عبد السلام به لحدة ذهنه وذكائه .

وهو عربى أصيل من قبيلة تنوخ ، وأصله من

حمص بالشام ، وقدم ابوه سعيد في جند حمص الى افريقية .

ما يغنيك نسبك ان لم تتق الله

وقد أحب محمد بن سحنون أن يطمئن الى صحة نسبهم الى العرب ، فسأل اباه سحنونا قائلا : يا ابت ، أنحن صَلِيبة من تنوخ ؟ يريد هل نحن من تنوخ بالنسب حقا أو نحن من مواليها ، فقال له أبوه وما حاجتك الى ذلك ؟

لكن محمد بن سحنون كان يريد الاطمئنان الى انه من نسل أولئك الفاتحين الذين حملوا مشعل الهداية الى أكثر البقاع ، فلم يزل بأبيه سحنون حتى قال له : نعم نحن من تنوخ بالنسب لابالولاء، وما يغني عنك ذلك من الله شيئا ، ان لم تتقه .

يقول عنه المؤرخون له : كان سحنون ثقة حافظا للعلم ، اجتمعت فيه خلال قلما اجتمعت في غيره : الفقه البارع والورع الصادق ، والصراحة في الحق ، والزهادة في الدنيا . كان كريم الأخلاق حسن الادب شديدا على أهل البدع ، لا يخاف في الله لومة لائم .

أصدق صورة لمشاكل القضاء

وفي مقام الحديث عن القضاء ومشاكله وظروفه التي تحيط به ، وتدعو الى الهرب من تقلد منصبه ، نجد ان سحنونا من الذين يعطوننا أصدق صورة عن نظرة العلماء لتولي هذا المنصب الخطير ، والعوامل التي قد تحول دون رغبتهم فيه ، فهو قد الح عليه الامير محمد بن الاغلب المتولي افريقية لكي يقبل أن يكون قاضيا ، وظل ذلك الالحاح عاما ، واغلظ عليه أشد الغلظة ، ثم حلف عليه باشد الايمان لكي يقبل المنصب . واخيرا استجاب ، فولي الاثنين الثالث من رمضان سنة ٢٣٤ فاقام ينظر في القضاء يلتمس أعوانا — موظفين معه — ثم قعد للناس بعد ستة أيام من توليه ، وذلك يوم الاحد ٩ من رمضان في المسجد الجامع ، وقبل أن يجلس للحكم ركع ودعا بدعاء كثير .

ضمينان جعلاه يقبل

قال سحنون : لم أكن ارى قبول هذا الامر ، حتى كان من الامير محمد بن الاغلب ضمينان : احدهما اعطاني كل ما طلبت ، واطلق يدي في كل ما رغبت ، والثاني اني قلت له : ابدا بأهل بيتك وقرابتك واعوانك ، فان في جهتهم ظلامات الناس واموالا لهم منذ زمان طويل اذ لم يجترىء عليهم من كان قبلي . فقال الامير محمد بن الاغلب : نعم لا تبدا الا بهم . واجر الحق على مفرق راسي .

ويبدو ان سحنونا لم يكن يتوقع الاستجابة الكاملة من الامير محمد بن الاغلب ، فلما اجابه الى كل ما طلب حتى لو كان الحكم على الامير نفسه ، أحب سحنون أن يستوثق ، ولهذا يقول : فقلت له : الله — يريد الحلف بالله — فقال الامير : الله — ثلاث مرات — .

ومع كل هذا قبل مرغما لانه لم يجد مفرا من القبول وقال : وجاءني من عزم الامير مع هذا ما يخاف المرء على نفسه ، ففكرت فلم اجد أحدا يستحق هذا الامر ، ولم أجد لنفسي سعة في رده .

ولما تمت ولاية القضاء تلقاه الناس ، وقد ركب دابة ، والكآبة في وجهه . ما يتجرأ أحد على تهنئته ، فسار حتى دخل على ابنته خديجة ، وكانت من خيار النساء ، فقال لها : اليوم ذبح ابوك بغير سكين .

وجاءه أحد العلماء واسمه عون بن يوسف فقال له : نهنئك او نعزيك ، ثم سكت ، ثم قال : انه يلغني انه من أتاها من غير مسألة أُعين عليها ومن أتاها عن مسألة لم يُعَن عليها . فقال له سحنون : من ولته الشفاعة عزلته الشفاعة ، وقال ايضا : من ولته الشفاعة حكم بالشفاعة .

وبلغ الامر ببعضهم ان قال : انا لله وانا اليه راجعون ، وددنا أننا رأيناك اليوم على أعواد نعشك ولم نرك في هذا المجلس قاعدا .

اي حالتيك افضل

ثم ان احد الزهاد ، واسمه عبد الرحيم كتب الى سحنون لما ولي القضاء يقول :

اما بعد ، فاني عهدتك وشأن نفسك عليك مهم تعلم الخير وتؤدب عليه . وأصبحت وقد وليت أمر هذه الامة تؤدبهم على دنياهم ، يقل الشريف بين يديك والوضيع، قد اشترك فيك العدو والصديق،

ولكل حقه من العدل ، فأى حالتيك افضل ؟ الحالة الاولى أم الثانية ، والسلام .

الدنيا نعم المطية للاخرى

فكتب اليه سحنون يقول :

اما بعد ، فانه جاءني كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه ، واني أجيب أنه لا حول ولا قوة في شيء من الامور الا بالله تعالى ، عليه توكلت ، واليه أنيب، فاما ما كتبت انك عهدتني وشأن نفسى على مهم اعلم الخير وأؤدب عليه ، واصبحت وقد وليت امر هذه الامة أؤدبهم على دنياهم . فلعمرى انه من لم تصلح له دنياه فسدت له اخراه ، وفي صلاح الدنيا اذا صح المطعم والمشرب صلاح الآخرة، فكلا الامرين متصل بالآخرة ، أؤدبهم في معايشهم ودفع ظالمهم عن مظلومهم . واخذهم الامور من وجوهها ادب لآخرتهم ، لان بصلاح دنياهم تصلح لهم آخرتهم ، وبفساد الدنيا تفسد الآخرة ، وقد حدثني ابن وهب ـ ورفع سنده الى النبي صلى الله عليه وسلم ـ قال : « نعم المطية الدنيا ، فارتحلوها فانها تبلغكم الآخرة » ولن تبلغ الدنيا الآخرة من عمل في الدنيا بغير الواجب من حق الله .

واما قولك : وليت امر هذه الامة . فانني لم أزل مبتلى بنفذ قولي منذ اربعين سنة في اموال المسلمين وفي انفسهم ـ يريد انه كان يسأل في أمور الدين فيفتيهم فهو متولى امرهم ـ وقد حدثني ابن وهب أن عبيد الله بن ابى جعفر قال : لن تزالوا بخير ما تعلمتم فاذا احتيج اليكم فانظروا كيف تكونوا .

وفيما رآه ابن ابى جعفر هو : انما المفتى قاض يجوز قوله في ابشار المسلمين واموالهم . فعليك بالدعاء فالزم ذلك نفسك ، والسلام .

أعطوا الاجير حقه

ويبدو ان الامير محمد بن الاغلب قصر في دفع أجور أعوان سحنون ، وهم الذين يحضرون اليه الخصوم ويتولون له الكتابة وحفظ النظام في القضاء . فدخل سحنون على الامير وقال : حبست ارزاق اعواني وهم أجراؤك ، وقد وفوك عملك ، ولا يحل لك ذلك ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعط الاجير حقه قبل ان يجف عرقه .

نظامه في جلساته

كان لا يحضر عند سحنون غير الخصمين ، ومن يشهد بينهما في دعواهما ، وسائر الناس عنه بمعزل ، لا يراهم ولا يسمع لغطهم ، ولهذا بنى حجرة في الجامع لتكون مكان جلسته للحكم اذ رأى كثرة الناس ، وكثرة كلامهم ، وكان اذا دخل عليه الشاهد ورُعب منه ، اعرض عنه حتى يستأنس ويذهب روعه ، فان طال ذلك به هوّن عليه وقال له : ليس معى سوط ولا عصا ، فلا عليك بأس اذ' ما علمت ودع ما لم تعلم .

وكان من مبدئه أن الخصوم يضربون اذا آذى بعضهم بعضا بكلام ، أو تعرضوا للشهود ، يقول: ان الشهود اذا تعرض لهم كيف يشهدون .

وكان يكتب أسماء المتحاكمين وشهودهم في رقاع تجعل بين يديه ويدعو بهم واحدا واحدا .

زاد من اختصاصاته

ولقد جعل سحنون قضاءه يشمل الاسواق وما يقع فيها من غش وتلاعب . فقد قال بعض مؤرخيه: أول ما نظر سحنون في الاسواق ، وانما كان ينظر فيها الولاة دون القضاة ، فنظر فيما يصلح من المعاش ، وما يغش من السلع ، ويجعل الامناء على ذلك ، ويؤدب على الغش ، وينفى من الاسواق من يستحق ذلك .

كما قالوا : انه اول القضاة جعل في الجامع اماما يصلى بالناس ، وكان ذلك للامراء .

وأول من جعل الودائع عند الامناء ، وكانت قبل ذلك تجعل في بيوت القضاة .

والحق انها بوضعها في بيوت القضاة كانت سببا في ايذائهم بعد عزلهم اذ ان من يعزل متهم يتعنتون في حسابه ، ويبالغون فيما كان وما لم يكن وبخاصة اذا كان عزله عن غضب من أصحاب السلطان .

حاشية الامير تقف ضده

ولقد وقع ما كان يخشاه سحنون ، وما يخشاه أو كان يخشاه كل قاض في تلك العهود .

فان سحنونا لما اكثر من رد الظلامات التى

وقعت من رجال الامير محمد بن الاغلب . وأبى أن يقبل منهم ان يوكلوا احدا في الخصومة ، بل ألزمهم ان يحضروا بانفسهم امامه ، حينئذ شكوه الى الامير وقالوا : انه يغلظ عليهم . فوجه اليه الامير محمد بن الاغلب يقول له : ان اعواني فيهم غلظة ، وقد شكوك ، ورأيت معافاتك من شرهم ، فلا تنظر في امرهم .

وجاء الرسول الى سحنون برسالة الامير ، فقال سحنون للرسول ، ليس هذا الذى بيني وبينه ، قل له : خذلتني خذلك الله .

وعاد الرسول الى الامير محمد بن الاغلب وأبلغه ما قاله سحنون ، وكان يتوقع أن يغضب فينتقم ولكن الله عصمه ، فرجع الى الحق وقال : ما نعمل به ؟ انما اراد الله .

منتهى التحدى والسمو من الجانبين

وكان امر السبايا قد اختلط بين اللاتى هن اماء واللاتى هن حرائر ، ويبدو أن الامر صار فوضى ، بحيث كانت الحرائر تنتهب من البلاد التى لم تكن تخضع لحكم الامراء ، ثم تساق الى المنازل ، يبيعها بعض التجار الذين لا وازع عندهم من دين أو ضمير ، وقد ينتصر أحد القواد فيحمل الحرائر من بلاد خصومه باعتبار أنهن سبايا . وقد وقف سحنون من كل هذا موقفا حازما ينتزع الحرائر بقوة أعوانه ويطلقهن متحديا الامير محمد ابن الاغلب الذى كان يلجأ اليه التجار او القواد متظلمين ، ويرسل اليه يأمره برد النساء فيمتنع اشد الامتناع ويرد الرسل اقبح رد .

والحق أن محمد بن الاغلب كان يتوب الى نفسه ويراجعها بعد ان يملكه الغضب ، ثم يقول : ما اظن هذا الرجل يريد بنا الا خيرا ، ونحن لا نعلم . ثم يقدم لمن انتزعت منه الحرائر ما يرضيه من مال .

والقصتان التاليتان من أعظم مواقفه

قال ابن أبى الحارث : قيل لسحنون : هذا منصور دخل من تونس بالحرائر ، فركب سحنون، وانتزع منه ما بيده ، فدخل منصور على الامير محمد بن الاغلب ، وقد شق ثوبه ، وذكر له ما نزل به ، فارسل ابن الاغلب الى سحنون أن يرد النساء الى منصور ، فأبى ، فأرسل اليه ثانية وثالثة ، وهو يقول : لا أفعل .

فاقبل الامير محمد بن الاغلب ، حتى دنا من موضع سحنون وضربت له قبة نزل فيها ، وقد استشاط غيظا ، ودعا فتى وقال له : اذهب الى سحنون فقل له : اردد السبى على منصور ، فاذا لم يفعل فائتنى برأسه . فجاء الفتى الى سحنون يبكى ويتضرع ويقول له : أمرت فيك بأمر عظيم . فاخذ سحنون ورقا فكتب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم« وياقوم مالى ادعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار » (سورة غافر الآية ٤١) . ودفع الكتاب الى الفتى وقال له : ادفعه الى ابن الاغلب . فلما رجع الفتى الى الامير ودفعه اليه وقرأ الكتاب امر بان ترفع قبته ، واحتجب في منزله ثلاثا ، ثم قال لمنصور : سلنى عما شئت من حوائجك واعرض عن خبر سحنون .

اشكروه على تأييده للحق

ثم ان بعض قواد بنى الاغلب انصرف من بعض الحروب بعدد من الحرائر ، اخذهن سبايا ، فارسل سحنون الى جميع البوادى يدعو العباد الصالحين ، فاجتمع اليه نحو من الف رجل ، وقالوا له : مرنا بما شئت . فقال تخيروا منكم مائة رجل ليجتمعوا الىّ عند المغرب . فكانوا عنده وهم لا يعلمون غرضه ، فلما صلى بهم قال لهم : امضوا الى دار فلان ــ القائد ــ فاضربوها عليه ، فاذا فتح لكم أبلغوه سلامي ، واني اطلب اليه ان يخرج الحرائر اللواتي اتى بهن ، ولا تجعلوا له الى غلق الباب سبيلا ، لئلا يجتمع هو ومن معه فيدافعكم ، ويفضى الامر الى اراقة الدماء . وان هو لاطفكم ومانعكم فاشغلوه حتى يدخل سبعة شيوخ منكم الى ان ينتهوا الى الباب الاوسط وينادوا : أين الحرائر المسبيات ، فليخرجن الى القاضى . فاذا خرجن جميعهن ائتونى بهن واتركوه .

ففعلوا ما امرهم به ، فلما أبى القائد ان يخرج النساء قبضوا عليه ، ودخل الشيوخ فاخرجوا النساء كما امرهم سحنون ، وأتوا بهن اليه .

فركب القائد الى قصر الامير ابن الاغلب ، فوجد الابواب مغلقة اذ أن الليل قد اوغل ، فبات القائد

عند أبواب القصر حتى أصبح ودخل على الامير ابن الاغلب ، وقد شق ثيابه ، واخذ في البكاء ، فسأله الامير ، فاخبره ، فانكر الامير ذلك ووجه فتى الى سحنون يأمره بردهن له ، فقال له سحنون : قل له : والله الذى لا اله الا هو لا يخرجن من دارى حتى تعزلنى عن القضاء ويعلم الله أنه لا نظر لى على رجلين من المسلمين .

ثم وجه ابنه محمدا بسجله في رفقة الفتى الذى بعثه الامير وقال : قل له : هذا سجلك ، وجعل الله فائدك شفيعك يوم القيامة .

فوصلا الى الامير وابلغاه ما قال . وقال له محمد بن سحنون : هذا سجلك بعث به لتولى امور المسلمين من تراه ، فقال الامير : اقرأ على ابيك السلام وقل له : جزاك الله عن نفسك وعنا وعن المسلمين خيرا ، فقد احسنت اولا وآخرا . ونحن نرضى فائدنا من اموالنا ، وامض فيما وليناك على احسن ما تراه . فبلغ محمد اباه سحنونا ما قاله له الامير واجتمع اليه وجوه الناس واهل الخير وشكروا فعله . فقال لهم : ان الله قد أحب الشكر من عباده ، فاذهبوا الى الامير واشكروه على تأييده للحق ، ففي ذلك صلاح الخاصة والعامة . ففعلوا ذلك .

ميلاده وتعلمه

ولد سحنون سنة ١٦٠ هـ بالقيروان ، واخذ العلم عن مشايخها ، ثم رحل في طلب العلم الى مصر سنة ١٧٨ ولم يكن الامام مالك بن انس بالمدينة قد مات بعد ، وقعد الفقر بسحنون عن امنيته في ان يرحل الى المدينة ليلقى الامام مالكا . ولقد قال عن نفسه : كنت عند ابن القاسم بمصر ، وجوابات مالك ترد عليه ، فقيل له : فما منعك من السماع منه ؟ قال : قلة الدراهم . وقال مرة اخرى : لحى الله الفقر فلولاه لادركت مالكا .

وتوفى الامام مالك سنة ١٧٩ فلما رحل سحنون الى الحجاز حاجا بصحبة ابن القاسم وابن وهب واشهب ، اخذ عن علماء الحجاز ، كسفيان بن عيينة المتوفى سنة ١٩٨ وعبد الملك بن عبد العزيز المعروف بابن الماجشون المتوفى سنة ٢١٢ او ٢١٤ وعبد الله بن نافع الزبيرى المتوفى سنة ٢١٦ وغير هؤلاء من خيرة العلماء .

اما مصر فقد اخذ عن كثير من رجالها الافذاذ ، فقد تلقى عن عبد الرحمن بن القاسم المتوفى سنة ١٩١ وعن عبد الله بن وهب بن مسلم المتوفى سنة ١٩٧ وعن أشهب بن عبد العزيز واسمه مسكين وكنيته أبو عمرو المتوفى سنة ٢٠٤ كما اخذ عن غيرهم ممن عاصروهم من كبار الفقهاء والمحدثين ، ثم عاد سحنون الى بلاده في سنة ١٩١ وهي السنة التي مات فيها عبد الرحمن بن القاسم المصرى أكبر تلاميذ مالك بمصر .

هذا وفي تاج العروس في مستدركاته على مادة سحن قال : « سحنون بالضم طائر ، وسحنون ابن سعيد ـ طبع خطأ « سعد » ـ الافريقي من ائمة المالكية . جالس مالكا مدة ـ كذا قال ـ ثم قدم بمذهبه الى افريقية فاظهره فيها وتوفي سنة ٢٤١ هـ » .

اما حياة الحيوان للدميرى في كلامه عن الطائر المسمى سحنون فقد قال « بفتح السين وضمها طائر حديد الذهن يكون بالمغرب يسمونه سحنونا لحدة ذهنه وذكائه وبه سمي سحنون بن سعيد » .

لم يأخذ مما جاز له من الأجر شيئا

ويبدو ان سحنونا ظل في المدة التي كانت بين عودته وبين توليه القضاء يحدث ويفتي ، ويعمل في مزرعة له غرسها زيتونا حتى نمت وانتجت له من محصول الزيتون ما كان يكفي حاجته وحاجة أسرته ، ولهذا حين تولى القضاء لم يقبل ان يأخذ لنفسه من الامير رزقا ولا صلة في قضائه كله ، اما أعوانه وكتابه فكانت تجرى ارزاقهم عليهم من قبل الامير ، ولهذا كان الامير محمد بن الاغلب يقول في موقفه مع سحنون : ان سحنونا لم يركب لنا دابة ، ولا عقل كمه بصرة فهو لايخافنا .

ولم يكن يمتنع عن اخذ الراتب تحريما له وانما زهادة في الدنيا وتورعا ، وهو يقول : لو اخذته لجاز لى .

واما مزرعته من الزيتون فكانت تغل له في العام ما يبلغ ثمنه حوالى خمسمائة دينار ، ومع ذلك كان يتصدق منها على قدر ما يستطيع . رحمه الله فهو من الكرام الابرار . ■■

عبد الستار أحمد فراج

نتيجة مسابقة العدد ١٦٣

فالدهايم نمساوي الجنسية

انقسمت مسابقة العدد ١٦٣ من« العربي » الى قسمين ، كانت اسئلة القسم الاول مكونة من تسعة اسئلة متنوعة في مناح شتى من المعرفة . اما القسم الثاني ، فتكون من ثلاثة اسئلة اجبارية ، والملاحظ ان اسئلة المسابقة عموما كانت سهلة وبسيطة ، الا ان القراء لم يوفقوا في الاجابة عليها ، علما باننا في هذه المسابقات نحرص بشتى الطرق على ان نجعل القارىء يألف الرجوع الى امهات الكتب والموسوعات العلمية كي يحصل على الاجابة الصحيحة .

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ، ثم اسماء من فازوا بالمسابقة :

اولا : اسئلة القسم الاول

١ ــ اسم النهر الذي يمر في اراضي سوريا ولبنان هو **(نهر العاصي)** .

٢ ــ الكافيار يصنع من بيض السمك .

٣ ــ زيوس كان كبير الآلهة في الميثولوجيا الاغريقية .

٤ ــ مدينة الموصل تقع على نهر دجلة .

٥ ــ اوليفر كرومويل .

٦ ــ اكبر نفق في العالم طوله ١٥٧٧١ قدما يمتد اسفل جبال الألب .

٧ ــ البقعة السوداء في الخريطة هي للصومال الفرنسي .

٨ ــ في عام ١٩١٩ وقعت معاهدة صار اسمها معاهدة « فرساي » .

٩ ــ البوسنة اصبحت اليوم جزءا من يوغوسلافيا .

ثانيا : اسئلة القسم الثاني

١ ــ ولد الشاعر ابو العلاء المعري في قرية المعرة في سوريا .

٢ ــ اسم السكرتير الجديد لهيئة الامم المتحدة هو كورت فالدهايم ، وجنسيته نمساوي .

٣ ــ الرسم لمنارة الاسكندرية .

الفائزون بالمسابقة

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : فضل الله محمد موسى / الخرطوم ــ السودان .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : خطار يوسف بزي / بنت جبيل / لبنان .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : زياد رشاد عبد السلام قاسم / عمان / الاردن .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ــ عبد القادر البطريق / القاهرة / مصر .

٢ ــ يونس محمد الزوي / بنغازي / ليبيا .

٣ ــ ياسين حمد الحسن / الميادين / سوريا .

٤ ــ نبيلة ناصر سلطان الناصر / كيفان / الكويت .

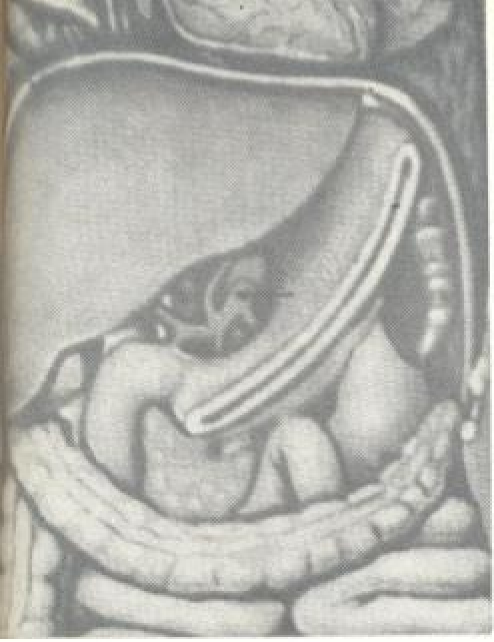
٥ ــ برهان الدين حسين توفيق / السليمانية / العراق .

٦ ــ احمد صالح بن دمنان / المكلا / اليمن الديمقراطي .

٧ ــ نبيل عبد الحسين العرادي / المنامة /البحرين .

٨ ــ حسن ابراهيم عبد الرسول / الشارقة / الخليج العربي .

وسترسل الجوائز الى اصحابها



أمراض شائعة

تليُّف الكَبِد وتشمُّعه

بقلم : الدكتور سالم نجم

الكبد : صفته التشريحية Liver Anatomy

■ يعتبر الكبد أعظم غدد الانسان على الاطلاق ويتراوح وزنه في الرجل البالغ ما بين ١٥٠٠ الى ٢٠٠٠ مجم أو (١/٤٠ من الوزن الاجمالى) .

والكبد غير منتظم الشكل ويتكون من ثلاثة فصوص أكبرها الفص الأيمن ثم الأيسر أما الثالث فهو صغير جدا ويسمى الفص الذنبى . ويحتل الكبد مكانا في أعلى التجويف البطنى من الجهة اليمنى تحت الضلوع وهو مثبت بالحجاب الحاجز والأعضاء المجاورة بواسطة خمسة أربطة قوية . اما تركيب أنسجته وخلاياه وأوعيته الدموية والصفراوية والليمفاوية فهى معقدة للغاية ولا يزال العلم حتى عصرنا هذا يكتشف كل يوم جديدا في هذا المضمار .

الكبد عضو ضرورى لحياة الانسان :

استئصال الكبد ((كله أو بعضه))

في سبيل الحصول على معلومات حيوية توضح أهمية الكبد في حياة الكائن الحى استأصل العلماء الكبد كله من جسم كلب وسجلوا ملاحظاتهم التالية:

بعد ثلاث ساعات ترنح الكلب في مشيته ، ثم ضعفت قواه العضلية ضعفا ظاهرا ، ثم سقط اعياء ولم يقو على الوقوف على أرجله أو القيام باى حركة عضلية ما عدا التنفس وذلك خلال عشر ساعات من استئصال كبده . وعقب ذلك بوقت قصير أصيب الكلب باختلال في قواه العقلية وتلا ذلك تشنجات عضلية فغيبوبة تامة أعقبتها الوفاة قبل انقضاء ٢٤ ساعة من بدء التجربة .

غير ان النتيجة مختلفة تماما في حالة استئصال جزء من الكبد (نصفه او اكثر قليلا) فلا يحدث من الاعراض المذكورة شيء . اذ آن من خصائص الكبد انه ينمو بسرعة وتتكاثر خلاياه وأنسجته بصورة مدهشة حيث يعوض بها ما استؤصل منه في زمن قصير . وفي هذه الحالة لا يموت الكلب بل يحيا حياة طبيعية . هذه المشاهدات في مجملها وفي كثير من الأحيان تنطبق على الانسان في حالة اصابة كبده في حادث أو مرض وبتعبير آخر اذا ما استوصل جزء من الكبد بعد تمزقه او تلفه في حادث ما او نتيجة مرض معين فان الجزء الباقى ينمو بسرعة ويقوم بوظيفته بصورة حسنة وينعم الانسان بعدها بصحة جيدة .

وهنا لا بد من تعريف سريع بوظائف الكبد التي بدونها لا تستمر الحياة .

وظائف الكبد Liver Functions

التمثيل الغذائي : Metabolism

يقوم الكبد بالتمثيل الغذائي لجميع انواع الطعام من نشوية ودهنية وزلالية وفيتامينات واحماض كما انه يصنع بعض المواد الغذائية النادرة النفيسة ولديه قدرة عجيبة لتحويل الغذائيات المأكولة بطريق الفم او المختزنة في جسم الانسان من شكل الى آخر. مثال ذلك يستطيع الكبد ان يحول المواد السكرية الى زلالية او دهنية والدهنية الى سكرية او زلالية وذلك طبقا لاحتياجات الجسم .

٢ ـ والكبد يشل نشاط الهرمونات ويتخلص منها بتحويلها الى مواد خاملة تفرز في البول أو البراز .

٣ ـ تنقية الجسم من السموم Detoxication : يتغلب الكبد على السموم في جسم الانسان (سواء الناتجة عن العمليات الحيوية أو الدخيلة عليه من خارج الجسم) وذلك بتفاعلات كيماوية معقدة نذكر منها أكسدة المادة السامة أو اتحادها مع مادة أخرى بحيث يصبح الناتج الجديد مادة غير سامة ولا ضارة بالانسان ثم يتم افرازها والقاؤها خارج الجسم مع الفضلات .

٤ ـ يفرز الكبد مادة الصفراء الهامة في عمليات الهضم والامتصاص بحيث يتم تكوينها في الكبد ثم تختزن في الكيس المراري للاستفادة منها عند الحاجة.

٥ ـ يعتبر الكبد مختبرا ضخما لانتاج الخمائر والاحماض والزلاليات وبعض عناصر الدم اللازمة لحفظ سيولته وضبط درجة تخثره بدقة متناهية، كما يقوم الكبد بصناعة الاجسام المضادة اللازمة للدفاع عن الجسم في حالة تهديده بغزو ميكروبي أو تعرضه لوباء فتاك أو مرض عضال .

٦ ـ يختزن الكبد مواد هامة أساسية ليستهلكها الجسم عند الطلب مثل بعض أنواع الفيتامينات والمعادن وخاصة الحديد .

وهكذا نرى أن الكبد تتعدد جوانب تخصصه ومجالات عمله . وأستطيع القول بأنه من العسير حقا حصر وظائف الكبد وتفاعلاته مع أجهزة الجسم الأخرى وما يمكن أن يقوم به من تغييرات ايجابية في كيماوية الانسان في حالات صحته ومرضه .

تشمع الكبد

يقال بان الكبد قد تشمع اذا ما أصيب بمرض مزمن ونتج عن ذلك تحطيم عام في مكوناته الخلوية وزيادة في الانسجة الليفية مع نمو في بعض اجزائه واختلال في تكوينه الهندسي . وتشمع الكبد له أسباب كثيرة منها :

١ ـ سوء التغذية : ونقص المواد الزلالية وخاصة الأحماض الأمينية ويترتب على ذلك ترسب المواد الدهنية وتليف حول الأوعية الدموية ثم ينتهي الأمر بالتشمع .

٢ ـ المشروبات الروحية : ويحدث التشمع بين المدمنين على الخمر باحدى طريقتين اما بالتأثير المباشر السام للمادة الكحولية على خلايا الكبد أو نتيجة سوء التغذية التي عادة يتعرض لها المدمنون حيث انهم يحصلون على الطاقة الحرارية اللازمة لهم من المشروبات ويهملون تناول الطعام المتكامل أو قل ربما كانوا غير قادرين ماديا في كثير من الأحوال على التوفيق بين ما ينفقون على شراء الطعام الجيد وبين ما ينفقون على مشروباتهم .

٣ ـ التهابات الكبد المعدية Infective Hepatitis وخاصة الالتهابات الفيروسية وهي من أهم العوامل المؤدية الى تشمع الكبد في أقطارنا العربية وخاصة الكويت وسببها مكروب صغير جدا هو الفيروس Virus وربما كانت الالتهابات طفيفة لا ينتبه لها المريض الا انها تنتهي بتليف الكبد ثم تشمعه .

٤ ـ انسداد قنوات المرارة Biliary Obstruction وغالبا ما تكون بسبب حصوة المرارة . والانسداد يؤدي في الغالب الى التهابات في الأوعية المرارية داخل الكبد يعقب ذلك التهاب في أنسجة الكبد ثم تشمعه .

٥ ـ الطفيليات الكبدية Hepatic Parasites نذكر منها مرض البلهارسيا والملاريا وبعض الديدان المفلطحة . تلك الطفيليات تسبب الكثير من أمراض الكبد في بلادنا خاصة في مصر واليمن وبعض المناطق في سوريا والعراق والسعودية العربية .

٦ ـ هبوط القلب المؤمن الناتج غالبا عن ضيق الصمام التاجي ويؤدي فشل القلب الى تورم واحتقان في الكبد ومن ثم تحطيم في خلاياه وزيادة في الأنسجة الليفية تؤدي الى التشمع المزمن .

٧ ـ ترسب بعض المواد الغريبة في الكبد

Hepatic Infiltration كما هو الحال في اشخاص مصابين بامراض وراثية نادرة تحدث في المجتمعات المقفلة كالمجتمع اليهودي ومثال ذلك (مرض جوشر Gaucher ونيمان بك) او نتيجة لترسب ذرات المعادن في خلايا الكبد مثل ذرات النحاس او الحديد .

أعراض وعلامات تشمع الكبد

بصفة عامة تعود اعراض هذا المرض الى سببين رئيسيين : ــ

١ ــ أعراض ناتجة عن ارتفاع الضغط في الدورة البابية Portal Hypertension .

٢ ــ أعراض ناتجة عن اخفاق الكبد في اداء وظيفته Hepatic Failure .

١ ــ ان ارتفاع الضغط في الدورة البابية يؤدي الى احتقان في المعدة والامعاء واضطراب وظيفي في الهضم والامتصاص ومن ثم يشكو المريض من انتفاخ بالبطن وتجمع الغازات في الامعاء وانعدام الشهية للطعام والشراب ، كما انه يعاني من رغبة في القيء أو قيء فعلي خاصة في الصباح الباكر يتلو ذلك احساس بالألم في المنطقة اليمنى من أعلى البطن خاصة بعد تناول الطعام .

● تضخم في الطحال SPlenomegaly وفي هذه الحالة يشكو المريض من تورم في الجهة اليسرى من البطن وقد يصاحب ذلك ألم وثقل في نفس المكان .

● نزيف معدي Hematemesis and Melena يحدث النزيف بان يتقيا المريض دما داكن اللكون وذلك نتيجة لانفجار بعض الاوردة المحتقنة والمتمددة في اسفل المريء واعلى المعدة وفي معظم الأحيان يكون الدم مختلطا بمحتويات المعدة من طعام وسوائل حمضية .

وقد يظهر النزيف من الشرج مع البراز ويكون لونه شديد السواد لزج القوام يشبه لون الزفت ولزاجته . كما أن النزيف من الشرج ربما كان أحمر اللون ناتجا عن البواسير التي كثيرا ما تكون احدى مضاعفات تشمع الكبد .

● فقر الدم وهزال عام Ematiation and Anoemia ويحدث فقر الدم اما بسبب النزيف المتكرر واما بسبب نقص في مركبات الدم الخلوية نتيجة تحطمها في الطحال المتضخم .

● الاستسقاء الزقي Ascites في حالات تشمع الكبد تتجمع السوائل في الفراغ البيرتوني وقد يصل مجموعها الى ما يزيد عن العشرين لترا ويبدو المريض عظيم البطن هزيل الأطراف ، ومع تضخم البطن تظهر على سطحه الأوردة متمددة ومتداخلة بشكلها الازرق وخاصة حول السرة وعلى جانبي البطن والقفص الصدري .

٢ ــ أعراض وعلامات هبوط الكبد Hepatic Failure .

● تورم عام Oedema قد يقتصر التورم على القدمين والساقين غير انه أحيانا يمتد ليشمل أعلى الفخذين والخصيتين واسفل الظهر .

● اليرقان Jaundice يعتبر اصفرار الجلد واصفرار بياض العينين والبول من اهم علامات أمراض الكبد ويظهر اللون الاصفر بوضوح في المرضى ذوي البشرة الفاتحة . وفي الحالات الحادة يزداد اللون ليصبح أخضر كلما زادت درجة انسداد القنوات الصفراوية داخل الكبداوخارجه. وعادة ما يصاحب اليرقان رغبة في الهرش شديدة (حكة بالجلد) تقلق راحة المريض بحيث يظل يحك جلده حتى تسيل منه الدماء . ومن اليسير رؤية آثار أظافر المريض على سطح الجلد في الأمكنة التي تصلها يداه .

● تغيرات جلدية أخرى : ان ضعف الكبد يتسبب عنه تمدد وانتفاخ في الشعيرات الدموية في الوجه والأطراف العليا مكونة ما يشبه شكل العنكبوت وتتميز تلك الاشكال باللون الاحمر . كما أن هذه الشعيرات كثيرا ما تتهتك نتيجة اصطدام اليد او الرجل بجسم صلب ويحدث نزيف تحت الجلد (بقع زرقاء او سوداء) وكثيرا ما يحدث رعاف او نزيف من اللثة لذات السبب. وبالاضافة الى ذلك فان تراكم مادة الميلانين Melanin (الملونة للجلد) تسبب تغيرا في لون الجلد الى بني قاتم أو اسود باهت .

● تغيرات في اليدين : ابيضاض اظافر المريض أو تكورها وتلونها باللون الأزرق . اما باطن اليدين فانهما يتميزان برخاوة ملحوظة واحتقان واضح .

● تغيرات جنسية : ان اختلال التوازن بين هرمونات الجسم المذكرة والمؤنثة يؤدي الى تغيير كبير في الصفات الجنسية للرجل والانثى نذكر منها:

عند الرجال : يحدث تضخم في الثديين وسقوط في شعر الابط والعانة واللحية وضمور في الخصيتين

مع زهد في ممارسة الجنس أو فقدان الشهوة الجنسية وغالبا ما تنتهي الحالة بالعقم .

عند النساء : انقطاع الدورة الشهرية مع ضمور الأجهزة التناسلية (الثديين والرحم والمبايض) وظهور الشعر في الوجه ليصبح للأنثى لحية وشارب ، كما أن النساء تساوى مع الرجال في كراهية الجنس وعجزهن عن انجاب الأطفال .

التسمم الكولى Hepatic Encephalopathy

تظهر اعراض التسمم الكولى في الحالات المتقدمة لتشمع الكبد بسبب انفلات بعض المواد الزلالية السامة(خاصة مادة الامونيا)الى الدورة الدموية حيث تنتقل الى الجهاز الهضمي المركزى. هذه المواد السامة تحدث تلفا في المخ واغشيته ويؤدى ذلك الى اضطرابات عقلية وعصبية تعقبها اغماءة عميقة الا أن المريض قد يفيق من حالة الاغماء بالعلاج ولكنه سريعا ما ينتكس وتعود اليه الحالة كما كانت مع تدهور مستمر في صحته العامة الى ان ينتهي الأمر بالوفاة بسبب ما يسمى بالتسمم الكولى أو التسمى الاموني .

هل من علاج لمرضى تشمع الكبد ؟؟

الواقع أن الحكمة القائلة «درهم وقاية خير من قنطار علاج » تنطبق على ما نحن بصدده في هذا البحث فانه من الصعب ـ ان لم يكن مستحيلا ـ ان يعالج المرضى المصابون بتشمع الكبد وخاصة اذا كانوا في مرحلة متقدمة من المرض . ولهذا وجب التأكيد على ضرورة وقاية الكبد وصيانته من التدهور بسبب العوامل التى تفتك به والتى ذكرناها آنفا في صدر هذا المقال ضمن أسباب تشمع الكبد . فلا بد اذن ان يكون الطعام جيدا ومتكاملا من جميع الوجوه وخاصة احتوائه على المواد الزلالية . كما ان علاج التهابات الكبد يجب أن يؤخذ بجدية تامة وحرص شديد من جانب المريض والطبيب وأن يعطى القسط الكافي من الراحة عقب اصابته بالأمراض الكبدية .

المشروبات الكحولية : على الرغم من أن المشروبات الروحية تسبب نسبة قليلة من حالات التشمع في مجتمعنا العربى الا أن الواجب يقتضي ان انبه الى خطورة تلك المشروبات على الكبد وان أنصح المواطنين بتجنب تعاطيها اذ ان احتمال الادمان قائم بين المعتدلين من الناس بنسبة ٢٠٪ . فالاحصائيات العالمية تقول ان بين كل خمسة يحتسون الخمر يمسي أحدهم مدمنا . والادمان هنا معناه تشمع الكبد وسوء المنقلب .

الطب يعالج المضاعفات : حتى اليوم فان الطب عاجز عن علاج تشمع الكبد . والحقيقة المجردة حول علاج التشمع تشير الى أن الأطباء يعالجون أعراض المرض ومضاعفاته . فالنزيف مثلا يعالج اما بنقل الدم الى المريض أو بالمسكنات أو بالجراحة التحويلية Shunt Operation وكذلك الحال بالنسبة للاعراض الاخرى فالتورم أو الاستسقاء الزقى يعالجان بالادوية المدرة للبول ، وفقر الدم والهزال العام يعالجهما الطبيب بمركبات الحديد والفيتامينات والأغذية وهكذا . ولكن يظل التشمع وحشا جاثما تمتد اظافره لتصيب كل اجهزة الجسم بالعطب والدمار .

اما ما يقال عن المقويات والمنشطات من العقاقير أو خلاصة الكبد أو الفيتامينات فان كل تلك الأدوية لا تغنى المريض شيئا وأولى به تجنب أسباب المرض وصيانة بدنه والبعد عن كل مايتلف كبده ويحطم حياته .

زرع الكبد Hepatic Transplantation

وهناك محاولات جادة لزرع الكبد (استبدال الكبد المتشمع بكبد آخر صحيح) وذلك اقتداء بالنجاح الباهر الذى تحقق في عمليات زرع الكلى والقلب . ولكن حتى اليوم فان هذه المحاولات لا تزال قيد التجارب وتكتنفها صعوبات جمة غير أن الأمل يحدو العلماء والمتخصصين لكي يتخطوا هذه العقبات فتلك هى الوسيلة الوحيدة والرجاء الحقيقى في علاج مرضى تشمع الكبد . ■■

سالم نجم

العربي : قال الشاعر

ولى كبد مقروحة من يبيعني ... بها كبدا ليست بذات قروح

أباها على الناس لا يشترونها ... ومن يشترى ذا علة بصحيح

من مقدمة
كتاب «المناهج المدرسية»

مؤلفه : كنث رتشموند W. Kenneth Richmond

ترجمة : محمد حسن التيتى

مفتش لغة انجليزية بالكويت

■ هذا الكتاب من احدث ما كتب فى موضوع المناهج المدرسية، موضوع الساعة فى شتى الدول ، ومنها البلاد العربية . وقد توفر لهذا الكتاب من العمق والشمول ما يجعله مرجعا معتمداً فى اية دراسة جدية تتناول المناهج .

ومؤلف هذا الكتاب من كبار اساتذة التربية البريطانيين وهو يحاضر حاليا في جامعة جلاسجو بشكل رئيسي . ويقارب عدد صفحات الكتاب الثلاثمائة وهو يتألف من مقدمة وجزءين كبيرين ، ولكن ما يعنينا هنا بشكل خاص هو المقدمة والتى تتناول مشكلة المناهج المدرسية والاتجاهات الحديثة في التخطيط لها . ومن المقدمة نترجم ما يلى :

مشـــكلة المناهج والخلافات التى تدور حولها :

ما الذى ينبغى أن نعلمه لصغارنا ؟ ما هـى المواضيع التى ينبغى أن تزود بها المدارس ؟ وما هى الاهداف التى نصبو لتحقيقها من وراء ذلك ؟ ولأى مدى من الفاعلية يمكن تحقيق هذه الاهداف؟ ان هذه التساؤلات التى تبدو بريئة للوهلـــة الاولى لا تبرد في نظر الرجل العادى الملايين التى ينفقها القائمون على أمور التربية للاجابة عليها .

والواقع ان هذه الامور كانت مثارا للخلاف منذ اقدم العصور وقد دفع سقراط حياته ثمنا لهذا الخلاف مما لا يدع مجالا للشك بأن هـــذه الامور كانت تؤخذ بمنتهى الجدية . ان وجهـات النظر تتباين فيما يتعلق بمواضيع التربية وفيما يجب أن نقدمه لصغارنا في هذا المجال . ويختلف الرأى فيما اذا كان علينا أن نوجه التربية نحو «فهم الشخصية الاخلاقية أو نحو تنمية واعداد هذه الشخصية » على حسب تعبير ارسطو . ومن هنا نرى أن المشكلات التى تواجه واضعى المناهج والتى تلازم العملية التربوية كلها هى من المشكلات الشائكة التى تصطرع حولها الآراء ـ مما يحملنا على الاعتقاد بأن هذه الخلافات والشكوك ستظـل ملازمة للعملية التربوية ملازمة ابدية .

تعريف المنهج :

مما لا شك فيه أن كلمة المنهج يحفها الكثير من الغموض . وقلما يتفق رجال التربية على تحديد معناها . والمنهج كما يرى البعضهو الخطة الشاملة للعمل المدرسي . وهو وسيلة التعليم الاساسية اى انه المحور الذى يتركز عليه كل ما يقوم بـه الطلبة ومدرسوهم . وهكذا فان للمنهج في نظرهم طبيعة « مزدوجة » فهو يتألف من ناحية من مجموع

المناشط والاشياء التى يتم انجازها ومن ناحية اخرى من المواد التى استخدمت لانجاز هذه الأشياء .

وينقسم المنهج في نظر غيرهم الى انواع ثلاثة :

١ ـ منهج المادة : وله الصفات المميزة الاتية :

(أ) تنظم قطاعات معينة من موضوعات البحث تنظيما « منطقيا » بحيث يسهل عرضها وايضاحها وتسمى هذه بالمواد .

(ب) يتم تحديد هذهالمواد بوضوح في مقدمة الكتاب المدرسي أو دليل الطالب للتجربة العلمية .

(جـ) يتم تنسيق عمليتى التعليم والتعلم في نطاق هذه المواد التى سبق تحديدها .

وهذا هو اكثر أشكال المنهج شيوعا ، ولاعداد مثل هذا المنهج يقوم المدرس والمخطط بتجميع عدد من الموضوعات المتصلة بالحقل المتفق عليه وترتيبها من حيث النوعية ودرجة الصعوبة ومن ثم يطلق على نتيجة عمله كلمة الموضوع او المادة، كالفيزياء ، او اللغة الانجليزية وما الى ذلك من موضوعات . وهكذا فان المنهج عندئذ يتكون من مجموعة مناسبة من المواد التى يمكن أن تدرس مستقلة أو مترابطة مع بعضها البعض .

٢ ـ منهج الجوهر واللب :

وهذا النوع من المنهج لا يتألف من مجموعة من المواد الاجبارية على جميع الطلبة . اذ انه عبارة عن تنظيم لموضوعات البحثحسبالمبادىء التالية:

(أ)تتألف مادة الدراسة الاساسيةمن القواعد، والحقائق ، والمعتقدات وطرائق التفكير التى تشترك فيها الجماعة والتى تؤلف المدرسة جزءا منها .

(ب) ان دراسة موضوعات البحث المذكورة توجه توجيها واعيا لتحسين معتقدات الجماعة وطرائق تفكيرها وما الى ذلك .

(جـ) توجه موضوعات البحث نحو دراسة المشكلات والاتجاهات الاجتماعية الحاضرة .

(د) يحدد المدرس الحقائق الرئيسية والقيم والمهارات والمواقف التى يريد تدريسها ويقوم بترتيبها مسبقا أما فيما يتعلق بالمشكلات التى تتم معالجتها فعلا فيشترك المدرس والتلاميذ بالتخطيط والاعداد لها بحيث تؤخذ حاجات الطلبة وميولهم بعين الاعتبار .

٣ ـ منهج المناشط :

وليس لهذا النوع من المنهج موضوعات دراسية محددة اذ انه يتألف من امور يقوم الطالب بعملها لا من أمور يتعلمها ـ فالطالب هنا لا يدرس تاريخ الاتصالات الهاتفية ولكنه يصنع جهاز الهاتفويقوم بتركيبه واستعماله .

ولمزيد من توضيح مفهوم كلمة المنهج لا بد من الاشارة الى الفقرة التالية من كتاب (عملية التربية) * .

« ان تحديد المنهج لمادة ما لا يمكن أن يتم الا عن طريق الفهم التام للاسس التى ترتكز عليها المادة وتدخل في تركيبها » .

كما أن تدريس أى موضوع أو أية مهارة دون ايضاح العلاقة والمكانة التى تحتلهافي البناءالاساسي للحقل الذى تختص به من حقول المعرفة لهو امر خاسر من عدة وجوه :

١ ـ ان هذا التعليم يجعل من الصعب على الطالب أن يخرج بأحكام عامة تعينه على فهم ما سيعترض سبيله مستقبلا .

٢ ـ ان التعلم الذى لا يؤدى الى هضم المبادىء العامة يفشل في بعث الاثارة الفكرية . وانجع السبل لاثارة الاهتمام في اى موضوع هو في اسباغ الاهمية على ذلك الموضوع اى أن تجعل المعرفة التى يحصل عليها الطالب مفيدة في مواقف أشمل من تلك التى حصل على المعرفة في اطارها .

٣ ـ ان المعرفة التى يحصل الطالب عليها دون أن تستند الى أساس مكين سرعان ما تتعرض للنسيان وهكذا فان تصميم المناهج بطريقة تعكس البناء القاعدى لأحد ميادين المعرفة يحتاج الى التمثل التام لذلك الميدان . وهو أمر لا يمكن تحقيقه الا عن طريق مساهمة ألمع رجال البحث والعلماء في الدراسة المتوخاة .

وهذا يقتضينا ان نسأل أنفسنا عندما نقرر

---

* The process of Education by J.S. Bruner

موضوعا ، في المدرسة الابتدائية ، عما اذا كان ذلك الموضوع يستحق ان يعرفه البالغ ، وعما اذا كانت معرفته له كطفل ستساهم في ان تجعل منه رجلا افضل . فان كان الجواب في كلتا الحالتين بالنفي او الغموض فان ذلك الموضوع عبء على المنهج .

ان صحت الفرضية التي قدمنا بها لهذا البحث وهي أن كل موضوع يمكن ان يدرس لاى طفل باسلوب امين ـ فسوف يتبع ذلك أن المنهج يجب أن يبنى حول القضايا الكبيرة ، والمبادىء والقيم التي يعتز بها المجتمع ويعتبرها أهلا لأن تحظى باهتمام اعضائه المستمر .

وبالمقارنة بين هاتين النظريتين يتبين لنا أنهما تجمعان على أن المنهج هو محور العملية التعليمية وركيزتها . ولكن الفريق الاول يرى أن واجب المدرسة الأساسي هو تربية الطالب وتنمية الشعور القومي لديه واتاحة الفرصة امامه للنمو السليم في حين يعتبر الفريق الآخر ان واجب المدرسة هو ان تركز على تنمية ادراك الناشئة وتزويدهم بالمعارف ، وقد أدى التعارض بين هاتين الفكرتين الى قيام الخلافات الحادة فيما يتعلق بالنظرية والتطبيق . ومن هنا نرى أن المنهج يعنى أمورا مختلفة لأناس مختلفين . وترجع أصول هاتين المدرستين الى لوك (١) وروسو والى كتابات كومينوس (٢) اذا اقتصرنا على عصرنا الحالي .

الحاجة الى تطوير المنهج :

قبل الخوض في هذا الموضوع لا بد من ايضاح ما نعنيه بتطوير المنهج . ان ما نعنيه هنا بالتطوير ليس مجرد اعادة النظر في المناهج المدرسية وتهذيبها او في طرق التدريس وصقلها ، ان ما نعنيه هنا هو قلب العملية التربوية من اساسها واعادة صياغتها من جديد وينبع هذا عن الايمان العميق بالحاجة الملحة للتخطيط الواعي المدروس .

وكان الاعتقاد السائد الى وقت قريب هو ترك المناهج وشأنها فهي ستخضع من ذاتها لعملية تطور اشبه ما تكون بعملية الاصطفاء الطبيعي معتمدة على التأثير المتبادل بين قوى العطالة في النظام التربوي وقوى التغير الفاعلة في المجتمع . وبمعنى آخر فان اصحاب هذا الرأى كانوا يرون ان الفروع اليابسة في المناهج المدرسية لا بد وأن تتلاشى تلقائيا عندما يحل محلها النبت الجديد .

ولكن الاعتقاد الذي بدأ يسود حاليا هو بأننا ان لم نتخذ موقفا حازما وصلبا وجذريا فان هذه الفروع الميتة ستتراكم تراكما لا ضابط له، وان النمو الذي لا يتوقف في الخطط المكتظة ،سيقود الى حالة لا متناهية من الفوضى . ولاول مرة في التاريخ لم يجد رجال التربية مناصا من الاقتناع بضرورة العمل على الوصول الى حلول ومبتكرات جديدة .

وفي مقدمة احد التقارير الصادرة عن منظمة التعاون الاقتصادي O.E.C.D نجد ما يلي :

ان هنالك حاجة ملحة لبناء المنهج واعادة صياغته ، ويمكن اختصار المبادىء الرئيسية التي يستند اليها هذا البناء وهذه الصياغة بالآتية :ـ

(أ) ينبغي أن يعتبر تطوير المنهج جزءا أساسيا ملازما لتطوير السياسة التربوية والتخطيط التربوي .

(ب) ان تبني المواقف الجزئية من فروع الدراسة المتعددة ضمن المنهج لم يعد مناسبا ونحن نحتاج الآن الى موقف شامل فيما يتعلق بمشكلة تطوير المنهج .

(ج) ونتيجة لذلك فان الدول الاعضاء يجب ان تعتبر تطوير المنهج ضرورة دائمة وبحاجة الى الأجهزة الوطنية الدائمة للاضطلاع بها .

ان الحاجة لتطوير المناهج قد أصبحت أشد ما

---

(١) جون لوك (١٦٣٢ ـ ١٧٠٤) فيلسوف انجليزى وهو يمثل المذهب التهذيبي في التربية. والتربية في نظره تنقسم الى انواع ثلاثة : جسمية وخلقية وعقلية . وقد دعا في التربية الجسمية الى مبدأ التقشف والاعتماد على قسوة الطبيعة وتقلباتها . اما في التربية الخلقية فقد كان ينادى بالسيطرة على النفس ومقاومة أهوائها . اما في التربية العقلية فقد دعا الى اعمال الفكر في كل المسائل وبالاخص الرياضيات .

(٢) جون آموس كومينوس (١٥٩٢ ـ ١٦٧٠) مرب وراهب تشيكي دعا الى ربط التربية بالحياة اليومية وشدد على الاتصال المباشر مع الاشياء في البيئة .

يكون الحاجا في عالمنا الذى يشاهد تغيرا مذهلا في كافة الميادين ورغم أن سياسة تطوير المناهج تتباين من بلد الى آخر الا اننا نجد نموذجا يكاد يكون مشتركا بين الجميع ، فهنالك أولا وعى تام بأن مصادر وقوى التجديد تنبع من خارج المدرسة ولذا فان هذه المصادر لا تخضع لسيطرة رجال التربية فقط . وهنالك ايضا الادراك بأن درجة التغير في الخطة العامة أسرع بكثير من تلك التى تجرى داخل الأنظمة التربوية الفرعية وما لم يتم تقريب الهوة بين درجتى التغير فان النتيجة الحتمية ستكون تخلفا ثقافيا ضخما ، أو بمعنى آخر مزيدا من اتساع الهوة التى تفصل بين ما يتلقاه الطالب في المدرسة وبين ما يتعلمه عن طريق اتصاله المباشر مع العالم الخارجي ، بما فيه من اذاعة وتلفاز وصحافة وما الى ذلك من وسائل الاعلام .

ان الأسباب التى حتمت على رجال التربية اعادة النظر في مواقفهم ومواكبة التطور الاجتماعى والاقتصادى والتكنى أكثر من أن تحصى وهى من الوضوح بحيث لا تحتاج الى التفصيل لولا تلك الازدواجية في المواقف التى يتخذها الكثير من الآباء والاساتذة من ذوى العقليات المحافظة الذين يتظاهرون بأنهم يستقبلون التطور بذراعين مفتوحتين في حين انهم في الواقع يتمنون بينهم وبين أنفسهم أن يبقى كل شيء على حاله . ولدى أمثال هؤلاء مناعة تامة تجاه أية حجج أو براهين قد نسوقها لهم، ولذا فاننا نرى لزاما علينا أن ندع الحقائق تتكلم عن نفسها :

١ ـ أول هذه الاسباب هو النمو السكانى الهائل الذى جعل من الضرورى فتح المجال امام أنواع كثيرة من القدرات والاهتمامات التى لم تكن متوفرة من قبل . فالمناهج القديمة كانت معدة لاقلية غنية مترفة توجه الى الاحتياجات المهنية المعروفة باسم المهن الراقية . أما الآن فان لدينا الالاف من الطلبة ممن كانت أبواب المعاهد التعليمية مغلقة في وجوههم وهذا الجيل الجديد من الطلبة بحاجة الى نوع جديد من المناهج .

٢ ـ ان مستويات المعيشة في ارتفاع ملحوظ في جميع البلدان النامية وبارتفاعها يرتفع مستوى التطلعات والطموح مما يؤدى الى تزايد الحاجة الى الخدمات التعليمية بشكل لم يسبق له مثيل من قبل وهذا يعنى أن نوع التربية الذى كان يصلح للطفل قبل ثلاثين عاما لم يعد يصلح لطفل اليوم مما يقتضي اعادة النظر في نوعية التعليم وطرائقه وأدواته بحيث تتمشى مع متطلبات العصر .

٣ ـ كان لتفجر المعلومات أثر بالغ على جميع ميادين الدراسة وبشكل خاص طبعا الدراسات الطبيعية والعلوم التطبيقية وجعل الحاجة الى تبنى المقاييس الدقيقة للانتقاء أشد حدة . لقد أصبح الآن من المستحيل أن يتعلم الانسان كل شيء عن شيء كما أن الشكوك اخذت تحوم حول امكانية تعلم شيء عن كل شيء . وعليه فقد اصبح من المستحيل الابقاء على مواد الدراسة التقليدية كما هي لأن هناك الكثير من المواد التى تنتظر دورها لتأخذ مكانها بين مواد الدراسة والتى قد تفوق المواد التقليدية أهمية .

فلو افترضنا ان الكيمياء والفيزياء ستظل تتمتع بمكانتها التقليدية فمتى ستتاح للتكنولوجيا الابداعية الفرصة لدخول المنهج ؟ وماذا عن الفلك وأهميته في عصر الفضاء الذى نعيشه ؟ وهكذا فان المواضيع التقليدية قد بدأت تفقد قدسيتها ولم يعد الاهتمام ينصب على جميع الحقائق والمعلومات وحشوها في ذاكرة الطالب بل أصبح الاهتمام ينصب على البحث عن المبادىء والقواعد الاساسية والتى يمكن أن تعتبر محورا تتجمع المعرفة التى يحصل عليها الطالب حوله . لم يعد واضعو البرامج يهتمون بالمواد الدراسية والفائدة المرجوة من دراستها بل انهم أصبحوا يضعون الاهداف المرغوبة امام ناظريهم ومن ثم يقومون باختيار مواد الدراسة والتجارب التى من شأنها أن تؤدى الى تحقيق هذه الاهداف .

٤ ـ ان التقسيم المعقد لانواع العمل في المجتمعات الصناعية المتقدمة يفترض وجود مجالات واسعة من المهارات المهنية ذات المستوى العالى بالاضافة الى الاعداد الضخمة من العمال والفنيين ممن لم تكن بحاجة اليهم في القرن الماضي أو حتى في بداية هذا القرن . ولم تعد المناصب الحساسة تقتصر على تلك الفئة الخاصة من الاقلية المتعلمة القديمة التى كانت الدراسة العقلية تفتح أمامها كل أبواب النجاح . ان حاجتنا اليوم الى التخصص من الشدة بحيث اصبحت المناهج العقلية تتطلب تفسيرات جديدة لمفاهيمها . والصعوبة تتركز الآن في تحقيق التوازن بين أهداف الدراسة العامة وأهداف التدريب الفنى المتخصص الذى

يرمي الى تأهيل الطلبة للقيام بدورهم في المهن الصناعية .

٥ ـ ازدياد وعي الشباب المبكر وضيقهم بالقيود التي تفرضها عليهم الدراسة الاكاديمية التي تحرمهم من التعبير عن ذواتهم وتحد من طاقاتهم دون أن تتيح لم فرص القيام بدور ايجابي ، كما أن يقظتهم العاطفية المبكرة تدفعهم لارواء حاجتهم للتجربة العميقة خارج أسوار المدرسة ، ولقد كان التخلف في ميدان الدراسة ولا يزال يعتبر دليلا على فشل الطلبة مع أن ضعف القدرة على التحصيل غالبا ما تعوض بمقدرة عالية على الابداع ، اذ من المسلم به أن القدرات تتخذ أشكالا متعددة وأن الكثير من المواهب تذوي في الفصول التقليدية دون أن يلحظها أحد . والأسوأ من ذلك أن الشك قد بدأ يساور الكثيرين بأن الآثار البعيدة للمناهج التي تستند الى المدرس والمادة كثيرا ما تقف حائلا دون نمو عادات الاستقلال في البحث والاصالة وحرية التعبير عن الذات .

٦ ـ ان المخترعات ووسائل الاتصال الحديثة قد جلبت في أعقابها طرقا واتجاهات جديدة ترغم المعنيين بأمور التربية على أن يقوموا بدورهم في تطوير التكنولوجيا التعليمية والاستفادة من الافاق الواسعة التي فتحتها المخترعات الحديثة امامهم ،وان اى تخطيط تربوى يتجاهل هذه الامور ليصم نفسه بالتخلف ودفن الرأس في الرمال .

بين التراث والحاجة الى التغيير :

رغم اقتناع المفكرين ورجال التربية بالحاجة القصوى الى التطوير والتجديد في المناهج والمدارس فاننا نتساءل عن مدى نجاح السياسة التي تتبنى هذا التغيير . والواقع ان الدولة الوحيدة التي استطاعت احداث تغييرات جذرية في هذا المجال هي السويد . فالطريق نحو التغيير محفوف بالصعوبات واول هذه الصعوبات هي اقناع الأفراد والمؤسسات من قطاعات مختلفة من الانظمة التربوية بتوحيد قواهم للعمل نحو هدف موحد . والصعوبة الثانية هي تأمين المواد الضرورية ـ فالبحث والتطوير من الامور الباهظة التكاليف ، والصعوبة الثالثة هي المواءمة والتوفيق بين الحاجة الى العمل بسرعة مع مسايرة الاساليب البطيئة في تطوير النظم البالية الراسخة .

والواقع أن احداث مثل هذه التغييرات ليس بالأمر السهل مطلقا فتبنى نظام جديد يعني الاطاحة بالقديم المستقر والراسخ . وان افلح النظام الجديد في الانتصار على القديم فانه بدوره يمر بفترة من الاستقرار والرسوخ وبالتالي بمعارضة الانظمة الجديدة . فالعلوم التي تعتبر ضرورية في عصر ما تصبح تافهة بل وحتى ضارة في عصر آخر . فعلم المنطق والجدل الذي كان يحتل المكانة الاولى في العصور الوسطى أضحى موضوعا للسخرية والتهكم في عصر النهضة . وعلم القواعد الذي كان في نظر اينياس سيلفيوس (٢) « بوابة المعرفة » اصبح فيما بعد مضيعة للوقت . فالقديم والجديد في حالة صراع لا ينتهى والقديم لا بد أن يخلى مكانه للجديد ولكن ليس بدون مقاومة لا تلين .

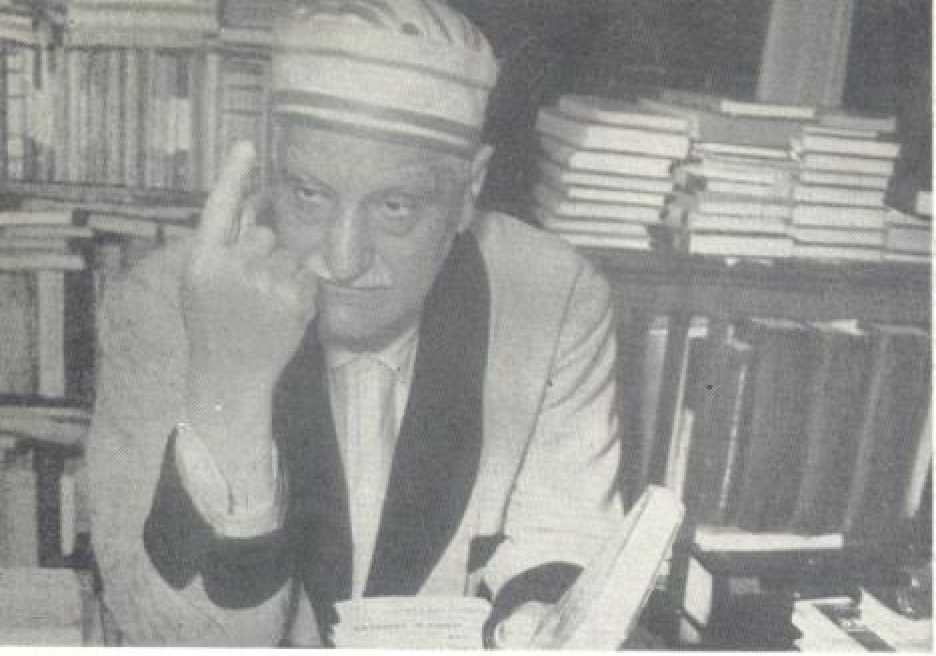
ان الشيئين الوحيدين اللذين صمدا بعناد في وجه كل تغيير هما الامتحان والمنهج القائم على المادة . فهما يمثلان فيما بينهما المصالح الثابتة من أكاديمية وادارية واقتصادية واجتماعية وسياسية والتي تسيطر على الانظمة التربوية سيطرة تجعل مجرد التفكير في زحزحتهما ضربا من الكفر . فالاعتقاد السائد هو أن التخلص منهما يعني تفريغ الانظمة التربوية من محتوياتها وتقويضها .

ومن هنا يتضح لنا أن مهمة انصار التجديد من رجال التربية أو غيرهم ليست بالهينة مطلقا ولكنها مع ذلك ليست بالمستحيلة كما تبدو للوهلة الاولى لان عامل الزمن ولا شك يقف الى جانبهم . ان نظرة واحدة الى الوراء كفيلة باثبات ذلك فالكثير من الافكار الموروثة التي نحملها عما يجب أن نعلمه للطفل لا بد وأن تعتبر مؤقتة وزائلة في نظر التاريخ . اذ أن موضوعات الدراسة التي تعتبر اساسية الان لم يكن لها وجود في مدارس القرن الماضي ومن المؤكد انها ستبدل بغيرها في المستقبل . ■■

محمد حسن التيتي

---

(٢) اينياس سيلفيوس (١٤٠٥ ـ ١٤٦٤) من كبار كتاب القرن الخامس عشر . اعتلى كرسي البابوية تحت اسم بيوس الثاني عام ١٤٥٨ .



العقاد والشعر العربى ، فى قوافيه وأوزانه

بقلم : عمر الراكشى

■ لطالما تحدث العقاد ــ اثابه الله ــ وحاضر فى هذا الموضوع فى مهرجانات الشعر وفى المحافل والندوات ، وكان له فيه الرأى العميق المدروس المدعم بالأسانيد ، الذى يهدى الشاعر الى الصورة المثلى التى يجب أن يكون عليها الشعر العربى .

فهو يرى ان الشعر الذى لا يضبط بالوزن أو القافية موجود فى اللغات السامية او اللغات الارية ، وبعضه لا يزيد الايقاع فيه على الموازاة بين السطور بغير ضابط متفق عليه . وبعضه يضبط فيه الايقاع بعدد المقاطع والنبرات ، ولا ينتهى الى قافية ملتزمة .

فالوزن المقسم بالأسباب والأوتاد والتفاعيل والبحور ، خاصة عربية نادرة المثال ، فى لغات العالم، وكذلك القافية التى تصاحب هذه الأوزان، ولذلك سببان اولهما : الغناء المنفرد ، وثانيهما ، بناء اللغة نفسها على الأوزان .

ويسجل العلامة « جلبرت مورى » وهو من

ثقات البحث في الأوزان والأعاريض ان النظم في اللغتين اللاتينية واليونانية بغير قافية لان الاوزان فيهما واضحة ومعذلك تدعو الحاجةالى القافية لتحديد نهاية الاسطر ، حتى لقد اختلف الطابعون لبعض كلام شكسبير فحسبها بعضهم من المنثور وحسبها الآخرون من المنظوم .

ويضيف العقاد الى راى « مورى » قوله انه حيث شاعت اناشيد الجماعة قلّ الاعتماد على القافية وكثر الاعتماد على حركات الايقاع ولو لم تكن متناسقة الوزن على نمط محدود ، لان الغناء بالنثر ممكن مع توازن الفواصل وموازاة السطور.

ويؤكد العقاد ان النظم العربى استقل بحقه في الصنعة لاعتماده على الغناء الفردى وعلى الحركة الموقعة مع الحداء وخطوات الابل . والى هذا الايقاع يرجع وزن الرجز على قصد وعلىغير قصد.

انا النبى لا كـذب

انا بن عبد المطلب

كما ان حركة الهرولة حول الكعبة ملحوظة في الأدعية المأثورة ومن ذلك امثلة معروفة .

وغنى عن البيان ان الابحر العربية ومجزوءاتها من مثانىً ومزدوجات وتواشيح واهازيج من الثراء بحيث لم تضق أوزانها بالالياذة اليونانية عندما نقلت الى النظم العربى ، كما استجابت هـذه الأوزان دائما لمطالب المسرح .

وقد أثبت علميا الموسيقار المصرى « خليل اللاوردى » ودَوّنَ ذلك فيكتابه «فلسفة الموسيقى الشرقية»: تطبيق العروض العربية على الضوابط الموسيقية ، والـى امكـان التوزيـع في الأوزان العروضية ، واستطاعة الموسيقى او الشاعر ان يفتتح أشكالا غير محدودة من اشكال الموازين وعلى نحو لا يلجئنا الى نقض ذلك الأسـاس .

وغير خاف ان العقاد قد أشار مرارا الى وجوب التفرقة بين القواعد وبين القيود في مجال اى فن، فلا سبيل الى الاستغناء عن القواعد في عمل له الصفة الفنية ، ولا ضرر من الاستغناء عن القيود التى تعوق حرية الفن ولا يتوقف عليها قوامه .

فان اطلاق حرية الشاعر في توزيع القوافي حيث شاء يوشك ان يعفيه من قيودها، كما يزيد الايقاع جمالا علىجمال. وهذا شأن الأوروبيين فيالموشحة.

فاذا ترخص الشاعر الغربى في القواعد بعد اسقاط القافية فاختار الوزن الذىيسمونه بالنظم الحر او النظم الأبيض ، فغاية ما يبذله انه عاد الى الاسطر المتوازنة او الى الاكتفاء بالمقاطع التي لا تبلغ في دقتها مبلغ الأسباب والأوتاد والفواصل، وتلك مرحلة تخطاها الشعر العربىفيأزمنة ماضية، ومن هنا فليس عند الغرب من فنون النظم جديد نأخذ منه في ابواب التوزين والتنويع .

على ان الأمر يختلف اذا انتقلنا الى المذاهب الشعرية الغربية التى تجيش بها كل حقبة ، فتمتد آثارها الى اقوالهم وافعالهم كما تمتد الى اقوالنا وافعالنا .

وهذه الدعوات اوسع من أن يحاط بها فيمقال، ولكنها تقترب من الحصر المستطاع اذا رُدت الى اصولها الانسانية العامة .

واذا كان أبقراط حصر الطبائع الجسدية في اربعة أمزجة ، وهى المزاج الدموى والصفراوى والبلغمى والسوداوى ، فالعقاد على هذه الوتيرة يقسم الذوق الفنى في الانسان الىاقسامه الخالدة حيث يقول ان الناس كانوا منذ فطروا واقعيين وخياليين ومحافظين على القديم وطلابا للجديد .

ومنذ ملكت الأمم الغربية حرية التفكير منذ ثلاثة قرون أخذت في التطور ، ففى فترة اليقظة الأولى نزع الانسان فيهـا الى استقلال « الشخصيـة الانسانية » من جمود التقاليد ، وتسلط الأحكام بغير فهم ، فسمى ذلك بنزعة الابداع والحريـة الشخصية . Romanticism ثم تطور هذا الابداع الى شيء من الفوضى والشرود يستحب معهالتوقف الى حين ، فظهرت دعوة الاتباع او الاطراد الجديد New Cassicism .

كما ظهر اختلاف الطبائع بين الواقعيين Realiste وبين الخياليـين والمثاليـين Idealists وبـين الطبيعيين Naturalists وبين انصار الفن للفن .

وجملة القول في هذه المذاهب انها قسمان : واحد تغلب عليه الصيغة العلمية ، وآخر تغلب عليه الصيغة الفنية ، وبينهمـا أشتـات مـن الأساليب .

وصدق العقاد اذ أكد انه لا جدوى من متابعة العناوين التي تنتهي في الغرب بصيغة النسبة المذهبية (ism) ، فلو استثنينا منها الرومانتزم ، والنيوكلاسيزم ، والريالزم ، والأيدياليزم ، فلا يوجد بعدها مذهب جاد يناط به بناء أو اصلاح في عالم الفنون .

ومع ذلك فلا لبس على الاطلاق بين مذاهب الجد ومذاهب الهزل في الآداب الغربية ، فالاولى تدعو الى البناء ، وتقوم بالبناء ، وبعيش ما تبنيه ، والثانية لا تتحدث بشيء غير الهدم والالغاء .

ومن مذاهب الهزل هذه ما يطلق عليه اسم المستقبلية Futurism ، أو فوق الواقعية Surrealism ، أو الذئبية Fauvism ، بل منها ما يسمى بمدرسة التاتاة Dadaism ويقول اصحابه انهم اختاروا له هذا الاسم من تاتاة الطفل Da Da ومؤدى مذهبهم أن التعبير الصحيح عن النفس الانسانية انما يرجع الى صور الطفولة ورموز لاحلام وخفايا الوعى الباطن كما تبدو للحالم في المنام او كما يرسلها الناطق عفوا بغير تامل وبغير انتباه .

ويجيء بعد ذلك الملفقون للمذاهب ، الواضعون لالفاظ لا معنى لها ثم يسألون هم عن معناها !

وصدق العقاد اذ وصف هذه الدعوة بانها تمثل جانب السخافة في بيئة يباح فيها القول لكل قائل ، ولا يخجل فيها العاجز من عجزه ، ولا صاحب اللجاجة من لجاجته ، وهم جميعا في غمرة من محن الحروب والفتن والقلاقل والآفات ...

وهذه السخافة خليقة أن تدرس كما تدرس عوارض الامراض والعلل والنكبات ، ولكن البون بعيد جدا بين دراستها لهذا الغرض وبين دراستها للاقتداء بها واعتبارها من مدارس الفن والأدب ونماذج الذوق والجمال .

فالخلط الهاذر مذهب لم يخلقه دعاة «اللامنطقية» في القرن العشرين ، ولكنهم خلقوا شيئا واحدا لم يسبقهم اليه احد ، وهو اطلاق العناوين العلمية او استعارتها .

ومما نحمده مع العقاد من أطوار الشعر العربي الحديث ان هذه المذاهب لم يكن لها تأثير ثابت فيه ، وانها تعرض له مع عوارض الزمن كما تعرض الأزياء والافانين ، ثم تمضي الى مصيرها العاجل بعد حين .

وعلى الجملة ، رأى العقاد ، غفر الله له ولنا من بعده ، أن الشعر عندنا لا تعتريه النكسة او الجمود ، الا انه يعاني من اطوار العصر ما يعانيه اى شعر في العالم من مشاركة قومية في ميدان العاطفة والخيال من سينما ومسرح وتلفاز ومبدعات الفنون الأخرى . لكنه امل ونامل معه ان تكون مشاركة عارضة ، يعود بعدها الشعر اقوى ، مستقلا بمجاله بين الفنون ، لانه يكسب المزية التي لا تشاركه فيها ، ويكسب الأنصار الذين لا يستبدلون به سواه ، ولعله دور من أدوار الشعر تركه الأوائل للأواخر على خلاف ما قيل . ■■

عمر الراكشي

في الاقـارب

● قال عبد الملك بن مروان لغيلان : اخبرني عن افضل البنين . فقال : السارّ البار المأمون منه العار . قال : فافضل البنات . قال : المتعجلة الى القبر المفيدة اباها سنا الأجر . قال : فافضل الاخوان . قال : الشديد العضد الكريم المشهد ، الذى اذا شهد سرّك ، واذا غاب برّك . قال : فأفضل الأخوات . قال : التى لا تفضح اخاها ولا تكسو عارا أباها . فقال عبد الملك : لله أم درّت عليك !

الجشتلت

مدرسة في علم النفس تبدأ من الكل، وتنتهي بالأجزاء.. ومن القمة، لتصل إلى القاعدة.

بقلم: الدكتور فخرى الدباغ

■ الجشتلت، هى احدث وآخر مدرسة متكاملة فى علم النفس الحديث، ظهرت فى عام ١٩١٢ . وتعد تعاليمها من أطرف ما جاء به علم النفس، اذ امتدت الى ميادين فكرية لم تقترب منها المدارس الأخرى، ولم تجرؤ على تفسيرها. ويعتبرها بعض النقاد مدرسة فريدة واصيلة لنشوئها مستقلة عن اية تعاليم وفلسفات سابقة لها (وسنناقش هذا الرأى فيما بعد) .

والجشتلت Gestalt **كلمة المانية حديثة ليس لها مرادف دقيق في اللغات الاخرى، ولكنها تعطى معنى « الشكل »** Shape **، أو «الهيئة»** Pattern **، أو « الترتيب والانتظام »** Configuration **. وحيث أن محور النظرية قائم على فلسفة الشكل فقد دعيت بالجشتلت .**

واضعو الجشتلت

في جامعة برلين، التقى ثلاثة شبان في قسم الأبحاث النفسية . ثم شاءت الصدف أن يلتقوا مرة أخرى قرب مدينة فرانكفورت بعد أن تخرجوا وتوزعوا في محلات عملهم . وهناك، امتزجت افكارهم الأولية مع تجاربهم العملية، فخرجوا بنظرية (الجشتلت)، وكانوا :

ماكس فرت هيمر M. wertheimer (١٨٨٠ - ١٩٤٣) .

وكرت كوفكا K.koffka (١٨٨٦ - ١٩٤١).

وفلف جنج كولر W.kohler (١٨٨٧ -) .

الذى شغل منصب استاذ علم النفس في جامعة سوارثمور Swarthmore University في الولايات المتحدة الامريكية لغاية عام ١٩٥٥ .

وكان أول ما جمعهم عدم قناعتهم وتشككهم في صحة ادعاء النظريات النفسية المعاصرة ،وأبرزها: النظرية السلوكية لواتسون Watson ، والنظرية التركيبية لفند Wundt ، والنظرية الترابطية لبافلوف وثورندايك Thorndike . وقد انتبه فرسان الجشتلت الثلاثة الى أن هذه النظريات لن تستطيع تفسير التفكير والادراك والأحاسيس بصورة دقيقة ، وأن ما تجمع لديهم من التجارب والحقائق منذ أيام دراستهم ولحد ذلك الوقت ما يكفي للادلاء بآرائهم . وسرعان ما لقيت تلك الاراء مؤيدين لها في أرجاء كثيرة من العالم الغربى، بل سرعان ما أصبحت مدرسة راسخة . وما لبث واضعوها أن انتقلوا من المانيا الى الولايات المتحدة الامريكية تباعا ، ومنذ عام ١٩٣٠ .

وقد حفلت تلك العقود القصيرة بابحاث متتالية وتجارب مستمرة على الانسان والحيوان .

ففى عام ١٩٢٢ ، كتب كوفكا عن الجشتلت في الولايات المتحدة ..

وفي عام ١٩٢٥ ، اصدر كولر كتابه القيم عن « عقلية القرود » Mentality af Apes .

وفي عام ١٩٢٩ ، ظهر كتاب « الجشتلت » بقلم كولر .

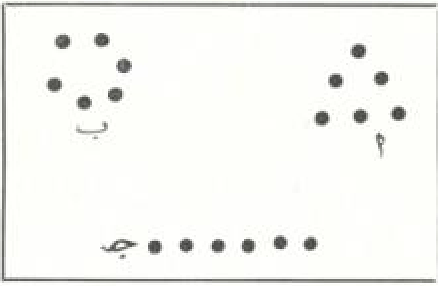
وفي عام ١٩٣٠، سافر كولر الى الولايات المتحدة ولقي هناك اتباعا كثيرين متحمسين .

وفي عام ١٩٣٥ ، انجز كوفكا كتابه عن «أسس سيكولوجية الجشتلت » .

وهكذا استقر البحاث الثلاثة في امريكا محتلين مناصب علمية مرموقة .

ما هو الجشتلت ؟

قال مؤسسو الجشتلت ، ان ما يحير علماء اليوم هو انشغالهم بالجزئيات وتقيدهم بالسير



الرسم (١)

من الاسفل الى الاعلى . الا ان هنالك طرقا مختصرة وسريعة امام الباحث اذا ما التفت الى الكل قبل الجزء ، واذا بدأ من القمة وانحدر تدريجيا الى القاعدة .

ولست بصدد ذكر تفاصيل نظرية الجشتلت ولكن من الأيسر ان نتتبع تلك الفكرة في عقول مؤسسيها لنصل الى جوهر النظرية . فلو نظرنا الى الرسم (١) وتاملناه .. ، لرأينا شكلا مثلثا أ ، او دائريا ب ، أو خطا مستقيما ج . فكان أول ما تلتقطه عقولنا من الأحاسيس هو النموذج أو « الشكل » الذى ينتج من مجموع الاجزاء. واجزاء هذه الاشكال هي النقاط السود.



الرسم (٢)

وبهذه النقاط يمكننا تركيب أشكال أخرى يدركها الانسان قبل الالتفات الى اجزائها . او بالاحرى ان الكل الذى ندركه لا يساوى مجموع الوحدات الحسية بالضبط ، بل يزيد عليها في الشكل والتنظيم ـ وهو ما يدعى بالجشتلت .



الرسم (٢)

وعندما تجتمع المحسوسات في شكل او هيئة ، فانها تحتل المرتبة الاولى من ادراكنا الحسي وتبقى الاشياء والاحاسيس الاخرى في المؤخرة كخلفية Background الجشتلت الذى تدركه . وفي الرسم (٢) نستطيع أن نرى صورة كاس بيضاء ذات خلفية سوداء. ولكننا لو تحكمنا في ادراكنا للصورة وتريثنا هنيهة ، لاختفت الكاس فجاة وظهر وجهان أسودان متقابلان ذوا خلفية بيضاء . فالفكر اذن لا يتقبل المحسوسات كلها على السواء ، بل يتقبل جشتلتا أو شكلا واحدا ذا خلفية ثانوية ، ولا يمكن ادراك الشكلين معا (اى الكاس والوجهين) وفي آن واحد . ومعرفة الطفل الرضيع لامه قبل كل شيء ناتجة عن ادراكه لوجه امه الحنونالقريب منه غالب الاحيان من بين خلفية كبيرة ومتنوعة حواليه (كالغرفة واثاثها والناس الآخرين من افراد العائلة) .

وأجزاء الاحاسيس هذه عندما تتجمع وتتلاحق زمنيا ، يمكن ان تنتج شعورا بالحركة . والفلم السينمائي الذى نراه كحركة مستديمة ، ما هو الا مجموعة من صور ثابتة ساكنة لا حركة فيها ابدا ــ الرسم (٣) . فمكنة العرض السينمائي تدير الفلم بسرعة معينة ، وعندئذ تظهر الصورة ا على الشاشة (وهي في الحقيقة صورة ساكنة) .. ثم ، وبعد جزء من الثانية ، تتبعها الصورة ب وهي ايضا ساكنة ... ولكنها تختلف عن الاولى قليلا جدا . ثم تليها الصور ج و د . وهكذا تتلاحق مئات وآلاف الصور الساكنة . الا ان قصر المسافة الزمنية جعلها تختلط بشكل جشتلت حركي . وقد استفاد العلماء من هذه الظاهرة في ابتكار الاعيب الاطفال ذات الصور المتحركة منذ اوائل القرن التاسع عشر ، وكانت تدعى بظاهرة الصورة المتحركة Stroboscopic Effect ، وهي نواة الافلام السينمائية الحالية وكثير من الظواهر الاعلانية الحركية في العصر الحاضر . اما فرت هَيْمر فقد دعاها بظاهرة الوهم الحركي Phi-Phenomena . ورواد الجشتلت هم الذين فسروها علميا واثبتوا أن الصور الساكنة اجتمعت وانتجت كلا يزيد على مجموعها ــ وهو الحركة .

وقد قضى كولر اعواما وهو يراقب ويختبر تفكير أعلى مراتب القردة (الشمبانزى) وذلك بان يجابهها بمعضلات فكرية ويدرس كيفية توصلها الى حلها والخروج منها . وخرج كولر باستنتاج يقول ان تفكير وادراك القرود العليا ــ وكذا الانسان ــ يعتمد على رؤية المعضلة ككل وكموقف عام ــ اى كجشتلت ، وانه عندما ينجح في حل المسالة التى تتحداه، فانما يفعل ذلك بالادراك او «الاستبصار» Insight ، وليس بالتجربة والخطا Trial & Error كما يقول ثورت دَيك .

اما فرت هيمر ، فقد ألف كتابا عن « التفكير الخلاق » Productive Thinking بعد ان قابل ودرس عباقرة المفكرين آنئذ ، ومن بينهم اينشتاين على الخصوص ، وكيفية توصله الى النظرية النسبية Theory of Relativity . وبين كيف ان تفكيرهم كان خلاقا ومنتجا باتباعهم الطريقة الشاملة (الجشتلتية) في التفكير الذكى الذى يتوصل لفهم المسائل المعقدة .

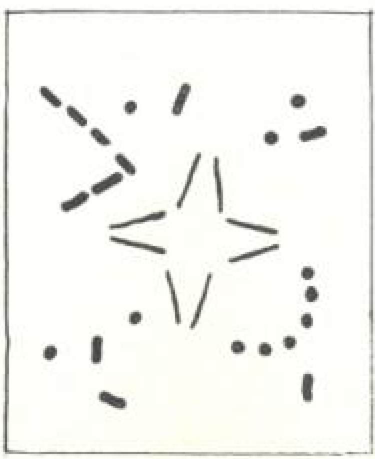
وفي حياتنا العامة امثلة متعددة على ان مفردات الحس تصل الى الدماغ وقد امتزجت ككل ، وكانها تجمعت وتفاعلت وهي في طريقها الى جهازنا العصبى المركزى . والجشتلت أو الشكل الذى نحس به الاشياء لا يتغير حتى لو تغيرت الاجزاء . فالفستان من الزى الفلاني (اى الشكل) يمكن أن يصنع من الحرير او القطن او الصوف ، ولكنه

يبدو للناظر كل مرة بالزى ذاته على المرآة ذاتها . كما ان اللحن الواحد تشخصه الاذن حتى لو كان يعزف بسلالم موسيقية عالية أو واطئة Major & Minor ، لان مجموع الاصوات وترتيبها يفوق الاجزاء الصوتية (النوتات) التي يتألف منها ، فتنتج لحنا ذا وقع خاص على الاذن البشرية . هذه القوى الجامعة الديناميكية في المحسوسات هي الجشتلت .

عوامل الجشتلت

ترى ما سر اجتماع الاجزاء وامتزاجها لتصل الى الادراك بشكل وهيئة وخلفية ؟ ، وما آلية ادراك شكل معين وطرد او اهمال اشكال اخرى من الشعور ؟ لقد وجد رواد الجشتلت بضعة عوامل تقرر ادراك الانسان للاحداث كجشتلت وذلك بعد سلسلة من التجارب ، وهذه العوامل هي :

١ ـ عامل القرب Proximity (أى قرب الاجزاء من بعضها) ، ٢ ـ التشابه Similarity ٣ ـ الاستمرارية Continuity ، ٤ ـ الميل الى الانغلاق والتكامل Closure Effect ، ٥ ـ الالفة Familiarity ، ٦ ـ التهيؤ والاستعداد Set ، ٧ ـ التقوية والتعزيز Reinforcement .



الرسم (٤)

والرسم المرفق (٤) يبين بوضوح تلك العوامل. فنحن ندرك النقاط الصغيرة والاشكال التي تكونها نظرا لتشابهها وتقاربها ، مجموعات . وكذا بالنسبة للخطوط العريضة المتقطعة . كما اننا ندرك نموذج النجمة على الرغم من انها بضعة خطوط غير متصلة ، ولكن قوة الجشتلت تغلقها وتكمل الفراغات فيما بينها . اما الآلفة ، فابسط مثال عليها انك اذا كنت وسط زحام من الناس في صالة مسرح او حديقة او موقف حافلة ، فان الوجه المألوف لديك هو الذي يبرز ويقتحم احساسك ، وبذلك تميز بسرعة وجوه الاصدقاء والاحباب من بين خلفية ضخمة من الوجوه الغريبة. وتأثير التهيؤ والاستعداد يتضح عندما تذهب الى السوق باحثا عن قبعة او عن ربطة عنق ، فان التهيؤ لالتقاط الرباط وشرائه يجعلك لا ترى في واجهات المخازن (الفترينات) الا الاربطة أو القبعات ، اما البضائع الاخرى فيهملها العقل وتغدو خلفية ثانوية .

ونظرية الجشتلت لم تقتصر على تلك التجارب ـ وغيرها كثير ـ ، بل حاولت تطبيق وتعميم ذلك على ظواهر نفسية وحياتية اخرى .

تطبيقات الجشتلت العملية

سرعان ما انتشرت تعاليم الجشتلت الى ميادين علم النفس الاخرى ، والى التربية والفلسفة ، واصبحت دليلا مشروعا لتفسير ظواهر حياتية غامضة :

١ ـ ففي ميدان التفكير والتعليم نجد ان كل ما نجربه ونراه ونحسه يتوقف على طبيعة الاجزاء ومحلها من المجموع الكلي للشكل والهيئة. فالذاكرة والحفظ والنسيان تعتمد على الجشتلت الذي يحس به عقلنا تلك الأشياء . أى ان الانسان يدرك الحياة والعالم والناس كظاهرة متكاملة .. كصورة .. كأشياء تبرز من خلفية او تتراجع الى الخلفية.

٢ ـ وفي التربية والتعليم : بما أن الجشتلت هو اول ما يصل الادراك وهو الذي يطغى على الاجزاء ، فان الطريقة المثلى والسريعة لتعليم الاطفال مبادىء القراءة الاولية واللغات هي ان

نبدا بالكل قبل الجزء . نعلمهم الكلمة والجملة كما هي ثم نرجع بعد زمن الى الاجزاء والتفاصيل (اى الحروف) . وهذه هى الطريقة الحديثة في تعليم اللغات وحتى المواضيع المعقدة من علوم النفس والاجتماع مثلا ، اذ يمكن البدء بالفصول الصعبة الكاملة ثم نعود الى المبادىء في الخطوات التي تليها ــ اى من القمة الى القاعدة .

٣ ــ في تفسير بعض الامراض النفسية : وقد كشفت نظرية الجشتلت النقاب عن نظرة الانسان الى المجتمع والحياة ككل ، كميدان تتجمع فيه شتى الاحاسيس والوحدات والتجارب ومن هذا الكل (الجشتلت) يستطيع العقل أن يدرك علاقة الاشياء بعضها ببعض ، وان يجرد التجربة الواحدة من خلفيتها ، وان يسلك تجاهها السلوك المطلوب.وما يحدث في امراض القلق والحصر ان تضطرب قابلية التجريد تلك ولكنها لا تتبدل . اما في مرض الفصام العقلي (الشيزوفرينيا) ، فنجد ان قابلية التجريد تقف وتتجمد . ولذلك يتصف مريض الفصام بجمود التفكير Concreteness وبالانعزال . والانعزال هو وسيلة المريض العقلي لتفادى الاصطدام بالازمات والمعضلات و «الاشكال» الصعبة الوافدة الى عقله من العالم الخارجي (الناس والمجتمع) .

٤ ــ في ابتكار مقاييس الذكاء والتفكير المجرد : وبما أن الجشتلت يفسر قابلية الانسان على التجريد والاستنباط واكتشاف العلائق بين الموجودات Abstract Thinking ، فان بالامكان ابتكار معايير فكرية نختبر بها المشتبه بهم لنسجل درجة قابليتهم على التصرف والاستنباط وعلى الربط والتجريد . ومن الامراض المؤثرة على التفكير المجرد الفصام ، والآفات الدماغية التي تخرب جزءا من خلايا الدماغ وانسجته Brain Dama e فتحدد من قابلياته السابقة . وقد استفاد علماء النفس من هذه النظرة الجشتلتية فصمموا عدة اختبارات للذكاء . واول من بداها فرت هيمر نفسه . ثم طورها بندر Benden ، وگولدشتاين Goldstein ، ويطلق عليها الآن اختبارات (بندر ــ جشتلت) ، واختبارات گولدشتاين (وهى خمسة) .

٥ ــ في علم الاجتماع : واستفاد علماء النفس الاجتماعى من الجشتلت أيضا في تفسير بعض السلوك الاجتماعي للانسان ، حتى ان كرت ليفن K. levin خرج بنظرية (المجال النفسي) Field Theory والتيتقول انالانسان والاشياء موجودات وسط ميدان او « مجال » أشبه ما يكون بالمجال المغناطيسي المحيط بالمادة المغناطيسية .. ، وان المحيط والمجتمع يمثلان هذا المجال .. ، وانالفرد يتاثر بالمجال ويؤثر فيه ايضا ، وكانهما القطبان المغناطيسيان . فسلوك الانسان يتكيف بالنسبة للمجال الاجتماعى الذى يعيش فيه ، ويؤثر فيه بدوره . كما ان المعالج النفسي اذا ما استطاع تحوير المجال ، فانه يكون قد توصل الى تحوير سلوك الفرد .

٦ ــ واستفاد علماء وفلاسفة الفن والجمال من الجشتلت ايضا لتفسير المعانى الجمالية فيالابداع الفني والموجودات الطبيعية . فقد يحس الانسان ان الوجه الفلانى او اللوحة المعينة جميلة جذابة دون ان يكون في تقاطيعها او تفاصيلها ما يبرر جمالها . والحقيقة ان الشعور بالجمال هو شعور بالجشتلت . وبالاحرى ان المجموع الكلى لاجزاء اللوحة او القطعة الموسيقية او المنحوتة او وجه المراة قد بعث شعورا بالجمال ، ومن هنا يتاتى جمال الانتاج الفنى .

هل للجشتلت جذور تاريخية ؟

لم تبرز مدرسة الجشتلت دونسوابقفلسفية وفكرية . وقد افلح بعض النقاد في اكتشاف ملامح منها منذ عهد ارسطو ، الا ان الملامح الاقوى بدت في القرن التاسع عشر . فقد اشار النفساني ايرنفيلز Eherenfels اليان العقللا يدرك الاشياء وحدها بل مع صفاتها ايضا . فعندما نرى المربع المؤلف من اربعة اضلاع متساوية واربع زوايا قائمة فاننا ندرك ايضا صفة « التربيع » فيه ، وكذلك نحس « تكوير » الشيء في الكرة ، وخشونة القماش ، و « لزوجة » السائل المعين .. الخ . ودعا هذه الصفات الحسية ب «صفة الجشتلت» Gestalt Qualitäte .

وتذكرنا نظرية الجشتلت أيضا بفلسفة « الظاهراتية » Phenomenology التى بداها الفيلسوف هوسرل Husserl، والتي تركز على ان

ما يدركه العقل هو عين الظاهرة التي يراها ، وان الحقيقة هي حقيقة الظاهرة ولا غيرها. وبذلك أيدت الظاهراتية الجشتلت والتي تركز أيضا على فكرة الظاهرة الحسية وديناميتها .

ومن الطريف للقارىء العربي ان يعرف ان المؤرخ والمفكر الاجتماعي ابن خلدون أدرك الجشتلت بصورة غير مباشرة تدل على الحس العلمي المرهف لديه ، اذ اشار الى ان الاصل في الادراك هو المحسوسات ، وأن جميع الحيوانات من الناطق وغير الناطق مشتركة في هذا الادراك الحسي ، ولكن الانسان يتميز عنها بادراك « الكليات » وهي مجردة من المحسوسات .

الجشتلت ومدارس علم النفس الاخرى

قلنا ان الجشتلت نظرية ظهرت كرفض وتحد للتعاليم النفسية في بعض المدارس السائدة في اوائل القرن العشرين . ومن المفيد أن نذكر محور كل منها لنتبين الفوارق الجوهرية بينها .

فالمدرسة التركيبية Structural Psychology ، ورائدها الشهير وندت ، اعتبرت الشعور والادراك مركبا من مجموعة الاجزاء والوحدات الحسية . اى ان المجموع يساوى الاجزاء بالضبط ولا يزيد عليها . وقالت ان الوعي والشعور يمكن دراسته بتحليله الى جزيئاته وذراته تلك . ولذلك دعيت ايضا بالنظرية الذرية Atomic theory او العنصرية Elementism لتركيزها على العناصر والاجزاء . وقالت ايضا بان وسيلتنا الاساسية لدراسة الشعور هو التفكير الباطني – اى بالتأمل و « الاستبطان » Introspection.

اما النظرية السلوكية Bheaviorism لواطسن ، فقد تنكرت لوسيلة الاستبطان كاداة للبحث ، وقالت ان ما نحسه وندرسه يجب ان يكون موضوعيا . والموضوعية هي الحقيقة وحدها ولا دور للفكر والعقل فيها . وما نحسه ونشعره ذهن لا قيمة له بقدر ما للسلوك الظاهرى الذى يجرى خارجنا وتحت سمعنا وابصارنا .

اما المدرسة الترابطية Associationism ، فقد سادت الفكر الاوروبى لمدة قرنين (الثامن والتاسع عشر) وخاصة في انكلترة موطنها الاولى. ومن روادها : هيوم ولوك وهوبز وبيركلي . وتعتمد الترابطية على فكرة ان الخبرة والتجربة وترابطها هي محور التفكير والتعلم والمعرفة . ثم تطورت النظرية واصبحت مدرسة نفسية خاصة على أيدى ثورندايك وبافلوف وسكينر Skinner الذين أجروا تجارب على الحيوانات واستنتجوا بان الادراك والتعليم يتم عن طريق ربط تجربة اولية سابقة باخرى جديدة ، وان المحاولة والخطأ هي العامل الحيوى في « الترابط » هذا وليس البصيرة او التفكير الذكي المجرد . وقالوا ان تسلسل الافكار او بالأحرى « تداعى المعانى » الحر F.ee Association هو المثال الواقعي على الترابط في الاحساس والتفكير والادراك .

وقد رأينا مسبقا كيف خالفت الجشتلت تلك المدارس ولكنها لم تنف أهمية الاستبطان في الابحاث النفسية بل أكدت عليه .

رأينا كيف أن الجشتلت أصبحت مدرسة راسخة متميزة عن غيرها من النظريات ، وانها الثانية – بعد التركيبية – التي انشأت لهـا مختبرات نفسية عملية لاثبات ابحاثها .

وقد توزعت تعاليم الجشتلت تدريجيا الى ميادين شتى ، وتبنتها نظريات أخرى، كما تبدلت النظرة اليها كمدرسة بعد منتصف القرن العشرين، بل انها لم تعد مدرسة مستقلة لها اتباع ومريدون، وما نصادفه اليوم من أفكار للجشتلت فموزع بين مواضيع الاجتماع والفلسفة والفن والتربية وعلم النفس . واليها يرجع الفضل في احراز التقدم في تلك الميادين الفكرية . ولا ريب ان مدرسة الجشتلت اضافت للفكر الانساني وعلم النفس شيئا جديدا وجديرا بالاهتمام ، على الرغم من انها لم تلغ او تدحض المدارس الاخرى التي تطورت وتجددت ايضا واصبحت ذات اسس راسخة وذخيرة علمية كبيرة .

فخرى الدباغ
اخصائى بالامراض النفسية والعصبية
المستشفى الجمهورى – الموصل – العراق

طرائف غربية



جبل الحياة ..

● سألوا سومرست موم Somerset Maughm المؤلف والكاتب الروائى الانجليزى الكبير (١٨٧٤ - ١٩٦٥ م)فى عيلا ميلاده التسعين : « كيف يكون شعور الانسان عندما يمتد به العمر ؟ » .

وقال موم وهو يشير باصبعه الى جبل كسته الثلوج : « هل ترون هذا الجبل .. ان الحياة اشبه ما تكون بعملية تسلق لجبل عال .. فالمرء منا قد يصل الى قمة ما يكسوها الجليد فى هذا الجبل الذى بدأ يتسلقه من السفح وهو طفل يحبو .. فاذا وصل الى قمته نظر وراءه ، فاذا به يرى الوادى الذى امتلأ بالخضرة والزهور ، وقد امتد وراءه على مدى البصر ..

« ولكنه لا يلبث ان يعود الى واقعه فوق القمة الباردة التى وصل اليها .. وقد يشعر بالبرد ، وتخور قواه ، فلا يلبث ان يسقط ويموت .. ولكن كثيرون هم الذين يرفعون رؤوسهم وينظرون الى ما فوقها ، فيرون قمما أخرى اعلى من القمة التى وصلوها واكثر بياضا .. فيمضون فى طريقهم الى ان يبلغوها » .

« انا شخصيا بدات اشعر بالوهن يدب فى اوصالى ! » .

سومرست موم



الصبي والملكة

● كان بين ونستون تشرشل السياسي البريطاني الراحل ، وبين برتراند راسل فيلسوف بريطانيا الشهير ، حب مفقود ، لاسباب واضحة تكمن فى نظرة كل من الرجلين الى الحياة نفسها ، فالاول رجل سياسة ، والثاني رجل سلام وهب حياته لخير البشرية وامنها .

الا ان هذا العداء ، لم يمنع سير ونستون من ان يعترف بذكاء صديقه اللدود برتراند راسل وجرأته حتى انه قال يوما : « ان عبقرية راسل ولدت معه ، فهي لم تكن صفة اكتسبها بفضل تعليمه ودراساته وابحاثه ..

روى تشرشل يوما لاصدقائه قصة ذلك اللقاء الغريب الذى تم بين راسل الصغير والملكة فيكتوريا ملكة الانجليز ، وكان برتراند يومها صبيا صغيرا لم يتجاوز العام التاسع من عمره .. وانحنى


الملكة فكتوريا


برتراند راسل

الصبي في ادب يحيي ملكة بلاده ، ثم انتحى ركنا صغيرا ، وقف فيه يستمع الى ما كان يدور من حديث بين الملكة وبين جدته التي اصطحبته معها ، وهي التي تكفلت بتربيته بعد وفاة والديه وهو بعد طفل في الثالثة .

وفجأة قطعت الملكة حديثها ، ونظرت الى حيث كان راسل يقف ، وقد وضع يديه وراء ظهره مستندا الى الحائط ، وقالت : « اقترب ايها الصبي الصغير .. وقل لي فيم كنت تفكر هذه الساعة ؟ » .

واذهله السؤال ، ولكنه سرعان ما تمالك اعصابه ، وقال بلا تردد : « كنت افكر يا مولاتي في هذا القصر الكبير الذى تعيشين فيه وحدك بعد ان مات زوجك .. وفي المجهود المضني الذى تبذلينه وانت تتنقلين بين حجراته وقاعاته الفسيحة ، وفي هذا العدد الكبير من الخدم الذين يسهرون على راحتك .. لماذا لا تنتقلين للعيش في بيت صغير بجوار بيتنا الجميل ، اعدك بأن افعل كل ما في وسعي لخدمتك وتلبية طلباتك اذا اقتنعت بفكرتي » .

وابتسمت الملكة ، ثم انحنت وطبعت قبلة على جبين الصبي الصغير ، والتفتت الى جدته ، وقالت : « لا تنسي ان تصطحبي برتراند معك كلما جئت للقائي » .

ولم يكف برتراند راسل عن سؤال الملكة فيكتوريا في كل مرة كان يلقاها : « متى تنتقلين الى بيتك الجديد ؟ » .

وكانت هي تقول : قريبا يا بني .. قريبا جدا .!

وعندما ماتت الملكة في عام ١٩٠١ بكى برتراند، وقال : « لقد افتقدت فيها أما حنونا » .

★★★

بقى ان نذكر ان برتراند راسل ، هو أحد ابناء الاسر الاستقراطية البريطانية العريقة ، وهو ابن اللورد راسل ، ولما مات ابوه رفض ان يرث اللقب . لما في دمه من ديمقراطية صارخة .

★★★

الحياة تبدأ بعد المائة

● الرسام العالمي تيتيان Titian (١٤٧٧ – ١٥٧٦) ، ولد في مدينة البندقية ، وبسط فن فرشاته على لوحة قرن كامل من الزمان ، فقد قتله مرض الطاعون ، عندما بلغ عامه التاسع والتسعين من عمره .

قال الرسام العبقرى ، وهو راقد على فراش المرض يحتضر ، في ذلك الوقت من الزمان الذى وقف فيه العلم عاجزا عن انقاذ حياة الملايين من البشر ... قال تيتيان وهو يودع اصدقاءه وتلاميذه الوداع الاخير : « أليس غريبا ان اشعر بالرغبة فى الاستمرار فى الحياة بعد ان بلغت هذا العمر .. لولا هذا الوباء اللعين ، لعشت عشرين عاما اخرى على الاقل قدمت لكم فيها عصارة تجارب هذه السنين الطويلة، ولكنها ارادة الله» .

وبكى اصدقاء تيتيان وهم يسمعون آخر كلمات ذلك الفنان العظيم ، الذى مات والفرشاة فى يده ، وبلغ قمة مجده وعبقريته بعد بلوغه هذه السن .. وفى صندوق صغير كان يحتفظ به بجوار فراشه ، قرأ تلاميذ تيتيان الأمنية التى لم يمهله الزمان لتحقيقها وقد سجلها بقلمه قبل وفاته ببضعة شهور .. لقد كتب يقول : « سأفتتح مرسما يطل على القنال الكبير فى فينيسيا .. ولكنني لن اكتفي هذه المرة بتسجيل الصور التى اراها بعيني العجوزين .. سأعود الى صباى ، واعود الى ذاكرتي ، واحاول ان اربط بين الماضي البعيد وبين حاضري، ثم اتخيل ما سيكون عليه المستقبل الذى ارجو ان اعيش جانبا منه وفيه » !!

بيت الزوجية

يسعده أو يشقيه حم أو حماة

■ ماذا يعرف الأبناء عن الأسر الغريبة التى يتزوجون منها وفيها ؟

يقول الباحثون ان نسبة كبيرة من الفتيات والشبان يتزوجون ، دون ان يهتموا « بمعرفة » آباء أزواجهم وزوجاتهم ..

فالشاب يختار عروسه ، وهو يعرف كل شيء عنها أو هكذا يقول هو ، واذا اهتم بمعرفة كل شيء عن الأسرة التى تنتمى اليها فتاته ، فهو اهتمام غالبا ما ينحصر فى جمع المعلومات السريعة عن وضع هذه الأسرة الاجتماعى والمالى .

وكذلك الفتاة ، فهى قلما حاولت أن تهتم بفهم طبيعة اهل خطيبها ومحاولة كسب صداقتهم قبل الزواج او بذل اى جهد لدراسة طباع والدى خطيبها وتقاليدهما وعاداتهما .. ولو أنها توقفت يوما وسألت نفسها : « هل يمكن ان أصبح فردا فى هذه الأسرة ؟ » لو أنها فعلت ذلك ، لاستطاعت ان توفر على نفسها وعلى زوجها كثيرا من المتاعب التى قد تصادف حياتهما بعد الزواج ..

الاستقلال والحرية

لقد انقسم علماء الاجتماع في تقديرهم للدور الذى يقوم به الآباء في حياة أبنائهم ، والأثر الذى يتركه تصرف هؤلاء الآباء ومسلكهم ازاء الأبناء بعد الزواج .

قال البعض ان الزوجين وحدهما ، هما اللذان يجب أن يخططا لحياتهما ، وان يختارا شكل هذه الحياة وأسلوبها ، بمنأى عن أى ضغط أو تأثير خارجى ، مهما كان مصدر هذا الضغط ، ومهما كانت صلته بالشاب أو بزوجته .. فهما « اى الزوجان الشابان » قد استقلا ، ومع الاستقلال تجىء الحرية ، تماما كما يحدث للشعوب الصغيرة التى ظلت تنوء تحت نير الاستعمار ، حتى اذا ما كبرت ، وتعلمت ونضجت ، هبت تطالب باستقلالها وحريتها .

ويرى مؤيدو هذا الرأى ، أن لهذه الحرية التى ينشدها الزوجان ، وهذا الاستقلال الذى يريدان أن ينعما به في حياتهما الجديدة ، وهو حق لهما ، لا ينازعهما فيه أحد ، متطلبات لا بد لها أن تتوافر ، اذا أرادا أن يشقا طريقهما في الحياة معا .. وفي مقدمة هذه المتطلبات النضوج العقلى والعاطفى ، وهو شيء لا يتعلمه الزوجان الشابان في الجامعة ، وانما هو صفة تكتسب



في مدرسة الحياة ، وهو لا يمكن أن يتحقق الا عن طريق الخبرة ، وعن طريق التجارب التى تمر بالزوجين ، وهما يسيران معا في الطريق الطويل نحو بناء البيت والأسرة والمجتمع الصغير الذى يعيشان فيه .

التضحية ، واجب الآباء

على أن نضوج الزوجين وحده لا يكفى ، فهو قد يساعدهما على التغلب على الكثير من المشاكل التى قد تعكر صفو حياتهما ، بفضل تفكيرهما السليم وتصرفهما الصائب .. فلا بد أن يكون بجانبهما آباء متفهمون مدركون لطبيعة الحياة وحقائقها .. آباء على استعداد للتضحية بكل غال ورخيص في سبيل توفير السعادة لهذا الجيل الجديد من الشباب الذى ما زال يقف مترددا خائفا على عتبة تلك الحياة ..

على أن هناك نقطة هامة لا بد لنا أن نتعرض لها ، ونحن نبسط هذا الراى ، وهى أن سعى الأبناء لتحقيق الحرية والاستقلال بعد الزواج في المجتمعات الغربية كثيرا ما يكلل بالنجاح ،بفضل ما وصل اليه الأبوان من نصيب أوفر من التعليم والثقافة ، وخاصة بالنسبة للأم ، التى تقوم بالدور الأكبر في تربية الأبناء وتنشئتهم .. فترى الشاب ينعم بحريته ، وترى الفتاة تستقل بشخصيتها ، عندما يصل الاثنان الى مرحلة التعليم الجامعى .. بعد أن يبلغا سن الرشد ، حتى قبل أن يتزوجا .

الروابط التقليدية

وهذا هو الفرق بين ما يحدث عندهم ، وعندنا ، نحن أهل الشرق .. فهناك دائما تلك الروابط التقليدية التى ما زالت تشد الابن الى والديه ، وتربط ما بين الفتاة وافراد أسرتها ، وهى روابط قوية ، تولد مع مجىء الأبناء ، وتنمو معهم وتبقى في قلوب الآباء والأبناء ، وربما ازدادت قوة بعد أن يترك الشاب ، أو تترك الفتاة بيت الأسرة ، حيث يبدأ كل منهما حياته الجديدة من الزواج .

على أن هذه الروابط التى نراها في مجتمعنا المحافظ نجدها قائمة وموجودة في بعض المجتمعات الأخرى عند الغربيين أنفسهم الذين يعيشون في الريف فبقوا مع تقاليدهم وعاداتهم التى توارثوها عبر الأجيال ، وبقيت هذه التقاليد معهم، تلازمهم في حياتهم حتى يومنا هذا ..

وربما كان ما رآه بعض الباحثين من صور الحياة في هذه المجتمعات الغربية الشبه منا ، ما دفعهم الى المجاهرة برأيهم ، وهو أن لا حرية ولا استقلال للزوجين ، الا بقدر ما يقدمه لهما

الآباء من تشجيع ومساعدة لتحقيق ما ينشدانه من سعادة في الزواج .

يقول هؤلاء وعلى راسهم الدكتور مارك بيترسون مؤلف كتاب : « الدليل الى زواج سعيد » « Guide To A Happy Marriage »

انه ليس هناك قاعدة ثابتة يمكن الاستناد اليها في تحديد مسلك الآباء تجاه ابنائهم بعد الزواج ، كما لا يمكن القول بان كل اسرة عاشت حياة الحضر قد انعدمت بين افرادها روابط الحب ، وان كل اسرة عاشت في الريف ، قد تمسكت بتلك الروابط القوية التى تجمع بين افرادها وتحميهم وترفرف على حياتهم .

« فالبشر لا يستوون ، وما الآباء الا بشر ، بينهم الأب الطيب ، والأب الشرير ، الأب الذى يهتم بابنائه ويرعى شئونهم ، والأب الآنانى الذى يرضى نزواته ونزعاته ، ولا يبالى بشيء في الدنيا.

الأم العاقلة ، والأم المسيطرة

« وكذلك الأم .. فهناك الأم العاقلة التى تفهم الدنيا وتدرك اسرار الحياة ، والأم المسيطرة التى تحاسب أبناءها على كل خطوة خطوها ، وكل مسلك بدر منهم .. هناك الأم التى تحاول أن تكون صديقة لأبنائها اذا كبروا .. والأم التى تنصب من نفسها معلمة ومربية وموجهة ، حتى بعد أن يكبر الأبناء ويتعلموا ويتخرجوا في الجامعة، فهى تتدخل في حياتهم وتفرض عليهم آراءها ، وتحاول دائما أن تشعرهم بانهم ما زالوا اطفالا في حاجة الى رعايتها .. فاذا ما ابتعد احد ابنائها عنها ، انطلقت كالمحمومة ، ساعية بكل ما اوتيت من قوة ، وكل ما وهبها الله من حيل ، الى استعادته مهما كلفها هذا الأمر من جهد ومال .

« مثل هذه الأم ، لا يمكن أن توفر لأبنائها الحرية والاستقلال اللذين ينشدانهما في الزواج .. هذا اذا افترضنا انها قد وافقت أساسا على مبدأ الزواج ، فهى قلما فعلت ، لأنها لا تريد أن تتصور أن هناك امراة اخرى يمكن أن تسلبها ابنها ، وتحرمها منه ، وتبعده عنها ..

الزواج ، سرقة واغتصاب

« فالزواج عندها سرقة واغتصاب وعملية سطو على ممتلكاتها الخاصة التى لا يشاركها ، ولا تسمح بأن يشاركها فيها أحد ..

ثم يروى بيترسون مؤلف الكتاب ، قصة من واقع الحياة ، حدثت لفتاة يعرفها ، يقول : « لقد كانت فتاة رائعة حقا ، يتمنى كل شاب أن تكون زوجة له .. ولكن شاء سوء حظ هذه الفتاة ان يقع في غرامها شاب وحيد أمه الأرملة .. وكانت هى في الثانية والعشرين ، وكان هو يكبرها بثلاثة أو اربعة أعوام ..

« كانت الأم متعلقة بابنها ، فقد كان وحيدها، وكان كل شيء في حياتها بعد أن رحل أبوه ،وكانت ترى فيه صورة مصغرة لزوجها ووالد ابنها ، وكانت تعتمد عليه في كل عمل وفي كل شيء يتصل بها وبالبيت الصغير الذى عاشت فيه تربى هذا الابن وترعاه حتى كبر وتعلم وأصبح رجلا ..

احساس الأم المسيطرة

« كانت هذه هى أم الشاب الذى تقدم يخطب تلك الفتاة من والديها ، ثم ما لبث ان تزوجها بعد بضعة أشهر من اعلان خطوبتهما ، وهى حقيقة لم تكتشفها الفتاة الا بعد الزواج ..

« لقد أحست الأم في ليلة عرس ابنها أن السلاسل القوية التى كانت تربط سفينة حياتها بشاطيء الأمان قد تحطمت ، فانطلقت السفينة تتلاطمها امواج البحر بلا رحمة ، حتى أوشكت على الغرق ..

« كانت الأم انانية ومسيطرة .. فهى بدلا من أن تسعى لاسعاد ابنها في زواجه من الفتاة التى اختارها لنفسه .. بدلا من أن تتخذ من عروس ابنها ابنةلها،واختا لابنها الوحيد،راحت تسعى بكل وسيلة الى تدمير هذا العش الصغير ،وتحطيم تلك الحياة الجديدة قبل أن تكتمل ..

« لقد كانت الأم تكره زوجة ابنها ، حتى قبل أن تصبح له زوجة .. تماما مثلما كرهت كل فتاة ظهرت في حياة ابنها من قبل ، خلال الفترة التى قضاها في تعليمه الجامعى ، أو بعد أن خرج الى الحياة ليعمل ويكسب قوت يومه ، الذى كانت الأم تستولى عليه كله ، ولا تترك له منه سوى الفتات .

« وبدأت الفتاة تتألم ، وهى ترى عينى الأم وقد امتلأتا بالكراهية والحقد عليها ، وعلى كل تصرف يصدر منها ... ولكن حبها لزوجها كثيرا

ما كان ينسيها آلامها في كل مرة تعود الى بيتها بعد زيارة لبيت ام زوجها .. كانت الفتاة مصممة على اسعاد زوجها واسعاد بيتها ، ومن أجل هذا تحملت في صبر وجلد كل ما كان يصدر من جانب والدة زوجها ، حتى تلوت عليها فرصة تحقيق هدفها بتدمير هذا الزواج .

« فكانت الزوجة الشابة تقابل الاساءة بالاحسان .. لم تكن تفوتها فرصة الا وانتهزتها لكى تؤكد للأم حبها لها وتقديرها للدور الذى قامت به في سبيل تربية ابنها وتنشئته .

خطة ماكرة

« واعيت الحيلة ، الأم ، ماذا تفعل ازاء عناد هذه الفتاة واصرارها على الاحتفاظ بابنها ؟ وهداها تفكيرها في النهاية الى خطة ماكرة .. لقد ادعت المرض .. واستلقت على فراشها ، لكى تعيد ابنها اليها ..

« ونجحت الخطة ، وجاء الابن ليسهر بجوار فراش أمه « المريضة » التى لم تكن تكف عن البكاء والأنين ، وهى تستعد للقاء ربها ، كما صورت له .. وراحت تتوسل اليه أن يقضي الليلة بجوار فراشها ، فقد تكون هذه آخر مرة تراه فيها ..

« وعز على الابن أن يترك أمه ، وهى تحتضر ، ولكنه طلب اليها أن يدعو زوجته ، فقامت تتوسل اليه الا يفعل ، قالت ، وهى تبكى : « ستعيش زوجتك لك ، ومعك بعد رحيلى ، أما أنا فقد تكون تلك آخر لحظات حياتى معك .

المرآتان وجها لوجه

وغلب الابن النعاس فنام .. وقلقت الزوجة عندما انتصف الليل ، ولم يعد اليها زوجها فاستقلت سيارة وانطلقت بها الى بيت أم زوجها .. فقد كانت تعلم أن زوجها قد قصد لزيارة امه ..

والتقت المرآتان ، لأول مرة وجها لوجه .. لم تكن الأم نائمة في فراشها ، كما تركها الابن قبل أن يذهب الى غرفته .. لقد قامت من الفراش ، وذهبت بنفسها لتفتح باب البيت لهذا القادم الغريب ، الذى جاء يطرق بابها بعد منتصف الليل ..

« وكانت المفاجأة ، عندما وجدت زوجة ابنها تقف أمامها ، سائلة عن زوجها في لهفة ، فما كان من الأم الا أن أوصدت الباب في وجهها بقوة ..

«ولكن الزوجة لم تنصرف .. لقد بقيت حيث هى ، وتشبثت بباب البيت ، وراحت تطرق الباب بعنف ، حتى صحا الزوج من نومه ، واتجه الى الباب ليفتحه ، فاذا به يفاجأ بزوجته التى سارعت ترتمى بين ذراعيه وهى تجهش بالبكاء ..

« ولأول مرة منذ زواجه ، تظهر الحقيقة واضحة أمام عينيه ..

ولم تنتظر الأم .. لقد وقفت في تحد تقول له : « نعم .. انني لست راضية عن زواجك من هذه الفتاة .. انني اكرهها .. واكره كل فتاة تحاول أن تأخذك مني .. لا بد لك أن تختار .. اما انا أمك ، واما زوجتك ..

«ووقف الابن حائرا أمام هذا الاختيار العصيب، ماذا يفعل ، وماذا يقول ؟

« ولكن تفكيره لم يدم طويلا ، فقد اقتربت الزوجة وهمست في أذنه ببضع كلمات .. لقد كانت الفتاة المسكينة تنتظر حادثا سعيدا ..

انتصـــــار

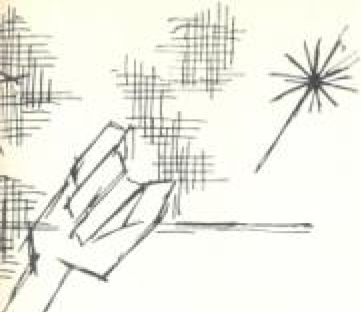
واقترب الشاب من زوجته وطبع على جبينها قبلة طويلة حارة ، ثم تأبط ذراعها ووقف يودع امه ..

« وجاء الطفل اخيرا .. واحدث مجيئه تحولا هاما في موقف الأم التى لم تجد مناصا في النهاية من أن تستسلم وترضى بالأمر الواقع .. فبدأت تفتح قلبها لزوجة ابنها ، وبدأ الزوجان لأول مرة يتذوقان طعم السعادة التى حرما منها شهورا طويلة ..

ثم يتساءل بيترسون بعد ذلك : « ترى ماذا كان يحدث لو أن زواج هذا الابن لم يثمر في تلك اللحظة الحاسمة ، ألم يكن ممكنا أن يترك الشاب زوجته ارضاء لأمه ؟ » ..

« انني انصح كل شاب وكل فتاة أن يدرسا طباع الآباء وتصرفاتهم قبل الزواج .. حقيقة انهما لا يتزوجان الأسرة ، ولكنهما يتزوجان في هذه الأسرة .. وسيصبحان جزءا لا يتجزأ منها ، سواء رضيا أم لم يرضيا » .. ■■

م ٥ ن



من صور الظمأ والحنين !

خيال من الأمس . . ما باله ؟ يلوح لعينيّ أنّى التفت
فلا هو مني قريب المنال . . ولا أنا منه إذا ما اقتربت
فياليت عينيّ لم تلمحاه ولا حار فكري . . إذن لاسترحت
وكنت ظننت دروب الحياة تفتّح دوني إذا ما اقتحمت

* * *

وكم صبوة للشباب الطموح وتجربة حلوة آسره
يمر عليها الزمان الجموح ليتركها . . نزوة عابره
وروحي تحنّ إلى إلفها وترهقها الوحدة الجائره
فما لاح في أفقها كوكب .. ولا خفقت نجمة ساهره
ولكنها . . ظلمات الدروب تدب خطاي بها عاثره ..!

* * *

فأين التي صغتُها من دمي ! ومن لفحات الشباب الظمي : !
تمليتها في شروق الصباح وناجيتها في الدجى المظلم
وكم خلعت لهفتي من وشاح على منكبيها . . ولم تسأم
أحس بها رعشةً في الضلوع وفيضاً من الألم الملهم
ولو سألتني فداءً لها لكنت الفداء ولم أندم

* * *

كأني ظلمتك ياخافقي وطوّفت في حلبات الخيال
فما أنا من واقعي هارب ولكنها وثبة من عقال
إذا حوّمت حولي المغريات وهزّت شبابي عهود النضال
وأحسست مثل الظما في دمي ونبعاً يلوح عزيز المنال
وشيئاً تمزّق في داخلي ليقذفني في صحارى الملال
تشعّبت النفس في تيهها فما يستقرّ بقلبي حال ! !..

نور الدين ابو ريشة

بين أَبِى حَيَّان و... ابن العَمِيد

بقلم : الدكتور احمد الحوفى

استاذ بكلية دار العلوم ـ القاهرة

■ عاش ابو حيان التوحيدى المتوفى سنة ٤١٤ هـ فى عصر كان ملوكه وولاته وامراؤه يتنافسون فيه بتشجيع العلم والأدب وتقريب العلماء والأدباء ، ويخايلون بمن فى ملكهم وقصورهم من هؤلاء وهؤلاء .

فلم يكن عجيبا أن دأب رجال العلم والأدب على الاتصال بأمير أو عدة أمراء ، لينالوا من رعايتهم ما يكفل لهم أسباب الحياة الراقية ، ويعينهم على التفرغ للعلم والأدب . ولقد بلغ بعضهم بعلمه أو أدبه مرتبة عالية في الدولة ، كابن العميد وابن عباد واحمد بن يوسف وابن مسكويه ، فكان طبيعيا أن يسلك أبو حيان التوحيدى ما سلكه هؤلاء ، وهو عالم أديب واسع الدراية بالنثر والشعر وما يتصل بهما من بلاغة ونقد ، وملم بثقافة عصره على تعدد الوانها ، وذو مواهب تفوق هؤلاء جميعا .

واغلب الظن أنه كان يرى نفسه أغزر منهم علما ، واخصب ادبا ، وأنصع بيانا ، وكان قد برم بحرفة النسخ والوراقة ، وتطلع الى مال وفر ومنصب رفيع . وقد فكر فيمن يتصل بهم ، فرأى أن تكون صلته بالوزراء الكبار الذين اشتهروا بميلهم الى الأدب والأدباء ، ولهم يد في تنشيط الحركة الفكرية في ذلك الوقت ، وهم ابن العميد والصاحب بن عباد وابن سعدان .

★ ★ ★

فمن ابن العميد الذى اتصل به أبو حيان ؟

ذكر ياقوت أنه أبو الفضل بن العميد ، وأن ابا حيان الف في ثلبه وفي ثلب ابن عباد كتابه (مثالب الوزيرين أو أخلاق الوزيرين)(١) .

وشاع هذا الرأى ، وما زال شائعا ، اذ نقل عن ياقوت من جاءوا بعده كابن خلكان(٢)

(١) معجم الأدباء ١٥/٥ ، ٢٦ .

(٢) وفيات الأعيان ١٩٧/٤ .

والسيوطى[٣] وحسن السندوبى[٤] وغيرهم .

وهذا غير صحيح ، لأن في كتب ابى حيان وفي الصفحات التى نقلها ياقوت من كتاب مثالب الوزيرين ما يثبت أن المقصود ليس أبا الفضل ابن العميد الكاتب المشهور . ومن الأدلة على هذا :

(١) ان ابا حيان يصرح بقوله في ذم ابن عباد بكلمة الصاحب او ابن عباد ، اما في ذمه ابن العميد فلم أجد تصريحا بانه ابو الفضل الذى كان يسمى الأستاذ والرئيس وذا الرياستين .

(٢) ان أبا حيان في غير مجال الذم صرح بكنية ابن العميد ، كقوله : « أبو عبيد القاسم ابن سلام ولا تقل ابن سلام ، فقد كان بعض من صحب أبا الفضل ابن العميد الى مدينة السلام سنة اربع وستين وثلاث مئة يقول ذلك ، فعابه البغداديون »[٥] .

(٣) وصفه في غير معرض الثلب بالرئيس وكنى عنه بأبى الفضل فقال : « هذا من رسالة لبعض من انتجع بها الرئيس أبا الفضل ابن العميد »[٦].

(٤) لو أن أبا الفضل ابن العميد كان هو المقصود بالذم مع ابن عباد لأصابه شواظ من أبى حيان اذا ما ذكره ، لكنه لم يطعنه مرة واحدة كطعناته لابن عباد ، بل كان رفيقا به حينما ذكر ابنه أبا الفتح ، وقال انه لو طال عمره لكان اكتب من أبيه واشعر[٧] ، ودعا مرة لأبى الفضل بقوله : نضر الله وجهه[٨].

(٥) على أن الصورة العامة التى صور بها ابن العميد الذى يقصده تغاير حياة أبى الفضل ابن العميد المشهور ، وتخالف ما ذكره عنه المؤرخون .

فهو في رأى أبى حيان بخيل ، ماجن ، صاحب لهو وصيد ، حسود حقود ، ظالم ، ولم يكن أبو الفضل على شيء من ذلك ، بل كان كريما يقصده الشعراء بفارس ، ومنهم أبو الطيب المتنبى ، وكان عظيم القدر مهيبا ، مدحه الصاحب بن عباد وكتب له ، ومدحه ابن مسكويه وعمل في قصره[٩] .

وكان الأدباء يجلونه لعطاياه ولأدبه ، فهو في رأى الثعالبى أوحد العصر في الكتابة ، يدعى الجاحظ الأخير ، ويضرب به المثل في البلاغة ، وينتهى اليه في الاشارة بالفصاحة والبراعة ، وكان يقال بُدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد[١٠] .

(٦) ثم ان العداوة التى تحدث عنها أبوحيان في كتابه مثالب الوزيرين لم تكن بين الصاحب بن عباد وابى الفضل ابن العميد ، اذ أن الصاحب كتب لأبى الفضل أيام وزارته ، وكان مخلصا له، ولم يكن يفتر من ذكره والثناء عليه فيما بعد .

* * *

اذا فلا مندوحة من أن يكون المقصود شخصا آخر .

فمن ذلك الشخص الذى قصده أبو حيان ؟

انه أبو الفتح ابن أبى الفضل ابن العميد .

فهل تسعفنا الأدلة على هذا ؟

نعم ، وهى أدلة شتى :

(١) جهر أبو حيان نفسه بهذا في قوله ان أبا الوفاء المهندس قال له : « انك تعلم يا أبا حيان انك انكفأت من الرى الى بغداد في آخر سنة سبعين وثلاث مئة بعد فوت مأمولك من ذى الكفايتين عابسا على ابن عباد ، مغيظا منه ، مقروح الكبد، لما نالك من الحرمان المر ، والصدود القبيح ، واللقاء الكريه ، والجفاء الفاحش»[١١] .

---

(٣) بغية الوعاة ٣٤٨ .
(٤) مقدمة المقابسات .
(٥) البصائر والذخائر ٣٤ .
(٦) المقابسات ١٦٣ .
(٧) الامتاع والمؤانسة ٦٦/١ .
(٨) الامتاع والمؤانسة ٣/٢ .
(٩) يتيمة الدهر للثعالبى ١٣٩/٢ـ١٤٣ .
(١٠) اليتيمة ١٣٧/٣ .
(١١) الامتاع والمؤانسة ٣/١ .

من هذا يتبين أن ابن العميد الذى قصده أبو حيان ثم هجاه هو الابن لا الأب ، لأن الأب كان يلقب بالرئيس وبالأستاذ وبذى الرياستين ، اما الابن فكان يلقب بذى الكفايتين (١٢) ، وقد وزر الأب لركن الدولة ثم لمؤيد الدولة وتوفى سنة ستين وثلاث مئة ، فخلفه ابنه فى الوزارة لركن الدولة ثم لمؤيد الدولة وتوفى بعد أبيه بست سنوات .

(٢) وهذا نص آخر يزيد الأمر وضوحا ، ويؤكد أن المقصود هو الابن لا الأب ، قال أبوحيان: « فاما ابن العميد فانى سمعت ابن الجمل يقول عن ابن ثوابة : أول من أفسد الكلام أبو الفضل، لأنه تخيل مذهب الجاحظ ، وظن انه ان تبعه لحقه ، فوقع بعيدا من الجاحظ .. وأما ابنه ذو الكفايتين فلو عاش كان ابلغ من أبيه ، كما كان اشعر منه ، ولقد تشبه بالجاحظ فافتضح فى مكاتبته لاخوانه ، ومجانته فى كلامه .. وهو نزر المعانى ، شديد الكلف باللفظ ، وكان احسد الناس لمن خط بالقلم ، او بَلَغَ باللسان ، ولقد لقى الناس منه الدواهى لهذه الأخلاق الخبيثة ، وقد ذكرت ذلك فى الرسالة »(١٣) .

فهو فى هذا النص يحمل على أبى الفتح ابن العميد ، ويعقب على حملته بانه ذكر ذلك فى الرسالة ، والمقصود بالرسالة كتاب مثالب الوزيرين ابن العميد وابن عباد .

(٣) ونجد فى نص آخر ان المقصود ابو الفتح لا أبو الفضل اذ يقول ابو حيان : « وهذا بالامس على بن محمد ذو الكفايتين اغتر بشبابه ، ولها عن الحزم والأخذ بما كان أولى به ، وظن أن كفايته تحفظه ، ونسبه يكنفه .. » (١٤) .

ولم ننس بعد ان ابن العميد الكبير اسمه محمد ولقبه ذو الرياستين ، اما ابنه فاسمه على ولقبه ذو الكفايتين .

(٤) وحينما ارجع الى غير أبى حيان لاتعرف أخلاق أبى الفتح ابن العميد ، واعود الى وصف أبى حيان له اجد تشابها قويا يؤكد انه هو المقصود لا ابوه . فهو كما وصفه ابو حيان مغرور ، بخيل ، ماجن ، صاحب لهو وصيد وشراب ، حسود ظالم ، متهور ، كلف بالأبهة والمظاهر ، وكان ابوه شديد الالم والحزن لما عليه ابنه ، نجد هذا فى كلام لابن مسكويه وابى سعيد الابى وأبى الطيب الكيميائى(١٥) .

(٥) ولا غرابة فى أن يطلق عليه أبوحيان كلمة ابن العميد ، لأنه فى كتابه مثالب الوزيرين وفى غيره كان يطلق عليه أبا الفتح ذا الكفايتين . او ذا الكفايتين ، أو ذا الكفايتين أبا الفتح ، أو ابا الفتح ، أو ابن العميد ، وهو يريد الابن لا الأب ، تلقيبا له باسم جده ، كما لقب أبوه باسم هذا الجد ، لخفته على اللسان ، وتعارف الناس على تسمية الأسرة باسمه .

* * *

ولكن لماذا ساءت علاقة أبى حيان بأبى الفتح ابن العميد ؟

لم يفصل أبو حيان شيئا من هذا ، ولم اجد فى كتبه مااستطيع أن استشفه ، وارجح ان ذلك راجع الى تباين الرجلين فى المزاج والاخلاق ، لان ابا حيان رجل جد ووقار على حين أن ابا الفضل شاب ماجن مولع باللهو والصيد والشراب . ثم ان أبا حيان كان يتجرأ على ذوى السلطان ، ولا يحسن مراعاة ما يراعيه خلطاؤهم فى ذلك العصر من مجاراة ومداراة وخنوع ورياء.

ولست أستبعد أن بعض حاشية أبى الفتح دسوا له عنده ، لأنهم يخشونه ، أو لأنهم لم يستريحوا اليه ، اذ احسوا بتفوقه عليهم فى وقت كانت فيه القصور تغص بالمتملقين وذوى المكر والدهاء . ■■

احمد الحوفى

(١٢) معجم الأدباء ١٤/١٩١ .

(١٣) الامتاع والمؤانسة ١/٦٦ .

(١٤) الامتاع والمؤانسة ٣/٢١٢ .

(١٥) معجم الادباء ١٤ فى مواضع كثيرة و١٥/٩

مع ...
الله في الأرض

وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه
وقدرة الله تتراءى في بديع صنعه

الحشرات

أكثر مخلوقات الأرض "أنواعا"

بقلم الدكتور أحمد زكي

■ واهم طائفة فى هذه الشعبة المفصلية ، او المفصلية الارجل ، الحشرات Insects .

وان تكن انواع هذه الشعبة قاربت المليون نوع ، فهي بذلك اكثر الشعب الحيوانية عدد انواع ، فان الحشرات Insects ، وهي طائفة من طوائف الشعبة المفصلية ، اكثر طوائفها انواعا ، حتى لا تكاد تترك لسائر الطوائف مساحة محترمة تحتلها من هذه الشعبة . فقد قيل ان عدد الانواع فى طائفة الحشرات ، يبلغ نحو ٧٠٠,٠٠٠ نوع ، وقيل فوق ذلك .

ونحن نسمى ، فى حياتنا العادية ، كل شيء صغير حقير يدب على الارض ، مما يتقزز منه الناس ، حشرة . وهذا غير صحيح . حتى اذا كرهنا انسانا واحتقرناه ، قلنا انه حشرة ، وانسانا ادبا . ولكن الحشرة فى علم الحيوان غير ذلك .

والحشرات ، بما انها طائفة من شعبة المفصليات ، فلها صفات هذه الشعبة التي توحد بينهما جميعا .

ومن بعض هذه الصفات ، ان للحشرات ارجلا ذات مفاصل .

وكذا اجسام الحشرات ثلاثة اجزاء : راس وصدر وبطن .

ويحوط جسم الحشرة عادة وقاء كالدرع صلب يحميه ، أشبه شيء بالجلد ، يربط أجزاءه روابط من نسيج مرن . وهذا الوقاء يعمل للحشرات عمل



بعوضة انوفيليس
وهي اشنع انواع البعوض
الحامل لكروب الملاريا .

• خالَ بعضُ العُلماءِ أنْ يجرِّد سُطحَ هذهِ الأرضِ منَ البَشرِ، فاقترحَ أنَّ التَّبعيةَ في تحقيقِ ذلكَ سوفَ تكونُ للحشَر.

الهيكل الخارجي . وهو هيكل يشتد صلابة فى بعض الحشرات كالخنافس ، وامثال لها .

ارجل الحشرات

وهى ست أرجل ، أو ثلاثة ازواج ، وهذا العدد يفرق بينها وبين العناكب والعقارب التى سوف يأتى ذكرها ، فلهذه ثمانى أرجل فهى ليست حشرات.

وصدر الحشرة هو الذى يحمل الأرجل .

ومن الحشرات ما يستخدم الزوجين الاماميين من أرجله للحفر ، ومنها ما يستخدمهما للامساك بالصيد حين يقع على فريسته ، ومنها ما يستخدمهما للامساك بالحشرة الأنثى من نوعه عند اللقاح لانتاج النسل .

والحشرات التي تسبح فى الماء ، للزوج الخلفي والزوج الاوسط من ارجلها شكل المجاديف .

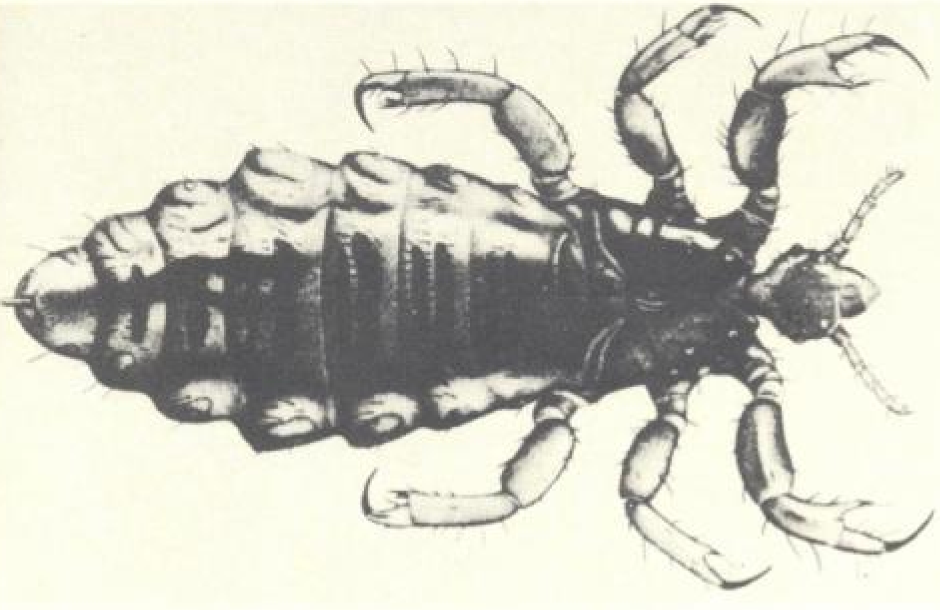
وفى الحشرات التى تنط كالبراغيث ، نجد زوج ارجلها الخلفي كبيرا ناميا .

اجنحة الحشرات

وللحشرات ، بل لبعضها ، اجنحة ، يحملها صدرها ، ذلك الذى حمل الارجل .

وبعض الحشرات يعيش طول حياته بلا أجنحة . وبعضها يكون له زوج من الأجنحة واحد . ولكن أكثر الحشرات له زوجان من الأجنحة . وفى الخنافس نجد الزوج الاول من الأجنحة قد تصلب وغلظ ، فصار درعا يحمي الزوج الثانى من الأجنحة ، وهو رقيق قابل للتلف .

وتجرى فى الأجنحة شبكة من الاوردة تحفظ شكلها وتقسيمها . ومن الأجنحة



قملة البدن : وهى تختلف عن قملة الراس (قملة الشعر) .

ما يكون ناعم الملمس شفافا ، تغطيه شعرات رقيقة او غليظة ، او قشور صغيرة رقيقة يتقزح الضوء عليها فينتج الوانا زاهية كتلك التى نراها على الفراشات الملونة .

للحشرات قرون

والكثرة الكبرى من الحشرات لها قرنان Antennae يخرجان من مقدمة الراس ، قرب عيونها عادة . وهى تستخدم احاسيس لمس ، وتستخدم فى حشرات اخرى للشم . وفى اخرى كالبعوض وبعض الذباب والزنابير ، للسمع .

وللحشرات عيون

وعيون الحشر نوعان ، عيون بسيطة ، واخرى مركبة .

اما المركبة فتتالف العين منها من ست عدسات سداسية الشكل صغيرة .

والعدسات قليلة العدد فى اعين النمل ، وفى الحشرات التى تعيش على الارض . ولكنها فى الحشرة المعروفة باليعسوب Dragonfly تبلغ آلافا .

والعين المركبة كبيرة، والعين البسيطة صغيرة .

ومن الحشرات ما ليس له اعين قط .

بطن الحشرة

وبعد راس الحشرة وصدرها ، نذكر بطنها .

والبطن هو فى العادة اكبر اجزاء الجسم .

والبطن يتالف من تسعة الى احد عشر قسما حلقى الشكل، يرتبط بعضها ببعض بشدة تجعل من الصعب على الجسم ان يلتوى ، او يرتبط بعضها ببعض ارتباطا خفيفا يأذن للبطن ان ينحنى فوق الراس .

وفى بعض الحشرات ، كالنمل والزنابير ، يضيق القسم الحلقى من البطن ، الامامي والذى يليه ، واحيانا يلحق بهما الثالث ، وذلك عند اتصالها بالصدر ، فيكون عن ذلك للحشر خصر ظاهر .

وفى طرف البطن لبعض الاناث من الحشر يوجدعضويضع البيض، وهوخارج عن طرف البطن ظاهر . واناث النمل والزنابير والنحل تستخدم هذا العضو ايضا للقرص . وهذه هى اللسعة التى يجنبها الانسان عندما يتعرض لهذه الحشرات .

طعام الحشرات

بعض الحشرات يقضم طعامه الصلب كالخشب ، وبعض يخترق بأداة فى فمه ورق الشجر الرخص ، او جذوع النباتات الطرية ليمتص رحيقها ، او هو يثقب جلد الحيوان ، فيصل الى دمه ومنه يستقي .

وكل هذه الاحوال تحتاج الى ادوات لا بد من قيامها فى فم الحشرة لتستطيع بها الوصول الى اغراضها ، فمن فكاك ازواج تصل الى ثلاثة ، الى انابيب كالابر تحولت اليها الفكاك ، الى غير ذلك .

للحشرات اعصاب

وللحشرات جهاز عصبي ، كبير اذا ما قرناه بحجمها . وهو جهاز تحكمه مراكز عصبية فى المخ .

والمخ فى الراس .

وهو يحكم الأعين ، والقرون الحاسة ، واجزاء الفم . وتخرج الاعصاب من المخ ، واعصاب تعود اليه لتتم المواصلة .

والحس باللمس يتركز اساسا فى القرون الجانبية ، ولكن كثيرا من انواع الحشر بها مراكز للحس فى بعض نواحي الجسم الاخرى .

والقرون قد تحمل اداة الحس بالأصوات .

ومن الحشرات ما يحدث الاصوات ، ولكنها لا تحدثها من افواهها، او حلوقها، ولكن بوسائل على البطن او الأرجل .

والحشرات تبيض

كل الحشرات تخرج من البيض .

وبيض الحشر قد يكون ضئيلا جدا ، وقد يبلغ قطره نحو ثمن بوصة .

واكثر انواع الحشر تبيض اثناه البيض ، وتضعه فوق طعام يتغذى عليه الحشر عند الفقس ، او تضعه قريبا منه ومن امثال هذا الطعام روث الحيوانات .

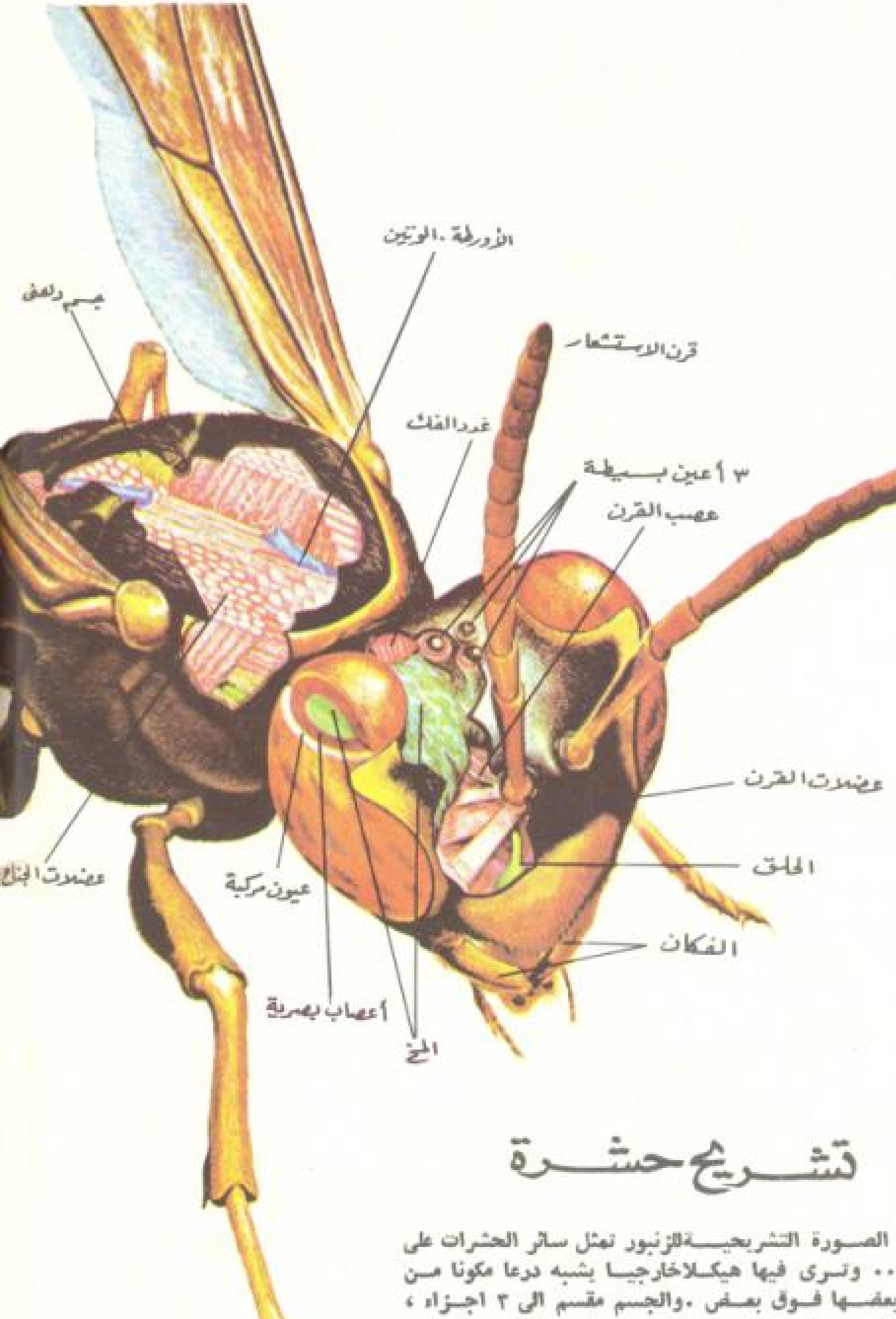
ومن النمل والنحل والزنابير انواع تبيض البيضة دون ان تتلقح .

وانثى الحشر تبيض من البيض العدد الذى يتراوح بين قليل من البيض ، والكثير من الوفه .

والحشر عندما يفقس ، فى غير المجتمعات الحشرية كمجتمع النحل والنمل ، يقوم وحده بالعناية بنفسه عند خروجه من البيض ، وقد وضعته امه بجوار ما يحتمل ان يكون غذاءه .

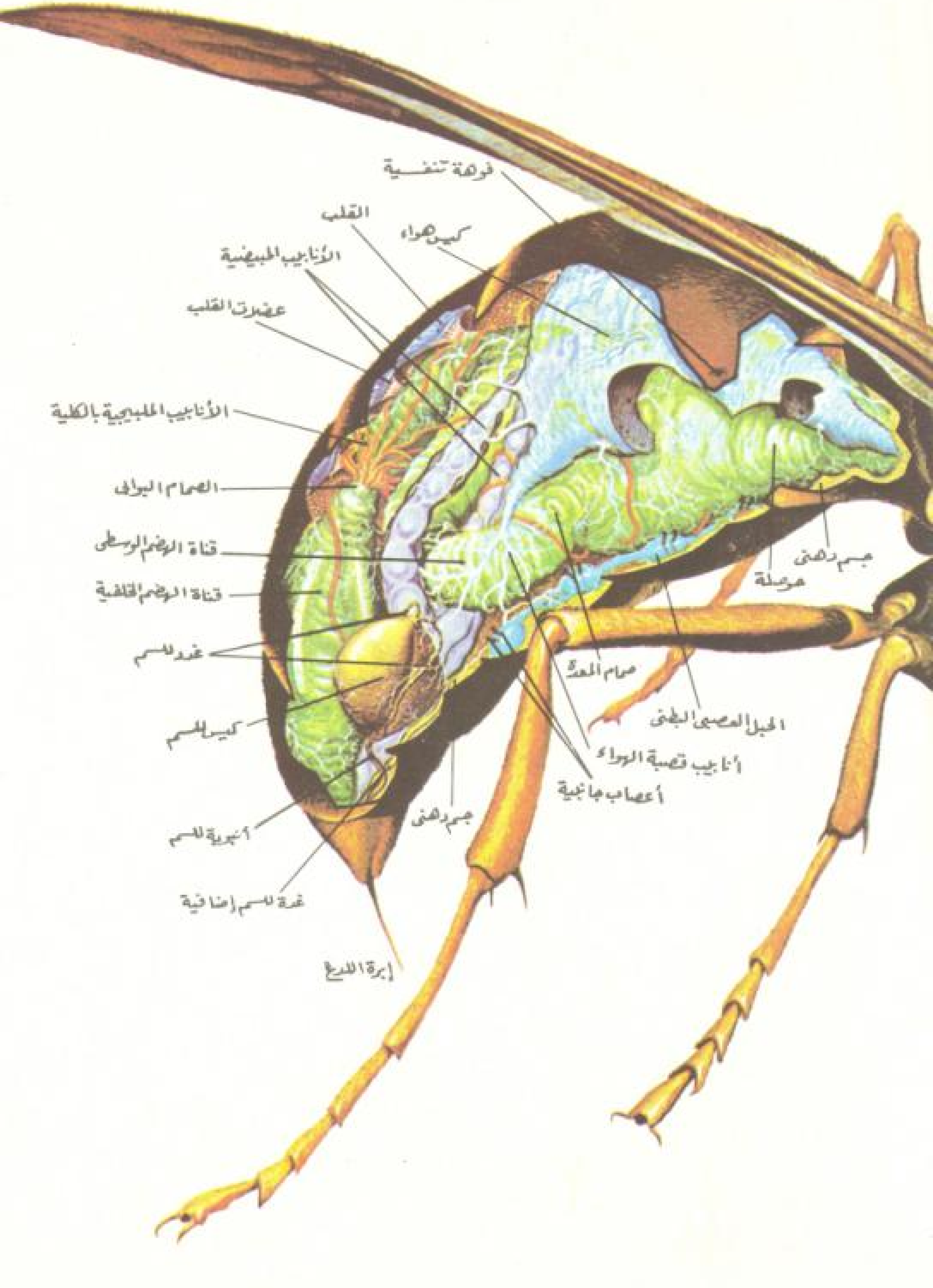


ذبابة البيت .



تشريح حشرة

هذه الصورة التشريحية للزنبور تمثل سائر الحشرات على العموم .. وترى فيها هيكلا خارجيا يشبه درعا مكونا من حلقات بعضها فوق بعض . والجسم مقسم الى ٣ اجزاء ، الراس والصدر والبطن ، يلتحم بعضها ببعض بمفاصل مرنة . والراس به اجهزة الطعام وادوات الاحساس الاصيلة اللازمة للتعرف على البيئة . والصدر يحمل ٣ ازواج من الاقدام ، ويحمل الاجنحة اذا وجدت . وفى البطن يوجد جهاز التنفس والهضم واعضاء اخرى .


فوهة تنفسية
القلب
كيس هواء
الأنابيب المبيضية
عضلات القلب
الأنابيب الملبيجية بالكلية
الصمام البوابي
قناة الهضم الوسطى
قناة الهضم الخلفية
غدد للسم
كيس للسم
أنبوبة للسم
غدة للسم إضافية
إبرة اللدغ
جسم دهني
صمام المعدة
الحبل العصبي البطني
أنابيب قصبة الهواء
أعصاب جانبية
حوصلة
جسم دهني

انسلاخ الحشرات

وفي التحول من البيضة الى الحشرة الكاملة ، نجد ان اكثر الحشرات تمر بالدور الذي يعرف بالانسلاخ Morphosis وفيه البيضة تمر بأطوار اربعة :

(١) طور البيضة وينتهي بخروج الحشرة الصغرى ، وهي على صورة تشبه دودة تعرف باليرقة Larva .

(٢) دور اليرقة وفيه تأكل الحشرة بشراهة ، وتنشق عن هيكلها الخارجي عدة مرات وهي تنمو فيضيق عنها ، ولا يكاد يوجد شبه بين اليرقة والحشرة التي سوف تنتج .

(٣) دور الخادرة او العروس Pupa وهو دور تسكن فيه الحشرة ظاهرا ، ولكن يحدث في جسمها تحويل عظيم عجيب .

(٤) دور الحشرة النامية .

عمر الحشرات

من الحشرات البالغة ما يعيش فقط بمقدار ما يَصِل النسلَ فيتصل . فهو يلتقي هو وصاحبته ، وينتجان البيض . وينتهي الغرض من وجودهما فيموتان .

من الحشرات ما يعيش طول الصيف فقط . واخرى تعيش الشتاء كذلك . ولكن الحشرات التي تعيش في مجتمعات قد تعيش بضع سنين .

حشرات تعيش في مجتمعات

وهي انواع تعيش معا في مجتمعات . ومن هذه النمل ، والنمل الأبيض ـ Termites ، وبعض فصائل النحل والزنابير . وهذه تعيش في مستعمرات عالية التنظيم ، ينقسم افرادها الى طبقات ، لكل طبقة عملها الخاص بها .

تقوم المستعمرة على العموم حول « ملكة أم » ، هي في العادة اكبر حجما من سائر الأفراد ، وينحصر عملها فقط في وضع البيض . ويوجد الى جانب الملكة الذكور الأصيلة ، والشغالة ، والجند ، واحيانا صغار الملكات .

والنمل لديه اكثر المستعمرات تنظيما .

وتتالف المستعمرة من بضعة اعشاش بها من الأفراد عشرات ، الى مستعمرات كبيرة ، هي مستعمرات النمل الأبيض ، في المناطق الاستوائية ، وقد تحتوي الملايين .

ومع هذا يجب القول ان الكثرة الكاثرة من الحشرات تعيش وحدها ، بمعنى انها لا تتعاون في بناء الأعشاش ، ولا في تغذية الصغار ، ولا في دفع الأعداء ، حتى ولو كان من عادتها ان تتجمع بالألوف والملايين .

للحشرات أعداء وعندها دفاع

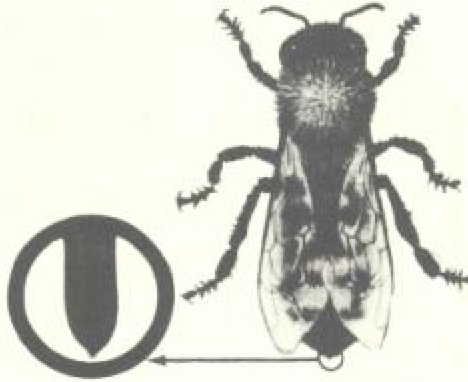
الاعتداء والدفاع شيء شائع في الأحياء .

ولا تستثني من ذلك الحشرات .

واذا صرفنا النظر مؤقتا عن الانسان لوجدنا ان الحشرات فريسة سهلة للطيور والثعابين ولكثير من الزواحف ، وللعناكب وللاسماك وغيرها .

وفي الحشرات وسائل للدفاع ، ولكنها في الحقيقة غير حافظة ولا مانعة . وكيف تحفظ وتمنع منعا كاملا ، وسائر الأحياء تريد الطعام ، ومن طعامها الحشر .

ومن الحشر ما يتخذ لدفاعه مواد تفرزها به غدد ، وهي مواد ذات رائحة كريهة يهرب منها طالب صيدها . او هي تفرز مواد سامة . واخرى تفرز مواد كاوية .



النحلة الشغالة

وترى في طرف جسمها الابرة التى تقرص بها . وهى تشدها الى الداخل لتخفيها في جسمها اذا لم تكن هناك حاجـة اليها . وتخرجها للقرص ، فاذا قرصت عدوا ، أو انسانا ، غرزت الابرة في جلده . وتطير النحلة بدون الابرة ، فهى تبقى في الجسم المقروص . أما النحلة فلا تلبث ان تموت .

التخفى عند الحشرات

ولكن ليس كالتخفى Camouflage عند الحشر وسيلة للنجاة . فهو يتخفى شكلا ، أو لونا ، ويختار لذلك المواضـع في الطبيعة التى يمتزج بها فلا يستطيع الحيوان المعتدى أن يتبينه فيها .

الحشـرات والانسـان

الحشرات منتشرة فى الأرض .

والانسان منتشر فى الارض .

وكلاهما يجتمع على طعام واحـد . واذن لا بد من تعارض منافع ومن صراع .

ومن الحشرات ما يتخذ من الانسان طعاما . اليست البعوضة تستقى من دمه . ويستقى القمل والبرغوث وكل هذه حشرات متطفلة Parasites والانسان يجود بدمه على طهارة وبراءة ، ولكن هذه الحشرات قد تحمل اليه الأمراض بما تحمل من مكروبات أو فيروسات .

وذبابة البيت ، هذه التى تعايشه كأنما خلقا معا على ميعاد ، تحمل اليـه من الامراض ما تحمل .

ومن الأمراض التى تحملها الحشرات التيفود ، والتيفوس ، والكلرة ، والملاريا ، ومرض النوم .

والحشرات لا تكتفى بما تأخذه منا ، وانما هى تطلب محاصيلنا واطعمتنـا لتعبث فيها ، ونعالجها بالكيميائيـات وغيرها ، فنفلح أحيانا ، ونخيب أحيانا .

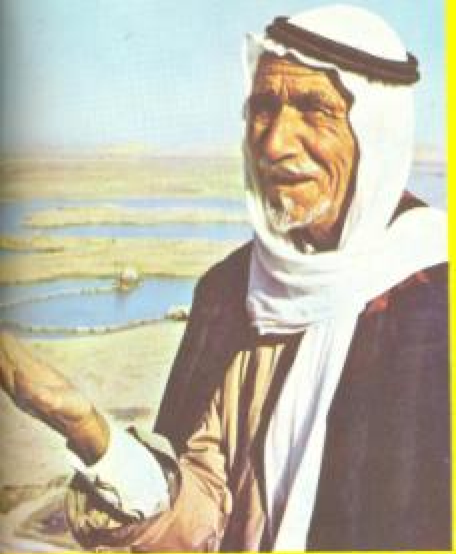
ومن الناس من يرى ان الحشرات نقمة على البشر ، لانها تقصر الأعمار وتذهب بالمحاصيل .

ومن العلماء من خال ان بنى الناس سيكونون يوما الى فناء شامل . وفكر فى كيف يكون ذلك . فارتأى ان يكون بتغليب طائفة من طوائف الأحيـاء فى الأرض على الارض . واعطائها السيادة على الكون ، فتتكاثر ما تشاء ، وتعمل على سجيتها فى الخلائق والأشياء . وهو قد رشح لذلك طائفة الحشر ، لما فى خلائقها وطبائعها من تدمير وتخريب ، وتغزو الانسان من حيث لا يدرى ، بالشر اشكالا والوانا ، فاذا هو جثة لا تكاد تدرى من صنع ، وما صنع ، ولا كيف صنع .

سيادة الحشر خالها هـذا العالم ، وخالها غيره ، خير وسيلة لمسح الانسان عن ظهر هذه الأرض .

●●

أحمد زكي



اعرف وطنك أيها العربي

سَدُّ الفُرات

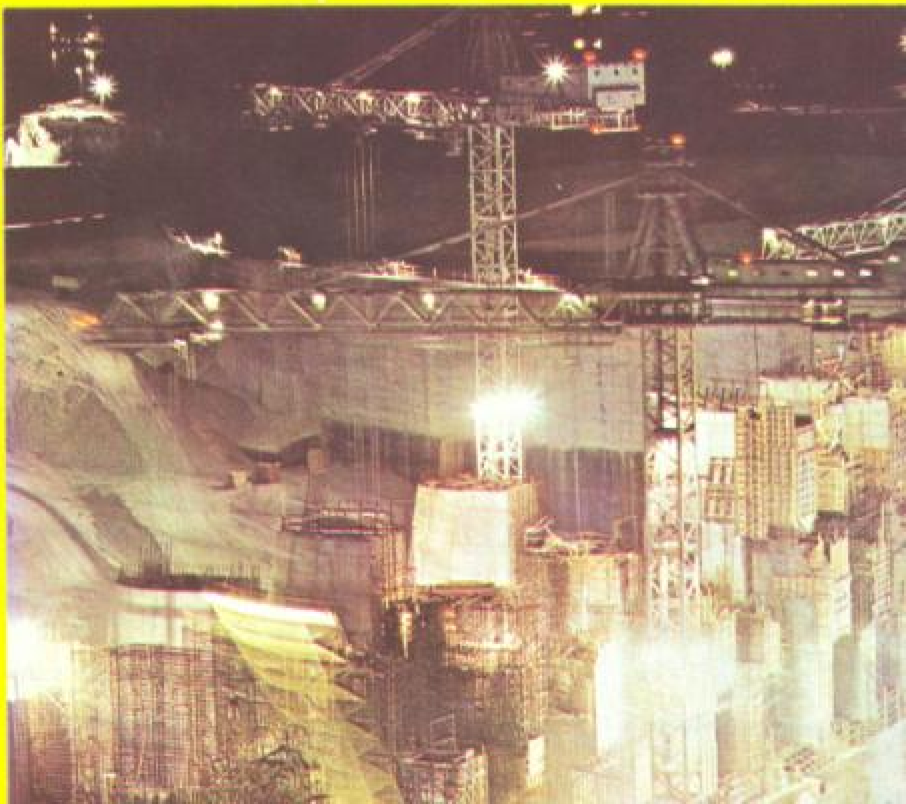
استطلاع بقلم
منير نصيف

تصوير
اوسكار متري





في ناحيه الطبقه ، تلك التى تقع في شمال سوريا ، وتبعد عن مدينة حلب بحوالي ١٥٠ كيلو مترا ، وعن حدود تركيا بحوالي مائة كيلومتر ، وعن الحدود العراقية بحوالي ٢٤٠ كيلومترا .. في هذه المنطقة يجرى العمل اليوم على قدم وساق لاتمام بناء سد الفرات ، حاضر سوريا ومستقبلها .. وفي الصورة العليا شيخ سورى عجوز يروى ذكرياته عن هذه المنطقة التى تنبض اليوم بالحياة . وقد ظهر وراءه جانب من الوادى الذى ستغمره مياه البحيرة امام السد .. والى اسفل صورة لمحطة توليد الكهرباء ، وقد انبعثت منها الاضواء في الظلام ، حيث يجرى في بنائها العمل ليلا ونهارا .



● عشرة آلاف مهندس وعامل يعيدون الحياة الى وادي النهر الذى هرب من فيضانه الناس .

السد يزيد رقعة الأرض الزراعية فى سوريا الى اكثر من الضعف

■ سؤال واحد، كان يتردد على السنة كل الذين التقينا بهم فى دمشق، عاصمة الجمهورية العربية السورية، ولم يكن قد انقضى على وصولنا اليها سوى بضعة ايام :

هل زرتم سد الفرات ؟

وكنا نجيب بالنفى، ونقول : « ان السد يدخل ضمن الموضوعات التى رأت مجلة العربى استطلاعها فى القطر السورى الشقيق، فنحن نعلم أنكم تبنون سداً على نهر الفرات، ولكننا لا نعلم على وجه التحديد الى أى مدى سار العمل فى انجاز هذا المشروع ؟

وشغلنا عملنا فى استطلاع الصناعات فى دمشق، الحديثة منها والتقليدية، عن التفكير فى السد . ولكن السؤال عاد يلح ويتكرر، فى كل مرة كان لنا فيها لقاء مع الوزراء والمسئولين فى الحكومة السورية .

نقطة تحول فى سوريا

حدثنا عنه السيد فوزى الكيالى، وزير الثقافة والارشاد عندما استقبلنا فى مكتبه مرحبا، قال :

« ان مشروع الفرات بأهدافه الاقتصادية والاجتماعية يعتبر نقطة انطلاق وتحول فى حياة القطر العربى السورى . اننى لا أطلب منكم أكثر من مجرد القيام بزيارة قصيرة لموقع السد، لتروا بأنفسكم، الجهد الذى بذل، وما زال يبذل فى تنفيذ هذا المشروع الحيوى » .

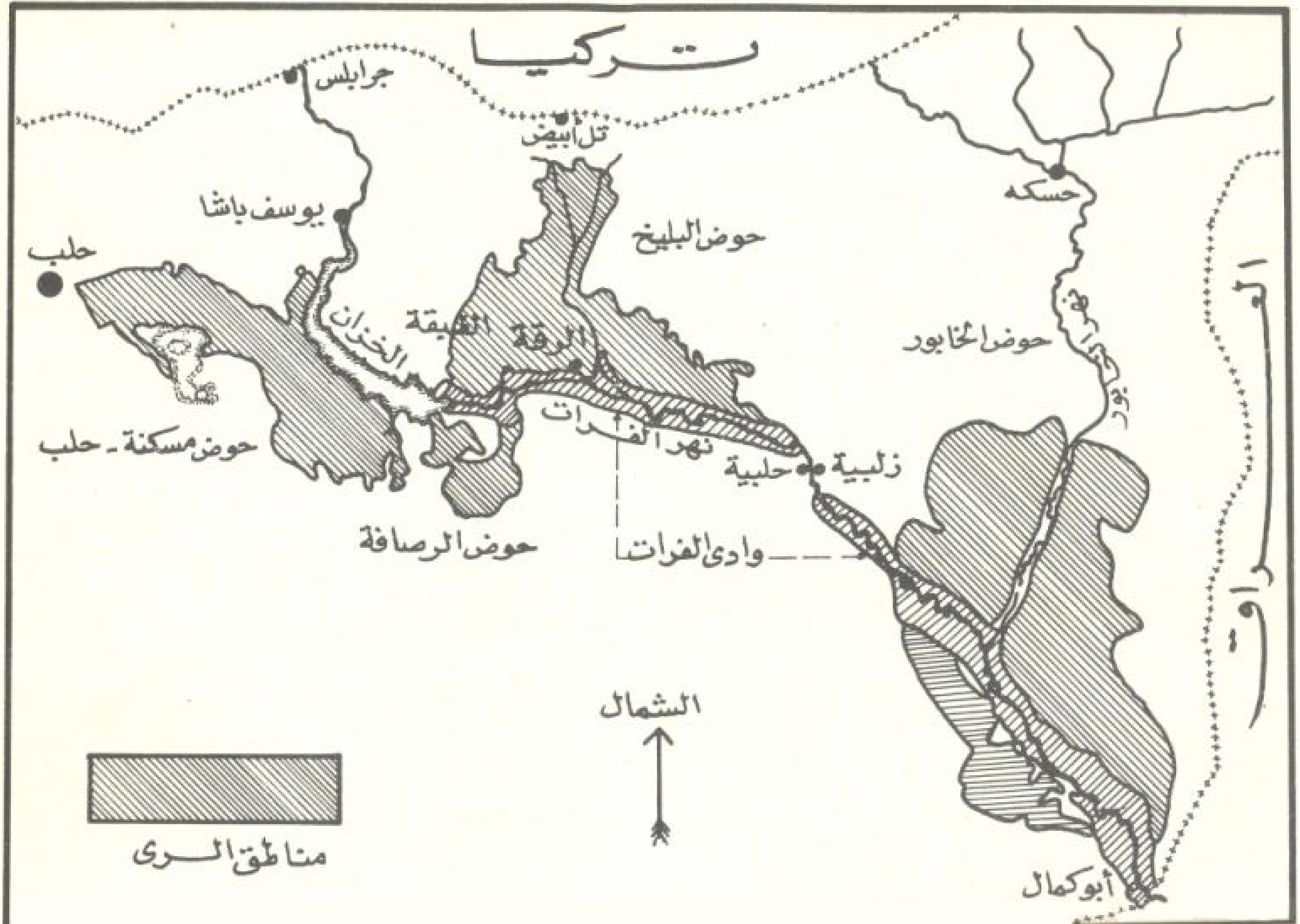
وقال لنا الأستاذ نصوح الدقاق محافظ البنك المركزى : « لا أستطيع أن أتصور أن تجيء بعثة مجلة العربى الى سوريا، ولا ترى السد . يكفى أن أقول لكم انه أعظم انجاز فى تاريخ سوريا القديم والحديث ! » .

مع وزير سد الفرات

وفى مكتب المهندس منير ونوس وزير سد الفرات، بدأت الصورة تكتمل معالمها . قال لنا الرجل الذى يحمل عبء الاشراف على تنفيذ هذا المشروع الكبير، قال وهو يضع أمامنا مجموعة هائلة من الصور والرسومات التى يمتليء بها مكتبه : « سترون سد الفرات هنا فى مكتبى .. هذه مجموعة واحدة من مجموعات الصور العديدة التى كان مصورنا يلتقطها لسير العمل فى مختلف مراحله فى موقع السد .. خذوها، فقد ترون فيها صورة سريعة عن هذا الانجاز الكبير ..

ورحنا نتأمل الصور، ونصنت الى حديث الوزير وهو يقول لنا : « تذكروا دائما أن هذا المشروع الحيوى، مشروع بناء السد، وسيلة

◀ خريطة تبين مناطق الرى والاستثمار فى وادى نهر الفرات، وقد ظهر فى الخريطة رافدا النهر، وهما الخابور والبليخ، وكلاهما ينبع من المرتفعات السورية .



تركيا
جرابلس
تل أبيض
حسكه
يوسف باشا
حلب
حوض البليخ
الخزان
الطبقة
الرقة
حوض الخابور
نهر الخابور
العراق
حوض مسكنة ـ حلب
نهر الفرات
زلبية
حلبية
حوض الرصافة
وادي الفرات
الشمال
مناطق الري
أبوكمال



الصورة العليا لجانب من العمارات السكنية التي شيدت للعاملين في السد بمدينة الطبقة الحديثة ، بينما ظهرت في **الصورة السفلى** الفيلات التي خصصت لسكن المهندسين وكبار الفنيين المسئولين عن سير العمل في سد الفرات وأسرهم .



اقيمت الاسواق والجمعيات الاستهلاكية في مدينة الطبقة ، لتوفير المواد الغذائية لسكان مدينة السد ، وفي الصورة لفيف من زوجات الفنيين والخبراء في احد متاجر بيع الخضراوات والفاكهة بالسوق المركزي .

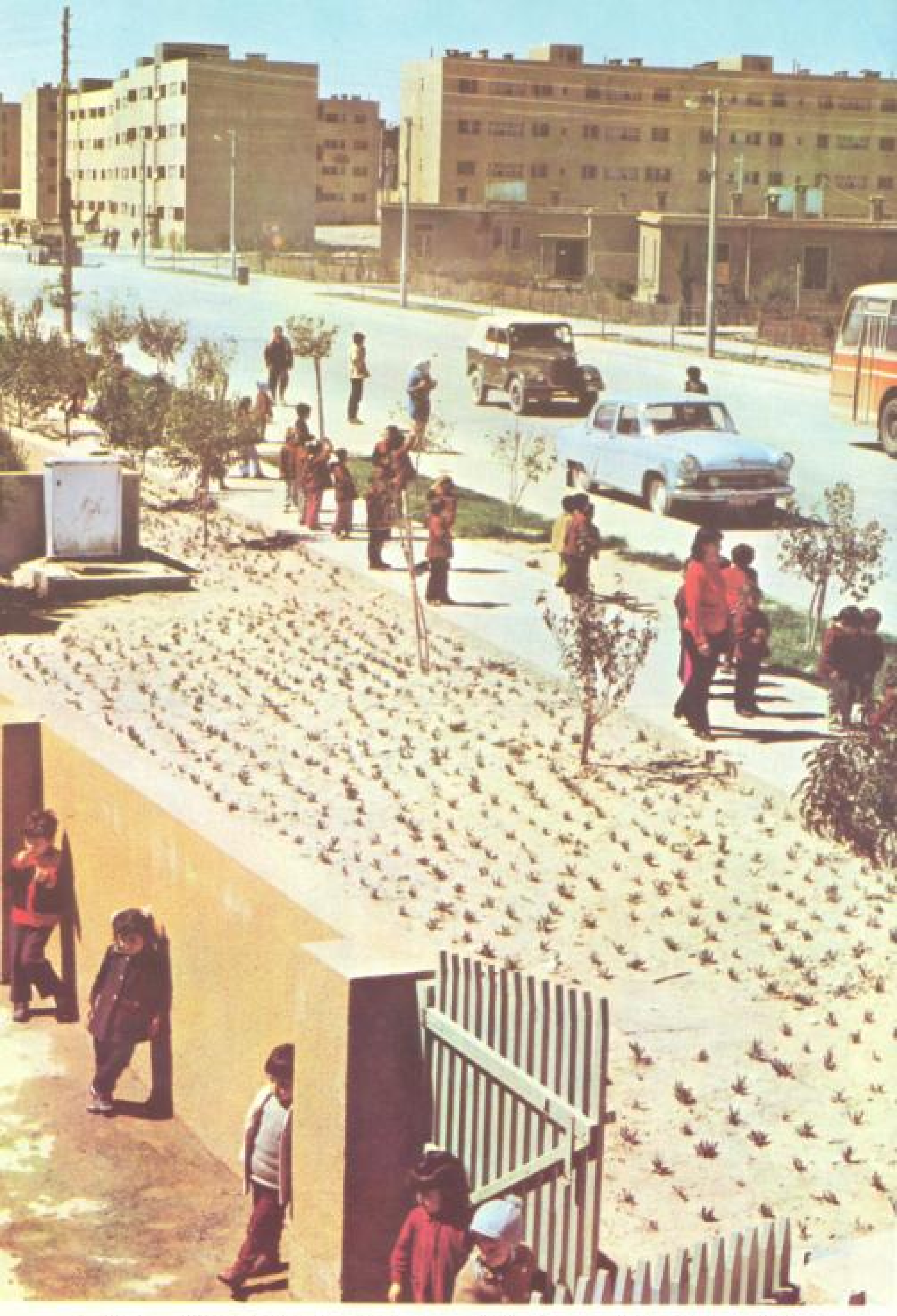












الشارع الرئيسي بمدينة السد ، وهو يخترق المدينة من منتصفها ، ويصل بين احيائها الثلاثة .. ويبدأ من الحي الاول وينتهي عند مديرية السد ، وظهر في الصورة جانب من العمارات السكنية ومجموعة من اطفال العاملين بالسد في الروضة ، اثر عودتهم من رحلة نظمتها لهم المدرسة لزيارة موقع السد .

وليس غاية ، فالغاية من بناء سد الفرات اكبر واضخم بكثير من عملية البناء نفسها ..

« فنحن نبنى السد لنوفر المياه للارض الظامئة .. ونحن نبنى السد لانتاج الطاقة الكهربائية التى سوف تفتح لنا ابواب التصنيع ، ونحن نبنى السد لنتمكن من التحكم في مياه النهر ، وبذلك نتجنب خطر الفيضانات التى تكبدنا، وتكبد العراق الشقيق خسائر فادحة كل عام .. ان السد هو مستقبل سوريا ..

قال لنا الوزير وهو يودعنا : « اننا نرحب بزيارتكم في اى موعد تحددونه ! » .

وحددنا الموعد ، وودعنا وزير سد الفرات ، وانصرفنا ..

فى الطريق الى موقع السد

وبعد يومين كنا نستقل الطائرة الىمدينة حلب، اقرب المدن السورية الكبرى الى سد الفرات .. ومن حلب ركبنا سيارة الى موقع السد .. الى مدينة الطبقة ، تلك التى اصبح اسمها اليوم على كل لسان في سوريا .

وانطلقت بناء السيارة في الطريق الذى تشرف اليوم على رصفه وتمهيده ، احدى الشركات الفرنسية ، وقد انجزت الشركة الجزء الأكبر منه، ولم يعد متبقيا سوى بضعة كيلومترات ، لعلها انتهت من رصفها الآن .. فقد جاءت زيارتنا للسد في شهر مارس الماضي، ونحن الآن في شهر اغسطس، اى انه قد انقضى اكثر من اربعة اشهر ، وما اكثر ما يجرى من تغيير بين يوم وليلة في موقع السد . لا بد اذن أن تكون الصورة التى طالعتنا للطريق من حلب الى الطبقة ويبلغ طوله نحو مائة وخمسين كيلومترا ، قد تغيرت هى الأخرى خلال هذه الشهور القليلة .. ومضت السيارة في طريقها بحرص وحذر في الجزء القريب من مدينة حلب الذى لم يكونوا قد انتهوا من رصفه بعد ، ثم ما لبث السائق أن انطلق مسرعا عندما استوى الطريق امامه ، اما نحن فقد جلسنا نتطلع فيما نراه من حولنا على جانبى الطريق .. فماذا راينا؟

الطريق الى مدينة الطبقة ، موقع السد ، وقد ظهر في الصورة ، الجسر الذى يسير فوقه القطار الذى ينقل المعدات من حلب الى مدينة السد ، وكذلك خطوط نقل القوى الكهربائية التى تستخدم حاليا في جلب الطاقة الكهربائية من محطة توليد الكهرباء في حمص ، وهي نفسها التى ستنقل الطاقة الكهربائية التى ستولد في محطة توليد الكهرباء في السد في نهاية عام ١٩٧٣ .





صورة تبين البوابات الثمانية في محطة توليد الكهرباء ، وهي البوابات التى ستتحكم في مياه النهر ، وسيتم تركيب طوربين Turbine في كل بوابة ، قوته ١٠٠ الف كيلوات .. ومن المقرر تشغيل ثلاثة توربينات في اواخر العام المقبل ١٩٧٣ ، على ان يتم تركيب باقي التوربينات طبقا لحاجة البلاد من الكهرباء وهذه التوربينات هى التى تولد بدورانها الكهرباء .

رأينا مساحات شاسعة من الارض الخصبة ، ولكن دون ان نرى اثرا للحياة فيها ..

الآلات والمعدات

كان الشيء الوحيد الذى يذكرنا دائما باننا لا نسير وحدنا على الطريق ، هو عشرات السيارات الضخمة المحملة بمواد البناء والأجهزة والمعدات التى لا تنقطع عن السير بين حلب والطبقة ،حيث تذهب محملة ، وبين الطبقة وحلب ، ثم تعود فارغة ليحملوها من جديد ..

ففى حلب مصنع للاسمنت ، ينقل معظم انتاجه الى موقع السد ، حيث تجرى اعمال البناء بالخرسانة المسلحة . وليست السيارات وحدها هي وسيلة النقل الى موقع السد ، فهناك الخط الحديدى الذى يجرى عليه القطار بين مرفا اللاذقية الذي ترسو فيه البواخر المحملة بالالات والمعدات المستخدمة في بناء السد وبين مدينة حلب من ناحية ، ثم الخط الحديدى ، المكمل له من حلب الى الطبقة .. ثم هناك خط حديدى آخر يبدا من طرطوس الى حمص ثم يلتقى في حمص مع خط قطار الشرق السريع الذى يمر بحلب ومنها الى الطبقة .

مدينة سكنية حديثة

ووصلنا الى « الطبقة » اخيرا .. والحق اننا لم نكن نتوقع أن نرى ما راينا .. مدينة سكنية حديثة جميلة ، تم تخطيطها وتنظيمها طبقا لأحدث اساليب تنظيم وعمران المدن .. مدينة تزيد مساحتها على ٤٦٠ هكتارا ــ الهكتار ١٠ الاف متر مربع ــ ويبلغ عدد سكانها ٤٠ الف نسمة !

ولم نكمل الرحلة ، رغم قصرها ، الى موقع السد نفسه ، فقد شدتنا الحياة في هذه المدينة

التعليم المختلط ، تجربة رائدة في مدينة الطبقة ، بمدرسة ثانوية عبد الناصر ، التى تضم المرحلتين الاعدادية والثانوية ، والصورة لفصل دراسي بالسنة الثالثة الاعدادية او المتوسطة، وقد جلست الفتاة بجوار الفتى ، ونجحت التجربة ، ويقول مدير المدرسة التى تضم ٩٥٠ طالبا وطالبة ، ان من بين العوامل الاساسية التى ساعدت على نجاح تجربة الاختلاط في هذه المدرسة ، هو التوجيه التربوى داخل المدرسة وخارجها .. ومما يذكر ايضا ان هيئة التدريس في المدرسة من الجنسين ، وهي تضم ٢٩ مدرسا ومدرسة ..









لم يقتصر الاختلاط بين الجنسين على وجودهم في الفصول الدراسية ، فقد حرص المسئولون على اقامة مباريات رياضية يتنافس فيها الطلبة والطالبات، والصورة لمباراة في الكرة الطائرة بين فريقي الطلبة والطالبات .. وقد احرز فريق الجنس الناعم فوزا كاسحا .. اما **الصورة السفلى** فهي لاحد الشوارع المتفرعة من الشارع الرئيسي في مدينة الطبقة وقد ظهر في نهايته مبنى مديرية السد .

الجديدة شدا .. وقررنا أن نبدأ بها قبل ان ننتقل الى الحديث عن سد الفرات ، الذى جئنا من أجله ..

ثم ، أليس السد ثمرة لجهود هؤلاء الذين يعيشون في هذه البقعة من الارض التى أصبحت تنبض بالحركة والحياة اليوم ، وكذلك كانت المدينة نفسها ، التى قامت فوق تلك المنطقة ، من الارض المهجورة ، التى بدأت تدب فيها الحياة لأول مرة منذ اربع سنوات فقط ، في عام ١٩٦٨ على وجه التحديد .

ورحنا نسير وسط الشوارع المرصوفة، ونتجول بين طرقات المدينة الرحبة الجميلة ، التى ارتفعت على جانبيها الاشجار العالية ، والعمارات السكنية الضخمة التى خصصت لسكن المهندسين والموظفين والعاملين في السد ، وانتشرت الفيلات الصغيرة التى تحيط بها الحدائق من كل جانب ، وقد خصصت هذه لسكن كبار المسئولين والفنيين القائمين على العمل والمشرفين على تنفيذ المشروع.

وقد قامت الأسواق التجارية في أحياء المدينة الاربعة ، في مجمعات ، يضم كل مجمع منها ، جميع ما يحتاج اليه سكان مدينة السد من مأكولات وسلع استهلاكية ، وخدمات ، تحقق الاكتفاء الذاتي للعاملين وافراد اسرهم .

جانب من الفيلات التى شيدت في الحي الاول بمدينة الطبقة ، وخصصت لسكن مديرى القطاعات والادارة مع اسرهم .



وأقيمت المسارح ودور اللهو والسينما ، كما عنى المسئولون بالنشاطات الرياضية والاجتماعية فاقاموا النوادى لأسر العاملين حيث يجتمعون في الأمسيات فيقضي الشباب وقت فراغه في ممارسة الالعاب الرياضية ، بينما يجلس الكبار يتبادلون الحديث في امور الساعة .. واقرب الأحاديث على السنتهم هى تلك التى تدور حول كل ما يتصل بالسد ، والعمل في موقع السد . فقد أصبح السد حياتهم .

تجربة رائدة فى التعليم بسوريا

اما المدارس ، فقد اقاموا منها ثلاثا ابتدائية ، ورياضا للاطفال ، ومدرسة اعدادية وثانوية .

وفي المدرسة الثانوية « مدرسة عبد الناصر » ، وهـي التـي تضم المرحلتين الاعدادية والثانوية ، قامت تجربة رائدة ، هى الأولى من نوعها في سوريا .. فقد رأى المسئولون أن يجعلوا من هذه المدرسة بمرحلتيها ، مدرسة مختلطة ، تجلس فيها الفتاة بجوار الفتى في الفصل الدراسي، وفي الملاعب الرياضية ، وفي المكتبة وفي المطعم وفي كل مكان ..

فلنا نسأل مدير المدرسة ، الأستاذ محمد غيث: « هل صادفتك متاعب نتيجة لهذا الاختلاط ؟ » .

وقال الرجل : « حالات فردية قليلة لم تتجاوز اربع أو خمس حالات في العام الدراسي كله من بدايته حتى نهايته .. فكل شيء يسير سيرا هادئا كما ترون .. وقد نجحت التجربة .. تجربة الاختلاط في هذه المدرسة لسببين،أولهما التوجيه التربوى داخل المدرسة وخارجها ، وثانيهما ، أثر الاختلاط نفسه على سيكولوجية الطلبة من الجنسين، فمما لا شك فيه أن وجود الفتى بجوار الفتاة في مكان واحد يدفع كل منهما لان يبذل قصارى جهده في الظهور بالمظهر اللائق ، محاولا كسب اعجاب الجنس الآخر وثقته » ..

ان هذه المدرسة تضم الآن ما يزيد على الالف طالب وطالبة في المرحلتين الاعدادية والثانوية .. واكثر من ثلاثين مدرسا من الجنسين أيضا .

واكتفينا بهذا القدر مما رأينا في اليوم الاول لزيارتنا لمدينة سد الفرات ..



مبنى السوق المركزي في المدينة حيث يجد سكان الطبقة وعددهم اليوم ٤٠ الف نسمة ، كل ما يحتاجون اليه من سلع ومواد غذائية ، وظهرت وراء السوق بعض العمارات السكنية الحديثة التي خصصت لسكن العاملين في السد بالمجان .

أسئلة حائرة

وقصدنا الى غرفتنا في بيت الضيافة ، لنستريح ، وفي رؤوسنا عشرات الأسئلة الحائرة التي لا نجد لها جوابا .. نمنا وصوت الآلات التي لا تتوقف عن العمل في موقع السد يدوي في اذاننا .. ومضت الأسئلة تلح علينا في نومنا القلق : ترى ، كيف كانت الحياة في هذه المنطقة التي وقع عليها الاختيار ، لتكون موقعا لبناء السد ؟ ثم هذا النهر القديم ، الذي ينبع من تركيا ، ويجري في الاراضي السورية لمسافة تزيد على ٦٧٥ كيلو مترا ، قبل أن يلتقي بنهر دجلة في شط العرب ، ويصب الاثنان في مياه الخليج .. هذا النهر الذي يجري في واد خصب ، قامت عليه حضارات عريقة منذ مئات السنين .. هذا النهر ، لماذا بقي واديه مهجورا .. ولماذا هرب الناس بعيدا عن مياهه العذبة ، وهل هناك أهم من الماء والارض ، عنصري الحياة !

وأخيرا القصة الكاملة لسد الفرات ، متى بدأ التفكير في بنائه ، ومن هم الذين يبنونه . وماذا سيصنعون بهذه الأعداد الهائلة من المهندسين والفنيين والعمال بعد أن ينتهوا من عملهم في بناء السد ؟

الحياة في الطبقة قبل السد

وغلبنا النعاس أخيرا فنمنا ، الى أن كان الصباح ، وقبل أن تشرق الشمس ، كنا قد قفزنا من فراشنا ، وبدأنا نستعد ليوم من العمل جديد ..

ومع خيوط الشمس الأولى ، جاءنا الجواب على سؤالنا الاول .. كيف كانت الحياة في هذه المنطقة من الارض العربية في سوريا .. مدينة الطبقة هذه ، تلك التي تقع على بعد ١٥٠ كيلومترا الى الشرق من مدينة حلب ، في شمال سوريا ، وتبعد عن حدود تركيا بحوالى مائة كيلو متر ، وعن حدود العراق بحوالى ٣٤٥ كيلو مترا ..

قال لنا مرافقنا : « لقد كانت الطبقة قرية صغيرة لا يزيد عدد سكانها على بضع مئات ، وكانوا يشتغلون بالرعي ، ويسكنون في بيوت صغيرة يشيدونها من الآجر والطين ، وجزء كبير منهم كانوا يعيشون في الخيام التي ينقلونها من مكان الى مكان بحثا عن العشب والكلأ لماشيتهم .. » .

ومضى محدثنا يقول : « ولا تسألوني ، أين ذهبت الطبقة القديمة الآن ، لقد اصبحت اثرا من بعد عين .. هل ترون هذه المساحة الشاسعة من الارض الممتدة أمامكم .. هنا كانت الطبقة في هذا المكان الذي ستغمره مياه بحيرة السد وقد أزلنا بيوتها ، وعوضنا أهلها ، دفعنا لهم بسخاء ، لكي يبنوا قريتهم الجديدة .. هناك فوق هذا التل ، هل ترونها ؟ » ونظرنا الى حيث كان يشير باصبعه الى الناحية الاخرى ، فرأينا البيوت التي شيدها أهل القرية بقطع الطوب والحجارة والاسمنت ، بدلا من بيوتهم القديمة التي أزيلت لتفسح المكان للمياه والخير الوفير ..

أنا ابن الطبقة

وعدنا ببصرنا نتطلع الى الارض الممتدة تحتنا في سهل فسيح ، تلك التي ستغمرها مياه البحيرة امام السد .. وفجأة اقترب منا شيخ عجوز وقور جاوز الثمانين ، وحيانا ، ورددنا التحية ،

يحرس الخبراء الروس عن
العاملين في السد ، وتتعد
الجانبين .. وفي الصور
الطائرة بين الفريق الروسي والفري
اهتمامات اخرى بطبيعة الحال ، ف
الشهية .. وفي **الصورة السفل**
العام للميكانيكا والكهرباء في س
السوريات ، وقد وقفت تلقي عل
لف ورق







...ختلاط بزملائهم ابناء سوريا
...قاءات الودية والزيارات بين
...لى اليسار) مباراة في الكرة
...سوري . اما السيدات فلهن
...متها الطبي واعداد الاطباق
...سيدة امل عزوز حرم نائب المدير
...سرات مع بعض صديقاتها
...يقاتها الروسيات درسا في طريقة
...حشب .



شيدت مؤسسة سد الفرات مدرسة خاصة في مدينة الطبقة لتعليم الاطفال الروس ابناء الخبراء .. **والصورة العليا** لمجموعة من هؤلاء الاطفال مع اولياء امورهم ، وهم يستعدون لركوب سيارة الاوتوبيس التي تقلهم من منازلهم ، وهذه المدرسة نفسها تتحول في المساء الى فصول لتدريس اللغة العربية للراغبين من الروس من الجنسين **(كما يظهر في الصورة السفلى)** .





هيئة التدريس بثانوية عبد الناصر ، وهي ايضا من الجنسين .. وفي الصورة مجموعة منهم يقضون وقت فراغهم بين الحصص ، في القراءة ، والاطلاع والتحضير للدروس التى سيلقونها على تلاميذهم .

ومشى ، وهو يستند على ذراع شاب صغير ، حتى اقترب من حافة المرتفع الذى يطل على الوادى من تحت قدميه .. ثم وقف يتأمل مياه النهر ، وما حولها ، وما وراءها ، حتى ناله التعب ، فجلس ليستريح !

واقتربنا منه .. ودعانا الى الجلوس على الارض ، وجلسنا ، وقال يسألنا : « أنتم ايضا تعملون في السد ؟ »

قلنا لا ، وانما نحن صحفيون عرب ، جئنا لنرى ما تصنعونه انتم بالسد !

قال : « أنا لا أصنع شيئا ، فقد تقدم بى العمر ، ولم أعد قادرا على العمل .. ليتهم بنوا السد منذ ثلاثين أو أربعين عاما .. وقتها كنت أستطيع ان أشارك في العمل ، ولكننى سعيد بما أرى اليوم في بلدي .. فأنا ابن الطبقة .. وهذا ابنى ، وأشار بيده الى الشاب الذى كان يجلس بجواره ، ويستند الى ذراعه ، لقد جئت اليوم لازوره .. انه أحد أبنائى الستة ، وعندى مثلهم من الاناث ، وقد تزوجوا كلهم والحمد لله ! »

قلنا نسأله : « حدثنا عن الطبقة وعن حياتك فيها ، قبل السد ، ماذا كنت تصنع ، وكيف كنت تعيش ؟ »

حياة اهل البادية

قال الرجل : « هناك في هذه الصحراء ، كنت انصب خيمتى ، وأعيش مع أسرتى ، نرعى الغنم .. كانت حياة عصيبة ، لا نستقر فيها على حال .. في الشتاء ، كنا نحمل خيمتنا عندما تهطل الأمطار ، وتفيض مياه النهر ، فتغرق الأرض من حولها .. فاذا جاء الصيف بجفافه ، عدنا الى حيث كنا .. الى أقرب مكان من النهر ، لنشرب من مياهه ، وتشرب معنا أغنامنا .. لقد كانت حياتنا كلها كر وفر ، اقبال وادبار ، فهى حياة أهل البادية !

مع النهر الثائر

قال لنا مرافقنا السيد غلام عطيش مدير العلاقات العامة في مديرية سد الفرات : « لقد هرب الناس من وادى نهر الفرات ، وهو الذى كان مفروضا أن يصبح من اكثر مناطق سوريا من حيث الكثافة السكانية .. هربوا لأنهم يخشون على حياتهم من الموت ، وعلى رزقهم من الضياع .. فنهر الفرات نهر ثائر .. انه يجرى في الاراضي السورية لمسافة ٦٧٥ كيلو مترا .. وهو في موسم الصيف ، أو موسم الجفاف ، هادىء ساكن ، تجرى مياهه ، وكأنها تزحف زحفا .. ولكن ما اشبهه بزحف الأفعى التى تسمع حفيفها عندما تستعد للانقضاض على فريستها .. وهكذا الفرات فهو في مسيرته في الاراضي السورية اشبه ما يكون في انسيابه بشكل الافعى ، وهى تتلوى .. فاذا جاء الشتاء ، وبدأ موسم الأمطار، بدا مجراه يمتلىء ويمتلىء ، حتى يفيض ،وتزحف المياه بقوة على ضفتيه فتجرف كل شيء امامها من زرع وحياة .. ان مياهه تداهم الأرض تارة فلا تلبث أن تأتى على ثمرة جهود وعرق المئات من المزارعين .. وتارة أخرى ، نجده قد غير مجراه ، فاذا بمياهه تجرى بعيدا عما كانوا يتوقعونه لها ، فيكون الجفاف وخراب الديار .. وضياع المحصول .

« من هنا هرب الناس من وادى النهر ، وهجروا ارضهم الخصبة ، وهكذا انقلب الحال ، فبدلا من أن تكون مياه النهر مصدر خير، أصبحت مصدر شر وبلاء ! » .

حضارات سادت ثم بادت

قلنا نسأل محدثنا : « هل كان هذا هو حال نهر الفرات منذ القدم ، وكيف قامت تلك الحضارات

صورة عامة لمبنى المدرسة التى شيدتها مؤسسة سد الفرات لتعليم ابناء الخبراء الروس في مدينة الطبقة ، وتستخدم فصول هذه المدرسة بعد الظهر في تدريس اللغة العربية للراغبين من الخبراء السوفييت وزوجاتهم ، والعاملين في السد . وبعض هؤلاء الخبراء يدينون بالاسلام .





مجموعات من العاملين في السد وهم يتجهون الى مقر اعمالهم في الساعة السابعة صباحا بعد ان نقلتهم عوامة العبور من الضفة اليسرى الى الضفة اليمنى لنهر الفرات .. ويتكرر هذا المشهد ثلاث مرات يوميا في بدء الورديات الثلاث ... عمال ذاهبون ، وعمال عائدون من عملهم .. ويعمل في موقع السد ما يزيد على العشرة آلاف عامل .

الصورة العليا (الى اليسار) لجسم السد ، وقد تم حتى شهر مارس الماضي موعد استطلاعنا بناء السد بارتفاع ٢٠ مترا فوق السهل الفيضاني ، وبدأت عملية تضييق مجرى النهر التي ستستمر حتى موعد الاغلاق وتحويل المجرى الى محطة توليد الكهرباء ذات البوابات الثماني في صيف العام المقبل **(الصورة السفلى الى اليسار)**





صورتان للحياة في قرية الطبقة الجديدة . تلك التي تم تهجير أهالي الطبقة القديمة اليها بعد ان دفعت لهم الحكومة تعويضا عن مساكنهم الزائلة ، وكانت كلها مساكن مبنية بالطين .. اما في الطبقة الحديثة التي تضم اليوم ١٧ الف نسمة ، فقد شيد الاهالي مساكنهم بأنفسهم بالاحجار والاسمنت .







المهندس نبيه سعادة نائب المدير العام للانتاج والتنفيذ في مشروع سد الفرات ، يناقش تقريرا قدمه اليه المهندس المصرى بديع نجيب ، الذى يشرف الآن على بناء جسم سد الفرات بعد ان ساهم في بناء جسم السد العالي في اسوان . لقد استعانت به الحكومة السورية لسابق خبرته، فجاء ، هو واثنان من زملائه المهندسين المصريين بعد ان انجزوا مهمتهم في السد العالي .

العريقة التى قرأنا عنها في كتب التاريخ في منطقة ما بين النهرين .. أى نهرى دجلة والفرات ؟ »

قال : « لا . لم يكن هذا حال الفرات قديما ، بدليل أن الخليفة هارون الرشيد قد اصطفى منطقة الرقة ، وجعل منها مصيفا له ، ولا تزال بقايا قصره قائمة فيها حتى اليوم ، وكان يزورها شتاء وصيفا .. ولكنها العوامل الطبيعية هى التى غيرت من حال النهر ومزاجه ! »

ومنطقة الرقة هذه تقع على مسافة خمسين كيلو مترا من موقع السد في الطبقة ، ويجرى فيها الآن « مشروع الرى الرائد » الذى يعتبر النواة الأولى في مشاريع الرى الواسعة المقرر تنفيذها بصورة متصلة خلال السنوات القليلة القادمة .

قصة السد من أولها

وفي مكتب السيد المهندس نبيه سعادة ، نائب المدير العام للانتاج والتنفيذ في موقع السد ، جلسنا نستمع الى قصة مشروع سد الفرات كاملة .. القصة كلها منذ أن كانت فكرة ، الى أن تحول المشروع الى حقيقة واقعة .. قال لنا الرجل الثانى المسئول عن ادارة دفة العمل في غياب المهندس صبحى كحالة مدير المشروع ، الذى كان سافر الى دمشق أثناء زيارتنا للسد .. قال :

« أنا لم أعتد الجلوس في مكتبى ، فأنا مهندس ومكان المهندس دائما في موقع العمل . ولكن لاباس من ان أجلس اليكم لأنقل لكم لمحة سريعة عن قصة السد ، قبل أن اصطحبكم معى الى السد نفسه لتروا بأنفسكم ثمرة هذا المجهود الكبير :

« لقد بدأت فكرة بناء السد تراود أذهان المسئولين في أواخر الأربعينيات ، بعد خروج الفرنسيين ، وبداية عهد الاستقلال ، وقد قامت احدى الشركات الانجليزية ، وهى شركة الكسندر جيب بدراسة لمجرى النهر ، فأوصت باقامة السد في منطقة يوسف باشا ، التى لا تبعد عن الحدود التركية بأكثر من خمسين كيلو مترا .. وكان السد الذى اقترحت هذه الشركة بناءه ، أصغر بكثير من السد الذى يبنى حاليا ..

الخبراء الروس

« وانقضى على هذه الدراسات ، حوالى عشر سنوات تقريبا ، الى أن كان عام ١٩٥٨ ، عندما قامت بعثة من الخبراء الروس باجراء دراسة جديدة لمواقع ثلاثة على نهر الفرات ، يمكن أن يبنى عليها السد . وأسفرت دراستهم عن أن كل موقع من هذه المواقع يصلح لاقامة السدود ، من الناحية الفنية ، غير أنهم وجدوا أن موقع الطبقة، هو الموقع الوحيد الذى يتيح امكانيات افضل لتطوير وانتاج الطاقة الكهربائية . وقد ايدت هذه النتيجة جميع الدراسات التى أجريت فيما بعد .

« ومضى على هذه الدراسات الأخيرة بضع سنوات ، الى أن تقرر انشاء المؤسسة العامة لمشروع نهر الفرات في شهر أكتوبر من عام ١٩٦١ ، وأنيط بها مهمة القيام بالدراسات والتجربات التى تهدف الى اخراج المشروع الى حيز التنفيذ، وتحقيق الحلم الذى كان مجرد فكرة تراود الأذهان منذ أن حصلت سوريا على استقلالها .

بروتوكول انشاء السد

« واستمرت دراسات المؤسسة حتى عام ١٩٦٤، وكان رأى الخبراء قد استقر نهائيا على بناء سد الفرات في منطقة الطبقة ، وكان يوم ٢٢ ابريل من

عام ١٩٦٦ ، هو اليوم الحاسم في هذا المضمار ، ففي هذا التاريخ تم توقيع «بروتوكول» بين حكومة الجمهورية العربية السورية وحكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ، للتعاون في بناء مشروع الفرات لري الاراضي وتوليد الطاقة الكهربائية . وقد نص البروتوكول على تعاون روسيا مع الجمهورية العربية السورية في بناء المرحلة الاولى للمشروع المائي الكهربائي على نهر الفرات الذي يتالف من سد ومحطة كهربائية مائية وخط لنقل القدرة الكهربائية . »

القرض الروسي

ومضى المهندس نبيه سعادة يكمل قصة الاتفاق ، قال: « اما من الناحية المالية فقد نص البروتوكول على أن تقدم روسيا للحكومة السورية ، مبلغ ١٢٠ مليون روبل ، اى ما يعادل ٥١٠ مليون ليرة سورية ، لتغطية تكاليف ما تنفذه الهيئات السوفيتية من اعمال ، وكذلك ثمن المعدات والآلات التي يحتاج اليها العمل في بناء السد .. وتم الاتفاق بين البلدين على أن تقوم سوريا بتسديد هذا القرض على ١٢ سنة بفائدة قدرها ٢٫٥٪ سنويا .

اما التكاليف الاجمالية لبناء السد فسوف تصل الى ١٢٠٠ مليون ليرة سورية في مرحلته الاولى ، التي ستكتمل عام ١٩٧٣ عندما يتم اغلاق مجرى النهر وتحويله الى المحطة الكهربائية.»

وقال نائب مدير مشروع سد الفرات :

« ما رايكم لو انتقلنا الى موقع السد الان ، واكملنا الحديث هناك على الطبيعة ؟ »

في موقع السد

وركبنا السيارة التي راحت تسير بنا وسط تلال من الاتربة المتراكمة ، واتجهنا الى موقع العمل ، وكان هدير الآلات يقترب شيئا فشيئا ، حتى وصلت بنا السيارة الى نهاية المطاف ونزلنا منها..

وكانت نقطة بداية جولتنا هي المحطة الكهربائية ببواباتها الثماني ، تلك التي ستتحكم في مياه النهر ، والتي سيتم توليد الكهرباء منها ، بقدرة ٨٠٠ الف كيلو وات في المرحلة الاولى .. وقد اقيمت المحطة التي اوشك العمل فيها على الانتهاء بعد تركيب الطوربينات Turbines ، على الضفة اليمنى للنهر ..

عشرة آلاف وخمسمائة عامل

قال المهندس نبيه سعادة يكمل حديثه : « ان العمل كما ترون يجرى على قدم وساق طوال الاربع والعشرين ساعة بلا توقف ، فهناك ثلاث ورديات ، تعمل كل وردية منها ثماني ساعات كاملة .. ان عدد المهندسين والفنيين والعمال في السد يزيد على عشرة آلاف وخمسمائة عامل ، يكفي ان تعلموا ان حجم الاعمال الخرسانية في المرحلة الاولى لبناء السد ، يزيد على مليون ونصف مليون متر مكعب ، لتدركوا مدى الجهد الذى يتطلبه هذا المشروع ..

« لقد جاء المهندسون والخبراء الروس ليعاونونا في بناء السد بعد ان استفادوا من تجربتهم في بناء السد العالي في مصر .. لقد كان السد العالي في اسوان هو اول تجربة لهم في بلد عربي ، ثم جاءوا الينا حاملين الدروس من هذه التجربة .. انهم يعملون ويعيشون بيننا كزملاء واخوة في العمل ، وفي الطبقة اليوم ما يزيد على الالفي مهندس وخبير روسي مع افراد اسرهم ، ونحن نوفر لهم كل وسائل الراحة والرفاهية ، وقد شيدنا لهم ناديا خاصا يلتقون فيه ومدرسة لتعليم ابنائهم » ..

في النادى الروسي ، وجه بعض الخبراء الروس الدعوة الى زملائهم من العاملين السوريين في السد ، لمباراتهم في لعبة الشطرنج .. وما اكثر المباريات التى تقام بين الجانبين في هذا المجتمع الجديد ، في مختلف الالعاب الرياضية والعاب التسلية وقتل الوقت في الامسيات .

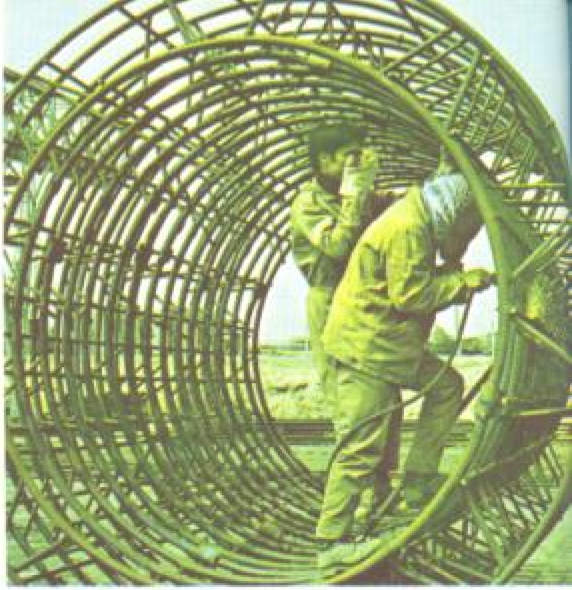






معمل فرز البحص والرمل ، وتقوم احدى الجرافات بنقل حبيبات الرمل والحصى الى المعمل من السهل الفيضاني لنهر الفرات عبر انابيب قطرها ٦٠ سنتيمترا ، بنسبة ٦٪ ، والباقي ماء ، وعندما يصل الخليط الى موقع التخزين ، تعود المياه الى النهر ، ثم ينقل البحص والرمل المخلوط الى مناخل الفرز ، حيث تتجمع الحبيبات ذات الحجم الواحد ، لاستخدامها في عمليات البناء بعد خلطها بالاسمنت في معمل الخرسانة .

(الى اليسار) مختبر المراقبة Geotechnique ، ويقوم العاملون فيه ، وهم من الآنسات السوريات الحاصلات على الثانوية العامة (القسم العلمي) تحت اشراف مهندسة متخرجة في جامعة حلب ، باجراء مختلف التجارب المخبرية الفيزيائية والميكانيكية على انواع التربة التي استخدمت في ردم جسم السد . والهدف من هذه الاختبارات هو معرفة مدى تطابق مواصفات الردم مع الاصل في التصميم .



(**الى اليمين**) احدى الجرافات المائية التى تعمل في بناء جسم السد ، ويوجد منها تسع جرافات ، تبلغ زنة الواحدة منها ٢٦٠ طنا . ويبلغ تصريفها ٣٦٠٠ متر مكعب في الساعة من المياه التى تحمل معها الحصى والرمل والطين .. **اما الصورة الاخرى** بجوار هذا الكلام ، فهي للهيكل الداخلي لوحدة من وحدات نفق التفتيش الذى يصل من بداية المحطة الكهربائية حتى نهاية السد على الكتف الايسر للنهر ، ويبلغ طوله ٢٤٠٠ متر تقريبا .



مواصفات السد في سطور

ونعود الى الحديث عن السد فنتقل في سطور بعض مواصفاته :

* يبلغ طول جسم السد مع جناح ايسر اربعة كيلو مترات ونصف ، اما ارتفاع جسم السد من قاع النهر فسوف يصل الى ٦٠ مترا في المرحلة الاولى ، وهو يرتفع عن سطح البحر بحوالى ٣٠٨ امتار .

* يبلغ عرض جسم السد عند القاعدة ٥١٢ مترا ، وفي القمة ١٩ مترا .

* يشرف على العمل في بناء جسم السد المهندس المصري بديع نجيب ، وقد كان بين كبار المهندسين الذين اشرفوا على العمل في بناء جسم السد العالي في اسوان ، وقد استعانت به الحكومة السورية لسابق خبرته ، هو والثين من زملائه المهندسين المصريين .. ان ثلاثتهم يعملون اليوم في بناء سد الفرات بعد ان ساهموا في بناء السد العالي على نهر النيل .

* يحتاج جسم السد في مرحلته الاولى لردم يقدر حجمه بحوالى ٤٥ مليون متر مكعب ، ينفذ منه حوالي ٣٢ مليون م٣ بطريقة التجريف الهيدروليكي (المائي) حيث تقوم تسع جرافات بجرف الطين والبحص من قاع النهر وجوانبه ، وتلقى به مع مائه فوق جسم السد ، اما باقي حجم الردم فيتم بطريقة الردم الجاف .

* تبلغ مساحة البحيرة التي ستتكون امام السد ٦٢٨ كيلو مترا مربعا ، وحجم المياه المخزونة عند منسوب ٣٠٠ متر ، حوالي ١١٫٩ مليار متر مكعب !

* ستروى مياه السد ٦٤٠ الف هكتار ، وهو رقم يزيد على مساحة الاراضي المتزرعة حاليا في سوريا كلها .

* * *

وعشنا بين العمال والعمل في سد الفرات يومين آخرين ، حاولنا ان نسجل خلالهما صورة لحياة هذا العدد الكبير من العاملين في هذا المجتمع الجديد الذي قام في قلب الصحراء ، على ضفاف النهر الذي شيد فوقه السد ليضع نهاية لثورته !

الوسيلة ، والغاية

وعدنا الى المهندس نبيه سعادة ، نبحث عنه ، الى ان عثرنا عليه في مكتبه في الساعة السابعة مساء ، وكان قد وصل اليه لتوه ، عائدا من موقع العمل ، قلنا له : حدثنا عن استثمار سد الفرات ، او عن « الغاية » التي ذكرها لنا وزير السد في حديثه معنا عندما لقيناه في مكتبه ، وقال الرجل : « ان هذا المشروع الذى عدتم اليوم من زيارته ، يعتبر في قمة المشاريع الرائدة ذات الاهداف الاستراتيجية الهامة ، بما يحققه من تثبيت للقاعدة الاقتصادية والاجتماعية للقطر العربي السورى . فسوف تساعد هذه الطاقة الهائلة من الكهرباء والماء على مر السنين ، على انشاء صناعات عديدة ، والتوسع في الصناعات القائمة حاليا ، وفتح مجالات العمل للآلاف من المواطنين ..

«ان سد الفرات، هو ركيزة الاقتصاد السورى، ولذلك فقد وفرت الدولة ، وما تزال توفر كل الامكانيات المادية والبشرية لتحقيق انجازه في اقصر فترة ممكنة ، حتى يمكن البدء بعد ذلك باستثماره على اوسع نطاق » .

استثمار السد

« اما في مجال الاستثمار هذا الذى اشرنا اليه، فقد بوشر العمل فيه بالفعل ، ويجرى حاليا تنفيذ مشروع الرى الرائد الموجود في حوض الفرات على مسافة قريبة من السد ، ويعتبر النواة الاولى في مشاريع الرى الواسعة ، وقد سمى بالمشروع الرائد ، لانه سيكون نموذجا لما سوف يتبع من خطط بالنسبة لمشروعات المستقبل . ومن اجل تحقيق هذا الهدف ، تجرى الان تجارب عديدة في مجال الزراعات المختلفة واستنباط افضل المحاصيل لتنظيم الدورات الزراعية واجراء تجارب على زراعة انواع معينة من علف الحيوانات الذى سيضاعف من الثروة الحيوانية من ناحية ، ويعيد للارض خصوبتها من ناحية اخرى » .

القرى النموذجية

ثم قال : « والى جانب الاهتمام بالرى ، يجرى الآن انشاء قرى نموذجية لتوفير السكن الصحي الملائم للفلاحين الذين سوف يرعون هذه الارض المستصلحة المتزرعة مستقبلا ، وهم الذين ستغمر مياه بحيرة السد قراهم ومساكنهم على المدى البعيد .



انبوب الجرافة ، يلقي بما حمله من ماء وحصى ورمل وطين فوق جسم السد .. أما المياه فتعود الى النهر ، بينما تستقر هذه المواد فوق الجسم الترابي للسد لتزيده ارتفاعا وقوة وصلابة .

« ان هذه العوامل من شأنها ان تربط الفلاح بارضه ، وتوفر له من اسباب الاطمئنان والاستقرار ما يجعله عازفا عن النزوح الى المدن وراء الكسب السريع ، وهو ما حدث ويحدث في كل بلد يتحول من المجتمع الزراعي وحده الى مجتمع زراعي صناعي . »

« ومما يؤكد اهتمام الدولة في مجال الاستثمار ، قيامها بانشاء مصنع بجوار حلب لتصنع ما يحتاج اليه مشروع الاستثمار من اليات وجرارات باعداد كبيرة ، وهذا المشروع سوف يتطور العمل فيه على مراحل ، فهو يبدأ بمصنع لتجميع القطع المستوردة Assembly Plant ، وينتهي بتصنيع غالبية اجزاء هذه الاليات محليا » .

قلنا نسأله اخيرا : « ماذا ستصنعون بهذه الاعداد الكبيرة من المهندسين والفنيين بعد انتهاء العمل في بناء السد . وهل فكرتم في الاستفادة من هذه الطاقات ؟ »

الانتفاع بالخبرات والقدرات

قال : « لقد سمعت هذا السؤال من كل من جاء الينا في زيارة للسد . واود ان اقول لكم ان خلق كادر جديد من المتخصصين والخبراء والفنيين في شتى مجالات الاعمال الهندسية ، كان دائما ضمن اهداف مشروع سد الفرات .

« وانطلاقا من اهمية وجود هذا الكادر الفني الجديد ، وضرورة الاستفادة منه ، فقد عنيت الدولة منذ الآن بوضع الخطط اللازمة لتحقيق هذا الهدف ، وبناء عليه فقد شكلت لجنة ، كان ممثلا فيها عدة جهات مهتمة بهذا الموضوع ، وهي وزارة التخطيط ، ووزارة الاشغال العامة ، ووزارة الصناعة ، ومؤسسة سد الفرات ، ومؤسسة استثمار حوض الفرات وغيرها ، لدراسة احتمالات الانتفاع من الامكانات البشرية والآلية الموفرة في موقع السد » .

« وقد رأت اللجنة ان التكامل الوثيق بين مختلف اختصاصات الخبرات الفنية من ناحية ، وبينها وبين التجهيزات المتعددة من ناحية اخرى ، يجعل من الضروري المحافظة على هذا التكامل . وقد قررت اللجنة نتيجة لذلك عدم السماح ببعثرة تلك الامكانات الكاملة المتكاملة ، والعمل على ربطها بعضا ببعض عن طريق احداث عدد من الشركات الهندسية التي يفتقر اليها القطر السوري وفي مقدمتها ، شركة للانشاءات المائية الكبرى مثل السدود ومحطات توليد الكهرباء ومد الانفاق ، وشركة لانشاء شبكات الري والصرف وتسوية الاراضي الزراعية ، وثالثة للانشاءات والتركيبات المعدنية والميكانيكية ، وشركة اخرى لانشاء خطوط نقل القدرة الكهربائية ومحطات التحويل وغير ذلك » .

حاضر سوريا ومستقبلها

وانتهى المهندس سعادة من حديثه .. وتركنا نائب مدير المشروع مودعين شاكرين ، متمنين للقطر السوري الشقيق التوفيق في انجاز هذا العمل الحيوي ..

وخرجنا من مكتبه في مديرية سد الفرات ، ومشينا في شوارع المدينة الساهرة ، حتى قادتنا اقدامنا الى تل مرتفع ، ومن فوق التل ، وقفنا نلقي نظرة أخيرة على الاضواء المنبعثة من موقع العمل في محطة توليد الكهرباء بسد الفرات .. المحطة الساهرة التي لا تنام ابدا ..

وعدنا الى غرفتنا لنحزم حقائبنا ونستعد للرحيل .. وفي اليوم التالي ، كنا نودع السد ومدينة السد ، والعاملين في السد .. لقد انتهت زيارتنا لسد الفرات ، حاضر سوريا ومستقبلها ..

■■

منير نصيف



أنت تسأل .. ونحن نجيب

اليـــابان
بلغ انتاجها السنوى من الأسماك
٢٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار

● نسمع أن اليابان هى الدولة الاولى في صيد الأسماك في العالم ، وانها بلغت من التقدم في هذه الصناعة ما حمل دولا كثيرة أخرى على الاقتداء بها أو الاتفاق معها بقصد المشاركة في صيد الأسماك .

نرجو أن تعطونا فكرة عن مقدار ما تصيد اليابان وغير اليابان من الأسماك سنويا .

عبد ربه دسوقى ـ رشيد ، ج.م.ع

ـ لا ريب أن اليابان تحتل المرتبة الأولى في صيد الأسماك في العالم . والمقياس هنا هو كمية الصيد السنوى او قيمته . واليك فيما يلى آخر احصاء في هذا الصدد .

الدول المتفوقة فى صيد الأسماك فى العالم

	كمية الصيد سنة ١٩٦٨	القيمة بالدولار
كندا	... ٤٩٠ ١ طن	... ١٣٤ ١٦٩
الشيلى	... ٣٧٦ ١ طن	... ٢٨٧ ٢٧
الدانمرك	... ٤٦٧ ١ طن	... ٤٩٢ ١٠٠
فرنسا	... ٧٩٤ طن	... ٣٢٨ ٢٣٩
الهند	... ٥٢٦ ١ طن	... ٢٠٠ ١٨٦
اسرائيل	... ٢٦ طن	... ٢٢٢ ١٤
ايطاليا	... ٣٦٣ طن	... ٦٧٥ ١٨٣
اليابان	... ٦٧٠ ٨ طن	... ٨٥١ ٩٥٢
النروج	... ٨٠٤ ٢ طن	... ٧٦٠ ١٤٦
الباكستان	... ٤٢٤ طن	... ٤٦٧ ١٧٢
البرو	... ٥٢٠ ١٠طن	... ٠٤٦ ١٢٤
الفيلبين	... ٩٤٥ طن	... ٤٦٣ ٣٦٩
اسبانيا	... ٥٠٣ ١ طن	... ٧٩٤ ٣١٣
فرموزه	... ٥٢٧ طن	... ٢٠٧ ١٢٧
المملكة المتحدة	... ٠٤٠ ١ طن	... ٢٦١ ١٥٤
الولايات المتحدة	... ٤٤٢ ٢ طن	... ١٤٤ ٤٣٩
الاتحاد السوفياتى	... ٠٨٢ ٦ طن	
الصين	... ٨٠٠ ٥ طن	

السفن والقوارب التجارية

الاتحاد السوفياتي ١٣٥٠ سفينة ١٠ملايين طن ساكن
الولايات المتحدة ...١٠ سفينة ١٤ مليون طن ساكن

ويعتبر أسطول الصيد السوفياتى أسطول الصيد الاول في العالم ولا يعرف بالضبط عدد





قطعه . ولعلهم يغفلون ذلك نظرا لأعمال التجسس التى يقوم بها هذا الاسطول الا أن المعروف أنه أكبر من الأسطول الامريكى ويبلغ ٣ أضعاف الأسطول اليابانى .

على أن اليابان ليست الدولة الاكثر تقدما في صناعة صيد الاسماك،من حيثهى صناعة. فهذه مرتبة كان الاتحاد السوفياتى يستأثر بها منذ حين ، وقد حرص على جعل أسطول صيده في الطليعة ، لا بعدد قواربه فحسب ، وانما بحداثة هذه القوارب وحسن تجهيزها أيضا (انظر الاحصائية) . وهكذا تطورت صناعة صيد الأسماك لدى الروس تطورا كبيرا جعلها بحق من صناعات القرن العشرين ، وهى التى لا تزال على مستوى العصور الحجرية لدى الكثيرين . وحسبنا أن نذكر أن المصاريف التأسيسية (الخاصة برأس المال) التى تنفقها موسكو في سبيل تحسين أسطول صيدها ، وتكبير حجمه ، لا تقل عن ١٥٠٠٠٠٠٠٠ جنيه استرلينى سنويا . لا غرابة اذن ان بلغ هذا الاسطول من الكفاية مبلغا عظيما .

ويتألف أسطول الصيد السوفياتى من مجموعات عديدة ، شأنه في ذلك كشأن الأسطول الحربى وتتكون المجموعة الواحدة من عدة قوارب ، بعضها معد للصيد في المياه الساكنة ، وبعضها الآخر مجهز للصيد في مياه التيارات . هذا بالاضافة الى الصيد بواسطة المضخات الكبيرة الماصة .

وقل مثل ذلك في أنواع السمك . فقوارب المجموعة الواحدة من الأسطول السوفياتى مهيأة بمجموعها لصيد سمك السردين وسمك الهرنج وسمك الطونة وغيرها . ولو ذكرنا أن صيد النوع الواحد من هذه الأسماك يختلف كثيرا عن صيد النوع الآخر بحيث أن القوارب المعدة لصيد أحد تلك الأنواع لا تتمكن في الغالب من صيد نوع آخر في الوقت نفسه ، لو ذكرنا ذلك لأدركنا ميزة هامة من مزايا أسطول الصيد السوفياتى . والطراز الاكثر شيوعا بين قوارب هذا الأسطول هو طراز تروبك Trcpik ويليه طراز اتلانتيك . ويستطيع قارب التروبك أن يعمل طوال ٦٠ يوما ويقطع مسافة ١٥٨٠٠ ميل بحرى ، اذا عمل منفردا وبمعزل عن سائر قوارب مجموعته . ويبلغ محصول هذا القارب من السمك المصنع Processed وشتى المنتجات السمكية نحو ٥٧٠٠ طن سنويا .

ذلك أن أسطول الصيد السوفياتى لا يقوم بأعمال صيد الأسماك فقط وانما بأعمال تصنيع تلك الأسماك أيضا . فسمك السردين وسمك الطونة مثلا يتم تعليبه في قوارب الصيد نفسها وهى في عرض البحر بحيث يكون جاهزا للبيع أو التصدير لدى عودة تلك القوارب الى أرض الوطن .

وتقوم ببعض هذه الاعمال الصناعية قوارب الصيد نفسها . الا أن أكثرها وأهمها تقوم به السفن الصناعية ، بل المصانع العائمة التى تمثل المحور في المجموعات التى سبقت الاشارة اليها بأنها يتكون منها أسطول الصيد السوفياتى . وقد يزيد وزن الواحدة من هذه السفن الصناعية الأم على ١٦٠٠٠ طن .

(ى. ز)



٣٠٠٠ طالب من ٧٢ دولة يدرسون في الازهر

● نسمع كثيرا عن الازهر .. ونعلم أن هناك عددا كبيرا من الطلبة يفدون اليه من كافة أنحاء العالم ليدرسوا فيه . فهل لكم في افادتنا عن عدد هؤلاء الطلبة وكذلك أن تذكروا لنا نبذة سريعة عن تاريخ انشاء هذه الجامعة الاسلامية العريقة .. ؟

محمد فايد ـ تلمشا ـ الفيوم ـ ج.م.ع

ـ يبلغ عمر الأزهر الآن اكثر من الف عام . فقد وضع حجر الأساس جوهر الصقلى في بداية العهد الفاطمى في مصر وذلك في عام ٩٧٠ ميلادية . وقصد من بنائه في أول الأمر أن يكون مسجدا . وفي عام ٩٧٧ اكتمل بناء المسجد ولكن مهمته التعليمية كجامعة اسلامية لم تبدأ الا في عام ٩٩٢ م ، اى بعد اكتمال بنائه بستة عشر عاما . ومنذ ذلك التاريخ وهذه الجامعة الاسلامية تقوم برسالتها في تخريج علماء الفقه والشريعة واللغة لا في مصر وحدها ولكن في كثير من البلاد العربية والاسلامية .

ويدرس في الأزهر الشريف الآن حوالى ٣٠٠٠ طالب من ٧٢ دولة مختلفة من بينها دول افريقية واسيوية واوروبية وامريكية جنوبية . وقد خصصت لهم الحكومة المصرية مساكن تابعة للأزهر اطلق عليها اسم مدينة البعوث الاسلامية . وهى تقع على مساحة ٢٨ فدانا وبها عمارات سكنية تتسع لعشرة آلاف طالب ، وهى كذلك مزودة بملاعب رياضية واستاد . ويقبل هؤلاء الطلبة على دراسة العلوم الاسلامية واللغة العربية في الأزهر الشريف وذلك لكى يعودوا الى بلادهم حيث يقومون بتدريس الاسلام لأهلهم على اسسه السليمة . هذا ومن المعروف أنه قد تم انشاء كليات علمية حديثة تابعة لجامعة الأزهر منها كليات الطب والهندسة والعلوم .

(م . ط)

يوحنا المَعْمدان، ويوحنا الحوارى أو الرسول

● نسمع أن السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، تلقى المعمودية على يد يوحنا المعمدان ، وبين الاناجيل المسيحية انجيل يسمى « انجيل يوحنا » يروى سيرة السيد المسيح الى ما بعد ارتفاعه ، فهل امتد العمر بعد ذلك بيوحنا حتى كتب هذا الانجيل ؟

حمه امين شيخ على ـ كركوك ـ العراق

ـ هما شخصان لا شخص واحد ، وكلاهما يسمى « يوحنا » ، ولكن لكل منهما لقبه الذى يميزه عن الاخر : فاقدمهما يلقب « المعمدان » والثانى يلقب « الحوارى » ، وكلاهما يهودى ، وقد اشتهر اولهما بين قومه اليهود ثم بين غيرهم بلقبه المَعْمَدان Jonan the baptist (ولعل من الافصح أن يكون لقبه « المعمّد » ، وهى الصيغة الصحيحة لاسم الفاعل من « عمّد » بدلا من الصيغة السريانية المشهورة « المعمدان » بزيادة الف ونون ، وليست هى صيغة للتثنية ، بل للنسبة كما تجرى على ذلك كثير من اللغات بين سامية وآرية) .

وقد ذكر يوحنا في القرآن الكريم باسم «يحيى» وذكر ابوه زكريا في أوائل سورة « مريم » اذ جاء في الآية « يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سَمِيّا » ولذلك يعرف في التراث الاسلامى باسم « يحيى بن زكريا » .

وقد انجبه ابواه الصالحان بعد أن تقدمت بهما السن ، وحملت به امه اليصابات قبل بضعة شهور من حمل السيدة مريم بابنها المسيح ، فبينهما تقارب في المولد ، وبينهما كذلك قربى في النسب .

وقد عرف منذ صباه الباكر بالتقوى وقوة



النزعة الدينية ، فتعمق في دراسة التوراة وغيرها من المأثورات اليهودية حتى صار حجة فيها ، وسيرته تنبيء عن صلابة شخصيته وحدة مزاجه ، وشجاعته في الحق وزهده في الدنيا ، وكانت دعوته اسبق من دعوة السيد المسيح ، ورائدة لها في جملتها ، وقد ظهرت نبوته قبل بلوغه الثلاثين فجاهر بين قومه بالدعوة الى الله ، وحثهم على التوبة من خطاياهم التي كانوا فيهـا غارقين ، وكان شعاره أو شعيرته في ذلك ان «يعمد» الداخلين في دعوته ، ويرى ـ مخالفا في ذلك لغيره من دعاة الاصلاح في أيامه ـ انه يكفى المرء أن يعمد مرة واحدة ، ومن مظاهر زهده انه كان يلبس مَسْحا من الشَّعَر ، ويقتات بالجراد الجاف ، وعسل النحل في البرية ، ويقف بجوار نهر الاردن لتعميد المستجيبين لدعوته ، ومن هذا التعميد(الاغتسال) او العماد او المعمودية ، اكتسب لقبه المعمدان ، وقيل ان هذا اللفظ مرادف للفـظ اليونانى « اسين » بمعنى الاغتسال ، ولذلك يقال له ايضا يوحنا المغتسل ، ويسمى أتباعه « المغتسلة » أو « المغتسلين » .

وقد انتهت به دعوته الى السجن ، ثم قتل في سجنه قتلة شنيعة ، بقطع رأسه ، وهنا تقدم السيد المسيح فحل محله في دعوته ، ولم يرهبه مصير يوحنا التعس ، فانضم اليه كثير من أتباع يوحنا ، بعد أن بحثوا عمن يحل محله فلـم يجدوا ، لم وجدوا دعوة السيد المسيح امتدادا لدعوة يوحنا في الاصلاح ، وان كانت شخصية السيد المسيح تتسم بالوداعة والاناة ، كما أنه كان يعيش بين الناس ويخالطهم ، على حين كان يوحنا يعيش مستوحشا في البرية .

اما يوحنا الآخر فهو صياد من الجليل ، وكان هو واخوه يعقوب (ابنا زبدى) ممن استجاب لدعوة السيد المسيح أول ظهورها ، وكانا من حوارييه الاثنى عشر الذين يسمون في المسيحية « الرسل » وهم « الحواريون » ولذلك يلقب يوحنا هذا « الرسول » او « الحوارى » وكان السيد المسيح يحبه ويصطفيه ،حتى انه استودعه امه السيدة مريم قبل انتهاء حياته الارضية ، وقد نفى عقب ذلك في الايام الاولى لاضطهاد المسيحية ، وذهب الى افس ، وبقى يبشر بالمسيحية ،حتى ادركته الشيخوخة فمات هناك.

اما كاتب الانجيل المسمى « انجيل يوحنا » فقد اختلف فيه هل هو يوحنا الرسول ، أم هو يوحنا ثالث ، كما اختلف في السنة التي دون فيها هذا الانجيل، فذكرت هذه السنوات لتدوينه: ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٨٩ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٨ ، وكلها بالضرورة بعد الميلاد .

وفي آخر العهد الجديد سفر يسمى « رؤيا يوحنا اللاهوتي » ، وهذا كله موضوع دراسات تاريخية لاهوتية ، ولهذه الدراسات وجهات نظر عقائدية ليس من شاننا هنا ان نخوض فيها .

(م. خ. ت)

أسرع قطار فى العالم بلغت سرعته ٣٢٢ كيلومتر فى الساعة

● اين يوجد أسرع قطار في العالم وكم تبلغ سرعته ؟!

عبد الجبار الحسين ـ بغداد

ـ لا ريب أن أسرع قطار في العالم هو قطار توكايدو اكسبريس في اليابان . فهو يستطيع الانطلاق بسرعة ١٥٠ ميلا اي نحو ٢٤٠ كيلومتر في الساعة . وهذه سرعة كبيرة تفوق سرعة الطائرة في ايامها الأولى .



على أن حكمنا هذا يشمل القطارات العادية قطارات السكك الحديدية ، ولا يصدق على انواع جديدة من القطارات . فسيكون في استطاعة هذه القطارات المحدثة الانطلاق بسرعة كبيرة تبلغ في المتوسط ٣٠٠ كيلو متر ، وتصل احيانا الى ٧٥٠ كيلومتر ، دون أن تتعرض للمخاطر التي تحدق بالقطارات التقليدية .

ونذكر من هذه القطارات الجديدة القطار المغناطيسي ، وقطار الوسادة الكهربائية ويعتبر هذا القطار الاخير في طليعة القطارات الجديدة وذلك لا بسبب السرعة فقط ولكن بسبب الامن ايضا .

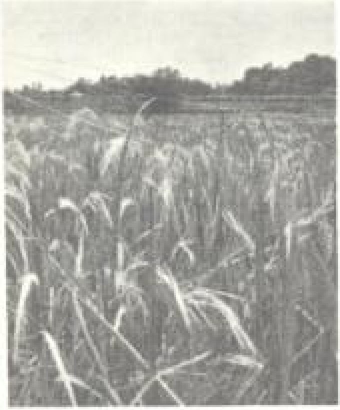
ولو أنت نظرت الى هذه القطارات الهوائية لحسبت أنها تسير على قضيب حديدي واحد ، وانها لا تختلف كثيرا عن القطارات القديمة التي تسير على قضيبين . غير أن القضيب التي ترى مكسو بطبقة أو وسادة من الهواء هي التي تحمل القطار وتجعله اكثر شبها بالطائرة منه بقطار السكة الحديد او السيارة .

ويؤكد الكثيرون بان القطارات الهوائية ستحدث ثورة خطيرة في حياة الانسان المعاصرة . ويصدق هذا بخاصة على تلك القطارات الهوائية المعدة للسير فوق اليابسة وفوق سطح الماء معا ، (البرمائية) . وحسبنا ان نذكر ان القطارات التقليدية ستلقى ان اجلا أو عاجلا وأن القطارات الهوائية ستطغى لا على السفن فحسب ولكن على الطائرات أيضا . فهي تضاهي الاولى اتساعا

٤ دول عربية تزرع الأرز

● تحدثتم عن انتاج الدول العربية من مختلف المواد ، ولكنكم لم تذكروا لنا شيئا عن انتاجها من الارز ... فهل عندكم ما يفيدنا ؟

احمد النطرينى ـ حلب



ـ انتاج الأرز في الوطن العربى ، كان خلال الأعوام ١٩٦٧/٦٤ كالآتى :

(القيمة مقدرة بالألف طن مترى)

البلد	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧
العراق	١٨٫٤	١٧٫٨	١٨٫٢	٣٠٫٨
سوريا	١	٢	٢	٢
مصر	٢٠٣٦	١٧٨٨	١٦٧٩	٢٢٧٩
المغرب	٢١	١٧	٢٧	٢٧

اى ان مجموع انتاج الدول العربية بلغ حوالى ... ٢٣٣٩ طن مترى في عام ١٩٦٧ تنتج منه جمهورية مصر ـ بمفردها ـ ما يوازى ٨٥٪ من المجموع .

(س . ز)

ورخصا ولا تقل عن الثانية من حيث السرعة الفعلية ذلك أن القطارات الهوائية في غير حاجة الى اقلاع أو هبوط وفي غنى عن المطارات . ولو أخذنا بعين الاعتبار الوقت الذى يضيعه ركاب الطائرات في الانتظار في المطارات وفي الانتقال بين هذه التى غالبا ما تكون بعيدة ، وبين المدن ، لأدركنا المقصود بالسرعة الفعلية ، وبتفوق قطارات الهواء على الطائرات في هذه السرعة . اضف الى ذلك أن قطارات الهواء ما زالت في مراحلها التجريبية الأولى وأن الزمن والاستعمال كفيلان بمضاعفة السرعة القصوى التى يمكن لهذه القطارات الانطلاق بها .

وجدير بالذكر أن أول مركبات سارت على وسادة هوائية كانت مركبات بحرية ومن صنع الانجليز . وقد أسهم الفرنسيون بنصيب كبير في تطبيق مبدأ الوسادة هذا على القطارات ، وكانوا أول من صنع القطار الهوائى ،قطار برتن Bertine وقد اقاموه لأغراض التجربة بين باريس وأورليانز ، وهى مسافة تبلغ نحو ١.٥ كيلو متر ويقطعها قطار برتن هذا بنحو ٢٥ دقيقة أى أن سرعته تبلغ في المتوسط ٢٢٥ كيلومترا في الساعة ، وفي حدها الاقصى نحو ٣٢٢ كيلومترا في الساعة .

ولحق اليابانيون بالفرنسيين فهم ماضون في بناء شبكة اسمها توكايدو ايضا ، ومعدة لقطارات من الانواع الجديدة تبلغ سرعتها ٧٥٠ كيلومتر في الساعة أو تزيد .

ومن طريف ما يذكر أن بعض القطارات الجديدة اليابانية والأوروبية ستسير أوتوماتيكيا . أى أن القطار سيسير بسرعته الكبيرة التى ذكرنا تنقصها أو تزيدها ، وينحرف في سيره يمينا أو يسارا دون حاجة الى سائق . فذلك كله سيتم في غرفة العمليات الالكترونية التى ستقام بعيدا في محطة القطار الرئيسية . ولن تحتاج هذه الغرفة الى اكثر من رجلين أو ثلاثة للاشراف فقط وسيكون في مقدورها تسيير ما يزيد على ٧٠٠٠ قطار في آن واحد . ولا يخفى الصلة الوثيقة بين هذه التطورات والمبتكرات وبين منجزات أبحاث الفضاء .

■■

(ى . ز)

طرائف

غيرة

● روى ان النبى صلى الله عليه وسلم صعد المنبر يوما فقال : ان بنى هشام بن المغيرة استاذنونى ان ينكحوا فتاتهم على بن ابى طالب ، الا فلا آذن، ثم لا آذن ثم لا آذن الا ان يحب ابن ابى طالب ان يطلق ابنتى فاطمة وينكح فتاتهم . ان فاطمة بضعة منى ، يريبنى ما رابها ، ويؤذينى ما اذاها .

خصال حميدة

● اجتمع عدد من الحكماء عند انوشروان فقال : ليتكلم كل واحد بكلمة نافعة . فقال احدهم : الصمت المصيب ابلغ حكمة . وقال الآخر: تحصن الأسرار انفع راى . وقال الثالث : لا شيء انفع للرجل من المعرفة بقدر ما عنده من الفضل

فطر على البذل

● حكى انه لما مات حاتم الطائى تشبه به أخوه ، فقالت له امه : يا بنى اتريد ان تحذو حذو اخيك ، فانك ان تبلغ ما بلغه ، فلا تتعبن فيما لا تناله . فقال : وما يمنعنى ، وقد كان شقيقى وأخى من امى وابى ؟ فقالت : انى لما ولدته، كنت كلما أرضعته ، أبى ان يرضع حتى آتيه بمن يشاركه فيرضع الثدى الآخر، وكنت اذا ارضعتك ودخل صبى بكيت حتى يخرج !!

الاسماء الحسنة

● قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: احبكم الينا يا معشر المسلمين احسنكم اسماء ، فاذا رايناكم فاجملكم منظرا ، فاذا اختبرناكم ، فاحسنكم مخبرا .

وقيل ان الرشيد خرج يوما يتنزه مع لفيف من اصحابه، فراى سعيد بن سلم . فقال : من ؟ قال : سعيد أسعدك الله ، قال ابن من ؟ قال ابن سلم سلمك الله . قال ابو من ؟ قال : ابو عمرو عمرك الله. فقال : بارك الله عليك ، واكرمه .

نربح الاجرة

● اراد احدهم ان يستاجر منزلا من احد البخلاء ، فلما حضر الرجل للمعاينة سأل صاحب البيت قائلا : أين المطبخ ؟ فقال : فى الجيران من يطبخ لك . قال : اين المخبز ؟ قال : سمعت ان جارك فلان قد صنع تنورا جديدا وهو لا يمانع ان تخبز عنده . قال : فأين المرتقى الى السطح ؟ قال : امام باب البيت ساحة نظيفة يطيب النوم بها . قال : ان كانت حوائج المنزل كلها خارجه فنحن خارجون ونربح الأجرة .

عربية

أجود الجياد

● سأل الحجاج ابن القرية : ما يحمد من الخيل ؟ فقال : اذا كان قصير الثلاث، طويل الثلاث ، رحب الثلاث ، صاق الثلاث ، فهو الجواد . اما القصير الثلاث، فالعسيب والساق والظهر ، واما الطويل الثلاث فالاذن والنحر والسالفة، واما الرحب الثلاث فالمنخر والجوف واللبابة ، واما الصاق الثلاث ، فالاديم والعين والحافر .

وحسن الاجتهاد في طلب ما هو مستحق له . وقال الرابع الاحتراز من كل احد احرز راى . وقال الخامس : لا يروح المرء على نفسه بمثل الرضا بالقضاء . فقال انو شروان : كل قد قال فأحسن ولا خلاص لأحد الا التثبت للاختيار ، والاعتقاد للخيرة .

اسمه عجيب

● خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع جماعة من اصحابه الى البادية للصيد والقنص . فلقيهم احد الأعراب . ممتطيا جوادا اشهب . فأوقفه عمر وقال له : ما اسمك ؟ قال : شهاب ، قال ابو من؟ قال : ابو جمرة . فقال من انت ؟ قال : من بني حرقة ثم من بني ضرام . قال ابن مسكنك ؟ قال : في ذات لظى قال : ما اسم جوادك . قال : سعير . قال : ادرك أهلك قبل أن يحترقوا .

★ ★ ★

الاحتجاج اقرب للخلاص

● قيل ان المنصور اشخص رجلا من الكوفة ، سعى به ان عنده اموالا لبني امية ، فلما مثل بين يدي المنصور قال : ايها الرجل اخرج الينا من ودائع بني امية التي عندك . فقال : اوارثهم انت يا امير المؤمنين أم وصيهم ؟ قال : لا . قال : فلم ادفع اموالهم اليك ؟ قال : ان بني امية خانوا المسلمين وانا القائم بامرهم . قال : هل لديك بينة ان هذا المال من تلك الخيانات ؟ فقد كان للقوم اموال من وجوه شتى . فان ثبت على شيء حكم الخيانة خرجت منه . فاطرق المنصور ساعة ثم قال : يا ربيع خل الرجل . فقال الرجل : ما عندي مال . ولكن رايت الاحتجاج اقرب الى الخلاص، فان رأى امير المؤمنين ان يحضر خصمي فلعله يفلجني بالحجة . فان في مالي سعة . فبعث المنصور الى الساعي ، فأحضره ، فقال : الرجل : يا امير المؤمنين ، ان هذا الساعي عبد لي آبق ، وقد سرق لي مالا ، فهدده فاعترف .

كتاب الشهر

التغلغل الإسرائيلي

بقلم : رياض القنطار

عرض : الدكتور محمود السمره

■ تمردت أوغندة أخيرا على التغلغل الاسرائيلي الشرس في مرافقها المختلفة ، وهو تغلغل استحال الى نوع من الاستعمار المقنع . ولكن هناك بلاد افريقية عديدة، فيها لاسرائيل نفوذ مثل ذاك الذى كان لها في أوغنده .

ما مدى هـذا التغلغل الاسرائيلي في البلاد الافريقية ؟

وكيف نستطيع مجابهته ؟

هذا هو موضوع هذا الكتاب .

افريقية تحقق لاسرائيل اطماعا معينة

لقد جهد الصهاينة، قبل قيام اسرائيل وبعده، وقبل استقلال البلاد الافريقية وبعده ، من أجل أن تكون علاقتهم بالافريقيين علاقة جيدة ، ذلك من أجل كسب الأصدقاء المؤيدين لها في المحافل الدولية ، ولتكون افريقية سوقا للمنتجات الاسرائيلية ، ومنطقة نفوذ تستطيع منها اسرائيل أن تثب على البلاد العربية من الخلف .

وهكذا نرى مدى الخطر الذى يكمن وراء تغلغل اسرائيل في افريقية .

الظروف والعوامل التى هيات لاسرائيل فرصة التغلغل في افريقية

وهناك عوامل عدة ساعدت اسرائيل على أن تتغلغل في البلاد الافريقية :

واول هذه العوامل الدول الغربية التى كانت مستعمرة لافريقية : فهذه الدول عند بداية استعمارها انتقل منها يهود من مواطنيها ،واحتلوا مراكز مرموقة في البلاد الافريقية في الاقتصاد والادارة ، وكان هؤلاء من الدعائم التى قام عليها النفوذ الاسرائيلي في هذه البلاد . يضاف الى هذا أن الدول الغربية المستعمرة فتحت ابواب مستعمراتها الافريقية امام اسرائيل ، وسدتها في وجه الدول العربية .

وبعد أن استقلت الدول الافريقية تبنت معظمها وجهة النظر الاسرائيلية لأسباب عدة ، منها ما ذكرناه سابقا ، ومنها أن الزعماء الافريقيين الذين تولوا مناصب القيادة في بلادهم بعد الاستقلال كانوا من الذين درسوا في الغرب ، وعرفوا عن اسرائيل والصهيونية ما كان ينشر في صحفه وكتبه، وكلها تقريبا تعرض وجهة نظر واحدة ، هى وجهة



نظر الصهاينة ، ولم يكونوا يعرفون شيئا عن وجهة النظر العربية ، لغياب من يعرض وجهة النظر هذه .

وثالث هذه العوامل التى مهدت للتغلغل الاسرائيلى ، ان الدول الافريقية بعد استقلالها ، وجدت نفسها محتاجة للمساعدات في الميادين الفنية والادارية والعلمية والاقتصادية . وقد استغلت اسرائيل هذه الحاجة الى اقصى حد ، فتقدمت من هذه الدول مادة يديها بالمساعدات ، التى ليس فيها شروط ولا قيود ولا التزامات في الظاهر . ومما سهل على اسرائيل مثل هذا التغلغل في البلاد الافريقية ، غياب الوجود العربي على الارض الافريقية ، رغم ان ست دول عربية واقعة في افريقية .

وقد عبر عن سياسة اسرائيل هذه ، الكاتب الصهيونى آموس بن فريد Amos Ben Vered فقال معلقا على برنامج المعونة الفنية لافريقية : « ان هذه الروابط مع افريقية هى التى ستمكننا من القفز فوق السور العدائى الذى اقامه العرب حولنا .»

وقال بن جوريون في خطاب القاه في المؤتمر الصهيونى العالمى الذى عقد في ٢٨ (ديسمبر) ١٩٦٠ : « اننا لا نستطيع أن نكره جيراننا العرب على عقد سلام معنا ، ولكن كسبنا لمزيد من الأصدقاء بين دول الافريقية واسية ، هو الذى سيؤدى الى السلام في النهاية . » .

وسائل اسرائيل للتغلغل فى افريقية

وقد سلكت اسرائيل عـدة سبل للتغلغل في افريقية ، منها :

الاعتراف الفورى بالدول الافريقية عند استقلالها ، واجراء المحادثات لاقامة علاقات دبلوماسية معها . وكثيرا ما كان سفراء اسرائيل ، أو رؤساؤها ، يتعرضون للاهانات من الافريقيين ، ولكنها كانت تغض النظر عن ذلك ، من أجل تحقيق أهدافها . ومثال ذلك ان الرئيس الغانى الراحل كوامى نكروما اقام حفلة تكريمية لرؤساء الدول الافريقية بمناسبة حضورهم مؤتمر القمة الثالث الذى عقد في أكره في ١٩٦٥/١٠/٢٢ ، وكان سفير اسرائيل في غانه بين المدعوين الرسميين . وبسبب هذا امتنع الرؤساء الافريقيون العرب عن حضور هذه الحفلة ، فما كان من المسئولين الغانيين الا ان طلبوا من سفير اسرائيل مغادرة الحفلة . وهكذا كان . وحضر الرؤساء العرب الحفلة . ولم يصدر عن اسرائيل اى رد فعل على هذه الاهانة . واسرائيل ترسل بعثاتها الدبلوماسية الى الدول الافريقية ، حتى وان لم تبادلها تلك الدول التمثيل الدبلوماسي ، ولم تتجاوب معها . وتقدر البعثات الدبلوماسية الافريقية في اسرائيل بثلث البعثات الدبلوماسية الاسرائيلية في افريقية .

ومن وسائل اسرائيل في توثيق علاقتها بالدول الافريقية ، توجيهها الدعوات الى الشخصيات المرموقة في ميادين السياسة والصحافة والفن والأدب والرياضة ، حيث يزورون اسرائيل ويطلعون على منجزاتها في ميادين الزراعة والصناعة والسياسة . وتحيطهم أثناء زيارتهم بأسباب الترفيه والعناية ، وتقوم بعملية غسل لأدمغة هؤلاء الزوار .

ومن وسائل اسرائيل أيضا : الاشتراك في المعارض الدولية التى تقام في الدول الافريقية ، أو التى تشترك فيها هذه الدول ، وانشاء الغرف التجارية المشتركة ، وعقد الاتفاقيات التجارية ، والاتفاقيات الجمركية ، والالتزام بتنفيذ مشروعات التطوير والتنمية كشق الطرق ، واقامة الابنية الرسمية ، والمطارات ، وتشييد الفنادق ، وتنفيذ

مشاريع الري ، واقامة المزارع الجماعية على غرار الكيبوتز والموشاف .

وتقوم اسرائيل بتقديم المنح الدراسية ، والدورات التدريبية للافريقيين ، وقد بلغ عدد الافريقيين الذين استفادوا من هذا البرنامج اربعة آلاف ، حتى منتصف سنة ١٩٦٤ . وقد اسس الهستدروت (الاتحاد العام للعمال اليهود في اسرائيل) بتاريخ ١٨/١٠/١٩٦٠ « المعهد الافرو اسيوى للدراسات العمالية » ، ويتحمل هذا المعهد نفقات الطلبة الافريقيين والآسيويين الذين يأتون الى اسرائيل للدراسة او التدريب .ويتلقى هذا المعهد مساعدات مالية من « اتحاد العمال الامريكى » و « اتحاد عمال السيارات الامريكى » والمنظمات العمالية في كل من بريطانيا والسويد وهولنده . وقد خصص لاسرائيل اكثر من ٥٠٪ من المحاضرات التى تلقى في هذا المعهد ، بحيث لا يعود هؤلاء الشباب الى بلادهم الا وقد غسلت ادمغتهم تماما .

وليس هذا المعهد سوى حلقة في سلسلة من معاهد أخرى انشئت لهذه الغاية ، منها : مركز التدريب للمدرسين في حقل التوجيه المهنى في « ناتانيه » بفلسطين المحتلة ، ومركز تدريب المدرسات في حقل الخدمة الاجتماعية بحيفا ، ومعهد وينجت Wingate للمدرسين في حقل التربية البدنية .

وهناك ايضا برامج تدريس وتدريب للافريقيين في الجامعات ، ومؤسسات التعليم العالى ، مثل برنامج الجامعة العبرية وكلية هداسا الطبية في القدس ، وبرنامج كلية التخنيوم بحيفا لتدريس الهندسة ، والبرامج العلمية التى يقدمها معهد وايزمن للعلوم .

وبالاضافة الى هذا فان الافريقيين يتلقون في اسرائيل تدريبا عسكريا في منظمة « الجادنه » التابعة لوزارة التربية والتعليم ، « والناحال» التابعة للجيش الاسرائيلى . وترسل اسرائيل الى البلاد الافريقية الخبراء لتدريب الجيوش الافريقية. ولا تكتفى بهذا ، بل ترسل اليها الخبراء من كل نوع . وتقول المصادر الاسرائيلية انه قد تم حتى سنة ١٩٦٥ ايفاد (٧٥٠)خبيرا الى البلاد الافريقية .

الاعلام الاسرائيلى فى افريقية

والاعلام ، كان وما زال ، من الأسلحة الفعالة التى تستخدمها اسرائيل في معركتها التى تخوضها ضدنا . وقد جندت له كل ما استطاعت من امكانات ، وحشدت له من الطاقات الكثير . وهي بالاضافة الى وسائل الاعلام المختلفة التى تسيطر عليها في الغرب،وجهت اعلاما مباشرا الى افريقية، وسخرت الاقلام الافريقية للدعاية لها ، سالكة في سبيل ذلك كل السبل الممكنة .

وتستطيع أن تقول ان اسرائيل استخدمت الوسائل التالية في اعلامها في افريقية ، وهي : اجهزة الاعلام الجماهيرية ، والمنظمات الدولية غير الحكومية ، والاتصال الشخصي . وكانت نتيجة هذا ان بدت صورة اسرائيل للافريقيين زاهية جذابة ، وصورة العرب كريهة منكرة .

اما أجهزة الاعلام الجماهيرية في افريقية ، من صحافة واذاعة وتلفزة وسينما ومسرح ، فقد عمدت اسرائيل الى السيطرة عليها ، لتسخيرها لأغراضها . فاذا قامت شخصية اسرائيلية بزيارة لبلد افريقى ، هبت أجهزة الاعلام هذه مشيدة بالعلاقات بين البلدين ، ومبرزة أخبار هذه الشخصية واحاديثها ومقابلاتها في الصفحات الاولى .

وتسللت الدعاية الاسرائيلية الى الافريقية عن طريق المنظمات الدولية غير الحكومية : ومثال ذلك ان اتحاد عمال اسرائيل (الهستدروت) على علاقة وثيقة باتحادات العمال في افريقية ، ولحزب « الماباى » الحاكم علاقات مع الاحزاب الافريقية . وعن هذا الطريق استطاعت اسرائيل ان تنفذ الى مراكز القوى في البلاد الافريقية . وقد ورد في مذكرة احدى السفارات العربية في افريقية ما يلي : « ان محاولة اسرائيل التغلغل في صفوف النقابات العمالية الافريقية ، وربط الحركة العمالية في هذه القارة بالمنظمات العمالية الاسرائيلية ، لامر خطير يستحق من الدول العربية اهتماما جديا ، وعملا منظما ، لمكافحة الاخطبوط الصهيونى الذى تمتد اذرعه الى شتى نواحى حياة الشعوب الافريقية يوما بعد يوم ، وشهرا بعد شهر ، انها ، والحق يقال ، لم تترك ميدانا واحدا لم تدخله ، وتوجهه الى ما يتفق واغراضها الخبيثة » .

واستغلت اسرائيل الاتصال المباشر بالافريقيين بصورة فعالة جدا ، وذلك عن طريق تأسيس جمعيات الصداقة المشتركة في البلاد الافريقية ،

وعن طريق توجيه دعوات الى شخصيات بارزة لزيارتها .

ان كل هذه الاساليب التى لجات اليها اسرائيل للتغلغل في افريقية ، هي التى جعلت رئيس جمهورية نيجيرية يقول في خطاب له بمناسبة تقديم سفير اسرائيل اوراق اعتماده : « ان اسرائيل هي مصدر الهام لنا » .

وهذه الدعاية الاسرائيلية في افريقية ، هي التى دفعت وزير خارجية نيجيرية الى ان يقول على اثر فوز المغرب بعضوية مجلس الامن : « ان العرب ليسوا افريقيين » .

وهذا يعني أن الدعاية الاسرائيلية لم تنجح فقط في جعل اسرائيل مقبولة لدى الافريقيين ، بل جعلت الافريقيين ايضا يناوئون العرب ويتبنون التهم الباطلة التى تسوقها اسرائيل ضدهم .

مجابهة التغلغل الاسرائيلى فى افريقية

لقد حاولت الدول العربية ان تقف في وجه التغلغل الاسرائيلي في افريقية ، وتحد منه ، وسلكت لذلك عدة سبل منها : اشتراكها في المؤتمرات الدولية . والمؤتمرات الاسيوية الافريقية . ففي سنة ١٩٥٥ قام العرب بمجهود ضخم في مؤتمر باندونغ الذى انبثقت عنه كتلة دول عدم الانحياز ، وقد كسب العرب في هذا المؤتمر كثيرا من الاصدقاء . وفي كل مرة كانت تطرح فيها القضية الفلسطينية في المحافل الدولية، كانت تحظى بتأييد دول هذه الكتلة ، بالاضافة الى اصوات دول اخرى آثرت ان تقف الى جانب الحق .

وفي سنة ١٩٦١ عقد « مؤتمر بلغراد » ، وهو اول مؤتمر لدول عدم الانحياز ، وقد اصدر هذا المؤتمر قرارا خاصا بالقضية الفلسطينية اعلن فيه « تأييده لاعادة حقوق شعب فلسطين كاملة ، متددا بالسياسات الاستعمارية التى تتبعها الدول الاستعمارية في منطقة الشرق الاوسط . » وقد وقعت هذا القرار احدى عشرة دولة افريقية .

وبسبب ازدياد وزن الدول الافريقية بحصولها على الاستقلال ، جهدت الدول العربية من اجل تنظيم « المؤتمر الاسيوى الافريقي » الذى عقد في القاهرة سنة ١٩٥٧ ــ ١٩٥٨ . وقد جاء في قرارات هذا المؤتمر تأييد صريح للحق العربي ضد الاطماع الاسرائيلية « وان خليج العقبة هو خليج عربي مغلق ضمن المياه الاقليمية للدول العربية » .

وعقد المؤتمر الثاني للتضامن الاسيوى الافريقى في كوناكرى عاصمة غينية في ابريل (نيسان) ١٩٦٠ ، حيث قرر « ان اسرائيل تنفذ سياسة توسعية استعمارية ، وتشترك في تحقيق الاستعمار الجديد عن طريق التسرب الاقتصادى داخل البلاد المستقلة ، وتجعل من نفسها عميلا للاحتكارات الدولية الضخمة تحت ستار انها بلد صغير لا مطمع له » .

وندد المؤتمر الثالث للتضامن الاسيوى الافريقي المنعقد في فبراير (شباط) ١٩٦٣ باسرائيل والسياسة التى تتبعها داخل فلسطين المحتلة وخارجها ، وورد في احد القرارات : « ان الهجرة الجماعية الى اسرائيل يحشدها الاستعمار والصهيونية لتقوية العدوان . والاحتلال العسكرى الجائم على فلسطين العربية والهجرة مسخران لصالح الاستعمار الجديد والصهيونية . » وابرز المؤتمر الرابع « ان قضية فلسطين لا يمكن ان تحل الا في اطار المخطط العام لتصفية الاستعمار . . » .

وفي سنة ١٩٦٤ شكلت لجنة دائمة في الامانة العامة لمنظمة التضامن الاسيوى الافريقى دعيت « لجنة كفاح شعب فلسطين » لها فروع في جميع انحاء افريقية وآسية .

وهناك وجه آخر من وجوه المقاومة العربية للتغلغل الاسرائيلي هو « مؤتمر الكتاب الاسيويين والافريقيين » هذا المؤتمر يضم النخبة من كتاب آسية وافريقية ، ولهذا فله تأثير بالغ في مواطن هؤلاء الكتاب . وقد قرر اتحاد الكتاب هذا في مؤتمره الثالث الذى عقد في بيروت « ان الوجود الاسرائيلي نظام فاشستي عنصرى ، ولهذا فهو نكسة خطيرة ضد التقدم الانسانى . » .

والوجه الثالث من اوجه مجابهة الدول العربية للتغلغل الاسرائيلي هو « مؤتمر الدول الافريقية المستقلة . » الذى عقد لاول مرة في (اكره) عاصمة غانه سنة ١٩٥٨ ، وكذلك « مؤتمر الدار البيضاء » الذى عقد في المغرب في يناير (كانون الثاني) ١٩٦١ ، وقد فضح هذا المؤتمر اسرائيل « بوصفها اداة في خدمة الاستعمار بنوعيه القديم والجديد ، لا في الشرق الاوسط فحسب ، بل في آسية وافريقية ايضا . . » ودعا الدول الافريقية والاسيوية كافة الى الوقوف في وجه هذه السياسة الجديدة التى يستخدمها الاستعمار لخلق قواعد له .

وفي سنة ١٩٦٣ عقد عدد من الدول الافريقية مؤتمرا في اديس ابابا انبثق عنه « منظمة الوحدة الافريقية . » التي تهدف الى تنسيق التعاون بين الدول الافريقية وتوحيد جهودها . وقد اتيح للعرب ان يقوموا بدور هام في هذه المنظمة لان ست دول عربية هي اعضاء فيها .

ويضاف الى كل هذا النشاط العربي في المؤتمرات ، ان الدول العربية جعلت من سياستها مناصرة الدول الافريقية في كل المؤتمرات ، من اجل نيلها استقلالها .

مكامن الضعف فى المجابهة العربية للتغلغل الاسرائيلى

يرى المؤلف ان مما يؤخذ على المجابهة العربية للتغلغل الاسرائيلي في افريقية ما يلي : افتقارها الى التنظيم والتنسيق وتبعثر جهودها ، وعدم وجود سياسة عربية موحدة ذات اهداف واضحة ، وغياب الاجهزة المتخصصة القادرة على القيام بعملية المجابهة على الصعيدين الاقتصادى والفني .

ويضاف الى هذا : نقص التمثيل الدبلوماسي العربي في الدول الافريقية بالنسبة للتمثيل الاسرائيلي فيها . كما ان البعثات الدبلوماسية العربية اقل تجهيزا من البعثات الاسرائيلية ، من حيث الخبراء والمختصين . ومما يجعل جهد السفراء والقناصل العرب محدودا انهم معتمدون لدى اكثر من بلد افريقي . ونجد في الجانب الاسرائيلي ان السفير مطلق اليد في انفاق المال في الدعاية ، والسفارة مزودة بخبراء في هذا الميدان يقومون بشراء اجهزة الاعلام المختلفة والكتاب عن طريق اغداق المال ، وشراء الذمم .

ولعل من ابرز وجوه الضعف في المجابهة العربية للتغلغل الاسرائيلي في افريقية : ان الدول العربية لاتقدم لهذه الدول الافريقية شيئا يستحق الذكر في ميدان المساعدات الاقتصادية والثقافية والتكنية ، اذا قورن بما تقدمه اسرائيل لها في هذه الميادين . اما الاعلام العربي فلا يمكن مقارنته بالاعلام الاسرائيلي النشيط . وقد ركزت اسرائيل في اعلامها على النقاط التالية : انها دولة محبة للسلام ، وفلسطين وطن اليهود الروحي فهم لم ينسوها ابدا، وهي دولة احالت الصحراء الجرداء الى جنة غناء . وهي ، مثل الدول الافريقية ، كافحت وناضلت من اجل نيل استقلالها من بريطانيا « حيث عادت من جديد لتؤدى وظيفتها الحضارية والقيادية للمجتمع الانساني . » .

والاعلام الاسرائيلي يبرز اسرائيل كدولة حديثة ديمقراطية ، بل انها تدين حتى بالعالمية التى ترفض العنصرية والاقليمية ، وتؤمن ان جميع الشعوب يجب ان تنصهر في بوتقة وجود حضارى مشترك . واسرائيل ايضا في هذا الاعلام دولة عصرية تمثل اقصى مراحل التقدم التكنولوجي والاجتماعي .

هذه هى صورة اسرائيل في هذا الاعلام . وهناك الوجه الآخر له وهو ابراز العرب على انهم قوم متخلفون ، يرفضون التقدم الحضارى ، ونظم حكمهم دكتاتورية متعصبة ، تعامل الاقليات بهمجية ووحشية !!!

ومنذ الستينيات بدا الاعلام العربي ينشط ، حيث افتتحت جامعة الدول العربية عددا من المكاتب الاعلامية . ونستطيع القول ان العرب ، بعد حرب يونيه / حزيران ١٩٦٧ ، بداوا يحصلون من الدول الافريقية على تاييد اكبر من الذى تحصل عليه اسرائيل .

مستقبل المجابهة العربية

ان المجابهة العربية للتغلغل الاسرائيلي في افريقية يمكن ان تكون فعالة ومجدية ، اذا وضعت سياسة عربية موحدة لمواجهة هذا التغلغل وكسر حدته . ومما يساعد على نجاح مثل هذه السياسة الموحدة ان ست دول عربية هي في الوقت نفسه دول افريقية ، واعضاء في منظمة الوحدة الافريقية.

ومن الخطوات العملية التى يمكن ان يتخذها العرب في هذه المجابهة : فتح مكاتب للاعلام في جميع العواصم الافريقية ، تكون لها فروع في المدن الهامة على ان تزود هذه المكاتب بالموظفين الاكفاء في ميدان الاعلام . وتكون لهذه المكاتب سياسة اعلامية عربية موحدة في توضيح القضايا العربية وفي مقدمتها قضية فلسطين ، والرد على المزاعم الاسرائيلية بطريقة علمية وموضوعية ، ومرنة ايضا ، اى باسلوب وعقلية الناس الذين نخاطبهم .

ومن الواجب على الدول العربية ان تعزز التمثيل الدبلوماسي بينها والدول الافريقية كافة، وتضع تحت تصرف سفاراتها الاموال اللازمة

لتتمكن من القيام بواجباتها ، وتحرر السفراء من القيود التى تعوقهم عن اداء مهمتهم على الوجه الاكمل . ومن واجبات الدول العربية ايضا ان تضع برامج للمساعدات الفنية والثقافية والاقتصادية ، ضمن نطاق الخطة العربية لمواجهة التغلغل الصهيونى فى افريقية ، وان تنظم برامج لدعوة اعداد كبيرة من الزعماء الافريقيين والشخصيات ذات النفوذ فى بلادها من اجل تعريفهم بالعرب وبلادهم وقضاياهم . وان تقوم بتشكيل الفرق التجارية العربية الافريقية المشتركة ، وتأسيس جمعيات الصداقة ، وتعبئة الجاليات العربية وتوعيتها وتنظيمها لتصبح اداة فعالة في هذه المجابهة .

نقاط الضعف فى الموقف الاسرائيلى

وهناك نقاط ضعف في الموقف الاسرائيلي يمكن ان يستغلها الاعلام العربي ، منها :

١ ـ الشوفينية : اى التعصب الاعمى دون الاكتراث بالقيم الانسانية ، فالصهيونية قائمة على التمييز العنصرى ، والشعور بالتفوق ، وانكار حقوق الاخرين . وهناك في اسرائيل اليوم تمييز عنصرى حتى بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين . والدليل القاطع على عقدة التفوق والتعصب اللذين يحملهما الصهاينة هو بقاؤهم مئات السنين منعزلين في احيائهم ، لا يختلطون بغيرهم ، اينما حلوا في هذه الدنيا .

٢ ـ التوسعية : وهنا يمكن الرد على ادعاء اسرائيل بانها دولة تريد السلام باقتباس الكثير من اقوال زعماء الصهيونية وكتابها ، وهذه الاقوال لا تترك مجالا للشك في انها طامعة في منابع نهرى الاردن والليطاني وجبل الشيخ ، ومناطق عربية اخرى غير تلك التى احتلتها .

٣ ـ معاداة حركات التحرر : فاسرائيل امتنعت عن التصويت الى جانب تصريحات الامم المتحدة المنددة بالاستعمار ، ولم تصوت ضد جنوبى افريقية في قضية التمييز العنصرى . كما ان الاسلحة الاسرائيلية قد استخدمت في تسليح الجيش البرتغالي العامل في انغوله . ومثل هذه المواقف كثير .

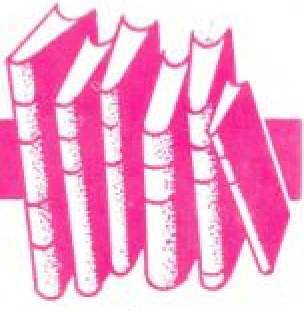
٤ ـ الاجرام والارهاب : وهاتان الظاهرتان قد رافقتا الحركة الصهيونية ، ومثال ذلك اغتيال اللورد موين في القاهرة سنة ١٩٤٤ ، والكونت برنادوت في القدس سنة ١٩٤٨ ، وغيرهما .

ولا يمكن ان ننسى مذابح دير ياسين ، وقبية ، وناحالين ، ووادى عربة ...

وهكذا .

ان خطة المجابهة العربية للتغلغل الاسرائيلي في افريقية لا يمكن ان تنجح الا اذا قامت على التنظيم، والتخطيط ، ووحدة القيادة والتوجيه ، والخطة المدروسة المعتمدة على العلم والعقل والكفاءة في التنفيذ . ■■

محمود السمره



من الكتب التى وصلتنا

الأدب الموجه

تأليف : السيد حسن الشيرازى .

الناشر : دار الصادق ـ بيروت/لبنان .

● كتاب يتناول عدة موضوعات متنوعة في الادب العربي القصد منها التوجيه الحسن وقد عقد المؤلف فيها فصولا بهذه العناوين : اكتب عقيدتك، لا تصف الانحلال ، لا تصف القبيح ، لا تتشاءم ، دع التقليد ، وعناوين اخرى . ويجد القارىء في هذه المقالات ايمانا كبيرا بجمال الصنيع الادبي ، وبقدرة الفن على ان يسهم اسهاما عظيما في تهذيب الحس البشرى والارتقاء بالذوق والذوق الرفيع .

كما يحمل الكتاب فكرة في ان يكون الادب عاملا في سبيل السلام والاخاء لان غاية الادب الحق سواء التزم الاديب الدعوة المباشرة الى السلام والاخاء ام لم يلتزم لان كل ادب جمال والجمال هو الطريق القويم المؤدى الى كل خير وكل سلام .

نظرية الحركة الجوهرية عند الشيرازى

تاليف : هادي العلوى

الناشر : مطبعة الارشاد ـ بغداد ـ العراق .

● يتناول هذا الكتاب احد المنجزات المهمة للفلسفة الاسلامية في عصورها المتاخرة ، وقد قسمت هذه الدراسة الى اربعة فصول بداها بعرض موجز لمفهومى الحركة والجوهر في الفلسفة القديمة الاغريقية والاسلامية ، اما الفصل الثانى فكرّس للتعريف بالشيرازى وفلسفته ، وخصص الفصل الثالث لدراسة نظرية الحركة الجوهرية واختتم الكتاب بفصل نقدى استقصيت فيه بواطن الاصابة والخلل في النظرية وفي ضوء مفاهيمنا العلمية والفلسفية المعاصرة .

وقد اعتمد المؤلف في دراسة نظرية الشيرازى هذه على مؤلفاته الرئيسية كالاسفار الرئيسية وشواهد الربوبية ومجموعة رسائله الفلسفية وهذه المؤلفات مذيلة بشروح ضافية كتبها فريق من المحققين ومنهم الملا هادى السبزوارى شارح كتابى الاسفار وشواهد الربوبية .

الفيزياء العامة والتجريبية

تاليف : بيير فلورى ، جان بول ماتيو .

ترجمة : المهندس وجيه السمان وآخرين .

الناشر : مطبوعات المجلس الاعلى للعلوم ـ دمشق سوريا .

● كتاب اصدره المجلس الأعلى للعلوم بهدف الى تزويد المكتبة العربية بالمراجع العلمية باللغة العربية تقوم بدور المنبع الذى يستمد منه طالب العلم تكميل معلوماته ، كما يستمد منه كل مراجع ما يحتاج اليه من معلومات قد لا توجد في الكتب العادية .

وقد انتقى المجلس الأعلى للعلوم موسوعة مشهورة حديثة العهد وهى موسوعة فلورى وماتيو المؤلفة من ثمانية أجزاء وابتدأ بترجمة الجزء الخاص بعلم الفيزياء لما له من اهمية بالنسبة لطلاب كليتى العلوم والهندسة على أن تلى ذلك ترجمة الأجزاء الاخرى .

ويتناول هذا الكتاب الكهربية الراكدة والتيارات المتواصلة والمغناطيسية ، واهتم المؤلفان بالمظاهر التجريبية وبالتطبيقات وكان الجهد منصبا على اعطاء التوسيعات النظرية التى لا بد منها اهمية كبرى ، وقد خصص القسم الاول من الكتاب للتيارات التى ليس تغيرها مع الزمن سريعا جدا أو التى لا تسرى في دارات كبيرة الابعاد ، كما درست التيارات الجيبية واستعين بالصور التى تعطى التمثيل الشعاعى .

ثم بعد ذلك تاتى دراسة الدارات الكهربائية المعروفة والهزازات الكهرميكانيكية والمكثفات ذات التيارات المتناوبة ثم دراسة ظواهر انتشار الحقل الكهرطيسي والمواصلات السلكية واللاسلكية . وينتهى الكتاب بعرض يقتصر على الأسس لمناهج القياسات الكهربائية والمغناطيسية واجهزتها ولنتائج استعمالها في الجيوفيزياء والفيزيولوجيا .

الندوة الدولية العربية حول ظاهرة تعاطى المخدرات

الناشر : المكتب الدولي العربي لشؤون المخدرات ـ جامعة الدول العربية ـ القاهرة .

● عقد المكتب الدولي العربى لشؤون المخدرات التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة ندوة دولية عربية حول ظاهرة تعاطى المخدرات وقد شاركت في هذه الندوة معظم الدول العربية وبعض المنظمات الدوليةالمعنية وشارك في اعداد البحوث والدراسات التي قدمت الى الندوة لفيف من اساتذة الجامعات العربية ومراكز البحوث الاجتماعية والجنائية وبعض الكتاب المتخصصين في مجالات المخدرات وعلاج مدمنيها .

وهذا الكتاب يتضمن البحوث والدراسات والتوصيات التي نوقشت في هذه الندوة ومن اهمها : اسباب تعاطى المخدرات، الاسباب الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والصحية والاثار المختلفة لتعاطى المخدرات ومنها الاثار الجسمية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية والوقاية والتدابير الوقائية الاجتماعية والاعلامية والتشريعية ثم موقف الدين من المخدرات ثم موضوع العلاج ، علاج المدمنين صحيا وتاهيلهم نفسيا واجتماعيا ، ثم موضوع التعاون العربي الدولي لمواجهة المشكلة ومنها مكافحة الاتجار غير المشروع ورفع مستوى اجهزة المكافحة واحلال الزراعات البديلة محل النباتات المخدرة ثم التعاون العربي والدولى كهدف قومي وانساني .

نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة

تاليف : محمد علي دبوز

الناشر : المطبعة العربية ـ الجزائر .

● كتاب كبير يقع في ثلاثة اجزاء يتناول دراسة عن تاريخ الجزائر ، وتاريخ ثورتها وجهادهـا للاستعمار الفرنسي في الميادين الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية والمعارك التي سقط فيها شهداء كثيرون .

والحقيقة ان الاستعمار الفرنسي كان يمنع ابناء المغرب من كتابة تاريخهم بانفسهم فكان الفرنسيون هم الذين يكتبون هذا التاريخ كما يريدون وكما تريد اغراضهم الاستعمارية ، فكان هذا التاريخ مملوءا بالاكاذيب والاغلاط والسموم مما ادى الى ان ياخذ ابناء المشرق العربي هذا التاريخ من الكتب الفرنسية فيرون الامور كما يريد الاستعمار، وهم بالتالي يرددون ما يذكره الاستعمار عن حسن نية ، والتي يريدون أن يقتلوا بها المغرب والجزائر ، اضف الى ذلك ان الاستعمار الفرنسي حارب مؤلفات ابناء المغرب بل ان الكتاب كانوا يحاكمون وتنزل بهم اقسى العقوبات ، بل انهم اتخذوا كل وسيلة لقتلها في النفوس فمنعوا الحديث عنها وعن رجالها والتاليف فيها . فبقي هذا التاريخ من الاحتلال الفرنسي الى قيام الثورة مفقودا لا تجده الا في صدور الشيوخ والعلماء المسنين .

ومن اجل ذلك قام المؤلف بكتابة تاريخ هذه الفترة المهمة البارزة المجهولة من تاريخ الجزائر فكانت مصادره هي الوثائق والمخطوطات ثم المشايخ والعلماء الذين تزعموا نهضة الجزائر الحديثة وشاركوا فيها مثل العلامة الشيخ ابراهيم بن عمر بيوض ثم الشيخ ابى اليقظان الحاج ابراهيم ابن الحاج عيسى ثم الشيخ البشير الابراهيمي والشيخ ابراهيم اطفيش والشيخ نعيم النعيمي وغيرهم .

ما شاهدت وصورت

تاليف : قاسم رزوق .

الناشر : مطبعة البصرة ـ بصرة ـ العراق .

● يروى هذا الكتاب حكايات ومشاهدات كتبت باسلوب فكاهي سلس عن السفر والمسافرين جرت للمؤلف او شاهدها في رحلاته المتعددة كما يحوى الكتاب مجموعة من الصور لمختلف المناظر في مختلف الاقطار .

مع ذكرياتنا الكويتية

تاليف : ايوب حسين .

الناشر : مطبعة حكومة الكويت ـ الكويت .

● كتاب يتناول بالدراسة التراث الشعبي الكويتي ، حاول فيه المؤلف ان يبرز فيه المشاهد والحالات المتاصلة في نفسيات ابناء الكويت وما انطوت عليه من آثار انعكست انعكاسا كليا على حياتهم الاجتماعية بعضها قد اندثر والبعض الآخر يطارده الزمان فيهلكه مثلما اهلك اهله او افقدهم عن ممارسته وهذا يرجع الى الطفرة السريعة التي مرت بالكويت خلال السنوات القليلة الماضية ونتيجة العوامل الطارئة على حياتنا .

وليس هناك من شك ان الحضارة قد قضت على كثير من عاداتنا واحوالنا السيئة بقدر ما قضت على احوالنا الحسنة التي تميزنا بها ردحا من الزمن .

اما ما اورده المؤلف في هذا الكتاب فهو عبارة عن عدة مواضيع متباعدة متفرقة لا يربطها تسلسل او تاريخ في احداثها ، قصد بها الاقتراب من الماضي ولو بقدر يسير كما انه يعطي صورة صادقة من تاريخ وتراث الكويت ، وهذه الملامح من صميم بيئتنا المحلية قد يراها البعض تافهة لم يتطرق اليها احد فضلا عن تعارف الناس عليها واندماجها بها فاصبحت جزءا لا يتجزأ من حياتهم التي عاشوها كلها ذهبت ولم يبق منها سوى الذكرى .

الزواج هو اللغز الغامض

تاليف : محمد الزعونجي ـ دمشق/سوريا .

● كتاب يبحث في قضية الزواج وعلاقة المراة بالرجل وما يتصل بهما من امور على جانب عظيم من الاهمية وهو من ثم كتاب اجتماعي يدرس اسرار الزواج والفرق بين الام والزوجة وكيف يكون الزواج سعيدا ،وكيفية بناء الاسرة وما وضع الاسرة في المجتمع المتطور الحديث. والكتاب بالتالي محاولة علمية لفك مغمضها وحل معقودها ، والكتاب مقسم الى تسعة عشر فصلا تتناول موضوع المراة وكيف تكون الاسرة ثم الفرق بين الام والزوجة ويدرس كذلك حالة المراة في المجتمع العربي وحالتها في مجتمعاتنا الشرقية ، وفي فصل آخر يوضح الكاتب سبب الوفاق في الزواج وسبب الفراق في الزواج، ثم كيف يتكون الجنين ويتم الحمل والديوان المنوى والبويضة ثم الاجهاض والاسقاط والدرح .

تهويد فلسطين

اعداد وتحرير : الدكتور ابراهيم ابو لغد
ترجمة : الدكتور اسعد رزوق
الناشر : منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الابحاث ـ بيروت/لبنان .

● دراسة مستفيضة عن القضية الفلسطينية تؤكد بان المشكلة الاساسية في المنطقة العربية هي مشكلة استرداد الحقوق الفلسطينية في ارض فلسطين وهي الحقوق التي انتهكتها قوى الاستيطان الصهيوني في فلسطين التي تمكنت في فترة زمنية معينة ان تحل المواطنين الاوربيين اليهود مكان المواطن الفلسطيني في ارض فلسطين والتي نجحت في تحقيق أهدافها ضمن اطار دولي واقليمي معين يتلخص في سيطرة الاستعمار الاوربي على العالم بما في ذلك العالم العربي .

اما الهدف الرئيسي لهذا الكتاب فهو سرد تطور الصراع الفلسطيني والبريطاني الصهيوني في فترة الانتداب البريطاني لفلسطين وحقيقة اهداف هذا الصراع والنتائج الاولية له والتي ادت الى تشريد الشعب الفلسطيني واقامة دولة اسرائيل .

ومواضيع الكتاب تندرج في اربعة عناوين اوضح القسم الاول الرؤية في الفكر الصهيوني وشرح لاطماع ومقاصد الحركة الصهيونية كما بين وسائلها لتحقيق هذه المآرب موضحا العلاقة العضوية بين الصهيونية والامبريالية الغربية .

اما القسم الثاني والثالث فيدرس حركيات استلاب الارض عبر تعبيره عن الوضع الاجتماعي في فلسطين المحتلة ومساوىء نظام الملكية ، الامر الذى ادى لتمركز الارض في ايدى التجار ، كما بين بتحليل ديموغرافي تطور مراحل تحويل فلسطين من شعب واحد يضم فئة يهودية قليلة مندمجة كليا فيه الى مواطنين من مهاجرين غربيين واحلال مجتمع مكان آخر وتحويل السكان الاصليين الى مهاجرين وشرح ما جرى ويجرى من عداء للعرب واستعمال العنف والارهاب لاجبارهم على ترك أرضهم .

ويعرض القسم الثالث للمقاومة العربية تحت الانتداب البريطاني وتحليل السياسة البريطانية ازاء الانتفاضات العربية ولجان التحقيق مع تركيز خاص عن ثورة ١٩٣٦ .

اما الفصل الاخير فيحدث عن الصراع العربي الاسرائيلي ويركز بصورة خاصة على القدس وتطورات وضعها السياسي المتغير .

ابو تمام الطائى حياته وشعره فى المراجع

تأليف : كوركيس عواد ـ ميخائيل عواد
الناشر : مطبوعات وزارة الاعلام ـ بغداد ـ العراق

● فهرس كبير يضم بين دفتيه المصادر والمراجع التى درست شعر وحياة أبي تمام الطائى ، تلك الشخصية التى عرفها الأدب العربى القديم حيث كان شاعرا عظيما يأتى في الطليعة بين شعراء العصر العباسي الاول بل هو في الطبقة المبرزة بينهم من أمثال البحترى والمتنبى .

ولقد كان شعره وما جمع من شعر غيره موضع عناية الأدباء العلماء القدامى والمحدثين فصنفوا فيما الفه وجمعه المصنفات العديدة وكان محصول ذلك جملة كبيرة من المصادر والمراجع باللغة العربية واللغات الأجنبية .

وقد نسق ورتب هذا الفهرس بطريقة ارتضاها المؤلفان ورأيا انها سهلة ليرجع اليها كل من يريد ان يدرس أبا تمام ويستقصى آثاره وما كتب عنه .

فنون الشرق الأوسط القديمة

تأليف : نعمت اسماعيل علام
الناشر : دار المعارف بمصر .

● دراسة وافية عن فنون الشرق الاوسط القديمة لما لهذا الشرق من مكانة فريدة في العالم حيث كان له الفضل الكبير في رقي البشرية من الناحية الحضارية والروحية ، كما نشأت فيه ديانات التوحيد الثلاثة . وتدور هذه الدراسة حول فنون هذه المنطقة وسرد لقصة نشأة الفن التشكيلي وتطوره في الشرق الاوسط .

ومما لاشك فيه ان مصر وبلاد ما بين النهرين حملت مشعل هذه الفنون منذ آماد موغلة في التاريخ وحملت الشعلة بقية البلاد الواقعة في هذه المنطقة وبقي نورها يغمر بلاد الشرق الاوسط القديم ردحا من الزمان الى ان اسلمها الفرس الى اليونان فحملوها بدورهم الى الغرب .

وقد عقدت المؤلفة مقارنات علمية وتاريخية بين آثار الشرق الاوسط المختلفة لمعرفة التأثيرات الفنية التي ظهرت بين هذه البلاد والتي انعكست آثارها بعد ذلك على الفنون الغربية ، كما ان المؤلفة قد أثارت في بحثها للفنون التشكيلية كالعمارة والتصوير والنحت اشارات الى بعض الحوادث التاريخية والسياسية المختلفة في المجال الفني وما يتبعه من ازدهار وضعف . ■■

نسيب عريضة

شاعر حمص المهجري

بقلم : عدنان الداعوق

■ كتب الأديب الكبير (ميخائيل نعيمة) عن الشاعر المهجرى (نسيب عريضة) يقول :

« هذا شاعر ذو شخصية لا تندغم في شخصية احد من الشعراء»في شعره مدى بعيد ،ولشاعريته وجه يميزها عن كل الوجوه ، ولالحانه رنة تعرف بها بين سائر الالحان . كان في صباه فتى محدود الافق ، ولكنه لم يعتم أن ارتفع الى النجوم وانبسط على مدى الأفق وغاص الى أعمق اللجج.»

هذا هو الشاعر الحمصي المغترب (نسيب عريضة) ، بل هذا هو ـ دائرة المعارف العربية ـ في المهجر الأمريكى ..

هكذا لقبه عارفوه في حياته ـ دائرة المعارف العربية ـ وهو اللقب الذى طابق الملقب به ، ولكنه لم يطابق استحياءه فكان كلما طرق سمعه احمر خجلا ثم ابتسم لقائله شاكرا له مزاحه في التلقيب المبالغ فيه .

فهم كانوا اذا عجز احدهم عن معرفة اسم شاعر لقصيدة عربية او عهد نابغة عربى او ترجمة دور من ادوار العرب قديما او حديثا استسهل مخاطبة (النسيب) في المسالة على ان يقضي وقتا طويلا في البحث عما اراده .

لم يعرف المهجر اديبا كنسيب عريضة امتاز قلمه بالنظم والنثر حتى حلق ادبه في سماء النهضة العربية المهجرية ، وعدا ذلك امتاز خلقه بالهدوء والسكينة واللين والدعة والاغضاء عن السيىء من بنى قومه كائنا من كان حتى الخصوم.

ولقد ظهر على (النسيب) ذكاؤه الفطرى منذ صباه ، فكان مثالا رائعا على ذلك في المدرسة الابتدائية في (حمص) ـ مسقط راسه ـ ، وكذا كان في كلية المعلمين الروسية في (ناصرةـفلسطين)» التي بعد ان اتم علومها انتدبته عمدتها للذهاب الى احدى جامعات روسيا لاحراز العلوم النهائية نظرا لتفوقه على اقرانه .

كان (نسيب عريضة) حينئذ في السابعة عشرة

من عمره ـ في سنة ١٩٠٥ ـ الا انه تحول عما ندبته اليه كلية (الناصرة) ، الى القيام بهجرة الوطن الى (نيويورك) حيث اقام حتى وفاته في اوائل ربيع عام ١٩٤٦ بعلة القلب التى لازمته اكثر من سنة .

وهنا اذكر حدثا مؤثرا غاية التأثير في النفس ، فان ديوان (نسيب عريضة) ـ الأرواح الحائرة ـ كان قد انتقل بعد الجهد والجهاد من المطبعة الى دار التجليد ، وكان هو عالما بعلته القاتلة يتوقع كل يوم وساعة ودقيقة مفاجاة منها تقضي على حياته ، ولهذا ما فتىء يستعجل المجلدين لانجاز عملهم لعله يرى النسخة الأولى من ديوانه، وكان هذا الولوع اطال عمره حتى رات عيناه تحقيق ما تمناه ، ففى اليوم التالى لرؤية عينيه ديوانه، اطبق الموت عينيه عن هذا العالم تاركا لبنى لغته العربية وادبها العصرى آثارا كلها من الطراز الأول وسواء ذلك في شعره ونثره واقصوصته .

بدا (نسيب عريضة) حياته في المهجر كاتبا فمديرا لمحال تجارية ، غير ان شبابه عند ذلك كان يحدو غير المعاش واسبابه ، فما كرس له الساعات النهارية الا ليطمئن الى ساعاته الليلية فيها يجتمع مع مواهبه على الدرس والتنقيب للدخول الى عالم أسمى من المادة ـ عالم ترغى عنه نفسه الولوع بالادب العالى وبالاخص الادب العربى .

انشا في سنة ١٩١٢ مجلة (الفنون) ـ وهى المجلة التى برزت بحلة عصرية زاهية بين مجلات العرب ، وبروح مؤاتية من صميم المدنية الأدبية العالمية ، فاكبر الأدباء ظهورها ، وتنفس بعضهم الصعداء ، لادراكهم ان قد أصبح عندهم مجلة سامية تقارن بمجلات الأمم الراقية ، وحتى لتبز معظمها ايضا ، الا أن (الفنون) لم يكتب لها البقاء طويلا فطوى صاحبها المجاهد صفحتها من الوجود خاسرا كل ما توفر لديه من مال وكل ما وصلت يده من مال الأهل في (حمص) ، ولعل هذا الاندحار اثقله بالحيرة من أمر عاله ومن شان نفسه النزوع الى التجديد والتجويد والى الجهاد المرير في سبيلها ، وهى الحيرة التى رن صداها في معظم ما نظم من قصائده ، وعن ذلك عبر الكاتب (حبيب كحالة) في مقدمة ديوان (الأرواح الحائرة) اذ قال :

اما حيرته ـ حيرة نسيب صاحب الديوان ـ فهى مما يجعل شعره في مصاف الملهمات الخالدة، ومن ميزاته التى يبز فيها اقرانه ، فمن أجمل ما قاله في هذا الصدد قصيدة (يا نفس) ، ليدرس المطالع بتمعن هذه القصيدة العصماء التى يخاطب الشاعر فيها نفسه ، فانه اذ يفعل يجد فيها من ضروب الشك واليقين والحيرة والاطمئنان الوانا تتجاذب نفس الشاعر ، وينسجها التنازع في تلك النفس المضطربة خريدة نفسية *كما تنسج الدودة من مادتها بيتا من حرير* تخرج منه فراشة زاهية الألوان ، تذكرنا هذه القصيدة بقصيدة الرئيس (ابن سينا) المشهورة التى مطلعها (هبطت اليك من المحل الأرفع) ، ويحار الناقد في أى من ابياتها يختار الاستشهاد، فلنكتف ببعضها :

يا نفس مالك فى اضطراب
كفريسة بين الذئاب
هلا رجعت الى الصواب
وبدلت ريبك باليقين

★ ★ ★

اصعدت فى ركب النزوع
حتى وصلت الى الربوع
فأتاك امر بالرجوع
أعلى هبوطك تأسفين ؟

★ ★ ★

اسلكت فى قطر الخيال
دربا يقود الى المحال
فحططت رحلك عند آل
يمتص رى الصادرين

★ ★ ★

فنسيت قصدك والطلاب
ووقفت بذهلك السراب
وهرقت فضلات الوطاب
طمعا بماء تأملين

★ ★ ★

حتى اذا اشتد الاوام
والآل اسفر عن ركام

غيبت رأسك كالنعام
في رمل قلبي تحفرين .

★ ★ ★

وتابع مقدم الديوان كلامه عن القصيدة وشاعرها فقال :

وان ما يجعل هذه القصيدة من الشعر الحالي هو ليس أنها تحكي حال الشاعر (نسيب عريضة)، بل حال كل انسان يبدد أيامه وهذه الدنيا سرفا وراء سراب اللذات والجاه والمال ، ولا يدري ما قد فاته من السعادة الحقيقية الا بعد فوات الأوان ، عندما تميل شمس الحياة الى الأفول ، هذه خيبة كبرى بل حيرة من حيرات الحياة والزمان ، مأساة شاملة يشعر فيها مع الشاعر كل مفكر حساس .

واشتغل (نسيب عريضة) أياما بعد ذلك بالصحافة ، فحرر جريدة (السائح) بضع سنوات وجريدتي (الهدى) و (مرآة الغرب) الى ان وقعت الحرب العالمية الثانية ، فاستدعاه مكتب القسم العربي لدائرة المعلومات الحربية الأمريكية ليتولى التحرير فيه ، فكان من أنبه المحررين الدوليين وأعمقهم تفكيرا وأبلغهم أسلوبا وترسلا في الانشاء .

ولنسيب عريضة قصص وحكايات تعد في الأدب العربي تحفا نادرة منها حكاية (الصمصامة) وحكاية (ديك الجن) وغيرهما من الروايات المسرحية ، وبالاضافة الى ما نقله الى العربية الشيء الكثير من الأدب الغربي وأقاصيص توابغه ،

أما ديوانه (الأرواح الحائرة) فهو المطبوع الوحيد، الا أن له دواوين لم تجمع ولم تطبع ، وله ملاحم شعرية رائعة بديعة مثل ملحمة (أبي فراس) و (ارم ذات العماد) وغيرهما كثير .

وكان (نسيب عريضة) ركنا متينا من أركان (الرابطة القلمية) وموضع ثقتها عرف بالاخلاص والغيرة عليها ، وأحبه الجميع لدماثة خلقه ونبالة روحه وعفة قلمه ولسانه ، والصفة الأولى التي يتصف بها أنه (رجل قليل الكلام كثير الانتاج والعمل) .. وهو الذي وجه اهتمام (جبران خليل جبران) الى دراسة اللغة العربية وآدابها وتاريخها .

ودع (نسيب عريضة) الحياة في أواخر شهر اذار ـ مارس من سنة ١٩٤٦ ، وقبل أن يرحل ترك أبياتا ضمنها وصية أخيرة له يقول فيها :

اقيموا على قبري من الصخر دمية
بها رمز عيشي بعد موتي أعرض
يدان بلا جسم تمدان في الفنا
تمدان من صخر على القبر يربض
فيمناهما مبسوطة تشحذ الجدا
لتشبع جوع النفس والجوع يرفض
ويسراهما فيها فؤاد مضرج
تقدمه للناس والناس تعرض .

★ ★ ★

وحسب وصيته التي وردت في أبياته الفنية بتصويره دمية صغيرة تقام على قبره ، اهتمت جمعية الاخاء الحمصي في نيويورك بتحقيق رغبة الشاعر (نسيب عريضة) ، فنقلت نعشه من مقبرة جبل الزيتون البعيدة الى مقبرة (غرينوود) الشهيرة في (بروكلين) والقريبة من مساكن معظم الجالية العربية ، ثم كلفت الجمعية أحد مهندسي حجار القبور بنقش أبيات (النسيب) على حجر كبير أشبع بالرموز الفنية الواردة في الأبيات ـ كما تمنى الشاعر ـ أن يكون بناء مثواه الأخير .

ولقد سبق هذه الحملة الزكية محاورات بين أعضاء الجمعية حول أمنية الشاعر القائل في أجمل ما قيل من حنين المغترب الى وطنه في قصيدته (أم الحجار السود) :

يا دهر قد طال البعاد عن الوطن
هل عودة ترجى وقد فات الظعن ؟
عد بي الى حمص ولو حشو الكفن
واهتف أتيت بعاثر مردود
واجعل ضريحي من حجار سود

ففاز الرأي القائل بضرورة ابقاء مثوى الشاعر (ابن حمص البار) ، وحبيب بنيها المغتربين ، في أقرب مدفن في جوارهم ، وعلى الرغم من أنه أنفق حياته في المهجر الامريكي الا أن روحه كانت مشبعة بأمل العودة الى مسقط رأسه (حمص) ـ أم الحجار السود ـ . ■■

عدنان الداعوق

الورقة الأخيرة

قصة للكاتب الامريكي : أو . هنرى

■ يختلّ منظر الشوارع في أحد الاحياء الصغيرة القائمة غربي ميدان واشنطن ، فيراها المرء اشبه بأشرطة صغيرة مؤلفة من زوايا وحنيات غريبة الشكل يطلقون عليها لقب « منازل » ، يتهافت عليها اهل الفن يتصيدون الحجرات العالية بها . وهي هولندية الطراز منخفضة الاجور ، فغدا الحي مستعمرة تعج بالفنانين والفنانات .

في قمة بيت من قرميد احمر مؤلف من ثلاثة طوابق اقامت « سو » و « جونسي » مرسميهما . تقابلتا مرة على منضدة « الصداقة العابرة » في احد محلات الشارع رقم ٨ ، وتبين لكل منهما ان ذوق الاخرى يتمشى وذوق رفيقتها ، فكان مرسمهما المشترك وليد ذلك اللقاء .

حدث ذلك في شهر ايار . ولم يطلّ شهر تشرين الاول حتى هب البرد يختال في كبرياء متنقلا في ارجاء تلك المستعمرة ، يمس خلال طوافه بها واحدا هنا وواحدا هناك بأصابعه الثلجية المتجلدة . وفي الجانب المقابل ، على الضفة الشرقية ، راح هذا القاتل يغذّ السير في جراة ، فيهوى على ضحاياه بالعشرات ، ولكنه شرع يباطيء من خطوه وهو يدب على الطرق الملتوية من تلك الشوارع الضيقة المغطاة بالطحلب . ولم يرأف البرد بأحد ، فرمى شباكه ، في آخر المطاف ، فاصطاد « جونسي » ، فلزمت فراشها لا تستطيع الاتيان باية حركة حيث استلقت على هيكل سريرها الحديدي ، تمد بصرها من خلال اطار النافذة الى الفضاء البارد فتصافح عيناها بيتا من قرميد احمر .

استدعى الطبيب الأشعث الشعر « سو » ذات صباح الى رواق الصالة : وقال لها :

ـ ان فرصة صديقتك في الابلال مما اصابها هى واحد من عشرة . وتكمن هذه الفرصة في تصميمها على الصمود في وجه الموت .

وسأل الطبيب « سو » عما اذا كان فكر صديقتها المريضة مشغولا بأمر من الامور ، اذ ان ثمة ما يدل على انها اقنعت نفسها انها لن تسترد عافيتها .

اجابت « سو » :

ـ بلى .. كانت تريد أن ترسم .. ان يتاح لها أن ترسم في يوم من الايام خليج نابولى .

قال الطبيب :

ـ ترسم ؟ هراء . ألثمة شيء في عقلها جدير بان تفكر فيه مرتين ـ رجل مثلا ؟

اجابت « سو » :

ـ رجل ؟

واردفت بعد قليل ، وفي صوتها رنة ساخرة :

ـ وهل الرجل شيء جدير بالفكر ؟ .. لا شيء من هذا القبيل ، يا دكتور .

فقال الطبيب :

ـ حسنا ، هو المرض اذن . سابذل قصارى ما استطيع من العلم . اما اذا بدأت مريضتي تعد العربات التى ستسير في موكب جنازتها ، فانا اطرح خمسين في المئة من قدرة العلم والعقاقير



قالت « جونسي » :
ـ انها الورقة الأخيرة . ظننت أنها ستسقط خلال الليل . لقد سمعت عصف الرياح الهوجاء . سوف تسقط اليوم ، وسوف أرحل عن هذه الدنيا في الوقت ذاته .

على الشفاء . واذا أتيح لك ان تجعليها تستفسر ولو مرة واحدة عن الموضة الجديدة لأكمام المعاطف الشتوية ، فاني اعدك ان تكون فرصتها في الشفاء بنسبة خمسة لا واحد من عشرة .

وذهب الطبيب ، فدخلت « سو » حجرة العمل واطلقت صيحة غريبة ، ثم خطت في صلف وكبرياء داخل حجرة « جونسي » تحمل لوحة الرسم الخاصة بها ، وهي تصفر لحن اغنية زنجية .

كانت « جونسي » راقدة في فراشها ساكنة الاطراف ، وقد ادارت وجهها الى النافذة ، فتوقفت « سو » عن الصفير حاسبة ان صديقتها تغط في النوم .

اعدت « سو » لوحتها ، وبدأت ترسم بالريشة والحبر رسما لاحدى الاقاصيص في احدى المجلات ، اذ لا بد للفنانين الناشئين من ان يعبدوا طريقهم الى محراب الفن برسوم اقاصيص المجلات اولا ، هذه الاقاصيص التي يكتبها مؤلفون ناشئون لتعبيد طريقهم الى دنيا الادب .

وبينا « سو » ترسم رسما تخطيطيا يمثل بنطالا لركوب الخيل من تلك السراويل التي يرتديها الفرسان في الاستعراضات الانيقة، وصل الى سمعها صوت خفيض يتكرر مرات متوالية ، فهرولت الى جانب فراش صديقتها المريضة . كانت عينا « جونسي » مفتوحتين ، وقد اتسعت جفناهما

وهي تنظر الى خارج النافذة ، وتعد الارقام بشكل عكسي .

سمعتها « سو » تقول بعد قليل :

ــ اثنتا عشرة ، احدى عشرة ، عشر ، تسع ..

وتطلعت « سو » من النافذة والقلق ينهش افكارها .. ترى ماذا تعد صديقتها ؟ ولم يكن بصرها يقع الا على فناء عابس ، ثم زاوية مبنى من القرميد الاحمر يبعد عشرين قدما تضربه الريح بانفاسها . وكان ثمة شجرة لبلاب عتيقة تعقدت جذورها وبليت تتسلق جدار البيت الى منتصفه. وكان نسيم الخريف البارد قد اطاح اوراقها فالتصقت اعواد هيكلها شبه العارية بالقرميد الاحمر المتداعى .

قالت « سو » :

ــ ماذا اصابك ، يا عزيزتى ؟

فنبرت « جونسي » في شبه همسة :

ــ ست .

واستطردت قائلة :

ــ انها تسقط الآن بسرعة . كان هنالك مئة منها منذ ثلاثة ايام . واقلق بالى عدها فاصبت بالدوار. ولكن الامر اسهل الآن .. لقد ذهبت واحدة ، ولم يبق غير خمس فقط .

قالت « سو » :

ــ خمس ماذا ، يا عزيزتى ؟

ــ خمس اوراق على كرمة اللبلاب . وما ان تسقط الورقة الاخيرة حتى اسقط انا ايضا . لقد عرفت ذلك منذ ثلاثة ايام . الم يخبرك الطبيب ؟

ــ اوه ! انا لم اسمع بهذا الهراء من قبل قط . ما علاقة اوراق اللبلاب البالية بموضوع صحتك ؟ لا تكوني غبية ، ايتها الفتاة الشقية . لماذا ؟ لقد اخبرني الطبيب هذا الصباح ان فرصتك في الشفاء اسرع وقت كاف كانت.. فلنستوعب بالضبط ماذا قال .. لقد قال ان فرصتك كانت بنسبة عشرة الى واحد . كيف ؟ هذه فرصة عظيمة . حاولي ان تتناولي شيئا من الحساء ،

واسمحي لصديقتك « سو » ان تعود الى رسمها كيما تستطيع ان تبيع للصحيفة انتاجها وتشترى لصديقتها المريضة نبيذا وقطعا من اللحم تملأ بها معدتها الشرهة .

قالت « جونسي » ، وقد ثبتت عينيها خارج النافذة :

ــ لست في حاجة الى نبيذ . بعد قليل تسقط ورقة اخرى .. انا لا اريد حساء .. عندما تسقط هذه الورقة لن يبقى غير اربع ورقات . واريد ان ارى الورقة الاخيرة قبل ان يتراخى الظلام ، وحينذاك اهوى انا الاخرى .

قالت « سو » ، وهى تنحنى فوقها :

ــ « جونسي » عزيزتى، عدينى ان تغلقى عينيك، والا تنظرى خارج النافذة ، حتى انتهى من عملى . ينبغى ان اسلم هذه الرسوم اليوم ، وانا في حاجة الى الضوء ، والا اسدلت الستارة .

سالت « جونسي » في برود :

ــ الا تستطيعين الرسم في الحجرة الاخرى ؟

ــ افضل ان اكون هنا الى جانبك . واريدك ان تكفى عن النظر الى اوراق اللبلاب البلهاء .

قالت « جونسي » ، وقد اغلقت عينيها، ورقدت بيضاء ساكنة مثل تمثال من حجر :

ــ اريد ان ارى الورقة الاخيرة تسقط حين تنتهين من عملك . لقد اتعبنى الانتظار ، وهد قواى التفكير ، واريد ان ارفع يدى عن كل شيء، وامضي راحلة ، راحلة ، مثل واحدة من تلك الاوراق البائسة .

قالت « سو » :

ــ حاولى ان تنامى . يجب ان احضر النموذج الذى ارسم على شاكلته صورة الناسك العجوز . لن اغيب اكثر من دقيقة واحدة . لا تتحركى حتى اعود .

كان النموذج هو الرجل العجوز الذى يعيش في الطابق الارضي تحتهما ، وهو شيخ تخطى الستين من عمره ، لحيته اشبه بلحية موسى التى تخيلها النحات الشهير ميكيل آنجلو ، تتهاوى في لفائف

بيضاء من راسه على جسمه النحيل . وكان فاشلا في الفن ، فقد بقي يعمل بالفرشاة اربعين عاما دون ان يقترب بصورة يستطيع معها ان يمس طرف رداء سيدته ـ الفن . لقد كان دائما على وشك ان يرسم لوحة ممتازة ، ولكنه لم يبدأ هذه اللوحة ابدا . انه لم يرسم طوال السنوات الماضية اكثر مما يلطخ به طريقه في دنيا التجارة والاعلان . وكان يكسب قليلا عن طريق عمله كنموذج للفنانين الناشئين، اقصد اولئك الذين لا يستطيعون دفع اجر نموذج محترف . وكان صاحبنا يشرب الخمر ويسرف في معاقرتها ، ولا يكف عن الحديث عن طرفته الرائعة القادمة . اما ما بقي من امره فقد كان رجلا صغيرا شرسا يسخر من الرقة في اى شخص ، ويعتبر نفسه حارسا خاصا على الفنانتين الصغيرتين الناشئتين القاطنتين في الطابق العلوى .

وجدت « سو » ان الرجل يفوح برائحة حبات نبات العرعر بشكل شديد ظاهر ، وقد قبع في عرينه السفلى الذى يضيئه نور خافت . ووقعت عينها في احد اركان الغرفة على لوحة لم يرسم عليها الفنان العجوز شيئا بعد ، فهو قد بسطها على منصة الرسم ينتظر ، منذ خمسة وعشرين عاما ، ان يضرب عليها الخط الاول ، او اللمسة الاولى من الطرفة المختارة التى لم تر النور بعد . وروت « سو » للفنان العجوز ما يجول في خاطر صديقتها وخشيتها من ان « تذهب » الفتاة الصغيرة، الخفيفة الرقيقة النحيفة كورقة اللبلاب، فترحل عن الوجود بعد ان يزداد ضعف سيطرتها الضئيلة على هذه الدنيا .

صاح الفنان العجوز ، وعينان المحمرتان تقطران دمعا ، معبرا عن احتقاره وازدرائه بمثل تلك الاوهام البلهاء :

ـ عجيب ! هل الناس في هذا العالم على هذا الغباء المبين ! يموتون لان الاوراق تتساقط عن شجرة بلهاء ؟ انا لم اسمع بمثل هذا من قبل .. لا .. انا لن اجلس نموذجا لناسك احمق .. كيف تجيزين لمثل هذه الحماقة ان تتسرب الى عقل تلك الفتاة البائسة ؟

قالت « سو » :

ـ انها مريضة جدا وضعيفة جدا . وقد اسقمت الحمى عقلها وملأته خيالات غريبة. حسنا ! اذا لم تكن تريد ان تكون نموذجا لرسمي فلن اصر عليك . ولكنني احسبك رجلا احمق .

فصاح الرجل :

ـ انت مجرد امرأة وحسب ! من انباك انى لن اجلس كنموذج امامك ؟ هيا سآتى معك ، فقد كنت احاول طوال نصف ساعة ان اعلن عن استعدادى للجلوس امامك .. هل ادركت ذلك ؟

وتابع بعد برهة :

ـ ليس هذا مكانا تجلس فيه مريضة شابة طيبة كالآنسة « جونسي » .. سوف ارسم ذات يوم لوحة رائعة ابيعها بثمن باهظ يحقق لى ثروة طائلة ، ثم نرحل جميعا عن هذا المكان ..

كانت « جونسي » نائمة عندما صعدت « سو » ونموذجها الى الطابق العلوى . جذبت « سو » الستارة الى اسفل اطار النافذة ، ودفعت الرجل الى الحجرة الاخرى . وهناك راحا يطلان في خوف على كرمة اللبلاب خارج النافذة . واخذ كل منهما ينظر الى الآخر لحظة في صمت شامل .. كان ثمة مطر ملحاح يتساقط مختلطا بالجليد .. واتخذ الرجل مقعده في هيئة الناسك في قميصه الازرق، على اناء مقلوب يمثل صخرة .

عندما استيقظت « سو » في الصباح التالى بعد نوم لم يستغرق اكثر من ساعة واحدة وجدت صديقتها « جونسي » تحملق في عينين اتسعت حدقاتهما الباردتان في الستار الاخضر المنسدل .

امرت « جونسي » في همسة رقيقة :

ـ ارفعي الستار . اريد ان القى نظرة .

واطاعت « سو » الامر في وهن .

كانت ورقة لبلاب واحدة لا تبرح معلقة على الجدار الاحمر بعد ان كف المطر عن التهطال ، وخمدت نفثات الريح العاتية التى ظلت تدوى طوال الليل . كانت الورقة الاخيرة في الكرمة ، فهى لا تزال خضراء داكنة على عودها ، يخضب اطرافها المشرشرة اصفرار التحلل .. كانت هذه الورقة تتدلى في شجاعة من فرع يعلو عن الارض قرابة عشرين قدما .

قالت « جونسي » : .

انها الورقة الاخيرة . ظننت انها ستسقط خلال الليل . لقد سمعت عصف الرياح الهوجاء . سوف

تسقط اليوم ، وسوف ارحل عن هذه الدنيــــا في الوقت ذاته .

فقالت « سو » :

ــ يا عزيزتي ، يا عزيزتي .

وامالت وجهها الذاهل النحيل الى اسفل ، الى الوسادة ، واردفت :

فكري في صديقتك اذا كنت لا تريدين التفكير في نفسك . ماذا افعل اذا ..

فما اعطتها « جونسي » جوابا . ان اكثر الاشياء وحدة في هذا العالم هو روح تتهيأ للانطلاق في رحلتها البعيدة الغامضة .

مضى اليـــوم بطيء الخطو ، ولكنهما كانتــا تستطيعان رؤية ورقة اللبلاب الوحيدة تلتصق الى عودها في الجدار . وهب البرد مع حلول الليل يطلق عقال الشمال ، وجعلت حبات المطر تطرق زجاج النوافذ وتتدحرج على اطناف سقف البيت. وما ان اطل الصباح وانتشر الضياء حتى امرت « جونسي » ان ترفع الستارة .

كانت ورقة اللبلاب في مكانها .

رقدت « جونسي » وقتا طويلا تنظر اليها ، ثم نادت صديقتها « سو » التي كانت تقلب حساء الدجاج فوق فرن موقد الغاز .

قالت « جونسي » :

ــ لقد كنت فتاة سيئة ، يا « سو » .. فقد دعا شيء ما تلك الورقة الاخيرة ان تظل في مكانها لتكشف لي عن مقدار ما انا عليه من شر . انها لخطيئة ان يريد المرء ان يموت ! تستطيعين ان تحضري لي قليلا من الحساء الآن مع قليل من اللبن .. لا ، بل احضري لي مرآة يد اولا ، ثم ضعي الوسائد من حولي كيما استطيع ان اعتدل في جلستي فأراقبك وانت تعملين .

واضافت بعد ساعة من الزمن :

ــ اني آمل ، يا « سو » ، ان ارسم خليج نابولي ذات يوم .

جاء الطبيب في العشية،وحين ترك غرفة المريضة هرولت « سو » خلفه في رواق الصالة .

قال الطبيب ، وهو يأخذ بيد « سو » الرقيقة المرتعشة في يده :

ــ انها فرص متكافئة .. بالتمريض الطيب ستكسبين ..

واردف بعد قليل :

ــ والآن ، لا بد لي من رؤية حالة اخرى في الطابق السفلي .. ان الفنان العجوز « برمان » .. اليس هذا اسمه ؟ .. ان هذا الرجل ضعيف عجوز ، ومرضه خطير . ليس من امل في انقاذه .. سنحمله اليوم الى المستشفى ليلقى قدرا اكبر من العناية . فهو مصاب بنوبة برد رهيبة .

في اليوم التالي قال الطبيب للصديقة « سو »:

ــ لقد زال الخطر نهائيا .. اجل، لقد شفيت. الغذاء الطيب والعناية هما كل ما هي في حاجة اليه الآن .

في عصر اليوم ذاته ، جاءت « سو » الى الغرفة التي ترقد فيها « جونسي » تعمل في هناءة بال في نسج شال وغطاء من الصوف . وضعت حول ذراع المريضة الوسائد ، وقالت :

ــ لديّ شيء اقوله لك ، ايتها الفارة الصغيرة .. لقد توفي اليوم في المستشفى السيد « برمان » اثر اصابته بنزلة رئوية . لقد مرض يومين لا غير. وجده البواب في صباح اليوم الاول في غرفته في الطابق الارضي وحيدا لا يلقى اية رعاية والالم يعذبه .. وكان حذاؤه وملابسه مبتلة كلها ، وكانت اطرافه باردة كالثلج . لم يكن احد يتصور انه امضى ليلة مروعة كهذه . وقد وجدوا قربه مصباحا مضاء وسلما جُرّ من مكانه وادوات للرسم .. كما وجدوا حوض الوان اختلط عليه اللونان الاخضر والاصفر .. انظري خارج النافذة ، يا عزيزتي .. انظري الى ورقة اللبلاب الاخيرة على الجدار .. أو لم تعجبي كيف انها لم تهتز ولم تتحرك عندما هبت الريح ؟ آه ، يا حبيبتي .. انها طرفة الفنان العجوز الرائعة .. لقد رسمها هنالك ، على الجدار ، ليلة سقطت الورقة الاخيرة ..

ترجمة : سهيل أيوب





طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

المصابون بنوبات النوم المفاجئة يجب منعهم من قيادة السيارات !

ــ اعانى من حالة نوم لفترة وجيزة لا يمكننى ان اقاومها ، علما بانى لا اكون متعبا وقد نمت لفترات طويلة قبل هذا ؟ وهذا يحدث فى اى وقت حينما لا أريد النوم ؟

● هذا الذى تشكو منه هو مرض يعرف باسم Narcolepsy وهو نوع من النوم الطبيعى المضطرب ، ويحدث على هيئة نوبات غفوة نوم من النوع الذى لا يقاوم ويصيب المريض لعدة مرات فى اليوم ، ويكون على هيئة فقدان للوعى ويشبه الى حد كبير النوم الطبيعى ــ اذ انه يمكن ان يعود المريض الى وعيه عند تنبيهه باى منبه . .

ويحدث هذا اثناء تناول الأكل ، او قيادة السيارة . والنوبة تمكث لثوان او دقائق معدودة ، ولكن لو ترك المريض وشأنه ودون منبه فيمكن ان تطول النوبة الى ساعات .

وفى بعض الحالات يكون هناك سبب لهذا المرض ، فيحدث بعد اصابة شديدة بالراس ، او مرض تصلب الشرايين ، او التهاب بالمخ ، او زهرى المخ او اورام تصيب منطقة الهيبوثلامس Hypothalmous ولكن فى معظم الحالات لا يعرف السبب ويحدث ذلك فى الشباب ونلاحظ انهم من ذوى السمنة المفرطة ، ونقص او ضمور فى الأعضاء التناسلية ، وكثيرا ما يسبب المصابون حوادث تعود عليهم وعلى مواطنيهم بالضرر ، خصوصا عند قيادة السيارات عندما تنتابهم النوبات .

والعلاج فى هذا المرض يتركز على البحث عن السبب وعلاجه ، أما اذا كان من النوع الذى لا يمكن اكتشاف سبب له فتعطى مركبات الافدرين Ephidrine والامفتامين Amphetemine وريتالين Retalline وفى بعض الحالات تعطى مركبات الباربتيوريت Parbiturate على انه يجب ان يمنع المريض من قيادة السيارات او القيام باى عمل يحمل طابع الخطورة خصوصا على حياته وحياة غيره .



تناول المسهلات يؤدى الى الامساك !

ـ اعاني من امساك مزمن ـ وقد استعملت الحبوب المسهلة لفترة طويلة دون ما فائدة فهل من علاج ؟ .

● الامساك له اسباب عدة ومن اهمها هو عدم الانتظام فى الأكل واكل المواد التى لا تحتوى على الياف ، وعدم الحركة والاضطرابات النفسية التى يعانى منها الكثير واخذهم الادوية التى ربما كانت عاملا مساعدا على الامساك . ثم اخذ المسهلات نفسها يساعد على الامساك ، فبعد اخذ المسهل يحدث اسهال يعقبه امساك شديد ثم اخذ المسهل مرة اخرى وهكذا .



والعلاج فى هذا المجال لا بد وان يستمر لفترة طويلة ويحتاج الى صبر حتى تتعود الامعاء على الحياة الجديدة دون مسهل . فيؤخذ كوب او كوبان من العصير او الماء عند القيام من النوم وتناول الفطور ثم الاستجابة الى نداء قضاء الحاجة ،واخذ وقت كاف حتى تتم ، دون تسرع .

ثم تناول الاطعمة الغنية بالالياف كالفواكه والخضر الطازجة والرياضة من اهم العوامل التى تساعد على عدم الامساك ، فهى تقوى عضلات البطن وتساعد على تحرك الامعاء ، ويجب أن تقوم الحوامل كذلك بالرياضة بعد الوضع اذ ان عضلات البطن تكون فى حالة ضعف وارتخاء شديد وما أكثر ما تعانى السيدات من الامساك .

ثم الامتناع كلية عن تناول المسهلات وتعويضها بالملينات اذا احتاج الأمر الى ذلك ثم الابتعاد عنها بعد ذلك مثل الاجارول Agarol والكنترمال Kanormal وسلفاك Celevac والمحاولة عن الابتعاد عن كل ما يعكر صفو الحياة والتمتع بالاجازات لأن هذا يساعد على ازالة الاضطرابات المعدية .

واذا كان هناك ما يدعو الى الامساك من مرض عضوى وجب علاج السبب كعلاج البواسير او الناسور مثلا أو الالتهابات المعوية وغيرها من الامراض التى تسبب الامساك .

ظهور الشعر على وجه المراة يكون وراثيا !

● انا فتاة عمرى ٢٥ سنة ، واشكو من ظهور شعر كثيف في ذقني ووجهى مما يسبب لى احراجا والاما نفسية ، فلماذا يصيبنى ، وكيف اتخلص منه ؟

ـ ان ظهور الشعر فى وجه المراة Hirsuties يختلف من بضع شعيرات الى شعر كثيف ، وقد يصحبه كذلك شعر على الذراعين والساقين ، وحتى الصدر ، وكثير من الحالات الخفيفة والمتوسطة تكون وراثية ، وتنتشر فى بعض

العائلات كما انها تزداد فى بعض الاجناس مثل اليهود والاسبان . وتختلف طبيعة وشعور المراة المصابة تبعا للوسط الذى تعيش فيه ، فكثير منهن لا يعرن تلك الظاهرة اهتماما وبعضهن يستعملن ادوات الزينة والمكياج لاخفائه ، فلا يقلق راحتهن او يؤثر فيهن ، اما البعض الآخر فان هذه الظاهرة تشل كل تفكيرهن وتؤثر على نفسيتهن ، ويعتقدن أن جميع الناس ينظرون اليهن ويعلقون على شكلهن .

ويعتقد بعض النسوة بان استعمال كريمات الوجه يؤدى الى ظهور الشعر على مر السنين الا ان ذلك الاعتقاد خاطىء حيث اننا نجد كثيرا من النساء يظهر عليهن الشعر ، دون ان يستعملن الكريم فى حياتهن . ولكن قد يؤدى بعض المؤثرات الخارجية،مثل التعرض للرياح والشمس لفترة طويلة او حدوث التهابات بالوجه ، الى نشاط نمو الشعر وظهوره على الجسم والوجه . وقد يظهر الشعر فى بعض النساء على فترات متقطعة نتيجة اضطرابات العادة الشهرية ، كما انه يظهر كذلك بعد سن اليأس حيث نجد ظهور شارب او لحية لبعض النساء ، كذلك نلاحظ فى بعض البنات ان الشعر يختفى بعد الزواج والحمل وفى البعض الآخر يظهر بعد تكرار الحمل ، ولكنه يختفى بعد الولادة ، وعند سن البلوغ قد يظهر بعض الشعر ، وكذلك حب الشباب نتيجة زيادة نشاط الغدد وافرازها . ومن الأسباب الخطرة التى يجب البحث عنها وجود اضطرابات فى الغدد الصماء ، سواء نتيجة التهاب او ورم او غيره الا انه فى هذه الحالة تظهر على الفتاة اعراض اخرى تبعا للغدة المصابة والمرض الناتج عنها . كما انه يجب ملاحظة الحالة الصحية العامة حيث أن سوء التغذية قد يؤدى الى ظهور بعض الشعيرات على الوجه والجسم ، كما انه فى كثير من الحالات قد لا نجد اى سبب مطلقا .



ولعلاج هذه الظاهرة يجب البحث اولا عن السبب خاصة اضطرابات الغدد وعلاجها ، وكذلك سوء التغذية وعدم التعرض للرياح الشديدة ، والشمس ، ثم بعد ذلك يعتمد العلاج على عدد الشعر وطوله وقوته وموضعه وامتداده على الوجه ، وكانوا قديما يستعملون هرمون استروجين بكميات كبيرة لانه يؤدى الى سقوط الشعر ، ولكنه ينمو ثانية بعد ايقاف الدواء علاوة على مضاعفاته ولذلك فاننا لا ننصح باستعماله الا بعد سن اليأس حيث يقل افراز هذا الهرمون، كذلك استعمال أشعة اكس لسقوط الشعر له مضاعفاته . ولازالة الشعر موضعيا هناك انواع كثيرة من المعاجين او المحاليل او البودرة الموجودة بالصيدليات وكلها عادة تحتوى على مادة Barium Sulphide والبعض يستعملن الحلاقة العادية او الملقط لازالة الشعر كما ان هناك انواعا خاصة من الشمع لازالة الشعر او دلك الوجه بنوع خاص من الحجر مثل Pumice Stone . وفى بعض الحالات يلجأ الى تبييض الشعر بواسطة ماء الاكسجين والأمونيا حيث يصبح الشعر بلون الوجه ، ولكن حتى الآن ، فان افضل وسيلة للعلاج ، هو ازالة الشعر بالكهرباء بواسطة الاخصائي مستعملا Diathermy or Electrolysis .

وذلك كله يجب ان يتم بتوصية من الطبيب حتى لا يؤدى العلاج الى ضده .

■■

رواد السيرة الذاتية

من إفرنج وعرب



العقاد

بقلم : علي بركات

■ كانت ايماءة لافتة من السيد كاتب مقال « الامام الغزالي فى كتابه المنقذ من الضلال » الى فضل صاحبه فى فن السيرة الذاتية Aurobiography حيث قدم عملا يعد « سيرة ذاتية عقلية روحية »(«العربي» العدد ١٤٨ مارس ١٩٧١) .
وكما كانت مجلة « العربي » تعنى بتاريخ الاشخاص الى جانب الادب ، فقد لزم التعرف على فضل مفكرينا وادبائنا الرواد فى مجال السيرة الذاتية ، وذلك يتضح بتتبعنا لنشأة هذا الفن فى الادب الغربي ، وتنوع الوانه لاستخلاص خصائصه ، ثم ابراز ما اضافه الاقدمون والمحدثون فى الادب العربي على وجه الاجمال .

الاعترافات

ارست الاعترافات التي ظهرت في الادب الغربي المعالم التى ينفرد بها فن السيرة الذاتية ، اذ يكشف الكاتب عن خفاياه ، ويجهر بما لا يعرفه سواه عن مكنونات حياته . ولم يكن ظهور « الاعترافات » في الادب دفعة واحدة ، اذ نكاد لا نقرأ في الادب اليوناني القديم اعترافات ، لانه لم تنتشر لديهم فكرة تطور الفرد التى تبرزها ترجمة الحياة الذاتية ، بل اتجهت عنايتهم الى مرحلة النضج والازدهار في حياة الانسان وهي الاربعين من العمر واطلقوا عليها لفظ Akme ومعناها الذروة ، او فترة النضوج في الحياة .

اما الرومان فقد سادتهم نظرة واقعية ، جعلت ما هو شخصي في الادب يستهويهم ، فعرض بعض



توفيق الحكيم



المازني



طه حسين



أمين الريحاني



أحمد أمين

كتابهم وشعرائهم حياتهم في صراحة ، منذ القرن الاول للمسيحية ، كضرب من مراجعة الضمير ومحاسبة النفس . ومن بين المحاولات المبكرة في الاعترافات ذاعت « اعترافات » القديس اوغسطين T. Augustino (٣٥٤ ــ ٤٣٠) كعمل ادبى فذ لانه في غير تحرج او مواربة سرد خفايا حياته ، دون السكوت عن ذكر سقطاته وزلاته .

وشهدت بعد ذلك « اعترافات » Confessions جان جاك روسو Jean Jacques Rousseau (١٧١٢ ــ ١٧٧٨) على قدر صاحبتها وجراته في تصوير نفسه دون تحفظ . ثم توالت الاعترافات التي من اشهرها «اعترافات مدمن افيون انجليزى» The Confessions of an Englih Opiwn-eater لتوماس دى كوينسي Thomas de Quencey (١٨٧٥ ــ ١٨٥٩) ، واعترافات شاب Cofessions of a young-man لجورج مور George Moore (١٨٥٢ ــ ١٩٣٣) ، وكلها كشفت عما ينبغي أن يتحلى به كاتبها من صدق ، ونزاهة ، وصراحة ، وكشف ما اكتنف حياته من اسرار .

السيرة الذاتية

كان للاعترافات فضل ظهور فن السيرة الذاتية، وازدهاره ، وتنوع الوانه . ويؤرخ « قاموس اكسفورد » لنشوء عبارة « سيرة ذاتية » بعام ١٨٠٩ ، التي تطور معناها ليدل على « كتابة انسان لتاريخه ، او قص حياة انسان بنفسه » ، وتتميز بان كاتبها هو صاحب السيرة ذاته ، ولذا تتضمن معلومات فيها جانب كبير من الصدق ، لان الشخصية الرئيسية في السيرة تظهر كشاهد على الاحداث التي تسجل ، ولا يستطيع ان يروى التجربة سوى من عاناها .

واقدم سيرة ذاتية في الادب الانجليزى اكتشفت عام ١٩٣٤ ، وعنوانها Book of Margery Kemp

لكاتبتها مارجرى كمب التى سجلتها في مطلع القرن الخامس عشر .

وبعض كتاب السير الذاتية يضمنونها ماضيهم، بقصد التعرف على معتقداتهم الدينية ،وافكارهم السياسية ، وتقلباتهم العاطفية ، كما في « تاريخ حياتها » L'Histoina ce Ma vie «لجورج صاند» وبعضهم يفضون بخبراتهم الجنسية مثل «روسو» و « ستاندل » و « جيد » ، او يعرضون حياتهم من خلال تجربتهم الذاتية في التربية مثل هنرى آدامس وهيلين كيلر ، او اشواق صوفية كما عند كاردينال نيومان .

الوان من السير الذاتية

واستطاعت السيرة الذاتية ان تحتل مكانة «الجنس» من عدة « انواع » ادبية انبثقت عنها. منها « المذكرات » Memoirs التى يسجلها عادة شخص لعب دورا بارزا في مجرى الاحداث ، او كان له حظ متابعتها عن كثب ، ومعايشة التاريخ في تحولاته . وكاتبها يقص تاريخ عصره من خلال رؤيته ، وهو يختلف عن المؤرخ الذى يتعامل مع الحقائق من وجهة نظر موضوعية ، ولذا فان كثيرا من المذكرات يكتبها جنرالات وساسة ، وما يقدمونه ليس تاريخا بقدر ما هو تبرير لاحداث سيئة يريدون التخلص من مسئوليتها ، ويؤكدون لانفسهم المنجزات التى تمت بنجاح . واسلوب المذكرات يختلف عن اسلوب كتابة التاريخ ، اذ الاخير يشمل فترةزمنيةمعينة تتتابع فيها الأحداث في حركة مستمرة ، بينما الاول اقرب الى اسلوب الرواية بما يتضمن من تسلية وغموض وعنف .

وفي القرن السابع عشر ظهرت مذكرات كتبتها نساء سجلن حياتهن من خلال عرضهن لسيرة انسان وثيق الصلة بهن ، او ارتبطن به في اهم مراحل حياتهن ، مثل مذكرات « لوسي ابسلي » Luoy Apsley عن حياة الكولونيل « هوتشيسون » ، ومذكرات مارجريت لوكاس Margret Lucas عن زوجها الماركيز وليم .

و « اليوميات » Journals لون من الوان السيرة الذاتية يكتبها صاحبها يوما بيوم حيث يدون ملاحظاته بالنظام الذى وقعت به الاحداث التى شاهدها ، او كما رُويت له من شهود عيان. وهذا المنهج يعين الكاتب على الا ينسى الوقائع ، الا انه يفتقد المراجعة والتثبت والتمحيص مما كتب في حينه . وما تتضمنه اليوميات من احداث وقعت ، واحاديث جرت ، وانطباعات شخصية وفكاهات تضفى على قراءتها متعة ، تتحقق بقدر ما ينأى كاتبها عن محاولة اكسابها القيمة التاريخية. وكاتبها يسجل اتجاهاته ازاء الاحداث التى تتلاحق بسرعة متزايدة . ومن اشهر اليوميات ، يوميات صموئيل بيبس Samuel Pepys's Diary ويوميات ايفيلين John Evelyn's Diary اللتان تفيضان بمعلومات وتفاصيل دقيقة عن القرن السابع عشر.واليوميات التى كتبها«دستويفسكى» في جريدة المواطن(١٨٧٢) ، واستقلت اليوميات، ثم اصبحت مجلة شهرية يسجل فيها آراءه في الاحداث السياسية والاجتماعية ، ويروى خواطره حول كل ما يعن له من مواضيع .

وترتبط الرسائل بفن السيرة الذاتية Autobiography ، اذ أن بعضها رسائل طويلة تمثل يوميات معينة مختارة من حياة كاتبها ، ومن الممكن ان يتوفر لها خصائص اليوميات الصادقة كما في اعمال « بلزاك » Balzac في « الغريب » L'Etrangere ، واحيانا تكون الرسائل سجل احداث كما في رسائل هوراس والبول Horace Walpole ، وقد تجيء الرسائل تعبيرا عن اتجاه كاتبها نحو ما يدور في مجتمعه من امور لا يرضى عنها ، وكفاحه لارساء قيم اخلاقية كما في رسائل لورد سيشترفيلد . ويطلق الاوربيون على هذا النوع من الادب كلمة Letters ، اى الرسائل ، وكان الأدباء يتراسلون وتحمل رسائلهم افكارا علمية وانفعالات وجدانية ، وكثير من العادات والتقاليد والرسائل التى يتبادلها الاصدقاء والمحبون تكتب عادة تحت تأثير الانفعالات، والعواطف الجياشة العنيفة تنطوى على قدر كبير من كشف حقائق النفس ودخائلها العاطفية دون مواربة ، وقد يترجم بعض الأدباء لحياتهم في قصص يتفاوت نصيب الخيال فيها مثل « ديفيد كوبرفيلد » لشارلس ديكنز ، أو يتناول الاديب بعض جوانب حياته لتكون ركائز اساسية كما في اغلب أعمال « سومرست موم » .

خصائص السير الذاتية

ومهما تنوعت اشكال السير الذاتية والوانها ،

فان القارىء يتناولها ليتعرف على كاتبها ، وهو يكشف خبايا نفسه ، ويعرض لنشأته ، وتربيته ، واطوار حياته ، وما اكتنفها من خبرات وتجارب ، وصادفه من مواقف ، والظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي لازمت حياته .

وذلك يتحقق عندما يكون عرض الكاتب متسما بالصراحة والشجاعة التي تمكنه ان يخرج عن ذاته ، ويقف من نفسه موقفا موضوعيا ، لا يخشى مواجهة حقائق حياته مهما علت او صغرت ، ولذا تفاوتت السير الذاتية في حظها من هذه الخصائص . والكاتب عندما يصدق في سرد سيرته ، واستبطان اعماقه ، فانه يعبر عن شعوره بذاتيته ، وفرديته ، اى صورته الشخصية كما تبدو في مرآة الذات ، وبعرضه نفسه ملتحما مع الآخرين ، تعرف شخصيته كما تبدو في نظر المشاهد لها من الخارج ، أى صورته منعكسة في مرآة الغير . والسير الذاتية كشف عن الشخصية اثناء عملية الصراع التى تقوم بين شعور الكاتب بذاته وموقف المجتمع منه ، ومدى خضوع احد الطرفين للآخر . وتكمل الصورة عندما تتسم بالصراحة ، والشمول ، الذى يبرز الصفات الجسمية والعقلية (المعرفية) والمزاجية ، والخلقية ، بما يتولد من هذه الصفات من افكار وميول واذواق وعقائد ودوافع ومشاعر وقدرات وعادات وعواطف واتجاهات وغيرها .

السير الذاتية في تراثنا

وقد اطلع العرب قديما على بعض السير الذاتية في لغتها الاجنبية وترجموها ، وابرزها ، ما كتبه الفيلسوف الطبيب اليوناني جالينوس (١٢٠ ــ ٢٠٠م) وترجمه حنين بن اسحق (٢٦٠هـ) الذى قلده في سيرته وتبعه محمد بن زكريا الرازى (٣١٣هـ) ثم غزر انتاج الفلاسفة والعلماء والادباء والرحالة والصوفية والساسة في تسجيلهم سيرتهم وابراز ما سلكوه في تربيتهم ، ونشأتهم وسلوكهم ، وما صادفوه من محن ، وما شاهدوه من أحداث ، وتركوه من مصنفات . وكانت معظم السير الذاتية يلحقها الكاتب بمؤلفاته ، فهي لم توضع مستقلة اصلا ، بل أجزاء من مؤلفات ، ينقصها غوص الكاتب في اعماق ذاته ، وذكره الاحداث التي وقعت في حياته وكانت معالم بارزة في تكوين شخصيته ، والتصريح بالزلات والسقطات والدوافع التي كانت كامنة وراءها ، ورسم صورة للعصر الذى عاش فيه بكل احواله وملابساته في صدق وموضوعية .

ولا يستثنى من ذلك الا « المنقذ من الضلال » لابى حامد الغزالي الذى يعد سيرة ذاتية عقلية ، كتبت منفصلة ، تركز على الجانب الفكرى في حياته . وما قدمه عبد الرحمن بن خلدون (٧٣٢هـ ــ ٨٠٨هـ) (١٣٣٢ ــ ١٤٠٦م) في سيرته الذاتية « التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا » حيث يعد بهذا العمل اول كاتب عربي كتب عن نفسه ترجمة ذاتية مستفيضة تحدث فيها عن تفاصيل ما جرى له ، واحاط به من حوادث منذ نشأته الى قبيل وفاته بأحد عشر شهرا (ذى القعدة ٨٠٧هـ) فاتسمت بالاحاطة والشمول والاستيعاب اذ لم يترك امرا أتاه ، او وقع له ، الا سجله ، حتى الامور التي يحرص الناس عادة على كتمانها . وقد كان « التعريف » في اول الامر تذييلا لكتاب « العبر وديوان المبتدأ والخبر » ، فلما تفطن الى هذا الفن الادبي اعاد كتابه « التعريف » في نسخة مستقلة اضاف اليها ونقح فيها ، واستقلت عن العبر .

سيرة « الشدياق »

ثم لا نكاد نلتقي بهذا اللون من الفن الا على حال من الندرة حتى عام ١٨٥٥م ، اذ ظهر كتاب « الساق على الساق فيما هو الفارياق » لاحمد فارس الشدياق (١٨٠٥ ــ ١٨٨٧) الذى طبع في فرنسا وترجم عنوانه بالفرنسية الى « حياة ومغامرات الفارياق » ، وتضمن فصلا بعنوان « في اثارة رياح » يعرض لحياته منذ طفولته ، حتى تفتح ملكاته العقلية واهتماماته اللغوية ، ومشاهداته في البلاد التي زارها وخبراته في دنيا المرأة ، وان غلب على الكتاب ابراز غرائب اللغة ، الا انه لا يمكن اغفال صراحته في سرد سيرته . وفي عام ١٨٨٨ ظهر كتاب «الخطط التوفيقية الجديدة» لعلى مبارك (١٨٢٤ ــ ١٨٩٣) الذى اشتمل على تراجم أعلام البلاد التى ذكرها ، وخص حياته فيه بستين صفحة لعرض نشأته وتعليمه ووظائفه واصلاحاته . وفي مطلع القرن العشرين شرع الاستاذ الامام محمد عبده (١٨٤٩ ــ ١٩٠٥) في كتابة سيرته الذاتية تلبية لرغبة «ويلفرد بلنت» والسيد رشيد رضا ، قبل اشتداد مرضه عليه ووفاته

فلم يكمل الا فصلا عنوانه .. « اهلي ـ بيئته وبيئته » عرض لحال اسرته وبيئته واثر تربيته الأولى فيه . وفي العشرينات من هذا القرن قدم الأديب المفكر السوري محمد كرد على (١٨٧١ ـ ١٩٥٤) « خطط الشام » (١٩٢٥) خص فيه حياته بصفحات تضمنت نشأته وتعليمه واهتماماته بالدعوة الى الاصلاح الاجتماعي ومشاهداته في رحلاته .

السير الذاتية بين الصراحة والمواربة

واسباب قلة الاقبال على تسجيل ادبائنا لسيرهم الذاتية ، انها تقتضي الجهر بالخبيء في حياة كاتبها ، وافشاء ما بعده من أسرار ينبغي أن تظل طي الكتمان ، ولعل محمود تيمور يُجمل أسباب عدم ازدهار هذا الفن الأدبي بأشكاله ، وبمفهومه الحديث عندنا ، حينما يقول : « نحن الشرقيين نحيا في دنيانا هذه ، وعلى اخلاقنا وسلوكنا قناع غليظ ، فلما نقول ما نعتقد ، وقلما نصارح بما نجد ، وقلما نعبر عما تطويه السرائر .. كلنا متستر بهاجي وبوارب ، ويظهر على غير حقيقته .. منا من يتخذ مسوح الاخيار الزهاد ، ويبدو في سمت المثاليين الابرار ، وربما كتم امر نفسه عن نفسه خداعا عن نفسه لنفسه ، وفرارا بوجهه عن وجهه ، فنحن امام ضعفنا الانساني ضعفاء عن أن نعترف به ، نجاهد في ان نظهر في ثوب البراءة والطهر ، على رؤوسنا أكاليل من بطولة الفضيلة لكي نستطيع ان نلائم ذلك المجتمع المنافق الكذوب الذى نعيش فيه » .

وربما كان رأى بعض ادبائنا في « الاعترافات » كاشفا لنا رايهم في السيرة الذاتية عموما لما تنطوى عليه من كشف دخائل النفوس ، يقول عبد الرحمن شكرى : « ليس فريضة على صاحب الاعترافات ان يذكر كل نقائصه ، هل فعل ذلك « روسو » ، أو « جيتى » أو « شاتوبريان » ؟ ومهما عظم نصيب صاحب الاعترافات من الصراحة فلا بد أن يكون عنده من الجبن والحزم واحترام النفس ما يغريه باخفاء كثير من نقائصه ومعايبه» . أما أحمد أمين فيقول : « اعتاد الكتاب ان يقصروا الاعترافات على المسائل الجنسية التى اعتاد الانسان أن يسرها ولا يجهر بها الا لخواص أصدقائه ، ولعل المسئول عن حصر الكلمة بهذا المعنى « جان جاك روسو » وامثاله ممن قيدوا هذه الاعترافات ، والقسس الذين يصغون الى هذه الاعترافات . اما الكلمة نفسها فواسعة شاملة تشمل هذا النوع وتشمل غيره من الفضائل التى اكتسبها الانسان في حياته بعنف ومشقة » . ويكاد يتفق رأى عباس محمود العقاد مع احمد امين حيث يقول : « لن يكون الاعتراف اعترافا في رأى بعضهم الا اذا كان اعترافا بأمر يغلب على الناس انكاره وكتمانه ، فلا يفهمون من الاعتراف الا انه اعلان لخبيئة في النفس تشين صاحبها ، وتدعو الى اخفائها » . ومع ذلك فان أدبائنا قدموا لفن السيرة الذاتية ما يستأهل عرضه .

عبد الرحمن شكرى
سيرة ذاتية رائدة

ووقفة عند أهم السير الذاتية التى أثرت هذا الفن في أدبنا الحديث ، وتفرد بعضها بخصائص مميزة ، تبين لنا فضل ادبائنا في هذا المجال .

فقد نشر عبد الرحمن شكرى (١٨٨٦ ـ ١٩٥٨) في « الجريدة » ما بين عامى ١٩٠٩ و١٩١٣ سلسلة مقالات عرض فيها لحياة انسان في مختلف أطواره ، ورمز اليه بـ « م.ن » ثم جمعها في كتاب طبعه في الاسكندرية عام ١٩١٦ ، واسماه « كتاب الاعترافات .. وهو قصة نفس » أجمع النقاد على أنها اعترافات حيث لا يمارى من درس دواوينه ، ومؤلفاته ، وعرفه عن قرب انها له . وتتميز بانه عُني باستبطان ذاته ، واحتفاله بكشف طواياه وخفايا نفسه ، اكثر من عرضه للظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى في ظلها تشكلت شخصيته وتأثرت. وتكاد الاعترافات ـ او المذكرات كما يطلق عليها أحيانا ـ أن تكون مجموعة آراء وافكار تعبر عن رأى صاحبها في الحياة والناس . وفضله الرائد في فن السيرة الذاتية انه عرف سمات هذا الفن كما تطورت في الأدب الغربى وتفطن الى ما يعتمل في أعماق النفس ، وكشف عن قيمه التى اعتنقها ، وصراعه مع المجتمع ، فتميزت بالأصالة .

طه حسين

وحينما بدأ الدكتور طه حسين (١٨٨٩) نشر الجزء الأول من « الأيام » بمجلة « الهلال » في

ديسمبر عام ١٩٢٦ ، شد اهتمام القراء الى سيرته الذاتية ، ثم نشر الجزء الثاني في أغسطس عام ١٩٣٩ ، وبهذين الجزءين (املاهما في فرنسا ، الاول في ثمانية أيام ، والثاني في تسعة أيام) احتل أدب السيرة الذاتية المكانة القمين بها بين فنون الأدب العربي الحديث . ثم كتب « لآخر ساعة » عام ١٩٥٤ عشرين فصلا عن فترة من حياته تمتد من ديسمبر ١٩٠٩ م الى فبراير ١٩٦٢ م، وجمعها في كتابه « مذكرات طه حسين » الذى يعد تتمة للايام . واستطاع د. طه حسين أن يسجل في صدق وصراحة ما صادفه من أحداث شكلت حياته ، وأبان عن قدرة بيانية وبلاغية في وصفه للبيئة التي عاشها ، ولذا كان رائدا في صراحته اذ يتناول سيرته .

وابراهيم عبد القادر المازني (١٨٨٩ – ١٩٤٩) عرف عنه ولعه بالحديث عن نفسه ، فقد وجد في كتابة القصة والمقالة مجالا ليعرض ما يميل الى عرضه عن شخصيته ، ويستلهم أحداث حياته . ومن مجموعة قصصه القصيرة وروايته ، بالاضافة الى بعض مقالاته الساخرة يمكن أن نقف على مقومات شخصيته ، والبيئة التى نشأ فيها ، وانعكاس المجتمع بقيمه وتطوراته على نفسه ، وموقفه من الأمور التى كانت تقع حوله ، و في عام ١٩٦١ جمعت سلسلة مقالات نشرها في « آخر ساعة » لتكون سيرته الذاتية تحت عنوان « قصة حياة » . وقد استطاع المازني أن يستغل تجاربه في الحياة ومع الناس ، وآلامه وآماله ، ويسبر أغوار نفسه ، دون أن يغفل نزواته ، فرسم صورة قلمية تفيض بنبض حياته ، حتى يكاد لا يدع جانبا من سيرته الا عرضه ، فسجل دروسها وعبرها ، وكشف الحق والباطل فيها ، بقدر ما تراءت له ، فاتسم انتاجه في فن السيرة الذاتية بالخصوبة والتنوع .

أما توفيق الحكيم (١٩٠٢) فالمصارحة وكشف طوايا النفس ، وجعل الذات محورا لما ينسج من نتاج أدبي ، أبرز خصائص أعماله التى قدمها في باكورة مصنفاته الأدبية . اذ كانت محاولته تأكيد ذاته ، وعرضه ما عاناه من جهد ، وما لاقاه من صعوبات ، ومجابهة العوائق التى كادت ان تحول بينه وبين تحقيق ملكاته وهو يشق طريقه في عالم الفكر والأدب ، من العوامل التى دعته الى البحث عن الاشكال الادبية المتنوعة التى يتخذها أدباء الغرب غالبا لتقل ما يريدون من واقع حياتهم . ولذا يقدم « عودة الروح » (كتبها عام ١٩٢٧ ونشرها عام ١٩٣٣) مسجلا جانبا من سيرته الذاتية في طفولته وصباه في اطار روائي ، ليعرض الظروف التى نشأ في ظلها وأرهفت احساسه ، وأنبتت في أعماقه مشاعر الفنان اليقظ لكل ما يدور حوله ، المتفطن لمتناقضات مجتمعه على الرغم من حداثة سنه ، والمنطوى رقة احساس لمعاني الخير والجمال فيما يحيطه. ثم يعود الحكيم الى حياته في سيرته الذاتية « سجن العمر » ليفسر ما هو موروث ، وما هو مكسوب في طباعه حتى يعطي في النهاية صورة صريحة واضحة عن حياته .

وسلامة موسى

ويقدم سلامة موسى (١٨٨٧ – ١٩٥٨) في « تربية سلامة موسى » (١٩٤٧) صورة لسيرته من خلال تربيته الذاتية يحيط فيها القارىء بكافة أحداث حياته ، حيث يفضي بكوامن نفسه ، ويبين أثر العالم من حوله في اتجاهه وافكاره ، باتاسه واحداثه ، وكيف خطط لنفسه منهجا في التثقيف الذاتي ، يمكن أن يفيد القارىء في تربيته.

سيَرٌ أخرى

وذكرنا لهذه السير الذاتية الرائدة وكتابها ، لا يعني اغفالنا لقيمة سير ذاتية أخرى امثال « حياتي » لأحمد أمين (١٨٨٧ – ١٩٥٤) وأنا و « حياة قلم » لعباس محمود العقاد (١٨٨٩ – ١٩٦٤) أو ما قدمه أمين الريحاني (١٨٧٦ – ١٩٤٠) في كتابه « الريحانيات » حيث صور طفولته ، ثم حياته في قصته « خالد » ، ولكننا اكتفينا بالسير الذاتية التى تفردت بخصائص مهدت السبيل لياخذ فن السيرة الذاتية مكانه بين فنون الأدب العربي . كما ان هذه السير في جملتها تستاهل الدراسة والتامل ، واستخراج ما تنطوى عليه من دروس وعبر ، وامارات تكشف لنا عن شخصية كاتبها وتقرب صورته للقارىء .

■■

بورسعيد ـ علي بركات

نابليون

بمناسبة مرور قرنين على ميلاده

رأى المؤرخين



نابليون

بقلم : على أدهم

■ حينما ظهر في سنة ١٩٤٨ الجزء الحادى عشر من كتاب المؤرخ الفرنسي لويس ماديلان عن « تاريخ القنصلية والامبراطورية » كتب الناقد الذى تولى كتابة افتتاحية عدد ملحق التايمز الادبى الصادر يوم ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٤٨ يقول « كثير من النقاد يضيقون ذرعا بهذا السيل الذى لا ينقطع من البحوث النابليونية ، لان نابليون لا يلائم القالب الذى يؤثرونه ، او لمجرد انهم يرون ان المكانة التى اختصت بها الشخصيات بوجه عام ، ونابليون بوجه خاص ، في التاريخ ، مكانة جد سامقة ، وهم برغم ذلك لا يستطيعون صد هذا التيار ، فالكتاب يريدون ان يتابعوا الكتابة في الموضوع ، والقراء على ما يبدو يبغون مواصلة القراءة ، ومن ثم توجد ناحية يتناولها الكتاب القيم ، وسوق لرواجه » .

وواضح ان كاتب الافتتاحية يشير الى بعض النقاد الماركسيين الذين ينتقصون من قيمة العامل الشخصي، والعنصر البطولى، في الحركة التاريخية، لان الدوافع الاقتصادية والعوامل المادية لها في رأيهم المكان الاول في سير التاريخ وتطوراته واحداثه وانقلاباته .

ولم يتوقف من ذلك الحين سيل البحوث النابليونية ، وتناول نابليون وعهده من النواحى المختلفة ، وقد استرعى التفاتى من سنوات ظهور كتاب عنوانه « من الذى قتل نابليون » ذهب فيه مؤلفه الى ان نابليون مات متأثرا بجرعات من السم كانت تدس له بمقادير قليلة حينا من الزمن حتى تحدث تأثيرها دون ان يظهر ذلك ، وقد اتهم بدسها له مونتولن Montholon ، احد الذين رافقوه في النفى بجزيرة سانت هيلانة ، وقد استدل على انه مات بالسم من تحليل احدى الشعرات من شعر رأسه عثر بها ، وكان الدافع الى ذلك ضيق مونتولن بالاقامة في الجزيرة النائية، ورغبته في الارتحال، وقد وجد ان التعجيل بالقضاء على حياة نابليون مما يجعل العودة الى فرنسا ميسورة .

فلتة من فلتات الطبيعة

ولم يشغل نابليون في القرن ونصف القرن الاخيرين بال المؤرخين وحدهم ، وانما شغل كذلك

(١) ولد نابليون في ١٥ اغسطس سنة ١٧٦٩ بجزيرة كورسيكا .

والفلاسفة والكتّاب والشعراء، أثناء حياته ، ومن بعد موته .



شوبنهور



مدام دي ستايل



نيتشة



هينريك هيني

الفلاسفة والكتاب والشعراء والباحثين على اختلاف الوانهم ، لان هذا الرجل الذى ملأ الدنيا فى عصره وشغل الناس كان فلتة من فلتات الطبيعة ، وشخصية فذة كثيرة الجوانب ، متنوعة المواهب، فكل مفكر كان ينظر اليه من الناحية التى تروقه وتلائمه ، وبطبيعة الحال قد اختلفت الآراء في تحليل شخصيته ، وتقدير اعماله ومواقفه، واحبه قوم ، واعجبوا به ، وغالوا في ذلك ، وكرهه قوم ، واكثروا من تعديد مثالبه ، واحصاء عيوبه وسقطاته ، ونذكر في ذلك بالحديث الشريف المنسوب الى نبينا الكريم في على بن ابى طالب ، وهو « يدخل فيك النار اثنان ، محب" غال ، وعدو" قال » .

رأى شوبنهور

فالفيلسوف الالمانى آثر شوبنهور Schopenhauer يقول عنه « لم يكن نابليون في الحقيقة والواقع اسوأ من الكثيرين ، ان لم نقل من اكثر الناس ، فقد كانت تسيطر عليه تلك الأثرة العادية التى تبحث عن مصلحتها على حساب غيرها من الناس، والذى ميزه عن غيره هو انه كان اقدر من غيره على اشباع رغبته ، وكان اعظم ذكاء وعقلا وشجاعة، ويضاف الى ذلك ان المصادفة اتاحت له مجالا للعمل ، وبهذه الوسائل جميعها استطاع ان يعمل من اجل آثرته ما يريد ان يصنع الغير جل آخرون من اجل اثرتهم لو استطاعوا الى ذلك سبيلا ، وكل غلام عاجز قد استطاع ببعض الفعلات الدنيئة ان يظفر لنفسه ببعض المزايا عن طريق الاساءة الى الغير ،فانه بالرغم من هوان شأن تلك الاساءة يشبه نابليون تمام الشبه في السوء والشر،والذين يتوهمون ان العقوبة تجيء بعد الموت يطلبون ان يلقى نابليون العقاب الشديد عقابا له على ما رمى به الناس من فوادح الخطوب ، ولكنه ليس اكثر اجراما من هؤلاء الذين يملكون الارادة نفسها ولكنها غير مصحوبة بنفس القدرة » .

« وواقع الحال ان القوة العظيمة التى كان يملكها نابليون مكنته من ان يكشف ما تنطوى عليه الارادة البشرية من الشر ، والالام العظيمة التى لقيها عصره تبين لنا الشقاء المرتبط ارتباطا وثيقا بهذه الارادة السيئة ، والدنيا مكونة من اعمال

هذه الارادة ، وما يجب فهمه على وجه الدقة هو الصلة الوثيقة بين الرغبة في الحياة وهذا الشقاء الذى لا يحده الوصف ، والذى هو غرض الدنيا وغايتها ، وهو غرض وغاية ساعد عليهما كثيرا ظهور نابليون . والغرض الذى وجدت من اجله الدنيا هو ان تكون ماساة تفهم فيها الرغبة في الحياة نفسها ، وتخضع وتستسلم ، ولم توجد الدنيا لتكون جنة العبيط ، وليس نابليون سوى مرآة ضخمة للرغبة في الحياة ، والفرق بين الرجل الذى يشقى الناس والرجل الذى يشقى ليس سوى فرق في المظهر ، وذلك كله رغبة في الحياة مقترنة بالشقاء البالغ ، وبهذا الفهم وحده تستطيع الارادة ان تصلح وتضع له النهاية » .

وظاهر ان هذا الفيلسوف المتشائم كان ينظر الى نابليون في ضوء تفكيره الخاص فراه مظهرا رهيبا من مظاهر الرغبة في الحياة بكل ما فيها من خبث وسوء وشر .

رأى اناتول فرانس

ولنترك الفيلسوف العابس المتجهم شوبنهور لنرى كيف كان ينظر الى نابليون الحكيم الباسم، والكاتب الشاك الساخر اناتول فرانس Anatole Feaner ، وقد كان اكثر ترفقا بنابليون ، ولذلك قال عنه « اكبر ظنى ان نابليون ، وقد خلق للمجد ، يبدو في البساطة الساطعة التى تميز ابطال الملاحم ، ولا بد ان يكون البطل انسانا ، وقد كان نابليون انسانا ، فقد كان عنيفا متهورا ، ومن ثمّ عمقّ انسانيته ، واقصد بذلك انه كان مثل غيره من الناس، وقد كان يتطلع الى الاستمتاع بالنفوذ الذى لا يحد ، وهو ما يقدره الرجل العادي ويتطلبه . وهو نفسه كانت تتملكه الاوهام التى كان يوحيها الى نفوس الناس ، وكانت هذه الاوهام مصدر قوته وضعفه ، وكانت اهم حلية يزدان بها ، وكان يصدّق بمجده ، وكان رايه في الحياة والمجتمع مثل راى احد جنوده ، ولم يفقد قط هذه الجدية البسيطة الصبيانية التى يسرها اللعب بالسيف وقرع الطبول ، وتلك البراءة التى يتكون منها الجندى الصالح ، وكان يعبد القوة عبادة مخلصة ، وكان رجلا بين الرجال يشبههم ويشاكلهم ، ولم تجل بذهنه فكرة دون ان ينقلها الى عالم العمل ، وكانت كل اعماله فخمة ضخمة، ولكنها مع ذلك عادية مالوفة ، والابطال ثمرة هذه العظمة الشائعة المبتذلة ، ونابليون مثل للبطولة الكاملة ، ولم يكن عقله اسرع من يده ، تلك اليد الجميلة الصغيرة التى اتعبت الدنيا .

ولم يحفل لحظة واحدة بشيء لا يستطيع تحقيقه ، وكانت عنده العبقرية اللازمة للتفوق واللمعان في ميدان الحرب وعالم الشئون المدنية، ولكن عبقريته لم تكن من العبقريات الموكلة بالتفكير النظرى ، وعندنا مجموعة من كتاباته وكلماته ، اسلوبه فيها حسى تصويرى ، وفي تلك المجموعة من الافكار لا توجد اشارة تنم على حب الاستطلاع الفلسفى ، او على اهتمام بالمجهول ، او اشتغال بلغز القدر، وحينما كان يتكلم عن الله او عن الروح وهو اسير في جزيرة سانت هيلانة كان حديثه حديث تلميذ صغير في الرابعة عشرة من عمره ، وحينما قذف بروحه الى الدنيا وجدت نفسها ملائمة لها فاشتملت على كل شيء واعتنقته ، ولم يفقد ذرة واحدة من هذه الروح في عالم اللانهاية ، وهو شاعر ، ولكنه لا يعرف من الشعر سوى شعر العمل . وحلمه العظيم بالحياة كان حلما ثابت الاواخى في الارض ، وقد اوهمه خرفه المحزن الرهيب ان الانسان قد يكون عظيما ، ولم يسلبه الزمن ولا تنكر الايام وغيرّ الدهر هذا الوهم ، وقد ظل شبابه بل عهد مراهقته الى النهاية ، وذلك لان ايام حياته كلها عجزت عن ان تكونّ فيه النضج الواعى ، وهكذا حالة رجال العمل جميعهم الشاذة المغايرة للمعهود ، فهم يعيشون بكليتهم في اللحظة الحاضرة ، وتتركز عبقريتهم في نقطة واحدة،وهم لا ينفكون يتجددون،ولكنهم لاينمون ، ولا تربط حلقة من التفكير النزيه الجدى ساعات

شاتوبريان





اناتول فرانس

حياتهم بعضها ببعض ، وهم لا يتقدمون ، وانما حالة تتلو حالة في سلسلة من الاعمال ، ومن ثم ليس لهم حياة داخلية ، وعدم وجود هذه الحياة الداخلية يبدو واضحا بوجه خاص في نابليون ، ومن ثم خفة القلب التي مكنته من ان يحتمل في يسر ثقل نكبته ووزر اخطائه،وكانت روحهالمتجددة تولد ثانية في كل صباح ، وكان يملك قدرة فائقة على تسلية نفسه ، ففي اول مرة راى الشمس وهي تشرق فوق جزيرة سانت هيلانة الصخرية الحزينة وثب من الفراش ، وهتف بالغناء ، ولقد عاش خارج نفسه ، والهولات لا وجود لها ، والرجال الذين يقال عنهم انهم هولات يوحون الخوف ، ونابليون كانت تحبه امة باسرها ،وكانت قوته في اشعال الحب بقلوب الرجال اينما حل ، وكان يسر جنوده ان يجودوا بالحياة من اجله » .

هذا هو تقدير اناتول فرانس لعبقرية نابليون وتحليله للغز شخصيته ، ورأيه مبطن بالشك الباسم والسخرية الرقيقة والانسانية الرحيمة ، وهي السمات التي امتاز بها ادب هذا الكاتب المتشكك الكبير .

رأى أمرسن فى نابليون

وقد اختص الكاتب الامريكى الكبير امرسون Emerson نابليون باحد فصول كتابه الشائق عن « الرجال النواب » وعده ممثلا لرجال الدنيا ، لانه كان فيه كما يقول امرسون « فضائلهموعيوبهم، وكان فيه قبل كل شيء روحهم واغراضهم » . وعنده « ان نابليون كان يوقف قواه العقلية والروحية على وسائل النجاح المادى » ، وهو في رايه « ليس بطلا بالمعنى السامي للكلمة ، ورجل الشارع يرى فيه الصفات والقوى التي يراها في غيره من الرجال الذين يراهم في الشارع .. وقد كان نابليون معبود الناس العاديين لانه كان فيه بصورة فائقة صفات الناس العاديين وقدراتهم » .

ويروى امرسون انفونتان ــ احد كبار الاساتذة الجامعيين في عهد نابليون ــ قال له « سيدي ان الرغبة في الكمال هى شر الامراض التى يبتلى بها عقل الانسان » . ويسترسل امرسون في وصفه قائلا « كان رجلا يعرف في كل لحظة وفي كلطارىء ماذا يعمل ، ومعظم الناس يعيشون من اليد للفم بلا خطة مرسومة .. ومن اقوال نابليون : « ان الحوادثالعارضة يجبان لا تسيطر علىسياستنا، وانما السياسة هى التى تسيطر على الحوادث » . ولم يكن نابليون ميالا الى سفك الدماء ولا قاسيا فظا غليظ القلب ، ولكن الويل لمن كان يقف في طريقه ، وكان لا يرى سوى هدفه ، واما العقبة فيجب ان تزول ، ولم يكن هجومه من وحى الشجاعة ، وانما كان نتيجة الحساب والتقدير .

ويشتد امرسون على نابليون ، ويقول عنه « كان بونابرت مجردا من العواطف الكريمة بشكل غير عادى ، وبرغم المكانة السامية التى بلغها لم يكن فيه مزية الصدق ولا الامانة ، وقد كان يجور على قواده ، ويعزو اعمالهم الباهرة الى نفسه ، وكان كذوبا مسرفا في الكذب ، وقد جلس في شيخوخته بالجزيرة المنعزلة ليزيف الوقائع والتواريخ » ، ومن اقواله « لا بد ان ابهر الناس واروعهم » . وكان غرضه الاعظم اثارة الضجةحول نفسه ، ومن اقواله في ذلك « الشهرة العظيمة هى الضجة المدوية ، وكلما كانت الضجة اعظم صخبا كان صوتها ابعد واسير،وقد تزول القوانين والنظم والاثار ، ولكن الضجة تبقى ويرنصداها فيالعصور التالية » وعنده ان الرغبة والرهبة هما اللتان تحركان الناس ، وان الصداقة ليست سوىاسم، وقد صرح بانه لا يحب احدا حتى اخوته ، وكان لا يعرف التردد،فكان يسرق ويفترى ويقتل ويغرق ويسم حسبما تملى عليه مصلحته ، ولم يكن كريم النفس نبيل الاخلاق ، وانما كان شديد الاثرة، وكان خائنا غادرا،وكان ميالا الى الاغتيابوالخوض في القيل والقال،وكان يقول « ان الناس يستحقون الاحتقار الذىيشرونه في نفسه، فما وضعت شريطا من الذهبعلى سترة احد افاضل الجمهوريين حتى صار في الحال ما اريده ان يكون » .

رأى هينى فى نابليون

وكان الشاعر الالمانى هينريك هينى Heine

شديد التعصب لنابليون ، مسرفا في الاعجاب به ، والتنويه بذكره ، وكان نابليون في رايه رمز القوة والمجد الارضي ، وقد زار نابليون سنة ١٨١١ مدينة ديسلدرف زيارة قصيرة ، وهناك رآه هيني راى العين ، ووصف لنا ما رآه وما خالج نفسه قائلا « سبحانك يا رب ، هذا الامبراطور ! » وكان نابليون منحدرا بركبه في وسط الطريق المشجر ، وكانما كانت الاشجار تنحني لمقدمه . وكانما كانت اشعة الشمس تتوالب وتهتز بين الاوراق الخضر متطلعة متلهفة ، وكان الانسان يستطيع ان يبصر في السماء الزرقاء بوضوح نجمة ذهبية ، وكان الامبراطور يرتدي سترته الخضراء البسيطة ، ويحمل العلم الصغير الذي اصبح تاريخيا ، وكان يمتطي جوادا اغبر صغيرا ، وكان الجواد يرفع راسه في خيلاء ويبدو هادئا بارزا ممتازا ، وكان الامبراطور يجلس فوق السرج جلسة المطمئن الوادع ، وفي احدى يديه الاعنة ، بينما كان يربت بيده الاخرى على رقبة الجواد الصغير ، وكانت يده وهي في بياض المرمر تلمع في اشعة الشمس ، وكانت يدا قوية من تلك الايدي التي سحقت الفوضى ، وكان وجهه كذلك في بياض المرمر ، لونه كلون التماثيل النصفية اليونانية والرومانية بملامحها الدقيقة ، وكتلك الرؤوس القديمة التي كانها كانت تقول « لن يكون لكم اله غيري » . وكانت ابتسامة حارة تتردد حول شفتيه اللتين كانتا تظهران هادئتين، ولكن الانسان كان يشعر بان همسة واحدة تنبعث منهما تكفى لمحو بروسيا.. همسة واحدة تنطلق منهما وتصبح الدولة الرومانية المقدسة باسرها اثرا بعد عين . وهدات الطبول ودوت الابواق ، وعلا هتاف اهل دسلدرف الالمان قائلين « ليحيا الامبراطور » .

وبعد موت نابليون كان هيني دائما يكبر ذكرى هذا الرجل « الذي ضاقت به الارض » ويخاطب الانجليز قائلا « انكم تملكون البحر ، ولكن البحر ليس فيه من الماء ما يكفي لغسل العار الذي خلفه لكم هذا الرجل العظيم بموته » .

وقد قال له مرة صاحبه القديم وخصمه العنيد برن « لقد قرات لك الجزء الثاني من «الرايزبلدر» Reisebilder فرأيتك تتحدث فيها عن الله بشيء قليل جدا من الاحترام ، والشيء الاكثر خطورة من ذلك انك تتحدث عن نابليون باحترام زائد عن الحد ، وكيف تصفه بانه خالد ، وان الاعجاب



هـ. ج. ولز

به اعجاب ابدي ؟ اسمح لي ان استرعي نظرك الى ان الكاتب الثائر يجمل به ان لا يندفع في مثل هذه العبادة الوثنية ، وليس من حقه ان يزيف التاريخ ، وانك لمسرف في الاعجاب برجل لم يكن بعد كل شيء سوى انسان طاغية مستبد » .

ولكن هيني تلقى هذه النصائح او هذا العتب بفتور وجمود ، وكان يعجب بمنطق برن ونقده ، ولكنه كان ينظر الى نابليون في ضوء روائي لا يستطيع المنطق ان ينسخه ، وقد وعد صاحبه بانه سيعيد النظر في تقديره العالي لنابليون ، ولكنه ظل مع ذلك معجبا بنابليون مفتونا به ، وكان قصاراه في الاعتذار عن نفسه قوله «اني اعجب بعبقرية الانسان ايا كان لا باعماله ، وسواء كان اسمه الاسكندر او قيصر او نابليون ، ولا اعجب بالعمل ولا بالواقع ، وانما اعجب بالروح الانسانية » . ولم يفارقه اعجابه بنابليون الى نهاية حياته ، وكان يحقد اشد الحقد على القائد الانجليزي ولنجتون Wellington قاهر نابليون في معركة ووترلو Waterloo لمجرد ان اسمه سيترامى على هام الاجيال مقترنا باسم نابليون العظيم .

رأى مدام دى ستايل فى نابليون

وقد تعرض نابليون لحملات شديدة من الكاتبة الفرنسية مدام دى ستايل de stael ، وهي تقول عن نابليون « انه كان رجلا تسكته المقاومة الحقة، وان الذين صبروا على طغيانه واحتملوه هم شركاؤه في الذنب ، وانه لو لقي بين خصومه رجلا مستقيما قوي الاخلاق لاوقفه ذلك عند حده وان سر براعته قدرته على ارهاب الضعفاء والاستفادة ممن لا اخلاق لهم ، وقد كان حينما يلقى الشريف وجها لوجه تبطل حيلته كما تقضي الارواح الشريرة علامة الصليب » ، وكانت ترى ان نابليون كان جنديا قبل كل شيء ، فهو لا يحفل بمبادىء الحرب السياسية ، وقد بدا بالقضاء على المثالية



ولنجتون

الجمهورية في الجيش، ثم استعان بالجيش للقضاء على المثالية في الدولة ، وهو انموذج مستوى الشرائط للاناني المجرد من العطف الانساني والذي يرى الناس آلات محتقرة وقطعا في رقعة الشطرنج، وهو غريب اجنبي بين الفرنسيين ، لا وطن له ولا ايمان ، وهو لا يسعى الا لمجده الشخصي وعظمته الفردية ، وهو المكيافلي الذي يعد بالسلام وهو يعمل سرا على اثارة الحروب وتهيئة اسبابها ، وما دامت مقاليد السلطة في يديه فهو لا يكف عن الاعتداء واثارة الحروب ، وليس للدين ولا للآداب في رأيه من قيمة الا بمقدار ما تساعده على اعلاء سلطانه وبسط نفوذه ، فهو الطاغية بمعنى الكلمة .

رأى شاتوبريان فى نابليون

ولما حاول نابليون القضاء على حرية الصحافة، وان يفرض عليها التوجيهات التي تلائم سياسته وتساعد على تحقيق اهدافه كتب شاتوبريان Chateaubriand في جريدة «مركير دي فرانس» يقول « كثيرا ما حاولت الهة الفن تصوير الجرائم، ولكن لغة الشاعر بها من الرقة والنعومة ما يعين على الزخرفة حتى زخرفة الجرائم ، والمؤرخ وحده هو الذي يستطيع ان يصف الجرائم دون ان يقلل من فظاعتها ، وحينما لا نسمع خلال الصمت الوضيع سوى صلصلة قيد العبد او صوت الجاسوس ، وينفض الجميع رعبا امام الطاغية ، ويكون من الخطر تلقى مثوبته او التعرض لعقوبته فانه حينذاك يظهر المؤرخ الذي يعهد اليه بمهمة الانتقام للشعب ، وعبثا كان رغد حياة نيرون ، فقد كان تاسيتوس قد ولد في الامبراطورية » .

ويذكر شاتوبريان في مذكراته ان الامبراطور نابليون حينما اطلع على هذه الكلمة قال « أيظنني شاتوبريان احمق لا يستطيع فهمه ؟ ساجعله يضرب بالسيف على درج التويلرى » . وامر نابليون بزيادة الرقابة على الجريدة التي نشرت كلمة شاتوبريان ، ثم اوقف صدورها . ولكن نابليون برغم ذلك حاول ان يصنع شيئا لكسب شاتوبريان الى صفه ، وخاطرت الاكاديمية الفرنسية بجعله من اعضائها ، ولم يسمح المشرف على شئون الاكاديمية لشاتوبريان بالقاء الخطبة الافتتاحية الا اذا حذف منها بعض فقرات واجرى بها تعديلا ، ولكن شاتوبريان رفض ذلك ، وقد ضايق نابليون موقف هذا الكاتب الجرىء ، ولكنه لم يتخذ اى اجراء ضده ، وقد اصدر شاتوبريان في سنة ١٨١٤ رسالة قال فيها عن نابليون انه الهدام الذي يحتقر الناس ، وانه كورسيكي اجنبي يضمر الاحتقار للفرنسيين ، وانه اهلك اجيالا من الشبان الفرنسيين ، وانه كان لا يبالي باراقة الدم الفرنسي ، وانه اخمد حرية الراى ، وانه كان يطلب من الكتاب ان يتملقوه ، وموجز رايه ان نابليون كان طاغية مستبدا .

رأى نيتشه فى نابليون

وقد كان نيتشه من المعجبين بنابليون ، وكان يقرن اسمه باسم شيزار بورجيا Borgia ، ويرى الاثنين مثلا للانسان الاعلى الذي كان يدعو الى تمهيد السبيل لظهوره ، ولكن الفوائد التي عادت على الانسانية من وجود امثال نابليون وشيزار بورجيا موضع شك عند الكثيرين، ولذلك وجد المعاصرون لهذين الرجلين انفسهم مضطرين الى عرقلة جهودهما والتخلص منهما في النهاية ، ونيتشه يعد ذلك شرا وتعطيلا لظهور طبقة من الرجال الاعلياء ، ويرى انه كان من اللازم ان تترك لهذين الرجلين الحرية ليتمكنا من صنع ما يريدان . ويجد الانسان صعوبة في اقناع نفسه بصواب هذا التفكير ، فما احسب ان الانسانية كان يسعدها الاكثار من رجال اعلياء من طراز شيزار بورجيا بجرائمه المعروفة او طراز نابليون بحرصه الدائم على اثارة الحروب المدمرة ، ومحاولة التوسع التي لا تكاد تقف عند حد .

رأى ولز فى نابليون

ويرى الكاتب الروائي المؤرخ ولز ان نابليون قد سنحت له فرصة لم تسنح قط لرجل في العالم من قبل ، وذلك حينما اصبح قنصلا ابتداء من سنة ١٧٩٩ الى سنة ١٨٠٤ ، فهذا المنصب السامي كان يمكنه من ان يخدم الله والانسان بافضل

مستطاعه ، وقد كان النظام القديم قد قضي عليه او كاد يقضي عليه ، واخذت قوى جديدة عجيبة تندفع في ارجاء العالم تبحث عن شكل تصوغ فيه نفسها وقائد يوجهها ، وكان الامل المفقود بايجاد جمهورية عالمية وسلام عالمي قد اخذ يداعب قلوب الجماهير، وكانت فرنسا اداة طيعة يستطيع ان يوجهها الوجهة التي يريدها ، ولم يكن ينقص هذه الفرصة سوى الخيال النبيل ، ولكن اغترار نابليون بنفسه ، واحتقاره لمن اولوه الثقة ، وميله الى ترسم خطوات قيصر والاسكندر وشرلمان اضاع عليه تلك الفرصة ، وطوحت به اخطاؤه في النهاية الى تلك الجزيرة النائية الموحشة ليضيع وقته مع سجان لم يكن يقدم له الاحترام اللائق ، وينقل ويلز قول نابليون « قد اتجهت رغبتي الى اعادة انشاء مؤسسة الارساليات التبشيرية الاجنبية، اذ ان المبشرين الدينيين ربما كانوا ينفعونني نفعا كبيرا في آسيا وافريقية وامريكا، وذلك اني ساكلفهم بتعرف كل الاراضي التي يزورونها ، ولسن تقف قداسة ثيابهم عند حد حمايتهم بل سوف تخفي وراءها ابحاثهم السياسية والتجارية» ويعلق ويلز على هذه الكلمة قائلا « الا ترى في هذا الكلام افكار تاجر لص لا افكار رجل دولة ؟ » ويستدل ويلز من علاج نابليون لمسألة التعليم على انه كان يجهل حقائق الفجر الجديد الذي تبلجت انواره حوله ، كما انه اهمل التعليم الاولي اهمالا يكاد يكون تاما، ويرى انه من الواضح انه لم يكن راغبا في ان يتعلم عامة الناس .

ويقول ويلز عن قوانين نابليون ان معظمها كان من عمل مجلس الدولة ، وانه يبدو ان نابليون ، كان يعطل مناقشات ذلك المجلس ويعوقها اكثر مما كان يساعدها ، وكان في بعض الاحيان يلقي على اعضاء المجلس محاضرات طويلة خارجة عن الموضوع المطروح للدراسة ، ويستبقي مستشاريه الى ساعات متأخرة من الليل ويظهر افتخارا ساذجا بقدرته الفائقة على السهر .

ويقول ويلز انه من العوامل الضخمة في تكوين نابليون رغبته في ان يذهل ويدهش ويروع اذهان آل بونابرت وجيرانهم ويخضعهم لسطانه ، وكان يرقي اخوته بصورة تثير الضحك ، اذ انهم كانوا رجالا عاديين ،ويرى ويلز ان الشخص الذي عرف نابليون حق المعرفة هو والدته ، وكانها كانت تشعر بان ملكه قائم على الرمال ، وتقتصد من النقود التي كان يرسلها اليها ، وحينما لامها على ذلك قالت له : « ان ادخاري هذا سيكون موضع سرورك عندما ينتهي كل شيء » .

ويرى ويلز ان معاملة نابليون للبابا نفرت منه الرأي العام الكاثوليكي ، كما نفر منه تتويجه الرأي العام المتحرر ، ويقول « ولا يبدو ان هذه الاجراءات كانت تنطوي على حكمة كبيرة » وان « سياسته الخارجية كذلك لم تكن تنطوي الا على قدر ضئيل من التعقل ، فقد دفعت باوروبا في غمار سلسلة متتابعة من الحروب » .

رأي روبكزاك عن نابليون

ويقول المفكر البحاثة بول روبكزاك Paul Roubiczek عن نابليون : « نابليون يمكن ان يمثل نقيض النزعة الرومانتيكية تمثيلا تاما ، فقد كان الرجل الذي يستطيع ان ينتهز كل فرصة تلوح له بدون اي تردد او تحفظ ، وكان الرجل الذي لا يرى ان هناك شيئا من الضآلة بحيث لا يستحق الاهتمام به ، ولا ان هناك شيئا من العظمة بحيث يكون متعذر التحقيق ، وكان الرجل الذي يستطيع مواجهة كل موقف ، وكان يباشر اموره وهو عظيم الثقة بنفسه وما دام لا يسيء فهم عبقريته او يبتذلها فهو لا يعجز عن معالجة اي مشكل،وحينما كان لا يزال قائدا مجهولا استطاع بضربة واحدة ان يكسب الاحترام لحكومة غير مستقرة الدعائم ، وسرعان ما استطاع بعد ذلك ان ينجح في يسر وسهولة في تنظيم جيش جائع سرى فيه الفساد والانحلال ، وقد حول هذا الجيش الى سلاح ماض فعال ، واشعل الحماسة في نفوس جنده بحيث استطاع هذا الجيش ان يتغلب على قوى تفوقه كان يبدو انها لا تهزم،وكانت خططه الحربية وحركاته خالية من الخطأ ، ولم يظهر تفوقه في ادارة المعارك فحسب وانما ظهر كذلك في كل ازمة سياسية طارئة ، وكانت معرفته بنفسية الجماعات لا تخطيء ولذلك استطاع ان يشق طريقه، وحينما استولى على السلطة كان من القوة بحيث لا يمكن زحزحته ، ولما استولى على مقاليد الامور اثبت انه اوتي قدرة عظيمة على التنظيم ، ففي سرعة لا تكاد تصدق اعاد تنظيم الحكومة التي عبثت بها الفوضى واستبدل بالموظفين العاجزين غير الاكفاء نظاما لا يخطيء ولا يتعثر ، وفي مدى سنوات قلائل ظهر في فرنسا اول نظام قضائي لا يزال حتى اليوم

انموذجا للقوانين ، وكان المدهش في هذا الرجل تعدد جوانبه .. وكان وزراؤه جميعهم يتلقون منه تعليمات مفصلة ، وكان يشرف على النشر ،ويكتب بنفسه مقالات في الصحف ، وينجح في المداولات الدبلوماسية ، وقد عنى بالكنيسة ونظام التعليم، واعاد تنظيم معارض الفن والمسارح ، وكان يعلم من شئون منزله كل صغيرة وكبيرة ، ويراجع بنفسه النفقات ، وكانت ذاكرته تثير الدهشة ، فهو يعرف معرفة دقيقة ما دق وجل من امور جيشه واسطوله. وكان يقول عن نفسه ان في راسه درجا لكل موضوع مثل ادراج الدولاب ، فهو يستطيع متى شاء ان يفتح الدرج المطلوب ويقفل الادراج الاخرى ، وكان يستطيع ان يستدعي النوم في الوقت الـذى يريد ومهما تكن الظروف ، وبذلك كان يملـك تجديد قواه حينما يشاء ، ولم تمهد له الطريق الى ما بلغه وراثة خارجية او ظروف مواتية ، فالاف من الرجال كانت لهم مثل ظروفه ، وانما نال ما نال بمواهبه الخاصة وكفايته وقوة احتماله وعبقريته » .

وما دام نابليون كان يملك هذه القدرة فما سبب سقوطه ونكبته ؟ يعلل روبكزاك ذلك بان العوامل المكونة لحياة نابليون كان كل منها قويا في انفراده وباهرا، ولكنه لم يستطع التوفيق بين تلك العوامل القوة الممتازة وان يربطها بعضها ببعض ربطـا صحيحا سليما ، ولما كانت هـــذه العوامـل تعمل في غير اتساق فهي من اجل ذلك لم تساعد على ازدهار حياته ، وانما ادت الى تحطيمها ، ولو ان مواهبه العظيمة كانت متعاونة بعضها مع بعض ومكملا بعضها لبعض لما كان سقوطه امرا محتوما ، وحياته تقدم لنا الدليل على انه حتى العبقرية لا تستطيع أن تفيد من الحياة الفائدة التامة دون ان يكون عندها الافكار الصحيحة ، ودون ان تسيطر عليها القيم الحقة ، وقد اخفق نابليون لانه قطع الصلات بينه وبين القيم الروحية ، وهو لم يحاول البحث عن غايات مباشرة وانما اراد ان يصل الى مثل سيطرة الاسكندر وقيصر وشارلمان، وان يظفر بشرف البطولة ، ويرى روبكزاك ان البطولة برغم ما يحيط بها من المجد والتشريف ليست مثلا اعلى خالصا ، وانما هي بديل ناقص للمثل الاعلى ، ولكي تكون البطولة مثمرة لا بد لها ان تكون وسيلة لغاية اخرى ، فاذا جاءت في المقام الاول واعتبرت نفسها غاية فاننا سنرى ان الذى امامنا ليس مثلا اعلى خالصا سليما،وحينما تخلق البطولة وهم التأثير ان هذا المثل الاعلى البطولي سليم فان هذا يؤدى الى تحطيم الحياة، ولا نزاع في ان البطل حينما تضاف الى قوته الذاتية القوة الروحية واستعداده للتضحية بالحياة ينال اعجابنا ، وعلينا ان نفرق بين البطل الذى يحارب من اجل قضية او غاية والبطل الذى يريد ان يكون بطلا فحسب ، وبين هذين النوعين من البطولة فارق كبير ، فالبطولة كغاية في نفسها تقضي على فضائل البطل ، والاعمال البطولية ليست سوى دليل على الشجاعة والقوة والاستعداد للهجوم واحتقار الموت،واذا كانت ينقصها الهدف المناسب فانها تصبح واهم اغراضها التدليل على الشجاعة والقوة ، والبطل في هذه الحالة يريد الانتصار لمجرد الانتصار ، وما يجلبه النصر من الشرف والسيطرة،وهذا النوع من البطولة ينتهى بكارثة، وكذلك انتهت حياة نابليون .

واختلف المؤرخــون الفرنسيون

والمؤرخون الفرنسيون انفسهم يختلفون في تقدير اعمال نابليون وتحليل شخصيته فمنهم الناقـد الشديد التحامل عليه مثل المؤرخ لانفرى Lanfrey ومنهم المدافع عنـه الشديد التعصب لـه مثل المؤرخ فردريك ماسون Frederic Masson ،ومنهم من كان يعده آلة في يد القدر لتحرير فرنسا ، ومن الصعب على التاريخ ان يصل الى نتيجة حاسمة تلقاء شخصية منيفة كثيرة الجوانب مثل شخصية نابليون،واحداث حياته متصلة باحداث عصره اتصالا وثيقا ، ولسنا ننتظر من التاريـخ الاحكام الحاسمة والتقديرات النهائية ، لان معنى ذلك اننا نسيء فهم طبيعة التاريخ ، والمنهج العلمي قد يمكن المؤرخين من الاتفاق على اشياء كثيرة ، وحقائق ممحصة ، ، ولكن تفسير تلك الحقائق وتقويمها يسمحان بتدخل وجهات النظر الخاصة التى كونتها الظروف المختلفة والامزجة المتباينة ، وكلما عظمت الشخصية وكبرت اهميتها عظم هذا الخلاف ، وتكاثرت وجهات النظر ، واظهر ما يكون ذلك في حياة رجل من افذاذ الرجال مثل نابليون، وفي آراء المفكرين المختلفين التى عرضنها ما يوضح ذلك . ■■

على ادهم

قصة صراع



بقلم : الفة الادلبي

■ أخذ يبتسم بزهو وهو يلقى نظرة على المرآة، فما عرف نفسه جميلا انيقا كما هو الآن .

ربطة العنق العريضة الاطراف ذات اللون البرتقالي المرقش بدوائر سوداء تنسجم تماما مع البذلة ذات اللون البني الفاتح التي احكم تفصيلها على قده السمهري خياط بارع ، منديل الجيب الذي كان بلون ربطة العنق جاء كوردة مرشوقة على الصدر ، السالفان الطويلان اللذان انحدرا من صدغيه حتى شحمتي اذنيه يضفيان على وجهه الوديع سيماء فارس من القرون الوسطى .

وتتسع ابتسامة الزهو ، ويتبدد النوم الذي لازمه منذ دفع المبلغ الضخم ثمن البذلة وربطة العنق والمنديل ، مبلغ لم يسبق له ان دفع نظيره في سبيل اشياء كان يعتبرها فيما مضى تافهة ويتهم الذين يعيرونها اهتماما كبيرا بالسخف والتبذير . ويجد مسوغا لتصرفه هذا فيقول في نفسه :

لشكل الانسان وهندامه اثر كبير على نجاحه . وراح يترحم على جدته فلطالما سمعها تردد هذا المثل : « ابن ادم نصفه خلقة ، ونصفه خرقة ».

وفجاة يتخيل وجه صاحبته المشرق ، وقوامها اللدن ،وعينيها القزحيتين المشعتين ، ثم يتصورها كيف ستستقبله اليوم في بيتها حفية به ، تقدمه الى ضيوفها معتزة بصداقته ككاتب اديب . ويأسف لانه لم يكن يعنى بهندامه من قبل ..

يرفع معصمه لينظر الى ساعته . لقد سبقه

.. قالت لابنها الذى كان يلعب مع رفاقه : حبيبي دودى تعال قبل عمك واشكره على هديته الحلوة .. شهق الصغير بأسف عندما رأى الدراجة ثم قال بتململ ـ أوف .. دراجة !! صار عندى اليوم ثلاث دراجات ! ..



الوقت وهو ساهم في خيالاته الحلوة . فقد حان موعد الحفلة او كاد ، وعليه ان يمر على السوق ليشترى هدية للصغير (دودى) الذى تقام الحفلة اليوم بمناسبة عيد ميلاده .

وكان قد جاب الاسواق لينتقى هدية مرموقة تبهج صبيا مدللا في الخامسة من عمره فلم يجد خيرا من دراجة حمراء ذات مقبضين من معدن لماع ، وكان قد ارجأ شراءها الى قبل موعد الحفلة بقليل علّه يجد هدية خيرا منها . كان لا بد ان تكون الهدية ذات شأن تتفق مع مكانته ، ولو كان ثمنها سيربك ميزانيته الخاصة . يبتسم ويقول في نفسه :

كل شيء يهون في سبيل ابتسامة مضيئة تشرق على وجه امرأة حلوة .

ويمر بخاطره يوم عرفها اول مرة كيف قالت مندهشة حين قدم اليها :

ـ هذا انت اذن .. ؟ أكاد لا أصدق . كنت حين اقرأ ما تكتبه احسبك شيخا كبيرا . لم يخطر ببالى ابدا ان شابا في مثل عمرك يستطيع ان يكتب ما تكتبه انت . وتضيف وهى تضحك وعيناها تشعان :

ـ أتدرى انك تأسرنى احيانا ساعات وساعات فاضحى بكثير من واجباتى لاظل معك ..

ويذكر انه ارتبك كثيرا وهو يستمع لاطرائها فراح يتمتم بكلمات لم يعد يذكرها ، ولكنه يذكر انها جاءت غير مناسبة ، ويضحك ويقول في نفسه :

ـ نحن الادباء كالغوانى يغرنا الثناء ، لا سيما اذا جاء من امرأة طاغية الفتنة كالسيدة سامية . ليس قليلا على واحد مثلى ان يستأثر بها ساعات وساعات . بعد تعارفهما هذا راحت تتوالى لقاءاتهما عند الاصدقاء او تجمعهما احيانا المصادفات في حفلات عامة ، وفي كل مرة كانت تتعمد ان تنتحى به ركنا هادئا تسأله عما يكتب ، وتحدثه عما قرأت من كتب ، وشاهدت من افلام ، ويجد هو في ذلك كله متعة لا تعدلها متعة . فلم يسبق له ان عرف امرأة فاتنة ومثقفة ومحدثة كهذه المرأة ، على كثرة ما عرف من النساء .

انها المرأة التى كان يحلم بها دائما ، ولذا اغتبط كثيرا عندما تلقى منها دعوة الى عيد ميلاد ابنها (دودى) فراح يسعى جهده ليبدو امامها انيقا جميلا .

ويتناول معطفه من المشجب . يهبط الدرج وهو يصفر لحنا مرحا ، يخرج من باب العمارة ، يلسع وجهه هواء بارد ، وتهب فجأة عاصفة هوجاء ، تهطل على اثرها زخات سخية من المطر . الشارع مقفر من الناس في تلك الناحية المنعزلة حيث كان يسكن ، يرفع ياقته حتى اذنيه ليتقى لسعات

البرد القارس الذي يشتد حين تغرب الشمس ، يلف الشارع بنظرة يبحث عن سيارة لتحمله الى حيث يريد أن يشتري الهدية ثم تعود به الى بيت السيدة سامية .. يلمح قرب باب العمارة التي يسكنها شيئا اسود مكوما على الارض ، وشخصا ذا اسمال بالية يركض نحوه ، يتقدم الشخص منه مادا يدا جافة ترابية اللون ويقول وكانـه يستجير به :

ـ الله يطول عمرك يا اخ تعال اشتر مني حمل الحطب ، حطب زيتون ومكسر على كيفك . (ويشير بيده الى الشيء الاسود المكوم على الارض) شف برك الحمار ، لم يعد يستطيع أن يمشي ، راح يموت من التعب والجوع ، من الصبح ، الله وكيلك عما نفتل انا وهو ، ورمت رجلاى ، شف (ويشير بيده الى رجليه الورمتين) لا احد يشترى مني .

اشاح وجهه عن الرجل وقال بلهجة قاطعة :

ـ لا يلزمني حطب .

ويسرع الخطى يبتعد عن الرجل كانه يريد ان يهرب من المأساة التي فاجأته فعكـرت مزاجـه المنسجم .

لكن الرجل لم يقتنع، راح يتبعه مادا نحوه يده الترابية اللون ، كانه يريد ان يتشبث به ليوقفه ويسمعه شكواه .

فصرخ فيه :

ـ الا تفهم يا رجل اتركني لا استعمل الحطب . عندي تدفئة مركزية .

ـ ايش قلت الله يعزك ؟ ادفع قد ما تريد ..

ـ استعمل المازوت للتدفئة،لا استعمل الحطب.
بدا ان الرجل لم يفهم ، او تظاهر انه لم يفهم فعاد الى الحاحه :

ـ لا تشفق علي انا ، اشفق على الحيوان راح يموت : اشتر الحطبات الله يسترك ، خليني افك عنه الحمل قبل ما يبرك ، ونرجع للضيعة ، عتمت الدنيا علينا ..

ومرت سيارة ، استوقفها ، قفز اليها ، التفت الى الوراء ، راى من نافذة السيارة الخلفية الحمار البارك على الارض بحمله الثقيل والرجل ذا الرجلين الورمتين يروح ويجيء في الشـــارع المقفر ، والريح تعبث باسماله البالية ، ثم يراه قبل ان تنعطف السيارة الى شارع آخر يرفع يديه الى الاعلى كانه يهدد السماء التي كانت تمطر بسخاء .

اثار المنظر المؤلم شفقته ، وكان رقيق القلب فانقبضت نفسه حتى يكاد يبكي ، ويراوده خاطر في ان يعود الى الرجل المسكين يدفع اليه ثمن الهدية الذى لا يملك غيره الآن ، ثم يرجع الـى بيته فيتصل بالسيدة سامية بالتلفون وينتحل لها عذرا ، فليس لائقا به ان يذهب الى عيد ميلاد ابنها دون ان يقدم اليه هدية مرموقة .

فكر قليلا .. لم يستطع ان يقاوم الابتسامة المشرقة ، والنظرات المشعة كانت اقوى من ارادته فتطامن في مكانه من السيارة واشاح وجهه عـن نافذتها كي لا يرى ما يثير شجونه .

كان بيت السيدة سامية الانيق يعج بالمدعوين ، استقبلته السيدة وزوجها بحفاوة وانس ، ثـم قادته الى غرفة خصصت للصغير (دودى) ورفاقه ليقدم اليه الهدية بنفسه .

قالت لابنها الذى كان يلعب مع رفاقه :

حبيبي دودى تعال قبل عمك واشكره على هديته الحلوة .

شهق الصغير باسف عندما راى الدراجة ثم قال بتململ :

أوف .. دراجة ؟! صار عندى اليوم ثلاثـة دراجات .. !

ارتبكت السيدة سامية وقالت تتدارك حـرج الموقف :

ـ لكن هذه دراجة حمراء ، احلى من الدراجات كلها ، تعال شف لها جرس ايضا . وراحت تدق جرس الدراجة .

لم يرد الصغير على امه ، بل انفتل ليعـاود اللعب مع رفاقه ، وقد بدا واضحا ان الهديـة لم تعجبه ! حملت السيدة سامية الدراجة ووضعتها على طاولة في صدر الغرفة صفت عليها انواع كثيرة من الهدايا ، قالت السيدة سامية :

ـ انه ماخوذ باللعب كثيرا ، منذ ايام وهو يصر على ان اشترى له دراجة حمراء ذات جرس ، ان الصغار يحبون اللون الاحمر ،

هز راسه دون ان يجيب بكلمة واحدة ، لانه لم يفهم مما قالت شيئا . كان ذهنه انذاك ـ وهو يحملق بالدراجات الثلاث ـ منصرفا الى الحمار الذي ناء تحت حمله الثقيل ، والى الرجل المسكين الذي ورمت رجلاه من التعب . تعبث الرياح باسماله البالية وهو يتحرى عن انسان طيب يشتري منه حمل الحطب قبل ان يموت الحمار !

كانت السيدة سامية منهكة تلك الليلة ، لم تخصه بحديث كعادتها عندما كانا يلتقيان ، بل كانت تتحدث الى مدعويها الكثيرين فترشق كلمات هنا ، وكلمات هناك ، ويلاحظ ايضا انها كانت بارعة بالاطراء جدا تنثره على من حولها كيفما اتفق ، لتتلقى نظيره . وقد تنبه ايضا الى ان اناقته لم تبهر احدا كما بهرته هو امام المرآة ، كان هناك كثيرون مثله ، وربما اكثر اناقة منه فبدا بينهم عاديا جدا ، ولو جاء بالبسته العادية التي اعتاد ان يرتديها في المناسبات كلها لكان اكثر جاذبية منه الآن .

خيبته كانت اكبر من ان تحتمل ! .. يشعر انه يختنق ، لم يعد يطيق البقاء في هذا الجو الذي راح يثقل عليه . ويتضح له فجاة الفارق الكبير بين الحياة التي يعيشها الآن وبين المبادىء التي يعتنقها ويدعو اليها . وجد نفسه يتسلل من البيت دون ان يودع احدا ، راح يسير في الشوارع على غير هدى حتى انتهى الى حيث يسكن .

الكومة السوداء ما تزال جاثمة على الارض قرب باب العمارة وقد جلس الرجل الى جانبها بعد ان فك الحمل وتناثر الحطب حول الحمار البارك الذي التوى راسه وتدلى حتى كاد يمس الارض .

سمع صوت الرجل يبكي ويكلم الحمار الميت :

ـ يا حيف عليك عملتها معي ! .. مت وتركتني وحدي !

يا ليتنا متنا سوا .. الذنب والله ما هو ذنبي .. ماذا اعمل للناس ؟ .. ما حدا اشترى مني الحطب . وراح يبكي ..

كانت الكلمات الحزينة التي يناجي بها الرجل حماره الميت تنهال عليه كاسواط لاسعة ، راح يقفز الدرجات ثلاثا ثلاثا كي لا يسمعها .

لم يعد باستطاعته ان يفعل للرجل شيئا بعد ان دفع نقوده كلها ثمنا للدراجة التي لم تعجب الصغير المدلل !

يدخل داره حانقا ، مشمئزا حتى من نفسه . يخلع البسته . يقذف بالبدلة الجديدة على مقعد قريب منها ، شفتاه تتمتمان في شتائم كثيرة ، يصبها على العالم ، على نفسه ، يحار .. ، ماذا يفعل ، يدخل مكتبه ، يمزق مقالا كان اعده للنشر صباح الغد ، يجده منافيا لكل ما فعله في هذه الليلة ، يقعد وراء المكتب ، ياخذ القلم ، يفتح الورق ، يعصر ذهنه ليكتب شيئا عما يعانيه الآن . كان ذهنه جافا جافا فلم يستطع ان يخط كلمة واحدة !

■■

دمشق ـ **الفه الادلبي**

المـــال

● قبل ان السيد المسيح عليه السلام ، كان في مجلس مع اصحابه يتحدثون عن المال ، فقال السيد المسيح : لا خير في المال . فقيل ولم يا روح الله ؟ فقال : لانه يجتمع من غير حل . قيل : فان جمع من حلال ؟ قال : لا يؤدى حقه . قيل : فان سلم من هذا ؟ قال : شغل عن ذكر الله . قيل : فان لم فالمسلم من هذا ؟ قال : شغل عن ذكر الله . قيل : فان لم يشغل ؟ قال : يطول عليه الحساب يوم القيامة .

مِنَ المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام في الكويت

أول أغسطس ١٩٧٢

٣٥/٢

من الأعمال المختارة - سوفوكل - ٢

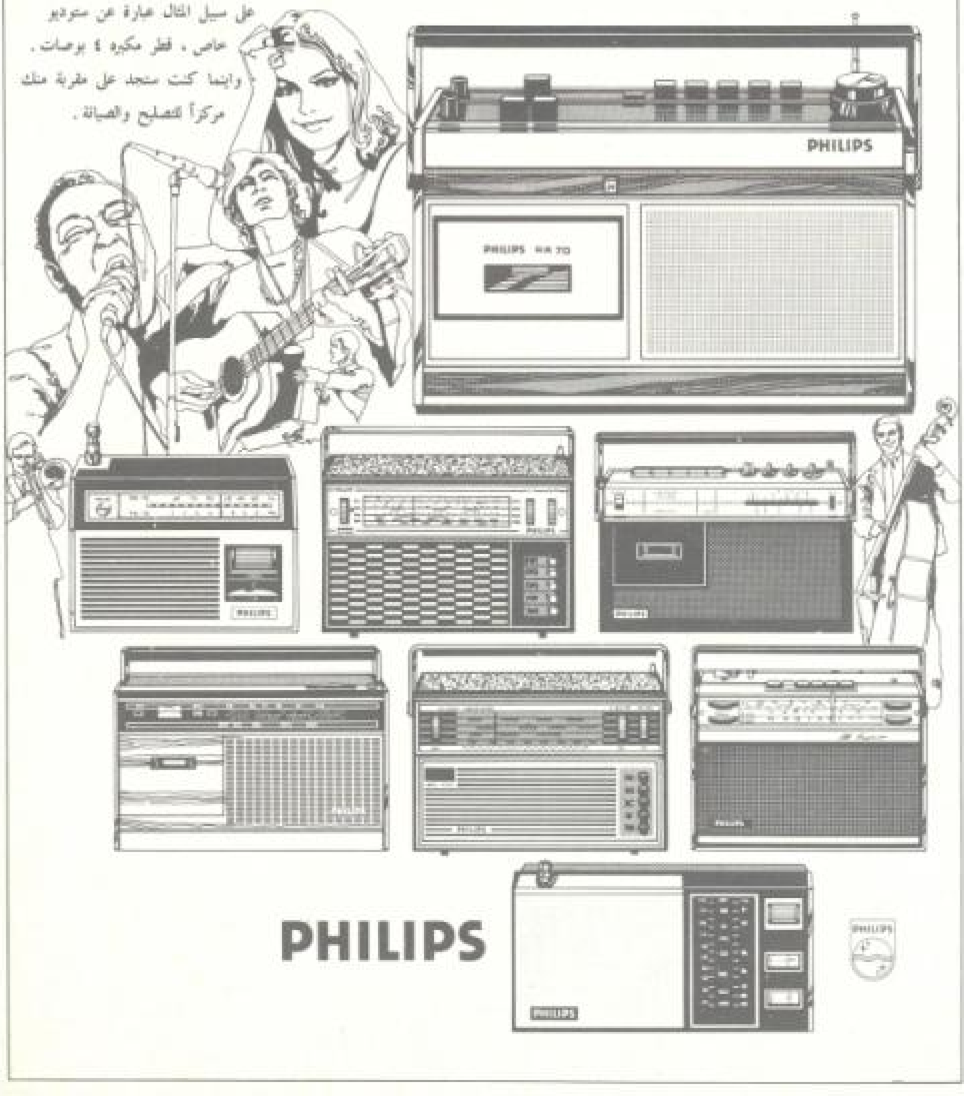
أوديب الملك • أوديب في كولون • اليكترا

ترجمة وتقديم : د. علي حافظ


لكافة معاملاتكم
المصرفيّة
البنك التجاري
في خدمتكم دائماً
ممثلون في :
● بيروت
بنك الريف ش.م.ل
● دبي
بنك دبي التجاري المحدود
● لندن
بنك الكويت المتحد المحدود
البنك التجاري الكويتي
ش . م . ك .
كويت - ص.ب: ٢٨٦١ / برقيا: بنكتجاري - كويت / تلكس: ٢٠٠٤-٢١٦٧ / تلفون: ٤٢٤١٤١/٢٠ خط

دع فيليبس تجلب لك موسيقى العالم كله

الجو مملوء بالموسيقى . الموسيقى المنبعثة من كل الأقطار تتصارع على موجات الأثير وعلى كل مديات البث . اترك لراديو فيليبس المتنقل مهمة جلب هذه الموسيقى إلى بيتك أو إلى مكتبك أو أمكنة تنزهك . إن ترانزستورات فيليبس المتنقلة متوفرة بأنماط وأنواع كثيرة . بعض هذه الراديوات يعمل على البطارية وبعضها الآخر على الكهرباء . وكلها من أكبرها إلى أصغرها تقدم لك الصوت بغاية الوضوح والصفاء . ثلاثة من هذه التشكيلة الكبيرة لها ميزات خاصة في كونها تحتوي على نظام الكاسيت الذي اخترعته فيليبس . على هذا الأساس فان راديو فيليبس المتنقل الذي تملكه ، لا يجلب لك الموسيقى فقط ، ولكنه أيضاً يمكنك من تسجيلها على كاسيتات أو سماع كاسيتات معبأة بالموسيقى مسبقاً . إن موديل رر ٧٠٥ على سبيل المثال عبارة عن ستوديو خاص ، قطر مكبره ٤ بوصات . وأينما كنت ستجد على مقربة منك مركزاً للتصليح والصيانة .




PIAGET
ساعات
بياجيه
PIAGET
مراد يوسف بهبهاني

الكويت -

في رأس الخليج العربي

ان الذي يجعل الكويت من أغنى دول العالم اليوم ليس موقعها الجغرافي فحسب ، وانما ثروتها المعدنية وازدهار العمران والتجارة فيها . ولمزيد من المعلومات عنها اتصلوا ببنك الكويت الوطني الذي يملك أضخم موجودات معلنة واكبر شبكة فروع في البلاد تقدم لكم كافة الخدمات المصرفية .

بنك الكويت الوطني ش.م.ك

تأسس عام ١٩٥٢

المركز الرئيسي ، ص.ب رقم ٩٥ الكويت الهاتف ، ٢٢٠١١١ (٢٠ خطا)

مؤسسات شقيقة :

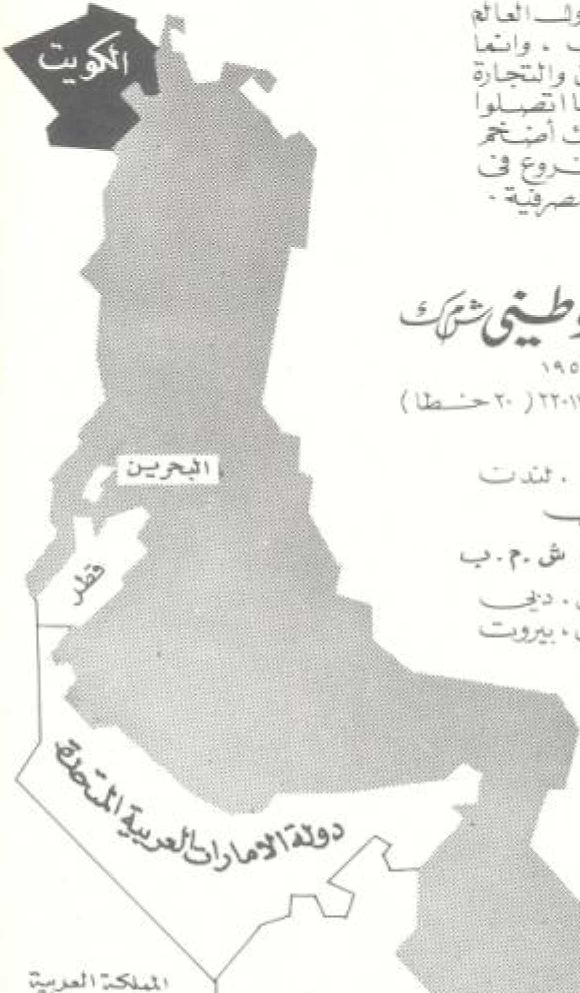
لندن : بنك الكويت المتحد ، لندن

باريس : بنك فراب

البحرين : بنك البحرين والكويت ش . م . ب

دبي : بنك دبي الوطني ، دبي

بيروت : بنك الريف ، ش.م.ل ، بيروت



هل ترغب بمشاهدة التلفزيون في غرفة حارة؟

هنالك عدة مميزات رائعة للتلفزيون الجديد النقال "جنرال" ١٤ انشاً ذو الأقنية UHF/VHF (موديل TH-14EV أو TH-14EU حسب التركيب) نذكر منها اسلوب الضوابط الأوتوماتيكي. الذكي هو جزء من جهاز ذات متكاملة وليدة سبع براءات اختراع.

فلقد أبدعت "جنرال" اسلوب التذبذب الأفقي الجديد والتجهيزات الضابطة الخاصة بمنع جميع انواع التداخلات الكهربائية، كالتشويش أو الضجيج الناتج عن مرور الطائرات أو استعمال الأدوات المنزلية الكهربائية، وبالتالي لتأمين صورة ثابتة تماماً. ومن جهة ثانية، فإن قناة الشاشة الرمادية اللون تؤمن لك صورة نقية وواضحة حتى في الغرف الساطعة النور. إذاً فلا مجال لتعب العينين بعد اليوم.

ان هذا الجهاز من "جنرال" يمكن ان يعمل أيضاً على بطارية ١٢ فولت بشرائط الأشرطة E الاختيارية المعدة لذلك.

أما ولديك الآن جهازاً تلفزيونياً رائعاً، فلماذا تشاهده في غرفة حارة؟ فهنالك جهاز ملطف الهواء الجديد "جنرال" AL-6502C ذي الطاقة الهائلة ٢١٥٠٠ BTU والتي تكفي لعدة غرف. إن أبرز ما نرغب في أن نذكرك به "جنرال" هو أن ضاغط الهواء في هذا الجهاز هو من نوع "تيكومسه".

وتيكومسه هي أضخم معامل لضاغطات الهواء في العالم، مع العلم ان الضاغطة هي قلب كل ملطف جيد للهواء.

اما الأزرار والمفاتيح، فقد شكلت لها. كما ان ضوابط هذا الجهاز الرائع موجودة في أسفل الزاوية اليمنى لسهولة الاستعمال خصوصاً إذا ما أردت ان تثبت الجهاز في الحائط.

أما الميزات الأخرى التي سترعى انتباهك فهي اسلوب التغيير الأوتوماتيكي لاتجاه الهواء على شبكة انابيب توجه الهواء إلى أية زاوية في الغرفة، واسلوب تنظيم الحرارة الأوتوماتيكي، والهدوء التام أثناء العمل، والتوازن في العمل بين الهواء المستنفد والنقي.



TH-14EV

GENERAL

جنرال

الجمهورية العربية السورية: ... ص.ب ٩٥٤ - دمشق (سوريا). الإمارات العربية المتحدة: الشركة الوطنية للاستيراد والتوزيع، ص.ب ٧٣٦ - أبوظبي.
الكويت: شركة الاتحاد التجارية ذ.م.م - ص.ب ٢٨ - الكويت. البحرين: ابراهيم محمد ... وأولاده - ص.ب ٦٧٠ - المنامة.
الدار البيضاء: عمارة الكونتيننتال - ١١٤ شارع القاهرة. ايران: شركة باسفا المحدودة - شارع نادري - باساج ... رقم ٦ طهران.
ليبيا: ... - ص.ب ٢٩٩٤ - طرابلس. قطر: المشيري ستورز - ص.ب ١٦٢٠ - الدوحة.



باستخدام المركبات الحوامة "الحقيقية" طراز "بي إتش سي"

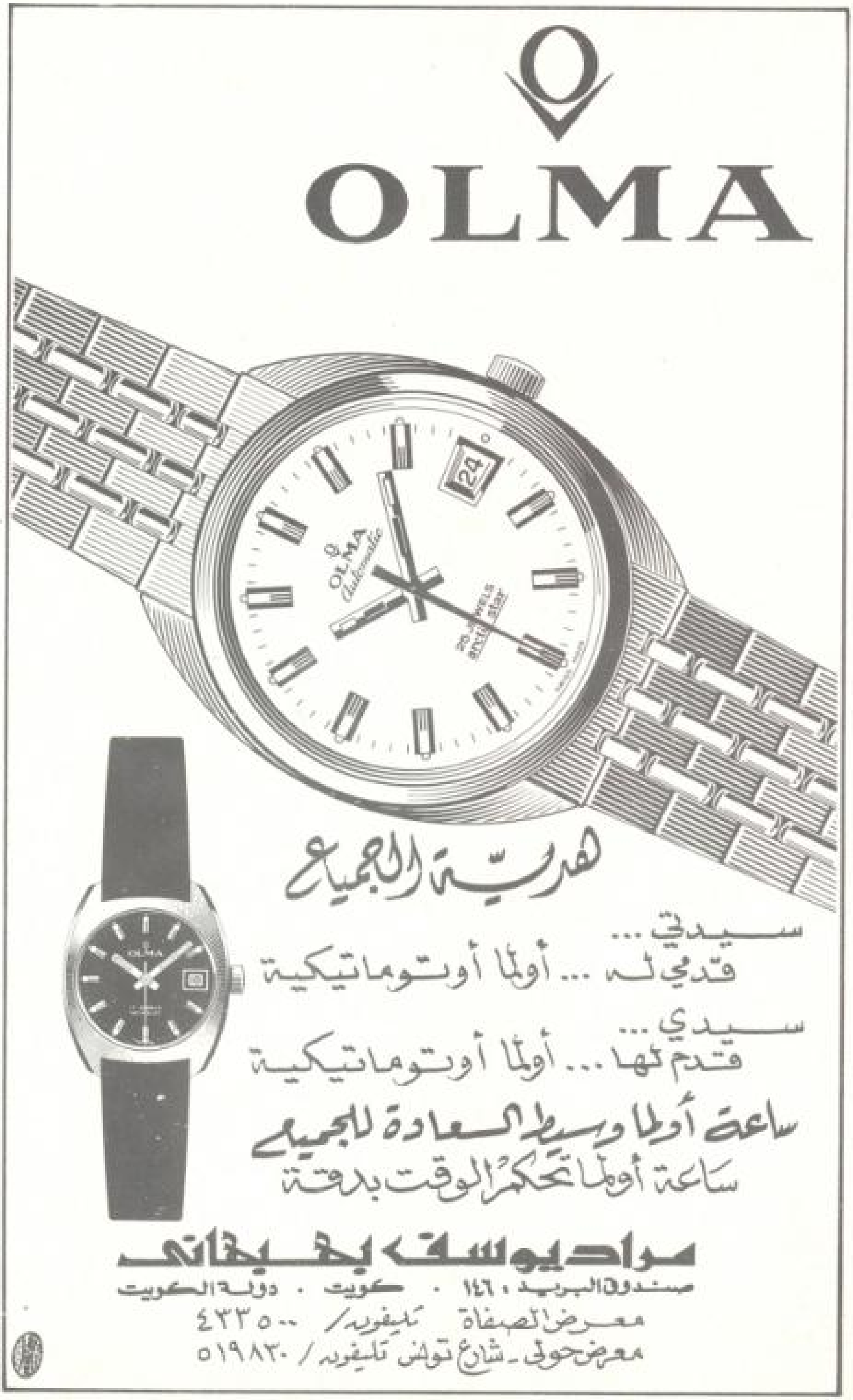
المركبات الحوامة "الحقيقية" طراز "بي إتش سي" تستخدم حالياً مع قوات الدفاع في إيران وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وإيطاليا وغيرها. وهناك مركبات حوامة أخرى تنتج في الوقت الحالي للقوات الدفاعية للمملكة العربية السعودية وإيران.
المركبات العسكرية الحوامة طراز "إس آر إن-٦" و"بي إتش ٧" تنتج الآن بالجملة بمصانع شركة بريتيش هوفركرافت كوربوريشن وقد فتحت إمكانياتها البحرية الكبيرة أفقاً جديداً واسعاً في ميدان الدفاع نظراً لقدرتها الهجومية وإمكانياتها في النقل وعمليات الهبوط وتنفيذ المهام والعمليات الدورية في المياه الساحلية الضحلة التي يصعب اجتيازها بواسطة وسائل النقل الأخرى.

التجارة العربية الانكليزية

شركة بريتيش هوفركرافت كوربوريشن
الرائدة في ميدان المركبات الحوامة

BHC WORLD HOVERCRAFT LEADERS

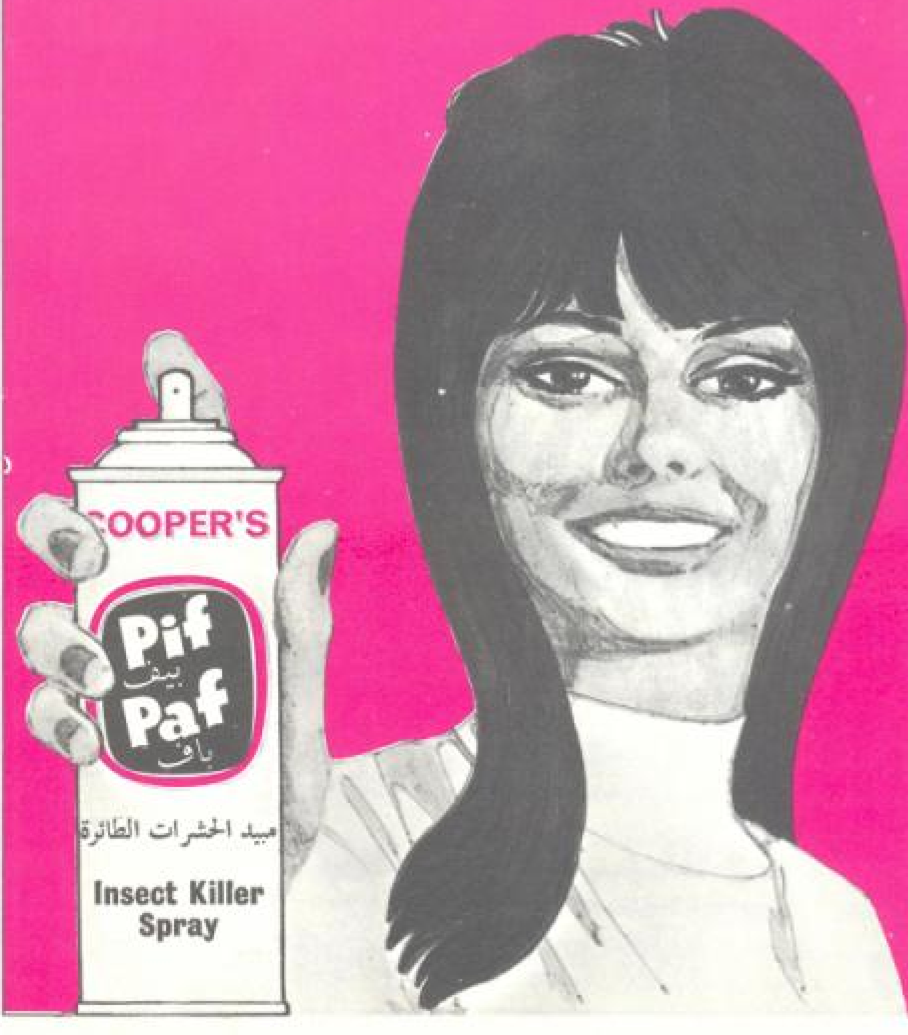
british hovercraft corporation
EAST COWES · ISLE OF WIGHT · ENGLAND


OLMA
هدية الجميع
سيدتي ...
قدمي له ... أولما أوتوماتيكية
سيدي ...
قدم لها ... أولما أوتوماتيكية
ساعة أولما وسيط السعادة للجميع
ساعة أولما تحكم الوقت بدقة
مراد يوسف بهبهاني
صندوق البريد ١٤٦٠ . كويت . دولة الكويت
معرض الصفاة تليفون/ ٤٣٣٥٠٠
معرض حولي - شارع تونس تليفون / ٥١٩٨٣٠

اضغط على الزرّ وتخلّص في الحال

..من الذباب والبعوض وكافة
الحشرات المزعجة! بمبيد الحشرات
بيف باف في علبة الإيروسول سريع
التأثير، أكيد المفعول، اقتصادي
جداً. انه يجعل بيتكم في مأمن من

الحشرات ويكسبه رائحة نقية
منعشة.. اشتروا كوبرز بيف
باف القوي المفعول في
العلبة الكبيرة الصفراء والسوداء.





الآلة المساعدة
الضرورية
اصبحت آلة التسجيل في ايامنا الحاضرة
جهازًا ضروريًا للرجل والمرأة النشيطين،
الناجحين، الواعيين، في كل مكان.
وآلة التسجيل الكاسيت TC-110B
الظاهرة هنا هي احد موديلات سوني
الأكثر رواجًا. وهي خفيفة ومضغوطة
الحجم، رغم انها مميزة بالخصائص التي
تحتاج اليها لتسجيل سريع ودقيق وسهل.
انها مثل جيد عن كيف استطاعت ابحاث سوني ان تساهم
في تطور وتقدم فن التسجيل بواسطة المسجلات الشريطية
النقالة. تتضمن هذه الآلة جهازًا اوتوماتيكيًا يوقف
انتقال الشريط ووصول الطاقة عند آخر الشريط. وفيها
مايكروفون بمكثف الكتريت ضمني يجعل الاسلاك
والوصلات الخارجية غير لازمة. كما فيها عداد
بثلاثة ارقام يبين مكان وصول الشريط،
ويمكن اعادته الى الصفر بواسطة زر خاص.
اما الحاكي PM الممتاز، فانه يعطي
صوتًا رخيمًا للغاية. ونؤمن لك
دورات سوني المبرعة الكفاءة
والحجم. هل تتوجه الى مكان ما؟
هل تسير في خط التقدم؟ سرمع
سوني الآلة المساعدة الضرورية،
وصل الى هدفك باسرع ما يمكن.
مسجلة كاسيت
الشريطية
TC-110B
سوني SONY.



KENT

WITH
THE FAMOUS MICRONITE® FILTER

للتمتع بأطيب الاوقات "كنت" نكهتها الذ.



دي لوكس ١٠٠ مليمتر أو كينغ سايز

المال

احصل على فائدة مضمونة
بإيداع أموالك لدى
"لومبارد نورث سنترال"
في حساب الادخار

ان حسابا للادخار لدى « لومبارد نورث سنترال » يؤمن فائدة حسنة ، مع ضمانة كاملة لراسمالك ، مما يؤدى لراحة بالك . ان الايداعات التى تخضع لطلب مسبق لسحبها قبل ستة اشهر تستفيد من ٦٪ فائدة سنويا . ويمكنك سحب حتى ١٠٠ جنيه استرلينى سنويا دون انذار مسبق . والفائدة تدفع كل ستة اشهر دون حسم اى ضريبة .

٪٦

الايداعات من ٥٠٠٠ جنيه استرلينى وما فوق ولمدد محددة يمكنها الحصول على فوائد اعلى .

ويمكنك الحصول على مزيد من المعلومات عند الطلب . ان فتح حساب هو البساطة بعينها . اكتب الآن الى مدير حسابات الودائع لطلب معلومات اوفر ونسخة عن « حساب الادخار » كتيب رقم ١٨٢ A O

Lombard
North Central
LIMITED

Head Office: LOMBARD HOUSE, CURZON STREET, LONDON W1A 1EU, ENGLAND.
Tel: 01-499 4111.
City Office: 31 LOMBARD ST., LONDON EC3, ENGLAND
Tel: 01-623 4111.

لومبارد نورث سنترال ليمتد عضو فى ناشونال وستمنستر بنك كروب الذى يزيد راسماله مع الاحتياطى على ٣٢٨،٠٠٠،٠٠٠ جنيه استرلينى .

نشـــرة
منتـجـات آكـاي
الاعلاميـــة رقـــم ٦٨



انا نتيح المجموعة الوحيدة في العالم التي تجمع بين مسجلات البكرة والكاسيت والتي تؤمن نقل التسجيل من البكرة الى الكاسيت وبالعكس. رأس GX في وحدة الكاسيت يعطي الكاسيت نوعية في اداء الصوت كانت في الامس ميزة المسجلات ذات البكرات. ان هذه المجموعة تمكنكم من اقتناء مكتبة كاسيت تشمل اغراض عدة ... العمل، الثقافة او مادة جديدة بالاستماع.



GX-1900

إحصل عليها في مجموعـة واحـدة كاسيت وبكرة، ونقـل الواحـدة الى الاخـرى وبالعكس.

ان جهازنا الجديد GX-1900 هو حقاً مسجل ستريو رائع. فهو يجمع بين مسجل البكرة ومسجل الكاسيت ويؤمن نقل التسجيل من البكرة الى الكاسيت وبالعكس.

ان رأس GX في وحدة الكاسيت والرأس المغلف للتسجيل والاداء في وحدة البكرة يضمنان الاداء الامثل للاصوات الطبيعية.

حلم آخر يصبح حقيقة مع هذا المسجل. تجاوب تردد من ٣٠ الى ٢٢٠٠٠ هرتز (± ٣ دسي بل) للبكرة ومن ٤٠ الى ١٥٠٠٠ هرتز (± ٣ دسي بل) للكاسيت. من ميزاته الاخرى: رافعة للشريط لوقاية الرؤوس اثناء اللف السريع الامامي والعكسي للشريط، موقف/قاطع للتيار آلي لوحدة البكرة، مطلق آلي للاداء والتسجيل في وحدة الكاسيت، ضابط توقيف صامت للاضافات، معدل لسرعة الشريط، عدادان مؤشران للشريط، ومكبر للصوت قياس ٤ إنش ضمنيين.

ستحصلون على كل هذا مع المسجل GX-1900 بالاضافة الى الاستمتاع بالاصوات التي اشتهرت بها قاعات الموسيقى العالمية.

اوديو وفيديو

AKAI®

AKAI ELECTRIC CO., LTD.
Ohta-ku Tokyo, Japan

هَل صَحيح أنّ بشرائكَ سيّارة داتسُون
سَوفَ تنسَى كل مَا يتعلّق بالسَير علَى الأقدام ؟



طبعًا لا ...! ثم ان السير على الاقدام ضروري ومفيد للصحة وفيه الكثير من المتعة . إلاّ أن لهذه المتعة حدود. تصوّر مثلاً أنك تركض يوميًا إلى مكتبك لتلتحق بعملك ، أو أنك تسير مشيًا على الاقدام من القاهرة إلى الاسكندرية ... !! إن الجميل بسيارات **داتسون** هو كونها بديلاً مريحًا لأقدام أي شخص . ثم أنك تستطيع أن تعاملها بالخشونة التي تريد ، فهي قوية البنية ويمكن الاعتماد عليها كليًا أكان ذلك أثناء العمل أو نزهات المتعة .
تذكروا دومًا شركة نيسان تمنح كل سيارة من سيارات **داتسون** لتحقيق هدف واحد : الانسجام التام بين السيارة وسائقها . وهذا يعني المتعة للناس الذين يعشقون الحياة . وهذا يعني أيضًا أن سيارة **داتسون** تستطيع أن تنقلك إلى الأماكن حيث السير على الاقدام راحة وليس مشقة . فما الهدف من اقتنائك سيارة إن لم يكن حياة أفضل وأكثر حرية ..!

أنتَ وَداتسُون جمع رائِع.

NISSAN MOTOR CO., LTD.



DATSUN



عندما تكون مصرفاً عالمياً سريع الحركة مثل تشيس فإن وسائل الاتصال التي تستخدمها ستكون حتماً حديثة جداً

يعتمد زبائننا على تلك الوسائل . ويعتمدون علينا لاستخدام أية وسيلة للحصول على المعلومات (حتى ولو اضطررنا لاستخدام علبة صفيح فارغة) ، وكذلك يعرف زبائننا أننا نحاول استباق كل ما يحدث في حقل التمويل العالمي . نفعل ذلك بواسطة الاخصائيين ، كما نستعين بأحدث الحاسبات وأساليب التجهيز المعروفة ، وهذه الإمكانات متوفرة لدينا في جميع أنحاء العالم . حدد موعداً لمقابلة الموظف المختص في تشيس . تشيس ... هو المصرف الذي يحرك الأحداث . ولا تنس أن لك صديقاً في

بنك تشيس منهاتن

THE CHASE MANHATTAN BANK

NATIONAL ASSOCIATION

المقر الرئيسي : — 1 Chase Manhattan Plaza, N.Y., N.Y. 10015, U.S.A.

الفروع في الشرق الأوسط :

ص . ب ٣٦٨ — المنامة ، البحرين

ص . ب ٣٦٨٤ — بيروت ، لبنان

مصرف مشارك — بنك دبي التجاري المحدود :

ص . ب ١٧٠٩ — دبي ، اتحاد الامارات العربية

ص . ب ٦٧٧ — الشارقة ، اتحاد الامارات العربية



سبعة من كبار النجوم يعزفون
لكم في جوقة إن. إي. سي الموسيقية
RMT·205E
NT·10C96
NT·8P76
RMT·232RES
NS 646E
NS·633E
NT·8C92
NEC
ان. اي. سي
Nippon Electric Co., Ltd. Tokyo, Japan


RADO
RADO
1 MON 15
NCC 101
دياستر
٨
رادو
نموذجان
فريدان
انتصاران
عالميان
رادو
الساعة الوحيدة في العالم
الغير قابلة للخدش
أينما كنتم : اطلبوها من الوكيل المعتمد
UNIVERSE KUWAIT


مارلبورو
رمز الجودة
FILTER CIGARETTES
Marlboro
20 CLASS A CIGARETTES
Marlboro
SELECTED
FINE TOBACCOS
Soft Pack or Flip Top Box.
أفخر سجاير كنج سايز فيلتر
AMERICA'S FINEST FILTER
A quality product of Philip Morris Inc. Richmond, Va., USA

طباعة فوريّة بدقّة متناهيَة للبيانات التي تحفظ بصُورة دائمة



ICC-1415P

بإمكانكم الاطمئنان إلى صحة حساباتكم التجارية ، لأنها مطبوعة كاملة بشكل ظاهر يمكنكم من رؤيتها ، بحيث تظهر الأرقام السالبة حمراء والموجبة سوداء . وبالإمكان حفظ الحسابات المطبوعة للرجوع إليها أو اعتمادها للإثبات حينما تدعو الحاجة . إن الدقة مضمونة : بالرموز المطبوعة ليسهل تدقيقها

وبمؤشر تحديد الخطوط ، ومصباح الضوء الغامر وبالمؤشرات الأخرى التي تشير إلى معظم العمليات التي تجريها الآلة . كما تظهر بوضوح على اللوحة المضيئة ١٤ رقماً بالإضافة إلى طباعتها . لذلك اعتمدوا الحاسبة الطابعة من صنع **سانيو** للاحتفاظ بدقة حساباتكم وعدم إمكانية حصو



ICC-1215



CC-82D

لمكاتب الحسابات السريعة والدقيقة .

إن تصميمها الفريد يوفر لها حجماً صغيراً محكماً ، مع سعة عالية تبلغ ١٢ رقماً ، لها ذاكرة مصرفية لاختزان النتائج الإفرادية والإجمالية ، ونظام إلغاء الصفر ، فضلاً عن جميع الأصفار غير الضرورية ، مع مصباح للتنبيه عند حدوث أي خطأ ، سهلة الاستعمال

الحاسبة المتقدمة لمرافقتكم .

حاسبة الكترونية صغيرة نقالة ، لا يمكن الاستغناء عنها في المؤتمرات والرحلات التجارية . سعتها ١٦ رقماً ، تحل بالمهارات التي تعارضها ، جميع الحسابات الممكنة والمقادير العشرية المحددة بصورة مسبقة . إنها " الحاسب المرافق " العصري .

SANYO سانيو

SANYO ELECTRIC TRADING CO., LTD. Japan

سانيو الكتريك تريدنغ كومباني ، ليمتد ، اليابان

العربي

العدد ١٦٦
رجب ١٣٩٢
سبتمبر
(ايلول) ١٩٧٢

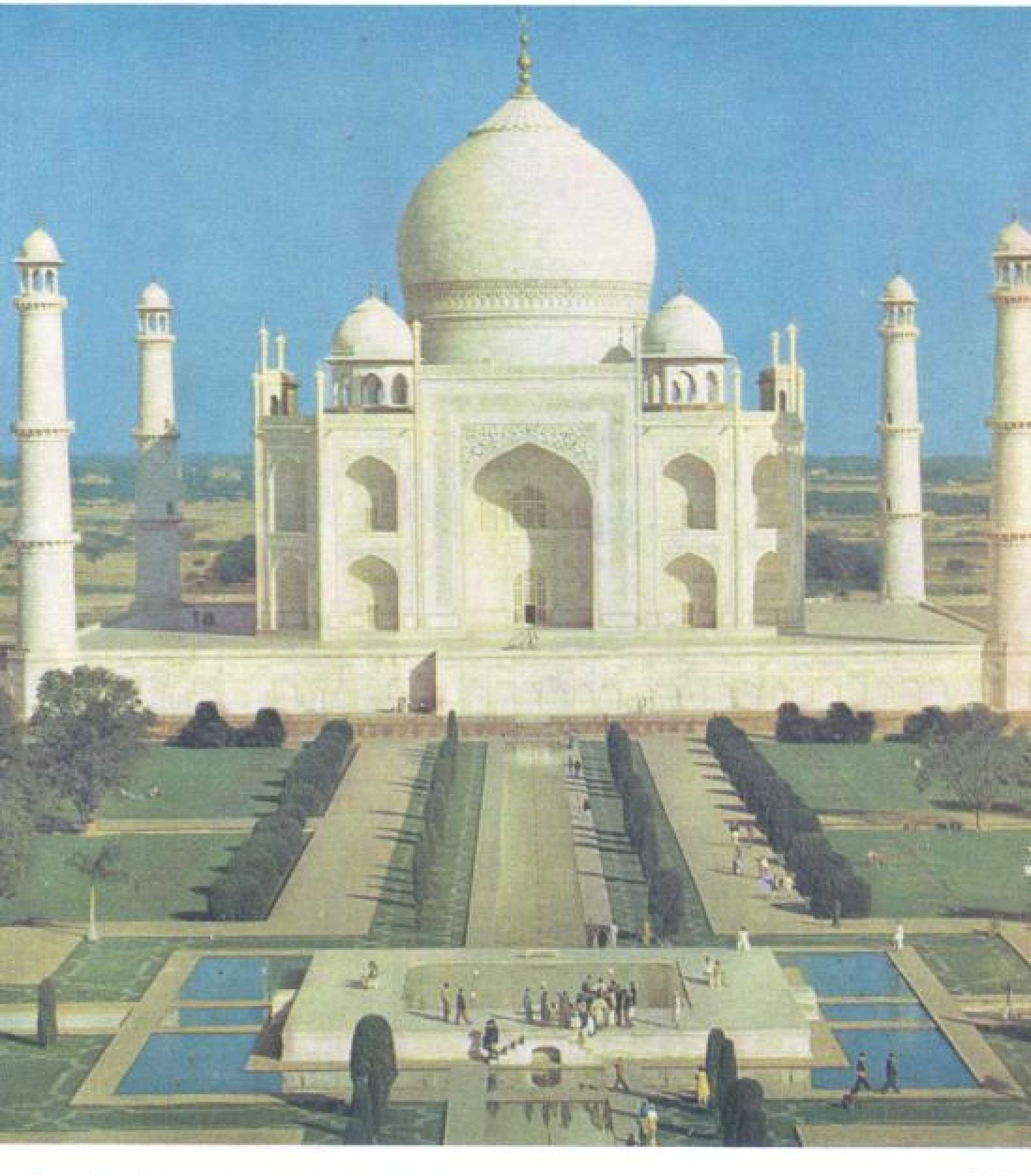


الفن الشعبي .. صورة جديدة من صور القاهرة الحديثة .

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الأردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢ دينار
اليمن	٢٫٥ ريال	ج٠ع٠ج	١٠ قروش	المغرب	٢ درهم

جوائز
١٣٠٠
دينار سنويا



من روائع الفن الإسلامي

● كان تاج محل ولا يزال موضع اعجاب الجميع من أهل الشرق والغرب على السواء . فهو يمثل قمة من قمم فن العمارة الاسلامية .. وهو يروى قصة من قصص الحب الخالدة .. فقد بناه الشاه جيهان بالقرب من اكرا في الهند ، تخليداً لذكرى زوجته ارجوماند بانو Arjumand Bano وقد فقدها سنة ١٦٣١ بعد ان شاركته اعباء الحكم ، وانجبت له ١٤ ولداً . وسمي المبنى « تاج محل » نسبة الى الزوجة ، الى لقبها لا الى اسمها ، وقد كانت تلقب « سيدة القصر المختارة او الممتازة » او بلغة اهل اكرا « ممتازى محل » . الا ان هذا اللقب ما لبث ان لحقه التحريف ، فاصبح « ممتاجى محل » وآل امره في النهاية الى « تاج محل » . وتجدر الاشارة الى ان اعمال بناء تاج محل قام بها نحو ٢٠٫٠٠٠ عامل ، واستغرقت ٢٠ عاما .



عزيزى القارئ

● كنا نسمع ان لانتخابات الرئاسة فى الولايات المتحدة خطرا كبيرا، وهى كلما اقتربت ظهر أثرها فى التخلق السياسى لرئيس الولايات، ورئيس الولايات مفروض فيه ان يسير سياسة بلاده الى ما يكسب امته فائدة ونصرا. ولكن من تقاليد الولايات ان لا بأس من تسيير رئيس الولايات ايضا تلك الناحية الاخرى التي بها يكسب النصر فى الانتخابات.

ومن ادلة ذلك ما نسمعه اليوم جهارا من النزاع على الصوت اليهودي فى انتخابات الرئاسة التى تجرى فى نوفمبر القادم.

فكل مرشح للرئاسة اليوم يساوم على الرئاسة، وبالأحرى على اصوات اليهود، هكذا اعلانا، بانه فعل لليهود من الخير كذا وكذا، أو انه فاعل لهم من الخير اذا انتخبوه كذا وكذا.

نماذج جديدة، كانت تبدو محرمة، لا سيما على الرؤساء، فاذا بها صفة عادية من صفات الأيام.

ومصداق ذلك انك واجد فى الصورة المرفقة : الولايات المتحدة تحنى رأسها لاسرائيل ؟ والثمن ؟ الصوت اليهودى فى انتخابات الرئاسة.

المحرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 166 September 1972 P. O. B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● في عام ١٩٦٠ ، اى منذ ١٢ سنة تقريبا ولدت فرقة رضا للفنون الشعبية .. واستطاعت هذه الفرقة الجديدة التي استوحت رقصاتها من صميم حياة الشعب المصرى وواقعه ، ان تقدم لونا جديدا من الاستعراضات الراقصة التي حازت اعجاب المشاهدين ، لا في مصر وحدها ، بل وفي مختلف الدول العربية الشقيقة ، وفي اوربا ، والشرق الاقصى كله حتى اليابان .. والصورة لمجموعة من راقصات الفرقة يؤدين احدى رقصاتهن في حديقة فندق عمر الخيام بحي الزمالك (اقرأ الاستطلاع ص ١٠٠)

تربية وعلم نفس :

فلسفة :

اجتماع :

شعر .. وشعراء :

كتب :

قصص وقضايا :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطرى ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج٠م٠ع ١٠ قروش، تونس ٢٠٠ مليم، الجزائر ٢ دينار جزائرى، المغرب ٢ درهم، اليمن ٢٫٥ ريال، ليبيا ١٥٠ درهما، جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس.

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ــ ص٠ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



بريد القراء

حديث الشهر

● تحية اكبار واجلال لكل كلمة من حديثكم الشهري في كل عدد من العربي .. لأن ما فيه من الواقعية والصراحة والصدق لا يخطر على بال صادق . فالعربي اشتريها لحديثكم ، ليكون محور نقاش مع اصدقائي ومعارفي ، لأن حديثكم ممتع وشائق .. حديث ثورة وحقيقة .. حديث الم ومرارة .. حديث عربي مخلص .. وادعوكم لأن يكون الحديث شاملا اكثر وبكلمات اطول .. مطالبا بشباب مثقف .. بشباب واع مدرك لكل ثانية تمر من حساب الزمن لأنها جزء من حياته دون أن تفوته الا وقد استغلها ، لأن واقعنا المرير .

انور محمد/حلب سوريا

اقتراحات

● ننظر الى المجلات العربية ، فتتبلور في العين دمعة الشفقة ، وننظر الى مجلة العربي ، فتتبلور في العين الأخرى دمعة الغبطة .

أولا : بخصوص صورة الغلاف ، اتمنى ان تقلع العربي عن هذا الروتين ، الذي تعرفه جل مجلات العالم ، حيث تصدر مجلاتها بصور النساء . واتمنى أن تكون صورة الغلاف ، منبرا يعكس خطوات وطننا في بناء نفسه .

ثانيا : ارغب في أن تكثر المجله من المواضيع العلمية .

ثالثا : أتمنى أن تعرفنا المجلة ، بواجهة مشرقة من وطننا العربي ، فهذه الواجهة لم تعرفها ، الا في استطلاعات الكويت ، وما ندر من استطلاعات أخرى تحكي مسيرة شعبنا في طريق البناء .

محمد يحيى كمدان

حلب ـ سوريا

مقالات سنية قراعة

● انني اقرأ للسيدة الفاضلة سنية قراعه ، واعجب بأسلوبها الجميل ، ومقالاتها الغنية بالمعلومات الدينية والأدبية . ولكنني لاحظت أن العربي قد خلا في أعداده الاخيرة من أية مقالات لها .. نرجو أن تعود العربي الى نشر مقالات هذه الكاتبة المجيدة .

احمد احمد طاهر باكر ـ أريحا/سوريا

مولد فيثاغورس

● ورد في مجلتكم العربي عدد ١٥٧ في مقال الارض بين التسطح والتكور تحت عنوان « أول من قال بكروية الارض » . أن الفيلسوف الافريقي فيثاغورس ولد في أوائل القرن السادس عشر قبل الميلاد .

الصحيح انه ولد في اوائل القرن السادس قبل الميلاد ، ولعله خطأ مطبعي .

ذياب الشطرات / الاردن

العربي : التاريخ الذي ذكرته بالطبع هو الصحيح ، والخطأ مطبعي .

اضبط . .
اذاعة لندن تقتبس !

● في يوم الاحد ٣٠ مارس عام ٧٢ سمعنا اذاعة لندن تذيع بعد نشرة الاخبار ، الساعة ٧ بتوقيت الرياض الساعة ٤ بتوقيت جرينتش قصة بقلم سنية قراعة (ام الملوك : هند بنت عتبة) ولكن المذيعة لم تذكر عنوان القصة وهى نفسها التى نشرتها العربى فى العدد ٥٣ ص ٧٠ من الشهر الرابع لعام ١٩٦٣ وقد اذيعت بالحرف الواحد .

أعرف ان كثيرا من مثل هذه الحالات تحدث فى المجلات الا ان الاذاعة ، واذاعة لندن بالذات تذيع قصة نقلا عن مجلة العربى دون الاشارة الى ذلك ، فهذا امر يحتاج الى استيضاح من اولى الامر فيها .

انتى ارجو وكلى امل ان تخبرونى بما يمكن ان نفعل فى مثل هذه الحالة فهى شاغلة بالى بدليل الكتابة اليكم بذلك .

عبد الحكيم صالح العامر ـ الرياض/السعودية

مكان المرأة من العربي

● فى عدد ابريل ، قرات قائمة فى باب بريد القراء ، تحوى اسماء رجال العربى ، وقد دهشت عندما لم اجد للمراة مكانا بين العاملين فى العربى، بينما نحن نقرا الكثير من المقالات لنساء فاضلات على صفحات العربى . كيف كان ذلك .

مصطفى احمد عودة/الاردن

العربى : الاسماء التى قرأتها هى لرجال « العربى » الذين يؤلفون هيئة التحرير المقيمة ، برئاسة الدكتور احمد زكى ، وهى لا تشمل أسماء جميع من يكتبون للعربى رجالا كانوا أو نساء . . وصفحات العربى مفتوحة لنشر انتاج الأقلام المجيدة النافعة للقراء ، قد لا تكون المرأة موجودة بين اعضاء هيئة التحرير ، ولكن انتاجها موجود وواضح على صفحات العربى كما ذكرت .

★ ★ تصويب تاريخى ★ ★

● نشرتم فى العدد ١٥٩ من مجلتكم الغراء مقالا فى « كتاب الشهر » وعنوانه « الادب والقومية فى سورية » من تاليف الاستاذ سامى الكيالى ، وقد جاء فى المقال فى الصفحة ١٥٣ ، اقتباس من الكتاب هذا نصه : « انه فى وقعة القادسية دخل على المثنى ، انس بن هلال ، والصليب يتدلى فى عنقه ، وقال : ان قومى يريدون أن يلحقوا بك ، فهل ما يمنع ذلك ؟ » قال : لا : قال : انهم على النصرانية ، وأنتم على الاسلام ، قال المثنى : ان هذا اليوم يوم العرب الاكبر ، فضحك انس، وقال : الدم يفرض علينا أن نقف بجانب قومنا ، فقال المثنى : اهلا بأخوة الدم ، لكم ما لنا وعليكم ما علينا . . »

والملم بالتاريخ العربى يعلم أن القائد الكبير المثنى بن حارثة لم يتول قيادة الجيش بالقادسية، بل لم يحضرها ، لأنه توفى قبلها على اثر جراح اصابته فى معركة « البويب » وقائد الجيش الاسلامى فى القادسية هو الصحابى الجليل سعد ابن ابى وقاص الذى تزوج « سلمى » أرملة المثنى حين قدم القادسية ، وله معها قصة اوردها المؤرخون ، اذ كان سعد مصابا بعرق النسا ، فكان يرقب معركة القادسية من سطح قصر هناك ، وخلال المركة أطلت « سلمى » من القصر وهتفت « وامثناه ، ولا مثنى للخيل » .

أرجو التأكد بالرجوع الى المصادر التاريخية، خدمة للتاريخ ، ونشرا للقول الصحيح خدمة لمجلتنا الحبيبة ، ولكم تحياتى .

حمد السليمان البسام
مكتب العمل الفرعى ـ الرياض

العربى : صحيح ما ذكرتموه ، ونشكر لكم هذا التتبع .

حزبان ولكن ..

بقلم رئيس التحرير

■ فى الولايات المتحدة الامريكية حزبان ، هما الحزب الديمقراطى والحزب الجمهورى ، ولها مجلسان تشريعيان ينوبان عن الشعب يعرفان معا بالكنجرس Congress الامريكي ، احدهما مجلس النواب، وبه أكثر من ٤٠٠ عضو، ينوبون عن السكان بنسبة معلومة ،والآخر مجلس الشيوخ وبه نحو ١٠٠ عضو ، ينوبون عن الولايات ، ولكل ولاية شيخان .

ومن حقوق مجلس الشيوخ ، الى جانب التشريع ، المصادقة على التعيينات التى يجريها رئيس الولايات المتحدة ليملأ بها المناصب التى تخصه ومنها وزراؤه والسفراء ، وكذلك التصديق على المعاهدات الاجنبية .. وكل هذه تعطي مجلس الشيوخ قوة .

ثم هناك رئيس الدولة ، ويرشح كل حزب من الحزبين لهذا المنصب ، ثم يجرى انتخابه بالشعب فى الشعب .

ديمقراطية ظاهرة

شكل الحكم فى الولايات اذن ديمقراطي واضح . انتخاب نواب . وحزبان متهيئان يتولى احدهما الحكم ، ويقوم الآخر بالمعارضة . ثم هناك الادارة والحكم تحت قيادة رئيس الدولة . ثم المحاكم لاقامة العدل بين الناس .

فظاهر النظام انه نظام ديمقراطى على



لاحِزْبيَة

الاسلوب الاوروبي الغربي ، ذلك الذى اساسه حكم ومعارضة حكم .

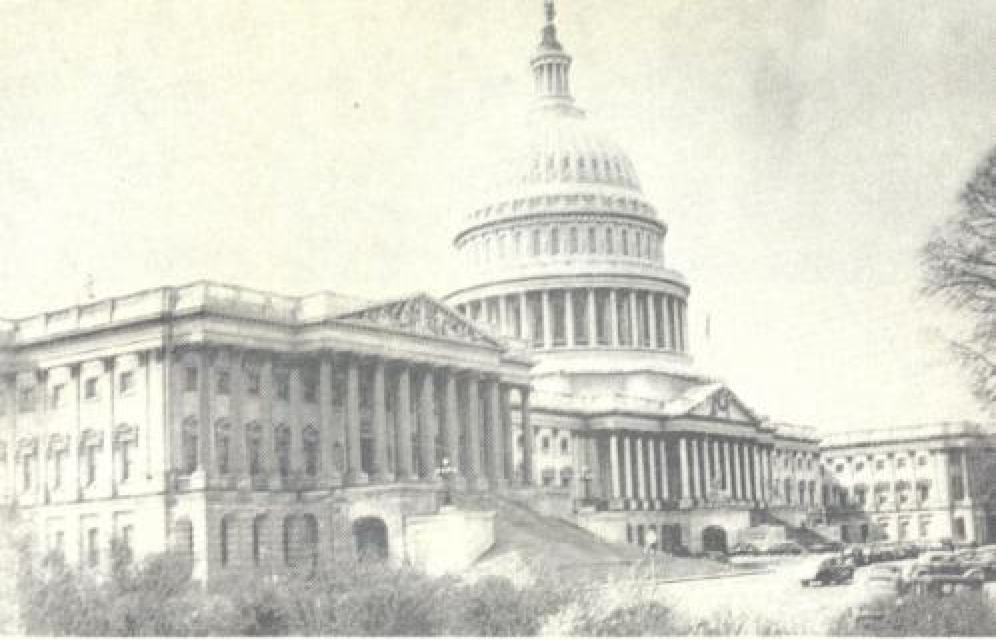
باطن النظام

وغير ذلك باطن النظام .

فاولا قد يسمع المرء عند الانتخابات بالحزب الديمقراطي وبالحزب الجمهورى ، ثم لا يلبث ان يتم الانتخاب حتى لا يكاد يذكر لهذا الحزب اسم او لذلك . وحتى والمعركة الانتخابية قائمة، قد تتبعتها انا اكثر من مرة ، فوجدت الذى يقوله المرشحون الديمقراطيون لا يكاد يختلف جملة عما يقوله الجمهوريون.

كلام كله من ذلك القول الفضفاض الذى هو كالثياب الواسعة تضم الكثير من معاني الخير ، فى تعميم لا تفصيل فيه ، كلٌ سوف يعمل الصالح ، وكل سوف يتقدم بالصالح ، وكل سوف يقطع جذور الشر من مخابئها فى الارض ، وكل سوف يضحي بالثمين الغالي ، وكل سوف يعمل للسلام حتى يعم الارض . والرخاء الرخاء ، لقد طال فى الشعب الامل فى انتظاره .

واستمعُ للخطيب منهم او اقرأ له ، وقد يفوتني اسمه او تفوتني هويته ، فلا أعود أعلم اديمقراطي هو ام جمهورى.



الكبتول
ويضم مجلس الشيوخ ومجلس النواب وكلاهما يكونان الكنجرس

وكنواب الدولة وشيوخها ، رؤساء الدولة .

رئيس الولايات في تقدمه للشعب لا يتحدث باسم الديمقراطية ولو كان ديمقراطيا ، ولا باسم الجمهورية ولو كان جمهوريا ، انه رجل يعمل للامة كلها ، ويريد ان ينتخبه كل رجل وكل امراة في الشعب والامة .

واذن لا عجب ان ينتخب الرئيس الحالي نكسن Nixon ، وهو جمهوري ، رئيسا للولايات المتحدة ، وقد انتخب الشعب نوابه قبل انتخاب الرئيس ، ومن بعد انتخابه ، باكثرية ديمقراطية .

رؤساء الولايات لا يدينون بمبادىء خاصة

ولقد تحدثت الى رجل دبلوماسي خبير في بعض هذه الشئون ، فراعني منه ان قال ، وهو الدبلوماسي القديم ، ان الرجل المترشح لرئاسة الولايات لا تهمه المبادىء بمقدار ما يهمه الفوز في الانتخاب . اما المبادىء فيتبجح فيها للناس ما شاء التبجح . وهو يقول من الكلم الطيب ما يستهوى الناس . والغاية دخول البيت الابيض . والبيت الابيض هو الهدف من كل هذا الكلم الطيب . وهو القوة كل القوة . وهذه القوة يطلبها المترشح لرئاسة الولايات اولا : ثم هو حر بعد ذلك فيما يصنع . وهو بالطبع لا يقول الخير ليصنع الشر . انه قال الكلم الطيب الذى لا يربط احدا ، ثم هو بعد ذلك يسلك سبيل العمل الذى يراه . انه لا يسلك سبيل الشر لأن هذا غباء وعته ، ولكنه يسلك في الحكم السبيل الذى يؤمّن له الحكم في الانتخاب مرة بعد مرة .

ويزيد صاحبي الخبير الدبلوماسي فيقول : والرئيس المترشح يتقبل كل كتلة سياسية او ذات مصالح اخرى اجتماعية او اقتصادية ما دامت تجر معها الى صناديق الانتخاب طائفة من

الأصوات ذات بال . وبالطبع يحاول المترشح ان يقرّب من هدف هذه الكتلة واهدافه التي اعلنها ، وييسّر عليه ذلك ان هذه الأهداف ليس بها تفاصيل نافرة تجعلها بمنأى .

قلت لصاحبي : واين كل هذا من السلوك المستقيم ؟ .

قال صاحبي : انت ترى ان في الذى ذكرت لك اعوجاجا . فانت تطلب الحق، وتتحدث عن الحق ، وتريد ان تبلغ اهدافك بالحق ، وانت لا شك بذلك سياسى خائب . لستَ بالسياسى العملي . اما الأمريكي فيرى ان الصلاح والاصلاح لا يكون الا مع القوة . فلا بد من الوصول الى مراكز القوة أولا قبل التفكير في الصلاح والاصلاح . فالقوة وبلوغها هما الهدف الأول ، ثم يكون بعد ذلك ما يرى الرجل الخيّر ان يصنعه ، أو لا يصنعه .

مجلس الشيوخ والنواب
ليس فيهما حزبية ، ولكن فيهما
المصالح متكتلة

في المجالس البرلمانية الأوروبية الغربية



الرئيس نكسون
يصعد السلم ليطل على الجماهير

البيت الابيض
مقر رئيس الولايات المتحدة بيته ومحل عمله



الديمقراطية ، حيث يأذن النظام بالأحزاب ، يكون من الأحزاب من يحكم ، ويكون منهم المعارض . وتعرض الحكومة القائمة القانون الذي تريد أن تجيزه ، وتجري المناقشة في البرلمان ، فتجد رجاله انشطروا اقساما ، الحزب او الاحزاب الحاكمة تناقش مناقشة من يريد أن يجيز ، والحزب او الأحزاب المعارضة تناقش مناقشة من يريد ان يرفض . وكل طائفة ملتزمة بالموقف الذي يأتلف وحزبها . هكذا هو الحال في بريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية ، ومن اتخذ من نظمها السياسية مثلا .

وغير ذلك الحال في الكنجرس الامريكي .

وفي مجلس الشيوخ مثلا طفت الكتل التي تمثل المصالح على الحزبية من ديمقراطية وجمهوريه . ان هذه الكتل هي مراكز القوى . مثال ذلك : كتلة العمال ، وكتلة اصحاب الأعمال ، وكتلة المزارعين ، وكتلة المحامين ، وكتلة المدرسين ، وكتلة التجار ، وأشتات اخرى من الكتل تتمثل فيها اشتات الناس على اختلاف ارزاقهم واختلاف مصالحهم ، ومنها الكتل الكبيرة ذات القوة الضخمة ، ومنها الكتل الصغيرة ذات القوة المتواضعة .

والكتل تتألف من كلا الحزبين . فصالح الكتلة أولا . وتتراجع الصوالح الحزبية حتى ما تكاد تبين .

مبدأ التراضي بالأكثرية المصلحية

انه مبدأ قديم بعض القدم ، سنّه رجل من رجال الحكم ، محام ، اعتلى كثيرا من مناصب كبرى في حكومة الولايات .

ان اسمه كلهون John Caldwell Calhoon



ايزنهود
رئيس الولايات المتحدة
وهو جمهوري

ولد في عام ١٧٨٢ ومات عام ١٨٥٠ . كان عضوا في مجلس النواب ، ثم وزيرا للحربية ، ثم وكيلا لرياسة الولايات ، ثم صار عضوا في مجلس الشيوخ وبقي فيه الى ان مات .

راى هذا الرجل السياسي ، فيما راى من امور ، ان الولايات المتحدة تتالف من اجزاء مختلفة متفرقة عدة ، يفرّق بينها اللون ، ويفرق المذهب الديني الذي اليه تنتمي ، ويفرق البلد بل البلاد التي جاء منها الناس ، وكلهم مهاجرون ، فالأصول اختلفت ، واختلفت الثقافات ، واختلفت حتى اشكال البلاد الاقتصادية التي جاءوا منها ، والاقطار التي حلّوا بها . وهو لم يجد في كل هذه الطوائف طائفة غالبة تستطيع ان تتقدم وتسود وتحكم . وهو وجد أن الحكم في الولايات لو سار على ما سار عليه الحكم في مواطن هؤلاء السكان الأولى ، اعنى اوروبا ، اذا لبلغت الاحزاب اعدادا هائلة ، واذن لكان الشقاق ، وكان التناحر ، وعجزت الحكومات عن ان تبلغ اهدافها .

عندئذ رأى ان يستبدل بالأحزاب ، من حاكمة ومعارضة ، المبدا الذى يقول بالتراضي . يقول بالحكم بتراضي الاكثرية، واسماه Concurrent Majority

ومعنى هذا ان الاحكام التي تجاز والقوانين التي تتقرر لا بد ان يوافق عليها من الكتل البرلمانية ـ لا الاحزاب البرلمانية ـ من ينتفع بها ومن يتضرر منها . وهذا لا يكون الا بالمفاوضة والمساومة بين الكتل المعنية لا الاحزاب .

كيف يعمل مبدأ تراضي الأكثرية في الكنجرس الأمريكي

نفرض ان الحكومة تقدمت بقانون وصل الى مجلس الشيوخ بالولايات المتحدة ، فكم يكون حظ هذا القانون من النفاذ الى سجلات الدولة ؟ .

حظه بمقدار حظ الكتل ذات المصالح التي بالمجلس ، لا حظ الأحزاب . ان هذه الكتل تضم من اعضاء المجلس ، المسئولين عن صوالحها ، بصرف النظر عن اسمهم الحزبي،وعن لونهم العقائدي.

فان جاء قانون من ورائه العمال ، يجب عليه لأن يجوز ، ان يسترضي كتلة أصحاب الأعمال ، او مديري الأعمال في هذه العصور التقدمية الحديثة . ولكل كتلة من هذه نصراء بين الكتل الاخرى ، وهي عشرات . وللكتلة ان تنصر بأصواتها آخر الأمر او تخذل . ولكن للأصوات الناصرة والأصوات الخاذلة قائمة حساب ترجع اليها الكتل في مستقبل الزمان ، لتنصر ناصرا ، وتخذل خاذلا . ومع هذا فالروح الغامرة لكل الكتل هي تراضي الاكثرية ، والتفاهم بالأخذ والاعطاء .

اللجان البرلمانية

ومن اجل هذا عمدوا الى ما اسموه باللجان البرلمانية .

فاذا جاء تقنين الى مجلس الشيوخ فما اسرع ما يحوّل الى لجنة تشكّل له ، قليلة العدد ، تتمثل فيها ، لا الأحزاب ، ولكن كتل المصالح . ومن تكوين هذه اللجان يدرك المرء اي الكتل لها مساس بهذا التقنين ، نفعا او ضرا . فاللجان تجمع المنتفع من الكتل والمتضرر .

وفي اللجان تطلق اصوات غير تلك التي اطلقت في مجلس الشيوخ او مجلس النواب .

الكلام في قاعة المجلسين موجه للناخبين في ديارهم بشتى الولايات الامريكية . اما الكلام في اللجان فمما لا يحسن بالناخبين ان يسمعوه . ان الكتل في اللجان يمارس بعضها بعضا ، وغرض الممارسة الخروج بقانون ، قد لا يرضى احدا كل الرضاء ، ولكنه يرضى اكثر المتمارسين . انه الحكم ، لا بالحزبية ، ولكن بتراضي الاكثرية .

ويل للكتلة التي تركب في حكم ما رأسها

وبعد عمل اللجان تعود القوانين الى ارض المجلس ، من مجلس شيوخ او مجلس نواب . وهناك ينتهي الأمر الى التصويت .

وويل للكتلة التي تقف تعارض الاكثرية ، وتريد ان تأخذ ما تطلب كاملا ، ولا تنزل عن شيء . ان كتلة كهذه تكسب كراهة سائر الكتل ، فالكل يؤمنون ، بأن الحكم لا يكون الا بالأخذ والاعطاء . فاذا انفردت هذه الكتلة بالصمود في معارضة سائر الكتل ، خسرت كثيرا كلما جاء الى المجلس شيء لها فيه صالح او لها منه مضرة . انها تصبح « الولد المناكف » عند سائر الكتل .

وهذه الكتل منها الصغير ومنها الكبير . والكبير كبير الخطر في البلاد . والصغير له عادة مثل خطره صغرا في

البلاد . ومن الكتل المجلسية الكبيرة فى البلاد ، ذات الخطر ، كتلة المزارعين وكتلة العمال . ومن الكتل الصغيرة اعداد كثيرة ، تكاد تقع تحت رحمة الكبار الضخام . وهذه سُنّة الحياة ، يخفف منها ان تكون عند الكتل نظرة الى البلاد شاملة ، تحق الحق للصغير كما تحق الحق للكبير .

يقتلون القوانين بالكلام المتطاول

ومع هذا قد تختصم الكتل ، فيقوم بعضهم ، ولو هم قلة ، بازهاق روح قانون ، لو انه وصل الى حد الاقتراع لفاز بالأصوات .

وطريقة ازهاق ارواح القوانين ان تتعاون الكتل على دفنه وتحت الكلام ، وذلك بان يقوم المتكلم منهم فيتكلم الساعات، ليعقبه آخر فيتكلم الساعات، لا لغرض الا ازهاق الروح ، يعينهم على ذلك انه ليس فى قانون المجلس ان يكون هناك حد يقضيه المتكلم فى كلامه ، ولا حدٌ يحدُ من عدد المتكلمين .

واشتهرت هذه الطريقة فى واد القوانين ، ويسمونها Fillibuster ولا يرضى عنها احد . ولكنها تمارس عندما تجمع الكتل ، الى قوتها ، العناد .

اذكر هذا حتى لا يخرج احد من كلامي بأن الحياة فى مجالس الولايات النيابية كلها عسل يحلو به المذاق .

مبدأ المصالح يطبق ايضا فى حكومة الولايات

ويبدأ تطبيقه فى الوزراء انفسهم . فكل وزير يمثل مصلحة بذاتها . فوزير الزراعة للزراعة وحدها ، ووزير التجارة للتجارة وحدها . وهم مكلفون بحكم القانون برعاية هذه المصلحة الواحدة وحدها ، وغير مسئولين ، ولا مطلوب منهم ان يعملوا لصالح البلاد كلها . وهذا على غير مفهوم الوزارة فى الدول الاخرى .

والادارات التي تنقسم اليها الوزارات ، لكل منها مصلحة ترعاها . وقد تتضارب المصالح فى الوزارة الواحدة ، فتقوم الوزارة باقامة ادارة لكل مصلحة متضاربة ، فيخال الناظر اليها انها تجمع بين المتناقضات . مثال ذلك وزارة الزراعة ، ففيها ادارة تنظر فى مصالح كبار المزارعين ، بينا فيها ادارة تنظر فى صالح اجراء الأرض ، وعمال الحقل ، وصغار الزراع .

وكذا مبدأ التراضي

وكلا المبدأين ، مبدأ تمثيل المصالح ، ومبدأ تراضي الأكثرية ، يجمعهما مبدأ « كلهون » فى معارضته الحزبية .

ومن امثلة التراضي ما كان من امر المستر ترومان، رئيس الولايات المتحدة . كان رئيس الولايات قبله ، والحرب العالمية الثانية قائمة ، المستر روزفلت . وتقدم روزفلت مرة اخرى لرئاسة الولايات انتخابا فى عام ١٩٤٤ ، وكان



ترومان
رئيس الولايات المتحدة
خلفا للرئيس روزفلت



هكذا يحتفل الحزبان بانتخاب مرشح الرئاسة فيهم
انه مهرجان عظيم ، لا سيما اذا خيم الليل

عليه ان يختار وكيلا للرياسة ، فما كان منه الا ان اختار المستر ترومان على غير انتظار . وكان سبب ذلك مبدأ التراضي .

فوكيل الولايات يجب ان ترضى عنه جهات كثيرة ذات بال . وكان هناك رجال اقوى من ترومان واحق منه ، واملأ للمنصب . منهم المستر والس Wallace ولكنه لم يكن مقبولا عند رجال الأعمال . ومنهم المستر Byrnes ولكن كرهه الكاثوليك والزنوج والعمال . ولما عرض اسم ترومان لم يجدوا في سجل اعماله شيئا ينكر ، ولم يكن عادى المحافظين بشيء ، ولم يكن نطق بكلمة واحدة عنصرية قط .

عداء الولايات المتحدة للحزبية والعقائدية

انه عداء للحزبية والتحزب قديم . سجله رئيس الولايات الأول ، وشنجطن ، حينما شجب التحزب والمتحزبين .

ودخلت الحزبية والتحزب من بعد ذلك في السياسة الأمريكية والساسة الأمريكيين وانتهت بالنكبة التي تمثلت في الحرب الأهلية .

وكانت الحرب الأهلية آخر مظهر للأحزاب التي تعتنق المذاهب .

وتغير الحال بعد هذه الحرب ، عندما سكتت المدافع فلم تقصف ، واصلح

الخراب الذى كان ، وضمدت الجراح الكثيرة التي سببتها الحرب .

وكان « كلهون » قبل الحرب ناصر اهل الجنوب فيما زعموا من الابقاء على الرقيق ، ناصرهم بزعم انه يقول بالتراضي، وان لا تحل المشاكل بالعنف. ولكنه أخطأ مثلا . فما كان يمكن ان يتراضى الناس على بيع الناس وشرائهم .

خاب مسعى كلهون فى مناصرة الرق ، ولكن ساد مبداه فى تراضي الكثرة ، وهذا مبدأ يجب بالتبع اعتناق المذاهب .

ومن اجل هذا صارت احزاب الولايات ، بل حزباها ، ليسا احزاب مذاهب ، وانما احزاب حكم يصلون اليه عن طريق الانتخاب . وسبيلهم فى ذلك ان يضموا اليهم كل فئةلها قوة اصوات، من اهل اليسار او اهل اليمين ، وان اقتضى ذلك تعديلا فيما فى جعبة الفئة المضمومة من آراء حتى لا تتعارض مع ما عند الحزب من آراء فى جعبات سابقة .

وفعل الحزبان ذلك .

وقد يقوم الفكر الجديد ينذر بقيام حزب جديد ، فلا يلبث ان يضمه الحزبان الأقدمان . وبهذه الطريقة منعوا الأحزاب والتحزب ان يكونوا . انهم امتصوا الأحزاب والتحزب قبل ان يظهر لهما قرون .

منافع ومضار

كل نظام سياسي له منافعه ومضاره. والنظام الذى يستطيع ان يعيش يغلب فيه ان تكون مضاره ومنافعه متقاربة . فان زادت المضار ، وكانت للشعب ارادة ، قتلته المضار قتلا .

ومنافع هذا النظام الامريكي ظاهرة . ففي الولايات المتحدة مقدار من استقرار الحكم كبير . والتحزب وما ينتج عنه من صراع قليل بالنسبة لما يوجد من ذلك فى النظم الديمقراطية الاخرى . نستثنى من ذلك مشكلة السود والبيض .

مصالح تتصل غالبا بحاجات الحياة الدنيا

نظام حكم كهذا ، يعتمد على المصالح اعتمادا كليا ، وهي مصالح مادية تتصل غالبا بحاجات الحياة الدنيا من طعام وشراب وكسب ماء ورفه ، نظام كهذا تتوه فيه المعاني الأسمى التي تتصل بالحرية ، وتتصل بالكرامة ، وتتصل بالآمال الانسانية والأحلام .

لقيت زنجيا قسيسا ، وتحدثنا معا عن مشكلة السود والبيض ، وذكرت له ان الاكثرية فى الولايات المتحدة ترفض العنصرية . فابتسم ساخرا وقال : انهم يرفضونها عقلا ، وهي ملء قلوبهم عاطفة. قلت : كيف ؟ قال : انها المصلحة تفرض عليهم قبولنا بلا حب ، حتى وبلا رحمة. والمصلحة فى امريكا هي قاعدة السلوك . انهم لو قدروا ان يعقموا رجالنا ، او ينالوا من نسائنا بالعلم منالا يذهب بنا ، نحن الزنوج ، من سطح بلادهم ، فى جيل واحد ، لفعلوا . ولكن دون ذلك اهوال كبار . ان الذى يفعلونه فى فتنام انما هو محاولة لمحو امة من البشر من سطح الأرض .

مقالة لرجل من رجال الله ، فيها غضب الانسان الجريح .

انه ارادني ان افهم ان مبدا المصلحة ، الذى جرى عليه سلوك الحكم هناك ، امتد فى الناس حتى جرى عليه قطاعهم من عام وخاص . وعندى ان هذا قد يصح على ان يكون جريان غلبة،لا جريان شمول ، وعندى انه نقي فى الشعب الأمريكي من الاعتبارات الانسانية بقية .

ولو ظلت تسكن الأغوار وتحتمي وراء الصخور .

وكمصالح الداخل مصالح الخارج

وللولايات المتحدة في سياستها الخارجية علاقات عديدة تكاد تشمل سطح الكرة كله . والمصالح التي اتخذتها اساسا لسلوكها الداخلي بقيت لا شك اساسا لسلوكها الخارجي . ورئيس الولايات زار الصين ، وما كان هذا عن حب . وهو زار بعدها الروس ، وما كان هذا عن حب . ان المصلحة التي قضت بمخاصمتهم في ماضي السنين هي التي قضت بالصمت عن مخاصمة في هذه السنين الحاضرة .

واسرائيل ترسل رسلها الى الولايات المتحدة فيتصلون اول ما يتصلون بمراكز القوة في مجالسها النيابية ، حيث المصالح السائدة . وهم يتحدثون الى رجالها حديث المصلحة . واليهود في المصالح التجارية والصناعية والثقافية الأمريكية لهم نصيب غير منقوص ، يبلغ ببعض اقسامها الى الاحتكار . فهم اذ يتحدثون الى مراكز المصلحة فانما هي مصلحة تتحدث الى مصلحة . واسرائيل نفسها بخروجها عن الولايات ، ومد فروعها الى افريقية وغير افريقية بالعلم وبالصناعة والمال، تمثل مصالح امريكية، لبِسَتْ ملابسَ اسرائيلية ، فالكسب اسرائيلي امريكي معا ، مصلحي معا .

واقول مصلحي ولا شيء غير هذا لأني اعلم مقدار حب الأمريكي القح لليهودى النازل عنده . ولقد آسف على ذلك من الوجهة الانسانية ، لو انها انسانية أخذ منها كل الأطراف بنصيب.

وبذكر اسرائيل ورسلها ، اذكر رسل العرب الى الولايات المتحدة ، واسمع احاديثهم وخطبهم ، وكلها تدور على معنى العدل وعلى حقوق الانسان وكل تلك الصفات التي نجدها في كتب التلاميذ في المدارس تحاول ان تجعل لهم سلوكا طيبا في الحياة . او تلك الصفات التي امتلات بها مقررات هيئة الأمم المتحدة . وهي احاديث ، وهي خطب تصل الى آذان الأمريكيين . لا سيما السياسيين منهم ، فتقع على آذان صمٍّ لا تسمع ، واذا سمعت فهي لا تعي ، وراءها عقول لا تفهم الا المصلحة : كم تعطيني لأعطيك . .

ومن اسف ان العرب ، في يومهم الحاضر ، وفي تخلفهم الحاضر ، ليس عندهم ما يعطونه .

وهيئة الأمم المتحدة هي اليوم الولايات المتحدة . دليلي على ذلك أن هيئة الأمم المتحدة ظلت تطالب بدخول الصين عضوا ، وظلت الولايات المتحدة تقول : لا . حتى اذا قالت الولايات المتحدة اخيرا نعم ، صار كل انسان يقول نعم .

واذن صح ان نقول : ان هيئة الأمم المتحدة كالرجل التقي العابد الناسك ، عليه الدعاء الكثير . اما استجابة الدعاء فتاتي من خلفاء الله في الأرض . وهم خلفاء الله بما لهم من قوة . وهم خلفاؤه بما لهم من علم وبما اقاموا من حضارة ذات وجوه شتى ، ومنها الوجه القبيح . ويحلو لنا ان لا نمتدحهم بشيء لسوء ما فعلوا بنا . والقوى، للأسف ، لا يبالي من الناس ذما او حمدا .

واخيرا ، فلله في خلقه شئون . والله دائما هو المستعان على ما يصف الواصفون .

●●

احمد زكي

مسابقة العربي

١٠ أسئلة.. وجوائز ١٠٠ دينار

■ مسابقة هذا العدد تتكون من ١٠ أسئلة من مختلف مجالات المعرفة. والمطلوب منك الاجابة اجابة صحيحة على ٨ اسئلة حتى يمكنك الفوز باحدى جوائز هذه المسابقة. وهذه هي الأسئلة:

١ - صحح الخطأ في العبارتين التاليتين، ان كان ثمة خطأ:

- بالرُّفاة والبنين.
- هوى الرجلُ الجبلَ وطفقته المنعش فاختاره سكنا له.

٢ - « اسكتلنديرد » اسم يدل على:

- قسم المباحث السياسية في دوائر البوليس الانجليزي.
- دائرة بوليس لندن.
- البلاط الملكي في اسكتلندة.

فأي هذه الاحتمالات هو الصحيح..؟

٣ - لفظ « فرس » يدل على:

- انثى الحصان..
- ذكر الحصان..
- انثى الحصان وذكره..

٤ - وشنجطن هي عاصمة الولايات المتحدة حاليا، ومنذ سنة ١٨٠٠. وقد كان لهذه الدولة عاصمة اخرى قبل ذلك. فاى مدينة كانت تلك العاصمة الأولى:

- نيويورك.
- فيلادلفيا.
- بوسطن.

٥ - احد الاباطرة الرومان الثلاثة الآتية اسماؤهم، كان من اصل عربي. فايهم كان هذا، وفي اى بلد عربي كان مولده:

- هدريان.
- اوكتافيان.
- فيليبوس.

٦ - جزر ملديف Maldive تقع في المحيط الهندى على بعد نحو ٤٠٠ ميل الى الجنوب الغربي من جزيرة سيلان. وكانت هذه الجزر خاضعة للحماية البريطانية ولكنها نالت حريتها واصبحت جمهورية مستقلة سنة ١٩٦٨. وسكان هذه الجزر، البالغ عددهم نحو ١٠٠,٠٠٠ نسمة، كلهم مسلمون بلا استثناء وقد زار جزر ملديف

هذه الرحالة العربي المعروف ابن بطوطة قبل حوالي ٦٠٠ سنة . ويذكر ان السلف الصالح كان يطلق على هذه الجزر اسما آخر غير اسم ملديف الذي ذكرنا . فاي الاسماء التالية هو ذلك الاسم :

ـ واق الواق .

ـ السري .

ـ ذيبة المهل .

٧ ـ ما هي عاصمة باكستان :

ـ كراتشي .

ـ روالبندي .

ـ اسلام آباد .

٨ ـ « الازتك » حضارة أو دولة من دول الهنود الحمر ، سكان امريكا الاصليين . وقد قامت هذه الدولة في المكسيك ، وانهارت سنة ١٥٢١ على يد الاسبان بقيادة كورتز . وكان للهنود الحمر حضارة أو دولة اخرى قامت في البرو في امريكا الجنوبية، وانهارت سنة ١٥٣٣ ، على يد الاسبان أيضا ، وبقيادة فرانسيسكو بيزارو. فما اسم هذه الدولة الاخرى ؟

٩ ـ احتل الاتحاد السوفياتي المرتبة الاولى بين الدول المنتجة للقمح في سنة ١٩٦٧ ، وقد بلغت نسبة انتاجه من المجموع العالمي في تلك السنة ٢٦٪ . واحتلت الصين المرتبة الثالثة وبلغت نسبتها ٩٪ . واحتلت كندا وفرنسا المرتبتين الرابعة والخامسة ، وبلغت نسبة كل منهما ٥٪ ، فاي دولة احتلت المرتبة الثانية ، وبلغت نسبة حصتها من مجموع الانتاج العالمي للقمح ١٤٪ .

ـ البرازيل .

ـ الولايات المتحدة الامريكية .

ـ الهند .

١٠ ـ يزرع التوت بكثرة في الصين واليابان ... لماذا ؟ .

شروط المسابقة

١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :

مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٦٦ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٢ .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .

كوبون مسابقة العدد ١٦٦

الحُكمُ بقطعِ يدِ السَّارق

بقلم : الدكتور احمد عبيد الكبيسي

مدرس الشريعة الاسلامية بجامعة بغداد

■ السرقة : من الجرائم التيتوافرت النصوص من الكتاب والسنة على تجريم فعلها وتحديد العقوبة عليها تحديدا دقيقا ، ليس لاحد الحق ـ اذا ما ثبت موجبها ـ ان يزيد فيها او ينقص منها، او يستبدل بها غيرها . ولهذه المعاني قال الفقهاء في تعريف الحد : عقوبة مقدرة حقا لله تعالى .(١)

حكمة تحديد عقوبة السرقة

اتجهت الشريعة الاسلامية ـ في هذه الجريمة ـ الى حماية الجماعة ، واهملت شأن المجرم . فشددت العقوبة عليه وجعلتها مقدرة محددة ، من اجل القضاء على ما يتهدد الناس في اموالهم وما يتبع ذلك من اذلال وارغام ، فاحكم الشارع الحكيم وجوه الزجر الرادعة عن هذه الجناية غاية الاحكام وشرعها على اكمل الوجوه ، المتضمنة لمصلحة الردع والزجر ، مع عدم مجاوزة ما يستحقه الجاني من العقاب . فلا بد ان يكون العقاب مكافئا للجريمة ، ولا يتسنى تقدير ذلك الا لله العليم الخبير .

ولو ترك تقدير العقوبة على السرقة الى اجتهاد مجتهد ، او نظر حاكم ، او رأى جماعة ، لأدى ذلك الى تناقض لا تؤمن عاقبته ، ولا يضمن معه تحقيق العدالة التى يجد الناس فيها امانا من الظلم والقهر . فكان من رحمة الله ـ سبحانه وتعالى ـ ان تكفل هو بتقدير العقوبات على الخطير من الجرائم . وترك للناس تقدير غيرها من العقوبات : مما لا يترتب على تقديرها منهم اذى او فساد .

وفي هذا المعنى يقول ابن القيم (٢) : « فلما تفاوتت مراتب الجنايات ، ولم يكن بد من تفاوت مراتب العقوبات ، وكان من المعلوم ان الناس لو وكلوا الى عقولهم في معرفة ذلك وترتيب كل عقوبة على ما يناسبها من الجناية جنسا ووصفا وقدرا ـ لذهبت بهم الآراء كل مذهب ، وتشعبت بهم الطرق كل مشعب ، ولعظم الاختلاف واشتد الخطب . فكفاهم ارحم الراحمن ، واحكم الحاكمين مؤونة ذلك ، وازال عنهم كلفته ، وتولى بحكمته وعلمه وقدرته ورحمته تقديره نوعا وقدرا . ورتب على كل جناية ما يناسبها من العقوبة ، وما يليق بها من النكال » .

حكمة الشدة فى عقوبة السرقة

من الواضح ان الشارع الحكيم لاحظ في عقوبة السرقة ان تكون شديدة قاسية (٣) . اذ ان قطع يد السارق بربع دينار عقوبة شديدة تنخلع لها القلوب . وقد كانت هذه الشدة مرتكزا للمغرضين

(١) أنظر : الاحكام السلطانية للماوردى ص ١٢٠ .

(٢) أنظر : اعلام الموقعين ٩٦/٢ .

(٣) أنظر : الموافقات للشاطبي ٢٣٧/١ .

في الشريعة الإسلامية

ـ على مدى الايام ـ في نيلهم من الشريعة الاسلامية . ومن حسنت نيته منهم : كان مرددا لاصداء ما يقال عنها ، دون نظر سديد في موجبات هذه الشدة . والحكمة فيها واضحة جلية .

فانه لما كان الاسلام معنيا بتوفير الحياة الكريمة والعيش المطمئن لكل الناس . كان لا بد من حماية الفضيلة بالقضاء على الرذيلة والفساد ، وكل ما من شانه ان يدنس واجهة الجماعة التي اراد لها الاسلام : ان تكون نقية ناصعة . والغاية السلمية تبرر الوسيلة الحازمة ـ ولو كانت شديدة قاسية . لان القسوة ليست شرا في كل احوالها . فان من لا يراعى مصلحة الآخرين ، ليس له ان يطمع في ان تراعى مصلحته ومن لا يرحم الناس لا يرحمه الشرع (١) . لان في الرحمة بالجاني ـ حينئذ ـ قسوة على المجتمع ، فيجب ان يتحملها هو بدلا من المجتمع . والعدل كل العدل في ان يعاقب من يستحق العقاب وليس اجدر بالعقاب ، من ذلك النوع من المجرمين الذين تقتضي طبيعة جرائمهم ان تتم في الخفاء ـ كالسرقة ـ لما في خفائها من رهبة شديدة في نفوس الناس . وقد بين الله ـ سبحانه وتعالى ـ سببين للشدة ، في عقوبة السرقة . فقال : « جزاء بما كسبا نكالا » . (٢)

معنى الجزاء

اما الجزاء فمعناه ان العقوبة مكافئة للجريمة مساوية لها ، موافقة لآثارها : اى ان العقوبة : انما هي على الجريمة بكل الآثار الناتجة عنها ، والاضرار المترتبة عليها مما لا يقف عند حد اخذ المال المسروق . بل يتعدى ذلك الى ما تحدثه السرقة من ترويع وافزاع . وليس ادل على ذلك من حادثة سرقة واحدة ، تقع في حي ، او قرية ، نرى معها اى ذعر يعيش فيه الناس ، لما اصبح معلوما : ان السارق لا يتورع عن اقتراف كل ما يخطر له في سبيل تحقيق مآربه . حتى اصبحت حوادث القتل لاجل السرقة من المالوف الشائع . فان طبيعة السارق موسومة بالشراهة والنهم . وليس بين السارق وبين الناس الا ما بين الذئب وفريسته . لايهمه منها الا نهشها من اى طرف .

فمن اجل هذه النتائج المفزعة ، كانت الشدة في العقوبة . لان الشارع بين امرين : اما ان يردع الآثم ، واما ان يفزع الآمن ، وليس من عدل الله ورحمته الا ردع الآثم وزجره . بعقوبة تكافيء جرمه ، ينالها جزاء لذلك الجرم .

ولهذا السبب لم تقطع يد الغاصب والمنتهب والخائن ـ مع ان هذه الجرائم وقعت على مال الغير ، كالسرقة ـ الا انه ليس فيها من الافزاع ما في السرقة . لانها تقع في العلن . وليس فيه من الرهبة والاذلال مثل ما في الخفاء . وفي ذلك يقول المازرى (٣) : « صان الله الاموال . بايجاب قطع سارقها . وخص السرقة . لقلة ما عداها بالنسبة اليها من الانتهاب والغصب . ولسهولة

---

(١) انظر : القواعد للعز بن عبد السلام ٢/٨٨ .

(٢) انظر : تفسير ابي السعود ٢/٢٦ فلسفة العقوبة ـ ابو زهرة ـ ص ٢١٤ .

(٣) هو : ابو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازرى الصقلي . امام اهل افريقية وما وراءها من المغرب . وكان آخر المشتغلين من شيوخ افريقية بتحقيق الفقه ورتبة الاجتهاد والنظر . توفي سنة ٥٣٦ هـ .

اقامة البينة على ما عدا السرقة ، بخلافها . وشدد العقوبة فيها ليكون ابلغ في الزجر . ولم يجعل دية الجناية على العضو المقطوع منها بقدر ما يقطع به حماية لليد . ثم لما خانت هانت » (١) .

ومما يدل على ان الله ـ سبحانه وتعالى ـ رتب العقوبة على ما تشيعه السرقة من خوف واضطراب ، وليس على ذات المال المسروق : ان قطع اليد يعاقب به السارق اذا سرق ربع دينار . والسارق اذا سرق الف دينار . ولو كان القطع على ذات الفعل ، لتفاوتت العقوبة في هذا وذاك . وكما يقول العز بن عبد السلام (٢) : « ان السرقتين : استويتا في المفسدتين » وما ذلك الا بأثرهما على الجماعة . والا فانه لاوجه لتساويهما كما هو ظاهر .

معنى النكال

واما النكال فهو منع الغير من ارتكاب السرقة اعتبارا بما وقع للسارق المقطوعة يده من شدة وحزم . وقد جاء في اللسان ـ في كلمة نكل ـ قوله (٣) : « نكل بفلان : اذا صنع به صنيعا يحذر منه غيره اذا رآه » ومنه قوله تعالى (٤) : « فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها » اى عبرة . ولا عبرة اعظم من قطع اليد . الذى يفضح صاحبه طول حياته ويسمه بميسم العار والخزى . ولا شك ان هذه العقوبة اجدر بمنع السرقة ، واجدى لتامين الناس على اموالهم وارواحهم . (٥)

ولعل من ابسط نتائج هذا النكال : ان عقوبة السرقة ـ القطع ـ لم تطبق في خلال نحو قرنين من الزمن الا في ايد اقل من القليل (٦) . ولم يتحقق ذلك الا بشدة العقاب . فكانت الشدة والقسوة سببا لصيانة الايدى وطهارة النفوس وكلما اشتد العقاب ، قوى المنع . وفي ذلك يقول ابن القيم (٧) « ومن المعلوم : ان عقوبة الجناة والمفسدين لاتتم الا بمؤلم يردعهم . ويجعل الجانى نكالا وعظة لمن يريد ان يفعل مثل فعله . وعند هذا فلا بد من افساد شيء منه بحسب جريمته » .

ويقول ابن عبد السلام : « من امثلة الافعال المشتملة على المصالح والمفاسد مع رجحان مصالحها على مفاسدها قطع يد السارق فانه افساد لها ، ولكنه زاجر حافظ لجميع الاموال فقدمت مصلحة حفظ الاموال على مفسدة قطع يد السارق » . (٨)

ومن هنا شاع الفساد وعمت الفوضى ، عندما شاء الله لهذه الشريعة ان تحتجب بعض الوقت لحكمة يعلمها . فخلفتها القوانين الوضعية التى تجمع في باب واحد بين السرقة وقطع الطريق ، وتتساهل في كلتا الحالتين الى حد اعتبار السرقات المعتادة من قبيل الجنح البسيطة . ففتحوا على المجتمع ابواب شرور لا تتناهى فاصبحت جرائم السرقة في مجتمع الوضعيين ، من الجرائم المسلم بوقوعها على كثرة تنذر بالخطر المروع . حتى فر الناس خوفا وذعرا من سكنى الاطراف ، ولم يامنوا مع ذلك ـ وهم في قلب المدينة الكبيرة ـ . اما القرى النائية ، والطرق العمومية ، والمرتفعات الجبلية . فلا تسأل عما يبتلي به الناس من تسلط عتاة المجرمين المتمردين . لانهم تحاقروا العقوبة على اخطر جريمة .

حكمة العقاب بقطع اليد

كانت عقوبة السارق : قطع يده ، دون غيرها من العقوبات . لاجل المناسبة بين الجريمة

---

(١) انظر : طرح التثريب ٢٣/٨ . فتح البارى ١٠٤/١٥ .

(٢) انظر : القواعد ٤٠/١ .

(٣) انظر : لسان العرب ٦٧٧/١١ .

(٤) سورة البقرة / ٦٦ .

(٥) انظر : تفسير المراغي ١١٥/٦ .

(٦) قيل : ان الذين قطعوا في الاسلام بالسرقة ستة فقط .

(٧) انظر : اعلام الموقعين ١٠٣/٢ .

(٨) انظر : قواعد الاحكام ١١٦/١ .

والعقوبة . وكان الشارع الحكيم قصد بذلك الى اتلاف آلة الجريمة .

وكما يقول ابن القيم (١) : « اما القطع فجعله عقوبة السارق . فكانت عقوبته به ابلغ واردع من عقوبة الجلد . ولم تبلغ جنايته حد العقوبة بالقتل . فكان اليق العقوبات به : ابانة العضو الذى جعله وسيلة الى اذى الناس واخذ اموالهم » ويقول : « ثم هو مستعد للهرب والخلاص بنفسه اذا اخذ الشيء . واليدان للانسان كالجناحين للطائر في اعانته على الطيران » ولهذا يقال : « وصلت جناح فلان » اذا رأيته يسير منفردا فانضممت اليه لتصحبه . فعوقب السارق بقطع يده قصا لجناحه وتسهيلا لاخذه ان عاود السرقة » .

ونجارى ابن القيم في طريقته في التحليل ، فنقول : ان السارق ـ عادة ـ لا يطلب من جريمته غير المال . اما ما ينتج عن السرقة من قتل او اغتصاب فانما هو تابع لا مقصود . ولهذا الاعتبار جاءت العقوبة : قطع اليد . للقضاء على هذا الدافع في نفسه . لان قطع اليد يؤدى ـ غالبا ـ الى نقص الرزق وقلة الكسب . فتكون الشريعة الاسلامية قد دفعت العامل النفسي عند السارق، بعامل نفسي مضاد . وقد يرد على هذا : لزوم قطع آلة الزنا والقذف ، وليس هو حكم الشريعة.

فنقول : ان هذا الايراد مدفوع بان فيه اسرافا وتجاوزا ونكوصا عن اهداف العقوبة المرسومة . اذ ليس من مقصود الشارع من العقوبة ، مجرد الامن من عدم المعاودة والا لقتل السارق . وانما المقصود . الزجر والنكال . وان يكون الى كف عدوانه اقرب ، ولم تقطع آلة الزنا . لان الزاني يزني بجميع بدنه . والتلذذ بقضاء شهوته يعم البدن كله . فعوقب بما يعم جميع بدنه من الجلد والرجم .

وفي ذلك يقول النسفي (٢) : « وقطعت اليد لانها آلة السرقة . ولم تقطع آلة الزنا تفاديا من قطع النسل » .

وزاد القرطبي على هذا الذى ذكره النسفي سببين آخرين (٣) . « الاول : للسارق مثل يده التي قطعت . فان انزجر بها اعتاض بالثانية . وليس للزاني مثل ذكره اذا قطع فلم يعتض بغيره لو انزجر بقطعه . الثاني : ان الحد زجر للمحدود وغيره . وقطع اليد في السرقة ظاهر . وقطع الذكر في الزنا باطن » .

لا سلطة لغير الشارع في تكييف عقوبة السرقة

قلنا ان عقوبة السرقة تثبت بالنص . فلا يجوز تغييرها ، او تبديلها ، او اسقاطها . وليس للزمان ، او المكان اثر في ذلك .

رأى المجوزين

الا ان بعض الباحثين (٤) ، ذهبوا : الى جواز الغاء عقوبة السرقة او تبديلها بعقوبة اخرى ، تبعا لتغير الازمان والاحوال . وعلى هذا فان لولي الأمر ، الحق في تكييف عقوبة السرقة حسب الظروف والمقتضيات .

وهؤلاء الباحثون ـ ومن وافقهم ـ على اصل : جواز تغيير الاحكام المنصوص عليها اذا دعت الى تغييرها مصلحة ، يقرها اجتهاد . حتى ولو تعارض ذلك مع نصوص الكتاب والسنة . وقد استدلوا على ذلك ببعض ما لا تقوم لهم به حجة .

---

(١) انظر : تفسير القرطبي ١٧٥/٦ .

(٢) انظر : اعلام الموقعين ٩٧/٢ و ١٠٧ .

(٣) انظر : تفسير القرطبي ١٧٥/٦ .

(٤) من هؤلاء : معروف الدواليبي في كتابه : المدخل الى علم اصول الفقه ص ٣٢١ . ومصطفى زيد في كتابه : المصلحة في التشريع الاسلامي ص ٣١ وعلي حسب الله في كتابه : اصول التشريع الاسلامي ص ١٥٦ واحمد امين في كتابه فجر الاسلام ص ٢٣٨ الدكتور حمد الكبيسي في كتابه : مباحث التعليل ص ٦٦ ـ ٦٧ .

وبشيء من النظر الخاص كما يظهر ذلك من نصوصهم التالية :

يقول بعض الكاتبين (١) : « ان العمل بمبدأ تغير الاحكام بتغير الازمان تؤيده الاصول المتفق عليها ، وهي : ان التشريع لا يكون حكيما عادلا الا اذا كانت احكامه ملائمة من شرع لهم متفقة ومصالحهم ، مراعى فيها عرفهم وحالهم ، وما تقتضيه بيئتهم . وان التشريع الذى تلائم احكامه امة ، ويتفق ومصالحها . قد لا تلائم احكامه امة اخرى ، ويعارض مصالحها . بل احكام التشريع الواحد قد تكون ملائمة للامة ومتفقة ومصالحها في حين غير ملائمة لها ولا متفقة ومصالحها في حين آخر » ثم يستطرد قائلا : « وهذه اصول تكاد تكون بديهية غير مفتقرة الى برهان . واصدق شاهد لها : نسخ بعض الاحكام الشرعية ببعض في التشريع » .

ويستشهد هذا الكاتب بابن القيم فيقول : « ولقد كتب في ذلك العلامة ابن القيم الجوزية في كتابه ـ اعلام الموقعين ـ فصولا ممتعة . وقال ـ تحت عنوان ، فصل في تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الازمنة والامكنة والاحوال والنيات والعوائد ـ : « هذا فصل عظيم النفع جدا ، وقع بسببه غلط عظيم على الشريعة الاسلامية ، اوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل اليه ، ما يعلم : ان الشريعة الباهرة التي في اعلى رتب المصالح ، لا تأتي به . فان الشريعة مبناها واساسها على الحكم ، ومصالح العباد في المعاش والمعاد . وهى عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح كلها ، وحكمة كلها . فكل مسالة خرجت عن العدل الى الجور ، وعن الرحمة الى ضدها ، وعن المصلحة الى المفسدة ، وعن الحكمة الى العبث . فليست من الشريعة ، وان دخلت فيها بالتأويل».

ويقول كاتب آخر (٢) : « ولم يقطع عمر يد سارق او سارقة في عام المجاعة . لانه رأى : ان هذه السرقة كانت لحفظ الحياة . وحفظ الحياة مقدم على حفظ المال . هذا ، مع ان آية حد السرقة صريحة في الامر بقطع يد السارق والسارقة دون قيد » .

ونقف قليلا عند قول هذا الكاتب : دون قيد . لنقول له : لا . ان الآية صريحة في قطع يد السارق . ولكن بقيد ، وهو النصاب والحرز وغيرهما من القيود التي جاءت بها السنة المطهرة والتي خصصت عموم الآية . ومن القيود ـ ايضا ـ : ان لا تكون السرقة لضرورة حفظ الحياة لان المضطر ماذون بالاخذ فلا يكون سارقا . واذا لم يكن سارقا ، فكيف يقطعه عمر ؟ .

ويقول كاتب ثالث (٣) : « اذا استعرضنا ما قدمنا من الفروع المأثورة في رعاية المصلحة ، وجدنا منها ما اعتبرت فيه المصلحة مع معارضتها للكتاب او السنة او القياس . فمن الاول : اسقاط عمر سهم المؤلفة قلوبهم . وذلك معارض لقوله تعالى : « والمؤلفة قلوبهم » ومنه اسقاط حد السرقة عام المجاعةمحافظة على الانفس . وذلك معارض لقوله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما » .

ويقول احد هؤلاء (٤) ـ ايضا ـ : « وكان في مقدمة من فتح هذا الباب للمجتهدين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وذلك في حوادث متعددة . ومن هذا القبيل : اجتهاد عمر ـ رضي الله عنه ـ عام المجاعة في وقف تنفيذ حد السرقة على السارقين ، وهو قطع اليد . واكتفاؤه بتعزير السارق عن قطع يده . معتبرا : ان السرقة ربما كان يندفع اليها السارقون ـ حينذاك ـ بدافع الضرورة ، لا بدافع الاجرام . وفي هذا كما ترى تغيير لحكم السرقة ـ الثابت بنص القرآن . عملا بتغير الظروف التي احاطت بالسرقة » .

جواز اسقاط الاحكام

وخلاصة الامر : فان هؤلاء يستدلون على جواز اسقاط الاحكام او تغيرها بما يلي : ـ

١ ـ بالنسخ الواقع في الشريعة الاسلامية. فانه

---

(١) معروف الدواليبي : في المدخل ص ٣١٨ ـ ٣١٩ ـ ٣٢٠ .
(٢) مصطفى زيد . في كتابه ـ المصلحة في التشريع الاسلامي ـ فقرة /٢١ .
(٣) الاستاذ علي حسب الله . في كتابه ـ اصول التشريع الاسلامي ـ ص ١٥٦ .
(٤) معروف الدواليبي ـ المصدر السابق ص ٣٢١ ـ ٣٢٢ .

تغيير للحكم ٢ ـ بالاجماع على اسقاط حق المؤلفة قلوبهم في زمن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ٣ ـ برأى ابن القيم في جواز تغير الفتوى بتغير الظروف . ٤ ـ بفعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في اسقاط عقوبة السرقة عام المجاعة .

ونتكلم عن هذه الأدلة فنقول :

استدلالهم بالنسخ

اولا) ان اخذهم بوقوع النسخ كدليل على جواز تغيير الاحكام المنصوص عليها غير مسلم . فان وقوع النسخ في القرآن ، لا يدل من قريب او بعيد على صحة دعواهم ، لان النسخ ـ كما هو عند الاصوليين ـ رفع حكم شرعي بدليل شرعي متاخر عنه . فشرط جواز نسخ الحكم الشرعي : ان يكون ناسخه حكما شرعيا مثله متأخرا عنه . والحكم الشرعي الذى يجوز النسخ به ، هو ما جاء في كتاب، او سنة . ولا يجوز النسخ بغيرهما. فلا ينسخه القياس . لان شرط القياس : التعدى الى فرع لا نص فيه . كما لا ينسخه الاجماع . لانه ان كان في حياة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فناسخه السنة وليس الاجماع وان كان بعد وفاته ، فلا نسخ ـ حينئذ ـ لان الاحكام صارت مؤبدة بانقطاع الوحي (١) . على ان ، من الفقهاء من لا يجيز نسخ الكتاب بالسنة ، فضلا عن عدم جواز نسخها بالاجماع . استدلالا بقوله تعالى (٢) : « قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي » على خلاف في ذلك تجده مبسوطا في كتب الاصول .

وهكذا نرى : انه لا حجة في وقوع النسخ في الشريعة الاسلامية ـ على دعواهم : جواز تغيير الاحكام واسقاطها . لان التغيير والاسقاط من غير رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يتوفر له نص شرعي يجوزه . والتغيير والاسقاط بغير نص شرعي ممنوع .

ثانيا) اما استدلالهم بالاجماع الواقع في زمن عمر ـ رضي الله عنه ـ على اسقاط نصيب المؤلفة قلوبهم . فلا حجة لهم به ـ ايضا ـ . لان عمر ـ رضي الله عنه ـ لم يسقط حكما ولم يعطل نصا . فان عدم تطبيق النص ، او عدم تنفيذه لا يلزم منه اسقاطه او تغييره وانما كان ذلك لانعدام محله ، وعدم موجبه .

فان الله ـ سبحانه وتعالى ـ امر بجلد الزاني، وقد لا ينفذ هذا الحكم مرة واحدة . لعدم وجود الزاني ، ولا يصح مع ذلك القول : بأن حكما قد سقط ، او نصا قد عطل . وهكذا : في مسألة المؤلفة قلوبهم . فانه لا نصيب للمؤلفة قلوبهم عند عدم جود فريق من الناس يطلق عليهم هذا الأسم . فلا محل ـ والحالة هذه ـ لنصيبهم الذى نصت عليه الآية ، ولا فرق بينهم وبين ابن السبيل مثلا . في احتمال عدم وجوده وعند عدم وجـوده . لا يتعلق به حكم كما هو معروف . وكذلك الغارم والعامل وغيرهما . وهذا هو ما وقع في زمن عمر ـ رضي الله عنه ـ فان المؤلفة قلوبهم. لا يوجدون الا اذا تالفهم الاسلام . وهو لا يتالفهم الا اذا كان بحاجة الى ذلك . فاذا انتفت الحاجة، لم يعد هناك من يتالفه . فرأى امير المؤمنين : انتفاء الحاجة الى تالف قلوب الاعداء بعد ان اصبح الاسلام ذا قوة وشوكة . فاعطاء المؤلفة قلوبهم ـ حينئذ ـ اعتراف غير صحيح بحاجة الاسلام الى كف شر هؤلاء عن الاسلام الذى لم يعد بحاجة الى ذلك .

وعمر ـ نفسه ـ لا يخالف في وجـوب دفع انصبتهم لو دعت الحاجة اليه ، او كان امر الدولة الاسلامية في حال لا يستقيم معه امرها الا بذلك . ففعل عمر ليس اجتهـادا ادى الى تعطيل النص او اسقاطه . وانما هو اجتهـاد في تحقيق مناط الحكم . ومعلوم ان الاجتهاد المتعلق بتحقيق مناط الحكم لا علاقة له بامر النص . وانما هو استجلاء لحقائق الأشياء ، وادراكها على ما هي عليـه . لتعلق حكم شرعي بها . كاستجلاء حقيقة البلوغ في الصبي (٣) .

---

(١) انظر : شرح التلويح على التوضيح ٢/٣٤ .
(٢) سورة يونس ـ ١٥ .
(٣) انظر : الموافقات للشاطبي ٤/١٦٥ .

وفعل عمر رضي الله عنه – انما هـو تطبيق لموجبات النص ، واعتبار لعلته ، لأن اعطاء المؤلفة قلوبهم : معلل بحاجة الدعوة الاسلامية لذلك . وعندما يشتد ساعد المسلمين وتنعدم حاجتهم الى تألف قلوب الاعداء – حينئذ تنتفي الحاجـة الى شراء تأييد هؤلاء وكف شرهم بالمال . لأن للمسلمين اكثر من وسيلة لكف الأذى عن انفسهم وعقيدتهم .

ومن اجل هذا يقول الاصوليون : ان حكم عمر – هذا الذى وافق اجماع المسلمين هو من قبيل : انتهاء الحكم . لانتهاء العلة (١) . وليس نسخا للحكم . لأن الاجماع لا ينسخ النص بل ان الجمهور على ان الاجماع ينسـخ الاجمـاع . فما بالك بالنص (٢) .

استدلالهم بقول ابن القيم

ثالثا – اما استشهادهم بما قاله ابن القيم ، فليس له اساس الا سوء الفهم . فمع التسليم بكل ما جاء على لسان ابن القيم جملة وتفصيلا . فانا لا نسلم بفهم الكاتب – المشار اليه – لما قاله ابن القيم . ذلك انه اقتطع بعضا من كلامه ، الذى لا يستقيم معناه الا بضم بعض أجزائه الى بعض .

ففي مسألة (٣) : « المصلحة اصل الاحكام في الشريعة » استعرض ابن القيم بعض المسائل التي قد يتوهم : ان فيها معارضة للنص ، او تغييرا للحكم ، واسقاطا للعقوبة ، تبعا لاختلاف الفتوى فيها ، واختلاف فقهاء الصحابة في كيفية تطبيق النصوص عليها . فاوضح الخفاء في وجوه تلك المسائل ، وبين : ان ما تظنه بعض الافهام تناقضا ، ليس هـو كذلـك في الواقع . ومـا تتوهمـه اسقاطا ، او تصرفا في نص ، انما هو امعان في دقة تنفيذه في الحقيقة .

وقد ضرب ابن القيم لذلك بعض الشواهد . فوفق بين قوله – عليه الصلاة والسلام – : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده » وبين قوله : « من رأى من أميره ما يكره فليصبر ، ولا ينزعن يدا من طاعة » .

وبين ابن القيم وجه تعطيل الحد في السـفر « حين أتى برجل من الغزاة قد سرق فلم يقطعه بسر بن ارطاة (٤) » ويرى ابن القيم ان ذلك لم يكن تعطيلا للحد ، او تغييرا للحكم ، او اسقاطا للعقوبة . كما قد يتوهم المتوهمون .. وانما كان ذلك تطبيقا للنص من بعض وجوهه . فقد نهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم : « ان تقطع الايدى في السفر والغزو ، خشية ان يترتب عليه ما هو ابغض الى الله من تأخيره . بأن يلحق صاحبه بالمشركين » .

ثم ذكر ابن القيم ، قصة أبي محجن (٥) : حين شرب الخمر يوم القادسية ، فلما ابلى في القتال بلاء حسنا لم يقم سعد ابن ابي وقاص عليه الحد ، « لا والله لا اضرب اليوم رجلا ابلى للمسلمين ما ابلاهم فخلى سبيله » ... ثم عقب ابن القيم على ذلك كله فقال : « وليس في هذا ما يخالف نصا ، ولا قياسـا ، ولا قاعدة من قواعد الشرع ، ولا اجماعا » « واكثر ما فيه تأخير الحد لمصلحة راجحة ، اما من حاجة المسلمين اليه ، او من خوف ارتداده ولحوقه بالكفار ، وتأخير الحد لعارض امر وردت به الشريعة . كما يؤخر عن الحامل والمرضع ، وعن وقـت الحـر والبرد والمرض (٦) » .

---

(١) أنظر : شرح مسلم الثبوت ٨٤/٢ .

(٢) أنظر : شرح التلويح على التوضيح ٣٤/٢ .

(٣) أنظر : اعلام الموقعين ١٧/٣ ، ١٨ ، ١٩ .

(٤) هو : بسر بن ارطاة (او ابي ارطاة) العامرى القرشي ابو عبد الرحمن . قائد فتاك من الجبارين. ولد بمكة قبل الهجرة اصيب في عقله على آخر ايامه وبقي كذلك الى ان مات بدمشق وقيل بالمدينة سنة ٨٦ هـ .

(٥) : عمرو بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف. بطل شاعر كريم. اسلم سنة ٩هـ كان منهمكا في شرب النبيذ . فلما وقعت قصته مع سعد ترك النبيذ ، وقال كنت آنف من ان اتركه من اجل الحد . توفي باذربيجان سنة ٣٠ هـ انظر : خزانة الادب للبغدادى ٥٥٣/٣ .

(٦) أنظر : اعلام الموقعين ١٩/٣ .

هذا هو مجمل كلام ابن القيم : لا نرى فيه جانبا واحدا يدل على : انه قصد ـ فيما قال ـ الى جواز تغيير الاحكام بتغير الازمان والاحوال . بل على العكس من ذلك فقد كان دابه في كل ما ذكره : ازالة اللبس عما يمكن ان يعد من هذا القبيل .

فلا ندري : كيف فهم هذا الكاتب ـ من كلام ابن القيم ـ ما فهم الا ان يكون قد خدع بالعنوان الذي ادرج ابن القيم كلامه تحته . فقد كان « فصل في تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الازمنة والامكنة والاحوال والنيات والعوائد » ففهم من عبارة « تغير الفتوى » تغير الحكم . وليس الامر كذلك . فان الفتوى غير الحكم . وانما هي بيانه (١) ، وكيفيةتطبيقه على المسالة. ولا يختلف الامر في هذه المسائل ـ التي سردها ابن القيم ـ عن الصيامفي رمضان مثلا . فان حكمه هو الوجوب ولكن يفتى باسقاطه عن الحامل المرضع . ولا يقال ـ حينئذ ـ بان حكما قد اسقط ، او بدل ، او عطل وانما هو تطبيق له من وجه آخر .

استدلالهم بعمر

رابعا ـ اما استدلالهم بما فعله ، عمر ـ رضي الله عنه ـ عام الرمادة حين عطل حد السرقة ـ على حد زعمهم ـ حيث اعتبروا عدم قطع عمر لغلمان حاطب بن ابي بلتعة ـ لما سرقوا : (٢) تصرفا في النص وتعطيلا للحد ـ : فهو استدلال مرفوض . لأن ما فعله امير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ما هو الا : محض القياس ، ومقتضى قواعد الشريعة الغراء ـ التي جعلت لكل حكم علة وشروطا يدور الحكم معها وجودا وعدما .

فان آية السرقة : ليست نصا بالمعنى المقابل للظاهر . بل هي عام قابل للتخصيص (٣) . فهي لا تستعمل وحدها بالدلالة على حكم السرقة بالتفصيل قبل البحث عن المخصصات . واذا فالتمسك بظاهر الآية وحدها دون النظر الى ما يتعلق بها من مخصصات في السنة الصحيحة ، انما هو تنكب عن جملة الدليل . وقد خصصت السنة الصحيحة ـ كما ذكرنا في اكثر من مكان ـ كثيرا من آخذى مال الغير فلم تعتبرهم سراقا بالمعنى الذي تقطع به يد السارق . كآخذ الشيء التافه . وآخذ الثمر والكثر ، والآخذ من غير حرز . وآخذ ما دون النصاب . وغير ذلك .

ومن هذا القبيل ـ ايضا ـ من ياخذ مال الغير بدون حق . للضرورة (٤) . وكان تكون السنة سنة مجاعة وشدة بحيث يغلب على الناس الحاجة الملحة لحفظ الحياة .

فحينئذ يكون المظنون الغالب : ان لا يسلم سارق من ضرورة تدعوه الى الحصول على ما يسد به رمقه . مما يجعل المالكين بحال يجب معها البذل والعطاء بالثمن ، او بدونه ـ على خلاف في ذلك . والثاني أرجح (٥) .

فاذا سرق السارق في هذه الحالة خرج عن مدلول قوله تعالى : « والسارق والسارقة » والى هذا اشار امير المؤمنين حين قال لحاطب بن ابي بلتعة : « انكم تستعملونهم وتجيعونهم . حتى ان احدهم لو اكل ما حرم الله عليه حل له » فهل من قواعد الشريعة الاسلامية : ان تقطع ايديهم بعد ذلك ؟ والضرورات تبيح المحظورات . ثم ان شبهة الضرورة في هذا المكان اقوى من كثير من الشبه التي جعلها الفقهاء سببا لدرء الحد . مثل كون المال المسروق مما يتسارع اليه الفساد ، او ادعاء السارق ملكية الشيء المسروق دون حجة قائمة ، وغير ذلك من الشبه الضعيفة التي لا تعد

---

(١) انظر : المصباح المنير ٢/١٧٥ .

(٢) رواه مالك في الموطأ : ان غلمة لحاطب سرقوا ناقة لرجل من مزينة ، فانتحروها فرفع ذلك الى عمر بن الخطاب ، فأمر عمر : كثير من الصلت ان يقطع ايديهم ، ثم قال عمر : اراك تجيعهم ؟ ثم قال : والله لاغرمنك غرما يشق عليك ، ثم قال للمزني : كم ثمن ناقتك ؟ فقال المزني قد كنت والله امنعها من اربعمائة درهم . فقال عمر : اعطه ثمانمائة درهم . انظر : المنتقى على الموطأ ٥/٦٤ .

(٣) انظر : احكام القرآن لابن العربي ٢/٦٠٢ تفسير الرازي ٣/٤١٥ .

(٤) انظر : تبصرة الحكام ٢/٣٥٣ . الروض النضير ٤/٢٣٤ .

(٥) انظر : الحاوى ١٨/١٠٨ .

شيئا الى جانب هذه الشبهة القوية التي الجات الامام العادل الى درء القطع عن غلمان حاطب (١) ، ولولا ذلك لقطعهم . كما صرح هو بذلك حين قال : « لولا اعلم انكم تجيعونهم لقطعت ايديهم » . لأن الجائع ماذون له في مغالبة صاحب المال على أخذ ما يسد به رمقه ويحفظ عليه الحياة .

ثم انه على فرض التسليم : بأن ما فعله عمر ابن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كان تغييرا للحكم ، واسقاطا للعقوبة . فليس فيه دليل على جواز ذلك . لأنه ليس فيمن دون رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حجة . وهذا اصل يقره عمر ابن الخطاب نفسه فيما رواه ابن وهب عن يونس ابن يزيد عن ابن شهاب ، ان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنــه قال ـ وهو على المنبر ـ : « يا أيها الناس ، ان الراى : انما كان من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مصيبا ، ان الله كان يريه . وانما هو منا الظن والتكلف (٢) » .

ومن ذلك ما اخرجه البيهقى ، من طريق الثورى بالسند الى مسروق ، قال : كتب كاتب لعمر بن الخطاب ، فذكر في آخر كتابه : « هذا ما أرى الله ، أمير المؤمنين عمر . فانتهره ، وقال : لا . بل اكتب : هذا ما رأى عمر . فان كان صوابا : فمن الله ، وان كان خطأ فمن عمر (٣) » .

ويقول ـ رضي الله عنه ـ : « السنة ما سنه الله ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا تجعلوا خطأ الراى سنة للأمة (٤) » .

خامسا : اما قولهم : « ان التشريع الذى تلائم احكامه امة ويتفق ومصالحها قد لا تلائم احكامه امة اخرى ويعارض مصالحها » فهذا ما نستعيذ بالله من شر خطـــراته على الذهن . فان هذه السمة ، ان انطبقت على احكام الشرائع الوضعية التي جبلت بضعف البشر ، وقصر النظر ، وضيق المدارك ، فانها ابعد ما تكون عن شريعة الله التي احكم نسجها ، وشهد بكمالها فقال (٥) : « اليوم اكملت لكم دينكم » واقرها لكل زمان ومكان فقال ـ مخاطبا رسوله الكريم ـ (٦) : « وما ارسلناك الا كافة للناس » .

وان من ابسط الفروق بين الشرائع السماوية والوضعية هو : (٧) « ان التشريع السماوى من الله سبحانه وتعالى ، ـ وهو محيط بكل ما دق وخفى من شئون عباده . يكون مستوفيا لما يعنيهم من وجوه المصالح التي يعلمها الله لهم حتى ينتهي الامد الذى قدر لهذا التشريع بخـــلاف النظام الوضعي . فانه من عمل الواضـــعين من ذوى السلطة في الجماعة.وليس من شك في ان الواضع يتأثر في تكوينه وفي عمله بالعوامل الاجتماعية ، كالعرف والعادة والبيئة . وان تلــك العوامل عرضة للتغيير . فلا يكون القانون الذى وضــعه الواضع في هذه الحالة ملائما لحالة اخرى » .

والله سبحانه وتعالى ـ حينما حكم بالقطع على السارق : لم يكن ليخفى على علمه ، ما سوف يستجد من اختلاف الظروف والاحـوال ، ولــو شاء لغير عقوبة القطع بعقوبة اخرى .

اما وقد تم التشريع الاســلامي ، واكمل الله دينه . ـ وعقوبــة السرقة على حالها ـ فليس لأحد : ان يدعى انه يعلم من وجوه المصلحة ما غاب عن علم الله ـ تنزه ذكره ـ ، ومن شقى بادعاء ذلك فليسمع قوله تعالى (٨) : « فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ، ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، ان الله لا يهدى القوم الظالمين » .

احمد عبيد الكبيسى

---

(١) ابن ابي بلتعة ، صحابي شهد الوقائع كلها مع رسول الله ، وكان من أشد الرجال توفي بالمدينة سنة ٣٠ هـ . أنظر : الاعلام ١٦٣/٢ .

(٢) أنظر : اعلام الموقعين ٥٤/١ .

(٣) قال العسقلاني : اسناده صحيح . أنظر : التلخيص الحبير ٤٠٦/٢ .

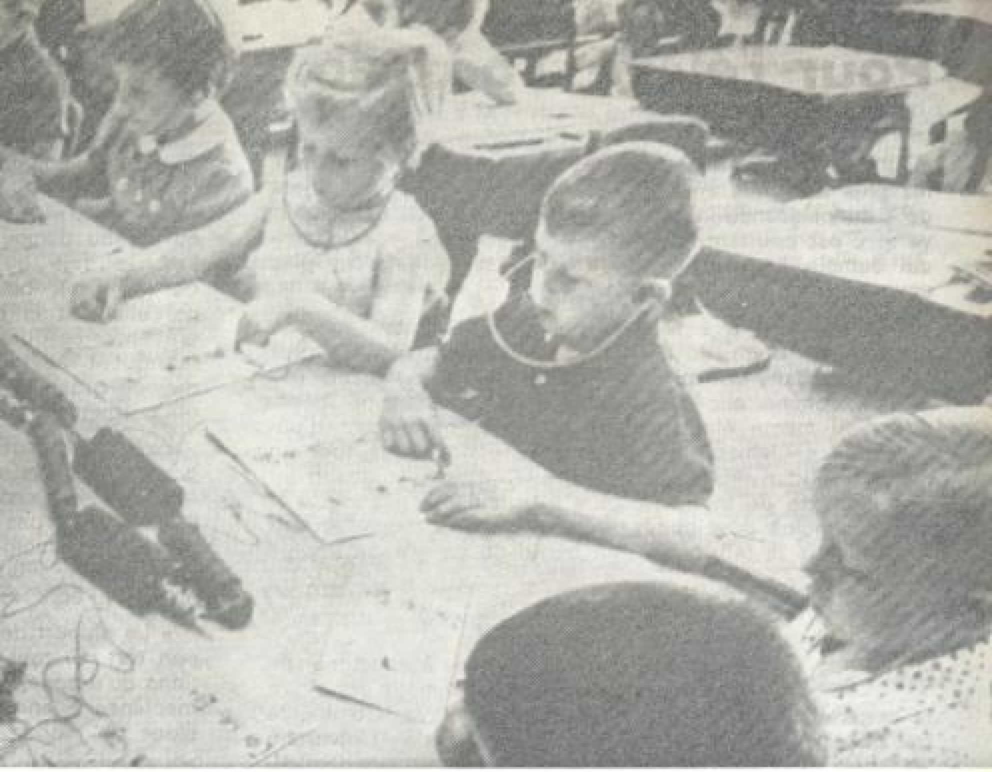
(٤) اعلام الموقعين ٥٤/١ .

(٥) سورة المائدة / ٣ .

(٦) سورة سبأ / ٢٨ .

(٧) أنظر : تاريخ الفقه الاسلامي . للسايس ص ٩ .

(٨) سورة القصص/ ٥٠ .



المدرسة الحديثة

بقلم الدكتور : فاخر عاقل

■ حين نحاول صياغة الاهداف العامة للتربية الحديثة من حيث اهتمامها بالفرد في مجتمعه تواجه اربعة مبادىء عامة :

اولها : لكي يتوصل الفرد الى تحقيق ذاته يجب ان يكون له عقل متسائل كما يجب ان يملك مهارات للتواصل المثمر ومعرفة بحفظ الصحة وقدرة على ارضاء اهتماماته العقلية والاستجمامية والجمالية وخلقا طيبا .

وثانيها : يجب ان يحقق الفرد علاقات اجتماعية مريحة ومفيدة وسعيدة ضمن اسرته ومع اصدقائه وزملائه في العمل واللعب . وعليه ان يحترم الانسانية في ذاته وفي غيره .

وثالثها : عليه ان يتوصل الى الكفاءة الاقتصادية وذلك بان يصبح مستهلكا ذكيا وان يحترف حرفة مناسبة لمواهبه واهتماماته وحاجات مجتمعه .

ورابعها : عليه ان يستشعر مسؤوليته المدنية التى تشمل حسا بالعدالة الاجتماعية وفهما

لمجتمعه ومساهمة في ترسيخ المثل العليا لوطنه وتضحية في سبيل هذه المثل .

تلك هي الاهداف العامة للمدرسة الحديثة .

مناهج المدرسة الحديثة

اتضح لنا من مناقشتنا لوظيفة التعليم الاولى ، الا وهي تحديد الاهداف، ان للتعليم في بلادنا اهدافا محددة تستهدفها في المرحلة الالزامية كما تستهدفها في المرحلة الثانوية . ولا بد لتحقيق هذه الاهداف من اقتراح مناهج تساعد على وضع الاهداف موضع التطبيق . وبديهي ان المناهج لا تشتمل على موضوعات يدرسها الطالب فحسب بل تشتمل كذلك على خبرات ومهارات ومواقف واهتمامات وافعال تتحقق الاهداف من خلالها . وفيما يلي استعراض لهذه المناهج .

اولا – لاتستغني المدرسة الابتدائية الحديثة ، وهي اولى مراحل التعليم الالزامي عن تعليم المهارات التي كانت اساسية في كل عصر من عصور التربية ونعني بها مهارات كالقراءة والكتابة والحساب . وان كان لا بد من تطويرها وتحسينها بحيث تناسب حاجاتنا الحاضرة وقرننا العشرين ، فالطفل بحاجة من اجل نموه الذاتي ومن اجل تمكينه من القيام بدوره في مجتمعه الحديث الى اتقان وسائل التواصل مع سواه عن طريق القراءة او عن طريق التعبير الشفوي او الكتابي بما في ذلك حسن الخط واتقان الاملاء والقدرة على الاصغاء والفهم . وهو بعد بحاجة للحساب والمهارات الرياضية والقدرة على حل المسائل من اجل غاياته الشخصية ومن اجل التعامل مع بيئته .

وفي سبيل فهم العالم المحيط به والمساهمة في خدمة مجتمعه لا بد له من فهم هذا العالم وتفهم ذلك المجتمع وتكوين مفاهيم علمية صحيحة عن كيفية بزوغ هذا العالم وعن العلاقات القائمة بين الافراد والجماعات التي تعيش فيه . ولذلك كله لا بد له من دراسة الجغرافية والتاريخ والمعلومات المدنية ومبادىء علم الاجتماع والاقتصاد والعمل، وكل ذلك بالاضافة الى مبادىء العلوم الطبيعية والبيولوجية التي تساعده على تكوين مفهوم علمي صحيح عن عالمه الطبيعي والاجتماعي الذي يعيش فيه . ومن هنا كانت فائدة العلوم الفيزيائية والحيوية والكيمياوية ومعرفة الحيوانات والنباتات وعلم طبقات الارض والفلك والزراعة والصناعة وتطبيقات هذه العلوم في الحياة اليومية وتبني الطريقة العلمية منهجا في مواجهة الحياة ومشكلاتها .

واخيرا لا بد من الاهتمام بما ينمي جسده ويحفظ صحته ويمتعه بجسد سليم يخدم عقله السليم .

وفي كل هذه الدراسات لا بد من رفد العلم بالعمل والتطبيقات العملية كما لا بد من التوكيد على اهداف امتنا العربية في الوحدة والحرية والعدالة الاجتماعية .

ثانيا – وهذا الذي قلناه عن مناهج المدرسة الابتدائية الحديثة صحيح عن المدرستين الاعدادية والثانوية مع ملاحظة ان اكثرية طلاب المدرسة الثانوية يتركونها الى الحياة العملية عمالا مهرة وموظفين نافعين ومستخدمين اكفياء ، وان بعضهم يتركها الى الجامعة والمعاهد العليا ليصبحوا اخصائيين من اعلى المستويات يؤمنون لامتهم حاجتها من الفنيين والتكنيين الذين تحتاجهم البلاد في مشروعاتها الانمائية وتقدمها نحو اهدافها في الاستقلال الاقتصادي والتقدم العلمي واللحاق بركب الامم المتقدمة .

ولعلنا نحسن صنعا اذ نذكر ان الدراسات النفسية الحديثة تؤكد ان ٣٪ فقط من طلاب المدارس بجميع انواعها موهوبون وان ١٥٪ – ٢٠٪ فقط متفوقون عقليا وان هؤلاء واولئك هم الذين يجب ان تفتح لهم ابواب الجامعة والمعاهد العليا بقطع النظر عن منبتهم الطبقي او امكاناتهم المادية وانهم هم اصحاب الحق في دراسات اضافيه تهيئهم لدراساتهم الجامعية .

كما ان من واجبنا ان نذكر – استنادا الى معطيات علم النفس الحديث – بانه ليس صحيحا ان موضوعا مدرسيا بالذات اقدر من سواه من المواضيع على بناء الشخصية وتكوين العادات النافعة في التفكير وحل المشكلات والقدرة على الحكم والمحاكمة والتضامن الاجتماعي والتعاون بين الافراد والخلق القويم ، وانه ما لم تسد بين المتعلم والمعلم وبين المتعلم وزميله علاقة ديمقراطية

صحيحة فان مثل هذه المواقف لن تتكون ولذلك كان من واجب كل معلم – ايا كانت المادة التي يعلمها – ان يحرص على تكوين مثل هذه العلاقة مع طلابه وان يمكنهم من تكوين مثل هذه العادات .

طرائق التعليم الحديثة

شهد قرننا العشرون ثورة في طرائق التعليم ، واذا كان صحيحا ان جذور هذه الثورة تمتد الى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فانه صحيح ان هذه الثورة بلغت اشدها – وما تزال – في قرننا العشرين هذا . واذا كانت بعض هذه الطرائق من مثل مركز الاهتمام وطريقة المشروع وطريقة دالتون وطريقة وينتكا وسواها قد كثر الحديث عنها واصبحت معروفة مشهورة مما يعفينا من الكلام عنها واذا كنا قد المحنا الى بعض الطرائق وبعض المبادىء في ما قدمنا فان هذا جميعه لا يعفينا من الاشارة الى احدث هذه الطرائق ونعني بها طريقة التعليم المبرمج .

مبادىء اربعة للتربية الحديثة

انها مبادىء اربعة تدين بها التربية الحديثة الا وهي :

١ – تعليم الطفل ان يعلم نفسه بنفسه .

٢ – تعليم الطفل ان يحل مشكلاته .

٣ – تعليم الطفل الفرد .

٤ – تحرير شخصية الطفل وتنمية ابداعه .

وفي ثنايا حديثنا السابق كنا قد المحنا الى هذه المبادىء واشرنا اليها اشارات خاطفة ، ولكن هذا لا يعفينا من الوقوف عندها وقفات قصيرة نشرحها ونوضحها لان لها في راينا موضع القلب من نظريات التربية الحديثة .

تعليم الطفل ان يعلم نفسه

لعل اجمل ما قيل في طلب العلم وابلغه قول الرسول العربي الكريم « اطلبوا العلم من المهد الى اللحد » فطلب العلم عملية تبدأ ببداية الحياة ولا تنتهي الا بنهايتها . والعلوم والمعارف تتكاثر كل يوم وتتعاظم ، والخبرة الانسانية لا حدود لها ولا نهايات وكل هذا يجعل من عملية التعلم عملية مستمرة متصلة . ولقد بلغ من تغير العلوم وتزايد المعارف ان طالب بعض الحريصين على تجديد معارف الاختصاصي ، كل اختصاصي ، بان يعاد امتحان الاختصاصيين مرة كل عشر سنوات فاذا تبين انهم ملمون بالتقدم العلمي والتقني سمح لهم بمتابعة ممارسة اختصاصاتهم والا أوقفوا عن العمل .

وان نسيت لا انس كلمة لاحد رؤساء الجامعات التي درست فيها قالها لنا يوم تخرجنا وتسليمنا شهاداتنا وجاء فيها ما معناه : « ان كنتم تظنون انكم اليوم علماء فقد اخطأتم ، ان جامعتنا لا تخرج علماء ، حتى ولا متعلمين ، ولكنها تخرج اناسا يستطيعون ان يكونوا علماء اذا ثابروا على الاطلاع والتعلم والتثقف » .

والحق ان الزمان الذى كانت فيه المدارس والمعاهد امكنة للتعليم قد ولى الى غير رجعة واصبحت دور العلم امكنة للتعلم . وفي رأس ما يجب ان يتعلمه المتعلم هو ان يتعلم كيف يعلم نفسه بنفسه ، كيف يجد المعلومات وكيف يفيد من المراجع والمصادر ، وكيف يستخدم دوائر المعارف ويرجع الى الكتب والمجلات والدوريات والحوليات .

ان المدرسة الحديثة تربي انسانا يتخذ من العلم مواقف وعادات تساعده على المعرفة والميل الى الاستزادة منها والتمكن من الطرق والوسائل التى توصله اليها وتدفعه الى المثابرة عليها ، ولمثل هذا فليعمل العاملون .

تعليم الطفل ان يحل مشكلاته

الحياة سلسلة متصلة من المشكلات التى تواجه الانسان ويتحتم عليه ان يحلها ويجد لنفسه مخرجا منها يعود عليه بالنفع والفائدة ويعود على مجتمعه – القريب والبعيد – بالخير . واذا كان صحيحا ان المدرسة تهيىء الطفل لحياته المقبلة فانه يكون صحيحا بالضرورة ان تكون الحياة

المدرسية سلسلة من المشكلات تهم الطالب وتتصل بحاجاته وميوله ومطالبه وان تعين الطالب على مواجهة هذه المشكلات وحلها وان تكون هذه المشكلات حقيقية ماخوذة عن عالمه الواقعي لا مشكلات مصطنعة غريبة لا تمت الى الواقع بصلة ولا تتصل بعالم الطفل من قريب او بعيد ، كما هو الحال في كثير من المشكلات التي تهتم بها مدرستنا العربية والتي كانت تميز المدرسة القديمة التقليدية .

وتعليم الطفل حل مشكلاته معناه ـ بعد مواجهته بمشكلات واقعية مناسبة لسنه وبيئته ـ تعليم الطفل مواجهة العالم مواجهة موضوعية تقوم على ادراك المشكلة من جميع جوانبها والالمام بها الماما واعيا ودراسة معطياتها وتحديد معالمها ومجاهلها وافتراض الحلول لها والعمل على وضع هذه الحلول موضع التنفيذ والخروج منها بمبادىء عامة ومواقف صحيحة وخبرة غنية وتعمق ذكي .

وبديهي ان مثل هذه الحلول للمشكلات يجب ان تقوم على اساس من العلم ومعطياته والعقل ومبادئه الصحيحة والارادة القوية والتصميم الذكي ، وبذلك وحده نكون قد اكسبنا الطفل دراية وعلما وزودناه بالخبرة والحكمة .

تعليم الطفل الفرد

سبق ان نوهنا بان الطفل ـ كل طفل ـ عالم قائم بنفسه له خصائصه ومميزاته وانه ما من طفلين يتشابهان تماما حتى ولو كانا اخوين بل ولو كانا توأمين ـ بالرغم من تشابه التوائم الشديد ولا سيما التوائم المتماثلين .

ان طفلين قد يكون لهما حاصل الذكاء نفسه (نسبة الذكاء) ولكن احدهما يكون ذا قابليات رياضية في حين يكون الاخر ذا قابليات لغوية . وقد يكون احدهما ذا ميول فنية في حين يكون الاخر محروما من مثل هذه الميول الخ ...

وفي الماضي كان المعلم يتوجه الى التلميذ الوسط تاركا جانبا التلميذ الضعيف والتلميذ القوى على حد سواء ، معتقدا ان التلميذ القوى يدبر نفسه بنفسه وان التلميذ الضعيف لا تنفع معه حيلة .

واليوم يقرر علم النفس ان التلميذ الوسط خرافة لا وجود لها وان لكل طفل ـ قويا كان او متوسطا او ضعيفا ـ الحق في عناية خاصة يلقاها من معلمه ، عناية تتناول قابلياته وميوله ورغباته وامكاناته ونقاط تفوقه ونقاط ضعفه ومصاعبه وغير ذلك من الامور .

واذا كان هذا مستحيلا في ظل تربيتنا التقليدية القديمة فانه ممكن في ظل التربية الحديثة وطرائقها ووسائلها ومفاهيمها .

ولست احب ان اترك هذه المناسبة الا بعد ان اشير الى ان ما لجأت اليه بعض الامم من تقسيم الصف الواحد الى فرق ثلاث : الضعفاء والمتوسطين والاقوياء او المتخلفين والمتوسطين والمتفوقين لم تثبت فائدته بل ان جمهرة علماء النفس تعتقد اليوم ان مضار هذا التقسيم تفوق منافعه ولا سيما من حيث آثارها النفسية والطابع الذى تدمغ به كل طفل .

تحرير شخصية الطفل وتنمية ابداعه

واخيرا فان التربية الحديثة تعمل على تحرير شخصية الطفل وتنمية ابداعه . اما تحرير شخصية الطفل فيقصد به بناء شخصية للطفل متحررة تؤمن بالعلم ولا تلتفت الى الخرافات ولا تتمسك بالتقاليد ان كانت من البالية ولا تعيش على الاوهام والاساطير ، شخصية قوية تؤمن بالحق والخير والجمال وتندفع الى العمل المثمر البناء ، شخصية متحررة تؤمن بالانسان وبقدرته على الخلق والابداع ، شخصية تؤمن بالعالم الامثل والخلق القويم وتعمل على التعايش مع الزميل والجار والصديق والرفيق ، شخصية تتخذ من العمل الدءوب طريقا للنجاح ومن المنافسة الشريفة واسطة للتفوق ومن روح الجماعة وسيلة للتعايش .

واما تنمية ابداع الطفل فيقصد بها اولا الايمان بان لكل انسان قدرات مبدعة اذا اتيحت لها الفرص نمت وربت وساهمت في اغناء التراثين القومي والانساني وحققت لصاحبها الرضى النفسي والربح المادى والسعادة الدائمة . ويقصد بها ثانيا الايمان بان هذه القدرات المبدعة هي

رأسمال قومي تستثمره الامم في تقدمها من اجل خيرها وخير الانسانية جمعاء . ويقصد بها ثالثا جعل العمل منبعا للرضى وحافزا على التقدم ودافعا للخلق والابداع .

ان المدرسة الحديثة تتعرض لنقد وتواجه تحديا فما هو ذلك النقد وما هذا التحدى ؟

تقويم المدرسة الحديثة

اما النقد فيتجلى في قول الكثيرين من الاباء والامهات والمواطنين المعنيين بالامر واحيانا المعلمين والقائمين على امور التربية بان مدرسة الامس كانت خيرا من مدرسة اليوم وأن المتخرجين من المدرسة القديمة خير من المتخرجين من المدرسة الحديثة . وفي هذا كما لا يخفى نقد لبرامج المدرسة الحديثة ومناهجها وطرائقها ووسائلها بل واهدافها وغاياتها . والذى نحب ان نلاحظه هو ان زيادة تعقد الحضارة الحديثة زاد الطلب على تربية تزيد كما وكيفا عن التربية القديمة . والشيء الذى لا يستطيع نكرانه احد هو أن عدد الطلاب وعدد المدارس وعدد المعلمين قد زاد زيادة كبيرة جدا وهي زيادة تفوق كثيرا زيادة عدد السكان . ثم ان عدد المواد التى تدرس وانواعها زادت بزيادة تقدم العلوم واتساع آفاقها . ويبقى السؤال عما اذا كانت نوعية التعليم قد تأثرت وعما اذا كان مستوى التعليم قد هبط ؟

وفي البلاد الاخرى ـ غير العربية ـ اجريت مقارنات بين طلاب المدرسة الحديثة والمدرسة القديمة وقورنت النتائج التى حصل عليها هؤلاء الطلاب واولئك وثبت بما لا يقبل الجدل ان طلاب المدرسة الحديثة يفوقون طلاب المدرسة القديمة من حيث العموم . واذا كانت مثل هذه الدراسات لم تجر في بلادنا العربية فاننا نعتقد انها لو اجريت لما اختلفت نتائجها عن نتائج مثيلاتها في البلاد الاخرى ، فلم اذن هذا الاعتقاد بهبوط المستوى ؟

لعل الجواب على هذا السؤال ينحصر في ان عدد المتعلمين الذى زاد زيادة كبيرة جدا والذى تناول عددا كبيرا من الطلاب من كل المستويات الذكائية ابرز المتخلفين واظهرهم وتعامى عن المبرزين وتناساهم . والحق ان الناس في نقدهم لاية مؤسسة من مؤسسات مجتمعهم ميالون الى ابراز وجوه الضعف والنقص والتغافل عن وجوه التفوق والبروز . والواقع ان المدرسة في الماضي كانت تضم نخبة من الطلاب من طبقة اجتماعية معينة وكانت تيسر لهم ـ لقلة عددهم ـ امكانات لا تتيسر اليوم لهذا العدد الهائل من الطلاب الذى يؤم المدارس اليوم . ولو اننا توجهنا بنظرنا الى المتوسطين من طلاب اليوم والمتفوقين لوجدنا انهم لا يقلون كما وكيفا عن سابقيهم من طلاب المدرسة القديمة بل هم يتفوقون عليهم . وفي كل الاحوال فنحن بحاجة ماسة الى دراسات مقارنة موضوعية تحسم الامر .

واما التحدى فمؤداه ان الحياة العصرية تطالب المدرسة الحديثة بان تمكن كل طالب من استغلال مواهبه الكامنة اقصى استغلال ممكن . ونحن في حياتنا العصرية وما تفرضه علينا من مهام بحاجة الى مواطنين اكثر معرفة واشد اتقانا لمهنهم واقدر على متابعة مطالب الحضارة الحديثة في السياسة والاجتماع والتكنولوجيا والعلوم .

ثم ان امتنا العربية تواجه تحديا يتناول وجودها من حيث الاصل فلا بد اذن لمدرستنا العربية الحديثة من تهيئة اجيال قادرة على مواجهة هذا التحدى ، ولم يعد يكفينا ان نتعلم مبادىء العلوم ون نتقن بسائط المهن وان نلم بالاداب والفنون . بل لا بد لنا من ان نصل حد الاتقان الكامل والابداع الخلاق وان نتابع تقدمنا لنلحق بركب الامم المتقدمة ونعيش معها في عصر واحد وان نواجه عدوا لا يعادل مكره ولا اخلاقيته سوى علمه واتقانه واستخدامه هذا العلم والاتقان في تحقيق اغراضه الدنيئة .

وبعد

فهذه الماعة سريعة ببعض النظريات الحديثة في التربية وتطبيقاتها في المدرسة الحديثة عملت فيها على تفتيح جوانب الحديث ولم اطمع قط في الاحاطة بالموضوع الذى اعتقد انه اوسع من ان يوفى حقه في مقال واحد . ■■

فاخر عاقل

في الستين ..

بقلم : محمد عبده غانم

■ ستون ، ما أنت ياستون ؟ إنذار ... أن الردى قادم والعيش إدبار
وان تشرين عن كانون حدثنا ... من بعد ما غاب في نيسان أيار
قرأت عنك ، ولا أدرى متى قرأت ... عيناى عنك فإن الذكر أطوار
قد أعذر الله من مدّ السنينَ له ... ستين والفضل فيما زاد إيثار
ولو تجلّى لى المحجوب مافرحت ... نفسى إذا مُدّ لى في العمر مقدار
أنّى يكون الذى يأتى الزمان به ... خيرا من الذاهب الماضى فأختار
لولا الأحبة في الدنيا لما بقيت ... لى ليلة من نمير الحب تمتار
ليلُ المشيب بلا كأس ولا وتر ... والليل عند الصبا كأس وأوتار

★ ★ ★

قالت هلمّ إلى الصهباء قلت لها ... هيهات إن شراب الشيخ أكدار
لم يبق في ليلنا كأس ترفّ بها ... خمر الدنان ولا نور ولا نار
ولا النسائم يحلو سحرَها سحَرا ... بالعطر زهر وبالالحان أطيار
لم تبق إلاّ البواطى وهى خاوية ... إلاّ من الذكر قد غامت به الدار
لم تبق إلاّ سويعات نعدّ لها ... عدّ البخيل إذا ما ضاع دينار
إذا صحونا ، إذا نمنا ، إذا ارتفعت ... أصواتنا أو سرى بالهمس تيّار
ما أقصر العمر مهما مُدّ فيه لنا ... كأنما الميل بعد المدّ أشبار
تمضى الثوانى ولو قلنا سنحبسها ... لطار بالقيد بل بالسجن إعصار
أنّى لها وقفة والسير ديدنها ... في رحلة كلّها شد وتسيار
تمضى سراعا فلا تدرى السنوى لها ... إلاّ وقد غالها طىّ وإضمار
فهل درى المحتسى والكأس مترعة ... أن الفراغ بقاع الكأس موّار



وأن في قطرة صغرى تجيش به — دهرا يحدث عما فيه أدهار
من غيهب القبر والسر المحيط به — إن كان للقبر بعد الموت أسرار

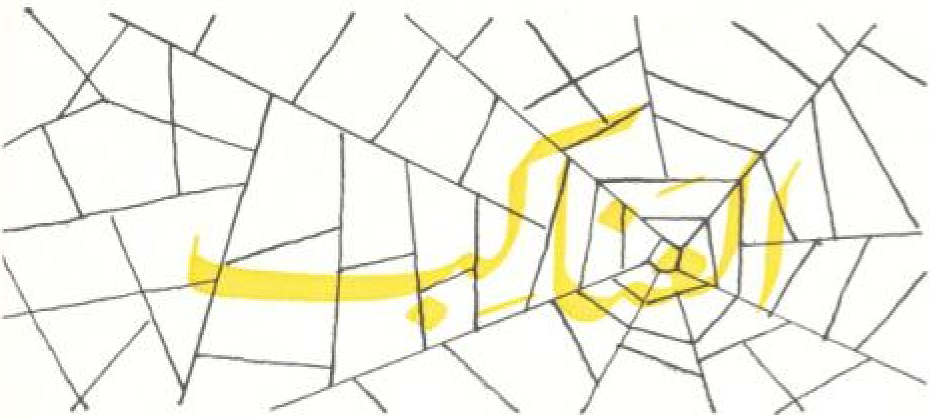
★ ★ ★

ماذا تريدين يامتون . عاصفة — من السرور لها طبل ومزمار
والليل قد ناء بالأوزار فادحة — حتّى كأن المنى في الليل أوزار
لن تسمعي غير آهات مروعة — يشدو بها الركب إن حلّوا وإن ساروا
إنا نسينا مع الأيّام فرحتنا — لمّا نأت بحديث القلب أوطار
أيام كنّا إذا طاف الغرام بنا — طافت به من ندىً اللحن أبكار
أيام كنّا إذا ضاق الفضاء بنا — لم تبق من فعلنا بالليل أقطار
أيام كان الصبا الريّان في شغل — عنا بليلى ومن بالدير قد داروا
لم يبق من كلّ ما كنّا نؤمّله — في الدير بعد الصبا والحبّ ديار
لم يبق من كل ما كنا نؤمله — إلاّ رسوم وأطلال وأطمار
كنا نغالب في الخمسين حيرتنا — واليوم لم يبق في الستين مختار
فانما هى أوهام نهيم بها — وإنما هى أشجان وأشعار

محمد عبده غانم

مع ... الله في الأرض

وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه
وقدرة الله تتراءى في بديع صنعه



بقلم الدكتور أحمد زكي

■ ذكرنا أن العنكبوتيات Arachnids طائفة من الشعبة الكبرى ، شعبة الحيوانات ذات الأرجل المفصلية .

وقلنا طائفة العنكبوتيات ولم نقل العناكب Spiders ، لأن هذه الطائفة تدخل فيها العناكب ، ولكن تدخل فيها ايضا صواحب للعناكب واشباه ، منها العقارب ومنها القراد وغير ذلك .

والآن نتحدث فقط عن العناكب . وبعدها نتحدث عن العقارب وغيرها .

العناكب ليست حشرات

ومن الناس من قد يسمى العناكب حشرات . والعلم لا يسميها كذلك ، فالحشرات لها من الأرجل ثلاثة ازواج ، اما العناكب فلها اربعة أزواج او خمسة .

لا قرون للعناكب

وللحشرات ، ومعظم المفصليات ، قرون تحس بها غالبا ، أما العناكب فلا قرون لها .

لا أجنحة للعناكب

والحشرات اكثرها له اجنحة ، ولا اجنحة للعناكب ، فلم نسمع بعنكبوت مجنح .



في فلوريدا بامريكا يرحب الناس بالعنكبوت الكبير اذا دخل بيوتهم لانه ياكل ما يدخل البيوت من حشرات ولا يكاد يضايق ساكني البيت في شيء .
وهذا النوع لا ينتج النسيج المعروف .

للعناكب خَصْر يفصل بين صدر وراس وبين بطن

اما الراس والصدر فملتحمان كتلة واحدة . ومن ورائهما البطن ، ويفصل بينهما خَصر ضيق . وفى الراس من امام درع صلب يحمل العيون التى بها يبصر العنكبوت . واكثر العناكب له اعين ثمان بسيطة ، ومنها ما يحمل ستا او اربعا او اثنتين .

اما البطن فقطعة واحدة، وهى طرية . وقد يطول البطن فى بعض الأنواع الى الخلف ، فيعطى الجسم مظهر الدود وما هو كذلك .

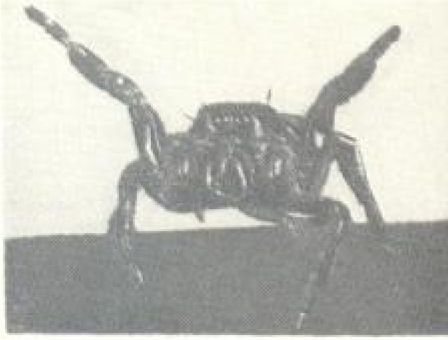
انفاس العنكبوت

وفى اسفل البطن فتحات يصل منها الهواء الى اجهزة التنفس، والى ما يسمى بالرئات الكتابية ، وهى نوع تنفرد به الحيوانات العنكبوتية . وهما عادة « رئتان » فى البطن بكل منهما من ١٥ الى ٢٠ رفا ، كصحائف الكتب ، وهى ارقف يجرى الدم فيها فيتصل بالهواء فيحدث التنفس .

للعناكب فكان ونابان سامان

وللعناكب راس وصدر التحما معا كما ذكرنا ، تحتهما مباشرة ، من امام فكان ، لكل منهما ناب متحرك تغرزه العناكب فى فرائسها ، ويتصل بالفكين زوج من الغدد السامة ، تفرز السم فيجرى فى قناة تصب عند طرف الناب لتصب بعد ذلك فى الفريسة .

وسم اكثر العناكب له اثر قليل فى الحيوانات ذات الدم الحار، وقلت الحالات التى تصيب فيها الانسان فتحرجه حرجا شديدا .



ذكر العنكبوت النطاط وهو يتخذ
هذا الوضع ليخيف عدوا او ليؤثر
في انثى من العنكبوت يلقاها

العناكب
تعيش على الحشرات

والعناكب تعيش على الحشرات ، وتستعين عليها بسمها ، ثم هي تحطمها بفكيها القويين ، ثم تصب عليها سوائل هاضمة تفرزها غدد تقع على مقربة من فمها . وهذه السوائل تهضم الأجزاء الطرية من الضحية . ثم ان العنكبوت يمتص الضحية بقوة ولا يدخلها فى معدته . انه يمتصها حتى لا تبقى منها الا بقية جافة .

للعناكب
ارجل اربع

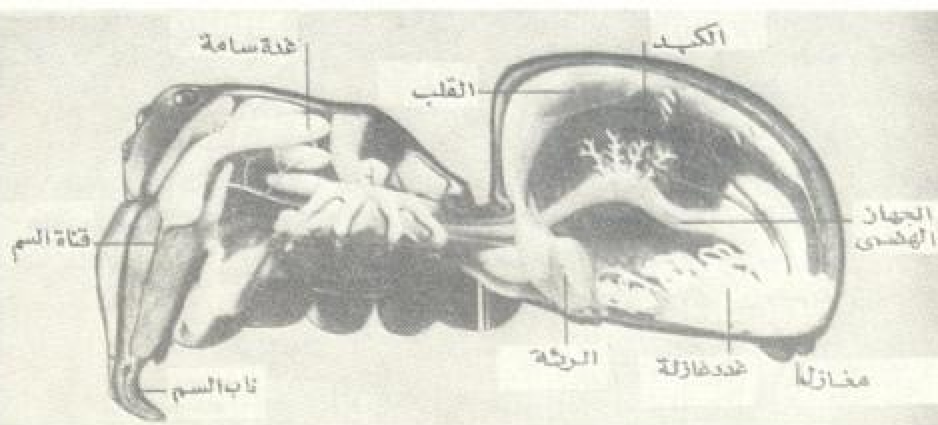
وللعناكب اربع ارجل بها تنتقل من مكان الى مكان . وهى مغطاة بشعرات واشواك ذات حس بالغ ، بها تستعين العناكب على التعرف على البيئة التى تعيش فيها .

العناكب
ذكر وانثى

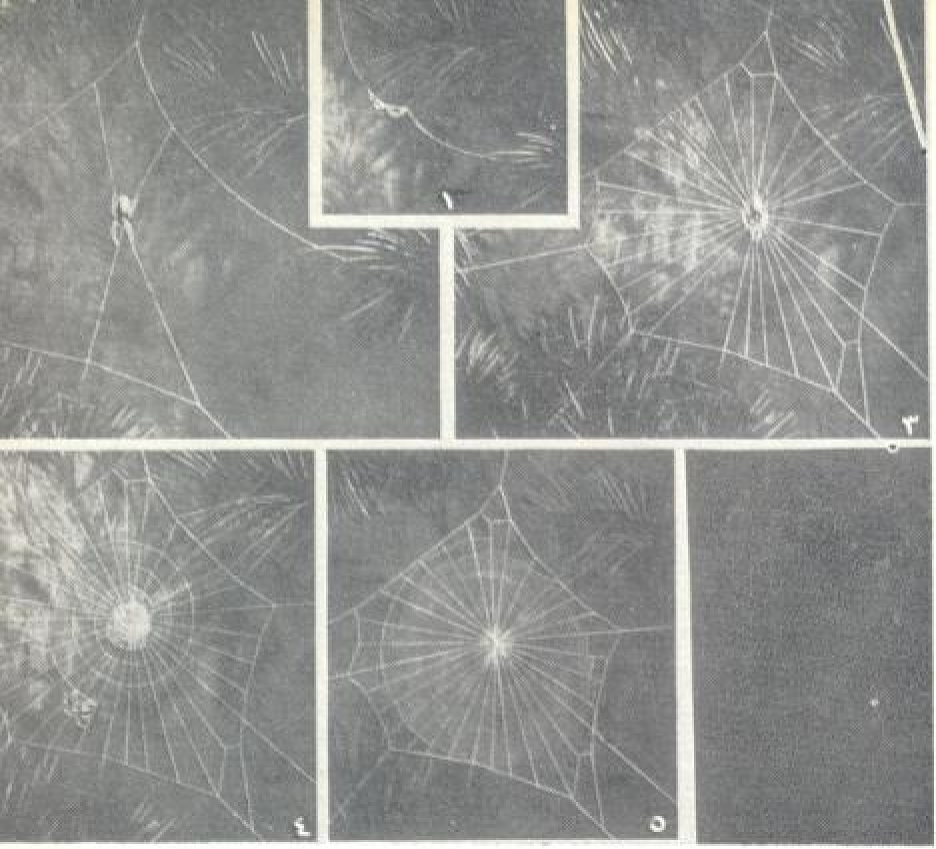
ويكون ذكر العناكب فى العادة اصغر من الانثى . والأنثى قد تقتل ذكرها ، وتتخذ من جسمه طعاما شهيا .

نسيج العنكبوت

والعناكب ، وانواعها تزيد على عشرات



هذا الرسم يوضح مواضع اعضاء العنكبوت
الداخلية من جسمه



هذا مثل من نسيج صنعته انثى عنكبوت . بدأت في أول الامر فصنعت للنسيج اطارا (١) ، ثم اخذت تصنع للاطار اقطارا (٢) . وهي في صنعها الاقطار لا تصل الى الجديد منها من موضع في الاطار (٣) . ولتقوية الاطارات تدور عليها تربطها بدوائر من نسيج (٤) . وتقارب بين الدوائر حتى يصبح النسيج من المتانة بمكان (٥) . ثم قد تخرج الانثى عن نسيجها لتختبىء على مقربة منه ،ولكن يصلها به خيط من نسيج . فاذا اهتز النسيج بسقوط فريسة عليه فما اسرع ما تكون انثى العنكبوت عند الفريسة تعالجها بسمها . والانثى هي التي تبني هكذا بيتها ، وتصيد طعام صغارها ، وتعيش في عزلة مليئة بالعمل . وبعض ذكور العناكب الناسجة تنسج نسيجها ، ولكنه يكون اقل وفاء من نسيج تنسجه الانثى .

الالوف،عرفت على مد الدهور بالنسيج تنسجه . والتي تقوم بغزل الخيوط مغازل في جسمها . وهي تخرج من الجسم سائلا مفروزا يتحول الى خيوط تقوم العناكب على الفور بنسجه .

وهندسة النسيج تختلف باختلاف العناكب . وكذلك الاهداف التي تستهدفها العناكب من نسيجها ، ولعل أبينها أنها تتخذ منه شباكا لصيد فرائسها من الحشرات التي عليها تعيش .

والحديث عن العناكب وانواعها حديث طريف ، ولكنه يطول فوق الغاية التي نريدها .

●●

أحمد زكي

ابن الفوطي

هدايت

بقلم : حسن الأمين

■ بين الاسرى الذين وقعوا في أيدى المغول بعد النكبة الكبرى ، أسير لم ير فيه آسروه الا غلاما حدثا قد يصلح أكثر ما يصلح للخدمة في الدور او الدواوين ، ولم يثر في نفس الآسر ابعد مما يمكن ان تثير فيها أية دابة من دواب الارض التى تسعى في مصالح الناس وتقاد الى العمل طوعا او كرها واى شان لصبى لم يتجاوز الاربع عشرة سنة من سنه يقبض عليه بين عشرات الالوف التى قبض عليها في بغداد وغير بغداد ممن هوت دولتهم وهانت عزتهم وتلاشت قوتهم .

هذا الصبى الأسير الذليل هو عبد الرزاق ابن احمد الذى اشتهر بعد ذلك بابن الفوطى والذى ولد في المحرم سنة ٦٤٢ ببغداد ثم وقع في أيدى المغول بعد افتتاحهم عاصمة الخلافة العباسية . فمضى مقودا الى اذربايجان ثم منها من مكان الى آخر حتى عثر عليه فيمن عثر عليهم الفيلسوف نصير الدين الطوسي ، الرجل الذى تحدثت عنه في مقال سابق في العربى الذى كان له فضل افساد المخطط المغولى في القضاء على الاسلام في معاقل الاسلام .

عثر عليه الطوسي بعد سنة من أسره فلم تفته ملامح الذكاء في وجهه ودلائل النبوغ في تصرفه ، والطوسي يومذاك يفتش عن الأكفاء ويسعى الى الاذكياء ليلم بهم الشمل فيجدد مسيرة الاسلام قدما الى أبعد الغايات . فعمل الطوسي على فكاك الغلام ثم ضمه الى حاشيته . وما عسى أن تكون حاشية الطوسي ؟ كانت علماء حكماء وبناة اشداء رصهم الطوسي رصا في صفوف حاشدة وجمعهم من كل مكان جيشا يقاتل بالقلم ويحارب بالفكر ويكر بالكتاب . فكان لفتانا الأسير الطليق مكان واضح في تلك الجموع العاملة العاملة ، بداه اولا تلميذا للطوسي تلمذة استمرت ثلاث عشرة سنة في مدينة مراغة التى اختارها الطوسي ميدانا لكفاحه المرير الطويل .

ووجه الطوسي تلميذه فيما وجهه الى دراسة العلوم الرياضية والنظريات الفلسفية ، كما اتقن التلميذ اللغة الفارسية واحاط بآدابها ونظم الشعر فيها ، وألم بلغة الفاتحين المغول . وكان من أعظم انجازات الطوسي حرصه على انقاذ الكتب وجمعها في مكتبة كبرى وصونها من أيدى المخربين والعابثين ، وبعد أن تم له ذلك وقامت المكتبة عهد بالاشراف عليها الى تلميذه ابن الفوطى. وهكذا اجتمع لعبد الرزاق الفكر النير والذهن المتفتح والاستاذ الموجه والمناخ المؤاتي، فكان أن انتهى الى أن يصبح المؤرخ العالم الكاتب الشاعر .

في مراغة

قلنا ان عبد الرزاق ولد ببغداد ، ونقول ان اللقب الذى التصق به (ابن الفوطى) انما جاءه من قبل جده لأمه ، وهو منسوب الى الفوط جمع فوطة وهى نوع من الثياب ويبدو أن الجد كان يعمل في صنع هذه الثياب أو بيعها ، ويقال انه ينتسب الى معن بن زائدة لذلك يلحق باسمه أحيانا لقب الشيباني . وكانت ولادته بعد مضي سنتين من خلافة المستعصم آخر الخلفاء العباسيين . ولا يُدرَى شيء عن حداثته سوى

مؤلف العصر المغولي

ما يستنتج مما كتبه هو من أنه ولد في محلة الخاتونية القريبة من دار الخلافة وأنه سمع قبل سقوط بغداد من الصاحب محيى الدين ابن الجوزى أحد قتلى وقعة بغداد ، وأنه ولد في أسرة متوسطة الحال ثم أسر وأطلق من الأسر واصبح قيما للمكتبة الكبرى في مراغة طيلة ثلاثة عشر عاما . وفي خلال ذلك كانت مراغة قد أصبحت مقرا لدولة تتبعها خراسان وايران باسرها والعراق والاناضول اى انها كانت عاصمة المشرق الذى استولى عليه المغول ، وكانت الحال في هذه الدولة تتطور عاما بعد عام ، فمن عداء صريح للاسلام والمسلمين ومذابح وفواجع ونهب وسلب واحراق الى هدوء ثم تحول لتأسيس دار الرصد وخزانة الكتب وتامين العلماء واستقدامهم من الآفاق البعيدة . كل ذلك تم بعد عام واحد من استباحة بغداد ، وكان الفضل في تمامه للعقل المدبر نصير الدين الطوسي .

المكتبة ودار الرصد

يفهم مما سجله ابن الفوطى نفسه انه وضع للمكتبة نظاما دقيقا يسيرعليهالمطالعون والدارسون والمشرفون ثم عكف على طلب العلم فكانآناستهواه التاريخ فانصرف اليه . وبدأ أول ما بدأ بتسجيل تاريخ الدار التى آوته وحمته وثقفته فسجل كيف انشئت دار الرصد واشار الى استقدام العلماء المدرسين اليها وذكر عمل كل منهم واختصاصه ومؤلفاته مترجما له ترجمة ممتعة ، وألف كتابا خاصا سماه « تذكرة الرصد » خصصه بالذين وفدوا الى الدار أو مكتبتها ، كما وصف بعض ما حوتهالمكتبة مننفائس الكتبوصفا ذكر فيه تراجم المؤلفين وزياراتهم للمكتبة وبعض آثارهم .

وقد حفظ في كل ذلك صورا للحياة السياسية والعلمية والاجتماعية والأدبية ما كان لها أن تحفظ لولا انسجلها بقلمه المبدع.مما كانحقيقا بما وصف به من (انه مؤرخالنهضة العلمية الكبيرة فيمراغة).

العودة الى بغداد

وتزداد الحياة تطورا وتحولا فمن بين السنين الثلاث عشرة التي قضاها في مراغة كانت ست منها في حياة الطاغية هولاكو والباقية في عهد ابنه اباقا ، انغمر فيها ابن الفوطى في المجتمع انغمارا كاملا واستطاع بكياسته أن يتغلغل في ارفع المقامات المغولية وأن يزور الأميرات المغوليات وأن يستزيد من الصداقات ويكثر من الاخوان .وأن يسجل من وحى ذلك كل طريف معجب .

على انه وهو في قمة نجاحه وعنفوان تألقه لم ينس وهو البغدادى العريق والعراقى الأصيل ضفاف دجلة ومسارح الطفولة ومدارج الصبا وذكريات الأهل والأحباب ، وثار به الحنين الى بغداد التى فارقها غلاما غض الاهاب ، فلم ينسه اياها نضوج الشباب وشيوع الذكر ونجاح الأمر حتىكان العام ٦٧٨هـ (١٢٧٩م) حين حكم العراق الصاحب علاء الدين الجوينى صديقه في مراغة .

وكانت الرغبة الكبرى لابن الفوطى هى انيحمله الصاحب الى بغداد فحقق الصاحب له الرغبة فكان مما قاله عنه : « هو الذى اعادنى الى مدينة السلام سنة تسع وسبعين وسبعمائة وفوض الى كتابة التاريخ والحوادث وكتب لى الاجازة لجميع مصنفاته واملى على شعره في قلعة تبريز سنة سبع وسبعين وستمائة ».

في بغداد

العمل الذى اتقنه ابن الفوطى في مراغة هو نفسه الذى عهد اليه به علاء الدين الجوينى في بغداد وهو الاشراف على مكتبة المستنصرية وكانت آنذاك أعظم مكتبة عامة في العالم وكانت ملتقى لرجال العلم والفكر ، فعكف ابن الفوطى على عمله فيها بنفس الدقة والاتقان والتنظيم الذى عرف به في مكتبة مراغة . وكانت سنه يومئذ دون الثلاثين فرأى أن يستزيد من العلم فاقبل على دراسة الفقه والحديث بتعمق واتقان حتى استحق بين المحدثين لقب (الحافظ) .

وانشا لنفسه مكتبة خاصة كانت محجة للعالمين والمتعلمين البغداديين ومقصدا للطارئين الوافدين ، وكان يشير في تدويناته الى زواره وزوار مكتبته من كل الاصناف .

كما وضع معجما خاصا بمن تتلمذ عليهم واخذ عنهم فبلغ عددهم الى الخمسمائة .

من حال الى حال

وظل ابن الفوطى على عمله في المستنصرية خمسا وعشرين سنة بدات سنة ٦٧٩ وانتهت سنة ٧٠٤ كان التحول خلالها قد ازداد سرعة والدنيا تبدلت غير الدنيا . وكانت غراس نصير الدين الطوسي قد نمت واثمرت فاسلمت الدولة المغولية وتحولت الى مجتمع اسلامي يساهم في نهضة الاسلام وتقدم المسلمين .

كما ان السياسة تطورت من حال الى حال فان ارغون حفيد هولاكو صب نقمته على آل الجويني لانهم نصروا عمه احمد تكودار فبطش بهمواستاصلهم وقرب خصومهم ، كما عامل العراقيين بعامة معاملة انتقام وقمع لميلهم الى آل الجويني .

وقد كان كل ذلك بمرأى من ابن الفوطى فشهد الصراع الحزبي المغولي الدامي وشهد مصارع آل الجويني الذين حكموا العراق أكثر من عشرين سنة حكما حببهم الى العراقيين وامالهم اليهم ، كما كان قد شهد من قبل وفاة الصاحب علاء الدين ووفاة أستاذه ومربيه نصير الدين الطوسي ووفاة الأجيال التى عاصرت الطوسي او تخرجت عليه .

شهد كل ذلك في العصر المغولي الاول مع فتح بغداد الى اواخر القرن السابع،وهذه الفترة تعتبر من أشرس الفترات المغولية وأعنفها ، ولكن المغول اخذوا يتكيفون تكيفا تدريجيا فلطف الاسلام من شراستهم وخفف من شدتهم ، ولم يكد القرن السابع ينتهي ويقبل ما نستطيع ان نسميه العهد المغولي الثاني حتى كان التكيف قد ازداد بالتصاق المغول بالاسلام وتحمسهم بمظاهر الحضارة الاسلامية فرأينا الحواضر المغولية تصطبغ بصبغة جديدة من المدنية ، ورواسب الوثنية تذوب في النفوس والادارة تتحضر والنظم الاجتماعية تتبدل.

وقد شهد ابن الفوطى هذه العهود كما شهد التى قبلها مشاهدة المؤرخ المرهف الحس واتصل برجالها حكاما وعلماء ونافذين ،فكتب عن كل ما شاهده ، وترجم للرجال ووصف الحياة ، بعقل نير وفكر ثاقب وقلم رشيق .

في تبريز

بعدما تخلى ابن الفوطى عن عمله في المستنصرية سنة ٧٠٤ رحل الى تبريز حيث اقام هناك ست سنوات ثم عاودة الحنين الى بغداد فرجع اليها وكثر تردده الى تبريز . ويبدو أن الذى جذبه الى تبريز هو وجود صديقه القديم وزميله في الدرس على نصير الدين الطوسي الطبيب رشيد الدين الهمداني العالم المفكر السياسي الذى عرفت تبريز في عصره أزهى عهودها العلمية والعمرانية والسياسية فلازمه ابن الفوطى وعاود سيرته في الأخذ عن العلماء الذين كانت تعج بهم تبريز ، ولكن اثر الرازى كان فيه بارزا .

وبعد أن وزر رشيد الدين لثلاثة من ملوك المغول الايلخانيين هم غازان وخربنده وابى سعيد تغير عليه الأخير لدسائس حيكت حوله فاقصي عن الحكم ثم أعيد اليه ولكن المؤامرات ظلت تلاحقه حتى قتله السلطان أبو سعيد في أحداث ليس هذا مكان ذكرها .

على ان افجع ما اعقب هذه الاحداث هو احراق مكتبة رشيد الدين وكانت تضم ما لا يقل عن خمسين الف مجلد . ويبدو أن معظم مؤلفات ابن الفوطى كانت ضمن تلك المكتبة فذهبت طعمة للنيران فيما ذهب من كتب ، وهكذا لم يبق من تلك المؤلفات الا أسماؤها فضاع بذلك تاريخ فترة من أدق فترات تاريخنا ولم يبق في ايدينا الا أجزاء محدودة مما كتب ابن الفوطى .

ولقد هزت هذه الفاجعة كيان ابن الفوطى اذ قتل صديقه واحترقت كتبه فترك تبريز وعاد الى بغداد ومات بعد انقضاء خمس سنوات على حادثة تبريز عن احدى وثمانين سنة .

كتاب مجمع الآداب

ضاعت مؤلفات ابن الفوطى النفيسة حرقا في احداث تبريز على الارجح ، وان كان يمكن ان يكون بعضها قد ذهب للاسباب نفسها التى ذهبت بها مؤلفات غيره من العلماء . ومن كتبه كتاب (مجمع الآداب) الذى لم يوجد منه الا جزءان الرابع الخامس وقد وجد الأول منهما في دار الكتب الظاهرية بدمشق وهو نسخة الأصل

ومسودة المؤلف بخط يده . ووجد الثاني في مكتبة جامعة لاهور بالباكستان وهو نسخة المؤلف ايضا. وهذان الجزءان هما اثنان من اصل خمسين مجلدا يتالف منها الكتاب وقد ضاعت كلها ما عدا هذين الجزءين . وطريقة المؤلف في هذا الكتاب هي أن يؤرخ للعصر عن طريق التاريخ لرجاله . وقد ظل يعمل في الكتاب ويجدد فيه حتى قبيل وفاته ، اذ وردت فيه دراسات عن جماعة وجدوا سنة ٧٢١ اى قبل وفاته بسنتين وسنة ٧٢٢ اى قبل وفاته بسنة واحدة ولا ننسى انه كان عنذاك في الواحدة والثمانين من عمره .

وقد كان لهذا الكتاب اثره الكبير في امداد المؤرخين الذين تلوا عصر المؤلف بادق المعلومات التاريخية عن ذلك العصر . وممن استفاد منه واخذ عنه كل من الصفدى في (الوافي بالوفيات) والذهبى في (تاريخ الاسلام) والسيوطى في (بغية الوعاة) وابن عنبة في (عمدة الطالب) وشمس الدين الجزرى في (غاية النهاية) وابن كثير في (البداية والنهاية) وغيرهم .

ابن الفوطى فى المصادر القديمة

في طليعة من تحدث عن ابن الفوطى كان الذهبى في كتابه تذكرة الحفاظ اذ جعله منهم كما سماه (مؤرخ الآفاق) ، ويبدو من حديث الذهبى أن كتابه (مجمع الآداب) ذا الخمسين مجلدا هو مختصر لكتاب اكبر ، فالذهبى يقول : (وعمل تاريخا كبيرا) لم يبيضه ثم عمل آخر دونه خمسين مجلدا أسماه (مجمع الآداب) .

فهل مجمع الآداب هو مختصر من مطول أم هو كتاب آخر ؟ ..

وذكره كذلك صاحب الدرر الكامنة وقد جاءت عبارة صريحة في أن المجمع هو اختصار للكتاب الكبير ، اذ قال : (... فعمل تاريخا حافلا جدا ثم اختصره في آخر سماه مجمع الآداب في خمسين مجلدا ..) .

وذكر صاحب الدرر فيما ذكر من مؤلفاته : كتاب الدرر الناصعة في شعراء المئة السابعة ، وموضوع الكتاب يعرف من اسمه ، وهكذا فاننا نرى أن ابن الفوطى لم يكن مؤرخ سياسة واحداث فحسب ، بل هو أيضا مؤرخ ادب . ولا شك ان فقدان هذا الكتاب خسارة تضاف الى غيرها من الخسارات ولو بقى لعرفنا فيه حياة شعراء تلك الفترة وقرأنا آثارهم بقلم معاصر ، سامع لهم باذنيه شاهد لهم بعينيه . ويبدو ابداع ابن الفوطى بكتابة التراجم في وصف الذهبى له حين قال عنه : (... له الباع الطويل في ترصيع تراجم الناس) . ووصفه الذهبى أيضا بقوله : (كان روضة معارف وبحر أخبار).

فى المصادر الحديثة

لم يلق ابن الفوطى حتى اليوم ما يستحقه من الدارسين في العصر الحاضر باستثناء الشيخ محمد رضا الشبيبى الذى اكتشف مخطوطة الجزء الرابع في دمشق فاستهواه ابن الفوطى استهواء عجيبا جعله يخصه بعدة بحوث ثم ختم ذلك بكتاب من جزءين سماه (مؤرخ العراق ابن الفوطى).

المثقف الفريد

لا شك أن ابن الفوطى كان في عصره مثال المثقف العالى الثقافة الموغل فيها والآخذ من كل فنونها بطرف ، ومثال العالم الجاد المواصل للمطالعة والكتابة والتفكير ، وحسبك في ذلك ان يظل القلم والورق في يده وهو في الواحدة والثمانين من عمره كما كان وهو في مطلع الشباب وغضارة العمر . وأن يذكره المؤرخون في أول صفوفهم كما يذكره المحدثون في رأس حفاظهم ، فقيها بين الفقهاء وفيلسوفا بين الفلاسفة ورياضيا بين الرياضيين وشاعرا بين الشعراء وصوفيا بين الصوفيين ، واداريا بين الاداريين ومعلما بين المعلمين متذوقا للجمال والموسيقى والشعر .

مؤرخ الشعب

واذا كنا قد ذكرنا فيما تقدم أنه ترجم للعلماء والشعراء والسياسيين فان هذا الفقيه المحدث الحافظ قد ترجم فيمن ترجم لهم لاعلام الموسيقى الآلية والصوتية ، بل يبدو انه كان ذا بصر في الموسيقى وتجارب عملية . كما أرخ للوراقين والناسخين والمعلمين والمؤدبين وذوى الفنون والصنائع الجميلة ، وبذلك خرج على طريق المؤرخين قبله الذين أهملوا تاريخ الشعب وعنوا بتاريخ المتسلطين وحدهم فهو في الواقع مؤرخ الشعب بكل طبقات هذا الشعب .

بيروت — حسن الأمين

من صور الزواج في المجتمعات القبلية الافريقية :

زواج المرأة

بقلم : الدكتور محمود سلام زناتي

■ لا شك ان عبارة زواج امراة بامراة تثير في نفوسنا شيئا غير قليل من الدهشة . وقد تحمل البعض منا على المسارعة الى الظن بان المقصود منها لا بد أن يكون شيئا آخر غير الزواج بمعناه الدقيق . فالزواج بمفهومه الاجتماعي والقانوني المألوف لنا هو عبارة عن رابطة تقوم بين رجل وامراة . فهو يفترض بالضرورة ان يكون احد طرفيه ذكرا وان يكون الطرف الآخر انثى .

امراة تتزوج امراة

ومع ذلك فان هناك شعوبا افريقية تسمح تقاليدها بقيام رابطة بين امراتين لها صفة الزواج العادي . فهي تنعقد بنفس الكيفية التي ينعقد بها الزواج العادي ، وتترتب عليها نفس الآثار التي تترتب عليه . فالمراة التي ترغب في الزواج من فتاة او امراة تدفع من اجلها مهرا ، ويؤول المهر الى اهل الفتاة أو المراة تماما كما يحدث في الاحوال العادية . وتتبع في اتمام الزواج نفس الطقوس والمراسم فيما لو كان الراغب في الزواج رجلا . وتكتسب المراة الزوج على الفتاة او المراة التي تزوجتها نفس الحقوق التي يكتسبها الرجل على زوجته . فالاولاد الذين يولدون من الزوجة يعتبرون أولاد المراة التي دفعت المهر . كذلك للمراة الزوج مقاضاة اى رجل يتصل بالزوجة اتصالا جنسيا دون موافقتها ، تماما كما يفعل الرجل بالنسبة لمن يزنى بزوجته . وجه الخلاف بين نوعى الزواج ينحصر في المعاشرة الزوجية ، حيث يعترف للمراة الزوج بالحق في أن تختار رجلا من قرابتها أو من قرابة زوجها أو حتى رجلا غريبا تخوله الاتصال بالزوجة . ولا يستتبع ذلك اكتساب مثل هذا الرجل حقوق الزوج على هذه الزوجة بل تظل هذه الحقوق بين يدى المراة الزوج . كذلك الحال بالنسبة للحق في الاولاد . فالاولاد الذين يولدون من علاقة الرجل بالزوجة لا يعتبرون من الناحية القانونية أولاده وانما يعتبرون اولاد المراة الزوج .

دوافع هذا الزواج

والمراة التي تلجأ الى أن تكون زوجا في مثل هذا الزواج قد تكون متزوجة وقد لا تكون . وتلجأ المراة المتزوجة اليه اذا كانت عاقرا مضت السنون على زواجها دون أن تتمكن من انجاب ذرية لزوجها.



بالمرأة

فهي تتوسل بهذا الزواج الى تحقيق الغاية التي عجزت عن تحقيقها بنفسها . فالاولاد الذين تلدهم الزوجة باعتبارهم اولاد المراة العاقر يعتبرون في نفس الوقت أولادا لزوجها . وقد تلجا المـراة المتزوجة الى هذا النوع من الزواج اذا كانت مئناثا املا في الحصول على ذرية من الذكور . غـير أن هذا النوع من الزواج لا يقتصر ، كما سبق القول على النساء المتزوجات . فللمراة غير المتزوجة أيضا أن تتخذ لنفسها زوجة . ويحدث ذلك ، أغلب ما يحدث ، في حالة الأرملة العاقر او التي جاوزت سن الحمل . وقد تلجا اليه امراة لم يسبق لها الزواج رغبة في الحصول على ذرية لجماعة قرابتها اذا لم يكن لهذه الجماعة ذرية كافية او كانت ذريتها من الاناث ، حتى تكفل لسلسلة نسـبها الدوام .

أين يقع هذا الزواج

ولا تقتصر الشعوب التي تسمح تقاليدها بهذا النوع من الزواج على جهة دون اخرى من جهات القارة الافريقية ، ولا على جنس دون آخر مـن أجناسها . فمن الشعوب التي تمارس هذا النوع من الزواج (أو كانت تمارسه) شعوب تقطن جنوب القارة ومنها شعوب في شرقها ووسطها واخرى حامية وثالثة نصف حامية ورابعة زنجية .

ما يقول الباحثون

ولكى يستبين القارىء ملامح هذا الزواج في شيء من التفصيل نعرض فيما يلي طرفا من اقوال بعض الباحثين في وصفه لدى الشعوب التي كانت محلا لدراستهم .

فلدى الفندا (في اتحاد جنوب افريقية) للمراة أن تتزوج بمالها الخاص امراة اخرى . فبعض النساء يمتلكن اموالا خاصة اكتسبنها عن طريق العمل او الهدايا يستخدمنها في الزواج مـن نساء يصبحن زوجاتهن . وتقوم هذه الزوجات مـن أجلهن بنفس الواجبات المنزلية التي تقوم بهـا الزوجات المتزوجات من رجال للرجال وعندما تتزوج امراة امراة أخرى تترك ابنها يتصل بها . واذا لم يكن لها ابن أعطت الفتاة لأخ شقيق ، وفي حالة عدم وجوده فلأخ غير شقيق . واذا لم يوجد احد من هؤلاء أعطتها لخال او قريب دني في هذا الجانب . وفي حالة عدم وجود احد من هؤلاء طلبت الى رجل غريب ، تكون على علاقة ودية به ، أن يمكن الفتاة من الحمل . ويتحمل الرجال الذين تعطى لهم النساء على هـذا النحـو بالواجبات المنزلية . فاذا تهدم كوخ احداهن او قدم العهد عليه وجب على من يعاشرها من الرجال المجيء لاصلاحه . كذلك الحال بالنسبة لتسوير حدائقهن . فكل عمل يقوم به الرجال يعتبر من واجبهم القيام به (1) .

وفي كينيـا

ولدى الكيسجي (في كينيا) اذا فشلت زوجة

(1) Von Warmelo, Venda Law Part 2, Art. 1005, 1006

في انجاب ذرية لزوجها سعت الى الزواج من امراة اخرى حتى يعتبر أولاد هذه الأخيرة أولادا لها . ولا تلجأ الزوجة الى الزواج من امراة أخرى قبل أن تنتظر فترة طويلة لترى ما اذا كان من الممكن أن تكون لها ذرية من الذكور . وهي تكون في العادة متقدمة في السن عندما تلجأ الى هذه الوسيلة، بموافقة زوجها . وليس هنالك ما يفرق بين هذا الزواج والزواج العادى . وتعطى العروس عادة الى احد أبناء الزوج من زوجة أخرى أو الى أحد اخوته . ولا تكون لمن تعطى له الفتاة أيةسلطة عليها ، فهى تخص المرأة التى تزوجتها ، والاولاد الذين تلدهم يعتبرون اولادا لزوج المــراة التى تزوجتها (٢) .

الزواج لدى الجوسى

ولدى الجوسى (في كينيا وتنزانيا) تستطيع الأرملة التى ليس لها أبناء ، عن طريق دفع مهر ، اكتساب فتاة تجيء بها الى بيتها . وتختار لهـا عندئذ شابا يعيش معها كزوج . وقد يجعل من الشاب والفتاة زوجين بصورة رسمية عن طريق حفلة خاصة . لكن الاولاد الذين يولدون من هذه الرابطة يعتبرون مع ذلك ذرية الأرملة أى ذرية الرجل الميت ، فهم لا يعتبرون أولاد والدهـــم الطبيعى (٣) .

الزواج عند النوير

ويقدم لنا ايفنز سبريتشرد وصفا تفصـــيليا لهذا النوع من الزواج عند النوير (في جنوب السودان) فيقول ان هذا الزواج يبدو لنا غريبا لكنه ليس كذلك على الاطلاق بالنسبة للنوير . وحيث تتزوج المرأة امرأة أخرى تعتبر بمثابة أب Father للأولاد الذين تلدهم الزوجة . وهذه الزيجات ليست نادرة في بلاد النوير وينظر اليها بوصفها صورة من صور الزواج العادى لأن المرأة الزوج تتزوج زوجتها بنفس الكيفية التى يتزوج بها رجل امرأة . وعند اتمام شعائر الزواج تأتى الزوج بقريب أو صديق أو جار واحيانا أحـد فقراء الدنكا للحصول على أولاد من زوجتهـا وللمعاونة بصورة منتظمة ، أو عندما تكون الحاجة ماسة للمعاونة ، في أعمال البيت التى يلزم القيام بها رجل .

بقرة جزاء كل مولود

وعندما تتزوج البنات المولودات من الزواج يحصل الرجل من أجل كل منهن على بقرة الانجـــاب Cow of begetting ويحصل على قـدر أكبر من الماشية اذا كان قد لعب دورا أكبر أهمية في اعالة البيت .

والمرأة التى تتزوج بهذه الكيفية تكون في العادة عاقرا . ولهذا السبب تعتبر من بعض الوجـوه بمثابة رجل . وهى تحصل على ماشية بمناسبة زواج بعض القريبات أو عن طريق الوراثة حيث أنها تعتبر بالنسبة لهذه الأمور بمثابة رجل . كذلك تعمل المرأة العاقر عادة ساحرة أو عرافة وتكتسب عن هذا الطريق مزيدا من الماشية .

المرأة الثرية قد تتزوج عدة نساء

واذا كانت ثرية امكنها اتخاذ عدة زوجـات . وتكون هى زوجهن القانونى وتستطيع المطالبـة بتعويض اذا اتصلن برجال دون موافقتها . وهى أيضا أبو أولادهن ، وتحصل عند زواج بناتهن على الماشية التى يحصل عليها الأب ، ويحصل اخوتها واخواتها على الماشية الاخرى التى تؤول الى الجانب الأبوى حين يوزع المهر . ويسمى أولادها بالانتساب اليها كما لو كانت رجلا ، وقيل لى انهم يخاطبونها بوصفها أبا . وتدير بيتها وترعى حوشها كما يفعل الرجل. وتعامل من جانب زوجاتها وأولادها بنفس الاحترام الذى يبدونه نحو زوج وأب ذكر (٤) .

وفى قبائل نيجريا

ويتحدث « ميك » عن هذا الزواج لدى قبائل نيجيريا فيقول « هناك تقليد غريب وقديم لدى اليوروبا Yorba والياجبا Yogba والاكوكى Akoke والنـوبى Nupe والجانا ـ جانا ـ Gana

(٢) Peristiany, The social institutions of the Kipsigis, P. 81
(٣) Mayer, Gusii Bridewealth Law and Custom, P. 62
(٤) Evans - Pritchard, Kinship and Marriage Among the Nuer, P. 108

Gana- وهو أن تتزوج المرأة من نساء اخريات. ففي اقليم أوسي Osi قد تتزوج المرأة العاقر فتاة وتسلمها الى زوجها بقصد انجاب أولاد . لكن هناك نموذجا اقرب لهذا النوع من الزواج وهو حيث تتزوج امرأة ثرية ، متزوجة زواجا عاديا من رجل أو غير متزوجة من فتاة وتسمح فيما بعد لرجل بالاتصال بها . والأولاد الذين يولدون منها يخصون الزوج الانثى . وتراعى في هذه الزيجات التي تقوم بين نساء كل مراسم الزواج بل ويدفع مهر الى أبي الفتاة . وتطبق القواعد العادية في الطلاق (٥) .

وفي السنغال

كذلك كان هذا النوع من الزواج معروفا وممارسا عند السرير (في السنغال) فعندما ترغب امرأة عاقر في الحصول على أولاد كانت تطلب يد فتاة على سبيل الزواج تماما كما يفعل الرجل . وتدفع المهر وتقدم الهدايا . وعندما تصل الفتاة الى سن البلوغ تجعلها تحمل في بيتها بواسطة رجل من قرابتها . والاولاد الذين يولدون من مثل هذه الرابطة يحملون اسم الأم ويعتبرون اولادا لها . (٦)

ومن الواضح أن هذا النوع من الزواج يهدف الى الحصول على البنوة بصورة مصطنعة عند تعذر الحصول عليها بصورة طبيعية . فالغرض منه هو الحصول على ذرية اطلاقا عندما تكون المرأة عاقرا أو الحصول على ذرية من الذكور عندما تكون مئناثا . لكننا قد نتساءل عن الأسباب التي حملت الشعوب التي تأخذ بهذا النظام على اختيار هذه الطريقة بالذات للحصول على ذرية بصورة مصطنعة عند تعذر الحصول عليها بصورة طبيعية وقد كان بوسعها تحقيق هذا الهدف عن طريق اجراء كالتبنى مثلا . ويبدو بالفعل غريبا أن يوجد مثل هذا النظام في مجتمعات تعرف التبنى . لكن وجه الغرابة يزول اذا عرفنا أن هذا النظام اقرب الى أذهان الافريقيين من نظام التبنى، وانه من ناحية أخرى أيسر تحققا وأوفق بالغرض المقصود . فضلا عن أن بعض المجتمعات القبلية الافريقية لا يعرف التبنى بالمعنى المفهوم لنا .

المهر وحقوق الزوج

اما أن هذا النظام اقرب الى أذهان الافريقيين فذلك لأن المهر عندهم يؤسس في الزواج العادى ، الذى يتم بين رجل وامرأة ، حق الرجل في أولاد المرأة . فالحق في الاولاد يدور مع المهر وجودا وعدما . فاذا كان الرجل قد دفع من أجل المرأة التى يعاشرها مهرا ، اكتسب الحق في كل اولادها. اما اذا لم يكن قد دفع من أجلها مهرا فلا يكتسب حقا عليهم . فالزواج يرتبط اذن في ذهن الافريقيين بالحصول على ذرية والمهر هو الذى يعطى زوج المرأة الحق في ذريتها . والوضع العادى والطبيعي أن يدفع المهر بواسطة رجل من أجل المرأة التى ستمكنه من الحصول على الذرية المطلوبة . لكن ما الذى يحول دون الاعتراف لامرأة ، وجدت في ظروف لم تتمكن معها من الحصول على ذرية ، بالحق في دفع مهر من أجل امرأة أخرى تتمكن عن طريقها من تحقيق الغرض الذى فاتها تحقيقه بنفسها ؟ ولهذا ففى اعتقادنا ان الاعتراف للمرأة بالحق في الزواج من أخرى بدفع مهر من اجلها وبالحق في نسبة أولاد هذه المرأة الى نفسها انما هو نتيجة طبيعية لدور المهر في المجتمعات القبلية الافريقية . ومن الممكن أن نضيف الى ما تقدم اعتبارا آخر وهو أن المرأة العاقر ينظر اليها في تلك المجتمعات بوصفها رجلا في معنى من المعانى . فعدم انجابها ذرية دليل على أن تكوينها ينقصه عنصر أساسي من المفروض وجوده في كل انثى الا وهو الخصوبة او القدرة على الانجاب . ومن ثم فهى ليست امرأة كاملة .

وأما أن زواج المرأة بالمرأة أيسر تحققا وأوفق بالغرض المقصود فذلك لأن التبنى يفترض استعدادا لدى احد الآباء للتخلى عن احد أبنائه لصالح اسرة أخرى وهو أمر ليس من السهل تحققه دائما . واذا تحقق مرة فقد لا يتحقق ثانية وثالثة. بينما الحصول على ذرية عن طريق الزواج أمر سهل ميسور ، ومن الممكن الحصول عن طريقه على ابن وأكثر . ■

محمود سلام زناتي

---

(٥) Meek' The Northern Tribes of Nigeria, Vol. 1, P. 209

(٦) Coutumiers Juridiques de L'Afrique Occident Ale Francaise, T. I, P. 226

في سبيل موسوعة علمية

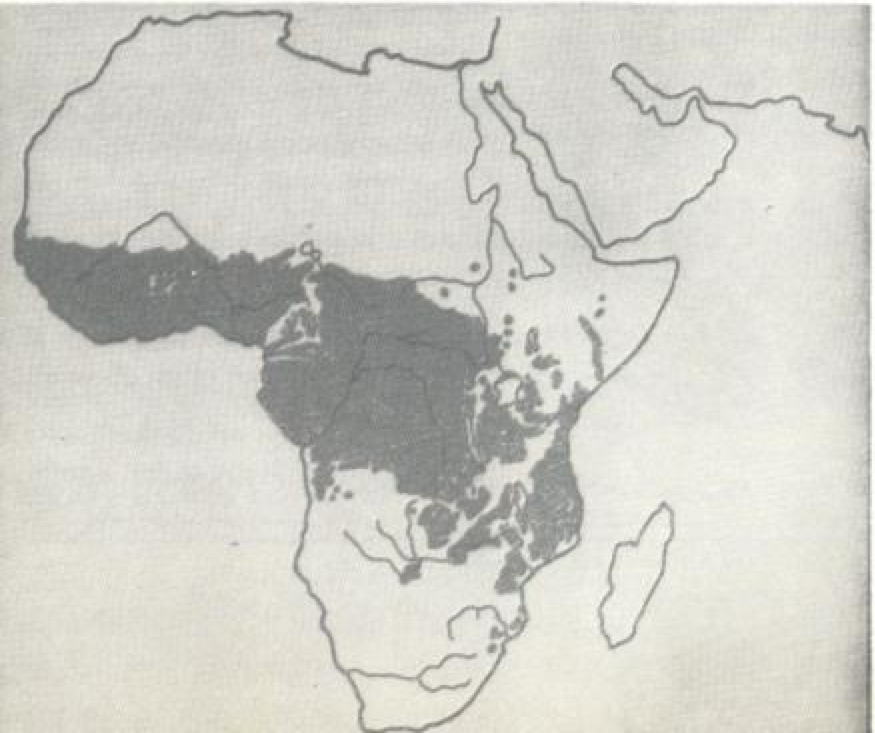
صُوَرٌ

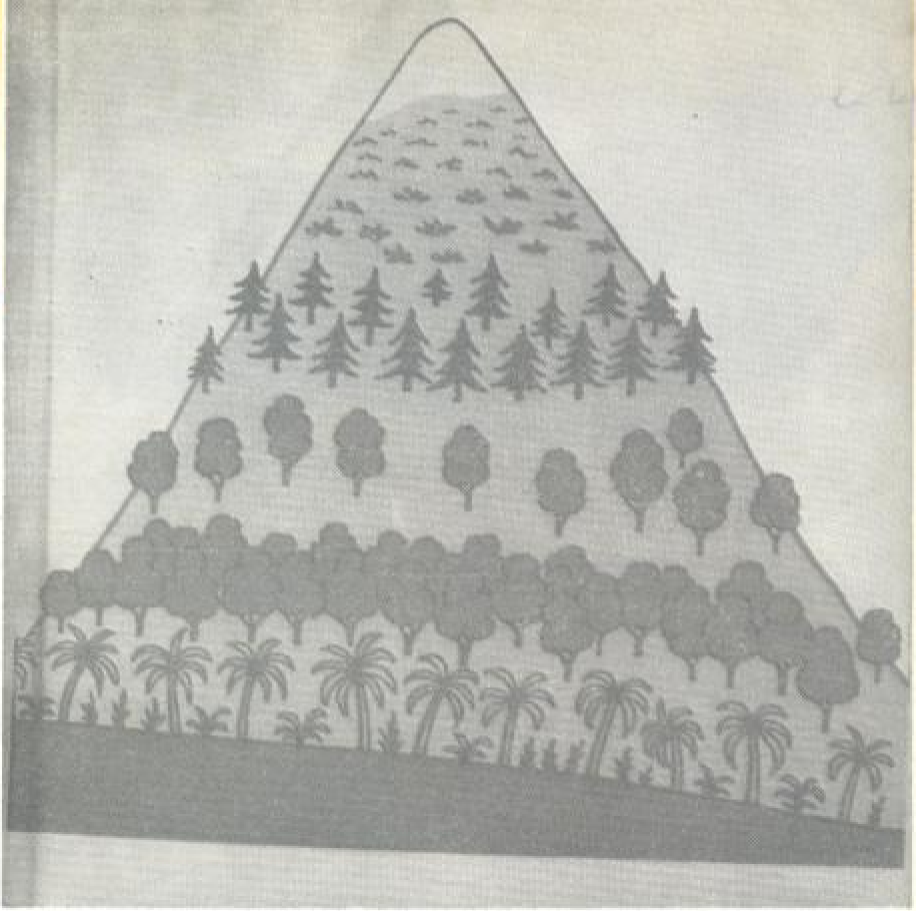
وَرَاءَ كُلٍّ مِنْهَا خَبَر

مرض النـوم

خريطة افريقيا،بها مساحة مظللة، تعيش فيها ذبابة غريبة الاسم ، تجعل الحياة فيها للناس ذات خطر ، وكذا حياة الحيوان لا سيما المواشي . اما اسم هذه الذبابة فهو تسي تسي . وهي تشبه ذبابة البيت ، الا انها اكبر قليلا ، ولها جناحان يركب بعضهما بعضا . وهي تتغذى بدم من تهبط عليه من بني الناس، او من الحيوان . فاذا كان في ايهما مكروب مرض ، حملته معها ، فاذا حطت على ضحية اخرى تمتص دمها ، اودعتها من اسباب المرض الذي حملت ما تودع. والمرض التي تحمله الى الانسان هو مرض النوم Trypa osomiasis ، وهو هكذا سمي لأنه في آخر اطواره يسيطر النوم على المريض وهو غالبا لا يخرج منه الا الى الموت . ومثل ذلك يصنع هذا الذباب بالمواشي وحيوانات اخرى . والمرض الذي ينقله يعرف بالناجانا Nagana .

وهنا يتدخل العلم يدفع عن الانسان اعداءه في الطبيعة ، وليفتح له مساحات من الارض ، كان له فيها الخير الكثير ، لولا هذه الذبابة الصغيرة الجسم،الكبيرة الخطر .



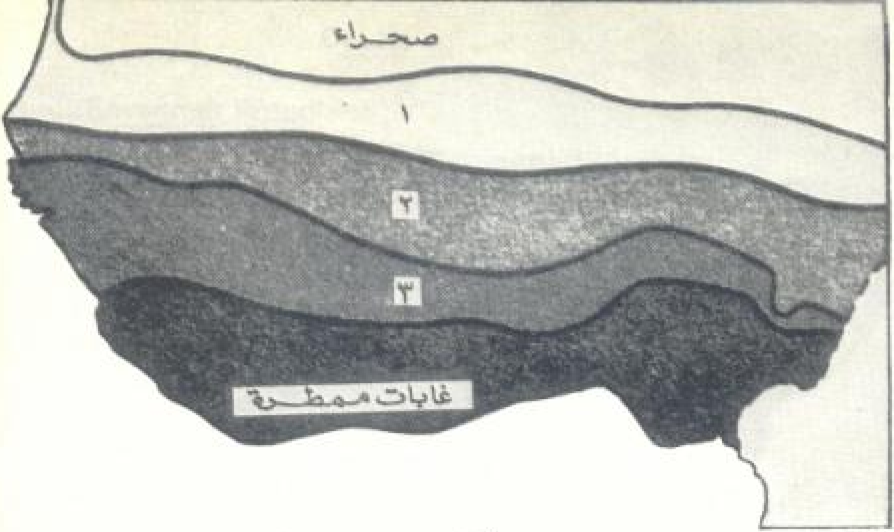


النبات كالحيوان
له مواطن يسكنها من الارض دون مواطن

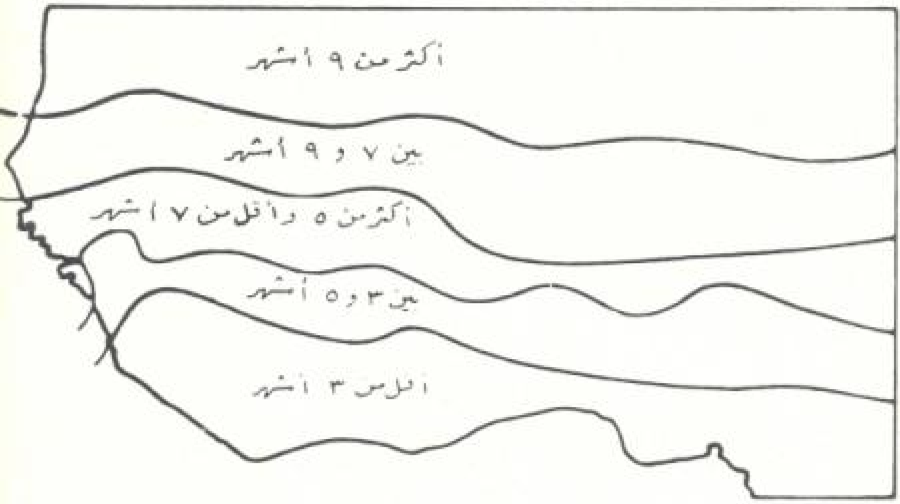
● ان أنواع النبات تختلف باختلاف مناطق الارض ، وباختلاف الأجواء خاصة . وأخص اختلافها اختلاف درجات الحرارة . فأنت اذا بدات رحلة من خط الاستواء الى القطب الشمالى ، مارا بالمنطقة الاستوائية ، فالمعتدلة ، فالقطبية، وبالطبع بما بين هذه المناطق ، مررت بشتيت من أنواع النبات تظل تختلف حتى تصل الى القطب .

وكذلك أنت تمر باختلاف هذه الانواع اذا أنت صعدت جبلا ، جبال الانديس مثلا ، من عند سطح البحر الى ١٦٠٠٠ قدم ارتفاعا . انها أشبه برحلة ٥٤٠٠ ميل من خط الاستواء الى الدائرة القطبية .

والصورة تعطيك فكرة عامة على ما سوف تجد وانت صاعد ، فأول شيء تمر به هو الغابات الاستوائية ، تأتى بعدها الغابات ذات الخشب الصلب ، فالغابات ذات الشجر الصنوبرى ، وتتحذى ما يعرف بخط الأشجار ، فلا تجد وراءه الا الشجيرات والأعشاب ، تليها الاشنة والطحالب واضرابها .



أشهر الجفاف



من الماء كل شيء حي

● وليس كالخريطة المرفقة دليل على ذلك ، ان كان هذا فى احتياج الى دليل .

والخريطة لجزء من افريقيا ، فى غربها .

وقد قسم الراسم هذا الجزء مناطق ، وفقا لما ينمو فيه من الزرع ، ومقارنة هذا بما يصيب هذه المناطق من ماء المطر فى العام ، او على الأصح بما يصيبها من جفاف .

وتبدأ الخريطة بالصحراء ، شمالا ، حيث الجفاف على أشده ، ثم تليها منطقة معشوشبة لا شجر فيها Savannah ثم يأخذ الشجر بالازدياد فى المناطق حتى يبلغ حد الغابات لكثرة أمطاره .

●●

نتيجة مسابقة العدد ١٦٤

بحر سراجوسا جزء من الأطلسي

■ تميزت ردود مسابقة العدد ١٦٤ بندرة الاجابات الصحيحة عن السؤال السابع : اين يقع بحر سراجوسا ؟ . كما ان هناك الكثير من القراء الذين اخطأوا فى معرفة أيهما اكبر مساحة الصين أم كندا ، والاتحاد السوفيتي أم استراليا .

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ، ثم اسماء من حالفهم الحظ والتوفيق بالفوز فى المسابقة :

– كندا اكبر مساحة من الصين (مساحة كندا ٣٫٨٥١٫٨٠٩ ميلا مربعا ، مساحة الصين ٣٫٧٦٨٫٠٠٠ ميلا مربعا) .
البرازيل اكبر من الهند (مساحة البرازيل ٣٫٢٨٧٫١٥٩ ميلا مربعا ومساحة الهند ١٫٢٦٢٫٢٧٥ ميلا مربعا) – الاتحاد السوفيتي اكبر من استراليا (مساحة الاتحاد السوفيتي ٨٫٦٤٩٫٥١٢ ميلا مربعا ومساحة استراليا ٢٫٩٦٧٫٩٠٩ ميلا مربعا) .

٢ – اندونيسيا تعدادها ١٢١٫٢٠٠٫٠٠٠ نسمة ، واليابان ١٠٣٫٥٤٠٫٠٠٠ نسمة .
ونيجيريا ٦٦٫١٧٤٫٠٠٠ نسمة .
بريطانيا تعدادها ٥٥٫٧٠٢٫٠٠٠ نسمة ، البرازيل تعدادها ٩٦ مليون نسمة ، وايطاليا ٥٢٫٦٧٠٫٠٠٠ وكلها من احصائيات عام ١٩٧٠ .

٣ – طائرة ميج .

٤ – كتاب القانون لابن سينا ، ومروج الذهب للمسعودى ، والفهرست لابن النديم ، والحاوى للرازى .

٥ – يشترك الحوت والوطواط فى انهما من الحيوانات الثدية .

٦ – نظرية النشوء والارتقاء – دارون ، التحليل النفساني – فرويد ، تعبيد الطرق بالاسفلت – مكادام ، علم الاجتماع – ابن خلدون ، علم الوراثة – مندل .

٧ – بحر سراجوسا جزء من المحيط الاطلسي الشمالي ويمتد من جزر الهند الغربية الى جزر الازور .

٨ – البرازيل – اللغة البرتغالية ، كوبا والارجنتين وبناما : اللغة الاسبانية . والفلبين : الاسبانية والتاجولوج .

٩ – « جوا » – استقلت حديثا عن البرتغال .

١٠ – الصين : عاصمتها بكين وعدد سكانها ٤ ملايين ، فى حين ان شنغهاى وهي ليست العاصمة يبلغ عدد سكانها ٦٫٩٠٠٫٠٠٠ نسمة . (وقد اورد القراء أمثلة اخرى عديدة وكلها صحيحة) .

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى وقيمتها (٣٠) دينارا فاز بها : غالب عبد الجليل الحكاك – بغداد / العراق .
الجائزة الثانية وقيمتها (٢٠) دينارا فاز بها : عيسى حسن الجراجرة – عمان / الاردن .
الجائزة الثالثة وقيمتها (١٠) دنانير فاز بها : قتيبة عبد الرزاق الصانع / الكويت .

٨ جوائز قيمتها (٤٠) دينارا ، كل منها ٥ دنانير فاز بها :

١ – عبد الكريم مندكار محمد قاسم / الشارقة
٢ – ابراهيم محمد منصور/المحلة الكبرى .
٣ – تمام مكرم البرازى – بيروت / لبنان
٤ – على عيسى – اللاذقية / سوريا
٥ – عبد الكريم عبد القادر/السودان .
٦ – يوسف عبد المحسن عبد الغنى/البحرين .
٧ – مروان توفيق محمود / الدوحة – قطر
٨ – لطيفة قشوط–الولايات المتحدة الامريكية

وسترسل الجوائز الى اصحابها . ■■

مواقف رجال

عبد الله بن غانم

بقلم : عبد الستار احمد فراج

■ اتجه العرب في فتوحهم الاسلامية شرقا وغربا ، واستقروا باهليهم في البلاد التي اشرقت فيها انوار الهداية ، واختلطوا بمن كانوا من سكانها الذين استجابوا للدعوة ، وشاركوهم بعد ذلك في حمل رسالة الجهاد .

حتى قبل الاسلام بعهد قديم تنقلت قبائل عربية الى ما جاورها من الاقاليم .

وحين استقرت الدولة الاسلامية اتجه افراد من الشعب الى أن يتزودوا بعلوم الشريعة ، ليسيروا على منهج دينهم الحنيف ، وليفتوا قومهم فيما يحدث من امور . وكانت المدينة المنورة ومكة المكرمة قبلة أنظار الباحثين عما كان يفعله الرسول وما قاله ، يرويه الصحابة او يرويه التابعون عن الصحابة عنه ، ثم صار في كل جهة حافظون ومجتهدون ، ولم تكن مدينتنا الحجاز ،مكة والمدينة، وحدهما اللتين تضمان صحابة وتابعين ، فان رجالا كثيرين من الذين صاحبوا الرسول او صاحبوا اصحابه قد استقروا في العراق والشام ومصر وغيرها ، وعنهم انتشر علم كثير .

وممن كانت تشد الرحال اليه للأخذ عنه الامام مالك بن انس ، وأكثر الراغبين في السماع عنه كانوا يأتون من جنوب الجزيرة العربية ، ومما كان يقع غربها من الاقطار كمصر والسودان .

وبرز من هذه البلاد أئمة في الفقه والحديث لا يحصون كثرة، وصار لهم شأن في أوطانهم مذكور .

اعجاب مالك به

وعبد الله بن غانم او ابن غانم من أهل القيروان، واسمه كاملا هو عبدالله بن عمر بن غانم الرُّعَيْنى واصله من قبائل العرب اليمنيين ، وهو من أولئك الذين رحلوا الى الامام مالك ، وعنه اخذ ، كما أنه تنقل في الشام والعراق ، فتلقى العلم عن شيوخ تلك الأصقاع .

وأعجب به الامام مالك . وحدثته نفسه أن يبقيه بجواره في المدينة ، فعرض عليه ان يزوجه ابنته ، على أن يبقى بها بجواره ، ولا يخرج بها الى القيروان . ولكن عبد الله بن عمر بن غانم ، به شوق الى اهله ، ورغبة في بلاده بين عشيرته ، فقبل العرض الكريم ، الا أنه اشترط ان تزوجها أن يخرج بها الى بلده القيروان . وبهذا لم تتم المصاهرة بينهما .

عاد ثم تولى القضاء

وعاد عبد الله الى موطنه ، وقد جمع علما كثيرا من شيوخ كثيرين ، فصار ، كما قالوا عنه ، من

● بعث هارون الرشيد الى والى افريقية يسترد مالاً ضاع على بعض مواليه ، فرفض ابن غانم ، وهو القاضى، الا ان يثبت الخليفة دعواه كما يفعل سائر الرعية ..

أهل العلم والدين ، والفضل والورع والتواضع ، وكان احد الثقات الأثبات .

وفي شهر رجب سنة احدى وسبعين ومائـة ١٧١ هـ اسند اليه منصب القضاء بالقيروان ، وكان ذلك في حياة الامام مالـك ، وكانت سن عبد الله بن عمر بن غانم حين توليه القضاء حوالي ٤٢ سنة اذ انه ولد في سنة ١٢٨ هجرية .

ولما بلغ الامام مالكا أن عبد الله بن عمر بن غانم تولى القضاء سر بذلك ، واعلم اصحابه بهذا الخبر السار ، ثم قال : ما ذلك بكثير عليه .

وكان السبب في تولي عبد الله بن عمر بن غانم القضاء هو عبد الله بن فروخ فقيه القيروان في وقته ، وكان من الزهاد العُبّاد الورعين القائمين بالحق ، وممن رحل الى المشرق وتلقى العلم عن مالك وابي حنيفة وسفيان الثـوري والأعمش وغيرهم ، وحين عودته الى القيروان كان روح بن حاتم وُلّي أميرا عليها ، فالح على ابن فروخ أن يتولى القضاء ، وأرغمه عليه ، فلم يجلس للحكم الا مرة واحدة ، ولم يقض بين أحد ، فلما علم روح بن حاتم بذلك قال له : تشير علينا من نُولّي أو فاقْبَل أنت ، فقال : ان يكن أحد فعبد الله ابن غانم فاني رأيته شابًا له صيانة ، فعليكم به، فانه يعرف مقدار القضاء ، فولّى روحٌ القضاء لعبد الله بن غانم . فكان ابن غانم يشاور عبدالله ابن فروخ في كثير من اموره وأحكامه ، فاشفق ابن فروخ من ذلك وقال له : يا ابن أخي ، لم اقبلها أميرا أأقبلها وزيرا ؟ فالحّ عليه ابن غانم وشـدد عليه ، فلما رأى ذلك ابن فروخ خرج الى مصر هربا من ذلك وورعا ، فمات بها .

وقيل أيضا ان أبا يوسف صاحب الامام ابي حنيفة قال لروح بن حاتم حين خروجه الى القيروان اميرا عليها : ان بمدينة القيروان فتى يقال له عبد الله بن غانم قد فَقِهَ ، فولّه قضاء افريقية .

ما أقرب البعيد

وروح ابن حاتم المهلبي وَلِيَ بلادا مختلفة لخلفاء عباسيين ، وآخرهم هارون الرشيد . وكان يزيد بن حاتم أخـو روح بن حاتـم واليا على افريقية،وأقام واليا عليها ١٥ سنة وثلاثة اشهر .

فلما توفي يزيد سنة ١٧٠ في مدينة القيروان ، ودفن بها ، قال الناس : ما أبعد ما يكـون بين قَبْرَيْ هذين الاخوين : يزيد وروح ، ذلك أن روح بن حاتم أخاه كان واليا على السند ، فاتفق ان الرشيد عزل روحـا عن السند ، وسَيّره واليا على افريقية في موضع أخيه يزيد ، وتسلم ولايتها ، فدخلها اول رجب سنة ١٧١ وهي السنة التي ولي فيها عبد الله بن غانم القضاء ، ولم يزل روح واليا بالقيروان الى أن توفي سنة ١٧٤ ودفن مع أخيه يزيد في قبر واحد ، فعجب الناس من هذا الاتفاق .

افريقية وبعض ولاتها

وافريقية ـ المسماة بها الآن القارة الافريقية ـ كانت بلدة وبها سُمّيَ اقليم افريقيـة . وهذا الاقليم كان في القديم يشمل جزءا من ليبيا ، ومن الجزائر ، ومن تونس ، ومن المغرب ، اذ كان يمتد من طرابلس او برقة ، الى بجاية أو طنجة ، فلما اختط المسلمون القيروان ، وجعلها عقبة بن نافع مِصْرا من الأمصار خربت البلدة افريقية ، وبقي اسمها يطلق على الصقع جميعه .

والذي يهمنا أن عبد الله بن عمر بن غانم ظلّ قاضيا بعد وفاة الوالي روح بن حاتم ، كما ظل قاضيا في أيام الولاة بعده ، حيـث تولى ولايـة افريقية نصر بن حبيب المهلبي وعزل ، ثم الفضل ابن روح بن حاتم المهلبي ، وقتل سنة ١٧٨ ، ثم هرثمة بن أعين ، فقدم واليا سنة ١٧٩ ثم استعفى من ولايتها ، فاعفاه الخليفة هارون الرشـيد ، وولي محمد بن مقاتل فلم يستقم بها امره ، وفي آخر الامر ولي امارة افريقيـة الأمير ابراهيم بن الأغلب التميمي سنة ١٨٤ كل ذلك وعبد الله بن غانم ما يزال مستقرا في توليه القضاء ولم يعزله احد .

كاتبه الخليفة

واخذ نجمه يعلو ويصعد ، وأمره يعظم ويرتقى، حتى صار من جلالة قدره أن الخليفة هارون الرشيد كان اذا كتب كتابا لابراهيم بن الاغلب الوالى على افريقية يقول له فيه : «وانا لا أفك لك كتابا حتى يكون مع كتابك اليّ كتابُ ابن غانم» لهذا كان ابراهيم بن الاغلب أكثر الناس مداراة لابن غانم وتعظيما له .

ولينا وأمنا بعد موته

وحين توفي ابن غانم في سنة ١٩٠ وكان لا يزال متوليا القضاء ، بكى عليه ابن الاغلب ، ووقف على قبره ، ومع هذا فان مداراته لابن غانم في حياته ، ومعرفته بمنزلته عند الخليفة جعلاه يقول : والله ما وَلِينا افريقية ولا أَمِنّا حتى مات .

بل ان ابن غانم كانت تأتيه كتب خاصة به من الخليفة هارون ، مما يدل على منزلته العالية . ولعل ما كان في كتب الخليفة فيه بعض الأمور الخاصة التي تشبه أن تكون سرا ، وهذا مما جعل الأمير ابراهيم بن الاغلب يبالغ في رعاية ابن غانم ، ويود أن يعرف بعض ما يدور بينه وبين الخليفة .

ففى أحد الأيام دخل ابن غانم على ابراهيم بن الاغلب ، وكانت قد وصلت كتب الرشيد ، وفيها كتاب خاص بابن غانم القاضي ، وبالطبع تكون الكتب مختومة ، وفي أيدى رسل أمناء . وفضّ ابراهيم الخطاب الخاص به ، وسلم ابن غانم خطابه ، وحينما انتهى الامير ابراهيم بن الاغلب من تلاوة خطابه الخاص به ناوله للقاضي ابن غانم ليقرأه ، فقرأه ابن غانم ثم رده الى ابراهيم . ويبدو أنه اراد بذلك أن يصل الى الاطلاع على ما في خطاب القاضي . اذ انه قال له : هات كتابك اقرأه . لكن ما أضمره لم يتحقق ، اذ قال له القاضي ابن غانم : كلا لا أفعل ، فقال له الأمير : فلم قرأت أنت كتابي ؟ قال القاضي : انت دفعت كتابك اليّ ، ومددت يدك به، فكرهت أن أردها ، وقد أسر الى أمير المؤمنين في كتابه ما لا أريد أن اطلع عليه أحدا . فسكت الأمير على مضض .

وابن غانم كان حسن المظهر فيما يلبسه اذ كان يلبس من الثياب أرفعها . لكنه حين يجلس ليقضى في الخصومات المتعلقة بالنساء – وقد جعل لهن يوما يجلس فيه للنظر بينهن – كان يلبس في يومهن الخشن من الثياب والقديم ، وينظر ببصره الى الأرض ، فلا يشك من لا يعرفه أنه أعمى . ولا يُبقي حوله حجابا ولا كتابا .

أتباعٌ يسيئون

وما أكثر ما يسيء الأتباع وما يرتكبون ، فأحدُ موالى ابراهيم بن الأغلب الذى يتولى أموره الخاصة ، وكنيته ابو هارون ، دخل السوق واشترى من جماعة بغالاً بثمن قدره خمسمائة دينار وأخذ البغال ، ولم يدفع للبائعين ثمنها ، ولجأ البائعون الى ابن غانم ، وشكوا اليه أمرهم ، فقام من مجلسه ، وتوجه الى ابراهيم بن الأغلب نفسه ، وكان ابراهيم قد اباح له الدخول عليه بدون اذن ، فاذا أتى ابن غانم كان من أدبه أن يتنحنح ، ليشعره بوجوده وانه قادم عليه ، فيقول : ادخل . وتنحنح ابن غانم كعادته ، وقيل له : ادخل ، فدخل ، وساله ابن الأغلب . هل هناك شيء يُوصيي به ، فذكر له شأن المتظلمين فأحضر ابن الأغلب أبا هارون ، فاعترف ، واعتذر بأنه لم يدفع انتظارا لمجيء الخراج ، ولكن القاضي ابن غانم خشى ان تكون تلك مماطلة منه وتسويفا ، فقال : لا أبرح مكاني حتى تدفع لهم أموالهم . فما برح حتى دفعت اليهم حقوقهم .

رفض ما فى خطاب من الخليفة

وقدم يوما أحد رسل الخليفة هارون الرشيد من بغداد ، يحمل رسالة الى الأمير ابراهيم بن الأغلب ، وجاء في الرسالة : ان لفرج مولى أمير المؤمنين عشرة آلاف دينار على رجل يقال له حاتم الابزارى ، ويطلب في الرسالة من الأمير ابراهيم ابن الأغلب أن يحضر هذا الرجل ويقبض منه العشرة الآلاف وأن يوجهها مع رسوله . ويذكر في الخطاب أيضا أن يكون بحضور القاضى ابن غانم .

وبعث الأمير ابن الأغلب الى ابن غانم ، وقرأ عليه الرسالة ، بعد أن أحضر الرجل المطلوب بالدين وفرائصه ترتعد ، فلما انتهى الأمير ابن الأغلب من تلاوة الرسالة قال له القاضى ابن غانم : أاحضرتني لتأخذ رأيي فيما في هذا الكتاب واقراره ؟ قال الأمير : ولم أمرت باحضارك اذنْ ان لم يكن هذا هو المقصود ، فقال ابن غانم : يجب على رسول الخليفة أن يثبت بشهادة عدلَيْن أن

أمير المؤمنين استخلفه ليقبض هذا المال ، وعليه أن يثبت أن المال المطلوب هو لأمير المؤمنين او لولاه المدّعي به . فقال الرسول : وهل يكتب امير المؤمنين بالباطل ؟ قال ابن غانم : معاذ الله ، أمير المؤمنين اكرم من ان يأخذ مالا من غير حِلّه ، ولكن قد تنخرق الأشياء دونه ــ يقصد أنه قد تكون هناك دعوى كاذبة ادعيت امام الخليفة ، أو حدث تلاعب من الحاشية في كتب الكتاب باسمه .

فقال رسول الخليفة للأمير ابراهيم بن الأغلب : ما تقول ايها الامير ؟ فقال الأمير : أقول ما قال القاضى ، وأرى ما رآه .

ورجع الرسول دون تحقيق طلبه اذ ليس معه من يشهدون ، وخرج ابن غانم ومعه الرجل المطلوب وقد ذهب عنه الخوف ، ولعله كان مدّعى عليه بشبهة ، حتى لو كانت الدعوى صحيحة فما هكذا تؤخذ الأموال من الناس دون تحققمن صحتها على أيدى شهود عدول ، وبخاصة اذا كان الطلب من الحاشية واتباع الحاكمين الذين كانوا يفعلون ما يشاءون .

وكان موقف القاضى وحكمه مثار اعجاب الأمير ابراهيم بن الأغلب ، فقال بعد خروجه : ما انفذ بصيرته وأمضى عزيمته .

كرم وتقدير للعلم

وكان القاضى ابن غانم سخيا ، جاءه ابن له من عند معلمه ، فسأله عما حفظه ، فقرأ الغلام واحسن القراءة ، فدفع القاضى الى ابنه عشرين دينارا ، وقال له : ادفعها الى معلمك ، وجاء الصبي بالمبلغ وقدمه للمعلم ، فظن المعلم بالصبي الظنون ، لان المبلغ كبير فى نظره ، فتناول الدنانير وجاء بها الى القاضىابن غانم ، فقال له القاضي : لماذا جئت بها ، لعلك استقللتها ؟ قال المعلم . لا ، فقال ابن غانم : ان حرفا واحدا مما علمته يعدل الدنيا وما فيها .

حسن خلق

ويذكر أن رجلا يقال له ابن زرعة ، كان حكم القاضي ابن غانم عليه ، فحقد عليه ، ولقيه مرة فى طريق ضيق شبْه خالٍ من الناس ، فسبه ، وبالغ في السِّباب ، فلم يردّ عليه ابن غانم ، ولم يأمر بطلبه بعد ذلك .

وحدث أن الجنود نزلوا فى دار ابن زرعة وطردوه منها ، ونزولهم اما شيء من تصرفات الجنود في تلك الأزمان يفعلون ما يحلو لهم واما أنه عقاب منهم لابن زرعة ، اوفعوه به من عند انفسهم ، انتقاما لما آذى به القاضي .

ولم يجد ابن زرعة من يلجأ اليه ليزيل عنه المصيبة التي حلت بداره ، وتذكر ما للقاضى من جاه وصلابة في الحق ، فتوجه الى ناحية منزله ، فلما دنا من الباب تذكر وقال : بعد أن سببته اطلب نصرته . فانصرف . ثم وجد أن النازلة التينزلتعظيمة، فرجع،فلما دنا منالباب خجل وانصرف . ثم اضطر الى أن يرجع ويتقدم داخلا تحت ضغط المأساة . ورآه القاضى ابن غانم ، فقال له : مرحبا بابن زرعة ، وأوسع مجلسه، وقال له : ما جاء بك . فأخبره ، فنادى القاضي على غلام وامره بان يحضر له ملابسه التي يلبسها فى خروجه ، ثم مضى الى الأمير ابراهيم ابن الاغلب ، وطلب اليه أن يخرج الجند من دار ابن زرعة ، ففعل .

ثم ان ابن زرعة اعتذر للقاضى وساله أن يغفر له ما سبق أن اساء اليه به ، فما كان جواب القاضى الا أن قال : هذا شيء نخاصمك فيه بين يدى الله فى الآخرة ، اما أن ينالك منه شيء من المكروه فى الدنيا فلن يكون منا

ابنه يفتخر

ومثل هذا الرجل العظيم من حق ابنه أن يفتخر به ، وبانه تولى القضاء عشرين سنة ، نشر فيها العدل ونصر الضعفاء ، فهو يقول :

وَلِينا قضاءَ الغَرْبِ عشرين حجّةً
فعزّ بعدلٍ عندنا مستلينها
وامضىأبونا الحقفى الناس فاستوت
رعيّته فى العدل فاعتزّ دينها

ومع سعة علم ابن غانم كان في بعض المسائل القضائية يبعث الى الامام مالك بن أنس يستفتيه ، أو يبعث بمسالله الى ابى يوسف ببغداد ، وهو صاحب الامام ابى حنيفة وقاضي القضاة . ■■

عبد الستار أحمد فراج

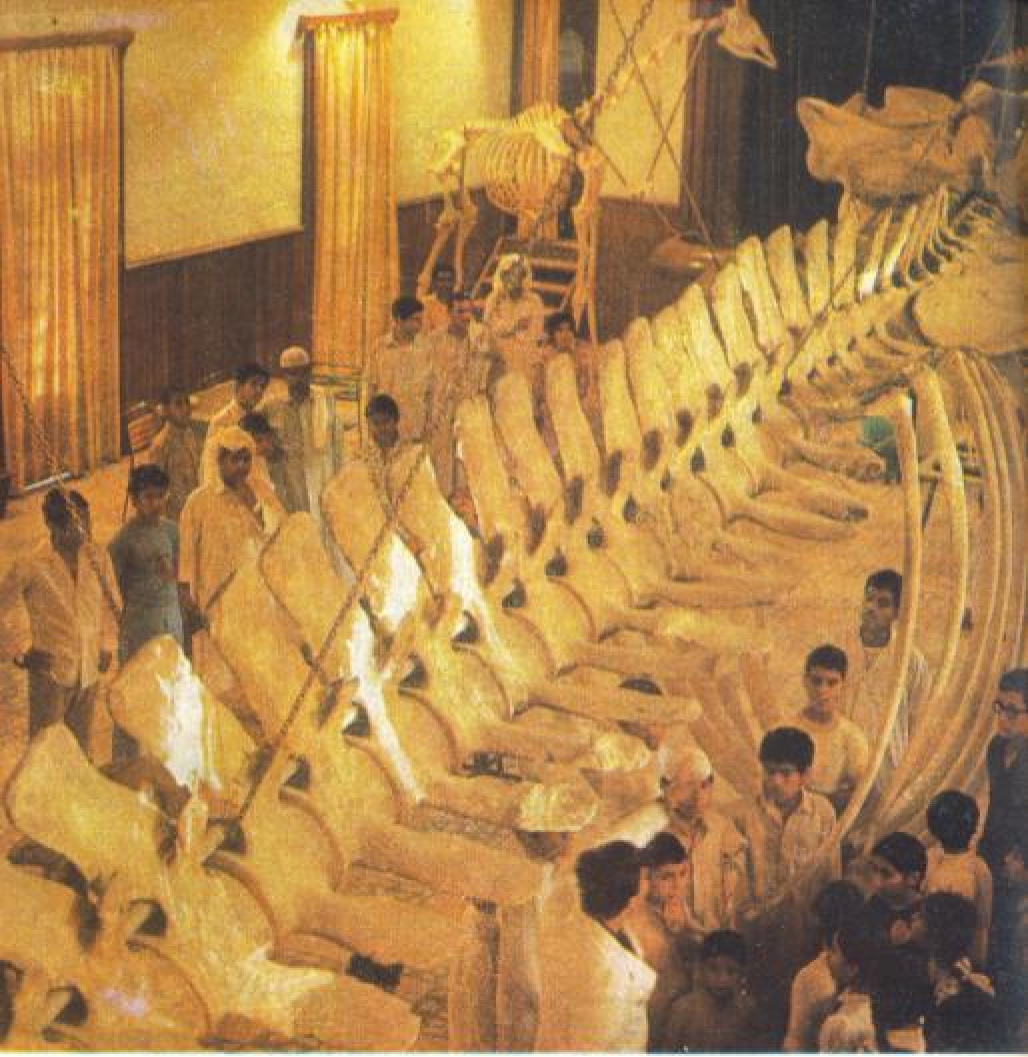




الى أعلى : آكل النمل هذا الحيوان الذي يعيش في امريكا الجنوبية الوسطى ، اصبح بامكان الطالب في الكويت ان يراه في المتحف العلمي بحجمه الطبيعي الذي يبلغ ٦ اقدام طولا ، وقدمين ارتفاعا .. واغرب ما في هذا الحيوان جمجمته الرفيعة الطويلة ، التي تحتوي على اللسان الطويل اللزج الدودي الشكل ، والذي بواسطته يلعق غذاءه من النمل ويرقاته ، مدخلا ومخرجا هذا اللسان بسرعة عجيبة .

الى اليمين : في قاعة الحشرات بالمتحف العلمي ، مجموعة ضخمة من الحشرات بانواعها المختلفة محفوظة داخل علب خاصة لتيح للمهتم فرصة التعرف عليها .





هيكل الحوت الازرق الذى ظل يتعقب سفينة نقل الاغنام من المحيط الهادى حتى دخلت الخليج العربي في طريقها الى الكويت .. وعند رأس عشيرج اصبحت المياه ضحلة لدرجة جعلته يعجز عن التنفس فاختنق ، وقذفت الامواج جثته الى شاطىء الكويت .. واليوم يحتل هيكله العظمي ، وطوله ٢٤ مترا ، قاعة المسرح في مبنى المتحف العلمي .. وحول هيكل الحوت ، صفت مجموعة لهياكل مختلف الحيوانات .

المتحف العلمي
بداية محمودة ..

استطلاع
سليم زبال

تصوير
أوسكار مترى



الى اليمين : سبع البحر والفقمة من الثدييات المائية آكلة اللحوم .. ونرى هنا بعض الاطفال يتأملونهما بشوق بالغ لقد سمعوا عنهما دائما، ولكن لم تتح لهم فرصة رؤيتهما الا عند افتتاح المتحف العلمي .

■ ارادوه متحفا علميا مدرسيا للتلاميذ .. وعندما بداوا في اعداده قرروا توسيعه ليسهم ايضا في اعداد افراد المجتمع لتقبل التغيير العلمي الذي يعم الارض .. فخصصوا سويعات قليلة لاستقبال الجماهير الى جانب التلاميذ ..

ومضت ثلاثة شهور على افتتاح متحف الكويت العلمي .. واحصوا عدد الزوار .. ولم يصدقوا اعينهم .. تسعة واربعون الف شخص زاروا المتحف خلال شهور قصيرة قليلة ..

نجاح يعكس مدى تعطش المواطن العربي الى التعرف على اسرار هذا الشيء المجهول الذي يتحدث عنه الجميع .. انه العلم .. حتى ولو كان في ابسط صوره ..

أول متحف علمي .. في الاسكندرية

وقبل ان نتحدث عن متحف الكويت العلمي ، تعالوا نلق نظرة على المتاحف العلمية في العالم . نتعرف عليها وعلى قصصها ..

قد يدهش القارىء عندما يعلم ان اقدم المتاحف العلمية كان يقوم في الاسكندرية منذ ٢٨٠ عاما ق.م. انشاه بطليموس.. متحفا ضخما للابحاث ، احتوى على ادوات فلكية وطبية وعينات طبيعية نادرة لبعض الحيوانات وجلودها .. واستمر متحف الاسكندرية فترة سبعة قرون منارة للعلوم، ومركزا لتعليم اليونانية ..

هواة يصبحون علماء

وفي تلك الفترة لم يكن في اوربا اى متحف .. واستمر هذا الوضع حتى مطلع القرنين السابع والثامن عشر ، عندما انتشرت في روما القديمة وايطاليا واوربا هواية تكوين المتاحف الخاصة عند الافراد Private Collectors . يجمعون



الى اليسار : مجموعة من الطيور التي تعيش في المستنقعات او ما شابه ذلك ، وتمتاز بأرجل طويلة رفيعة خالية من الريش ، تساعدها على الخوض في المياه الضحلة .. وفي المتحف عدة قاعات لمختلف انواع الطيور .

العينات الطبيعية والعلمية . التي ترضي حب الاستطلاع والمعرفة في نفوسهم .

ومن بين هؤلاء الهواة ظهر بعض فطاحل العلم القديم ، امثال : عالم الفيزياء الطبيعي الدرو فاندى Ulisse Aldrovandi (١٥٢٢ — ١٦٠٥) والعالم البريطاني سير هانز سلون Hans Sloane والعالم الشهير داروين صاحب نظرية خلق الانسان ..

بداية المتاحف فى أوربا

وظلت المتاحف الخاصة هي السائدة حتى عام ١٦٨٣ عندما افتتح في جناح من اجنحة مدرسة التاريخ الطبيعي بجامعة اكسفورد متحف للجمهور ، الذى لم يفهم منه كثيرا ، وعلى ذلك استمرت التحسينات تتوالى عليه حتى شغف به الجمهور .

وبعد هذا بدأ يتوالى فتح المتاحف العلمية العامة في كل مكان .. في فرنسا حولت الثورة الفرنسية متحف اللوفر الخاص الى متحف عام ، وفي اسبانيا افتتح متحف البرادو Prado حاويا المجموعات العلمية والفنية الملكية ، وافتتحوا متاحف في بتسبرج وفينا .. وفي المانيا افتتحوا ١٧٩ متحفا علميا في فترة ٢٠ عاما ، من ١٩٠٠ الى ١٩٢٠ .

متاحف بالجملة

وانتقلت العدوى الى القارة الجديدة امريكا ، فافتتح أول متحف فيها عام ١٧٧٣ في شارلستون ، وما زال يعمل الى اليوم ..

وفي عام ١٧٨٥ افتتحوا متحف فيلادلفيا العلمي ليصبح مدرسة مفتوحة للعلوم وتنمية الفكر العلمي ، والبحث الجاد لدى الجمهور .

وفي واشنطون افتتحوا المتحف الامريكي للتاريخ الطبيعي ، وهو قصر عظيم ذو طبقات عدة وصالات لا يكاد يكون لها حصر ، مزودة بسائر اجناس الحيوانات من كل الاصناف ومن كل الاحجام .. تدخله في اى ساعة من ساعات الدوام فتجده مزدحما بالناس ازدحاما حتى تكاد تحس وكأنك في سوق .. وهو لا يضم غير الحيوانات .. ومثله

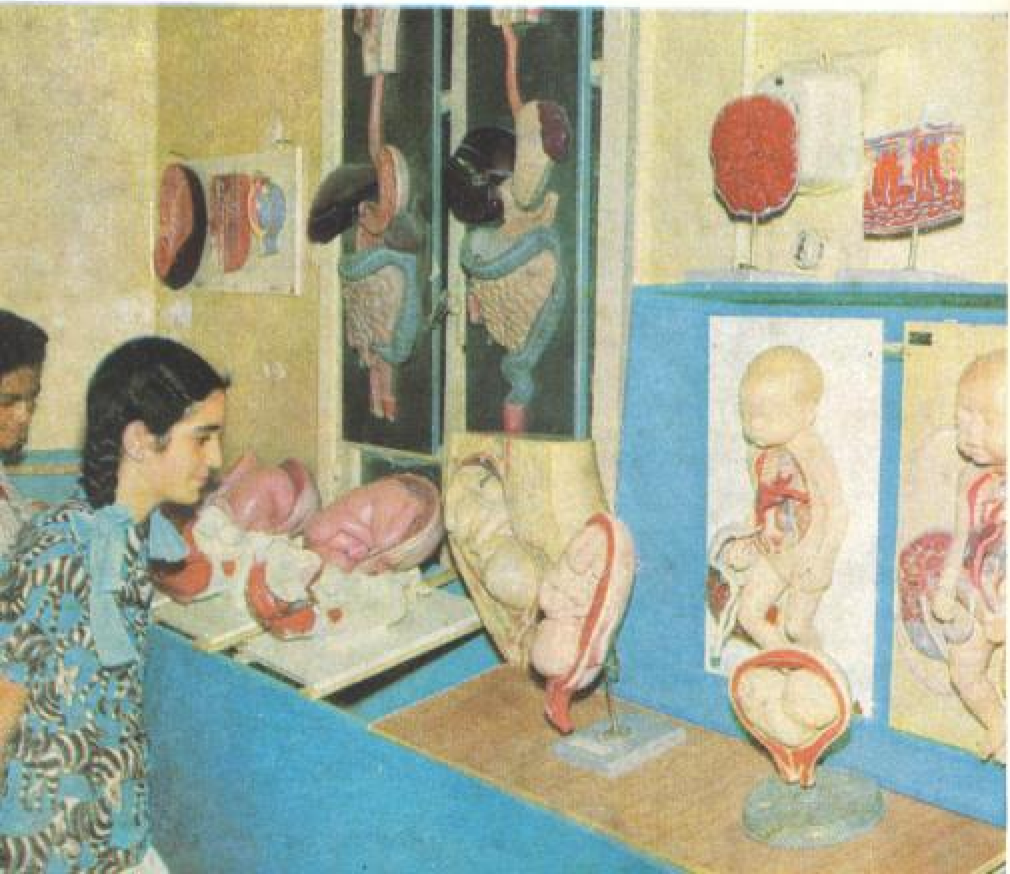


للمتحف العلمي قيمتان : علمية وتربوية .. وتتمثل قيمته العلمية في رؤية الحيوانات وغيرها من معروضات المتحف .. اما القيمة التربوية فتتضح حين تعرف ان لكل حيوان بيئة خاصة به ، وفي هذه البيئة مشاكل يتغلب عليها الحيوان بغريزته او بفطرته .. ولما كان المهتمون بالتربية العلمية يهدفون الى خلق انسان يقدر على حل مشاكله التي ستواجهه في مختلف اوجه حياته المقبلة ، فان أول تدريب يتلقاه التلميذ هو معرفة كيفية تغلب الحيوانات على مشاكلها في بيئاتها .. ولا يتسنى لتحقيق ذلك الا برؤية الحيوان في بيئته الطبيعية .. وهذا منظر يوضح البيئة الطبيعية التي تعيش فيها كل من : الفصيلة السنورية ، وتشمل الاسد واللبؤة والنمر ، وفصيلة الدببة ، ومنها الدب الجبلي .

الى اليسار : لم تعد الثقافة الصحية وقفا على المتخصصين فقط ، وانما تسللت الى المنا[...] المدرسية ، واصبحت جزءا منها يتعلمها الطالب والطالبة ابتداء من الصف الاول الابتدائي .. ولا [...] معالجة مواضيع الصحة هذه نظريا فقط ، بل تلعب المجسمات دورا مهما في تفهيم التلاميذ مكونـ[...] اجسامهم ، وكيفية عملها الصحيح .



قبة النجوم .. يعتبر تدريس الفلك من أهداف تدريس العلوم المهمة في الكويت . ومن الضروري اثناء معالجة هذا الموضوع في المدارس أن يرى التلاميذ النجوم في مواضعها الحقيقية ، ولكن تدريس هذه المواضيع اثناء النهار يجعل هذه المهمة صعبة ، لهذا وجدت في المتحف « قبة النجوم » التي يقصدها تلاميذ مدارس الكويت بمواعيد محددة مسبقا ، من أجل رؤية النجوم في مواضعها الحقيقية وعلاقاتها مع بعضها ، ومساراتها .. كل هذا عن طريق جهاز سينمائي خاص .



المتحف البريطاني للتاريخ الطبيعي ، سعة وروعة وجمال تنسيق ، فمن صنوف الاسماك الى صنوف الزواحف ، الى صنوف الجوارح ، الى صنوف الطير ، الى صنوف الحشر ، متاهات كبرى لكل طالب علم .. يدخله الصغار والكبار والاباء والامهات وهم الكثرة الكبرى من الزوار فهو للشعب خاصة ..

وهناك المتحف الذى يطلق عليه ، المتحف العلمي Science Museum وليس فيه من الحيوانات ولا النباتات نماذج محشوة او مجففة ، ولكن فيه نماذج من صناعات عدة : سيارات وقطارات ، من قديم الزمان وحديثه ، ومحركات من شتى الاصناف ، والكهرباء والمغناطيسية ، والاضواء والاصوات ، وهو مبنى عظيم ذو طبقات ولا تجده خاليا من الزائرين في اى ساعة من ساعات النهار .

في المتحف العلمي اقسام عملية مختلفة تقوم باصلاح الخلل الذى يصيب الاجهزة العلمية المستعملة في المدارس ، كما يوجد قسم للتحنيط يقوم بتحنيط الحيوانات المحلية وغيرها ، ويزود بها المدارس والمتحف .. ونرى هنا مجموعة من موظفي المتحف على وشك الانتهاء من تحنيط سلحفاة بحرية ضخمة .



متحف لكل ٤٣ الف نسمة

واحصوا المال المستثمر في متاحف الولايات المتحدة العلمية ، فوجدوه سبعة بلايين دولار .. فقد اصبح فيها ٤٩٥٠ متحفا علميا (احصاء ١٩٦٦) اى بواقع متحف لكل ٤٣ الف نسمة تقريبا .. وهذه النسب نجد مثلها في الاتحاد السوفيتي ، ومعظم بلاد أوربا ..

تنافس على اجتذاب الجمهور

وتنوعت اغراض المتاحف وتعددت : متاحف صحية .. وزراعية .. وصناعية .. وذرية وجيولوجية .. ومتاحف تبين مشاكل التربة والافات الزراعية .. واصبحت التسهيلات مع وسائل الترغيب المختلفة تقدم للجماهير لترغيبهم في زيارة المتاحف ، وتقديم كل شيء يثير الاهتمام من اجل عرضه ، واتخذت الاحتياطات المختلفة لحماية محتويات هذه المتاحف العلمية الثمينة الدقيقة ، التي تخلق جو البحث العلمي في البلاد ..

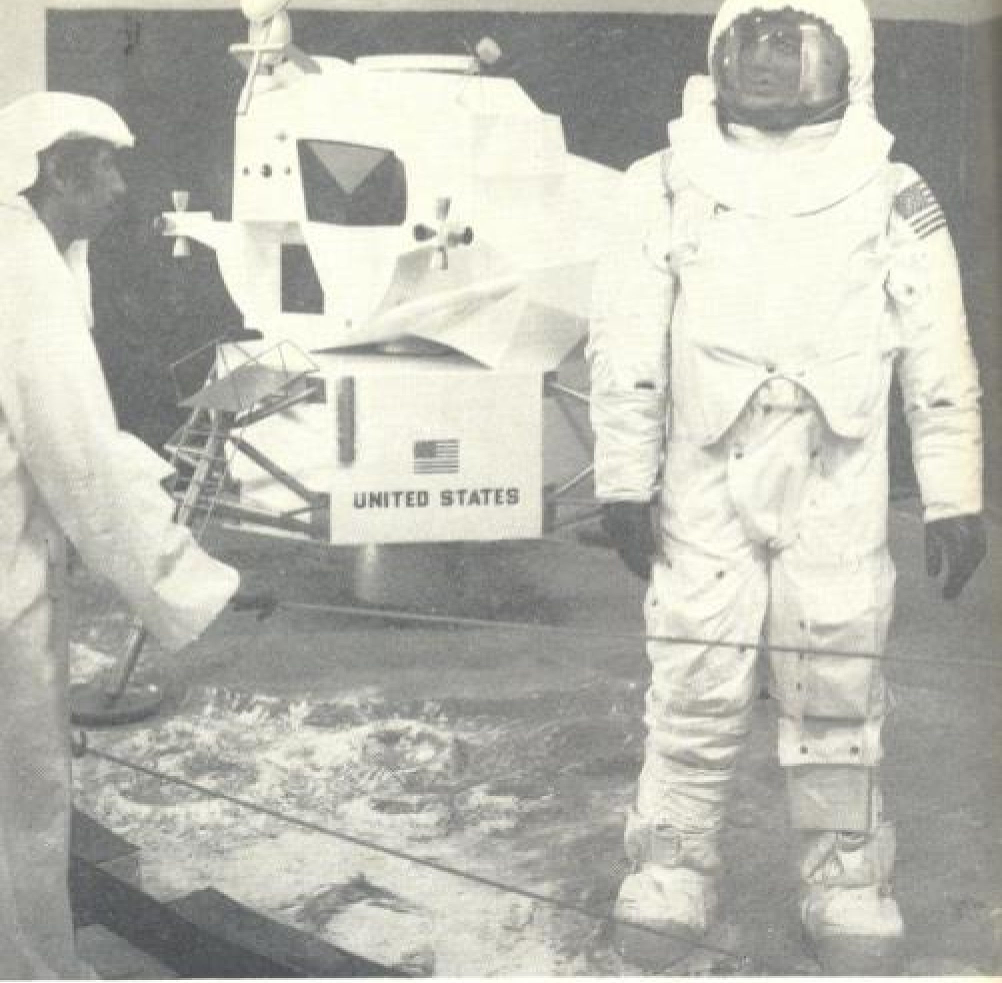
السبيل الوحيد

هذا في اوربا والعالم ، فاين نحن العرب من هذا ؟! واين نحن من العمل العلمي الجاد ! اذا استثنينا متاحفنا العلمية القليلة ، مثل المتحف الزراعي ، ومتحف الاحياء المائية ، والمتحف الطبى ومتحف السكة الحديد ، وكلها في مصر .. لوجدنا ان النتيجة الباقية في بلادنا العربية تكاد تقارب الصفر ..

نتفق الملايين من اجل زرع شجرة ستموت في صحراء ، ونبخل بالدريهمات والملاليم من اجل خلق الجو العلمي الذى هو السبيل الوحيد لانتشالنا من غفوتنا ..

من فائض الميزانيات

واذا عدنا الى الكويت نجد ان قسم تفتيش العلوم بوزارة التربية أحس بهذه المأساة ، فشرع منذ عام ١٩٥٢ في محاولة لخلق المناخ العلمي المناسب في البلاد .. وبداوا في تجميع اصناف من الحيوانات المختلفة يحنطونها ويملاون جوفها بالقش ، لاستعمالها وسيلة ايضاح للتلاميذ ، تظهر لهم المعايير والقياسات على حقيقتها عندما يحدثهم الاستاذ عن أى حيوان ..



يتمشى المتحف مع آخر الاحداث العلمية ويهتم بها ، ويحاول ان يقربها الى اذهان التلاميذ والجمهور عامة .. ونرى في الصـــورة احد ابناء الكويت يتأمل نموذجا لمركبة الفضاء التي هبطت على القمر ، وبجانبها رجل الفضاء بملابســه الخاصـة ..

وكان لا بد من هذه الخطوة لان مناخ الكويت الحار لا يسمح باقامة حديقة حيوانات حية ناجحة .. لهذا كـان لا بد من تجميع مختلـف اصـناف الحيوانات وتحنيطها لوضعها في متحف ..

ومن فائض ميزانيات وزارة التربية كان تفتيش العلوم يشترى بعض الحيوانات المحنطة من الشركات الاجنبية المتخصصة ويضمها الى مجموعته ..

حوت في راس عشيرج !

وساعد الحظ رجال العلوم عام ١٩٦٣ عندما اندفع حوت ازرق كبير صوب منطقة راس عشيرج الضحلة، فانتحر على الشاطىء الكويتي .. وتوجه رجال العلوم ومنهم حمد العتيقي مدير المتحف العلمي الحالي ، مع خمسة قصابين وقضـوا خمسة ايام في تقطيع لحم ذلك الحوت الضخم الذى بلغ طوله ٢٤ مترا ، واخذوا هيكله العظمي الى احدى قاعات ثانوية الشويخ .

نصر كبير

وفي عام ١٩٧١ تكاثرت المعروضات العلمية ،

ولم تعد قاعة في ثانوية الشويخ تكفيها ، فتقرر تخصيص مبنى ملحق دار المعلمين ليكون مقرا للمتحف المزمع انشاؤه ..

رجال الفضاء في المتحف

وكان هذا القرار في حد ذاته نصرا هائلا لرجال التفتيش العلمي في وزارة التربية ، وبدأت الاستعدادات ليل نهار .. الاساتذة يعملون بايديهم في رسم اللوحات وخلق جو طبيعي مقارب للمناطق التي يعيش فيها كل حيوان .. هنا الاسد وهنا النمر ، وهناك الفيل والزرافة والخنزير ، والنعامة ..

وفي قسم الجيولوجيا وله حجرة خاصة به ، كان يجرى اعداد بعض الصخور والمعادن المختلفة .. وفي قسم الفضاء ، كانوا ينتظرون نماذج الصواريخ ، وملابس رواد الفضاء وغذائهم ، ونماذج لمركباتهم الفضائية .. انها القاعة التي تكلفت ٣٠ الف دولار ، ساهم اليونسكو فيها بمبلغ ٥ الاف دولار .. ولم تصل محتوياتها الا قبل ايام قليلة من افتتاح المعرض ..



الباب الرئيسي للمتحف العلمي .. كان سابقا مدرسة ابتدائية للبنين ، ثم ملحقا لمعهد المعلمين ، والآن اصبح مقرا مؤقتا للمتحف العلمي .

وزير التربية والحبارى

وفي قاعة الطيور البرية والصحراوية ، انهمك الاساتذة في ترتيب انواعها ، ومنها نوع طير الحبارى ، اشهر الطيور التي كان يصطادها اهل الكويت ، لقد اصطاد الاستاذ جاسم المرزوق وزير التربية الكويتي واحدة منها وقدمها هدية للمتحف حتى يتعرف عليها ابناء هذا الجيل بعد ان انقرضت من البلاد ..

من كل متحف فكرة

ان المسئولين عن المتحف العلمي في الكويت ، لم يجعلوه متحفا علميا متخصصا ، وانما اخذوا من كل متحف فكرة ، فجاء مزيجا من مختلف المتاحف ، موزعا على ١٠ اقسام مختلفة هي : قسم التاريخ الطبيعي ويضم بعض اجناس المملكة الحيوانية ، وقسم الجيولوجيا ، وقسم الآلات ، وفيه نماذج لعملية تقطير مياه البحر ، ونماذج لسيارة وطيارة نفاثة تظهر طريقة عملها .. وقسم الأجهزة العلمية وفيه الجديد من الأجهزة ، مثل الليزر والحركة غير الاحتكاكية والاشعة السينية .. وقسم الفضاء .. وقسم الصحة وفيه نماذج من الامراض الشائعة ، ونماذج لتطور الجنين في رحم الأم .. وقسم لالعاب الاطفال العلمية التي تفتح ابواب المعرفة امام الناشئة باسلوب بسيط .. وقسم قبة النجوم وفيه الات عرض تبين حركة الكواكب .. واخيرا قسم البحث العلمي ، الذى يجرى العمل لتهيئة الجو المناسب له ..

بداية طيبة

ويضم متحف الكويت العلمي حوالي سبعة آلاف نموذج مختلف جمعوها من كل مكان ، واشتروا قسما كبيرا من مصادر اجنبية موثوق بها .. ولكن الطريق طويل .. وهي على كل حال بداية طيبة ، ولو اننا لا نستطيع ان نقرنها باى شيء يمكن ان يطلق عليه في الخارج متحف علمي ، فكلفة المتاحف العلمية كبيرة، وهي ليست كلفة ادوات فقط، وانما هي كلفة رجال .

سليم زبال

صلح الحديبية

وما كان فيه للنبي (ص) من مفاوضات بارعة

بقلم : حسن فتح الباب

المفاوضة في الجاهلية :

■ عرف العرب في الجاهلية - شأنهم في ذلك سائر الاقوام والجماعات البشرية - التفاوض بقصد تحقيق الاهداف السياسية والاقتصادية ، فاستخدموا هذه الوسيلة في تنظيم العلاقات فيما بينهم وبين غيرهم ، وكانت اداتهم في الخروج من عزلتهم في شبه الجزيرة ، وتبادل المنافع مع جيرانهم وخاصة في الشرق والشمال ، فضلا عن حاجتهم الى كسب الانصار في المعارك الضارية التي كانت تنشب بين القبائل أو الى وقف هذه المعارك . وهكذا شاعت المفاوضات في اوقات السلم والحرب معا . وساعد على ذلك وحدة اللغة وشرايين الطرق التي كانت ترتادها القوافل في طول الجزيرة وعرضها والطرق الموصلة الى الممالك والبلاد الاخرى في الشرق والغرب والشمال وكان ابرزها الطريق الشرقي المتاخم للخليج العربي ودجلة والمقتحم بادية الشام الى فلسطين ، والطريق الغربي المتاخم للبحر الاحمر .

المفاوضات بعد ظهور الاسلام

وكان من الطبيعي بعد ظهور الاسلام ان تستمر المفاوضات بل تتدعم كوسيلة لتحقيق اهدافه الروحية ومبادئه الانسانية ، واداة لدعم الوحدة السياسية العربية وتاسيس الدولة الاسلامية وتثبيتها والخروج بها الى آفاق ارحب في العلاقات الدولية . فاتخذها النبي اسلوبا لنشر دعوة الحق وسبيلا الى تاليف القلوب ، ودستورا في معاملاته وعلاقاته العامة في الجزيرة العربية ومع الامم والشعوب المجاورة ، ايمانا منه بأن المفاوضات القائمة على المساواة هي البديل للحرب . والاسلام دين سلام .

محمد مفاوض ، بحكم نشأته

وكان محمد مفاوضا عبقريا بحكم نشأته وخبراته الاجتماعية ، فهو من صميم قبيلة قريش، افصح قبائل العرب واكثرها احتكاكا بغيرها . وكانت لها الصدارة بحكم العراقة والمال بين القبائل جميعا . فلا غرو ان يتولى صفوة رجالها ما تتطلبه علاقاتها العامة من وسائل الاتصال والتفاوض في اوقات السلم والحرب معا . ومن هنا اتيح للرسول بمقتضى نشأته في تلك البيئة ان يشارك بنصيب في بعض هذه الاعمال . من ذلك ما روى عنه انه شهد في شبابه حلف الفضول الذى يدعو

الى التناصر والاخذ للمظلوم من الظالم . وقد قال النبي في الحلف المشار اليه : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جُدْعان حِلفا لو دُعيت الى مثله لأجبت » .

محمد مفاوض ، بحكم تجارته

وقد تدعمت هذه النشأة بالتجربة ، فقد مارس محمد التجارة ـ وهي المناخ الصالح لتنمية موهبة المفاوضة لما تقتضيه من اخذ ورد بين الناس بالحسنى ـ وقد اشتغل بها مذ كان في الخامسة والعشرين من عمره . وخرج غير مرة للاسفار ، فقام برحلتين الى بلاد الشام متجرا في اموال خديجة بنت خويلد ، وكانت حصيلة تلك الاسفار تجارب كثيرة في فهم الناس والحياة مما لا غنى عنه لرجل اعدته السماء لاشرف رسالة وجعلت طريقه الاقناع في مباحثاته ومفاوضاته .

موقف محمد في نزاع قريش على وضع الحجر الاسود

وكان محمد مفاوضا ناجحا بفضل ما اودعه الله من مناقب تتجلى في الفطنة وحدة الذكاء وحسن التصرف في مواجهة المشكلات وقدرة على الوصول الى الحلول الناجعة في الخلافات المحتدمة . وآية ذلك موقفه ـ قبل البعثة ـ حين احتكم اليه لفض ما نشب من نزاع بين عشائر قريش على وضع الحجر الاسود المقدس في مكانه من الكعبة . وحدث ذلك أن أهل مكة قد اجمعوا سنة ٦٠٥ ميلادية على هدم الكعبة واقامتها على اساسها القديم بعد ان تصدع بنيانها ولم يُجْدِ فيها اصلاح . فاقتسمت قريش جوانب البيت الاربعة وخصص لكل عشيرة قسم تبنيه . وبدأ القرشيون البناء في حماسة دافقة تضرمها حمى المنافسة حتى بلغ البنيان موضع الركن حيث يوضع الحجر الاسود في الجانب الشرقي من الكعبة . وهنا ثار الجدل واحتدم الخلاف : من يضع الحجر الاسود ؟ من الاجدر بنيل هذا الشرف الجليل ؟ . وكاد النزاع يتحول الى حرب اهلية ، واعد القوم للقتال وقربت بنو عبد مناف جفنة مملوءة دما ، ثم تحالفوا هم وبنو عدي بن كعب على الموت وادخلوا ايديهم في ذلك الدم عازمين على وضع الحجر دون غيرهم من العشائر او الموت .

ومضت على ذلك اربعة ايام ، وقريش يتهدد بعضها البعض ، وقد ادلهمت نذر الشر وامارات الوعيد ، وكادت الفتنة تشتعل فتسفك الدماء ، لولا ان قال لهم ابو امية بن المغيرة المخزومي وكان اسنهم : « يا معشر قريش اجعلوا الحكم بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل باب هذا المسجد » .

وما لبث المتخاصمون ـ وقد اخذوا في النهاية بهذا الرأى ـ أن رأوا شابا في نحو الثلاثين مقبلا ، فلما عرفوه قالوا : هذا الامين ، رضينا بحكمه ، هذا محمد ، فلما انتهى اليهم ، وقصوا عليه الخبر لم ياخذ في الاصغاء الى لجاجهم ومهاتراتهم فيما بينهم ، وانما فكر قليلا ثم قال : « هلم اليَّ ثوبا » . فاتى به فنشره على الارض واخذ الحجر الاسود بين يديه ووضعه على الثوب ثم قال : « لياخذ كبير كل قبيلة بطرف منه ، طرف هذا الثوب » . فلما اجابوه الى ما طلب قال لهم : « ارفعوا جميعا » ففعلوا حتى اذا بلغوا بالحجر موضعه من بناء الكعبة تناوله محمد من الثوب ووضعه في موضعه .

وهكذا حسم الأمر ، وحقنت الدماء .

وصفات اخرى جعلت محمدا مفاوضا بارعا

واكتملت هذه الصفات بفصاحة اللسان وبلاغة اللغة وحسن النطق والصوت وسلامة المنطق ، والوسامة والقسامة ، والقدرة على كسب الثقة ويشهد له بذلك الانصار والمعارضون على السواء، والتذرع بالصبر الجميل ، والتزام الحكمة والموعظة الحسنة واطراح اساليب العنف وكلها من الطباع والخصائص التي لا ينجح بدونها مفاوض .

ولا شك أن من أهم هذه الصفات القدرة على فهم ظروف المجتمع ، والالمام بمعتقداته وتقاليده ، والخبرة بوسائل عمله ، والوعي باسرار تصرفاته . وقد توافرت جميعا في شخصية النبي اذ اتيح له بفضل تجربته الاجتماعية في غمار المجتمع القبلي وخبرته بضروب العيش واحوال الناس في البادية والحاضرة ، ومعاشرته السراة والفقراء ، وحياة التفكير والتأمل التي عاشها في غار حراء قبل نزول الوحى ، ناظرا الكون مجتليا الحقيقة من خلال هذا النظر .

لقد قلم أظفار البغي بمحادثاته ومفاوضاته الدءوب ، وراض القلوب العصية بمنهجه القويم. فلم يضع السيف في موضع الندى ، ولم يضع الندى في موضع السيف ، وانما اتخذ الموقف المناسب في اللحظة المناسبة مما اصطلح على تسميته بدقة التوقيت ، وخاطب كلا على قدر فهمه واحساسه وتلك عليا مراتب من تقتضيه مهمته أن يفاوض آخرين لا يتفقون معه في الرأى .

بينه وبين الاوس والخزرج

ويبدو مصداق ذلك فيما اجراه من مفاوضات لعقد محالفة بينه وبين الاوس والخزرج قبل هجرته الى المدينة مما كان له أكبر الأثر في نجاح خطة الهجرة ، وقد عقدت معاهدة الصداقة والدفاع تلك في بيعة العقبة الأولى ، وبيعتها الثانية ، ثم بيعتها الثالثة فكان التدرج آية على اقتداره وحسن تدبيره وفهمه لفن المفاوضة واتقانه لـه .

صلح الحديبية

على أن صلح الحديبية الذى عقد بين الرسول والمشركين من أهل مكة واتباعهم في السنة السادسة من الهجرة ينهضنموذجا رائعا لتلك القدرة بوصفه من اهم المواثيق التى عقدها الرسول . وهو شاهد صدق ودليل لا يرجحه دليل على ما تفرد به من مواهب وخبرات المفاوض المثالي ، لما حفلت به تلك المفاوضة من مناقب الكياسة واللباقة والدقة في معالجة الامور والفهم النافذ لعقلية الخصم ونفسيته والنظر الثاقب لما وراء اللحظة الراهنة في تصريف السياسة عن طريق المفاوضات وابرام المعاهدات مع الخصوم .

فقد حرمت قريش على المسلمين الحج بالحرم المقدس منذ هجرتهم الى المدينة ، فباتوا يكابدون الوجد شوقا الى اداء هذه الشعائر المقدسة التي فرضت عليهم كما فرضت على آبائهم من قبل . وما كان للمشركين في مكة ان يصدوا المسلمين – دون سائر العرب – عن المسجد الحرام الذى بارك الله حوله وهو وجهة العرب اجمعين في عبادتهم منذ مئات السنين ، يحجون اليه كل عام في الاشهر التي حرم فيها القتال ، فمن دخله كان آمنا . وقد زاد المسلمين ولها بالطواف بالحرم وتقديسا لبيت الله انه منذ السنة الاولى من الهجرة عدل محمد بقبلته من المسجد الاقصى الى المسجد الحرام الذى بناه ابراهيم بمكة ، ونزلت آيات الله متتابعات في بيته المكرم طيلة تلك السنوات .

واعتزم رسول الله ان يزور وصحبه البيت الحرام ، فلما كان شهر ذى القعدة رحل في الف واربعمائة حاج ، يسوقون امام الهدى (الابل) سبعين بدنة ، وسيوفهم في اغمادها ، دلالة على ابتغاء السلام . فالهدى من عتاد المسافر لا المحارب . وخرج المدينة قاصدا مكة . واراد ان يبين للناس كافة انه لم يخرج غازيا ولا مقاتلا ، فامر باشعار الهدى وتقليده ، ثم احرم بالعمرة ، وتبعه اصحابه ، وجهر بالتلبية « لبيك اللهم لبيك » فرددوها جميعا من بعده في صوت جهير يملأ اجواز الفضاء ويغمر النفوس خشوعا لذكر الله .

واشارته عليه السلام بوضع السيوف في اغمادها ، وتقليد الهدى واشعاره ، وجهره بالتلبية ، غاية في فن الدبلوماسية الرشيدة . انه يقصد أن يعلن على الملأ انه يسعى لممارسة حق من حقوق المسلمين بمقتضى شريعة الله التي لا تنكرها تقاليد العرب في الجاهلية ، وليس للمشركين ان يحرموا ما احله الله . ولكنه عليه السلام يرغب في التمتع بمباشرة هذا الحق بالطريق السلمي لا بالحرب . ولكى يؤكد هذه

الارادة اوفد رسله الى القبائل من غير المسلمين يدعوهم الى مشاركته الخروج الى بيت الله آمنين غير مقاتلين . وليس ثمة ابلغ من هذا الاسلوب الذى اتبعه النبي لكسب الانصار الى صفه وافحام الاعداء ورد كيدهم في نحورهم . فهو يلزم قريشا ، الحجة امام القبائل جميعا اذا سولت لها نفسها ان تصد المسلمين عن مسعاهم المشروع . فان هي امعنت في ضلالها فقد استحقت بعدوانها غضبة العرب على اختلاف عشائرهم . وكان المسلمون في موقف الدفاع عن النفس والعقيدة المتمثلة في اداء الشعائر التي يشترك فيها العرب اجمعون . فهم في حل من استخدام كافة الوسائل في صد المعتدين الذين يصدون الناس عن بيت الله ، وقد ظفروا بقوة الرأى العام تساندهم في موقفهم وما صاحبها من قوة معنوية كبيرة تكسب لهم الاعوان فيزدادون منعة ويعز دينهم في اعين من يؤمنون به فيدخلون في دين الله افواجا وقد وضح الحق وزهق الباطل.

وتابع الرسول مسيرته ، حتى اذا كان بعسفان ـ قرية بين مكة والمدينة ـ جاء اليه من صحابته بشر بن سفيان الكعبى ، وكان قد ارسل الى مكة عينا يستطلع اخبار المشركين ، فقال : « يا رسول الله ، هذه قريش قد سمعت بخروجك ، واستنفروا من اطاعهم من الاحابيش ، واجلبت ثقيفا معهم ، ومعهم النساء والصبيان ليكون ادعى لعدم الفرار ، واخذوا العوذ المطافيل (النياق) ليشربوا وياكلوا ، وقد لبسوا جلود النمور ، عازمين على القتال حتى الموت ، وهم الآن بذى طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم ابدا . وهذا خالد بن الوليد في خيلهم ، قد قدموها الى كراع الغميم » .

لقد عقد المشركون امرهم ـ اذن ـ على الحرب، وكشفوا عما اضمروا من غل وضغينة ، لم يثنهم عن عزمهم هذا ما علموا من احرام المسلمين بالعمرة واعلانهم انهم لن يقصدوا مكة مقاتلين . وقد استعزت قريش بغير الله ولجات الى القوة الغاشمة، فعقدت لخالد بن الوليد وعكرمة بن ابى جهل على جيش يبلغ عدد فرسانه وحدهم مائتين . وتقدم هذا الجيش حتى يحول بين محمد وام القرى « مكة » وبلغ من تقدمه ان عسكر بذى طوى .

انه لموقف بالغ الدقة محفوف بالتوتر والخطر تخيم فيه سحب الشر المستطير وتنذر الحرب بويلاتها . فما السبيل للخروج منه ؟ هنا تتجلى حكمة الدبلوماسي العظيم في مواجهة هذا الموقف الجلل .

ان قريشا تريد بما اعدته من ادوات الحرب ان تفرض القتال على النبي وقد اوصدت كل الابواب في وجه السلم ، ولا سبيل الى تراجع المسلمين عن بغيتهم وهم اصحاب حق وجنود رسالة ، فهل الحرب ، ازاء هذا التناقض ، امر لا مفر منه ؟ .

مرونة الرسول

لقد اهتدى النبي الكريم بعد تفكير الى مخرج من هذه الغمة ، وسرعان ما عدل خطته وفق ما يتطلبه الموقف الجديد ، ويبدو في هذا العدول ما فطر عليه الرسول من بعد النظر والمرونة وتقدير العواقب وايثار السلم وغير ذلك من خصائص الدبلوماسية القديرة .

وهكذا نادى عليه السلام في رجاله قائلا : « هل من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟ » .

وواصل النبيسيره ـ فذلك أمر لا رجوع فيه ـ متفاديا الصدام بقريش بسلوك طريق آخر لا يفضي اليهم حتى يصل الى غايته . وكان طريقا وعرا مجهولا ـ ارشد المؤمنين عنه رجل من بنى اسلم ـ فدميت اقدامهم بين الشعاب الضيقة والسفوح الصخرية الحادة ، حتى اذا افضوا الى سهل من الارض حمدوا الرحمن وصاحوا مع رائدهم الملهم : « نستغفرك اللهم ونتوب اليك » . واغذوا السير حتى وصلوا اسفل جبل الحديبية الذى يقع جزء منه في الارض المحرمة . والجزء الآخر في الارض الحل ، وبينه وبين مكة مسيرة يوم . فامر الرسول المؤمنين بالنزول وضرب الخيام .

وتولت الاعداء دهشة بالغة اذ لم يلقوا محمدا

على غير ما توقعوا . ولكنهم ما لبثوا ان علموا باتجاهه الجديد ، فقفلوا راجعين يتقدمهم فرسانهم لحماية طريق مكة ، ثم بعثوا برسول بعد آخر منهم الى النبي يستطلعون قصده ويتعرفون قوته ويقنعونه بالعدول عن دخول مكة . فتأكد رسل قريش ان نية محمد منصرفة الى البيت الحرام ، وانه لا يريد حربا مع قومه ، وعادوا بهذا الخبر الى قريش . غير ان هذه المحادثات لم تسفر عن نتيجة ايجابية ، وظلت قريش سادرة في غيها ، فاراد الرسول ان يبعث من لدنه رسولا الى أشراف مكة ، يبلغهم رأيه لعلهم يجنحون الى السلم ويفيئون الى جادة الصواب ، فما كان منهم الا ان عقروا جمل هذا السفير وهموا بقتله ، لولا ان منعته حلفاؤهم من الاحابيش فخلوا سبيله .

استقبال الرسول مبعوثي خصومه

وهنا يحسن ان نعقد مقارنة عاجلة بين دبلوماسية الرسول في استقبال مبعوثي خصومه وتصرف قريش في مثل هذا المقام . لقد اكرم الرسول وفادة مندوبي قريش واحسن لقاءهم شان الدبلوماسي المقدر لرسالة الدبلوماسية العارف باقدار الدبلوماسيين وفضلهم في التمهيد بالوسائل الودية للقاء المتنازعين والتوفيق بينهم ، وما يتجشمون من مشقة في هذا السبيل ، تلك المشقة التي استحقوا من اجلها امتيازات خاصة وخلعت عليهم حصانات استقرت التقاليد المرعية منذ اقدم العصور على احترامها تقديرا لشرف الرسالة التي يحملونها ومعاونة لهم على احسان ادائها لخير الناس جميعا .

لقد اوفدت قريش الى محمد عروة بن مسعود الثقفي فاعتذر لهم بما راى من تسفيههم من سبقه من رسلهم وتعنيفهم ، وكانت قريش قد اوفدت من قبله بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة يسألون محمدا ما الذى جاء به . فلما اقتنعوا من حديثه بانه لم يات يريد حربا وانما جاء زائرا للبيت معظما لحرمته ، رجعوا الى قريش يريدون اقناعهم ليخلوا بين الرجل واصحابه وبين البيت العتيق . ولكن قريشا اتهموهم وجبهوهم وصاحوا بهم : وان كان جاء لا يريد قتالا فوالله لا يدخل علينا عنوة ابدا ولا تتحدث عنا العرب . ثم بعثت قريش رسولا آخر فلم يسمع الا ما سمع صاحبه .

ثم اوفدت الحليس سيد حلفائهم من الاحابيش، فلما رآه النبي مقبلا امر بالهدى أن تطلق امامه ، لتكون تحت نظره دليلا ماديا على ان هؤلاء الذين تريد قريش حربهم انما جاءوا معظمين للبيت ، فايقن الحليس بذلك . وعاد الى قريش دون ان يلقى محمدا ذاكرا لهم ما راى . فاغلظوا له في القول فاستشاط غضبا وانذر بالرجوع عن محالفتهم .

واكدت قريش لعروة بن مسعود انه عندهم غير متهم وانهم يطمئنون الى حكمته وحسن رأيه . فخرج الى محمد وذكر له ان مكة بيضته ، وانه ان يفضضها على اهله المقيمين بها بمن جمع من اوشاب الناس ثم انصرف هؤلاء الاوشاب عنه ، كان العار الخالد لقريش ما اتصلت . فصاح ابو بكر بعروة منكرا ان ينصرف الناس عن رسول الله . وكان عروة يتناول لحية النبي وهو يكلمه — كما جرت العادة في هذا العصر بين من يتسامرون — فبان الغضب في عيون الصحابة وصاح فيه واحد منهم : « اكفف يدك عن وجه رسول الله قبل ان تقطع دونه . » ولكن الرسول منع اصحابه ان يمسوا سفير قريش .

وتلك هي الدبلوماسية في اسمى اساليبها ومقاصدها .

لقد ساور المسلمين القلق حتى فكر بعضهم في القتال بعدما عانوه من استفزاز قريش وما ساد تصرفاتها من روح الخصومة والبغضاء . ولكن محمدا الدبلوماسي الاعظم ظل رابط الجاش تشبثا منه بخطة السلم واحتراما للشهر الحرام ان يسفك فيه دم في الحديبية وهي من حرم مكة . وخرق اهل مكة كل عرف دبلوماسي ، وهتكوا القوانين المرعية ، فبعثوا باربعين أو خمسين رجلا منهم ليطوفوا بعسكر رسول الله ويصيبوا لقريش من اصحابه . وكان المؤمنون على حذر ، فلم يؤخذوا بهذا العدوان ، بل كانوا هم الذين اصابوا من المشركين وأتوا بهم رسول الله ، ولكنه لم ير الخروج عن موقفه السلمي فعفا عنهم وخلى

سبيلهم ، رغم انهم استحقوا القتل وفاقَ هجومهم الغادر .

الرسول يختبر صبر قريش مرة اخرى

واراد النبي ان يختبر صبر قريش مرة اخرى ، وان يتيح مجالا آخر لمد حبل المفاوضات وتبادل الرسل في سبيل الوصول الى حل سلمي يرتضيه الطرفان ، ولتسقط حجة قريش اذ كانوا يزعمون ان محمدا قد خرج محاربا وليعلم العرب الموالون لقريش او المترددون مَن الذى يريد الحرب ، حتى اذا بدات قريش بالعدوان وصموها بالغدر الدنيء، وكان لمحمد الحق في ان يدفعه بكل ما اوتي من قوة. فدعا النبي عمر بن الخطاب كي يبلغ عنه اشراف قريش ما جاء له .

فقال عمر : « يا رسول الله اني اخاف قريشا على نفسي ، وليس بمكة من بنى عدى بن كعب احد يمنعنى ، وقد عرفت قريش عداوتي اياها وغلظتي عليها . ولكنى ادلك على رجل أعز بها مني : عثمان بن عفان » .

فدعا النبي عثمان وبعثه الى ابى سفيان واشراف مكة . فخرج عثمان في سفارته ، فابلغ سادة قريش رسالته . قالوا : « يا عثمان ان شئت ان تطوف بالبيت فطف » . قال : « ما كنت لافعل حتى يطوف رسول الله ، انما جئنا لنزور البيت العتيق ولنعظم حرمته ولنؤدى فرض العبادة عنده .

وقد جئنا بالهدى معنا ، فاذا نحرناها رجعنا بسلام » .

واجابت قريش بانها اقسمت لن يدخل محمد مكة هذا العام عنوة . وطالت المجادلة وطال احتباس قريش لعثمان رغم كونه سفيرا ، وترامى الى المسلمين انه قد قتل غيلة وغدرا في الشهر الحرام وهو ذاهب يحمل غصن السلام والموادعة بين يديه. ودخل في روع النبي عليه السلام ان قريشا قتلت عثمان فقال : « لا نبرح حتى نناجز القوم » . وامر عمر ان يصيح بأعلى صوته في المؤمنين : « ايها الناس ، البيعة ! البيعة ! نزل روح القدس فاخرجوا على اسم الله » .

واذ كان الرسول يتلقى المبايعة ، وقد عقد المؤمنون العزم على طاعته ، وهم يشدون بايديهم على يده واحدا بعد آخر ليبايعوا على الموت ، بلغ الرسول أن ما ذكر له عن عثمان باطل ، فعدل عن خطة القائد المحارب دفاعا عن النفس ، وعاد الى نهج المفاوضات الودية . ولكن خبر تجمع المسلمين وتاهبهم للحرب قد بلغ اسماع اهل قريش فساورهم القلق وبعثوا بسهيل بن عمرو ليفاوضهم وقالوا له : « ائت محمدا فصالحه ، ولا يكن في صلحه الا ان يرجع عنا عامه هذا، فوالله لا يتحدث العرب عنا انه دخل علينا عنوة ابدا » .

فاتى سهيل بن عمرو الرسول وابلغه شروط الصلح فقبلها .

ودعا الرسول على بن ابى طالب ليكتب وثيقة الصلح فقال له : « اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم » . فقال سهيل مندوب قريش : « امسك لا اعرف الرحمن الرحيم ، بل اكتب باسمك اللهم » . فقال النبي : « اكتب باسمك اللهم » . ثم قال : « اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو » . فقال سهيل : « امسك ! لو شهدت انك رسول الله لم اقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم ابيك » .

وروى ان عليا تردد فمسح النبي ما كتب بيده وامره ان يكتب « محمد بن عبد الله » في موضع « محمد رسول الله » . وهو تصرف يدل على المرونة والحنكة وسعة الافق والقدرة على الوصول بالمفاوضة الى بر السلام كما يدل على الوعى الكامل بمضمون المفاوضة وجوهرها الصحيح . فهي سبيل ودى يقوم بين خصمين او طرفين ورد بالحسنى ، ومحاورة لا ارغام فيها ولا تسلط . والمفاوض الناجح ـ كما يقول كوزينتسوف السياسي الدبلوماسي السوفيتي ـ هو الذى يستطيع بالمفاوضة ان يكسب كل المعركة ، ويقنع في نفس الوقت خصمه انه لم يخسر شيئا .

وقد نصت شروط صلح الحديبية على أن من اتى محمدا من قريش بغير اذن وليه ، رده عليهم،

ومن جاء قريشا من رجال محمد لم يردوه عليه ، ومن احب محالفة قريش فلا جناح عليه ، وان يرجع محمد واصحابه عن مكة عامهم هذا فلا يدخلوها ، على ان يدخلوا في العام التالي ، فيقيموا بها ثلاثة ايام ، ومعهم السيوف في القرب . فلما سمع المؤمنون تلك الالتزامات ، بدا لهم انها ليست في صالحهم ، فقالوا في قلق بالغ : « يا رسول الله ، اتكتب هذا ؟ » فاجاب الرسول باسما : « نعم ، انه من ذهب منا اليهم فابعده الله ، ومن جاءنا منهم فرددناه اليهم ، سيجعل الله له فرجا ومخرجا » .

ويدل عهد الحديبية الذى عقده الرسول مع اشراف مكة وما افضى اليه من نتائج بالغة الاثر في رفع لواء الاسلام على مبلغ ما اوتيه عليه السلام من عبقرية سياسية تمثلت في كمال الفهم لابعاد الموقف المختلفة وبعد النظر والرجاحة ، لقد كان العهد اتفاقا ظاهره التسليم لقريش وباطنه الفتح المبين . وقد خفى هذا المرمى — حينئذ — على اصحاب النبى ، بل لقد ثار عمر بن الخطاب — بما عهد عنه من غيرة وحمية في الحق — وتساءل عن علة التسليم برغم انهم المسلمون المؤمنون ، وانهم على الحق ، وفيهم رسول الله ومصطفاه ، ولم يغير التساؤل والثورة من عزم محمد عليه السلام وقراره الحاسم . وقال لعمر :

« انا عبد الله ورسوله ، لن اخالف امره ، ولن يضيعنى » .

ولقد تضمن هذا الميثاق الذى ابرم في القرن السابع الميلادى ، امهات القواعد والاصول التي وصل اليها فن المفاوضات وعلم الدبلوماسية في عصرنا الحديث .

ولم يلبث المسلمون ان ادركوا حكمة الرسول في ارتضائه بهذا النص من نصوص المعاهدة ، كما ادرك المشركون ان هذا الشرط الذى حسبوه مغنما لهم قد تكشف لهم عن مغرم اى مغرم . فقد اجتمع من اسلم من أهل مكة وقصدوا محمدا في المدينة فلم يقبلهم وفاء بعهده ، فالفوا فيما بينهم جماعة محاربة قوامها نحو سبعين رجلا خرجوا في طريق قوافل القرشيين السائرة الى الشام عبر المدينة يغنمون منها بالحرب ما يقدرون عليه . وانضم اليهم رجال بعض القبائل ، فبلغ عددهم للاثمائة مغير ، قطعوا على اهل مكة كل موارد المؤونة التى كانت في طريقها اليهم . فهددتهم المجاعة ، واعيتهم الحيلة ، فكتبوا الى الرسول يرجونه في الغاء الشرط الذى اعجبهم أول الأمر وكان موضع استحسانهم ، ويطلبون منه ان يحفظ عنهم في المدينة كل من يهرب اليه من مسلمي مكة ، وان يبعث الى تلك الجماعة المحاربة ليقيموا حيث يقيم الرسول .

وقبل الرسول رجاءهم ، فكان كسبا له ان افصح لقريش عن حسن نيته ومرءوته وانه قوى جيشه برجال اشداء كثيرين .

وبفضل مقدرة الرسول على المفاوضة التي تحقق الهدف ، تحقق للمسلمين بعهد الحديبية انتصار يسجله تاريخ المسلمين في أروع صفحاته حتى لقد خصه القرآن بمقام يكاد يوازى مقام غزوة بدر . فقد كان من نتائجه تثبيت دعائم الدين بما افاءه على المسلمين من قوة ، وما فتح لهم من ابواب يدخل منها من كان مترددا من أهل قريش ، ومن كان هاربا من اضطهادهم . وقد تمت فيه بيعة الرضوان حين تمثل للمسلمين ان قريشا قد غدرت فقتلت عثمان بن عفان ودعا النبي للجهاد فبايعه اصحابه جميعا ، وقد وقف تحت شجرة في هذا الوادى ، على الا يفروا من الموت . وتعد هذه البيعة علما في تاريخ المسلمين لدلالتها القوية على ترابطهم وتضحيتهم في سبيل دينهم . وقد نزل فيها قوله تعالى :

« لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا » .

وهكذا نال الرسول عليه السلام بالمفاوضات السليمة ما لا يظن انه ينال الا بالحرب ، وتلك اعلى مراتب المفاوض العبقرى . فكانت معاهدة الحديبية نصرا مؤزرا ، مهد للفتح الأكبر — فتح مكة — بعد ذلك بعامين . قال تعالى : « انا فتحنا لك فتحا مبينا ۞ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما » . ■■

حسن فتح الباب



الإنسانُ المعاصِر

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

■ مَنْ منّا لا يعرف قيمة «الصحة» ؟ مَنْ منّا لا يتمنّى على الله لو استطاع الطب الحديث أن يقضى نهائيا على كل أسباب « المرض » ؟ ألسنا نجد الانسان ـ فى كل زمان ومكان ـ يدعو للآخرين بالصحة والعافية ، واثقاً من أنه ليس احب الى نفوسهم من مثل هذا الدعاء ؟ بل الا تدلنا التجربة نفسها ـ كما قال شوپنهاور ـ على أن « تسعة أعشار سعادتنا رهن ٌ بما نتمتع به من صحة » ؟ واذن فهل مِنْ عَجَب أن نرى الانسان يقدّم « الصحة » على كل ما عداها من « خيرات » ، بما فى ذلك « الثراء » ، و « الجاه » ، و « المجد » ، و « المركز » ... الخ ؟ أو ً هل من الغرابة فى شيء أن يكون لسان حال الناس هو القول المأثور : « شحّاذ ٌ سليم قوى ُ البِنْية ، أسعدُ ألف مرة من ملك عليل ضعيف الجسم ! » .

ولكنْ ، ما هي « الصحة » ؟

على أننا ما نكاد نتحدث عن « الصحة » ، حتى نجد انفسنا بازاء «مفهوم» عسير لا يقبل التعريف، ان لم نقل بازاء « تصوُّر » غامض لا سبيل الى تفسيره . وآية ذلك اننا لا نعرف ـ على وجه التحديد ـ ما هي المقوّمات الأساسية التي لا بد من توافرها لقيام « الصحة » ، كما أننا لا نعلم ـ على وجه الدقة ـ ما هي السمات الجوهرية التي تحدّد نبيعة « المرض » ! وان الأطباء أنفسهم ليعترفون بصعوبة تعريف « الصحة » ، ولكنهم قد لا يجدون حرجاً في القول بأنها تمثل ضرباً من التوازن المثالى بين الوظائف الجسمية المتنوّعة ، بحيث ينشأ عن هذا التوازن العضوىّ نوعٌ من التكامل الجسمانى القائم على عوامل تشريحية وفسيولوجية . ومع ذلك ، فان الأطباء أنفسهم لا يملكون سوى الاقرار بأن « الصحة » حالة مؤقتة ، مُعرَّضة للاختلال في كل لحظة ، نظراً لأنها مهدَّدة دائماً بمجموعة من الأخطار الداخلية والخارجية على السواء . ولعلّ هذا ما حَدَا بأحد العلماء المعاصرين الى القول بأن « الصحة هي الحياة التي يتوافر فيها صمت الأعضاء ! » .

بيد أن هذا القول قد لقى معارضة شديدة من جانب كثير من العلماء : فقد لاحظ قوم منهم أن الرجل السليم قد يكون أحياناً مجرد مريض يجهل أنه مريض ! والواقع أن أخطر أعداء السلامة الجسمية قد تكون بمثابة عوامل خفية تنمو وتتطور على غير وعى منّا ، وكأنما هي قوى مجهولة تعمل ضدنا في الخفاء ! وقد يحدث أحياناً أن يَلْقَى انسانٌ مَصْرَعَهُ في حادث من حوادث الطرق ، ثم يجيء التشريح فيكتشف أن المصاب كان يعانى سرطاناً حاداً ، دون أن يدرى ـ هو نفسه ـ من أمر هذا المرض شيئاً ! وليس ما يمنع من أن تحدث للانسان ـ في بعض الأحيان ـ اصابات غير

بين "الصحة" و"المرض"

ظاهرية ، تفلت تماماً من طائلة شعوره ، ولكنها تكون مع ذلك ذات أهمية قصوى في صميم بنائه الفسيولوجي الشخصي . ومثل هذه الأمراض الخفية قد تعطى الانسان احياناً ضرباً من « المناعة » ضد بعض الجرائيم الفتاكة ، وكان الاصابة البسيطة التي تمرض لها قد جاءت فعملت على وقايته ضد شرور بعض الأمراض الخطرة (كالسل أو شلل الأطفال) .

هل تكون لكل منا « شخصيته البيولوجية » الخاصة ؟

ان أحداً لا ينكر أن الانسان المعاصر ـ بلا شك ـ قد أصبح اقدر من كل أسلافه على معرفة طرق الوقاية من بعض الأمراض ، والشروط اللازمة لتحقيق التوازن العضوى (أو الصحة الجسمية) ، ولكن من المؤكد ـ مع ذلك ـ أنه لم يعد يرى في « الصحة » سوى نوع من « الحد المثالي » الذى يمثل نموذجاً لما ينبغي أن يكون عليه قيام الأعضاء بوظائفها . ومعنى هذا أن الانسان المعاصر قد أصبح ينظر الى « الصحة العضوية » على أنها حالة مثالية يقترب منها الفرد (أو يتنآى) بدرجات تختلف شدة أو ضعفاً . ومن هنا فقد نشات لدى العلماء المعاصرين فكرة « الشخصية البيولوجية » : بمعنى أن لكل كائن حى خصائصه التشريحية والفسيولوجية التي تميزه ، وسماته التكوينية أو البنائية التي ينفرد بها ، مما يتجلى في أصغر جزء من أجزاء اية خلية من خلاياه ، مُعبرًا بذلك عن أصالته الفردية الخاصة ... فالصحة وثيقة الصلة بالحياة الشخصية لكل فرد منا على حدة ، وهي تتوقف ـ الى حد كبير ـ على مجموعة كبيرة من العوامل البيولوجية المعقدة التي ترتبط بحالات التوازن العضوى (على اختلاف أشكاله) .

ولئن يكن علم وظائف الأعضاء قد نجح أخيراً في الكشف عن الكثير من العوامل المجهولة التي تؤثر على هذا « التوازن العضوى » (مثل افرازات الغدد الصم ، وتأثيرات الأنظمة الغذائية ...الخ) ، الا أن من المؤكد أن لكل جهاز عضوى أساليبه الخاصة في تحقيق هذا « التنظيم الحيوى » الذى لا بد منه لمواجهة شتى المقاومات الخارجية . وعلى ذلك فان السمة الأساسية التي تتميز بها كل حياة فردية ، انما هي قدرتها الخاصة على تحقيق « التكامل العضوى » . وحينما قال أحد العلماء الفرنسيين (ألا وهو بيشا Bichat) : « ان الحياة هي مجموعة الوظائف التي تقاوم الموت » ، فانه كان يعنى بذلك أن التنظيم الحيوى أساسي لاستمرار البقاء ، وأن الصحة الجسمية هي بمثابة تناغم حيوى يتحقق بين مجموع الوظائف العضوية المتنوعة للكائن الحى .

ليس هناك « أمراض » ، بل « مرضى » !

وهنا قد يقال ان الطب الحديث ـ مع ذلك ـ قد استطاع أن يحدد بالفعل مجموع « الشروط » التي لا بد من توافرها لتحقق مثل هذا « التوازن العضوى » ، فلا عبرة بهذه السمات الفردية التي تتميز بها كل شخصية بيولوجية ـ على حدة ـ . وردنا على هذا الاعتراض أنه قد لا تكون هناك ـ على الحقيقة ـ « صحة عضوية » عامة ، لا بد من توافرها لدى الجميع بشكل واحد منتظم ، حتى يمكن أن يقال عن هذا الفرد او ذاك انه يتمتع بصحة جيدة . والحق أنه ليس هناك أمراض ، بل هناك مرضى ! وقد يكون المرض الذى يشخصه الطبيب غير المرض الذى يعانيه المريض : لأن لكل منا أسلوبه الخاص في «التوعك»،

وطريقته الخاصة في « الاحساس بالمرض » ! وكثيراً ما تكون ثمة اضطرابات جسمية (خطيرة كانت أم بسيطة) تصاحب حياتنا العادية ، وكأنما هي « معارف قديمة » قد أصبحت تلازم احساسنا العادي بالحياة . وآية ذلك أن المريض بالكبد ، او الكلى ، أو المعدة (أو غير ذلك) ، يحيا على طريقته الخاصة ، محققاً نوعاً من « التعايش السلمي » بينه وبين تلك الأمراض ! هذا الى أنه قد لا يكون ثمة موضع للتوحيد بين « المرض » الذي يشخصه الطبيب (بأساليبه العلمية الخاصة) ، و « المرض » الذي يعانيه « المريض » (في صميم تجربته الذاتية المعاشة) . ولا غرو ، فان « المرض » ـ في نظر الطبيب ـ ظاهرة موضوعية تقبل الوصف والتحديد بينما هو ـ في نظر المريض ـ خبرة مُعاشة يُعانيها في قرارة ذاته، ان لم نقل بأنه « تجربة مصيرية » قد يتوقف عليها كل وجوده !! .

هل يكون « المرض » هو « العجز عن الاضطلاع بمهمة الحياة » ؟

والواقع أننا لو عدنا الى تجربتنا العادية ، لوجدنا أن للصحة والمرض ـ في حياتنا اليومية ـ دلالة أخرى مختلفة كل الاختلاف عما لهما في نظر الطبيب أو عالم الأحياء . وآية ذلك أننا لا نفهم من « الصحة » سوى أنها القدرة على مواجهة مهمة الحياة ، في حين أن « المرض » هو العجز عن الاضطلاع بهذه المهمة . ومعنى هذا أننا لا نشعر بالمرض كاختلال في بعض الوظائف العضوية ، نتيجة لنفاذ بعض الجراثيم الى باطن جهازنا العضوي ، بل نحن نستشعر « المرض » بوصفه ضرباً من « القصور » أو « العجز » عن مواجهة موقفنا في الحياة ، وكأننا قد فقدنا كل مقدرة على « التكيف » مع بيئتنا الداخلية والخارجية على السواء . وليس من شك في أن « الصحة » وثيقة الصلة بهذه المقدرة العادية على « التكيف » مع « الوسط » الشخصي الذي اعتدنا أن نعيش فيه ، فليس من الغرابة في شيء أن يقع المرء ضحية للمرض، بمجرد ما يفقد هذه المقدرة على التكيف، أو بمجرد ما يجد نفسه بازاء مهام حيوية تفوق ما لديه من مقدرة على التكيف .

ولو كان لنا أن نأخذ بالثنائية الفلسفية القديمة التي تقول بالنفس والبدن ، لكان في وسعنا أن نقول ان من شأن « المرض » أن يقيم علاقات جديدة بين « النفس » و « البدن » : لأنه يجيء فيطلق العنان للجهاز العضوي ـ بعد أن كان خاضعاً لسيطرة الفكر ـ ، وعندئذ لا تلبث الوحدة الشخصية لكل من النفس والبدن أن تتعرض لخطر الانحلال أو التفكك ، تحت تأثير عوامل التعب ، والألم ، والحمى ، وسائر أعراض المرض وهنا لا يعود « الوعي » يظهر إلا على فترات متقطعة ، وكأن ثمة تياراً من الاحساسات الغامضة قد جاء فقلبه على أمره ، وانتزع منه كل قدرة على السيطرة ! وعندئذ يتراجع « الوعي » تحت تأثير الضعف الجسمي ، ويصبح « المريض » نهباً لحالات الوسن ، والخمول ، والغيبوبة، والهذيان، وشتى مظاهر القصور النفسي . وهذا هو السبب في أن « المريض » قد يشعر أحياناً بأنه قد أصبح « منفياً » أو « مُبعداً » عن صميم ذاته ، كما أصبح في الوقت نفسه « مَنفياً » أو « مُبعداً » عن « الآخرين » و « العالم الخارجي » على السواء . وهذه « العزلة الحيوية » ، أو « الاستقالة الوجودية » Démission Existentielle (على حد تعبير أحد الباحثين الفرنسيين المعاصرين) قد تمتد فتشمل الكون كله ، وكأن العالم قد أخذ يتراجع أمام عيني المريض ، أو كأن المريض نفسه قد قطع كل الوشائج التي كانت تربطه بالعالم ! وحين يلازم المريض غرفته ، ويبقى طريح الفراش ، ويغلق عينيه ، حاصراً وجوده في أفق محدود يتزايد ضيقاً يوماً بعد يوم ، فان « حضوره في العالم » يصبح محدوداً بمجاله الحيوي المتناقص ، فضلاً عن أنه يقترن أيضاً بحالة انكماش أو تقلص في مجال نشاطه أو نطاق فعله . وهنا لا يكون في وسع المريض سوى القيام بحركات بسيطة ، وأفعال تافهة ، ان لم نقل بأنه قد يصبح في حاجة الى الآخرين من أجل مساعدته على تناول طعامه ، وتغيير ملابسه ... الخ . ولا شك أن « المريض » حين يفقد كل قدرة على المبادرة ، حتى في عالمه الصغير المحدود (الذي أصبح كل ما تبقى له من العالم) ، فانه قد يصبح في حاجة الى عالم اقتصادي آخر يكون أقدر على الأخذ بيده . وليست المستشفيات ودور العلاج سوى عوالم خاصة تلائم أولئك الذين لم يعودوا يستطيعون أن

ينهضوا بمهمة الحياة في العالم العادى . والحق ان « المريض » لم يعد يملك القدرة على القدوم الى العالم ، فلا باس من أن يتقدم اليه العالم ، على صورة « دار صغيرة » تكون ملائمة له ، وتقوم - بدلاً منه - بكل مهام الحياة ، وتحرره - ولو الى حين - من كل تبعات الوجود العادى ! وما دور العلاج سوى تلك العوالم الصغيرة التي تساعد المرضى على الاضطلاع بمهمة الحياة ! .

ليس هناك « مرض حقيقي » و « مرض وهمى » !

واما اذا نظرنا الى الدلالة الوجودية للمرض - في نظر المريض - ، فربما كان في وسعنا أن نقول ان « المرض » هو - بمعنى ما من المعانى - موئل يحتمي به المريض ، أو ملاذ يلتجيء اليه ، حتى يجد فيه السبيل الى التخلص من مازق عسير ، أو الوسيلة الكفيلة بالتحرر من عبء ثقيل . واذا كان من الصعب - في بعض الاحيان - أن نفصل « المرض الوهمى » عن « المرض الحقيقي » ، فذلك لان كلاً منهما تعبير عن عجز المريض عن الاضطلاع بمهمة الحياة ، أو رفضه لمواجهة بعض المواقف ، أو رغبتـه في التهرب من بعض أعباء الحياة ! وقد أثبت لنا التحليل النفسي (وسائر المذاهب السيكولوجية المهتمة بدراسة « الأعماق ») أن المرض العقلي ، ان لم نقل المرض العضوى نفسه (كالسل ، وامراض القلب ، وبعض امراض المعدة او الكبد) قد لا يزيد عن كونه - في الأصل - مجرد « مَخْرج » يحاول المريض عن طريقه الخروج من « مازق » تعرضت له حياته الشخصية . وقد لاحظ الاطباء - خلال الحرب العالمية الثانية - أن كثيراً من طيّارى الحلفاء كانوا مصابين بقرحة في المعدة ، نتيجة لمخاوفهم المرضية بازاء المهام الخطرة التي كان لا بد لهم من الاضطلاع بها ! ولم يكن هؤلاء الطيارون اقل شجاعة من غيرهم من المحاربين ، ولكنهم كانوا أكثر من غيرهم تعرضاً للمرض ، بسبب خطورة المهام التي كان لا بد لهم من القيام بها - في ظروف عسيرة صعبة - . ومن هنا فان «المرض العضوى» - لديهم - لم يكن سوى تعبير عن « عجز الجسد » عن مواجهة موقف « لا - انسانى » كان يفرض عليهم ما لا طاقة لهم به ! .

وهكذا يتبين لنا أن أشد الأمراض واقعية قد يكون مجرد « مرض وهمى » ، ان لم نقل بان مفهوم « المرض الوهمى » هو نفسه مفهوم خلو من كل معنى ! والحق انه ليس أمعن في الخطأ من ان نتوهم أن فكر المريض - أو وعيه - أقل واقعية (في حالة المرض) من جسده أو بدنه . وعلى حين كان الطب الوضعى في القرن الماضي لا يعلق اهمية الا على الاعراض الجسمية المرئية (كالاصابات العضوية والاضطرابات الوظيفية) ، أصبح الطب الحديث لا يسقط مطلقاً من حسابه روح المريض المعنوية ، وطريقته الخاصة في مواجهة أعباء الحياة، سواء أكان ذلك قبل المرض أم خلاله . ومن هنا فقد جاء « الطب النفسي الجسماني » Psycho - Somatique مصححاً للكثير من الاخطاء التي وقع فيها أصحاب المنهج « التشريحي - الاكلينيكي » من « الوحدة » أو « التكامل » ، فلا موضع للفصل بين « ظواهر جسمية » أو عضوية ، واخرى نفسية أو عقلية ، بل لا بد من النظر الى « الصحة » على أنها « جسمية » و «نفسية» في آن واحد . ولهذا يحاول أصحاب « الطب النفسي - الجسماني » الكشف عن هذه الحقيقة الطبية الأساسية : الا وهى أن الاصابة الجسمية قد تكون في أصلها مجرد نتيجة لاصابة نفسية . واذا كان من الضرورى للطبيب - اليوم - الوقوف على هذا التداخل الجوهرى بين مجال النفس ومجال البدن ، فذلك لأن « الطب النفسي - الجسماني » قد كشف عن كثير من الحقائق الهامة الناجمة عن وجود « حوار مستمر » - ان صح التعبير - بين « الوعى » من جهة ، و « الجهاز العضوى » من جهة أخرى . وربما كان هذا ما فطن اليه الروائيون والكتّاب انفسهم - قبل الأطباء وعلماء النفس - حينما حاولوا أن يبينوا لنا ان اقسى الالام العضوية قد تكون مجرد ثمرة لالام نفسية دفينة ، وأن ثمة جراحاً نفسية قد

تكون هي السبب أحياناً فيما قد نصاب به من أمراض عضوية ...

صحة البدن فى صحة النفس ...

لقد كان الاقدمون يقولون : « العقل السليم في الجسم السليم » ، وأما اليوم فقد أصبحنا نقول : « ان صحة البدن من صحة النفس » . ومعنى هذا ان « الصحة » لا تزيد عن كونها مجرد فكرة عامة ، أو مثل أعلى غامض ، يعبر عن « وحدة »الكائن البشرى بوصفه « موجوداً متكاملا » لا تتحقق له « سلامة البدن » دون « سلامة النفس » ، والعكس بالعكس . والحق انه ليس ثمة موضع للتمييز بين « جسم سليم » و « نفس سليمة » : لانه ليس في الامكان تحقيق « الصحة الجسمية » دون تحقيق « الصحة النفسية » (والعكس بالعكس) . أو ربما كان الادنى الى الصواب أن نقول « ان صحة النفس ليست في خاتمة المطاف سوى صحة البدن : لان الصحة النفسية عنصر جوهرى لا بد من توافره لتحقق الانسجام الجسمانى » . ومن هنا فسيظل « المثل الأعلى » ـ بالنسبة الى الانسان ـ هو بلوغ حالة « التوافق » المطلق بين « الوعى » و « الجسم » ، مما يتحقق له « سلامة النفس » و « سلامة البدن » معاً .

اخيراً : هل يكون « المرض » أحياناً حليف « العبقرية » ؟

بيد ان هذا التوافق المطلق ـ او هذا الانسجام المثالي ـ بين « الوعى » و « الجسم » ، ما يزال حلماً هيهات لأحد أن يحققه ! وآية ذلك أننا جميعاً ـ خصوصاً في ظل الحضارة المادية الحديثة ـ ضحايا للكثير من الاضطرابات النفسية والاصابات العضوية . فليس الانسان المعاصر نموذجاً للرجل المتكامل الذى توافرت له صحة النفس وصحة البدن ، بل هو ـ في كثير من الأحيان ـ مجرد مسرح لصراع العديد من الشرور النفسية والجسمية ! وربما كان هذا الاختلال المستمر في التوازن المطلوب بين « الداخل » و « الخارج » ، أو بين « البيئة الداخلية » و «البيئة الخارجية»، هو السر في تراوح الانسان باستمرار بين «الصحة» و « المرض » . وربما كان هذا الاختلال أيضاً هو السبب في حرص الموجود البشرى ـ خصوصاً في ايامنا هذه ـ على القيام بمزيد من النشاط ، من أجل تحقيق « حياة أفضل » . وقد لا يكون « المرض » ـ بالضرورة ـ شراً محضاً : فقد استطاع الكثير من عظماء البشرية أن يتخذوا من « العائق » نفسه « وسيلة » لتحقيق الكثير من جلائل الاعمال ، وكأنَّ « المرض » نفسه كان بمثابة حافز لهم الى العمل على انتاج ارفع روائع الفكر ، وابداع أسمى آيات الفن . وحسبنا أن نتذكر أسماء رجالات من أمثال فلوبير Flaubert ، وبيتهوفن Beethoven ونيتشه Nietzche ، وكافكا Kafka وبسكال Pascal ، ورلكه Rilke ، وغيرهم ، لكى نتحقق من أن « المرض » لم يكن يوماً حائلا دون « النجاح » ، بل لقد كان هو نفسه ـ على العكس من ذلك ـ حافزاً على « النجاح » . وهكذا كان انتاج بيتهوفن انتصاراً على الصمَم ، كما كان انتاج فلوبير أو دوستويفسكى انتصاراً على الصرع .. الخ . صحيحٌ أن « المرض » نفسه لا يصنع «العبقرية» ، ولكن من المؤكد أن « العبقرية » كثيراً ما تتجلى من خلال عملية مقاومة عوائق الحياة ! ومن هنا فقد استطاع اسبينوزا ـ مثلاً ـ أن يتحف البشرية بكتابه الخالد المسمى باسم « الاخلاق » : لانه عرف كيف يقاوم مرض السُلّ ، كما استطاع نيتشه ان يقدم لنا مؤلفه الرائع : « هكذا قال زرادشت » ، لانه عرف كيف يتخذ من مرضه وسيلة لتعمق معنى الحياة ! ولعلَّ الدرس الاكبر الذى تعلمه الانسان المعاصر من كل تاريخ اسلافه الطويل ان « المرض » ليس « قدَراً » يرين على الانسان ، بل هو مجرد « موقف » قد تستطيع « ارادة الحياة » ان تتخذ منه «وسيلة» للانتصار أو « أداة » لتحقيق المزيد من القيم . ■■

زكريا ابراهيم

الدُّوار

VERTIGO

بقلم : الدكتور محمد محمد ابو شوك

في اعتقادي أنه ما من احد الا واجه في حياته ذلك الاحساس الغريب ـ حتى الطفل حينما يلف ويدور حول رفاقه ، اذا به بعد فترة لا يمكنه أن يقف قائما ، فيخر على الأرض والمكان يدور من حوله ـ ثم من منا لم يحس بدوار البحر وهو في رحلة بحرية ، والدوار الذي يحسه راكب القاطرة او الحافلة او الطائرة .

ولقد كان قائد الأساطيل البريطانية « الاميرال نلسن » يعاني من « دوار البحر » ولكنه لم يستسلم له وقاد الاساطيل من نصر الى نصر .

ثم الدوار فوق كل ذلك عرض لأمراض عدة ربما تزيد على الأربعين ، من هنا نرى كيف أنه عندما يواجه الطبيب حالة دوار انما يواجه مشكلة صعبة متعددة الأسباب متفرعة الجذور ، ويكون من حظ المريض ، ومن حسن حظ الطبيب اذا توصلا الى اصل الداء لمعرفة الدواء .

والكل يصف الدوار كما يتراءى له

فالبعض يقول انه احساس بدوار مع فقدان التوازن ، او الانهاك الشديد او الاحساس بالاغماء والبعض يقول « دوخة » وزواغ بالعينين مع الترنح يمنة ويسرة وعدم ثبوت الساقين في مكانهما .

والدوار يكون كذلك على هيئة احساس بأن كل ما حول الشخص يدور ، مع اهتزازات في بعض الاحيان لهذه الاشياء التي تدور ـ او الأحساس بأن جسم الشخص يدور مع التعرض للسقوط ـ ويكون الاحساس بدوار بالراس .

والبعض يكاد لا يفصح او يبين عما يساوره

فيعبر بعبارات لعلها تعبر للطبيب عما يريد أن يقول ، انه يحس وكأنه سكران ، والآخر « كأن رأسي ليس في مكانه » او كأنني تائه أو كأنني في دوامة ، أو أن رأسه يخبط في سقف الغرفة ثم يعود الى سريره وهكذا مما يجعل فهم الدوار صعبا عسيرا والوصول الى سببه بعيدا .

كيف نحافظ على توازننا

ولكي نفهم ما يحدث عندما يصاب الشخص بدوار لا بد لنا من وقفة ولو قصيرة ـ حتى نتعرف على الطريقة التي يحافظ الجسم بواسطتها على توازنه ـ فبطريقة تلقائية عن طريق منعكسات لا يشعر بها الانسان تكون الدقة المتناهية في الحفاظ على هذا التوازن فهناك موجات تنبع من العينين ، والأذن الداخلية ، والعضلات والمفاصل، هذه الموجات تسير عبر الأعصاب ، وتذهب الى مراكز عدة في المخ .

اولا : فمن العينين والعضلات المحيطة بهما تذهب الاشارات الى المخ وبهذه الاشارات يمكن أن نحكم على بعد الاشياء عن الجسم .

ثانيا : ثم الموجات التي تنبعث من الأذن الداخلية فتنبيء عن اتجاهات الجسم في السكون والحركة ، وبهذه الموجات يمكن للجسم أن يكيف وضعه حسب الحركة حتى لا يتعرض لعدم التوازن وبالتالي السقوط .

ثالثا : الموجات التي تنبعث من المفاصل والعضلات ـ هذه التي تنبعث من الرقبة فتحدد موقع الرقبة بالنسبة الى الجسم ـ ثم التي تحدد موضع الراس بالنسبة للجذع ـ والموجات التي تنبعث من الجذع والساقين ، وهذه تحدد موضع الجسم في الجلوس والوقوف والمشي .

وتخرج الأعصاب من هذه الحواس حاملة تلك الموجات الى المخيخ ونواة العصب الثامن ، ثم النواة الحمراء الموجودة في المخ الاوسط . وهذه هي المراكز الثلاثة التي تتحكم في التوازن ـ ويجيء دور المراكز العليا في المخ وهو دور « المايسترو » الذي ينسق هذه المراكز وما يخرج منها من اعصاب الى عضلات الجسم المختلفة للمحافظة على هذا التوازن الدقيق . وفوق كل هذا فان هناك عوامل نفسية تدخل في ابقاء هذا التوازن ، هذه العوامل هي التي تربط بين الجسم ككل وبين العوالم التي تحيط به ـ وعلى هذه العوامل النفسية التي نتعلمها ونكتسبها من نشأتنا ومعرفتنا للحياة تكون العلاقة بين اجسادنا وما يحيط بها ، والا كيف نفسر اننا لو كنا في قطار متوقف عن الحركة احسسنا باننا نتحرك لو سار القطار الذي يجاورنا ـ ثم حركة الاشجار والاعمدة الثابتة التي نشاهدها في طريقنا داخل القطار المتحرك .

أسباب الدوار

بعد هذا الايضاح الموجز يمكن لنا أن نتعرف على اسباب الدوار وتتلخص فيما يلي :

١ ـ الدوار الذي يتأتى من مرض بالأذن .

٢ ـ الدوار الناتج عن اصابة العصب الثامن ، والمخ الأوسط والمخيخ .

٣ ـ الدوار الذي يحدث نتيجة لاضطراب في العينين .

٤ ـ الدوار الذي يصيب الانسان من اضطرابات في المراكز العليا من المخ .

٥ ـ الدوار الناتج من الاضطرابات النفسية .

١ ـ الدوار الذي يتأتى من مرض بالأذن :

وهناك اسباب عدة يعاني منها الانسان من اذنه وتسبب له دوارا . ولا يخفى عن احد ذلك الدوار الشديد الذي يحدث نتيجة لتجمع « الشمع » في الأذن ، أو الناتج من انسداد قناة استاكيوس ، كما هو الحال عندما يحدث التغير المفاجيء في الضغط الجوي ، ويلاحظ ذلك المسافر بالطائرة عندما يحس كأن انسدادا باذنه تخف حدته

لو بلع ريقه ، وبذلك تفتح القناة ويقل الدوار .

ومن الأمراض التي تصيب الأذن وتسبب دوارا شديدا التهاب الاذن الوسطى سواء كان مصحوبا بخروج قيح من الاذن او الالتهاب الحاد لان ذلك يصل في النهاية الى الأذن الداخلية ويؤثر على جهاز التوازن بها .

ثم الدوار الذى يحدث نتيجة لتأثر الأذن الداخليةباستعمال العقاقير المختلفة والتي اصبحت تشكل سببا هاما في حياتنا العامة ـ ومن ذلك الاسبرين ، ومركبات الكينين وستربتوميسين ـ والمشروبات الكحولية ، والتدخين ، وهناك الحساسية التي تنتج من بعض الاطعمة وتسبب دوارا ومن ذلك انواع عدة من الاسماك . والتسمم بأول أوكسيد الكربون « غاز الفحم » .

واذا قل الدمالذاهب الى اجزاء الأذن الداخلية كان الدوار ، مثال ذلك الدوار الذى يحدث من فقر الدم الشديد ، أو تصلب الشرايين او ارتفاع ضغط الدم، او هبوط ضغط الدم المفاجيء ـ ومن الواضح أن علاج السبب في هذه الحالات يحسن حالة الدوار او يشفيها تماما اذا كان من الممكن استئصال السبب .

وهناك نوع من الدوار يصيب الانسان في مواسم خاصة عندما تكثر نزلات البرد وربما يرجع ذلك الى التهاب الأذن الداخلية بواسطة فيروس فيسبب ما يسمى « بالدوار الوضعي » Positional Vertigo وذلك لانه يحدث عندما تكون الراس في وضع خاص أو عندما يلتفت الشخص يمنة أو يسرة أو عندما يميل الى الامام او الخلف ، ويتبع ذلك الدوار حركات لا ارادية في العينين .

وهذا النوع من الدوار يؤثر كثيرا على المصاب حتى أنه لا يمكنه القيام بأى عمل ـ والعلاج في هذه الحالة هو الراحة بالفراش لفترة وربما لعدة أيام مع اعطاء المهدئات ـ واقراص الافومين Avomine او الدرمامين Dramamine وفي بعض الحالات الشديدة ربما استعملت مشتقات الكورتيزون .

دوار الحركة

ولعله لا يخفى علينا ما نسميه بدوار الحركة وما كنا نطلق عليه قديما « دوار البحر » ، اذ ان ذلك نلاحظه في البحر وفي الأرض وفي الجو . وكما هو معروف أن ذلك يرجع الى تعدد الحركات التي لا يتعودها الجسم في اتجاهات مختلفة ، فالسفينةتعتمد على حركة موجات البحر ، وتتحرك من أعلى الى أسفل ، وكذلك حركتها حول محورها ـ وحركة الطائرة والسيارة كلها تؤثر على جهاز التوازن الموجود في الأذن الداخلية ، ويتبع ذلك تأثر الجهاز العصبي ـ وينتج عن ذلك الغثيان ثم القيء وكذلك يحس الانسان بصداع ، مع تلبك بالبطن وانهاك شديد وسرعة أو قلة في النبض ، ثم شحوب بالوجه وعرق غزير بارد ، وفي بعض الحالات يعلو الوجه لفحة من الاحمرار الخفيف .

ويختلف تأثر الأفراد بدوار البحر فنجد أن الأطفال والمسنين لا يتأثرون كثيرا وكذلك المصابون بالصمم والذين يعانون من عدم نشاط جهاز التوازن . وكذلك البحارة بعد مرور فترة من الوقت على عملهم على سفنهم الخاصة ، ولعل ذلك راجع الى تأقلمهم على هذه السفن . فاننا نجدهم يتأثرون مرة اخرى لو غيروا سفنهم واعتلوا ظهور سفن اخرى .

والعلاج في هذه الحالة هو أن يأخذ المسافر اقراصا مهدئة مثل الفينوباربيتون Phenobarbitone ١/٢ حبه مرتين يوميا لمدة ثلاثة أيام قبل اقلاعه فان ذلك يقلل من حساسية الأذن الداخلية وكذلك الدرامامين Dramamine والفنرجان Phenergan والافومين Avomine كلها تقلل من حوادث الدوار والقيء كما أن استعمال نظارة سوداء والراحة بالفراش ، وتناول الأطعمة الخفيفة والسهلة

الهضم والمحتوية على كمية من النشويات أكثر من البروتينات والدهنيات تساعد على عدم التعرض للمضاعفات في مثل هذه الحالة .

وفي الحالات الشديدة والتي يسبب القيء فيها هبوطا شديدا في الضغط ، يعطى المصاب محلول ملح وجلوكوز بواسطة الشرج أو بالوريد لو امكن.

ولا بد لنا من وقفة على مرض معروف اسمه مانير Meniere's Syndrome وهو عبارة عن نوبات متكررة من الدوخة الشديدة تسبب قيئا شديدا مع انهاك شديد للجسم ويكون دائما مصحوبا بطنين في الاذن ، ويلاحظ المريض أن قوة سمعه تقل تدريجيا وتقل النوبات عندما يزداد الصمم ـ ويصيب هذا المرض متوسطي العمر وثلث المصابين يتجاوز عمرهم الستين سنة .

والسبب المباشر لهذا المرض غير معروف ، ولو أن هناك عوامل تساعد على حدوثه كوجود بؤر التهاب في الجسم في الأسنان أو الجيوب الأنفية أو اللوزتين ـ كما أن للحساسية دخلا في حدوث مثل هذه النوبات ـ وهناك من يعتقد أن ذلك يرجع الى ضغط على العصب الثامن بواسطة شريان في غير مستواه الطبيعي .

والمصاب بهذا المرض يحس أولا بضعف في قوة السمع وطنين في احدى الأذنين أو فيهما معا ، ويكون ذلك لعدة شهور أو سنين ، ثم فجاة يصاب بنوبة دوار شديدة يسقط على اثرها على الأرض وهو منهك القوى وكل شيء حوله في حركة دوار ـ ويصحب ذلك غثيان أو قيء شديد وفي بعض الحالات يغمر الجسم عرق غزير ، وفي الحالات الشديدة يفقد الانسان وعيه . ويستمر الدوار لمدة نصف ساعة الى ساعات عدة وعندما تنتهي النوبة يكون المريض في حالة اعياء شديد ثم ينام لفترة طويلة . وفي الفترات التي يكون فيها المريض معرضا لنوبة الدوار تجد أنه من الممكن أن تحدث النوبة لو حرك المريض رأسه فجاة . وهناك اختبارات عدة تدل على هذا المرض .

والعلاج في مثل هذه الحالة يتلخص في نقطتين هامتين :

أولا : علاج النوبة ، وهو الراحة التامة بالفراش ، واعطاء المريض المهدئات ، وفي بعض الحالات نعطيه مورفين اذا كان في حالة قلق شديد ـ كما انه يعطى العقاقير ضد القيء بواسطة الحقن او بواسطة الشرج ـ كل هذا مع تهدئة المريض بافهامه أن مثل هذه الحالة ليست خطيرة وانها ستبقى لفترة تزول بعد ذلك .

ثانيا : علاج ما بين النوبات في اقلال الملح في الطعام مع التقيد في تعاطي السوائل ـ واعطاء المهدئات مثل Phenobarbital والادوية التي تعالج الحساسية .

وفي الحالات التي لا تستجيب للعلاج وتتدهور حالة المريض وتمنعه عن العمل ، فانه تجرى له عملية جراحية على الأذن الداخلية ربما فقد بعدها حاسة السمع . على أنه قد استحدثت عملية تشفي حوالي ٨٠٪ من الدوار الذي يحدث في هذه الحالة دون أن يؤثر ذلك على السمع وذلك باتلاف الجزء الخاص بالتوازن وذلك بواسطة موجات Ultra Sonic . ولعل سائلا يقول كيف نجازف بفقدان السمع في مثل هذه العمليات لنقضي على الدوار الذي يصيب الانسان في هذا المرض ـ فاقول ان فقدان السمع في هذا المرض يكون نهاية المطاف سواء أجريت العملية أو لم تجر اذا انه يقل تدريجيا الى أن يتلاشى ، ويكون الحظ قد حالف المريض لو كانت اصابته في اذن واحدة .

٢ ـ الدوار الناتج عن اصابة العصب الثامن والمخ الاوسط والمخيخ :

واذا ما تركنا الأذن فان أي مرض يصيب العصب الثامن الذي يحمل معه الأعصاب الذاهبة الى المخ والتي تسري فيها الموجات التي تحمل معها الاشارات من حاسة التوازن ، فاننا نلاحظ في أن أي مرض يصيب هذا العصب يسبب دوارا شديدا ، مثال ذلك التهاب العصب أو ضغطه بواسطة شريان أو وجود اورام عليه أو التهاب بمرض السحايا .

وهناك امراض ساق المخ التي تمر بها اعصاب التوازن ونرى ذلك في بعض الامراض المنتشرة في الغرب والتي تسبب تليف هذا الجزء من المخ ويكون ذلك مصحوبا بدوار شديد .

ولعل من أبرز الامراض التي تصيب ساق المخ التي يمر بها العصب الثامن ، هو تعرضها لنقص في كمية الدم الذى يصل اليها بواسطة شريان يمر في الفقرات العنقية ، هذا الشريان يتعرض في بعض الاحيان أثناء سريانه الى ضغط بواسطة نتوءات عظمية . واذا ما تصلب هذا الشريان ، كما يحدث عادة في المسنين ، فاننا نرى ان المسن يحس بدوار شديد عندما يحرك رأسه بسرعة دون ان يحرك باقي جسمه .

وهناك نوع من الدوار ينتج من التهاب العصب الثامن ويحدث ذلك في صغار السن ـ على حين بغتة ، فيحس المصاب بدوار شديد وغثيان وقيء ، دون أن يحس باضطراب في سمعه ، وتستمر هذه الاعراض لفترة تمتد من اسبوعين الى ثلاثة اسابيع ـ ولا يعرف سبب لالتهاب العصب .

٣ ـ الدوار الذى يحدث من اصابة عضلات العينين :

واضطرابات عضلات العينين بما في ذلك الشلل الذى يحدث في واحدة او أكثر منها فيسبب اضطرابا في تقدير العين لبعد الأشياء مما يسبب دوارا وعدم التمكن من الحفاظ على اتزان الجسم. ثم الدوار الذى يعانيه من عندهم اضطرابات في قوة الابصار وخصوصا عندما يقرءون او يجهدون بصرهم ـ ثم الدوار الذى يصيب الانسان عندما ينظر الى الأشياء من علو شاهق .

٤ ـ الدوار الذى يصيب الانسان من اضطرابات فى المراكز العليا من المخ :

وهناك الدوار الذى يصاحب بعض انواع الصرع او اصابات المخ بالتهابات أو أورام مختلفة او تصلب في شرايينه مع انسداد فيها او نزف منها او تقلص بها ، فاننا نشاهد في هؤلاء المرضى شكواهم من الاغماء ، والدوخة والشعور بالضياع بل وفقدان الوعي في بعض الحالات .

٥ ـ الدوار الناتج من الاضطرابات النفسية :

على انه في معظم الحالات يكون الدوار سببه اضطرابات نفسية تعترى المريض من آن الى آخر ، خصوصا ممن يعاني من توتر عصبي شديد، وما اكثر ذلك في هذه الايام ـ ونلاحظ ذلك مع اضطرابات اخرى تصيب الجسم كسرعة دقات القلب ـ او كثرة العرق البارد الذى يعلو الجبهة والأطراف ـ والشعور بالغثيان ـ واضطراب القلب وغير ذلك من اعراض تدل على أن الجسم في حالة هياج وتوتر شديدين . وكم من فاشل في عمله او من انسان وراء عاطفة جامحة كان الدوار على رأس شكواه المتعددة المتنوعة . وفي بعض النوبات الهستيرية ، نرى أن المريض لا يشكو الا من دوار يغمض عينيه لأنه لا يريد أن يرى الدنيا تدور به ، ثم لا يقوى على الوقوف لأنه لا يمكنه أن يجمع قواه ويسقط أمام مشاهديه ليثبت لهم انه مريض لا يقوى على شيء .

★ ★ ★

تلك هي مشكلة الدوار ـ وكما بدأتها مشكلة كل يوم وكل وقت وكل سن ، وجيل ـ متعددة الجوانب والأسباب ـ فلا عجب اذا حدث دوار للطبيب عندما يواجه بحالة دوار ـ خصوصا اذا لم يساعده مريضه في البحث عن أصل المرض ومسبباته ويتعاون معه ، ويظهر له ما خفي من أمور لعله ينجح في الوصول الى أصل الداء ، فيمكنه بعد ذلك وصف العلاج .

ولكن انى له ذلك ... الا بعد طول عناء ، فلا غرابة اذن لو قام الطبيب باختبارات عدة وبفحوصات مختلفة لعلها تكون السبيل الى ما خفى عليه من اسباب . وليتذرع كل مريض بالدوار بالصبر فهو ليس ككل مرض يسهل الوصول الى سببه والقضاء على الشكوى منه . ■■

محمد محمد أبو شوك

طرائف غريبة



★★★ شقاء شاعر ★★★

● ادجار الان بو Edgar Allan Poe (١٨٠٩ ـ ١٨٤٩ م) الشاعر والمؤلف الامريكي الشهير ، عرف البؤس وذاق مرارة الحياة فى طفولته وصباه .

ولكن اغرب تجربة مر بها فى حياته هي تلك التى عاشها فى شبابه ، عندما احب فتاة نحيلة مريضة بداء الصدر لم تتجاوز عامها الرابع عشر ، ولم يلبث ان اتخذ منها زوجة ، قضى حياته القصيرة بجوار فراشها يقدم لها الدواء ويبحث لها عن الدفء ، فكان ينطلق وراء قطته ، ليحملها اليهـا ويضعها تحت قدميهـا لتدفئتهما ، بعد أن عز عليهما الغطـاء والفذاء ... فاذا نامت ، امسك بقلمه وراح يكتب ..

كانت هذه الفتاة المسكينة هي ابنة خالته فيرجينيا ، التى ما لبثت ان ذبلت وجف عودها وماتت ..

قال ادجار آلان بو يصف مشاعره تجاه هذه الفتاة : « لقد كنت ارى فيها امي التى فقدتها وانا طفل ، وكنت ارى فيهـا السيـدة الطيبـة القلب التـى احتضنتنى بعد وفاة امي .. ثم ما لبثت ان ذهبت وتركتني للشقاء .. وكنت ارى فيها كل امرأة تكدح وتشقى من اجل ان تهب غيرها الحياة ... » .

★★★ لباقة الوزير ! ★★★

● على اثر انتصار اليابان فى حربها ضد روسيا عام ١٩٠٥ ، قـام الاميرال (توجو) قائد الاسطول الياباني الظافر بزيارة شبـه رسمية للولايات المتحدة الامريكية ، استقبل فيها بحفاوة بالغة .

واثناء تلك الزيارة اقامت له الحكومة الامريكية مأدبة عشاء رسمية ، عهد فيها الى وزيـر الخارجيـة آنذاك ـ جنجز بريان ـ أن يدعو الحاضرين الى شرب نخب الضيف الكبير .

وكانت مشكلة !

ذلك ان وزير الخارجية المذكور كان من غلاة خصـوم الخمر ومحرميها ، فكيف اذن يشرب الشمبانيا ، بل ويدعو الجميع الى شربها ؟! .

وخشى الكثيرون أن يؤدى الامـر الى « ازمة » ديبلوماسيـة بين الدولتين بسـبب تزمت وزير الخارجيـة ! ...

وانتظـر الجميع ما سيحدث ، فى لهفة مشوبة بالقلق ! ... فلما حانت اللحظة المناسبة نهض الوزير فتناول قدح « ماء » امامه ، وقال وهو يرفعه امام الحاضرين :

ـ « لقد احرز الاميرال توجـو نصره الحاسم فى الماء (اشارة الى ان المعركة كانت بحرية !) ، لذلك فلنشرب نخـه مـاء ! .. » .



المرأة التي أعادت له ذاكرته

● ما يكل رامزى Michael Ramsey، كبير اساقفة كانتربرى ، عرف بشرود الذهن ، حتى انه كان يعود الى بيته بعد مغادرته له بساعات طويلة ، ليسال مديرة البيت العجوز عن الوجهة التى كان يقصدها .!

حدث مرة ان سمعت السيدة طرقا على باب البيت ، وكانت تقوم بتنظيف حجرة كبير الاساقفة ، فاسرعت الى الباب لترى من الطارق ، ولكنها لم تشا ان تفتح باب البيت فى غياب صاحبه ، فقالت تحدثه من وراء الباب بصوت عال : « السيد رامزى غير موجود . ارجو ان تعود اليه فى وقت آخر ...

وجاءها الجواب من امام الباب ايضا : « نعم ، نعم ، هذا صحيح ، سوف اعود اذن فى المساء .. اشكرك كثيرا .. » .

ولكن السيدة العجوز ، سارعت تفتح الباب ، بعد ان ادركت انها تعرف صاحب هذا الصوت .. لقد كان صوت كبير الاساقفة نفسه ما يكل رامزى .

وجرت وراءه تناديه ، وهو يهم بمغادرة البيت ، لانه لم يجد نفسه !

قال كبير الاساقفة عندما ماتت هذه المراة التى سهرت على خدمته اعواما طويلة : « لقد ذهبت السيدة التى أعادت لى ذاكرتى لاكثر من عشرين عاما ، سوف افتقدها ، ولن انساها ، حتى لو نسيت نفسى ! » .

مبارزة لم تتم !

● اثناء تولي « بسمارك » الحكم فى المانيا ، هاجمه العالم الالماني المشهور البروفيسور «رودلف فيرشاتو» مهاجمة شديدة حتى تشكك فى كفاءته كحاكم . فما كان من بسمارك الا ان دعا العالم الكبير للمبارزة .

وحين اقبل شهود « المستشار الحديدي» للتفاهم مع غريمه على شروط المبارزة ، ابتدرهم هذا بقوله : « بما ان فخامة المستشار هو البادىء بالتحدى ، فمن حقي اختيار السلاح الذى يروقني ... واليكم سلاحى » .

ومدّ يده الى الشهود بقطعتين من السجق (Hamburger) متشابهتين تماما . ثم اردف موضحا : « ان احداهما ملوثة بجراثيم الكوليرا المميتة ، والاخرى سليمة تماما ... فليختر صاحب الفخامة القطعة التى تروقه ويأكلها ... وانا آكل الاخرى » .

فلم تمض ساعة حتى عدل بسمارك عن مبارزة خصمه ، وهو يقهقه ضاحكا من طرافة التخلص !



رسول ملك بيزنطة

إلى الخليفة المقتدر بالله العباسي لإجراء فداء، هو الفداء التاسع، بين أسرى الجانبين

بقلم : سعيد الديوه جي

ظلت الحرب سجالا بين العباسيين والبيزنطيين عدة قرون ، وساحة الحرب هي بلاد الانضول ، فاهتم العباسيون بالثغور ، فاحكموا حصونها ، وقووا اسطولها . كما أنشأوا العواصم الكثيرة ـ وحشدوا بها الجيوش والعدد ، ولها امير ، يدير شؤونها ويدبر حروبها ، ويتفقد جيوشها ، واليه الامر في شئونها.

كان كل من الطرفين يترقب الفرصة للايقاع بخصمه ، فاذا ما كانت ، هجم على البلاد ، وفتك بالعباد من قتل ونهب وتدمير واسر .

اشتد هذا النزاع في خلافة « هرون الرشيد » فتوغل في بلادهم ، وساق الاسرى الى بغداد ، واخذ الجزية من ملكتهم « اريني » : سنة ١٨٢ هـ (٧٩٢ م) .

ولما خلع البيزنطيون الملكة « اريني » وملكوا عليهم « نقفور » ـ وهو على ما يقال من اولاد جبلة بن الايهم ـ كتب هذا الى هرون الرشيد ، يهدده ويتوعده ، بان يعيد الاموال التي اخذها من اريني . فاجابه الرشيد « الجواب ما تراه بعينك . لا ما تسمعه » وسار سنة ١٩٠ هـ (٨٠٥م) الى هرقلة ، فاحرق وخرب ودمر واسر عددا كبيرا منهم .

وفي سنة ٢٢٢هـ (٨٣٦م) فتك الملك (توفيل بن ميخاليل) بالمسلمين وبلغ الامر الخليفة المعتصم، فخرج اليه بجيوش جرارة ، على خيول بلق ، حاصر عمورية ، ودك اسوارها ، وفتك بجيوش الاعداء ، واسر ثلاثين الفا منهم ـ وفيها يقول ابو تمام حبيب بن اوس الطائي قصيدته المشهورة التي مطلعها :

السيف اصدق انباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

وفي أواخر القرن الثالث للهجرة ، ظهرت الدولة الحمدانية في الهلال الخصيب ، وتحمل الحمدانيون

أعباء هذه الحروب ، وجيوشهم من أقوى الجيوش التي صدت البيزنطيين عن سورية ، وتوغلت في بلاد الانضول . « وسيف الدولة الحمداني » سيف مسلول بوجوه الاعداء ، وابن عمه « ابو فراس الحمداني » فتي هذه الحروب وشاعرها . يقود الجيوش ، ويدبر خططها ، ويهجم بنفسه على الاعداء ، ويصور هذا كله في قصائد رائعة هي من غرر الشعر العربي .

كثرة الأسرى تدعو للمفاداة

كانت اسرى البيزنطيين في ازدياد عند العباسيين، كما أن المسلمين وقعوا أسرى عند البيزنطيين . وسئم البيزنطيون هذه الحروب المتتالية ـ الصوائف والشواتي ـ وما كانت تؤدي من دمار وقتل وأسر . فكانوا كثيرا ما يرسلون شعراءهم الى دار السلام ، يطلبون المهادنة من العباسيين ، ويؤدون لهم الجزية ، ويفكون اسراهم باجراء فداء بين الطرفين .

وجرى بينهما اثنا عشر فداء ، منذ خلافة الرشيد ، الى خلافة الطائع ، آخرها الفداء الذى كان سنة ٣٢٥هـ (٩٤٦م) المعروف « بفداء ابن حمدان » .

وفد الفداء في عهد المقتدر

ومن هذه الافدية الفداء التاسع الذى كان في سنة ٣٠٥هـ (٩١٧م) في خلافة المقتدر بالله العباسي .

كان ملك البيزنطيين « قسطنطين السابع بن لاون السادس » صغير السن تدبر شؤونه امه « زوا » ولم يكن لهم قدرة على مقاومة الجيوش العباسية ، فارسلوا الى دار السلام وفدا ـ ومعه هدايا وتحف ـ يعرض على المقتدر بالله المهادنة ، وتوقيف الحرب ، وفداء الاسرى .

توجه الوفد الى دار السلام ، ولما وصل « تكريت » امر الخليفة المقتدر ان يحتجزوا بها مدة شهرين،حتى يتم لهم تزيين بغداد،واظهارها بما يناسب حضارتها ومنعتها .

وفي يوم الاثنين لليلتين خلت من المحرم سنة ٣٠٥هـ (٩١٧م) وصل الوفد مدينة بغداد ، وهو مؤلف من : شاب حدث السن ـ رئيس الوفد ـ ومعه شيخ مجرب ، يتكلم العربية ، ويقوم بالترجمة له ، ويخلفه اذا ما هلك ، ومعهما عشرون غلاما ، وهدايا وتحف والطاف لامير المؤمنين ، ولرجال دولته .

يرتدي اعضاء الوفد دراريع ديباج ملكية ، ووقايات ، وفوق الوقايات قلانس ديباج محدودة الرؤوس .

ورافق الوفد « ابو عمر عدى بن احمد بن عبد الباقي الطرسوسي » صاحب السلطان ، ورئيس الثغور الشامية ، وعليه قباء اسود ، وسيف ومنطقة .

فانزلوا في دار « صاعد بن مخلد » وامر الوزير ابو الحسن على بن الفرات،بان يفرش لرئيس الوفد ونائبه ويعد في الدار كل ما يحتاجون اليه من الآلات والاواني ، وجميع وسائل الراحة ، وان يقام لهما ، ولمن معهما الانزال الواسعة ، حتى يتسع بذلك لكل من معهما .

وبعد أن استراح الوفد ، شرحا لاولي الامر ما ارسلا به ، وان ملك البيزنطيين يتقدم الى الخليفة بمطالب ، وانهما يلتمسان عرضها على أمير المؤمنين ، في يوم يأمر هو بتعيينه لهما .

لقاء الوزير وما أعد من مظاهر

فاعلما أن ذلك متعذر صعب ، لا يجوز الا بعد لقاء الوزير ، ومخاطبته فيما قصدا اليه ، وتقرير الامر معه ، والرغبة اليه في تسهيل الاذن على الخليفة والمشورة عليه بالاجابة الى ما طلب .

وعلى هذا تقدم ابو عمر عدى بن عبد الباقي الطرسوسي ، وعرض على الوزير ابن الفرات ما التمساه ، فوعد بذلك في يوم ذكره له ـ يكون به مثول الوفد بين يديه ، وعرض مطلبه .

كان الوزير ابن الفرات قد أُقطع دارا بالمخرم ، فامر أن تكون الجيوش مصطفة من داره الى دار صاعد ، وان يكون غلمانه وحجابه المرسومون بداره منتظمين من باب الدار الى مجلسه بدار السلطان .

وبُسِط له في مجلس عظيم مُذْهَب السقوف،

مفروش بالفرش الفاخر العجيب ، وعلقت عليه الستور التي تشـبه الفرش في الطرافة ودقة الوشى .

ويقال انهم استزادوا في الفرش والبُسُط والستور ما بلغ ثمنه ثلاثين الف دينار ، حتى لم يبق شيء تجمل به الدار ، ويفخم به الأمر الا فعل .

جلس الوزير علىمصلى عظيم ، من وراء مستند عال ـ والخدم بين يديه وخلفه،وعن يمينه وشماله، والقواد والأولياء قد ملأوا صحن الدار ـ .

ولما دخل رئيس الوفد وصاحبه « دار العامة » اجلسهما الحاجب في روافها ، والرجال قد امتلأت بهم الدار ـ وبعد أن استراحا قليلا ، اخذ بهما في ممر طـويل ، من وراء هذا الرواق ، حتى اخرجهما الى صحن البستان ، ثم عدل بهما الى المجلس الذى كان الوزير جالسا فيه ، فشاهدا من بهاء المجلس ، والفرش الذى في الدار ، وكثرة الجمع ، منظرا عجيبا ، وكان ابو عمر عدى بن عبد الباقي يرافقهما في هذا كله ، ويترجم عنهما ولهما .

وحضر نزار بن محمد ـ صاحب الشرطة ـ في جميع رجاله ، وحفّوا بمجلس الوزير ، فاقيما بين يدى الوزير ابن الفرات ، فسلما ، وترجم أبـو عمر عدى ما عرضاه على الـوزير ، فاجابهما بما ترجمه لهما : انه سيعرض الأمر على أمير المؤمنين، ثم العمل بما يرسمه الخليفة ، من امر المثول بين يديه ـ .

اخرجا بعد هذا من المجلس ، واخذ بهما في الطريق الذى دخلا منه ، وعادا الى دار صاعد ، والجيش منتظم على جانبي الطريق ، بأحسن زى، واكمل هيئة .

اذن الخليفة باستقبال الوفد ومظاهر ذلـك

خاطب الوزير الخليفة بما التمسه الرسولان ، فوافق المقتدر أن يكون المثول بين يديه في يـوم الخميس لست بقين من المحرم سـنة ٣٠٥ هـ (٩١٧ م) ، وأمر أن يكـون قدومهما اليه من الشارع الأعظم من باب المخرم الى دار الخلافة . وقف الجند صفين في هذا الشارع الكبير ، وكان عددهـم مائة وستين الف فارس وراجل ، وهم بالثياب الحسنة ، وتحتهم الخيول بمراكبالذهب والفضـة ، وبين أيديهم الجنائب والسـيوف ومختلف الأسلحة .

ووقف بعدهـم الغلمان الحجرية ، والخدم ، والخواص الدارية والبرانية من باب دار الخلافة الى حضرة الخليفـة ، وهم بالبزة الرائعـة ، والسيوف والمناطق المحلاة .

وازدحمت أسواق الجانب الشرقي ، وشوارعه وسطوحه ومسالكه ، فامتلأت بالعامةالنظارة،حتى انه اكترى كل دكان وغرفة مشرفة بدراهم كثيرة .

وفي دجلةمختلفالزوارق الجميلة : الشذاءات، والطيارات والزبازب ، والسميريات ، وهى بافضل زينة واجمل ترتيب .

قطع الرسولان هذا الشارع وسـط جموع محتشدة ، وعدد كبير من الجنود والغلمان ومـا معهم من آلات الحرب والضرب ، فهالهموادهشهم.

الرهبة والهيبة والعجب

ولما اقتربا من باب العامة ، انزلا عن جواديهما ، ودخلا دار الخلافة وقد انتشر في ممراتها وسطوحها وعلاليها ، اربعة آلاف خادم أبيض ، وثلاثة آلاف خادم أسود ، وسبعمائة حاجب ، وأربعة آلاف غلام أسود ، وهم في أتم زينة .

مر الرسـولان على دار « نصر القشـورى » الحاجب ، وشاهدا فيها ازدحاما كثيرا ، ومنظرا رائعا ، فظنا انه الخليفة . وتداخلتهما رهبـة وهيبة ـ فقيل لهما : انه حاجب الخليفة .

ثم حملا منها الى الدار التي كانت برسم الوزير ابن الفرات ، ومرا بمجلسه ، وشاهدا من الهيبة أكثر مما شاهداه في دار الحاجب ، ولم يشكا انه الخليفة فقيل لهما : هذا مجلس الوزير .

واجلس الرسولان بين دجلة والبسـاتين ، في مجلس قد علقت ستوره واختيرت فرشه ، ونصبت فيه الدسـوت ، وأحـاط به الخدم بالأعمدة

والسيوف . وفتحت الخزائن والآلات فيها مرتبة، وقد علقت فيها الستور ، ونظم جوهر الخلافة في قلايات على درج غشيت بالديباج الأسود ، فعجبا مما شاهداه .

بدائع ما في البلد

ثم نقلا من هذا الى مقر الخليفة ، وأمر المقتدر ان يمرا على المواقع التالية ، ليشاهدا ما في قصر الخليفة من مظاهر الترف . وبديع الصناعة .

١ ـ دار الخيل

ادخلا من باب العامة الأعظم الى الدار المعروفة بدار الخيل ، وهي دار اكثر اروقتها باساطين رخام ، وقد اوقفوا في الجانب الأيمن منها خمسمائة فرس ، عليها خمسمائة مركب ذهبا وفضة بغير اغشية . وفي الجانب الأيسر منها خمسمائة فرس ، عليها الجلال الديباج بالبراقع الطوال . وكل فرس في يدي شاكري بالبزة الكاملة.

٢ ـ دار حير الوحوش

ثم نقلا الى دار حير الوحوش ، وفيها من اصناف الوحش ، التي اخرجت من حجرها ، قطعان تقرب من الناس وتتشممهم ، وتاكل من أيديهم ، ثم اخرجا الى دار فيها أربعة فيلة مزينة بالديباج والوشي ، على كل فيل ثمانية من السند والزرافين بالنار ، فهال الرسولين أمرها .

ثم اخرجا الى دار السباع ، فيها مائة سبع : خمسون يمنة ، وخمسون يسرة ، كل سبع منها في يد سبّاع ، وفي رؤوسها واعناقها السلاسل والحديد . فارتاعا من هذا المنظر الرهيب .

٣ ـ الجوسق

ثم اخرجا الى الجوسق المحدث : وهي دار بين بساتين ، في وسطها بركة رصاص قلعي ، أحسن من الفضة المجلوة ، مساحة البركة : ثلاثون ذراعا في عشرين ذراعا . فيها أربع طيارات لطاف ، بمجالس مذهبة مزينة بالدبيقي المطرز، واغشيتها دبيقي مذهب، وحوالي هذه البركة بستان بميادين، فيه اربعمائة نخلة ، طول كل واحدة خمسة اذرع ، قد لبس جميعها ساجا منقوشا من اصلها الى حد الجمارة ، بحلق من شبه مذهبة ، وجميع النخل حامل بغرائب البسر الذي اكثره خلال لم يتطير ، وفي جوانب البستان اترج حامل ودستلنبوا ومقفع وغير ذلك .

٤ ـ دار الشجرة

ثم اخرجا الى دار الشجرة ، فيها شجرة من الفضة زنتها خمسمائة الف درهم وهي في وسط بركة كبيرة ، فيها ماء صاف ، وللشجرة ثمانية عشر غصنا ، لكل غصن منها شاخات كثيرة ، عليها الطيور والعصافير من كل نوع ، مذهبة ومفضضة ، وأكثر قضبان الشجرة فضة ، وبعضها مذهب ، وهي تتمايل في أوقات ، ولها ورق مختلف الألوان يتحرك ـ كما تحرك الريح ورق الشجرة . . ل من هذه الطيور يصفر ويهدر ، وفي . . الدار ـ يمنة البركة ـ تماثيل خمسة عشر فارسا ، على خمسة عشر فرسا ، قد البسوا الديباج وغيره ، وفي ايديهم مطارد على رماح ، يدورون على خط واحد في الناورد خببا وتقريبا ، فيظن أن كل واحد منهم الى صاحبه قاصد ـ وفي الجانب الأيسر مثل ذلك .

٥ ـ الفردوس

ثم ادخلا الى القصر المعروف بالفردوس : وكان فيه من الفرش والآلات ما لا يحصى ولا يحصر كثرة، وفي دهاليز الفردوس عشرة آلاف جوشن مذهبة معلقة . ثم اخرجا الى ممر طوله ثلاثمائة ذراع ، قد علق من جانبيه نحو من عشرة آلاف درقة وخوذة وبيضة ودرع وزردية وجعبة محلاة وقسي . وقد اقيم نحو الفي خادم بيضا وسودا يمنة ويسرة .

٦ ـ الصحن التسعيني

ثم اخرجا بعد أن طيف بهما ثلاثة وعشرين قصرا ـ الى الصحن التسعيني وفيه الغلمان الحجرية بالسلاح الكامل ، والبزة الحسنة ، والهيئة الرائعة، وفي ايديهم الشروخ والطبرزينات والأعمدة .

ثم مرا بمصاف من علية السواد من خلفاء الحجاب : الجند والرجالة واصاغر القواد ، وادخلا دار السلام ـ وكانت عدة كثيرة من الصقالبة

والخدم في سائر القصور ، يسقون الناس الماء المبرد بالثلج والاشربة والفقاع ، ومنهم من كان يطوف مع الرسل ، فلطول المشي بهما جلسا واستراحا في سبعة مواضع ، واستسقيا الماء فسقيا .

وهكذا طاف الرسولان في دور الخلافة ، وشاهدا من مظاهر القوة ودقائق الصناعات الجميلة ، والفنون الرفيعة ، وما كان عليه العباسيون من الترف في الحياة .

المثول بين يدى الخليفة

كان الخليفة المقتدر في قصر التاج ، وامر ان يزين بزينة لم يسمع بمثلها ، ذكر المؤرخون : انه علق فيها من الستور ثمانية وثلاثون الف ستر ، منها عشرة آلاف وخمسمائة مذهبة ، وبسط فيها اثنان وعشرون الف بساط مختلفة الألوان ـ وهي بين موشاة ومزينة بصور حيوانية ، ومناظر الصيد والطرد ، ومجالس الأنس والطرب ، وغير ذلك من المناظر التي تمثل الحضارة الاسلامية ، ودقة صناعاتها .

لبس الخليفة المقتدر الثياب الدبيقية المطرزة بالذهب ، وعلى راسه الطويلة ، وجلس على سرير ابنوس ، قد فرش بالدبيقى المطرز بالذهب ايضا ، ومن يمنة السرير تسعة عقود ـ مثل السبح ـ معلقة ، ومن يسرته تسعة اخرى من افخر الجواهر واعظمها قيمة ـ غالبة الضوء على ضوء النهار ـ وبين يديه خمسة من ولده : ثلاثة يمنة ، واثنان يسرة ، والوزير ابو الحسن على بن الفرات واقف بالقرب منه ، ومؤنس الخادم ومن دونه الخدم وقوف عن يمينه ويساره ، والأولياء وقوف على مراتبهم .

مراسم الاستقبال

بعد ان استراح الرسولان ، امر الخليفة ان يدخلا ، فدخلا وقبلا الأرض ، ووقفا على نحو مائة ذراع من الخليفة ـ حيث استوقفهما نصر الحاجب .

تقدم الوزير ابن الفرات واقفا بين يدى الخليفة ، وابو عمر عدى بن احمد بن عبد الباقي الطرسوسي ـ دون الوزير ـ يترجم لهم ـ فكان الوزير يخاطب الترجمان بما يراه امير المؤمنين ، والترجمان يخاطبهما به .

فعرضا على الخليفة ما طلبه ملك البيزنطيين : من امر المهادنة والفداء ، وقبول ما قدمه اليه والى رجال دولته من هدايا وتحف .

فاجابهما الوزير عنه : انه يفعل ذلك رحمة بالمسلمين ، ورغبة في فكهم وايثارا لطاعة الله عز وجل . وامر ان ينفذ مؤنس الخادم بذلك .

تقبيل الخطاب والانعام بالخلع والأموال

ثم ناوله الخليفة من يده ، جواب ملك البيزنطيين فيما طلب ـ وكان ضخما كبيرا ـ فتناوله الرسول ، وقبله اعظاما له .

وامر الخليفة ان يخلع عليهما مطارف مذهبة ، وعمائم خز ، وطيالسة ديباج مثقلة ، ولكل واحد منهما عشرون الف درهم .

وخلع على ابي عمر عدى الخلع السلطانية ، وامر ان يحمل على ظهر فرس ، ثم اخرجا من باب الخاصة الى دجلة . واقعدا وسائر اصحابهما في شذا من الشذوات الخاصة ، وقد اقيمت على طرفي دجلة : الفيلة والزرافات والسباع والفهود واحتشد الناس بزينتهم ، واصعدوا الى دار صاعد .

نجاح السفارة

وصدر الامر من امير المؤمنين ان يكتب الى عمال البلاد الذين سيمرون بهم في عودتهم ، ان يقدموا لهم كل ما يطلبونه .

كان هذا اليوم في بغداد من الأيام المشهودة راى فيه الرسولان من القوة والثروة وتفوق الصناعة وعظمة بغداد ـ مركز الخلافة العباسية ـ ما نقلهم الى عالم الخيال .

ثم امر الخليفة مؤنسا الخادم ان يقوم هو بالفداء ، واطلق له مائة وعشرين الف دينار ، فسار الى « اللامس » في شهر ربيع الأول من سنة (٣٠٥ هـ) (٩١٧ م) واجرى الفداء التاسع بين العباسيين والبيزنطيين ـ وكان يساعد مؤنسا في هذا ، بشرى الخادم الافشيني امير الثغور الشامية وانطاكية والمتوسط له والمعاون عنه ابو عمر عدى ابن عبد الباقي التميمي الاذنى الطرسوسي رئيس الثغور الشامية ـ وعدة من فودى به من المسلمين في ثمانية ايام : ثلاثة آلاف وثلاثمائة وستة وثلاثون من ذكر وانثى . ■■

الموصل ـ سعيد الديوه جي

اكتشاف التسمم بالرصاص عن طريق فحص أسنان الاطفال

يسبب التسمم بالرصاص اضرارا بالغة بالصحة العامة للافراد . وتزداد نسبة التسمم بالرصاص فى امريكا بالذات بين سكان الأحياء الفقيرة مثل أحياء الزنوج الخاصة بهم . وقد أثبتت دراسة علمية اجريت على ٤٢٥ طفلا من المصابين بتسمم الرصاص أن ٢٢٪ منهم يعانون من التأخر العقلى بينما ٢٠٪ منهم يصابون بنوبات مرضية متتابعة . ومن هنا جاءت اهمية الكشف عن ازدياد نسبة الرصاص فى جسم الانسان قبل ان تزداد هذه النسبة الى الحد الذى تصبح معه خطرا على صحته .

والكشف على هذه النسبة بدقة صعب ، فنسبة الرصاص فى الدم غير ثابتة ، واخذ عينات من الأنسجة العظمية امر غير عملى اذا كان المطلوب هو عمل بحث على نطاق واسع . واخيرا وامام هذه الصعوبات ، جاء ٣ اطباء امريكيين بفكرة جديدة تتلخص فى استعمال أسنان الأطفال لقياس نسبة الرصاص فى اجسامهم .

وحصل الأطباء الثلاثة على اسنان ٦٩ طفلا من عيادات الأسنان التى تعمل فى الأحياء الفقيرة، بينما حصلوا على اسنان ٤٠ طفلا من اطباء أسنان يعملون فى الضواحى . وقاموا باستخلاص الرصاص من هذه الأسنان بعد طحنها ، ثم قاموا بتحليله بواسطة مقياس الطيف الضوئى Spectrophotometre . واتضح من هذا التحليل أن نسبة الرصاص فى اسنان الأطفال الذين يعيشون فى الأحياء الفقيرة تتراوح بين ١ر٥١ الى ١٠٩ اجزاء فى المليون ؛ فى حين أن نسبة الرصاص بين اطفال الضواحى تتراوح بين ١ر١١ الى ٨ر١٤ جزءا فى المليون . ويعود السبب فى هذا اساسا الى نوع التغذية التى يتناولها الفقراء . وهكذا وجد العلماء طريقة جديدة لقياس نسبة الرصاص فى جسم الانسان ، وبذلك يستطيعون تلافى الاضرار الناتجة عن زيادة هذه النسبة قبل وقوعها .

السيارات العامة
بدأت تتخذ من البخار
قوة تديرها !

● نتيجة لزيادة تلوث الجو بواسطة غاز أول اكسيد الكربون الناتج عن مخلفات حرق الوقود فى السيارات العادية ، بدأت محاولات اعادة الحياة الى السيارات التى تسير بالبخار بعد ادخال تحسينات عليها . ومن بين هذه التجارب مشروع تحويل كل أوتوبيسات مدينة كاليفورنيا الى سيارات تسير بالبخار . وقد بدأت تجربة ماكينات بخارية جديدة .. ولكن النجاح لم يكن حليفا الا لواحدة منها حتى الآن ، وهى من تصميم مهندس امريكى اسمه وليام بروبك Wilham Brobeck وقد تمت تجربة هذه الماكينة التى تم تركيبها على حافلة ، وقطعوا بها اكثر من ٢٠٠٠ ميل بنجاح . ويقول الخبراء انها تتميز بقلة الغازات الناتجة عن الاحتراق ، واهمها اول اكسيد الكربون واكسيدات النيتروجين ، علاوة على أن صوت الآلة يقل بدرجة كبيرة عن صوت آلات الديزل ولكن هناك أيضا عيوب ، منها أن استهلاك الوقود يزيد عن آلات الديزل بمقدار الضعف بسبب أنه لم تدخل تعديلات على محولات السرعة فى السيارة التى ركبت عليها آلة البخار ، وكذلك عدم كفاية الطاقة الحرارية .

ويقول المشرفون على البرنامج الذى ينتظر ان يتم الانتهاء من تنفيذه فى عام ١٩٧٥ ان الأبحاث تجرى الآن لتصميم محولات للسرعة تتلاءم مع الآلات البخارية الجديدة ، بحيث تعطى استهلاكا أقل فى الوقود . كما ان مصاريف صيانة الآلات البخارية تقل عن مصاريف صيانة آلات الديزل مما يعوض الفرق فى استهلاك الوقود .

وفى نفس الوقت تجرى تجارب أخرى على آلتين بخاريتين جديدتين ، وذلك لاختيار الاصلح منهما لتعميمها فى حافلات ولاية كاليفورنيا ، وذلك للمحافظة على صحة السكان من خطر التلوث الجوى .



النباتات قد تساعد على منع تلوث

● حيث ان نسبة النشادر Ammonia الموجودة فى الجو تعتبر ضئيلة نسبيا ، فقد اعتبر العلماء انه لا اهمية لها بالنسبة للنباتات . وقد ظل هذا الاعتقاد سائدا حتى قامت لجنة علمية مكونة من عالم استرالى وعالمين امريكيين باثبات ان النباتات قد تحصل على حوالى ١٠٪ من احتياجاتها للنيتروجين عن طريق امتصاص مادة النشادر من الجو .

وقد استطاع هؤلاء العلماء قياس نسبة نقص النشادر من الجو بواسطة النبات عن طريق تمرير هواء فى غرفة مغلقة تحتوى على بعض النباتات . وقد اثبتت هذه التجربة ايضا أن النباتات تقوم بامتصاص النشادر من الجو حتى ولو

أمل جديد
لمن يعانى شللا فى طرف من أطـرافه

● آلاف من البشر يصيبهم الشلل فجأة ويعطل طرفا من أطرافهم عن الحركة .. من أجل هؤلاء فكر الكثير من الباحثين فى امكانية وضع اقطاب كهربائيـــة Electrodes فى عضلات المشلول لتحريكها وبعثها الى الحياة من جـديد . ولكن هذه الفكرة أثبتت عدم امكانية تحقيقها لأن الحركة الواحدة البسيطة فى اى طرف من الأطراف تتطلب تحريك اكثر مــن عضلة واحدة . ومثال بسيط على ذلـك هو أن حركة ثنى الذراع مثلا تتطلب عمل ٣٠ عضلة على الأقل . ولهذا فانه يجب وضع قطب كهربائى فى كل عضلة من هذه العضلات لثنى الذراع فقط !! واى خطأ فى تنشيط اى قطب كهربائى سيؤدى الى قيام الذراع بحركة غـير مطلوبة ..

ولكن البحث العلمى لا يعـــرف المستحيل .. ولذلك قام عدد من أطباء الأعصاب والأطباء النفسانيين والمهندسين فى معهد ستانفورد للبحوث التابع لجامعة ستانفورد الأمريكية باجراء تجارب على زرع الأقطاب الكهربائية فى المخ لتحريك الأطراف المشلولة. وتتلخص هذه الطريقة فى تنشيط تلك الأجزاء من ســاق المخ Brain Stem والتــى تسـتطيع التحكم اللاارادى فى حركات الطرف ، بالرغـم من أن التحكم الارادى والذى يتم عادة عن طريق اللحاء المخى Cerebral Cortex قد قطع بسبب الشلل .

وقد قام هذا الفريق من العلماء بتحديد الأجزاء المعنية من ساق المخ والتى تتحكم فى حركات الأطراف عن طريق اجـراء تجارب معملية عديدة علـى حيوانات التجارب . وكانت الخطوة التالية بعد ذلك هى اجراء التجربة على القرود بعد أن تمت برمجة عقل الكترونى خـاص بخريطة توضح الأماكن المعنية فى سـاق المخ والتى يجب تنشيطها بالكهرباء لأداء حركة معينة . وكذلك كمية الكهـرباء المطلوبة . وقد تمت التجربة على القرود بنجاح . ولكن الأطباء الذين اجـروا التجربة يقولون انه لا يزال أمامهم شوط طويل ، لكى يتم تطبيقها على الانسان . ومن اهم الصعوبات معرفة مــدة بقاء الأقطاب الكهربائية عاملة داخل انسجـة المخ . وكذلك بناء عقل الكترونى صغير يستطيع ان يتحكم فى كمية الكهـرباء ومساحة المنطقة المطلوب تنشيطها .

جو بواسطة امتصاص النشادر منه !

توفرت لها حاجتها من النيتروجين من مصادر أخرى . وقد وجد العلمــاء ان النباتات تقوم بعملية تمثيل للنشـــادر وتحولها الى مواد جديدة لتأمين الطاقة اللازمة لها . وان درجة امتصاص النبات للنشادر تقل اثناء الليل عنها اثناء النهار.

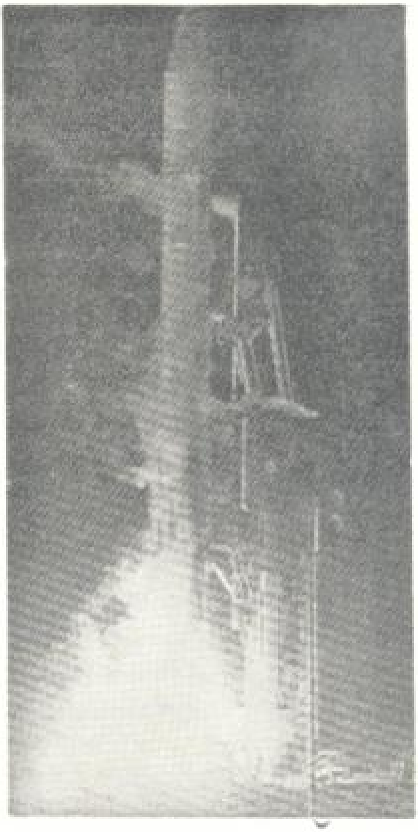
ويعلق العلماء آمالا كبيرة على هـذا الاكتشاف ، ليس فقط بالنسبة لتغذية النباتات ، ولكن من اجل منع تلوث الجو بالنشـادر ، والتى لوحظ أخيرا ارتفاع نسبتها فى الجو نتيجة التلوث الناتـج عن الصناعات والسيارات والطائرات . ويعتقد هؤلاء العلماء أن النباتات قـد تلعب دورا هاما فى عمليات منع تلوث الجو بالنشادر .

رحلة بيونير ١٠ الى المشترى
المركبة قد تصل الى نجم «الثور» في ١٫٧ مليون عام

● فى شهر مارس الماضى انطلقت مركبة الفضاء الامريكية بيونير ١٠ Pioneer 10 فى رحلة من الارض الى المشترى Jupiter وتعتبر بيونير ١٠ أول مركبة فضاء تخترق الحزام الكويكبى Asteroid Belt ثم تصل الى المشترى فى شهر ديسمبر عام ١٩٧٣ . وبعد ذلك تعبر مدار كوكب اورانوس Uranus فى عام ١٩٨٠ ثم تتعدى مدار كوكب بلوتو Pluto الذى يبعد عن الشمس بحوالى ٥٫٨ مليون كيلو متر ، وبذلك تدخل فى مدار خارج المجموعة الشمسية .

ويتوقع العالمان الامريكيان فرانك دريك Frank Drake وكارل ساجان Carl Sagan أن تقطع بيونير ١٠ مسافة فرسخ نجمى واحد Parsec (الفرسخ النجمى عبارة عن وحدة لقياس المسافات بين النجوم تعادل ٣٫٣ سنة ضوئية) فى حوالى ٨٠ الف سنة بسرعة نجمية متبقية تبلغ ١١٫٥ كيلومترا فى الثانية الواحدة . ويعادل الفرسخ النجمى تقريبا المسافة الى اقرب النجوم الينا . وقد قامت بيونير ١٠ فى شهر مايو الماضى بتصحيح مدارها ، ويعتقد الآن أن هذه المركبة تسير فى اتجاه الدبران (برج الثور) Aldebaran ويعتقد علماء الفلك أنه اذا قدر لهذه المركبة الوصول الى هذا النجم ، فانه يلزمها ١٫٧ مليون عام لتصل اليه .

وقد انطلقت بيونير ١٠ من الارض بسرعة تصل الى ٥١٫٨٠٠ كيلو متر فى الساعة ، وهى تعتبر اسرع مركبة فضائية اطلقت من الارض حتى الآن . وقد تعدت



هذه المركبة القمر بعد ١١ ساعة فقط من اطلاقها .

وبعد تصحيح مدار المركبة ، الذى تم فى شهر مايو الماضى ، فانه من المتوقع ان تمر المركبة على مسافة ١٣٥٫٠٠٠ كيلو متر من سطح المشترى . وتوجد على المركبة ٣ آلات حساسة تقوم بتسجيل التأثيرات التى تحدث عند مرور المركبة بأحزمة الاشعاع المحيطة بالارض ، وكذلك عند خروجها من نطاق الجاذبية الأرضية .

نسبة الوفيات ترتفع بين رجال امريكا !

كشف تقرير احصائي للمركز الرئيسي للاحصائيات الطبية فى امريكا ان نسبة الوفيات بين الذكور من سكان امريكا قد ارتفعت فى السنوات الاخيرة ، وذلك بين كبار السن من البيض ، وكذلك الشبان الذين تتراوح اعمارهم بين ١٥ و ٤٤ عاما وايضا اولئك الذين ينحدرون من اصل زنجي او هندى او خليط من الاجناس ، ارتفعت نسبة الوفيات بينهم مؤخرا ، بعد ان كانت قد انخفضت حتى عام ١٩٦٣ .

ويقول التقرير ان امراض القلب لا تزال من اهم الاسباب لحدوث الوفيات بين رجال امريكا ، ولكن يبدو ان هناك اتجاها ، تبينه الاحصائيات ، الى انخفاض نسبة من يموتون بسبب هذه الامراض ، فقد هبط عدد من ماتوا بسبب مرض فى القلب من ٣٧٦ من بين كل ١٠٠ الف فى عام ١٩٦٠ الى ٣٦٢ من بين كل ١٠٠ الف فى عام ١٩٦٧ .



وتبين الارقام ان نسبة الوفيات بين الذكور اكبر منها بين الاناث فى مختلف مراحل العمر . وتصل هذه النسبة الى اكبر معدل لها فى اولئك الذين تتراوح اعمارهم بين ٢٠ و ٢٤ عاما ، وثبت ان حوادث السيارات تعتبر من اهم العوامل التى تؤدى الى الوفاة فى هذه السن بالذات .

وقد ازدادت نسبة الوفيات الناتجة عن اعمال عنف زيادة كبيرة فى الفترة ما بين عام ١٩٦٣ وعام ١٩٦٨ وخاصة بين الرجال الذين تتراوح اعمارهم بين ١٥ ــ ٢٤ عاما . كما ازدادت ايضا نسبة جرائم الانتحار والقتل زيادة واضحة ، وذلك بين البيض والسود على السواء .

ويوضح التقرير ان امراض السرطان وتليف الكبد والدورة الدموية تتسبب الآن فى موت عدد من صغار السن بين رجال امريكا ، اكثر مما كانت عليه من قبل .

ومن الغريب انه بالرغم من ان الاحصائيات تبين ارتفاع نسبة الوفيات بين الذكور فى امريكا ، فانها تبين ايضا ان نسبة الوفيات قد انخفضت بالنسبة للاناث . وقد ادت هذه الحقيقة الى تغيير نسبة الرجال الى النساء فى الولايات المتحدة ، ففي عام ١٩١٠ كان هناك ١٠٦ رجال لكل ١٠٠ امراة ، وفى عام ١٩٤٠ اصبحت النسبة ١٠٠ رجل لكل ١٠٠ امراة . اما فى عام ١٩٧٠ فقد انخفضت نسبة عدد الرجال الى ٩٥ رجلا لكل ١٠٠ امراة .

وهكذا ، ربما يأتي اليوم الذى تعاني فيه امريكا من نقص رجالها عن نسائها ، بنسبة قد تسبب خللا فى المجتمع !!

لبنانكم لكم .. ولي لبناني

بقلم : خالد سليمان العدساني

طافت بنفسي فاستَبَتْ وجداني ... نسمات عطر هِجْنَ من لبنان
ولمحت أطيافا عليقْن بخاطري ... خلف التلال تفوح بالريحان
والزهر يرفل حيثما شاهدته ... وخمائل الزيتون والرمان
مهد الرفاق الثابتين على الهوى ... ومراتع العشاق والغزلان

★★★

ومليحة وشى الربيع إطارها ... بالتبر والياقوت والمرجان
وحديثها صمت العروس وإنما ... كالسحر في وضح وفي تبيان
أضفى عليها الحسن من لألائه ... فالقلب من رؤياه كالنشوان
شاطرتها طيب الحياة هنيئة ... وقضيت فيها أطيب الأزمان

★★★

بك لاذ « برمانا » الأولى رشفوا الهوى ... في جانبيك فطِبْتِ للخُلان
لى في مجاليك الحياة تفتحت ... أكمامها فغدوت كالسلطان
وعرفت معنى الحب فيك معطرا ... ونهلت من ينبوعه الريان
« قصرُ الصنوبر » في الضحى مأوى لنا ... أما العشيّ « فقهوة الرمان »

★★★

و« الحرشُ » و« العرشات » طاب عبيرها ... وجداول « العَرعار » للوطان



اللهَ من صلَفِ الزمان ومكره ... يلهو بكل مصاير الانسان

بعدت بنا الأيام عن أحبابنا ... والشوق يبعدنا عن النسيان

أو «فاطم» — والصبر فيه سجية — ... عيل اصطبارى، كيف بالسلوان ؟

★★★

قالوا: « تغالى الطيبون بوصلهم ... وتجاوزوا بالصد والهجران»

قلنا : «دلال الأكرمين مع الهوى ... عذب، ومن يمرض الغرام يعانى »

يا آل لبنان الحبيب ولى بكم ... أمل تحلّى بالشذى وأمانى

إن تنصفوا.. أهل .. وإن لم تنصفوا ... لُبنانُكم لكمُ ولى لبنانى

■■

خالد سليمان العدساني

شهر العسل

تحقيق

تقليد لا بد له من بقاء

ولكن هل يجب أن يكون كله عسلاً !!

ولا شيء غير العسل ؟

■ شهر العسل ، هذا التقليد الذي يبدأ به العروسان حياتهما الزوجية ، حتى لقد اصبح جزءا اساسيا متمما لكلما تحمله الينا الصحف من اخبار الزيجات الجديدة، فنقرا « ان العروسين قد سافرا لقضاء شهر العسل في ربوع بلاد الله الواسعة ، بعد اتمام مراسم الزواج .. فبالرفاء والبنين » ... شهر العسل هذا ، هل هو حقا ضرورة ملحة ، فلا يمكن ان يكتمل زواج بدونه ، ولا يمكن ان يكون هناك رفاء ولا بنون ،الا بعد عودة العروسين من العسل ؟

يقول المؤلف والكاتب الاسكتلندي الشهير نورمان دوجلاس (١٨٦٨ ــ ١٩٥٢) : « ان اسوا ما يمكن ان يحدث لعروسين في بداية حياتهما معا ، ان يتعودا على شيء لن يدوم ! » .

كوليت والعسل

وصفت كوليت ، كاتبة فرنسا شهر العسل في كتابها « عزيزي Cheri » : « بانه نوم وكسل ولحظات مليئة بطعم للحياة لذيذ .. كل شيء فيها يتوقف ، الا الحب .. وكل شيء فيها يخلو الا من الحبيبين اللذين يقضيان كل وقتهما يغرفان من العسل الحلو حتى ينضب او يكاد ، ثم يصحوان من غفوتهما طالت ام قصرت ، فاذا حانت ساعة الرحيل .. ساعة العودة الى البيت والعمل ، تمنيا لو ان النهار لم يطلع عليهما...».

ترى كيف يكون رد الفعل عند العروسين عندما تذهب السكرة وتجيء الفكرة .. عندما يعودان من حياة العسل ليواجها حياة الكد والعمل ، تلك التي ربطتهما ، واتفقا في ظل هذا الرباط على ان يتكاتفا ويتعاونا من اجل بناء اسرتهما الجديدة الصغيرة ، والسهر عليها ، لتوفير اسباب العيش لها .

لماذا نسى ؟

يقول مارك بيترسون في كتابه « ما بعد شهر العسل After The Honeymoon ان الانتقال الى



الحياة الروتينية ، بعد اكبر واحلى تجربة يمر بها الزوجان في شهر العسل ، يتطلب جهدا كبيرا من الطرفين .. حقيقة ان العروس تسافر مع زوجها وهي تعلم ان الاسابيع القليلة التى ستقضيها معه ، في المكان الذى اختاره هو ، او ربما اشترك الاثنان في اختياره ، هذه الاسابيع ، لا تمثل الحياة التي تنتظرها بعد الزواج .. ولكن ما يحدث في اغلب الاحيان ، هو ان ينسى العروسان هذه الحقيقة ، فهما يعيشان ايام هذا الشهر القصيرة في سعادة ، والانسان ميال بطبيعته الى نسيان كل شيء في غمرة سعادته ، الا نفسه ، والا من يحب .. وتكون النتيجة ان يصاب الزوجان بصدمة ، عندما تنتهي تلك الايام السعيدة ، ويعودان ، وتعود بهما الحياة الى واقعها .. فيذهب الزوج الى عمله الذى يرتزق منه ، وتعود العروس الى عملها في البيت ، او في خارج البيت اذا كانت امرأة عاملة .

شعلة الحب ، هل تنطفىء ؟

فهل انتهى كل شيء بينهما بانتهاء شهر العسل ؟ هل يقنع الزوجان الآن بالاستقرار والاستسلام للحياة الروتينية الرتيبة التي ستطفىء شعلة الحب ، تلك التي جمعت بينهما ، ووصلت الى الذروة ايام العسل الحلو ؟

يقول بيترسون : « ان الاجابة على هذه التساؤلات التى تسيطر على اذهان الكثيرين من الازواج ، هي بالنفي قطعا .. ولو ان هناك كثيرا من الحالات التى يقع فيها العروسان نهبا لمثل هذه الافكار الطائشة عندما يستقر بهما الحال في بيت الزوجية ..

« ان الزوجين اللذين يفقدان حماسهما لتوطيد دعائم هذا الزواج ، يبدأ شعور بعضهما الى بعض في الفتور تدريجا ، وبذلك يضعان بأيديهما اسباب التعاسة الزوجية ، وما قد يترتب عليها من انفصال بالطلاق .

الهدف من الزواج

« ان مثل هذين الزوجين ينسيان شيئا هاما ، وهو الهدف الاساسي من الزواج ، فهما قد سمحا لافكار تافهة بأن تتراكم وتزدحم في رأسيهما ، حتى

اصبحت تسيطر على كل تصرف يصدر عنهما دون وعي او تفكير .

« اما بالنسبة للرجل، فقد يكون عمله واهتمامه بهذا العمل وانشغاله به ، هو في الغالب السبب الذى دفع زوجته الشابة الى التصور بأن زوجها لم يعد يهتم بها ، بعد ان انقضت ايام العسل ، وذهبت الى حيث لن تعود ، فلم يبق منها سوى تلك الذكريات التى تظل عالقة برأس المرأة ، وتلك اللحظات التى قضتها معه وحدهما على شاطىء البحر ، او فوق الجبل بين احضان الطبيعة ، عندما كان زوجها لها وحدها لا يشاركها فيه احد، ولا يشغله عنها اى شيء حتى عمله نفسه ..

حقيقة قد تكون هناك عوامل اخرى قد تستوعب جزءا من وقت الزوج ، كالقراءة مثلا ، والبحث والاطلاع ، او قضاء جانب من السهرة مع الزملاء والاصدقاء ، او ممارسة هواية لا تشاركه فيها زوجته .. ولكن هذه العوامل قلما ألهت الزوج عن زوجته او انسته واجبه الاول نحو بيته واطفاله ، وخاصة عندما يثمر هذا الزواج .

عمل الزوج ورزقه

فالشيء الوحيد الذى يثير اهتمام الرجل ويجعله يضعه فوق كل اعتبار آخر ، هو عمله ورزقه ، ومبعث هذا الاهتمام بطبيعة الحال هو شعوره بالمسئولية الملقاة على عاتقه والتى تضاعفت بعد الزواج ..

« واما بالنسبة للمرأة فهي تتمثل ، كما ذكرنا في هذا الانتقال المفاجيء من حياة سهلة مليئة بالمسرات ، الى حياة حافلة بالعمل والمسئوليات نحو زوجها وبيتها ونفسها .. فقد ولت تلك الايام التى كانت تصحو فيها من نومها لتجد طعام الافطار في انتظارها .. وانقضت تلك الساعات الطويلة التى كانت تقضيها في استرخاء وكسل ، وهي جالسة على كرسيها تنعم بأشعة الشمس الدافئة .. وذهبت تلك اللحظات التى طالما وقفت فيها امام مرآتها تتزين ، استعدادا للخروج وقضاء السهرة مع زوجها في الخارج .. لم يعد هناك شيء من هذا كله ..

« انها تصحو الآن في ساعةمبكرة من الصباح لتعد طعام الافطار لزوجها ، ويخرج الزوج الى عمله ، وتبقى هي في البيت ، ان كانت لا تعمل ، وتمضي ساعات النهار بطيئة متثاقلة ، وكأنها تزحف زحفا ، وهي ما زالت منهمكة في تنظيف بيتها وترتيبه ، واعداد طعام الغداء للزوج الذى يعود اليها جائعا دائما ..

صورة أمهـا

« انها تعرف هذه المرأة الجديدة ، انها ليست غريبة عليها ، فقد رأتها في امها من قبلها ، وما زالت تذكر اشفاقها عليها ، وهي تراها تكد وتعمل طوال ساعات النهار من الصباح حتى غياب الشمس في المساء ..

هل جاء دورها بمثل هذه السرعة ؟

« انها تعلم ان هذا هو دور كل زوجة وكل ام في الحياة .. ولكنها كانت تتمنى ، وهي امنية تراود احلام كل فتاة ، ان يكون حظها اكبر من حظ امها ، فتجد الرجل الذى يستطيع ان يوفر لها حياة اسهل ورفاهية اكثر من تلك التى نعمت بها امها من قبلها ..

« ولقد ذاقت مثل هذه الزوجة ، الحياة التى كانت تحلم بها ، ولكن لفترة قصيرة لم تدم طويلا ، اذ ما لبثت ان انتهت ، بانتهاء شهر العسل .. ومن هنا تكون الصدمة التى تصاب بها العروس ، وهي صدمة لم تحس بها الام من قبلها ، لانها ربما لم تعرف « شهر العسل » ، هذا ، الذى استهلت به ابنتها حياتها الزوجية .

بين الامس واليوم

« كان الزوج يحمل زوجته في الماضي ، ويذهب بها الى بيت الزوجية .. ويبدأ الزوجان حياتهما بكل ما فيها من لهو وعمل ، منذ اللحظة الاولى التى يجتمعان فيها في ظل الله .

ثم يتحدث بيترسون بعد هذا ، عن العوامل

التى تلعب دورا هاما في مساعدة الزوجين على تكييف انفسهما ، وتغيير امزجتهما والتغلب على المشاكل الصغيرة والكبيرة التى تعترض طريقهما في الحياة .. وفي مقدمة هذه العوامل ، النضوج .. نضوج الزوجين ، وادراكهما الكامل للدور الكبير الذى يقوم به كل منهما نحو الاخر ، في سبيل اقامة حياة زوجية سعيدة ، فالزواج ليس نزهة ، وهو ليس متعة ، وهو لا يقوم من اجل تحقيق مصلحة او غرض معين ، وانما هو في المقام الاول رباط ابدى من اجل بناء الاسرة ، والتضحية بكل شيء في سبيل توفير اسباب السعادة والرفاهية لهذه الاسرة .

ماذا عن شهر العسل ؟

ويجيب بيترسون على هذا السؤال بقوله : « انه تقليد يجب ان يبقى ، ولكن يجب الا يكون مدخلا وبداية للزواج ؟ » .

ثم هو يروى بعد ذلك قصة صديقه العالم الانجليزى المعروف سير آرثر ستانلى ادنجتون Sir Arthur Stanley Eddington (١٨٨٢ – ١٩٤٤) استاذ علم الفلك بجامعة كمبريدج ، لقد التقى به قبل وفاته ببضع سنوات ، وقبل ان يشرع في اعداد كتابه عن الزواج وشهر العسل ، وجلس سير ستانلى يروى له جانبا من ذكرياته عن حياته الخاصة ..

يقول بيترسون : « لقد كان حديث هذا العالم، اول من اوحي لي فكرة هذا الكتاب .. لقد راح يروى لي تجربته الخاصة في الزواج .. كيف احتفل زملاؤه وتلاميذه في الجامعة بزواجه من المراة التى اختارها اخيرا عندما بلغ الخامسة والثلاثين من عمره بعد ان كان قد اعلن الاضراب عن الزواج ..

« وجاء زملاؤه وابناؤه ليحتفلوا بالعروسين ، امتد الحفل حتى ساعة متاخرة من الليل ، عندما وقفوا يودعون العروسين ويتمنون لهما حياة سعيدة طويلة .

« ثم انصرف الضيوف والمدعوون .

وفي الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي ، فوجىء الجميع بسير ستانلى ، يقف في معمله ، كما تعود ان يفعل في صباح كل يوم ، ويؤدى عمله ، وكان شيئا لم يطرأ على حياته ..

« وقال زملاؤه يسالونه في دهشة : « ولكنك قد تزوجت بالامس ، هل نسيت ؟ ان هذا ليس مكانك اليوم بكل تاكيد .. الا تنوى ان تاخذ عروسك في رحلة لقضاء شهر العسل ؟ .. » .

عسل وعمل

وقال سير ستانلى : « ولماذا اسافر ؟ لماذا اترك عملي ؟ لماذا لا اقضي شهر العسل هنا مع عروسي ، ومع عملي في وقت واحد ، انني اعطيها نصف يومي ، ونصف وقتي ، ولا اظن ان هناك امراة عاقلة تريد اكثر من ذلك .. » .

يقول بيترسون : « لقد جلس سير ستانلى بعد ذلك يروى لي قصة اول شهر عسل قضاه مع زوجته ، قال : « لقد كان ذلك بعد انقضاء عشر سنوات على زواجنا .. » .

شهور عسل عديدة

ولم يكن هذا هو شهر العسل الأول والأخير ، فقد سافرنا لقضاء شهر عسل ثان في عيد زواجنا العشرين ، وقضينا آخر شهر عسل في عيد ميلادى الستين .. وكنا في كل مرة نعود فيها اكثر شوقا وحنينا الى بيتنا وعملنا والى الحياة التي الفناها وتعودناها ..

يقول بيترسون في ختام حديثه : « ان حياة الزوجين يمكن ان تصبح كلها عسلا ، رغم ما قد يتخللها من صعوبات ومشاكل وخلافات .. ولو امتد العمر بصديقي سير ستانلى ، لكان حتما سيقضي شهر عسل رابع وخامس ، وفي كل فرصة يجد فيها الزوجان وقتا يستطيعان ان يخلوا فيه الى نفسيهما ! » . ■■

م • ن

إعرف وطنك
أيها العربي

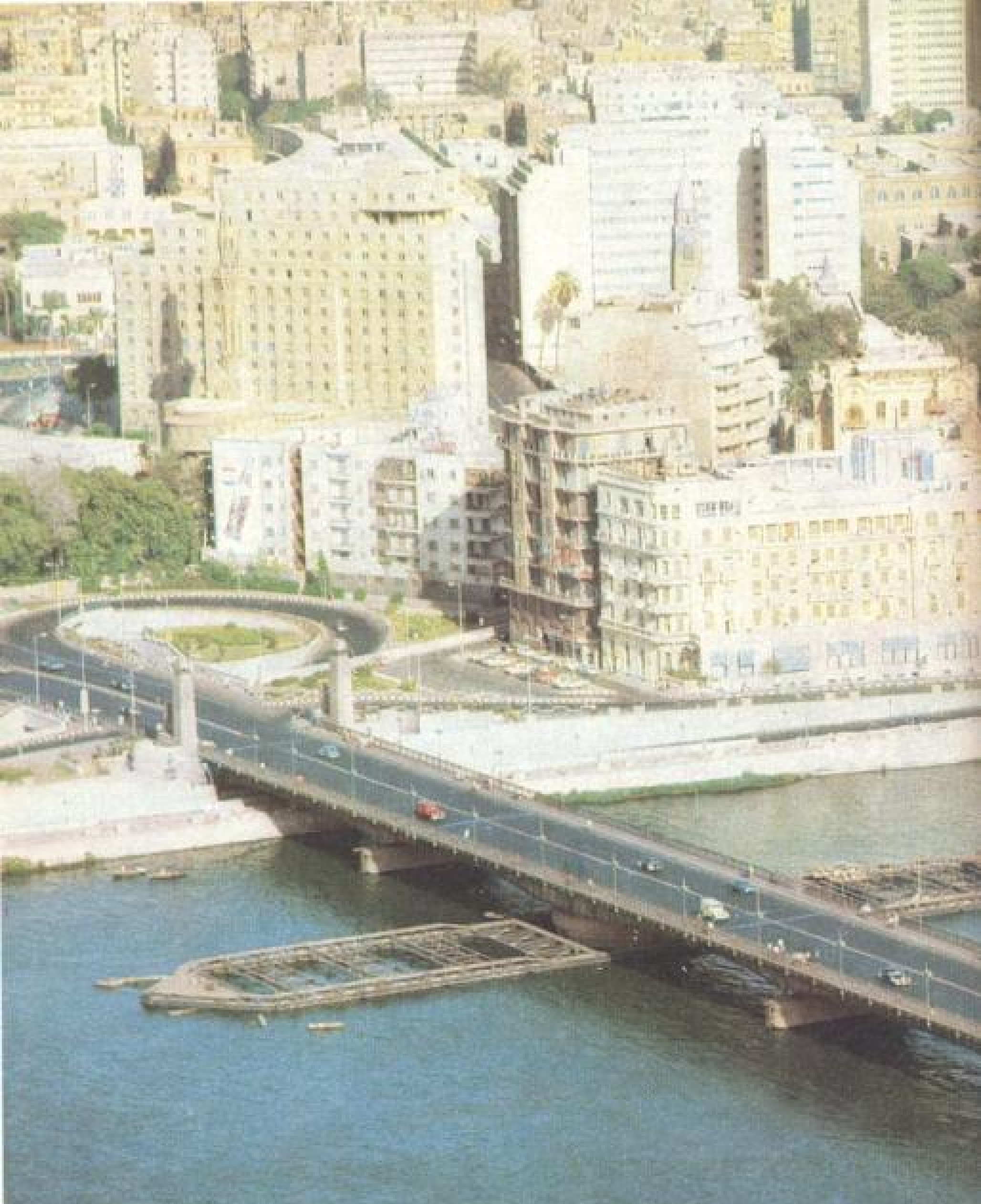
القاهرة



الى اليمين : برج القاهرة في الليل ، ومن قمة هذا البرج يستطيع الزائر أن يرى وجهي القاهرة القديم منهما والحديث ..

الى اسفل : محمود رضا مؤسس فرقة رضا للفنون الشعبية ، يلقي درسا على بعض راقصات الفرقة التي تضم ٦٠ راقصا وراقصة .





جانب من المباني والعمارات الحديثة الضخمة عند كوبرى قصر النيل في قلب القاهرة ، ثامن اكبر مدن العالم .

استطلاع بقلم

منير نصيف

تصوير

عبد الناصر شقره

● لمحة سريعة عن اكبر عاصمة فى افريقيا، وثامن أضخم مدن العالم

● تعداد سكان القاهرة الكبرى يصل الى عشرة ملايين نسمة بعد ٨ سنوات

● العاصمة التى تختنق بسكانها، نصف مساحة أرضها صحراء!!

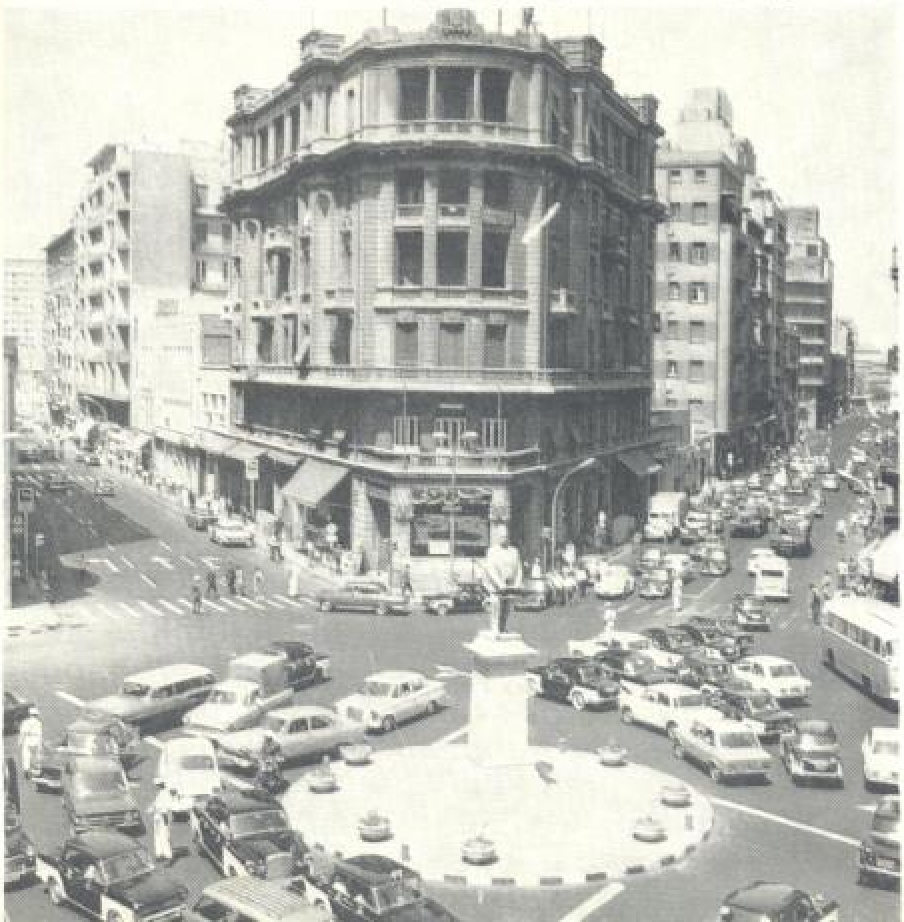
■ كانت القاهرة مقصدنا، وكانت وجهتنا، ونحن نستعد للسفر الى مصر لتقديم هذا الاستطلاع ..

نعم القاهرة، تلك المدينة الضخمة التي تضم اليوم ما يزيد على الخمسة ملايين ونصف مليون نسمة .. المدينة التاريخية القديمة التى بناها المعز لدين الله الفاطمي، منذ اكثر من الف عام، واحتفلت فى عام ١٩٦٩، بعيد ميلادها الألفي ..

ثامن اكبر مدن العالم من حيث الضخامة وتعداد السكان ... واكبر مدينة في القارة الافريقية باكملها ..

وكما نفعل في كل مرة نستعد فيها بعثة «العربي» الاستطلاع منطقة من مناطق وطننا العربي الكبير ،

تمثال طلعت حرب، مؤسس النهضة الصناعية والاقتصادية الوطنية، وهو يقع في قلب العاصمة، اكثر مناطق القاهرة ازدحاما بالناس والسيارات ..





نفق قصر النيل ، وقد ساهم في التخفيف من حدة مشكلة المرور .. ويجرى العمل الآن في انشاء العديد من الانفاق في مختلف انحاء القاهرة المزدحمة .

اجتمعنا برئيس التحرير ليحدثنا ، ونحدثه فيما نحن فاعلون ..

ونظرنا اليه ، فوجدناه يبتسم .. ولم ندرك مغزى ابتسامته الا عندما تحدث الينا متسائلا : « تريدون ان تستطلعوا القاهرة ؟ لا شك انكم تقصدون ان تقدموا لمحة سريعة عن القاهرة الحديثة ؟ والا كانت محاولتكم اشبه ما تكون بمن اراد ان يجمع ماء البحر في وعاء .. على اية حال، اتمنى لكم التوفيق فيما انتم مقدمون عليه » .

لقد كانت اذن ابتسامة اشفاق علينا ، بسبب ضخامة المهمة الملقاة على عاتقنا .

بحر في وعاء

ووصلنا الى القاهرة ، وكلمات رئيس التحرير ما زالت في اذاننا ، وكنا كلما توغلنا في احياء هذه العاصمة الكبيرة ، ومشينا في دروبها ... وتجولنا وسط حضاراتها القديمة والحديثة ، طالعتنا صورة الوعاء ، وقد امتلا حتى فاضت المياه من جوانبه، بينما بقى البحر زاخرا مليئا من حولنا..

نحن ابناء مصر ، التي هي بلد كل عربي ، فهي اذن ليست غريبة علينا ، ولكننا ، احسسنا ، ولا ندرى كيف انتابنا هذا الاحساس ، باننا في بلد نراه للمرة الاولى ...

فالمرء منا يعتاد الصور التي تمر به في حياته كل يوم ، فهو لا يراها كل الرؤية ، الا اذا طلب منه ان يصف ما يرى ..

وهل نحن في حاجة حقا الى ان نصف القاهرة.. ومن منا لم ير مصر ، ولم يزر عاصمة مصر ؟

واذا كان ابناء الحضارة الغربية الذين وفدوا وما زالوا يفدون اليها الوفا مؤلفة كل عام ، ليشاهدوا معالمها القديمة والحديثة ، وليعيشوا لحظات وسط تاريخها العريق ، عراقة الزمن نفسه ، اذا كان هؤلاء قد قالوا عن القاهرة :





تنتشر الكازينات العائمة على شفاف النيل الخالد في المناطق السياحية ، **والى يسار الصورة** على الضفة المقابلة للنيل ظهر مبنى التلفزيون الحديث وسيلة الاعلام الاولى في كل عاصمة حديثة .

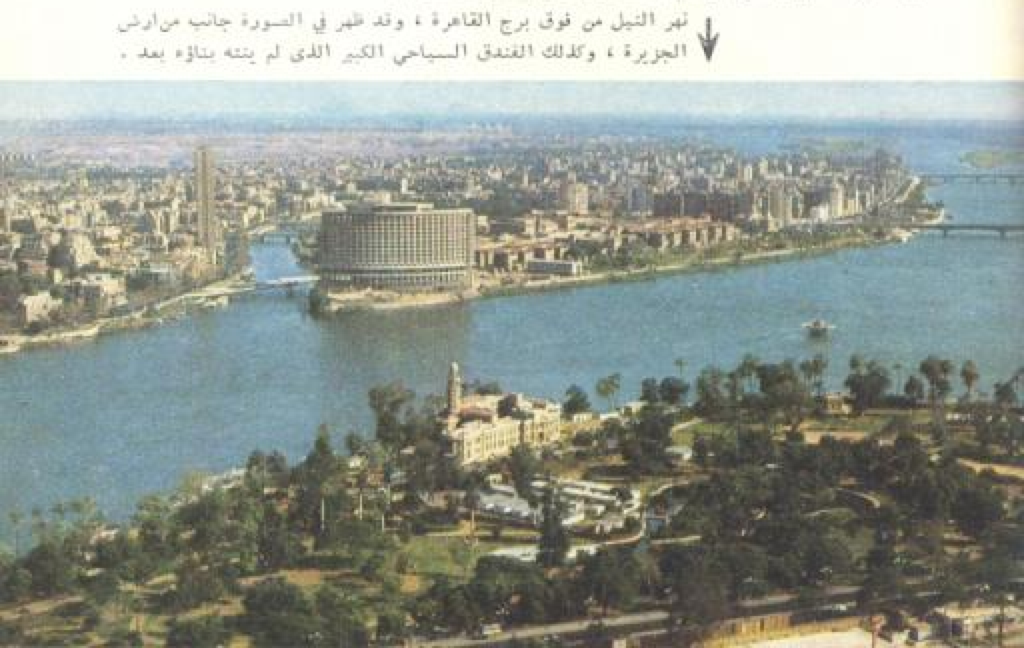
ميدان سعد زغلول، وكوبرى قصر النيل، بالليل وقد انعكست الاضواء على صفحة المياه العذبة ،





بهو فندق عمر الخيام ، قصر منيف ، تحول الى فندق من اجمل فنادق الدرجة الاولى التي تزدحم بالسائحين طوال اشهر السنة ..

نهر النيل من فوق برج القاهرة ، وقد ظهر في الصورة جانب من ارض الجزيرة ، وكذلك الفندق السياحي الكبير الذي لم ينته بناؤه بعد .







٣٠٠ الف سيارة خاصة وعامة تجرى في شوارع منطقة وسط القاهرة في رحلات تقطع فيها هذه الشوارع جيئة وذهابا ، ولو احصينا عدد هذه الرحلات لوجدناها تربو على المليون .. يقول المقيد فاروق حشيش ، الرجل الذي قضى اكثر من عشرين عاما في الاشراف على المرور وادارته : « ان مشكلة المرور هي مشكلة القرن العشرين ، وهي مشكلة تستفحل في كل بلد يزدحم بالناس والسيارات ! »

المقيد فاروق حشيش ←

« انها تمثل عند العرب ، ما تمثله عندنا ، مدن باريس واكسفورد والفاتيكان مجتمعة ، كل من جانب خاص به وحده » .

وجهـا القاهرة

فماذا نقول نحن عن القاهرة .. المدينة العربية الأم ، التي طالما بسطت ذراعيها لتحتضن بهما كل زائر اليها ، فلا يلبث ان يتملكه ذلك الشعور الذي يحس به كل فرد ، بانه يعيش في بلده ، وبين اهله وعشيرته ، وان اختلفت الوجوه قليلا .. وتباينت الصور والمعالم من حوله ..

نقول ان للقاهرة وجهين .. وجه قديم جميل يتمثل فيما تحويه هذه العاصمة من الآثار المصرية والقبطية ، ومن آيات الفن الاسلامي التي قامت وانتشرت على مدى الف سنة من التاريخ ..

ووجه آخر ، هو وجهها الحديث الجميل الذي يتمثل فيما يراه الزائر من مظاهر الحضارة والمدنية الحاضرة التي شملت كل ناحية من نواحي الحياة العمرانية والعلمية والثقافية ، وما تطلبه ذلك من انشاء دور العلم والمصانع الحديثة ، تلك التي قامت وانتشرت في قلب المدينة ، وعلى اطرافها البعيدة والقريبة ، وضمت هذه وتلك ، عشرات الالوف من طالبي العلم والمعرفة الذين بلغ تعدادهم حوالي مليون طالب وطالبة في شتى مراحل التعليم من ابناء مصر والدول العربية الشقيقة ومن غير

الدول العربية ، ومن العاملين الكادحين الذين ساهموا وما زالوا يساهمون في تطوير هذا المجتمع الكبير ، وتحويله الى مجتمع زراعي وصناعي متقدم، بعد ان بقي ، ولقرون طويلة مضت مجرد مجتمع زراعي متخلف ، لا يصلح لقيام اى صناعة من تلك الصناعات الحديثة التي سبقتنا اليها دول العالم المتقدمة ، او هكذا صور لنا المستعمر ، الذى اراد لمصر ان تبقى مزرعة هائلة ، تقدم له الخامات التى كانت تجمع وتصدر وتصنع في ارضه ومصانعه، ثم تدفع مصر ويدفع المصريون ملايين الجنيهات ، ثمنا لاستيرادها من هذه المصانع .

حقبة من التاريخ

وهي قصة قديمة تكررت في كل بلد عانى من الاستعمار والمستعمرين .. ولكننا لا نستطيع ان نغفلها او ننساها ، لانها تمثل حقبة من تاريخ الأمم النامية التي تسرع الخطى في سبيل اللحاق بالدول التي تقدمت على حساب تخلف غيرها من الامم والشعوب الصغيرة المستضعفة ، بعد ان انتزعت هذه الأمم حريتها ، وراحت تقرر مصيرها بنفسها ..

ونترك ماضي القاهرة البعيد وتاريخها ، فليس بين ابناء الأمة العربية من لا يعرف هذا التاريخ العريق .. ثم نتركه لاننا لا نريد ان نظل نعيش عالة على ماضينا ..

ولنتحدث اذن عن الحاضر ... ذلك الوجه الذى يطالع كل قادم الى القاهرة ، قبل ان يبحث عن تاريخها ، وما تركه من بصمات فوق ارضها ..

معالم الوجه الحديث

لقد بدا هذا الوجه الجديد يظهر ، وتتضح معالمه منذ نصف قرن من الزمان ، عندما هبت القاهرة بفضل انتعاش الروح الوطنية فيها ، تلك التي بذرت بذورها الاولى في الثورة التي قادها عرابي باشا على الانجليز في عام ١٨٨٢ .

وبدا تأثير هذا الانتعاش يظهر واضحا في عمارة القاهرة ، فقد ازدادت المنشآت الوطنية فيها ، وعلى راسها مباني جامعة القاهرة اقدم الجامعات العربية الحديثة ثم جاء طلعت حرب « باشا » مؤسس النهضة الصناعية والاقتصادية الوطنية في مصر ، واقام اول مصرف وطني هو «بنك مصر» ثم ما لبث ان امتد نشاط هذا المصرف الى مجالات اخرى الى جانب النشاط المصرفي البحت ، فانشا عدة شركات صناعية وطنية ، كما انشا استديو مصر للانتاج السينمائي ، الذين يدين بوجوده لهذا النشاط ايضا . واقيمت المنشآت الصناعية في الاحياء والضواحي القريبة من القاهرة ، وهي التي تؤلف الآن ذلك الحزام الصناعي الهام الذى يلف العاصمة لفا .

وكان اغلب هذا النشاط يأتي من جانب الافراد، بدافع من الحماسة الوطنية والرغبة في التقدم ..

عاصمة القرن العشرين

ومضت السنون ، وعجلة التقدم تدور دورتها ، رغم ما كان يعترضها من عقبات في كثير من الاحيان.. حتى جاءت ثورة عام ١٩٥٢ ، عندما بدىء في بذل كل الجهود الممكنة لتجميل وجه القاهرة بعد ظهور عدد من المشكلات التي ترتبت على هذا النمو غير

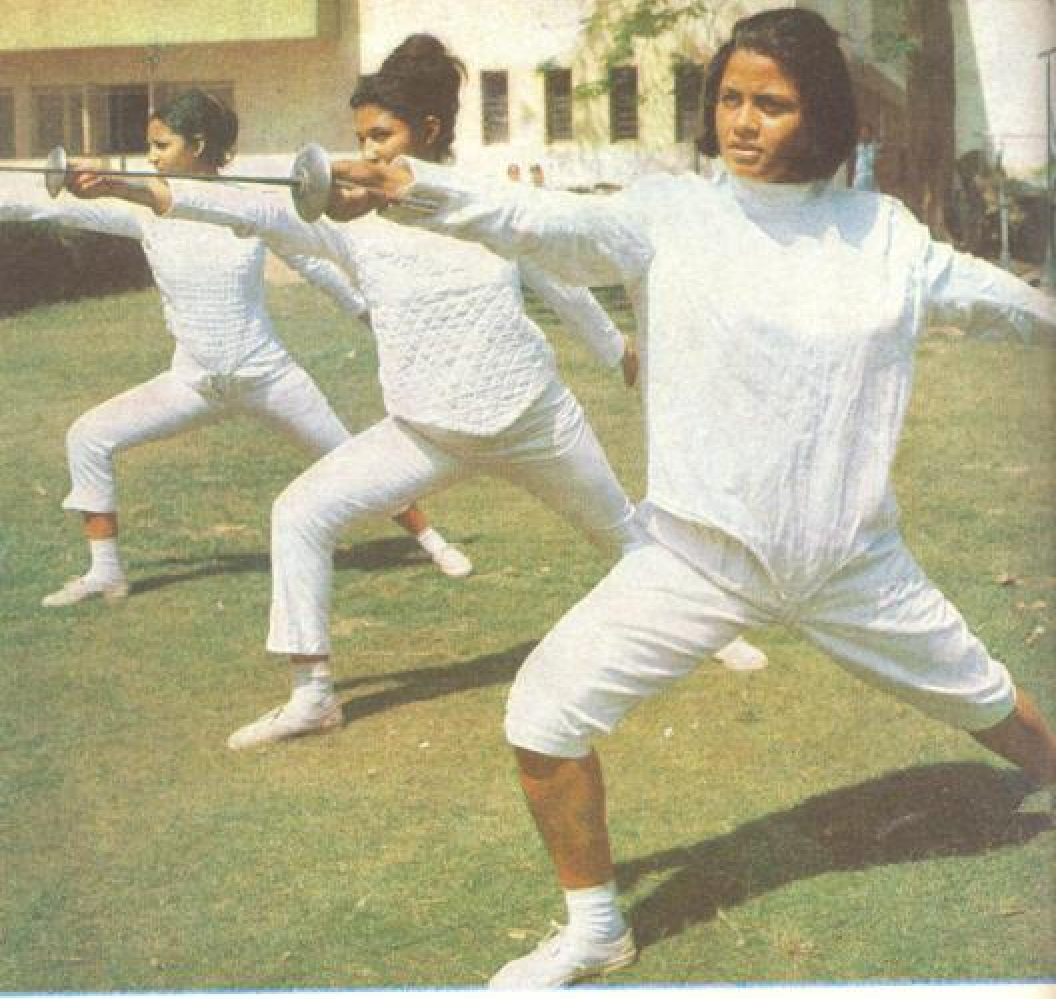
امناء الشرطة اصبحوا الآن ينتشرون في مختلف انحاء العاصمة .. انهم جيل جديد من الشباب المتعلم الذى يتخرج امينا للشرطة بعد قضاء عامين في دراسات تتصل بالمحافظة على الامن والنظام .. ان المخالفات التي يرتكبها سائقو السيارات تدفع فور ضبطها وتحريرها ، طبقا لنظام المرور الجديد في القاهرة .



اصبح العلم للجميع في شتى مراحله، وبالرغم من المنشئات والمباني الجديدة التي تشيد كل عام وتلحق بالكليات الجامعية والمعاهد العليا ، الى جانب المدارس الثانوية والاعدادية والابتدائية الجديدة ، لاستيعاب الاعداد المتزايدة من طلاب العلم ، فقد ضاقت دور العلم بمن فيها ، اذ بلغ عدد طلبة وطالبات جامعات القاهرة الثلاث وهي عين شمس والازهر والقاهرة ، الى جانب المعاهد العليا الصناعية والتجارية والزراعية والفنية ، ما يزيد على ربع مليون طالب وطالبة .. كما بلغ عدد تلاميذ المدارس الثانوية والمتوسطة والابتدائية حوالي مليون تلميذ .. **(والى اليمين)** منظر لجانب من مباني جامعة عين شمس ، والى اسفل مجموعة من طلبة وطالبات معهد الترجمة الفورية ، اما الصورتان **(الى اليسار)** فهما لطالبات المعهد العالي للتربية الرياضية للمعلمات بقصر الزهرية بالجزيرة ، الاولى، لثلاث من اعضاء فريق الشيش بالمعهد ، والثانية للسيدة نفيسة الغمراوي عميدة المعهد في حديث تربوي مع مجموعة من طالباتها .











مدينة نصر قامت في عام ١٩٦٠ ، لتحقق ..
الاراضي الزراعية ، وايجاد منطقة حديثة ..
نصر ، حدث من قبل في ضاحية مصر الجديدة ..
تزايدت نتيجة لوجود عدد من الوزارات فيها ، والـ..

المتوازن بينها وبين بقيــة انحاء مصر .. فقد انعكس هذا الوضع في ان اصبحت قاهرة القرن العشرين تضيق بسكانها الذين بلغوا منذ عشرين عاما حوالي الأربعة ملايين نسمة ..

وكان لا بد للقاهرة اذن ، ان تواجه اضطراب تخطيط الشــوارع والميادين ، وكثرة الأماكن المحتاجة الى اصلاح ، الى جانب وضع سياسة عمرانية تواجه احتياجات ذلك النمو المتزايد ، بسبب الهجرة الداخليــة ، وتركيز المشروعات الصناعية حولها ..

ولم يقتصر الهدف على تجميل وجــه القاهرة وحده ، بل كان الهدف كذلك تمكين سكانها من ممارسة نشاطهم في انحاء الحياة والاقتصــاد والثقافة والعلوم على المستوى القومي للبلاد ..

من اجل حياة افضل

وبدأ العمل في انشاء شبكة واسعة من الطرق الرئيسية والشوارع والميادين التي شقت ، أو وسعت او جددت ، ولو ان هذه ايضا لم تكن في حقيقتها ســوى جانب واحد من جوانب تعمير القاهرة، واطلاق قدرتها البناءة لصنع حياة أفضل للمواطنين ومن هنا تبدو اهمية الانشاءات التي استحدثت طريقا رئيسيا يمتد لمسافة ٤٠ كيلو مترا بمحاذاة النيل، من حلوان في جنوب القاهرة، الى القناطر الخيرية في شمالها .. هذا الطريق الذى تكلف ما يزيد على المليونين من الجنيهات والذى يعتبر من الشرايين الأساســية في حركة المواصلات في العاصمة ..

والى جانب هذا الطريق الحيوى ، انشـئت اربعة مداخل حديثة للعاصمة ، هي مدخل طريق كورنيش النيل،والمدخل المحاذى للسكة الحديدية، للنقل السريع داخل المدينة ، ومدخل ترعة غمرة ، تلك المنطقة الفسيحة التي تزيد مســاحتها على ٤٠٠ الف متر مــربع ، وقد تم ردمها ، واقيم فوقها منطقة صناعية حديثة ، اما المدخل الرابع ، فهو طريق جسر ترعة الاسماعيلية .

اصلاح وتجديد

وفي مقدمة الشوارع التي اصــابتها حــركة التجديد والانشاء ، شارع الخليج ، والتحرير ، والدقي ، وطريق ميناء القاهرة الجوى الدولى بعد بناء مبانيــه الجديدة ، وممرات الهبوط للطائرات النفاثة الضخمة ، وقد تكلف انشاؤها ملايين الجنيهات ، وكذلك طريق المعاهدة وطريق النزهة ، وغيرها كثير من الشــــوارع الواقعة في الأحياء المزدحمة بالسكان ، والتي كانت تشبه عنق الزجاجة .

وكان لا بد بعد ذلك من اعادة تخطيط واصلاح الميادين ، وكذلك العناية بالحدائق العامة ـ رئات العاصمة ومتنفسها ـ وقد شملت هذه الحركة بين ما شملت اعادة تخطيط ميادين باب الحديد ، والتحرير ، والاوبرا ، والعتبــة ، والســـيدة زينب ، واحمد ماهر ، وصلاح الدين بالقلعة ، والجيزة ، وابى العلاء ، والعباسية ، والنزهة وابى بكر الصديق بمصر الجديدة .

مدن واحياء جديدة

وامتدت يد الاصلاح بعد ذلك ، لتحدث تغييرات جذرية في اماكن اخرى ظلت مئات السنين على ما هي عليه دون ان يطرأ عليها اى تغيير ، وفي مقدمتها تلال زينهم «بقايا القسطاط والقطائع المحترقة» ، تلك التي بقيت كما مهملا لمدة تزيد على ثمانية

ذاف ، اولها فتح مجال التوسع العمراني في اتجاه الصحراء الشرقية ، حتى يمكن المحافظة على رقعة
سيا صحيا لتشجيع المواطنين على استملاك اراضيها واقامة المباني عليها .. وكما يحدث الآن في مدينة
زال تتسع باستمرار حتى بلغ عدد سكانها اليوم حوالي المليون نسمة .. الا ان اهمية مدينة نصر قد
نية العسكرية وكلية الشرطة و ٣٠ مؤسسة وشركة . وكذلك مباني الكليات العلمية التابعة لجامعة الازهر ،
والتي بلغ عدد طلابها اليوم اكثر من ٣٥ الف طالب وطالبة .

قرون من الزمان او يزيد الى ان ازيلت بعد عام ١٩٥٢ ، وانشئت مكانها مساكن شعبية ، لتكون حلقة في شبكة المساكن التي شيدتها الدولة ، لمحدودي الدخل ، واصحاب الدخول المتوسطة .

وكذلك كان الحال بالنسبة لبعض الهضاب المرتفعة حول القاهرة ، والاماكن الصحراوية المتداخلة معها ، والتي كانت تعرقل نمو العاصمة الكبرى ، فقد بقيت هذه كلها مهملة قرونا طويلة ، الى ان امتدت اليها الانشاءات ، فاقامت فيها احياء حديثة كتلك التي انشئت فوق جبل المقطم ، وفي مناطق اهرام الجيزة ، واخيرا انشاء مدينة نصر التي اقيمت في المنطقة الصحراوية الواقعة في الاتجاه الشمالي الشرقي للعاصمة ..

٥ره مليون نسمة

ولكن العاصمة الكبرى ، مضت تكبر وتكبر وتتسع وتمتد .. وفي اقل من عشرين عاما ارتفع تعداد سكان القاهرة من اربعة ملايين نسمة الى خمسة ملايين ونصف مليون نسمة ، وربما بلغ ستة ملايين نسمة اليوم .

ولقد كانت هناك عدة عوامل ساهمت بطريق مباشر في ازدياد عدد سكان العاصمة بهذه الصورة المخيفة في مقدمتها الهجرة من الريف الى المدينة الكبرى .. وهي نتيجة طبيعية للتحول الذى طرا على هذا المجتمع الذى راح يعمل بكل قدرته في سبيل تصنيع البلاد وخلق صناعات وطنية جديدة يمكن ان تحقق الاكتفاء الذاتي لشعب هذا البلد ، وتوفر الملايين من العملات الصعبة التي كانت تنفق على استيراد الضروريات والكماليات على السواء .

وهي مشكلة طالما عانت منها كل الدول النامية والمتقدمة على السواء .. عانت منها فرنسا عندما هجر الفلاح ارضه ، ونزح الى العاصمة في منتصف القرن التاسع عشر ، وعانت منها ايطاليا ، ولا تزال ، وغير فرنسا وايطاليا في بداية نموها قبل ان تحقق التقدم الذى وصلت اليه .

وفي الولايات المتحدة الامريكية نفسها ، برزت المشكلة وتضخمت ، ولولا الاستعانة بالآلة التي وفرت مئات الايدى العاملة في الريف ، واستطاعت بذلك ان تحل محل الالوف من العمال الذين هجروا المزارع الى المصانع في المدن ، لما استطاعت امريكا ان تحقق معجزتها الزراعية ..

اما العامل الآخر ، فهو تلك الزيادة الطبيعية

فندق هلتون المطل على النيل ، وهو من اكبر الفنادق السياحية في القاهرة ويتجه التفكير الآن الى بناء المزيد من الفنادق السياحية الرخيصة النظيفة التي يتناسب اجر الاقامة فيها مع ميزانية الغالبية الكبرى من السائحين .. فسائح اليوم ليس مليونيرا ، ثم هو لا يزور القاهرة من اجل الاقامة في الفندق والتمتع بما يوفره له من رفاهية .. ان السائح يخرج من بلاده لكى يرى اكبر قدر ممكن من معالم البلد الذى يزوره سائحا .. القديم منها والحديث ، ولكى يتعرف بعد ذلك على طبيعة هؤلاء الناس ، الذين يلقاهم ، ربما للمرة الاولى ، وعلى عاداتهم وتقاليدهم ومظاهر حضارتهم ونهضتهم .. اما الفندق فهو لا يلجأ اليه ، ولا يفكر فيه كثيرا ، الا عندما يستبد به التعب ، فيعود الى غرفته لينام .





كانت ساعة صلاة الجمعة في نادي الجزيرة، فسارع المسلمون الى تأدية فريضة الصلاة في المسجد الصغير الذي اقيم وسط حديقة النادي .. لقد اصبح عدد اعضاء النادي اليوم ١٦ الف عضو ، وهو الذي لم يكن يضم اكثر من الف عضو قبل عام ١٩٥٢ .. « **والى اسفل** » بطل مصر في الغطس ، عادل فهد الصرعاوي ، ولد في القاهرة من اب كويتي وام مصرية ، وهو طالب في الثانوية العامة .. قال عادل : « لقد تعلمت السباحة قبل ان اتعلم المشي ! » .







مجموعة من طالبات كلية البنات الجامعية ، التابعة لجامعة الازهر الاسلامية في مدينة نصر ، في حديث مع فضيلة الشيخ الدكتور احمد ابراهيم الشعراوي ، وكيل الكلية ، عن الامتحانات ، ومشاكلها .. ان هذه الكلية تعتبر جامعة كاملة متكاملة تضم ثماني شعب ، والدراسة فيها بالمجان حتى بالنسبة للطالبات المغتربات اللواتي يصرف لهن أيضا مكافآت شهرية . وقد انشئت كلية البنات في عام ١٩٦١ – ١٩٦٢ ، وكان مقرها في المعادي ، ثم انتقلت الى المباني الجديدة التي انشئت لها .

لسكان العاصمة ، وان كانت في واقع الأمر زيادة غير طبيعية في القاهرة بالذات ، فهي تفوق اى معدل في اى بلد آخـر ، نتيجة لتقدم وتوفر العلاج ، الذى ادى بدوره الى قلة عدد الوفيات ، ولانعدام الوعي بين الأسر الكادحة ، التي ما زالت ترفض الاخذ بوسائل تنظيم الأسرة ، رغم الجهود التي تبذل عن طريق شتى وسائل الاعلام ، وفي مقدمتها برامج التلفاز ، التي لا تخلو يوميا من احدى التمثيليات التى توضح مساوىء الافراط في انجاب الأطفال .

على ان هناك عاملا آخر يتمثل في تلك الرحلات السياحية الداخلية التي تنقل سكان الريف الى العاصمة وتوفر لهم فرصة مشاهدة معالمها ... الى جانب السياحة الخارجية .

وكل بلد بطبيعة الحال ، يرحب بكلتيهما .. فالسياحة رواج واموال تتداولها الايدى ، وهي صناعة ضخمة في حاجة الى تخطيط ورعاية على مستوى الدولة والهيئات والافراد على السواء ..

الزحام .. الزحام

ترى كيف اصبحت القاهرة اليوم ، بعد كل هذه الجهود التي بذلت في سبيل تطويرها لمواجهة تلك الاعداد من السكان ، الآخذة في الازدياد المستمر ..

لقد جلنا طويلا في احياء العاصمة الكبيرة .. مشينا في شوارعها وميادينها وزرنا ضـواحيها القريبة والبعيدة ، فماذا وجدنا ؟ .

وجدنا المدينة الهائلة ، وقد ضاقت على اتساعها بساكنيها ، وجدنا الزحام في كل مكان ذهبنا اليه .. في الشوارع وفي الطـرقات والميادين ، في سيارات الأوتوبيس والترام والمترو .. في المطاعم



مدينة البعوث الاسلامية ، التابعة لجامعة الازهر ، وهي تضم اليوم ما يزيد على الالفين وخمسمائة طالب يمثلون ٦٣ جنسية من جميع انحاء العالم ، وكلهم يدرسون بالمجان في مختلف كليات جامعة الازهر ، كما يصرف لكل طالب منهم مبلغ سبعة جنيهات شهريا « كمصروف جيب » الى جانب الاقامة في المدينة وتناول الوجبات الثلاث بالمجان ، وفي المدينة ٤١ عمارة سكنية شيدت فوق ارض تبلغ مساحتها ٣٠ فدانا .. كما يوجد بها مسجد ، ونواد اجتماعية ورياضية ، ودار للسينما .

ودور اللهو والسينما .. في المحال التجارية ومتاجر بيع السلع الاستهلاكية .. في الجامعة ودور العلم والمدارس التي ضاقت بطلاب العلم في شتى المراحل الدراسية، رغم تلك الأعداد الضخمة التي شيدت من المدارس والفصول الدراسية الجديدة التي اضيفت الى ما كان موجودا وقائما منها ... زحام في زحام في زحام ... وعشرات الالوف من السيارات تزحف زحفا في شوارع القاهرة وتحاول ان تشق طريقها وسط تلك الكتل البشرية المتراصة عند تقاطع الطرق والشوارع .. وفي الشوارع الجانبية في منطقة وسط القاهرة .. وجدنا اخيرا مدينة تختنق من الزحام .

مشكلة المرور

قال لنا العقيد فاروق حشيش ، الرجل الذى قضى ما يزيد على العشرين عاما في الاشراف على المرور وادارته ، قال : « ان مشكلة المرور هي مشكلة القرن العشرين ، وهي مشكلة تستفحل ويتضاعف خطرها في كل بلد يزدحم بسكانه .. ونحن نعاني من مشاكل المرور في القاهرة بسبب الازدياد الهائل في عدد السيارات الخاصة وسيارات الاوتوبيس التي تضاعفت اعدادها في الاعوام الاخيرة لمواجهة الزيادة المطردة في عدد السكان ، فهي اليوم تسير على خطوط طويلة متشابكة ، تؤلف واحدة من اضخم شبكات النقل في العالم ، سواء كان ذلك بفضل مد الخطوط المكهربة بين القاهرة وضواحيها ، ام بواسطة سيارات الاوتوبيس الكبيرة ومقطوراتها وكلاهما تتسعان لاكثر من ثلاثمائة راكب ... ان في القاهرة اليوم ما يزيد على ٣٠٠ الف مركبة من خاصة وعامة ، وكلها تلتقي

الزحام .. الزحام

اصبحت القاهرة الحديثة مدينة مكتظة بالسكان .. واصبحت مشكلة العاصمة الكبرى هي الزحام.. الزحام في كل مكان .. في الشوارع.. في الميادين .. في المدارس .. في الجامعات .. في المطاعم والفنادق .. في دور اللهو والسينما .. ان هذا الزحام الشديد ناتج عن اسباب عدة ، فهو ناتج عن تردد عدد كبير من المواطنين من خارج العاصمة الى القاهرة للزيارة أو السياحة او للبحث عن العمل والرزق الاوسع والاسرع ، وخاصة بعد الامتيازات الضخمة التي حصل عليها العمال من ناحية ، ونظرا لتركيز الصناعات الاساسية في القاهرة من ناحية اخرى ..

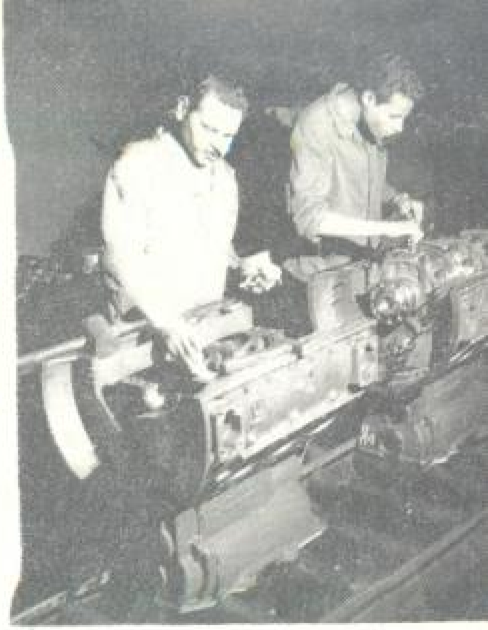
والصورة التي الى اليسار لميدان التحرير ، ساعة انصراف الموظفين من عملهم . وقد شيّدوا في الميدان كوبري معلقا للتخفيف من زحام المشاة ، اما الصورة اسفل هذا الكلام ، فهي لمصنع سيارات نصر الذى ينتج سيارات الاوتوبيس وسيارات الركوب باعداد كبيرة للتصدير والاستهلاك المحلي ، وهناك صناعات أخرى رئيسية كثيرة تركزت في القاهرة ، وفي مقدمتها صناعة النسيج ومصانع الحديد والصلب في حلوان .




KENT



المحرك بعد ان تم تجميعه ، تمهيدا لتركيبه



تجميع محرك السيارة .



صناعة السيارات

صناعة السيارات ، صناعة حديثة ناجحة في القاهرة ، ويقول الدكتور عادل جزارين رئيس مجلة ادارة شركة النصر للسيارات ، « نحن اليوم نقوم بتصنيع ٧٠٪ من سيارات الاوتوبيس محليا .. وسيصل انتاج المصنع من هذه السيارات الى الف سيارة سنويا .. وتصدر الشركة التي تأسست في عام ١٩٦٠ ، انتاجها من سيارات الاوتوبيس الى سوريا والعراق والكويت وليبيا .. كما يقوم المصنع بانتاج السيارات الخاصة من طراز نصر ١٢٨ ، وقد بلغ انتاجه منها ٦ آلاف سيارة هذا العام ..

« وقد بدات الشركة التي يعمل فيها الآن اكثر من ثمانية آلاف مهندس وعامل وموظف ، تحقق ارباحا منذ ثلاث سنوات .. لقد بلغت قيمة الانتاج في السنة المالية ١٩٧١ ـ ١٩٧٢ ٢٤ مليون جنية .. »

وقال الدكتور عادل : « اننا نعمل الآن من اجل مضاعفة الانتاج عن طريق اتباع نظام الحافز الذى يربط بين الاجر والانتاج ، وكذلك توفير السكن الملائم للعاملين في الشركة عن طريق تحويل المنطقة التي يقع فيها المصنع الى مدينة صناعية كاملة متكاملة ، خلال السنوات الخمس المقبلة .



تركيب المحرك فوق شاسيه سيارة اوتوبيس .



بناء جسم السيارة .

وتمر بمنطقة وسط القاهرة ، اكثر المناطق ازدحاما .. ولكن اذا احصينا عدد الرحلات التي تقوم بها هذه المركبات . في نفس هذه المنطقة ، وجدناها تربو على المليون او اكثر ، وهذا هو المقياس السليم لزحام السيارات ..

« ان العلاج السليم لمشاكل المرور يبدا اول ما يبدا في الجهود التي تبذل في توعية الجمهور .. وهذه التوعية تبدأ في المدرسة . يجب ان نبدأ بتعليم الطفل ، كيف يعبر الشارع ، وكيف يتفادى الخطر ، من خلال مواقف طبيعية يمر بها في حياته .. ثم لا تنسوا ان هناك ثلاث نقاط هامة ترتبط ارتباطا مباشرا بوسائل تحسين المرور ، وهي هندسة المرور نفسه ، ثم هندسة الطرق ، واخيرا هندسة السيارات التي تسير على هذه الطرق .. مع مراعاة تنفيذ القانون بصرامة في كل الأحوال . فنحن نواجه مشكلة زحام المرور في القاهرة ، ولا بد لنا ان نعمل على علاج هذه المشكلة في نطاق الحدود والامكانيات المتاحة لنا ، وفي داخل اطار المشكلة نفسها » .

الانفاق والطرق الجديدة

ومضى العقيد فاروق حشيش يقول : « ان مشكلة المرور في القاهرة ، هي نتيجة حتمية لمشكلة نمو القاهرة ، واتساعها ، وخاصة بين الأحياء الواقعة على ضفتي النيل الغربية والشرقية .. وقد انشأنا في عام ١٩٥٨ كوبرى الجامعة ، اطول كبارى القاهرة ، اذ يبلغ طوله نحو ٥٠٠ متر ، وتكلف بناؤه ما يزيد على المليون جنيه ، وترتب على انشاء هذا الكوبرى اعادة تخطيط جزء من حي المنيل ، كما تم كذلك انشاء نفق قصر النيل وانشاء كوبرى آخر على سيالة النيل الشرقية ، كما انشيء الكوبرى العلوى في نهاية شبرا ، ونفق آخر اسفل السكة الحديدية شمال شبرا ، وكذلك الكوبرى الموازى للسكة الحديدية على ترعة الاسماعيلية وكوبرى اثر النبى .

« وقد ساهمت كل هذه الانشاءات مساهمة فعالة في التخفيف من حدة مشكلة المرور في القاهرة ، ونرجو ان تسفر الدراسات التي تجرى الآن ، لابعاد المشكلة ، عن تنفيذ المزيد من المشروعات الحيوية التي يمكن ان تؤدي الى حل المشكلة حلا جذريا » .

في مدينة نصر

وفي مدينة نصر ... تلك المنطقة الصحراوية الواقعة الى الشمال الشرقي من القاهرة عند بداية الطريق المؤدى الى مدينة السويس ، والتي تحولت الى مدينة سكنية حديثة تضم الآن ما يقرب من ١٠٠ الف نسمة ، وفي مبنى وزارة التخطيط ،

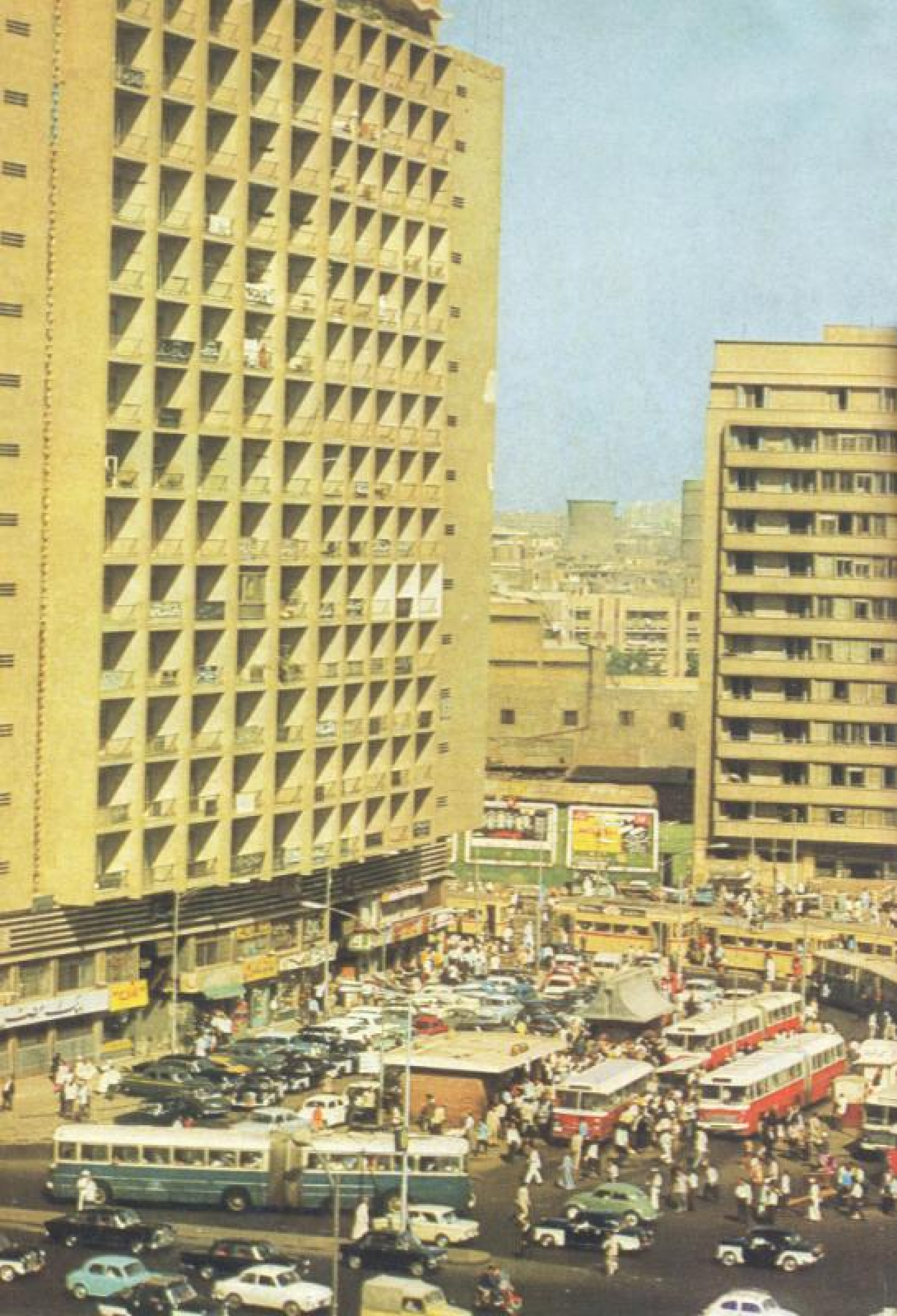




جانب من ميدان باب الحديد في قلب مدينة القاهرة ، حيث تلتقي معظم خطوط المواصلات .. المترو ، والاوتوبيس والترولي باس .. وقد ازدحم الميدان بالسيارات العامة والخاصة وازدحمت هذه بالركاب ، حتى لم يعد فيها موضعا لقدم .. حتى الاوتوبيس النهري أصبح الآن وسيلة هامة من وسائل المواصلات .. فهو يستخدم في نقل طلبة الجامعة والسير في رحلات منتظمة بين حلوان ومنطقة وسط القاهرة .









التقينا بالدكتور احمد المرشدى ، احد كبار رجال التخطيط والاقتصاد في مصر اليوم ..

قال لنا بعد ان استقبلنا في مكتبه على غير موعد ، وبعد ان شرحنا له طبيعة مهمتنا في القاهرة ، قال : « صفوا لي انتم ما رأيتم ؟ » .

قلنا : « رأينا وجها جديدا للقاهرة الحديثة ، ولكنه اشبه بلوحة جميلة رسمها فنان كبير .. وقد وقف امام اللوحة عشرات من المتفرجين الذين راحوا يتأملونها في اعجاب ، حتى لم يعد ظاهرا من اللوحة غير رؤوس الناس الذين تزاحموا لرؤيتها .. لقد اختفت معالمها بسبب الزحام ! ..

خبير التخطيط يتحدث

وقال الدكتور المرشدى : « لا شك ان القاهرة اصبحت اليوم مدينة مكتظة بالسكان ، وهذا الزحام الشديد ناتج عن اسباب عدة ، فهو ناتج عن تردد عدد كبير من المواطنين من خارج العاصمة الى القاهرة للزيارة او للسياحة ثم هو ناتج ايضا عن السياحة الخارجية ..

واخيرا لانه زحام ناشىء عن كثافة القاهريين في القاهرة .

« ونحن نرحب بطبيعة الحال بالزحام الناتج عن السياحة الخارجية والداخلية ، وهناك مشاكل تتصل اتصالا مباشرا بالسياحة ، ولكن لهذه المشاكل حلولها التي تختلف بطبيعة الحال عن المشاكل الخاصة بالكثافة السكانية .

مشكلة تزايد القاهريين

« ونتحدث عن مشكلة تزايد عدد القاهريين اولا ، فهي الأساس .. والذي لا شك فيه ان هناك زحاما ، وقد جاء هذا الزحام نتيجة لما حدث في المراحل الاولى من التصنيع ، فقد ظلت المصانع تشيد باستمرار بالقرب من التسهيلات الكهربائية والمائية والسكانية ، اى بجوار مراكز الطاقة ، والصيانة والاصلاح ، وبجوار القوى العاملة المدربة .. وهذه كلها ، كما نعلم متمركزة في المدن



صناعة الدواء في القاهرة ، استطاعت ان تفي باكثر من ٨٥٪ من احتياجات الجمهور من الدواء.. ويقول الاستاذ محمد القاضي رئيس مجلس ادارة شركة الجمهورية لتجارة الادوية والكيماويات والمستلزمات الطبية او الشركة (الام) « اذا علمنا ان استهلاك مصر من الدواء بلغ ٨٥ مليون جنيه مصري في العام وان ٨٥٪ من هذه الادوية يصنع في مصر ، لادركنا مدى التطور الذى حققته هذه الصناعة في بلادنا » .

ثم يقول : « ان هناك مؤسسة عامة واحدة للادوية ، تتفرع منها عدة اجهزة مركزية تقوم بعمليات التخطيط والاستيراد والتصدير وفتح الاسواق الخارجية.. ويتبع هذه المؤسسة شركات للتصنيع واخرى للتجارة والتوزيع ، وهي تلتزم بتنفيذ خطة المؤسسة .وكل شركة من هذه الشركات لها ميزانيتها المستقلة وراسمالها المستقل .. وهي تحقق ربحا في اغلب الاحيان . والصورة الى اليمين لخط انتاج المحاليل الاساسية المعوضة للدم، اما الصورة التى الى اليسار فلبعض الاطباء العاملين في شركة الجمهورية اثناء فحصهم للاجهزة العلمية .

الكبرى ، وفي القاهرة بصفة خاصة ، بحيث قامت معظم هذه المصانع في العاصمة وضواحيها ثم في الاسكندرية ، واخيرا في عواصم المحافظات .. الا ان نصيب القاهرة منها ، كما قدمنا ، كان وما يزال ، النصيب الاكبر دائما ...

ومضى الدكتور المرشدى ، الذى كان الى عهد قريب وكيلا لوزارة التخطيط ، قبل ان يسند اليه رئاسةالجهاز المركزي للاسعار ، مضى يقول : « وفي رايي انه يجب الآن ان نعيد النظر في كيفية توزيع الصناعات المتعددة على مختلف المحافظات ، خاصة وان كهربة السد العالي ، سوف تتوفر في مصر كلها بعد تنفيذ شبكة الكهرباء ، مما ينتج عنه توفير الطاقة الكهربائية اللازمة للصناعة في اى بقعة من ارض مصر ، ابتداء من الاسكندرية حتى اسوان .

تخزين الطاقات

« على ان هناك مشكلة اخرى لا شك تسهم بطريق مباشر في تعقيد المشكلة .. وهي رغبة الخريجين الجدد الملحة في العمل في القاهرة بعد اتمام دراستهم الجامعية ... اننا نجد في كل يوم وساطات لتعيين الاقارب والاصدقاء في القاهرة ، او نقلهم من المحافظات الى العاصمة .. ورايي الشخصي ان هذه الظاهرة الخطيرة لا يمكن ان نجد لها علاجا الا اذا اصدرنا تشريعا يقضي بان يعمل جميع الخريجين ، والفنيين منهم بصفة خاصة ، وبدون استثناء ، خمس سنوات في المحافظات وفي قراها ونجوعها قبل ان ينقلوا الى العاصمة ..

« فالذى يحدث الآن هو عملية تخزين لهذه الطاقات في القاهرة .. فنجد المهندسين الزراعيين يتكدسون في مبنى وزارة الزراعة ، لانهم لا يريدون ان يتركوا القاهرة ، ونجد الاطباء في وزارة الصحة لانهم لا يحتملون فراق القاهرة !! كيف اذن نحقق اهدافنا ؟ كيف نرتفع بمستوى المحافظات ، وكيف نحل مشاكل الريف ، وكيف نسهم في علاج مشكلة الزحام ، اذا لم نعمل على توزيع هذه الطاقات على جميع انحاء مصر .. ؟ .



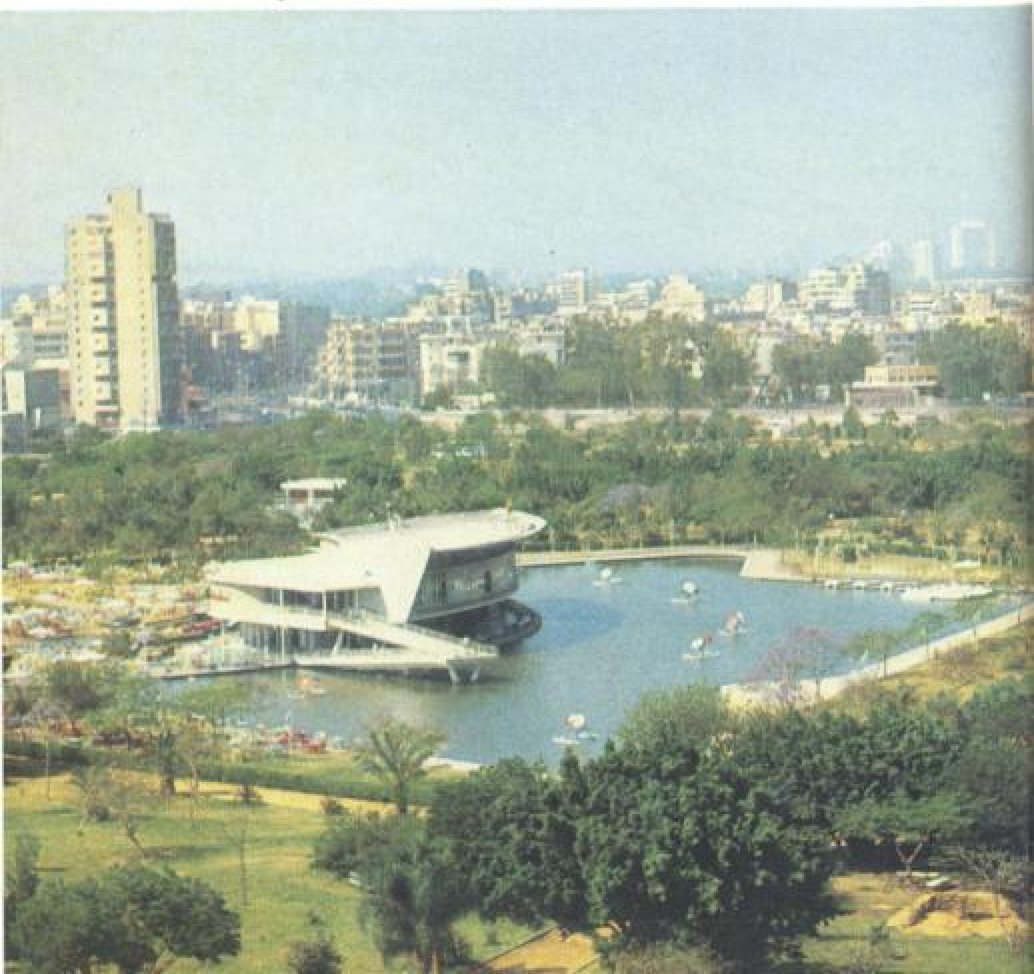
الى اسفل : شارع الخليفة المأمون في ضاحية مصر الجديدة ، وقد ازدحم بالعمارات الحديثة التي شيدت على جانبيه .. ان عدد سكان هذه الضاحية الكبيرة قد تضاعف في السنوات العشر الاخيرة ، فاصبح اليوم يزيد على المليون نسمة .





جانب من العمارات السكنية والحدائق بمدينة نصر في حي العباسية، وتضم العمارة الواحدة ٣٠٠ شقة سكنية .. لقد انشئت هذه المدينة في عام ١٩٦٠ ، للمساهمة في انفراج ازمة الاسكان عن طريق التوسع العمراني في الصحراء شرقا حتى مدينة السويس ، وكذلك التخفيف من الكثافة السكانية وازدحام وسائل المواصلات في وسط القاهرة ، عن طريق نقل جزء من الوزارات والمصالح الحكومية الى المدينة الجديدة التي اصبحت اليوم تضم ست وزارات ، وهي الكهرباء ، والعدل ، والعمل ، والحربية ، والبترول ، والتخطيط .. ويسكن جميع موظفيها بجوار مكاتبهم .. وقد زودت المدينة بكل المرافق العامة ، واقيمت فيها المدارس والمستشفيات والمساجد ، والحدائق الى جانب الكليات العلمية التابعة لجامعة الازهر .

حديقة الماريلاند ، بمصر الجديدة ، حيث يقضي الناس جانبا من اوقات فراغهم بجوار بركتها الاصطناعية وفي مطاعمها وملاهيها، وقد امتلأت المنطقة المحيطة بها بالعمارات والفيلات الحديثة .



١٥٠ ألف وحدة سكنية في العاصمة

« لقد شيدنا خلال الفترة الواقعة ما بين عام ١٩٦٠ و ١٩٦٥ ما يزيد على المائة واربعين الف وحدة سكنية (شقة) في القطر كله ، كان نصيب القاهرة وحدها من هذه الوحدات النصف أو أكثر قليلا .. وشيدنا في الفترة ما بين ١٩٦٦ و ١٩٧٠ ، ١٦٠ الف وحدة سكنية ، ومرة اخرى كان نصف هذه الوحدات في العاصمة .. وبالرغم من ذلك فازمة الاسكان ما زالت مستحكمة ، حتى اصبحت عملية العثور على شقة في القاهرة ، اشبه ما تكون بالبحث عن لؤلؤة في قاع البحر ..

« ان القاهرة ماضية في توسعها بالرغم مما قد يثيره البعض من ان حل مشكلة الزحام ، يكمن في تقييد الهجرة وحدها الى العاصمة ، ولنفرض اننا استطعنا ان نقيد هذه الهجرة ، فهل ستتوقف الزيادة في عدد سكانها ؟ والجواب : لا بطبيعة الحال ، لان سكان القاهرة انفسهم لا بد وان يزيدوا الزيادة السكانية الطبيعية .

بيت من حجرة واحدة

« فامامنا اذن حل واحد ، وهو ان نغير نحن انفسنا من نظرتنا الى الحياة .. فمن غير المعقول ان يصر خريج الجامعة الذى يتقاضى مرتبا يتراوح ما بين ١٧ و ٢٥ جنيها حسب تخصصه على ان يقطن في شقة تتالف من ثلاث او اربع غرف ، بعد ان يتزوج ويستقل بحياته ، وهو الذى كان فردا في افراد اسرة كبيرة تعيش كلها في شقة لا يزيد عدد غرفها كثيرا عن الشقة التي يبحث عنها هو وزوجته وحدهما ...

« وعلاج هذا في رايي ، ان تهتم الدولة بتشجيع بناء المساكن ذات الحجرة الواحدة او الحجرتين على الاكثر ، الاولى للعروسين عند الزواج ، والثانية بعد ان يكون لهما اطفال .. ان هذه الحجرة الواحدة بمرافقها ، يمكن ان تقسم الى اكثر من غرفة للنوم والقراءة والطعام في وقت واحد .. وهذا ما يحدث في كل البلدان المتقدمة ، والتي سبقتنا كثيرا في شتى مجالات الحياة ..

« والذى لا شك فيه ان هذا الاتجاه سوف يوفر على الدولة ملايين الجنيهات التي يمكن ان تضاعف بها عدد ما تشيده من الوحدات السكنية في القاهرة وضواحيها ..

فنادق سياحية رخيصة

« ثم نقطة اخرى ، وهي تتصل بالزحام الناشيء عن السياحة ، الداخلية والخارجية بصفة خاصة » .

« ويتلخص حل هذه المشكلة في رايي في ادراك حقيقة هامة ، وهي ان سائح اليوم يختلف عن سائح الامس اختلافا جذريا .. ان السائح فيما مضى كان من اصحاب الدخول الكبيرة ، او ربما من اصحاب الملايين .. اما سائح اليوم ، فهو الموظف او العامل الذى يظل يدخر من مرتبه طوال اشهر السنة لكي يتمكن من زيارة اكبر عدد ممكن من عواصم العالم ، سواء هنا في بلادنا او في غيرها من بلدان العالم ..

« ولذلك فلا بد لنا اذن من انشاء العديد من الفنادق العظيمة المريحة الرخيصة ، التي لا يجوز ان يزيد اجر الاقامة فيها على جنيه واحد في الليلة .. وهذه الفنادق ، مع الاسف ، غير متوفرة حاليا في بلادنا » .

واختتم الدكتور احمد المرشدى ، حديثه معنا بقوله : « بقيت نقطة اخيرة .. كيف ستصبح القاهرة مستقبلا ؟ ولا تسألوني ، فالجواب ليس عندي ، ولكنه عند اللجنة العليا لتخطيط القاهرة الكبرى » .



الدكتور المهندس مصطفى الحفناوى .
ان اكثر من نصف مساحة اقليم القاهرة الكبرى ما زال ارضا صحراوية لم يمتد اليها العمران بعد !



خريطة توضح التخطيط العام لاقليم القاهرة الكبرى .. وحدود الاقليم التخطيطية تشمل جميع اقسام محافظة القاهرة وهي ٢٢ قسما وجميع اقسام مدينة الجيزة وبعض قرى مراكز امبابة والجيزة والبدرشين والصف ، ومدينة الحوامدية التابعة لمحافظة الجيزة ومدينة شبرا الخيمة ، ومركز قليوب، ومركز القناطر الخيرية ، وبعض قرى مركزى شبين القناطر والخانكة بمحافظة القليوبية .. ويرى في الخريطة مجرى النيل ، ومنطقة وسط القاهرة (والى اليسار) المناطق الزراعية ، (والى اليمين) المناطق الصحراوية التي يمتد اليها العمران حاليا ..

القاهرة الكبرى

وقصدنا الى مكتب المهندس مصطفى الحفناوى نائب رئيس الجهاز التخطيطي والتنفيذى الذى جلس الينا يحدثنا عن مشروع القاهرة الكبرى . قال : « قبل ان نتحدث في هذا المشروع اود اولا ان اذكر لكم بعض الحقائق عن نسبة الزيادة المخيفة في عدد السكان ، ان معدل الزيادة السنوية في تعداد سكان القاهرة الكبرى يصل الى ٤ر٦٪ وهي تعتبر من اعلى النسب في العالم . ويرجع ذلك بصفة اساسية الى تركيز الصناعات الاساسية في اقليم القاهرة الكبرى ،الذى سيأتي الحديث عنه.







استطاعت مصر بفضل جهود ابنائها ان تتحول الى مجتمع زراعي وصناعي متقدم ، بعد ان ظلت ولسنوات طويلة مجرد مزرعة عائلة للمستعمر ، تقدم له الخامات التي تجمع وتصدر وتصنع في ارضه ومصانعه ، ثم تدفع مصر ويدفع المصريون ملايين الجنيهات ثمنا لاستيرادها من تلك المصانع .

لقد اصبحت مصر اليوم تنتج مختلف انواع السلع الاستهلاكية ، ونشطت مصانع الاغذية المحفوظة لتوفير كل ما يحتاج اليه المواطنون للاستهلاك المحلي ، وغمر انتاجها الاسواق العالمية .. كما اصبحت كل متطلبات البيت الحديث من ادوات منزلية واثاثات ومفروشات تصنع محليا .. ان عشرات الالوف من العمال والعاملات في هذه المصانع ساهموا وما زالوا يسهمون في تطوير اقتصاد هذا المجتمع الجديد .

« وهذه النسبة في الزيادة السكانية ، ليست كلها زيادة طبيعية، ذلك ان نسبة الزيادة الطبيعية او التكاثر الطبيعي (النسل) هي ٢ر٤٪ ، اما النسبة الباقية وهي ٢ر٢ فهي تتمثل في الهجرة المستمرة من الاقاليم الى القاهرة ، بحثا عن الرزق الأوسع والأسرع.. وبحثا عن حياة اكثر استقرارا، وخاصة بعد الامتيازات الضخمة التي حصل عليها العمال .. ان العمال الذين يجيئون من خارج القاهرة للعمل في انجاز مشروع معين ، واقصد بهم (العمال الموسميين) ، يرفضون العودة الى حيث كانوا ، حتى اذا لم يجدوا عملا جديدا ، فقد تعودوا الحياة في القاهرة واستطابوها .

« ونتحدث عن المستقبل .. فاقول ان سكان اقليم القاهرة الكبرى بلغ في عام ١٩٦٦ ، ٦ مليون و ١١٣ الف نسمة .

« واذا افترضنا اننا استطعنا ان نحد من الهجرة من الاقاليم الى القاهرة ، بنسبة ٥٠٪ ، فسوف يبلغ تعداد سكان الاقليم من الحضر والريف مما ٨ مليون وثلث مليون نسمة تقريبا بعد ثلاث سنوات ، اى في عام ١٩٧٥ ، وسيصل في عام ١٩٨٠ الى عشرة ملايين نسمة ..

حدود القاهرة الكبرى

قلنا : ما هي القاهرة الكبرى، وما هي حدودها ؟

قال الدكتور الحفناوى : « ان حدود هذا الاقليم وضعت بعد دراسات قامت على اساس ان يشتمل الاقليم على جميع مناطق العمران بمحافظة القاهرة ، والمناطق العمرانية المتاخمة لها في محافظة الجيزة ومحافظة القليوبية ، وان يضم الاقليم المناطق التي تربطها بالتجمع الرئيسي للعمران وظائف اقتصادية او اجتماعية ، تجعل من هذه المناطق مجتمعة ، وحدة متممة لاقليم القاهرة الكبرى ، حتى لو لم تتصل به اتصالا جغرافيا مباشرا .

« وكذلك روعي في هذه الدراسات ان يشمل الاقليم جميع المناطق التي ينتظر ان يمتد اليها العمران طبيعيا ، خلال فترة الخمسين عاما المقبلة، حتى يمكن توجيه العمران اليها توجيها سليما ومنعه من الامتداد في الأراضي الزراعية التي يجب ان نحافظ عليها ..

« وهذه المناطق التي يتجه اليها العمران حاليا، هي تلك التي تقع في الشمال الشرقي على طريق السويس ، اى في مدينة نصر ، ومدينة مصر الجديدة ، وكذلك في الاتجاه الجنوبي الغربي على طريق الفيوم .

اما الحدود التخطيطية لاقليم القاهرة الكبرى ، فهي تشمل جميع اقسام محافظة القاهرة، وعددها ٢٢ قسما ، وجميع اقسام مدينة الجيزة وبعض قرى مراكز امبابة والجيزة والبدرشين والصف ومدينة الحوامدية ، وشبرا الخيمة، ومركز قليوب ومركز القناطر الخيرية ، وبعض قرى مركزي شبين القناطر والخانكة بمحافظة القليوبية ايضا » .

التوسع في الصحراء

واختتم الدكتور الحفناوى حديثه معنا بقوله : « ان امامنا مجال كبير للتوسع العمراني في الصحراء باقليم القاهرة الكبرى ، يكفي ان تعلموا ان هناك ٤٠٠ الف فدان من الأرض الصحراوية التي لم تمتد اليها يد البناء بعد . بينما لا تزيد مساحة اقليم القاهرة الكبرى كله على ٦٧٥ الف فدان ، اى ان الصحراء تشكل اكثر من ٥٠٪ من المساحة الكلية للاقليم .. اما مساحة العمران فلا تكاد تصل الى ٦١ الف فدان ، بينما تشغل المسطحات المائية المثلة في مجرى نهر النيل ١٤ الف فدان ، يبقى بعد هذا ٢١٠ الف فدان ، وهي التي تشكل الأرض الزراعية في الاقليم » .

وانتهى الدكتور الحفناوى من حديثه الينا ، وخرجنا من مكتبة ، واتجهنا لنلقي نظرة اخيرة على القاهرة .

النيل الخالد

ومن فوق برج القاهرة ، اعلى مكان يمكن المرء ان يرى منه العاصمة كلها من تحته .. من فوق البرج ، وقفنا نتامل الصورة الخالدة .. صورة نهر النيل، بمياهه الحلوة التي صانوها وحفظوها، فلم تعد تذهب هباء في البحر بعد بناء السد العالي في اسوان .. النيل الذى يروى الأرض الطيبة .. تلك التي تقدم خيرها لتلك الملايين العديدة من البشر .

وانتهت جولتنا السريعة للقاهرة العاصمة الكبرى ، التي قدمنا عنها تلك اللمحة الخاطفة على هذه الصفحات القليلة .. حقا لقد كانت محاولة لجمع مياه البحر في وعاء .. وعاء صغير صغير .. ■■

منير نصيف

ابن مالك الأندلسي

سيبويه زمانه في الدراسات النحوية

بقلم : الدكتور عبد العال سالم مكرم

■اتفق المؤرخون على ان محمد بن‌عبدالله بن مالك الطائى الأندلسى ، ولد بمدينة « جيان » وهي تبعد سبعة عشر فرسخا عن «قرطبة» بالأندلس .

وشذ عن اجماع المؤرخين المستشرق«بروكلمان» الذى يقرر انه ولد فى غير مدينة « جيان » ، ولست أدرى المصدر التاريخى الذى اعتمد عليه فى هذا القول اللهم الا كتاب «معجم المطبوعات »لسركيس الذى يبين فيه أن ابن مالك ولد بدمشق، وسمع بدمشق. ويبدو انه قد خانه التوفيق فى هذا بدليل تقريره فى نفس الترجمة انه نزيل دمشق ، وهذايتنافى مع ولادته فى دمشق .

وقد اختلف المؤرخون في السنة التى ولد فيها ابن مالك ، وذلك لان الدقة في المواليد لم تكن متوفرة في هذه العهود وبخاصة في الاسر المتوسطة أو الفقيرة التى لا تهتم بهذه الامور ويتركلحظه وعمله في الحياة ، فان علا شانه ، وسطع نجمه ونبغ في العلم والأدب سارع المؤرخون الى تتبع آثاره ، ورصد افكاره فاذا مات سجلوا تاريخ موته تسجيلا مضبوطا في الكثير الغالب ، لا يكتفون فيه بسنة الوفاة ، ولا بالشهر الذى توفى فيه ، وانما يقيدون ذلك باليوم والليلة لهذا لا نرى اختلافا كثيرا في تاريخ الوفاة على حين يكثر هذا الاختلاف في تاريخ الميلاد .

والذى يعنينا من ميلاد ابن مالك انه كان في نهاية القرن السادس الهجرى ، او مفتتح القرن السابع ، وقد شاء الله ان يكون ابن مالك نجم هذا القرن في الدراسات النحوية .

هجرته الى الشرق

ان كثرة الفتن التى ظهرت على مسرح الأندلس بين ملوك المسلمين بعضهم مع بعض ، من ناحية، وبين هؤلاء وبين النصارى الذين يحنون الى اعادة بلادهم صليبية كما كانت من ناحية اخرى ، كل ذلك جعل الحياة في الاندلس لا تطاق ، فلا غرو اذن أن يرحل علماء هذه البلاد عنها ، لان حياة العلم لا تشرق الا في ظلال الأمن والطمانينة وقد كان هؤلاء العلماء الذين هاجروا من بلاد الأندلس وبخاصة الى مصر والشام كثيرين جدا .

ومن هؤلاء العلماء الذين هاجروا الى المشرق « ابن مالك » .

متى هاجر ؟

والسؤال الذى يتبادر الى الذهن هو : في اى سنة هاجر ابن مالك الى الشام ؟ ان كتب التاريخ التى وقعت في يدى ، لم تحدثنا عن الوقت الذى هاجر فيه ولا السنة التى رحل فيها الى الشام.

وكل الذى يمكن أن أقوله هنا : ان ابن مالك هاجر الى الشام في ريعان شبابه ، لان كتب التراجم والتاريخ تقرر ان من شيوخه في دمشق ابا المفضل نجم الدين مكرم بن محمد القرشي ، وابا صادق الحسن بن صباح ، وقد توفي ابو المفضل سنة ٦٢٥ هـ ، وتوفي ابو صادق سنة ٦٣٢ هـ ، ومعنى ذلك ان ابن مالك المولود في نهاية القرن السادس او في مفتتح القرن السابع ــ على اختلاف فيالروايات ــ قد هاجر الى الشام

واخذ عن هذين الشيخين وهو في نهاية العقد الثالث من عمره ، فهو لم يهاجر شيخا كبيرا او حدثا صغيرا الى المشرق ، وانما هاجر ، وقد بلغ اشده .

ثقافتــه

واترك المجال للامام ابن العماد ليبين لنا قدر الرجل من النواحي الثقافية والعلمية . قال : « صرف همته الى اتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية ، وحاز قصب السبق ، واربى على المتقدمين ، وكان اماما في القراءات وعللها . واما اللغة فكان اليه المنتهى في الاكثار من نقل غريبها. واما النحو والتصريف فكان فيه بحرا لا يجارى، وحبرا لا يبارى . واما اشعار العرب التي يستشهد بها على اللغة والنحو ، فكان الائمة الاعلام يتحيرون منه ، ويتعجبون من اين ياتي بها ، وكان ينظم الشعر سهلا عليه » وقال الصفدي : «اخبرنا ابو الثناء محمود قال : ذكر ابن مالك يوما ما انفرد به صاحب المحكم عن الازهري في اللغة . قال الصفدي : وهذا امر معجز لانه يحتاج الى معرفة جميع ما في الكتابين » فرواية ابن العماد والصفدي عن ثقافة ابن مالك ونبوغه تدل في وضوح على شخصية ابن مالك العلمية ، وانه احاط بجميع العلوم ، ولا عجب في ذلك وهذا صاحب نفح الطيب يقول عنه : « كان رحمه الله كثير المطالعة ، سريع المراجعة لا يكتب شيئا من محفوظه حتى يراجعه في محله ، وهذه حالة المشايخ الثقات ، ولا يرى الا وهو يصلي ، او يتلو ، او يصنف او يقرىء ، وحكى انه توجه يوما مع اصحابه للفرجة بدمشق فلما بلغوا الموضع الذي ارادوا غفلوا عنه سويعة فطلبوه فلم يجدوه، ثم فحصوا عنه فوجدوه منكبا على أوراق ، واغرب من هذا انه حفظ يوم موته عدة أبيات ، وهذا مما يصدق ما قيل بقدر ما تتعنى تنال ما تتمنى».

حالته المادية والاجتماعية

كان ابن مالك يعيش في مهاجره غريبا ، لا اهل ولا مال ، ولا جاه ولا سلطان ، فلم يحدثنا التاريخ انه كان له صناعة يتعيش منها ، ويغلب على ظني انه حينما وفد الى دمشق انتظم في سلك طلبة العلم بها ، وكان يعيش على الاوقاف المرصودة ، ولعله هاجر وحيدا لم تكن له زوجة ، فلما احس انه اصبح علما في العلم ، ونابغة في النحو رأى ان يتقلد منصبا علميا يدر عليه الرزق ، ويغنيه عن الحاجة ، ولما وصل الى غرضه انشا له عشا، وكون له بيتا ، وتزوج من هناك ، وانجب ابنه الامام بدر الدين ، وقد بحثت في التراجم عن ميلاد هذا الابن فلم اجد تاريخا يدل عليه ، وكل الذين ترجموا له ذكروا تاريخ وفاته سنة ٦٨٦هـ.

وقد ذكر السبكي في طبقات الشافعية انه توفي كهلا شابا ، ومعنى ذلك انه ولد في حدود سنة ٦٤٠ هـ تقريبا .

والذي يدل على أن ابن مالك كان يعيش في مفتتح حياته العلمية في شظف العيش ، وقلة من المال انه رفع لصاحب دمشق ـ او بعبارة أدق ـ للظاهر « بيبرس » كتابا يبين فيه مكانته العلمية، وانه في حاجة الى صدقة تكفيه همّ عياله وتغنيه عن تشتت باله :

ومن هذا الكتاب انقل هذه العبارات التالية كما نقلها السيوطي من خط شيخه الامام تقي الدين الشمني : قال : « الفقير الى رحمة ربه محمد بن مالك يقبل الارض ، وينهي الى السلطان ايد الله جنوده ، وايد سعوده انه أعرف اهل زمانه بعلوم القراءات ، والنحو ، واللغة ، وفنون الأدب،وامله ان يعينه نفوذ من سيد السلاطين ، ومبيد الشياطين ، خلد الله ملكه ، وجعل المشارق والمغارب ملكه ـ .. بصدقة تكفيه همّ عياله ، وتغنيه عن التسبب في صلاح حاله ، فقد كان في الدولة الناصرية عناية متيسر بها الكفاية ..

وقد نفع الله بهذه الدولة الظاهرية خصوصا وعموما ، وكشف بها عن الناس اجمعين غموما ، ولم بها من شعث الدين ما لم يكن ملموما.. الخ».

وقد استجاب السلطان لكتابه ، فعين في عدة وظائف ، ففي « حلب » كان متصدرا لتعليم العربية ، وانه كان امام المدرسة السلطانية ، وفي «حماة» تصدر مدة ، وفي«دمشق» ولي مشيخة « العادلية الكبرى » التي من شرطها ان يكون شيخها نابغا في القراءات والعربية .

وهذه الوظائف التي وليها ابن مالك كانت تدر عليه رزقا يكفيه هم الحياة ، ويعينه على الانتاج والتاليف ، ونشر العلم ، ويقال عنه وكان يقول: القراءات القراءات ، العربية العربية ، يريد بذلك أن يخلي ذمته ، ويريح ضميره حتى لا يكون مقصرا في نشر العلم والمعرفة »

آراء علماء عصره فيه

ان ابن مالك كان أسطع نجم لمع في سماء العلم في القرن السابع الهجرى ، وكان له منزلة كبرى يقدرها علماء عصره كل التقدير . سواء اكانوا معجبين ، أو عوازل حاسدين . فمن المعجبين به ، المعظمين لشخصه قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان فقد قال الصفدى :«ان ابن مالك كان اذا صلى في العادلية ـ وكان امامها ـ يشيعه قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان تعظيما له » ويرى ركن الدين بن القويع أن ابن مالك ما خلى للنحو حرمة ويروى ان الشيخ تاج الدين عبد الرحمن الفزاوى العالم المشهور تاسف يوم موت ابن مالك تاسفا كثيرا فقيل له : اكان الشيخ جمال الدين (ابن مالك) في النحو مثلك في الفقه ؟ فقال له : والله ما انصفتموه ، بل كان في النحو مثل الشافعي في الفقه . ولما توفي ابن مالك سارع الادباء لرثائه بشعر يحمل في طياته الاسى والألم مما يدل على مكانة الرجل في نفوس معاصريه ، فقد رثاه الشرف الحصني بقصيدة طويلة . قال الصفدى: ما رايت مرثية في نحوى احسن منها على طولها .

وقد رثاه من تلامذته النجباء الشيخ بهاء الدين ابن النحاس بقصيدة منها :

قل لابن مالك ان جرت بك أدمعى
حمرا يحاكيها النجيع القانى

فلقد جرحت القلب حين نعيت لى
وتدفقت بدمائه أجفانى

راى أبى حيان الاندلسى فى ابن مالك

وعلى الرغم من تقدير علماء العصر لابن مالك ، فان أبا حيان الاندلسي كان له من ابن مالك موقف معين .

فقد كان ابو حيان اندلسيا كابن مالك ورحل الى المشرق كما رحل ، وكان ابن مالك اذذاك شيخا تقدمت به السن وطبقت شهرته الافاق .

« ولم نسمع أن أبا حيان جلس في حلقة ابن مالك مع انه عاصره بنحو ثلاثين سنة » على حين جلس في حلقة تلميذه بهاء الدين بن النحاس ، فما السبب في هذا الاعراض عن رجل ملأ الدنيا علما؟

يبدو لى ان غرور ابى حيان ، غرور الشباب ، والثقة في النفس جعله يبتعد عن حلقة الشيخ ، ولا يخلو عصر من منافسة الشباب للشيوخ ، والازراء عليهم ، هذا من ناحية ،ومن ناحية اخرى نرى ان الرجلين كانا من موطن واحد، والمنافسة بين أبناء الوطن الواحد تصل في اكثر الأحيان الى قمتها ، وتبلغ اشدها .

ومن هنا كان ابو حيان مضطربا في آرائه بالنسبة لابن مالك ، لا يثبت على فكرة ، ولا يستقر على راى ، مما يدل على تسرع الشباب وعدم التريث في الحكم على الأشياء . نراه يذمه، ثم يعود بعد ذلك ليثبت عكس ما ذكر، ويمدحه بما ينقض آراءه السابقة ، وبيان ذلك : ان صاحب نفح الطيب نقل عن كتاب ابى حيان « التذييل والتكميل » في باب الجوازم أن ابن مالك « لم يصحب من له البراعة في علم اللسان، ولذا تضعف استنباطاته ، وتعقباته على اهل هذا الشان وينفر من المنازعة والمباحثة والمراجعة ، قال : وهذا شان من يقرا بنفسه ، ويأخذ العلم من الصحف بفهمه » ثم نقل تعقيب العلامة يحيى العجيسي ، الذى تولى الرد على ابى حيان حيث قال معقبا على قوله السابق : « وليس ذلك منه بانصاف ولا يحمل على مثله الا هوى النفس ، وسرعة الانحراف » ويا ليت ابا حيان يقف عند هذا الراى ، لانه لو كان كذلك لقلنا : هذا راى كونه بعد تجربة ، وجمعه بعد خبرة ، ولكن ابا حيان لم يكن كذلك بالنسبة لابن مالك، فقد كان يلقى القول على عواهنه من غير تثبت او روية واناة ، وهذا عيب كبير وبخاصة في رجل كابى حيان ، ولعل مرد هذا كما قلت الى الشباب الذى لا يفكر في العواقب حينما تسيطر عليه الاندفاعات ، ولا أدل على ذلك ايضا من كلام ابى حيان نفسه في ابن مالك حينما قال عنه في موضع آخر يناقض كلامه السابق ونقله صاحب نفح الطيب : « انه نظم من هذا العلم ـ يقصد النحو ـ كثيرا ونثر ، وجمع باعتكاف على الاشتغال به ، ومراجعة الكتب ، ومطالعة الدواوين العربية وطول السن ـ من هذا العلم غرائب ، وحوت مصنفاته منها نوادر وعجائب ، وان منها كثيرا استخرجه من اشعار العرب ، وكتب اللغة اذ هى مرتبة الاكابر النقاد ، وأرباب النظر والاجتهاد».

وقال عنه أيضا : « لا يكون تحت السماء انحى ممن عرف ما في تسهيله » وقرن التسهيل في البحر المحيط بمصنف سيبويه .

وقد أسهم أبو حيان نفسه في المشاركة العلمية في كتب ابن مالك يقول صاحب بغية الوعاء :

« فهو الذى جسر الناس على مصنفات ابن مالك، ورغبهم في قراءتها ، وشرح لهم غامضها ، وخاض بهم لججها » .

اشهر مؤلفات ابن مالك

من اشهر مؤلفات ابن مالك كتاب : «الخلاصة او الألفية » واسم « الخلاصة » يشير الى ان ابن مالك صنع قبلها منظومة طويلة سماها « الكافية الشافية » ، ولما قصد « حماة » بعد تصدره في « حلب » اختصر من الكافية الشافية « الخلاصة » او « الالفية » لأن هذه الخلاصة نظمها في الف بيت . وقد ذكر الصفدى عن الذهبى ان ابن مالك صنف الألفية لولده تقى الدين محمود المدعو بالأسد ، ولكن العلامة العجيبي اعترض هذه الرواية برواية اخرى ذكر فيها ان تقى الدين محمودا صنف له « المقدمة الأسدية » واما الالفية فذكر لى من اثق بقوله انه صنفها للقاضي شرف الدين الشهير بابن البارزى ويتفق ابن الجزرى مع العلامة العجيبي فيقرر ان ابن مالك نظم «الخلاصة» بحماه للشيخ شرف الدين البارزى .

موقف المعاصرين لابن مالك من الألفية .

على راس هؤلاء المعاصرين ابو حيان الاندلسي ، فقد كان ينقص من قدرها ويعيبها ويقول : « ما فيها من الضوابط والقواعد حائد عن مهيع الصواب والسداد » .

وقد ذكر بعض اصحاب ابى حيان نقدا شعريا للالفية فقال احدهم :

الفيـة ابن مالـك
مطموسـة المسالك
وكـم بهـا مشتغل
اوقـع فى المهالـك

ولكن لابن مالك انصارا لم يقفوا من هؤلاء العابثين في صمت وسكون ، بل ردوا عليهم قولهم، ومن هؤلاء ابن الوردى حيث قال :

يا عائبا الفية ابن مالـك
وغائبـا عن حفظهـا و فهمها
أما تراها قد حـوت فضائلا
كثيرة فلا تجـر فى ظلمهـا
وازجر لمن جادل من يحفظها
برابع وخامس من اسمهـا

يعني : « صه » من اسمها « الخلاصة » فان « صه » عند الاستقلال بمعنى : اسكت .

وكشان ابى حيان في اصدار آرائه نحو « ابن مالك » « مادحا وذاما » قال عن هذه الالفية في موضع آخر : « وهى غزيرة المسائل ، كثيرة الافادة ، موسومة بالاجادة ، وليست لمن هو في هذا الفن في درجة ابتدائية ، بل للمتوسط يترقى بها درجة انتهائه » .

وبمقارنة قوليه نجد الاضطراب واضحا . والحكم مزعزعا شأن ابى حيان دائما مع منافسه الكبير ابن مالك .

ولكن الذى يدعو الى العجب ، ويستوجب الدهشة والغرابة ان ابنه ، وفلذة كبده بدرالدين تهجم على ابيه بأسلوب اذا صح ، كانه يدل على عقوق كبير نحو ابيه الذى دوت له الدنيا في ميدان العلم والفكر .قال ابن الوردى في تاريخه الشهير : ان ابنه بدر الدين كان يقول ـ على ما بلغنى ـ مازال والدى يتخبط حتىنظم«الخلاصة».

وانى كباحث لا اسلم بهذه العبارة السيئة في مجال النقد الموضوعى ، فان ابنه اعماه الضلال فقال ما قال ،ذلك لأن العلاقة التى كانت بينهوبين ابيه لم تكن على ما يرام ، فقد ذكر الرواة انه وقع بينه وبين ابيه خصومة ادت الى ابتعاده عن ابيه متجها الى « بعلبك » التى سكن بها .

مكانة الألفية

اهتم بها علماء النحو الى يومنا هذا شارحين ومعلقين واضعين نصب أعينهم شرح غامضها ، وتذليل مصاعبها ، وتوضيح خفيها .

ومن اهم الشروح التى لا زالت تدرس في اقسام اللغة العربية بالجامعات العربية الى الآن :

شرح العلامة ابى محمد عبد الله بن عبدالرحمن الشهير بابن عقيل النحوى المتوفى ٧٦٩ هـ .

وشرح العلامة نور الدين ابى الحسن على بن محمد الاشمونى المسمى « منهج المسالك الى الفية ابن مالك » .

نشر الالفية

وقد اسهم الشيخ نور الدين ابراهيم بن هبة الله الاسنوى المتوفى ٧٢١ هـ بنشر الالفية،وكذلك

قام بهذا المجهود برهان الدين ابراهيم بن موسى الكركي المتوفى ٨٥٣ هـ ومن هذا القبيل كتاب : « أوضح المسالك الى الفية ابن مالك » للعلامة ابن هشام النحوى المتوفى ٧٦١ هـ ، والذى اشتهر فيما بعد بالتوضيح .

وبعد ، فان الالفية كانت الكتاب الوحيد الذى شغل العلماء منذ عصر ابن مالك بشرحها ،والتعليق عليها ، وان الالفية بما دار حولها من شروح وتعليقات لا زالت حية نابضة قوية متحركة لم تضعفها كثرة السنين التى مرت على تاليفها ، ولا ادل على ذلك من ان معاهدنا التى اخذت على عاتقها دراسة اللغة العربية ظفرت فيها دراسة الالفية بشروحها وتعليقاتها بنصيب كبير .

منهج ابن مالك فى الدراسات النحوية

كان لابن مالك منهج خاص في الدراسات النحوية، صنعه بنفسه وكونه من ثقافاته ومعارفه، فما هى الاصول التى يقوم عليها هذا المنهج ؟

ذكر المقرى أنه « كان اكثر ما يستشهد بالقرآن، فان لم يكن شاهد عدل الى الحديث ، وان لم يكن شاهد فيه عدل الى اشعار العرب » .

واستشهاد ابن مالك بالقرآن الكريم لا يقف عند القراءات المتواترة فحسب ، بل ياخذ بها جميعا في بناء القاعدة : سواء أكانت متواترة او شاذة ، قال السيوطى :

« ابن مالك أخذ بالقراءات الشاذة ورد على النحويين المتقدمين الذين يعيبون على عاصم ، وحمزة ، وابن عامر قراءات بعيدة في العربية ، وينسبونهم الى اللحن ، وهم مخطئون في ذلك فان قراءاتهم ثابتة بالأسانيد المتواترة الصحيحة التى لا مطعن عليها ، وثبوت ذلك دليل على جوازه في العربية .

فابن مالك اذن لا يتشدد في قبول القراءات كما كان يفعل علماء البصرة ، كان يرى أن هذه القراءات رويت عن عرب خلص ، ومن الغبن أن نستشهد بكلام لم تبلغ درجة العناية به كما بلغت في القراءات التى هى اولى في مجال الاستشهاد من شعر الشعراء ، وخطب الخطباء .

الاستشهاد بالحديث الشريف

وابن مالك يذهب الى صحة الاحتجاج بالحديث الشريف لان الرسول عليه السلام افصح العرب لسانا ، واقواهم بيانا ، واحسنهم بلاغة ، وقد اهتم رواة الحديث بما نقل عنه صلى الله عليه وسلم ، وتشددوا في ضبطه ، ودققوا في روايته، وتكبدوا المشاق والرحلات في سبيل ضبط هذه الاحاديث،ومعرفة الرجال الذين نقلوها او رووها. ولهذا كان الاحتجاج بالحديث في نظر ابن مالك يلى القرآن الكريم في مرتبة الاحتجاج به .

وقد صنع في ذلك كتابا سماه : « شواهد التوضيح والتصحيح لشكلات الجامع الصحيح » وقد حققه المرحوم محمد فؤاد عبد الباقى .

وابن مالك لا يلجا الى الاستشهاد باشعار العرب في اثبات القواعد النحوية الا بعد الرجوع الى القرآن الكريم وقراءاته ثم الاحاديث النبوية فهى في نظره اقوى في الاستشهاد ، وابلغ في الاحتجاج من أشعار العرب .

وهو اذا استشهد بأشعار العرب اتى بالعجائب والغرائب مما يدل على مقدرة كاملة ، واطلاع شامل ، وبصر باللغة دقيق ويكفى أن علماء عصره شهدوا له بطول الباع في هذا المضمار كما سبق بيانه .

واتساع ابن مالك في روايات اشعار الشواهد النحوية جعله كالكوفيين ياخذ من كل القبائل . ومما يدل على ذلك ان ابا حيان في شرح التسهيل اعترض على ابن مالك حيث قال : « عنى في كتبه بنقل لغة لخم ، وخزاعة وقضاعة وغيرهم . وقال : ليس ذلك من عادة ائمة هذا الشان » .

القياس

وابن مالك كان يراعى في اقيسته السهولة، كان يحترم كل مسموع ويقيس عليه لانه يرى أن اللغة متطورة ، وكلما زادت اساليبها وكثر المروى منها، وكلما اتخذ هذا المروى ـ مهما كان قليلا ـ اساسا ليقاس عليه ، كانت اللغة حية نامية متحركة ، وابن مالك في رايى محق في هذا كل الحق ، لان الرواة لم يحيطوا بكل لهجات العرب ولغاتهم حتى يردوا ذلك المسموع القليل،وربما كان لهذا المسموع نظائر كثيرة لم يستوعبها الرواة .

وبعد ، اليس ابن مالك شخصية فذة في تاريخ الفكر العربى يستحق منا كل تقدير واعجاب .

■■

عبد العال سالم مكرم



أنت تسأل .. ونحن نجيب

تيار الخليج الدافىء ساعد على نشوء الحضارة الغربية الحاضرة

● نرجو أن تحدثونا عن تيار الخليج ، عن موقعه واتجاهه والآثار المترتبة عليه وذلك في باب أنت تسأل ونحن نجيب .

منير سعادة ـ اللاذقية

ـ سموه تيار الخليج نسبة الى خليج المكسيك الذى ينطلق منه . ويمر هذا التيار المائي العظيم بعد ذلك بشبه جزيرة فلوريدا ثم يسير بمحاذاة الشاطىء الامريكى في اتجاه الشمال حتى يصل جزيرة نيوفوندلند . عندها يتحول التيار عن خط سيره الاول فيتجه نحو الشمال الشرقى ، الى سواحل اوربا الغربية والشمالية الغربية ، حيث ينتهي امره ويكمل دورته هذه في النصف الشمالي من المحيط الاطلسي .

وتيار الخليج له تأثير كبير على الشواطىء التى يمر بها . ذلك ان مياهه دافئة ، كما هو معروف ، ودفئها يحد كثيرا من برودة تلك الشواطىء . وحسبنا ان نذكر ان شواطىء كندا الشمالية الشرقية تكسوها الثلوج طيلة شهور بخلاف شواطىء النروج الغربية لا تكسوها ثلوج ، بالرغم من ان هذه الشواطىء النروجية اقرب الى المنطقة القطبية الشمالية . وليس لهذه الظاهرة الغريبة من سبب سوى تيار الخليج الدافىء . فهو ينحرف عن الشواطىء الاولى ويميل الى الشواطىء الثانية ، شواطىء النروج . ولا يخفى ان تيار الخليج يمر ايضا بشواطىء بريطانيا وارلنده واسبانيا والبرتغال وفرنسا ، فيحول دون تجمد مياهها .

لا عجب اذن ان ذهب العلماء الى ان اوربا الغربية مدينة" بحضارتها الى تيار الخليج . فالصلة وثيقة بين الطقس المعتدل الدافىء والحضارة بدليل ان الاصقاع المتجمدة ، الشمالية منها والجنوبية ، لاحضارة تذكر فيها .

اما مصدر المياه الدافئة التى تتدفق في تيار الخليج وتحدث هذه الآثار الخطيرة فهو المنطقة الاستوائية نفسها . ذلك ان تيار الخليج يبدأ اول ما يبدأ في النصف الجنوبي من المحيط الاطلسي ويسير في خط شبه دائرى ، يتجه جنوبا ثم شمالا ، حتى يصل الى خليج المكسيك ، فيكمل بذلك دورته الاولى ، ويبدأ دورته الثانية ، وهي التى ذكرنا في مستهل هذه الكلمة .

وتجدر الاشارة الى قوة اندفاع تيار الخليج وغزارة مياهه والى الآثار المترتبة على هذه وتلك . فسرعته تزيد على ٦ر٤ ميل في الساعة ، ومياهه تتدفق بمعدل (... ... ٥٠٠ ٧ قدم مكعب في الثانية . وهذا يبلغ ١٠٠٠ ضعف ما هو عليه نهر

حقل برقان .. أكبر حقو

● ما هي اكبر حقول النفط في الكويت، وكم يستخرج منها من النفط ؟

احمد الملواني ـ دسوق ـ مصر

يعتبر حقل برقان اكبر حقل نفط في الكويت ، وهو من اكبر حقول النفط في العالم مساحة ، اذ يمتد تحت ارض مساحتها ٣٠٠ ميل مربع تقريبا ..

ومن هذا الحقل تستخرج الكويت ٨٠٪ من انتاجها النفطي ، اى ما يزيد على مليوني برميل يوميا .



المسيسبي . وقد نتج عن ذلك ـ وعن دفء المياه ايضا ـ تكاثر الثروة السمكية . ولعل في شواطىء جزيرة نيوفوندلند ، وهي من اغنى شواطىء العالم في الاسماك ، دليلا على ذلك .

وقل مثل ذلك في الملاحة . فقد انتفع البحارة من تيار الخليج منذ اكتشافه في القرن السادس عشر على يد البحارة الاسبان . فلطالما اعتمدوا على قوة اندفاع هذا التيار وزادوا بذلك من سرعة بواخرهم ووصلوا الى حيث ارادوا من الشواطىء الاوربية ، باسرع مما وصل غيرهم .

ومن طريف ما يذكر في هذا الصدد ما حدث لبواخر البريد الامريكية في اواخر القرن الثامن عشر . فقد لاحظ بنيامين فرانكلين ـ وكان آنذاك مدير البريد الامريكي العام (١٧٥٣ ـ ١٧٧٤) ـ لاحظ ان بواخر دائرته المتجهة من امريكا الى اوربا تصل متاخرة ، وان البواخر التجارية تسبقها في ذلك بمدة لايستهان بها . ودفعه حب استطلاعه ـ وهو المعروف بنزعته العلمية وقد اشتهر فيما بعد بمخترعاته العديدة ـ الى تحري اسباب ذلك التاخر . ولم يلبث فرانكلين ان



خريطة تبين خط سير تيار الخليج الذى ينطلق من خليج المكسيك الى شبه جزيرة فلوريدا ثم يسير بمحاذاة الشاطىء الامريكى في اتجاه الشمال حتى يصل الى جزيرة نيوفوندلند وعندها يتحول التيار فيتجه نحو الشمال الشرقى الى سواحل أوربا الغربية والشمالية الغربية .

اكتشف ان ملاحي بواخر البريد لم يعرفوا شيئا عن تيار الخليج ، في حين عرفه والف الاعتماد عليه ملاحو البواخر الاخرى التجارية . عندئذ عمد فرانكلين الى جمع ما امكنه جمعه عن تيار الخليج من معلومات بحيث لم يبق بين ملاحي دائرته من يجهل تيار الخليج وبحيث وضع حدا للتاخير الذى كانت تعاني منه بواخر البريد .

على ان تيار الخليج ليس التيار الوحيد في العالم . فهنالك تيارات اخرى هامة نذكر منها تيار الكناري في المحيط الاطلسي وتيار همبولد في جنوب المحيط الهادى وتيار كاليفورنيا وتيار البرازيل .

الا ان تيار الخليج هو بلا ريب اعظم تلك التيارات واخطرها . (ى . ز)

... في الكويت

وقد بدأ حفر الآبار في حقل برقان في عام ١٩٣٧ ولكن اندلاع الحرب العالمية الثانية اوقف العمل فيه .

ومع نهاية الحرب عاد العمل الى حفر الآبار في الحقل .. حتى اصبح عددها اليوم ٣٨٦ بئرا منها ٣٦٨ بئرا منتجة .

ومما يذكر ان كميات النفط التى استخرجت من هذا الحقل بلغت اكثر من ٨١ بليون برميل حتى مطلع عام ١٩٧١ .

(س . ز)

جعفر الصادق
بين اصحاب المذاهب الفقهية
ومن تتلمذوا منهم عليه

● من المعلوم ان الامام جعفر الصادق صاحب مدرسة فقهية فما مكانته بين اصحاب المدارس الفقهية ؟ وقد قيل ان اصحاب المدارس الفقهية تتلمذوا عليه ، فهل يقر ذلك علماء اليوم ، وما مدى اخذهم من علمه وتلمذتهم عليه ؟ .

علي حسين ابراهيم
لبايا ـ لبنان

ـ يعتبر الامام جعفر الصادق بين اعلى القمم في ائمة الشريعة الاسلامية ، بما في ذلك ائمة آل البيت عليهم رضوان الله ، وكان كل من آبائه الابرار في زمانه قمة في الشريعة والفضيلة ، والصادق ابرز هذه القمم في الشهرة بما اجتمع له من ضخامة الشخصية ، ونفاذ العبقرية ، ولطف التدبير بين التيارات السياسية والفكرية والاجتماعية في عصره ، الى جانب ما كان له من سعة المعرفة مع تعدد ملكاته الثقافية وجوانبها ومشاغلها عنده ، فهو لم يقصر همومه الثقافية على الشريعة وحدها ـ مع تبحره فيها ـ بل شارك في كثير من المعارف الكونية او الانسانية الاخرى ، وفي مقدمتها الفلك ، واكبر من ذلك شهرته بالكيمياء ، وكان فيها مرشدا ومعينا لتلميذه جابر بن حيان ، الذى يعد اقدم نوابغها في الاسلام ، وليس ادل على سعة اثره وعمقه معا من ان تنسب الطائفة الامامية نفسها اليه دون سائر الائمة من اسلافه واخلافه ، فتسمى « الجعفرية » .

وعند الصادق تلتقي اكبر طائفتين شيعيتين : هؤلاء الامامية ، ثم الاسماعيلية ، فهو عندهما الامام السادس من ائمة آل البيت ، واولهم الامام علي فالحسن فالحسين فعلي زين العابدين فمحمد الباقر ، وآخرهم الصادق . وبعد الصادق تفترق الطائفتان ، فالاسماعيلية يتولونه عن طريق ابنه اسماعيل ، وهو امامهم السابع الذى يقفون عنده ، ولذلك يسمون الاسماعيلية او (السبْعية) ، والامامية يتولونه عن طريق ابنه موسى الكاظم ، يليه خمسة آخرون من ذريته ابنا عن أب ، حتى يصلوا الى الامام محمد بن الحسن المهدى آخرهم ، وهو الثاني عشر ، فيقفون عنده ، ومن هنا تسميتهم (الاثنا عشرية) كما يسمون الامامية .

ومن عاصروا الصادق بين اصحاب المذاهب الفقهية : الاوزاعي في الشام ، والليث بن سعد في مصر ، وابو حنيفة في الكوفة ، ومالك بن انس في المدينة ، ومن المقطوع به انه لا صلة بين الامام الصادق والامامين الاوزاعي والليث ، ولا بينه وبين من ولدوا بعده من اصحاب المذاهب المشهورة كالشافعي وابن حنبل وابن جرير الطبرى وداود الاصفهاني الظاهرى ، ومن المعروف ان مذاهب الاوزاعي والليث والطبرى والاصفهاني اصابها بعد اصحابها الخمول ، وان بقي كثير من آرائها مدونا في الكتب ، وتسرب كثير منها دون حرج الى المذاهب الاخرى ، لا سيما قبل ان تتميز المذاهب ، وتتحيز كل طائفة لمذهبها كما حدث بعد ذلك الى ان كان العصر الحاضر فاخذ بكثير منها في القوانين الاسلامية الحديثة .

واصحاب المذاهب او المدارس الفقهية الاربعة الذين يشير اليهم السؤال هم ابو حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل ، وتسمى مذاهبهم مذاهب السنة ، او مذاهب السنة والجماعة ، ومعنى « الجماعة » ، الجمهور او العامة ، وليس بين الصادق والامامين الشافعي وابن حنبل اى شبهة للتلمذة عند من يعرف معناها الشامل العميق ويحسه ، مهما يكن ما نقلاه عنه من مرويات او معلومات شرعية ، لان التلمذة شيء غير اخذ المعلومات ، وان اشتبه به .

واما ابو حنيفة ـ وهو اقدم الاربعة ـ فقد عاصر الصادق بل عاصر قبله اباه الامام الباقر ، ولقيهما ، واعجب بهما ، وقد جرت بينه وبين الامام الباقر (وقيل الصادق) مجادلات ترجع الى القياس ، وهو اصل كان ابو حنيفة يأخذ به ، والباقر (ومثله الصادق) يشفق من عواقبه ، وكذلك

جرت بين الصادق وابي حنيفةمجادلات فقهية وغير فقهية . ولما اراد ابو جعفر المنصور في ملكه ان يصغر من قدر الصادق استدعاه اليه وندب له ابا حنيفة ، وطلب منه ان يسأله مسائل فقهيـــة شديدة ، فكان ابو حنيفة أشد هيبة للصادق منه للمنصور ، وهذا دليل فضل الفقيهين ، وطرح ابو حنيفة اربعين مسالة ، فما أخل الصـــادق منها بشيء ، وجمع في جواب كل مسالة مختلف الآراء فيها ، فقال ابو حنيفة معجبا « اليس اعلم الناس اعلمهم باختلاف الناس » .

واما مالك فقد كان يسكن المدينة كالصادق ، وكان اصغر منه سنا ، وقد لقيه واخذ عنه بعض مروياته وآرائه ، ولكنه لم يلازمه ملازمة التلاميذ لمن يؤثرونهم من الشيوخ ، ولم يتاثر به في اصول مذهبه ، وكان يوالي ائمة اهل البيــت ويجهر بالثناء عليهم بين الناس ، ولا يرضى بالغض منهم لما ينبغي ان يكون لهمولنسبهم من تقدير ، لا سيما انهـــم وايـــاه يعيشـــــون في المدينـــــة جيرانا لجدهمْ عليه السلام. وتعنينا هنا صلته بالصادق، فكان اذا نقل عنه حديثا يقول : « حدثني الثقة » وينقل مؤلف « اعيان الشيعة » عن ابن شهراشوب في « المناقب » ان مالكا قال : « ما رأت عين ولا سمعت اذن ، ولا خطر على قلب بشر افضل من جعفر الصادق فضلا وعلما وعبادة وورعا » .

ومهما يكن من شان هذه الرواية ، او من شان الثناء والاعجاب والتقدير فيها او في غيرها ، فانه لا يثبت تلمذة ، وكل ما تثبت الروايات السابقة وغيرها ان ابا حنيفة ومالكا كانا يلقيان الصادق لقاء الزملاء او النظراء الاكفاء المتقاربين في السن والمكانة .

والمعاصرة او اللقاء مظنة تلمذة الصغير للكبير ، وأرجح من ذلك في مظنة التلميذة ان ينقل الصغير عن الكبير ، او ينقل المتقاربان في الميلاد احدهما عن الآخر ، ثم ان تكون مروياته عنه كثيرة ، ولكن كل ذلك لا يفيد معنى التلمذة ، لان التلمذة تأثر فكر بفكر ، او حياة بحياة ، واتباع امرىء لآخر في اصول تفكيره وطريقته ، او في اسلوب حياته جميعا ، وان فاقه او قصر عنه في تفكيره ومسلكه بعد ذلك ، ولهذا قد يعد المرء تلميذا على غيره . اذا تحقق هذا المعنى ــ وان باعدت بينهما ازمنة وأمكنة ، فان لم يتحقق هذا المعنى فلا تلمذة ولو لزم احدهما الآخر سنوات ، ونقل عنه مجلدات ، اذ ان المسالة لا تعدو ان تكون معـــرفة آراء او معلومات .

(م . غ . ت)

أعرف عدوك :
حيفا واسدود وايلات
٣ موانيء في فلسطين المحتلة

● هل تل ابيب ميناء ، أم مدينة ساحلية فقط ؟ وما هي أهم الموانيء في فلسـطيننا المحتلة ، وما هي حركة البضائع فيها ؟ .

احمد التميمي ــ فاس / المغرب

ــ ميناءا يافا وتل ابيب ظلا يستعملان في انزال وتصدير البضائع منوالى فلسطين المحتلة،حتى تم اغلاقهما في شهر نوفمبر من عام ١٩٦٥ ، وتقوم سلطة الموانيء الاسرائيلية بالاشراف حاليا على ثلاثة موانيء ، هي : حيفا ، واسدود ، وايلات .

وادارة سلطة الموانيء الاسرائيلية هي مؤسسة مستقلة في عملها تتالف من ١٣ عضـــوا تعينهم الحكومة : سبعة منهم يمثلون القطاع الخاص : من التجـار ، ومجلس تـــويق الحمضيات ، والهستدروت ، واتحاد الصناع ، ومجلس عمال حيفا . وستة اعضاء يمثلون القطاع الحكومي : المالية والتجارة والصـــناعة والنقل والزراعة والداخلية .

وفي عـــام ١٩٦٩ كان عدد العاملين في الموانيء الاسرائيلية ...) شخص ، ومجموع حركة البضائع التي مرت في هذه الموانيء عام ١٩٦٩/٦٨ كان ٢ر٦ مليون طن ، منها ٩ر٢ مليون طن صادرات .. وحركة الركاب ، بلغت ١٦٩ الف راكب .

وميناء حيفا هو اكبر موانىء فلسطين المحتلة .. وهذا الميناء انشاه الانجليز عام ١٩٣٠ وادخل العدو عليه تحسينات كثيرة ليجعله ميناءه الاول ، وحركة العمل فيه تمثل ٥٦٪ من مجموع حركة العمل في الموانىء الاسرائيلية فقد تم في عام ١٩٦٩/٦٨ استيراد وتصدير ما مجموعه ٥ر٣ مليون طن من البضائع ، منها مليون طن استوردتها سلطات العدو عن طريق ميناء حيفا .

اما ميناء اسدود فهو ميناء حديث بدأ بناؤه عام ١٩٦١ وانتهى عام ١٩٦٥ وحركة هذا الميناء كانت ٤ر٢ مليون طن من البضائع استوردت وصدرت عن طريقه في عام ١٩٦٩/٦٨ . وتعلل سلطات العدو اسباب انشاء هذا الميناء ، لمنع ازدحام وتكديس السكان في المدن ، وللنهوض اقتصاديا بالمنطقة الجنوبية ، وتصدير معادنها وثرواتها .

وميناء ايلات هو الميناء الثالث والباب الوحيد الذي تنطلق منه اسرائيل الى افريقيا وجنوب شرق آسيا . وقد شيد ميناء ايلات الجديد على مسافة ميل واحد من الميناء القديم ، وبدأ العمل في الميناء الجديد عام ١٩٦٥ وفي عام ١٩٦٩/٦٨ بلغت حركة الصادر والوارد منه ٣٦٦ الف طن من البضائع .

(س . ز)

الاسكا
احتياطي بترولها يعادل ربع احتياطي الولايات المتحدة

● سمعنا عن اكتشاف حقول جديدة للبترول في انحاء من العالم مختلفة ، مثل الاسكا وبحر الشمال ، نرجو ان تحدثونا عن هذه المصادر وتبيّنوا لنا مدى تأثيرها على البترول العربي ومستقبله ...

عبد الرحمن محمود ـ الصرافية ـ بغداد

ـ مصادر البترول الجديدة كثيرة ولا تقتصر على الاسكا وبحر الشمال . فهناك سيبريا وهناك مناطق انابسكا الشاسعة في غرب كندا . اضف الى ذلك بحار الصين واليابان وشواطىء امريكا الجنوبية وغيرها ، وقد وجدوا فيها دلائل تبشر بوجود كميات من البترول وافرة . الا اننا لا نستطيع الحديث عن هذه المصادر جميعا ، في هذا المجال المحدود، وحسبنا ان نلم باحدها ـ الاسكا ـ وقد تخطت الصناعة البترولية فيها مرحلة الاستكشاف والتخمين ، ودخلت او كادت مرحلة الانتاج والتصدير .

يقدر الخبراء احتياطي البترول الثابت في الاسكا بنحو ١٥٠٠٠ مليون برميل . وهذه كميات تعادل رُبْع او ثلث احتياطي الولايات المتحدة ، البالغ نحو ٥٠٠٠٠ مليون برميل ونحو $\frac{1}{٢}$ من احتياطي الشرق الاوسط البالغ نحو ٣٠٠٠٠ الف مليون برميل .

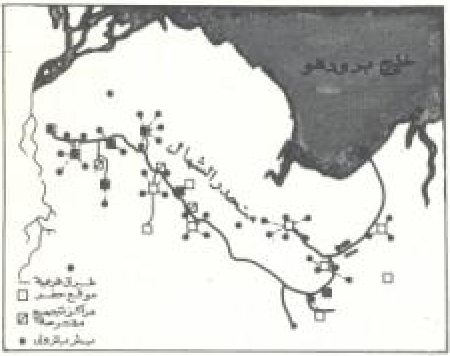
لا عجب اذن ان قدروا انتاج البترول الخام في الاسكا بنحو ٢ مليون برميل يوميا ، اى ما يعادل نحو ١٠٠ مليون طن في السنة ، هذا في المرحلة التمهيدية التي قد تبدأ سنة ١٩٧٥ . ويزداد الانتاج بعد ذلك حتى يبلغ ضعف ما ذكرنا او يزيد .

وستكون الولايات المتحدة الامريكية الدولة المنتفعة الاولى والكبرى من هذا البترول الجديد بالرغم من ان الاسكا اقرب الى روسيا واليابان . ولا عجب في ذلك ، فالاسكا الولاية رقم ٥٠ بين الولايات الامريكية المتحدة ، وقد اشترتها امريكا من روسيا القيصرية لقاء مبلغ ٢ر٧ مليون دولار سنة ١٨٦٧ . اضف الى ذلك ان الولايات المتحدة الامريكية ، اكبر منتج ومستهلك للبترول في العالم ، ستضطر في غضون عشر سنوات الى استيراد ثلث احتياجاتها البترولية من خارج ولاياتها الـ ٤٩ . وهي اوْلى من غيرها ببترول ولايتها الخمسين . وقد لا يفي هذا البترول بذلك الثلث البالغ حاليًا ٥ر٤ مليون برميل ، اى ما يعادل ٢٢٥ مليون طن سنويا . الا ان الخبراء يرجّحون ان بترول الاسكا سيفي بحاجة الولايات المتحدة ويفيض ، بحيث تصبح اليابان الدولة المنتفعة الثانية به .

وتجدر الاشارة الى ان حقول البترول في هذه الولايات القريبة من القطب المتجمد الشمالي توجد



خريطة تبين خطوط الانابيب التي ستنقل البترول من الاسكا الى اسواقه الكبيرة في الولايات المتحدة .



مواقع التنقيب عن البترول وآباره المكتشفة في الاسكا

بالقرب من خليج برودهو Prudhoe وعلى امتداد ما يسمى بمنحدر الشمال North Slope وقد درسوا احتمالات نقل هذا البترول بالناقلات وعبر الانابيب ، وقرروا انشاء خط يصل بين الخليج المذكور ، حيث تتجمد المياه شهورا عديدة ، وبين ميناء فالدز Valdez على ساحل الاسكا الجنوبي . وسيبلغ طول هذا الخط نحو ١٢٠٠ كيلو متر وقطره نحو ٤٨ بوصة . اما تكاليفه فستكون باهظة نظرا لاضطرارهم لتجهيز الخط بوحدات تدفئة تحول دون تجمد البترول في الانابيب. ويقدرون مجموع هذه التكاليف باكثر من ٣٠٠٠ مليون دولار .

وتجدر الاشارة ايضا الى ان العمل في انشاء هذا الخط قد تأخر كثيرا ولم يبدأ بعد . هذا بالرغم من ان كافة الانابيب والاجهزة التي يحتاج اليها الخط موجودة في الاسكا وجاهزة للاستعمال ، وقد استوردوها منذ حين . ويعزى هذا التاخر الغريب لأسباب مختلفة أغرب منه .

فالبيئيون ، وهم الذين ينادون بالمحافظة على سلامة البيئة ويطالبون بالعمل على عدم تلويثها او تشويهها ، يعارضون في انشاء خط الانابيب المذكور . فمن شان هذا الخط ، كما يقول البيئيون ، ان يلحق الاضرار الفادحة بغابات الاسكا وشواطئها ، والحياة البرية فيها . وقل مثل ذلك في الاسكيمو ومن اليهم من سكان البلاد الاصليين ، البالغ عددهم نحو ٥٥٠٠٠ نسمة ، اى ما يعادل سدس عدد سكان الاسكا الاجمالي . فهؤلاء يعارضون ايضا في انشاء خط انابيب البترول الذى ذكرنا بحجة انه سيمر في اراضيهم فيحول دون استغلال هذه الاراضي على نحو ما يرغبون .

واولت المحاكم الامريكية هذه الاعتراضات اهتمامها ، فاصدرت قرارها بارجاء المباشرة في انشاء خط الانابيب . وتبعت حكومة واشنطون المحاكم فقررت في ديسمبر ١٩٧١ منح سكان الاسكا الأصليين نحو ٤٠ مليون فدان من الأراضي تداركا لمظالمهم ، وقررت كذلك وفي شهر مارس ١٩٧٢ اعتبار نحو ١٢٠ مليون فدان من اراضي الاسكا غابات عامة او وطنية لا يجوز العبث بها او قطع اشجارها .

ومن طريف ما يذكر هنا ان وزارة الداخلية الامريكية اصدرت تقريرا وافيا حول خط انابيب الاسكا وحول الأضرار التي يمكن ان يلحقها هذا الخط بالبيئة . فقد اثار هذا التقرير الذى يقع في تسعة مجلدات . والذى كلف اعداده نحو تسعة ملايين دولار ، اثار تذمر البيئيين نظرا لطوله وتعذر قراءته .

ولا يعنينا امر هذا التقرير هنا بقدر ما يعنينا القرار الذى اتخذته وزارة الداخلية الامريكية في اواخر شهر مايو . فقد نص هذا القرار على ضرورة انشاء خط انابيب البترول في الاسكا . ويرجح المطلعون ان يبدأ العمل فيه في مطلع السنة القادمة ١٩٧٣ ، بعد ان تكون المحاكم الامريكية قد الغت قرار الحظر السابق الذى اصدرته بشان هذا الخط . ■■

(ى . ن)

حاجتنا الملحة

إلى

«إعذاب المياه المالحة»

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

■ لا مراء فى ان اعذاب المياه الملحة ،انما هو موضوع الساعة بالنسبة للعالم بعامة ، وللدول العربية بخاصة ، ان كانت موارد المياه العذبة لم تعد تفى بحاجات السكان الذين يتزايد عددهم باستمرار فضلا عن الاسراف بل سوء الاستعمال لهذا الماء مما قد يجعله خطرا على الصحة العامة بسبب تلوثه الاشعاعى او الحرارى او الكيماوى او الصحى وجهود العلماء فى هذا الصدد هى موضوع هذا الحديث .

لما كانت الصحارى تشغل من سطح الارض ما يزيد على ثلث مساحة اليابسة ، وكانت دولنا العربية ، ضمن حدودها المترامية ، وان نسبتها في ارض الوطن العربي لتزيد على تسعين بالمائة من مساحته ، وهى تمثل اكثر من ٩٦٪ من مساحة مصر ، ولعلها لا تقل عن ذلك كثيرا في شبه جزيرة العرب ، او العراق او سوريا او شمال السودان او ليبيا والجزائر ، انه نطاق صحراوى متصل فيما عدا احواض الانهر وبعض المناطق الساحلية والواحات ، مما لا يزيد على عشرة بالمائة من مساحة هذه الاقطار مجتمعة .

وتشغل الصحارى مساحة كبيرة من نصف الكرة الشمالى في شمالى افريقيا ، ممتدة من شاطىء المحيط الاطلسي غربى افريقيا ، الى شاطىء البحر الاحمر في شرقها ، ثم تمتد عبر سيناء الى شبه جزيرة العرب فالعراق واسيا الوسطى ، كما تشغل جنوب غربى امريكا الشمالية والولايات المتحدة وشمال غربى المكسيك ، كما تشغل مساحة اخرى من نصف الكرة الجنوبي في استراليا وجنوب غربى افريقيا وامريكا الجنوبية ، وتبلغ مساحة صحارى افريقيا ...و٥٠٠و١٧ كم٢ كما تبلغ مساحة صحارى آسيا نحو ...و...و١٥٥٠ كم٢ .

ولذلك كان لا بد من التفكير في الاستفادة من هذه المساحات الشاسعة التى تشغلها الصحارى المترامية الاطراف في محاولة لاستزراع بعض هذه الاراضي بتوفير ماء الرى ، ولا يكون ذلك الا باعذاب المياه الملحة التى تزخر بها البحار والمحيطات .

تزايد استهلاك الماء العذب

ومن حسن الحظ اننا لسنا وحدنا في الميدان ، فقد سبقتنا الدول المتقدمة في هذا المجال ، حيث وجدت ان استهلاكها من الماء العذب في تزايد مستمر ، ففى الولايات المتحدة الامريكية ارتفع استهلاكها الى ...و...و...و٣٦٠ جالون في



اليوم ، وهو يمثل ثلاثة امثال ما كان يستهلك من ثلاثين عاما ، ويقدر معدل الزيادة في الاستهلاك فيها بـ ٢٥٠٠٠ جالون في الدقيقة .

ولا شك ان الطلب على الماء العذب سيزداد على الايام ، مما جعل بعض الحكومات تفرض القيود على استعماله وخاصة عندما يشح ماء المطر عن معدله المعتاد ، ومن المحقق ان بعض المجتمعات الانسانية ، ستعانى من نقص موارد الماء العذب ، وان بعضها ليعانى فعلا من مشكلة العطش في الوقت الحاضر ـ وقد انشأت الدول المتقدمة مؤسسات وشركات وهيئات لمتابعة دراسة وتنفيذ عمليات الاعذاب ، وتقليل نفقاته ، ويتراوح انتاج مصانع الاعذاب من بضعة الاف الى ٧و٥ مليون جالون في اليوم الواحد ، وانها لتنتج مجتمعة اكثر من ١٢٥و٠٠٠و٠٠٠ جالون في اليوم ، وتبلغ التكاليف نحو ٨٥ سنتا لكل الف جالون ؟

وهناك عدة عوامل تؤثر في هذه التكاليف ، منها حجم المصنع ، وتكلفة الطاقة ودرجة تركيز الملح في ماء البحر وان دراسة دقيقة وافية لمصنع اعذاب مزدوج الغرض ، ينتج ماء عذبا وكهرباء وتكون سعته ١٥٠و٠٠٠و٠٠٠ جالون في اليوم ، وقدرته ١ر٨٠٠ ميجاوات من الكهرباء يمكن أن ينتج ماء عذبا يتكلف من ٢٢ ـ ٢٧ سنتا لكل الف جالون في الموقع ومثل هذه التكلفة التى تبدو معقولة لا تتوافر في المصانع الصغيرة .

ويمكن تلخيص طرق الاعذاب على النحو الآتى :

اولا ـ التقطير : وله عدة صور اما بالانابيب الراسية او الومض المتعدد المراحل او الومض متعدد الغرف والمراحل او بالضغط البخارى او بالطاقة الشمسية .

ثانيا ـ استعمال الاغشية : ومن صوره الفصل الغشائى الكهربي ، والاسموز العكسى .

ثالثا ـ التبلور : بطريقة الضغط الفراغى لبخار التجميد او التجميد بالتبريد الثانوى او تكوين الهيدرات .

رابعا ـ كيماويا : بطريق تبادل الايونات .

وانما تتمايز هذه الطرائق في سرعتها وفي تكاليفها ويعتبر راس المال المستغل في الاعذاب ، ونفقات التشغيل والصيانة أهم هذه العوامل .

التقطير

ويعتبر التقطير من اقدم الطرق المعروفة في فصل الماء العذب عن محلول الماء الملح فعندما يغلى الماء الملح ، فان الأملاح الذائبة تتخلف ، على حين يتصاعد بخار الماء العذب الذى يمكن تكثيفه بالتبريد ، وعلى ذلك فان التقطير المتضمن اضافة طاقة حرارية للماء الملح ليبخر الماء ، ثم ابعاد الطاقة الحرارية من البخار ليتكاثف ماء عذبا . ان رفع درجة حرارة الماء الى درجة الغليان ليس كافيا لتبخره ، فلا بد من اضافة كمية حرارة أخرى لتبخيره تسمى حرارة تبخير الماء ، وهى من الأهمية بمكان في عملية التقطير وهى تساوى خمسة امثال الحرارة التى تلزم لرفع درجة حرارة الماء من درجة التجميد الى درجة الغليان . والمعروف ان درجة الغليان عند مستوى سطح البحر حيث الضغط الجوى العادى هى ١٠٠°م ويمكن ان يغلى

الماء عند درجة حرارة منخفضة تحت ضغط منخفض.

ولما كان التقطير يتم على مرحلتين ، هما التبخير ثم التكثيف ، فان الحرارة يجب ان تضاف في واحدة وتنزع في الاخرى ، واذا تمت الواحدة مستقلة عن الاخرى ، فانها تكون اكثر كلفة . ولذلك فان تكثيف البخار يكون بنقل الحرارة من البخار الى الماء الملح ، لتحويل مزيد من الماء الى بخار ، وبهذه الطريقة فان بعض الطاقة الحرارية المستقلة في خطوة تستعاد في الاخرى . والطريقة الشائعة لنقل الحرارة من البخار الى الماء الملح ، انما تكون بجعل البخار يلامس الانابيب المعدنية التي يمر فيها الماء الملح البارد الوارد . ومن أهم العوائق التقنية التي تواجه عمليات التقطير،هو منع تراكم القشور الملحية على الأسطح الناقلة للحرارة ، فتكون طبقة عازلة تعوق تسرب الحرارة خلال الجدران ، ومما يساعد على منع تكون هذه القشور تخليص ماء البحر مما به من كلسيوم وثاني اكسيد الكربون ، وتجرى بحوث كثيرة في هذا المجال .

وعندما يمر الماء الملح في حزم من انابيب معدنية راسية داخل غرفة فسيحة ، فان البخار الذي يغلف الانابيب يسخنه ، ويتحول جزء من الماء الملح في داخل الانابيب الى بخار ، كما يتكاثف بعض البخار الذي يحوط الانابيب الى ماء عذب ، وتتكرر العملية في غرف متتابعة ويتصاعد البخار الذي يدخل الغرفة الاولى من مولد بخاري ، كما ان الماء الذي يتكثف من الغرفة الاولى يعود الى المولد ليتحول الى بخار ، والبخار المتولد في انابيب الغرفة الاولى يوَجّه الى الغرفة الثانية حيث يحوط الحزمة الثانية من الانابيب . اما الماء الملح الذي لم يتبخر في الغرفة الاولى . فانه يضخ الى قمة الغرفة الثانية ، ويصب داخل انابيب الحزمة الثانية ، وتتكرر هذه العملية في اثنتى عشرة غرفة متتابعة ،والماء الملح المتجمع في الغرفة الاخيرة يعاد الى البحر ثانية كما ان الماء العذب المتكثف يتجمع ليوجه الى صهاريج التخزين . وتسمى هذه الطريقة « التقطير بالانابيب الراسية » .

الومض متعدد المراحل

اما طريقة الومض متعدد المراحل ، فانها تستغل ظاهرة غليان الماء في درجات حرارة منخفضة ، فيسخن ماء البحر ، ثم يدفع الى غرفة ذات ضغط منخفض ، يجعل بعض الماء يغلى في الحال او يومض متحولا الى بخار . ونتيجة لذلك تنخفض درجة حرارة الملح المتبقى الذى يصب في الغرفة التالية ، حيث الضغط اقل منه في سابقتها ، فيومض ماء اكثر متحولا الى بخار ، وتنخفض درجة الحرارة مرة أخرى ، ويحدث التكثيف عندما يلامس البخار المبَدّل الحرارى الذى يمر فيه الماء الملح قبل أن يمر في السخان ، وبهذه الطريقة فان الحرارة التى يجب نزعها من البخار لكى يتكاثف الى ماء عذب تنقل الى ماء البحر مساعدة اياه على الغليان .

طريقة تعدد الغرف

كما ان طريقة تعدد الغرف والمراحل ، تبدو اكثر كفاءة ، نظرا لتعدد مراحل التبخير ومراحل التسخين وان فرق الضغط المتاح لنقل الماء الملح من غرفة الى أخرى عند درجة الحرارة المنخفضة والضغط المنخفض في نهاية الدورة هو العامل المحدد لكمية الماء في الدورة وعدد المراحل التى يمكن استخدامها .

الضغط البخارى

اما طريقة التقطير بالضغط البخارى ، فتتلخص في ان البخار عندما يُضغط ، فان حرارته وضغطه يزدادان في حين ينقص حجمه . وتستغل هذه الطريقة بعض المصانع التى تنتج مليونا من الجالونات من الماء العذب يوميا وفي كل غرفة يضخ الماء الملح الى أعلى في حزم من الأنابيب الى غرفة كروية كبيرة فيسخن بالبخار حول الأنابيب.

وتجرى عملية التقطير بالطاقة الشمسية في حوض تستغل فيه الظاهرة التى تدفأ بها الصوبة فتمر اشعة الشمس من خلال الواح زجاجية مائلة، دون أن تفقد كثيرا من طاقتها ، فتمتص الطاقة الشمسية بواسطة السطح الاسود في قاع الحوض، وترتفع درجة حرارة الماء الملامس للطبقة السوداء ويتبخر الماء ولما كان السطح الزجاجي العلوى لم يصل في درجة حرارته الى الدرجة التى وصل اليها السطح الاسود ، فان السطح العلوى يبقى اقل من درجة حرارة البخار ، فيتكاثف البخار ويتجمع في الاحواض الجانبية وتتميز هذه الطريقة بان الطاقة الشمسية المستغلة مجانية ، كما ان الادارة والصيانة ضئيلة النفقة ، وتتوقف سرعة التبخير على شدة اشعة الشمس التى تختلف هى الاخرى تبعا للموقع الجغرافي والوقت من السنة

ووجود السحب او الضباب ، وفي احسن الظروف يمكن ان نحصل على نصف لتر فقط من الماء العذب في اليوم من كل قدم مربعة من سطح الماء المعرض للطاقة الشمسية ، وتستعمل هذه الطريقة للاغراض المنزلية .

استعمال الاغشية

اما استعمال الاغشية ، فالغرض منه اختيار غشاء تنفذ منه بعض المواد دون البعض الآخر . والمعروف ان الملح العادى ، هو المادة الرئيسية الذائبة في ماء البحر ، انه كلورور الصوديوم ، انها ذرات مشحونة او ايونات الصوديوم والكلور، والشحنة الكهربائية موجبة لايون الصوديوم وسالبة للكلور، يستغل ذلك فيما يسمى الفصل الغشائي، فثمة غشاء موجب يسمح بمرور ايونات الصوديوم الموجبة وغشاء سالب يسمح بمرور ايونات الكلور السالبة ، ويبقى الماء العذب بين الغشائين . وتتوقف قوة التيار المطلوب في هذه الاجهزة على درجة تركيز الملح وتستعمل هذه الطريقة عندما تكون موارد الطاقة الكهربائية ميسرة ورخيصة وتصنع الاغشية بمعالجة مادة مثل بولى اثلين كيماويا .

اما عكس الاسموز فتتوقف على استعمال اغشية نصف نفاذة ، ينفذ خلالها الماء دون الاملاح الذائبة نتيجة ضغط يتوقف على درجة تركيز المحلول ، يسمى الضغط الاسموزى ، وعلى درجة حرارة الماء ، فاذا زدنا الضغط على المحلول ليصبح أكثر من الضغط الاسموزى حدث ما يسمى بعكس الاسموز ، وينفذ الماء العذب خلال الغشاء في الاتجاه المضاد للتدفق الاسموزى المعتاد . وافضل مادة لصنع هذه الأغشية هى خلات السليلوز التى تنفذ الماء دون الاملاح ، وميزة هذه الطريقة انها لا تحتاج الى طاقة كبيرة لتشغيلها وما زالت البحوث تجرى لزيادة كفاءة الأغشية .

تحلية الماء بالكيماويات

وتتلخص الطريقة الكيماوية في جعل الاملاح تكون مع راتنجات خاصة مركبات لا تذوب في الماء، فنوع الراتنج ياخذ ايونات الصوديوم وبعض الايونات الموجبة الاخرى، ويطلق ايونات الايدروجين. وراتينج آخر ياخذ ايونات الكلور وبعض الايونات السالبة الاخرى ويطلق ايونات الايدروكسيل ، ثم تتحد ايونات الايدروجين والايدروكسيل مكونة الماء ، وعلى ذلك يحرر الماء الملح من الاملاح الذائبة، ويجرى هذا التبادل على فرشة مسامية من مواد راتينجية معينة لها القدرة على تبادل الايونات الملتصقة بالراتينجات مع تلك التى بالمحلول وتلامس الفرشة ، وثمة راتنجات مخلقة كيميائيا تقوم بهذا العمل .

التبلور

اما طريقة التبلور ، فمن المعروف انه اذا برد محلول ملحى حتى درجة التجمد ، ترسبت بلورات جليدية من الماء النقى وهذه القاعدة هى اساس اعذاب الماء الملح بطريقة التجمد والتثلج ، فعندما يذوب رطل من الجليد ، فانه يمتص قدرا من الطاقة تسمى حرارة الانصهار الكامنة دون اى تغير في درجة الحرارة ، وحرارة الانصهار هذه تساوى تماما كمية الحرارة التى نزعت أساسا لتكوين الجليد ، وبعبارة اخرى فان حرارة الانصهار الكامنة تساوى حرارة التبلور الكامنة ، وميزة هذه الطريقة قلة التكاليف بتبخير مبرد مثل البوتان بالتلامس المباشر مع ماء البحر .

اما تكوين الهيدرات ، فيعتمد على تكوين مادة متبلورة نتيجة اتحاد ايدروكربونات ذات وزن جزيئى منخفض او مشتقاتها مع الماء وتعرف المركبات الناتجة باسم الكلاثرات الجامدة . وفي عملية الهدرتة يوضع ماء البحر مع عامل مهدرت مثل البروبان في اتصال وثيق داخل مبلور ، وعندما تصل درجة الحرارة والضغط الى المستوى المطلوب تتكون بلورات الهيدرات ثم تفصل من الماء الملح .

هذا عرض موجز لطرائق الاعذاب المختلفة ، ويتوقف نجاح كل طريقة على نوع وكمية الطاقة المتاحة لتشغيل المصنع ، والكمية المطلوبة من الماء العذب وتركيز الماء الملح .

وهناك مصانع ثنائية الهدف ، كأن تولد طاقة كهربائية مع الاعذاب ، وأخرى ثلاثية الهدف تستخلص الاملاح الناتجة كذلك ، ومن شان ذلك ان يقلل النفقات .

وحبذا لو اخذت الدول العربية في اقامة مصانع اعذاب المياه الملحة ، سواء كانت ثنائية أو ثلاثية الهدف ، حتى تستطيع دولنا العربية مواجهة التحديات ومتطلبات الحياة الحرة الكريمة .

■■

عبد الحليم منتصر

« الى اخواني في البحرية ذكرى لأيام جميلة مليئة بالحب والأمل » .

ضبابٌ سَاد والشمسُ مُشْرِقة

قصة بقلم : محمد رؤوف بشير

■ احسست لاول مرة بان الطريق الى المستشفى طويل ، وانني سأستغرق في الوصول اليه ردحا من الزمن لن ينتهي ، بينما جلست الى جانبي (امل) واطياف من السعادة المرحة ترتسم في عينيها الجميلتين .

واخيرا كان لا بد لنا أن نصل ، فدلفنا الى الداخل حيث استقبلنا طبيب بدا للوهلة الأولى اكبر من سنه الحقيقية ربما بسبب من نظارته السميكة، وصلعته اللماعة الا من خيال شعيرات مرسومة بدقة متناهية على راسه الضخم .

وبينما كانت الممرضة تاخذ عينة من دمي لاختبارها ، كان الطبيب يجرى بعض فحوصه السريرية على (امل) ، وما ان انتهى منها حتى عاد ليبدأ معي الفحص نفسه .

وغاب الطبيب واحسست لغيابه نوعا من الضيق هو اقرب ما يكون الى الثورة التى تنذر بانني سوف احطم كل ما حولي،فمع حبي الشديد للنظام العسكري وخضوعي التام له ، الا انني بدات اشعر وكان الجيش ، بل الجمهورية باكملها تتآمر ضدي !

فلكي أتزوج لم يكن بد من الانتظار مدة ما ، ولم يكن بد من الحصول على موافقة ، ولا بد من التحقيقات .. ، ولا بد .. ولا بد .. ، حتى بدات اعتقد ان « لا بد » هذه تتآمر ضدي أيضا، بل انها تعرض سلامة البلاد للخطر المباشر ، فسلاحنا البحرى يجب أن يزداد قوة ، « ولا بد » تلك تؤخر في تقديم البحارة الأشداء زمنا ليس بالقصير .

ويوم ظفرت بالرخصة – رخصة الزواج – ، وكانت أعقد فقرات « لا بد » ، لم أكن أدرى أين يجب أن أخبئها ، فوضعتها في جيبي الأيسر، فوق القلب ، ثم نقلتها الى الايمن ، حتى بلغ بها الطواف جميع جيوبي ، مما جعلني أخشى عليها من التمزق ، أو الضياع ، فقبضت عليها بيدى في صورة أقرب ما تكون الى الضم والعناق، منها الى اى وضع آخر .

وصرخت فرحا وانا اقول : والآن اكتملت الاضبارة « اضبارة الزواج » وغمرتني موجة عارمة من السعادة ، فمدت أقلب في بعض أوراقها المنتظمة من جديد .

توقفت فجاة مذهولا ، وكان راسي قد ارتطم بعارضة حديدية ، أو سارية في سفينة قرصان.

لا .. فالاضبارة لم تنته ، تنقصها ورقة واحدة شهادة الطبيب فقط .

« الا ما اعقد المجتمع الذى يظن انه صنع القوانين لينظم حياته على نحو افضل ، فاذا به يفقدها بهذا التنظيم أشياء اكثر اهمية ، الا وهى العفوية والجمال .



... وخيل الي انى ضحكت، وابتسمت « أمل » وهى تسالنى عما يقوله الطبيب ، فاجبتها بصوت مرتفع .... لا شيء انه يريد أن يهنئنا فقط ».

فانا لا اعرف في الواقع سببا لهذه الشهادة ، لان كلا منا يتمتع بصحة جيدة ، بل ان اى فنان لو أراد أن ينحت في يوم من الأيام مثالا للصحة ، والقوة والجمال ، لما وجد خيرا منا لهذا المثال .

اما وقد عجزت عن تقدير اهمية شهادة الطبيب في موضوع زواجنا ، ووجدت ان المناقشة والاعتراض لا يجديان فتيلا ، عدت وقلت في نفسي : لها ليست سوى ورقة كفرها ، ولن تتقضي بضع دقائق الا وتنتهى آخر « لا بد » في بناء حياتنا الزوجية .

وها انذا في المستشفى مستند الى احد ابواب غرفه الكثيرة في وضع تاملي او صوفي بل قل فلسفي تطوف بي افكار عميقة بعيدة الغور .

« ولدت في « اللاذقية » كبرى مدن الساحل السورى ، وكغيرى من ابناء هذه المنطقة نشأت شغوفا مولعا بذلك البساط الازرق اللامتناهى ، ويبدو ان البحر كان بدوره شغوفا بى ، حنونا عليّ ، فقد حدث في احدى الأمسيات التى تنادت فيها اسرتى للذهاب في نزهة على الشاطيء مع بعض الجيران ان افتقدتنى امى فلم تجدنى ..

فطاش صوابها ، وعلا الصياح والسؤال ترسله مع جاراتها والمتنزهين وهم يقولون :

ـ كان هنا منذ لحظة يلعب مع (أمل) .

وهرع الجميع يبحثون عنى ، وهمس احد المارة :

ـ مسكين لا بد أن الموج قد ابتلعه .

وأخذوا يفتشون .. سباحة وتجديفا بالقوارب يسابقون الموج بحثا عنى ، وعندما وجدونى طافيا على سطح الماء ، وكان مائة يد ملائكية تحملنى ، وقد ارتسم على وجهى كل مرح الطفولة وبراءتها ، لم يكن لديهم متسع للاستغراب فقد كانت فرحة العثور عليّ طافيا فوق موج البحر تفوق كل دهشة.

ويقول البعض اننى من يومها لقبت «بالبحرى»، وانا اقول ان سبب هذه التسمية يعود الى اننى قضيت ردحا من الزمن ، بل كل الزمن ، كل حياتى ، في طواف بعيد مع عينى (أمل) الزرقاوين.

كانت (امل) جارتى تعيش معى في ذات الحى ، بل في ذات البيت ، فما كان الجدار الوحيد الذى يفصل ـ بل يجمع ـ بين دارينا ليستطيع ان يحد من تخيلاتى ، واحلامى الطفولية .

وبدأت السنون تمر بعجلاتها القاسية ، فتحفر في صحيفة حياتي أخاديد عميقة، فقد توفي والداي، وتبعهما والد « أمل » ، غير ان قلب الجارة العطوف وابتساماتها الوضاءة المشرقة ، وحنان امها ، كان كل ذلك كفيلا بان يمسح اعمق الأخاديد واشدها ايلاما في نفسي .

وبدا كل شيء يكبر ، أنا و « أملي » ، والبحر الحنون ، ورغبتي في أن اغدو ضابطا في البحرية.

ويوم ابلغني الشرطي نبأ قبولي في الكلية البحرية ، لم اكن لأستطيع ان اميز بين سعادتي بهذا القبول ، وفرحي باعلان خطوبتي من «أمل»، فقد اختلطت السعادة بالفرحة ، بل تضاعف كل منهما وهو يمتزج بالآخر ، الى حد بت أخشى على نفسي من أن ينوء عقلي الصغير بحملهما ، وان يطير قلبي من شدة الخفقان ، او أن اغدو فيلسوفا فالقي بنفسي بين امواج البحر الصاخب ، فلا افارقه ابدا ، معبرا بذلك عن احدى نظريات السعادة اللامتناهية .

كانت تدريبات الكلية البحرية من القسوة والشدة، بحيث انها كانت تبتلع كل يومي وليلي، وكنت اشعر أن فكري أشبه ما يكون بالانسان المشلول العاجز عن حمل نفسه ، الا ان ذلك لم يكن ليمنع روحي الواعية في اعماقها لشوق دفين لا ينتهي يحاول أن يدفع بعجلة الزمن الى الأمام وباقصى ما يملك من قوة وسرعة .

كان اللقاء الوحيد بيننا طوال هذا الزمن السحيق يتم على صفحات الرسائل وكان دائما لقاء طويلا ، حارا ، مشوقا .

كانت تريدني أن أعود اليها بسرعة ، بل تود لو اغمضت عينيها حتى اذا ما فتحتهما وجدتني الى جانبها .

ومن خلال رسائلها الطويلة تبين لي :

انها لا تحب الأطفال كثيرا ، لا تريد أن يتجاوز عددهم الستة ، ثلاثة صبيان ، وثلاث بنات . وانا بدوري كنت أكثر تواضعا منها في حبهم ، فلم أكن أرغب في أكثر من ضعف العدد ، أي العدد نفسه من كل نوع ، نصفهم صبيان سمر ، طوال القامة بعينين خضراوين ، يفيضون صحة وقوة ورجولة ، ـ هكذا تريدهم امل مثلي على حد قولها ـ ، اما النصف الآخر فعرائس كبراعم الورود في أكمامها ، أو كالفراشات الزاهية في حديقة الورود ، ملائكة في بشرة بيضاء ناعمة مشربة بحمرة خفيفة ، قد جمع الله في عينيهن زرقة السماء الصافية وعمق البحار ، وجدل الشمس في ضفيرتين القاهما وراء الظهر وعقد ما تبقى في غرة فوق الجبين ، اريدهن «أملً » في كل شيء ، في عطفها ورقتها وحنانها .

اما احلامنا واماتينا فكانت تختلف عن غيرنا من الناس ، لم نكن نفكر بالمال ، او الغنى او السيارات الفارهة ذات الألوان الزاهية ، كل ما نرجوه بيتا هادئا ، انيقا ببساطة ، ترفرف عليه السعادة باجنحتها البيضاء ، بينما تنبعث في ارجائه اصداء البلابل ، وتغريد العصافير ، اصوات اولادنا .

وهكذا كان جزء كبير من رسائلنا يستغرق في توزيع حجرات بيتنا الصغير على هؤلاء الأطفال .

هي تتحزب للصبيان ، وانا أتحزب للبنات ، كلانا لم يكن ينشد العدل في التوزيع ، بل يغدق على الآخر من خلال هؤلاء الصغار من معين حبه الذي لا ينضب » .

وصحوت من افكاري على صوت الطبيب وهو يستدرجني جانبا ليقول :

ـ هناك حقيقة لا بد وأن اصارحك بها ولكي اقرب الموضوع الى ذهنك فلا بد لي من هذه المقدمة الصغيرة، لكل انسان مجموعة دموية خاصة به وقد يجتمع اناس كثيرون في مجموعة واحدة ، بينما يجتمع آخرون في مجموعة غيرها مختلفة ، لكن هذا الاختلاف في نوع المجموعة غير مهم عند الزواج طالما انها مجموعات من طبيعة واحدة ايجابية كانت أو سلبية .. »

« ضقت ذرعا بحديث الطبيب المهم ، فما علاقتي أنا بالناس، اتفقت مجموعات دمائهم أم لم تتفق ، موجبة كانت او سالبة ، فانا لم أحضر الى المستشفى لكي أتلقى محاضرة في الطب ، والعلوم الطبيعية ، ان كل ما أريده ، ورقة بسيطة تثبت صحتنا واهليتنا للزواج ، ونحن أصحاء ، واهل للزواج ، أكثر من الطبيب الأصلع ذاته » .

والتفت اليه محاولا ان انقل اليه رأيي الصريح في هذه المحاضرة التي لا بد ستستعصي على فكري الثاقب ، بينما تابع كلامه دون أن يترك لي أي مجال للحديث :

ومن الناس ـ وانت منهم ـ طائفة في دمائهم مادة تعرف باسم رويسس ، بينا توجد طائفة

أخرى ليس في دمائهم هذه المادة ـ وهذه المادة تعرف بعامل ر.هـ ـ ولفظ هذين الحرفين بالفرنسية ـ وفي هذه الحالة ـ يصعب ، بل يستحيل عمليا ـ كما في حالتكما ـ أن تنجبا أي طفل . وحتى اذا ما تم التزاوج والالقاح فقد لا تكتب للجنين الحياة .. » ويدعى هذا العامل طبيا « بالريزوس » ※.

وسقطت الجملة الأخيرة فوق راسي كمرساة بارجة كبيرة لتنفذ بكل ثقلها وفروعها المتشعبة الحادة مستقرة في أعماق ذاتي .

فشعرت ببعض الثقل في جسمي ولم أجد بدا من أن استند الى أحد جدران المستشفى ، بحيث لم اعد ادري على وجه التحديد اين يسند الآخر ويقيه شر السقوط .

« ـ الـ « ريزوس » ، من هو هذا الشيطان ، يخيل الى انه احد الأسماء التي كانت تطلق على بعض الآلهة المرعبة ، أو الارواح الشريرة ، في الأساطير اليونانية القديمة ، هذه الأساطير التي لم تقدم لنا سوى أشياء تافهة لا نفع منها نسجها حكماؤهم في احدى ساعات البطالة الفكرية العشوائية .

هؤلاء الفلاسفة الشريرون والمساكين في ذات الوقت الذين فقدوا أنفسهم وأضاعوا العالم معهم منذ أقدم العصور بكلام لم يعد على احد بفائدة تذكر ، بل أفاض عليهم من الأذى ما جعل حياتهم في كل خطوة من مراحلها لا تختلف عن حياة أي تائه بائس ، تنطفيء شعلة حياته الباهتة بين أمواج الشك ، أو في جرف واد سحيق من الاتهامات والآلام .

وباختصار لم يقدم لنا هؤلاء الفلاسفة سوى المآسي ،وها أنذا آخر ضحاياهم بعامل «الريزوس» هذا الذي لا بد وان يكون يونانيا ولو أجمع علماء الدنيا على انه غير ذلك . »

ولم أستيقظ من فلسفتي ووقفتي التأملية الصوفية الا على أبتسامة « أمل » تطل عليّ وهي تهزني من كتفي ضاحكة ..

أين وصلت أيها البحار ..

« أجل أين وصلت » ، لا أولاد .. لا بنات ذوات بشرة بيضاء ، وعيون زرق وضفائر ذهبية مجدولة خلف الظهر ، وغرة براقة تعكس ضوء الشمس فوق الجبين ،لا صبيان سمرا بعيون خضر ، وقامات طويلة ، لا قوة ، لا رجولة ، لا توزيع في غرف البيت الصغير . لا صياح ، لا تغريد لا بحارة . الأسماك في البحار ، تحب وتتوالد . الأزهار .. ، الطيور في الاعشاش ، وحتى الكواكب في السماء تورق علاقات الحب بينها اقمارا صغيرة تعكس نورها . ومضة الحب الأزلية .. شعلة خالدة لا تنطفيء .. وأنا و « أملي » . هل مقدر علينا حقا أن نبقى هكذا بلا أوراق ، بلا ثمر . زهرا بريا دون أريج ، كوكبا يخبو نوره ، فحما اسود لا خير فيه ؟ » .

ثم قدم الطبيب ورقة ممهورة بتوقيع وهو يهمس في أذني قائلا :

ـ تستطيع أن تتزوج اذا شئت ..

وخيّل الى اني ضحكت ، وابتسمت « أمل » وهي تسالني عما يقوله الطبيب ، فأجبتها بصوت مرتفع .

ـ لا شيء .. انه يريد أن يهنئنا فقط ..

ومد الطبيب يده مودعا .

الطريق من المستشفى الى البيت فيه شيء من الكآبة ، والشجرة العتيقة أمام دارنا يلفها ضباب خفيف ، بينما بدت أشعة الشمس من خلال هذا الضباب ، مبعثرة ، مشتتة ، في ذرات صغيرة تتلألأ بصعوبة وضعف .

والتفتُّ الى « أمل » قائلا :

ـ أوليس غريبا أن يحل الضباب في هذا اليوم المشرق الجميل ـ .

فابتسمتْ ضاحكة وهي تجيب :

ـ وهل تعتقد أن الضباب يقوى على الصمود طويلا أمام نور الشمس ؟ .. لا .. فحتى في القطب لا يصمد الليل الطويل أمام أشعتها المشرقة ، ويبدأ الثلج بالذوبان مع اطلالتها الدافئة .

والتصقتْ بذراعي . ■■

محمد رؤوف بشير

※ القرد ريصص Rhesus ، نوع من القردة،كثير الانتشار ، لا يزال يوجد في هضبة جبل طارق ، وفي هذه القردة عامل دموي يعرف باسمه . اذا وجد في دم الزوج ، وتزوج بفتاة لا يوجد هذا العامل بها ، أفسد ذلك الحمل أنتائج .

كتاب الشهر

فن الممثل العربي

دراسات وتأملات في ماضيه وحاضره

تاليف
زكي طليمات

عرض
محمد خليفة التونسي

■ مؤلف هذا الكتاب ، الاستاذ زكي طليمات ، من رواد المسرح في امتنا العربية ، وقد جاهد في خدمته ممثلا ومخرجا ومعلما واداريا قرابة خمسين سنة .

بدا نشاطه ممثلا هاويا في فرقة « جورج ابيض » بعد فترة من تاسيسها ، وكان صاحبها يسميها باسمه منذ اسسها سنة ١٩١٢ ، وكان الاستاذ عبد الرحمن رشدى المحامي من اعضائها البارزين، فلما انفصل عنها اسس فرقة مستقلة ضمت نخبة من الممثلين المثقفين ، كان منهم المؤلف ، ومنذ ئذ فلما ظهرت في مصر فرقة للتمثيل الراقي الا كان له في نشاطها نصيب . وقد عمل خلال هذه الحقبة الطويلة مع كل الممثلين والمخرجين البارزين ، وكان قد درس في باريس فنون التمثيل والاخراج ، واظهر فيهما كفاءة رفعت مكانته عند زملائه ، وعند جملة المثقفين والمسئولين في الدولة ، فكانت آراؤه تظفر بالتقدير سواء اخذ بها او عدل عنها .

ومن اعماله سعيه في تاسيس معهد التمثيل في القاهرة قبل اربعين سنة ، ثم سعيه في اعادة فتحه بعد ان اغلقته الدولة فترة ، وكانت له ادارة المعهد بعد فتحه ، ثم الف « فرقة المسرح الحديث » وكان اعضاؤها من خريجي هذا المعهد الذى كان له أثر واسع في تاصيل المسرح وترقيته، ونشر الوعى به في شتى انحاء العالم العربي .

وللمؤلف جهاد قريب من ذلك في اكثر من بلد عربي ، كان ختامه عشر سنوات في الكويت ، اقام خلالها المسرح ، وخرج له جيلا قادرا على متابعة خطاه .



تمهيدات الكتاب وتمهيدات المسرح العربي

يحتوى الكتاب على عدة اقسام : اولها تعريف سريع بموضوعه ، ثم مدخل قصير في توضيح معنى « فن الممثل » او « فن الاداء التمثيلي » ويلي ذلك ثمانية ابواب : الاول منها شبيه بالتمهيد وفيه يوضح المؤلف الفرق بين فن التمثيل وفن الالقاء ، او بين فن الممثل وفن الملقى ، والمدارس المختلفة لفن الاداء التمثيلي ، وايها كان اشد تاثيرا في الممثل العربي ، والفرق بين المذهب والاسلوب في فن الممثل ، فقد ينتمي عدة ممثلين الى مذهب او مدرسة واحدة ، ويكون لكل منهم اسلوبه في التعبير .

اما الابواب الثلاثة التالية ـ وهي الثاني والثالث والرابع ـ فتتناول مراحل تاريخية ثلاثا لفن الممثل العربي ، الاولى منها مرحلة الرواد الاوائل الى ما قبل الحرب العالمية الاولى بسنوات ، حين كان فن التمثيل يقوم على فن الالقاء ، ويخضع له في ضوابطه ، والمرحلة الثانية بدات قبيل هذه الحرب (١٩١٤ ـ ١٩١٨) واستمرت بعدها سنوات ، وليست التفرقة هنا زمنية محضة ، بل هي تفرقة في ملامح فن الاداء التمثيلي ، اذ بدا يبتعد عن فن الالقاء الذى كان مسيطرا عليه ، ويستقل بوضوح عنه ، وفي هذه المرحلة ظهر عدة ممثلين بارزين ، كما اتيحت الفرصة امام عدة ممثلين ناشئين ليتدربوا على ايدى هؤلاء الكبار ، وليدرسوا فنون التمثيل والاخراج دراسة علمية عملية في معاهد راقية متخصصة بعد ان كان الممثل لا يعتمد الا على مواهبه وممارساته في الفن دون دراسة شاملة لاصوله ، ومن نوابغ هذه المرحلة جورج ابيض ، وعبد الرحمن رشدى ، وعزيز عيد وعمر وصفي .

الملامح العربية والشخصيات النموذجية فى المسرح

وجاءت مرحلة ثالثة عقب الثورة المصرية سنة ١٩١٩ ، فظهرت الملامح المحلية الوطنية ، كما ظهرت الشخوص او الشخصيات النموذجية Tipical ، اذ يتخذ الممثل لنفسه شخصية واحدة من انشائه ، ذات سمات معينة ثابتة ، ويدخل في اهابها وكيانها الحي في كل ما يعرضه مع غيره من المسرحيات ، وهذه الشخصية مصرية شعبية ، ومن امثلتها اتخاذ الاستاذ نجيب الريحاني شخصية « كشكش بك » وهي شخصية « عمدة ريفى » لقرية مصرية سماها « كفر البلاص » والبلاص (بمعنى الجرة الفخارية) تسمية تثير الفكاهة في مصر ، والاسم عَلَم في الواقع على كَفْر او قرية فيها ، وكذلك اتخذ الاستاذ على الكسار شخصية « البربرى » عثمان عبد الباسط ، وهي شخصية مصرية نوبية ، ولاهل النوبة رطانتهم المتميزة المحبوبة التي تثير الفكاهة في مودة عند مواطنيهم المصريين ، وقد اجتذبت هاتان الشخصيتان قلوب المصريين ، لانهما ادنى الى مشاعرهم ومالوفاتهم وميلهم الى الفكاهة ، ولأنهما كانتا تعبران ـ او كان يعبر خلالهما ـ عن احوال مصر يومئذ عقب صحوة سنة ١٩١٩ . ومع ما نالته عروضهما من رواج واقبال ـ بقيت المسرحيات الاخرى في رواج تؤدى عملها الجاد او الفكه ، وان كان رواجها اقل.

بل ان شتى العروض التي كانت تقدمها المسارح

في تلك الفترة قد اجتذبت كل من شاهدوها او سمعوا بها بين العرب شرقا وغربا ، وحظيت من شهودها بينهم بالوعى والتعاطف والتشجيع ، مما كفل للمسرح تأييدا بين شتى الطبقات في جميع البلدان العربية ، بل كانت العروض المسرحية على اختلافها في مقدمة اواصر التبادل الثقافي للتقارب والتعارف والتواصل بين ابناء كل شعب عربي في ارضه ، ثم بين ابناء شعوب الامة العربية جميعا من اقصى اطرافها شرقا الى اقصاها غربا ، وظهر اثرها الحي فيها قبل ان ظهرت واشد مما ظهرت آثار اى آصرة من اواصر التبادل الثقافي بين الشعوب العربية ، وكان اثرها واسعا وعميقا ، مع انه امتد عفوا ، وكان امتداده اول امره بطيئا، ولكن في خطوات متتابعة ثابتة ، وكان هذا بعض خدمات المسرح في خدمة القومية العربية حين كان لا يقصد الا اداء رسالته الفنية في آفاقه الوطنية.

من الذكريات الشخصية القديمة

ومن ذكرياتي هنا ، أن المسارح في هذه المرحلة كانت تلقى اقبالا قويا عند الجماهير عاليها ودانيها وكانت الحماسة لها على اشدها ، وكانت عروضها من احب موضوعات الحديث لدى الكبار والصغار حيث امتدت آثارها في العواصم العربية لا سيما القاهرة ، فكان معظم الجماهير يرى من حق نفسه عليه ان يشهد « الشخصاتية » وهم يؤدون « التشخيص » على « المرسح » او كما نقول اليوم : يشهد الممثلين يقومون بالتمثيل على المسرح ، وكان كل يؤدى هذا الحق لنفسه بقدر ما يتسع وقته ودَخْله ، لما يشعر به نحو هذا الفن الطريف وشخصياته من مودة حميمة ، اذ كان الشعور يومئذ في المجتمع قريبا مما يشعر به بينهم ابناء الاسرة الواحدة الكبيرة .

واذكر ان اول عرض مسرحي شهدته هو مسرحية « خلى بالك من اميلى » على مسرح حديقة الازبكية قبل اربعين سنة وكان ذلك عقب مجيئي من قريتي في قلب صعيد مصر الى القاهرة طلبا للعلم ، وكنت يومئذ في اول المرحلة الثانوية ، وقد فوجئت في ترددى على المسرح بطرائف عالم جديد لا عهد لي به ، وما كانت لتخطر على بالي في عزلتي الريفية المترمتة المنقطعة عن نعم الثقافة والحضارة الحديثة، وقد كلفتني الفرجة انفاق اسية كاملة والنقلة البعيدة (يومئذ) مرتين بين اقصى الجيزة جنوبا حيث كنت اسكن وقلب القاهرة حيث مسرح الازبكية ، كما كلفتني زحاما لا استحبه ، حتى ظفرت بمكان في اعلى دور ، وانفاق جملة قروش في الرحلة والدخول كان ضياعها يومئذ يخل بالميزانية ، وكانت الازمة العالمية في تلك السنوات تضغط كل البلدان حتى امريكا ، وكان للازمة عندنا لا سيما نحن الريفيين المستورين آثارها الثقيلة ، ومع ذلك بقيت اتردد على المسرح كل شهر اكثر من مرة ، ولم اكن الا فردا في الجماهير الشعبية التي تلقت المسرح وعروضه بالاقبال والمودة الحميمة، واذكر أن ما جذبنى اول مرة الى المسرح ليلتئذ حديث" حماسي شائق لصبي نجار من لِدَاتي واهل اقليمي ، ولم يكن يشق عليَّ غيرُ الزحام ، وهو شيء كنت ولم ازل اضيق به ، لان النشأة كان يسيطر عليها روح الوقار التي اوحت الى شاعرنا ابى العلاء المعرى ان يقول وهو في الرابعة عشرة من عمره رائيا اباه :

« ويا ليت شعرى ، هل يخفّ وقاره
اذا صار احْدٌ في القيامة كالعهْن
وهل يرد الحوض الروئ مبادرا
مع الناس ، ام يأبى الزحام فيستأنى ؟ »

واعتقادنا نحن ان هذه المرحلة من تاريخ المسرح عندنا كانت مرحلة تعريبه او تمكن جذوره في الامة العربية كلها على درجات بين شعوبها شرقا وغربا ، اذ تقبلته جميعا واحبته ، وعمقت فيه طبائعها فظهرت عليه سماتها المحلية والقومية .

المسرح بين الحربين العالميتين

ويلى الباب الرابع الذى عرضناه وعلقنا عليه باب" خاص نراه تكملة له ، وان كان المؤلف يتخذ له عنوان « مرحلة ما بين الحربين » ، وفيه يتناول فن الممثل عند جماعة من الممثلين والممثلات كلهم ظهروا في المرحلة التي تحدث بها في الفصل الرابع، وكلهم امتداد للمرحلة السابقة من مراحل التمثيل الراقى الجاد الذى يعتمد على ما درسه الممثل من اصول فنه الى جانب مواهبه ، ومن اعلام هذه الفترة الاساتذة يوسف وهبي وسليمان نجيب (والمؤلف من هذه الفترة وان كان لم يذكر اسمه ولم ينوه بنفسه) ، وبرز يومئذ العنصر النسائي بقوة ، واشهرهن السيدات روز اليوسف وامينة رزق وفاطمة رشدى واخريات .

تأميم المسرح ونهضته

ومن الباب السادس تظهر بداية مرحلة جديدة للمسرح بتدخل الدولة للنهوض به ، وفي اوائلها ظهرت « بداية تأميم المسرح وانشاء دراسة منهجية فيه » كما ظهرت « الفرقة القومية » الحكومية ، و « نقابة الممثلين » و «معهد التمثيل» كما ارسلت الدولة الى اوربا بعوثا مسرحية ، فلما اكتملت دراستها عادت واسهمت في النهضة المسرحية ، ولهذه البداية ملامحها في التمثيل وملامحها في الاخراج .

فاما التمثيل فقد تفتحت فيه مواهب جديدة حين صارت ادوار البطولة تقسم بين اعضاء الفرقة بعد ان كان يحتكرها شخص واحد هو مدير الفرقة وممولها والمستبد بامورها ، وصار الممثل يحقق وجوده ونبوغه في ثقة تامة بنفسه ، ويصحح وعيه بمفهوم الاجادة وهو يؤدي دوره ، دون أن يعتمد في الاداء على المؤثرات الصوتية والحيل الرخيصة لاجتذاب الجمهور ، وزاد تعاونه واندماجه مع سائر الممثلين صغيرا كان دوره او كبيرا ، فلم يكن التفاضل بين الادوار بكبرها او صغرها ، بل بمقدار الاجادة فيها ، وصار الممثل يميل في رسم الشخصية الى اخذها في جملتها ، بحيث توحي جملة الشخصية تفصيلاتها للمشاهدين .

واما الاخراج فقد شرع يتخلص من عيوبه ، فصارت مقدمة المنصة والنقط الضوئية الساطعة تقدم لكل ممثل في المواقف الهامة لتبرزه مهما يكن دوره ، بعد ان كان يستاثر بها البطل ومن يواليه، وكانت البطولة كما اسلفنا لمدير الفرقة الذي يستبد من امورها بما يشاء ما دام هو الممول لها ، ومن ملامح الاخراج الجديدة هنا ايضا ان صار المخرج اعرف بوظيفته من حيث الاطار المادى للمسرحية كالمناظر والملابس والاضاءة ، ومن حيث توجيه الممثلين في اداء ادوارهم بحيث يحتفظ كل ممثل بشخصيته ، ويتعاون مع غيره ، وصار المخرج يخطط في اخراج المسرحية على وفق اصالتها دون مراعاة للارشادات الكثيرة التي يكتبها المؤلف لمسرحيته بين سطور النصوص .

الميكرفون والكاميرا في المسرح

والباب السابع امتداد لهذه المرحلة بعد ان تاثر فن الممثل بالميكرفون والكاميرا، فالميكرفون آلة حساسة تكبر الصوت وتنقله بعيدا ، حتى انفاس المتكلم تفتضح اذا اقترب منه ، فلا بد معه من الاقتصاد في الصوت ، وهكذا ينبغي للممثل ان يخفت صوته وهو على ثقة من وصوله الىمستمعيه واضح المخارج والنبرات ، ومثل الميكرفون عدسة الكاميرا في نقلها للمرئيات الدقيقة ، فالممثل في حاجة الى القصد في الحركات والاشارات .

وباجتماع هاتين الآلتين في التمثيل المسرحى للتلفزيون ، وضحت ملامح جديدة : فلا شدة في الصوت ، ولا كثرة ولا مبالغة في الايماءات والاشارات والحركات ، ثم يأتي عنصر السرعة التي هي روح العصر ، فتقتضي بتقصير فترات الصمت ، دون مضغ الكلام او تركيب بعضه فوق بعض . وقد فرض الميكروفون والكاميرا دكتاتوريتهما في هذه المرحلة بعد آن تضخم النتاج في الاذاعة والسينما (ثم التلفزيون) اذ « اتسع نطاق العمل فيها ، واصبحت مجالاتها موارد رزق لم تكن معروفة قبل ، فتهافت عليها ممثلو المسرح وغيرهم ممن قفزوا الى هذه المجالات دفعة واحدة» و «اخذ فن العمارة في بناء دور التمثيل يستجيب الى متطلبات هذه الدكتاتورية » ولم يقتصر فن الممثل على المسرح ، بل جاوزه الى مجالات اخرى هي الاذاعة والسينما والتلفزيون ، « بل قام اسلوب جديد في الاداء : اسلوب الهمس » خضوعا لموقف الممثل امام الميكرفون والكاميرا ، وكلاهما فضاح .

المسرح في مرحلة انتقالية

اما الباب الثامن وهو الاخير ، وعنوانه «خطوط وابعاد في فن الممثل » فيعرض سيرة المسرح وفن الممثل عقب ثورة ١٩٥٢ في مصر، وما اصاب التمثيل اول الامر من بلبلة ، واصاب المسرح بعد تأميمه من اضطراب لينكيف على وفق التزام معين يمكنه من خدمة النظام الجديد وتحقيق اهدافه ، وفي هذه المرحلة لم يبق المسرح وسيلة تسلية ، بل « اداة توعية لعقيدة اجتماعية لم يعرفها المجتمع من قبل » و « في ظل هذا النظام اصبح (الممثل) موظفا في (القطاع العام) ، واكتسب صفة (المواطن العامل) بحقوقه وامتيازاته ، بعد ان صارت (نقابة الممثلين) عمالية ، تخضع لقانون النقابات العمالية » .

وفي هذا الباب توضيح لما اصاب فن الممثل من تغيير لتبدل احوال المسرح ، وما ينشا من تطبيق

اى نظام بصورة واحدة على عدة مجالات مختلفة ، دون تفرقة في تطبيقه بين مجال ومجال اذا اختلفت طبيعة كل منهما عن طبيعة الآخر . « فان السعي المتواصل الى تحقيق تقارب بين الطبقات ، واعطاء فرص للجميع في العمل - وان افاد في الارتفاع بمعنويات الشعب في المسائل الاقتصادية والمعاشية بطريق توزيع الثروات توزيعا عادلا رحيما بين الناس ، فانه - وكما ارى حتى الآن - لا يمهد طريقا سهلا في عوالم الادب والفنون .. الا لمن اوتي من المواهب والقدرات فيوضا واسعة » .

شرخ فى المرآة

ويذكر المؤلف تنحي الممثلين الكبار او النجوم عن ادوار البطولة لارتفاع اجورهم ، فاتيحت الفرصة لصغار الممثلين واوساطهم ان يجربوا حظهم في ان يصبحوا نجوما كبارا « ويبدو ان هؤلاء الصغار والاوساط اساءوا فهم تنحي هؤلاء النجوم، او هم فسّروه على انهم يمكنهم ان يحلوا محل النجوم بمجرد ان اتيحت لهم الفرص ، وتناسوا امر الموهبة والقدرة : فسّروه كذلك بدافع التيه والخيلاء ، وهما من المطايا السريعة الخطا الى الغرور » .

ويشير المؤلف الى ما وقع فيه هؤلاء الممثلون الصغار والاوساط من اخطاء حين اساءوا فهم الثورة وخططها واهدافها ، وغفلوا عما ينبغي لفنهم من موهبة وثقافة وقدرة ، فبذلك ظلموا الثورة وظلموا انفسهم وظلموا فنهم واخلوا برسالته القومية والانسانية ، فيقول : « ان الثورة مهما بدلت من اوضاع الحياة ، وغيرت من تقاليد - وذلك في سبيل الاصلاح ومن أجل غد افضل - فانها لا تقلب الحقائق وسنن الطبيعة التي تنزل منزلة البديهيات . ان الثورة لم تجعل الناس يمشون على ايديهم بدلا من ارجلهم » .

ولا شك ان حقائق الاشياء قد اختلطت على هؤلاء - وهم الكثرة في المسرح العربي - فتورطوا باسم التحرر في الوقوع في « التحلل الذى هو ترك لكل ما يعتبر وضعا او قاعدة او فضيلة في العمل . تركوا هذا وليس امامهم جديد من مثل عليا وفضائل يهتدون بها . وكانت النتيجة ان هبط فن الممثل . تصدع وتفكك فيما يجب ان يكون عليه الممثل، ليجيء اداؤه واضح المعالم،وليستوى خلقه الفني للادوار التي يقوم بها على اساس ينبض بالحياة والحيوية ، وهكذا نزل شرخ في المرآة » .

التلفزيون طاحونة لا تنقطع عن الطحن

ويشير المؤلف الى اضطراب «فن الممثل العربي» حين جاء التلفزيون ، فاقبل الممثلون على العمل فيه ، وانصاعوا لمطالبه ، وكلام المؤلف هنا - وان خص بلدا - ينطبق على ممثلي التلفزيون في كل بلدان العالم ، ولكن على درجات ، اذ يقول : « جاء التلفزيون وبدات المرحلة الثانية التي عاشها المسرح العربي بتأثيره ، والتلفزيون طاحونة لا تنقطع عن الطحن ، واهميته مرتبطة اولا بكمية ما يرسله وبعدد ساعات العمل ، وليس بالاختيار والجودة ، ومرجع هذا ان التلفزيون مذ قيامه اداة للاعلام والدعاية قبل اى اعتبار آخر » .

« وبقيام هذه الاداة الجبارة تفتحت مجالات واسعة لا لنشاط الممثل فحسب ، بل لكسبه وزيادة دخله ، ومنذ البداية كان قسم المسرحيات فيه يشكو عدم توفر الخامات في الممثلين والمخرجين وكتاب المسرحية » .

ثم يشير المؤلف الى تهافت الممثلين على التلفزيون رغبة في العمل وفي زيادة الكسب فيقول : «واخذوا يدورون فيه وهم يلهثون ويلتقطون انفاسهم ، لكي يوفقوا بين التزامات العمل في الفرق التمثيلية، ومتطلبات العمل في التلفزيون ، مع تضارب اوقات التدريبات ومواعيد العمل فيهما » وبذلك اصبح الممثل ممزقا مشدودا من طرفيه ، ونزل به الاجهاد الشديد ، ونال الارهاق من طاقته ، وباعد كل ذلك بينه وبين اتقان عمله .

« واوجب التلفزيون تشكيل فرق تمثيلية كثيرة لملء الفراغ ، وقد بلغ عدد هذه الفرق عشرا في بعض الاوقات ، ولما تعذر ايجاد ممثلين من المحترفين وخريجي معهد التمثيل فتح باب الانضمام الى الفرق على مصراعيه لكل من له رغبة ليصبح ممثلا فامتلات الفرق بطراز من اشباه الممثلين ، وكان همها جميعا ان تقدم لطاحونة التلفزيون ما تطحنه، وكان الاهتمام بكمية ما يقدم لا بجودته » .

الممثل ممزق بين المسرح والسينما والتلفزيون

ثم يتحدث المؤلف بتاصل « فن الممثل » في

البيئة العربية ، وفي حديثه اشفاق على الممثل لما يكابده من تمزق بين المسرح والتلفزيون والسينما، وما يصيبه من اهتزازات وصعوبات عنيفة ، كما يلتمس للممثل عذرا اذ يراه يحاول ان يرتفع الى مستوى الاحداث ، لانه « اداة في جهاز الاعلام والدعاية ، لها دورها في معركة المصير القومي ، بل لقد كان هذا شانه طوال مائة سنة مضت ، مع الفارق في طبيعة مستوى الاحداث في كل عصر ، والا لما استطاع ان يماشي سنة التطور في الفكر العربي ، وان يؤرخ حياة المزاج العربي العام طوال هذه المدة » .

فن التمثيل العربي

وهنا يوضح المؤلف الطابع المناخي والاقليمي لفن الممثل عندنا ، ويوازن بينه وبين نظيره في الغرب ، فيرى ان المزاج الساخن لممثلنا ومناخ اقليمه الواضح يحمله على زيادة الاهتمام بالتفصيلات في دوره ، ويجعل اداءه التمثيلي عاطفيا اشد منه ذهنيا او وسطا بينهما ، وانه قلما نرى اداء عربيا ذهنيا خالصـا .

فن الممثل بين امس واليوم

وفي ختام المطاف يقف المؤلف لينظر : عينا الى ممثلي امس ، وهم زملاؤه الاعزاء ورفاقه في الجهاد تحت راية واحدة ، وعينا الى ممثلي اليوم ، ومعظمهم من ابنائه وحفدته ، ويخطر له ان يوازن بين الجيلين، ثم يتردد خشية ان يتورط فيما لا يحبه، وينحرف الى المجاملة ، وكلا الجيلين عزيز عليه ، ولكنه يختم كتابه بهذه الموازنة الاجمالية السريعة قائلا « اذا صح ان اليوم خير من الامس ، وان الغد خير من اليوم والامس ــ على اساس ان كل يوم يمر ، يضيف تجارب جديدة الى الوعي الانساني ، وبحكم اطراد مسيرة التطور والتقدم والتنور ــ فالذى لاشك فيه ان الكثرة من شباب اليوم افضل من الكثرة من شباب الامس ، وان كان الجميع متساوين في حبهم للمسرح ، وفي جهادهم على الا تخفض له راية » .

الممثل العربي يثبت جدارته

« ويبقى ان اقول : اذا اخذنا باسباب المقارنة بين ما كان عليه فن الممثل العربي في امسه البعيد، وما هو عليه الآن ــ بعد ان نترسمه في مراحل تطوره خلال هذه المسيرة الطويلة التي قطعها هذا الفن الوافد على البيئة العربية ــ فسرعان ما يتضح لنا ان الذهنية العربية ذهنية ذات سيولة وذات فاعلية في امتصاص الجديد الذى يدخل عليها فتحيله جزءا منها ، يعطى حياة ونماء لما يتناوله ، وقد استطاع الممثل العربي على مر السنين ان يستخلص لفنه طابعا محليا له عطوره ، وله ملامحه الخاصة ، وله ايضا اصالته في انسانية التعبير وعموميته » .

لماذا لا يرضى الجيل القديم عن الجيل الجديد

وبهذه الخاتمة المتفائلة يكشف المؤلف عن ثقته بالكثرة من ممثلي اليوم، وثقته بامته، وثقته بمستقبل فن التمثيل فيها ، وكذلك يكشف عن عشقه لفنه الذى اتخذه رسالة حياته ، وعن تفتح قلبه وعقله لكل جديد .

ومن داب الشيوخ غالبا ان ينسوا ماخذ ماضيهم ولا يتذكروا الا فضائله ، ويغفلوا انهم الفوه طويلا وكانوا يومئذ اشد مرونة ورغبة وقدرة على التكيف، فاستراحوا اليه واحبوه ، وانهم افل الفة للحاضر وجديده لضعفهم عن مجاراته ، فهم يضيقون به ، فاذا وازنوا بين انفسهم والجيل الجديد استهانوا به وانتقصوا منه ، لانهم يرون ماخذه الى جانب فضائله ، وهم غالبا يجنحون ــ عن اثرة خفية ــ الى تكبير ماخذ. وتصغير فضائله ، كما انهم يغفلون ان الشباب في طور البداية الفجة لم يستكمل شوطه ، على حين انهم قد استوفوا شوطهم وبلغوا غاية ما قدر لهم من نضج ونجاح ، فالموازنة غير عادلة ، ومهما يكن حبهم له واشفاقهم عليه فوق كل الشكوك فانهم قلما يرضون عنه بقدر ما يستحق من رضا على وجه عادل . فاذا وجدنا شيخا ــ كالمؤلف هنا ــ يرضى عن الجيل الجديد فذلك دليل على خضرة احساسه بالحياة والناس ، وعلى تفتح وعيه واعتدال مزاجه واتزان تفكيره .

دقة فى وصف الممثلين المسرحيين

ولم يبلغ المؤلف غايته من الاجادة بقدر ما بلغها في وصفه لفن كثير ممن عاصرهم بين نوابغ الممثلين

المسرحيين عندنا ، سواء أطال الوصف او قصره ، فاوصافه لهم تكشف اغوارهم وما اوتي كل منهم من قدرات واستعدادات ، وكيف ولماذا وفق قليلا وكثيرا في ادائه التمثيلى على وفق مواهبه ودراسته، وممن وصفهم مجملا او مفصلا فاصاب الوصف : جورج ابيض ، وعبد الرحمن رشدى ، وعزيز عيد ، وعمر وصفى في المرحلة الثانية ، ونجيب الريحاني ، وعلى الكسار في المرحلة الثالثة ، ويوسف وهبي ، وروز اليوسف ، وامينة رزق ، وسليمان نجيب في مرحلة ما بين الحربين ، ثم اكتفي بذكر اسماء البارزين في كل المراحل ، والمقام لا يتسع لان نورد ولو مثالا واحدا مجملا من هذه الاوصاف . ولقد كان امينا دقيقا في تصويره لكل منهم دون ان يتخلى عن الكياسة والمودة ، بل ان الكياسة والمودة كانتا عونا له على اختيار العبارات اللبقة التى لا تخفى حقا ولا تموه بباطل.

الرؤية غائمة في النقد النظرى

وبراعة المؤلف في النقد العملى لا يظهر مثلها في النقد النظرى ، ومن ذلك حديثه خلال الباب الاول بنظريات فن الممثل او الخلق المسرحى ومدارسه واساليبه ، ومن المدارس التي وصفها دون تحديد حاسم ـ مدرسة الاندماج الواعى ، ومدرسة التشخيص ، ومدرسة الصوت (الفرنسية) ومدرسة الطريقة (الروسية) والنظرية الالمانية كما يعرضها الكاتب والمخرج المسرحي الالماني بريشت (أو : برخت Brecht) الذى اقترن اسمه (بالمسرح الملحمي) فرؤية المؤلف هنا تبدو غير واضحة .

الواعي المجمل في الكتاب

ومهما يكن الامر فصفحات الكتاب تحفل بالملاحظات النافذة والاراء السديدة التي تدل على اصالة وخبرة عميقة واسعة بالمسرح وقضاياه، فهو ـ على صغره ـ ذخيرة ثقافية يحتاج اليها المتخصص اشد، لانه أفطن لدقائقها ، ولكن الكتاب مبسط العرض لتسلسله التاريخي ، وتنظيمه المنطقي ، وعبارته السهلة ، فلا يعدم منه القارىء العام كثيرا من المتع والفوائد الثقافية . ■■

محمد خليفة التونسي

من الكتب التي وصلتنا



مختصر زاد المعاد للامام ابن قيم الجوزية

تاليف : الامام محمد بن عبد الوهاب
الناشر : الشركة المتحدة للتوزيع ـ بيروت/لبنان.

● كتاب «زاد المعاد في هدى خير العباد» من خير ما الف الامام العلامة المحدث ابن قيم الجوزية ومن المؤلفات الكثيرة والمعارف الرائعة التي تشهد له بالامامة ، عرض فيه المؤلف صورة واضحة المعالم لسيرة النبى الكريم وهديه في سلوكه وتصرفاته العامة والخاصة منذ نشأته الى ان اختاره الله الى جواره باسلوب ناصع جميل ظاهر حيث انه كان وافر الحظ في تفهم كتاب الله وسنة رسوله وتعقل معانيها والتغلغل فيما تنطوى عليه جملها من اسرار وحكم .

وقد جاء الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب في القرن الثانى عشر الهجرى فانتقى منه ما تمس حاجة المسلمين اليه في شؤونهم الدينية فاودعه هذا المختصر الذى يتكون من نسختين خطيتين مما كتبه بعض علماء نجد .

الحياة العلمية في الشام في القرنين الاول والثانى للهجرة

تاليف : خليل داود الزرو
الناشر : دار الافاق الجديدة ـ بيروت ـ لبنان .

● رسالة نال بها المؤلف درجة الماجستير في

الآداب من الجامعة الامريكية في بيروت ، توضح كيف كانت الحياة العلمية تسير في الشام خلال القرنين الاولين للهجرة ، حيث انها سارت في ثلاث اتجاهات اولها الاتجاه الديني حيث حض الاسلام على الدين وحث على طلبه ورفع من شان المتعلم كما تعدت العلوم اللسانية الى النواحي العلمية الطبيعية كالكيمياء والطب والهندسة المعمارية ، مما يؤكد حرص العرب على عدم التفريق بين علم ديني وآخر دنيوي .

ويلاحظ الدارس لهذه الفترة كيف ان القرآن كان هو المحور والاصل الذي نشات حوله اكثر العلوم فقد بدا المسلمون يهتمون بالتعليم اولا ليقراوا القرآن في المساجد والبيوت وتبع ذلك اهتمام بتفسير القرآن وقراءته واستنباط المواعظ والقصص منه ، واخذ الاحكام ثم بعد ذلك الاهتمام بالحديث ، لانه يوضح ما غمض من معاني القرآن ومن هنا نشا علم الحديث الذي اعتبر المصدر الثاني للتشريع ، كما ظهر اهتمام العرب بالناحية الدينية وكانوا يستخدمون العلوم كافة في خدمة الدين ، فقد استخدموا السير والمغازي والانساب لمعرفة غزوات الرسول والصحابة واخبار الفتوحات .

كما ظهر اتجاه ثالث في هذه الفترة مرتبط ايضا بالقرآن ولكنه ينحو منحى الجدل في بعض المعاني القرآنية وهذا يمثل بداية ظهور الاتجاهات المذهبية والفرق الاسلامية التي تعتمد الجدل والكلام في مبادئها وكان هذا الاتجاه نتيجة منطقية لوجود عدد من الموالي الذين دخلوا الاسلام وهم يحملون عقلية مخالفة لعقلية العربي المسلم مما اثر على بعض المسلمين فاعتنقوا افكارهم وساندوها .

الوحي المحمدي

تأليف : محمد رشيد رضا
الناشر : الشركة المتحدة للتوزيع ـ بيروت/لبنان .

● كتاب طبع حتى الآن ثماني طبعات وترجم الى معظم لغات الدنيا والكتاب دراسة مستفيضة عن الاسلام فقد اثبت فيه نبوة خاتم الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم بالبراهين العقلية والعملية الباهرة واورد الشواهد التاريخية والحسية الكثيرة ورد ضلالات المنحرفين عنها لا سيما شبهات فلاسفة الافرنج ومطاعن الملحدين ودعاوى المكابرين .

وقد ابان المؤلف حقيقة الاسلام ، وكون القرآن كلام الله عز وجل وكونه مشتملا على جميع ما يحتاج اليه من الاصلاح الديني باجمال قواعد كل سورة واصولها في آخر تفسيرها بعد بيان التفصيل في شرح آياتها ، كما تكلم في اعجاز القرآن مفسرا آيات التحدي الواردة في سورة البقرة ويونس وهود . ثم ان الكتاب ينقسم الى خمسة فصول يدرس الفصل الاول تحقيق معنى الوحي والرسالة وحاجة البشر اليها واصولها الثلاثة ، اما الفصل الثاني فيتناول اقامة الحجة على مثبتي الوحي المطلق في اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والفصل الثالث في شبهة منكري عالم الغيب على الوحي المحمدي وما يسمونه الوحي النفسي . والفصل الرابع يدرس اعجاز القرآن باسلوبه وبلاغته وتاثيره وثورته ، اما الفصل الاخير وهو اطول هذه الفصول فيدرس مقاصد القرآن في تربية نوع الانسان وحكمة ما فيه من التكرار في الهداية واعجازه بالبيان .

كلمة الامام الحسن

تأليف : السيد حسن الشيرازي
الناشر : دار الصادق ـ بيروت/لبنان .

● يجمع هذا الكتاب مختارات مما وصل الينا من خطب واحاديث الامام الحسن بن علي بن ابي طالب فهو من اولئك الرجال الذين آثرهم الله بحاسة نقادة تكتنه حقائق الاشياء ، فادبه ليس تملقا لجمال ولا ادعاء لخيال وانما هي صرخة تنطلق من قلب عبقري نفذ الى اغوار الاشياء حتى عرف ما تباين منها ، ثابتا على قاعدة واحدة .

ومن هنا كانت خطب واحاديث الامام الحسن في ذروة ما خلفته الانسانية لرواد الفكر والذوق وان كان ما وصل الينا منه القليل القليل فان هذا القليل يؤلف صفحة تبقى في التاريخ مشرقة كالشمس زاهية كالنجوم خالدة كالابد .

ورغم ان آثار الامام الحسن منيت باعراض بعض وانكار آخرين فانها بلغت من القوة والجدارة ، ان فرضت نفسها على الحياة رغم ما منيت به من اعراض وانكار .

■■



الحبوبي

شاعر الفقهاء

بقلم : اسماعيل العبايجي

■ سمعت من الاستاذ « محمد القبانجي » رجل المقام العراقي المعروف، انه مثل الوفد العراقي الفنائي لدى مؤتمر الموسيقى العربي الاول الذى انعقد في مصر عام ١٩٣٦ * وقد خصص المؤتمر عشر دقائق فقط لكل وفد عربي ، بينما اتيحت للاستاذ القبانجي ساعة كاملة ، قام خلالها مغنيا مجودا بغنائه الاصيل مما اثار اعجاب السامعين، وفي ذلك الحفل منح مسؤولو المؤتمر الميدالية الذهبية للقبانجي تكريماً لادائه الفنائي الصحيح المعرب .

وحين خرج القباني من قاعة الاحتفال احس بمن يلفه بمعطفه فكان هو ذلك الشاعر الفنائي الشهير « أحمد رامي » حيث طلب من القبانجي ان يرافقه الى كعبة الشعر وامير الشعراء « شوقي » وحين حلا ضيفين كريمين عليه نهض شوقي احلالا واشاد بالمغنى العراقي ايما اشادة واعجب بالشعر الذى غناه ايما اعجاب ثم ساله عن قائله ، فاجاب القبانجي :

انه السيد (الحبوبي) فقال شوقي : « اعجب انني لم اسمع بهذا الشاعر من قبل » فانبرى القبانجي متعجبا هو الاخر لعجب صاحبه اذ كيف يفوته ، وقد اعتلى امارة الشعر ، علم خفاق من اعلام الشعر والادب وشد ما حملني على كتابة هذا المقال هو جهل (شوقي) لشخصية (الحبوبي) ، عفا الله عنهما الاثنين .

فلم يكن الحبوبي مغمور الصيت كفقيه ، ولا مطموس الاثر كشاعر ، ولا مندرس الذكر كعالم جهبذ ، فقد راح لا يغرب عن بال افذاذ الفقه والشعر في كل حفل وفي كل ناد .

نسبه

هو السيد محمد سعيد بن السيد محمود بن السيد حمزة بن السيد مصطفى (جد آل حبوبي) وينتهي نسبه الى الحسن بن علي بن ابي طالب (ع) .

---

* العربي : ذكر الكاتب فيما بعد ان شوقي كان حيا عندما انعقد المؤتمر ، اى حيا في عام ١٩٣٦ مع ان شوقي مات في عام ١٩٣٢ . ولا ندرى ايهما الخطأ ، التاريخ ، ام الحكاية .

والدفاع عن بلاد الاسلام ومحاربة الانكليز ، وعلى ذلك اجمعت معظم المصادر العربية من بينها مجلة « العربي » في موضوع نشر بعنوان (ابو المعز السيد محمد الحسيني القزويني آخر رعاة الحركة العربية في العراق) (٣) حيث قال : « ولما قامت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ واعلنت الحكومة العثمانية الحرب على الحلفاء ، اعلن المسلمون في العراق الجهاد والزحف لمحاربة جيوش الانكليز التى نزلت في البصرة ، وقد قاد المغفور له العلامة السيد محمد سعيد الحبوبي جموع المجاهدين ، حيث دارت بينهم وبين الجيش البريطاني في (الشعيبة) معركة ضارية . وقد كان ابو المعز في مقدمة علماء المسلمين الذين اعلنوا الجهاد وباركوا هذا الزحف ، فقد ابرق الى الحبوبي قائلا :

نحن بنى العرب ليوث الوغى
دين الهدى فينا قوى عزيز
لابد أن نزحف فى جحفل
نبيد فيه جحفل الانكليز .

ولم ينهض الحبوبي وحده من بين العلماء للجهاد ، وانما راح يشاركه معظم المجتهدين مشاركة فعلية ، فخاضوا خلالها تلك المعارك بانفسهم وهم « شيخ الشريعة الاصفهاني ، السيد علي داماد ، والمولى محمد حسين القمشهي الكبير ، والمولى محمد حسين القمشهي الصغير ، والسيد محمد حسين الشاه عبد العظيمي ، والشيخ باقر جيلة ، والسيد ابو القاسم الكاشاني ، وغيرهم الكثيرون » (٤) وكان الحبوبي من اشدهم اهتماما ، واكثرهم حماسا « فقد قاد جيشا جرارا عسكر به في الشعيبة ، وقد بلغ عدده تسعين الف مجاهد على ما سمعته في تلك الايام . ولما اندحرت الاتراك عن مراكزها وآل امرها الى الانسحاب والجلاء عن العراق بعد عراك طويل ، واندحر جيشه مع من اندحر من جيوش المجاهدين في يوم الشعيبة المشهور ، عاد الحبوبي الى ناصرية المنتفك لاستنهاض المشائر وحثهم على الحرب من جديد ، ففاجاه الاجل في الناصرية غصة وكمدا ، وذلك في اوائل شعبان ١٣٣٣ هجرية ، فحمل الى النجف الاشرف بتشييع عظيم ودفن حيث مقبرته المشهورة في الصحن الشريف فكان لوفاته في العراق كله صدى كبير واسف عميق » (٥) .

وقد رثاه اكابر الشعراء واعلام الادباء ، ومنهم الشيخ جواد الشبيبي ، حيث رثاه بقصيدة مطلعها :

لواء الدين لفّ فلا جهادُ
وباب العلم سُدّ فلا اجتهادُ

وارخ وفاته بقوله :

فقيد المسلمين غداة أودى
حسبت الدين بينهم فقيدا
لئن وجدوه للداعى مجيبا
فقد فقدوه قرآنا مجيدا
وإن شهدتْه أعينهم سعيدا
فقد حملته أروُسهم شهيدا
تقدم للجهاد أمير دين
وساق المسلمين له جنودا
ومذ لاقى المنيّة أرخوه
« سعيد في الجهاد قضى سعيدا »

وبعد فها هو ذا الحبوبي في بعض من جوانب شخصيته ذكرناه ، ليلتقى به قراء مجلة العربي الافاضل بعد ان وجدناه حقيقا بان يلتقى به ، وقمينا بان يطلع على مآثره وصفوة أدبه . ■■

اسماعيل العبايجي
العراق/النجف الاشرف

---

(٣) عبد الرزاق الهلالي في موضوع له تقدمه لمجلة العربي في عددها ٧٢ ص ٤٨ ، الكويت كانون الثاني ١٩٦٤ .
(٤) طبقات اعلام الشيعة آغا بزرك الطهراني ص٨١٨ ، ص ٨١٩ القسم الثاني جـ ١
(٥) نفس المصدر .

طرائف

الغيبة

● قال الحجاج بن الفرافصة : سالت مجاهدا يوما عن الرجل يكون وقاعا في الناس ، فاقع فيه ، اله غيبة ؟ قال : لا . قلت : من الذى تحرم غيبته ؟ قال : رجل خفيف الظهر من دماء المسلمين ، خميص البطن عن اموالهم. اخرس اللسان عن اعراضهم، فهذا حرام الغيبة فيه ، ومن كان سوى ذلك فلا حرمة له ولا غيبة فيه .

ما يجـ

● قال رجل للرقاشي : ما يجب على المؤمن فى حق الله ؟ قال : التعظيم له والشكر لنعمه . قال : فما يجب عليه فى حق السلطان؟قال : الطاعة والنصيحة قال : فما يجب عليه فى حق نفسه؟ قال:

الدنيا

● قال رجل لامير المؤمنين على بن ابى طالب صف لى الدنيا : فقال : ما اصف فى دار اولها عناء وآخرها فناء ، حلالها حساب وحرامها عذاب ، من آمن فيها سقم ، ومن مرض فيها ندم، ومن استغنى فيها فتن ، ومن افتقر فيها حزن . ثم ان الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار فناء لمن تزود منها ، ودار عافية لمن فهم عنها ، مسجد ابينا آدم ومهبط وحيه ، ومتجر اوليائه، فاكتسبوا منها الرحمة وادخروا منها الجنة .

★★★

اخذ وعطاء

● كان المنصور من ابخل خلفاء بني العباس وكان يلقب لبخله المفرط بالدوانيقي « والدوانيق جمع دانق والدانق سدس درهم » . وقد كانت له حيل فى تدبير المال لبناء مرافق الدولة حتى لا تغرم خزانة الدولة شيئا ، ومن حيله فى ذلك انه اراد تحصين البصرة والكوفة فعمل لكل منهما سورا وخندقا باموال الدولة ، ولكنه اراد ان يسترجع من اهل كل مدينة ما انفقه عليها ، فأمر ان يقسم على كل فرد منهم خمسة دراهم ، فلما تم توزيع المال عليهم وعرف عددهم ، امر ان يجبى من كل واحد منهم اربعين درهما وفى ذلك يقول الشاعر :

يا لقومي ما لقينا	من امير المؤمنينا
قسم الخمسة فينا	وجبانا الاربعينا

عربية

سياسة

● قيل ان ارسطوطاليس كتب كتابا الى الاسكندر الاكبر يعلمه فيه كيف يسوس دولته قال : اعلم ان العالم بستان سياجه الدولة، والدولة سلطان تحيا به السنة ، والسنة سياسة يسوسها الملك ، والملك داع بعضده الجيش ، والجيش اعوان يكنفهم المال ، والمال رزق تجمعه الرعية ، والرعية عبيد يتعبدهم العدل، والعدل مألف وهو صلاح العالم .

المؤمن

الاجتهاد فى العبادة ، واجتناب الذنوب. قال فما يجب عليه فى حق العامة ؟ قال: كف الأذى وحسن المعاشرة . قال : فما يجب عليه فى حق الخليط ؟ قال : الوفاء بالمودة وحسن المعرفة .

أربعة فى أربعة

● يجب ان يكون فى المراة اربعةاشياءسود : شعر الراس ، والحاجبان ، واشفار العين والحدقة ، واربعة بيض:اللون وبياض العين والأسنان والساق ، واربعة حمر:اللسان والشفتان والوجنتان واللثة ، واربعة مدورة : الراس والعنق والساعد والعرقوب ، واربعة طوال :الظهر والاصابع والذراعان والساقان ، واربعة واسعة ، الجبهة والعين والصدروالوركان ، واربعة دقيقة : الحاجبان والأنف والشفتان والأصابع ، واربعةغليظة : العجز والفخذان والعضلتان والركبتان ، واربعة صغيرة : الاذنان والثديان واليدان والرجلان ، واربعة طيبة : الريح والعرق والفم والأنف ،واربعة عفيفة : الطرف والبطن واللسان واليد .

★★★

قالوا في الصبر

● قال النبى صلى الله عليه وسلم :الصبر ستر من الكروب وعون على الخطوب .

وقال علي بن ابي طالب : الصبر مطيةلا تكبو ، والقناعة سيف لا ينبو ، اذا استهدف غرض الهم فارمه بنبال الصبر.

وقال عمر بن الخطاب : لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت ايهما ركبت .

وقال انو شروان : جميع مكاره الدنياتنقسم الى قسمين : ضرب فيه حيلة فالاضطراب دواؤه ، وضرب لا حيلة فيه فالاصطبار شفاؤه .

الفيلسوف ابنُ باجَه

بقلم : سليم طه التكريتي

■ يعتبر ابن باجه من اعاظم الفلاسفة العرب والمسلمين ، ومن العقول الكبيرة التى عرفتها الامة العربية فى عصور ازدهارها الفكرى .

ومع انه اشتهر بالطب والرياضيات والفلك والموسيقى وطبق ذلك كله تطبيقا عمليا ، تجاوزت شهرته فى علوم المنطق والفلسفة شهرته فى العلوم الاخرى وذلك بشهادة كبار العلماء والمفكرين فى الشرق والغرب على حد سواء . وهو اول فيلسوف من العصور الوسطى قال بوجوب الفصل بين الفلسفة والدين ، وانه اول فيلسوف نزع عن مجموع الفلسفة الاسلامية سيطرة الجدل عليها ، والبسها لبوس العلم الصحيح ، وسيرها فى طريق جديدة . ذلك ان ابن باجه بنى اسس فلسفته العقلية على قواعد الرياضيات والطبيعيات وذلك امر لم يسبقه اليه احد ، وبادرة حاولها ، بعده بقرون عديدة ، كثير من الفلاسفة الاوربيين وفى مقدمتهم الفيلسوف الالماني « كنط » .

نشأته

ولد ابن باجه ـ بتشديد الجيم ومعناها الفضة في اللغة الفرنجية المغربية ـ في اواخر القرن الخامس الهجرى بمدينة سراقوسة في الاندلس . واسمه الكامل هو : ابو بكر محمد بن يحيى الصائغ التجيبى . وفي هذه المدينة تلقى علومه الاولية فحذق العربية وآدابها ، وزاول القريض ، الى جانب التاريخ والعلوم الاخرى . وما فتىء ـ وهو شاب يافع ـ ان ذاع صيته في سراقوسة فاختاره حاكمها ، ابو بكر الصحراوى ، وزيرا له . وحين سقطت هذه المدينة بيد الفونسو الاول حاكم مقاطعة « اراغون » سنة ٥١٢هـ = ١١١٨م ، غادر ابن باجه المدينة الى اشبيلية فاقام فيها واحترف فيها مهنة التطبيب .

ويبدو ان اشبيلية لم تتسع لمطامحه وآماله فتركها الى غرناطة . وفي هذه المدينة لم ينعم بالراحة ولا بالامن بسبب موجة الاضطهاد الفكرى التى عمت تلك المدينة وغيرها من مدن الاندلس في ذلك الوقت ولهذا قرر مغادرة البلاد والنزوح الى المغرب .

نزوحه الى المغرب

وحين نزل مدينة « شاطبة » سجنه حاكمها ابراهيم بن يوسف بن تاشفين بتهمة الزندقة وبتحريض من الاعداء والحساد والجهلاء المتزيين بازياء العلماء . ولكن تلميذه الفيلسوف الكبير ابن رشد نجح في اطلاق سراحه حيث رحل ابن باجه بعد ذلك الى فاس ودخل بلاط حاكمها يحيى بن يوسف بن تاشفين الذى اختاره ، بسبب نبوغه وتفوقه الفكرى ، وزيرا له وبقى في هذا المنصب زهاء عشرين سنة .

فى عصر ملوك الطوائف

ولقد تعرض ابن باجه في حياته القصيرة الى شتى صنوف الارهاب بسبب آرائه الفلسفية وموجة التعصب الرجعي التى اجتاحت الاندلس في عصر ملوك الطوائف ، فلقد سعى حساده والحاقدون عليه به الى الحكام فاوغروا صدورهم عليه ، واثاروا العوام ضده فحاولوا قتله عدة مرات .

ومع ذلك فلم ينج من الاغتيال اخيرا اذ مات مسموما سنة ٥٣٣هـ في « باذنجان » بمدينة فاس وفيها دفن .

ورأيه في أن المعرفة طريقها العقل

الفلسفة جاءت من الشرق العربي لتدخل المغرب العربي

كانت العلوم الفلسفية دخلت الاندلس وافدة من بغداد والقاهرة ودمشق وغيرها من امهات المدن العربية والاسلامية وذلك في القرن الرابع الهجرى ، على يد عدد من العلماء منهم محمد ابن عبدون الجيلى ، واحمد وعمر ولدا يونس الحرانى ، ومسلمة بن احمد المجريطي المتوفى سنة ٣٩٨هـ .

وكان لمسلمة هذا تلامذة عديدون من كبار الرياضيين والفلاسفة من امثال ابن الصفار الزهراوى ، وعمر بن عبد الرحمن الكرماني الذى ادخل رسائل اخوان الصفا الى الاندلس ، وعمرو ابن خلدون الحضرمي وآخيرا الفيلسوف ابن حزم المتوفي سنة ٤٥٦ .

ابن باجه وارسطو

والذى لا نشك فيه هو ان ابن باجه كان قد اطلع على الكثير مما تركه اولئك العلماء من تراث ، لكنه اهتم اهتماما كبيرا بارسطو وارتشاف كل ما توافر من ترجمات كتبه في ذلك الوقت ، وراح يولى نظريات هذا الفيلسوف بالبحث والتمحيص والشرح والتعليق ، فوضع في ذلك عددا من الكتب منها : شرح كتاب السماع الطبيعى لارسطو وقول على بعض كتاب الاسرار العلوية لارسطو ، وقول على بعض كتاب الكون والفساد لارسطو ، وقول على بعض المقالات الاخيرة من كتاب الحيوان لارسطو ، وكلام على بعض كتاب النبات لارسطو .

ابن باجه والفارابي

وفضلا عن ذلك ترسم ابن باجه خطا المعلم الثانى الفيلسوف ابى نصر الفارابي في حياته وتفكيره . فقد كان ابن باجه مثل الفارابي محبا للعزلة ، هادىء الطبع كثير الاهتمام ببناء مجتمع انساني فاضل .

وكذلك كان ابن باجه يشبه الفارابي في انه لم يضع كتبا مفردة تبين مذهبه الفلسفى ، وانما جاءت آراؤه الفلسفية متناثرة في الكثير من كتب ورسائلـه .

استقلال ابن باجه في فلسفته

على ان ابن باجه ، وان كان من اشد المتأثرين بالفارابي والمعجبين بآرائه ، اختار في فلسفته طريقا مخالفة لطريقة الفارابي . فابن باجه يعالج المشاكل على اساس العقل وحده وهذا مالم يفعله الفارابي . ومن هنا نجد ان ابن باجه قد بنى آراءه في علم ما وراء الطبيعة (ميتافزيقيا) وعلم النفس على اساس علم الطبيعة (الفيزياء) وحده .

وكان التأثير الذى احدثه ابن باجه في نشر علوم المنطق والفلسفة في الاندلس كبيرا يكفى للتدليل عليه ان نقول ان كبار فلاسفة المغرب كانوا من تلامذته وعلى راسهم ابن رشد وابن طفيل .

اثر ابن باجه عند سائر الفلاسفة

على ان التأثير الذى تركه ابن باجه في اوربا كان اعظم واوسع . فلقد اقبل علماء الغرب على دراسة ما وصل اليهم من كتبه ورسائله ، وانباء حياته ، فاعترفوا بفضله في ميادين العلم والفلسفة . فقد اشاد به الدكتور « سارطون » في كتابه « مقدمة في تاريخ العلم » وذلك للانتقادات الصائبة التى وجهها ابن باجه الى « بطليموس » في نظامه عن الفلك .

واشار العلامة « مونك » في كتابه « امشاج من الفلسفة اليهودية والعربية » الى ان النظرية التى اشتهر بها ابن رشد عن العقل والخلود انما هي نظرية ابن باجه نفسه استاذ ابن رشد .

وقال عنه الفيلسوف الفرنسي رينان في كتابه « ابن رشد والرشدية » ان ابن باجه كان من اعاظم الذين عملوا على ازدهار عصرهم ، ومن الذين حرصوا على ان تبلغ الفلسفة العقلية فيه ، المستوى الذى بلغته .

واحدث الغربيين الذين عكفوا على دراسة ابن باجه والبحث عن مصنفاته ونشرها مع ترجماتها هو البروفسور الاسباني بلاسيوس الذى نشر

حتى اواخر الاربعينيات عددا من مؤلفات ابن باجه مع ترجمتها الى الاسبانية .

كما عكف الدكتور محمد حسن صغير المعصومي من الباكستان في السنوات العشر الماضية على وضع دراسة مطولة عن ابن باجه .

كتابه «تدبير المتوحد»

عالج ابن باجه في كتاباته الفلسفية مسائل المعرفة والحقيقة ومعنى السعادة ، والنفس ، والعقل والوجود وغيرها ، وقد وردت آراؤه هذه متناثرة في طوايا كتبه ورسائله وتعليقاته الكثيرة . على ان المؤلف الوحيد من مؤلفاته الذي ضم كل آرائه الفلسفية تقريبا هو كتابه «تدبير المتوحد» الذي يعد من اهم كتبه على الاطلاق . ذلك لان ما ذكره ابن باجه من افكاره الفلسفية مختصرا في كتبه ورسائله قد ذكره في تدبير المتوحد بشيء من التفصيل والتوضيح ولذلك يبرز في هذا الكتاب المذهب الفلسفي المتكامل لابن باجه بشكل وعبارة اصرح ولقد ظل «تدبير المتوحد» ـ او الاجزاء الباقية منه على وجه الدقة ـ مجهولا لدى الباحثين لا يعرف عنه شيء سوى التلخيص المشوه الذي وضعه له احد الكتاب اليهود ، موسى النربوني ، في القرن الرابع عشر الميلادي في شرحه لقصة ابن الطفيل «حي بن يقظان» بالعبرية ، وحتى هذا التلخيص المحرف ظل مطويا الى ان نشره العلامة مونك سنة ١٨٥٩ بباريس في كتابه «امشاج من الفلسفة اليهودية والعربية» كذلك نشره الدكتور الالماني هود زوغ ببرلين سنة ١٨٩٦ .

وكانت مكتبة برلين تحتفظ بنسخة خطية من الكتاب ، قيل انها النسخة الخطية الوحيدة منه ، تحدث عنها الدكتور عمر فروخ في كتابه «ابن باجة والفلسفة المغربية» وقد ذكر الدكتور محمد حسن المعصومي ان هذه النسخة قد ضاعت خلال الحرب العالمية الثانية ، وتوجد الآن نسخة غير كاملة من الكتاب في دار الكتب في القاهرة واخرى اكثر سعة في مكتبة بودليان بجامعة اكسفورد .

المعرفة تتم عن طريق العقل

يرى ابن باجه ان العقل اهم جزء في الجسم البشري ، وان المعرفة تتم عن طريق العقل ، وان في العقل «قوة متخيلة» واخرى «ناطقة» فهو يقول في هذا الصدد .. يجب على الانسان اولا ان يرى ببصيرة نفسه القوة المتخيلة ، كما يرى الاشخاص ببصره ويميزها حق التمييز . ثم ينظر الى القوة المتخيلة من حيث تتكرر عليها اشخاص المخلوقات . وكثير من التخيلات فيها ما له شخص واحد وما له اشخاص كثيرة ، وما يتعلق بالاشخاص من الاعراض ، من مقدار ، ولون ، وعلم ، وصحة ، ومرض ، وحركة ، وزمان ، ومكان ، وغير ذلك من اشخاص المقولات . فاذا فعل هذا رأى ببصيرة نفسه ان للقوة الناطقة نظرا في التخيلات يدرك منها ما تشترك به وما تتباين به المتخيلات الحاصلة عن اشخاص المخلوقات .

والمعاني التي تشترك بها ، والتي تتباين بها هي الصفات والمحمولات والمعقولات التي تتميز بها وتوجد معلومة بها . واذ ذاك فانظر كيف تكشفت هذه المعاني المدركة للقوة الناطقة بالموهبة الفائضة عليها كما تتكشف للبصر المبصرات بنور الشمس . » .

وحين يفكر الانسان في المخلوقات ويكرر النظر فيها «يحصرها في القوةالمتخيلة» واذ ذاك تتكشف «القوة الناطقة» و «تلزم الزاما ضروريا وجود موجودات لم تدرك بخيال ولا بحس بل ادركتها القوة الناطقة علما محضا مختصا بها» «واذ ذاك يتسع نظرها ويتشوق الى معرفة اسباب المخلوقات التي عقلها» . وهكذا يرى المرء ان «العقل» في نظر ابن باجه «يأخذ من القوة المتخيلة معلومات ، هي المعقولات ... وانه يعطي القوة المتخيلة معلومات اخر يبسطها فيها» وهذه المعلومات على نوعين : فاما ان تكون «معلومات استنبطها العقل وبسطها في المتخيلة مما يقدر الانسان ان يضعه بارادته من آراء خلقية وصناعية ، واما ان يعطي القوة المتخيلة معلومات يبسطها فيها من حوادث تحدث في العالم توجد فيها قبل حدوثها .. لم تحصل في القوة المتخيلة عن حاسة بل عن العقل الذي يخدمها» .

ويوضح ابن باجه طبيعة المعرفة الانسانية والمراحل التي تمر بها فيقول «والعلم في الانسان هو ان يرى ببصيرة نفسه ـ التي هي موهبة من الله عزوجل ـ الموجودات في عقله مع كمال وجودها . فالذين بلغوا الكمال الانساني هم الذين يعلمون الله ، عز وجل ، ومخلوقاته ، وصار هذا العلم صورة لهم وذلك هو الكمال العقلي ...

وهذه الموهبة من الله عز وجل ، هي بصائر القلوب ، وهي تتفاضل في الانسان تفاضلا عظيما . واعظم البصائر بصائر الانبياء يعلمون الله ومخلوقاته حق علمه ، ويرون ببصائرهم الفائقة في نفوسهم ذلك العلم العظيم دون تعلم ولا اكتساب .. يهديهم الله بمعرفته ومعرفة ملائكته ما كان ، وما يكون من الحوادث الجزئية الحادثة في هذا العالم ، يرونها ببصائر قلوبهم من غير ان يشاهدوها ويعاينوها » .

ونرى ابن باجه يؤمن بتعدد العقول فيقول بوجود عقل اول ، وعقول ثانوية . وان هذه العقول على درجات فبعضها ياخذ عن العقل الاول مباشرة ، وبعضها الاخر ياخذ بواسطة واحدة او اكثر ، فالعلاقة بين العقل الاول والعقل الثاني كالعلاقة بين نور الشمس داخل البيت ونور الشمس في صحن الدار . ويعبر ابن باجه عن رايه هذا بقوله « يجب ان يقع اليقين بحقيقة العقل على ترتيبه من اقرب العقول ، الى الاول الى ابعدها رتبة وهو عقل الانسان ، وان وجوده ، ببصيرة يفيض من اول ... وظهر في مراتب النقل ان منه ما يفيض من الاول دون متوسط ، ومتوسط اكثر ، وان نسبة من يفيض اليه ممن يفيض منه ، نسبة الضوء الذى في داخل بيت من نور الشمس الذى في صحن الدار » .

وعلى هذا يقسم ابن باجه العقل الى نوعين طبقا لتقسيم الموجودات الى قسمين : موجودات مفهومة لا يمكن خلقها ، وموجودات مفهومة يمكن خلقها ، فيعترف بوجود العقل النظرى الذى « يعقل الانسان به ، ببحثه ونظره ، موجودات لاقدرة له على ايجادها البتة لكنها تحصل معقولة له » .

وعقل عملي يعقل به الانسان « الموجودات الصناعية التى له قدرة على ايجادها » ، « وكماله ان يعقلها ويوجدها » .

ويرى ابن باجه ان الاعضاء البشرية لا تتحرك من ذاتها وانما تتحرك حين يتم ايجاد الموجود الصناعي . فهي تتحرك بالارادة البشرية في الذهن اولا ، ومن ثم يتكون الموجود الصناعي خارج الذهن حسب الصورة التى تشكلت له في الذهن من قبل ان تخرج الاعضاء ذلك الوجود الصناعي الى حيز الظهور .

فهو يقول في هذا الشان « وبيّن ان وجودها يوجد بارادة الانسان ، وانما توجد باعضاء بدن الانسان ، فاما ان تتحرك الاعضاء دون آلات من الخارج ، او بان تتحرك الاعضاء بتحرك الات من خارج فتحركه الاعضاء اذا تم وجود المصنوعات الصناعية التى تكون بارادة الانسان » .

للعقل وظيفتان

ويسهب ابن باجه في توضيح عمل العقل الانساني فيقول : « لكن اعضاء الانسان ليست تتحرك من ذاتها لعمل ذلك المصنوع ، بل تحكم بارادة الانسان ، ثم يؤخذ خارج نفسه مصنوعا مثاله في طبيعته قبل ان تاخذ الاعضاء في وجود ذلك المصنوع ... فكلما اراد الانسان ان يصنع شيئا يقيم في الخيال مثال ذلك المصنوع .. وان قوة اخرى في النفس تبسط هذا المثال في الخيال وتنقله من حال الى حال حتى يكمل وجوده في النفس ، واذ ذاك تبدا بتحريك الاعضاء لوجود ذلك المصنوع . وهذه القوة التى تعقل هذا ببسطه في التخيل هي التى تسمى العقل العملي ، وهي العاقلة اولا ... فالعقل العملى اذن ، يبسط في القوة الخيالية مثال المصنوع على مقدار ما نقصد من مقدار وهيئة ، ثم تاخذ القوة المحركة للاعضاء من قوى النفس ما يحرك الحركات التى تديرها فتديرها ، ويوجد ذلك المصنوع الذى وجوده بالقوة المتخيلة .

فالعقل اذن اولا هو الصانع لذلك المصنوع لا الاعضاء التى تحرك النفس ، ولا القوة المحركة للآلات بل العقل الذى يدير تلك الحركات .. » .

ونستخلص مما اورده ابن باجه هنا ان للعقل وظيفتين :

١ ـ انه يمثل للقوة المتخيلة صورة الشيء الذى يراد خلقه .

٢ ـ انه يحصل على الشيء الذى تم صنعه بالاعضاء المتحركة للانسان وذلك بادراكه الحس خارج النفس وفي هذا يقول ما نصه : « ان للعقل نحوين من الخدمة : احدهما ان يصور فيها مثال ما يراد ايجاده . والثاني ان يحصل فيها عن الحس ما تفعله الاعضاء المتحركة في ذلك الشخص الذى هو خارج النفس » . ■■

بغداد ـ سليم طه التكريتي

من غرائب القضايا

الحظ العاثر

هدايت

بقلم : حسن الجداوى



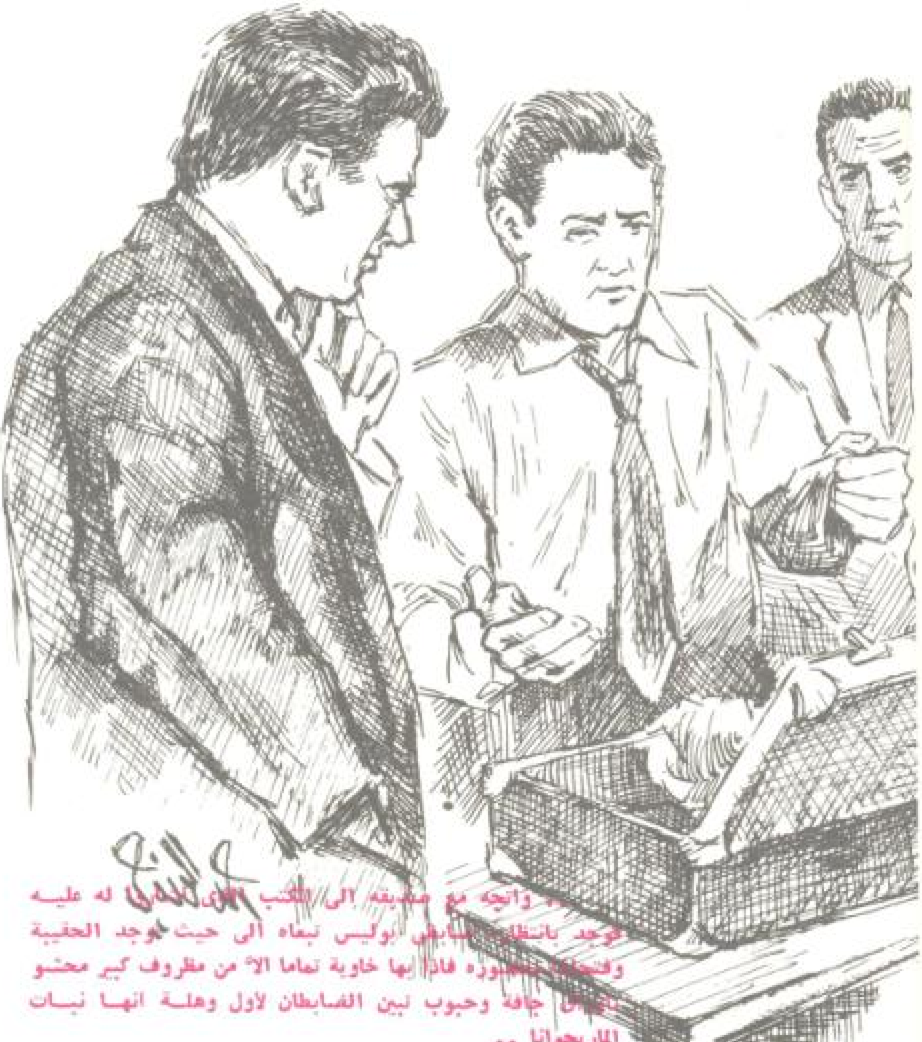
■ روبيرت ..... ولا داعي لذكر اسم عائلته وان كان ما حدث له - وما سنرويه في هذه القضية من المصادفات السيئة - ليس فيه ما يشينه او يشين اسرته - مدرس الرامي في احدى مدارس ولاية كاليفورنيا . ادى الخدمة العسكرية في الاسطول . فتى رياضي من غواة لعبة كرة القدم ورفع الاثقال .

وفي يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٩٥٥ كان يجلس بجوار المدفئة يفكر في كيف واين يمضي اجازة اسبوع الشكر الذى يبدأ في الجمعة الاخيرة من شهر نوفمبر وتعطل فيه المدارس . ووقع نظره على مباراة للكرة محدد لها الغد في لاس فيجاس احدى مدن ولاية نيفادا الشهيرة بمناظرها الخلابة . ولأن له زميلا في البحرية يقيم في تلك المدينة ولان المضاربة على نتائج المباريات مباحة في تلك المدينة نبتت لديه فكرة الذهاب اليها لمشاهدة المباراة والمضاربة عليها وقضاء الاسبوع مع زميله . وما كادت الفكرة تمر بخاطره حتى نفذها في التو والساعة . فطلب زميله في التليفون وكان من حسن حظه او من سوئه - كما سنرى - ان وجده يرحب بفكرته . واتصل بالمطار فأجيب بأن جميع الرحلات المباشرة الى لاس فيجاس مشغولة - وكان هذا من سوء الحظ كما سنرى - وحجزوا له محلا عن طريق لوس انجليز على طائرة شركة الخطوط المتحدة .

واسرع صاحبنا فوضع في حقيبة سوداء صغيرة ما يكفيه من غيارات وملابس واسرع الى المطار فتسلم التذكرة التي حجزت له ثم اتجه بحقيبته الى حيث اشار له عامل المطار فوجد في طريقه عاملا وامامه ميزان لوزن الحقائب وقال له

انه ذاهب الى لوس انجليز فتناول منه الحقيبة ووزنها وربط بها تذكرة مميزة ثم اسرع بوضعها في سيارة كانت تنتظر لحمل الحقائب ثم ناول صاحبنا فاتورة بالمبلغ المطلوب . وكان سوء حظ صاحبنا يتربص له . فقد اكتشف انه سلم حقيبته الى شركة خطوط اخرى مكتبها ملاصق لمكتب الشركة التى سيسافر بطائرتها . وهو خطأ يقع فيه كثير من الركاب ولكن عمال المطار يصححون لهم هذا الخطأ الا ان العامل الذى تسلم حقيبة صاحبنا كان جديدا ولم ينبهه فلما شكا روبير طمانوه بان حقيبته ستسبقه الى حيث يذهب وان كانت ستصل الى مطار آخر يبعد خمسة وعشرين ميلا عن المطار الذى سينزل فيه ولكنهم سيصدرون التعليمات بارسال الحقيبة له .

وطار صاحبنا الى لاس فيجاس حيث وجد صديقه في انتظاره وانتظروا وصول الحقيبة فلم تصل على اى من الطائرات التي وصلت ، فاتصل تليفونيا عدة مرات وكان الرد انهم يبحثون عنها . ولفتت كثر الاسئلة عن الحقيبة نظر المدير المسئول عن حقائب الركاب فصمم ان يجرى بحثا بنفسه وعثر على حقيبة صغيرة متروكة بمكتب الترانزيت لم يطلبها احد فاعتقد انها هي الحقيبة المطلوبة وترك تعليمات بانه اذا استفسر مطار لوس انكليز



[illegible] واتجه مع صديقه الى المكتب الذى [illegible] له عليه فوجد بانتظاره ضابط بوليس نبهاه الى حيث توجد الحقيبة وفتحاها بحضوره فاذا بها خاوية تماما الا من مظروف كبير محشو بأوراق جافة وحبوب تبين الضابطان لاول وهلة انها نبات الماريجوانا ..

(الآخر) يقال له ان الحقيبة موجودة ويصدر تعليماته بخصوصها .

ويشاء القدر انه حين سأل روبير عن حقيبته كانت الموظفة التي ردت عليه قد حلت محل زميلتها في فترة تغيب قصيرة ولم تكن تعلم شيئا عن امر تلك الحقيبة والتعليمات التى تركها المدير .

★ ★ ★

ووجد روبير وصديقه ان لا جدوى من البقاء بالمطار فخرجا وشاهدا في اليوم التالي مباراة الكرة امام الشاشة الصغيرة ثم اتصلا بالمطار فقيل لروبير ان حقيبته موجودة يستطيع ان يذهب لاستلامها من مطار لاس فيجاس في الساعة السابعة مساء .

واتجه مع صديقه الى المكتب الذى اشاروا له عليه فوجد بانتظاره ضابطى بوليس تبعاه الى حيث توجد الحقيبة وفتحاها بحضوره فاذا بها خاوية تماما الا من مظروف كبير محشو باوراق جافة وحبوب تبين الضابطان لاول وهلة انها نبات الماريجوانا وهي نوع من الحشيش أى من المخدرات المعاقب على حيازتها .

و (بحلق) روبير في حقيبته الفارغة وتساءل عما حدث للابسه ؟ ولكن دهشته ـ الصادقة ـ لم تنطل ـ او لم تؤثر ـ في الضابطين وبدأ المحقق يسأله تفسيرا لوجود المخدر في حقيبته . فاجاب ان المخدر ليس له وانه لا يتعاطاه ولا يعرف كيف وجد بالحقيبة التي لم تكن تحوى ـ حين سلمها لعامل المطار الا جاكتة سبور وبنطالان وقمصان واشياء مماثلة لاستعمالها حتى نهاية الاسبوع .

ووجد الضابطان ان روايته غير محتملة التصديق . صحيح ان الحقيبة ليس عليها علامة مميزة . ولا يبدو أن احدا وضع المخدر لينتقم من روبير او ليتخذ منه مخلب قط يدخل عن طريقه المخدر الى لاس فيجاس عن غير علمه لأن ايصال استلام الحقيبة في يد روبير وهو وحده الذى يستطيع ان يتسلمها ..

وما كان لهما ان يتصرفا في الامر فقد جاءا الى المطار وهما يعلمان ان الحقيبة تحتوى على مخدر .

ذلك ان رئيس قسم الطرود لفت نظره الالحاح في طلب الحقيبة فلما عثر عليها ولم يأت صاحبها ـ بعد ان ترك تعليماته ـ اخذها ليضعها في مكتبه الخاص حتى يتسلمها صاحبها . وادهشه ان يجدها خفيفة الوزن لدرجة تشعر انها خاوية فدفعه الفضول لمعرفة سبب اهتمام الراكب وتحمله عناء ومصاريف الاتصال التليفوني عدة مرات من اجل حقيبة فارغة . فاستدعى ضابط المطار المحلف (وهو ضابط الضبطية القضائية) وفتحها بحضوره فاستعرف الضابط من اول وهلة على المخدر وحرر محضرا غيابيا ووزن المخدر فاذا به اوقيتان واخطروا مطار لاس فيجاس فاعدوا كمينا لمن يحضر لاستلام الحقيبة .

وتحدد للمحاكمة يوم ٨ فبراير ١٩٥٦ ووجهت اليه تهمة احراز مخدرات فروى ما حدث له ولم يستطع ان يقدم اى دليل او تفسيرا للعبث بحقيبته فقرر المحلفون انه مذنب وأمر القاضي بالتحفظ عليه لحين النطق بالحكم .

★ ★ ★

واستعان افراد من اسرته ومدير المدرسة بالمدير العام لمكتب مكافحة المخدرات واكدوا له ايمانهم في براءة روبير . وكان من حسن حظ روبير ان قضيته لم تعرض على مكتب المخدرات او يسأل فيما اذا كان لروبير ملف بالمكتب ذلك أن كمية المخدرات لم تكن تزيد على اوقيتين وان سعرها في السوق السوداء لا يزيد على ثلاثين دولارا فلم تكن تستحق اهتماما خاصا. ولكن مدير المكتب الفدرالى وجد في ظروف الحادث ما يدعو للشك فامر باجراء بحث دقيق حول روبير كانت نتيجته ان ثبت انه مدرس مخلص في عمله . لا يدخن ولا يتعاطى الخمر وان جميع اصدقائه من ذوى السمعة الطيبة .

وكان قد تحدد للنطق بالحكم يوم ٢٠ فبراير سنة ١٩٥٦ . في حين ان البحث ادى الى ان اكتشف احد رجال مكتب المخدرات ان آخر لحظة اتصلت يد روبير بالحقيبة كان وقت ان سلمها لعامل الوزن في مطار كاليفورنيا وان الحقيبة وصلت الى مطار بير بانكس في الساعة الثالثة من

مساء نفس اليوم وتركت في المكان المخصص ليسحب منه اصحاب الحقائب حقائبهم وان جميع الحقائب التي لم يستلمها اصحابها تركت في مكان مكشوف امام المطار وظلت في العراء ـ أو ما يشبه العراء ـ وبغير رقابة ـ لمدة ثماني ساعات على الاقل تحت تصرف اي شخص موجود بالمطار . واستدعى ذلك اياما طويلة سئل فيها جميع المترددين على المطار .

وفي اليوم المحدد للنطق بالحكم وقع نظر احد رجال التحقيق على كشف الطرود التي ارسلت الى مطار بريبانكس فوجد حقيبة ـ مشطوب امامها ـ عليها رقم ١٤٣٧ وامامه وزن ٢٠ رطلا. واكد العامل الذي كتب هذين الرقمين ان الوزن الفعلي للحقيبة كان عشرين رطلا وبضع اوقيات ولم يكن وزنا تقريبيا ..

واتصلوا تليفونيا بمطار لاس فيجاس لمعرفة وزن الحقيبة حين وصلت فوصلهم تلغراف يفيد ان وزنها تسعة ارطال فقط على حين كان وزنها عشرين رطلا .. فلم يعد هنا شك في ان احدا قد عبث بمحتويات الحقيبة خلال التسعة والعشرين ساعة التي غابت فيها الحقيبة عن انظار صاحبها .

★ ★ ★

واحيط ممثل الاتهام بلاس فيجاس بذلك الاكتشاف ولكن سوء حظ روبير كان يتعقبه فقد كان الحكم قد صدر ونطق به القاضي قبل ساعة واحدة من وصول الافادة واحيل روبير (الغلبان) الى السجن ليقضي مدة حددها القاضي من سنتين الى عشر سنوات تبعا لسلوكه داخل السجن . وبذلك خرجت القضية من اختصاص النيابة كما خرجت من اختصاص المحكمة التى اصدرت الحكم. ولم يكن في ولاية نيفادا نظام استئناف لاحكام المحلفين ورول المحكمة العليا مشحون فلا ينتظر ان ياتي دور الطعن امامها قبل سنوات ... ولكن محاميا مشهورا استطاع ان يقنع لجنة استصدار العفو في نيفادا وكان احد اعضائها شقيقا لممثل الاتهام الذى ترافع ضد روبير ان تجرى تحقيقا جديدا سمعت فيه جميع شهود الحادث وقررت ـ بالاجماع ـ اصدار عفو شامل عن روبير سيىء الحظ بعد ان قضى في السجن ثلاثة اشهر . وكان يستطيع ان يطالب بتعويض ولكن صاحبنا مسالم رضي من الغنيمة بالاياب او لنقل انه ما كاد يصدق انه نجى .

★ ★ ★

ويبدو ان لاس فيجاس موعودة بلعنة سوء الحظ في التقاضي فهناك سيدة تدعى مسز جونسون في الثانية والثلاثين من العمر اختلفت مع صاحبة المنزل الذى تسكنه وهى سيدة مسنة في الثانية والسبعين من العمر وامسكت كل منهما بشعر الاخرى وسقطت مسز جونز ـ صاحبة المنزل ـ جثة هامدة . وعند تشريح الجثة تبين وجود جلطة قال الجراح الذى شرح الجثة ان من الجائز حدوثها من ضربة على الرأس . وقدمت مسز جونسون بتهمة الضرب الذى افضى الى الموت وحكم عليها بالسجن من عشرة الى اثنى عشرة سنة. وبعد ثلاث سنوات شهد الطبيب الذى كان يعالج القتيلة انه كشف عليها قبل الحادث بيوم واحد وان تلك الجلطة كانت موجودة وان موتها كان متوقعا من ساعة لاخرى ونالت مسز جونسون عفوا شاملا بعد قضاء سنتين وتسعة اشهر ولم تطالب بتعويض.

★ ★ ★

وتعقب سوء الحظ شخصا آخر اسمه برترام كامبل كان يدير مكتب تسليف ثم لحقته الازمة الاقتصادية فاغلق مكتبه وعمل بائعا متجولا لتاجر لوريات بجوار منزله وكان يقوم من وقت لآخر بعمليات سلفيات ليزيد من دخله حتى يستطيع الصرف على اسرته فقد كان متزوجا وابا لثلاثة ابناء وعضوا في عدد من الجمعيات والنوادى . وكان بوليس نيويورك يبحث عن مزيف موهوب استطاع ان يختلس من مصارف نيويورك اكثر من مليوني دولار وكانت طريقته متقنة وعلى نمط واحد . وقد عرفه البوليس باسم مستر « اكس » .

كان مستر « اكس » يختار لكل عملية ينتويها ضحيتين . احدهما الذى يعتزم سحب النقود من حسابه والآخر الذى يقرر ان يتخذ من حسابه مخلب قط ويكون هذا الاخير شخصا حسن السمعة لا غبار على تصرفاته ولا يتردد المصرف ـ اذا ما تحرى عن سمعته ـ ان يفتح له الحساب .

وكان مستر « اكس » هذا موهوبا كما قلنا يكفيه ان يدرس توقيع اى شخص ليقلده بدون تردد في الكتابة ولا يشك المصرف الذى فيهحسابه في صحة التوقيع . فاذا اختار ضحيته الاولى سطا على مكتبه دون ان يسرق منه اى شيء الا شيكا ملغيا عليه توقيع الضحية وعدد من الشيكات البيضاء وكان حتى لا يشك في أمر الشيكات البيضاء يثبت في كعوبها انها الغيت عند الطبع لعيب فيها .

وبعد ذلك ينتحل شخصية الضحية التي ينوى الاستعانة بها ويودع في حسابه مبالغ يسحبها بشيكات مزورة من حساب الضحية الاولى وبعد ان يبلغ الرصيد المبلغ الذى يرضيه يسحبه تاركا رصيدا صفرا في الحساب . وحتى يرسل المصرف في نهاية الشهر الحسابين الى الضحيتين يصعق احدهما من عدد الشيكات التي سحبت من حسابه والتى لم يحررها بينما يندهش الآخر من المبالغ التي اودعت في حسابه دون علمه ثم سحبت ويكتشف البنك ما حدث بينما يكون مستر «اكس» قد اختفى .

واهتم البوليس والمصارف وشركات التامين بالقبض على مستر « اكس » وعهدوا الى مخبرين خصوصيين بالبحث عنه وعرضت مكافآت سخية لمن يرشد عنه وقالت احدى موظفات الشباك في احد البنوك انه يشبه الممثل ليونيل باريمور الا انه يستعمل كوزماتيك يجعل له شاربا مدببا . واعتقد اناس بوجود شبه بين باريمور وبرترام كامبل . وحين وصل الى علم البوليس ان برترام كامبل سدد اخيرا ديونا عليه باوراق مالية من ذات المئة دولار لم يترددوا في توجيه الاتهام اليه ولم يتريثوا حتى يتبينوا انه انما كسب هذا المبلغ عن طريق صفقة تسليف حققها ، وكانت نتيجة هذا الحماس في القبض على مستر « اكس » ان قبض على كامبل وحكم عليه بالسجن من خمس الى عشر سنوات في « سنج سنج » ذلك السجن الرهيب .

وقد تبين فيما بعد ان مستر « اكس » هو شخص اسمه الكساندر تيبل . وانه حاول بكل الطرق ان يبين ان لا دخل لمستر كامبل في جريمة الاحتيال وانه هو وحده الذى فعلها فارتكب اثناء القبض على كامبل جريمة اخرى بطريقته المعروفة . ولكن احدا لم يتنبه الى ذلك .

ولم يكن كامبل يستطيع استئناف الحكم لضيق ذات يده وامضى في السجن اربع سنوات قبل الافراج عنه وكان من الصعب ان يجد عملا بعد خروجه من السجن لسابقة الحكم عليه .

ثم قبض على تيبل واعترف بجرائمه بما فيها الجريمة التي حوكم بسببها كامبل . وتبين عدم وجود اى شبه بين كامبل وتيبل . ومنح كامبل عفوا شاملا كما منحته لجنة التعويضات تعويضا قدره مائة وخمسة عشر الف دولار . ولكن قبل ان تصرفها له الدولة خصمت منه ١٨٥٨ دولارا ضريبة استحقت عليه عن سنة ١٩٣٧ (سنة الحكم عليه) كما طالبه المجلس البلدى بمبلغ ٤٠٠٠ دولار اعانات صرفت لزوجته واولاده اثناء سجنه .

ولم تتح له فرصة الاستمتاع بالمكافأة التي صرفت له فقد مات بعد ثلاثة اشهر بالسكتة. ■■

حسن الجداوى

غفلة

استدعى الوزير علي بن عيسى ، عبد الله بن الجصاص ، وكان مشهورا بالغفلة ، فتأخر الى ان انتصف النهار ، فقال له : لم تأخرت يا ابن الجصاص ؟ قال بمحلتي ـ أعز الله الأمير ـ كلاب تنبح الليل اجمع ، فاسهرتني البارحة ، ، فلما كان مع وجه السحر سكن نباحها ، فرحت في سبات عميق ، فقال له الوزير : ومالك يا ابن الجصاص لا تقدم على قتلها ؟ قال : ومن يستطيع ذلك ايها الوزير ؟ وكل واحد منها مثلي ومثل ابيك في الضخامة رحمه الله .



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

آلام الصدر اسبابها عديدة

ـ اعانى من آلام فى منطقة القلب من الجهة اليسرى وقيل لى ان القلب سليم ، فهل هناك اسباب اخرى لهذا الألم ؟ .

● ان اسباب آلام الصدر عديدة ويتميز كل نوع بصفات خاصة حتى يمكن معرفة مصدرها فهناك الآلام التى تصدر من العضلات نتيجة للالتهاب بها وتكون العضلات بين الضلوع مؤلمة عند الضغط عليها وتزداد الآلام بالحركة او بالتنفس العميق او السعال .



وهناك الآلام التى يكون سببها التهاب بالغشاء المبطن للرئة او القلب اى التهاب البلورا او التامور وهو الم شديد وخزى كالسكين لا يطيقه المريض ولا يسكن فى بعض الحالات الا بالمورفين او البثدين Pethydine ويزداد هذا الوخز حدة عند التنفس العميق او السعال لذا يضطر المصاب ان ياخذ انفاسه ببطء وتؤدة وليس بعمق .

والألم الذى يصدر من ضغط على اعصاب الرقبة وينتشر الى الصدر وهذا كثيرا ما يحدث فى المسنين نتيجة لانزلاق فى غضاريف الرقبة وينتشر الى الصدر ويقل الألم عندما تكون الرئة فى وضع لا يشد على تلك الاعصاب .

وكذلك اذا كان عند المريض فتق فى الحجاب الحاجز وصعود نتوء من المعدة فى الصدر فان ذلك يسبب آلاما تشبه الى حد كبير آلام القلب ولكن ذلك يكون مصحوبا بحموضة فى المعدة مع ازدياد هذا الألم عند الانحناء الى الأمام .

التهاب حافة الجفن Blepharitis

● اعانى من التهاب في جفون عيني، واحمرارها مع رغبة شديدة في حكها مما يؤلمني . وقد استعملت بعض القطرات ، ولكنها لم تفدني .. فما هو سبب هذا الالتهاب ، وهل هناك علاج له ؟

ــ يوجد نوعان من التهاب حافة الجفن الأول : هو التهاب حافة الجفن القشرى ، والثانى : هو التهاب حافة الجفن القرحى .

والنوع الأول Squamous Blepharitis هو عبارة عن التهاب مزمن يصيب حافة الجفون ، وينتج عن ذلك احمرار الجفون وتضخمها ، وحدوث قشور صغيرة بيضاء دهنية عليها ، ويصحب ذلك احساس بثقل فى الجفون مع رغبة فى حكها ، ويؤدى تضخم الجفن الى انقلابه الى الخارج قليلا بحيث يبعد عن المقلة . وهذا يؤدى بالتالى الى بعد الثقب الدمعى عن موضعه الطبيعى ، وينتج عن ذلك انسكاب السائل الدمعى على الجفون ، والوجه مصحوبا بالتهابات فى جلد الجفن والملتحمة ، وهذا فى حد ذاته يزيد من حدة الالتهاب بحافة الجفن وزيادة الاحمرار وتكوُّن القشور أو يؤدى الى حدوث النوع الثانى ، وهو التهاب حافة الجفن القرحى Ulcerative Blepharitis

ويتصف هذا النوع الأخير بحدوث بؤرات صديدية صغيرة فى جراب الأهداب « الرموش » وبالغدد الدهنية بحافة الجفن . وانفجار هذه البؤرات يتسبب عنه حدوث تقرحات صغيرة مغطاة بقشور جافة ويصحب هذا افرازات وتورم الجفون والتهاب بالجلد وعدم انتظام فى اتجاه وترتيب الأهداب أو سقوطها جزئيا أو كليا ، وبالطبع فان اتجاه بعض الأهداب الى القرنية يتسبب عنه تهيج شديد بالقرنية ينشأ عنه اما

حكة الراس لها اسباب كثيرة

● اشكو من حكاك في جلدة الراس علما بانه ليست عندي قشور ، وكلما عالجتها كثيرا ما تعاودني ثانية ، فما اسبابها ، وكيفية التخلص منها ؟

ــ ان الحكاك Pruritus من الشكاوى المنتشرة بين كثير من الناس ، وقد تكون ناتجة عن سبب بسيط ليس ذا قيمة ، وقد تكون بداية مرض خطر . وحكة الراس قد تكون موضعية ومحدودة فى الراس فقط ، او تظهر كجزء من حكاك عام فى الجسم نتيجة ، اما لمرض داخلى فى الكبد او المرارة او الدم او نتيجة لمرض جلدى مثل الارتكاريا ، الصدفية ، الهبرية ، الالتهابات البكترية أو الالتهاب الجلدى العصبى ، وطبعا قشور الراس من اهم اسباب الحكة . وقد يبدأ الحكاك فى الراس كعلامة لقرب حدوث الثعلبة او بداية لسقوط الشعر أو قبل بداية بعض الامراض مثل الاكزيما او الجديرى او الحلاء Herpes .

كما أن الحكاك قد ينتج عن نوع معين من حب الشباب يسمى Acne Recrotica Miliaris حيث تظهر حبيبات صغيرة على الراس مصحوبة بحكة ، وقد تكون مصحوبة بحب شباب فى الوجه والصدر والظهر . كما أنه يجب الملاحظة ان كثيرا من المواد الكيماوية المستعملة على الراس او ادوات الزينة قد تؤدى الى بعض الحكة مثل استعمال الصابون او الاصباغ او الشامبو .

سحابات او تقرحات بها .

أسباب الالتهابات متعددة ، وأهمها عدم النظام، والبيئة غير الصحية ، وحك العين باصابع غير نظيفة او الفازات الكيماوية فى المناطق الصناعية ، والغبار، ويوجد أسباب معينة مثل زيادة افراز غدد الجلد الدهنية وخصوصا ذلك الذى يصيب فروة الراس ويعرف



باسم الهبرية أو نخالة الراس « القشر » Dandruff ، ومرض التهاب الوجه الوردى Rosacea of Face . وايضا امراض الحساسيةالجلديةمثل الاكزيما.

العلاج : اولا : ازالة القشور بواسطة تدليك الجفون بمحلول بيكربونات الصودا ٣ ٪ .

ثانيا:ازالة اية أهداب تحتك بالقرنية.

ثالثا : استعمال المضادات الحيوية للتخلص من اية عدوى خصوصا فى حالة الالتهاب القرحى مثل مرهم التراميسين او الاوريوميسين .

رابعا : معالجة السبب الاصلى اذا كان واضحا « راجع الأسباب » .

خامسا:معالجة المضاعفات التى تنشأ بالقرنية او الجفون،وذلك بالطرق الطبية المعروفة « الأدوية أو العلاج الطبيعى أو الجراحة » وذلك طبقا لما يقرره الطبيب المعالج .

وحكة الراس تنتج كذلك نتيجة الاصابة بقمل الراس خاصة فى الاطفال او فى البيئة الفقيرة المزدحمة ، حيث يقل الاهتمام بالناحية الصحية ، وفى هذه الحالة تعتمد الحكة على حساسية الشخص ، فقد تكون هناك قملة واحدة فقط فى الراس ، ولكنها تؤثر تأثيرا شديدا فى الشخص الحساس الطبيعي بحيث لا ينام الليل من الحكة ، بينما الشخص البدائي الذى يعيش فى بيئة غير صحية قد تكون فى راسه مئات ولا يشعر بها .

وبعض الاشخاص يعتقد ان هناك حشرات على الجلد ، وأنهم أحيانا يرونها بأعينهم مؤدية الى الحكة ، ولكن فى الحقيقة لا توجد اى حشرات . وعادة هؤلاء اما انهم مخالطون لمرضى بهذه الحشرات فيتهيأ لهم ذلك ، او انهم يكونون مدمنين لبعض المخدرات .

وهناك كذلك العامل النفسي او العصبي حيث نجد اشخاصا تعودوا على حك الراس بدون وعي منهم وكأنهم مصابون بحكة، بينما فى الحقيقة لا توجد اى اصابة ، وكذلك قد تحدث نتيجة تعود المريض على تعاطي دواء او شراب معين فى السر بدون علم أحد ، مثل امرأة تعودت على شرب الكحول فى السر كثيرا ما تصاب بالحكة عندما لا تستطيع الشرب لوجود الاهل بالمنزل . ولعلاج حكة الراس يجب معرفة السبب الرئيسى او المرض الملازم للحكة وعلاجه ، وكذلك ملاحظة اى مواد كيماوية مستعملة على الراس وتجنبها ، او تبديلها كما انه يجب الانتباه الى الحالات النفسية التي لا يوجد فيها اى مرض او سبب ظاهر .

مِنَ المسرح العالمي

سلسلة ثقافية

تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام في الكويت

أول سبتمبر ١٩٧٢

٣٦/١

من الأعمال المختارة

چان جيرودو - ١

• الكترا • لن تقع حرب طرواده

ترجمة وتقديم: يوسف محمد رضا

مراجعة: د. محمد م. القصاص

نشـرة
منتـجات آكـاي
الاعلامـيـة رقـم ٦٨



انا ننتج المجموعة الوحيدة في العالم التي تجمع بين مسجلات البكرة والكاسيت والتي تؤمن نقل التسجيل من البكرة الى الكاسيت وبالعكس . رأس GX في وحدة الكاسيت يعطي الكاسيت نوعية في اداء الصوت كانت في الامس ميزة المسجلات ذات البكرات . ان هذه المجموعة تمكنكم من اقتناء مكتبة كاسيت تشمل اغراض عدة ... العمل ، الثقافة او مادة جديدة بالاستماع .



إحصل عليها في مجموعة واحـدة كاسيت وبكرة ، ونقـل الواحـدة الى الاخرى وبالعكس .

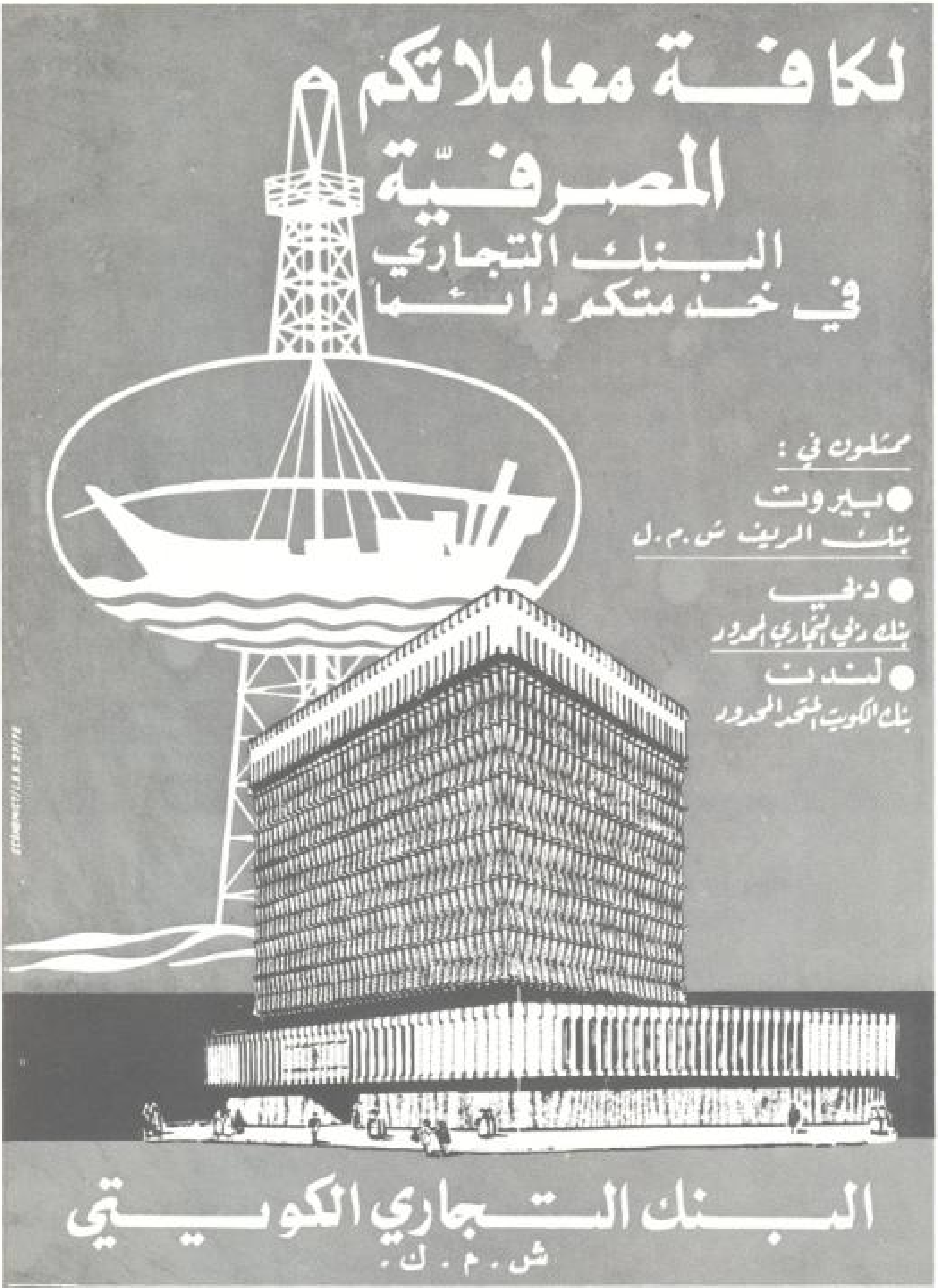
ان جهازنا الجديد GX-1900 هو حقاً مسجل ستريو رائع . فهو يجمع بين مسجل البكرة ومسجل الكاسيت ويؤمن نقل التسجيل من البكرة الى الكاسيت وبالعكس .

ان رأس GX في وحدة الكاسيت والرأس المغلف للتسجيل والاداء في وحدة البكرة يضمنان الاداء الامثل للاصوات الطبيعية .

حلم آخر يصبح حقيقة مع هذا المسجل . تجاوب تردد من ٣٠ الى ... ٢٢ هرتز (± ٣ دسي بل) للبكرة ومن ٤٠ الى ... ١٥ هرتز (± ٣ دسي بل) للكاسيت . من ميزاته الاخرى : رافعة للشريط لوقاية الرؤوس اثناء اللف السريع الامامي والعكسي للشريط ، موقف/قاطع للتيار آلي لوحدة البكرة ، مطلق آلي للاداء والتسجيل في وحدة الكاسيت ، ضابط توقيف صامت للاضافات ، معدل لسرعة الشريط ، عدادان مؤشران للشريط ، ومكبر للصوت قياس ٤ إنش ضمنيين .

ستحصلون على كل هذا مع المسجل GX-1900 بالاضافة الى الاستماع بالاصوات التي اشتهرت بها قاعات الموسيقى العالمية .

اوديو وفيديو
AKAI®
AKAI ELECTRIC CO., LTD.
Ohta-ku Tokyo, Japan

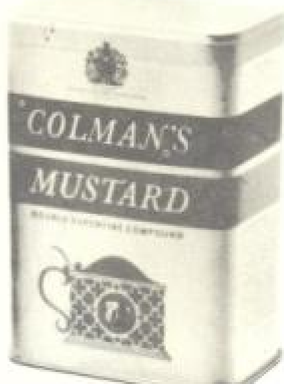

لكافة معاملاتكم
المصرفيّة
البنك التجاري
في خدمتكم دائماً
ممثلون في :
● بيروت
بنك الريف ش.م.ل
● دبي
بنك دبي التجاري المحدود
● لندن
بنك الكويت المتحد المحدود
البنك التجاري الكويتي
ش.م.ك.
كويت - ص.ب : ٢٨٦١ / برقيا : بنكتجاري - كويت / تلكس : ٢٠٠٤-٢١٦٧ / تلفون : ٤٢٤١٤١/٢٠ خط

يجب ان يتوفر في كل منزل ...

سافورا ـ ذو النكهة اللذيذة الفاتحة للشهية



سافورا هي أفضل المواد التي يمكن اضافتها إلى السلطة واللحوم والسمك والجبن وهي تزيد من لذة طعمها ... وهي المادة ذات النكهة اللذيذة الفاتحة للشهية التي يحبها جميع أفراد العائلة . احفظوها دائماً في المطبخ .



خردل (مستردة) كولمان للاضافة إلى الطعام

وخردل (مستردة) كولمان هو أشهر أنواع الخرادل الانكليزية وهو يضفي نكهة لذيذة على اللحوم والسمك والجبن . كما يمكنكم اضافته إلى الصلصة العادية أو صلصة السلطة .

ستيرادنت لتنظيف وانعاش الاسنان الصناعية

تحتاج الأسنان الصناعية إلى منظف خاص مثل (ستيرادنت) الذي يتوفر في شكل أقراص أو مسحوق (بودرة) . وهو ذو رغوة لطيفة المفعول ... مفعول بنظف الأسنان الصناعية بفعالية عظيمة وأمن تام . وهو يزيل التلوثات الخفيفة في فترة تقل عن ١٠ دقائق . يجب أن تحتفظوا به في غرف الحمام واستعماله بصفة مستمرة .



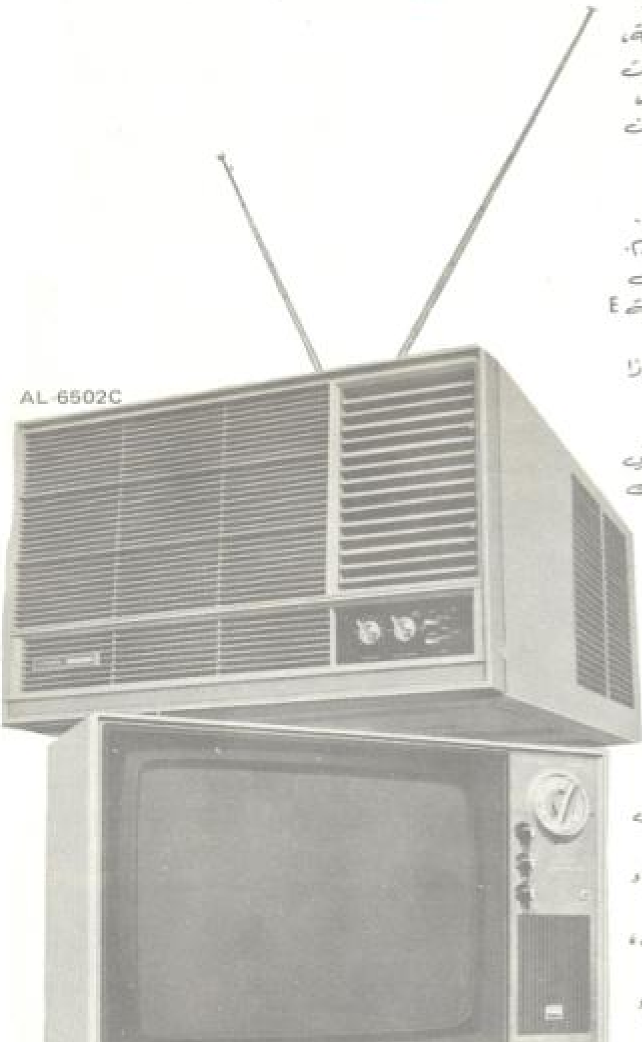
ديتول ـ المطهر المثالي للمنازل

استعملوه للجروح وتكشطات الجلد وكمطهر منزلي بسيط . وهو متعدد الاستعمالات ويوصي باستعماله الأطباء في جميع انحاء العالم بفضل مفعول وقوة تطهيره . احتفظوا به في غرف الحمام .

خردل (مستردة) كولمان ، سافورا ، ديتول ، وستيرادنت من منتوجات شركة ريكت وكولمان

هل ترغب بمشاهدة التلفزيون في غرفة حارة؟

هنالك عدة ميزات رائعة للتلفزيون الجديد النقال "جنرال" ١٤ انشاً ذو الاقنية UHF/VHF (موديل TH-14EV. أو TH-14EU حسب التركيب) نذكر منها اسلوب الضوابط الاوتوماتيكي، الذي هو جزء من جهاز دارات متكاملة وليدة سبع براءات اختراع.
فلقد ابدعت "جنرال" اسلوب التذبذب الافقي الجديد والتجهيزات الضابطة الخاصة بمنع جميع انواع التداخلات الكهربائية، كالتشويش أو الضجيج الناتج عن مرور الطائرات أو استعمال الادوات المنزلية الكهربائية، وبالتالي لتأمين صورة ثابتة تماماً. ومن جهة ثانية، فان قناة الشاشة الرمادية اللون تؤمن لك صورة نقية واضحة حتى في الغرف الساطعة النور.
إذاً فلا مجال لتعب العينين بعد اليوم.
ان هذا الجهاز من "جنرال" يمكن ان يعمل ايضاً على بطارية ١٢ فولت بشرائط الاشرطة E الاختيارية المعدة لذلك.
أما ولديك الآن جهازاً تلفزيونياً رائعاً، فلماذا تشاهده في غرفة حارة؟ فهنالك جهاز ملطف الهواء الجديد "جنرال" AL-6502C ذي الطاقة الهائلة ١٥٠٠٠ BTU والتي تكفي لعدة غرف. إن ابرز ما نرغب في ان نذكرك به "جنرال" هو أن ضاغط الهواء في هذا الجهاز هو من نوع "تيكومسيه".
وتيكومسيه هي اضخم معامل لضاغطات الهواء في العالم، مع العلم ان الضاغطة هي قلب كل ملطف جيد للهواء.
اما الاداء والمتانة، فلا مثيل لهما. كما ان ضوابط هذا الجهاز الرائع موجودة في اسفل الزاوية اليمنى لسهولة الاستعمال خصوصاً إذا ما أردت ان تثبت الجهاز في الحائط.
أما الميزات الأخرى التي سترغب اقتناءها فهي اسلوب التغيير الاوتوماتيكي لاتجاه الهواء على شبكة الانابيب توجه الهواء الى اية زاوية في الغرفة، واسلوب تنظيم الحرارة الاوتوماتيكي، والهدوء التام أثناء العمل، والتزامن في العمل بين الهواء المستنفد والنقي



GENERAL جنرال

الجمهورية العربية السورية: محلات دمشكاه ـ ص. ب ٩٥٤ ـ دمشق (سوريا). الامارات العربية المتحدة: الشركة الوطنية للاستيراد والمقاولات ـ ص. ب ٧٣٦ ـ أبوظبي.
الكويت: شركة الاتحاد التجارية ذ.م.م ـ ص.ب ٢٨٠٠ ـ كويت. البحرين: ابراهيم عرضي وأولاده ـ ص. ب ٦٧٠ ـ المنامة.
الدار البيضاء: عمارة الكترونيك ـ ١١٤ شارع القاهرة. ايران: شركة باستر المحدودة ـ شارع نادري ـ باساج فرنجاني رقم ٦ طهران.
ليبيا: نظرعبد الجواد ـ ص. ب ٢٩٩٤ ـ طرابلس. قطر: المشيري ستورز ـ ص. ب ١٦٢٠ ـ الدوحة.

١٩٥٢

١٩٧٢

أموالك تنمو مع نمو
البنك الوطني

بنك الكويت الوطني ش.م.ك

تأسس عام ١٩٥٢

رأس المال والاحتياطي : -/٢١،١١٦،٧١٨ د.ك

مجموع الموجودات كما في ٣١ ديسمبر ١٩٧١ :

-/٣٤٦،١٢٦،٨٠٨ د.ك

المكتب الرئيسي: ص.ب. ٩٥ تلفون ٤٢٢٠١١ (٢٠ خطاً)



BAUME & MERCIER
GENEVE
1830
قف وانتبه
!
الساعة
المعجزة
BAUME & MERCIER
بوم اى مرسييه
أضخم انتاج في حقل صناعة الساعات
غاية في الدقة ـ رائعة في الجمال ـ أوتوماتيكية
الوكالة
بالكويت
مراد يوسف بهبهاني
MORAD YOUSUF BEHBEHANI
ص . ب ١٤٦ كويت ـ تلفون المعرض ٢٣٧٧٠

ستة من كبار النجوم يعزفون لكم في جوقة إن. إي. سي الموسيقية



20-TP1

تلفزيون كبير الشاشة، قياس ٢٠ بوصة، في علبة خفيفة نقالة، ودوائره في غاية الضآلة. الصورة والصوت يأتيانكم فوراً إذا ومضت [illegible] الأولى [illegible] وتصميمه أنيق.



8-TP1

إن تصميم الجوي [illegible] 8-TP1 يلفت إليه الأنظار وصورته [illegible] يجعل منه [illegible] لكم. يعمل بالتيار DC/AC وبطارية سيارتكم ... خفيف الوزن بالطبع وفي غاية الضآلة [illegible]





20-G7D

تلفزيون كونصول جميل، في غاية الضآلة، شاشته قياس ٢٠ بوصة، [illegible] أبواب منزلقة [illegible] دائرة AGC [illegible] لتوفير أعذب صوت وأوضح صورة.



12-TP11

تلفزيون [illegible] قياس ١٢ بوصة [illegible] يعمل بالتيار [illegible] دائرة AGC [illegible] الصورة [illegible] [illegible] أنيق [illegible]



23-Y94

تلفزيون [illegible] قياس ٢٣ بوصة [illegible] أبواب منزلقة [illegible] دائرة AGC [illegible] مع مفتاح [illegible] [illegible]



17-P1

تلفزيون نقال قياس ١٧ بوصة [illegible] دائرة AGC [illegible]

NEC ان . اي . سي

Nippon Electric Co., Ltd. Tokyo. Japan

توجد ساعات جيّدة كثيرة

انكابلوك
يُساعدك في التعرّف إليها

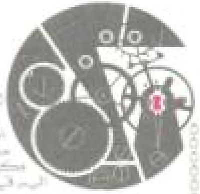
الواقي من الصدمات انكابلوك
يحمي اثمن ما في الساعة : دقتها

اليوم حوالي
٤٠٠٠٠٠٠٠٠ ساعة بسيطة أو فخمة
اوتوماتيك او عادية اصبحت مجهزة
بانكابلوك. وجميع هذه الساعات ذات
فحص محتجز. ساعات خبراء.

اطلبوا دائما الساعة المجهزة
بانكابلوك لان انكابلوك ليس فقط
واقي من الصدمات بل هو ايضا
عنوان الجودة.

الساعة المجهزة بالواقي من الصدمات
انكابلوك تمتاز بشيء اضافي.

اسم انكابلوك علامة مسجلة يعني فقط
الواقي من الصدمات من انتاج بورتشكاب
لاشو دوفون - سويسرا / بورتشكاب فرنسا بوشن



اود الاطلاع على
كيفية عمل الانكابلوك
وكيف يمكنني التعرف
اليه في الساعة.

الاسم: ____________

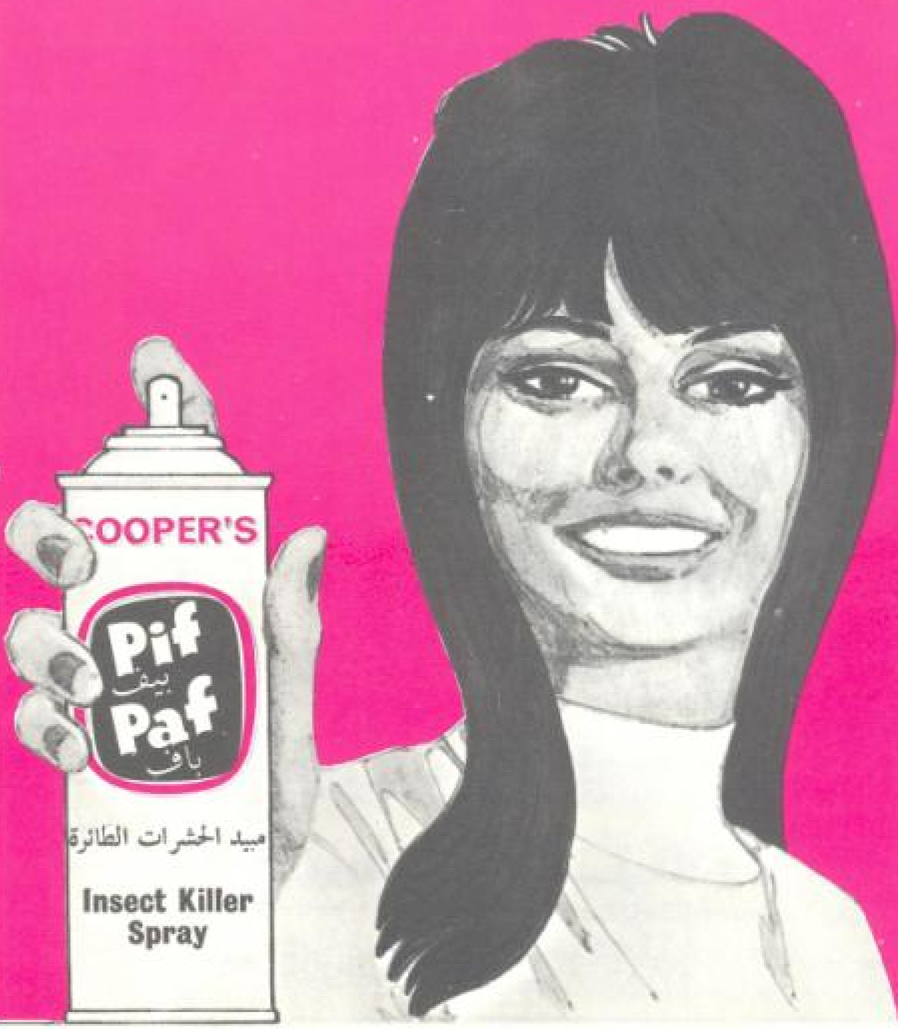
العنوان: ____________

ترسل هذه القسيمة
الى مركز استعلامات انكابلوك
للشرق الاوسط
ص.ب ٢٧٨٢ بيروت ـ لبنان.

اضغط على الزرّ وتخلّص في الحال

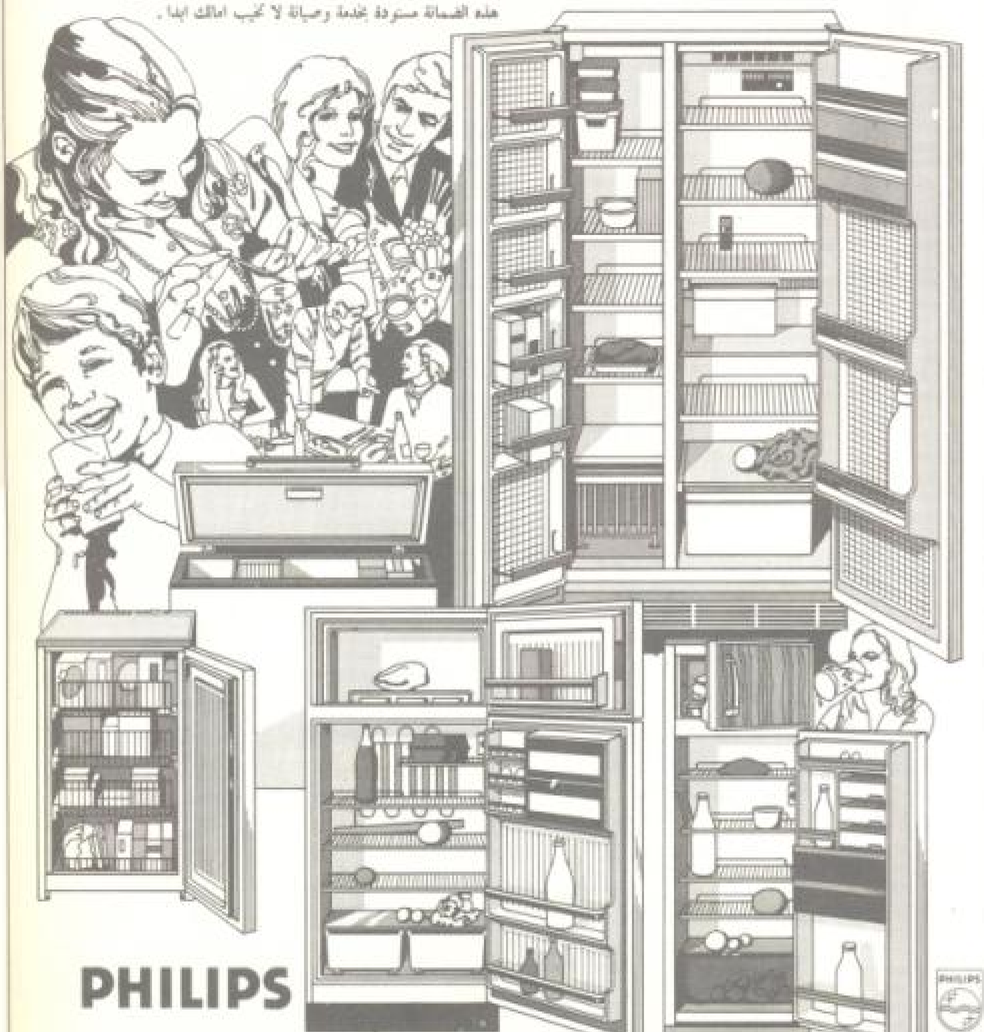
..من الذباب والبعوض وكافة
الحشرات المزعجة! بيد الحشرات
بيف باف في علبة الايروسول سريع
التأثير، أكيد المفعول، اقتصادي
جداً. انه يجعل بيتكم في مأمن من

الحشرات ويكسبه رائحة نقية
منعشة.. اشتروا كوبرز بيف
باف القوي المفعول في
العلبة الكبيرة الصفراء والسوداء.



بـــرادات فيليبس لـن تخيب امـــالك

شركة فيليبس تدرك ان البرادات والثلاجات يجب ان تكون ضمن الاجهزة البيتية التي يعتمد عليها طيلة الوقت ، ولذلك فان الشركة تصنع هذه الاجهزة صناعة خاصة تجعلها تؤدي مهامها على اكمل وجه حتى في اشد الايام حرارة . ان اية عائلة لا يمكنها الا الاعتزاز بموديل هـ ن ٢١٥٣ ذي البابين الذي تبلغ مساحة الجسم فيه ٢٩٥ لترا ، ومساحة قسم التجميد ٩٥ لترا . وكل ثلاجات فيليبس تملك نظاما لمنع تجمد الماء فيها وواحدة منها ملبسة من الخارج بقشر خشب ممتاز لتماشي مفروشات بعض المطابخ او غرف الطعام . واذا كنت تبحث عن ثلاجة للتجميد ، الافضل ان تختار الموديل العمودي المعتدل الحجم او الثلاجة الاكبر حجما التي تملك مخزنا عريضا للتجميد . وتذكر . . كل ثلاجات فيليبس مصحوبة بضمانة ، واكثر من ذلك ان هذه الضمانة مسنودة بخدمة وصيانة لا تخيب امالك ابدا .



PHILIPS

فائدة

مرّتان فى السنة

مضمونة

طول السنة

عند فتح حساب توفير فى بنك لومبارد نورث سنترال

ان حسابا للادخار لدى « لومبارد نورث سنترال » يؤمن فائدة حسنة ، مع ضمانة كاملة لراسمالك ، مما يؤدى لراحة بالك . ان الإيداعات التى تخضع لطلب مسبق لسحبها قبل ستة اشهر تستفيد من ٦٪ فائدة سنويا . ويمكنك سحب حتى ١٠٠ جنيه استرلينى سنويا دون انذار مسبق . والفائدة تدفع كل ستة اشهر دون حسم اى ضريبة .

الإيداعات من ٥٠٠٠ جنيه استرلينى وما فوق ولمدد محددة يمكنها الحصول على فوائد اعلى .

٦٪

ويمكنك الحصول على مزيد من المعلومات عند الطلب . ان فتح حساب هو البساطة بعينها . اكتب الآن الى مدير حسابات الودائع لطلب معلومات اوفر ونسخة عن « حساب الادخار » كتيب رقم ١٨٢ A O

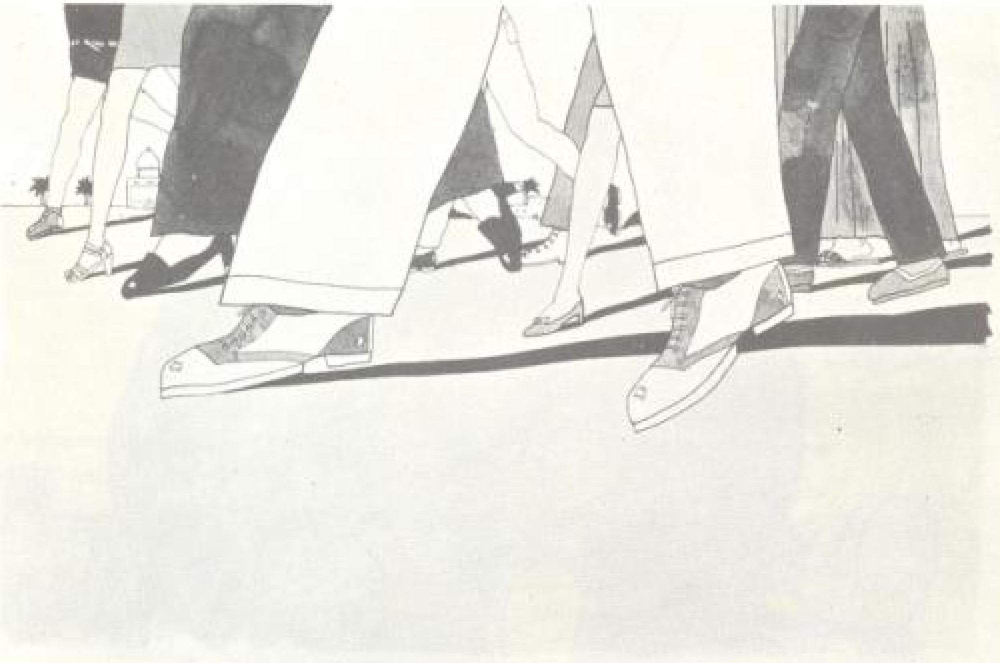
Lombard North Central

LIMITED

Head Office: LOMBARD HOUSE, CURZON STREET, LONDON W1A 1EU, ENGLAND.
Tel: 01-499 4111.
City Office: 31 LOMBARD ST., LONDON EC3, ENGLAND
Tel: 01-623 4111.

لومبارد نورث سنترال ليمتد عضو فى ناشونال وستمنستر بنك كروب الذى يزيد راسماله مع الاحتياطى على ٣٢٨،٠٠٠،٠٠٠ جنيه استرلينى .

هَل صَحِيح أنّ بشرَائِكَ سَيّارة داتسُون
سَوفَ تنسَى كل مَا يتعلّق بالسَير على الأقدام؟



طبعًا لا ...! ثم أن السَير على الاقدام ضروري ومفيد للصحّة وفيه الكثير من المتعة . إلاّ أن لهذه المتعة حدود.
تصَور مثلاً أنك تركض يوميًا إلى مكتبك لتلتحق بعملك ، أو أنك تسير مشيًا على الاقدام من القاهرة إلى الاسكندرية ...!!
إن الجميل بسيارات **داتسون** هو كونها بديلاً مريحًا لأقدام أي شخص . ثم أنك تستطيع أن تعاملها بالخشونة التي تريد ، فهي قويّة البنية ويمكن الاعتماد عليها كليًا أكان ذلك أثناء العمل أو نزهات المتعة .
تذكروا دومًا شركة نيسان تنتج كل سيارة من سَيارات **داتسون** لتحقيق هدف واحد : الانسجام التام بين السيارة وسائقها . وهذا يعني المتعة للناس الذين يعشقون الحياة . وهذا يعني أيضًا أن سيارة **داتسون** تستطيع أن تنقلك إلى الأماكن حيث السير على الاقدام راحة وليس مشقة . فما الهدف من اقتنائك سيارة إن لم يكن حياة أفضل وأكثر حرية ..!

أنتَ وَداتسُون جَمعٌ رَائِع.

NISSAN MOTOR CO., LTD.



DATSUN

HITACHI

هيتاشي



SCT-1151

انها تستمع الى الموسيقى من راديو هيتاشي SCT - 1151 . فهو راديو بموجة متوسطة وموجتين قصيرتين.

وحين تريد ان تستمع الى موسيقاها تعمد الى الاستماع اليها من الجهاز ذاته SCT-1151 الذي هو في الوقت ذاته مسجلة كاسيت. (ويمكنها في الواقع ان تسجل ما تحب مباشرة من الراديو).
وهي بالاضافة الى كل هذا، تستطيع ان تنقل معها هذا الجهاز SCT-1151 الى حيث تشاء. لأنه يعمل على البطارية كما يعمل على الكهرباء.

استمع الى اصوات SCT-1151 انه بكامله راديو ومسجل كاسيت خارق من صنع هيتاشي.

حين تمل الاستماع الى الموسيقى، تعمد الى موسيقاها الخاصة.



عندما تكون مصرفاً عالمياً
سريع الحركة مثل تشيس
فانك ستعرف حتماً جميع السُبل الى أسواق الاستيراد والتصدير

في الأسواق السريعة المحركة التي يتميز بها هذا العالم عليك ان تكون مستعداً للذهاب الى أي مكان في أي وقت وبأية طريقة . (حتى بالقارب) . وبما ان تشيس لديه الخبرة الدنيا أكبر حصة من الضمانات المالية في بنك الاستيراد والتصدير) ، فانا نعرف أفضل السُبل لتمويل عمليات الاستيراد والتصدير . وفي مقدور خبرائنا في التجارة الدولية ومديرائنا الفنيين توفير المعلومات التي تحتاجها للتعامل في الاسواق الدولية . انهم يعملون معاً ليرشدوك الى أماكن الشراء والبيع . اتصل بالموظف المختص في تشيس ليساعدك . تشيس ... هو المصرف الذي يحرّك الاحداث . ولا تنس أن لك صديقاً في

بنك تشيس منهاتن
THE CHASE MANHATTAN BANK
NATIONAL ASSOCIATION

المقر الرئيسي : – 1 Chase Manhattan Plaza, N.Y., N.Y. 10015, U.S.A.

الفروع في الشرق الاوسط :
ص . ب ٣٦٨ المنامة ، البحرين
ص . ب ٣٦٨٤ بيروت ، لبنان

مصرف مشارك – بنك دبي التجاري المحدود :
ص . ب ١٧٠٩ دبي ، اتحاد الامارات العربية
ص . ب ٦٧٧ الشارقة ، اتحاد الامارات العربية





مسجلة كاسيت الشريطية
TC-110B

الآلة المساعدة الضرورية

اصبحت آلة التسجيل في ايامنا الحاضرة جهازاً ضرورياً للرجل والمرأة النشيطين، الناجحين، الواعين، في كل مكان.

وآلة التسجيل الكاسيت TC-110B الظاهرة هنا هي احد موديلات سوني الاكثر رواجاً. وهي خفيفة ومضغوطة الحجم، رغم انها مميزة بالخصائص التي تحتاج اليها لتسجيل سريع ودقيق وسهل.

انها مثل جيد عن كيف استطاعت ابحاث سوني ان تساهم في تطور وتقدم فن التسجيل بواسطة المسجلات الشريطية النقالة. تتضمن هذه الآلة جهازاً اوتوماتيكياً يوقف انتقال الشريط ووصول الطاقة عند آخر الشريط. وفيها مايكروفون بمكثف الكتريت ضمني يجعل الاسلاك والوصلات الخارجية غير لازمة. كما فيها عداد بثلاثة ارقام يبين مكان وصول الشريط، ويمكن اعادته الى الصفر بواسطة زر خاص.

اما الحاكي PM الممتاز، فانه يعطي صوتاً رخيماً للغاية. ونؤمن لك دورات سوني المجهزة الكفاءة والحجم. هل تتوجه الى مكان ما؟ هل تسير في خط التقدم؟ سر مع سوني الآلة المساعدة الضرورية، وصل الى هدفك باسرع ما يمكن.

SONY. سوني


RADO
رادو
نموذجان فريدان
إنتصاران عالميان
رادو
الساعة الوحيدة في العالم
الغير قابلة للخدش
أينما كنتم أطلبوها من وكيل منطقتكم المعتمد

مارلبورو

رمز الجودة



Soft Pack or Flip Top Box.

أفخر سجاير كنج سايز فيلتر

AMERICA'S FINEST FILTER

A quality product of Philip Morris Inc. Richmond, Va., USA

طباعة فورية بدقة متناهية للبيانات التي تحفظ بصورة دائمة



ICC-1415P

بإمكانكم الإطمئنان إلى صحة حساباتكم التجارية، لأنها مطبوعة كاملة بشكل ظاهر يمكنكم من رؤيتها، بحيث تظهر الأرقام السالبة حمراء والموجبة سوداء. وبالإمكان حفظ الحسابات المطبوعة للرجوع إليها أو اعتمادها للإثبات حيثما تدعو الحاجة. إن الدقة مضمونة، بالرموز المطبوعة ليسهل تدقيقها، وبمؤشر تحديد الخطوط، ومصباح الضوء العامر وبالمؤشرات الأخرى التي تشير إلى معظم العمليات التي تجريها الآلة. كما تظهر بوضوح على اللوحة المضيئة ١٤ رقماً بالإضافة إلى طباعتها. لذلك اعتمدوا الحاسبة الطابعة من صنع **سانيو** الاحتفاظ بدقة حساباتكم وعدم إمكانية حصو



ICC-1215



CC-82D

لمكاتب الحسابات السريعة والدقيقة.

إن تصميمها القريب برقرها حجماً صغيراً محكماً، مع سعة عالية تبلغ ١٢ رقماً، الحاوية آلة مصرفية بوحدات النتائج الإفرادية والإجمالية، وبإمكانكم إلغاء الصفر، فضلاً عن جميع الأصفار غير الضرورية، مع مصباح للتنبيه عند حدوث أي خطأ، وبسهولة الاستعمال تخفيض أخطاء العمل.

الحاسبة المتقدمة لمرافقتكم.

حاسبة الكترونية صغيرة نقالة، لا يمكن الاستغناء عنها في المؤتمرات والرحلات التجارية. سعتها ١٦ رقماً، تعمل بالبطاريات التي يعاد شحنها. جميع الحسابات الممكنة والمقادير العشرية المحددة بصورة مسبقة. إنها الحاسب المرافق العصري.

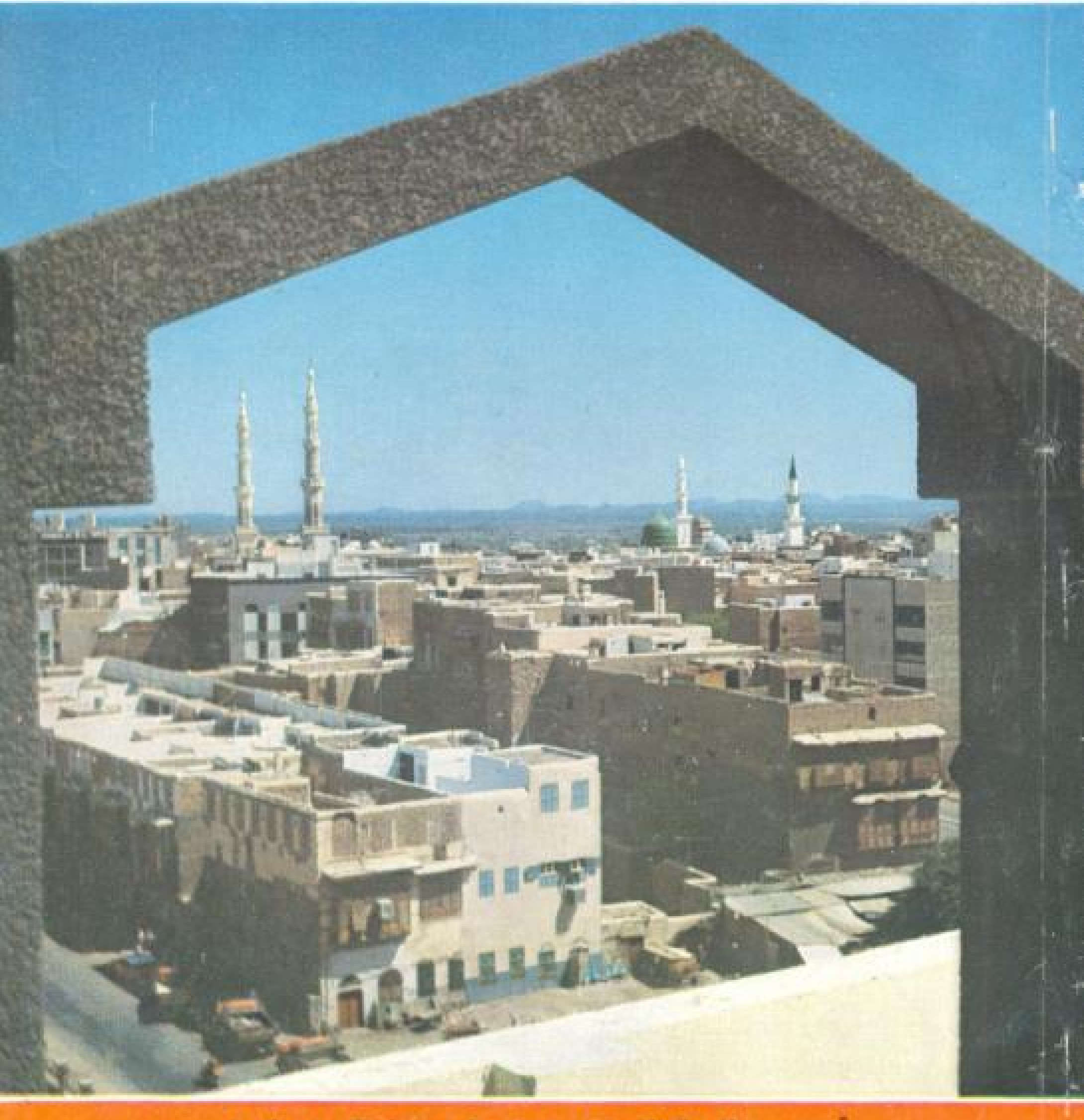
SANYO سانيو

SANYO ELECTRIC TRADING CO., LTD. Japan

سانيو الكتريك تريدنغ كومباني ليمتد. اليابان

العربي

العدد ١٦٧
شعبان ١٣٩٢
أكتوبر
(تشرين الاول) ١٩٧٢



المدينة المنورة .. حيث يرقد رسول الله (صلعم)

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢ دينار
اليمن	٢٫٥ ريال	ج٠ع٠م٠	١٠ قروش	المغرب	٢ درهم

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا



من روائع الفن الإسلامى

من روائع الفن الاسلامى :

● هذا هو بهو السباع أو « دار الأسود » الذى اشتهر به قصر الحمراء في غرناطة .

ولعل اول ما يذكر عن هذا القصر هو انه يمثل في وقت واحد سماكا أعلى في الفن الاسلامى ودركا اسفل في حظوظ الدولة الاسلامية . فهو يجسد الذروة التى بلغها فن العمارة الاسلامية في الاندلس . وهو بمثابة المسرح الذى شهد خاتمة الحكم العربى لتلك البلاد ، وذلك بخروج آخر حكام بنى الأحمر منه ، محمد الحادى عشر ، ١٤٩٢ م .

بناه في غرناطة ، بل باشر أعمال انشائه ، محمد الأول الغالب بن الأحمر المتوفى ١٢٧٣ ، وأكمله محمد الخامس أحد أحفاده الذى لجأ اليه ابن خلدون سنة ١٣٦١ بعد تجريده من مناصبه في فاس . والغريب ان هذا المؤرخ العربى الذى اتخذ له مكتبا في قصر الحمراء لم يشر الى هذا القصر في مقدمته وسائر كتبه لا من قريب ولا من بعيد .

ويذكر عن قصر الحمراء كثرة ما فيه من رسوم وتماثيل .

عزيزي القارئ

● أتدرى ما كان من مائدة العرب ؟!

مائدة عظيمة ، جلس حولها العرب بآمال كبار ، وأوهام أكبر .

وكان فى أوسط المائدة وعاء عظيم، خالوا ان فيه كل ما يشتهى الجائــع .

وجرت الدعاية بان فيه الفراريج الكثيرة ، وصدق الناس .

وجرت الدعاية بأن فيه اللحم،اكتافا وأفخاذا،وصدق الناس.

وجرت الدعاية بان فيه الديك الرومي الضخم بل الديكة ، وصدق الناس .

واخيرا ، وفى يوم ذكرى الثورة المجيدة ، أو قبيلها ، كان من احد الزعماء ان رفع الغطاء عن الوعاء ، وهال القوم انهم لم يجدوا فيه الا الهــواء .

خديعــة ؟!

لا . وانما هى سياسة مرسومة بأن لا يرفع الغطاء عن الوعاء .

وينام العرب على الأسى ، ويصبحون ، واذا بالخبر يأتيهم بان الوعاء امتلأ . ملأته المقادير بقدرة قادر .

وتجمعوا حول المائدة ، والغطاء مرفوع عن الوعاء ، والوعاء فيه من الآمال ما فيه .

واقسموا جميعا ان لا يكون هذه المرة للوعاء غطاء . وزادوا ، فقاموا الى الغطاء فحطموه . انهم يريدون ان يروا هذه المرة ، هذه الآمال ، كيف تسمن ، وكيف تضمر . وغير ذلك الخديعة ، ولو كان وراءها الف نية صالحة من نوايا الأبرار الأطهار .

المحرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

العربي

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من اراء

ALARABY = No. 167 October 1972 P. O. Box 784 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ــ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعــلانات : يتفق عليها مع الادارة ــ قسم الاعلانات

المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● المدينة المنورة لها مكانة كبيرة في قلوب المسلمين جميعا .. فهي المدينة التى هاجر اليها رسول الله (صلعم) ، وعاش فيها فترة حاسمة من حياة الامة الاسلامية ، ثم لتكون مثواه الاخير ، وللمدينة من الاسماء ٩٥ اسما من بينها : دار الابرار ، دار السلام ، دار الفتح ، المؤمنة ، المباركة ، وبيت رسول الله . وقد شهدت المدينة الكثير من الاحداث التاريخية ، وتقلبت عليها الاحوال ، ولكنها ظلت دائما مصدرا من مصادر الاشعاع الروحي للمسلمين جميعا في مختلف قارات العالم (اقرأ الاستطلاع ص ١٠٠) .

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطرى . البحرين ٢٠٠ فلس بحريني. العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش. تونس ٢٠٠ مليم. الجزائر ٢ دينار جزائرى. المغرب ٢ درهم. اليمن ٢ر٥ ريال. ليبيا ١٥٠ درهما. جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس.

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ــ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



بريد القراء

يطلب استطلاع الازهر والنجف

● طلب مواطن عراقى من النجف فى العدد١٥٦ من مجلة العربى الزاهرة بان تقوموا باستطلاع لمدينتى النجف الاشرف وكربلاء المقدسة ، وطلب منكم مواطن مصرى فى العدد ١٥٩ بأن تقوموا باستطلاع الأزهر الشريف .

اننى اضم صوتى للاخوين والحف بالرجاء بان تستجيبوا لطلبنا وتقوموا بالاستطلاعين فى القريب العاجل . كما ارجو ان تجعلوا للاماكن المقدسة الأخرى نصيبا فى استطلاعاتكم ولكم جزيل الشكر والامتنان .

يوسف على ــ كربلاء

العربى : سنعمل باذن الله .

العربي بين الامس واليوم

● اتيحت لى الفرصة ان اتابع العربى من العدد رقم ٣٧ الصادر فى ديسمبر عام ١٩٦١ م ، وكم انا فخور بهذه المجلة التى يعتز بها كل عربى ويفخر . اننى عندما اجلس واتصفح هذا العدد وأرى الأبواب التى كانت تحتويه واقارنه بالعدد رقم ١٦٠ . الصادر فى مارس ١٩٧٢ ، أرى الفرق الكبير والتقدم الملموس الذى حققته هذه المجلة . ان مجلتكم اصبحت تقوم مقام السفير المتنقل بين اجزاء وطننا العربى الكبير وكم انا شغوف بقراءة ما ينشر فيها من معلومات ومقالات وقصص وما تقدموه من استطلاعات مصورة ولقد عرفت من خلالها الكثير عن وطننا العربى الكبير ، فهنيئا لكم بهذا التقدم والى الأمام دائما .

عبد الله ناصر عمير
جمهورية اليمن الجنوبية

العلم .. العلم

● نرجو الاكثار من الموضوعات العلمية .. اننى اعلم أن طلبى هذا ليس بجديد عليكم ، فانا اقرا فى العربى العديد من الرسائل من قراء يرجون مزيدا من العلم ، وانا بدورى أضم صوتى الى صوتهم .. لقد لاحظت مؤخرا اهتماما اكثر من استاذنا الكبير الدكتور أحمد زكى بارضاء هذه النزعة الى العلم بين القراء ، وانا أقول : « لم نشبع ، ونريد المزيد » ، كما نرجو ان نقرا فى علم الجيولوجيا ، استمرارا لمقال رئيس التحرير فى العدد رقم ١٦١ عن الجبال .

كريم ديب ــ طنطا ــ مصر

صفحات بيضاء في العربى

● وصلنى العدد ١٥٨ الذى صدر فى يناير من عام ١٩٧٢ م من العربى ، تلك المجلة التى نترقبها كل شهر بفارغ من الصبر وكعادتى امسكت بالمجلة ، وشرعت فى تقليب صفحاتها .. ولكننى وللأسف فوجئت ببعض صفحات استطلاع سيرة الرسول بين مكة والمدينة ، بيضاء . ان هذا لم يقلل من اهميتها ولم يحط من قدرها عندى ولكنه جعلنى افكر واحتار لهذه المفاجأة التى لم اتوقعها .

على صالح حبشى
المملكة العربية السعودية ــ بليشة

قصائد سبق نشرها

● اننا نقرأ بشوق ما تنشره المجلة من قصائد شعرية - لكن مع الأسف في هذين العددين الاخرين ١٥٧ و١٥٨ حملت لنا المجلة بعض القصائد التى سبق نشرها في بعض المجلات ، فقصيدة رسالة الى ولدى - نشرتها مجلة « دعوة الحق » المغربية للشاعر العربى خليل الهنداوى ، بالعدد الثامن في أكتوبر سنة ١٩٧١، وقصيدة اخرى للشاعر راضي صدوق التى عنوانها في مجلة العربى - طائر حط على قلبى وغنى - سبق نشرها في مجلة « هنا لندن » تحت عنوان - الحب - مع شيء من التغيير فهل يجوز اعادة ما نشر ؟ واذا كان الأمر كذلك فاعيدوا ما نشرتم في الأعداد الاولى من العربى ، تلك التى افتقدناها.

العلاوى عمر

مراكش - المغرب

العربى : هذه المسألة معضلة ، وهى تبعة تقع على صاحب المقال، فليس عند محرر العربي من الوقت الذى يجمع فيه كل مجلات العالم ليفتش فيها ، ليتأكد من المقال الذى بين يديه ، نشر أم لم ينشر .

العربي الصغير ، والموضوعات العلمية

● أود ان اقترح فكرة خطرت ببالي منذ فترة طويلة . فلقد لاحظت ان نشرة العربي الصغير الملحقة مع كل عدد تركز على القصص الكلاسيكية واساطير المغامرات وفكاهات جحا اكثر من المواضيع العلمية الاخرى .

ولا اخالكم تجهلون ما للمواضيع العلمية المبسطة من اهمية في تنشئة جيل عربي جديد يعيش واقعه ويواكب حضارة القرن منذ الصغر .

لماذا لا تركزون على مواضيع تتعلق بالفضاء وقصص واقعية عن حياة المخترعين العظماء ؟ .

ان مجلتكم القراء بحجم توزيعها الكثيف يمكن ان تكون ذات اهمية قصوى في هذا المجال . واذا كان الجيل الماضي قد افتقد الثقافة العلمية والتكنولوجية فلعل الفرص المتوفرة لجيلنا والجيل القادم هي افضل بكثير من اسلافهم .

لقد حان الوقت لكي ننطلق الى عصر النهضة العلمية والثقافية الحقيقية وستكون ثقافة الجيل الجديد هي نقطة البداية .

حسين محمد خليل

كراتشي/باكستان

عتاب الى (العربى)

قد كنت من زمن بعثت لكم ... شعرا . . فواشعرى ، ويا ندمى !
القيتموه جانبا ، وعلى ... شفتى آثار من الألم
حتى غدت نفسى تسائلنى : ... أترد لى ما خطه قلمى ؟
لو كنت أدرك ما (سيرزؤه) ... شعرى من الاهمال والصمم
لبقيت طول العمر أدفنه ... ما بين أوراقى بلا ندم . .

عبد الله الحلو/سوريا

العربى : تلقينا هذه الرسالة الشعرية الطريفة التى يعتب علينا كاتبها اننا اهملنا شعره ، ونحب أن يكون واضحا اننا نرحب بكل شعر جيد لذاته ، وقد فات الكاتب انه كتب البيت الخامس ، هكذا « لو كنت أدرك ماسيلقاه » وقد آثرنا تقويمه بوضعنا (سيرزؤه) مكان (سيلقاه) لتفادى الخلل في وزن البيت ولزيادة ابراز المعنى . ونرجو أن يذكر شبابنا وغيرهم ممن يتطلعون الى النبوغ في الشعر ان الشعر يحتاج الى استعداد فطرى أولا ثم ثقافة أدبية واسعة ودربة واعية طويلة ، ورحم الله راجزنا القديم اذ قال :

« الشعر صعب وطويل سلمه ... اذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه
زلت به الى الحضيض قدمه ... يريد أن يعربه ، فيعجمه »

■■

بين ... التخصص والتعميم في ... الدراسات

بقلم رئيس التحرير

■ في عام ١٩٤٦ زرت الولايات المتحدة، بوصفي مديراً لمجلس مصر للبحوث العلمية ، الذى كان يسمى عندئذ مجلس فؤاد الاول للبحوث ، والذى صار بعد أن تركته المركز القومى للبحوث فى القاهرة . وكنا فرغنا من ابنية مختبرات المجلس اوكدنا ، ووجب ان نتعرف على آخر السبل لادارة البحوث فى اممها المتقدمة . وكان منها الولايات المتحدة .

وبقيت فى ذلك العام بالولايات اشهراً، زرت فيها فوق العشرة من مختبرات البحوث فى فوق العشرة من المدن الأمريكية والجامعات . وزرت كندا .

درس فى الادب الانجليزى فى كلية الهندسة

وكنت يوما فى زيارة جامعة من جامعات الولايات الكبرى ، وصحبنى عميد كلية الهندسة فيها لزيارة كليته . ومررنا بقاعة للمحاضرات قال لى ان بها طلبة الهندسة فى آخر سنواتهم الدراسية ، وان الدرس القائم كان فى الأدب الانجليزى . وحسبت ان اذنى خذلتنى فلم أحسن سمعا ، فعدت أستفسر ، فقال نعم انه درس فى الأدب الانجليزى .

ولما احس بعجبى ان يكون درس فى الأدب الانجليزى يعطى لطلبة هندسة ،

الجامعية

وعجبي فوق ذلك ان يكون هذا الدرس فى السنة النهائية حيث يشتد التركز على مادة التخصص ومواده ، راح يقول لى ان هذه الخطة جديدة فى سياسة هذه الجامعة ، ان تلقح علوم الهندسة القاسية بطراوة من العلوم الانسانية الأخرى كالأدب والفلسفة والاجتماع ، حتى لا يخرج المهندس وهو لا يعلم من دنياه غير الهندسة علما ، وغير الهندسة مهنة، وتؤثر المهنة على مدى السنين فى خلق المهندس ، وفى طباعه ، فيصبح كادوات الرسم التى هى وسائل عمله جفافا وجمودا، أو كالمكنات التى يديرها تجرى وليس لها فطنة ولا وعى ، فتهرس ولا تعلم انها هرست . شىء آخر غير الهندسة ، لا بد منه ، مما يحرك الفكر، أو يحرك العاطفة ، وهو فوق ذلك يقيم جسرا بين المهندس المتهن وغيره من أصحاب المهن الاخرى ، حتى تكون مواصلة بين اهل المهن جميعا ، وهى مواصلة لا بد منها لقيام المجتمع، لاسيما فى عصر زاد فيه التخصص زيادة بالغة، فزاد الانعزال بين الطوائف ، وزاد الشعور بالغربة بين المواطنين فى البلد الواحد .

كانت هذه اول مرة ادرك فيها وجود هذه الحركة التربوية الجديدة فى الولايات .

حركة جديدة ، وما هى بجديدة

واقول الجديدة وما هى بجديدة .

فالقدماء من الاغريق ، كي يفهموا الدنيا بتمامها ويفهموا الكون ، لم يقتصروا على علم واحد. فهذا «ارسطو» جمع الى الفلسفة صنوفا من العلم اخرى ، حتى علم الحيوان صنف فيه. وكان له في أكثر وجوه المعرفة آراء حملتها الينا القرون .

واسلافنا نحن ، من عرب ومن مسلمين ، جمع أقطابها اطرافا شتى من العلوم . كان الرجل منهم فقيها ومحدثا وصاحب فلسفة ، وله من علم الأرض طرف ، ومن الموسيقى طرف . واذا طلبت الامثال وجدتها في الطبيب «الرازي» وفي الفيلسوف «ابن سينا». وقد وصفت هذا بالطبيب وذاك بالفيلسوف تنبيها على العلم الذي كان لهما فيه أكبر حظ . واذا انا جئت الى «ابن رشد» ساورتني الحيرة في وصفه بالعلم الذي كان له حظ فيه كبير ، فقد كان فقيها ، وكان في الفلسفة قطبا اخذت بتصانيفه فيها أوروبا قرونا كثيرة .

ومن الأدباء «الجاحظ» وكان له علم بأطراف من المعرفة شتى ، حتى أنه كتب في الحيوان كتابه الشهير الذي لا يزال بين أيدينا الى اليوم .

وأولاد «زهر» ، في الأندلس ، منهم من جمع بين الطب في أشق مسالكه، وبين الشعر في أروع مجاليه ، ولولا اني أكتب هذه الكلمة وأنا على بعد الفي ميل من مراجعي بمقر «العربي» لجئت بأمثلة مما جادت به قريحة «ابن زهر» الحفيد ، وهي من أرق ما جادت به قرائح العرب شعرا ، ومن أصفى ما صدحت به حناجر النساء غناء .

والحركة كانت موضوع نزاع في أوربا قديم

والنزاع ، فيما تأخذ من العلوم ومن فروع المعرفة عامة ، وما تدع ، نزاع في أوروبا قديم وله تاريخ معروف .

ففي عصر النهضة

فعندما ارتفع عن اوروبا ظلام القرون الوسطى ، ودخلت الى أهلها علوم أهل بيزنطة من الشرق بفتح الاتراك القسطنطينية ، ودخلت اليهم علوم العرب من الشرق والجنوب عن طريق الاندلس وصقلية وايطاليا ، عبثوا من هذه الناحية ومن تلك عبا ، وبدأ فيهم العصر الذي أسميناه من بعدهم عصر النهضة . وحلت اللغة الاغريقية واللغة اللاتينية في أهل اوروبا محلا ممتازا ، وكذلك حلت العلوم الكلاسيكية ، علوم الاغريق وعلم الرومان محل الصدارة في التعليم . وكذلك حلت علوم العرب. وعلمهم الطب فيما علم «أبو زكريا الرازي» ، الى جانب «جالينوس» . وعلمهم الفلسفة فيمن علم «ابن رشد»، الى جانب «أرسطو» ، بل لقد كان «ابن رشد» هو الوصلة الكبرى بينهم وبين «ارسطاليس» عميد الفلسفة الاغريقية .

ابو بكر الرازي جمع بين الطب وغيره من العلوم الانسانية .





كان ابن رشد للمسلمين فقيها بارعا ، وكان لمسيحيى اوروبا فيلسوفا عظيما ، وشارحا لارسطو ، وظل هكذا قرونا حتى شجبت اوروبا علم القدماء .

ثورة على علم العرب والاغريق

وجرى الزمان جريا حثيثا ، ولكن جرى فى العلوم جريا وئيدا ، حتى مل الناس النقل دون الابتداع والتقليد دون الاختراع ، حتى لقام عميدهم ، بل عميد طبهم فيساليوس Vesalius ، يهاجم مصادر العلم القديم ورجالاته ، وحفز طلبة جامعته فقاموا فى فناء جامعتهم ، فكوموا فى ارضه كل كتاب علم كان لديهم قديم ، من علوم الاغريق وعلوم العرب على السواء ، وعلى صيحة استاذهم اشعلوا النار فى هذه الكتب جميعا اعلانا منهم انهم صاروا لا يدينون من المعرفة الا بكل جديد .

وكان فيساليوس ، بالرغم من جنته هذه ، من أوائل الباحثين فى علم التشريح فى أوروبا ، ودعوته كانت : « أيها السادة ، ان علم التشريح اختبأ فى أجسام البشر ، لا فى صحائف كتب القدماء فاكشفوا عن خبايا هذا العلم بشق هذه الاجسام » . وكان الدين لا يبيح هذا التشريح .

وفى عصر التنور

ويمضى الزمان مرة اخرى حثيثا .

ويأتى على اوروبا ذلك العصر الذى اسموه ، بل اسميناه من بعدهم ، عصر التنور . وهو كاد ان يكون امتدادا لعهد فيساليوس الذى مضى . وكان من اكثر العوامل احياء لهذا العصر تلك الزمرة الشهيرة من فلاسفة فرنسا التى عاشت فى القرن الثامن عشر ، والتى صنعت الموسوعة الفرنسية القديمة ، اى الانسيكلوبيديا ، والتى مهدت للثورة الفرنسية أن تكون فى عام ١٧٨٩ .. من هؤلاء الفلاسفة ديدروه Diderot ، ومنهم جان جاك روسو ، ومنهم فلتير . وكان العهد العلمى الحديث قد بدأ فى اوروبا وترعرع . وسبق الى رعرعته جاليليو Galeleo الايطالى واسحق نيوتن Isaac Newton ؛ الانجليزى . وكتب فلتير فى ايامه عن نيوتن وما صنع .

وعهد التنور هذا ، او عهد التنوير دعا الى الرجوع الى الطبيعة ، والى العلوم الطبيعية ، والميل عن العلوم الانسانية القديمة ، والآداب والفنون الى حقائق الوجود كما يكشفها بصر الباحثين فى ذلك الزمان .

وجاءت الثورة الفرنسية فتوجت هذا العصر .

ومع الثورة الفرنسية ، وقبل الثورة الفرنسية ، كانت بدات الثورة الصناعية .

وبتقدم الروح العلمية، وبتقدم الثورة الصناعية غلا الاقوام فى معارضة هذا النهج القديم .

ثم الحركة الرومانسية

ثم ما جاء القرن التالى ، القرن التاسع عشر ، حتى نشأت حركة فى أوروبا معاكسة لعهد التنور هذا ، هى الحركة التى اسموها بالحركة الرومانسية .

ومنهم من اسماها بالثورة الرومانسية .

وهى ثورة تدعو على عكس ما دعت اليه سابقتها . فهى اخذت تدعو الى العودة الى دراسة الماضى، الماضى البعيد، الماضى الغريب العجيب ، ذلك الذى دعاه من سبقوهم بغير المعقول. وسخرت هذه الثورة بأساليب عصر التنور، وبالتنور نفسه . وفى تحمسها ضد ما زعم الذين سبقوهم بانه المعقول وانه النافع، رحبت هذه الحركة الجديدة بكل ما انطلق اليه الخيال الانسانى فى حريته ، وما انطلقت اليه العاطفة حتى فى جموحها. وكرهت تلك النظرة الباردة التى تنظرها العلوم الطبيعية الى حقائق هذا الوجود ، تلك التى سدت على الانسان نوافذ كان ينظر منها الى اعماق نفسه ، فيرى فيها ما يضطرب فى اعماق هذه النفس من شجون، وما يتخلق فيها من آمال ، تتصل بماضيه الذى كان ، وبحاضره الذى هو كائن ، وبغده الذى سوف يكون . حتى الشذوذ ، وحتى القبح ، حلا كلاهما فى اعين أهل هذه الحركة ما دام انه كان ناتجا عن احتياج نفسى صادق .

ورحبت هذه الحركة الرومانسية بما كانت شجبته حركة التنور . فهى دعت بالرجوع الى مصادر الآداب القديمة الرفيعة الجميلة ، والى كل علم انسانى يصف مخلوقات الله على هذه الارض ،



فلتير ، ، الكاتب الفرنسي الكبير ، عاصر عهد التنور ، وكان فيه سابقا ، والى العلم داعيا ، وكتب كتابا عن العالم اسحق نيوتن وما صنع فى العلم .

كيف يصبحون ، وكيف يمسون. وكذلك كيف أصبحوا وكيف امسوا فى سالف القرون . والفلسفة فتحوا صفحاتها من جديد . والفنون الفنون ، تلك التى خالوا ان العلماء ، علماء العلوم الطبيعية، علماء عصر التنور ، لم يدركوا ما فيها من جمال ، ومن متعة ، ومن حكمة . نادى الرومانسيون ببعثها بعثا جديدا كاملا شاملا .

حيرة وحرب سجال

ويمضى القرن التاسع عشر ، فتشتد فيه الصناعة ، ومن ورائها العلم الطبيعى يحفزها ، وعندئذ يحار الناس بأى المذهبين يأخذون ، مذهب اهل العلم والصناعة ، واهل التنور كذلك ، بالتركز على الحاضر ، وعلى حقائق العلم فيه ، واسقاط الماضى ، او بمذهب اهل الرومانسية بالتركز على المعارف الانسانية وفيها حرارة الحياة ، واسقاط العلم وحقائقه وفيها برودة الثلوج .

ويأتي القرن الحاضر، القرن العشرون، ذلك الذى عشنا نحن العرب فيه وعاش آباؤنا الحاضرون ، فتجد أثر تلك المعارك القديمة قد حملتها الينا السنوات آخر الدهر .

فطفل هذا القرن كان يدخل المدرسة الابتدائية وفيها التعليم عام لا تخصص فيه . ثم هو يدخل الثانوية ، فستتان منها للتعليم العام : لغة عربية . لغة

اجنبية . تاريخ . جغرافيا . طبيعة . كيمياء ، الى آخر ما هناك مع اختلاف . حتى اذا جاءت السنة الثالثة من التعليم الثانوي وجب على التلميذ ان يختار : اما القسم الادبى ، واما القسم العلمى .

والقسم الأول هو صدى ما كان من دعوة عصر التنور والحركة الرومانسية معا ، على بعد المدى . والقسم الثانى هو ما كان من دعوة عصر التنور والثورة العلمية والصناعية ، على بعد المدى .

ولا ننسى ان التعليم العصرى فى الدول العربية الحديثة ، فى هذا القرن انما كان تقليدا للنظم الموجودة منه فى بلاد اهل الغرب ، ولا سيما انجلترا .

وفى الجامعات

وكما كان الحال فى المدارس الثانوية فى اوائل هذا القرن (وهذا هو ما وصفنا) اطرادا لهذا التخصص الذى سبق . كان الحال فى الجامعات : تخصص فى علوم الجامعات، بل فى الجامعة الواحدة، فهناك كلية الآداب ، وكلية العلوم (الطبيعية) وكلية الهندسة ، وكلية الحقوق ، وكلية الزراعة ، وكلية الطب. وتفرعت من هذه الكليات كليات اخرى بازدياد التخصص . فكلية الطب كانت تشمل الصيدلة، فضاقت بها، ففصلوها عنها . وكلية الحقوق كانت تضم الاقتصاد ، فضاقت به ، ففصلوه عنها . وكان كل هذا نقلا عن اوروبا ، وعلى الأخص انجلترا وكانت عندئذ تحكم من العالم ما تحكم .

ومع تعدد الكليات نستطيع ان نقول ان كلية العلوم وكلية الزراعة والطب والصيدلة والهندسة واضرابا لها يضمها نهج واحد ، هو النهج العلمى . وان نقول ان كلية الآداب والحقوق واضرابا لهما يضمها نهج واحد واسم واحد هو العلوم الانسانية .

القرن العشرون انهي الخصومة القائمة

اذن فالقرن العشرون قد انتهى بالخصومة التاريخية التى كانت بين عصر التنور والحركة الرومانسية ، او على مستوى التعليم بين فروع المعرفة الانسانية وفروعها العلمية الطبيعية ، قد انتهى الى الاقرار بنفع كليهما. فهو جمع بينهما وسن الطلبة طرية ، الى نحو الخامسة عشرة ، اى عمم فاخذ من هذا الجانب ومن هذا ، ثم هو خصص بعد ذلك ، فمواضيع الدراسة اما ادبية انسانية واما علمية طبيعية .

حافزان ، يعمدهما رأيان

وحفز رجال التربية الى ذلك ، على ما احسب ، حافزان ، يعمدهما رايان :

اما **الرأى الأول** فان فروع المعرفة جميعا كانت فى ماضى القرون ذات ضحالة ، ثم ما بلغ بها الانسان الى القرن العشرين حتى كانت ذات اعماق بعيدة ، فأصبحت الأعمار لا تتسع للجمع بين فروع المعرفة جميعا ، او حتى الجمع بين الطائفة الكبيرة منها ، رغم ان الحكمة كل الحكمة ، وفهم الدهر والدنيا ، فهما يكون أقرب ما يكون الى الصواب ، لا يتأتى للانسان الا بالجمع بالنصيب الاكبر من المعرفة والاحاطة بأكثر صنوفها .

اما **الرأى الثانى** فيتعلق بالمهنة وكسب العيش. وهذا يدعو يقينا الى التخصص. فالطبيب لا بد أن يتخصص فيفسح من عمر الطالب مكانا للعلوم الطبية ليس بالقليل. وعالم الفزيا، لا بد أن يتخصص وان يفسح له فى العلوم الفزيائية ما أفسح للطبيب . وكذا الكيماوى وكذا عالم الأرض ، وعالم النبات وعالم الحيوان ، وسائر العلوم الطبيعية وسائر فروعها وهى شتى . وكما يفسح فى العلوم الطبيعية يفسح فى العلوم الانسانية ، من آداب ، ومن تاريخ

وجغرافيا ، ومن فلسفة ومن علم الاجتماع ومن شتيت آخر لم تذكر .

التعميم اذن وجب .

ولكن كذلك التخصص وجب .

ثم رجحت كفة العلوم الطبيعية على الانسانية رجحانا كبيرا

ولكن ما تقدم القرن العشرون حتى غمرت العلوم الطبيعية الارض، وغمرت الناس بمنافعها ، فرجحت كفتها على العلوم الانسانية رجحانا كبيرا .

زاد العلم الطبيعي في الغذاء ، وزاد في الكساء ، وزاد في العمار، وزاد في الثراء. وزاد في وسائل العيش وبحبوحة الحياة زيادة لم يعرفها الانسان قط في تاريخه المكتوب . فاقبل عليه الناس اقبالا .

والعلم الطبيعي فرق بين الأمم ، فبعض قوى يصرخ الصرخة فيهاب ، وبعض ذليل اذا تكلم فالكلمة التي لا تكاد تسمع وهو يقولها بعد أن حسب لها ألف حساب . والسبب ؟ ان العلم الطبيعي أعطى الامم قوة ، وأعطى تاركيه الفقر والذلة .

العلوم الطبيعية صارت كوارث وحروبا

ويستيقظ بعض اهل الفكر في القرن العشرين فيرون أن القرن امتلأ بالعلم ، بالعلم الطبيعي ، امتلاءً خطيرا .

ويستيقظون الى انه امتلأ مع العلم الطبيعي بالكوارث والحروب .

وربطوا العلم بالكوارث والحروب ، وقالوا انها تفتقت عن العقول التي لا قلوب لها . وتعود المقابلة تجري بين العقل والقلب ، أيهما بغى وطغى . وفي مجال التعليم ، يتهمون الجامعات التي تخرج أهل العلم وأهل الصناعة بانها تخرج ناسا من طراز جديد ، هدفه اقتحام الطبيعة هكذا بالقوة ، وافتراس



قال تشرشل يوما : لو كنت محاميا ، ومحاميا فقط ، فانت محام فاشل .

الموانع افتراسا اذا ما عاقت التقدم والسيطرة .

والحب ، والرحمة ، والحنان ، قد يكون لها في قلوبهم مساكن ولكن في الادوار الدنيا ، وهي من أجل ذلك مغلوبة على أمرها . والقيم الانسانية جميعا قد تذكر فيهم ، وتتردد على الألسن عادة كلاما ومنهج قول ، ولكن لا تحسها انفسهم في الصميم فلها المقام الثاني عند بعض ، والثامن والعاشر عند بعض.

واذن قامت الصرخة ، لا سيما في الولايات المتحدة ، تدعو الى تطعيم هذه العقول العلمية الصناعية بشيء من أدب، وشيء من فن ، يلين من عرائكها ، ويرد اليها بعض الاحاسيس الانسانية التي زعموا انها فقدتها .

وكان من ذلك اني عندما زرت الولايات المتحدة ، عام ١٩٤٦ ، مر بي عميد كلية الهندسة بكبيرة من جامعاتها بفصل نهائي يدرس فيه للطلبة ، مع الهندسة ، الأدب الانجليزي ، بل والأدب الغربي عامة ، فدرسوا شكسبير الانجليزي ، ودرسوا دانتي الايطالي ، ودرسوا بركليس اليوناني .

ومضت كبريات جامعات الولايات الخمس او الست في هذا السبيل، لانه يستلزم سعة في النفقة لا تستطيعها الا الكبريات من الجامعات . والولايات بها من الكليات أكثر من الف .

وهذه الصرخة الجديدة شبيهة بتلك الصرخة القديمة التى اسميناها بالرومانسية . كلاهما انذار بخطر التخصص ، وبالتخصص فى علوم العقل خاصة دون علوم القلوب .

دقة بدقة

وقام العلماء ، علماء قوانين الارض وقوانين السماء يتهمون اوباب الدراسات الانسانية بانهم لا يفهمون العلم الطبيعى ولا العلماء ، واذن فهم يطلبون من الادباء ، ومن يتولون شئون التعليم الادبى بصنوفه فى الجامعات، ان يفسحوا فى برامجهم مكانا لفروع العلم الطبيعى ، فهى من فروع المعرفة التى لا تتم الا بها مفاهيم الحياة .

ومفاهيم الحياة التى يكون ارساؤها على قوانين الطبيعة لا يأتيها الباطل من بين يديها او خلفها ، فى حين ان مفاهيم الحياة التى ترسى على غير ذلك تكون هى الظنون وهى الخزعبلات وهى الاراجيف .

أهل الحيدة

ويقوم أهل الحيدة بين بنى الناس بنصرة كلتا الصرختين ، بتطعيم الادباء بالعلم الطبيعى ، وتطعيم علماء الطبيعة بالآداب والفنون . ليس هذا فقط لما فى ذلك من نفع لكليهما ، ولكن لما فيه من تفاهم يتم بينهما . فالعلم الطبيعى والأدب قد شقا الناس شقين ، اذا اجتمع احدهما بالآخر ، فكانما اجتمع غريب من الناس بغريب . ليس بينهما حقل مشترك للمواصلة .

وفى سبيل هذا توسعت الجامعات الكبرى بالولايات فيما يختار طلابها من مجاميع للدراسة الجامعية . فهو اذا اختار الأدب فرعا للدراسة اساسيا استطاع أن يضم اليه فروعا أخرى ، بعضها قريب المساس به ، وبعضها ليس به هذا المساس القريب ، وقد يكون فرعا من فروع العلم الطبيعى . وكذا يفعل الطالب اذا اتخذ الكيمياء فرعا للدراسة أساسيا ، فهو يضم اليه فرعا قريبا وله نسيبا كالفزياء والرياضة وعلم الأرض ، والحيوان أو النبات ، أو أكثر من فرع منها ، مضافا الى ذلك فروع أدبية كالفلسفة أو علم الاجتماع أو نحو ذلك .

هذا فى الولايات المتحدة .

فى بريطانيا

اما فى بريطانيا فقد حاولوا مثل ذلك . ولكن فى بعض الجامعات ، وفى غير مجال كبير ، وذلك علمى الى عام ١٩٧٠ . ومن امثلة ذلك انها جمعت بين العلوم السياسة والاقتصادية . وجمعت بين الادب والتاريخ ، وبين الفزياء والفلسفة . وهى مجاميع يزيد عددها مع السنين . ولكن فى بطء كما عودنا أهل بريطانيا ، فشيمتهم الحذر . وقد قرات لبعض رجال التربية فيهم دراسات وضح منها لكل قارىء خبير بتلك الامور ان المسالة ليست من

قادة الولايات المتحدة لم يصنعوا من الولايات دولة عدل ورحمة وحنان ، ودليل ذلك الشرق الاوسط وفتنام ، وتسال عن دراساتهم فتجد انها انسانية بحتة .



اليسر في يسر الاستجابة الى دعوة عشاء ، لا سيما في تطعيم الدراسات الادبية بالدراسات العلمية الطبيعية . فالعلم كالعمارة ذات العشرة الطوابق وذات العشرين ، ولا يمكن أن يصل طالب الى فهم العلم حق الفهم الا اذا دار على كل هذه الطوابق طابقا من بعد طابق .

توسع في الخلط بين فروع المعرفة في الدراسات الجامعية

ان من ضروب المعرفة ما يمكن ادخاله في زمرة المعارف الانسانية ، ومنها ما يمكن ادخاله في زمرة المعارف العلمية الطبيعية ، ولكن هناك طائفة ، تقف بين الزمرتين ، وهذا ما جعل بعض الجامعات الامريكية ان تتوسع فيما يستطيع الطالب أن يختار من ضروب المعرفة للتحضير لدرجاتها . وهو اختيار لا بد ان يكون له حدود تحددها الجامعات . اعنى تلك الجامعات الامريكية الكبرى ذات الثراء ، وما اقلها ، ذلك ان كل اختيار من نوع جديد يتطلب زيادة في الاساتذة جديدة ، وتدبيرا في نظام الدروس والمختبرات جديدا .

مبعوثون يبشرون بعهد جديد

ولقد أرسل العرب مبعوثيهم الى بلاد الغرب والى الولايات المتحدة في طلب العلم ، ومن العلم التربية وعادوا . وعاد كل متأثرا بالذي وجد في تلك البلاد . وكثير منهم غمرهم الاعجاب بالذي وجدوا ، وكثير منهم صدق اعجابهم ، وكثير منهم بالغ في الاعجاب حتى تعدى حدود الصواب في التنويه بما راى .

ومن هؤلاء قوم درسوا التربية في الولايات المتحدة فعادوا يبشرون بما وجدوا بحسبانه فتحا في عالم التربية عظيما .

ومن هذا الفتح الذي روجوا له ما ذكرنا من تطعيم الدراسات الانسانية بالدراسات العلمية الطبيعية والعكس ، والتوسع الذي كان في الخلط بين الدراسات عامة في بعض الجامعات هناك .

والذي ينساه هؤلاء الفاتحون المبرزون الذين اقتحموا ميادين التربية الحديثة وغيرها ، ان ما خاله أهل بلد انه نافع لهم ، ليس من الضروري أن يخاله أهل بلد آخر نافعا لهم أيضا ، وبهذا القدر الذي وصفوه بانه نصر القرن العشرين .

والبلاد العربية عامة لم تبلغ بعد من التخصص في هذا العلم او ذاك ، ما ينمي في الخريجين من دارسي العلوم الطبيعية انحرافا نحو التعقل الجاف الصارم ، او في الخريجين من دارسي الآداب انحرافا نحو الانعطاف القلبي الذي لا يمنعه من التدهور شيء .

البلاد العربية لا تزال في أول الطريق . والبلاد العربية بها نحو ٧٠ في المائة من أهلها أميون ، فاين نحن من الترف العقلي أو القلبي الذي لا يخطر الا على بال أمة اكتملت فيها الدراسات الجامعية في نواح كثيرة ، وبلغت مستويات عالية ، ووصلت بمعارفها الى القمر وهي تطلب المريخ . وكثرت كذلك أموالها فهي تفيض على أهل الارض بالمعونات التي يرضاها الله أحيانا ، ويرضاها الشيطان أكثر الأحيان ، بما تفيض . والرفه الدراسي المقترح يكلف الدولة أموالا طائلة والدولة العربية يعد فيها الفقراء كثرة ، فقر غذاء وفقر كساء وفقر مسكن ، وفقر رؤوس كثيرة من أهلها لم تتزود بعد بالاقساط الضرورية للحياة الحاضرة من معارف وعلوم .

حرية الطالب فيما يختار

وضربت مثلا لأحد هؤلاء المبشرين بالعهد الجديد لما قد يختاره الطالب الجامعي من دروس : ان يجمع بين علم وظائف الاعضاء ، وعلم الاحتراق الداخلي



الزعيم النازى ، والزعيم الفاشي ، لم يحتاجا الى الدراسات العلمية الطبيعية ليصنعا الخراب الذى صنعاه فى الارض .

للمحركات ، وعلم النفس ، وفن الطبخ . وسالت : هل فى العهد الجديد ان يجمع الانسان بين مثل هذه الدراسات الأربع . وانتظرت الجواب : لا . فاذا الجواب : ولم لا ؟ انها حرية الطالب فيما يختاره لبناء نفسه .

عندئذ خطرت لي قولة الأديبة الفرنسية الشهيرة عندما ساقها رجال الثورة الفرنسية الى حيث يقطع راسها بالجيلوتين :

« ايتها الحرية ، كم باسمك ترتكب الآثام » .

فى صميم البلد الام

وعدت أبحث هذا الموضوع نفسه فى صميم البلد الذى ولد فيه ، اى فى الولايات ، وتحت ما يمكن أن يكون افادة تطعيم العلوم الانسانية بالعلوم الطبيعية ، وتطعيم الطبيعية بالانسانية ، فوجدت انه لم يغد شيئا . فالولايات لم تصبح من أجل ذلك بالبلد الاول فى العدل والرحمة . وفتنام والشرق الاوسط شهيدان على ذلك . والقائمون بشئون الولايات اليوم ليسوا خريجى الدراسات العلمية الطبيعية ، بل هم خريجو الدراسات الانسانية . وعلماء الفزياء وعلماء الكيمياء وعلماء الذرة والفضاء ، لا سبيل لهم الى البيت الابيض الا لمناقشة شىء فى هذه الشئون. وهم الذين شجبوا من فظائع الحروب والحياة ما شجبوا ولم يشجب الادباء .

ضلال كبير

ضلال كبير ان يقال ان أهل العلم الطبيعى أهل الجفاف والقسوة ، وان أهل العلم الانسانى أهل الطراوة والحنان. أصدق من ذلك أن نقول ان أهل العلم الانسانى ومنهم الأدباء هم أهل العاطفة الأشد . والعاطفة قد تكون خيرا ، والعاطفة قد تكون شرا . وهتلر ما كان عالما طبيعيا ، وما كان موسيلينى . كلاهما كان ذا قلب خفاق بمعان تتصل باحوال الانسان دون علوم الارض. وهما صنعا من الخراب ما لم يسبق مثله على سطح هذه الارض .

احمد زكى

مسابقة في السيرة

■ مسابقة هذا العدد مرجعها كلها السيرة النبوية الشريفة والمطلوب منك الاجابة على عشرة أسئلة لكي تفوز باحدى جوائز المسابقة وهذه هي الاسئلة.
(تسهيلا عليك وضعنا أمام كل سؤال ثلاثة اسماء أحدها الجواب الصحيح)

١ ـ ابو طالب عم النبي عليه السلام ، رباه ، ثم ايده حين دعا الى الاسلام ، وقد اشتهر هذا العم بكنيته (ابي طالب) فما اسمه ؟ (عبد مناف ـ عبد اللات ـ عبد الله) .

● ● ●

٢ ـ شاب كان في نحو السابعة عشرة من عمره حين ولاه النبي قيادة جيش ، ولكنه لم يتحرك بجيشه من المدينة لان النبي مرض يومئذ مرض الموت ، وفي اول ايام خلافة ابى بكر ، وبأمر منه ـ توجه هذا القائد حيث اراد النبي ، فذهب وعاد منتصرا ، ما اسمه (عمرو بن العاص ـ ابو عبيدة ـ اسامة بن زيد) .

● ● ●

٣ ـ صحابي كان من السابقين الى الاسلام ، وكان المسلمون يجتمعون في داره مع النبي قبل الجهر بالدعوة ، فما اسمه ؟ (عمر بن الخطاب ـ الأرقم بن ابي الأرقم ـ ابو بكر الصديق) .

● ● ●

٤ ـ صحابي جليل كان النبي يدعوه خاله ، لانه كان من بني زهرة ، الذين منهم آمنة ام النبي ، ما اسم هذا الخال ؟ (الزبير بن العوام ـ سعد ابن ابى وقاص ـ ابو ذر الغفارى) .

● ● ●

٥ ـ شاب كانت سنه نحو ثمانية عشرة عاما حين وجهه النبي الى اليمن قاضيا ومفتيا ومعلما، فما اسمه ؟ (معاذ بن جبل ـ ابو هريرة ـ ابو موسى الأشعرى) .

● ● ●

٦ ـ قبل عقد صلح الحديبية في جوار مكة ، ارسل النبي احد صحابته الى قريش سفيرا ، ليفاوضها في دخول المسلمين وغيرهم ممن كانوا معه حجاجا ، فلما تأخرت عودة هذا السفير ظن المسلمون ان قريشا قتلته فبايعوا النبي (بيعة الرضوان) واخيرا وضع النبي احدى يديه في الاخرى ، وقال « وهذه بيعة .. » مصرحا باسم سفيره الغائب ، فما اسم هذا السفير ؟ (الزبير ابن العوام ـ حمزة بن عبد المطلب ـ عثمان بن عفان) .

● ● ●

٧ ـ زعيم قرشي عارض النبي حين دعا الى الاسلام ، وشكاه الى عمه ابي طالب ليكفه عن الدعوة ، ولكنه كان عطوفا على النبي وسائر المسلمين ، وقد حاول هذا الزعيم منع القتال بين النبي وقريش في موقعة (بدر) فأبت قريش عليه ذلك ، مع انه كان من زعماء جيشها ، ثم كان اول من تقدم لمبارزة المسلمين في بدر مع اخيه وابنه ، فقتل الثلاثة في اول المعركة ، ما اسم هذا الزعيم ؟ (عتبة بن ربيعة ـ الوليد بن المغيرة ـ العاص بن وائل) .

النبوية

٨ ـ هاشم احد اجداد النبي ، لقبوه (هاشما) لانه كان يهشم الثريد لقومه في مكة ويطعمهم في الجدب ، وقد اشتهر بهذا اللقب دون اسمه ، فما اسمه ؟ (زيد ـ عمرو ـ لؤى) .

● ● ●

٩ ـ بعد ان تمت (بيعة العقبة الاولى) بين النبي وبعض الانصار من اهل المدينة ارسل اليها معهم احد صحابته يعلمهم القرآن ، ويبشر هناك بالاسلام ، وعاش حتى كانت موقعة (احد) بجوار المدينة ، فكان فيها حامل لواء المسلمين ، وقد قاتل فيها حتى قتل ، ما اسمه (خالد بن الوليد ـ مصعب بن عمير ـ زيد بن حارثة) .

● ● ●

١٠ ـ كان ابوه من شعراء الجاهلية ، اما هو فكان شاعرا مخضرما ، جاهر في شعره بعداوته للنبي والاسلام فيما كان ينظمه من هجاء ، فلما كان فتح مكة اهدر النبي دمه عقابا له على هجائه ، ثم جاء متخفيا الى النبي فانشده قصيدة اولها « بانت سعاد » مدح فيها النبي وصحابته ، وصارت بعد من اشهر المدائح النبوية ، وقبل النبي اسلامه وتوبته ، فعفا عنه ، وخلع عليه بردته مكافأة له ، ما اسم هذا الشاعر ؟ (حسان ابن ثابت ـ كعب بن زهير ـ عبد الله بن رواحة) .

● ● ●

١١ ـ صحابي من كتاب الوحي ، كان من احفظ الصحابة للقرآن ، ولذلك كان على راس الجماعة التي اشتركت في جمع القرآن ، وكتابته في مصحف ايام ابي بكر ، ثم ايام عثمان ، فما اسم هذا الكاتب ؟ (علي بن ابي طالب ـ زيد بن ثابت ـ معاوية بن ابي سفيان) .

● ● ●

١٢ ـ فارس مشهور ، كان في صف المشركين في موقعة (الخندق) وقد استطاع عبور الخندق على فرسه ، فاذا هو في مواجهة النبي وبعض صحابته الذين كانوا يتولون حراسة الجانب الذى اقتحمه ، وطلب المبارزة مرات حتى خرج اليه علي بن ابي طالب ، فبارزه وقتله ، ومن يومئذ عظمت شهرة « علي » في القتال ، ما اسم الفارس القتيل (عمرو بن معد يكرب ـ امية بن خلف ـ عمرو بن عبد ودّ) .

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :

مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٦٧ »

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٢ .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى **٣٠ دينارا** . الجائزة الثانية **٢٠ دينارا** . الجائزة الثالثة **١٠ دنانير** .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .

■■

كوبون مسابقة
العدد ١٦٧



نَظْـرَةٌ إسْلامِيَّةٌ حَوْلَ :

الكَثافَة السُّكانِيَّة وتَنْظيم

السكان جسم عضوي يعمل على تجديد نفسه بالتناسل والانجاب ، وذلك يقتضي زيادة عددهم او نقصه او بقائه على حاله بحسب ظروف التناسل وعوامل ما يطرأ عليه من اسباب تبقي عليه او تنقصه . وقد لاحظ الباحثون ان معدل نسبة المواليد قد ارتفع في كثير من البلاد . وخاصة النامية والمتخلفة الى حد كبير ، مع انخفاض ملحوظ في نسبة الوفيات نتيجة الوعي الصحي والتقدم العلمي ، وما توصل اليه الانسان من وسائل الحياة ومقاومة الأوبئة والأمراض .

وتلك الزيادة في معدل نسبة المواليد ، وهذا الانخفاض الملحوظ في معدل نسبة الوفيات مما ترتب عليه وجود كثافة سكانية ، ومما يخشى معه من انفجار سكاني مخيف اذ لا تفي معه حاجات الحياة بمطالب مجموع البشر مهما توافرت الجهود وتضافرت القوى على كفايتها ، وعلى الانسان الذي استخلفه الله في الارض ان يعمل فكره ويتبصر امره .

علاج مشكلة النسل المتزايد

ذلك اشكال شغل اذهان المفكرين في العالم ولا سيما المتخصصين منهم لدراسة تلك النواحي وابراز ما فيها من مخاطر ومحاولة وضع حلول لها، وقد حاولت ـ حينما هممت أن أتبين موقف الاسلام من الدعوة الى تنظيم النسل(١) ـ ان اتعرف اتجاهات علماء الاسكان والاجتماع ، فوجدت انهم يحصرون علاج هذه المشكلة في امور ثلاثة رئيسية وهي :

١ ـ استصلاح كل ما يمكن استصلاحه من الاراضي والاستغلال الكامل لما فيها من خيرات ، واستخدام العلم في ذلك الى أبعد حد .

(١) كان ذلك عام ١٩٦٥ وقد اخرجت كتابا في ذلك بعنوان « نظرة الاسلام لتنظيم النسل » ، وكتابا آخر سنة ١٩٧٠ بعنوان (الجنين والاحكام المتعلقة به في الفقه الاسلامي) .

بقلم : الدكتور
محمد سلام مدكور
رئيس قسم الشريعة بكلية حقوق القاهرة
والاستاذ المعار بجامعة الكويت

النَّسْلِ

٢ ـ التهجير من الأقاليم ذات الكثافة السكانية الى الأماكن الاقل كثافة .

٣ ـ الحد من التناسل حتى تكون هناك معادلة سليمة بين سكان الارض وما تنتجه من خيرات .

عمارة الأرض

واذا نظرنا الى هذه الأمور من الزاوية الاسلامية لوجدنا أن عمارة الارض والكدح في استثمارها والتعرف على ما فيها من خيرات يكاد يكون مما علم من الدين بالضرورة ، وقد درج النبى صلوات الله عليه وصحبه الكرام على ذلك المعنى فصاروا يمشون في مناكب الارض التماسا للرزق ومضاعفته تطبيقا لتوجيهات القرآن في مثل قول الله تعالى « هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه .. » .

الهجـــرة

وأما الهجرة الى المناطق ذات الرقعة الواسعة والخصوبة مع القلة في السكان فانه أمر يقـــره الدين ويدعو اليه ما دامت تلك الهجرة لا توقع المهاجرين في عنت ولا حرج ولا تفتنهم في دينهم . والعموم الوارد في قوله تعالى « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه » مشعر بتوسعة الدائرة للمؤمن وعدم الحرج عليه في مفارقة وطنه طلبا للرزق .

الحد من النسل

وأما الأمر الثالث وهو الحد من كثرة التناسل بتوعية الأفراد لينظم كل نسله حسب ظروفـــه وظروف المجتمع الذى يعيش فيه ، فاذا كانت مصلحة الجماعة تستلزم ذلك كان الأخذ به الزم اذ مصلحة الجماعة مقدمة على مصلحة الفــرد ، والضرر الأكبر يدفع بالضرر الادنى ، والتنظيم سنة الحياة فلا دين ولا حياة بغير نظام .فالعبادات قائمة على نظام والمعاملات منظمة وتكوين الأسرة وصلات الافراد فيها يجب أن يقوم على أسس ونظم سليمة .

فالأسرة لا بد أن تقوم على تنظيم سليم حتى يقوم عائلها تجاهها بجميع مسئولياته وتوفير ما يحتاجه افرادها من رعاية وحسن تربية . سواء في ذلك الرعاية المادية بما تحمله من أعباء ، أو الرعاية الروحية والعاطفية وما تتطلبه من طاقة وقدرة وحسن توجيه لصنع المواطن الصالح . وطاقة الأبوين اذا تحملت أكثر من جهدها كان العجز المحقق والفشل والضياع .

والدولة من وراء الأسرة في هذه الطاقة والقدرة، فكلاهما يكمل الآخر في مجال نشاطه في اعـــداد النشء والعناية بتوجيهه واصلاحه ، فضلا عما تلتزم به الدولة من توفير فرص العمل في مجـــال الانتاج لكل فرد ضمن التزاماتها والرسول صلوات الله عليه يقول فيما يروى عنه : « ان الله سائل كل راع عما استرعاه حفظه أم ضيعه » . وهو الذى يقول في الحديث الصحيح « كفى بالمرء اثما ان يضيع من يقوت » ويقول فيما روى عنه « لئن تذر ورثتك اغنياء خير من أن تذرهم فقراء يتكففون الناس » .

والتنظيم يقتضي الحث على التكاثر يوم يكـون الولد طاقة بناءة وقوة تدعم كيان امته ، كمـا يقتضي الحث على الحد من التكاثر عندما تكون الكثرة عبئا ثقيلا على الوالدين او على احدهما وعبئا على الدولة من ورائهما . فهو أمر نسبي يختلف من اقليم الى اقليم ومن عصر الى عصر حسب اختلاف الظروف والاعتبارات .

والتنظيم الذى هو تاجيل الحمل لفترة طالت او قصرت باية وسيلة تحقق ذلك ولا تمنع اصل الصلاحية للحمل مطلقا أمر لم يرد فيه نص قطعى يظهر حكم الله فيه ، وما لم يحكمه نص قطعى من الكتاب او السنة يؤخذ الحكم فيه عن طريق النظر والاجتهاد ، واذا كانت هناك بعض نصوص من السنة تتصل بموضوعنا فانها أخبار آحاد فلا تفيد القطع من ناحية ثبوتها . ومع هذا فهى في جملتها تفيد الجواز لا المنع .

نطفة الرجل وحدها لن تخلق كائنا

وبدء مرحلة التكوين الجنينى هو علوق البويضة الملقحة بجدار الرحم يشير الى ذلك قول الله تعالى في أول آية نزلت من القرآن « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق .. » فنطفة الرجل وحدها لا تحقق كائنا محترما ولا تكون وحدها جنينا ، وكذلك البويضة التى يفرزها مبيض الأنثى لا تكون وحدها جنينا ولا كائنا محترما ، فاتلاف نطفة الرجل وحدها ، واتلاف البويضة غير الملقحة ، لا يكون اعتداء على جنين بحال ، وانما هو القاء لماء مهين ليس له كيان ولا اعتبار. يقول الامام ابو حامد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ « ومبدأ سبب الوجود من حيث وقوع المنى في الرحم لا من حيث الخروج من الاحليل . لان الولد لا يخلق من منى الرجل وحده بل من الزوجين جميعا .. » بل يقول القرطبى المالكى في تفسيره « الجامع لاحكام القرآن » : « ان النطفة ليست بشيء يقينا ولا يتعلق بها حكم اذا القتها المرأة ما لم تستقر في الرحم .. »

وعلى هذا فاتخاذ الوسائل التى تؤجل الحمل وتؤخره ولا تمنع اصل الصلاحية للانجاب امر جائز شرعا ولا يعتبر اعتداء على جنين بحال . وينص البجرمى الشافعى نقلا عن فقهاء الشافعية « ان ما يبطىء الحمل مدة ولا يقطع اصل الصلاحية فلا يحرم بل ان كان لعذر كتربية ولد لم يكره .. » وينقل ابن عابدين الفقيه الحنفى عن فقهاء الحنفية « انه يجوز للمرأة أن تسد فم الرحم منعا من وصول ماء الرجل اليه لاجل منع الحمل » وينقل الرملى الشافعى « أن استعمال الدواء لمنع الحمل قبل انزال المنى حالة الجماع مثلا لا مانع منه » .

وسيلة منع الحمل فى عصر الرسول واقراره لها

كان العزل الجنسي ـ الذى هو الحيلولة دون وصول ماء الرجل الى رحم المرأة بقذفه خارج الرحم عند الاحساس بقرب الاراقة كي لا يحدث التلقيح ـ هذا العزل كان يلجأ اليه العرب وغيرهم قديما لمنع الحمل ، ووقع فعلا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانه سئل عن حكمه من بعض المسلمين . فقد جاء في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه قال : « كنا نعزل على عهد رسول الله والقرآن ينزل .. » وفي صحيح مسلم انه قال : « فبلغ ذلك رسول الله فلم ينهنا » . وهذا الحديث يفيد أن المسلمين في عصر الرسول قارفوا وسيلة العزل لمنع الحمل ، طوال فترة نزول القرآن ، وأن الرسول علم بذلك ، وانه لم يمنع منه ولو كان حراما او مكروها لكان من واجبه أن يمنعهم أو يبين لهم أنه مكروه . فهو اذا مباح.

كما جاء في كتب السنة ان رجلا أتى النبى يستفتيه في شأن جاريته التى يكره أن تحمل منه لحاجته اليها في الخدمة .فقال له : «اعزل عنها ان شئت فانه سيأتيها ما قدر لها » فهو اذن صريح منه صلوات الله عليه في هذا العزل الذى كان يتطلع اليه السائل لمنع الحمل . ومن الواضح أن النبى صلى الله عليه وسلم حينما أشار عليه بالعزل فان ذلك مرجعه انه الوسيلة الوحيدة التى كانوا يعرفونها في ذلك الحين ويألفونها ، لا انها دون غيرها هى الجائزة .

كما روى أحمد وابو داود عن ابى سعيد الخدرى « خرجنا مع رسول الله في غزوة بنى المصطلق واحببنا العزل وسألنا عن ذلك رسول الله . فقال: ما عليكم أن لا تفعلوا فان الله عز وجل كتب ما هو خالق الى يوم القيامة » . وان اقل ما يفيده هذا الحديث ، النص على ان عدم الفعل لا يضر، ولو كان الفعل ضارا ومحظورا لما سكت الرسول عن بيان حكمه للسائل لانه محط السؤال ومناطه. ومقتضى الاسلوب في هذا افادة الاباحة . يقول القرطبى: ان معنى الحديث ليس عليكم أن تتركوا، ونفى الحرج عن جانب يفيد نفيه من الجانب الآخر لانه من اساليب الاباحة التى تفيد استواء جانب الفعل والترك .

كما روى أحمد وابو داود عن ابى سعيد الخدرى قال : قالت اليهود العزل الموءودة الصغرى .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم « كذبت اليهود. ان الله عز وجل لو اراد ان يخلق شيئا لم يستطع أحد أن يصرفه ».. يقول الامام الشوكاني نقلا عن الحافظ : ان رجال هذا الحديث ثقات . وان كلا من الترمذي والنسائي قد اخرجه ايضا.

الحمل في مدة الرضاع

ومما يؤيد القول باباحة العزل باعتباره وسيلة لمنع الحمل مؤقتا ، ويفيد التوجيه الى تنظيم النسل . ما رواه ابو داود عن اسماء بنت يزيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقتلوا أولادكم سرا فان الغيّل - بفتح الغين - يدرك الفارس فيدعثره عن فرسه » . ومعنى الحديث ان مواقعة الزوجة في مدة الرضاع اذا حصل منه حمل أثر ذلك على الرضيع مهما بلغ من الفتوة في حياته . ومقتضى الفقه أنه لا ينبغي وقاع الزوجة مدة الرضاع وقاعا يترتب عليه حمل، وذلك لا يتحقق الا باحد امرين : اما بالامتناع عن الوقاع مطلقا في اشهر الرضاع وقد بين الله تعالى أنها تصل الى حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة . وهذا حرج واعنات يبرأ الشارع منه وخاصة بالنسبة للزوجة التي لا تجد متنفسا مشروعا الا مع هذا الزوج . فلم يبق الا الأمر الآخر وهو أن يحدث الوقاع ويكون معه العزل باعتباره وسيلة لمنع الحمل في هذه الفترة - وفي هذا تنظيم للحمل اذ يكون بين الحمل والآخر قرابة الثلاث سنوات .

لا يعزل عن الحرة الا باذنها

وان المتأمل فيما ورد من الاحاديث والآثار الدالة على جواز العزل باعتباره وسيلة لمنع الحمل ومنها ما روى عن عمر بن الخطاب قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعزل عن الحرة الا باذنها » ليجد نفسه مدفوعا الى القول باباحة اتخاذ العزل وسيلة لمنع الحمل لفترات طالت او قصرت ، ولا سيما اذا وجدت دوافع تدعو الى ذلك واقتضته مصلحة عامة .

وليس هذا فهمنا فقط لهذه الآثار وانما هو ما اتجه اليه الأئمة المجتهدون والفقهاء الاقدمون فيقول الغزالي الشافعي : الصحيح عندنا أن العزل مباح (٢) ، ويقول الشيرازي الشافعي « وان كانت حرة فان كان العزل باذنها جاز لأن الحق لهما وان لم تأذن ففيه وجهان (٣) » .

النيات الباعثة على العزل

بل قال الغزالي : النيات الباعثة على العزل خمسة : وعدة منها استبقاء جمال المرأة وسمنها لدوام التمتع بها ، واستبقاء حياتها خوفا من خطر الطلق وهذا ليس بمنهى عنه ، ومنها الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الاولاد ، والاحتراز من الحاجة الى التعب في الكسب ودخول مداخل السوء وهذا ايضا غير منهى عنه فان قلة الحرج معين على الدين ، ومنها الخوف من الاولاد الاناث لما يعتقد فيهن من المعرّة ، وهذه نية فاسدة .

ويقول ابن القيم الحنبلي (٤) بعد أن أورد الأحاديث المصرحة بالعزل : انها صريحة في جواز العزل ، وان القول بجوازه منسوب الى عشرة من الصحابة . وينص فقهاء المالكية كما في حاشية الدسوقي(٥) على جواز العزل لمنع الحمل واشترطوا اذن الزوجة . وينص فقهاء الحنفية على جواز العزل اتفاقا عندهم باذن الزوجة اذ يقول المرغيناني الحنفي(٦) « ويشترط في العزل عن الزوجة الحرة اذنها » ويعلق على ذلك البابرتي بقوله : وفي هذه المسالة دلالة على جواز العزل . ويقول الكمال بن الهمام : العزل جائز عند عامة العلماء وكرهه بعضهم . والصحيح الجواز ثم نقل عن الفتاوى : ان خاف من الولد السوء في الحرة يسعه العزل بغير رضاها لفساد الزمان فليعتبر مثله من الأعذار مسقطا لاذنها ».

اباحة العزل عن فقهاء الشيعة

وكذلك فان فقهاء الزيدية ، والشيعة الجعفرية والاسماعيلية وفقهاء الاباضية كلهم يتجهون الى اباحة العزل باعتباره وسيلة لمنع الحمل. والخلاف ينحصر في اشتراط اذن الزوجة وعدم اشتراطه فقد جاء في كتاب البحر الزخار(٧) في الفقه الزيدي ان الامام يحيى بن زيد يصرح بجواز العزل لمنع النسل ، وكتب الشيعة الجعفرية(٨) صريحة بأن

---

(٢) احياء علوم الدين جـ٢ ص٥١/٥٢ .

(٣) المهذب جـ ٢ ص ٦٦ ومثله في تحفة الحبيب .

(٤) زاد المعاد جـ ٢ ص ٢٢٢ .

(٥) حاشية الدسوقي والشرح الكبير جـ٢ ص ٢٦٦

(٦) الهداية والعناية وفتح القدير جـ٢ ص ٤٩٤ .

العزل لمنع الحمل مباح بشرط اذن الزوجة ابتداء عند العقد عليها . سواء رضيت بعد ذلك أم ابت» وفي فقه الشيعة الاسماعيلية (٩) أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يعزل عن الحرة الا باذنها .. وعن جعفر بن محمد انه قال : « لا بأس بالعزل عن الحرة باذنها ولا بأس أن يشترط ذلك عند النكاح ، ولا بأس بالعزل من المرضع مخافة أن تعلق فيضر ذلك بالولد .. » وينص فقهاء الاباضية(١٠) على أن العزل يباح للفرار من الولد خشية العيال وادخال الضرر على الرضيع .

ومن هذا العرض يبين أن جمهور المذاهب الاسلامية أباحت العزل الذى هو وسيلة منع التلقيح الذى يتكون منه الحمل . بل أشرنا قبل الى ما قاله الغزالى وغيره من أن العزل للخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الولد ليس بمنهى عنه ، ونذكر هنا ما قاله الامام الشوكانى (١١) : « من أن الامور التى تحمل على العزل منها: الاشفاق على الولد الرضيع خشية الحمل مدة الرضاع ، والفرار من كثرة العيال .. » ونحن نؤيد ما ذهبت اليه هذه الجمهرة من القول باباحة العزل باعتباره وسيلة لمنع الحمل لانه يساير مصالح الناس في مختلف الازمان وهو من يسر الدين وسماحته .

وسائل منع الحمل الحديثة

بينا حكم العزل لمنع الحمل،وواضح أن الكلام عن العزل غير مقصود به العزل لذاته ، وانما باعتباره وسيلة عرفها الناس قديما لمنع الحمل. ليكون ذلك أساسا لبيان حكم منع الحمل مؤقتا بأى وسيلة من الوسائل المستحدثة التى تمنعه مؤقتا دون الحاق ضرر بأحد الزوجين . وذلك عن طريق القياس الذى هو طريق من طرق استنباط الاحكام فيما لا نص فيه .

ولو كان الفقهاء قديما لم يقيسوا شيئا على العزل لعدم معرفة اى طريق آخر لهم يمنع الحمل دون أن يمنع صلاحية الزوجين للانجاب لوسعنا أن نقيس نحن على مسالة العزل ونقول : بجواز استعمال كل ما من شانه ذلك دون أدنى حرج وخاصة أنهم لما أجازوا العزل نص الكثير منهم على أنهم يعزلون لمنع الحمل . فمنع الحمل هو الباعث على العزل ، فلا حرج من سريان جواز منع الحمل بكل ما يمكن منعه مؤقتا دون تأثير على أصل الصلاحية للانجاب ، والا فما الفرق بين العزل باعتباره سببا لذلك وبين وضع حائل يمنع من وصول الحيوان المنوى الذى يفرزه الرجل الى البويضة التى يفرزها مبيض الانثى منعا من التلقيح . سواء أكان هذا الحائل يضعه الرجل أم تضعه المرأة ، ثم ما الفرق بين شيء من هذا وبين استعمال دواء يقطع الطب بعدم تأثيره على الانجاب بمجرد الامتناع عن تعاطيه . فالعلة بين اباحة العزل واباحة هذه الأمور واضحة جدا تقتضي أن يتعد الحكم المقيس عليه الى المقيس لاشتراكهما في هذه العلة .

ومع هذا فان الفقهاء قديما قد تناولوا صورا لمنع الحمل غير العزل واباحوها قياسا على العزل ومن ذلك ما نقله ابن عابدين الفقيه الحنفى(١٢) وهو ما أشرنا اليه قبل « من أنه يجوز للمرأة أن تسد فم الرحم منعا من وصول ماء الرجل اليه لأجل منع الحمل » وهذا ينطبق تماما على الوسيلة المستحدثة « العجلة . البوق » الذى يوضع في فم الرحم ليحول بين وصول الحيوان المنوى الى البويضة وهذا في الواقع نوع من العزل الداخلى. ومثله تماما الوسيلة الأخرى المستحدثة أيضا وهو ما يسمى (بالكبوت) .

كما ينقل (١٣) البجرمى الشافعى عن فقهاء الشافعية « حرمة استعمال ما يقطع الحمل من أصله . أما ما يبطىء الحبل مدة ولا يقطعه من أصله فلا يحرم ، بل ان كان لعذر كتربية ولد لم يكره أيضا .. » ويقول الرملى الشافعى (١٤) : وأما استعمال الرجل او المرأة دواء لمنع الحمل فقد سئل عنه الشيخ عز الدين فقال : « لا يجوز . وعلق على ذلك الشبراملسي الشافعى فقال : هذا لا يزيد عن العزل .. ثم قال : يجوز استعمال الأدوية التى تفتر الشهوة ولا تقطعها » والمفهوم من هذا أن المانعين انما يقصدون بالمنع ما يقطع الحمل من أصله ويمنع الصلاحية للانجاب أبدا .

---

(٧) جـ ٣ ص ٨٠/٨١

(٨) الروضة البهية شرح اللمعة الدمشقية جـ ١ ص ٦٨

(٩) دعائم الاسلام جـ ٢ ص ٢١٠ .

(١٠) كتاب النيل وشرحه جـ ٣ ص ١٢٦/١٢٧ .

(١١) نيل الاوطار جـ ٦ ص ١٩٨ .

(١٣) الاقناع على شرح ابى شجاع جـ ٤ ص ٤٠ .

(١٢) حاشية ابن عابدين جـ ٢ ص ٤١٢ .

(١٤) نهاية المحتاج جـ ٨ ص ٤١٦ .

اما ما يبطئه فقط مع بقاء أصل الصلاحية فليس بمحرم كما هو صريح عبارة البجرمي الشافعي وينقل الرملي عن الزركشي من فقهاء الشافعية بعد أن تكلم عن الاجهاض باستعمال دواء « هذا كله في استعمال الدواء بعد الانزال، فاما استعمال ما يمنع الحمل قبل الانزال حالة الجماع مثلا فلامانع منه».

وعلى هذا فاستعمال حبوب منع الحمل. الذى قرر الأطباء ايجابيته وانه لا يؤثر على الاجهزة التناسلية بحيث اذا امتنعت الزوجة عن تعاطيه لرغبة في الحمل عادت الى طبيعتها الأصلية . جائز شرعا لمن ترغب من الزوجات استعماله بقصد الامتناع عن الحمل . ونستطيع أن نقول : ان كل دواء يتعاطاه الزوج أو الزوجة لمنع الحمل لا مانع منه شرعا ما دام لا يضر بالجسم ولا يؤثر على أصل الصلاحية .

بقى أن نقول ان الشريط اللولبي ايضا يجوز وضعه اذ هو جسم غريب تضعه الطبيبة المختصة في الرحم فيحدث به بعض التقلصات التي لا تمكن البويضة من العلوق والاستقرار بجدار الرحم . فقد قال القرطبي(١٥) : ان النطفة ليست بشيء يقينا ، ولا يتعلق بها حكم اذا القتها المراة ما لم تستقر في الرحم . ، فهى كما لو كانت في صلب الرجل .

والعلوق بجدار الرحم هو في الواقع أول مراحل التكوين الجنيني على ما اشرنا قبل وقد اعتبر الله سبحانه وتعالى ذلك بدء خلق الانسان فقال جل شانه في أول آية من آيات القرآن « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق ».

* * *

والذى نتجه اليه أنه لا حرج في أن يرتب الناس حياتهم ونظامهم على أن يكون التزايد السكاني في نطاق ما تجود به الارض من خيرات ، فاذا ما اثبتت الاحصائيات أن التكاثف السكاني ينذر بتزايد على طاقة الارض حق للبشرية أن تنظر في تنظيم نسلها ، لا أرى أن في ذلك ما يخالف حكم الدين الاسلامى اذ مصالح الناس محل اعتبار الشارع الاسلامى ما دامت لا تخالف نصا مقطوعا به .

على أن نظرة الاسلام للعيال ليست محصورة في اطار الكم العددي فليست الكثرة بهذه الصورة محمودة لديه اذا كانت قيدا يعوق حركة الأسرة والمجتمع ويكبد الأمة عناء الحاجة شان الكثرة في كل شيء ، ان المهم في الاولاد أن يكونوا صالحين نافعين لمجتمعهم ، ولا يكون ذلك الا اذا أحسنت رعايتهم ، وكان في وسع الأبوين التوفر لتربيتهم وتوجيههم ورعايتم الرعاية التى تجعل منهم افرادا يفتخر بهم وطنهم .

فالذرية تكون املا ورجاء حين يرجى خيرها ويؤمن شرها ويكون وجودها مصدر سعادة وقوة للاسرة والأمة وصدق ابن عباس رضي الله عنه اذ يقول : « كثرة العيال احد الفقرين وقلة العيال احد اليسارين » وانظر ما قاله عمرو بن العاص لأهل مصر : « يا معشر الناس اياكم وخلالا اربعا فانها تدعو الى التعب بعد الراحة والى الضيق بعد السعادة والى المذلة بعد العزة . وقد صدرها بقوله : اياكم وكثرة العيال واخفاض الحال وتضييع المال والقيل بعد القال » ، وانظر ما اوصي به الامام ابو حنيفة تلميذه ابا يوسف : لا تتزوج الا بعد أن تعلم أنك تقدر على القيام بجميع حوائج المراة ، واياك أن تشتغل بالنساء قبل تحصيل العلم فيضيع وقتك ويجتمع عليك الولد ويكثر عيالك ، فان كثرة العيال تشوش البال ، والقليل صالح خير من كثير طالح ، والله تعالى يقول : « ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة اعين » والانسان لا تقر عينه بولد لم يستطع أن يحسن رعايته ، والاهل لا يفخرون ولا يتباهون بالولد الفاشل ولا بد ليتمكن الفرد من رعاية ابنه وتوجيهه من أن تكون له القدرة على الرعاية ، وان يكون الأولاد بالقدر الذى تسمح امكانيات الأسرة والدولة برعايتهم ، وخاصة في عصرنا الذى ظهرت فيه النزعة الجماعية وتشابكت فيه المصالح وكثرت فيه الأعباء . والمؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف مصداقا لقول الله تعالى « قل لايستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث » .

وبعد فاننا نلح على الناس أن يضعوا نصب أعينهم أن شريعة الاسلام تقدمية لا تأبى على الناس أن يتلمسوا ما يحقق سعادة مجتمعهم في حدود توجيهات الاسلام . فالحلال بين والحرام بين والحق أحق أن يتبع . وينبغى لكل فرد أن يراعى ما يحقق مصلحة المجتمع . فمصلحة الجماعة مقدمة على مصلحة الفرد . ■■

محمد سلام مدكور

---

(١٥) الجامع لاحكام القرآن جـ ١٢ ص ٨ .

العقاد واللغة العربية

لغتنا بحمد الله اوجز وأغنى
وأفصح، وهى قادرة على
سايرة الزمن فى عصر
هذا، وما يلي من عصور

بقلم : عمر الراكشي

■ المتتبع لكتابات العقاد واقواله فى هذا المجال لا يغيب عنه ما يقرره رحمه الله من انه لا بد من اجيال طويلة تمضى قبل ان ينتهى تطور اللغة العربية الفصحى او اللغة الشاعرة الى هذه التفرقة الدقيقة بين احكام الاعراب ، او بين صيغ المشتقات ، او بين اوزان الجمع والمثنى وجموع الكثرة والقلة التى تدخل فى تركيب الجملة بمعانيها المختلفة وتنفصل بلفظها من الفاظ الاسماء والافعال التى تولدت منها وهى فى بعض اللغات لم تنفصل منها بعد .

ومن هنا يرد العلماء بداية تاريخ اللغة العربية بخصائصها المميزة لها الى القرن الرابع قبل الهجرة . وهذه اللغة على قدمها تتجدد لها مزايا متعددة كلما تقدمت الدراسات الحديثة في العلوم اللسانية والصوتية وبعيدا عن المزايا التى يتغنى بها اصحاب العصبيات القومية .

واول هذه المزايا انها لغة شعرية او لغة شاعرة ، مقبولة في السمع ، يستريح اليها السامع كما يستريح الى النظم ، كما يتلاقى فيها تعبير الحقيقة وتعبير المجاز على نحو لا يعهد له نظير في سائر اللغات .

والعقاد هنا لا يعنى باللغة الشاعرة تلك التى يكثر فيها الشعر والتطور ، لكنه يريد بها انها لغة بنيت على نسق الشعر في اصوله الفنية والموسيقية ، فهى في جملتها فن منظوم منسق الاوزان والاصوات حتى ولو كانت هذه اللغة لغير الشعراء .

حروف الهجاء

فحروف الهجاء في اللغة العربية وهى ثمانية وعشرون ، اوفر عددا في اللغات الاخرى كالروسية مثلا حيث تبلغ عدة حروفها خمسة وثلاثين حرفا ، ولكنها على هذه الزيادة لا تبلغ مبلغ اللغة العربية في الوفاء بالمخارج الصوتية على تقسيماتها الموسيقية ، لان كثيرا من هذه الحروف الزائدة انما هى حركات مختلفة لحرف واحد ، او حرف واحد من مخرج صوتى واحد تتغير قوة الضغط



عليه ، كما يحدث في الباء الخفيفة والباء الثقيلة في اللغات الاجنبية الاخرى . وبمثل هذا الاختلاف في الضغط والاختلاف في الحركة يمكن أن تبلغ حروف الابجدية خمسين وستين ولا تدل على تنويع مفيد لمخارج النطق الانسانى على حسب الملكة الموسيقية الكامنة في استعداده .

وتظل اللغة العربية بعد ذلك أوفر عددا في أصوات المخارج التى لا تلتبس ولا تتكرر بمجرد الضغط عليها ، فليس هناك مخرج صوتى واحد ناقص في الحروف العربية ، حيث تعتمد هذه اللغة على تقسيم الحروف على حسب موقعها من أجهزة النطق .

وعلى هذه الصورة تمتاز اللغة العربية بحروف لا توجد في اللغات الاخرى كالضاد والظاء والعين والقاف والحاء والطاء ، او توجد في غيرها احيانا لكنها ملتبسة مترددة لا تضبط بعلامة واحدة .

ومن هنا استغنت اللغة العربية عن تمثيل الحرف الواحد بحرفين مشتبكين او متلاصقين كما يكتبون الثاء والذال والشين وغيرها في بعض اللغات .

وصدق العقاد في قوله بأن اللغة العربية تستخدم جهاز النطق الحى في الانسان أحسن استخدام ، وليس هناك اداة صوتية ناقصة تحس بها الابجدية العربية ، اذ ليس في الابجديات الاخرى حرف واحد يحوج العربي الى نطق جديد لم يستخدمه ، وكل ما هنالك انه قد يحوجه الى الضغط الالى على بعض الحروف المعهودة وهو ضغط يدل على العجز عن تنويع الاصوات واستخدام أجهزة الحياة الناطقة على أحسن الوجوه .

وغير خاف ان في ترتيب الابجدية العربية على وضعها الاخير تناسبا موسيقيا فنيا بين الحروف المتقاربة لا مثيل له في الابجديات الاعجمية كالباء والتاء والثاء ، والحاء والخاء ، والصاد والضاد ... الى آخره . وهذه هى اللغة الشاعرة في حروفها قبل أن تتألف منها كلمات وقبل ان تتألف من الكلمات تفاعيل ، وقبل أن تتألف من التفاعيل بيوت وبحور .

المفـردات

وحسبنا ان نلاحظ مع العقاد في تركيب المفردات من الحروف ان الوزن هو قوام التفرقة بين اقسام الكلام في اللغة العربية ، وأن اللغات السامية التى تشارك هذه اللغة في قواعد الاشتقاق لم تبلغ مبلغها في ضبط المشتقات بالموازين التى تسرى على جميع اجزائها وتوفق أحسن التوفيق المستطاع بين مبانيها ومعانيها .

فالفرق بين « ينظر وناظر ومنظور ونظير ونظائر ونظارة ومناظرة ومنظار ومنظر » ، وما يتفرع عليها هو الفرق بين افعال وأسماء وصفات وأفراد وجموع ، وهو كله قائم على الفرق بين وزن ووزن .

وأن كلمات « آن وبان وتان وثان وجان وزان وران وفان ومان » توجد في اللغة الانجليزية اتفاقا ومنها الحروف والافعال والاسماء ، وليس بين أوزانها ومعانيها ارتباط على الاطلاق كالارتباط القياسى الذى يوجد في أوزان اللغة العربية .

ومن خصائص هذه اللغة البليغة في تعبيراتها لدى العقاد ان الكلمة الواحدة تحتفظ بدلالتها الشعرية المجازية ودلالتها العلمية الواقعية في وقت واحد بغير لبس بين التعبيرين .

فسليقة اللغة الشاعرة هى التى تجعل السامع العربي يفهم المعنى المقصود على الاثر اذا سمع واصفا يصف حسناء بانها بدر على غصن فوق كثيب ، لان ذهن السامع العربي تعود النفاذ في الصورة الحسنة الى دلالتها النفسية ، فهو لا يرسم في ذهنه قمرا وغصن شجرة وكومة من

الرمل حين يستمع الى تلك العبارة ، ولكنه يفهم من البدر اشراق الوجه ومن الغصن نضرة الشباب ولين الاعطاف ومن الكثيب فراهة الجسم ودلالتها على الصحة وتناسب الاعضاء .

الاعـراب

واذا كان البعض يرى من ناحية ان الاعراب في اللغة العربية اثر من الاثار استخدام الحركة في التعبير عن المعنى وان اللغة العربية تفردت بين لغات العالم بهذه الخاصة الفنية رغم شيوع انواع من الاعراب في بعض اللغات ، فان العقاد يرى ان الاعراب العربي من ناحية اخرى واف مقرر القواعد يعم اقسام الكلام افعالا واسماء وحروفا حيثما وقعت بمعانيها من الجمل والعبارات ، بينما لا يزيد الاعراب في اللغات الاخرى على الحاق طائفة من الاسماء والافعال بعلامات الجمع والافراد او علامات التذكير والتأنيث وما زاد على ذلك فهو مقصور على مواضع محدودة ولا يصاحب كل كلمة ولا كل عبارة كما يصاحب الكلمات العربية حيثما وقعت من عباراتها المفيدة .

فان حركات الاعراب العربية وعلاماته تجرى مجرى الاصوات الموسيقية وتستقر في مواضعها المقدورة على حسب الحركة والسكون في مقاييس النغم والايقاع ، ولها بعد ذلك مزية تجعلها قابلة للتقديم والتأخير في كل وزن من أوزان البحور لان علامات الاعراب تدل على معناها كيفما كان موقعها من الجملة المنظومة فلا يصعب على الشاعر ان يتصرف بها دون أن يتغير معناها .

ولننظر الى بيت (شوقى) الذى يقول فيه :

قطعوا بأيديهم خيوط سيادة
كانت كخيط العنكبوت ضئيلا

ان « ضئيلا » في هذا البيت الذى وصف به (شوقى) سيادة بنى عثمان لتحمد للاعراب العربي تلك الطمأنينة التى تستقر بها في موضعها ، فلا تضطرها « الخيوط » الى الجمع، ولا تضطرها « سيادة » الى التأنيث ، وليس على الشاعر ان يقول : (كانت ضئيلة) ولا أن يقول « قطعوا خيوطا ضالا » ، لأن لسان « الحال » هنا اصدق من لسان المقال .

ولم تكن قواعد الاعراب لتسعد الشاعر هذا الاسعاد في تطويع أوزانه لمعانيه لو انه صاغ البيت بلغة اجنبية ، لأنه لا يظفر في تلك اللغات بالكلمات التى تتساوق فيها أوزان الصرف وأوزان الشعر ، ولكن اللغة العربية تنفرد بسمة الشاعرية لانها جمعت على هذا المثال البديع بين ابواب الاشتقاق وأوزان العروض وحركات الاعراب .

العـروض

ويرى الفقيد رحمه الله أن الشعر في كثير من اللغات قد يلاحظ فيه الايقاع ولا تلاحظ فيه القافية ولا الاوزان ، أما الشعر الذى تلاحظ القافية والوزن وأقسام التفاعيل في جميع بحوره وابياته فهو خاصة من خواص اللغة العربية دون غيرها من لغات العالم أجمع ، ومنها اللغة السامية التى تنتمى اليها لغة الضاد .

والسبب الذى يحمل عليه اختصاص الشعر العربي بفنون الوزن والقافية هو الحداء ، فهو غناء مفرد موقع على نغمة ثابتة وهى حركة الجمل في حالتى الاسراع والابطاء .

ولا بد للغناء المفرد من القافية ، لأنها هى التى تنبه السامع الى المقاطع والنهايات خلافا للغناء المجتمع الذى يشترك فيه الكثيرون فيعرفون من سياقه اين يكون الوقوف واين يكون الاسترسال .

ومن المشاهد أن هذا الفن المطبوع كان قدوة للفنون المصنوعة في نظم الشعر بين أبناء اللغات الآرية كما كان قدوة لهذه الفنون المصنوعة بين أبناء اللغات السامية ، فان شعراء الفرس اقتبسوا أوزان العروض العربية وفضلوها على الاوزان التى اخترعها لهم الموسيقيون ، مع قدم الآلات الموسيقية عندهم وطول العهد بها في حضارتهم قبل الاسلام بعدة قرون .

ويومىء العقاد رحمة الله الى أن شعراء اللغة العبرية اقتبسوا أوزان العروض العربية بعد اتصالهم بالعرب والمغرب ، ولم يكن للعبريين شعر موزون قبل ذلك . كما انتقلت الى العبرية كلمة شعر وحرفت الى (شير) ويسمى كتاب نشيد الانشاد بالعبرية (شير هشيريم) .

ومهما يكن من رأى في نشأة الاعاريض العربية فالحقيقةالتى لا محل فيها لاختلافالآراء أن لغتنا الشاعرة قد انفردت بفن من النظم الشعرى لم تتوافر شرائطه وأدواته لفن النظم في لغة من اللغات .

أوزان الشعر

يؤكد العقاد غفر الله له ان الشعر في اللغة العربية فن مستقل بذاته عن سائر الفنون التى يستند اليها الشعر في كثير من اللغات ، فلا حاجة بالشعر العربي الى ملازمة الايقاع المستعار من الرقص واللعب لأن اوزانه مستقلة بايقاعها الذى يميز اقسامها ، كما لا حاجة به الى مصاحبة الغناء لترتيب اوقاته ، وضبط مواقع المد والسكون في كلماته لأنه مرتب مضبوط في كل جزء من أجزاء الكلمة يجمع بين الحركة والسكون .

فالتركيب الموسيقى أصل من أصول هذه اللغة الشاعرة لاينفصل عن تقسيم مخارجها ولا عن دلالة حركات الكلمات على معانيها ومبانيها بالاعراب او بالاشتقاق .

وهذا هو الذى يسر النظم المطبوع لأصحاب السليقة الشعرية من الناطقين باللغة العربية منذ اقدم عصور الجاهلية الى هذه الأيام بغير حاجة الى علم يدرسه ويستهدى به الناظم .

واذا كان الخليل بين احمد قد أحصى من بحور الشعر خمسة عشر بحرا زاد عليها الاخفش بحرا اسماه المتدارك ، فقد استحدث الشعراء بعد ذلك ضروبا من الاوزان تتسع لاغراض النظم كلها .

وليس بخاف ان القرآن الكريم ليس بشعر ، وليس بقول شاعر ، وان كنا نجد به بعض الآيات التى توافق بعض أوزان البحور منها :

« فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »

توافق وزن البحر الطويل

« انّ قارون كان من قوم موسى »

توافق وزن البحر الخفيف

« فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم »

توافق وزن البحر البسيط

« صلوا عليه وسلموا تسليما »

توافق وزن البحر الكامل

« وتوكل على العزيز الرحيم »

توافق وزن البحر الخفيف

« انهم رجس ومأواهم جهنم »

توافق وزن البحر الرمل

ومما اتفق فيه وزن بيت كامل :

لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون
ومن تزكى فانما
يتزكى لنفسه

ويخزهم وينصركم عليهم
ويشف صدور قوم مؤمنينا

وهذا وامثاله يطرد في كل كلام عربي مرتل فصيح ، ولا يعهد له نظير في اللغات الاخرى ولو كانت من اللغات التى يتقارب فيها الشعر والنثر .

ويخلص لنا من جملة هذه الخصائص في الشعر العربي واللغة العربية ان فن النظم بهذه اللغة فن دقيق كامل الاداة مستغن باوزانه عن سائر الفنون ولكنه ـ على هذا ـ فن مطبوع لاكلفة فيه على قائل ذى قدرة على التعبير له نصيب من الشاعرية والملكة الفنية . ومن هنا يظهر أن الدعوة الى الغاء الاوزان ذات البحور والقوافي في اللغة العربية لا تأتى من جانب سليم ولا تؤدى الى غاية سليمة، فلا يدعو اليها غير واحد من اثنين : عاجز او هادم، عاجز عن النظم الذى استطاعه الشاعر العامى في نظم القصص المطولة كسيرة ابى زيد وغيرها ، او في نظم اغانى الاعراس والمآتم وغيرهما . ولا خير للفن في كلام يقوله من يعجز عن هذا القدر من السليقة الشاعرية ، واحرى به ان يأتى بما عنده في كلام منثور ويترك النظم وشانه بدلا من هدم الفن كله وحرمان اللغة من آثار القادرين عليه .

فان لم يكن نقص الملكة الفنية سبب العجز عن اوزان الشعر العربي والدعوة الى ابطال هذه الاوزان فهو اذن عمل من اعمال الهدم عن سوء نية يتعمده المجاهرون به لتقويض معالم اللغة ومحو آثار الادب وفصم العلاقة الفكرية بين روائع الثقافة العربية في مختلف العصور .

المجاز والشعر

واللغة العربية لغة المجاز ، والمجاز من جاز المكان او جاز به غير معترض ، ويقال هذا جائز عقلا اى غير ممتنع ولا اعتراض عليه .

والمجاز هو الاداة الكبرى من ادوات التعبير الشعرى لأنه تشبيهات واخيلة وصور مستعارة واشارات ترمز الى الحقيقة المجردة بالاشكال المحسوسة وهذه هى العبارة الشعرية في جوهرها الاصيل .

وقد انتقل المجاز في اللغة العربية من الكتابة الهيروغليفية الى الكتابة بالحروف الابجدية .

وفي اللغة الشاعرة توجد كلمات كثيرة بقى لها معناها الحقيقى مع شيوع معناها المجازى على الالسنة حتى ليقع اللبس في ايهما السابق وأيهما اللاحق في الاستعمال .

وتسمى اللغة العربية بلغة المجاز لانها تجاوزت بتعبيرات المجاز حدود الصور المحسوسة الى حدود المعاني المجردة ، فيستمع العربي الى التشبيه فلا يشغل ذهنه باشكاله المحسوسة الا ريثما ينتقل منها الى المقصود من معناه ، فالقمر عنده بهاء ، والزهرة نضارة ، والغصن اعتدال ورشاقة ، والطود وقار وسكينة .

ومن هنا كان الخطأ الذريع الذي يعيبه العقاد على المستشرقين في الحكم على الشعر العربي ، فالغالب عليهم انهم من زمرة الحفاظ يشتغلون بجانب الحفظ في الادب ولا يشتغلون بلباب الادب في لغاتهم ولا في لغات غيرهم ، فهم لا يحسنون الحكم على شاعر من ابناء جلدتهم ، وأحرى بهم الا يحسنوا الحكم على الشعراء من أبناء اللغات التي تخالف لغاتهم في تراكيبها ومصطلحاتها ومن ابناء الامم التي تخالف اممهم في امزجتها وعاداتها، وينظر الكثيرون من المستشرقين الى القصيدة العربية الرائعة فيقفون عند مجازاتها ويشعرون بالركة ، ويحسبونها مقصودة لذاتها فيتقيدون بقشورها اللفظية دون ثمراتها ، ولا يدرون كيف يطرب العربي لهذا الشعر ، ولا يحاول المستشرق منهم ان يرجع بالعجب الى نفسه قبل أن يتهم امة كاملة بضلال الحس وسوء التعبير ، وهي ـ فيما يعلم ـ من الامم التي تفخر بلسانها .

الفصاحة العلمية

وكلنا يعلم ان للامم في تنافسها بالمناقب والمزايا الوان من المفاخر بلغاتها ، فمنها من تفخر بوضوح عباراتها،وعذوبة جرسها ، ومنها التي تفخر بوفرة كلماتها واتساع ثروتها من الفاظ الاسماء والاوصاف والافعال، ومنها التي تفخر بثرائها الادبي وذخيرتها الفنية ، ومنها التي يزعم ابناؤها انهم الناطقون المبينون ومن عداهم لا يبينون عن انفسهم ولا يحسنون فهم البيان من الآخرين .

ولكن الفصاحة العربية في دعوى أهلها مفخرة لا تشبه هذه المفاخر في جملتها ، لأن دليلها العلمي حاضر لا يتعسر العلم به والتثبت منه على ناطق بلسان من الألسنة،ولا حاجة له في هذا الدليل الى غير النطق وحسن الاستماع .

فلا لبس بين مخارج الحروف في اللغة العربية، ولا اهمال لمخرج منها ، ولا حاجة فيها الى تكرار النطق من مخرج واحد ، تتوارد منه الحروف التي لا تتميز بغير التثقيل أو التخفيف .

فليس في اللغة العربية حرف يلتبس بين مخرجين، وليس في النطق العربي مخرج ينطبق فيه حرفان.

فاذا قال قائل ان فصاحة النطق مزية نادرة تمتاز بها اللغة العربية فليست هي دعوى من دعاوى الفخر والانانية ، ولكنها حقيقة يقررها علم وظائف الاعضاء ، لأن جهاز النطق في الانسان وظيفة معروفة ، ولا خفاءبالفرق بين تقسيماته التي تستوفي الأداء وتميز الحروف والمخارج وبين تقسيماته التي تعطل بعض الاداء ويعرض فيها اللبس والتلفيق لما تؤديه ، فان الحكم في ذلك كالحكم على كل أداة ناطقة او عازفة من ادوات الأنغام والأصوات .

لغة التعبير

وليس من الغلو في رايه وصف اللغة المعبرة أن يقال انك تضع معجمها بين يديك فكانك قد وضعت امامك تاريخها ومعالم بيئتها دون أن تدع لمراجع التاريخ والجغرافية غير تفصيلات الاسماء والأيام.

واللغة العربية في طليعة اللغات المعبرة بين لغات العالم الشرقية أو الغربية ، فلا يعرف علماء اللغات في لغة قوم تتراءى لنا صفاتهم وصفات اوطانهم من كلماتهم والفاظهم كما تتراءى لنا اطوار المجتمع العربي في مادة الفاظه ومفرداته في أسلوب الواقع وأسلوب المجاز .

فالمجتمع العربي في قوامه الأصيل انما كان مجتمع رحلة ورعي ، والكلمات التي تدل على معنى الجماعة في لسان العرب فلما تخلو من الاشارة الى الرحلة والرعاية :

فالأمة هي الجماعة التي تؤم مكانا واحدا أو تأتم بقيادة واحدة .

والشعب هو الجماعة التي تتخذ لها شعبة واحدة من الطريق .

والطائفة هي الجماعة التي تطوف معا.والقبيلة هي الجماعة التي تسير الى قبلة مشتركة .

والفصيلة هي الجماعة التي تفارق في مسلك واحد ، والفئة هي الجماعة التي تفيء الى ظل واحد ، والجيل من الناس هم الذين يشتركون في مجال واحد ، والبيئة هي الموطن الذي يبوء اليه أصحابه بعد الرحلة عنه ، والنفر من القوم هم الذين ينفرون معا للقتال أو لغيره ، والقوم في جملتهم هم الذين يقومون قومة واحدة للقتال خاصة .

كذلك الأمر في أسماء الامكنة التى تسكن او يرحل منها واليها ، فالمنزل حيث ينزل الانسان ، والبيت حيث يبيت بالليل .

ومن رأيه أن هنالك كلمات تتشابه في مخارجها بين ابعد اللغات ، لأنها قد نشأت من الحكاية الصوتية التى تنقل الأصوات كما تقع في الآذان ، وقد نفهم من تكرر المادة في امثال هذه الالفاظ انها نشأت في اللغة ، ولم تنقل اليها بعد تداولها في لغة أخرى .

ففى الانجليزية يدل لفظ « كت » على القطع كما يدل عليه لفظ « كاسيه » باللغة الفرنسية ، والمشابهة بين اللفظين وبين « القط » بهذا المعنى في اللغة العربية ظاهرة للسماع ، فالقاف والطاء وما يثلثهما في لغتنا شائعة الدلالة على القطع بأنواعه ومنها قطب وفطر وقطف وقطم ، ويلحق بهذه الملاحظة أن القاف والتاء والقاف والدال والقاف والصاد تؤدى قريبا من هذا المعنى ، فلا وجه للقول بالاستعارة في امثال هذه الالفاظ ، ومادة القاف والميم وما يتوسطهما مطردة في الدلالة على الشق والقطع ، ومنها قحم وقدم وقسم وقصم وقضم وقطم وقلم .

الزمن في اللغة العربية

يظهر ارتقاء اللغة ــ في رأى العقاد بحق ــ من علامات الزمن في أفعالها ، وقد اتهمت اللغة العربية بأنها لغة نشأت على الصحراء خاوية لا قيمة للوقت عند أهلها ، فلا جرم أن تخلو من التوقيت الدقيق في تمييز الأفعال والأحداث .

ولكنه وهم لا يثبت على نظرة محققة في التاريخ ولا في اللغة ، فلم تشتمل لغة من اللغات على وسائل التمييز بين الأوقات كما اشتملت عليها اللغة العربية سواء نظرنا الى ضرورات المكان أو نظرنا الى تصريف افعالها وكلماتها .

ولهذا وجدت كلمات البكرة والضحى او الغدوة والظهيرة والقائلة والعصر والأصيل والمغرب والعشاء والهزيع الاول من الليل والهزيع الأوسط والموهن والسحر والفجر والشروق والاصباح ، ويكاد التقسيم على هذا النحو أن ينحصر بالساعات بينما تبرز صعوبة التفرقة بين هذه الاوقات في كثير من اللغات الاخرى بغير الجمل أو التراكيب.

ولهذا وجدت ثلاثة أسماء مختلفة للدلالة على الدورة للشمس، فهى سنة وهى عام وهى حول ،بل وجدت للاوقات كلمات مختلفة على حسب الطول والقصر في المدة : فالمدة شاملة لجميع المقادير من الزمن ، واللحظة واللمحة للوقت القصير ، والبرهة والردح للوقت الطويل ، والفترة للمدة المعترضة بين وقتين ، والحين للزمن المقصود المعين ، والعهد للزمن المعهود المقترن بمناسباته ، والزمن للدلالة على جنس الوقت كيفما كان ، والدهر للمدة المحيطة بجميع الأزمنة والعهود والأحيان .

وسبب الاهتمام بالزمن في اللغة العربية انه كماض وكحاضر يحظى بأهمية لدى أبناء البادية العربية في كل عهد من عهوده ، لأنه مستودع المفاخر والأنساب والثارات والسوابق والذكريات.

ويعزز هذا الاحساس بالزمن في اللغة العربية صيغ الأفعال واشتقاقاتها فهى من وجهة نظر « الاجرومية » ادل على التطور والارتقاء من لغات أخرى تحسب في طليعة اللغات دقة واداء للمعاني الذهنية . فمن علامات التطور في اللغة الشاعرة ان الفعل الماضي فيها هو الأصل ، ويأتى الفعل المضارع بالتصريف . وفي لغات أخرى من ارقى اللغات يشيع استعمال المضارع أولا ، ويأخذون منه الماضي باضافة حرف أو مقطع أو بتغيير الصيغة .

ومن علامات التطور عنده أفعال الدعاء والرجاء فانها في اللغة الشاعرة غاية في الدقة ، تحسب من قبيل التمييز المنطقى أو الفلسفى في هذا الباب ، فالمعنى غالب على اللفظ في افعال الدعاء والرجاء في قول القائل (صحبتك السلامة) و (حفظك الله) و (رعاك الله) ، ومن آية القصد في اللغة الا يحتاج الفعل هنا الى النقل من صيغة الماضي الى صيغة الحاضر ، لأن المعنى بالبداهة معلق بالاستقبال وفي بقائه على صيغة الماضي ما يشعر بقوة الأمل في الاستجابة ، ومع ذلك فلا يمتنع على قائله أن ينقله الى صيغة المضارع اذا شاء .

ويخلص العقاد أثابه الله من ذلك كله الى أن لغتنا بحمد الله أوجز وأغنى وأفصح ، وأنها لغة الزمن لأنها تحسن التعبير عنه ، ولغة الزمن لأنها قادرة على مسايرة الزمن في عصرنا هذا وفيما يلي من عصور .

عمر الراكشي



المَعِدَة تَهضِم اللّحم وَالمَعِدَة مِنْ لَحم

فَلِمَ لاتَهضِم المَعِدَة نَفسَها

■ نحن نعلم ان المعدة ، عندما يدخل اليها الطعام ، تنشط غدد فى جدرانها ، فتصب فيها عصارة هضمية تقوم بهضم الطعام ، او تقوم بالمرحلة الأولى من هضمه . وهذه العصارة شديدة الحموضة . والناس تشكو عسر الهضم ، فتشكو حموضة المعدة .

ولقد خطر لعالم فرنسي ، وكانت له اكثر من وجهة فى العلم ، خاطر لعله كان غريبا عند ذلك :

هذه المعدة تصب الحامض لتهضم اللحم المأكول ،

والمعدة نفسها من لحم ،

واذن فلم ، وكيف لا تهضم المعدة نفسها ؟

العصارة الهضمية تهضم اللحم

واذ قد الح عليه هذا الخاطر قام فأتى بعصارة هاضمة من معدة ، ووضع فيها لحم معدة ، فثبت له ان هذا اللحم الذى وضعه ينهضم .

عاش هذا الرجل ، وهو رومير Rene - Antoine- Ferchaut du - Reaumur ، من عام ١٦٨٣ الى عام ١٧٥٧ ميلادية . وهو صاحب الترمومتر الذى يحمل الى اليوم اسمه ، وهو يقسم المسافة بين درجة تجمد الماء ودرجة غليانه على هذا الترمومتر الى ٨٠ درجة ، بينما هى تنقسم على الترمومتر المئوى الى ١٠٠ درجة .

وما شاع خبر هذه التجربة حتى استيقظ الناس لهذه الفكرة : لم لا تهضم المعدة عصارتها .

عصارة المعدة

ان عصارة المعدة ، عندما تخرج من جدرانها ، تحتوى فيما تحتوى على حامض من الأحماض العضوية القوية ، هو حامض الادروكلوريك Hydrochloric وهو بالتركز الذى يخرج عليه يستطيع

بقلم الدكتور أحمد زكي

ان يذيب الخارصين اى الزنك ، وهو يقتل الخلايا الحية ، ويقتل البكتير وكل ما لوث الطعام او الشراب منها ، وهو يلين الالياف التي بالطعام ، وهو ينشط تكوين الخميرة الهاضمة المعروفة بالبيبسين Pepsin ، يستخرجها من البيبسينوجن Pepsinogen .

حاجز يحمي المعدة من عصارتها

ومع هذا لا تؤثر هذه العصارة بالتلف فى جدران المعدة .

والسبب فى ذلك ، كما يراه العلماء اليوم ، هو وجود حاجز كيماوى فزيائي مركب يحول دون مساس هذه العصارة بجدار المعدة . وهو حاجز غير معروف جوهره تماما والى اليوم .

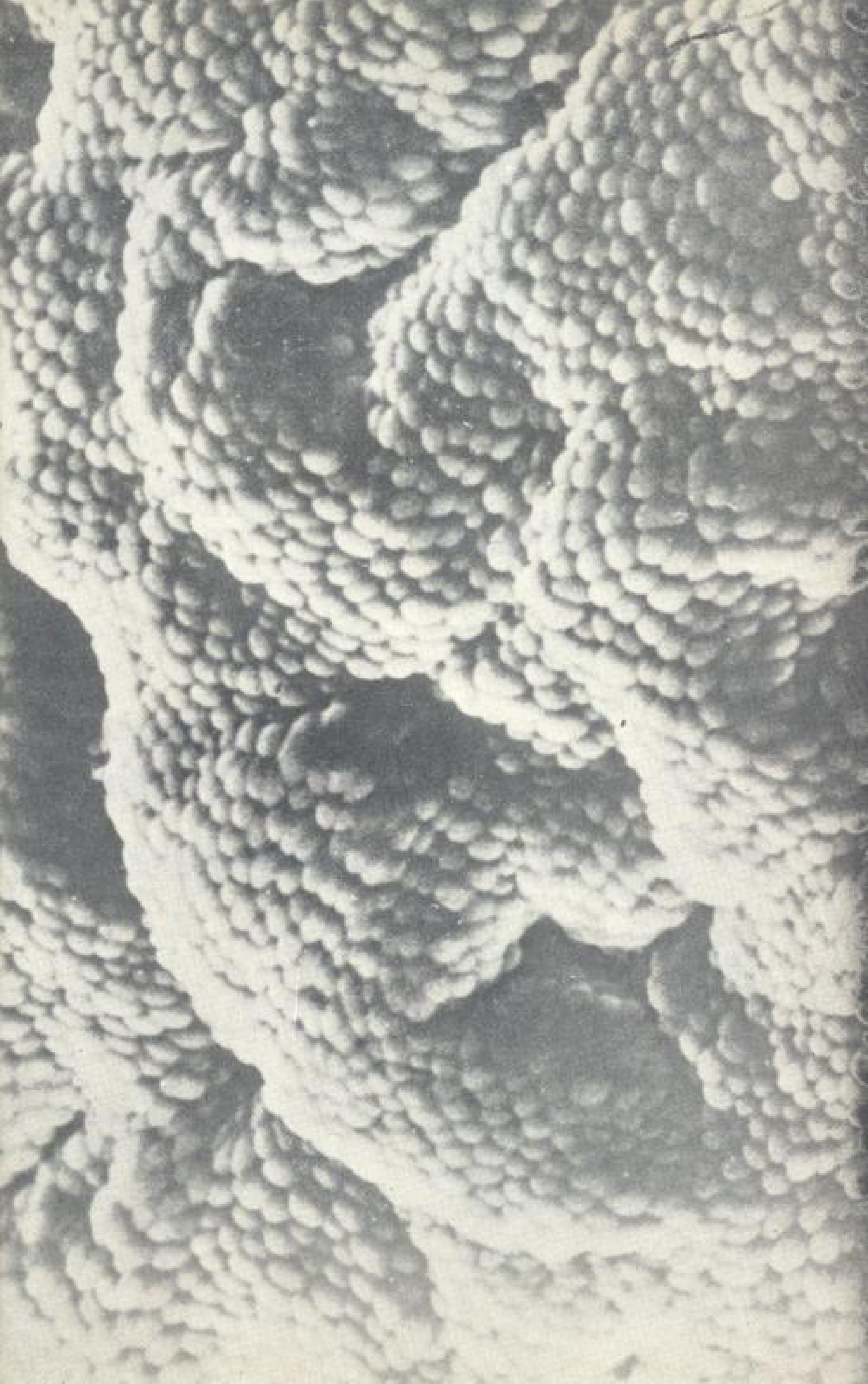
ويمضي علماء اليوم فى بحوثهم ليكشفوا كنه هذا الحاجز .

ولسنا نريد ان ندخل فى تفاصيل التجارب التي قاموا بها . ولكنهم انتهوا ، فرضا ، الى ان سطح الجدران ، جدران المعدة ، مكسو من الداخل بخلايا دهنية هي التي تصنع هذا الحاجز ، بان تحول دون فعل البيبسين وحامض الادروكلوريك فى خلايا الغشاء المخاطي Mucosa الذى يبطن جدران المعدة من الداخل .

واجروا تجارب للتدليل على ذلك فى الكلاب وفى الانسان .

المعدة
وما يجرى فيها عند الهضم

ان الجدران الداخلة للمعدة تتغطى بغطاء ، هو نسيج مخاطي يقوم لها مقام البطانة فى الملابس . وهو يعرف بالنسيج المخاطي الغددى Glandular Mucosa ، نسبة الى ما فيه من غدد تفرز العصارة الهضمية . ومصداقا لذلك نقول ان بهذا النسيج المخاطي توجد الخلايا المعروفة بالحماضة Oxyntic Cells وهي التي تفرز حامض الأدروكلوريك الذى ينصب فى المعدة ويكوّن بعض عصارتها . وبهذا النسيج توجد ايضا تلك الخلايا الاخرى التي تفرز المادة المسماة ببسينوجن Pepsinogen ، تلك المادة التي هي بعض عصارة المعدة ، وهي تمتزج فى المعدة بحامض الادروكلوريك فيحولها الى بيبسين Pepsin . وهي المادة التي تبدأ بهضم البروتين ، مادة اللحم ، التي يحتويها الطعام .



وهذه العصارة تصل الى جوف المعدة عن طريق انابيب صغيرة ضيقة تبدا عميقة فى النسيج المخاطي ، ومن هذه الانابيب تخرج هذه العصارة لتتجمع فى حفر فى هذا النسيج قبل ان تنصب فى المعدة .

ويرى العلماء ان البيبسين بانصبابه هكذا فى جوف المعدة ، فيه خطر على جدرانها . ولكن الخطر الاكبر عندهم انما يرجع الى الحامض ، واذن ومعه البيبسين . وهذا الحامض فى استطاعته العودة الى جدران المعدة التي عنها صدر ، ولكن يمنعه من ذلك الحاجز الذى سبق ذكره ، وهو حاجز مكانه الطبقة السطحية من النسيج المخاطي . وهذا الحاجز الواقي يتالف من خلايا بشرية (نسبة الى البشرة) طويلة لها شكل الاعمدة . وهذه الخلايا ملتصق بعضها ببعض عند رؤوسها ، فهي تمنع مرور شيء عبرها .

الحاجز الواقي

تركز العلماء ببحوثهم على هذا الحاجز الواقي الذى خالوه يمنع مرور الحامض من جوف المعدة الى النسيج المخاطي الذى يبطن المعدة ليفعل به ما يفعل .

واتخذوا من الكلاب وسائل للتجربة . وضعوا فى امعدتها (بل فى جيب عزلوه دون ان يفصلوه عن الأمعدة) سوائل تشبه العصارة الهاضمة تركيبا . وبعد نصف ساعة اخرجوها وحللوها وقدّروا كم فقدت هذه العصارة من حامضها (ومن اشياء اخرى نصرف النظر عنها لتبسيط الأمور) .

ومن امثال هذه التجارب خرجوا على الحال السويّة للمعدة وعصارتها .

ثم وضعوا فى هذه الأمعدة ما خالوا من سوائل اخرى لتفعل بالحاجز الواقى ما تفعل ، ثم حللوا هذه السوائل ليعرفوا ما طرا عليها ، وكذا ما فعلته بالحاجز الواقى .

ومن هذه الأبحاث استدلوا على صفة هذا الحاجز الواقي .

وصنعوا مثل ذلك بالمتطوعين من بني الناس . فوجدوا ان النتيجة واحدة ، فى كل كلب كان او فى انسان .

الصفة التي وجدوها للحاجز الواقي

بدأ العلماء بحوثهم بناء على فكرة اولى .

زعموا اولا ان غشاء الخلايا التي تغطي سطح النسيج المخاطي هي كسائر خلايا الأغشية التي بالجسم من حيث تركيبها وصفاتها . والمعروف عن هذه الخلايا انها تتالف على العموم من كثرة منتظمة من الخلايا الدهنية ، متضامة ، وهي تأذن بأن تمر عبرها جزئيات صغيرة ذائبة فى الماء .

وبعد هذا الزعم ارادوا ان يستوثقوا منه . ان يستوثقوا من ان هذا الحاجز الواقي من خلايا دهنية حقا . وذكروا ان الصابون يزيل الدهن . وذكروا بدائل الصابون Detergents المستخدمة اليوم بكثرة لا سيما فى مكنات الغسيل . فهذه البدائل اذا مست دهنا دخلت معه فى

صورة المعدة

صورة جدران المعدة الداخلية ، وقد اخذت بالمجهر الالكتروني الكاسح، وهي مكبرة تكبيرا طوليا مقداره ٧٠٠ مرة .

تركيب ينشأ عنه مركبات تذوب فى الماء ، وهي من حيث تنظف تعمل عمل الصابون.

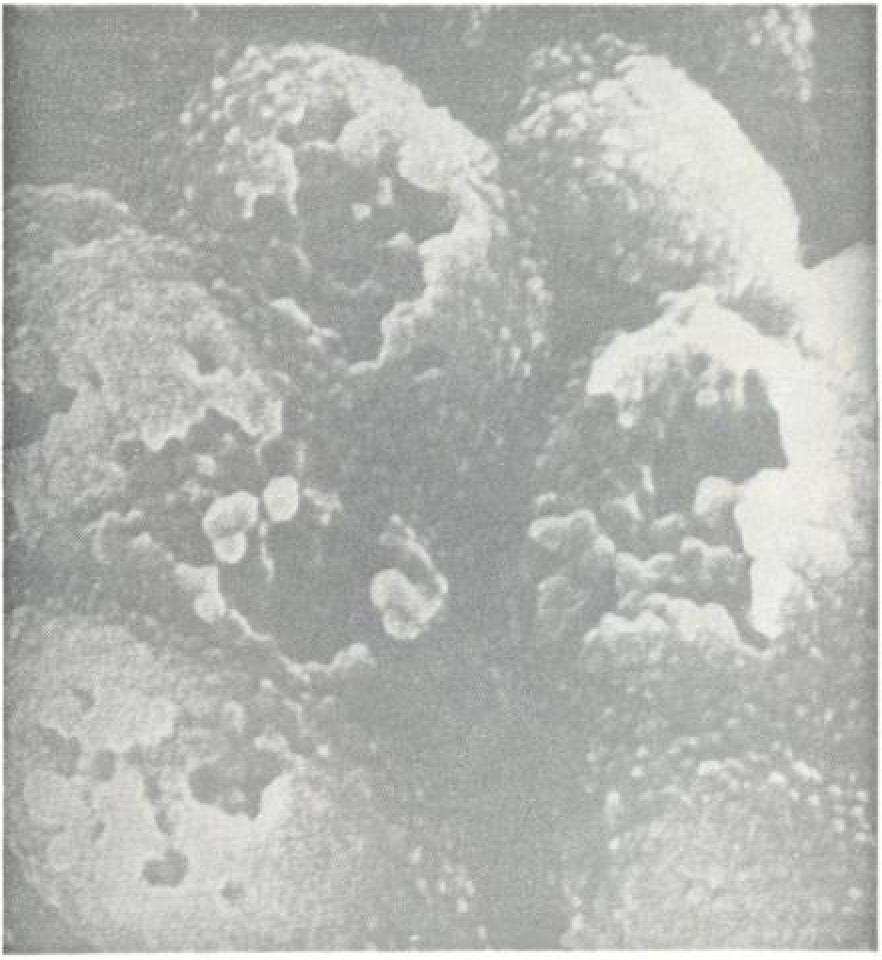
فاذا صح ان هذا الحاجز الواقي الذي بالمعدة من خلايا دهنية ، اذن لافسدته بدائل هذا الصابون اذا هي دخلت الى المعدة .

وعمدوا الى مادة تعرف بكبريتات حمض الغاز Lauryl Sulphate ، وهي من بعض مكونات بدائل الصابون التجارية ، واثبتوا بالتجربة انها حقا تحطم الحاجز الواقي اذا هي وصلت اليه .

قرحة المعدة

واتجه العلماء الى قرحة المعدة .

ان القرحة نتيجة لاتلاف هذا الحاجز الواقي .



صورة لجدار المعدة وهو مصاب بقرحة امّحت معها البشرة التي تغطي جدار المعدة .

واذن نظروا فيما يمكن ان يكون فى جسم الانسان ، وهو على طبيعته وعلى صحته ، مما قد يفعل بهذا الحاجز الواقي فعل بدائل الصابون به .

ووجدوا ان المرارة بها مصدران يفعلان بهذا الحاجز ما تفعل هذه البدائل .

اما المصدر الاول فأملاح المرارة، وهي جزيئات مفلطحة مستقطبة ، طرف منها يذوب فى الدهن ، والطرف الآخر يذوب فى الماء . فاذا هي مست بطرفيها دهنا وماء ، استطاعت بذلك ان تحطم التركيب الدهني الذى مسته وان تشتت جزيئاته .

والمصدر الثاني هو المادة الكيماوية المعروفة باسم لسيثين Lecithin ، والكبد تصنعها كما تصنع املاح المرارة . وهذه المادة بعد فرزها فى المعى الدقيق تقوم خميرة يصنعها البنكرياس بتحويلها الى مادة جديدة تعرف باسم ليسولسيثين Lysolecihni ، وهذه المادة من خواصها ان تزيل الدهن من الاغشية الدهنية .

وقد اثبتت التجارب ان كلتا المادتين السابقتين تنتج فى المعدة هذه النتيجة المنتظرة . حدث ذلك فى معدة كلب .

المرارة
سبب لقرحة المعدة

بذلك انفتح الباب للنظر فى قرحة المعدة كيف تتولد .

ان المرارة تنصب فى اول المعى الدقيق ، وهي فى الحركة القائمة فى المعى تتجه دائما الى الامام . ولكن كثيرا ما يحدث ان تسير المرارة القهقرى فتدخل الى المعدة ، واذن تعمل عملها المخوف فى الحاجز الواقي ، فتكون القرحة .

يعزز هذا ان الكثير من ذوى القرح المعدية، وجدت فى امعدتهم املاح مرارية .

وللمعدة
وقاية اخرى
الى جانب وقاية الحاجز

تلك ان الخلايا الناضجة للنسيج المخاطي للمعدة ، وكذا لسائر مجرى الجهاز الهضمي ، من شانها ان تتقشر دائما ابدا ، ليحل محلها فى سطح النسيج المخاطي خلايا جديدة يصنعها هذا النسيج لنفسه .

والحق ان معدة الانسان يتقشر عنها فى العادة من الخلايا نحو نصف مليون خلية فى كل دقيقة ، ليحل محلها الجديد من امثالها . ومعنى هذا ان البطانة الداخلية للمعدة تتجدد كلها كل ٣ ايام . وبهذا التجديد السريع تستطيع المعدة ان تصلح ما فسد من حاجزها الواقي ، وذلك فى ساعات او ايام .

من اجل كل هذا نجد المصابين بقرحة المعدة من الناس قلة .

حقيقة وعبرة

وانت ايها القارىء قد تقرأ كل هذا ، فتضيف حقيقة علمية ، الى الآلاف من الحقائق التي علمتها . ولكن من الحقائق ما يتصل بالخلق . وبالتدبير الكائن فى هذه الخلائق . ولعل فى ذكرنا لهذه الظاهرة هنا نحتاج الى وقفة للتأمل ، يكون منها ، الى جانب حقائق العلم ، عبرة ، ومن العبر ما هو انفع للانسان ، فى الانبهام الضارب فيما حوله ، من الف حقيقة . ان العبر نور يضيء ما حولك من ظلام . ●●

احمد زكي

طرائف غريبة



● وصية عالم عظيم ●

● وليام هارفى William Harvey ، العالم البريطاني الشهير (١٥٧٨ ــ ١٦٥٧)، الذى اكتشف الدورة الدموية، عاش ومات دون ان يحقق حلمه فى ان يصبح ابا ولو لطفل واحد !

لقد تزوج هارفى بعد تخرجه من الطبيبة الخاصة التى كانت تشرف على علاج الملكة اليزابيت ملكة بريطانيا وكانت تدعى اليزابيث براون Elizabeth Browne بعد قصة غرام عنيف دامت لبضع سنوات. ولكن اليزابيث ماتت بعد زواج طويل دام لأكثر من خمسين عاما . ولم تكد تنقضى بضع سنوات على وفاة زوجته ، حتى أصيب هارفى بشلل تام ، فلزم فراشه غير قادر على الحركة او الكلام .

وعندما احس بدنو اجله ، طلب من الممرضة التى كانت تسهر على راحته ان تعطيه ورقا وقلما ، وفى صعوبة كبيرة ، كتب هارفى بضع كلمات قصيرة باصابع مرتجفة مرتعشة ، قال : « كنت أتمنى ان تكون ابنتى هى التى تقف فى هذه اللحظة بجوار فراشى ، ولكن هكذا كانت ارادة الله . لقد شاء ان يحرمني من متعة الشعور بأن هناك دموعا سوف تسيل حزنا على فراقى . لقد بكيت زوجتى عندما ماتت ، وها أنا اموت دون ان أجد احدا يبكيني ! »

« أنني اترك ممتلكاتي الخاصة لابناء اخوتي، أما ثروتي ومزرعتي فانا اهديهما لكلية الطب الملكية ، فكل من فيها ابنائي ! »

● اشواك الوردة ! ●

● تزوج الشاعر الانكليزى المعروف « ملتون » ــ وكان اعمى ــ من امراة شرسة سليطة اللسان . . .

وذات يوم التقى « ملتون » بالدوق بكنجهام ، وراح هذا يصف زوجة الشاعر الكبير بانها « وردة » فما كان من ملتون الا ان اجاب الدوق فى لباقة :

« ان بصرى عاجز عن ان يميّز لونها، ولكن لا بد انها وردة فعلا ، فاني احس باشواكها كل يوم » !



أعظم رجلين عاصرا جان جاك روسو

● جان جاك روسو Jaen Jacques Rousseau ، الفيلسوف والكاتب السياسي الفرنسي (١٧١٢ – ١٧٧٨) الذى مات قبل نشوب الثورة التي غذاها فى بلاده ، سألوه يوما : « من هو اعظم رجل عاصرته وعرفته ؟ » .

قال : « فى فرنسا ، صديقي ورفيق كفاحي فولتير .. ولكن هناك رجل آخر عرفته فى انجلترا حيث عشت جانبا من سني حياتي بعد ان ابعدوني عن بلدى ووطني .. انه ذلك الرجل الذى هز بلاده هزا ، وايقظها من سباتها ، ونفث فيها من شبابه وحماسه ، ما أعاد لها مجدها وانقذها من الافلاس .. انه وليام بت . William Pitt (١٧٥٩ – ١٨٠٦ م) ، الشاب الذى اصبح وزيرا للمالية وهو فى الثالثة والعشرين من عمره ، وتولى رئاسة الوزارة البريطانية قبل ان يبلغ عامه الرابع والعشرين .

« لقد ظل بت يدير شئون الحكم فى بلاده لمدة سبعة عشر عاما فى السلم والحرب ، وفى اليسر والعسر .. لقد عاش هذا الرجل العظيم حياة قصيرة ، ولكنها حافلة ، لم يكن له فيها سوى عدد قليل من الأصدقاء الذين كانوا ينادونه بمستر بت ، وهو سعيد راض بهذه التسميةالتي تجردت من كل عبارات النفاق والتفخيم التي لم يكن يرتاح اليها ابدا .. كان رجلا يعتد برأيه ويعتمد على نفسه ولا يأبه كثيرا برأى الناس فيه



وليم بت



روسو

.. لم يستغل يوما منصبه للاثراء على حساب الآخرين ، رغم ما كان يسود بلاده من فساد وانحلال ورشوة فى الفترة التي سبقت حكمه . لقد عاش بت ومات وحيدا دون ان يتزوج ..

« لقد قتلته الخمر التي كان يعب منها عبا ... ولكنه استطاع ان يرسى قواعد النظام الاشتراكي فى بلاده .. وعندما مات لم يجدوا فى جيبه نفقات تشييع جثمانه ! .. » .

وصدق روسو بأن بت كان اشتراكيا ، فهو أول من ادخل فكرة ضريبة الدخل على الكاسبين ليفي بحاجة بلاده من المال فى وقت كانت أشد ما تكون فيه حاجة الى المال .

• اصدقاء اوفياء •

● تغيب الروائي الانكليزى « جاك لندن » ذات ليلة عن بيته ، على خلاف عادته ، فانزعجت زوجته الى حد انهاارسلت الى خمسة من اخلص اصدقائه برقية تقول فيها :

« جاك لم يعد بعد .. هل قضى الليلة معك ؟ » ...

وبعد ارسال البرقية بقليل ، وصل الزوج المتأخر ، وفى اعقابه جاءت ردود البرقيات الخمس ... فاذا هي كلهاتجيب على استفسار الزوجة بكلمة « نعم ! » .



أبو القاسم خلف بن عباس

الزهراوي

أكبر جراحي زمانه

المتوفى سنة ٤٠٣ هـ

بقلم: عبد اللطيف البدري

■ حضارة العرب زاخرة بالتراث العلمي والفكرى الاصيل ويحتاج هذا التراث الى دراسة عميقة لابراز اصالته بعد ان عفى عليها الزمن وتناساها الدارسون .

اسهام العرب فى الطب

فقد اسهم العرب فى مجالات العلوم وفى مكتشفاتها فعرف ابن النفيس ما عرف

من الدورة الدموية ولمع فى سماء الحضارة العربية اعلام كان اثرهم واضحا فى مختلف ميادين العلم فى اوربا . وفى ظلال الحكم العربى واكب ازدهار الطب ازدهار العلوم الاخرى ، فكتب الكثير عنه سواء أكان اصيلا او معربا نقلا عن حضارات سابقة اخرى .. ففي علم الوراثة كتب ابن القيم كتابا جاء فيه الكثير من الآراء الطبية التى عدها العلم الحديث صائبة وسديدة يسار فى هديها اليوم .. كما كتب زكريا محمد ابن محمود القزوينى فى كتابه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات عن الوراثة وضمن كتابه آراءه التى لا تقل عما ذكره ابن القيم فى كتابه .

وقد ازدهر علم التشريح وعلم منافع الاعضاء عند العرب بالرغم مما كان يثار من تحريم الدين الاسلامي للتسليخ . ولقد قال ابن رشد الطبيب الاندلسي ردا على هذه الاقاويل ان معرفة الاعضاء بالتسليخ تقرب من الله تعالى .. ويستشهد بالآية الكريمة (وفي انفسكم افلا تفكرون) .. وبين ان مركز التصور يقع في مقدمة الدماغ .. ووصف بدقة فائقة الدوران الدموي الشعري في الكبد .. وطريق هضم الاكل وامتصاصه . واشار الى العلاقة بين شعر اللحية والخصية .. وبين انه اذا تعطلت الخصية تعطل شعر اللحية . ويتضح من كل هذا انه مارس التسليخ . ومن وصف ابن النفيس للدورة الدموية الصغرى . وهو الوصف الذى خالف فيه ابن سينا وجميع اطباء عصره .. ووصفه ايضا كيفية تغذية عضلة القلب بالعروق الاكليلية ووصفه لجرم القلب، نستدل على ممارسته التسليخ ايضا . اذ ان مثل هذا الوصف لا يمكن فيه الاجتهاد النظرى اطلاقا .

وقد ساهم العرب مساهمة فعالة في علم العقاقير .. فلاحمد بن ابراهيم طبيب الخليفة يزيد بن عبد الملك رسالة في النبات المستعمل في الطب .. ولجابر بن حيان كتاب في السموم الحيوانية والنباتية والحجرية .. وهي دلالة واضحة على انهم درسوا هذا العلم دراسة عميقة ساعدت على الاستفادة في وصف الادوية للمرضى ولكل ما يتعلق بالصحة آنذاك .

من العرب الجراحين ، ابو القاسم الزهراوى

ومن اطباء العرب الجراحين ابو القاسم الزهراوى الذى ولد فى سنة ٣٢٤ للهجرة في مدينة الزهراء التى انشاها عبد الرحمن الناصر في ضاحية قرطبة لاحدى زوجاته المقربات وسماها باسمها .

كان عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر ذروة عصر الازدهار في الاندلس فبعد ان خمدت الفتن في بداية خلافته واستقر الامن في البلاد ، ازدهرت الاندلس ازدهارا اقتصاديا وعمرانيا وثقافيا لم تبلغه في العصور الماضية . ولم يكتف الناصر بما حققه من تقدم حضارى وفكرى شامل في البلاد ، فانشأ (الزهراء) وجعلها مفخرة العمارة وآية الجمال ، ونافس بها قرطبة فخر مدن الاندلس آنذاك وجعلها تفوقها حسنا وجمالا . ولسعة علمه وعمق ثقافته وشعوره العميق بضرورة نشر العلم بذل الكثير في اقتناء الكتب وجمعها حتى ضاقت المكتبة بمحتوياتها . وقد كان يصل العلماء والادباء صلات طيبة ويجرى لهم جرايات كبيرة فاغناهم عن طلب الرزق وصرفهم الى التفرغ لعملهم فازداد انتاجهم وارتفع شأنهم وعظمت مكانة العلم والادب في عهده .

فى مثل هذه الظروف المواتية نشأ الزهراوى (نسبة الى مدينة الزهراء) فوجد من الكتب القيمة ما يرضى رغبته للتزود منها ومن فطاحل الاعلام ما يكفل توجيهه وتنمية معلوماته وساعده ذكاؤه الحاد ودقة نظراته على نبوغه وذيوع صيته .

ولعل الصدف خدمت ابا القاسم في ان يكون الحكم الثاني ابن عبد الرحمن الناصر الخليفة بعد ابيه . فقد كان الحكم الثاني اكثر ولعا بالعلم وبالعلماء من ابيه . وقد عرف الناس هذا الولع عنه فانتشر صيته حتى ان احد ملوك الروم آنذاك بعث له بكتابين احدهما لجالينوس والاخر لابقراط تلقاهما الحكم بسرور .. ولما ضاقت المكتبة في قصره بمحتوياتها انشأ لها بناية مستقلة كانت غاية في الابداع فيسر للعامة من الناس الدراسة والاستفادة من كنوزها . ويقال ان امين المكتبة اخبره بان فهارس الكتب قد بلغت اربعة واربعين

مجلدا في كل مجلد خمسون ورقة . وقد عددها بحوالي ستمائة الف مجلد .

كان ابو القاسم والوزير عيسى بن اسحق الطبيبين الخاصين بالامير عبد الكريم ، ثم اختص ابو القاسم بالحكم الثاني وغدا طبيبه الخاص . وكان بيت ابي القاسم مفتوحا لطلاب العلم وطلاب التداوى ليل نهار .

كتاب ((التصريف))

لم يعرف من آثار الزهراوى الا كتاب (التصريف لمن عجز عن التاليف) الذى يقع في ثلاثين مجلدا لم يعثر عليها بكمالها في اية مكتبة من مكتبات العالم انما وجد منها الجزء الخاص بالجراحات وهو الذى اكسب الزهراوى لقب اكبر جراحي الاسلام بل اكبر جراحي زمانه على الاطلاق . وقد جاءت هذه الشهرة بما قدم الزهراوى لهذه الصناعة من اسس متينة سليمة وبما خص هذا الفرع من اكتشافات ما زال اكثرها معمولا به حتى اليوم مع شيء من التطور اقتضته الحضارة الحديثة ، والقسم الاخر بقي على حاله كما وضعه الزهراوى آنذاك .

والذى جعل لكتاب الجراحة (التصريف) اهمية عظيمة واذاع صيته بين العلماء هو انه اول من احدث رسوم الالات بجانب الكتابة عنها وهي تبلغ في كتابه حوالي (٢٠٠) شكل .

وكان الزهراوى يذكر في كل موضوع ما دلت عليه تجاربه العلمية الخاصة وخير مثل على ذلك الفصل المفقود لاستخراج السهام .

وصايا الزهراوى للجراحين

وقد اوصى بكتابه الجراح وصايا منها .. ان لا يندفع الى العمليات الصعبة مرة واحدة لان الاندفاع يؤدى الى نتائج خطرة . وهي حقيقة يعرفها كل جراح معاصر وصل مرحلة النضج في عمله .. وهي قاعدة ذهبية لكل مبتدىء في هذه الصناعة . ونبه كذلك في كل موضع الى اخطار العمليات والى الاحتياطات الواجب اتخاذها في كل حالة ، وهذا امر لم يذكر في اى كتاب قبل الزهراوى وهو الذى لا يدركه الا من بلغ شأوا بعيدا في هذه المهنة .

امور استقل بها الزهراوى

ان الزهراوى اول من اوصى بربط الشريان بالحرير واول من استعمل الخيوط المستخرجة من مصارين القنم واول من استعمل السنارة في استخراج السليلة (البوليبيب) واول من وصف اجراء عملية الحصاة عند النساء .

وقد قسم الزهراوى العمليات الى ثلاث ..الكي ـ واستعمال المشرط ـ واستعمال التجبير وما يختص بالعظام . فاما في الكي فقد نصح باستعمال الحديد وفضله على الذهب والنحاس .. (بعلة انك اذا احميت مكواة الذهب في النار لم تعلم درجة حماوتها بسبب لونها ثم انها تبرد سريعا واذا اشتدت الحرارة صهرت وذابت .. لذلك كان الكي بالحديد اقرب الى الصواب) وهذا الكلام صحيح لان الحرارة النوعية للذهب هي (٣٢٤.ر. وللحديد ١٣٨ر. ودرجة انصهار الذهب ١٠٦٤س° اما الحديد فدرجة انصهاره هي ١١٠٠س° .

وقد صمم الزهراوى الكى حسب اختلاف المكان المراد كيه واختلاف العضو المراد كيه واختلاف اتساع الكي وقد ادى هذا الى الاشكال الاتية ..

المكواة المسمارية للصداع والمكواة النقطة للاماكن الضيقة والمنشارية للحاجب والانف الناتىء والهلالية للجفن عند استرخائه والسكينية للشفة والقمع للنواسير والمسمارية للظهر ومكواة الاسنان وغيرها .

كذلك صمم المشارط فمبضع الشق مثلا للخراريج ومبضع السلخ للجلد وغير ذلك من المباضع . وقد وصف كيفية صنع المشرط لكل عملية ونوع الحديد المستعمل وكيفية تصنيعه .

ومن الامور التى اكسبها الزهراوى اهمية كيفية ايقاف النزف ووصف كيفية اجراء ذلك بالكي . وقال ان حرارة المكواة يجب ان تكون حمراء وليست بيضاء لان الحمراء توقف النزف بينما البيضاء لا تفعل ذلك وانما تمضى في اللحم كما يمضى المشرط .

وكل هذه حقائق مسلم بها لا لبس فيها . وقد وصف كيفية ايقاف النزف بقطع الشريان قطعا كاملا حتى تتقلص نهايتاه وتسد الفتحة فتوقف النزف . وذكر ايضا ايقافه بالربط بالخيوط ربطا وثيقا او الضغط بالاصبع او استعمال

الرفافيد وهي الوسائل التى يستعملها الطب الحديث بدرجات متفاوتة .

لقد اوصى الزهراوى بغسل الجروح ، التى يخشى من تقيحها ، بالماء المالح . وهو ما يفضل استعماله اليوم لانه يدر فيضان المصل في الجرح فيغسله ويمنع تعفنه .

فى جراحة العيون

اما في جراحة العيون فقد عالج الشعر بالكي بالنار او الكي بالدواء او بالقطع والخياطة فاما القطع والخياطة فذلك ان تقطع من فوق ظاهر الجسم شكل ورقة الاس ومن باطنه شقا واحدا ثم تخيط التى في الظاهر فقط وليس من فرق بين هذه العملية التى وصفها وبين ما يجرى الان سوى ان الشق الظاهر يشمل الغضروف اضافة الى الجلد في العمليات الحديثة . وكذلك الظفرة في العين وعلاج السبل والجرد والقدح .

في طبابة الاسنان

ويبدو مقدار ما بلغه الزهراوى من تقدم عندما تعلم ان طبابة الاسنان التى كانت في اوربا انذاك لا تتعدى المضمضة بالبول لمنع الوجع الذى يصيب الاسنان . في الوقت الذى صنع الزهراوى مختلف الكلاليب لخلع الاسنان ومختلف المناشير والمبارد لنشر الزائدة والمشوهة ووصف باتقان شبك الاسنان المتحركة بخيوط الفضة والذهب . ووصف كيفية ارجاع الاسنان الساقطة من شدة وبين احتمال نباتها مجددا ووصف كيفية تصنيع الاسنان من عظام الحيوان لتوضع مكان الاسنان المفقودة وهما فخر التقدم فى جراحة الأسنان في هذا القرن في حين ان الزهراوى قد عرفها منذ عشرة قرون تقريبا .

وقد مارس الزهراوى استئصال اللوزتين واستعمل لهذا الغرض (الجيلوتين) التى ما زالت تستعمل للاطفال ولو ان طريقة الاستئصال الكامل هي التى تفضل الان خاصة في الكبار .

ومما يثير العجب ويدعو الى التقدير ان نعرف ان الزهراوى صنع الملقط يمسك راس الجنين ليسهل ولادته المستعصية . وعرف ومارس تفريغ راس الجنين الذى لا يمكن نزوله بسبب ضخامته او لما فيه من تشوه . ووصف بدقة الالة التى تثقب راس الجنين وتفرغ محتوياته .

وفي غير الطب

لم يقتصر نبوغ الزهراوى على الجراحة وحدها بل شمل كل فروع الطب والصناعات الملحقة به من صنع العقاقير الى صنع الاغذية وحاجتها في الصحة والمرض الى وصف الامراض وعلاماتها ومعالجتها . وافرد للاوبئة فصولا ونصح في كيفية الوقاية منها .

وقد اشاد عدد من العلماء بعظمة الزهراوى وذكروا عنه ما يعطى صورة صحيحة عن مكانته السامية وعما قدمه للانسانية من خدمة .

كتب الزهراوى بين ايدى اطباء اوروبا في القرون الماضية

ففي كتاب تاريخ الاداب في فرنسا جاء (ان في تاريخ الجراحة في القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر امرا يستدعى الاهتمام وهو ان الاطباء الايطاليين الذين غادروا وطنهم وجاءوا الى فرنسا جلبوا معهم مؤلفات الزهراوى الطبيب الاندلسي والذى يعد الزعيم الاكبر للعلوم الطبية) .

وظهرت اهمية الزهراوى عند وصول الحكيم الايطالي (روجره برم) من مدرسة سالرنو ومعه كتب الزهراوى . ثم عقبه كثيرون منهم (لافرانك) الذى وصل باريس سنة ١٢٩٠ م الذى وصف حال الجراحة في فرنسة مقارنا مع جراحة الزهراوى فقال .. (لقد كان جراحو فرنسا كلهم على وجه التقريب جهلاء لا تكاد تفهم لغتهم .. أغبياء لدرجة انك لا تجد جراحا يطبق اصول الصناعة واضاف اننا لا تعترينا الدهشة عندما نجد الاطباء بعد ان عرفوا الزهراوى ان يضموه بصف واحد مع جالينوس) .

وقد اعترف المؤرخون بهذا الرجل وبمؤلفه وانه كان عمدة نجاح هذا الفن فقد ذكره شولياك اكثر من (مئتي) مرة في كتابه . وقال فبريس دى كابندانتي (انه المثل الاعلى للعلم) وقال فرند (انه محيى الجراحة) .

وقد اقتبس منه ابن البيطار كثيرا وابلغ هذه

الاقتباسات كيفية صنع الخبز المركب من احسن انواع القمح والذى يخمر ويكون خاليا من الشوائب . ونقل عنه ايضا في كتابه (المفردات) كيفية استخراج الزيوت .

واخذ (دى كلوديس) من اطباء القرن الرابع عشر الميلادى من كتاب الزهراوى ما يعد اساسا لما كتبه في الجراحة واشار الى اسمه فيما اقتبسه منه .

واستشهد الطبيب الايطالي (فرارى) في القرن الخامس عشر بكتاب الزهراوى الخاص بالاطعمة .

وفي القرن نفسه نشر الطبيب الايطالى (سندس دى اردوزيرس بيزارو) كتابا خاصا بالسموم وذكر في كل صفحة منه اسم ابى القاسم واشار الى انه اقتبس من الاجزاء (٢ و ٢ و ٣ و ٥ و ٧ و ١٣ و ١٥ و ١٧ و ١٨ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٨ و ٣٠) مواد بحثه .

ولابن السوام كتاب في الفلاحة الاندلسية قال فيه (ان ليس احسن من طريقة الزهراوى في استخراج ماء الورد) .

كتاب ((التصريف)) ، واين يوجد اليوم

لقد اشرنا الى ان كتاب التصريف فقد معظمه ولكن بعض اجزائه ما تزل باقية موزعة على عدة مكتبات نذكر منها .. مكتبة الرباط بالمغرب والجزء يشتمل على المكاييل والاوزان (آهلورد) وفي برلين يوجد المجلد الاول منه .

وفي باريس ايضا يوجد المجلد الثانى والرابع والنص العربى للجزء الثالث تحت عنوان (توريكى) كتاب النظر والعمل .

وفي باريس ايضا يوجد المجلد الثاني والرابع كما تضم باريس الجزء (٢٨) تحت عنوان (ليبرسر فيتورس) اى كتاب الخادمين وفي القسم العبرى من مكتبة باريس اكثر من نصف كتاب التصريف .

وفي باريس ايضا نسخة خطية برقم (١٠٢٣٦) فيها وصف دقيق يتناول كيف كان الزهراوى يصنع قوالب من الابنوس والعاج ينقش فيها اسم الاقراص الطبية وفيها شكل القوالب .

وفي المكتبة الوطنية بمدريد مجلد من كتاب التصريف برقم (١٢٦) وثلاثة مجلدات اخرى من هذا الكتاب احدها هو المجلد الثالث برقم (٥٥٢ ـ ٥٥٤) .

وتوجد نسخة في مكتبة ولي الدين باستانبول . وفي بانكيبور اخرى . وفي الاصفية . كما ان في الفاتيكان (بورجياني) قطعة من مجلد بخط قديم منه .

ان اهم الاجزاء من هذا الكتاب الخالد هو المجلد العاشر الذى تناوله هذا البحث وهو الخاص بالجراحة ومنه نسخة مطبوعة على الحجر في لكنو سنة ١٩٠٨ ومن هذا المطبوع نسخة في مكتبة كلية الطب في بغداد ومستنسخ مخطوط ماخوذ عن نسخة المغرب في مكتبة المجمع العلمي العراقي في بغداد .

ولعل مكتبة بولونا هي اسعدها حظا لانها تحوى على الكتاب كاملا .

لقد ترجم هذا الكتاب الىاللاتينية (جيراردودى كريمونا) وله ترجمات اخرى الى لهجة البروفانس والى العبرية . وهنالك ترجمة لاتينية غير كاملة لجزء من الكتاب تحت عنوان (كتاب النظر والعمل) ترجمها س . كرم سنة ١٥١٩ .

وترجم سيمون الجنوى وابراهيم اليهودى القسم الخاص بالصيدلية في مدينة البندقية سنة ١٤٧١ تحت عنوان (كتاب الخدمة) .

ويوجد القسم الخاص بالجراحة بطبعة (كاى دى شولياك) سنة ١٤٩٧ في فينيسيا .

وكذلك في طبعة بازل اللاتينية تحت عنوان طرق ابي القاسم الطبية في استعمال الالات الجراحية ومعها الكثير من الصور . ومن هذه الطبعة توجد طبعات احدث بعنوان (جراحة ابى القاسم) لجون جانتج طبعت في اكسفورد سنة ١٧٧٨ .

وهنالك ترجمة فرنسية حديثة لقسم من كتاب التصريف بعنوان جراحة ابى القاسم (لوسين لاكلارك) طبعت في باريس سنة ١٨٦١ .

هذا هو ابو القاسم الذى يعرفه عالم الغرب منذ مئات السنين . اما بنو جلدته فالذين يعرفونه هم اقل من القليل . ■

عبد اللطيف البدري

المجمع العلمي العراقى ـ الوزيرية

دِمَــاغ عَــرَبيّ مُشْـتَرَك

بقلم : الدكتور زكي نجيب محمود

■ كنت أستطيع أن أجمل العنوان « عقل عربي مشترك » أو « فكر عربي مشترك » أو ما يشبه هذا ، لأضمن به لفظا مألوفا ، لكني تعمدت الاشارة الى « الدماغ » ، لأنه هو العضو الذى يجيء العقل أو الفكر وظيفة له ، كما تكون العين عضوا والبصر وظيفته ، والأذن عضوا والسمع وظيفته ، وهلم جرا ، والجانب المفقود في حياتنا الثقافية العربية ــ فيما أرى ــ ليس هو الوظيفة بقدر ما هو العامل الذى يُعضْوِنُها في كيان ، اذ قد نجد قطرات من « الفكر » مبعثرة هنا وهناك في الكتب والصحف ، لكنها تفتقر الى « العضو » الذى يجمع أشتاتها في تيار واحد متجانس الطبيعة والهدف ، برغم ما قد يكون فيه من كثرة وتباين ، ولو كانت حياتنا الثقافية مكتملة النماء لجاءها توحيد الأجزاء من أعصابها وشرايينها ، ولكنها ليست كذلك ، فأصبح حتما أن نصطنع لها جهازا يوحدها حتى تسترد العافية .

النزعة الفيسفسائية فى التفكير القديم

وإننا اذ نبحث لأشلائنا الفكرية من شريان يجعل منها كائنا حيا حساسا لما حوله ، مستجيبا له على النحو الذى يكفل له البقاء والقوة ، فإننا نساير عصرنا في صفة لعلها أبرز ما يميزه من صفات ، فبينما غلبت على العصور السابقة نزعة فسيفسائية في بناءاتها الفكرية ، ترى عصرنا أميل الى دمج الأجزاء المنفصلة في تيار متصل ، وهذا هو نفسه الفرق بين طريقتين في التفسير : التفسير بنظرة آلية تجاور بين الأجزاء ولا تسكبها في تيار ، والتفسير بنظرة حيوية عضوية تسيل الأجزاء في خط موصول، النظرة الأولى سكونية في أساسها ، والثانية حــركية ، فلو أمعنت النظر في الفكر الأوروبى خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر (ولتذكر جيدا أن أوروبا هي القابضة على زمام الحضارة خلال الخمسة القرون الأخيرة أحببنا نحن ذلك أم كرهناه ، ثم أضيفت اليها الولايات المتحدة الأمريكية أخيرا) أقول : انك لو أمعنت النظر في الفكر الأوروبى خلال الفترة التي سبقت عصرنا ، وجدته نابعا من أساس مشترك ، هو تحليل الكل

الى أجزائه ، بحيث لا يجعلون من الكائن ـ أيا ما كان ـ اكثر من حاصل جمع أجزائه ، «فالعقل» ـ مثلا ـ هو مركب قوامه مجموعة انطباعات حسية تظل تتجمع داخل رءوسنا وتتشكل في طرائق تركيبها ، فينشأ منها « الافكار » من ادناها الى أعلاها (راجع فلسفة هيوم) ، و « المكان » مجموعة نقاط ، و « الزمان » مجموعة لحظات ، و «العالم» كله مجموعة عناصر أولية، و «الانسان» نفسه ـ كاي كائن حي ـ مجموعة أعضاء تعمل معا كما تعمل أجزاء المكنة ، وعلى أساس هذه النظرة التحليلية ظن رجال الفكر عندئذ أن عناصر الوجود كله أو مكوناته الأساسية ، قد يتصل بعضها ببعض ، أو ينفصل بعضها عن بعض ، فيتكون باتصالها او بانفصالها تلك الظاهرة الطبيعية المعينة ، أو ذلك الكائن المعين من الكائنات ، اما الكون في مجموعه فهو دائما ذو حاصل واحد ، لا يزيد جزءا ولا ينقص جزءا ، واذا جاز لى أن أشبه الموقف الفكري عندئذ بتشبيه يقرب الصورة الى الاذهان ، قلت ان الأمر كان كما لو كان عندك ورقة نقدية بعشرة دنانير ، هي كل ما لديك من مال ، تستطيع أن « تفكها » ـ او تحللها ـ الى آحاد ، أو الى قروش ، أو الى قطع من ذوات العشرة القروش ، على أن لا يزيد المجموع النهائي دائما عن دنانير عشرة ، مهما تنوعت الصورة التي تضعها فيها من صنوف النقد المتاحة .

الصورة الجديدة للتفكير الحديث

ذلك ما قد كان عليه تصور الناس لطبيعة الكون ولطبيعة الانسان ولطبيعة الفكر والفن ، فجاء عصرنا ليُغيِّر هذا التصور من أساسه ، وذلك بان أحل محل الكل الثابت الذى لا ينقص ولا يزيد ، صورة أخرى للكون وللطبيعة ولعالم الأحياء ـ ومنه الانسان ـ تجعل الكل ناميا أبدا متطورا أبدا ، فهو أبدا يزداد اتساعا ويزداد غزارة وحصيلة ، ولقد اقتضت هذه الصورة الجديدة عدة نتائج، منها أن الشريحتين المتعاقبتين من الزمن ، وان تساوتا رياضيا فلن تتساويا في كثافة الخبرة وغزارتها ، لأن الشريحة التالية في الترتيب لا بد بالضرورة أن ترث حصيلة الشريحة السابقة ثم تضيف اليها ما قد استحدثته هي بفعل النمو والتطور، ومن النتائج كذلك ـ وهو ما يهمنا هنا في سياق حديثنا الراهن ـ أن تكون الاجزاء في اى كيان تختاره للنظر ، متلاحمة بعضها في بعض ليتكون منها سيال واحد ، فاذا انت فككت هذا التيار الدافق الى قطراته ، كما تنثر حبات العقد ، بطل ان يكون كائنا حيا ناميا ، وبالتالي فاتت عليه فرصة النمو والتطور وبلوغ النضج والاثمار .

وعلى هذا الضوء المبدئي العام ، نعود فننظر الى موضوع حديثنا هذا الخاص ، وهو حالة العقل العربى اليوم ، فنقول انه اذا ثبت صدق ما ازعمه له ، وهو انه حتى على فرض أن هنالك جملة افكار تنبت على أرضنا هنا وهناك فهى أفكار متفرقة مجزاة ، مرصوص بعضها الى جوار بعض ـ على أحسن الفروض ـ لكنها غير مترابطة معا في كيان عضوى واحد ، واذن فلا أمل لها ـ اذا بقيت على هذه الحال ـ في أن تسعفها عوامل النمو والنضج والاثمار ، ما لم ينشأ لها ما يقابل « الدماغ » من الجهاز العضوى في الفرد الواحد .

لبث الانسان ، بين الكائنات ، وحيدا ، في كونه نوعا واحدا

ان لأصحاب التفسير البيولوجي للتاريخ في عصرنا ، واظن أن في مقدمتهم جميعا المفكر الفرنسي المعاصر « تيار دى شردان » Teilhard de Chardin رؤية للحقيقة ـ حقيقة الكون وحقيقة الانسان ـ يصلون اليها عن طريق نظريتهم الخاصة في تفسير التطور ، احسبها معينة لنا أنفع العون فيما نحن الآن بصدد الحديث فيه ، حتى وان كانت لنا اعتراضات على تفسيرهم للتطور بصفة عامة ، وأساس تلك الرؤية التي اشرت اليها ، هو ـ اولا ـ أن ننظر الى التطور فيما قبل ظهور الانسان نظرة تختلف عنه فيما بعد ظهور الانسان،

وبالنسبة للانسان وحده دون سائر الكائنات ، فاما قبل ظهوره فقد كانت القوة الباطنية الدافعة قوة طاردة ، بمعنى انه كلما ظهر جنس حيوانى معين الى الوجود ، فهو لا يلبث ان يتفرق في انواع مختلفة ، يتميز كل منها بخصائصه، برغم اشتراك الانواع كلها في ارومة واحدة ، واما بالنسبة الى الانسان ، فالقوة الباطنية الدافعة هي قوة ضامة او جاذبة ، تداب على تجميع الأطراف نحو مركز واحد ، حتى لا تتفرق انواعا كما حدث في دنيا الحيوان والنبات ، ولذلك لبث الانسان بين سائر الكائنات الحية جميعا ، وحيدا في كونه نوعا واحدا ، ولم يتكاثر انواعا متباينة ، كما نرى ـ مثلا ـ في عالم الحشرات التي تزيد انواعها على نصف المليون ، وفي عالم الطير الذى تقرب انواعه من تسعة آلاف ، لكن الانسان ـ وان صمد على مجرى الزمان نوعا انسانيا واحدا ـ فقد استعاض عن التنوع البيولوجي تنوعا آخر ، هو التنوع في الثقافات ؟ ومع ذلك فحتى هذا التشتت الثقافي ، سرعان ما يجد له دائما مراكز حضارية كبرى تجمع خيوطه في قبضتها الواحدة ، فيظهر العصر وكأنه متميز بطابع فكرى واحد .

العضوية فى الفرد وجماعاته

وثانيا ـ تتميز رؤية الحقيقة من وجهة نظر التفسير البيولوجي للتاريخ ، بمبدأ هام ، وهو أن البناء العضوى صفة لا تقتصر على الكائن الفرد ، بل تتسع لتشمل مجموعات الافراد ، فما يصدق على الفرد الواحد من حيث الترابط والتعاون بين اعضائه الكثيرة المتنوعة ، بحيث يصبح برغم كثرة أجزائه كائنا واحدا ذا هدف واحد ووجهة نظر واحدة ، يصدق أيضا على « المجموعة » اذا تعضونت ، بحيث تصبح هى الاخرى ـ برغم كثرة افرادها ـ وكأنها فرد واحد في اتجاهه وغاياته ووجهة نظره ، وذلك بما يكون عندئذ بين هؤلاء الأفراد من ترابط وتعاون ، شريطة ان يكون لهذه المجموعة من الخصائص العضوية الموحدة ما للفرد ، وأهم تلك الخصائص أن يكون لها « دماغ » يتولى التوجيه والتوحيد ، ولقد حرصت على الا اقول هنا كلمة « رأس » ، لأنها كلمة سرعان ما تتحول في أوهامنا الى « رئيس » ، ثم تتوالى بعد ذلك النتائج ، التي لا بد لها ـ في مناخنا الثقافي الذى تغلغل في كياننا حتى العظام ـ أن تجعل بين الرئيس والاعضاء حاكما ومحكوما ، ومستبدا وخاضعا ، وآمرا ومطيعا ، وهو ما لا يطوف لى ببال حين اريد الانتفاع بفكرة « الدماغ » في عملية التوحيد العضوى .

هى رؤية تنفعنا نفعا عظيما في ايجاد الوحدة الفكرية الحية النامية التي تبلغ النضج في حينه وتعطى الثمر في ابانه ، ففى ضوئها نفهم لاحياء تراثنا العربى معنى وقيمة ، اذ لو سألنى سائل (وقد وقفت على السؤال مطروحا في بعض مجلاتنا العربية التي تشتعل على صفحاتها ألسنة من لهيب الثورة الفكرية الجامحة عند طائفة من شبابنا) اقول انه لو سألنى سائل : فيم العناية بتراثنا الفكرى وعصرنا قد اختلف كل هذا الاختلاف عن عصور آبائنا ؟ لأجبته ـ على ضوء الفكرة العضوية التي اسلفنا ذكرها ـ اننا نحن مع هؤلاء الآباء تيار حيوى واحد ، اذا بترت جزءا منه ، فنى هذا الجزء بالذبول والضمور فالموت ، وليس هذا القول من قبيل التشبيهات البلاغية الجوفاء ، لكنه تصوير دقيق لما يقع ويحدث ، لأننا قد نسأل بدورنا : اذا نحن اهملنا تراث الآباء الفكرى اهمالا تاما ، فماذا تقترحون لحياتنا الفكرية عندئذ ؟ أتقولون ـ مثلا ـ تقتصر على نتاج أوروبا وأمريكا الآن ؟ لكننا لو فعلنا ذلك ، ألا يكون فيه « فناؤنا » الفعلى بأن جعلنا انفسنا خلايا في جسم آخر ، هو جسم أوروبا أو أمريكا أو كليهما لو كانا متحدين في كيان واحد ؟ وبالفعل هذا ما قد حدث لطائفة من رجال الفكر فينا ، ملأوا شرايينهم بثقافة غربية خالصة ، فكان وجودهم بيننا وجودا جغرافيا وجوارا مكانيا فقط ، وأما أن يشاركونا في الوجود « الزمانى » ، اى الوجود الذى يمتد ليصل أمسنا بيومنا ثم ليصل هذين معا بالغد ،

فذلك ما يستحيل عليهم ، ومن ثم فهم لا يدخلون حلقات من تاريخنا الفكري ، ومع ذلك كله ، فلا بد لي من التحذير بأن يؤخذ كلامي هذا على انه دعوة لقبول الثقافة الموروثة بغثتها وقضيضها ، بغثها وسمينها ، فذلك ما لست أعنيه ولا أريده ، لأنه لو حدث ، كان هو الآخر موقفا يندُّ عن وجهة النظر العضوية التي ننظر منها ، لأنها نظرة تحتم علينا شيئين في آن معا : أن يكون الحاضر موصولا بالماضي في شريان واحد ، وأن يكون الحاضر أغزر من الماضي وأضخم وأغنى بما يستحدثه ويضيفه خلقا جديدا .

للانسان من آبائه ، وراثة جسمانية ، واخرى ثقافية

الوراثة في عالم النبات والحيوان مقصورة على ما تنقله التناسلات من الوالد الى الولد ، وأما في دنيا الانسان، فيضاف الى هذا الجانب الجسماني وراثة أخرى ، هي الوراثة الثقافية ، فلا مندوحة لي ــ اذا أردت لنفسي « حياة » فكرية صحيحة ــ من تشرب العقل العربي كما تجلى في تاريخنا الفكري ، لا لأقف عنده خاشعا عابدا ، بل لأتصرف فيه تصرف الأحرار فيما بين أيديهم من أدوات نافعة ؛ فلئن أخذت قوامي وقامتي وبشرتي وسماتي من طريق التناسلات العضوية ، فلا بد أن يضاف الى ذلك كله أن أسقى شراب الأقدمين من آبائي ، شريطة أن يسري ذلك الشراب سريان العصارة الحية، وذلك هو على وجه الدقة جانب «التربية» الذي يضاف الى جانب التعليم والتدريب المهني، ليكون لنا من ذلك « المواطن العربي » الى جانب ــ أو مصبوبا في ــ « الفرد » البيولوجي ، الذي هو واحد من آحاد تعد بالملايين من سكان الأرض ، لا فرق بين واحد منهم وواحد .

الدماغ الجماعي خلاياه هم الافراد

نظرتنا الى الجهاز الادراكي كله عند الانسان ، اذا نحن أخذنا بمبدأ التفسير البيولوجي الذي أسلفناه ، تعلو به درجة عن مستوى الادراك الفردي ؛ فاذا كان المخ عند الفرد الواحد مؤلفا من خلايا كثيرة تضافرت لتعمل معــا ؛ فالدماغ الجماعي المشترك خلاياه الكثيرة هم الأفراد من أصحاب الفكر العلمي ، أو الخلق الفني ، أو ما شئنا من مجالات النشاط العقلي ؛ وان تضامن المنتجين في كل ميدان بعضهم مع بعض ، من شأنه أن يصعد بالوعي الى درجة أعلى من درجته وهو عند الفرد الواحد ؛ ولست أقصد بهذا ذلك الضرب من العقل الجمعي الذي قال به علماء الاجتماع في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن ؛ بل أقصد الى نوع من المشاركة يزيد فاعلية الأفراد ؛ واذا شئت توضيحا ، فقارن لنفسك بين حالتين : الأولى أن يخرج كاتب من كتابنا كتابا يبسط فيه فكرة معينة ، فاذا به يجد الصدى بعد حين آتيا الى مسامعه من سائر أجزاء الوطن العربي ، فهو ــ مثلا ــ يخرج كتابه في القاهرة ، فاذا هو محور للمناقشة والرد والتعديل والرفض عند حلقات المفكرين في لبنان أو الكويت أو العراق ؛ والثانية أن يخرج الكاتب كتابه فاذا الذي يلقاه من الناس صمت أعمق من صمت القبور ؛ في الحالة الأولى تكون عقل مشترك بدرجة ما ، وفي الحالة الثانية بقي الفرد عند حدود فرديته

لا بد من ان نجعل من العربي انسانا واحدا امتدت حياته مئات السنين

انني لا أفهم لاحياء التراث ودراسته معنى الا أن ننظر اليه نظرة بيولوجية ، بمعنى أنه يتيح لنا أن نجعل من « العربي » انسانا واحدا امتدت حياته مئات السنين أو آلافها بحسب العدد الذي نستطيع ربطه بعض مع بعض من حلقات الزمن ليتكون منها تيار واحد متصل ؛ فاذا كان هــذا هكذا بالنسبة الى الماضين مع الحاضرين ، فأولى به أن يكون أيضا بالنسبة للحاضرين بعضهم مع بعض ، والا فهم حفنة من أفراد لا يتكون منهم جماعة عضوية واحدة ، ومن باب أولى لا يمكن

ربطهم بماضيهم الموروث ؛ واني لازعم ان رجـال الفكر العربى المعاصر ـ مهما تكن قيمتهم الثقافية ـ مبعثرون على نحو يستحيل معه أن تلتقى روافدهم في نهر عظيم واحد ، حتى لقد أمكن لهم ـ بحكم هذا التفكك ـ الا ينتموا الى عصر واحد مـن الناحية الفكرية ، فمنهم من عاد بالتاريخ القهقرى ليعيش مع الاسلاف ومنهم من عبر الحدود بعقله وخياله ليعيش مع أبناء هذا العصر من اصحاب الفكر في أوروبا وامريكا ، ومنهم من يتخبط في اعاصير الزمن فلا يدرى هو نفسه في اى عصر يعيش .

آباؤنا كانوا فى عصر تواصل عظيم

كان من أهم ما يلفت النظر في الحياة الفكرية لآبائنا العرب الاقدمين "تواصل" قوى وثيق بـين رجالها ، حتى لتحسبهم في كل شريحة زمنيـة أسرة واحدة اجتمعت تحت سقف واحد ، فها هنا كتاب يصدر في موضوع معين ، فلا يلبث ان يرد عليه ناقد هناك بكتاب آخر ؛ بل كان هؤلاء الرجال بالفعل يتنقلون ليلتقى أحدهم بأحدهم لقاء حيا ، فيتبادلون الرأى وكأن جميعهم أساتذة يعملون في جامعة واحدة ؛ ثم لا يقتصر هذا التواصل على أبناء العصر الواحد ، بل انه ليجاوز هذه الحدود فيقوم النقاش بين لاحق وسابق ، فكان لنا من ذلك كله نتاج فكرى أمكن تسميته ووصفه باعتباره شجرة واحدة وان تنوعت فروعها وتباعدت ؛ وهكذا الأمر في كل ثقافة قومية حية ، والا لما استطعنا ان نفرق ـ مثلا ـ بين مجموعة الفكر في فرنسا ومجموعته في انجلترا ومجموعته في امريكا وهلم جرا ، لكننا نستطيع التفرقة بما تتميز به كل مجموعة من طابع اصيل ، نشأ بسبب ما يربط رجالها من روابط المتابعة الممزوجة بالنقد والتمحيص ؛ لماذا تشيع الفلسفة التحليلية في انجلترا والفلسفة الوجودية في فرنسا ، والفلسفة البراجماتية في أمريكا ، والمادية الجدلية في الروسيا ، الا أن تكون هنالك الصلات القوية التي تجمع عددا من الرجال في فريق.

الحق انه لولا هذا الدوران حول محور يجمع اشتات المجموعة الواحدة فيما يشبه الوحدة برغم تنوع الافراد ، لما أمكن لأية ثقافة ان تكتسب طابعها القومى المميز ؛ وكذلك لولا ما يجمع المتفرقات من الثقافات القومية في فترة معينة من الزمن ، لما أمكن للمؤرخ ان يميز عصرا من عصر ، بل لانتفت فكرة التاريخ ذاتها ، لأن التاريخ ـ بأى منظـار نظرت اليه ـ هو "التماس" لروابط الوصل التى تحيل الحوادث المفككة في ظاهرها ، حياة جارية موصولة الأجزاء .

وسائل الربط اختلفت من عصر لعصر

على أن وسائل الربط في عالم الفكر قد اختلفت من عصر الى عصر ، ومن امة الى اخرى ؛ فربما كانت مجالس الخلفاء والامراء والوزراء في الحياة العربية القديمة وسيلة هامة لذلك ؛ ففى تـلك المجالس كان يذكَّر الشاعر أو اللغوى او الفقيه أو الفيلسوف مقرونا بما أذاعه في الناس من ادب وفكر ، ليكون ذلك موضوعا لحديث الحاضرين ، وموضعا للمعارضة او التأييد ، وبهذا الحـوار المستمر خلق الجو المشترك للعصر الواحد ، لم للفكر العربى كله بصفة عامة؛ فأحسب أننا لو أرخنا لقصر واحد كقصر الرشيد أو قصر المأمون او قصر سيف الدولة الحمدانى ، لأرخنـا لحركة فكرية أدبية بأسرها ، وكذلك لو أرخت لجامع واحـد من الجوامع التى كانت ملتقى الفقهاء والمفكرين ـ والجامع بهذا المعنى كان هو الجامعة ـ لتعقبت مدرسة فكرية كيف نشأت وعلى أى وجه تشعبت فروعها ، وهكذا كان لنشاطهم الفكرى مراكز تجمعه وتهيىء له طريق السير ، ولا عجب أن أخذ أعلام الفكر في كل عصر يذرعون أرض العروبة من مشرقها الى مغربها ومن مغربها الى مشرقها ، كلٌ يقصد الى هذه المراكز يؤمها ، ليأخذ ويعطى ، فتندمج الروافد الكثيرة في نهر واحد عظيم .

وفي عصرنا هذا ، في البلدان الرائدة، ربما كانت الملاحق الأدبية لكبريات الصحف هى التى تهيىء للناس مكان الالتقاء الفكرى ، الذى من شأنه أن ينسج ـ أسبوعا بعد أسبوع وشهرا بعد شهر ـ مناخا ثقافيا مشتركا يطبع البلد الواحد ، ثـم

يطبع العصر كله بما يميزه ؛ وربما قامت الجامعات والمنتديات والمؤتمرات وغير ذلك من صنوف اللقاء المدبّر المرسوم ، بشيء من هذا التجميع ؛ انك لو سألتني ـ في مجال الدراسة الفلسفية ـ أين أجد الفلسفة الانجليزية اليوم ؟ لأجبتك جوابا يحقق كثيرا من الصواب : في مجلة Mind ، وفي الندوات الدورية التي تنظمها « الجمعية الارسطية » هناك ؛ لكن افرض الا مجلة ولا جمعية تنظم ندوات الحوار حول الموضوع الواحد ، فهل كان يسهل على الرأى المبعثر أن يتبلور فيما يسمى « فلسفة انجليزية معاصرة » ؟

وقد أتخيل قارئا «علميا» في تخصصه الدراسي، يبتسم في شيء من تعجب الزراية ـ وكثيرا ما يفعلون ـ فيقول : لكن حديثك هذا كله هو عن الأدب والدراسة الأدبية ، فما بالك وعصرنا عصر التكنولوجيا ؟ والجواب عندى أيسر تناولا ، لأن نظرة واحدة تكفيك لتعلم أن دنيا العلم التكنولوجى باسرها ، من غربها الى شرقها ، تسير وكأنها عقل واحد وصدر واحد ؛ فكيف كان ذلك ليتحقق لولا الاتصال الوثيق بين المشتغلين في كل ميدان علمى ، حتى لكأنهم يتجاورون في معمل واحد ومركز واحد للبحوث والتجارب ؛ وفي سياق حديث كهذا قرأت ذات يوم لكاتب أوروبى لفتة عجيبة ، تأخذها منه أول الأمر وكأنها كشطحات المتصوفة ، ثم تمعن فيها النظر فاذا هى الحق او ما يقرب منه ؛ وذلك انه كتب ليقول : ان الاجهزة العلمية اليوم تكوّن عالما متصلا بعضه ببعض يكاد ينفصل وحده ، ليتولى تطوير نفسه بنفسه ، ليخلق مرحلة رابعة من مراحل التطور الكونى: فمن المرحلة اللاعضوية، الى المرحلة العضوية ، الى المرحلة العقلية في الانسان ، واخيرا الى مرحلة تتخلق فيها دنيا التقنيات ؛ ان الأجهزة التقنية اليوم تتواصل ارجاؤها بحيث يستحيل أن تنمو هنا وتتخلف هناك ؛ ولو أحكمنا تصور هذه الصورة التطورية الجديدة ، افزعتنا نتيجتها ، لأنها لو صدقت ، كانت الجماعات البشرية التى تنفض أيديها من المشاركة في العلوم التقنية خلقا وابداعا ـ اكتفاء بشراء أجهزة يصنعها الاخرون ـ قد أوشكت أن تصبح « نوعا » بشريا تطور بعده « نوع » بشرى آخر .

رجال الفكر العربى الحاضر اوصالهم مفككة

ونعود الى رجال الفكر العربي في عصرنا الراهن هذا ، لنلحظ عنهم ما قد أسلفناه ، وهو أن أوصالهم مفككة ، يكاد لا يدرى أحد منهم عن أحد الا أسماء وعناوين ؛ فلا مشاركة ولا حوار ؛ انه ليس بالشيء المستبعد في حياتنا الفكرية أن تنبت فكرة" هناك فلا نسمع بها هنا ، فضلا عن أن تجد من يناقشها ليحييها ؛ وأقتل" ما يَقتل" التفكير" مقابلته بالصمت ، لأن المعارضة والموافقة كلتيهما زاد" للنماء ؛ في الوطن العربى « أفكار » مبعثرة ، لكنها « هوامل » لا تجد « الشوامل » التى تجمعها وتصهرها (والاشارة هنا الى كتاب التوحيدى « الهوامل والشوامل ») ولأمرٍ يحتاج الى تحليل وتوضيح ، لم يفلح في صهرها كل ما نقيمه من مؤتمرات ومهرجانات ولمحات نقدية نتقاذفها حينا بعد حين ؛ انني لأكاد أعجز عن الجواب اذا سألنى سائل : ما أهم القضايا الفكرية التى تشغل رجال الثقافة العربية ؟ فلكل منهم قضية ثم لا لقاء .

سل : ما هو التيار الفلسفي الأغلب بين المثقفين العرب ؟ ولن تجد الجواب ؛ فكل صوت مسموع في دنيا الفلسفة في أوروبا وأمريكا له بيننا صداه، ففينا المثاليون والتجريبيون والواقعيون والوجوديون والبراجماتيون والماديون الجدليون والشخصانيون.

س : ما هو الاتجاه الأغلب بين المثقفين العرب في ميدان النقد الأدبى ؟ ولنلحظ هنا أن الاجابة عن هذا السؤال لو وجدناها ، لأشارت الى طريقتنا المقبولة في الأداء الأدبى ؛ ولكنك لن تجد الجواب ؛ فكل مذهب في النقد مما يتردد في أوروبا وأمريكا ، له عندنا مناصرون ، فهنالك من يقيمون النقد على أساس بحثهم في القطعة الأدبية عن « نفسية » الكاتب ؛ ومن يقيمونه على أساس بحثهم عن « الظروف الاجتماعية » كما انعكست في الثمرة

الادبية المتفودة ؛ ومن يقيمونه على اساس بحثهم عن « الهدف المذهبي (الايديولوجيا) » هل وجد تعبيرا عنه او لم يجد ؟ وهكذا وهكذا ؛ هنالك من ياخذون عن ت.س . اليوت ، ومن ياخذون عن ا . ا . ريتشاردز ، ومن ياخذون عن جان بول سارتر ، ومن ياخذون عمن لست أدري مَنْ في روسيا او غيرها ... عندنا من البضاعة الفكرية ألف صنف وصنف ! أتقول انها فاعلية وحيوية هذا التوثب لالتقاط الشاردة والواردة ؟ قل ما شئت ، لكنى أقول انها كالميازيب تصب ماءها دون ان تجد المجرى الاصيل الذى يوحد الماء في تيار ؛ ليس في عقولنا الاطار القومى المتفرد لتشكيل المادة الوافدة في شكل يحمل الطابع العربى برغم اختلاف الافراد ؛ قل هذا نفسه في كل شيء ، قله في الفنون على اختلافها ؛ لقد كان للفن العربى طابع مميز تعرفه من أصغر قطعة فيه الى أضخم مسجد أو قصر ، ولم تمنع وحدانية الطابع هذه ان تكون لكل قطعة فرديتها ومميزاتها ، ولكن ها هى ذى متاحف رجال الفن عندنا تفتح أبوابها هنا وهناك كل يوم ، فزرْ منها ما شئت لم أنبئنى عن الطابع الذى يغلب عليها .

كلا ، ليس لنا مناخ فكري نعيش فيه ، فتنوعنا افرادا وامتنعت روح الفريق ؛ لوكان الفيلسوف « ليبنتز » يبعث فينا اليوم حيا ، لما وجد خيرا منا مثالا يضربه لمذهبه الفلسفي الذى جعل كل فرد برجا مغلقا على نفسه بغير نافذة يطل منها على الآخرين ؛ كل فرد منا هو روبنسن كروسو وحيدا في جزيرته ، يشتق من راسه ما يقوله وما يصنعه؛ لو كتب ابن طفيل كتابه « حي بن يقظان » وهو بيننا ، لما مست به حاجة الى ان يخلق بخياله جزيرة لبطله ينفرد فيها بتحصيل العلم كلـــه مستقلا عن سواه ، لانه في كل رجل منا عزلة تحقق لابن طفيل ما أراد .

اختر حفنة من المفكرين العرب ، اخترها كمـا اتفق ، تجدها قد مثلت كل عصور الفكر منذ فجر تاريخنا الى اليوم ، فيها القديم الذى لا يعرف عن الجديد حرفا ، وفيها الجديد الـذى لا يعرف عن القديم حرفا ؛ فيها المستكين وفيها الثائر ، فيهـا الداعية الى غرب والداعية الـى شرق ، فيها من كل صنف مما عرفت وما لـم تعرف ... افنخطىء لو طالبنا لهذا الشتيت المبعثر « بدماغ » مشترك يَحْتويه ويوحده ؟

هذه الطاقة الفكرية السائبة فى حاجة الى توجيه

وهنا يأتى السؤال : وما الذى ، أو ، من ذا الذى نريد له ان يكون المهيمن على توجيه هذه الطاقة الفكرية السائبة ؟ وأول ما أؤكده وأحرص عليه أشد الحرص هو ألا يقوم فينا من يملى علينا ما نصنعه وما لا نصنعه ؛ وانما نريد من يخلق لنا وسيلة اللقاء الفكرى بصورة فعالة جادة ، نريد من يهيىء المناخ الملائم الذى يدعونا من تلقاء نفسه الى ضرب من التجمع العقلى ، حتى وإن لم يجمعنا مكان واحد ؛ نريد للفكرة تصدر في هذا الطرف فتجد الآذان لسمعها في ذلك الطرف ؛ القطرات الفكرية موجودة ، تظهر آنا بعد آن ، ونريد من يجعل منها نهرا ؛ اللمعات الفرادى متناثرة بـين الصحف ، ونريد من يصنع منها سراجا .

ترى هل نتوقع شيئا كهذا من منظمة اليونسكو العربية مثلا ؟ هل نسعى لايجاد التعاون الصحفى (وهو قائم في بعض البلاد الأخرى) الذى مـن شأنه الا يكون الاتصال مباشرا بين الكاتب والصحيفة، بل تتولى هذه الصلة نقابة او ما يشبهها ، فتاخذ من الكاتب مقالته لتنشرها في يوم واحد في عدة أقطار دفعة واحدة ، فتنشر في الرباط والقاهـرة وبغداد — مثلا — في يوم واحد ، وعندئذ لا يكون الكاتب مغربيا او مصريا أو عراقيا ، وانما يكون كاتبا عربيا ؟

لست أدعى معرفة الوسيلة ، ولكنى موقن بانه لو تحقق لنا شيء من هذا اللقاء الفكرى الحـى الفعال ، فلن نلبث طويلا قبل أن تشهد الأمـــة العربية حركة فكرية يمكن وصفها وتقنينها، فيمكن لها — بالتالي — أن تدخل فى تاريخ الفكر المعاصر فصلا من فصوله . ■■

زكى نجيب محمود

الأهداف في حياة.. الإنسان

بقلم : الدكتور على احمد على

■ الانسان فى سعيه وكفاحه على هذه الأرض تحركه مجموعة من الاهداف يسعى جاهدا للوصول اليها وتوجه هذه الأهداف سلوكه . وهذه الأهداف تتمثل فى اشياء لها قيمة فى حياة الانسان . والانسان الذى يعيش بلا اهداف على هذه الأرض يعيش عيشة ضحلة لا عمق فيها .

تقسيم الأهداف

ويمكن تقسيم الأهداف التي يسعى الانسان لتحقيقها وتوجه سلوكه وتحركه حسب مستوى هذه الأهداف الى :

ا ــ أهداف شعب او قوم . وهذه الاهداف يضعها او يصيغها شعب معين ، وعادة ما يطلق على هذه الاهداف : أهدافا قومية . فالشعوب العربية لها أهداف قومية تريد تحقيقها تتمثل في الوحدة العربية وتحرير الأرض العربية وتحقيق العزة والكرامة للشعوب العربية جميعا . والواقع أن الأهداف القومية لاى شعب عادة ما تؤثر تأثيرا كبيرا فيسلوك الحكومةوالأجهزة الشعبية والأفراد ، وعادة ما توجه وتجند كل الجهود لتحقيق هذه الأهداف .

ب ــ أهداف جماعية معينة . فعادة ما يكون لكل جماعة أهداف محددة تريد تحقيقها . وهذه الأهداف تختلف من جماعة الى اخرى . فجماعة العمل من اهدافها الوصول بانتاجها الى مستوى معين وتحقيق الاشباع النفسي المناسب لكل فرد من العاملين في هذه الجماعة . وجماعة الأسرة هدفها تحقيق السعادة والتقدم والرفاهية لكل فرد من افراد الاسرة . والجماعة السياسية من أهدافها اقناع غالبية الناس ببرنامجها ومذهبها السياسي وتحقيق الغلبة للجماعة على غيرها من الجماعات السياسية . والواقع انه لكى تنجح هذه الجماعات في تحقيق اهدافها يجب ان تكون الاهداف واضحة ومقنعة وممكنة التنفيذ ، وان

يعلم كل فرد من أفراد الجماعة دوره في تحقيق هذه الأهداف، ويؤدى هذا الدور بامانة واخلاص.

جـ ـ أهداف فرد . وكل انسان وكل فرد بالرغم من أنه يحيا في ظل عدد من الجماعات ولكل جماعة اهدافها الا أن للفرد أهدافه الخاصة . ويختلف الافراد فيما حددوا ورسموا لانفسهم من أهداف . وقد تتعارض أحيانا أهداف الفرد مع اهداف الجماعة ويكون من الواجب التوفيق بين هذه الأهداف . فمثلا قد يكون من اهداف العامل ان يعيش عيشة سعيدة كريمة والحصول على دخل مرتفع ، وقد يكون من أهداف العامل أجر اكبر وساعات عمل اقل . ولكن هذه الأهداف قد تتعارض الى حد ما مع مصلحة جماعة العمل التي يعمل فيها . فتحقيق كل أهداف العامل قد يكون على حساب نجاح المنشاة التي يعمل فيها وعلى حساب تقدمها واستمرارها .

ويمكن تقسيم الأهداف حسب بعد هذه الأهداف أو قربها من صاحبها الى :

أ) أهداف قريبة . فمثلا من الأهداف القريبة للفرد أن يعيش يومه بسعادة وايجابية . ومن الأهداف القريبة الاخرى : النجاح في امتحان آخر العام بالنسبة للطالب .

ب) أهداف بعيدة . والأهداف البعيدة هي التي يمكن للفرد تحقيقها بعد فترة زمنية طويلة . ومن امثلة هذه الأهداف البعيدة الزواج بالنسبة للشاب والأسرة السعيدة والذرية الصالحة . ومن الأهداف البعيدة المركز الوظيفي الممتاز والمرموق الذى يحلم موظف صغير بالوصول اليه .

ومن الممكن أن تقسم الاهداف البعيدة الى عدد من الاهداف الصغيرة ، وكل هدف قريب يمثل علامة على طريق الفرد ، يشعر بالسعادة والرضا كلما امكنه تحقيق واحد من هذه الاهداف .

كما يمكن تقسيم الاهداف أيضا حسب درجة وضوحها وتحديدها بالنسبة للفرد الى :

أ ـ أهداف واضحة ومحددة . فبعض الاهداف تكون واضحة ومحددة بالنسبة للفرد بحيث يعى الفرد حقيقة هذه الأهداف ويبذل الجهد لتحقيقها. ومن امثلة الاهداف الواضحة المحددة حالة طالب الثانوية العامة الذى يرسم لنفسه أهدافا تعليمية ومهنية معينة ويبذل اقصى الجهد لتحقيقها .

ب ـ أهداف غامضة وغير محددة . ومن أمثلة ذلك الاهداف التعليمية لطفل المدرسة الابتدائية ، عادة ما تكون غامضة وغير واضحة بالنسبة له . وعادة ما تكون هذه الاهداف من صنع الآباء ، وقد فرضت فرضا على الطفل دون ادراك أو وعى .

بعض الأهداف التي نضعها في الحياة ليست أهدافا بالمعنى الدقيق

كثيرا ما نصيغ أهدافا في حياتنا ، يقول عنها المتامل الدقيق انها ليست أهدافا بالمعنى الصحيح. فمثلا اذا سألنا احد المعلمين عن هدف تدريس المادة الدراسية التى تخصص فيها لذكر من بين أهداف تدريس هذه المادة توصيل الطلاب للنجاح في الامتحان . ولكن الحقيقة تقول ان تدريس أية مادة دراسية لها اهداف كثيرة ليس من بينها الوصول بالطلاب للنجاح في الامتحان. لأن الامتحان ليس هدفا او غاية ، ولكنه وسيلة للتاكد من أن معلومات وخبرات وقيم المادة الدراسية قد وصلت الى الطلاب بالصورة المناسبة .

ومن الامثلة الاخرى للاهداف غير المحددة الشعار الذى ترفعه المصانع والشركات وغيرها من المنشآت الخاص بزيادة الانتاج . فزيادة الانتاج تعتبر هدفا بالنسبة لهذه المنشآت . ولكن هدف زيادة الانتاج غير واضح وغير محدد بالنسبة للكثير من الاقسام في هذه المنشآت والعاملين فيها . فالعامل الذى يقوم بانتاج مادى ملموس عادة ما يفهم المقصود من زيادة الانتاج وتكون زيادة الانتاج هدفا يسعى لتحقيقه . ولكن هدف زيادة الانتاج عادة ما يكون غير واضح وغامض بالنسبة للعاملين في ادارات أو اقسام لا تؤدى عملا محسوسا او ملموسا كادارة الحسابات والعلاقات العامة وشئون العاملين وغيرها .

الأهداف وأثرها على سلوك الفرد

الأهداف ـ كما سبق أن ذكرنا ـ توجه سلوك الفرد ولا يوجد سلوك بدون هدف وان بدت بعض الأهداف غامضة وغير واضحة بالنسبة للفرد في

بعض الاوقات والاحوال . والأهداف الواضحة تيسر من الجهد الذى يبذله الفرد في حياته . فالعامل الذى يعمل لتحقيق هدف معين لا يشعر بثقل الجهد الذى يبذله في سبيل الوصول الى هذا الهدف ولا يتسرب اليه التعب والملل والسأم بسهولة . والطالب الذى وضح امامه الطريق والهدف يستعذب ويستهين بكل جهد او سهر او عناء في سبيل تحقيق هذا الهدف . وكلما ازداد بريق الهدف زاد جهد الفرد في سبيل الوصول الى هذا البريق .

ولكى يؤدى الهدف دوره الفعال في تحريك السلوك وتوجيهه يجب أن يكون الهدف واقعيا يمكن للفرد من تحقيقه بجهد مناسب ومعقول « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » . ومن أمثلة الأهداف غير الواقعية في حياة الافراد ان نطلب من طالب محدود القدرة ان يكون أول الناجحين في فصله رغم علمنا بقصر امكاناته ونقصها ونقص قدرته العقلية . ومن أمثلة الأهداف غير الواقعية في حياة الشعوب ان يضع رئيس شعب ما هدفا يتمثل في ان يجعل جيش هذا الشعب من اقوى جيوش العالم مع علمه بأن هذا هدف غير واقعى نظرا لنقص امكانات هذا الشعب المادية والاقتصادية والبشرية . فهذا الرئيس اذا تمكن من تحقيق هذا الهدف فان ذلك سيكون على حساب تحقيق أهداف أخرى أكثر أهمية وحيوية .

والواقع أن تحقيق الفرد للاهداف الواقعية المعقولة في حياته يؤدى به الى السعادة والاستقرار والرضا . وعلى العكس من ذلك فان فشل الفرد في تحقيق الأهداف الهامة في حياته يؤدى به الى الاحساس بالخيبة وهو احساس الفرد بخيبة الامل والألم النفسي نتيجة وقوف عقبات أو عوائق معينة تحول دون تحقيق اهدافه ودوافعه الأساسية . وكلما كانت الأهداف التى لم يتمكن الفرد من اشباعها هامة وحيوية بالنسبة له كانت الخيبة التى يعانيها الفرد شديدة . والواقع ان تكرار فشل الفرد في تحقيق أهدافه وبالتالي فشله في اشباع دوافعه وحاجاته ، يؤدى بالفرد الى التشاؤم وفقدان الثقة بالنفس وهذا يوصله اخيرا الى الاضطراب النفسي وأحيانا الاضطراب العقلي.

والافراد يختلفون في سلوكم في مواجهة العجز على تحقيق الاهداف الهامة في حياتهم ـ فكما سبق ان ذكرنا عادة ما تكون الخيبة النتيجة المتوقعة لهذا الموقف . ولكن الافراد يتصرفون بأسلوب مختلف في مواجهة هذه الخيبة . فبعض الافراد تؤدى بهم الى العدوان . فالموظف الذى يفشل في تحقيق أهدافه المهنية في العمل عادة ما يكون متوترا وقلقا وعدوانيا . فقد يعتدى على زملائه أو على زوجته أو أولاده لأقل الاسباب .

ومن الافراد من يؤدى عجزه عن تحقيق بعض أهدافه الهامة الى بذله مزيدا من الجهد والنشاط سعيا وراء أهداف بديلة يسعى لتحقيقها .

وقد يسلك فرد آخر سلوكا مغايرا في مواجهة الفشل الذى نتج عن عجزه عن تحقيق بعض أهدافه الهامة ، فقد ينطوى هذا الفرد على نفسه ويسلم نفسه لاحلام اليقظة يتصور فيها ما عجز عن تحقيقه في اليقظة ، وقد يكف نهائيا عن الجرى وراء الأهداف القديمة ولا يبذل جهدا في البحث عن بديل عنها .

أسباب فشل الفرد في تحقيق أهدافه

هناك عوامل كثيرة تؤدى الى فشل الفرد في تحقيق اهدافه ويمكن تقسيم هذه العوامل الى :

أ ـ عوامل تتصل وتتعلق بالفرد نفسه ومن امثلة ذلك فشل الطالب في تحقيق أهدافه التعليمية بالرغم من الظروف المناسبة المحيطة به ، وهذا يكون بسبب نقص في قدرة الطالب العقلية أو بسبب قلة الجهد الذى يبذله في المذاكرة والتحصيل. ومن الأمثلة الاخرى حالة الموظف الذى يعجز عن تحقيق أهدافه المهنية والوصول الى أى مركز قيادى بسبب ضعف شخصيته أو قدرته المحدودة.

ب ـ عوامل خارجة عن الفرد . هناك الكثير من العوامل الخارجة عن الفرد نفسه والتى تعمل على عدم تمكين الفرد من تحقيق أهدافه . ومن ذلك الظروف الأسرية أو البيئية السيئة التي تعطل الفرد عن الوصول الى اهدافه ، أو القوانين واللوائح التى تحد من نشاط الفرد ومن قدرته على

تحقيق اهدافه . وقد يكون فشل الفرد في تحقيق الاهداف بسبب أن هذه الاهداف مفروضة عليه من جهة أو سلطة خارجية ولا يمكنه تحقيقها والوصول اليها لأنها غير واقعية .

تصارع الأهداف

قد تتصارع الأهداف بالنسبة للفرد كما قد تتصارع بالنسبة لأمة من الأمم وشعب من الشعوب . فبالنسبة للفرد قد يضع لنفسه هدفين رئيسيين ولكنه يجد أنه لكى يحقق أحدهما لا بد من التضحية بالهدف الآخر . ومن أمثلة ذلك الشاب الحديث التخرج من الجامعة الذى حدد لنفسه هدفين رئيسيين : متابعة دراسته العالية ، والزواج وتكوين أسرة سعيدة ، ولكنه يضطر الى تأجيل الهدف الثاني وعدم محاولة تحقيقه الا بعد فترة لكي يتفرغ للدراسة العليا بمسئولياتها وجهدها .

وقد تتصارع الأهداف بالنسبة لشعب من الشعوب كما يحدث بالنسبة لشعب تام وقع اعتداء خارجي عليه . فقد يكون على هذا الشعب التضحية بهدف التنمية والانتاج واعطاء أولوية لهدف تحرير الأرض ورد الاعتداء .

مقترحات تزيد فاعلية الأهداف فى التوجيه المناسب لسلوك الفرد

هناك مقترحات كثيرة لزيادة عمل الأهداف في تحريك السلوك وتوجيهه توجيها مناسبا ومن هذه المقترحات :

(١) مساعدة الأفراد على أن يضعوا لأنفسهم أهدافا واقعية في حدود قدراتهم وامكاناتهم وظروفهم . ومحاولة البعد بالافراد عن الطموح الزائف الذى لا يوصل الى شيء سوى الفشل وخيبة الأمل .

(٢) تزويد الأفراد بالوسائل والقدرة التي تمكنهم من تحقيق أهدافهم فليس يكفى أن يحدد الأفراد لأنفسهم أهدافا في الحياة أو أن نساعدهم في تحديد وتوضيح هذه الأهداف وانما المهم أن نزود الافراد بكل الوسائل والامكانات التي تمكنهم من تحقيق هذه الأهداف . فمثلا لا يكفى أن نحدد أهدافا معينة لعمال الانتاج في مصنع معين يتمثل في كمية معينة من السلع تنتج اسبوعيا أو شهريا ، وانما من اللازم خلق الظروف والامكانيات المناسبة التي تمكن العمال من تحقيق الأهداف المرسومة .

(٣) اشتراك الافراد في وضع الاهداف حتى يكونوا مقتنعين ومؤمنين بها وحتى يحاولوا انجاحها والوصول اليها . ومعنى اشتراك الأفراد في وضع الأهداف الا تكون هذه الأهداف مفروضة عليهم من الخارج . فالطالب مثلا يجب أن يشترك مع الآباء والمعلمين في وضع ورسم أهدافه التعليمية والمهنية، بحيث لا تكون هذه الأهداف مفروضة عليه من قبل الآباء أو المعلمين أو غيرهم .

(٤) محاولة تجزئة الأهداف الكبيرة الى مجموعة من الأهداف الصغيرة ، والأهداف البعيدة لمجموعة من الأهداف القريبة واستخدام الحوافز الإيجابية لتشجيع الفرد كلما حقق واحدا من الأهداف الصغيرة أو القريبة حتى يترك ذلك في الفرد أثرا حسنا يشجعه ويحفزه على الاستمرار في بذل الجهد لتحقيق الأهداف الأخرى .

(٥) التأكد من أن الأهداف التى وضعها الفرد لنفسه تتمشى مع القيم والاخلاقيات السائدة في المجتمع ولا تتعارض مع نظم هذا المجتمع وتقاليده .

(٦) تدريب الفرد على ألا يقلق أو يضطرب أو يشعر بالاحباط الشديد اذا لم يتمكن من تحقيق بعض أهدافه وذلك عن طريق تعويد هذا الفرد على البحث عن أهداف بديلة يسعى لتحقيقها والوصول اليها .

(٧) تعويد الفرد منذ طفولته على أن يحيا لأهداف انسانية ومفيدة ، وأن يبذل جهده لتحقيقها والنهوض اليها ، والا تقتصر هذه الأهداف المفيدة على نفسه بل تتسع لتشمل غيره من الناس المحيطين به أو الذين يتعامل معهم . فما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط .

■■

علي أحمد علي

المسرح الكويتي

كيف سارت رسالته وكم أثمرت كما روى قصتها الاستاذ زكى طليمات

استطلاع بقلم

منير نصيف

« صقر قريش » ، أول مسرحية من التاريخ العربي ، ظهرت على المسرح الكويتي ، وحققت نجاحا كبيرا والصورة لمجموعة الممثلين والممثلات الذين ظهروا في هذه المسرحية التاريخية ، ومعهم زكي طليمات .





مريم الغضبان (الى اليمين) ، ومريم الصالح ، أو مريم «ب» ومريم « أ » ، كما يسميهما الاستاذ زكي طليمات لقد كانتا أول فتاتين كويتيتين تقدمتا للعمل في المسرح .

• • •

تحت : الاستاذ زكي طليمات في غرفة مكتبه بشقته في القاهرة ، وهو يتحدث الينا عن ذكريات سنوات عشر ، قضاها في بناء المسرح الكويتي .



■ ارادت بعثة العربى ان تسجل استطلاعها عن المسرح الكويتي ، فلم تجد أقدر على الحديث فيه من الرجل الذى عاش المسرح الكويتى منذ نشأته الى مطلع هذا العام ، اى نحو عشر سنوات .

ذلك الرجل هو الأستاذ زكى طليمات، واضع نواة المسرح فى الكويت وعميد من العمد التى أرست المسرح فى مصر .

لقيناه في بيته حيث يعيش بين كتبه ومؤلفاته في شقة بالدور السابع في قلب القاهرة النابض .. في هذه الكتب والمؤلفات ، سجل زكي طليمات

ذكرياته البعيدة والقريبة .. ذكريات ماضيه وحاضره،ومشروعاته لمستقبله .. ونقول المستقبل، لأن الأستاذ الكبير اكثر ما يكون نشاطا اليوم وهو الذى جاوز من السنين ما جاوز ، فهو يعمل كما لم يعمل من قبل ، في رسم اطار جديد لصورة جديدة من صور المسرح العربى الذى ساهم في بنائه وتطويره في مصر وفي غير مصر ، زهاء نصف قرن من الزمان او يزيد .

وما كاد الأستاذ زكى طليمات يستقبلنا حتى استهل حديثه معنا قائلا :

« يحدث أحيانا ، وانا اقف امام ابى الهول ، هذا الأثر القديم ، وقد اتجهت بكل قواى الذهنية الى التخطيط لاخراج موال من القاهرة ، ان اجدنى ، وقد اخذتنى طارقة من اطياف آتية من بعيد .. من الكويت ، فارخى من الجفنين او اغمضهما ، لأسعد بمطالعة عالم عشته عشر سنوات ، او ما يزيد ، بين العمل الدائب .. وبين الخطأ والصواب .. وبين اليأس والأمل .. بين الابتسامة والدموع .

عجيب ، امر هذا الماضى ، انه يسعد ويؤلم في وقت واحد ، وأى سعادة اغمر واقوى من ان يعيش الانسان بقلبين في وقت واحد .. واى الم أشد واقوى من الالم الذى يحس به المرء عندما يدرك انه لن يستطيع أن يعيد هذا الماضى ، بما فيه من قطاعات حية من حياتنا ..

بورك في الماضى ، وبورك في ذكرياته .. »

قال زكى طليمات ، وهو يحدثنا عن عمله



مشهد من مسرحية « عشت وشفت » اول مسرحية عرضت على المسرح العربي ، في عام ١٩٦٤ وهي تروى قصة الكويت بين جيلين .. القديم والحديث .

الجديد : « انني اليوم أشق للمسرح العربي افقا جديدا .. انني أحاول ان اربط بين المسرح وبين الآثار القديمة ، المنتشرة في ارجاء وطننا العربي ، انها بيننا تطل علينا ، فلماذا لا نستغلها الاستغلال السليم ، بدلا من أن نتركها صخرا وحجرا بلا حياة .. انني أحاول اليوم أن أجعل من هذه الآثار مواطن الهام ، ومباعث ايماءات في الأدب وفي الفن على السواء ..

دائما أبدأ من الصفر !

قلنا : « هذا عملك اليوم ، وتلك رسالتك الجديدة ، التي تركت من أجل اتمامها ، اخوة وأبناء لك ، وجئت الى القاهرة تحملها في قلبك وفي رأسك ، ورحت تعمل في حماس ، كما لو كنت تبدأ من أول السلم ، كما كنت تبدأ من الصفر ، كما لو كنت زكي طليمات الشاب الصغير الذي ساهم في بناء المسرح العربي في مصر ثم وقف فوقه ممثلا ومخرجا ومنتجا وكاتبا . وهذا كله جميل ولكن ما جئنا اليك اليوم الا لتحدثنا عن عملك في الماضي القريب .. في السنوات العشر التي خلت .. في تلك الفترة الطويلة القصيرة التي قضيتها مع ابنائك الصغار في الكويت الشقيق ..

وقال الأستاذ زكي طليمات ، وابتسامة تعلو شفتيه ، وتحمل أكثر من معنى من تلك المعاني الجميلة التي استهل بها حديثه معنا ، قال : « انني أحب دائما ان أبدأ عملي من الصفر .. ومن الصفر بدأت في الكويت . وفي غير الكويت .. انها ذكريات حلوة لذيذة عزيزة لا تنسى ، ذكريات أكثر من سنوات عشر ، وقفت فيها معلما في كل مكان ارادوا ان يقيموا به مسرحا ..

« بدأت هذا من القاهرة ، في عام ١٩٣٠ ، وبدأته في تونس في عام ١٩٥٤ ، وبدأته اخيرا في الكويت في عام ١٩٦١ ، وبعدها بدأت الكويت حياتها الجديدة ، فقد دخلت عهد الاستقلال وأنا فيها بين أبنائها ، أحمل لواء المسرح العربي في هذا البلد الكريم » .

مناخ الكويت وأهلها

قلنا للاستاذ زكي : « احك لنا قصة هذه البداية ؟ » .



سعد الفرج ، ممثل الكويت الكبير ، يتحدث وعبد الحسين عبد الرضا ينصت ، في مسرحية « حط حيلهم بينهم » وقد كانت من بين المسرحيات التي لاقت نجاحا كبيرا على المسرح العربي .

قال : « بدأت في الكويت عندما حللت بها ، ألتمس طريقي في حذر شديد .. وفي يقظة تامة بعد أن راعني ما رأيت ووجدت .. فقد وجدت الكويت بلدا يتأرجح بين التحفظ ، وبين الاتجاه الى الانطلاق في المجالات الحضارية الحديثة .. وما أكثر الشبه بين هذا الذي رأيت ، وبين مناخ الكويت .. فالسماء تصفو ثم لا تلبث أن تعربد .. وهي تمطر ، ثم لا تلبث السحب أن تنقشع وتصفو من جديد ، وهي تمتلىء بالغبار والأتربة التي تعلو وتهبط حتى تسد منافذ الأنفاس ، ثم لا يلبث ان يهدأ كل شيء ويختفي الغبار ، وكأن شيئا لم يكن !

« أقول انني أخذت طريقي في حذر شديد ،



(الى اليسار) شارك الاستاذ زكي طليمات في مسرحية « صقر قريش » ، ويرى في هذه الصورة بملابس دوره في المرحية .

• • •

« تحت » خالد النفيسي ، الممثل الكويتي الهزلي الكبير ، قال عنه الاستاذ زكي طليمات : « انه الابن الذي جاءني في غفلة من الزمن ، فأطلقت عليه اسم عظيم الممثلين الكويتيين وفيلسوفهم ! » .

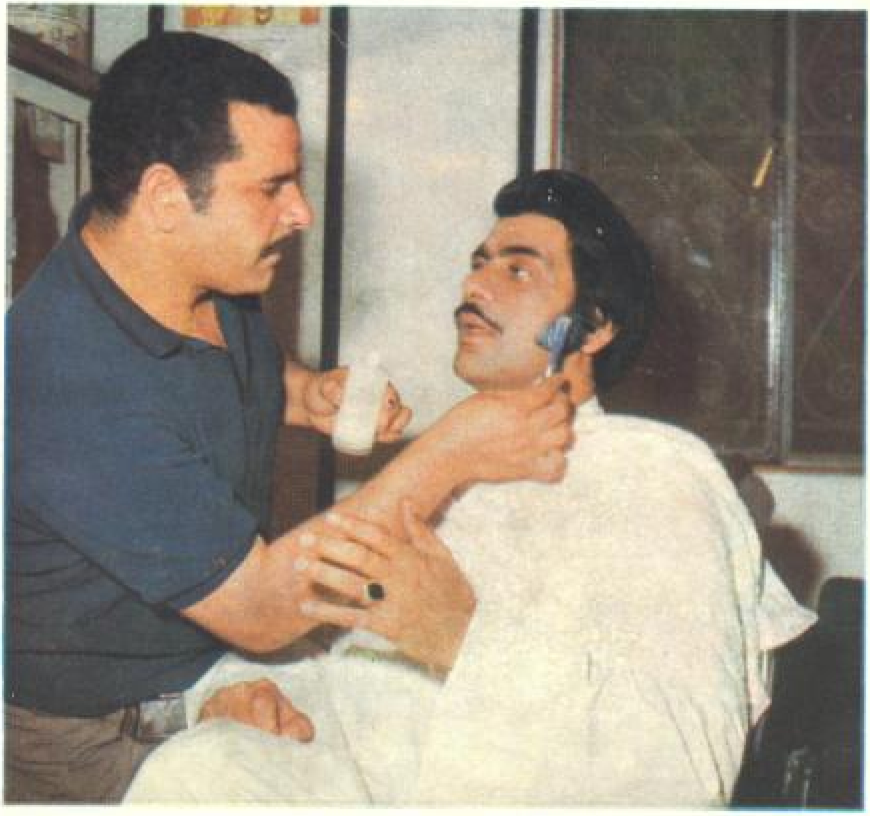


فوق (الى اليسار) ، فصل دراسي في مؤسسة الدراسات المسرحية ، ويزداد اقبال الشباب الكويتي والعربي على الالتحاق بهذا المعهد ، الذي تشجعه وزارة الاعلام عن طريق صرف مكافآت مالية شهرية لطلبته .. انه المعلم الذي يقوم اليوم بالرسالة التي حمل لواءها زكي طليمات في الكويت .

• • •

(الى اليسار) ، عبد الحسين عبد الرضا ، وقد منّ الله عليه بالشفاء ، فعاد الى المسرح أكثر نشاطا وحيوية ، فالمسرح حياته .. انه احد تلامذة الاستاذ زكي طليمات ، وقد قال عنه : « انه ممثل عالمي ، ومفخرة للكويت » . ويرى في الصورة بين يدي « الماكيير » أو صانع الوجوه .





بعد أن نما الى سمعي أن بعض المتزمتين غير راغبين في وجودي ، غير مرتاحين الى ما أفعله ، وما سأفعله من اجل انشاء مسرح عربي يعكس طبيعة اهل الكويت وشخصية هذا البلد الشقيق، وتقاليده وعاداته .. فهذه كما تعلمون هي رسالة المسرح في كل مكان وزمان ..

« ماذا وجدت ؟ وجدت شبابا يتعشقون المسرح، دون أن يعرفوا ماهية المسرح في جوهره ، وفي مفاهيمه العميقة ، فقلت في نفسي : « هذا خير »، وليس فيه من عجب ، لأن الانسان يميل بالفطرة الى التعبير عن نفسه !

المرأة الكويتية الممثلة !

« ولقد وجدت الرجل الممثل ، ولكنني لم اجد أثرا للمرأة الممثلة ، فالمسرح حياة ، والحياة لا تكتمل الا بوجود العنصرين ، الرجل والمرأة معا في مكان واحد .

«ولكن ما الحيلة ، والعرف في الكويت ، انذاك لا يبيح للمرأة الكويتية أن تعتلي خشبة المسرح ممثلة امام الرجال ، وان اجتمعت بالرجل في مجالات أخرى ، في شتى مرافق الحياة ؟ وهي تجربة مرت بها كل الدول النامية . هنا في مصر كان الحال كذلك في القرن التاسع عشر .

« وكان لا بد أن نخرج من هذا المأزق بأية وسيلة ، فقلت ، استقدم من القاهرة ممثلات ، واستقدمت ممثلتين مسلمتين ، لأثبت لهم أن المرأة العربية المسلمة ، اصبحت ممثلة ، ولم يصبها ضرر من هذا .

« وجاءتا ، وعملتا مع فرقة المسرح العربي ، وقد كانت اول فرقة شكلتها وزارة الشئون الاجتماعية والعمل لتصبح النواة الأولى لمسرح عربي كويتي .. »

« وبدأ العمل في هذه الفرقة ، وهنا برزت مشكلة أخرى ، عندما بدأنا نعد العدة لاخراج المسرحية الكويتية الاولى ، لم تكن الأقلام الكويتية قد نضجت بعد ، النضج الذي يؤهلها لأن تكتب المسرحية السليمة مبنى ومعنى ، وكم كنت اتمنى أن أبدأ بمسرحية كويتية مكتوبة باللهجة الكويتية، تعالج مشكلة من مشاكل الحياة الاجتماعية بالكويت ..

صقر قريش

« وبناء على ذلك وجدتني مضطرا لأن اختار مسرحية عربية تحكي صفحة رائعة من التاريخ العربي ، واخترت مسرحية « صقر قريش » التي تروي قصة الامير عبد الرحمن الداخل الذي صان تراب العرب في الأندلس، واقام خلافة اموية فيها، وهي للكاتب العربي المعروف محمود تيمور .

« وظهرت المسرحية على المسرح ، وحازت اعجابا كبيرا ، ونجحت في أن تحقق نجاحا ادبيا وماديا معا ..

« وشجعني هذا النجاح على أن أضاعف من جهدي مع هذا الشباب الكويتي المشوق الى المعرفة، المتطلع الى أن يكون له مسرح يتمشى مع نهضة بلاده الاقتصادية والعمرانية ، ويعكس صورة للحياة التي يعيشها بماضيها وحاضرها ..

« ولكنني لم اكف طوال هذه الفترة عن التمني،



جوهر في مشهد تكاهي بين علي البريكي (الى اليمين) ، وغانم الصالح (الى اليسار) .



عبدالحسين عبدالرضا وسعد الفرج «وامبيريك» وسعاد حسين ، في مشهد من مسرحية « مطلوب زوج حالا » وقد كانت هذه المسرحية هي التي نسي فيها عبد الحسين نفسه ، وارهق قلبه ، ثم مولج وشفي ، وعاد يستأنف عمله من جديد .

كنت اتمنى لو ان المرأة الكويتية شاركت في هذا النجاح .

« وأخيرا حدث ما كنت اتمناه وأتوقعه ،فبينما نحن نعد المسرحية ونستعد لاخراجها على المسرح ، أن تقدمت فتاتان كويتيتان مسلمتان ، في جرأة وشجاعة وطلبتا الظهور في المسرحية ..

« ربما كان السبب الذي دفعهما الى الاقدام على هذه الخطوة ، رغم ما كان يحيط بها من نقد، موضوع المسرحية نفسه ، وربما كان الدافع ،هو حرص المرأة الكويتية على الا تغيب عن هذا العمل الفني الوليد ، باعتباره باكورة المسرح الكويتي ، وربما كان الدافع اخيرا هو السببين معا ..

« كانت هاتان الفتاتان ، هما مريم الصالح ومريم الغضبان ، وكانت الاولى رفيعة نحيفة كالخط المستقيم والثانية عريضة سمينة ،كشجرة الجميز ، فاطلقت على الأولى مريم « آ » ،والثانية مريم « ب » .. انني أعتز بهاتين الفتاتين ، كل الاعتزاز ، وأعتبرهما الرائدتين الأوليين في المسرح الكويتي .

« تحية لهما من استاذ يحمل لهما في قلبه كل حب واعزاز وتقدير .. »

الممثل يخلق أولا

وسألنا الأستاذ زكي طليمات في معرض سرده لذكرياته عن تلك الايام الحلوة مع المسرح الكويتي: « ما هو مفهومك عن ماهية الممثل ، وهل هو من صنع الطبيعة ، ام هو من صنع المعلم والمخرج ؟ او بعبارة أخرى هل الممثل يخلق أم يصنع ؟ ».

قال : « انني استطيع أن اقول بعد التجربة ، ان الممثل يخلق اولا ، ثم يصنع ويصقل ثانيا .. فهو ابن الطبيعة وابن المدرسة والتقويم ،وبعبارة أخرى نقول ان الممثل فنان ، لا يغني في تكوينه العلم عن الموهبة ولا الموهبة عن العلم .. وقد تأكد مفهومي هذا للممثل في الكويت !

الارض أنبتت رجالا

وقال زكي طليمات : « ومضينا في الطريق .. مسرحية من بعد مسرحية من بعد مسرحية.. ووجوه من بعد وجوه جديدة اكتشفتها ، ومازلنا نكتشفها مع الأيام .. وقد راعني خصب الارض التي لم تنبت زرعا وانما أنبتت رجالا فيهم خصب الطبيعة الانسانية .. لقد اكتشفت وجوها ومواهب اعتز بها وافخر ، ورحت أعمل على صقلها وتهذيبها وتوجيهها حتى وصلت بها الى الكمال .. ومن بين هذه الوجوه ، اذكر عبد الحسين عبد الرضا »

تحية لعبد الحسين

وتوقف زكي طليمات برهة عن سرد بقية حديثه ، وقال يسألنا : « لقد علمت أخيرا أن عبد الحسين نسي نفسه ، وأرهق قلبه الرقيق في عمله على المسرح ، ترى كيف حاله الآن ؟ » .

قلنا : « لقد منّ الله عليه بالشفاء ، وعاد الى الكويت قادما من لندن التي كان سافر اليها



المخرج حسين الصالح يلقي درسا توجيهيا للممثل علي البريكي ، اثناء البروفة لاحدى المسرحيات الجديدة .



« امبريك » الممثل الهزلي مغلوب على امره في كل ادواره ، جالس على الارض ، ومحمد جابر وعبد المجيد قاسم يتهالان عليه تقريعا وتأنيبا .

طالبا العلاج . ولم يكد يصل حتى عاد الى المسرح اكثر نشاطا .. فالمسرح حياته . »

قال الأستاذ زكى : « هذا اسعد خبر سمعته بعد عودتى الى القاهرة ، ان عبد الحسين عبد الرضا ، ممثل يقف على قدم المساواة مع كبار الممثلين العالميين .. انه مفخرة للكويت ..

كلهم ابنائى

« ثم لا أنسى أبناء لى آخر ، لا اغمطهم حقهم من التنويه .. فهناك سعد الفرج ، الممثل الراسخ القدم ، ثم هناك خالد النفيسي ، الابن الذى جاءنى في غفلة من الزمن ، فاطلقت عليه لقب « عظيم الممثلين الكويتيين وفيلسوفهم » .. فهو اضحك الناس بفلسفته .. اضحكهم ، ولم يضحك عليهم ! ثم هناك عبد الله خريبط وغيره من الممثلين الصاعدين .

« انها اسماء تعيش في قلبى وفي ذاكرتى ، وتؤلف قطاعا كبيرا من حياتى في الكويت ، اذكر منها ايضا عبد الرحمن الضويحى ، وقد اصبح اليوم مؤلفا مسرحيا ومخرجا . كما أذكر حسين الصالح ، الممثل النابه المتعدد الوجوه ، والمخرج المسرحى الأول في الكويت .. اننى اتوقع لهما مستقبلا عظيما باذن الله .. لقد دعوت حسين الصالح الى القاهرة ليشهد لونا جديدا من الوان الاخراج المسرحى الذى يعالج الاستعراضات التمثيلية الكبرى التى تجرى في الهواء الطلق ، داخل اطار أثرى معروف ، وهى استعراضات تضم اكثر من الف ممثل ومائل يتحركون ويسكنون، طبقا لخطة موضوعة .. هذه الاستعراضات هى عملى اليوم ، الذى اعتز به ، واريد ان يشاركنى فيه ابنائى هنا في مصر وفي الكويت ايضا .. ولكل من هؤلاء هزة يد ، ولكل امل في لقاء بالقاهرة أو بالكويت ..

معلم لتلاميذى من بعدى

ويمضي زكى طليمات في ذكر أسماء أبنائه وتلاميذه يقول : « ولن أنسى على البريكى وجوهر، وعلى المفيدى والشطي وكنعان واحمد الراشد وعبد المجيد قاسم وجعفر المؤمن وصالح حمد « امبريك » وغانم الصالح انهم جميعا ابنائى ، وابناء المعهد الذى أنشأته في عام ١٩٦٤ ، وهو معهد الدراسات الذى يعد الممثل الذى يجمع خصب الموهبة،وغزارة العلم والتثقيف والتهذيب، فلم يعد هناك مجال اليوم للممثل غير المثقف ، غير المتعلم .. لقد انشأت هذا المعهد ليكون معلما لأبنائى في الكويت من بعدى .. وانشأته ليحفظ التراث والتقاليد والعادات والتاريخ .. تلك التى

بلد لأبناء الكويت أن يعودوا اليها دوما ، وانشانه اخيرا ليمد المسرح الكويتى بوجوه جديدة ودم جديد ..

« لقد تخرج في هذا المعهد ، حتى اليوم خمسة أفواج ، يعمل افرادها في التلفاز وفي المسرح وفي الاذاعة ، وفي السينما . »

قلنا : « ما الذى تقترحه لهذا المعهد مستقبلا؟ »

قال : « أقترح أن يقتصر الالتحاق به على حملة شهادة الدراسة الثانوية على الاقل . وان تتسع الدراسات فيه وتعمق ، بحيث يمكن أن يتخرج فيه الممثل ذو الابعاد العميقة في فنه ، وفي ثقافته .. ممثل الغد .. ممثل الكويت عام ١٩٨٠ ، وما بعده ..

« ولم يكن في الامكان أن نحقق هذا أول العهد بانشاء المعهد ، اذ كان الوعى المسرحى ما برح في أول مدارجه ، فكان لا بد والحال هذه من تيسير الالتحاق بهذه الدراسات المستحدثة .

أما اليوم فقد ازداد الوعى المسرحى ، ثم قام التلفاز بجانب المسرح . وما دام هنالك تلفاز في قطر من الاقطار ، فلا بد أن تقوم الى جانبه مدرسة تخرج الوجوه الجديدة ، لتغذية العمل الفنى على الشاشة الصغيرة ، حيث يجب أن تتجدد الوجوه التى يطالعها الجمهور باستمرار . »

الجيل الثانى

ويمضي الأستاذ زكى طليمات في حديثه عن المعهد فيقول : « ان خريجى معهد الدراسات المسرحية يؤلفون الجيل الثانى من أبنائى الذين خرجوا الى دنيا النور في المسرح الكويتى ، وهم كثيرون ، يملأون رحاب التلفاز والاذاعة . وقد كتبوا صفحة مجيدة عندما قدموا مسرحية صلاح الدين وبيت المقدس ، للكاتب المعروف فرح أنطون .. قدموها في بغداد وفي القاهرة عام ١٩٦٨ .. قدموها على وجه أثار اعجاب الجمهور وعجبه .. اذ ما كانوا يتصورون أن الكويت الصاعد قد استطاع أن يستنبت حركة مسرحية تستطيع ان تقدم مسرحيات ذات شان في هذا المستوى الفنى الرفيع . » .

أمنيـة لم تتحقق

قلنا : هل حققت كل ما كنت تتمناه للمسرح الكويتى ؟ » .

ويسكت زكى طليمات ويتنهد ، ويقول :«هنالك شيء واحد ، لم أستطع تحقيقه ، بالرغم مما بذلت من جهد مع المسئولين في الكويت ، وهو قيام فرقة قومية كويتية من خريجى المعهد ، ومن بعض العناصر العاملة في الفرق المسرحية ، بحيث تصبح قادرة على أن تقدم الجيد الممتاز من المسرحيات العالمية المترجمة ، ثم من المسرحيات العربية



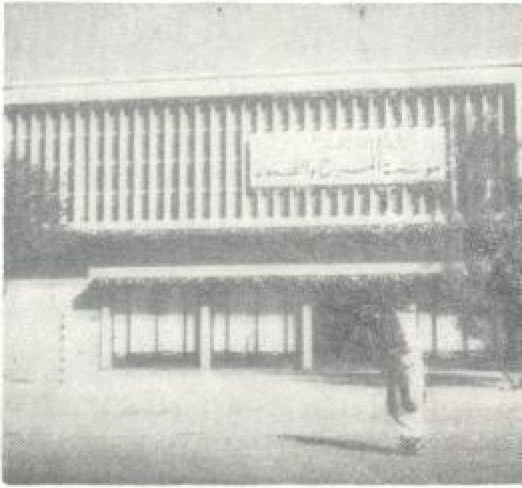
« جوهر » يمص اصبعه في مسرحية عشت وشفت .. لقد قام جوهر في هذه المسرحية بدور شاب معتوه، القى دوره فيها بصورة اثارت جماهير المشاهدين . وفيها ينقل جوهر خبرا عن ابيه في لازمة يقول فيها : « يقول ابوى اقول .. ! » وقد ظلت هذه اللازمة على شفاه الناس منذ عام ١٩٦٤ حتى اليوم !

التي كتبتها أقلام نابهة في أقطار الشرق العربي ، هذا الى جانب المسرحية الكويتية التي تكتبها أقلام كويتية أصيلة ، لا تنزع الى الاقتباس باسم التأليف او الاغتصاب باسم توارد الخواطر .

« انني كنت أتمنى أن أرى هذه الفرقة في الكويت ، لتحقيق غرضين رئيسيين ، أولهما ، امتصاص خريجي المعهد ، والاستعانة بهم في اخراج المسرحيات بأسلوب طريف متجانس الأقسام متناسق الأجزاء ، يحمل طابع الاداء الممتاز الذي يمكن هذه الفرقة من أن تقف أمام الفرق القومية العربية الأخرى .

« أما الغرض الآخر ، فهو أن يكون للكويت واجهة فنية تجيد التعبير عن شخصيتها وعن نهضتها المسرحية والفنية ، من غير أن تعلق بها شائبة من الشوائب ..

« ولا أعني بقيام هذه الفرقة ، الغاء الفرق المسرحية الأخرى التي قامت في الكويت ، ولكن أعني أن تعمل الفرقة القومية الجديدة ، التي تمنيت وما زلت أتمنى ان أراها ، جنبا الى جنب مع أخواتها من الفرق الأخرى التي أطلب لها المزيد من التشجيع الأدبي والمادي من وزارة الاعلام .



مؤسسة المسرح والفنون في الكويت ، ويرى الاستاذ زكي طليمات ان يكون الالتحاق بها مستقبلا مقصورا على حملة شهادة الثانوية العامة ، لرفع المستوى الثقافي المسرحي .

« بهذا وحده يمكن أن تقوم منافسة مشروعة بين هيئتين متكافئتين ، أحداهما للاستهلاك المحلي والعالمي ، بينما تقوم الأخرى بدورها للاستهلاك المحلي وحده .

المسرح الكويتي موجود وقائم

وسألنا الأستاذ زكي طليمات سؤالا أخيرا ، قلنا : « هل تعتقد أنه قد أصبح للمسرح الكويتي وجود واضح المعالم ؟ » .

قال : « للمسرح الكويتي وجود لا شك في ذلك، ولا يمكن ان ينكر وجوده الا المتفيهقون والمتشنجون. هؤلاء الذين لا يعجبهم عجب ، ولا الصيام في رجب ، فهم الذين يستعجلون النتائج،ولا يعرفون ان للزمن كلمة فاصلة في تطور الاشياء بعد نموها ونضجها .

أقول ان المسرح الكويتي قائم بدليل وجود أربع فرق تمثيلية تعمل بانتظام ونجاح طوال العام ، الى جانب قيام معهد الدراسات المسرحية لتخريج الوجوه الجديدة التي تعمل في مختلف فروع العرض المسرحي . ووجود مسرح مدرسي لوزارة التربية يعمل على جعل المسرح هواية يمارسها الطلبة في أوقات فراغهم ويساعدهم على تكوين جمهور أمين يعشق المسرح ويشجعه ويقبل على مشاهدة انتاجه .

واخيرا ظهور مطبوعات مسرحية من وقت لآخر، وفي مقدمتها وبصفة دائمة المسلسل المعروف باسم « من المسرح العالمي » الذي يشرف عليه الأستاذ أحمد مشاري العدواني ، ويعطيه من وقته ومن رعايته قسطا كبيرا ، ساعد على رواج هذا المسلسل وانتشاره في جميع أقطار الشرق العربي . واخيرا وليس آخرا وجود جمهور يغشى حفلات هذه الفرق، ويقبل على مشاهدة ما تقدمه له من انتاج ، ثم أقلام تتناول هذا الانتاج الفني والادبي بالنقد والتقييم . »

وانتهى الأستاذ زكي طليمات من حديثه ،ونهض واقفا ليستعد للانصراف ، فقد كان على موعد مع أبنائه في مسرح محمد فريد ، حيث يعمل اليوم اكثر من ١٤ ساعة يوميا ..

منير نصيف

أُسائلُ عنكِ كلَّ الناس؟

■ أسائلُ عنكِ آذارًا رياحينًا وأزهارًا؟
صخورًا في جبال القُدْس نعرفُها وأشجارا
حفَرْنا في قشورِ جذوعها رَمْزًا وتذكارا
وَذُقْنا حولها قُبَلاً أحالتْ شوقَنا نارا!
تبارَكَ من سقاها في الشتاءِ الماء مِدْرارا!
وأنبتَ حولها الأعشابَ والأعنابَ والغارا
وشاهدْنا غروب الشمسِ نهمس فيه أشعارا

★★★

أسائلُ عنكِ آذارا ونيسانًا وأيّارا؟
شهورَ ربيعنا الفتّانِ يكسو الأرضَ نوّارا
ودارًا كنتِ فيها زهْرةً فيحاءَ معطارا
إذا شوهدْتِ واقفةً جذبتِ إليكِ أنظارا
وحيتْكِ القلوبُ تفيضُ إعجابًا وإكبارا

★★★

أسائلُ عنكِ ما أبصَرْتُ في الآفاقِ أطيارا
لعلَّ لها هنالكَ في فروع السَّرْوِ أوكارا
وهلاّ أبصَرَتْ في القدْسِ قبل مجيئها الدارا؟

وَحَطَّتْ فـوقَ صَخْرتِنـــا ضُحىً لِتَسُــنَّ مِنْقَـــارَا
وتأكلَ ما تشـاءُ هنـــا كَ أعشابـاً وأثمـــارَا
وتَشْدوَ فوقَهـــا وتُعيـــدَ ذاكَ الشـدوَ تكـرارا ؟

★★★

أسائلُ عنـكِ ما أبْصَـرْتُ طـائـرةً وطيّـــارا
وكـلَّ مُوَاطـــنٍ آتٍ قريبـاً كانَ أوجـــارا
وأترابـــاً وأصحـابـــاً وأحبابـــــاً وزُوّارا
وُجُوهـــاً من حيَاكِ البَقْـعتَيْـنِ (١) خُلِقْنَ أقمارا
أسائلهُـمْ لعـــلَّ لَدَيْـهمو صُوَرًا وأخبـــارا
لعـلّي أبْصِـرُ الوجـهَ الـجميـلَ بشـعُّ أنـوارا !

★★★

أسائلُ عنـكِ كلَّ النـاسِ : أخيـارًا وأشـــرارا
ورغْمَ تسـاؤلي هـــذا فمـا أفْشَيْـتُ أسـرارا
وأنـتِ عـلى امتداد العُمْـرِ أعْـلَى الناسِ مقـدارا
وإسْمُكِ فـي فمي مـازا لَ أغْنِيَـةً ومزمـــارا
وَحُبُّكِ لم يزلْ في القلْـبِ عاصفـةً وإعصـــارا
أحييـهِ بأشــعاري إذا حَيَّيْـتُ آذارا !

■■

احمد غازى النمرى

---

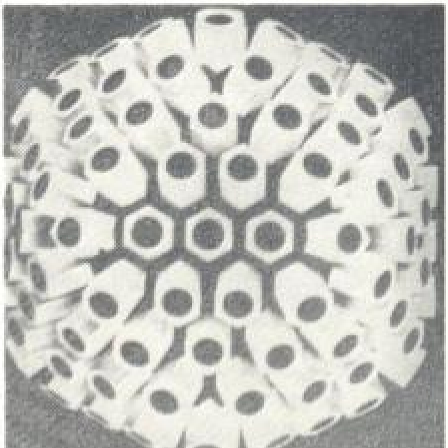
(١) البقعة الفوقا والبقعة التحتا هما حيّان من احياء القدس الجديدة .

أمراض شائعة

مرض
القوباء البسيطة
فى العين
Herpes Simplex

بقلم : الدكتور حسن عبد الوهاب

■ يسبب مرض القوباء البسيطة فيروس دقيق الحجم يبلغ قطره ١٠٠ الى ١٥٠ مليميكرون ، ولذا لا يرى الابواسطة المجهر الالكتروني وهو اى الفيروس مستدير الشكل وله مركز اكثر كثافة ومضيفه الطبيعي هو الانسان حيث يصيب خلاياه الجلدية والاغشية المخاطية اما اذا لقح الفيروس فى مضيف غريب آخر غير الانسان فانه حينئذ يصيب الانسجة العصبية والمخ وقد يقتل هذا المصاب بحدوث التهاب قوبائي فى المخ Herpetic encephalitis ، وحين يصاب الانسان فان المرض عادة يتخذ شكل حويصلات تظهر اما على الوجه او حول الفم والانف او على الاعضاء التناسلية الخارجية او تظهر على القرنية وتحتوى هذه الحويصلات المعروفة باسم القوباء على سائل يرتع فيه آلاف بل ملايين من الفيروسات الدقيقة المسببة للمرض ومنه تنتشر للآخرين .



شكل توضيحي لفيروس القوباء البسيطة

ومرض القوباء البسيط هو أحد الامراض الفيروسية التي تصيب الانسان وهناك حوالى خمسين مرضا معروفا تحدث بواسطة العدوى

بالفيروسات في الانسان ، بعضها خطر وبعضها يسبب حالات مرضية خفيفة ، ولما كانت القوباء البسيطة من الامراض الخطرة التي تصيب العيون فاننا سوف نتناولها في هذا المقال مع التركيز على اصابة القرنية بالذات .

القوباء البسيطة بالملتحمة والقرنية

دورة أو طور حياة الفيروس :

قد تبدأ العدوى الاولية بالفيروس بالانتقال من الاعضاء التناسلية الخارجية للام الى الوليد أثناء الولادة ولكن الطفل حديث الولادة يكون عادة لديه مناعة ضد الاصابة بالفيروس خلال الستة شهور الاولى من عمره وذلك بسبب انتقال الاجسام المضادة للفيروس من الام اليه عبر الدورة الدموية أثناء فترة الحمل ـ وان كان هذا ليس دائما فقد لوحظت الاصابة بالمرض في الرضيع البالغ اسبوعين من العمر ـ وبعد هذه الشهور الستة يصبح الطفل قابلا للعدوى التي تحدث عادة نتيجة قبلة من شخص مريض او حامل للميكروب . وقد ياخذ المرض حينئذ صورة دون سريرية Subclinical ـ أي لا تظهر على المريض اعراض المرض ـ او قد ياخذ صورة حادة Acute Illness ، مصحوبة بحمى وتوعك وتضخم بالغدد الليمفاوية المتعلقة بالمنطقة المصابة ، مع التهاب شديد باللثة والغشاء المخاطي للفم Gingivo - stomatitis واحيانا التهاب شفرات الجفون والملتحمة Blepharo - Conjunctivitis .

فاذا كان الرضيع محظوظا ولم يصب بالمرض خلال الفترة الاولى من طفولته ـ بين سن ستة شهور وخمس سنوات ـ فانه يكون عرضة مرة اخرى للاصابة بالمرض بين سن ١٦ ، ٢٥ سنة بواسطة القبلات مع الجنس الآخر ، وخصوصا اذا كانت احدى هذه القبلات على الوجنة بالقرب من العين ، ومن ثم تنتقل الى العين بواسطة يد المريض أو منديله .

بعد هذه العدوى الاولية يكمن الفيروس في موقع العدوى الاولى ساكنا لمدة طويلة قد تمتد الى سنوات كثيرة حتى لكانه فقد القدرة على النشاط واحداث العدوى واعراض المرض ، هذه الفترة تسمى فترة التكافل ـ اى تعايش الضدين غير المتشابهين ـ Symbiosis ، ثم ينشط الفيروس فجاة وبدون سابق انذار محدثا اعراضه ليختفي مرة اخرى داخلا في فترة تعايش او تكافل اخرى ثم تتكرر الصورة بظهور حويصلات حافلة بالفيروس النشيط في مكان الاصابة الاولى .

١ ـ الاصابة الأولية : Primary Herpes

كما ذكرنا سابقا تبدأ العلة الاولية في اى سن ولكنها غالبا تحدث في الاطفال بين سن ستة شهور وخمسة سنوات ثم في فترة المراهقة وحتى سن ٢٥ سنة وتبدأ العلة الاولية عادة على الجفون او شفرات الجفون Lidmargins مصحوبة غالبا بحويصلات على الشفتين وغالبا تصيب احدى العينين فقط ، وبعد فترة حضانة تتراوح بين ٣ ـ ١٢ يوما يظهر المرض في الملتحمة على شكل رمد جرابي حاد Acute Follicular Conjunctivitis مصحوبا بتضخم في الغدد الليمفاوية امام الاذن وتحت الفك السفلى مع توعك بسيط ، واحيانا تكون الاصابة بالملتحمة على شكل رمد بثرى Phlyctenular Conjunctivitis ، أو نزيف بسيط تحت الملتحمة ونادرا في صورة تقرحات مؤقتة تلتئم من تلقاء نفسها في خلال بضعة أيام ، وقد تبدو الاصابة في الملتحمة على شكل غشاء كاذب .

تنتقل العدوى بعد ذلك من الملتحمة الى القرنية ـ في ٧٠٪ من الحالات ـ حيث تصيب الطبقة الظهارية Epithelial Layer وتظهر الاصابة على شكل نقاط دقيقة جدا تصبح بعد ذلك تقرحات غاية في الصغر وقد تختفى هذه التقرحات بالقرنية من تلقاء نفسها في خلال ايام قلائل او تكبر وتتخذ اشكالا مختلفة دائرية او كالنجمة او كالشجرة المتفرعة ، وقد تتوقف صورة المرض بالقرنية عند هذا الحد او قد تمتد الى ما تحت الطبقة الظهارية ثم الى النسيج الضام للقرنية Stroma .

تمكث الحالة الحادة بالملتحمة عادة حوالى اسبوعين او ثلاثة اسابيع اما الاصابة بالقرنية فانها تمتد الى عدة اسابيع اخرى .

وقد ياخذ المرض صورة أكثر حدة في الاطفال

الصغار خصوصا اثناء فترة الرضاعة ، حيث تظهر تقرحات وحويصلات على جميع اجزاء الجسم ، تصبح فيما بعد بثرات صديدية مصحوبة بارتفاع شديد في درجة الحرارة والتهاب وتضخم بالغدد الليمفاوية والتهاب بالكبد والمخ وتنتهي الاصابة بالوفاة، وقد لوحظت هذه الصورة ايضا في الكبار مصحوبة بالتهاب في الاغشية السحائية والمخ Herpetic meningoencephalitis وفي بعض الحالات تم شفاء المريض دون مضاعفات تذكر وفي البعض الآخر تخلفت مضاعفات عصبية أو عقلية وفي حالات اخرى توفي المريض نتيجة هذه الاصابة العامة الحادة .

٢ ـ القوباء المترددة : Recurrent Herpes

هذه الصورة من المرض اكثر خطورة من الاصابة الاولية التي سبق شرحها وتكمن خطورتها في ترددها مع ما يسببه ذلك من اصابة شديدة بالانسجة الواقعة تحت الطبقة الظهارية للقرنية واصابة النسيج الضام ـ اللحمة ـ وحدوث سحابات وعتامات نتيجة التليف الذى يصيب هذه الانسجة في نهاية الامر . ويبدو ان التردد يحدث نتيجة تغير في مقاومة المريض ، ولوحظ ان التردد يحدث عادة بعد التعرض لمنبه او مثير قد يختلف من شخص لآخر مثال ذلك حدوث المرض بعد ارتفاع شديد في درجة حرارة الجسم كما يحدث في مرض الملاريا والالتهاب الرئوى والانفلونزا وحمى التيفود وبعد التحصين من مرض التيفود ، وقد يكون المنبه لنشاط الفيروس مجرد التعرض لطقس بارد او لاضطراب نفسي او مع حدوث الطمث عند النساء او بعد التعرض لضربة او ارتطام خفيف .

العلاج

ـ اصابات الملتحمة بالقوباء البسيطة لا تحتاج لعلاج حيث انها تشفى من تلقاء نفسها . اما اصابات القرنية فتحتاج الى علاج طويل وقد تعيى الطبيب وترهق المريض . ويتلخص العلاج في :

أ ـ قطرة الاتروبين ١٪ او مرهم الاتروبين ١٪ + قطرة أو مرهم مضاد للفيروس + كمدات دافئة او تدفئة بواسطة الكهرباء .

ب ـ كي القرحة بمادة الفينول النقى أو محلول اليود الكحولى ، ثم وضع الادوية المذكورة في (أ) ورباط العين .

جـ ـ العلاج بالمواد المشعة اذا اخفق العلاج في أ + ب .

د ـ العلاج الجراحي .

١ ـ تغطية القرنية بغشاء من الملتحمة Conjunctival FlaP

٢ ـ تغطية القرنية بخياطة الجفون Tarsorrhaphy

٣ ـ عملية ترقيع القرنية .

هـ ـ العلاج بالكورتيزون : في حالات التهابات النسيج الضام بالقرنية وذلك بعد علاج وشفاء الطبقة الظهارية تماما وليس قبل ذلك اذ يؤدى العلاج بالكورتيزون اثناء وجود التهابات الطبقة الظهارية الى استفحال المرض وانثقاب القرنية وفقد العين .

● ـ علاج مضاد للمنبهات التي تؤدى الى حدوث النكسات « تردد المرض » مثل علاج الحالات النفسية ، او عدم التعرض للبرد الشديد وعلاج التهابات الجهاز التنفسي والحميات المختلفة الخ ...

● ـ علاج الجلوكوما « ارتفاع ضغط العين » باقراص دياموكس او محلول الجليسرين بالفم .

كلمة قبل الاخيرة عن العلاج بالكيماويات المضادة للفيروسات ان هذه المواد لا تقتل الفيروس ولكنها تمنع تكاثره فقط والعلاج بها يلزم فقط اثناء المرحلة الاولى من المرض ويحتاج الى تركيز شديد للدواء وذلك باستعماله كل ١/٢ ساعة أثناء النهار وكل ساعتين اثناء الليل او باستعمال مرهم مركز اثناء الليل .

● ـ علاج المضاعفات الناشئة عن المرض بالعين.

بقي أن نقول انه رغم كل العلاجات المتوفرة حاليا فان المرض يعاود الظهور بين الفينة والاخرى ولا يزال الباحثون يعملون جاهدين لايجاد طرق افضل للقضاء على هذا المرض الذى يصيب ملايين من البشر كل عام .

حسن عبد الوهاب

الإمام أبو القاسم الزمخشري

صاحب الكشاف

التقى الزمخشري، في شبابه بحجة الإسلام الغزالي، في كهولته، فكانت بين الإمامين المتعاصرين مواقفات ومفارقات.

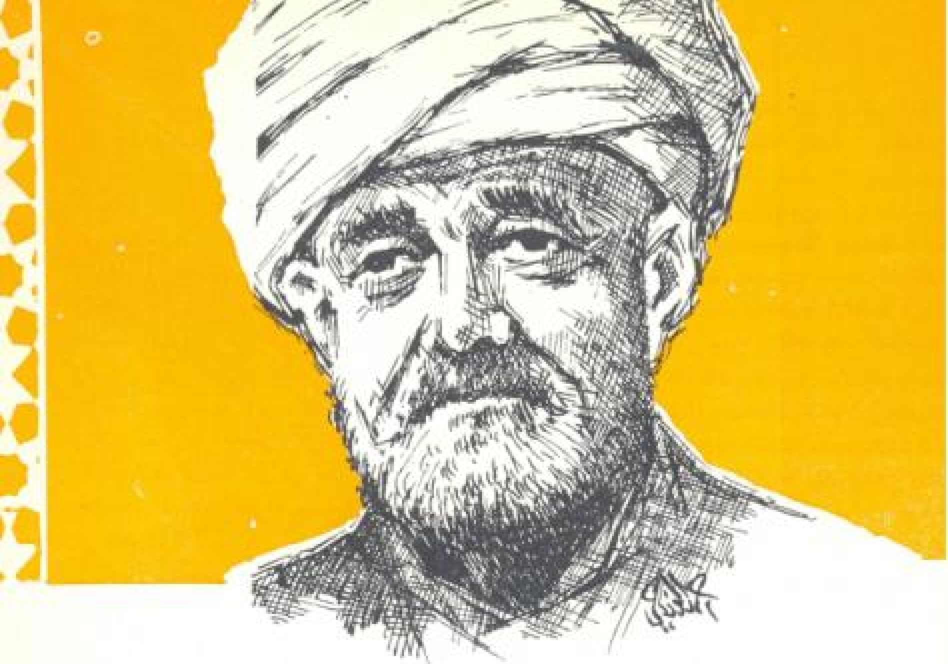
بقلم: محمد بن أحمد بن عمر الشاطري

■ حين نقرا حوادث القرنين الخامس والسادس الهجريين (الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين) نجد فيهما ما نجده في ذلك العصر الذى عرف بانحلال الامبراطورية العباسية ، الى دول متعددة ومنيت فيه البلاد العربية الاسلامية بتخلف في المجتمع ، واضطراب في حبل الامن ، وفساد في صميم الحكم ، وحروب داخلية ، وجانبية آخذ بعضها برقاب بعض ، ولكن شيئا واحدا اذ ذاك نجد فيه شيئا من الهناء والعزاء عن تلك الكبوات، والنكبات ، ذلك هو النهضة العلمية الكبرى بين رجال العلم والثقافة من ابناء ذلك العصر ، ممن انتج والف في مختلف العلوم ، من عقائد ،وشريعة وادب ، وفلسفة ، وطب ، وهندسة ، وطبيعة ، وتصوف وغيرها ، كالغزالى ، وابى القاسم القشيرى وامام الحرمين،وابى اسحاق الشيرازى، وابن الصباغ ، والزمخشرى (الذى سنعيش معه هذه اللحظات) وغيرهم ممن اصبحت المكتبات العربية الاسلامية غنية بتراثهم العلمى والثقافي الخالد الذى تباهى به المكتبات الاجنبية الاخرى من شرقية ، وغربية ، وكانهم ارادوا ان يعوضوا امتهم عما فاتها ابان غفوتها من التقدم ، والوحدة، والاصلاح العام ، بما يقدمونه لها من انتاجهم العظيم لتسترشد به في حاضرها ، ومستقبلها ، الى جانب ما كانوا يقومون به في حياتهم ـ رحمهم الله ـ من رحلات وتنقلات في الاقاليم العربية والاسلامية ـ شموسا مشرقة ـ لالقاء الدروس ، ومبادلة البحوث ، وللمحاضرات وللمناظرات التى اصبحت عندهم فنا له نظامه وقواعده، وشروطه، وكثيرا ما يحتل بسببها المناظر الغالب كرسي الصدارة ، والزعامة بين اقرانه ، وزملائه .

نسب الزمخشري ومولده

هو ابو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمى الزمخشرى ، وفي غمرة ذلك العصر الذى اشرت اليه في شهر رجب سنة ٤٦٧ هـ ١٠٧٥ م ولد هذا الامام العظيم في زمخشر ـ بسكون الخاء ، وفتح ما قبلها والشين التى بعدها ـ وهى قرية من قرى خوارزم ، البلاد الواسعة الشهيرة التى انجبت كثيرا من كبار العلماء والكتاب والساسة في ذلك العهد ، من العرب والفرس ، وغيرهم ، وتقع على نهر آموداريا من جمهورية تركستان التى اصبحت في عداد الجمهوريات السوفيتية اليوم .

ومن طريف ما يروى الزمخشرى عن ابيه ان اعرابيا اجتاز بقريته فسال عن اسمها ، فقيل له زمخشر، فقال لا خير في شر ورد، ولم يلمم بها،



والكلمة ، وان كانت في الاصل غير عربية ، فسرها الاعرابي بلغته العربية من كلمتي زمخ ، وشر .

نشأة الزمخشري ، واستعماله رجلا صناعية

وقد نشأ الزمخشري طالبا مجدا في خوارزم متنقلا بين شيوخها، وعلمائها ، وفي بخارى الشهيرة بمحدثيها ومفسريها .

وكان في صباه لا يخلو عن العرامة التي تعتري بعض الاطفال الاذكياء حتى كانت سببا في دعاء والدته عليه بفقدان رجله ، كما يروى ، ولنتركه رضي الله عنه يتحدث الى الامام الحنفي الدامغاني لما ساله عن سبب قطع رجله ، وقد اجتمع به في بغداد في اثناء رحلة الزمخشري اليها ، قال سبب قطعها دعاء الوالدة ، وذلك اني كنت في صباي امسكت عصفورا، وربطته بخيط في رجله، فافلت من يدي ، فادركته وقد دخل في خرق فجذبته فانقطعت رجله في الخيط ، فتالمت والدتي لذلك، وقالت قطع الله رجلك كما قطعت رجله ، فلما وصلت سن الطلب رحلت الى بخارى لطلب العلم فسقطت عن الدابة فانكسرت رجلي ، وعملت لي عملية اوجبت قطعها . ويقول العلامة ابن خلكان، في وفيات الاعيان ، انه سمع من بعض المشايخ ان احدى رجليه كانت ساقطة ، وانه كان يمشي في جارون خشب (آلة قديمة من الخشب) ويعلل سبب سقوطها بثلج كثير ، وبرد شديد في بعض اسفاره بخوارزم اسقط منه رجله ، وكان بيده محضر فيه شهادة خلق كثير ممن اطلعوا على حقيقة ذلك خوفا من ان يظن من لا يعرف الحقيقة انها قطعت لريبة ، ثم قال : والثلج والبرد كثيرا ما يؤثران في الاطراف في البلاد الباردة فتسقط ، خصوصا في خوارزم، فانها في غاية البرودة ، ولقد شاهدت اناسا كثيرين ممن سقطت اطرافهم بهذا السبب ، فلا يستبعده من لا يعرفه .

ولكن ابن خلكان سرد الرواية الاولى ايضا قبل هذه الاخيرة، وعقبهما بقوله ، والله اعلم بالصحة، ولم يتعرض لتصحيح احداهما او ترجيحها ، ولم يحاول الجمع بينهما ، مع انهما متقاربتان ، ومن المحتمل ان يكون قد اثر الثلج على رجله بعد سقوطه عن الدابة ، وذلك لاستعدادها للتاثر بالثلج والبرد اكثر بعد الكسر لضعفها ، ومهما يكن فمن المحقق ان فقدان رجله لم يكن لريبة ـ رحمه الله تعالى ـ .

رحلاته وتلاميذه

قام الزمخشري برحلات عديدة منذ عنفوان شبابه

تنقل فيها ما بين مدن خوارزم، وبخارى ،والعراق والحجاز لطلب العلوم ، ونشرها ، وللقاءات القرائه من فحول العلماء والادباء وجاور بمكة المكرمة زمنا طويلا ، ولهذا لقب ـ جار الله ـ ثم عاد اخيرا الى وطنه حيث توفي بها .

وكان في اثناء هذه الرحلات ، يدرس ، ويؤلف، ويحاضر ، ويناظر ، وتشد اليه الرحال ، ويجيز العلماء البارزين من طلبته العديدين ، رجالا ، ونساء ، ومن ابرز مريداته ، العالمة الحافظة ام المؤيد زينب بنت ابى القاسم النيسابورى ، وكانت ممن ظفر باجازة الزمخشرى التى قل أن يمنحها لاحد الا اذا كان من كبار العلماء المؤهلين ، والاجازة عندهم بمنزلة شهادة التفوق اليوم او اعظم .

علومه ومصنفاته

كان متخصصا في العلوم الشرعية ، وآلاتهـا ، ومتفوقا في العلوم العقلية والادبية ، قال عنه ابن خلكان في وفيات الاعيان (كان امام عصره غير مدافع ، تشد اليه الرحال في فنونه) .

وبالاطلاع على مؤلفاته تتجلى غزارة علمـه ، ودقة بحثه ، واتساع افقه ، وحصافة عقلـه وبلاغة اسلوبه ، فله انتاج من الكتب،والمراسلات، والاجازات ، والاشعار .

الكشاف

واول مصنفاته واشهرها الكشـاف في تفسير القرآن الكريم ، وهو اكثر التفاسير عناية بدقائق معاني اللغة العربية ، وبيان اعجاز القرآن ، في اسلوبه العربى الرائع ، وكان يسلك مسلك البحاثة الذى يستثير ذهن القارىء ، وارشاده ، وتنبيهه الى نقاط البحث ، والاشكال ، ثم يجيب عنها بدقة وايضاح ، وقد دعم فيه حجج المعتزلة الذين يعد امامهم في عصره ، ويجاهر بعقائدهم في كل مناسبة ، وهم الطائفة التى تغلب جانب العقل ، وتعمل على تأويل ما لا يوافقهم من النقل ، بينما يغلب الظاهريـة جانب النقل ، في حين يعرف الاشعرية بعملية التوفيق بين العقل والنقل على السواء ، مما يجده القارىء المؤهل مفصلا في الكتب المختصة بعلوم العقائد ، والتشريع .

استفتح الزمخشرى كشافه بقوله « الحمد لله الذى خلق القرآن » فاخبر بان في هذا دعاية ضد انتشاره . فابدلها بقوله « الحمد لله الذى جعل القرآن » وجعلَ في اصطلاحهم بمعنى خلق ، وابدلها بعض النساخ ، بعده بقوله « الحمد لله الذى انزل القرآن » .

وفيه يقول هذين البيتين :

ان التفاسـير في الدنيـا بلا عـدد
وليس فيهـا لعمرى مثـل كشـاف
ان كنت تبغى الهـدى فالزم قراءتـه
فالجهل كالـداء والكشـاف كالشـافي

وقد صنف الامام ناصر الدين الاسكندرى ـ قاضي الاسكندرية ـ كتابا سماه ،الانتصاف من الكشاف، اوضح فيه ما تضمنه الكشاف من الاعتزال ، وناقشه باسلوب جيد ، وهو مطبوع على هامش الكشاف ، كما ناقشه آخرون .

ومن اشهر مصنفاته المفصل في النحو ، وقد خدم هذا الكتاب شروح كثيرة وفيه يقول بعضهم :

مفصل جار الله في الحسـن آيـة
والفاظـه فيـه كـدر مفصل
ولولا التقـى قلـت المفصـل معجز
كـآى طـوال مـن طـوال المفصـل

وله مصنفات كثيرة لا يتسع المقام للكلام عنها كلها ، منها ، الفائق في تفسير الحديث ، ورءوس المسائل في الفقه ، والمستقصى في امثال العرب ، وشافي العى من كلام الشافعى ، والقسطاس في العروض ، واساس البلاغة ، وديوان شعر ، والرسائل ، ومعجم الحدود ، وغيرهـا مما يعد بالعشرات .

بين الزمخشرى والغزالى

وقد التقى الزمخشرى ، وهو في شبابه بحجة الاسلام ابى حامد الغزالى ، وهو في كهولته ،وبين الامامين المتعاصرين موافقات ، ومفارقات ، فمن الموافقات بين الاثنين ، اتساع كل منهما في العلوم العقلية ، والنقلية ، وفي وفرة المصنفات ، وكثرة الطلبة ، ومتانة الخلق ، وعزة النفس ، والزهد في الدنيا ، ورجاحة العقل ، ونزاهة القصـد ، والخبرة بحالة مجتمعهما الاسلامى ، وفي كثـرة الرحلات ، والعودة في النهاية الى الوطن ، وفي غير ذلك من الخلال الحميدة التى تتوافر في اعلام العالم الاسلامى. ولعل النقطة البارزة في المفارقات بينهما هى نقطة اختلافهما في العقيدة ، ففى حجة الاسلام الغزالى تتمثل آراء وعقائد اهل السنة والجماعـة ، او الاشعريـة منهـم ، وفي الامام

الزمخشري ، لتمثل آراء وعقائد المعتزلة ، وكل منهما زعيم من زعماء طائفته ، وقد دارت بين الاثنين مناظرة من نوع المناظرات المألوفة بين كبار العلماء في ذلك العصر ، ولم اجد في كتب التراجم المعنية التي بين ايدينا تفصيلا لتلك المناظرة ، ولكن يستفاد من بعض كتب التوحيد والعقائد ان من المواد التي وضعت على بساط البحث والمناظرة بينهما رؤية الله في الآخرة ، فالغزالي كعالم سني يقول بجوازها عقلا بلا كيف، بينما الزمخشري كعالم معتزلي يقول باستحالتها عقلا ، وهكذا دار النقاش والجدل بينهما ، كما تناولها من سبقهما من اعلام الطائفتين حتى خاطب الغزالي زميله بالابيات الشهيرة التي يقول فيها :

ايها السامع عني ما اقول
فصّر القول فذا شرح يطول
ثمّ سرّ غامض من دونه
قصرت والله اعناق الفحول
انت لا تعرف اياك ولم
تدر من انت ؟ ولا كيف الوصول

وقال بعضهم انه سأله عن معنى قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » فاجابه بما فيه تقديس لله ثم بالابيات المشار اليها .

ويحدثني بعض الشيوخ الحضارمة بان الزمخشري سئل بعد هذه المناظرة عن انطباعاته عن الغزالي فقال انه طويلب علم ، وهذه الجملةمن الزمخشري ـ اذا صحت ـ لايمكن قبولها على علاتها، ولا بد من حتمية التأويل لها فالزمخشري متبحر في علم الكلام بينما يقول المازري المغربي ان الغزالي ليس متبحرا في علم الكلام ، ووافقه ابن السبكي في طبقات الشافعية بقوله (فانا اوافقه على ذلك، لكن اقول ان قدمه فيه راسخ ، ولكن لا بالنسبة الى قدمه في بقية علومه هذا ظني) فالمناظرة اما ان تكون قد جرت في هذه المادة وحدها ، او مع مواد من علم البلاغة التي يعد الزمخشري فارسها المجلي،ثم انجلت عن تلك الانطباعة من الزمخشري، والا فابو حامد الغزالي متفوق على زميله في علوم اخرى لا يشق له فيها غبار، كالفلسفة،والتصوف والفقه ولكل من الامامين ميزانه ، كما يعرف ذلك من دراسة حياتهما ، وكتبهما ، ومهما يكن فلا يلزم من كلمة الزمخشري في الغزالي الغض من قدره، او الحط من كرامته ، بل ربما كان التصغير فيها للتعظيم على حد قول الشاعر العربي :

دويهية تصفر منها الانامل

هل رجع الزمخشري عن عقيدته

يقول بعض المؤرخين ان الزمخشري رجع عن عقائد المعتزلة في آخر عمره ، واوصى بان تكتب على قبره هذه الابيات :

يا من يرى مد البعوض جناحها
في ظلمة الليل البهيم الأليَل
ويرى عروق نياطها في نحرها
والمخ في تلك العظام النحّل
اغفر لعبد تاب من فرطاته
ما كان منه في الزمان الاول

شعر الزمخشري

للزمخشري اشعار تدل على حسن الذوق ، ولطف الاسلوب ، ومراعاة البديع ، وجودة المعنى منها قوله في الغزل :

مليح ولكن عنده كل جفوة
ولم ار في الدنيا صفاء بلا كدَر
ولم انس اذ غازلته قرب روضة
الى جنب حوض فيه للماء منحدر
وقلت له جئني بورد وانما
اردت به ورد الخدود وما شعر
فقال انتظرني رجع طرف اجيء به
فقلت له هيهات مالي منتظر
فقال ولا ورد سوى الخد حاضر
فقلت له انني قنعت بما حضر

ومن شعره في الرثاء قوله في رثاء شيخه ابي مضر :

وقائلة ما هذه الدرر التي
تساقط من عينيك سمطين سمطين
فقلت هو الدر الذي كان قد حشا
ابو مضر اذني تساقط من عيني

وهكذا نجد الامام الزمخشري ـ كاضرابه من كبار الائمة ـ يجمعون بين الفن في الشعر الى الاستقامة في الخلق ، نفع الله بهم .

وفاته

توفي الزمخشري في في ليلة عرفة ذي الحجة سنة ٥٣٨ هـ (١١٤٤ م) رحمه الله تعالى وابقى ذكره في الخالدين .

محمد بن احمد بن عمر الشاطري
جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية

مع ...
الله
في الأرض

وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه
وقدرة الله تتراءى في بديع صنعه

العقارب

■ والعقارب ليست عناكب ، ولكنها من طائفة العنكبوتيات Arachnids . انها للعناكب صواحب يجمعها والعناكب طائفة واحدة هي الطائفة العنكبوتية .

صفات العقارب

وإذن فالعقارب لها الصفات التي للعناكب ، تجمع بينها ، ومثال ذلك أن لها من الأرجل أربعة أزواج . وإذن فالعقارب والعناكب لها الصفات العامة التي لحيوانات الشعبة ذات الأرجل المفصلية كلها ، تجمع وتوحد بينها .

كيف تحصل العقارب على أرزاقها

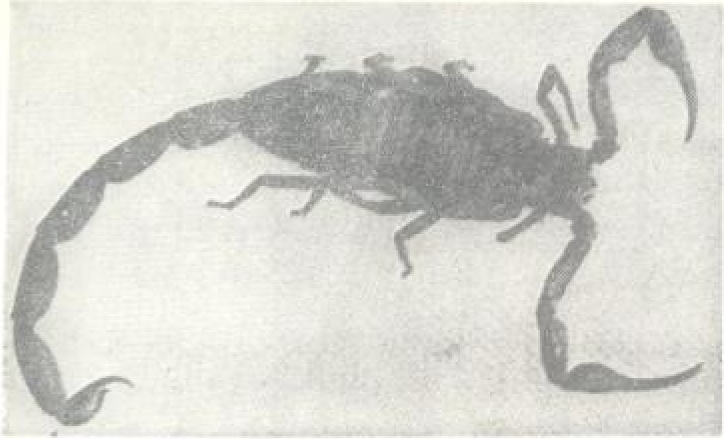
ومع هذا فالعقارب تختلف مظهرا عن صواحبها العناكب اختلافا كبيرا .

وهي مزودة من أمام بزوج من الأطراف



العقرب

وقد حملت ابرتها حتى صارت فوق رأسها استعدادا لتفرزها بالسم في ضحيتها



العقرب

وقد ظهرت بها اربعة ازواج من اطراف ، غير الكلابتين من امام ، والابرة ، وهي في طرف الذيل الذى هو امتداد للبطن.

قويين يعملان كالكلابة او الكماشة تمسك بهما الضحية التى تجد . وهى فى هذا تشبه القشريات كجراد البحر Lobster وغيره .

وبطنها مزود من خلف ، فى طرفه لينال الضحية فيفرز فيها حُمَتَه مقوسة جارحة سامة .

وتتحفز العقرب للقاء صيدها ، حشرة كان أو عنكبوتا ، فتمسك به بكلابتيها كما يمسك الحداد بحديدته الحمراء من النار ، ثم تطيح بذنبها من فوق جسمها لينال الضحية ففرز فيها حُمَتَه ويصبُّ سمه .

وسم بعض العقارب خطر على الرجال وقد يودى بحياة الاطفال . ووخزة اكثر الأنواع تؤلم ولكن لا تقتل .

العقارب ، عندما يلتقى ذكرها بانثاها

والعقرب ذكر وانثى .

ولا تجدهما يلتقيان الا عند الشجار او عند المباشرة الجنسية .

وفى المباشرة الجنسية يمسك الذكر والأنثى ، بعض ببعض ، ويمسك طرفا الكلابتين فى الذكر بطرفى كلابتى الأنثى . ويجرى رقص عند ذلك وعبث قد يمتد الساعات ، ثم يكون اللقاح .

وبعد اللقاح كثيرا ما تأكل الانثى الذكر .

العقارب تعمل فى الليل وحده

والعقارب تسعى وراء عيشها عندما يخيم الليل . فاذا طلع الفجر عمدت الى مكان تختفى فيه ، تحت قطعة من حجر ، أو جذع من خشب ، او حذاء رجل سيىء الطالع .

ومن الشائع عند بعض الناس أن العقارب تنتحر احيانا بوخز نفسها بحُمَتها . وهذا قول باطل لأن سم العقرب لا يؤثر فيها . وهذا تدبير عظيم .

العقارب انواع كثيرة

والعقارب انواع كثيرة تبلغ نحو ٥٠٠ نوع ، تعيش على الأكثر فى الاجواء الدافئة فى كل بقاع الارض .

ومنها الصغير الذى يبلغ طوله نصف بوصة ، والكبير الذى يبلغ طوله نحو ٨ بوصات .

صغار العقرب

والعقرب تلد من صغارها ما بين ٢٠ الى ٤٠ عددا ، تخرج فى غشاء تساعد العقرب على شقه وفتحه . والعقرب الأم بعد ذلك تنبطح على الأرض ليأذن ذلك لصغارها بركوب ظهرها . ويظل الصغار هناك فوق ظهر الأم نحو اسبوع ، ولا غذاء لهذه الصغار الا ما تبقى فى اجسامها من طعام .

القُراد

وهو صاحب العناكب والعقارب لأنهاجميعا تؤلف الطائفة المعروفة بالعنكبوتية Arachnids وهى بعض طوائف ، الشعبةالمعروفة بذات الارجل المفصلية كما سبق أن ذكرنا وكررنا .

وأعرف الناس بالقراد اولئك الذين يأوون الكلاب أو المواشى ، فهى تعيش على جلودها مغمورة بشعرها . ومن دم الكلب أو الماشية يستقى القراد ، فهو حيوان طفيلى .

وانثى القراد اذا امتلأت بالدم ، فشبعت ، سقطت من ظهر الماشية الى الأرض ، وعلى الارض تبيض بيضها ، ويبلغ عدده عادة بضعة آلاف فى المرة الواحدة .



قراد الكلاب

وهو يسكن فى جلد الكلب واضرابه، ويمتص دمه بشراهة زائدة .

وتخرج صغار القراد من البيض فتتسلق النبات فى الحقل ، وتتسلق الشجر ، حتى اذا مرّ حيوان من تحتها سقطت عليه ، وعلى دمه عاشت .

والقراد يحمل الكثير من اسباب الأمراض ، ومنها الحمى المعروفة بحمى تكساس Texas Fever وهى تصيب الماشية . وكان للعالم الفرنسى بستور Pasteur فى كشف القراد وما يحمل من اسباب الأمراض شأن كبير فى تاريخ العلم مذكور .

●●

أ • ز

نتيجة مسابقة العدد ١٦٥

مسابقة سهلة .. واجابات كثيرة

■ تميزت مسابقة العدد ١٦٥ بالسهولة . وقد ورد الينا العديد من الاجابات الصحيحة ، وان دل هذا على شيء فانما يدل على تمسك القراء العرب بتراثهم الادبي القديم ..

واليك نموذجا من هذه الاجابات الصحيحة :

اسم الكتاب	اسم المؤلف	اسم الكتاب	المؤلف
١ ـ يتيمة الدهر	الثعالبي	٦ ـ مروج الذهب	المسعودي
٢ ـ العقد	ابن عبد ربه	٧ ـ البخلاء	الجاحظ
٣ ـ الكتاب	سيبويه	٨ ـ الاغاني	ابو الفرج الاصفهاني
٤ ـ العين	الخليل بن احمد	٩ ـ رسالة الغفران	ابو العلاء المعري
٥ ـ معجم البلدان	ياقوت الحموي	١٠ ـ وفيات الاعيان	ابن خلكان

وهذه هي اسماء الذين اسعدهم الحظ بالفوز باحدى جوائز هذه المسابقة

■ الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها علي لافي سمر العنزي ـ الرياض ـ السعودية.

■ الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فازت بها حورية عريبي ـ طرابلس ـ ليبيا .

■ الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها عبود خميس بن نعوم ـ المكلا ـ اليمن الديمقراطية الشعبية .

وفاز بالجوائز الثماني الاخرى وقيمة كل منها ٥ دنانير : السادة الآتية اسماؤهم :

١ ـ حمدي احمد حامد ـ الخرطوم ـ بحري ـ السودان .

٢ ـ محمد امين الراشد ـ حمص ـ سوريا .

٣ ـ احمد سليم البرصان ـ الرصيفة ـ الاردن .

٤ ـ وحيد شميط ـ عاليه ـ لبنان .

٥ ـ فتوح عيسى الموغي ـ كلية البنات الجامعية ـ الكويت .

٦ ـ محمد اسامة حسن علي ـ القاهرة ـ مصر .

٧ ـ جميل عبد علي سلطان ـ المنامة ـ البحرين.

٨ ـ خالد شاكر السياب ـ محافظة البصرة ـ الجمهورية العراقية .

هذا وسترسل الجوائز الى أصحابها . ■■

ابو طالب

بقلم : حسين الحمداني

■ ابو طالب من رجال بنى هاشم العظماء ، وهو أحد الأبطال الذين ساندوا محمدا ودعوته الحقة ، واسهموا في تثبيت أركانها وانتشارها بين القبائل ، واسمه عبد مناف بن عبد المطلب وهو عم الرسول صلى الله عليه وسلم وكافله بعد جده عبد المطلب منذ صباه .

ويروى أن عبد المطلب لما حضره الموت جمع بنيه واوصاهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاقترع الزبير وابو طالب ايهما يكفل رسول الله صلى عليه وسلم ، فاصابت القرعة ابا طالب فاخذه اليه ، وقيل بل اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم على الزبير وكان الطف عميه به . وقيل أوصى عبد المطلب ابا طالب به (١) فرعاه حق الرعاية وحدب عليه ولم يفارقه صغيرا وكبيرا ، ودافع عنه ورد محاولات قريش في النيل منه عندما بشر بدعوته ، فكان له خير معين وخير حام في مكانته وشخصيته وشعره ، فقد كان ابو طالب ذا مكانة ومنزلة رفيعة بين قومه ، وكان شاعرا تتجلى لنا شاعريته في الدفاع عن محمد ورد قريش وتفنيد دعواهم وصدق احساسه وشعوره المعبر عما يكن لمحمد ولدينه من تاييد ونصر .

شعر أبى طالب متفرق فى كتب كثيرة

وشعر أبي طالب كثير متفرق في بطون الكتب ، ولكن لا ادرى لماذا قال ابن رشيق « فاما ابو طالب ومن شاكله فلم اذكر لهم شيئا » (٢) وهو الذى ذكر شعرا لحمزة وعلي بن ابي طالب والعباس وعبد الله بن عبدالمطلب وجعفر بن أبي طالب والحسين بن علي وعبد الله بن العباس وكثير غيرهم من الصحابة في كتابه (العمدة) .

اتفق رجال قريش الذين ناهضوا محمدا وما قد جاء به فمشوا الى ابي طالب بعمارة بن الوليد ابن المغيرة وطلبوا منه أن يسلمهم ابن أخيه ليقتلوه ويأخذ الوليد مكانه فقال «والله لبئس ما تسومونني . اتعطونني ابنكم اغذوه لكم واعطيكم ابني تقتلونه ! هذا والله مالا يكون ابدا » . فرد عليه المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصي ، وهو احد الذين قدموا اليه « والله يا ابا طالب لقد انصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه ، فما اراك تريد ان تقبل منهم شيئا » . ويقول ابو طالب للمطعم « والله ما انصفوني ، ولكنك اجمعت خذلاني ومظاهرة القوم علي ، فاصنع ما بدا

١ ــ اسد الغابة ص ١٥ المجلد الاول .

٢ ــ العمدة لابن رشيق ج ١ ص ٢٧

شاعرٌ دافعَ عَنِ الإسلامِ، بِمَنزِلَتِهِ وشِعْرِه

لك » (٣) ولم يكتف ابو طالب في هذا الرد ومرارة الخيبة التى الحقها بالمطعم بن عدى وبقية الوفد، وانما يعرض لنا ذلك في شعره فيقول معرضا بالمطعم بن عدى وجماعته ويسفه اراءهم وعقولهم .

الا قل لعمرو والوليد ومطعم
الا ليت حظى من حياطتكم بكر (٤)

وبعد ان يصف البكر وهو من الابل يمضي فيقول ....

ارى اخوينا من ابينا وامنا
اذا سئلا قالا الى غيرنا الامر

بلى لهما امر ولكن تجرجما
كما جرجمت من راس ذى علق الصخر

اخص خصوصا عبد شمس ونوفلا
هما نبذانا مثل ما ينبذ الجمر

هما اغمزا للقوم فى اخويهما
فقد اصبحا منهم اكفهما صفر

هما اشركا فى المجد من لا ابا له
من الناس الا ان يرس له ذكر

وتيم ومخزوم وزهرة منهم
وكانوا لنا مولى اذا بغى النصر

فوالله لا تنفك منا عداوة
ولا منهم ما كان من نسلنا شفر

فقد سفهت احلامهم وعقولهم
وكانوا كجفر بئس ما صنعت جفر

وتستمر قريش على محاربة محمد صلى الله عليه وسلم وتمعن في تعذيب أصحابه ، وتشن عليهم حملة قاسية من الفتك والتمثيل بهم انىّ وجدتهم فيخشى ابو طالب ان ينال الاذى محمدا ، ويدعو بنى هاشم ليمنعوه ويحموه وينصروه ، وقد يستجيب لدعوته الذين دعاهم ، فيقول شعرا يمدحهم فيه ، ويشيد بهم ، ويعيب قريشا على ما ذهبت اليه من ايذاء المؤمنين ومحاولة ردهم عن دينهم الجديد ويفخر بمنزلة محمد بين قومه ودفاع بني هاشم عن قريش قبل الدعوة ...

اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر
فعبد مناف سرها وصميمها

وان حصلت اشراف عبد منافها
ففى هاشم اشرافها وقديمها

وان فخرت يوما فان محمدا
هو المصطفى من سرها وكريمها

تداعت قريش غثها وسمينها
علينا فلم تظفر وطاشت حلومها

وكنا قديما لا نقر ظلامة
اذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها

ونحمى حماها كل يوم كريهة
ونضرب عن امجادها من يرومها

بنا انتعش العود الذواء وانما
باكنافنا تندى وتنمى ارومها (٥)

ولم يكتف ابو طالب بدعوة بني هاشم لمساندته في الذود عن محمد وفي مدحهم او بقطع اسباب

---

٣ ، ٤ ــ السيرة النبوية لابن هشام ط ١٩٥٥ المجلد ١ ــ ٢ ص ٢٦٧
٥ ــ السيرة لابن هشام ط ١٩٥٥ م ١ ــ ٢ ص ٢٦٩

الرجاء ويغلق الابواب في وجوه قريش فيبقى الطرفان على فرقة وتناقض ، وانما يذهب الى بيت الله وموطىء ابراهيم الخليل فيستعيذ بربه من اذى المشركين وطعنهم ، ومحاولات اعدائه بث الباطل والنيل من الدين الجديد ، فيرسل لنا ما تجيش به خواطره من غيرة وحب لمحمد واصحابه ودعوته ، في شعر نابض بالحياة والولاء في الدفاع عن الاسلام ، ويذكر فيه بعضا من رجال قريش واشرافها يستعطفهم ، ولكنه يذكرهم ايضا بانه لم يتخاذل عن نصرة محمد ، ولم يتهاون في شيء من امره ابدا . ومن بين الذين ذكرهم مستعطفا المطعم بن عدى الذى كان قد عرض به في مناسبة سابقة فنراه يقول :

فلمــا رأيت القــوم لا وُدّ فيهم
وقد قطعوا كل العرى والوصائل(٦)

وقد صــارحونا بالعــداوة والأذى
وقد طاوعـوا أمـر العدو المزايـل

وقـد حالفوا قومــا علينــا اظنّة
يعضون غيظــا خلفنــا بالأنامـل

صــبرت لهم نفسي بسـمراء سمحة
وابيض عضب من تــراث المقــاول

واحضرت عند البيت رهطي واخوتي
وامســكت من أثوابه بالوصــائل

الى ان يقول ...

اعـوذ برب النـاس مـن كل طاعـن
علينــا بســوء أو ملح بباطــل

ومن كاشــح يســعى لنا بمعيبـة
ومن ملحق فى الدين ما لم نحـاول

وثـور ومن ارسى ثبيرا مكانـــه
وراق ليرقــى فى حــراء ونــازل

وبالبيت حـق البيت من بطن مكــة
وبالـلـه ان الـلـه ليس بغــافل

وبالحجــر المســود اذ يمســحونه
اذا اكتنفـوه بالضحــى والأصــائل

وموطىء ابراهيم فى الصخر رطبــة
علـى قـدميه حافيا غيـر ناعــل

وبعد ان يذكر بعض الشعائر والاماكن وبعض القبائل ، يوجه خطابه الى مناوئيه من المشركين واعداء محمد صلى الله عليه وسلم فيقول :

كذبتــم وبيت الله نترك مكــــة
ونظعــن الا امــركم فى بلابــل

كذبتــم وبيت الله نبزى محمــدا
ولمــا نطـاعن دونـه ونناضــل

ونســلمه حتــى نصــرع حولـه
ونذهـل عـن أبنائنا والحلائــل

ومن ثم الى المطعم بن عدى ...

امطعــم لم اخذلـك فى يوم نجدة
ولا معظـم عند الأمـور الجلائــل

رسالة شعرية الى النجاشي

ولما هاجر المهاجرون الى الحبشة وعلى راسهم جعفر بن ابي طالب ارسل ابو طالب الى النجاشي ابياتا يحضه فيها على اكرام المهاجرين ويبين له فيها منزلة محمد ..

ليعلــمْ خيـار النـاس أن محمدا
نظيـر لموسى والمســيح ابن مـريم

وانك ما تأتيـك منا عصــــابة
بفضلك الا ارجعـوا بالتكــــرم

ولم تترك قريش امر المهاجرين الى الحبشة او تدعهم دون ان تحاول استرجاعهم وتأليب النجاشي عليهم ليطردهم من بلاده ، فارسلت وفدا من عمرو بن العاص وبحيرى بن ابي ربيعة في هذه المهمة ، وليسلم النجاشي المهاجرين الى قريش . ولكن ابا طالب يبعث له في هذه الابيات ليحضه على حسن جوار المهاجرين والدفع عنهم .

---

٦ ــ نفس المصدر ص ٢٧٢

الا ليت شعرى كيف فى النأى جعفر
وعمرو واعـداء العدوّ والاقـارب(٧)

وهـل نالت افعال النجاشي جعفرا
واصـحابه او عاق ذلـك شاغب

تعلّـم ابيت اللعن انك ماجـد
كـريم فلا يشـقى لديك المجانب

تعلـم بأن اللـه زادك بـسطة
واسـباب خـير كلهـا بك لازب

وانك فيض ذو سـجال غـزيرة
ينـال الاعـادى نفعهـا والاقارب

دعوة لأبى لهب ..

ولما عاد المهاجرون من الحبشة الى بلادهم ، دخل ابو سلمة بن عبد الاسد في جوار ابي طالب فاقبل قومه على ابى طالب يستردون منه ابا سلمه فقالوا له « يا ابا طالب ، لقد منعت منا ابن اخيك محمدا ، فما لك ولصاحبنا تمنعه عنا ؟ قال : انه استجار بي ، وهو ابن اختي ، وان انا لم أمنع ابن اختي لم أمنع ابن اخي ، فقام ابو لهب فقال : يا معشر قريش ، والله لقد اكثرتم على هذا الشيخ ، ما تزالون توثبون عليه في جواره من بين قومه ، والله لتنتهن عنه او لنقومن معه في كل ما قام فيه حتى يبلغ ما اراد» (٨) فانصرفوا خشية ان يخذلهم ابو لهب ، وقول ابي لهب هذا جعل ابا طالب يطمع فيه فيقول فيه شعرا يحضه على تاييده وان ينضم الى جانب الحق ..

وان امـرا ابو عتيبـة عمّـه
لفى روضـة ما ان يسـام المظالما(٩)

اقـول لـه واين منـه نصيحتى
ابا معتب ثبّـت سـوادك قائمـا

ولا تقبلنّ الدهـر ما عشت خطـة
تسـب بهـا اما هبطت المواسـما

وول سـبيل العجـز غيرك منهـم
فانك لم تخلـق على العجز لازمـا

وحاربْ فان الحرب نصف ولن ترى
اخا الحرب يعطى الخسف حتى يسالما

وكيـف ولـم يجنوا عليـك عظيمة
ولـم يخذلوك غانمـا او مفـارما

جـزى الله عنا عبـد شمس ونوفلا
وتيمـا ومخـزوما عقـوقا ومأثما

بتفريقهـم من بعـد ودّ والفـة
جماعتنا كيمـا ينالوا المحـارما

كذبتـم وبيت اللـه نبزى محمـدا
ولـمـا تروا يوما لدى الشعب قائما

اشادة بالنبى ..

واخذ الاسلام يدب دبيب الضياء بين صفوف الظلام ، وانضم اليه بعض عظماء الرجال ، ومنهم عمر بن الخطاب ، ولم تجد نفعا مقاومة المشركين من قريش ومؤامراتهم ، فاخذوا يدبرون امرا آخر للحدّ من انتشار الاسلام وكسر شوكة المسلمين ، فقد « اجتمعوا وائتمروا بينهم ان يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب ، على ان لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك (١٠) ، فقال ابو طالب في قريش وصحيفتهم هذه قصيدة يشيد بمحمد ومنزلته بين اصحابه ، ويندد بما اجتمعوا عليه ، ويؤكد انه لم يتهاون في نصرة ابن اخيه او يسلمه لاحد ينال منه او يتركه وشانه بين القبائل لتؤذيه حتى وان ادى ذلك الى خوض الحرب ...

الا ابلغـا عنى علـى ذات بيننـا
لؤيا وخصما من لؤى بنى كعـب (١١)

الـم تعلمـوا انا وجدنا محمـدا
نبيـا كموسـى خط فى اول الكتـب

٧ ـ السيرة لابن هشام ط ١٩٥٥ م ١ ـ ٢ ص٣٢٣
٨ ـ نفس المصدر ص ٣٧١ .
٩ ـ السيرة لابن هشام ط ١٩٥٥ ص ٣٧١ .
١٠ ـ السيرة لابن هشام ط ١٩٥٥ ص ٣٥٠
١١ ـ نفس المصدر ص ٣٥٢

وان عليــه فى العبـاد محبــة
ولا خير ممن خصه الله بالحب(١٢)

وان الذى الصقتم من كتابكم
لكم كائن نحسا كراغية السقب

افيقوا افيقوا قبل ان يحفر الثرى
ويصبح من لم يجن ذنبا كذى الذنب

ولا تتبعوا امر الوشاة وتقطعوا
اواصرنا بعد المودة والقرب

وتستجلبوا حربا عوانا وربما
امر على من ذاقه جلب الحرب

فلسنا ورب البيت نسلم أحمدا
لعزاء من عض الزمان ولا كرب

ثم يقول :

اليس أبونا هاشم شد ازره
واوصى بنيه بالطعان وبالضرب

ولسنا نمل الحرب حتى تملنا
ولا نشتكى ما قد ينوب من النكب

ولكننا اهل الحفائظ والنهى
اذا طار أرواح الكماة من الرعب

وقد كان بين قريش من لم يتمسك بهذه الصحيفة او ينفذ ما جاء بها ، بل سعى الى ابطالها وتمزيقها واول رجل قام بذلك هو هشام ابن عمرو بن ربيعة، وقد انضم آخرون اليه في عمله هذا وهم زهير بن ابي امية والمطعم بن عدي وزمعة ابن الاسود ـ وكان المطعم بن عدي قد استجاب لاستعطاف ابي طالب له في قصيدته اللامية المذكور بعضها في هذا المقال .

وصية ابى طالب

وقد قال ابو طالب حين مزقت الصحيفة يعيبها ويذكر اثمها وظلمها ، ويمدح النفر الذين قاموا بتمزيقها ويتمنى في بداية قوله لو يصل خبر تمزيقها للمهاجرين الذين قطعوا البحر الى الحبشة ليفرحوا بذلك ...

الا هل أتى بحريّنا صنع ربنا
على نأيهم والله بالناس أرْوَدُ(١٣)

فيخبرهم أن الصحيفة مزقت
وانْ كل ما لم يرضه الله مفسَد

تراوحها افك وسحر مجمع
ولم يلف سحر آخر الدهر يصعد

تداعى لها من ليس فيها بقرقر
خطائرها فى راسها يتردد

وكانت كفاء رفعة بأثيمة
ليقطع منها ساعد ومقلد

ثم يقول داعيا للذين تشاوروا على تمزيقها بجزاء الله الحسن ويمدحهم ويشيد بمفاخرهم وشجاعتهم ..

جزى الله رهطا بالحجون تبايعوا
على ملأ يهدى لحزم وبرشد

قعودا لدى خطم الحجون كأنهم
مقاولة بل هم أعز وامجد

اعان عليها كل صقر كأنه
اذا ما مشى فى زخرف الدرع أجود

جرىء على جلّى الخطوب كأنه
شهاب بكفى قابس يتوقد

من الأكرمين من لؤى بن غالب
اذا سيم خسفا وجهه يتربد

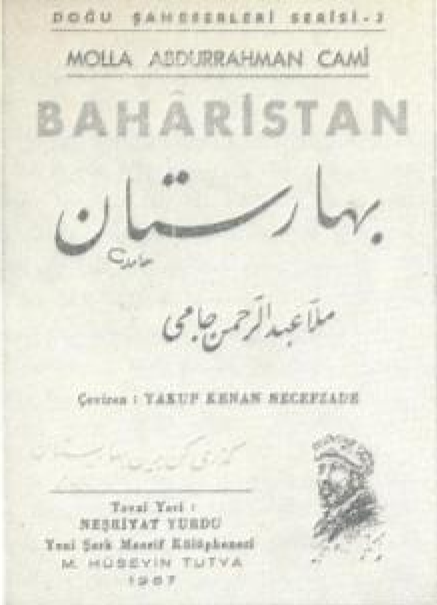
ويوصي ابو طالب قومه قبيل وفاته باتباع محمد وتصديقه « ولما اشتد بابي طالب مرضه دعا بني عبد المطلب فقال انكم لن تزالوا بخير ما سمعتم قول محمد واتبعتم امره فاتبعوه وصدقوه ترشدوا » (١٤) .

وهكذا نرى ابا طالب شاعرا يذود بشعره عن الاسلام ويدافع عن ابن اخيه دفاع الابطال . ■■

العراق **حسين الحمداني**

---

١٢ ـ اى ولا اخير من الذى خصه الله بالحب .
١٣ ـ السيرة لابن هشام ص ٣٧٨
١٤ ـ اسد الغابة المجلد الاول ص ١٩



كتاب الشهر

من تراث الأدب الفارسي الإسلامي

بهارستان

للشاعر العالم والفقيه المتصوف مولانا عبد الرحمن الجامي

عرض بقلم : أحمد مصطفي الخطيب

من هو الجامي ؟

■ هو الشاعر الفارسي الكبير ، والعالم المتصوف الجليل ، مولانا نور الدين عبد الرحمن الجامي ،صاحب التصانيف المشهورة والرسائل المأثورة في فنون الأدب ، واللغة وعلوم الدين ، وخاتم شعراء الفرس العظام ..

ولد بمدينة (جام) من اقليم خراسان الايرانية سنة ٨١٧ هـ ـ ١٤١٤ م ، وابوه اصبهاني الاصل اسمه محمد ـ وقيل انه محمد ـ ، وتلقى دروسه الاولية على يد الشيخ بهاء الدين ، مريد وخليفة مولانا سعد الحق والدين الكاشغرى ، الصوفي المشهور ، ثم تخرج على كبار علماء زمانه في هراة وسمرقند ، وهما ـ وقتئذ ـ من اشهر حواضر العلم والأدب في العالم الاسلامي .

تشأ الجامي وشب في بيئة دينية يغلب عليها طابع التصوف ، وتربى بتربية الاسلام وتخلق

باخلاقه العالية ، ولقب بـ (الجامي) نسبة الى بلده (جام) او بسبب اتصاله بالشيخ احمد جامه احد مشاهير مشائخ وقته .. ثم توثقت الصلة بينه وبين مولانا الكاشغري ، واصبح من المقربين اليه ومن مريديه ، حتى انه عقد على ابنته فحاز بذلك شرف مصاهرته ايضاً .. وبعد وفاة شيخه صار هو نفسه من اكابر شيوخ طريقته الصوفية .. وممن اتصل به الجامي كذلك ، الخواجه ناصر الدين الملقب بـ (خوجة احرار) اي سيد الاحرار ..

عاش الجامي حياة وادعة كريمة ، انصرف في خلالها الى العلم والبحث ، والعبادة والارشاد وتاليف الكتب ، وقد ساعده على ذلك هدوء البلاد ، واستقرارها نسبياً بعد فترة من المحن والاضطرابات التي عانتها ايران من جراء غزو التتار ،وتخريبهم لمدنها وفتكهم بسكانها ، وقضائهم على مرافق عمرانها ... وقد حظى الجامي كذلك بمنزلة عظيمة عند اربعة من سلاطين آل تيمور الذين تعاقبوا على الحكم في شرقي ايران اثناء تلك الحقبة وبخاصة لدى السلطان حسين ميرزا بايقرا ، ووزيره العالم الشاعر امير علي شير نوا الذى اغدق عليه ضروباً من عطفه ورعايته ، واولاه ما هو جدير به من تكريم وتبجيل ..

قام الجامي في حياته برحلات متعددة ، زار فيها : بخارى ، دمشق ، حلب، كربلاء ، النجف الاشرف ، الحجاز ، همدان ، كردستان ، وتراسل مع السلطان العثماني بايزيد الثاني ، كما تلقى دعوة من السلطان محمد الفاتح لزيارة استانبول ، فلبى الدعوة ، وشدّ الرحال اليها ، حتى اذا بلغ قونية في اواسط الاناضول ، فوجىء بنبأ وفاة السلطان الفاتح ، فاحجم عندئذ عن متابعة سفره وقفل عائداً الى وطنه ..

وقيل ايضاً انّ الجامي انما الغى رحلته الى استانبول بسبب نشوب قتال ايامذاك بين (اوزون حسن (١) رئيس دولة (آق قويونلولا ــ ايقطيع الابيض) والسلطان العثماني محمد الفاتح ، وانه هو نفسه ــ اى الجامي ــ لم يشأ اتمام رحلته في تلك الظروف العصيبة ، القلقة ..

وفي خلال فترة مكوثه في قونية ، زار الجامي قبر مولانا جلال الدين الرومي ناظم المثنوى ، ومؤسس الطريقة المولوية ، ونظم قصيدة رائعة في مدحه ، والاشادة بمناقبه . وقد اشتهر أحد أبيات هذه القصيدة ، وذهب مثلاً في الافاق . وهذا نصه :

من چی گویم وصف آن عالیجناب
نیست پیغمبر ولی دارد کتاب

وترجمته : ماذا اقول في وصف هذا الرفيع الشان : انه لم يكن نبيّاً ولكنه أوتى كتاباً .

يبلغ تعداد مؤلفات الجامي ــ في اللغتين الفارسية والعربية ــ ٥٤ مؤلفاً ــ وقيل اكثر ــ بين منظوم ومنثور ، وفي موضوعات تشتمل على الأدب واللغة والحديث والتفسير وما شاكل ذلك . وكانت وفاته سنة ٨٩٧ هـ ــ ١٤٩٢ م ، ودفن في مدينة هراة التي قضى معظم أيام عمره فيها .

بهارستان (٢)

كتاب متوسط الحجم يقع في ١٩٢ صفحة من القطع الصغير ، ترجمه الى اللغة التركية الكاتب التركي يعقوب كتمان نجف زاده ، ونشرته احدى دور النشر التركية في استانبول منذ بضع سنوات في ضمن سلسلة من الكتب الأدبية التي تصدر عنها تباعاً بعنوان (روائع الشرق) .

ويقول الأديب البحاثه الدكتور امين عبد المجيد

(١) خاض السلطان محمد الفاتح ثلاث حروب ضد (أوزون حسن) . وقد تمكن في الحرب الاخيرة منها من هزم جيوشه هزيمة ساحقة حاسمة ،ومن ارغامه على نقل عاصمة ملكه من (ديار بكر) الى (تبريز) في غربى ايران . سنة ١٤٧٣ م . وتسمى المعركة الفاصلة التى ادت الى هذه النتيجة بـ (معركة او تلق بلى) التاريخية . (أ : م)

(٢) بهارستان كلمة فارسية متركبة من لفظتين : الأولى : (بهار) اي الربيع والثانية : (ستان) وهى هاهنا لاحقة زمانية . وقد اختار الدكتور بدوى (المرتبع) مقابل (بهارستان) في الفارسية . والمرتبع في اللغة : (المنزل الذى ينزل فيه ايام الربيع) كما في تاج العروس. (أ : م)

بدوى في كتابه القيم (القصة في الأدب الفارسي – ص ٣٦٣) :

« ان الجامي الفه لولده ضياء الدين حين كان صبيا – في العاشرة – يتعلم مبادىء اللغة العربية ويقرأ (كلستان) سعدى الشيرازى ، وقد تأثر به وانشاه على منواله » .

على انه ليس من المستبعد ان يكون الجامي انما اراد كذلك منافسة سلفه الشاعر سعدى الشيرازى بل ولربما تحديه أيضاً في مضمار هذا النوع من التاليف بالذات ، وذلك بعد ان رأى الشهرة العظيمة التى جلبها (كلستان) لصاحبه ، والحظوة التى لقيها عند الخاصة والعامة ، فشاء ان يكون له هو الآخر كذلك (بهارستانه) لكى تسير بذكره الركبان ويخلد اسمه على الزمان .. ثم من يدرى ؟ .. لعل الجامي انما كان يعبر عن مثل هذا الشعور الذى خامر قلبه ، والحلم الذى راود خياله ، عندما اخذ يمتدح بهارستان ، ويشيد ب (رياضه) ويقول :

« عِجْ على هذا المربع (البهارستان) لترى فيه رياضاً (كلستانات) وقد نما في كل روض (كلستان) ورود من اللطائف ، ونبتت فيه رياحين (٣) » .

وقد اهدى الجامي بهارستان الى السلطان حسين ميرزا بايقرا ، واشاد بعلوّ منزلة المهدى اليه ، وفضله على سعد بن زنكى الاتابكى الذى كان السعدى الشيرازى قد اهدى كلستانه اليه من قبل ، فهو يقول في ذلك :

« اذا كان السعدى الّف كلستان من قبل باسم سعد بن زنكى ، فان بهارستان ظفر باسم من سعد بن زنكى غلامه (٤) .

وبهارستان يشتمل على ثماني رياض (ابواب) ولكل روضة عنوانها الخاص بها .. والعناوين هذه طويلة تبعث على الملل ، ومحشوّة بالزخارف البلاغية بشكل لا يستسيغه ذوق القارىء الحديث .. فعنوان الروضة الاولى مثلاً ، هو :

« الروضة الأولى في نشر الرياحين المقطوفة من بساتين حديقى بصر طريق الهداية ، ومتصدرى طريق الولاية (٥) » .

وقد ذكر الدكتور بدوى هذه الرياض وموضوعاتها بايجاز (٦) وهى كما يأتى :

الروضة الأولى في حكايات عن الأولياء واكابر الصوفية .

الروضة الثانية في أقوال الحكماء .

الروضة الثالثة في عدالة السلاطين .

الروضة الرابعة في السخاء والكرم .

الروضة الخامسة في حالات العشق .

الروضة السادسة في أحوال الشعراء .

الروضة السابعة في الحكايات والأمثال المنقولة عن الحيوان .

الروضة الثامنة في المُلَح والنوادر .

ويلاحظ ان الجامي حين يورد في رياضه الاخبار الطريفة ، ويروى المُلَح النادرة ، ويذكر أحوال اشهر الشعراء الايرانيين – في ايجاز شديد ، ويقوم بمهمة الواعظ والمرشد من حين لآخر ، ويجمع بين الجد والهزل ، فانه يضيف كذلك ابياتاً ومقطعات من نظمه هو الى رياضه بحيث تأتلف هى مع موضوع كل روضة وتجرى مع سياقه .. وعلى الجملة : كما يقول الدكتور بدوى :

« اذا كان نقاد الأدب الفارسي قد اجمعوا على ان بهارستان لم يبلغ في المرتبة البلاغية شأو (كلستان) ، فانه باجماع من تحدثوا عنه ، خير كتاب اخرج على غراره (٧) » .

وقد انجز الجامي تاليف بهارستان سنة ٨٩٢ هـ / ١٤٨٦ م .

---

(٣) (القصة في الأدب الفارسي) للدكتور أمين عبد المجيد بدوى . دار المعارف . ١٩٦٤ ص – ٣٦٣ .

(٤) و (٥) القصة في الأدب الفارسي . ص – ٣٦٣ .

(٦) : نفس المصدر . ص – ٣٦٤

(٧) نفس المصدر ص – ٣٦٤ .

قطوف من ((بهارستان))

ما هو التصوف ؟

سئل الشيخ ابو سعيد ابو الخير : ما هو التصوف ؟ .
فاجاب :
ـ ان تتخلى عما في ذهنك ، وان تهب ما في يديك وما في راحتيك ، وان لا تحتذر ما يرميك به الدهر من ارزاء . فهذا هو التصوف ! ..

لِمَ جئتَ ؟

قصد ذو النون المصرى احد المشايخ :
فقال له الشيخ :
ـ لماذا جئت ؟ .. ان كنت قد جئت تطلب علوم الاول والآخر ، فانك قد رمت المحال .. اذ لا يحيط بذلك الا الخالق وحسب .. وان كنت قد جئت تبحث عن خالق تلك العلوم ، فانه كان موجوداً حيث كنت عندما خطوت خطوتك الاولى..

من هو الصديق ؟

في احدى حالات الوجد ، خرّ الشبلى فاقد الوعى ، مغشياً عليه .. فحملوه الى المستشفى .. وهناك عاده خلق كثير .. فلما استفاق من غشيته ، واستعاد وعيه ، اجال بصره فيمن حوله وسألهم قائلاً :
ـ من أنتم ؟
فاجابوا :
ـ نحن اصدقاؤك ! .
التقط الشبلى حجراً ، وهمّ بأن يهجم عليهم ، فتفرق شملهم ، ولاذوا جميعاً بالهرب .. فناداهم الشبلى قائلاً :
ـ ارجعوا ! .. ارجعوا ! .. انكم ادّعيتم الصداقة ، ولكن الاصدقاء لا يفرون من امام الصديق ، ولا يتقون حجر جفائه ..

لماذا لم يزره ؟

قال احد الاغنياء لدرويش :
ـ لِمَ انقطعت عن زيارتنا من زمن طويل ؟ .
فاجاب الدرويش :
ـ لان قولك لى لماذا لا تاتى ؟ احب اليّ من قولك لماذا اتيت ؟ ..

ايّ الملوك افضل ؟

سئل بزرجمهر : ايّ الملوك أفضل ؟ .
فاجاب :
الملك الذى لا يخشاه الاخيار ، ويشعر ذوو النفوس النقية بالأمن في كنفه ، ويخافه الاشرار والمذنبون ..

ما أصعبُ الأمور ؟

اجتمع ثلاثة من الحكماء في مجلس كسرى انوشروان : فيلسوف يونانى ، وطبيب هندى ، وبزرجمهر وزير كسرى الاول ..
فدار الحديث ، وتشعّب ، حتى انجرّ الكلام الى موضوع :
ـ ما اصعبُ الامور في الحياة ؟
قال الفيلسوف اليونانى :
ان اصعب الأمور في الحياة ، هو الشيخوخة ، وضعف القدرة البدنية ، والفقر ..
قال الطبيب الهندى :
بل الجسم العليل ، والهمّ الناصب ..
قال بزرجمهر :
بل اقتراب موعد الأجل قبل ان ينجز المرء عملاً نافعاً .. فاستحسن الجميع قوله واعجبوا بسداد رأيه ..

مصباح الأعمى :

رأى فضولى رجلاً أعمى يسير في الطريق وفي يده مصباح وعلى كتفه كوز ..
فقال له :
ـ يا جاهل ! ما نفع هذا المصباح لك ، وانت لا تميز بين الظلمة والنور ، ويستوى عندك الليل والنهار ؟ .
فتبسم الأعمى ضاحكاً وقال :
ـ انا لا احمل هذا المصباح من اجل نفسي انا ، وانما من اجل من له عين تبصر ولكن ذهنه كليل ، وقلبه أعمى حتى لا يصطدم بى ، فيحطم كوزى ..

المجنون العاقل :

حضر (بهلول دانا) مجلس الخليفة هارون الرشيد ذات يوم ، فبادره احد الوزراء بقوله :
ـ لك بشرى ! .. نصبك امير المؤمنين رئيساً للقردة والخنازير ! .

فرد عليه بهلول على الفور :

ـ اذا ، فلقد صرت تحت امرتى ، وما عليك الا تنفيذ اوامرى ولزوم طاعتي منذ الآن ! ..

معاداة اللئيم :

لا تعاد اللئيم ان هو ناصبك العداء ، ولا تصانعه ، ولا تجهد نفسك في كسب مرضاته .. كن معه في حالة : لا سلم ولا حرب ..

سيئان عندى :

انا لا اذوق طعم الراحة ، لا في الليل ولا في النهار . لذا فسيئان عندى : أطال ليل ام قصر..

وصية فريدون :

لم يغرس فريدون ملك فارس في ارض الرافة سوى غراس الاحسان ، وقد كتب يوصي بنيه :

ـ .. صفحات الزمان ان هى الا صفحات العمر بعينها ، فلا تدونوا فيها غير العمل الرائع ، وخلا المأثرة الجميلة ..

أهل الغرام :

تحدث اثنان عن العشق :

قال الأول :

ـ خاصية العشق هى ان العاشق يقضي ايامه في كرب ومحنة ، ويتحمل الجفاء والبلاء على الدوام .

فقال الثاني :

ـ صه ! .. لا تنطق ! .. يبدو انك لم تر بعد نعمة السلم بعد نقمة الحرب .. ولم تذق لذة الوصال بعد نار الهجران ..

الجزاء من جنس العمل :

شعرت جارية حسناء بان رجلا يقفو اثرها ، ويتعقبها في الطريق . فالتفتت اليه وقالت له :

ـ اتريد منى ما يفعله سيدى بى ؟ .

ـ فاجاب الرجل مرتبكا :

ـ بدون شك ! نعم ! طبيعى ! اريد ذلك بكل تاكيد ! .

فقالت الجارية :

ـ اذا ، انتظر ههنا لحظة ، هو ذا سيدى قادم لتوه ، وسيفعل بك ما يفعل بى .

رائحة المكان :

انشد متشاعر قصيدة احد الفضلاء ، ثم قال متفاخرا :

ـ لقد نظمت هذه القصيدة وانا في بيت الخلاء !

فقال له ذلك الرجل الفاضل :

ـ قد والله صدقت ! فرائحة المكان تهب منها !

طبيب خجول :

اعتاد طبيب ان يغطى راسه بطرف ردائه كلما زار مقبرة المدينة او مرّ بمكان يقرب منها ، فلما سئل عن سبب ذلك ، اجاب :

ـ في حقيقة الامر ، انني استشعر الخجل حين امرّ بجانب اى قبر كان ، وذلك لان صاحبه لا بد من ان يكون قد مات اما من جراء عملية جراحية ، انا قمت بها ، واما في نتيجة تعاطيه دواءً انا وصفته له .

ولد عاق :

قيل لولد عاق :

ـ اتحب ان يموت ابوك لكى ترث عنه ماله ؟ فقال :

ـ لا ! أحب ان أراه مقتولاً ، حتى احصل على الدية والميراث معا .

أسوأ من جهنم :

كان متولى صعلوك يستمع الى احد الوعاظ ، وهو يصف الجنة وما تحتوى عليه من لذات ونعيم ..

فسأل الواعظ :

هل في هذه الجنة التي تصفها سلب ونهب ؟ .

فاجاب الواعظ قائلاً :

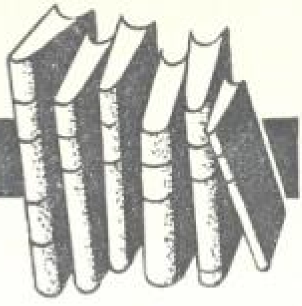
ـ لا ! ليس في الجنة شيء من ذلك .

فقال المتولى :

ـ ان الجنة التي لا يكون فيها السلب والنهب، لهى اسوأ من جهنم . ■■

احمد مصطفى الخطيب

بغداد ـ الأعظمية



من الكتب التي وصلتنا

رحلـة عمر

تاليف : الدكتور محمد داود التنير

الناشر : مطابع دار المعارف بمصر

● تمثّلْ انك قرات في لغة اجنبية ديوانا شعريا صغيرا لاحد صوفيينا المتشبعين بتراثنا الاسلامي العربي ، ضمنه قرابة عشرين ومائة مقطوعة ، وبضع قصائد قصار ، ناجى بها الشاعر الصوفي نفسه خلال لحظات عابرة من اصفى لحظات حياته واحفلها بالوعي . وقف فيها يستشف حكمة الكون من خلال تامله لمواكب البشرية ومصايرها . تارة وهو يعايشهم فيمتحن بما يمتحنون ، وتارات وهو في عزلة الراصد ، بعيدا عما يجولون ، خفيفا مما يعانون ، وهو في كل مشغول الوجدان والفكر والخيال بهم ، يودهم ويشاطرهم همومهم ، دون ان ينغمس في وُحول معايشهم الا بالعطف والتفكير ، كي يعرف ما لديهم من اعذار ، ويرثي لما هم فيه من شقاء . وقد اودع في هذه المناجيات زبدة حياته وغاية حكمته ، وصاغها اماثيل قصارا للنظر والعبرة ، تارات ينطلق فيتفتح بالتصريح، وتارات اكثر يتئد فيعمد الى الرمز والتلميح ، ولكن عباراته هنا وهناك توضح مقصودها ابلغ توضيح .

تمثّلْ انك قرات هذا الديوان على ما وصفناه فاعجبك ، واردت ان تنقله الى العربية ليشاركك ابناؤها ما زودك به من انس وامتاع ، فترجمته نثرا سهلا يحتفظ له كل محاسنه، وجاءت الترجمة موفقة في الابانة عن كل ما في الاصل من روح الشعر ومادته ولكن دون وزن ولا قافية . هذه الترجمة هي ما تضمنه هذا الكتاب او الديوان النثرى الذى سماه صاحبه « رحلة عمُر » لقد كتبه بدم قلبه ومهجة فكره في لغة سهلة تشف عن اخلاصه وامانته وهل تكون مناجاة الانسان نفسه الا مخلصة امينة ؟

من اجل ذلك لانستطيع تلخيص هذا الكتاب لان المناجيات لا تقبل التلخيص ، ومثلها كل الاعمال الشعرية ، انها كالأزهار ، تتملاها وتنعم بها ، وهي في مغارسها كما هي ، فاذا عُصِرتْ فهو القتل ، وانبقي منها العطر . ولهذا نكتفيبهذا المثال ، وهو ليس باعلى المناجيات ولا ادناها . ونحن لا نختاره بل نقتبسه لانه كاقصرها ، وعنوانه « اسرار » .

في حياة حافلة عانيت من الالام ، حتى ادركت الالام كل مُعنّى

وعايشت النفس البشرية في ذاتي ورفاقي ..
فوجدت لكل شيء سببا ، ولكل تصرف عذرا ..
واطلعت على كثير من الخفايا ..
ودخلت في جمٍّ من السرائر ، وعايشتها وعشت فيهـا ..
حتى لم يعد لكلمة « الاسرار » عندى معنى
واذا بي اعلم من بعد جهل
ان المرء « لو علم كل شيء ، لغفر كل شيء
ولو درى كل سر لغفر كل ذنب »

كتاب الفهرست لابن النديم

تاليف : ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب اسحق المعروف بالوراق

تحقيق : رضـا تجـدو

الناشر : مكتبة الاسـدى ـ ميدان بهارستان ـ طهران ـ ايران

● كان الاسلام فاتحة عهد جديد من النور والمعرفة راجت في بلاده اسواق العلم والمعرفة وعظم شان العلماء وكثر التاليف والتصنيف في شتي ابواب العلوم والمعرفة فاشتدت الحاجة الى كتب ومصنفات تفهرس لهذه العلوم المختلفة وتدل على المؤلفين وما الفوه في شتي أبواب المعرفة وحتى يتمكن الباحث من ادراك بغيته في اقصر وقت واسهل سبيل . فجاء ابن النديم ليسد هذا النقص وقد سهل على ابن النديم قيامه بهذا العمل كونه وراقا والوراقون أخبر الناس بالكتب واسمائها ولا سيما اذا توفر لأحدهم الثقافة والعلم والخبـرة .

وقد اعتمد المحقق في تحقيقه لهذا الكتاب على نسخ عدة منها طبعة جوستان فلوجل والطبعة

المصرية كما استعان بنسخة لهذا الكتاب من ليدن في هولندا ، وكذلك استعان بمخطوطة جستر بيتي رقم ٣٢١٥ الموجودة بدبلن ، ومخطوطة شهيد علي باشا رقم ١٩٢٤ بمكتبة السليمانية في استانبول .

الحائط والدموع

تاليف : انيس منصور
الناشر : دار الشروق/القاهرة ــ بيروت

● يقول المؤلف في مقدمة كتابه .. ان قصة اليهود في العالم قصة طويلة معقدة .. والصهيونية او القومية اليهودية نهاية واضحة الان .. نراها ونسمعها ، ونواجهها ونبكي على ما كان منها وعلى ما كان منا ايضا . وما حدث كثير جدا .. والذى بكينا عليه كثير جدا .. وشعورنا بالندم والذنب والهوان .. هو اوضح مشاعرنا واصدقها ايضا .. الوضع اصبح غريبا عجيبا .. فقد كان لليهود حائط واحد يبكون عليه .. واصبح الحائط معهم ، ولم يعودوا يبكون عليه . ونحن الذين اصبح لنا في كل ارض حائط .. ونبكي عليه .. كانوا يبكون ولم يعد لهم مبرر للبكاء .. ولم نكن نبكي ، واصبح لدينا مبرر للبكاء ..

وبعد المقدمة يصدر المؤلف كتابه بصفحات تحت عنوان ان كنا قد نسينا .. ثم يستعرض بعد ذلك تاريخ اليهود من خلال احداث شهيرة . بين فصول الكتاب يتعرض المؤلف لسارتر والمسالة اليهودية ثم يقول في فصل آخر ان نيويورك عقل امريكا واليهود هم عقل نيويورك .

والكتاب في مجموعه يكشف الكثير من الحقائق التي حاول اليهود جاهدين طمسها واخفاء معالمها عن الجيل الحاضر .

عالم السدود والقيود

تاليف : عباس محمود العقاد
تحرير : الحساني حسن عبد الله
الناشر : منشورات المكتبة العصرية ــ صيدا ــ بيروت ــ لبنان

● يتناول هذا الكتاب مشاهدات عن سجن مصر العمومي واسمه الشائع على الالسنة هو (قرة ميدان) وهو ذلك البناء المعزول في ناحية منزوية في طرف من اطراف القاهرة وهو السجن الذى قضي فيه الاستاذ العقاد مدة تسعة شهور .

لقد كان العقاد يحس بان هذا المكان هو العالم باسره وكان العالم الخارجي جزء لاحق به ، وتلك شيمة في النفس الانسانية ان تنقل مركز الكون كله الى حيث تكون ، فالسجن وان كان عند السجناء منزلا بغيضا الا انه محور العالم ما داموا بين جدرانه .

اما هذا الكتاب فهو خلاصة ما رآه الكاتب واحس به وفكر فيه يوم نزل السجن فهو ليس قصة وليس كذلك بحثا في الاصلاح الاجتماعي وان جاءت فيه ارشادات اصلاحية ، كما انه ليس رحلة وان كان كالرحلة في كل شيء ، الا ان هذا الكتاب مشاهدات في مكان واحد تستعرض عالم السجن وأعاجيب هذا العالم .

أحمد أمين
حياتـه وأدبـه

تاليف : عامر العقاد
الناشر : منشورات المكتبة العصرية بيروت ــ صيدا ــ لبنان

● دراسة وافية عن احمد امين توضح سيرة حياته وتجول مع القراء من خلال صفحات تراثه ومؤلفاته ومن خلال حياته الواسعة والتيارات والمؤثرات الفكرية التي سادت العصر الذى عاش فيه ، ثم ما كان لهمن تاثير في الدراسات الاسلامية الحديثة وفي البيئات العلمية والثقافية لا في مصر وحدها بل في انحاء العالم الذى يعني بمثل هذه الدراسات في الشرق والغرب .

ثم ان هذه الدراسة تعريف للناشئة برجل كانت له اليد الطولي في التراث الاسلامي الخالد لما كان له الفضل كواحد من الذين انشاوا لجنة التاليف والترجمة والنشر التي قدر لها أن تغذي الحياة الادبية بسيل من كتب التراث العربي والاسلامي كانت المكتبة العربية في اشد الحاجة اليهـا .

يضاف الى ذلك (مجلة الثقافة) التي قادت الحركة الفكرية ردحا من الزمن شاركت في اثراء الحياة الادبية ، ثم ما كان لاحمد امين من نزعة في البناء والتشييد وقف عليها فكره وجهده وهو بناء اجتماعي عصري وواقعي علمي وهذا البناء يرمي دائما من وراء سعيه الى هدف مقصود ذلك أن له رسالة اصلاحية واضحة يبتغي بها تجديد العقلية العربية وامدادها بما يعينها على ملاحقة الزمان في سيره الحثيث . ■■

أنباء الطب والعلم والاختراع

مركبات الميثادون لها نفس تأثير الهيروين على من يتناولها

● في وقت من الأوقات اعتبر الأطباء ان مركبات الميثادون Methadone تعتبر علاجا شافيا بالنسبة لادمان الهيروين .. بل ظهر ايضا ان الميثادون يسبب لمتعاطيه ادمانا ، كما يحدث تماما من الهيروين . وان اعراض الادمان تظهر بعنف وقسوة على متعاطيه عندما يحاول الاقلاع عن تناوله . وبدأت التقارير الطبية تسجل حالات وفاة ناتجة عن تعاطي الميثادون بجرعات كبيرة . واخيرا ظهرت حقيقة اخرى جديدة عن اخطار « الميثادون » فقد تبين ان هذه المركبات تؤثر تأثيرا مماثلا لتأثير الهيروين على اجنة الأمهات المدمنات على تناوله . وقد قام احد الأطباء في مستشفى واشنطن باجراء دراسة طبية على ٢٣ طفلا ولدوا لأمهات مدمنات على مركبات « الميثادون » ، وتبين ان ١٧ طفلا منهم يعانون من أعراض انقطاع الميثادون ، وتتلخص هذه الاعراض في الحساسية والتشنجات العضلية العنيفة ، والعرق البارد . وقد استمر علاج هؤلاء الاطفال لمدة ٩٠ يوما حتى استطاع الأطباء شفاءهم من هذه الأعراض .

جمجمة انسان فيما قبل التاريخ العثور عليها في فرنسا

● عثر علماء الحفريات في فرنسا مؤخرا على النصف الأمامي لجمجمة بشرية تشتمل على عظام الجبهة ، وقنطرة الحاجبين ، ومقلة العينين ، والفك العلوي ، وذلك في منطقة حفريات عثروا فيها من قبل على آثار ملاجيء آدمية يعود تاريخها الى ٢٠٠ الف عام . ويعتقد العلماء أن هذه الجمجمة تعود الى عصور ما قبل الهيكل المعروف باسم نياندرثال Neanderthal والذي يرجع تاريخه الى ٩٠ الف عام . وتتميز الجمجمة التي عثر عليها ببروز الفك العلوي ، وجبهة امامية منخفضة ، وهي تشبه الى حد بعيد الانسان البدائي الذي تم العثور على عظامه في الصين .

ويعلق علماء الأنثروبولوجي آمالا جديدة في الكشف عن أسرار انسان ما قبل التاريخ وتطوره بعد اكتشاف هذه الجمجمة . ويأملون في نفس الوقت ان تكشف الحفريات التي لا تزال مستمرة منذ عام ١٩٦٤ حتى الآن ، في منطقة الكهوف في شرق جبال بيرينيز Pyrenees في فرنسا ، عن عظام جديدة تلقي الضوء على انسان ما قبل التاريخ . وقد اطلق الفرنسيون على اكتشافهم اسم « انسان بيرينيز » .



الى أعلى اليمين الطالب الفائز بالمرتبة الثانية والى أسفل الطالبة التي فازت بالمرتبة الثالثة وقد حصل كل منهما على ٨ آلاف دولار . والى اليسار الطالبة التي فازت بالمرتبة الاولى على جميع المتسابقين وحصلت على منحة دراسية مقدارها ١٠ آلاف دولار .

٥ طالبات من بين ١٠ فائزين في مسابقة علميـة
فتاة تفوز بالمركز الاول للمرة الاولى منذ ٣٠ عاما

● فى كل عام تقام مسابقة علميـة بين طلبة المدارس الثانوية فى الولايات المتحدة الأمريكية ، لتشجيع الطـلاب والطالبات على البحث العلمى ، وكذلك لاكتشاف المواهب العلمية من بينهـم . وقد تميزت مسابقة هذا العام بفوز طالبة بالمرتبة الأولى وبمنحة دراسية قدرها ١٠ آلاف دولار . كما تميزت نتيجـة المسابقة أيضا بأن ٥ من الفائزين العشرة الأوائل من الطالبات .. وكانت أغلبيـة البحوث تتناول موضوعات عن تأثـير البيئة على الكائنات الحية .

والفائزة الأولى فى هذه المسابقة تدعى نينـا فليس تاباشـنك Nina Felice Tabachnik وهى من بلدة بايسيد Bayside التابعة لولاية نيويورك . وهى أول فتاة تفوز بالمركز الأول لهذه المسابقة العلمية منذ عام ١٩٤٢ حتى الآن . وقد قدمت بحثها الفائز عن تأثير المواد الناتجة عـن احتراق الوقود فى السيارات على حياة النبات . وكان عنوان البحث الـذى قدمته هو « تأثير الألدهيد » Aldehides على مادة اليخضور « الكلوروفيل » فى نبـات اليوجلينا جراسيلس Eyglena Gracilis .

وفاز بالجائزتين الثانية والثالثة طالب وطالبة يقومان بدراسة الرياضيات . وقد فاز كل منهما بمنحة دراسية قدرها ٨ آلاف دولار .

وقد حضر الاحتفال بتسليم الجوائز للفائزين ٧٠٠ مدعو من بينهم كثير من العلماء الكبار فى الولايات المتحدة الأمريكية .

تلوث الجو بين الوقود الذرى ، والفحم ، والبترول !

يطالب علماء البيئة فى امريكا هذه الأيام بزيادة الاعتمادات المخصصة لتوليد الطاقة بواسطة الوقود المستخرج من باطن الأرض، كالفحم والبترول ، بوسائل تمنع التلوث الجوى .

ويعتمد هؤلاء العلماء فى مطالبتهم هذه على تقرير اذاعه معهد ماساشوستس التكنولوجى يبين ان توليد الطاقة من المولدات الذرية لا يسير بالسرعة التى تكفل سد الحاجة المتزايدة للطاقة . ويقول هذا التقرير ايضا انه من حسن حظ العالم ان المخزون من الفحم ، والطفل الزيتى Oil Shale ، والرمال القطرانية Tar Sands يكفى لتوليد الطاقة اللازمة لمئات من السنين .

وقد كانت المشكلة فى الماضى ، بالنسبة لمثل هذا الوقود المستخرج من الفحم ، والطفل الزيتى ، والرمال القطرانية ، انه يحتوى على كميات كبيرة من الكبريت الذى يتسبب فى اخراج كميات من الغازات التى تحتوى على اكسيد الكبريت عند احتراقه لتوليد الطاقة ، وبذلك يعمل على زيادة تلويث الجو . ولكن العلماء تمكنوا حديثا من اكتشاف عدة طرق لحل مشكلة التلوث هذه . ومن بين هذه الطرق ، عملية تفويز الفحم Gasification أو الطفل الزيتى وبذلك يتم التخلص من الكبريت على هيئة كبريتور الايدروجين قبل ان يتم احتراق الوقود .

ومن المشاكل التى يهتم بها علماء البيئة مشكلة التلوث الحرارى الناتج من توليد الطاقة ، سواء عن طريق الوقود الذرى او الوقود المستخرج من باطن الارض ، ويعتقد هؤلاء العلماء ان القضاء على التلوث الحرارى يكمن فى انشاء مولدات للطاقة تعمل بتوربينات غازية وآلات بخارية .

كيف نوفر في استهلاك الطاقة مع الاحتفاظ بمستويات المعيشة كما هى ؟

قام اثنان من علماء جامعة بركلى بولاية كاليفورنيا الامريكية بنشر تقرير لهما عن دراسات قاما بها ، أثبتت انه من الممكن تخفيض استهلاك الفرد للطاقة فى الولايات المتحدة بحيث يصل هذا الاستهلاك الى ٦٢٪ من مستوى الاستهلاك الحالى ، وفى نفس الوقت يتم الاحتفاظ بمستوى المعيشة كما هو .



ويقترح هذان العالمان برنامجا من ٥ نقاط لتخفيض استهلاك الطاقة واستعمال انواع جديدة من الطاقة لم تستعمل بعد . والنقاط الخمس المقترحة هى :

١ ــ استخدام الطاقة الشمسية فى تدفئة المنازل والأغراض الأخرى .

٢ ـ استخدام الحرارة الناتجة عن مولدات الطاقة الذرية ، وكذلك المولدات التى تعمل بالوقود المستخرج من باطن الأرض (كالبترول والفحم) وذلك فى تشغيل التوربينات او التجفيف ، او التسخين ، او حتى تنقية مياه البحر .

٣ ـ اعادة استعمال المواد الصناعية والأولية ، فمثلا تقوم شركات صناعة المياه الغازية والبيرة باعادة استعمال الزجاجات بدلا من علب الالمنيوم التى يستهلك صنعها طاقة كبيرة وتلقى بعد استعمالها مباشرة، فى حين ان الزجاجات تعاد تعبئتها بعد استعمال محتوياتها .

٤ ـ تحسين وسائل النقل عن طريق سرعة النقل ، والسيارات الصغيرة واعادة استخدام المواد المستعملة فى صناعة السيارات، وكذلك زيادة الاعتماد على السكك الحديدية بدلا من سيارات النقل .

٥ ـ تحسين الكفاية الحرارية لمولدات الطاقة .

تحديد النسل دون استعمال الحبوب أو الموانع الاصطناعية

من الطرق المعروفة لتحديد النسل طريقة الامتناع عن ممارسة الجنس طوال فترة الاخصاب الشهرى للمراة .. وهي طريقة غير منتشرة لان نتائجها غير مضمونة ١٠٠٪ بسبب الخطأ فى تحديد هذه الفترة بدقة .

وفى مؤتمر عقد فى الولايات المتحدة تحت اشراف مؤسسة الحياة البشرية والمعهد القومي لصحة الاطفال والنمو البشرى ، تم اطلاق تسمية جديدة على هذه الطريقة وهي « تحديد النسل بالطرق الطبيعية » . واوضح اعضاء المؤتمر ان عمليات البحث العلمي عن طريقة جديدة تعطي نتائج اكيدة فى تحديد فترة الاخصاب تسير ببطء شديد لا يتلاءم مع فائدة هذه الطريقة من الناحية الصحية . ومن المعروف ان الطريقة المتبعة الآن ، بنجاح نسبي ، تعتمد على قياس درجات الحرارة للمراة يوميا ، وكذلك تحديد الفترة التى يسمح فيها بممارسة الجنس باسبوع بعد الدورة الشهرية للمراة واسبوع قبلها وتفادى العملية الجنسية فى الاسبوعين الآخرين من الدورة . وقد ثبت اخيرا عدم فعالية اكتشاف جديد اعلن عنه مؤخرا يتلخص فى فحص لعاب المراة كيماويا بواسطة اوراق صغيرة كتلك المستعملة فى الكشف عن البول السكرى .

ويقول اطباء امراض النساء ان هناك املا كبيرا يكمن فى حقيقة علمية تتلخص فى التغيرات التى تحدث فى الافرازات المهبلية اثناء الدورة الشهرية للمراة ... فمن الملاحظ دائما ان الايام التى تلي الحيض مباشرة تتميز بقلة هذه الافرازات ، ثم تبدا هذه الافرازات فى الظهور ، فتكون سميكة وعكرة ، وعندما تصبح هذه الافرازات لزجة ومطاطة وصافية فانها تدل على نزول البويضة ، وعندما تعود الافرازات الى السمك والتعكر مرة اخرى ، فان هذا يعنى ان فترة نزول البويضة قد انتهت .

وتستطيع المراة ان تعرف على وجه التحديد وقت الامان الذى لن يحدث فيه حمل عن طريق فحص هذه الافرازات . ولكن هذه الطريقة لا تزال تحتاج الى ابحاث جديدة لتسهيلها وجعلها عملية بالنسبة لكل من تريد ان تمنع الحمل بطريقة طبيعية ودون استعمال موانع الحمل المعروفة سواء كيماويا كالحبوب او صناعيا كالعوازل .



الطفل الأول

عندما يجني الزوجان ثمرة حبهما وزواجهما

● فى حياة الزوجين لحظات سعادة تبقى حية ما بقيت هناك حياة ، وما بقي قلب ينبض بالحياة .. واسعد لحظة فى حياة الزوجين ، هي اللحظة التي يجنيان فيها ثمرة حبهما وزواجهما ، عندما يسمعان صرخة الوليد الجديد الذى ظل الابوان ينتظران وصوله منذ أن اجتمعا فى ظل الله !

كتب الفيلسوف الامريكي ايمرسون يصف تلك اللحظة ، قال : « انها اعظم فرحة فى حياة الزوجين لانها الحياة ذاتها .. فأى فرحة اكبر واعظم من تلك التي يشعر بها كل اب ، وكل أم عندما يرى كل منهما أن قطعة منه .. من روحه ومن لحمه ودمه ، قد جمعها الله ليصنع منها نموذجا مصغرا يحمل صفات الابوين وشخصية كل منهما ! »

سعادة ورهبة

ثم يصف عالم النفس الكبير بيترسون الساعات القصيرة الطويلة فى عمر الزوجين .. تلك التي تسبق وصول الضيف الجديد ، الذى قضى الأبوان شهورا طويلة يستعدان لمجيئه ، وهو يصفها باسلوب الرجل الذى عاش التجربة التي مر بها كل زوج ، وكل زوجة قبل أن يصبحا ابوين .. يقول : « اغرب ما فى الامر هو ذلك الشعور بالخوف والرهبة معا ، الذى كان يتملكنى كلما عادت زوجتي طبيبها .. وهو شعور طالما سيطر عليها واستبد بها هي الاخرى ، كلما جلست تستمع اليه وهو يؤكد لها ان موعد وصول طفلنا يقترب .. كانت سعيدة ، ولكنها سعادة لم تكن تخلو من الخوف فى كثير من الاحيان .. الخوف من التجربة التي سوف تمر بها للمرة الأولى فى حياتها .. كان القلق يسيطر عليها ، فكانت تسرع الى امها ، وتجلس اليها وتحدثها بمخاوفها .. وكانت الأم تبتسم محاولة ان تعيد الهدوء والطمأنينة الى نفس ابنتها المضطربة : « هكذا جئت انت الى هذه الدنيا

يا ابنتي ، هكذا جاء كل مولود جديد .. لقد مررت انا قبلك بخمس تجارب .. وفي كل تجربة منها كنت اقدم ضيفا جديدا .. انهم انت واخوتك الاربعة الذين علمونا معنى الحياة » ..

حديث الام لابنتها

« لقد كنت انت اكبر اخوتك يا بنيتي .. كنت انت اول تجربة لي بعد الزواج ، ثم جاء اخوتك الاربعة الاخر الواحد بعد الآخر .. وهذا الشعور الذي ينتابك اليوم يا صغيرتي ، عرفته من قبلك ، ولكنك ما كدت تصلين الى هذه الدنيا ، ما كدت احملك بين ذراعي واضمك الى صدري ، حتى سخرت من نفسي وضحكت من مخاوفي ، وتمنيت لو انني مررت بالتجربة مرات ومرات ..

الزوج قبل وصول الطفل

« هل تريدين ان تعرفي الأثر الذي احدثه وصولك في حياتنا يا ابنتي .. لقد كان والدك محاميا ناجحا يا ابنتي .. وكان عمله يأخذ كل وقته في مكتبه .. لم اكن اراه الا عندما ينتصف الليل او يكاد .. وكنت اقضي الوقت كله انتظر .. انتظر وحدي في غرفتي ، مع كتاب جديد اقرأه ، فاذا طال بي الانتظار ، انتقلت الى ما وراء النافذة ، ارقب الرائحين والغادين ، لعلي أجد بينهم والدك !

« كانت هذه حياتنا ، ولم اكن أريد ان اشعره بالضيق الذي كنت أحس به في وحدتي ، وهو بعيد عني ، منهمك في عمله ، مشغول باعبائه .. الى ان جاء اليوم الذي همس فيه طبيبي في اذني بان الحادث السعيد الذي كنت ارقبه ، قد حدث ، وعدت الى البيت سعيدة فرحة ، لاهمس بدوري في اذن زوجي بما اسر لي به الطبيب .. وكانت فرحته اكبر واعظم ..

المعنى الحقيقي للحياة

« هل تعلمين ما حدث لنا بعد ذلك .. لقد قلت لك ان وصولك انت واخوتك ، قد علمنا الحياة .. نعم .. فلم نكن ندرك المعنى الكبير للزواج قبل مجيئكم يا ابنتي .. لقد احدث الخبر انقلابا في حياتنا .. وفي حياة والدك بصفة خاصة .. لقد بدأ يبكر في عودته الى البيت في المساء .. بدأت اشعر به وأحس بوجوده .. كان يحرص دائما على ان يعود الى البيت في موعد الغداء .. وقبل ان يحين موعد العشاء .. كان يجلس بجانبي ويطعمني بيده ، كما لو كنت طفلة صغيرة في حاجة الى من يرعاني ويعنى بي .. لم يكن يسمح لي بالتحرك من مقعدي ، فاذا جاء المساء استلقيت على فراشي ، وجلس هو الى مكتبه يؤدي عمله ، حتى اذا ما غلبني النعاس ، مد يده ليريح راسي على الوسادة وترك غرفة النوم ليكمل عمله او لينام هو الآخر اذا كان قد انتهى منه !!

قلق وانتظار وترقب

واقتربت الساعة يا ابنتي اخيرا ، ونقلت الى المستشفى لاضع مولودي الجديد .. وبقيت فيه يومين انتظر وصولك .. الى ان جئت اخيرا .. انني ما زلت اسمع وقع اقدام والدك وهو يقطع الردهة جيئة وذهابا امام باب غرفتي ، قبل ان ينقلوني الى غرفة العمليات .. لقد اشفقت عليه عندما جاءت الممرضة في اليوم التالي لتقول لي انه رفض ان يبرح مكانه ويعود الى البيت لينام ، قبل ان يطمئن على صحتي وصحة المولود الجديد .. لقد سقط والدك المسكين على مقعده من فرط اعيائه ، عندما خرج الطبيب ليشد على يده مهنئا : « لقد اصبحت ابا يا سيدي لطفلة جميلة !! »

الفرحة الكبرى

هل تعرفين ماذا قال لي والدك عندما افقت واستعدت قواي ، لقد وقف ابوك يطبع على جبيني قبلة حارة طويلة ثم قال : « لقد حملت انت ثمرة حبنا وزواجنا تسعة اشهر ، ولكن كنت انا اول من حمل هذه الثمرة وضمها الى صدره .. ماذا افعل وقد اخترت انت النوم ، بينما لم يغمض لي جفن طوال اليومين الماضيين !؟ »

« وعدت الى البيت احملك فوق صدري وكانني احمل الدنيا كلها بين ذراعي .. كنت طفلة جميلة

ولكنك دائمة الصراخ .. وكان صوت صياحك موسيقى تملأ ارجاء البيت الهادىء ، وكأنها قادمة من السماء.. ولأول مرة في حياتي ، احس بوجودي ، وباهمية هذا الوجود بالنسبة لك ولهذا الرجل الذي لم يعد يبرح البيت .. لقد نقل مكتبه الى بيته ، واستبدل بهواياته واصدقائه وكل شيء في حياته ، هذا المهد الصغير الذي كنت تنامين فيه ، والذي كان يقضي امامه الساعات الطويلة يتأملك ، ويداعبك حتى في نومك !

كل شيء في دنيانا

لقد اصبحت كل شيء في دنيانا يا حبيبتي .. كنا نتسابق على تقديم وجبات الطعام اليك ، ونسهر بجوار فراشك اذا ألمت بك وعكة ، ونرقص طربا عندما نسمع الكلمات تخرج من بين شفتيك ..

« ولم يفتر حبه للاطفال ابدا .. كنت كلما قدمت له طفلا جديدا ، سارع يبحث لي عن اجمل هدية يمكن ان يقدمها لي تقديرا منه لهذا الضيف الجديد الذي زاد عدد الاسرة واحدا ! »

ويمضي بيترسون في سرد تفاصيل التجربة التي عاشها ، هو وزوجته ، مع طفلهما الاول ، يقول : « وجاءت الساعة أخيرا .. وضعت زوجتي مولودا جميلا .. وذهبت لأرى زوجتي بعد ان سمح لي الاطباء بزيارتها .. ووقفت بجوار فراشها ، ومددت يدي في هدوء المس وجه الطفل الصغير الذي كان يرقد بجوارها في فراش مستقل واحسست بقشعريرة تسري في جسمي كله .. لقد اصبحت ابا ، واصبحت زوجتي اما .. ما اجمل الحياة عندما تكتمل ..

عندما يكبر الحب

قلت لها اهمس في اذنها : « منذ ثلاث سنوات احببتك ، عندما التقينا وتواعدنا على الزواج .. ولكنني احبك اليوم اضعاف ما كنت احبك بالامس .. كنت اتصور انني أسعد مخلوق في الدنيا ، يوم فزت بك زوجة دون سائر الرجال .. ولكنني ادركت انني لم اكن اعرف معنى السعادة الحقيقية الا بعد ان جاء طفلنا الاول .. عرفت اليوم فقط قيمة الحياة ! ولماذا نعيشها ! »

الطفل اقوى حليف للزواج

يقول الدكتور آلان جوتماشر Allan Guttmacher في كتابة « الحمل والولادة » Pregnency and Birth « ان أقوى حليف للزواج السعيد هو الاطفال ،، فالزواج وسيلة وليس غاية .. ان الطفل مسئولية ، ولكنه مسئولية لذيذة ، فهو لا يطلب من أبويه سوى الحب ، والرعاية ، فاذا وجدهما ، قدم مقابلهما اضعاف ما قدم اليه منهما .. »

اثرة الزوجين

ويتحدث الدكتور آلان بعد هذا عن الاثرة التي تصيب بعض الازواج ، والتي تظهر بوضوح في عزوفهما عن انجاب الاطفال قبل انقضاء خمس أو ست سنوات على زواجهما بحجة انهما يريدان أن يتمما بالحياة ، أو انهما لم يستعدا بعد ماديا لانجاب الاطفال ، فيقول : « اذا تركز اهتمام الزوجين على انجاب الاطفال وتربيتهم في الوقت الذي يرونه مناسبا لهما ، فمعنى هذا انهما لم يكونا اصلا مستعدين للزواج ، ومعناه انهما يجب الا ينجبا اطفالا على الاطلاق ! »

تدعيم وتحصين للزواج

ثم يقول : « ان وصول الاطفال خلال سنوات الزواج الاولى ، من شأنه ان يساعد على تدعيم هذا الزواج وتحصينه ضد اى ريح قد تهب عليه وتعصف به .. فالطفل هو الرباط القوى الذي يجمع ما بين الزوجين ويشدهما الى بعضهما البعض .. ومن اجل هذا الطفل وحده تهون كل المتاعب ، وتنسى كل الخلافات التي قد تنشب بين الزوجين ..

فهذا المخلوق الصغير قادر على ان يحقق المعجزات في حياة الاسرة .. اية اسرة .. »

(م ٠ ن)



طلعنا من الليل نورًا ونارًا

■ مضينا إلى الأرض . . أرواحُنا ... شفاهٌ تقبّل وِدْيانَها
وتلثم رَهْوَ النسيم البَليلِ ... يلاعب كالحلم أجفانَها
إذا ظمئت رَوِيَتْ بالدماءِ ... أَلَسْنَا على الدهر قُرْبانَها ؟
تُروّى ثراها بنَسْغ العروق ... وتَغسل بالطُّهر وجْدانَها
جبين القداسة لا ينحني ... ولو نَسجَ العِلْجُ أكفانَها !

★ ★ ★

فلسطين ، هذا ربيع الضياء ... تبسَّمَ في حالكات الظُّلَمْ
أطلّ على الكون نيسانه ... وقد كان أسطورة في العدمْ
طلعنا من الليلِ نورا ونارا ... وأنشودة من كفاح ودم
وسوف نَسطِّرُ فوق الثَّرى ... مَلاحمَ لم يبتدعها قلمْ !
ونرفع فوق جبين الذُّرا ... على قِمَم المجدِ أسمى عَلَمْ !

★ ★ ★

لكِ المجدُ ، يا تربةً لم تزلْ ... على الدهر ، تنجبَ غُلْبَ الرِّجالِ
إذا انحسر الفَجْرُ عن أرضنا ... وغيب في حالكات الليالي
فإنا سنقشع عنه الظلامَ ... ونسقيه من شفَراتِ النِّصال
ونشعله وَرْدةً من لَظى ... تَوهّجُ في غمرات النضالِ
فجرحك ياأمّ ميلادنا ... ولن ينبت الجرح إلاّ المعالي ■■

راضي صدوق

اعرف وطنك أيها العربي

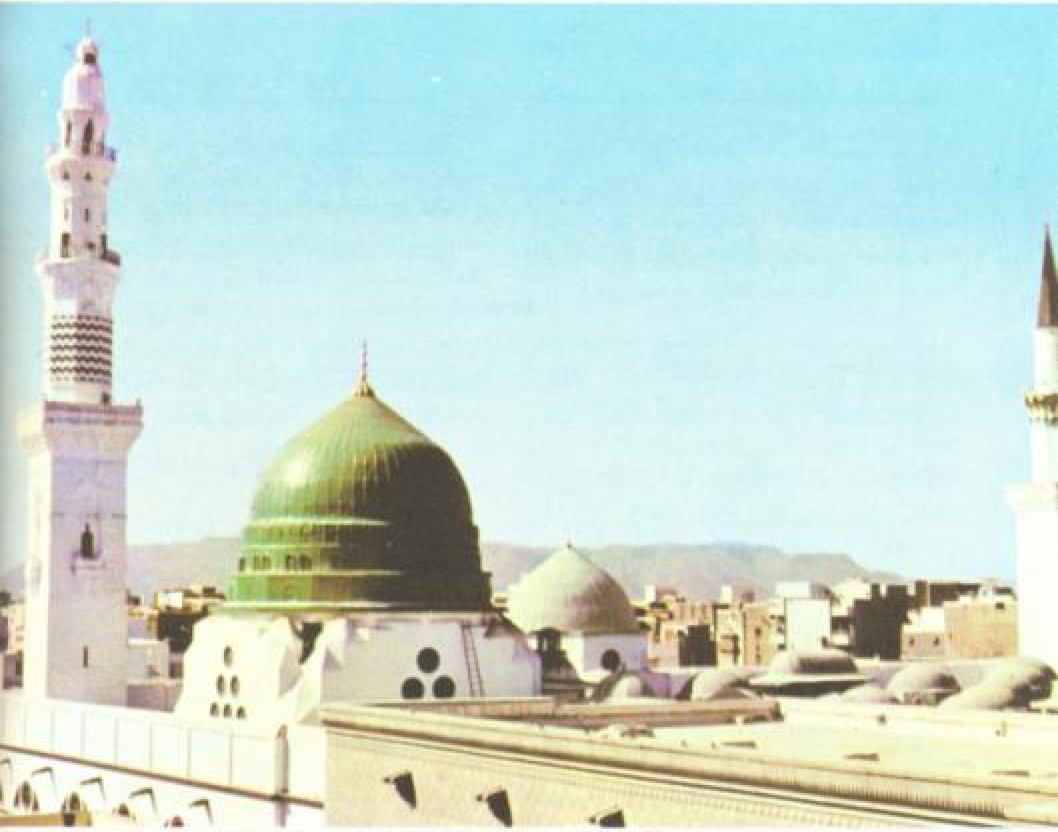
المدينة المنورة

هدايه

حيث يرقد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

استطلاع بقلم **محمد طنطاوي**

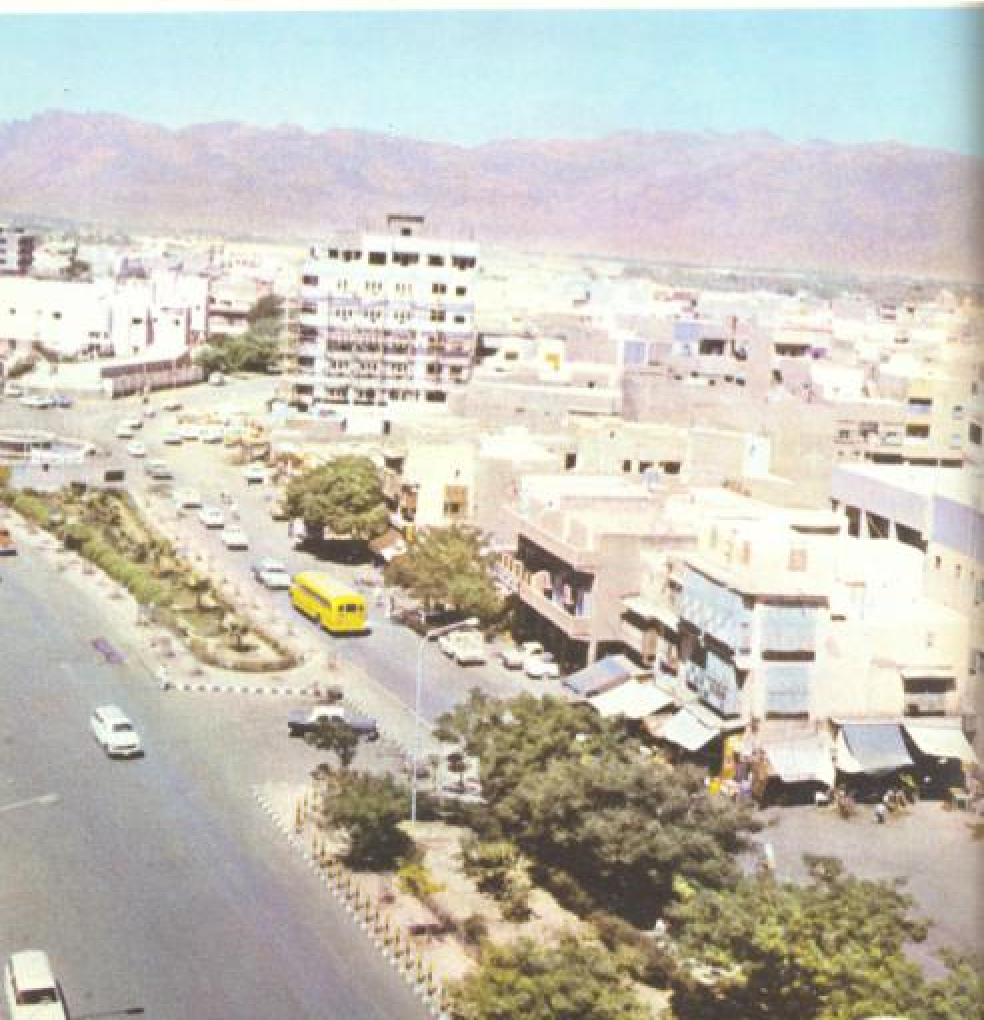
تصوير **عبد الناصر شقره**



الى أعلى : القبة الخضراء في الحرم النبوى الشريف وهي من أهم معالم المدينة المنورة مدينة الرسول صلوات الله عليه ويظهر في الصورة ايضا مئذنتان من مآذن الحرم النبوى الشريف . **والى اليسار** منظر عام للمباني الحديثة في حي المناخة . والى خلف المباني يقع جبل احد الذى يتميز بلونه المائل للحمرة .



الى أعلى : القديم والحديث جنبا الى جنب في احد شوارع المدينة المنورة . الى اليمين مبنى يتميز بالطابع القديم والشبابيك ا لخشبية القديمة والى اليسار عمارة حديثة .



■ فى شهر يناير الماضى قدمت « العربي » استطلاعا عن مسيرة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم بين مكة المكرمة والمدينة المنورة .. واستعرضت فى هذا الاستطلاع الاماكن المقدسة فى كلتا البلدتين .. وفى هذا الاستطلاع تقدم «العربي» المدينة المنورة بكل معالمها وتاريخها العريق .. دون التعرض لما سبق ذكره فى استطلاع شهر يناير الماضي ، من آثارها الاسلامية ومساجدها . انه استطلاع لتلك المدينة فى حاضرها اليوم .. وكما يراسا ملايين المسلمين الذين يزورونها فى كل عام حيث يقضون اياما فى رحاب الحرم النبوى يتعبدون ويتهجدون وتمتلىء صدورهم بنور الايمان الذى يشع من كل مكان فى تلك المدينة المنورة ، مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

للمدينة ٩٥ اسما !

الطريق من جدة الى المدينة يبلغ طوله حوالي ٤٢٥ كيلومترا .. ومن مكة اليها يبلغ طول الطريق حوالي ٤٩٧ كيلو مترا . ويقطع هذين الطريقين المعبدين ملايين المسلمين سنويا الى الاماكن المقدسة .. والطريق الى المدينة يبدا من جدة وسط سهل منبسط حتى يصل الى مدينة بدر ، وبعدها يشق سلسلة من الجبال الى ان يصل الى المدينة المنورة .. وللمدينة من الاسماء ٩٥ اسما لما لها من مكانة في قلوب المسلمين جميعا . ومن بين هذه الاسماء : دار الابرار ، دار السلام ، دار الفتح ، طيبة ، العاصمة ، قرية الانصار ، ذات النخل ، دار الايمان ، سيدة البلدان ، ذات الحرار ، الدرع الحصينة ، دار الاخيار ، المؤمنة ، المباركة ، المختارة ، بيت رسول الله ، وذلك علاوة على اسمها التاريخي القديم يثرب . وقد زعم بعض المؤرخين ان تاريخ المدينة يعود الى ما بعد الطوفان الذى حدث في عهد نوح عليه السلام .. وان اول من سكنها هو قانئة بن مهلاييل ابن عبيل وينتهي نسبه الى نوح عليه السلام .

وفي رواية اخرى زعم المؤرخون ان اول من اسس المدينة هم بنو عملاق بن ارفخشد بن سام وكان منهم في يثرب بنو هف وبنو مطرويل . وفي القرن الثاني قبل الميلاد اى قبل الاسلام بنحو سبعة قرون انهار سد مارب ونزحت قبائل اليمن الى انحاء الجزيرة العربية وكان من بين من نزح من اليمن الاوس والخزرج وهما ابناء حارثة بن ثعلبة ابن عمرو بن عامر بن ماء السماء وينتهي نسبهم الى قحطان .. واستقر هؤلاء في المدينة . والاوس والخزرج كما نعلمهم انصار رسول الله (صلعم) .

تاريخ عريق

وتاريخ المدينة المجيد يبدا من بعد هجرة الرسول (صلعم) اليها في عام ٦٢٢ م . ومنذ هذا اليوم صارت المدينة معقلا للاسلام ومصدرا للنور الذى انطلق لينير العالم بنور الايمان والهدى . وقد شهدت هذه المدينة الكثير من الاحداث التاريخية منذ وفاة الرسول الكريم .. فمنها حمى ابو بكر الاسلام من المرتدين ووجه الجيوش الاسلامية لفتح العراق والشام . ومنها وضع عمر بن الخطاب اسس الدولة الاسلامية الحديثة واستمرت الفتوحات الاسلامية .. وفي المدينة ايضا قتل عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين في داره قرب المسجد النبوى في عام ٣٦ هـ . ومن بعد عثمان رضي الله عنه بدأ النفوذ السياسي للمدينة المنورة في الافول . ولكن تاثيرها الديني لم يتاثر بافولها السياسي . فكانت وما زالت دائما مصدرا من مصادر الاشعاع الروحي للمسلمين جميعا في مختلف انحاء العالم .

في المدينة الحديثة

وصلنا الى المدينة المنورة عند منتصف الليل بعد رحلة بالسيارة من جدة استغرقت اكثر من ٧ ساعات نظرا لوعورة الطريق من بعد مدينة « بدر » والاصلاحات التي تتم فيه والتحويلات المتكررة التي صادفتاها في طريقنا ـ وادت بنا الى ان نضل الطريق عدة مرات ، لنجد انفسنا كل برة فجاة في طريق مسدود وليس امامنا سوى

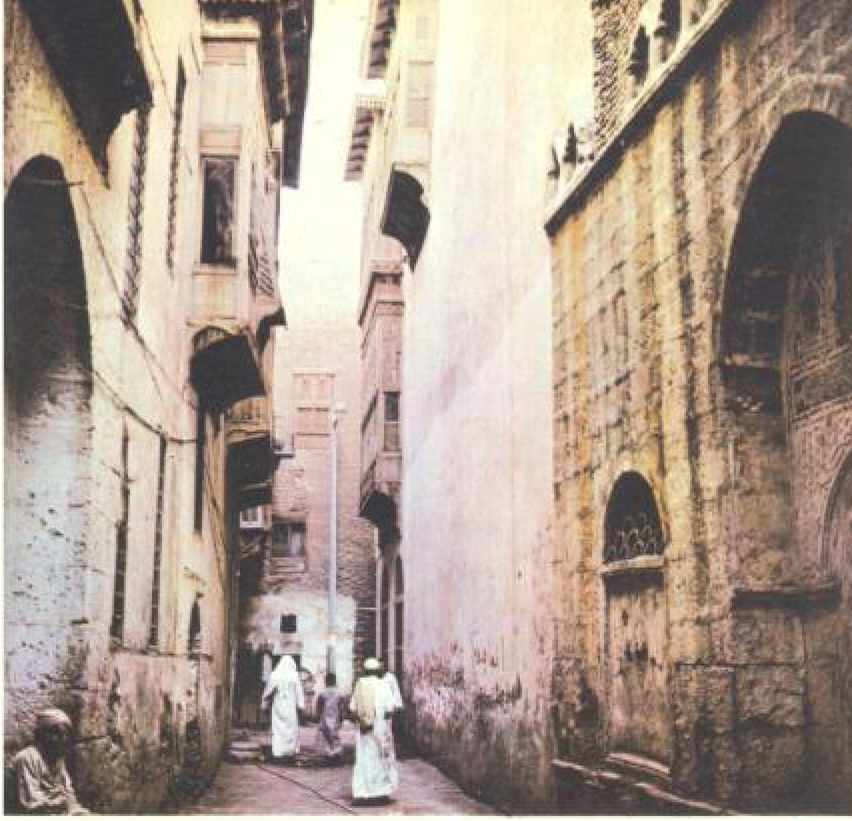


صورة لجزء من الحي المحيط بالحرم النبوى الشريف وتظهر في الصورة المآذن الاربعة للحرم الشريف وكذلك القبـة الخضراء .

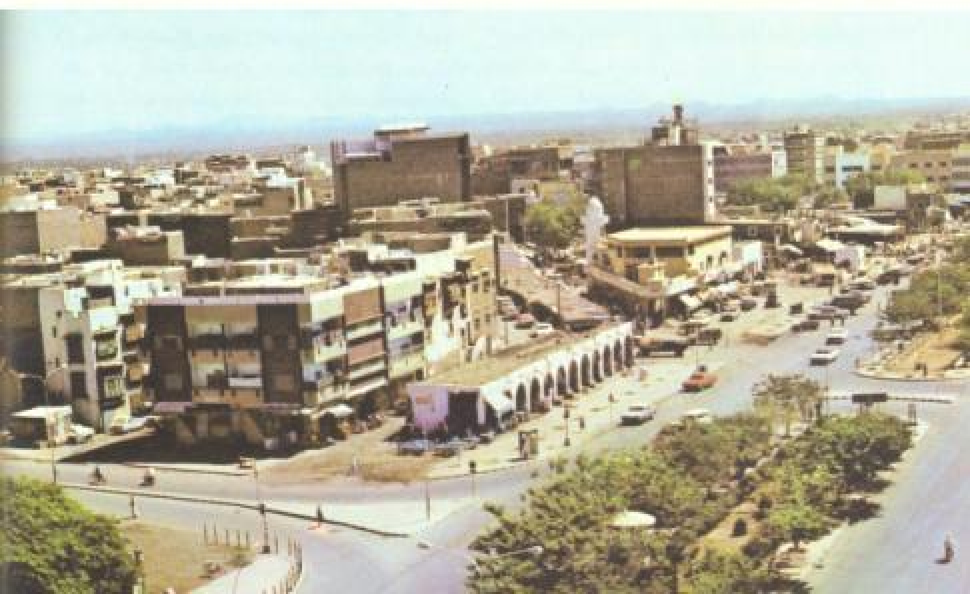
صخور الجبال التي تحيط بالطريق . كان اول ما شاهدناه ونحن على بعد حوالي ١٠ كيلو مترات من قلب المدينة تلك الانوار التي تنبعث من المآذن الاربعة لمسجد الرسول (صلعم) . واخترنا فندقا يطل على الحرم النبوى الشريف وسرعان ما كنا نغط في سبات عميق بعد هذه الرحلة المتعبة .. وعند الفجر استيقظنا على صوت المؤذن يدعو الناس الى الصلاة .. واسرعنا الى الحرم النبوى .. حيث ادينا صلاة الفجر ومكثنا في هذا المكان الطاهر الى ان اشرقت الشمس ، ومنه انطلقنا لنبدأ جولتنا في المدينة الحديثة .. مدينة الرسول .. المدينة المنورة . ان الحرم النبوى يقع على ميدان فسيح في قلب المدينة وتحيط بـه المحلات التجارية الحديثة والاسواق التقليدية القديمة ، والعمارات الحديثة التي تشغل اغلبها الفنادق الجديدة المكيفة الهواء والمعدة لاستقبال الحجاج من زوار المدينة والذين يأتون كل عام في مواسم متعددة .

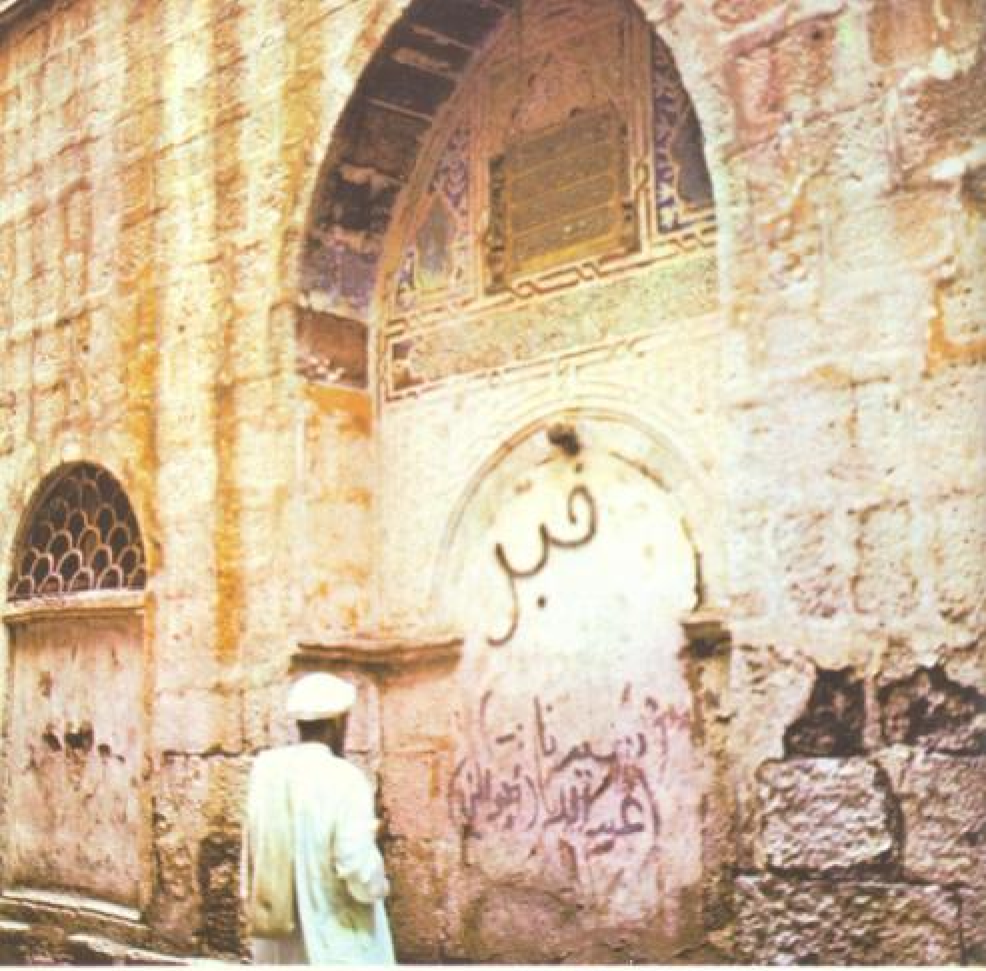
جولة فى المدينة القديمة

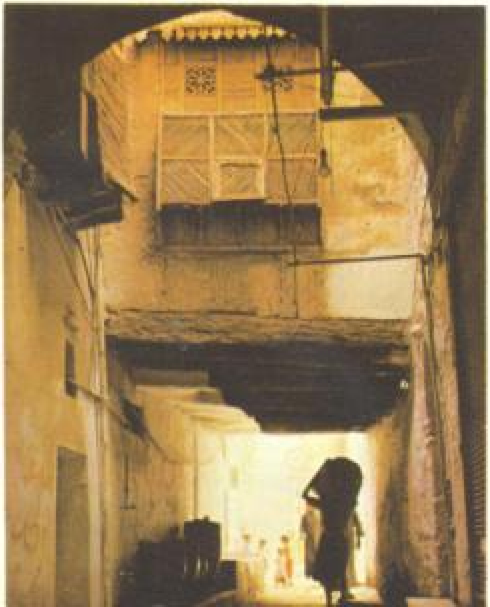
بالرغم من المباني الحديثة .. والشـوارع المهدة العريضة ، والحدائق العامة والنافورات الجميلة التي انشئت في العهد السعودى بالمدينة المنورة ، فان هنالك ايضا الاحياء القديمة التي لا تزال محافظة على الطابع التاريخي القديم .. وقد بدأنا جولتنا في تلك الاحياء التي تبعث في النفس ذكريات الماضي .. والكثير من هذه الاحياء القديمة يتكون من ازقة ضيقة قد لا يزيد عرض الزقاق منها عن متر ونصف .. ومبانيها القديمة من الحجر ولها مشربيات من الخشب على الطراز العربي القديم . وتذكرت ما كنت قرأته عن المدينة للمؤرخ والمستشرق السويسرى المسلم عبد الله بركهارت في كتابه عن جولاته في العالم العربي والذى الفه في عام ١٨١٥ وفيه يقول : « المدينة حسنة البناء ، فكل مبانيها من الحجر وتتالف منازلها في الغالب من طابقين عاليين ، واسقفها مسطحة .



الى اعلى : زقاق الطوال وهو احد الازقة التي لها تاريخ طويل في المدينة المنورة ، وتظهر فيه روعة المباني القديمة ويقال ان قبر عبد الله بن عبد المطلب والد النبي صلوات الله عليه موجود في هذا الزقاق **(الصورة الى اليسار)** وليس هناك ما يدل على ان هذا المكان هو قبر والد النبي سوى ما كتب عليه بخط اليد .







الى اليمين : ازدهرت المدينة مؤخرا وابتدأت يد العمران تمتد اليها فشقت فيها الطرق الحديثة الجميلة وارتفعت البنايات الضخمة على جوانب هذه الطرق التي تتميز بالاشجار الخضراء المزروعة في وسطها .

***

الى اليسار : واحد من الازقة الضيقة التي تقع في الاحياء القديمة بالمدينة ، والمباني الواقعة في هذه الازقة مبنية من الحجر ولها مشربيات من الخشب على الطراز العربي القديم .

وهي عارية من الطلاء ، والحجر الذي شيدت به قاتم اللون .. واكثر طرقاتها بالغة الضيق حتى لا تزيد على ذراعين او ثلاث اذرع . وقليل من طرقاتها الرئيسية مرصوف باحجار مستديرة كبيرة ، وهذا ترف قلما يتوقعه السائح في بلاد العرب . وهي على العموم من خير البلاد التي شهدت في الشرق بناء ، وهي لذلك تلي في هذا المضمار مدينة حلب » .

نفس الصورة التي كتبها هذا المستشرق عن المدينة منذ اكثر من ١٥٠ عاما لا تزال موجودة حتى الآن في هذه الازقة الضيقة التي تقع بالقرب من الحرم النبوي الشريف . ولكن الصورة تتغير تماما عندما تخرج من هذه الازقة الى الاحياء الحديثة والشوارع الواسعة .. ان القديم والحديث يعيشان جنبا الى جنب في هذه المدينة ذات التاريخ العريق .

على قبر عبد الله بن عبد المطلب

وفي احد الازقة وهو معروف بزقاق الطوال ارشدنا دليلنا الى قبر عبد الله بن عبد المطلب والد النبي (صلعم) والذي توفي في المدينة المنورة قبل ميلاد ابنه محمد رسول الله (صلعم) . وكان عمره انذاك لا يزيد على الخامسة والعشرين عاما . وليس هناك ما يدل على ان هذا المكان هو قبر والد النبي سوى ما كتب عليه بخط اليد .. وسوى ما يتناقله اهل المدينة ابن عن اب من ان هذا المكان هو الذي دفن فيه والد الرسول الكريم .

سكة حديد الحجاز

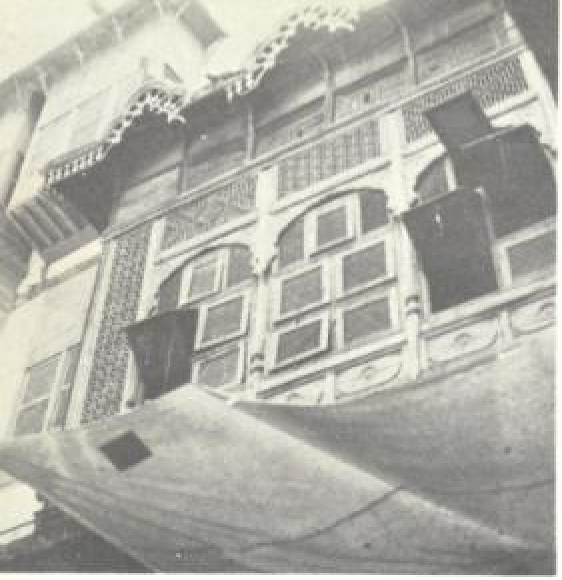
اثناء جولتنا للتعرف على معالم المدينة ، شاهدنا مبنى قديما متهدما مهجورا ذا طراز عثماني، وعرفنا انه مبنى محطة سكة حديد الحجاز ذلك الخط الحديدي الذي كان يربط بين المدينة المنورة ودمشق .. لقد افتتح مبنى هذه المحطة في عام ١٩٠٧ وكان عدد سكان المدينة يصل الى ٢٠ الفا .. وادى افتتاح الخط الحديدي الى تزايد سكان المدينة حتى وصل الى ٨٠ الفا في عام ١٩١٤ . واستمر هذا الخط الحديدي ينقل الركاب والبضائع من دمشق والاردن وفلسطين والعراق وتركيا واوربا الى المدينة المنورة وبالعكس طوال ٩ سنوات ازدهرت فيها المدينة اقتصاديا وعمرانيا. ولكن في عام ١٩١٦ قامت الثورة العربية ودمر الخط الحديدي بعد ان نسفوا اماكن عديدة منه .. وتعطل هذا الشريان الحيوي الذي يبلغ طوله من دمشق الى المدينة ١٣٠٢ كيلومتر ومن المدينة الى معان في الاردن ٨٤٤ كيلو مترا . وقد عانت

درس ديني داخل الحرم النبوي الشريف والمعلم يقوم بتحفيظ القرآن لطلبته الصغار .



المدينة بعد انقطاع الخط الحديدى من ازمة اقتصادية حادة فهجرها سكانها الذين كان قد وصل عددهم الى ٨٠ الفا حتى اصبحوا ١٢ الفا في عام ١٩٢٧ .. ولكن هذا الضيق لم يستمر الى الآن فقد بدأت حركة العمران تعود مرة اخرى بفضل المشروعات الكثيرة التي قامت بها الحكومة السعودية ... وقد وصل عدد سكان المدينة اليوم الى اكثر من ١٥٠ الف مواطن حسب الاحصائيات التقديرية التي قامت بها بلدية المدينة أخيرا .

وقد حدثت مفاوضات بين كل من المملكة السعودية والاردن وسوريا منذ اكثر من ٥ سنوات لاعادة بناء الخط الحديدي وبديء فعلا بالعمل في اعادة بنائه . ولكن عدوان اسرائيل في عام ١٩٦٧ على الدول العربية ادى الى تعطيل سير العمل في هذا المرفق الحيوى الهام .



المشربيات الخشبية لاحد البيوت القديمة في المدينة المنورة وهي تمثل الطابع القديم لمباني المدينة التاريخية

حي المناخة

يتميز حي المناخة في المدينة الآن بالمباني الحديثة التي تقع على جانبيه .. لقد اصبح عامرا بالمباني والحدائق العامة بعد ان كان كله ارض فضاء تأوي اليها قوافل الحجاج وتتخذ منها مناخة لابلها ومضارب لخيامها . وللمناخة تاريخ قديم ، فقد كانت سوقا لبني قينقاع من اليهود الذين اتخذوا منازلهم على مقربة منها . وكانت سوقا للمدينة كلها حتى نشب الخلاف بين المسلمين واليهود . وبنو قينقاع هم اول عشائر اليهود تحرشا بالمسلمين في المدينة ، فقد كان بنو النضير وبنو قريظة يقيمون خارج المدينة . اما بنو قينقاع فكانوا يقيمون بين اهل المدينة وكانوا يتحرشون بالمسلمين وخاصة بعد انتصارهم – اى المسلمين – في غزوة بدر وبعد ان بدأ ذكر الاسلام يعلو في شبه الجزيرة العربية كلها . وفي يوم من الايام جاءت امرأة مسلمة الى سوقهم لتصلح حلية لها عند صائغ منهم ، وطلب منها بعض اليهود ان تكشف وجهها فأبت . وجاء يهودى من خلفها فاثبت طرف ثوبها بشوكة الى ظهرها . فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا بها، فصاحت . اذ ذاك وثب رجل من المسلمين على الصائغ اليهودى فقتله ، وتجمع اليهود على المسلم فقتلوه . وتأزم الموقف خاصة بعد أن تعنت اليهود في موقفهم . وقام المسلمون بحصارهم خمسة عشر يوما ، فلم يبق لهم الا التسليم . وانتهى الامر بخروجهم من المدينة بعد ان عفى عنهم الرسول من القتل ، الى اذرعات على حدود الشام .

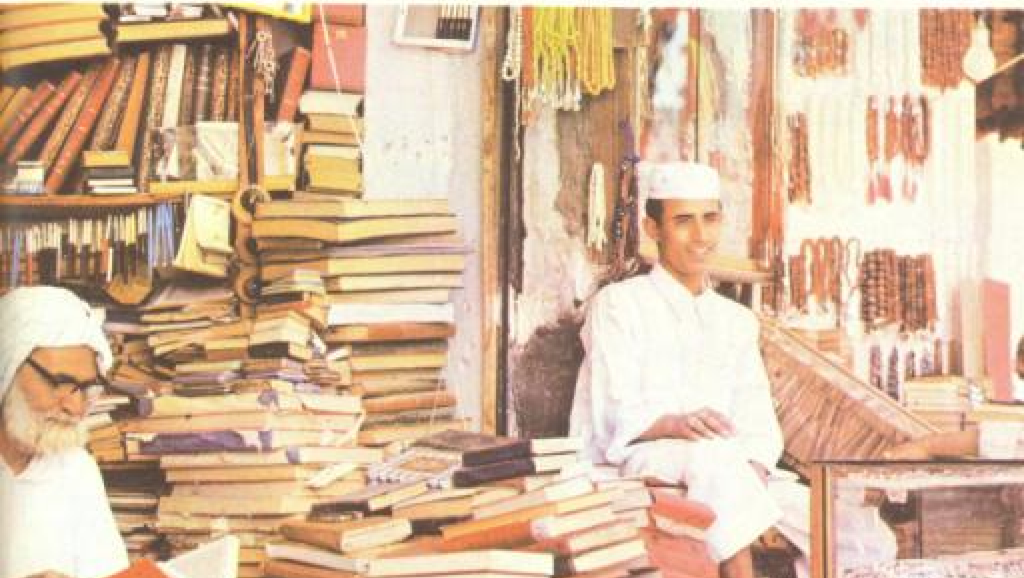
وحي المناخة الآن من أحدث احياء المدينة وبالقرب منه تقع عدة مساجد اثرية منها مسجد الغمامة ومسجد السقيا وغيرهما من المساجد . والتي جاء ذكرها في استطلاع مسيرة الرسول بين مكة والمدينة .

حديث مع امير المدينة

بعد ان قمنا بجولة للتعرف على معالم مدينة الرسول (صلعم) ذهبنا لمقابلة الرجل المسئول عن المدينة المنورة وهو امير المدينة عبد المحسن بن عبد العزيز آل سعود . وذهبنا الى مجمع المدينة حيث يوجد مكتب الامير والمكاتب الحكومية الاخرى .. ودخلنا الى صالة كبيرة تتسع لمئات الاشخاص .. وكان الامير لحظتها يستمع الى طلبات المواطنين الذين جاءوا ليشرحوا له طلباتهم وشكاواهم .. مواطن يطلب توصيل مياه الشرب الى منزله وآخر جاء يستنجد بالامير ليحل خلافا وقع بين عشيرته وجيرانها .. وهكذا مئات القصص والحالات .. وكان الامير يدرس المشكلة تلو المشكلة بسرعة ثم



تحيط بالحرم النبوى الشريف اسواق حديثة وقديمة . ويقبل زوار الحرم على شراء الكثير من المصنوعات التقليدية للمدينة تيمنا بها وللاحتفاظ بذكرى لزيارتهم لمدينة الرسول ، **والصورة الاولى الى اليسار** لبائع البخور والعطاره . **والى اسفل** بائع الكتب الدينية والكتب التاريخية القديمة .





الى اليسار : صانع الاحزمه الجلدية الملونة . وهي صناعة بدوية قديمة يتوارثها الابناء عن الاباء . ويقبل زوار المدينة على شراء هذه الاحزمة .





الى اعلى : احد المحلات التي تبيع المصنوعات النحاسية والفضية ، **والى اليمين** احد محال بيع المصنوعات الذهبية وهي تقع في السوق المحيط بالحرم النبوي الشريف .



مبنى محطة سكة حديد الحجاز .. كانت في الماضي شريانا حيويا يربط بين المدينة المنورة ودمشق، ولكن تدمير الخط الحديدي اثناء الثورة العربية في عام ١٩١٦ ادى الى تعطيل هذا الشريان الحيوى . ولا يزال هذا المبنى مهجورا حتى الآن في انتظار ما ستأتي به الايام من اعادة تسيير هذا الخط الحديدي.

بت فيهـــا ويعهد بتنفيذ الحل للمسئولين من الموظفين .. وبعد ان انتهى من سماع شــكاوى المواطنين وطلباتهم بدانا حديثنا معـــه .. وتركز الحديث عن المشروعات التي تقوم بها الحكومة لتامين راحة الحجاج الذين يفدون بالآلاف لزيارة المدينة المنورة سواء في موسم الحج أو على مدار السنة ، وخاصة اثناء الزيارة الرجبية وشهر رمضان . وقال الامير عبد المحسن ان القائمين على امور المدينة يهتمون اهتماما كبيرا بالعمل على راحة الحجاج وزوار الحرم النبوى . وان مجيء اعداد كبيرة من المسلمين في وقت واحد يتطلب جهدا كبيرا من مختلف ادارات الحكومة ومرافقها الا ان هذا الجهد متوفر . وان القائمين على امور الحجاج يعملون كل ما يستطيعون في سبيل تامين راحتهم وتوفير احتياجاتهم . واستطرد قائلا : اننا نامل دائما ان يجد اخواننا الحجاج الراحة الكافية .. وان كل المسئولين وانا أولهم مستعدون لسماع شكاواهم وازالة اى متاعب يتعرضون لها .. وانا بابي مفتوح لاى شكوى من اى زائر لمدينة الرسول (صلعم) .

وعن المشروعات الجديـــــدة دار الحديث عن مشروعات المياه وخاصة مشروع العين الزرقاء .. وعن الجامعة الاسلامية . وعن الاهتمام بالتربية والتعليم على مختلف المستويات .. وعن التفكير في توسعة جديدة للحرم النبوى الشريف ، وانشاء فندق ضخم جديد بالمدينة . ومبنى جديد للمكاتب الحكومية .. ومبنى آخر للاتصالات الهاتفيـــة لتحسين الخدمات وادخال التليفون الآلي . وغيرها من المشاريع التي تقـــوم الحكومة بتنفيذها الآن لمواجهة النهضة الكبيرة التي تعم المدينة المنورة .. دار السلام ..

فندق جديد
يتكلف ١٠ ملايين ريال

وبدانا في مقابلة المسئولين عن المشروعات الجديدة بالمدينة المنورة .. والتقينا بالسيد حبيب محمود احمد نائب رئيس المجلس الاداري للمدينة ورئيس مجلس الاوقاف .. وتركز حديثنا معه عن المشروعات التي ستتم في القريب العاجل :

* الحرم النبوى تتم الآن الدراسات الخاصة بتوسيعه مرة ثانية ..

* مشروع مكتبة عامة للمدينة سيطلق عليها اسم مكتبـــة الملك عبد العزيز ويتكلف انشاؤها حوالي ٨ ملايين ريال ســعودى وتضم ٧٥٠ الف كتاب .

* انشاء فندق عالمي من ١٠ ادوار على بعد ٤٠٠ متر من الحرم النبوى الشريف ويقع في الميدان

المواجه لباب الملك عبد العزيز ويتكلف ١٠ ملايين ريال وبه ٢٠٠ .. غرفة وتكييف مركزى وصالات للاجتماعات وللاكل وغيرها من متطلبات الفنادق الحديثة .. وسيتم تمويل انشاء هذا الفندق من ريع اوقاف الحرم النبوى .. ان المسجد النبوى له اوقاف كثيرة .. ولكن الحكومة السعودية هي التي تتولى الانفاق على الحرم ولذلك يتوفر ريع اوقاف المسجد النبوى للمشروعات ومن بينها هذا الفندق . وطلبنا معرفة قيمة اوقاف الحرم فلم يكن الرقم حاضرا .

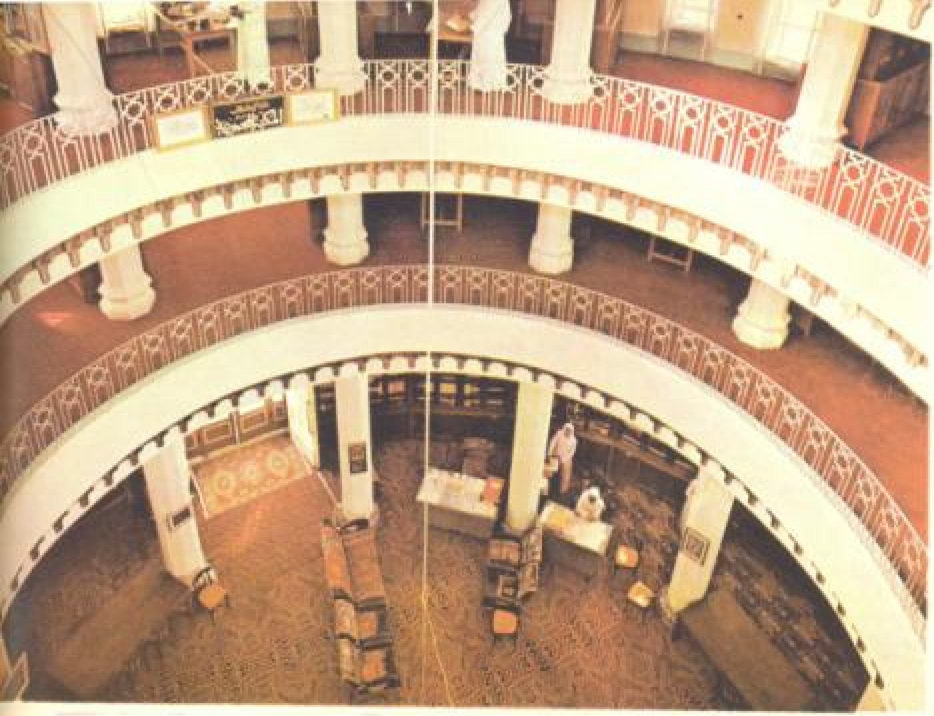
● ان المدينة الآن تنمو بسرعة .. وعدد سكانها يزداد يوما بعد يوم .. لذلك تقرر انشاء ١٠ عمارات سكنية جديدة كل واحدة منها تتكون من ٨ طوابق .. وكذلك انشاء اسواق جديدة وحدائق عامة لتجميل المدينة .

مكتبة عارف حكمت

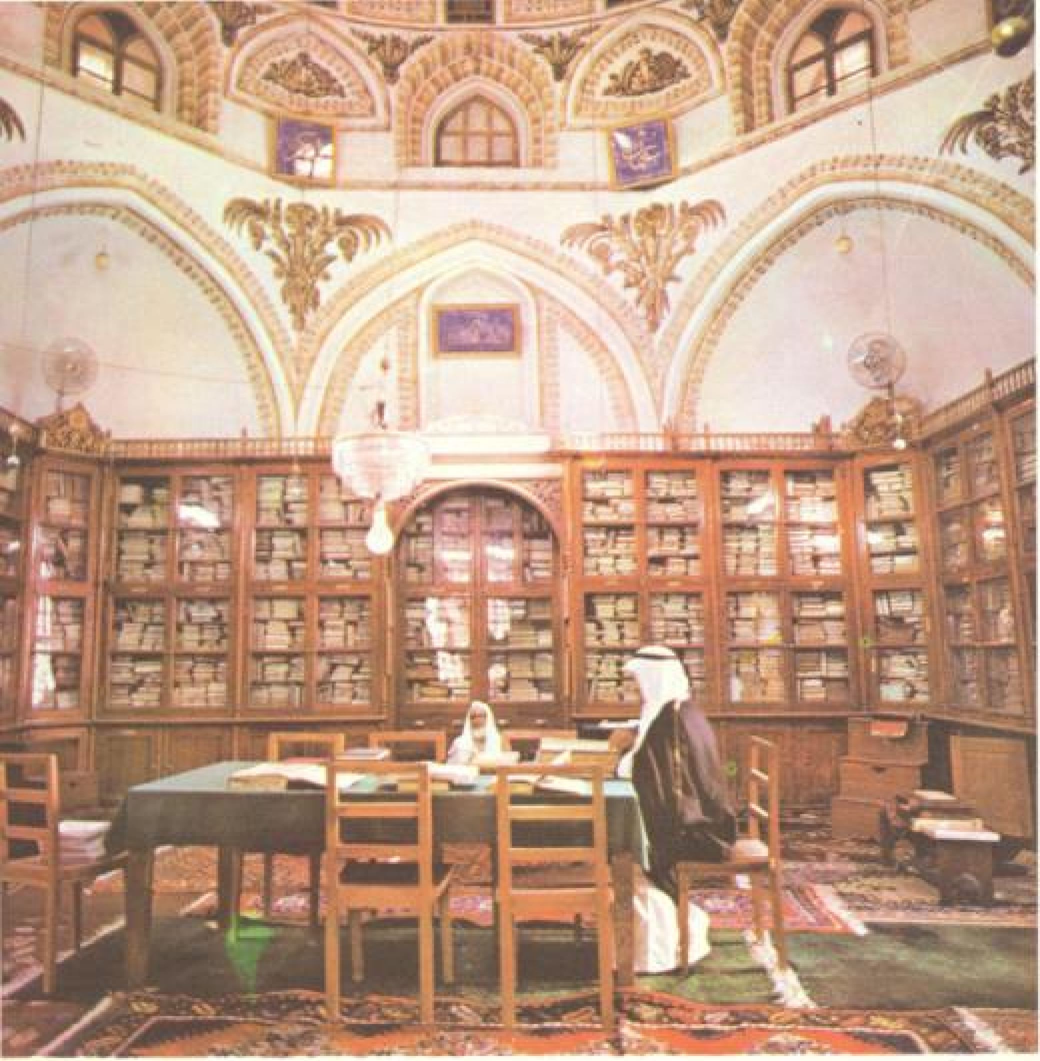
من اشهر المكتبات التاريخية في المدينة المنورة مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت . وقد تأسست في عام ١٢٧٠ هـ اى منذ اكثر من ١٢٠ عاما . وهي تقع بالقرب من الحرم النبوى الشريف جنوب باب جبريل من جهة القبلة . ويفصل بينها وبين المسجد شارع ضيق .. وتضم المكتبة ٦٧٢٦ كتابا من بينها ٤٧١٨ مخطوطا .. ومن بين المخطوطات النادرة التي تضمها المكتبة كتاب اسفار فارسية لصقت حروف الكتابة فيه على الورق بدقة متناهية .. ومن بين المخطوطات ايضا كتاب الاوائل للعسكرى (٣٩٥ هـ) والأم للشافعى ، وذكر المسافات وصور الاقاليم – لابي زيد احمد بن سهل البلخى (٣٠٩هـ) . ذلك غير العديد من المخطوطات التي لها قيمة لا تقدر . والشيء الوحيد الذى يعيب هذه المكتبة هو ان نظام الفهرسة فيها لا يتساير مع النظم الحديثة . وهذه المكتبة اوقفها شيخ الاسلام عارف حكمت ولها اوقاف في استنبول ينفق ريعها عليها . والى جوار مكتبة عارف حكمت تقع المكتبة العامة للمدينةوهي تتكون من ٣ طوابق. الطابق الاول مخصص للمكتبة العامة ويضم عددا

مبنى مكتبة عارف حكمت .. والى جوار هذا المبنى كان يقع بيت أبي ايوب الانصاري وهو البيت الذي نزل فيه محمد صلى الله عليه وسلم عند وصوله المدينة مهاجرا من مكة .









٣ صور تبين بعض نواحي النشاط الثقافي في المدينة المنورة **الصورة العليا الى اليمين** تبين مكتبة المدينة العامة وهي تتكون من ٣ طوابق ، الطابق الاول مخصص للمكتبة العامة ويضم حوالي ١٤ الف كتاب تبرع بها اصحابها ، اما الطابق الثاني فهو مخصص للمكتبة المحمودية التي اوقفها السلطان محمود شاه وبها ٦٥٠٠ كتاب و ٢٢٠٠ مخطوط ، والطابق الثالث يضم مكتبة الحرم النبوى الشريف وبها ٦٠٠٠ كتاب و ١٥٠٠ مخطوط .

اما الصورة السفلى الى اليمين فهي تمثل طفلتين من المدينة المنورة اثناء قيامهما باداء اغنية في برنامج خاص بالاطفال يتم تصويره واخراجه في تليفزيون المدينة ويعتبر من انجح برامج الاطفال في المملكة السعودية ويعرض في كافة محطات التليفزيون بالمملكة . وتمثل **الصورة الثالثة (الى اعلى)** اشهر مكتبة تاريخية في المدينة وهي مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت وقد تأسست منذ حوالي ١٢٠ عاما وتتميز بجمال مبانيها من الداخل وهي تضم الكثير من المخطوطات النادرة ويبلغ عدد المخطوطات التي تضمها هذه المكتبة ٤٧١٨ مخطوطا .



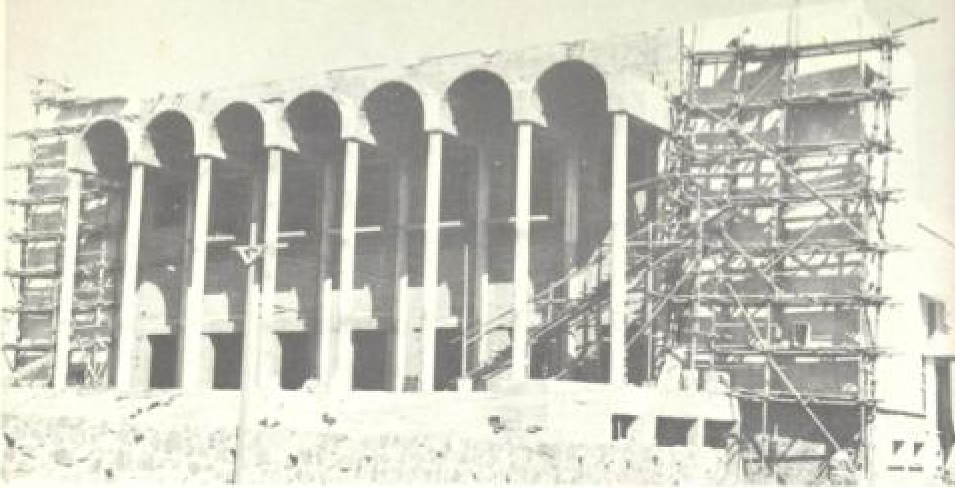
كبيرا من الكتب التي تبرع بها اصحابها ويبلغ عددها نحو ١٤٠٠٠ كتاب . اما الطابق الثاني فهو مخصص للمكتبة المحمودية التي اوقفها السلطان محمود شاه وبها ٦٥٠٠ كتاب مطبوع و ٢٢٠٠ مخطوط ، وفي الطابق الثالث تقع مكتبة الحرم النبوى الشريف وبها ٦٠٠٠ كتاب مطبوع و ١٥٠٠ مخطوط .

وستنقل هذه المكتبات القديمة الى مكتبة الملك عبد العزيز عند الانتهاء من انشائها . وبذلك يصبح للمدينة المنورة مكتبة عامة واحدة تضم من المخطوطات انفسها،وتعيد للمدينة سمعتها العلمية التاريخية والتي كانت تتبوؤها في صدر الاسلام .. فمن المدينة تخرج علماء افذاذ .. واليها يحج كل من يرغب في العلم على ايدي هؤلاء العلماء ومن بينهم على سبيل المثال لا الحصر الامام مالك بن انس والامام الشافعي رضي عنهما الله .

طلبة من ٧٧ جنسية في الجامعة الاسلامية

في الماضي كان المسجد النبوى الشريف بمثابة جامعة اسلامية تدرس فيه العلوم الدينية ، واللغة العربية والتاريخ والتراجم والفلك والرياضيات وغير ذلك من العلوم .. كانت هذه العلوم تدرس في حلقات بعد الصلاة .. وتخرج من المسجد النبوى الشريف العلماء والفقهاء والكتاب والمفكرون والفلكيون وغيرهم ، وكان الامام مالك بن انس احد هؤلاء الذين تخرجوا من جامعة المسجد النبوى الشريف ، ثم قام بالتدريس فيها وتخرج على يديه الكثيرون من علماء الفقه والشريعة . ولكن التطور العلمي وانشاء المدارس النظامية والجامعات قضى على أهمية المسجد النبوى في مجال الدراسة كجامعة اسلامية ، ومن هنا بدات الفكرة في انشاء جامعة اسلامية بالمدينة المنورة مهد العلوم الاسلامية منذ صدر الاسلام . وفي عام ١٣٨١ هـ أى منذ ١١ عاما تم افتتاح الجامعة الاسلامية بالمدينة . وتضم الجامعة الآن كليتين هما كلية الشريعة الاسلامية ، وكلية الدعوة واصول الدين . ذلك بالاضافة الى قسم ثانوى وقسم اعدادى .

وبالجامعة الآن أكثر من ٩٠٠ طالب في كليتيها وقسميها الثانوى والاعدادى . ونسبة الطلبة السعوديين بها تبلغ ١٨٪ من مجموع عدد الطلبة .. والباقي يمثلون ٧٧ جنسية مختلفة .. اتوا من بلدانهم ليدرسوا اللغة العربية والدين الاسلامي . وتعني الجامعة بالعلوم الدينية فقط ، أما العلوم الاخرى الحديثة وهي التي يتالف منها التعليم الجامعي فيما يتالف فليس له في الجامعة الاسلامية نصيب. وهذا على غير غرار الجامعات الاسلامية في الاقطار



مكتبة الجامعة الاسلامية في المدينة تضم مجموعة كبيرة من الكتب الاسلامية والمراجع الدينية القيمة . والصورة العليا تمثل المبنى الجديد لمكتبة الجامعة والتي سينتهي العمل فيها خلال هذا العام وستضم قسما خاصا بتصوير الوثائق والمخطوطات .

الاسلامية في شتى القرون ومنها الازهر الشريف ففيه كان يعلم الطب فيما يعلم من علوم .

وميزانية الجامعة تبلغ ١٥ مليون ريال . وتقوم الجامعة بصرف ٣٠٠ ريال شهريا لكل طالب على المستوى الجامعي علاوة على تذاكر سفر الى بلاده مرة كل ٣ سنوات ، وعند التخرج و ٢٥٠ ريال شهريا لطلبة القسم المتوسط وكذلك تذكرة سفر الى بلاده مرة كل ٣ سنوات وعند التخرج . وتقع مباني الجامعة الاسلامية في ضفة وادي العقيق الغربية قرب القصر القديم لسعد بن العاص . وقد اختير هذا المكان بالذات لما يتمتع به من مناخ جميل . وهي تقع على بعد ٥ كيلو مترات من المدينة المنورة .. ووادي العقيق مشهور في تاريخ المدينة وفيه قال احد الشعراء القدامى :

القصر فالنخل فالجماء بينهما
اشهى على القلب من ابواب جيرون

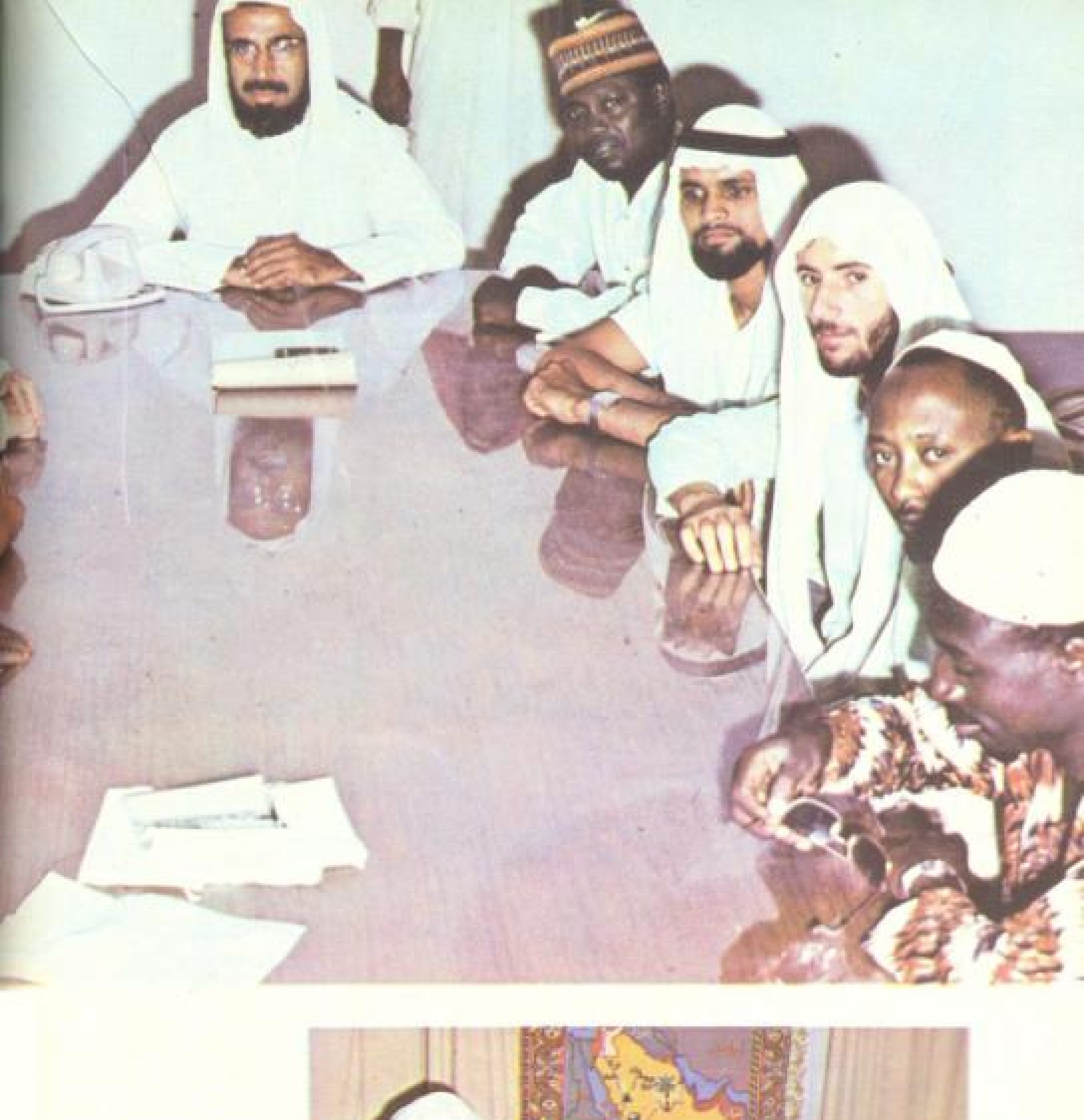
والجماء هنا معناها الجبال الحمر الممتدة ويقصد بها الشاعر جبال المجاورات التي تحيط بالوادي اما جيرون فهي دمشق .

لقاء مع امين عام الجامعة الاسلامية

قمنا بزيارة الجامعة الاسلامية .. حركة الانشاء تسير على قدم وساق بالرغم من حداثة المباني واتساعها . مبنى ضخم جديد للمكتبة الجديدة يضم قسما للميكروفيلم . مبان جديدة لسكن الطلاب بدلا من المباني القديمة .. وتضم مباني الجامعة مستشفى للطلبة يعمل فيه ٣ أطباء وصيدلي وعدد من الممرضين . والاطباء في المستشفى يرسلون ذقونهم ويرتدون الزي الوطني .. وقد رفضوا جميعا ان نصورهم وسألناهم في ذلك فاستشهدوا بالحديث النبوي « ان اشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون .. » وفسروا ذلك بان المصور هو المصور الفوتغرافي اليوم !! .

والتقينا في الجامعة بالشيخ محمد ناصر العبودي الامين العام للجامعة الذي شرح لنا الغرض من اقامة الجامعة في المدينة ورسالتها في نشر الدين الاسلامي وتعاليمه الصحيحة في البلدان البعيدة والتي يأتي منها الطلبة لدراسة العلوم الإسلامية واللغة العربية .. ان في الجامعة شعبة خاصة لتعليم اللغة العربية للطلبة الذين لا توجد في بلادهم مدارس عربية .. ويمضي الطالب في هذه الشعبة عامين حتى يتقن اللغة العربية وبعدها يصبح طالبا منتظما بالجامعة . وكلية الدعوة واصول الدين تقوم بتدريس اللغة الانجليزية لطلبتها ..

واجتمعنا بعدد من الطلبة الاجانب الذين يدرسون في كليات الجامعة .. بركة الله خان كان يعمل مهندسا في بلده غيانا بامريكا اللاتينية ترك





الى اليمين : السيد حبيب محمود احمد نائب رئيس المجلس الاداري للمدينة ورئيس مجلس الاوقاف يفحص التصميمات الخاصة بالفندق العالمي الجديد الذي سيتكلف انشاؤه حوالي ١٠ ملايين ريال سعودي . ويتم تمويل هذا المشروع من ريع اوقاف الحرم النبوي الشريف .





الى اعلى : امير المدينة عبد المحسن عبد العزيز آل سعود يستمع الى شكوى احد المواطنين في مجلسه الذي يخصصه صباح كل يوم للاستماع الى مطالب سكان المدينة وضواحيها .

★★★

الى اليمين : الشيخ محمد ناصر العبودي امين عام الجامعة الاسلامية يتوسط بعض الطلبة الاجانب في الجامعة التي تضم طلبة من ٧٧ جنسية مختلفة منهم الاوروبي والامريكي والآسيوى والافريقي . والى اسفل مباني الجامعة الاسلامية التي تضم كليتين هما كلية الشريعة الاسلامية وكلية الدعوة واصول الدين ، ذلك بالاضافة الى قسم ثانوى وقسم اعدادى .





في الماضي كانت مياه الشرب تصل الى المدينه من « العين الزرقاء » بواسطة شبكة قنوات يسمونها « الدبول » وفي الصورة آثار هذه القنوات التي حلت محلها شبكة انابيب حديثة .

وظيفته ليدرس الاسلام حتى يستطيع ان يشرح قواعده الصحيحة لـ ٧٠ الف مسلم في بلاده .

راشد جمعة من بوروندي بافريقيا يقول ان ٢٠٪ من عدد سكان بلاده من المسلمين وانهم في حاجة الى توعية بتعاليم الدين الصحيحة ولذلك فهو ينوي عندما يعود الى بلاده ان يقوم بالتدريس والارشاد .

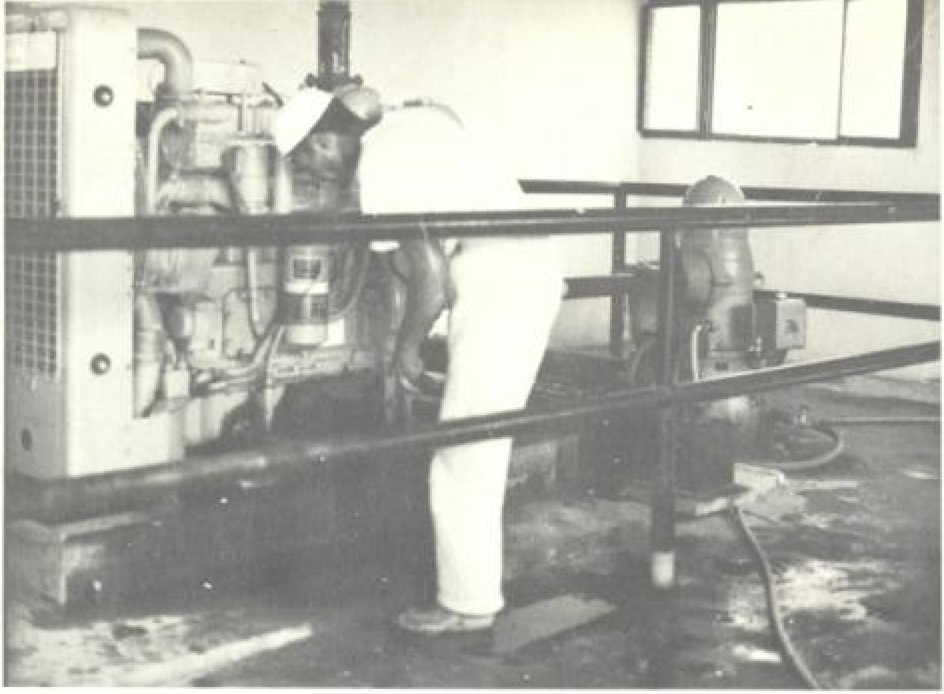
محمد صديق واسمه الاصلي ولفجونج بوركفلد الماني الجنسية من برلين .. اعتنق الدين الاسلامي منذ ١٠ سنوات عن طريق قراءة كتب المستشرقين عن الاسلام جاء الى الجامعة منذ عام والتحق بكلية الدعوة . يقول ان الاسلام هو الدين الأسمى في هذا العالم وان تعاليم الاسلام اذا سار عليها العالم فستشهد عالما تسوده المساواة والوئام .

وتركنا الجامعة الاسلامية وقلوبنا تدعو لهؤلاء الذين يعملون على نشر نور الدعوة الاسلامية في قارات العالم الخمس من المدينة المنورة مركز الاشعاع الروحي للاسلام الحنيف .

★ ★ ★

تحيط بالمدينة المنورة اعداد كبيرة من آبار المياه ، ويعود تاريخ بعض هذه الآبار الى ايام الرسول (صلعم) ومن بين هذه الآبار آبار علي ، وهي تلك الآبار التي احرم من عندها النبي صلوات الله عليه عند حجه الى مكة .





واحدة من آلات الضخ الحديثة التي يتم تركيبها على الآبار الجديدة التي يتم حفرها في منطقة « العين الزرقاء » والتي تمد المدينة المنورة بحاجتها من المياه العذبة .

نهضة تعليمية

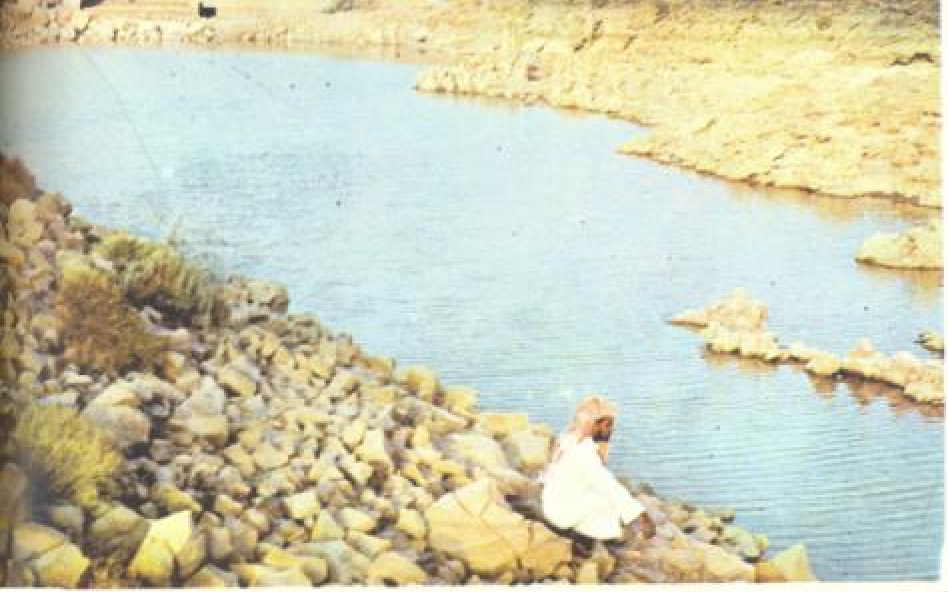
في المدينة الآن نهضة تعليمية .. وقد بلغ عدد المدارس الثانوية والمتوسطة والمهنية والمعلمين والابتدائية للبنين والبنات في المدينة والقرى التابعة لها ٢٠٠ مدرسة من بينها ٥٠ مدرسة للبنات . ويبلغ عدد الطلبة والطالبات الذين يدرسون فيها اكثر من ٢٥ الف طالب وطالبة .

وتعليم البنات له قصة طويلة في المدينة .. فقد انشئت اول مدرسة لتعليم البنات في عام ١٣٤٨ هـ (١٩٢٨ م) اسستها فخرية هانم وكان اسمها مدرسة تهذيب الاخلاق .. وكانت هذه المدرسة تهتم بتحفيظ البنات القرآن الكريم والكتابة ومبادىء الحساب . وتبعت هذه المدرسة الخاصة مدارس خاصة اخرى اسستها سيدات فضليات . وتتابعت هذه المدارس حتى وصل عددها الى سبعة . وفي عام ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠) قامت الحكومة بتاسيس المدارس النظامية للبنات وتم ادماج المدارس الخاصة بها .

بئر الخاتم .. وبئر رومة !

تتميز المدينة المنورة بكثرة الآبار والعيون بها .. واغلب آبار المدينة لا ينضب ماؤها مهما ضخ الماء منها بالآلات .. ويقول أهل المدينة انهم يجدون الماء في اى مكان يحفرونه في الارض .. ويتراوح العمق الذى يوجد فيه الماء ما بين ٨ امتار الى ٢٥ مترا .. ولا يزال في المدينة حتى الآن عيون وآبار من عهد الرسول صلوات الله عليه . ومن بينها بئر اريس أو بئر الخاتم وهي تقع بجوار مسجد قباء .. وقد اغلقت الحكومة السعودية البئر بسبب ما كان يحدث من بعض الحجاج في النزول الى باطنها للبحث عن خاتم الرسول فيها ..

وتعود قصة هذا الخاتم انه بعد مضي نحو ست سنوات من خلافة عثمان بن عفان جلس على حافة بئر اريس ، وجعل يعبث بخاتم النبي الذى يلبسه بصفته ثالث الخلفاء ، فسقط الخاتم في البئر .. وظل عثمان يبحث عن الخاتم في البئر ثلاثة ايام ، ونزحها فلم يعثر على الخاتم . ومن يومها اطلق على هذه البئر بئر الخاتم .



الى أعلى : سد العاقول احد السدود التي تحيط بالمدينة المنورة وتختزن فيها مياه السيول التي يتم استغلالها في الزراعة وفي رفع مستوى المياه في الآبار والعيون .

★ ★ ★

الى اليمين : في منطقة قباء تقع العين الزرقاء ، ومنها يشرب أهل المدينة منذ عام ٥١ هجرية حتى الآن وهناك الآن مشروعات كثيرة لحفر آبار جديدة في منطقة العين الزرقاء والصورة تمثل واحدة من هذه الآبار الجديدة أثناء عمليات الحفر وتقدر ميزانية المشروعات الجديدة في العين الزرقاء بـ ١٧ مليون ريال سعودي







تتميز المدينة المنورة بكثرة الآبار والعيـــون بها . ولا يزال في المدينة حتى الآن عيون وآبار من عهد الرسول صلوات الله عليه ومن بينها بئر رومة **(الصورة الى اعلى)** وهي لا تزال غنية بالماء حتى يومنا هذا وهي تمد محطة التجارب الزراعية بحاجتها من الماء . **والى اليمين** عين ماء في مزرعة خاصة وكل مزرعة بالمدينة لها عين تستقي منهـا .



والبئر الثانية المشهورة بئر رومة . وقد ذكرت كتب التاريخ ان بئر رومة كانت ليهودى يبيع ماءها للمسلمين .. فقال رسـول الله (صلعم) : « من يشترى رومة ويجعلها للمسلمين يضرب بدلوه في دلائهم وله بها شرب في الجنة » .

وذهب عثمان بن عفان لليهودى فساومه على شراء البئر فابى ان يبيعها كلها فاشترى عثمان نصفها بـ ١٢ الف درهم . وجعله للمسلمين . واتفق عثمان مع اليهودى ان يكون له يوم ولليهودى يوم . فاذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين .. فلما رأى اليهودى ذلك قال لعثمان : افسدت علي ركيتي (بئرى) فاشتر النصف الآخر . فاشتراه عثمان ب ٨ الاف درهم ، وجعل البئر كلها للمسلمين ..

ولا تزال هذه البئر موجودة حتى اليوم وهي تمد محطة التجارب الزراعية الواقعة بالقرب من وادى العقيق بحاجتها من الماء .

العين الزرقاء .. ومنها يشرب اهل المدينة اليوم

وهناك في المدينة ، من العيون والآبار الكثير ولكن اهمها الآن هو العين الزرقاء .. ومنها يشرب اهل المدينة منذ عام ٥١ هجرية ، يوم اجرى هذه العين معاوية بن ابى سفيان ، حتى الآن . وقام بتنفيذ المشروع عامله على المدينة مروان بن الحكم ، وكان ازرق العينين ولهذا سميت العين الزرقاء كما تسمى ايضا بعين الأزرق .

وتقع العين الزرقاء بمنطقة قباء . وقد تم ربطها بعدد من العيون والآبار الموجودة في المنطقة بشبكة قنوات تسمى « بالدبول » وينساب الماء من بئر الى بئر بواسطة هذه القنوات حتى يصل الى الدبل الرئيسي ومنه الى المدينة . واستمر الحال على ما هو عليه الا بعض المشروعات لزيادة القنوات وعدد الآبار المتصلة بها حتى عام ١٣٤٤ هجرية حيث تم تشكيل ادارة خاصة بالعين الزرقاء .. وفي عام ١٣٧٤ هجرية (١٩٥٤ م) تم بناء خزانين لمياه العين الزرقاء سعة كل خزان ٧٥٠ طنا .. ثم

صورة لوادى العقيق وهو يقع على بعد ٥ كيلو مترات من المدينة المنورة وهو واد مشهور في تاريخ المدينة ، وعلى ضفته الغربية يقع القصر القديم لسعد بن العاص .





بعد الفراغ من العمل يقبل أهل المدينة على الجلوس في المقاهي التي تقع في المناطق الخلوية يدخنون النارجيلة ويروحون عن أنفسهم من عناء العمل .

ثم بناء خزان آخر سعته ...، طن بعد ذلك بأحد عشر عاما . وتم تركيب مضخات آلية على الآبار وكذلك حفر آبار جديدة ومد شبكة انابيب سعة ٢٠ بوصة من العين الزرقاء الى المدينة .

وتأتي أهمية مياه الشرب للمدينة نظرا للاستهلاك الضخم ايام الحج.. ويبلغ هذا الاستهلاك ٣ ملايين جالون في اليوم الواحد . وتقدر ميزانية المشروعات الجديدة بالعين الزرقاء الآن بحوالي ١٧ مليون ريال. ويتم تعقيم مياه البئر بواسطة غاز الكلور . اما مقدار الكلور المستخدم فيجرى تزويد الماء به بطريقة أوتوماتيكية تثبته على نسبة معلومة .

نخيل .. وعنب .. وتين .. ورمان

عندما تصعد الى مبنى عال في المدينة لتلقي نظرة عليها فانك تجد آلافا من اشجار النخيل تحيط بها من كل ناحية وخاصة ناحية قباء . ويقول المسئولون عن الزراعة في المدينة ان هناك ٧٥٠ الف نخلة في المدينة المنورة من بينها ٣٥٠ الف نخلة مثمرة . وتتميز تمور المدينة بانواعها الجيدة .. فهناك الصفارى ، والعنبرة ، واللبانة وهو نوع من التمور الخالية من النواة ، وصنف آخر نادر يطلقون عليه اسم الجلالة لأن نواته مكتوب عليها اسم « الله » واضحا . وبالرغم من وفرة المياه الجوفية في المدينة نتيجة للسيول التي تهطل على الجبال المحيطة بها ، ووجود السدود مثل سد العاقول وبطحان ومروة ، فان زراعة النخيل تعرضت في العشرين سنة الماضية لنكسة شديدة نتيجة اهمال الآبار وعدم تنظيفها . ولكن وزارة الزراعة السعودية قامت في السنوات الاخيرة بحملة ارشادية واسعة مما جعل زراعة النخيل تعود لازدهارها . وتمور المدينة لا تصدر الى الخارج بالرغم من جودتها ، لأن الحجاج يقبلون على شرائها تيمنا وتبركا وكهدايا لاقربائهم يحملونها معهم من المدينة المنورة .

والى جوار النخيل يقبل الناس على زراعة العنب . وتقدر عدد اشجار العنب بحوالي الفي شجرة . وهناك نوعان من العنب ، الحجازى وتعيش ثماره على اشجارها الى ما بعد الصيف



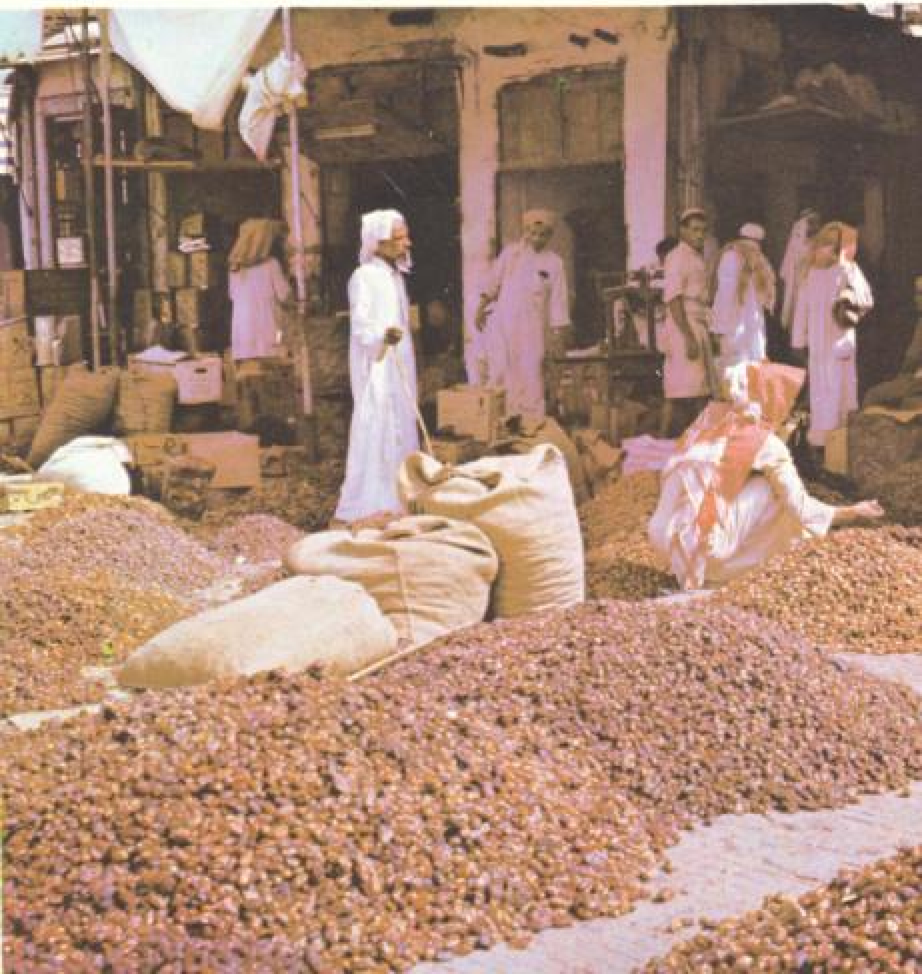
الى أعلى : جزء من السوق القديم للمدينة .. ان الحركة التجارية هناك تنشط في ايام وصول الحجاج لزيارة الحرم النبوي الشريف .

الى أسفل : سوق الغلال في المدينة . انه يقع في قلب المدينة وبالقرب من مسجد الغمامة .





يعتبر تمر المدينة من احسن أنواع التمور في المنطقة ، وفي المدينة آلاف من اشجار النخيل المثمرة ، ومن أنواع التمور الجيدة الصفاري والعنبرة واللبانة وهو نوع من التمور الخالية من النواة . وتجارة التمور تجارة رابحة في المدينة (**الصورة الى اسفل**) وهناك ايضا عدة مصانع لتعبئة التمور وتصنيعها (**الصورة الى اليمين**) .



ويتميز بحلاوة مذاقه ، والشريفي وهو اقل حلاوة من النوع الأول . ويباع محصول الدونم الواحد من العنب بما يقدر ب ١٤٠٠ ريال سنويا .

ويقبل المزارعون على زراعة الليمون البنزهير والتين والرمان .. وكذلك البرسيم والخضراوات المختلفة .

ارشاد زراعي .. وخدمات مجانية

ونظرا لخصوبة تربة المدينة فان وزارة الزراعة تبذل الآن جهدا كبيرا لكي تعود الى المدينة نهضتها الزراعية التي كانت لها منذ عهد معاوية وقبله . واقامت الوزارة لهذا الغرض حقولا ارشادية ، كما كلفت مهندسين زراعيين متخصصين بتقديم الارشادات الزراعية لاصحاب المزارع مجانا . وكذلك فان فرق رش المبيدات الحشرية تقوم برش الفواكه والخضراوات والبرسيم مجانا . واحضرت الوزارة الكثير من الآلات الزراعية التي تقوم بتاجيرها للمزارعين باجور اسمية . وقد اثمرت هذه السياسة فانتشرت المزارع الجديدة في كل مكان



بدأت السلطات المسئولة عن المدينة في تنظيم حركة المرور بها ، وزودت رجال المرور بأحدث المعدات وذلك لمواجهة الزحام في مواسم الزيارات.

يحيط بالمدينة ويصلح للزراعة .. وبدات الزراعة تنهض من جديد بعد ان كانت قد اهملت في السنوات العشرين الماضية .

الثروة الحيوانية

وفي محطة ابحاث الحيوان والدواجن ، تم انشاء مزرعة نموذجية للابقار ، وبعد تجارب عديدة تم تهجين صنف جديد من الابقار الفريزيان مع البلدي (واصلها من الهند) ادى الى نتائج ممتازة وتم تعميمه في المدينة . وتقدر الثروة الحيوانية من الأبقار في المدينة الآن بحوالي ٤ الاف رأس . بينما لا يوجد سوى ١٠ الاف رأس من الغنم فقط . وهذه الثروة الحيوانية تعتبر ضئيلة جدا . ولكن مشروعات المستقبل تستهدف تنميتها بكل الوسائل وعن طريق السلالات المهجنة والمحسنة وتشجيع المزارعين على تربيتها . وتوجد ايضا في محطة ابحاث الحيوان مزرعة للارانب يتم فيها تجارب على تهجين الانواع البرية الموجودة بالجبال المحيطة بالمدينة مع الانواع العالمية . ويقول المهندس الزراعي محمد احمد السراج مدير المحطة ان هذه النتائج تبشر بنجاح كبير . والى جوار مزرعة الارانب توجد مزرعة للدواجن وتقوم ببيع انتاجها للجمهور وكذلك تشجيع مربى الدواجن وارشادهم ومدهم بالسلالات الجديدة .

٣ مصانع للتمور

ونتيجة لانتاج التمور في المدينة فقد انشئت هناك ٣ مصانع اهلية للتمور الى جانب محطة التمور التابعة لوزارة الزراعة والتي انشئت في عام ١٩٥٢ ، وهي محطة ارشادية يقوم خبراؤها باجراء تجارب على عمليات تصنيع التمور ثم تعميم نتائج هذه التجارب على المصانع الاهلية . ومن بين التجارب التي نجحت في المحطة تجربة صناعة الخل من البلح وخاصة الاصناف الرديئة التي لا تصلح للاستهلاك التجارى . اما المصانع الاهلية فهي تقوم بتعليب التمور وكذلك صنع العجوة اى التمر المهروس . وتلاقي هذه الصناعة الآن نجاحا كبيرا نظرا لاقبال زوار المدينة على شراء هذه التمور .



شرطة النجدة في المدينة المنورة تقوم بدور كبير في موسم الحج ، وخاصة في انقاذ السيارات التي تتعطل على طريق مكة ـ المدينة .

آثار عثمانية

في عهد العثمانيين تم بناء سور للمدينة المنورة وبديء بناؤه في عهد السلطان سليمان ابن السلطان سليم في عام ٩٣٧ هـ . وكذلك تم بناء القلعة المتصلة به .. وقد ازيل السور تماما ولم يبق من الآثار العثمانية بالمدينة سوى آثار للقلاع المتناثرة. وكذلك فان هناك آثارا قديمة ترجع الى اليهود الذين اقاموا في المدينة قبل الاسلام . ومن بينها آثار اطم (حصن) كعب بن الاشرف . وقد تهدمت هذه الآثار ولم يبق منها سو خرائب تدل عليها .

التلفزيون في المدينة

في عام ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م) بدأ العمل في انشاء محطة تلفزيون خاصة بالمدينة المنورة . وذلك في آبار علي بذي الحليفة خارج حدود حرم المدينة بالقرب من جبل عسير . وذلك لكي يتسنى للخبراء الاجانب من غير المسلمين الذين يقومون بتركيب اجهزة المحطة العمل فيها لانهم ممنوعون من دخول حرم المدينة .

وفي ليلة عيد الفطر عام ١٣٨٧ هـ . بدأ التلفزيون ارساله ، ويقبل الناس اقبالا شديدا على مشاهدة برامج التلفزيون. وتقوم استودويوهات محطة تلفزيون المدينة باخراج برامج خاصة بها علاوة على البرامج الاخرى التى تأتيها من محطات تلفزيون الرياض والظهران . ومن أشهر البرامج برنامج الاطفال ويتم اذاعته في كل محطات التلفزيون بالسعودية . وتقتصر برامج التلفزيون في المدينة على البرامج الثقافية والدينية ونشرات الاخبار والتمثيليات الدينية وبرامج الاطفال . وساعات البث تتراوح بين ٥ ساعات و ٦ ساعات يوميا .

لقطات سريعة !

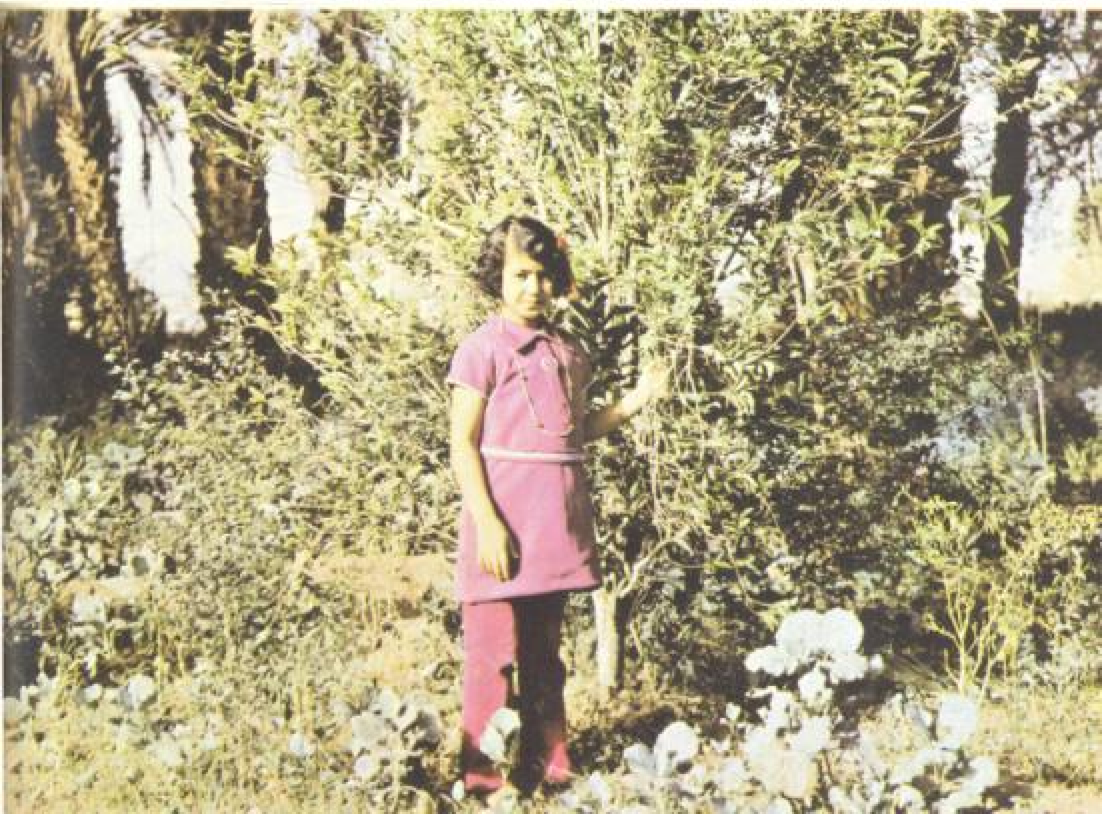
قبل ان نختم استطلاعنا هذا لا بد لنا من ذكر بعض لقطات سريعة عن الحياة في المدينة :

الى اليمين : تبذل وزارة الزراعة الآن جهدا كبيرا لاعادة النهضة الزراعية الى المدينة تلك النهضة التي كانت لها منذ عهد معاوية وقبله. وفي الصورة بعض رجال وزارة الزراعة يقومون برش احد الحقول بالمبيدات الحشرية . وتقوم الوزارة بعمليات الرش مجانا .



***

الى اليسار : منظر رائع لاشجار النخيل التي تحيط بالمدينة . لقد بلغ عدد اشجار النخيل في منطقة المدينة ٤٥٠ الف شجرة منها ٣٥٠ الف مثمرة . ويعمل المسئولون من الزراعة الآن في اعادة الحياة الى بقية اشجار النخيل .



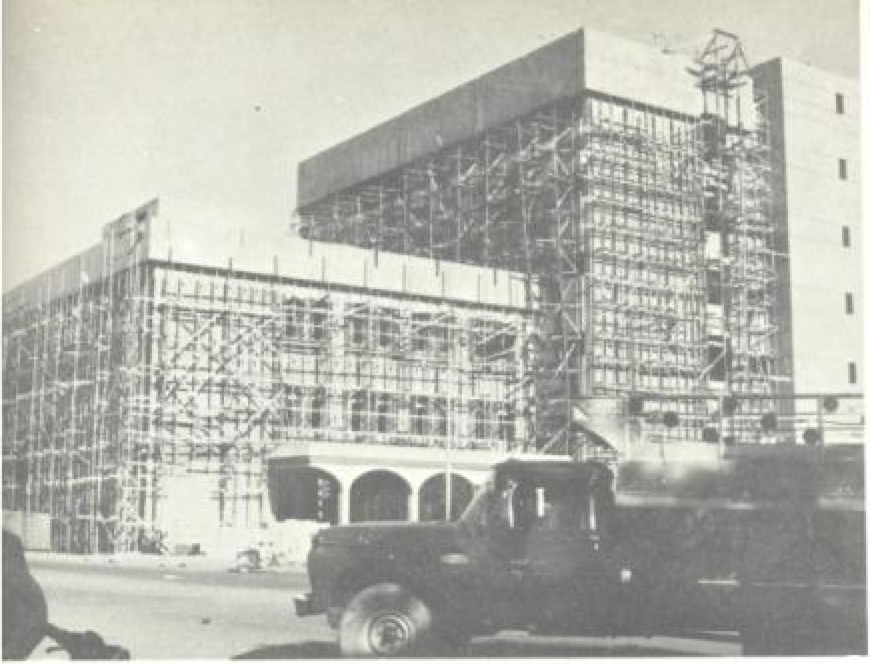


الى اليمين : قناة من المدينة المنورة وسط اشجار الرمان .. ان ارض المدينة الزراعية تتميز بخصوبتها وتصلح فيها زراعة الكثير من انواع الفواكه .. ويتميز الرمان هناك بحلاوة مذاقه .



★★★

الى اليسار : يقبل الكثير من الزراع على زراعة العنب في المدينة المنورة ، وتقدر اشجار العنب هناك بحوالي الفي شجرة ، وهناك نوعان من العنب ، الحجازى ويتميز بحلاوة مذاقه ، والشريفي وهو اقل حلاوة من النوع الاول .



مبنى الهاتف الاوتوماتيكي الجديد . وهو احد المشروعات الجديدة في المدينة المنورة ويقع هذا المبنى بالقرب من مسجد عمر بن الخطاب

* الحرم النبوى هو عصب الحياة في المدينة .. فهو الذى يجذب اليها آلاف المسلمين من جميع انحاء العالم . ويأتي الزوار الى المدينة طوال العام ولكن معظمهم يأتي في مواسم معينة .. هي موسم الحج والزيارة الرجبية وشهر رمضان . ويتمتع أهل المدينة بخلق دمث وطيبة وصراحة .. وقد اتهمهم البعض نتيجة هذه الاخلاق ، بالتواكل . ولكن حقيقة ما شاهدناه تنفي ذلك تماما . فسكان المدينة يهتمون الآن بنهضة مدينتهم وبنظافتها .. كل واحد منهم يعلم انه يعيش في بلدة كل شبر فيها شاهد طرفا من تاريخ الاسلام العريق . وكل زقاق فيها له هو نفسه تاريخ . انها اغنى المدن الاسلامية بالآثار التي تقف اليوم شاهدا على احداث الاسلام الاولى .

* **تتميز اسواق المدينة بان تجارها لا يساومون .. اسعارهم محددة بعكس الاسواق في كثير من البلدان العربية الاخرى .**

* أهل المدينة يخرجون في ايام العطل والاجازات الى المزارع الجميلة التي تحيط بالمدينة ويقضون نهارهم تحت اشجار النخيل والفواكه يأكلون من ثمارها ويشربون من ماء العيون . وتعتبر هذه هي نزهتهم المفضلة .

* **هناك نشاط اسلامي كبير في المدينة فالناس يجتمعون في الحرم النبوى ما بين صلاة المغرب وصلاة العشاء يستمعون الى الدروس الدينية التي تنعقد في الحرم الشريف .**

* تقوم جمعية الادباء في المدينة بنشاط ادبي كبير . وهي تضم نخبة من أدباء المملكة العربية السعودية .

* **بعض المؤرخين يقولون ان المدينة المنورة مبنية على آثار مدينة قديمة .. وهناك اقوال كثيرة تتردد عن اكتشاف آثار مبان تحت الارض عند القيام بالحفريات . ومن الروايات التي سمعناها ان عمال البلدية كانوا يقومون بالحفر يوما من الايام فوجدوا آثار منزل وملابس وانفاق مظلمة ..**

* المدينة محاطة بالجبال من كل ناحية . وهي عبارة عن واحة خصبة يحدها من الشمال الغربي جبل سلع وهو ذلك الجبل الذى تغنى به



هذه الآثار القديمة تقع فوق جبل الرماة الذى اعتصم فوقه رماة المسلمون في موقعة « احد » وقد اختفى الجبل تحت هذه المباني .

الشعراء فى كثير من شعرهم . ونذكر من هذا الشعر ما قاله قيس ابن ذريح صاحب لبنى :

لعمرك اننى لأحب سلعا
لرؤيته ومن بجنوب سلع

ومن الجنوب جبل عسير ، ومن الشمال جبل احد وجبل تور ، ومن الشرق الحرة الشرقية ومن الغرب الحرة الغربية . والحرة هنا معناها الحجارة البركانية السوداء والتي تجدها فى كل مكان فى المدينة لأنها تعرضت لبركان كبير فى عام ٦٥٤ هـ واستمر ثائرا لمدة ٣ شهور .

* **الصناعة بمعناها الحديث لم تدخل الى المدينة بعد .. وان كان هناك مصنع صغير للبلاستك ينتج الاوعية البلاستيكية والاحذية والاكياس . وكذلك توجد الصناعات التقليدية كالنسج على الانوال اليدوية وصناعة الاواني الفخارية ، والاحذية الجلدية المزركشة والنعال الجلدية .**

* الامن في المدينة مستتب تماما . ولكن تحدث بعض السرقات ايام تدفق الزوار على المدينة وذلك نتيجة اندساس بعض العناصر من غير اهل البلد الذين يجيئون خصيصا للسرقة !! ويخصون بذلك جنسيتين نمسك عن ذكرهما . وقوات الامن تعاني الكثير من المتاعب اثناء هذه المواسم . وقد نجحت في الحد من هذه السرقات وذلك بمراقبة المشتبه فيهم . وقد تم انشاء شرطة للنجدة في المدينة وهي على اتصال لاسلكي بشرطة النجدة في طريق مكة ـ جدة ـ المدينة وذلك لاسعاف ركاب كل سيارة تصاب بحادث في الطريق .

● ● ● ●

وبعد هذه هي صورة سريعة عن المدينة المنورة .. دار السلام .. وبيت رسول الله . تلك المدينة التي لها فى قلوب المؤمنين جميعا مكانة خاصة تفوق مكانة الكثير من المدن . ■■

محمد طنطاوى



الغواصات
من بعد حاملات الطائرات

● حدثتمونا في عدد سابق عن حاملات الطائرات، عن ضخامتها ونفقاتها الباهظة وخطورتها . وذكرتم أن هذه الحاملات لا وجود لها في الاسطول السوفياتي وانها تكاد تكون وقفا على الاسطول الامريكي .. نرجو أن تحدثونا عن الغواصات وهي كما تعلم توجد لدى الاسطولين الكبيرين .

محمود غنيم ـ الكويت

ـ قد يحسب القارىء بعد قراءة كلمتنا المشار اليها ان حاملة الطائرات هي السفينة الحربية المثلى التي تطمح الى امتلاكها الدول البحرية جميعا . ولعل هذا صحيح بالنسبة الى بعض الدول ولكنه غير صحيح بالنسبة الى الاتحاد السوفياتي .

ذلك ان حاملة الطائرات ، في نظر الخبراء العسكريين الروس ، قطعة عقيمة ، سواء فيما يتصل باغراض الدفاع او الهجوم . فهم يسمونها على سبيل السخرية « البطة الراقدة » و « الكفن العائم » ويشيرون الى انها هي الاخرى عرضة للضرب من الجو والغرق ـ مع الفارق بأن غرقها يعني خسارة كبرى .

اضف الى ذلك ان الاسطول السوفياتي الحديث العهد نسبيا ، ما زال اسطولا دفاعيا لا يستهدف الهجوم والعدوان كالاسطول الامريكي ، بل لا يطمح ـ حتى الآن ـ الى اكثر من الحد من هيمنة هذا الاسطول على البحار والمحيطات .

لا عجب اذن ان كانت المرونة وسرعة الحركة والانتقال هي رائد الاسطول السوفياتي ، وان كانت الغواصة هي القطعة البحرية التي تحظى بمزيد من اهتمامه . واليك فيما يلي احصاء مفصلا بما لدى الاسطولين الكبيرين من غواصات وهي ، كما تلاحظ ، مصنفة في فئات اربع مختلفة :

	الاسطول السوفياتي	الاسطول الامريكي
غواصات تقليدية	٢٦٢ غواصة	٦٠ غواصة
غواصات تقليدية تحمل صواريخ	٥٧ غواصة	
غواصات نووية	٢٥ غواصة	٤٥ غواصة
غواصات نووية تحمل صواريخ	٥٥ غواصة	٤١ غواصة

هناك اذن فئة الغواصات التقليدية ، ذات المحركات العادية ، التي تسير بالديزل او ما اليه من وقود . وتستعمل هذه الغواصات في الغالب في اعمال خفر السواحل وحراسة قطع الاسطول الاخرى .

وهناك الغواصات التقليدية التي تحمل ٣ صواريخ قصيرة المدى او اكثر . وتستهدف هذه الغواصات ضرب شواطىء العدو وسفنه ، القريبة من ارض الوطن .

ثم هناك فئة الغواصات النووية التي تسير بمحركات نووية دون أن تحمل اية صواريخ ، ذات مدى بعيد او قريب . ولا يخفى ان في استطاعة هذه الغواصات ان تبتعد عن ارض الوطن وتوغل في المحيطات بسبب اعتمادها على الطاقة النووية . وتسمى هذه الغواصات « الصائدة القاتلة » Hunter Killer نظرا لان غايتها الاولى هي التربص لغواصات العدو فضلا عن سفنه وملاحقتها وضربها .

اما الفئة الرابعة والاخيرة فهي الغواصات النووية التي تحمل صواريخ نووية والتي تعتبر اخطر الغواصات جميعا . ذلك ان هذه الغواصات تستطيع ان تضرب مدن العدو وتدمرها بصواريخها البعيدة المدى وهي في عرض البحر او في اعماقه .



هذا الى جانب قدرتها على القيام باكثر ما تقوم به سائر الغواصات .

وجدير بالذكر ان الاطرزة الروسية والامريكية من هذه الغواصات متشابهة ، سواء من حيث الحجم او السرعة . ويسمى اخطر الاطرزة الروسية طراز او « فئة واي » Y - Class ويطلق عليه الامريكيون اسم « يانكي » . اما الاطرزة الامريكية من هذه الغواصات فاثنان يعرف احدهما باسم بولاريس Polaris ويعرف الآخر باسم بوزيدون Poseidon ، وذلك نسبة الى الصواريخ التي تحملانها .

على ان الشبه قائم ايضا بين الصواريخ التي تحملها هذه الغواصات . فصواريخ غواصات اليانكي السوفياتية يبلغ مداها نحو ١٥٠٠ ميل ويبلغ عددها في الغواصة الواحدة ١٦ صاروخا . وقل مثل ذلك في غواصات البولاريس والبوزيدون الامريكية . فهي تحمل ايضا ١٦ صاروخا . ويزيد مدى هذه الصواريخ الامريكية قليلا على مدى الصواريخ الروسية . فهو يبلغ نحو ١٧٠٠ ميل في حالة صاروخ البولاريس ويصل الى حوالي ٢٨٠٠ ميل في حالة صاروخ البوزيدون وصاروخ البولاريس المحسّن .

وبالنظر الى هذا الشبه كان تفوق السوفيات الحالي في عدد ما لديهم من هذه الغواصات النووية الحاملة للصواريخ وبصرف النظر عن عدم تفوقهم من حيث مدى هذه الصواريخ ، باعثا على قلق الامريكيين . ولو ذكرنا ان السوفيات يستطيعون ان يبنوا من هذه الغواصات ١٢ غواصة سنويا ، اى ضعف ما يستطيع بناءه الامريكيون من غواصاتهم ، وذكرنا ايضا وجودهم المتزايد في المحيط الهندي والبحر المتوسط ، لادركنا سر تزايد القلق الامريكي . ولعل اخطر ما يذكر في هذا الصدد المنشآت التي اقامها الروس في كوبا وفي ميناء سيانتوجوس على شاطىء الجزيرة الجنوبي بالتحديد . وتشمل هذه المنشآت ثلاثة احواض Docks ومرسى عميقا للمياه ، معدًا لرسو السفن الضخمة والغواصات . هذا الى جانب ورشة الاصلاحات الكبيرة والبرج العالي الخاص بالاتصال اللاسلكي بالغواصات .

لا عجب اذن ان قررت الولايات المتحدة مؤخرا بناء غواصات نووية جديدة تحمل صواريخ نووية يبلغ مداها نحو ٤٠٠٠ ميل ويسمونها اولمز Ulms . وقد اعتمدوا مبلغ ٩٤٢ مليون دولار في ميزانية السنة القادمة من اجل الشروع في بناء تلك الغواصات وصواريخها .

ويؤكد الخبراء الغربيون ان السوفيات قد قطعوا شوطا بعيدا في بناء مثل تلك الغواصات الامريكية ، وذلك لحمل الصواريخ الروسية الجديدة العملاقة التي لا يقل مداها عن ٣٠٠٠ ميل .

وتجدر الاشارة الى ان لدى بريطانيا ٤ غواصات كلها من نوع بولاريس الامريكي ، وان فرنسا لا تمتلك من امثال هذه الغواصات الا واحدة اسمها Redoubtable وقد طورتها فرنسا وصنعتها بالاعتماد على نفسها اعتمادا كليا .

(ى . ز)

غواصة سوفياتية نووية . الطول ١١٠ متر السرعة ٢٥ عقدة



الكونكورد طائرة الركاب الأسرع من الصوت تكلف

● سمعنا مؤخرا انه قد تمت تجربة طائرة « الكونكورد » الجديدة ، التي تسير بسرعة تبلغ ضعفي سرعة الصوت بنجاح . وان هذه الطائرة قامت برحلة تجريبية من بريطانيا الى اليابان في شهر يونيو الماضي . فهل لكم ان تذكروا لنا كم تكلف بناء هذه الطائرة ، والثمن الذي ستباع به ؟ وكذلك بعض المعلومات السريعة عنها . .

محمد محسن الظاهر / الزرقاء / الاردن



ـ في عام ١٩٥٦ بدأ التفكير في بناء طائرة ركاب تسير اسرع من الصوت ، وبعد ٣ سنوات قدرت لجنة الخبراء التي درست المشروع ان تكاليف بناء مثل هذه الطائرة ستصل الى ٩٠ مليون جنيه استرليني ، ولكن في عام ١٩٦٢ ، عندما تمت الموافقة على السير في المشروع بالتعاون بين بريطانيا وفرنسا ، ارتفع تقدير تكاليف المشروع الى حوالي ١٧٠ مليون جنيه . وفي الحقيقة ان الصعوبات الفنية التي واجهت العلماء في تصميم وبناء هذه الطائرة قد رفعت من تكاليف المشروع الى اكثر من الف مليون جنيه استرليني على مر السنين ، دفعتها كل من فرنسا وبريطانيا مناصفة .

ويقدر الخبراء انه لا يوجد ادنى امل في تعويض هذه التكاليف الضخمة من حصيلة بيع طائرات الكونكورد الى شركات الطيران ، وذلك بالرغم من ان ثمن بيع الطائرة الواحد قد حدد بحوالي ١٣ مليون جنيه استرليني .

وفي نفس الوقت يبدو ان المتاعب التي واجهت مشروع الطائرة « الكونكورد » لم تنته بتحليق اول طائرة منها في الجو ، وتحديد عام ١٩٧٥ لكي تبدا رحلاتها التجارية ضمن اساطيل شركات الطيران العالمية وعلى راسها شركتا الخطوط الجوية البريطانية والطيران الفرنسية ، ومن اهم المشاكل التي تواجه « الكونكورد » الآن رفض الكثير من بلدان اوروبا وامريكا ان تطير هذه الطائرات فوق اراضيها بسرعة تبلغ ضعفي سرعة الصوت لما يسببه ذلك من ضجة عالية نتيجة كسر جدار الصوت في اجواء هذه البلاد وما ينتج عنه من اضرار واصوات مزعجة .

والمشكلة الثانية هي مشكلة تلوث الجو الناتج من غازات اكسيد الكبريت ، واكسيد النتريك والتي تخرج من عوادم محركات الطائرة الكونكورد بنسبة عالية .

شروع بنائها أكثر من الف مليون جنيه استرليني

اما المشكلة الثالثة ، والتي يذكرها بعض العلماء ، فهي مشكلة تدمير طبقة الأوزون المحيطة بالأرض مما يؤدى الى زيادة الاشعة فوق البنفسجية فوق الارض ، وهذا يتسبب في قتل النباتات ويتسبب ايضا في اصابة الناس بالعمى وازدياد نسبة الاصابة بسرطان الجلد .

هذه هي بعض المعلومات السريعة عن طائرة الكونكورد ، وبقي ان نذكر ان شركة الطيران البريطانية قد تعاقدت على شراء ٥ طائرات فقط من هذا النوع بعد ان تعهدت الحكومة البريطانية باعانة الشركة في تغطية خسارتها عن تشغيل هذه الطائرات على خطوطها ، وتقدر هذه الخسارة بمبلغ ١٥ مليون جنيه استرليني سنويا ، ومن هذا نرى ان مشروع الكونكورد قد فشل ماديا في الظاهر وحقق خسارة كبيرة .

(م . ط)

اسرائيل :
فيها خط انابيب ينقل البترول الخام الى البحر المتوسط

● سمعنا قبل حين عن خط الانابيب البترول الذى انشأته اسرائيل في صحراء النقب ، والذى يصل بين ميناء ايلات على البحر الأحمر ، وميناء عسقلان على البحر المتوسط . ولكننا لم نسمع عن هذا الخط شيئا يذكر في المدة الأخيرة ... ترى هل آل امره الى الفشل .. نرجو ان تحدثونا عنه في باب انت تسأل ونحن نجيب .

محمود عبد العليم ــ سمالوط ــ ج.م.ع

يبلغ طول خط الأنابيب الاسرائيلي الذى تذكر ١٥٧ ميلا ، ويبلغ قطره ٤٢ بوصة (اى ١٠٦٫٦٨ سم) . ويستهدف هذا الخط نقل البترول الخام من ميناء ايلات على البحر الاحمر الى ميناء عسقلان على البحر المتوسط ، (نقول عسقلان ، لا اشكالون ، كما لفظها مؤخرا بعض مذيعينا العرب الناشئين) . وهذا يعني ان القصد من انشاء هذا الخط هو الاستعاضة عن قناة السويس ، ذلك الممر العربي الخطير .

ولا عجب اذن ان باشرت اسرائيل اعمال مد الخط المذكور بعد حرب الايام الستة وتعطل قناة السويس بنحو سنة . ولا غرابة ان هي ضاعفت الجهد حتى انجزت تلك الاعمال في غضون سنتين .

اما الأنابيب التى انشىء بها خط ايلات ــ عسقلان فقد استوردت من المانيا الغربية . هذا بخلاف المضخات الضرورية لدفع البترول في الانابيب ، وبخلاف صهاريج التخزين . فقد استوردت الاولى من ايطاليا ، واستوردت الثانية من فرنسا . واسندت اعمال النقل والحفر وما اليها من اعمال المقاولين الى شركات اسرائيلية . وبلغت تكاليف انشاء خط ايلات ــ عسقلان ٤٨ مليون جنيه استرليني ، واكتمل العمل فيه واصبح جاهزا للاستعمال في فبراير ١٩٧٠ .

وقد احاطت اسرائيل شئون خطها هذا بجدار كثيف من الكتمان ، واخضعتها لرقابة عسكرية شديدة . ويصدق ذلك على اعمال الانشاء الاولى ، ويصدق بخاصة على الجهود التى بذلت ، وما زالت تبذل ، من اجل تشغيل الخط ، وضمان تدفق البترول في انابيبه . ولعل صحيفة الصنداى تايمز اللندنية هي اول من اخترق ذلك الحجاب . وذلك في تحقيقها المفصل المثير الذى نشرته بتاريخ ١٣ ديسمبر ١٩٧٠ . فقد كشف هذا التحقيق النقاب عن الدول والهيئات التى تتعاون او تتواطأ واسرائيل بما يضمن لخطها استمرار العمل . وفضح التحقيق كذلك الاساليب الملتوية التي تعتمد عليها سلطات العدو بقصد التمويه والتضليل .

على ان هذه الاسرار ، على خطورتها لا تعنينا هنا . فالذى يهمنا في هذه الكلمة الموجزة ليس

الكيفية التى تضمن بها اسرائيل تدفق البترول في خط انابيبها ، وانما الكمية التى ينقلها خطها المذكور .

فقد بلغت تلك الكمية نحو ١٣ مليون طن في سنة ١٩٧٠ و ٢٠ مليون طن في سنة ١٩٧١ . وستبلغ حوالي ٣٠ مليون طن في هذه السنة ١٩٧٢ . وستزداد كمية البترول المتدفق في خط انابيب ايلات-عسقلان حتى تبلغ ٤٠ مليون في سنة ١٩٧٣ ، ثم تصبح بعد ذلك ٦٠ مليون طن . وبهذا الرقم الاخير يبلغ الخط الاسرائيلي طاقته القصوى وهي ٢ر١ مليون برميل من البترول يوميا .

ولعل للاسعار المنخفضة التى تبيع بها اسرائيل البترول المنقول عبر خط انابيبها صلة وثيقة بالنجاح الذى اصابه هذا الخط . اذ تتراوح هذه الاسعار ما بين ٢٤ر١ ـ ٤٥ر١ دولار للبرميل الواحد ، تسليم ميناء (فوب) عسقلان ، وهي اسعار متدنية نسبيا ، كما لا يخفى . وقد جاء ذكر هذه الاسعار في ميزانية الحكومة الايطالية الاخيرة .

بقى علينا ان نشير ولو بايجاز الى ناقلات البترول التى اصبحت تملكها اسرائيل ، حرصا منها على تدعيم اعمال خطها الذى ذكرنا ، وسعيا الى دخول تجارة البترول ونقله على نطاق واسع .

كان عدد الناقلات الاسرائيلية قبيل حرب الايام الستة احدي عشرة ناقلة،لا تزيد حمولتها الساكنة اجمالا على ٣٢٠,٠٠٠ طن . ولم تلبث اسرائيل ان اضافت الى اسطولها الصغير هذا احدي عشر ناقلة عملاقة تبلغ حمولتها ١٦٢٠٠٠٠ر١ طن ، وتبلغ حمولة احداها ، وهي التى تم استلامها مؤخرا ، ٢٣٢٠٠٠ طن .

ولم تقف اسرائيل عند هذا الحد . فقد طلبت منذ حين بناء ثلاث ناقلات عملاقة اخرى ، ويبلغ مجموع حمولة هذه الناقلات التى سيكتمل بناؤها، ويجرى تسليمها سنة ١٩٧٥ ، ٧٥٠,٠٠٠ طن .

يضاف الى ذلك ست ناقلات عملاقة اخرى يبلغ مجموع حمولتها ٣٥٠,٠٠٠ر١ طن ، وقد لا يتاخر تسليمها عن سنة ١٩٧٦ . ولعل اخطر ما يذكر عن هذه الناقلات الاخيرة هو انها ستحمل العلم الامريكي لا الاسرائيلي . ذلك ان شركة امريكية واسرائيلية انشئت خصيصا من اجل هذه الناقلات . واسم هذه الشركة الجديدة Maritime Dyramics وقوامها شركتان ، شركة امريكية اسمها General DynamicsCorp. وهي تملك ٥٥٪ من اسهمها ، وشركة اسرائيلية تملك رصيد الاسهم . لا عجب اذن ان رفرف العلم الامريكي على الناقلات الست ، وان يسمح لهذه الناقلات ان تسرح وتمرح في بحار الدنيا ، وتنقل من البترول ما تشاء وبين الموانيء التى تشاء .

(ي . ز)

١٣٢ كيلو جراما متوسط استهلاك الفرد العربي من الاسمنت

● الاسمنت هل هو على نوع واحد ، أم على عدة انواع .. وكم مقدار انتاجنا العربي واستهلاكنا منه ؟

السيد أحمد العمر ـ المكلا

ـ الاسمنت ينتج على أنواع مختلفة ، وفي معظم اجزاء وطننا العربى تتوفر الخامات الاساسية الضرورية لانتاج الاسمنت ، اى الحجر الجيري والطفلة .

« وقد ذكر مركز التنمية الصناعية للدول العربية في نشرته الاحصائية عام ١٩٧١ ان أنواع الاسمنت المنتجة في وطننا العربى تتمثل اساسا في الاسمنت البورتلاندى العادى ، والاسمنت البورتلاندى السريع التصلب ، والاسمنت المقاوم لمياه البحار ، واسمنت الخزانات ، والاسمنت الحديدى ، والاسمنت الابيض الملون .

« وفي عام ١٩٦٨ كان انتاج دول الوطن العربى من الاسمنت كالآتى : (والكميات مقدرة بالالف طن المترى) : مصر ٣١٤٧ ـ العراق ١٣٢٠ ـ المغرب ١٠١١ ـ سوريا ٩١٧ ـ لبنان ٩٠٦ ـ الجزائر ٨٦٦ ـ تونس ٥١٤ ـ السعودية ٤٠٠ ـ الاردن ٣٨١ ـ السودان ١٤٥ ـ ليبيا ١٠٠ .

« اى ان مجموع كمية انتاج الوطن العربى بلغت ... ٩٧٠٧ طن مترى من الاسمنت فى عام ١٩٦٨ وهى كمية لا تمثل اكثر من ١٫٨٩٪ من مجموع الانتاج العالمى من الاسمنت ، ومقداره ... ... ٥١٣ طن مترى .

« وفى عام ١٩٦٨ استوردت الدول العربية ... ٢٫٠٣٦ طن مترى ، وصدرت ..٣٠ر١٥٠ طن مترى .

« وفى نفس العام وصل متوسط الاستهلاك الفردى الظاهر من الاسمنت فى الدول العربية ١٣٢ كيلوجراما وكانت ليبيا فى مقدمة الدول العربية المستهلكة للاسمنت فى عام ١٩٦٨ تليها لبنان ثم الكويت ، وكانت ارقام استهلاك الفرد فيهم على التوالى : ٤٥٥ ــ ٣٢٤ ــ ١٦٧ كيلوجراما » .

(س . ز)

البهائية .. نشاتها وتعاليمها

● قرات فى الصحف عن المحاكمات التى تجرى فى جمهورية مصر العربية لبعض من ينتمون للطائفة البهائية .. فما هى البهائية .. ومتى واين نشأت .. وما هى تعاليمها !!

خليل توفيق ــ جلولاء ــ العراق

ــ البهائية طائفة دينية نشات فى ايران فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر .. وقبل أن نستطرد فى التحدث عن البهائية لا بد لنا من ذكر البابية وهى المذهب الام للبهائية . فقد انشا ميرزا على محمد الشيرازى (١٨٢٠ ــ ١٨٥٠) البابية فى عام ١٨٤٤ وقال ان النبوة لم تنته بالرسول الكريم محمد (صلعم) وانه ليس خاتم الأنبياء ، وأن الله يتجلى من حين لآخر للبشر فى اشخاص الأنبياء والرسل ، وذلك تمهيدا لان يتجلى الله فى شخصه !! وانتشرت البابية فى ايران ، وبعدها اعلن على محمد الشيرازى فعلا أن الله تجلى فيه وانه هو المهدى المنتظر .. ولما انتشرت حركته واتخذت طابعا سياسيا قبضت عليه السلطات وتم اعدامه فى تبريز عام ١٨٥٠ .

وبعد أن أعدم ميرزا على محمد الشيرازى انقسم البابيون على أنفسهم ، فقد أوصى الشيرازى بخلافته لصبح الأزل ولكن بهاء الله (ميرزا حسين على نورى ١٨١٧ ــ ١٨٩٢) وكان من البابيين البارزين واخ صبح الازل غير الشقيق ، اعلن انه هو الرجل الذى اختاره الله ليتجلى فى شخصه لعباده .. وانضم اغلبية البابيين الى بهاء الله وبدات الحركة البهائية تظهر الى الوجود . وحدثت اشتباكات دموية بين البابيين والبهائيين مما ادى بالسلطات الحاكمة الى نفى كل من صبح الأزل الى قبرص ، وبهاء الله الى عكا فى فلسطين حيث مات هناك فى مايو ١٨٩٢ .وخلفه ابنه عبد البهاء فى زعامة البهائيين . وتعتبر اقوال وكتابات الباب على محمد الشيرازى ، وبهاء الله وعبد البهاء هى التعاليم المقدسة للبهائيين .

ومن اهم تعاليم البهائية العمل على توحيد الأديان واتحاد الجنس البشرى . ويؤمن البهائيون أن الأنبياء كلهم انما هم ظواهر يتجلى من خلالهم الله للبشر . وهم يعترفون بنبوة موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم وبوذا وكذلك كل من الباب ميرزا على محمد الشيرازى وبهاء الله وعبد البهاء وكل من يأتى بعدهم !!

ويقع مركز البهائية العالمى الآن فى حيفا حيث يوجد نصب تذكارى للباب ومركز وثائقى للبهائية. وللبهائية تنظيم دقيق فهى تنقسم الى مجالس محلية ومجالس قومية . وهم يقومون عن طريق هذه المجالس بأعمال تبشيرية واسعة كما يقومون بنشر العديد من المطبوعات التى تعمل على نشر تعاليمهم .. وقد انتشرت البهائية الى العالم الغربى فى عام ١٨٩٠ . وفى عام ١٩٢٠ اصبحت امريكا مركزا من المراكز القوية لهذه الحركة . وتوجد الآن جاليات بهائية فى اكثر من ٢٦٠ مدينة من مدن العالم . وتعداد من ينتمون الى هذه الطائفة غير معروف . ■■

(م. ط)

طرائف

الرفق هو الخير كله

● قال النبي عليه السلام : « من اعطى حظه من الرفق فقد اعطى حظه من الخير كله ، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير كله ».

لا فلاح لقائد

● كان قتيبة بن مسلم الباهلي واليا على خراسان ايام الامويين ، وقائدا من خيرة قوادهم • خرجت عليه خارجة ، فاهمه خروجهم ، فقيل له: ما يهمك منهم ؟ وجه اليهم وكيع بن

ثياب عمر

● رئي على عمر بن الخطاب قميص قيمته اربعة دراهم ، وهو يخطب في المدينة ، فقيل له : انت امير المؤمنين ،وتلبس الخشن من الثياب • فقال عمر : انى أخشى ان اسأل عن لينه يوم القيامة. فبكى غلامه سالم . وقال: يا امير المؤمنين انى رايتك قبل الخلافة لبست ثوبابأربعين دينارا ، فاستخشنته ، فقال : انى كنت لم أنل شيئا الا طلبت ما فوقه، فلما نلت الخلافة ، علمت أن ليس فوقها الا الجنة فدعني أطلبها . قال سالم مولى عمر : قومت ثياب امير المؤمنين ، وهو خليفة باثني عشر درهما ، قميصه وخفه وعمامته وسراويله وقلنسوته .

★★★

فراسة

● حكى ان ابن طولون راى يوما حمالا يحمل صندوقا وهو مضطرب تحته ، فقال : لو كان هذا الاضطراب من ثقل المحمول لغاصت عنق الحمال ، وانا ارى عنقه بارزة ، وما هذا الا من خوف ما يحمل فأمر بحط الصندوق فوجد فيه جارية قد قتلت وقطعت ،فقال للحمال :

اصدقني عن حالها ؟ فقال : اربعة نفر في الدار الفلانية اعطوني هذه الدنانير وامروني بحمل هذه المقتولة ، فضرب الحمال مائتي عصا وامر بقتل الأربعة .

عربية

لا تعجل بالحكم حتى تسمع الخصمين

● قال عمر بن عبد العزيز : « اذا اتاك الخصم وقد فقئت عينه. فلا تحكم له، حتى ياتي خصمه، فربما فقئت عيناه جميعا » .

يحتقر اعداءه

ابى سود ، فانه يكفيكهم . وكان وكيع هذا محاربا مغوارا ، ولكن قتيبة رفض توليته القيادة قائلا : « لا ، ان وكيعا رجل به كبر ، ومن كان هكذا قلت مبالاته باعدائه ، فلم يحترس منهم ، فيجد عدوه غرة منه » .

في سبيل الثواب

● لما رجع الرشيد من الحج كان قدنذر ان يتصدق بالف دينار على احق من يجده ، فدفع المال الى بعض ثقاته ،وامره ان يطلب فقيرا مستحقا للاعطاء . فانتهى هذا الى عريان محلوق الراس فيخربة ، فقال في نفسه لا اجد افقر من هذا فقال : يا فتى خذ هذا المال واستعن به . فقال : لا حاجة لي فيه ، قال : احب ان تأخذه ، قال : ان كان ولابد فثم حجام حلق راسي ولم يكن معي شيء ، فادفعه اليه . قال : فقصدت الحجام فامتنع من اخذ المال ، فقلت له : هو الف دينار ! فقال : ما حلقت راسه الاللثواب فلا آخذ عليه اجراً . قال : فعدت وما وجدت اكرم منهما واهون مني .

★★★

دهاء

● كتب معاوية بن ابي سفيان الى مروان بن الحكم لما بلغه قتل عثمان بن عفان : اذا قرات كتابي هذا فكن كالفهدلا يصطاد الا بغيلة ، ولا يساور الا عن حيلة ، وكالثعلب لا يفلت الا روغانا ؛ واخف نفسك عنهم اخفاء القنفذ راسه عن لمس الاكف ، وامتهن نفسك امتهان من ييأس القوم من نصره ، وابحث عن اخبارهم بحث الدجاجة عن حب الدخن عند نفاسها .

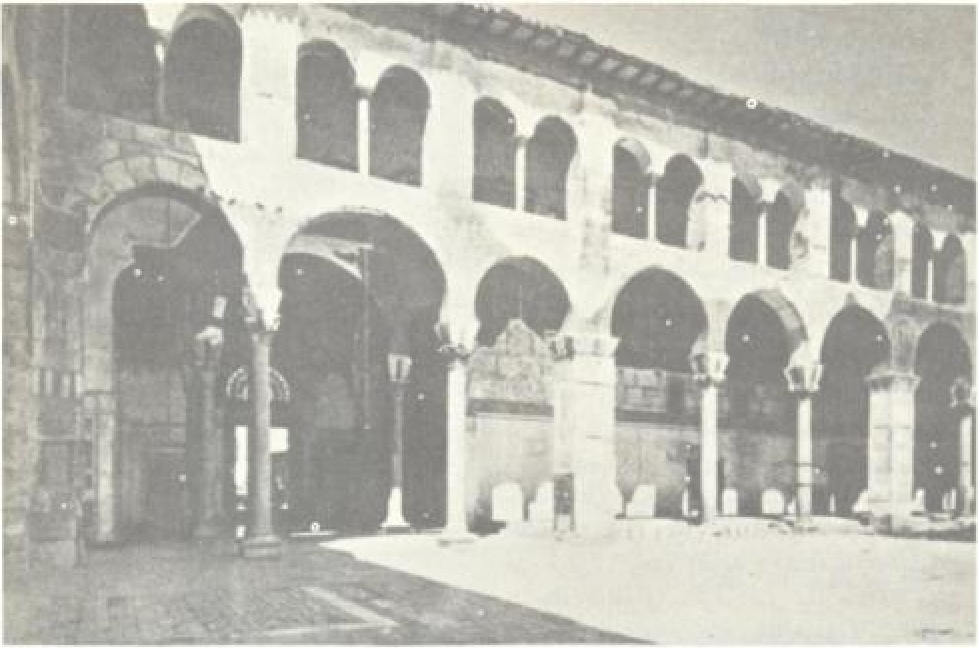
فن العمارة الاسلامية

فترات أربع كبرى تطور فيها هذا الفن

بقلم : شريف يوسف

■ مـن المعلوم ان المسلمين فى بـدءالدعوة الاسلامية انصرفوا بجميع قواهم الى الفتوحات والحروب ولم يكن هناكمن مجال للاهتمام فى النواحى الفنيـة والاعمار . وقد اوجب تأسيس دولتهم الجديدة تجنيد جميع القوى والطاقات لتثبيت كيان ودعائم هذه الدولة حتىاستقام عودها وتبوأت المقام اللائق بها بين الدول المعروفة فى ذلك الوقت . فاذاما تحقق للمسلمين ذلك انصرفوا الـى الاعمـار والبنـاء والتفنن فى الريـازةوالزخرفة . وقد أخذ هذا الاتجاه والميل يتبلور عبر العصور الاسلامية الزاهيـةالتى تلت عصر التقشف الذى نهج عليه الخلفاء الراشدون (رض) ، فصارتعمارات المسلمين ومدنهم العامرة تظهر للعيانهنا وهناك،واصبح لهذه العماراتشخصية معروفة ظاهـرة تختلف كـل الاختلاف عن تلك التى كانت قائمة قبلالفتوحات الاسلامية .

لقد انحصر هم المسلمين وعنايتهم ، في بداية حكمهم ، في بناء المساجد والجوامع ودور الامارة في المدن التى اسسوها او التى فتحوها . وهذه الأبنية وان تعددت اصولها واختلفت مواد انشائها الا انها حافظت على نظامها التقليدي الذى رسمه المسلمون الأوائل في بلاد الحجاز حيث اشرق الاسلام اول ما اشرق على الوجود . فكانت العقيدة الاسلامية العامل الاول لوضع طراز ذى مميزات واساليب خاصة به ، ويتضح ذلك كل الوضوح في تصميم المساجد والجوامع . فمسجد المدينة المنورة ، الذى شيد في زمن الرسول الأعظم (ص) سنة ٦٢٢ م ، يمكناعتباره النموذج الاول للمساجد والجوامع التى بنيت بعد ذلك في مختلف الاقطار



المسجد الاموى العظيم في دمشق

في هذا المسجد تتمثل ظواهر معمارية اسلامية عديدة مبتكرة وفيه من الزخارف والفسيفساء ما لا يضاهيها اى عمل مماثل عند الرومان .

الاسلامية مع شيء بسيط في التطوير والتحوير ، وعلى غرار هذا المسجد بنى المسلمون مسجدى الكوفة والبصرة في العراق ومسجد القيروان في تونس ومسجد عمرو بن العاص في الفسطاط ، وان لم يكن لهذا المسجد صحن مكشوف كالمساجد الاخرى في بادىء الامر .

استعانة المسلمين باهل الفن من الامم الاخرى

ليس باستطاعتنا نكران مقدار استعانة المسلمين في اوائل نهضتهم برجال الفن والصناعة من أهل البلاد التى كانت ذات حظ وافر من الحضارة في ذلك العهد . فالعمارات الاسلامية القائمة في العالم الاسلامى ، الممتد من الصين شرقا الى الاندلس غربا ، اشترك في اظهار دقائقها وتفصيلاتها المبتكرة صناع ومهندسون من مختلف الجنسيات والامم التى اتخذت الاسلام دينا وحتى الذين بقوا على دينهم من فرس وبيزنطيين وهنود وأتراك ونصارى ومغول وبربر .

وقد كان للفنون بصورة عامة وللفن المعمارى بصورة خاصة مكانة كبيرة عند حكام المسلمين وامرائهم وملوكهم ، وكان الفنانون على اختلاف جنسياتهم يظفرون بالتقدير والمكافأة من الحكام الذين يحلو لهم استغلال مواهبهم في تشييد المبانى وتزيينها وزخرفتها وتأثيثها ، منفقين عليها المال بكل سخاء وكرم ، يدفعهم الى ذلك رغبة في تخليد مآثرهم وأمجادهم .

فالمساجد والمدارس ودور الشفاء والقصور والقلاع الحصينة والحدائق الغناء كانت تشيد كلها بامر هؤلاء الحكام وتحت اشرافهم ، فيُعنى بزخرفتها وتجميلها لتحمل اسمهم في الحياة وتضم رفاتهم احيانا بعد الممات . وهكذا كان الفن دوما في خدمة الامراء والسلاطين وحاشيتهم المقربين .

وتبعا لمستوى ثقافتهم وذوقهم كان الفن المعماري يأخذ اتجاهه وتتطور اساليبه وتتنوع زخرفته .

تطور فن العمارة الاسلامية

بدأت خصائص الفن المعماري الاسلامي تظهر عندما اخذ المسلمون يجمعون شتى الطرز المعمارية القديمة ويطبعونها بطابع دينهم الجديد ويظهرونها للعالم فنا جديدا متميزا عن غيره من الفنون المعمارية المعروفة في العالم .

ان اكثر هذا التطور نلمسه في طراز بناء المساجد حتى اصبح يشمل الظواهر الرئيسية للمسجد ، كتعدد اروقة المسجد ورفع سقوفها على اعمدة من الحجر والرخام ، وشكل الاقواس والقناطر التى تحمل سقوفا من خشب الساج او القباب ، او التى تعلو النوافذ والابواب .

وعندما اخذت الدولة بحظها الوافر من الترف والرفاه ادخلت زيادات ثانوية على بناء المساجد ، فاضيفت اليها الايوانات الواسعة والمحاريب المنمقة والمآذن الشامخة المتعددة الشرفات ، ناهيك عن الاسراف في الزخرفة والنقش ، واستعمال اغلى المواد الانشائية وأمتنها لهذه الاغراض ، كما الحق ببعض المساجد مدارس خاصة ومارستانات فيها جميع وسائل الراحة من سكن وطعام .

هكذا نرى المسلمين قد انتقلوا ، بعد فترة قصيرة من تأسيس دولتهم ، من القناعة بالضروري اللازم للحياة البسيطة التى كانوا يحيونها ، الى الترف والبذخ في سبيل اقامة اجمل المباني الفخمة التى تتفق ومركز امبراطوريتهم العظيمة . ومن الامثلة على تفننهم في البناء ، وخاصة في المساجد والجوامع ، المسجد الجامع الأموي في دمشق الذى تتمثل في بنائه ظواهر معمارية اسلامية عديدة والذى فيه من الزخارف والفسيفساء ما لا يضاهيها اى عمل مماثل عند الرومان . كما ان قبة الصخرة في بيت المقدس تعد روعة من روائع الفن المعماري الاسلامي . وان اعظم اثر معماري تركه المسلمون في الاندلس المسجد الجامع في قرطبة ، واجمل وأروع ما فيه قبة المحراب وغابة الاعمدة القائمة في حرمه والتى تحمل صفين من العقود المتعانقة كتعانق اغصان الاشجار وتغطى مساحة تزيد على ١٢٠٠٠ متر مربع . وهذه السعة لا يضاهيها الا سعة المسجد الجامع في سامراء الذى تبلغ مساحته مع الصحن والزيادات ٤٥٥٠٠ متر مربع . وان اهم ظاهرة معمارية فيه استخدام الدعائم الآجرية الضخمة العالية لحمل سقفه الواسع بدلا من الاعمدة الحجرية او الرخامية ، وكذلك طراز بناء المئذنة الحلزونية المعروفة بالملوية . وفي شمال افريقية تعد مئذنة القيروان الضخمة نموذجا رائعا لطراز الصوامع المربعة التى كثر استعمالها في بلاد المغرب والاندلس ، كما ان قباب هذا الجامع من اروع مبتكرات الهندسة الاسلامية .



مسجد بايزيد في اسطنبول

اكثر السلاطين العثمانيون من بناء المساجد والجوامع الفخمة في اسطنبول وغيرها من المدن التركية ونجد في هذه المساجد الكثير من البذخ والتقدم الفني باسلوب فريد مبتكر .

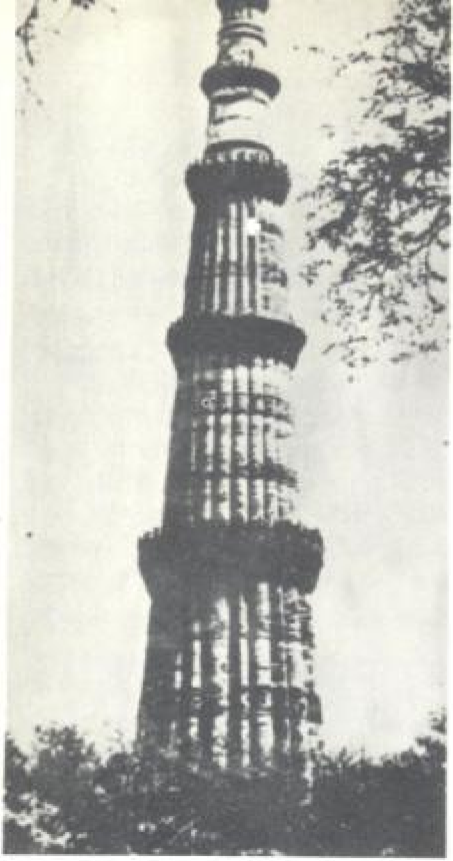
الفترات الكبرى
لتطور فن العمارة الاسلامية

لقد اتفق العلماء ومنهم العالم البحاثة الفرنسي (جورج مارسيه) George Merciet على جعل أربع فترات كبرى لتطور فن العمارة الاسلامية خلال الثلاثة عشر قرنا من تاريخ الاسلام ، وحددوا في كل فترة من هذه الفترات ما بلغه هذا الفن من ازدهار وتقدم . وليس من الغريب ان ترتبط هذه الفترات مع التاريخ السياسي للعالم الاسلامي لان التقدم والازدهار يتوقف على اسس معينة اهمها الاستقرار السياسي في البلدوسيطرة الحاكم او السلطان فيه ومقدار رغبته في التعمير والانشاء، ولهذا وجب ان نلم الماما تاما بتاريخ العالم الاسلامي السياسي ونحدد الفترات الكبرى في هذا التاريخ وما أصاب الفن خلالها من تطور وتغيير .

فالفترة الاولى ، التي بدأت من منتصف القرن السابع الميلادي واستمرت حتى نهاية القرن التاسع،انتشر فيها الاسلام ودخلت شعوب مختلفة في هذا الدين الجديد فاصبحت امبراطورية المسلمين تشمل بلاد الرافدين وفارس وقسما من بلاد الهند حتى بلغت كاشغر في الصين شرقا ، وبلاد سورية ومصر وشمال افريقية والاندلس حتى وصلت قلب فرنسا غربا . وقد كانت هذه الامبراطورية الواسعة كلها خاضعة لحكم خلفاء ، وحيثما يكون مقر الخليفة تكون عاصمة ملكه ، فكانت المدينة المنورة مركز هذه الخلافة في عهد الخلفاء الراشدين ، ثم أصبحت دمشق العاصمة في عهد الأمويين (٦٥٨ ـ ٧٥٠ م) ، وبعدها بغداد مقرا لخلفاء بني العباس.

وقد بينّا ان البناء والاعمار في عهد الخلفاء الراشدين كانت تتمثل فيه البساطة المعبرة عن بساطة الدين الاسلامي الحنيف ، فضلا عن امتناع هؤلاء الخلفاء (رض) عن البذخ والاسراف في اموال المسلمين لهذا الغرض .

اما في العهد الاموى ، فبعد ان أخذ المسلمون في جمع شتى الطرز المعمارية المعروفة اذ ذاك ، بداوا في طبعها بطابع دينهم ، فاظهورا للعالم فنا جديدا متميزا عن غيره من الفنون المعمارية المعروفة في العالم،فقد حُوروا الاساليب المعمارية الهلنستية والمسيحية الشرقية (البيزنطية) لتفي بالمقاصد



قطب منار

وضع أساس هذه المئذنة الشامخة في دلهي قطب الدين ايبك سنة ١١٩٧م احد امراء الغوريين في الهند وجرى اصلاحها بعد ذلك عدة مرات ، وهي مبنية بالحجر الاحمر الرملي المنحوت ، فيها ثلاثة طوابق ولكل طابق شرفة تبرز فوق مقرنصات دقيقة الصنع، ويبلغ الارتفاع الكلي للمئذنة ٥٠ر٧٢ مترا.

التي يتوخاها المسلمون لابنيتهم ومنشآتهم ، ومن هذا التحوير والامتزاج ظهر طراز اموي بديع انتشر في شمال افريقية حتى وصل الى الاندلس .

وعندما دالت دولة الامويين وآلت الخلافة الى العباسيين ظهر في العراق وفارس طراز جديد كان فيه لاساليب الفن المعماري الساساني تأثير كبير ، كما انه تأثر كثيرا بالاساليب الفنية الموروثة عن البابليين والآشوريين والبارثيين وشيء من الفن الاغريقي الذي وصل الى هذه البلاد عند فتح الاسكندر لها .



ملوية سامراء

هذه المئذنة الحلزونية الشكل الفريدة في نوعها شيدت على قاعدة مربعة يرتفع بعدها القسم الحلزوني حتى يبلغ الارتفاع الكلي للمئذنة نحو ستين مترا والبناء بالآجر والجص .

لقد شجع هذا الوضع بعض المستشرقين المتعصبين الى القول بان الفن المعماري الاسلامي ليس الا صورة مشوهة ومتدهورة للفن البيزنطي والفن الساساني السابقين على الاسلام . وقد فات هؤلاء ان يفهموا أو تقصدوا ان لا يفهموا، ان هدف الفن الاسلامي يختلف تمام الاختلاف عن هدف الفنون التي تقدمته ، وان له شخصية مستقلة ان بدت ضعيفة في أول الامر فقد اصبحت قوية بارزة بعد ذلك . هذا مع اعترافنا بان المسلمين قد تتلمذوا على من سبقهم من اهل الفن وتعلموا الشيء الكثير منهم ، ولكنهم عندما مرنت أيديهم على الانتاج والعمل اخذوا يبدعون في البناء والزخرفة وغيرهما من الفنون ، فتجلت في اعمالهم روح جديدة ، وبدت لها خصائص باهرة غير مسبوقة . *

والفترة الثانية ، التي بدات من بداية القرن العاشر واستمرت زهاء مائتين وخمسين سنة ، اخذ الضعف فيها يدب في الدولة العباسية ، وبدات الاقاليم الاسلامية تستقل عن عاصمة الخلافة ، وظهرت خلالها خلافتان متنافستان ومزاحمتان للخلافة العباسية في بغداد ، ففي الاندلس اسس الامويون خلافة جديدة وكونوا دولة زاهرة ، وبلدا عامرا ، وموطنا للثقافة الاسلامية في المغرب ، كما ظهرت في شمال افريقية دولة الفاطميين ، واسس خلفاؤها القاهرة وجعلوها عاصمة لهم ، وصارت بعد مدة تزاحم بغداد من الوجهات الثقافية والعمرانية والسياسية .

وفي بغداد نفسها قامت الدولة البويهية ولقب سلطانها ، عضد الدولة ، بالملك ، فكان اول من خوطب بهذا الاسم ، ودامت سلطنة البويهيين من ٣٢٠ الى ٤٢٧ هـ ، وكانت معاصرة للدولة الفاطمية بمصر . وعندما قويت شوكة الاتراك في الدولة العباسية طمع بعض قوادها في الولايات ، فظهرت فروع تركية عديدة للدولة العباسية منها الطولونية في مصر ، والايلكية في تركستان ، والاخشيدية في مصر ، والغزنوية في افغانستان والهند . ثم ظهرت الدولة التركية الكبرى السلجوقية في اواسط القرن الخامس الهجرى ، ودام حكمها نحو ثلاثة قرون .

لقد ظهرت في كل اقليم من الاقاليم صور واساليب جديدة للفن المعماري الاسلامي ، وخرج هذا الفن من مرحلة التقليد الى مرحلة الابداع ، واغتنى بتأثيرات جديدة ، فتنوعت اتجاهاته واساليبه مع المحافظة على الروابط الاساسية التي تربطه بمصادره الاصلية في البلاد التي نشا فيها .

ففي هذه الفترة شيد احمد بن طولون مسجده الكبير في القاهرة مقتبسا معظم الظواهر المعمارية العامة من مساجد سامراء ، وكان اجمل ما في هذا المسجد تلك الزخارف التي تحيط بالطاقات والعقود المدببة والنوافذ ، وكذلك طراز المئذنة التي تكاد تكون مشابهة لملوية سامراء . اما الفاطميون فان اروع ما خلفوه لنا جامع الازهر العظيم ، وكذلك جامع الحاكم بامر الله في القاهرة ذو المئذنتين الفريدتين في طراز بنائهما ، كما ظهر في عصر المماليك انتاج باهر في العمارة وهندسة البناء باسلوب لا قرين له في تاريخ مصر . فالمساجد والمدارس التي شادها قلاوون والناصر والحسن بلغ فن العمارة فيها ابهى مظاهره ، وبعد هذا لمعت الحقبة البرجية بالابنية التي شادها برقوق وقايتباي والغوري وغيرهم من السلاطين .

---

* كتاب مساجد القاهرة ومدارسها (المدخل) للدكتور احمد فكرى ، ص ٢٥ – ٤٢ .

وعندما اعلن السلاجقة ، في عهد طغرلبك ، انفسهم حماة للخلافة العباسية ابدوا حماسا كبيرا وهمةعالية في بناء المساجد الفخمة والمعاهد الدينية الكبيرة التي غيَّرت فضاء المدن عندما علتها المنائر والقباب . وقد شيدوا الاضرحة الفخمة ذات السقوف المخروطية الشكل التي تشبه الزهرة ، كما انهم التفتوا الى ناحية العلم وانشاوا المعاهد والمدارس والميانم ودور العجزة والبيمارستانات وكثيرا من المؤسسات الخيرية ، كل ذلك بطراز سلجوقي يمتاز بدقة الصنعة وجمال الزخرفة .

والفترة الثالثة ، التي امتدت من القرن الثالث عشر الى القرن الخامس عشر،تعرضت فيها الدولة الاسلامية الى اخطار خارجية عنيفة ، حيث داهم المغول بقيادة هولاكو الدولة السلجوقية واسسوا في العراق الدولة الايلخانية التي استمر حكمها حتى سنة ١٣٣٦ م ، ثم جاءت الموجة المغولية الثانية بقيادة تيمورلنك واخذ هؤلاء يعيثون في البلاد وجلبوا الخراب والدمار ، وفي هذه الفترة اضاع المسلمون الاندلس وفقدوا سيطرتهم على البحر الابيض المتوسط بفقد صقلية ، واشتعلت الحروب الصليبية في الشرق الادنى .

ولكن مهما حصل من تدهور في الوضع السياسي فان الفن المعماري لم يتوقف ولم يصبه شلل خلال هذه الفترة ، بل كان تعدد العروش من الاسباب الداعية لزيادة المنشآت العمرانية ، والتنافس في زخرفتها وتزويقها . لقد مثل ملوك المغول في هذا الوقت دور المتحمسين للاسلام ، ونصبوا انفسهم رعاة لاصحاب العلم والفن،فتجمّع هؤلاء في عاصمتهم الجديدة تبريز ، وصارت مركزا للثقافة والفن في الشرق الاوسط ، وقد خلف



مرقد غور امير

اكثر المغول من بناء القبور الملكية والمساجد وقد دلت هذه المباني على بهاء وذوق رفيع في الهندسة والفن من ذلك هذا المرقد ليضم رفات تيمورلنك في سمرقند .

ان قبة هذا المرقد المفصصة يكسوها الخزف الازرق الذهبي البديع ، ترتفع فوق اسطوانة عالية زينت باجمل الزخارف والآيات القرآنية الكريمة .



جامع ابن طولون في القاهرة

معظم ظواهر هذا المسجد مقتبسة من مساجد سامراء واجمل ما فيه الزخارف الجصية التي تحيط بالطاقات والعقود المدببة والنوافذ ، ومئذنة الجامع شبيهة بمئذنة سامراء الملوية .

المغول عمارات آجرية، اكثرها قبور ملكية ومساجد، تدل على بهاء وذوق رفيع في الهندسة والفن . من ذلك مرقد غور امير الذي اقيم سنة ١٤٠٥ ليضم رفات تيمورلنك ، ذلك المرقد الذي تعلوه قبة مفصصة منتفخة قليلا ، يكسوها الخزف الازرق الذهبي البديع .

لقد شهد هذا العهد تركيزا لشكل المآذن التي ترتفع فوق قاعدة ذات اربعة او ثمانية اضلاع ، يعلوها برج دائري مرتفع جدا ، ياخذ بالتضييق من القاعدة حتى الذروة ، ويقوم عند الربع الثالث منها طنف مزيّن بالمقرنصات ويحمل شرفة للاذان، وبعده طنف آخر بارز فوقه يسبق ذروة المئذنة المؤلفة من قبة صغيرة . وقد استعمل في هذا العهد الآجر بكثير من التوفيق كمادة للزخرفة ، فحقق البنّاؤون زخرفة جميلة عن طريق انحراف متعاكس بصفوف الآجر بصورة غائرة او نافرة ، او بطريقة تضمين كل صفين من الآجر الزهري صفا ملحقا ذا لون اخف حدة وحافلا بالصيغ المشكّلة . يضاف الى ذلك كتابات باحرف كوفية منقوشة على الآجر او الحجر او الخشب . وكانت معامل الخزف القاشاني في ري وجرجان تنتج احسن انواع القاشاني ذي البريق المعدني لاستعمالها في زخرفة المساجد والمراقد .

والفترة الرابعة ، التي امتدت نحو اربعة قرون ، تحقق فيها نوع من الوحدة الاسلامية تحت حكم الاتراك العثمانيين. فقد احتل العثمانيون القسطنطينية عام ١٤٥٣ م ، وامتدت امبراطوريتهم من الخليج العربي الى بلاد المغرب ، وعلى بلاد البلقان وجزر اليونان ، واصبح السلطان العثماني خليفة المسلمين . وفي هذه الفترة صار الفن المعماري يحمل الطابع العثماني الذي تاثر كثيرا بالطراز السلجوقي في باديء الامر ، ولكن لم يمض زمن طويل على هذا الطراز المتواضع حتى اخذ العثمانيون في انشاء المساجد والجوامع الكبيرة الفخمة التي نشاهد فيها الكثير من البذخ والتقدم الفني باسلوب فريد مبتكر . ففي القرن السادس عشر ظهر طراز تركي جديد يكاد يكون مستوحى مباشرة من الطراز البيزنطي الذي تعتبر كنيسة سنتا صوفيا في اسطنبول نموذجه الرائع بلا منازع . وكانت هذه الكنيسة مصدر ايحاء للمعمار التركي كمال الدين الذي انشا بعض المساجد من اشهرها مسجد بايزيد في اسطنبول وحاول ان يطبق فيه نفس الاسس التي وجدها في العمارة البيزنطية مع بعض التغيير بحيث يجعل البناء ملائما مع مقتضيات الصلاة عند المسلمين ، فاستغنى عن الاعمدة الكثيرة التي تحمل القبة المركزية الكبيرة حتى يتسنى للمصلين مشاهدة الامام الواقف امام المحراب . ثم ظهر المهندس الالباني سنان الذي اشتهر في بناء اكثر من ٣٤٠ مسجدا وجامعا ، ويعد جامع السليمانية في اسطنبول وجامع ادرنة تعبيرا صارخا للطراز المعماري التركي المهيب ، وهو اقرب شبها بالابنية الاثرية التذكارية (مونيومنتال) .

في ايران

الا ان بلاد ايران ، في هذه الفترة،تابعت تطورها في طراز بنائها القديم ولم تتأثر كثيرا بالطراز العثماني كما تأثرت الاقطار الاسلامية الاخرى . ففي‌عام ١٥١٤ م أسس‌الشاه عباس‌الاسرة الصفوية التي حكمت ايران حتى سنة ١٧٣٦ م ، وقد جعل هذا الشاه مدينة اصفهان عاصمة ملكه ، وانشا فيها القصور والمساجد الفخمة ، وعنى عناية كبيرة بالعتبات المقدسة في العراق وايران ، وقدم الصفويون لها أثمن الهدايا ، وأجادوا في تعميرها وزخرفتها بالرخام والفسيفساء البديع الصنع والقاشاني الجميل .

في الهند

اما في الهند فقد ظهر في بداية القرن الحادي عشر (الغزنويون) ، وهم فرقة من الاتراك الذين امتد نفوذهم على بعض نواحي الهند ، ثم استمر المسلمون في فتح اقسام اخرى من الهند في نهاية القرن الثاني عشر على يد (الغوريين) ، وهؤلاء هم امراء افغانستان ، ثم قامت في الهند دولة (المماليك) على يد السلطان قطب الدين ايبك ، وبعد ذلك ظهر المغول في زمن ظهر الدين بابر ، في مستهل القرن السادس عشر واستمر حكمهم حتى استيلاء الانكليز على الهند في القرن الثامن عشر .

اتخذ المسلمون في الهند ، في بادىء الامر ، بعض الابنية الهندية القديمة مساجد لهم ، فحوّروها لهذا الغرض ، ثم تبع ذلك دور كله نشاط منصب على الاعمار والبناء ، فقد شيد الغوريون امراء دلهي اولى المنشآت الاسلامية في الهند ، ولكن هذه المنشات اقتبست الشيء الكثير من الطراز المعماري الهندي القديم . وقد اشتهر من ملوك العهد المغولي في الهند السلطان أكبر الذي اهتم كثيرا في النواحي العمرانية والفنية ، فبنى جامعا شامخا في عاصمته فتح بور سكري ، ويعد هذا الجامع من اعظم روائع الطراز الهندي الاسلامي .

في الصين

واذا ما سرنا من الهند الى الصين نجد فيها من الآثار الاسلامية ما يستحق الذكر والوصف مثل تلك‌التي مرت معنا في‌البلاد الاسلامية الاخرى. فمساجدها لا تختلف كثيرا في طرازها عن المعابد الصينية القديمة الا في وجود المحراب في جدار القبلة ، ولبعض المساجد قبب اشبه بالقبب الروسية او الهندية البصلية الشكل . واهم تلك المساجد في مدينة كانتون ، منها مسجد كوانتا الذي بني في عهد اسرة تان قبل الف سنة تقريبا. ولهذا المسجد مئذنة اشبه بالبرج او الصومعة ذات شكل اسطواني خالية من كل زخرفة اسلامية معروفة ، وطراز راسها الاعلى طراز هندي محض.

هذه نماذج قليلة جدا لأهم المنشات التي‌اقامها المسلمون في معظم انحاء امبراطوريتهم الواسعة في مختلف الفترات من التاريخ الاسلامي ، وهي لمحة بسيطة للتطور الذي حدث في طراز هذه المباني والعمارات . وقد يلاحظ القارىء الكريم بانه على الرغم من وجود بعض الفوارق المحلية في طراز هذه الابنية فقد ظلت العمارة الاسلامية محافظة على الاسس العامة لهذا الفن . ونحن حين نتتبع تاريخ الاقطار الاسلامية حسب تسلسلها التاريخ نلمس بوضوح آثار وحدة حضارية قديمة امتدت من أقصى المغرب العربي الى اقصى بلاد الهند . ان مئذنة اشبيلية (الجيرالدا) في الاندلس و (قطب منارة) في دلهي يبدوان امام المتتبع كبرجين قائمين على حدود هذه الامبراطورية الواسعة وهما رمزان جميلان لوحدة العالم الاسلامي الاصيلة.وكان لسان حالهما يسبح بقوله تعالى « رب المشرق ورب المغرب ، لا اله الا هو ، فاتخذه وكيلا » . ■■

شريف يوسف
المهندس في مديرية الآثار القديمة ببغداد



التمثال النصفي لشكسبير في الكنيسة التي دفن فيها وتعرف بكنيسة الثالوث المقدس بستراتفورد

الغرفة التي ولد فيها شكسبير في ستراتفورد وقد ظهر المهد الذي وضع فيه .

في بيت شكسبير

بقلم : الدكتور صفاء خلوصي

■ واخيرا انتهى بى المطاف الى بقعة طالما باركتها في حديثي وقصيدي ، طوال سنوات الصبا ، والشباب ، والكهولة .. الى مدينة ستراتفورد .. الى بيت شكسبير بالذات ! ..

في حياتي شاعران اعتبرتهما صديقين حميمين ، اراهما معي في كل مكان وآن ، واستعين بهما على عثرات الزمان ، هما المتنبي وشكسبير ..

وقد أوصيت ان يدفن ديواناهما معي ، ليكونا رفيقيَّ في رحلتي الأبدية !

اما المتنبي ، فلا بيت له فيزار وتستعاد فيه الذكريات ، ولا قبر له يحج اليه عشاق شعره ليغمروه بباقات الزهور ويغدقوا عليه الرحمات .

غير ان شكسبير قد احتفظ له القوم بكل شيء ، بالغرفة التي ولد فيها ، وبالمهد الذي اضطجع



الشاعر الذى قدرته أمم الأرض ، وارتضى لنفسه جنسية واحدة هى « الإنسانية » .

فيه ، وبصوره وكتاباته ، وبالطبعة الاولى من مسرحياته .. وبوصيته ! ..

فهو حى ، لا بشعره فحسب ، بل بما تبقى من اثاره الشخصية أيضا .

دخلت ستراتفورد بعد سفرة طويلة ، بسيارة زجاجية الجوانب ذات طابقين . استغرقت الرحلة عدة ساعات ، طوينا خلالها أعظم بساط أخضر نسجته يد الطبيعة . حتى اذا ما حللنا مدينة ستراتفورد اذا بكل شيء يتحدث عن شكسبير : الزهور والجداول ، والقناطر الحجرية .. وحتى الاوز السابح على صفحة النهر بايقاع شعرى عجيب ! ..

لم يكن بيت شكسبير غير بيت متواضع ذى طابقين من الخشب ، وانك لتشعر برجة خفيفة عندما تصعد الى الطابق الثانى لكثرة من فيه من الزوار ، وانى لاخشى ان ينهار يوما ما بسبب الملايين التى تزوره عاما بعد عام .

أحقا ولد هنا شاعر الدنيا الكبير ؟ ان كل ما فيه بسيط لا يثير التساؤل والدهشة . كذلك هى الطبيعة ، فأروع الاشياء عندها أبسطها . كان بسيطا فى حياته ، بسيطا فى سكنه ، بسيطا حتى فى مثواه الاخير ، فى كنيسة المدينة القروية المتواضعة التى لم يشأ أن يفارقها حتى بعد موته، فكتب : « لعن الله من حرك هذه العظام من موضعها ! » .

ولقد حاول الكثيرون ان يفتحوا قبره علهم

يجدون سرا دفينا معه ، أو لعلهم يستشفون من بقايا رمته سر عبقريته .. وليس ثمة سر ، فسر عبقريته بساطته ، كما اسلفنا ، فهو بسيط حتى في لغته التي كتبت لجميع الأزمان والتي يحفظها حتى الفتيان في المدارس ، واذكر انني كنت في السابعة عشرة يوم التهمت اشعار شكسبير التهاما، ولا تزال مقتطفات ومقتطفات من شعره ترن في اذني منذ ايام الصبا ، وكانت اول مسرحية قرأتها له بالانكليزية : « مسرحية يوليوس قيصر » ، وعندما وصلت الى قول قيصر، وقد رأى كاسيوس في حال استغراق ذهنيّ :

« ان لكاسيوس نظرةً هزيلةً جائعة .
انه ليُكثِرُ من التفكير ، والغارقون في التفكير اناس خطرون ! »

شعرت بروعة الشعر الشكسبيرى ، وحلاوة الفاظه ، فان لها طعما خاصا في الفم .. فضلا عن جرْسٍ عذبٍ في الأذن .

وبيتٌ آخر يمر في خاطرى الآن ، وكان من اوائل الشعر الشكسبيرى الذى حفظته ، قوله :

« يموت الجبناء مرارا وتكرارا قبل ميتتهم الأخيرة ..
أما الشجعان فلهم ميتة واحدة ! »

وقد نظمت ذلك شعرا فيما بعد فقلت :

يقضي الجبانُ مرارا قبل ميتته
وللكَميِّ مماتٌ ماله ثاني

★ ★ ★

لقد كان المظهر الخارجي لبيت شكسبير غير ما الفته في الصورة المنقولة من رسم قديم محفور على الخشب ، وهو الاصل دون شك(١) ، فتبين لي ان شيئا غير قليل من الترميم قد اعتراه منذ ذلك الحين ، فغير بعض معالمه الخارجية ، دون ان ينال من الجوهر شيئا .

وفيما كنت أتجول في غرف البيت كنت احدث نفسي فاقول : من العجيب ان حياة الرجل لم تكن طويلة ، فقد عاش اثنين وخمسين عاما(٢) ، وانتج كل هذه الثروة الادبية الطائلة التي نجدها بين أيدينا خلال ما يقرب من عشرين عاما فقط .

وقد رأى النور اول ما رآه في هذا السكن في شارع هينلي Henley Street المتواضع اليوم ، والذى كان جميلا جدا في عصره .

هنا تزوج جون شكسبير من ماري آردن Mary Arden سنة ١٥٥٧ ووُلِد لهما ابنتان ، تلاهما صبي عمِّدَ في ابرشية الكنيسة في السادس والعشرين من نيسان سنة ١٥٦٤ باسم « وليم ».

هنا ولد الطفل وليم شكسبير في هذا المنزل المنتشنا على طراز منازل القرون الوسطى في سترانفورد . انه متناسق . يكاد يكون نصفه خشبا على قواعد حجرية ، مجصصا ما بين دعائم السقف الجوزية المتينة المتوازية ، والغرف منخفضة ذات نوافذ واسعة بأطرٍ رصاصية ضيقة ، وبوسعنا انْ نعتبر ما تحت السقف العلوى طابقا ثالثا وان هو في الحقيقة الا نصف طابق ربما كان يستعمل لخزن الصوف .

وكانت البيوت في هذه المدينة ، على عهد شكسبير ، محاطة باشجار وساحات ، فكانت المدينة ، على العموم ، مظللة بالاشجار ، مع ذلك فقد اجتاحها الطاعون بعد مولد شكسبير باسابيع قليلة ، فاخذت « ماري شكسبير » اطفالها الثلاثة الى بيتها القديم في قرية ويلمكوت Wilmcote ، الى أن زال الوباء .

ولا بد ان هذه الام الشابة كانت ذات مشاغل عديدة ومتنوعة ، فقد كانت تصنع الجِعَة (البيرة) والزبدة والجبن وتختزن الفواكه المجتناة من بستانها ، والاعشاب المجففة من حديقة دارها، وكانت تحت رعايتها المناحل واقفاص الدجاج .

واصبح جون شكسبير ، والد الشاعر ، من رجال البلدة المسؤولين ، فكان له عدد من الامتيازات: مقعد خاص قريب من منصّة الواعظ في الكنيسة، وجبة سوداء ازدانت اطرافها بالفرو ، للمناسبات الرسمية ، ومصباح يضيء في واجهة منزله لمدة اثنى عشر يوما خلال موسم عيد الميلاد .

وعندما بلغ « وليم » الرابعة من عمره ، اصبح والده عمدة المدينة، فكان يسير الى مقره الرسمي ليترأس اجتماعات المجلس البلدى ، مرتديا جبته القرمزية ، وامامه حارس شاهر سيفه .

كل هذه الاشياء تركت انطباعها الخاص في مخيلة شكسبير الصغير ، وبوسع الانسان أن يستشفها من محتويات المنزل ، ويراها في ثنايا المسرحيات .

---

(١) راجع مثلا الصورة الاستهلالية في كتاب دوروثي ماكاردل Dorothy Macardle الموسوم بـ « شكسبير رجلا وصبيا » Shakespeare : Man and boy المطبوع بلندن سنة ١٩٦١ .

(٢) من غريب المصادفات ان عمر المتنبي كان نحو ذلك يوم قتل !

انه ليتذكر ـ دون شك ـ لغط الاسرة والجيرة التي كانت تؤمن بالاساطير واقاصيص السحرة ، فتجتمع في منزل ابيه ، وتسرد الحكاية تلو الحكاية ، لا لتسلية الاطفال ، بل لانها كانت تؤمن بما ترويه كحقائق واقعية حدثت في ازمان غابرة ولا تزال تحدث في مواقع قصية من الارض على حد تفكيرها .

تاريخ طويل حافل مرّ في ذهني وانا في المنزل الذي بيع سنة ١٨٤٧ .. وكان حدثا خطيرا ، فقد علقت ونشرت الاعلانات في كل مكان مؤذنة ببيع منزل « شيخ الشعراء » الذي ورثه من أبيه ثم انتقل الى ابنة الشاعر الكبرى سوزانة Susanna ومن ثم الى حفيدته الوحيدة السيدة برنارد Lady Barnard . وعند وفاتها سنة ١٦٧٠ خلّفته لتوماس هارت Thomas Hart حفيد شقيق الشاعر ، وبقي بحوزة سلالة توماس هارت حتى سنة ١٨٠٦ عندما بيع الى توماس كورت Thomas Court لقاء مائتين وعشرة جنيهات ، ولمدة ما ينوف على القرن من هذا التاريخ كان الحانوت المجاور للمنزل في الجناح الشرقي والمعروف بحانوت جون شكسبير قد تحوّل الى نُزُل للمسافرين أو فندق صغير يعرف بفندق ميدنهيد Maidenhead ، وفي ختام القرن الثامن عشر تحول جزء من الجناح الذي ولد فيه الشاعر الى « حانوت جزّار » واعتقد من هنا جاءت الرواية القائلة ان والد شكسبير كان جزارا أو انه هو نفسه اشتغل بهذه المهنة لفترة من الزمن وانه كان يذبح العجول منشدا ابياتا من الشعر ، قبل أن يعرف كشاعر مسرحي؟ .

ولا تزال لوحة الفندق القديمة محفوظة ، او بالاحرى اللوحتان لان اسمه تغير فيما بعد الى Swan and Maidenhead وعلى احدى هاتين اللوحتين اسم مالكته اليزابيث كورت التي عرضَت البناء بعد وفاتها سنة ١٨٤٧ للبيع مجددا ، فابتاعته هيئة اوصياء وسَدَنَة منزل شكسبير التي ابتاعت كذلك كوخ ماري آردن والدة الشاعر ، حيث عاشت قبل زواجها ، واصبح يعرف فيما بعد بكوخ آن هاثواي Anne Hethaway على اسم زوجة شكسبير ، وابتاعت ايضا مسكن سوزانة(٣) شكسبير ، ابنة الشاعر ، في هولز كروفت Hall's Croft .

ولسنا ندري على وجه التحديد متى بدأ السُيّاح يفدون على هذا المنزل والاماكن الاخرى المرتبطة به تاريخيا ، غير ان الذي نعلمه ان الناس كانوا يعرفونه في القرن السابع عشر وان اهتماما خاصا بدأ يتجلى بالشاعر ومسقط رأسه ، في النصف الاول من القرن الثامن عشر ، بتزايد عدد الزوّار الوافدين على ستراتفورد ، وكانت ثمة شجرة توت قيل ان الشاعر غرسها بيده ، فلما ازداد عدد المتطفلين لرؤيتها في منتصف القرن الثامن عشر اضطر مالكها الى اقتلاعها من جذورها سنة ١٧٥٦ تخلصا من الازعاج المتزايد على مر الايام .

وقد اقيم احتفال كبير سنة ١٧٦٩ في شارع هينلي ، حيث منزل شكسبير ، ونصبت الاعلام امامه ، وعلى طول الطريق ، واستعرضت الشخوص الشكسبيرية بملابسها التقليدية ، فهذا وغيره من الادلة ، مما يؤيد صحة نسبة المنزل الى الشاعر .

وترك لنا الكاتب الاديب « والبول »Walpole الذي زار المنزل ١٧٧٧ ،وصفا له، وذكر لنا كيف انه شاهد كرسي الشاعر وقد شوهه الزوّار مقتطفين اجزاء تذكارية منه ، وذكر زائر آخر هو « جون بينج » John Byng الذي زار المنزل بعد « والبول » بثماني سنوات ، انه ابتاع شظيّة صغيرة منتزعة من كرسي شكسبير !

وزار الشاعر الامريكي واشنطن ارفنج Washington Irving صاحب «حكايات الحمراء» الذي خلد التراث العربي الاندلسي في كتاباته واشعاره ، منزل شكسبير سنة ١٨١٥ مضمنا انطباعاته في مؤلَّفه : « كتاب رسوم تخطيطية » Sketch Book وتذكر كيف ان الدليلة كانت تبيع للسياح تذكارات مزيفة ناسبة اياها لشكسبير ، وقال عن بيت شكسبير نفسه : « انه مبنىً صغير حقير المنظر من خشب وجص ! » وربما كان الامر كذلك قبل اصلاحه وترميمه .

وعندما عرض المنزل للبيع سنة ١٨٤٧ كانت هناك جماعة من الامريكيين تفكر في اقتلاعه من اساسه ووضعه على قاعدة ذات عجلات ، للطواف به في أرجاء الولايات المتحدة ، لكسب المال من المشاهدين ، فولّدت الفكرة ردّة فعل عنيفة في بريطانيا ، تزعمتها جريدة « التايمس » التي حثت الجمهور على تقديم المعونات المالية

---

٣) يمثل الاسم الصيغة الانكليزية للفظة « سوسن » العربية !

لشرائه قبل ان يدنسه المغامرون من طلاب الربح الرخيص ، فتألفت اللجان في لندن وستراتفورد، لجمع التبرعات وتمثيل المسرحيات الشكسبيرية واخراج صحيفة باسم « جريدة شكسبير » لهذا الغرض ، وفي اليوم المحدد للبيع أجريت المزايدة العلنية ، بعد ان ذكر الدلال بان هذا البيت هو بيت شكسبير الحقيقي ، ومن كان في شك من الامر فليخرج من قاعة المزايدة ، وبدأ المزايدون بالف وخمسمائة جنيه ، فالفين ، ثم الفين ومائة جنيه ، وهنا تقدمت لجنتا جمع التبرعات بثلاثة آلاف جنيه ، فرست المزايدة عليهما وسط تصفيق الحاضرين وهتافاتهم .

وقد تضاعف عدد الزائرين سنة بعد اخرى ، فبعد أن كان قبل قرن من الزمان لا يتجاوز الالفين اصبح اليوم يربو على الثلاثمائة والخمسين الفا ، حوالى ٦٥ بالمائة منهم من الاجانب الذين يمثلون نحوا من مائة أمة ، وقد اقامت الهيئة المشرفة على المنزل مكتبة تذكارية قيّمة ، وقدمت جميع التسهيلات الممكنة لتوسيع مجال الاطلاع والثقافة الشكسبيرية ، وأسست مركزا للدراسات الشكسبيرية ذا شهرة عالمية متزايدة .

رأيت ذلك بأم عيني وتذكرت المتنبي (شكسبير العرب) فعرفت كم هو مظلوم عندنا بالقياس الى شكسبير عند قومه ، اما كان بوسعنا ان نقيم له مكتبة تذكارية ونؤسس كراسي في الجامعات العربية لتدريسه ، ونقيم له التماثيل ، ونضع النصب في مختلف البقاع التي زارها ، ونشيد قبرا تذكاريا له في الصافية في الجانب الغربي من سواد بغداد عند دير العاقول ؟

كل ذلك ممكن لو عملنا مبدعين كما تعمل الشعوب الحية المبدعة في عصرنا ، وانطلقت آهة من فمي شعر بها من كان حولي من الاغراب الاجانب ، فلم آبه لهم وسرت في طريقي أجترّ الهي واستأنفت تطوافي في منزل شكسبير الحظيظ المجدود !

★ ★ ★

الى جنب صالة الجلوس كان المطبخ ، وقد لفت نظري الحاجز الذي يمنع الاطفال من الاقتراب من النار ، وهو من اختراع اهل القرن السابع عشر ، ولغرفة الجلوس بابان ينفتح احدهما على المطبخ والآخر على حانوت جون شكسبير ، وهو اليوم متحف عرضت فيه قطع من الاثاث والصور والوثائق والكتب وما الى ذلك مما له صلة بالشاعر، وفي الطابق العلوي من المتحف معروضات تتعلق بأبويه واسرته واعماله والكتب النادرة التي ظهرت في عصره ، والرحلة التي جاس عليها شكسبير عندما كان طالبا في احدى المدارس المعروفة بمدارس النحو Grammar School، ويفضي هذا الطابق بباب الى الغرفة التي ولد فيها شكسبير، وهي فوق غرفة الجلوس مباشرة ، وابرز مظهر للغرفة الموقد التقليدي المصنوع من الحجر والطابوق الاحمر والسقف الخفيض غير المتناسق، وقد قيل لي ان اخشاب الغرفة كلها والنوافذ المشبكة ذات الزجاج القديم الاصلي لم تتبدل وقد كتب بعض اكابر الزوار اسماءهم على النوافذ قبل ان تشرف عليها الهيئة الرسمية الخاصة ، وتبينت بينها تواقيع السير ولتر سكوت صاحب القصص التاريخية وتوماس كارلايل ، صاحب كتاب « الابطال » وهنري ارفنج ، وتوقيع الممثلة ايلن تيري Ellen Terry صديقة جورج برناردشو المشهورة .

وثمة غرفتان اخريان في الطابق العلوي ، خلف « غرفة الميلاد » كانتا غرفتي نوم تنحدر منهما سلالم الى الباب الخلفي المفضي الى الحديقة التي زرعت فيها كافة الاشجار والنباتات والاعشاب والازهار التي أحبها شكسبير فذكرها في مسرحياته، وبينها اشجار رمان وتين وتوت وكرمة عنب ، ومن الازهار الورد والابصال الجبلية المعروفة بالدافوديل Daffodil وزهرة الثالوث والبابونج ، ومن الاعشاب النعناع والصعتر والزعفران الذي كانت خصائصه معروفة في ايام شكسبير .

وقد اهدت الملكة اليزابيث الثانية يوم تتويجها شجرة ورد خاصة لتزرع في حديقة بيت الشاعر الاليزابيثي ! ..

وفي العيد المئوي الرابع لمولد شكسبير اقيم مركز يعرف «بالمركز الشكسبيري» Shakespeare Centre يطل ببنائه اليوم على حديقة البيت .

خرجت من المتحف والمنزل في طريقي الى كنيسة الثالوث لزيارة قبر شكسبير فرأيت السياح من مختلف الاجناس مثقلين بانواع التذكارات الشكسبيرية من صحون واطباق ونفاضات سكائر نقشت عليها صورة شكسبير وكتبت فوقها عبارة : « العيد المئوي الرابع » .

عندما دخلت الكنيسة ووقفت على قبر شكسبير تذكرت بيتين لشوقي قالهما على قبر نابليون ،

وهما يصدقان على قبر كل عظيم :

يا كبير الصيد للصيد المثلى
ثم تأمل كيف صادتك المنون
ثم سر الدنيا كما غادرتها
منزل الغدر ودار الخادعين !

ورفعت رأسي الى تمثاله النصفي وقلت : « يا الهي ، الى اين كانت البشرية ستصل لو ان العباقرة منحوا حياة ابدية سرمدية ؟ » .

★ ★ ★

ولابعد « مكتبةشكسبير التذكارية » في برمنجام غير نصف ساعة عن ستراتفورد وتكاد تضممسرحياته في مختلف لغات العالم ، بما فيها العربية ، غير انني وجدت القسمالعربي تنقصه بعضالمسرحيات التي ترجمت في السنين الاخيرة ، فنبهت امين المكتبة الى ذلك ليتلاق النقص ، وقد انشئت هذه المكتبة في العيد المئوي الثالث لمولد شكسبير ، اى قبل مائة عام ، وحاول الامريكيون محاكاتها فانشاوا في واشنطن المكتبة التذكارية المعروفة بـ Folger Library الا انها اليوم اخذت تبتعد عن الغرض الاصلي الذى انشئت من اجله اذ توسع نطاقها فاصبحت مكتبة لعصر النهضة او « الرينيسانس » ، وبقيت مكتبة برمنجهام تختص بشكسبير وحده ، وفيها اليوم ...ر٤٠ كتاب بخمس وثمانين لغة ، وتشمل كل ما كتب عن شكسبير في العالم ، فهي اعظم مركز للمصادر والبحوث الشكسبيرية أو مايعرف بالـ « شكسبيريانا Shakespeariana » .

ويبدو ان النادي الشكسبيري المحلي هو الذي قام بتاسيس المكتبة في نيسان ١٨٦٤ وكان الهدف منها ان تحوى كل طبعة وترجمة لشكسبير ، وكل ما يكتب عنه من تعليقات ، بالاضافة الى صوره والصور التي ازدانت بها مسرحياته ، وتم افتتاح المكتبة في ٢٣ نيسان (ابريل) ١٨٦٨ في صالة من صالاتالمكتبة المركزية في برمنجهام ، بيد انه ، للاسف ، شبت نيران في المكتبة المركزية يوم ١١ كانون الثاني (يناير) ١٨٧٩ ، فلم تبق من المكتبة الشكسبيرية التي كانت تضم ٧٠٠٠ مجلد يومذاك غير ٥٠٠ فحسب !

فقام الجمهور بجمع التبرعات واهداء الكتب مجددا ، حتى انه عندما أعيد افتتاح المكتبة سنة ١٨٨٢ بلغ عدد مجلداتها الاربعة الاف ، بما فيها نسخ من الطبعات الاولى للمسرحيات ، وارتفع العدد سنة ١٩٠٣ الى ٨٩ر١١ ، اما الآن فتضم ...ر٤٠ مجلد ، كما ذكرنا ، وبلغ عدد مجلدات فهارسها السبعة .

★ ★ ★

والى ذلك كله فقد اقام البروفيسور اولارديس نيكول Allardxce Nicoll سنة ١٩٥١ مؤسسة شكسبير للدراسات العليا وهي تابعة لجامعة برمنجهام وتعنى بالادب الانكليزي في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، وبخاصة بحياة شكسبير ومسرحياته ، ولها بنايتان : احداهما في برمنجهام والاخرى في ستراتفورد،موطن شكسبير.

وهناك دور للتمثيل اختصت بالمسرحيات الشكسبيرية ، طوال العام ولا سيما دار التمثيل الشكسبيرية الملكية في ستراتفورد ، وتليها داران للتمثيل في كوفنتري وواحدة في برمنجهام (وهي اقدم دار للمسرحيات المعادة) واخرىفيأكسفورد.

ولا يقتصر الباحثون اليوم على المسرحيات الشكسبيرية والكتب المطبوعة وزيارة الاماكن الاثرية المرتبطة بالشاعر واسرته ، بل تعدوها الى دراسة ونشر العديد من المخطوطات المهمة من العصر الاليزابيثي الذىعاش فيهالشاعر وما يتصل به من عهد سبقه أو تلاه ، لاكتشاف جميع جوانب الحياة السياسية ، والاجتماعية والاقتصادية والفكرية ، لتتكامل الصورة على أوسع واوضح ما يمكن ان تكون ، وأهم مركز لمثل هذه المخطوطات مكتبة بودليان Bodlria‌n باكسفورد .

★ ★ ★

لقد تعلمت أشياء كثيرة منذ زيارتي لبيت شكسبير ، فكما أن « بيت شكسبير » كان نقطة انطلاق لمؤسسات ومشاريع فكرية وثقافية عديدة بالنسبة للانكليزية ، فقد كان نقطة انطلاق كذلك بالنسبة لي ، فقد عرفت كيف يمكننا أن نخلد شعراءنا ، وأن نحببهم للجمهور المعاصر عربيا كان ام اجنبيا .. وللاجيال المتعاقبة التي ستلينا .

من « بيت شكسبير » انطلقت الى بيوت أدباء وشعراء آخرين ، ورسمت خارطة أشرت عليها بمواضع هذه « البيوت » .. فان أرواح أصحابها لا تزال تحوم حولها او تطوف في ارجائها ، وانني لاشعر بشخصياتها عندما أتجول ساهما متاملا مختلف اركانها وجدرانها وزواياها .. ما أروع أن يعيش الانسان في زوايا الماضي الفني بالافكار والمشاعر والعواطف .. ولا سيما في بيت كبيت شكسبير ! ■■

صفاء خلوصي



الآثار الاقتصادية للظواهر الجوية

بقلم : الدكتور
محمد على عمر الفرا

■ ان الاهتمام بالطقس والمناخ قديم منذ أن اتخذ الانسان هذه الارض مهدا وقرارا ومسكنا ومعاشا ، وذلك لأهمية الطقس والمناخ فى كثير من المظاهر الطبيعية والبشرية ، فالنبات بمختلف اشكاله والوانه وأنواعه يعتمد فى جميع مراحل نموه على عناصر المناخ المختلفة من حرارة ورطوبة ومطر وضوء وغير ذلك. والحيوان يتنوع فى جهات العالم وأقاليمه بتنوع المناخ ، وحتى الانسان فى كده وجده وسعيه فى المعمورة يتباين نشاطه ويتمايز، وللمناخ فى هذا العالم دور لا يستهان به.

المناخ استعصى على الانسان

ورغم تقدم الانسان في ميدان العلم والابتكار وقهره الكثير من عناصر الطبيعة التى كانت في الماضي عليه مستعصية ، الا أن المناخ لا يزال أكثر من غيره تحررا من سيطرة الانسان ، أو فقل انه العنصر المتمرد الذى لا يزال الانسان يكابده في اصرار ويقاومه في عناد ولكن هذه المكابدة والمقاومة قد لا ترقى أحيانا الى درجة الوقاية من الاضرار التى يسببها المناخ والطقس .

دراسات الجو زادت بتقدم ابتكارات الانسان

وكلما تقدمت ابتكارات الانسان تقدمت درجة الوقاية من أضرار المناخ ، ففى أوائل الستينيات من هذا القرن زاد الاحساس بضرورة بذل اهتمام اكثر في دراسة الطقس والمناخ بغية كبح جماحهما وذلك على ضوء الحقائق التى ظهرت بعد ارتياد الفضاء ، وبعد أن زاد خطر التلوث الجوى وأخذ يهدد الارض بكاملها .

الجانب الاقتصادى للطقس

ولعل أهم ما في هذه الدراسة في الوقت الحاضر هو ما يختص بالجانب الاقتصادى فيها ، فقد ألفنا ونحن ندرس الظواهر المناخية أن نتعرف على أسبابها ومسبباتها ومواطنها ومناطق انتشارها وزمان حدوثها دون أن نهتم كثيرا بالجانب الاقتصادى منها ، والذى يعالج التكاليف الاقتصادية المترتبة على الوقاية منها ومقاومتها أو الناجمة عن الاضرار التى تسببها .

وقد بدأت تظهر في الآونة الاخيرة بعض المقالات والكتب العلمية التى تناولت بالدراسة والتحليل الجانب الاقتصادى للطقس والمناخ ، ولكنها لا تزال مقصورة على بعض الدول المتقدمة التى عنيت بالاحصاء ولغة الارقام ولم تخل بياناتها من ذكر أرقام للقيم المالية لتلك الظواهر الجوية والمناخية بحسب الشهور والفصول والسنين مما يعين الباحث كثيرا على تعليل وتحليل دقيق لهذا الميدان النافع المفيد .

الولايات المتحدة من أكثر الأمم عناية بالاحصاءات

ولعل الولايات المتحدة الامريكية هى من أكثر البلاد المتقدمة عناية بمثل هذه الاحصائيات ، فعلى سبيل المثال نراها تقدر الخسائر المادية التى تصيب البلاد من الاعاصير Hurricanes كل عام بنحو ٢٥٠ مليون دولار . وتذكر السجلات الاحصائية مثلا أنه في سنة ١٩٥٧ تحرك اعصار من هذا النوع تجاه ولاية لويزيانا Louisiana وفي أقل من يومين فقد أكثر من خمسمائة شخص حياتهم وغرق نحو اربعين الى خمسين الف رأس من الماشية ، وقدرت الخسارة في الممتلكات آنذاك بحوالى ١٥٠ الى ٢٠٠ مليون دولار .

أعاصير أشكال ، ونكبات ألوان ، في أنحاء المعمورة

وليست الأعاصير هى وحدها التى ينجم عنها مثل تلك الأضرار ، فهناك أيضا أعاصير التورنادو Tornadoes والتيفون Typhoons وكذلك الفيضانات والامطار الغزيرة والجفاف ، وهذه كلها تؤدى الى نكبات ومصائب في كثير من أنحاء المعمورة وعلى الأخص في مناطق معينة من المحيط الهادى والمحيط الهندى ، وقبالة اليابس الآسيوى وفي اقليم البنغال على وجه التحديد وفي هذه الجهات يصحب الاعصار ، في العادة موجة مد بحرية عاتية مثلما حدث من عامين تقريبا في شرق باكستان فاصيب مليون نسمة بين غريق وقتيل . ومفقود ومصاب ومشرد ، وتهدمت آنذاك كثير من القرى ، ونفقت اعداد كثيرة من الماشية، وطغى ماء البحر الهائج على الحقول فافسد الزرع والثمر واضر المحصول واتلف التربة .

> تحدث الاعاصير المدمرة في المحيطات والبحار المدارية ، وبخاصة في الكاريبي والمحيط الهادي ، قرب ساحل المكسيك حيث تسمى بالهريكين اما في بحار الصين والفلبين واليابان فتسمى بالتيفون وفي شرق جبال روكي بالولايات المتحدة تسمى بالترنادو ، وهي اشد هذه الاعاصير خطورة .

وفي سبتمبر عام ١٩٥٩ اصاب وسط اليابان اعصار التيفون فهطلت على اثره امطار غزيرة لم تشهد لها البلاد انذاك في سنيها القريبة مثيلا ولا نظيرا اذ هبت رياح شديدة مزمجرة وكانت حصيلة كل هذا الاعصار وتوابعه خمسة آلاف قتيل واكثر من اربعين الف مصاب ومفقود وتضررت شبكة الخطوط الحديدية في اكثر من ٨٢٧ مكانا ودمر اكثر من اربعين الف منزل .

وفي الثاني عشر من يناير في هذا العام (١٩٧٢) هب اعصار التيفون على جزر الفلبين بالمحيط الهادي فقتل ٢٠٠ شخص على الاقل وشرد اكثر من عشرة آلاف شخص بعد ان دمر منازلهم وقدرت اضراره المادية في الممتلكات بنحو ٢ر٣ مليون دولار وقطعت الفيضانات الناتجة عن هذا الاعصار المواصلات وعزلت بعض القرى والمدن لعدة ايام فانقطعت عنها المواد الغذائية . وقيل ان الفلبين لم تشهد مثل هذا الاعصار منذ اكثر من ثلاثين عاما .

ونظرا لاهمية هذه الظواهر الجوية فستعرض لبعضها بشيء من الايجاز المركز على النحو التالي : ــ

الترنادو Tornadoes

هي اعاصير شديدة الخطورة نظرا لسرعتها الشديدة والتي لا تسمح الا بوقت محدود جدا للوقاية منها . ولعل خير مثل على ذلك هو ما حدث في مدينة « توبيكا » Topeka بولاية كنساس الامريكية ، ففي الثامن من يونية ١٩٦٦ تحرك ترنادو من نوع متوسط وذلك في الساعة السابعة ودقيقتين مساء كما تحدد موقعه على شاشة الردار المحلي هناك . وفي الساعة السابعة واربع دقائق اعلنت في المدينة صفارات انذار الدفاع المدني . وفي الساعة السابعة والربع تماما دخل الاعصار المدينة مسببا تخريبا وتدميرا لمنطقة طولها ثمانية اميال وعرضها نحو ميل فمات سبعة عشر شخصا واصيب ٥٥٠ شخصا باصابات مختلفة وقدرت الخسائر في الممتلكات بحوالي مائة مليون دولار (بما في ذلك تدمير ٨٠٠ منزل تدميرا كاملا واصابة ٨١٠ منزل باصابات مباشرة وتهدم جزئي وتصدع ٤٠ سكنا) .

العواصف البردية Hailstorms

وهي مألوفة في كثير من انحاء العالم ولكن تختلف في الشدة من مكان لآخر بحسب حدوث انخفاض مفاجيء في الجو فتهب الرياح القوية وتحمل معها حبيبات متجمدة من الماء كحبة الحمص او الفول وتسمى بالبَرَد وتتفاوت في الحجم بحسب نوع المنخفض الجوي والرياح الهابة . وتقذف الرياح بالبرد الذي يتساقط على الارض تساقط الحجارة فيدمر ويخرب واجهات المنازل والسيارات ويضر بالمحاصيل الزراعية . وقد يصحبها حالات وفاة كما يحدث في الهند والصين . وفي الاتحاد السوفيتي يقاومونها حالما يكشف الردار عنها برش الجو بيوديد الفضة S.lver iodide وقد تبين ان خسارة المحاصيل بعد الرش تنخفض الى ٣٪ في المناطق التي تصيبها هذه العواصف والى ١٩٪ في الجهات المجاورة لها .

الصواعق Thunder storms

وهذه ايضا مألوفة لنا ولكنها قليلة الحدوث في بلادنا بالنسبة الى المناطق التي تهطل امطارها طوال العام لما لها من ارتباط بتكون الغيوم وما تحويه من شحنات كهربائية . والصواعق تسبب الوفاة بصورة مباشرة بخلاف ما سبق ذكره . فقد يصيب البرق الناس اصابة مباشرة فيصعقهم وهم على الارض يدبون ، او وهم في الجو محمولون كما حدث لطائرة بركابها في سنة ١٩٦٣ في ولاية ماريلاند بالولايات المتحدة حينما احترقت ومن فيها بعد اصطدامها بصاعقة وهي في السماء فقتل

٨١ راكبا وكانت يومها فاجعة مذهلة في عالم الطيران . هذا وتسبب الصواعق ايضا حرائق في المنازل والغابات حتى قيل بان الانسان الاول عرف طهي الطعام من رائحة شواء الحيوانات في الغابات المحترقة بفعل الصواعق .

الفيضانات Floods

وهذه يمكن تقويمها بحسب اتساعها وحدة حدوثها وفصيلتها وسرعتها وما تحمله من رواسب، وهذه كلها تساعدنا على تقدير الفيضان وقيمته . ويقاس عرض الفيضان واتساعه بالقدم المكعب في الثانية او مقدار علو الماء بالاقدام او الامطار . وبناء عليه يمكن تحديد المنطقة التى سيغرقها الفيضان . كما ان فصلية الفيضان امر هام فالفيضان الربيعى والخريفي يمكن ان يسببا دمارا وخرابا اكثر من الشتوى ، بينما السرعة لها اثرها على مقدار الاضرار الناتجة عن الفيضان . وللرواسب التى تحملها مياه الفيضان اهميتها فالارساب في الارض الزراعية خير وبركة ، بينما في المناطق الحضرية ضرر وتلف .

وكوارث الفيضانات كثيرة لا يخلو منها عام ولا ينجو منها اقليم من اقاليم العالم ، فهى تسبب خسارة في الارواح والممتلكات اكثر من غيرها ، وما اكثر ما نطالع في الصحف من انباء دمارها وخسارتها . ففي هولندا مثلا طغى البحر في الخمسينيات فقتل نحو ١٨٣٥ شخصا وشرد ٧٢ الف شخص ودمر اكثر من ٣٠٠٠ منزل واصيب اكثر من ٤٥ الف منزل آخر باضرار ، وشمل الفيضان مساحة قدرها ٦٢٥ ميلا مربعا اى نحو ٩٪ من الاراضى الزراعية هناك ونحو ٣٪ من اراضي المراعى ومنتجات الالبان ، وهلك اكثر من ربع مليون من الماشية والطيور . وكانت قيمة هذه الخسارة التي لحقت بهولندا آنذاك حوالي ١٥٠ مليون جنيه استرليني وتلك نكبة كبيرة على اقتصاد بلد صغير .

وعلى الرغم من ان فيضانات البحار شديدة التخريب والدمار الا انها اقل حدوثا من فيضانات الانهار التي تحدث دوما وتكلف كثيرا فالولايات المتحدة تخسر كل عام ما قيمته ٣٠٠ مليون دولار من الفيضانات وفي بعض السنين تربو على البليون (الف مليون) .

وفي ايطاليا قبل ثلاثة اعوام طغت مياه نهر البو فاغرقت مدن سهل لمبارديا وحولت مدنا مثل فلورنسا التاريخية الى مدن عائمة واتلفت الكثير من آثارها وهرعت دول العالم لمد يد العون والمساعدة لتخفيف وقع المصيبة عليها .

وترجع بعض اسباب الفيضانات اما الى زيادة في الامطار عن معدلها او الى تغير مفاجيء في الطقس وميل الى الدفء فيذوب الجليد بسرعة لا تتحملها طاقة التصريف النهرى او قد تتصدع السدود النهرية او ارتفاع في قيعان الانهار من تراكم الارساب . ولذلك تواظب الدول على قياس قيعان الانهار والكشف على السدود والخزانات واقامة الكثير منها اتقاء لشرور الفيضانات .

الجو الطبيعي ، والجو المعدّل

ان ما سبق الكلام عنه كان عن بعض مظاهر الجو الطبيعية التي تنشأ دون ان يكون للانسان دخل فيها . ولكن هناك عناصر جوية يلعب فيها الانسان والطبيعة معا ، او كل على انفراد ، دورا بارزا ومحسوسا فيها وهي اليوم باتت تؤثر على الحياة في هذا الكون . ونطلق على هذا الجو الذى للانسان دور فيه بالجو المعدل تمييزا له عن الجو الطبيعي . وتعديل الجو يشمل ما يطلقه الانسان من ملوثات تؤثر كثيرا على مظاهر الطقس والمناخ وغيرها من مظاهر الطبيعة ولذلك لا بد من التعرض لتلوث الهواء حين الحديث عن المظاهر الجوية .

تلوث الهواء Air pollution

ان التلوث هو بعض مشكلات القرن العشرين الهامة ونتاج التقدم التكنولوجي والحضارى . وكان من آثاره الخطرة ان تغير المناخ والطقس في كثير من مناطق العالم وغدت مدنا ومناطق صناعية

المجاري

قصة بقلم : فاضل السباعي

■ عرفتُ في نفسي ، قبل أن انضمَّ الى « مؤسسة الانشاءات البديعة » ، فضيلةً يجدر بكل مواطن طيب أن يشدَّ على يدي مهنئا بها في زمن قل فيه المخلص الدؤوب ، تلك الفضيلة اني ما عُهِدَ اليَّ بعمل الا انجزته على احسن وجه ، واكمله ، واوفاه ! بل اني لأتطوع للقيام بالعمل النافع بوازع من ضميري وحسب ، وان من اسعد اللحظات عندي ان ادفع بقدمي ، فيما انا اسير على رصيف ، قشرة موز فأُنحّيها جانبا ، ثم اخاطب نفسي قائلا : « الآن أُحس اني في وضع نفسيٍّ افضل ، فقد جنّبت كائنا من ان يدوسها فتزل قدمه ويحل به أذى ! » ، ثم اغفو ، في ليلتي ، قرير العين .

اني لاعرف في نفسي هذه الفضيلة جيدا ، وفضائل اخرى لا مجال لذكرها . . .

ولكني ، الى ذلك ، بَلَوْتُ من رؤسائي في العمل ، وجميع اهل الكلمة النافذة في المؤسسة ، امرا آخر لا احسد عليه ، ذلك انهم لا يقدّرون كفاءتي ومهارتي حق قدرهما ، بل اني ، بدل المكافأة ألقاها منهم على عمل طيب اديّته ، احظى باساءة على نحو ما !! والحق ، اني ما كنت لارتجي ، في انجازي الأعمال الصالحة ، نفعاً من احد ، او حتى مجرد كلمة شكر صغيرة . . . ولئن كان اصدقائي من الطيبين ، الذين هم واياي في درجة واحدة من « السلّم الاجتماعي » ، قد كنّوني ، لمهارتي ، بـ « ابي ماهر » (على الرغم من اني غير متزوج ، ولا يُتوقّع لي الزواج مع راتبيالضئيل !) ، فهم قد اطلقوا عليَّ ، ايضا ، كنيةً اخرى لا تقلّ عنها صدقا : « ابو الحظوظ السود » ! وكثيرا ما سمعتهميتهامسون : «صديقنا ابو ماهر انسان طيب ، الا انه يحتاج الى شيء من الدهاء ! » .

فاما الدهاء ، فهل ثمة من يدلني على صيدلية اشتريه منها ! واما « الحظوظ السود » ، فقد كان في جعبة ايامي معينٌ منها لا ينضب . وكيف لا ، وقد وقع لي ـ وانا ادرج ذات صباح على ارض مؤسستنا الفسيحة الارجاء ـ ان برز امامي ، فجأة ، رئيسي المباشر (وهو برتبة « رئيس ورشة ») خارجاً لتوه من المبنى الرئيسي ، وقد شاعت اللهفة في عينيه ، فيما انا اتقدّم رفاقي ، متنشطا ، الى حيث نبدأ عمل النهار ، فيلقاني وجها لوجه ، ويهتف كمن وقع على ضالته :

ـ انت هنا ، يا مراقب « زاهي » ؟ .

وسرعان ما تسمرت في مكاني ، مؤدّيا له التحية في ادب جم (فان من فضائلي الاخرى ، التي لم يئن اوان ذكرها : احترام الرؤساء احتراما لا حد له !) ، واعلنت بجهارة صوتي :

ـ مُرْني ، سيدي !

وهنا رأيته يُرسل ناظريه الى البعيد ، مرددا :

ـ المجاري ! المجاري !

فصَرَتني ، من سماعي الكلمة يرددها لسان رئيسي مرتين ، رجْفة ! كنا ، في المؤسسة ، على علم بان ثمة خللاً لم يُبالِ احد باصلاحه ، على الرغم من كل انجاز بديع حققناه في مؤسستنا التي تضم المئات من العاملين . ذلك الخلل هو ان « المجاري » ، التي تحمل من داخل المباني ما تحمل من نفايات وقاذورات ومياه مالحة ، تحتاج كل اسبوع او اسبوعين ، الى عملية تفريغ غير مستحبّة ، تستغرق يومين او ثلاثة ، يقوم بها نفر ممن شاء لهم سوء طالعهم ان يقصّروا ، خلال الفترة ، في عملهم ، او يرتكبوا ما يستحقون عليه المؤاخذة ، يقودهم في ذلك « مراقب » في مثل درجتي ، يكون هو الآخر قد اقترف ذنبا ما ! والحق ، اني كنت ، على الدوام ، في مأمن من الوقوع في هذا الشَرَك ، فاني ، منذ انضممت الى المؤسسة ، باختياري ، اؤدي اعمالي بتلك الدقة التي من اجلها كنّاني الزملاء ، بـ « ابي ماهر » !

ـ انسمعني ، يا مراقب زاهي ؟!

صحوت من خواطري :



ــ نعم ، نعم ، سيدي .

ــ اقول : طفحت المجاري !

وكاد لساني يعلن : « ولكني ما قصّرتُ في عملي ، ولا ارتكبت ما أؤاخذ عليه ، منذ وطِئت قدمي مؤسستكم ، يا سيدي ! » ، لولا أن عصمني اتزاني ، فابعدني عن اعلان مثل هذا القول الأخرق ! وهممتُ ــ على النقيض من ذلك ــ بأن اهتف بملء فمي ، على مسمع من رئيسي المباشر ، متجاوباً مع حرصي على تأدية العمل النافع : « اني على استعداد لان أتطوع ، مختاراً ، لنضح المجاري ، يا سيدي ! اندبْني لهذه المهَمّة ، ترَ مبلغ مهارتي في انجازها ! » ... ولكن قلبي ــ ولأعترف بصراحة ــ لم يطاوعني على انتدابي نفسي لهذه المهمة الكريهة ، متذكرا ، في الوقت ذاته ، انتقاد رفاقي لي : « ان ما يُعوِز أبا ماهر ، كي ينال حظه من التقدير ، قليل من الدهاء ! » .

ــ مالك صامتا ؟ أين النخوة التي نعرفها فيك ، يا زاهي ؟ الم تسمع بخبر المجاري التي طفحت ، حتى أوشكت ان ... تغرقنا ؟!!

كانت نخوتي ، هنا ، قد استثيرت على نحو بالغ :

ــ بلى ، يا سيدي . مُرْني أستجبْ . وسوف ترى مبلغ مهارتي وسرعتي في انجاز المهمة !

اعلنت ذلك ، وانا احس سعادة قصوى لنجدتي رئيسي . وزاد من سعادتي اني لمحت بسمة صفيرة تفتر عن اسنانه البيض .

ــ ينتظرك ، هنالك ، عشرة انفار ، مع كامل معدات النضح . قدْهُم الى حيث يعملون تحت اشرافك . كم يوما تستغرق العملية ، في رأيك ؟

ــ يومان ، يا سيدي .

ــ وعلى همتك التي نعرف ؟

ــ يوم واحد !

كان زملائي قد خلّفوني وراءهم ، دون ان يفوتهم أن يتلفتوا الى حيث وقفت متسمرا بازاء رئيسي ورشتنا ، وهم يطلقون ضحكات صفيرة . ولعل مسامعهم المرهفةقد تلقطت كلمة «المجاري» ، على النحو الذي انطلقت فيه من فم رئيسنا المباشر ، فاسرعوا ينشدون النجاة ، وقد أدركوا اني وقعت في شَرَكٍ نصبته لي ــ دونهم ــ حظوظي التي يعرفون ! طيب ، يقولون : الدهاء ! وماذا في وُسْع الدهاء أن يفعل ؟! أيمكنه أن يَحُول ما بين رئيسي وبين ان يستوقفني ــ دون غيري ــ فيما انا اُغِذُّ السير الى عملي ، تحت انسام الصباح الندية ؟ فاما رئيسي الهمام ، فليس لي ان اُسقِط عليه لوما ، فانما ساقته هو اليَّ حظوظي السود ! وكيف الوم من هو مسيّر غير مخير ؟! .

★★★

مضيت الى حيث الرجال العشرة . فوجدتهم في هيئات شتىمتنافرة ، الا انه كانت توحدهم ــ وهم في انتظار ان يبدؤوا معي عملا كريها ــ وجوهٌ كالحة ، ونظرات قاسية اخذوا يقدحونني بها ، كما لو انني انا الذي ملا لهم المجاري من فضلات تخصه ! والى جوارهم « عدة الشغل » : صفائح صدئة ، وزنابيل مطاطية سود ، ورفوش .

القيت عليهم تحية الصباح ، بصوت اجتهدتُ ان اجعله رقيقا بالغ الرقة ... وكيف يمكنني ، بالله ، ان أقود ، بغير اللين ، هذه العناصر المجهولة لدى ، والتي جمع شملها هنا تقصيرُها ومخالفتها للنظام ، واسوقها الى اداء هذه المهمة غير النظيفة ؟! .

وبدا ان رقة صوتي لم تجْدِ معهم فتيلا ، ذلك ان شفة واحدة لم تنفرج عن رد على تحيتي . ولكن ما لبث أن تقدم مني احدهم ــ وكان قصيرا ، نحيفا ، افطس الانف ، وقد تابط احدى تلك الصفائح ــ فادى التحية بأيسر السبل ، وقدم نفسه باسم « تيسير الزمْخْلْ » ، واضعا «خبرته» تحت تصرفي ! وماذا كانت خبرته ؟ لقد دأب على نضح المجاري، مرات ومرات ! ورفاقه ، من خلفه،

ما زالوا يرشقونني بنظراتهم القاسية ! .

وفكرت على نحو جاد : لســوف ألقنهم ، اليوم،درسا ، في حسن معاملة الرئيس لمرؤوسيه، لم يتعوّدوه ! .

ندّ عنهم صوت :

ـ سيدي ، هل أنت معاقَب !؟ .

فرد آخر ، نيابة عني :

ـ طبعا ! طبعا !

ـ وماذا ارتكبتَ من سيئات ، يا سيدي ؟! .

فاضطررت لأن أدافع عن سمعتي :

ـ انا غير معاقب ، يا اخوتي . ولكن ... لأن مراقبا لم يرتكب ، هذه المرة ، ما يستحق عليه المؤاخذة ، فقد عهدوا اليّ بالمهمة تكليفا .

ثم اني اصطحبت زميلهم ذا الخبرة ، ميمما وجهي شطر المجاري ! .

تعيّن عليّ أن أكشف باديء ذي بدء ، كشفا « ميدانيا » ، على تلك التي أمست معضـلة المعضلات في مؤسستنا . فان من عادتي أن أدرس الموضوع ، أي موضوع ، دراسة عميقة ، وأقلّبه على وجوهه كلهـا ، كي اتعرف على ما فيـه من محاسن ومزايا ، ومن مثالب وثغرات ، البارز منها والخفي !! حتى اذا تم لي أن أسبر أغوار المسألة، سمحت لنفسي بأن أخطط للعمل ، ثم أبدأ عملية التنفيذ ... والا ، فلماذا كنوني بأبي ماهر ؟! .

قمت بجولة على المجارى ، متتبعا اياها حتى مصبّها الاخير في « الجورة الفنية » ! والرائحـة الخبيثة ، في ذلك ، تزكم أنفي . ومرافقي «التيسير الزمك» ، ما يفتأ يهيب بي ، وهو يوسع خطاه الى جوارى مبهور الانفاس :

ـ لماذا تتعب نفسك ، وتتعبني ؟ بمثل هـذه ننضح المجارى ، عادة ، يا سيدى !!

وينقر على الصفيحة تحت ابطه .

بدا قسم من المجارى مكشوفا ، فهو أشبهُ بمجرى ساقية ، ليس بينهما من خلاف الا في نوع المياه التي تسيل في كل منهما ؟ ولكن القسم الأكبر من المجارى ، ذاك الذى يلي القسم المكشوف ويوصل بالمباني ، كان مغطى بعوارض حجرية . وكان ثمة ، في موضع اتصال القسمين ، فيضٌ من القاذورات السائلة قد أحدثَ ما يشبـه بحيرةً غمرت مساحةً من الارض ذات اتساع !

عاينت ذلك كله بنفسي ، ومرافقي يشدى اليّ نصحه بصبر نافد :

ـ ان مهمتنا ، يا سيدى ، أن ننضح هذه المياه بالصفائح ، ونحملها على أكتافنا الى الجورة ، يا سيدى !

ورأيتني اقدح زناد فكرى : لماذا تتجمع المياه، في هذه الموضع ، حتى يتوجب نضحها بالصفائح على الأكتاف ، كل حين ؟ ان الخلل كامن هنـا ، لا ريب . واما المجرى من البحيرة الى الجورة الفنية ، فقد تراكمت فيـه الأتربـة والفضلات الجافة ، حتى استوى قاعه مع حوافيه ، أو يكـاد !

« وجدتها ! » ... اطلقتها بيني وبين نفسي .

ثم دعوت الرجال اليّ ، مقترحا عليهم ان نشرع، اولا ، في تعزيل المجرى الذى طال هجره .

اعترض أحدهم :

ـ لا تعذّبنا ، سيدى ، الله لا يعذّبك !

كانت نبرته حادّة ، رغم ما فيها من توسل .

واضاف آخر :

ـ بحسبنا ما ننال من رؤسائنا !

اندفعت اعلن بحرارة :

ـ لسوف أجنبكم القيام بهذا العمل الكريه ، الى الأبد !

اعتصموا بالصمت ، لحظة ، كما لـو انهم بوغتوا . ثم تعالت اصواتهم تسأل :

ـ كيف ، سيدى ؟ .. كيف ؟ .. كيف ؟ ..

تابعت :

ـ لسوف نقوم باصلاح المجرى ، نعزّل هذا القسم الصغير المكشوف ، كي نتيح للمياه ان تجرى فيه بالراحة !

ارسلوا أبصارهم الى حيث أشرت . أمعنوا النظر مليئا ... ثم ما لبثوا حتى أطلقوا صيحات الاستحسان :

ـ هي .. ي .. يه ! هيه ! هيه ! الله يعمر بيتك ... الله يخليك ...

واما « الزمك » ، فقد عبّر عن عميق اعجابه بكلمتين تمتمتْ بهما شفتاه ، بعد أن ساد صمت :

ـ المراقب يفكر !

اوفدت أحدهم ، الى رئيس الورشة ليأتينا بما نحتاج اليه من معاول ومجارف . خلعت ، في ذلك، سترتي ، وثنيت بحذائي والجوربين ، مشمّرا بنطالي عن ساقيّ ... فاذا انا في حال تدعو الاحبة الى الرثاء ، والأعداء ـ ان كان لي أعداء ـ الى الضحك الشامت !

اخذت معولا ، ونزلت به الى المجرى ، مما يلي الجورة الفنية . كانت الروائح قد سكنت في خياشيمي وصدري ، فلم اعد استشعر بها .

اهويت بمعولي على المتراكم من الاتربة دون هوادة ، حريصا على الا اوعز للرجال بالبدء في العمل . ولكني ، اذ تناولت رفشا لانحي به التراب بعيدا ، وجدتهم — جميعا — وزنودهم المفتولة ترتفع الى اعلى لتنهال ، بالعزم كله ، على الاتربة والفضلات التي تراكمت بكرّ الايام ، وربما بفعل السنين .

لم يكن حمل المعول ، يوما ، من مهنتي . ولكني احسست لذة فائقة ، وانا اقود هؤلاء التعساء ، في هذه العملية ، التي ستؤدى الى حل المعضلة التي استعصت ، واضعةً حدا لعذابهم . ونسيتُ تواضعي ، وانا ارى اليهم وهم يعملون بجد ، وتساءلت : ترى كيف ان احدا من رؤساء الورشات ، من مديرى الاقسام ، والمشرف العام نفسه ، لم يفطن الى سرّ الخلل ، حين فطنت اليه — انا المستضعف — بمجرد معاينتي لجسم المعضلة على ارض الواقع ؟ .. ام اني في حلم ؟ .. عجبا !!

وازدردنا ، في الظهيرة ، غداءنا على عجل ، يحدو بنا الامل الاكبر في ان نرى سعينا وقد تكلل بالنجاح . كنا قد فرغنا من تعزيل المجرى ، ما بين البحيرة والمصب ، عدا موضع صغير منه بطول ذراع . وها نحن ، الآن ، نعمل فيه بهمة لا نظير لها . وقصُر الذراع ، وضاق ، حتى امسى جدارا رقيقا من تراب هشّ ... واذا المياه المالحة تندفع ، فتجرفه ، متدفقةً في المجرى ، منحدرة باتجاه الجورة الفنية ، ما بين تصفيق الرجال ، وهرجهم ، وتهليلهم .

وانحسرتْ ، في لحظات ، المياه الآسنة ، مخلفة طبقةً طينية لزجة ، وجيوبا من الماء هنا وهناك .

كان « الزملك » اسرعهم مبادرة الى العمل (بعد النصح الذى اسدى اليّ) . ثم بدا اكثرَهم افتتانا بما انجزنا . وهكذا رأيته يحضهم ، وهو يختطف صفيحته :

— هيّا ، يا رجال، لننضح بسرعة هذه الجيوب !

وبان لنا المجرى ، الذى طال انغماره ، مثلومَ الجانبين . فجئنا باسمنت فرممناه . ولم يفتنا ان نزيل منه الطين اللازب ، وان نغطي قاعه بفراش من الحصى .

لم يكن ليخطر على بالي يوما ، أن أُعامَل كزعيم . ولكنهم اصرّوا على ان يرفعوني على الاكتاف ، تلك التي جنّبتها حمل الصفائح المترعة بالماء المالح ...

و « الزملك » يهتف :

— عاش المراقب زاهي !

والرجال يرددون :

— عاش ، عاش ، عاش ...

— عاش من يفكر !

— عاش ، عاش ، عاش ...

حسبتني ، وانا استمع الى الهتاف تبحّ به الحناجر ، اني الوحيد في مؤسسة الانشاءات البديعة الذى يفكر ، مستجيبا ، في ذلك ، لغرور طائش ماج في صدرى ، فانساني حظي العاثر واهلَ الكلمة النافذة جميعا ... حتى اني وجدتني مندفعا لان اقف فيهم خطيبا ، فنزلت عن الاكتاف ، واتخذت موقفا لي حافةَ المجرى ، ورفعتُ عقيرتي اخطب فاقول بان على المواطن الصالح ان يعمل بجدّ ، وان يفكر بصمت ، وان ...

— اعملوا المعروف ، يا رجال ، وارموه في عرض البحر ، ولا تتوقعوا ان تنالوا الخير ، شبرا بشبر ، على صنيعكم . كونوا اكفاء مهرة * وليكن رائدكم خدمة وطنكم المفدى ، وامتكم الحبيبة ، والانسانية جمعاء . واياكم ان تتعالوا على عمل مهما صغر . آن يتنحّىَ احدكم ، جانبا ، قشرةَ موز من طريق السابلة ، فيقيهم من الزلل ، ذلك ما يجعله ينام في ليله قرير العين ! ...

★ ★ ★

فكرت ، وانا عائد الى رئيس ورشتي : لقد كسبت انتصارا جددا .

ولكن قلقا ساورني ، فجاة : أاكون قد ارتكبت خطا في تنفيذ المهمة ؟ بماذا امرني رئيسي ؟ آه ، انه لم يطلب مني ان « احل المعضلة حلا جذريا » ! ما كلفني به أن انضح المجاري ، ان أُشرف على الرجال العشرة وهم يقومون بنضحها !

وانتابني غم عظيم ، فالويت على نفسي مقرّعا : ايها الغبي ، الذى يحسب نفسه فهيما ! ايعقل أن يتفتق فكرك القاصر عن حلّ غفل عنه رؤساؤك ، بغزير علمهم وثاقب بصرهم ؟! لابد انهم قد تعمدوا احداث الخلل في المجاري ، او لعله قد وقع من تلقاء نفسه، فاتخذوه وسيلةً ناجعة لمعاقبة المهملين واعداء النظام !

وقفت امام رئيسي ، وقد استبدّ بي الجزع .

ما زالوا يرشقونني بنظراتهم القاسية ! .

وفكرت على نحو جاد : لسوف ألقنهم ، اليوم، درسا ، في حسن معاملة الرئيس لمرؤوسيه، لم يتعوّدوه ! .

ندّ عنهم صوت :

ـ سيدي ، هل انت معاقب !؟ .

فرد آخر ، نيابة عني :

ـ طبعا ! طبعا !

ـ وماذا ارتكبتَ من سيئات ، يا سيدي ؟! .

فاضطررت لان ادافع عن سمعتي :

ـ انا غير معاقب ، يا اخوتي . ولكن ... لان مراقبا لم يرتكب ، هذه المرة ، ما يستحق عليه المؤاخذة ، فقد عهدوا اليّ بالمهمة تكليفا .

ثم اني اصطحبت زميلهم ذا الخبرة ، ميمما وجهي شطر المجاري ! .

تعيّن عليّ أن اكشف باديء ذي بدء ، كشفا « ميدانيا » ، على تلك التي أمست معضلة المعضلات في مؤسستنا . فان من عادتي أن ادرس الموضوع ، أي موضوع ، دراسة عميقة ، وأقلّبه على وجوهه كلها ، كي أتعرف على ما فيه من محاسن ومزايا ، ومن مثالب وثغرات ، البارز منها والخفي !! حتى اذا تم لي أن أسبر أغوار المسالة، سمحت لنفسي بأن أخطط للعمل ، ثم ابدأ عملية التنفيذ ... والا ، فلماذا كنوني بأبي ماهر ؟! .

قمت بجولة على المجاري ، متتبعا اياها حتى مصبّها الاخير في « الجورة الفنية » ! والرائحة الخبيثة ، في ذلك ، تزكم أنفي . ومرافقي «تيسير الزملك» ، ما يفتأ يهيب بي ، وهو يوسع خطاه الى جواري مبهور الأنفاس :

ـ لماذا تتعب نفسك ، وتتعبني ؟ بمثل هذه تنضح المجاري ، عادة ، يا سيدى !!

وينقر على الصفيحة تحت ابطه .

بدا قسم من المجاري مكشوفا ، فهو أشبهُ بمجرى ساقية ، ليس بينهما من خلاف الا في نوع المياه التى تسيل في كل منهما ؟ ولكن القسم الاكبر من المجارى ، ذاك الذى يلي القسم المكشوف ويوصل بالمباني ، كان مغطى بعوارض حجرية . وكان ثمة ، في موضع اتصال القسمين ، فيضٌ من القاذورات السائلة قد أحدثَ ما يشبه بحيرةً غمرت مساحةً من الأرض ذات اتساع !

عاينت ذلك كله بنفسي ، ومرافقي يسدى اليّ نصحه بصبر نافد :

ـ ان مهمتنا ، يا سيدى ، أن ننضح هذه المياه بالصفائح ، ونحملها على اكتافنا الى الجورة ، يا سيدى !

ورايتني أقدح زناد فكري : لماذا تتجمع المياه، في هذه الموضع ، حتى يتوجب نضحها بالصفائح على الاكتاف ، كل حين ؟ ان الخلل كامن هنا ، لا ريب . واما المجرى من البحيرة الى الجورة الفنية ، فقد تراكمت فيه الأتربة والفضلات الجافة ، حتى استوى قاعه مع حوافيه ، أو يكاد !

« وجدتها ! » ... اطلقتها بيني وبين نفسي .

ثم دعوت الرجال اليّ ، مقترحا عليهم ان نشرع، اولا ، في تعزيل المجرى الذى طال هجره .

اعترض أحدهم :

ـ لا تعذّبنا ، سيدى ، الله لا يعذّبك !

كانت نبرته حادّة ، رغم ما فيها من توسل .

واضاف آخر :

ـ يحسبنا ما ننال من رؤسائنا !

اندفعت أعلن بحرارة :

ـ لسوف اجنبكم القيام بهذا العمل الكريه ، الى الأبد !

اعتصموا بالصمت ، لحظة ، كما لو أنهم بوغتوا . ثم تعالت أصواتهم تسأل :

ـ كيف ، سيدى ؟ .. كيف ؟ .. كيف ؟ ..

تابعت :

ـ لسوف نقوم باصلاح المجرى ، نعزّل هذا القسم الصغير المكشوف ، كي نتيح للمياه ان تجرى فيه بالراحة !

ارسلوا أبصارهم الى حيث أشرت . امعنوا النظر مليا ... ثم ما لبثوا حتى أطلقوا صيحات الاستحسان :

ـ هي .. ي .. يه ! هيه ! هيه ! الله يعمر بيتك ... الله يخليك ...

واما « الزملك » ، فقد عبّر عن عميق اعجابه بكلمتين تمتمتْ بهما شفتاه ، بعد أن ساد صمت :

ـ المراقب يفكر !

اوفدت احدهم ، الى رئيس الورشة ليأتينا بما نحتاج اليه من معاول ومجارف . خلعت ، في ذلك، سترتي ، وثنيت بحذائي والجوربين ، مشمّرا بنطالي عن ساقيّ ... فاذا أنا في حال تدعو الأحبة الى الرثاء ، والأعداء ـ ان كان لي أعداء ـ الى الضحك الشامت !

اخذت معولا ، ونزلت به الى المجرى ، مما يلي الجورة الفنية . كانت الروائح قد سكنت في خياشيمي وصدري ، فلم أعد أستشعر بها .

اهويت بمعولي على المتراكم من الاتربة دون هوادة ، حريصا على الا أوعز للرجال بالبدء في العمل . ولكني ، اذ تناولت رفشا لانحي بهالتراب بعيدا ، وجدتهم — جميعا — وزنودهم المفتولة ترتفع الى أعلى لتنهال ، بالعزم كله ، على الأتربة والفضلات التي تراكمت بكرّ الأيام ، وربما بفعل السنين .

لم يكن حمل المعول ، يوما ، من مهنتي . ولكني احسست لذة فائقة ، وانا اقود هؤلاء التعساء ، في هذه العملية ، التي ستؤدى الى حل المعضلة التي استعصت ، واضحةً حدا لعذابهم . ونسيتُ تواضعي ، وانا ارى اليهم وهم يعملون بجد ، وتساءلت: ترى كيف ان احدا من رؤساء الورشات، من مديرى الاقسام ، والمشرف العام نفسه ، لم يفطن الى سرّ الخلل ، حين فطنت اليه — انا المستضعف — بمجرد معاينتي لجسم المعضلة على ارض الواقع ؟ .. ام اني في حلم ؟ .. عجبا !!

وازدردنا ، في الظهيرة ، غداءنا على عجل ، يحدو بنا الامل الاكبر في أن نرى سعينا وقد تكلل بالنجاح . كنا قد فرغنا من تعزيل المجرى ، ما بين البحيرة والمصب ، عدا موضع صغير منه بطول ذراع . وها نحن ، الآن ، نعمل فيه بهمة لا نظير لها . وقصُر الذراع ، وضاق ، حتى امسى جدارا رقيقا من تراب هشٍ ... واذا المياه المالحة تندفع ، فتجرفه ، متدفقةً في المجرى ، منحدرة باتجاه الجورة الفنية ، ما بين تصفيق الرجال ، وهرجهم ، وتهليلهم .

وانحسرتْ ، في لحظات ، المياه الآسنة، مخلفة طبقةً طينية لزجة ، وجيوبا من الماء هنا وهناك .

كان « الزمك » اسرعهم مبادرة الى العمل (بعد النصح الذى اسدى اليّ) . ثم بدا اكثرَهم افتتانا بما انجزنا . وهكذا رايته يحضهم ، وهو يختطف صفيحته :

— هيّا ، يا رجال، لننضح بسرعة هذهالجيوب !

وبان لنا المجرى ، الذى طال انغماره ، مثلومَ الجانبين . فجئنا باسمنت فرممناه . ولم يفتنا ان نزيل منه الطين اللازب ، وان نغطي قاعه بفراش من الحصى .

لم يكن ليخطر على بالي يوما ، أن أعامَل كزعيم . ولكنهم اصرّوا على أن يرفعوني على الاكتاف ، تلك التي جنبّتها حمل الصفائح المترعة بالماء المالح ...

و « الزمك » يهتف :

— عاش المراقب زاهي !

والرجال يرددون :

— عاش ، عاش ، عاش ...

— عاش من يفكر !

— عاش ، عاش ، عاش ...

حسبتني ، وانا استمع الى الهتاف تنبحّ به الحناجر ، اني الوحيد في مؤسسة الانشاءات البديعة الذى يفكر ؛ مستجيبا ، في ذلك ، لغرور طائش ماج في صدرى، فاتساني حقي العاثر واهلَ الكلمة النافذة جميعا... حتى اني وجدتني مندفعا لان اقف فيهم خطيبا ، فنزلت عن الاكتاف ، واتخذت موقفا لي حافةَ المجرى ، ورفعتُ عقيرتي اخطب فاقول بان على المواطن الصالح ان يعمل بجدٍ ، وان يفكر بصمت ، وان ...

— اعملوا المعروف ، يا رجال ، وارموه في عرض البحر ، ولا تتوقعوا ان تنالوا الخير ، شبرا بشبر ، على صنيعكم . كونوا اكفاء مهرة * وليكن رائدكم خدمة وطنكم المفدى ، وامتكم الحبيبة ، والانسانية جمعاء . واياكم ان تتعالوا على عمل مهما صغر . آن يتنحّيَ احدكم ، جانبا ، قشرةَ موز من طريق السابلة ، فيقيهم من الزلل ، ذلك ما يجعله ينام في ليله قرير العين ! ...

★ ★ ★

فكرت ، وانا عائد الى رئيس ورشتي : لقد كسبت انتصارا جدا .

ولكن قلقا ساورني ، فجاة : اأكون قد ارتكبت خطأ في تنفيذ المهمة ؟ بماذا امرني رئيسي ؟ آه ، انه لم يطلب مني ان « احل المعضلة حلا جذريا » ! ما كلفني به ان انضح المجارى ، ان أشرف على الرجال العشرة وهم يقومون بنضحها !

وانتابني غم عظيم ، فالويت على نفسي مقرّعا : ايها الغبي ، الذى يحسب نفسه فهيما ! أيعقل ان يتفتق فكرك القاصر عن حلٍ غفل عنه رؤساؤك ، بغزير علمهم وثاقب بصرهم ؟! لابد انهم قد تعمدوا احداث الخلل في المجارى ، او لعله قد وقع من تلقاء نفسه، فاتخذوه وسيلةً ناجعة لمعاقبة المهملين واعداء النظام !

وقفت امام رئيسي ، وقد استبدّ بي الجزع .

وابلغته ، بصوت احسسته يرتجف :

ـ قد انجزت المهمة ، يا سيدى !

تهلل وجهه بشرا ، وأومأ لي بالجلوس .

ـ يوم واحد ، اذن . ذلك ما توقعته منذ اوكلتُ اليك المهمة .

وتلعثم لساني :

ـ ولكني ، يا سيدى، قد ... حللت المعضلة ! لن تسمع شكوى عن المجارى ، بعد اليوم !

وقيَّدتُ ناظرى في قلب عينيه .

فتساءل :

ـ كيف ؟!

ـ اعني ... لن تطفح المجارى ، متحدثة بحرة ، بعد اليوم . لسوف تتابع القاذورات والفضلات سيرها بالراحة، حتى تستقر في الجورة الفنية ، يا سيدى ! (انه يتفرس في وجهي مشدوها) الواقع انى درست الموضوع بعناية ، فوُفقتُ بذكائي المحدود الى ان اكتشف الخلل ، وأن احله ، نعم ، ان أحله حلا جذريا ... فعادت المجارى سالكة ، كما ينبغي ، يا سيدى !

هتف :

ـ أنت أصلحتها ؟!

لم أتبيَّن ما اذا كان هتافه من فرح أو من غضب . تفاضيت :

ـ نعم ، سيدى ... وما تحتاج اليه ، منذ اليوم ، ملاحظة دائبة ، لتعزيل ما قد يترسَّب في قاعها من أوحال وفضلات كثيفة !

اشرقت ، هنا ، في عينيه فرحة زاهية :

ـ أانت واثق مما تحدثني به ، يا مراقب زاهي ؟

استطردت فرحا :

ـ تفتيش من اني ماثل بين يديك ، يا سيدى .

فاندفع نحوى ، حتى لقد حسبته يبغي معانقتي :

ـ هيا الى المجارى !

ـ هيا اليها !

لم ارابته ، في اقترابه مني ، يزمُّ شفتيه ، آخذا في ذلك تنفسا صغيرا ، فنفسا آخر : بدا ان بقايا الرائحة التي لم يزلها الصابون من اطراف ، قد زكمت انفه !

كان الرجال العشرة قد تفرقوا ، عدا «الزملك» الذى وجدته ، هناك ، يملأني النظر من المجارى في سويعة الاصيل ، ولا تكاد تشبع عيناه .

اخذت اشرح لرئيسي اى انجاز حققت ، انا والانفار العشرة :

ـ عزلنا هنا ، نابشين الأتربة والفضلات رافعينها بالزنابيل . وتركنا ، هنا ذراعا ، ثم زحفنا عبره ، شيئا فشيئا ، نحو المياه المتجمعة ، فتدفقت مثل شلال صغير . هلَّل الرجال فرحين ، حتى لقد حملوني ...

ندمت على وصفي ما اعترى الرجال من فرح . ذلك ما قد يلفتُ رئيسي الى أن وسيلة العقاب قد زالت !

ـ اين كنت مختبئا ، قبل اليوم ، يا مراقب زاهي ؟

اجبته بأدبي الذى فطرت عليه :

ـ تحت الأنظار ، سيدى .

ـ ان واجبي ، كرئيس لك ، يحتم عليَّ أن انقل خبر انجازك الرائع الى « مدير القسم » . هيا اتبعني .

تبعته ، متخلفا عنه خطوة كاملة .

فكرت : ان نجمي بدأ يصعد . هوذا رئيس من رؤسائي يقدِّر انجازا حققته بمهارتي . وما شككت في انى سأنال « ثناء » رسميا ، مع مكافأة مادية مجزية تحلُّ لي جانبا من مشكلات حياتي .

دخل مكتبُ رئيس القسم . ولبثتُ في الباب انتظر . فلما دعيت ، ألقيت التحية بأدب بالغ ، بينما كان رئيسي يهيب بي بصوت فخور ، وهو مطمئنُّ في مقعده :

ـ هيا ، يا مراقب زاهي ، فحدث السيد المدير عن انجازك الرائع !

لم يومىء لي مدير القسم بالجلوس . وكيف يفعل وهو رئيس لي اعلى ؟

طفقت اشرح دقائق صنيعي ، وانا احس زهوا عظيما يتنامى في صدرى :

ـ ... ولم يفتني ، يا سيدى ، ان افرش القاع اللازب بالحصى، وان ارمّم الجوانب المثلومة بالاسمنت !

هتف مدير القسم :

طفقت اشرح دقائق صنيعي ، وانا احسُّ زهوا أعتقد انك مستحق ... (وامسك عن الكلام) هيا الى « المشرف العام » ، نقصُّ عليه ما حققتَ من انجاز !

استحقُّ ؟ وماذا تراني أستحق ؟ ترفيعا استثنائيا ، لا ريب ، ورايته ، في اقترابه مني ، يلوى شفتيه ، منقبضَ الوجه ! ولكنها رائحة دخيلة عليَّ . انها رائحة العمل. انا انسان يتحلى

بفضيلة النظافة .

تخلفت ، عن المدير والرئيس ، خطوتين اثنتين . ان رائحتي ، الآن ، تزكم الانوف ، التي أعملتُ اليوم فكري نيابةً عنها . ولكني لن أدع رائحةً ما ، شيئا ما ، ينال من عظيم فرحتي . أيتها الحظوظ السود ، اغربي من سماء حياتي! وأنت أيها الحظ السعيد ، الا فافتح لي صفحة في مستقبل بسّام ، وأتح لي من العيش رغدا . كيف سمحتُ للاصدقاء بان يكنّوني بـ «أبي الحظوظ السود » ؟

دلف الرئيسان الى مكتب « المشرف العام » . كلمتان صغيرتان ، تنفرج عنهما شفتاه : «الترفيع الاستثنائي » ، كفيلتان بان تغيّرا مجرى حياتي . انا « أبو ماهر » وحسب . لسوف اتزوج هذا العام . انه عام خير ، ساطلق عليه «عام المجاري» . كان انتفاضةً مباركة انجازي العظيم في المجاري المهجورة . أجل ، لابد للموهبة النادرة من أن تكتحل بالنور ، يوما ، مهما طال انحجابها تحت التراب !

رن الجرس فوق الباب . دخل الآذن . عاد . انه يسألني :

ـ أنت المراقب زاهي ؟

ـ نعم .

ـ تفضل .

القيت التحية على مشرفنا العام ، بأدب جمّ . ووقفت بحذاء المدير والرئيس كصنم ، ولكني حاذَرْتُ ان ازداد اقترابا منهما !

اهاب بي مدير القسم بفخار :

ـ هيا ، يا مراقب زاهي ، فحدث السيد المشرف العام عن انجازك الرائع !

اني على استعداد لان احدث الناس، كل الناس، بالذى أبدعته في يومي ، فما بالكم بالمشرف العام لمؤسسة الانشاءات البديعة ؟

كان شرحي لرئيسيَّ المباشرَيْن ، قد أمدّني بفصاحة لم أكن أعرف في نفسي أني مالك زمامها . اخذت أفيض ، على الرغم مما أرى من انشغال السيد المشرف العام بما امامه على المكتب من « بريد » ... ولكن أسكتني ، فجاة ، أن جرس الهاتف ، الى يمينه ، قد علا بالرنين .

عاودتُ شرحي ، ولكن كان قد نال من حماستي رنين الهاتف ، الذي ـ ها هو ذا ـ يرن من جديد، مثل مجنون !

واذ عدت الى شرحي ، مستنحا فرصة اصغاء المشرف العام ، وجدتني أستخدم ذراعيَّ في التعبير، ملوّحا بهما يَمنة ويَسرة . ولكن ... يا للرائحة اللعينة التي تلازمني ! لقد أفسدت على المشرف العام اصغاءه الى رائع انجازي : هو ذا وجهه ينقبض !

وانزلق قلبي الى قدميَّ : أما آن لحظي العاثر أن يتخلى عني ؟ أما يزال اسمي ، في اللوح المحفوظ ، « أبا الحظوظ السود » !

رن الهاتف . فاغتنمت الفرصة ، وتراجعت نصف خطوة الى الوراء . وعندما حطّ المشرف العام السماعة من يده الكريمة ، عادت شفتاه الى التواء ، ووجهه الى انقباض : لقد تشمّم ، ثانية، ما حسبتُ اني ابعدت عنه من خبيث الرائحة !

رمى القلم من يده، وهو يتحوّل بناظريه عني :

ـ معنى ذلك اننا لن نحتاج الى نضح المجاري، بعد اليوم !

ردّ الرئيسان بلسان واحد :

ـ نعم ، نعم ، يا سيدي .

فامرني ، وعيناه الى مكتبه :

ـاكتب تقريرا بهذا الخصوص ، وارفعه اليّ بطريق التسلسل. سنوجه اليك « ثناء » رسميا ، ونكلفك بمراقبة مجاري المؤسسة ، اضافة لعملك الاصلي . ان مرافق الدولة بحاجة الى امثالك ، يا بني . شكرا لك . انصرف .

أديت التحية ، بأن رفعت ساعدي بتؤدة ، وانزلته بتؤدة ، مخافة أن ...

وفي انصرافي ، ترامى الى سمعي صوته ، وهو يخاطب الرئيسين ، فيقول :

ـ بات عليكما أن تبحثا ، منذ غد ، عن وسيلة أخرى لمعاقبة المقصرين ... وسيلة تكون ...

وتلاشى الصوت في سمعي .

★ ★ ★

في البيت ، اخذت حماما ساخنا جدا ... فطهّرت جسمي مما علق به من اقذار ؛ ولكني غسلت ، كذلك ، صدري مما شابه من اكدار !

لقد أدركت أني أعمل عقلي خيرا مما يفعل غير واحد من رؤسائي وأهل الكلمة النافذة في عملي . وأما التقدير ، فبحسبي ما لقيت من الرجال المشرة في صادق تكريمهم .

وما همّني ، بعد ذلك ، شيء قط .

وغفوت ، في ليلتي ، قرير العين . ■■

دمشق ـ فاضل السباعي



٣ فتيات من العرب الرحل في ايران بالزي القومي لهن .

العَرَبُ الرُّحَّل فى إِيران

بقلم : جيمز هورجن

أسرة من العرب الرحل داخل المستوطنة الخاصة بهم . لقد بدات حياتهم في التغير



■ بصفتي* من طلاب التاريخ والثقافة العربيـة ادهشني أن أتبين من خـلال الرحلة التي قمت بها أخيرا الى الخليـج وايران ان العالم العربي الذي يقال انه يمتد من المحيط الاطلسي الى الخليـج العربي يمتد في الحقيقة حتى أسفل جبال « كوه كابوس » الايرانية وما وراءهـا بشكل قبائل من البدو الرحّل .

قبائل عربية على الساحل

ويقيم على الساحل الايراني من الخليج عـدد من قبائل عربية في منطقـة اسمها « الشيبكو » ويشتغل اكثرهم في صيد السمك والغوص وتشمل هذه القبائل بني تميم وبني حماد والنصـوري وغيرهم ويتكلمون اللغة العربيـة ومنهم الـذين يعتبرون انفسهم غير منفصلين عن اخوانهم العرب المقيمين في الساحل العربي من الخليج .

قبائل عربية أخرى

ويعيش وراء الشيبكو عدد من رجال القبائل العربية الذين على نقيض اخوانهم المقيمين عـلى الساحل ، انقطعت كل صلة لهم بالعالم العـربي منذ اكثر من خمسمائة سنة الا انهم يحافظـون على الذاتية العربية حتى ولو انهم أصبحوا جزءا من الوطن الايراني .

وهذه القبائل هي الخان جبارة والخان شيباني، ويبلغ عددها ستين الفا تقريبا ويترحل رجالهـا بين منطقة تبريز وداراب من الشمال الى منطقة لاراواجوروم من الجنوب . وبمقتضي العـرف الدارج بينهم جاءوا اصلا من نجد ورحلوا الى بلاد العجم بعد الفتح العربي ودون أن يكون هناك اى علاقة بين الحدثين . ويقول البعض بانهـم



بيوت شعر أسفل الجبل بجوار احدى المستوطنات العربية بالقرب من « رود خور » ان هذه القبائل العربية تحن دائما الى حياة الترحال .

استقروا اولا في عراق العجم لما يزيد على مائـة سنة ولكن اضطروا بسبب تكاثرهم والمجاعة التى حلت بهم الى أن يرحلوا جنوبا الى المنطقة التى يقيمون فيها الآن .

وعلى نقيض العرب الذين وفدوا مع الفتـح العربي وتزاوجوا مع العجم وانتهى بهم الامر الى الانضمام اليهم ، رفضت هاتان القبيلتان التزاوج معهم وحتى وقت قريب لم يكن بينهما وبين السلطات الايرانية اتصالات نظامية .

ويذكر التاريخ قليلا عنهم قبل أواسط القرن التاسع عشر حينما قامت « القوام » ، وهي عائلة كبيرة من التجار في شيراز ، بتكوين اتحاد قبائل الرحّل باسم « الخمسة » وهذا من أجل اقامة توازن مع قبيلة قشقاى التركية القوية ، وحماية تجارتها الى موانيء ايران الجنوبية . وبالاضافة الى العرب يتكون هذا الاتحاد من قبيلة البصري التركية المتأثرة ببعض النفوذ الفرسي والتى يقال

(*) جيمز هورجن Games Horgen هو ، كما جاء في كتابه الى العربي ، مستشرق أمريكي . وقد بدا اهتمامه بأمر عرب الخليج وايران أثناء نزوله في الظهران مع شركة النفط الامريكية العربية بوصفه مؤرخا في قسم البحوث العربية .

انها جاءت من البصرة كما شمل ثلاثة قبائل تركية صغيرة وهي « البهارلو » و « آنارلو » و « ونقرو دلخاني » . وغالبا ما اصطدم الجانبان على حقوق رعي الماشية واستخدام الطرق الترحلية وكنتيجة لذلك تدخلت السلطات الايرانية في عدة مناسبات حفاظا على النظام .

قبائل لا تقبل الاستقرار

وفي اواخر القرن التاسع عشر ذكر لورد كوزن وهو سياسي انجليزي مشهور، ان القبائل العربية هي الوحيدة من بين قبائل ايران التي لا تظهر رغبة في الاستقرار . وفي الواقع يمكن ان نلخص التاريخ الحديث لهؤلاء العرب من ناحية تقبلهم للمحاولات الايرانية الهادفة الى استقرارهم .

وبصفتهم من الحضر يقيمون في قرى تفلح الارض ويتعاطون التجارة فقد كان الايرانيون دائما يشعرون بقلق من وجود قبائل رحل كبيرة بينهم وعلى الاخص البختياري والقشقاي وقبائل «الخمسة» واعتبروهم كدول داخل الدولة الايرانية وبسبب ذلك حاول شاهات ايران ان يسيطروا عليهم عن طريق التجنيد الاجباري وتسليم اسلحتهم ، ولكن كان النجاح محدودا وكان يأخذ اجراءات قاسية على القبائل . ان رضا شاه وهو والد الشاه الحالي حاول في سنة ١٩٣٤ ان يفكك نظام القبائل عن طريق اسكان اجباري وقتل الشيخ بين العرب وغيرهم من القبائل، ودمر جنود ايرانيون خيامهم ، وفرض عليهم ان يبنوا مساكن غالبا في احياء بدون ماء . وكرد على هذه الاجراءات هرب رجال القبائل الى مناطق جبلية معزولة حيث اقاموا خيامهم في اودية حريزة ولكن بعد تنازل رضا شاه عن العرش في سنة ١٩٤١ اختفت هذه البيوت تماما وعادت القبائل الى ترحلهم التقليدي .

ويأخذ الشاه الحالي موقفا اكثر لينا بالنسبة اليهم وتحت راية الانقلاب الابيض يوزع اراضي معينة تقع في منطقة القبائل الرحلية وهذا عن طريق منصب الشيخ الذي يقدم الى كل اسرة قطعة ارض فيها آبار تختلف مساحتها حسب الخصب بالاضافة الى بذور مجانية واسمدة كما يقدم مساعدات في تسويق المنتجات . يشكل فرق من الشباب المتخرج من الجامعة والتابع لهيئة تنمية مؤلفة من الشباب وسيلة الاتصال الرئيسية بين القبائل العربية وبين الحكومة في تحقيق المشروع .

داخل المستوطنة العربية

وحينما عزمت ان اذهب الى مواطنهم ركبت لوري « شفروليت » مع جماعة من العرب من مدينة تبريز التي تقع في الوسط الجنوبي من ايران وبعد ان صرفنا ثلاثة ساعات في طلوع الجبل وصلنا الى سهل واسع مرتفع اسمه « رودخور » ومررنا بقرى من العجم قبلما ندخل المستوطنة العربية . وكانت البيوت المتناثرة في السهل مبنية من الطين وشكلها مربع وتشمل غرفة او غرفتين وكانت تربط الى حيطان بعض المساكن بيوت شعر سوداء يبقى فيها افراد من الاسرة لم يألفوا حتى الان الحياة داخل الجدران المبنية .

لكل مستوطنة مدرسة بينما تبعد عنها البقالات والمساجد والمقاهي . ويبدو ان لكل اسرة خروفا وتزرع قوتها الخاص وتبقى في حالة الحياة الذاتية التي كانت تتبعها خلال ايام الترحل .

فوائد الحياة الجديدة

هل ان القبائل راضية عن حياتها الجديدة ؟ الجدير بالذكر ان زراعة النبات بالذات ليست ظاهرة جديدة بينهم لانه بالاضافة الى تربية الماشية كانوا يبذرون بذور القمح والشعير وغيرهما من النباتات في منطقة المراعي في فصل الخريف وكانوا يحصدونها بعد عودتهم في فصل الصيف وكذلك كانوا يبذرون القمح في منطقة المراعي الشتوية وكان يبقى واحد منهم كي يحصده ولكن من المفروض الان ان يبقوا في مكان واحد . وفي حديث مع شيوخ

القبائل اكدوا لي ان حياتهم الجديدة افضل على كل من حياتهم القديمة . ولقد زادت كميات طعامهم وتنوعت، كما ان اوضاعهم المنزلية اصبحت انظف وبامكانهم الوصول الى طبيب ومدرسة . ولكن بينما كانوا يروون لي فوائد الحياة الجديدة كانوا ينظرون الى بيوت شعر في اسفل الجبل وكانوا يبدون حنينا الى حياة الترحل وكيف كانوا يضربون في الجبل كما استغرقوا في ذكريات عن مناطق المراعي التي لم يروها منذ سنين عديدة.

وفي هذا الموضوع كانت تشكو احدى العجائز البالغ عمرها ٨٨ سنة ، ان حياتها الجديدة التي تتبعها منذ سبع سنوات لا تؤمن لها التمارين الجسدية الكافية وارادت ان ترحل مدة اخرى الى المنطقة الشتوية بالقرب من جهروم قبل ان تستقر نهائيا .

ويعتبر هذا المشروع وبما فيه ادخال مدرسة المحاولة الاخيرة من جانب الحكومة الايرانية الى ادخال العرب وغيرهم من القبائل في الهيكل الاجتماعي الايراني وتحويلهم الى دافعي ضرائب وخاضعين للتجنيد في الجيش ولكن بعد ان تقنع الحكومة احد رجال القبيلة بفوائد الاسكان لا بد ان تكتسب اخلاصه للقبيلة الذى يتلخص في استخدام لهجة عربية وموالاته لنظام القبيلة وشعوره بالعزة القومية .

لهجة عربية تحتوى على كلمات فارسية

ويتكلم هؤلاء العرب اللغة الفارسية ولكن يتحادثون فيما بينهم بلهجة عربية تتكون من العربية وفيها كلمات كثيرة مستعارة من الفارسية ولا يمكن ان يفهمها عربي او عجمي . وبينما يميز عربي من الخارج انها عربية لا بد ان يستعمل في الحديث لهجة تسمى «كويتي» وهي اللغة العربية الدارجة بين الذين اشتغلوا في الكويت .

ولاء لنظام القبيلة

ويتميز هؤلاء العرب ايضا بموالاتهم لنظام القبيلة وينقسم الخان جبارة والخان شيباني الى اكثر من عشر طوائف تشتمل كل واحدة على عدد تتراوح بين خمسين والف خيمة . ومعظم هذه الطوائف يتبع اسم الاب مثل القبائل العربية ويتكون الخان جبارة من ليو محمدى ، ليوغني ، عبد رضائي ، ليو شرف ، شرى ومنهم « سادات كل » يقال انهم ينحدرون من الامام الحسن ، والقهستاني من قرية اسمها القهستان في نجد . تتكون الخان الشيباني من بني عبد اللهى ، ليو حاجى عبد اليوسفى ، ومنهم التكريتى التى يقال انها جاءت من مكان قريب من بغداد .

وفي منطقة رودخود التي يسكن فيها الخان جبارة تقع هذه الطوائف جنبا الى جنب . وهذه هي الهوية التي تسيّر رجال القبيلة في حياتهم اليومية .

ولا تحاول الحكومة الايرانية ان تفكك نظام القبيلة كما فعلت في عهد رضا شاه ، بل بالعكس تجعله شرعيا وذلك بالاعتراف بصفة الشيخ في حل النزاعات بين اعضاء القبيلة وبان توكل اليه بعض المسئوليات العائدة الى مشروع الاسكان .

العزة القومية

وهذه الظواهر اساسها العزة القومية التي صحبت هذه القبائل من يوم دخولها الى بلاد العجم حتى الآن ورفضها التزاوج مع العجم والقبائل التركية بسبب شعورهم بالتعالي . ومع ذلك من المحتمل ان التقدم في المواصلات واهتمام الحكومة في اسكانهم ستنهى حالة العزلة التي تمتعوا بها من خلال خمسمائة سنة . ويوجد عشرة بالمئة من العرب في المستوطنات الآن . وكما يقوم اطفالهم بالالتحاق بمدارس فارسية ويأخذون بالتعامل مع العجم في المجتمع الايراني فيمكن القول ان رجال هذه القبائل سيفقدون الاسم « عربي » كما حدث مع عرب عراق العجم ويعتبرون انفسهم مجرد ايرانيين من اصل عربي . ■■

جيمز هورجن

انا والقمر

قصة للكاتب السويدى جين فونتبيه

■ الصيف .. وانا .. وشبابي .. في باريس .. ورغم ذلك فقد كنت اقل استمتاعا بالمغريات الثلاث . فباريس في الصيف مكان ممتع للباحثين فيها عن المتعة واللهو والعبث ، اما للباحثين فيها عن الجد والعمل فانها تغدو شيئا آخر ، لا يتصل بالمتعة بأى سبب وخاصة اذا كنت طبيبا يكافح وباءين خطرين كالتيفوئيد الذى انتشر في احياء العمل ، والدفتريا التى انتشرت بين افراد الجالية الايطالية في حي مونبارناس وشارع روسيل ، حيث دخل مرض الدفتريا كل بيت ، فازهق ارواح نصف الاطفال وترك الاخرين يتذبذبون بين الحياة والموت ، يتصيدون نسمة الهواء بشق النفس وهم جاحظو العيون . وقد ضاقت بهم المشافي ووقع عبء معالجتهم على عاتقي وحدى ، دون زميل آخر او ممرضة تعينني .. الا كناس الشارع .. وذلك الايطالي الطيب القلب اركانجيلو فوسكو الذى ترك عمله وتطوع لتمريض المصابين دون ان يتطرق الى قلبه الملل او الخوف من العدوى .

وهكذا ناءت اعصابي تحت وقر العبء الثقيل والارهاق الشديد .. في الوقت الذى كان فيه مترفو باريس يحزمون امتعتهم استعدادا للسفر الى قصورهم في الريف او على شاطىء البحر .

وازدحمت عيادتي بسيول من الموظفين والعمال ، جاءوا يتسابقون للحصول على شهادة مرضية تمنحهم اجازة ، جاءوا يطلبونها من طبيب مرهق ، هو احق منهم جميعا بالاجازة .

وانهالت على هاتفي نداءات الاستغاثة من نساء كنت اجدهن مسترخيات في ارائك وثيرة وقد ارتدين احدث ازياء (الشاى) الانيقة ، بانتظارى لاشفيهن من وعكة اعصابهن واهبيء مزاجهن الخاص لحضور حفلة كرنفال في الاوبرا يوم غد .

واخيرا ضقت ذرعا بمرضاى وبنفسي، فعدت الى بيتي في ظهيرة احد الايام اجر قدمي المتعبتين فوق اسفلت الشارع الملتهب من شدة القيظ ، محتميا من آن لآخر بظلال اشجار الكستناء التى تشرئب باغصانها الذابلة في الفضاء باحثة عن نسمة منعشة.

فهمست مناجيا : « انى اعرف ماذا بك .. وماذا بي .. كلانا يتوق لتبديل الهواء .. للفرار من جو المدينة الصاخب . ولكن كيف السبيل الى ذلك ؟ انت بجذورك الحبيسة تحت الاسفلت ، وذاك الطوق الحديدى حول قدميك . وانا بمرضاى اطفال الايطاليين يحتضرون، ومريضاتى من المترفات الامريكيات تملأن عيادتى » .

وذات صباح تلقيت خطابا من صديقي الكونت سيمون ، زوج احدى مريضاتي المترفات يقول فيه « قلت لي يوما انك تعشق صوت الكروان .. وهاهو ذا يصدح في هذه الايام ولن يبقى طويلا ، فهلا جئت تقضي معنا اياما في قصر لورين ؟ » .

الكروان ؟!

وانا الذى مر علي عامان لم اسمع خلالهما سوى نعيب الغربان في حدائق التويلري ...

واقلتنى من المحطة الى القصر ، جواد مطهم . وكان القصر الذى يرجع تاريخه الى عهد ريشيليو فخما بحدائقه الغناء . وخصصت لي فيه غرفة من طراز لويس السادس عشر ، اما ربة القصر (الكونتس) فكانت آية من آيات الجمال بثوبها



الانيق الابيض والوردة الحمراء تزين صدرها .. حتى خيل لي وانا احدق في وجهها ان عينيها قد ازدادتا اتساعا وفتنة عما قبل .

واستقبلني الكونت بابتسامة ترحيب صادقة انستني خجلي وطاف بي حدائق القصر يحدثني عن صحة زوجته وانها لم تعد تشكو مرضا ، وباتت تنطلق كل صباح الى القرية لتتفقد فقراءها وتسعى

لتحويل احدى الضياع التى تملكها الى مصح للاطفال . بل انها دعت اطفال القرية الفقراء في ليلة عيد ميلادها الى حفلة شاى في القصر واهدت كلا منهم دمية صغيرة من الخشب . اليست هذه فكرة انسانية رائعة ؟

وفي المساء احتوتنا جلسة سمر ممتعة في شرفة القصر المطلة على الحديقة المنبسطة امام انظارنا تستحم في ضوء القمر الباهت ، حتى دقت ساعة البرج ، الحادية عشرة ، فقال الكونت : « يحسن ان تنام الليلة باكرا فقد اوصيت باعداد الجياد لنزهة صباحية في الساعة السابعة » .

ثم همست لي الكونتس بينما اهم بالانصراف : « نوما هنيئا ، واحلاما سعيدة » .

والحقيقة انه تحققت نصف امنيتها ، اذ حلمت كثيرا لكني لم اهنأ بنومي .

وفي حوالى السادسة صباحا سمعت اظافر الكلب (ليو) تعبث بباب غرفتي لايقاظي ... وخلال ساعة من الزمن كنا نتهادى بجوادينا في الطريق الى الغابة بين رتلين من الاشجار العجوزة الباسقة .

واخيرا وصلنا الغابة فكانت ساكنة سكون الليل ، ما خلا اصداء مترددة تنطلق بين الحين والآخر لفاس حطاب او هديل حمامة برية ، او صرخة عصفور ذبيح ، او تغريد بلبل طروب . ثم خرجنا من قلب الغابة وانطلقنا بين الحقول الشاسعة المستلقية تحت نور الشمس .. وثمة كان الكروان الحبيب يتارجح باجنحة خفيفة في اعالي الجو يغرد للارض والسماء بقلب مفعم ببهجة الحياة . فحدقت به وباركته كما اعتدت ان افعل ابان طفولتي في بلاد الشمال القصي المتجمد وانا ارقب عصفورى المفضل ، رسول الصيف ، بعيني العارف بالجميل والموقن ان ظهوره بشير بانتهاء شتاء قارس .

وعند المساء اصطحبتني الكونتس لزيارة احدى صديقاتها التى كانت من مريضاتي سابقا . فانطلقت بنا العربة في درب جميل تحف به الاشجار وتؤنس وحشته زقزقة العصافير ، ودار بيننا حديث لطيف ناعم يتفق وشاعرية الجو ، وداعبتني الكونتس بضع مداعبات رقيقة نقلتني الى اجواء حافلة بالسحر والفتنة والاحلام لكانها بساط ريح. وسرت العدوى الى الكلب ليو الذي كان بصحبتنا فحدق بي بعينين معبرتين وكانهما تقولان : « يبدو انك شخص لطيف .. فهل لك ان تسدي لي خدمة صغيرة ؟ انني قريبة للملل والضيق وبحاجة ماسة الى شيء من الترفيه » .

ثم غمز بعينيه واضاف : « الا تعرف آية كلبة في هذه الضواحي ، مهما كان سنها وحجمها وشكلها ؟ على ان تعدني بالا تشي بي لسيدتي .. وبالمقابل اعدك انا بالصمت عما تبدى لي خلف عينيك من نوايا ، خاصة وان روعة الليل ستكتمل غدا حين يصبح القمر بدرا » .

وقد صدق ليو فقد كان القمر سيصبح بدرا ، وانا ابغض القمر الذى طالما سلب النعاس من بين اجفاني وهمس في اذني بفيض من الاحلام .. ذلك الشبح الغامض ، ليس كالشمس الالهة المشرقة في وضح النهار ، تبعث النور في دنيانا المظلمة وترعى سلامتنا بعينها المضيئة ابدا بعد ان تلاشت في زوايا العدم الهة الكون الاخرى ، سواء ماربض منها على ضفاف النيل او اطل من على جبال الاولمب .

وبالتالي فحينما تعلن الشمس عن نفسها بكل جراة فانك لن تعثر على شبح الظلام الشاحب الذى يتسلل الى السماء بصمت بالغ ويمضي الليل تطوافا بين النجوم يرمق الدنيا بعين باردة لا تنام وابتسامة ساخرة صفراء .

ولم يكن الكونت يبالي بالقمر ، فكان يجلس في غرفة التدخين وصحيفة (الفيغارو) بيده وسيجار المساء يتارجح من زاوية فمه . اما زوجته ، الكونتس ، فقد اولعت بالقمر واولعت بظلاله الغامضة واحلامه الهامة .

بل لقد اولعت بان تستلقي على ظهر القارب ترقب النجوم بينما اجذف لها الهوينا عبر البحيرة الساجية ، كما اولعت بالتجوال بين اشجار الليمون التى تكتسي حلة فضية طورا ، وطورا يلفها الظلام بوشاحه القاتم فيحوجها لان تتلمس ذراعي لتواصل المسير . واولعت بالجلوس في ركن منزو بين الاشجار تحدق بعينين ساهمتين في اجواء الليل الساكن حينا ، وفي عيني انا حينا آخر ، كي تهمس همسات قصيرة عابرة تعود بعدها الى شرودها وصمتها . وقد كان صمتها يفتنني كما يفتنني كلامها :

ـ لم لا تحب القمر ؟

ـ لست ادرى ؟

ـ وماذا يخيفك فيه ؟

ـ انه مضيء لدرجة ارى فيها عينيك كنجمتين متلالئتين . وهو قاتم لدرجة اخشى معها ان اضل

في العتمة طريقي ، انني غريب هنا في ارض الاحلام هذه .

— هات يدك .. وانا ارشدك الى الطريق . كنت احسب يدك قوية واثقة ، فلم ترتجف هكذا في يدي ؟ نعم انك على حق .. انه ليس الا حلماً نحذار ان تفوه والا طار وتبدد . انصت واسمع البلبل يغرد .

— انه ليس بلبلا ، بل عصفور الجنة .

— بل هو بلبل ، اصمت واصغ .

وغنت جولييت بصوتها الساحر الرقيق ، كرفة الليل حين يداعب اوراق الشجر :

لا لا .. انه ليس انشودة الفجر .

ولا تغريد الكروان .

ذاك الذي داعبت انغامه اذنيك .

بل هو البلبل رسول الغرام . ثم عقبت :

— لا تنطق .. اعلم ما تريد ان تقول .

وعكر صفاء الليل نعيب بومة فوق راسينا فافزعت جولييت وسرنا عائدين . وفي ردهة القصر همست لي الكونتس مودعة : « ليلة سعيدة . غدا يكتمل البدر » .

ودخلت غرفتي فوجدت ليو ينتظرني ليقول لي بعينين يتطاير منهما الشرر : « اين كنت حتى الآن؟ ولماذا تبدو شاحبا ؟ لقد اطفئت كل انوار القصر ، وكفت جميع كلاب القرية عن النباح ، فلا بد ان الوقت متاخر » .

— كنت في ارض بعيدة مليئة بالغموض والاحلام، كدت اضل دربي فيها .

— وانا كنت مستغرقا في النوم حتى ايقظتني البومة بنعيبها لاضبطك عائدا في مثل هذه الساعة .

— وانا ايقظتني في اللحظة المناسبة . هل تحب البوم يا ليو ؟

— كلا وافضل عليها عصفور الجنة الذى رايت واحدا منه بالامس يتدحرج تحت ضوء القمر في متناول فمي ، فلم استطع مقاومة الاغراء ، فالتهمته رغم يقيني بأنه حرام . وانا واثق انك لن تشي بي لدى البستاني . اليس كذلك ؟

— طبعا ياصديقي طبعا . ولا شك انك لن تشي بي لدى كبير الخدم باننا عدنا الليلة متاخرين .

— بكل تاكيد .

— ليو .. قل لى الست نادما على سرقتك ذلك العصفور الصغير ؟

— اني احاول ان اندم على ذلك .

— لكن ذلك ليس بالامر اليسير . اصغ يا ليو : انك لص ، لكنك لست اللص الوحيد هنا ، عدا عن كونك كلب حراسة فاشل . فلماذا لم توقظ سيدك حين ضبطتني متلبسا بالجريمة بدلا من جلوسك تلوح لي بذلك وترمقني بنظرات ودية .

— لم يطاوعني قلبي ، فقد احببتك بالرغم مني .

— اتدرى من المسؤول ؟ انه ذلك الحارس الليلي ، الخامل الذى لا يكف عن التجوال عبر السماء عبثا . فلم لا يصوب نور عينيه الشبيهتين بعيني ثور الى كل ركن مظلم في الحدائق حيث يوجد مجلس لاثنين تحت شجرة ليمون بدل ان يتشح بالضباب ويطوى راسه ويخلد للنعاس تاركا واجب الحراسة لرفيقته البومة ؟ ام تراه يتصنع النوم بينما يستمر في مراقبتنا طيلة الليل من زاوية عينه . ذاك الدونجوان العجوز الذى ما انفك يتسكع بين النجوم كشيخ عربيد افقدته شيخوخته عن مغازلة الحسان ، فهام في الطرقات يستمتع بمشهد العشاق .

فقاطعني ليو قائلا : « لكن الناس اعتادوا ان يصفوا القمر بانه كحسناء رائعة الصبا والجمال» .

واجبته : « هراء ،لا تصدقهم يا عزيزى . فالقمر عجوز متصاب يتمتع بالتجسس على الناس ليشهد اطوار المأساة الازلية .. مأساة الحب الفاني » .

— بل انه شبح ميت خرج من بين الاموات .

— شبح ميت ؟ ومن اين علمت هذا ؟

— رواه لى احد اجدادى ، وهذا سر فرار النجوم من السماء حال ظهوره ، وسر خوفنا نحن الكلاب منه ونباحنا عليه كلما ازاح عنه ستر اكفانه وانسل من قبره في حلكة الليل . وهل تظن نفسك الكائن الوحيد الذى لايستطيع النوم حين تحدق فيه عين القمر ليلا ؟ انك مخطىء . فسائر الوحوش والزواحف في الحقول والغابات تهجر اوكارها حال ظهوره وتهيم على غير هدى خشية اشعته الخبيثة الناعمة . لا ريب انك كنت الليلة منهمكا بكل حواسك بشخص ما والا لرايت ان عينه المضيئة ليست الا عين شبح ، يحلو له ان ينسل تحت اشجار الليمون يرعى اطلال قصر مهدم او معبد اثرى .

— كفى يا ليو حديثا عن القمر والا هرب النعاس من اجفاننا ، تعال ياصديقي وقبلني قبلة المساء .

— لكنك سوف تغلق خشب النافذة .

— نعم ، انني اغلقه دائما في الليالي المقمرة .

وفي الصباح التالي اثناء الافطار همست لليو باعتزامي العودة الى باريس توخيا للامان .. فان البدر سوف يكتمل الليلة وانا في السادسة والعشرين ، وسيدته في الخامسة والعشرين او لعلها في التاسعة والعشرين .

ثم هبطت السلم لارى الكونت ممسكا بعنان جواده متاهبا لنزهة الصباح ، فرويت له الاكذوبة المالوفة : « لقد استدعيت لعيادة مريض في حالة خطرة ولا بد لي من الرحيل فورا » .

فابدى لي اسفه وودعني بحرارة ، ورجوته ان يعتذر لي من زوجته الكونتس لعدم استطاعتي وداعها لضيق الوقت وفي مثل هذه الساعة المبكرة .

وصلت منزلي في المساء بعد سفر مضن ، فاويت الى فراشي ومن فرط تعبي ، ادركني النعاس فورا . وفجاة شعرت بانني لست وحيدا في غرفتي، ففتحت عيني لاطالع وجها باهتا يطل من النافذة بعينين فاترتين، وشيئا ما يزحف فوق بلاط الغرفة ببطء حتى يبلغ سريري فيمد ذراعا بيضاء كذراع اخطبوط ويصرخ في وجهي عبر فمه الخالي من الاسنان بفحيح رهيب : « الا تفكر في العودة الى القصر ؟ كم كانت جلسة لطيفة هادئة بالامس تحت شجرة الليمون وبين صداح البلابل . فهل ترغب العودة الى هناك الليلة ؟ اذن قم وتسلق اجنحة اشعتي الفضية ، التي تكرمت انت فوصفتها منذ هنيهة بذراع الاخطبوط ، لتجد نفسك في اقل من دقيقة تحت شجرة الليمون » .

ـ انني لا احلم الآن ، بل بكامل وعيي ولا اريد العودة الى هناك .. اليك عني ياشبح مفيستو .

ـ الحلم بانك يقظ ، ولا تريد ان تكف عن استخدام مفردات قاموسك البذيء، لقد وصفتني حتى الآن بالدونجوان والعجوز المريب والشبح المتسكع والجاسوس اللعين وشبح مفيستو . حقا لقد تجسست عليك في الحديقة ليلة امس لكن قل لي اينا يستحق ان ينعت بالدونجوان ، الا اذا آثرت ان تنعت بروميو لكنك وايم الحق لا تشبهه في شيء واجدر بك ان تسمى بالغبي الاعمى الذي لم يستطع ان يدرك ما ادركه كلب ، من انني شبح لا حياة فيه ولا سن ولا جنس له .

ـ شبح ؟ شبح من ؟

ـ شبح ميت .. فحاذر الاشباح وكف عن الفاظك البذيئة والا رميتك بالعمى بومضة من اشعتي السحرية وهذا هو انذارى النهائي لك ايها الصلف المجدف على الآلهة . والآن يقارب الفجر على البزوغ من الافق الشرقي ولا بد لي من ان انصرف واعود الى قبري والا تعذر علي تلمس طريقي ، فانا عجوز ومتعب من التطواف منذ المساء وحتى الصباح بينما تكون سائر المخلوقات الاخرى تغط في نوم عميق .

وحدقت في الشبح مليا فلاحظت لاول مرة كم هو طاعن في السن بادي الاعياء حتى كدت ارثي لحاله لولا أن تذكرت تهديده لي بالعمى فثار غضبي من جديد وصرخت « اذهب عني ايها الحانوتي البغيض لا امل لك في أن تجد رزقا هنا » .

فعاد الي فحيحه المرعب وهو يدب على فراشي ويمد ذراعه الطويلة حتى كتفي وهمس : « اتذكر لماذا اوصيت ابن الكونتس بالاعتكاف في الفراش ووضع كيس من الجليد على رأسه وكيس آخر من الماء الساخن على بطنه دون اي داع صحي ؟ انك لم تشر بذلك انتقاما للعصافير الصغيرة التي اولع الشاب بصيدها كما زعمت لنفسك بل فعلت ذلك بحافز الغيرة ياربيب عطيل لتحول بين الفتى والتنزه مع جولييت في الحدائق تحت ضوء القمر » .

ـ ابعد مخلبك عني ايها العنكبوت الشرس والا انقضضت عليك .

وبذلت جهدا عنيفا للنهوض اليه ، فافقت من نومي والعرق يكدني . ووجدت ضوءا فضيا ناعما يغمر ارض الغرفة . وعندها انزاحت الغشاوة عن عيني وشاهدت القمر عبر النافذة المفتوحة في اتم جلاله وسنائه يطل من سماء صافية لاتشوبها الغيوم . ايتها الآلهة العذراء اتسمعينني في هذا السكون ؟ مالك تبدين حزينة ساهمة ؟ اتعرفين انت ايضا الاحزان ؟ الا تملكين الغفران ؟ الا تعينين على النسيان ؟ اتستطيعين ابراء الجروح ببلسم نورك الصافي ؟ تعالي ايتها الحبيبة واجلسي بجانبي ، ضمي ذراعك الباردة على جبهتي الملتهبة، علها تهدىء افكاري ...

وسرت الى النافذة ارقب ملاذ الليل يخطر ويتهادى بين النجوم ، وهناك نجمة فضية مضيئة فوق رأسي تومىء الي بنورها الثابت القوى ، انها النجمة القطبية ، سمعتها تهمس لي : « هذا هو الطريق فاتبع نورى تصح في امان » .

وفي اليوم التالي شددت رحالي الى القطب انشد بين ثلوجه السلوان . ■■

ترجمة : توفيق ونوس



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

استسقاء البطن له اسباب عديدة

● يشكو من « استسقاء » في البطن ويسال عن السبب وما هو المآل في مثل هذه الحالة ؟ .

ـ الاستسقاء هو تجمع سائل داخل التجويف البطني وهذا السائل اما ان يكون نتيجة لارتفاع فى ضغط الوريد البابى وينتج ذلك من تليف بالكبد فى معظم الحالات او انسداد هذا الشريان ؛ ويلاحظ فى مثل هذه الحالات تضخم او تقلص فى حجم الكبد . وينتج هذا ايضا عن هبوط فى القلب وما يتبع ذلك من تضخم بالكبد مع تورم بالساقين والبطن والظهر ثم برشح مصلى فى تجاويف الجسم منها البريتون فى البطن والبلوريا فى الصدر . هذا الاستسقاء الناتج عن هبوط القلب يزول بعلاج هبوط القلب وباعطاء مدرات البول وتتحسن الحالة ما دام المريض تحت العلاج وما زال القلب فى حالة تكافؤ .

اما الاستسقاء الناتج من تليف الكبد فاذا علم سبب تليف الكبد وعلاجه ربما تحسنت الحالة ولكن هذا صعب اذ انه فى معظم الحالات لا يعود الكبد الى حالته الطبيعية . وتحتاج مثل هذه الحالة الى بزل البطن فى بعض الحالات اذا كان السائل داخل البطن كبيرا ويعوق التنفس . كما ان الحالة تتحسن باعطاء المدرات للبول .

وهناك نوع من الاستسقاء سببه التهاب البريتون وفى معظم الحالات يكون ذلك ناتجا من درن بريتوني ـ وتمتلىء البطن بالسائل وترتفع الحرارة مع ضعف وهزال شديدين بالجسم . وتتحسن مثل هذه الحالات باعطاء المريض الادوية المضادة للتدرن شريطة ان يكون ذلك لفترة طويلة ربما امتدت الى شهور عدة .



الم العصب الخامس يصيب كبار السن

ـ في الخمسين من عمره يعاني من الم شديد يعتريه في الوجه في المنطقة حول العين ، يكون لفترات قصيرة ولكنه يعاوده .

● هذا الالم الشديد الذى تشكو منه هو ما يعرف بألم العصب الخامس Trigemenal Neurolgia وفى معظم الحالات يأتى هذا الالم ما بين سن ٥٠ ـ ٧٠ ولكن من الممكن ان يحدث قبل او بعد هذه السن ، وكذلك فى معظم الأحيان لا يوجد سبب عضوى ظاهر ، ويساعد على حدوثه وجود التهابات فى الاسنان او الجيوب الأنفية . والوراثة ربما تلعب دورا فى ذلك . على ان هناك بعض الامراض العضوية التى تسببه كوجود ورم ضاغط على العصب ، والذى يتكون من ثلاث شعب ، شعبة تغذى المنطقة حول العين ، وشعبة تغذى المنطقة فوق الفك العلوى ، وشعبة للمنطقة فوق الفك السفلى . وتأتى النوبة على شكل الم شديد جدا ربما ايقظ الانسان من نومه. وفى معظم الاحوال يكون فى جهة واحدة من الوجه وفى منطقة واحدة او اثنتين من المناطق التى يغذيها العصب . ويكون الالم على شكل حرقة فى الوجه او طعنات شديدة ، ويمكث حوالى دقيقة او اثنتين ليذهب ثم ليعاود المريض مرة ومرات . وتصحب ذلك فى بعض الاحيان حمرة فى المنطقة المصابة وسقوط دموع من العين وسائل من الأنف وزيادة اللعاب .

ويساعد على حدوث النوبة التعرض للبرد الشديد او لمس الوجه او عند المضغ او البلع وكذلك الاضطرابات النفسية والارهاق الشديد ، وربما تمر فترة اسابيع او اشهر الى ان يتعرض المريض لنوبات اخرى وذلك فى بادىء الأمر ، ولكنه اذا استمر المرض لفترة طويلة قصرت فترات عدم التعرض للنوبات .

والعلاج فى هذه الحالة هو البحث عن السبب وعلاجه ، اما اذا لم يوجد سبب ظاهر وهذا ما يحدث فى كثير من الحالات فتعطى المسكنات كالاسبرين او المنومات والمهدئات كالفاليوم وغيرها ، وهناك دواء التيجراتول Tegratol وهو مفيد فى هذه الحالات . وفى بعض الحالات

تلون الاظافر له اسباب

● تلونت اظافر يدي بلون غير طبيعي ، ومرت على ذلك عدة شهور ، ولم تختف رغم العلاج ، فما سبب هذا التلون ، وكيفية التخلص منه ؟

ـ ان تلون الاظافر يأخذ الوانا مختلفة واشكالا متعددة تبعا للعوامل المسببة او المرض المؤدى الى التلون ، فقد يتلون الاظفر باكمله بلون ابيض او اصفر او بني او اسود ، ولكن كثيرا ما يكون التلون على شكل بقع او شرائط طولية او عرضية فى الاظفر ، وقد تتلون بعض الاظافر فقط او جميع اظافر الاصابع





تى لا تستجيب للعلاج بحقن العصب
الكحول وهذا يسكن المرض لعدة شهور
ربما عاود المرض المريض .
وفى بعض الحالات الشديدة يستعان
الجراحة والتى تاخذ اشكالا عدة ،والتى
حدثها هو ان يزال الغشاء الذى يغطى
لعقدة التى تخرج منها الشعب الثلاثة
لكونة للعصب .

رجية وأخرى مرضية

سواء فى اليدين او القدمين او الاثنين معا ، ويعتمد العلاج على معرفة المرض او العامل المسبب للتلون .

وقد ينشأ التلون نتيجة عوامل خارجية ، فمثلا فى الجراحين والمضمدين الذين يستعملون محاليل الزئبق فى تطهير ايديهم ، نجد ان اظافرهم تتلون بلون رمادى ، كذلك فى المصورين نتيجة استعمال بعض الاحماض .

وقد تظهر فى بعض اظافر النساء نتيجة استعمال الصبغات مثل صبغة الشعر وصبغة الأظافر ، كما ان استعمال الدهانات الخارجية المحتوية على مواد مثل الزئبق ، الفضة ، ريزورسين او فيوفورم كثيرا ما يؤدى الى الوان مختلفة فى الاظافر .

اما فى كبار المسنين ، فان اظافرهم تتلون نتيجة التغيرات التى تحدث فى الاظفر نتيجة الضمور ، وليس نتيجة عامل مرضى .

وفى بعض امراض الأظافر خاصة بالفطريات يتلون الاظفر باللون الاصفر او البنى او الرمادى او حتى الاسود ، والمعروف ان الاظفر عندما يتحلل او يموت يتغير لونه الى لون رمادى او أسود . كما ان هناك بعض الامراض الجلدية العامة تكون مصحوبة بتكون غير طبيعي وتلون فى الاظفر مثل الصدفية .

وقد تندمج الصبغة فى الاظفر اثناء تكوينه نتيجة طول استعمال بعض الادوية ، فمثلا قد يتلون الاظفر بلون بنفسجي نتيجة استعمال ملينات فينول فيثالين او بلون اصفر او بنى نتيجة استعمال مزمن لمركبات تيتراسيكلين . وفى تسمم الخارصين « الزنك » تظهر شرائط عرضية ملونة على الأظافر ، وفى تسمم الفضة نتيجة استعمال مركباتها تتلون الاظافر باللون الازرق الرمادى . وفى تسمم الذهب يتكون لون بني غامق او اسود بالاظافر ، وفى جميع حالات التسمم هذه يجب ايقاف الدواء واستعمال الادوية المضادة .

وفى بعض الامراض الداخلية قد يحدث تلون بالأظفر مثلما يحدث فى أمراض الكبد حيث يتلون الاظفر باللون الاصفر او الازرق ، وكذلك يحدث التلون فى بعض حالات الزهرى ، الملاريا ، الغدة الدرقية ، الجلطة القلبية . كما ان هناك اسبابا اخرى مختلفة قد تحدث تغيرا فى لون الاظفر مثل سوء التغذية . حدوث نزيف تحت الاظفر نتيجة بعض الامراض او الاصابات مؤديا الى لون غامق ، الا ان ذلك اللون يختفى بنمو الاظفر . كما قد تحدث شرائط طولية ملونة خاصة فى الاشخاص الملونين ناتجة عن ترسب الميلانين تحت الاظفر .

■■

١٩٥٢

١٩٧٢

أموالك تنمو مع نمو البنك الوطني

بنك الكويت الوطني ش.م.ك

تأسس عام ١٩٥٢

رأس المال والاحتياطي : -/٢١,١١٦,٧١٨ د.ك

مجموع الموجودات كما في ٣١ ديسمبر ١٩٧١ :

-/٣٤٦,١٣٦,٨٠٨ د.ك

المكتب الرئيسي : ص.ب. ٩٥ تلفون ٤٢٢٠١١ (٢٠ خطاً)

ضاعف دخلك

نعم في استطاعتك أن

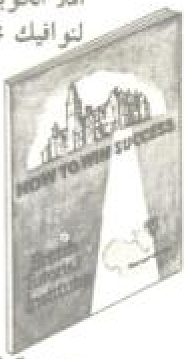
تحصل على مرتب أكبر

إذا أردت الترقي في وظيفتك أو الحصول على
وظيفة أفضل فعليك قراءة نشرة برامجنا المختلفة
لتختار لدراستك منهجاً من ضمن المناهج
الحديثة لضمان عمل مربح
اخطرنا بالمنهج الذي ترغب في دراسته

من المناهج الآتية

إذا كان دخلك صغيراً فمن واجبك ان تعرف كيف يمكننا مساعدتك .
املأ الكوبون ادناه وارسله لنوافيك مجاناً بنشرتنا .

المحاسبة	هندسة البناء
الاعلان	الهندسة المدنية
الصحافة	هندسة الكهرباء
اللغات	هندسة الميكانيك
ادارة المكتب	هندسة السيارات
ادارة الأشخاص	هندسة الراديو
السكرتارية	التلفزيون
العلوم التجارية	النفط



كما اننا نعد الطلبة لشهادة البكالوريا الانجليزية (G.C.E.) علما بان المناهج المبينة اعلاه مكتوبة ومشروحة باللغة الانجليزية . وعلاوة على المناهج الانجليزية المذكورة لدينا اربعة مناهج مكتوبة ومشروحة باللغة العربية للراغبين في الدراسة باللغة المذكورة ممن لا يجيدون الانجليزية . اما المناهج العربية فهي .

هندسة البناء ـ هندسة الكهرباء ـ هندسة الراديو ـ العلوم التجارية

معاهد التعليم البريطانية (قسم ٣٥) بناية جابر الصباح
شارع الكمودور ولبون – الحمراء ص. ب. (٦٠٨١) بيروت

الاسم ______________________

العنوان ______________________

____

السن __________ المادة المختارة __________

النشرة الاعلامية
رقم ٦٣ عن منتجات
آكاي



ان نظام التسجيل والاداء الذي ننتجه يفوق بكثير مايتوفر في الاسواق من اجهزة، ثلاثة رؤوس GX مصنوعة بإحكام تتصل بينها فسحات متماثلة (رأسان منهما مختلطان للتسجيل والمحي) تقوم بوظيفة ستة رؤوس عادية وتقصر سير الشريط. رأس الاداء وحده يتحرك. كما ان حذف موجه للشريط يؤمن انسيابًا دقيقًا للشريط بدون احتكاك واداء رائعًا وممتازًا في الاتجاهين وجودة الصوت مرتبطة برأس GX الذي ننتجه والمصمم من الزجاج ومن بلورة واحدة من الفريت، الرأس الذي لا يعلق عليه الغبار أبدا ويضمن لك اداء حقيقيًا للاصوات مدى العمر كله.



GX-370D

هنا، لايتحرك سوى رأس واحد للتسجيل العكسي التلقائي وللأداء

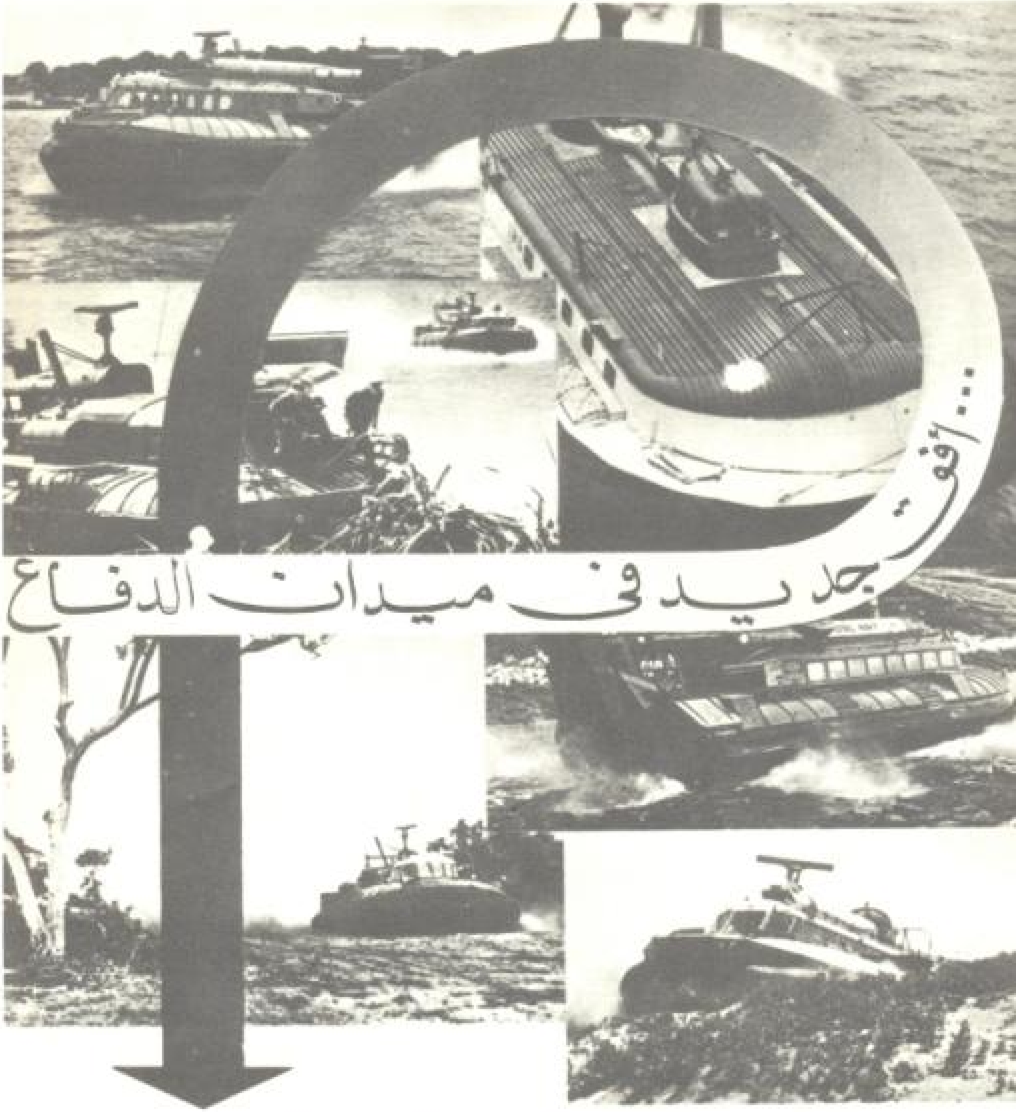
مسجل الجديد GX-370D الستريو هو حقا الجهاز المثالي في عالم المسجلات، فبالاضافة الى رؤوس GX الشهيرة ونظام التسجيل العكسي التلقائي والاداء، يتميز هذا الجهاز بثلاثة محركات (أحدها ... لك مؤازر خاص فقط بالادارة الرحوية المباشرة) كومبيوتوماتيك (ضبط تلقائي كامل لمستوى التسجيل)، تسجيل صوت فوق صوت، او صوتين معًا، او مزج الاصوات، عداد للـVU كبيران، موقف/قاطع للتيار تلقائي، يمتد تجاوب التردد من ٣٠ الى ٢٤٫٠٠٠ هرتز (± ٣ دسي بل) ومع شريط SRT ذي المدى الفسيح (يوجد مفتاح SRT خاص) يمكن الحصول على تجاوب تردد حتى ٢٦٫٠٠٠ هرتز. واذا رغبتم في مضاعفة وقت التسجيل باستعمال سرعة ٣ ¾ إنش في الثانية، فتحصلون ايضا على تجاوب تردد مرتفع يبلغ ١٩٫٠٠٠ هرتز.

ولمرافقة هذا المسجل الذي لا يضاهى، لدينا العديد من المضخمات، المنغمات الستريو من طرازات مختلفة، ومجموعة كبيرة من انظمة تكبير الصوت ذات الاداء الفائق. مهما كانت مواصفات الجهاز الذي ترغب فيه، جهاز بقنالين أو أربعة، فإننا نستطيع ان نفي لك بحاجتك. فلم يبق عليك سوى الاصغاء والاستمتاع بما يقدمه لك رأس GX.

اوديو وفيديو

AKAI ®

AKAI ELECTRIC CO., LTD.
Ohta-ku Tokyo, Japan



...ستخدام المركبات الحوامة "الحقيقية" طراز "بي اتش سي"

...ركبات الحوامة "الحقيقية" طراز "بي اتش سي" تستخدم حالياً مع قوات الدفاع
...يران وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وإيطاليا و[illegible]. وهناك مركبات
...ى أخرى تنتج في الوقت الحالي للقوات الدفاعية للمملكة العربية السعودية وإيران.
...مركبات العسكرية طراز "اس آر ان ٦" و"بي اتش ٧" تنتج الآن بجملة
...ئة من شركة بريتش هوفركرافت كوربوريشن وقد فتحت إمكانياتها البحرية الكبيرة آفاقاً
...واسعة في ميدان الدفاع نظراً [illegible]
...المرونة في العمليات العسكرية التي يصعب إجراؤها بواسطة وسائل النقل الأخرى.

التجارة العربية الانكليزية

شركة بريتش هوفركرافت كوربوريشن

الرائدة في ميدان المركبات الحوامة

BHC WORLD HOVERCRAFT LEADERS

british hovercraft corporation

EAST COWES · ISLE OF WIGHT · ENGLAND

توجد ساعات جيدة كثيرة

انكابلوك
يساعدك
في التعرف اليها

الواقي من الصدمات انكابلوك
يحمي اثمن ما في الساعة : دقتها

اليوم حوالي
٤٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ساعة بسيطة أو فخمة
اوتوماتيك او عادية اصبحت مجهزة
بانكابلوك وجميع هذه الساعات ذات
فص محجر، ساعات خبيرة.

اطلبوا دائما الساعة المجهزة
بانكابلوك لان انكابلوك ليس فقط
واقي من الصدمات بل هو ايضا
عنوان الجودة.

الساعة المجهزة بالواقي من الصدمات
انكابلوك تمتاز بشيء اضافي.

اسم انكابلوك (ماركة مسجلة) يعني فقط
الواقي من الصدمات من انتاج بورتسكاب
لاشو دو فون، سويسرا / بورتسكاب فرنسا، بوزنسون.

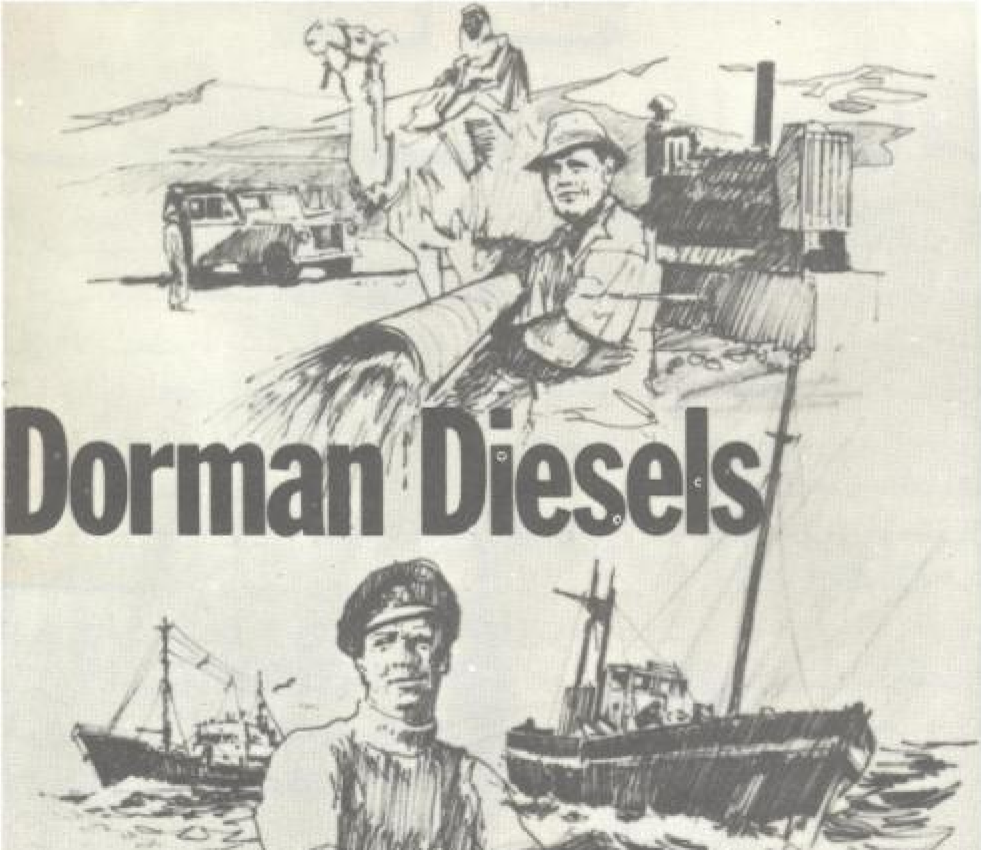


اود الاطلاع على
كيفية عمل الانكابلوك
وكيف يمكنني التعرف
اليه في الساعة

الاسم: ____________________

العنوان: ____________________

ترسل هذه القسيمة
الى مركز استعلامات انكابلوك
الشرق الاوسط
ص.ب. ٢٧٨٢ - بيروت - لبنان.



powerful arguments for long term reliability

On land or at sea—home or abroad—it's always the toughest assignments that call for Dorman and Kelvin diesels. In earthmoving plant, pumping sets and site generators, aboard tugs, fishing boats and barges. All these applications need exceptional guts, endurance and reliability. They get them from Dorman and Kelvin. With economy, advanced design, minimal maintenance and exceptional power to weight/size ratios.
Air and water-cooled models available covering the range 6-827 bhp.

Dorman Diesels Ltd
Dorman Works, Tixall Rd., Stafford, England

Kelvin Marine Division
254 Dobbies Loan, Glasgow C4, Scotland

© D.632-2

ما هو
الستريو المنزلي الكامل

يعتقد مهندسو **سوني** بأنه يجب ان يتألف من جهاز لتشغيل الاسطوانات، وجهاز للاستماع الى الكاسيت، ومنغم FM/AM ومكبر أصوات... في قطعة واحدة.

لذلك صممنا وصنعنا طاولة تدوير الاسطوانات بـ ٤ سرعات اوتوماتيكية يدوية... وهي تستطيع ان تستقبل ٦ اسطوانات دفعة واحدة. وجهاز الكاسيت يستوعب الكاسيت الشريطية بسهولة في فتحة امامية مخصصة لذلك، كي يلعب التسجيلات او يسجل ما ترغبه رأساً من المنغم... أو رأساً من المايكروفون. أما مكبر الأصوات المصنوع من الترانزيستور السيليكون فإنه يعطي ٣٦ وات من الطاقة الموسيقية. وينتقل جهاز الاستقبال من الاذاعات FM الى الاذاعات FM ستريو اوتوماتيكياً.

راجع الموزع المعتمد بخصوص "الستريو المنزلي الكامل" كما تفهمه سوني.



SONY® سوني

منتوجات شركة ريكت وكولمان التي يجب ان تتوفر في منازلكم

براسو ـ للاوعية النحاسية

« براسو » هو أشهر المنتوجات في العالم لتلميع المعادن . وهو يضفي على الأوعية النحاسية الصفراء أو الحمراء الجديدة أو القديمة على السواء بريقاً طويل العمر. بريقاً يسرك ان تكتشفه .

هاربيك ـ للمراحيض

يلحظ الناس إذا كانت مراحيضكم ليست نظيفة نظافة تامة . فلماذا لا تفخروا بمنازلكم باستعمال « هاربيك » الذي يتألف من تركيبات خاصة تنظّف وتطهر وتصل إلى الاماكن التي لا يمكن ان تصل إليها الفرشاة ، وهو يقضي على الجراثيم بسرعة ويترك الهواء منعشاً نقياً .







بولز هيد بلو للغسيل

استعملوا « بولز هيد بلو » في الشطف الأخير عند الغسيل . وسوف تغدو ملابسكم أنصع بياضاً ، كما ان « بولز هيد بلو » يضيف إلى ملابسكم الملونة بريقاً خاصاً .

هاربيك وبراسو وبولز هيد بلو من منتوجات شركة ريكت وكولمان


PIAGET
The world's
most accurate
grand luxe watch
ساعات
بياجيت
PIAGET
الوكيل العام في دولة الكويت
والبحرين
مراد يوسف بهبهاني

هل ترغب بمشاهدة التلفزيون في غرفة حارّة؟

هنالك عدة مميزات رائعة للتلفزيون الجديد النقال "جنرال" ١٤ انشاً ذو الأقنية UHF/VHF (موديل TH-14EV أو TH-14EU حسب التركيب) نذكر منها اسلوب الضوابط الأوتوماتيكي. الذي هو جزء من جهاز دارات متكاملة وليدة سبع براءات اختراع.

فلقد ابدعت "جنرال" اسلوب التذبذب الأفقي الجديد والتجهيزات الضابطة الخاصة تمنع جميع انواع التداخلات الكهربائية، كالتشويش أو الضجيج الناتج عن مرور الطائرات أو استعمال الأدوات المنزلية الكهربائية، وبالتالي لتأمين صورة ثابتة تماماً. ومن جهة ثانية، فإن قناة الشاشة الرمادية اللون تؤمن لك صورة نقية وواضحة حتى في الغرف الساطعة النور.

إذاً فلا مجال لتعب العينين بعد اليوم.

إن هذا الجهاز من "جنرال" يمكن ان يعمل أيضاً على بطارية ١٢ فولت بشرائك الأشرطة الاختيارية المعدة لذلك.

أما وقد ربحت الآن جهازاً تلفزيونياً رائعاً، فلماذا تشاهده في غرفة حارة؟ فهنالك جهاز ملطف الهواء الجديد "جنرال" AL-6502C ذي الطاقة الهائلة ٢١٥٠٠ BTU والتي تكفي لعدة غرف. إن ابرز ما ترغب في ان نذكرك به "جنرال" هو ان ضاغط الهواء في هذا الجهاز هو من نوع "تيكومسيه".

وتيكومسيه هي اضخم معامل لضاغطات الهواء في العالم، مع العلم ان الضاغطة هي قلب كل ملطف جيد للهواء.

أما الأزرار والمفاتيح، فقد شكلت لها كما ان ضوابط هذا الجهاز الرائع موجودة في أسفل الزاوية اليمنى لسهولة الاستعمال خصوصاً إذا ما أردت ان تثبت الجهاز في الحائط.

أما الميزات الأخرى التي سترعى انتباهك هي اسلوب التغيير الأوتوماتيكي لاتجاه الهواء على شبكة انابيب توجه الهواء إلى أية زاوية في الغرفة، واسلوب تنظيم الحرارة الأوتوماتيكي، والهدوء التام أثناء العمل، والتوازن في العمل بين الهواء المستنفد والنقي.



GENERAL

جنرال

الجمهورية العربية السورية: قلعجي وشركاه، ص.ب ٩٥١ ـ دمشق (سوريا). الامارات العربية المتحدة: الشركة الوطنية للاستيراد والتجارة، ص.ب ٧٣٦ ـ ابوظبي.
الكويت: شركة الاتجار التجارية ذ.م.م. ص.ب ٢٨٠ ـ كويت. البحرين: ابراهيم محمد وأولاده ـ ص.ب ٦٧٠ ـ منامة.
الدار البيضاء: دار الكترونيك ـ ١١٤ شارع القاهرية. ايران: شركة باسمنا المحدودة ـ شارع نادرية، رقم ٦ طهران.
ليبيا: ص.ب ٢٩٩٤ ـ طرابلس. قطر: المشيري ـ ص.ب ١٦٢٠ ـ الدوحة.

فيليبس هاى فاى يقدم لك احلى الموسيقى

تشكيلة فيليبس الهاى فاى الذائعة الانتشار في كل اقطار الدنيا تتراوح بين لاعب الاسطوانات موديل ج أ ٢٠٢ ومسجل الاشرطة موديل ن ٤٥٠٠ ومضخم الصوت موديل ر ﻫ ٥٩١ وضابط المضخم موديل ر ﻫ ٦٩٧ ومكبرى الصوت ذاتي الشكل الصندوقي موديل ر ﻫ ٤٩٦ . كل هذه معا تقدم لك اروع ما يعرفه عالم الصوت ، سواء على الشرطة او اسطوانات او على الراديو . وكل هذا منطقي ، لان كل افراد هذه التشكيلة هي من انتاج نفس الشركة . . فيليبس . بمعنى ان التصميم والتكنيك متجانسان تماما . ويجد الانسان على كل جهاز من هذه الاجهزة ماركة تحمل كلمات «هاى فاى انترناشيونال» ، لاثبات ان الجهاز الذي يحمل الماركة يملك كل الشروط الدولية المتعارف عليها رسميا . ابحث عن هذه الماركة عند شرائك اي جهاز . انها الضمانة لافضل نوعية في مجال الصوت .



ماذا يمكن للبنك الذي تتعاملون معه ان يفيدكم عن بريطانيا والسوق المشتركة

هل باستطاعته ان يوضح لكم ما يمكن لبريطانيا أن تتوقع من حسنات وسيئات؟ وما يمكن أن تستطيع اوروبا باسرها من مكاسب في المدى الطويل؟ وأن يبين لكم ما سيترتب على ذلك من أثر فوري في أوضاع الدولار والاسترليني؟

ان تشيس منهاتن يمكنه ذلك.

هل باستطاعة البنك الذي تتعاملون معه أن يوضح لكم معنى انضمام بريطانيا في منتصف السبعينات الى البلدان الموقعة على معاهدة روما، او ماذا يعني القبول بالسياسة الزراعية المشتركة، بالنسبة الى التجارة العالمية؟ او هل يستطيع التكهن بردة الفعل في الولايات المتحدة؟ او في الاتحاد السوفييتي؟

ان بنك تشيس منهاتن يمكنه ذلك.

ان شبكة تشيس منهاتن الممتدة الى جميع اطراف العالم بفروعها والبنوك المشاركة لها ومكاتب تمثيلها تتجاوب بسرعة مع الاحداث السياسية والاقتصادية في المنطقة، حتى ان اخصائيي التحليل لدينا غالبا ما يسبقون هذه الاحداث، انهم يدركون ما يترتب على احداث كهذه من نتائج بالنسبة الى اعمالكم العالمية ويعدون في تنظيم الطرق البديلة التي يمكن لكم اتباعها

هذا بالاضافة الى السرعة التي تتميز بها شبكة مواصلاتنا الرفيعة التجهيز قراراتكم.

فاذا اردتم القيام بنشاط تجاري يشمل بلدانا متعددة في اوروبا، او في اي مكان اخر من العالم - فعليكم بمشاورة تشيس منهاتن اولا.

شبكة تشيس منهاتن في أوروبا:

فروع في: اسبانيا، المانيا، ايطاليا، بريطانيا والدنمارك، سويسرا، فرنسا، اليونان.

مصارف مشاركة: ايرلندا - تشيس اند بنك اوف ايرلنده
بلجيكا - بنك دي كوميرس
النمسا - اوستررايخيشه كوميرشيال بنك. أ. جي.
هولندا - نيدرلندشي كريديت بنك ان. في.

مؤسسة مشاركة: اسبانيا - ليغا فيننسييرا، اس. أ.

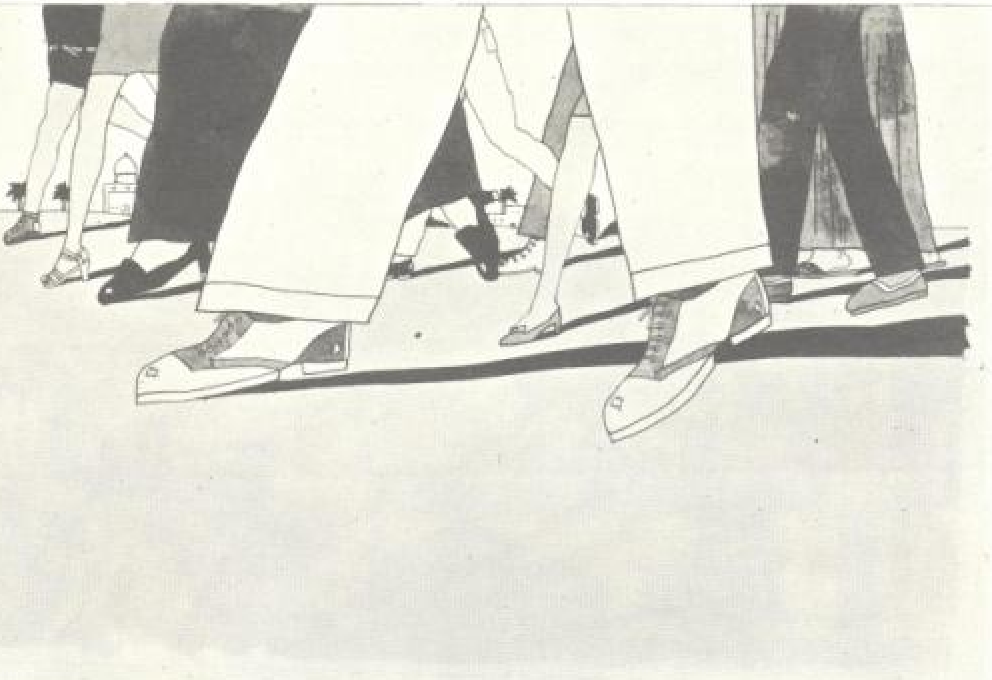
ان لك صديقا في

بنك تشيس منهاتن
THE CHASE MANHATTAN BANK
NATIONAL ASSOCIATION

المقر الرئيسي: 1 Chase Manhattan Plaza, New York, N.Y.



هل صحيح أن بشرائك سيارة داتسون سوف تنسى كل ما يتعلق بالسير على الأقدام؟



طبعاً لا ...! ثم أن السير على الاقدام ضروري ومفيد للصحة وفيه الكثير من المتعة. إلاّ أن لهذه المتعة حدود. تصور مثلاً أنك تركض يومياً إلى مكتبك لتلتحق بعملك، أو أنك تسير مشياً على الاقدام من القاهرة إلى الاسكندرية ...!! إن الجميل بسيارات **داتسون** هو كونها بديلاً مريحاً لأقدام أي شخص. ثم أنك تستطيع أن تعاملها بالخشونة التي تريد، فهي قوية البنية ويمكن الاعتماد عليها كلياً أكان ذلك أثناء العمل أو منزهات المتعة.

تذكروا دوماً شركة نيسان تنتج كل سيارة من سيارات **داتسون** لتحقيق هدف واحد: الانسجام التام بين السيارة وسائقها. وهذا يعني المتعة للناس الذين يعشقون الحياة. وهذا يعني أيضاً أن سيارة **داتسون** تستطيع أن تنقلك إلى الأماكن حيث السير على الاقدام راحة وليس مشقة. فما الهدف من اقتناء لك سيارة إن لم يكن حياة أفضل وأكثر حرية..!

أنتَ وَداتسُون جمعٌ رائِع.

NISSAN MOTOR CO., LTD.



DATSUN



اضغط على الزرّ وتخلّص
في الحال
..من الذباب والبعوض وكافة
الحشرات المزعجة! ببيد الحشرات
بيف باف في علبة إيروسول سريع
التأثير، أكيد المفعول، اقتصادي
جداً. انه يجعل بيتكم في مأمن من
الحشرات ويكسبه رائحة نقية
منعشة.. اشتروا كوبرز بيف
باف القوي المفعول في
العلبة الكبيرة الصفراء والسوداء.
COOPER'S
Pif
بيف
Paf
باف
مبيد الحشرات الطائرة
Insect Killer
Spray


OLMA
OLMA
Automatic
24
هديــة الجميع
ســيدتي ...
قدمي لـه ... أولما أوتـوماتيكية
ســيدي ...
قدم لها ... أولما أوتـوماتيكيـة
ساعة أولما وسيط السعادة للجميع
ساعة أولما تحكم الوقت بدقة
مراد يوسف بهبهاني
صندوق البريد ١٤٦٠ . كويت . دولة الكويت
معرض الصفاة تليفون/ ٤٣٣٥٠٠
معرض حولي - شارع تونس تليفون / ٥١٩٨٣٠

سبعة من كبار النجوم يعزفون لكم في جوقة إن . إي . سي الموسيقية





RMT·205E



NT·10C96



RMT·232RES



NT·8P76



NS 646E



NS·633E



NT·8C92

NEC ان . اي . سي

Nippon Electric Co., Ltd. Tokyo, Japan


RADO
رادو
نموذجان فريدان
إنتصاران عالميان
رادو
الساعة الوحيدة في العالم
الغير قابلة للخدش
أينما كنتم
أطلبوها من وكيل منطقتكم المعتمد


مارلبورو
رمز الجودة
FILTER CIGARETTES
Marlboro
20 CLASS A CIGARETTES
Marlboro
SELECTED
FINE TOBACCOS
Soft Pack or Flip Top Box.
أفخر سجاير كنج سايز فيلتر
AMERICA'S FINEST FILTER
A quality product of Philip Morris Inc. Richmond, Va., USA

سَاعة بالأرقَـــام

ذات أعدادكبيرة تُحرَك بأطراف الأصَابع ، مَع جَرس رَنّان أو منبّه راديو ، تـدَار مَرّة واحـدَة فقط كلّ ٢٤ سَاعة . وَيزداد إرتفاع الصَوت بصُورة متواصلة إذا لَم تنهض فـورًا .

راديو بموجَتين

مَـوجَة AM وَأخرى FM مَع سَاعة وَقف " تُهَدهِدُك " للنــوم مُدَة ٣ سَاعات ، ثم يَتوقف الراديُو اتوماتيكيًا ، بَعْد أن تكون قد استغرقت في نَومٍ هَـادىء .

مسَجّل كاسيت

لتخزين الموسيقى المسَجّلة التي تشتريهَا ، أو للتسجيل الشخصي بواسِطة المكبّر المثبّت في الداخل ، مَع جهَاز توقيت آلي للتسجيل ، أثناء غيابك أو أثناء النــوم .

الموديـــل
M 5400 F



كلّ ذلك ضمن صندوق واحدٍ جذّاب

AAA/55/K6/72.

SANYO سانيو

Sanyo Electric Trading Co., Ltd.

سانيو الكتريك تريدنج كومباني ليمتد . اليابان .

العربي

العدد ١٦٨
رمضان ١٣٩٢
نوفمبر
(تشرين ثاني) ١٩٧٢



زبيد .. مدينة العلم والعلماء، والفقه والفقهاء، في اليمن.

جوائز ١٢٠٠ دينار سنويا

الثمن

الكويت	[illegible] فلس	العراق	[illegible]	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريال	لبنان	[illegible]	ليبيا	١٥ [illegible]
السعودية	٢ ريال	الاردن	[illegible]	تونس	[illegible]
البحرين	[illegible]	سورية	[illegible]	الجزائر	٢ [illegible]
اليمن	[illegible]	ج.ع.م.	[illegible]	المغرب	٢ [illegible]



من روائع الفن الاسلامي

صفحة لطيفة يتجلى فيها اثر الفن الصيني والمغولي ، وتعود بنا الى القرن الثالث عشر الميلادي ، وهي موجودة حاليا في احد متاحف نيويورك .

ولا يعرف الكثير عن الكتاب الذي أخذت منه هذه الصورة، كتاب « منافع الحيوان » ، ولا عن مؤلفه، ابي سعيد عبيدالله ابن بختيشوع . غير ان اسرة بختيشوع هذه ، وكانت من نصارى سوريا النسطوريين ، احتلت مكانة مرموقة طيلة حوالي ثلاثة قرون ، ايام بني العباس وانجبت عددا من ابرز الأطباء والعلماء والمترجمين .

ونذكر من هؤلاء جرجس بن بختيشوع وحفيده جبريل بن بختيشوع . وكان الاول الطبيب الذي نجح في معالجة الخليفة المنصور. وكان الثاني هو الذي اشتهر بمعالجة احدى جواري الخليفة هارون الرشيد ،التي كانت تعاني من الشلل الهستيري . وقد تظاهر جبريل وهم بتعرية الجارية واذا بالفتاة تبادر الى ستر نفسها فتمد يديها وتحركهما وتقضي بالتالي على شللها .

عزيزي القارئ

● الجمعية العامة لهيئة الامم تتابع بحوثها وخطبها والمحاورات والمداورات الجارية فيها ، وهي تجتمع هكذا من عام الى عام ، ولا يكاد يختلف محصول عام عن غيره من الأعوام .

وهي منبر لا شك فيه نافع ، يفرّج عن الهم الكثير الذى تضيق به صدور الأمم . وهي من ناحية اخرى كثيرا ما تنطلق الاحكام في القضايا ، فقد تطيل بذلك في صبر مظلوم ، وقد تفرّج عن كرب مكظوم . ولكن احكامها كأحكام الحكماء والفلاسفة ، وهم بمعزل عن الحياة ، وعن مراكز القوة . قضاة بلا شرطة .

ولقد سبق هذه المنظمة ، منظمة الأمم المتحدة ، منظمة عصبة الامم . هذه الحاضرة مقرها الولايات المتحدة ، وتلك الاخرى كان مقرها سويسرا .

وقضى على عصبة الامم دكتاتور ايطاليا لمّا سوّلت له القوة ما سوّلت ، فسخر من العصبة ، وسخر من اممها . وقفّى على اثره دكتاتور المانيا ، ذهبت به القوة ، وذهب الجبروت كل مذهب .

واليوم يتساءل الناس : من يقف في سبيل هيئة الأمم المتحدة ، وهل يكون مصير هذه الهيئة مصير تلك العصبة ، تذهب بها القوة ، ويذهب الجبروت .

انها امة واحدة ، اعطاها الله الغنى ، واعطاها العلم ، واعطاها السعة في كل شيء . ومع كل هـذا غرور النعمة ، وسطوتها ، وخناعة الأمم من ورائها تلعق ما يتساقط من نعمائها . فهل بعد ذلك ، انا في حاجة الى تسمية تلك الأمة .

انها الأمة التى قال عنها ديجول منذ سنوات ما معناه : ليس من المعقول ان أمة فتية يكون لها كل هذا الغنى وهذه القوة ، وهذا الجنوح والجموح ..

اللهم ان الثراء قبيح ، وان الفقر لقبيح ، فادفع اللهم عـن الامم شر الفقر ، وشر الثراء ، انك مجيب الدعاء .

المحرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

اسلاميــات :

استطلاعات مصورة :

لغة وادب :

طب وعلوم :

تربية وعلم نفس :

ركن الاسرة والمرأة :

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 168 November 1972 P.O.B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »
الاعــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● بلاد اليمن .. اسم عزيز على كل عربي ، فمن اليمن انطلقت هجرات الاجداد في قديم الزمان لتملأ اجزاء وطننا العربي بأبناء يعرب وقحطان وغيرهما .. واليوم تعيش بلاد اليمن فترة انتقال صعبة ، بعد جمود وخمول استمرا اجيالا .. وفي هذا العدد تنقلك العربي الى زَبيد .. واحدة من اشهر مدن اليمن المجهولة ، لنرى كيف يعيش اهلها .. وصورة الغلاف لأحد المقرئين يتلو القرآن الكريم في مسجد الاشاعرة بزبيد .

(انظر الاستطلاع ابتداء من صفحة ١٠٠)

عروبة :

تاريخ وتاريخ اشخاص :

شعر وشعراء :

كتب :

قصص :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطرى ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني. العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش. تونس ٢٠٠ مليم. الجزائر ٢ دينار جزائرى. المغرب ٢ درهم. اليمن ٥ر٢ ريال. ليبيا ١٥٠ درهما. جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس.

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



بريد القراء

رسالة العربي

● اطلعت على المقالات الاسلامية الثلاث في العربي العدد ١٦٤ بعنوان « الاسلام والمجتمع المتطور » و « الاقتصاد الاسلامي كيف اغفل المسلمون تدريسه وتطبيقه » فسررت سرورا عظيما لما حواه هذان المقالان . وأرجو الله ان تمضي هذه المجلة العظيمة والعاملون بها الى طريق الاصلاح والعمل وهو الطريق الذى سارت عليه منذ صدورها ، كما ارجو زيادة هذه المقالات والبحوث الاسلامية، لتحملوا لواء الدعوة الى الرجوع الى الدين الاسلامى وتعاليمه السامية . هذه المجلة العظيمة يجب ان ترفع الراية فهى جديرة بها حقا .

صالح محمد الزمام ـ الرياض

خريطة العالم العربي

● لقد اعتدتم ان تقدموا هدية لقرائكم مصحوبة بالعدد الممتاز كما سميتموه انتم ووافق القراء على تسمية كل عدد بهذا الاسم ، وذلك كلما قدم عام جديد . وانى اقترح عليكم ، ان رضيتم، أن تكون الهدية خريطة للعالم العربى كله بما فيه: موريتانيا وعمان .. الخ سواء كانت اجزاؤه محررة او مستقلة . ونحن لا نود ان تكون الخريطة سياسية ابدا ـ وكم نتمنى ان تلغى الحدود بين الدول العربية ـ وانما الخريطة التى اقصدها خريطة اقتصادية تبين الموارد الاقتصادية المعدنية والبترولية والزراعية ، ثم يكتب تعليق على هذه الموارد في المجلة .

التافمى عمر ـ الحسيمة ـ المغرب

من سورة الاسراء لا الانبياء

● في مقالة « فلسفة الكندى » للدكتور محمد عاطف العراقى ، في العدد ١٦٤ ص ٨٠ ، ذكر ان الآية « قل لو كان معه آلهة .. » رقمها ٤٢ من سورة الانبياء ، والصواب انها ٤٢ من سورة الاسراء .

كاظم سعيد الساعدى
مدينة الثورة ـ بغداد

العربى : نعم ، وشكرا .

العاصمة الثانية حذفت من خريطة لبنان

● في العدد ١٦٣ الذى يحمل استطلاعا مصورا عن مدينة بيروت لاحظت في الخريطة الموجودة في صفحة (١٠٣) عدم وجود اسم مدينة طرابلس الواقعة في الشمال مع العلم انها العاصمة الثانية بعد بيروت فارجو التنويه بذلك .

ليت العربى تقوم باستطلاع جديد لها . فقد قامت باستطلاعها في العدد (١٤) عام ١٩٥٨ وهذا الاستطلاع مكون من ٤ صفحات ولكن شتان ما بين طرابلس من ١٤ سنة وطرابلس اليوم .

مصطفى عجم ـ طرابلس ـ لبنان

العملة الورقي

● لفت نظرى في اجابتكم على سؤال السيد سمارة ، في الصفحة ١٣٨ من العدد ١٥٥ ، بشأن استعمال العملة الورقية بدل العملة الذهبية ان فكرة تداول النقود الورقية كانت من ابتدا الولايات المتحدة الامريكية .

ارجو ان تسمحوا لى بالتذكر بأن اهل الصين

اخطاء المنجد

● اني من المواظبين على اقتناء مجلتكم الغراء« العربي » منذ زمن طويل لانني وجدت فيها ما ترتاح اليه النفس ويخفق له القلب اجلالاواكبارا لانها بحق من افضل واكمل المجلات العربية الصادرة قاطبة وفي العدد ١٣٨ وتحت عنوان(صفحة في اللغة) نقد الاستاذ عبد الستار فراج المنجد في الاعلام نقدا وافيا ادى الى تلافي اسباب النقد في الطبعة الثانية والتي صدرت في ١٥ آذار ١٩٦٩ .

واثناء تجوالي بين صفحات هذا المنجد وجدت ان هناك بعض الاخطاء لاشك في انها مطبعية وهذه الاخطاء هي :

(١) هناك خريطة لآسيا ملونة بين صفحتي١٧٦ و ١٧٧ موضحة عليها دول وبحار آسيا ولفت نظري نهرا دجلة والفرات في الجمهورية العراقية.فدجلة وضع محل الفرات والفرات محل دجلة .

(٢) في الصفحة ٢٢٩ وفي تعريف كلمة ابيذر الغفاري نجد ان اسمه كما هو موضح جندي ابن جنادة بينما الصحيح هو جندب بن جنادة .

(٣) في الصفحة ٢٨٠ خريطة لقناة السويس موضح انها تبدأ عند خليج العقبة بينما كلنا يعرف ان قناة السويس تبدأ عند خليج السويس، لذا وجب التنويه .

عدنان عبد الكريم حميدي

الجمهورية العراقية/بغداد الكرادة الشرقية

مع الله في الارض

● تطالعنا مجلة العربي بحلقات عن كتاب « مع الله في الارض » ولا اعلم هل هذا الكتاب مطبوع ويباع في الاسواق ام لا يزال قيد الطبع اذ فتشت عنه كثيرا في المكتبات فلم اعثر عليه . لهذا ارجو ان تطبع هذه الحلقات على الشكل التالي . تكون مقدمة الحلقة من الجهة اليمنى ونهايتها من الجهة اليسرى حتى اذا انتهت هذه الحلقات تمكن القارىء من جمع الحلقات في مجلد واحد دون التأثير على باقي المقالات في المجلة . وبذلك نكون قد ضربنا عصفورين بحجر واحد (الكتاب والمجلة) .

عباس عمران الطائي ـ العراق ـ النجف

زوروا جامعة حلب

● ان حبي لهذه المجلة الغراء هو الذي دفعني لكتابة هذه الرسالة اليكم ، لكي ادعوكم من خلالها الى زيارة جامعةحلب حتى تلمسوا بانفسكم مدى التقدم والتطور اللذين حققتهما سوريا في اسلوب التعليم الجامعي .

ملك رضا ـ كلية العلوم الاقتصادية

جامعة حلب

العربي : سنفعل باذن الله .

صفحات بيضاء في العربي

● بعض صفحات العربي ، العدد ١٦١ ، قد ظهرت بيضاء من غير سوء ، وهي الصفحات التي تحمل أرقام ٦٧ و٧٠ و٧١ و٧٤ و٧٥ و٧٨ و ٧٩ و ٨٢ ..هذا سهو لا نتوقعه من مجلتنا«الأم»، ونرجو تداركه مستقبلا .

محمد فهد محمد الرشيد

الاحساء / السعودية

العربي: نرجو أن ترسل لنا هذا العدد، فنرسل اليك بدله .

...ل من ابتدعها

... القدامى هم اول من ابتدع هذا النوع من النقد . وقد أشار الرحالة ابن بطوطة الى ذلك ، واسمى نقدهم الورقي بال« كاغد » فليرجع اليه .

سعد زغلول الكواكبي

حلب ـ سوريا

العربي : ما ذكرتموه صحيح ، و « الكاغد » هو القرطاس وأصله فارسي .

حديث الشهر

الأَخلاقُ والقِيَمُ

في حَياةِ النّاسِ، ما مَصادِرُها؟

بقلم رئيس التحرير

■ كنت احادث صبيا. وجرني بحديثه الى مسالة الصدق والكذب. سالته اتحب الكذب؟ قال: بل احب الصدق واكره الكذب. قلت: فلماذا تكره الكذب؟ قال: لأنه شر، وهو يضر. قلت: فاذا انتفعت به وكسبت شيئا، وسالك سائل عن هذا الشيء فقلت لا ادرى؟ قال: انه مع ذلك كذب، وقد علمني ابي ان الكذب شيء قبيح، وان الناس الطيبين لا يكذبون.

وحديث آخر جرى في جمع من الناس في منزل خاص. كانوا اصدقاء. وشكا احد سوء حاله في منزله، وتدهور العلاقات بينه وبين زوجته، وقال فوق ذلك انها مريضة، وودّ لها الفناء. قلت معابثا: ولم لا تستعجله؟ قال استعجل ماذا؟ قلت الفناء الذي ذكرت؟ قال: معاذ الله، انه القتل الحرام. قلت، مستمرا في معابثتي: ولكنّ فيه نفع لك، وكسب، وراحة.. قال: ليس في حرام نفع ولا كسب ولا راحة، واراك تمزح. قلت: هو ذاك.

والعادات

- حديث وحديث
- المجتمع يكيف أفراده
- مجتمعات مستقرة ، شرقية
- مجتمعات غير مستقرة ، غربية
- الفكر مصدر للسلوك الإنساني
- وكذا الطبيعة ، مصدرا
- وكذا الجبلة الانسانية
- ثم الأديان ، وهي خلاصة الخلاصات
- العلم لا يتدخل في السلوك ولا يقيم الأشياء

والحق أن الحديث ، بل الحديثين ، كانا بين الجد والمزح . اردت بهما الكشف عن الأخلاق ، ما مصادرها في الانسان . وفي الحديث الأول اتضح ان الصبي لا يكذب ، لأن اباه علمه أن الكذب شيء قبيح . وفي الحديث الثاني اتضح أن الرجل لا يقتل لأن القتل حرام .

وليس في اي الجوابين صلة بمنطق ، ولا باعمال فكر ، ولا بتحليل يصل النتائج بأسبابها ومقدماتها .

وانت لو سألت الف صبي ، وسألت الف رجل ، والف امراة ، في مجتمع متجانس واحد ، سؤالا يتصل بتخلق الناس في الحياة ، وبعلل هذا التخلق واسبابه ، لخرجت منهم جميعا على اجابات واحدة لا تتصل بأسباب منطقية ابدا . انهم على هذه الأخلاق نشأوا ، وعلى هذه المسالك في الحياة تدربوا ، فهم يأتونها عادة ، والمرء منا يأتي العادات ولا يتريث فيسأل عن أسبابها .

وكل هذا من عمل المجتمع ، اى مجتمع .

المجتمع يكيّف افراده

ان المجتمع يكيّف افراده ، من يوم يولدون ، ويظل يهيمن على تكييفهم ما استطاع الى يوم يموتون .

والمجتمع يكيف افراده على اساليب الحياة جميعها ، ويحاول ان يجعل منهم جنودا مجندة ، يصيح بهم صائحهم الصيحة الواحدة ، فتكون لها منهم الاستجابة الواحدة ، ما امكن ذلك .

والنتيجة ؟

الخروج بعادات للعيش واحدة .

ومن بين هذه العادات الواحدة ، التخلق الواحد ، والمسلك الواحد من بين شتى مسالك الحياة جميعا ، لا سيما تلك التي تصل بين الناس والناس في المعاملات الجارية ، ونسميها الأخلاق ، ونسبغ على ما يأتيه الناس منها ، مما يرضاه المجتمع ، بانه الفضيلة والفضائل ، ونسبغ على ما يأتيه الناس منها ، مما لا يرضاه المجتمع ، بانه الرذيلة والرذائل .

وكالعادات ، وكالأخلاق والمسالك ، فكذلك القيم التي يقيّم بها الانسان اشياء الحياة ، مما يتصل بحوافزها ، واهدافها ، والأماني ، تلك التي يحاول ان يبلغها الانسان ، فيصل ، او يظل منها على مثل بعد القمر ، فتكون لبعد الشقة املا ولا عمل .

مجتمعات مستقرة

ولست ابرىء الناس من الفكر فيما يصنعون . ولكن المجتمعات فيها المجتمع المستقر الذي يعيش يومه كما عاش امسه ، وكما هو عائش غده ، ويمتد استقراره السنين الطويلة والأحقاب ، وحتى القرون ، فمثل هذا المجتمع قلما تتاح له الفرصة في التريث قليلا لينظر فيما هو يصنع ، وفي موضع ما هو صانعه من الصحة والخطأ ، ومن الحق ومن الباطل .

مثل هذا المجتمع المستقر ، عنده أن عاداته حقة ، وان نقيضها هو الباطل . وانها حقة لأنها عادات ، وانها عادات فاذن هي حقة ، والا ما حفظها الزمان .

ومع الزمان الحافظ رجال اسميناهم بالمحافظين . وسميناهم احيانا بالرجعيين امعانا في الانتقاص من اقدارهم ، وما هم عند الزمان بمنتقصين . ان المحافظ يمثل قوة من قوى الزمان في الاحتفاظ بنسيج المجتمع حتى لا تمزقه قوة أخرى معاكسة ، هي قوة التغير السريع والباغت .

ومن المجتمعات المستقرة مجتمعاتنا في شرقنا هذا ، او هي هكذا كانت ، وظلت هكذا زمانا . عادات قائمة لا يرتاب فيها احد ، وانماط للسلوك الانساني آخذة بتلابيب الناس جميعا لا ينكرها فيهم منكر ، وقيم لأشياء الحياة ، من مادية وروحية ، هي القائمة فيهم وهي الغالبة .

ومجتمعات مستقرة كمجتمعاتنا هذه قد يكون فيها الخطأ الذي ينام عنه المنطق ، ولكن في نوم المنطق ، مع الرضا بالذي هو كائن ، متعة ، هي انتفاء الألم ، وان تجري نسائم العيش على الناس رخيّة ، على الأقل فيما نحن ذاكروه من عادات وانماط سلوك وقيم لأشياء الحياة .

مجتمعات فقدت استقرارها

والمجتمعات الانسانية فيها المجتمع غير المستقر .

والمجتمع غير المستقر هو المجتمع الذي يصحو الناس فيه ويمسون ، وهم يفتشون في عاداتهم واخلاقهم ومعتقداتهم من كل نوع ، وفي كل درب من دروب العيش ، أيها الحق ، وايها الباطل .

ومثل هذه ، المجتمعات الأوروبية .

ويذكر الناس من امثلة القلاقل التي وقعت في المجتمعات الأوروبية الثورة الفرنسية اولَ ذكر . ولكن سبق هذه

الثورة الواقعة فى أواخر القرن الثامن عشر تحرك" فكرى قاده الفلاسفة الفرنسيون فى أوائل هذا القرن وفى أثنائه ، حفز الناس الى التفكير فيما هم فيه من أحوال جرت فيهم ثابتة مثل طلوع الشمس وغروبها دواما وثبوتا . ولقد نذكر من هؤلاء الفلاسفة القادة روسو Rousseau وفلتير Voltaire وديدرو Diderot ، وغيرهم كثيرين ، وفى غير فرنسا لهم أمثال . وأسموا هذا العصر بعصر التنوُّر Enlightenment.

وقبل عصر التنور كان عصر النهضة ، وكان عصر الثورة الدينية الذى انشقت فيه الكنيسة المسيحية الى الكاثوليكية والبروتستانتية .

ومن بعد الثورة الفرنسية جاءت الحركة الرومانسية تكاد تكون ردا على حركة التنوُّر السابقة ، وذلك فى القرن التاسع عشر ، وكذا المفاجأة العلمية التى جاء بها دروين Darwin وكان لها أثر واسع ، سواء صح محتواها أو لم يصح، وصاحبَ هذه المفاجأةَ مفاجأةٌ مثلها لعلها كانت أشد وقعا منها ، تلك التى أعلنها كارل ماركس Karl Marx وصاحبه ، وذلك فى النطاق الاقتصادى والاجتماعى ، سواء صح ما جاء به أو لم يصح . فما نحن بصدد هذا .

أمواج متلاطمة فى البحر الذى افتقد



روسو ، وكان من عهد عصر التنوُّر



الثورة الفرنسية كانت خطوة تاريخية كبرى لقلب نظام المجتمع الانسانى .

السكون ، تلك البيئة الأوروبية فى القرون الثلاثة أو الأربعة الماضية .

ولا ننسى الثورة الصناعية التى ظللت القرن التاسع عشر وامتدت ظلالها أكثر امعانا الى قرننا هذا الحاضر ، ومعها الثورة العلمية ، وانفلاق الذرة وما جره ذلك على العالم ، ولا سيما الغربى ،من أفراح وأحزان .

كل هذا وقع فى الغرب ، بينا الشرق هادىء ساكن .

زوابع فى الغرب عاتية ، وفى الشرق، ان تكن فى الريح حركة ، فهى النسائم الرخية المتراخية .

وكان أثر هذه الزوابع فى حياة الناس، فى أمم الغرب ، أمم أوروبا ، وأمم شمال أمريكا ، أثرا بالغا .

بالغا فى مساكن الناس . بالغا فى ملابس الناس . بالغا فى طعام الناس . بالغا فى العادات . فيما احتوته الأدمغة من آراء علمية، وآراء اجتماعية ، وآراء نفسانية. وآراء مادية روحية، حتى اذا انت قارنت مدينة من مدن القرن الخامس عشر فى أوروبا ، بمدينة فى القرن العشرين ، تجد أن الأولى تمثل القدم ، واليها يذهب السائح ليرى أخلوقة من مخلفات الزمن،

ونجد ان الثانية تمثل الجدة التى تتمثل فيمن سكن جديد المدائن وحاضرها من احياء .

ومن العادات التي تغيرت وتبدلت عادات سلوك واخلاق . والقيم ، قيم الحياة ، غلا منها الرخيص ورخص الغالى .

وافترق الشرق عن الغرب

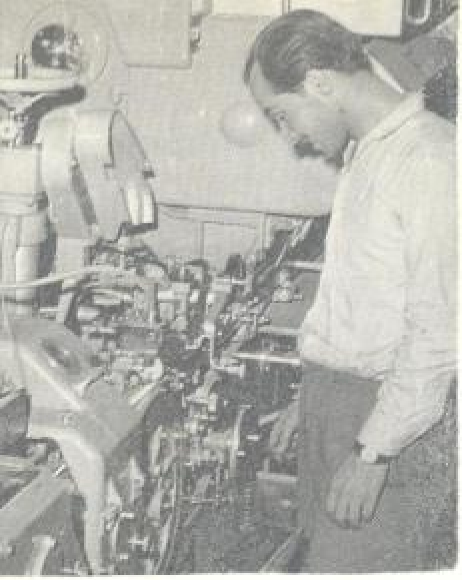
فهذا هو المجتمع الغربى بما اصابه من قلق وضياع استقرار ، وزلزلة اشبه بزلازل الارض تتغير بها وجوه الحياة . وهذا هو المجتمع الشرقي احتفظ بالكثير من استقراره فى تلك القرون الثلاثة أو الخمسة ، واحتفظ بقيمه ، واحتفظ بعاداته ، واحتفظ فيها بآدابه ومبادىء سلوكه والأخلاق .

ولكن ،هل بقى الشرق محتفظا بكل ما غلا عنده وطاب من أمور هذه الحياة، وانماط العيش ، واستطاع أن يمسك بها الى آخر المطاف ، الى سنتنا هذه ، والى يومنا هذا ؟

الا هيهات :

انه فى هذه القرون الثلاثة أو الخمسة ازدادت اسباب المواصلات بين امم الارض،فى بر وفى بحر وفى هواء ،فحملت الناس من شرق الى غرب ، ومن غرب الى شرق ، وحملت الرأى ، مكتوبا ، ومسموعا ، ومرئيا ، ومدويا ، فايقظ القوم الذين سعدوا بنومهم ، وحرك الرتيب الدائم الرتابة من فكرهم قرونا طويلة .

وبدأ الشرق يأخذ من الغرب الجديد فى كل مرفق من مرافق الحياة ، احيانا لانه يراه الأنفع ، واحيانا يأخذ به لأنه جديد وكفى . وصحب هذه الحضارة من انتجة الفكر والعلم ما بهر واعجب ، فانطلق أهل الشرق يعجبون بحكم



والثورة الصناعية كان لها في عادات الناس وسلوكهم شان اى شان

القنبلة الذرية كانت آخر المطاف التكنني



القصور الذاتى بكل ما حملته السفن من أوروبا ، ومنها الكتب التى بها محاصيل الرؤوس الكبيرة والصغيرة . وعبّ أهل الشرق منها بحكم انها الحضارة الجديدة التى لا بد من ان تكون خير حضارة ، فدخل الى اجوافهم منها ما انهضم سهلا ونفع جسما ، ودخل ما تعسّر هضمه وساء طعاما .

وعلى خبث وجده اهل الشرق فى بعض هذا الطعام ظلوا يتعاطونه جملة ، وهم لا يتريثون ليفرقوا بين الصالح والفاسد .

والظاهر ان هذه هى سمة الانسان فى كل الدهور والأزمان . وكأنى به الطوفان انطلق من الغرب قويا فضعفت جسور اهل الشرق عن حبسه ووقفه ، فراح يحطمها . وقوم كرام من اهل الشرق قاموا لوقف هذا الطوفان ، عن علم ، وقوم كرام من أهل الشرق قاموا لوقفه، عن جهل ، والغى أهلُ الجهل جهودَ أهل العلم،فظل الطوفان يمتد ويغمر ولا يبالى .

وغمر الطوفان الغربى من اهل الشرق، فيما غمر ، قيما شرقية هى فى الحياة غالية ، واخلاقا وقواعد سلوك نعمنا بها دهورا طوالا ، وركنّا اليها ، واعتمدنا عليها ، فنلنا منها راحة البال ، وصفاء الأنفس ، ونبل الفكر ، وطيب المال .

مصادر السلوك والأخلاق فى أمم الارض

وأتطرق من هذا الى قواعد السلوك ، وسنن الأخلاق كيف تأتى الأمم ، وما هى المصادر التى منها تستمد هذه القواعد والسنن .

وأفكر واكاد احصرها فى مصادر اربعة:

(أ) الفكر الانسانى وما احتواه من منطق .



طراز الأمس — طراز اليوم

(ب) الطبيعة التى يعيش فى أحضانها الناس .

(ج) الجبلة الانسانية التى لا تكاد تعتمد على فكر .

(د) الدين بل اديان البشر جميعا .

الفكر ، مصدرا من مصادر السلوك الانسانى والأخلاق

لو اننا نزلنا برجل من السماء الى الارض ، فحط على تربتها اول حاطط ، وقلنا له تصرف فى دنياك هذه ، لتلفت حوله ، ثم لم يجد لنفسه هاديا غير الفكر اول هاد .

ولقد مضى الناس ، على ما نزعم ، ينظرون . ويختبرون ، ويتصرفون ، ويبين لهم النافع من الضار ، والصالح من الفاسد ، وتتضح لهم وجوه الهدى والضلال ، حتى اذا جرت بهم السنون تكونت فيهم أساليب من العيش ارتضوها فلم يعد الفكر يعمل فيها ، واصبحت هذه عادات وقرّت على الناس المجهود الذى يبذلونه فى الاختيار كلما وصلوا



مدينة اوروبية يرجع طرازها الى القرون الوسطى.

الى مفرق طريق ، فيه اتجاهان ، يمين ويسار . العادة اخذت تسلك بهم الطريق المعتاد فى حين ان الفكر نائم او كاد ان يكون .

وكطرقات الارض مسالك للحياة لا تمس تربة الارض ، تتصل اكثر ما تتصل بالمعاملة بين انسان وانسان . وهي معاملات" ما اكثر مفارق الطرق فيها . ويدخل الفكر فيها اولا حتى يستقر اختيار ، ثم تصبح هذه المسالك ، منها المعبّد المسلوك،ومنها غير المعبد المتروك .

وتدخل فى هذه المسالك مسالك الأخلاق . وتدخل فيها ما يستقر عند الناس من قيم فى الحياة يقيمونها ، ويعتزون بها . ثم يقوم الفكر بعد ذلك فى اجازة طويلة ، فقد تعطّل عمله ، وقد تم انجازه لما اراد الناس ان ينجزه للناس .

ولكن ..

ولكن اذا عاد الفكر بعد ذلك الى ما كان صنع ، يمتحن متانة ما صنع ، ويستخدم المنطق وحده ضاع الفكر فى ميدان النقاش والجدل . ولنضرب الأمثال .

من المقرر ان الكرم فضيلة ، فيعطي من عنده ، بعضَ ما عنده . وياتي المنطق وليس شيء أجفمن منطق،ويسال لماذا؟ وتحار أنت بالمنطق وحده جوابا .

ومن المقرر ان السرقة رذيلة . وبالسرقة يكسب السارق ، فهي مكسب له ، ولهذا هو يسرق . وستقول ولكن فيها خسارة المسروق منه . وسيقول السارق ، وماذا يهمني من خسارة المسروق منه لا سيما اذا كان ذا ثراء . وستثير انت معنى العدالة ، وستثير معنى الانسانية . وهذه معان ليست من انتجة الفكر البحت والمنطق العارى فى شيء .

ان كل شيء تسأل عنه من مقررات السلوك الانساني ، سوف تردّه الى اسباب تعتبرها انت ، فى الفكر ، نهائية. ولكن ، هذه الاسباب ، بمجرد النطق بها ، تصبح مقررات هي فى نفسها فى حاجة الى اثبات منطقي آخر .

انت تأكل من الطعام ما يلذ لك ، وتتعب من ذلك . وينهاك الطبيب عن



مدينة حديثة من اطرزة الزمان الحاضر

اكل بعض هذا الطعام ، فتساله لماذا ؟ فيقول : لتصح ، وتساله : لماذا اصح ؟ فيقول لانك اذا لم تصح تموت ، فتقول: وماذا فى ذلك والموت نهاية كل حي ، فيقول لك : ان من واجب الانسان الابقاء على الحياة ما امكن ذلك .

هذا الراى الأخير ليس بمنطق . انه عقيدة . او هو شعار . او هو مبدأ ليس من نتاج الفكر . بل قد يقرّب نهاية الحياة ، فتقول انت ان كل حي الى موت ، فلم الحياة ومتاعبها ؟ !

مبادىء الاخلاق اذن،وقواعد السلوك لم تكن من نتاج الفكر ، او على الأقل من نتاج الفكر العاري والمنطق السليخ وحده. لا بد اعتمد الناس فيها على مصادر اخرى .

الطبيعة
التي يعيش فى أحضانها الناس ، مصدراً من مصادر السلوك الانساني والاخلاق

ومن الناس من اتجهوا الى الطبيعة يستوحونها فى امر السلوك الانساني ما يستوحون .

والطبيعة فيها الايحاء الكثير .

ففي الطبيعة السعي الى الرزق ، يسعى اليه الحيوان . وفى الحيوان التعاطف لا سيما بين ذكر وانثى . والحيوان يلد « البنين » و « البنات » وتظهر الأمومة فى الحيوانات فى اشد مظاهرها ، وكذا الأبوة والحنان . والحيوان يدفع عن بيته وعن حظيرته . والحيوان لا يأكل الا اذا جاع ، فاذا اكل لا يأكل حتى التخمة .

كل هذه دروس تهدى الانسان .

والقط يأبي القذارة ، فهو دائما لاعق شعره . والكلب صديق يحسن ولاءه للنعمة .

والحرص على الحياة فى الحيوانات جميعا . فان خاب المنطق فى تبرير الحرص على الحياة ، قامت الطبيعة تعمده .

والشجرة تزرعها حيث ضوء الشمس قليل ، فتميل لتخرج الى الضوء .

مصدر حياتها ، كل الميل ، فاذا بلغته استقامت .

والشجر يزهر ثم يثمر،ويلقى الثمر ببذوره فى الأرض ، ليخرج منها شجر جديد . فذلك حكم الطبيعة فى تواصل الانسال.فان قال الفكر العريان ما فائدة ذلك . قلنا قد لا ندرى بالفكر وحده ، ولكن الطبيعة تقول بتواصل النسل،وهي تضرب لنا الأمثال .

دروس الطبيعة عديدة .

ولكن منها ظواهر جرى الناس فى اخلاقهم على نقيضها .

ففي الحيوان افتراس دائم ، يأكل القوى الضعيف ، ويأكل الكبير الصغير . والناس لا ترضى هذا ، او هي على الأقل تحاول ان لا ترضاه ، فتنشىء معاني من العدالة ، ومن المساواة ، لا يعرفها عالم الحيوان .

استوحى الانسان الطبيعة ، فوجد الحيوان يأكل الحيوان ، فاكتفى بالعبرة .



وليست هذه المعاني مصدرها الفكر والمنطق ، وليس مصدرها الطبيعة يعيش الانسان فى أحضانها .

الجبلة الانسانية ، مصدرا من مصادر السلوك الانساني والأخلاق

قلنا ان هناك معاني فى السلوك الانساني لا يمكن ان تخرج الى الناس عن طريق المنطق الجاف وحده ولا حتى عن طريق الطبيعة التي يعيش فى اكنافها الناس .

هب انك قعدت الى طعام تأكله على ناصية فى الطريق ، ومرّ بك صبي فى اسمال ، عليه مظاهر الفقر والجوع ، ونظر الى ما انت آكله ، وفى عينيه اسى الحرمان . فماذا انت صانع ؟ جبلتك ان ظلت صحيحة تجعلك تجود للصبي ببعض ما انت طاعمه . واحسب انه لو فرّ خجلا ، ما ساغ لك من بعد هربه طعام .

هذا هو انت ايها الانسان . ولا تقل لي من اى جنس انت ، ولا من اى ارض. ان كل الناس الأسوياء فى هذا سواء .

فتلك هي الجبلة الانسانية ، وكدت أقول الفطرة التي تهدى الناس سواء السبيل .

والأديان ، مصادر للسلوك الانساني والأخلاق

ثم نأتي الى الأديان، وهي التي جمعت الى العبادات والعقائد، محاصيل القرون من الأخلاق ، ورسمت الطريق معبدا ، سهلا ، وفرّ على الناس اضطراب الفكر، وريبة المنطق ، واشياء يستوحيها الانسان من بيئته ، ومن الطبيعة التي يعيش فيها . اما الجبلة الانسانية فانتقلت خلاصتها ، طاهرة مطهّرة ، الى الأديان تكاد تتحدث بها .

واقرأ فى الكتاب المقدس فى سفر



جبيلة الانسان تأبى عليه ان يأكل وحوله قوم جياع ينظرون .

الخروج ، وهو ثاني اسفار العهد القديم، فاجده يتحدث عن خروج اليهود من مصر بزعامة موسى عليه السلام ، « ويترك موسى قومه ، ويصعد جبل سيناء ، وهناك يعطيه الرب الوصايا العشر ، منقوشة على لوحين من حجر » . يعود موسى بهذه الوصايا الى اهله فيجد انهم عادوا الى عبادة الوثن .

المهم هنا ما احتوته هذه الوصايا التي تمثل قواعد السلوك فى دين من اديان البشر . واقرأها فاجد فيها :

(١) اكرم أباك وامك (٢) لا تقتل (٣) لا تزن (٤) لا تسرق (٥) لا تشهد بالزور .. الى آخر ما هناك .

فان اتخذنا هذه الوصايا مثلا للأخلاق فى دين ، وجدناها هي هي واحدة فى سائر الأديان. الفضائل الأساسية واحدة او تكاد تكون . والرذائل الأساسية واحدة ، او تكاد تكون . وانا انما اتحدث عن الفضائل والرذائل وقواعد السلوك بمعزل عن غيرها، كالعبادات والمعتقدات.

ولقد عملت الأديان ، اجمالا ، على استقراء المجتمعات للذى فيها من تسليم، وللنظرة الواحدة التى يخلقها الدين الواحد فى الألوف من الناس وفى الملايين. وفى النظرات الخاطيء ، ويبقى الخطأ غير فعّال ما لم تتعدد نظراته ، وما لم تمس الخطير من الأمور ، وما بقي فى رجال الدين ، كلّ دين ، فهم واسع يبعد بهم عن الغلظة وعن الجمود ، فلا يضيق افقهم ، وتضيق صدورهم ، فيجعلوا من الأديان سياطا، يحسبون انها سبيلهم الى الجنة ، وما عرفنا ان من سبل الجنة السياط ، ولا الغلظة ، ولا الجمود ، ولا الحقد الأسود ولا الأبيض ، ولو حسبوا انهم انما يصنعون ذلك مرضاة لله . وحاشا لله . فالله جميل يحب الجمال . والله رؤوف ورحيم . والله يغفر كل الذنوب ، ولكنهم باسم الله لا يغفرون شيئا .

ما زالت الكتب السماوية والمقدسة عند الامم ، هي ابسر المصادر واروجها للسلوك الانساني



العلم الحديث ليس مصدرا من مصادر السلوك الانساني والأخلاق

بقي العلم الحديث وصلته بالسلوك الانساني .

ان كثيرا من الناس يربط بين العلم الطبيعي الحديث ، وبين ما يقوم به الناس من صالح الأعمال او غير صالحها،



العلم لا شأن له فيما وراء الاجسام من اشباح وارواح. انه يبحث في ما يقاس من الاشياء وما يوزن ولا شيء غير هذا

وما يؤمن به الناس من العقائد ، سواء في امور الدنيا او الآخرة .

وليس للعلم الحديث صلة بشيء من هذا .

ان العلم الحديث موضوعه الطبيعة ، من حية وميتة، يبحثها ويكشف ما فيها، بالملاحظة او بالتجربة ، وهو يستخدم في ذلك الوزن والقياس . فموضوع بحثه المادة ، وما يخرج عن المادة من طاقات . اما ما لا يرى ، وما لا يوزن ، وما لا يقاس ، فليس للعلم اليه سبيل .

والحقائق التي يكشف عنها العلم ، قد يستفيد منها باحثو الاخلاق ، وعلماؤه ، فيما هم فيه ، فيحكمون على شيء من الأشياء بالخير ، وعلى آخر بالضير ، ولكن لا يحكم العلم .

فالعلم يكشف عن اسباب الأمراض ، كالزهرى مثلا ، ويكشف عن جراثيم تسببه ، وعن مجرى حياتها في الجسم ، وعن علاج هذا المرض ، ثم هو يترك للناس الحكم على هذا الداء ، وعلى حامليه ، من وجهة السلوك الانساني ، فيقف عند الحقائق ، فلا يذم ولا يمدح .

والعلم ينظر في الخمر ، فيكشف كم لها من مضار في الجسم ،وكم من منافع ، ويترك للناس،ولرجال السلوك والأخلاق خاصة ، ما يشاؤون من امر تحليلها او تحريمها .

واشياء زعموا ان العلم ينكرها ، فهم يقولون انه ينكر الله ، وينكر ما وراء الطبيعة ، وينكر الروح ان تكون .

وهذا كله ليس من عمل العلم او مجال العلماء . فالعلم كما ذكرت لا يعرف الا المادة موضوعا لبحث ، والا ما يخرج عنها من طاقات ، كالنور ، والكهرباء ، وامواج يحسها الناس ولا يرونها . اما الروح واضرابها فلا تكون موضوعا لبحث عالم قط .

فان انكر عالم طبيعي ، او غير عالم ، وجود الروح واضرابها ، فهو انما يفعل ذلك خارج حظيرة العلم . فهو كالمحامي الذى يقضي بالحكم في موضوع طبي ، او كالطبيب الذى يقضي بالحكم ، في شان من شئون الجن ، هل لها اجسام ، وبالاجسام امراض ، ام غير ذلك .

ان الناس تقول ان العلم مادى . وهذا صحيح ، بمعنى أن موضوعه المادة . وهذه حقيقة لا مدح فيها ولا ذم . ولكن من الناس من يعني بذلك انه ليس بروحي ويقصدون بذلك ذم العلم . وانه ينكر الروح واضرابها ، وهم بذلك يقولون بما لا يعلمون .

●●

احمد زكي

العربي

في عامه الجديد

يستفتي قراءه

■ تعتز مجلة « العربي » بقرائها ،ويهمها دائما معرفة رأيهم فيما ينشر لهم بمجلتهم،لهذا آتيناك ايها القارىءالعزيز برجاء :

أن تكتب الينا عن رأيك فيما نقدمه لك من ابواب في المعرفة شتى ، تبلغ بضعة وعشرين بابا هي :

١ ـ حديث الشهر
٢ ـ ادب ولغة
٣ ـ شعر
٤ ـ قصص
٥ ـ تاريخ
٦ ـ تاريخ اشخاص
٧ ـ اسلاميات
٨ ـ عروبة
٩ ـ تربية وعلم نفس
١٠ ـ فلسفة
١١ ـ اقتصاد
١٢ ـ طرائف عربية
١٣ ـ طرائف غربية
١٤ ـ ركن الأسرة والمرأة
١٥ ـ انباء الطب والعلم والاختراع
١٦ ـ في سبيل موسوعة علمية
١٧ ـ وحدة الله تتراءى في وحده خلقه
١٨ ـ امراض شائعة
١٩ ـ طبيب الأسرة
٢٠ ـ من روائع الفن
٢١ ـ انت تسال ونحن نجيب
٢٢ ـ كتاب الشهر
٢٣ ـ بريد القراء
٢٤ ـ استطلاعات مصورة عن الكويت
٢٥ ـ استطلاعات مصورة خارج الكويت
٢٦ ـ مكتبة « العربي »

ونرجو أن تقترح علينا ما تود من ابواب جديدة ،تريدها في « العربي »، وان تقترح في نفس الوقت ، الباب القديم الذى يحل محله كل باب تقترحه جديد .

اننا نكرر لك ما سبق أن قلناه :**« ان العربي يرحب بكل نقد بناء يأتي من القراء ، فالمائدة مائدتهم ،والوان الطعام ، طعام لهم »** .

ولا تنس ان تكتب على الظرف الذى سيتضمنه رأيك ، كلمة : **اقتراحات**

وشكراً ■■

لا .. تقتلوا أولادكم

بقلم : الشيخ احمد حسن الباقوري

■ لعل مجلة العربي الغراء لا تضيق صدرا بمقال حول هذا العنوان ، الذى ندعو من خلاله علماء الكيمياء الحيوية الى ابداء الراى فى هذا الذى ترويه للخالفين عن السالفين ، من حيث كان متعلقا بنجابة الولد وقوة بنيته ، فكان من اجل ذلك خليقا بان يقبل عليه ويهتم به العلماء المعمليون ، كما يقبلون على كل ما من شانه تقوية الاجساد وحفظ الصحة فى عصرنا الحديث .

ان هذا العنوان (لا تقتلوا أولادكم) يستمد حقيقته من توجيه النبوة ، وحكمة الشعر ، وذكاء الأمومة العربية في جاهليتها .

حديث نبوى ، مع تفسير غريبه

ففى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم ـ فيما يروى أبو داود عن أسماء بنت يزيد بن السكن ـ : « لا تقتلوا أولادكم سرا ، فان الغَيْل يدرك الفارس فيُدَعثِرُه عن فرسه » .

وقد ذكر راوى الحديث معنى الغَيْل ، ومعنى الدعثرة ، فبين أن الغيل هو اللبن ترضعه المرأة ولدها وهى حامل ، فاذا بلغ الولد مبلغ الرجال ضعف عن مقاواة نظيره في الحرب فانكسر بسبب ذلك . ثم ذكر الدعثرة فقال : انها الهدم ـ من قولهم : دعثر الرجل الحوض اذا هدمه .

وقال صاحب القاموس في مادة الغيل : اغالت المراة ولدها وأغيلته ، بمعنى سقته الغَيْل ، فهي مُغيل ومُغْيِل ، والاسم من ذلك الغَيْلة .

وقال صاحب اللسان بعد أن ساق الحديث ... ان المرضع اذا حملت فسد لبنها فكان من سوء اثره في بدن الطفل وارخاء قواه أن ذلك لا يزال ماثلا فيه الى أن يشتد ويبلغ مبلغ الرجال ، فاذا اراد منازلة قِرْنِه ، وَهَن عنه وانكسر . وسبب وهنه وانكساره ، هو ذلك الغيل .

ومما جرى على ألسُن العرب مجرى الأمثال ، « اذا أرضعت المراة ولدها غيلة ، فكانما قتلته

غيلة » . فكلمة غيلة الأولى تعنى ارضاع المرأة ولدها وهي حامل ، وكلمة غيلة الثانية تعنى الاغتيال وهو القتل على غفلة ، واخذ المقتول من حيث لا يدرى .

اسباب قتل الولد

وقتل الولد في عرف الشريعة ، يكون عن شدة فقر واقع « ولا تقتلوا أولادكم من املاق » أو عن شدة فقر متوقع « ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق » ، او عن جاهلية يبلغ بها الوسواس عند اهليها حدَّ التلمّ « واذا بُشّر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بُشّر به ، أيُمسكه على هُون ، ام يدُسُّه في التراب ، الا ساء ما يحكمون » .

والحديث النبوى هنا اضاف نوعا رابعا من القتل اسماه قتل السر ، وهو قتل المرأة ولدها وهى تستقبل الحمل ، فربما حملت ففسد لبنها ، والقرآن يطلق السر على الخلاط ، فذلك قول الله تعالى « ولكن لا تواعدوهن سرا » اى خلاطا ، فان السر - على ما يقول جار الله الزمخشرى - في تفسير الآية ، كناية عن الخلاط . وشاهدُه فيما ذكرهُ جارُ الله قولُ الأعشى : -

ولا تقربنّ جارةً أن سرها
عليك حرامٌ فانكحن أو تأبدا

يعنى : أن على الجار أن يحفظ جاره في اهله ، فاذا لم يستطع التعفف فعليه أن يتزوج حتى لا ينتهك حرماته ، وتلك لعمر الحق دعوة عريقة في مكارم الأخلاق من عربى أصيل غير ذى دين . ففى هذا البيت استخدم الشاعر كلمة السر كناية عن مخالطة الرجل زوجته .

وسيلة منع الحمل فى الجاهلية

ومما ينبغى الامعان في تأمله أن النساء في الجاهلية العربية كن يتخذن لهن خرزة تسمى العقرة ، تشدها المرأة على خصرها ، وتزعم انها اذا علقت كذلك منعت الحبل . ولعل ذلك كان عندهن من أجل الحرص على نشأة الولد سليما معافى من خطر الغَيْل ، وما يتهدد به الطفل من أشد الفساد في نفسه وجسده جميعا ، ولعل ذلك أن يكون من أجل التخفف من النسل ، ولم تكن في ايديهن وسيلةٌ الى ذلك سوى اللجوء الى الأوابد والخضوع للخزعبلات .

الشاعر تأبط شرا

ثم أن اهل العلم باللغة والشعر والأدب ، يعرفون ثابت بن جابر بن سفيان الملقب (تأبط شرا) ، لا يخفى عليهم شيء من جراءته ، وأنه لا يبالي وقع على الموت أو وقع الموت عليه ، وقد وصفه أبو كبير الهذلى في رائعة من روائعه مطلعها : -

ومبرّءٍ من كل غُبّرِ حَيْضةٍ
وفسادِ مرضعةٍ وداءٍ مغيلِ

فنسب قوة جسمه وشدة ذكائه وعظيم جراءته الى عدة أمور ، منها أن أمه حين حملت به كانت نقية من كل أثر للحيض ، كما كانت سليمة من العلل والأسقام ، وأنها لم ترضع ولدها هذا غيلا .

وفي شرح هذا البيت يقول الخطيب التبريزى : غُبّرُ الحيض بقاياه ، وغُبّرُ اللبن بقاياه في الضرع ، ولم يرض أبو كبير في وصف تابط شرا بتبرئته من غبر الحيض حتى أتى بلفظ كل على سبيل التأكيد بنفى قليل ذلك وكثيره ، واضاف الفساد الى المرضعة لأنه أراد الفساد الذى يكون من قبلها ، والمغيل مأخوذة من الغيل وهى أن ترضع المرأة ولدها وهى حامل .

وصفوة ما قاله أبو كبير في وصفه تابط شرا : أن امه أرضعته ولا داء به استصحبه من بطنها حتى لا يقبل علاجا من حيث كان داء البطن لا يفارق ، ثم هى مع ذلك لم ترضعه غيلا كما كانت تقول عن نفسها : والله ما سقيته غيلا ولا حرمته قيلا . فالقيل ، أن ترضعه وهى حامل ، والقيل ، أن

تعطيه رضعة وسط النهار ، والعرب تقول : فلان شروب للقيل ، ومن ذلك يصف راجزهم نساء مترفات فيقول : ـ

يسقين رفها بالنهار والليل
من الصبوح والغبوق والقيل

فالصبوح شراب اول النهار ، والغبوق شراب آخره ، والقيل شراب وسطه .

ومن ذلك تقول العرب : اقتال الرجل ، كما تقول اصطبح واغتبق . وتقول قيلته ، تعنى انك سقيته القيل .

قصة « تأبط شرا » مع زوج أمه

وقصيدة الهذلى في تأبط شرا على غاية الشهرة ، او ينبغى أن تكون كذلك ، بين الأدباء والمتأدبين ، والشعراء والمتشاعرين .

وأما قصته التى وصفه بها ، فقد كان أبو كبير تزوج امه وهو غلام صغير ، فلما رآه يكثر الدخول على امه تنكر له حتى عرف ذلك ابو كبير في وجهه ، فقال لها ذات يوم : قد والله رابنى أمر هذا الغلام ولا آمنه على نفسي فلن أدخل عليك ، ثم راح يحتال لقتله . فقال له ذات يوم : هل لك أن تغزو ؟ فقال الغلام : ذاك من أمرى ، فانطلقا غازيين بغير زاد معهما ، فسارا ليلتهما ويومهما من الغد حتى ظن أبو كبير أن الغلام قد جاع ، فلما امسى قصد به قوما كانوا له اعداء ، فلما رأى نارهم من بعيد أخبره أنه جائع ، ثم طلب اليه أن يذهب الى تلك النار لعله يجد عندها شيئا ، فمضى الغلام فاذا على النار رجلان من أحمش من يكون من العرب . وانما ارسله اليهما أبو كبير على معرفة منه بأنهما لا محالة قاتلاه ، فلما رأياه قد غشى نارهما ونبا عليه فكر ساعيا فاتبعاه ، فلما كان احدهما اقرب اليه من الآخر عطف عليه فرماه فقتله ، ورجع الى الآخر فرماه فقتله . ثم جاء الى نارهما فأخذ الخبز منها فجاء به الى ابى كبير قائلا له : « كل ، لا أشبع الله بطنك » ، ولم يأكل هو . فقال أبو كبير : « ويحك أخبرنى كيف كانت قصتك ؟ » ، قال : « وما سؤالك عن هذا ؟ ، كل ودع السؤال » ، فدخلت أبا كبير منه خيفة وأهمته نفسه ، فلما ألح عليه بالسؤال انباه بالخبر فازداد له خوفا ، ثم مضيا في غزاتهما فأصابا ابلا ، ثم سار أبو كبير بالغلام يوما كاملا حتى اذا جاء الليل توليا حراستها خشية مغير عليها ، فقال أبو كبير للغلام : « اختر اى نصفى الليل تشاء تحرس انت فيه وانام انا ، ثم تنام النصف الآخر واحرس انا » ، فقال الغلام : « بل ان اليك الاختيار » . فكان ابو كبير ينام الى نصف الليل والغلام يحرس ، فاذا نام نام ابو كبير ايضا لا يحرس شيئا ، حتى استوفى الثلاث . فلما كان في الليلة الرابعة ظن أن النعاس قد غلب الغلام فنام أول الليل الى نصفه وحرسه تأبط شرا ، فلما نام الغلام ، قال أبو كبير : « الآن يستثقل نوما وتمكنني فيه الفرصة » ، فلما ظن انه قد استثقل اخذ حصاة فحذف بها فقام الغلام كأنه لم ينم وهو يقول : « ما هذا الذى سمعت ؟ » . قال أبو كبير : « لا ادرى وانما هو شيء سمعته في عرض الابل » ، فقام الغلام وعس وطاف فلم ير شيئا ، فعاد فنام . فلما ظن انه قد استثقل اخذ حصاة أصغر من الأولى فرمى بها ، فقام الغلام كقيامه الأول ، فقال : « ما هذا الذى اسمع ؟ » فقال : « قد سمعت كما سمعت وما أدرى ما هو ، ولعل بعض الابل قد تحرك » ، فقام الغلام فطاف وعس فلم ير شيئا فعاد ونام . فاخذ أبو كبير حصاة أصغر من الصغيرة فرمى بها ، فوثب كما وثب أولا فطاف وعس فلم ير شيئا ، فرجع اليه قائلا له : « يا هذا انى قد انكرت أمرك . والله لئن عدت أسمع شيئا من هذا لأقتلنك » .

يقول أبو كبير : « فبت والله وأنا أحرسه ، خوفا أن يتحرك شيء من الابل فيقتلنى » . ثم لما رجعا الى حيهما قال أبو كبير : « ان أم هذا الغلام لا يجوز أن تكون زوجة لرجل ما دام هذا الغلام يعيش » .

« تأبط شرا » يأتمر به قومه فينجو بحيلته

وكما يعرف الشعراء والمتأدبون قصيدة الهذلى في وصف تأبط شرا ، يعرفون قصيدة تأبط شرا في وصف نفسه وقد نجا من الهذليين الذين كانوا

يقعدون له كل مرصد لشدة ما كان يؤذيهم ويسخر منهم ويستبيح حماهم .

وذات يوم مضى الى جبلهم يَشْتارُ عسلاً لهم، ولم يكن للجبل غيرُ طريق واحد ، فاخذوا عليه هذا الطريق وخيروه بين النزول على حكمهم او القاء نفسه من الموضع الذى ظنوا انــه لا يسلم منه ، ولكنه رفض أن ينزل على حكمهم ولجا الى الحيلة التي نجا بها من أيديهم فصب العسل الذى كان معه حتى زلق به عن الصـفا فادرك الارض سالما ، فلم يقع في يد المتربصين بـه كما كانوا يريدون ، ولا اسـتاثر به الموت كما كانوا يتوقعون ، فقال قصـيدته التى تعتبر آيةً فن وابداع في الشعر العربي الجاهلي، وفيها يصور موقفه من أعدائه بانه معهم لا بد له من خصـلة من خصلتين ، فاما أن يستاسر لهم فيمتنوا عليـه بالعفو ان شاءوا ، وفي هذا غاية الذل الذى يانف منه العربى ويأباه ، واما ان يقتلوه ، والقتل اجدرُ به لانه حرٌ ابيٌ ، غير انه بذهنه الثاقب وسعة حيلته وشدة جرانه وقع على صورة ثالثة لم يكن اعداؤه والمتربصون به ليتنبهوا اليها ، وهى التي لجا اليها فنجا من ذل الأسر ومن مرارة القتل ، فذلك حيث يقول : ـ

« هما خطّتا : امّا اسارٌ ومِنّةٌ
واما دمٌ والقتـــل بالحر أجـدر
واخرى أصادى النفس عنها وانها
لمورد حـزم ان فعلت ومصـــدر
فرشت لها صدرى فزلّ عن الصفا
بـــه جؤجؤ عَبْل ومتن مُخَصَّر
فخالط سهل الأرض لم يكدح الصفا
به كدحةً والمـوت خزيان ينظر »

يقول انه آثر الخطة الثالثة التى لم تخطر على بال أعدائه بعد أن راح يدير رأيه في تدبير أمره حتى اهتدى الى أن يصب العسل الذى معه على الصفا ، ثم فرشه لصدره الضخم ومتنه الدقيق ، حتى سهل بذلك انزلاقه عليه فبلغ الأرض سالما لم يؤثر الصفا في صدره اثرا ولا خدشا ، والموت كان قد طمع في أن يستاثر به ، فلما رآه قد تخلص منه ونجا بقى مستحييا ينظر متحيرا ، وهذا من عجيب الاستعارات وحر الكلام الذى لا ينال ولا يطال الا لقلة قليلة من خلق الله .

اننا لا نشك في صدق الحديث الذى رواه أبو داود ، ولا نحب أن نذهب مذهب الذين يرتابون فيما يروى عن العرب من شعر وقصص ، وبخاصة فيما رويناه مما يتعلق بتوقيهم ارضاع أولادهم اللبن الفاسد ، ولا في أن ما ذكرته أم تابط شرا كان له أبلغ الأثر في قوة نفسه وسلامة بنيته وشدة شكيمته ، وتقحمه في المهالك التى تكون في كثير من الأحيان سببا للنجاة من الاخطار .

ما رأى العلماء المختصين ؟

ومن هنا يكون ما أوردناه من هذه الأحاديث على هذه الصورة ، مقصـودا به دعـوة أهل العلم التجريبى الى البحث في هذه القضايا التي نرجو أن يتبرى لها من الفيارى على شـئون أمتنا من تستقبله صفحات العربى في بحث يكشف اللثام عن هذه الأمور التي رويناها آنفا لكى تصبح حقائق علميـة معملية ، الى جانب أنها حقائق نظريـة خبرية .

ان من الصور المألوفة في بعض العواصم العربية ، صورة امرأة فقيرة جاهلة بائسة تتجول في الشوارع والطرقات ، ومن حولها خطر شـديد يتمثل في تبيع لها يخطو الى جنبها ، ورضيع يجثم على صدرها ، وجنين ينتظر مصيره في احشائها . فاذا كشف العلم المعملى عن صحة ما رويناه في شان تابط شرا حملا ورضاعة ، فان من حق أمتنا علينا ، علماء وكتابا وناصحين ، أن نلفت رجالها ونساءها الى خطر نمو الشعب كما ينمو الدود ، ليس من جهة الافواه الجائعة فحسب ، ولكن من جهـة النسل الذى ينشأ محاطا بالعلل والأسقام ، فاذا ولى هذا الجيل واهن النفس واهى القوة ـ شان الأمة في قابلها ـ فانها بذلك تكون من الضعف بحيث لا يخشاها عدو ، ولا يرجوها صديق .

والله من وراء القصد ، وهو حسـبنا ونعم الوكيل . ■■

أحمد حسن الباقورى

النَّوم والأَحلام

أضواء جديدة تلقى عليهما

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

■ يعيش الانسان معزولا فى جسده الخاص وهو يقضي عمره فى محاولة اكتشاف العالم الخارجي وتبيّن حقيقة الناس الاخرين ، ذلك انه بدون معرفة ما يجرى فى (الخارج) لا يستطيع الانسان تبين حقيقة (الداخل) . ومع ذلك فان هذا البحث يتوقف كل ليلة وذلك فى اثناء انتقالنا الى حالة النوم .

ولقد تحير الانسان دوما من حالة النوم هذه التي ترين على وعيه ومن الاحلام التي ترافقها . ولم يوفق علماء النفس الا مؤخرا لتطوير طرائق فسيولوجية لدراسة النوم . ولقد تبين اننا نحن البشر لسنا الوحيدين الذين نحلم عدة احلام في الليلة الواحدة ولكن يشبهنا في ذلك القردة والكلاب والقطط وغيرها من الحيوانات . وتبشر البحوث في النوم باكتشاف الصلة بين اللامعقولية السوية التى نعبر عنها جميعنا في احلامنا وبين الجنون غير السوى الذى يظهر عند بعض الناس وهم يقظون .

مستويات الوعي

لكي يتمكن الانسان من التفاعل مع العالم المحيط به لا بد له من ان يعي هذا العالم ، اى انه لا بد له من تلقي الحوادث الكثيرة المختلفة التى تحدث في المحيط والشعور بها . ان مسألة كون الطرق الحسية مفتوحة او مغلقة بالنسبة للاثارات الداخلية او الخارجية هى مسألة حالة الوعي عند الانسان . ان الانسان في حالة اليقظة السوية يكون حساسا بالنسبة لكل الاشارات الواردة اليه من محيطه والتي يكون عنده مستقبلات لها . اما في الحالات الاخرى ، من مثل النوم ، فانه اقل وعيا لهذه الاشارات المحيطية واقل استجابة للمرئيات والمشمومات والمسموعات وغيرها من المثيرات .

ولكن ما هو السبب في هذه الفروق في الوعي ؟ ما هي الآليات التي تضبط استجابة الانسان للعالم الخارجي ؟ من اجل الاجابة عن هذين السؤالين بدأ العلماء بتركيز مزيد من انتباههم على الوجوه الفسيولوجية والسلوكية لحالات النوم واليقظة . اننا كثيرا ما ننظر الى النوم نظرة سلبية معتبرين اياه تناقصا في العمل والوعي وانه ذو وظيفة ترميمية . اما علماء اليوم فانهم اكتشفوا ان



النوم حالة معقدة جدا وان الكثير من الفاعلية تجري في جسدنا اثناء نومنا . ويبدو ان هذه الفاعلية مرتبطة ارتباطا وثيقا بكثير من وجوه سلوكنا من مثل الانتباه والانفعال والتذكر والتعلم. وهكذا فان دراسة النوم قد تزيد في فهمنا لليقظة.

السلوك الذي نسميه نوما

النوم حالة نعانيها جميعنا ونعرفها ولكننا نعرف القليل عنها . هذا ولم تبدأ دراسة النوم دراسة علمية جدية الامؤخرا حيث أجرى الكثير من البحوث والدراسات عليه ، وكان من جراء ذلك ان اكتشف العلماء حقائق مدهشة عنه .

هل يجب ان تنام ؟ لا شك في انك في كثير من الاحيان قد تمنيت ان تنام اقل مما تنام في المعتاد . وهكذا فانك قد تتمنى ان لا تنام ليلة الامتحان وان تقضي ليلك في الدراسة . ولعلك قد سمعت باناس تدبروا امورهم بحيث انهم لم يناموا عدة ليال ومعذلك فان اعمالهملم تتأثر(مثال ذلك الاطباء في المستشفيات والجنود في المعارك) . وكل هذه الامور تثير السؤال عن اهمية النوم بالنسبة لاستطاعتنا اداء اعمالنا بصورة سوية ؟ اننا لنتساءل عما اذا كنا نستطيع تخفيض ساعات نومنا دون ان نتعرض لنتائج سلبية ؟ ولعل فيما سنرويه جوابا على هذه التساؤلات :

٢٠٠ ساعة بلا نوم

« في كانون الثاني (يناير) من عام ١٩٥٩ قضى المدعو (بيتر ترب) مائتي ساعة دون نوم . وفي اثناء ذلككان يشرف عليه عدد من الاطباء يفحصونه ويجرون عليه تجارب واختبارات نفسية . وقد تحتم على (ترب) منذ البداية ان يكافح ضد النوم . وبعد يومين بدأت تتراءى له هلوسات بصرية من مثل رؤية خيوط العنكبوت في حذائه .

ولم تكد تمضي عليه مائة ساعة حتى افتقرت ذاكرته كثيرا واصبح يجد صعوبة كبيرة في الاجابة على الاختبارات البسيطة .ولقد اصبحت هلوساته متزايدة الارعاب حتى لقد رأى بزة الطبيب

المصنوعة من قماش (التويد Tweed) مصنوعة من الديدان ذات الفراء . وحين ذهب الى فندق قريب ليبدل ثيابه تراءى له ان جارور مكتب الفندق يحترق . ومن اجل تفسير هذه الرؤى لنفسه قرر ان الاطباء اشعلوا النار من اجل تخويفه واختباره .

ولما اعطي معادلة جبرية بسيطة كان قد حلها بسهولة في بداية الامر تطلب منه الامر جهدا يفوق طاقة البشر حتى انه انهار وهو يحاول باصرار حل المعادلة . ولقد شاهد العلماء هذا الشاب الذكي يتخبط عبثا وهو يحاول فك رموز الالفباء .
وحين وصل الى الساعة المائة والسبعين بلغت المأساة حدا لا تستطاع مشاهدته، ففي بعض الاحيان كان (ترب) غير متاكد من انه هو نفسه وفي كثير من الاحيان كان يحاول التاكد من هويته .
وبالرغم من انه تصرف وكأنه يقظ فان الموجات الكهربائية لدماغه كانت تشبه موجات دماغ النائم. وفي اثناء ذلك اقتنع بان الاطباء تآمروا عليه لارساله الى السجن ... وفي نهاية المائتي ساعة اختلطت في ذهنه الاشباح والهلوسات بالحقيقة ، وتاكد له انه ضحية لمؤامرة سارية بين الاطباء » « نقلا عن لوس Luce عام ١٩٦٥ » .

حالة نموذجية

ان الحالة التي وصفنا حالة نموذجية ، ذلك أن العلماء حصلوا على نتائج مماثلة في دراساتهم لعدم النوم امدا طويلا . ولقد قدمت الدراسات التي اجريت في مستشفى والتر ريد Walter Reed في امريكا تفسيرات للظواهر والاحداث التي اظهرها (ترب) . مثال ذلك ان الهبوط في القدرة على العمل والانجاز هو نتيجة لفترات (الهبوط) او الفترات التي يكون فيها الانسان عاجزا عن الاستجابة اكثر منها نتيجة لنقص عام في القدرة . وفي اثناء فترات الهبوط هذه تكون انماط الموجات الدماغية للانسان مشابهة لانماط الموجات الدماغية في اثناء النوم (موراي عام ١٩٦٥) .

وثمة وجه آخر معجب لهذه الدراسة وهو ان نوم ليلة واحدة يكفي لاختفاء جميع هذه الاعراض. ومثل هذا الشفاء السريع يثير السؤال عن كمية النوم اللازمة للابقاء على الوظائف السوية .

اما التغيرات الفسيولوجية الناتجة عن عدم النوم فانها لم تحدد حتى الآن . ومع ذلك فان ثمة دلالات على ان انتاج مادة الـ ATP (وهي مادة كيماوية جسدية ضرورية لتحويل طاقة الطعام الى طاقة مفيدة) يتوقف كلية تقريبا بعد حرمان من النوم يدوم اياما .

شكل النوم

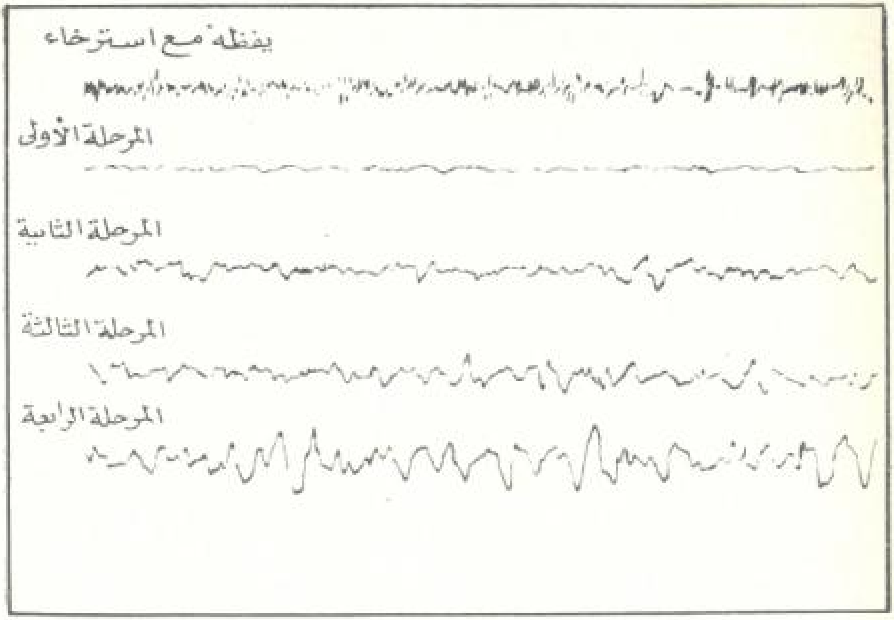
حين يدرس العلماء النوم يهتمون قبل كل شيء بالسلوك الداخلي ، اي بالعمليات التي يفترض انها تجري في داخل كل انسان . ومع ذلك ، وكما تبين لنا من دراستنا السابقة ، لا بد لنا قبل ان نستطيع دراسة مثل هذا السلوك ان نجد طريقة لجعله خارجيا من اجل ملاحظته وقياسه .

ان النقص في الدراسات الباكرة عن النوم سببه نقص في المناهج اللازمة لذلك . ما من انسان كان يعرف كيف يتبين الفروق بين النوم الخفيف والنوم العميق ، وما من انسان كان يعرف كيف يحدد الوقت الذي يكون فيه الانسان حالما . حتى ان العلماء لم يكونوا يعرفون كيف ينتقل الانسان من النعاس الى النوم .

لقد اصبح في الامكان القيام بهذه الدراسات بعد ايجاد (مسجل الكهربائية الدماغية) ذلك الاختراع الذي سمح للعلماء برصد حركات الدماغ وفي ١٩٣٧ اكتشف (لوميس Loomis) ومعاونوه ان موجات الدماغ يتغير شكلها . وكان معنى هذا ان الباحثين يستطيعون الآن وباستمرار ان يرصدوا التغيرات الجارية في اثناء النوم وان يعينوا بدقة بدايته ونهايته .

ان انماط الموجات التي يظهرها مسجل الكهربائية الدماغية للمستويات المختلفة من النوم العميق والخفيف يظهر في الشكل (١) .

وثمة مرحلة اخرى للنوم تسمى مرحلة I-REM وهي تشبه المرحلة الاولى الظاهرة في الشكل ولكنها تكون مصحوبة بحركات للعين سريعة REM (Rapid Eye Movements) وبكبت للفعالية الحركية . وفي هذه المرحلة تحدث الاحلام . وبالرغم من ان مخطط هذه المرحلة يشبه مخطط حالة التنبه اليقظ فان الشخص يكون نائما نوما عميقا (ودليل ذلك صعوبة ايقاظ الشخص)



الشكل (١) رسم يوضح نواحي المراحل المختلفة للنوم كما يظهرها مسجل الكهربائية الدماغية EEG

ولذلك فان هذه المرحلة من النوم كثيرا ما تسمي مرحلةالنوم المتناقض Paradoxical Sleep . وفي اثناء النوم ينتقل الانسان عادة مرات عديدة من مرحلة الى اخرى من النوم . والمراحل لا تتكرر نفس التكرار اثناء كل فترات النوم . ومثال ذلك ان المرحلة الرابعة تحدث بصورة مبدئية في اثناء النصف الاول من الليل في حين ان نوم حركات العين السريعة (ح ع س) (REM) يكون اكثر حدوثا في الثلث الاخير . ومقدار الوقت الذى يقضيه الانسان في كل مرحلة يختلف كثيرا من فرد الى آخر ولكن نمط النوم عند فرد بعينه يكون ثابتا الى حد بعيد . وبصورة عامة نستطيع القول ، بان الانسان يقضي قرابة ٥٪من نومه في المرحلة الاولى و ٢٥٪في مرحلة I-REM و ٥٠٪في المرحلة الثانية و ٢٠٪ في المرحلتين الثالثة والرابعة .

النوم والاحلام

بالرغم من ان البحث في النوم قد اصبح ممكنا بعد اختراع مسجل الكهربائية الدماغيةفان دراسة الاحلام دراسة علمية كان لا بد لها من ان تنتظر اكتشافا منهجيا آخر . لقد كان العلماء يخمنون ان الاحلام قد تحدث في بعض مراحل النوم دون سواها . ولم تقدم انماط الموجات الكهربائية الدماغية الجواب عن هذا التساؤل . بيد أن اكتشافا عارضا جرى عام ١٩٥٣ فتح الباب للبحث في الاحلام . لقد كان العالمان (آسرنسكي Aserinsky) و (كليتمان Kleitman) يدرسان النوم حين لاحظا ان عيني النائم تتحركان في بعض الاحيان حركات سريعة من تحت غطائي العين . وفي اثناء المراحل كان النبض يتسارع وكذلك التنفس مما اشار الى وجود استجابة انفعالية . ولما ايقظ العالمان المجرَّب عليهم في هذه الاوقات قالوا انهم كانوا يحلمون ، ولما ايقظوهم في الفترات الاخرى لم يشيروا اطلاقا الى انهم كانوا يحلمون .

ولقد اكدت هذا الاكتشاف تجارب اخرى شارك فيها عالم آخر عام ١٩٥٧ وظهر ان فترة حركات العين السريعة من النوم كانت مصحوبة بنمط الموجات الكهربائية الدماغية الفعال والتيقظ

المتجلي في المرحلة الاولى . ومنذئذ اكتشفت نفرات كبرى فسيولوجية ولا سيما في الجملة العصبية المستقلة واعتبرت ملامح مشتركة لهذه الفترة : فترة (ح ع س) . وقد تبين انه خلال هذه الفترة تتسارع ضربات القلب ويزيد ضغط الدم وتتذبذب هـذه الضربات وهـذا الضغط . (دراسات شنيدر ورفاقه عام ١٩٦٤) . ولمثل هذه (العواصف العصبية) دلالات طبية هامة اذ انه وجد ان الازمات القلبية كثيرا ما تحدث في ساعات الصباح الباكرة جدا اى في الوقت الذى يكون فيه الانسان في مرحلة النوم (ح ع س) .

ان هذه الزيادة في فاعلية الجملة العصبية تجعل الانسان يتوقع ان تظهر حركات جسدية زائدة على المعتاد ، ولكن هذا لا يحدث . ولعل السبب في عدم حدوثه هو وجود آلية خاصة في الدماغ تعمل اثناء فترة النوم (ح ع س) لتكبت الفاعلية الحركية على حد تعبير(دمنت Dement) عام ١٩٦٩ ونتيجة لذلك يتخدر الجسد اثناء فترة (ح ع س) (بالرغم من انه يحدث احيانا بعض التقلصات العضلية مما يدل على ان عدم الفاعلية ليس كاملا) . وهذا الكبت عملية وقائية اذ لولاه لقام النائم ومثل احلامه . والدليل على صحة ما نقول ان منطقة الكبت هذه حين خربت عند القطط فانها كانت تقفز وتبصق وتبول وتتغوط اثناء فترة (ح ع س) مع انها كانت نائمة نوما عميقا وعيونها مغلقة (جوفه ودبلورم عام ١٩٦٥) .

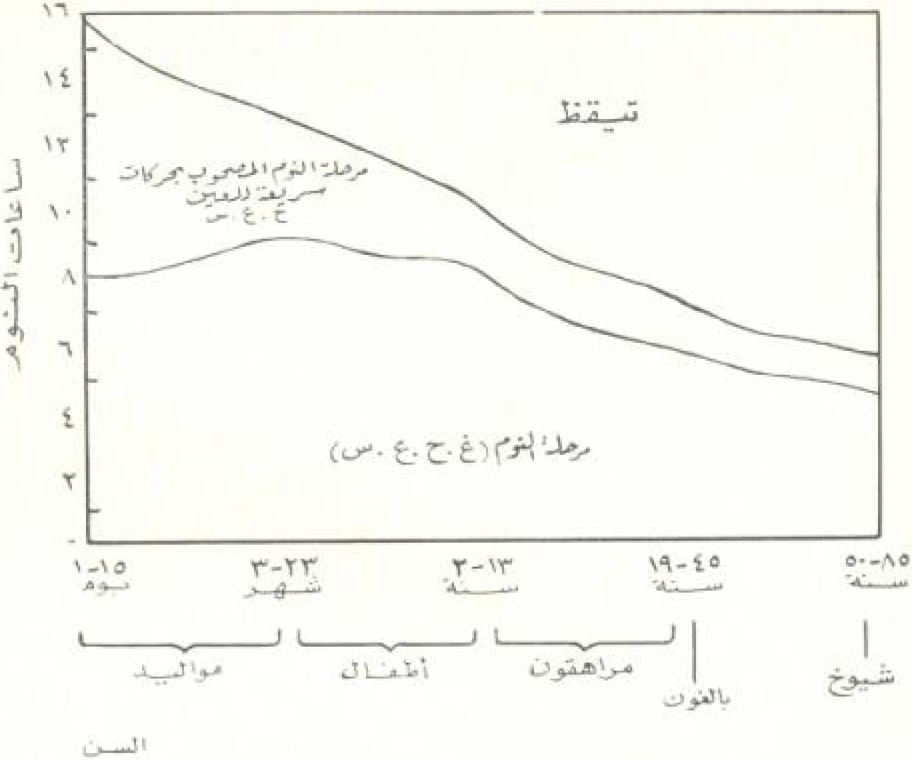
مكونات الحلم

لعل القارىء قد تساءل : لماذا هذا الوصف الطويل للاحلام ؟ وما هي اهمية الاحلام ؟ ان العلماء قد اكتشفوا ان الحلم او النوم في مرحلة (ح ع س) هام جدا ، فهو لا يؤثر في انفعالاتنا وغيرها من وجوه سلوكنا اليقظ فحسب ولكنه قد يكون مفتاحا لاسرار الامراض العقلية من مثل فصام الشخصية .

ان واحدة من الطرق المتبعة في تعيين اهمية بعض الوظائف الجسدية هي حرمان العضوية من هذه الوظيفة وتبين نتائج هذا الحرمان . ولقد برهن على (حاجتنا الى الحلم) بمثل هذه الطريقة فلقد سمح للمجرب عليهم ان يناموا نوما سويا حتى بداوا يدخلون مرحلة (ح ع س) وحينئذ ايقظوا حالا ثم سمح لهم بالعودة الى النوم حتى بدأت فترة (ح ع س) من جديد فايقظوا مرة اخرى وهكذا ... وبهذه الطريقة حرموا من ان يجتازوا مرحلة (ح ع س) من مراحل النوم . ولقد اخذ عدد مساو من المجرب عليهم في فريق للضبط وايقظوا نفس العدد من المرات ولكن في غير فترات (ح ع س) وسميت هذه الفترة (غ ح ع س) (NREM) ولما قورن الفريقان ، فريق التجريب وفريق الضبط ، وجد ان الفريق الاول بدأ فترات من (ح ع س) اكثر من الفريق الثاني في كل ليلة كانت تتلو ليلة حرمانه منها . ثم ان سلوكهم اثناء النهار قد تغير تغيرا كبيرا فزاد تهيجهم وقلقهم وتوترهم وصعوبة التركيز عندهم وهبوط الذاكرة لديهم . وقال الكثيرون منهم بان شهيتهم للطعام زادت زيادة ملحوظة حتى لقد زاد وزن الواحد منهم بمعدل رطل مصرى يوميا . وحين سـمح لهم بالنوم دون ازعاج عوضوا عن حرمانهم من الاحلام فحلموا بمقدار يزيد ٦٠٪ عن المقدار السوي لهم (ديمنت ١٩٦٠) وقد سميت هذه الظاهرة بظاهرة (ح ع س) المرتدة .

لو طال الحرمان

ان الاشخاص الذين وصفناهم قبل ، لم يحرموا من النوم في مرحلة (ح ع س) الا لمدة خمس ليال متتاليـة ، فماذا عسـاها تكون النتائج لو ان الحرمان طال لاكثر من هذه المدة ؟ من اجل الاجابة على هذا السؤال حرمت القطط من النوم فترة (ح ع س) بواسطة جهاز صمم لهذه الغاية وقد حرمت القطط من هذا النوع من النوم مدة سبعين ليلة ولكن هذا الحرمان الطويل لم تكن له آثار سيئة في سلوك الحيوان ، وان كانت قد لوحظت زيادة في هجومية القطط المحرومة من هذا النوع من النوم وافراط جنسي حتى انها كانت تحاول الاتصال الجنسي بالقطط الذكور من امثالها . ولقد زاد جوعها واصبحت تأكل طعامها في نصف الوقت الذى كانت تستغرقه في الاكل عادة (ديمنت وزملاؤه عام ١٩٦٧) اما كيفية اتصال هذه النوع من النوم بهذه الدوافع الفسيولوجيـة الاوليـة فمشكلة محيرة ما زالت بحاجة للبحث .



الشكل (٢) تغيرات النوم (ح.ع.س) و (غ.ح.ع.س) مع التقدم في العمر

الدور الاخير لفاعلية ح ع س

والآن ما هو الدور الاخر الذى تلعبه فاعلية (ح ع س) ؟ لعلنا نجد جوابا على هذا السؤال اذا اخذنا بعين الاعتبار المقدار الكبير من نوم (ح ع س) عند الاطفال الصغار . ان الاطفال حديثي الولادة يقضون قرابة ٥٠٪ من نومهم في فترة (ح ع س) كما يتبين من الشكل (٢) .

واذا ما كبر الطفل الصغير فانه يحدث انخفاض سريع في مقدار نوم (ح ع س) في حين ان كمية نوم (غ ح ع س) تبقى ثابتة تقريبا . ولقد افترض ان آلية (ح ع س) تقدم قدرا كبيرا من الاثارة للمراكز العليا من الدماغ . ومثل هذه الاثارة اثناء فترة النمو الباكر تساعد تقدم النمو في الساحات الحسية والحركية من الجملة العصبية المركزية وبهذا تهيئها للاشراف على الاثارات الواردة من المحيط . وكلما نضج الطفل تقل الحاجة الى مثل هذه (الاثارة الذاتية) وتقل معها كمية النوم من نوع (ح ع س) (روف وارج ورفيقاه عام ١٩٦٦) .

الاحلام وفصام الشخصية

ان ما قدمنا مجرد نظرية تحتاج الى مزيد من التجريب للتثبت من صحتها . وثمة نتيجة معجبة اخرى لدراسة الاحلام هي اكتشاف امكان وجود صلة بينها وبين فصام الشخصية . ان مفكرين من امثال فرويد Freud ويونج Jung لاحظوا الشبه بين الاحلام والاحداث العصابية ولقد كانت فكرة ان المصابين بفصام الشخصية هم اناس (يحلمون وهم يقظون) فكرة وردت على اذهان الكثيرين من المفكرين والعلماء . لقد اكتشفت دراسة حديثة للمصابين بالفصام انهم عاجزون عن اظهار فترة (ح ع س) المرتدة اذا ما حرموا من مثل هذا النوم خلافا لغيرهم من الاسوياء . ولقد اوحى هذا للعالم (ديمنت)

وزملائه ان فاعليات (ح ع س) كانت تجرى عند هؤلاء المرضى اثناء اليقظة ، ذلك بانه اذا كان الحرمان من نوم (ح ع س) لم يعن التوقف الكامل لفاعليات(ح ع س) فانه لا تكون ثمة حاجة للتعويض الذى لاحظناه في ظاهرة (ح ع س) المرتدة عند الاسوياء . ويرى (ديمنت) انه اذا كانت الامور كذلك فان الاعراض الغريبة التي تظهر عند المرضى العصابيين (المصابين بالفصام) قد تمثل فاعليات كانت ستظهر كاحلام عند الناس الاسوياء في فترة (ح ع س) .

ما هي الفاعلية الدماغية التي يمكن ان تسمح لفاعليات (ح ع س) بان تتجلى في حالة اليقظة ؟ ان البحوث تشير الى وجود مادة كيماوية (سيروتونين Serotonin) . ولقد عمد (ديمنت Dement) الى تجارب اجراها في مختبره وعالج فيها القطط بمركب كيماوي يمنع انتاج السيروتونين في الدماغ فان القطط اظهرت تغيرا واضحا في السلوك ، لقد ظهرت وكانها تهلوس طول الوقت وكانت تدير رؤوسها للتسمع في غرفة صامتة وتضرب اشياء وهمية ، وفي اثناء فترات الهلوسة هذه دلت التسجيلات الكهربائية لفاعلية الجهاز البصري عند القطط على وجود انماط لا توجد الا اثناء فترة نوم (ح ع س) . ثم ان هذه القطط بدات وكانها تضيع ضبطها لدوافعها واستجابات هذه الدوافع . انها تصرفت مثل القطط التي حرمت من نوم (ح ع س) فترات من الزمن طويلة . اضف الى ذلك انها حين حرمت من نوم (ح ع س) فانها عجزت عن اظهار ظاهرة (ح ع س) المرتدة ، شانها في ذلك شان المرضى المصابين بالفصام . ولقد ثبت انه بالامكان القضاء على كل هذا السلوك الغريب والعصابي عن طريق اعطاء القطط مركبات كيماوية تسهل انتاج مادة السيروتونين . ولقد كان من بين المركبات التي اعطيت للقطط وانتجت مادة السيروتونين مركب (الكلوربرومازين Chlorpromazine) وهو عقار استعمل منذ مدة طويلة في معالجة المصابين بالفصام (ديمنت ١٩٦٩) .

منظومة في الدماغ

كل هذه الدلائل التجريبية توحي بوجود منظومة في الدماغ تنظم انواع السلوك الدافعي وانه (يتجلى) في الاحلام ، فاذا ما اختل عمل هذه المنظومة (من مثل استنزاف مخزون السيروتونين) فانه تحدث فاعليات غير مضبوطة لـ (ح ع س) وانواع من السلوك الدافعي في حالة اليقظة . هذا ومن الممكن ان يكون هذا النوع من الاختلال هو اساس المرض المسمى بفصام الشخصية . ولا بد بالطبع من كثير من العمل التجريبي للتاكد من صحة هذه الفرضية .

السير اثناء النوم

اذا كان ما قلناه من ان الحركات الجسدية تكبت اثناء نوم (ح ع س) صحيحا فكيف نفسر احداثا من مثل السرنمة (السير اثناء النوم) ؟ اننا ننظر ـ حدسيا ـ الى المسرنمين وكانهم (يمثلون) احلامهم وينفذونها وهذه نظرة تؤيدها في الظاهر حوادث كثيرة . ومثال ذلك ان فتاة جامعية أيقظتها رفيقاتها بعد ان وجدوها تضرب سررهم بوسادتها .وحين سئلت عن سبب ذلك قالت بانها كانت تحلم بان غرفتهن كانت تحترق وانها كانت تطفيء اللهب بالوسادة . وفي حادثة اخرى وجدت امراة مرمية على ارض الغرفة يمجئ لها،وهي تبكي من المها المسبب عن كسر رجلها. ولما أيقظت قالت انها حلمت بانها تهرب مع خطيبها وانها وقعت من فوق السلم الموضوع على النافذة وقد كسرت رجلها ! وقد تبين ان رجلها سليمة . بالرغم من هذه القصص فان الافتراض بان السرنمة تتم اثناء فترة نوم (ح ع س) فرض خاطيء فيما يبدو . ان ثمة دلائل تجريبية على ان السرنمة تحدث في اثناء المرحلتين الثالثة والرابعة من النوم اللتين لا تحدث فيهما الاحلام. ثم ان المسرنم وهو يتحرك ويمشي فان نمط كهربائيته الدماغية يظهر انتقالا من النوم العميق الى النوم الخفيف وكانه يقارب اليقظة (مع انه في المعتاد يبقى نائما) . وبالرغم من ان عينيه تكونان مفتوحتين ومن انه يتمكن من تجنب الاصطدام بالاثاث فان المسرنم لايتعرف على الاشياء والاشخاص المحيطين به . اضف الى ذلك انه لا يتذكر رحلاته اثناء سرنمته . (جاكوبسون ورفاقه عام ١٩٦٥) ■■

فاخر عاقل

نتيجة مسابقة العدد ١٦٦

التوت يزرع بكثرة في الصين واليابان

■ لا شك ان مسابقة العدد ١٦٦ من« العربي » كانت من المسابقات الصعبة بعض الشيء ، بحيث لم يستطع احد من القراء ان يصل الى الحل الصحيح لجميع الأسئلة مع الأسف الشديد . مع ان« العربي »تنادي دائما ان تكون الموسوعات وامهات الكتب العلمية هي السبيل الوحيد لاستقاء الأجوبة الصحيحة ، اما الاستعانة بالذاكرة والتخمين فلا طائل منها .

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة، ثم اسماء من فازوا بالمسابقة :

١ ـ (أ) بالرفاء والبنين .

(ب) هوى الرجل الجبل وطقسه المنعش فاختاره سكنا له .

٢ ـ اسكتفلنديرد هي دائرة بوليس لندن .

٣ ـ لفظ فرس يطلق على انثى الحصان وذكره .

٤ ـ عاصمة الولايات المتحدة الأولى كانت فيلادلفيا .

٥ ـ فيليبوس هو اسم الامبراطور العربي وكان مولده في شهبا في جبل الدروز .

٦ ـ كان العرب يسمون جزر ملديف باسم ذبة المهل .

٧ ـ عاصمة باكستان الجديدة هي اسلام آباد.

٨ ـ الدولة الاخرى التي قامت في البيرو في امريكا الجنوبية ، وانهارت سنة ١٥٣٣ تسمى دولة الانكا .

٩ ـ الولايات المتحدة الامريكية هي الدولة الثانية في انتاج القمح في سنة ١٩٦٧ .

١٠ ـ يزرع التوت بكثرة في الصين واليابان ، وذلك من أجل تربية دودة القز وصناعة الحرير .

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :محمد خالد حلاق/حلب/سوريا .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها :هشام محمود شلبي/القاهرة/مصر .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فازت بها :سلوى عيسى بهو/صور/لبنان .

٨ ـ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير فازبها :

١ ـ ابراهيم احمد عثمان/ام درمان/السودان .

٢ ـ هيثم اسحاق الجبوى/كركوك/العراق .

٣ ـ محمد حمدان المفلح السمايدة/الفحيص/ الاردن .

٤ ـ احمد ابو القاسم /جدة/ السعودية .

٥ ـ خالد محمد الورع /الكويت

٦ ـ علي ايوب علي/كرزكان/البحرين

٧ ـ عبد الله الشيخ/دبي

٨ ـ دحيم عبد الله ساجي /قطر .

معن ابن زائدة الشيباني

بقلم : عبد الستار أحمد فراج

■ لئن فخرت بنو شيبان في الجاهلية بهانىء ابن مسعود ، وعوف بن محلم وغيرهما من الابطال وذوى المكانة ، فان فخرها في الاسلام بِمَعْن بن زائدة وابن أخيه يزيد بن مزيد بن زائدة اعظم واكثر ، اذ بلغا في الجود والشجاعة والمجد ما جعل الشعراء المجيدين ينظمون فيهما اروع الكلمات ، في أبدع القصائد التي كان الخلفاء انفسهم يحفظونها ويغارون من أن يقال مثل هذا الشعر في غيرهم . ويزيد بن مزيد كان في عهد هارون الرشيد له عز وسلطان . اما الذى يعنينا وهو معن بن زائدة فقد كان في ايام بني أمية متنقلا في الولايات ، ومنقطعا الى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى، احد الولاة في العراق لبني امية ، وجمع له الى ولاية العراق ولاية البصرة والكوفة ، وكان الذى ولاه ذلك هو مروان بن محمد آخر خلفاء بني امية ، وكانت تلك التولية في سنة ١٢٨ هـ وفي سنة ١٣٢ خرج قحطبة بن شبيب احد دعاة بني العباس لمحاربة يزيد بن عمر بن هبيرة ، وكان معن ابن زائدة من أكبر اعوان يزيد في الحروب وغيرها ، فلما خاض قحطبة بن شبيب الفرات عند قرية اسمها الفلوجة تلقاه معن بن زائدة وضربه بالسيف على رأسه ، وقيل ضربه على عاتقه ، فوقع قحطبة في الماء جريحا ، فاخرجوه ، ولكنه مات من تلك الضربة. وتولى القيادة بعده الحسن بن قحطبة. وكان اصحاب يزيد بن عمر بن هبيرة من الضعف بحيث انهزموا وفر يزيد الى مدينة واسط .

ثم انتصر دعاة العباسيين وتولى ابو العباس السفاح الخلافة ، فوجه اخاه ابا جعفر المنصور الى واسط لحرب يزيد ، وانتهى الامر بعقد اتفاق للصلح ، ثم قتل يزيد بامر الخليفة أبي العباس السفاح ، بعد الحاح منه ومن أبي مسلم الخراساني ، ولم يبق معن بن زائدة في واسط بعد

مقتل يزيد بل هرب خوفا على حياته ، لكن ابا جعفر المنصور لم يكن ينسى ما كان من معن بن زائدة ، ووقوفه في صف خصومهم من قبل .

اكرم من معن

فطلب ابو جعفر المنصور خصمه معن بن زائدة طلبا شديدا ، وجعل لمن يأتيه به او يدل عليه مالا كثيرا . وضاقت الارض بمعن ، ولجأ الى طريقة تخفي عن الناس المعرفة به ، فكان يقف في الشمس ساعات في عدة أيام ، حتى لوحت الشمس وجهه ، ولبس جبة صوف غليظة ، وقص من لحيته . ثم ركب جملا من الجمال التي تنقل الامتعة ، بدون أن يكون على الجمل ما يكون كالمحفة ، وخرج ليمضي الى البادية ليقيم فيها .

فلما خرج من احد ابواب بغداد ، وهو على هذه الصورة المُتَغَيِّرة ، تبعه رجل أســود اللون ، متقلدا سيفا ، فلما ابتعد عن حراس الابواب ، امسـك بخطام الجمل الذى يركبه معن ، فاناخ الجمل وقبض على معن . فقال له معن : مالك ؟ قال : انت الذى يطلبه أمير المؤمنين . قال معن : ومن انا حتى يطلبني امير المؤمنين ؟ قال : أنت معن بن زائدة . فقال معن : يا هذا ، اتق الله ، واين انا من معن ؟ فقال الأسود : دع هذا عنك فانا والله اعرف بك منك .

فلما راى معن الجِدّ من الأسود ، وانه متأكد من معرفته قال له : هذا عقد جوهر ، وقد حملته معي ، وقيمته اضعاف ما جعله المنصور لمن يجيئه بمعن . فخذه ولا تكن سببا في سفك دمي . فقال الرجل الأسود : هات العقد . فاخرج معن العقد واعطاه اياه ، فنظر فيه وتأمله ثم قال : صدقت في تقديرك لقيمة العقد ، ولكنني لا اقبله الا بعد ان اسالك عن شيء ، فان صدقتني أطلقتك . فقال معن : قل ما تريد . قال الأسود : ان الناس قد وصفوك بالجود والكرم . فاخبرني : هل وهبت مالك كله قط ؟ قال : لا . قال : فنصفه ؟ قال : لا ، قال : فثلثه ؟ قال : لا ، وما زال ينزل حتى وصل الى العشر ، فاستحيا معن وقال : اظن أن اني قد فعلت هذا . قال الأسود : ليس ذلك بعظيم . انا والله لا املك دابة ، ورزقي الذى اتقاضاه من خدمتي لأبي جعفر المنصور كل شهر عشرون درهما ـ اى حوالي دينار في الشهر أو دينارين ـ وهذا الجوهر الذى قدمته اليَّ قيمته الوف الدنانير . وقد وهبته لك ، ووهبتك لنفسك ولجودك المشهورين بين الناس ، ولتعلم ان في هذه الدنيا من هو أجود منك ، فلا تعجبك نفسك ، ولتحتقر بعد ذلك كل جود فعلته ، ولا تتوقف عن مكرمة واحسان .

ثم رمى العقد في حجر معن ، وترك خطام الجمال وولى منصرفا .

فقال معن : يا هذا ، والله قد فضحتني ، وان سفك دمي أهون عليَّ مما فعلت ، فخذ ما دفعته لك ، فانني غني عنه . فضحك الأسود وقال : اردت أن تكذبني في نفس الوقت الذى قلت لك فيه هذا القول .. والله لا اخذته ولا آخذ لمعروف ثمنا . ومضى لسبيله .

قال معن : والله لقد طلبت هذا الأسود بعد أن نلت الامان . وبذلت لمن يجيء به اليَّ ما شاء ، فما عرفت له خبرا ، وكأن الأرض ابتلعته .

بلوغ الأمان

ما زال معن مستترا من ابي جعفر المنصور ، وكان يدخل الهاشمية ـ وهي بلد قــريب من الكوفة ـ والناس لا يعرفونه ، اذ كان يضع على وجهه لثاما ، مبالغة في الاحتياط . وجاء أبو جعفر المنصور الهاشمية ، وكانت الخلافة قد افضــت اليه بعد وفاة أخيه ابي العباس السفاح . وكان في الهاشمية جماعة من أهل خراسان ، ويبدو أنهم من اتباع ابي مسلم الخراساني الذى قتله أبـو جعفر ، فثار الخراسانية على أبي جعفر ، ووثبوا على اتباعه وهو بينهم ، وجرت بينهم وبين اتباعه مقتلة عظيمة . ورأى معن ذلــك ، وكان متنكرا متلثما ، فتقدم واستلَّ سيفه ، ووقف في صف اتباع ابي جعفر ، ودافع عنه دفاع الأبطال ، واظهر شجاعة ونَجدَة ، وفرَّق الخراسانية ، ثم جاء والمنصور راكب على بغلة ولجامها بيد الربيع ، فقال للربيع : تَنَحَّ فاني احقُّ باللجام منك في هذا الوقت واكثر نفعا . فقال له المنصور : صدَقَ يا ربيع ، فادفعْ اللجام اليه . فاخذه معن ، ولم

يزل يقاتل حتى تفرق جميع الأعداء الثائرين . فقال له المنصور : من أنت . لله أبوك ؟ فكشف لثامه وقال : أنا طليبتك يا امير المؤمنين ، انا معن بن زائدة . قال ابو جعفر المنصور : قد أمنك الله على نفسك ومالك ، ومثلك جدير بان يحسن اليه في الصنيع .

ثم أخذه معه ، وخلع عليه ، واكرمه وزينه ، ثم بعد ذلك ولاه اليمن .

المنصور يغار من شعر في معن

اما جود معن وكرمه فتحكى عنه نوادر كثيرة ، اذ كان يعطي عطاء واسعا ، ويكرم مادحيه من الشعراء بالهبات الجزيلة ، ومدحه أكابر الشعراء في عصره ، حتى حسده الخلفاء على ذلك ، فلقد قال له المنصور : قد بلغ امير المؤمنين عنك شيء ، لولا مكانك عنده ورايه فيك لغضب عليك . قال معن : وما ذاك يا امير المؤمنين ؟ قال : اعطاؤك مروان بن ابي حفصة الف دينار لقوله فيك :

مَعْنُ بنُ زائدةَ الذي زِيدَتْ به
شَرَفاً على شَرَفٍ بنو شَيْبانِ
إن عُدَّ أيّامُ الفعالِ فإنّما
يَوْماهُ يومُ نَدًى ويومُ طِعانِ

قال معن : ما اعطيته يا امير المؤمنين لهذا الشعر ، وانما اعطيته لقوله في هذه القصيدة :

مازِلْتَ يومَ الهاشميّةِ مُعْلِماً
بالسَّيْفِ دونَ خليفةِ الرّحمنِ
فمنعْتَ حَوْزَتَه وكُنْتَ وِقاءَهُ
مِن وَقْعِ كُلِّ مُهنَّدٍ وسِنانِ

فاستحيا المنصور وقال له : أحقا انك اعطيته لهذا القول ؟ قال : نعم يا امير المؤمنين ، والله لولا مخافة النقمة عندك لأمكنته من مفاتيح بيوت الأموال وأبحته اياها . فقال له المنصور : لله دَرُّك من اعرابي ، ما أهونَ عليك ما يعزُّ على الرجال وأهل الحزم .

معن يجير أحد خصوم المنصور

وبلغت الشجاعة والشهامة بمعن أن يقف موقفا يجعله عرضة للسخط الشديد ، فقد أهدر المنصور دم رجل من الخارجين عليه ، كان يسعى في فساد دولته ، وجعل لمن دل عليه او جاء به مبلغا كبيرا من المال . ثم ان الخارجي ظهر في بغداد ، فبينما هو يمشي متخفيا في بعض نواحيها ، بَصُرَ به رجل يعرفه ، فاخذ بمجامع ثوبه وقال : هذا بُغْيَة أمير المؤمنين . فبينما الرجل على تلك الحال اذ سمع وقع حوافر الخيل ، فالتفت ، فاذا معن بن زائدة، فقال : يا أبا الوليد ، أجِرْني اجارك الله . فوقف معن وقال للرجل المتعلق بثوب الخارجي : ما شأنك ؟ قال : هذا بغية امير المؤمنين الذى أهدرَ دَمه ، وجعل لمن دلَّ عليه واتى به مائة الف درهم. فقال معن : دعه ، وقال : لغلام من اتباعه : يا غلام ، انزل عن دابتك واحمل الرجل عليها . فصاح الذى كان ممسكا بالخارجي وقال : أيُحال بيني وبين من طلبه امير المؤمنين ؟ فقال له معن : اذهب اليه واخبره انه عندى . فانطلق الى باب المنصور فاخبره . فامر المنصور باحضار معن . فلما اتى الرسول الى معن ، دعا معنٌ اهل بيته ومواليه وقال لهم : اعزم عليكم لا يصل الى هذا الرجل مكروه وفيكم عين تطرف .

ثم سار الى المنصور ، فدخل عليه وسلّم ، فلم يردَّ المنصور السلام وقال : يا معن ، أتتجرأ عليَّ ؟ فقال : نعم يا امير المؤمنين . قال المنصور وقد اشتد به الغضب : ونعم أيضا ؟ فقال معن : يا امير المؤمنين ، مضت ايام كثيرة عرفتم فيها حسن بلائي في خدمتكم ، فما رأيتموني أهلاً لان يُوهَب اليَّ رجل واحد استجار بي بين الناس ، وتَوسّم اني مكين عند امير المؤمنين ومن اتباعه

المقربين : يا أمير المؤمنين افعل ما شئت بي ، فهأنذا بين يديك .

فاطرق المنصور ساعة ثم رفع راسه وقد سكن ما به من الغضب وقال : قد أجرْنا مَن أجرْتَ يا معن . لكنْ مَعْنا لم يكتفِ بذلك ، بل رجا المنصور أن يهب للرجل مالا ، ليجمع له بين أجْرِ العفو وأجْرِ الصدقة . وامر المنصور بان يوهب للرجل مال . فخرج معن الى الرجل وقال له ، خذ صِلتَكَ والحَقْ بأهلك وإياك ومخالفة خلفاء الله في امورهم .

لـه شعر

ولمعن بن زائدة شعر قليل يدور حول الدعوة الى الكرم والى الفضائل ، فهو يقول :

إني حُسِدْتُ فزادَ اللهُ في حَسَدِي
لاعاشَ مَن عاشَ يَوْماً غيرَ مَحْسُود
ما يُحْسَدُ المرءُ إلاّ من فضائلِهِ
بالعِلْمِ والحِلْمِ أوبالبَأْسِ والجُودِ

وقال أيضا :

وعاذِلةٍ تَجنّى في المَلامِ
لِتَحْسبَني من القَوْمِ الطَّغَامِ
دَعِيني أَنْهبُ الأموالَ حتى
أعِفَّ الأكرمينَ عن اللِّئامِ

يحق لابنه أن يتيه

ان رجلا مثل معن ، له افعال كريمة ، ومآثر جمة ، يبعث على الفخار والتيه .

قال شراحيل بن معن بن زائدة : عرَضْتُ في طريق مكة ليحيى بن خالد البرمكي ، وهو في قبّة ، وعديله ابو يوسف القاضي ، وهما يريدان الحج . فاني لأسير تحت القبة اذ عرَضَ له رجل من بني أسد في زِيٍّ حسن ، فانشده شعرا ، ولم يكن شعرُه بالغ الجودة ، فقال يحيى للشاعر الأسدي : ألمْ أقل لك الاّ ترجع الى مثل هذا المعنى ؟ ثم قال : يا اخا بني اسد ، اذا قلت الشعر فقل كقول الذى يقول :

بَنُو مَطَرٍ يومَ اللِّقاءِ كأنّهم
أسودٌ لها في بَطْنِ «خَفَّانَ» أشْبُلُ
هُمُ يَمنعون الجارَ حتّى كأنّما
لِجارِهم بَيْنَ السِّماكينِ مَنْزِلُ
لَهاميمُ في الاسلامِ سادُوا ولمْ يكنْ
كأوّلِهم في الجاهليّةِ أوّلُ
هُم القَوْمُ إنْ قالوا أصابوا وإنْ دُعُوا
أجابُوا وإنْ أعْطَوا أطابوا وأجْزَلُوا
وما يستطيعُ الفاعلونَ فعالَهم
وإن أحسنوا في النائباتِ وأجْمَلُوا
ثلاثٌ بأمثالِ الجبالِ حِباهُمُ
وأحلامُهم منها لَدى الوَزْنِ أثقلُ

ـ اى لا تفك حباهم لرزانتهم وثباتهم كان حباهم مرتبطة بالجبال . وبنو مطر هم بطن من شيبان ـ .

فقال له ابو يوسف وقد أعجبته الابيات : من قائل هذه الابيات يا أبا عليٍّ ؟ قال يحيى : قائلها مروان بن أبي حفصة ، يمدح ابا هذا الفتى الذى تحت القبة .

قال شراحيل : فرمقني ابو يوسف بعينه ، وانا على فرسي وقال : من انت يا فتى ؟ حيّاك الله . قلت : شراحيلُ بن معن بن زائدة . قال شراحيل : فوالله ما مرّت عليَّ ساعة قطُّ كانت اقرَّ لعيني من تلك الساعة ارتياحا وسرورا .

ولئن اعجبنا بما قاله مروان ، فان اعجابنا بيحيى بن خالد البرمكي اشد لمعرفته باقدار الرجال ، وحفظه لما يقال من بديع الشعر الذي يتغنى بالكرم والمروءة والشجاعة والحلم ورعاية الجار ، وتلك أمور كانت في عهودهم أعظم الأعمال.

وجعفر البرمكي أيضا حفظ ما قيل فيه

ولم يكن يحيى بن خالد البرمكي وحده يحفظ ما قيل في معن وانما كان ابنه جعفر أيضا يحفظ روائع ما قيل فيه . من ذلك المرثية التي قالها مروان بن ابي حفصة ، يرثي بها « مَعْنا » ولقد استنشد مروانَ هذه القصيدة فانشدها ، وجعفر ابن يحيى يُرسِل دموعه ، ثم اثابه عليها اكثر من الف دينار، مكافاة عن « مَعْنٍ » المتوفى ، تقديرا له وللشاعر مروان .

وفي هذه المرثية يقول :

مَضَى لسبيلِه مَعْنٌ وأبْقَى
مَكَارِمَ لن تَبِيدَ ولن تُنَالا
كأنَّ الشمسَ يومَ أُصيبَ مَعْنٌ
مِنَ الإظلامِ مُلْبَسَةٌ جلالا

الى ان يقول :

أصابَ المَوْتُ يومَ أصابَ مَعْنًا
من الأحياءِ أكرمهم فعالا
وكَانَ الناسُ كلُّهمُ لمعنٍ
إلى أن زارَ حُفْرَتَه عيالا
ولمْ يكُ طالبٌ للعُرْفِ يَنْوِي
إلى غيرِ ابْنِ زائدةَ ارْتِحالا

ورثاه غير ابن ابي حفصة

وليس مروان بن ابي حفصة وحده هو الذي ابدع في رثاء معن ، بل ان الحسين بن مُطَيْر قال فيه أيضا :

ألِمّا بمَعْنٍ ثم قُولا لقَبرِه
سَقَتْكَ الغَوادي مَرْبَعاً ثم مَرْبَعا
ويا قَبْرَ مَعْنٍ كيفَ وارَيْتَ جُودَه
وقد كانَ منه البَرُّ والبَحْرُ مُتْرَعا
ويا قَبرَ مَعْنٍ كُنْتَ أوّلَ بُقْعَةٍ
من الأرْضِ خُطَّتْ للمكارِمِ مَضْجَعا

وشذَّ من تسب هذه الابيات لمروان بن أبي حفصة ، وانما هي للحسين بن مطير ، في الاغاني ومعجم الادباء وابن خلكان وفوات الوفيات وديوان الحماسة وتاريخ بغداد وغيرها .

ما مثل الدراهم من دواء

ولمن مداعبة فهذا مطيع بن اياس شاعر عباسي مشهور ، مدح معن بن زائدة بقصيدة فصيحة جيدة ، فلما سمعها معن قال له : يا ابن اياس ، ان شئت أثبناك ، وان شئت مدحناك . فاستحيا مطيع من أن يطلب الجائزة المادية ، وكره أيضا أن يختار المدح وهو محتاج الى المال ، فسكت وخرج . ثم كتب الى معن هذين البيتين :

ثَناءٌ من أميرٍ خَيْرُ كَسْبٍ
لصاحبِ مَغْنَمٍ وأخِي ثَراءِ
ولكنَّ الزمانَ بَرَى عِظامِي
ومالي كالدراهمِ من دَواءِ

فلما قراهما معن ضحك وقال : صدق مطيع ، ما مثل الدراهم من دواء . وامر له بصلة .

الكريم يخدع

وأتى معن بجملة من الاسرى ، فعرضهم على السيف ، فقال له رجل منهم : أصلح الله الأمير ، نحن أسراك ، وبنا جوع وعطش ، فلا يجمع علينا القتل مع الجوع والعطش . فامر لهم بطعام

وشراب ، فاكلوا وشربوا ، ومعن ينظر اليوم ، فلما فرغوا قال الرجل : اصلح الله الأمير ، كنا اسراك ونحن الآن اضيافك ، فانظر ما تصنع باضيافك . قال معن : قد عفوت عنكم . فقال الرجل ، ايها الأمير ، ما ندري اي يوم اشرف ؟ ايوم ظفرك بنا ، او يوم عفوك عنا ؟ فامر لهم بمال وكسوة .

من جيد ما مدح به

ومن جيد ما قاله مروان بن أبي حفصة في مدح شجاعة معن بن زائدة :

مامِنْ عَدُوٍّ يرى مَعْنـاً بساحته
إلاّ يظنّ المنايا تسبق القَدَرَا
يُلْفَى إذا الخيلُ لم تُقدِمْ فوارسُها
كالّليث يزداد إقداماً إذا زُجِرَا
أغرّ يُحْسَبُ يومَ الرَّوْعِ ذا لِبَدٍ
وَرْدًا ويُحْسبُ فوق المِنْبرِ القَمَرَا

ومديح آخر فيه

ودخل « وَدَاقَةُ » الأسديُّ على معن بن زائدة الشيباني فقال : ان رأيت ، أكرمك الله ، ان تضعني من نفسك بحيث وضعت نفسي من رجالك ، فانك قد بلغت حالا لو اعتقني الله فيها بكرمك من خدمة الرجال بعدك لم يكن كثيرا . واني قدمْتُ الرجاء ، واحسنت الثناء ثم انشا يقول :

يامَعْنُ إنك لم تُنْعِمْ على أحدٍ
فشابَ نُعْماكَ تنغيصٌ ولا كَدَرُ
فانظر إليّ بطَرْفٍ غير ذي مَرَضٍ
فربما صَحّ لي من طَرْفك النَّظَرُ
أيامَ وَجْهُكَ لي طَلْقٌ يُخَبّرني
إذا سَكَتّ بما تُخفي وتَضْطَمِرُ
ومَنْ هَوَاكَ شَفيعٌ ليس يُغْفِلُني
وإن نَأَيْتُ وإن قَلّتْ بيَ الذّكَرُ
قد كُنْتَ أثَّرْتَ عندي مرّةً أثَرًا
فقد تقارَبَ يَعْفُو ذلكَ الأثَرُ
فاجْبُرْ بفضْلكَ عَظْماً كنتَ تَجْبُرُه
واجمَعْ بفعْلكَ ماقد كاد يَنْتَشِرُ
ما نازَعَ العُسْرُ في اليُسْرِ مَذْ عَلِقَتْ
كَفّي بحَبْلكَ إلاّ ظَفّرَ اليُسْرُ
وقد خَشِيتُ وهذا الدهرُ ذُو غِيَرٍ
بأنْ يُدَالَ لِطُولِ الجَفْوَةِ العُسُرُ
وأيّما كانَ مِن عُسْرٍ ومَيْسَرَةٍ
فإنّ حَظّكَ فيه الحَمْدُ والشُّكُرُ

فاعطاه معن ما ارضاه .

مات مقتولا

ومعن بن زائدة لم يمت حتف انفه ، وانما قتل اغتيالا في سجِسْتَانَ ، وكان المنصور الخليفة قد بعثه واليا عليها . فكان له فيها مآثر محمودة ، وقصده الشعراء بها ومدحوه .

فلما كانت سنة ١٥١ او ١٥٢ وقيل ١٥٨ هـ كان في داره صنّاع يعملون له شغلا في الدار ، اندسّ بينهم قوم من الخوارج فقتلوه ، لكنهم لم يظفروا بالنجاة لأن يزيد بن مزيد الشيباني ابن اخي معن بن زائدة تتبعهم فقتلهم جميعا ، ولانه اصيب يقول مروان بن ابي حفصة :

أصابَ المَوتُ يوم أصابَ مَعْناً
من الأحياء أكرمهم فعَـالاَ

■■

عبد الستار أحمد فراج

على «نقيل سمارة»

(نقيل سمارة جبل شاهق يقع فى طريق السيارات بين صنعاء وتعز)

بقلم: محمد عبده غانم

■ سيرى على درب « النقيل » وسيرى ... وتقحّمي تلك العِقابَ وطيري
حتّى نوافي من « سمارة » قمّةً ... وكر النسور ، إذا اهتدت لوكور
ونرى الجبال وقد غدت قاعا لـه ... في صفّها المتلاحم المنشور
ونرى السفوح بخصبها وروائها ... ومدرّجات ثرائها المعمور
تمتدّ فيها العين حتّى لا ترى ... إلا سطوراً لُحْنَ خلف سطورِ
من خضرة تنجاب عما خلفها ... من زرقة تنساب في ديجور
ونرى بها الفلاّح في محراثه ... سهم القضاء وصارم المقدور
ونرى الأخاديد الّتي قد شقّها ... يروين قصّة حبّه المشهور
ونرى الشعاب وقد غدت من كدحه ... روضا تألّق بالندى والنور
بالسنبل المخضلّ في سيقانه ... يرويه ماء الحُبّ منذ دهور (١)
من بُلْسُنٍ مَرِحٍ ودُخْنٍ راقصٍ ... ومواكِبٍ من حِنْطةٍ وشعير (٢)
والبنّ مُختالا على أفنانه ... عقدت عليه خناصرُ المنشورِ
والمَرْج قد لبس الأزاهر حُلّةً ... سِيَراءَ صُنْعَ الحاذقِ التّحرير (٣)
من أبيضٍ يَقَقٍ وأصفرَ فاقع ... أو أزرق غدِقٍ وأحمرَ جُورِي (٤)
ألقٌ يداعبه النسيم فينتشي ... ويثور من شوق لديه مُثيرِ (٥)
ويبوح في لغة العبير بحبّه ... ما أروع الأطياب من تعبير

★★★

ما كنت أحسب أن ترب جبالنا ... تبرٌ يَعجّ بخصبه الموفورِ
وبأنّ فيها جنّة حَصْباؤها ... أُكَرُ الجمان مُزِجْن بالبلّور
وبأنّ فيها رائعَ الحَفَرِ الّذي ... ترْوِي الرّواية أنّه في الحورِ

حتى مشيت على « سمارةَ » ساعةً … فوجدتُنى كالهائمِ المبهورِ
حيران لا أدرى أحقا ما أرى … أم تلك نشوة شاعر مخمور
كلف بأنداء «النقيل» متيّم … بسفوحه وهضابه والقور (٦)
وحسانه تمشى على جنباته … في خفة ورشاقة ونفور
الفتنة الشعواء في استحيائها … ولثامها المنبى عن المستور
والموت دون لقائها في خلسة … والفوز عند وصالها الممهورِ
والراعيات وكم لهنّ روائع … فوق الصخور قفزن تِلْوَ صخور
وقطيعها ياليت لى من بينه … حَمَلاً أداعب وجهه بحبور
والناى في كفّى على أتاته … لحن العميد الهائم المهجور (٧)
حتى يقربنى إلى تلك الربى … وشياهها ورعاتها والدور

★★★

وارحمتاه ، لعاشق قد شاقه … حُبُّ الجَمَال إلى اقتحام السور
لم يدر ما خطر الطريق من الهوى … لمّا استبدّ بقلبه المأسور
فمضى يقلّب طرفه في هوّة … حتى استقرّ بقاعها المشطور
ليكاد يقفز نحوه وكأنما … هو بركة أو شاطئٌ لغدير
لولا بقايا مُسْكَة في رُوعِه … لقضى ضحيّة حبّه الممرورِ (٨)
رحماك ، إنّى يا « سمارة » شاعرٌ … ألف الهوى كالناى والشحرورِ
سحرته أنداء « النقيل » ولم تزل … يا « لَلنَّقيل » لِشاعرٍ مسحور ■

محمد عبده غانم
((عدن))

---

(١) الحب : الجرة الضخمة . (٢) البلسن : العدس .
(٣) الحلة السيراء : نوع من البرود يخالطه حرير كالسيور ، او هي التى من الحرير الصافى .
(٤) يقق : شديد البياض ناصعه والجورى منسوب الى جور مدينة بفارس . قالوا : واليها ينسب الورد الجوري ، وهو الاحمر الصافى . والقدق : الرّبان .
(٥) الالق : اللمعان .
(٦) القور : جمع قارة : الجبل الصغير الأسود المنفرد شبه الأكمة ، أو هي الاكمة والارض ذات الحجارة السود .
(٧) العميد : المشغوف عشقا .
(٨) الروع : العقل والنفس . والممرور : الذى غلبت عليه المرة . هذا والمرة احدى الطباع الاربع ومزاج من امزجة البدن .

استبداد الأبناء بالآباء!

يجب أن نفرق بين العيش من أجل أبنائنا وبين العيش مع أبنائنا

بقلم : منير نصيف

■ انها تحب الاطفال ، شأنها في ذلك شأن كل امرأة ، فغريزة الام تولد مع الانثى ، وهي تنمو وتكبر مع الايام ، وتبلغ الذروة في الزواج .

وتعود الزوجة الشابة من المستشفى الى البيت ، بعد ان وضعت مولودها الاول .. كم كانت تتوق لهذه اللحظة منذ ان احتفلت بزواجها قبل اربعة اعوام .. ثم تأخر الحمل ، لسبب اولآخر ، الى ان جاء أخيرا ، فكانت فرحتها به كبرى .

لقد مرت الشهور التسعة ثقيلة متكاسلة ، الى ان اقترب موعد الوضع ، بكل ما يحمله للام من مشقة والم .. وتحملت كل هذا في صبر وشجاعة وجلد ، الى ان وصل الضيف الجديد أخيرا ، فحملته في زهو وفخر ، وكأنها تحمل العالم كله بين يديها .

وعادت الام بصغيرها الى البيت ، تلفها سعادة غامرة .. واجتمع الاهل والاصدقاء حول مهد الطفل الصغير الذي لم يكن قد انقضى على وصوله اكثر من ثلاثة او اربعة اسابيع .. وراح الجميع يتطلعون الى هذا المخلوق الصغير الجميل الذي كان ينام في هدوء وقد اغمض عينيه البريئتين ، وكان شيئا من هذا الذي يحدث حوله لايعنيه في قليل او كثير !

وفجأة امتدت يد غليظة الى رأس الطفل الصغير تداعبه وتدغدغه .. وبدا الطفل يتململ ، واسرعت الام في لهفة الى حيث يرقد طفلها ، لتزيح عنه هذا الكابوس الذي ازعجه واقلقه في نومته .. ثم نظرت الى الرجل صاحب اليد التي امتدت في غفلة منها ، وصاحت فيه :

« ارجوك ان تبعد يدك عنه .. الا ترى انك قد ازعجته ؟ »

وابتعد الرجل وهو يبتسم في هدوء .. انه صديق حميم لوالد هذه الام الشابة ، وهو اب



لثلاثة ابناء وفتاتين في مثل سن هذه الام الصغيرة السعيدة بوليدها ..

طاغية صغير !

ابتعد الرجل عن فراش الطفل ، واعاد يده الى حيث كانت في جيب سترته ، ثم عاد ينظر الى الطفل فوجده يغط في نومه ، وهنا التفت الى حيث كانت تقف امه ، وقد بدا عليها الارتياح بعد ان نجحت في ان تزيل عن طفلها اسباب قلقه وانزعاجه !

واقترب الرجل من الام ، وقال يهمس في اذنها: « اهنئك يا ابنتي فهو طفل جميل حقا .. ولكن الا ترين انك تسرفين في خوفك عليه .. وقلقك من اجل راحته ؟ »

وتوقف الرجل برهة عن مواصلة حديثه ، ثم عاد يقول وابتسامة عريضة ترتسم على وجهه النحيل : « اسمعي يا ابنتي .. انا اعرف منك بشعور الام وهي تحتضن اول طفل ، فقد انجبت لي زوجتي خمسة من البنين والبنات .. ومن هنا كانت تجربتنا بالاطفال اكبر من تجربتك واوسع.. ان هذا المخلوق الصغير البريء الجميل الذى يرقد امامك في فراشه هادئا وادعا ، يحمل في داخله روح « طاغية »! وهو في نومته هذه ربما يكون قد بدأ يعد العدة لكي يفرض من نفسه سيدا عليك وعلى والده وعلى هذا البيت ، لمدة ثمانية عشر عاما على الاقل ! »

مزح .. ولكن !

وابتسمت الام في سخرية ، ثم اشاحت عنه بوجهها ، وعادت الى ضيوفها ترحب بهم وتسمع منهم كلمات الاطراء والاعجاب بالمولود الجديد .. تلك التي دعتهم من اجلها ، وسعت اليها ، وطربت لسماعها ! اما حديث هذا الصديق الذى راح يداعب راس طفلها ، وكأنه يبحث في داخله عن « المؤامرة » التي يدبرها هذا الطفل البريء ، فهو حديث خرافة ، ليس هذا وقته او مكانه على اى حال !

ولكن هل كان حديث خرافة حقيقة ؟

والذى لاشك فيه ان الرجل كان يمزح بطبيعة الحال ، فمن غير المعقول ان « يتآمر » طفل في الاسبوع الثالث من عمره على والديه واسرته !

سادة البيت !

يقول الدكتور لولين ميلر Llewellyn Miller استاذ علم النفس في كتابه : « الاطفال ومسئولية الاباء في تنصيبهم سادة في البيت ؟

يقول : « ان من طبيعة كل طفل ان يختبر مدى ما يتمتع به من سيطرة على والديه في البيت ،

وهو يقوم بهذا الاختبار في سن مبكرة حتى قبل ان يتعلم المشي ، وقبل ان يتعلم الكلام .. فالطفل يبكي اذا اراد ان يثير اهتمام امه به ! وقد يكون لبكائه ما يبرره ، وقد لايكون .. واذا أحس بانها اهملته عن قصد او عن غير قصد ، انطلق يصرخ صراخا عاليا متواصلا الى ان تسمعه فتأتي مهرولة لتحمله وتضمه الى صدرها وتحنو عليه وتعطيه ما يسعى اليه من حبها وحنانها ! »

ويقول لولين : « في هذه المرحلة المبكرة من حياة الطفل تبدا محاولاته الاولى ، وهي محاولات لا تتوقف ابدا ، وانما هي تستمر في صور واشكال اخرى متباينة ، كلما انتقل الطفل من مرحلة الى مرحلة في سني حياته من الطفولة الى الصبا والمراهقة ، وربما امتدت حتى بعد ان يصير الطفل رجلا .. فكثيرون هم الذين يكبرون ، ولكنهم يبقون في قلوبهم اطفالا ، نساء كانوا او رجالا !! »

ماذا يصنع الاطفال، وما هي حيلهم التي يلجأون اليها لاختبار مدى تأثيرهم ونفوذهم على والديهم ؟

الشعور بالطفولة

يقول الدكتور لولين ان من أهم العوامل التي تساهم بطريق مباشر في تشجيع الطفل على المضي في محاولاته لفرض سيطرته على والديه ، هو شعوره بانه مازال طفلا .. وهذا الشعور ينمو في داخله نتيجة لتصرفات الوالدين نحوه ، واسلوب معاملتهما له !

فالام التي تسرف في تدليل طفلها، تسهمدون ان تدري في تغذية روح الاستبداد التي تسيطر عليه .. فهو يعرف ان امه تحبه ، وانها على استعداد لان تفعل اى شيء في سبيل ارضائه ، حتى لو كان هذا على حساب راحتها وسعادتها ..

الطفل والعادة

« هناك مثلا الام التي عودت طفلتها الصغيرة على ان تحملها كل مساء ، وتضمها الى صدرها، وتجلس بها فوق مقعد هزاز ، ويهتز الكرسي وتهتز الام وطفلتها حتى يغلب الطفلة النعاس ، فتحملها الى فراشها لتنام !

« لقد تعودت الطفلة الصغيرة على هذه الرفاهية، وهذا التدليل ، فلم تعد تذهب الى فراشها الا اذا حملها احد والديها وراح يهتز بها ومعها فوق الكرسي الذى عرفت مكانه فراحت تسعى اليه كل مساء ، لتذكر والديها به ، ان كان احدهما قد نسي او اغفل هذا الواجب !

على ان هذه الطفلة قد تعلمت شيئا آخر .. فقد استطاعت بذكائها ـ والاطفال يتمتعون بذكاء فطري عجيب ـ ان تعرف لماذا يريد لها والداها النوم مبكرا .. لقد رأت امها وهي تجلس امام مرآتها تتزين، بينما حملها والدها محاولا ان يجلب النعاس الى عينيها الصغيرتين .. وتدرك الطفلة ان والديها يستعدان للخروج وتمضية السهرة في الخارج ، فيهرب النوم من عينيها ، او تطرده هي ، لانها عرفت انها ستنام وحدها .. ويضطر الوالدان في النهاية الى البقاء في البيت والعدول عن قضاء السهرة في الخارج ، لان طفلتهما الصغيرة لا تريد ان تنام !!

« مثل هذين الابوين قلما استطاعا ان يعوّدا ابنتهما على الاقلاع عن هذه العادة حتى بعد ان تكبر وتذهب الى مدرستها !

مؤامرات الأبناء

وهناك الام التى عودت ابنتها على مساعدتها في شئون البيت ، فقد كبرت الابنة واصبحت في الرابعة عشرة من عمرها ، وان لها ان تتعلم كيف تكون ربة بيت ، كلما سنحت لها الفرصة في اوقات فراغها من المدرسة ، والكتب .

وكان دور الفتاة هو غسيل اطباق الطعام بعد تناول الغداء ، وهو عمل تتناوبه مع امها ، واختها التى تكبرها بعامين .. ولكن الفتاة تريد ان تهرب من غسيل الاطباق عندما يجيء دورها .. فماذا تفعل ؟ انها تتفق مع احدى صديقاتها في المدرسة على ان تطلبها في التلفون في وقت معين ، يتفق مع موعد الانتهاء من طعام الغداء .. وتقفز الفتاة من مقعدها ، وتسرع الى سماعة التلفون ، وتلتقطها في لهفة ، ثم يبدأ حديث طويل بينها وبين صديقتها .. بينما الاطباق تنتظرها في المطبخ ..

وقبل ان ينتهي الحديث يكون جرس الباب قد دق ، وتنهي الفتاة حديثها التلفوني وتسرع الى الباب لترى من الطارق ؟ وتكتمل حلقة المؤامرة التى دبرتها الفتاة مع زميلاتها في صباح ذلك اليوم الذى جاء فيه دورها لتغسل اطباق الطعام.

وتذهب الام وراء ابنتها التى تفاجأ بإثنتين من صديقاتها ،، اللتين جاءتا لتصحباها الى الحفل الذى تقيمه المدرسة بعد ظهر ذلك اليوم !

محاولة خاطئة

وتتذكر الام اطباق الطعام فتقول : « ولكنك لم تغسلى الاطباق بعد يا ابنتى ! »

وتجيب الفتاة وفي عينيها نظرة توسل : « ارجوك يا امى ان تعفينى اليوم .. اليوم فقط ، هل يرضيك ان أترك زميلتيّ تنتظران حتى افرغ انا من غسل الاطباق ! »

وتبتسم الام ، وتقترب من ابنتها تقبلها ، وتقول لها في حنان : « اذهبى يا ابنتى .. ساغسلها انا بدلا منك ، ارجو ان تقضى وقتا طيبا مع صديقاتك يا حبيبتى ! »

وتفلت الابنة من غسيل الاطباق ، وتتكرر « المؤامرات » التى تديرها الفتاة للهرب من مساعدة امها والمشاركة في تحمل جانب من اعمال البيت ! وتدعى الام ، حتى لو اكتشفت ان ابنتها تختلق المعاذير لتفلت من مساعدتها .. فهى تريد ان تكسب حب ابنتها ..

التهرب من الوعود

ثم هناك الاب الذى يرجو ابنه ان يعاونه في تنظيم كتبه واوراقه الخاصة في مكتبه اثناء عطلته الاسبوعية ، ويعد الابن بتنفيذ رغبة ابيه ومساعدته .

ويأتى يوم العطلة اخيرا .. ولكن الابن لا يريد ان يقضي عطلته في ترتيب الكتب ، فكيف يتهرب من وعده لوالده ؟

ويتظاهر الفتى الذى جاوز الخامسة عشرة ، بالانشغال في واجباته المدرسية ، ويروح الاب ويجيء امام غرفة ابنه ، فيراه منكبا على القراءة والدرس ، فيؤثر الا يزعجه !

وتمضي ساعات الصباح ، ويحين موعد اذاعة برامج التلفاز .. ويتجه الابن الى حيث يجلس والده غارقا بين كتبه واوراقه .. ويقول الفتى لوالده في توسل : « انه برنامجي المفضل يا ابى، وانا احرص على متابعته كل اسبوع ! »

ويرد الاب : « ولكنك وعدت بمساعدتى في ترتيب الكتب وتنظيمها يا بنى ! »

ـ هذا صحيح يا ابى .. ولكننى قضيت فترة الصباح كلها في استذكار دروسي ، كما رايت ، ارجوك ان تعفينى من هذه المهمة !

خطأ أكبر

ويربّت الاب على كتفى ابنه ، ويتمنى له وقتا ممتعا مع برنامجه المفضل في التلفاز !

ان الاب بدوره لا يريد ان يخسر حب ابنه ، وهو يحرص على ارضائه ، حتى لو كان ذلك على حساب راحته ! »

مثل هؤلاء الاباء يدفعون ابناءهم دفعا الى ممارسة سيادتهم عليهم .. وهم انما يفعلون ذلك بدافع الخوف .. الخوف من ان يفقدوا حب ابنائهم لهم !

يقول الدكتور لولين : « ان هذا هو الخطأ الاكبر الذى يقع فيه الوالدان ، فليس الاستسلام هو الوسيلة لكسب حب الابناء ، والاب الذى يريد ان يكسب حب ابنائه . هو ذلك الذى يعرف كيف يحد من نزعاتهم ، وان يوجه طاقاتهم الى الاتجاه الصحيح ، وليس معنى هذا ان ينصّب هو من نفسه سيدا ودكتاتورا في البيت ، ولكن معناه ان يعطى ابناءه حق مناقشته في اى قرار يراه مناسبا قبل ان يقدم عليه . فلا بد له اولا من ان يلجأ الى وسيلة الاقناع »

وحدة الرأى

« وكذلك الام .. انها اقرب الى الابناء من ابيهم، وقد يلجأون اليها في كثير من الاحيان كلما اعيتهم الحيلة مع والدهم ، لكى تعطيهم هى ما فشلوا في الحصول عليه من الاب .. وهذا خطأ آخر كبير .. فوحدة الرأى والكلمة بين الابوين لا بد من قيامها ، والا ضاعت كل محاولة يبذلها احد الوالدين من جانبه لاصلاح ابنائه وتربيتهم .

« ان الاسرة بناء فريد من نوعه ، لا يمكن لبناء آخر ان يحل محله ، لانه بداية الحياة في المجتمع، ولانه ينفرد بصفة الاستمرار ، ويقوم على اساس ثابت راسخ من الحب الاصيل .. والاسرة السليمة ليست تلك التى يعيش فيها الاباء من اجل ابنائهم، وانما هى التى يعيش فيها الاباء مع ابنائهم .. بحيث لا يستخدم احد افراد هذه الاسرة سلطته على حساب راحة وسعادة الاخرين . » ■■

منير نصيف

أديـان العـرب قبـل الإسـلام

بقلم: المرحوم الدكتور محمد محمود الدش

■ تناولت كتب مختلفة المشارب والمنازع ، عربية وغير عربية ، الأديان التي عاشت في بلاد العرب قبل الاسلام ، بالحصر والتعريف ، وافاضت ، واطنبت الحديث في هذين المقصدين ، بحيث يعتقد الدارس انه ما من دين او ملة او عقيدة ظهرت على وجه البسيطة منذ آدم عليه السلام الا وتمثلت فوق أرض العرب وعاشت في ضمائرهم .

فتحدثوا عن الشامانية Shamanism ، وجوهرها امكان تسخير الارواح لجلب الخير للناس او الشر . وعن الطوطمية Totemism التي تقدس رمزا من حيوان او نبات يجمع طائفة او قوما بينهم رابطة الدم ، ويكون طوطمها الذى تعتقد فيه حاميها وراعيها . كما تحدثوا عن الفتشية Fetishism التي يعتقد فيها بالسيطرة على اشياء من خصائص كائنات غير بشرية يمكن تسخيرها من أجل ذلك في عمل الخير والشر . وعن السلفية Ancestor - Worship التي تقوم على عبادة الاسلاف من الاجداد . وكذلك عن التسمية Animism التي يعتقد فيها بوجود ارواح حية للاشياء الجامدة . وكذلك للظواهر الطبيعية .

ديانات حصرها القرآن

غير انه لا يوجد مصدر اصدق او اوثق من القرآن الكريم ، الذى حصر هذه الديانات في : ملة ابراهيم ، والذين هادوا ، والنصارى ، والصابئين ، والمجوس ، والمشركين . ولدينا في الشعر العربي قبل الاسلام ما يشير الى ان هذه العقائد المختلفة كانت تراود خواطر الشعراء وتمثل قسطا من تفكيرهم الديني ، بحظوظ متفاوتة لكل عقيدة ، وأنصبة مختلفة لكل شاعر .

على انه ينبغى ان ندخل في الحسبان ، انّ الشعراء حينذاك كانوا يعدون من الطائفة المميزة والطبقة المرموقة ، التي كانت تتربع على اريكة المعرفة وعرش المواهب والملكات الفنية القادرة على التعبير الراقى والصياغة العالية الفذة . وليس من المبالغة في شيء اذا قلنا انّ الذين يؤرخون لهذا العصر من عصور العرب لا يصلون الى قرار او حكم في قضية من قضاياه ، الا اعتمدوا الاعتماد الأكبر على الشعر العربى الأول ، المسمى بالشعر الجاهلى .

وبرغم اعتراضنا على تسمية شعرنا القديم بالشعر الجاهلي ، فاننا مضطرون الى تعاطى ما

كلمات تتراءى في الشعر الجاهلي

تعارف عليه المؤرخون من مصطلح – على الأقل في هذا الحديث – حتى يصل الدارسون الى المصطلح الصحيح الذى يصف هذا الشعر وصفا يليق به ، ويقدره فنيا وفكريا . ولسوف نجد أن الشعر الجاهلى كان أصدق اشعار العرب على ممر العصور الأدبية واغناها عاطفة ، وارقها خيالا وتشبيها وأصفاها . وهذه السمات المميزة له هى التي تمدنا بحقيقة التفكير العربي قبل الاسلام ، ولا سيما التفكير الدينى ، حينما نبحث عن عناصر هذا التفكير بين طبقة المثقفين ذوى المواهب ، في عصرهم وبيئتهم ، اذ أن شعرهم مرآة صافية صادقة تعكس نوازع قومهم بنفس القدر الذى تصور فيه ذوات انفسهم .

وعلى خلاف ما يذهب اليه المستشرق الانجليزى H. Gibb من أن الاسلام يعتبر انبثاقا دينيا مفاجئا في بلاد العرب ، وما يراه الفرنسي E. Renan من حدوث انقلاب خارق مباغت نقل العرب من أمة مهملة الى امة مبدعة – فاننا نشير الى أن الفكر الديني أو العقيدة الربانية ليسا من قبيل الوهم او الظن أو الخيال ، او الفكر المجرد ، بغير واقع يحتويه وارض يدب عليها وحقائق يعتمد فوقها .

الفكر الدينى لا يبرز فجاة

وهكذا فان الفكر الدينى لا يمكن أن يكون تصورا يبرز فجاة ، او حدسا يقفز على حين غرة ، وانما هو مثل كل الوقائع والحقائق ، يخضع لما تخضع له من سنن الوجود ومنطق الحياة ، اى يخضع لسنة التطور وناموس التدرج ، يسير سيرا وئيدا مهما استبدت به عوامل السرعة ، او الحث عليه دوافع الحث والالهاب . لأنه يخطو مع تطور العناصر الثقافية القديمة والحادثة ، الأصيلة والوافدة ، ومع تدرج العادات والتقاليد الاجتماعية ، وترقى النظم والعلاقات الاقتصادية والسياسية . والقرآن الكريم نفسه يؤكد علاقات التطور والتدرج في الكون والبَشَر والقِيَم ، كما ان قوانين الاسلام ولوائح الشريعة ليست مثبتة عن المجتمع العربي في واقعه حينذاك ، ولا عن تاريخه القديم .

شعر امرىء القيس

وليس من شك في أن اقدم مجموعة مهمة من الشعر العربى بين ايدينا الآن ، هي مجموعة الشاعر الشهير امرىء القيس (توفى حوالى سنة ٥٤٠ م) . ومن عجب أن تطالعنا في ديوان هذا الشاعر – الذى اشتهر بمجونه – نزعة رافضة لعبادة الأصنام التي كانت شائعة بين قومه بخاصة وبين العرب بعامة ، تدل عليها حادثة مشهورة في حياته ، كما تدل عليها طائفة من شعره الذى يشير الى التوحيد ، من مثل قوله في محبوبته سلمى :

نظرت إليها والنجومُ كأنها
مصابيحُ رهبان تُشَبُّ لِقُفَّال

سموتُ إليها بعد ما نام أهلُها
سُموَّ حَبَاب الماء حالا على حال

فقالتْ : سباك الله إنك فاضحي
ألستَ ترى السُّمَّار والناسَ أحوالي

فقلتُ يمينَ الله أبرحُ قاعدا
ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

حلفتُ لها بالله حلْفة فاجرٍ
لناموا فما إنْ مِنْ حديثٍ ولاصَالِ

امرؤ القيس وذو الخلصة

وامرؤ القيس مولع بالرهبان ، مفتون بحركاتهم وثيابهم وادواتهم وصحفهم ، ويكرر ذكرهم في شعره ، كانما يقع منهم على امور غريبة جديرة بالذكر في صوره وتشبيهاته يخلب بها سامعيه .

اما الحادثة التي تدل على استهانته بالأصنام وميله الى رفض احترامها بله تقديسها ، فقد ذكرت المصادر انه كان يجدُ بعد مقتل ابيه في طلب ثاره ، واستعان بأحد اقيال حمير ، الذي اعطاه جيشا اكثره من صعاليك العرب وذؤبانهم وفيهم المستاجر . فسار بهم نحو بني اسد . ومر في طريقه بذي الخَلَصة ـ وهو صنم كانت العرب جميعا تعظمه ـ فاستقسم عنده بأزلامه ، وهي ثلاثة اقداح : الآمر والناهي والمتربص . فلما أجالها خرج الناهي . فأجالها ثانية فخرج الناهي ، وكذلك في الثالثة . فغضب امرؤ القيس ، فجمعها وكسرها ، وضرب بها وجه الصنم ، وشتمه وسبه ، وخرج يقول : لو كان المقتول أباك ما عقتني ، ثم قال :

لو كنت ياذا الخَلَصِ الموتورا
مثلي وكان شيخُك المقبورا
لم تنه عن قتل العداة زورا

ثم غزا بني اسد ، فظفر بهم . فلم يستقسم عنده بشيء حتى جاء الله بالاسلام . فكان امرؤ القيس اول من اخفره وأهانه .

كنانيّ والصنم سَعْد

ومثل هذه الحادثة كانت تتكرر في العرب ، ولا سيما الشعراء ، بما يدل على رفض عبادة الأصنام ، والميل الى إهانتها واحتقارها . فهذا رجل من كنانة يقدم على صنمها المسمى (سعدا) ، وهو صخرة طويلة بساحل جدة ، ومعه ابل يريد أن يقفها عليها تبركا ، فلما ادناها منه نفرت ، وذهبت في كل وجه ، وتفرقت عليه ، فاسف وتناول حجرا رمى به الصنم وقال : لا بارك الله فيك الها ، انفرت عليّ ابلي . ثم خرج في طلبها حتى جمعها ، وانصرف عنه وهو يقول :

أتينا إلى سعد ليجمع شمْلنا
فشتّتنا سعد ، فلا نحن من سعد
وهل سعد إلا صخرةٌ بتنوفة
من الأرض ، لايُدعى لغَيّ ولارُشْد

وقد حدث مالك بن حارثة ان اباه كان يبعثه باللبن الى صنمهم (ودّ) ، ويقول له : اسق الهك . قال : فاشرب اللبن . وكذلك كان مالك ابن كلثوم الشمجي وهو احد اشراف العرب ، يحتقر صنم (الفلس) ، حتى ان عدي بن حاتم وصَحْبه توقعوا ان يصاب بأذى ، وانتظروا اياما فلم يصبه شيء . فرفض عديّ عبادته وعبادة الأصنام وتنصّر . فلم يزل متنصرا حتى جاء الاسلام فاسلم . وهذا صنم لمزينة اسمه (نُهْم) يثور عليه سادنهُ حين يسمع بالاسلام ، فيحطمه ، ويقول :

ذهبتُ إلى نُهْم لأذبح عنده
عتيرةَ نُسْك كالذي كنتُ أفعلُ
فقلتُ لنفسي حين راجعتُ عقلها :
أهذا إله أبكمٌ ليس يعقل
أبَيْتُ فديني اليوم دينُ محمد
إله السماء الماجد المتفضل

التنقل من دين الى دين

وكان التنقل من اله الى اله ومن دين الى دين شائعا بين العرب ، وكان يحدث بين الافراد ، كما كان يحدث بين القبائل اذ ترفض القبيلة برمتها دينا لتختار دينا غيره . وهذا من امارات الخلط والتخبط في العقيدة ، وفي التفكير الديني ، ومثل هذا التخبط والخلط كان يحدث ازاء مفهوم الرب والاله او المعبود ، فقد جاء في شعر لخداش بن

زهير العامرى ، وكان بينه وبين عثعث الخثعمى عهد" فغدر به ـ هذان البيتان :

وذكّرتُه بالله بيني وبينـــــــه
وما بيننا من مدة لو تذكّـــرا
وبالمَرْوة البيضاء يـوم تبالة
ومَحْبِسة النُّعمـان حيث تنصّر

اذ يخلط خلطا واضحا بين الله بتوحيد ظاهر ، وبين صنم ذى الخلصة ـ المروة البيضاء ـ بوثنية لا لبس فيها ، وبين النصرانية وهى دين كتابي" .

الله

على ان ذكر (الله) كان امرا شائعا عند الشعراء قبل الاسلام ، ولا تكاد تظفر بشاعر منهم لم يذكره في شعره ، بما يوحى بانهم جميعا كانوا يدركون معنى الربوبيـــة العظمى التي تهيمن على الخلق والاقدار ـ على حين قل ذكرهم للاصـــنام على كثرتها ، وتدرت اشارتهم الى معبودات اخـرى كالكواكب والنار والجن والملائكة وما اليها ندرة بعيدة .

يقول الاعشى :

استأثر الله بالوفاء وبالعـــــدْ
لِ وولّى الملامـــة الرّجـــلا

كما يقول :

وذا النّصْب المنصوب لاتنسُكنّه
ولا تعبد الأوثانَ ، والله فاعبـدا

وروى لعَبيد بن الابرص :

من يسأل الناس يحرمــــــوه
وسائلُ الله لا يخـــــــيب
والله ليس له شـــريـــكٌ
عــلاّمُ ما أخفــتِ القلــوب

وفي معلقة الحارث بن حلزة :

فهــداهم بالأســودين وأمــر الله
بَــلْــغٌ تشـقى بــه الأشـقياء
وفعلنــا بهــم كما علــم اللــه
ومــا إن للحائنيـن دمــاء

وفي معلقة زهير بن ابى سلمى :

فلا تكتمُن الله مافي صدوركـم
ليخفى ، ومهما يُكتم اللهُ يعلمِ
يؤخرْ فيوضعْ في كتاب فيدخــرْ
ليوم الحساب ، أو يعجّلْ فينْقَم

ويروى للمتلمس :

وأعلم علم حق غير ظـــــــن
وتقوى الله من خـير العتـــاد

كما يروى له :

أطردتَني حـــذر الهجـاء ؟ ولا
واللــــه والأنصــاب لاتئِـلُ

ولامية بن ابى الصلت :

كل ديــن يوم القيامــة عند الله
إلا ديــن الحنيفـــــــة زور

ومثل هذا كثير في شعر ما قبل الاسلام ، مما يجعلنا نرفض الأحكام العامة التي تردد أن العرب كانوا يعبدون الاصنام . فالذى يتامل هذا الشعر ويتعمقه يجد ان مفهوم (الله) عند العربى كان يختلف كل الاختلاف عن مفهوم الصنم او الوثن او النصب ، ويتضــح ذلك جليــا حينما تقترن اللفظتان ، كما في بيتي خداش السالفين ، وفي بيت المتلمس الاخير .

المناسك والانبياء فى شعرهم

ويتصل بهذا المقصد الذى يشير الى وجود اله اعظم في فكر العربى وذهنه ، ما نراه من اشعار

لهم يتكرر فيها ذكرهم الانبياء مثل آدم ونوح وابراهيم وسليمان وداود وموسى وعيسى عليهم السلام ، وذكرهم بعض الشعائر والمناسك في الحج والأضحية والافاضة والصلاة والصيام والطهارة ، ولا سيما أشعار امرىء القيس،والنابغة الذبياني، ولبيد ، وعبيد بن الابرص ، ورؤبة ، واوس بن حجر ، والافوه الأودى . ولا نقف كثيرا عند شعر الأعشى وعدى بن زيد وأمية بن أبى الصلت لاعتبارات خاصة عند المؤرخين والنقاد .

التوحيد أقدم من الوثنية

وليس بعسير علينا ان ندرك هذا المعنى السامى من معانى التفكير الدينى لديهم ، اذا اعدنا الى الأذهان ان التوحيد في جزيرة العرب اقدم بكثير من الوثنية ، وظل معروفا ، متمثلا في ملة ابراهيم او الحَنيفيّة ، حتى جاء الاسلام . وقد ذكر المؤرخون طائفة معينة من اسماء الذين نبذوا عبادة الأصنام او الشرك بالله، واختاروا الحنيفية دينا، ومن بينهم شعراء ، ينبض شعرهم بالتوحيد ، من مثل زيد بن عمرو بن نُفيل الذى يقول :

تركت اللات والعزى جميعا
كذلك يفعل الجلْد الصبورُ
فلا العزى أدين ولاابنتيها
ولا صنَمَىْ بنى غَنْم أزور
ولاهُبَلا أزور وكان ربّاً
لنا في الدهر إذ حلمى صغير

وكان زيد يستقبل الكعبة ويقول :

لبيك حقّاً حقا
تعبُّداً ورِقّا

او يقول :

عُذت بما عاذ به إبراهيمْ
مستقبلَ الكعبة وهو قائمْ

يقول إنى لك عانٍ راغمْ
مهما تُجشّمنى فإنى جاشمْ

وقد عنى المؤرخون بتسجيل ورود الأصنام الى بلاد العرب وظروفه ، مما يدل على انها كانت بدعة مستوردة من بلاد الشام ، وان احترامها كان شيئا عارضا حادثا بينهم ، في الوقت الذى ظلت فيه القوة العليا المهيمنة تعيش في تفكيرهم ، وتتجلى في طقوس عبادتهم ، ولا سيما شعائر الحج ، ولم تكن هذه الطقوس وتلك الشعائر تدل على وثنية حقيقية او عبادة اصنام . وقد اشار القرآن الكريم الى انهم اتخذوا من هذه الأصنام وسائط تقربهم الى الله : « ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » (الزمر ٣) .

تقديس البيت الحرام

ولعل حيرة الحائرين تزول اذا أكدنا ان بيت الله الحرام في مكة ، ظل موضع احترام جميع العرب ـ وربما غير العرب ايضا ـ ومحط تقديس القبائل طرا ، وما غرب عن فكرهم أنه بيت ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، ولذلك طافوا به ، وصلوا حوله ، ونحروا عنده. ولذلك ايضا نصبوا من حوله تماثيلهم ووسائطهم الى الله على اختلافها وتعددها ، حتى اهل الكتاب علقوا فيه صورهم ورسومهم تقديسا وتبركا . بل ان من الأخبار ما يروى أن المجوس والصابئة من فرس وتنبط وغيرهم كانوا يفعلون فعل العرب في البيت الحرام.

يقول عدى بن زيد ، وهو نصرانىّ ، حالفا برب مكة :

سعى الأعداء لايألون شرا
عليك وربِّ مكة والصليبِ

ويقول الأعشى ، وهو وثنى ، حالفا بالكعبة :

حلفت بثوبَىّْ راهب الديروالّتى
بناهاقُصَىٌّ والمُضاض بنُ جرْهم

وليس غريبا ـ بعد هذا ـ أن يخلو الشعر الجاهلى من ذكر مؤكد ، ومن تفصيل محقق ، فيه

معاناة ، وفيه نبض انفعال ، لدين الصابئة الذين اتخذوا الكواكب أربابا وصنعوا لها هياكل يعبدونها فيها على الأرض ، ولا لدين المجوس الذين قدسوا النار واتخذوا الهين للخير والشر ، ولا حتى لدين اليهود او النصارى ، الا ما كان من اشارات عابرة ، ولمحات نادرة ، لا تدل على عقيدة ، ولا تشير الى اعتناق . ودليلنا من ذلك على ان الشعر ، بعمق الفكر وحرارة الانفعال ، لم يقف عند هذه الآثار الدينية الباهتة، والظلال الاعتقادية العابرة ، لان الشعراء كانوا متعلقين برب الكعبة والبيت الحرام ، وان اشركوا معه وسطاء ، قريبين من حسهم ، ادنى الى بصرهم ولمسهم .

الدهرية

واما من يسمونهم (الدهرية) ، ويجعلون منهم طائفة دينية بعينها ويستدلون على وجودهم بما جاء في القرآن الكريم : « وقالوا : ما هى الا حياتنا الدنيا ، نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر » فليس من دليل مقنع في الشعر وغيره على وجودهم. وقد رأينا كيف نص القرآن الكريم على الملل الدينية وسماها باسمائها . وقد أجهد الدارسون انفسهم في الاستدلال على وجود طائفة الدهرية باستخراج ابيات من الشعر الجاهلى فيها ذكر للدهر ، وما يتعلق به من الأيام والليالي والزمان والمنية والقدر ، ونسوا أن ذلك من المفهومات الشعرية التي استعان بها الشعراء في كل زمان ومكان وملة ، وما زالوا حتى أيامنا هذه ، ولا اعتقد انهم سوف يقلعون عن هذا ، وما كان ذلك دليلا على انهم من الدهريين ، والا فان الشعراء طرا يحق عليهم الاتهام بالدهرية .

الشعراء والعقائد

وملاك القول ـ أن الشعر الجاهلى ، أو ما صح منه ، استطاع أن يمدنا في صدق وفي صراحة ، بمقالة الشعراء في كل العقائد والديانات ، التي كانت تموج من حولهم ، وتضطرب فوق أرضهم ، داخل الحدود العربية وخارجها ، فما كانوا متثبتين عنها ، ولا بعيدين عن تناولها ، وهم قوم ديدنهم الرحلة ، ومزاجهم التطلع والسعي . عرفوا كل الديانات والملل ، معرفة ما ، والمعوا اليها في أشعارهم ، ولا شك في انها راودت خواطرهم وافكارهم . ومع هذا فاننا نلمح من وراء هذه الأفكار ، فكرة غائمة ، سابحة في ضباب متراكب ، عن اله بعيد ، بعيد عن الوضوح الفكرى ، بله الوضوح الاعتقادى ، لانه ضائع في زحمة الفرق ، واعشاب الطقوس والمفهومات ، التي تتخذ رموزا له او بدائل منه ، في السماء مثل الكواكب المختلفة ، او على الارض كالاصنام والرسوم والهياكل وسائر الكائنات الحية والجامدة.

كانوا يعرفون ـ على نحو ما ـ دين ابراهيم واسماعيل والبيت الحرام ، ودين موسى وداود وعيسى ، عليهم السلام ، ولكن اين صحف ابراهيم وتوراة موسى وزبور داود وانجيل عيسى ؟ كان هناك شك ، وكان شرك .. كان هناك شك في تلك الديانات والمعتقدات التى قدم عليها العهد واشرفت على البلى ، وطالت الصراعات بينها من الخارج تارة ، وبين فرقها المختلفة من الداخل تارة أخرى ، وهى صراعات تسفيه وتشكيك وذم ، افاضت الكتب في وصفها .

كانت فكرة التوحيد غير نقية

وكان الشرك ، هو الطابع العام للروح الدينية السائدة ، حتى عند الكتابيين والحنفاء ، اذ لم تكن فكرة التوحيد امام أعينهم صافية من غير شائبة ، ولا في وجدانهم نقية بدون عكر . كانوا قد ضلوا الطريق ، فاتجه بصرهم الى الكعبة يلتمسون فرجة من ضيق . حدث ابن هشام ان زيد بن عمرو بن نفيل كان يسند ظهره الى الكعبة ويقول : « اللهم لو انى اعلم اى الوجوه احب اليك عبدتك ، ولكنى لا اعلم » .

ولئن كان الشك أو الشرك قد أوقعهم في حيرة من أمرهم حيال السماء ، فان حقوق اهل الارض عطرت اشعارهم ، بما تغنوا فيه بالقيم النبيلة والأخلاق الفاضلة . وما اكثر ما تغنى شعراؤهم ـ حتى الصعاليك منهم ـ بالحب ، والعدل ، والبذل، والمروءة ، والنجدة، والايثار ، والصدق، والسخاء ، والوفاء ، فجاءت أغانيهم زاخرة بجمال الصورة والعبارة فضلا عن جلال الفكرة والقيمة . لقد لبوا دين الأرض وواجب الانسان حين عزت عليهم تلبية السماء . ■■

محمد محمود الدش

مسابقة العربي

انديرا غاندى.. من هو والدها؟

تتميز مسابقة هذا العدد بتنوع أسئلتها . والمطلوب منك أن تجيب على ٨ أسئلة اجابة صحيحة لكى تفوز بأحدى جوائز المسابقة.. وهذه هى الاسئلة :

١ ـ سنتان هامتان فى التاريخ العربي، سنة ١٢٦٠ ميلادية ، وهي التي هزم بها المماليك المغول فى معركة عين جالوت الشهيرة ، وسنة ٨٩٨ هـ وهـى التى شهدت سقوط غرناطة ونهاية الحكم العربي فى الأندلس وشهدت فى الوقت نفسه اكتشاف أمريكا على يد كريستوفر كولومبوس . والمطلوب تحويل هاتين السنتين ، واعطاء ما يقابل السنة الاولى فى التقويم الهجرى ، وما يقابل السنة الثانية حسب التقويم الميلادى .

• • •

٢ ـ انديرا غاندى هى رئيسة وزراء الهند حاليا ، ومنذ عام ١٩٦٦ ، حينما خلفت الرئيس الاسبق شاسترى فى هذا المنصب . وهى من مواليد سنة ١٩١٧ . ترى من كان أبوها :

١ ـ زعيم الهند الراحل المهاتما غاندى (المتوفى ١٩٤٨) .

٢ ـ البانديت جواهر لال نهرو (المتوفى ١٩٦٤) .

٣ ـ احد عامة الهنود .

٣ ـ جائزة نوبل توزع على الفائزين فى ستة من الفروع الثمانية التالية :

السلام ـ الادب ـ الفيزياء ـ الفلسفة ـ الكيمياء ـ التاريخ ـ الاقتصاد ـ الطب او الفسيولوجيا فما هما الفرعان اللذان لا تشملهما جائزة نوبل ..!

• • •

٤ ـ بيت لحم اسم يطلق على مدينتين ، الاولى هى بيت لحم التى ولد فيها السيد المسيح ، وتقع فى الاراضى المقدسة ، الى الجنوب الغربى من القدس ، ويبلغ عدد سكانها نحو (٢٤٠٠٠) نسمة . أما بيت لحم الثانية فمدينة كبيرة يزيد عدد سكانها على ٧٥٠٠٠ نسمة . وهى مدينة صناعية اشتهرت بصناعة الحديد والصلب . فأين تقع بيت لحم الثانية هذه ... ؟

• • •

٥ ـ « فيك الخصام وانت الخصم والحكم » .

هذا شطر من بيت شعر معروف لشاعر عربى كبير = فما صدر هذا البيت ، ومن قائله ؟



اندرا غاندي



نوبل

٦ ــ الخوارزمي ، احد كبار علماء الحساب والرياضيات المسلمين . عمل في كنف الخليفة المأمون وتوفي حوالى سنة ٨٥٠م ، وقد ترجمت كتبه الى اللاتينية ، وكان له اثر كبير في العلوم الرياضية في الغرب ، حتى انهم اشتقوا اسم احد هذه العلوم من اسمه .. فما هو هذا العلم ؟

• • •

٧ ــ فلورانس نايتنجيل ، (١٨٢٠ ــ ١٩١٠) هي الممرضة البريطانية الشهيرة ، بل رائدة فن التمريض في العالم اجمع . وقد قامت هذه الفتاة بخدمات جليلة في احدى الحروب التالية:

أ ــ حرب البوير ب ــ حرب القرم
جـ ــ حرب الثلاثين سنة فما هي تلك الحرب . . .؟!

٨ ــ المواقع الاثرية التالية قائمة في اماكن مختلفة ، عربية وغير عربية .

قرطاجة ــ جزيرة فيلة ــ اكروبوليس ــ تدمر . ففي اي البلاد يوجد كل من هذه المواقع .

• • •

٩ ــ سماه السلف الصالح بحر الخزر ، فماذا نسميه الآن ؟

• • •

١٠ ــ عاصمة الولايات المتحدة الامريكية هي واشنطن ، ففي اي ولاية تقع واشنطن هذه :

١ ــ في ولاية تكساس .
٢ ــ في ولاية فرجينيا .
٣ ــ في منطقة خاصة بها ليست من الولايات الخمسين .

شروط المسابقة

١ ــ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .
٢ ــ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٣ ــ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :
مجلة العربي ــ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٦٨ »
٤ ــ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٢

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .

كوبون مسابقة العدد ١٦٨

صفحات من
الطب المصور

الجهاز العصبي

المخ والحبل الشوكي والأعصاب

بقلم الدكتور أحمد زكي

المخ

الانسان هو سيد الخلائق ، لا شك فى هذا ، وهو تميز بكثير من الأشياء . منها ما يتصل بالفكر والحفظ والذاكرة والحكم على الأشياء ، والكلام ، ونحو ذلك من الأعمال التى توصف بالرفيعة . وكل هذا يرجع الى المخ ، فهو الحافظ وهو الحاكم وهو الضابط وهو المقدّر .

ولكن المخ يتحكم كذلك فى كثير من الأعمال والظواهر التى هى دون ذلك مرتبة . فهو يتحكم فى الأحاسيس ، فى النظر والسمع والشم والمذاق واللمس ، وكذلك فى كل أعمال الحركة التى تستجيب لهذه الأحاسيس .

والمخ يناسق بين الحركات المتعددة اللازمة عند المشى والجرى والكلام والضحك ، وغير ذلك من الحركات الواعية .

وللمخ نصيب خطير من الأعمال التى تجرى فى الانسان دون وعيه كالتنفس ، واجراء الدورة الدموية . وفى الهضم وغير ذلك .

الأعصاب

وبعد المخ تأتي الأعصاب .

تصور اولا انك ابصرت تفاحة . وقع بصرك عليها . فهذا احساس يصل الى المخ ، وفيه ، أو بناء عليه ، تدرك ان الذى رأيته تفاحة ، وذلك اعتمادا على ما كان المخ اختزن من معنى التفاح شكلا ولونا . وهذا الاحساس الاول يذهب

نبضات Impulses من العين عن طريق العصب الذى بها الى المخ (مارّة بالحبل الشوكى) . والاعصاب التى تحمل هذه النبضات الخاصة بالابصار ، هى بعض الأعصاب الحسية Sensory Nerves بالابصار ، هى بعض الأعصاب الحسية.

فاذا انت اردت أن تنال هذه التفاحة فتحركت اليها ، اعطى المخ امره نبضات تحملها اعصاب الحركة الى العضلات التى تحمل الجسم الى التفاحة (مارّة بالحبل الشوكى كذلك) .

فهذا النوع الثانى من الأعصاب ، هو اعصاب الحركة Motor Nerves وفيها تجرى الدفعات العصبية عكسا ، اى من المخ الى العضلات ذات العلاقة بهذا الأمر .

الجهاز العصبى التلقائى

ولكن هناك اعصابا لا تصل نبضاتها ، الى المخ ، لا احساسا ، ولا حركة ، وهذه هى التى تجرى عمليات الجسم الخطيرة كالتنفس وكدورة الدم ، وكالهضم ، فهذه عمليات لا حاجة للمخ أن يتدخل ليقضى فيها بنعم أو لا . انها أعمال لا بد أن تجرى، والحس فيها يحدث الحركة الواجبة ، وقد تعلم الجسم ذلك ، فهى تكاد تكون بعض الغرائز الذى خلق الجسم وهى بعضه .

فالقلب لا يستأذن المخ فى هل يدق او لا يدق ، ولا ان يزيد فى ضرباته مثلا اذا جرى الانسان فاحتاج الى زيادة ضربات .

والرئتان لا تستأذنان القلب فى زيادة انفاسهما عند الجرى مثلا ، او قلة الأنفاس عند السكون والهدوء .

ويسمى هذا الجهاز من الاعصاب بالجهاز العصبى التلقائى Autonomic Nervous System .

الحبل الشوكى

وهو الواصل بين المخ والاعصاب Spinal Cord .

وهو عبارة عن عدد كبير من الألياف العصبية مضموم بعضها الى بعض ضما وثيقا . وهى تجرى فى انبوبة عظيمة تتالف من الفقرات العظمية ، تصنع ما يعرف بالعمود الفقرى،وهو يحمى الحبل الشوكى من الأضرار .

وتجرى مجموعة الألياف العصبية فى هذا الأنبوب بداخل العمود الفقرى حتى تصل الى المخ ، وهى فى طريقها تتصل بها الأعصاب المنتشرة فى ارجاء الجسم جميعها .

وهذه الالياف العصبية تنضم بعضها الى بعض فى صورة حزمات خاصة تقوم بنقل نبضات خاصة بها . وتسمى هذه مسالك عصبية Nerve Tracts .

فاذا دخل الى الحبل العصبى عصب من اعصاب الأحاسيس،جاء من الجسم، يحمل نبضة من الحس Sensory Impulse تريد الوصول الى المخ ، سلكت هذه النبضة المسلك العصبى الخاص بها، وهو يحملها الى المخ .

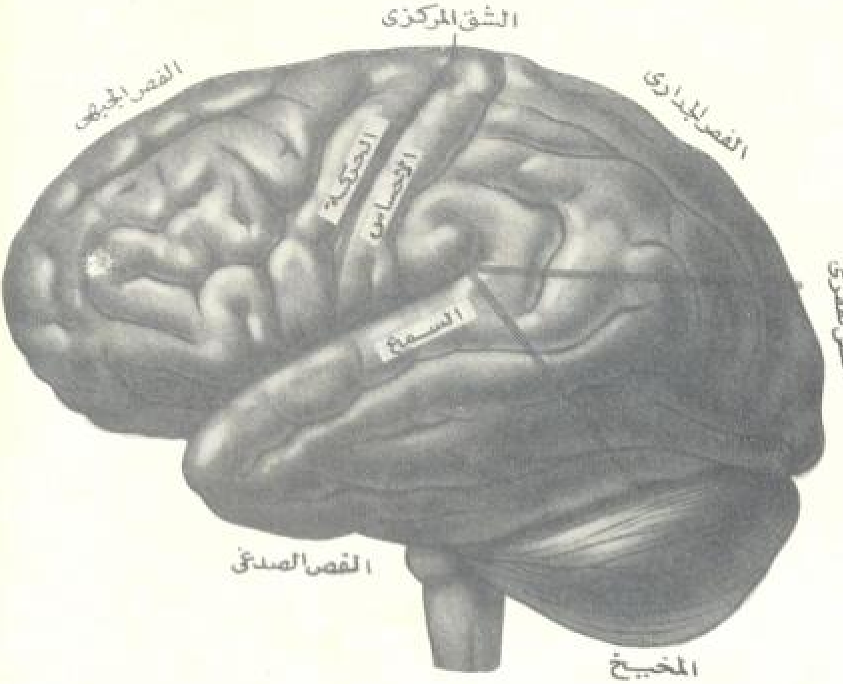
وتسمى امثال هذه المسالك الذاهبة الى المخ بالصاعدة .

ومسالك تحمل النبضات بالحركة من المخ الى الجسم عن طريق الحبل الشوكى تسمى بالمسالك النازلة .

النخاع المستطيل
Medulla Oblongata

ويقع فى النهاية العليا للنخاع الشوكى، ويظهر كأنه امتداد للنخاع ، الا أنه أغلظ . وهو اوطأ جزء من المخ .

والنخاع المستطيل Medulla Oblongata هو مركز للاعصاب عام ، يتحكم فى تنفس الانسان ، وفى ضربات قلبه وفى ضغط دمه .



المخ كما يتراءى لنا ظاهره :
وفيه تظهر تلافيفه ، وفصوصه (الجبهى ، والجدارى ، والقفوى ، أو القذالى ، والصدغى) وكذلك بعض مراكز الاحساس ومراكز الحركة .

المخيخ Cerebellum

المخيخ ، اى المخ الصغير Cerebellum ، وهو يقع خلف النخاع المستطيل مباشرة وفوقه .

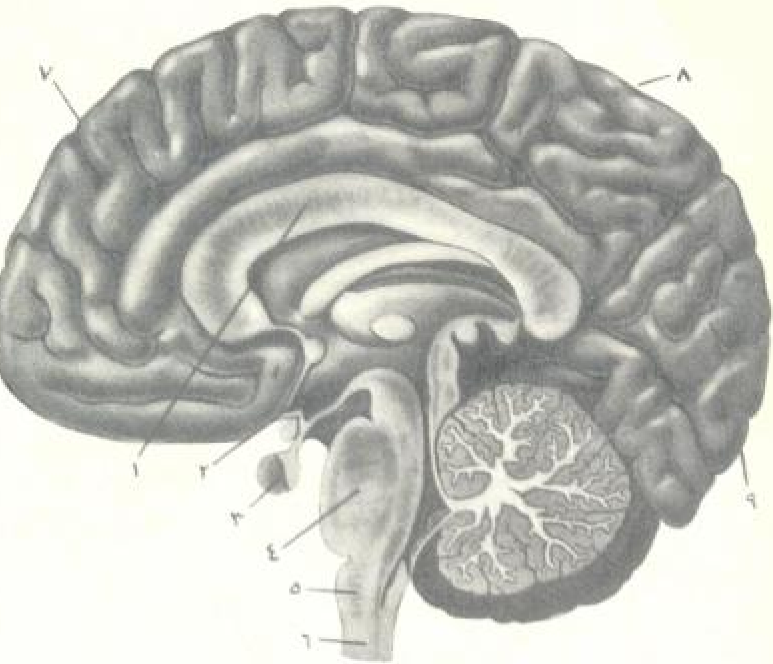
اما عن عمله ، فنقول انه لا يبدأ حركة فى الجسم من ذات نفسه ، وانما تدخله وتخرج منه كثير من الألياف العصبية التى تساعد الجسم على استقامة الحركة . وعمله أنه ينسق بين العضلات من أجل الحركة وضبطها ، وله كذلك عمل فى اتزان الجسم ، لا سيما فيما يتصل من ذلك بأجزاء الاذن الداخلية .

السرير البصرى وما تحت السرير البصرى

المخ يتألف من نصفى كرة . ونجد فى كل نصف كرة ، من داخل المخ ، جسم اشبه شىء باللوزة ، ونسميه Thalamus اى السرير البصرى .

وهو يتقبل اعصابا حسية تأتى من العين ، واعصابا حسية اخرى يفرزها ويوجهها وجهاتها المختلفة .

ومراكز للاعصاب اخرى فى السرير



نصف المخ الأيمن فصلناه عن نصفه الأيسر . وفيه تظهر الأشياء الآتية :
١ ــ الجسم الثفنى ــ ٢ ــ ما تحت السرير البصرى ٣ ــ الغدة النخامية ٤ ــ الجسر ٥ ــ النخاع المستطيل ٦ ــ الحبل الشوكى ٧ ــ الفص الجبهى ٨ ــ الفص الجدارى ٩ ــ الفص القذالى أو القفوى .

البصرى تتقبل اليافا بصرية تأتى من الأذن ، ومن غيرها من الأعضاء .

أما ما تحت السرير البصرى Hypothalamus ، فهو جزء من المخ يزن أقل من ٣٠ جراما . أما عمله فيتصل بأعمال كثيرة من أعمال الجسم التلقائية، وذلك بضبطها ، كالتنفس والهضم والدورة . وهو يتحكم فى الجسم عند اهتياج العواطف .

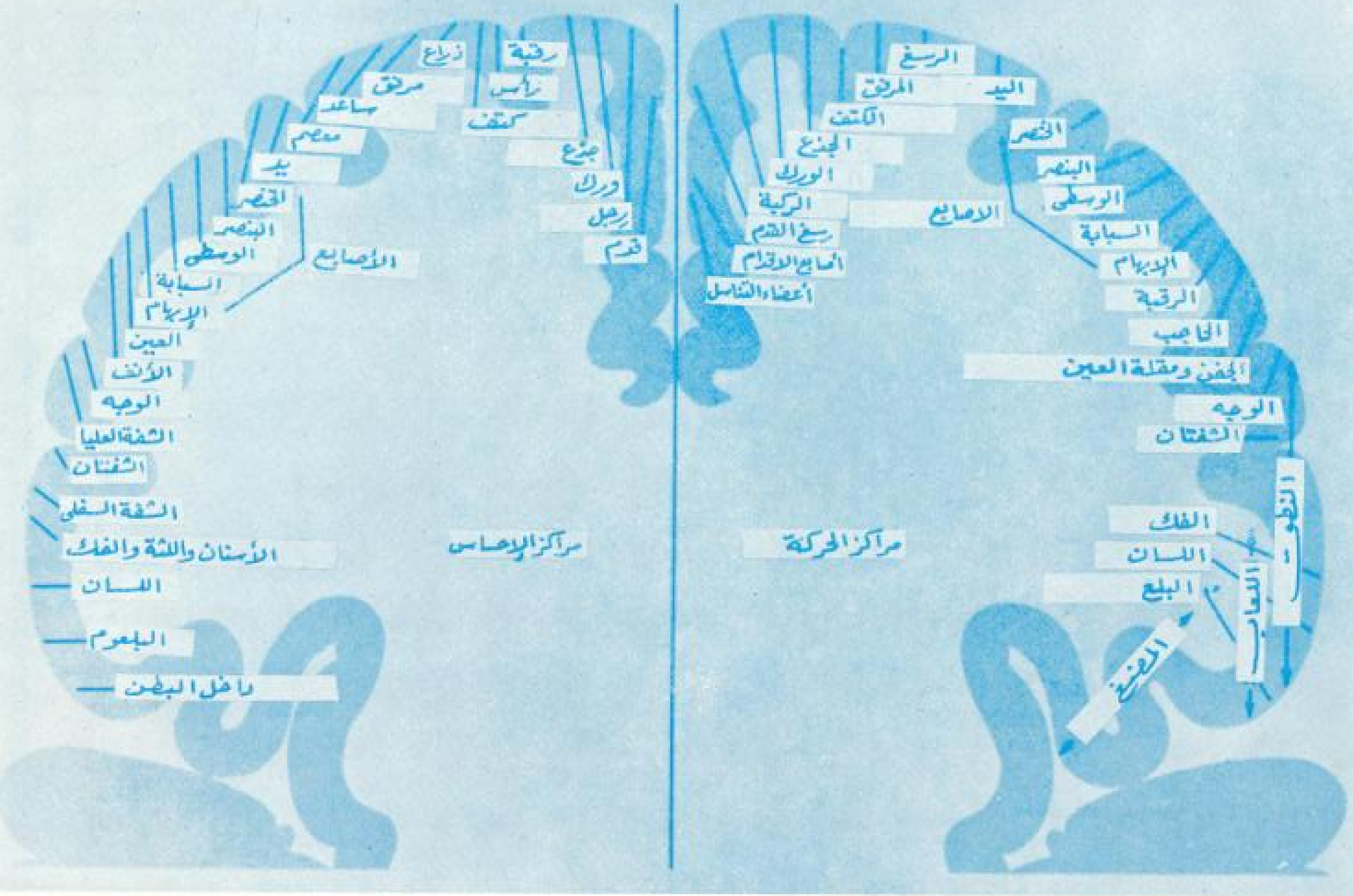
والسرير البصرى ، وما تحت السرير البصرى ، يجمعان معا ويسميان بالمخ الداخلى .

الغدة النخامية

وهى غدة متصلة بما تحت السرير البصرى . وهى غدة تفرز افرازات تدور فى الجسم فتؤثر فى سائر غدده بأن تتحكم فى مقدار افرازها وتضبطه ، ولهذا اسموا هذه الغدة بالغدة الأم Master Gland .

المخ
والقشرة المخية

والمخ أكثر ما يملأ الصندوق العظمى الذى بأعلى الجمجمة .



خريطة الحركة والأحاسيس في قشرة المخ وفيها مراكز الاحساس والحركة

وهو يزن نحو نصف وزن الجهاز العصبى كله .

وهو يتألف من نصفى كرة ضُمّ النصف الأيمن منهما الى النصف الأيسر، فكانت الكرة .

ومادة المخ ، بيضاء ، تتألف من اعداد كثيرة من حزمات من الياف عصبية . وتغطى المادة البيضاء بطبقة من مادة رمادية اللون تسمى بالقشرة المخية Cerebral Cortex .

ومادة المخ بيضاء ، لأنها تتألف من الياف تغطيها مادة دهنية بيضاء شبه عازلة . والقشرة المخية سمراء لأن خلاياها لا تغطيها تلك المادة الدهنية .

وفى اوسط المخ اشرطة عريضة من الالياف البيضاء تعرف بالجسم الثفنى Corpus Collosum متداخل فى كل من نصفى الكرة اللتين تؤلفان المخ، وذلك ليربط بينهما .

والقشرة المخية مطوى بعضها فوق بعض ، وهى اشبه شىء بجوزة الجمل المقشورة ، ونشأ من هذا الانطواء تلافيف Convolutions بينها شقوق Fissures .

والهدف الظاهر من ذلك كله انما هو زيادة سطح المخ، وقد ضاقت به جمجمته، ليتسع للأغراض الكثيرة التى يهدف الى ادائها .

واهم شقوق المخ ذلك الشق الأعلى، الذى يفصل نصفى الكرة احدهما عن الآخر ، ويجرى من مؤخر المخ الى مقدمته ، ويسمى بالشق الطولى Longitudinal Fissure .

ومن الشقوق الاساسية الأخرى الظاهرة فى القشرة المخية شقوق تقسم كل نصف كرة (نصف المخ) الى اقسام اربعة ، او فصوص اربعة Lobes ، هى الفص الجبهى Frontal ، فالجدارى Parietal ، فالقذالى Occipital ، فالصدغى Temporal .

وقاية المخ والنخاع الشوكى

اول وقاية هو ما حاطهما من عظام .

ولكن داخل هذه العظام يحوط المخ والنخاع الشوكى ثلاثة انسجة ، بعضها فوق بعض ، ولكن منفصل كل منها عن كل ، وتسمى بالسحايا Meninges واوسط هذه الأغلفة ليس ثوبا واحدا ، انما هى شبكة بها كثير من الفراغ . وفى هذا الفراغ يجرى السائل المعروف بالمخى الشوكى Cerebrospinal . وهو يجرى ايضا فى المواضع الفارغة المتصل بعضها ببعض داخل المخ والتى تعرف بالبطينات الدماغية Cerebral Ventricles . كذلك يجرى السائل حول النخاع الشوكى كله .

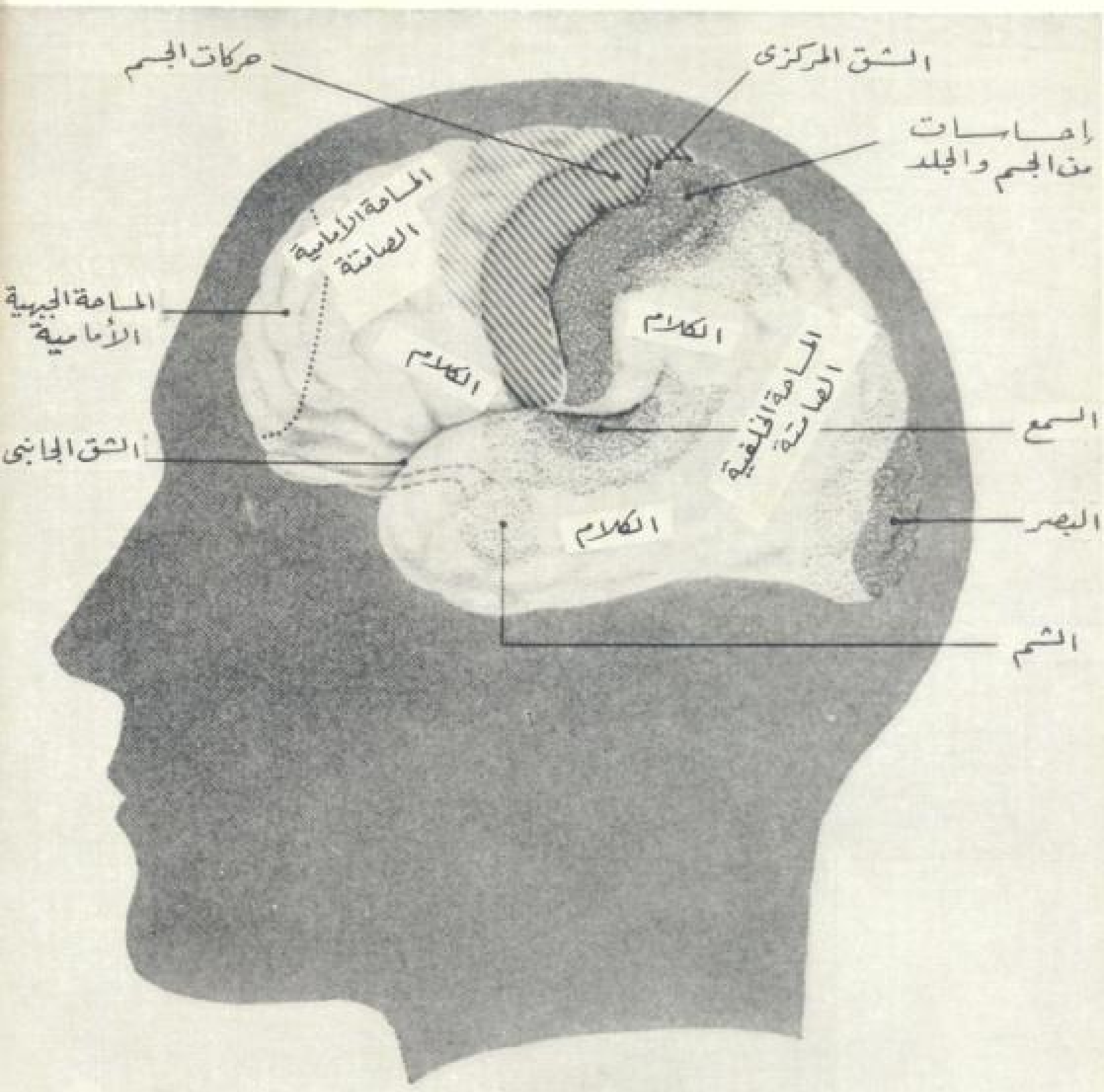
من ذلك نرى ان المخ والنخاع كليهما محصن ضد كل ضرر يأتيهما من الرَّج والهز او السقوط او نحو ذلك .

القشرة المخية فيها مراكز الحركة

لو اننا بدأنا بدراسة المخ ، بأن نمس موضعا فى ظاهره ، اى من قشرة المخ ، او ننشطه بطريقة ما ، حدث من جراء ذلك حركة فى ناحية من نواحى الجسم .

فموضع صغير من القشرة ، ننشطه، فتكون من جراء تنشيطه حركة تحدث فى اصبع .

وقد ننشط موضعا صغيرا آخر الى جانب هذا ، فيكون من جراء ذلك حركة تحدث فى اصبع آخر .



صورة تمثل الجانب الأيسر من المخ ، وقد رسمنا عليه المساحة التى تختص بحركات الجسم ، والمساحة التى تختص بالاحساسات ، وبينهما شق المخ المركزى . كذلك اوضحنا أين مراكز الاحساس الاخرى ، كالسمع والبصر والشم . وكذلك المساحات التى تتحكم في الكلام . أما المساحات الصامتة فهى تلك التى لا تتصل بالحركة ولا بالاحساس ، وانما يظن أنها تتصل بعمليات المخ المعقدة الأخرى التى تجعل من الانسان حيوانا عاقلا . واذا أردنا أن نرسم الجانب الأيمن من المخ اذن لكان كصورة هذا الجانب الأيسر اذا ظهرت في مرآة ، سوى أن مراكز الكلام يختص بها جانب المخ الأيسر وحده .

وموضع آخر ننشطه ، فنحرك بذلك ذراعا باكمله . وهلم جرا .

فهذه المواضع من القشرة نسميها مساحات الحركة Motor Areas وقد كشف عنها العلماء بدراسة الحيوانات ، وكذلك اثناء ما قاموا به للانسان من جراحات .

وترى فى صورة المخ المرفقة الكاملة شقا اسميناه الشق المركزى ، ينزل من أعلى المخ الى نحو نصفه هبوطا فى نصف كرة المخ اليسرى ، ومثل ذلك فى نصف كرة المخ اليمنى (وهى غير واردة فى الصورة) . وامام هذا الشق المركزى فى الصورة مساحة من القشرة المخية كتبنا عليها « الحركة » .. ففى هذه المساحة من القشرة تتجمع كل المراكز التى يمكن تنشيطها واثارتها لتحرك اى عضو من اعضاء الجسم .

وفى (خريطة الحركة والاحاسيس) المرفقة ترى فيها أسماء تلك المراكز وما تحركه من أعضاء . وهى تمثل ما يوجد منها امام الشق المركزى فى نصف كرة المخ .

وبالطبع يوجد مثيل لها ، غير وارد فى الصور ، فى نصف كرة المخ الاخرى .

والغريب الذى نلاحظه ان هذه المساحة اليسرى من الكرة المخية تحرك اعضاء نصف الجسم الايمن ، والمساحة اليمنى للكرة المخية تحرك اعضاء نصف الجسم الايسر .

القشرة المخية فيها مراكز الأحاسيس

وكما للحركة فكذلك للاحاسيس .

والمساحات من القشرة المخية التى ننشطها فتنشط بذلك الأحاسيس ، هو ذلك الجزء من القشرة الذى يقع وراء الشق المركزى لا امامه ، والذى كتبنا عليه « الحس » فى صورة المخ الكاملة .

وفى خريطة (الحركة والاحاسيس) التى تصحب هذه الكلمة تجد كيف توزعت مراكز الاحساس على هذه المساحة . وهى تمثل تلك المساحة التى تقع فى نصف كرة المخ . ولها مثيل فى نصف المخ الآخر .

احاسيس اخرى غير واردة فيما وصفنا من القشرة المخية

يوجد غير هذه الأحاسيس مساحات اخرى ، اليها تصل نبضات من الاحاسيس ، او منها تخرج اوامر بالحركة .

ومن امثلة ذلك البصر والسمع والشم والمذاق .

ولهذه مواضع اخرى فى القشرة المخية .

العمليات العقلية العليا

وليست الأحاسيس، وليست الحركة هى كل شىء فى الحياة العقلية .

فالحياة العقلية اوسع من هذا واعمق ، من ذلك ربط كثير من هذه الأحاسيس بتكوين فكرة يصنعها المخ هى بمثابة تعريف لشىء ، والفشىء، مما مرت به خبرة الانسان . ثم اختزان هذه المعلومات جميعا بالذى ترجع اليه الذكرى عند الحاجة لتحييه وتنتفع به . ثم المقارنات والمناقضات التى يقوم بها المخ وهو يحكم على الأشياء . عمليات كثيرة كبيرة غامضة ، وكل الذى نستطيع ان نقوله فى امرها ان لها فى المخ مراكز اخرى تحتلها ، ومنها تلك المساحات التى نسميها فى المخ بالمساحات الصامتة . وللعلماء فيها ظنون كثيرة ، واحداس .

●●

احمد زكى

استطلاع الكويت

التعليم الديني

في الكويت

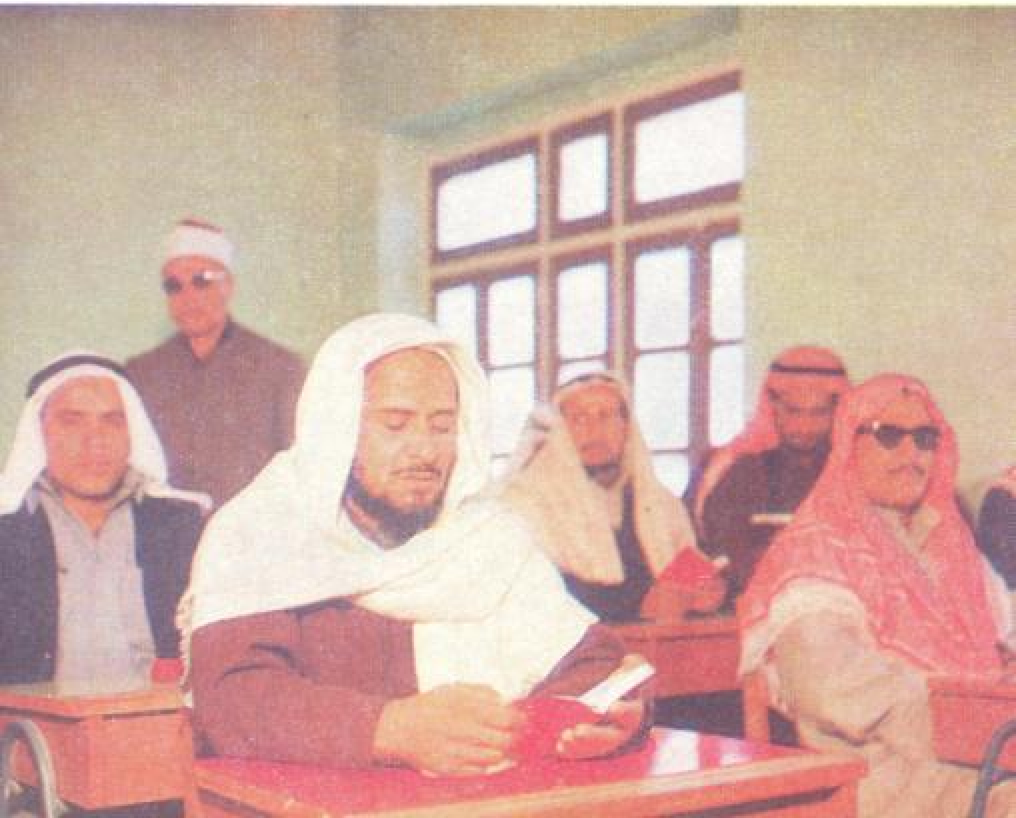
استطلاع بقلم

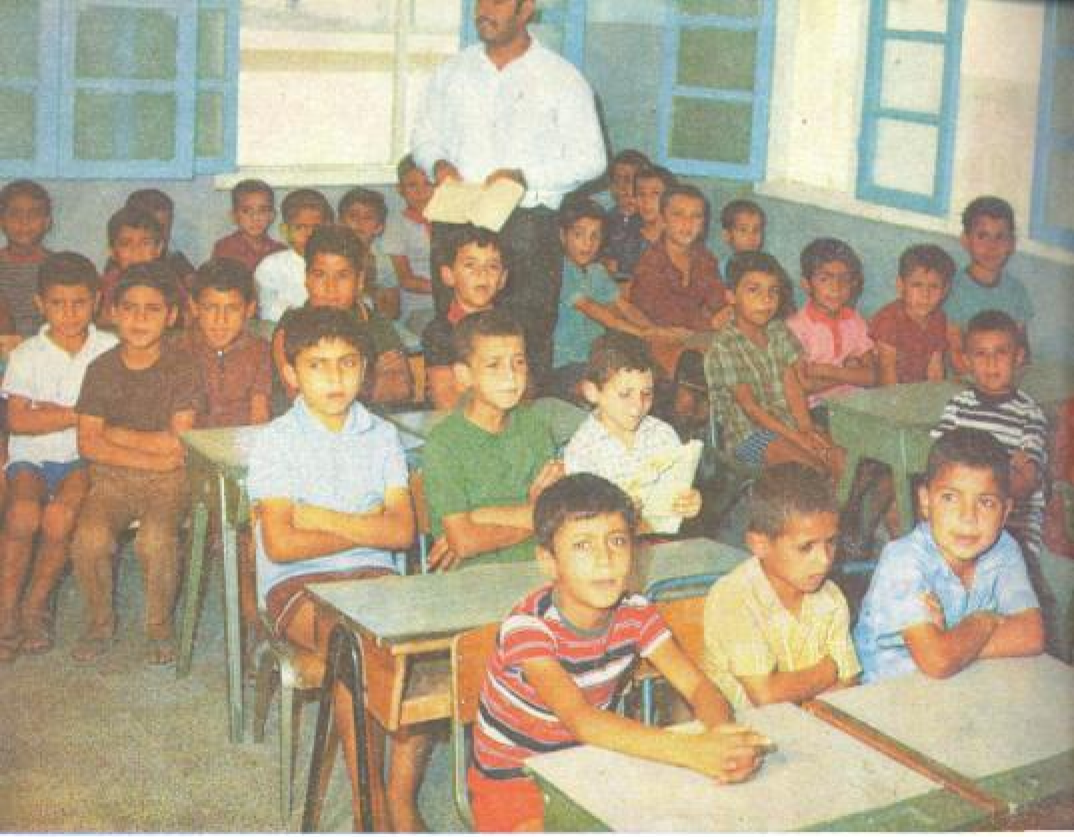
محمد خليفة التونسي

تصوير

حسن الصفار

احد الطلاب يقرأ ، وزملاؤه ينصتون في فصل دراسي بدار تحفيظ القرآن الكريم ، وقد وقف شيخهم يتابع ويصحح على وفق قواعد التجويد .





صغار في احد فصول الدورة الصيفية الدينية ينظرون الى آيات قرآنية امامهم على السبورة ليتابعوا قراءتها بعد استماعها من المدرس .

احد الأساتذة الشيوخ وقد جلس مع فريق من طلابه بمكتبة دار تحفيظ القرآن الكريم ليناقشهم فيما يحفظون ويقرأون .



■ التعليم الديني الذي يعنينا هنا استطلاعه في الكويت هو التعليم الاسلامي العربي ، لانها بلد عربي اسلامي دولة وشعبا ونزلاء ، وان كان بين هؤلاء فئات ذوات ديانات وجنسيات ولغات اخرى ، لها او ليس لها نشاطها في تعليمها الديني الخاص ، والكويت بلد مضياف كسائر بلادنا العربية،والاسلام دين التسامح الانساني والتعايش مع غيره من الديانات .

وللتعليم الديني عندنا اليوم مفهوم خاص ، ورثناه عن « الفترة المظلمة » من تاريخنا ، حين انحصر في اطراف من بعض العلوم الدينية المحضة وبعض علوم العربية،ولم يزل هذا المفهوم مسيطرا على الاذهان مع سعة نطاقه وتحسن احواله اليوم بعد النهضة الحالية ولا بد لنا هنا ان ننتقد بهذا المفهوم الضيق ، لانه واضح في واقعنا المشهود ، وسنحاول خلال استطلاعه في الكويت الاشارة الى امثاله في بعض بلادنا العربية لشدة التشابه بين احواله فيها جميعا ، وتاثر بعض البلاد ببعض فيه وفي اسبابه .

علماء الكويت قبل النهضة

قبل النهضة الحالية انحصر التعليم الديني ، بل التعليم النظري بعامة ، داخل الكتاتيب ومجالس الدرس في المساجد ، والبيوت احيانا ، هكذا كان الامر في جميع بلادنا ، وهكذا كان الامر في الكويت الى ما قبل نصف قرن تقريبا .

لم تخل الكويت منذ نشات ولاسيما منذ قيام الامارة فيها ، في مطلع القرن الثامن عشر من متفقهين يؤمون الناس في صلواتهم ويعلمونهم دينهم، ويفتونهم فيما يستفتونهم فيه ، وقد قام القضاء الشرعي منذ قامت الامارة لانه من لوازمها ، ولدينا اسماء عشرات من هؤلاء العلماء والقضاة عاشوا وعلموا واصلحوا خلال هذه المدة .

وقد جرت العادة ان يختار اهل القضاء والفتيا من العلماء الموثوق بعلمهم واستقامتهم ، وهؤلاء هم الفئة المستنيرة التي يلجا اليها لاستفتائها والاحتكام اليها والتعلم عليها .

وكانت مجالس العلماء في المساجد او بيوتهم او (ديوانيات بعض الاعيان) ، وكان الطلاب يترددون على شيخ او اكثر لياخذوا ما وسعه ووسعهم من المعلومات ، ومن شاء الاستزادة فامامه الكتب ، وكانت نادرة قبل انتشار المطبوع منها ، ولكن كان نسخها باليد مستمرا كالعادة القديمة ، ولم تكن بيوت العلماء والاعيان والمساجد تخلو منها ، ونسخ الكتب فيه تعطيل ، ولكنه مفيد ، اذ لابد لصحته من بعض الفهم ، كما انه يثبت المعلومات في الذهن . اما العلوم فاعظمها حظا من العناية هو الفقه من العلوم الشرعية (وهي المقاصد) ومثله النحو في العلوم اللسانية او العربية (وهي الوسائل) لان الفقة مرجع الاحكام ، والنحو معيار الكلام .

وكان بعض هؤلاء العلماء من الكويت او ممن وفدوا عليها من غيرها كالاحساء ومسقط واليمن والحجاز ونجد والعراق وايران والهند والشام ومصر ، وكان بعض الطلاب الراغبين في الاستزادة من المعرفة يرحلون الى هذه البلاد ، للتزود من علمائها وخزائن كتبها ، ثم يعودون بما تعلموه وما جلبوه من الكتب فينشرونه .

ندوة دينية بين المغرب والعشاء في المخيم الكشفي الصيفي ، الذي أقامته ادارة رعاية الشباب .





الام مدرسة اذا اعددتها   اعددت شعبا طيب الاعراق

تلميذات في احد مراكز الدورة الصيفية الدينية يتدربن خلف معلمتهن على اداء الصلاة .

الكتاتيب في المرحلة الاولية

وكان التعليم على النحو السابق هو اعلى ما يتهيأ للمتعلم ، ولكن ماذا عن المرحلة الاولى وهي الاساس الذى تقوم عليه سائر المراحل ؟

لقد كان التعليم كله فيها دينيا محضا ، وكانت تتولاه الكتاتيب (وهى تسمى احيانا المدارس كما في الكويت) وكانت منتشرة في كل نواحي بلادنا بين المدن والقرى حتى البوادى ، وكان القيم بالكتاب رجلا يحفظ غالبا كل القرآن ، وكان الطلاب يتعلمون القراءة والكتابة ويحفظون القرآن الكريم عن طريق نسخ آيات منه في الواحهم يوميا، ثم يتلونها امام معلمهم او مساعده ، وقد يكون المساعد طالبا متقدما (عريفا) ، وكثيرا ما كان يعلم الطالب الكبير الصغار ،وكانت معظم الكتاتيب تعلم صغارها مبادىء الحساب . وكان المعلم يلقب في الكويت «المطوع» لانه يطوع الصغار اى يروضهم ويربيهم ، ويلقب احيانا « الملا » اى المولى بمعنى السيد ، وكانت كلمة « المطوع » تطلق ايضا على المدرسة مجازا ، وقد يكون وحده في بيئته المستنير الذى يحمل لها امانة التفكير والارشاد في كل ما يعملون او يعزمون .

وكان هذا التعليم هو القائم في ارقى بلادنا حتى الجيل الماضي ، وقد ادركه كبار جيلنا قبل انتشار المدارس الاولية الراقية كدور الحضانة والرياض والمدارس الابتدائية .

فلنشيع الكتاتيب بعرفان الجميل وان كان في النفوس منها شيء بل اشياء .

النهضة التعليمية

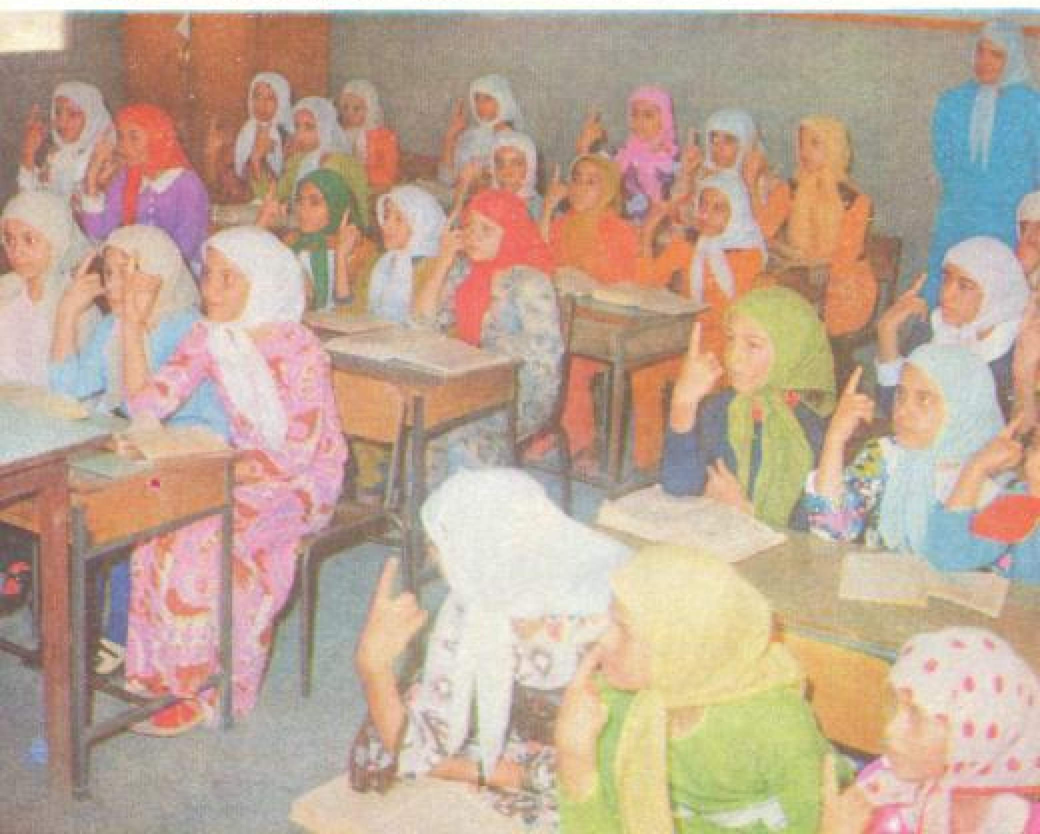
كان كثير من اهالي الكويت قد تذوقوا متعة العلم وفائدته ، فارادوا ان يتزود صغارهم به ، وفي مناسبة لا يتسع المقام لبيانها ـ تنادى جماعة من اعيان الكويت لفتح مدرسة ، فجمعوا الاموال لبنائها والنفقة عليها فكانت « المدرسة المباركية » ـ نسبة الى امير الكويت يومئذ الشيخ مبارك ـ وقد افتتحت سنة ١٩١١ وتلتها المدرسة الاحمدية سنة ١٩٢١ نسبة الى الامير يومئذ الشيخ احمد الجابر ، وقد قامت بتبرعات الاعيان ايضا ، وتبرع لها الامير بمكانها وبمعونة مالية سنوية كبيرة من ماله الخاص استمرت خمس عشرة سنة ، حتى تاسس مجلس المعارف سنة ١٩٣٦ فتولت الحكومة امر التعليم كله .

وينبغى ان نتذكر هنا ان التعليم في المدرستين بدأ واستمر طويلا وهو ذو طابع دينى ، فقد كان اهم دروسهما القرآن والتفسير والفقه والحديث والسيرة (علوم المقاصد) ودروس العربية من انشاء ومحفوظات ونحو واملاء ، واحيانا العروض (علوم الوسائل) والحساب ، ثم اضيفت مبادىء الهندسة والجغرافية حين وجد من يستطيع تدريسها .



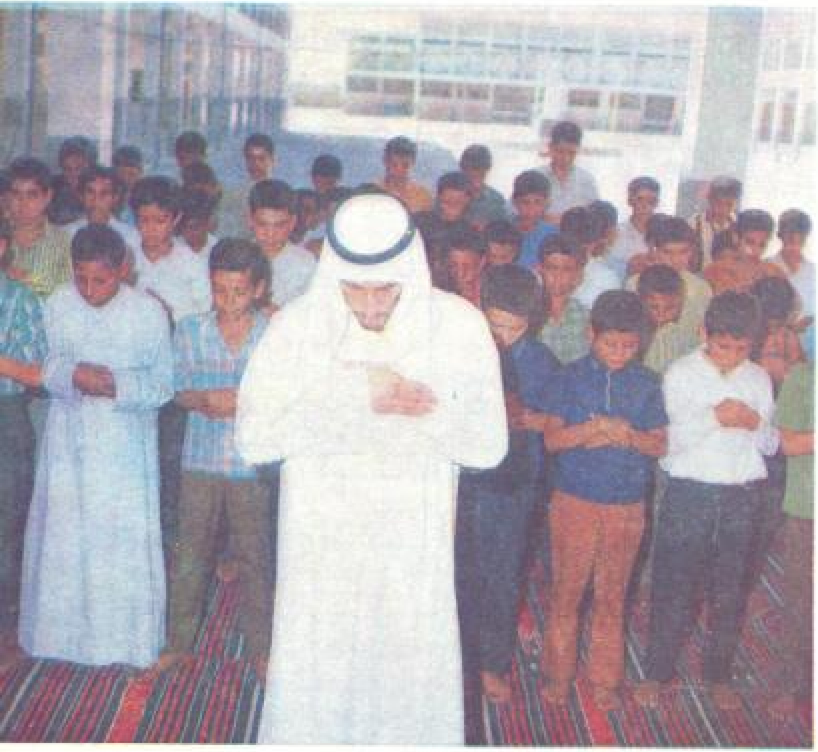
احدى المدرسات مع تلميذاتها في ملابس سابغة خلال تدريب رياضي يكسب القوة والرشاقة في احد مراكز الدورة الصيفية الدينية بالفروانية

صغيرات في أحد فصل الدورة الدينية ، وقد رفعن ايديهن للاجابة على سؤال في السيرة النبوية .





هالة يحيى (٨ سنوات) احدى تلميذات الدورة الصيفية الدينية وقد جلست في خشوع تتلو آيات من المصحف الكريم محاكية احد القراء المشهورين.



احد الاساتذة الكويتيين يؤم طلابه في صلاة الظهر في مدرسة خيطان، وهي من مراكز الدورة الصيفية الدينية

التعليم الديني في المدارس العامة

اما بعد تاسيس مجلس المعارف سنة ١٩٣٦ فقد اكثرت الدولة من انشاء المدارس العامة وتوسعت في التعليم حتى بلغ كيفا وكما مبلغ غيره في ارقى بلادنا ، وقد اتجه الوجهة المدنية ، وان كانت المناهج في صفوف كل المراحل تضم بعض الدروس الدينية. وفي رأيي ان مناهج الدين وكتبه جملة في مدارسنا المدنية كافية لطالب التعليم العام في مختلف بلادنا ، فلا نستطيع ان نتهم المخططين بالتقصير مع مراعاة ظروفهم ، ولكن التنفيذ موكول الى امانة المنفذين ولا شك ان كثيرا منهم يؤدون الامانة في عزم واخلاص ، ولو كانوا كذلك جميعا لكان في هذه المناهج الكفاف او الكفاية ولا اقول الغنى ، فضلا عن الثراء .

المعهد الديني

لم ينقطع التعليم الديني في الكويت منذ قامت ـ كما اسلفنا ـ ولكن بعد قيام مجلس المعارف والتوسع في التعليم العام ، وتغلب الجانب المدني العصري فيه على الجانب الديني المحض ـ رأى بعض المستنيرين انه لا بد من معهد ديني ، فطلبوا ذلك من مجلس المعارف ، فاستجاب لهم ، وبدأت الدراسة في المعهد عام ١٩٤٧/٤٦ ، وعين لتدريس الفقه فيه ثلاثة من متفقهي الكويت، وتطوع الشيخ عبد العزيز حمادة لتدريس الحديث النبوي ، وبلغ الطلاب نحو مائة .

وفي تلك السنة بدأت الحالة المالية تنتعش بظهور النفط ، فتوسع مجلس المعارف شيئا فشيئا في التعليم العام كله،وزادت عنايته بالمعهد الديني ، فشرع ينحو به نحو المعاهد الازهرية ، ولم يزل المعهد منذ قام حتى اليوم تابعا للمعارف وهي الآن وزارة التربية .

مراحل التعليم في المعهد الديني اليوم ـ كمراحل التعليم العام ـ ثلاث : ابتدائية ومتوسطة وثانوية، وكل مرحلة اربعة صفوف ، ولكل صف فصل واحد ، ومنهجه كمنهج المعاهد الازهرية الا ما تختلف فيه ظروف البيئة في الكويت عنها في مصر، وتستعين وزارة التربية في تنفيذ المنهج ببعض المدرسين الازهريين كويتيين وغير كويتيين .

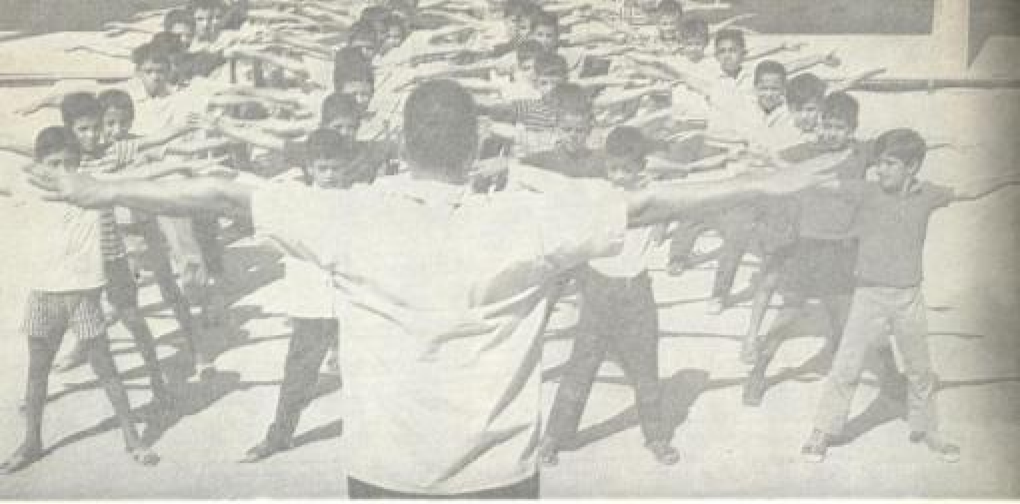
وكان فيما حدثنا به وكيل المعهد الشيخ احمد عبد القادر ان منهج المرحلة الابتدائية فيه لا يختلف عن نظيره في التعليم العام الا بحفظ سور من القرآن الكريم ، ولذلك رئي الاستغناء عن هذه المرحلة فيه بالتدريج ، فلم يقبل احد من الطلاب في الصف الاول لهذه السنة ، ليكتفى بالمرحلتين المتوسطة والثانوية اللتين تزداد الفروق بينهما وبين نظيرتيهما في التعليم العام ، ويبرز فيهما نوع التخصص، وللابتدائية ٣٤ حصة في الاسبوع.

ومنهجه في المرحلة المتوسطة يقارب نظيره في التعليم العام ، فيشمل دروس اللغة العربية والانجليزية والرياضيات والعلوم والصحة والتاريخ والجغرافية والتربية الوطنية والفنية والرياضية، ويزيد على ذلك دروسا في الفقه والتوحيد والتفسير والحديث والسيرة النبوية ، مع حفظ ربع القرآن الكريم ، وعدد الحصص ٣٨ في الاسبوع .

ومنهجه في المرحلة الثانوية يقارب ايضا نظيره في القسم الادبي في التعليم العام ، فتدرس فيه المواد الدينية الى جانب اللغة العربية والانجليزية وكثير من المواد التي ذكرناها في المرحلة المتوسطة، ومواد جديدة كالمنطق والفلسفة والاخلاق والجيولوجيا والمساحة ، موزعة على الصفوف المختلفة ، ومجموع الحصص في هذه المرحلة ٣٨، الا الصف الاخير فله ٤٠ حصة ، واسئلة هذا الصف تاتي من الازهر ، ولهذا يقبل خريجوه في كليات الازهر وكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، كما يقبلون ـ بعد انشاء جامعة الكويت ـ في كلية الاداب منها وكلية القانون والشريعة . ويلاحظ ان الفرنسية فيه تدرس بدل الانجليزية للطلاب الوافدين من بلاد كانت قبل استقلالها مستعمرات فرنسية .

عصبة امم اسلامية

وفي المعهد هذه السنة احد عشر فصلا على عدد صفوفه ـ بعد حذف الصف الاول الابتدائي ـ ومدرسوه ثلاثون الى جانب المدير والمعاون، وطلابه نحو ٢٦٠ ، نصفهم تقريبا من الكويتيين ، وبقيتهم من البلاد العربية او الاسلامية بعامة : كاليمن وعمان والعراق والاردن وسوريا ولبنان ومصر والسودان وموريتانيا ، ثم الفلبين واندونيسيا وماليزيا وتايلاند وباكستان وايران وتركيا،وارتريا وزامبيا والسنغال وداهومي وغانا ونيجيريا والنيجر ورواندا ، ولكنهم فرد او افراد قلائل من كل بلد من هذه البلاد ، واكثرها طلابا عمان فلها ١٢ ، والاردن والفلبين فلكل منهما ١١ طالبا ، وكلهم يتمتعون ـ الى جانب مجانية التعليم والكتب ـ



فوج من طلاب الدورة الصيفية الدينية يقومون مع معلمهم بتدريبات رياضية في فناء مدرسة القروانية.

بايواء شامل ومخصصات مالية شهرية ، والمأمول ان يتسع هذا المعهد وامثاله في البلاد العربية فتسهم الى جانب الازهر ، حتى تسع اعدادا اكبر من طلاب البلاد الاسلامية ، لانهم انما يقصدون بلادنا العربية غالبا للتزود من الدراسات الدينية المحضة والتمكن من اللغة العربية لغة كتاب الله ، ولغة نبيه عليه السلام .

وقد تخرج في هذا المعهد مئات من الكويتيين ، وقد اتم كثير منهم دراسته العالية بل العليا في كليات الازهر او دار العلوم ، وكثير من هؤلاء الدارسين يتبوءون اليوم مناصب قيادية عالية في الكويت ، منهم وزير الاوقاف الاستاذ راشد عبد الله الفرحان ، ووكيلها الاستاذ عبد الرحمن المجحم ، ووكيلها المساعد الاستاذ عبد الرحمن الفارس ، وكلهم خريج الازهر ، ووكيل وزارة التربية الاستاذ يعقوب غنيم ووكيلها المساعد الاستاذ عبد الله المفرج، وكلاهما خريج دار العلوم، ومنهم كثير من المستشارين والقضاة في وزارة العدل ، ومديرى المدارس ومدرسيها في التربية، وخطباء المساجد وائمتها في الاوقاف .

كلية القانون والشريعة

فتحت جامعة الكويت منذ ست سنوات ، ومن كلياتها كلية القانون والشريعة على غرار نظيرتها في الازهر اليوم بعد تطويره ، وقد خرجت فوجين حتى الان وهي ماضية في رسالتها ، وقد انتدب للتدريس فيها طائفة من الاساتذة الاكفاء كافضل ما في الكليات الجامعية المماثلة في البلاد العربية . وهكذا تتم الكويت طريقها في التعليم الدينى الى اعلى مراحله .

معهد الامامة والخطابة

ومن استدراك الفائت في التعليم الدينى ما لاحظته وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية من ان بين خطباء المساجد وائمتها ووعاظها غير الجامعيين من هم في حاجة الى زيادة كفايتهم العلمية ، فانشأت لهم « معهد الامامة والخطابة » ، الذى افتتح في سنة ٦٥/٦٤ ، وكانت مدة الدراسة فيه اربع سنوات ، والمواد هى الفقه على المذاهب الاربعة والتفسير والتجويد والحديث والتوحيد والنحو والبلاغة والتاريخ الاسلامي، وكانت حصصه اسبوعيا ١٥ ، ثلاث حصص يوميا عدا الخميس وكانت الدراسة فيه صباحية .

وقد خرّج اربع دفعات ، اولها في صيف سنة ٦٨ ، وآخرها في صيف سنة ١٩٧١ ، وانتهى عمله بانتهاء مهمته ، فرئي ان يحل في بنايته مباشرة معهد يعد جديدا من نوعه هو « دار القرآن الكريم » .

دار القرآن الكريم

بدأ العمل فيها منذ السنة الدراسية الماضية ٧٢/٧١ ، وقد تزاحم عليها مئات منذ اعلنت عنها وزارة الاوقاف ، ونظرا لان بعض طالبى الالتحاق بها يعملون في دوائرهم وغيرها صباحا ، جعلت

الدراسة فيها فترتين صباحية ومسائية ، وافتتحت سبعة فصول للصف الاول ، كلها تعمل في الفترتين ، وقد التحق بالفترة الصباحية في العام الماضي نحو ٢٠٠ طالب من ائمة المساجد نحو ١٥٠ طالبا من فئات مختلفة ، منهم المستشار ومؤذنيها وفراشيها ، وكان طلاب الفترة المسائية والقاضي والمحامي والمدرس والمهندس ومدير الادارة والضابط والشرطي ورجل المطافيء والعامل . وهذه الدار كالمسجد يستوى فيها الجميع .

اما جنسياتهم فمتعددة كذلك ، فطلابها من الكويت وامارات الخليج العربي واليمن بقسميها، والعراق ولبنان وسوريا وفلسطين والاردن ومصر والمغرب ، ومن اندونيسيا والباكستان والهند وايران والصومال .

كل شروط القبول فيها ان يكون الطالب ملما بالقراءة والكتابة ، وان تكون سنه بين الخامسة عشرة والستين .

والمواد التي تدرس فيها هي القرآن الكريم ، قراءة وتجويدا وتفسيرا ، والحصص الاسبوعية ١٥ ، لكل يوم ٣ حصص ما عدا الخميس . ومدة الدراسة ست سنوات ، لكل سنة خمسة اجزاء من القرآن الكريم .

وعدد المدرسين ١٨ ، اختيروا من الوعاظ الذى يعملون في الكويت ، الى جانب ثلاثة من خريجي معهد القراءات في الازهر عينوا متفرغين للدار خاصة ، وقد زيد ثلاثة مثلهم هذه السنة للصف الثاني الجديد .

وفي آخر السنة الدراسية الماضية عقد للطلاب امتحان ، فكانت نسبة النجاح للدور الاول في الفترة الصباحية ٨٢٪ وبين طلابها عشرة حصلوا على النهاية الكبرى في الامتحان التحريري ، واما نسبة النجاح في الفترة المسائية فهي ٧٩٪ وبين طلابها خمسة حصلوا كذلك في التحريري على النهاية الكبرى ، وقد منحت لهم جميعا مكافآت .

اما طلاب الصف الاول هذه السنة ، فاكثر من امثالهم في السنة الماضية سواء في الفترة الصباحية او المسائية .

المواطنون يسهمون في نشر التعليم الديني

من علامات الخير في اى دولة ان تكون عيون شعبها مع عين حكومتها ، وايديهم مع يدها للتعاون في الخدمات الاجتماعية ، وقد مضت بنا بعض شواهد هذا التعاون في الكويت ، وهو ظاهر في التعليم الديني اليوم ، فقد رأى بعض الغيورين على الاسلام هنا دعم التعليم الديني بين طلاب المدارس وطالباتها اثناء فراغهم في العطلات الصيفية ، وفي مقدمة هذه الجمعيات جمعية الاصلاح الاجتماعي وهى جمعية وجوه نشاطها متعددة داخل الكويت وخارجها .

وقد بدات تجربتها « للدورة الصيفية الدينية » خلال عطلة الصيف سنة ١٩٦٨ بصف واحد في مقرها ، وتكررت التجربة مع كل صيف واتسعت وتعددت مراكزها شيئا فشيئا، واستعانت خلال ذلك بمدارس وزارة التربية وبعض المدارس الاهلية فاستجابت لها متطوعة ، ووضعت تحت تصرفها ما ارادت منها ، حتى بلغت مراكزها هذا الصيف اربعة عشر تكاد تعم كل انحاء الكويت ، ثم اربعة مراكز هى مراكز رعاية الشباب التى سنفردها بكلمة بعد ، وقد زرنا اكثر هذه المراكز الثمانية عشر فوجدنا العمل يقوم فيها بجد واخلاص ، واقبال الطلاب والطالبات مشجعا على الاستمرار في التجربة ، فالطلاب نحو ١٩٠٠ يتعلمون في عشرة مراكز ، والطالبات نحو ٦٠٠ يتعلمن في اربعة مراكز، والمدرسون ٥١، والمدرسات ١٦ ، وقد وفرت وسائل المواصلات تامة بين البيوت والمدارس لثلاثة مراكز ، واسهمت بعض المدارس الاهلية بسياراتها لهذه المهمة تطوعا ، كما حدثنا بذلك السيد عمر عبد الرزاق مدير الجمعية .

اما اقسام الدراسة فثلاثة : ابتدائي ومتوسط وثانوى ، ولكل قسم منها منهج يناسبه ، ويتصل بالمنهج المقرر في المدارس العامة ليتوسع فيه ويكمله . وتشمل الدروس تحفيظ سور من القرآن الكريم وبعض الأحاديث والعقائد والفقه لا سيما العبادات، الى جانب دروس في بعض الامجاد والشخصيات البارزة في تاريخ الاسلام .

وليس المنهج مقصورا على القاء هذه الدروس النظرية ، بل تتممه دروس الرياضة البدنية المتنوعة ، مما يناسب البنين او البنات بحسب السن ، كما فتحت كل مدرسة مكتبتها ، ليرتادها الطلاب والطالبات، كما ان لكل مركز صحفا حائطية.

وهناك رحلات دورية بين المراكز بعضها وبعض، ورحلات جماعية لمشاهدة ابرز معالم الكويت . وتمتد الدراسة في هذه المراكز قرابة شهرين :



طلاب من المعهد الديني في مشهد تمثيلي لاحدى المسرحيات الدينية على مسرح المعهد .
والتمثيل عون على تذوق الفن واجادة النطق الفصيح ومواجهة الجمهور بشجاعة .

يولية (تموز) واغسطس (آب) والدراسة صباحية من الثامنة حتى الحادية عشرة ، وخلال الموسم تجرى مسابقات في الدروس النظرية والعملية ، ويمنح المتفوقون جوائز تشجيعية ، وفي آخر كل موسم تعقد امتحانات عامة ، فيمنح المتفوقون جوائز تشجيعية مع شهادات النجاح ، وقد بلغت الجوائز التي وزعت على المتفوقين والمتفوقات هذا الصيف ٢٦١ جائزة بين ساعة ومصحف وحقيبة مدرسية ومقلمة بادواتها الكتابية بحسب درجة التفوق ، وكان عدد المتفوقين ١٧٦ بنسبة ٩٪ والمتفوقات ٨٥ بنسبة ١٤٪ وكل هذه الجوائز مما يسهم به اهل الخير مع الجمعية ، واما مكافآت المدرسين والمدرسات فتقدمها الجمعية ، وبعض المدرسين متطوعون .

مراكز رعاية الشباب

تقيم ادارة رعاية الشباب التابعة لوزارة الشئون الاجتماعية والعمل – مراكز لرعاية الشباب خلال كل عطلة صيفية ، وقد اقامت هذا الصيف اربعة مراكز في اربع مدارس ثانوية للبنين ، كما اقامت لهم معسكرا كشفيا واسعا في مكان منعزل يفدون عليه فوجا بعد فوج من هذه المراكز ، فيقضي كل فوج فترة يعيش خلالها معيشة كشفية خالصة ، وفيما حدثنا به عنها الاستاذ عبد الرحمن المزروعي مدير رعاية الشباب ان الافواج اشتركت متطوعة في بعض المشروعات العمرانية .

وقد ارادت جمعية الاصلاح نشر الوعي الديني بين هؤلاء الطلاب في مراكزهم ومعسكرهم ، واستجابت الوزارة لذلك في الصيف الماضي وهذا الصيف ، فعينت الجمعية لكل مركز مرشدا يدرس للطلاب دروسا دينية كالقرآن والسيرة والحديث والفقه ، ويصحبهم الى مكتبة المركز ليطالعوا تحت اشرافه ما يشاءون ، كما خصصت الجمعية يوما لكل فوج في المعسكر تلقى في مسائه محاضرة دينية ، يعقبها حوار للاجابة على اسئلة الطلاب .

وكان من تشجيع صاحب السمو ولي العهد الشيخ جابر الاحمد الجابر الصباح ، على هذا النشاط الديني في مراكز الشباب ، ان رصد اربع مكافآت للاربعة الاوائل بين المتفوقين في الدروس الدينية ، فنال الاول ٤٠ دينارا ، والثاني ٣٥ ، والثالث ٢٠ ، والرابع ١٥ ومنحت رعاية الشباب كلا من الخامس والسادس والسابع ساعة قيمة .

محمد خليفة التونسي

الحشائشي
ورحلته في ليبيا

بقلم : نقولا زيادة

ولد محمد بن عثمان الحشائشي في مدينة تونس في ٢٦ رمضان المبارك سنة ١٢٧١ للهجرة الموافق لـ ١٢حزيران (يونيو) سنة ١٨٥٥ . هذا هو المرجع في مكان ولادته وان كان صاحب علماء بنزرت يجعل هذه المدينة التونسية مسقط راسه . وكان ابوه عثمان من شيوخ جامع الزيتونة المشهور . وقد كان من الطبيعي ان يعنى الشيخ عثمان بابنه فييسر له حفظ القرآن الكريم أولا ثم يرى ان ينخرط في طلاب الزيتونة .

واذا نحن تذكرنا ان تونس كانت قد اخذت ، منذ سنة ١٨٤٠ للميلاد ، في الاتصال بالفكر الاوروبي عن طريق المكتب العسكري الذى انشاه احمد باى في باردو ، وعن طريق نشر عهد الامان سنة ١٨٥٧ وعن طريق المدرسة الصادقية التي انشئت سنة ١٨٧٦ ـ ادركت الجو الذى قضى فيه محمد شبابه . وكان بين اساتذته جماعة من رجال الاصلاح في مقدمتهم سالم بو حاجب ، ومحمود بن الخوجة ، ومحمد بيرم وعمر بن الشيخ ، واحمد الورتناني . واذن فقد كانت الفترة التي قضاها محمد بن عثمان في جامع الزيتونة فترة غنية بالحياة الفكرية . فالى جانب نواحي الثقافة الاسلامية العربية التقليدية كان ثمة مجال للتوصل الى الآراء الجديدة . وقد كان محمد بن عثمان في العقد الثالث من عمره لما استولت فرنسة على تونس . « ورغم حوالك الوضع السياسي ، وتسلط السيطرة الاستعمارية ، كانت حلقات الدراسة الزيتونية كوات ، ومنافذ ينبثق منها نور المعرفة ، ويدوي في جنباتها صدى التفكير الاسلامي (المصراتي) .

وسار محمد على نهج ابيه ، بعد ان نال شهادة التطويع من الزيتونة ، فعمل في التدريس . ولكنه بالاضافة الى ذلك عالج نواحي الادب . وقد اخرج علي مصطفى المصراتي ان الحشائشي كان من جيل الادباء المرحين ذوى المزاج الدعابي ، والفكاهة الطريفة ، وانه كان يكتب شعرا ونثرا في الصحف المحلية. وقد ذكر له ستة كتب هي « جلاء الكرْب عن طرابلس الغرْب » (وهي هذه الرحلة التي نتحدث عنها هنا) و « رحلة الشتاء » (الى بعض اصقاع تونس) ووصف معرض باريس الذى زاره سنة ١٩٠٠ ، وكتاب في العادات والتقاليد (وهو لا يزال مخطوطا) وكتاب الرحلة الصحراوية (؟) وديوان شعر .

وقد توفي المؤلف في ٣ ذى الحجة الحرام سنة ١٣٣٠ للهجرة (١٩١٢ م) .

محتويات الكتاب

والكتاب الذى بين ايدينا له اسمان اولهما « جلاء الكرب عن طرابلس الغرب » والثاني «النفحات المسكية في اخبار المملكة الطرابلسية». وكثيرا ما كان القدامى يتخذون لمؤلفاتهم اسمين للمؤلف الواحد . وكان محمد بن عثمان الحشائشي كثير التقليد للقدامى .

وقد قام الحشائشي برحلته الى ليبيا سنة

١٣١٣ للهجرة (١٨٩٥ للميلاد) . ويعتقد الاستاذ المصراتي ان رحلته لم تتجاوز العام الواحد زمنا .

فاذا اخذنا هذه الرحلة وجدنا انها تحتوى على المواضيع التالية .

١ ـ تاريخ لطرابلس من الفتح الاسلامي الى ايام المؤلف (ص ٣٢ ـ ٦٦) اخذه عن المؤرخين : مثل ابن‌خلدون ، وابن دينار ، او عن‌الجغرافيين : مثل الادريسي ، او عن رحالين سابقين : مثل العبدرى (القرن السابع) والتجاني (القرن مطلع القرن الثامن) او العياشي (القرن الحادى عشر) او الناصرى (القرن الثاني عشر) او محمد بيرم (القرن الثالث عشر) . والحشائشي ، على طريقة القدامى ، يذكر اما المؤلف او الكتاب لكن قلما يجمع بين الاثنين ، ولا يعطينا ، بطبيعة الحال ، اشارة للصفحة او ما الى ذلك . وقد حقق المصراتي اسماء المؤلفين ، واسماء الكتب ونسب الثانية الى الاولى ، وبذلك يسر للمطلع السبيل للوصول الى التتبع ، وان لم يذكر الصفحات الا قليلا .

٢ ـ ثمة اشارة الى مسراطة وتاريخها (ص ١٠٤ ـ ١٠٧) منقولة عن ابن ذروق .

٣ ـ لمناسبة تحدثه عن السنوسية تعرض للطرق الصوفية الرئيسية في ليبيا (السنوسية ١٤٣ ـ ١٨٥) والسلامية ص ١٨٦ والمدنية ص ١٨٧) .

٤ ـ وصف لمدن ونواح ليبية كثيرة (سنشير الى هذا ثانية) .

٥ ـ في صفحات ٢١٢ ـ ٢٢٣ يضع بين ايدينا ملاحظات عن الحرب بين ايطالية وتركية . وهذا كان اضافة منه فيما بعد . ذلك بان كتاب الحشائشي اى رحلته كان قد وضع قبل ذلك . ولعلّ المؤلف ظل يعيد النظر في بعض اجزائه اذ كان محتفظا به مخطوطا . فلما وقعت الحرب (سنة ١٩١١) وقبل ان ينتقل الى رحمة الله (١٩١٢) دون ملاحظاته .

واضاف الى هذه الاخبار التي دونها حديثا صحفيا ادلى بهم أدهم بك ، وهو احد الضباط الاتراك في ليبيا في اثناء الحملة الايطالية على تلك الديار ، اى قبل عقد الصلح بين تركية وايطالية . وهذا الحديث ، على ما يقول الحشائشي ، نقله عن جريدة الزهرة (التونسية) التي نقلته عن جريدة جون تورك (اى تركية الفتاة) الصادرة بتاريخ ١٩١٢/٤/١١ .

٦ ـ في خاتمة الكتاب قصيدة طويلة (ص ٢٢١ ـ ٢٣٥) هى على حد قول الحشائشي « ولنختم هذا الكتاب بما ستكون له منزلة عالية عند ذوى الالباب الا وهى قصيدة فلسفية « توحيدية . اصولية . حربية . حماسية . كشفت عن طبيعة الدهر والزمان واظهرت ما كان مركوزا في طبيعة بني الانسان » .

٧ ـ ويورد الحشائشي في كتابه شعرا له كما يستشهد بشعر الاخرين .

رحلة الحشائشي في ليبيا

تنقل الحشائشي في انحاء ليبيا فزار اكثر اجزائها : طرابلس وجهاتها وبنغازى والجبل الاخضر والجنوب وفزان وما اليها . ومعنى هذا انه عرف الساحل منها والجبل والصحراء والواحات . ومع ان الحشائشي دون شيئا من التاريخ السابق لاجزاء ليبيا ، فليس في هذا الذى جاءنا به جديد . بل هو ، بالاضافة الى اقتضابه ، قد تكون الرواية فيه ضعيفة . وهو يعتذر انه لم يعثر على كتب في تاريخ ليبيا . وهذا معناه ان‌الرجل لم يعرف عن‌مصادر التاريخ الليبي ما يكفي . وعلى كل فان الرجل يجب ان لا يحاسب على ذلك . اذ ان واقع الامر هو ان ما دونه الحشائشي عن ليبيا نتيجة لمشاهداته الشخصية هو ذاته اصبح مصدرا هاما لنواح من التاريخ الليبي في تلك الفترة القصيرة . وهنا تكمن قيمة الرحلة . لكن بالاضافة الى هذا التقرير العام ، فاننا عندما نحلل الرحلة ذاتها بالنسبة الى ليبيا، نجد فيها امورا خاصة . ولنجمل هذه فيما يلي :

١ ـ كان الحشائشي يتنقل في ليبيا للاطلاع على احوالها وحبا في الرحلة بالذات . فلم تكن ليبيا ، بالنسبة له،على طريق الحج او العلم او التجارة. والذين اجتازوا ليبيا حجاجا او طالبي علم ـ مثل ابن بطوطة او العياشي او ابن ناصر ـ اضطروا ، بحكم خط السير المألوف ، ان يتوقفوا في اماكن معينة هي محطات للقوافل . ومن هنا كانت اخبارهم عن تلك الاماكن ، واوصافهم لها ـ على ما فيها من الفائدة ـ مقصورة عليها . فان اوردوا شيئا عن مكان آخر كان عن طريق الرواية . لكن الحشائشي تنقل سائحا رحالة ليتعرف على الاماكن ويعرفها .

٢ ـ عني الحشائشي بوصف الاماكن ابنية

ومساجد واسوارا حيث كانت قائمة (ص ٦٨ ، ٦٩ ، ١٩٤ ـ ١٩٥ مثلا) .

٣ ـ اهتم الرجل بالناس ـ وما اكثر ما تجاهلهم الرحالون . مثل ما ذكره عن قاضي مرزق ٨١ ـ ٨٢ ، ونساء تلك المدينة ٨٤ ، واخلاق الطوارق ١٢٠ ، ١٣٨) .

٤ ـ اهتم بالفلاحة وبعض اساليب الفلاحين (مثلا ص ٦٩ و ٩٩) .

٥ ـ كان يعطي التفاصيل الوافية عن التجارة والاسواق وفيها مثلا ص ٦٩ و ٨٢ و ٨٥ و ٩٣ و ١٠٨) .

٦ ـ عين بعض المسافات ص ١٨٨ ـ ١٩٠ .

٧ ـ ذكر امثلة عن غش التجار مع نوع السلع (ص ٨٩) .

وفي كل هذا الذى كان الحشائشي يلحظه ويدونه والذى ضمه اخيرا الى كتابه ، كان يسير مفتح الذهن والعين حريصا على ان لا يفلت منه شيء .

وليس من شك في ان الصفحات التي دونها الحشائشي عن السنوسية والجغبوب من اهم ما جاء في كتابه اذ ان هذه الصفحات تعطينا الكثير الكثير عن هذه الحركة الهامة .

أسلوب الكتاب

ليس من الممكن ان نتابع الحشائشي في تنقله في ليبيا من كتابه . فهو ليس مذكرات يومية او شهرية او اسبوعية . ولعل الرجل اكتفى اصلا بامور دونها لنفسه . فلما عاد وتحدث عنها واعجب الناس بها ، وطلب منه ان يضع هذا في كتاب ـ لبى طلبهم . فقد قال في ذلك :

« اما بعد . فقد سالني بعض الاحباء والاصدقاء النجباء الالباء ، من اهل العلم والأدب ، ان احرر له كتابة مفيدة فيما يتعلق بتاريخ طرابلس الغرب ، علما منه انني احسن صنع هذا المطلوب ، حيث اشتهرت سياحتي في تلك المسالك والدروب ، ومكثي بين تلك القبائل والشعوب ، فبت اقدم رجلا واؤخر اخرى ، اتردد في الاقدام والاحجام ، لا ادرى ايهما احرى ، ولما وقع الالحاح في المسألة وتواردت علي في هذا الغرض عدة اسئلة ، استخرت الله في الموضوع ، وطلبت منه فيض مدده الرباني للاستعانة على المشروع راغبا من ذوى الاحسان واهل الفضل والشان غض الطرف عن الخطأ والنسيان . فاني اول معترف بقصور الباع ، وعدم الاستطاعة والاطلاع » .

وجريا على عادة كثير من الكتاب في ايامه نظم الحشائشي ابياتا فيها الاعتذار وفيها التاريخ . وها نحن اولاء ننقل بعضها لطرفتها :

هـذا كتـاب صـاغـه
فكـري فيمـا أعلـم
يـا دهـر انـي سـائل
فاجـب سـؤالي تكـرم
فاجابنـي أرخ لهـا
هـذا كتـاب قيـم

ومجموع التاريخ هو ١٣٢٠ هـ .

هذا هو محمد بن عثمان الحشائشي ورحلته في ليبيا . ولننقل الآن صفحات من هذه الرحلة ليفيد منها قراء العربي ويستمتعوا بها . وقد اخذناها من طبعة المصراتي ، والارقام في آخر كل مختارة تشير الى صفحات ذلك الكتاب . والحشائشي كان احيانا يتساهل في الامور اللغوية . ولذلك تركه المصراتي على حاله ، وفعلنا نحن الشيء نفسه طبعا .

فصل في أهل بلد طرابلس

اعلم ان غالبهم من البرابرة ، وطباعهم تميل الى البداوة اكثر من الحضارة ، وهم على كمال بشرى في انفسهم ، وغالبهم يميلون الى التجار خصوصا في هاته السنين الاخيرة ، فلهم متجر عظيم مع اهل السودان من برنو ووادای والشاد وغات وغير ذلك . ولا يميلون الى الغرباء في اول الامر ، وقد ذكرت هذا في رحلتي ، لكن تحققت بعد ذلك انهم اذا عاشروا الغريب اكرموه ، واعتبروه كانفسهم ، وصدق الله تحقيقي هذا ببيتين من الشعر وجدتهما ببعض التقارير للفقيه ابن الحسن :

لاهـل طـرابلـس عـادة
من البر تنسي الغريب الحميما
حللـت بهـا مكـرها ثم لما
أقمت بها أبدلوا الهاء ميما

اما العلوم والمعارف العصرية فلا توجد عندهم بل لا يشمون لها رائحة كما لا توجد عندهم علماء اعلام من فقهاء الاسلام ، على ان هاته المدينة اشتهرت باكابر من علماء الامة المحمدية كالفقيه

ابي علي الحسن بن موسى بن معمر الهوارى الطرابلسي .... » .

وفي رمضان سنة ١٣١٣ هـ (١٨٩٥ م) دخلت جامع السوق داخل البلد ، وهو جامع بهيج عليه رونق عظيم ، فوجدت كثيرا من اعيان الترك من ضباط وغيرهم كل منهم جالس على ركبتيه بخشوع وتؤدة ووقار يسمعون في كلام رب العالمين من مجود عالم بالتلاوة مصرى له صوت حسن كانه من مزامير ال داود ..

وفي مدة اقامتي بهاته المدينة رايت أوباش البلد لهم مخالطة مع الجنس الطلياني وغالبهم يتكلمون معه باللغة الطليانية . واكثر الاوروبيين طليان .

والبلد القديم بناؤه على الشكل العربي المعروف عندنا بتونس الا اماكن الافرنج فانها على الشكل الاورباوى والبلد الجديد المعروف بالمنشية على الشكل الجيد مثل (تونس) . اما هواء البلد فهو معتدل ليس برديء ، وتوجد به الحمى في زمن الصيف .

اما لحوم البلد وفواكهها وغلاتها فجميعها طيبة. وفيها من كل ما خلق الله لعباده من أصناف النعم بثمن متهاود ويعظم فيها الدلاع (البطيخ الاخضر) الى أمر عظيم بحيث ان الجمل لا يمكنــه حمل دلاعتين الا بمشقة . وهو في غاية الحلاوة مع لذاذة الطعم .

ويأتيها من أوربا غالب السلع التي تأتي الى بلد تونس . ويخرج منها القمح والشعير والبقر والغنم والصوف والتمر وبعض الغلال كالبردقان والليم الحامض والحلو والفلفل الاحمر الشايح والحنا وسلع السودان كالجلد المسمى بالرقعة وريش النعام وناب الفيل وغير ذلك . وهاتـه السلع الخارجة ليس عليها ضرائب دولية الا شيء قليل وجميع ما يأتيها من السلع برا مع القوافل السودانية وغيرها لا يؤدى شيء من الضرائب .

وغالب تجارها من أهل البلد وبعض من المالطيين واليهود ، ولا يوجد فيها بانكه ماليــة في وقت حلولي بها ولا طرق من الحديد ولا معامل اوربية نارية ولا قهاوى منتظمة على الشكل الاوربي . وهي لا زالـت بعيدة عن التنظيمات الاوربيــة والتحسنات .

الفلاحة

أما الفلاحة في هذا البلد فتنقسم على قسمين : القسم الاول اصحاب البساتين الكبيرة والاراضي المجاورة الى البلد يعني أحواز طرابلس واصحاب الآبار والمياه فان هؤلاء يتقنون الفلاحة ويخدمون الارض جيدا ، وأما العرب والعروش البعيدة عن البلد وهم القسم الثاني فليسوا باصحاب حزم وكد لا يخدمون الفلاحة على أصلها مع ان اراضيهم جيدة في غاية الخصب لكن يميلون الى المتاجر اكثر مما يميلون للفلاحة ، على عكس اهل بني غازي كما ستعرف (ان شاءالله) في هذا التاريخ :

ومرسى البلد ليس بمرسى صناعي بل تقف فيه السفن قريبة من البر ، وان اشتد البحر يصعب النزول من السفن على الركاب . ولما كنت هناك وجدت بمرساها مدرعة واحدة للعثمانيين وبابورين للبوسطة احدهما فرنساوى والآخر طلياني ، وكان الطلياني متوجها الى تونس وهو الذى حملنى الى مسقط راسي :

تونس تؤنس الغـــريب فحق
ان أقــول لاهلهـــا يا كـــرام

حكام المدينة

اما احكام هاته المدينة (أي طرابلس) فهي جارية على مقتضى قانون المجلة التركية على مذهب الامام ابي حنيفة النعمان رضي الله عنه وارضاه ، وفي بلدانها الكبار تجد حاكما سياسيا هو المتصرف وقاضيا شرعيا ياتي في الغالب من الاستانة .

قد عرفت انفا ان امراء الترك وحكامها يتكلمون باللغة الفرنسية جيدا الا النزر القليل .

اعلم ان لمدينة طرابلس اعمال كبار ثلاثة اولها فزان وهو في الحقيقة أكبر الاعمال مســاحة ، والثاني عمل سرت ، وهو اخصب الاعمال واجودها تربة ، والثالث عمل الجبل ، وبلغني في هاته المدة ان الاعمال صارت اكثر من الثلاثة ولكن مبنى كلامي على ما كتبته في حق طرابلس ســنة ١٣١٣ هـ (١٨٩٥ م) سواء كان في هذا الموضوع او في غيره فلتعرفه حتى لا تنسب الي وهما اذا عرفت حالها سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١١ م) .

ولكل عمل حاكم سياسي يسمونه متصرفا نظره ومتصرفيته على ذلك العمل . وكل عمل به عدة بلدان وفي كل بلد حاكم يسمونه القائم مقام من غير رتبة عسكرية ونظره تحت متصرف ذلك العمل . ونظر المتصرف للباشا العام حاكم ولاية طرابلس ،

والباشا نظره لوزير الخارجية بالدولة العثمانية . (ص ٦٦ ـ ٧٢) .

اقليم فزان

يحتوى هذا الصقع على ثلاثمائة قرية بناؤها من الطوب اذا اصابها الغيث الوابل تهدم سريعا ، وماؤهم من الآبار والعيون وبكل قرية من النخيل ما لم يعلم علمه الا الله تعالى ، اذا لم يحص عدده ، والصحراء والتوارك يمتارون منه ، وغالب اراضيه ليست بصالحة للفلاحة ولا وجود للبقر بأراضيهم الا بقر الوحش البرى ، واغلبها ان لم نقل كلها رمال وجبال من الرمال رحالة وجبال من الحجر لونها اكحل لا نبات فيها. وتبلغ الحرارة هناك الى درجة عالية ويقع عندهم الجمود في المياه فكثرته من اكتوبر الى فبراير ان هبت عليهم الرياح الغربية . والرقيق في بلدانهم كثير يباع ويشترى من غير اشهار . ويمكن ان الثلاثة ايام او اربعة تمشي في اراضي لونها كالفار او اشد سودا . وجبالها واراضيها صلدة لا نبات بها ، واياما تمشي في رمال متصلة بعضها ببعض ، وبها جبال شامخة من الرمل رحالة ، واياما في بساط متسع وتنايف ممتد الاطراف ومجاهل تمكث فيها القوافل العديدة واهلها لا خدمة لهم الا حركة النخيل ، وفيهم التجار الذين يذهبون الى السودان وبلدانه ، وكثير منهم يقصد بنغازى وطرابلس وتونس لاجل الخدمة والتمعش ، ولهم محبة عظيمة في خوض تونس على غيرها لكثرة ارباحهم بها ، ومن مكث مدة في تونس ثم رجع الى بلده يحسب غنيا في عرفهم ويتفاخرون بالذهاب الى تونس .

وطباع أهلها التاني والرزانة وغالبهم على طريقة الشيخ السنوسي الا القليل ، ولا توجد بلدة من بلدانهم المشهورة لم تكن به زاوية من زوايا السنوسيين .

بلدانهم المشهورة

اما بلدانهم الكبيرة المشهورة فاولها مرزق : هي قاعدة فزان الكبيرة التي بها المتصرف والعسكر ، تبعد على طرابلس بمسير ثلاثين يوما تقريبا للقوافل ، ولتعلم السلع الداخلة لطرابس : القماش الأبيض بانواع كالحمودى والعنبر فني وغيره . القماش المصبوغ من المالطي وغيره انواع السكر خصوصا السكر القالب . التاى بانواعه الابيض والاسود . اللفة بانواعها . الملف بانواعه . الجرود يعني الحوالي بانواعها وغالبها تأتيهم من جربة والجريد من عمل تونس . البرانس . الكساوى المحروجة والجبايب . انواع الشاشية التونسية . القرمسود بانواعه . جميع الروائح الطيبة من اعطار ومسك . ابزرة بانواعها . انواع الاسلحة . الحلي من المجوهرات وانواع الساعات ومن الذهب والفضة والعقيق باصنافه والوانه ومن المرجان . محارم من الخيط والقطن والحرير . انواع الاقمشة المديانية وغيرها . قوالب صابون اوروباوى ممسك . الارز . انواع الكولونية من جميع الروائح الطيبة . انواع الامشة بالفضة . وغير ذلك مما يطول بنا ذكره تفصيلا . جميع هاته السلع تاتي الى طرابلس من اوربا وتونس والاسكندرية ومنها يرفعونها التجار الى غات وغدامس وفزان والاقطار السودانية يذهبون بها تجارا من اهل طرابلس وغدامس فتباع باثمان باهظة .

السلع الخارجة من طرابلس الى اوربا : ريش النعام بانواعه . ناب الفيل . الزبد . طيور من النعام . وانواع البيقاء . وكل ما ياتيها من السلع السودانية . ويحزم منها القمح والشعير والسمن. والزيت . والفحم والطروتة . والملح . والبقر . والغنم . والماعز . والدجاج . والبيض والتمر . والفلفل . والحنا والفول والعدس والحمص والزيت . ويباع بثمن عال في وطن فزان والعسل وغير ذلك . (ص ١٩٢ ـ ١٩٣) .

مدينة مسراطة

هذا بلد عظيم من أعمال طرابلس يقال له مسراطة بينه وبين البحر اثنى عشر كيلومتر . وهواؤه جيد للغاية وماؤه طيب واراضية خصبة ، به النخل الكثير فلكل واحد من أهل البلاد بستان يخصه ، وهم يخدمون الارض حتى يصيروها كالحرير الناعم على نمط اهل صفاقس وضد اهل بنغازى ، وفيها من جميع الغلال والفواكه ما لم يعلم علمه الا الله لان المياه بها كثيرة جدا ، واهلها عالمون بالفلاحة وخدمتها يخرج منها القمح والشعير لاوربا بكثرة في سنين الخصب وكذلك الزيت لان زيتونها على غاية من حسن الاتقان وهو كثير عندهم

متولعون به ويخرج منها السمن الطيب بانواعه . وهو بلد كبير بناؤه متفرق عن بعضه بعضا في الغالب كبساتين صفاقس وارضها اجود من ارض صفاقس واخصب واكثر مياها .

اما اهلها ففي غاية الحسن والجمال والرفاهية وحسن المعيشة ورخيصة الاسعار مثل بنغازى وارخص ، وكلهم تجار اصحاب جد واجتهاد .

وبها ثلاثة اسواق ، سوق الاحد وهو السوق الكبير تاتي لهم العرب من جميع انحاء طرابلس من كل حدب ينسلون على مسافة خمسة ايام او اكثر فتتجمع به الوف من العرب خصوصا في فصل الربيع كعروش . ورفلة . والسعادة . وطرهونة . وعرب ابن وليد . والجبل. واهل طرابلس نفسها. واهل بلد زليطن . والخمس . والساحل وغير ذلك ، وتعظم اسواقها . ويباع بهاته الاسواق جميع انواع الحيوانات من البغال والخيل والحمير والجمال والبقر والغنم والمعز . وترى الوفا من هاته الاصناف . ويباع بها السمن الجيد الصافي عديم النظير والعسل المصفى والزيت الحلو الطيب والدجاج والبيض ، ويخرج منه الى طرابلس الوف من الصناديق اللوح، وبه انواع الطيور من الحمام والوز والجرمان يعني البط . بثمن زهيد ،ويجلب لسوقها من انواع الصيد البرى ما لم يعلم علمه الا الله كلحم الغزال وبقر الوحش والارانب والحجل والقطا والدرج والحمام البرى وغير ذلك . والتجارة رابحة بهذا البلد ويختص بصناعة المرقوم الجيد المختص بهذا البلد مثل اختصاص القيروان بصناعة الزرابي . ومثل السوق المذكور سوق الخميس وسوق الثلاثاء الا ان سوق الاحد يعظم اكثر منهما .

وبعد صلاة الجمعة من كل اسبوع تخرج قافلة كبيرة في مقدار مائتي جمل واكثر ذاهبةالىطرابلس فتبلغ اليها صبيحة يوم الثلاثاء لكنها تسير ليلا ونهارا سيرا مجدا بحيث يمنع النوم الا وقت الاستراحة القليلة وهي مقدار الثلاث سوايع في الليل ومثلها بالنهار .

وغالب تجار مسراطة من اليهود وهم كثيرون في غاية الرفاهية يتمتعون بحرية تامة في كسبهم وارتزاقهم ودياناتهم . ولا توجد في البلد قناصل للدول الاوروبية . وبها كثير من اليهود التونسيين والجزائرين ولم يوجد بها من الجراية الا نفرا واحدا ولم يوجد بها احد من الصفاقسيين .

ويوجد بالبلد خمسة وعشرون عسكريا ومعهم ضابط من رتبة يوزباشي وحاكم تركي الا ان عسة البلد في مدة اقامتي فيه غير كافية للامن . ولما كنت هناك عمدت عدة من الاشقياء الى جامع اليهود فدخلته ليلا واخذت منه جميع الفضة التي كانت بها اسفار التوراة . وقناديل من الفضة وصندوقا به عشرة الاف قرش كانت موضوعة هناك لتوزع على الفقراء والمساكين منهم ثم مزقت الكتب التي ذكرت . ولما بلغ الامر الحكومة خرجت العساكر للبحث والقي القبض على انفار متهمين بهذا الفعل وبطشت الحكومة بالجاني البطش العظيم بالغرامة والعقاب الشديد .

ويوجد بمسراطة رجل من رعايا اليونان لكنه شهر على نفسه انه من رعايا الانكليز يتجر هذا الرجل في القمح والشعير وله دكان في غاية النظافة يبيع فيه انواع الملحات والمقرونة والجبن . ويتعاطى رهن الرباع والعقار بفايظ معلوم. ورايت الكثير من اعيان البلد يجلس بدكانه حتى حاكم البلد نفسه . وسكة نقودها مثل طرابلس وبنغازى . (ص ١٠١ - ١٠٤) .

طبخ الشاى

وان اردت طبخه يا صاح
في الليل اذ شئت او الصباح
فخذ من الماء القراح الجيد
وصبه في السموار فورا واقد
واغليه غليا جيدا على الولا
كما اتى في قول بعض الفضلا
لا تفترر بصوته اذا غلا
حتى ترى البخار في الجو علا
ونظف البراد ان فيه درن
وضع من الشاهي فيه واغسلن
واسكب عليه الماء ان كان غلا
واجعل له السكر حتى حلا
وغطه وضع عليه منشفة
واصبر عليه ساعة واستغرفه

(ص ١٨٠ - ١٨١) . ■■

نقولا زيادة

أكزيما الأطفال

INFANTILE ATOPIC DERMATITIS

بقلم : الدكتور ابراهيم القشلان

ان اكزيما الأطفال تنتشر كثيراخاصة في المناطق المعتدلة وتزداد في الربيع والخريف حيث ان حوالى ٣٪ من مجموع الأطفال قد يصاب بها ، ويلاحظ انه في حوالى ٧٠٪ من الحالات يوجدعامل وراثى في العائلة لأحد انواع الحساسية ، كما ان المصاب بالاكزيماقد يكون عنده أمراض اخرى للحساسية مثل ضيق التنفس او حمى الخريف .

وعادة يحدث هذا النوع من الاكزيما في الاطفال الأصحاء بين عمر ٢ ـ ٦ شهور ، ونادرا ما يحدث قبل عمر شهرين ، ولكنه قد يحدث مؤخرا ، ومن الممكن ان يصيب الطفل في اى عمر ، ويحدث في كلا الجنسين ، الاانه اكثر قليلا في الذكور عنه في الاناث ، وعادة يشفى قبل عمر سنتين الا انه قد يستمر حتى الرابعة من العمر او حتى البلوغ ، وعندما يختفى المرض فانه لا يترك اى اثر على الجلد ، بل ويستطيع الطفل اخذ الطعام الذى كان يسبب له حساسية سابقا بدون ظهور اى اعراض للاكزيما عليه .

وتبدأ الاكزيما باحمرار على الوجنتين في الشهر الثالث والرابع ، ثم يزداد الاحمرار على شكل رقع كبيرة ، وتظهر على سطحها فقاعات صغيرة جدا تتمزق مؤدية الى مناطق خشنة رطبة فيها حبيبات صغيرة ، وقد تظهر على شكل التهاب حاد مع قشور وافرازات كثيرة ، وقد يمتد هذا الطفح الى الجبهة والذقن والراس ، الا ان المناطق حول الفم وحول العين تكون خالية من المرض ، كما ان الطفح قد يمتد الى اجزاء أخرى من الجسم مثل الرقبة والذراعين والفخذين . وأحيانا تظهر اكزيما الاطفال على الفخذين فقط بدون اصابة الاجزاء الاخرى . ويصاحب الاكزيما حكاك شديد وكثرة الحكة تؤدى الى حدوث مضاعفات والتهابات مؤدية الى صديد وقشور ، كما ان الطفل يتضايق من كثرة الحكة ، فيبدو عصبيا وقلقا ولا يرتاح في نومه خاصة اذا كانت الاكزيما عامة في جميع اجزاء الجسم حيث تكون مصحوبة كذلك باسهال وتضخم في الغدد ، وتبدا علامات الاجهاد وسوء التغذية تظهر على الجسم .

وبين عمر ٤ ـ ١٢ سنة تكون الاكزيما اخف حدة من قبل وتختفى في بعض الفترات الا انها قد تعاود الظهور ثانية ، وعادة تظهر في الرقبة والمعصم وامام المرفق والمابض وتكون جافة ، بها حبيبات صغيرة ، وقد تظهر قشور خفيفة وتكون مصحوبة بحكاك شديد يؤدى الى خدشات وتحزز الجلد الذى يصبح سميكا وخشنا .

أسبابها

يلاحظ ان اى مثيرات خارجية قد تؤدى الى حدوث اكزيما في الطفل الرضيع مثل التغير المفاجىء في درجة الحرارة ، الرياح الشديدة ، كثـرة الاستحمام ، كثرة الاحتكاك او الدعك ، الملابس الثقيلة او الضيقة او الملوثة ، الالتهابات الموضعية الناتجة عن استعمال الدهانات او الزيوت الشديدة الفعالية .

وتحدث الاكزيما نتيجة حساسية لبعض انواع المأكولات خاصة للبروتينات الموجودة في الطعام او تحدث نتيجة استنشاق هواء او غبار ملوث ببعض المواد التى تسبب الحساسية .

واكثر انواع الطعام التى تؤدى الى الاكزيما هى: البيض ـ القمح ـ لبن البقر ـ السبانخ ـ السمك ـ البسلة ـ الموز ـ الطماطم . اما المواد التى تؤدى الى الاكزيما نتيجة الاستنشاق من الجو Environmental allergens فهى الصوف والسجاد ـ الريش ـ الحرير ـ شعر القطط والكلاب ـ قشور الحيوان ، وكذلك قشور الرأس في الانسان .

وعادة اذا بدأت الاكزيما في السنة الاولى من العمر فانها تكون ناتجة عن حساسية في الطعام ، اما اذا بدأت بعد السنة الثانية فتزداد نسبة الحساسية نتيجـة الصوف والريش والشعر والصابون والزيوت .

وحساسية الصوف تلاحظ دائما في الشتاء عند استعمال الملابس الصوفية واستعمال البطاطين وتختفى في الصيف عند ترك هذه الاقمشة .

وفي حساسية الريش تزداد الحساسية في الوجه ويحدث تورم في جفون العين والوجنـة والاذن والرقبة ، ولذلك يجب ملاحظة مخدات الريش بالبيت فربما تكون هى العامل المسبب .

وغبار البيت دائما يحتوى على نسبة كبيرة من الصوف نتيجة تنظيف البطاطين والسجاد والملابس الصوفية .

واحيانا بعد شفاء الاكزيما فانها قد تعود ثانية على شكل نوبات نتيجة بعض المؤثرات مثل الحرارة



اكزيما في وجه طفل رضيع ، ويلاحظ ان الجلد حول الفم خال من المرض



اكزيما في طفلة اكبر ، ويلاحظ جفاف المرض

والرطوبة او البرودة ، الرياح ، التغير المفاجىء في الحرارة ، استعمال بعض الاطعمة خاصةالحارة منها ، وبعض الادوية مثل الاسبرين والمهدئات ، وكذلك استعمال الملابس الصوفية والحريرية ، كما ان الغبار والعدوى والارهاق والقلق النفسي من اهم أسباب رجوع المرض . كما أنه بعد تطعيم الطفل خاصة ضد الجدرى ، وكذلك عند التسنين فان الفرصة مهياة لعودة الاكزيما للطفل .

ولذا فان الاطفال المرضين لهذه الاكزيما خاصة اذا كانت ناتجة عن الغبار او الزيوت فاننا دائما ننصحهم بعدم اللجوء الى الاعمال الميكانيكية التى تستعمل الزيوت او الدهون او في مصانع الاصواف والسجاد .

وهناك بعض الامراض المشابهة للاكزيما والتى قد تصيب الاطفال مثل الحكة الهبرية Seborrheic dermatitis الا ان هذه تصيب الاطفال الكبار السن ، ولا توجد حساسية عائلية فيها ، والجلد يكون دهنيا وتصيب الظهر والصدر والابط كذلك، ولذا يمكن تفرقتها من الاكزيما، كما انه يجب تمييز اكزيما الاطفال من الحساسية بالتلامس Contact dermatitis كان يكون احمرار الوجه نتيجة استعمال كريم موضعى او دهان على الوجه او الراس .

العلاج

والمهم في علاج هذه الحالة هو ان تكون نفسية الطفل والام طبيعية حتى يتقدم العلاج بسرعة ، ولذا يجب طمانة الام بأن الطفل سيشفى تماما ولن تترك الاكزيما اى اثر على الجلد . ولا تخف من كثرة اتساع او انتشار المرض على الجلد ، وان المرض عادة ينتهي تلقائيا عند عمر سنتين وربما قبل ذلك ، علاوة على أن المرض لن يؤثر على صحة الطفل او جسمه او حيويته، وبذلك تتحسن نفسية العائلة وتطمئن على طفلها .

علاج المسببات

وذلك بمنع الاسباب التى تؤدى الى حدوث الاكزيما او المؤثرات الخارجية ، وذلك بحفظ الطفل في درجة حرارة واحدة او متقاربة ، ثم ان الملابس التى تلبس فوق الجلد مباشرة يجب ان تكون قطنية وخفيفة باردة على الجسم .

غسل الملابس واللفائف والشراشف جيدا من اى بقايا للصابون او المواد المطهرة ، ويفضل استعمال الماء والصابون في حمام الطفل، والتنظيف المطهرات الاخرى. وعدم استعمال ملابس النايلون، او التى يدخل في تركيبها البلاستيك . كذلك يمنع استعمال الماء والصابون في حمام الطفل والتنظيف بدلا منه بالزيوت الخفيفة والملطفة وتغيير اللفة كلما ابتلت او تلوثت .

منع استعمال الاطعمة التى ذكرناها ، والتى تؤدى للحساسية ، وبدلا من البيض والقمح يمكن استعمال الارز والشعير والذرة ، وفي حالة الغاء اللبن يستعمل ماء الفول للتغذية .

واستعمال طريقة اختيار الاغذية من طريق الاستبعاد Elimination diet وذلك بأن نمنع الاطعمة التى نشك انها تسبب الحساسية للطفل كلية ، ثم ندخل مادة مادة على الاكل لرؤية تاثيرها ومعرفة المادة التى ستؤدى للحساسية .

كذلك يمكن عمل اختبارات حساسية للجلد لمعرفة المادة المسببة وتجنبها . كما ان الاقلال من استنشاق الغبار والهواء الملوث له اثر فعال في سرعة شفاء المرض وعدم عودته ، وذلك بان تكون حجرة الطفل خالية من السجاد ومن مخدات الريش والصوف ومن الحيوانات المالوفة. فاذا لم يستفد الطفل من ذلك كله ، فاحيانا نضطر الى تغيير الجو كلية حتى يتم الشفاء .

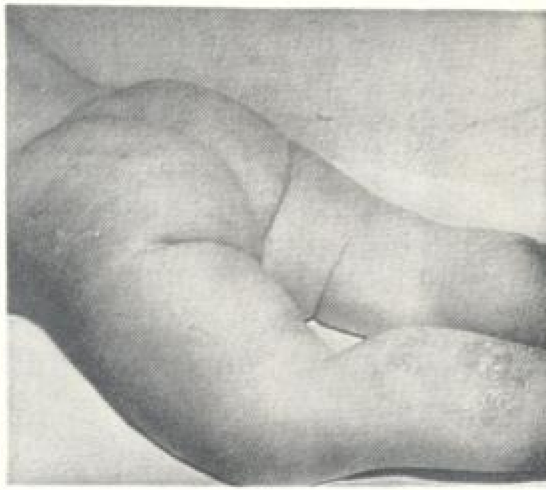
علاج الأعراض

Symptomatic management

والهدف منه ازالة القشور ، منع العدوى الثانوية وعلاجها ، منع الحكاك والخدشات للجلد، ثم علاج الجلد نفسه .



اكزيما امام المرفق
حيث يبدأ تحرز الجلد



اكزيما على الساقين وهي أقل انتشارا

نبدأ العلاج بالكمدات الدافئة مستعملين حمامات الردة او محلولا مخففا من برمنجنات البوتاسيوم او مكمدات زيت زيتون او زيت برافين ثلاث او اربع مرات يوميا لازالة القشور وتلطيف الالتهاب.

ولمنع الحكة في الاطفال يلجأ البعض الى ربط الذراعين او لبس طاقية على الراس حتى لا يحك راسه الا انها عديمة الجدوى .

واذا كانت هناك التهابات ثانوية فيجب علاجها باستعمال الدهانات المحتوية على المواد المطهرة مثل نيومايسين ، بوليمكسين او باستراسين ، واذا كانت الالتهابات شديدة فيجب اعطاء مضادات الحيويات عن طريق الفم او الحقن بالعضل .

ولعلاج الجلد نستعمل الدهانات الملطفة والمضادة للحكة المحتوية على مرهم زنك او منثول ، كما ان اللوسيونات والكريمات المحتوية على الكورتيزون لها فائدة كبيرة في علاج اكزيما الاطفال ، وهي تحدث نتيجة سريعة . كما انه ممكن استعمال مراهم الكورتيزون مع نيومايسين اذا كانت هناك اى عدوى ثانوية . كذلك استعمال الادوية المضادة للحساسية حيث انها تفيد الحساسية والحكاك وفي نفس الوقت مهدئة للطفل مثل بنادريل ، بولارامين ، وبيريتزامين .

وفي الحالات المستعصية النادرة نلجأ الى استعمال الكورتيزون عن طريق الفم ، ولكن هذا لا بد وان يكون الحل الاخير وتحت الاشراف المباشر للطبيب . ■■

ابراهيم محمد القشلان
اخصائي الأمراض الجلدية والتناسلية

أنباء الطب والعلم والاختراع

استعادة الذاكرة بين كبار السن

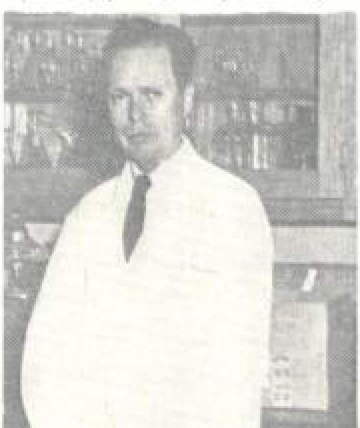
● بالرغم من ان اسطورة « ينبوع الشباب » تعيش مع التفكير البشرى منذ اقدم العصور ، الا ان هناك نقصا ملحوظا فى البحوث العلمية الخاصة بالاحتفاظ بالحيوية بين كبار السن . ولكن فى نفس الوقت توجد بعض التجارب الاكلينيكية الناجحة فى هذا المجال . ومن بين هذه التجارب الناجحة ، تلك التجربة التى قام بها فريق من الاطباء فى مدينة بافالو Buffalo بامريكا تحت رئاسة الدكتورة اليانور جيكوبز Eleanor Jacobs ، وهى تجربة اعادة النشاط الى ذاكرة الاشخاص كبار السن والذين يعانون من فقدان الذاكرة . وقد اكتشف هذا الفريق من الاطباء ان علاج المرضى كبار السن الذين يعانون من فقدان الذاكرة او ضعفها بواسطة استنشاق كميات من الاكسيجين داخل غرف ذات ضغوط معينة ، على فترات متقطعة ، يساعد على استعادتهم لذاكرتهم المفقودة .

وقد قام هذا الفريق من الاطباء بتطبيق هذا العلاج على ٨٠ مريضا ، وقد نجح العلاج فى ٧٠ منهم بدرجات متفاوتة . ولكن هذا النجاح لم يظهر الا بعد عدة جرعات من الاكسيجين ، وقد اختلفت هذه الكميات من مريض الى آخر .

وفشل العلاج فى ١٠ حالات كان من بينهم ٥ من مدمنى المشروبات الكحولية وكان تأثير استنشاق الاكسيجين عليهم ازدياد ضعف ذاكرتهم .

وفى تقرير عن ابحاث هؤلاء الاطباء نشر مؤخرا ، تبين ان اكثر الحالات استجابة لهذا العلاج الجديد كانت من بين هؤلاء الذين يعانون من تصلب شرايين المخ . ولكن الاطباء لا يعلمون حتى الآن العمليات الفسيولوجية والكيماوية التى تسبب نجاح الاكسيجين فى اعادة الذاكرة الى كبار السن .

الدكتور هارمان
ابحاث قد تؤدى الى الشباب الدائم !





الدكتورة اليانور تشرف على علاج احد مرضاها من كبار السن الذين فقدوا ذاكرتهم وذلك عن طريق استنشاق كميات من الاكسجين داخل غرفة خاصة .

وتعتقد الدكتورة اليانور ان الاكسيجين ينشط بعض عوامل الكيمياء الحيوية فى انسجة المخ وخلاياه . وان هذه العوامل تسمح لخلايا الذاكرة بالتجمع والثبات . وتقوم هذه الطبيبة الآن باجراء تجارب واختبارات على مرضاها قبل وبعد تعرضهم للعلاج بالاكسيجين وذلك لمحاولة معرفة التغيرات الكيماوية الحيوية والفسيولوجية التى تحدث فى انسجة المخ .

وفى نفس الوقت القت ابحاث العالم الكيميائي دنهام هارمان Denham Harman الذى يعمل فى كلية الطب التابعة لجامعة نبراسكا ، بعض الضوء على التغيرات التى تحدث فى انسجة المخ نتيجة الشيخوخة فتسبب فقدان الذاكرة او الخرف . وقد ثبت من بحوث هارمان ان هناك جزيئات معينة تقوم بالاحتكاك مع خلايا اى عضو من الاعضاء اثناء قيام هذه الخلايا بوظائفها فى حياة العضو . وتتسبب عملية الاحتكاك هذه فى تكوين بروتين ليفى Fibrous Protein . يطلق عليه اسم اميلويد Amyloid ، وقد لاحظ هارمان ان الاميلويد يوجد بكميات كبيرة فى اوعية المخ الدموية فى كبار السن ، كما يوجد ايضا فى المناطق الصغيرة من المخ التى تبدأ فى فقدان حيويتها نتيجة للشيخوخة . وقد تأكد للعلماء نتيجة لتجارب عديدة

ان وجود مثل هذه المناطق فى المخ ، وكذلك تصلب اوعية المخ الدموية ، يصاحبان حالات فقدان الذاكرة والخرف فى كبار السن .

ونتيجة لهذا استخلص هارمان ان هذه الجزيئات قد تتسبب فى فقدان الذاكرة والخرف وذلك عن طريق اتلافها لخلايا المخ واوعيته الدموية على مدى حياة الفرد . بل ويتعدى هذا ليقول ان نفس هذه الجزيئات وهى توجد فى كل خلايا الانسجة الحية ، تتسبب فى اتلاف خلايا الجسم كله وتتسبب فى امراض الشيخوخة التى تظهر على كل اعضاء جسم الانسان عندما يتعدى سنا معينة . ولكن الشىء الذى يضعف استنتاجات هارمان ولا يجعلها نظرية مؤكدة ، انه لم يتم حتى الان اثباتها معمليا وخلال تجارب تجرى على الخلايا الحية . ولكن هناك بعض العوامل التى تشير الى صحة الفرض الذى ينادى به الدكتور هارمان ومن هذه العوامل انه نجح فى اطالة الحياة الطبيعية بنسبة ٢٥ الى ٣٠٪ فى الفئران والتى كان يضع مواد كيماوية مقاومة للتأكسد Antioxidants ، مثل فيتامين «E» فى غذائها اليومى . ويؤمن هارمان ان هذه المواد المقاومة للتأكسد تتسبب فى اطالة الحياة الطبيعية وذلك لانها تقاوم التلف الذى تسببه الجزيئات التى تحتك مع الخلايا ويتسبب عنها وجود «الاميلويد» وهى جزيئات يطلق عليها اسم « Free Radicals » وينوى هارمان ان يجرب علاجه هذا على الانسان بعد نجاحه على الفئران . ويعتقد هذا العالم الكيمائي ان هناك علاقة كيماوية حيوية بين تأثير الاكسجين على فقدان الذاكرة والخرف وتأثير المواد المقاومة للتأكسد على الشيخوخة بصفة عامة .

مناقشات علمية حول

● ان التقدم العلمى فى ميادين كثيرة مختلفة يثير الان مشاكل عديدة . ومن بين نواحى هذا التقدم العلمى عمليات التلقيح الصناعى او كما يحلو للبعض تسميتها عمليات اصطناع الاطفال . وفى اجتماع علمى تم مؤخراً تمت مناقشة عدة تساؤلات من بينها هل من الصواب مساعدة الازواج غير المنجبين على انجاب اطفال فى حين ان هناك انفجارا سكانيا كبيرا ، وهناك عددا من الاطفال غير المرغوب فيهم ؟ وهل من الصواب اجراء تجارب على الاجنة التى قد تصبح يوما ما مخلوقات بشرية ؟!

عن هذين التساؤلين تجيب العالمة آن ماكلين Anne Mclaren ، من جامعة ادنبرة باسكتلندا بالايجاب . وحجتها فى

العلم .. والقوى

● يعتقد العلماء او يحلو لهم ان يعتقدوا انهم اقل ايمانا بالخرافات والسحر والقوى الخارقة للطبيعة من اية فئة اخرى من الناس . وهم على حق فى هذا الاعتقاد بالنسبة الى ان التعليم عامة ، والتدريب العلمي خاصة ، عرف عنه انه يساعد على تخليص الانسان من الكثير من المعتقدات الخرافية والايمان بالسحر والقوى الخارقة للطبيعة ، وخاصة فى المجتمعات القبلية المتخلفة مثل بعض القبائل فى افريقا وغيرها . ولكن منذ عامين قام احد العلماء بنشر تقرير عن دراسة اجراها فى جامعة غانا اثبت فيها وجود عدد كبير من طلبة العلوم فى الجامعة

شاكل اصطناع الاطفال

هذا الراى ان عمليات التلقيح الصناعى قد اصبحت الان تستعمل على نطاق واسع كما ان عمليات نقل البويضات من رحم امراة الى رحم امراة اخرى قد تصبح هى الاخرى عملية روتينية فى المستقبل القريب . الا ان العالمة الاسكتلندية تستطرد محذرة : « اننى قلقة بالنسبة لاحتمال ان تدفع المنافسة العلمية ، والرغبة فى التسابق على احتلال مركز الصدارة فى ميدان نقل البويضات ، بعض العلماء الى اجراء مثل هذه العمليات على نطاق واسع قبل دراسة كافة نواحيها ونتائجها » . .

وفى نفس الوقت يقول البروفسور بول رامزى Paul Ramsey استاذ علم الاخلاق المسيحية فى جامعة برنستون Princeton بالولايات المتحدة، ان تجارب نقل البويضة ليست الا تجارب لا اخلاقية وتتنافى مع قواعد الاخلاق . علاوة على خطورتها الشديدة بالنسبة للمراة والطفل المنتظر . ويستطرد رامزى فى معارضته لمثل هذه التجارب قائلا : « انه ليس من حق العلماء طلب متطوعين من البشر ليواجهوا احتمالات انتحارية خطيرة او ليعرضوا انفسهم لخطر التشويه » . .



البروفسور بول رامزى
اصطناع الاطفال امر غير اخلاقى

اما العالم البريطانى روبرت ادواردز Robert Edwards الاستاذ بجامعة كمبريدج فهو يوافق على وجود عدة مشاكل فى هذا الميدان ولكنه يصر على انه سيستمر فى اجراء بحوثه وتجاربه الخاصة بوسائل الحمل الصناعى .

وتقول اليزابيث بوجز Elizabeth Boggs الرئيسة السابقة لجمعية الاطفال المعوقين: ان اتخاذ القرار الصحيح لا يمكن ان يتم الا بالحصول على كافة المعلومات اللازمة . ولذلك فهى تؤيد استمرار التجارب حتى مع وجود بعض الاحتمالات السيئة .

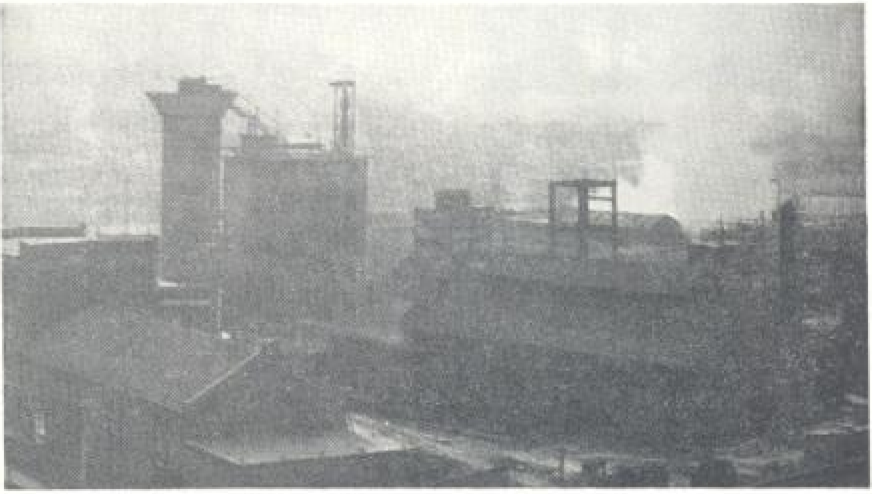
وهكذا يخلق التقدم العلمى مشاكل اجتماعية جديدة كل يوم . مشاكل لم يكن احد يتوقع حدوثها لولا التقدم التكنى الهائل الذى نشاهده الان فى اواخر القرن العشرين . ومن يدرى ماذا يخبىء لنا المستقبل من مشاكل جديدة ؟!

لخارقة للطبيعة !!

يؤمنون بالسحر والشعوذة . وقد ادى نشر هذا التقرير الى اعادة النظر فى اقوال هؤلاء الذين ينادون بان المعتقدات الخرافية تمثل عقبة خطيرة امام التفكير العلمي الخلاق !

وفى هذا العام قام العالمان س . سلاتر C. Slater ول . روتليدج L. Routladge يبحث بين خريجي جامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة اثبت ان نسبة من يؤمن بالخرافات والقوى الخارقة للطبيعة من بين هؤلاء الخريجين تساوى نفس النسبة بين عامة الشعب والغريب فى الامر ان هذه النسبة بين خريجي اقسام العلوم الطبيعية كانت اعلى منها بين طلبة العلوم الانسانية !!

١٠٠ الف عامل امريكى يفقدون وظائفهم نتيجة لتطبيق قواعد منع تلوث الجو فى الصناعات



تلوث الجو اصبح مشكلة خطيرة تواجه الدول الصناعية المتقدمة

● تلوث الجو اصبح مشكلة تواجه الدول الصناعية الكبرى ، ولهذا تم وضع خطط علمية جديدة لمنع تلوث الجو . وتعدى الامر وضع الخطط فى بعض الدول الى اصدار قوانين تلزم مختلف الصناعات باتباع قواعد معينة تمنع تلوث الجو او تقلل منه .

وفى امريكا صدر قانون يلزم الصناعات المختلفة باتباع وسائل معينة تقلل من تلوث الجو او البيئة الناتج عن مخلفات هذه الصناعات، وحدد آخر موعد لتنفيذ هذه القواعد ببداية عام ١٩٧٥ . ولكن هذه القواعد الجديدة ستؤدى الى ان يفقد حوالى ١٠٠ الف عامل وظائفهم وخاصة فى تلك المصانع المزودة بآلات ذات طراز قديم . ولكن بما انه ستتاح فرص عمل جديدة فى الصناعات التى ستقوم بانتاج الاجهزة الخاصة بمنع التلوث فان نسبة التعطل من العمال نتيجة لتطبيق قواعد منع التلوث ستزيد ١ر٠٪ فقط على نسبة التعطل الحالية .

وفى نفس الوقت فانه سيتم توفير جزء كبير من مجموع الخسائر الناتجة عن تلوث الجو والبيئة وتقدر هذه الخسائر بمبلغ ١٦ مليون دولار ، علاوة على ما سيحققه منع التلوث من المحافظة على جمال المدن والتقليل من نسبة الوفيات الناتجة عن تعرض البشر لجو ملوث .

وتقول بعض الدراسات انه نتيجة لتطبيق القواعد الجديدة فى الصناعات المختلفة فان اسعار المنتجات الصناعية سترتفع وبالتالى سيؤدى هذا الى تخفيض نسبة النمو الصناعى .

ومن المتوقع ان تشمل هذه الخسائر ١٤ صناعة مختلفة بنسب تتفاوت من صناعة الى اخرى . ●●

أنتِ يا بغداد حبّي ..

ياهـدى الحيران قد طال سُرانا   وانطوى الليلُ على سرّ هــوانا
واستفاق الدهرُ من غفـوتــه   وارتمى البعدُ علينا واحتوانـا
ومشينا في دروبٍ أنكـرتْ   ما رعيناه على الحبّ زمــانا
فإذا الماضي سـرابٌ عـابرٌ   وإذا الحاضرُ طيفٌ في رُؤانـا
وإذا الفجرُ ارتعاشٌ في الدجى   عبَثـاً يرقبُه ليلُ الحزانى
لم أكنْ أعلمُ في توديعهـا   أنني أهجرُ أيامـاً حِسانا
وديارًا كنّ أحلامَ المـنى   وربيعـاً عطّر الدنيا وزانـا
جنـة حطّمتها في صبْـوة   وتغرّبتُ لكي أشقى هــوانا
أنا لولا أملُ اللقيا ومـا   رفّ في الأفق لأدميتُ البنانا
الهوى آهِ الهوى كم رنّحـت   خمرُه صَبـاً وكم أضنتْ جَنانا
أنتِ يا بغدادُ ذيّاكَ الهوى   ولكم هام بك القلبُ وعـانى
فسلي الليلَ وقد طال اللقـا   هل صحا الفجر على نجوى لقانا ؟
الفراتُ العذبُ يروي سـرّه   وشذا دجلةَ يرويه حنـانـا
ونخيلُ الشطّ في أحلامهـا   خفقةٌ رفّت بواديك جِنانـا
آهِ لو يرجع يستاف المـنى   ظامئٌ عذّبه الشوقُ فهانـا
رحمةٌ بغدادُ قد جُنّ الهوى   وسرى الشوقُ لهيبـاً في دمانا
لم أجدْ في الأرض أحلى منهـلاً   منك بغدادُ ولا أجْلى مكانـا
السهول الفيحُ عِطرٌ دافـقٌ   والروابي الخُضْر سِحْرٌ لا يُدانى

* * *

وخليجٍ طُفْتُ في شُطـآنه   أسألُ الموجَ متى يومُ لقـانا ؟
كلّما رنّتْ به باخـرةٌ   خفقَ القلبُ كأنّ اليومَ حـانا
ومضى يغزلُ أحلامَ المـنى   مَرِحـاً يستلهم الحبَّ بيانـا
آه لـو طـار به الشوقُ إلى   جنّةِ الخلد وأيامِ صبانـا
ورأى دجلةَ تختالُ هـوًى   والفراتَ الثرّ يزهو جَريانـا
وتفيّا في ظلالٍ لم يـزل   يتغنّى بشذاها حيث كـانا
وأراح النفسَ مما تشتكي   واجتلى في سَرْحةِ الوادي أمانا

جامعة الكويت ـ **احمد مطلوب**

طرائف غربية



السيف والقلم

● انتخب جان كوكتو Jean Cocteau كاتب فرنسا الشهير (١٨٩١–١٩٦٣)، عضوا فى الاكاديمية الفرنسية فى عام ١٩٥٥ .

حدث يوما ان دعي الى حفل ، اقيم فى باريس تكريما لاحد كبار القواد العسكريين فى الجيش الامريكي .. وشاء كوكتو ان يذهب الى الحفل بالزى الخاص باعضاء الاكاديمية ، وهو يتمنطق سيفه، ويضع فوق راسه القبعة ذات الاركان الثلاثة ...

وما كاد يصل الى الحفل ، حتى قدموه الى القائد الامريكى ، وكان برتبة جنرال ، قائلين : « وهذا هو مسيو كوكتو » .

ومد القائد يده مصافحا ، وراح يهز يد صاحبه بحرارة وهو يقول : « لا بد اننا التقينا فى مكان ما اثناء الحرب .. تذكرت الآن ، انك ضابط فى سلاح المدرعات او لعلك فى سلاح الفرسان !!

وهنا اقترب احد الضباط الامريكيين المرافقين للقائد الكبير ، وهمس فى اذنه ببضع كلمات ..

وقهقه الجنرال الامريكي قائلا : « طبعا ، طبعا مسيو كوكتو الكاتب الصحفي .. ولكن هذه اول مرة ارى فيها صحفيا يرتدى الملابس العسكرية فى حفل سلمي ..

واستاء كوكتو من القائد الذى تعمد اهانته وتجاهله ، فقال وشبح ابتسامة ساخرة يعلو وجهه : « ومن الذى قال لك انه حفل سلمي ، ان وجودك بيننا يوحى لنا دائما بأن الحرب لم تنته ، حتى ولو كنا نحارب معا فى جانب واحد » .

رينوار

● رينوار Renoir ، الرسام الفرنسي العالمي (١٨٤١ – ١٩١٩) ، لم يكن يؤمن ابدا بالهزيمة .. كان يحب الحياة ويعشق الطبيعة فسجل بريشته كل شيء حي من حوله.. وجاءت لوحاته معبرة تعبيرا صادقا عما كان يجيش فى صدره من سعادة حتى فى اسوا لحظات مرضه وبؤسه والمه .

فقد اصيب رينوار فى شيخوخته بالام المفاصل ، التي ادت فى النهاية الى تصلب جميع اطرافه ، وظن الناس ان الفنان الكبير قد انتهى .. وكان ذلك فى عام ١٩٠٦ !

ولكن رينوار لم ييأس .. لقد عاش بعد ذلك ثلاثة عشر عاما كاملة ، لم يترك خلالها فرشاته لحظة واحدة ، الا عندما سقطت مع يده وهو يلفظ النفس الاخير!

لقد تصلبت يداه ومع ذلك مضى يرسم .. كانوا يربطون فرشاته الى يده الكسيحة بعد أن عجز عن ان يحرك



الحرب والبنسلين

● سير الكسندر فلمنج SirAlexander Fleming (١٨٨١ ــ ١٩٥٥) مكتشف البنسلين ، كان يكره الحروب ، ويحارب الموت ، وهو قد كرس حياته كلها من اجل خدمة الانسانية وخيرها . . ولكن يشاء القدر ان تكون « الحرب » التي كرهها هذا العالم الكبير ، وحاول جهده ان يجنب العالم ويلاتها ، هي نفسها التي تسببت في نجاحه وشهرته كواحد من العلماء الذين ساهموا في تخفيف آلام البشرية وانقاذها !!

فقد خرج سير الكسندر على العالم باكتشافه الجديد الذى اسماه «بنسلين» في عام ١٩٢٨ ، الا ان العلماء لم يهتموا كثيرا بهذا الاكتشاف ، وراحوا يتشككون في مدى فعاليته فى مكافحة التسمم وايقافه فضلا عن المبالغ الطائلة التي كان يتطلبها تحضير هذا الدواء الجديد . .

وتسبب هذا الموقف في اصابة فلمنج بصدمة نفسية اليمة ظلت تلازمه عشر سنوات كاملة ، الا ان هذا لم يمنعه عن المضى فى ابحاثه فى معمله بعيدا عن اهمال الناس له وسخريتهم منه !

الى ان كان عام ١٩٣٩ عندما اشتعلت نيران الحرب العالمية الثانية ، وتلفت العلماء والاطباء حولهم ، بحثا عن العلاج الشافى لحالات التسمم الناجمة عن الجروح التي كانت تصيب الجنود ، وتفتك بالالوف منهم كل يوم .

وتذكر الاطباء اكتشاف الدكتور فلمنج الذى طلع عليهم منذ عشر سنوات فعادوا اليه ، واجروا التجارب عليه ، ثم ما لبثوا أن اعلنوا رايهم : « ان الاكتشاف الجديد نجح مائة فى المائة فى مقاومة حالات التسمم الناتجة عن الجروح ، والقضاء على الميكروبات قبل توالدها واستفحالها » .

وراحت المعامل تعمل ليل نهار فى انتاج هذا الدواء الجديد الذى انقذ حياة الملايين من البشر فى الحرب الثانية .

وهكذا نجح فلمنج بعد جهد متواصل دام عشر سنوات . .

قال وهو يتسلم جائزة نوبل للعلم تقديرا له على هذا الاكتشاف العظيم : « لم افقد الثقة يوما بنفسي ولكنني كنت اتمنى لو ان العلم اكتشف نجاح هذا العلاج بغير حرب . . لست فرحا للملايين من البشر الذين انقذوا من الموت بقدر ما انا حزين للذين ماتوا قبل تجربة هذا الاكتشاف الجديد !! »

وشجرة الزيتون !

اصابعه، وكان يجرى بهذه اليد والفرشاة مثبتة فيها على القماش ليسجل كل ما يقع عليه نظره . . فصور الطبيعة بارضها وسمائها ومائها وزهورها واشجارها . . ورسم الوجوه الجميلة النضرة . . حتى اذا ما استبد به التعب، راح يبحث بعينيه عن شيء يمثل حطام الانسان الذى صار اليه فوق كرسي المقعدين .

واخيرا هدته عيناه الى شجرة الزيتون الهرمة التي كان يطل عليها من نافذة حجرته فى مدينة «كان» بفرنسا فجلس على كرسيه المتحرك ، وراح يرسمها باوراقها الجافة وثمارها التي اختفت الى الأبد .

قال بعد ان انتهي من لوحته الشهيرة: « ما اكبر الشبه بيني وبينها . . ولكن الا ترون انها اعظم منى ؟ لقد هرمت وشاخت ، ومع ذلك بقيت صامدة تتحدى الزمن» ثم سقطت يده والفرشاة معها ولم ترتفع ثانية . .

تطور العلوم الميكانيكية

عند العرب

بقلم : هانى عبيد

■ الميكانيكا Mechanics هى كلمة اغريقية قديمة Mechanike وتعنى علم قوانين حركة الاجسام وازاحتها ، وتلعب الميكانيكا فى العصر دورا متزايد الاهمية كعلم مستقل ، ولا غنى لاى طالب علم او معرفة من دراستها والاطلاع على سير تطورها فى مجمل الحضارة الانسانية ، لان قوانينها حلت وتحل كثيرا من المشاكل العلمية المرتبطة بتطور الصناعة والاقتصاد الوطنى ، لذلك نراها مادة اساسية فى جميع كليات الهندسة على اختلافها وركنا اساسيا من اركان البحث العلمى .

وقبل ان نبدأ في صلب موضوعنا لا بد علينا من اعطاء القارىء لمحة مبسطة عن المبادىء الميكانيكية وبداية دراستها عند الامم القديمة وخاصة الاغريق حتى يسهل على القارىء الالمام بمواد البحث .

العلوم الميكانيكية في الوقت الحاضر قد قسمت الى عدة اقسام لتسهل دراستها واهمها :

١ ـ الميكانيكا الكمية Quantum mechanics

٢ ـ الميكانيكا التحليلية Analytic mechanics

٣ ـ الميكانيكا الفلكية (الرصدية) Celestial mechanics.

٤ ـ ميكانيكا الطائرات والاجسام المقذوفة Flight mechanics

٥ ـ الميكانيكا التطبيقية Applid mechanics

٦ ـ ميكانيكا الانشاءات Structural mechanics

٧ ـ الميكانيكا الكلاسيكية Classical mechanics

٨ ـ ميكانيكا نيوتن Newtonian mechanics

٩ ـ الميكانيكا الاحصائية Statistical mechanics

١٠ ـ الميكانيكا النظرية Theoretical mechanics

وهناك ايضا الميكانيكا المتعلقة بالسوائل والغازات والاجسام الصلبة والنقطة المادية ، ويرتبط بكلمة الميكانيكا اكثر من (٢٥٠) اصطلاح وتعبير علمى في العصر الحاضر .

ان تصنيف العلوم الميكانيكية السالف الذكر لم يكن معروفا بهذا الشكل في العصور القديمة ، وانما اجملت العلوم الميكانيكية جميعها تحت اسم « الميكانيكا الكلاسيكية » التى على اسسها قامت الميكانيكا النظرية بفروعها الثلاثة ـ علم الاستاتيكا او علم توازن القوى ، علم الديناميكا او علم الحركة الميكانيكية تحت تاثير القوى الخارجية، علم الكينيتيكا او علم القوى المحركة ـ حركة وازاحة الاجسام بمرور الزمن ، وهذه تعتبر قاعدة رئيسية في دراسة كثير من الفروع العلمية

المتعلقة بالميكانيكا مثل نظرية المرونة Elasticity theo y مقاومة المواد Strength of materia's نظرية اللدائن Theory of plasticity نظرية مكنكة الالات Theory of machine's mechanism وعلم الديناميكا المائية Hydrodynamics .

بداية العلوم الميكانيكية

ان الميكانيكا كعلم مستقل وبالمفهوم العلمي الحديث ابتدا في القرن الثامن عشر ، العصر الذى سجل انتصارات علمية باهرة في تطور العلوم الرياضية ، ويعتبر العلماء ليوناردو دافنشي ، جاليلو جاليلى ، كيبلر ، تورشللى ، ريفارت ، ليبنتز ، نيوتن ، برنولى ، آيلر ، دالامبر ، لاغرانج ، هم مؤسسي علم الميكانيكا الحديث .

ولكن كما اسلفنا فان كلمة ميكانيكا اغريقية الاصل Mechane والتى كانت تعنى في عصر الحضارةاليونانية والرومانية القديمة Antiquus كل الفنون المتعلقة بالمهارة والبراعة والحذق ، كما ان هذه الكلمة استعملت بمعنى اضيق من ذلك ، وكانوا في البداية يعنون بها الالات الرافعة (الالات ـ اقصد بها الادوات الميكانيكية البسيطة التركيب والتى استعملت في ذلك العصر) ، وبالاخص تلك الادواتالتى كانوا بواسطتها يرفعون الستارة في المسارح اليونانية والرومانية القديمة.

ثم تطور هذا المفهوم مع ازدياد الحاجة الى بناء المسارح الضخمة والمؤسسات الحكومية الكبيرة فظهر جليا فائدة استعمال الحلقة والذراع والسطح المائل والاسفين ، واهتم العلماء بدراسة هذه الادوات ، ثم وضعوا مفاهيم مطلقة للقوة والمقاومة والازاحة والسرعة . ولكن اهم هذه الوسائل على الاطلاق كان السطح المائل ، واورد هنا مثالا مبسطا ليستطيع القارىء ان يستوعب اهميته وهو الاهرامات ، واكبرها هرم خوفو (بنيت قبل ثلاثة آلاف سنة تقريبا) ويتكون هذا الهرم من ٣ر٢٣ مليون قطعة حجرية يصل وزن الحجر في المتوسط ٥ر٢ طن ، وبلا شك كان استعمال السطوح المائلة اهم الوسائل المساعدة في بنائها ، لان الطريق الى هرم خوفو كان مائلا في ارتفاع ٨ر٤٥ مترا وطول افقى ٦ر٤٩٤ وبذلك تكون زاوية الارتفاع ٣ر٥° وهذا اعطاهم مكسبا كبيرا في رفع الاجسام الثقيلة على هذه الطريق (طبعا بوسائل مساعدة اخرى كالذراع والحلقة والحبل .. الخ) . من هذا نلاحظ ان البناء كان من اهم العوامل التى ساعدت على تطور المفاهيم الميكانيكية .

واذا القينا نظرة عامة علىحضارة ما بينالنهرين استنتجنا ان شعوب هذه المنطقة كانت لديها مبادىء في الميكانيكا وهذا يظهر جليا في النتائج التى توصلوا اليها فيعلم الفلك ودراسة النجوم .

تقسيم المجتمع عند الاغريق

ان من اهم العوامل التى ساعدت على الحد من تطور المفاهيم والمبادىء الميكانيكية عند الاغريق والرومان كان العامل الاقتصادى وتقسيم المجتمع الى طبقة النبلاء والعبيد ، فقد كان النبلاء يهتمون بالابحاث النظرية البحتة ولا يلجاون الى التطبيق لاعتبارهم ان العمل اليدوى هو من صفات العبد ، ولذلك كان عمل العبد لا يتطلب المعرفة التامة بخواص الادوات التى يعمل بها (ان وجدت) لان عمله كان يعتمد على القوة الجسدية في الاساس .

ثم هناك ظاهرة اخرى لا بد من تسجيلها وهو ان مستوى التكنيك القديم في العمل الحربى كان ارفع بكثير ومتطورا اكثر منه في الاقتصاد الوطنى، وهذا يظهر جليا مندراسة الاساليب والادواتالتى استعملت في حروب المدن اليونانية القديمة ، فمثلا استعملوا آلة « الكبش » والقوس والرمح .

لقد كانت اهم المشاكل الفلسفية المرتبطة عضويا بالمفاهيم الميكانيكية هى مسألة « الحركة » طبيعتها ومصدرها ، وكيفية حركة الاجسام ، وهل الاجسام تبقى متحركة دائما ام هناك ما يسمى بمسألة « السكون والسكون النسبى » وهل الحركة ابدية ، وما هو مصدر تكوين الاجسام ؟؟ .. الخ .

لقد كان من العلماء البارزين في هذه الفترة والذين ساهموا في تطوير المبادىء الميكانيكية هو ارسطوطاليس (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق.م) وكتابه الشهير « الميتافيزيقيا » ، ثم كتابه « المسائل الميكانيكية »الذى كتب في القرن الثالث قبل

الميلاد ويتكون من ٣٦ جزءا والمحور الرئيسي فيه هو بحث مسالة الذراع والاتزان .

كما لعبت مدرسة بلاتون والعلماء هيراقليط ، هيرون ، ومدرسة الاسكندرية دورا رئيسيا في ذلك ، وهؤلاء قد كتبوا عن مصدر الحركة وطبيعتها والعوامل المؤثرة فيها وتوصلوا الى استنتاج « بان القوة تتناسب طرديا مع حاصل ضرب سرعة الجسم في وزنه » ، ثم استنتجوا بان السرعة تساوي حاصل قسمة المسافة على الزمن (اهملوا التسارع او العجلة ولم يضعوا مفاهيم واضحة عن السرعة التباطئية والتزايدية) .

ثم جاء العالم ارخميدس (٢٨٧ ـ ٢١٢ ق.م) وساهم كتابه « عن نقط الارتكاز والاوزان » في تحديد مفاهيم الاتزان واتزان الاجسام الصلبة والمستوية .

العلوم الميكانيكية عند العرب

لقد كان سقوط الامبراطورية الرومانية وانهيار كافة ممتلكاتها ثم سيطرة الكنيسة على مرافق الحياة من اهم الاسباب التي دعت كثيرا من العلماء الاغريق والرومان الى الهجرة الى بيزنطة ثم الى الشرق العربي في اوج ازدهار الحضارة العربية الاسلامية . فالكنيسة قد قسمت العلوم الى سبعة فنون حرة منها : قواعد اللغة والمنطق ، اللاهوت ، الحساب والهندسة والفلك (وقصد منه تقويم الكنيسة السنوي واعيادها ، التنجيم ومعرفة الطالع والحظ) ، والموسيقى والتي اختصت بالتراتيل والاناشيد الدينية ، وفي اسفل التقسيم جاءت العلوم الميكانيكية على اعتبارها صنعة الطبقة الوضيعة في المجتمع لاعتمادها الرئيسي على العمل اليدوي .

لقد كانت الفترة الممتدة من القرن التاسع وحتى القرن الثاني عشر هي الفترة الذهبية بالنسبة لتطور العلوم ، ففي هذه الفترة نشطت حركة الترجمة والتاليف والاهتمام بالعلوم ولعبت « دار الحكمة » في بغداد دورا رائدا في ذلك ، فترجمت كتب بلاتون، ارسطوطاليس ، هيراقليط، ارخميدس ، بطليموس ، وبهذا حفظت الحضارة العربية والاسلامية قسما كبيرا من مؤلفات الاغريق والتي كانت مع المؤلفات العربية الاساس الرئيسي الذي قامت عليه النهضة الاوروبية في القرون الوسطى .

لقد كان مفهوم « القوة المحركة » Motive Force المحور الرئيسي لابحاث العرب في مجال الميكانيكا والمفاهيم المستخلصة منها . لقد كان من اهم الشروحات والتفسيرات لنظريات ارسطو طاليس هو ما قام به ابن سيناء والبيروني ، وهذه الشروحات تتالف من جزءين ، الجزء الاول اسئلة البيروني والثاني اجوبة ابن سيناء ، عشرة منها تتعلق بمفهوم ارسطو طاليس عن الفضاء والبقية تبحث في الفيزياء .

ابن سيناء والغلاف الجوى

لقد تبع ابن سيناء ارسطو طاليس في مفهومه عن الغلاف الجوى ، فقد قال ان الغلاف الجوى هو ازلي في مكانه الطبيعي لا يتميز بخاصية الخفة او الثقل (الخفة ويقصد بها خاصية الجسم للارتفاع الى اعلى ، والثقل خاصية الجسم في التوجه الى مركز الارض) ، وان جميع الاجسام الثقيلة تتجه الى مركز الارض ، وحدد ابن سيناء الحركة بانها التغير التدريجي في حالة الجسم ، اما الحركة في الفراغ فنظر اليها كجزء من مفهوم الحركة العامة التي وضعها . ففي كتابه «المعرفة» يقول عن الحركة « لا يمكن للاجسام ان تتحرك بواسطة دفعة Impulse لان الجسم يتكون من اجزاء وهذه الاجزاء تبتعد عن مكانها الاصلي ، لذلك كل شيء يترك ، سواء بواسطة تاثير خارجي (كحركة الرمح من القوس ، غليان الماء) ، او حركة الجسم بتاثير خواصه الداخلية (كسقوط الحجر من الاعلى ، او برود الماء الساخن) ، فانه لا يتحرك بشكل جسمي ، بل يظهر ذلك في حالته وشكله ، فلو كانت الحركة تحدث في نفس الجسم لكانت الحركة ثابتة ومتساوية لجميع الاجسام » .

لقد طور ابن سيناء نظرية فيلبون عن القوة واضاف اليها اضافتين هامتين ، فقد عرف القوة Force «ليس كعامل كيفي بواسطته يدفع الجسم المتحرك كل ما يعترض سبيله » بل اعطاها مفهوما استعاريا او اقتباسيا Incentive بانها « الكمية التي يستمدها الجسم المقذوف من الجسم القاذف، كالنار التي تعطي حرارتها في غليان الماء » ، ولقد حاول ابن سيناء ان يجد التعبير الكمي للقوة فقال « ان الجسم الذي يتحرك تحت تاثير

القوة المعتية يتحرك بسرعة تتناسب طرديا مع وزنه، قاطعا مسافة (بغض النظر عن مقاومة الهواء — الكاتب) وهذه المسافة تتناسب طرديا مع ثقله » .

ولقد طور هذا المفهوم بعد ابن سيناء في القرن الثاني عشر العالم العربي البغدادي ، الذي اوضح تسارع سقوط جسم مع ازدياد القوة المحركة وبنفس الوقت مع ازدياد السرعة .

ابن رشد والعالم المادي

ولقد كان من اهم العلماء العرب الذين نقضوا نظرية ارسطو طاليس هو العالم ابن رشد (١١٢٦ م — ١١٩٨ م) فقد قال ان العالم المادي لانهائي مع الزمن ومحدود في الفضاء . المادة هي العنصر الازلي للحركة وان الحركة ابدية ومستمرة لان كل حركة جديدة هي استمرار للحركة السابقة وان الزمن موجود ويمكن قياسه بفضل وجود الحركة . لقد سادت نظرية ابن رشد هذه سنين طويلة في اوروبا في عصر النهضة الاوروبية وشكلت احدى الاسس التي قامت عليها الفلسفة المادية .

اما بالنسبة لميكانيكا توصيل الحركة فقد قارنها ابن رشد بشكل الامواج التي تظهر عند سقوط الحجر في الماء وان جزئيات الماء لها خاصية التصادم المستمر ، ونفس الشيء يحدث في الهواء عندما يتحرك فيه جسم مقذوف وان تصادم جزئيات الوسط مع الجسم المقذوف هو الذي يوصل الحركة ، فلو كان الوسط لا يحتوي على فراغ في جزئياته (اي ان لم يكن مرنا) فتوصيل الحركة مستحيل . وعلى طرف النقيض منه يقف العالم ابن باجة (الذي توفي عام ١١٣٨ م) ، فقد قال بصحة نظرية فيلبون ، بان الجسم يمكنه ان يتحرك بسرعة نهائية حتى في الفراغ ، وبذلك وافق مع فيلبون بان حركة الاجرام السماوية مثال على الحركة بدون مقاومة (اي الحركة في الفراغ بدون مقاومة الهواء) بسرعة نهائية . ولقد عرفت نظرية ابن باجة هذه في الغرب فقط بفضل نقد ابن رشد لها .

اما بالنسبة لتطوير الاتجاه الكينيتيكي في علم توازن الاجسام فقد لعب دورا كبيرا ما قام به العلماء العرب من ترجمة مؤلفات ارخميدس ، هيرون وبطليموس ثم علم الفلك الهندي والشروحات والاضافات التي اضافها العرب على ذلك باستمالة مرصد الاسكندرية، وفي نتيجة هذه الجهود ظهرت الحسابات والقوانين والجداول لحساب موقع النجوم في الفضاء .

« مفتاح العلوم »

اما كتاب «مفتاح العلوم» لابي عبد الله يوسف الخوارزمي (القرن العاشر) ، فهو عبارة عن مجلدين احد اجزاء المجلد الثاني مكرس للميكانيكا التي هي في الاساس تطوير لميكانيكا هيرون . وفي هذا الجزء وصف دقيق وارشادات علمية قيمة لاستعمال الادوات الميكانيكية المعروفة ، ثم يخص بحثا كاملا عن استعمال هذه الادوات في الفنون العسكرية .

اما اخوة بني موسى (نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر) ففي كتابهم « كتاب عن الميكانيكا » يعطون شروحات ميكانيكية قيمة ثم يصف الكتاب طريقة حفظ مستوى الماء ثابتا في الانابيب . ثم شرح هذه الخاصية بعمق في رسالته « كتاب عن معرفة الميكانيكا الهندسية » ابو العزة اسماعيل الجزاري (نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر). وهو فيه يشرح ايضا طريقة محمد بن علي الخراساني « نواعير الماء ورفع الماء والآلات الميكانيكية التي تخدم ذلك » .

ان وصف معظم الطرق والادوات الميكانيكية التي كانت تستعمل في الدولة العربية يمكن ان نجدها في المؤلفات الجغرافية للكندي . كما ان البيروني يعطي وصفا كاملا لها في مدينة خوارزم .

لقد حفظت معظم مؤلفات ارخميدس في تراجم وشروحات العالم الرياضي العربي الكبير ثابت ابن قرة ، وقد ترجمت هذه الى اللغة اللاتينية في عصر النهضة بعنوان Liber Charastonis لقد كان من اعظم الآثار التي خلفها ابن قرة بحثه المستفيض عن الاتزان وايجاد مركز ثقل الاجسام ونظرية العزوم . وهو اول من قال « بان قوتين متساويتين يمكن ابدالهما بقوة مضاعفة لهما وتؤثر في نقطة منتصف المسافة بينهما » .

العلماء العرب ونظرية ارخميدس

لقد طوّر العلماء العرب نظرية ارخميدس عن

الاجسام المصهورة وحسبوا الوزن النوعي لكثير من الاجسام والاحجار الكريمة ، واهم هؤلاء العلماء البيروني وعمر الخيام وتلميذه الخازني .

فابو الريحان محمد بن احمد البيروني في رسالته عن « مجموع المعلومات عن قيمة الاحجار الكريمة » يعطي نتائج دقيقة جدا عن الوزن النوعي لكثير من المواد ، وهذا البحث مخصص ايضا في رسالته « علاقة الوزن بالنسبة لحجم المعدن والاحجار الكريمة » الذي وصل الينا عن طريق الخازني ، وفي هذه الرسالة يذكر كثيرا من علماء عصره امثال يوحنا بن يوسف ، الرازي ، النجاري ، وفي هذه الرسالة يصف البيروني طريقة النجاري في مقارنة اوزان حجوم متساوية للمعادن والسبائك، ثم يلخص ايضا طريقة ابو منصور النيروزي . وقد اوجد البيروني الاوزان النوعية بدقة ١/٢٤ من المثقال (المثقال يساوي ٤٢٥ غرام) ، ثم اوجد البيروني الاوزان النوعية لكثير من السوائل باستعمال انابيب واوعية خاصة ، ويذكر الفرق بين الوزن النوعي للاجسام الحارة والباردة وللماء العذب والمالح .

ثم جاء عمر الخيام في رسالته « اوزان الحكمة او عن اوزان الماء المطلقة » وهو يقترح طريقة لايجاد الوزن النوعي للماء بواسطة غمرها في الماء اولا ثم في الهواء واستعملها لايجاد نسبة الذهب والفضة في السبائك . اما الخازني فوصف في كتابه « اوزان الحكمة » الطرق التي استعملها العلماء السابقون وتوصل الى معادلة من الدرجة الاولى في حل المشاكل العلمية التي واجهته والتي حلها باستعماله طريقة « الجبر والمقابلة » .

والشيء الذي نفتخر فيه بان الارقام التي اوجدها الخازني للاوزان النوعية قريبة جدا من الارقام الحديثة ، فمثلا للفضة ـ ١٠ر٣٠ (الرقم الحديث ١٠ر٤٩) للذهب ـ ١٩ر٠٥ (الرقم الحديث ١٩ر٢٧) للرصاص ـ ١١ر٣٢ (الرقم الحديث ١١ر٣٩) ، للزئبق ـ ١٣ر٥٦ (الرقم الحديث ١٣ر٥٥٧) ، للنحاس ـ ٨ر٦٦ (الرقم الحديث ٨ر٩٤) ، للحديد ـ ٧ر٧٤ (الرقم الحديث ٧ر٨٧) ، ولدرجة غليان الماء ٠ر٩٥٨ . فلو حسبنا نسبة الخطا المطلق لهذه الارقام باستعمال الطرق الرياضية الحديثة لوجدنا انها دقيقة جدا بالنسبة للعصر الذي اوجدت فيه .

وقد خصص الخازني في كتابه « اوزان الحكمة » جزءا كبيرا بحث فيه نظريا مركز الثقل ثم الوزن المفقود عند غمر الجسم في الماء والسوائل . ونجد نفس الابحاث المتعلقة بالاوزان النوعية في كتابه « مفتاح الحساب » للكاشي .

كما ارتبطت الميكانيكا عند العرب بالابحاث المتعلقة بالفلك وحركة الاجرام السماوية ، فقد درس ثابت بن قرة حركة الشمس بالنسبة لدائرة البروج Ecliptic منطلقا من فرضيات علماء الاغريق .

أثر العلوم الميكانيكية عند العرب في عصر النهضة الاوروبية

لقد كان ظهور الجامعات في اوروبا من احد الاسباب التي دعت الى نقل المؤلفات والتراجم العربية الى اوروبا عند ضعف الدولة العربية وتقسيمها الى ممتلكات تتنازع فيما بينها ، ففي القرن الثالث عشر ظهرت جامعات بولون ، باريس ، بادو ، نابولي ، اكسفورد وفي القرن الرابع عشر جامعات بيزا وفينا. ففي القرن الثاني عشر والثالث عشر اغتنت النهضة الاوروبية بالتراجم اللاتينية لعلماء الاغريق والعرب التي نقلت عن اللغة العربية فظهرت مؤلفات ثابت بن قرة وابن رشد وابن سيناء جنبا الى جنب مع مؤلفات ارخميدس ، بلاتون ، ارسطو طاليس .

فعلى سبيل المثال لا الحصر كتاب « الميكانيكا » لهيرون عرف فقط عن طريق الترجمة العربية لقسطا بن لوقا والذي ترجم الى اللاتينية بعنوان De Canonio ثم « كتاب الاوزان » الذي وجد فقط باللغة العربية ، ثم تراجم ثابت بن قرة ومؤلفاته التي ظهرت بعنوان Liber Charastions ثم كتاب « عن الاجسام المغمورة في السوائل » الذي عرف في الغرب في القرن الثالث عشر اما عن الترجمة العربية او عن الشروحات العربية عليه ، كما علينا ان نشير ان اصطلاح « الوزن يتناسب مع المكان » كان مرادفا لاصطلاح ثابت بن قرة « القوة المحركة » . ان القلم لعاجز عن وصف الآثار البديعة والقيمة التي تركها العرب في النهضة الاوروبية . ■■

هاني عبيد
لينغراد/روسيا



حق المؤلف

- للمؤلف حق أدبي، وحق مادى
- البلاد العربية وحق المؤلف

بقلم: مصطفى عبد الرحمن

ان جاز لى أن ابيع عضوا من جسمى جاز لى أن ابيع افكارى
« بتهوفن »

الفنون جميعا ... من ادب ، وشعر ، ورسم ، وموسيقي ، ونحت ، وحفر وغيرها من المصنفات التي يكون مظهر التعبير عنها الكتابة او الصوت او الرسم أو التصوير او الحركة تلك تكون من خلق الفنان وابداعه تظل ملكا لصاحبها مرتبطة به ، حاملة اسمه تتناقلها الاجيال جيلا بعد جيل ...

فهي حق ثابت للفنان لا يزول بزواله وكل ما صدر من تشريعات وقوانين لحماية هذا الحق انما صدرت لتنظيم هذه الحماية وليس لتقريرها وذلك بخلاف الملكية العقارية .. فهذه الملكية من خلق المجتمع وفي استطاعته ان يعدلها او يلغيها وهي ملكية تبلى مهما طال عليها الزمن وعاشت مع الايام ..

وقانون حق المؤلف يحمى كل فكر جديد لم يسبق ... فكر يولد ويظهر الى الوجود في ثوب جديد وبطريقة جديدة مميزة في التعبير من وضع صاحبها ، ومبدعها ، ومبتكرها ومن اسلوبه هو ، فيها شخصيته وفيها ملامحه بل هي جزء من ذات نفسه .

لمن هذه الحماية ؟

وتكون ... حماية حق المؤلف للشخص الطبيعي وتكون كذلك للشخص المعنوى اذا قام بتوجيه العمل الفنى وعلى وجه الخصوص المصنفات الجماعية والمشتركة ومن هنا استمرت جمعيات حق المؤلف حق تمثيل اعضائها امام القضاء واستمدت كذلك سلطانها في حماية مصنفاتهم وتحصيل الحق المادى الذى عرف باسم حق الاداء ....

ما هو حق المؤلف .. ؟

للمؤلف حق ادبي Droit Moral

وحق مادى Droit Matèriel

والحق الادبي هو تقرير المؤلف نشر مصنفه وامره بخروجه ليذاع ويتداول بين الناس ... ذلك هو حق الابوة .. حق تقرير المصير لما يؤلفه ويبدعه .

والحق المادى هو الذى ينتج عن استغلال المؤلف لانتاجه بشتى وسائل النشر المختلفة مثل الطبع ، والنشر ، والاذاعات السمعية ، والمرئية ، والمسرح ، والسينما والقائه على الجمهور في الحفلات العامة او طبعه على اسطوانات ، او اشرطة كهربائية .

وتنقسم مراحل ظهور المصنف الى ثلاث مراحل هي : ـ

مرحلة تأليف المصنف

وهي الفترة التى يعيش فيها المؤلف مع نفسه يستوحى مواهبه حتى تكتمل لديه المقومات الفنية للمصنف او التى يصبح بتمامها وتكاملها شيئا له قيمته الفنية

تقرير النشر

وتلى المرحلة الاولى التي تكتمل فيها عناصر المصنف والتي يصرح بعدها المؤلف بخروج مؤلفه الى الناس ليذاع وينشر .

مرحلة الاستغلال

وهى التى يستمتع فيها المجتمع بانتاج المؤلف ويجنى فيها المستغلون ، كالناشرين بالطباعة والاذاعة والمسرح والسينما وغيرها من وسائل النشر ثمار هذا الانتاج .

الحقوق المالية للمؤلف

ومن حقوق المؤلف المالية المترتبة على حق المؤلف الصور التالية : ـ

١) طبع المصنف سواء كان ادبيا او موسيقيا .
٢) الصب في قوالب (الاسطوانة) .
٣) الاذاعة .
٤) السينما .

وهذا الحق المالى يستغل بطريقتين : ـ

طريقة الاداء المباشر وهو ما يعرف بالاداء العلنى

ويحصل المؤلف على هذا المقابل نتيجة لالقاء مصنفه امام الجمهور سواء كان ذلك بواسطة مطرب او آلة ، او اذاعة ، او عرض سينمائى ، او تمثيل مسرحي .

الطبع الميكانيكي

ويحصل المؤلف عليه نتيجة لعمل نسخ من مصنفه بقصد الاستغلال والطريقة المعروفة حتى الان هى طبع اسطوانات او اشرطة كهربائية .

طريقة تحصيل حق المؤلف

يحصل حق الاداء العلنى للمؤلف من مستغلى المكان الذى يباشر فيه الاداء الموسيقي او الغنائي وحدد القانون للمؤلف الحق في أن يعين هو نسبة مئوية لهذا المقابل جرى العرف على ان تكون ٨ر٨٪من الايرادات المباشرة كثمن تذاكر الدخول او ٤ر٤٪من ثمن الايرادات غير المباشرة كالمشروبات مع حد ادنى للتحصيل لا يقل عن ١٥٪ من الميزانية الفنية التى تشمل اجور العازفين والمطربين وبرامج الموسيقي .

او ان يحصل على مبلغ جزافى لهذا المقابل .

اما الطبع الميكانيكى فقد تحدد بواقع ٨٪ من سعر بيع النسخة للجمهور وتحدد للتحصيل للسينما ٢ر٢٪ ممن ثمن بيع التذاكر طوال عرض الفيلم .

طريقة التوزيـع

توزع المبالغ المحصلة حسب الاداء الزمنى لكل مصنف مناصفة بين كل من مؤلف الشطر الادبي ومؤلف الشطر الموسيقي اما اذا كان هناك توزيع اركسترالى فيكون بواقع الثلث لكل مشترك .

متى تقرر المبدأ الادبي لحق المؤلف

على الرغم من أن حق المؤلف ملتصق به منذ الازل فان التفكير في حمايته لم يعرف الا في القرن الخامس عشر بعد انتشار فن الطباعة وكانت فرنسا هى البادئة في التفكير فيه ، ولم تصدر القوانين الخاصة بحماية حق المؤلف المسرحى في فرنسا الا في يوليو ١٧٩٣ ثم في انجلترا عام ١٨١٠ وفي امريكا عام ١٨٣١ وفي المانيا عام ١٨٣٧ .

وجاء رنوار Renouard المستشار في محكمة النقض الفرنسية فوضع اول كتاب في حق المؤلف عام ١٨٣٨ وهذا الحق يرتبط باسم المؤلف ولا يزول بزواله فهو مرتبط بشخصيته فلا يجوز التصرف فيه ولا الحجز عليه او تملكه بالتقادم .

كيف عرف المبدأ المالي

اول من توصل الى فكرة المطالبة بالحق المادى للمؤلفات الموسيقية ثلاث من الموسيقيين المؤلفين والملحنين وهم :

ارنست بورجيه	Ernest Bourget
بول هنريون	Paul Henrion
وفيكتور باريزو	Victor Parisot

فقد كان هؤلاء يجلسون في مقهى الامباسدور بالشانزليزيه بباريس عام ١٨٤٧ وطلبوا شرابا وفى اثناء جلوسهم بالمقهى اديت من تآليفهم بعض المقطوعات الموسيقية جذبت الاسماع وطالب رواد المقهى باستعادتها اكثر من مرة .. فلما انتهى العزف وهموا بالانصراف طالبهم صاحب المقهى بدفع الثمن .

فطلبوا هم مقابلا عن عزف مقطوعاتهم الموسيقية اذ ان هذه المقطوعات كانت المادة الاساسية في جذب الرواد الى المقهى والربح الذى حصل صاحب المقهى عليه بما ادخلته على المستمعين من صنوف اللذة النفسية وامتنعوا عن الدفع فاقام مستغل المقهى دعوى امام محكمة السين التجارية التى اصدرت حكمها في سبتمبر عام ١٨٤٧ بمنع عزف هذه المقطوعات الموسيقية في المحل الا بترخيص من مؤلفيها .

وفي اغسطس ١٨٤٨ صدر حكم آخر اكد الحكم الابتدائى وفي ٢٦ ابريل ١٨٤٩ حكمت لهم المحكمة بالتعويض ومن هنا ومن هذا التاريخ تقرر المبدأ المالى لحق المؤلف .

التوكيل المركزى لتحصيل حق المؤلف

تكونت اثر صدور حكم القضاء الفرنسى لحق المؤلف المالى اول جمعية تعاونية في ١٨ مارس ١٨٥٠ عرفت باسم التوكيل المركزى لتحصيل حقوق المؤلفين وملحنى الموسيقى وهى عرفت فيما بعد باسم شركة المؤلفين والملحنين والناشرين للموسيقي .

وقد انضم لهذه الجمعية ٢٢١ عضوا ارسلت الكشوف الخاصة بانتاجهم الى جميع المحلات العامة في باريس وكانت اول تحصيلات هذه الجمعية :

مايو	١٨٥٠	١٢٧ فرنكا
يونيو		٢٢٨ فرنكا
يوليو	١٨٥٠	٨٢٩ فرنكا
اغسطس		١١٠٨ فرنكا
سبتمبر		١٠٢٦ فرنكا
اكتوبر		٩٧٧ فرنكا
نوفمبر		١٠٢١
ديسمبر		١٠٤٠ فرنكا
		٦٢٧٦

هذا في الوقت الذى وصلت فيه تحصيلات جمعية باريس لاعضائها وللاعضاء المنضمين اليها في انحاء العالم ١٧ مليون جنيه استرليني في العام الواحد .

الجمعيات الادبية والفنية الدوليـة

وكان للخطاب التاريخي الذى القاه شاعر فرنسا

الكبير فيكتور هوجو في الحفل الختامي لمؤتمر الكتاب الذى عقد في باريس عام ١٨٢٨ اثره الفعال في تنظيم حق المؤلف دوليا وانشئت الجمعية الادبية والفنية الدولية لرعاية هذا الحق دوليا والدفاع عنه بكافة الطرق والوسائل .

المعاهدات والاتفاقات الدولية لحق المؤلف معاهدة برن

كان للمجهودات الكبيرة التى بذلت من اجل الاعتراف بحق المؤلف دوليا اثرها في الدول التى نهضت ادبيا وفكريا وفلسفيا وفي مقدمتها فرنسا وبلجيكا وانجلترا وايطاليا وسويسرا ،ففي التاسع من سبتمبر ١٨٨٦ عقدت هذه الدول اول اتفاقية دولية من اجل حماية حق المؤلف عرفت باسم معاهدة برن الدولية وكان ابرز نصوص هذه الاتفاقية انها تحمى المصنف لمدة خمسين عاما بعد وفاة صاحبه وان تسوى كل دولة من الدول الاعضاء في الحماية بين رعاياها ورعايا الدول الاعضاء الذين يقومون بنشر مصنفاتهم لاول مرة في دولة من هذه الدول .

حق الترجمة مؤتمر باريس ١٨٩٦

وفي المؤتمر الذى عقد في باريس ٤ مايو ١٨٩٦ اضيفت وثيقة اخرى الى قانون حق المؤلف تقرر بها حماية حق الترجمة وتحرم السطو على القصص والروايات كما تقرر حماية المؤلفات التى تنشر للمؤلف بعد وفاته .

امريكا الجنوبية

وفي يناير ١٨٨٩ عقدت جمهوريات الارجنتين وبوليفيا وارجواى وبيرو مؤتمرا قررت فيه منهجا لحماية حق المؤلف على غرار مؤتمر (برن) في حدود نصوص اتفاقياته .

معاهدة برلين واتفاقية روما

وعقدت بذلك معاهدة في برلين ١٩٠٨ واتفاقية روما في ٢ يونيو ١٩٠٨ اكدتا بنود اتفاقية« برن ».

مؤتمر اليونسكو

وفي عام ١٩٥٢ عقدت هيئة اليونسكو اجتماعا دوليا لبحث حقوق المؤلف الادبية والفنية والعلمية وذلك بعد الحرب العالمية الثانية لتوحيد القواعد الاساسية لحقوق المؤلف في الدول الاعضاء .

وكان لهذا المؤتمر الذى عقد (بجنيف) اهمية عالمية كبرى اذ كان اهم اهدافه انماء الثروة الفكرية في العالم والمساواة بين جميع المفكرين بغض النظر عن جنسية كل منهم .

كما نصت مواد الاتفاقية على جعل حد ادنى لحماية المصنف جعلتها ٢٥ سنة بعد وفاة صاحب المصنف بدلا من ٥٠ سنة .

مؤتمر روما ١٩٦١

وعقد في اكتوبر ١٩٦١ مؤتمر في روما خاص بحقوق المؤدى الممتاز الذى له طريقة فريدة في نشر المصنف وادائه وقد لاقى هذا الامر معارضة شديدة من المشتغلين بهذا الحق على اساس ان المؤلف هو الخالق لجميع العناصر التى تتبع تاليفه وضرب مثلا بالسيارة فعلى الرغم من ان فيها جسم السيارة واطاراتهم وعجلة القيادة وعصا السرعة الا ان باعث الحركة فيها هو الموتور ورغم معارضة الكثير من رجال القانون المهتمين بحماية حق المؤلف وفي طليعتهم الاستاذ (ديوا) الا ان هذا المبدا قد اعتمد واصبح معاهدة دولية لها احترامها وعرفت باسم اتفاقية روما للحقوق المجاورة لحق المؤلف وتعطى هذه الاتفاقية حقوقا للفنان المؤدى الذى يعطى من خبرته وشهرته انتشارا للمصنف لتميزه بطريقة في الاداء (ام كلثوم ـ عبد الوهاب ـ فريد الاطرش ـ عبد الحليم حافظ ـ يوسف وهبى) . وقد اخذت بها حتى الان ١٧ دولة منها سويسرا وبلجيكا وفرنسا ...

امريكا وحق المؤلف

ويحمى القانون الامريكى حق المؤلف بشرط ان يسجل المصنف في مصلحة تسجيل الملكية الادبية ويعتبر المصنف مستوفيا التسجيل اذا كانت الدولة التى يتبعها المصنف موقعة لاحدى الاتفاقيتين العالميتين .

جمعيات حق المؤلف

وقد تنوعت جمعيات حق المؤلف التى تضم

اجهزة ضخمة من الايدى والالات تنوب عنهم في التقاضي والتبادل .

١ ـ ما يمثل المؤلفين للموسيقى والكلام المصاحب لهـا والمعروفة باسـم شركة المؤلفين والملحنين والناشرين للموسيقى .

Societete des Auteurs, Compositeurs e Editeurs de Musique.

٢ ـ وشركة المؤلف والملحنين المسرحيين والتي تاسست ١٨٢٩ واعترف بها في ١٨ نوفمبر ١٨٣٧ وقد قامت للدفاع عن حقوق الاعضاء في المسارح وفي الجهات ذات الصلة بهؤلاء الاعضاء وتعرف في فرنسا باسم .

Sociéte de Acteurs et Compesiteurs Dramatiques.

٣ ـ والمكتب الدولي لنشر الموسيقى الآلية

Bureau Internaticnal de Edition Mécaique.

٤ ـ وجمعية الآثار الادبية

Sociéte be Yens de Leltres.

٥ ـ وشركة النشر والانتاج الميكانيكى .

S. D. R. M.

٦ ـ والاتحادات الدولية التى قامت نضم كل هذه الجمعيات .

هذا في فرنسا اما في جميع الدول المنضمة الى الاتفاقية فتقوم جمعيات مماثلة تتبادل التحصيل والتوزيع .

حق المؤلف والاقمار الصناعية

ظهرت مشكلة الاقمار الصناعية بعد ان توصل العلماء الى اختراع اجهزة البث المباشر دون حاجة الى محطات ارضية لاستقبال الارسال من المحطات الفضائية ولما كان البث المباشر يبدا ارساله عام ١٩٧٥ فقد اثيرت نقطة مدى مسئولية الدول التى تتلقى الارسال ويذاع على اقليمها عن حقوق المؤلفين .

وسوف يجتمع مؤتمر دولى في روما خلال عام ١٩٧٢ لبحث هذا الموضوع لما له من اهمية كبرى حتى لا تنقل دولة برامج دولة اخرى دون ان تحتفظ لمؤلفى هذه الدولة بحقوقهم التى كفلتها القوانين .

البلاد العربية وحق المؤلف

على الرغم مـن ان امتنا العربية هى مهد الحضارات ، وانها حملت بين يديها القويتين مشعل الرقى وترعرعت فيها الفنون على اختلاف الوانها وانواعها وازدهر فيها الادب شعرا رفيعا وقصصا رائعا وظلت بما وهبها الله من آلاء ينبوعا ثرا للعبقريات التى واكبت ركب الزمن واشرفت على وجه الحياة نورا يهدى في الظلمات .

اقول على الرغم من أن الغرب نقل فلسفتنا وموسيقانا وآدابنا وعلومنـا وانتشرت في ربوع اوروبا . فانه لمن المؤسف حقا ان نرى الان دولتين عربيتين فقط هما اللتان اصدرتا قانون حق المؤلف ونفذتاه نصا وروحا .

بينما اصدر غيرهما هذا القانون ولم يحترم نصوصه وظل حق المؤلف في هذه البلاد نهبا لكل ناهب وهى صفة استبعد ان تكون هى صفة العربى بما عرف فيه من أمانة وشهامة ورجولة وصدق .

ولقد اعترفت الدول التى اخذت العلم والفن بقانون حق المؤلف ولم نعترف به نحن العرب .

واذا كنا نستورد الكساء بثمن ، ونستورد القمح والاذرة بثمن ، ونشترى التراب بثمن ، الا ندفع للفكر ثمنا .. ؟

مسئولية الجامعة العربية

والجامعة العربية مسئولة الى حد كبير عن عدم اصدار قانون موحد لحق المؤلف بين الدول العربية . ومشروع هذا القانون يبحث بين جدرانها منذ عام ١٩٤٨ اذ كان بها استاذ القانون المدني المرحوم الدكتور عبد الرزاق السنهورى وقد اصدر المؤتمران الموسيقيان اللذان عقدا بالقاهرة عام ١٩٧٠، ١٩٧٢ توصياتهما بضرورة اصدار قانون موحد لحق المؤلف في الدول العربية ورفعت هذه التوصيات الى الجامعة العربية ولم تحرك الى اليوم ساكنا .

ان المؤلف لا يطلب الا اقل من القليل ليعيش ومن حق المؤلف ان ياخذ ليعطى ولكنه لن يصنع شيئا اذا اصبح كل مـا ينتجه لقمة سـائغة للسارقين والناهبين ، قراصنة القرن العشرين .

■■

مصطفي عبد الرحمن

اسم المفعول

في صياغة أخطاء شائعة وجب تصحيحها

بقلم: صلاح الدين الزعبلاوي

■ واضح ان صيغة اسم المفعول من الثلاثي (مفعول) بفتح الاول ، ومن الرباعي (مفعل) بضم الاول وفتح ما قبل الآخر . والامر على وضوحه لا يخلو من شبهة قد تعترض من لم يتعم النظر منه . والمعهود في هذا أن تضبط حكاية الفعل وتعلم صيغته ثلاثيا او رباعيا او على وجهين. فاذا عرف ذلك يقينا اشتق المفعول من فعله بحسب صيغته وأجرى على مثال نظائره واشباهه. وهذا طرف من الشواهد يجلو منهاجه ، فيزول به التلبس ، ولمعة من الامثلة تفصح عن مضمونه ، وتزيد في بيانه ، فتؤمَن بها الشبهة .

١ ـ ما جاء ثلاثيا

تقول : كان صاحبي سليم الطوية ، خالص الضمير ، قد امِنه الناس فهو مامون لا تخشى بوائقه(١) وبعث الله الرسول الى عباده فمحمد خير مبعوث . وهذا كلام عذب سائغ كأنه الدر المنظوم واللؤلؤ المنضود .

ومثل ذلك معلوم ومجهول ، ومغلوب ومنصور ، ومحمود ومذموم ، قال مسلم بن الوليد .

فألقاك عن مذمومها متنزهـــا
وألقاك في محمودها ولك الفضـل .

وتقول : تلوت القرآن وجودت تلاوته فهو متلو"، ورجوت الله وسالته ان يغفر لي فالله سبحانه خير مرجو ، وعلوت عدوي فابطن لي غلاً فهو مَعلُو" ، وقد اصابه من الجزع ما ضاق عنه طوقه فحنى ظهره فظهره مَحنيّ .. قال ابو الطمحان القيني :

حنتني حانيات الدهـر حتى
كأني خاتل أدنو لصيـد
قصير الخطو يحسب من رآني
ولست مقيدا ـ أني بقيـد

ومثل ذلك مطويّ من طواه ، ومخشي من خشيه ، ومشكو" ومشكي من يشكوه ويشكيه ، وكذا طعام مطهوّ ومَطهي ، ولحم مَقلي ومقلوّ(١) وكلام محكي ومحكوّ ، ومال مجبي ومجبوّ ،وهو مجفوّ من يجفوه وورد مَجفي قيل من جَفي لا من جَفَيته ! قال عبد المسيح بن بقيلة :

والناس أبنـاءُ عَلاّت فمن علموا
أن قد أقل فمَجفوٌّ ومهجـور (٢)
وهو بنون لأم : إن رأوا نشَبا
فذاك بالغيب محفوظ ومخفـور

وتقول : حكت ثوبي وحكته فاتقنت حوكه وحياكته فهو مَحوك ومَحيك ، وجعلته في صوانه فهو مَصون ، ورمت الامر فهو مَرُوم . وقلت : كلاما محكم السبك متناسب الفِقَر فهو مقول" ، وقدت فرسا جموحا ورضته فهو مَقود ومَرُوض ، وقد نجوت فحاطني الله بعونه ، فانا بعون الله مَحوط ، وصاغ الله تعالى خلقه فاحكم صوغه ، فالخلق مَصوغ ، قال عروة بن اذينة :

بيضاء باكرها النعيم ، فصاغهـا
بلباقة ، فأدقّهـا وأجلّها (٣)

---

١ ـ البائقة : الشر والداهية .

١ ـ اما قلى يقلى اذا ابغض فالمفعول فيه مقلي على المشهور ، وورد مقلو ايضا .

٢ ـ ابناء علات يستعمل في الجماعة المختلفة واصله الابناء تختلف امهاتهم وابوهم واحد ومنه الحديث (النبيون اولاد علات) اى رسالاتهم مختلفة واصلها واحد .

٣ ـ اى ادقّ منها ما ينبغي ان يكون دقيقا ،واجلّ ما ينبغي ان يكون جليلا .

ومثل ذلك : رجل مَسْنُود ، وماء مَخُوض ، وبساط مَدُوس ، وبلد مَسُوس .

وتقول : دخلت على الاسد فهجته ، ولم آمن وثبته ، ونعوذ بالله من الاسد المَهِيج ، وشأن خصمك الباطل ، فخصمك بالباطل مَشين ، وبسطت لسانك فيه ، فعبته ، وكدته ، فهو مَعِيب ومَكِيد ، وهبت رئيسك مهابة فهو مَهِيب ، قال ابو العيص المازني :

ويمنعني من الأعداء أني
وإن رغموا لمخشيٌّ مَهِيب .

وشبيه به : جناح مَهِيض ، وقول مَعِيف .

٢ ـ ما شاع من المغالط في صوغ الثلاثي

ومما سار على الالسن خطا :

١ ـ ثوب مصان على (مُفعل) وهو من اصان ، وهذا لم يرد ، والغلط فيه قديم كثير . والصواب (ثوب مصون) من صانه .

٢ ـ وفرس مُقاد على (مُفعل) من اقاد ، واقاد على معان ليس منها (قاد) . فالصحيح (فرس مقود) من قاده .

٣ ـ ورجل مُهَاب على (مُفتَعَل) من أهاب ، واهبت به الى الخير دعوته .

فالصواب (رجل مَهِيب) من هابه ، وهو القياس . وقد ورد (مكان مُهاب) وسمع (مَهُوب) على غير قياس .

٤ ـ وذهب مصاغ على (مُفعَل) من أصاغ ، وهذا لم يرد ، والخطا فيه قديم . فالصواب (ذهب مَصوغ) من صاغه .

٥ ـ واموال مُجباة على (مُفعلة) من اجبى ، واجبى الرجل الزرع اذا باعه قبل ان يدرك[1] . فالوجه (اموال مَجبية ومجبوّة) من جباه يجبيه ويجبوه .

٣ ـ في اختلاف الصيغتين واتفاق المعنيين

هذا ومما ترادفت فيه الصيغتان الثلاثية والرباعية فتواردتا على معنى واحد ـ ما يأتي :

١ ـ فجئت بالهجوم عدوي، فوهنته واوهنته ، فهو مَوهون ومُوهَن، وحزنته واحزنته فهو مَحزون ومُحزَن، وتعسته واتعسته فهو متعوس ومُتعس.

٢ ـ نزل المطر فسقى الارض واسقاها ، فهي مسقية ومُسقاة .

٣ ـ وكان بيني وبين جاري عهد فلم أضِعه، بل وفيته وأوفيته ، فعهده مَوفيٌّ ، ومُوفىً .

٤ ـ وساق الفارس حصانه واساقه ، فالحصان مسوق ، ومُساق .

٥ ـ حاربني خصمي فهزمته ، وصبت غرضي واصبته ، فالغرض مَصيب ومُصاب ، وغظت خصمي واغظته ، فهو مغيظ ومُغاظ ، وزلته عن موضعه وازلته فهو مَزيل ، ومُزال .

٦ ـ واستنصرني صديقي ، واقتضاني حاجته، فبذلت له نصرتي ، ومطت السوء عنه وامطته ، فالسوء مَميط ، ومُماط .

٧ ـ ووقف القاضي المتهم واوقفه ، فالمتهم موقوف ، ومُوقف .

٨ ـ وزانت الصور البيت وازانته وازّينته، فالبيت مَزين ومُزان .

٩ ـ واستقرضني صديقي مالا فاقرضته ودنته بالمال وادنته فالصديق مَدين ومُدان .

٤ ـ النص على استعمال الصيغتين

وربما كانت احدى الصيغتين المتواردتين في المعنى اجرى في الاستعمال واسير في الشهرة. ولكن ليس شيء مما ذكرنا واثبتنا واردا في لغة مرذولة او متروكة او رديئة . فاذا ذهب بعضهم قديما الى منع الثلاثي او الرباعي في طائفة مما اوردناه على الصيغتين وجوزنا فيه الامرين ، وحاكاهم في المنع كتاب مضوا في المتابعة الى حد بعيد ـ فليس ذلك بالوجه . لاننا اذا عدنا الى التحقيق واثبتنا الامر بشواهده وبيناته وجدنا ان ليس من تحري الصواب ان نضع الجائز موضع الممتنع ، وان نحجر على الكتاب ما جاء صريحا متعالما غير مستنكر فيما انتهى الينا من نصوص الاثبات ، والمعتمد من المعجمات . وهذا باب يحتاج من الكاتب الى اعمال فكر وروية في الاجابة عما يعترضه منه والقطع بشيء من امره، . وهو اذا قنع من التقصي والتدقيق بالرأى السانح والبحث اليسير خلص الى ما لا يحتسب به او يسكن اليه ، فافتى بغير حجة ، ولم يقف على غاية او يصل الى نهاية ، واذا عمد الى استيفاء واحتياط وتمكن ، اداه ذلك الى شيء آخر هو الصحة واليقين والرأى الجامع . ■■

صلاح الدين الزعبلاوي/دمشق

١ ـ الاجباء في اللغة هو ان يباع الزرع قبل ان يبدو صلاحه . وفي الحديث : (من اجبى فقد اربى) اى من فعل ذلك فكانه قد اربى، لانه فعل معصية، وهي (الربا) .





في مدينة زبيد يكدس الناس مخطوطات التراث الاسلامي القديم داخل خزائنهم .. وهذه المخطوطات في حاجة الى دراسة علمية لابراز ما انتجه الفكر اليمنى القديم ..

الى اليسار: عشرات الالوف من اقداح الحبوب توزعها سنويا وزارة الاوقاف في زبيد وغيرها على المواطنين اليمنيين المستحقين، وعلى موظفي الاوقاف وائمة المساجد وطلاب المعاهد الدينية ..

الى اسفل: تقع زبيد على طريق الرئيسي المعبد بين الحديدة ـ تعز .. وتبعد ٩٨ كيلومترا عن الحديدة و ١٧١ كيلومترا عن تعز و ٢٥ كيلومترا عن ساحل البحر الاحمر .





زبيد

- مدينة العلم والعلماء تعيش في زوايا النسيان
- حضارة القرن العشرين تدق أبواب اليمن

استطلاع
سليم زبال

تصوير
أوسكار متري

■ التطور يقرع بعنف ابوابهم المغلقة ليوقظهم من سباتهم الذي طال امده ..

ويتعجب اليمني من هذه الضجة ، انه لم يتوقع هذا الطارق الغريب ، ولم يستعد لاستقباله، لقد جاءه على غير ميعاد ، لهذا لن يفتح له الابواب ..

ورغم ذلك يستمر الطرق .. انها حضارة القرن العشرين تريد ان تنفذ الى عالم «اليمن السعيد» المنغلق منذ مئات السنين ..

وطال انتظار الطارق دون جواب ، وعيل صبره فاندفع في حركة غاضبة حطم بها الابواب عام ١٩٦٢ وكان دخوله مفاجأة لبعض السكان ، فثاروا في وجهه بحكم انتمائهم للقديم ، ولم تهدأ البلاد الا في عام ١٩٦٨ عندما اقتنع اهل اليمن ، بان القادم الجديد لا يريد الا خيرهم وخير ابنائهم .

وبدأ الجميع يتعاونون معه ، مستغربين من هذا القفزات التي تختصر بهم الزمان ، وتنقلهم مباشرة من قرون الانغلاق ، الى عصر الانفتاح والاتصال بالاقمار .

ولثالث مرة تطير بعثة «العربي» الى الجمهورية العربية اليمنية لتنقل لك صورة عن الحياة في ثلاث مناطق نائية مجهولة معزولة عن عالمنا هي : زبيد ، حجة ، الصليف

عجز سنوي مستمر

هبطت بنا الطائرة في مطار الحديدة .. واتجهنا الى محافظها للسلام عليه ، فاصر الشيخ الجليل سنان ابو اللحوم على دعوتنا الى الغداء معه في منزله .. وبعدها انطلقنا في رحلة خمس ساعات الى صنعاء لمقابلة دولة محسن العيني رئيس وزراء اليمن ، فوجدناه يخطب في جماهير شعبية غفيرة جاءت من منطقة الجوف تطالب بفتح مدارس ومستشفى، وبكهرباء ، وماء ، وطريق يمر بمناطقها المعزولة عن العالم .. ثم اتجه ركب رئيس الوزراء لافتتاح اول ناد للخريجين في اليمن .. وبعد الظهر



دولة محسن العيني ، رئيس الوزراء ووزير الخارجية اليمنية ، يتحدث الى القراء .

ترأس اجتماع القادة الاداريين والقى فيهم كلمة حماسية رائعة.. واشفقنا على الرجل من الارهاق، ولكنه اصر على دعوتنا للعشاء معه في منزله المشيد على الطراز اليمني القديم ..

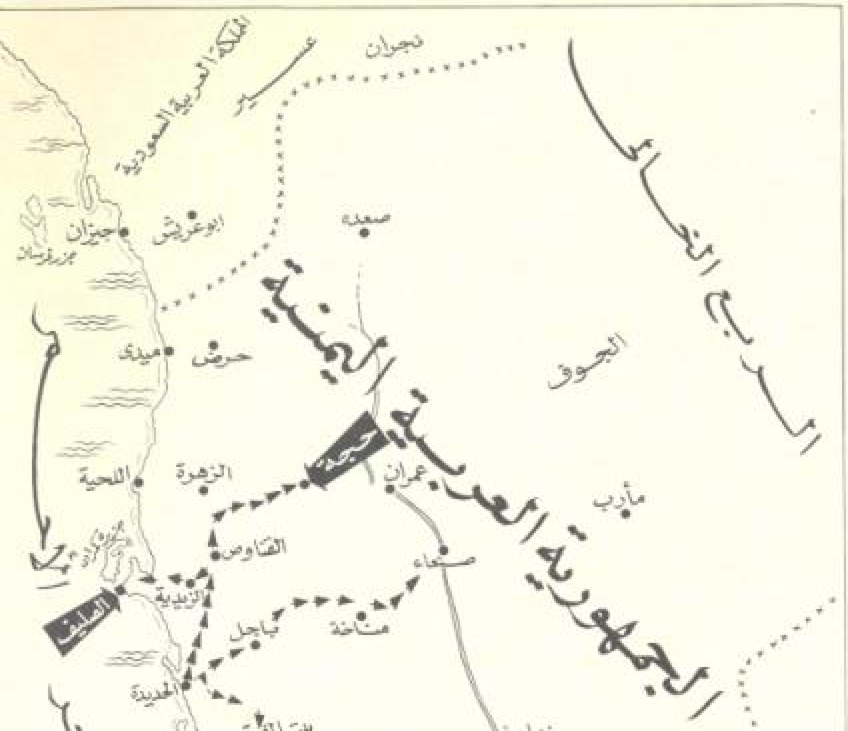
امتد الحديث ساعات عديدة عن « فترة الآمال والآلام » التي يمر بها الشعب اليمني ، وقال الرئيس العيني : ليس عندي شيء اخفيه، لان هدفي الوحيد العمل من اجل اعادة مجد اليمن والنهوض به من كبوته .. لقد سرنا خطوات كبيرة الى الامام، رغم انعدام الامكانات المالية .. تخيلوا حالنا ونحن نستورد سنويا بنحو ١٨٠ مليون ريال يمني (الدولار=٥ ريالات) ولا نصدر الا بمقدار ١٦ مليون ريال .

« وايرادات الدولة لا تتعدى ٩ ملايين ريال شهريا ، في حين أن نفقات الدولة هي ١٤ مليون ريال .. ولاتسألني كيف نغطي العجز .. وكيف نستمر في العمل ولا نتوقف .. » .

خطر سقوط اليمن

قلنا : « قد يكون العون العربي الخارجي هو سندكم ؟ »

فاجابنا محسن العيني متألما : « اليمني خجول بطبعه ، وعندما يتلقى اية مساعدة ، ولو يسيرة ، تراه يسارع بالشكر الحار .. ولكن المؤلم ان اغلب المساعدات التي تلقاها الى اليوم لا تتناسب اطلاقا مع امكانات الدول العربية ، ولا مع حاجة



خريطة عامة لليمن، والاسهم تشير الى خط سير بعثة العربي .. وتنقسم اليمن الى ثماني محافظات .. ومساحتها ٢٠٠ الف كيلومتر مربع .. وعدد السكان يقرب من تسعة ملايين ونصف مليون نسمة منهم مليون ونصف مليون مهاجر خارج البلاد .. ويعيش في مدن اليمن الرئيسية حوالي نصف مليون نسمة فقط، وبقية السكان يعيشون في القرى على رؤوس الجبال والوديان ..

ليمن الملحة الى المساعدة .. ولا حتى مع ما دعيه من المصير المشترك والعلاقات الطيبة التي ربط بعضنا ببعض .

« ومن المؤسف ان هذه المساعدات اليسيرة لتي تقدم الينا تصلنا دائما ناقصة ، تحتاج الى يزانية اضافية لتفي بأغراضها ، ولا نملك لها لمال اللازم ..

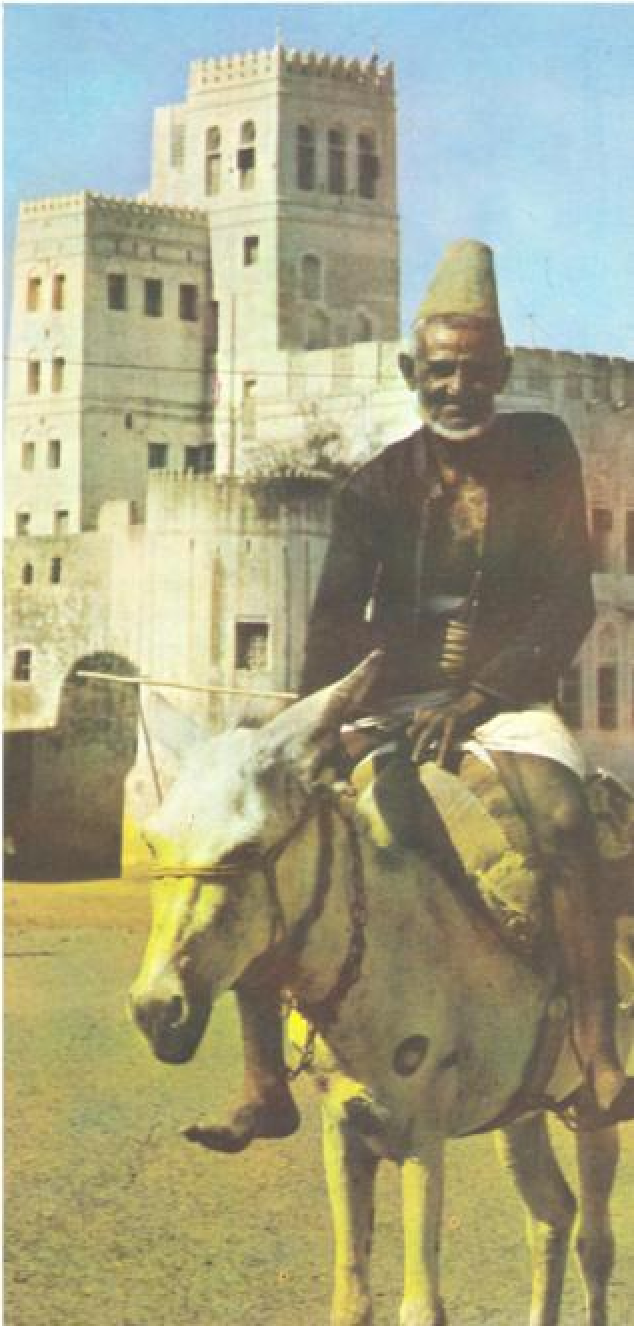
« لا احد يقدر ظروفنا تماما ، ولا احد يشعر بمقدار الخطر الذى سيحيط بالمنطقة في حالة سقوطنا .. »

وهذه جملة وراءها من المعاني ما وراءها ...

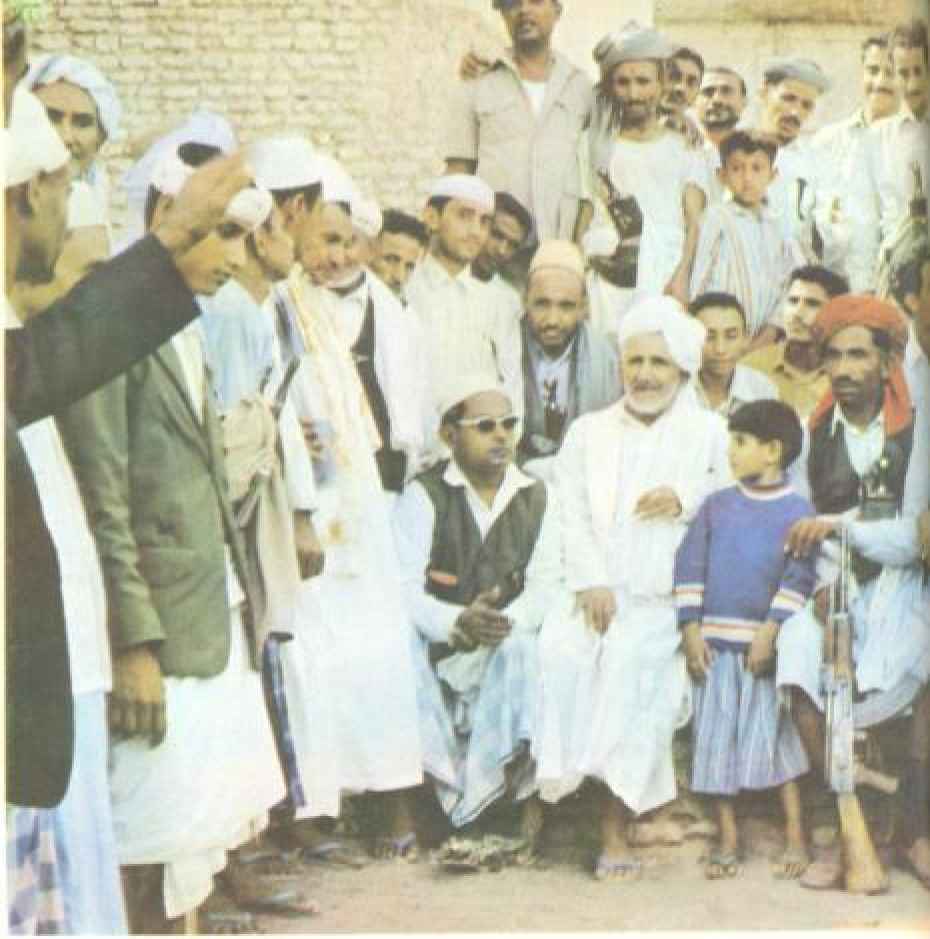
ويتابع رئيس الوزراء حديثه قائلا : « لقد خرجنا من حرب مدمرة شاملة .. ومساعدتنا واجبة على كل عربي يتفاخر بعروبته .. ان اليمن لا يمكنها ابدا ان تحل مشاكلها بنفسها .. انها في حاجة الى مساعدة الاشقاء العرب ... كل

الى اسفل : الهوة سحيقة بين ابن زبيد والعالم .. فهو يعيش عيشة البساطة التي تقرب من الفطرة .. يتجول على ظهر حماره فوق طرق ترابية ، بين قلاع آل رسول وآل نجاح التاريخية ، مرتديا ملابسه البسيطة المحلية : طاقية من سعف النخل وقميصا مفتوحا.. واهم من هذا كله « الجنبية » اليمنية التقليدية التي يتمنطق بها





اهل زبيد اشبه باسرة واحدة كبيرة عددها ١٠ آلاف شخص ، يجتمعون في الصباح حول عامل مدينتهم الشيخ صالح القالح يتحدثون اليه في مطالبهم ، لقد الفوا الاتجاه الى رئيس الدولة او رئيس المنطقة مباشرة في كل امورهم ، وهذا يؤدي الى عرقلة عملية الاصلاح الاداري .. والصورة اليسرى لبعض فتيات زبيد يرتدين ملابسهن الزاهية ويسرن سافرات .. لان سنهن اقل من ٦ سنوات !!









٨٠ مسجدا في زبيد ، تدل على مدى ما كانت عليه زبيد من عظمة وتقدم . ولكن انعدام الترميمات لنقص الاموال ، جعل اسقف معظم المساجد تداعى ، والنقوش تضمحل من كثرة الاتربة والجص الابيض الذى يلقى عليها ، كما ترى في الصورة التي التقطت لسقف الجامع الكبير الذى يعود تاريخه الى عام ٣٩٣هـ (١٠٠٢م) .

لا تزال الدراسات الدينية، في اربطة زبيد .. وهذه صورة الى القرن ١٢ هـ . كان يأي العالم الاسلامي لدراسة العلوم اما اليوم فيضم الرباط ٦٠

العرب .. ان شعبنا يتفتح ويتطلع حوله فلا يجد الا البؤس والحرمان .. واسألوا الاخ احمد جابر عفيف (وزير التربية) فهو خير من يحدثكم عن واحدة من قمم مآسينا .. هي مأساة التعليم .. »

مليون طفل خارج المدارس

وتكلم احمد جابر عفيف فقال : « لقد تضاعفت نسبة التعليم في اليمن بمقدار ٤٠٠ في المائة خلال السنوات الثلاث الاخيرة .. ومع ذلك لم نستطع ايجاد مدارس الا لمائة الف تلميذ ابتدائي .. وبقي مليون ومائة الف طفل خارج الاسوار ، محرومين من التعليم ، لعدم وجود مبان او مدرسين او كتب .

« ان التعليم هو الوسيلة العملية الوحيدة لانهاء مشاكل اليمن .. ولكن امكاناتنا تقف عاجزة عن مواجهة جحافل الأطفال الذين يريدون التعليم بأى وسيلة » .

المواطن العربي يجب ان يعلم

وانهي دولة محسن العيني الحديث الذى طال الى ما بعد منتصف الليل بقوله : « ستقومون غدا بجولتكم في مناطق نائية ، وكل الذى ارجوه ان تكونوا امناء في نقل صورة واقعية حقيقية عن حالتنا .. اننا لا نبحث عن مجاملة ، بل نريد ان يعرف المواطن العربي في كل مكان جميع ابعاد مشاكل اليمن ، حتى يشترك معنا في حلها .. »



... على نفس النمط القديم
... الاهدل الذى يعود تاريخه
... الطلبة من جميع ارجاء
...ية والدينية على نفقتهم ..
... جاءوا اليمن انحاء اليمن



اشتهرت زبيد بالعلماء والمحققين والمؤرخين الذين ولدوا فيها او وفدوا اليها ، ومن اشهرهم الفيروزابادى مؤلف « القاموس » الذى استوطنها ومات بها .. وهذا هو قبره الذى ما يزال يعرف الى اليوم بقبر « صاحب القاموس » .

مدينة العلم والعلماء

وتركنا منزل رئيس الوزراء ، وكلماته ترن في آذاننا وكأنها صفارة الانذار .. واتجهنا جنوبا على الطريق المعبد قاصدين زَبيد ..
« مدينة العلم والعلماء ، والفقه والفقهاء ، والدين والصلاح ، والخير والفلاح ، التي لم يعلم بوجود مدينة من مدائن اليمن المعمورات ، ومساكنها المشهورات ظهر فيها ما ظهر في مدينة زبيد ، فهي أم قرى اليمن ، ومحطة الرجال العلماء في كل فن ... » .

هذا ما ذكره المؤرخ اليمني « الديبع » في مؤلفه « بغية المستفيد في اخبار زبيد » **المكتوب في القرن العاشر الهجرى .**

ابو موسى الاشعرى من زبيد

والواقع ان تاريخ زبيد حافل متنوع ، فهي موطن قبيلة الأشاعرة ومنهم ابو موسى الاشعرى الذى قدم مع اخويه وافراد قبيلته في العام السابع الهجرى الى الرسول الكريم فقال عليه الصلاة والسلام : « جاءكم أهل اليمن ارق افئدة، وألين قلوبا ، الايمان يمان والحكمة يمانية » .

القاموس وتاج العروس

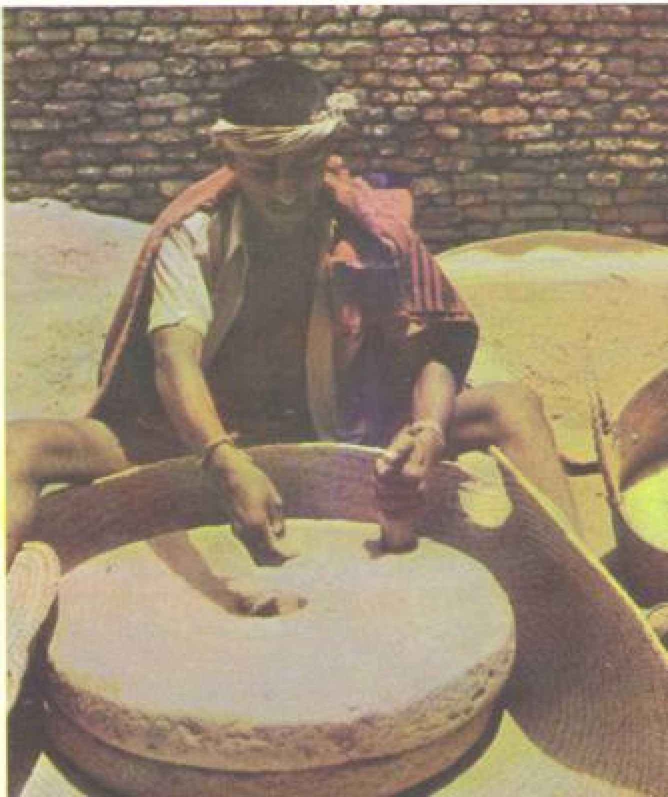
ومن مفاخر زبيد ان الفيروزابادي ، مؤلف القاموس المحيط **استوطنها وتزوج سلطانها الاشرف اسماعيل الرسولي ابنته ، ومات الفيروزابادى ودفن في زبيد عام ٨١٦هـ (١٤١٣م) وقد ناهز**

الى اليمين : اشتهرت زبيد بصناعة الاقمشة ذات المربعات الصغيرة الملونة المستعملة بكثرة في الدواوين والمجالس اليمنية ونرى هنا ابراهيم على صالح ، صاحب واحد من مصنعي نسيج ما زالا يعملان في زبيد ، بعد ان كان العدد يزيد على ٣٥ مصنعا اقفلت ابوابها بسبب مزاحمة البضائع المستوردة.



الى اليسار : هذه الصورة توضح لنا مدى الترابط الوثيق بين اجزاء وطننا الكبير رغم ترامي اطرافه .. فهنا في زبيد يتم صبغ الاقمشة البيضاء بالنيلة الزرقاء ، قبل تجفيفها في العراء .. وهناك في اقصى الجناح الغربي لوطننا الكبير على ساحل المحيط الاطلسي ، يعيش في موريتانيا «الرجل الازرق» الذي لا يرتدي الا هذه الملابس الزرقاء ويفتخر بانتمائه الى قبائل عدنان وقحطان .. لقد تدهورت هذه الصناعة في زبيد ، ولم يعد فيها الا ثلاثة مصانع من أصل ٣٠٠ مصنع كانت تصبغ الاقمشة البيضاء وتبيعها لرجال القبائل المتمركزين فوق القمم الباردة في جبال اليمن.

الى اليمين : « الشمة » .. واحدة من الكوارث التي ابتلى بها الشعب اليمني منذ قديم الزمان.. ونرى هنا صانعها يجلس الى الرحى الحجرية القديمة ، يدير بيد ويلقى باليد الاخرى خليطا من نفاية التمباك مع صخور ورمال وبلورات بحرية صغيرة مستوردة من كينيا والهند ، يظل يطحنها حتى تصبح بودرة ناعمة، ثم يبيعها للاهالي الذين يضعونها تحت السنتهم باستمرار فتزيدهم أرقا على أرق ، ودوارا على دوار ..





التسعين من عمره.. ولا يزال قبره يعرف بصاحب القاموس الى اليوم .

ومن الذين نشأوا في زبيد وتلقوا العلم فيها صاحب « تاج العروس » محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ..

ومحاولتنا حصر اسماء العلماء البارزين والمحققين والمؤرخين ، وائمة الدين واللغة الذين لمعت اسماؤهم من زبيد هي محاولة شاقة لكثرة عددهم .. فقد كانت زبيد بمثابة جامعة اسلامية يتخرج منها عشرات العلماء سنويا ..

افول بعد ازدهار

هكذا كان حال زبيد الى قرون قليلة مضت : شعلة من العلم ، تنير صحراء تهامة اليمنية الموحشة .. ودارت الايام .. وتعاقبت الاحداث.. وخبت الأضواء .. وابتعدت زبيد عن مجرى الحياة ، لتعيش في زوايا النسيان ، بعد ان كانت ملء الاسماع والابصار ..

مساجدها ، ومدارسها ، واربطتها ـ وكان عددها ٣٦٥ ـ تهدم معظمها ، فلم يبق منها سوى ٨٠ مسجدا ومدرسة ، تكاد مبانيها تتساقط من فرط قدم بنائها الذي يعود الى أيام الدويلات والأسر التي حكمت اليمن في قديم الزمان ، من آل زياد الى آل نجاح والايوبيين والرسوليين والطاهريين ، وغيرهم ..

« النيلة » هي السبب

والى جانب شهرتها العلمية تميزت زبيد في ماضيها بكثرة صناعتها البدائية .. واشهرها صبغ « البز » اى القماش الابيض المصنوع من الكتان او القطن ، صبغه بالنيلة الزرقاء الداكنه، ثم دقه بالمدقات الخشبية ليكتسب بريقا ولمعانا .. وتلك صناعة دخلت الى زبيد من الهند في القرن العاشر الهجري ، فشاعت منتوجاتها ، عندما ارتدتها اغلب نساء اليمن ، وارتفع عدد « المصابغ » الى اكثر من ٣٠٠ مصنع .

واشتهرت زبيد كذلك بنسج الاقمشة وصناعة الحلويات ، واستخراج الزيت من السمسم ، وصناعة الحلي الفضية .

ولكن هذا الازدهار سرعان ما مال الى الأفول ، عندما وجد الأهالي في الأقمشة المستوردة ، بديلا عن الاقمشة النيلية ،التي تصبغ اجسادهم باللون الازرق .

ومع بداية عام ١٩٥١ بدأت مصانع البز الأزرق تغلق ابوابها واحدة وراء الاخرى.. وهجر السكان مدينتهم فانخفض عددهم من ٥٠ الفا الى ١٠ آلاف نسمة ..

وكذلك القات

ولم ينج مجتمع زبيد الصغير من المحنة ، بل زاد الطين بلة ادمانه الزائد على تعاطي القات .. الرجال يخزنون القات في اشداقهم من الثالثة الى السادسة مساء ، والنساء يبدأن جلسات التخزين من السادسة مساء حتى ساعة متأخرة من الليل . وهكذا اصبح الزوج لا يري زوجته الا لماما ، فتدهور حال الاسرة وتدهور المجتمع بالتبعية ..

وعندما قلنا لاحد كبار المسئولين في زبيد : « الا تعتقد انه قد آن الأوان للتخلص من هذه العادة السيئة ؟ »

اجابنا ساخرا (وبيده غصن قات يتأمله بحثا عن ورقة رطبة لينة ليمضغها) : « انا معك في ان تعاطي القات عادة سخيفة ، لكن الأسخف منها هو التفكير في الغائها .. ان الشخص الذى لا يخزن القات يشك في قوميته وفي انتمائه الى اليمن .. فيقولون عنه انه من المولدين، او اهله من المهاجرين» .

الماضي الحاضر

ونتيجة لتدهور الاقتصاد والمفاهيم الاجتماعية تدهورت زبيد وتراجعت عن مركزها .. وتجولنا فيها اياما واياما ، اينما سرنا كنا نجد الماضي حاضرا امامنا ...

الطرق جميعها رملية ، تتعالى منها الأتربة عندما تسير عليها .. لا احد يكترث لتنظيفها فالبلدية غائبة ..

والأسواق هي بؤرة القذارة والفساد .. الناس يتزاحمون فيها وفمهم مملوء باغصان القات ، او مسحوق الشمة (تمباك مع قواقع بحرية مسحوقة بعضها مع بعض) فتراهم يسيرون وهم يبصقون في كل مكان ، بصقات متوالية اشبه بطلقات الرشاش في سرعتها ، فتمتلىء الأزقة الضيقة بقذارة تعافها النفس ..

وترتفع درجة الحرارة أحيانا الى ٤٦ درجة مئوية،



صورة من الحياة في وادى زبيد .. انه عبد الله معلب ، سألناه : ماذا تعمل ؟ قال : عاطل لا اعمل .. كيف تعيش ؟ على الله .. كم تحمل من المال ؟ ففتح علبة في حزامه وجدنا فيها ريالا .. قلنا : هل تخزن القات ؟ قال نعم .. بكم تخزن قاتا يوميا ؟ بريالين .. ومن اين لك المال ؟ الله يبعث .. ماذا ستعمل غدا ؟ سأتمدد .. لماذا لا تبحث عن عمل ؟ فين ابحث ، انا لا اعرف الفلاحة ، وانما اقص الهندى (اى الذرة) .. أين تذهب الآن ؟ عند صديقى سأنام عنده .. هل انت متزوج ؟ نعم .. اين تركت زوجتك ؟ في المنزل وعندها رُبعة طعام (اى حبوب) .

ومع ذلك لا تجد قطعة ثلج تبل بها ريقك ، ولا مروحة تحرك الرياح الرابضة على الانفاس .. ان الكهرباء تنير المدينة خمس ساعات يوميا .. ثم تتوقف خمسة ايام قبل ان تعود ثانية لتتوقف من جديد ...

ايجابيات بعد السلبيات

واذا تابعنا سرد السلبيات والمعوقات في زبيد فاننا لن نصل الى نهاية .. ولن يخرجنا من هذا المأزق الا استعارتنا لاسلوب العرافة وهي تقول : « ارى خيرا كثيرا قادما على الطريق » .

انه الامل الذى بدأ يتجسد حقيقة في زبيد .. ففي مساء ايام الربيع والخريف يخرج اهل المدينة الى العراء ، يتجهون بانظارهم الى السماء ، يتابعون الغيوم الكثيفة السوداء وهي تتسابق نحو الجبال العالية المطلة على وادى زبيد ... وتطمئن القلوب ، وتَفتر الثغور ... فالامطار ستهطل غزيرة ، ومجرى الوادى سيمتلىء بالماء ، وهذا معناه زيادة في المحصول ، وفي الايراد ...

من هو سيىء الحظ ؟

وهذا الوادى ــ وادي زبيد ــ هو واحد من سبعة اودية كبيرة خصبة تمتد من جبال اليمن حتى مياه البحر الاحمر غربا عبر صحراء تهامة .. وفي وسط وادي زبيد تقع مدينة زبيد ، التي كانت تعرف قديما باسم الحُصَيب ، ثم غلب عليها اسم الوادى ..

وقد وقع اختيار منظمة الاغذية والزراعة (الفاو) التابعة للامم المتحدة على وادى زبيد عام ١٩٥٧ لاجراء دراسات رائدة في حقل الزراعة باليمن .. وتعاقبت السنوات والمشروع لم يتحرك ، واخيرا وبعد ١٥ عاما ، انتهت عملية مسح الوادى .. اما التنفيذ فما زال قيد البحث والدراسة الى اليوم .. انه واحد من مشاريع الامم المتحدة المعمرة في اليمن ..

ويتساءل بعض اليمنيين : ترى من هو سيىء الحظ .. هل هو خبير الامم المتحدة العامل في اليمن ، أم هي مشاريع اليمن التي يشرف عليها خبراء الامم المتحدة ؟

انخفاض معدل الانتاج

ونتيجة للدراسات المطولة على وادى زبيد ، الذى لا يزيد طوله على ٥٠ كيلو مترا ، اتضح ان الزراعة في اليمن يمكن ان تصبح عماد المستقبل الاقتصادى للبلد ، اذا اعطيت العناية الكافية ..

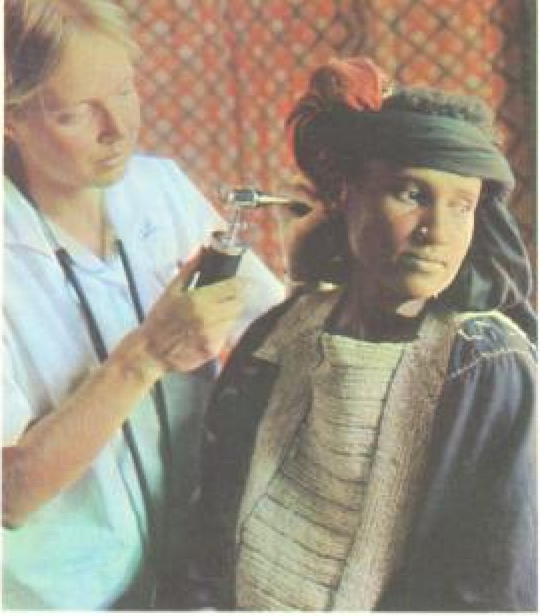
فمما لا شك فيه ان تربة وادى زبيد ومياهه يصلحان تماما للزراعة ، ولكن معدل انتاج المحاصيل من الارض ينخفض الى ادنى مستوى .. فمثلا هكتار الارض المزروع ذرة في وادى زبيد ، يعطى محصولا يقرب وزنه من سبعة اعشار الطن الواحد .. في حين ان انتاج الارض المماثلة في العالم ، يرتفع وزن محصوله الى نحو طنين من الذرة ، ان لم يكن اكثر ..

ثلاثة اسباب وراء تدهور الانتاج

ويقول الخبراء المجريون ، الذين قاموا بعملية مسح الوادى ، ان هناك ثلاثة عوامل وراء تدهور كميات الانتاج :

اولها : صاحب الارض نفسه ، الذى يزرع وفقا لمبدأ المشاركة ، بمعنى انه يؤجر ارضه لمزارع ، كي يحرثها ويزرعها ويسقيها ويحصد







المرض والجهل ، وسلبية المواطن العربي تجاه آلام اليمن ، كلها تعيق تقدم تلك البلاد .. وتوضح الصورة اليمنى تلميذات كتاب الشميري المكان الوحيد الذى تتعلم فيه فتيات زبيد ، من وراء الشيدر الاسود المطرز بكلمتي : ملبوس العافية .. اما الصورتان العليا والسفلى فهما للطبيبة السويدية جوتيل والممرضة آن ، جاءتا من بلاد السويد البعيدة الباردة مع زميلات اخريات لمعالجة اطفال زبيد فقط .. فوجدن الامراض المختلفة تفتك بكل الناس في زبيد دون ان يعالجهم احد .. فاضطررن لفتح ابوابهن امام الجميع .. ولكن المشكل في الاهالي انهم يريدون علاج امراضهم ، ولكنهم في نفس الوقت يرفضون التخلي عن عاداتهم التي تسبب هذه الامراض !





الذهب الابيض في مؤسسة القطن القطن عمدوا الى ٧٠٠ الف فراسلة في عجز المحلج انه يحلج ١٢



بائع الشمّة ، قائد مقبير ، يحمل بضاعته على ظهر حماره متجها الى القرية التي على قمة الجبل ، ونظرا لطول المسافة ، يأخذ معه حمارا احتياطيا يحمّله بالقصب « الاجور » ليأكل منه الحمار الاول .. ويضع الشمّة في كيسين ، وزن الواحد نحو ١٠ ارطال يبيعه بمائة وعشرين ريالا ، يقبض ثمن كيس واحد مقدما ، والثاني يتركه امانة عند التاجر الجبلي حتى يبيعه

محصولها ، مقابل ثلث كمية الانتاج .. بينما يجلس صاحب الارض مكرما لا عمل له في زبيد ، الا الاسترخاء والتحليق في عالم الخيال اثناء مضغ القات ، ثم تقاضي ثلثي محصول الارض !

والسبب الثاني لتدهور الانتاج يعود الى جهل الفلاح ، وزراعته للارض بنفس اسلوب الاجداد، دون استعمال للمخصبات الكيماوية ، او معرفة بالمحاصيل الجديدة التي يمكن ان تدر ربحا وافرا ..

واذا اضفنا حالة الفلاح النفسية الى كل هذا، وشعوره بانه يزرع وغيره يجني ، وان ارتباطه بالارض لا يتعدى توقيعه على ورقة او كلمة شرف .. كل هذه الاسباب تجعله لا يهتم كثيرا باصلاح حال الارض الا لموسم زراعي واحد .. وبعدها من يدري ماذا سيؤول اليه الامر ؟

والعامل الثالث في تدهور انتاج الارض هو ملكية الاوقاف والحكومة لنحو ٤٦٪ من اراضي وادى زبيد ، واراضي القطاع العام ـ كما نعرف ـ تلقى دائما عناية ضئيلة ، لهذا يتدنى انتاج ارضها الى اقل كمية منتجة من المحصول ..

وبالاختصار نجد ان اراضي وادى زبيد تفتقر الى رابطة تربطها بالفلاح كي يعتني بها ويرويها بعرقه ودمه .

١٠ جسور ستضاعف المحصول

وجلسنا نستمع الى المهندس اميل شيتز رئيس المهندسين المجربين وهو يحدثنا عن مشروع وادى زبيد فيقول : « انتهينا من دراساتنا عن الوادى ، ورفعنا ١٠٠ نسخة من جميع تقاريرنا الى منظمة الاغذية العالمية ، والى الصندوق الكويتي





وجد الاهالي ان
كل انتاجهم من
من ٣٤٨ الف الى
ولكن المشكل يكمن
الزيادة في الانتاج ..
والمطلوب محالج

المرأة العاملة في حقول وادي زبيد تنطلق سافرة ، بعكس شقيقتها في مدينة زبيد ، التي لا تبرح منزلها الا وهي محجبة بالشيدر الاسود .. وهذه سعود حمود .. تأخذ الماء من الوادي لاهلها في الجبل .. سألناها هل تذهب للمدرسة .. قالت : ما اقرا .. كم عمرك ؟ ما أندري .. قلنا هل تدرين ان هذا الماء ملوث ؟ قالت : ايه .. هذا حق الحيوانات .. لكن ايش نسوي !

للتنمية الاقتصادية العربية ، واقترحنا عدة مشاريع للنهوض بالوادي ، وقد ووفق على مشروع اقامة عشرة جسور صغيرة دائمة في مجرى الوادي ، لتغذية ١٦ قناة فرعية بالمياه .. وهذا المشروع ـ وتكاليفه مليون ونصف مليون دولار ـ سيزيد مساحة الارض المروية بمياه الوادي من ١١ الى ١٤ الف هكتار ، وسيرفع قيمة انتاج الوادي من ٨٤٧ الف دولار الى ٢٠٠٥٠٠٠ دولار تقريبا » .

اول دراسة جادة

لقد انتهى الخبراء المجربون من دراساتهم على الوادي ، وبداوا في الرحيل عن المنطقة بعد ان دربوا مجموعة مؤهلة من الشباب اليمني ، من بينهم المهندس عبد الرحمن سعيد الذي قال لنا :

« لم يكن عندنا في اليمن اي دراسات علمية لاستثمار اي شيء ، سواء اكان صناعيا او زراعيا ، ومشروع وادي زبيد هو اول دراسة جادة ستمكننا من استثمار اشياء كثيرة .

« وقد لمس الفلاح اليمني بيديه الخير الكثير الذي يمكن ان تنتجه له ارضه ، اذا اولاها العناية اللازمة .. فهكتار واحد من الارض اعطانا ٦ الاف حبة بطيخ .. وهكتار آخر اعطانا محصولا من الطماطم غطى حاجة اسواق تعز والحديدة لمدة شهر ..

« ان امنيتنا الغالية هي ان يسارع البنك الدولي وصندوق التنمية الكويتي ـ اللذان سيساهمان في تكاليف المشروع ـ الى تحويل التقارير والدراسات لحقيقة ملموسة في اقرب وقت .. »

القرشيون والأشعريون

وبعيش في وادي زبيد ٦٠ الف نسمة ينتمون الى قبائل عربية ما زالت متمسكة بتقاليدها القديمة الى اليوم .. واشهر هذه القبائل .. القرشيون والاشعريون والزرانيق والسوج والمعاصلة والزمة، واغلب ابنائها يعملون في الزراعة، والباقون يعيشون في زبيد .

الى الجد الخامس

وسألنا الاستاذ عبد الرحمن عبد الله الحضرمي، الذي تطوع مشكورا بمرافقتنا في جولتنا ، عن مؤسس زبيد ، ومعنى اسمها ؟

فقال : اختط المدينة محمد عبد الله بن زياد عام ٢٠٤ هـ (٨٠٩ م) بأمر من الخليفة المأمون .. وينسب اسم المدينة الى زبيد بن ربيعة ابن اسلم بن مازن بن ربيعه بن زبيد الاكبر بن منبه ابن علمه بن جلد بن خولان بن الحارث بن ..

وهنا اوقفناه عن الاسترسال خوفا من ان يوصلنا الى ابينا آدم عليه السلام..ولكنه قال :

« لا .. فانا كنت سأتوقف عند يعْرب بن قحطان فقط !! » .

قلنا : « هل تحفظ اسماء اجدادك ؟ »

فاجاب : « كل شخص في زبيد يحفظ نسبه حتى جده الخامس على الاقل . » واردف قائلا : « هل تريدون معرفة اسمي كاملا ؟ » .

فسارعنا بالاعتذار بحجة ضيق الوقت !

بدأنا اصلاح الأوقاف

وهؤلاء الاجداد جروا على عادة ترك اراضيهم وخيراتهم ، بعد وفاتهم ، لوزارة الاوقاف تديرها حسب شروطهم ..

وهذا امر طيب لا غبار عليه ابدا ، اذا كانت الوزارة على مستوى المسئولية لادارة ٣٦٪ من اراضي زبيد .. رقم هائل تلزمه ادارة حازمة .



واتجهنا الى وزير الاوقاف اليمني السيد يحيى عبد الله الضحياني، الذي يتولى حاليا مهمة شاقة في اليمن وهي اعادة تنظيم الاوقاف المترامية، وبدأ الرجل يتكلم قائلا :

- منذ سنتين بدأنا اول خطوة في سبيل اصلاح الاوقاف اليمنية ، واستخراج حقوقها المغتصبة .. وهذا جعلنا نعيش في مشاكل ومتاعب عديدة ، فالاصلاح ليس سهلا ، لان الاوقاف في اليمن متعددة الاغراض والاهداف ، منها اوقات المساجد ، واوقاف الذرية ، واوقاف التعليم .. حتى حمام مكة عندنا اوقاف له ، تدر علينا اربعمائة ريال يمني سنويا تشتري بها حبوبا لاطعام حمام مكة المكرمة ..

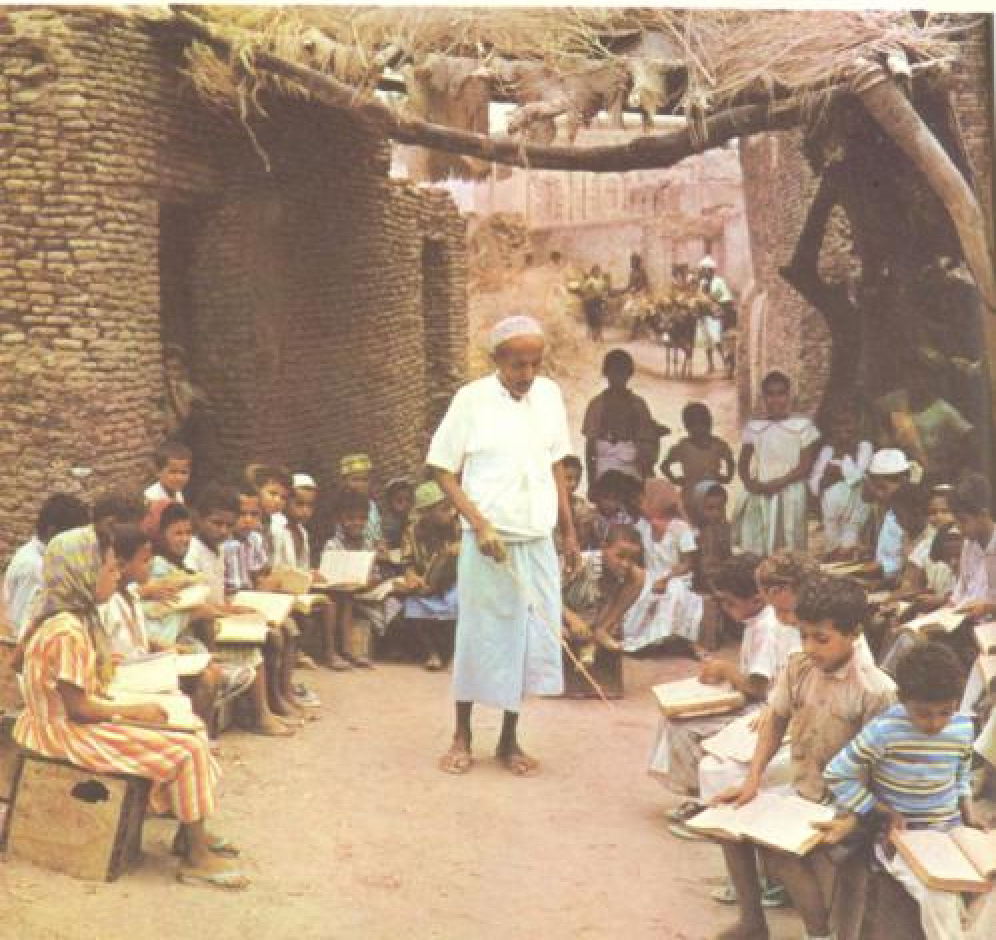
اما قولهم ان الاوقاف في اليمن هي اغنى وزارات الجمهورية .. فهذا يمكن ان يصبح حقيقة اذا اصلحنا حال الاوقاف .. وهذا ما نحن ساعون اليه ان شاء الله .

يقطع الانسان بالمنشار

قلنا : « نرجو معرفة رأيكم في هذه القصة التي يرددها ابناء زبيد ، انها عن « وقف الباشا » اكبر اوقاف مدينتهم .. وقصة هذا الباشا تبدأ عندما كان جنديا في حملة السلطان التركي سليم الاول على مصر ، وظل يترقى حتى اصبح اميرا لقافلة الحج المصري .. واشتهر الباشا بقسوته

الى اليسار : مليون ومائة الف صبي محرومون من التعليم في اليمن لعدم وجود مدارس لهم !! ان معالجة هذه المشكلة تحتاج الى تبرعات سخية جدا من الدول العربية الشقيقة في المقام الاول ، اما التبرع على مستوى دولة بفتح مدرسة تتسع لخمسة وسبعين طالبا ، او ارسال مقاعد ومكاتب بالطائرات، او الوعود بفتح عشرات المدارس، فليس هذا هو الاسلوب الصحيح لمعالجة هذه المأساة . والصورة العليا تمثل طلبة المعهد الديني او « الازهر الصغير » في زبيد .. بينما توضح الصورة السفلى الفصل الوحيد في مدرسة المديني المقامة في الهواء الطلق وسط الطريق ، لتعليم القرآن الكريم للاطفال المحرومين من المدارس !!





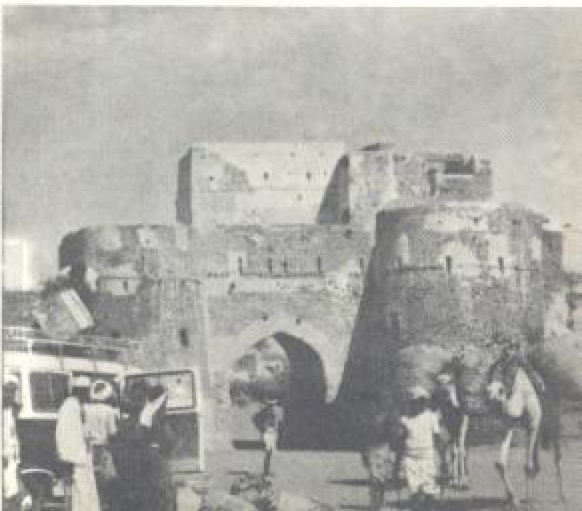
الزائدة مع اللصوص ، اذ كان ينشرهم بالمنشار الى نصفين عند وقوعهم في يده ، فاطلقوا عليه اسم مصطفى باشا النشار .. وهذا « النشار » عينه السلطان سليمان القانوني واليا على اليمن فأقام في زبيد ومات فيها عام ٩٦٤ هـ (١٥٥٦م).

واثناء توليه الحكم استولى على اراض كثيرة في زبيد ، اوقف ريعها بعد وفاته على ٣٨ قارئا يتلون يوميا آيات القرآن الكريم على روحه المعذبة ، لقاء اقداح من الحبوب تصرف لهم شهريا .

وبعملية حسابية بسيطة نجد انه قد انقضى ٤١٦ عاما على وفاة مصطفى باشا النشار ، والتلاوات على روحه تتكاثر بمعدل ١٣٤٢٠ مرة في السنة ، حتى بلغ مجموع التلاوات الى اليوم خمسة ملايين وستمائة الف تلاوة .. وما زالت الامور مستمرة على هذا النمط ، فما رأيكم في هذا ؟

فاجابنا وزير الاوقاف قائلا : « كما قلت لكم اننا بدأنا الاصلاح في الاوقاف منذ سنتين ، وبالنسبة لوقف الباشا المذكور فانه من الناحية الدينية لا يصح التصرف في غير ما نص عليه الواقف ، اذ يظل الوقف ساري المفعول الى يوم القيامة بحسب نص الواقف . ولكن هذا لا يمنع من امكانية ادخال تعديلات ، بعد دراسات عميقة تعد من قبل لجنة علمية تدرس الموضوع .. »

سور كبير به اربعة ابواب ، كان يحيط بمدينة زبيد .. شيد ايام بني زياد ، ورُمم في عهود بني نجاح وبني مهدي وطغتكين الايوبي ، ومنذ عام ١٩٦٢ اوقفت الترميمات ، وبقيت البوابات على حالها .. وهذه بوابة ابي موسى الاشعري .



اوقاف الكويت تلبي النداء

وينهي وزير الاوقاف اليمني كلامه بقوله : « لقد شرعنا في تطوير وزارتنا حتى تسير في الطريق الصحيح ونحن نكون شاكرين لكل دولة تساعد الاوقاف اليمنية في اى مجال من المجالات ، فنحن في اشد الحاجة الى تدريب موظفي وزارتنا في الدول الشقيقة ، وتبادل الزيارات معها .. »

وبدورنا عرضنا هذه الاستغاثة على الاستاذ راشد الفرحان وزير الاوقاف الكويتي الذي ابدى استعداد وزارته التام لمساعدة اليمن في كل المجالات ، ودعا وزير الاوقاف اليمني لزيارة الكويت للتباحث معه والتشاور في مختلف الامور ..

القارضة تأكل التراث

وحتى تنظم وزارة الاوقاف امورها ، تعالوا نبحث معا عن تراثنا العربي القديم الموجود في زبيد .. وسألنا عن المكتبات التي تبيع كتبا . فقالوا : « لا توجد اى مكتبة تبيع كتبا في زبيد .. وانما هناك حوالي ٢٠٠ مكتبة خاصة مغلقة في منازل الاهالي ، يتوارثون محتوياتها ابا عن جد » **وبعد جهد رضي احد اصحاب المكتبات ان نزور مكتبته ، وذهبنا اليه فوجدناه لا يعرف ما تحويه مكتبته ، كتب مخطوطة مكدسة بعضها فوق بعض ، لا يعرضها للنور او القراءة ، وانما يتركها للاتربة وللحشرة القارضة « الارضة » .**

انقذوا المعهد الديني

وذهبنا لزيارة المعهد الديني في زبيد ، ويطلقون عليه اسم « الازهر الصغير » ، انه اقدم معاهد التعليم في اليمن ، وكان التعليم فيه دينيا محضا ، يقام ، حلقات بجامع الاشاعرة ، وقد تحول حاليا الى مبنى مستقل يدرس فيه مائة طالب العلوم الدينية والعربية ، والعلوم الحديثة مثل اللغة الانجليزية والرياضيات والاجتماعيات .. ويتسلم كل طالب قدحا الا ربعا حبوبا ، وريالين الا ربعا نقدا ، مساعدة شهرية من وزارة الاوقاف .

ولكن هذا المعهد في حاجة ماسة الى تبرعات كثيرة من اجل تحسين كل شيء فيه ، ابتداء من المبنى مرورا بالمكتبة والاساتذة والطلبة ، حتى الكوب اليتيم الذي يشرب منه كل الطلبة !!



٢٤٠ مليون متر مكعب من المياه تتدفع سنويا في مجرى وادى زبيد ، ولكن عيبها ان القسم الاكبر منها يندفع من الجبال على هيئة سيل مدمر يأتي كاللص في الليل عادة ، ولا يستغرق اندفاعه اكثر من بضع ساعات ، يكتسح خلالها السدود التحويلية البدائية التي يصنعها الاهالى من الطين والاحجار واغصان اشجار « الو َر َاك » .. والمشروع الجديد لوادى زبيد ، وتكاليفه مليون ونصف مليون دولار ، ينحصر في اقامة عشرة حواجز تحويلية ثابتة في بطن الوادى لحجز مياه الفيضان وعدم ضياعها .

وعد من العراق

ويتولى الاستاذ عبد الله محمد عطية مسئولية ادارة التعليم الحديث في زبيد ، وقد قال لنا : « عندنا ٨٠٠ تلميذ فيالابتدائي و ١٥٠ في الاعدادى و ١٥ طالبا في الفصلالاول الثانوى الذى افتتحناه في العام الدراسي الماضي بالمدرسة الكويتية . »

وتعجبنا من قلة عدد الطلاب ، فقال لنا مدير التعليم : « كان الآباء يمتنعون عن ادخال ابنائهم الى المدارس الحديثة ، مفضلين عليها التعليم التقليدى في الاربطة .. ولكنهم اليوم بدأوا يشعرون بأهمية التعليم الحديث، فأدخلوا اولادهم وحتى بناتهم الى نفس المدرسة ، وهكذا وجدنا انفسنا نوافق على التعليم المختلط لعدم وجود مدارس مستقلة للبنات .

« وقد وعدتنا الحكومة العراقية ببناء مدرسة للبنات في زبيد ، ونحن ما زلنا في انتظار تحقيق هذا الوعد ، اما حاليا فتعليم الفتاة مقصور على الكتاتيب . »

الرجال لا يريدون

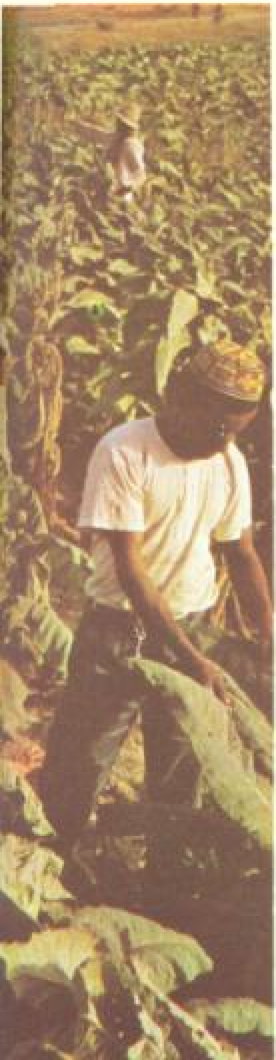
وذهبنا الى « الكتّاب » فوجدناه مبنى قديما مكتظا بثمانين طفلا واربعين طفلة مكدسين بعضهم الى بعض .

ومن خلف حجابها الاسود ـ ويسمونه الشيذر ـ

الى اليسار : تتفرع من جانبي وادى زبيد ١٦ قناة صغيرة تنقل المياه الى ١١ الف هكتار من الارض الطيبة ، وهناك ٥٩٠٠ هكتار من الاراضي المرتفعة، تسقى بمياه الامطار، والفا هكتار تسقى بمياه الآبار ان وادى زبيد هو واحد من سبعة اودية كبيرة تمتد من جبال اليمن حتى مياه البحر الاحمر .



خبير الامم المتحدة ، والخبير المجرى ، ومعهما ثلاثة من الشباب اليمني المؤهل الذين تدربوا لتولي مسئولية ادارة مشروع وادى زبيد بعد سفر الخبراء .





انتاج الارض في وادى زبيد لا يتعدى الاحتياجات الاساسية لطعام الاهالي ، ولكن المزرعة التجريبية التي أقامها المجريون اثبتت أن انتاج البطيخ (الى اعلى) والتمباك الفرجيني (الى اليسار) وغيرهما من المحاصيل يمكن أن يتم بصورة تجارية ناجحة





بدأت السيدة علوية على الوصابي ، زوجة ناظر المدرسة تقول لنا بلهجتها المحلية : « نشتهي بناء مدرسة بنات ، بدلا من ان تدرس تحت الشمس المحرقة للدم .. ان الاهالي الرجال لا يريدون بناء مدرسة للبنات ، ولا الحكومة » .

قلنا : « وهل سيكون هناك اقبال على مثل هذه المدرسة ؟ » .

فاجابتنا : « لو فتحنا مدرسة بنات ، لتعلمت الامهات قبل البنات .. » .

وتطرق الحديث الى حالة المراة في زبيد فقالت: « عندما تبلغ الفتاة التاسعة من عمرها تغطى بالشيلر الاسود ، وتقتل المراة وقتها بزيارة صديقاتها وقريباتها .. وفي المساء تجلس في المقيل تتعاطى القات معهن .. انها تعيش في فراغ كبير » .

نتائج جهل المراة

وانعكس تخلف المراة وجهلها على صحة المواليد والاطفال في زبيد .. فارتفعت نسبة الوفيات بينهم الى ارقام عالية مخيفة ، سجلتها بالارقام الدكتورة السويدية جونيل التي تعمل منذ سنتين في زبيد ، فكانت النتيجة : ١٢٪ من مواليد زبيد يموتون بين سن شهر وسنة و٥ر٣٣٪ أخرى يموتون وسنهم يتراوح بين عام وثلاثة اعوام و ٣١/٢٪ يموتون قبل بلوغ الرابعة من عمرهم .. وبمعنى آخر ان الذين يتابعون رحلة الحياة بعد عمر اربع سنوات هم ٢١٪ فقط ، من مجموع المواليد في زبيد ..

وتتابع الدكتورة السويدية كلامها : « ورغم هذه النسبة الهائلة من الوفيات ، نجد ان متوسط عدد الاطفال في الاسرة الواحدة في زبيد ما زال مرتفعا الى رقم خمسة اطفال على الاقل .. » .

من استوكهلم الى زبيد

وسالنا الطبيبة السويدية : « من انتم ؟ وماذا تعملون هنا » .

فقالت ببساطة : « نحن بعض افراد جمعيه سويدية تعمل من اجل انقاذ الطفولة في العالم ، دون اى تدخل في الشئون السياسية او التبشرية .. لقد حاولنا في زبيد ان نجعل علاجنا مقصورا على الاطفال فقط ، ولكننا لم نستطع ان نوصد ابوابنا امام جحافل النساء والرجال المرضى ، فاضطررنا لمعالجة الجميع ، بمتوسط ٢٥٠٠ حالة شهريا .

« ومواردنا المالية تأتينا من السويد ، نجمعها

٢٥ مدرسة ابتدائية ، وثلاث مدارس ثانوية كبيرة، ودار للمعلمين ، و ٨ مستوصفات ، وثلاثة مستشفيات ومكتبة عامة كبيرة ، ومسجدان ، وعمارتان سكنيتان، اقامتها الكويت في اليمن بواسطة الهيئة العامة للجنوب والخليج العربي ، كما قدم صندوق التنمية الكويتي نحو مليوني دينار قروضا لليمن .. وفي الصورة ترى مباني المدرسة الثانوية الكويتية والمستوصف في زبيد





٧٩٪ من اطفال وادي زبيد يموتون خلال فترة الاربع سنوات التى تلي ولادتهم ! بسبب جهل الامهات ، والفقر ، وانعدام العناية الطبية .. وكانت الوالدات يجلسن في منازلهن داخل القاعة المزينة بالمرايا والاواني النحاسية لمدة ٤٠ يوما لا يتحركن ، وانما يستمعن الى احاديث الجارات والصديقات .. اما اليوم فرأينا الامهات يذهبن الى مستوصف الكويت في مدينة زبيد ، بعد خمسة ايام من ولادتهن ، مطالبات بالفيتامينات لاطفالهن ، ومتطلعات الى الممرضة السويدية « بوديل » وهي تلقي عليهن شرحا بالانجليزية عن كيفية العناية بالطفل .. ثم يفتحن آذانهن ليستمعن الى الممرضة اليمنية سعدة محمود وهي تترجم كلام السويدية الى اللهجة المحلية ! ان الحاجة الى ممرضات يمنيات مؤهلات ، تكاد تتساوى مع الحاجة الملحة الى الاطباء والطبيبات !!

من الجمهور السويدي ، ونحن وقوف على نواصي الطرقات والشارع من اجل انقاذ اطفال اليمن .. انقاذهم من سوء التغذية والملاريا والسل والبلهارسيا والام المعدة وفقر الدم ، وغيرها من الامراض » .

من سيأخذ مكانهم

وتحصر الدكتورة السويدية الشقراء متاعبها في اليمن في ثلاث نقاط هي :

اولا : انعدام الوعي الصحي بين المواطنين ، وعدم وجود طب وقائي لتوعيتهم ، وهذا يجعل المريض الذى عالجناه من امراضه ، يعود الينا بعد بضعة ايام حاملا نفس المرض ..

ثانيا : الادارة ترهقنا اكثر من العلاج الطبي ، ان تنظيم المرضى ، وادارة المستوصف ، وتأمين المعدات والادوية اللازمة .. يأخذ جزءا هائلا من مجهودنا ..

وتنهي الطبيبة السويدية حديثها قائلة : « اننا نتألم لحالة ابن زبيد الصحية .. وقد دربنا بعض الشباب والشابات محليا ، ولكننا في اشد الحاجة الى ممرضات محليات للتفاهم مع النساء .. ومن المؤلم اننا سنترك زبيد مع





اشراقة عام ١٩٧٥ لان جمعيتنا قررت اغلاق ابوابها في اليمن مع نهاية عام ١٩٧٤ للنقص الكبير الذى تعانيه في ايراداتها المالية » .

اين نحن ؟!؟

لقد تألمت السويدية التى احبت اليمن وجبله واهله الطيبين للغاية ، تألمت لانها ستتركهم في عام ١٩٧٥ .

ونحن بدورنا نتألم، ونختصر كلامنا حتى لا يكون معادا : « نتألم ونحن نرى تقاعس حكوماتنا العربية الثماني عشرة .. ووزارات الصحة .. وجمعيات الهلال الاحمر .. ونقابات اطبائنا .. بل حتى اطبائنا .. اين كل هؤلاء ولماذا لا يتحركون لعلاج هذا الشعب الذى لديه طبيب واحد لكل ١٠٠ الف نسمة .. وهذا الطبيب غالبا ما يكون اجنبيا او اجنبية ! ! ؟

مشاريع ومصانع

ان الحكم على تطور اليمن وتقدمه يكون جائرا لو قارناها باى دولة او بلد آخر .. فهنا لا يبدأ العمل من الصفر ، وانما من تحت الصفر .. فكل شيء ناقص مفقود في اليمن .

ولكن هذه حالة لن تستمر طويلا .. لان تنفيذ مشروع تطوير وادى زبيد سيخلق ازدهارا كبيرا في المنطقة .. اذ سيصبح بالامكان زراعة القطن بكميات ستصل الى ٨٥٠٠ طن سنويا .. وهذه ستحتاج الى محالج حديثة سريعة تستطيع حلج ثمانية اطنان في الساعة ، بدلا من المحلج اليتيم الذى يحلج حاليا اربعة اطنان كل ٢٤ ساعة .

وستتوافر بذرة القطن بكمية تقرب من خمسة الاف طن وهذه يلزمها مصنع تكاليفه نحو ٣٥٠ الف دولار لاستخراج الف طن من زيت القطن .

ونتيجة للنجاح المذهل في زراعة الخضراوات والطماطم ، يوجد مشروع لاقامة مصنع لتعليب الطماطم والخضراوات تكاليفه ٢٥٠ الف دولار ..

والى جانب هذه المصانع يجب الاستعداد من الآن لتسويق ٢٤ الف طن بطيخ و ٨ آلاف طن طماطم ، و ٦ آلاف طن بصل ، كلها سينتجها الوادى بعد تنفيذ مشروعه.. لقد استوردت اليمن في عام ١٩٧٠ مواد غذائية قيمتها ٦٠ مليون ريال .. ومن المنتظر ان يغطى انتاج وادى زبيد جزءا كبيرا من حاجة البلاد ويزيد ..

بداية التراجع

مشاريع كثيرة بدأ الناس يتحدثون عنها وهم جالسون في المقيل يمضغون القات ويخزنونه في اشداقهم ، ويتعجبون كيف جرؤ المؤتمر الادارى لكبار موظفى الدولة ان يتخذ قرارا بقلع اشجار القات من جميع اراضي الحكومة والاوقاف .. وتحريم تعاطى القات على موظفى الدولة من مدنيين وعسكريين .

وقد فاتهم ان كل هذا هو بعض مظاهر حضارة القرن العشرين التى بدأت تتسلل الى زبيد ، المعقل الرئيسي لشراذم القرن السادس عشر ، الآخذة في التراجع من خطوطها المحصنة في اليمن السعيد . ■

سليم زبال

الى اليمين : الناس يجوعون في اليمن ، لانهم يجهلون شق الارض الطيبة واخراج الطعام منها .. وكم من مرة قلب المزارع الاجير الارض وبذر الحب ، وانتظر هطول الامطار ، التى بخلت عليه بمياهها فضاع جهده عبثا .. وفي الصورة العليا نرى عباشا وسيفا يحرثان الارض ، بنفس الاسلوب الذى ورثاه عبر القرون ، دون ان يدخلا عليه اى تطوير أو تجديد .. والصورة السفلى لمجرى وادى زبيد ، الذى جاءت اليه اخيرا بعثة من البنك الدولى والصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية ، لتقييم دراسات الخبراء المجريين على الوادى ، وتحديد حجم المشروع الاستثمارى ، الذى ستصل جملة الاستثمارات فيه الى حوالي ١٥ مليون دولار .

طرائف

خصال القاضي الكامل

● قال عمر بن عبد العزيز « اذا كان فى القاضى خمس خصال فقدْ كمل : علم بما كان قبله ، ونزاهة عن الطمع ، وحلم على الخصم ، واقتداء بالائمة ، ومشاورة أهل العلم والرأى » .

قلنا له

● قيل ان احد الشعراءحضر مجلس محمد بن بشير وكان واليا على فارس فمدحه بأبيات ، فقال الوالى : أحسنت ثم أقبل على كاتبه . وقال : اعطه عشرة آلاف درهم ، ففرح الشاعر ، فقال ابن

نصائح

● قال مصعب بن عبد الله الزبيرى قال لى رجل من اهل الادب فارسي النسب : ان ثلاثة ضروب من الرجال لم يستوحشوا فى غربة ، ولم يقصروا عن مكرمة : الشجاع حيث كان فبالناس حاجة الى بأسه ، والحلو اللسان فانه ينال ما يريد بحلاوة لسانه ولين كلامه . فان لم تعط رباطة الجاش ، وجراة الصدر فلا يفوتنك العلم وقراءة الكتب فان لها ادبا وعلما قد قيدته لك العلماء قبلك تزداد بها فى ادبك وعلمك .

★ ★ ★

ذم الغنى

● قال الحسن البصرى فى ذم الغنى :طالب الغنى طويل العناء ، دائم النصب كثير التعب ، قليل منه حظه ، خسيس منه نصيبه ، شديد من الايام حذره ، ثم هو بين سلطان يرعاه ويفغر عليه فاه ، وبين حقوق تجب عليه يضعف عن منعها وبين اكفاء واعداء ينالونه ويغتابونه ويحسدونه ويبغون عليه ، وبين اولاد يملونه ويودون موته ونوائب تعتريه وتحزنه .

عربية

الولاية والولاة

● قيل لعبد الله ابن الحسن المثنى «ان فلانا غيرته الولاية : » قال : من ولى ولاية يراها اكبر منـه تغير لها ، ومن ولى ولاية يرى نفسه اكبر منها لم يتغير لها »

كذبا سره

بشير : اراك قد طار بك الفرح بما امرت لك ، يا غلام اجعله عشرين الفا . فلما خرج مال الكاتب وقال : جعلت فداك هذا كان يرضيه اليسير ، فكيف امرت له بهذا المال ؟ فقال : انما قال لنا كذبا سرنا ، وقلنا له كذبا سره .

غفلـة

● استدعى الوزير على بن عيسى ،عبد الله بن الجصاص ، وكان مشهورا بالغفلة ، فتأخر الى ان انتصف النهار ، فقال له : لم تأخرت يا ابن الجصاص ؟ قال بمحلتى – اعز الله الامير – كلاب تنبح الليل اجمع ، فأسهرتنى البارحة ، فلما كان مع وجه السحر سكن نباحها ، فرحت فى سبات عميق . فقال له الوزير : ومالك يا ابن الجصاص لا تقدم على قتلها ؟ قال ومـن يستطيع ذلك ايهـا الوزير ؟ وكل واحد منها مثلى ومثل ابيك فى الضخامة رحمه الله .

★★★

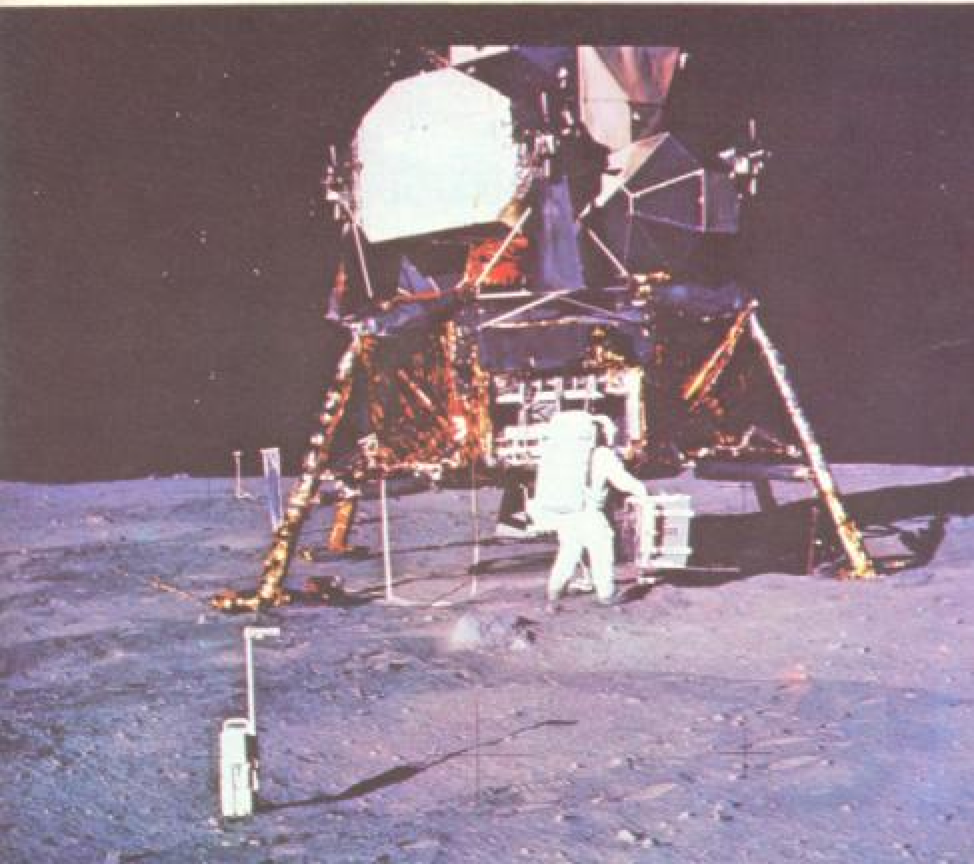
شيخوخـة

● دخل احد الاعراب مجلس الحجاج بن يوسف الثقفى بعد ان صار شيخا هرما ، فقال له الحجاج : كيف طعامك ؟ قال: اذا اكلت ثقلت، واذا تركت ضعفت . قال : وكيف نومك ؟ قال : انام فى المجمع، واسهر فى المضجع . قال : فكيف قيامك وقعودك ؟ قال : اذا قعدت تباعدت عنى الارض ، واذا قمت لزمتنى . قال : كيف مشيك؟ قال : تعقلنى الشعرة وتعثرنى الصخرة .

في سبيل موسوعة علمية

السماء ، لماذا هي زرقاء؟

صورة رجل القمر وقد حط بمركبته على القمر . والوقت في الصورة نهار القمر . ومعنى هذا ان الشمس في سماء القمر . ولو كانت الصورة استطاعت ضم الشمس لرايناها قرصا ابيض ، ولكن في سماء سوداء ، بسبب خلو جو القمر من الهواء . اما وجود الشمس في السماء ، وفي اى ناحية هي منها ، فنستدل عليه من اتجاه الظلال ، ظلال كل شيء في الصورة . وانارت الشمس كل شيء على سطح القمر ، ووصلت اشعتها معكوسة على كل شيء على هذا السطح ، الى عيوننا ، فراينا كل هذه الاشياء .

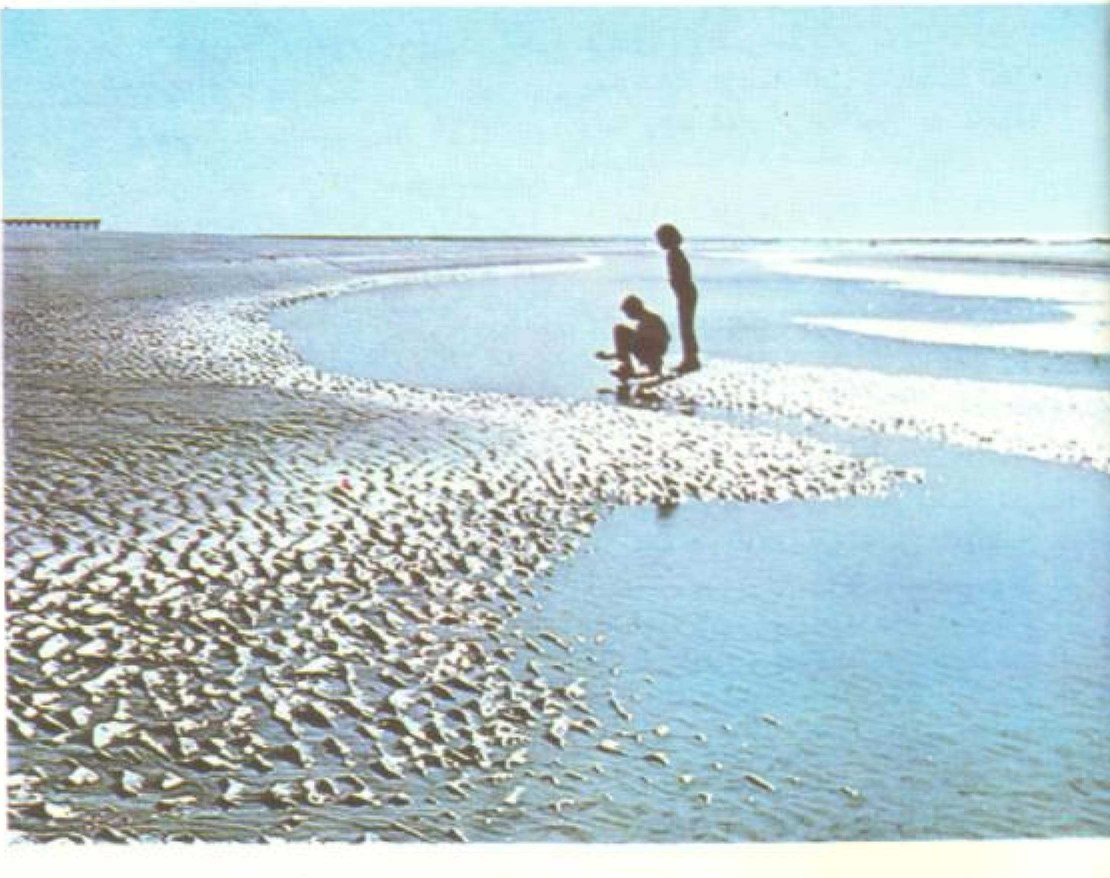


الشمس

في غرب وشرق ، لماذا هي صفراء وحمراء ؟

بقلم الدكتور أحمد زكي

صورة جمعت بين زرقة السماء ، وزرقة الماء ، والهواء في صفاء اى صفاء .



■ من ظواهر الأشياء الخادع .

ومن العادات ما يطمس الحقائق .

والعلم دائما يتدخل فيكشف عن ظاهرة خادعة، او يجلو حقيقةمطموسة.

حتى الهواء ، تتنفس منه في سهولة ما تتنفس ، وتتنفس الأيامَ والسنين ، فتنسيك عادتنه السهلة هذه ان له وجودا. وتتزود عند السفر بالزاد والماء، ولا يخطر ببالك ان تتزود بالهواء . حتى اذا اخترق الانسان الفضاء الى القمر ، صار يتزود بالهواء كما يتزود بالماء .

والسماء قبة ، وهي في الليل سوداء، الا الذى بها من ثقوب بيضاء . انها النجوم . ثم يطلع النهار فتصبح قبة السماء بالنور بيضاء ، ويصبح كذلك ما بيننا وبينها . نورٌ تبعثر في كل اتجاه .

ونعلم انه نور الشمس .

ولكن صعد رجال الى القمر، وجلسوا على صخره يستريحون وينظرون ويتأملون ، ورفعوا ابصارهم هناك الى قبة السماء ، فكانت ، والشمس غائبة، سوداء ، ورفعوا ابصارهم الى قبة السماء ، فكانت والشمس حاضرة ظاهرة ، سوداء كذلك . انه النهار على القمر ، ومع هذا لا يرى رجالٌ حطّوا على القمر ، ونهارُ القمر طالع ، الا الشمس في كبد السماء ، والا ما تنعكس عليه اشعة الشمس مما على سطح القمر من تربة وصخور .

رجل القمر ، راى الشمس لان اشعتها وصلت الى عينيه مباشرة . ورجل القمر ، راى صخر القمر لان اشعة الشمس انعكست على الصخر ثم وصلت الى عينيه فرآه . وهكذا رجل القمر ، يرى كل شيء يعكس نور الشمس الى عينيه . ان عينيه لا تحس الأشياء الا تلك التي ترمي باشعة الشمس معكوسة الى عينيه . اما شعاع الشمس ، فهو لا يراه اذا مر به بعيدا فلم ينته الى عينيه.

وهو راى نهار القمر اسود لانه خلا من الهواء . فهذا الهواء ، لو انه كان للقمر منه مثل ما للأرض ، لعكست جزيئاته اشعة الشمس فبعثرتها فدخلت عين رجل القمر من كل ناحية فراى كل جزيئات هذا الهواء حيثما ولى وجهه ، وقال ان الشمس ملأت جو القمر فكان النهار . واذن لصح له عندئذ ان يقول ان هواء حلّ ما بين القمر والشمس ، فقامت جزيئاته بعكس اشعتها الى عينيه فرآها . وهو ما راى هذه الجزيئات فرادى ، ولكن ملايين ملايين ، من معكوسات الأشعة التى اختلطت فكان منها وهج عظيم تراه العين فتسميه نهارا .

هذا لو كان هواء .

وما بالقمر هواء ، اذن سماؤه سوداء ليلا ، وهى سوداء نهارا .

وغير ذلك الارض ، وهذا الغطاء الكثيف من الهواء يلفها .

ان سماء الأرض فى الليل سوداء . ولكن سماء الأرض فى النهار بيضاء لان جزيئات هواء الأرض تعكس اشعة الشمس وتبعثرها في كل اتجاه . ولو خلا جو الأرض من هواء لكانت سماؤه كسماء القمر ، سوداء نهارا ، سوداء ليلا .

ولقد حدث لي ، منذ سنوات خلت ، اني كنت ذاهبا من اوروبا الى امريكا عبر الأطلسي . وصعدتْ بنا الطائرة ثم

صعدت . واثناء الرحلة نظرت الى السماء نظرة عابرة ، وكنا في اوسط النهار ، فراعني ان السماء اخذت في اسوداد . وما كان عصر الفضاء قد دخل . وخلت ان شيئا مخيفا لا بد واقع . وارتاع بعض الناس من حولي . ولكن ما اسرع ما ذكرت ان الطائرة لا بد صعدت في الهواء ما صعدت حتى خفت طبقات بقيت منه بين الطائرة والشمس ، فدخل السواد الذى هو الشيء الطبيعي الذى يملأ ما بين الأرض والشمس في غيبة الهواء . وفسّرت لجاري ما حدث ، فنقله الى جاره . فكان اطمئنان .

زرقة السماء

ومن الظواهر الطبيعية زرقة السماء والسماء صافية .

وكذلك من الظواهر الطبيعية صفرة الشمس وحمرتها ، خاصة عند الشروق وعند الغروب .

وكلا الظاهرتين بناؤهما على حدث علمي يعرف ببعثرة الضياء .

بعثرة الضياء

نعلم ان الضوء الأبيض ، كضوء الشمس ، اذا امررناه في منشور ثلاثي من زجاج ، من سطح من سطوحه ، خرج من السطح الآخر ، لا لونا ابيض واحدا ، ولكن عدة من الوان نسمي مجموعها بالطيف . وقد جرينا على تسميتها بالترتيب : بالأحمر فالبرتقالي فالاصفر فالأخضر فالأزرق فالنيلي فالبنفسجي ، سبعة الوان .

والضوء امواج تعرف بالمغناطيسية الكهربائية ، ولا ندخل في هذا الامر الآن .

ولكن نقول ان دارس الضوء يعرف ان هذه الالوان السبعة تختلف طول موجة ، وهي تبدأ من الطرف الاحمر بنحو ٧٠٠ جزء من مليون من المليمتر طول موجة ، وتظل تصفر هذه الموجة ، ونحن نعبر هذه الالوان ، حتى اذا وصلنا الى اللون البنفسجي كان طولها نحو ٤٠٠ جزء من مليون من المليمتر .

تجربة هادية

وهذا الضوء الأبيض ، بما احتوى من الوان ، اذا مرّ في وعاء به ماء ، خرج من هذا الماء ولم يكد لونه ان يتغير . ولكنا اذا استبدلنا بالماء الكحول ، واذبنا فيه شيئا من الصمغ المعروف بالمصطكى Mastic (أو مستكة بالعامية) ، واضفنا الى هذا المحلول الكثير من الماء ، حصلنا على محلول ابيض اللون . فاذا نحن امررنا في هذا المحلول الأبيض شعاعا ابيض قويا ، خرج هذا الشعاع من الناحية الاخرى من حيث ينفذ ، وهو احمر اللون ، وخرج بعضه من المحلول ، من النواحي الجانبية لهذا الاتجاه ، وهو ازرق اللون (الواقع خرج الأزرق والبنفسجي ، ولكن البنفسجي ضعيف القوة ، فيغلبه في العين اللون الأزرق) .

فما الذى حدث ؟

حدث ان جزيئات المصطكى بعثرت اللون الأبيض . ومكونات اللون الأبيض من الوان ، اذا اصابها هكذا التبعثر ، لم تتبعثر بمقدار واحد . ان الالوان ذات الموجات الصغرى هي الاكثر بعثرة ، كالبنفسجي والازرق . والاحمر ، وهو اكبر الالوان طول موجة ، اقلها بعثرة .

ومن اجل هذا عندما نفذ الشعاع الابيض من محلول المصطفى خرج احمر اللون لأن الالوان الاخرى فارقته بالتبعثر على درجات اشدها الأزرق (والبنفسجي) فهذا خرج ازرق من الجوانب .

وهنا لا بأس من ذكر قاعدة راليه Rayleigh في التبعثر وهي تقول ان مقدار تبعثر الالوان يتناسب تناسبا عكسيا من طول موجة اللون مرفوعة الى الأس الرابع .

تجربة اللبن الحليب

وهذه التجربة ايضا تصدق على اللبن الحليب ، اذا انت خففته بالماء ، ثم امررت به شعاعا من الضوء قويا .

وكذا الدخان الصاعد من السيجار ، حين يدخنه مدخن ، يتراءى ازرق لنفس السبب . تبعثر الضياء على ذرات الدخان .

عودة الى زرقة السماء

والآن تيسر لنا العودة الى زرقة السماء . ان الشمس تظهر صفراء عندما تنظر اليها في كبد السماء ، وكان من حقها ان تظهر بيضاء . اما سبب ذلك فهو ان الالوان ذوات الموجات الصغرى فارقت ضياءها (واخصها الأزرق) . وتنظر الى السماء الصافية ، بعيدا عن الشمس ، فتجد فيها تلك الموجات التي تبعثرت (واخصها الأزرق) فظهرت السماء زرقاء .

وفي الشروق ، وعند الغروب ، تظهر الشمس اكثر صفرة او حمرة ، وذلك لأن اشعتها تدخل طبقة الهواء مائلة ، فمسيرتها في طبقة الهواء اطول ، فتبعثر الاشعة الصغرى (الازرق وصواحبه عنها اكثر لطول ما فعل الهواء فيها .

على ان زرقة السماء وصفرة الشمس ليست من الصفات الدائمة . فكل شيء يتوقف على الهواء وما فيه من رطوبة ماء ، ومن ضباب ، ومن عكر بسبب رمال أثارتها الريح أو غير رمال . انما نتحدث عن السماء وهي صافية .

ومن زرقة السماء الى زرقة الماء

والمحيطات مياهها كثيرا ما تكون زرقاء ، وليس اشبع للعين من زرقة ماء البحار في المناطق الاستوائية . وقد درس العلماء هذه الزرقة ، وردوها الى اسباب عدة . ومنها ان ماء البحر اقل امتصاصا للضوء الازرق منه للضوء الاحمر او الأخضر ، واذن فالضوء الأزرق اكثر انعكاسا على سطح البحر . ومنها ان ظاهرة التبعثر تعمل عند دخول الضوء في الماء ، ومعنى هذا ان الضوء الأزرق يكون اقل الالوان غورا في الماء لانه اكثر بعثرة . ومنها ان البحر عندما يكون ازرق انما يعكس لون سمائه وهي زرقاء . والحق ان هذه عوامل ثلاثة تعمل معا على زرقة ماء البحار .

ومصابيح السيارة نختار لها النور الأصفر

وفي كثير من السيارات ، لا سيما في اوروبا حيث يكثر الضباب ، نجد ان مصابيح السيارات عليها الزجاج الأصفر الاحمر ، وذلك لأن الضوء الناتج منهما في الضباب انفذ ، لأن تبعثره أقل . ●●

احمد زكي



الكلية الاصطناعية .. وزرع الكلية

● كثيرا ما نسمع عن الكلية الاصطناعية – وزرع الكلية – فارجو ان تحدثونا عنهما ..

– الكلية الاصطناعية عبارة عن جهاز يمرر فيه دم المريض المصاب فينقى مما علق به من مواد ضارة بالجسم ثم يعود الدم الى الجسم مرة اخرى وتستمر العملية لفترة حتى نرى ان هذه المواد الضارة قد قلت كثيرا وان الاملاح التي فى الدم قد وصلت الى حالتها الطبيعية ، وكذلك تفاعل الدم قد عاد الى المستوى الطبيعي .

وتستعمل الكلية الاصطناعية فى حالات هبوط عمل الكلى الحاد والذى يتبعه زيادة نسبة البولينا فى الدم وزيادة نسبة ملح البوتاسيوم وزيادة حموضة الدم ، فاذا عوضنا الجسم بكلية اصطناعية امكننا ان نتغلب لفترة توقف عمل الكلى على هذه التغيرات فى الجسم فلا تسبب اضرارا له .

وتستعمل الكلية الاصطناعية كذلك فى حالات التسمم بمواد ضارة تفرز عن طريق الكلى كالاقراص المنومة مثلا – فاذا كانت الكلى لا تعمل بسرعة ونشاط رغم اعطاء الادوية التي تدر البول الذى يحمل معه المادة السامة – يرى الطبيب فى مثل هذه الحالة ان يستعين بالكلية الاصطناعية للتخلص من هذه المادة بسرعة حتى لا تؤثر على الجسم ككل .

هذا وتستعمل الكلية الاصطناعية كذلك فى حالات الهبوط المزمن فى عمل الكلية وذلك قبل فترة تتراوح بين ستة اسابيع وثلاثة اشهر حسب كل حالة ويستمر هذا لفترة طويلة الى ان يأتي دور المريض فى ان تزرع له كلية .

اما زرع الكلى فهو ان تستأصل الكلية المريضة التي اصبحت لا تعمل ويوضع مكانها كلية اخرى سواء من توام المريض او من أخيه او احد اقاربه او من كلية حفظت بعد اخذها من متوفى شريطة ان تكون الانسجة والدم متلائمين حتى يمكن للكلية المزروعة ان تندمج فى جسم المريض ولا ينبذها الجسم ، واذا حدث نبذ لها كانت الخطورة عظمى على حياة من زرعت له الكلية ولقد وجد حتى الآن أن أنجح عملية زرع اعضاء هي عملية زرع الكلى فيمكن للشخص الذى تزرع فيه الكلى ان يحيا لمدة طويلة اذا لم يحدث للكلى المزروعة اى نبذ أو مرض يؤثر عليها . وتقوم بعملها الطبيعي وتعوض المريض عن كليته المصابة .

رائحة الفم الكريهة لها أسباب كثيرة

● يشكو من ان رائحة نفسه كريهة، فما السبب والعلاج ؟ .

ـ ان رائحة النفس الكريهة تكون فى بعض الاحيان شديدة وتسبب حياة تعسة لصاحبها وتنفر الناس منه ويرجع ذلك لاسباب عدة :

اولا ـ **عدم العناية بالفم والاسنان**

وكثيرا ما يكون صاحب النفس الكريه ممن لا يعتنون باسنانهم فلا ينظفها وتتجمع الفضلات بينها فتتخمر وتعطى رائحة كريهة . او ان ميكروبات تصيب اللثة والاسنان فتسبب التهابا مع تقيح فيها وتسبب الرائحة الكريهة، ثم تضخم اللوزتين والتهابهما المزمن واحتواؤهما على ميكروبات مما يجعلها عرضة للالتهاب من آن الى آخر تجعل رائحة الفم كريهة .

ثانيا ـ **التهابات الشعب الهوائية**

المزمن وما يصحبها من تمدد بها يجعل البصاق يتجمع فى هذه التمددات وتنمو عليه الميكروبات فيكون للنفس رائحة كريهة ويكون البلغم كريها ولونه أخضر متقيحا وبكميات كبيرة خصوصا عند الاستيقاظ من النوم ، وهذا التمدد الشعبي ربما اصاب المريض وهو فى الصغر اثر نزلات شعبية ورئوية سببت هذا المرض واصبح يتقدم تدريجيا ويصيب اجزاء اخرى الى ان ينتشر فى الرئتين .

ثالثا ـ وفى حالات هبوط الكبد عندما يصاب الكبد مثلا بالتهاب شديد ولا يقوى على ان يحول المواد الضارة الى



الخدر خلف الفخذ
أسبابه وعلاجه

● يعتريني احساس بالخدر في اسفل الفخذ من الجهة الخارجية له ، ثم اتالم عند المشي في هذه المنطقة ـ فما السبب ؟ واخشى ان يكون ذلك مبادىء شلل .

ـ ان هذا الذى تشكو منه هو ناتج عن التهاب فى العصب الذى يمد الجلد بالاحساس فى هذه المنطقة ـ او ان العصب يكون مضغوطا عليه اثناء خروجه من تحت الطبقات السفلى للجلد وذلك بواسطة الياف شديدة حوله او كميات كبيرة من الدهن لذا نرى ان مثل هذه الحالات كثيرا ما تحدث فى اصحاب السمنة المفرطة ـ ويحدث فى بعض الحالات تنميل او احساسات غريبة فى الفخذ ـ او ربما ينعدم الاحساس ولا يشعر الانسان بهذه المنطقة من الجلد ، وكثيرا ما يلاحظ هذه الظاهرة وهو فى الحمام اثناء وجود الماء عليها فلا يحس بحرارة او برودة الماء . والملاحظ كذلك انه يحدث شد فى هذه المنطقة اثناء السير ـ واذا استعملت الابرة للكشف

مواد اخرى يطردها الجسم خارجه ، فان هذه المواد تتجمع فى الدم ثم تذهب الى الرئة ، واذا كانت ذات رائحة خرجت هذه الرائحة مسببة رائحة كريهة .

رابعا ـ وفى غيبوبة السكر تكون للفم رائحة خاصة نتيجة لمادة الاستون التي تزداد نسبتها فى الدم وتكون كرائحة التفاح العطب .

خامسا ـ وفى هبوط عمل الكلى وارتفاع نسبة بولينا الدم تتغير رائحة النفس .

سادسا ـ هذا عدا تغير التنفس فى الحالات الطارئة كغيبوبةالكحول وغيرها .

سابعا ـ وفى بعض الحالات المصحوبة بتراكم الاكل فى المعدة وتخمره نتيجة لضيق فتحة البواب فاذا تجشأ المريض كان لتجشئه رائحة كريهة .

والعلاج فى مثل هذه الحالات يكون علاج السبب وعلى راس هذه الاسباب الفم فنعتني بنظافته ونظافة الاسنان مع الفحص الدقيق للاسباب الاخرى وعلاجها .

على الحساسية وجد ان هناك فقدانا للحس فى منطقة الثلث الاوسط من الفخذ الى ما يقرب من منطقة الركبة .

وليست هذه الظاهرة مبادىء لشلل فى الساق ـ ولكنها عرض لالتهاب هذا العصب وتتحسن الحالة اذا نقص وزن المريض او عولج بالفيتامينات المساعدة على نمو العصب . وفى بعض الحالات تعمل عملية جراحية لازالة الضغط على العصب ، اما فى الحالات الشديدة التي لا تتحسن بكل هذه العلاجات والتي تؤثر على حركة المريض وعمله فان العصب يقطع ـ ويترك وراءه عدم الحساسية فى المنطقة التي يمدها هذا العصب ولكن هذا لا يؤثر على الجلد ولا على حركة المريض وعمله .

الحركات اللاارادية .. لا علاقة لها بالشلل

● اصبت بنوبات تقلصات حول العين اليمنى تعتريني من آن الى آخر وتزداد في بعض الاحيان خصوصا مع الاضطراب ـ فهل هذه مبادىء شلل ؟ .

ـ هذا الذي تشكو منه هو نوع من الحركات اللاارادية التي تعترى الجسم وتسمى Tics وهي عبارة عن تقلصات تحدث فى بعض العضلات الصغيرة منها والكبيرة فى اى مكان من الجسم . ولكن الملاحظ انها تكثر فى العينين وتسبب تقلصات بها مما يجعل الجفن يتحرك من آن الى آخر او تفتح العين او تغلق او تكون فى العضلات فى الخد او حول الشفتين وتسبب حركات لا ارادية تضايق المصاب كثيرا خصوصا اذا كان ليس معروفا انه مصاب بهذه الحركات وربما سببت له حرجا شديدا .

على ان مثل هذه الحركات اللا ارادية ليس لها علاقة بالشلل ولا هي من مبادئه ـ او علامات حدوثه ـ وكثيرا ما نرى افرادا يعيشون حياة طبيعية بمثل هذه الحركات اللا ارادية .

والملاحظ انها تزداد عند الاجهاد او التفكير فيها او التركيز عليها .

وتقل هذه الحركات باستعمال المهدئات وعلاج الاضطرابات النفسية التى تكون الجذور الاصلية لحدوث مثل هذه الحالة . ■■



تجديد الفكر العربي

تأليف : الدكتور زكي نجيب محمود

عرض : الدكتور محمود السمرة

■ هذا كتاب فيه جهد ، وفيه فكر جريء . ونحن نرحب به اجمل ترحيب لظهوره في هذه الفترة من تاريخ امتنا ، وهي فترة عصيبة ، نمتحن فيها امتحانا عسيرا ، لانها تضعنا وجها لوجه امام تحديات ضخمة تهددنا حتى في وجودنا. ومن مستلزمات هذه المواجهة ان نراجع انفسنا ، ونفهم ذواتنا ، لنبنى على اسس سليمة .

وهذا الكتاب محاولة جادة في هذه السبيل . وهو في قسمين :

القسم الاول ـ وفيه : تقديم ، سؤال مطروح، عقبات على الطريق ، ثقافة في تراثنا لا نعيشها ، غربة الروح بين أهلها ، صراع ثقافي قديم .

القسم الثاني ـ وفيه : ضرورة التحول ، ثورة في اللغة ، فلسفة عربية مقترحة ، قيم باقية من تراثنا ، شيء عن الانسان .

ولنا على ترتيب الكتاب ومادتـه الملاحظات التالية :

١ ـ يبدو ان الكتاب قد كتب مفرقا في موضوعات شغلت المؤلف ، ثم ضمت هذه الى بعضها وجمعت بين دفتي كتاب ، لان البناء المتكامل لانجده فيه . وفي رأيي ان الموضوعات التي تناولها المؤلف ، كان من الممكن ان تصنف تصنيفا مترابطا تحت العناوين التالية :

معوقات في الطريق ، منارات نهتدى بهـا ، فلسفة مقترحة .

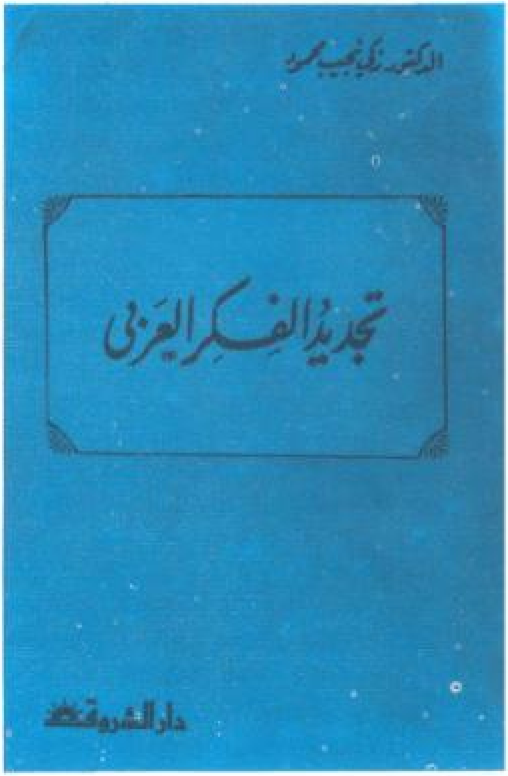
٢ ـ عند قراءة الكتاب ، ينتابنا احساس بان المؤلف يؤمن بالعلم ، ولا شيء غيره ، ولكنه سرعان مايهدىء من خواطرنا حين يتحدث عن القيم التي تجعل من الانسان انسانا .

٣ ـ واحيانا تستبد بالمؤلف حماسة لا تتسق وعمق الافكار التي يقدمها ، واحيانا اخرى تكبح جماحه تقية تجعله يغير من مجرى فكره .

٤ ـ وقد ابدع المؤلف في وصف الداء ، ولكنه عندما جاء الى وضع فلسفة كان ذلك دون ما توقعناه .

٥ ـ وهناك اخطاء مطبعية ، حبذا لو أمكن تجنبها في الطبعة التالية ، ومثال ذلك في ص ٢٥٦ « محمد بن ابي داود » واظن المقصود هو « احمد ابن ابى دؤاد » ...

وأعود بعد هذا لاوجز آراء المؤلف ، كما وردت في هذا الكتاب .



سؤال مطـروح

والسؤال الذي يحاول المؤلف ان يجيب عنه في كتابه هذا ، هو :

كيف نوائم بين الفكر الوافد الذى بغيره يفلت منا عصرنا او نفلت منه ، وبين تراثنا الذى بغيره نفلت منا عروبتنا او نفلت منها ؟

وبعبارة اخرى : كيف السبيل الى ثقافة موحدة متسقة يعيشها مثقف حي في عصرنا هذا ، بحيث يندمج فيها المنقول والاصيل في نظرة واحدة ؟

ما الذى ناخذه ، وما الذى نتركه من القيم التي انبثت فيما خلف لنا الاقدمون ؟ وهل في مستطاعنا ان ناخذ وان ندع على هوانا ؟

وما الذى ناخذه ، وما الذى نتركه من هذه الثقافة الجديدة التي تهب علينا ريحها من اوروبا وامريكا كانها الاعاصير العاتية ؟ وهل في مستطاعنا ان نقف منها هذه الوقفة التي تنتقي وتختار ؟

ثم كيف ننسج هذه الخيوط مع تلك في رقعة واحدة ، لحمتها من هنا وسداها من هناك ، فاذا هي نسيج عربي ومعاصر ؟

والمنطلق الاول ، عند المؤلف ، في الاجابة عن هذه الاسئلة ، هو : ان ناخذ من تراث الاقدمين ما نستطيع تطبيقه اليوم تطبيقا عمليا ، واما ما لا ينفع نفعا عمليا تطبيقيا فهو الذى نتركه غير آسفين . ونقف الوقفة نفسها من ثقافة معاصرينا من ابناء اوروبا وامريكا .

عقبات على الطريق

وقبل السير في طريق البناء الصحيح ، علينا ان نزيل العقبات التي تعترض سبيلنا ، وهذا هو نفسه ما حرص على فعله فلاسفة المنهج العلمي ، على اختلاف ازمنتهم وتباين مناهجهم ، فكانت طريقة سقراط مثلا هي تطهير العقول اولا ، لعلها بعد ذلك تتهيأ للوصول الى الحق. وانطلقت اوروبا تبنيحضارتها خارجة من ظلمة القرون الوسطى ، لانها استبدلت منهجا بمنهج ، وكان هذا المنهج الجديد هو المنهج العلمي الذى جاء به كل من الفيلسوف الفرنسي ديكارت، والفيلسوف الانجليزى بيكون ، وكانت رسالتهما ان يدقا في الرؤوس دقا عنيفا لتنقض ما فيها من اوهام ، قبل ان يغرس فيها فكر جديد .

ونحن العرب لا نامل في نهوض او ما يشبه النهوض الا اذا بدانا فحررنا عقولنا من القيود التي تكبلها ، وابرز هذه المعوقات ، في راى المؤلف ، ثلاثة :

اولها : احتكار فرد او فئة لحرية الراى .

والاساس الجديد الذى يراه المؤلف هـو ان يكون هناك الحوار الحر الذى تتعادل فيه قامات

الناس ، وان تفاوتوا بعد ذلك في سداد الراى وقوة الحجة ، فلا الرفض المطلق الاعمى يعد فكرا ، ولا القبول المطلق الاعمي يعد فكرا ، ففي الاول عناد الاطفال ، وفي الثاني طاعة العبيد .

ثانيهما : سلطان الماضي على الحاضر .

وهذا يعني سيطرة يفرضها الموتى على الاحياء . وعلينا ان نذكر ان العامل الاول في النهضة الاوروبية هو تحول الناس من حالة الاكتفاء بما كتب الاقدمون ، الى كتاب الطبيعة المفتوح لكل من اراد منهم أن يقرأ علما جديدا . اى علينا ان ننتقل من حالة التلقين الى حالة انطلاق الفكر للابداع . ويشير المؤلف الى تراثنا في الكتب ، فيرى ان قلة لاتتجاوز العشرة او العشرين هي التي ابدعت، ولم يزد من جاؤوا بعدهم على ان شرحوا او لخصوا او لقنوا ما جاء به المبدعون ، دون ان يضيفوا اليه جديدا « اجترار بعد اجترار ، قلت لنفسي وانا اقلب النظر في منوعات من التراث .. فالعلم كله عندنا « يلقن » للمتعلم ، اذا نبغ هذا المتعلم ليصبح ـ مثلا ـ استاذا باحدى الجامعات، اذنوا له بالتلقين .. »

ثالثها : تعطيل القوانين الطبيعية بالكرامات .

وقد شاع هذا في عصور ضعف امتنا . ولم يسلم من الايمان بان نفرا من اصحاب القلوب الورعة الطيبة قادرون على تعطيل قوانين الطبيعة، حتى نفر من العلماء في عصرنا ، « واى علماء ؟ علماء الكيمياء والفيزياء والنبات وطبقات الارض ، ومتى ؟ في عصرنا هذا ! واين ؟ في قلب الجامعات !! ... هل زاد هؤلاء على اولئك شيئا الا صفحات من علوم حفظوها ليلقنوها لطلابهم لقاء رواتب ينفقونها على مظاهر الحياة فيبدون للاعين وكانهم اختلفوا عن سائر العامة العوام في نظرتهم اللاعلمية الى تسلسل الاحداث ؟ »

هذه هي العقبات الرئيسية في الطريق ، وهي عقبات يجب ان نتخلص منها قبل ان نبدأ المسيرة.

غربة الروح بين أهلها

في هذا الفصل يتحدث المؤلف عن الغربة التي يحس بها الكاتب العربي المعاصر ، الذى يلتزم امانة الاداء وصدق العبارة ، لانه يجد نفسه في هذه الحالة واقعا بين نارين « فاما ان يختار حياة فكرية حقيقية تنبض بمشكلاته وازماته وما يقترح لها من منافذ للنجاة ، لكنه في هذه الحالة يكون في حياته متسولا ـ كما هو بالفعل متسول في حياته المادية بانظمتها واجهزتها ـ واما ان يلوذ باصالة آبائه فيما خلفوه من ارث عظيم ، لكنه في هذه الحالة الثانية مضطر ان يقضي حياته في متحف للآثار النفسية ، فلا تعود له صلة حيوية مع دنيا الفاعلية والنشاط ... وفي كلتا الحالتين يحس الكاتب مرارة الغربة ، فلا هو بين اهله اذا شرب من ينابيع الثقافة الأوربية ، ولا هو غنى بنبض حياته اذا قفل راجعا الى ثقافة آبائه » .

ويستعير المؤلف كلاما مسهبا من ابي حيان التوحيدى ، الذى كان يحس بالغربة نفسها بين معاصريه ومما قاله في غربته الروحية هذا مخاطبا علماء عصره« ... والعجب انك ـ ايها العالم الفقيه والاديب النحوى ـ تتكلم في اعرابه وغريبه (يقصد القرآن الكريم) وتأويله وتنزيله ... ثم لاتجد في شيء مما ذكرتك به ، ووصفتك فيه ، ذرة تدل على صفائك في حالك وادراكك مالك ، بل لاتعرف حلاوة حرف منها .. فعلمك كله لفظ وروايتك حفظ ، وعملك كله رفض » . ثم يقول التوحيدى واصفا نفسه وامثاله من الغرباء « يا هذا ! الغريب من اذا ذكر الحق هجر .. واذا دعا الى الحق زجر ... يارحمتا للغريب ! طال سفره من غير قدوم ، وطال بلاؤه من غير ذنب ، واشتد ضرره من غير تقصير ، وعظم عناؤه من غير جدوى » .

والكاتب العربي المعاصر يجبهه السؤال التالي : ما سبيلنا الى ثقافة عربية معاصرة ؟

ويحاول المؤلف ان يرد على هذا السؤال بمقدمة، ثم بوضع فلسفة عربية . وهو في المقدمة يقرر اننا في عصر فلسفة لا تستطيع ان نقيس فيه الامور بمعيار الماضي ، ولا بمعيار المستقبل ، غاضين النظر عن الحاضر الذى هو كائن . ويستشهد هنا بقصة للكاتب المشهور كافكا تصور انسانا اجهده النعاس واستيقظ ليجد نفسه خنفسا ضخما . لقد تحول فكان لهذا التحول مشكلاته العصية . اذ على اى نهج يسير ؟ ايجعل معياره حياة الخنفس ، ام يجعل معياره حياة الانسان ؟ انه لو اتخذ ايا منهما كان مخطئا لانه ليس بالخنفس ولا بالانسان ، ولكنه الان انسان خنفس . ولهذا فان عليه ان يتخذ معيارا جديدا .

اما نحن في عصرنا الحاضر ، عصر التحول ، فاحد رجلين « اما ناقل لفكر غربي ، واما ناشر لفكر عربي قديم ، فلا النقل في الحالة الاولى ولا النشر في الحالة الثانية ، يصنع مفكرا عربيا معاصرا ، لاننا في الحالة الاولى سنفقد عنصر « العربي » ، وفي الحالة الثانية سنفقد عنصر « المعاصرة » ، والمطلوب هو ان « نستوحي » لنخلق الجديد ، سواء عبرنا المكان لننقل عن الغرب ، او عبرنا الزمان لننشر عن العرب الاقدمين » .

فلسفة عربية مقترحة

لقد كانت لاسلافنا فلسفة تميزوا بها ، واما نحن اليوم فيبدو اننا شغلنا بالنقل عن الغرب ونسينا انفسنا ، حتى بات من الضروري ان نطرح على انفسنا السؤال التالي : هل من سبيل الى انتاج فلسفي عربي اصيل ؟ وهذا السؤال يلح على المفكر العربي اليوم لان اهم الصراعات الفكرية التي نعانيها ، منذ اتصالنا بالغرب الحديث ، هي المواءمة بين علوم الغرب الحديثة من جهة وتراثنا الفكرى من جهة اخرى ،

واذا تتبعنا حياتنا الفكرية خلال المائة والخمسين عاما الاخيرة ، وجدنا اننا قد انشعبنا ثلاث فرق في وجه هذا اللقاء الفكرى بيننا وبين الغرب : ففريق منا آثر ان يعتصم بالتراث الماضي وحده ، وفريق خر آخر ارتمى في احضان الفكر الوارد من الغرب مديرا ظهره للتراث . وكلا هذين الفريقين لا يصنعلنا فكر عربيا معاصرا،وفريق ثالث حاول ان يصوغ لنا ثقافة علم الغرب وقيم التراث العربي معا .

وفي رأى المؤلف ان الغرب ، وهو صانع العلم الحديث ، قد فشلت حضارته لانه فشل ان يقيم لقاء بين العلم والانسان ، فهو قد ابدع في ميدان العلوم ، ولكنه فقد الانسان . ويكفي ان نتتبع الادب في اوربا وامريكا اليوم ، لنلمس ما يحس به الانسان هناك من سأم وضيق وحيرة وضياع ، فكانكل فرد هناك هو فاوستالذي اغراه الشيطان بان يبيع نفسه من اجل علم يحصله او مال يكسبه او قوة يستبد بها ويطغى . وهذا لايعني التقليل من شأن العلم ، ولكنه وحده لايكفي ،بل يجب ان تضاف اليه قيم خلقية وجمالية « هي التى تجعل من الانسان انسانا بالعمق ، بعد ان جعل منه العلم والمال والقوة انسانا بالطول والعرض» .

وفي راى المؤلف ان نحتاج اليه نحن ، العرب ، هو صاحبالفكر الفلسفيالاصيل الذى يستطيع ان يغوص في حياتنا ليخرج لنا بفلسفة ليس فيها هذا الصراع بين مقتضيات العلم ومقومات الانسان وهذا هو ما حاوله محمد عبده وعباس محمود العقاد . وفعل الشيء نفسه طه حسين حين حاول ان يجمع بين الثقافتين بنقده الادب الجاهلي في ضوء الفكر الحديث . وكذلك فعل توفيق الحكيم في عدد كبير من مسرحياته التي حاول فيها ان يعانق بين الروح والمادة .

ولكن كل هذه المحاولات ، كانت محاولات في عالم الادب ، او ما هو قريب الى عالم الادب . فهل باستطاعة الفلسفة ان تسهم في هذا المجال بنصيب ؟ ويأخذ المؤلف هنا على المشتغلين بالفلسفة في الجامعات العربية انهم انصرفوا الى الدراسات الاكاديمية التي تعرض موضوعات ومذاهب عرضا هو اقرب الى التاريخ منه الى الفلسفة . ويتقدم بمحاولة يرسم بها تخطيطا اوليا مختصرا ، لما يمكن ان يكون اساسا لفلسفة عربية تستطيع ان توفق بين العلم الحديث وحاجات الانسان .

وخلاصه هذه الفلسفة : الايمان بالثنائية بالنسبة الى الله الخالق والكون المخلوق ، وهو ايمان تتفرع عنه نتائج هامة : «النظرة الى الانسان تجعله فردا حرا مسؤولا عما يفعل .. ونظرة في الاخلاق تجعل اساسها اداء الواجب ، كما يفرضه الوحي او يمليه الضمير ، بغض النظر عن الفائدة العائدة من ادائه ... » وهذه الفلسفة تسد ثغرات موجودة في المذاهب الفلسفية السائدة في بلادنا والتي ادت الى ان استحال الانسان في نظرها الى آلة ، فتمرد عليها باللجوء الى العقاقير المخدرة ، والانغماس في غيبوبة اليوجا ، واصطناع العنف والسلوك الشاذ . ان هذه الثنائية التي يقترحها المؤلف تضمن لنا ، في رأيه ، ان نجمع بين العلم وكرامة الانسان ، وان نضع الانسان في موضعه الصحيح ، فلاتضخيم له ولا تهوين من شأنه .

« ربما اكون قد اصبت التقدير او اخطاته ، فيما اقترحته ليكون اساسا لفلسفة عربية معاصرة

لكنني مؤمن بانه لا مندوحة لنا من ان نزيل التعارض القائم اليوم في ارجاء الدنيا جميعا ، بين العلم الذى يتقدم بخطوات كخطوات الجبابرة، وقيمة الانسان التي تنهار بوثبات كوثبات الشياطين » .

وبعد ان رسم لنا المؤلف خطوط فلسفته المقترحة ، يعود للتحدث عن قيم باقية في تراثنا نستطيع ان نعتمد عليها ، ونستمد منها ، فيتناول قيمة العقل في تراثنا ، ونموذج الانسان فيه ، وكاني بهذين الفصلين كان يجب ان يكون مكانهما قبل التخطيط للفلسفة المقترحة .

قيمة العقل فى تراثنا

وهو يتناول هذا الموضوع في رده على السؤال التالي : كيف تقوم الحلقة الرابطة بين امسنا ويومنا ؟ وكيف تكون الصلة بين الاسلاف وبيننا ـ في مجال الفكر والثقافة ـ بحيث تجيء هذه الصلة طبيعية ، فيها نبض الحياة ، لا متكلفة ولا مصطنعة ، فتصون تراث الاسلاف من جهة ، ولا تطغى على شخصية الاحفاد من جهة اخرى ؟

ويرى أن اقوى صلة يمكن ان تربطنا بالاسلاف هى تلك الوقفة التي ميزت الانسان العربي في القديم ، وهى وقفة من العالم حوله ، وابرز ما فيها انها كانت عقلية . وبهذه النظرة العقلية الى الكون استجاب الانسان العربي للمنطق الارسطى ، بينما لم يستجب له الهندى . وقد تميزت الثقافة العربية القديمة باختيارها العقل وسيلة للمعرفة ، دون الادراك بالحس والادراك بالحدس ، واذا ما لاحظنا ان فترات من تاريخ اية امة قد اتسمت بطراوة الوجدان ، فسبب ذلك ما اصاب هذه الامة من وهن وضعف .

وقد يعترض معترض بان الصفة المميزة للثقافة العربية هيأنها عاطفيه وجدانية ،لاعقلية،والدليل على ذلك سيادة الشعر فيها . ويمكن لهذا المعترض ان يستشهد بقول الجاحظ : « وفضيلة الشعر مقصورة على العرب ، وعلى من تكلم بلسان العرب . » وبأبى العلاء المعرى في « رسالة الغفران » التى لاتجد فيها سوى شعراء .

وهنا يرد المؤلف على مثل هذا المعترض بقوله : « على انني كلما قرات شعرا عربيا ، احسست بما لست احس نظيره اذا ما قرات شعرا انجليزيا، اذ يخيل الي ـ عند قراءة الشعر العربي ـ ان الشاعر يعمل عقله في التركيب والصياغة ، وان «الصنعة» جزء لاينفك قائما في بناء الشعر العربي، مهما اوتي الشاعر من تلقائية الطبع » .

ومبررات هذا الرأى : ان في الشعر العربي من اللقطات الحسية اكثر مما يمكن ان يجد المرء في امة اخرى . وهو يحتوى على حكم اكثر من غيره . وهو عندهم وسيلة لغايات اخرى ، وليس مقصودا لذاته . وهذه الظواهر تجعل المرء يميل الى الاعتقاد ان العربي يملك العقل وزمامه ، حتى عندما يكون شاعرا .

ويبدو موقف العربي العقلى من الاشياء حوله واضحا في نظرته الى اللغة : فهو قد حاول ان يعلل قواعدها على اسس منطقية ، وكان بامكانه ان ينظر نظرة الامم الاخرى الى لغاتها فيعتبرها سماعية منقولة لاتحتاج الى تعليل منطقي . وهذا دليل على ان العرب كانوا يبحثون عن العلة المعقولة لتفسير الظواهر التى تقابلهم في حياتهم . وليس المهم انهم كانوا ينجحون او يفشلون في تفسير الظاهرة . ولكن المهم انهم اختاروا هذه الوقفة العقلية المنطقية من الاشياء .

ان هذه الوقفة التي وقفها السلف تجاه العالم هى نفسها التي يمكن ان نقفها ، وبها تكون وقفتنا عصرية وعربية معا .

قيمة العلم والعلماء فى تراثنا

ومفهوم العلمفي تراثنا يمكن ان يهدينا في حاضرنا لانه مفهوم عربي وعصرى ، وياخذ المؤلف كتاب «العقد الفريد» لابن عبد ربه ، على سبيل المثال، ويقف فيه عند كتاب « الياقوتة في العلم والادب » وفيه ان المعرفة لايصح ان تسمى علما الا اذا بدات بتجربة الحواس ، اى ان العلم لاينبثق من باطن الانسان كما تندفع الحمم من جوف الارض ، بل هو يجيء الى الانسان من الدنيا حوله عن طريق الحواس . وهذه حقيقة ذات اهمية بالغة لنا في حياتنا اليوم : فنحن لانحصل العلم بان نقبع دورنا ، بل علينا ان نسعى اليه في معامل التجربة والاختبار .

ويتميز العلم ، عند ابن عبد ربه ، بخصائص ثلاث ، هي : العلم تجريبي ، والعلم برجماتى ،

والعلم للناس . وارتبطت هذه الخصائص المنهجية بنظرة معينة الى العلماء من ذلك ما قاله الرسول الكريم : « لمداد جرت به اقلام العلماء خير من دماء الشهداء في سبيل الله » و « لايزال الرجل عالما ما طلب العلم، فاذا ظن انه علم ، فقد جهل».

ومن الخطوط الرئيسية التيأوردها ابن عبد ربه لتكون دستورا للحياة العلمية : الشك للوصول الى اليقين . وهذا هو نفسه ما طالب به اعلام المنهج العلمي في الغرب . ومن الاقوال البالغة الدلالة في هذا المجال :

ــ سئل عالم : لماذا يكثر من الشك ؟ فاجاب : محاماة عن اليقين .

ــ وسئل عالم آخر عن حديث نبوي ، فقال : « اشك فيه » .

فقال السائل : « شكك احب الي من يقيني ».

نموذج الانسان في تراثنا

يقاس كمال الشيء بادائه للفعل الذي خلق من اجله ، وكمال الانسان مرهون بجوهره ، وجوهره هو العقل . ولهذا فان افضل الناس هو اقدرهم على التزام احكام العقل فيما يفعل وما يجتنب . ونحن نجد هذه الصورة للانسان ، في تراثنا ، عند ابن مسكويه ، وغيره من المفكرين العرب .

ويحلل ابن مسكويه النفس الانسانية تحليلا يردها الى ثلاث قوى : ففيها الشهوة الى اشباع حاجات البدن وفيها الغضب الذي يستثار دفاعا عن النفس ،، وفيها العقل . ولكل من هذه القوى فضيلة ورذيلة ، مثال ذلك ان الفضيلة في الاشتهاء هي العفة وضدها الشره ، وهكذا . واذا اجتمعت هذه الفضائل الثلاث كان من اجتماعها فضيلة رابعة هي العدل . والعقل هو اعلى الفضائل ، وهو الذي يلجم الغضب ، ويحد من الشهوة ...

ولم يتصور اسلافنا من المفكرين ان يقتصر الانسان على حكمة العقل دون ان يمدها بفعل يؤديه بناء عليها ، فلا يكون العلم علما عندهم الا اذا اعقبه العمل على اساسه . وهذا هو ما يميز الفكر العربي عن الفكراليوناني : كلاهما قال « بالقوة العاقلة » في النفس الانسانية ، وزاد المفكرون العرب بان قالوا بوجود « القوة العاملة » فيها ايضا . وفي ضوء هذا نستطيع ان نفهم القول التالي لابن مسكويه : « ان ما يختص به الانسان من حيث هو انسان ، وبه تتم انسانيته وفضائله، هو الامور الارادية . » ويضيف ابن مسكويه بان الخير هو « فعل » ما قصد به منوجود الانسان ، وان الشر هو ما يعوق ذلك الفعل ، وعلى هذا فلا يكون الخير فيمن « يتأمل » ويكتفي بالتأمل اذ لا بد من « فعل » يؤدى في ضوء هذا التأمل وهذه المعرفة .

ويشير المؤلف بعد هذا الى الامام الغزالي ، والى كتابيه « معيار العلم » و « ميزان العمل » ، وهما كتابان يكمل احدهما الاخر : ففي الاول يضع للعلم حدوده ويقيم له الاسس التي تضمن له الصواب ، وفي الثاني يبين كيف يجيء العمل وفق ذلك العلم . ومعنى هذا ان لا انسان يمكن ان يكون على درجة من الكمال الا اذا جمع بينهما.

وبعد هذا يقف عند ابي بكر محمد بن زكريا الرازي في كتابه « طب النفوس » الذي به يكمل كتابه في الطب الجسماني ، كما يقف اخيرا عند الجاحظ في رسالة « المعاش والمعاد » التي وجهها الى الوزير محمد بن عبد الملك الزيات .

ونحن نختم هذا العرض لكتاب الدكتور زكي نجيب محمود باقتباسين : احدهما للرازي في الحث على الخضوع لحكم العقل،والثاني للجاحظ في وصيته لابن الزيات .

يقول الرازي : « العقل هو الشيء الذي لولاه كانت حالتنا حالة البهائم والاطفال والمجانين ... وبالعقل نتصور افعالنا العقلية قبل ظهورها للحس ، فنراها كان قد احسسناها .. » وما دام امره كذلك فقد « حق علينا الا نجعله وهو الحاكم محكوما عليه ، ولا وهو الزمام مزموما ، ولا وهو المتبوع تابعا ، بل نرجع في الامور اليه .. ولانسلط عليه الهوى الذي هو آفته » .

ويقول الجاحظ : « احذر المفاخرة بالانساب .. اقتصد في مزاحك فان الافراط فيه يذهب بالبهاء، ويجرىء عليك اهل الدناءة ، وان التقصير فيه يقبض عنك المؤانسين .. وانا اوصيك بخلق قل من رأيته يتخلق به : الا يحدث لك انحطاط من حطت الدنيا من اخوانك استهانة به ، ولا يحدث لك ارتفاع من رفعت الدنيا منهم تذللا وايثارا على نظرائه في الحفظ والاكرام » ■■

محمود السمره

من الكتب التي وصلتنا

خلفاء الرسول

تاليف : خالد محمد خالد

الناشر : دار الشروق/القاهرة ـ بيروت .

● يضم هذا المجلد خمسة كتب من مؤلفات الكاتب وهي : « وجاء ابو بكر » ، « بين يدى عمر » ، « وداعا عثمان » ، « في رحاب علي » ، و « معجزة الاسلام عمر بن عبد العزيز » وذلك باعتبارها تمثل موضوعا تاريخيا واحدا يتناول بالسيرة والتحليل خلفاء الرسول الاربعة ـ ابو بكر وعمر ، وعثمان ، وعليا .. ثم ذلك الرجل الباهر عمر بن عبد العزيز الذى حمل بحق وبجدارة لقب : خامس الخلفاء وخامس الراشدين ..

والكتاب يتناول سيرة خلفاء الرسول بافاضة واسهاب ويعتبر مرجعا لهذه السيرة . وقد اعتمد المؤلف على عدة مراجع اهمها : الكامل لابن الاثر ، والطبقات الكبرى لابن سعد ، والبداية والنهاية لابن كثير والاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ، والسيرة النبوية لابن هشام ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ، والاخبار الطوال لابي حنيفة الدينورى .

الفتنة ووقعة الجمل

رواية : سيف بن عمر الضبي الاسدي

جمع وتصنيف : احمد راتب عرموش

الناشر : دار النفائس ـ بيروت ـ لبنان

● يدرس هذا الكتاب موضوع مقتل ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان وما تلاه من احداث جسام وهو كتاب قديم اعتمده الطبري واضرابه لتاريخ حوادث صدر الاسلام ، وقد فقدت مخطوطة هذا الكتاب ولم يتوفر اصله ، فرأى المصنف ان يجمعه من كتب التاريخ المختلفة ليكون في متناول جميع المهتمين بموضوعه . فهو لذلك يعتبر من اقدم الكتب التي تناولتموضوع الفتنة، ووقعة الجمل تلك الموقعة التي نشأت عن مقتل عثمان بن عفان وكان لها اعمق الأثر في تاريخ المسلمين ، بل كان هذا الحادث نقطة تحول في تاريخ المسلمين ، بل كان بداية الانهيار ، لم تظهر آثارها مباشرة بحكم الاستمرار لتلك الدفعة القوية التي ولدها عهد صدر الاسلام السابق لذلك التاريخ ، فقد بدأ الخلاف سياسيا وانتهى مذهبيا وعقائديا فانقسمت الامة الى فئات ، تتناول الطعون حتى التكفير ولا تتورع عن الاقتتال حتى الموت ، وادي هذا التعصب والتحيز الى ندرة في الروايات الصحيحة لتاريخ تلك الحقبة من الزمن .

الوان من الحب

تاليف : انيس منصور

الناشر : دار الشروق ـ القاهرة ـ بيروت .

● اذا كنت تحب فتاة وهي لا تعلم انك تحبها ، فانت لا تنقصك الا الشجاعة لان تقول لها انك تحبها !

واذا كنت تحب فتاة وهي لا تحبك ، فانت تعس . وعليك ان تكف عن محاولة جذبها اليك .

واذا كنت تحب فتاة وهي تحبك .. فيا بختك !

وهذه هي بعض النصائح التي كتبها المؤلف في كتابه « الوان من الحب » وهو مجموعة من النصائح عن الحب والزواج .. وفي الفصل الخاص بالسعادة الزوجية يقول المؤلف : هذا الكلام الذى اقوله هو نتيجة دراسة طويلة وتجارب عديدة ونظرة الى وجوه الناس والى اصابعهم والى حياتهم من ثقب الباب ومن الباب . وانا اتحدى الناس اليائسين من السعادة واتحدى المتشائمين ، والذين ينظرون الى الزواج على انه حكم بالاعدام على آمال واحلام وراحة الناس جميعها في كل مكان .. ان الزواج رحلة طويلة ولكن هذه الرحلة ليست معروفة البداية ولا النهاية .. ان الزواج رحلة .. وفيها مغامرة .. فالزواج فن الحياة والاصح ان تقول ان الزواج هو فن «الحياة معا .. انه فن التعايش او « العيشة معا » .

أباطيل وأسمار

المؤلف : الاستاذ محمود محمد شاكر

الناشر : مكتبة الخانجي – القاهرة

● الكتاب جزآن ، صفحاته تقارب الستمائة ، وفي نهايته جملة فهارس ، احدها للاعلام الواردة فيه ، والثاني للاماكن ، والثالث للكتب ، والرابع للشعر ، والاخير لموضوعات الكتاب ، وتحت كل موضوع عناصره الفرعية .

وتتألف معظم موضوعات الكتاب من المقالات التي كتبها المؤلف في مجلة «الرسالة» الاسبوعية حين عادت للظهور ثانية في القاهرة قبل سبع سنوات .

ومحور المقاولات وبقية الكتاب هو الكشف عما وقع فيه بعض الكتاب من اخطاء ادبية وتاريخية في فهمهم للتراث العربي ، ثم تصحيح هذه الاخطاء دفاعا عن الاسلام والعروبة .

وفي الكتابة امثلة تدل على استاذية في مجال التحقيق التاريخي والادبي ، وهو مجال برز فيه المؤلف خلال تحقيقه لكثير من كتب التراث الاسلامي العربي .

تاريخ الهيدروليك

تاليف : الدكتور هنتر راوس والدكتور سايمن انس

ترجمة : الدكتور جميل الملائكة

الناشر : دار الحرية للطباعة ، مطبعة الحكومة بغداد – العراق

● دراسة في العلم الطبيعي تتناول تاريخ الهيدروليك او علم السوائل المتحركة فيعرض الكتاب هذا العلم بأسلوب مبسط ثم يذكر المعالم الرئيسية لتطور تاريخ الهيدروليك ويبرز الاسهامات والمنجزات والاحداث ذات الاثر الكبير في تطور هذا العلم عبر العصور ، وهو يبدأ من المجتمعات البدائية ومحاولاتها الاولى في تطوير فن اراشة السهام توخيا لانسيابها وخفض مقاومة الهواء لحركتها ومن الارمات العائمة الاولى في عهود ما قبل التاريخ ، وينتهي الى الحديث عن ادق النظريات واعقدها مما نجده في الهيدروليك وميكانيك الموائع في العصر الحديث . كما يحوي الكتاب معلومات نافعة عن كثير من العلماء ممن اسهموا فعلا في تقدم هذا العلم ، كما يحوي رسوما اصيلة عن عمل هؤلاء ونصوصا اصيلة من كتاباتهم واقوالهم .

(سن يات سن)
أبو الصين

تاليف : عباس محمود العقاد

تحرير : الحساني حسن عبد الله

الناشر : منشورات المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – لبنان

● كتاب يتناول حياة سن يات سن والذى يلقب بابي الصين ، فهو في الحقيقة اب للصين الحديثة بكل معاني الابوة الروحية ، اما حكمته التي رددها معه الملايين من ابناء جنسه وهي (ما اسهل العمل وما اصعب الفهم) في حين كانت الصين تقول غير هذا فقد كانت حكمتها الخالدة ما اسهل الفهم وما اصعب العمل وهذه الكلمات كانت تنطبق على الحضارة الصينية، تلك الحضارة التي قامت على تقديس الاسلاف .

لقد تلخصت حضارة الصين كلها في طلب المعرفة وتلخصت المعرفة كلها عندهم في طلب الدعة فلا شيء أولى على الحكمة وعلى المعرفة من اعفاء النفس من الجهد الذي لا يجدي واي جهد يجدى في عالم لن يتغير ولم يتغير منذ الوف السنين ، حرب بعد حرب وعرش يسقط وعرش يقوم والايام تسير على وتيرة واحدة .

ولقد لقي ابو الصين العنت الاكبر من تلك الحكمة الموروثة حكمة الايمان بصعوبة العمل وقلة جدواه ، ولقد اتهمه الكثير بانه حالم ولو أنهم بحثوا عن عظمة له اعظم من احلامه لما وجدوها بل لو ارادوا ان يتخيلوا عملا له بغير الحلم لما استطاعوا ان يتخيلوه .

لقد بدأ سن يات سن عمله بالدعوة الى اسقاط ابناء السماء ، انهم كانوا يحكمون اربعمائة مليون من النفوس الآدمية وكان لهم اعوان يأبون أن يسقطوهم لانهم عاهدوهم على تسليم الغنائم والمزايا وعلموا ان سقوطهم ضياع لكل غنيمة وكل مزية فمن كان ينهض لسقوط هؤلاء فهو يحلم . لقد كان سن يات سن حالما حقا ولو لم يكن حالما لما كان له عمل في قومه وهذا الكتاب تفسير حلم رجل عظيم استطاع أن يحلم لامة كاملة ويوقظها بعد سبات عميق . ■■

أنت تسأل ... ونحن نجيب

ما الاسلام ؟
« ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفا مسلما »

● نعلم أن « الاسلام » هو الدين الذى جاءنا بتعاليم محمد صلى الله عليه وسلم ، فالاسلام به بدأ ، وفي حدود هذه التعاليم نفهمه ، ثم نقرأ القرآن الكريم فنجد آيات فيه تصف بعض السابقين لعصر النبى بأنهم « مسلمون » ، ومن هؤلاء ابراهيم وبعض حواريي المسيح عيسى ، وبعض انبياء بنى اسرائيل ، فما المقصود بالاسلام الذى وصف هؤلاء به ، وماذا كانت تعاليمه .

وليد رشيد الحمامي ـ بغداد / العراق

ـ للاسلام ـ في الاصطلاح الديني ـ معنيان ، احدهما خاص ، وهو الدين الذى ارسل الله به النبي محمدا الى النـــاس جميعا ، وقد وضح القرآن الكريم واحاديث النبي مبادىء هذا الدين وتعاليمه تامة وافية . والاسلام بهذا المعنى الذى يشمل هذه المبادىء والتعاليم بجملتها هو الاسلام كما جاء به النبى مستأنفا جديدا في جملته ، وهو المقصود غالبا حين نطلق اسم « الاسلام » وحين نصف اتباعه بانهم « مسلمون » .

وحين ننظر هذه المبادىء والتعاليم لا نجدها نثارا متنافرا متفرقا ، جمع بعضه الى بعض كما تجمع الرياح المتناوحة رمالا بددا ، فتجعلها تلا او تلالا متصلة او متجاورة ، ولا كما يجمع اللبن او الاجر او الصخر ، فيرص ويسوى بنيانا يشد بعضه بعضا ، بل نجدها بنية كالشجرة الحية اصلها ثابت ، وفرعها في السـماء .. مبدأ هذه الشجرة بذرة حية واحدة صغيرة نشـــأت عنها الجذور والساق والفروع وكل ما ينبت منها وعليها من ورق وزهـر وثمر ، ولكل شيء فيهـــا كيانه ووظيفته ولونه وطعمه ورائحته وسائر خصائصه ، ولكنها جميعا تتعاون وتتكامل ، لتكون الشجرة كلها ، وتحقق الوظيفة الجامعة للشجرة جميعا . بل ان طبيعـــة هذه البذرة تظهر فيما تطعم به الشجرة منفروع اخرى حين تلتئم ثم تلتحم معها ، فتعيش على الشـجرة ، وتسـتمد منها غذاءها وخصائصها وحياتها بعامة .

وللاسلام مجالات متنوعة متكاملة ، ولكل مجال مبادىء وتعاليم تحققها ، او اصول وفروع ، فهناك مجال العقيدة ، ومجال الاخلاق ، ومجال الشريعة او النظام العملى الذى ينظم علاقات البشر ، فالعبادات تبين علاقته بربه ، والمعاملات توضح علاقاته بنفسه ، وبيني جنسه ، وبما حوله من الاشياء لا سيما الاحياء ، وهذه العلاقات الاخيرة دستورية وقانونية ، والغاية من الدين كله صلاح الانسان ، والاسلام بمعناه الخاص يرى الاعمال الصالحة كلها عبادات وقربات الى الله « ما عُبد الله بمثل عمل صالح » .

ويلاحظ ان كل مجال من هذه المجالات يقوم على ما قبله ، فالشريعة تقوم على الاخلاق ، وكلتاهما تقوم على العقيدة ، كما تقوم الفروع ومتعلقاتها في الشجرة على الساق ، وتقوم الساق ومتعلقاتها على الجذور ، لتستمد منها اسباب نمائها وثباتها . فالاساس او الجذور هنا هي مبادىء العقيدة ، ولكن لهذه المبادىء مبدأ اول واكبر هو منها بمثابة البذرة التي تكمن فيها اجزاء الشجرة ، كما يكمن



فيها ما لهذه الاجزاء من تراكيب ووظائف وسمات متنوعة. هذا المبدأ هو التسليم بوجود الله واحدا منزها عن الشريك والشبيه . فعلى هذا المبدأ تقوم كل المبادىء مهما تختلف درجاتهـــا ، وعن هذه المبادىء تتفرع تعاليمها المتنوعة ، وكلها تقوم على المبدأ الاول ، أو مبدأ المبادىء جميعا .

والتسليم بالله واحدا يستلزم ان يُسْلِم المرء او يُسْلِم كيانه الى اللـه ، فيتولاه وحده ، ويتوخى ما فيه رضاه ، ليعمل صالحا على وفق هداه ، وهذا الولاء لله هو لب العبادة واساسها ومعيارها ، وما عدا ذلك من الادعية والمســـاعي والاعمال فهو صور وشعائر لازمة ، تعبر عن هذا الولاء وتقوم عليه ، لانه لا عقيدة بلا عمل ، ولا قيمة لعمل الا ان تبطنه النية والضمير ، وتظاهره الشريعة او النظام .

هذا المبدأ ــ وهو التسليم لله واحدا ــ وما يستلزمه من ولاء له وحده ، هو الاسلام بالمعنى العام ، وفيه يشترك كل الانبياء عليهم السلام ، وبمقتضى ذلك استحق الآخذون بمبدأ الوحدانية قبل عصر النبي محمد ــ ان يسموا « مسلمين » ، وهذا الاسلام هو الدين الابراهيمي ، ونسميه « الابراهيمي » نسبة الى « ابراهيم » ليكون ذكرى متجددة لفضله ، بسبب انه سمى اتباع هذا الدين « مسلمين » ، وفي ذلك يقول القرآن الكريم « ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين » لانهم جميعا موحدون .

ويلاحظ ان اسم « الحنيف » في القرآن ، وفيما وصل الينا من كلام بعض العرب الذين عاصروا النبي ــ يذكر في الغالب مقترنا بابراهيم ، ومشيرا الى وحدانية الله ، او « الاسلام » بمعناه العام ، ومن نصوص القرآن «ملة ابراهيم حنيفا» و«حنفاء لله غير مشركين به » ، و « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفا مسلما ، وما كان من المشركين » .

والقيمة العظمى لمبدأ الوحدانية واضحة بارزة في الدعوة المحمدية ، اذ كانت الوحدانية هي كل الاسلام في أول الدعوة ، وكلمة التوحيد هي « لا اله الا الله » ، ولم يكن النبي يطلب غيرها ممن يدعوهم الى اتباعه ، وقد فطن لرجحانها « بلال » صحابيه المخلص المكين ، فلم يزد ــ وقريش تنكل به نكال الموت ــ على ان يردد « احد احد » يكررها في شجاعة المستميت واصراره ، اذ لا مبدأ يفرق بينه وبين معذبيه ومعهم سائر قريش الا مبدأ الوحدانية او الاحَدية ، واما ما عدا ذلك من شئون الحياة فهو واياهم فيه سواء . فاسلام محمد في فجر الدعوة هو الاسلام الابراهيمي دون زيادة ، بل هو كان كذلك حين دعـا النبي بعد الهجرة بسنوات بعض الغـرباء عن هذا الدين ليعتنقوه ، والاســلام يومئذ منتشر في الجزيرة العربية ، ومبادئه وتعاليمه وتكاليفه كثيرة ، فقد ارسل النبي كتابه الى « عظيم الروم » ــ هرقل امبراطور الروم البيزنطيين ــ يدعوه الى الاسلام ، فكان عماد كتابه هذه الآية القرآنية « يا أهل الكتاب ، تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ، الا نعبد الا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون اللـه ، فان تولوا فقولوا : اشهدوا بانا مسلمون » اى موحدون .

ومبدأ التوحيد هو البذرة التي نبتت منها وعليها كل مبادىء الاســلام وتعاليمه ، وكلها كامنة في التوحيد ثم انبثقت عنه في نسقها ونسجها الحى المكين ، سواء في مجال الاعتقاد والفكر ، او مجال الاخلاق والضمير ، او مجال الشريعة والنظام .

والقرآن يوضح الاسلام بمعناه العام في معارضته لمفهوم الهداية الالهية وثوابها كما حصرهما اليهود والمسيحيون ، اذ خصوا بهما انفسهم دون سائر البشر ، فيقول « وقالوا : لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ، تلك امانيهم ، قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين . بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن ، فله اجره عند ربه ، ولا خوف

المرأة الروسية

وحظها من العمل بالنسبة الى حظ الرجل

● اخبرنا صديق زار الاتحاد السوفياتي مؤخراً ان اكثر سائقي سيارات الاجرة والقطارات والطائرات والكثيرين من عمال المناجم ومصانع الصلب والحديد هم من النساء . ذلك ان المرأة الروسية متحررة تماما ، كما يخبرنا صديقنا ، ولا احد يستطيع منعها عن القيام بأى عمل ترغب القيام به . فهل هذا صحيح .. ؟ .

علي السوداني ـ الخرطوم

ـ نعم ان ما اخبركم به صديقكم صحيح . فقد اصبحت المرأة الروسية دعامة العمل الاولى في الاتحاد السوفياتي ، وبات الرجل دعامته الثانية. وهذه ظاهرة فريدة في تاريخ الدول الصناعية جميعها . اذ لم يسبق للمرأة اطلاقا ان استأثرت بنصيب من الاعمال يفوق نصيب الرجل . وحسبنا ان نذكر الاحصاءات التالية لتلمّ بالظاهرة التي ذكرنا .

بلغ عدد النساء العاملات في الاتحاد السوفياتي سنة ١٩٧٠ (٤٥٫٨) مليون امرأة ، وبلغت نسبتهن الى مجموع العمال من رجال ونساء ٥١٪ وهى النسبة التي كانت ٢٤٪ سنة ١٩٢٨ ، و ٣٩٪ قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية .

على ان نسبة الـ ٥١٪ التي ذكرنا لا تصدق على كافة مجالات العمل . فهي تهبط الى ٤٨٪ في ميدان الصناعة ، وتنزل الى ٤٤٪ في المجال الزراعي . ثم تقفز قفزة كبيرة في قطاع الخدمات فتبلغ ٦٧٪ في الوظائف الحكومية و ٧٢٪ في مجال التعليم . اما في ميدان الخدمات الطبية والصحيه فتمثل المرأة السوفياتية ٨٥٪ من مجموع العاملين في هذا الميدان .

وتجدر الاشارة الى ان الاجر الذى تتقاضاه المرأة الروسية للقيام بعمل ما ، هو نفس الاجر الذى يتقاضاه زميلها الرجل لقاء ذلك العمل نفسه . وهذا التكافؤ في الاجور هو ما تسعى اليه بريطانيا ، وقد سنّت من اجله تشريعات ستوضع موضع التنفيذ في مستقبل غير بعيد .

اضف الى ذلك ان السلطات السوفياتية تأخذ بعين الاعتبار طبيعة المرأة الخاصة ، فتحيطها بقدر من المراعاة . فهي تحال على التقاعد بسن الـ ٥٥ ، اى قبل سن تقاعد الرجل بخمس سنوات . وهي تعطى اجازة وضعٍ خاصة . أضف الى ذلك أنها تمنع عن ممارسة الاعمال التي لا تلائم طبيعتها وصحتها ، كالعمل في المناجم والعمل في مصانع الحديد والصلب . وهذا مخالف ، كما ترى ، لما ورد في سؤالك الذى ورد فيه أيضا لفظ متحررة .

عليهم ولا هم يحزنون » وتوضح هذا التعميم وعلى نحو منه ، آيتان آخريان ، هذه احداهما « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى ، والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر ، وعمل صالحا ، فلهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون » .

الاسلام هنا حركة تسليم المرء وجهه لله ، وما يتبع هذا الولاء من احسان النية والعمل ، او حركة تسليم المرء ارادته او قياده او كيانه الى الله ، لتتفق ارادته مع ارادة الله ، او ليكون اتجاهه او وجهته هى وجهة الله ، وذلك على وفق السنن الالهية الواحدة في الكون الواحد ، وهي سنن يكتشفها الانسان ببصيرته وعقله وتجاربه في رعاية الله .

والوجه او الوجهة هنا معنوية ادبية، «فاينما تولوا فثم وجه الله » لان ارادة الله وتوجيهاته لا تقتصر على مكان ولا زمان بل تشمل الكون والزمان جميعا ، والله قبلة المسلم في كل ما ينتويه ويصدر عنه من اعمال واقوال لا في الصلاة وحدها ، واما قبلة المكان في الصلاة ـ سواء كانت فردية او جماعية ـ او في غيرها فتحددها الشريعة، وان كان « لله المشرق والمغرب » . واتخاذ مكان واحد ليكون قبلة هو الرمز العملي الذى لا بد منه في النظام البشرى الجماعي ، لكى تتحد حركات

ولا ندري ما المقصود بهذا اللفظ في هذا السياق. فالعمل حق وقد أعطي للمرأة الروسية كما هو معطى للرجال .

أما أسباب هذه الظاهرة ، المباشرة وغير المباشرة ، وآثارها الاجتماعية الخطيرة ، البعيدة منها والقريبة ، فلا مجال لبحثها هنا ، وقد نعود اليها في فرصة مقبلة .

(ى . ز)

الاجسام مع اتحاد حركات القلوب في اتجاهها الى الله . وفي ذلك تحقيق معنى « الامة » وتحقيق وحدتها ، لأن الجميع « يؤمون » قبلة مكانية واحدة ، للدلالة على انهم « يؤمّون » بقلوبهم وعقولهم قبلة روحية أدبية واحدة ، هي الله .

وعلى ذلك نفهم « الاسلام » بمعناه العام في آيات قرآنية كثيرة ، كقوله تعالى : « ان الدين عند الله الاسلام » اى التوحيد ، وقوله « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه » ، ويؤكد ذلك قوله : « ان الله لا يغفر ان يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » .

(م.خ.ت)



الديانات السماوية والكتابية

● توصف بعض الديانات بانها سماوية ، وقد توصف بانها كتابية ، فهل الوصفان مترادفان ؟ أم هناك اديان سماوية غير كتابية ، واديان غير سماوية ، ولماذا توصف بهذا الوصف او ذاك ؟ .

احمد علي عبد العال ـ سوهاج / مصر

ـ تتكفل كل ديانة ببيان اركان العقيدة وطريقة الحياة التي ينبغي لاتباعها ان يلتزموها ، وهي تضع في ذلك مبادىء وتعاليم ترى ان اتباعها اذا التزموها كفلت لهم السعادة ، كما انها تبين نوع هذه السعادة ، وتوضح مجالها ، سواء قصرته على الدنيا ، او شملت به الدنيا والآخرة اذا كانت تؤمن بخلود النفس والبعث والجزاء . ومهما تكن مبادئها وتعاليمها فهي مقدسة عند اصحابها ، لأنه لا ديانة بلا قداسة .

ويلاحظ ان بعض الديانات ظهرت في امكنة قبل انتشار الكتابة فيها ، وظهر بعضها والكتابة منتشرة ، فاذا كان متنها مدونا في كتاب او اكثر فهي كتابية ، والا فهي غير كتابية .

وقد يؤمن اتباعها بانها وحي الهى فهى اذن سماوية ، والا فهي غير سماوية .

ومن هنا نرى ان الكتابية نسبة الى كتاب او كتب هي متن الديانة التى توصف هذا الوصف ، واما السماوية فنسبة الى السماء اى الوحي الالهي،لأن السماء رمز الالوهية في معظم الديانات. ويلاحظ ان الديانات البدائية الوثنية كانت تعتقد ان آلهتها تسكن السماء ، وقد زال هذا الاعتقاد في الديانات الراقية ، لأنها تنزه الله في كماله عن كل شبه بغيره من الكائنات ، ولهذا تنكر تحيزه في اى مكان حتى السماء ، وتؤمن بانه لا مكان له ولا زمان ، وانه يشمل المكان والزمان ولا يشملانه، ولكن اتباعها يتجهون الى السماء كلما اتجهوا الى الله ، وعلو المكان هنا مجرد رمز لعلو المكانة .

فالديانات اربع شعب : كتابية سماوية ، وكتابية غير سماوية ، وسماوية غير كتابية ، ورابعة ليست سماوية ولا كتابية ، وقد ذكر القرآن الكريم اهل الكتاب ، والمراد بهم اليهود والمسيحيون وكلتا الديانتين اليهودية والمسيحية كتابية سماوية ، والاسلام ختام الاديان السماوية الكتابية .

(م.خ.ت)

انفاق البحار

● سمعنا ان الانجليز والفرنسيين نجحوا مؤخرا في حفر أول نفق بحري في العالم يربط بين بلديهما .

نرجو ان تحدثونا عن هذا النفق : ما هو طوله واين يقع وهل هو انابيب كبيرة ممدودة على قاع البحر في الماء أم انه نفق فعلي محفور تحت قاع البحر ، ثم هل هو معد للسيارات أم القطارات .. ؟ .

خليفة أحمد ابو زيد ـ سوهاج ـ مصر

ـ منذ زمن طويل والانجليز يتحدثون عن نفق تحت بحر المنش . الا ان هذا النفق لا يزال مشروعا ولم يتجاوز مرحلة التخطيط او التفكير حتى الآن. أى ان النفق الذى تسألنا عنه لا وجود له على الاطلاق . ولو كان موجودا لما كان اول نفق بحرى في العالم على كل حال .

واليك فيما يلي احصاء ببعض الانفاق البحرية التى كانت موجودة منذ زمن ، قبل شروع الانجليز في التفكير في شق نفقهم في قاع بحر المانش .

نفق كامون Kammon في اليابان انشيء ١٩٢٩/١٩٥٨ وطوله ٦٫٠١ ميل .

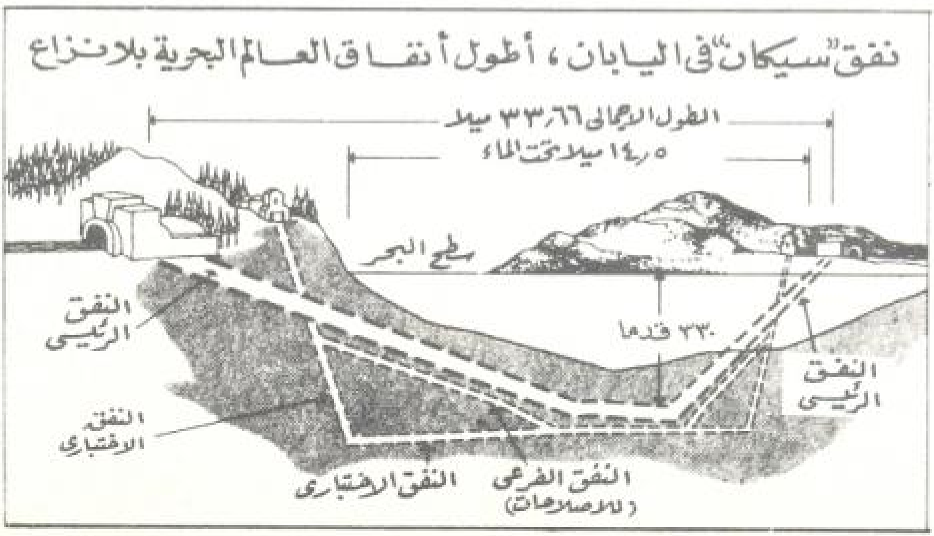
نفق سيفرن Severn (للقطارات) في بريطانيا ١٨٧٣/١٨٨٦ وطوله ٤٫٣٦ ميل .

نفق بروكلين منهاتان بنيويورك ١٩٤٩/١٩٥٠ وطوله ١٫٧٣ ميل .

وتجدر الاشارة هنا الى القفزة الكبرى التى بدات اليابان تقفزها في ميدان الانفاق البحرية . فهي آخذة منذ ابريل الماضي في انشاء نفق سيكان Seikan البحرى الذى سيصل بين جزيرة هونشو ، جزيرة اليابان الرئيسية التى تقع عليها طوكيو العاصمة ، وبين جزيرة هوكايدو ، الواقعة الى الشمال . وسيبلغ طول هذا النفق لدى اكتماله في سنة ١٩٧٩ (٣٣٫٦٦) ميلا ، فيصبح بذلك أطول انفاق العالم البحرية بلا منازع . لا عجب اذن ان كانت نفقات هذا النفق الياباني سيبلغ مجموعها ٦٧١٫٢ مليون دولار .

على ان اخطر ما يذكر عن هذا المشروع ، جانبه

رسم يوضح تفاصيل مشروع نفق سيكان والذى ينتظر أن يتم الانتهاء من تنفيذه في عام ١٩٧٩





خريطة تبين جزيرتى هوكايدو وهونشو . وتعتبر جزيرة هونشو الجزيرة الرئيسية لليابان . ويقوم اليابانيون الآن بشق نفق تحت سطح البحر يصل بين الجزيرتين يبدأ عند مدينة أومورى في جزيرة هونشو وينتهي عند مدينة هاكوت في جزيرة هوكايدو وسيصبح هذا النفق اطول نفق بحرى في العالم وستبلغ نفقات انشاء هذا النفق حوالى ٣ر٦٧١ مليون دولار

التكنى . فاليابانيون ماضون في شقه في اليابسة التى تقع تحت قاع البحر ، في مضيق تسوجان Tsugan ، وهو المضيق الذى يفصل بين الجزيرتين اللتين ذكرنا . وهذا يعني مزيدا من مشقة ومزيدا من عمق، بحيث يصبح أقصى ما سيبلغه النفق من عمق قياسا من سطح الماء هو ٧٢٠ قدما .

بقى ان نذكر ان نفق سيكان هذا هو نفق قطارات لا سيارات . وسيكون من شأنه اختصار الزمن الذى تستغرقه القطارات لقطع المسافة بين طوكيو وسابورو من ٥ر١٩ ساعة الى ست ساعات او أقل من ذلك ■■

(ي . ز)

أم جعفر

بقلم : سنية قراعة

■ صفا وجه الزمن .. وراحت الدنيا تضحك وقد تولى ليل دامس اعقبه نهار مشرق احست فيه « ام جعفر » انها تدخل طورا جديدا من اطوار الحياة ذات المجد والاشراق . واسرعت تمد المدة لتنتقل بدورها هي الاخرى من « مرو » الى مقر السلطان العباسي الجديد ..

وجعل خالد البرمكي يرقب ام جعفر ، زوجة ولده يحيى ، من خلال اهدابه المسدلة الطويلة ، متظاهرا بانه لا يراها ، او يهتم بتنقلها في جوانب الدار تنقل الطائر الفريد المرح وهى تترنم ببعض الشعر .

وضحك خالد .. وكانت اصداء ضحكته المرحة سببا في خروج زوج ولده يحيى من احلام ترنمها العذب ، ثم اقبلت عليه لتسمعه .

وراحت ام جعفر تصغى في شغف اليه وهو يحدثها عن تقلبات الزمان ، وكيف انه قد جاء الوقت الذى انتقم الله فيه من الطغاة الظالمين ، وكيف ان الراية العباسية السوداء اصبحت اليوم ترفرف فوق القصور الاموية وان رجال ابى مسلم الخراسانيقد تتبعوا الخليفة الهارب مروانالحمار الى مصر حيث قتلوه ..

لقد ضحك الحظ .. وابتسمت الملامح المتجهمة من وجه الزمان ، وان ام جعفر لتحس بان القدر السعيد قد راح يدق بابها وباب والد زوجها ويدفع بكليهما امامه ليتركا « مرو » الى «الكوفة» مع ابى العباس السفاح ، الذى كانا من اقرب من اخلص له الود ، والذى كان قد بويع بالخلافة هناك ..

حدث ذلك خلال ربيعالآخر من عام ١٣٢ الهجرى الموافق نوفمبر من عام ٧٤٩ الميلادى ، وقد ترك ابو العباس السفاح « مرو » الى « الكوفة » حيث بدأ يمارس كل ما كان يحب ان يمارسه الخليفة العباسي الجديد من جاه وسلطان .

وكان من الطبيعي والحكم ينتقل من يد الى يد ان تقوم ثمة فتن داخلية ، وثورات محلية في دمشق عاصمة الامويين ، وفي فلسطين ، ولكن ابا العباس كان من اليقظة والحذر والسرعة بحيث قضى عليها في اقصر مدة ممكنة ليلتفت بعدها الى شئون الدولة الجديدة التى اصبح عليه ان يرعاها بعين يقظة لا يفوتها مراقبة اقرب المقربين اليه ..

ثم اذا بمفاجاة قاسية تفرض نفسها على مسرح الاحداث في وقت لم يكن احد يتوقع حدوثها فيه اذ فتك « الجدرى » بالخليفة العباسي الاول ابى العباس الداهية ، فقضى نحبه دون ان يتخطى الخامسة والاربعين من عمره ، وترك الخلافة من بعده لشقيقه ابى جعفر المنصور .

ومع حكم المنصور بدأت الدولة الجديدة تأخذ طابعا جديدا في شتى اساليبها الادارية والتنظيمية والتشريعية ، وكان عون المنصور في كل ما حدث رجله الذكى الداهية الامين خالد البرمكى ..

كانت لخالد البرمكى آراء في طريقة الحكم واساليبه وانماطه التى يجب ان تتبع وهى وان كانت فارسية الاصل ، اعجمية المبدأ ، بعيدة كل البعد عن العرف العربى السائد منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان يحيى يراها اساس النظام الحكمى في الدولة العباسية .

كان خالد يرى ان الاسلوب الاموى في معاملة

البَرْمَكِيَّة



الرعية يجب ان لا يكون له بقاء ، وان البساطة التى اتسم بها الخلفاء الامويون يجب ان تزال من الوجود ، وان التواضع التقليدى الذى عرفه الشعب في خلفاء بنى امية يجب ان تحل مكانه مشاعر التقديس لامير المؤمنين .

وصادف الراى البرمكى الذى راه خالد هوى في نفس امير المؤمنين ابى جعفر المنصور ، ولم يطل به البحث عن الرجل الجدير بحمل امانة هذه السياسة والقيام باعبائها غير الرجل الامين الصادق الود والتضحية « خالد البرمكى » نفسه ، فكان ان عينه في منصب وزيره الاكبر ..

وهكذا .. ومع اقتناع امير المؤمنين براى صاحب مشورته ورجله المخلص ـ بدات ابواب الحظ السعيد والمستقبل المشرق البسام تتفتح لا لخالد وحده ، بل لاسرته الصغيرة المكونة من ولده يحيى وزوجته ام جعفر ..

وام جعفر التى نترجم لحياتها في بحثنا هذا ، لم تكن وحتى تلك الايام التى سردنا وقائعها تعرف باسم ام جعفر ، وانه لم يطلق عليها هذا الاسم الا بعد ان تزوجت يحيى بن خالد البرمكى وانجبت منه ولدها البكر جعفرا البرمكى ، اما اسمها الاصلى فمختلف فيه .

وشابة كام جعفر عايشت الدعوة منذ بدايتها الاولى من الضرورى ان تكون ذات عقل متوقد بالذكاء ، قادرة على الحركة في غير خوف او وجل، لتصل مع الواصلين .

هكذا كانت ام جعفر .. ذات قلب كبير وطموح جعلها تفرض وجودها مع الايام على من كانوا حولها ومن عندها ..

ولقد كان خالد البرمكى شديد الاعجاب بام جعفر ، فلا عجب ان تخيرها شريكة حياة ولده يحيى ، ليكمل كلاهما صاحبه ، ويستطيعا معا ان يجدا سبيلهما الموفق المدعم في الحياة .

ويقال عن ام جعفر انها كانت ذات باع طويل في علم البروج وانها كانت تتقن التنجيم ، وان نفس هذه المواهب كلها كانت من ابرز صفات زوجها يحيى حفيد احد كهان « الزرادشتيه » وانه اسر في احدى الحروب الفارسية ضد العرب ، فتعرف عليهم وعاشرهم وارتاح لهم وارتاحوا اليه ،واندمج في صفوفهم حتى ظهر فيها وبرز وعلت مكانته ، ومن هنا ، عرفه الساسة الجدد من الدعاة للنظام العباسي ، وان ابنه خالدا كان من بعد الافق وصدق الفراسة بحيث انخرط في سلك الدعوة نفسها ، وتقرب من ابى العباس السفاح واخيه المنصور حتى اولياه الثقة كل الثقة، واعتبراه من اقرب اوليائهم اليهم ..

واستوزر الخليفتان العباسيان الاول والثانى خالدا البرمكى ، فكان رجل الدولة الذكى ، الذى اخذ على عاتقه تنفيذ السياسة التى كان هو من اهم واضعى اسسها، وان نفوذه في القصر الخليفى قد تغلغل حتى استطاع ان يمكن لولده يحيى وزوجته ام جعفر ، التى بلغ من ثقة المنصور بها ان وكل اليها وزوجها يحيى امر تنشئة حفيده هارون وتربيته .

وكما شهدت ام جعفر شبابة اشراقة شمس العباسيين ، كذلك قدر عليها وهى تتخطى مراحل الشباب ان تشهد امجاد بناء عاصمتهم الجديدة « بغداد » مدينة السلام عام ٧٦٢ ميلادى الموافق لعام ١٦٢ الهجرى .

وظلت ام جعفر موضع رعاية امير المؤمنين وزوجه حتى لقد استأثرت بتربية هارون الذى نشأ مع ولدها جعفر في حجر واحد ، ورضعا لبان ثدى واحد ، فكانا منذ صغرها اخوين متاحبين ، حتى كانت ام جعفر لا تتمنى من اخوتهما في الرضاع هذه غير الدوام والبقاء في مستقبل حياتهما ، ليكون جعفر من هارون ذات يوم في مكان الصدارة والاعزاز .

وورث المهدى اباه .. ومن بعد المهدى جاء ولده البكر موسى الهادى ، الذى لم يعش طويلا ، فابتسم الحظ لهارون الرشيد ، واتته الخلافة ساعية ، فلم يكد يرقى عرشها ، ويتسلم صولجان سلطانه حتى كان اخوه في الرضاعة جعفر عونه وساعده ووزيره الاول ..

وكما تعاظم شأن الرشيد وعلا ، وراح يبنى على قواعد مدعمة قوائم المجد لولديه الامين والمامون من بعده ـ كذلك .. وبنفس القوة والمظهرية والفعالية ذات الاثر كان يتعاظم شأن جعفر البرمكى وشقيقه الفضل ، حتى لنسائل انفسنا .. هل كانت لجعفر مطامع في الحكم والجاه والسلطان وهل احب يوما ان يخلف الرشيد او يفرض وصايته على ولديه الامين والمامون .

لقد بنى جعفر لنفسه قصرا ان لم يشابه قصر

الخليفة فقد كان افخم منه واعظم بهاء ورونقا ورياشا ، وكان من الذكاء بحيث كان يفسر هذا للرشيد نفسه في ساعات زيارته له انه انما اعد قصره هذا الاعداد الفخم ليكون جديرا باستقبال امير المؤمنين ، لكى يقضي فيه بعض وقته دون ان يشعر بفارق او تغيير !!

وكما كانت للرشيد بطانة، حرص جعفر البرمكى ان تكون له هو الآخر بطانة قوية .

وكان هناك وكان .. مما احفظ زبيدة وحزبها ، وعلى راسه الفضل بن الربيع غريم جعفر البرمكى الذى كان يبغضه ويرى في تعاظمه وازدياد قوته خطرا شديدا .

ودارت عجلة الايام وقد غفلت عن تتبع دوراتها العاصفة العيون كلها الا عينى الفضل بن الربيع الذى كان يرى ويرقب بعينى زبيدة ام ولى العهد واحب زوجات الرشيد اليه ..

وكانت ام جعفر البرمكية تحيا حياتها الوادعة الرتيبة حيث شاء لها الله ان تنعم بأمجاد ولديها وترى زوجها يحيى بن خالد البرمكى في مكان طالب الراحة والهدوء مثلها سواء بسواء ..

كانت قانعة بما وصلت اليه بل انها كانت احيانا تسائل نفسها عن بقايا مطامع تتوق اليها فلا تجد الجواب .. كان يكفيها ان وصل بها حظها الى تلك المكانة ، فهى ام جعفر البرمكى ، وام الفضل ، وزوج يحيى ، وفوق هذا جعلوا مبالغة منهم في تعظيمها حيثما كانت تحل ، ينادونها باسم « ام الرشيد » .

ولقد كانت ام جعفر اما للرشيد فعلا ، فقد نافته وداعبته ، والصقته الى صدرها ، وبالغ في الالتصاق بها وهو يرضع لبانها ، فلم ينس لها مكانتها هذه منه ، وكان ان رفع قدرها واعلى مكانتها ، وعظم من شأنها.وبالغ الرشيد في اكرامها واعزازها ، فكانت تدخل مجلسه عليه دون اذن ، وكان يقف اجلالا واحتراما لها ، فاذا طلبت منه مطلبا حققه، واذا تشفعت لاحد لم يرد لها شفاعة.

وكان من الطبيعى امام المكانة التى وصلت اليها ام جعفر وزوجها يحيى ان يغفلا عن تتبع الاحداث الجارية ، في بلاط الرشيد او خارجه ، دابا على عادتهما في المراقبة وتتبع ما يجرى من الامور. وقد ظنا ان عين الزمن قد غفلت عنهما ، وانه لم يبق عليهما غير ان ينعما بالهدوء والسعادة في ظلال الامن والاستقرار .

لم تعد ام جعفر اليوم ، وفي عهد ابنها الرشيد في حال يمت الى حالها الاولى باية صلة ، فانها اليوم غيرها بالامس .. لم تعد تتسمع او تراقب او تحذر ، بل لماذا كانت تقدم على مثل تلك المحاولات وهى في مكان القمة والجاه والقوة ، فابنها من الرضاعة يحكم ، وابنها جعفر يشاركه سلطانه ، بل يتصرف في شئون رعيته هو وشقيقه الفضل باكثر من الرشيد نفسه !!

ودارت الايام .. واستيقظت ام جعفر ذات مرة على نبا مفزع ابت ان تصدقه ، وظنت انها كانت تعيش في حلم رهيب ، وانها فريسة كابوس قاتل، وقد قيل لها ان الرشيد وثب على غرة وفتك بكبار البرامكة ، فقتل من قتل والقى في غياهب السجن بمن القى ، وكان يحيى زوجها الشيخ وولدها الفضل ممن كان نصيبهم السجن !!

لقد ابت ام جعفر ان تصدق ما كانت تسمع ، وصرخت مستنجدة لتستيقظ من حلم فظيع وتتحرر من الكابوس الرهيب الذى جثم على صدرها ، وتسترد من جديد ما كانت تستشعره من هدوء الا ان الواقع عاد يقسو عليها ويؤكد لها انها انما كانت تسمع حقا ، وان الرشيد فتك بالبرامكة !!

اذا فالمأساة القديمة تجددت ، وسقط في الميدان هذه المرة ابو مسلم ثان ، ولكنه كان في مكان أعز من ابى مسلم الخراسانى الاول ..

لقد اصغى الرشيد الى وشاية وزيره الفضل ابن الربيع واستجاب لنصح زبيدة التى لم تحرص على الفتك بالبرامكة ، الا لانها كانت تخاف ان يبلغ حزب البرامكة مكانة تمكنه من التحكم في ولاية العهد ، فيوحى الى الرشيد بخلع ولاية عهده عن الامين ابن زبيدة لتستقر في ولده الآخر المأمون .

وافلح حزب زبيدة في التخلص من منافسيه . وقد افلحوا في ان جعلوا الرشيد يلمس بنفسه انه كان أبعد الناس عن السلطان والتحكم في شئون الخلافة ، وان كل شيء انما كان في يد جعفر وشقيقه الفضل ، فعزلا من عزلا ، ووليا من شاء لهما هواهما ان يوليا ، واستطاعا ان يجمعا ثروة

طائلة ، فوق المتعة والجاه العريض ، وانهما جمعا في ايديهما كل مقاليد الامور الى درجة الخبرة بها خبرة كان الرشيد بعيدا عنها كل البعد ..

واحس امير المؤمنين ان امنه مهدد ، وسلامة ملكه مزعزعة ، وانه ان لم يسبق ويضرب ضربته اليوم وهو في عنفوان المقدرة ومركز التحكم ، فلن يستطيع ذلك مع الغد او بعد الغد ، حين تضطرب الامور ويصبح في حاجة الى حماية نفسه ، وتامين سلامته هو ، لا حماية الخلافة والملك العريض ..

ووثب الرشيد بالبرامكة .. وجعلته مصلحة الخلافة ، وخوفه على امنه ومستقبله وحياته ، ينقض على جعفر اخيه من الرضاع فقتله ، وشطره نصفين ، علق احدهما عند جسر من جسور بغداد ، وعلق الثاني على جسر قريب ، ثم علق الرأس في مكان ثالث ..

سمعت ام جعفر هذا ، وابت ان تصدق ان صلات الرعاية والحب والتربية قد تردّت الى ذلك الدرك ، وان امير المؤمنين قد نسيها وتغافل عنها تماما .. واسرعت تحاول الوقوف بنفسها على جلية الامر ، فاذا بها قد سمعت ما هو اقل من الحقيقة ..

وحارت ام جعفر ، ولم تدر امام النكبة ماذا تفعل ، حتى لقد تولتها فترة ذهول ، غفلت خلالها عن مسيرة الاحداث ، فظلت واجمة لا تريم وكانما فقدت القدرة على التفكير او التحرك .. لقد سبق السيف العذل .. وقتل الابن الحبيب .. وسجن ابنها الفضل ، هو وابوه ، وانها اليوم لفي موقف العجز والقصور ولكن ..

ولكن الام الثكلى ، صاحبة المكانة التي ذهب بها ريب الزمان وغدر الايام ، تذكرت انها طالما كانت في موضع الاعزاز والقرب من هارون ولدها ، الذي وعدها انها وحدها ، صاحبة الحق في دخول مجلسه دون اذن سابق وان شفاعتها لن ترد ، حتى لقد سالت نفسها وبعدما حدث ، لماذا لا تحاول التشفع لدى ابنها من الرضاع ، وانه وان فاتتها الشفاعة في جعفر ، ولقي الله ربه كما اراد له الله ان يموت ، فلماذا لا تتشفع في ولدها الفضل وزوجها يحيى وهو الآخر مربي الرشيد وابوه بحكم الرضاع ..

لطالما نادوها باسم « ام الرشيد » وان هذا الاسم ليدوي مع مطارق النكبة في خيالها ، ويقفز امام عينيها ، ويفرض عليها نفسه وكانما يطالبها بان تجعل منه معبرا الى الرشيد الذي لن يقف احد في وجهها دون بابه ، بل من كان يجسر كما تصورت ان يحول دون ام الرشيد ولقاء الرشيد !!

واسرعت الام الثكلى تجر ذيول الماساة ، وهي ترجو ان يكون بينها وبين ولدها الرشيد لقاء ، ولكن حراس الرشيد حالوا دونها ولقاءه ، بل .. وتجاهلوها .. تجاهلوا « ام الرشيد » .

تلك كانت في نظر ام جعفر نكبة جديدة نزلت بها بعد نكبتها الاولى في ولديها وفي الزوج ، وان كانت مع قسوتها اشد رهبة وقسوة من النكبة الاولى ، حتى لقد عادت واجمة لا تصدق ما حدث ، لا تجد ما يسرى عنها غير الدموع ..

ومرت الايام ..

والايام كما يقولون هي البلسم الشافي للجراح ، وهي التي تجبر الانسان مع مرورها ان يقر الواقع ويرضى به ويؤمن بان ما فات لن يعود ، وانه لا فائدة ترجى من التمرد على امر كان ..

على ان في واقع احزان الناس وفواجعهم ما يعجز بلسم الجراح الشافي عن مداواته ، وان بعضهم حين يتصور ذلك انما يخادع نفسه ، فالتناسي غير النسيان ، وان النسيان نفسه ليرتد عاجزا في كثير من الاحوال عن ان يمنح الشفاء لقلب جريح ..

لقد باعدت ام جعفر مجتمعا تنكر لها اهله ، وصرفوا عنها وجوها طالما اتجهت اليها فلم تخيب لاصحابها رجاء ، ولم تقصر دونهم في طلب سالوها اياه .. وهرعت الى وحدتها .. وشملها سكون القصر الذي طالما كان ينبض بالتوثب والحياة ، واسلمت نفسها الى الشجون والدموع .

وبكت ، ولكن .. هل كانت تجدى الدموع ، وقد راح جعفر ولن يعود ، وان الواقع يفرض عليها التسليم لا النسيان ، ويذكرها بان تقدم على محاولة شفاعة عند ابنها الرشيد وقد عودها ان يستجيب لها ، وان لا يرد لها طلبا ولا يخيب رجاء ..

لقد قتل جعفر ، فهل من حق رعاية البنوة والسهر على حمايتها ان تترك الفضل ابنها الباقي

في سجنه ، مع ابيه يحيى بن خالد ، وهو ظئر امير المؤمنين ومربيه !!

وقررت الام الثكلى ، والزوجة المنكوبة ان تطرق باب الرشيد تسأله الا يرد شفاعتها في ظئره يحيى وولده الفضل ، وهي تظن انه وبعد ان زال سلطان البرامكة ، لم يعد هناك ما يخشى من البقية الباقية منهم .

وعادت ام جعفر تكرر محاولة طرق باب الرشيد والمثول بين يديه ، فلم يسمح لها بما كانت تريد ، واذا بالتمرد على الواقع يقلبها ويدفع بهـا الى محاولة جديدة ، ومغامرة اعتبرتها آخر سهم في جعبتها ترميه ..

واسرعت ام جعفر الى قصر الرشيد عارية الراس كاشفة الوجه حافية القدمين ، على حال يثير الاسى والبكاء ، ثم وقفت بالباب وحجابه يصرون على منعها ، وهي تصر على لقاء ولدها امير المؤمنين .

وحدث وام جعفر حيث كانت تقف ذليلة ، مكشوفة الراس ، حافية القدمين ان قدم حاجب امير المؤمنين ، فراعه ما راى ، وحز في نفسه ان تستذل ام الرشيد على هذه الصورة من صور المهانة والاذلال ، وتمثلها وهي في موقف التشفع والرجاء للناس حيث كان الرشيد لا يرد لها طلبا، وبدافع من الرغبة في مد يد الغوث الى عزيز قوم ذل وجد نفسه يدخل مستئذنا على مولاه ليحمل الى مسمعيه تلك الصورة الاليمة المثيرة للرثاء والاشفاق .. صورة ظئره الكريمة وهي ببابـه مكشوفة الوجه والراس حافية القدمين ..

وأخذ الرشيد بما سمع .. وراعه ان تقف مرضعته هذه الوقفة الذليلة ببابه ولها عليه حقوق واجبة الاداء ، ووجد نفسه يامر حاجبه في لهفة ان يدخلها عليه ، فرب كبد غذتها ، وكربة فرجتها وعورة سترتها .

وسمعت ام جعفر وهي تنتظر بالباب قول ولدها الرشيد ، فدق قلبها دقات الاحساس بالسعادة ، وقرب البشرى ، وقد ثبت لديها انها لم تزل عند الرشيد كما كانت المتشفعة المقبولة الرجاء ، وزاد من يقينها بعد ذلك انها بعد ان دخلت للقائه ترك مجلسه واسرع نحوها ساعيا يتلقاها ، وقد اكب على رأسها وصدرها يقبلهما . ثم اخذ بيدها وسار بها الى اقرب مقعد فاجلسها عليه ..

وتكلمت ام الرشيد ، وهي تسأل الله ان يهز صوتها الشاكي قلب ولدها ، وقالت وكأنما تعاتبه وتسأله العفو عن ظئره ومربيه وامين سره «يحيى» الذي طالما وقف الى جانبه في الملمات ، وكان من نتائج صدق نصيحته وتوجيهه له ان اجتاز محنة الاحداث ايام اخيه موسى الهادي وما حدث بينهما من خلاف وجفاء ..

واطرق امير المؤمنين طويلا وقد اسلم نفسـه لعديد من الذكريات والافكار التي كان الله وحده يعلم مداها ، ثم اذا به يتمتم منشدا في هدوء من اراد ان يجعل ما يقول رده الشافي على ذلك الرجاء الذي تقدمت به ام جعفر ..

واذا المنيــة انشبــت اظفارهـــا
الفيــت كــل تميمــة لا تنفــع

وسكت الرشيد .. وران الصمت على ام جعفر وقد روعها وهدم قصور احلامها ما سمعت من رد فيه خيبة المسعى ، وفشل الرجاء ..

ثم اسرعت تخرج مغادرة مجلس الرشيد ، وقد جفت الدموع في عينيها ..

ان النكبة البرمكية كانت حقا نكبة فاجعة ، كانت مرتعا لخيالات وآراء عديدة ، حتى لقـد خرجت بها عن التصوير الحقيقي لها ، لان مـن تناولوها كانوا بين عواطفهم حيارى لا يدرون الى اية ناحية ينحازون .. االى الناحية العباسية ام الى الناحية البرمكية ..

والحقيقة تقول بعد هذا ان ام جعفر ــ وبعد ان رفض الرشيد شفاعتها ــ خرجت من عنده ، ولم ير احد لها وجها بعد ذلك في بغداد .

ومرت اعوام ..

اعوام قاسية مريرة ، عض فيها الجوع بنابه كبد ام جعفر وهي معتزلة بعيدة .

وماتت ام جعفر في « الرقة » ولم يدر احد متى كان موتها على وجه التحديد ، ولكنها رغم هذا خلدت لنفسها اسما ومكانة فعرف قبرها بقبر « البرمكية » ، واصبحت سيرتها شغل الرواة على كر العصور . ■■

سنية قراعة

من
غرائب
القضايا

المعلم الشهيد

جان فرانسوا ليسنييه

ترجمة الدكتور مصطفى صدقى الريحاوى

■ اندلعت النيران فجاة في بيت المدعو (لى) في قرية (فيو) من مقاطعة (كوترا) في محافظة الجيروند بفرنسا واندفعت السنة اللهب تتصاعد بقوة . وكانت الرياح الشديدة تزيد في اضطرام النيران وتاججها . وهب سكان القرية لمكافحة النيران ، هذا يحمل معولا ، وذاك مجرفة ، وثالث فاسا وآخر سطلا وكل ما يعين على اطفاء الحريق . كانوا يعدون نحو الحريق واصواتهم الهادرة تصل الى عنان السماء ، وكانوا يتساءلون فيما بينهم عن سبب اندلاع النيران. فقال احدهم: لا بد أن الرجل كان ثملا وان المصباح الذى يستضيء به هو سبب الحريق . وقال آخر : انه لامر غريب انلا يسمع أحد صوت الرجل يستغيث او يستنجد . ورد آخر : ولكن من اين له ان يستغيث ولما يبق في البيت شيء الا والتهمته النيران ، لقد داهمته النار وقضت عليه . والواقع ان البيت كان بحالة مزرية ، فلقد بنى من الحجارة والتراب والكلس ، واما سقفه فكان مؤلفا من طبقة من التراب والكلس تعلوها اغصان وجذوع من الشجر . وفي جوار البيت شبه مستودع شوهدت السنة اللهب تمتد اليه ، وكان اول ما عمل السكان على اخماد النار فيه . وتساءل احد الاشخاص ، ولكن اين هو الرجل وماذا يفعل ؟ انه من المعقول ان تكون النيران قد التهمته كما التهمت بيته . ولكن سرعان ما وجدت هذه الاسئلة جوابا شافيا اذ ما كاد يتمكن الناس من اخماد النار والدخول الى البيت حتى وجدوا في احدى زواياه الرجل ممددا على الارض جثة هامدة . كما وجدوا الى جانبه صحنين فارغين .

قال احد الحاضرين : في اعتقادى انه لقى حتفه مختنقا بفعل الادخنة المتصاعدة من النيران. وقال اخر : لا بد انه كان يتناول طعام العشاء عندما اندلعت النيران فجاة . وسال آخر : ولكن لم هذان الصحنان ومن كان بصحبة الرجل ؟ واجاب آخر : كلا ان الرجل لم يمت مختنقا بتأثير الدخان وانما قتل قتلا وهذا ما يبدو لى من امعان النظر في الجثة . وسال آخر : ولكن هل قتل حقا ؟ واجاب الاول : انظروا الى رقبته .. ان ثمة جرحا عميقا واسعا يبدو واضحا للعيان ، كما ان قبعته ملطخة بالدماء .. وقال آخر : ولكن هذا الجرح قد يكون منشؤه سقوطه على الارض . الا ان الاول تمسك بفكرته ، واصر عليها قائلا : كلا لا يمكن ان يحدث السقوط على الارض مثل هذا الجرح ، لقد كنت جنديا طيلة خمس عشرة سنة .. وانى اكتسبت خبرة في هذا المجال ، فلو كان قد سقط على حجر او خشبة او جسم صلب آخر لكان الجرح اقل عرضا وسعة . ومهما يكن من شيء فيجب ان نسرع في اخبار رجال الدرك على الفور .

كان الرجل يعيش بمفرده ، وقد جاء الى هذه القرية واقام فيها منذ ثلاثين سنة خلت ، وكان يعتمد في رزقه على مورد ضئيل تدره عليه مزرعة صغيرة وبعض اشجار الكرمة .

هذا وقد حضر المحققون وباشروا التحقيقات كما حضر الطبيب الشرعى وقام بفحص جثة الرجل واثبتت التحقيقات والخبرة الطبية وجود



جريمة في الموضوع . وقد اشار الطبيب الشرعي في تقريره الى ان الرجل تلقى ضربة على راسه اوقعته ارضا ، وان اداة الضرب جسم صلب اشبه بمطرقة او قطعة من خشب ، وان شدة الضربة هي التي افضت الى الوفاة . وركز الطبيب الشرعي في تقريره على النقاط التالية :

١ ـ ان الوفاة لم تنجم عن سكتة قلبية كما لم تكن بسبب طبيعي آخر ولكنها حصلت بفعل يد اثيمة .

٢ ـ ان الوفاة حدثت نتيجة اصابة شديدة في الدماغ وهذه الاصابة نجمت عن جرح في القسم الخلفي من الراس .

٣ ـ ان الجرح المشاهد على رأس المجني عليه ناجم عن ضربة شديدة باداة قاطعة وراضة

٤ ـ ان الوفاة كانت فورية .

٥ ـ ان القتل وقع في مكان آخر غير المكان الذي وجدت فيه الجثة . وقد تم نقلها بعد ذلك ووضعت على نحو يوحي بالاصابة بسكتة قلبية والوفاة بصورة طبيعية ، مع ان الفحص الطبي لم يثبت وجود اعراض تدل على ان الشخص كان يعاني من مرض في القلب واصابته باي آفة قلبية .

وثمة ادلة اخرى تكشف عن وجود جريمة في الموضوع . فهناك بصمة يد وجدت على خشب السرير في الحجرة المجاورة للغرفة التي عثر فيها على جثة المجني عليه . ولما كانت يدا المجني عليه غير ملوثتين بالدم مما يمكن من الجزم بان تلك البصمة ليست للمجني عليه ، بل لشخص آخر . هذا وقد وجد المحققون بالقرب من الجثة منجلا وسكينا ملطخين بالدم كما لاحظوا وجود بقع من الدم على كرسي في الغرفة . اذا الجريمة واقعة لا ريب فيها والقتل حاصل لا شبهة فيه .

ولكن ماذا عن الحريق ؟ لم يكتشف المحققون اثرا لنار حديثة في المدفأة كما لم يشاهدوا اي نور من اي نوع كان ضمن الحجرة . واذا فاما ان يكون الحريق قد قضى على كل اثر للنور ضمن الكوخ سواء كان مصدر النور شمعة او شعلة او مصباحا . واما ان تكون النار قد اشعلت من قبل القاتل رغبة منه في تغطية جريمته . ويبدو الفرض الاخير اقرب الى الصحة والواقع . ومن المستبعد ان يكون المجني عليه قد تناول طعام

العشاء في جو مظلم بدون نور . هذا وبعد ان تم رفع الانقاض من البيت شوهدت بقايا دوائر وصفائح خشبية لبرميل كان المجني عليه قد جلبه قبل ايام مع ثلاثة براميل اخرى ، ولكن هذه البراميل الثلاثة لم يعثر على اثر لها . فهل تمت سرقتها ؟ وهل الدافع الى القتل هو السرقة ؟ ان المجني عليه لم يكن ثريا ولم يكن لديه اى وفر نقدى ، ثم ان الملابس التى كانت في خزانته لم تكن ذات قيمة . فهل تم اذا ارتكاب جرم القتل تمهيدا لسرقة براميل النبيذ التى لا يتجاوز محتواها ثلاثمائة لتر ؟ واذا استبعدنا السرقة دافعا لارتكاب جريمة القتل فما هو الدافع اليها اذا ؟

لقد تبين من التحقيقات ان المجني عليه كان قد باع قبل نحو شهرين جميع املاكه حتى البيت الذى يقطنه الى شخص يدعى جان فرانسوا ليسنيبه ، وتبين ان المشترى الزم نفسه بموجب العقد المبرم بأن يدفع للبائع مبلغ (٦٧٥) فرنكا فرنسيا في كل شهر ما بقى على قيد الحياة . قد يبدو لنا هذا المبلغ زهيدا ولكنه في ذلك الزمن وبالنسبة لقرية صغيرة نائية كان مبلغا قيما .

فمن هو جان فرانسوا ليسنيبه هذا ؟

الاتهام

ولد جان فرانسوا ليسنيبه في مقاطعة كوترا وكان والده رجلا شريفا ذا ثراء واسع الا انه بدد ثروته في دعاوى وخصومات كثيرة امام المحاكم . درس جان فرانسوا في دار المعلمين في مدينة (بوردو) ونال وهو في العشرين من عمره شهادة اهلية التعليم الابتدائي وعين معلما في قرية (فيو) حيث وقعت الجريمة .

كان المعلم عزبا يعيش معه والداه وشقيقته وقد قدموا معه الى القرية التى عين معلما فيها . ورغبة منه في الاستقرار في القرية نهائيا ارتأى شراء ممتلكات المدعو (غى) مقابل تقديم مرتب دائم له طيلة حياته . لم يكن في سلوك المعلم ما يدعو الى الشك او الريبة لا سيما ليلة الكارثة. فلقد اشترك في اخماد النار كسائر ابناء القرية وابلى بلاء حسنا.وكان أول من لفت نظر المسؤولين الى فقدان براميل الخمرة .

والامر الغريب في هذه القضية ان ثمة شعورا شاع في القرية ان فاعل الجريمة انما هو المعلم جان فرانسوا ليسنيبه . وكان مختار القرية اول من قدم للمحققين معلومات سيئة عنه . فلقد نعته بسوء الخلق وفساد السيرة . كما ان راهب القرية اوضح للقاضي المحقق بان الرأي العام في المنطقة مجمع على ان القاتل هو المعلم ذلك انه صاحب المصلحة الوحيد في ارتكاب هذه الجريمة . واضاف يقول : لقد صادف ان زرت المجني عليه قبل مدة وكان مريضا وباركت له عمله ببيعه ممتلكاته للمعلم ، ولكنه شكا لى بان المشترى لا يؤدى اليه حقوقه بانتظام كما لا يأتي لزيارته وتفقد احواله بين حين وآخر وطلب مني ان اكلمه في هذا . وفعلا حدثت المعلم بالامر فما لقيت منه الا تبرما وانزعاجا . واردف يقول : في رايى ان سلوك المعلم لم يكن كما ينبغي له . ولقد بدا لى بعد الحادثة مضطربا قلقا لا يهدأ على حال . وانى اعرف كذلك ان من عادة المعلم ان ينام باكرا ولكني وجدت غرفته ليلة الحادثة مضاءة وكانت الساعة تقارب العاشرة ، وهذا ما استغربته جدا.وقد بدا واضحا ان شهادة خوري القرية متحيزة وهو الامر الذى لفت نظر القاضي المحقق وجعله لا يطمئن اليها ، وحفزه ان يسأله عما اذا كان على خلاف او صلات سيئة مع المعلم، وكان جواب الخوري بانها ليست علاقة طيبة على كل حال . واوضح ان المعلم مدين له ببعض المال وهو يماطله في الدفع ، واردف قائلا : ويزعم كذلك انى ارتكبت صلات جنسية فحشاء مع شقيقته وانى ما أعطيته المال الا لشراء سكوته . ولقد ارسل فوق ذلك يهددنى ويتوعدنى . ومهما يكن الامر فان شهادة الخورى هذه لم يركن اليها القاضي المحقق ولم تلق اى اعتبار منه للشبهة الملحوظة عليها . هذا ولم تكشف التحقيقات في وضعها الحالي عن الفاعل الحقيقي كما لم تتوافر الادلة على ان المعلم هو الجاني .

غير ان حادثا آخر اسهم في القاء انوار جديدة على القضية . فبعد ستة ايام من الحادث وفي الساعة السادسة والنصف مساء شوهد رجل من اهالي القرية يدعى (دينيو) يركض مذعورا لاهث الانفاس ممزق الملابس ويدخل اول بيت في القرية بلا وعى . وبعد ان هدأ روعه ادعى بانه تصدى له في الغابة على مقربة من القرية شخصان حاولا سلبه نقوده وانه تمكن من التخلص من ايديهما بعد ان ضرب احدهما ضربة عنيفة بمظلته ، وزعم

ان احد المهاجمين هو المعلم جان فرانسوا ليسنييه وان الثاني هو في اغلب الظن والده ولكنه غير متأكد بالنسبة له .

وامام هذه الواقعة الجديدة تحرك القاضي المحقق واوقف المعلم ووالده كما قام بتفتيش منزلهما ، فضبط لدى الاب صدرية ممزقةوقميصا باليا ملطخا بالدم ، كما ضبط لدى الابن قميصا نسائيا.ولدى تفتيش القبو التابع لمنزلهما وجدت براميل ملأى بالنبيذ ولكنها غير البراميل المسروقة على حد قول المدعو (باربارون) الذى قام باصلاح براميل المجنى عليه قبل مدة . وقد عثر قاضي التحقيق على بقعة دم عند باب البيت واجاب المعلم مفسرا ذلك بقوله . ان هذا الدم مصدره الجزار الذى يأوى الى مدخل البيت مع اللحم في الاحوال الجوية الرديئة المطرة . وانكر المعلم ووالده كل علاقة لهما بالجريمة المرتكبة مما اضطر القاضي امام فقدان الادلة الى اطلاق سراحهما. ولكن ما ان افرج عنهما حتى تقدم مختار القرية يعلن للقاضي المحقق ان لدى المدعوة (مارى سيساك) وهى عشيقة المعلم معلومات مفيدة للتحقيق تود الافضاء بها اليه . فاستجاب القاضي للطلب وادلت المرأة (مارى) بافادتها فقالت :

« منذ نحو سنة شاء سوء طالعى ان اتعرف على المعلم (جان ليسنييه) ، وقد تمكن بكلامه المعسول ودهائه من ايقاع الفرقة بينى وبين زوجى . ومنذ ذلك الوقت وقعت تحت سيطرته ورضخت لمطالبه وكنت اخشى بأسه لا سيما وانه يقتنى مسدسين، وبلغ به الامر انه جعلني اتمرد على طاعة زوجى ، وبطلب منه رفعت دعوى تفريق ضد زوجى ادعيت فيها بان زوجى يسيء معاملتى ويكيل لى الضرب المبرح ويمطرنى دائما بوابل من الشتائم القبيحة بحيث اضحت حياتى جحيما لا يطاق ، ولما ابديت حاجتى للمال اظهر استعداده لمدى بما احتاج اليه كي اتابع الدعوى ، وافهمنى ان زوجى سيضطر اخيرا الى اعطائى قسما من امواله . هذا وقد هددنى بسوء المصير ان لم انفذ رغباته ، كما انه أوهمنى بقدرته على اتهام زوجى في قضية مقتل المجنى عليه والادلاء بشهادة ضده . حتى لقد بلغ به الامر ان اخذ يحرضنى على دس السم لزوجى وذلك بان اضع له سم الفئران ضمن حسائه وطلب الي ان اشترى هذه المادة السامة من الصيادلة حيث يبيعونها لجميع الناس .

ولكنى لم ارضخ لمشيئته ورفضت طلبه هذا » . واردفت تقول : « ان المعلم ذكر لها انه سيقوم باصلاح البيت الذى اشتراه من المدعو (غى) ، وان هذا لن يطول به العمر اكثر من ثمانية ايام ، وهذا ما حصل بالفعل ، فبعد عدة ايام قتل الرجل وشب الحريق . وادركت عندئذ بان القاتل ليس الا هذا المعلم » . ثم قالت : « ان المعلم كان حدثها عن رفض الرجل المسن الذهاب الى المستشفى رغم ما يعانيه من مرض ، وتمنى لو يضربه بمطرقة تودى بحياته ويتخلص منه نهائيا » . واردفت تقول : « انها شاهدت المعلم يوم وفاة المجنى عليه ينتعل حذاء عليه بقع من الدم كما انه في اليوم الثانى من وقوع حادث الاعتداء على المدعو (دينيو) في القابة شكا لها المعلم من الم في خاصرته وذكر لها بانه تلقى ضربة قوية سببت له الالم الشديد.هذا وقد بدت هذه الواقعة الاخيرة متفقة اتفاقا كبيرا مع اقوال (دينيو) التى ذكر فيها بانه ضرب احد مهاجميه بمظلته . وامام هذه الادلة الجديدة ، واقتناع المحققين بها صدر قرار الاتهام في حق المعلم ووالده وسيق المتهمان اخيرا الى محكمة الجنايات .

المحاكمة

افتتحت جلسة المحاكمة في محكمة جنايات الجيروند بتاريخ ٣٠ حز . ـ من عام ١٨٦١ وانكر المتهمان التهمة المنسوبة اليهما انكارا تاما ، ولم يضعفا ولم يتخاذلا بل كانا صلبين في موقفهما واقوالهما ، لم تزعزعهما اقوال الشاهد (دينيو) ولا اقوال الشاهدة (مارى) . وعبثا حاول رئيس المحكمة ان يفهم الشاهد (دينيو) خطورة شهادته ونصحه بالرجوع عنها اذا لم يكن متأكدا مما ذكره من وقائع ومن اشخاص المعتدين عليه .

وقال له الرئيس : ما زالت امامك فرصة يا دينيو بامكانك ان تستفيد منها ولن تنالك العدالة بشيء . ولكن دينيو اصر بشدة على اقواله فيما يتعلق بالمعلم ولكنه تراجع وابدى ترددا بالنسبة للأب . وابدت المرأة (مارى) اقوالها السابقة. وادلى نحو اثنى عشر شخصا من اهالى القرية بشهاداتهم ولم تتضمن شيئا جوهريا وانصبت اقوالهم جميعا على ان المعلم مدين لعدد كبير من الاشخاص كما اشاروا الى علاقته مع المرأة (مارى) .

اما المعلم فقد دفع التهمة عن نفسه بقوله انه يوم الحادث كان مدعوا لدى السيد (كاتربنو) وقد تناول طعام العشاء عنده . وادلى اربعة شهود سماهم الدفاع بشهاداتهم . فشهد (كاتربنو) وابنه بان المعلم كان يتناول طعام العشاء في بيتهما في اليوم الذي هوجم فيه (ديتيو) . وشهد شاهدان آخران بانهما شاهدا المعلم في بيت (كاتربنو) واكد احدهما بانه لعب بالورق مع المعلم ومضيفيه وان الجميع عادوا الى بيوتهم في الساعة الحادية عشرة بينما وقع الهجوم على (ديتيو) في الساعة السادسة .

وسأل الرئيس شهود الدفاع : وهل خرج المعلم من البيت قبل تناول العشاء ؟ فأجابوا بانهم لا يذكرون ذلك .

وشهد مختار القرية فقال : ان المعلم بوصفه امينا للسر في القرية قام بتحرير صك وفاة المجنى عليه وذكر فيه بان الوفاة حصلت في الساعة الحادية عشرة ، واضاف قائلا وعندما اطلعت على الصك سألته عن كيفية تحديده ساعة الوفاة ومعرفته ذلك فامتقع لونه ولاذ بالصمت .

اما المعلم فقد اجاب على ذلك بقوله : ان صكوك الوفاة ينبغي ان تحدد فيها ساعة الوفاة واني اشرت في الصك الى الساعة التي اعتبرها الناس انها ساعة الوفاة وهي ساعة وقوع الجريمة .

وافاد شاهد آخر قائلا : في اليوم الثاني من الحادث حدثت المعلم عن وجود بقع من الدم في بيت المجنى عليه فطلب الى ان اكتم الامر ولا اتحدث به الى احد .

ورد المعلم على ذلك قائلا : لا صحة لما ذكره الشاهد واني طلبت اليه ان لا يلمس شيئا ويترك الامر للقضاء ليقرر ما يراه بشأنه .

وشهد الدكتور لاموت فقال : استقدمني المعلم لزيارة المجنى عليه نظرا لرغبته في شراء ممتلكاته . وقد وجدت انسانا مريضا في سن الشيخوخة . وعندما سألني المعلم عن رأيي في الموضوع اجبته بانك لن تدفع اليه المرتب المتفق عليه بينكما مدة طويلة ما دام في هذه السن وبهذه الحالة الصحية . واردف يقول : بعد مقتل الرجل التقيت بالمعلم وقلت له : اني لا ادرك كيف يقدم انسان على قتل آخر من اجل الاستيلاء على ثلاثة براميل من النبيذ . فأجابني المعلم بانه لا يعتقد بان السرقة هي سبب الجريمة وان القتلة الاوغاد يعلمون اني اشتريت املاك المجنى عليه وانهم ما قتلوه الا للايقاع بي وتحطيمي ، وان المحققين يقتفون آثار المجرمين وسيكشفونهم لا محالة .

اما وكيل المتهم فقد شدد على وجود موكله في بيت (كاتربنو) وتناوله طعام العشاء وقضائه شطرا من الليل هناك . كما ركز على انه من السخف والبلاهة ان يقدم انسان على قتل آخر للتخلص من دفع مبلغ تافه . واشار الى افادات المرأة (ماري) المتعاقبة المترددة المتناقضة ، فقد كانت تبدو شهادتها في بادىء الامر تافهة مجردة من كل اهمية . وخاطب الشاهدة (ماري) قائلا : ما دمت تعلمين كل شيء منذ اول يوم فلماذا لم تفضي بمعلوماتك كلها ؟ لقد زعمت بانك ضعيفة الذاكرة مرة وان الخوف قد اطبق فمك مرة اخرى .. واني لاتساءل : اليس الدافع الى ذلك الكذب والانتقام ؟

الخوف

واردف يقول لها : منذ ان اوقف هذان الرجلان اخذ نومك يبدو مضطربا تسوده احلام مزعجة . لقد هرب النوم على ما يقول والدك من اجفانك وانه يشاهدك تتقلبين باستمرار في سريرك ويسمعك تتأوهين وتصرخين .. اتدرين ان ما ينتابك يرجع الى الخوف .. الخوف من نفسك وليس من هذين المتهمين اللذين تسببت في شقائهما والقضاء عليهما . ان هذا القلق الدفين الذي يقض عليك مضجعك ليلا ويضيق عليك الخناق نهارا ليس الا وخزا للضمير وعذاب النفس . وتابع الوكيل دفاعه فقال : وكيف تجرؤ هذه المرأة على الادعاء بالاغتصاب وهي المرأة الزانية التي اضحت مغامراتها اشبه بالقصص الخيالية .. لقد طردها زوجها من منزله ولكنه رضي باعادتها بعد ذلك فلماذا هذا الرجوع ، ولماذا هذا العفو ؟ اليس هو ثمن الاكاذيب الوقحة التي اريد من ورائها تحطيم المعلم الشاب وهلاكه ؟

وعلى الرغم من هذا المنطق وهذه الحجج الدامغة والبراهين القوية التي اوضحها محامي الدفاع فان قناعة المحلفين قد تبلورت نهائيا وخرجوا بعد المداولة من خلوتهم ليجيبوا ببراءة الاب وادانة الابن بالنسبة لجرم القتل واحراق البيت وبراءته من جرم السرقة : وعلى هذا الاساس اصدرت محكمة الجنايات حكما يقضي بعقوبة الموت على

المعلم وللاسباب المخففة التقديرية التى التمستها له المحكمة انزلت العقوبة الى الاشغال الشاقة المؤبدة .

وقف المعلم مذهولا من هول المفاجاة يكاد لا يصدق ما سمعته اذناه واغرورقت عيناه بالدموع وتقدم منه والده وشد على يده بقوة وخاطبه بصوت ينم عن الصرامة قائلا : اذهب يا بنى ان والدك باق لك ولن ينساك .

لم تكن هذه العبارة في الحقيقة مجرد كلمة تشجيع عابرة صادرة عن عاطفة ابوية وشعور بالحنان فحسب ولكنها كانت بمثابة قسم ووعد من الاب لابنه لانقاذه من هذه المكيدة المدبرة ولن يحنث الاب في يمينه ولن يخلف وعده . لقد كان الاب من طراز فريد ، قوى الشكيمة متين الاعصاب ، صلب الارادة ، واضح التفكير ، لا تهزه الاعاصير ولا تفت في عضده النوائب . لقد فقد في الماضي كل ثروته وما لانت قناته ولا وهن ولا تخاذل امام خصومه . كان مؤمنا ببراءة ابنه كايمانه بنفسه وواثقا من انتصار الحق والعدل رغم المكائد والنوب .

مكيدة مدبرة

انصرف الاب بعد اطلاق سراحه الى دراسة القضية وادرك بالبداهة ان مقتل الرجل انما لان مكيدة مدبرة اريد بها القضاء على ابنه وتحطيمه ، كما ادرك ان المدعو (دينيو) هذا الذى ادعى وقوع اعتداء عليه ليس الا شريكا للمجرمين الحقيقيين . ولكن لماذا دبر هؤلاء هذه المكيدة الرهيبة والمؤامرة الدنيئة ليذهب ضحيتها انسان برىء ؟ لا شك ان الغاية من ذلك انما هي الحقد الدفين والانتقام .

ولكن من له مصلحة حقيقية في الانتقام من المعلم غير الزوج .. زوج المراة (مارى) عشيقة المعلم ؟ ؟

من هنا تبدو نقطة الانطلاق وبداية حل اللغز الغامض .

اما الابن فلم يكن باقل قوة ومتانة اعصاب وسلامة تفكير من والده فقد كتب من السجن مرة الى ابيه يقول له : لشد ما يحز في نفسي ويؤلمنى ان اراك حزينا من اجلى . اتوسل اليك بان لا تستشعر اى حرج امام الناس بسبب الحكم الذى صدر على . انى برىء وانك على علم بذلك .. يداى لم تنغمسا في الدماء ابدا .. انى ضحية مكيدة مدبرة .. وان هذه المراة التى شهدت زورا وبهتانا انما ارادت هلاكى والقضاء على لانقاذ المجرمين الحقيقيين .. انى اشعر براحة الضمير لانى برىء .. صحيح انى عصيت الاله مرارا ولكنى لم ازهق روحا ولم اترد في حمأة الجريمة .

وكتب مرة اخرى اليه يقول :

اياك والتماس العفو .. فلشد ما تثير هذه الكلمة في نفسي التقزز والاشمئزاز وانه لافضل عندى ان ابقى رهن السجن كل حياتى من ان يجول في خاطرى او يدور في فكرى طلب التماس العفو . فاذا لم يكن بالامكان رفع الظلم عنى قضاء واذا لم يكن من الواجب انصافي فانى متحمل عندئذ هذا القدر وراض بهذا المصير .

وكتب مرة ثالثة الى والده يقول :

اكتب اليك هذه الكلمات ايها الوالد العزيز لانى القيتك في آخر مرة شاهدتك فيها نهب الهموم والوساوس ، تعانى الكثير من الالام في سبيلى .. ولكن حذار من الياس . الم يذكر لنا الانجيل ان شعرة واحدة لا تسقط بدون ارادة الله : فلا تفقد الامل وامض الى اعمالك متفائلا واجمع المعلومات المفيدة .. لقد حددت لك اين هم القتلة .. ولكن حذار من التسرع ومن النتائج المشكوك فيها .. ولا تنفق المال الذى نحن في امس الحاجة اليه . ان امكان الحكم على شاهد او شاهدين او ثلاثة او اربعة بجرم الشهادة الكاذبة لا ينجينى مما انا فيه ولا ينقذنى من هذا المصير المشؤوم . ان العدالة في نظرى هي هذا الشيء السامى .. هذا الشيء الالهى الذى لا يريد ولا يقبل الخطا ابدا .

في هذه الفترة تم تعيين السيد شارودو نائبا للامبراطورية في مدينة (ليبورن) . كان السيد شارودو قاضيا ممتازا حى الضمير ، لا يتردد في المجازفة بمركزه ومستقبله لمساعدة انسان قضى عليه ظلما . عكف القاضي المذكور على دراسة القضية وسرعان ما تكشفت له ثغرات وفجوات كثيرة في التحقيق والمحاكمة ووقف على تناقضات جمة وقرر فتح التحقيق في القضية من جديد ، وانتقل لهذه الغاية الى قرية (فيو) مسرح الجريمة ، وهناك بدا باستجواب الشهود مجددا . وعرف كيف يجذبهم بحديثه وانطلقت الالسن من

عقالها تتحدث مطمئنة الى القاضي النزيه واثقة به . ومثل شخص يدعى (فرانسوا ميلون) وروى جانبا من المكيدة المدبرة التي قبل (دينيو) ان يقوم بدور فيها . وقص على القاضي ما قاله له (دينيو) عندما دعي واياه لاداء الشهادة . وقال لقد سألني (دينيو) قائلا :

احقا انك شاهدت والد المعلم مساء في نفس الساعة التي ادعيت فيها بوقوع الاعتداء عليّ ؟ وعندما اجبته بالايجاب وذكرت له باني شاهدته فعلا وكان يتناول طعام العشاء مع زوجته وكلمته ودعاني لمشاركته الطعام طلب اليّ (دينيو) الا لا اشير في شهادتي الى هذه الواقعة ابدا وانه سوف يركز في افادته على ان المعتدي انما هو الابن وحده واما الهاجم الثاني فلم يستطع التعرف عليه وليس هو والد المعلم على كل حال . هذا وقد ادلى شاهد آخر سمع هذا الحديث بشهادة مماثلة . وافاد شاهد آخر فقال بانه قبل موعد جلسة المحاكمة بايام لقيه (دينيو) وتحادثنا في الموضوع واضاف : ولما سألته كيف يمكن للمعلم ووالده ان يعتديا عليك حوالي الساعة السابعة بينما كان الوالد يتناول طعام العشاء مع زوجته وابنه كان في بيت (كاترينو) . وبعد ان فكر (دينيو) مليا اجاب بانه عندما يقول الانسان شيئا فيجب ان يثبت عنده ويصر عليه مهما كلف الامر ، فادركت عندئذ بانه انسان مأجور وقد قبض ثمن الدور الذي يؤديه .

اما (دينيو) فقد حاول اول الامر الاصرار على اقواله السابقة ، ولدى اعادة استجوابه في اليوم الثالث ، تراجع عنها وكشف الحقيقة واوضح بان جميع ما ادلى به من اقوال سواء في التحقيقات الابتدائية او امام محكمة الجنايات كان افتراء محضا ومكيدة مدبرة . واعترف (دينيو) بانه قبض مبلغا من المال من المدعو (ليسبانيو) زوج المراة (ماري) لاتهام المعلم ووالده . وبعد ان تم تدوين اقوال (دينيو) هذه امكن للنائب العام شارودو الانطلاق الى نقطة ثانية وهي الشروع في استجواب المراة (ماري) ليظفر منها بالحقيقة . وقبل ذلك استمع الى عدد كبير من الشهود فاكدوا جميعا بانهم سمعوا المراة (ماري) تقول :

لقد ذهب المعلم المسكين ضحية بريئة . انه لم يرتكب ذنبا ولم يقترف جرما . ولكن لم يكن لي الخيار في شهادتي . كان عليّ اما ان احطم زوجي واضيع مستقبلي واما ان اقضي على المعلم . والحقيقة ان زوجي هو القاتل وليس المعلم .

وعند استجوابها مجددا انهارت واعترفت بالحقيقة كاملة ، وذكرت بان زوجها هو الذي اقدم على قتل الرجل وسرقة براميل النبيذ . ولكن لماذا ادلت الزوجة (ماري) بشهادة كاذبة ؟ يبدو من التحقيقات ان من بين الدوافع الى ذلك كان اشتراط الزوج للعفو عن زوجته والسماح لها بالعودة الى بيته ادلاءها بتلك الشهادة الكاذبة . كما ان مختار القرية كان له ضلع في المكيدة فلقد نسب اليه قوله للزوجة : ان واجبك هو انقاذ زوجك . وان الخوري كان له دور في تحريضها على الكذب كرها للمعلم وانتقاما منه .

هذا ولم يستمر الزوج طويلا في انكاره فلقد اضطر الى الاعتراف بالحقيقة غير انه انكر العمد كما انكر نية القتل . وقال بانه جاء الى الرجل الكهل في الساعة العاشرة مساء وحمل براميل النبيذ على عربته التي احضرها لهذه الغاية ، ولكن جدالا ثار بينه وبين الرجل المسن فدفعه دفعة سقط على اثرها على الارض ولم يكن يتصور ان هذا السقوط ستكون له هذه النتائج السيئة وانه سيودي بحياة الرجل . وانطلق في سبيله تاركا مصباحا بجوار البيت مطمئنا الى انه لا بد للرجل من ان ينهض ويتناول المصباح . غير ان شيئا من ذلك لم يحصل ، ويبدو ان هذا المصباح كان السبب في اشعال النيران في البيت واندلاع الحريق .

اطلاق سراح المعلم

وبتاريخ ٢٣ آب من عام ١٨٦٨ اطلق سراح المعلم بعد ان امضى في السجن نحو ثماني سنوات . وجاء بعد ذلك الى قصر العدل في مدينة (ليبورن) ومثل امام السيد شارودو . وقد وصف المعلم شعوره عند دخوله قصر العدل فقال : اثناء ما كنت اصعد درجات قصر العدل شعرت بانهيار في قواي وخوار في عزيمتي . لقد داهمتني افكار كثيرة .. عدت بذاكرتي الى الماضي البعيد وتذكرت اني دخلت المكان نفسه قبل ثماني سنوات خلت في ظروف مختلفة .. وارتعدت فرائصي وانتابتني قشعريرة عندما تصورت ان فصل راسي عن جسدي ما كان ليكلف شيئا . واخيرا وصلت الى مكتب هذا القاضي الجليل الذي ادين له بحياتي وشرفي .

ووقفت امامه .. كان عليّ ان ارتمي على قدميه شاكرا له صنيعه وجميله ولكني وقفت امامه جامدا لا حراك بي وكاني لا اعي شيئا ، لقد شردت الافكار من راسي وانعقد لساني وانحبس الكلام في فمي . واخيرا وبعد ان مرت دقائق لم تخرج مني الا كلمة شكر واحدة تكاد تكون غير مفهومة ودون ان تلامس الابتسامة شفتي .. لقد نسيت كيف يكون التبسم بعد ان عانيت الآلام والعذاب سنين طويلة . وقد خلت قلبي يهبط من صدري ثم خرجت بعد ذلك لا الوي على شيء .

واخيرا

واخيرا جرت محاكمة ثانية للجاني الحقيقي (ليسبانيو) امام محكمة جنايات (بوردو) في ١٨٦٩/٣/١٢ م ، حضرها المعلم ووالده وبقية الشهود ، وبعد تلاوة قرار الاتهام تقدم النائب العام ، فالقى كلمة وضح فيها خفايا هذه القضية المؤلمة ، والخطأ الفادح الذى سقطت فيه العدالة، وكان ضحيته المعلم المسكين الذى بقي له ايمانه بان الله معه ، كما وضح النائب جهود القاضي (شارودو) الذى تولى اعادة التحقيق في القضية حتى كشف حقائقها . ثم قال للمحكمة : « ايها السادة ، امامكم امران : ادانة او براءة،وانتصار احدهما يعني الحكم على الثاني ، وتبعا لحكمكم بالبراءة او الادانة ستفتحون او توصدون الباب امام امتحان قلما تمر العدالة بمثله .

وهنا نهض المحامي عن المتهم (ليسبانيو) واعلن ان المعلم برىء ، وان الفضل في براءته يعود الى اعتراف موكله الذى ذرف الدموع غزيرة حين باح بالسر ، واعلن الحقيقة .

وقال لرئيس المحكمة : ان موكلي مستعد ان يجدد هنا اعترافه الذى اسره اليّ في السجن ، فارجو التفضل باستجوابه .

ولما توجه رئيس المحكمة الى المتهم ليستجوبه امام المحلفين والشهود ، قال له : « اخبرنا عما تريد الاعتراف به،فاعلن المتهم انه سجل اعترافاته وسلمها لمحاميه ، فوقف المحامي يقرؤها ، وخلاصتها : « انى ذهبت بعربتي الى بيت الرجل لآخذ منه ثلاثة براميل من النبيذ لقاء دين لي عليه ، فوجدته في سريره ، فطلب مني اشعال شمعدان كان عند المدفاة ، فاشعلته ، وحملته الى مكان البراميل لاخذها ، وهنا نهض الرجل من سريره وراح يتناول بعض حساء كان عنده ، وخلال حملي البراميل الى عربتي ، وقبل ان ابتعد اعلن لي ان حالته سيئة جدا وانه صار لا يملك شيئا وطلب مني مقدار نصف برميل من النبيذ ، فرفضت طلبه ودفعته ، فسقط فوق اداة قاطعة ، فرفعته الى كرسي قرب سريره وكان صحن الحساء على الارض ، وانطلقت الخيل فلحقت بها وقدتها الى بيتي ، ولا اعلم ما حدث بعد ذلك .

قال رئيس المحكمة : اهذا اعترافك الكامل ؟ انك لم تقل كيف اندلع الحريق ؟

قال المتهم : كل ما قلته صحيح ، ولقد كنت تركت المصباح على الارض ، فلا شك انه السبب في الحريق .

ثم ظهر من تحقيق رئيس المحكمة انكار المتهم (ليسبانيو) انه حرّض زوجته (ماري) او (دبنيو) ، ووافقت الزوجة على انه لم يحرضها هو ، بل حرضها الخوري ومختار القرية ، واعلن (دبنيو) انه ادلى بشهادته الاولى الكاذبة في سنة ١٨٦١ بتاثير المتهم (ليسبانيو) .

وبعد استماع الدفوع والمرافعات حكم القاضي بادانة المتهم (ليسبانيو) بجريمة الايذاء المفضي الى الموت دون قصد ، وجريمة التحريض على الشهادة الكاذبة ، اما المتهمان (ماري) و (دبنيو) فقد ادينا بجريمة الشهادة الكاذبة ، وحكم على الثلاثة بالاشغال الشاقة لمدة عشرين سنة بعد تنزيل العقوبة بسبب الظروف المخففة التقديرية، وحكم ببراءة المعلم .

وكان للقضية صدى عميق في الاوساط الفرنسية، وتاثر نابليون الثالث امبراطور فرنسا بالماساة ، ومنح المعلم مكافاة جزيلة تعويضا له عما لقي من الم وعذاب . ثم امر بتعيينه مفوضا للحكومة لدى شركة مناجم الفحم الحجرى ، ثم مراقبا اداريا ممتازا في سكك حديد الجنوب بمرتب قيم ، واقام المعلم في مدينة (كركسون) في جنوبي فرنسا، لكنه لم ينعم طويلا بهذا المنصب ، فقد مات وهو في الخامسة والثلاثين من عمره ، متاثرا بما قاساه من ارهاق وعذاب في اثناء المحاكمة ، وحياة السجن .

مصطفى صدقي الريحاوى

العرب

في «بلد السواحل» الافريقية

■ المجتمع الافريقي يدين للعرب بما يملكه من فن وأدب وتكنية بحرية

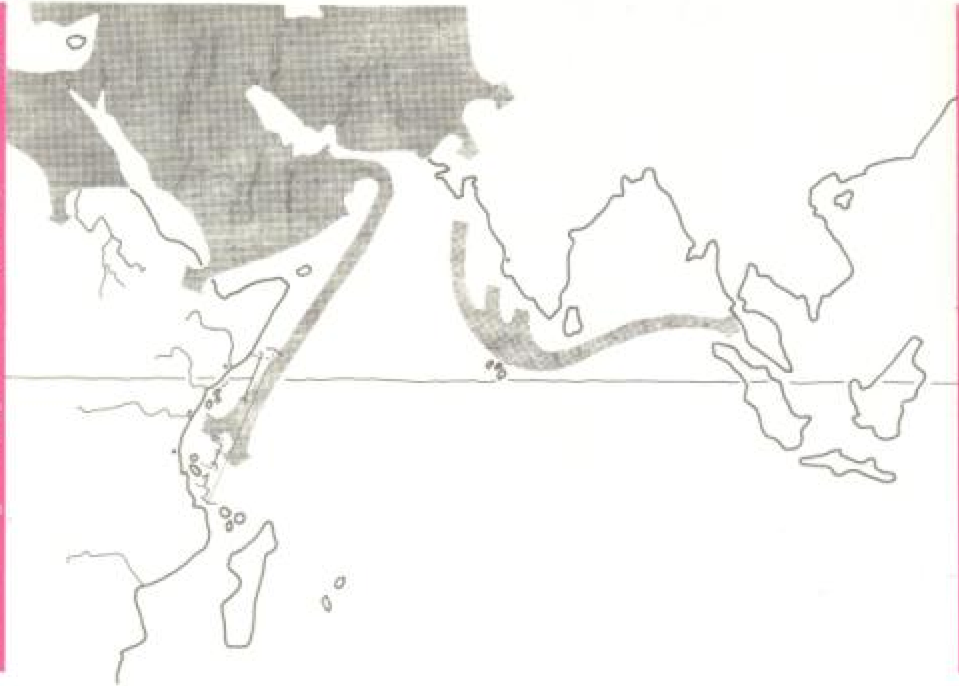
■ العرب استوطنوا بلد السواحل قبل الإسلام

بقلم: المهندس عصام عيسى غيدان

■ (بلد الزنج) اسم معروف لدى قراء العربية ، يتكرر في التواريخ ليبرز جزءا من ساحل افريقية الشرقي ، يمتد قرابة الف وخمسمائة كيلومتر جنوب مقديشو . وأول من اطلق هذه التسمية على هذا الجزء من الساحل هو(المسعودي) عندما زاره في القرن العاشر الميلادي فراه مجزءا بين عدد كبير من الدويلات البحرية المستقلة ، لكل منها حاكمها وكيانها الاقتصادي المستقل . هذه المنطقة اليوم ملك لثلاث دول هي الصومال وكينيا وتنزانيا ، فيها عدد من المدن الكبيرة منها عاصمتان (مقديشو ودار السلام)وميناء دولي (ممباسا) ومجموعة اخرى من المدن، كلها تعكس بطابعها ومعالمها الحضارية تأثيرا عربيا واسلاميا واضحين . والمنطقة ، وان كانت فقدت الاسم الذى اطلقه عليها (المسعودي)، لم تزل تعرف باسم (بلد السواحل) . ذلك الاسم البسيط الذى سماها به (ابن بطوطه) عندما زارها في عام ١٣٣١م . وبالاسم نفسه كذلك يعرف سكان المنطقة ولغتهم وحضارتهم .

المصادر

ان تاريخ أولى الموجات السكنية التي استوطنت ساحل افريقيا الشرقي لم يزل غامضا، والمعلومات المحدودة المتوفرة عنها تعتمد على ثلاثة أنواع من المصادر الاولية هي : أولا ما كتبه الجغرافيون العرب والبرتغاليون ، وثانيا ما تبقى من الاحاديث الشفهية التي يتناقلها الناس من سكان المنطقة ، ومصدر ثالث هو التواريخ الرسمية التي دونها مؤرخو بلاطات الدويلات الساحلية الرسميون ، كل في حينه ، لكن المؤسف ان مثل هذه النسخ الفريدة ضاعت او تلفت قبل وصولها الينا ، ولو أن عددا منها تم تدوينه ثانية في بداية القرن الحالي ، نقلا عن ألسنة الرواة من سكان المنطقة. وهذه الاخيرة تشير الى كون أول من سكن (بلد السواحل) كانوا من العرب الذين يرجع تاريخ وصول أولى موجاتهم الى ما قبل الاسلام .



خارطة انتشار الدين الاسلامي حتى القرن الخامس عشر الميلادى .

(ومن بعضها نستدل على انهم اسلموا في فترة خلافة عمر (رض) ، ومن اخرى يتبين لنا أن هجرة العرب وصلت ذروتها في عهد خلافة عبدالملك بن مروان . وقسم اخر يخبرنا بان البدايات السكنية المتواضعة تطورت بسرعة الى مدن تجارية جمعت اخيرا من القوة والثقة بالنفس ما دفعها الى تحدى الخلفاء الذين تلوا عبد الملك. وهذا ما دفعبالمنصور ان يجند ضدها جيشا ارسله حملة تأديبية في عام ٧٦٦م . وفي المصادر كذلك اشارات متكررة الى هجرة عدد كبير من العمانيين وهذا يؤكده ما جاء في (حوادث عمان) من قصة الاخوين سليمان وسعيد اللذين فرا الى الساحل من حكمالامويينفي عام ٦٩٢م واقاما حكم النبهانيين واتخذا من جزيرة (باتة) مقرا لحكمهما ..

ان الصورة التي ترتسم من دراسة هذه المصادر هي صورة مجتمع متحضر ، منذ القرون الاولى للهجرة ، عربي الجنس ، مسلم الدين ، يعتمد على التجارة والملاحة ، ويعكس في هيكله الادارى وطراز عمارة مدنه ادارة المدنية الاسلامية العربية وعمارتها . لكنها صورة تنقصها التفاصيل وتشوبها المبالغات التي كثيرا ما يتسم بها هذا النوع من التواريخ التى تدعي القدم ادعاء بسبب دوافع سياسية . والصورة تتعارض في أهم جوانبها مع المصادر المدونة من الكتاب العرب الذين يتفقون على أن الاسلام بقي دين الاقلية حتى القرن الثالث عشر ولم يصبح دينا شاملا الا بعد هذا التاريخ .

(فابن حوقل) المتوفى عام ٩٧٧م يضع حدود الاسلام الجنوبية عند اليمن ، وهذا ما يؤكده كل من المسعوى والادريسى (١١٥٤م) اللذان يتحدثان عن عبادة الاصنام في أرجاء الافريقية الشرقية .

ان اول شهادة عيان بعد اسلام المنطقة تأتينا من (ابن بطوطه) الذى يتغنى باسلامها وبتمسك حكامها التقاة باصول الدين . وبعد هذا التاريخ اشارات عديدة تؤكد هذه الحقيقة ، اهمها ما جاء في كتاب (ابو المحاسن) : « المنهل الصافي بعد الوافي » من وصف لمقابلة جرت في مكة عام ١٤٤١ م بين (المقريزى) وقاضي مدينة (لامو)

الساحلية حين وجود الاخير هناك لاداء فريضة الحج .. ويؤكد اسلام الساحل في هذه الفترة مجموعة من الادلة التنقيبية اوضحها تاريخ (كزمكازى) في زنجبار هذا نصه :

« امر ببنائه الشيخ السيد ابي عمران الحسن ابن محمد في اليوم الاول من شهر ذى القعدة لعام ..٥ هـ » .

وبالرغم من الحفريات الكثيرة التي قام ويقوم بها علماء الآثار في المنطقة ، لم يظهر حتى الان اثر للتمدن يرجع تاريخه الى ما قبل القرن التاسع الميلادى . وهذه الحقيقة ركزت لدى علماء الآثار الاعتقاد بكون الساحل، بل جميع افريقيا الشرقية والوسطى ، لم تكن تعرف التمدن قبل الاسلام . ان الاسلام كان هو الوسط الذى جلب التمدن الحقيقي الى المنطقة .

حملة تشويه

لكن هذه الحقيقة تجابه مقاومة شديدة من قبل الكنيسة والمدارس التبشيرية ومؤيديهم ، الذين يتعمدون تشويه الحقائق بدوافع سياسية . وهذا التشويه يجرى بصور عديدة . اولها تضخيم حجم تجارة العبيد التي شارك العرب فيها ، ومحاولة خلق الانطباع بان مجالات نشاطات العرب في هذه التجارة عبر القرون كانت تساوى أو تزيد على ما كان الاوربيون مسؤولين عنه وراء الاطلسي في غرب افريقية . فهؤلاء المؤرخون يتحملون وزرا كبيرا لتشويههم الحقائق ، وهم انما فعلوا ما فعلوا للدفاع عن اسلافهم ، وهم لهذا يحسون براحة نفسية في ادعائهم ان عبئا مشابها يقع على اكتاف اخرين في الضفة المقابلة ، بالرغم من ان الحقائق التي استجدت تثبت بأن مقارنة من هذا النوع هي اشبه بمقارنة المحيط بالجدول . فالاولى كانت من الضخامة بحيث صار لها تاثير واضح على كثافة السكان وتوزيعهم في المنطقة . وعدد الزنوج في الامريكتين دليل على ما نقول . والتشويه الثاني يخص هيكل التجارة . فالفكرة التي افلح هؤلاء المؤرخون في تثبيتها مبنية على قصص خيالية عن قوافل كان يرسلها العرب من الساحل الى الغابات الاستوائية لاقتناص الافارقة واختلاسهم خفية خلال ممرات خفية الى قوارب التصدير . ومن له اى علم مهما كان سطحيا بجغرافية المنطقة يقدر خرافة هذه الاقاويل .



احد نجارى مدينة (لامو) المتخصصين بحفر النقوش العربية على الابواب .

حقيقة تجارة العبيد

وعلى كل حال ، نرى نتائج الدراسات الحديثة التي يقوم بها جيل جديد من المؤرخين في جامعات (نيروبي) و (دار السلام) و (مكريرى) تثبت ان القبائل الافريقية هي نفسها التي كانت تستعبد افراد القبائل المعادية بعد غزوها وسبي افرادها ومن ثم نقلهم ، لكي يتم بيعهم على الساحل لغرض ترحيلهم الى اسواق الخليج العربي . ويبدو من نتائجها كذلك ان تجارة العبيد من شرق افريقية ، على ضآلة حجمها ، لم تخل من اشتراك الاوربيين المباشر فيها . فالمخطوطات التي عثر عليها مؤخرا في مكتبة البحرية الفرنسية تصف بالتفصيل النشاط المسعور الذى قام به البرتغاليون والهولنديون والفرنسيون في هذا المضمار .

دور العرب الايجابي

ان قصة تجارة العرب بالعبيد اصبحت قصة مشهورة كتب عنها الكثير، وترسبت حولها المبالغات والاكاذيب التي تهدف الى طمس دور العرب

وتشويه اثرهم ،واظهارهم بمظهر المستعمر المستغل والحقيقة هي أن المجتمع الافريقي يدين للعرب بما يملكه من فن وادب وكتابة وتكنولوجية بحرية وما شابه هذا من جوانب ايجابية اتخذ الغرب ازاءها موقف المتجاهل . فالفكرة التي كان يعمل دعاتهم على ترسيخها هي كون الحضارة السواحلية دخيلة على القارة لا تمت لتقاليدها بصلة ـ هي وليدة حضارة عربية اسلامية معادية جلبتها الى الساحل اغراض نفعية ومطامع ذاتية كالتجارة بالعبيد والعاج . فهي لذلك خالية من اي محتوى انساني لانها لا تزيد عن كونها نقلا مشوها عن اصل غريب .

الغاية من حملات التلفيق

لقد نجحت حملات التلفيق هذه الى حد كبير «وكثير من هذه الاكاذيب لا يزال عالقا بالاذهان . والواقع الذى تكشف بعدئذ هو أن هذه الحملات لم تكن سوى تمهيد لترسيخ النفوذ الغربي في المنطقة . وما تلا ذلك يمكن وصفه بكونه سياسة مزدوجة ـ شقها الاول كان يهدف الى بث التفرقة والكراهية بين الافارقة والعرب ، رغم كون العرب هؤلاء استوطنوا الساحل منذ مئات السنين ، فقدوا بنتيجتها لغتهم الاصلية ، وتزاوجوا من اهل البلد وتبنوا لغتهم . وشقها الثاني كان يدعو الى تشجيع الاوربيين للهجرة والاستيطان لاستغلال اراضيها الخصبة الفسيحة بعد سلبها من سكانها الاصليين وتحديدها كمناطق بيضاء لا يحق للسود دخولها .

رد الفعل ضدها

ان هذا الاتجاه يمر الآن بايامه الاخيرة . وهو حتى حين كان في اوجه ـ لم يخل عن معارضين ، اشهرهم جيمس كوكمان ، كبير علما الآثار المختصين وناظر متحف مومباسا حاليا . اشتهر بما قام

بعد الانتهاء من بناء السفن، يجتمع أهل البلدة بعد صلاة الجمعة للاشتراك سوية في سحب السفينة الجديدة الى البحر .



به في عام ١٩٤٨ من حفريات في مدينة (جدى) ، تلك المدينة المسورة التي تغطي مساحة عشرين هكتارا تقريبا والتي تكشفت عن هندسة وتخطيط يجمعان بين التاثير العربي والاصالة المحلية . ولقد دفعته معارضته الشديد لخالقيه الى تسمية المدينة باسم (مدينة جدى العربية) ، والى نشر وصف لها في دليل يحمل العنوان نفسه . ونحن نعلم أن (جيمس كوكمان) يعرف قبل غيره مدى مرارة الطعم الذي تتركه هذه التسمية في بعض الافواه ، ويعرف كذلك ان اسما كهذا لمدينة افريقية تبعد آلاف الكيلومترات عن اقرب بلد عربي لا بد أن يفسر بالسذاجة الى حد ما عند الاوساط العلمية . لكننا في الوقت ذاته نقدر ان الظروف احيانا تدفع الانسان ـ ولو كان عالما مثل (كوكمان) الى اتخاذ اسلوب التشديد ، أو المبالغة اضطرارا .

نشوء المدن الساحلية

أصبح الساحل ، بحكم موقعه الجغرافي واحتوائه على المواد النادرة كالعاج والتوابل ملتقى للقوافل التجارية من مختلف ارجاء المحيط الهندي وكانت تصل على متن سفن شراعية ، وكانت تتحكم الرياح الموسمية بوقت واتجاه سفرها . فهذه كانت تترك الخليج العربي والهند واندونيسيا والصين ، متجهة نحو الساحل،محملة بالفرفوري والادوات الحديدية والاثاث والاكواز وغيرها عند بدء الرياح الشمالية في النصف الاول من السنة ، ثم كانت تمكث هناك ، انتظارا لبدء الرياح الموسمية الجنوبية في نهاية السنة ، حين كانت تبدأ رحلة الرجوع ، محملة بالعاج والتوابل وغيرها . وبسبب هذا التفاوت الزمني بين الرياح الموسمية نشأ على الساحل عدد من القرى لايواء البحارة ، كانت تعقد فيها الاسواق لاستبدال البضاعة عند وجود السفن ، وتهجر عند ذهابهم . تطورت بعدئذ هذه القرى الى مراكز سكنية دائمة، استوطنها مهاجرون من انحاء المحيط ، تزاوجوا بينهم ومع السكان الاصليين .

تاريخ الاستيطان العربي

ويبدو أن ما يدور على السنة الناس من كون اول سكان المنطقة الذين سيطروا على أسواقها ، وعن طريقهم كانت تتم الصفقات التجارية كانوا

مدرسة دينية





مسجد

عربا هو القول الصحيح . ونحن نعلم ان هجرة بالاتجاه المقابل جرت ايضا،اختيارا ، او في قوارب تجار الرقيق . نستدل على هذا من ثورة الزنج في البصرة في نهاية القرن التاسع الميلادي ، او مما جرى قبل هذا التاريخ بقرن،من استخدام ابي العباس السفاح للزنج في جيشه الذي هجم به على مدينة الموصل .

ان اقدم اشارة تاريخية تدلل على وجود العرب قبل الاسلام في بلد السواحل تصلنا على هيئة دليل تجاري للملاحة ، كتبه بحار افريقي،من سكنة الاسكندرية في القرن الثاني للميلاد تحت عنوان (دليل بحر ارتربا) ، جاء فيه أن الاسواق التجارية تدار من قبل عرب ، يعلنون الولاء لملكة (حمير) في جنوب شبه الجزيرة العربية .

تطور المدن الساحلية

هكذا نشأت المدن الساحلية مثل (مومباسا) و (مالندي) وغيرهما عن بدايات متواضعة،تطورت بعدئذ الى ممالك مستقلة ، لكل منها ميناؤها واسطولها التجاري ، يجمع بينها عامل اللغة السواحلية المشتركة والتاريخ الواحد ، ويفرقها عن بعضها التزاحم على الاسواق والتنافس من اجل السيطرة على خطوط المواصلات البحرية المحدودة . وفي أحيان كثيرة كان هذا التنافس يؤدي الى حروب ازهقت الكثير من الارواح ودمرت العديد من المدن مثل مدينتي (نقوى) و (كناو) جنوب جزيرة (ماندا) . وعدد اخر من المدن هجرها اهلها بعد اضمحلال التجارة التقليدية ، اي عندما حلت البواخر الكبيرة والموانىء الدولية العميقة المياه بدل السفن الشراعية والمراسي البدائية . وقسم اخر تمكن بطرق مختلفة من التكيف لمجابهة الظروف الجديدة والمحافظة على كيانه . فمنها ما ساعدها موقعها الجغرافي على التطور الى موانيء صالحة للملاحة الحديثة مثل (مومباسا) و (دار السلام) و (مقديشو) ، ومنها ما تمكن أن يحول وظيفته من ميناء تجاري يعتمد على حركة الرياح الموسمية الى مدن تعتمد على السياحة ؟ (مالندي) و (ونامو) ، أو على ثروات حيوانية مثل صيد الاسماك في (براوة) أو على الزراعة مثل التبغ في (باته) أو على ثروات طبيعية أخرى كالاخشاب في مدينة (لامو) .

لامـو

ولقد اخترنا المدينة الاخيرة نموذجا لدراسة نوعية ومدى التأثير العربي على شكل ومحتوى المدن السواحلية .

تقع مدينة لامو على خط ٢° جنوبي خط الاستواء على الجانب الشرقي من الجزيرة التي تحمل الاسم نفسه . وهذا الموقع يوفر للمدينة كل ما كانت تحتاج اليه لأداء وظيفتها كدويلة تجارية تمتد مواصلاتها عبر البحر بوساطة السفن الشراعية .

فهي نظرا لانفصالها عن جسم القارة تأمن خطر هجوم القبائل التي سببت دمار المدن الساحلية اكثر من مرة فيما قبل . وهي كذلك بعيدة من خطر امواج المحيط الفتاكة ، بسبب من الحماية التي توفرها لها الجزيرة المقابلة (ماندا) . هذان العاملان ، اضافة الى ذلك عمق القناة البحرية التي يطل عليها ميناء المدينة ، تشترك في حماية المدينة من الهجرة التي أصابت كثيرا من المدن المعاصرة لها . وهذه هي النكسة التي تعرضت لها التجارة البحرية القديمة نتيجة تأسيس خط حديد (مومباسا) الذى أثر على اقتصاد مدينة (لامو) تأثيرا سيئا .

طابع المدينة

(لامو) عربية الطابع ، شوارعها ضيقة ، بيوتها عاليه الجدران ليس لها نوافذ خارجية ، يدخلها الضوء عن طريق صحون داخلية . يسكن المدينة سبعة الاف نسمة للثاهم من أصل عربي ، معظمهم من (عمان) و (حضرموت) . وهم ما يزالون يحتفظون باسماء عوائلهم العربية مثل (المعاوى) و (العلـوى) و (الخطيـب) و (الجهاضمي) وهكذا .

جميعهم مسلمون ، ومعظمهم يدينون بالمذهب الشافعي ، وفي المدينة اقلية اباضية . جميعهم حريصون على تنفيذ فروض الدين دون تهاون . يؤدون الصلاة المفروضة جميعها . ففي المدينة على صغرها ، اربعة وعشرون مسجدا ، اى بمعدل مسجد واحد لكل مائة ذكر بالغ ، وهذه دون شك نسبة نادرة مقارنة بالمدن الاسلامية الاخرى . جميع المساجد في حالة صالحة للاستعمال وتستعمل فعلا . في عدد منها مدارس ملحقة بها ، يأتي اليها اطفال المدينة طلبا للعلم ، يتعلمون فيها القراءة والكتابة العربية والسواحلية وأصول الدين والتاريخ الاسلامي والنحو والاخلاق. التدريس مجاني والمعلمون الذين يتبرعون بوقتهم لهذه المهمة يتبوؤون مكانة محترمة من باقي السكان



الشارع المحاذي للشاطيء، وتظهر فيه المدافع التي كانت تستعمل عند الحروب ضد الجزر المجاورة .



شارع في القسم الجنوبي من (لامو) . قسم الفقراء بناؤه بالطين وسقوفه من السعف .





سفينة شراعية يستعملها صيادو السمك
من قبل (الباجون) الافريقية .

الذين كثيرا ما يعبرون عن هذا الاحترام بتقبيل أيديهم عند مقابلتهم . في هذه المدارس يتعلم الاطفال كذلك المهن الحرفية ، كحياكة الحصران وصنع الاطباق ، ويرجع ربع بيعها للمدرسة .

كلية دينية

في (لامو) كلية دينية اسلامية يتوافد اليها التلاميذ من جميع ارجاء ساحل افريقيا الشرقي ، ومن بعض الدول الآسيوية كذلك لدراسة المواضيع اللغوية والدينية والفلسفية التي تتراوح مدتها بين سنتين وخمس سنوات .

مؤسس الكلية (الحبيب صالح جمال الليل). جاء الى لامو في عام (١٩٢٨ م) من جزائر القمر ، وصار له أثر كبير على الحياة الدينية في المدينة ، فهو الذى ادخل الموسيقي الى المساجد لتصاحب الموالد والمدائح النبوية التي لا تزال تقام في ثلاث امسيات من كل اسبوع وتستعمل خلالها الدفوف والطبلات . ولقد لاقى هذا في البداية معارضة شديدة من قبل اهل البلد الاصليين ، لكن اقبال اطفال المدينة ، وعوام الناس عليها ، والدور الذى لعبته في تشويق الدين الاسلامي للوثنيين الافارقة خفف من وطأة المعارضة وسارع في ازالتها . يتفاهم الناس باللغة السواحلية ، التي تعود بقواعدها الى عائلة لغات (البانتو) الافريقية ، ولو ان اكثر من ثلث مفرداتها من أصل عربي . واللغة غنية بالشعر الذى ينظم على البحور العربية والذى يوجد منه تراث كبير يتغنى به الناس لانه يعكس امجادهم الماضية .

دور النساء

يلعب النساء دورا مهما في المجتمع السواحلي . فالواقع الاجتماعي الذى يفرض عليهن العزلة داخل البيت يشجعهن على حفظ الشعر ونظمه . وتاريخ المنطقة يشهد لعدد من الشاعرات السواحليات بنماذج خالدة من الشعر الرائع ، مترجمة للغات عديدة ، ويشهد كذلك لعدد من ملكات الدويلات الساحلية بأمثلة نادرة من ضروب الشجاعة . كملكة (كمبو) التي رمت بنفسها في البحر ، وشقت طريقها سباحة بين الكواسج والتماسيح الى الادغال في الجزيرة المقابلة عندما علمت بمجيء الاسطول التركي تحت قيادة (ميرال بي) عام ١٥٢٨م . أو كحاكمة (تفوى) التي اختارت الموت بين أمواج البحر القاسية احتجاجا على الخيانةالتي اكتشفتها بين بعض رجال بلاطها. والنساء هنا ـ كعادة النساء العربيات ـ يلبسن العباءة في الشارع ، ولو أن نساء (لامو) قريبات عهد بها ، فالعباءة دخلت المدينة في مطلع القرن الحالي لتحل محل (الشراع) ، تلك الخيمة المتحركة التي كانت الاماء يرفعن أوتادها ، وكانت تسير السيدة داخلها .

الكيان الاجتماعي

(لامو) نشأت مجتمعا طبقيا يتألف من طبقتين، الاولى صغيرة من السادة العرب تمثل الارستقراطية التجارية والثانية كبيرة من العبيد والافارقة تمثل المزارعين والخدم . جميعهم مسلمون ، يسوي بينهم الاسلام وتجمع بينهم اماكن العبادة المشتركة. كانت موارد العيش سهلة المنال والارض خصبة ، والبحر غنيا بالاسماك ، والميناء مزدحما بالسفن. كانت الايام أمينة فسارت الحياة سهلة رغيدة .. العبيد يفلحون الارض لقاء حصة مضمونة والماهر منهم يجمع من المال ما تسمح به قدرته هو أيضا على امتلاك العبيد ... والسادة قلما تضطرهم الظروف للعمل غير متابعة الوارد وادارة الملك . كانوا يقضون وقتهم بين فترات الصلاة في التحدث على دكات منازلهم ، وبين اصابعهم مسبحات من الاحجار الكريمة المستوردة من الشرق الاقصى، ويشربون القهوة التي تقدم مع الحلوى ، وكان العبيد يتفننون في صنعها ، و (لامو) لا تزال مشهورة بالجيد من كليهما . وفي اوقات الاصيل كان اشراف البلدة عند (البرازة) على ساحل البحر ،يتحدثون فيما بينهم،ويستشيرون رئيسهم المنتخب عن امور الساعة والمستقبل، و (البرازة) كانت منتدى سياسيا يعقد على مقاعد خشبية معدة لهذا الغرض . وهذه العادة ما تزال قائمة . ففي مساء كل يوم يجتمع اشراف البلدة على برازة (لامو) ليتجاذبوا أطراف الحديث ، كما كان يفعل أسلافهم منذ العصور الوسطي . ولا يحق لغير سكان المدينة الاصليين من الغرباء أو الزوار حضورها .

فالمدينة كانت ولا تزال مقسومة جزءين يفصل بينهما خط وهمي معروف الابعاد . يسكن شمال الخط السكان الاصليون من سلالة الأسر اللامية العتيدة . ويطلق عليهم اسم (الفجوهو) أو أصحاب الجاه في بيوتهم الحجرية ذات الطابقين ، وفي جنوبي الخط الغرباء والزوار والمستضعفون من القوم في بيوتهم المتواضعة .

ولهذا التقسيم تأثير ملموس على عمارة المدينة وتخطيطها . فالمسجد الجامع يقع في القسم الشمالي بينما يزخر القسم الجنوبي بالاحياء الشعبية ذات المقاهي والمطاعم الصاخبة التي يتحاشاها سلالة (الفوجوهو) حتى يومنا هذا ، بمثل الحذر الذى يتحاشي به سكان القطاع الجنوبي الجلوس على مقاعد (البرازة) . وفي ايام سيادة المدينة كان حق التصويت مقصورا على سكان القسم الشمالي ، يمارسونه كل أربع سنوات لاختيار رئيس يحكم طبقا لتعاليم القرآن والعرف ، يساعده في ذلك مجلس شورى منتخب بالصورة نفسها . ولا شك في أن حالة كهذه كان لا بد لها من أن تترك بذور فرقة ونفور بسبب من تعالي فريق على آخر ، الامر الذى يولد الاحقاد ، لولا أن القسم الجنوبي هو الآخر كان يحتفظ بمزية كانت قصرا عليه ، فسكانه كانوا ولا يزالون بيدهم مقاليد ادارة الامور الدينية ، وأداء المراسيم الشرعية .

الحياة الفكرية والفنية

ادت سهولة العيش وبساطة الحياة الى انتعاش الانتاج الفني والفكري . لذلك تحتل المدينة مكان الصدارة بين المدن السياحية ، يزورها كل موسم عدد كبير من جميع انحاء العالم ، تدفعهم الرغبة لمشاهدة بيوتهم العربية الطراز ، وآثارها الفنية الاخرى . ولعل اشهر هذه الآثار هو الابواب الخشبية المنقوشة ، والمجوهرات الفضية ، والادوات النحاسية ، التى ما تزال تصنع حتى يومنا هذا .. جميعها يعكس تأثيرا عربيا في طريقة الصنع ونوع النقش . ومن الغريب ان الظروف التي خلقت هذه الحركة الفنية النشطة دفعت في الوقت ذاته رعاة الفن هؤلاء الى احتقار العمل اليدوى ، فمن الطرائف التي ما يزال الناس يتندرون بذكرها أن أثرياء البلد كانوا يبعثون حللهم عبر المحيط الى حضرموت لغسلها وكيها .

خلاصـــة

الحضارة السواحلية جزء من سلسلة الحضارات الاسلامية التي ترعرعت على سواحل المحيط الهندى . جميعها مدينة للعرب مباشرة في بدء نشوئها وتطورها وفي معظم معالم حضارتهم المادية كالعمارة والخط والنقوش وغيرها .. دراستها ما تزال في المهد لكن الاستمرار عليها سيكشف حقائق هامة بالنسبة للتاريخ الاسلامي عموما . ■■

نيروبي ـ عصام عيسى غيدان



قصة غريب

بقلم

الدكتور حسين مؤنس

■ في الشقة الصغيرة يسود الصمت . السكون يخيم على كل شيء فيها مع ان سكانها احد عشر انسانا ، تسعة منهم اطفال واولاد يستطيعون اقلاق الجن لو اطلق لهم عنان الحركة والكلام . ولكن اباهم نائم ، وهو اذا نام القيلولة فلا بد أن ينام كل شيء ويخمد كل صوت في ذلك الكون الصغير الذي يحكمه بالحزم والعزم .. والحب احيانا .

يظل كل شيء ساكنا لايبرح حتى يصحو الوالد من نوم العافية ، واشارة صحوته هي ان يصفق بيديه طالبا القهوة . هنا تدب الحياة في كل شيء من جديد فينطلق الشياطين الصغار ويبدا الكر والفر والشجار والشكوى الى الوالد والجرى على السلم ومنه الى الحارة،وهي الميدان الحيوى لهذا الجيش الصغير .

هذا هو الوالد يصحو ويفتح عينيه وهو راقد على الكنبة التي تحجر قطنها بطول الاستعمال ، ثم ينهض نصف نهضة ويصفق .

ويفتح باب الحجرة ، وتدخل زوجته الست عزيزة تحمل صينية عليها كوب ماء . يتناول

الكوب ويفرغه في بطنه . هذه هي اول مراسم استيقاظ ذلك السلطان الصغير الجالس بكل تواضع على كنبة عتيقة في ركن حجرة نصف مظلمة تطل على منور يضيق الصدر لمجرد النظر اليه .

وتخرج الست عزيزة تجر اقدامها جرا ، ويفتح عينيه ويتامل بطنها المتضخم الذى يسير متراخيا . وتذكر انها في الشهر التاسع وابنه العاشر على الابواب ، فافاق دفعة واحدة كانما كان قد نسي ذلك . لقد تعود وصول الاولاد على الافلاس حتى اصبح ذلك جزءا من واقع حياته .. ولكن هذه المرة .. ومد يده تحت المخدة التي كان يتوسدها واخرج حافظة نقود مستهلكة ومصابة بالانيميا المزمنة ، ودس فيها اصابعه واخرج جنيها مهلهلا وورقتين قيمتهما معا عشرون قرشا .. هذا كل ما عنده وابنه العاشر يتاهب للخروج الى دنيا الشقاء ، ومؤشر الشهر يشير الى اليوم السابع عشر ، وبينه وبين الراتب الجديد اربعة عشر يوما كاملة لا بد لهذا الجيش الصغير ان يفطر ويتغدى ويتعشى كل يوم منها ..

واقبلت ست عزيزة بالقهوة وصبتها له ، وتاملها بحنان شديد وشعر بالخجل منها وهي تنحني في جهد وقد تصبب العرق على وجهها واخذت تمسحه بمنديل في يدها ، وظل يتامل وجهها ، ثم تناول فنجان القهوة ورشف منه رشفة وسمعها تقول :

ــ اظن انني اقتربت جدا ياسي عبد الحق

فقال في شيء من الاستسلام :

ــ ماذا تعنين ، اليس امامنا اسبوع او اسبوعان ؟

ــ لا ياسي عبد الحق ... لا اسبوع ولانصف . يمكن يكون غدا او اليوم

فاستقام ظهره في فزع وقال :

ــ لماذا ... هل ممكن ان يتقدم الوضع على هذه الصورة ؟

ــ لا .. هو هكذا ... مضبوط في موعده

ــ وهل تحسين بشيء .. ؟

ــ بكل شيء .. ممكن ان تجيئني الحالة في اى لحظة ..

واحس بسحابة تمر امام عينيه ، ثم رأى عزيزة تخرج في بطء شديد ثم عادت بصينية اخرى عليها ادوات الحلاقة ، ووضعتها على كرسي الى جواره وخرجت ، ونهض واخذ يحلق ذقنه دون مرآة فلم يكن بحاجة الى ان يرى وجهه ، وسبح في بحر من الالام ...

★ ★ ★

ماذا يعمل ، ومن اين المال ؟

وجعل وهو يحلق يسب الاولاد والبنات والخلف والسلف ايضا . اما قال الناس لك كفاية عفاريت؟ الم ينصحك الطبيب بالاحتراس ؟ ما العمل الآن وماذا لديك لاستقبال هذا الزائر غير المرغوب فيه ؟ كم شكت لك عزيزة من الاولاد وتعب الاولاد،ولكنك لاتتعظ ! دائما تقول : كل ولد ياتي برزقه معه ! وها انت بنفس المرتب منذ الولد السادس ، وما العمل الآن وليس لديك مايكفي حتى التاكسى للذهاب لاحضار الداية من « السبتية » !

واحس ببغض شديد لهذا المولود الذى لم يات بعد ، وتمنى لو يحدث شيء يحول بينه وبين الوصول ثم عاد فاستغفر الله ...

وخطر بباله خاطر .

يستدين خمسة جنيهات من الحاج طه ابراهيم صاحب البيت ...

لقد سبق ان استعان به في مثل هذه المناسبة ، ولكن الحاج طه كبر الآن ولم يعد حرا في التصرف في امواله كما كان الحال قبلا ، لقد كبر أولاده واصبحوا كالضباع،ووضعوا يدهم على كل شيء، والرجل مريض ..

ولكن لا بد من المحاولة . ليس امامه الان الا ذلك الحل ...

انه ذاهب في الساعة الخامسة الى شقة الحاج لاعطاء درس اللغة الانجليزية لابنه الذى لايريد أن ينجح .. تمنى ان يكون الحاج موجودا وان يستطيع ان يخلو به دقيقتين ليطلب منه سلفة على حساب تلك الدروس التي يعطيها كل يوم مقابل جنيهين في الشهر ...

وتذكر ان لديه كتابا جديدا في الانشاء الانجليزى الفه زميله مسعود واعطاه منه نسخة احتفظ بها في صندوق الكتب في غرفة السطح . هذه الغرفة ملحقة بالشقة . تكرم عليه بها الحاج ايام العز ، ايام كان اجر هذه الشقة ثمانية جنيهات قبل ان تنزل عليها التخفيضات وتهبط بالايجار الى خمسة جنيهات وقروش . كان يضع فيها ما لا يحتاج اليه من الاثاث البالي . لو انصف لوضع فيها كل

اثاث بيته ، فليس فيه قطعة تصلح لغير الالقاء في النار ... وكان يضع فيها صندوقا فيه كتبه انقاذا لها من ايدى العيال ...

فكر في ان يأخذ هذا الكتاب ويقدمه هدية منه الى الولد، فيفتح له ذلك باب الدخول في موضوع السلفة ...

وفرغ من الحلاقة على عجل ، واخذ مفتاح الحجرة من تحت قمصانه في دولاب الملابس ، ومضى يصعد السلم الى السطح .

★ ★ ★

استلفت نظره ان باب غرفة السطح الثانية المجاورة لغرفته كان مفتوحا . لا بد ان احدا من عند الحاج طه صاحب البيت هناك .

فتح باب غرفته ودخل . التراب يغطي كل شيء على العادة ، وازال التراب من على صندوق الكتب ورفع جرائد كانت فوق الكتب فوجد كتاب الانشاء وتناوله فاذا صرار متعلق به. وقع الصرار على الارض واتجه هاربا خارج الغرفة فلاحقه ليقتله فاصطدم بامراة كانت مقبلة ، اجفلت للصدمة فتراجعت وتبين انها عطيات بنت الحاج طه ، واعتذر لها كثيرا بانه لم يرها ، وهونت عليه الامر وقالت :

ــ كنت ارتب غرفتي هنا عندما رأيتك داخلا السطح .. هذه الغرفة ملجا لي وانا اعتصم فيها عندما اغضب من امي ، انها تضايقني كثيرا ...

فنظر اليها طويلا ثم قال :

ــ انت مثلي لاتسلمين من المتاعب ، والذين يضايقونك هم اعز الناس اليك ، مثلي تماما ...

فابتسمت وقالت :

ــ تعال انظر .. لقد نظفتها ورتبتها وفرشتها .. انني اقيم فيها احيانا يوما او يومين ...

فنظر الى الغرفة وراقه منظرها وما وضعت فيها من فرش : حصير عليه قطعة سجاد وسرير سفرى صغير ومنضدة صغيرة وكنبة وكرسيان ...

ــ اليست جميلة ... ؟

ــ انني احسدك .. على الاقل انت لك مهرب وملجا .. اما انا ...

واستند الى الجدار ونظر اليها .لا زال منظرها جميلا كما كان دائما . هذا الوجه الاسمر القمحي يذكره بوجه زوجته عزيزة . في فترة ما فيما مضي كان بينه وبين عطيات غزل عابر لم يلبث ان انطمر تحت هموم الايام وكثرة العيال ... وافاق على صوتها تقول :

ــ وكيف حال ست عزيزة ... ؟

فهز راسه وقال :

ــ لاتسأليني عن عزيزة ياست عطيات ... انها على وشك ان تضع مولودها العاشر ...

ــ هذا الاسبوع فيما اظن ...

ــ ربما غدا او اليوم ...

ــ يا خير ! كان الله في عونها ...

ــ وفي عوني ايضا ياست عطيات ... تصدقين بالله ما معي الا جنيه واحد وعشرون قرشا وامامي زوجة ستلد وما زلنا في السابع عشر من الشهر .. صدقيني انني لا أدرى ماذا اعمل .. لا ادرى ضاقت بي الدنيا جدا ... جدا ...

واحس بيدها تمتد وتستقر على كتفه تعبيرا عن العطف ... فوضع يده على يدها ومضى يقول :

ــ لديك ما يكفي من الهموم ياست عطيات .. فلا تحملي همي ايضا ..

فقالت في رقة شديدة ...

ــ والله ياسي عبد الحق انا دائما حاملة همك .. حينما ارى اولادك وتعبك ومسئولياتك اتمنى لو كنت استطيع معاونتك ...

ودون ان يشعر وجد نفسه يقرب يدها من فمه ويقبلها ، وظل ممسكا بها وجعل يقول :

ــ ربنا يخليكي يا ست عطيات ... والله انني احس بعطفك علي وهذا يكفيني .. وانت دائما تشترين الحلوى والكراريس للاولاد ...

وتنفس من اعماق صدره وقال :

ــ ولكنني فعلا في ورطة ...

فقالت :

ــ خصوصا وست عزيزة لا بد ان تلد في المستشفي هذه المرة ...

ــ هل قالت لك ذلك .. ؟

ــ نعم .. ولكنها خجلت ان تقول لك بسبب المصاريف .. لقد تعبت في المرة الاخيرة تعبا شديدا واصبحت لاتطيق رؤية الداية .. انها خائفة هذه المرة ...

واحس برقة شديدة نحو زوجته. هذه الانسانة

الاصيلة الصبور التي تحتمل في صمت ... حقا لقد تعبت كثيرا في الولادة الاخيرة ... ونظر الى عطيات وقال وكانه يناجي نفسه :

ـ بودي لو اخذتها للمستشفي .. ولكن من اين .. ؟ وهل الولادة في المستشفي امر هين ؟

فنظرت اليه لحظة ثم قالت له : انتظرني .. سأتي حالا .. لا تترك السطح ...

ومضت مسرعة تنزل السلم ، وجلس على طرف الكنبة وادار بصره فيما حوله . انها اسعد مني على اى حال لقد تزوجت ثلاث مرات وطلقت ثلاث مرات لانها لاتلد .. يابختها .. ليس لديها هموم مصاريف او هموم اولاد ... وابوها ميسور ولن تحتاج ابدا ... ولا بد ان يرزقها الله يوما برجل تعيش معه بمالها على الاقل ... هذه المرأة عشقتك في يوم من الايام ! وانت ايضا لاتنكر انها شغلت بالك كثيرا . كان ذلك من ست سنوات .. عندما سكنتم هذا البيت .. كنت انت في الاربعين ولم يعرف شعرك الشيب بعد .. كان اولادك خمسة وكان ابوك على قيد الحياة يرسل اليك كل اسبوع من البلد معونة من الزاد وشيئا من المال . كانت عطيات لاتزال عليها مسحة البنات . كانت قد تزوجت وطلقت مرة واحدة عندما مرت بحياتك .. كنتما تتلاقيان على السلم عمدا في الغالب ... وكنت تضمها الى صدرك .. وهذا كل ما حدث.. ثم ذبل هذا الحب الخاطف تحت وقع الزمن القاسي ولكنه لم يمت ، وتكاثر اولادك وتزوجت عطيات مرتين اخريين ... وانتهت لاجئة الى غرفة السطح هذه الى جوارك .

وسمع خطواتها صاعدة ، ثم اقبلت اليه ومدت نحوه يدها بورقة مالية وقالت :

ـ خذ هذه من عندي ... علشان الست عزيزة .. لا بد ان تأخذها للمستشفي ..

ونظر في الورقة . كانت عشرة جنيهات . لم يصدق عينيه وابتسم على رغمه وقال وهو يمسك بذراعي عطيات .

سأعيدها اليك جنيها كل شهر .. ربنا يخليك ويسعدك .. لقد انقذتنا جميعا ...

ورآها تبتسم وتقول :

ـ انها هدية مني لست عزيزة وللولد الجديد . لاتفكر في ردها ..

وضمها الى صدره ، والقت راسها على كتفه وقالت :

ـ لم انسك ابدا ياسي عبد الحق ...

وقبل ان يرد انفلتت من بين ذراعيه ، واسرعت ونزلت السلم على عجل ...

ووقف صامتا ، ورفع بصره الى السماء :

ـ اشكرك يا رب اشكرك .. الحمد لك الف حمد .. والله ما اردت شرا ... انت عالم بحالي .. هي غلبانة وانا غلبان .. وانت رب الغلابة تعطف قلب المسكين على المسكين ...

ووضع الورقة المالية في جيبه،وعاد الى غرفته، وبصر فاذا الصرار يعود الى الغرفة سائرا في حذر اسفل الحائط فقال :

ـ لاتخف ، انت مسكين مثلنا . عد الى صندوقك وعش فيه في هدوء .. وهذا كتابك لتنام تحته كما كنت !

ووضع الجرائد فوق الكتاب واقفل الصندوق في رفق ، ثم اغلق الغرفة ومضى نازلا وهو يحس وكان حجرا انزاح من على صدره ...

★★★

عندما وصل الى شقته وجد صديقه وزميله في المدرسة محمود عمران في انتظاره . اتى يسأله عن الحال ، ثم ليذهبا الى المقهى معا ، فقال :

ـ اظن يا محمود عزيزة ستلد اليوم او غدا ..

ـ هل كلمتكم ست بركة الداية ...

ـ هذه المرة عزيزة ستلد في المستشفي ...

وكانت عزيزة داخلة بالقهوة فقالت :

ـ من قال لك انني اريد ان الد في المستشفي هذه المرة ؟

ـ لا احد ... ولكنك تعبت المرة الماضية تعبا شديدا ..

ـ معهلش .. اتحمل مرة اخرى .. المستشفي تحتاج الى مصاريف ...

ـ ربنا معنا .. كل شيء يهون في سبيلك يا عزيزة .. وهل عندى غيرك .. هيا يا محمود .. تعال نحجز غرفة في مستشفي المبرة .. يقولون ان الزحام شديد ..

ـ على الدرجة الثانية فقط .. يعني الغرف المزدوجة ..

ـ هذا مانريد .. تعال ...

وبينما كانت عزيزة تدعو له بطول العمر ولسانها يلهج بشكره كان ينحدر على السلم مع صاحبه ،

ووصلا المبرة .. وجدا سريرا خاليا . قالت الممرضة انه آخر سرير . دفع خمسة جنيهات ما بين اجر الغرفة ونفقات غرفة العمليات . اصر كاتب المستشفي على ان ياخذ اجر ليلتين . هذا هو الحد الادنى . ودفع جنيها آخر لايدرى لماذا .

شعر بسرور عظيم ان استطاع ذلك ، ثم ذهب مع صاحبه فجلسا في المقهي قدر ساعتين . كانت الساعة الثامنة مساء عندما عاد الى البيت ، استقبله ابنه اسامة وقال له :

ـ ماما راحت المبرة ...

ـ متى ...

ـ من نصف ساعة ... بعد ان خرجتَ مباشرة جاءها الوجع فاستدعت ست عطيات وذهبتا الى هناك في سيارة الحاج طه . قالت انك تنتظرها هناك .. ألم ترها .. ؟

ونظر الى وجه ابنه الذى كان يسير نحو الثامنة من عمره وقال .

ـ ومن ذهب معها منكم ؟

ـ عديلة ودولت .. آمال بقيت معنا هنا .. اريد ان اذهب معك يا بابا لارى اخى الجديد ..

واقبلت ابنته آمال . كانت في الرابعة عشرة وهي ثالثة بناته . عندما تزوج انجب ثلاث بنات متتابعات : عديلة ودولت ثم آمال .. ثم جاء الاولاد بعد ذلك .. ستة ذكور في خيط ...

واوصى ابنته ، واسرع الى مستشفي المبرة ، كانت قريبة جدا من البيت ولهذا لم يشك في انها هي التي حجز فيها ...

وعندما وصل كانت عزيزة لاتزال في غرفة العمليات وقرأ في وجه الممرضة شيئا لم يعجبه . طمانتهقدر ما استطاعت ورجته ان ينتظر فيهدوء..

وانحط على كرسي ، واخذ يلعن الاولاد ومتاعب الاولاد ، انصب غضبه على هذا القادم الاخير : هل كنا تنقصك انت ايضا .. من اين اتيت ؟ ولماذا ابتلانا الله بك .. ماذا افعل بك ياوجه الفقر وماذا اتيت تعمل .. ؟ اولاد .. اولاد .. هلكنا من الاولاد .. وهاهي المسكينة لايدرى الا الله ماذا بها ...

وبعد قليل خرجت الممرضة وخلفها الطبيب فاسرع خلفه يسأل في لهفة وقال الطبيب :

ـ الحمد لله . كانت ولادة متعسرة .. المشيمة تفجرت في الطريق وراس الولد كان ملتصقا بالرحم .. كنا على وشك اجراء القيصرية .. ولكن الله سلم .. نزل الولد سليما ...

ـ وهي .. ؟ هي كيف حالها .. ؟

ـ بخير .. تعبت كثيرا ولكننا اسعفناها .. ولكن الولد ..

ـ في داهية الولد .. المهم هي ..

واسرع الى غرفة الولادة ، هز الطبيب راسه وسار نحو غرفته ولحقت به الست عطيات وقالت له : مسكين ... هذا هو ابنه العاشر ...

ـ وانت اختها .. ؟

ـ بل جارتها .. ولكننا كالاخوات ...

ـ اذن تعالى خذى فنجان قهوة عندى في المكتب .. لقد تعبتِ معنا كثيرا ..

وسارت معه وسالها :

ـ وهل تسكنين معها في نفس البيت ...

ـ انا بنت الحاج طه ابراهيم ...

ـ صاحب العمارات التي على الميدان ؟ انني اسكن في احدى شققكم ..

ونظر اليها طويلا وابتسم ، ودخلا الحجرة .. وطلب القهوة ...

★ ★ ★

كانت عزيزة قد خرجت من غرفة العمليات . كانت في سريرها . وجدها في حال طيبة . كانت تبتسم ولكن الاجهاد كان باديا عليها ، قالت :

ـ الولد .. ؟ اين الولد .. ؟ كيف حاله ..؟

ـ الولد مش مهم .. المهم انت ...

فقالت في جزع

ـ ابنى .. اين ابنى ..؟ هات لى ابنى .. انه ولد جميل كبير ....

ـ لن يحصل للولد شيء ... طمنيني عليك ..

ـ انا بخير ... شوف انت الولد ...

ودخلت ممرضة فقاست حرارة عزيزة ونبضها ، واعطتها حقنة وقالت :

ـ الآن انت بخير . سناتيك بطبق شوربة .. لا بد ان تاكلي شيئا .. انت منهوكة القوى ..

ـ الولد .. ؟ فين الولد .. ؟

ـ الولد تحت الاكسوجين .. لاتخافي عليه .. حصل له اضطراب في التنفس بعد الولادة ولكن الدكتور فوزى شاطر جدا .. اعاد اليه التنفس

.. وهو الآن تحت الخيمة ولونه يتحسن وقد اصبح تنفسه طبيعيا ...

فقالت عزيزة ...

ـ قم انظر ابنك ياسي عبد الحق ... اريد ان اطمئن على ولدى ...

فقال في ضيق :

ـ ياستي هل ينقصنا اولاد .. المهم انت .. انت اولا .. انا لا اريد اولادا ...

ـ معلهش ياسي عبد الحق .. قم انظر كيف حال الولد .. اريد ان اطمئن على ولدى ...

وخرج على رغمه . اخذته ممرضة الى غرفة فيها اجهزة وادوات كثيرة . عندما دخل استقبله الدكتور فوزى وطمأنه على الولد . لقد انقذناه بمعجزة ... كادت الام تموت .. وخرج هو دون تنفس .. لم تنفس .. ثم وقف تنفسه ، ولكنه الآن عال..كل شيء فيه طبيعي : التنفس، الحرارة ، النبض ... ولكن لابد ان يظل تحت الخيمة هذه الليلة .. زيادة في الاطمئنان .. انظر .. هاهو .. لقد تحسن لونه كثيرا ...

ومن بعيد نظر الى حيث اشار الطبيب . راى الولد تحت كلة من النايلون .. لم يجد ما يحفزه على التقدم ليراه . كان لايريد ان يراه .. كان يشعر انه عبء جديد حط على كتفيه .. لماذا بذلوا هذا الجهد كله لينقذوه ...

وشكر الطبيب ومضى فطمأن زوجته .. رجته ان يأتيها بولدها قبل ان يمضى . وجد ان النعاس يحط عليها فخرج ، وسار في الطريق الى بيته ..

وجد اولاده ينتظرونه . طمأنهم على امهم . لم تلبث ابنتاه عديلة ودولت ان اتيتا . اعطى عديلة عشرين قرشا ليشتروا عشاء . قالت انهم لن يستطيعوا الشراء من البقال المجاور فهم مدينون له بجنيهين . اخرج جنيهين وناولهما لابنته وقال : ادفعوا له وخذوا ماتريدون .. تعشوا جيدا ...

ـ ولكن ماما تريد الولد .. لا بد ان تذهب الى المستشفى بعد العشاء وتأتيها بالولد ..

وفعلا ذهب . كانت الساعة العاشرة مساء . وجد ان الطفل تحسن جدا فسمحوا بان ينتقل الى غرفة امه لتراه . رأته واطمأنت ثم استأذنوها في ان يعيدوه الى خيمة الاوكسجين ريثما تصحو في الصباح . رضيت وقبل ان يتركها راى وجهها الوسيم يبتسم راضيا ..

خارج الحجرة وجد الدكتور فوزى ، سار معه خطوات . طمأنه على الولد ثم قال له :

ـ تعرف انها لطيفة جدا ..

ـ من هي ...

عطيات هانم التي اتت مع زوجتك ...

ـ نعم .. اصلها بنت الحاج طه ابراهيم .. مسكينة ... انها لاتنجب ...

فقال الطبيب وهو يهز راسه :

ايه رايك انني محتاج لواحدة تماما مثل عطيات هانم ... اصل مراتي المرحومة ...

ولم يسمع بقية كلامه . كان غارقا في همومه . كانت الممرضة قد قالت له ان عليه ان يدفع جنيهين زيادة بسبب اجراءات تعسر الولادة ونفقات الاوكسجين ...

وعندما كان خارجا قابله كاتب المستشفى . كان لايزال يعمل فقال له :

ـ نريد منك جنيهين و ٢٢ قرشا ..

ومد يده في جيبه وهو يقول :

ـ خذهـا من الان ..

ـ تستطيع ان تدفع غدا ...

ـ خذها الان احسن ...

وعندما سار في الطريق الى بيته اخذ يحصي ما معه . لم يبق معه الا جنيه ونحو سبعين قرشا . جعل يكلم نفسه : لا بد ان اسافر الى البلد . غدا الخميس استطيع ان آخذ اجازة ، مسافة الخميس والجمعة اقابل عمي واخذ منه ما استطيع ... بدون هذا لا امل .. ساعطي الجنيه للاولاد .. والسبعون قرشا تكفي للسفر..

واحس بخطوات تلاحقه . كان كاتب المستشفي فقال له :

ـ نعرف اننا نسينا ان نسالك ماذا تريد ان تسمي الولد ؟

وكان يفكر في قريتهم والشيخ غريب الذى يقوم ضريحه فيها فقال :

ـ سموه كما تريدون .. كله عندى زى بعضه ..سموه «غريب»..هو غريب وانا غريب..وكلنا غرباء ... واسرع في خطوه وسمع الكاتب يقول :

ـ صحيح انت غريب . لكن لماذا تعطي الولد المسكين هذا الاسم ؟

★ ★ ★

وصل قريتهم ، كوم الراهب ، مركز سمالوط

مديرية المنيا بعد صلاة العصر بعد رحلة بالقطار والسيارة والحمار ـ على الترتيب . في الطريق قرا الفاتحة للشيخ غريب . وجد عمه كما هو من سنوات جالسا على الكنبة في غرفته الواسعة المليئة بالنور . كان مريضا لايبرح بيتهمن سنوات. سر لرؤيته ورحب به كثيرا واستدناه الى جواره على الكنبة وقال له :

ـ ابن حلال ... كنت افكر فيك ..

ـ كلك خير ياعمي .. بعد المرحوم والدى انت ابي ...

ـ الله يرحمه .. كان سندى في الحياة .. بعد ان مات ، اكلني اولادى ... وسكت قليلا ثم عاد يقول :

ـ اما كنتم تنتظرون ولدا جديدا .. الم تخبرني في آخر خطاب لك ان عزيزة حبلى ..
فتنهد عميقا وقال في اسف :

ـ ايوه ياعمي .. اهي ولدت امس .. اصبحوا عشرة ..

ـ مـاذا ولدت ..

ـ جابت ولد .. والله ياعمي ما كنا نريده ...
فقال العم في استسلام وهو يطرد ذبابة بمنشة في يده :

ـ أهي قسمتك بقي .. مصيبتك هي مصيبتي .. الاولاد ..

ـ ياعمي .. ليس عندك الا ستة .. وكلهم كبار ومتزوجون ..

ـ عفاريت بعيد عنك يا عبد الحق ... والبنات وازواج البنات اوحش من الاولاد ..

ـ ليه ياعمي .. كفى الله الشر ..

ـ يا سيدى كلهم متحزبون علي مراتي عايدة بنت الشيخ سليمان الدراس ... مالها والنبي عايدة ؟ .. بعد ان ماتت المرحومة امهم تركوني وحدى كالكلب . حتى البنات نسين اباهن .. من وحدتي تزوجت عايدة .. بنت حلال وبنت اصل وكانت مطلقةمن سنوات ولا ولد عندها ولا بنت .. اخذتها وطلعت بنت حلال واميرة وصالحة واصيلة .. ولكن الاولاد لا يريدونها .. كانوا يريدون الا اعطيها قيراط ارض .. هل هذا يصح يا عبد الحق ست اصيلة وبنت ناس ومخلصة وصابرة ولسانها لا يقول العيب لا اعطيها شيئا ؟ ... من الصبح الى الليل تخدمني وتشوفني وترعاني .. ثم اخرجها من تركتي هكذا .. هل هذا يليق ؟

ـ معلهش بقي ياعمي انهم اولادك ..

ـ والله عايدة كل يوم تفكر فيك وفي اولادك .. دايما تسال : سي عبد الحق لم يكتب .. لازم نكتب له ...

ـ فيها الخير .. اصيلة برضه ...

ـ اي والله اصيلة والف اصيلة كمان .. لهذا اقسمت بالله ان اعطيها ثمانيـة فدادين من الخمسة وعشرين قبل ان اموت .. كانت حرب يا ابني وضرب نار .. ولولا ان اولاد الدراس ناس كبراء واللهما كنت ساستطيع اعطاءها شيئا . قسمنا الارض بحضور العمدة..واخوانها استلموا ارضها يزرعونها لنا .. ناس اصلاء يعرفون الله ... والله انهم ياتون لنا بثمن المحصول الى باب البيت .. ويملاون بيتنا خيرا .. واولادى .. ؟ لايسأل عنى منهم احد بكوز ذرة .. لعنة الله على كل الاولاد ..

كلهم ياتون غضبا عنا ياعمي .. لا ادرى لماذا يحزن عديم الخلف على الخلفة ...

ودخلت الست عايدة . كانت امراة عريضة وسيمة الوجه عليها وسامة ووقار . في الخمسين من عمرها ولكن وجهها كان شابا جميل التقاطيع . رحبت بعبد الحق كثيرا.كانت تعطف عليه دائما.. واتت القهوة وقال العم :

ـ قم اقفل الباب يا عبد الحق .. امراة عمك تريد ان تقول لك شيئا . وقام فاقفل الباب وقالت الست عايدة وهي تملأ الفناجيل : قل له انت ياحاج .

ـ شوف ياعبد الحق .. انا كنت قلت لعايدة انني اريد ان اكتب لك شيئا ، لان اولادك كثيرون وابوك لم يترك لك شيئا ... وكمان انت الوحيد الذى نفع في المدارس من اولادنا واصبح مدرسا ...

ـ والله كثر خيرك يا عمي .. انت خيرنا وبركتنا ...

ـ والله ماخيرنا وبركتنا الا عايدة .. هذه التي تراها امامك ... بعد ان قسمنا الارض وكتبنا وسجلنا قالت لي :

ـ اسمع يا حاج عمر .. انا عارفة انك كنت تريد ان تعطي ابن اخيك عبد الحق شيئا وانا لا

اكبر لك كلمة خصوصا واننا سمعنا ان امرأته حبلى من جديد فقال العم :

ـ خلفت يا ستي .. جابت ولد ... ماذا سميتموه .. ؟

ـ غريب ...

ـ شيء لله يا شيخ غريب..وبعدين ياسيدي. بعد ان تسلمت ارضها قالت : انت كنت تريد ان تعطيه فدانين ، لكن اخوتي انا ايضا لن يرضوا بذلك ... انهم ليسوا احسن من اولادك .. ولكني اعطي سي عبد الحق ثمنهما من عندي لتكون انت راضيا وهو راض .. وليكون الله سبحانه راضيا عنا ... فنظر اليها عبد الحق وقال :

ـ والله لا لزوم لذلك يا امراة عمي .. لقد اتيت ارجو عونا بسيطا علشان الولد ... اي شيء .. كما تفعلين معي دائما ...

ـ لا .. ساعطيك ثمن فدانين ارض حتى ابرىء ذمتي ويكون عمك قرير العين ...

ـ والله هذا كثير يا عمي ...

ـ خذهم يابني علشان ابنك الجديد .. خذهم وخليهم لغريب وقالت عايدة ...

ـ علشان لما يكبر يدعو لي .. عندما يكبر قليلا هاته هنا .. اربيه لك .

ـ من عيني هذه وعيني تلك يا امراة عمي .. ونهضت فاتت بمنديل وفتحته . كان فيه اوراق مالية . ناولته اياه وقالت :

ـ ..ه جنيه .. دول حقك ونصيبك .. دول لغريب .. راضي الان ..

ـ راضي ؟ والف راضي .. وباقل من هذا راضي .. بخمسين راضي .. بخمسة راضي .. برضاكم عني بس راضي .

واكب على يدها يقبلها وعلى يدها يد عمه يقبلها ولسانه يلهج بالشكر وقال عمه :

ـ ضع النقود الان في جيبك واياك ان تقول شيئا. ولا كلمة..غدا صباحا سيذهب عبد المجيد الدراس اخو عايدة الى مصر . اذهب معه . لاتقل له شيئا .. هذا سر بيننا نحن الثلاثة .. لايعلم به الا الله وابتسم وقال :

ـ رزق ابنك غريب .. ولد سعد .. سبقه رزقه الى الدنيا .. قم الان فاغتسل وتعال نتحدث ...

★ ★ ★

عندما اقترب من بيته كان يقول في نفسه :

ـ اعذرني يا ابني ياغريب .. ظلمتك والله .. ظلمتك وكفرت بنعمة ربنا .. والله لاحفظن هذه النقود لك ، لن انفق منها مليما الا عليك .. هذا رزقك وحلال عليك .. والله لاعلمنك الى الجامعة .. والله لتكونن طبيبا او مهندسا .. ياحبيبي ياغريب ..

وفتحت له ابنته الباب واخذت منه الحقيبة التي ملأتها الست عايدة بالطعام والدجاج والزاد. كان وجهه ضاحكا كلـه ، فنظرت اليه عديلة وقالت :

ـ غريب مـات ...

وكانما انقضت عليه صاعقة فظل واجما لحظة ثم اجهش في البكاء . ودهشت بناته لانهن كن يعرفن انه لايريده . ولكنهن جعلن يواسينه ، واقبلت عزيزة وقالت وهي تمسح دموعا صامتة :

ـ ها هو قد ذهب . اتى غريبا وذهب غريبا . ما كنت تريده ، وما رضيت ان تراه الا بالقوة .. ياعيني يا ابني ووقف عبد الحق وقال :

ـ متى مـات ... ؟

ـ يوم الخميس في الصباح . عادت له ازمة التنفس واختنق وعجزوا عن انقاذه .

واجهش الكل في البكاء . وقال عبد الحق :

ـ ودفنتموه وانا غايب .. ! فقالت عزيزة وهي تبكي ..

ـ نعم .. دفناه مع اختي ...

وانطلق خارجا وهو يقول انه يريد ان يقرأ الفاتحة على قبر ابنه . كان يعرف المدفن . وصل مع المساء . بعد لأي ما وجد حارس القبر ، ففتح له ودخل وانكب على القبر يبكي ...

وتعجب الرجال وقال :

ـ هذا طفل عمره يوم .. كان الله في عون جارك الذي فقد بالامس شابا في التاسعة عشرة ..

وتركه ومضى واخذ يبكي ويناجي ابنه : اغفر لي ياغريب .. انني لا استحقك .. ما اردت حتى ان انظر الى وجهك .. ما كنت اعلم انك خير اولادي ... اتيت برزقك معك وورثناك ... سامحني يارب .. سامحني يارب . ■■

حسين مؤنس

مِنَ المسرح العالمى

سلسلة ثقافية
تصدرها فى مطلع كل شهر

وزارة الإعلام فى الكويت

أول سبتمبر ١٩٧٢

١/٣٦

من الأعمال المختارة

چان جيرودو - ١

• الكترا • لن تقع حرب طرواده

ترجمة وتقديم : يوسف محمد رضا

مراجعة : د. محمد م. القصاص



لكافة معاملاتكم
المصرفيّة
البنك التجاري
في خدمتكم دائماً
ممثلون في :
● بيروت
بنك الريف ش.م.ل
● دبي
بنك دبي التجاري المحدود
● لندن
بنك الكويت المتحد المحدود
البنك التجاري الكويتي
ش . م . ك .
كويت . ص . ب : ٢٨٦١ / برقيا : بنكتجاري . كويت / تلكس : ٢٠٠٤-٢١٦٧ / تلفون : ٤٢٤١٤١/٢٠ خط

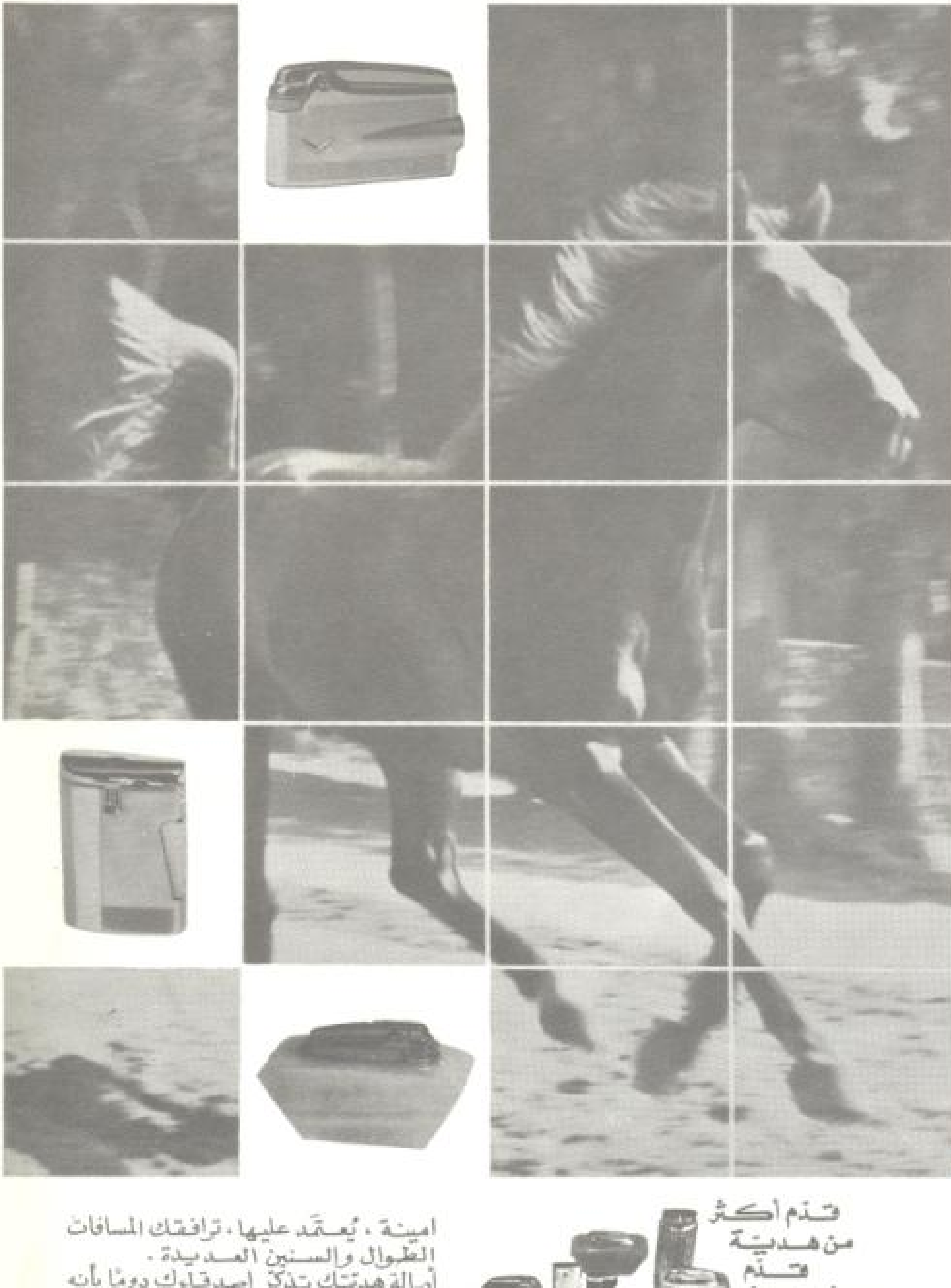
ماهو
الستريو المنزلي الكامل

يعتقد مهندسو سوني بأنه يجب ان يتألف من جهاز لتشغيل الاسطوانات، وجهاز للاستماع الى الكاسيت، ومنغم FM/AM ومكبّر أصوات ... في قطعة واحدة.
لذلك صمّمنا وصنعنا طاولة تدوير الاسطوانات بـ ٤ سرعات اوتوماتيكية يدوية ... وهي تستطيع أن تستقبل ٦ اسطوانات دفعة واحدة. وجهاز الكاسيت يستوعب الكاسيت الشريطية بسهولة في فتحة امامية مخصصة لذلك، كي يلعب التسجيلات او يسجّل ما ترغبه راسًا من المنغم ... أو رأسًا من المايكروفون. أما مكبّر الأصوات المصنوع من الترانزيستور السيليكون، فإنه يعطي ٣٦ وات من الطاقة الموسيقية. وينتقل جهاز الاستقبال من الاذاعات FM الى الاذاعات FM ستريو اوتوماتيكيًا.
راجع الموزع المعتمد بخصوص "الستريو المنزلي الكامل" كما تفهمه سوني.



SONY® سوني

هدية اصيلة



أمينة ، يُعتمد عليها ، ترافقك المسافات الطوال والسنين العديدة .
أصالة هديتك تذكّر اصدقاءك دوماً بأنه يمكنهم الاعتماد عليك . ولاعة رونسون الشيّقة والأمينة لا تخذلك ابداً.



قدّم أكثر
من هدية
قدّم
رونسون
RONSON

١٩٥٢

١٩٧٢

أموالك تنمو مع نمو البنك الوطني

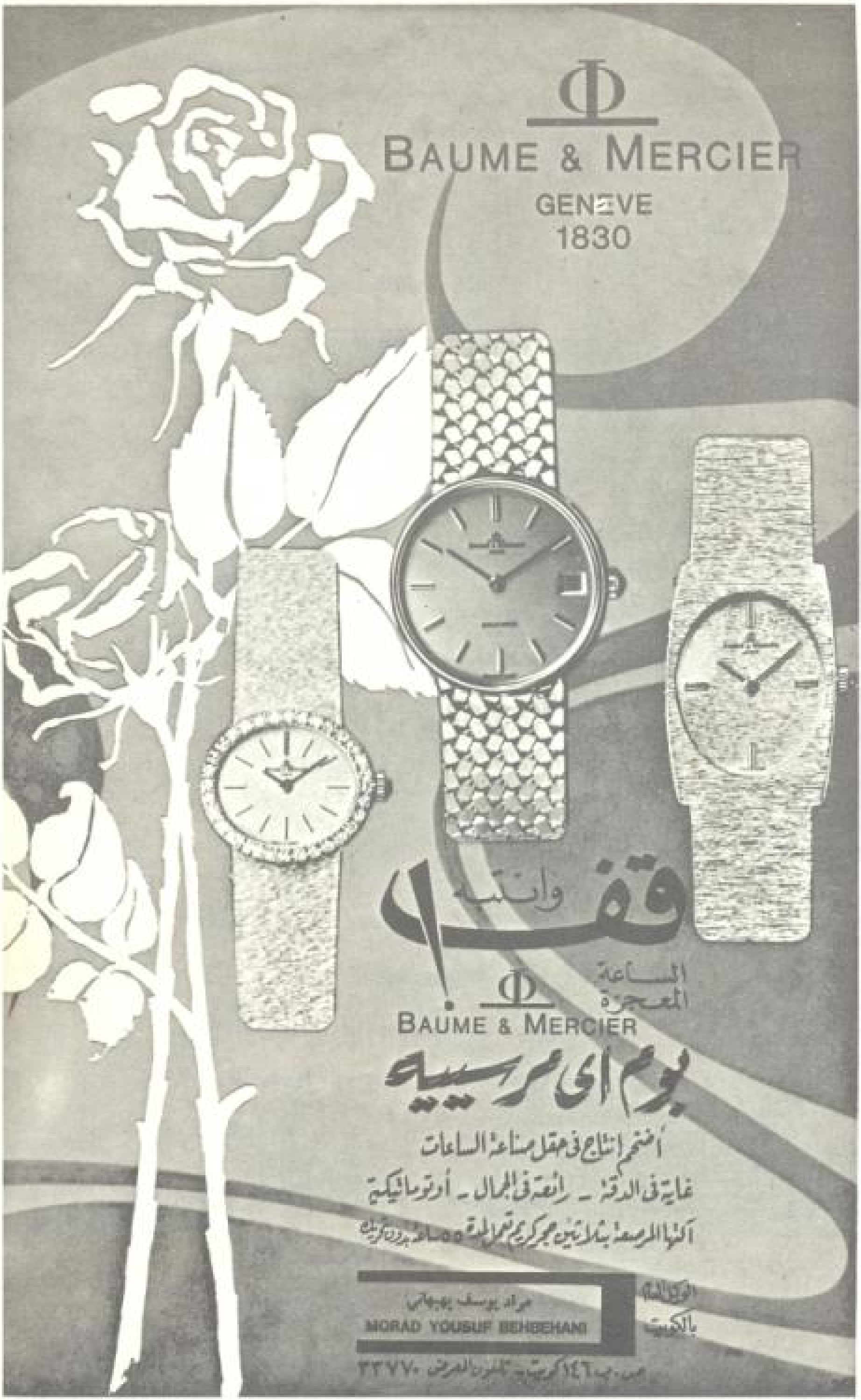
بنك الكويت الوطني ش.م.ك

تأسس عام ١٩٥٢

رأس المال والاحتياطي : -/٢١,١١٦,٧١٨ د.ك

مجموع الموجودات كما في ٣١ ديسمبر ١٩٧١ :
-/٣٤٦,١٢٦,٨٠٨ د.ك

المكتب الرئيسي: ص.ب. ٩٥ تلفون ٤٢٢٠١١ (٢٠ خطاً)


BAUME & MERCIER
GENEVE
1830
قف وانتبه !
الساعة المعجزة
BAUME & MERCIER
بوم اي مرسييه
أضخم إنتاج في حقل صناعة الساعات
غاية في الدقة - رائعة في الجمال - أوتوماتيكية
الوكيل الوحيد بالكويت
مراد يوسف بهبهاني
MORAD YOUSUF BEHBEHANI
ص.ب ١٤٦ كويت - تلفون المعرض ٢٣٧٧٠

شبابك لايعني فقط عمرك انه حيويتك ونشاطك ايضاً





سوبر ويت أون
بطعم الفريز والموز هو
مستحضر غذائي جديد غني
بالكالوريهات. سوبر ويت أون
يحتوي على عدة فيتامينات
د، ب ١٢، ب ١
و ب ٦ يعطيك ما يلزمك
من قوة وحيوية ونشاط
لتتمتع بما اعطتك اياه الحياة

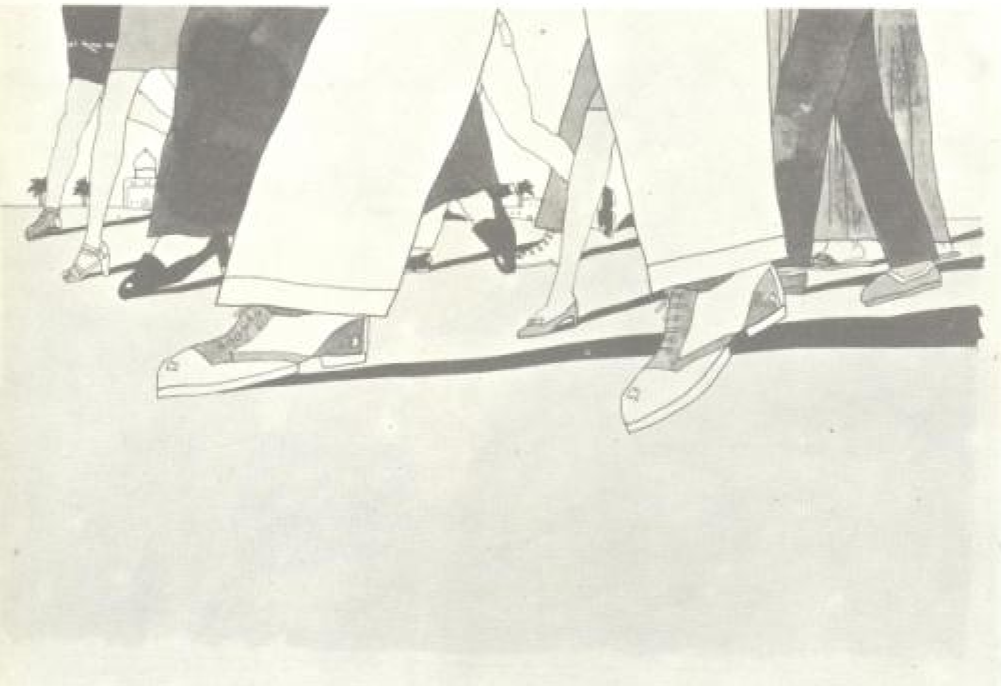
سوبر ويت أون
مستحضر مقو للجسم
في بضعة ايام يجعل منك
رجلاً آخر

سوبر ويت أون
يباع في كافة الصيدليات

سوبر ويت - اون انتاج د.د.د

publirick

هل صحيح أن بشرائك سيارة داتسون سوف تنسى كل ما يتعلق بالسير على الأقدام؟



طبعاً لا ...! ثم أن السير على الأقدام ضروري ومفيد للصحة وفيه الكثير من المتعة. إلا أن لهذه المتعة حدود. تصور مثلاً أنك تركض يومياً إلى مكتبك لتلتحق بعملك، أو أنك تسير مشياً على الأقدام من القاهرة إلى الاسكندرية ...!! إن الجميل بسيارات **داتسون** هو كونها بديلاً مريحاً لأقدام أي شخص. ثم أنك تستطيع أن تعاملها بالخشونة التي تريد، فهي قوية البنية ويمكن الاعتماد عليها كلياً أكان ذلك أثناء العمل أو نزهات المتعة.
تذكروا دوماً شركة نيسان تمنح كل سيارة من سيارات **داتسون** لتحقيق هدف واحد: الانسجام التام بين السيارة وسائقها. وهذا يعني المتعة للناس الذين يعشقون الحياة. وهذا يعني أيضاً أن سيارة **داتسون** تستطيع أن تنقلك إلى الأماكن حيث السير على الأقدام راحة وليس مشقة. فما الهدف من اقتنائك سيارة إن لم يكن حياة أفضل وأكثر حرية..!

أنت وداتسون جمع رائع.

NISSAN MOTOR CO., LTD.



DATSUN

هل ترغب بمشاهدة التلفزيون في غرفة حارّة؟

هنالك عدة مميزات رائعة للتلفزيون الجديد النقال "جنرال" ١٤ انشاً ذو الأقنية UHF/VHF (موديل TH-14EV أو TH-14EU حسب التركيب) نذكر منها اسلوب الضوابط الأوتوماتيكي، الذي هو جزء من جهاز دارات متكاملة وليدة سبع براءات اختراع.

فلقد ابدعت "جنرال" اسلوب التذبذب الأفقي الجديد والتجهيزات الضابطة الخاصة بمنع جميع انواع التداخلات الكهربائية، كالتشويش أو الضجيج الناتج عن مرور الطائرات أو استعمال الأدوات المنزلية الكهربائية، وبالتالي لتأمين صورة ثابتة تماماً. ومن جهة ثانية، فإن قناة الشاشة الرمادية اللون تؤمن لك صورة نقية واضحة حتى في الغرف الساطعة النور.

إذاً فلا مجال لتعب العينين بعد اليوم. إن هذا الجهاز من "جنرال" يمكن ان يعمل ايضاً على بطارية ١٢ فولت بتركيب الأشرطة الاختيارية المعدة لذلك.

أما وقد ملكت الآن جهازاً تلفزيونياً رائعاً، فلماذا تشاهده في غرفة حارّة؟ فهنالك جهاز ملطف الهواء الجديد "جنرال" AL-6502C ذي الطاقة الهائلة ٢١٥٠٠ BTU والتي تكفي لعدة غرف. إن ابرز ما نرغب في ان نذكرك به "جنرال" هو ان ضاغط الهواء في هذا الجهاز هو من نوع "تيكومسيه".

وتيكومسيه هي اضخم معامل لضاغطات الهواء في العالم، مع العلم ان الضاغطة هي قلب كل ملطف جيد للهواء.

اما الأداء والمتانة، فلا مثيل لهما. كما ان ضوابط هذا الجهاز الرائع موجودة في أسفل الزاوية اليمنى لسهولة الاستعمال خصوصاً إذا ما أردت ان تثبت الجهاز في الحائط.

أما الميزات الأخرى التي سترغب اقتناءها فهي اسلوب التغيير الأوتوماتيكي لإتجاه الهواء على شبكة انابيب توجه الهواء الى اية زاوية في الغرفة، واسلوب تنظيم الحرارة الأوتوماتيكي، والهدوء التام أثناء العمل، والتزامن في العمل بين الهواء المستنفد والنقي.



GENERAL

جنرال

الجمهورية العربية السورية: ... ص.ب ٩٥٤ - دمشق (سوريا). الإمارات العربية المتحدة: الشركة الوطنية للاستيراد والمقاولات - ص.ب ٧٣٦ - أبوظبي.
الكويت: شركة الاتحاد التجارية ذ.م.م - ص.ب ٢٨ - كويت. البحرين: ابراهيم خوضي وأولاده - ص.ب ٦٧٠ - منامة.
الدار البيضاء: ... ١١٤ شارع ... . ايران: شركة ... - شارع ... رقم ٦ طهران.
ليبيا: ... ص.ب ٢٩٩٤ - طرابلس. قطر: المشيري ... - ص.ب ١٦٢٠ - الدوحة.

ماذا يمكن للبنك الذي تتعاملون معه ان يفيدكم عن الازدهار الاقتصادي في البرازيل

هل باستطاعته ان يكشف لكم عما قد يطرأ على الميزان التجاري البرازيلي من تطورات خلال السنوات القليلة القادمة ؟ أو ان يوضح لكم أي مكان من العالم سيتأثر بنمو البرازيل السريع ؟ وكيف ؟

ان بنك تشيس منهاتن يمكنه ذلك .

هل باستطاعة البنك الذي تتعامل معه ان يشرح لكم كيف ستتأثر البرازيل بالاتجاهات الاقتصادية في الولايات المتحدة واوروبا ؟ او ان يبين لكم الاثر الذي سيتركه نمو البرازيل السريع في بنيانها الاقتصادي ؟ أو ماذا توفر البرازيل من امكانات للاستثمار في المستقبل ؟

ان بنك تشيس منهاتن يمكنه ذلك .

ان شبكة تشيس منهاتن الممتدة الى جميع اطراف العالم بفروعها والبنوك المشاركة لها ومكاتب تمثيلها تتجاوب بسرعة مع الأحداث السياسية والاقتصادية غير المنتظرة . حتى ان اخصائيي التحليل لدينا غالباً ما يستبقون هذه الاحداث . انهم يدركون ما يترتب على احداث كهذه من نتائج بالنسبة الى اعمالكم العالمية ويجدون في تقييم الطرق البديلة التي يمكن لكم اتباعها .

هذا بالاضافة الى السرعة التي تنقل بها شبكة مواصلاتنا الرفيعة التجهيز قراراتكم .

فاذا اردتم القيام بنشاط تجاري يشمل بلداناً متعددة في المكسيك والامريكتين الوسطى والجنوبية ، أو في مكان آخر من العالم ، فعليكم بمشاورة تشيس منهاتن أولاً .

شبكة تشيس منهاتن في أمريكا اللاتينية

فروع في : الارجنتين ، باناما ومنطقة القنال ، البرازيل ، بورتوريكو ، جمهورية الدومينيك ، فنزويلا ، المكسيك ، وأكثر من ٤٠ فرعاً في جميع أنحاء البحر الكاريبي .

مصارف مشاركة : • الارجنتين ـ بنكو ارخنتينو دي كوميرسيو
• البرازيل ـ بنكو لاربرازيلايرو ، اس . أ .
• فنزويلا ـ بنكو ميركانتيل اي اغريكولا ، سي . أ .
• كولومبيا ـ بنكو ديل كوميرسيو
• هوندوراس ـ بنكو اتلانتيدا ، اس . أ .
• هوندوراس البريطانية ـ اتلانتيك بنك ، ليمتد

مؤسسة مشاركة : كوستاريكا ـ تشيس منهاتن الكوستاريكا ، اس . أ

ان لك صديقاً في

بنك تشيس منهاتن
THE CHASE MANHATTAN BANK
NATIONAL ASSOCIATION

المركز الرئيسي : 1 Chase Manhattan Plaza, New York, N.Y. 10015, U.S.A.

الفرع في البحرين : المنامة ص ب ٣٦٨
الفرع في لبنان : بيروت ص ب ٣٦٨٤
مصرف مشارك في دبي : بنك دبي التجاري المحدود
دبي ، اتحاد الامارات العربية



استيراد



تصدير



GXC-40 T

للاستمتاع بصوت GX
احصل على آكاي

لقد أصبح إسمنا معروفاً في مجال الابتكارات الالكترونية ومنها رأس GX الذي احدث ضجة في عالم المسجلات. ان هذه الرائعة الصغيرة مصنوعة من الزجاج ومن بلورة واحدة من الفريت لايعلق الغبار عليها وتقدم اداءً رائعاً حياً خالياً من التشويش في كامل مدى الترددات.

تجد مثلاً هذا الرأس من المسجل/المنغم الكاسيت الستريو الجديد GXC-40T الذي تستطيعون بواسطته مباشرة ان تسجلوا برامجكم المفضلة عن الموجات المتوسطة و الـ FM. مدى الترددات يبلغ ١٨,٠٠٠ هرتز (± دسي بل) مع الشريط الكرومي الخاص. ومن ميزات هذا الجهاز الرائع الاخرى محرك ذو دوار خارجي، دوائر متكاملة، ترانزيستورات احادية القطب، فلتر خزفي. مقبس خاص للتسجيل مباشرة من الغراموفون.

وهناك ايضاً المسجل GXC-40 الذي يتمتع بميزات وخصائص المسجل GXC-40T ما عدا بالنسبة لقسم التنغيم.

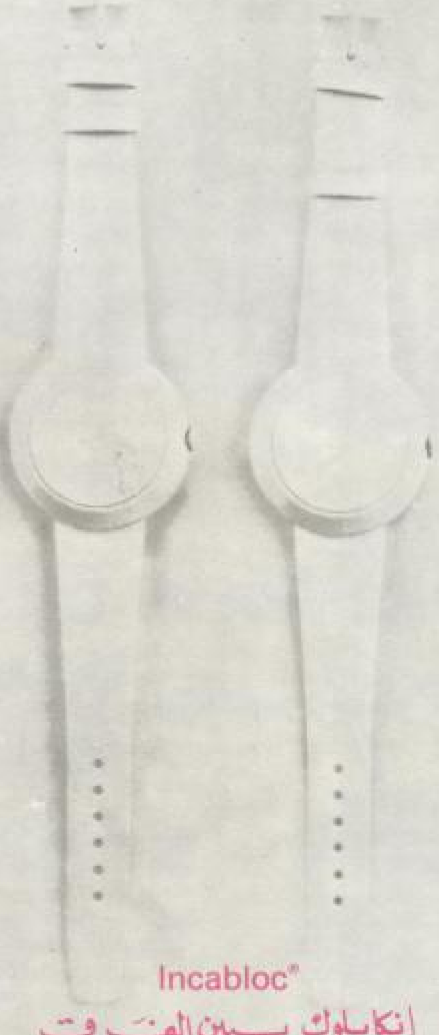
آكاي تقدم الكثير، سلوا بائعكم عن منتجاتنا الاخرى ولا بد ان يدهشكم تنوعها، دهشة مسرة بدون شك.

اوديو وفيديو

AKAI®

AKAI ELECTRIC CO., LTD.
Ohta-ku Tokyo, Japan

الاسم ________
العنوان ________
للمعلومات ارسلوا لي نشرتكم الجميلة الملونة بعنوان
"في قلب الساعة" التي تشرح ميكانيكية الساعة وكذلك اطلعوني
على طريقة التعرف الى "الانكابلوك". اقطع هذا الكوبون وارسله
الى العنوان التالي: مركز استعلامات انكابلوك الشرق الاوسط
ص.ب. ٢٧٨٢ بيروت - لبنان.



Incabloc®

انكابلوك يبين الفرق

قد تكون الساعات التي تحبونها ساعات حقيقية ذات محل وربما لا تكون...

الآن الساعاتي يعرف الفرق. و"الانكابلوك" يعرف ايضاً. ولهذا فان مضاد الصدمات "انكابلوك" الاصلي لا يوجد الا في الساعات الاصلية ذات محل.

والساعة ذات محل هي ساعة الرجل الخبير. وهي ساعة يعتمد عليها.

ذلك هو الفرق!

ان اسم "انكابلوك" (ماركة مسجلة) يخص فقط مضاد الصدمات الذي صممته وصنعته شركة بورتشاب، لاشو دي فون، سويسرا وبورتشاب فرنسا، بيزانسون.

اعتن بنفسك..
بواسطة فيليبس

في عالم اليوم ، المظهر مهم . ومن واجبك ان تواظب على الاعتناء بمظهرك . إذا ما عودت الناس من حولك على ذلك . ومن حسن الحظ . ان الادوات التي تكفل لك المظهر الحسن اصبحت ملك يديك . وفيليبس من اقدم الشركات في العالم التي اهتمت بانتاج هذه الأدوات ، على اختلافها . آلات الحلاقة فيليشيف ، تحلق ذقنك بلحظات بنعومة تامة . آلات قص الشعر الكهربائية السهلة الاستعمال ، تقص وترتب شعرك بسرعة . مجففات الشعر تجفف الشعر بأناقة بعد غسله . آلات ازالة شعر النساء عن الجلد ، وعلبة التجميل المصغّرة التي تحتوي على حاجات تزيين المرأة .
هذه كلها أصبحت في خدمة المرأة .
تستطيع تفحص كل هذه الآلات والأدوات عند موزعي فيليبس . جرب .
لتكتشف بنفسك سحرها .



PHILIPS


RADO
رادو
نموذجان فريدان
إنتصاران عالميان
رادو
الساعة الوحيدة في العالم
الغير قابلة للخدش
أينما كنتم
أطلبوها من وكيل منطقتكم المعتمد


مارلبورو
رمز الجودة
FILTER CIGARETTES
Marlboro
Marlboro
SELECTED
FINE TOBACCOS
Soft Pack or Flip Top Box.
أفخر سجاير كنج سايز فيلتر
AMERICA'S FINEST FILTER
A quality product of Philip Morris Inc. Richmond, Va., USA

ساعة بالأرقام

ذات أعداد كبيرة تتحرك بأطراف الأصابع ، مع جرس رنان أو منبه راديو ، تدار مرة واحدة فقط كل ٢٤ ساعة . ويزداد إرتفاع الصوت بصورة متواصلة إذا لم تنهض فورًا .

راديو بموجتين

موجة AM وأخرى FM مع ساعة وقف " تهدهدك " للنوم مدة ٣ ساعات ، ثم يتوقف الراديو اتوماتيكيا ، بعد أن تكون قد استغرقت في نوم هادىء .

مسجّل كاسيت

لتخزين الموسيقى المسجلة التي تشتريها ، أو للتسجيل الشخصي بواسطة المكبر المثبت في الداخل ، مع جهاز توقيت آلي للتسجيل أثناء غيابك أو أثناء النوم .

الموديل
M 5400 F



كلّ ذلك ضمن صندوق واحد جذّاب

SANYO سانيو

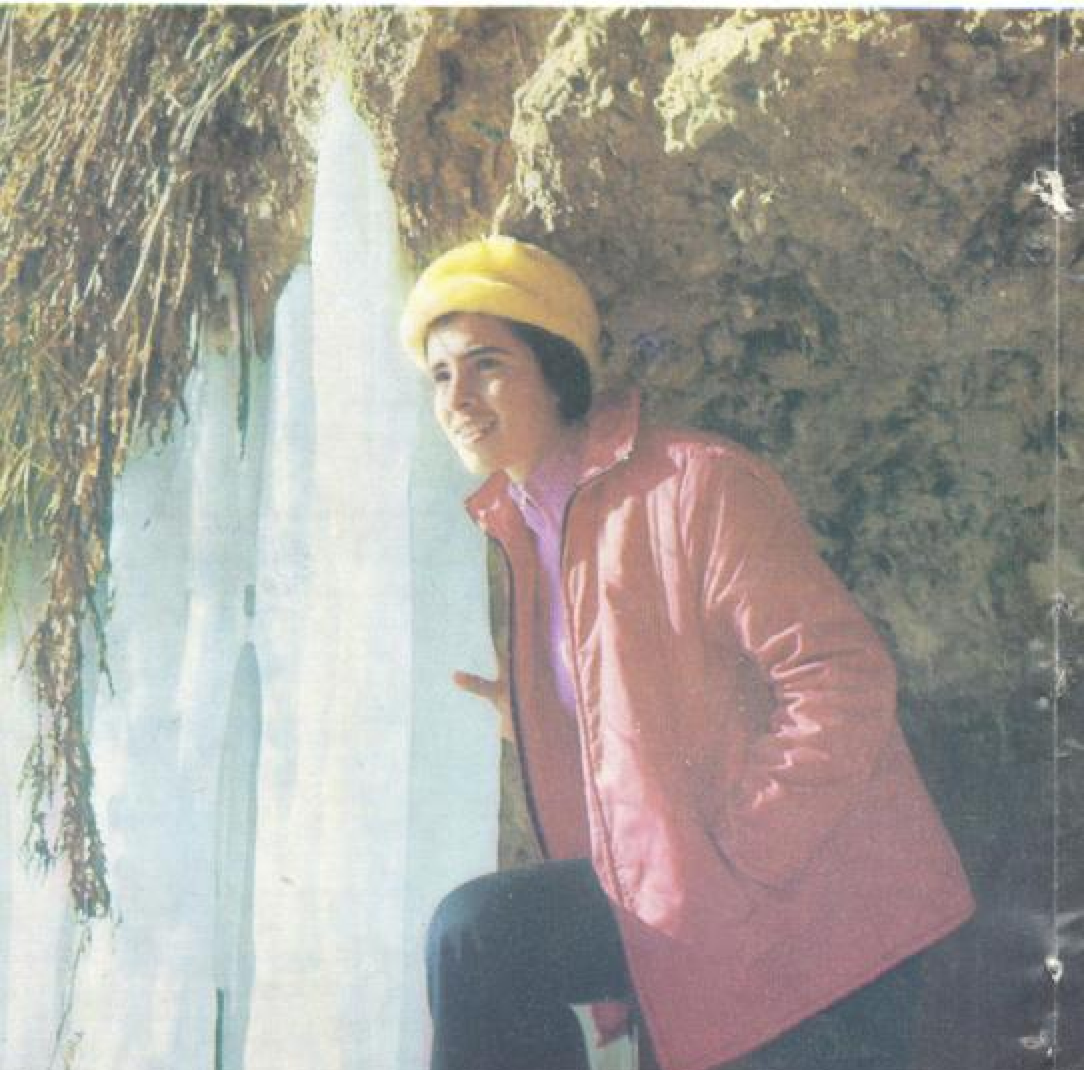
Sanyo Electric Trading Co., Ltd.

[illegible]

AAA/55/K6/72

العربي

العدد ١٦٩
شوال ١٣٩٢
ديسمبر
(كانون اول) ١٩٧٢



انا من بشري .. جارة الارز ومسقط رأس جبران خليل جبران

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الأردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٣٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢ دينار
اليمن	٢٫٥ ريال	ج٠م٠ع٠	١٠ قروش	المغرب	٢ درهم



من روائع الفن الإسلامي

باب وحجرة داخليان في سراي (طوب قبو) في اسطمبول ، والمبنى من آثار الدولة العثمانية القرن السادس عشر أيام احتلت الفسيفساء مكانة مرموقة بين الفنون المعمارية

عزيزي القارئ





Contre la faiblesse
des Arabes,
les israéliens
peuvent tout.

Contre le désespoir
des Palestiniens,
le monde entier
ne peut rien

عن مجلة Le Nouvel Observateur الفرنسية :

امام ضعف العرب يستطيع الاسرائيليون ان يصنعوا بهم ما يشاءون .

وامام يأس الفلسطينيين لا تستطيع الدنيا سوى التسليم .

المحرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

اسلاميات :

استطلاعات مصورة :

لغة وادب :

طب وعلوم :

تربية وعلم نفس :

مجتمــع :

فلســفة :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

الوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آرا

ALARABY — No. 169 December 1972 P.O.B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ــ تلفون ٤٢٧١٤١ للعراقيا « العربي »

الاعـــــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ــ قسم الاعلانات

المراســــلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● تنقلك العربي في هذا العدد الى بلدة تعيش تحت الثلوج على قمة جبل ارتفاعه ١٥٠٠ متر عن سطح البحر .. انها بلدة بشرى جارة ارز لبنان ، ومسقط الفيلسوف الشاعر جبران خليل جبران .. ان الثلوج تهطل عليها اربعة شهور في السنة .. وهذه احدى بنات بشرى تقف بين اعمدة من المياه التي تحولت الى جليد !

(اقرأ الاستطلاع ابتداء من صفحة ٩٩)

اقتصــــاد :

عــروبة :

ركن الاسرة والمرأة :

تاريخ وتاريخ اشخاص :

شعر وشعراء :

كتب :

قصص وقضاء :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطري ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني. العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش. لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش . تونس ٢٠٠ مليم . الجزائر ٢ دينار جزائري. المغرب ٢ درهم. اليمن ٥ر٢ ريال. ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس.

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ــ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



بَريد القرّاء

تصويب

● في كتاب الشهر بعنوان « الصهيونية الامريكية وسياسة امريكا الخارجية » ، المنشور في العدد ١٦٣ ، جاء اسم مؤتمر « بلتمور Baltimore » وصحته « Biltmore » . والفرق بينهما ظاهر فالاول اسم مدينة والثاني اسم فندق .

دكتور محمود السمرة/عمان ـ الاردن

جاءها بالكحل فاعماها

● في العدد ١٦٧ من العربي ، بعنوان « عتاب الى العربي » في ردكم على السيد عبد الله الحلو من سوريا .. قرأت ما يأتي :

الشعر صعب وطويل سلمه	اذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به الى الحضيض قدمه	يريد أن يعربه فيعجمه

هكذا زلت قدم المحرر ، فسياق القافية يقتضي أن يكون حرف الروي ـ وهو الميم ـ مرفوعا ، ولكنه جاء منصوبا ، لأن الفعل معطوف بالفاء على (يعرب) المنصوب بان . وكان الأفضل أن يقول « يريد اعرابا له فيعجمه » فتستقيم القافية ، ويتخلص من الخطأ اللغوي .

ماهد اللبابيدي

التعليم الالزامي الكويت

(العربي) : لم تزل قدم المحرر ، بل زلت قدم غيره ، حين توهم أن (يعجم) معطوف على (يعرب) المنصوب بأن ، فاستلزم ان يكون منصوبا مثله ، ولو كان الأمر على هذا النحو لكان المعنى (يريد أن يعربه وأن يعجمه) وهذا تناقض لم يلتفت اليه السيد اللبابيدي ، والصواب أن (يعجم) معطوف على (يريد) المرفوع ، فهو مرفوع مثله .

ومن العجيب أن السيد اللبابيدي يمسك الصواب لم يتركه شكا فيه ليتمسك بالخطأ فقد أصاب حين اقترح « أن يكون الشطر (يريد اعرابا له فيعجمه) فأي خلاف بين اقتراحه وما رويناه سوى أنه جاء بالمصدر صريحا (اعرابا له) ورويناه مقدرا (أن يعربه) ؟ وبذلك يظهر أن القافية مستقيمة ، وأن ليس هنا خطأ لغوي أو عروضي » .

ارسلوا العربي الى النجف

● بما ان مجلة « العربي » الموقرة منطلقة قدما ومنتشرة في اقطار العالم اجمع ومتوفرة لدى عواصم الدول العربية . وارى عدم وفرتها في النجف الاشرف وهي مدينة المجد الاصيل في العلم والدين . فالاجدر ان تتوفر هذه المجلة في بلدنا ، آملا ان تكون هذه الخاطرة الفاتا لنظركم ليس الا .

امنى لكم مزيدا من التوفيق والسداد ، والله من وراء القصد .

عدنان الجباري

النجف الاشرف/العراق

يطلب

● ان مجلة العربي مكتملة من جميع النواحي وهي ترضي كل نفس ، على اختلاف النزعات ولكني أطلب وأرجو أن يتحقق مطلبي او بعضه وهو لا يختلف عما طالب به القراء ، زيادة المواضيع العلمية ، فرأيي ورأى الشباب ان بلادنا العربية احوج ما تكون منها الى الادب ، ولا أعنى بذلك الاستغناء الأدب العربي وانما اعني ان تقدموا الادب في علمي بقدر الامكان ، فتنشروا مواضيع عن العرب والاسلام في مختلف العلوم ، وتؤخذ

الامبراطور الروماني سبتيموس سيفروس

● نشرتم في العدد ١٦١ من مجلتنا العـــزيزة استطلاعا يحوى بعض المعلومات عن ليبيا ، ونحن نشكر لكم اهتمامكم بمثل هذه المعلومات عن الأقطار العربية ، وفي احدى صفحات الاستطلاع نشرتـم صورة لتمثال سبتيموس سيفروس وكتبتم عنه انه قائد رومانى من الذين حكموا ليبيا ، ولكن هو في الحقيقة ليس برومانى ، وانما هو ليبى الاصل ، واليكم نبذة عنه « هو رجل ليبى ولد بمدينة لبدة سنة ١٤٦م ، وتلقى علومه في هذه المدينة ، ولكنه ما لبث ان ترقى وظهرت موهبته العظيمة ، فذهب الى روما حيث أكمل دراسته ، والتحق بالجيش الرومانى ، واصبح من كباره ، ثم عين امبراطورا على ليبيا التى كانت انـذاك تابعة للرومان ، فاهتم ببلده ليبيا واكثر مـــن العمران ، وانشا كثيرا من المدارس ، ولكم تحياتي العاطرة . »

شوال سالم ـ طبرق ـ ليبيا

العربي : نشرنا صورة التمثال كما قلتم ، وكتبنا فوقها : « تمثال الامبراطور سيفروس ، أحد اباطرة الرومان الذين حكموا ليبيا في الماضي » ولا تناقض بين ما قلناه ، وما قلتموه ، ونشكر لكم ما أضفتم من فائدة ، ونزيد على قولكم أن كثيرا من رعايا الدول المحكومة صاروا رؤسـاء لها ، ولا استثناء في ذلك للدولة الرومانية قبل انقسامها .

الواسطى فنان العراق الأول

● نشرت مجلتنا الحبيبة ـ العربى ـ وعلى الصفحة الثانية من العددين ١٦١ و ١٦٢ صورتين ملونتين من صور مقامات الحريرى ، ونشرت أيضا في العدد ١٦٢ مقالا للاستاذ يوســف زعبلاوى بعنوان « مقامات الحريرى : دخلها الفن ايضاحا وزينة » ..

والغريب انكم لم تذكروا اسم صاحب هــذه اللوحـات الرائعـــة وهو الفنان العراقى يحيى الواسطى . والحقيقة المؤلمة اننا لا نعرف من سيرة فناننا الواسطى سوى ما خطه بيده ، اذ كتب على احدى صوره المرفقة بمقامات الحريرى : « فرغ من نسخها العبد الفقير الى رحمة ربـه وغفرانه وعفوه يحيى بن محمد بن أبى الحسن الواسطى بخطه وصوره آخر نهار يوم السبت سادس عشر من رمضان سنة اربعة وثلثين وستماية »

وقد أقامت وزارة الاعلام العراقية في الاسبوع الثاني من شهر ابريل الماضي مهرجانا كبيرا للفنون التشكيلية أسمته « مهرجان الواسطى » .

حسن الحاج عبد الامير المهدى
كربلاء ـ العراق

العربي

العدد القادم عدد ممتاز
يصدر
في أول يناير
٣٥٠ الف نسخة
مع كل عدد هديته بالمجان

ت العلمية

ؤلفاتهم القيمة التي كلنا يعرف مدى استفادة لغرب منها مثل كتاب الحيوان للجاحظ وكتاب للكى لعلى بن عباس ، وكتب ابن سينا وغيرهم. مواضيع عن حياة هؤلاء العلماء ، والمجلة غير قصرة ولكنى اطلب المزيد .

جعفر العامرى/بغداد

لعربي : هذا خطاب من عدة خطابات كثيرة يتلقاها لعربي اسبوعيا ويطالب فيها اصحابها بزيادة لموضوعات العلمية وقد اكتفينا بنشر هذا الخطاب نعتذر عن نشر بقية الخطابات .

حَديث الشهر

حضارتان عريقتان يعيش العربى فى ظلالهما

بقلم رئيس التحرير

■ اسمع اليوم ، كما سمعت بالامس ، وكما سوف اسمع فى الغد ، اننا نعيش فى حضارة شرقية عريقة ، نحن فى ظلالها ناعمون ، وبنسائمها الرخية مستمتعون وان حضارة اخرى ، غريبة عنا ، بعيدة بعد القمر منا ، تهب منها الينا ريح حارة ضارة ، هي ريح السموم ، بل رياح كلها سمائم ، وجب علينا ان نغلق دونها الابواب والنوافذ ، رحمة بنا ، ورحمة بالذرارى التي تأتي من بعدنا .

فى الكتّاب عندما كنت صبيا

واعود بذاكرتي الى سنواتي الاولى .

ففي نحو السنة الرابعة من عمرى ، فى مدينة السويس ، ارسلني والداى الى الكتّاب . وكان يقع غير بعيد من منزلنا . واخذني الخادم او لعلها الخادمة اليه . واستقبلني الشيخ استقبالا لا بأس به ، ورحّب . وتركتنى الخادمة لأقضى فى هذا الكتّاب يوما . وعلى قدر ما اذكر كان مجلسنا الحصير ، والكراسة لوحا أبيض من خشب . وانقسم التلاميذ بارديتهم الطويلة السابغة الى فرقتين او لعلهما ثلاث ، ترأس احداها الشيخ يقوم بتعليمها ، وقام تلميذان آخران كبيران بتعليم الفرقتين الأخريين .

- بين الكتّاب والمدرســة .
- كل ما فى دور العلم اليوم من ضروب المعرفة غربيّ ، الا اللغة والدين .
- كان فى العرب جغرافيون ، وأكمل اهل الغرب كشــف نصف الأرض .
- العلم الحديث تضاءل الى جانبه كل ما سبق من علم . وكذا الصناعة .
- مرافق العيش اليوم كلها ذات كيان غربي : فى مطبخ ، فى حمام ، فى صالون ، فى بناء بيت ، فى بساط طريق .
- والسيارات والقاطرات والطائرات بعض الحضارة الحاضرة .
- والبترول ، والكهرباء ، وسائر مصادر القوى غربية المنشا .
- والنظم السياسية والديمقراطية كذلك حضارية غربية .
- شيئان تردّى فيهما من اهل الغرب من تردّى . استباحة الجنس ، وانكار وجود الله . والعرب عن ذلك مندوحة اى مندوحة .
- ومع هذا ، فالعرب ، باسم العلم الحديث ، اخذوا يمتهنون كتاب الله امتهانا .

وكان فى ركن المكان عصا طويلة غليظة، ارتبط حبل بها عند طرفيه بطرفيها ، على ارتخاء . فكانت هذه هي « الفلقة » التي يوضع فيها قدما الصبي المشاغب ، فاذا توثقتا بين الحبل والعصا ، دقّوا على نعل القدمين العاريتين بعصا رقيقة وقعها موجع .

وكان الكتّاب بعضَ بيت الشيخ . ويدخل الى هذا البيت كل من مسّته الى ذلك حاجة .

ومضى يومان ، او لعلهما ثلاثة ايام ، فكره الصبى الكتّاب ، وامتنــع عن الذهاب ، ورضي اهله له امتناعا .

ودخل الصبي المدرسة لاول مره

ومضت اشهر التحق الصبي بعدها بالمدرسة الابتدائية بمدينة السويس . ودخل اصغر سنا مما وجب لصداقة كانت بين والده وبعض مدرسيها .

المدرسة ، على ما يذكرها الصبي . لها مدخل فخم ، او هكذا هو تراءى لبصره الصغير . وعند المدخل بواب . ويلي المدخل رحبة كبيرة يلعب فيها مئات الاطفال . ثم يأتي الدرج الصقيل العريض ليرتفع بالداخلين الى البناء ذى الطابق الواحد . وتجد فيه ممرا طويلا مرصوفا خير رصف ، وعلى جانبيه حجرات



الكتّاب : صورة قديمة من البدء فى تعليم الصبية .

الدراسة ، الى يمين والى يسار . وفى احدى هذه الحجرات قعد الصبي لأول مرة ، على كرسي وحده ، وامامه صندوق مرفوع الى صدره يحفظ فيه كتبه . وجاءته الكتب القليلة الصغيرة مطبوعة ، وجاءته الأقلام ، وجاءته الكراسات ، وهي ورق مسطور ، مضموم بعضه الى بعض ، وعليه اسم الوزارة . وعلى حائط الحجرة الخرائط الجغرافية اشكالا والوانا .

والصبي نفسه ، خلع الجلباب الطويل السابغ ، ولبس البنطلون والجاكتة ، او البدلة ، وهي الفاظ اسجلها كما هي لأدلل على اصلها .

تنقلة
ذات معنى

انتقل الصبي من الكتّاب الى المدرسة ، فانتقل من زمان الى زمان . من عهد الى عهد . من حضارة الى حضارة .

ان الذي يتعلمه الصبي فى الكتّاب ، والطريقة التي بها يتعلمه ، والأدوات التي بها يتعلمه ، والرجال الذين بهم يتعلمه ، كل هذا مختلف كل الاختلاف عن نظيره فى المدرسة العربية تلك التي احكي عنها ، والتي كانت فى اول هذا القرن .

الكتّاب هو ما هو . وهو الى اليوم فى كثير من بقاع الأرض العربية على مثل ما كان منذ مئات السنين . والمدرسة ، مادةً ، وموضوعا ، وفكرا ، وطريقةَ تعليم ، كلها منقولة عن الغرب . عن حضارة الغرب ، فى مدرسة ابتدائية كنا ، او فى مدرسة ثانوية او مدرسة عالية .

والطريف فى كل هذا ، ان الصبي ، عندما انتقل من الكتّاب الى المدرسة ، لم يحس انه انتقل الى بلد غريب ، او الى حضارة غريبة . اننا اقتبسنا ، وصار ما اقتبسناه منا وفينا . ان الأمم تعطي وتأخذ . وقد كنا أعطينا ، فدار الزمان ، وحقّ علينا ان نأخذ .

وكما كان الحال فى الكتّاب ، كان كذلك فى الأزهر

والكتّاب كان اول معاهد التعليم على الاسلوب القديم عندنا ، وحلّت محله المدرسة .

ومن تابع الاسلوب القديم من التعليم ذهب الى حيث يتأهل لدخول الأزهر او

اشباه له فى العالم العربي . وكان الأزهر هدف كل متعلم وكل مثقف يوما ما . وجرى الأزهر زمانا طويلا على اسلوبه المعروف، ومواد دراسته. ويتجمع الطلبة حلقات حلقات فوق السجاد لسماع الدرس، واقتصر الدرس غالبا على دروس اللغة والدين ، وهي من حضارة الشرق الثرية العريقة ، التي لا شك فيها . وسدّ ابوابه فى وجه كل العلوم الحديثة، او التي نسميها حديثة، الى حين قريب. وذلك زعما بأن هذه العلوم ، وقد تقدمت الى ما اليه تقدمت ، واتسعت الى ما اليه اتسعت ، اصبحت من سمة الحضارة الغربية ، فهي من اجل ذلك لا بد أن تغلق من دونها الأبواب ، وان تسد النوافذ .

ثم افاق المخطئون . والخطا والجمود عليه له سُوار" كسُوار الخمر أو أشد.

افاقوا ، فبدلوا ما فى الأزهر تبديلا . بدلوه مادة علم ، وبدلوه اسلوبا . وبدلوه مناهج . والحلقات اصبحت مقاعد . والدراسة اصبحت مناهج . واخيرا صار الأزهر جامعة كأي جامعة غربية حديثة . ولم ينتقص من علم دين، ولم ينتقص من علم لغة ، وما كان له ، وقد كان ابا اللغة وابا الدين ، وحاميهما لعشرة قرون .

ودرّس الأزهر الطب ، ودرّس الهندسة ، ودرّس العلوم ، ودرّس الآداب ، ودرّس لبنين وبنات . وهي كلها من الحضارة الغربية فى الصميم . ونعبّ منها ، لا لأنها غربية ، وما ضرّنا ان تكون غربية او شرقية او شمالية او جنوبية . اننا نعبّ منها لأنها الحضارة الواحدة الموجودة اليوم فى الكون كما نعرفه .

ومن عبث ان يأتي جماعة ممن لا ذاقوا علما ، ولا حضروا جامعة ، ولا ذاقوا من ثمرات الحضارة الحاضرة شيئا ، او هم فعلوا ثم قعد بهم دون الحكم السديد محافظةٌ فى النفس شديدة ، من عبث ان يأتي جماعة كهؤلاء فيجلسوا مجلس الزعامة فى الأمة فينصحوا بما ينصحون .

كل ما فى دور التعليم اليوم
من ضروب المعرفة
هو بعض حضارة الغرب

ونعجّل فنستثني من ذلك علوم الدين

اسلوب قديم من الدراسة : بالأزهر وغير الأزهر ، كان يتحلق الطلبة حول الاستاذ المدرس .



وعلوم اللغة .

فان انت ذكرت من ضروب المعرفة علم الفزياء ، وعلم الكيمياء ، وعلم الحيوان ، وعلم طبقات الأرض ، وحتى سائر تلك العلوم الاخرى التي يسمونها بالانسانية ، من جغرافية ، وتاريخ ، وتربية ، وعلم نفس ، وعلم اجتماع ، وجدت مستقى كل هذه العلوم غربيا .

الجغرافيا مثلا . كان عند العرب جغرافيون ، وكان عندهم علم فيها ، وكان لهم كتب . ولكنهم وقفوا من الزمان عند منتهى اعمارهم والأرض اكثرها غير المعروف . ولم يقف العلم . فقام من بعدهم رجال يتممون ما صنعوا . وكان مما ترك العرب ما وجب اتمامه . والذى تم اليوم من كشوف الأرض له اسماء غير عربية . استراليا ،نيوزيلندة، روديسيا، فكتوريا نيانزا . . . ثم نصف الأرض ، تلك الأرض الجديدة التي اسميناها امريكا ، وكان لأهل الأرض منها الخير الكثير ، وكان الشر الأكثر . كل هذه كشوف ودراسات جدت على الأرض وساكنيها تصاغر الى جانبها ما سبق ان كان منها من حضارات مضت وانطوت ، عربية كانت او غير عربية .

والذين قاموا بهذه الكشوف وهذه الدروس خلق من خلق الله ، لا من خلق الشيطان . والذى يحدث فى هذه الأرض لا يكون الا بمشيئة الله . فالحضارة التي تكون ، انما تكون ، لأن الله قال لها كوني فكانت . ام نقر بارادة الله فيما نحب ، وننكر ارادته فيما نكره .

والجغرافيا علم . والرسول العربي يقول : اطلبوا العلم ولو فى الصين . اى اطلبوه ولو عند صفر الوجوه . ونحن انما نطلبه عند صفر الوجوه وبيضها وسمرها وسودها .

والكيمياء ؟

لقد كان للعرب فى الكيمياء شان ، وكان لهم فى المختبرات الكيماوية كشف وابتداع . وانتفع بما حصلوا من ذلك الاحدثون . ولكن النظرية الذرية ما كانت الا فى اوائل القرن الماضي . والنظرية الذرية منطلق العلم الكيماوى ، وانطلق العلم الكيماوى انطلاقا فى القرن التاسع عشر ، وتفجر تفجرا وفاضت ينابيعه ثرة فى القرن العشرين . ونذكر الذرة وانفلاقها اعلانا ببلوغ الكيمياء وغير الكيمياء القمة . والكيمياء بلغت قمما هي عند الكيماوي أغنى واثرى ، وابعد مدى ، من انفلاق الذرة ، ذلك الذى تميز باثارة الخيال فى الناس ، لأنهم فهموه ، فصفقوا له ، وعجزوا عن فهم قمم اخرى بلغها العلم فلم يصفقوا لها .

اننا نذكر كيمياء العرب ونعتز بها ، ولكن كيمياء الحضارة الحاضرة شيء جلل . قد نفخر بهذا السبق العربي القليل ، ولكن فلنحترم ذكاءنا فلا نأخذ نقارن بين ما فعل الأحدثون وما فعل الأقدمون ، من اى جنس من اجناس البشر كانوا ، ومن اى لون من الوانه ، واى لسان من السنته . وبعض البشر علمنا ، وبعض البشر لم نعلم .

والفزياء،وما فيها من خواص اجسام، وحرارة وكهرباء .

وعلم الحيوان وما فيه ، وعلم النبات، وعلم الانسان . والطب ،تشريحا ووظائف اعضاء ، ودواء وعلاجا .

ان كل جزء من فرع من علم من هذه العلوم الحديثة ، انما هو بحر غامر ، تنتهي فيه اعمار الرجال ولا ينتهي .

واعجب عندما اتحدثفى امر الحضارة الغربية الى قوم ، هم اقرب الى العيش فى القرن العاشر منهم فى القرن العشرين، وانوه بها ، فاراهم يقولون : نعم ، نعم الست تريد العلم الحديث ؟ يقولونها فى شيء من التصغير يكاد ان يكون ازدراء . وتهتاجنفسي،واكتم . وهتفت مرة فيهم باسم العلم ، وقلت باسم العلم اهتفوا ، وباسمه من فوق المنابر اذنوا ، فوالله ما عرف الله حق معرفته مثل رجل عالم . وهل دعا الله تعالى فى قرآنه الى غير العلم سبيلا الى معرفة الله ؟!

وكما في العلم فكذلك في الصناعة

ان هذه الحضارة الحاضرة حضارة علم ، وهي كذلك حضارة صناعة . وان تكن قلبت افكار الناس بعلمها ، فقد قلبت اوضاعهم المعاشية بصناعاتها .

ويكفيك ان تدخل بيتا شرقيا لم تدخله المصنوعات الحديثة ، وآخر دخلته لتدرك فرق مابين الحضارتين ، واول ما يلفتك في هذه البيوت مرافق العيش الاولى : الماء والوقود .

الماء

الماء دخل البيوت الحديثة انابيب ، وهو مصفّى . وهذا من عمل الحضارة الحاضرة ، فمن انتجة علمها ، صناعة انابيب ، وكيمياء تصفية الماء ، ومع الكيمياء علم البكتير والمكروب عامة .

الوقود

والوقود دخل البيوت الحديثة غازا او زيتا ، وكلاهما من انتجة من استخراجها من باطن الارض بالعلم . وما كان بالعلم البسيط . وكان مع العلم التكنية البارعة .

المطبخ

ثم المطبخ وادواته وافرانه . كلها من صناعة هذه الحضارة الحاضرة . واحاول ان آتي باسماء هذه الادوات فاحار ، لأنها كلها ، اما اسماء لا تزال افرنجية ، شاهدة على اصلها ، او اسماء عربية لم تستقر بعد لها ، واختلفت من قطر عربي لقطر .

الحمام

وتدخل المنزل ، الى حجرة الجلوس ، فحجرة النوم ، فالحمام ، فتجد اشياء لا تمت الى سابق الزمان بشيء . الحمام الذي يغتسل فيه الانسان بعد ملئه بالماء ، هو بانيو ، وهو مغطس ، وهو حمام . وهو من حديد طلاؤه من مينا . وهو صقيل كالرخام . وهو رخيص ارخصته الصناعة حتى دخل بيوتا لا تعد من بيوت الأثرياء .



جون دلتون : (١٧٦٦ - ١٨٤٤) العالم الانجليزي صاحب النظرية الذرية التي قال بها في اوائل القرن الماضي ، ومن بعدها اتخذت الكيمياء ابعادها المتباعدة المعروفة .

حجره النوم

وحجرة النوم وبها زينة المرأة : مواد وادوات ، وكلها من صنع اوروبا ، من صنع تكنيتها ، من مساحيق وجه ، او غسولات شعر ، او مزيلات رائحة ، او من طيب متعدد الاهداف والأغراض .

الصالون

وحجرة الجلوس ، وبها الأثاث ، غربي اقمشة ، غربي اطرزة ، حتى لكان من بعض الحريصين على الطراز العربي **ان يصنعوا له حجرة واحدة في بيتهم يسمونها بالعربية ، فيها الكنبات باقمشتها**

واشرطتها الجميلة ، وجلساتها التي لا تغرى الكسول بالصمود عليها طويلا . ولقد كان فى كثرة وسائدها اغراء .

التلفون والتلفاز

وفى البيت التلفون ، وهو من ابداع هذا العصر ، والراديو ، والتلفاز . وهذا الأخير يملأ من وقت فراغ الناس ما يملأ .

ومساك البيت الأسمنت

والبيت نفسه ، بناؤه من اعمدة وحوائط واسقف ، والأعمدة والحوائط والأسقف مساكها الاسمنت. والاسمنت من ابداع هذا العصر . وهو رقق الجدران وارخص المنازل . ودخل فى صنع كساء ارض الحجرات ، فاعطى ما كان يعطي الرخام من نظافة ، وزاد اختلاف اشكال والوان ، وجمال صورة.

بساط الطريق

وفى طرقات المدينة انت انما تسير بقدميك على بساط اسود بسطته المدنية الحاضرة . ويبدأ باسم المكدام ، وهو اسم مبتدعه الاسكتلندي . ثم دخلت فى خلط مادته مكونات شتى ، اخطرها الزفت أو القار ، وهذه مواد مما يخلف تقطير زيت الأرض ، البترول ، فهي مواد من انتجة ما نحن فيه من حضارة .

والسيارات والقاطرات

وماذا يجرى فوق هذا البساط ؟

السيارات ، انتجة ما بين القرنين . هذا الحاضر وذلك الماضي . وما عرف السابقون الأولون عربات تسيرالا ومعها حصان أو حمار او اشباه لهما .

وكالسيارات القاطرات ، وسارت القاطرات بالفحم ، ثم بالزيت ، ثم بالكهرباء ، وكلها مصادر للقوى كشفتها الحضارة الحاضرة .

فانظر كيف بلغت الحضارة فى تغلغلها فى حياتنا ، وكم بلغت ؟ .

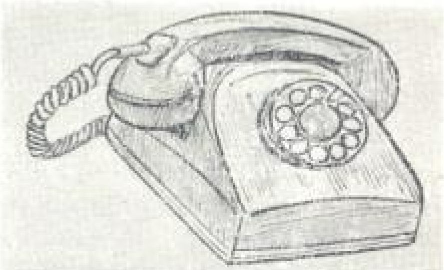
وقف رجلا فى الطريق

وقف رجلا فى الطريق .

واستاذنه فى ان تفحص ما عليه من ملابس وما فى جيوبه من اشياء .

فأولا : ملابسه ، شرقية او غربية . مغزولة ومنسوجة ، فى بلد عربي او بلد غربي ، اى جهاز غزلها ، وأى جهاز نسجها ؟ انه جهاز من سويسرا ، او فرنسا او انجلترا . جهاز صنعه الغرب وابتدعه الغرب ، واخذ يحسنه العشرات من السنين .

التلفون : من ابداع المدنية الحاضرة .



التلفاز : من ابداع المدنية الحاضرة .





يوحنا (جوتنبرج) الالماني الذى ابتدع المطبعة وبها الحروف متفرقة وتجمع لتتالف منها الكلمات . ولولا المطابع ما انتشرت المعرفة ولا انتشر العلم ولا انتشرت الثقافات ، وهي من ابداع المدنية الحاضرة والرجل مات سنة ١٤٦٨ .

وان تكن امـراة تلك التي وقفتها في الطريق فسوف تجد على ملابسها اصباغا شتى ، هي من صناعة اوروبا . وكانت المانيا قد غزت بكيميائها عالم الصباغة بما لم تغزه أمة اخرى ، وتبعها بعد ذلك الآخرون .

وتجد في جيب الرجل حلقة بها مفاتيح . الحلقة ومفاتيحها كلها مستوردة ، وكذا الأقفال التي تنفتح بها . ومنها اقفال لا يزال اسمها افرنجيا . انها اقفال ييل . هي تحمل اسم صاحبها ، وهو لينس ييل Linus Yale **صانع اقفال امريكي (١٨٢١ ــ ١٨٦٨) .**

ثم ماذا في جيب الرجل غير ذلك ؟ .

كيس الدراهـم ، وهو من جلـد . مدبوغ دبغ انجلترا ، ومصبوغ صبـغ انجلترا . والدنانير ، وهي مطبوعة طبع انجلترا . وهي الوان . والطبع والمطابع صـناعة اوروبا ، وهي ناشرة الثقافة الكبـرى ، في مدارس وجماعات ومعاهد وبيوت .

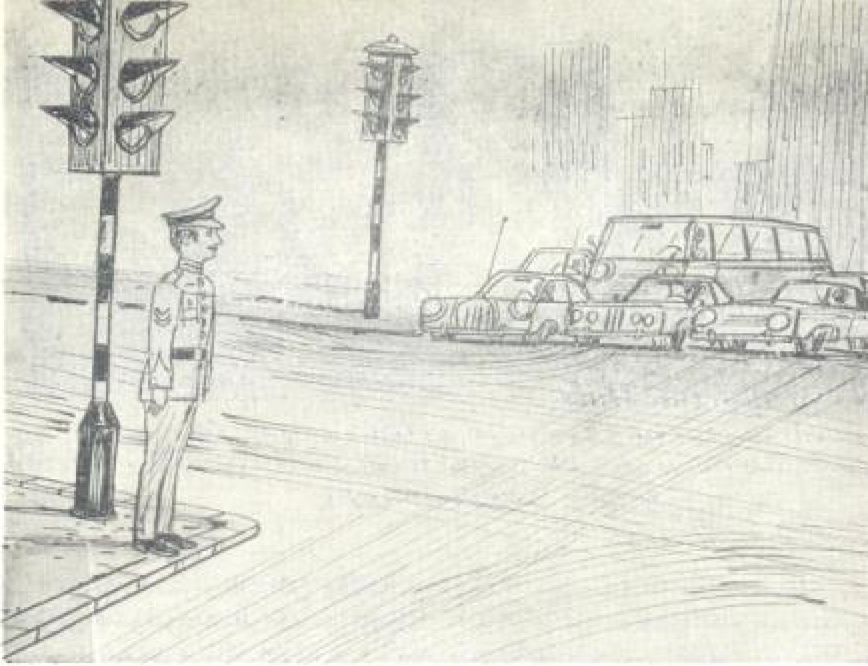
ونسينا حذاء الرجل . وهو من جلد مدبوغ مصبوغ . والدباغة عند العرب قديمـة . ولكنْ بحثهـا ، وكيمياؤها ، وتطبيق ما علمنا من خفاياها ، كل هذا حديث ، وهو يزداد كل يوم حداثة . حداثة غربية . ونحن ننقل وما ضرنا ان ننقل ، وما ضرنا ان نعترف بالتخلف . وننقل وقد سبق ان نقل عنا الآخرون الشيء الكثير . ونقول الكثير ، ونعلم انه غير الكثير ، ولكنه في زمانه كان الكثير الخطير . والخطـوات الأولى هي دائما اعسر الخطوات .

الف شيء وشيء

وغير ذلك ، في حياة الناس ، خاصة وعامة ، الف شيء وشيء ، مصادرها حضـارة الغـرب . فالشرطة لباسـها ونظامها وعتادها وسلاحها من الغرب . وشرطة النجدة منقولة عن الغـرب . ولوائح المرور ، واضواء مفارق الطرق من احمر واخضر واصـفر بديعات من بدائع الغرب . وكذا جيـوش الشرق لباسا ونظاما ومدرسة وعتادا . ونذكر للقـادة من اهل الشرق انهـم تعلموا في الاكاديمية الروسية او الاخرى الفرنسية او الانجليزية . والسـلاح الذى نحارب به من صناعة الغرب ، وفيه علم الغرب وحيلة الغرب وحنكته . ونخاصم دولة من دول الحضـارة الحاضرة فتمنع عنا السـلاح ، فقد نشتريه ببيع شيء من كبريائنا ، وللضرورات احكام .

وفي السياسة

ولـسنا نحصي كل ما ادخلته وغمرت به الحضـارة الحاضرة مرافق الحياة فينا .



شارات المرور عند تقاطع الطرقات ، نقلناها عن الغرب . ورجل الشرطة البسناه ملابس الغرب . ووضعنا على اذرعته شرائط الغرب

وانما نأتي على بعض ، ونمر كراما على بعض ، لأنها أحاديث اشباه وهي طويلة .

والحضارة الغربية اعطت العالم معنى اسميناه ، بل أسموه ، الديمقراطية .

ولما جاء الاسلام اعطى الناس الشورى . واعطى الكثير من معانى الديمقراطية ولو انه لم يسمها . وحارب الفقر ، بالزكاة اولا ، ثم بما يستطيع صاحب الأمر فى الناس ان يفرضه على الجماعة حتى لا يكون فى الدولة جائع .

جاء الاسلام بهذا ، واشباه هذا ، وترك التفصيل للناس من بعد ذلك . ولكن الاسلام لم يلبث أن انقلب فصار ملكا عضوضا . وصار الخليفة هو الحاكم المطلق ، وقد يصلح وقد لا يصلح . وغلب على الحكم ان كان مطلقا ، وليس معنى هذا انه كان دائما جائرا .

وقرأت بالأمس بيتا للشاعر العربي الشهير جرير يتوعد به خصوما له ، قال :

هذا ابن عمي في دمشق خليفة
لو شئت ساقكم الىّ قطينا

وما كان ابن عمه غير عبد الملك بن مروان ، الذى قيل عنه انه زين خلفاء بنى امية .

فوقع فى نفسي ان الشاعر انما وصف واقع الأمر فى عصره ، وفى أكثر من عصره .

وتفككت الدولة العربية الاسلامية على كل حال آخر الدهر ، وحكم اهلها الظلم والجور . وحكم الاهل غير الأهل .

وحدث فى اوروبا مثل ذلك . وقامت فيها الثورة اثر الثورة . وانتهى التفكير فى امر الحكم فى الغرب بابتداع معنى الحكم الديمقراطي ، (او ان شئت قلت حكم الشورى) او احيائه .

وصارت فلسفة العصر السياسية حكم الشعب بالشعب ، وجاءت البرلمانات ، وتعددت السلطات ، وتفاصلت التبعات على المعروف فى هذا الزمان الحاضر .

وتعلم الشرق من الغرب كل هذا ، تفصيلا ، وقام يطرح عن عنقه نير الحكم الأجنبي الغربي الظالم ، وحجته فى ذلك هي تلك المعاني الديمقراطية ابتدعتها

الحضارة الغربية لنفسها ، ولم يخطر لها ببال انه سيدفع بها المستضعفون المستعمرون المعذبون فى الارض .

وغاية الشعب العربي اليوم ، على اختلاف نوازعه ، انما هو حكم الشعب بالشعب . وفضل ذلك انما يرجع الى الغرب . لا الى ساسته ، فهم لا يزالون فى متاهات السلطة ومغريات القوة يعمهون ، وعلى اقوام غير اقوامهم يجورون ويظلمون ، ولكن الى اهل الفكر من رجال هذه الحضارة الحاضرة .

ان الفكر دائما يبدأ ويتخلف العمل . واهل الراى دائما يموتون ، قبل ان تثمر آراؤهم الثمرات . ويموتون وتثمر فى اعقابهم ، وفى احقاب تأتى من بعدهم ، الثمرات .

على كل حال فضل اهل الفكر العربي فى احياء معنى الديمقراطية فينا ، وهو معنى فى العرب قديم ، لا ينكر .

انهما غطاءان
لا غطاء واحد

من كل هذا نرى اننا ، معشر العرب ، ومعشر المسلمين والمسيحيين العرب كذلك ، نسير فى الحياة تحت غطاءين لا غطاء واحد . تحت مظلتين ، لا مظلة واحدة ، احداهما شرقية والاخرى غربية .

وقد ذكرنا عن المظلة الغربية هنا الكثير .

اما المظلة الشرقية ، فتتمثل فى لغتنا ، واللغات انما هى وعاء الثقافات . وهى تتمثل فى ديننا ، سواء كان اسلاميا او مسيحيا او غير ذلك . والمسلم جدير بأن يعتز باسلامه . والمسيحي وكل ذى كتاب ، تجمعه بالمسلم قيم للحياة ، لا بد منها ، يعزها الجميع .

وهي قيم تتعلق بالاخلاق ، فاضلة . وتتعلق بالعقائد ، واول العقائد الايمان بالله .

اسداء الخير
اول الأخلاق الفاضلة

واهل الغرب جروا فى فضائل العيش ، اشواطا بعيدة ، تتعلق بحظوظ الناس من الدنيا . ونحن ، اذ نبدأ بمثلها ، انما نسير على خطى هم خطوها قبل ان نخطوها . فالتعليم للجميع ، ومجانية التعليم ، وفرص الحياة الواحدة ، ومعاشات العجزة ، ومعاشات الشيخوخة والمرضى ، كل هذه سبقونا اليها ، وقعدنا نحن حتى عن دفع الزكاة . وهى فرض من فروض الاسلام الاولى .

ولن يقول احد بعد ذلك اننا فى الشرق اسمح ، واننا أجود ، انما الجود هو الجود الدائم المتصل الذى تفرضه القوانين برضى شعوب الامم ، لا بمائدة او مائدتين تقام لمرتقبيها ، ثم تنقضي ، وقد تخلف عنها احق الناس بها ، ويتسامع بعد ذلك

والبرلمانات من ابداع الديمقراطية الغربية . وهذا البرلمان الانجليزى اشهر البرلمانات جميعا .



باخبارها الأهل والجيران وتجري بها أحاديث في الحق زائفة .

ان القرآن حث الناس على العطاء .

وترك للناس تنظيم العطاء فما فعلوا شيئا . وقد وجدوا ان في تنظيمه الغرم لهم ، وفي الترك سترا ، لا يعلم فيه احد من اعطى ومن حبس .

فهذه سبيل اهل الغرب ، تنظيم العطاء وتقنينه .

وهذه سبل اهل الشرق ، ترك العطاء فوضى فهو أكثر سترا .

اخلاق تتصل بالجنس وما بين المراة والرجل من صلات

والرجل الشرقي، اذا ذكر لك الغرب، وما يجد من سوء في الغرب ، فانما يعني اكثر ما يعني صلة النساء بالرجال. وهو من اجل ذلك يريد ان يسد ابواب الغرب فلا تصل منه واصلة الى الشرق .

ولو وقف اعداء الغرب فينا عند هذا ولا شيء غير هذا ، لكان لوقفتهم بل وقفاتهم معنى .

وذلك ان صلة الرجل بالمراة ، في اهل الغرب ، بلغت من التردي ، الى درجة لا يرضاها احد من رجال الشرق ولا نسائه ابدا .

وانا معهم في هذا الدمغ اذ يدمغونه . اما أن يسدوا من اجل ذلك الأبواب جميعا ، فهذا كمن يفقأ عينيه بيديه .

وما ضر الغرب ان يعود الشرق القهقرى الى اجيال قديمة عتيقة مضت على البشر ، فأجيال .

وعدا هذا وهذا ، فالناقمون من اهل الشرق على الغرب ، على سد الأبواب غير قادرين .

وهم حتى على سد باب الجنس ، واخباره تاتي من بلاد الغرب في صحف وكتب واذاعة وتلفاز ، غير قادرين . ان المواصلات الاخبارية ، والمواصلات الثقافية هي اليوم من القوة والسيادة حتى ما يستطيع احد ان يسد طريقها الى الناس ، ولو كانوا باقصى الأرض ، وكيف بنا ونحن من العالم في بؤرة الحياة .

اقول هم غير قادرين ، وودت لو قدروا .

وزاد الطين بلة رجال منا ، أهل الشرق

وزاد الطين بلة ان رجالا منا ، من اهل الشرق ، من بائعي كتب اجنبية ، ومن مستوردي أفلام غربية سينمائية ، واخرى تلفازية ، جاءوا الينا باكثر ما استطاعوا من مشاهد اجنبية ، استوت فيها القبلة يفتتمها العشاق افتتاما ، بالقبلة التي تستمر دقائق، وانتهت بان كشفوا لنا في هذه المشاهد ، لا سيما السينمائية ، عن مضاجع العشاق وهم عرايا في اسرة النوم . ومشاهد السينما عموما لها آثار خادعة ، فهي توحي للمشاهدين ان ما يرونه على الشاشة انما هي مشاهد مما يجري في المجتمعات كل يوم ، فهي اذن عادة جارية مستساغة في قوم من الناس ، واذن لم لا تكون عادة مستساغة فيهم . ثم مجرد ظهور هذه المشاهد في الناس ، والناس سكوت ، يوحي بان الراى العام يتقبلها او هو يكاد، وهذا يفتح باب التقليد . والأمم تلتقف الثقافات بعضها من بعض من سبل شتى ، منها التقليد سبيلا .

حوافز استيراد

ومستوردو هذه المنشورات من الغرب ، أو مستوردو هذه الأفلام ، يفعلون ذلك لأسباب الكسب ، وهذا في زعمي هو الكسب غير الحلال . فليس من الكسب الحلال ان تحرك في الناس ، ولا سيما الشباب ، نوازع الجنس لتبيعهم الجنس . والجنس منه الطاهر، ومنه النجس . وهم انما يبيعون اكثر ما يبيعون الجنس المثير الذي رفض ان يخضع لآداب الحياة ، وتقاليد العيش الهادىء المتزن .

قصة للعبرة

وتجار الجنس هؤلاء ، وليس كل مستورد تاجرا ،منهم من يدعى انالقصة التى يشترون تكون العبرة ، وقد كانت كذلك فى عقود من الزمان مضت ، اما وقد غيّر الغرب تقاليد الجنس فيه ، وأباح الكثير من ظواهره وخوافيه ، فقد انتفت العبرة ، وصارت للاثارة صريحة بيّنة ، ومع الاثارة ما يجنيه شباك التذاكر من ايراد .

ومن تجار الأفلام من يرى ان هذه الأفلام تمثل دورا فى التقدم الحضارى ، لا يمكن اغفاله ، وهو آت للشرق كما جاء الغرب ، فلِمَ التخلف عن عرضه اليوم ، بدل الصبر للغد،ونشره وتبيانه؟

سكوت الحكومات

واعجب من ذلك سكوت الحكومات الشرقية عن كل ذلك .

ولذلك اسباب عدة .

اولها أن قد يكون للتجار ، تجار الجنس ، عند اهل الحكم دالّة ،وكلمة مسموعة .

وثانيها : ان قد تكون الحكومات الشرقية فى خصومات عدة ، من خارجة وداخلة ، فهى لا تريد ان تضيف اليها خصومة تكون بينها وبين شعبها جديدة . والسلام خير . والحكومات كثيرا مايكون لديها من المشاكل ما يحفزها علىان يتلهى الشعب بشىء ، كما تتلهى الأطفال باللعب ، ويكون الجنس بعض هذه اللعب . . ونحن نهتف باسم الشعوب ونمجد الشعوب ، ونقول انها مصدر السلطات ، وكل هذا صحيح ، ولكن ننسى ان من الشعوب ما يلقى بالعظمة من بعد العظمة فى حلوق حكامه ، حتى المختارين منهم ،عن جهالة،وعن تخلّف ، او بسبب سيادة عناصر فيها ليست دائما تعمل للخير فى كل الظروف .

ولكم رايت من اهل الحكم من يدارى طوائف من الشعب يخشونها ، بالنزول والهدف الاسترضاء . وكثيرا ما يكون مع الاسترضاء الاستخذاء ، ومعه وقفة للعقلاء تتساءل فى شىء من الفزع ثم ماذا بعد هذا ؟!

والشرقى قلّد واحسن التقليد وتفوّق

ومالنا تنحى باللائمة على اهل الغرب وقد اصبح فينا من اهلنا من يتقدمون لنا بانتاج قصصى وانتاج سينمائى هو فوق ما أنتج اهل الغرب صراحة وكشف عورة . وان دلّ هذا على شىء يحمد ، فهو يدل على أن الشرقى اذا قلّد احسن التقليد ، بل تفوق .

ويأتون لك فى كل فلم بقاعة للرقص الحديث،حتى ليخيل اليك أن فىالعاصمة يوجد فى كل شارع من شوارعها ، بيت للرقص كهذا، وانه ليس للشباب مشغلة الا « تفقير » الراس والظهر . و«التفقير» عادة فى الشرق قديمة يقوم بها بعض اهل الطرق من اولياء الله ، وجاء هؤلاء فاحلوا محل ولاء الله ولاءً آخر .

وكان من آخر انتاجهم فلمٌ اسموه «الشيماء أخت محمد» فقرر اهل الفطنة والذكاء فيهم انه لا يمكن ان يخلو من اغراء للجنس تتمثل فيه سمة هذا العصر ، فاذا بنا نرى فى هذا الفلم التقى الورع رقصات من بنات كشفن فيها عن بطونهن وظهورهن ومواقع الفتنة فيهن ، وذلك ليدللوا على أن قريشا كانت من الفجور بحيث وجب أن يكون اعداء الرسول .

لمسةٌ تجارية حاذقة من لمسات الفن الرفيع ، عرفتها قريش ام لم تعرف .

واعلان رايناه فى التلفاز : فتاة بين اوعية من المنيوم ، هى اوعية المطبخ ، وهى تعلن عنمسحوق لتنظيفها وتلميعها . واذا هى فى آخر الاعلان قد وضعت ساقها عارية على المائدة ، وفى يديها تلك الاوانى تشرح عملها . كان لا بد من الجنس يظهر حتى بين هذه الأوعية ، حتى لا يفقد الاعلان أكثر اثره . انها فلسفة عن قرارات ، او استحداث اخرى .

الاعلان ، فلسفة الجنس الجديدة ، تجدها اكثر خفاء في اكثر الاعلانات .

قول بين اقوال

هذا ما يقوله المرء في امر الجنس ، وهو قول بين اقوال ، وقد يرضاه القارىء ، وقد لا يرضاه ، تبعا لسنه وطول خبرته .

الذي وقع في اوروبا في امر الجنس كان شيئا محتوما ؟

ان من علماء الاجتماع وغيرهم من يعتقدون ان الذي وقع في اوروبا ، انما كان شيئا محتوما . وهو وقع هناك على الرغم من معارضة اهل الدين . وهو وقع بسبب تطور المجتمع تحت وطاة الحياة الحديثة ، وطاة العلم الحديث ، ووطاة التكنية الحديثة، ووطاة المجتمع. وكثير من الباحثين يقولون انه ، تحت هذه الوطات جميعا لم يكن بد لاوروبا من هذا التحول في امور الجنس وفي غير الجنس من امور . انه هذا النوع من الحضارة. والحضارات صنوف وانواع، وقدتضمن العلوم الطبيعية والتكنولوجيا وضروب الصناعات الكبرى خاصة ، قد قلب المجتمع الانساني راسا على عقب ، وقلب كذلك اوضاعه وقيمه،رضي بذلك اهلوه او لم يرضوا .

فان صح ما قاله اهل الفكر هؤلاء ، فماذا ينتظر اهل الشرق ، وطوفان الصناعات الكبرى والتكنية والعلوم الطبيعيةمتجه نحوهم في جبهات من الحياة شتى ، طوال عراض ؟ ان الخير ان يفكر اهل الشرق من الآن في كيف يتسلقون سنام هذا الطوفان حتى لا يغرقوا فيه ، وذلك بدلا من ان يقبعوا حيث هم قابعون في ديارهم ، كل ما يفعلونه ، ان يصبوا عليه اللعنات . وهو قادم ، « كالليل الذي هو مدركي » فيما زعم النابغة الذبياني .

والراى عندى

والراى عندى ان ندرس موضوع الجنس علميا ، كما درسه القوم هناك . وان نستنبط ، في ظروفنا ، وفيما ياتلف مع تقاليدنا ، غير ما استنبطوا ، وان نخرج بالشباب ، بجنسيه ، من هذا الحرج الذي لا شك فيه ، والذي زادته المدنية الحاضرة حرجا ، بما يحفظ على الفتى والفتاة ماء الوجه ، وعفة النفس والمزة التي هي عزةالشرف غير الجريح .

وليس من الحلول المقبولة في شيء ان نذكر الفتى الذي قارب الثلاثين ، او الفتاةالتي نيفت علىالعشرين او الخامسة والعشرين ، ان نذكرهما بمعان للصبر دون ان نهيىء لهما الأمل في الخروج من الم الواقع بشيء قاطع حاسم .

والحل عندى هو ما سبق ان اقترحته في « العربي » ان يكون الزواج باكرا ، بين الفتى والفتاة ، ولا يمنع من ذلك ان يكون طالبا وتكون طالبة . ولأن يكونا زوجين في رحاب الله خير من ان يكونا خليلين في رحاب الشيطان (العربي صفحة ٨ عدد ابريل ١٩٦٢) .

ولقد علمت ان من جامعات امريكا من جعلت من التبكير في الزواج بديلا من الدعارة ، وان منها ما عمَّ هذا الزواجَ الباكر ثلثَ طلاّبها وطالباتها .

اقترحت ما اقترحت ، وزارني عقب ذلك فيمن زار احد الآباء يشكو ابنه . قال : انه طلب منه الزواج الباكر ، وذلك من فتاة في مثل سنه .

كانت الشكوى من ان الشاب صغير لا يستطيع كسب رزق يومه . قلت هب انه اصطحبهاخليلة فهل هو واجد رزقه ؟ قال احسب ذلك . قلت فليكن مصدر رزقهما ، وهما خليلان ، هو مصدر رزقهما وهما زوجان ، واذن فليتزوجا ، ومعالزواجطيبُ النفس بطيب الحلال، ففي الحرام قلق ينخر في النفوس نخرا . قال الرجل الطيب : والولد ؟ قلت ان العلم منع النسل الا ان نريده . عندئذ

اخذ يسألني في حرمة هذا المنع وحلّه . قلت ان المقبل على الموت ، اذا اعطي سبيلا للخلاص منه ، لا يذكر الحلال في ذلك والحرام . والفجور ، ان لذ الشباب منه اول جرعة ، فهو يَغُصُّ بالف جرعة من بعدها . وتنبذ المراة خاصة من بعد ذلك في الطريق كقشرة الموز بعد ان زال عنها لبُّها فتأخذ تدوسها الاقدام . فمن اجل تجنيب الفتاة هذا المآل لا تسألني ما الحلال في حبس النسل هنا وما الحرام .

وكما ضعف العفاف ضَعُفَ في اهل الغرب الايمانُ

هكذا يقول المعارضون للمدنية الغربية فلا يريدون لها ان تدخل ديارنا الشرقية .

ولقد ضعف العفاف عند اهل الغرب ولكن بقي عند الاكثرية قيمةً من قيم الحياة تعتز بها الفتاة . واللاتي خرجن عن طريق العفة اكثرهن جعلن روابطهن بالرجال اشبه شيء برابطة الزواج ، بها الثبوت ، ولكن ليس لها الخلود المخلد ، وذلك لما قامت عندهم في سبيل الطلاق العقبات . ثم تبنى بعض كتابهم هذا الوضع الجديد ، وصنعوا من كل ذلك فلسفة ثائرة ، ثارت على ما نشأوا فيه من قيود زادتها الحضارة الحاضرة سوءا ، عندما اطالت مدة التعليم والتدريب ، تلك المدة التي لا يتهيأ الفتى ولا تتهيأ الفتاة الا بعدها لعمل في المجتمع كاسب .

ومع ضعف العفاف هكذا عندهم ، ضعف تقديرهم لدينهم وشكّوا في وجود الله .

ومع هذا بقي احترام الدين شاملا للسواد من الناس . ويدخل الرجل منهم الكنيسة ، وتدخل المراة ، فيرفع الرجل قبعته ، ويركع الاثنان تقديرا لبيت هو لا يزال عندهم بيت الله .

وافسر هذه الظاهرة فاقول انه ما نفى احد وجود الله الا وشك في نفيه . وانت تستطيع ان تثبت وجود شيء بالبرهان ، اما ان تنفي شيئا فهذا في المنطق اعسر الاشياء .

وماذا يضير الشرقي من كل هذا وانكار وجود الله في الشرق ، وفي الامم عامة ، ظاهرة قديمة عتيقة . والمسلمون ان كانوا اليوم في الارض ٦٠٠ مليون من الانفس ، فهناك نحو ثلاثة آلاف مليون من البشر غير مسلمين . من المسيحيين نحو ٩٥٠ مليون . ومن اليهود نحو ١٤ مليونا ، ومن غير اهل الكتاب ١٢٠٠ مليون . وهؤلاء جميعا يدينون بما لا يدين به المسلمون ، فهل من اجل ذلك نسد الابواب من حولنا حتى لا يكون بيننا وبينهم اتصال .

ان المسلمين اليوم ، وبالامس ، ودائما ابدا ، بهم قلة فيها الشك قائم ، بدين وبغير دين .

وزاد اهل الشك بيننا اليوم عددا ، ان دعاة الدين لم يرتفعوا بانفسهم الى ما ارتفع اليه سواد المثقفين . الا قلة كريمة فيهم ، رأت السلامة في الصمت والسكوت .

وجاء عصر العلم الحديث ، فقام قوم باسم العلم ، يعمدون ما خالوا ان فقهاء المسلمين غير عامديه . فربطوا الدين بخرافات من العلم حديثة ، زعزعت من ايمان اهل الايمان واليقين . لووا عنق العلم مرة ، ومرة اصاب اللَّيُّ عنقَ القرآن الكريم ، كل هذا ليلتقي الاثنان ، وساء لهم التقاء . وقالت زمرة طيبة من خيرة من الفقهاء ما هذا بدين ، وما كان كتاب الله كتاب علم تستفاد منه تفاصيل المظاهر الكونية والقوانين ، فقلت لهم اصدعوا برايكم واصرخوا اعلانا ، وارتفعوا بالقرآن عن تلك المهاوي ، فهي ان زادت جمهرة الجاهلين ايمانا بشعوذة ، زادت جمهرة اهل العلم شكا وريبة ، قلت اصدعوا برايكم ، ولكنهم عادوا بالسكوت والصمت يلوذون .

والله المستعان على ما يصفون .

●●

احمد زكي

مسابقة العربي

١٠ أسئلة و ١٠٠ دينار جوائز

مسابقة هذا العدد تنحصر في عشرة أسئلة ، مع كل منها ثلاث اجابات ، واحدة منها فقط صحيحة .. والمطلوب منك ايجاد الاجابات الصحيحة لثمانية أسئلة على الاقل .. وهذه هي الاسئلة :

١ ـ الخنساء **شاعرة العرب الكبرى ، اسلمت مع قومها ، واشترك أولادها الاربعة في القتال ، فقتلوا جميعا في معركة :**
اليرموك ـ القادسية ـ أجنادين .

٢ ـ ابن خلكان : **هو كنية احمد البرمكي الاربلي ، الذي ولد عام ١٢١١ ميلادية ، تعلم في حلب ودمشق والقاهرة .. والف كتابا يعتبر مرجعا ، وهذا الكتاب اسمه :**
محيط المحيط ـ وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ـ اللباب في احكام الزينة واللباس والاحتجاب .

٣ ـ خوارزم : **بلاد واسعة غزاها العرب عام ٧١٢ وهي تقع :**
شرق الهند ـ جنوب تركيا ـ شمال بحر قزوين .

٤ ـ سيلان : **جزيرة كبيرة في جنوب شرق الهند ، عاصمتها كولمبو ، اطلق عليها العرب اسم :**
بالي ـ سرنديب ـ سيشيل .

٥ ـ ابن خلدون **المؤرخ والفيلسوف ورجل السياسة ، انتدبه صاحب غرناطة سفيرا الى قشتالة ، لم درس في الازهر ، وقصد تيمورلنك عند حصاره لدمشق ، ولكنه فشل في انقاذ المدينة .. الف عدة كتب ، لم يصلنا منها الا مقدمة كتاب العبر ، المشهورة بمقدمة ابن خلدون .. هذا العالم الكبير ولد عام ١٣٣٢ ميلادية ، ترى اين كان مولده في :**
الاندلس ـ دمشق ـ تونس .

٦ ـ **جمعية سياسية دينية ظهرت في القرن العاشر الميلادي كان مقرها البصرة ، غايتها السعي الى سعادة النفوس الخالدة ، وهذه الجمعية نشرت ٥٢ رسالة في مختلف العلوم والمواضيع ، فما اسمها :**
المعتزلة ـ اخوان الصفا ـ الدهرية .

٧ ـ **بحر القلزم اسم قديم كان يطلق على بحر عربي هو :**
البحر الاحمر ـ بحر العرب ـ بحر الخزر .

٨ ـ **دولة الامارات العربية المتحدة ، هي الدولة الثامنة عشرة التي دخلت الجامعة العربية ، اذكر اسماء الامارات السبع التي تتألف منها هذه الدولة الفتية ؟**

٩ ـ نينوى : **المدينة الأثرية وعاصمة اشور القديمة ، اكتشفت فيها آثار اشور بانيبال .. وتقع نينوى في العراق قرب مدينة :**
العمارة ـ كركوك ـ الموصل .

١٠ ـ **ابن باجه وابن ماجد .. ايهما البحار العربي الشهير ، وايهما الفيلسوف الضليع ؟**

شروط المسابقة .. وجوائز ١٠٠ دينار

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .
٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :
مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٦٩ » .
٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر يناير (كانون ثاني) ١٩٧٣
٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .
يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :
الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . **الجائزة الثانية** ٢٠ دينارا . **الجائزة الثالثة** ١٠ دنانير .
٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .
.. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .



الحضارة الراهنة وعوامل إنقاذها

بقلم : علي ادهم

■ الحروب المتوالية التى لا يكاد ينطفىء لهيبها، والثورات الدامية المتتابعة ، والانقلابات الكثيرة الحدوث في شتى انحاء الكرة الارضية ، والازمات الاقتصادية المتوالية، وسوء العلاقات الدولية التى تنذر بالشرر المستطير كثيرا ما تثير خواطر المفكرين، وتبعثهم على الظن بان الحضارة الانسانية ومصير الانسان قد صارا معرضين للخطر . ومما لا سبيل الى الشك فيه ان تطور وسائل الحرب الحديثة ، واهتداء الانسان الى صنع القنابل الذرية وما الى ذلك من اسلحة التدمير والاهلاك جعلت في طاقة الانسان ، اذا خذلته انسانيته ، وسيطرت عليه حماقته ووحشيته ، اتلاف الكرة الارضية ، وابادة البشرية .

وفي اعقاب الحرب العالمية الاولى راج كتاب « تدهور الغرب » الذى الفه المفكر الالمانى المشهور اشبنجلر Spengler ، واقبل عليه القراء في المانيا وفي غير المانيا في اهتمام بالغ ، وراج رواجا قليل النظير ، وتناوله النقاد بالبحث والتحليل ، واثار الكتاب بوجه عام اهتمام المؤرخين وسائر المثقفين ، سواء من وافق المؤلف في اتجاهاته الفكرية او من خالفه في الكثير من آرائه .

ثم هدأت موجة التشاؤم العارمة التى سادت العالم بعد الحرب العالمية الاولى .

ولكن في السنوات الاخيرة اصبحت الاحوال العالمية بوجه عام لا تبشر بالخير ، ولا تجعل الانسان واثقا من ان الانسانية ينتظرها مستقبل زاهر ، وعصر يسود فيه الاخاء والرخاء ، وعاد الذين يميلون بطبيعتهم الى التشاؤم وسوء الظن بالانسانية الى تأكيد فلسفتهم المتشائمة ، ودعم وجهة نظرهم الحزينة، فالحضارة تبدو لهم متجهة الى الهاوية، وخطر الفوضى الشاملة يتهددها . وقد بدت بوادره في مجالات عدة ، ومن ادلتهم الواضحة على ذلك الاضطراب الغالب على العلاقات بين الدول ، وفقدان روح العدالة في مشكلات الامم ، وغلبة الجشع والاسترسال مع المطامع المتمادية والاثرة الطاغية ، وسريان روح الدجل والنفاق والمغالطة والتهريج في المسائل الدولية الهامة التى تتعلق بمصير بعض الامم والجماعات المضطهدة والمسلوبة الحق .

ولا اطيل في بيان تلك النذر الخطيرة ، فهى تطالعنا كل صباح وكل مساء في مختلف الصحف العالمية وشتى الاذاعات ، مما يوضح لنا ان الاخطار التى تهدد الحضارة في العصر الحاضر اجل شأنا ، وافدح ضررا ، من الاخطار التى تعرضت لها الحضارة في العهود السالفة . والذين يشيرون الى هذه الاخطار الراصدة لا يقصدون من وراء ذلك التهويل واثارة الرعب في قلوب الناس ، وانما يقصدون تنبيه البشرية الى مواطن الخطر وجذور

الشر لتاخذ الحيطة ، وتعد العدة للمقاومة ودفع الغوائل . وادراك الخطر مدعاة الى التاهب لمقاومته ، والعمل على دفع عاديته . واستشعار الخطر يضايق الميالين بطبعهم الى حب الرغد والمعيشة الرافهة .

ولكن الواقع ان الحضارة البشرية لم تكن في يوم ما في مامن تام من الاخطار ، والكون الذى نعيش فيه حافل بالاحوال المتقلبة ، والتغيرات المفاجئة،ووجودنا فى مثل هذا الكون يستلزم اليقظة المستمرة والتاهب الدائم ، وكثيرا ما كان يردد في اثناء الحرب العالمية الكبرى الثانية انها قامت لجعل العالم مكانا امينا للحضارة ، ولكن الحضارة ما دامت موجودة فهى في حاجة دائمة الى التامين للمحافظة على بقائها ، واى توان او اهمال في هذه الناحية يجعلها عرضة للتصدع والانهيار ، واعظم وقاية للحضارة هى ان الانسان نفسه بطبيعته قد زُود بالعقل والجسد لمواجهة الاخطار، والمحافظة على كيانه برغم التقلبات العارضة والاخطار الماحقة .

الحضارة والانسان

والمزايا والصفات الجليلة التى زود بها الانسان لمواجهة الاخطار ودفع عوامل التحلل والانهيار هى نفسها التى مهدت لوجود الحضارة، وساعدت على خلقها،وهيأت لها اسباب التقدم واطراد النماء،وهذه المزايا والصفات هى ضمان وجودها ، وباعث تقدمها . ولو خذلت الانسان هذه الصفات والمزايا لكان في هذا الخذلان القضاء على الحضارة . ولكن ليس هناك ما يستوجب الظن بانها ستخذل الانسان ، وليس ذلك لان الحضارة سيكون طريقها خاليا من الاشواك ، واناى عن الاخطار من طريقها في سالف الايام وقديم الازمات والشدائد ، فان طريقها في كل لحظة وبكل خطوة عرضة للخطر ، وليس من المنظور أن تزول هذه الاخطار الراصدة في المستقبل . وحتى اذا امكن توحيد الجنس البشرى ، وعم السلم اركان العالم ، وضعفت قوة الانسان وهدات قدرته على المقاومة وصيانة الحضارة فان هذا ادعى الى توقع الخطر . ولا بد لوقاية الحضارة وتامينها من توفر امانة المخلص الامين في عمله وسلوكه ، وكفاية المفكر الذى يُحسن التفكير ويجيده في مواجهة الازمات ولقاء الاحداث ومعالجة المشكلات،واقدام الشجاع الذى لا يتراجع ولا يتردد ويتصدى لمواجهة الاخطار ناهضَ العزم موفور الثقة بالنفس ، وتاريخ كل حضارة متقدمة هو سلسلة من تاريخ ازمات واجهها الانسان وتغلب عليها ، ولا حضارة بغير ازمات متعاقبة واخطار في الطريق معترضة . وصمام الامن هو امانة الانسان المخلص في عمله ، وكفاية الرجل الذى يتقن عمله ، ويبرع في ادائه ويحسن القيام بتبعته ، واقدام الشجاع الذى لا يلين عزمه ولا تفتر همته،فالاخلاص والكفاية والشجاعة هى الصفات التى تميز المواطن الصالح . وليس من الميسور فصل هذه الصفات ، لانها تتداخل وتختلط ، وتاتلف وتتعاون ، وهى تكون مؤهلات شخصية المواطن الصالح ، وتميزه عن المواطن غير الصالح . واذا توفرت لاى فرد صفة من هذه الصفات استلزم وجودها مصاحبة الصفتين الاخريين، فالرجل المخلص الامين في عمله لا يكف في ممارسته لما يعهد اليه من الاعمال عن الاتقان ، واكتساب الخبرة الصادقة ، والكفاية التامة ، ولا تخذله الشجاعة في الاحتفاظ بامانته في النهوض بواجباته حينما تواجهه المغريات ، والقوة الكامنة في الرجال الذين تتوفر فيهم هذه الصفات ـ الامانة والكفاية والشجاعة ـ هى القوة التى تنقذ الحضارة ، وتدرا عنها الاخطار ، وتضمن لها البقاء والتقدم.

نذر وشواهد

ولكن هل هذه الصفات موفورة في هذا العصر الى الحد الذى يضمن بقاء الحضارة ووقايتها من الاخطار المنظورة والنكسات المتوقعة ؟ هناك من النذر وشواهد الاحوال ما يجعلنا نشك في ذلك ، ففقدان الاخلاص والامانة في اداء الاعمال من العيوب البارزة ، وضعف الكفاية في شتى النواحى العملية والفكرية من الظواهر الملحوظة ، وفقدان الشجاعة وتراجعها امام ايثار المصلحة العاجلة والفائدة المنتظرة من العيوب المشاهدة الشائعة في المجتمعات الحديثة ، ولكننا اذا وازنا بين الحاضر والزمن الماضي لا نجد اساسا للاعتقاد

بان تلك القوى التى يتوقف عليها انقاذ الحضارة اضعف شأنا واقل تأثيرا فى هذا العصر منها فى العصور السالفة والحضارات الخالية ، وربما كانت عوامل معارضتها أشد ضراوة ، ولكن شدة عدوان عوامل المقاومة تزود عناصر الانقاذ وعوامل الابقاء على الحضارة بالطاقة المطلوبة ، والعزم والتصميم الكفيلين بصدق المقاومة والقدرة على دفع الاخطار والابقاء على الحضارة . وربما كان ذلك مدعاة لان نمدح الزمن الذى نعيش فيه بدلا من ان نذمه ونعيبه ، فهو عصر يستلزم حفز قوانا الدفينة،والاستناد الى الصفات الانسانية العالية من الاخلاص والكفاية والمعرفة والحكمة،فهى معركة حامية بين الخير والشر او بين الاخيار والاشرار ، وما جئنا لهذا الوجود الا ليقوم كل منا بدوره المأثور فى هذه المعركة الدائرة منذ القدم .

ولا نستطيع بطبيعة الحال ان نتكهن بمعرفة نتيجة هذه المعركة ، فقد يستولى على المجاهدين السأم والارهاق ، وتتراخى العزائم ، ويحدث انقسام فى صفوف الاخيار،وفى هذه الحالة تتعرض الحضارة للسقوط والانهيار ، ولكن الذى يبعث الامل والطمأنينة ان الحضارة مرت فيما مضى من الزمان بازمات كانت فيها القوى المنقذة اقل دُربة وأهبة ، وكانت صفوف الاخيار فيها اقل تماسكا واتحادا ، ولكنها برغم ذلك استطاعت المقاومة والثبات ، وحافظت على بقائها، فليس هناك موجب لفقدان العزيمة وغلبة اليأس فى مواجهة الاخطار الراهنة ، والعقبى دائما للاخيار كما دلت التجارب الماضية ، وان كانت الخسائر ستكون بطبيعة الحال فادحة .

الخير والشر

وللمتشائمين حججهم القوية التى ليس من السهل فى كل وقت نقضها ، ولكن الانسانية التى استطاعت الخروج من فوضى عهود الجهالة والوحشية ، ووضعت اسس الحضارة ، وسارت فى سبيل التقدم برغم العوائق المعترضة،لا تستكثر عليها القدرة على مغالبة العوامل الهدامة فى هذا العصر ، والقدرة الالية فى العصر الحاضر والكفاية العملية والكشوف العلمية الحديثة قد طوعت للانسان وسائل كثيرة لم تكن ميسورة فى العهود السالفة ، ويستطيع الانسان ان يستغل هذه الوسائل فى الابقاء على الحضارة ومواجهة الازمات والعقبات التى تعترض سيرها وتعوق تقدمها ، وعصر الالة الحاضر فى حاجة ماسة الى انطلاقة جديدة لقوة الانسان الخلاقة المبتكرة،والازمة التى تواجهها الحضارة فى هذا العصر تدعو الى تضافر قوى العناصر الخيرة لمواجهة قوى الشر وعوامل الهدم ودواعى الفرقة والخلاف ، ومن بواعث الامل ان الاشرار فى كل زمان اكثر عددا من القديسين والاطهار ، ولكنهم مع ذلك يهزمون فى النهاية ، وتنجلى المعركة عن انتصار الحق والخير ، وليس هذا الكون العجيب الذى نعيش فيه مستشفى للعجزة او ملجا للمتقاعدين ، وانما هو مجال صراع دائم وكفاح لا تهدأ حدته بين عوامل الخير وبواعث الشر ، وعوامل البناء وعوامل الهدم ، وتبعة الخروج من هذه الورطة والخلاص من عقابيل هذه الازمة تقع على عاتق العناصر الصالحة ، وهى المواطنون المخلصون الاكفاء الشجعان ، وبجهودهم المبذولة وكفاحهم المستمر فى سبيل الحق والخير والجمال تخرج الانسانية من الظلمات التى تكتنفها، وتعمل على تحقيق المثل العليا الانسانية المنشودة ، واعداد عالم افضل . ■

على ادهم

فى الحجابة

● قال احد الخلفاء لحاجبه : انك عين انظر بها ، وجُنّة استنيم اليها وقد وليتك بابي فما تراك صانعا برعيتي ؟ قال : انظر اليهم بعينك ، واحملهم على قدر منازلهم عندك ، واضعهم فى ابطائهم عن زيارتك ولزومهم خدمتك مواضع استحقاقهم ، وارتبهم حيث وضعهم ترتيبك ، واحسن ابلاغك عنهم وابلاغهم عنك . قال : قد وفيت مالك وما عليك ، ان صدقته بفعل .

اجتهاد كبار الصحابة

بقلم : الشيخ بدر المتولي عبد الباسط

■ بينا ـ فيما سبق (١) ـ أن عهد كبار الصحابة الذي يبتدىء من وفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى انتهاء عهد الخلفاء الراشدين بمقتل امير المؤمنين علي ـ رضى الله عنه وكرم الله وجهه ـ ينقسم الى عصرين : عصر ماقبل الفتنة التي بدات في أواخر عهد عثمان ـ رضى الله عنه ـ وعصر الفتنة التي بدات من ذلك الحين ، وامتدت حتى مقتل علي ـ رضي الله عنه وكرم الله وجهه ـ وان كانت ذيولها وآثارها لم تزل حتى يومنا هذا .

وبينا ان كبار الصحابة كانوا يعتمدون في اجتهاداتهم :

أولا : على كتاب الله

ثانيا : على سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

كما بينا الى أى مدى كانوا يعتمدون على هذين المصدرين .

كما اشرنا الى ان هناك مصدرا جديدا من مصادر التشريع جد في ذلك العهد ، ولم يكن على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الا وهو الاجماع . ووعدنا ان نعطي للقارىء فكرة عنه والى اى مدى كان يعتمد عليه في التشريع .

كلمة مجملة عن الاجماع :
ما هو ؟ وهل يمكن تحققه ؟
وما مرتبته بين الادلة الشرعية ؟

ذهب جمهور العلماء الى ان الاجماع هو اتفاق المجتهدين من امة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في عصر من العصور على حكم شرعي .

فليس من الاجماع اتفاق غير المجتهدين من عامة الناس على حكم شرعي ، كما انه ليس اتفاق طائفة من المجتهدين ـ وان كثروا ـ على حكم شرعي .

كما انه ليس من الاجماع المعتد به ـ عند الفقهاء ـ اتفاق العلماء على حكم عقلي ، كاتفاق الفلاسفة القدماء ـ كما قيل ـ على قدم العالم ، أو على ان الجوهر الفرد ـ الذرة ـ غير قابلة للانقسام .

وليس من الضروري في تحقق الاجماع اتفاق المجتهدين في كل العصور على الحكم الشرعي ، بل يكفي ان يوجد الاتفاق في اى عصر من العصور ، اذ لو اشترطنا هذا الشرط لما تحقق اجماع الى يوم القيامة .

وذهب الشيعة الامامية الى ان الاجماع هو اتفاق طائفة من الامة ـ وهم اهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ـ على حكم شرعي ، يكشف اتفاقهم عن رأى الامام المعصوم .

فالعبرة عندهم ـ هي رأى المعصوم اولا وأخيرا ، اما بطريق مباشر ، كما لو ورد عنه نص ، يقر ماذهب اليه علماء اهل البيت ، او بطريق غير

• مصـادره
• الإجمـاع مصـدرًا تشريعيًا
• الشورى وأثرها في انعقاد الإجماع وفي التشريع على حدٍّ سواء
• قضايا هامة جدّت في هذا العهد وكيف عالجوها ؟

مباشر ، كما لو اتفق المجتهدون من اهل البيت على حكم ، ولم ينكر الامام ، فيعتبر هذا اقرارا منه على اجتهادهم لانه ـ في رايهم ـ رئيس العلماء ، ولايسكت على خطأ .

ومناقشة هذا الراى ليست من قصدنا،ومجالها على غير صفحات هذه المجلة ، وانما عرضته لاعطى للقارىء صورة مجملة عن تصور العلماء ـ على اختلاف مذاهبهم ـ للاجماع . والاجماع حجة عند جمهور المسلمين يجب العمل به .

شبهات حول الاجماع

انكر قوم تحقق الاجماع فضلا عن حجيته ، واثاروا شبهات ـ ان صحت ـ دلت على استحالة الاجماع . وانى مورد لهذه الشبهات بكل دقة وامانة ، ثم ابين رأيي فيما بعد .

يقول هؤلاء المشككون في تحقق الاجماع ، ان معرفة المجتهدين ـ في اى عصر ـ مستحيلة ، لعدم وجود ضابط للاجتهاد ، ولانتشارهم في الافاق والامصار ، ولايثار البعض منهم العزلة على الشهرة .

ولو سلم اماكن معرفتهم ، فلا يتصور معرفة آرائهم لبعض الاسباب السابقة ، ولو تصور معرفة آرائهم فقد يكون هذه الراى عن رغبة أو رهبة ، ولو سلم انهم أبدوا رأيهم بكامل حريتهم فيجوز ان يكون بعضهم قد رجع عن رأيه قبل ان ينعقد الاجماع ، ولو سلم ان شيئا من ذلك لم يقع ، فان هذا الحكم الذى اجمعوا عليه لابد ان يكون له سند شرعي ، وهذا السند الشرعي اما ان يكون دليلا قطعيا او دليلا ظنيا . فان كان قطعيا فلا يعقل ان يخفى على الامة ، واذن فيكون هو الدليل ـ لا الاجماع ، وان كان ظنيا فلا يعقل ان تتفق عليه الاراء ، اذ الدليل الظنى مثار الاختلاف ، فكيف يتأتى الاجماع مع هذه الاحتمالات ؟!

هذه هي الشبهات التي اوردها منكرو الاجماع. ووجاهة هذه الشبهات تظهر بعد عصر الصحابة ، ولا سيما الصدر الاول منهم اما في عهد الشيخين ابى بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ والصدر الاول لخلافة عثمان وهو عهد ما قبل الفتنة ، فانه لا مجال لهذه الشبهات ، فقد كان المجتهدون قلة معروفين فيما بينهم ، كمعرفة اهل مدينة صغيرة للممتازين من صناعها في الصناعات المختلفة، فان المجتهدين ـ في هذا العصر ـ كانوا محصورين في المدينة ، وهناك عدالتهم التى شهد لهم بها بها الرسول الاكرم تمنعهم من ان يقولوا في الدين عن رغبة او رهبة او هوى ، فقد عرف عنهم التشدد في الدين والصلابة في الدفاع عن الحق ، وما كانوا يخشون الا الله ، وكانوا يواجهون الحاكم بكل جراة وصراحة ، كما وقع لعمر ـ رضى الله عنه ـ عندما راى ان يحدد للمهور حدا اعلى ، وان ما زاد عليه ماله بيت المال واعلن ذلك على المنبر ، فعارضته امراة من آخر الصفوف ، وقالت : ليس ذلك اليك ياعمر ، فان الله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول : « وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا » (٢)

---

(١) انظر مجلة العربي العدد / ١٦٠

(٢) سورة النساء من الآية (٢٠)

فقال عمر على ملا من الناس : اصابت امراة واخطا عمر .

وكذلك حينما هم ان يقيم الحد على امراة حبلى من الزنا فقال له علي ـ رضي الله عنه وكرم الله وجهه ـ ما معناه : ان كان لك سبيل على ظهرها فلا سبيل لك على ما في بطنها . فقال عمر لولا علي لهلك عمر .

فمثل هذا المجتمع لا يعقل فيه ان يكون رأى علماء الدين فيه صادرا عن رغبة او رهبة او هوى.

والقول باحتمال رجوع احد المجتهدين عن رايه احتمال لا دليل عليه بل هو مجرد احتمال فيكون ساقطا . وقولهم ان سند الاجماع ان كان قطعيا فلا يعقل ان يخفى على مسلم ، فهو قول مسلم ـ في رايي ـ ولكن الظاهر ان سند الاجماع يكون ظنيا ، ولكن حفت به قرائن خفيت ـ علينا ـ وادركوها لقرب عهدهم من صاحب الشرع فجعلت المجتهدين يتفقون على حكم واحد ، وان كان السند ـ في حد ذاته ـ ظنيا ، وباتفاقهم ارتفع هذا الدليل الظني الى مرتبة الدليل القطعي .

رأى الامام احمد بن حنبل في الاجماع

نقل العلماء عن الامام احمد انه قال : « مدعى الاجماع كاذب » .

وهذا القول صحيح فيمن يدعى الاجماع بعد الصدر الاول من عهد كبار الصحابة ، يوم ان كان المعروفون بالفقه والفتيا منهم مقيمين بالمدينة ليكونوا للخليفة وزراء صدق ، اما بعد هذا العهد فان دعوى الاجماع كاذبة ، كما قال الامام احمد .

هذا وان الدليل على امكان الاجماع هو تحققه في مسائل عدة ، باجماعهم على حرمة زواج المسلمة بالكتابي ، وكاجماعهم على حرمة زواج الابن بموطوءة الاب بشبهة او بملك اليمين،وكذا حرمة زواج الاب بموطوءة الابن بشبهة او بملك يمين. بالرغم من ان الادلة التي بين ايدينا ـ في حد ذاتها ـ ظنية الدلالة ، ولكن ـ بعد الاجماع ، اصبح هذا الحكم قطعيا لايقبل الجدل والنقاش .

وسنعرض لمسائل اخرى انعقد عليها الاجماع .

مرتبة الاجماع بين الادلة الشرعية

الاجماع اما ان يكون صريحا وهو ما صرح فيه كل مجتهد عن رايه ، واتفقت اراؤهم من غير نكير من احد ، وهذا اللون من الاجماع ـ ان تحقق ونقل الينا بالتواتر ـ فهو حجة قطعية لا يسع مسلم ان يخرج عليه .

واما ان يكون اجماعا سكوتيا وهو ان يفتي احد المجتهدين بفتيا ويسكت الاخرون مع عدم الداعي الذي يجبرهم على السكوت ، بل يكون سكوتهم عن رضى ، وهذا اللون من الاجماع حجة ظنية عند كثير من العلماء .

والذى يطمئن اليه قلبي أن هذا اللون من الاجماع ان كان في الصدر الاول يوم ان كان الوازع الديني هو المسيطر على القلوب ، يكون الاجماع ـ على هذا الوجه ـ حجة قطعية بالمعنى الاعم ـ كما يقول العلماء ، بمعنى انه لايحتمل وجها اخر ناشئا عن دليل ، وان بقيت فيه احتمالات غير معتمدة على حجة وبرهان .

ولعل هذا التفسير للقطعية يتفق مع رأى من يقول : انه حجة ظنية . بمعنى الظن الراجح جدا .

والادلة على حجية الاجماع ادلة كثيرة من الكتاب والسنة تعاضدت حتى افادت قطعية حجيته ، وليس ـ هنا ـ مجال عرض هذه الادلة ومناقشتها والا تركنا البحث الاصيل وهو الاجتهاد ومصادره في عهد كبار الصحابة رضوان الله عليهم .

الشورى واثرها في انعقاد الاجماع وفي التشريع على حد سواء

وصف الله المسلمين بان امرهم شورى بينهم فقال ـ جل شانه ـ في وصف المؤمنين : « والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » (١)

كما امر رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالشورى ـ وهو المعصوم ـ فقال ـ عز من قائل :

« وشاورهم في الامر » (٢)

١) سورة الشورى اية ٣٨)

٢) سورة آل عمران من الاية (١٥٩)

ولم يحدد القرآن الكريم طريقة للشورى ، بل ترك هذا للرسول الاكرم ، وللائمة من بعده ليختاروا الطريقة المثلى التي تناسب الحادثة ، فليس من المعقول ان يستشار في امر الحرب من لا خبرة له بها ، ولا في امر السياسة من هو بعيد عنها وهكذا في كل شيء .

كيف طبق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مبدأ الشورى

كان صلى الله عليه وسلم يستشير في كل امر لا نص فيه من يتوسم فيهم حسن الراى،فيستشير اهل الحرب في الحرب ، كما وقع في غزوة بدر ، وكما وقع في غزوة الخندق ونزل على الراى الذى اطمان الى سلامته ، كما كان يستشير في خاصة اموره من يطمئن اليهم من اهل بيته ، كما وقع في حادثة الافك ، فقد استشار ـ قبل نزول الايات التي برات السيدة عائشة رضى الله عنها ـ اهله ، كعلي وبعض زوجاته بل بخادمته ، وفي بعض المسائل التي تتصل بالتشريع ، وليس فيها نص ، كما وقع في مسالة اسرى بدر .

وهكذا كنا نراه صلى اللهعليه وسلم يستشير في كل مسالة من يرجى منه الراى السديد .

الشورى في عهد ابي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ

كان مبدأ الشورىجليا فيكلامر منامور المسلمين ليس فيه نص قاطع، وكان اهل الشورى للشيخين هم كبار الصحابة كعثمان ، وعلى ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام من المهاجرين، وكزيد بن ثابت من الانصار، بل كان من اهل الشورى بعض صغار الصحابة كعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ،وعبد الله ابن مسعود ، بل ان الاخير يعتبر في نظر الكثيرين من كبار الصحابة .

وكانت المسائل الهامة التي تعرض لولى الامر ، وليس فيها نص ياخذ فيها راى هؤلاء ، فان اتفقوا فيها على راىكان ذلك اجماعا ملزما للخليفة والامة ، لايجوز الخروج عليه ، فقد بدا لعلى ـ رضى الله عنه ـ في مسالة وقع فيها الاجماع في عهد الشيخين ان يرجع عن رايه فقال له احد اتباعه رايك مع الجماعة احب الينا من رايك وحدك . ونزل على ـ رضى الله عنه ـ على راى اتباعه اقتناعا منه بان راى الجماعة اوفق من راى الفرد .

واما ان اختلفوا فان كل واحد من الجماعة يبدى وجهة نظره ، فان اقتنع الخليفة رجع عن رايه ونزل على حكم الدليل الشرعي ، كما وقع لعمر حينما اراد أن يحدد المهور وعارضته ـ امراة ـ كما تقدم بيانه .

وقد يبقى الامر مختلفا فيه فيكون لكل واحد من المجتهدين رايه ، فللخليفة رايه من غير ان يجبر الامة على الاخذ بهذا الراى ، ولكن يجب عليه العمل بما ارتاه ، لما تقرر انه يجب على المجتهد ان يعمل في خاصة نفسه بما انتهى اليه اجتهاده .

فمن الامور التي اتفقوا عليها بعد اخذ ورد جمع المصحف ، فقد روى البخارى ـ بسنده ـ الى زيد بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ قال : ارسل اليّ ابو بكر بعد مقتل اهل اليمامة (اى بعد حادثة اليمامة التى كانت بين مسيلمة الكذاب وقد قتل فيها عدد كبير من قراء القرآن وحفاظه) فاذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال ابو بكر : ان عمر اتاني فقال : ان القتل استحر (اى اشتد) يوم اليمامة بقراء القران ، وانى اخشى القتل في القراء في المواطن (المعارك) فيذهب كثير من القرآن وانى ارى ان تامر بجمع القرآن ، فقلت لعمر : نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟! قال (اى عمر) : هذا والله خير ، فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ، ورايت في ذلك الذى راى عمر ، قال زيد قال ابو بكر : انك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، كنت تكتب الوحى لرسول الله ـ صلىاللهعليهوسلم ـ فتتبع القرآن واجمعه،فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان اثقل علي مما امرني به من جمع القرآن ، فلت : كيف

تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟ فلم يزل ابو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري لما شرح الله له صدر ابى بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ

ومع هذا فكتابة القرآن لم تكن شيئا مستحدثا، وانما كانت على عهد الرسول الاكرم، والذى وقع في عهد ابى بكر هو جمعه في صحف حفظت عنده ، ثم عند عمر ثم عند حفصة ام المؤمنين حتى كان عهد عثمان فنسخت منها المصاحف العثمانية المعروفة في التاريخ .

ومن المسائل التي اتفقوا عليها بعد الشورى قتال مانعى الزكاة في عهد ابى بكر ـ رضى الله عنه ـ فقد حدثتنا كتب التاريخ الموثوق بها انه بعد انتقال الرسول الى الرفيق الاعلى ، ارتدت قبائل كثيرة من العرب عن الاسلام ، وبقيت قبائل اخرى على الاسلام ولكنها امتنعت عن دفع الزكاة لولاة الخليفة انفة منهم ، لانهم تصوروا ان هذه الزكاة هي جزية او ضريبة استعباد ، ولم يكونوا ليعرفوا أنها من قبيل التضامن الاجتماعي ، فان مصارفها ـ كما بينها الله تعالى ـ هي تعاون على البر والتقوى .

واتفق راى الخليفة ومن حوله من غير جدل كبير على قتال المرتدين ، اما مانعو الزكاة ، فقد راى عمر انه لايحل قتالهم مستدلا بقوله صلى الله عليه وسلم « امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فاذا قالوها عصموا منى دماءهم واموالهم . » ولعل عمر ـ رضى الله عنه ـ راى الا يحارب مانعى الزكاة خشية ان تتعدد جبهات القتال ، الا ان ابا بكر ـ رضى الله عنه ـ ذكر عمر بتمام الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « الا بحقها » . وبين لعمر ان الزكاة من حق لا اله الا الله ، كما ان الصلاة من حقها ، فاذا كان الممتنعون عن الصلاة يحاربون ، فكذلك الممتنعون عن اداء الزكاة ، ونزل الكل على راى ابى بكر وحاربوا المرتدين ، كما حاربوا مانعى الزكاة ، وكانت عزمة بكرية اعادت للامة وحدتها بعد تفرق وائتلافها بعد تمزق .

ومما اثر في عهد ابى بكر ـ رضى الله عنه ـ ووقع فيه خلاف ، واخذ هو برايه وضرب صفحا عن راى الاخرين توريث الجد دون الاخوة ، فقد راى ان الجد كالاب فلم يورث الاخوة معه ، وراى على وزيد بن ثابت ـ رضى الله عنهما ـ انهم يقاسمونه ، لانه ليس ابا حقيقة ، وان الجد يدلى الى الميت بالاب ، كما ان الاخوة كذلك .

وان كان كل من على وزيد اختلفا في كيفية المقاسمة ، وتفصيل ذلك يرجع اليه في كتب الفرائض .

ولما كان لكل منهم وجهة نظر لها وجاهتها لم يفرض عليهم رايه ـ وهو ـ يومئذ ـ الخليفة صاحب الكلمة الاولى في الامة .

وهكذا يتبين لنا ان الشورى كانت ـ في هذا العصر ـ مطبقة تطبيقا صحيحا ، سواء في الامور السياسية او الامور التشريعية مما لم يرد فيه نص قاطع من كتاب او سنة معروفة ، وان الخليفة كان يلتزم براى الجماعة ان اتفقت كلمتها ، واما ان اختلفوا وكان لرايه سند يشهد له الشارع ، فكان ياخذ برايه ، ولكنه ـ مع هذا ـ لايحجر على من خالفه ، ولا يلزمه ان يعمل او يفتى براى الخليفة ، بل المجتهد الاخر على قدم المساواة مع الخليفة ، فيعمل ويفتى براى نفسه لا براى الخليفة .

وكان لمجلس الشورى ـ فيهذا العهد ـ الاثر الكبير في تقريب شقة الخلاف في كثير من المسائل التي كانت مظنة له ، فانهم ـ رضوان الله عليهم ـ كانوا ابعد الناس عن تحكيم الاهواء ، بل كانت ضالتهم الحق والعدل ، كما كانوا ابعد الناس عن التعصب الاعمى لارائهم : فقد راينا الكثير منهم يرجع عن رايه متى وضح له وجه الحق في جانب مخالفه ، والحوادث في ذلك كثيرة كموقف ابى بكر في جمع القرآن ، وموقف عمر في مانعى الزكاة وتحديد المهور .

ولعلنا ـ ان شاء الله ـ نعرض لبعض القضايا والحوادث الهامة التي جدت في هذا العصر ، وننظر الى اى مدى سلكوا السبيل القويم في علاجها . ■■

بدر المتولى عبد الباسط

نتيجة مسابقة العدد ١٦٧

صحابة الرسول وفرسانه

■ السيرة النبوية كانت المادة التى استقينامنها اسئلة العدد ١٦٧ من « العربى » ، حيث عرضنا لمجموعة من الصحابة وقفوا انفسهم للدعوةالاسلامية منذ بدايتها ، وما بذلوه من جهود عظيمة في ارساء قواعد تلك الدعوة .

وقد كانت هذه المسابقة من مسابقاتنا السهلةالبسيطة التى لا تحتاج الى كثير عناء ولا الى بحث وتمحيص لان اسئلتها مالوفة معروفة . ولهـذاسجلت الاجابات الصحيحة التى وصلتنا رقما قياسيا .

واليك ايها القارىء انموذجا للاجابة الصحيحة،ثم اسماء من حالفهم التوفيق بالفوز في المسابقة :

١ ــ اسم عم رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عبد مناف .

٢ ــ الشاب الذى ولاه رسول الله قيادة الجيش وعمره نحو السابعة عشرة ولكنه لم يتحرك الا في أيام خلافة ابى بكر هو اسامة بن زيد .

٣ ــ الصحابى الذى كان يجتمع في داره النبى بالمسلمين قبل الجهر بالدعوة هو الارقم بن ابى الارقم .

٤ ــ الصحابى الذى كان يدعوه النبى خاله لانه من بنى زهرة هو سعد بن أبى وقاص .

٥ ــ الشاب الذى بعثه النبى الى اليمن قاضيا هو معاذ بن جبل .

٦ ــ كان اسم السفير الغائب الذى صرح بـه النبى هو عثمان بن عفان .

٧ ــ الزعيم القرشي الذى عارض النبى حين دعا الى الاسلام وكان اول المبارزين يوم بدر هو عتبة بن ربيعة .

٨ ــ اسم هاشم جد الرسول هو عمرو .

٩ ــ الصحابى الذى بعثه الرسول بعد بيعـة العقبة الاولى الى المدينة ليعلمهم القرآن هو مصعب بن عمير .

١٠ ــ الشاعر الذى قال قصيدة : بانت سعاد،هو كعب بن زهير .

١١ ــ الصحابى الذى كان على رأس الجماعة التى اشتركت في جمع القرآن هو زيد بن ثابت .

١٢ ــ الفارس الذى استطاع عبور الخندق وقتله على بن ابى طالب هو عمرو بن عبد العامرى .

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بهـا : **يوسف عواد سالم القماز** / الزرقاء / الاردن .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : **فتحى عبد الرحيم محمد على**/الخرطوم/السودان.

الجائزة الثالثة : وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : **عيسى على الفرج** / المنامة / البحرين .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ــ **عادل محمد عبد الرحمن خضر** / الاسكندرية مصر .

٢ ــ **عثمان عبد القادر استيتية** / الكويت

٣ ــ **احمد بن سعد بن حمدان** /المدينة/السعودية

٤ ــ **عالية فائح فحام** / حلب / سوريا

٥ ــ **آمنة حسين عاشور البصرى**/البصرة/العراق

٦ ــ **محمد على اللامنى المجبرى** /بنغازى/ليبيا

٧ ــ **ربيع خميس باسباع** /المكلا / اليمـن الديمقراطى

٨ ــ **شفيق مهيار**/قلنسيا/اسبانيا

وسترسل الجوائز الى أصحابها ■■

طرائف

طقطقة

استاجر رجل دارا من احد العلماء، وكان خشب السقف يطقطق كثيرا ، فلما جاء رب الدار يطالبه بالاجرة قال له : اصلح هذا السقف فانه يطقطق . قال : لا باس عليك فانه يسبح لله . قال : اخشى ان تدركه الجلالة الربانية فيسجد .

هكذا

● ذكر بشر بن أرطاة علي بن ابي طالب فى مجلس ، فنال منه ، فقام له زيد بن عمر بن الخطاب (وكانت امه ابنة علي بن ابي طالب) فضربه على رأسه بعصا فشجه ، فبلغ ذلك معاوية ، فبعث الى زيد بن عمر ، وقال : اتدرى ما صنعت ... وثبت على بشر بن ارطاة

اعتــذار

● فى عهد الخليفة المامون خرج عليه عمه ابراهيم بن المهدى فى بغداد ، فلما تمكن المامون منه استشار ابا اسحاق والعباس فى قتله ، فاشارا به ، فقال له المامون : قد اشارا بقتلك يا ابراهيم . فقال : اما ان يكونا قد نصحا لك فى عظم الخلافة، وما جرت به عادة الساسة فقد فعلا ، ولكنك تأبى أن تستجلب النصر الا من حيث عودك الله ، ثم قال :وانه وان بلغ جرمي استحلال دمي فحلم امير المؤمنين وفضله يبلغاني عفوه ، ولي بعدهما شفعة الاقرار بالذنب وحق الأبوة بعد الأب . فعفا عنه .

وكان ابراهيم يقول بعد ذلك ، والله ما عفا عني المامون صلة لرحمي ولا محبة لاستحيائي ، ولا قضاء لحق عمومتي ، ولكن قامت له سوق فى العفو ، فكره أن يفسدها بي .

حجــة

● قيل ان رجلا شهد عند سوار بن عبد الله ، فقال له : ما صناعتك ؟ قال : انا مؤدب صبيان . قال : انا لا نجيز شهادة مؤدب الصبيان قال: لِمَ ؟ قال: لانك تاخذ على تعليم القرآن اجرا . فقال المؤدب: وانت تأخذ على القضاء بين المسلمين اجرا . قال سوار : اني اكرهت على القضاء . فقال المؤدب : يا هذا هب انك اكرهت علي القضاء ، فهل اكرهت على اخذ المال ؟ فسكت سوار ثم قال : هات شهادتك واجازها .

عربيـة

ساسـهم

وهو شيخ اهل الشام ومن كبار رجالها فضربت راسه بعصا ، لقد اتيت عظيما . ثم بعث الى بشر فقال : اتدرى ما صنعت ... وثبت على ابن الفاروق وابن علي ابن ابي طالب تسبه وسط الناس وتزدريه لقد اتيت عظيما، ثم بعث الى هذا بشيء، والى هذا بشيء ..

دعوة

قال بعض علماء البصرة : كان لنا صديق من اهل البصرة ، وكان عالما ظريفا اديبا فوعدنا ان يدعونا الى منزله على غداء عنده ، فكلما رايناه قلنا (متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) ، فيسكت . الى ان تيسر له امر الغداء فمر بنا ، فاعدنا عليه القول ، فقال : (انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون) .

أبليت حذاءك

● قيل ان احد البخلاء خرج ذات ليلة ومعه ابنه فى نزهة ، فلما ابتعدا عن المنزل ، قال لولده فى غضب : قاتلك الله ، نسيت اطفاء المصباح ، اذهب فى الحال واطفىء المصباح ، قبل ان نخسر درهما ؟ فاخذ الولد يعدو سريعا ، واطفا المصباح ، ثم قفل راجعا ، فلقي والده فى غضب اكثر ، فسأله عن السبب ، فقال الوالد : لقد ضاعفت علي الخسارة . . فقال الابن : وكيف ذلك ؟ فقال : لقد ابليت حذاءك فى ذهابك وايابك ، فقال الابن : كن مطمئنا يا والدى ، فلقد ذهبت ورجعت حافيا .

تعددت أسماؤه

● صاد احد الاعراب هرا ، ولم يكن يعرفه فلقيه رجل ، فقال : ما اجمل هذا السنور ؟ ثم لقيه آخر وقال : ما هذا الهر ؟ ، ولقيه ثالث وقال : يا لجمال هذا القط ! ثم لقيه آخر ، فقال : ما هذا الضيون ؟ ولقيه آخر وقال : ما هذا الخيدع ؟ ولقيه آخر وقال : ما هذا الخيطل ؟

فقال الأعرابى فى نفسه لا بد ان يكون هذا شيئا ثمينا ، وسوف احمله وأبيعه، فسيجعل الله فيه خيرا كثيرا . فلماحضر الى السوق قيل له بكم تبيع هذا ؟ قال : بمائتي دينار ، فقيل له انه يساوي نصف درهم ، فرمى به وقال : ابعده الله ما اكثر اسماءه واقل ثمنه . .

الإسلام
ومشكلة الفقر

بقلم : الدكتور محمد شوقى الفنجرى

المستشار بمجلس الدولة واستاذ الاقتصاد الاسلامى بجامعة الازهر

■ المشكلة الاقتصادية هى مشكلة الفقر ، وهى لا تتمثل كما يتصورها الاقتصاد التقليدى فى ظاهرة الجوع والحرمان، وانما فى ظاهرة التفاوت الشديد فى توزيع الثروات والدخول .

ولقد ادرك الاسلام منذ البداية اهمية العامل المادى ، فلم يهون من امره شأن المذاهب الروحية والمتصوفة ، ولم يغال فيه شأن المذاهب المادية والابيقورية ، وانما وضعه حيث يجب أن يوضع عاملا مؤثرا ضمن عوامل اخرى .

وكان للاسلام مفهوم وتصور خاص للمشكلة الاقتصادية يختلف عن تصور الاقتصاد الراسمالي، والاقتصاد الاشتراكى ، وبالتالى اختلفت المواقف.

وتبين ما تقدم ، فى ثلاثة مطالب متتالية :

المطلب الاول : ماهية المشكلة الاقتصادية .

المطلب الثانى : العامل المادى وتفسير التاريخ.

المطلب الثالث : تصور الاسلام للمشكلة الاقتصادية وموقفه منها .

المطلب الاول
ماهية المشكلة الاقتصادية
المشكلة الاقتصادية هى مشكلة الفقر

تتمثل اهم مظاهر الحياة وبالتالى اهم مشكلاتها فى سعى كل فرد او كل جماعة فى توفير اسباب معيشتها ، وبالاخص اشباع حاجاتها المادية وهى (متعددة) على حين ان ما لديها من موارد واموال (محدودة) .

فالمشكلة الاقتصادية هى اهم مشكلات الحياة ، وهى ــ بحسب الرأى التقليدى السائد ــ مشكلة تعدد الحاجات وندرة الموارد .

وبعبارة مبسطة ، ان المشكلة الاقتصادية هى مشكلة الفقر الذى لا يعدو كونه مظهرا من مظاهر زيادة الحاجات على الموارد .



مشكلة الفقر قديمة
وان اشتدت وطأتها اخيرا

وهذه المشكلة وان كانت قديمة ، لازمت الانسانية منذ فجر التاريخ ، الا انها لم تشعر بوطأتها الا تدريجيا، بزيادة حاجات الانسان تبعا لدرجة تطوره وتقدمه . فالانسان الاول رغم قلة موارده لم يكن يشعر بوطأة الفقر ، نظرا لقلة حاجاته وتطلعاته .

فمسالة الفقر نسبية تختلف باختلاف الزمان والمكان . ولا شك ان فقير العصر الحاضر ، يعتبر غنيا بالنسبة الى انسان العصور القديمة . كما ان متوسط الحال في مصر او الهند ، يعتبر فقيرا بالنسبة لمتوسط الحال الامريكى .

وقد بلغت مشكلة الفقر ذروة حدتها اخيرا في عصرنا الحالى ، وذلك بحكم سهولة اتصال الناس بعضهم ببعض وظهور الفوارق مع ازدياد الوعى الاجتماعى ، فالفلاح في القرية ذات الاقتصاد المغلق ، لم يشعر بفقره الا حين اتصاله بعالم المدينة . ومجتمع كاليمن قبل انفتاحه على العالم الخارجى لم يكن في عزلته يشعر بفقره او تخلفه الشديد .

حقيقة مشكلة الفقر

واننا لا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان مشكلة الفقر لا تتمثل في الجوع والحرمان او قلة الموارد . بل في وجود التفاوت الشديد في الثروة والدخول، سواء بين الافراد على مستوى المجتمع المحلى او بين الدول على مستوى المجتمع العالمى .

فليس معنى الفقر هو العجز عن الاشباع البسيط للحاجات الاساسية، بل هو عدم اللحاق في المعيشة بالمستوى السائد في المجتمع . والفقير فردا كان او دولة هو من يعيش في مستوى تفصله هوة سحيقة عن المستوى المعيشي السائد في المجتمع المحلي او العالمى .

ونخلص من ذلك ان المشكلة الاقتصادية ـ وهى مشكلة الفقر ـ ليست كما تصورها الراى التقليدى السائد بانها مشكلة تعدد الحاجات وندرة الموارد . وانما هى مشكلة سوء توزيع الثروة والدخول . وبعبارة اخرى هى مشكلة الانسان وسوء تنظيمه الاقتصادى وهو الامر الذى ادركه الاسلام منذ البداية على نحو ما سنبينه .

المطلب الثانى
العامل المادى
هو محور الصراع بين الافراد والشعوب
الاسلام يعتد بالعامل المادى

ولقد ادرك الاسلام منذ البداية اهمية العامل المادى ، وانه بدون الخبز لا يستطيع ان يحيا الانسان ، ولكنه ادرك ايضا وبنفس المستوى انه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان .

ومن ثم فقد جاء الاسلام - باعتباره خاتم الاديان - لا يقتصر على مجرد العقيدة والهداية الروحية . وانما جاء ايضا شريعة وتنظيما سياسيا واجتماعيا واقتصاديا للمجتمع . ذلك انه لا يمكن ان تستقيم الحياة بدون عقيدة توجهها ، وشريعة تنظمها . بل لا يمكن ان تستقيم العقيدة وتنمو الاخلاق ، اذا لم يطمئن المرء في حياته المعيشية . فالعقيدة والشريعة في الاسلام يكمل كل منهما الآخر ، ولا يقوم احدهما دون الآخر ، ويمكن تصويرهما بساقي الانسان لا يستطيع ان يمشي على ساق دون الاخرى .

واذا كنا لا نتصور الاسلام في بلد يلتزم بتعاليم الاسلام السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، دون العقيدة، فانه ايضا لا يمكن ان نتصور الاسلام في بلد يقوم اهله بالصلاة والصيام وسائر العبادات، بينما يغفل تعاليم الاسلام السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، التي تكفل الشورى وتقرر المساواة وتضمن حد الكفاية لكل فرد . فالتزام الشريعة - لا سيما تعاليمها الاقتصادية - هو الذي يساعد على صفاء العقيدة وعلى خلق المجتمع الاسلامي ، مجتمع المتقين . بل ان غاية العقيدة والتعبد في الاسلام هي سلامة السلوك الاجتماعي وشرعية النشاط الاقتصادي ، « فالدين المعاملة » . واننا نعجب لهؤلاء الذين يركزون على العقيدة دون الشريعة او هؤلاء الذين يبحون اصواتهم بالمواعظ الدينية والدعاوى الاخلاقية ، دون ان يشغلوا انفسهم بتوفير اسبابها الموضوعية .

الاسلام يدفع بالعامل المادى الى الصدارة

اكثر من ذلك ، جعل الاسلام العامل المادى في القمة والصدارة ووضع المشكلة الاقتصادية - وذلك منذ البداية وقبل ان تتطور الاحداث وتفرض المشكلة نفسها - حيث يجب ان توضع في الاساس وفي المقدمة . ومن قبيل ذلك :

أ - انه اعتبر المال زينة الحياة الدنيا وقوام المجتمع ، وانه نِعمَ العونُ على تقوى الله ، وان طلب المال الحلال فريضة وجهاد في سبيل الله ، وان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الهم في طلب العيش ، وان من فقه الرجل ان يصلح معيشته ويتأنق في حياته ، وان الله تعالى يجب ان يرى اثر نعمته على عبده(١) .

---

(١) آيات : - المال والبنون زينة الحياة الدنيا - الكهف / ٤٦

- ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التى جعل الله لكم قياما - النساء / ٥

- قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هى للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة - الاعراف ٣٢ .

احاديث :

- نعم العون على تقوى الله المال - نعم المال الصالح للعبد الصالح .

- طلب كسب الحلال فريضة - طلب الحلال جهاد .

- من فقه الرجل ان يصلح معيشته - ما عال من اقتصد .

وكان عليه السلام يناجي ربه بقوله (اللهم اصلح لي دنياى التى فيها معاشى) .

- خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته ولم يكن كلاً على الناس .

- أتى احدهم الرسول وعليه ثوب دون ، فقال له : « ألك مال » ، قال : نعم ، قال : من أين ، قال : اعطانيه الله عز وجل، فقال الرسول : « آتاك الله مالاً فلير اثر نعمته عليك » .

ويقول : اذا اوسع الله عليكم فاوسعوا على انفسكم ..

- وسئل الرسول ، ان الرجل يحب ان يكون ملبسه حسنا ونعله حسنا ، فهذا من الكبر ؟ فقال عليه السلام : « ان الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر النعمة وغمط الناس » .

- كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير مخيلة او سرف، فان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده .

ويقول : كلوا اطيب الطعام والبسوا اجمل الثياب وانتعلوا احسن النعال وليمش الواحد منكم بين الناس وكأنه شامة .

ويقول : كل ما شئت والبس ما شئت ، ما اخطأتك اثنتان سرف ومخيلة .

ب ـ انه يساوى بين الفقر والكفر ، ولم يستعذ الرسول من شيء بقدر استعاذته من الفقر، فيقول عليه السلام : « كاد الفقر ان يكون كفرا »، ويقول « اللهم انى اعوذ بك من الكفر والفقر » ، قال رجل أيعدلان ، قال : نعم .

جـ ـ انه حين طالب الناس بالعبادة وذكر الله علله في القرآن بقوله تعالى :

« فليعبدوا رب هذا البيت . الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ـ قريش ٣ ـ ٤ » .

فاساس العبادة في الاسلام والسبيل اليها ، هو تامين الناس في حياتهم المعيشية، حتى ان موسى عليه عليه السلام حين دعا الله تعالى بقوله : « قال رب اشرح لى صدرى. ويسر لى امرى ـ طه/٢٥/٢٦ » قرنه بقوله « كى نسبحك كثيرا . ونذكرك كثيرا ـ طه/٣٣/٣٤ » ، وهذا ماعبر عنه المفكر الاسلامي الجزائرى مالك بن نبى بقوله « كيف أصلى وأنا جائع » .

د ـ انه اعتبر مجرد ترك أحد افراد المجتمع ضائعا او جائعا هو تكذيب للدين نفسه . فالله تعالى يقول « أرأيت الذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدع اليتيم . ولا يحض على طعام المسكين ـ الماعون/١/٣ » . وجاء في القرآن « ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين . ولم نك نطعم المسكين ـ المدثر/٤٢ ـ ٤٤ » .

وقوله تعالى « وما ادراك ما العقبة . فك رقبة او اطعام في يوم ذى مسغبة . يتيما ذا مقربة . او مسكينا ذا متربة ـ البلد/١٢ ـ ١٦ » . وقد سئل الرسول ما هو الافضل في الاسلام ؟ فقال « اطعام الجائع ونجدة من تعرفه ومن لا تعرفه » .

المطلب الثالث
تصور الاسلام للمشكلة الاقتصادية وموقفه منها
موقف الاسلام من المشكلة الاقتصادية

فالمشكلة الاقتصادية في نظر الاسلام ليست نابعة من قلة الموارد الطبيعية ، مما قد يتعذر التغلب عليه كما رأى الرأسماليون . وليست نابعة من عدم بلوغ التطور غايته ، مما قد يستتبع اقرار المظالم الاجتماعية عبر المراحل التاريخية السابقة كما رأى الماركسيون . وانما تتجسد هذه المشكلة في ظلم الانسان بسوء توزيع الثروة ، الى جانب كفرانه للنعمة باهماله استثمار الطبيعة وموقفه السلبى منها اوعدم استغلاله جميع المصادر التى تفضل الله بها عليه استغلالا تاما .

وعلى نحو ما سنبينه تفصيلا ، عالج الاسلام كفران النعمة بما وضعه للانتاج والتداول من احكام ، كما كفل محو الظلم بما وضعه للتوزيع والاستهلاك من تعاليم .

ونشير هنا بايجاز الى نص المفاهيم الاسلامية في مجالى الانتاج والتوزيع .

الفرع الاول ـ من حيث الانتاج :
الانسان هو خليفة الله فى ارضه

جاء الاسلام منذ أربعة عشر قرنا معلنا أن الانسان هو خليفة الله في ارضه : « انى جاعل في الارض خليفة ـ البقرة/٣ » . وانه تعالى سخر له ما في السموات وما في الارض « وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه ـ الجاثية/١٣ » ، وذلك ليعمر الدنيا ويحييها وينعم بخيراتها ويسبح بحمده تعالى : « فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ـ الجمعة/١٠ » .

العمل والانتاج عبادة فى الاسلام

وعلى اساس تصور ان الانسان خليفة الله في ارضه ، جاءت تعاليم الاسلام حاثة على العمل والانتاج فالله تعالى يقول : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ـ التوبة /١٠٥ » ، ويقول الرسول : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » . بل ان العمل وزيادة الانتاج في نظر الاسلام عبادة ، والفرد العامل قريب من الله ومثاب على

عمله الصالح في الدنيا والاخرة ، فالله تعالى يقول : «ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله ـ الشورى/٢٦ » ، ويقول الرسول : « العمل عبادة » ويقول : « من امسى كالا من عمل يده امسى مغفورا له يوم القيامة » ، وقبل الرسول يدا ورمت من كثرة العمل وقال : « هذه يد يحبها الله ورسوله » . كذلك اعتبر الاسلام السعي على الرزق وخدمة المجتمع افضل ضروب العبادة ، فقد ذكر للنبي رجل كثير العبادة فسأل من يقوم به : قالوا : اخوه ، قال : اخوه اعبد منه ، وقد اراد احد الصحابة الخلوة والاعتكاف لذكر الله ، فقال له الرسول : « لاتفعل فان مقام احدكم في سبيل الله ـ اى في سبيل المجتمع ـ افضل من صلاته في بيته سبعين عاما) . ويقول « لان يمشي احدكم مع أخيه في قضاء حاجته افضل من أن يعتكف في مسجدى هذا شهرين » .

وقد حدد الرسول مفهوم الايمان بقوله « ليس الايمان بالتمني ، ولكن الايمان ما وقر في القلب وصدقه العمل » ، ولخص سيدنا عمر بن الخطاب نظرة الاسلام الى العمل والانتاج بقوله : « والله لئن جاءت الاعاجم بالاعمال وجئنا بغير عمل ، فهم اولى بمحمد منا يوم القيامة » .

بعض تعاليم الاسلام في ممارسة الانتاج

ولقد أوجب الاسلام اتقان العمل والانتاج ، واعتبر ذلك امانة ومسئولية ، فالله تعالى يقول : « ولتسئلن عما كنتم تعملون ـ النحل/٩٣ » ، ويقول الرسول: « ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا ان يتقنه » ، وهذا يستوجب اتباع ادق واحدث الاساليب العلمية في الانتاج. وصدق الله العظيم: « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ـ الزمر /٩ » .

كما أوجب الاسلام تنوع الانتاج بحيث يشمل كافة الحاجات البشرية : ذلك ان القاعدة في الاسلام ان كل ما لا يتم الواجب الا به يصير واجبا ، وما لا يقوم به الافراد من النشاط الاقتصادي كالصناعات الثقيلة والمرافق العامة يصبح شرعا « فرضا » على الدولة القيام به . وقد تكلم الاسلام عن الزراعة وضرورتها وقال الرسول : « ما من مسلم يغرس غرسا او يزرع زرعا فيأكل منه طيرأو بهيمة الا كان له به صدقة » ولكن حين سئل الرسول : « اى الكسب اطيب » قال « عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور » وفي ذلك اشارة الى الصناعة والتجارة والى انهما اطيب الكسب واهم اوجه النشاط الاقتصادى .

ونهى الرسول عن احتكار السلع : فيقول الرسول : (من احتكر حكرة يريد ان يغلى بها على المسلمين فهو خاطىء) » ، ويقول « الجالب مرزوق والمحتكر ملعون » ، ويقول : « الجالب في سوقنا كالمجاهد في سبيل الله ، والمحتكر في سوقنا كالملحد في كتاب الله » .

كما نهى الاسلام عن اكتناز المال وحبسه عن الانتاج فالله تعالى يقول : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ـ التوبة ٣٤ » ويقول الرسول (من جمع دينارا او تبرا او فضة ولا ينفقه في سبيل الله ، فهو كنز يكوى به يوم القيامة) ومن ثم يقول الرسول : « اتجروا في مال اليتيم حتى لا تأكله الزكاة » ، ويقول « ليس لمحتجز حق بعد ثلاث سنين » فتنزع الارض ولو كانت مواتا او بورا من مالكها اذا انقضت عليها ثلاث سنوات بدون استثمار . وهو ما دعا عمر بن الخطاب ان يقول لبلال وقد اعطاه الرسول أرض العقيق : « ان رسول الله صلى عليه وسلم لم يقطعك لتحجز عن الناس وانما اقطعك لتعمل ، فخذ ما قدرت على عمارته ورد الباقى » . بل لقد بلغ حرص الاسلام على الانتاج وتعمير الدنيا ، ان قال الرسول : « اذا قامت الساعة وفي يد احدكم فسيلة ـ اى شتلة ـ فاستطاع الا تقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك اجر » .

عوامل الانتاج في الاسلام

وقد اعتبر الاسلام من عوامل الانتاج ، عاملين هما :

(أ) العمل ويشمل عمل العامل (وهو المجهود

الذى يبذله الانسان لخلق المنفعة سواء كان يدويا كعمل الفلاح والعامل ، أو عقليا كعمل المدرس والطبيب والمحامى ... الخ) . كما يشمل عمل المنظم (وهو الذى يوجه العملية الانتاجية ويوائم بين عناصر الانتاج المختلفة بما يحقق سير الانتاج ومضاعفته) .

(ب) راس المال ويشمل الطبيعة (اى الثروات التى ليس للانسان دخل فى وجودها كالارض والماء والحيوان والمناجم .... الخ) . كما يشمل راس المال بمعناه المعروف (اى الثروات الناتجة عن تضافر العمل والطبيعة ، والتى لا تصلح لاشباع حاجات الناس مباشرة وانما تستخدم لانتاج مواد اخرى صالحة للاشباع المباشر ، ومن قبيل ذلك رءوس الاموال السائلة كالنقود ورءوس الاموال العينية كالمبانى والآلات) .

ويستفاد ذلك من اجماع فقهاء المسلمين على توزيع الربح ـ وهو حصيلة الانتاج ـ بين العمل وراس المال . ففى عقد المضاربة ويسمى ايضا بالمقارضة يقدم احد الشركاء وهو رب المال اى المقارض (راس المال) بينما يقدم الشريك الآخر وهو رب العمل اى المضارب (العمل) ... وقد سمى كذلك لانه يضرب فى الارض ويسعى فيها قصدا الى المال وتنمية التجارة .

على ان يلاحظ ان راس المال لا يعتبر فى الاسلام عنصرا من عناصر الانتاج الا اذا شارك عنصر العمل فى الانتاج متحملا غرمه . اما راس المال بوحده (سواء كان فى صورة راس مال او ارض) ، فهو لا يعتبر عنصرا من عناصر الانتاج . وهذا هو السبب فى ان الاسلام لا يعترف بالفائدة كعائد لراس المال وحده (اى دون مشاركة فى الربح والخسارة) ، كما انه على الراى الذى نؤيده لا يعترف بالريع كعائد للارض وحدها (اى حالة التاجير دون الزراعة) ويكون الاصل فيه ان الارض لمن يزرعها . (٢)

وتعتبر هذه المسالة من اهم المسائل التى يختلف فيها الاقتصاد الاسلامى ، عن كل من الاقتصاد الراسمالى ، والاقتصاد الاشتراكى : ـ

ـ ففى الاقتصاد الراسمالى عناصر الانتاج اربعة هى : العمل وعائده الاجر ، والطبيعة وعائدها الريع ، وراس المال وعائده الفائدة ، والمنظم وعائده الربح . ويتحدد ثمن او قيمة كل عنصر من عناصر الانتاج سالفة الذكر على اساس سعر السوق الذى تحدده قوى العرض والطلب .

ـ اما الاقتصاد الاشتراكى فعنصر الانتاج الاساسى فيه هو العمل سواء كان يدويا او عقليا وعائده هو الاجر او الراتب ، والذى تحدده السلطات حسب خطة التنمية الاقتصادية آخذة فى الاعتبار قوى العرض والطلب دون ان تتقيد بهما تقيدا تاما . اما بقية عناصر الانتاج الاخرى كالطبيعة وراس المال والمنظم ، فتظل موجودة وانما ينتقل عائدها الى الدولة تتصرف فيها بحسب خطة التنمية . (٣)

ـ اما الاقتصاد الاسلامى فعناصر الانتاج فيه كما سبق ان قلنا هى العمل وراس المال ، مع ملاحظة ان راس المال وحده لا يكون له عائد ، الا اذا ساهم مع العمل فى الغرم ، وحينئذ يكون له نصيب فى العائد (ايا كانت نسبته بحسب الاتفاق) فى صورة ربح لا فائدة .

الفرع الثانى : من حيث التوزيع
المال مال الله والبشر مستخلفون فيه

جاء الاسلام ، منذ اربعة عشر قرنا ، معلنا ان

---

(٢) انظر تفصيل ذلك لدى الدكتور ابراهيم توفيق الطحاوى فى الفصل الخاص بعوائد عناصر الانتاج التى يقرها والتى لا يقرها الاسلام ص ١٧٣ الى ٢٢٥ ، من رسالته للدكتوراه (مساهمة فى دراسة الاقتصاد الاسلامى مذهبا ونظاما) والتى اشتركنا فى مناقشتها بكلية التجارة جامعة الازهر فى ٢١ مارس سنة ١٩٧٢ .

(٣) انظر تفصيل ذلك لدى الدكتور صلاح الدين نامق فى مؤلفه اسس علم الاقتصاد الاشتراكى ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٦ ، ص ١٦١ وما بعدها .

وكذلك فى مؤلفه علم الاقتصاد ، دار النهضة العربية ، طبعة ١٩٦٩ ، ص ٣٢٠ وما بعدها .

كل ما في يد البشر من مال هو ملك لله اصلا (ولله ما في السموات وما في الارض ـ النجم/ ٣١) ، وان البشر مستخلفون فيه (وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ـ الحديد /٧) وانه لا يجوز للبعض دون الاخر ان يستأثر بهذا المال (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم ـ النور / ٣٣) .

فبحسب الاسلام حيازة المال ليست امتلاكا ، وانما هى وديعة او وظيفة ، ومن ثم يلتزم فيها بتعاليم الاسلام (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ـ المؤمنون / ٨) .

لكل حد الكفاية اولا .. ثم لكل تبعا لعمله

وقد جاءت تعاليم الاسلام في مجال التوزيع صريحة بان لكل حاجته اولا بقوله تعالى (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ـ الاسراء / ٢٦) ، وقوله تعالى (والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ـ المعارج / ٢٤ ـ ٢٥) ، وقوله تعالى (وفي اموالهم حق للسائل والمحروم ـ الذاريات / ١٩) ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام (من ترك كلا ، فليأتني فانا مولاه) اى من ترك ذرية ضعيفة فليأتني بصفتي الدولة فانا مسئول عنه كفيل به ، وقوله (من ترك ضياعا فعلى ضياعه) .

وهذا الحق هو حق الله الذى يعلو فوق كل الحقوق ، وفي انكاره او اغفاله انكار للدين نفسه لقوله تعالى (ارايت الذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين .. الماعون / ١ ـ ٣) .

وقول الرسول (ليس المؤمن الذى يشبع وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم) ، وقوله (ايما اهل عرصة اصبح فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله) ، وقوله (المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه) . ويعلق على الحديث الاخير الامام ابن حزم في كتابه المحلى فيقرر ان (من تركه يجوع ويعرى فقد اسلمه) ، ويضيف ابن حزم ان للجائع عند الضرورة ان يقاتل في سبيل حقه في الطعام الزائد عند غيره (فان قتل الجائع فعلى قاتله القصاص ، وان قتل المانع فالى لعنة الله) .

كما ان هذا الحق مقرر لكل مواطن في المجتمع الاسلامى ، بغض النظر عن ديانته او جنسيته ، ويروى ابو يوسف في كتابه الخراج ان الخليفة عمر بن الخطاب راى شيخا يهوديا يتكفف الناس، فساله عن السبب فقال : الجزية والحاجة والسن ، فامر عمر بطرح جزيته وان يعال من بيت مال المسلمين ، وارسل الى خازن بيت المال : (انظر هذا وضرباءه فو الله ما انصفناه ان اكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم) .

ولقد عبر الفقهاء القدامى عن هذا الحق باصطلاح حد الغنى او حد الكفاية تمييزا له عن حد الكفاف ، بمعنى ان لكل انسان حاجاته الضرورية التى تختلف باختلاف الزمان والمكان ، بحيث اذا عجز لسبب خارج عن ارادته ان يوفر لنفسه الحد اللائق للمعيشة ، فان نفقته تكون واجبة في بيت مال المسلمين اى في خزانة الدولة .

وانه متى توافرت لكل فرد من افراد المجتمع حاجاته الضرورية من ماكل وملبس ومسكن ... مما يسميه رجال الفقه الاسلامى بحد الكفاية تمييزا له عن حد الكفاف ، فان التوزيع يكون بعد ذلك على اساس ان لكل تبعا لعمله . فالقرآن يقول (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ـ النساء /٣٢) ، والحديث النبوى يقول (لا بأس بالغنى لمن اتقى) .

عمر بن الخطاب يلخص نظرية التوزيع فى الاسلام

وقد لخص الخليفة عمر بن الخطاب نظرية التوزيع في الاسلام بقوله :

(ما من رجل الا وله في هذا المال حق ، الرجل وحاجته ... والرجل وبلاؤه) ، وقوله (انى حريص على الا ادع حاجة الا سددتها ما اتسع بعضنا لبعض ، فاذا عجزنا تآسينا في عيشنا حتى نستوى في الكفاف) .

وفي اواخر ايام حياته حين بدات تظهر طبقة

ممعنة في الغنى ، ولم تسعفه طمئنته في علاج الموقف ، قال كلمته المشهورة (لو استقبلت من امرى ما استدبرت لاخذت فضول الاغنياء فرددتها على الفقراء) .

الاسلام لا يسمح بالغنى الا بعد كفالة حد الكفاية ، كما لا يسمح بالتفاوت الفاحش في الثروة او بالترف .

ومؤدى ما تقدم ان الاسلام لا يسمح بالغنى الا بعد توفير حد الكفاية لا الكفاف لكل مواطن . وبعبارة اخرى انه لا يسمح بالغنى مع وجود الفقر ، وانما يبدا الغنى والتفاوت فيه بعد ازالة الفقر والقضاء عليه نهائيا . ومن هنا فنحن مع القائلين انه في الظروف العادية حيث يعم الفقر وينتشر الحرمان ، لا يجوز لاحد ان يمتلك اكثر من حاجته . ويؤكد هذا قوله تعالى (ويسالونك ماذا ينفقون قل العفو ـ البقرة /٢١٩) ، والعفو هنا هو كل ما زاد عن الحاجة . وقول الرسول عليه السلام :

(اذا بات مؤمن جائعا فلا مال لاحد) (٤) ، وقول الرسول (ان الاشعريين اذا ارسلوا في الغزو او قل طعام عيالهم في المدينة ، حملوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في اناء واحد بالسوية ، فهم منى وانا منهم) ، وقول الرسول في سفر (من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ، ويضيف الرواة ان الرسول ذكر من اصناف المال ما ذكر حتى راينا انه لا حق لاحد منا في فضل) .

كذلك فان الاسلام اذ يسمح بالغنى بعد ضمان حد الكفاية ، وذلك لكل تبعا لعمله ، الا انه لا يسمح بالتفاوت الفاحش في الثروة كما لا يسمح بالترف . فالغنى والتفاوت في الثروة والدخول ليس مطلقا في الاسلام ، بل هو مقيد بقيدين اساسيين : ـ

اولهما ـ الا يكون التفاوت في الغنى كبيرا ، اذ من اكبر بواعث السخط والجرائم في المجتمعات وخلق الطبقية والصراع بينها ، التفاوت الفاحش وتركز الثروة في يد فئة قليلة من الناس ، الامر الذى نهى عنه الاسلام بقوله تعالى (كى لا تكون دولة بين الاغنياء منكم ـ الحشر /٧) . وكشف عنه تصرف الرسول بتوزيع فيء بنى النضير على المهاجرين واثنين فقط من الانصار كانا من الفقراء .

ثانيهما ـ الا يؤدى الغنى الى الترف لقوله تعالى (واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين ـ هود ١١٦) . وقد علمنا التاريخ ان الشعوب حين تبدا حياة الترف والمغالاة ، فانه يكون ذلك ايذانا بغروب شمسها وافول نجمها ، وصدق الله العظيم (واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها ، فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ـ الاسراء /١٦) . وهو ما عبر عنه الرسول بقوله (فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكن اخشى ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، فتهلككم كما اهلكتهم) . وقد حلل ابن خلدون في مقدمته مبدا كراهية الاسلام لاسلوب الترف بان من شانه اشاعة السلبية والتكاسل ، وانه جرثومة القضاء على الحضارة .

لقد ادرك الاسلام منذ البداية ، ان مشكلة الفقر لن يحلها الاحسان ، ولن تتداركها الاجراءات الاصلاحية التى تستهدف تسكين الالام او تخفيف الحرمان بل لابد من حل جذرى . ومن هنا كانت نقطة البداية في الاقتصاد الاسلامي ، بالاضافة الى الحث على اتقان العمل وزيادة الانتاج ورفعه الى مرتبة العبادة ، ما قرره من ضمان حد الكفاية بين الافراد .

محمد شوقى الفنجرى

(٤) يعلق الاستاذ الدكتور على البارودى على ذلك الحديث بقوله (انه مادام في المجتمع جائع واحد او عار واحد ، فان حق الملكية لاى فرد من افراد هذا المجتمع لا يمكن ان يكون شرعيا ولا يجب احترامه ولا تجوز حمايته .. ومعنى ذلك ان هذا الجائع الواحد يسقط شرعية سائر حقوق الملكية الى ان يشبع) . انظر كتابه دروس في الاشتراكية العربية ، مكتبة المعارف ١٩٦٦ ، ص ٩٦ .

وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه
وقدرة الله تتراءى فى بديع صنعه

وقفة بين شطرين من الحيوانات، غير ذات فقار، وذات فقار

بقلم الدكتور أحمد زكى

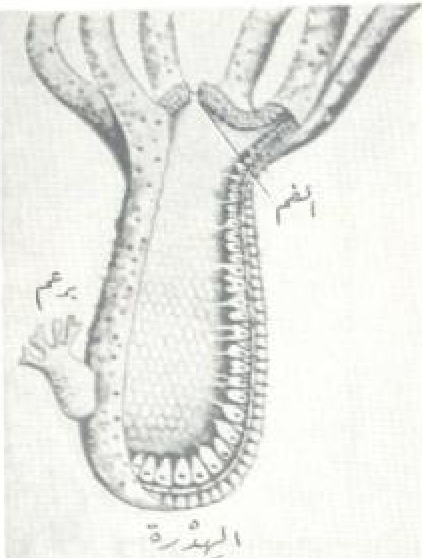
■ فى المسيرة الطويلة لا بد من وقفة يسترجع فيها المرء انفاسه .

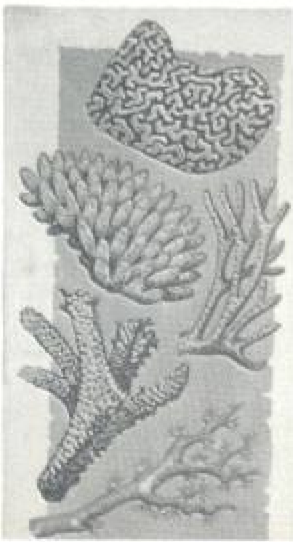
وقد بدأنا مسيرتنا الحاضرة بالنظر فى الكائنات الحية لنكشف عما فيها فى طراز او اطرزة فى الصنع واحدة توحى للمتأمل بان الصانع واحد، وكذلك عما فى الصنعة من ابداع ، ومن حذق ، ومن حيلة ، تدل على حسن صنيع صانعها .

وبدأنا بالحيوانات من الطرف الذى هي فيه ابسط خلقا ، فبدأنا من شعب الحيوانات بالشعبة ذات الخلية الواحدة، ومنها انتقلنا الى الشعب التي يتألف







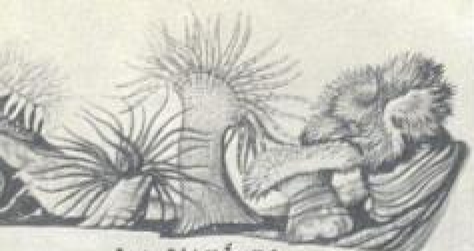


حيوانات مرجانية

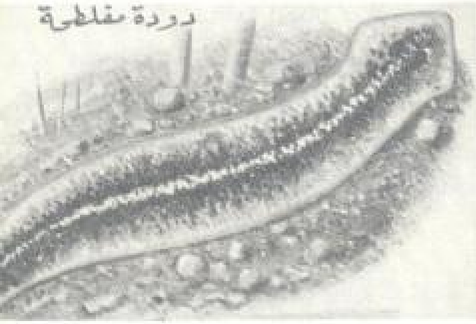
فى الحيوانات جميعا ، وحدة فى أصول الحياة واحدة ، ولكنها تبدأ فى مراتب الحيوانات الدنيا فى غير اكتمال ، ثم تكتمل . كالصورة ، تبدأها اجمالا ، وهي مبهمة ، ثم تزيدها بريشتك تفصيلا ، وما الصورة المكتملة الأخيرة الا الصور جميعا وضع بعضها فوق بعض .

الفرد الحي منها من اكثر من خلية واحدة واخذنا نصعد فى هذه الشعب وهي تزيد تركيبا كلما صعدنا . وتبدأ وظائف الحياة فيها بسيطة ، والادوات التي لدى الكائن الحي لاجراء هذه الوظائف بسيطة كذلك، ومع هذا هو يقوم بوظائف هذه الحياة التى رسمت اكمل قيام . فالأميبة Amoeba ، وهي من خلية واحدة ، فلا فم لها ، ولا قناة هضم ، ولا معدة ولا امعاء ، ولا دورة دم ، ولا جهاز اعصاب ، تقوم على الرغم من كل ذلك بجمع طعامها واكله وهضمه ، وتحويله الى ما يحتاج اليه جسمها من تجديد ، وما يتطلبه من طاقة وحركة، فكأنما اكتملت فى هذا الحيوان، ذى الخلية الواحدة ، كل اجهزة الحياة التى هى عند الانسان .

وبانتقالنا صعودا فى هذه الشعب الحيوانية الى الاعقد ، نجد الخلايا التي يتألف منها جسمها تأخذ تتخصص فى وظائفها ، ولا نكاد نصل الى آخر المطاف من هذه السلسلة التي عالجناها من الحيوانات، حتى نجد ان اجهزة عرفناها فى تركيب جسم الانسان ، وهو اتم الحيوانات تركيبا ، قد بدأت تظهر . بدأ يظهر فيها جهاز الهضم ، وبدأت تظهر دورة الدم ، وبدأ يظهر المخ وتظهر الاعصاب .



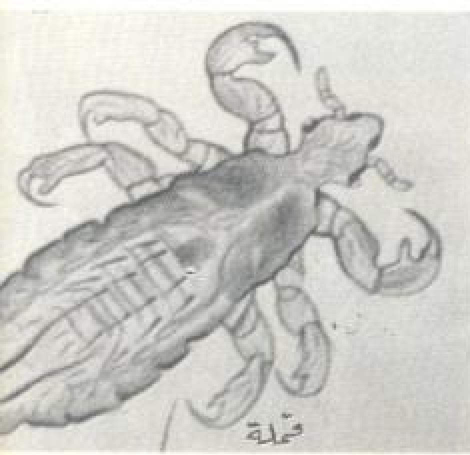
شقائق النعمان



دودة مفلطحة



سرطعون (أبو جلمبو)



قملة

نقول بدات ولكنها لم تكتمل .

فالى جانب ما فى هذه الحيوانات من وحدة كشفنا عنها فى حينها بل احيانها ، والى جانب ما لهذه الحيوانات من بديع صنعة وجميل ابداع وحَبكة ، فيها ايضا ذلك السلم الذى درجنا عليه صعوداً من شعبة الى شعبة ومن لاتخصص فى وظائف الاعضاء الى زيادة فى التخصص متدرجة .

والسلم خطوات منصوبة، من درجات يعلو بعضها بعضا ، فمن نصبه ؟!!

انها شعب Phyla من الحيوانات وطوائف Classes استعرضناها استعراضا خاطفا الى اليوم ، وكان آخرها شعبة المفصليات Arthropoda وطوائفها من قشريات وعنكبوتيات وحشرات ، ولو اننا توخينا الدقة العلمية ما كانت هذه الشعبة بآخر .

حيوانات ذات فقار واخرى لا فقار لها

والمستعرض لهذه الحيوانات الماضية يلاحظ انها جميعا خلت من فقار الظهر أو فقراته ، تلك الفقار التي تعودنا على وجودها فى الحيوانات التي نحن اعرف بها فى الحياة وآلف ، كالشاة والناقة والكلب والقط والسمكة والدجاجة .

والحق انه لم يكد يبقي من تقاسيم الحيوانات ، غير ما ذكرنا ودرسنا ، سوى هذه الحيوانات ذات الفقار .

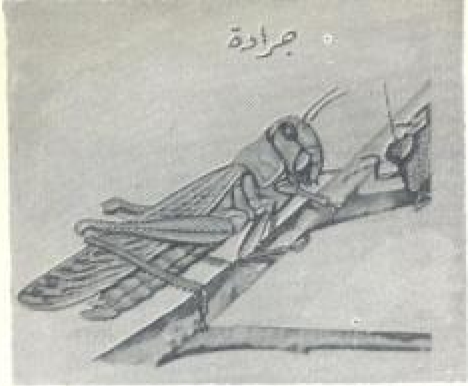
وهى تسمى ذات الفقار او الفقاريات Vertebrates .

اما الاخرى السالفة فتسمى اللافقاريات Invertebrates .

صفات الحيوانات الفقارية بالقران الى الحيوانات اللافقارية

الجهاز الهيكلي

وأول صفات الحيوانات الفقارية هي

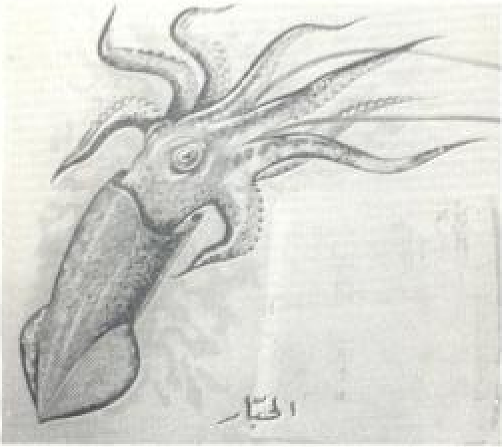


بالطبع ان لها سلسلة من الفقرات تمتد بطول جسمها تعرف بالعمود الفقرى Vertebral Column ،هي عماده وهي قوامه وهي حافظة شكله. وهذه الفقرات المتسلسلة تعمل هيكلا باطنا Endoskeleton اى انه يوجد فى باطن الحيوان ، وهو يقيم الجسم من موضعه هذا فى الباطن. والفقرات تتكون من عظم او من غضروف.



واولى صفات الحيوانات اللافقاريةهى بالطبع انه ليس لها فقرات فى جسمها ، ولكن لا يمنع ذلك من ان يكون لها فى جسمها هيكل فى ظاهر جسمها يحميها. وهذا الهيكل الظاهر Exoskeleton ، يتكون من مادة صلبة يفرزها جلد هذه الحيوانات اللافقارية ، ومنها المفصليات كابى جلمبو او سرطان البحر Crabs ، والربيان او الجمبرى Shrimps ، ومنها الرخويات كالحلزون ، وغير ذلك.

الجهاز العصبي



وفى الفقاريات جهاز عصبي Nervous System ، وهو عبارة عن انبوبة جوفاء ، تمتد على طول الجسم ، وتمر بداخل الفقرات ، غضروفية كانت او عظمية ، لتحميها. وهي تنتهي فى منطقة الراس بان تتضخم لتصبح ما يعرف بالمخ Brain ، وتحميه الجمجمة. ويسمي هذا الجهاز احيانا بالسلسلة الظهرية Backbone ، لوقوعه عند الظهر. والقناة التي تمر بها الانبوبة العصبية الجوفاء تعرف بالقناة العصبية Neural Tube ومن هذه القناة تخرج فروع من اعصاب لتمتد فى الجسم على اختلاف ارجائه.



وفى اللافقاريات المتقدمة توجد الاعصاب ، وهى عندئذ عبارة عن عقد عصبية ، تربط بينها الياف عصبية واغلبها واقع من جسم الحيوان فى ناحية

البطن لا الظهر ، وهي اقرب الى البطن من الجهاز الهضمي ، على خلاف ما في الفقاريات .

الجهاز التنفسي

في اللافقاريات المتقدمة تقوم بالتنفس عادة الطبقة الظاهرة من الجسم . وفي الحشرات توجد انابيب للهواء رفيعة تجري بين انسجتها ، ومن هذه الانابيب يدخل الاكسجين الى جسم الحشرة ، ومنها يخرج غاز ثاني اكسيد الكربون ، بالانتشار Diffusion .

اما في الفقاريات فالاسماك تتنفس اجمالا عن طريق الخياشيم .

اما في سائر الفقاريات ، اي في الزواحف والطيور والثدييات ، فالتنفس يجري عن طريق الرئات .

الدورة الدموية

في اللافقاريات المتقدمة تجد الدورة الدموية غير مغلقة ، اي هي مفتوحة ، بمعنى ان الدم لا يُحتجز في اوعية به خاصة ، ولكنه يفيض ويسير في رحبات الجسم .

اما في الفقاريات ، فالدورة الدموية مغلقة يُحتجز الدم فيها في الشرايين والشعريات والاوردة ، وهو يدور فيها ثم يعود يدور . والذي يدفع الدم في دورانه هو المضخة التي نسميها القلب ، وهو في العادة اقرب الى الظهر من الجهاز الهضمي .

وصبغة الدم ، في اللافقاريات ، ذائبة في مصل الدم ، اما في الفقاريات فهي توجد في كرات الدم الحمراء .

وميزات اخرى

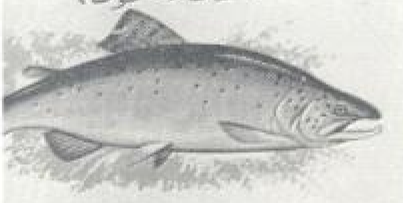
يضاف الى ذلك :

ان الفقاريات تتميز بالمخ وبصندوق العظم الحافظ له ، اي الجمجمة .

وتتميز بأن لها زوجين من الاطراف ،



عقرب



سمكة (سلمون)



ضفدع



ثعبان (كبرا)

هما فى الانسان اليدان والرجلان ، وهما فى الخيل مثلا الارجل الاربع ، وهما فى السمك زعانف .

وتتميز الفقاريات بوجود الكلى ، وموضعها الظهر ، وتتميز بان لها عينين ، ولها اذنين ، ولها غدتين من الغدد التناسلية ، للذكر اثنتان وللانثى اثنتان .



طائر (نقار الخشب)

الخلاصة

والخلاصة ان الانتقال من الحيوانات اللافقارية الى الحيوانات الفقارية انما هو انتقال فى وظائف الحياة الى تخصص فى الاداء اشد ، وصعود فى فن الحياة متدرجا الى اعلى .

والهدف ؟

الانسان ، فى تمام اكتماله ، فى آخر المطاف .

والوحدة ؟

هي جارية جارية ، فى فقاريات وغير فقاريات . انها صفات لم تستتم فى اللافقاريات ، اخذت تتدرج الى التمام فى الفقاريات ، فجهاز الهضم يكتمل ، وجهاز التنفس يتطور الى احسن ، والدورة الدموية تنفلق وقد كانت سائبة ، والجهاز العصبي يتطور الى ان صار له مخ ، وصار للمخ جمجمة تحميه .

اصول هذه الاشياء كلها واحدة ، وهي واردة فى غير المكتمل من الاحياء ، وانما هي تزيد اكتمالا كلما صعدنا الى اعلى .



الجمل (شرقي)

الفقاريات
طوائف خمس

هي الاسماك ، والحيوانات البرمائية Amphibia ، اى التي تعيش فى البر وفى الماء ، والزواحف Reptiles ، والطيور ، والثدييات Mammals ، وفى هذه الاخيرة اكثر ما تألف من الحيوانات ، وفيها نحن ، بنى الناس ، انها تحتوى على كل حيوان له ثدى يرضع ●●

احمد زكي

في عشَّة الدَّجاج

بقلم : الدكتور حسان حتحوت

■ في عُشَّةٍ شرقيةٍ عاليةِ السياجِ
وخلفَ بابٍ مغلق مستحكَمِ الرتاج
كانت تعيشُ في نعيمٍ أمَّةُ الدَّجاج
في فيضِ رزقٍ غَدَقٍ وظلِّ أمْنٍ ساجِ
سمينةٌ معجبةٌ بشحمِها الرجراج
لاهيةٌ إلا عن الطعامِ والزواج
والبيضِ والفقسِ والانبساطِ والمزاج
شعبٌ يُقَضِّي العُمْرَ في الأُنْسِ والابتهاج
خلفَ زعاماتٍ له منفوخةِ الأوداج
مِنْ كُلِّ ديكٍ عُرْفُهُ يزري بألفِ تاج
يصيح بينهم بمثلِ خطبةِ الحَجَّاج
وينطقُ الزورَ بلا خوفٍ ولا إحراج
فتثبُ الأُمَّةُ بالتصفيقِ والهياج
وتزدهي الديوكُ في عاليةِ الأبراج
كأنها مِنْ زهوِها الكباشُ في النعاج

★★★

وداهمتها « عرسَةٌ » في ذاتِ ليلٍ داج
جلابةٌ للموت كالفتوم والمسراج
مطفئةٌ منهن نارَ جوعِها المهتاج
ماخطفَتْ واحدةً فالقوم في انزعاج
راثين صدّاحين بالأشعارِ والأهزاج
باكين صياحين بالشكوى والاحتجاج
وركزوا اهتمامهم بالقفل والمزلاج



وعادت « العرسة » من صدعٍ على الزجاج

★ ★ ★

وقام منها واحدٌ في مثل لون العاج
يقول إنَّ داءنا ليس بلا علاج
إنَّ الصراخ والبكا جهد بلا إنتاج
لديَّ رأيٌ أنا فيه للخلاص راج
فإنْ أطعتموه فالأزمة لانفراج
إن جاءت « العرسة » تجبي باقيَ الخراج
ثُرنا جميعا ثورةً كهادر الأمواج
نوسعُها نقراً كزخِّ المطر الثجّاج
ونقذف العينين بالتراب والعجاج
فألفُ منقارٍ على رأسٍ ولو من صاج
كفيلةٌ تردبه بالنزفِ والارتجاج

★ ★ ★

صاحت به ديوكها من سائر الفجاج
ما هذه الطلاسمُ السوداء والأحاجي
أنت العميل الخائن المولَعُ باللجاج
لسنا إلى رأيكَ يا دخيلُ باحتياج
لو كنت منّا ما جهلتَ شيمةَ الدجاج
ليس الشجاعُ عادةً من أهله بناج
وقد يكون الصدقُ سلعةً بلا رواج ■■

حسان حتحوت

طرائف غريبة



العالم الذي جعـل من نفسه حقل تجارب !

● العالم الانجليزى الكبير هالدين Haldane (١٨٩٢ – ١٩٦٤) استاذ العلوم فى جامعة لندن الذى تخصص فى الكيمياء العضوية وعلم الاحياء وعلم الوراثة ، كان يتخذ من نفسه حقـلا للتجارب !

اراد يوما ان يدرس اثر التعب على جسم الانسان ، فحبس نفسه فى غرفة صغيرة كان يمرر فيها غاز ثانى اكسيد الكربون ..

وفى مـرة اخـرى ، كان يبحث فى اعـراض التسمم ، فشرب بيكربونات الصودا وكذلك حامض الايدروكلوريك !

وفى سن الخامسة والثلاثين ، اجرى عملية نقل دم من احد اجزاء جسمه الى جزء آخر !

ولم يكن هالدين بعد هذا يتردد فى ان يقدم نفسـه لأى من زملائه العلماء فى اية تجربة علمية جديدة يقومون بها !

قال يشرح الاسـبـاب التى دفعته الى اخضاع نفسـه لهـذه التجارب العلمية القاسية ، بدلا من الارانب والفئران .. قال : لم تكن التجارب العلمية وحدها هى التى تثير اهتمامى .. كنت اريد ان اعرف الحالة النفسية التى يشعر بها الارنب فى مختلف مراحل التجربة التى اجريها ..ما هو شعوره مثلا وهو يحس بالم يجرى فى دمه .. او كيف يتصرف وهو يشعر انه يكاد يختنق ! ولو اننى اجريت هذه التجارب على الانسان .. اى انسان ، كما فعل البعض مع المجرمين المحكوم عليهم بالاعدام ، ومات احدهم فى احدى هذه التجارب العلمية الخطيرة ، لامضيت حيـاتى كلها اتعذب ، من اجل هذا لم اجد الا نفسى ، اقدمها للعلم وابحاثه عن طيب خاطر !

الكنز الذي

● توماس ارنولد Thomas Arnold (١٧٩٥ – ١٨٤٢) ناظر مدرسة رجبى Rugby ، الشهيرة فى انجلترا ، بقى فى هذا المنصب مدة تزيد على الاربعة عشر عاما منذ عام ١٨٢٨ ، الى ان وافتـه منيته .. واستطاع خلال هذه السنوات الطويلة ان يجعل من هـذه المدرسـة واحدة من اعظم مدارس بريطانيا الخاصة .. فقد كان توماس ارنولد مربيا فاضلا يتمتع بروحانيـة دافقـة ، وبشخصية فرضـت احترامهـا على كـل تلاميذ ومدرسى مدرسته .

سالوه يوما عن افضل نصيحة يتوجه

اديسون بدأ حياته مزارعا !

توماس ادیسون Thomas Edison (١٨٤٧ – ١٩٣١) الذي لقب « برجل المجائب فى عصر الصناعة » ، كتب يوما يروى اغرب مرحلة مر بها فى حياته ، عندما قال عنه اساتذته انه صبي بليد عقيم ، فعادت به امه الى البيت لتشرف هى على تعليمه وتثقيفه ..

يقول اديسون : « كنت قد بلغت الثالثة عشرة من عمرى ، عندما بدات اشعر بفراغ فى حياتى .. فلم تكن الدروس التى اتلقاها على يد امى تستغرق كل وقتى ، وراحت تبحث لى عن عمل .. ولكن ماذا يمكن ان يصنع صبى مثلى فى هذه السن المبكرة .. واخيرا هداها تفكيرها الى ان تهبنى قطعة ارض صغيرة امام الباب الخلفى لبيتنا فى مدينة ميلانو الامريكية .. ووقفت امى بعد هذا ترقب ما سيفعله ابنها الصغير بهذه الارض !

« ولم تطل حيرتى .. رحت ابحث



عن بذور وشتل الخضراوات ، وازرعها فى الارض ، وكنت اجمع المحصول فأعطى نصفه لامى مقابل الارض التى اهدتها لى ، اما النصف الباقى ، فكنت ابيعه للجيران ..

وان هى الا سنوات قليلة ، حتى عرفت المدينة باسم المزارع الصغير فازداد الطلب على منتجات مزرعتى . وفكرت فى ان ابحث عن اسواق جديدة ، ولم اجد غير مدينة ديترويت ، فقد كانت اقرب المدن الى بلدتنا ، وكان هناك قطار يربط بينهما ويسير بين المدينتين بانتظام . وعندما اعوزنى المال الذى كان لا بد لى ان ادفعه ثمنا لتذكرتى فى القطار .. قصدت الى ناظر المحطة وعرضت عليه ان اقوم بتوزيع الصحف على المسافرين .. ونجحت الخطة .. ورحت انتقل انا وخضراواتي بين ميلانو وديترويت .. بالمجان ، واوزع الصحف ، حتى بلغت ارباحى فى اقل من سنة واحدة ، مبلغا يزيد على الالف دولار ..

« لقد بقيت هذه الالف باسمى فى البنك حتى تحولت الى معمل صغير اقوم فيه باجراء اول تجاربى الكيمائية بعد ذلك بعشر سنوات تقريبا ! » .

لا يغنى !

بها الى الآباء والابناء على السواء ، فقال: « ان الاب السعيد، هو ذلك الذى يعرف كيف يترك لابنه او ابنته كنزا لا يقدر بمال .. اما الكنز الذى اعنى فهو السعادة.. فالفقر او الغنى لا يهم كثيرا ، ولو اننا يجب الا نخدع انفسنا ، لانه لو وجد المال مع السعادة ، لكان هذا افضل بطبيعة الحال .. ولكن اذا كان لا بد لنا ان نختار بين الفقر مع السعادة وبين الغنى مع التعاسة ، فلا شك اننا سوف ننظر بعين الحسد الى اطفال « الزمار » وهم يجرون وراء ابيهم ، وضحكاتهم تنطلق فتختلط مع انغام موسيقاه !

ان هؤلاء الصغار السعداء سوف يكبرون ، وهم يرون الحياة من حولهم ، حلوة طيبة ، وسوف يشعرون بالدفء الذى تشيعه الشمس فى صدورهم ، والود الذى يملأ قلوب الناس تجاههم.. سوف يحبون هؤلاء الناس لانهم بشر مثلهم ، وسوف يدركون فى النهاية المتعة التى يجدها المرء فى الحياة .. وبهذا الشعور يستطيع الابناء ان يحققوا اى شيء تصبو اليه نفوسهم !

« لقد كان هذا هو الكنز الذى تركه ابواى ، واريد ان اتركه بدورى لكل ابنائي فى هذه المدرسة ! »

أولادنا أطفال كبار

ومن الآباء أطفال صغار !

بقلم : منير نصيف

■ من هم الصغار الذين كبروا ؟ ومن هم الكبار الذين يبقون اطفالا مهما امتد بهم العمر ؟

يقول الفيلسوف الامريكي ايمرسون : « كنت اتصور انني أعرف الناس بمشاكل الابناء ومتاعبهم .. الى ان اكتشفت يوماً أن اعظم الدروس هي تلك التي نتعلمها من أفواه ابنائنا : فمن خلال حديث هؤلاء الابناء معنا، ومن تصرفاتهم وطريقة تفكيرهم، ومسلكهم ، ومعاملتهم للآخرين يكون المقياس السليم لمدى الفشل او النجاح الذي حققه الآباء عبر تلك السنوات الطويلة التي مضوا يؤدون فيها رسالتهم لتربية ابنائهم وتنشئتهم !

ثم يقول ايمرسون : « ان الاختبار الحقيقي لفشلنا او نجاحنا ، لا يأتي الا عندما نرى ابناءنا قد كبروا وكبرت مع اجسامهم عقولهم ، ونضج تفكيرهم ، واصبحوا قادرين على ان يقفوا وحدهم في مواجهة أعباء الحياة ! عندها فقط نحس ان صغارنا اصبحوا كبارا !! » .

نسينا أن ندرب أنفسنا

ويتحدث الدكتور مارك بيترسون ، استاذ التربية وعلم النفس في هذا المعنى الذي ذهب اليه ايمرسون فيقول : « اننا ندرب اطفالنا في سني حياتهم المبكرة على تنمية شخصيتهم وتطويرها .. ونحن نغرس في نفوسهم الفضائل التي تعلمناها، ونحاول ان نعلمهم كيف يعتمدون على انفسهم ، وكيف يستقلون بشخصيتهم .. فنحن في سعي دائب لتنشئة جيل جديد ناضج ، حتى اذا ما حانت الساعة التي يبدأون فيها يطالبون بحريتهم، اعطيناها لهم ، ونحن مطمئنون راضون ! » .

ثم يمضي بيترسون في حديثه فيقول : « ولكن كثيرا ما تبقى المشكلة بعد ذلك قائمة .. لا لأن ابناءنا قد اساءوا استخدام الحرية التي حصلوا عليها ، وانما لاننا نسينا شيئا هاما .. فقد علمنا ابناءنا ودربناهم على ممارسة حريتهم والاستقلال بحياتهم الجديدة بعيدا عن بيت الاسرة الذي نشأوا فيه وكبروا، ونسينا ان ندرب انفسنا نحن الآباء على الابتعاد عن حياة ابنائنا والتحرر بقدر الامكان من تلك الروابط والقيود التي كانت تربطنا بهم وتربطهم بنا ،حتى نساعدهم على الشعور بأن هذا الاستقلال الذي حصلوا عليه ، وتلك



الحرية التى نعموا بها اخيرا ، هى شيء حقيقى ، لا زيف فيه ولا مواربة ! »

مسئولية الآباء

يقول الباحثون : « ان مسئولية ذلك الشعور الغريب الذى يصيب الكثير من الابناء بعد زواجهم واستقلالهم عن نفوذ الوالدين .. الشعور بانهم ما زالوا اطفالا لا غنى لهم عن رعاية آبائهم ونصحهم وتوجيههم ، انما تقع مسئوليته على الآباء وحدهم .. هؤلاء الذين عجزوا عن ان يخلصوا انفسهم من روح الانانية التى تستبد بهم،والميل الى الاستمرار فى السيطرة على حياة ابنائهم ، حتى بعد ان كبروا واصبحوا رجالا او نساء ! »

ما الذى يحدث ؟ وكيف يحس الابن بانه ما زال طفلا ، وكيف تشعر الفتاة بانها ما زالت صغيرة فى حاجة الى رعاية امها وتوجيهها ؟ ثم ما هو اثر هذا الشعور على حياة الابناء فى زواجهما واستقلالهما وحريتهما ؟

لقد احصى الباحثون عدد حوادث الطلاق التى تقع كل عام بسبب استمرار اعتماد الزوجين او احدهما على الوالدين فى كل خطوة يخطونها وفى كل قرار يتخذونه ، حتى لو كان يتصل بصميم حياتهما الخاصة ، فاتضح ان اكثر من ٤٠٪ من حوادث الطلاق فى العالم ، تحدث بسبب استمرار اعتماد الابناء على الآباء ، وبسبب تدخل هؤلاء الآباء فى شئون ابنائهم ، واستمرار محاولاتهم للتأثير عليهم ، وهو تدخل غالبا ما يتم بناء على طلب الابناء انفسهم ، وبرغبتهم !

اطفال كبار

هؤلاء هم الاطفال الكبار ، الذين تحدثت عنهم الباحثة الاجتماعية الانجليزية لوسى ورتستر Lucy Worcester فى كتابها « آباء وابناء » ، فقالت : « لا تلوموهم ، فجريمتهم ليست من صنعهم ، وانما هم ضحية لعوامل نفسية عدة ، سيطرت على أب مستبد ، او ام انانية ، رفضا ان يقبلا بالامر الواقع ، ويتخليا عن هذا الشعور الذى يصيب الكثيرين من الآباء ، عندما يجدون انفسهم يعيشون فى هذا الفراغ الذى نتج عن ابتعاد ابنائهم عنهم ، وعندما يفشلون فى القيام

بأى عمل يملأون به هذا الفراغ .. وتكون النتيجة الحتمية ، هى الشعور بالحنين الى تلك الايام البعيدة التى ولت ، عندما كانت حياتهم مليئة عامرة بمشاكل الصغار ومتاعبهم .. وتبدأ المطاردة التى لا تلبث ان تنتهى بعودة الابناء الى احضان آبائهم .. فقد فشلت حياتهم الجديدة ، او قل نجحت الام او نجح الاب في افشالها !

دور الابناء

« على ان هناك حالات اخرى كثيرة ، لا يقع فيها اللوم على الكبار وحدهم ، بل نجد للابناء فيها دورا ظاهرا .. فهناك الابنة التى تعلقت بوالديها،لانها وحيدتهما،وقد اعطياها كل حنانهما وحبهما ، فلما ابتعدت عنهما ، احست ان زوجها لم يستطع ان يعوضها هذا الحب الذى نعمت به وتعودت عليه في عيشها وسط والديها !

« ثم هناك الابن الذى تعلق ايضا بوالديه ، واستمر تعلقه بهما بعد الزواج ، لانه لم يجد في زوجته اما تفهمه وتحنو عليه ، وانما راى فيها اما تريد بدورها ان تمتلكه وتسيطر عليه .. فقد جعلت من نفسها قاضيا يحكم في كل امر ، وفي كل تصرف يصدر عنه ، حتى لقد اصبح البيت محكمة لا نقض فيها ولا ابرام !

لقد كان يتوق الى الحرية التى توقع ان ينعم بها مع المرأة التى تزوجها ، فاذا به يجد نفسه يعيش وراء اسوار سجن صغير !

وتصف الدكتورة لوسي بعد هذا نماذج من هؤلاء الكبار الصغار ، الذين عرفتهم عن كثب ، والتقت بهم وجلسوا اليها يحدثونها وتحدثهم في مشاكلهم .. تلك التى قدمت لها في كتابها ، وقالت عنها انها من اعقد المشاكل التى واجهت الشباب ، وما زالت تواجهه .. فهى مشكلة الصراع بين العادة والتعود .. بين الرغبة التى تستبد ببعض الآباء في الاستمرار في فرض وصايتهم على ابنائهم .. وبين روح التمرد التى تملأ صدور الابناء فتغذى صيحتهم ونزوعهم الى الاستقلال الذى ظنوا انهم انتزعوه !

بين الام والزوجة

تقول هذه الباحثة الاجتماعية التى قضت ما يزيد على ربع قرن في حل مشاكل الابناء مع آبائهم : « جاءتنى فتاة شابة لم تتجاوز عامها التاسع عشر .. وكانت تشكو حياتها الجديدة مع زوجها الذى لم ينقض على زواجها منه سوى بضعة اشهر .. قالت في حيرة : « كنت اتوقع ان يحدث اى شيء ، الا ان تجيء ام زوجى لتشاركنا حياتنا الجديدة في بيتنا الجديد !

« لقد بدأت متاعبى بمجرد عودتنا من شهر العسل .. كان زوجى دائم التفكير والشرود .. وكنت كلما حاولت ان اصل الى ما يدور في قلبه ورأسه بعد عودته الى البيت من عمله ، انفجر يبكى كما يبكى الاطفال ! ثم لا يلبث ان يعاوده الهدوء ، فيعتذر عما بدر منه ، محاولا ان يعود الى طبيعته .. ولكن على غير جدوى !

شوق وحنين !

« الى ان تكلم اخيرا ، فافصح عما كان يشغله عنى .. ثم قدم لى حزمة من الخطابات لم اكد اقرأ منها سطورا حتى ادركت على الفور سر تعاسته .. لقد كانت كلها رسائل تحمل توقيع امه التى تعيش في بلد آخر يفصلنا عنه مئات الاميال .. وقد راحت تبثه فيها اشواقها وحنينها اليه ، وترجوه ان يسمح لها بالمجيء لقضاء بضعة ايام في ضيافتنا !

« ورق قلبى لهذه الام المسكينة ، التى تتحرق شوقا لرؤية ابنها .. حقيقة انه ليس ابنها الوحيد ، فلديها ثلاث بنات كلهن قد تزوجن .. وكلهن يقمن بجوارها ، في نفس البلدة ، ولكن زوجى كان الابن الوحيد الذى سافر مع زوجته ليعيش في بلد غريب بعيدا عنها !

« وقلت لزوجى ، ولماذا لا ندعوها ؟

« ودعوناها .. وجاءت الام .. وما كادت تحل بيننا ، حتى شعرت بانني قد فقدت زوجى الى الابد !

« لم يعد يحس بى ، لم يعد يشعر بوجودى بجانبه .. لقد عاد طفلا صغيرا يمسك بذيل فستان امه ، يمشي اذا مشت ، ويخرج وراءها اذا خرجت ، ويسأل عنها اذا غابت ، ويطلب منها ان تعد له تلك الاطباق اللذيذة من الطعام التى تعودت ان تقدمها له !

غريبة في بيتى !

« ولم البث ان احسست بانني غريبة في بيتى .. انني احب زوجى ، ولا اريد ان افقده .. ولكنني لم اعد اطيق العيش مع امه تحت سقف

واحد ، بعد ان استحوذت عليه ، فلم يعد قادرا على ان يعود الى نفسه ، ويعود الى زوجته ، وكأنه قد نسي انه قد تزوج ، وانه سيصبح ابا بعد بضعة اشهر لهذا الطفل الصغير الذي بدأ يتحرك في احشائي !

« لقد استطابت الام الاقامة في بيت ابنها ، ورفضت ان ترحل عنه ! »

وتمضي الدكتورة لوسي في سرد قصة الزوجة المسكينة التي تزوجت هذا الطفل الكبير ، فتقول : « لقد كانت المشكلة الرئيسية امام الفتاة هي كيف تتخلص من ام زوجها !

دنيا جديدة

« وقد كان في وسعها ان تعود هي الى بيت والديها وتتركه مع امه ، فيحس الابن انه قد افتقد شيئا ، فيسرع الى استعادته .. ولكنها آثرت الا تفعل هذا ، لانها تحب زوجها ، ولا تريد ان تبتعد عنه ، ولانها تخشى لو فعلت ان يزيد هذا من الهوة التي بدأت تفصل بينهما ! » .

وقلت للزوجة : « اذن انت تؤثرين البقاء ، فعليك بالصبر ! »

قالت : « والى متى يكون صبري ؟ »

قلت : « لن يطول انتظارك يا ابنتي .. بعد شهور قليلة ستضعين طفلك ، وسيعود اليك زوجك ، وسينسى امه وينسى الدنيا .. سيصبح هذا القادم الصغير هو كل دنياه الجديدة .. وستجلسين انت فوق قمة هذه الدنيا ! »

طفل في الاربعين

ثم تروي لنا الدكتورة لوسي بعد هذا ، قصة رجل جاوز الاربعين ، جاء اليها يوما ليبثها احزانه .. قال : « لقد تزوجت منذ خمسة عشر عاما ، انجبت لي زوجتي خلالها ثلاثة ابناء ، ولكنني لم اشعر يوما خلال هذه الاعوام الطويلة ، ان زوجتي تعطيني ما كنت اصبو اليه من حب وحنان .. انها لا تهتم بي ، بقدر ما تهتم بابنائها .. لقد احسست ان زوجتي بدأت تبتعد عني ، منذ تلك اللحظة التي وصل فيها طفلنا الاول .. فقد اصبح هذا الطفل يستأثر بكل رعايتها وعنايتها .. اما انا فقد كانت تضعني دائما في المرتبة الثانية ..

« أليس غريبا ان اشعر بالحنين الى امي ، بعد ان بلغت هذه السن ؟ لقد عدت الى بيت والدي مرارا خلال تلك السنوات الطويلة من زواجنا .. وكنت في كل مرة ازور فيها امي ، احس بهذا الحنان الذي افتقدته في زواجي .. كانت امي تلقاني هاشة باشة ، ولكنني ما اكاد اجلس اليها واحدثها عن متاعبي ، حتى تسخر مني ! وكنت اشعر بالخجل احيانا ، وهي تمسك برأسي وتهزه بين يديها وتقول لي : « حقا انك ما زلت طفلا كبيرا .. عد الى زوجتك يا بني واعلم ان حبها لابنائك ، انما هو من حبها لك .. للرجل الذي انجبت منه هؤلاء الابناء !!

بين الاب وابنائه

« لقد ماتت امي يا سيدتي منذ عامين ، ومنذ ذلك اليوم الذي افترقت فيه عنا الى الابد وانا اشعر بصوت يهتف في داخلي : « لقد مات آخر انسان يحبك في الوجود » انني لا اعرف كيف اتخلص من هذا الشعور انني احب زوجتي ، واحب ابنائي وبيتي ، ولكنني لا استطيع ان اتخلص من هذا الاحساس الذي يساورني بين الحين والحين ، بانني غريب في هذا البيت ! »

وتقول الدكتورة لوسي : « وادركت على الفور انني امام طفل كبير .. طفل في الاربعين ، وقررت بيني وبين نفسي ان التقي بزوجة هذا الرجل .. واتصلت بها تليفونيا ودعوتها لمقابلتي في مكتبي !

« وجاءت .. كانت سيدة جميلة تتحدث بحساب ، وتزن كل كلمة قبل ان تفوه بها !

قلت : « كم لديك من الاطفال يا سيدتي ؟

قالت : « ثلاثة »

قلت : « لا .. انك ام اربعة ابناء ؟ »

قالت وهي تبتسم : « ولكنهم ثلاثة فقط وليسوا اربعة ! »

قلت : « بل اربعة .. لقد نسيت اكبرهم سنا .. نسيت والدهم .. انه طفلك الاكبر .. طفلك البكر .. تذكري هذا دائما .. واعلمي ان زوجك ايضا في حاجة الى حبك وعطفك وحنانك !! »

وانقضى عام على لقائي بهذا « الطفل الكبير » وزوجته .. وكان لقاء حارا ، راح يخصني فيه بكل عبارات الشكر والثناء ..

قلت : « ماذا حدث ؟ »

قال : « لقد اصبحت اسعد انسان في الدنيا .. لقد وجدت امي ! » ■■

منير نصيف

تعليمُ الأجانِب في الكويت

سماحة الكويت لم تقتصر على المدارس الاهلية العربية ، وانما شملت كذلك المدارس الأجنبية من شرقية وغربية .

استطلاع بقلم : **محمد خليفة التونسى** تصوير : **صلاح آدم**

تحت : في المدرسة اليابانية ، ثلاثة أطفال ومعلمتهم (فصل مستقل) .





فوق : في المدرسة الامريكية : الطلاب في المختبر يدرسون الضوء بين العدسات المقربة والمكبرة

تحت : في المدرسة الفرنسية : درس في اللغة العربية للاجانب .



■ في استطلاعات « العربي » لجوانب النهضةالحالية في الكويت ، نالت النهضة التعليمية الرسمية فيها عدة استطلاعات من زوايا مختلفة ،بعضها يعود الى نحو عشر سنوات ، وبعضها لهذه السنة ، ففي العدد ٣٩ (فبراير سنة ١٩٦٢)استطلاع عن التعليم الثانوي للبنات ، وفي العدد ٤١ (ابريل سنة ١٩٦٢) استطلاع عن التعليمالابتدائي والمتوسط ، وآخر استطلاع كان في العدد الماضي (١٦٨) عن « التعليم الديني في الكويت »ماضيه وحاضره .

الارقام تتكلم

وفي سبيل استطلاع بل في سبيل استطلاعات جديدة عن التعليم هنا ـ مضينا نقلب ما بين ايدينا من التقارير السنوية التي يصدرها قسم الاحصاء في وزارة التربية بالكويت عن حركة التعليم فيها ـ ولكل سنة تقريرها المفصل الشامل ـ فاذا الارقام امامنا تتكلم بابلغ لسان واصدقه وادقه عن تزايد هذه الحركة في التعليم ، وهو اهم مرافق الخدمات الاجتماعية في اى مكان ، فالارقام تبين أن خطوات التقدم اشبه بالقفزات السريعة الواسعة ، سواء في التعليم الرسمي او الأهلي .

من الروضة حتى الجامعة

ذلك ما تقوله الارقام سواء نظرنا الى عدد المدارس على اختلاف مراحلها واختصاصاتها ، او الى عدد فصولها وتزايدها في كل مدرسة ، او الى عدد تلاميذها (وتلميذاتها) او الى ما هو أقوى في الدلالة وهو عدد مدرسيها (ومدرساتها) وهم يتزايدون بتزايد الفصول ، وزيادة الفصول هنا ادق من زيادة المدارس في الدلالة على التوسع . وينبغي هنا ان نذكر ضيق مساحة الدولة في الصحراء ، وقلة مواطنيها ، لندرك سرعة هذه الخطوات او القفزات التى امتدت بالتعليم وضخمته خلال بضع عشرة سنة حتى ادت قبل ست سنوات الى قيام الجامعة الكويتية التى تشمل بضع كليات .

القفزة بين سنة وسنة

وحسبنا هنا نظرة سريعة الى عدد فصول المدارس الرسمية في التعليم العام وحده (دون الفني والصناعي والتجارى) ونكتفى هنا بالموازنة بين عدد فصولها في السنتين الماضية والحالية ، اذ كانت رياض الأطفال ٥٠٤ فصارت ٥٤٧ ، وفي الابتدائية ٢٠٤٠ فصارت ٢٢٦١ ، وفي المتوسطة ١٦٦٧ فصارت ١٧٩١ ، وفي الثانوية العامة ٦٧٤ فصارت ٧٩٦ ، ويلاحظ أننا آثرنا عدد الفصول لانه ادل على حركة التعليم من عدد المدارس .

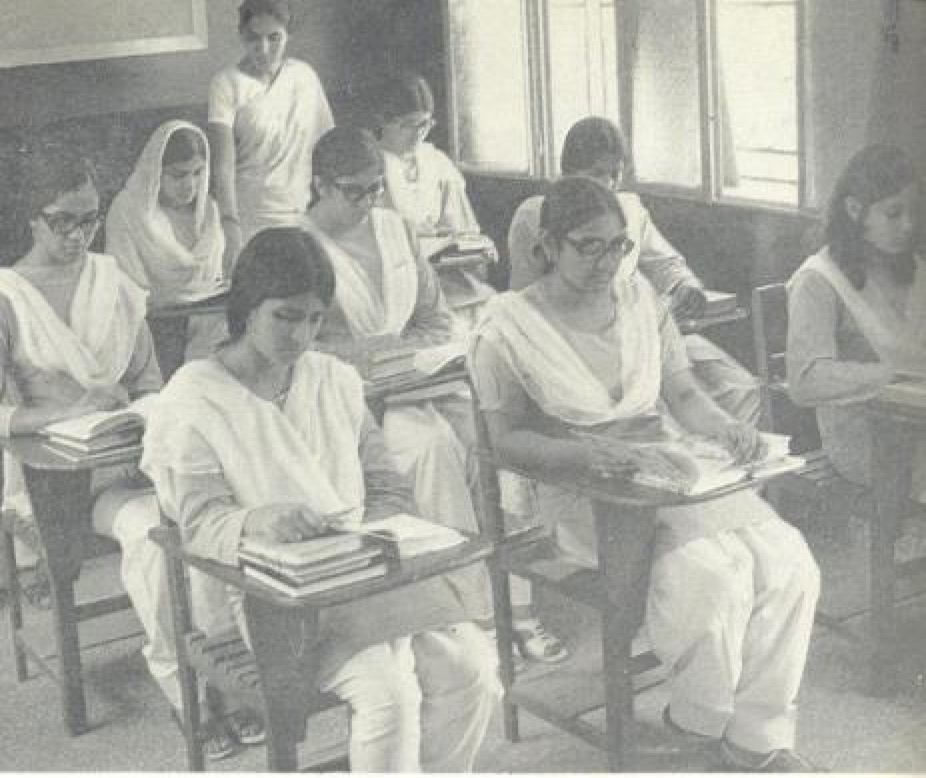
والبنات ينافسن البنين على امتداد مراحل التعليم بدءا من الرياض حتى الجامعة ، فقد كانت نسبتهن في مدارس التعليم العام خلال هاتين السنتين على النحو الآتي : في الرياض ٤٥٪ وفي المتوسط ٤٣٪ وفي الثانوية ٤٥٪ فصارت هذه السنة ٤٦٪ ، بل ان النساء يزاحمن الرجال في مراكز تعليم الكبار فلهن ٣٠ مركزا ، وللرجال ٥١ ، والدولة لا تكفل لناشئة أهلها التعليم وحده مجانا ، بل توفر لهم في مدارسهم الكتب والطعام والملابس المدرسية .

قيام التعليم الاهلى

ونسأل اذا كانت الدولة تبذل كل هذه الجهود والأموال في التعليم،وتلتزم فيه كثيرا منالتسهيلات فما اسباب قيام مؤسسات تعليمية أهلية من معاهد ومن مدارس عربية وأجنبية ؟ ولماذا تتكاثر سنويا ، وكيف بدأت وماذا بلغت الآن .

بدأ التعليم كله في الكويت أهليا، وكان مقصورا على الكتاتيب والمساجد (كشأنه في سائر بلادنا العربية قبل نهضتها الحديثة) ثم انشئت بعض المدارس المجانية بتبرعات بعض الاعيان ، ومساعدة بعض الشيوخ الى أن انشأت الدولة مجلس المعارف سنة ١٩٣٦ ، فتولى امر التعليم كله ، وجعله رسميا ، فاغلقت الكتاتيب بالتدريج وتوسع المجلس في التعليم الى ان ظهر النفط فزادت المدارس كثرة وسعة .

ولكن منذ سنة ١٩٣٧ نشأت المدرسة الجعفرية، ولم تنشأ غيرها مدرسة أهلية عربية لأكثر من عشرين سنة ، وفي التقرير التعليمي لسنة٥٧/٥٨ فقرة قصيرة عن « التعليم الاهلى » ، وفيها اشارة الى هذه المدرسة العربية الاهلية الوحيدة ، وان طلابها يتركونها بعد المرحلة الاولى ليتحولوا الى



في المدرسة الباكستانية : طالبات ومعلمتهن في ملابس كاسية ، خلال درس في التاريخ الاسلامي .

مدارس الحكومة ، واشارة اخرى الى ثلاث مدارس أجنبية « تمد طلابها لاتمام الدراسة الثانوية خارج الكويت ، وليست العربية وسيلة التعليم فيها ، اذ ان طلابها وطالباتها من المواطنين الامريكان والانجليز والباكستانيين والهنود ممن يعملون في شركة نفط الكويت » . واشار التقرير الى ان هناك صلة بين هذه المدارس ومجلس المعارف ، ولكن المعارف « لا تشرف عليها او توجهها وتتحكم في مناهجها وخططها » ثم اشار التقرير الى ان هناك مدارس مسائية اهلية « لتعليم الانجليزية والآلة الكاتبة يديرها أفراد » ، وأن الغرض منها تجاري ، وتعمد التقرير اغفالها لقلتها وضعف امرها .

تزايد المؤسسات التعليمية

ولكن كما تزايدت المدارس الحكومية تزايدت هذه الانواع الثلاثة التي اشار اليها التقرير من المؤسسات التعليمية الأهلية حتى بلغت ٧٦ في السنة الماضية وهي لهذه السنة ٨٤ ، منها ٢٠ معهدا ، و٤٦ مدرسة عربية (في حاجة لأن تضاعف حتى تستوعب ناشئة العرب الوافدين) و١٨ مدرسة أجنبية .

فاما المعاهد فبعضها للمحاسبة او السكرتارية او الآلة الكاتبة ، وبعضها لميكانيكا السيارات او هندسة الراديو والتلفزيون ، والآلات الالكترونية ، وبعضها للغات الحديثة ، فهي تمد طلابها بالمهارات والخبرات اكثر مما تمدهم بالمعارف النظرية . واما المدارس عربية وأجنبية فتسهم في التعليم العام بكل مراحله : الرياض والابتدائي والمتوسطة والثانوية ، ومنها ما هو للحضانة ، وبعضها تقتصر على مرحلة وبعضها تجمع بين مرحلتين أو اكثر .

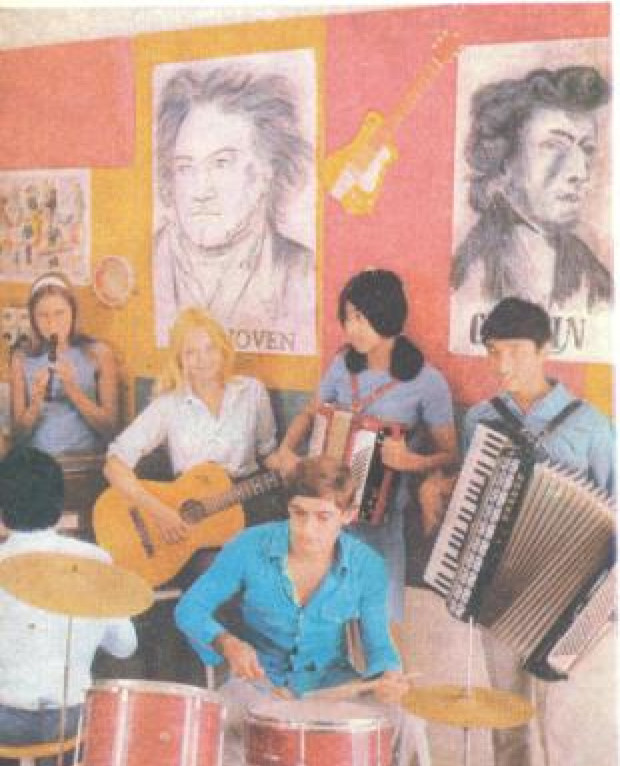
اما سبب زيادة هذه المؤسسات لا سيما المدارس فكثرة الوافدين الى الكويت . فالكويت بلد عربي اسلامي ، والعربي مضياف ودود الى جانب انه يفطن الى مصالحه ويحرص عليها ، وللاسلام فضائله الانسانية ، لو جمعناها في فضيلة شاملة لكانت هي السماحة ، ولهذا ونحوه رحبت الكويت



الى أعلى في المدرسة الفرنسية : أطفال ومدرستهم الفرنسية : لعب زخرفية لدراسة الألوان والاشكال







الى أعلى : في مكتبة المدرسة الامريكية : أكبر مكتبة مدرسية ، فيها ١٢٠٠٠ كتاب بالانجليزية ، وبضع مئات بالعربية .

الى اليمين: في المدرسة اليابانية: كل تلاميذها يابانيون وعددهم ١٢، لها ناظر ، ومدرسان ومدرستان. (انظر الاستطلاع) .

الى اليسار: في المدرسة الانجليزية الحديثة : غرفة خاصة وفرقة مختلطة للموسيقى لممارسة العزف على الآلات المختلفة .

بوافديها من العرب والاجانب ليشاركوها في مسئولية نهضتها ، وينالوا حظهم من المكافأة على ما يعملون . وفي اسر هؤلاء صغار ، لا بد لهم من مدارس تعلمهم ، فأما المدارس العربية الاهلية فلنا معها استطلاع آخر قريب ، ونبدأ بالمدارس الاجنبية اضطرارا لانها كانت اسبق تهيؤا لاستقبالنا في هذه الجولة عند مطلع السنة الدراسية .

مراقبة التعليم الخاص والاشراف على المدارس الاجنبية

لما كثرت المؤسسات الاهلية اقامت لها وزارة التربية هيئة خاصة تشرف عليها سمتها « قسم المدارس الاهلية » ثم في سنة ١٩٦٧ توسعت فيه مع تزايد المدارس فجعلته مراقبة سمتها منذئذ « مراقبة التعليم الخاص » .

وقد بدأنا جولتنا بزيارة هذه الهيئة ، ولقاء مراقبها الاستاذ عبد العزيز التمار ، فكان فيما حدثنا به خاصا بالمدارس الأجنبية ان الدولة تشرف عليها ، وان كانت لم تزل معها تسير على الخطة السمحة التي اتبعتها تجاهها باديء ذي بدء، فهي تترك كل مدرسة أجنبية وما تراه لنفسها في مناهجها وخطتها ولغتها القومية ، لان طلابها يتمون تعليمهم خارج الكويت ، فالمراقبة تماسها بلطف تحقيقا لغايتين نبيلتين : السيادة الوطنية وكرم الضيافة،ولا بد من الحكمة للتوفيق بين الامرين .

وذلك ما وضحه الاستاذ عنبر مال الله رئيس قسم المدارس الأجنبية في مراقبة التعليم الخاص ـ وهو شريكنا في هذه الجولة ـ فكان فيما حدثنا به أن المراقبة تتثبت من أن هذه المدارس لا تدرس لتلاميذها ما يسيء الى الاسلام او العروبة ، وأنها تقوم بالتزاماتها مع كل الأطراف التي تتعامل معها ، وأنها تدرس مناهج اللغة العربية الكويتية لتلاميذها العرب والمناهج الاسلامية لتلاميذها المسلمين ، فاما غير العرب فتختار لهم دروسا في العربية على وفق ما يطيقون ، لان هؤلاء يتبعون أسرهم في تنقلاتها ، وقد لا تقيم الاسرة هنا طويلا ، فينبغي للاجنبي أن يلم في محادثات عربية بموضوعات شديدة الصلة بمحيطه في المدرسة والسوق خلال حياته اليومية ، ومن ذلك عبارات التحية ومعالم الفصل والمدرسة ، والعدد واسماء الاغذية . وهذا ما تقتضيه الحكمة والسماحة من جانب الدولة والمدرسة معا .

جنسيات المدارس الاجنبية واحجامها

هي ١٨ مدرسة ، تنتمي الى ٩ جنسيات ، فللجالية الهندية ٣ (الهندية وفرعها وكرمل) وتلاميذها ٢٤٠٩ (١) وهذا اكبر عدد للتلاميذ (والتلميذات) في مدارس جالية واحدة ، وللجالية الباكستانية ٥ (الباكستانية والحديثة وجناح والوطنية والرشدان)وتلاميذها ١٦١٣ ،فالانجليزية ولها ٤ مدارس (الحديثة والشويخ والفحاحيل والنوري) وتلاميذها ١٠٤٦ ، ثم لكل جالية بعد ذلك مدرسة واحدة : الايرانية وتلاميذها ٦٥٩ ، والامريكية ٥٧٦ ، والارمنية ٥٥٦ ، والفرنسية ٢٠٣ ، واليابانية ١٢ ، والتشيكية (ولم نعرف عدد تلاميذها لانها لم تكن فتحت عند جولتنا فتركها لشأنها) .

وكل هذه المدارس تجمع بين مرحلتين أو ثلاث ، وبعضها تجمع المراحل الاربع للتعليم العام ، وهي الباكستانية وجناح والهنديةوالامريكية والانجليزية الحديثة ، والتعليم فيها جميعا مختلط بنينوبنات اما اكبر مدرسة واحدةفيعدد التلاميذ فهيالمدرسة الهندية ، ففيها ٧٢٣ تلميذا و ٦٠٧ تلميذة ، واقلها اليابانية ، ففيها ١٢ . ويلاحظ أن عدد البنات في المدارس جملة اقل من عدد البنين ،وان كان يقاربه ، وعلى العكس من ذلك الهيئات التدريسية فمعظمها مدرسات ، وهذه نسبتهن الى الرجال في بعض المدارس الكبيرة : الهندية ٥٤ : ٣ والامريكية ٣٠ : ١٤ ، والانجليزيةالحديثة ٣٤ : ١٠ ، والباكستانية ٢٦ : ٧ وكرمل (هندية) ٢٨ : ١ والايرانية ١١ : ١٠ وهي اقل نسبة للمدرسات الى المدرسين ، وهناك مدارس كل هيئتها التدريسية مدرسات مع أن فيها تلاميذ اكثر من التلميذات ، وبعضهم في الثانوي ومن ذلك

(١) هذه الارقام في كل الاحصائية هنا تدل علىعدد التلاميذ (ذكورا واناثا) في آخر السنة الماضية ، فأما عددهم لهذه السنة فلم يكن مهيأبدقة حين قمنا بهذا الاستطلاع في مطلع الدراسة ، وان كنا عرفنا اجماليا أنه في ازدياد .

فرع المدرسة الهندية ، والوطنية الباكستانية ، والانجليزية بالشويخ والانجليزية بالفحاحيل .

بين الثراء والغنى والكفاف

ليست هذه المدارس للتجارة غالبا ، بل لاداء خدمات قومية ، ومع ذلك نراها تتفاوت تفاوتا واسعا في امورها واستعداداتها ، وان كان هذا لا يدل ولا يستلزم تفاوتا مثله في لب العمل التربوي الذي هو الغاية من هذه المدارس ، واعلى هذه المدارس اجرا هي المدرسة الامريكية اذ تتقاضى من الطالب سنويا عن التعليم وحده ٣٦٠ دينار ، وتتقاضى الانجليزية الحديثة ١٣٥، ١٨٠، ١٩٥، ٢٤٠ بحسب المراحل الاربع ، والفرنسية ٨٠ للروضة و١٣٥ لما بعدها ، على حين تتقاضى المدرسة الهندية شهريا ٥ دنانير، والباكستانية ٣ للروضة ، و ٤ للابتدائية، و٥ للمتوسطة والثانوية ، وتضيف كلتاهما دينارين لنقل التلميذ بين المدرسة والبيت اذا اراد .

ومباني المدارس - كسائر المباني الوطنية تخطيطا - تميل الى الرحابة لا الارتفاع ، والمدارس لاسبابها اولى بذلك في كل العالم ، فمعظم هذه المدارس طبقة ، وقليلها طبقتان ، والثلاث ندرة، وارحب المدارس الكبار هي الامريكية فالانجليزية الحديثة ، وتليهما الهندية وان كانت اكثر منهما طبقات وفصولا وتلاميذ ، ولو قيس حجم كل مدرسة الى عدد تلاميذها لكانت اليابانية في المقدمة فعدد تلاميذها ١٢ وغرفها اكثر منهم عددا، ولا ريب انها بنيت لاستقبال اضعافهم في المستقبل، وسبب انشائها نشاط المصالح التجارية بين الكويت واليابان ، وهنا درس يستفاد ، هو ان اليابان ترى واجبا عليها تعليم ناشئتها حيثما ذهبوا في البلاد ، ولو كان عددهم ١٢ ، فكيف اذا كانوا اكثر ؟

الملامح القومية للمدارس المدرسة الامريكية

والملامح القومية اظهر في بعض المدارس منها في بعض ، واول هذه الملامح اللغة السائدة والحرص عليها ، ونكتفي هنا ببيان ملامح لبعض المدارس ، لان المقام يضيق عن استيعابها في كل المدارس .

ففي المدرسة الامريكية مثلا مصداق لما يراه جون ديوي John Dewey وهو احد الفلاسفة وائمة التربية في امريكا - من ان الفكر اداة للحياة ، وان الغاية العليا من التربية غرس الحرية والديمقراطية وحب العمل في نفوس الناشئة ، وان تكون المدرسة صورة للمجتمع خارجها ، وان التعليم ينبغي ان يكون انبعاثيا في الناشيء سهلا عليه فلا صعوبة فيه ولا تحكم .





المدرسة الهندية : في الفناء الداخلي : ناظرة الثانوية بين فريق من طلبتها وطالباتها . وامام المدرسة : الطلاب عند منصرفهم الى بيوتهم : وجمهرة من حافلات المدرسة تنقل معظمهم، والباقون ينقلهم اولياؤهم في سياراتهم الخاصة.

فالنزعة العملية هنا واضحة ، وكذلك فرص الطلاقة والاختيار والتخفف والرفه ، فالى جانب الفصول الدراسية ساحات رحيبة للعب والاجتماع بين الحصص ، وعدة مختبرات علمية تحوى الاجهزة التقليدية واخرى متطورة ، ومكتبة واسعة تضم ٦٠٠٠ كتاب للابتدائية ، و ٧٠٠٠ للثانوية ، وكلها بالانجليزية والى جانبها بضع مئات بالعربية استخرجت من صناديقها خلال جولتنا فيها فاسهمنا في تصنيفها لتهون على المشرفين فهرستها . وفي المدرسة غرفة واسعة للسينما تعرض فيها افلام تعليمية وادبية ودراسية ومنها ترفيهية لاوقات الفراغ ، يتولى امرها الطلاب وحدهم بتوجيه مشرف خاص ، وللمدرسة نشرة اسبوعية في بضعة اوراق،ومستشار خاص (مشرف اجتماعي تعليمي) يرعى احوال الطلاب واحدا واحدا ، ويوجه كلا منهم في دراسته حتى الكليات الجامعية الامريكية المناسبة له بعد تخرجه في القسم الثانوى من المدرسة ، ولكل طالب رقم وخزانة خاصة بادواته . والرئيس العام للمدرسة ورؤساء اقسامها امريكيون .

المدرسة الانجليزية

وقد اخترناها من بين المدارس الانجليزية الاربع لانها الكبرى فامكاناتها الدراسية تقارب نظيرتها الامريكية والنزعة العملية فيها واضحة ولكن الدراسة هنا اقرب الى التحفظ والاناة والجد في النظام مع المرونة ومراعاة المحيط ، ورؤساء الاقسام عرب ومدير المدرسة مرب كويتى، وفي الهيئة التدريسية مدرسون انجليز ، وكل تعليم ونشاط يأخذحظه بقدره دون ترف،والفصول والمختبرات والمكتبة وما اليها كافية وافية ، والزى المدرسي ـ كشانه في كل هذه المدارس ـ موحد حتى لونه ، لكل من البنين والبنات على حدة ، وهو ذو طابع بحرى ، ومع ان الزى موحد في المدرسة الامريكية فان امام كل من التلاميذ والتلميذات عدة الوان معينة ، ولغة التدريس في هاتين المدرستين هى الانجليزية ، وكلتاهما تشمل كل المراحل وتزيد المدرسة الانجليزية صفا واحدا جامعيا يقبل خريجوه في الصف الثانى من الكليات البريطانية .

المدرسة الفرنسية

تهتم بالنواحى النظرية من المعرفة واشاعة روح المرح والالفة ، كما انها شديدة الاهتمام بالفنون لا سيما الحركية ، تاخذها ماخذ الجد والتقدير كاى علم مقرر ، وفي مقدمة هذه الفنون الموسيقى والباليه Ballet ، وربما كان من اسباب وضوح ذلك فيها انها ناشئة ففيها مرحلتان الروضة والابتدائية التى لم تتم بعد ، والحركة لازمة للصغار ، وقد دخلت بنا وكيلة المدرسة في غرفة الباليه مصادفة فاذا صبية صغيرة بمفردها تدرب نفسها على بعض حركات الباليه مستغرقة روحا وعقلا وجسما في خطواتها كانها في ابتهال .

شرق وغرب
المدرسة الهندية

هى اكبر المدارس الاجنبية في عدد فصولها وتلاميذها وهيئتها التدريسية ، لهذا اخترناها من بين المدارس الهندية الثلاث . دخلناها كانا ندخل معبدا هنديا ، وقوبلنا بالتحيات في مودة كانها صلوات خاشعة ، ولا عجب فروح الشعوب التى تسكن شبه القارة الهندية تستغرقها الديانة ـ اى ديانة ـ من جميع نواحيها ، فهى روح دينية في لبها وظواهرها على السواء . ولغياب المدير قابلتنا ناظرة القسم الثانوى في زيها الوطنى (السارى) وكان فيما حدثتنا به ان في المدرسة صفين للرياض، و١١ صفا للابتدائية والثانوية يدخل الطالب



في المدرسة الامريكية : غرفة خاصة بالوسائل التعليمية البصرية والسمعية (افلام ملونة وغير ملونة للتعليم والترفيه) .

بعدها الجامعات الهندية ، ولغة التعليم هي الانجليزية ، وتبدأ من الروضة ، واللغة الثانية هي الهندية Hindi ، والثالثة هي العربية ، وتبدأن من الابتدائية ، واللغة الرابعة هي السنسكريتية Sanskrit او الفرنسية وتبدأ من السادس حتى الاخير ، وامتحانات الصف الاخير تأتي من الهند ، وطلاب المدرسة جميعا هنود ، وعددهم لهذه السنة ١٦٠٠ تقريبا بزيادة نحو ٢٥٠ على عددهم في السنة الماضية .

ويستوقف النظر هنا ان الانجليزية لغة التعليم، ومرجع ذلك ان الانجليز حكموا شعوب الهند اكثر من قرنين تحت ادارة موحدة ، ومع كل ما لهذه الادارة الاستعمارية من سيئات فانها اشعرت هذه الشعوب بوحدتها الوطنية بعد ان كانت اوطانا شتى ، وجعلت لهم لغة واحدة يتفاهمون بها بعد ان كان التفاهم عزيزا لكثرة اللغات واللهجات ، فكانت وحدة الادارة ووحدة اللغةمن اكبر حوافزهم الى الاستقلال ، وان كانوا قد انقسموا بعد استقلالهم قسمين الهند والباكستان وبقيت الانجليزية اللغة المشتركة بين الجميع .

المدرسة الباكستانية

اخترناها من بين المدارس الباكستانية لانها الكبرى . دخلناها كاننا ندخل مسجدا ، فالادب الاسلامي واضح فيها حيث يقع النظر ، وقد قدمنا تفسير ذلك في سيطرة الروح الدينية على كل شعوب القارة الهندية والباكستان جزء منها ، ولم تنفصل عن الهند الا لاختلافها عنها في الدين ، فاهل الباكستان جملة مسلمون ، وهم اقلية في القارة اشفق زعماؤها عليها ان تضيع في زحمة الاكثرية الهندية، فاثروا الاستقلال عنها ليريحوا ويستريحوا. وظهرت الفروق في نواح كثيرة ، حسبنا منها في داخل المدرسة ان لغة التعليم فيها هي الاردية Urdu التي كان اول من فكر في وضعها وترويجها الامبراطور المسلم « اكبر » للتقريب بين الشعوب الهندية تحت سلطانه ، واما اللغة الثانية فهي العربية ، وبها تدرس العلوم الاسلامية وتترجم الى الاردية ، والثالثة هي الانجليزية ، واللغات الثلاث اجبارية . ومظاهر العناية فيها بالاسلام والعربية واضحة ، فللقرآن الكريم ٤ حصص ، ولسائر العلوم الاسلامية ٤ ، وللعربية ٤ ، فهذه خطة ازهرية ولكن في صورة غير عربية .

وقد حدثنا مديرها ان مراحل الدراسة فيها ثلاث : الروضة ، و٦ صفوف للابتدائية و٦ ثانوية وان خريجي الصف الثاني عشر يقبلون في الجامعات الباكستانية ، وان طلابها نحو ٨٠٠ بزيادة ٥٠ على عددهم في السنة الماضية وكلهم باكستانيون الا ٢٥ هنديا (مسلما) و٣ اردنيين وكويتيا واحدا .

قصة برج بابل
او اختلاف الالسنة والالوان والجنسيات

نحن هنا في برج بابل ، ذلك ما يستوقف النظر في هذه الجولة ، وقصة برج بابل كما رواها الاصحاح ١١ في سفر التكوين من اسفار التوراة ان الناس كانوا لغة واحدة ، فلما وصلوا الى ارض شنعار (في وادي الرافدين) ائتمروا على بناء مدينة وبرج يبلغ السماء واتخاذ اسم واحد لهم جميعا ، ولكن الرب بلبل السنتهم هناك فلم يفهم بعضهم بعضا ، فانتشروا في الارض ، ومن اجل هذه البلبلة سمي ذلك المكان « بابل » .

والمدارس الاجنبية هنا لا تختص كل منها بصغار جاليتها ، بل هي مفتوحة لكل من يريدها، فكل مدرسة منها غالبا خليط من جنسيات والسنة والوان مختلفة ، ربما كان اقلها اختلاطا هي المدرسة الهندية فكل طلابها هنود ، ولونهم واحد، ولكنهم نحلهم والسنتهم مختلفة ، والباكستانية كل طلابها مسلمون ، ولكن جنسياتهم والسنتهم والوانهم مختلفة ، والمدرسة الامريكية اشدها اختلافا فتلاميذها من ٤٤ جنسية ، يتكلمون ٣٣ لغة . ولا ضير في ذلك فالناس جميعا جنس واحد لاب وام ، فهم اسرة واحدة ، والاختلاف من اقوى دواعي التقارب والائتلاف ، وصدق الله العظيم « يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » واحسن النبي النصيحة اذ قال : « كونوا عباد الله اخوانا » وكل الخير في هذا الاختلاف طالما ذكر الناس انهم اخوان ، فامتلات قلوبهم بالمحبة الاخوية ، بل ليس الوجود كله الا خلقا واحدا وربا واحدا ، و« وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه » كما يقول الدكتور احمد زكي ، وكلهم في نعيمه يرتعون . ■■

محمد خليفة التونسي

جناح الفجر !

بقلم : محمود سليم الحوت

الى اين ؟ قالت ، وما تبتغي ؟ ألم تستفق من شرود السفر ؟!
تطوّف كالشمس عبر السماء وان كنت تجري بلا مستقر
فطوراً على دجلة والفرات تطيل الوقوف وترمي البصر
وطوراً على النيل بين الضفاف تسبّح كالطير لا كالبشر
وانت مع الصبح فوق الذرى بلبنان تحت وريف الشجر
وتمسي تحدّث من هاتف بمكة بعد استلام الحجر
ويحملك الوجد نحو الكويت فتسرى بها كخيال عبر
كأنك ومض بهذا الوجود سريع اختفاء اذا ما ظهر
فلا الشرق يسحر منك الفؤاد ولا الغرب يبهر منك النظر
الا تستقر ، وبين الضلوع خفوق تعدّى الصبا والصغر
يحط بك الشوق في بقعة ويقصيك عنها جناح الضجر
وحتى الفراديس في سحرها ، وقد تشتهي ، لم تكن بالمقر !!

★★★

الى عالم ـ قلتُ ـ لا كالذي أقيم به مستجد الصور
غريب عليَّ منحَنا أنام ، وعادات أهل ، ودنيا فكر
فانّ الرتابةَ امُّ الجمود ، وهل من جمودٍ ربا وازدهر ؟!
ولولا التجدُّدُ ما ازهرت ولا امتلأت روضة بالثمر ؟!
فكيف تلومينني بعدما عرفت الذي ابتغي من وطر ؟!
وليس لديَّ من المغريات سوى عالم مُسهبٍ يختصر
ارى فيه ما لا يرى العارفون ، وآتيك فوراً كلمح البصر
فما كنتُ يوماً ثقيلَ الجناح اذا حطَّ في غابة ما هجر
ولكن طليق يحب الحياة ، فان ملّ ـ حتى الزواهي ـ نفر

★★★

وثمة شيء . . . الا تعلمين بان الاباء بيافا انتحر ؟!
فباتت على الذلّ من ربع قرن ، تنادي . . . وليس لنا من أثر ؟!
وجودٌ وان عزّ في جانب ففي جانب آخر محتقر !!!

■■

محمود سليم الحوت



سقراط

ينزل الفلسفة من السماء إلى الأرض

بقلم : الدكتور محمد عاطف العراقى

■ اذا كان مؤرخو الفلسفة على اتفاق في ان الفيلسوف اليونانى سقراط يعد المؤسس الاول لفلسفة الاخلاق ، فان سبب ذلك اهتمام سقراط - كما سنرى - بالتركيز على الجوانب العملية السلوكية وانصرافه عن التفكير في مسائل الطبيعة ، تلك المسائل التى تضاربت حولها آراء المدارس الفلسفية سواء المدرسة الايونية او المدرسة الايلية . ولهذا قيل عنه انه انزل الفلسفة من السماء الى الارض .

ولد سقراط في اثينا عام ٤٦٩ ق.م. وبدأ حياته بان كان نحاتا كابيه ، اى صانعا للتماثيل . وقد هجر سقراط هذه الصناعة في سن مبكرة الى حياة الفلسفة والتفلسف وخاصة انه كان يعتقد ان رسالته في الفلسفة قد حددها له الاله . اذ نراه يتحدث عن نفسه كخادم للاله وعن عمله كان الاله كلفه به .

وعاش سقراط حياته وسط الناس في الشوارع والاسواق والملاعب . وكان يدخل في مناقشات مع من لديه استعداد للكلام والمناقشة . وهو في مناقشاته وجداله وحديثه كان يحاول الرد على الاخطاء التى احدثها السفسطائيون ومحاولاً اصلاح نفوس الشباب من المغالطات التى يقول بها هؤلاء .

اما عن محاكمته فيكفى ان نقول انه قد وجهت اليه تهمة الالحاد في اواخر حياته ، وقد أدت هذه التهمة الى محاكمته وصدور الحكم عليه بالاعدام . وقد نفذ الحكم بشربه السم .

الموقف السفسطائى

واذا كان دور سقراط الحقيقى في تاريخ الفلسفة بوجه عام ، والفلسفة الخلقية منها على

وجه الخصوص ، لا يعرف تماما الا بمقارنته بالدور العظيم الذى قام به السفسطائيون في مجال الفلسفة ، فان هذا يدفعنا ونحن بصدد دراسة الفلسفةالخلقية عند سقراط ان نشير الى العناصر الاخلاقية في تفكير السفسطائية ، تلك العناصر التى اهتم سقراط وافلاطون وارسطو بالرد عليها وبيان ما فيها من مغالطات .

نود باديء ذي بدء أن نقول اننا ، لكى نفهم الدور الهام الذى قام به السفسطائيون ، ينبغى الا نلتزم بكل المعانى والدلالات التى يخلعها افلاطون وارسطو على تفكيرهم . ان افلاطون مثلا ـ فيما سنرى ـ حين يتحدث عنهم ، كان الى السخرية منهم اقرب من التعمق والتقدير للدور البارز الذى ادوه في تاريخ الفلسفة . ومن هنا لم يكن منصفا لهم ، بل متحاملا عليهم ومتجنيا ويكفينا دورهم الكبير في اثارة المناقشات الاخلاقية بعد انصراف العقول بكليتها الى التفكير النظرى المجرد في الامور الطبيعية ، بالاضافة الى الصلات التى لا نستطيع انكارها بين ارائهم وبين تلك النزعات والمذاهب التى ظهرت في عصر النهضة والعصر الحديث كالنزعة الانسانية ومذهب البرجماتية .

واذا شئنا دراسة العوامل العديدة التى ادت الى ظهور حركة السفسطائية ، فاننا نقول ان هناك عوامل اجتماعية وسياسية لا ينبغى اغفالها ، قد أدت الى نشوء السفسطائية ، الانتصار للديمقراطية بعد هزيمة الفرس امام اليونانيين ، وحاجة الناس الى تعلم الخطابة والجدل لاستخدامهما في المحاكموغيرها من دور قضائية كانت او سياسية . بالاضافة الى رغبة الشباب في تعلم هذه الفنون باعتبارها من لوازم الحياة الاجتماعية في هذا العصر .

كل هذه الاسباب وغيرها ، قد ادت الى ظهور فئة من الناس سموا في الاصل «معلمي بيان » . وقد انطبعت مناقشاتهم مع الشباب ، الذين كانوا يدفعون لهم أجورا نظير تعليمهم الخطابة وفن الكلام ، بطابع الجدل الذى أدى احيانا الى المغالطة . وقد شمل هذا الجدل فيما شمل مبادىء خلقية واجتماعية ، بمعنى ان مناقشاتهم كانت تتناول مناقشة معانى الخير والشر والحق والباطل والعدل والظلم والفضيلة والرذيلة وغير ذلك من معان اخلاقية وسياسية واجتماعية .

مظاهر المعرفة والحقيقة

ولكى نفهم الجوانب الخلقية في فلسفة السفسطائيين ، لا بد من عرض موقفهم بالنسبة الى المعرفة ، اذ ان سقراط وافلاطون وارسطو ، اذا كانوا قد هاجموا السفسطائيين ، فان سبب ذلك انهم يهتمون بظاهر المعرفة دون حقيقتها .

يقول ارسطو : ان اقوال السفسطائيين يمكن اعتبارها من تلك الاقوال التى تهتم بظاهر المعرفة واطارها الخارجي ، دون الاهتمام بحقيقة المعرفة وباطنها الداخلى ، كما ان السفسطائى يعد رجلا يكتسب المال من اهتمامه بظاهر المعرفة دون حقيقتها .

واذا تساءلنا عن اهم هؤلاء السفسطائيين وأكثرهم ، قلنا ان اكثرهم شهرة ونفوذا في التعبير عن آراء السفسطائيين ، بروتاغوراس Protagoras (٤٨٠ ـ ٤١٠ ق.م) وغورغياس Gorgias (٤٨٠ ـ ٣٧٥ ق.م) . ولنحاول الآن الاشارة اشارة موجزة الى أهم جوانب كل واحد منهما .

الاول كما قلنا هو بروتاغوراس اتهم بالالحاد الذى عرفه الاغريق ، وصدر عليه حكم بالاعدام وباحراق كتبه ، ولكنه استطاع الهرب ، ثم مات غريقا اثناء محاولته الهرب . وسبب ذلك انه كان قد نشر كتابا يسمى الحقيقة . وفي هذا الكتاب نطالع قوله : لا يمكننى العلم على نحو يقينى بان الآلهة موجودون ام غير موجودين ، فهناك كثير من العقبات التى تقف بينى وبين هذا النوع من العلم . واخص بالذكر منها ان تلك المسألة من المسائل الغامضة ، بالاضافة الى ان الحياة قصيرة .

واهم ما نجده في هذا الكتاب ، « الحقيقة » ، العبارة التى يقول فيها بروتاغوراس : « الانسان مقياس الاشياء جميعا . هو مقياس وجود ما يوجد منها ومقياس لا وجود ما لا يوجد » .

واذا أردنا فهم معنى هذه العبارة على حسب تصور افلاطون الذى نقد السفسطائين نقدا عنيفا متأثرا في ذلك باستاذه سقراط ، وركز نقده وهجومه في محاورة « تيتياتوس » ، وجدنا ان افلاطون يقول ان معناها ان الاشياء بالنسبة الي على ما تبدو لى ، وهى بالنسبة اليك على ما تبدو لك ، وانت انسان وانا انسان .

ويجب ان ناخذ في اعتبارنا - اذا تابعنا افلاطون في فهمه لمذهبهم - ان المقصود هنا هو الفرد من حيث هو فرد ، لا الانسان الذى يمثل النوع الانسانى .

واذا كان الافراد يختلفون في احساساتهم ، وكانت هذه الاحساسات متعارضة ، ترتب على ذلك عدم وجود شيء يعد ثابتا في ذاته ، كما لا يوجد شيء يمكن ان يسمى او يوصف وصفا محددا دقيقا ثابتا ، لان كل شيء في تغير . وعلى هذا تبطل الحقيقة المطلقة ويجيء بدلا منها حقائق تتعدد بتعدد الاشخاص ، بل بتعدد حالات كل فرد من الافراد .

واذا كان السفسطائيون قد ارجعوا المعرفة الى الحواس دون العقل ، وقالوا - فيما سبق ان اشرنا ان الفرد هو مقياس الاشياء كلها ، فانهم طبقوا نظريتهم هذه على مجال الاخلاق ، اى نقلوها من مجال المعرفة الى مجال الاخلاق . انهم يرون ان الفرد اذا كان مقياس الصدق والكذب ، فانه بدوره مقياس الخير والشر . واذا ارجعنا مقاييس الخير والشر والعدل والظلم والفضيلة والرذيلة الى الفرد كفرد ، اصبحت حقائق الاخلاق نسبية وليست مطلقة ، متغيرة وليست ثابتة . ان هذه الحقائق تختلف من زمن الى زمن ومن مكان الى مكان حسب اختلاف فرد وفرد ، بل باختلاف حالات الشخص الواحد .

في اللا وجود

والواقع أن النزعة الشكية تبدو ظاهرة عند السفسطائيين ويبدو ذلك بوجه خاص عند غورغياس أحد كبار الممثلين للمذهب السفسطائي. انه قد وضع كتابا عنوانه « في اللاوجود » واذا اردنا تلخيص القضايا الموجودة في هذا الكتاب قلنا انها كالآتى : ١ - لا يوجد شيء ٢ - اذا سلمنا بوجود شيء ما ، فان الفرد يعجز عن ادراكه ٣ - اذا سلمنا بأن فردا ادرك هذا الشيء ، فانه لن يكون بمقدوره ان يبلغه لاناس غيره .

ولسنا الآن بصدد معرفة كيفية برهنة غورغياس على قضاياه هذه . اذ ان هذه البرهنة مطبوعة الى حد كبير بطابع التلاعب بالالفاظ .

وما يهمنا التأكيد عليه هو أن موقفهم من المعرفة يصور لنا تماما موقفهم من الاخلاق . ان النسبية والتغير والسيلان المستمر في ادراك كل فرد في معرفته لشيء ما ، بل الاختلاف في المعرفة في حالة ادراك الفرد الواحد من وقت الى وقت، ومن لحظة الى اخرى ، كل هذا يعد صورة دقيقة لما ذهبوا اليه في مجال الاخلاق . فالقيم الخلقية ليست ثابتة مطلقة ، بل انها بدورها متعددة بتعدد الاشخاص ، بل بتعدد احوال كل فرد . كما ان تصورنا لها يختلف من زمان الى زمان .

واذا كان السفسطائيون يربطون بين آرائهم في نظرية المعرفة وآرائهم في فلسفة الاخلاق ، فان سقراط الذى برز دوره في تاريخ الفلسفة ممثلا في رده على السفسطائيين وفي اقامته دعائم بناء جديد يتفادى ما اعتوّر بناء السفسطائيين من نقص ، نقول اننا ستجد عند سقراط بدوره تطبيقا لنظريته في المعرفة على نظريته في الاخلاق ، بحيث تظهر عناصر فلسفته الخلقية كأنها صورة لما ذهب اليه في تحليله للمعرفة . بالاضافة الى ربطه بين الفضيلة والعلم بحيث يمكننا أن نقول ان أخلاقه تمثل اخلاق المعرفة .

سقراط وفلسفته الخلقية

سعى سقراط الى تحليل معانى الالفاظ تحليلا دقيقا وتحديدها ، حتى يتجنب استعمال اللفظ الواحد في اكثر من معنى كما كان يفعل السفسطائيون . لقد حاول في مناقشاته تحديد المقصود من كثير من الالفاظ والكلمات . وكان سبيله الى ذلك عدم الاقتصار على الحواس التى اعتمد عليها السفسطائيون اساسا ، بل مجاوزتها الى العقل .

وهذا الاهتمام بالبحث في المعرفة ، نجده أيضا في مجال الاخلاق التى اهتم بها اهتماما عظيما ، بحيث كان طابع فلسفته وجل تفكيره منصبا في اساسه على الفلسفة الخلقية ، ومبتعدا تماما عن النظر في الطبيعة المادية والبحث في أصل الكون والعناصر التى توجد في هذا الكون المادى . ومن هنا صدق عليه قول الخطيب والفيلسوف الرومانى شيشرون Ciceron انه انزل الفلسفة من السماء الى الارض ، اى حوّلها من البحث في الكون الخارجى الى العالم الداخلى ، عالم الانسان نفسه .

وتستطيع ان نوضح اهم جوانب فلسفة سقراط الخلقية في النقاط الآتية التي تكشف عن الصلة بين نظريته في المعرفة ونظريته في الاخلاق ، كما تبين مجهوداته في سبيل رفض اقوال السفسطائيين.

١ ـ سعى سقراط ـ كما فعل في مجال المعرفة ـ الى تحديد مفهومات خلقية كثيرة كالفضيلة والعدالة والشجاعة والعفة وغيرها من مفهومات . وقصده من ذلك تفادى الاخطاء التى وقع فيها السفسطائيون . اننا لو رجعنا الى محاورات افلاطون التى كتبها في فترة مبكرة من حياته ، والتى تمثل فكر سقراط ، اى تلك المحاورات التى يمكن ان نسميها بالمحاورات السقراطية ، وجدنا سقراط يبذل جهده اثناء حواره مع افراد المحاورة في مناقشة كثير من التعريفات ، وكيف ان اكثرها لا يعد تعريفا دقيقا للعدالة مثلا او للشجاعة او غيرهما . ثم يقدم لنا حقيقة كل فضيلة من الفضائل او رذيلة من الرذائل .

التهكم والتوليد

وقد اعتمد سقراط في ذلك على منهجه الذى يمر بمرحلتين هما التهكم والتوليد. في مرحلة التهكم يبدو سقراط وكأنه جاهل بحقيقة هذه الفضيلة او تلك ، اى انه كان في هذه المرحلة يتصنع الجهل ويثير الاسئلة ويبين الشكوك التى تعرض لنا في بعض تعريفاتنا وبياننا لحقيقة هذه القيمة او تلك من القيم الخلقية . ومن هنا نستطيع اعتبار هذه المرحلة ممثلة للجانب النقدى من فكره الفلسفى .

اما المرحلة الثانية وهى التوليد ، فاننا نطالع فيها فكره الايجابي البنّاء . انه يحاول فيها استخلاص هذه الحقيقة او تلك من النفس ، اى استكشافها وتوليدها بعد ان كان في المرحلة الاولى يثير شكوكا واعتراضات تعد ممهدة لقبول الحقيقة في المرحلة الثانية . وهكذا يعد منهجه في هذا الجانب تمثيلا لتلك الحكمة التى قرأها على معبد دلف وهى « اعرف نفسك بنفسك » انه يستخلص الحقيقة من النفس ، اى يولدها من النفس . وكان يرى أن عمله في ذلك يشبه عمل امه وكانت قابلة . وكل الفرق هى انها تولد الاجسام اما هو فيولد الحقيقة من نفوس الناس .

٢ ـ يقول سقراط الفضيلة علم والرذيلة جهل. ومعنى هذا ان الفضيلة تكون في المعرفة بها والرذيلة تكون مع الجهل بها . فمن عرف الخير سيتجه الى عمله حتما . اما من يقع في الشر فان مرد ذلك الجهل به . ومن هنا يوحد سقراط بين الفضيلة والمعرفة بحيث أن الفرد من الناس لا يفعل الرذائل عن عمد ، بل عن نقص في المعرفة ، تلك المعرفة التى اذا توفرت للناس ، فانهم سيصبحون جميعا فاضلين .

وهذا القول يدلنا على ان سقراط يفترض الطبيعة الخيّرة عند كل الناس واذا كان هناك افراد من الناس يأتون الشرور ، فان سبب ذلك ليس لان طبيعتهم شريرة ، بل يكمن هذا السبب في انهم يجهلون الخير .

كما يدلنا هذا القول ايضا على ان سقراط قد خالف السفسطائيين حين ينظرون الى الفرد على انه مركب من الشهوة والهوى واللذة الحسية .

وهذه العلاقة الوثيقة بين الفضيلة والمعرفة تميز سقراط وافلاطون وهى فيما يقول الفيلسوف الانجليزى الكبير برتراند رسل Russell (١) ـ ظاهرة ـ الى حد ما ـ في الفكر اليونانى كله ، اذا قورن بالمسيحية . فالاخلاق المسيحية تجعل القلب النقى هو الاساس الجوهرى. والقلب النقى قد يوجد في الجاهل على الاقل كما يوجد في العالم.

٣ ـ اذا كان السفسطائيون قد جعلوا قواعد الاخلاق نسبية متغيرة تختلف من فرد الى فرد وتختلف باختلاف الظروف والاحوال ، فان سقراط قد حاول تأسيسها على قواعد ثابتة لا تخضع لقيود زمانية او مكانية. انه لم يردّ مقاييس او مستويات الاخلاق الى سلطة خارجية ، سواء كانت هذه السلطة تتمثل في قوة الهية ، او عادات وتقاليد ، اى سلطة اجتماعية . ومن هنا دافع عن المقياس الموضوعى للاخلاق، وبذل كل جهده في ابعاد قواعد الاخلاق عن مقاييس بدت عنده غير كفيلة بارساء الاخلاق على قواعد يقينية .

صحيح اننا نطالعه في محاوراته التسليم بان هناك أصلان للحياة الخلقية يتمثلان في قوانين الدولة والقوانين الالهية . وهو نفسه قد اعطانا في موقف من مواقفه ما يؤيد ذلك ، انه لم يستجب

(١) تاريخ الفلسفة الغربية ص ١٥٧ من الترجمة العربية .

مثلا لرغبة بعض تلامذته في الهرب من الموت بالتسمم احتراما لقوانين الدولة ، ولكن سقراط رغبة منه في البحث عن مقياس او مستوى اشمل واعم وادق من هذه القوانين ، سواء كانت عرفية تتمثل في الدولة ، او كانت الهية ، حاول اقامة الحياة الخلقية والفضيلة على المعرفة ومن هنا كانت تلك الاشياء امورا تُعلم وتُتعلم .

خاتمة

هذه المامة موجزة ببعض جوانب الفلسفة الخلقية عند مؤسسها الاول سقراط . هذه الجوانب سواء في جانبها النقدي او جوانبها الايجابية البناءة لا تخلو من النقد . انه يهاجم السفسطائيين هجوما كبيرا . وهو مخطىء في ذلك ـ فيما يبدو لنا ـ لانه يركز على جوانبهم السلبية دون الالتفات الى جوانبهم الايجابية ، تلك الجوانب التى لا تخلو بعض النزعات والمذاهب في عصر النهضة والعصر الحديث من التاثر بها ، كالنزعة الانسانية وغيرها من نزعات ظهرت للدعوة الى الايمان بالفرد واحترامه وتقديس حريته . حتى ان جوانبهم التى بدت عند سقراط جوانب سلبية تستدعى الهجوم عليها ، لا تخلو بدورها من عناصر حق لا يستطيع ان يغفلها الباحث المتصف . وهل "اثر" سقراط في الفكر الفلسفى نستطيع فهمه وحده دون بيان اثر السفسطائيين الذين اثاروا مشكلات اخلاقية قبله وكانوا بهذه المناقشات منبهين الى جوانب جديدة تختلف عن الجوانب التى اثارها رجال المدرسة الايونية والمدرسة الايلية . ان هذا وحده دليل على فضلهم ، رغم ما في بعض آرائهم وفي قليل من اتجاهاتهم من الغلو والخطأ .

هذا جانب من جوانب النقد لسقراط . وجانب آخر يتمثل في انه حين وحّد بين الفضيلة والمعرفة ، فان هذا التوحيد ـ فيما نرى ـ توحيد بين شيئين ليس من الضرورى أن يكون بينهما اتفاق . وقديما رفض ارسطو هذا الرأى السقراطى في اقامة الفضيلة على العلم والمعرفة .

الخير والشر

ونكتفى بأن نقول ان هذا الفرد او ذاك من الناس قد يعرف الخير ويعرف الشر ، ومع ذلك ينصرف عن الخير ويفعل الشر . فمعرفته للشر اذن ومعرفته بالخير لم تمنعه من فعل الشر والبعد جانبا عن الخير . وقد اشرنا فيما سبق الى ملاحظة الفيلسوف الانجليزى رسل ، من أن المسيحية مثلا لا تاخذ بهذا القول ، حين رات ان القلب الصافي الطاهر يمكن ان يوجد في الجاهل كما يوجد في العالم .

في الواقع لا نريد أن نفيض في بيان الجوانب التى بدت عند الدارسين لفلسفته الخلقية ، جوانب تستحق النقد . واذا اردنا البحث عن الجوانب الاخرى التى تعد في الواقع ميزات للفلسفة الخلقية السقراطية ، وجدنا انه بالاضافة الى عدّه مؤسسا للفلسفة الخلقية ، فان فكره الاخلاقى اثار فيما بعد مناقشات دقيقة حول طبيعة المستوى Standard أو المقياس الخلقى Moral Criterion نجد هذا عند بعض المدارس التى تأثرت في قليل او كثير بآرائه مع اضافة تعديلات عليها .

فهناك مدارس يونانية قديمة كالمدرسة الكلبية مثلا قد صدرت في تفكيرها عن فلسفة سقراط ، وان كانت قد اعجبت اساسا بسلوكه العملى الذى كان مثلا اعلى عندها .

كما تأثر به دون شك تلميذه افلاطون من كبار فلاسفة اليونان. وكذلك تأثر به أرسطو. فالقارىء مثلا لمحاورات افلاطون التى تتعرض لدراسة موضوعات اخلاقية يجد أثر سقراط بارزا الى حد كبير . ولا نعنى بها تلك المحاورات التى كتبت في عصر مبكر بحيث يمكن اعتبارها تمثيلا لفكر سقراط ، بل المحاورات المتاخرة ايضا .

كما نجد هذا التأثر في العصر الحديث أيضا الى حد ما عند الحدسيين والعقليين الذين اهتموا بالبحث عن مقياس خلقى ثابت لا تحده حدود زمانية ولا مكانية ، وليس صادرا عن قوة خارجية او سلطة اعلى . ولعلنا قد اشرنا الى أن سقراط مع تسليمه بقوانين الدولة وقوانين الآلهة ، قد صعد الى التأكيد على اقامة الأخلاق على العقل والمعرفة . وهذا هو هدف كثير من الحدسيين الذين حاولوا ارجاع المقياس الخلقى الى العقل والذين تابعوا سقراط في عدم موافقته على تصور الفرد مركبا اساسا من اللذة والشهوة والحس ، بل ان حقيقته أسمى من ذلك . ■■

محمد عاطف العراقى
مدرس الفلسفة بجامعة القاهرة



المنصور بن أبى عامر

مثال رائع للذكاء والشجاعة

بقلم : محمد رجاء حنفى عبد المتجلى

■ عندما توفي الحكم بن عبد الرحمن الناصر لم تسر الامور كما كان يرجى لها ، فقد كان ابنه هشام صغيرا ، ولم يكن مثله من يصلح لتولى الأمر ، ويكون خليفة على مسلمى « الأندلس » ، فهو طفل لم تزد سنه على عشرة اعوام وبضعة أشهر ، فانقسم رجال الدولة الى قسمين : قسم العسكريين من الصقالبة ومن معهم (اطلق اسم الصقالبة فى الاندلس على حرس الخلفاء الخاص) وقسم المدنيين وعلى رأسهم جعفر بن عثمان المصحفى ووزراؤه ، وكان لكل من الفريقين رأيه الخاص ، ووجهة نظره ، واطماعه ، فالعسكريون يرون ان هشاما طفل لايمكن ان تسير امور الدولة على يديه ، ويعز عليهم ان يروا انفسهم يسيرون تحت قيادة طفل يحكم له وزراؤه ، ولذلك فقد استقر رايهم على ان يتولى الخلافة المغيرة بن عبد الرحمن الناصر ، عم هشام ، وحتى تصبح لهم على الخليفة الجديد يد لاتنسى ، لانه مدين لهم بعرشه .

اما المدنيون فكان من رايهم تولية هشام الطفل ، وكانت تسيترهم فى ذلك مآربهم الشخصية ، وليس كما زعموا بانهم حريصون على عهد الحكم ، وانما كانت غايتهم الاستئثار بالسلطة والنفوذ ، طالما هشام الطفل الصغير على عرش الخلافة . وكادت الحرب الاهلية تقع غير أن المدنيين كانوا أجرا واسرع ، فقد دبروا مؤامرة قتل فيها المغيرة ، والذى تولى تنفيذ هذه المؤامرة شاب كانت سمت به مواهبه حتى صار من ضمن وزراء الحكم ، وهو محمد بن أبى عامر وقد لقب فيما بعد بالمنصور ، وبذلك فوت المدنيون على العسكريين اغراضهم ، وما كانوا يسعون من اجله .

وتولى هشام الحكم .





بدا المنصور حياته طالبا مغمورا بجامعة « قرطبة » ، وكان ذكيا ، كبير الطموح ، واسع الامال ، حتى انه همس فى اذن بعض اخوانه من الطلبة بانه سيكون فى يوم من الايام حاكم «الاندلس»

نسبه

هو المنصور محمد بن عبد الله بن أبى عامر ، من نسل عبد الملك المعافرى ، احد المحاربين العرب الداخلين مع طارق بن زياد . ويتصل نسبه ببنى عامر احدى قبائل اليمن . وقد استوطن جده قرية تسمى « طرش » ، من أعمال المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء . وكان أبوه من علماء عصره . فهو من أشهر علماء « الاندلس » علما ودينا وورعا، ولذلك تجنب الاتصال بالخلفاء ، واختار لنفسه مصاهرة بنى برطال التميميين .

أيامه الأولى

بدا المنصور حياته طالبا مغمورا بجامعة « قرطبة » ، وكان ذكيا ، كبير الطموح ، واسع الامال ، حتى انه همس فى أذن بعض اخوانه من الطلبه بانه سيكون فى يوم من الايام حاكم « الاندلس » ، ولقد تجاوز الحد فى احلامه ، فسأل بعض الطلبة عما يختارون من المناصب لو آل اليه الامر ، وصارت مقاليد الحكم فى يده ، ووعدهم بتحقيق ما يتمنون ، وقد صدق فيما وعدهم به عندما تحققت آماله .

وعندما أتم دراسته زاول عملا بسيطا ، اتخذ مكانا بالقرب من قصر الخلافة ، يكتب فيه للناس شكاواهم ، فلما عرف عنه سعة الاطلاع ، والنشاط وقوة الشخصية ، والالمام بمسائل القضاء ،اختير ليكون كاتبا بمحكمة « قرطبة » فكان هذا أول عهد الدولة بمواهبه ، وكان من الطبيعي ان يخشاه قاضى المحكمة لما بدا من ذكائه وطموحه ، ففكر فى التخلص منه ، وعرض الامر على حاجب الخليفة المصحفي ، فساعده على التخلص منه بتعيينه مشرفا على املاك عبد الرحمن بن الخليفة ، وأخيه هشام من بعده ، بوصاية امهما السيدة « صبح »

زوجة الخليفة الحكم ، فكانت صلته بالسيدة « صبح » هي بسمة الحظ التي لمعت في حياة المنصور ، حيث اعجبت بادبه ، وحسن مظهره ، فعينته مشرفا على املاكها الخاصة ، ثم تولى بعد ذلك عدة مناصب ، ولما اصبحت له حظوة كبرى عند الخليفة ولاه قضاء « اشبيلية » . وسحر المنصور كل من لقيه برفيع أدبه ، وتواضعه ، وكريم عطائه ، ورقة احساسه ، ومساعدته للبائسين ، وبذلك تمكن من اجتذاب عدد عظيم من الناس بينهم كثير من كبار رجال الدولة .

ومنذ ذلك الحين والمنصور بن ابى عامر يحرص على ارضاء السيدة « صبح » ، ويبالغ في الهدايا التي يرسلها اليها ، لعلمه بسلطانها على الخليفة الحكم ، وكبرت ثقة الحكم في المنصور .

اول موقعة حربية للمنصور

لجأ امير « صنهاجه » الى الفاطميين ، وتحالف مع امير الادارسة الحسن بن كنون ضد الحكم ، فكلف قائده غالبا الناصرى باعداد حملة عسكرية، للقضاء على هذا التحالف في أسرع وقت . ولكن الشك ساور الحكم في امانة غالب ، فاراد ان يرسل الى امير « صنهاجه » رجلا امينا يطمئن اليه لمحاسبته ، ولم يكن هذا الامين الذى عهد اليه بتنفيذ هذه المهمة سوى المنصور ،، ووفق المنصور في عمليته . وعينه الخليفة قاضي قضاة المغرب ، ومراقبا لادارته السياسية والحربية ، وامر بان لايبت الحكام في امر من الامور الا بعد مشورة المنصور وموافقته .

وعندما مات الحكم كان المنصور بن ابى عامر احد الشخصيات البارزة في القصر ، والمرموقة في الدولة ، وما وصل الى ما وصل اليه الا بمساعدة المصحفي صديقه ، والسيدة « صبح » المعجبةبه.

حكومة الاوصياء

كان المصحفي قد اقيم وصيا على هشام لصغر سنه ، واصبح هو وابن أبى عامر صاحبي السلطة في الدولة ، ومصائر الامور في أيديهما ، ويؤيدهما في كل تصرفاتهما السيدة « صبح » التي عظم امرها بموت الحكم باعتبارها والدة الخليفة الصغير ، وظهر المنصور بمظهر الحريص على مصلحة الشعب ، فالغى ضريبة الزيت ، وامثالها من الضرائب التي كانت ترهق الفقراء ، فتعلقوا به واحبوه ، وصار اسمه يتردد على كل لسان .

المؤامرة

احس المنصور بمؤامرة تدبر في الخفاء للتخلص منه ومن المصحفي ،فاقنع المصحفي بضرورةالتخلص من كل الصقالبة ، والقضاء عليهم ، فنكبهم جميعا، وكانوا ثمانمائة صقلبي او يزيدون ، فأثار بعمله هذا اهالي « قرطبة » الذين تأثروا من نكبة مثل هذا العدد ، واخذت جماعة العلماء والفقهاء تستاء من هذا التصرف ، وتثور ضد ابن ابى عامر ، خصوصا بعد ما سرت موجة من الاشاعات تتهمه بانه زنديق ، بعيد عن الدين ، فاراد ان يقضي على تلك الفتنة التى قامت ضده ، فدعا العلماء والفقهاء الى عقد اجتماع ، وطلب منهم ان يكتبوا له كشفا باسماء الكتب التي لا تتفق مع العقيدة الاسلامية من الكتب الفلسفية ، وكانت الفلسفة في « الاندلس » من العلوم التى لم يرض عنها الفقهاء ولا العامة ، فقدموا اليه قائمة بالكتب المقضى عليها بالاعدام ، فاسرع المنصور الى احراق هذه الكتب التي اثارت غضبهم علنا في الميادين .

والمنصور من غير شك واسع الافق ، فسيح الصدر للفلسفة وعلومها ،ولكنه فاز بهذه الوسيلة برضاء العامة وتأييد الفقهاء ، ولقبوه بحامى حمى الاسلام ، واطمأن من ناحية العلماء والفقهاء وامن جانبهم ، فهم بلا شك لن يأتمروا به مرة اخرى .

وكان من الطبيعي ان ينفس المصحفي على المنصور مركزه في قلوب الناس ، وارتفاع منزلته وبعد صيته .

الفرصة السانحة

كانت غارات الدول الشمالية قد توالت على املاك المسلمين ،منذ علموا بمرض الخليفة الحكم فلما عرفوا نبا وفاته ازدادت غاراتهم وجرائهم ، لدرجة انهم وصلوا الى ابواب العاصمة «قرطبة».

كل هذا والمصحفي لايحرك ساكنا ازاء تلك الحال التي جزع لها الشعب كله ، وخاف على الدولة من الضياع ، فاستدعت السيدة « صبح»

المنصور ، واخبرته بما استولى على الناس من الفزع ، وسألته الراى ، فاخبرها بانه يستطيع تاديب جيوش الاعداء وردها على اعقابها خائبة منكسرة ، وذلك اذا اسندت اليه القيادة العامة للجيش .

وعندما علم المصحفي بذلك ، اظهر موافقته ورضاه ، وغلب الظن ان المصحفي لم يوافق على اسناد قيادة الجيش للمنصور ، وخروجه على راس حملة التاديب ، الا لاعتقاده بانه لن يوفق فى تلك المهمة ،لانه لايعلم شيئا عن الفنون الحربية، وبالتالي ليس المنصور من رجال السيف ، وبذلك سيتحمل تبعة الفشل فى هذه المهمة الخطيرة .

وافق المصحفي وكبار رجال الدولة على اسناد قيادة الجيش له ، واعطى مائة الف دينار لينفق منها على جنده .

كل هذا كان يجرى فى قصر الخلافة ، بينما الناس تتعجب اشد العجب من جراة المنصور الذى لم يدرس او يتعلم شيئا عن الفنون الحربية والمهارات العسكرية ، وتسأل : كيف يجيد مثل هذا الفقيه قيادة الجيوش لان هذا شيء بعيد عن ادراكهم وعن مدى تصورهم ، وفى نفس الوقت كان المنصور يفكر فى الطريقة التى تمكنه من مواجهة الموقف ، واداء مهمته بكل نجاح ، والبحث عن قواد اكفاء يتعاونون معه ، ويستطيعون ان يكفلوا له النصر ، فوضع يده على غالب بن عبد الرحمن الناصرى ، قائد الجنود القرباء ،حاكم الحدود ، وكانت هناك صداقة قديمة بين الرجلين جعلت غالبا يعطى صديقه قلبه كله ، فلما اغارت الجيوش على مملكة « ليون » وكتب لها التوفيق، وانتصرت على الاعداء ، ارتفعت منزلة المنصور فى قلوب الناس ، وخاصة فى قلب جنوده حيث اجزل لهم العطاء .

وعندما خرجت حملة اخرى ، وكانت قيادة الجيش لغالب ، اعلن غالب فى صراحة وجراةامام الناس انهم مافازوا فى معاركهم الابعبقرية المنصور، وبفضل خططه العسكرية التي يضعها لهم . وبالغ غالب فى وصف مواهب المنصور حتى اعتقد الناس ان تحت رداء الفقيه نبوغا عسكريا ، وان الامر كذلك بدون شك .

عزل المصحفى

شعر المنصور بما وصلت اليه مكانته فى نفوس الناس بعد نجاحه الباهر فى غزواته الاولى ، فكان اول شيء يفكر فيه هو ابعاد المصحفي عن طريقه، فعزل اولا ابن المصحفي من منصبه ، وكان رئيسا للشرطة فى « قرطبة » ، واحتفظ لنفسه بهذا المنصب فاحسن القيام على الشرطة ، حتى ان المدينة لم تر فى عهودها التي مرت عليها عهدا استتب فيه الامن والنظام ، واحترم فيه الناس جميعا قوانين الدولة ، مثلما رات فى عهد المنصور، فقد كان يضرب بعنف وبيد حديدية على ايدى الخارجين على النظام والقانون ، والمعتدين على حدود الشرع ، وقد اكبرت هذه السياسة من شانه ، وزادت فى محامده ، واكتسب المنصور محبة كل طبقات الشعب،من مسلمين وغير مسلمين.

ثم راى المنصور ان الوقت قد حان ليضرب ضربته السياسية التي يعمل لها منذ وقت مضى ، فاخذ يلعب فى مهارة بغالب والمصحفى ، ويوقع ما بينهما ، حتى اتسعت شقة الخلاف بينهما ، ثم وجه المنصور الضربة القاضية للمصحفي باغرائه لغالب بان يعدل عن تزويج ابنته للمصحفي ، واتخذها المنصور زوجة له .

وفى عام ٣٦٨ هـ رمى المنصور المصحفي باخر سهم فى جعبته ، فاتهمه بالخيانه والسرقة،واثبت عليه التهمة بادلة كثيرة ، فعزله الخليفة عن منصب الحجابة واسنده الى المنصور ، والقى بالمصحفي فى السجن ، ومكث به خمس سنوات ، ثم مات مسجنى برداء ممزق للسجان ، والواقع ان يد المنصور لم تكن بعيدة عن موت المصحفي .

وهكذا استطاع المنصور بن ابى عامر بعد سنة ونصف من خلافة هشام ان يصل الى اكبر منصب فى الدولة ، ويصبح اعظم رجل فى « الاندلس » .

ازاحة غالب من الطريق

بقيت امام المنصور عقبة شغلت تفكيره اياما حتى ذللها ، هذه العقبة هي التخلص من القائد غالب ، فهو شجاع وجندى بفطرته ، وله خبرة كبيرة بالمهارات والتدابير الحربية ، اليس هو الذى اعطى المنصور كل الانتصارات التي انتصرها فى غزواته حتى الآن ؟ ، لذلك فهو منافس خطير

ومخيف للمنصور ، ويجب أن يزول عن طريقـه ، فعمد اولا الى بعض الاصلاحات فى نظم الجيش حدّ بها من سلطة القواد ، ثم استعان على غالب بجعفر بن احمد صاحب الزّاب بمن معـه مـن البربر . ثم ظهر قائد اخر اصاب شهرة عظيمة بين جنوده ، فانزعج المنصور وقرر بينه وبين نفسه ان يتخلص من هذا القائد ، فدعاه الى بهو القصر وسقاه خمرا حتى غلبه السكر ، وبينما هو راجع الى بيته قتل فى الطريق ، وبذلك خلا الجو امام المنصور ولم يعد يزاحمه احد .

جيش المنصور

ان المنصور كان يقظا لما يدور فى خلد العناصر العربية من التطلع الى السـيادة ، والطمـع فى المناصب الكبرى ، والحقد على امثال المنصور لما وصل اليه من سلطان فى الدولة ، فاراد أن يجعل الجيش طوع بنانه ، فى الاخلاص والطاعة ، فجدد الجيش معتمدا على البربر ، فاستقدم منهم قبائل كثيرة ، وبذل لهم المال ، وجعل الجيش فرقا مختلطة من كل نوع ليقضى على العصبية فيـه ، وابدل النظام الاقطاعي بمرتبات للجند ، وبذلك اوجد جيشا يدين له بالولاء ، واصبح هو سيد الموقف ، يشعر بالقوة تحت يده ، تعطيه كل طاعة نظير مايغدقه عليها من مال .

حروبه فى المغرب الاقصى

ان الجيش المكون على الاساس الذى وضعه المنصور لايخشى قائده صعابا ، ولاتخطر على باله هزيمة ، لا سيما أن المنصـــور قد خاض بهذا الجيش ثلاثا وعشرين معركة الى الان ، وما كاد يستريح من غزوته الثالثة والعشرين حتى جاءته الانباء بحدوث اضطرابات فى بلاد المغرب ، فى البلاد التي كانت قد تخلصت من النفوذ الفاطمي ودخلت فى طاعة الامويين . ويرجع مصدر هذه الاضطرابات الى ظهور الحسن بن كنون الادريسي مرة ثانية ، ويعمل لحساب الفاطميين بعد ان امدوه بالمـال والرجال والسـلاح ، حتى يرجعوا بلاد المغـرب كلها الى سلطانهم .

ولكن المنصور اسرع بارسال جيشه الذى هزم ابن كنون واحضره الى « قرطبة » على أمان مـن المنصور ، فلما رآه المنصور ضرب عنقه ، ولـم ينفذ امانه ولم يوف بعهده ، فاثر ذلك فى نفوس عامة الناس والفقهاء ، فاظهروا ، سخطهم عليه ، ووصفوه بالظلم والقسوة ونقض العهد ، وثـار الراى كله ضده ، ففكر فى شيء جديد يزيل بـه غضب الناس عليه ، فلم يجد امامه سوى أن يضيف مساحة كبيرة الى مسجـد « قرطبة » ، فاشترى الدور المجاورة للمسجد باضعاف اثمانها ، واستخدم الاسرى فى البناء وحفر الاساس ، وعمل بنفسه مع العمال . كان ينقل الحجارة ، حـتى نسى الناس ما حدث منه ، وزال غضبهم عنـه ، وقالوا : ان المنصور اعلى كلمة الله حقا ، واعز دينـه .

المنصور ودول الشمال

لم يكد المنصور يفرغ من تحسين موقفه امام الناس بعد غدره بابن كنون الادريسي ، بالعمل الجدى فى اتمام العمارة فى مسجد « قرطبة » ، حتى فوجيء بثورة جامحة يقودها ملك « ليـون » ، ضد المسلمين المقيمين فى الشمال ، ويطردهم من ارضهم وديارهم ، ويستولى على ممتلكاتهم ، فثارت ثائرة المنصور عندما وصلته انباء هذه الثورة ، وصمم على ان يعطى ملك « ليون » درسا قاسيا يبقى فى ذهنه على مر الايـام ، وليثبت لـه ان الحكومة الاسلامية فى « قرطبة » قادرة على أن تحمى ارضها وحدودها ورعاياها ، وتكفل لهم السـلم والامن ، فزحف بجيشه على مملكة « ليـون » التى سقطت بلادها الواحدة تلو الاخرى ، مستسلمة خاضعة ، ولم يترك حصنا او قلعة بدون تخريب وهدم وازالة ، ثم حاصر بجنوده مدينة « ليون » ولم يتركها الا انقاضا ، واعلن امراء وحكام الدول الشمالية الدخول فى طاعة الحكومة الاسلاميـة من جـديـد .

ابن المنصور يتآمر ضده

وبينما المنصور تمر فى خياله صورة الاستقبال الرائع الذى سيلقاه عند وصوله الى العاصمـة « قرطبة » اذا به يجد نفسه امام مؤامرة علـى رأسها ابنه عبدالله ومعه ثائر آخر ، هو عبدالرحمن ابن مطرف التجيبى حاكم الحدود . وعقد الثائران فيما بينهما اتفاقا يكون بمقتضاه عبد الله حاكم

الجنوب ، وعبد الرحمن حاكم الشمال ، وانضم اليهما كثير من رجال الدولة الناقمين علىالمنصور والحاقدين عليه ، ومنهم حاكم « طليطلة » ، فلم ير المنصور فى احباط هذه المؤامرة الواسعة الا الاعتماد على دهائه ، فاعد العدة لذلك بطريقته الناعمة ، وعزيمته الهادئة ، فكان أول تصرف عمله هو عزل عبد الرحمن التجيبي من منصبه ، ثم اخذ يسترضى ابنه عبد الله ، فلم يستمع لنداء والده ، وفر الى امير « قشتاله » ، وطلب اعتباره لاجئا سياسيا .

غير ان المنصور لم يكن بالرجل الذى تثنيه عن غايته صعاب او عقبات ، فهو واسع الحيلة ، ولن يعجز عن الوصول الى مايريد .

وجه المنصور جيوشه صوب « قشتالة »وضرب حولها حصارا شديدا عنيفا ، مما اضطر اميرها لقبول الصلح الذى كان من اول شروطه تسليم عبد الله للمنصور . وقتله المنصور على الفور ، خوفا على استقلال الدولة وحفظا لها من التفكك، كما قتل عبد الرحمن التجيبى قبله .

ولم يقنع المنصور بما حدث ، بل اراد انيكون جزاء امير « قشتالة » من نفس ما حدث له ، فحرض ابن الامير على ان يقوم بثورة ضد والده، ووعده بالمساعدة ، ودخلت جيوش المنصور تساعد ابن الامير ، واستمرت المعارك حتى أسر امير « قشتاله » وقتل ، وتولى ابنه مكانه على ان يدفع جزية سنوية للمسلمين .

شخصية المنصور وقوته في الدولة

لم تر الدول الشمالية رجلا اقسى عليهم ، مصرا على دحرهم وقهرهم مثلما راوا من بطش المنصور ، وقوته ، وجبروته ، فقد جعلهم شغله الشاغل ، حتى غزا فى حياته ستا وخمسين غزوة، لم تنكس له فيها راية ، ولا هزم له جيش ، ولاهلكت له سرية ، فقد كان موفقا منتصرا فى كل غزوة غزاها .

اتخذ لنفسه سياسة نجح تماما فى تنفيذها ، وجنى ثمرتها بيديه ، حتى اوصلته الى اعلى مناصب الدولة ، وملأ قلوب اعدائه رهبة وخوفا، ونجح ايضا فى ان يجعل الخليفة هشاما بمعزل عن شئون الدولة ، فهشام فى القصر يستمتع بملذاته ، ويلهو مع جواريه وغلمانه . لقد حجر عليه المنصور حجرا كاملا . فلا يتصل به أحد من رجال الدولة ، ولايتصل هو بأحد ، وكم من مؤامرة حيكت ضده ! وكان مصيرها الفشل .

كانت السيدة « صبح » والدة الخليفة هشام ـ هي التي اوصلت المنصور الى ما وصل اليه من العظمة والسلطان ، حتى سرت اشاعة بين الناس ان بينهما قصة حب ـ قد غيرت رأيها فيه ، بعد أن رأته استبد بالامر ، وحجب ابنها عن الناس ، وجعله اشبه بالمسجون ، فأرادت أن تقضى على نفوذه وسلطانه ، فلم تنجح فى مسعاها ، ولم توفق اطلاقا فيما دبرت ضده من مؤامرات .

وبرغم الحجر الذى فرضه المنصور علىالخليفة، فانه لم يأمن على نفسه ان يقيم فى القصر الذى يقيم فيه الخليفه ، فابتنى له مدينة سماها « الزاهرة » وشحنها بالسلاح والعتاد والمؤن ، ونقل اليها خزائن الاموال ، ودواوين الحكم ، ووضع جواسيسه حول قصر الخلافة ، فلا يدخله احد الابعلمه ، وأمر بان يُحيّا بتحية الملوك ، وسمى نفسه « الحاجب المنصور » ، ونفذت الكتب والمخاطبات والاوامر باسمه ، وامر بالدعاء له عقب الدعاء للخليفة وكتب اسمه فى السكة وعلى الطراز ، حتى اصبحت الدولة كلها باسمه، ولاتعلم شيئا عن الخليفة هشام .

وقد القى الرعب في قلوب الولايات الافريقية ، وبعث اليها بالجيوش الجرارة ، وساعده على احراز النصر انشغال الفاطميين بفتحهم الجديد لمصر ، فكما كان سوطه يسكت الثوار فى شمال « افريقية » ، كان سيفه يحصد الخارجين عليه من الدول الشمالية فى « الاندلس » .

ولما راى المنصور ان نفوذه قد تمكن في الدولة ، واصبحت البلاد كلها في يده ، يصرفها بحزمه وعزمه ، جاشت في نفسه آمال كبيرة ، وطافت في ذهنه فكرة التغلب على الدولة الفاطمية واحتلال اراضيها ، ولقد كشف المنصور عن حلمه وامله في شعره ، يقول :

منع العين ان تذوق المناما
حبها أن ترى الصفا والمقاما
لى ديون بالشرق عند اناس
قد أحلوا بالمشعرين الحراما

أن تغـزوها نالوا الأمـاني والا
جعلـوا دونهـا رقابـا وهامـا
عـن قريـب ترى خيول هشـام
يبلغ النيـلَ خطوُها والشـاما

أعماله الادارية

كان المنصور يشرف على كل قسم من اقسام الادارة في الدولة بعين لايغر منها شيء ، وقد شق طريقه على اشلاء خصومه واعدائه . وعندما بلغ غايته ووصل الى ما يريده ، استغل سلطته ونفوذه لمصلحة الشعب والدولة ، ولم يعرف في التاريخ الاسلامي كله من كان اداب على العمل منه ، كان يعمل اكثر اليوم في خدمة الدولة ، وتفقد امورها بنفسه ، ويقبض على ناصية الحكم بيد قوية ، وارادة حديدية ، وثبات لايتزعزع .

كان مرة جالسا مع وزرائه يتحدثون في بعض الشئون العامة ، اذ اشتم من بالمجلس رائحة لحم يشوى ، وظهر لهم بعد ذلك ان المنصور كان قد احضر معه كواء لكى ساقه ، بينما كان يناقش زملاءه في هدوء وسكينة ، الا يعتبر هذا الدليل الكافي على حرصه على مصلحة الشعب وتفانيه في خدمة الدولة .

ولقد وكل مهام الدولة الى رجال ممن يثق بهم ثقة مطلقة ، وراح يراقب اعمالهم بنفسه ، وبث عيونه في كل ناحية ليكون على علم بكـل صغيرة وكبيرة في الدولة ، والى جانب هذا كان يقود جيشه في ميادين القتال بنفسه ، فلم يعرف اداري احزم منه في تاريخ « الاندلس » ، ولا اقدر على مزاولة العمل بهذا الشكل .

أعماله الحربية

قام المنصـور بأعمال حربية بدا فيها قائدا ممتازا ، فقد نظم الجيش تنظيما دقيقا ، وكان في نظامه شديدا قاسيا ، كان يستعرض جيشه في يوم من الايام ، فرأى ومضة تصل في صفوف الفرسان ، فامر بالجندى فاخرج ، فلما ساله عن حركته أجاب بان سيفه لم يكن مستقرا في قرابه ، فاراد أن يصلحه ، فامر به المنصور فقتل بسيفه الذى كان يحمله . وقد يعتبر هذا صرامة من المنصور ، ولكنه كان يرى في النظام اساس النجاح ، وفي غير امور النظام والتدريب فهو الاب الرحيم الحنون لجنوده ، ما داموا يحسنون القتـال ، ويفطنون ما يؤمرون ، ويحققـون الانتصارات للدولة ، ويرفعون من هيبتها في عيون الاعداء .

وكان تاثيره في جنوده لايحد : كان مرة في خيمته ، فرأى جنوده يفرون في ذعر ، واعداؤهم في أعقابهم ، فرمى بنفسه من كرسيه ، وقـذف بخوذته بعيدا ، وجلس فوق التراب ، ففهم جنوده ما أبداه من علامات اليأس ، فعادوا أدراجهم ، وهجموا على أعدائهم ، وتتبعوا الفارين الى شوارع « ليون » .

المنصور في مظهره الديني

كان المنصور عادلا في رعيته ، يحترم القضاء ولا يحاول أن يغير من اتجاهه مهما كان الامر ، بل كان يتحرى الحق بين الخصوم ، وبلغ من شدة تدينه ، أن كتب مصحفا بخط يده ، كان يحمله معه في غزواته التى غزاها تبركا به . كما بلغت به قوة رجائه في الله انه كان يعنى بجمع ما يعلق في وجهه وفي ثيابه من الغبار في الغزوات، حتى اجتمع له من هذا الغبار مقدار كبير ، كان يحمله معه مع كفنه توقعا لحلول منيته .

وتجمع روايات المؤرخين على انه اتخذ كفنه من أطيب ماله ، وكان ضيعة موروثة له عن أبيه ، ومن غزل بناته ، وكان يسأل الله دائما أن يتوفاه في طريق الجهاد او في ميدان القتال .

العمارة في عهده

كان المنصور محبا لتقليد الخلفاء والامـراء الامويين ، بل ربما كان ميـالا الى منافسـتهم والتفوق عليهم ، لذا اهتم بالانشاء والتعمير مثلهم، فبنى مدينة « الزاهرة » ، ليضارع بها مدينـة « الزهراء » التى بناها عبد الرحمن الناصر ، والتى كانت مقر الخليفة الاسمى هشام ، وكانت المدينة في مبدأ أمرها صغيرة ، فلما انتقل اليها بمظاهر الملك والادارة ، اقطع ما حولها للوزراء ، والكتاب ، والقواد ، والحجاب ، فشيدوا من الدور والقصور ما كملت به زينة المدينة واتسعت به مساحتها .

وانشا المنصور كذلك المنشية العامرية ، وجملها بالبساتين الرائعة ، والقصور الفخمة ، ليباهي بها المنى التى انشاها امراء بنى امية ، كمنشية الرصافة التى كان قد اقامها عبد الرحمن الداخل.

وكمثل ما زاد امراء بنى امية وخلفاؤهم فى مسجد « قرطبة » الجامع ، زاد فيه المنصور زيادات كبيرة ، وادخل عليه عدة اصلاحات قيمة ، ربما فاقت ما عمله بعض الامويين انفسهم . وبنى ايضا من القناطر قنطرة « قرطبة » ، وقنطرة على نهر « استجه » قرب بها الاماكن البعيدة ، وانفق فى ذلك مبالغ طائلة .

وفـــاته

وفي سنة ٣٩٢هـ مات المنصور بن ابى عامر فى اثناء عودته من غزو « قشتالة » ، ودفن بمدينة « سالم » في الشمال الغربي من « الاندلس » بعد أن كفن بكفنه الذى كان يحمله معه،وذُرَّ عليه التراب الذى كان يجمعه مما تخلف على جسمه من آثار تلك الغزوات العديدة ، وأوصى بأن يكتب على قبره .

آثاره تنبيك عن أخباره
حتى كأنك بالعيان تراه
تالله لا يأتي الزمان بمثله
أبدا ولا يحمى الثغور سواه

وتنفس نصارى الشمال الصعداء لموته ، ودل على هذا الارتياح عبارة موجزة دونها احد الرهبان في تقويمه : « في سنة ١٠٠٢ مات المنصور ، ودفن في الجحيم » ، ومن هذا نستنتج مقدار ما تكبدوه من هزائم على يديه ومقدار راحتهم لموته .

المنصور : ما له وما عليه

يجب أن يكون مفهوما في عرف التاريخ ان المعايير الخلقية لا يجب أن تلتزم أو ينظر اليها بعين الاعتبار في الاساليب السياسية ، فـاذا اخذنا على المنصور أسلوبه في المكر والخداع ، وطريقته في الغدر والايقاع بخصومه ، فان ذلك يعتبر كمالا فى المقدرة السياسية في عرف السياسيين ، وان كان من الناحية الاخلاقية يعتبر نقصا فاحشا ، والمنصور نجح بهذه الطريقة في سياسته التى اتبعها .

وان عيب على المنصور قسوته الشديدة في انتقامه من خصومه ، فنستطيع أن نبرر ذلك بانه كان يرغب في أن يمكن لنفسه حتى يخيف من يحاول الخروج عليه ، او القيام بثورة ضده .

وفى رأيي اننا لا يجب أن نحاسب المنصور الا من ناحية معاملته لرعيته ، وهو من هذه الناحية قد شهد له التاريخ بالعدالة ، والشجاعة ، والمروءة ، وتوفير أسباب السعادة لجميع الناس ، بدون تحيز لدين أو جنس أو عصبية ، ولقد بلغت الدولة في عهده ما لم تبلغه في اى عهد آخر ، من المهابة في الخارج ، والرفاهية في الداخل ، وهذا هو المقياس السليم في الحكم على الشخصيات التاريخية .

لقد وصل المنصور بـ « الاندلس » الى قمة من العز والقوة والصولة تبعد عن أى خيال ، فقد أدت الانتصارات المتتالية الكثيرة الى وفرة الغنائم ، وكثرة الثروات ، وادى الامن الخارجي والاستقرار الداخلي الى رواج التجارة ، ورقي الصناعة ، وازدهار الزراعة ، مما أدى الى النهوض بالمستوى الاقتصادى للبلاد ، وزيادة الدخل القومي ، وارتفاع مستوى المعيشة ، وأصبحت الدولة الاسلامية فى بلاد الاندلس عبارة عن مجتمع يسوده الاستقرار والثراء والحضارة ، وكان المنصور يعتز بما وصل اليه من سلطان ونفوذ وسيادة وفخار . يقول عن نفسه :

رميت بنفسي هول كل عظيمة
وخاطرت والحرُّ الكريم يخاطر
وما صاحبى الا جَنَانٌ مشيع
وأسمرُ خَطِّيٌّ وأبيضُ باتر
فسُدْتُ بنفسي أهل كل سيادة
وفاخرت حتى لم أجد من أفاخر
وما شدت بنيانا ولكن زيادة
على ما بنى عبد المليك وعامر
رفعنا المعالى بالعوالى مثلها
وأورثناها فى القديم معافر

■■

محمد رجاء حنفى عبد المتجلى

مواقف رجال

الحارث بن مسكين

بقلم: عبد الستار احمد فراج

■من الذين يعدون في قمة الرجال تمسكا بالحق وارضاء لله ابو عمرو الحارث بن مسكين بن محمد ابن يوسف ، من اهل مصر ، وهو من الموالى وكان ولاؤه لبعض بنى امية . وقد حدث ببغداد ومصر ، وروى عنه جماعة من كبار رجال الحديث ، وقالوا عنه : انه كان عدلا في قضائه ، محمودا في سيرته ، ولد سنة ١٥٤ او ١٥٥ وتوفي سنة ٢٥٠ .

قصته

قدم الخليفة المأمون الى مصر في سنة ٢١٧ وكانت قبل ذلك في مصر ثورة على ولاة المأمون ، حدثت في سنة ٢١٦ يقول الكندى صاحب ولاة مصر وقضاتها :

« ثم انتقضت - اى ثارت - اسفل الارض كلها - يعنى الوجه البحرى - عربها وقبطها ، في جمادى الاولى سنة ٢١٦ وأخرجوا العمال وخالفوا الطاعة ، وكان ذلك لسوء سيرة العمال » .

وكان الوالى على مصر هو عيسى بن منصور . فسخط عليه المأمون حين وصل . وامر بحلّ لوائه وقال : « لم يكن هذا الحدث العظيم الا عن فعلك وفعل عمالك ، حملتم الناس ما لا يطيقون وكتمتموني الخبر حتى تفاقم الامر واضطربت البلاد » .

والمهم ان المأمون حين قدم الى مصر تلقاه الناس « بالقرَصَنَا » ليرفعوا اليه شكاواهم من بعض العمال . فدسّ الفضل بن مروان - وهو يومئذ وزير المأمون - قوما يثنون على عمال المأمون على مصر ، ليقع التعارض بين شهادة الشاكين وشهادة المدسوسين من جهة الفضل بن مروان - ويذكر في بعض المراجع انه الفضل بن الربيع وهو خطأ - وجلس الفضل بن مروان في الجامع .

وكان الحارث بن مسكين قد استدعى لكى يولوه منصب القضاء بمصر، فبينما هو عند الفضل ابن مروان وهو يكلمه لتولى القضاء قال احد المتظلمين من العمال للفضل بن مروان : سل - أصلحك الله - الحارث عن ابن اسباط وابن تميم - وكانا من عمال المأمون في مصر من الذين تظلم منهم الناس . فقال الفضل للمتظلم : ليس لهذا أحضرنا الحارث بن مسكين : فالح المتظلم في طلبه ان يسأل الحارث عن ابن اسباط وابن تميم، فاضطر الفضل بن مروان الى سؤال الحارث قائلا له : ما تقول في هذين الرجلين - يعنى ابن اسباط وابن تميم- فطلب الحارث ان يعفى من الجواب، ولكن الفضل كرر عليه السؤال مرتين آخريين . وفي ظنه ان الحارث سيجامل العمال ويجامل الوزير .

لا مجاملة في الحق

ولم يتوقف الحارث عن ذكر ما يعتقده ، وما كان يسمع به من اعمالهما، ولم ينظر الى ان منصب القضاء المعروض عليه ، وقد يعدّه بعض الناس هذا المنصب شرفا وفخارا ، يقتضى بعض المجاملة للحاكمين . فقال الحارث : هما ظالمان غاشمان . وصدم الفضل بن مروان وقال للحارث : ليس لهذا احضرناك . واضطرب الناس الموجودون في

المسجد ما بين فرحين بانتصار الحارث لهم وتأييده لشكاواهم وبين مغمومين من اتباع للعمال الظالمين فوجئوا بما لم يتوقعوا . لكن الاكثرية كانوا من الشاكين الثائرين . فقام الفضل بن مروان وسار الى الخليفة المأمون ودخل عليه وقال له : لقد خشيت على نفسي من ثوران الناس مع الحارث . فارسل المأمون الى الحارث بن مسكين يستدعيه فحضر . فاعاد المأمون عليه المسالة عن ابن تميم وابن اسباط،فقال الحارث : هما ظالمان غاشمان.

ولعل المأمون كان يتوقع ان يتراجع الحارث في حضرته وهو الخليفة بعد ان رأى الوزير ينصرف غاضبا غير قابل طعنه في هذين العاملين .

هل ظلماك ؟

واحب المأمون ان يغلب الحارث بالمحاجة فقال له : هل ظلماك في شيء ؟ قال : لا . قال : فهل عاملتهما ؟ قال : لا ، قال فكيف شهدت عليهما ؟ قال : شهدت عليهما كما شهدت انك امير المؤمنين ولم ارك الا الساعة ، وكما شهدت انك غزوت ولم احضر غزوك .

وفوجيء المأمون بهذا الرد المفحم والتحدي السافر ، فاخذته عزة الخليفة الحاكم وغلبته نشوة السطوة فقال للحارث : اخرج من هذه البلاد ، فليست لك ببلاد ، واجمع قليلك وكثيرك وبيعه ، فانك لا تبقى فيها أبدا . وحبسه في خيمة .

عودة للمحاجة وانفعال

ثم ان المأمون رحل الى الفسطاط ــ مصر القديمة الآن ــ ثم خرج الى بعض الوجه البحرى بسبب الثورة التي كانت قائمة فيه واخذ معه الحارث بن مسكين . فلما انتصر المأمون على الخارجين عليه احضر الحارث ، فلما دخل عليه سأله عما سبق سؤاله عنه وكان جواب الحارث السابق ما زال يحز في نفس المأمون . ولم يتغير رد الحارث وجوابه ، بل قرر ان ابن تميم وابن اسباط ظالمان غاشمان . فاراد المأمون ان يحرج الحارث اشد الحرج فقال له : ما تقول في خروجنا هذا ؟ يعني بذلك حربه للخارجين عليه . فقال الحارث : أخبرني عبد الرحمن بن القاسم عن مالك (بن أنس) ان الرشيد كتب اليه يسأله عن قتال اهل « دَهْلَك » . فقال مالك في جوابه الى الرشيد : ان كانوا خرجوا بسبب ظلم من السلطان فلا يحل قتالهم . وان كانوا انما شقوا عصا الطاعة فقتالهم حلال .

ومع أن ردّ الحارث ما هو الا استشهاد بقول غيره ، فان المأمون تملكه الغضب وخرج عن وقاره فاجاب بجواب قبيح سبّ فيه الحارث وسبّ الامام مالكا ، واخذ يعدّد للحارث ذنوبه ، ومن جملتها ان الفضل بن مروان عرض عليه القضاء فامتنع ، وانه من موالي بني امية ، فهو اذن من موالي خصوم بني العباس . وكان من جملة قوله له : يا ساعي . فقال الحارث : لست بساعٍ ، وان اذن امير المؤمنين في الكلام تكلمت . قال : تكلم . قال : والله يا امير المؤمنين ما انا بساع ، ولكني أحضرت وسمعت واطعت حين دُعيت ، ثم سُئلت عن امر فاستعفيت فلم أُعْفَ ــ ثلاث مرات ــ فلما رأيت انه لا بد لى من الكلام كان الحق آثر عندى من غيره .

ارحل الى مدينة السلام

والمأمون الذى عاقب واليه على مصر عيسى ابن منصور وقال له : لم يكن هذا الحدث العظيم الا من فعلك وفعل عمالك ، لم تطب نفسه أن ينتصر الحارث بن مسكين عليه ، ولم يتّه الى أن الحارث رجل يميل الى الحق ولا يقصد غيره ، بل ساورته الريبة فيه وقال : هذا رجل أراد أن يُرفَع له عَلَم" في بلده ــ يقصد ان الحارث انما اراد السمعة بين أهل مصر ليلتفوا حوله . وقد حفظ الله الحارث من بطش المأمون فلم يقتله ذلك ان احد جلسائه وهو ابو صالح الحراني رجاه أن يغفر له زلته . فكان عقاب المأمون ان قال له : ارحل عن مصر . فرجا الحارث أن يكون رحيله الى موضع يكون له فيه ثواب الجهاد بالمرابطة في احد الثغور . ولكن المأمون لم يأذن له في ذلك بل أراد ان يجعله تحت سمع الدولة وبصرها ، في مكان لا يجد له فيه نصيرا ، فقال له ارحل الى مدينة السلام يعني بغداد .

ان القاضي أحمد بن أبي دُواد الذى كان له في دولة المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل سلطان وقبول يقدر موقف الحارث بن مسكين ويعجب به، فيقول في حديثه مع بعض اصدقائه من أهل مصر : لقد قام حارثكم مقام الانبياء .

رجع الحارث وتولى منصب القضاء في مصر

وسافر الحارث الى بغداد ، وهناك صار له مع العلماء مجالس وأحاديث ورواية والفة . وظل

بالعراق اكثر من اربع عشرة سنة،ومات المأمون في سنة ٢١٨ وتولى المعتصم وما زال امر ابعاد الحارث نافذا ، حتى مات المعتصم في سنة ٢٢٧ ثم تولى الواثق وظل امر الابعاد الى سنة ٢٣٢ . وفي احدى المرات ذكر احمد بن ابى دواد خبر الحارث للخليفة الواثق ، وكان احمد بن ابى دواد هو قاضي القضاة بالعراق ، فقال الواثق ما ظننت انه حي . فقال ابن ابى دواد انه حي باق . فامر الواثق ان يحمل الى « سُرَّ من رأى » فشفع فيه احمد بن ابى دُواد وقال : هو شيخ كبير ، وكثرة الحركة تثقل عليه ، واخاف ان يموت . قال فاكتب اليه يتوجه حيث شاء .

فانصرف الحارث الى وطنه مصر سنة ٢٣٢ ، فلما مات الواثق وتولى الخلافة جعفر المتوكل ، بعث الى الحارث بن مسكين يوليه قضاء مصر ، وذلك كان في سنة ٢٣٧ اى بعد رجوعه بخمس سنوات ، وحين اتى كتاب الخليفة جعفر المتوكل بتولية الحارث قضاء مصر ، كان الحارث بالاسكندرية . فلما قرأ الكتاب امتنع عن تولى القضاء ، فاجبره اصحابه على ذلك ، وشرطوا له ان يعينوه في عمله فقدم الى الفسطاط ــ مصر القديمة الآن ــ وجلس في مجلس الحكم في الجامع يوم الاثنين العاشر من جمادى الاولى سنة ٢٣٧ .

استعفاء

وظل في منصبه قاضيا الى سنة ٢٤٥ حيث استعفى من القضاء ، لانه كان قد حكم في مسألة من مسائل الوقف على رأى مذهب الامام مالك ، فشكاه بعض من لم ينتفعوا من الوقف الى الخليفة المتوكل . فحول المتوكل المسألة الى الفقهاء ، وهم على مذهب الامام ابى حنيفة . فافتوا بما يخالف ما افتى به الحارث بن مسكين اذ خطئوه ونقضوا حكمه ، فاستعفى لذلك الحارث فاعفى ، فكان امد قضائه سبع سنين وعشرة اشهر واياما، من يوم ان تولى في العاشر من جمادى الاولى سنة ٢٣٧ الى ان اعفى بورود الكتاب بقبول استعفائه في الثالث والعشرين من ربيع الاخر سنة ٢٤٥ .

وجاء في كتاب اعفائه ما يأتي « انتهى الى امير المؤمنين ان كتابا وصل باستعفائك فيما تقلدت من القضاء بمصر . فامر ــ أيده الله ــ باجابتك الى ذلك ، واعفائك فيما تقلدت منه ، اسعافا لك فيما سألت،وتفضلا لما آذى لموافقتك فيه . فرأيك ابقاك الله في معرفة ذلك والعمل على حسبه .

حكم ضد « السيدة »

على ان الحارث كانت له صدمة في أمور القضاء مما كان يجرى مثله او اكثر من تصرف الحاكمين ومن حولهم ومن وكلائهم ووكلاء اقاربهم .

ذلك ان أم الخليفة او امرأته ، ولا يذكرونها الا بلفظ « السيدة » كانت لها دُورٌ في مصر ، ثم ان جماعة تقدموا بالخصومة ضد وكيل السيدة زوج الخليفة او امه ــ في دار من دورها . وكان القاضي اذ ذاك هو الحارث بن مسكين . فحكم الحارث على وكيل السيدة باخراج الدار من وكالته ، وتسليمها الى خصمه . فرفع الوكيل الامر الى العراق ، يبلغ ما حكم به الحارث بن مسكين ، فجاء الكتاب من العراق وقد كتبه احمد بن الخصيب بتاريخ يوم الاثنين الخامس من ربيع الآخر سنة ٢٤٠ موجها الى عنبسة بن اسحاق والي مصر . اى بعد تولى الحارث بثلاث سنين ، ومما يذكر ان احمد بن الخصيب تولى الوزارة بعد ذلك للخليفة المنتصر .

ونص في الخطاب ما يأتي .

« ذكر الفضل بن مروان ان الحارث بن مسكين لم يزل معروفا بالانحراف عن السلطان ، والمباعدة لأسبابه ــ اى اتباعه ــ في ايام المأمون ، وأن أمير المؤمنين أيده الله امر ان يكتب اليك ما رفع الفضل بن مروان من ذلك ، وأن يعلم الحارث ان مقام وكلاء أمير المؤمنين (٢) في ضياعها ودورها ومستغلاتها بمصر،بمقام من يحوطها ويجبى أموالها. ويأمر بردّ الدار التى كانت في أيديهم المعروفة بعليّ بن عبد الرحمن الموصليّ الى ايديهم ، كما كانت قبل عرضه فيها . وترك النظر في شيء مما في يدى وكلاء أمير المؤمنين من الضياع والدور وغلات مصر ، والاعتراض على أولئك الوكلاء بما يوهن امرهم او يطمع في شيء مما في ايديهم من حقوق امير المؤمنين . وتؤمّر بالتقدم الى الحارث في ترك النظر في شيء من تلك الضياع ، والتعرض لما في أيدى الوكلاء منها ، ومنعه من ذلك ان حاوله.

---

(٢) يلاحظ ان في الخطاب حذفا للفظ السيدة وعدم بيان اسمها أو بيان صلتها ومع ان الخطاب يقول وكلاء أمير المؤمنين . يحول الضمير بعد ذلك الى مؤنث .

حزازات وخصومات مذهبية

الحق أن هذا الخطاب يكشف لنا عما كان يدور في تلك الازمان،وما استفحل بعد ذلك من التدخل في أمور القضاء ، وشل" القضاة من النظر في أمور تتصل بالاقارب والوكلاء ، واستغلال الخصومات والحزازات الشخصية ، والدس والوقيعة من المبغضين والحاقدين ، مما جعل كثيرا من العلماء يتجنبون القضاء ، حماية لانفسهم من السخط والاساءة اليهم ، أو التجرؤ على نقض ما حكموا به ان هم حكموا بالعدل او تعرضوا لما هو من املاك الاقارب والاتباع،وما اكثرماكانوا يظلمون،وينتهبون، ثم يجدون في الخليفة على ضعفه وممن حوله حماية لهم واقرارا لافعالهم .

والفضل بن مروان الذى مات سنة ٢٥٠ لم ينس ما كان من موقف الحارث بن مسكين حين اجتماعه به في مسجد « الفرما » وثوران الناس ضده حينما شهد الحارث بالحق ، وقرر ان العاملين ظالمان غاشمان ، ولهذا جاء في أول الخطاب الاستشهاد بما ذكره الفضل بن مروان أن الحارث بن مسكين لم يزل معروفا بالانحراف عن السلطان والمباعدة لاسبابه في أيام المأمون، وبين الموقف السابق وبين هذا الخطاب مدة زادت على العشرين عاما ، أما داء الخلافات المذهبية من أيام المأمون حين ظهرت فتنة القول بخلق القرآن وامتحان العلماء وضربهم وتعذيبهم ان خالفوا ، ونفيهم ومصادرتهم وعزلهم ، وفعل كل ما يسىء اليهم حتى يصل الامر الى القتل فقد ملأ القلوب حقدا وبعثها على الانتقام .

من اعمال الحارث

ثم ان اتباع المذهب السنى نفسه من مالكية وشافعية واحناف وحنابلة ، استشرى الخلاف بينهم ، فكان القاضى المالكى مثلا لا يقبل راى الشافعى او الحنفى ، واذا تولى المتبع" لمذهب منصبا في القضاء ابعد العاملين معه من اصحاب المذاهب الاخرى،ولقد كان للحارث بن مسكين في ذلك نصيب مما وقع على مخالفيه من أصحاب المذاهب الاخرى .

ومما يذكر للحارث من أعمال الخير أنه أمر بعمارة المسجد الجامع ــ مسجد الفسطاط ــ كما أمر بحفر خليج الاسكندرية،وكانت المصايد يتولاها أحد الناس نظير مبلغ معلوم ، ثم يفرض على كل من يصيد ضريبة معلومة نظير سماحه له بالصيد ، فامر الحارث بن مسكين بالغاء ذلك،وجعل الصيد مباحا للناس .

يدفع من ماله ما لم يحكم به

ولقد كان لامراة عجوز نصيب في دار موروثة ، فاغتصب نصيبها احد اهلها ، فرفعت امرها الى القاضي ، وهو الحارث بن مسكين . وكان لها شاهدان ، أحدهما كان يعتبره الحارث ثقة في شهادته ، فقبل حضوره لأداء الشهادة ، اما الثانى فلم يكن في رأى الحارث ممن تقبل شهادته عنده مع انه كان من خيرة العلماء ، ولهذا لم يقبل حضوره. ولما كان الحكم للعجوز لا يتم الا بشاهدين عدلين وليس للمرأة من يشهد لها غير من قبله ومن لم يقبله ، تقصّى الحارث خَبرها ، فعرف أنها مظلومة ، ومع هذا فالشهادة لم تتم لها ، فبعث جماعة فقوّموا مقدار ما لها من نصيب موروث في الدار المتنازع عليهـا ، فقـدروا قيمة نصيبها بخمسين دينارا ، فدفعها الحارث الى المراة من ماله هو ، حتى لا يضيع حقها بين امتناعه عن قبول شهادة شاهدها الثانى ، وبين عدم استطاعتها احضار شاهد عدل غيره ليتم لها الحكم بنصيبها .

من جاء بعده لم يحاسبه

ومما يذكر ان بكّار بن قتيبة حين قدم من بغداد متوليا قضاء مصر بعد عام من عزل الحارث بن مسكين ، لم يتتبع الحارث َ ولا تتبع اعوانه ، وقال : حارث" في فضله ودينه اعلم باهل بلده منى الى ان يتبين الي" جرحه ــ أى الطعن فيه .

ولقد عاش الحارث خمسة اعوام بعد عزله ، حتى توفي سنة ٢٥٠ وصلى عليه امير مصر . وذلك مما يدل على تقديره ومعرفة عظيم فضله .

ولا يفوتنا ان نذكر أن صاحب كتاب تاريخ بغداد قد أورد بعض ما خالف فيه غيره من المؤرخين ، اذ قال عن الحارث بن مسكين : « حمله المأمون الى بغداد في أيام المحنة ــ أى محنة الفتنة بالقول بخلق القرآن .. والذى ذكرته هو الذى نص عليه اكثر المؤرخين . علما أن اهم ما يؤيد صحة ما قالوه هو أن القاضى احمد بن أبي دواد وهو راس المثيرين لهذه الفتنة كان يحسن ذكر الحارث ويعظمه ويكتب الى ذوى الشأن بمصر موصيا به .

عبد الستار أحمد فراج

أمراض شائعة

التهاب البروستاتة

PROSTATITIS

بقلم : الدكتور ابراهيم القشلان

■ البروستاتة غدة تناسلية توجد تحت المثانة في الذكور ويختلف حجمها مع حالات الشخص ، الا انها في العادة تكون على شكل القلب ، طولها حوالي ٥ر١ بوصة وعرضها ٤/٣ البوصة ، وهي ناعمة الملمس مطاطة التركيب تزن بين ١٦ ــ ٢٤ جراما ، الا انها عندما تتضخم فانها تصل الى ٨٠ جم ، وفي حالات التضخم الشديد قد تصل الى ٤٠٠ او ٥٠٠ جم في الوزن . وغدة البروستاتة تحتوى على الجزء الخلفي من قناة مجرى البول التى يبلغ طولها حوالي ٥ر٢ سم كما تخترقها القناة قاذفة المنى Ejaculatory Duct حيث تتصل مع قناة مجرى البول . ومعنى هذا ان منى الرجل يخرج من حيث يخرج بوله وافراز البروستاتة سائل خفيف لبني اللون يستعمل غذاء للحيوانات المنوية ، كما انه يخفف السائل المنوى .

والتهاب البروستاتة عادة يحدث بين عمر ١٧ــ٤٥ سنة حيث تكون الناحية الجنسية نشيطة ، وقد تكون البروستاتة مصابة بمفردها او تكون مصحوبة بالتهاب الحويصلة المنوية Seminal Vericutis او مؤخرة قناة مجرى البول او عنق المثانة .

وقد يكون الالتهاب حادا او مزمنا ، او يكون هناك احتقان فقط ، او تضخم تدريجي كما يحدث في كبار السن .

وقد ثبت ان التهاب البروستاتة المزمن احد الامراض الشائعة بين الاشخاص البالغين ، فقد قام فريق من الاطباء بفحص البروستاتة لعدد من المرضى العاديين الذين يشكون من امراض مختلفة، فوجدوا ان اكثر من ٥٠٪ كانت عندهم البروستاتة ملتهبة او متضخمة .

أسبابها

١ ــ يحدث التهاب البروستاتة نتيجة التهابات في قناة مجرى البول سواء نتيجة الاصابة بالسيلان او الاصابة بالتهابات اخرى نوعية .

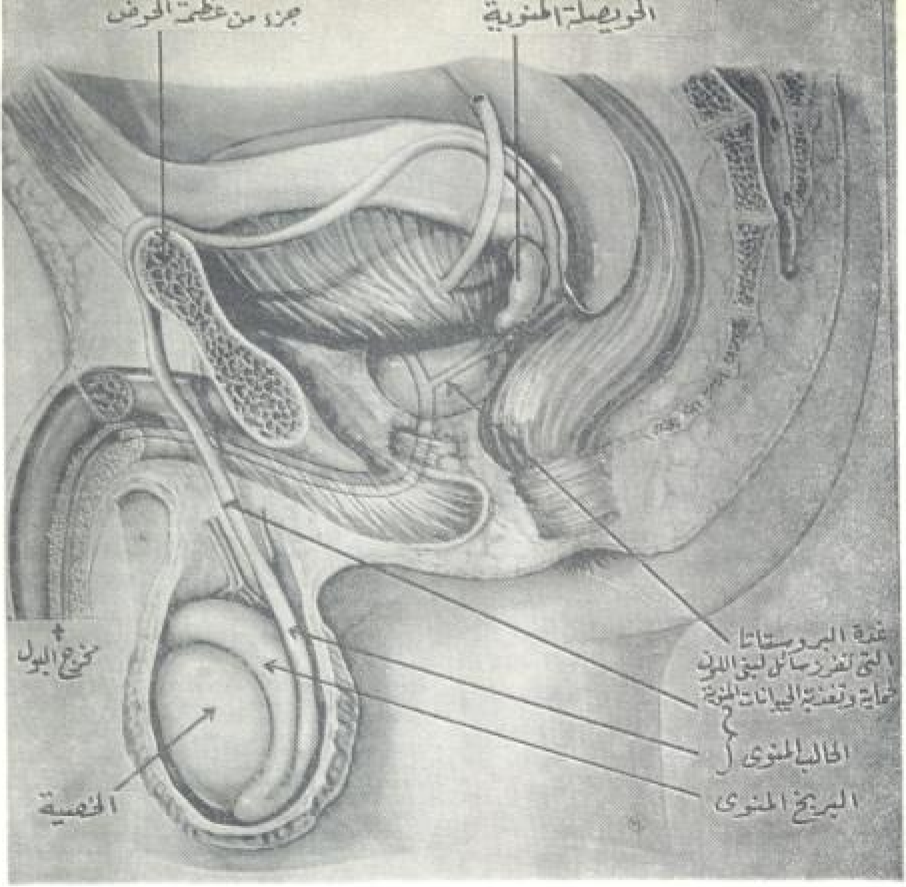
٢ ــ تحدث كالتهاب ثانوى نتيجة اصابة المثانة او الحالب والكلية .

٣ ــ قد تحدث عقب استعمال الات جراحية داخل مجرى البول ، خاصة اذا كانت هناك التهابات في المجرى .

٤ ــ انتشار المرض خلال الاوعية الدموية من اى بؤرة صديدية في الجسم ، مثل التهاب اللوز، او الاسنان ، او الجيوب الانفية ، الى غدة البروستاتة او خلال مرض عام مثل الانفلونزا او التيفويد .

٥ ــ وصول الالتهاب خلال الاوعية الليمفاوية من القولون والاعضاء الاخرى المجاورة .

٦ ــ نادرا ما يمتد المرض للبروستاتة من التهاب البربخ ، والوعاء الناقل للسائل المنوى .



العوامل المهيئة والمساعدة لحدوث المرض

١ ـ الاحتقان المزمن ، لان الاحتقان يقلل المناعة ويزيد من قابليتها لالتقاط العدوى والالتهابات بسهولة . ومن اسباب الاحتقان حبس البول مدة طويلة ، وكثرة الاتصال الجنسي ، وكذلك الكبت الجنسي ، والاكثار من ممارسة العادة السرية، وكثرة استعمال المشروبات الكحولية.

٢ ـ وجود تضخم في البروستاتة ، او حصوة او ورم .

٣ ـ وجود التهابات في المثانة او الحالب او الكلية.

٤ ـ ضيق فتحة التبول او ضيق مجرى البول.

٥ ـ تقلص عنق المثانة .

٦ ـ وجود بؤرة صديدية في الجسم : مثل التهاب اللوز ، او الاسنان ، او الجيوب الانفية.

تضخم البروستاتة في الشيخوخة

ان هذا التضخم يجب ان ينظر اليه كصفة تشريحية خاصة بالعمر تماما مثل بياض الشعر كلما تقدم عمر الانسان، وعادة يحدث هذا التضخم ابتداء من عمر الخمسين حتى انه في معظم الناس نجد البروستاتة متضخمة عند عمر الستين ، ولكن ليس جميعهم يشتكي من المرض، او احتباس في البول ، كما انه لم يعرف حتى الان لماذا تؤثر في شخص اكثر من الاخر ، او ان يصاب بها انسان دون آخر ، وكان الاعتقاد سابقا ان الالتهابات وتصلب الشرايين يؤديان الى تضخم البروستاتة في الشيخوخة ، ولكن هذه الفكرة اهملت الان ، واتضح ان السبب الرئيسي في هذا التضخم التدريجي هو حدوث تغير في نشاط الهرمونات ، وتحدث عادة حين تبدأ القوة الجنسية في الهبوط.

وصف المرض وأعراضه ومضاعفاته

ان تضخم البروستاتة نادرا ما يؤدى الى حدوث اعراض قبل عمر الخمسين ، وعادة تكون الشكوى ناتجة عن انسداد عنق المثانة نتيجة ضغط البروستاتة المتضخمة ، فيشعر المريض بتاخر في بداية التبول ، مع بعض المجهود ، كما ان دفع البول يكون ضعيفا وفي نهاية التبول يخف الضغط تدريجيا،ويقطر البول تلقائيا ، حتى انه قد يلوث ملابسه ، كما يلاحظ المريض كثرة التبول سواء بالنهار او الليل ، معتمدا على كمية البول المتبقية في المثانة بعد التبول لانه كلما زادت كمية هذا البول المتبقى ضعف مجهود المثانة للعمل . واذا حدث التهاب ثانوى فان هذه الشكاوى تزداد ، كما قد يحدث نزول بعض الدم في البول ، نتيجة المجهود او الحزق للتبول ، وتمزق بعض الاوردة عند عنق المثانة .

وتضخم البروستاتة يؤدى الى احتباس البول تدريجيا ، ثم صعوده في الحالب الى الكلية ، مؤديا الى استسقاء في الكلية ، وهذا بدوره يؤدى الى اضطراب وظائف الكلية،وحدوث ارتفاع في ضغط الدم ، كما ان احتباس البول يهيىء الفرصة لحدوث التهابات ثانوية في المثانة والحالب والكلية كما يزيد فرصة تكون الحصى .

آثار احتباس البول

ونتيجة احتباس البول في المثانة والضغط المتزايد داخلها للتبول ، فان سمك جدارها يزداد ليقاوم هذا الضغط المتزايد ، نتيجة ضيق عنق المثانة حتى يصل الى سمك ٢ سم او اكثر كوسيلة طبيعية لتعويض التضخم والضغط حتى يستطيع الشخص ان يتبول كالمعتاد ، ويختلف ذلك من شخص لآخر ، فقد يكون مريض لا يشكو الا من اعراض قليلة بالرغم من التضخم الشديد في البروستاتة ، وآخر تكثر عنده الشكاوى والمتاعب بالرغم من ان التضخم بسيط ، ولذلك ، فانه ليس هناك صلة بين حجم التضخم والاعراض الناتجة،ودرجةالانسداد تقاس لا بحجم البروستاتة ولكن بشدة المرض والاعراض ، وبكمية البول المتبقية في المثانة بعد التبول Residual Urine وبعد حدوث هذه التغيرات في المثانة وجدارها يأتى الوقت الذى لا تستطيع فيه عضلات المثانة الانقباض ، وتكون مجهدة ، ويبدأ البول في البقاء داخل المثانة ، ويزداد تدريجيا ، حتى قد يصل الى ٥٠٠ سنتيمتر مكعبة مؤديا الى الآم واعراض مختلفة ، وقد يحدث احتباس بولى مفاجىء بعد ذلك في اى وقت ، مؤديا الى حدوث آلام شديدة في منطقة المثانة والحوض .

وفي استسقاء الكلية قد يشعر المريض بالم في الكلية اثناء التبول ولكن تزداد الالام والشكاوى في حالة وجود اى التهاب ، وتبدأ المضاعفات الاخرى الشديدة مثل اضطراب وظائف الكلية ، والتسمم البولى الدموى Uraemia مع حدوث اسهال وقيء وهزال .

وفي التشخيص يجب عمل تحاليل للبول واختبارات لوظائف الكلية،ثم عمل قسطرة لقياس كمية البول المتبقية في المثانة بعد التبول ، كذلك عمل اشعة للكلية والمجارى البولية والفحص المنظارى للمثانة لرؤية مدى التضخم في البروستاتة والتغيرات الثانوية في جدار المثانة ووجود التهاب، وكذلك وجود حصوة او سرطان بالمثانة . كما انه يجب التفرقة بين هذا التضخم وتضخم البروستاتة الناتج عن بعض الامراض مثل السل او البلهارسيا او حصوة بالبروستاتة او نتيجة لوجود اكياس او جيوب ، او سرطان بالبروستاتة .

التهاب البروستاتة المزمن

وهو اكثر انتشارا من الالتهاب الحاد ، وقد ثبت ان نسبة كبيرة من البالغين مصابة به والبعض قد يشكو منه في فترات موسمية عند اشتداد البرد مثلا او الارهاق الشديد او السفر الطويل او استعمال المشروبات الكحولية بكثرة .

وصف المرض وظواهره

قد يكون المرض موجودا لعدة سنوات بدون اى ظواهر مرضية ، او شكوى خاصة به ، ويكتشف صدفة عند الفحص العام للجسم في امراض الحساسية او الآلام المفصلية والظهر ، للبحث عن وجود بؤرة صديدية ، وعادة تكون الظواهر ناتجة عن ضغط البروستاتة الملتهبة او المتضخمة على الاجزاء المجاورة ، وكذلك الآلام التى تحدث في اجزاء من الجسم متصلة بنفس العصب، ولكنها بعيدة عن البروستاتة اى ، الم محول Referred Pain تماما مثلما يحدث الم في الكتف مثلا ناتج من الحجاب الحاجز،ولذلك نجد مريض البروستاتة

يشكو من الام واعراض مختلفة سواء في البول او الامعاء او اللمباجو بدون ان يشتكى من البروستاتة نفسها حتى تظهر مضاعفات شديدة مثل تقلص او انسداد عنق المثانة او بولينا في الدم ولذلك فاننا نسمى ذلك Silent Prostatism وعدم وجود بروستاتة متضخمة في هذه الحالة لا يعنى انها ليست السبب ، لانه بعد التضخم يحدث تليف نتيجة الالتهاب المزمن مؤديا الى هذه المضاعفات الشديدة .

وقد تؤدى البروستاتة الى عدم الشهية للاكل والم في المعدة والقيء بالرغم من عدم وجود عوارض في البول ولذلك يسميها البعض سوء هضم بروستاتى Protatic Dyspesia وكثير من هذه الحالات بعد عمل التحاليل والفحوصات اللازمة للمعدة والامعاء توجد سليمة ، فيشخصها الطبيب انها حالات نفسية او عصبية بينما هى في الحقيقة ناتجة عن البروستاتة .

اعراض اخرى

وقد يشعر المريض بالم وعدم ارتياح في منطقة العجان وقد يصل الالم الى الفخذ او الخصية او المثانة او اسفل الظهر ، وقد لوحظ ان كثيرا من المرضى المصابين بالم في مؤخرة الظهر يأخذ علاجات مختلفة ، والبعض منهم قد ينصح باستئصال اللوز او خلع الاسنان الملتهبة ، ومع ذلك لا يشفى المريض ، وبالكشف على البروستاتة توجد ملتهبة ، وانها هى السبب . ويمكن عمل اختبار علاجى Therapeutic Test بتدليك البروستاتة ، فاذا خفت حدة الالم كان معنى ذلك انه ناتج عن البروستاتة . كما ان المريض قد يشكو من عدم التبول بارتياح ، او كثرة التبول ، والاحساس بحرقان ، واحيانا يصاحب ذلك خروج افراز في الصباح على شكل قطرة بسيطة Mornig Drop .

وقد يشتكى المريض من حالات الملل والضيق النفسي وعدم الشعور بالراحة ، والقلق وعدم النوم ، وسوء الهضم ، والامساك والخمول ، والخوف من حدوث الضعف الجنسي ، والملل من الحياة وتتأثر شخصية الشخص وحساسيته مع عدم القدرة على التركيز وضعف الذاكرة ، كما ان التهاب البروستاتة قد يؤدى الى الاحتلام بالليل ، وسرعة القذف ، والم اثناء القذف ، ووجود دم في السائل المنوى ، وعدم الرغبة في الجنس ، ثم الى الضعف الجنسي .

وقد تكون هناك ظواهر مشابهة لظواهر التهاب البروستاتة ، مثل التهاب البول ، او احتباس في البول مؤديا الى الام في الظهر ، ولكن بالفحص نجد البروستاتة سليمة .

وعندما تهمل البروستاتة الملتهبة فانها تصبح كبؤرة صديدية في الجسم مؤدية الى التهابات بالمفاصل ، والام روماتزمية والتهابات بالاعصاب ، والتهابات بالعين والام في البطن والظهر ، كما تؤدى الى بعض الامراض الجلدية مثل الارتكاريا ، والالتهابات الجلدية العصبية والطفح المتعدد الشكل ، ولذلك فانه في امراض الحساسية المزمنة وفي التهاب المفاصل نبحث دائما عن وجود بؤرة صديدية في الجسم بما في ذلك البروستاتة .

والمشتكى من الم الظهر قد يكون الالم ناتجا بعد مجهود عضلى مثلا ، لذا لا يفكر في البروستاتة على انها السبب ، ولكن ذلك المجهود العضلى قد يؤدى الى زيادة الضغط في الحوض، وبالتالى زيادة احتقان البروستاتة ، وزيادة الضغط على الاعصاب المحيطة مؤديا الى حدوث الالم .

وبالفحص على البروستاتة الملتهبة قد نجد حجمها طبيعيا ، او متضخمة او يابسة الا ان افرازها يحتوى على كمية كبيرة من الصديد عادة يتجمع على شكل كتل ، كما انه يجب فحص سائل البروستاتة بحبيبات الليسيثن لمعرفة مدى الالتهابات، وكذلك فحصه للالتهابات الاخرى ، وعمل مزرعة وحساسية للادوية المختلفة .

مضاعفاته

١ ــ امتداد الالتهاب الى الاجزاء المجاورة مؤديا الى التهاب في المثانة او الحويصلة المنوية او البربخ .

٢ ــ الضغط على المثانة مؤديا الى تمدد في الحالب واستسقاء في الكلية .

٣ ــ مضاعفات بعيدة عن طريق الدم ، مثل التهاب الكلية وحوضها والام المفاصل والالتهابات الجلدية نتيجة امتصاص البكتريا للسموم .

٤ ــ مضاعفات جنسية مثل سرعة القذف ، ودم في السائل المنوى ، والضعف الجنسي .

العلاج

المريض المصاب بالالتهاب المزمن عادة يكون حساسا جسميا وعقليا ومتخوفا من مرضه ، لذلك

يجب ان تكون معاملة الطبيب معه برفق ، مع تناول الناحية النفسية، كما انه يجب اعلام المريض ان العلاج سيطول بعض الوقت ، وان يتعاون مع الطبيب ويتبع ارشاداته ، ويلاحظ ان المريض اذا كان عنده مضاعفات تناسلية فانه عادة لا يستقر على العلاج ، بل يتنقل من طبيب لآخر ، ولذلك يجب افهامه اسباب المرض ومضاعفاته والصبر على العلاج ، حتى يصل الى النتيجة المرجوة ، مع الامتناع عن المسببات والدواعي التى تؤدى الى الازمان .

وهناك بعض النصائح التى يجب اتباعها في حالات الالتهاب او في التضخم عند الشيخوخة مثل التغذية المناسبة ، والابتعاد عن المأكولات الحارة، والتى تؤدى الى الغازات ، والامساك ، وتجنب المشروبات الكحولية، والاقلال من التدخين والشاى والقهوة ، وعدم التعرض للبرد والاماكن الرطبة، وتجنب اخذ كميات كبيرة من السوائل في وقت قصير ، خاصة في كبار السن حتى لا تمتلىء المثانة ، لان سرعة امتلاء المثانة يؤدى الى فقدان عضلاتها المتضخمة لقوتها ، مؤديا الى احتباس بولى ، كذلك يجب التبول باستمرار عند الشعور بالرغبة ، وعدم حبس البول مطلقا . واستعمال المسكنات والحمامات الدافئة وكذلك استعمال حمامات ساخنة لتخفيف الآلام ، وحرقان البول ، واستعمال المطهرات ومضادات الحيويات مثل اكرومايسين،فيورادانتين ، مانديلامين ، بريديوم، وكذلك استعمال تربسين وكيموتربسين للتخفيف من حدة الاحتقان والاورام والمساعدة على امتصاص الافراز .

اهمية التدليك

وفي الحالات المزمنة والتضخم في الشيخوخة يجب عمل فحص لسائل البروستاتة ومزرعة لمعرفة الميكروب والدواء الفعال ، ثم استعمال مضادات الحيويات والمطهرات وعمل تدليك للبروستاتة بانتظام مع جلسات اشعة قصيرة ، وتدليك البروستاتة مهم جدا في هذه الحالات ، لانه يساعد على اعادة فتح القنوات المسدودة حتى يخرج منها الافراز المتجمع،ويلين الغدة والتلاصقات الموجودة ، كما انه يحسن قوة العضلات الموجودة في الغدة ، مما يسهل عملية القذف ، كذلك يؤدى الى تحسن الدورة الدموية وامتصاص الارتشاح وبذلك تقل فرصة الالتهاب ، كما انه يؤدى الى زيادة المقاومة للبكتريا والسموم المفرزة . ولكن هناك عوارض او نواح يجب عدم التدليك فيها مثل حالة الاشخاص الضعاف او شديدى المرض ، اثناء وجود التهابات في العين،واثناء وجود التهاب حاد ، كذلك اذا كان بالبروستاتة حصوة او ورم او خراج . كما انه يجب ملاحظة علاج اى بؤرة صديدية في الجسم حتى لا تستمر العدوى للبروستاتة عن طريق الدم . وفي حالات الالتهاب ينصح بعض الاطباء باستعمال غسيل للمثانة وقناة مجرى البول بالمطهرات مثل برمنجات البوتاسيوم او اكسيسيانيد الزئبق ، وتوسيع قناة مجرى البول حتى يكون تصريف البروستاتة سهلا وطبيعيا ، ووضع قطرات من السلفا او الارجيرول في مؤخرة قناة مجرى البول ، وقد يلجأ البعض لحقن بعض الادوية داخل نسيج البروستاتة نفسه.

وفي حالات احتباس البول الحاد نتيجة الالتهاب او التضخم تعمل قسطرة لتصريف البول ، وبعدها اذا كان لا يزال المريض لا يستطيع التبول تلقائيا خاصة في التضخم عند المسنين يمكن تكرار القسطرة او تركها في المثانة لمدة يومين او ثلاثة حتى يخف المرض ويتبول من تلقاء نفسه .

ومعظم حالات التضخم في الشيخوخة تستفيد من العلاج الذى سبق ذكره ، علاوة على اننا قد نلجأ لاستعمال هرمونات الانثى Aestrogens حيث انها تؤدى الى بعض التحسن ، ولكن يجب ملاحظة ان هذه الهرمونات تؤدى الى ضعف جنسي، كذلك استعمال هرمون Delalutin قد يؤدى الى ضمور غدة البروستاتة وبذلك يتحسن المريض، وتقل كمية البول المتبقية في المثانة ، كما انه لوحظ في بعض الحالات ان استعمال هرمون تستسترون قد يؤدى الى تحسن الحالة نتيجة تقوية عضلات المثانة ، ولكن يجب ملاحظة عدم وجود اى سرطان او قابلية وجود السرطان وراثيا.

فاذا لم يستفد المريض المسن من علاج البروستاتة وكانت مصحوبة بالام ومتاعب شديدة باستمرار او ان وظائف الكلية بدأت تضطرب وتظهر مضاعفاتها ، فاننا نلجأ لاستئصال البروستاتة ، ولقد اصبحت العملية سهلة الآن ، ولا تؤثر على القوة الجنسية ، وبعدها تتحسن مشاكل التبول وتخف الآلام . ■■

ابراهيم محمد القشلان

لا نُفَرِّقُ بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

بقلم : الدكتور نور الدين عتر

■ قرات فى مقال نشر فى العدد ١٦٢ من مجلة « العربي » كتبه استاذ وكاتب ازهرى (١) معروف اشتهر منذ سنوات كثيرة بآرائه فى تنظيم الاسرة وعلاقة الرجل بالمراة ، فيها من الانطلاق ما بلغ درجة الثورة على الاحكام الشرعية الثابتة .

وهذا المقال من قمة الانطلاق الذى عرفت به ابحاث الاستاذ الكاتب فى هذا الصدد حيث تجاوز حدود الحث على نبذ ما اسماه « بالحجاب الثقيل » فحمل الى الناس دعوة صريحة الى الاختلاط بين الجنسين وجاءت دعوته تلك تلتمس المستند من السنة المطهرة ، وتسم نفسها بطابع الحث على اتباع النبي صلى الله عليه وسلم قدوة المؤمنين ؟؟

حكم الاختلاط ومستنده

فكيف جاء هذا المستند ، وكيف استنبط ذلك الحكم ؟؟

يعتمد حامل هذه الدعوى على حادثتين ترويهما كتب السنة الصحيحة :

الحادثة الاولى : رفضه عليه الصلاة والسلام تلبية دعوة وجهها اليه جاره ، الا ان تدعى معه ايضا السيدة عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها ،

(١) هو فضيلة الاستاذ الكبير الشيخ احمد حسن الباقورى وزير اوقاف مصر ومدير جامعة الازهر سابقا .

فلما دعاها معه ، لبى النبي صلى الله عليه وسلم دعوته واجابه .

والحادثة الثانية : حضوره صلى الله عليه وسلم وليمة عرس صاحبه ابي اسيد الساعدى حيث قدمت العروس ضيافة الوليمة بنفسها ، وهذه اخرجها البخارى ومسلم .

من هاتين الواقعتين استنبط الكاتب فكرته الجريئة وراح يقول :

« وكلا الخبرين يسوغ للمسلم ان يصحب زوجته الى المآدب يقيمها جار او صديق ، كما يسوغ له ان يدع زوجته ان تستقبل ضيوفه وان تشرف بنفسها على تكريمهم ، وكلا الخبرين يتقرر به ان هذه الصورة ليست مما يأباه الاسلام وان الآخذين بها من ابناء الامة الاسلامية في عصرنا الحاضر لا يأخذون بجديد وافد عليهم ، ولكنهم يأخذون بسنة عريقة سنها لهم رسول الله ، وان كانوا اغفلوها فلم يأخذوا بها ولم ينزلوا على حكمها » ؟؟

هل الحكم بالاختلاط منسوخ ؟

ولست اظن ان قارئا يقظا اطلع على هذا القول دون ان يعجب ويستبد به العجب ، كيف لم تلفت نظر الكاتب ظاهرة اجماع المسلمين عصرا بعد عصر على غير فكرته ، ليدرس السبب الذى من اجله اغفلوها فلم يأخذوا بها ولم ينزلوا على حكمها .. كما اعترف الكاتب نفسه .

أكان الصحابة والتابعون ومن بعدهم على جهل بهذه الاخبار ، ام عرفوها ولم يفهموها .

أليس هذا وحده موجبا لمن يبتغي الحقيقة ان ينظر موقع هاتين الحادثتين من النصوص المحكمة وموقعها من استنتاجه الثائر ، ليكون عند القدوة الحق بالنبي صلى الله عليه وسلم ، بعيدا عن زيغ العمل ببعض الكتاب والاعراض عن بعض .

التدرج فى التشريع أيام النبى

ان من البديهيات الواضحة لدى اى مثقف في بلاد العرب والمسلمين ان احكام الشريعة جاءت في عهد البعثة النبوية باسلوب تربوى ناجع في اصلاح الفرد والمجتمع ، اعني التدرج في التشريع الذى عمل ـ ضمن المنهج التربوى الفريد في القرآن ـ على نقل جيل الصحابة من دحض الجاهلية الى قمة المثل العليا التى كانوا بها خير امة اخرجت للناس .

ومن هنا نجد الآيات التى تأمر بغض البصر والتزام الستر في ملابس النساء انما تنزل في المرحلة الاخيرة من بعثته صلى الله عليه وسلم في آيات محكمة اجمع العلماء على انها مناط العمل ودستور التنظيم للعلاقات الاجتماعية الى الابد .

من هذه الآيات قوله تعالى في خصوص ازواج النبي امهات المؤمنين : « واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب » .. وقوله في حق كافة الرجال والنساء : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها .. » .

وقوله تعالى « يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما » .

فاذا تأملنا هاتين الروايتين على ضوء النصوص القرآنية المحكمة ، وجدنا العقل ينبو عن دعوة الكاتب وعما هدف اليه من الاستنتاج ، ويجعلهما بمنأى عن مواكبة فكرته ومقصده ، ويبعد رأيه هذا عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم قدوة المؤمنين ، لانه استنباط يهمل ما جاء به النبي من عند ربه ، ويفرق بين الله ورسوله .

الحلقة الاولى

ان الحادثة الاولى ، انما تسجل لنا لونا جميلا من تكريم المرأة ، اذ اراد به النبي صلى الله عليه وسلم ان يمحو ما كان عليه كثير من الناس من التعير بها وانتقاصها ، حيث ابان بعمله هذا انه ليس من المحظور شرعا ولا مروءة ان يحرص الرجل على دعوة زوجه معه الى وليمة او مناسبة لايخالطها محظور شرعى ، فان رعاية الزوجة حق من حقوقها الشرعية على الزوج ، وذلك مما فعله ويفعله اهل العقل والحجى .

ويقول الامام النووى : « انه كان هناك عذر يمنع وجوب اجابة الدعوة ، فكان مخيرا بين اجابته وتركها ، فاختار احد الجائزين ، وهو تركها الا ان يأذن لعائشة معه » .

اما مجالسة السيدة للرجال فليس في الحديث تصريح بها ولا أى دليل عليها ، الا ان يكون تخيلا يتصوره المرء الآن لشدة التصاقه بعادة مجالسة النساء للرجال في هذا العصر .. وقد حظر القرآن

الكريم مكالمة امهات المؤمنين في الحاجة اللازمة الا من وراء حجاب ، فهل يعقل بعد ذلك ان تجالسهم وتؤاكلهم ...

الحادثة الثانية

واما عرس ابي أسيد الساعدي ، فابو اسيد صحابي جليل تلقف دعوة الايمان والحق في ريعان شبابه ومجتمع قوته ، فكان من الانصار السابقين الى الاسلام والجهاد ، شهد بدرا واحدا والمشاهد الفاصلة مع رسول الله (٢) وبنو ساعدة من خير دور الانصار كما شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم (٣) .

ونحن نعلم حرص الاسلام البالغ على سرعة التزويج للشباب وتحصينهم من التشرد الجنسي الخبيث فزواج ابي اسيد هذا كان في المرحلة الانتقالية قبل نزول الايات القرانية التى تامر بغض البصر وستر المراة (في غير حدود الاباحة المعروفة) . فكيف يسوغ لنا ان نتخذه مستندا اذا كنا لا نريد ان نجعل كتاب الله وراءنا ظهريا .

قبل آية الحجاب او بعدها

ولو ان المخالف اراد ان يتحكم ويزعم ان القصة وقعت بعد تلك الايات القرانية لما كان له ان يتوصل بها الى اباحة السهرات او مجالس الانس المختلطة بين رجال ونساء ليسوا من ذوى قراباتهم المحرمة للنكاح ، فان الستر الذى امر الله به في القرآن لا يحجر على المراة ان تقوم على ضيوف زوجها اذا توفر الستر والامن من الفساد ، وهاهي ذى المراة المغربية بحجابها المعتاد السابغ الذى يسترها ولا يبين منها الا عينيها تتولى الوظائف والاعمال مع حجابها ، افلا يمكن لتلك الصحابية الفاضلة بعد ذلك ان تقوم بضيافة النبي صلى الله عليه وسلم تكريما لمقدمه الشريف خاصة .

على انا نعلم ان هذه العادة كان عليها العرب في الجاهلية ، فلو انها استمرت شرعيتها في الاسلام فلماذا نزلت تلك الايات التى تلوناها ؟ ... ولماذا وردت الاحاديث الكثيرة في التحذير من المخالطات بين الجنسين ، وخلوة الرجل بالمراة الاجنبية ؟؟ !!

ولماذا لم تتكرر تلك الواقعة بعد ذلك في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا في زمان ابي بكر ، ولا عمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة ، بل ولا في عصر التابعين ومن تابعهم باحسان الى يومنا هذا باقرار الكاتب نفسه .. ؟؟

اقتراح لانصاف والمراة

لقد كنا نود من الكاتب ـ نظرا لمركزه المرموق سابقا ـ ان ينبو بمقاله عن مثل هذه المغالطة التى لم تعد تنطلي على احد من العقلاء ، وان ينبو باسلوبه عن الاحتكام الى بيئة زاخرة بالمظالم في حق المراة ، ولعل الكاتب يكون من اعرف الناس بان التقليد الذائع في القرى والبوادى في معاملة المراة ووضعها يشوبه عنصر بعيد عن التكريم للمراة ، عنصر نشأ من رواسب الجاهلية يجعل الرجل في الريف يتسلط على المراة بالظلم في نفسها ومالها ، ويحرمها الميراث ويأكل صداقها او يبادل بها في النكاح ، كانها سلعة او متاع .. ؟؟

افترالك يا صاحب النصفة في الاحكام والعين التى ترى الحق فتقصد اليه نقيا صافيا ، افترالك ترضى بهذا الحيف الجائر والظلم الفاحش ، رضاك عن النتيجة التى ادى اليها والظاهرة التى هو افتها وعلتها .. ؟؟

سبحانك هذا ظلم عظيم .

وبعد .. فان العالم اليوم لفي امس الحاجة الى جلاء تلك الحكم التى جاءت بها شريعتنا الغراء وقدمت للعالم امثل حضارة وانبل تاريخ ، من غير شوب باى طلاء خارجي ، وهذا جلاء العبقرية الحقيقية لدى الكاتبين والمفكرين .

واننا لفي امس الحاجة الى المحافظة على ذاتيتنا وشخصيتنا في وجه الغزو المركز الذى تشنه علينا الاخلاق والتقاليد الاجنبية الفاسدة . وهذا ميدان جهاد كبير ، هو الجهاد الفكرى والاخلاقي والحضارى الذى يجب ان نوجه اليه كل ما يحتاجه من طاقاتنا وامكانياتنا ، لتمد امتنا بسبب فعال يأخذ بها الى السيادة والبقاء . ■■

نور الدين عتر

دكتوراه في علم الحديث من جامعة الازهر

مدرس التفسير والحديث بجامعة دمشق .

العربي : حذفنا من مقال السيد الكاتب الناقد ما يتصل بشخص السيد الاستاذ المنقود ، وابقينا على كل ما يتصل بموضوع النقد عملا بسنة للاسلام قديمة وتذكيرا بها .

---

(٢) الاستيعاب ج٣ص٣٥١ واسد الغابة ج٣ص ... وج٥ص١٣٧ والاصابة ج٣ص٣٢٤ .

(٣) البخارى من فضائل اصحاب النبي صلى اللهعليه وسلم ، ومسلم في فضائل الصحابة .

"لن يشادّ الدين أحدٌ إلا غلبه"

بقلم : الشيخ احمد حسن الباقوري

■ بعث اليّ الأستاذ امين تحرير مجلة العربي مشكورا برسائل علّق بها جماعة من أهل العلم على كلمات كتبتها حول شئون المرأة في الشريعة الاسلامية السمحاء .

وما شككت بعد استعراض هذه الرسائل في ان الغيارى من هؤلاء السادة ، انما صدروا عن سعة اطلاع ونزاهة قصد ، ولهذا رأيت أن أتناول هذا الموضوع بعيدا عن المناظرة والجدال ، في كلمة مستوعبة ، أرجو أن يتسع لها صدر المجلة المرجوة في عالمنا لخير كثير ، والله من وراء القصد ، والمعصوم من عصم الله .

القرآن مثل أعلى

من الناس من تابى له غيرته أن يصف القرآن أو يخبر عنه بأنه مثل أعلى ، من حيث كان المثل الأعلى في معروف اهل العلم لا يستجيب بحذافيره لرائديه من المتدينين . غير ان هؤلاء اذا نظروا في القرآن ومن حوله ، فانهم يجدون من ذلك ما يسوّغ لهم وصفه والاخبار عنه بأنه مثل أعلى، يأخذ المسلمون منه ويتركون ، لأنهم لا يستطيعون الوفاء له بكل ما له عليهم من حقوق ، الا أن يكونوا من أولى العزم وخواص المؤمنين ، وقليل ما هم : « ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » .

معنى الحكم بما أنزل الله

وسند هذا القول أمران :

أحدهما يتجلى في حوار أمين دوّنه العلامة الفخر الرازى في كتابه مفاتيح الغيب حول الآية الكريمة من سورة المائدة « ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون » . وقد اختار رحمه الله من آراء أهل العلم حول الآية رأى عكرمة صاحب ابن عباس وأحد مريديه حيث يقول : ان هذه الآية ، لا تتناول الا من أنكر بقلبه وجحد بلسانه ، فاما من عرف بقلبه أن هذا الحكم حكم الله ، واقر بلسانه انه حكم الله ، ثم أتى بما يضاده ، فانه على ذلك حاكم بما أنزل الله وان كان تاركا له ، فلا يلزم دخوله تحت هذه الآية واعتباره كافرا .

وهذا الكلام الذى ذكره عكرمة وزكاه صاحب

المفاتيح – مع أنه يسوغ للمسلم وصف القرآن بأنه مثل أعلى – بنفي عن الأمة في الوقت نفسه حرجا لا قبل لها به ولا خير لها فيه ، اذ يستطيع الغالون من طريقه أن يتعلقوا بقضية العموم في الآية الشريفة ، فيرموا بالكفر حكام أمتنا الذين يستمدون القوانين واللوائح والاشتراعات من قوانين عالمية لا صلة لها بالاسلام .

آيات تركهن الناس

وثاني الأمرين آيات ثلاث في كتاب الله عز وجل ترك الناس أحكامها دون أن يتعرضوا بهذا الترك للحكم عليهم بأنهم كفرة أو فجرة .

وأولى هذه الآيات قول الله جل ثناؤه : «واذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا » . فقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله : ان الآية محكمة وليست بمنسوخة ، وان ناسا يزعمون أنها منسوخة ، ولا والله ما نسخت، ولكنها مما تهاون به الناس . ثم قال ابن جبير : لقد ضيع الناس هذه الآية ، وقال الحسن : ان الآية لم تنسخ ، ولكن الناس شحوا وبخلوا بالمال بخلا شديدا . قال القرطبي : وكون الآية محكمة غير منسوخة هو الصحيح المعول عليه . ونقول : ان هذه الآية من كتاب الله لم ينزل المسلمون على حكمها وفي الوقتنفسه لم يجحدوها، ولا يزالون مع ذلك مسلمين يستحقون الاحترام والتكريم . وليس للمثل الأعلى معنى وراء هذا المعنى .

وثانية الآيات قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاةالفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ... » الآية .

فقد أمر الله تعالى المؤمنين أن يستأذن الصغار والخدم على أهليهم وسادتهم في غشيان المخادع التي يترخص الناس فيها عادة باطراح الحشمة والتخفف من أسباب الوقار ، ولكن الناس تهاونوا بهذه الآية أيضا – على حد تعبير الأسلاف أنفسهم فرارا من ثقل المئونة ، وهم مع ذلك لا مطعن على اسلامهم . وليس للمثل الأعلى أيضا معنى وراء هذا المعنى .

وثالثة الآيات قول الله تعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم .. الآية » .

فقد أمر النبي – وهو المبين عن الله – أن يزوج السادة الموالي ، على ما يذكر الثقات من أهل العلم من أنها نزلت في شأن مولى يدعى أبا هند ، طلب النبي الى بني بياضة من العرب أن يزوجوه امرأة منهم ، فقالوا له : أفتأمرنا نزوج بناتنا موالينا يا رسول الله ؟ فنزلت الآية : أن نعم . وذهب ابن عباس في سبب نزولها مذهبا آخر فقال: لما كان يوم فتح مكة أمر النبي بلالا فأذن على ظهر الكعبة . فقال عتاب بن أسيد من سادات العرب: الحمد لله الذي قبض أبي حتى لا يرى هذا اليوم . وقال الحارث بن هشام : أما وجد محمد مؤذنا غير هذا الغراب ؟ وقال سهيل بن عمرو : ان يرد الله شيئا يغيره . وقال أبو سفيان : أنا لا أقول شيئا مخافة أن يخبر به محمد . فلما دعا رسول الله بالقوم وسألهم عما قالوا أخبروه،فأنزل الله هذه الآية تزجرهم عن التفاخر بالأنساب ، وتذكرهم بأن مدار الأمر كله على تقوى الله عز وجل ، ومع ذلك لم ينزل المسلمون على حكمها تجنبا لما يشق عليهم من معاندة العرف وفطم النفوس عن مألوفاتها . وليس للمثل الأعلى أيضا معنى وراء هذا المعنى.

فالمسلم الذي يصف القرآن بأنه مثل أعلى ، يجد في هذه الأسناد من آراء خيار المسلمين ما يسوغ له ذلك ، بل ما يسوغ له تناوله في مجال السلوك الاجتماعي على أنه مثل أعلى ، حسبه منه أن يحرص على تحصيل مراضيه في حدود ما يستطيع .

ونبتدر القول بأن ما أثر عن الأسلاف من كلمة التهاون بالآيات المذكورة ، لا يعني أنهم كانوا يرونها شيئا يستخف به ، فانهم أقوى ايمانا وأرفع منزلة من ذلك ، وانما كانوا يرونها شديدة المشقة على النفوس لمنافرة طباعهم لأحكامها ، أما استجابة لدواعي الشح ، واما تجافيا عن أثقال التكاليف ، واما تجنبا للعنت في فطم النفوس عن مألوفاتها التي ربيت عليها ودرجت في رعايتها.

بين حضارتين

عندما تراجعت الحضارة العربية امام الغالبين بعد فتن في المجتمع الاسلامي مشبوبة النار مسعورة الأوار ، مضت حضارة هؤلاء الغالبين تزحف الى المجتمعات العربية والاسلامية ، مزودة بما يمهد للناس سبيل الاستمتاع في عالم الحواس، دون أن تلزمهم حدود المثل الأعلى الذى لا طاقة لهم به ، ولا صبر لهم عليه لو اطاقوه ، وبذلك توافر لاقبال الناس عليها وايثارهم اياها ، أمران: مسايرتها للطباع ، والناس عبيد طباعهم . ثم انتماؤها الى اقوياء غالبين ، والمغلوب مولع ابدا بتقليد الغالب .

مذهبان للاصلاح

وكان أن تنادى الغيارى من زعماء الاصلاح الى العمل من أجل مناصرة الحضارة المغلوبة في مواجهة الحضارة الغالبة ، مناصرة تواجه المنطق بالمنطق، والحجة بالحجة ، والمنهاج بالمنهاج ، والخير الوافد في حضارة الغالبين بخير عريق في حضارة العرب والمسلمين .

وقد افترق هؤلاء الدعاة الى اصلاح المجتمع الاسلامي فريقين : -

احدهما آثر القرآن بحذافيره منهاجا للاصلاح يبتغى أن يخضع شئون الحياة لاحكامه واعرافه وادابه ونظرياته ، وان يرد المسلمين به الى فجر الاسلام ، وهو يتمثل في ذلك عهد أبى بكر وعمر رضي الله عنهما ، أو عهد عمر بن عبد العزيز في بنى امية ، او عهد جعفر المهتدى بالله في بنى العباس ، وامثالهم من حكام الامة الصادقين الذين ارادوا الاصلاح وعملوا له بكل ما في قلوبهم من ايمان ، وكل ما في أيديهم من وسائل .

وثاني الفريقين آثر القرآن ايضا منهاجا لدعوته غير انه لم يطمع في اخضاع شئون الحياة المعاصرة لاحكامه كما أراد الفريق الاول ، ولم ينظر الى عصر أبى بكر وعمر ، ولكنه نظر الى تبدل البيئات وتغير الأحوال ، فآثر تيسير سبل التدين لينزل الناس على حكم الدين في غير اشفاق ولا اعنات ، واقام نظريته الاصلاحية على أن في تيسير سبل التدين هذه استبقاء لنعمة الدين ، ولأن يتدين الناس ولو مترخصين ، خير لهم وللانسانية بهم من ان ينحلوا عن الدين .

وقد مضى الفريقان يعملان في مجال الاصلاح بين يأس وامل ، ونجاح واخفاق ، ولن يزالا كذلك الى ما شاء الله ، ولم تزل المرأة تنزل في كل دعوة اصلاحية منزلة القلب من الجسد ،والقطب الهادى للملاحين في اعالى البحار ، ايمانا منهم بانها اذا صلحت صلح المجتمع ، واذا فسدت سارع اليه الفساد .

المرأة في اعتبار الشرائع

وليس يعرف الناس بين مذاهب الاصلاح مذهبا رفع خسيسة المرأة واعلى منزلتها قبل الاسلام ، فان الشرائع الهندوسية واليونانية والرومانية ، تعد المرأة من فصيلة الاماء او الصبيان .. فمن ذلك قول شريعة منو : تخضع المرأة في طفولتها لابيها ، وفي شبابها لزوجها ، وفي تأيمها لابنائها ، فان لم يكن لها ابناء فلاقرباء بعلها ، وفي كل الاحوال لا يجوز ترك امرها لها . ويقرب من هذا ما ورد في شرائع اليونان والرومان ، اذ كان سلطان الرجل في روما على زوجته مطلقا ، وكانت تعد أمة لا قيمة لها في المجتمع ، ولم يكن لها قاض سوى زوجها الذى كان له حق حياتها أو موتها . والشريعة اليونانية لم تعامل المرأة احسن من هذا، فهى لم تعترف لها بأى حق ولا بحق الميراث .

والفرق شاسع في النظر الى المرأة بين هذه الشرائع وشريعة الاسلام ، فقد سجل القرآن في غير آية منة الله على عباده بالمرأة مع اعتبارها آية من آياته : كالآية في خلقه الناس من تراب ، والآية في خلقه السماوات والارض ، والآية في اختلاف السنة الناس والوانهم ، وفي أنه يريهم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها ، وفي قيام السماوات والارض بامره ، وفي بعث بنى آدم وحشرهم للحساب والجزاء ، فذلك قوله تعالى في سورة الروم : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

ولئن كانت الجاهلية العربية قد سايرت في بعض الأحيان الاعراف والشرائع التى ضاقت بالمرأة

واعلنت احتقارها والازدراء بها ، لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلك كل سبيل لتقويم هذا الاعوجاج في سلوك العرب وحملهم في النظر الى المراة على الصراط المستقيم ، وكان من اوضح ذلك وادله على عناية الشريعة بها ودعوة الناس الى معرفة حقها ورعاية حرمتها ان النبى كان يحمل حفيدته امامة بنت ابى العاص ابن الربيع على عاتقه وهو في الصلاة ، فاذا سجد اخذها فوضعها ، واذا قام من سجوده تناولها فوضعها على عاتقه الشريف ، وكانه يقول : ان المراة التى ينظر اليها الجاهلون في استخفاف بها واحتقار لشانها ، يعتبر الاسلام البر بها وسيلة من وسائل التقرب الى الله عز وجل . وليس يعرف الاسلام اسلوبا اقوى من هذا الاسلوب في تكريم المراة .

ومما يدخل في هذا التكريم ما ترويه ام المؤمنين عائشة : « اومات امراة من وراء ستر بيدها كتاب الى رسول الله ، فقبض النبى يده ، لم ياخذ منها الكتاب ، وهو يقول صلى الله عليه وسلم : ما ادرى ايد رجل ام يد امراة . فتقول : بل يد امراة يا رسول الله ، فيقول عليه السلام : لو كنت امراة لغيرت اظافرك » . يعنى الخضاب .

وتجيء هند بنت عتبة لتبايع رسول الله ، فيقول لها : لا ابايعك حتى تغيرى كفيك كانهما كفا سبع . ووجه التكريم هاهنا حرص الشارع على ان تعتز المراة بانوثتها فتعمل على تحقيقها ، كما ان على الرجل ان يعتز برجولته فيعمل على تحقيقها بتجنب خصائص النساء .

ومن اعجب صور تكريم الاسلام للمراة قصة بريرة ، وكانت تحت رقيق يدعى مغيثا ، فعتقت بعد ان قضت نجوم كتابتها ، ومعروف ان الامة اذا عتقت كان لها الخيار بين ان تبقى مع زوجها او ان تنفصل عنه . ولم تشا بريرة ان تبقى زوجة لمغيث ، وكان مغيث شديد الايثار لها ، فكان يمشي في سكك المدينة تبلل دموعه لحيته ، لا يرقا له دمع ولا تكف عنه زفرة ، من شدة ما يجد من حب بريرة والم رفضها اياه ، حتى كان النبى اذا رآه يقول لأصحابه : الا تعجبون من حب مغيث بريرة وبغض بريرة لمغيث ؟ .

وذات يوم قال النبى: هلاراجعت مغيثا يابريرة؟ فقالت الامة العتيقة : افتامرنى يا رسول الله ؟ فقال النبى : لا ، انما انا شافع . فراحت بريرة تقول : لا حاجة لى فيه اذن .

ووجه العجب في ذلك ان يرغب رسول الله الى امة في ان تراجع زوجها رفقا به واشفاقا عليه ، فترى من حقها ان تستوضح رغبته هذه ، فان كانت امرا اطاعت ، وان كانت شفاعة آثرت حقيقة نفسها على المجاملة بسعادتها ، وكذلك قالت بريرة لرسول الله : اننى لا اريد مراجعته ، ولم يكن لقولها هذا اثر يجد منه النبى في نفسه ، او يجد اصحابه منه في انفسهم ما يجعلها موضع لوم او مؤاخذة ، وليس يعرف الناس كرامة لامراة في دنياهم كما يعرفون كرامة هذه الامة على رسول الله واصحابه .

لوم لا مسوّغ له

روينا في كلمة سابقة حديثين عن رسول الله صلى الله عليه : احدهما حرص النبى فيه اشد الحرص على ان تدعى زوجته الى الطعام الذى دعى هو اليه ، وثانيهما استجابته مع اصحابه دعوة عروس الى مادبة طعام اعدتها عروسه بنفسها وقامت بخدمة رسول الله واصحابه بنفسها كذلك، حتى اذا فرغ من الطعام ، قدمت له نقيع تمرات مرستها بيديها ، تتحفه بذلك عليه السلام . وكلا الحديثين صحيح،وليس فيهما ولا في التعليق عليهما ما يشير من قريب او بعيد الى ان النبي واصحابه جالسوا النساء على موائد الطعام ، ولا انهن كن متبرجات بزينة ، غير ان بعض الفضلاء من اهل الغيرة على الدين فهم ما احب ان يفهم ، ثم رتب على فهمه هذا ملامة بغير داع اليها ولا مسوغ لها .

لرسول الله خصوصيات

لا يجهل احد من اهل العلم ان قيام الليل كله او بعضه ، مفروض على رسول الله وليس مفروضا على سائر المسلمين ، وان كان لهم ان يفعلوا ، استكثارا من الخير ، وحرصا على بلوغ الكمال في الدين . كما انه كان يواصل الصيام وينهى المسلمين عن الوصال .

وكما كانت له خصوصيات في نفسه وصلته بربه ، كانت له خصوصيات في بيته ، فعلى

نسائه من التكاليف ماليس على سائر المسلمات ، وقد ثبت هذا بنص القرآن « يانساء النبي لستن كأحد من النساء » الآيات ٣٠ – ٣٤ من سورة الأحزاب .

لا عموم ولا قياس

وقد غفل بعض أهل العلم في محاولته تطبيق هذه الآيات على عامة نساء المؤمنين ، بحجة أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، أو بحجة اعمال القياس في هذا المجال .

ووجه الخطأ في عموم اللفظ أن الخطاب في الآيات متجه الى نساء الرسول : « ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما » فاداة العموم هاهنا مقصورة على نساء الرسول وليست عامة لنساء المؤمنين .

ووجه الخطأ في اعمال القياس ، أن أهم اركانه غير قائم في هذا المقام : « يا نساء النبي لستن كأحد من النساء » ، ففي الآية نفي المماثلة بين نسائه عليه السلام وبين سائر نساء المؤمنين ، واذا انتفت المماثلة فلا قياس . غير أن المسلمة اذا شاءت – غير مكلفة – أن تتخذ من نساء الرسول قدوة ، فانها قد ابتغت لنفسها سمو المنزلة ، وبلغت بدينها غاية الكمال .

تناقض عجيب

ان أهل الحضارة الغالبة قد انتفعوا بالمرأة اكثر مما انتفع بها العرب والمسلمون ، وكان نقيض ذلك ادنى الى المنطق واشبه بما ينبغي أن يكون . ذلك ان الاسلام هو الذى سبق الى تكريمها ورفع خسيستها ،في حين ان بعض المذاهب والنحل التى سبقته كانت تراها كأنها شبح الموت ، وتتقيها كأنها سم الأفاعي ، وتخشاها كأنها عذاب الجحيم ، ثم تحرمها حقوقها التى قررتها لها شريعة الاسلام : « النساء شقائق الرجال » .

ومن هنا كان المتوقع منها في المجتمع الذى جحد حقها الا يكون لها بذل صالح وعمل بناء ، وكان المتوقع منها في المجتمع الاسلامى الذى عرف لها حقها أن يكون لها بذل صالح وعمل بناء ، فذلك هو التناسق المنطقي الطبيعي بين النتائج والمقدمات، ولكن الأمر في ذلك لم يكن على ما ينبغي أن يكون ، اذ هي هنـاك – على مهانة منزلتها في شرائع أسلاف قومها – قد أنشأت أجيالا تبتلوا للعلم ، فانتفع بهم الناس في شتى ميادين الحياة، ثم لم يقنعوا بغير منازل السيادة بين العالمين . في حين أن المرأة هاهنا – على كرامة منزلتها في شريعة قومها سالفين وخالفين – لم تزد على كونها حلس بيت ومنجبة أولاد .

لا بد من سبب

تلك حقائق يراها الناس عن قرب ، ويتساوى في ادراكها العامة والخاصة ،ثم يتساءلون عن السبب الذى يمكن أن ترد اليه مظاهر ذلك التناقض العجيب .

وعلى ان الظفر بهذه الأسباب وتجليتها في هذه الصفحات أمر غير ميسور ، يكاد المعنيون بشئون الاجتماع ،يردون الأمر في ذلك الى عدة أسباب :–

أحدهـا أن المرأة هناك ميسور لها شهود الاحفال الدينية ، والمحاضرات العلمية ، والأندية الثقافية . وهنا يعسر عليها ذلك .

وثانيها أن أعضاء الجمعيات الدينية والسياسية والاجتماعية يتعاهدونها هناك بالتوجيه والارشاد ، وليس الى ذلك هنا من سبيل .

وثالثها انها هناك لا تطاردها سيئات الظنون ، في حين انها هنا لا تكاد تسلم من سوء ظن أو ذرابة لسان يترصدها بكل سبيل تسلكها ، وكل مكان تحل فيه .

ورابعها أن رب الأسرة هناك حريص على أسرته والاجتماع بها ، والاشتراك معها في دراسة شئون المجتمع الذى يعيشون فيه ، فاذا فرغ من عمله عاد الى بيته ، واذا خرج الى نزهة أو رحلة فمعه اسرته لا يفارقها ولا تفارقه ، فيتبادلون المعارف والأخبار والآراء والتعليق عليها بما ينمى العقول ويسدد الأفكار ، في حين أن رب الأسرة هنا ، فقلما يبقى في بيته ، واذا بقي فيه فقلما يطرق باب حديث ينفذ منه الى شأن من شئون

الدنيا، أوشئون السياسة، أو الدين او الاجتماع، فمنابع المعرفة جافة ، ومصادر الثقافة عزيزة .

يسروا ولا تعسروا

ان المرأة المسلمة مادامت في ثياب حشمتها ، لا ينبغي لأحد ان يردها باسم الاسلام عن تصرف ينفعها في دنيا او دين . ومحاولة ردها الى ماعاش فيه أسلافها في العصور الأولى ، محاولة تكتنفها صعوبات وتثبت في طريقها عقبات ، مهما يتفاءل المتفائلون ، ويتبتل في سبيل تحقيق هذه الغاية المتبتلون . فمن الخير الترخص معها ، وتيسير سبيل التدين لها ، رعاية لمقتضيات العصر الذى نعيش فيه ، فان من شان ذلك أن يجعل التدين ممهود السبل للمسلمين والمسلمات ، فلا يظل الدين بينهم حبرا على ورق ، وكلمات جوفاء في مجال التغالى والمبالغة والاغراق .

واذ قد كان أسلافنا يحتكمون في سلوكهم الى القولة المأثورة : دره المفاسد مقدم على جلب المصالح ، والضرورات تبيح المحظورات ، وكانوا يجدون لهاتين القاعدتين الجليلتين في الفقه الاسلامى استنادا من الكتاب والسنة وسلوك المسلمين ، فان أخلافهم الحراص على الخير لأمتهم مستطيعون أن يحتكموا الى قولة لايعدمون لها استنادا من روح الاسلام والحرص على الصالح العام : « لأن يتدين الناس ولو مترخصين خير لهم وللانسانية بهم من أن يتحللوا عن الدين » ، والا فان مجتمعنا لا بد منته الى أن يكون للمسلم فيه صورتان : صورة بينه وبين نفسه يترخص فيها ماشاء له الترخص ، وأخرى بينه وبين غيره يلتزم فيها ما يراه الناس ، وفي ذلك نفاق لا تقوم به أمة ، ولا يسلم عليه مجتمع ، وربما اندرج به أصحابه تحت الوعيد الشديد في الحديث الشريف : «ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها».

ان في بلادنا المصرية وفي كثير من بلاد الاسلام صورا لا تخضع لحصر ، يختلط فيها الرجال بالنساء ، في مجالات الزراعة والصناعة وأعمال المكاتب والدواوين والمدارس والجامعات والمستشفيات، يعرف ذلك عامة الناس وخاصتهم. كما يعرفون أن الذين يرحلون الى بلاد غير بلادهم في الشرق والغرب ، مصاحبين زوجاتهم وبناتهم وذوى قرباهم ، لايستطيعون أن يتجنبوا الاختلاط بأهل البلاد التى يرحلون اليها ، على طبيعتهم وفي ظل تقاليدهم وعاداتهم ، دون أن يجدوا بذلك بأسا ، أويستشعروا فيه حرجا ، وكذلك يعرفون أن من المتسببين الى الدين من كان يكره أن يصحب زوجته أو أسرته في شارع من الشوارع الى شان من شئون الحياة ، فاذا هو يطلب اليهم ان يذهبوا وحدهم دون ان يرافقهم الى ما يبتغون ، يتقى بذلك كلمة قارصة من عدو ، أو كلمة عاتبة من صديق ، على أنه لو عرض سلوكه هذا بأمانة على الفطرة السليمة أو وزنه بموازين الاسلام ، لرأى أنه في هذا التصرف أدنى الى منطق الجبن منه الى منطق المروءة أو الدين ، ولو أنه جرى مع أمثاله في غير هذه الطريق دون اسراف في التزمت ، لكان له ولهم عن هذا التناقض بين القول والعمل محيص .

كبائر وصغائر

ان كشف المرأة رأسها أو تقصيرها ثيابها ، وان كان يجافى الكمال ، لا يبلغ أن يكون كبيرة من الكبائر او موبقة من الموبقات . وغاية ما يوصف به ذلك في عرف أهل الشرع أنه صغيرة من الصغائر او سيئة من السيئات . وقد أجمع المسلمون على ان اجتناب الكبائر والموبقات يكفر الصغائر والسيئات . وسند هذا الاجماع قول الله تعالى : « ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم » ، وقوله جل ثناؤه : « ان الحسنات يذهبن السيئات » ، وقوله تقدست اسماؤه « .... ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى . الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم » .

رأى لا فتوى

في العالم اليوم عدة مذاهب تتغيا اصلاح المجتمع بما ترى أنه أدنى الى تحقيق العدل وتأمين الحياة في دنيا الناس ، ولكل من هذه المذاهب نظره الذي يستند اليه ، ويستمد فلسفة سلوكه منه . ومهما تعددت الشعوب التى تعتنق مذهبا من

المذاهب ، فانها متوحدة السلوك ، تنزع عن قوس واحدة ، وترمي في وجه واحد ، بغير اختلاف او باختلاف غير كبير ، كذلك يرى الناس المذهب الراسمالي والشعوب المنتمية اليه في الغرب والشرق،وكذلك يرون المذهب الاشتراكي والشعوب المنتمية اليه في الشرق والغرب ، لا يختلف نظرهم في قضية من القضايا الاجتماعية او السياسية او الاقتصادية ، فهم متفقون او ادنى ما يكونون الى الاتفاق .

ولكن امتنا العربية الاسلامية ــ على انها امة التوحيد ــ لا تكاد تجمعها جامعة من اتحاد الأفكار او اتحاد التصرفات ، وخاصة ما يتصل من ذلك بشئون المراة في مجال النظر او في مجال العمل ، فهي في المغرب العربي ، في عداد السفراء واعضاء الأحزاب السياسية ، وهي في المشرق العربي منحاة عن هذه المواطن . حتى انتظامها في دور العلم غدا موضوع جذب وشد ، وجدال وغلاب ، في الجمعيات والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية. ثم هي في الوسط العربي عضو في الوزارات وفي المجالس الشعبية في القرى والمدائن .

وهـذا التخالف بين القول والعمل في الأمة الواحدة ، يؤذن بامرين :

احدهما ان تكون هذه الأمة عصبة امم لا امة واحدة ، لأن خصيصة الأمة اتحاد الفكر واتحاد السلوك والنظر الى شئون الحياة في افق واحد ، فاذا انتفى ذلك عنها لم تصبح امة ، مهما يزعم لها ذلك الزاعمون ، ويتفيهق به المتفيهقون .

وثانيهما ان بلوغ مثل هذه الأمة غاية تجعلها وسطا بين طرفين او معسكرا بين معسكرين ، أمر لا يستجيب لطلابه الا في نطاق الأمنيات . فما السبيل الى ان تكون هذه الأمة واحدة كما اراد الله تعالى لها ذلك ، وامرها به وحرضها عليه ؟

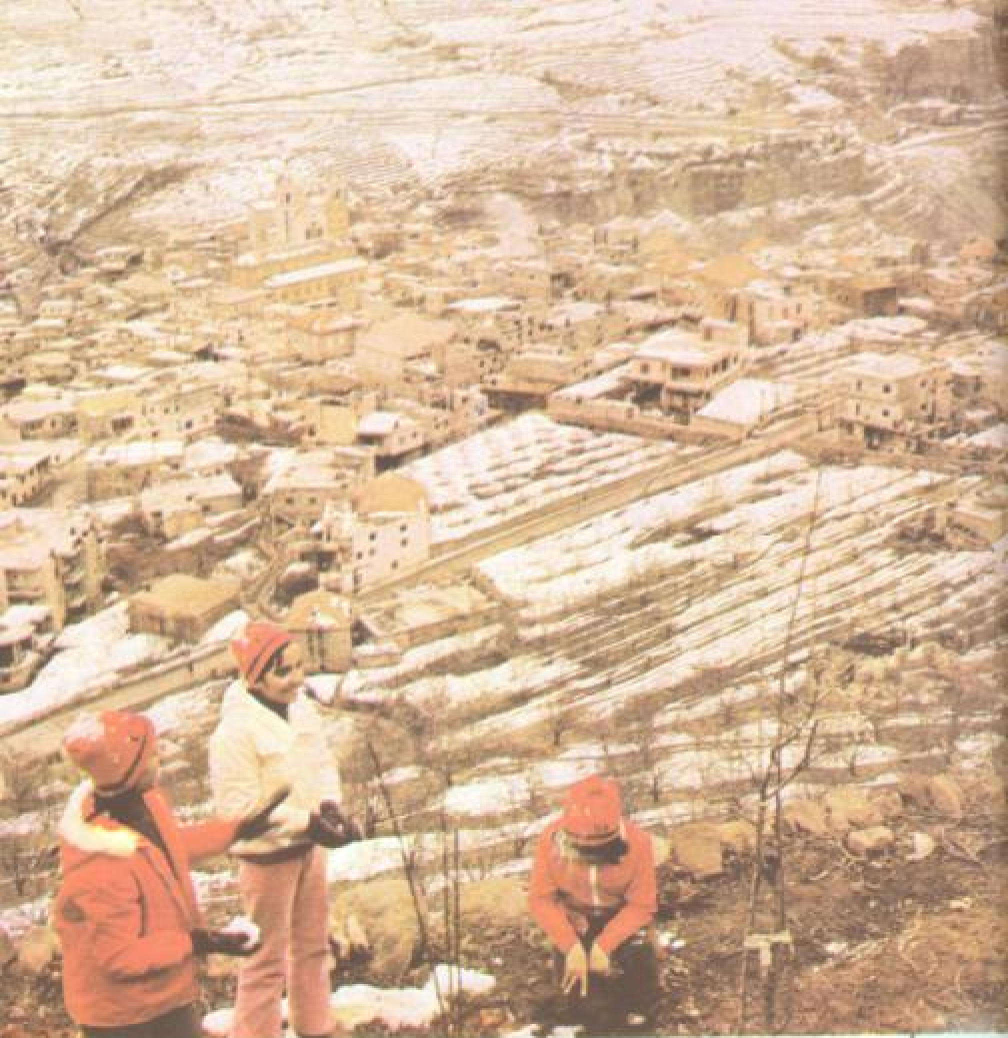
ذلك هو السؤال الذي نشك في ان كل الغيارى الذين يحملون هم هذه الأمة ، ينبغي‌ان يتمثلوه في انفسهم ، وان يمثلوه لغيرهم ، وان يحاولوا الاجابة عنه اجابة تتيسر بها السبل الى عمل مثمر ، فان الاقتصار على التحسر والتحزن والبكاء على اطلال الماضي لم يعد امرا ذا جدوى ، يجلب للأمة نفعا او يدفع عنها ضرا ، ولا بد من تخير طريق ينتهي بسالكيه الى ما يوحد الأفكار ويجمع الكلمات ويلم الشتات في كل مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

والراى الذى اوثره ان تيسير سبل التدين للتمدينين والمتدينات بايثار تتبع الرخص واعتبار تطور المجتمع وتعقد مشكلاته ، هو اول الطريق الى ذلك ، ولأن يرخص للناس فيتدينوا ، خير من ان يشدد عليهم فينصرفوا عن الدين .

وكل ما كتبته واكتبه هو من هذا القبيل ــ اعني من قبيل الراى ــ وليس من قبيل الفتوى ، والفرق بين الفتوى والراى ، ان الفتوى تدور حول قضية فقهية يلتزم فيها المفتي نصوصا تسلمه الى راى يؤخذ عنه بما انتهى علمه فيه . واما الراى ، فانه افسح من ذلك مدى ، واوسع شمولا ، اذ يدور صاحب الراى به حول عدة قضايا لا تخص واقعة بعينها ، ولا يلتزم فيها نصوصا معينة ، وانما يتقيد فيها بروح الشريعة ، يبتغي بذلك اصلاح شئون المجتمع في مختلف المجالات . واذا كان صاحب الفتوى يتشبث برايه ويصر عليه ولا يقبل فيه لفتا الى ترخص او خروجا عن اطار المذهب ، فان صاحب الراى يفتح به بابا الى العمل غير متشبث به ولا مصر عليه ، ولا هو متقيد فيه بمذهب فقهي أو بمذاهب فقهية معينة ، وانما ينشد في ذلك كل ما يجمع عواطف الأمة وافكارها لتصبح امة لا امما ، وعالما بين عالمين ، حتى لا تفنى في واحد منهما دون الاخر .

ان الاسلام سلوك رشيد ، يستمد رشده عن التجافي عن الغلو والايغال الى القصد والاعتدال « ما جعل عليكم في الدين من حرج » . ثم هو ــ كذلك ــ سلوك عادل ، يستمد عدله من احساس المسلم بأن له ما لسائر الناس وعليه ما عليهم ، فيكون قدوة لما يدعو اليه ، حتى ينتهي عما ينهى عنه ، ويأتمر بما يامر به « ويل للمطففين . الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون . واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون. الا يظن أولئك انهم مبعوثون. ليوم عظيم » .

أحمد حسن الباقورى



بشرّي

مسقط رأس جبران خليل جبران، تتطلّع إلى حياةٍ متطوّرة!

استطلاع
سليم زبال

تصوير
أوسكار متري

■ « اذا اردت الزواج ، فاذهب الى بشري .. »

هكذا يقول اللبنانيون ..

وترددنا في الذهاب. فنحن متزوجون.. ثم غلبنا حب الاستطلاع فاتجهنا الى بشري لنرى ما فيها .. بلدة اغدقت عليها الطبيعة بسخاء وبدون حساب .. في الربيع مياه تتدفق وبراعم تتفتح ، فتحيل الجبال الى حديقة غناء متعددة الالوان .. وتعاود الارض العطاء ، فتنوء الاشجار بملايين التفاحات الحمراء والصفراء .. ويأتي الخريف فيحصد التفاح وتتساقط اوراق الاشجار ، وتصبح الالوان ذابلة صفراء ، سرعان ماتختفي تحت بساط ابيض كبير نسجته ثلوج الشتاء البيضاء ، التي اشتق لبنان اسمه منها ومعناه : **«الجبل الابيض»** باللغات القديمة ..

ووسط هذه اللوحة الطبيعية الخلابة تقبع **« بشري »** على ارتفاع ١٥٠٠ متر فوق سطح البحر ، تنام وتستيقظ على نسمات رياح شرقية جافة لا اثر للرطوبة فيها .. غير عابئة بالرياح الشمالية الباردة ، فالجبل يحميها منها ..

الخروج الى دائرة الضوء

لقد زينت يد الله شمال لبنان بابهى صورة .. ومع ذلك ظل هذا الشمال نسيا منسيا **.. وظلت بشري جوهرة مكنونة ، وانصب الاهتمام على المصايف والجبال القريبة من بيروت عاصمة البلاد ..**

وكم من محاولة بذلها ابناء الشمال ، للخروج الى دائرة الضوء ، ولكن بدون جدوى .. حتى كان عام ١٩٧٠ ولاول مرة في تاريخ اللعبة السياسية المعقدة في لبنان ، استطاع الشمال الجبلي فرض نفسه كواقع من الجزء اللبناني ، فرض مشاكله ومتاعبه وآلامه ، عندما جاء ابن الشمال سليمان فرنجية رئيسا للجمهورية اللبنانية .

ثلج ونـــار

لقد ذهبنا الى شمال لبنان نستطلع : كيف تعيش قرية تحت الثلج ..

ووجدنا فعلا الثلج، ولكن ما وجدناه تحت الثلج النار انتباهنا اكثر من الثلج ..

وجدنا نارا ملتهبة .. نارا منبعثة من حماس الشباب ورغبتهم في حياة افضل .. حياة تختلف عن حياة الاباء والاجداد ..

وقبل ان نقفز سريعا الى الحاضر ومشاكله ، تعالوا نعرج قليلا الى ماضي المنطقة .. فهنا مازال الماضي يرزح فوق اكتاف **الحاضر !**

معرض من صنع الطبيعة

عندما يذكر الثلج في لبنان يتجه التفكير تلقائيا الى اشجار الارز الاربعمائة النامية على قمة الجبال

الى اسفل : الطريق الى مغارة قاديشا .. كيلومتران مطلوب تمهيدهما ، ولكن على من تقع مسئولية تمهيدهما ؟ على وزارة اشغال ، ام وزارة السياحة ، ام بلدية بشري ، ام لجنة جبران ؟ ان احدا لا يدري ، ولهذا تعيش مغارة قاديشا بعيدا عن الاضواء لا يقصدها الا القليل من الناس.



بين الثلوج .. وذكر الارز يتبعه مباشرة الحديث عن بلدة « بشري » ، فهي جارته تعيش تحت ظلاله .. هو على ارتفاع ١٩٢٥ مترا ، وهي منخفضة عنه بمقدار ٤٢٥ مترا ..

وفيما بين الاثنين ، حفرت الطبيعة داخل الجبل متحفا للفن عجيبا اطلقوا عليه اسم مغارة قاديشا. رواسب كلسية مدلاة من السقف ، تلتقي مع البلورات النامية من الارض .. وتنعكس الاضواء على الاثنين ، فتعطي اشكالا وصورا غاية في الروعة والجمال .

ومن هذه المغارة (مغارة قاديشا) ينبع نهر قاديشا .. تماما مثل بقية المغائر .. مغارة جعيتا ينبع منها نهر الكلب .. ومغارة افقا ينبع منها نهر ابراهيم ..

سيمفونية التاريخ

ووقفنا في مغارة قاديشا نصيخ السمع .. قطرات المياه تتساقط من السقف الى الارض في موسيقى هادئة رتيبة ، لا يعكر انغامها غير هدير مياه نهر قاديشا الزمجرة ، وكأنها تحتج على رحلة الضياع المقررة لها ، بين امواج البحر المتوسط دون ان يعترضها معترض ..

اصوات صاخبة ، واخرى ناعمة كأنها تروي تاريخ هذه المنطقة وقصتها ..

اما عن التاريخ فهو حاضر في اسماء البلاد : فاسم وادي قاديشا مشتق من كلمة قديشو السريانية ، ومعناها الوادي المقدس ، حيث كان يتعبد النساك في المغائر والكهوف .. وعكس هذا نراه في تحليل كلمة بشرّي المحرفة من « بيت الشري » ومعناها بيت عشتروت الهة الخصب والجمال والحب عند الفنيقيين .. ويرفض اهل بشرّي بقية التفسيرات لاسم بلدتهم ، مفضلين الارتباط بعشتروت ، خاصة انهم عثروا على معبد اثري كان مخصصا لطقوس عبادتها في المنطقة .

ومازالت بقية الاثار القديمة مختفية في المغائر والكهوف .. والقليل الذي عثروا عليه لآثار الانسان الاول لم يعد له اثر ، فقد باعوه لهواة الآثار منذ زمان بعيد !

« جرن الكبة » وعروس بشرى

وقديما كان المهاجر اللبناني يأتي من مهجره



جميع الطرق تؤدي الى بشرّي ! من بيروت الى البترون ، شكا ، كسبا، حدث، الجبة ، بشرى ١٤٠ كيلومترا .. ومن طرابلس، زغرتا ، سبعل، اهدن ، بشرّي ٥٤ كيلو مترا .. ومن بيروت بعلبك ، اليمونة ، عيناتا ، الارز بشرّي ١٥٠ كيلومترا .. ولكن طريق بعلبك عيناتا متعرجة شقها الفرنسيون قديما ، وتكملتها من عيناتا الى الارز - ٢٥ كيلومترا - تصبح متعرجة تغطيها الثلوج ٦ شهور في السنة، لهذا تجرى حاليا دراسات من اجل شق نفق من بشرّي الى عيناتا مباشرة ، كما يدور التفكير لمد طريق يربط قمم الجبال ببعضها : بشرى - اللقلوق - فاريا - ضهر البيدر .





لاتحاول ابدا الصعود الى قمة الجبل في الشتاء، مرتديا ملابسك الشتوية التي ترتديها عادة في المدينة فالبرد قارس لايرحم .. ان درجة الحرارة في بشرى تصل الى ٢٠ درجة تحت الصفر في الشتاء ! . ونصيحة اخرى ، لاتحاول أن تتزلج على الثلج دون نظارة سميكة على عينيك ، مثل التي ترتديها الفتاة في الصورة السفلى .. وتزداد برودة الجو مع هبوط الليل ، ولكن الجلوس حول المدفأة عند « وجيه شباط » وتناول القهوة وعصير التفاح ، والتسلية بالاحاديث ، يجعلانك تنسى تماما الصقيع البارد الذي يلفح المنطقة .. وبينما تجد الاكثرية تفضل المكـــوث في منازلها ، نجد بعض شباب بشرى يتسللون الى فنادق الارز ، حيث تقام الحفلات الصاخبة ، وتعزف الفرق الموسيقية حتى الصباح للترفيه عن المتزلجين على الثلوج ..





بامريكا ، الى بشرى مباشرة ، ليتزوج من احدى بناتها .. ولكن الامور لم تكن تسير دائما وفق ما يشتهي ، فحتى يفوز المهاجر باحدى بنات بشرّي الجميلات ، كان يتعين عليه رفع جرن الكبة الرخامي الثقيل بيديه فوق راسه على مشهد من الاهل والاصدقاء .. ووزن هذا الجرن – لزيادة معلوماتك – يتراوح ٦٠ و ٧٠ كيلو جراما !!

امتحان عسير لقوة المهاجر ، وحمل بسيط لاهل بشرى القدامي الذين تربوا على اكل التفاح ، وشرب عصيره ، فاشتهروا بقوة باسهم ، وصلابة عودهم ، مما حدا بكل مناضل هارب من وجه الاحتلال العثماني ، ان يلجأ ويحتمي ببشرّى على راس الجبل ، لمناعتها وصعوبة الوصول اليها ..

مناقيش وسنبوسك

وقد وصف امين الريحاني عام ١٩٠٧ مصاعب



في غرفة الخرائط بثانوية بشرّي ، وقفت الفتاة والفتى يقرآن ويبحثان بين الكتب والمراجع .. ان بشرّي الغد تعقد الامال كلها على ابنائها ، من اجل اعادة تنظيمها وتغيير نظامها الاقطاعي ، الذي يستند على العصبية العائلية .

الطريق الى بشرّي والمشاق والمخاطر التي يصادفها المرء اثناء صعوده الى قمة الجبل على ظهر بغلة ، باسلوب ساخر ممتع ..

هذا عن الامس ، اما عن اليوم فاصبحت سيارات الاجرة تنطلق متتابعة الى بشري من ساحة البرج ببيروت ، حاملة المسافرين في رحلة هادئة مقابل خمس ليرات للشخص ..

وانطلقت بنا السيارة على طريق معبد طوله ١٤٠ كيلو مترا متجهة من بيروت الى بشرّى .. جبال لبنان عن يميننا ، والبحر المتوسط عن يسارنا .. المخابز والمقاهي متناثرة على امتداد الطريق .. وقفنا نتامل مخبزا يعمل .. انها العائلة باكملها تعمل فيه .. هذه ارغفة ساخنة عليها زعتر اخضر ، وزيت زيتون .. انها مناقيش بالزعتر .. وهذه شطائر على هيئة سنبوسك محشوة بالسبانخ والصنوبر واللحم مع البصل المفروم .. وتلك هي « الصفيحة » اى اللحم المتبل على عجين والمخبوز في الفرن ..

لقاء مع الثلج

وبدانا نلتهم هذه الماكولات الشعبية الشهية .. والسيارة تقطع المدن والقرى واحدة بعد اخرى : جونية ، المعاملتين ، جبيل ، البترون .. وعند قرية «الشكا» انحرفنا يمينا وبدانا صعود الجبل.. لون التربة يميل الى الاحمرار .. وعلى جانبي الطريق بدانا نشهد خطوطا بيضاء متناثرة اشبه برغوة الصابون .. انه اول لقاء لنا مع الثلوج .. وتتابع السيارة الصعود ، وتتكاثر البقع البيضاء وتتضاءل الارض الحمراء ، حتى اصبح الجبل كله مغطى بالثلج الابيض .. ما ابهج الصعود وما اطيب الهواء .. انك لاتشعر بعظمة الجبل وروعته الا عندما تصل الى قمته ..

ولاحت لنا بشرّي من بعيد .. على قمة الجبل والثلوج تغطيها .. ودخلنا المدينة ، فتعجبنا من عدم وجود اثر للثلج على طرقاتها ، لقد ازاحته الجرافات فتجمع عند الابواب والنوافذ ، وفوق الاسطح المغطاة بالقرميد الاحمر ..

واتجهنا الى تل صغير ، وامسكنا الثلج بايدينا، انه ليس مثل ثلج البرادات ، بل ثلج هش مثل حبات الرمال ، اذا ضغطت عليه تماسك واخذ الشكل الذى تريده ، كرويا او مستطيلا ، حسب هواك ..



ليست هناك مشكلة للحصول على زجاجة مياه غازية باردة ، لكن المشكلة هي الحصول على زجاجة ساخنة .. غير باردة !!!

وكانت الثلوج في الماضي القريب تتساقط على بشري بارتفاع مترين ، ولكن بعد عام ١٩٥٠ تبدلت الطبيعة على ما يبدو ، ولم يعد يزيد ارتفاع الثلج المتراكم على المتر الواحد .. هذا في بشري حيث ارتفاعها ١٥٠٠ متر ، اما في منطقة الارز حيث الارتفاع يصل الى ١٩٢٥ مترا ، فان الثلج يتساقط بغزارة تجعل سمكه يتراوح بين خمسة وتسعة امتار .. مما يعطي فرصة للتزلج دون خوف من ذوبان مفاجيء للثلوج ..

ولا يهطل الثلج الا اذا برد الجو ، وهو يتساقط على شكل قطع صغيرة مثل القطن المتطاير ، على فترات متقطعة تبدأ من اول ديسمبر حتى نهاية مارس من كل عام ..

ويظل الثلج محيطا بالمنازل لا يأبه له احد ، اللهم الا عمل فتحة امام باب المنزل تسمح بالدخول والخروج .. واثناء وجودنا في بشري سطعت الشمس لمدة يوم واحد ، فخرجنا الى الشوارع فوجدنا الثلج قد ذاب ولم يعد له اثر ، وكدنا نفقد صوابنا .. فموضوعنا هو الثلج !!

وفي صباح اليوم التالي فتحنا النافذة فوجدنا المدينة كلها مغطاة بالثلج ، لقد هبت الريح الهوجاء على قمة الجبل فالقت باكوام الثلج من قمة الجبل الى المدينة فاعادت لها حلتها البيضاء !!

« شو اسمك يا وديع »

في البلاد الصحراوية الحارة تجد مكيف الهواء البارد من ضرورات الحياة .. ولكن هنا تنقلب الآية ، وتصبح المدفأة التي توزع حرارة النار هي اهم ما في الحياة .. فبينما برودة الجو تنخفض في الخارج الى ٢٠ درجة مئوية تحت الصفر ، تجدها داخل المنزل ترتفع الى ٢٥ فوق الصفر ، بفضل المدفأة التي تعمل بالجاز او الحطب ..

ويتجمع افراد الاسرة في المساء حول المدافيء يتحدثون وياكلون الكستنا الساخنة « ابو فروة » ، والبطاطا المشوية ويلعبون لعبة « الطرنيب » بورق اللعب ، وعندما يأتي الجيران للزيارة يقدمون لهم عصير التفاح الطازج ، ويمضون معهم الوقت في الحديث والدردشة وفي الاجابة على اسئلة لعبة « شو اسمك يا وديع » يدور الحوار على النمط التالي :

ـ شو اسمك ياوديع بحرف الجيم ؟

وهنا يجب على احد الاشخاص ان يذكر اسما جديداً له يبدأ بحرف الجيم .. وتتابع عليه الاسئلة :

ـ شو اسم خشب بارودتك (البندقية) بحرف الجيم ؟

ـ شو اسم الطير الذي اصطدته بحرف الجيم ؟

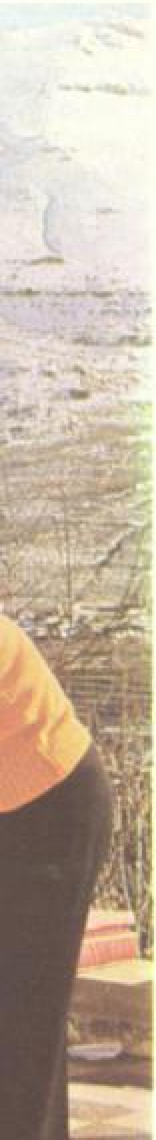
ـ شو اسم القطعة التي اكلتها من الطير بحرف الجيم ؟

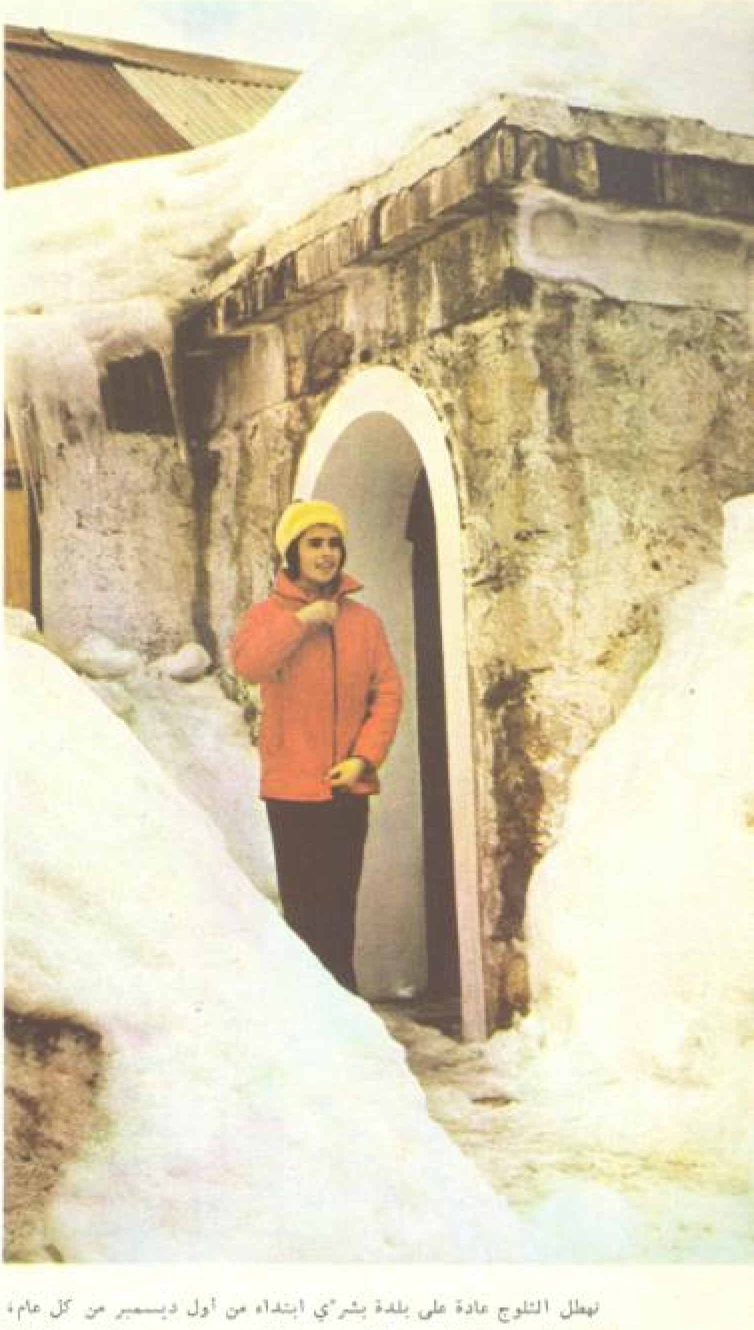
ـ شو اسم القطعة التي لفظتها منه بحرف الجيم ؟

وعندما يفشل الشخص في الاجابة الصحيحة ، يقهقه الحاضرون .. وينتقل السؤال الى شخص آخر .. ويتغير حرف الجيم الى حرف آخر .. وتتكرر الضحكات بينما النيران تستعر في اخشاب البلوط والزان المصفوفة في المدفأة ..

وتغيب الشمس خلف الجبال، ويتسلل الشباب من الجلسات العائلية ، قسم منهم يتجه صوب السينما الوحيدة في البلدة ، وقسم يصعد الى فنادق الارز ليرقص ويستمع الى موسيقى فرق الجاز التي تعزف هناك ..







تهطل الثلوج عادة على بلدة بشرّي ابتداء من أول ديسمبر من كل عام، وتظل تهطل على فترات متقطعة حتى نهاية شهر مارس ، فتكسو المدينة بطبقة ثلجية بيضاء ، يقرب ارتفاعها من مترين .. اما في الارز ، على مسافة ٦ كيلومترات ، فيصل ارتفاع الثلوج الى ٩ امتار . وفي الصورة احدى بنات بشرّي تخرج من باب منزلها الذي احاطت به الثلوج .



الى اليمين : لايحاول اهالي بشري ازالة كل الثلوج التي تهطل على بلدتهم ، وانما يكتفون بفتح طريق يؤدي الى مدخل المنزل تاركين بقية الثلوج للشمس كي تذيبها

الى أسفل : طوق ، فخري، سكر ، كيروز ، شدياق، رحمة ، جعجع .. اسماء للعائلات السبع العريقة الكبيرة في بشري ، أما العائلات المتوسطة الاربع فهي : جبران ، شباط ، عريضة ، شبيعة .. وهذه التكتلات العائلية والتعصب لها ، ما برحت تسيطر تماما على أهل بشري ، ولكن في الجمعية النسائية الوحيدة ، تنصهر العصبيات ويعمل الجميع في التطريز والحياكة ، من اجل خدمة الفقير ، ومساعدة اكثر من ستين أسرة معوزة .



الثلج يزيد حلاوة التفاح

واغلب اهل بشري يفضلون الصيف على الشتاء ، ولكنهم في نفس الوقت يبتهلون الى الله ليزيد من هطول الثلوج على المدرجات الزراعية .. فعلى هذه المدرجات تنمو اشجار التفاح ، وما ادراك ما اهمية شجرة التفاح لاهل لبنان .. انه مثل القطن لاهل مصر .. ومثل التمر لاهل العراق .. ومثل الزيتون لاهل تونس .. ومثل الصمغ لاهل السودان .

الى اسفل : تحولت تحف خشب الارز الى مصنوعات تافهة خالية من كل اثر للفن والجمال والابداع .. ان هذه الصناعة اليدوية المتدهورة تحتاج الى اعادة تخطيط شامل ، حتى توقف عملية الاستغلال والغش ، اذ كثيرا ما يبيعونك قطعة من خشب الصنوبر باعتبارها خشبة من الارز الغالى الثمن جدا لندرته ..



ابن الفقيه والتفاح

ويقول الخبير الفنى لمكتب الفاكهة اللبنانية المهندس ليموئى معلوف : « دخلت شجرة التفاح الى لبنان مع فجر التاريخ ، عن طريق الفتوحات الشرقية .. على أن اول ذكر لوجود التفاح في لبنان سجله ابن الفقيه في القرن العاشر الميلادى (٩٠٣) اذ كتب يقول : ان في لبنان ثمراً يعرف بالتفاح وهو غير لذيذ ولا رائحة له عند قطفه ، وانه نقل بعض الثمار معه في طريقه الى العراق وعندما حط ركابه على ضفاف الفرات اشتم رائحة طيبة جداً ، واذا هى رائحة التفاح اللبنانى بعد ان نضج واصبح طعمه لذيذاً جداً ..

« هذا ولم ينظر في زراعة التفاح بصورة جدية في لبنان ، الا في اوائل القرن العشرين ، عندما رجع بعض المغتربين من اوربا وامريكا ، حاملين معهم اصنافا جذابة ، ادخلوها الى لبنان وزرعوها في المرتفعات الجبلية .. »

وهطول الثلج بغزارة على شجر التفاح معناه زيادة في حلاوة التفاح وفي كمياته .. ويعلل الزراعيون هذا بقولهم : بعد ان تتساقط اوراق شجرة التفاح في الخريف ، تدخل مرحلة « دور الرقاد » ، ترقد خلالها الشجرة بين الثلوج مستريحة هادئة حتى تذوب الثلوج .. ويأتي الربيع فتتفتح البراعم دون ان تتعرض الزهور لاخطار السقوط .. ويبدأ موسم جنى الثمار في الخريف ، يأتي اليه العمال من كل مكان في سوريا ولبنان ..

وعدد سكان بشرى ١٢ الف نسمة تقريبا ، يملك كل فرد منهم ١٥ شجرة تفاح في المتوسط لان مجموع اشجار التفاح فيها هو ١٨٠ الف شجرة تقريبا .. بينما يصل عدد اشجار التفاح في الجمهورية اللبنانية الى اكثر من ستة ملايين ونصف مليون شجرة ..

كرنب بالتفاح

وعندما يتحدث ابن بشرى عن التفاح تراه يندفع بحماس معددا مزايا وفوائد هذه الفاكهة فيقول :

« لو أكل المرء ثلاث تفاحات يوميا تصبح صحته مثل الحصان ، وما بيعود يخاف من الروماتزمات ، ولا الذبحات ولا وجع المعدة ولا الحموضة .. »

اما ست البيت فتتفنن في صنع اطباق الطعام



تنمو في بشري ١٨٠ الف شجرة تفاح ، لتنتج ٣٥٠ الف صندوق من هذه الثمار الطيبة ، التي يبلغ المجموع الاجمالي لانتاج لبنان منها ستة ملايين صندوق ، اي ١٢٠ الف طن .. والمشكلة في بشرّي هي عدم وجود ثلاجات لحفظ التفاح بعد قطفه ، بينما تجد عشرات الثلاجات منتشرة في معظم المناطق اللبنانية .. والصورة العليا توضح حالة اشجار التفاح في الشتاء ، انها فترة الرقاد تستريح فيها الشجرة ، وكلما ازداد الثلج ازدادت حلاوة ثمار التفاح ، التي تبدأ في النضوج مع نهاية الصيف .

التي تحوى تفاحا ، ومن اغرب ما اكلناه « سلطة التفاح مع الكرنب » .. **وهذه وصفتها لربات البيوت** : فنجانان من الكرنب **(او الملفوف كما يسمونه في لبنان)** المفروم ، وفنجانان من التفاح المفروم ، وملعقتان كبيرتان من اللوز المحمص المدقوق ، وثلث فنجان من المايونيز ، وملعقة كبيرة من الليمون الحامض ، وملعقة صغيرة من السكر ، مع نصف ملعقة صغيرة من الملح ..

وعندما تنتهي من خلطها واكلها فلا تلم الا نفسك واهل بشرّى ! ؟ !

ومن اغرب ما سمعناه ان اهل بشرّى يجففون قشر التفاح ويسحقونه مثل البودرة ، ويضعون ملعقة كبيرة من المسحوق في كوب ماء ويشربونه .. وهو علاج فعال لتفتيت الرمال في الكلى والمرارة ، وادرار البول ، ومقاومة النقرس والروماتزم المزمن .. والله اعلم ..

وهناك عشرات الوصفات التي سجلناها لصنع اطباق التفاح بالحامض ، والتفاح بالفرن ، والتفاح مع الجزر ، وكعكة التفاح .. كلها وصفات شهية تضيق صفحات هذا الاستطلاع عن شرح تفاصيلها.

انانيــة !

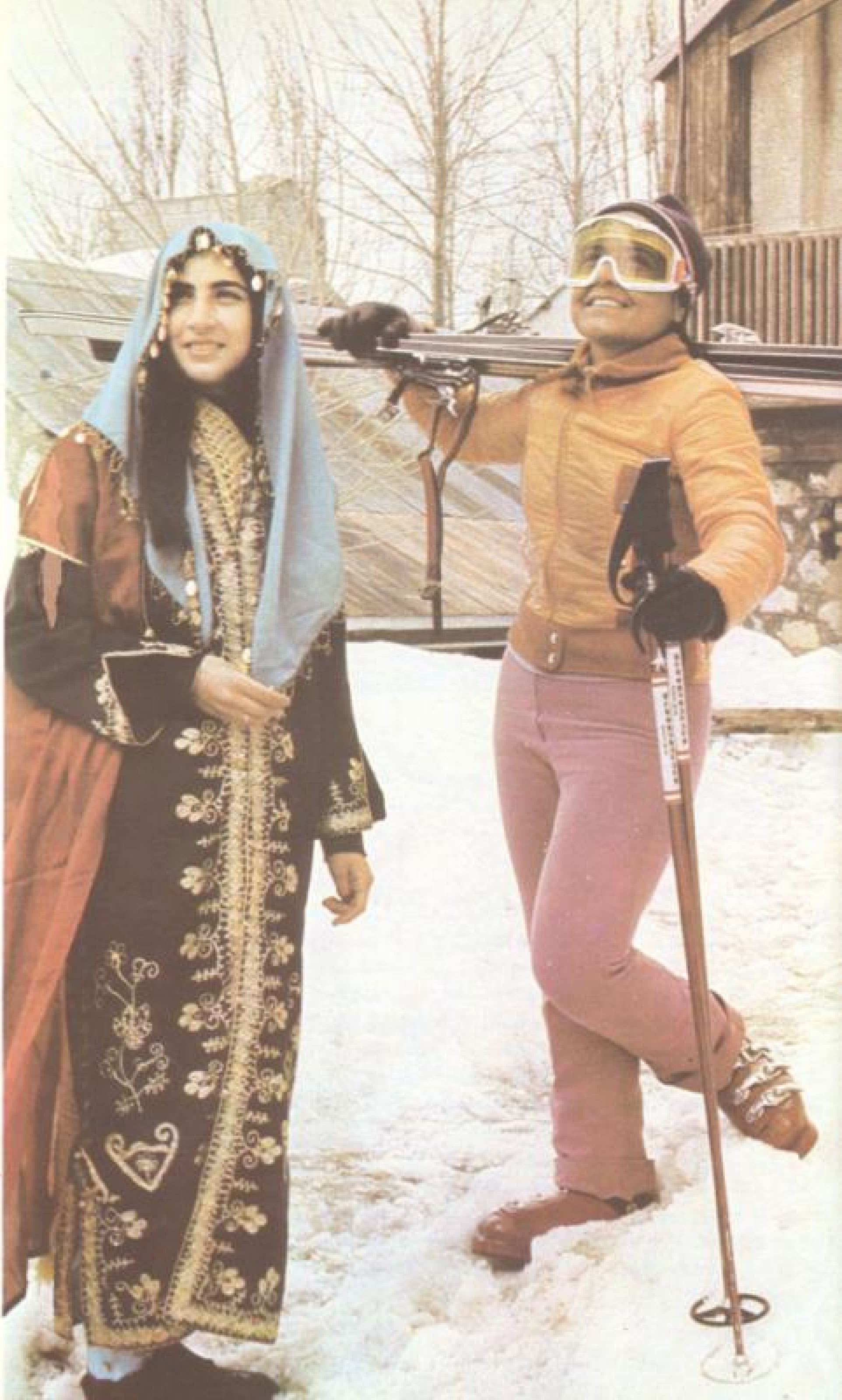
واهل لبنان يبخلون عليك بالمعلومات عن

الى اليسار : المرأة في بشري ما زالت هي المرأة المثالية المحافظة المحتشمة .. ولكنها تقول : « ان هذا الاحتشام لايعني ان نتجمد ، بل يجب ان نساير تطورات العصر ، حتى لا نصبح أشبه بتماثيل في متحف الشمع » وترى هنا فتاتين من بشري ، واحدة حائزة على بطولة التزلج على الثلج ، فتراها دائما تتدرب في زي التزلج ، بينما وقفت زميلتها بالثوب التقليدي المطرز ، للدلالة على مدى التطور الذي طرأ على بنات بشري .





ما من شك في أن الثلوج تغطي منطقة بشري والأرز ، من شهر ديسمبر الى نهاية مارس ، تتيح فرصة رائعة للتسلية البريئة ، وهذا ما فعلته هذه الحسناء ، التي امضت وقتها تجمع الثلوج لتصنع منها « رجل الثلج » وعندما انتهت من صنعه ، احست انه في حاجة الى دفء فخلعت شالها وربطته حول رقبته ، وكأنها شعرت بأن هذا غير كاف فألبسته قبعتها وأحاطته بحنانها .. أما الصورة اليسرى فهي لاحد ابناء بشري مرتديا الملابس التنكرية ، في احد الحفلات التي يقيمونها بمنطقة الارز للترفيه على الزوار ..



١١٥ فتى و ٨٥ فتاة ،
الى أين سيتجهون بعد تخرج
بارضهم ؟ ان الحل الوحيد
الامر متروك للجنة جبران
أن يتركوا التفكير بعقلية





٤٥٠ تلميذة في المدرسة الحكومية الابتدائية المتوسطة .. لقد اكتظ بهم المبنى المستاجر ولم يعد هناك مكان لقدم ، وفي وسط كل فصل توجد مدفأة تعمل بالجاز .. لقد وعدت لجنة جبران منذ سنوات باقامة مبنى جديد للمدرسة ، وحتى الآن لم تنفذ وعدها .

بشري .. انهولا يريدونك ان تصعد اليها ، لانهم يريدون الاحتفاظ بهذه الجنة لانفسهم ، فترى السياحة والاصطياف فيها تكاد تكون مقصورة على اهل البلاد .. وتصعد معهم مجموعات صغيرة من السياح العرب الذين احبوا المنطقة وعشقوها يستاجرون المنازل النظيفة المفروشة باسعار تبدا من ٣٠٠ ليرة وتنتهي عند الفي ليرة للصيفية .

وبعضهم يفضل الاقامة في فندق من فنادقها الثلاثة التي تضم مائة سرير .

المياه الشافية

وعندما يجلس المصطاف على احد مقاهي منطقة الدواليب عند مدخل بشري ، يشعر كانه في حلم اليقظة .. اشجار الزيزفون والصفصاف تظلله ، واطباق الكبة والمازة مرصوصة امامه .. بينما المياه الباردة تتدفق من عيون كبيرة ، كل واحدة وراءها قصة او اسطورة .. هذه تفتت الرمال ، وهذه مياه هاضمة ، وتلك تزيد ادرار حليب المراة الوالدة .. وهكذا مياه متنوعة الفائدة .

وتتابع امام المصطاف روائع الخالق من سحر وجمال طبيعي هادىء .. حتى اشتهرت المنطقة بانها المكان المفضل لعلاج الامراض العصبية وفقر الدم .

يرفضون حمل « الجرن » !

ولكن هذا الجمال الطبيعي الخلاب لم يعد له سحره الطاغي على شباب بشري الذين تخرجوا من جامعات اوربا وامريكا وبيروت ، وعادوا الى

ثانوية بشرى الرسمية المختلطة ، ترى سيتركون بلدتهم ، أم يتمسكون ببلدهم هو ايجاد اعمال لهم .. وهذا اللايين من اهالي بشري ، الذين يجب ويعملوا على بناء بشري الجديدة .





« ايراد كتبي ، وكل شيء املكه اهبه لبشرّي واهل بشري » وتنهال ملايين الدولارات من كل انحاء العالم على لجنة جبران ، ويسمع ابن بشري باخبار هذه الملايين ، ولكنه لا يرى اثرا لها في بلدة،واخيرا قررت اللجنة فتح مكتبة في بشري رصدوا لها مبلغ ١٥ ألف ليرة فقط

بلدتهم يحملون الى جانب الشهادة آمالا كبارا .

انهم يرفضون مبدا التقوقع فوق راس الجبل.. ويرفضون حمل جرن الكبة لاثبات رجولتهم .. ويرفضون مقالات المديح والتغنى بجمال طبيعة بلادهم .. ويرفضون مبدا الحياة اعتمادا على سائح او مصطاف يمر ببلدتهم مرورا (ترانزيت) في طريقه الى اشجار الارز .. ويرفضون نظام الاسر والعصبيات العائلية التى مازالت تتحكم في المنطقة ..

انهم يرفضون اشياء كثيرة ، لأن آمالهم كبيرة ، فهم يريدون ان تكون قمة جبلهم علما تاتم الهداة به .. ويريدون وصل بلدتهم بالطريق اللبناني السياحي الشامل .. ويريدون تصنيع بلدتهم باقامة براد لحفظ تفاحهم، ومصنع لتعليبه وعصره ويريدون جمعية تعاونية تقدم لهم كل ما يشتهون.. ويريدون تنويع انواع مزروعاتهم وعدم اعتمادها على التفاح فقط .. ويريدون توزيعا سليما للمياه المنطلقة بينما الأرض عطشى .. ويريدون بلدية عاملة منتجة نشيطة ، لا بلديه ليس لها اعضاء وليس لها نشاط !

وانطلقنا نبحث عن الحقيقة في منازل بشرّي وفنادقها ، تاركين الجرافات تزيح الثلوج ، و « وديع » يبحث عن اسمه الجديد ..

للفرح والسخط

وجلسنا مع الرجال والنساء والشباب والمسئولين الموجودين ــ وما اقلهم ــ ، وكانت الحصيلة ،



احاديث صريحة لاذعة واعية ، فابن الجبل عندما يتكلم ، يفتح لك قلبه ، اما فمه فتنطلق منه الكلمات كالسياط اللاسعة على الدولة .. لقد ورث حقده على الدولة من اجداده المتمردين الثائرين على ظلم السلطات العثمانية الحاكمة في ذلك الوقت ..

واسهل شيء في بشري هو اطلاق النار .. يطلقونه للتعبير عن فرحتهم في الافراح ، ويطلقونه للعبير عن سخطهم في الانتخابات والمنازعات .. وشتان بين الحالتين !

الكرة تتدحرج الى الوادى !

وليس كل ما سمعناه من اهل بشري يمكن نشره ، مثلهم في ذلك مثل كل لبناني اخر ، لكن المشكل الرئيسي الذى يواجه المنطقة هو غياب التخطيط عنها .. لا توجد يد ظاهرة تخطط ، وهذا يجعل اى مشروع فيها يحتاج الى دراسات عميقة حتى لابعاد النظر فيه .. ان موقع بشري الحالى فوق الجبل لا يسمح بتوسيع المدينة ولا بتحسينها ، ولا حتى باقامة ملعب لكرة القدم ، خوفا من تدحرج الكرة الى الوادى !!

بحيرة على ارتفاع ١٥٠٠ متر

وسألناهم : « اذا كانت صعوبة المنطقة تمنعكم من التوسع . فلماذا لا تفكرون في نقل موقع بشري الحالى ، الى مكان قريب يسمح لها بالامتداد والاتساع بدلا من الاختناق ؟ »

فضحكوا من الفكرة ، واردفوا قائلين : « قد يبدو الاقتراح معقولا ، اذا وجدنا ارضا اخرى مستوية في المنطقة .. ولكن عندنا فكرة افضل من هذه وهي عمل بحيرة طبيعية هائلة على ارتفاع ١٥٠٠ متر من سطح البحر ، لتكون اعلى بحيرة في العالم .. وهذا المشروع يمكن تحقيقه – في اعتقادنا – اذا اقمنا سدا كبيرا على وادى قاديشا ، يمنع ضياع مياه نهر قاديشا في البحر المتوسط ..

« ان اقامة مثل هذه البحيرة سوف يبدل حياة المنطقة ويقلبها رأسا على عقب ، فعلى جانبي البحيرة ستقوم المنازل والقرى السياحية ، ومن اندفاع مياهها عبر السد سنستخرج قوة كهربائية هائلة ، بدلا من القوة الهزيلة المستخرجة حاليا ..

« ومن توفر الكهرباء ستنتعش الصناعة ، وسنجد اعمالا جديدة لابناء بشرى ، وسوف نرى ثروة سمكية هائلة في البحيرة الحلوة .. ان هذا المشروع لن يبدل حياة المنطقة فقط ، وانما سيخرس الاصوات القائلة : « لولا الارز لماتت بشري » .

كيفية تنفيذ المشروع

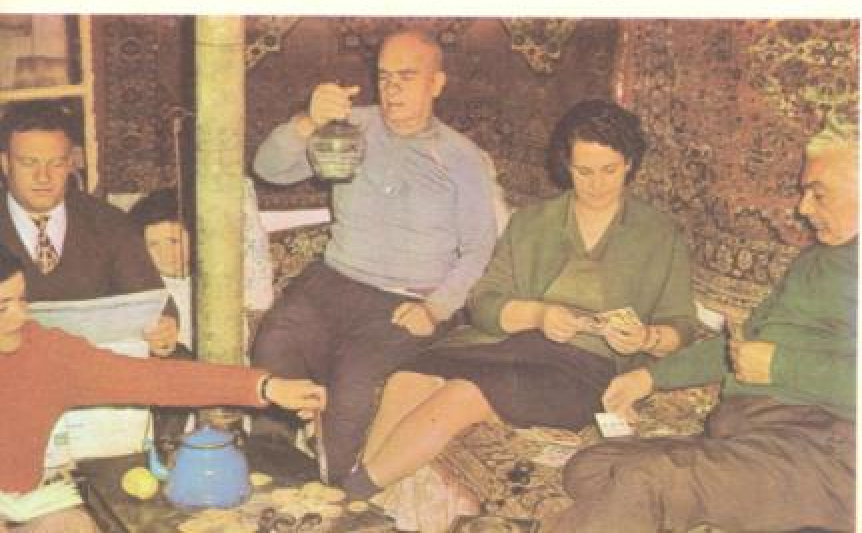
قلنا : « هذا حلم جميل ، ومن اين لكم المال ؟ »

فاجابوا بصوت واحد : « بين ابناء بشرى ١٢ مليونيرا هجروا بلدهم الى بيروت وطرابلس ، دون ان يعملوا مشروعا في بشرى .. أراضيهم بور جرداء ، لا احد يزرعها او يبنيها .. منازلهم كادت تتهدم من كثرة هجرهم لها .. انهم لا يعرفون مسقط رأسهم الا عند موتهم ، فيطلبوا دفنهم وسط اشجار الزيزفون والورود .. وهؤلاء

الى اليمين : الطبيعة المبدعة في اوج روعتها ، تجد صورة منها في مغارة قاديشا الطبيعية ، التي تمتد مسافة ٦٠٠ متر داخل الجبل الاشم تحت اشجار الارز ، ولكن الجزء المفتوح لزوار المغارة لا يتعدى ٢٠٠ متر فقط .. لقد زينت يد الله شمال لبنان بأغلى زينة ، ولكن هذه الكنوز الطبيعية ما زالت مدفونة لاتستثمر .. وكيف يمكن أن تستثمر والهجرات مستمرة من بشري ؟ وهي وان لم تكن هجرات الى استراليا وامريكا ، فهي هجرات دائمة الى بيروت وطرابلس ، حتى مدير فرقة الفلكلور يهجر بشرى في الشتاء حاملا معه مفاتيح الخزانة التي تحوى ملابس الفرقة !! واحصوا ابناء بشرى في بيروت وطرابلس فوجدوهم ٥٥ محاميا و ٣٠ طبيبا شهيرا ، و ١٢ مليونيرا ، ومئات من العاملين في المراكز المالية الحساسة .. لقد نسوا بلدتهم ، ولم يعد أحد يتذكرها الا في وصيته ، فيطلب من اهله أن يدفنوه في بشرى بين اشجار الصفصاف والبنفسج انهم يتذكرونها بعد الوفاة ، اما في الحياة فيتركونها تتخبط ذات اليمين وذات اليسار ! ؟ !



التفاح والماء والوجه الحسن ، عند قمة الجبل في بشري .. احساس غريب ينتابك عندما تقف فوق هذه القمة المرتفعة .. احساس بانك تسبح في بحر من السكون المريح للاعصاب المرهقة ، حتى لتشعر انك لم تعد تسمع سوى حفيف الرياح ، وكأنها ترنم انشودة الخلود المتآلفة مع روحك السابحة في فضاء من الحرية .







ثلج ونار .. عند باب منزلها جلست أم مريم ترق المرقوق ، وتنقله من يد الى أخرى ، قبل أن تضعه على فرن الصاج .. والمرقوق هو الخبز المفضل في لبنان .

الى اليمين : ليالي الشتاء الباردة تقضيها أسر بشرّي حول المدفأة : الفتاة تشوي البطاطا والكستنة ، والأهالي يتسلون بلعب الورق وقراءة الصحف

الى اليسار : ارسل صورتك مع ٥٠ ليرة ، فيخلدها لك جوزيف بمثقابه الكهربائي على قطعة من خشب الارز ذي الرائحة النفاذة .. وشجرة الارز محرم قطعها ، ولكن الثلوج تكسر بعض أغصانها ، فيبيعونها بالمزاد

اصحاب الملايين يمكنهم ان يقوموا بتمويل الخطوات الاولى اللازمة لدراسة هذا المشروع فنيا وعلميا..»

مليون دولار ، ايراد كتب جبران

وارتفع صوت من بين الجلوس قائلا : « ولماذا تذهب بعيدا وعندنا ايرادات كتب جبران ؟ لقد ولد جبران خليل جبران في بشري ، ومات في امريكا وكتب في وصيته : كل شيء املكه ، وريع كتبي اقدمه لبشري واهل بشري » **وتساءلنا عن قيمة ايراد هذه الكتب فقالوا لنا :** في العام الماضي بلغت ايرادات كتب جبران ما يقارب مليون دولار ، وفي هذا العام ستقفز الى مليوني دولار بعد ان بدات ترجمة كتبه الى اليابانية والصينية، ان لجنة جبران عندها خمسة ملايين ليرة في صندوقها .. والمشاريع التي تقوم بها هزيلة لا تتناسب مع ايراداتها ، فلماذا لا تقوم اللجنة مثلا بتمويل دراسة اقامة سد كبير على وادي قاديشا مع بحث امكانية معالجة تربة ارض الوادي حتى لا تتسرب المياه منها .. ؟

ان اديبنا الكبير سوف ينام مرتاحا في قبره اذا تم تنفيذ الخطوات الاولى لهذا المشروع .. بدلا من المشاريع التي تعالجها اللجنة حاليا بعقلية محلية تجارية ضيقة .. »

الى اسفل : ٤٨ عاما ، أولها في بشري ، وآخرها في نيويورك من ١٨٨٣ الى ١٩٣١ تلك هي الفسحة التي اتاحتها الاقدار لجبران خليل جبران ليقول فيها كلمته .. وهذه بعض محتويات منزله في نيويورك ، نقلت الى بشري لتصبح غرفة مستقلة في متحف جبران



٥ آلاف نسخة اسبوعية

ومما يذكر ان جبران خليل جبران الشاعر والفيلسوف والرسام ولد في بشرى ، او مدينة المقدمين ، عام ١٨٨٣ وفي عام ١٨٩٤ رحل الى نيويورك مع عائلته ليعود بعد ثلاث سنوات الى بيروت يتعلم في مدرسة الحكمة ، ثم سافر بعدها واستقر في الولايات المتحدة ..

ولجبران مؤلفات بالعربية هي :

رسالة في الموسيقى وعرائس المروج ، والاجنحة المتكسرة ، والارواح المتمردة ، والمواكب والعواصف .. اما مؤلفاته الانجليزية فهي : المجنون ـ رمل وزبد ـ السابق ـ النبي ـ يسوع ابن الانسان ـ آلهة الارض ـ التائه ـ حديقة النبي .

واشهر كتبه على الاطلاق هو كتاب « النبي » وقال جبران : « كتاباتي كلها ثرثرة بعد كتاب النبي .. » وقد نقل هذا الكتاب الى اكثر من ثلاثين لغة بينها اليابانية والصينية .. وفي عام ١٩٦٥ نشرت مجلة تايم الامريكية : لا يزال النبي منذ صدوره عام ١٩٢٤ يزداد انتشاراً سنة بعد سنة ، فمن ١٢ الف نسخة نقلت عام ١٩٣٥ ارتفع العدد الى ٢٤٠ الف نسخة في عام ١٩٦٤ واليوم يباع من « النبى » نحو خمسة آلاف نسخة في الاسبوع.

لماذا .. ؟

وقالوا لنا : « لقد مضى ٣٧ عاما على لجنة جبران وهي تجمع ملايين الدولارات والذهب من كتبه ، ولكن بدون اي فائدة تعود على بلدته .. ان اللجنة عاجزة حتى الآن من بناء مدرسة للبنات بدلا من المدرسة القديمة التي تحشر فيها الفتيات.»

واتجهنا الى المدرسة ، وبعد ان شربنا اكواب عصير التفاح في مكتب الناظرة سالناها :

ـ هل تقدمون للاطفال كوبا من الحليب يوميا ؟

فاجابتنا : « حليب .. ولماذا .. ؟ ان المريض يصعد الينا ليعالج نفسه طبيعيا ، فمناخ ومياه بلدتنا .. هما أفضل غذاء صحي للصغار والكبار على حد سواء .



« لا انكر وجود نقمة شعبية على المجلس البلدي .. ولكن ماذا نعمل .. المشاريع تحتاج الى أموال، والاموال غير متوفرة .. والشعب غير متجاوب مع المجلس بالمرة .. » هكذا قال لنا أمين سر المجلس البلدي ، الذي استقال منه سبعة اعضاء وبقي خمسة ، لا تجد لهم أثرا في بشرّي ، فهم دائما خارجها .. وانعكس هذا على المدينة ، فانعدم فيها الجمال والتخطيط .. حتى اننا لم نعثر على شجرة واحدة في ساحة جبران ، الميدان الوحيد في بشري ، الذي ترى صورته فوق هذا الكلام .

وسألناها عن عدد التلميذات فقالت : « ٥٠٠ تلميذة محشورات في الصفوف لضيق المكان .. ولكن لجنة جبران وعدتنا بمبنى جديد ، نرجو أن نراه قريبا .. »

نريد تكملة علومنا

وفي الفصل الثاني المتوسط وقفت احدى الفتيات تجيب على اسئلتنا قائلة : « قديما كانت فتاة بشرّي تكتفي بالتكميلية (اي الشهادة المتوسطة) وتجلس في انتظار (العريس) ، وتعمل معلمة على الاكثر ، أما اليوم فكلنا نريد تكملة علومنا العالية وتخصص .. اننا في عصر المساواة مع الرجل .. »

والفتاة في المرحلة الثانوية تشترك مع الفتى في التعليم المختلط في ثانوية بشرى ..

ترى كيف سيكون بامكان المرأة هنا ان تعمل وتحافظ **على شهرتها التي مفادها :** « وين ما راح الزوج ، يمكنه ان يدير ظهره مطمئنا الى اخلاص زوجته البشراوية ووفائها .. »

واجتمعنا بعضوات الجمعية النسائية الخيرية : ١٢ امرأة يعملن بصمت من اجل مساعدة ٦٠ اسرة مستورة .. ان المرأة البشراوية نشيطة مندفعة في حماسها حتى قالوا فيها :

« المرأة تزرع ، والرجل يجني »

وحلاوة المرأة هنا تجمع بين عذوبة الماء ، ولطف الهواء وحلاوة التفاح ، لها أريجها الخاص والوانها المنسجمة .. فهي التفاحة المحرمة ، وهي التفاحة الذهبية ، وهي التفاحة الطاهرة التي لاغنى عنها!

هجرة خارجية وداخلية

وعدد النساء في بشري يفوق عدد الرجال ، ولكن منطق الارقام هنا عجيب ، فعدد المسجلين في القوائم الانتخابية ١٢ الف نسمة ، في حين ان



الى اليمين : لاول مرة تنشر صورة للوحات جبران الزيتية ، بعد ان ظلت حبيسة القبو فترة ٤٠ عاما ، ولولا اعتصام مائتي شاب من بشري ، لما تبدلت لجنة جبران ، ولما استطاع احد رؤية هذه اللوحات الرائعة الاربعمائة والاربعين ٧٩ منها زيتية ، والباقي بالالوان المائية ، والقلم الرصاص .. ورسوم جبران ليست سوى قصائد حروفها الوان وكلماتها اشباح !

الى اسفل : « لا تحملوني الى الجبانة ، لأن الزحام يزعج راحتي ، وقصقصة العظام والجماجم تسلب سكينة رقادي .. احملوني الى غابة السرو واحفروا لي قبرا في تلك البقعة ، حيث ينبت البنفسج بجوار الشقيق ، اغمروني بالتراب الناعم ، والقوا مع كل حفنة قبضة من بذور السوسن والياسمين والنسرين ، فتنبت على قبري ممتصة عناصر جسدي ، وتنمو في قبر محفور في الصخور حيث ينبت البنفسج بجوار الشقيق !. ناشرة في الهواء رائحة قلبي .. » وعند مدخل بشري يرقد جبران وعند هذا القبر تقام سنويا حفلتان : واحدة في نيسان ، ذكرى وفاته ، وأخرى في شهر آب ، ذكرى وصول جثمانه الى بلدته .







الموسيقى قبل المصنع والمعمل ! فالموسيقى غذاء الروح .. لهذا اقامت لجنة جبران مركزا يتعلم فيه شباب بشرى الغناء والنوتة الموسيقية .

القاطنين فعلا في بشرى لايزيد على خمسة الاف .. ولكن ابن بشرّي يقول : « هناك ٥٦ الف بشراوى مبعثرين في امريكا واستراليا » .

والهجرة ليست مقصورة على الشباب طلبا للرزق .. بل هناك الهجرة الموسمية في الداخل المرتبطة بتساقط الثلوج حيث يهرب منها معظم سكان بشرى الى طرابلس او بيروت .

على ان روحا جديدة بدات تشق طريقها في صفوف الشباب البشراوى وبعد اطلالة العهد الجديد فقد قال لنا الشباب في بشري : « لن نهجر بلدتنا الى استراليا او اميركا او حتى بيروت او طرابلس انها ارضنا ... هنا ولدنا ... وهنا سنعيش ملتصقين بصخور جبال بشرّى وفق الاسلوب الذى سنختاره لحياتنا » .

نائب بشري يتحدث ..

وتوجهنا الى نائب بشري لسنوات متواصلة ، ورئيس المجلس الوطنى لانماء السياحة اللبنانى . الشيخ حبيب كيروز ، نروي لهما راينا فقال معقبا :

« ان الذى لايفهم تاريخ منطقة الشمال منذ العهد الاستقلالي ، وما قبل ذلك ، يصعب عليه أن يفهم هذه الروح الجديدة التي بدأت تدب في صفوف ابناء بشرى وشبابها مع اطلالة العهد الجديد .

« كان الشمال دائما مهملا . وكانت العهود السابقة المختلفة تجهل او تتجاهل وجوده على الخريطة اللبنانية . ولعله من أقسى المهمات التي كانت ملقاة في الماضي على كاهل النائب الشمالى ؟ ونائب بشرى بصورة خاصة ، هى جهل أصحاب السلطة في العاصمة بطبيعة المنطقة وحاجات أهلها ومتطلباتهم . ولقد كانت مهمتنا الاساسية هي شرح ما هو بديهي . وكانت الايام تمضي والتنكر لمطالب منطقتنا والشمال بصورة عامة مستمر على حاله .

حتى الى اول مرة في تاريخ لبنان ، رئيس للبلاد من منطقة الشمال يعرف معرفة اليقين آلامها وآمالها . ولاول مرة في تاريخها السياسي يجد النائب الشمالي نفسه ليس بحاجة لشرح البديهيات عن المنطقة ، التي يدركها الرئيس الاول أكثر من أى لبنانى آخر ، بل ينصرف بكليته الى دراسة المشاريع واعدادها على الوجه العلمى المطلوب ، لاقرارها من قبل السلطات العليا بما يكفل للمنطقة الشمالية تقدمها والتعويض عما أصابها من حرمان .

« لا تسلنى عن سر تمسك شباب بشرى بارضهم وصمودهم مع الصخر والجبل .. فقد بات لديهم اخيرا أمل في ان التمسك بالارض والعهود لا بد ان يحمل معه الخير والتقدم والازدهار هذه المرة .

« حكاية تاريخ منطقتنا منذ كان الاستقلال حتى اطلالة عهد الرئيس فرنجية هى حكاية الخيبات المتواصلة والتنكر المستمر . اما حكاية الحاضر منذ ان تسلم الرئيس فرنجية سدة الرئاسة الاولى فهي حكاية الامل المرجو الذى لابد له ان يتجسد حقيقة تعوض عن كل الذى مضى ، بحيث يصبح الشمال كما يجب ان يكون : قلب لبنان النابض » . ■■

سليم زبال



مِنَ الوِجهَةِ النَّفسِيَّةِ فى الأَدبِ وَنَقْدِهِ

تأليف : محمد خلف الله أحمد

عرض : م . خ . ت

■ مؤلف هذا الكتاب مرب واستاذ جامعي ، أتم تربية نفسه بنفسه ، وكان في شبابه اسوة حسنة لزملائه في الجد والاستقامة ، والاقبال على الدراسة والبحث ، بدا شأنه ينبه عقب الثورة المصرية سنة ١٩١٩ حين دخل بعدها « دار العلوم » العليا التى كانت غاية مصر منها تخريج مدرسين متنورين اكفاء للغة العربية والدين في مدارسها العامة ، وكان مما ابرزه بين زملائه ـ والحركة الوطنية يومئذ على اشدها ـ شخصيته المهذبة العزوف ، وحماسته الوطنية ، وقدرته على الكتابة والخطابة ، وتمكنه من نظم الشعر (على النحو الذى كان يستحسنه يومئذ شيوخ دار العلوم وطلابها والمشاركون في الثقافة بعامة) ، وذلك ما وجه اليه انظار زملائه واساتذته ، بل رجال الدولة ايضا ، وفي مقدمتهم الزعيم سعد زغلول ، فلما تخرج مبرزا بين زملائه ارسلته الدولة الى جامعة لندن ، فأتم هناك دراسته التربوية والادبية ، ، وعاد الى مصر سنة ١٩٣٧ فانضم الى هيئة التدريس في كلية آداب القاهرة ، وفيها تفتحت له الفكرة التى يدور حولها هذا الكتاب ، وكانت محور محاضراته على طلابه هناك .

كيف تهيأت فكرة الكتاب لمؤلفه

في سنة ١٩٢٦ انتقل الاستاذ احمد امين من منصة القضاء الشرعي الى منصة التدريس بكلية آداب القاهرة ، ووكل اليه تدريس علوم البلاغة ، فظل يدرسها قرابة عشر سنين ، وكان يختار منها كل سنة موضوعا جديدا ، ليبحثه ويدرسه لطلابه ، وخلال ذلك احس انه لا بد من الخروج بالبلاغة من مجالها التقليدى الضيق الجامد الذى يؤسفنا ان نشير الى انه لم يزل كذلك الى اليوم ، في بعض كلياتنا الجامعة ، حتى اقسامها العليا ، فانتقل الاستاذ احمد امين بالبلاغة الى مجال اخصب واوسع ، هو النقد الادبي ، ومن اجل ذلك اطلع على ما كتبه فيه العرب والافرنج ، واقترح تدريسه في كلية الآداب ، وتطبيق قواعده على الادب العربي ، لانه رآها تنطبق عليه ، كما

تنطبق على ادب الغرب فكانت محاولته اول محاولة جامعية لدراسة النقد الادبي على النمط الحديث، وقد اخرج في ذلك كتابه « النقد الادبي » في جزئين .

فلما انتقل مؤلفنا الاستاذ خلف الله الى كلية آداب القاهرة سنة ١٩٣٧ ، تعاون فيها مع الاستاذ احمد امين، كي يخطط لمشروع جديد في الدراسات العليا بقسم اللغة العربية ، وهذا المشروع « صلة علم النفس بالادب ونقده » فعرض جوانب منه على طلابه في هذا القسم ، ثم واظب عليه بعد انتقاله الى كلية آداب الاسكندرية سنة ١٩٤٦ ، وكان من نتائج دراسته لهذا الموضوع في الجامعتين ان تهيا له هذا الكتاب « من الوجهة النفسية في الادب ونقده » فطبعه لاول مرة في سنة ١٩٤٧ ، متضمنا خمسة فصول ، ولم ينقطع المؤلف عن التبشير بدعوته في ربط الادب ونقده بعلم النفس حتى بعد ان صار عميدا لكلية آداب الاسكندرية والى ان صار ـ كما هو الآن ـ عميدا لمعهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة ، وهو معهد يضم دارسين من خريجي الجامعات المختلفة في اقطار الوطن العربي، وتبشير المؤلف بفكرته واضح في معظم بحوثه ومقالاته وكتبه التى الفها او ترجمها منذ وضع مشروعه سنة ١٩٣٧ حتى الآن ، ونتاجه الثقافي خلال هذه الفترة الطويلة غزير وفير ، بل ان المؤلف حين اشترك في المؤتمر العربي الاول الذى عقدته الجامعة العربية في لبنان سنة ١٩٤٧ ـ مضى يبشر بفكرته في «لجنة ترقية اللغة العربية» واقترحها في تدريس البلاغة والنقد في مدارسنا الثانوية ، فووفق على اقتراحه ، ولم يزل نافذا في مدارسنا حتى الآن .

استاذان ووجهتان وكتابان

ويبدو من هذه الاشارات الوجيزة ان كلا الاستاذين احمد امين وخلف الله كان وفيا لشخصيته ومزاجه وثقافته ، مع اشتراكهما في تدريس موضوعات البلاغة وتطويرهما لها الى حد يعتبر في جامعاتنا متقدما حتى الآن ، فالاستاذ احمد امين خريج القضاء الشرعي والعالم الاصولي المؤرخ المتفلسف يوسع البلاغة لتصير نقدا ادبيا ، ويعينه من هذا النقد اصوله ومبادئه ثم تاريخه عندنا وعند الغربيين وهم الذين سبقونا في هذا المجال بدراسات مبتكرة حية واسعة ، وهذا ما ضمنه كتابه « النقد الادبي » في جزئيه الذى اختص اولهما باصول النقد ومبادئه ، وثانيهما بتاريخه عندنا وعند الغربيين ، وهذا ما يدل عليه عنوان كتابه .

والاستاذ محمد خلف الله خريج دار العلوم ، والمربى الاديب يمضى بدراسة البلاغة في وجهة اخرى مستقلة تناسب اهتمامه بالادب ودراسته العليا في القاهرة ولندن ، فالادب ونقده او « بلاغته » نتاج نفسى وهو من ثم يحاول ان يكشف الصلات بين هذين الطرفين : النتاج ومصدره النفسى ، وفي كشفه عن هذا المصدر النفسى يستعين بما كتبه الباحثون فيه ، وهم علماء النفس الذين كان لا بد له ان يلتقي بهم حين كان يدرس التربية وعلومها ليختار من نظرياتهم المفضلة عنده ما يعينه على فهم الادب ونقده .

ولقد ظهر هذا الاختلاف واضحا بين الاستاذين والوجهين في كتابيهما ، حتى حين التقيا عند بعض الموضوعات في تراثنا او التراث الغربي ، ومن هذه الموضوعات في تراثنا مثلا الدراسات البلاغية للجاحظ ، وابن قتيبة وقدامة بن جعفر ، وابن المعتز والآمدى صاحب « الموازنة بين الطائيين » وابى هلال العسكرى صاحب « الصناعتين » والقاضى عبد العزيز الجرجاني صاحب « الوساطة بين المتنبى وخصومه » وعبد القاهر الجرجانى صاحب كتابي « اسرار البلاغة » و « دلائل الاعجاز » ، والموضوعات التى التقيا عندها من التراث الغربي كثيرة منها اراء ارسطو في النقد ، والحركتان الكلاسيكية والرومانسية ، واهم هذه الموضوعات الخلاف بين وردزورث Wordsworth وصاحبه كولردج Coleridge في مادة الشعر والفاظه وقوالبه وبواعثه .

وقد ترك المرحوم الاستاذ احمد امين كتابه كما اخرجه في طبعته الاولى ، واتيح للاستاذ خلف الله النظر في كتابه بعد ان طبعه اول مرة منذ ربع قرن ، فعاد يتامل فكرته وينقدها ، ويقدم جوانب منها الى الدارسين في القسم الذى يشرف عليه بمعهد الدراسات العربية في القاهرة ، وهو قسم اللغة والادب ، وبذلك تهيا له موقف اوضح في فكرته عن صلات علم النفس بالادب ونقده ، ولهذا عاد الى الطبعة الاولى من كتابه ، فتناول كثيرا من فصولها بالتعديل والتنقيح ، والحذف

والزيادة ، واضاف الى فصولها الخمسة فصلا سادسا يؤرخ فيه لتطور هذه الفكرة كما ظهرت في الدراسات الادبية العربية منذ العقد الثاني من القرن الحاضر حتى الآن ، ويعرف باهم ما ظهر من البحوث في هذا السبيل ، وهذا هو الكتاب في طبعته الثانية الجديدة .

جذور فكرة الكتاب وتطورها تمهيد تاريخي

في « تمهيد » المؤلف لهذه الطبعة اشار في بضعة سطور الى ان ظروف نشأته وبيئته ودراسته المتخصصة اتاحت له « اتصالا وثيقا بفرعين من الدراسات الانسانية بينهما قربى ونسب : احدهما ادبي لغوي في دراسته العليا بالقاهرة صاحبته ممارسة عملية لفنون الادب من شعر ومقال وخطابة سياسية واجتماعية ، والثاني فلسفي في دراسته العليا في « لندن » ، صاحبه ميل الى تتبع الكتابات الغربية الحديثة في النقد الادبي وميادين احتكاكه بالدراسات الجمالية والنفسية ، وتفتحت للمؤلف من هذا المزاج الثقافي منافذ جديدة في الدرس الادبي ، واتجاه الى ضرورة الاهتمام بالثقافة الانسانية الواسعة في النشاط النقدي » .

هذا هو المطلع الذي بدأ به المؤلف تمهيده للكتاب وفكرته وهو يقدمه الى القراء ، فاذا هو يكشف لنا بذلك ايضا عن اصل عنده لفكرته أقدم عهدا ، وهو اصل اعمق في نفسه وأرسخ في تربيته من عهد التقائه في كلية آداب القاهرة ، بالاستاذ احمد امين ، والتعاون معه لتخطيط مشروعه او موضوعه « صلة علم النفس بالادب » هذا هو الاصل الابعد والاعمق والاعرق للفكرة هو الذي هيأه للارتباط بها ، وهو الذي املاها عليه او أوحاها اليه استلزاما حين وضع خطته الدراسية لهذا القسم كي تتاح في جامعة القاهرة فرصة الاحتكاكوالتطور لهذا الاتجاه من الدراسات الانسانية جمالية ونفسية وادبية ونقدية .

ويحدثنا المؤلف في « تمهيد » كتابهأيضا بنشاطه فيما ترجمه والفه لخدمة هذه الفكرة ، والافادة من النواحي النفسية في تجلية ظواهر الادب ونقده .

بعض التيارات الفكرية التي اثرت في دراسة الادب ونقده

وهذا هو موضوع الفصل الاول ، وفي هذا الفصل اربع حلقات : الاولى في شعور العرب اول نهضتهم الحديثة بالحاجة الى الروح العلمي ، وما قدمته اوربا الحديثة من دراسات ، في مرحلة بعد مرحلة ، لتوضيح التفكير العلمي وتحريره ، وما افادته من الثقافة العربية في هذا الاتجاه حركة التقدم العلمي في اوربا : بدءا بالعلوم الطبيعية ، ثم البيولوجية ثم النفسية ، وامتداد التفكير العلمي الى دراسة الآداب والفنون بعامة .

والحلقة الثانية توضح عناية اوربا بمناهج البحث العلمي وخصائصه ، واثر مذاهب الفلسفة الاوربية في التفكير الادبي والقيم الجمالية في الادب وسائر الفنون ، ونظريات كبار النقاد الفرنسيين الثلاثة : سانت بيف Sainte Beuve وتين Taine ، وبرونتير Brunetière ، واثرها في تطور الفكر الاوربي الحديث ، ثم نشاط الدراسات النفسية ولا سيما التحليلية ، واحتكاكها بالادب وآرائها في الانتاج الفني والتجربة الذوقية والنقد .

والحلقة الثالثة توضح بعض النواحي الفنية والنفسية عند بعض نقادنا القدماء : ابن قتيبة والقاضي الجرجاني وعبد القاهر الجرجاني ، وبعض نقادنا المحدثين .

والحلقة الرابعة تتناول العناصر الذاتية في النقد والادب ، واختلاف الاتجاهات النقدية ، والادب كما تصوره الاغريق والرومان ، والكلاسيون والرومانسيون ، ثم خصائص الادب والذوق والمعرفة ونظرية الادب في النقد الحديث ، وتنتهي الحلقة ببيان الضرورات التي توجب اقامة الدراسات الادبية على اساس منهج واضح .

طبيعة الادب من الوجهة النفسية

وهذا موضوع الفصل الثاني ، وهو حلقتان :

الاولى موضوعها انشاء الادب وذوقه ونقده : وتبين ما ارتآه بعض نقاد الادب وعلماء النفس ، ودراسات النفساني الامريكي ترمان Terman واعوانه الامريكيين في الذكاء والنبوغ والعبقرية ، ودراسات النفساني الانجليزي برت Burt ،

وتلاميذه للتذوق الادبي والفني بعامة ، واثر المزاج في ذلك .

وموضوع الحلقة الثانية هو الذاتية والموضوعية في تذوق الادب ، ودراسات النفسانيين للمتعة الفنية ، ومحاولة تقسيم الناس اربعة انماط تقريبية في استحسانهم للاعمال الفنية ، ولعل ادنى الانماط من يستحسنون العمل الفني ، لما يثيره في نفوسهم ـ عن طريق تداعي المعاني ـ من ذكريات بعيدة من اطراب واشجان غامضة ، واعلى الانماط واندرها من يقفون من العمل الفني موقفا ذهنيا نقديا ، اكثر مما هو نفسي انفعالي ، ولا يجمدون عند موضوع العمل وعنوانه ، بل يتجاوزون ذلك الى نظام العمل وتاليفه ، لان لديهم معيارا ولو ضمنيا للوجه او الوجوه التي ينبغي ان يكون عليها هذا العمل الفني .

وهذا الفصل في جملته يوضح زحف الدراسات النفسية ، لتقتحم على الادب ميدانه ، وتتناول اسسه الجوهرية بالتحليل والتفصيل ، ولا تكتفي في تناولها بالاعتماد على مجرد الملاحظة والتفكير النظري ، بل على التجارب والاحصاءات بين فئات شتى من البشر .

النواحي النفسية والذوقية في بحوث بعض الشعراء والنقاد

وهذا هو موضوع الفصل الثالث ، وفيه بيان حركة اخرى تسير عكس الحركة المبينة في الفصل السابق ، فهنا نجد بعض الشعراء يشتغلون بنقد الادب ، ويحاولون التعمق في بحث اسسه الاولى ، ويوغل بعضهم الى سرائر الشخصية الانسانية ومنابع الفن فيها ، لعله يجد حلا لمعضلاته الادبية ، وهكذا يزحف الادبليقتحم على علم النفس مجاله ، ويشاركه البحث .

وفي هذا الفصل وهو حلقة واحدة ، لم يتوسع المؤلف في الدراسات النقدية لشعرائنا العرب ، ولا لشعراء الغرب ، بل اقتصر في توسعه على عرض تجربة واحدة في ذلك ربما كانت اقوى تجربة من نوعها ، وهي التجربة التي اجراها بينهما الشاعران الصديقان وردزورث وكولردج زعيما الحركة الرومانسية في الشعر الانجليزي في أواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر ، اذ وضعا خطة لنوعين من الشعر احدهما يقوم كل قصائده او معظمها على احداث واشخاص مما وراء الطبيعة ، « على ان يكون الهدف اثارة عناية القارىء ، بطريق التنبيه التخيلي والتمثيلي للاحاسيس والانفعالات التي تصاحب تلك الاحداث والاشخاص لو انها كانت واقعية » وقد تكفل بنظم هذه القصائد كولردج ، والنوع الثاني من الشعر قصائد تقوم على موضوعات الحياة العادية حيث الحوادث والاشخاص مما يجده العقل الباحث في كل قرية ومحلة ، على ان يكون ذا دراية وحس مرهف ، او ذا ملاحظة لا تفلت منها تلك الحوادث والاشخاص حين تلوح لها ، وقد تكفل بنظم هذه القصائد وردزورث ، وكان منها ومن قصائد زميله معا المجموعة الشعرية التي سمياها « القصائد الغنائية Lyrical Ballads » وفي الطبعة الثانية للمجموعة سنة ١٨٠٠ اضاف وردزورث ـ الى المقدمة القصيرة التي خرجت بها الطبعة الاولى ـ مقدمة واسعة ، وضح فيها رايه في طبيعة الشعر وموضوعاته واسلوبه ، وهل له معجم غير معجم النثر ، وهل الوزن جوهري فيه ،وقام كولردج فناقش مالزميله من آراء في هذه الموضوعات ، وقد دل حواره معه على ادب جم ، وعلى انه اقدر على النقد من مناظره ، واوسع قراءة واطلاعا لا سيما في فلسفة الجمال .

وقد لخص المؤلف ببراعة كل اطراف القضية وآراء الشاعرين فيها ، وكشف عن تعمقهما ـ خلال المناقشة ـ في النفس الانسانية ، وكذلك استشهد المؤلف على لغة الشعر كما يراها وردزورث ـ وهي لغة الحياة العادية ـ بما قاله الاستاذ المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق ، عن لغة شعر « البهاء زهير » في كتابه عنه ، وبما قاله الفقيد نيكلسون في كلامه على شعر ابي العتاهية خلال كتابه « تاريخ العرب الادبي » ولو رجع المؤلف الى دواوين شعرائنا خلال الفترة المظلمة وما حواليها لوجد من ذلك شعرا كثيرا ، لا قصدا الى البلاغة السهلة كما توخاها وردزورث ، بل لاسفاف لغة الشعراء في تلك ، اما الشواهد على مثل موضوعات وردزورث فلا توجد بين دواوين شعرائنا الكبار كما توجد في ديوان ابن الرومي ، ففيه من الشواهد الشعرية على ذلك ما يباري قصائد وردزورث ، بل يفوقها عددا ، ويفوقها بلاغة وجمالا في الوصف والتصوير وسهولة الاداء .

المنزع النفسي في كتاب اسرار البلاغة

وهذا هو موضوع الفصل الرابع ، اطول فصول الكتاب ، فصفحاته نحو ستين ، وهو ـ فيما نعلم ـ اوسع دراسة واعمقها في لغتنا لكتاب اسرار البلاغة ، لايباريها عمقا وسعة الا ما كتبه عنه المرحوم الدكتور محمد مندور في كتابه « النقد المنهجي عند العرب » .

وهذا الفصل خمس حلقات ، في الاولى منها دراسة مقارنة او موازنة بين كتابي اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز وكلاهما لعبد القاهر الجرجاني ، وبيان انهما يقومان على نظريتين في البلاغة متكاملتين ، مع بيان غرض مؤلفهما في كليهما ، وان اسرار البلاغة الف بعد دلائل الاعجاز ، ثم بيان آراء القدماء والمحدثين في الصلة بين الكتابين .

وفي الحلقة الثانية عرض لما جاء في اسرار البلاغة من آراء لمؤلفه في الصياغة والتصوير ، ومنزلة البيان من الخصائص الانسانية ، وبيان ان جودة الادب تتوقف على مقدار اثره في النفس ، ثم تطبيق هذه النظرية على ميادين البيان كالتشبيه والتمثيل والاستعارة ، وبيان المعاني الشعرية وانواعها ، والمفاضلة بين الادباء مع بيان حرص عبد القاهر على المنهج العلمي في دراسته .

وفي الحلقة الثالثة : بيان الفكرة الرئيسية في كتاب اسرار البلاغة ، وهي « ان مقياس جودة الادب هو مقدار تأثير الصور البيانية في نفس متذوقها » مع بيان تاريخ هذه الفكرة عند الاقدمين ، وانها جزء من تفكير سيكلوجي او نفسي ، ثم بيان صلة هذه الفكرة بالدراسة المعاصرة .

وفي الحلقة الرابعة : دراسة لتاريخ النقد الادبي عند العرب قبل عبد القاهر (اى من الجاهلية حتى القاضي الجرجاني في القرن الرابع الهجرى) وتكاد هذه الحلقة تكون مقحمة على هذا الفصل لولا انها لازمة لبيان فضل عبد القاهر ، وتقدمه بالنقد الادبي خطوات واسعة مبتكرة .

وفي الحلقة الخامسة عودة لعبد القاهر ، لبيان مقدار تأثره بثقافة الاغريق ولا سيما نقد ارسطو ، ومقدار تأثر البلاغيين العرب بكتابي الشعر والخطابة لارسطو ، وانتفاع عبد القاهر بمباحث كتاب الخطابة في بعض اتجاهاته . مع بيان ما في تفكيره من اصالة ومن تأثر .

انتفاع الناقد الحديث بالدراسات الانسانية لا سيما علم النفس

وهذا هو موضوع الفصل الخامس ، وهو قصير في جملته وفي حلقاته الخمس .

فالحلقة الاولى عرض مقتضب لتطور النقد الادبي خلال العصور ، وبيان انه اعتمد على تتبع الاعمال الادبية التى استجادها الناس في كل امة ، وان مناهج الدراسة الادبية متباينة ، وان لكل نزعة نقدية مكانها في الدراسة ، ولكن لا بد للناقد من الالمام بالدراسات الجمالية والنفسية ، وفي ختام الحلقة اشارة الى البطء في سير الدراسات النفسية في مصر .

وفي الحلقة الثانية توضيح لموضوع العلم وطريقته ، والمنهج العلمي في دراسات الادب ، وآراء في الذوق والفكر والمعرفة ، ومكانتها في فهم الشعر .

وفي الحلقة الثالثة بيان مَن عندنا من الدارسين المعاصرين الذين انتفعوا بالدراسات الانسانية ومنها النفسية ، كما انتفعوا بالمنهج العلمي في دراسة الادب ونقده وقد قصر المؤلف حديثه على دراسة الدكتور طه حسين ورسالته للدكتورية في ابى العلاء ، ودراسة الدكتور احمد امين في تاريخه للحياة العقلية العربية خلال كتبه عن فجر الاسلام وضحاه وظهره . وفي آخر الحلقة اشارة الى الكسل العقلي عند شعراء مصر المعاصرين .

والحلقتان الاخيرتان الرابعة والخامسة خاصتان بالدراسات الادبية للدكتور طه حسين ، ففى الحلقة الرابعة بيان لمظاهر الاتجاه النفسي في دراسات الدكتور لجملة من شعرائنا ومنهم شعراء الغزل في العصر الاموى ، وبشار وابو تمام وابن الرومى والمتنبى وابو العلاء ، وفي الحلقة الخامسة والاخيرة بيان الآراء الذوقية للدكتور في تقديره للمثل الشعرى الاعلى ، والذوق الادبى الحديث ، ومصادر الجمال الفنى في الادب قديمه وحديثه ، ثم طريقته في تحليل القصيدة العربية ، ثم بيان منهجه في النقد ، وانه يجمع بين الذوق والمعرفة.

وفي رأينا ان خير ما اسهم به الدكتور في مجال النقد الادبى هو تحليله الواعي لبعض القصائد العربية ، ثم محاولاته الكثيرة المتنوعة لكى يقوم بيننا تذوق الادب ونقده عن طريق ممارسة النصوص الادبية مباشرة ، على اساس واضح سهل قريب .

تاريخ وتقويم للاتجاه النفسي في دراساتنا العربية للادب ونقده

هذا هو موضوع الفصل السادس والاخير ، وقد اضيف جديدا في الطبعة الثانية ، وهو في امتداده يقارب الفصل الرابع اطول فصول الكتاب ، وفيه تاريخ وتقويم للاتجاه النفسي في الدراسات العربية للادب ونقده خلال هذا القرن ، ويبدأ ذلك في نظر المؤلف برسالة الدكتور طه حسين عن ابي العلاء ، التى نال بها الدكتورية من الجامعة المصرية سنة ١٩١٤ واخرها رسالة ظهرت ١٩٦٩ لاحد تلاميذ المؤلف الجامعيين ، وهو الدكتور يوسف عز الدين السامرائي ، وعنوان رسالته « شعراء العراق في القرن العشرين » وقلما ترك المؤلف رسالة لاحد الجامعيين تتصل بموضوعه ـ خلال هذه الفترة الطويلة ـ الا نوه بها ، واطال الوقوف عندها ولو قليلا ، واما بحوث غيرهم في هذا المجال فلم تظفر من عنايته وعدله او عطفه الا بالقليل ، او ما هو اقل ، وكان هذا موضوع عجبنا منذ صدرت الطبعة الاولى .

هذا الفصل خمس حلقات : ففي الحلقة الاولى بيان ميلاد الاتجاه النفسي بظهور كتاب ذكرى ابي العلاء للدكتور طه حسين ، ثم عند الدكتور ايضا في كتب وبحوث اخرى ، مع اشارة خفيفة الى هذا الاتجاه عند مدرسة « الديوان » ورجالها (وهم العقاد والمازني وشكري) ، ولم يشر المؤلف الى شيء من اعمال شكري ، ثم بين المؤلف هذا الاتجاه في كتابات المرحوم الشيخ امين الخولي ، وفي الكتاب الحاضر بين يدينا للمؤلف ، وهو « من الوجهة النفسية في الادب ونقده » في طبعته الاولى .

وفي الحلقة الثانية بيان هذا الاتجاه النفساني فيما صدر بعد كتابه هذا من كتب الجامعيين ، وقد اختص معظم هذه الحلقة بكتاب « الاسس النفسية للابداع الفني في الشعر خاصة » للدكتور مصطفى سويف ، مع اشارة خفيفة الى كتاب « دراسات في علم النفس الادبي » للاستاذ حامد عبد القادر ، وكتاب « الاصول الفنية في الادب » للاستاذ عبد الحميد حسن .

والحلقة الثالثة خاصة بكتاب « التفسير النفسي للادب » للدكتور عز الدين اسماعيل ، وكان هذا الكتاب رسالة مؤلفه لنيل « الماجستير » وفيه جهد واضح لبيان علاقة علم النفس بالادب ، ومناقشة لبعض القضايا الفنية كازمة الفنان ومشخصات عبقريته والصور الكلية للشعر ، والشكل الموسيقي للشعر العربي القديم ، وتفسير بعض الاعمال الادبية على ضوء الدراسات التحليلية النفسية .

والحلقة الرابعة توضح الاتجاه النفسي في كتاب « قضايا النقد الادبي والبلاغة » للاستاذ محمد زكي العشماوي ، و « التيارات المعاصرة في النقد الادبي » للدكتور بدوي طبانة .

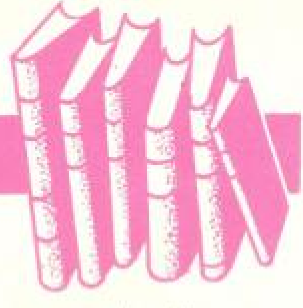
وفي الحلقة الخامسة توجيه للانظار الى ما يكتبه الادباء عن انفسهم ، واشارة الى بعض دراسات حديثة لبعض ما كتبوه ، واخر هذه الدراسات ما تضمنه «كتاب شعراء العراق في القرن العشرين» للدكتور يوسف عز الدين السامرائي .

اما الحلقة السادسة ، وهي ختام الفصل وختام الكتاب كله فتتضمن تقديم المؤلف لفكرة كتابه خلال الخمسين سنة الاخيرة ونتائج دعوته اليها ، وبيان انها ليست دعوة الى مدرسة نقدية جديدة ، وان كل ما تقوله هو ان النقد الادبي اليوم وساطة بين المنشيء والمتذوق ، وان نجاح الوسيط يزداد بقدر تعمقه في فهم اسرار النفس الانسانية ، فلا بد له من الاهتمام بعلم النفس الحديث دون اهمال للدراسات الانسانية الاخرى .

والمؤلف يشير في هوامش صفحات كتابه الى ما يرجع اليه من كتب ، ومع ذلك يشير آخر كل فصل الى مراجعه الخاصة ، ويختم كتابه بذكر مراجعه بعامة ، مع فهرس مفصل لموضوعاته .

ومن دواعي غبطتنا بهذا الكتاب وامثاله ان جامعاتنا وجملة قرائنا في حاجة اليها ، ونحن نرى ما يراه المؤلف في دعوته وندعو مثله دارس الادب الى التزود من علم النفس وسائر العلوم الانسانية ، بل البيولوجية بل الطبيعية ، وان كنا نرى انه لا بد للدارس ، مع هذه المعارف الواسعة ، من بصيرة تهديه في ممارسة دراسة النصوص الادبية مباشرة ، فبغير هذه البصيرة ، وبغير هذه الممارسة المباشرة امدا طويلا ، لا سبيل للدارس يتذوق الادب ونقده ، ولو احاط خبرا بكل العلوم الانسانية والبيولوجية والطبيعية . ■■

م . خ . ت



من الكتب التي وصلتنا

برنارد شـــو
تاريخ حياته الفكري

المؤلف : احمـد خاكي

الناشـر : منشأة المعارف ـ الاسكندرية .

● برناردشو من كبار الادباء الانجليز المحظوظين في لغات العالم ، ومنها لغتنا العربية التى ترجم اليها كثير من مقالاته ، وبعض كتبه ومسرحياته ، كما كتب فيها عن حياته ونتاجه كثير من المقالات وبعض الكتب .

وهذا الكتاب من ادلة حظه عندنا ، وحظنا منه ، فمؤلفه استاذ متمكن من الانجليزية وادبها ، وله كتب فيها وبحوث في تاريخ ادبائها ومفكريها ونتاجهم ، لا سيما برناردشو .

والكتاب بابان : احدهما في تاريخ حياة برناردشو الفكرية ، والثاني في افكاره وآرائه وفلسفته .

تناول الباب الاول اطوار حياة برناردشو منذ مولده حتى وفاته عن خمسة وتسعين عاما ، وما صحب كل طور من ظروفه المعيشية ، وما اتيح له فيه من دراسات وصداقات ومنازعات ، وما واكبه من احوال بلاده واحوال العالم ، وماواجهه من تيارات فكرية وادبية ودينية وسياسية واجتماعية ، فاخذ منها وترك ، وايد وهاجم ، ونزل الى الكتابة منذ كان ناشئا حتى صار كاتبا عالميا ، وفي هذا الباب بيان لجهاده السياسي والاجتماعي خطيبا وكاتبا وبيان لآثاره القلمية .

والباب الثاني يعرض آراءه وافكاره في كل مجال شارك فيه ، ومن ذلك مجال النقد الموسيقي والمسرحي والادبي والاجتماعي ، ومجالات العلم والاقتصاد والسياسة والدين ، وخاتمة الباب فصل عن فلسفته الشاملة التي كان يصدر عنها في كل آرائه وافكاره ، وفي ذيل الكتاب فهرس باسماء مؤلفاته كاملة .

ردود وحـــدود
ومقالات أخــري

تاليف : عباس محمو العقاد

تحـرير : الحساني حسن عبد الله

الناشر : المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت ـ لبنان

● احد آثار المفكر الكبير عباس محمود العقاد يوضح آراءه في الحياة والناس والكتاب نموذج حي لاسلوبه وصورة للطريقة التي يسلكها في معالجة ادق المسائل الفكرية والمشكلات الاجتماعية وقضايا الادب والفن والنقـد .

فالردود مجموعة من المقالات رد فيها الاستاذ العقاد على السائلين المستفسرين عن معضلة او قضية او على طالب للتحكيم في امر ثار حوله الجدال والنقاش .

اما الحدود فهي مجموعة اخرى من المقالات التي فيها كبح لجماح الشاردين وتقويم للحائدين الذين حادوا عن جادة الصواب ، ثم هجوم عنيف على من يغفل الوقوف عند الحدود .

التياترو القديم

تاليف : دكتور عبد المحسن الخشاب

الناشر : مطبعة احمد علي مخيمر ـ القاهرة ـ مصر

● بحث يرسم صورة مبسطة للتياترو القديم منذ نشأته الاولى حتى عصر الامبراطورية الرومانية وقد حرص المؤلف على استعمال الالفاظ القديمة حتى لا يتوه المسمى اليوناني الذى بقي حتى الآن وذلك حرصا لمعرفة اصل الالفاظ التي يقراونها باللغات الاوروبية ومعناها الاول ، وكيف تغير مدلول بعضها الآن كما حاول المؤلف ايجاد كلمات عربية ترادف وتترجم الكلمات اليونانية المعبرة عن نواحي التيـاترو ، فمثلا ترجم معنى الميموس بالكوميديا الشعبية ثم كلمة ساتير بالدراما الاسطورية او الاسطورة ، اما الفترة التي تناولها هذا البحث فتبدأ على وجه التقريب من القرن

السادس قبل الميلاد الى القرن الثالث والرابع بعد الميلاد ، ويبدأ الكتاب بدراسة التياترو اليوناني واصل نشأة التياترو العالمي ثم يتناول دراسة اعلام التراجيديا مثل ابسخيليوس وسوفوكليس ويوربيدس ، ثم ينتقل الى دراسة تياترو العصر الهيلاني والتياترو الروماني ، كما يخصص فصلا للكلام عن نظرية هوراس وتقسيمه للدراما الى غيرها من موضوعات تختص بالتياترو .

قصة التعاون الدولي

تاليف : جيمس آفري جويس

ترجمة : عبد الحميد عبد الغني

الناشر : ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ـ مصر

● يتناول هذا الكتاب قصة التعاون الدولي وما يمكن ان يسهم به لخلق راى عام عالمي على وعي وادراك بقضية التعاون الدولي فهو يوضح تطور العلاقات الدولية منذ فجر التاريخ الى عصر الفضاء ويقص على القارىء سلسلة متصلة الحلقات لما بذلته الانسانية من جهود متعاقبة عبر التاريخ لاقامة نظام دولي يحقق السلام بين الامم والتفاهم بين الشعوب .

كما يوضح الكتاب ما اسهمت به الفلسفات والاديان من مبادىء وافكار وما قدمته الحضارات المختلفة الى التراث الانساني وما قام به العلماء من جهود في تقريب المسافات بين القارات على نحو جعل العالم يبدو ككل متصل من الناحية المادية حتى يصل المؤلف بقصة التعاون الدولي الى منتهاها في الوقت الحاضر في صور المنظمات العالمية والسياسية والفنية .

والكتاب بالتالي يبسط المضمون الشامل لتاريخ الانسانية فهو يتناول التاريخ الثقافي ويعرض لجهود العلماء والمكتشفين بحيث يرسم صورة شاملة مترابطة لتاريخ الانسانية من زواياها المختلفة السياسية والدبلوماسية والثقافية والعلمية، كما يبرز الانجازات والنواحي الايجابية، ذلك لان غالبية المؤلفات تبرز عناصر الفرقة واسباب النزاع بين الشعوب والامم اما هذا الكتاب فانه يبرز العناصر المشتركة والمصالح المتبادلة بين الشعوب فالمؤلف ينجح في جلاء الكثير من النتائج العلمية والامثلة الحية الملموسة للتعاون الدولي مثل دور اليونسكو وغيرها من المنظمات الدولية الفنية .

ادب القاضي

تاليف : ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري الشافعي .

تحقيق : محيي هلال السرحان

الناشر : رئاسة ديوان الاوقاف بغداد ـ العراق .

● كتاب من كتب التراث العربي ينقسم الى جزءين ويمثل اوج ما وصل اليه الفقه الشافعي في القرن الخامس الهجري من تطور واحاطة وسعة، وفضلا عن ذلك فهو كتاب مقارن يجمع الآراء الفقهية للمذاهب المختلفة معززة بالدليل .

ويصور لنا ادب القاضي منهجا قويما للقضاة في انفسهم وفي اعمالهم ،واصولا محكمة للمرافعات. تتناول سير الدعوى منذ البداية حتى النهاية وفق ما تقرره الشريعة الاسلامية السمحاء من عدالة وانسانية وسمو ، وهو بالتالي مرشد ودليل للقضاة والحكام والمشرعين في العصر الحاضر لانه يقرر مبادىء اتفقت عليها العقول قديما وحديثا وتتساير مع احدث النظريات القانونية .

كما ان الكتاب يمثل رأى امام كبير من ائمة القضاء وسياسي عاصر احداثا جساما وشغل مناصب لامعة في بلاط الخلفاء المتعاقبين ، كما انه قاض عاني القضاء ورأي بأم عينيه مشاكل القضاة واحتياجاتهم وما يعترض تحقيق العدالة من عوارض ، ولذلك جاء الكتاب ليس على الافتراض ولكن على اساس من الواقعية .

وقد اعتمد المحقق في تحقيقه لهذا الكتاب على نسخ مخطوط اثرية متناثرة في الشرق والغرب فقام المحقق بتقويم نص الكتاب وايضاح مشكلة وشرح غوامضه وترجمة رجاله والاحالات الى مصادر مسائله الفقهية وغيرها وتخريج احاديثه كما اورد المحقق دراسة وافية عن حياة الماوردي وأهم كتبه.

حكم وأدب ، من مآثر العرب

تأليف / عبد العزيز محمد الأحيدب

الناشر : مطبعة الانصاف / بيروت / لبنان

● كتاب يقع في جزئين جمع فيه المؤلف حكما وقصصا واشعارا ونوادر وطرفا وفكاهات واشياء اخرى مجدية ومفيدة مما زخرت بها مجالس العرب وكتبهم ، وما انطوت عليه عاداتهم وخصالهم الحميدة ، ثم ما طبعوا عليه من كريم الغرائز وحدة الذكاء وقوة الشاعرية وسرعة البديهة وتهذيب الطباع ورقة الشمائل . ■■



الصَّفَاء النَّفْسِيّ

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

■ ليس « **الصفاء النفسي** » بالاصطلاح العلمي الذي نلتقي به في كتب علماء النفس ، وانما هو تعبير فلسفي عن حالة السكينة الروحية التي طالما وصفها لنا صوفية الاسلام . ونحن نتحدث عادة عن السماء **الصافية** التي لا تلبّدها غيوم ، والغدير **الصافي** الذي لا تكدّره شوائب ، ولكننا نتحدث ايضا ــ على سبيل المجاز ــ عن النفس **الصافية** التي لا تعكرها هموم ، والضمير **الصافي** النقيّ الذي لا تشوبه شائبة من اثم . وبهذا المعنى يمكننا ان نقول ان **الصفاء النفسي** هو حالة من النقاء الروحي التي يشعر معها المرء بانه هادىء البال ، قرير الخاطر ، خِلْو تماما من كل قلق . . .

وليس في الوجود نعمة اعظم من ان يستمتع المرء بمثل هذا الصفاء النفسي الذي تصبح معه « الذات » متكافئة مع نفسها ، متطابقة مع وجودها ، دون أدنى تناقض ، أو تمزّق ، أو ثنائية ! وقد لا يكون من المبالغة في شيء ان نقول ان الغالبية العظمى من الناس تحيا دائما في حالة صراع باطني ، فهي لا تعرف هذه السكينة الروحية التي تقترن بمشاعر الوحدة ، والتكامل ، والسلام الباطني العميق .. الخ . وآية ذلك ان السواد الاعظم من الناس يملك ذهنا مشوشا ينفعل لاتفه الاسباب ، ويحمل باستمرار همّ الحاضر ولهفة المستقبل وحسرة الماضي ، ومثل هذا الذهن المضطرب المريض هو بلا شك ذهن ممزّق شقي يجهل سرّ الصفاء النفسي . . .

والحق انه ليس في الحياة شيء يكدّر ــ سعادتنا مثل « الهم » ، « والهم » شعور مركّب يقترن بمواكب من المشاعر السلبية الاخرى ، كالقلق والخوف والجزع واللهفة والخشية والضيق وكثيرا ما يكون موضوع همّنا هو

« المستقبل » : فاننا نخاف « المجهول » ، ونتقلق سلفا على ما يمكن ان يحدث لنا في المستقبل ، ولكن هذا « الهم » قد يكون مجرد تعبير عن احساسنا الضمني بوجود « تباين » أو « عدم تطابق » بين ما نحن عليه ، وما نبغى الوصول اليه . وقد يكون هذا الاحساس شعورا طبيعيا يكشف عن عدم تطابق « الذات الواقعية » بضعفها وقصورها ، مع « الذات المثالية » بسموها وكمالها ، ولكنه قد يستحيل أيضا الى شعور مرَضي حين يصبح كل همّ الذات هو التطلع الى المستقبل ، دون العمل على الافادة من الحاضر . وما اصدق المفكر الانجليزي العظيم كارلايل Carlyle حين يقول : « ليست مهمتنا الرئيسية في الحياة أن نتطلع الى ما يبدو لنا من بعيد مغلفا بالغموض والسرية ، بل ان مهمتنا الاساسية هي أن نحقق بالفعل ما نراه بوضوح ماثلا بين أيدينا ، أو قائما تحت سمعنا وبصرنا » فالهمّ هو العدو الاكبر الذي يتهدّد حياتنا النفسية ، وهو في الوقت نفسه السمّ اللعين الذي يندس في كياننا الروحي : لاننا عندئذ لا نلبث ان نفقد القدرة على التصرف ، لكي نصبح مجرد كائنات حالمة واهمة ، ضعيفة واهية !!

الحقد والكراهية
عدوان اساسيان للصفاء النفسي

ولو اننا القينا الآن نظرة فاحصة على التجربة البشرية العادية ، لوجدنا أن ما ينتزع منا الصفاء النفسي في معظم الاحوال،انما هو الحقد والكراهية والرغبة في الانتقام . وآية ذلك اننا كثيرا ما نجد لدى الآخرين ردود افعال لا تخلو من عدوان ، او صراع ، او تحد ، وعندئذ قد يتبادر الى اذهاننا ان نواجه الشر بالشر ، والعدوان بالعدوان ، دون ان يخطر على بالنا اننا بذلك نذكي نيران البغضاء ، ونزيد اوار الشر ! وربما كان من مصلحتنا ـ في بعض الاحيان ـ ان نغض الطرف عن بعض المساوىء التي يقترفها في حقنا الآخرون : فان من شان هذا الاهمال او التجاهل ان يقذف بها الى زوايا النسيان ، وان يزيد في الوقت نفسه من صلابتنا الروحية في مواجهة اسباب العدوان . وكثيرا ما تكون سعادتنا رهنا بمدى قدرتنا على الامتناع عن تذكر الاحداث الاليمة، والكف عن اجترار الرغبات الشريرة ، والعدول عن تنمية نوازع الحقد والكراهية في نفوسنا ! وليس من الضعف في شيء ان يتجاهل المرء احيانا بعض الاساءات الصغيرة : فان من شان هذا التجاهل ـ او التسامح ـ ان يكون بمثابة اعلان صريح عن قدرة الذات على الصفح او الغفران (وهي قدرة لا تملكها الا النفوس الكبار التي صهرت معادنها الام الحياة وشرور الناس !) .

الصلة بين
الصفاء النفسي وصفاء الذهن

وربما كان من بعض مظاهر نضجنا النفسي ان يكون في استطاعتنا توجيه افكارنا ، والتحكم في عقولنا . والحق ان القدرة على ضبط النفس ، وتوجيه مجرى الشعور ، انما هي احدى النعم الكبرى التي تجيء مع النضج النفسي ، والاتزان العاطفي . واذا كان ثمة فارق اساسي يفصل الحرية عن العبودية فما ذلك الفارق سوى قدرة الرجل الحر على ضبط النفس ، والتحكم في مجرى التفكير ، بينما يظل الرجل الضعيف مستعبدا لاهوائه ، غير قادر على التحكم في افكاره . ومن هنا فان القدرة على التحكم في عقولنا هي امارة من امارات السكينة الروحية ، وهي مظهر من مظاهر الصفاء النفسي . ونحن لا نملك هذه القدرة الا بقدر ما نمارس ملكة التفكير الحر ، والاستدلال المنطقي ، بحيث نعود انفسنا عدم اللجوء الى منطق العاطفة ، او ارتماء في احضان التبرير الجدلي العاطفي !

وليس من شك في ان الصفاء النفسي وثيق الصلة بالصفاء الذهني : فان من شان التفكير الهادىء الرزين ان ينعكس على الشخصية بأسرها، ومن ثم فانه لا بد من ان يؤدي الى ضرب من السكينة الروحية . ونحن حين نتحدث عن الصفاء الذهني فانما نعني به عدم تكدر الذهن بشوائب الاراء المسبقة ، وخلوص الفكر من اكدار التحيز والمحاباة وعدم النزاهة ! فالذهن الصافي هو ذلك « الفكر الموضوعي » الذي لا ينطلق من رأي سابق، ولا يتقيد بنزعة مغرضة ، بل يلتمس الحقيقة لذاتها ، وينشد الرأي الصحيح مهما تكلف في سبيله ! وكل من يريد لنفسه حياة هادئة ملؤها الصفاء النفسي ، فلا بد له من العمل اولا وقبل

كل شيء على تحرير فكره من شوائب الاراء المفرضة والافكار المتحيزة ، من اجل الوصول الى حالة من الصفاء الذهني التي يستطيع معها الحكم على الاشياء بنزاهة وامانة . ولا شك ان هذا الصفاء الذهني انما هو الخطوة الاولى على درب السكينة الروحية : لانه المظهر الاول لنقاء السريرة ،وصفاء الضمير ، وبالتالي فهو التعبير الصحيح عن الصفاء النفسي والطهارة الروحية .

همّ جمع المال كثيرا ما يسلبنا صفو حياتنا

وهناك همّ اخر كثيرا ما يكدر علينا صفو حياتنا : الا وهو همّ جمع المال او تكديس الثروة. وقد اسهب الفيلسوف الالماني الكبير شوبنهاور في شرح اسباب التنغيص التي قد يجلبها علينا الاهتمام بجمع المال ، فقال في كتابه « حكمة الحياة » : « اننا حتى اذا نجحنا في تكوين ثروة ضخمة ، فاننا قلما نفطن الى عوامل التغيير التي يدخلها علينا الزمن ! .. وآية ذلك ان الاموال التي جمعناها على حساب صحتنا وراحتنا ، او التي سهرنا الليالي الطوال في سبيل الحصول عليها ، قد تجيئنا بعد فوات الاوان ، فلا تعود تنفعنا بشيء ، وعندئذ لا نلبث ان نتحقق من اننا قد عملنا واضنينا نفوسنا في سبيل الاخرين ، ممن لا يعرفون قيمة هذه الثروة » ! وكثيرا ما يكون الاهتمام بجمع المال سببا في اهمال الانسان لحاضره من اجل الانشغال بمستقبله،وعندئذ يفوته الحاضر الاكيد من اجل مستقبل مشكوك فيه ! وحينما تجيئنا الثروة ، فقد تجدنا مرضى لا نقوى على الاستمتاع بها ، او قد تكون الشيخوخة نفسها عاملا من عوامل عجزنا عن التمتع بها (أي الثروة) ان لم نقل باننا نحن انفسنا ربما نكون قد تغيرنا بحيث اننا لم نعد على استعداد للتمتع بما كنا نتلهف يوما في سبيل الحصول عليه ! ولعل اكبر شر يجلبه الاهتمام بجمع المال ، انه يجعلنا نلغي حاضرنا لحساب مستقبلنا ، ومن ثم فانه يفوت علينا الاستمتاع بحاضرنا ، في حين ان كل يوم من ايام حياتنا يمثل – على حدة – حياة بأسرها ! » (على حد تعبير الفيلسوف الرواقي سنيكا Sénèque) . وهذا هو السبب في ان كثيرا من فلاسفة الاخلاق – قديما وحديثا – قد حرصوا على تنبيه الناس الى ضرورة الاقلاع عن التفكير في جمع المال ، كما فعل ابيقور مثلا حين كتب يقول : « اذا اردت ان تصبح غنيا ، فلا تنتظر ان يزيد القدر مما في خزائنك من مال ، ولكن حاول – على قدر المستطاع – ان تقلل من رغباتك، وان تحد من اطماعك . » وواضح من هذه العبارة ان ابيقور لا يرى في تزايد الثروة تعبيرا عن الغنى الحقيقي ، بل هو يرى الثراء الحق في الحد من الرغبة ، والتقليل من الطمع !

ليس المهم ما يحدث لنا ، بل فكرتنا الخاصة عما يحدث لنا !

ونحن نلاحظ ان كثيرا من الناس يشكون من ظلام الحياة وشقائها ، ولكنهم قلما يتساءلون عما اذا كان هذا الشقاء ، وذلك الظلام كامنين في الحياة ذاتها ، او ما اذا كانا نابعين من ذواتهم هم أنفسهم ! والحق انهقلما يخطر على بال الانسان ان ما يتخيله ان هو الا انعكاس لما في عقله هو من ظلام وبأس ! وآية ذلك ان ما يسلبنا سعادتنا ، وما ينتزع منا صفاءنا النفسي ، ليس هو القدر ، او العالم الخارجي ، او الاحداث التي تقع لنا ، بقدر ما هو تفكيرنا الشخصي ، وحكمنا الذاتي على الظروف،وتقييمنا الخاص لدلالات الاحداث ! ومعنى هذا ان ما يسيء الى الانسان – في كثير من الاحيان – ليس هو ما يحدث ، بل فكرته الخاصة عما يحدث! ولعل هذا ما عناه الفيلسوف الرواقي الكبير ماركس اوريليوس Marc-Aurèle حينما قال : « ان حياتنا ليست شيئا اخر سوى ما تخلقه منا افكارنا » .فنحن الذين نقدر ظروفنا، ونحن الذين نقيّم احداث حياتنا ، ونحن – في خاتمة المطاف – الذين نخلق اسباب يأسنا وشقائنا ، او اسباب غبطتنا وسعادتنا !

هل هناك صلة بين الصفاء النفسي وروح المرح ؟

والواقع انه اذا كان ثمة سمة اساسية يتسم بها في العادة اهل الصفاء النفسي ، فتلك هي سمة الغبطة او الانشراح : La gaieté . وقد شرح لنا شوبنهاور – مرة اخرة – صفة « الغبطة » او « الانشراح » ، فقال انها خصلة ارباب « المزاج

المعتدل » ، ممن يعرفون كيف ينظرون الى احداث الحياة من زاويتها المفرحة ، بحيث لا يجزعون لشيء ، ولا يقلقون لاي امر ، بل يجدون مبررات للسعادة في كل ما يحدث لهم ، واسبابا للفرحة في كل ما يحيط بهم ! وليس « الانشراح » وقفا على الشباب ، بل هو صفة قد يتسم بها ايضا بعض الشيوخ . وبيت القصيد هنا ان يعرف المرء كيف يحتفظ بصفائه النفسي ، بحيث يقبل على الحياة بروح المرح ، واللهو ، واللعب ، والانطلاق .. الخ وكثيرا ما تكون « روح الفكاهة » مظهرا من مظاهر الغبطة او الانشراح ، فيكون الفرد المرح ـ شيخا كان او شابا ـ شخصا يعشق الفكاهة ، ويحب الضحك . وقد علمتنا الحياة اننا نستطيع ان نأخذ منها بالضحك والابتسام اكثر مما قد نستطيع ان نظفر به عن طريق العبوس او التقطيب ! وقد لا يكون « الضحك » ـ دائما ـ تعبيرا عن السعادة ، ولكن من المؤكد ان حالة « الانشراح » عرض من اعراض السعادة ، ان لم نقل انها الخبر المباشر الذى يعبر بطريقة تلقائية عن حالة السعادة. ولعل هذا ما عبر عنه احد فلاسفة الاخلاق المحدثين حين كتب يقول : « ان المرح لهو من السعادة بمنزلة المال الذى نتقاضاه فورا ، في حين ان كل ما عداه (اى ما عدا المرح) لا يزيد عن كونه مجرد اوراق مصرفية . ومن هنا فان روح المرح هى وحدها التى تهبنا السعادة في الحاضر المباشر » .

وليس من شك في ان « حالة الانشراح » وثيقة الصلة بحالة « التوازن الجسمانى » التى هى التعبير الصحيح عن اكتمال « الصحة » . وهذا هو السبب في ان اهل المزاج السوداوى كثيرا ما يكونون مجرد ضحايا للمرض ، او الاضطراب العضوى ، او سوء الصحة بصفة عامة . ولكن من الملاحظ ـ مع ذلك ـ ان المزاج المنشرح عادة نفسية تكتسب منذ الصغر ، وكثيرا ما تظل ملازمة لصاحبها حتى في مرحلة الشيخوخة ، ان لم نقل في احلك لحظة من لحظات الحياة . وهنا يكون الوجه الباسم ، والقسمات الضاحكة بمثابة تعبير عن ذلك المرح الدائم الذى تعوده الفرد منذ نعومة اظفاره ، وكأن الشخص المنشرح انسان مهذب قد تعلم كيف يلقى الاخرين دائما بروح البشاشة والغبطة .

ولما كان « الخارج » ـ في معظم الاحيان ـ تعبيرا عن « الداخل » ، فان حالة الانشراح كثيرا ما تكون مظهرا لحالة « الصفاء النفسي » . وآية ذلك ان الشخص المرح ، او المنشرح ، انسان معتدل المزاج ، مرتاح الاعصاب ، فهو لا يعبس في وجوه الآخرين ، وهو لا يلقى احداث الحياة بالتجهم والتقطيب، بل هو يقبل على الحياة بروح الفكاهة والمرح ، وهو يرى في دراما الوجود البشرى « ملهاة » لا مجرد « مأساة » ! وربما كان من واجب اهل التربية ان يعلموا ابناءهم كيف يكتسبون روح المرح ، والانشراح ، والفكاهة ، حتى يقبلوا على الحياة بروح التفاؤل ، والغبطة ، والسرور ، بدلا من ان يكون رائدهم في الحياة هو العبوس ، واليأس ، والتشاؤم !

الصفاء النفسي والقدرة على الاعجاب

وربما كان من مظاهر الصفاء النفسي ايضا القدرة على الاعجاب . والانسان الذى لا يعرف الاعجاب ، نظارة سميكة ليس وراءها عينان ! واما الرجل الذى صفت نفسه فهو ذلك الانسان المرهف الذى يعرف كيف يرى الاشياء ، وكيف يعجب لما في الطبيعة من روعة وجمال ! وكم من اناس يعيشون ويموتون ، دون ان يكونوا قد رأوا شيئا ، ودون ان يكونوا قد اعجبوا بشيء ! انهم اناس مهمومون بذواتهم ، مشغولون بانفسهم ، فهم لا يملكون القدرة على النفاذ الى باطن الاشياء او الاشخاص ، وبالتالى فانهم عاجزون عن الاعجاب بما في العالم الخارجى من « قيم ». والحق ان السر في جفاف الكثير من النفوس ان اصحابها لم يألفوا حياة التفاعل والاشعاع ، فهم قد اصبحوا اجساما معتمة لا تقبل التأثر ولا النفاذ ! وليس ايسر على الانسان من ان يحيا داخل قوقعته الصغيرة الصلبة ، ولكنه عندئذ انما يحيل ذاته الى جسم ضعيف معتم !

لا بد لصفاء النفس من رياضة روحية ..

واما اذا تساءلنا عن الطريقة ـ او الطرق ـ المؤدية الى بلوغ حالة « الصفاء النفسي » ، كان

الردّ على هذا التساؤل ان الصفاء النفسي ثمرة لرياضة روحية طويلة ، وصفها لنا المتصوفة المسلمون في كتبهم ورسائلهم . وهذه الرياضة الروحية هي بمثابة مجاهدات نفسية متواصلة ، يعمل خلالها الانسان على اكتساب حالة «السكينة الروحية» . والواقع ان التغذية الروحية قد لا تقل اهمية ـ بالنسبة الى الانسان ـ عن التغذية الجسمية ، فلا بد للانسان من العمل على توفير اسباب الصحة الروحية لحياته النفسية والعقلية ، عن طريق التأمل ، والاستبطان ، والاسترخاء .. وقد تحدث الكثير من علماء النفس عن ضرورة الاسترخاء Relaixation ـ بين الحين والآخر ـ خصوصا في ظل الحضارة المادية الحديثة التي اصبحت تفرض على الانسان الكثير من مظاهر التوتر والقلق والصراع . وليس معنى الاسترخاء الركون الى حياة الدعة والتكاسل ، بل معناه العمل على استعادة حياة الهدوء والسكينة . فنحن احوج ما نكون اليوم ـ خصوصا في المدن والمراكز الصناعية الكبرى ـ الى ضرب من « السكينة الروحية » التي نشعر معها باننا قد تحرّرنا من توتّرات الحياة المادية الآلية ، ومنغصات المعيشة اليومية القاسية !

.. ان « الصفاء النفسي » قد اصبح عندنا اليوم ترَفا او شيئا كماليا ، ولكنه في الحقيقة ضرورة قد تكون اشد لزوما من اكثر ضرورات الحياة . وليس الهرب من مجتمع المدينة ، وضوضاء الحياة العصرية ، سوى مجرد محاولة بدائية للعودة الى بساطة المعيشة الانسانية الاولية . وآية ذلك اننا نشعر بان آباءنا واجدادنا كانوا اكثر منا صفاء ، واشد منا بساطة ! لقد كانوا اناسا اتقياء ، تجمع بينهم روابط المودة والصفاء ، ولا تسود علاقاتهم سوى وشائج المحبة والاخاء . واما نحن ، فقد عقدنا اساليبنا في الحياة ، بما ادخلناه عليها من مظاهر التكلف والتصنع والافتعال والرياء ، فلم نعد نملك من « صفاء النفس » ما نستطيع ان ننعم معه بنعمة الصداقة ، او عذوبة المودة ! اجل ، لقد اصبحنا نفكر في الحياة ، بدلا من ان نعيشها ، وصرنا نراقب الاخرين ، بدلا من ان نشاركهم ، فلم نعد نشعر في حياتنا « العامة او الخاصة » بای اثر للصفاء النفسي او السكينة الروحية .. ! ■■

زكريا ابراهيم

العربي

العَدَدُ القادمُ عَدَدٌ مُمتازٌ
يَصدر
في أول يناير
٢٥٠ ألف نسخة
مَعَ كلّ عَدَد هَديّته بالمجّان



أنتَ تسألُ .. ونحنُ نجيبُ

« الانتربول » او البوليس الدولى

● كثيرا ما يتردد ذكر « الانتربول » اوالبوليس الدولي في الصحف والاذاعات .. نرجو ان تحدثونا عن الانتربول هذا في بابانت تسأل ونحن نجيب .

فارس سلطى / الزرقاء / الاردن .

ـ الانتربول هو المنظمة الدولية التي تعمل على محاربة الجريمة بشتى الوسائل . اما اسمها الكامل فهو منظمة البوليس الجنائى الدولية International Criminal Police Organization وقد بلغ عدد الدول الاعضاء في هذه المنظمة ١٠٧ اعضاء وذلك في سنة ١٩٧١ . اما مقرها الرئيسي ففي بلدة سان كلود في فرنسا .

وقد يحسب القارىء الانتربول هذا قوة بوليس كبيرة ، تعج بالآلاف من المخبرين ورجال الشرطة وليس ابعد عن الحقيقة من هذا الظن . اذ ان الانتربول هو في المقام الاول مكتب او مكاتب لجمع المعلومات الجنائية وتوزيعها بين الدول الاعضاء . وهو يقوم باجراء الابحاث العلمية في موضوع الجريمة ونشر نتائج هذه الابحاث بين ذوى الاختصاص . حقا انه يحتفظ بعدد من رجال البوليس ويقوم بين حين واخر بتعقب المجرمين ، ولا سيما الدوليين منهم واكثر من يلاحقهم الانتربول من هؤلاء ، اولئك الذين يقومون باعمال التهريب، تهريب المخدرات بخاصة ، واعمال الغش والتزوير وتزييف العملات والذين يجتازون الحدود من دولة الى اخرى هربا من العدالة . وغالبا ما يقوم باعمال الملاحقة هذه بالتعاون مع دوائر البوليس المحلية في الدول الاعضاء . الا ان هذه الجهود العملية وامثالها تعتبر محدودة اذا قيست بالجهود الاخرى التى يبذلها الانتربول على صعيد المعرفة.

ونذكر على سبيل المثال مؤتمر الانتربول السنوى لعام ١٩٧١ الذى عقده في مدينة اتوا بكندا ، فيما بين ٦ ــ ١١ سبتمبر . فقد انحصرت اعمال ذلك المؤتمر على تلاوة التقارير والبحوث والدراسات التى اعدها المختصون في بعض الشؤون التى تتصل بالجريمة . ونخص بالذكر من هذه التقارير واحدا كان بعنوان « الاعتماد على الكلاب في البحث عن المخدرات » .

ونجدر الاشارة الى ان الانتربول حريص على عدم التدخل في الشؤون السياسية والعسكرية والدينية والعرقية . فهو جهاز جنائي اولا واخرا .

ويعود تأسيس الانتربول الى ما قبل نصف قرن، حين ظهرت نواته الاولى في فينا ، سنة ١٩٢٣ ، وحين لم يجاوز عدد الدول المنتسبةاليه العشرين.

وجاءت سنة ١٩٣٨ واجتاح هتلر النمسا واسدل الستار على الانتربول حتى انتهت الحرب وعاد الانتربول الى الحياة ثانية اعتبارا من سنة ١٩٤٦ .

(ي.ز)

● ●

ما تستورده المانيا من النفط العربي

● ما مقدار استيراد المانيا الغربية من النفط العربي ؟

احمد سلامه / اربـد

ـ استوردت المانيا الغربية نحو ٧٦ مليون طن من النفط العربي الخام خلال سنة ١٩٧٠ وتمثل هذه الكمية نسبة ٧٦٫٧٪ من مجموع ما استوردته المانيا من النفط خلال السنة المذكورة .

واليك فيما يلي كشفا بنصيب كل دولة عربية من كمية النفط المذكورة مقدرة بالاطنان :

الجزائر	٧٩٨٤٠٠٠
ليبيا	٤١٩٢٢٠٠٠
الكويت	٣٩٥٣٠٠٠
العربية السعودية	١٢٠٥٨٠٠٠
العراق	٣٤٧٨٠٠٠
قطر	٣٠٨٠٠٠
ابو ظبي	٥٧٦٤٠٠٠
مصر	١٢٧٤٠٠٠
المجموع	٧٥٧٤١٠٠٠

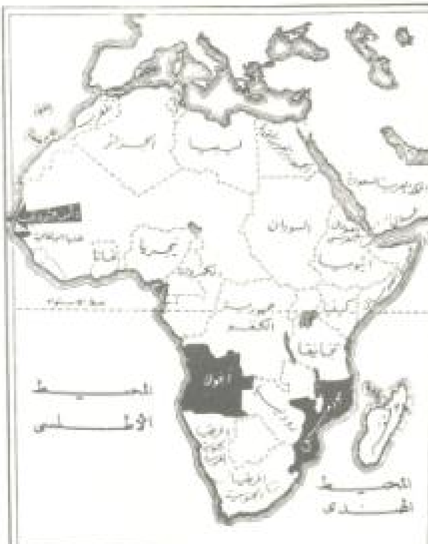
(س . ز)



التغلغل الاسرائيلي في القارة الافريقية

● قرأنا في الصحف ما أعلنه الرئيس الغيني عيدي امين من التغلغل الاسرائيلي في بلاده . وكيف انه اكتشف المحاولات الاسرائيلية للتخريب في أوغندا ، ولذلك قام بطرد الخبراء الاسرائيليين . فهل لكم ان تذكروا لنا بعض نواحي التغلغل الاسرائيلي في الدول الافريقية الاخرى !! .

عصام محمد الصقر / القاهرة



ـ تغلغل اسرائيل في القارة الافريقية امر خطير . وقد قامت اسرائيل بالتركيز على هذا التغلغل لايمانها بتأثير الدول الافريقية الحديثة الاستقلال في الهيئات الدولية ، مثل الامم المتحدة، ولاكتساب اصوات هذه الدول الى جانبها . وكذلك لاستغلال اقتصاديات هذه الدول حديثة الاستقلال وفتح اسواقها للمنتجات الاسرائيلية . وتقوم اسرائيل بنشاط ضخم في افريقيا ، ويتركز هذا النشاط في عدة مجالات أهمها :

النشاط الدبلوماسي : فهي تسارع باقامة علاقات دبلوماسية مع كل دولة افريقية تحصل على استقلالها . ولاسرائيل الآن عدد كبير من السفارات والقنصليات في دول افريقيا ، وتقوم اسرائيل بتوجيه الدعوات الى رؤساء الدول الافريقية والمسئولين في نقابات العمال والصحفيين ورجال الاعلام لزيارة اسرائيل . وفي نفس الوقت يقوم المسئولون الاسرائيليون بجولات عديدة في الدول الافريقية التي لهم علاقات دبلوماسية معها.

النشاط الاقتصادي : وهو من أهم وسائل التغلغل الاسرائيلي في الدول الافريقية المتنامية ، ومن أمثلة التغلغل الاقتصادي في افريقيا ما يحدث في نيجيريا مثلا فقد قامت احدى الشركات الاسرائيلية بشق طريق طوله ١٢٠٠ كيلومتر في غرب نيجيريا ، كما تولت بناء جامعة شرق نيجيريا وانشاء فندق جديد . وفي السنغال تولى خبراء من اسرائيل اقامة مزارع نموذجية على نمط الكيبوتز ، او المزارع التعاونية الاسرائيلية . وفي ساحل العاج قامت الشركات الاسرائيلية ببناء عدة فنادق في « ابيدجان » بناء على اتفاقية مالية تمنح بموجبها اسرائيل قرضا لساحل العاج لتمويل انشاء هذه الفنادق .

وفي الحبشة سمحت الحكومة الحبشية لاسرائيل بأن ترسل اسطولا من قوارب الصيد ليعمل في مياه سواحلها . ونص الاتفاق على منح قوارب الصيد هذه تسهيلات بحرية في ميناء مصوع . اما في كينيا فقد استطاعت الحكومة الاسرائيلية ان توقع اتفاقا اقتصاديا مع اتحاد تجار افريقيا الشرقية يقضي بمنحهم قروضا طويلة الاجل بفائدة ٥٪ على ان يحظر على التجار الموقعين على

هذه الاتفاقية استيراد البضائع من اية دولة اجنبية سوى اسرائيل . وقد تمكنت اسرائيل بواسطة هذه الاتفاقية من مضاعفة صادراتها الى افريقيا الشرقية .

هذه هي بعض امثلة للتغلغل الاقتصادي الاسرائيلي في دول افريقيا وغيرها كثير .

المعونات الفنية : وتقوم اسرائيل باستغلال حاجة الدول الافريقية الى الخبراء الفنيين في مختلف المجالات ، وتقوم بامداد هذه الدول الحديثة الاستقلال بخبراء في هذه المجالات ، وتركز بالذات على الخبراء العسكريين . واكبر دليل على ذلك هو ما حدث في اوغندا ، بعد ان قام الرئيس عيدى امين بفضح مخططات اسرائيل داخل الجيش الاوغندى ، وأمر بطرد كل الخبراء العسكريين الاسرائيليين من بلاده ولا يخفى على القارىء ان كل هذه المعونات تقوم بها اسرائيل بناء على المعونات التي تقوم الولايات المتحدة باسدائها الى اسرائيل في هذا المجال . وكثيرا ما تقوم بدور مخلب القط تحركه الولايات المتحدة الامريكية لالتقاط الكستناء من النار .

ولعل فيما ذكرناه هنا بايجاز شديد اجابة على سؤالك .

(م . ط)

المياه الاقليمية مصدر لثروة سمكية هائلة ولمنازعات دولية مسلحة

● ما المقصود بالمياه الاقليمية وما هو العرض الذي حددته القوانين الدولية لها ..

جورج بشاره ـ بيروت

ـ المياه الاقليمية Territorial Waters هي تلك المياه البحرية المتصلة بشواطىء دولة ما والخاضعة لسيادتها . فالتسمية ، وهي من مصطلحات القوانين الدولية ، لا تشمل الانهار والبحيرات وهي تسمى اصطلاحا «المياه الداخلية». وهي لا تشمل ايضا ، وكما لا يخفى ، البحار المكشوفة High Seas . فهذه البحار الثانية التي تبدأ حيث تنتهي المياه الاقليمية ، لا تخضع لسيادة اية دولة من الدول ، بل تعتبر مفتوحة للجميع . فالملاحة واعمال الصيد وما الى ذلك من اعمال مباحة لشتى الدول في البحار المكشوفة ولكنها محظورة على اكثرها في المياه الاقليمية. ذلك ان ثروات هذه المياه تعتبر وقفا على رعايا الدولة المعنية ، ولا يسمح لغيرهم بالانتفاع بها ما لم تسمح لهم بذلك رسميا الدولة صاحبة السيادة .

وتجدر الاشارة الى ان الثروة السمكية كانت حتى الآن أهم ثروات المياه الاقليمية .. ولكن هذه الثروة، بل قل صناعة صيد الاسماك بالذات، وهي صناعة كبيرة مربحة ، كانت ايضا اهم اسباب الخلافات والمنازعات التي طالما نشبت بين الدول بسبب المياه الاقليمية وبسبب عرضها ومداها بالتخصيص .

ولقد اتفقت الدول قديما على تحديد عرض المياه الاقليمية بثلاثة اميال او اربعة او ما عادل او قارب مدى قذيفة المدفع آنذاك . ثم اتفقوا على تحديده بستة اميال . وجاءت بعد ذلك اتفاقية سنة ١٩٥٨ التي شملتها هيئة الامم برعايتها والتي ضاعفت عرض المياه الاقليمية حتى اصبح ١٢ ميلا.

الا ان هذه الاتفاقية لم يوقعها الا ثلاثون ونيف من دول العالم كان من بينها الولايات المتحدة وسائر الدول الكبرى ، وكانت الاكوادور والبرو والشيلي من بين الدول التى احجمت عن توقيعها . ذلك ان هذه الدول اللاتينية الثلاث كانت ملتزمة باتفاق او اعلان سنتياجو الذى وقعته سنة ١٩٥٢ والذى حدد عرض المياه الاقليمية الخاصة بالدول الموقعة عليه بمائتي ميل .

وتشبثت الدول الثلاث وخاصة الاكوادور باعلان سنتياجو ، وتشبثت الولايات المتحدة الامريكية

باتفاق سنة ١٩٥٨ . ولم تقف حكومة واشنطون عند هذا الحد ، بل انها شجعت رعاياها على المضي في اعمال صيد السمك في منطقة تيار همبولد ، وهي منطقة غنية بسمك الطونة وتعتبرها الاكوادور جزءا من مياهها الاقليمية . اضف الى ذلك ان امريكا حظرت على صياديها الحصول على رخص الاكوادور الرسمية ، التى تكلف ١٠٫٠٠٠ دولار لكل قارب سنويا ، وذلك خشية ان يحمل مسلكها هذا على محمل الموافقة الضمنية على اعلان سنتياجو .

وكانت النتيجة ان كثرت قوارب الصيد الامريكية التى احتجزتها الاكوادور ، حتى بلغت ٥١ قاربا ، في السنة الماضية ، وكثرت بالتالى الغرامات التى استوجب دفعها اخلاء سبيل تلك القوارب ، حتى بلغت تلك الغرامات بمجموعها ٢٫٥ مليون دولار .

وقد يبدو هذا الموقف من جانب امريكا غريبا .

فالرسوم التي تتطلبها الاكوادور زهيدة جدا لا بالنسبة الى الغرامات التى ذكرنا فحسب ولكن بالنسبة الى ربع صيد سمك الطونه ايضا . فقد تبلغ قيمة ما يصيده القارب الواحد من هذا السمك في الرحلة الواحدة نحو ربع مليون دولار .

اضف الى ذلك ان اليابان التى درجت هي الاخرى على صيد سمك الطونة في منطقة تيار همبولد قد اشارت على صياديها بالحصول على رخص الاكوادور ودفع الرسوم المقررة .

وتجدر الاشارة الى ان حكومة واشنطن تراجعت عن موقفها مؤخرا . فقد اذنت لصياديها بشراء الرخص الاكوادورية وتحفظت بان ذلك لا يلزمها بمسافة المائتي ميل عرضا للمياه الاقليمية. وهذا وسيعقد في صيف عام ١٩٧٣ مؤتمر دولي لبحث مشاكل المياه عامة وعرض المياه الاقليمية بخاصة .

(ى . ز)

العربي

العَدَدُ القادمُ عَدَدٌ مُمتازٌ
يَصدر
فى أول يناير
٢٥٠ ألف نسخة
مَعَ كلِّ عَدد هَديّة بالمجّان

هجرة اليهود الروس الى اسرائيل

● كثيرا ما نقرأ في الصحف عن تزايد المهاجرين اليهود الروس الى اسرائيل . ونود أن تكون فكرة عن عدد هؤلاء المهاجرين وعن نوعيتهم . نرجو ان يكون في الامكان اعطاؤنا بعض المعلومات عن هذا الموضوع في باب أنت تسأل ونحن نجيب .

رفيق الصلاحي ـ اربد

ـ بلغ عدد اليهود الروس الذين هاجروا الى اسرائيل في السنة الماضية ١٢٠٠٠ مهاجر . وقد ورد هذا العدد في مختلف الصحف والمجلات الانجليزية والامريكية ، سواء منها المنحاز الى اسرائيل وغير المنحاز . وهو بلا ريب عدد ضخم نسبيا . فقد بلغ مجموع اولئك المهاجرين طيلة السنوات الاربع التي اعقبت حرب الايام الستة نحو ٤٠٠٠ مهاجر فقط .

وجاءت سنة ١٩٧٢ واذا بهجرة اليهود الروس الى اسرائيل تقفز قفزات كبيرة ، بحيث يؤكد المراقبون ان مجموعهم لن يقل في نهاية العام عن ٦٠٫٠٠٠ نسمة . وقد دل على ذلك عدد اولئك المهاجرين في الشهور السبعة او الثمانية التي مضت ، ودل عليه ايضا تزايد طلبات الهجرة التي تتلقاها السلطات السوفياتية من رعاياها اليهود ، وقد بلغ مجموع هذه الطلبات في مطلع السنة الحالية ٨٠٫٠٠٠ طلب .

هذا والمرجح ان تتضاعف هذه الهجرة كثيرا في السنوات القليلة القادمة . فعدد اليهود في الاتحاد السوفياتي يربو على ٣٫٥ مليون ، والصهاينة حريصون اشد الحرص على تهجير اكثرهم ـ ان لم نقل كلهم ـ في اقصر وقت ممكن ، ما دامت السياسة السوفياتية قد تغيرت واصبحت تسمح لهم بذلك .

ولن تعجز المنظمات الصهيونية عن جمع الاموال اللازمة لهذه الهجرة الواسعة ، وقد جمعوا الكثير منها فعلا ، واطمأنوا الى استعداد الولايات المتحدة لتقديم الاموال ، ولربما لتخصيص الطائرات ايضا . وقد لا يمضي ١٠ ـ ١٥ سنة حتى يتم تهجير كل اليهود الروس فيتضاعف سكان اسرائيل ضعفين او يزيد . ولما كانت الاراضي المحتلة بمجموعها لا تتسع لمثل هذا الانفجار السكاني ، كان لا بد للصهاينة من التسبب بحرب رابعة ، تكفل لهم المزيد من الارض والثروات ، وتكفل لنا نحن العرب المزيد من التحول الى لاجئين في وطننا وعقر دارنا .

ويزداد الأمر خطورة اذا نظرنا الى هجرة اليهود الروس من زاوية اخرى ، غير الزاوية العددية . ذلك ان هؤلاء المهاجرين ليسوا عجزة او شيوخا مسنين . فهم يشملون الاطباء والمهندسين والكتاب والمدرسين . وهم يشملون ايضا اصحاب الحرف اليدوية والميكانيكيين والعمال المهرة ، ممن تمس الحاجة اليهم كثيرا في اسرائيل . ومن شأن هؤلاء جميعا ان يسهموا في الاقتصاد الاسرائيلي اسهاما فعالا ويساعدوا على احراز المزيد من تنميته وتقدمه .

على ان هؤلاء المهاجرين الجدد يحتاجون الى بعض الوقت ، كما لا يخفى ، قبل ان يصبحوا اعضاء عاملين في اقتصاد اسرائيل . فاكثرهم بحاجة الى تعلم اللغة والكثيرون منهم بحاجة الى تدريب وتكييف ، بمكنانهم من الافادة من خبراتهم ومعلوماتهم في الظروف الجديدة . اضف الى ذلك ان بعض اولئك المهاجرين بلغوا من الكثرة حدا فاض عن الحاجة وارتبك السلطات الاسرائيلية . ويصدق هذا بخاصة على الاطباء ، وقد بلغ مجموع من أم اسرائيل منهم في السنة الماضية وحدها ٧٠٠ طبيب . وتجدر الاشارة الى ان توطين العائلة الواحدة من هؤلاء المهاجرين يكلف السلطات الاسرائيلية ٢٥٠٠٠ دولار ، وان المخصصات المرصودة لهذا الغرض في ميزانية اسرائيل للسنة الحالية تبلغ ٦٥٠ ٠٠٠ ٠٠٠ دولار .

(ى . ز)

قضية

ضل فيها القضاء الفرنسي السبيل أي ضلال

ترجمة : الدكتور صدقي الريحاوي

■ تتصف العقوبة في ظل الحقوق الجزائية النافذة قبل الثورة الفرنسية بالقسوة والشراسة. ويرجع ذلك الى الاعتقاد السائد آنذاك بأن العقاب كلما كان شديدا ورهيبا ازداد خوف الناس وامتنعوا عن ارتكاب جرائم أخرى . والواقع أن العقوبة في ذلك العهد كانت تهدف الى الانتقام من المجرم أولا ، ثم بث الرعب في قلوب الآخرين ممن قد تسول لهم نفوسهم ارتكاب أفعال جرمية . وقد عبر عن هذه الفكرة الفيلسوف الفرنسي مونتني Montaigue حين قال :

« ان مانرمي اليه العدالة من وراء انزال العقاب بالمجرم انما هو تحذير الآخرين وتوعدهم ، فالقانون لا يعمل على اصلاح الشخص الذي يعلق على عود المشنقة بل هو يقوم بذلك باصلاح الآخرين » .

ولهذا كانت العقوبات الجسدية كثيرة وأساليب تنفيذها في غاية الضراوة والوحشية . فكانت عقوبة الموت تطبق بكثرة يصحبها ألوان عجيبة من التعذيب . ومن أشهر العقوبات الجسدية المطبقة في ظل الحقوق الجزائية النافذة قبل الثورة الفرنسية : التمزيق،والدولاب،والنار الحمراء ، وقطع الرأس ، والمشنقة ، والسوط ، وثقب اللسان بالحديد المحمي أو البارد ، وقطع اليد من الرسغ وقطع اللسان بالسكين .

وقد قام المفكرون والفلاسفة في القرن الثامن عشر ينتقدون أنظمة الحكم الاستبدادية ويهاجمون السياسة الجزائية المطبقةويطالبون بادخال مبادىء انسانية الى التشريع الجزائي وباصلاح النظام القضائي والغاء العقوبات الجسدية وجميع ألوان التعذيب.وكان لآرائهم صدىهائل.وقامت على اثر ذلكأكبر حركةانسانية فيتاريخ القانون الجزائي تمخضت عن تغيير جذري في الأوضاع الفاسدة والقضاء على مساوىء ذلك العهد وظفر المبادىء الانسانية . وكان فولتير Voltaire بأسلوبه التهكمي اللاذع من أقوى المناوئين للنظام القضائي وأشدهم انتقادا لأخطاء التشريعات الجزائية ومساوئها .

وفي القضية التالية مثل حي وشاهد حسي على المظالم التي كانت ترتكب في ظل تلك الانظمة . وقد شن الفيلسوف الفرنسي فولتير بمناسبة هذه القضية حملة شعواء ضد مفاسد العدالة الجزائية كانت أحد العوامل الحاسمة في حمل رجال الثورة الفرنسية فيما بعد على الغاء كثير من الانظمة الجزائية النافذة واصدار قانون عقوبات عام ١٧٩١ وقد تجلت فيه المبادىء الانسانية بشكل بارز . فلقد نص على مبدأ قانونية الجرائم والعقوبات كرد فعل ضد الطغيان واستبداد الحكام وقضى بالغاء أساليب التعذيب كما ألغى العقوبات المؤبدة وأوجد نظام العقوبات الثابتة حرصا على الحريات الفردية واحترام الذات الانسانية .

القضية

وقعت حوادث هذه القضية في مدينة (سان اومير) (١) في صيف عام ١٧٧٠ . كانت اسرة مونيابي تقيم في منزل يقع في القسم العلوى من اقصى المدينة . وكانت مؤلفة من أم تناهز الرابعة والستين وابنها الذى يبلغ من العمر ثمانية وثلاثين عاما وزوجته الشابة وطفلهما الصغير . وكانت تعتمد في عيشها على واردات مصنع للتبغ تمتلكه الام ويديره الابن . وكانت هذه الواردات وفيرة تتيح للاسرة عيشا كريما وحياة رخية وادخار بعض المال . ولكن الام كانت ذات مزاج معقد ، فظة الطبع ، سيئة المعشر على نقيض ابنها الشاب الذى عرف بحلو الشمائل فاحبه الناس . واما زوجته فكانت لطيفة لينة الجانب نشأت في بيئة متواضعة وتربت على الأخلاق الفاضلة . وكانت تعمل في مصنع التبغ الذى تمتلكه الأسرة ، ولهذا احبها الابن واحبته واتفقا على الزواج . ولم يرق للوالدة هذا الزواج ولم تنظر اليه بعين راضية ، فقاومته أول الامر واظهرت معارضة شديدة تجاهه ، ولكنها ما لبثت ازاء اصرار ابنها أن استجابت لرغبته مكرهة ووافقت عليه . على أنها بعد ولادة حفيدها غدت تبدى كثيرا من الاستياء والتبرم من ابنها وزوجته ، وتظهر السخط والانزعاج الشديد لوجودهما في بيتها ، وكانت تمارس بذلك نوعا من الضغط لاجبارهما على مغادرة منزلها .

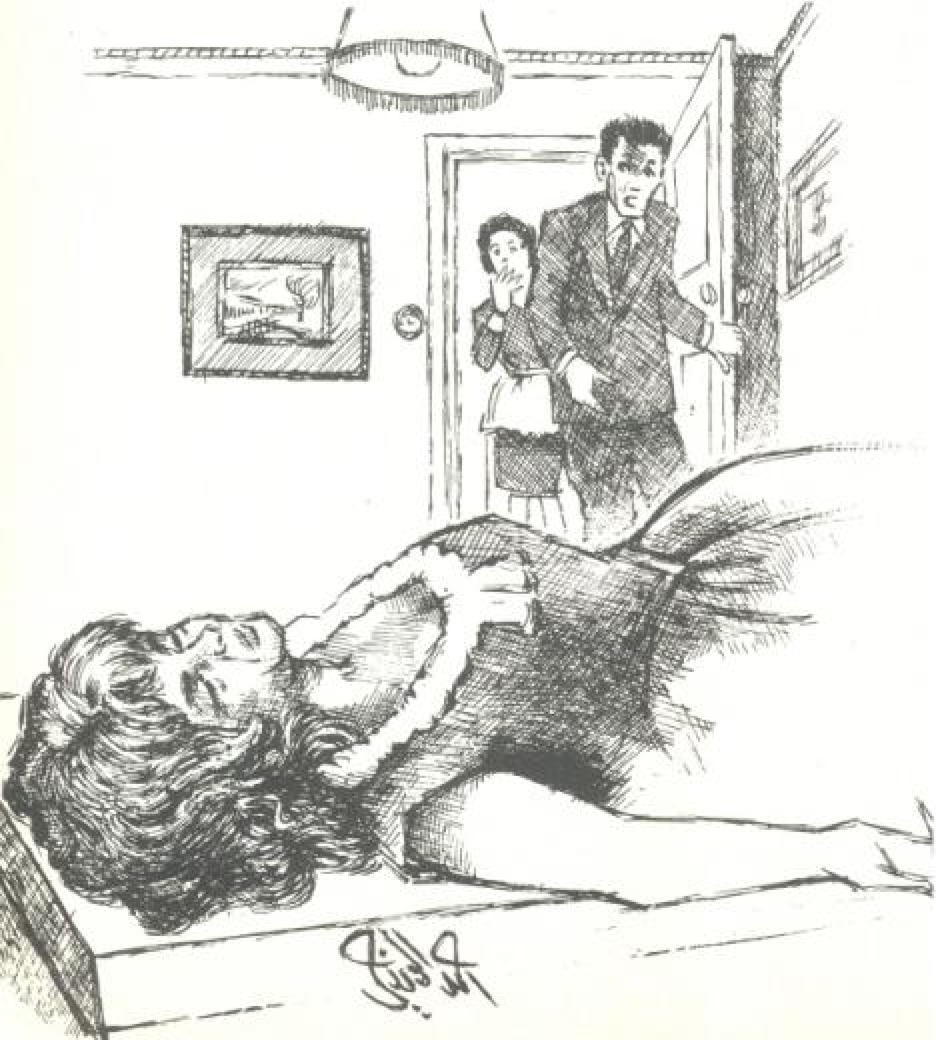
هذا وكانت تجد في الخمر خير مؤنس لها ، ولذا كانت تحتسيها بشغف كبير وتعب منها عبا . وكثيرا ما كانت لافراطها في الشراب ـ تنتابها حالات عصبية وتظهر منها فظاظة وشراسة وسوء معاملة . فكانت في سكرها الشديد تهاجم ابنها وتكيل له ولزوجته الضرب وترميهما بالكلام المقذع والعبارات الجارحة . على ان الزوجة ، وقد عيل صبرها من حياة الجحيم التي تحياها مع حماتها ، لم تعد تطيق العيش في هذا الجو الرهيب ، فغادرت ذات يوم المنزل الى بيت اهلها مصممة على عدم العودة اليه مهما كانت الظروف . وحاول الزوج اقناع زوجته بالعودة ولكنها اصرت على الرفض ، فاضطر بتأثير والدته وبتحريض منها الى توجيه انذار قضائي الى زوجته جعلها تنصاع لطلبه وتذعن لارادته . وعادت الى البيت واستأنفت العيش كما كانت في الماضي . ولكن الوالدة وقد ساءها هذا الرجوع كما حز في نفسها حصول الصلح والوفاق بين ابنها وزوجته اظهر امتعاضا شديدا من وجود الكنه في بيتها من جديد ، وباتت لاتخالط أحدا ، واخذت تتناول طعامها في غرفتها . واستحضرت كمية وافرة من زجاجات الخمر واستسلمت للشراب وأمست منذ ذلك الوقت تعيش في حالة دائمة من السكر المتواصل . وعبثا حاول ابنها أن يثنيها عن عزمها ويعيدها الى العقل والصواب مظهرا نحوها عطفا كبيرا وحنانا فائضا ، ولكن نصحه لم يكن الا ليزيدها اصرارا وتشددا وتصلبا في موقفها والا ان يؤجج غضبها ويضرم نار الغيرة في قلبها . وبلغ بها الامر درجة دفعتها الى توجيه انذار قضائي الى ابنها ليبادر الى اخلاء البيت الذى يشغله في خلال اربع وعشرين ساعة . وعلى اثر تسلمه الانذار صعد الى الغرفة التي اعتصمت فيها امه ، وكانت دهشته شديدة عندما وجدها في وضع طبيعي وحالة صحو ووعي تامين .. وتحدث الابن الى امه بلطف زائد وكان بارعا في حديثه بليغا في كلامه ، مؤثرا في منطقه ، وحضرت الزوجة وابدت نحوها لطفا بالغا وعطفا كبيرا واحتراما شديدا .. وانتهت المقابلة لحسن الطالع على خير مايرام ، وتصافت القلوب وحل الوفاق والوئام بين افراد الأسرة ، وخرج الزوجان بنتيجة مرضية ما كانا يتوقعانها او يأملانها . وللمرة الاولى منذ اشهر تناولت الأم وابنها وزوجته الطعام على مائدة واحدة في جو يسوده التفاهم والتعاطف والحب . وتم الاتفاق بين الام وابنها على ابطال الانذار والغاء مفعوله ، وتعانق الجميع وانصرفوا الى نومهم ، وقطعت الام عهدا بان لاتعود الى الشراب ابدا . ولكن الذى حدث في اليوم الثاني ان الام لم تنهض من فراشها ولم تخرج من غرفتها رغم أن عادتها النهوض مبكرة ... واستغرب الابن ذلك .. وصعد الى غرفة والدته وطرق الباب ودخل ...

ويا لهول ماراى .. شاهد والدته ممددة فوق صندوق الملابس وكانت رجلاها متجهتين الى الأعلى وراسها مدلى الى الاسفل ، ولاحظ جرحا عميقا اسفل حاجبها الايسر وتورما في ناحية الرأس ، كما شاهد بقعا واسعة من الدم في أرض الغرفة

(١) بلدة تقع في الشمال من فرنسا جنوبي مدينة دونكيرك .

هنا وهناك . وأصابه الذهول وحار فيما يصنع . وجاءت زوجته وصعقت لهول ما رأت وطلبت النجدة وحضر الناس مسرعين وشاهدوا الابن منكبا على جثة أمه مغمى عليه . وكان بين الحضور طبيب قام بفحص المرأة ومعاينتها وقرر بأنها قد فارقت الحياة ولا يمكن صنع شيء لها . أما الابن فرأى أن حالته تستدعي الاسعاف الفورى . وبعد أن أجريت له عملية الفصد استعاد رشده وسأل مستفسرا عن حالة امه وعما أصابها وأجابه الطبيب بأنها أصيبت بسكتة قلبية صعقتها أرضا وفارقت على أثرها الحياة وأنها أثناء سقوطها ارتطم راسها بالصندوق مما نجم عنه اصابتها بهذا الجرح والنزيف الدموى . وغادر الناس المنزل وذهب كل في سبيله ، وبحث الزوجان عن تفسير منطقي معقول لما حدث وانتهيا الى أن الأم أثناء صعودها الى غرفتها وجدت زجاجة تحتوى على مشروب كحولي ، ويبدو أنها لم تستطع ضبط نفسها ومقاومة الرغبة الجامحة التي أثارتها في نفسها ، فتناولتها وأسرعت الى غرفتها ، فأفرغت محتواها في جوفها ، وسرعان مالعبت الخمر في رأسها وافقدتها الوعي ووقعت أرضا ، وارتطم رأسها بالصندوق وحدث لها ما حدث .

هذا هو التفسير الذى أعطاه الزوجان لكيفية حصول الوفاة . كاد كل شيء ينقضي بسلام بعد أن انتهت مراسم الدفن لولا أن انطلقت السنة بالشائعات المغرضة تتحدث عن الانذار الذى كانت الأم وجهته لابنها لاخلاء البيت ، وعن المال الوفير المدخر الذى سيرثه الابن وينعم به الزوجان ، وعن



الوفاة التي تعتبر ظرفا مواتيا وفرصة طيبة من شانها ان تبدل حال الزوجين تبديلا كليا ... وشاع في المدينة احتمال أن يكون للزوجين ضلع في هذه الوفاة وذهب بعضهم الى التأكيد بأن لهما يدا في ذلك .. وهكذا انطلقت الالسنة تؤول وتفسر وتصنف وتغالي .. وبدات الشائعات تتوالى هزيلة واهية اول الامر وامست بعد ذلك مجلجلة صاخبة بحيث بلغت مسامع القضاء . وانى لهذا ان يصم آذانه عن جريمة كهذه ؟ واسرع بفتح تحقيق في الموضوع واتخاذ قرار بتوقيف الزوجين . وانتدب القضاء اطباء جراحين لاجراء فحص جديد والقيام بمعاينة للجثة . واستخرجت الجثة واجرى هؤلاء خبرتهم واكتشفوا كدمات كائنة في اعلى الذراعين وعند الحنجرة ودما محتقنا تحت جلد الوجه، وجرحا بطول سنتيمترين عند الجفن قرروا امكان حدوثه باداة قاطعه كفاس او سكين ... ولكنهم أكدوا ان هذا الجرح لا يمكن ان يفضي وحده الى الوفاة ولا بد ان يكون النزيف الشديد الذى صاحبه وضياع كمية كبيرة من الدم ، هو الذى اودى بحياة المراة . على أن أقوى الادلة التي توافرت للقضاء في هذه القضية كان هو الانذار الذى تسلمه الابن قبل يوم من الحادث والذى بدا للمحققين انه الدافع الى ارتكاب الجريمة ـ ان كان ثمة جريمة في القضية . وعبثا حاول الزوجان اقناع الحكام مقسمين على ذلك الايمان الغلاظ انه لايمكن لهذا الانذار أن يكون سببا لدفعهما الى ارتكاب مثل هذا الجرم الفظيع ولا يمكن ان يكون العامل المحرض على القتل،وبخاصة ان الوالدة عمدت بنفسها الى تمزيق الانذار بعد وقوع الصلح بينهم،هذا وقد دفع الابن التهمة عن نفسه فقال : لماذ اقدم على قتل امي بعد ان جرى الصلح بيننا وانا الذى لم اعمد في يوم من الايام الى ازعاجها أو اساءة معاملتها حتى عندما كانت تبدى الكراهية نحونا وتظهر شعور البغضاء تجاهنا جميعا ؟ .. وقد تبدو هذه الاقوال مقنعة ولكن ليس ثمة شاهد واحد يؤيدها وبخاصة فيما يتعلق بواقعة الصلح .

وفضلا عن ذلك بدا للمحققين ان شهادتي الزوجين كانتا متطابقتين تماما ومتوافقتين حتى بالنسبة لادق التفصيلات والامور ولم يقع أدنى تعارض بين اقوالهما وهذا امر رأى فيه هؤلاء دليلا على قيام تواطؤ بين الزوجين واتفاق مسبق بينهما ، مما حدا بهم الى عدم الركون الى تلك الاقوال والاطمئنان اليها . ومن جهة اخرى كانت احتجاجات الابن الشديدة تبدو لهم صافية تنم عن نفس صريحة صادقة مما ادخل الاضطراب الى نفوسهم وزعزع الادلة التي تجمعت لديهم . وكانوا في قرارة نفوسهم يميلون الى البراءة ولكن الجماهير كانت تزار هادرة في الشارع مطالبة براس الزوجين مما اوقع الارتباك فيهم وجعلهم يحجمون عن اصدار قرار بالبراءة. ومما يدعو للدهشة في هذه القضية ان الابن الذى احبه الناس لوداعته وشهامته ولما يتحلى به من فضائل لم يجد بين هؤلاء من يدافع عنه ... لقد انقلبوا جميعا الى خصوم له واعداء. وهكذا اندفعت جماهير مدينة (سان اومير) باسرها تطالب باعدام الزوجين والثار للام المجنى عليها .

غير ان المحكمة لم تشأ اعلان البراءة ، كما لم تر تقرير الادانة ، وانتهت الى تقرير اجراء تحقيق اوسع في القضية خلال سنة يبقى المتهمان خلالها رهيني السجن موقوفين على ذمة التحقيق . ولكن النائب العام لم يرضخ لهذا القرار وطعن فيه بطريق الاستئناف . واحيلت القضية الى محكمة استئناف اراس Arras (١) . ونقل المتهمان اليها في التاسع من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٧٠. . ونظرت هذه المحكمة في الطعن وقررت فسخ قرار محكمة الدرجة الاولى واعتبار الادلة القائمة في القضية كافية للاتهام وادانة المتهمين بجناية القتل وحكمت على الابن بالسؤال العادى La question ordinaire والسؤال الاستثنائي (٢) La question extraordinaire ثم بانزال

---

(١) مركز محافظة الارتوا Artois في شمالي فرنسا .

(٢) ويعنى التعذيب وهو على نوعين : السؤال الاعدادي La Question Préparatoire وهو تعذيب المتهم اثناء الاستجواب والتحقيق . والسؤال العادى والسؤال الاستثنائي وهو التعذيب الذى يقرره حكم الادانة وينفذ بالمحكوم عليه قبل تنفيذ العقوبة . ويدعى السؤال السابق Question Préalable اى الذى يسبق تنفيذ العقوبة المحكوم بها . والقصد من هذا التعذيب هو اجبار المحكوم عليه على الاعتراف باقترافه الجريمة التى حكم بها ليطمئن وجدان المحكمة . والسؤال بنوعيه هو غير التعذيب الذى يرافق تنفيذ بعض العقوبات الجسدية .

عقوبة الموت فيه بعد قطع رسغ يده وتقطيع اوصاله والقائه حيا الى النار (٣) . اما بالنسبة للزوجة فقد حكمت عليها المحكمة بحرقها في النار والقائها فيها حية . وكان تنفيذ السؤال يتم في مقاطعة (الارنوا) في منتهى التفنن والدقة . وقد اشتهر المشرفون على تنفيذه ببراعتهم ومهارتهم في ايقاع الوان العذاب وضروب الشدة والالم . وقد تم تنفيذ السؤال في المحكوم عليه بتعليقه من ابطيه وربط كرات من الحديد في قدميه ثم ربط اطرافه بحبال وشدها الى الة تشبه الدولاب بحيث كانت تلف الحبال حولها كلما ادارها الجلادون الى ان يتم فصل اطرافه عن جسمه ، ولاتسل عن الالم الذي تحدثه هذه الطريقة والعذاب الذي تسببه . ورغم كل ذلك فقد اظهر المتهم مقاومة عجيبة وابدى صبرا وتجلدا منقطع النظير فلم تقهره الالام ولم يفت في عضده العذاب الذي كان يلقاه وظل يردد بانه برىء من دم امه . ولم يبق بعد توقيع العذاب الا ان يتم تنفيذ عقوبة الموت بالمحكوم عليهما . وارجىء تنفيذ الحكم الصادر على الزوجة حتى تضع حملها . اما الزوج فقد جيء اليه اول الامر براهب ليظفر باعتراف منه ولكنه رد الراهب قائلا :

انك يا ابت تطلب مني أن أعترف لك باقترافي جريمة قتل امي ، فهل لك أن تسجل على ذمتك فرية تريد مني ان ادلي بها اليك قبل ان امثل بين يدي الله ؟

وحان وقت تنفيذ العقوبة . وكانت جموع حاشدة تملأ ساحة المدينة وكلها متلهفة لمشاهدة اللحظات الاخيرة من حياة هذا الانسان التعس وسيق المحكوم عليه الى المكان المعد للتنفيذ . وكانت اصوات الناس تتعالى اثناء مرور الموكب ووجد الحراس صعوبة شديدة في اقصاء الجمهور الهائج الذي كان يحاول الاقتراب من المحكوم عليه ليناله ببصاقه ولعناته . وبدا المحكوم عليه ممتقع اللون شاحب الوجه يشبه الاشباح ، الا انه مع ذلك ظل محتفظا بهدوئه شاخصا ببصره الى السماء واخيرا وصل الى المصطبة المعدة للتنفيذ . وتقدم كاتب المحكمة وتلا قرار الحكم وطلب اليه باسم القانون أن يعترف باقدامه على قتل امه وصاح المتهم بصوت عال قائلا : اني أرفض هذا الأمر . وأمسك الجلادون بتلابيبه وارغموه على الجثو على ركبتيه ولكنه استمر في صراخه قائلا : استغفر الله لجميع الخطايا التي ارتكبت وكم الهت ... ولكني لا أطلب الغفران من أجل جريمة لم اقترفها. وتحامل على نفسه وتمكن من النهوض بلاى كبير . وبعد ان القى نظرة على من حوله اندفع بكل مايملك من قوة متابعا كلامه قائلا : كلا ثم كلا .. وحتى عندما يتم احراقي بالنار رويدا رويدا ، وحتى عندما أقطع اربا اربا ، فلن اقر باني مذنب لاني اعلم باني بريء ... وليقضي الله بما يشاء..

والواقع أن للحقيقة قوة خارقة ، نافذة ، مؤثرة لا تعدلها اية قوة اخرى .

ولقد كان لنبرات صوت هذا البائس وخلجاته تاثير واضح ومفعول سحري على الجماهير المحتشدة .. وحدث تحول مفاجيء وتبدل غريب في موقف الناس ... هؤلاء الذين كانوا قبل قليل يمطرونه بمر الكلام وجارح الالفاظ ويكيلون له اللعنات والشتائم متمنين له ميتة عار وشنار ...

وارتفعت على حين غرة أصوات الجمهور عالية تنادي بالعفو عنه وتتوسل لانقاذه والابقاء على حياته .. لانه بريء .. وبكى الناس وذرفوا الدموع الغزيرة وقراوا الأدعية وتلوا الصلوات من اجل المحكوم عليه ... ولكن ذلك لم يعد يجدي نفعا فلقد فات الوقت ... ووجه الجلاد اليه ضربة رهيبة بقضيب من الحديد حطمت صدره وهشمت اضلاعه ... وتمتم المسكين قائلا لاحد جلاديه : اني أواجه ربي الآن مطمئن النفس ، قرير العين لاني بريء .. اني اغفر لك ايها الجلاد ... وارجو أن تصلي من اجلي .. ثم حمله جلادوه والقوا به الى النار المتاججة وسرعان ما التهمته فاضحى رمادا وقضي الامر في ثوان ..

غير انه اذا كان قد قضي هذا الانسان شهيدا وراح ضحية بريئة فان ذكراه ستظل خالدة في القلوب ماثلة في الاذهان ولن يعدم من يدافع عنه ويرد له اعتباره .

وعلى هذا فقد تقدم فريق من المواطنين بعريضة يلتمسون فيها اعادة النظر في القضية ، كان من اولى نتائجها اطلاق سراح الزوجة . وتبنى والدها الموضوع واخذ القضية على عاتقه وتمكن بتاريخ ١٦ ايلول (سبتمبر) من عام ١٧٧١ من الحصول على قرار من مجلس الدولة في فرساي يقضي بتكليف المجلس الاعلى لمقاطعة (الارنوا) لاعادة

---

(٣) وهذه العقوبة تطبق في حق مرتكبي جرائم قتل الاباء والامهات والاصول .

المحاكمة في قضية الزوجين المحكوم عليهما . واصدر الملك لويس الخامس عشر بوصفه القاضي الاعلى في المملكة على اثر ذلك امرا ينقض بموجبه قرار الادانة الصادر عن محكمة استئناف (أراس) بتاريخ ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) لعام ١٧٧٠ . هذا وقد حمل الفيلسوف فولتير بشدة على اسلوب العدالة والنظام القضائي المطبق في فرنسا ووزع الاف النشرات التي كانت تندد بالحكم الصادر على الزوجين وتشير الى انه ليس في القضية دليل يقطع في مصرع الام ويثبت انها قتلت على يد ابنها . كما انتقد احد المؤرخين هذا الحكم فقال :

احقا ان الرجال الذين تمرسوا في محاكمة الجرائم والمجرمين قد الفوا الفظاظة واعتادوا الشراسة ففدوا بحكم العادة قساة لاتعرف الرحمة الى قلوبهم سبيلا ؟ وهل صحيح انهم يجدون متعة وراحة في تعذيب الاخرين كما يجد الجلادون في ذلك لذة ونشوة ؟ وهل يجدر بالعدالة التي وجدت لتحمي المجتمع وتحرس حقوقه ومصالحه ان تكون له مصدر بلاء وشر ؟ وهل امحى من قلوب القضاة وزال هذا الناموس الطبيعي الذي يقول انه لخير الف مرة اعلان براءة مجرم من ان يحكم على انسان برىء .. ؟

لقد كان المتهمان على جانب كبير من السذاجة . تبدو براءتهما ساطعة .. لقد انكرا التهمة المنسوبة اليهما انكارا تاما واستمرا في انكارهما في كل مراحل القضية ، وفضلا عن ذلك فان اقوالهما المؤثرة البسيطة التي أدليا بها عند الاستجواب وصمود الزوج اثناء التعذيب ، هذا الصمود العجيب الذي يثير الشفقة ويدعو الى الرثاء .. كل ذلك جميعا لم يثن القضاة ولم يثر عطفهم ولم يؤثر في اقتناعهم وظلوا على قرارهم بالادانة والتجريم . لقد سكب الناس الدموع السخية لا بدافع الشفقة ولا بعامل الرحمة ولكن بدافع اليقين الراسخ والعقيدة المؤمنة ببراءة هذا الانسان وظلم القضاء له . وتابع المؤرخ كلامه قائلا :

لقد كثرت اخطاء القضاء الفاحشة ووقعت مآس رهيبة ، فمن من الناس يطمئن بعد اليوم الى انه لن يلقى هو او احد اقاربه هذا المصير ؟ واذا كان ثمة زوجان يرقدان في غرفتهما هادئي البال قريري النفس وتصاب الام اثناء ذلك بسكتة قلبية فيتهم هذان الزوجان بقتلها ويدانان بجريمة لم ترتكب ويحكم عليهما رغم فقدان الادلة في القضية وانتفائها انتفاء قاطعا ورغم اصرار المتهمين على انكار التهمة وتمسكهما ببراءتهما حتى آخر لحظة فاى انسان لا ترتعد فرائصه فزعا وهلعا على حياته بعد الآن ؟ . ان قرار الادانة قرار كيفي صدر اعتباطا خلافا للقانون وللعقل والمنطق . وليس لهذا الحكم من مستند الا هذا السبب هو « موتوا لان تلك هي ارادتي » .

هذا وبعد اعادة المحاكمة في القضية تطوع ثلاثة عشر محاميا وقدموا مذكرة مفصلة مدعمة بالحجج والبراهين ، وأجرى الدكتور (انطوان لويس) استاذ علم الجراحة في كلية الطب خبرته في الموضوع وبين رأيه بوضوح فكان لتقريره شان كبير قاطع . وقد قام بتدقيق تقرير الاطباء الذين تولوا فحص جثة المجنى عليها وانتقده بشدة مبينا انه جاء ناقصا جدا من جهة وغامضا جدا من جهة أخرى بحيث لايمكن الركون اليه واعتماده كدليل. ثم تولى بيان الاسباب التى افضت الى هذا الموت المفاجىء وانتهى الى القول جازما بان الام انما توفيت اثر اصابتها بنوبة قلبية حادة ناجمة عن تناولها السريع لكمية كبيرة من الكحول وافراطها في تناول الشراب بينما كانت تتالم معدتها في الاصل وتشكو من سوء حالها لما عانته من افراط في تناول المسكرات بشكل دائم . وأكد جازما بان المرأة لم تقض نحبها مقتولة وليس ثمة جريمة في القضية.

هذا وقد تولى الأستاذ (موشامبليد) الدفاع في هذه القضية وأولاها عناية فائقة واهتماما كليا . وبعد ان أجرى مرافعة مطولة تعتبر آية في البيان والفصاحة أصدر المجلس الاعلى لمدينة (اراس) بتاريخ ٨ نيسان (ابريل) من عام ١٧٧٢ قرارا يقضي ببراءة الزوجين من تهمة قتل المرأة ، واعادة اعتبارهما وأموالهما المصادرة . وهكذا انكشفت معالم الحقيقة في هذه القضية الخطيرة واتضحت خفاياها براقة للعيان فبرئت ساحة الزوجة كما أعلنت براءة الابن .. ولكن بعد فوات الأوان .. فلن يعيد هذا القرار – للاسف الشديد – الحياة الى هذا الانسان التعس الذى سلبت منه الروح قهرا وانتزعت وهو في ريعان الشباب وقضى شهيد العدالة وضحية بريئة من ضحايا اخطاء القضاء.

■■

صدقي الريحاوي



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

تقلصات عضلات اليد عند الكتابة مرض وظيفى وليس عضويا

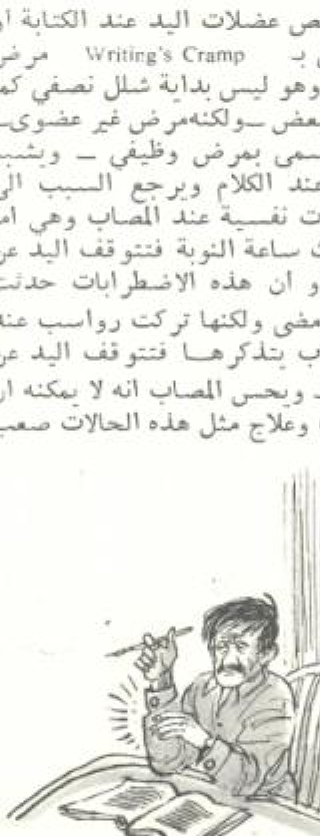
● تعتريني تقلصات في عضلات اليد عند الكتابة ـ فهل هي بداية شلل ؟ .

ـ تقلص عضلات اليد عند الكتابة او ما يسمى بـ Writing's Cramp مرض معروف وهو ليس بداية شلل نصفي كما يعتقد البعض ـ ولكنه مرض غير عضوى ـ أو ما يسمى بمرض وظيفي ـ ويشبه بالثاثاة عند الكلام ويرجع السبب الى اضطرابات نفسية عند المصاب وهي اما ان تحدث ساعة النوبة فتتوقف اليد عن الكتابة او ان هذه الاضطرابات حدثت من عهد مضى ولكنها تركت رواسب عند المصاب يتذكرها فتتوقف اليد عن الكتابة ـ ويحس المصاب انه لا يمكنه ان يستمر ، وعلاج مثل هذه الحالات صعب في البداية الا انه يسهل لو عرف السبب الاصلي ومحاولة التخلص منه ـ وهذا يحتاج الى دراسة دقيقة لنفسية المريض، مع التمرينات على الكتابة واعطاء المهدئات اذا لزم الامر وعندما يحدث الوقت المناسب للتغلب على ما يعترى المصاب من الاضطرابات فان الحالة تعود الى طبيعتها ولا يحس بهذا التقلص .

الدودة الشريطية لها علاج اكيد

● اصبت بالدودة الوحيدة وقد اخذت العلاج عدة مرات ولكنها تعاودني من آن الى آخر فهل يوجد علاج قاطع لها ؟ .

ـ ان الاصابة بالدودة الوحيدة او الدودة الشريطية ينتج من اكل لحم او كبد البقر المصاب والتي تحتوى على « يرقات » حية ، هذه عندما تصل الى الامعاء تكبر ثم تلتصق بها بواسطة كلابات في راسها وتنمو ويتجمع البيض فيها ثم تسقط قطعا من مؤخرتها تنزل مع البراز ،



ويشاهدها المصاب ، وتخرج البويضات من هذه القطع وتلتصق بالاعشاب والحشائش والتي اذا تناولها البقر نقست في امعائه ثم ذهبت في دمه الى اجزاء الجسم المختلفة كاللحم والكبد والتي اذا تناولها الانسان دون طهيها جيدا حتى تقتل « اليرقات » سببت له الاصابة بالدودة الوحيدة . واهم طريقة للعلاج هي الوقاية من هذه الدودة وذلك بملاحظة الحيوانات المصابة وعدم بيع كبدها ولحمها ، واذا طهيت اللحوم والكبد لا بد وان تطهى جيدا حتى تقتل اليرقات .

وفي ظني ان السائل يصاب من آن الى آخر بالدودة لانه بعد علاجه من الاصابة الاولى يتعرض لاكل اللحم أو الكبد النيء فيصاب مرة اخرى ، او ان الدودة لم تقتل بالدواء الذي اخذه فتنمو مرة اخرى وتنزل القطع في البراز ، وانجع طريقة للعلاج الآن هي اقراص يومايزان Yomesan تؤخذ على الريق وبدون افطار قرصين اولا ثم قرصين بعد ساعة ويلاحظ في هذا العلاج انه لا داعي لاخذ مسهل لان الدودة تموت وتنزل على هيئة قطع ، ولا مانع اذا اخذ المريض مسهلا ويرى الدودة بكاملها وقد نزلت مع البراز .

وهناك علاج آخر وهي اقراص الاتربين ، تؤخذ عشرة اقراص وبعد ساعة من اخذها جميعا تؤخذ شربة ملح انجليزى حتى تسهل البطن وتنزل الدودة .

امراض القلب الخلقية
علاجها : العمليات الجراحية

● لي طفل في السادسة علمت انه مصاب بمرض خلقي في القلب وقيل لي انه سيحتاج الى عملية ـ فما مدى خطورة هذه العملية ـ وهل هناك مضاعفات لو ترك بدون عملية .

ـ ان امراض القلب الخلقية اى التي تولد مع الطفل عديدة ، فمنها ما يصيب الشرايين المتصلة بالقلب فيحصل بها ضيق يقف حجر عثرة امام ضخ الدم في الشريان المصاب كما هو الحال في ضيق الابهر عند الصمام او بعد خروجه من القلب ـ وكذلك ضيق صمام الشريان الرئوى .. او يحدث اتصال بواسطة انبوبة بين الابهر والشريان الرئوى .

وفي القلب نفسه يكون الفاصل ما بين الاذينين غير كامل فيترك فتحة ما بين الاذينين او ان الحاجز لا يكتمل بين البطينين فتكون فتحة بينهما .

وهناك الحالات الاشد خطورة فيولد الطفل وتلاحظ عليه زرقة نتيجة لاختلاط دم الشرايين الاحمر بدم الاوردة الازرق ويعرف هذا برباعي « فالوت » ففي هذا ينبع جزء من الابهر من البطين الايمن مع وجود فتحة بين البطينين وضيق في



الشريان الرئوى وتضخم فى البطين الايمن .

وتكتشف هذه الامراض الخلقية عند فحص المريض فنلاحظ الزرقة ان وجدت او يسمع لغط على القلب او شكوى اهل الطفل انه لا ينمو نموا طبيعيا او النهجان الشديد عند قيامه بمجهود عضلي بسيط ، على ان التشخيص المرضي لا يأتى الا بعد فحوصات عديدة على القلب منها الاشعة وتخطيط القلب والاشعة الملونة للقلب وقسطرة للقلب ــ فهذه تحدد موضع الجزء المصاب من القلب ــ وعلى ضوء هذه الفحوصات يكون التدخل الجراحي ــ ومتى يكون احسن الاوقات لاجرائها ــ وبفضل التقدم العلمي فى التخدير والاجهزة المختلفة والمضادات الحيوية اصبحت اصبحت عمليات القلب ليست على جانب كبير من الخطورة كما كان فى السابق ــ ولكن كما هو معلوم لكل عملية جراحية ولو صغيرة نسبة من المضاعفات تختلف باختلاف العملية والموضع التي تجرى فيه ، بل وكل عملية على القلب تختلف نسبة خطورتها عن العملية الاخرى فمثلا ربط القناة ما بين الابهر والشريان الرئوى عملية سهلة غير معقدة ونسبة الخطورة ضئيلة بالنسبة لعملية توسيع صمام الشريان الرئوى او سد الفتحة ما بين الاذنين او البطينين . اما اذا ترك الطفل دون اجراء العملية وتكون لازمة له فانه بمرور الوقت سوف نرى ان الطفل لا ينمو طبيعيا ، واعراض النهجان تزداد كذلك . ويحدث هبوط للقلب او التهاب على الاجزاء المصابة ربما اودت بحياة المريض .

واحب ان الفت النظر انه اذا كان المرض الخلقي بسيطا جدا ولا يؤثر على حياة الانسان فانه يترك بدون عملية مثل وجود ثقب ضيق جدا بين البطينين .

سرطان الدم الاحمر

ــ نسمع عن سرطان الدم الابيض ، فهل هناك سرطان الدم الاحمر ؟ .

● هناك مرض تكاثر الكرات الدموية الحمراء وهو الى حد كبير يشبه السرطان، اذ انه لا يعرف له سبب ويسمى Poly Cythaemia Vera وبدل ان يكون مقدار الكرات الدموية الحمراء حوالى خمسة ملايين فى المليمتر المكعب ترتفع الى عشرة او اثنى عشر مليونا وترتفع نسبة الهيموجلوبين من ١٠٠ الى ١٥٠٪ وفى الحالات الشديدة الى ١٨٠٪ ويلاحظ كذلك نسبة ارتفاع الكرات الدموية البيضاء وصفائح الدم ، ويكون المرض مصحوبا بتضخم فى الطحال والكبد وزيادة كبيرة فى الخلايا التى تنتج الكرات الدموية الحمراء .

ويشكو المريض من صداع ، ودوار ، وازيز فى الاذنين والشعور بالارهاق الشديد وآلام فى البطن ، وعندما يتقدم المرض يرتفع ضغط الدم ويزداد تضخم الطحال والكبد ، ويكون احتمال تجلط الدم كبيرا فتحدث الجلطة او السدة القلبية او انسداد فى شرايين الاطراف او المخ وكذلك ربما يحدث نزيف من الانف والمعدة او الكلى او الرحم .

والعلاج فى هذه الحالة هو ان يعمل المريض فصد دم من آن الى آخر حتى يكون مستوى الهيموجلوبين او الكرات الدموية الحمراء قريبة من الطبيعى فيرتاح المريض بعد هذا الفصد ، وهذا يستمر لمدة طويلة . وفى بعض الحالات يمكن علاج المريض بجلسات اشعة عميقة او العلاج بالفسفور المشع .

ولقد لوحظ ان بعض هذه الحالات ربما يتحول بمرور الوقت الى سرطان دم ابيض Leukemia . ■■

سبب خلع السلطان عبد الحميد

وثيقة بتوقيعه ، فريدة مجهولة تصرح بالسبب

كانت الصهيونية هي خالعة السلطان



بقلم
سعيد الافغاني

■ لعل من نجهل من ضحايا التاريخ اضعاف من نعرف ، ولم يكن الاقدمون بعيدين عن الصواب حين جعلوا التاريخ علما ظنيا غير يقيني . واذا امعن الانسان في سيرة من عايشهم وخبرهم من المشهورين ، رأى بونا شاسعا بين حقيقتهم التي عرفها والتراجم التي سطرت لهم فيما بعد ، وما يزال عمل المؤرخ اللاحق تصحيحا واستدراكا لاعمال من سبقه من مؤرخين على هدى اضواء جديدة تسلط .

وتاريخ السلطان عبد الحميد ـ كما عرض غير مرة ـ من الامثلة الصارخة على تزوير (وسائل الدعاية والاعلام) للحقائق . ونحن اليوم ـ وقد انبسط سلطان الاعلام بما اخترع العلم من وسائل زوده بها كالاذاعة والتلفزة والاخبار المصورة ـ احوج ممن قبلنا الى الشك واتهام الاشاعات والاذاعات ، والتحري والتروي فيما يشاع ويذاع ، اذ كانوا في عهد السلطان مثلا لا يملكون من هذه الوسائل الا صحف الاخبار على ما كانت



ومقوّضة المملكة العُثمانيّة

عليه من بطء ، ومع هذا استطاعت تشويه سيرته وصورته على غير ما خلقه الله ، فكيف لو ادركته هذه الوسائل الحديثة وما يصدر عنها مما هو اليوم اخبار واذاعات حتى اذا اودع غدا بطون الاسفار صار تاريخا وحقائق ؟

معالم في سيرة عبد الحميد

لا بد قبل التعرض لهذه الوثيقة التي تنشر لاول مرة من المامة خاطفة نثبت بها بعض المعالم في سيرة هذا السلطان الذي امتد حكمه بين سنتي (١٨٧٦ ـ ١٩٠٩) . كانت السلطنة حين جلس عبد الحميد على العرش مثقلة بالمتاعب « تواجه اشد الازمات . فشهدت في عهده نشاطا كبيرا في العراق ، وامتدت السكك الحديدية في ولاياتها الاوروبية والاسيوية ، واقيمت المرافيء المتعددة ، وانشيء الخط الحجازي بين دمشق والمدينة المنورة ولم يكن للاجنبي فيه صلات مالية . »[1]

وبرز في عهده كثير من رجالات العرب في مناصب رفيعة حساسة ، واكثر السلطان من تقريب العرب وعظمائهم حتى كانت لهم كفة مرجحة في الحكم ، فالكاتب الثاني للسلطان هو (احمد عزة باشا العابد) عربي من دمشق ، وشيخ السلطان (ابو الهدى الصيادي) عربي من ضواحي حلب . والسلطان شديد المحبة للعرب قوي الاعتقاد فيهم ، اكثر منهم في ضباطه وحرسه الخاص وموظفي (سراياه) حتى جلب على نفسه نقمة (المتعصبين من الاتراك) وكان يحلم ب (الجامعة الاسلامية) تحت لواء الخلافة حتى عرفت سياسته العامة الداخلية بانها (اسلامية تعطف على العرب) وكثيرا ما هدد الدول الاجنبية برفع راية الجهاد التي اذا رفعها وجب على كل مسلم في الارض الانضواء تحتها مجاهدا في سبيل الله .

اما سياسته الخارجية ف « هي التي مدت في عمر المملكة نحو جيل .. ولم تكن سياسة جهالة وغباوة وعواطف كما وصفها الاتحاديون الذين خلفوا عبد الحميد على السلطة ، وانما كانت سياسة عقل ناضج وخبرة كاملة »[2] وشهد خصمه جمال الدين الافغاني فقال :

« رايته يعلم دقائق الامور السياسية ، ومرامي الدول الغربية ، وهو معد لكل هوة تطرأ على الملك مخرجا وسلما واعظم ما ادهشني ما اعده من خفي الوسائل وامضى العوامل كيلا تتفق اوروبا على عمل خطير في الممالك العثمانية ، ويريها عيانا محسوسا ان تجزئة السلطنة العثمانية لا يمكن الا بخراب

(١) فلسفة التاريخ العثماني لمحمد جميل بيهم ٢/ ١٦٢ (الطبعة الاولى ١٩٥٤ م) .
(٢) الجزء السابق ص ١٦٩ ،١٨٥٤.

يعم الممالك الاوروبية باسرها .. وكلما حاولت اوروبا ان تجمع كلمة البلقان للخروج على الدولة بحرب ،كان السلطان يسارع بدهائه العجيب لحل عقد ما ربطوه وتفريق ما جمعوه من كلمة وكيد.»(٣)

« هرتزل » يساوم السلطان

في سنة ١٨٩٧ عرض (هـــرتزل) مؤسس الصهونية على السلطان عبد الحميد فكرة انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، وان هذا كاف للقضاء على حركة القومية العربية ، وسيكون من تاسيسه فوائد جمة للمملكة ، وان هـــرتزل يتعهد بتسديد ديون الدولة كلها وبتقديم مبلغ ضخم للسلطان خاصة لقاء هذا السماح ، فلم يكن من السلطان الا الرفض الشديد المشروح في وثيقتنا التي ننشرها . وكانت الدول الاوروبية (روسيا وانكلترا وفرنسا) في غيظ من ميل السلطان الى منح امتياز الخط الحديدي الواصل بين استانبول وبغداد لالمانيا ، فدابت جميعا على تحريك العناصر المختلفة في الدولة ومدها بالمعونات السرية لاعلان العصيان كما فعلت في الولايات البلقانية ، وعلى هذا تأسست أحزاب مناوئة للسلطان ، وكان بعض اليهود المتظاهرون بالاسلام على رأس الساعين في الفساد ، وانعقدت الاجتماعات السرية في المحافل الماسونية المختلفة ، وكان مؤسسو جمعيـــــة (الاتحاد والترقى) قد عقدوا اجتماعاتهم الاولى في المحفل الماسوني الايطالي ، وفتحت السفارات الأجنبية ابوابها لكل مخطط لعصيان على السلطان ، وعمل الضباط (ذوو الاصل اليهودى) من أعضاء جمعية الاتحاد والترقى على تخطيط الانقـــلاب الذى يخلعون فيه الســــلطان ، وكانت انكلترا وفرنسا سابقتين الى ايواء اللاجئين من معارضي الحكم الحميدى ، وتركتهم يعملون في بلادها علنا لاسقاط السلطان .

التخطيط لخلع السلطان

آمن « هرتزل » واعوانه اليهود أن لا امـــل لهم في الوطن القومى بفلسطين والسلطان علـــى عرشه ، وان خـــيرهم في بعثرة المملكة وتقويض اركانها ، فعملوا في ميدانين : ميدان خــــارجى بما لهم من نفوذ ومؤسسات وتحكم في الـــدول الاوروبية ،وميدان داخلى في تغذية الروح القومية الانفصالية لعناصر المملكة المختلفة من عرب واكراد وشركس وارنؤوط وارمن .. الخ واحـــزاب وجمعيات سرية زودتها الصهيونية بـ(عقائديات)(٤) حسنة الظاهر ولها في كيان الامة فعل الديناميت المفجر . حتى آتت الحركات والجهود المختلفة ثمارها . فجعل حزب الاتحاد والترقى (اليهودى الماسونى) مركز عمله سرا في « ســـلانيك » ، اختارها لان فيها « عددا من الجوالي الاجنبية الكثيرة، عددا من المحافل الماسونية كانت عونا لهم علــى تشكيلاتهم وعلى كتمان مساعيهم .. » (٥) ثـــم قويت حركات المعارضين حتى صارت علنية بعد السرية ، وتجاوب مع معارضي (سلانيك) الارمن وسائر الاقليات تحت شعار (الدستور) . «ولما علم السلطان أن مدينة سلانيك اعلنت في يومى ٢٣و٢٤ تموز سنة ١٩٠٨ الدستور اجابة لطلب جمعية الاتحاد والترقى ، وذلك بمظاهرة صاخبة، وأن البرقيات الموجهة للصدارة من أجناد (سلانيك، ومناستير ، واسكوب ، وسرس) لا تزال تلح في المطالبة باعلان الدستور ، وتهدد بالزحف علـــى العاصمة ، بينما كان الجو السياسي الـــدولى ينذر بالخطر من جراء المؤامرات التى تبثتها

---

(٣) خاطرات جمال الدين الافغاني لمحمد باشا المخزومى (دار الفكر في بيروت ١٩٦٥) ص ٣٥ . يقول السيد جمال الدين بعد ذلك : أما ما رأيته من يقظة السلطان وشدة حذره واعداده العدة اللازمة لابطال مكايد أوروبا ، وحسن نواياه واستعداده للنهوض بالدولة ـ الذى فيه نهضة المسلمين عموما ـ فقد دفعني الى مد يدى له فبايعته بالخلافة والملك .. الخ ـ ص ٣٨ .

(٤) كلمة ـ على ركتها وتزوير دلالتها وضعف مترجمها الاول في العربية ـ شائعة بين الشداة المراهقين المترجمين ، يريدون بها أنظمة بعض الدول الكبرى المستعمرة ، وسموا المتعصبين لتقليدها بـ(العقائديين) وانما العقيدة ما عقدت عليه قلبك ، أما ما يريدون ـ بصرف النظر عن صلاحه لغير أرضه أو فساده ـ فلا يعدو أن يكون (آراء) .

(٥) فلسفة التاريخ العثماني ٢/١٦٧

الدول الاجنبية ضد السلطنة ، اصدر ارادته باعادة الدستور يوم ٢٤ تموز ١٩٠٨ »(٦) .

اما شبان العرب فقد أعداهم التحسس القومي الذي كان الاجانب يؤرثونه من حيث لا يشعر بهم ، وكانت الارساليات الاجنبية ومدارسها والقنصليات تنفخ في رماد هذا الوعي القومي .. واغتنمت المدارس الاجنبية المنتشرة في المملكة فرصة استثنائها من رقابة الدولة فالقت في افئدة تلاميذها النصارى الرعب من المسلمين لتنفرهم من الامبراطورية العثمانية ، ولتكتسب قلوبهم مستعينة على ذلك ببعض التاليف التي لم تتورع عن الطعن في الاسلام والتشهير برسوله .. (٧) .

فاذا علمت ان (الجامعة الاسلامية) ملهج السلطان ، ادركت ما الذي جمع الدول والاقليات والاحزاب الزنيمة والمغفلين من اصحاب المطامع على هوى واحد ، هو خلع السلطان عبدالحميد.

★★★

كان لا بد لهذه المعارضات من شعارات محببة الى الجماهير تتستر وراءها : شأن كل تخطيط يسهم فيه اليهود ، كالقومية للعناصر غير التركية ، (ورفع الظلم والاستبداد ورد الامر شورى) للاتراك .. فرفع حزب الاتحاد والترقي شعار (الحرية والعدالة والمساواة) ، واكثروا من اختلاق الاخبار والشائعات عن كثرة من اصابهم ظلم عبد الحميد : الوف القتلى والغرقى (في البوسفور) ، وعشرات الالوف ازدحمت بهم سجون المملكة .. حتى اعتقد الناس من كثرة التكرار والترداد لهذه الاشاعات انهم يعيشون في جو خانق من ارهاب السلطان (الاحمر) كما لقبوه .

وآلت الامور – كما يعرف القراء الكرام – الى ان زحفت فرقة الجيش من سلانيك ودخلت العاصمة ، واحاطت بالقصر وابلغت السلطان قرار الخلع ، ولم يكن المبلغ الا (قره صو) عضو الحزب (اليهودي الاصل) ! ولم يكن السلطان بحاجة لهذا الابلاغ ، اذ كان موقنا انه دفع ثمن رفضه انشاء الوطن اليهودي في فلسطين كما ستعلم من الوثيقة بعد قليل .

★★★

بعد الخلع

اعلنت الافراح في الانحاء القريبة والبعيدة من المملكة العثمانية بخلع السلطان ، وتبارى (المطبلون) في ذم السلطان وتسويد صحيفته ، واختلاق التهم والرمي بالاخبار عن ظلمه واستبداده وبطشه وسفكه الدماء وسجنه الابرياء الاحرار ، كما تباروا في الاشادة بالضباط الاحرار ضباط الانقلاب ، وبالحزب الحاكم (الاتحاد والترقي) . ثم نشطت الاحزاب التي لم تخف تطرفها في عصبيتها التركية لفرض نظريتها في تتريك العناصر كلها . ولفق للسلطان تاريخ درس في المدارس والجامعات ، وحفظنا – في طفولتنا – من مساوىء السلطان ما شحنوا به الكتب المدرسية والصحف والمجلات .. وخلاصة ذلك كله – كما زعموا حينئذ – ان حزب الاتحاد والترقي انقذ البلاد من الظلم والاستبداد والارهاب ، وان الذي حفزهم على الثورة اعادة (الحرية والعدالة والمساواة)ونشرها بين الناس . ثم اظهر الزمان زيف ذلك كله ، وان هذا الحزب التقدمي كان المتفجرة التي اطاحت بالمملكة كلها فبعثرتها ابادید .

ولم يطل الزمن بالناس حتى حلت كارثة فلسطين ، وتكشفت الحوادث لذوي البصائر عن الحقيقة الصارخة المؤلمة : كان اليهود وراء كل حزب وكل دعوة عنصرية في الامبراطورية العثمانية، ولو سمح السلطان للوطن القومي اليهودي لبقي الحكم حكمه الى ان يأتيه اجله . ولم تكن تلك الاحزاب والعنصريات الا من الوسائل للقضاء على الدولة وتمهيد الامر للوطن الصهيوني . لقد ذهبت المعلومات التي لقنتنا اياها عن عبد الحميد وحزب الاتحاد والترقي معلمونا المخدرون بالدعاية الاعلامية الحزبية ايام الاتحاديين ادراج الرياح ، واستبدلنا بها الحقيقة الماثلة عارية محسوسة لكل

---

(٦) الجزء السابق ص ١٦٨

(٧) الجزء السابق ص ١٧٧ بتصرف يسير

ذى عينين ، ادركناها الان وكان عبد الحميد يراها راى العين قبل ستين سنة ، لكنه لم يجد من يفهم عنه كما سيتضح لك ذلك من رسالته . لقد كان عرشه فريسة الصهيونية المدمرة المخربة فكان الضحية الاولى في سبيل فلسطين ، وكان الضحية الثانية الملك حسين بن على ، ملك الحجاز السابق ، رحمه الله ، حين نفاه الانكليز الى (قبرص) بعد ان ضاقوا به فرموه عن عرشه لكثرة ما تمسك بحقوق فلسطين ، ولما فرغهم به من اخلاف الحلفاء وعودهم له بفلسطين ، كلما هبطت فلسطين هجرة يهودية بحماية الانكليز على مدى السنين الاخيرات من حكمه .

مأثرة السلطان في حقن الدماء

يحفظ المعمرون في دمشق عن احد باشوات الدولة العثمانية المرحوم (زاهد باشا الهبل) وكان يرويه لجلسائه آخر ماتى السلطان في قصره يوم الخلع قال :

لما اضطربت الحوادث وتمردت فرقة (سلانيك)، اخبر الصدر الاعظم سلطانه بعصيان جيش سلانيك فقال السلطان . (طيب) ولم يزد عليها ، ثم اخبره باتجاه العصاة نحو العاصمة (استانبول) فقال (طيب) ولم يامر بشيء ، ثم اخبره بدخولهم العاصمة .. ثم باتجاههم نحو قصره .. ثم بحصارهم القصر .. في كل ذلك يقول (طيب) ولا يزيد عليها : وكان الصدر الاعظم شديد الهيبة للسلطان . ثم دخل امر القوى في القصر يستاذن السلطان بضرب العصاة والمقاومة ، فمنعه ، ثم عاوده القول يريدون اذنه بالمقاومة فقال لهم :

« اعرف جيدا ان كل ما يرومون هو خلعى او قتلى ، وانا شخص واحد ، فاذا امرتكم بالمقاومة سقط مئات القتلى منكم ومنهم ، وانتم جميعا افراد من هذه الامة ، والامة ستحتاج اليكم فيما ينزل بها من شدائد » .

ثم دخل العصاة ولم يقاومهم احد ، وابلغوا السلطان قرار الحزب خلعه ونقلوه الى قصر في سلانيك بعيدا يقيم فيه حتى الممات .

★★★

الوثيقة وقصتها

في زاوية الشاذلية في حى القنوات بدمشق ، يرقد تحت قبة عالية الشيخ محمود ابو الشامات(٨)، شيخ الطريقة الشاذلية اليشرطية ، واول خليفة لصاحب الطريقة الشيخ على اليشرطى المشهور اسسها في مدينة عكا .

كان الشيخ ابو الشامات جميل الصورة ، حسن السمت ، مهيبا ، حلوة البشرة ، نديما ، محاضرا ، للناس ـ والعوام منهم خاصة ـ عقيدة فيه صالحة ، يقيم الحضرة (مجلس الذكر) كل ليلة جمعة في زاويته الفخمة .

---

(٨) ترجم له ادیب تقی الدين نقيب الاشراف بدمشق في كتابه (منتخبات التواريخ لدمشق) وقال في آخر ترجمته ص ٧٩٨ : « ودفن في زوايته في حى القنوات، التى وقفها عليه الوزير رضا باشا القرين الثانى للسلطان عبدالحميد الثانى . وكان ذلك المحل قديما دار الحكومة (دلى بلطه) بعد أن أسست قبل ذلك الحكومة المصرية والدولة الفاطمية زاوية لابن عطاالله الاسكندرى صاحب « الحكم » .

اما ترجمته فقد أوجزها من المصدر السابق ، مفخرة مؤلفى التراجم لعصرنا الاستاذ خير الدين الزركلى في كتاب بعده للذين لم يترجم لهم في كتابه الكبير (الاعلام) سماه (الاعلام بمن ليس في الاعلام) وقد سمح مشكورا بنقلها لفائدة القراء وهذه هي :

« محمود بن محيى الدين بن مصطفى ، أبو الشامات الدمشقى الحنفى (١٢٦٦ ـ ١٣٤١ هـ = ١٨٥٠ ـ ١٩٢٢م) : متصوف ، أديب . كان شيخ الطريقة الشاذلية اليشرطية بدمشق .

له : (شرح التائية الكبرى) اربعة مجلدات، ورسائل منها : (المبشرات) و (الموالاة) و (عروج السالك ودنوه)، وقصيدة في (اثبات وحدة الوجود) و (مولد ـ مطبوع) على لسان القوم ، و (شرح على الوظيفة الشاذلية) ورسالة في (لبس الخرقة) في مصطلح المتصوفة. و(السنوحات) وديوان فيه كثير من نظمه وكلامه جمعه ابنه عبد الرحيم . مولده ووفاته بدمشق . »

من مريدى الشيخ (راغب رضا بك) مدير القصر السلطانى ايام السلطان عبد الحميد ، وكلما زار الشيخ (استانبول) نزل عند مريده مدير القصر . والظاهر ان السلطان الذى لا تخفى عليه خافية من شؤون حاشيته ، اطلع على الامر ، فسأل مدير قصره عمن يكون ضيفه ، فأخبره انه شيخه في الطريق ووصف له من حاله ما ملأ سمع السلطان واهاجه لاستزارته ، فلما اجتمع به ملأ عينه وقلبه ، وطلب منه الطريق فلباه ، واصبح السلطان من تلاميذ الشيخ في الشاذلية واورادها واذكارها ، وقد عرفت ان الشيخ حسن المحاضرة من امراء المجالس ، تتقبله القلوب ، فتعلق به السلطان . كما اخذ عنه الطريق جملة من وجهاء (استانبول) وموظفى القصر السلطانى وجنوده وحراسه . فلما خلع السلطان ووضع في قصر في (سلانيك) كان من الحراس الذين اقيموا عليه ، احد تلاميذ الشيخ ابى الشامات ، وعن طريقه تم المواصلة السرية الكتابية بين الشيخ والسلطان المخلوع ، وحفظ الزمان لنا هذه الرسالة التى ارسلها السلطان الى الشيخ وفيها البيان الصريح عن سر خلعه كشفه لشيخه .

احتفظ الشيخ بهذه الرسالة سرا مكتوما طول عهد الاتحاديين ، حتى اذا زال الحكم التركى عن سورية اطلع عليها بعض خلصائه ، ثم حافظ عليها بعد وفاته ابناؤهم من بعده اذ كانت من انفس التحف التى يحرص عليها الحريصون ، لا يطلعون عليها الا الثقات من اهل ودهم ، حتى اذا قدم العهد وظهر عليها آثار الايام ضنوا بها على الجميع . وقد سعى بعض وجهاء دمشق من اصدقاء ابناء الشيخ حتى اقنعهم باطلاعى عليها ، اذ لا يجوز كتمان امرها الآن ، حتى لا يضيع الحق ، وحتى يصحح كثير من الباحثين والعلماء خطأ ورّطتهم فيه الدعايات الباطلة ، فلبى الورثة الطلب مشكورين ، واعارونيها في مطلع هذا العام ٧٢ ريثما صورتها ورددتها لهم .

اما الترجمة العربية للرسالة فقد قام بها صديق لهم من اهل العلم يتقن اللغتين العربية والتركية(٩) وكتبها لهم بخطه الفارسي الجميل المعروف ، وهم يحتفظون بالترجمة احتفاظهم بالاصل التركى . ولا تنس ما قدمت لك من ان الرسالة موجهة من السلطان (المريد) الى شيخه في الطريق ، فلا بد اذا من الطمانينة على التزام الاذكار الشاذلية والتزام التقاليد في مخاطبة الشيخ ، واليك الرسالة المترجمة :

يا هـو

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وافضل الصلاة واتم التسليم على سيدنا محمد رسول رب العالمين وعلى آله وصحبه اجمعين والتابعين الى يوم الدين .

ارفع عريضتى هذه الى شيخ الطريقة العلية الشاذلية ، الى مفيض الروح والحياة ، الى شيخ اهل عصره الشيخ محمود افندى ابى الشامات ، واقبل يديه المباركتين راجيا دعواته الصالحة .

بعد تقديم احترامى اعرض اننى تلقيت كتابكم المؤرخ في ٢٢ مايس من السنة الحالية ، وحمدت المولى وشكرته انكم بصحة وسلامة دائمتين .

سيدى

اننى بتوفيق الله تعالى مداوم على قراءة الاوراد الشاذلية ليلا ونهارا . واعرض اننى ما زلت محتاجا لدعواتكم القلبية بصورة دائمة .

بعد هذه المقدمة اعرض لرشادتكم والى امثالكم اصحاب السماحة والعقول السليمة المسألة المهمة الآتية كامانة في ذمة التاريخ :

اننى لم اتخل عن الخلافة الاسلامية لسبب ما ، سوى اننى ـ بسبب المضايقة من رؤساء جمعية

---

(٩) هو الشيخ احمد القاسمى مدير اوقاف الجمهورية السورية سابقا . وقد حرص كل الحرص على الدقة في الترجمة حتى انه كرر لفظ « بوجه قطعى » ، ست مرات متتالية ، على ما في هذا التكرار من ركة ، اذ كانت في الاصل التركى كذلك .

الاتحاد المعروفة باسم (جون تورك) وتهديدهم – اضطررت واجبرت على ترك الخلافة .

ان هؤلاء الاتحاديين قد اصروا واصروا علي بان اصادق على تاسيس وطن قومي لليهود في الارض المقدسة (فلسطين) ورغم اصرارهم فلم اقبل بصورة قطعية هـذا التكليف ، واخيرا وعـدوا بتقديم (١٥٠) مئة وخمسين مليون ليرة انكليزية ذهبا ، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية ايضا واجبتهم بهذا الجواب القطعي الآتي :

« انكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهبا – فضلا عن (١٥٠) مئة وخمسين مليون ليرة انكليزية ذهبا فلن اقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي . لقد خدمت الملة الاسلامية والامة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة فلم اسود صحائف المسلمين آبائي واجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين . لهذا لن اقبل تكليفكم بوجه قطعي ايضا . »

وبعد جوابي القطعي(٧) اتفقوا على خلعي ، وابلغوني انهم سيبعدونني الى (سلانيك)،فقبلت بهذا التكليف الاخير .

هذا وحمدت المولى واحمده انني لم اقبل بان الطخ الدولة العثمانية والعالم الاسلامي بهذا العار الابدي الناشيء عن تكليفهم باقامة دولة يهودية في الاراضي المقدسة : فلسطين .. وقد كان بعد ذلك ما كان . ولذا فانى اكرر الحمد والثناء على الله المتعال . واعتقد ان ما عرضته كاف في هذا الموضوع الهام ، وبه اختم رسالتي هذه .

الثم يديكم المباركتين ، وارجو واسترحم ان تتفضلوا بقبول احترامي بسلامي الى جميع الاخوان والاصدقاء .

يا استاذي المعظم

لقد اطلت عليكم التحية ، ولكن دفعني لهذه الاطالة ان تحيط سماحتكم علما ، وتحيط جماعتكم بذلك علما ايضا . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

في ٢٢ ايلول ١٣٢٩

خادم المسلمين

عبد الحميد بن عبد المجيد

ما اظن هذه الوثيقة التاريخية بحاجة الى تعليق ، فليس بعد بيان السلطان نفسه عما جرى له بيان ، ولا بعد هذه الصراحة بوقاحة اليهود وعملائهم (الاتحاديين) صراحة . ونحن الذين نعيش في سنة ١٩٧٢ بعد ان راينا تتابع الاحداث منذ وعد بلفور سنة ١٩١٧ وما لحقه . صححنا كثيرا من نظراتنا السابقة الى الخلفاء ومواعيدهم ، والممنا باثر اليهود في الحوادث العالمية الماما نظريا ، وصرنا نرتاب بل نخاف اشد الخوف كلما رفع حزب شعارات نعشقها ، بعد ان علمنا علم اليقين ما كان وراء شعارات (الحرية والعدالة والمساواة) التيرفعها حزب الاتحاد والترقي من استعباد واضطهاد وظلم وتفريق واراقة دماء وشنق ضحايا . لقد كان (الاتحاد) الذي سمي به الحزب نفسه تشتيتا للامة الواحدة ، وتمييزا بين عناصرها، واضاعة لبعض بلادها ، وكان (الترقي) انحدارا الى الهاوية حيث لفظت الملكة عندها نفسها الاخير .

الهدف من الرسالة

نتساءل – بعد ما تقدم – ما ارب السلطان

---

(١٠) هاجم عبد الوهاب الانكليزى وشكرى العسلى النائبان السوريان في مجلس (المبعوثان) التركى فكرة الوطن اليهودى في فلسطين أيام حكم الاتحاديين ، فلما دخلت تركيا الحرب العامة بعد أن ورطها الاتحاديون مع المانيا ، أعلنت الاحكام العرفية في سورية ، وقام أحمد جمال باشا السفاح – الحاكم العسكرى لولاية سورية وقائد الجيش الرابع وأحد أقطاب الحزب فدفع بالنائبين المذكورين الى محاكمة سورية بتهم ملفقة ضد الدولة وحكم عليهما بالاعدام وشنقا ، ولم يكن لهما من ذنب عند العارفين الا موقفهما المشرف في الدفاع عن فلسطين في مجلس المبعوثان ، فحقد عليهما الحزب اليهودى الحاكم (حزب الاتحاد والترقى) حتى وجد الفرصة سانحة في ظل الحرب والاحكام العرفية . ان الحيلولة دون انشاء الوطن اليهودي في فلسطين هى الجريمة الوحيدة لعبد الحميد وللنائبين المذكورين، الجريمة التى لا يغفرها مطلقا مسيرو الحزب من وراء الستار .

من عرضه على (اصحاب السماحة والعقول السليمة) هذه (المسالة الهامة) وجعلها امانة في ذمة التاريخ ؟

اننا اذا ذكرنا ان السلطان بشهادة خصومه وشهادة السياسيين الاجانب كان من الدهاة اصحاب الاناة والتدبير ، عرفنا بانفسنا الجواب . لقد اراد ان يرمى عصفورين – كما يقولون – بحجر واحد : وذلك انه باستشارته العلماء والمشايخ وذوى العقول السليمة يكون قد حرك جهازا له خطره البالغ في تلك الايام فيثير اولئك – في خطب المساجد ومجالس الوعظ وحلقات المشايخ – الجماهير وقدسية (فلسطين) حساسة جدا يوم كان للدين حكمه النافذ على القلوب، فيحمى الشعب ويغلى ويثور ، فتموت فكرة الوطن القومى في مهدها بعد تنبه الجماهير لها ، ويزاح (الانقلابيون) باهون السبل بعد حصول هذه التوعية وخاصة في العاصمة والاناضول، ويبدا ينقذ السلطان فلسطين، ويقضي على الانقلابيين ، اذ كان الجيش الذى ساقوه فقام بالانقلاب واوهموه انما يحاربون به الاستبداد الحميدى – سيصبح بعد توعيته ، وتنبهه للغرض الحقيقى ، واطلاعه على هوية (الاتحاديين) منقلبا عليهم لا يرضى دون تعليقهم على المشانق لقاء خدعهم وتضليلهم له .

لكن الشيخ ابا الشامات وجماعته واصحاب السماحة لم يكونوا من الوعى والشعور بالمصالح العليا للامة بحيث ظن السلطان . نعم ، انى أعلم أن حركات مضادة للاتحاديين قد بدات تذر قرونها ، وان (الجمعية المحمدية) التى صار لها فروع في بعض الامصار طالبت متحمسة بالغاء الدستور والرجوع الى الشرع الاسلامى ، لكن لم يكن باكثر من فورة حماسة لم تلبث أن انطفات بالارهاب الاحمر الذى حكم به الاتحاديون ، اذ لم يحسن القائمون بها والداعون لها تخطيطها ولا تعميمها ، ولم يكن وعى الشعب يومئذ كافيا ليدرك مصالحه ، وكان (المطبلون) للاتحاديين من المنافقين المرتزقة اكثر من اولئك بكثير .

يرحم الله عبد الحميد ، لم يكن له في مستواه وزراء ولا اعوان ولا شعب ، لقد سبق زمنه ، وكان في كفايته ودرايته وسياسته وبعد نظره بحيث استطاع وحده بدهائه وتصرفه مع الدول تاجيل انقراض الدولة ثلث قرن من الزمان ، ولو وجد الاعوان الاكفياء والامة التى تفهم عنه لترك للدولة بناء من الطراز الاول .

★ ★ ★

عبد الحميد في ذاكرة شعبه

انى اعى في طفولتى – وقد نزل ما نزل من ويلات الحروب وضياع البلاد والمجاعة والقحط ايام الحرب العامة الاولى – الناس وهم لا يملون من ذكر ايام عبد الحميد بالخير والرحمات ، وكانت كلمة (سقى الله تلك الايام) لازمة تتردد على الالسنة كلما ذكر عبد الحميد وعهده . ولقد كان عندهم خلع عبد الحميد هو الباب الذى منه تدفقت على البلاد المصائب والشدائد والضياع. ومالى ارجع الى عهد الحداثة وانا الان كلما جلست الى معمر او اصغيت الى حديث يدور بين طاعنين في السن اسمع الترحم على عبدالحميد وعلى ايامه ، حتى صار اسمه حنانا في قلوب الناس ، تجسد فيه عزهم السابق ورخاؤهم وامنهم وسلامة مقدساتهم . والظاهر ان لروح الشعوب حسا لا يخطىء ، وحدسا صادقا لا تنفع منه اضاليل دعاية مهما تعظم وتضخم . لقد ذهب كل ما حشوا به اذهاننا عن استبداد عبدالحميد. ونسي الناس كل دعايات الاتحاديين وتاريخهم المزور الذى صنعته الدول الاجنبية والمكر اليهودى ، نسي الناس كل ذلك ، وبقى في عقيدتهم ان حزب الاتحاد والترقى والقواعد الماسونية كلها كانت طلائع الغزو الصهيونى، وان السلطان كان المناضل الحق الصامت عن فلسطين ، وانه لو قبل عرض الاتحاديين عملاء اليهود لتحقق من سنة ١٩٠٨ تهويد فلسطين ، وما تاخر بفضل السلطان وايمانه وعزيمته الى سنة ١٩٤٨ .

لقد كان وحده – رحمه الله – الشهيد الصادق الاول الذى خر دفاعا عن فلسطين .

■■

دمشق سعيد الافغانى

أنباء الطب والعلم والاختراع

تحديد عدد اطفال الاسرة باثنين هو الحل الامثل لمشكلة ازدياد السكان

● اذاعت لجنة التزايد السكاني ومستقبل امريكا ، وهي تلك اللجنة التي شكلها الرئيس الامريكي تكسون بموافقة الكونجرس الامريكي في شهر يوليو عام ١٩٦٩ ، تقريرا خطيرا عن مشاكل تزايد السكان في امريكا بعد دراسة استمرت حوالي ٣ سنوات .

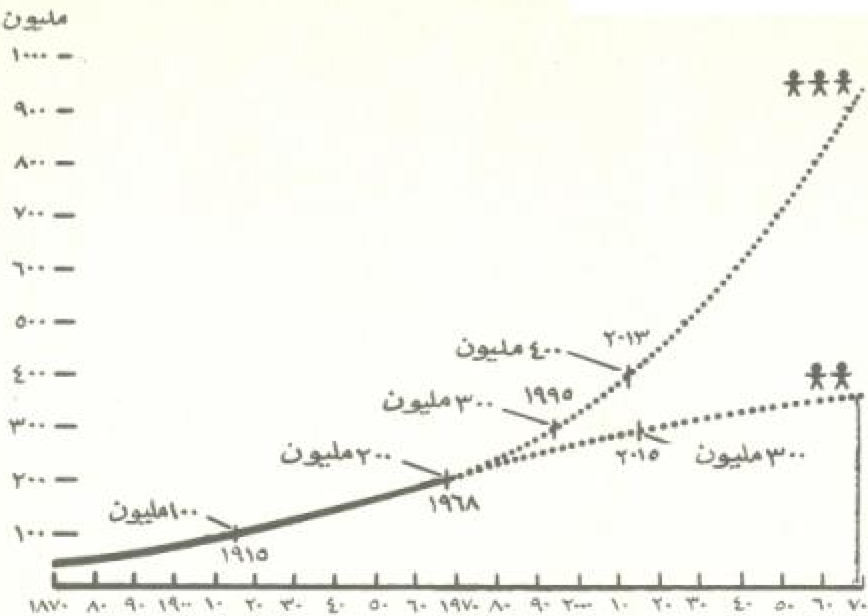
وقد اذاع رئيس اللجنة جون روكفلر الثالث John Rockefeller الجزء الاول من تقرير اللجنة . وقد ذكر في هذا التقرير انه على المدى البعيد لن تتحقق اية فائدة للولايات المتحدة من ازدياد عدد سكانها . بل على العكس ، فانه من راي اللجنة انه لو استمرت نسبة الزيادة كما هي عليه الآن فان الكثير من المشاكل ستزداد حدتها وسيصعب على امريكا ايجاد حلول مناسبة لها . ويقول روكفلر : « ان الوقت قد حان بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية ان تتبنى خطة مرسومة لتحديد النسل وتنظيم زيادة عدد سكانها » .

وقد بينت الدراسات التي قامت بها هذه اللجنة والتي تضم بين اعضائها ١٠٠ عالم ومتخصص في علوم الاقتصاد ، والبيئة ، والاجتماع ، والسياسة ، ان



روكفلر
امريكا تعاني من تزايد السكان

نسبة ازدياد عدد السكان الحالية في امريكا ، وهي ١ر١٪ في العام ، ستؤدي الى مضاعفة عدد السكان كل ٧٠ عاما وتخلق مشاكل عديدة لامريكا . وقال التقرير انه يمكن تفادي هذا الامر اذا تم الوصول الى تحديد متوسط عدد اطفال الاسرة باثنين فقط . ولو تم تحقيق هذا الامر فان هذا يعني الوصول الى حالة استقرار بالنسبة لتزايد السكان ،



اى ان نسبة الزيادة السنوية ستصل الى الصفر (فى هذه الحالة يصبح عدد المواليد مساويا لعدد الوفيات) . وستؤدى حالة الاستقرار هذه الى خير المجتمع فى جميع المجالات . فمن الناحية الاقتصادية مثلا يقول عضو اللجنة جون ماير John Meyer وهو ايضا رئيس المكتب القومى للبحوث الاقتصادية ، ان قلة عدد السكان تعنى زيادة دخل الفرد مما يؤدى الى زيادة استهلاك البضائع . ويتنبأ تقرير اللجنة ، انه بحلول عام ٢٠٠٠ سيستهلك الشخص العادى اكثر من ضعف استهلاكه فى وقتنا هذا .

اما بالنسبة للبيئة والمصادر الطبيعية فان تقرير اللجنة يقول ان زيادة عدد السكان ليست هى العامل الوحيد المتسبب فى نقصان مصادر الطاقة وتلوث البيئة . ولكن مع انخفاض نسبة زيادة تعداد السكان فان الوقت المتاح للعلماء لايجاد حلول لهذه المشاكل سيتسع ربما لتفادى كارثة . ويضرب التقرير مثلا بمصادر المياه ويقول ان نقص المياه فى بعض مناطق امريكا سيتضاعف فى عام ٢٠٢٠ فى حالة الوصول الى اسر ذات طفلين فقط فى المتوسط ، اما فى حالة وجود ٣ اطفال فى الاسرة فان هذا يعنى ان النقص فى المياه سيزداد الى ٣ مرات . وسيصحب نقص الموارد الطبيعية نقص كبير فى الخدمات العامة اذا ظلت نسبة تزايد عدد السكان فى امريكا كما هى عليه الان . التعليم مثلا يحتاج حاليا الى ٧ر٥٪ من مجموع الانتاج القومى او ما يمثل حاليا ٧٤ بليون دولار (وذلك طبقا لاحصائيات ١٩٧٠) وفى عام ٢٠٠٠ سترتفع هذه النسبة الى ١٣٪ ، اذا كان متوسط عدد اطفال الاسرة ٣ ، اما اذا انخفض متوسط عدد اطفال الاسرة الى اثنين فان نسبة احتياجات التعليم من مجموع الانتاج القومى ستصل الى ٩ر٧٪ فقط .

وكذلك الحال بالنسبة لنظام الحكم الديمقراطى ، فانه سيبدأ فى التضاؤل

كلما ازداد عدد السكان نتيجة لتزايد الضغوط الاجتماعية الناتجة عن تزايد مشاكل التمييز العنصرى والفقر بزيادة السكان .

ولكن كيف تستطيع الولايات المتحدة الامريكية تحقيق تحديد متوسط عدد اطفال الاسرة باثنين ؟!

ان الاجابة عن هذا السؤال هى التى تحمل فى طياتها الكثير من المشاكل .. واهم الصعوبات التى تواجه اللجنة الان سؤال عن تحديد السلطة التى ستتولى الاشراف على تنفيذ نظام جديد لتنظيم الاسرة وكيف ؟!

اما المشكلة الثانية فهى مشكلة الاقليات فى امريكا مثل الهنود الحمر والزنوج الذين يعتبرون ان تحديد النسل ما هو الا خطة للقضاء عليهم .

ويقول بعض اعضاء اللجنة انه من بين مقترحاتهم بالنسبة لتنفيذ خطة تحديد النسل ، والتى ستكون اختيارية ، تعديل قوانين الاجهاض وجعلها اكثر مرونة من القوانين المعمول بها حاليا . ولكن هذا الاقتراح بالذات اثار هو الاخر ضجة وخاصة بين الطائفة الكاثوليكية .

وهكذا نرى ان مشكلة الانفجار السكانى فى العالم لم تعد تهم الدول المتنامية والفقيرة فقط ، بل تعدتها الى الدول الكبرى والتى كانت تسعى الى زيادة عدد سكانها عن طريق اجتذاب اعداد كبيرة من المهاجرين فى بداية هذا القرن من الزمان .

حبوب جديدة لمنع الحمل تستعمل في الحالات الطارئة

● كثيرا ما فكر العلماء فى وجوب تحضير حبوب لمنع الحمل تكون حبة واحدة منها بعد اللقاء الجنسى كافية لمنع الحمل .. وفائدة مثل هذه الحبوب تتجلى فى عدة احوال ، واهمها جرائم الاعتداء على الفتيات بالقوة ، او عند ما تفشل وسائل منع الحمل الاخرى كالعوازل المطاطية فى تأدية مهمتها نتيجة تمزقها مثلا وذلك بالنسبة للمرأة العادية .

واخيرا ، وبعد تجارب عديدة اعلنت الدكتورة لوسيل كيرتلاند Luciel Kirtland من جامعة متشيجان ان انتاج مثل هذه الحبوب قد اصبح فى الامكان .

وقد قام قسم الخدمات الصحية التابع لجامعة متشيجان باجراء تجارب على الف سيدة فى سن التناسل وتم اعطاء السيدات ٢٥ مليجرام من مادة Diethyl Stilbestrol ، مرتين فى اليوم لمدة خمسة ايام من آخر لقاء جنسى لهن دون استعمال اية موانع للحمل . وكانت النتيجة انه لم تظهر حالة حمل واحدة على السيدات اللائى تناولن هذا العقار الجديد . فى فى حين ان احتمالات الحمل تتراوح عادة من ١ الى ٢٥ او ١ الى ٥٠ بعد كل لقاء جنسى .

وقد اثبتت التجارب ان هذا العقار له تاثيرات جانبية خفيفة فى بعض الحالات من بينها الدوار والصداع والاسهال . ولم يكن للعقار اية تاثيرات جانبية شديدة . كما ان ٢ر٤٥٪ من السيدات اللائى تناولن هذه الحبوب لم تظهر عليهن اية آثار جانبية حتى ولو خفيفة .

جمعية دولية لتقييم التكنية الحديثة وتاثيرها على المجتمع

● كثر الحديث عن ان التقدم التكنى له آثار ضارة على المجتمع البشرى وعلى البيئة مما قد يتسبب عنه دمار العالم ، وذلك بالطبع الى جانب فوائده الجمة التى ظهرت آثارها على مجتمعنا الحديث.

ونتيجة لهذه المناقشات بدات حركة تقييم التكنية الحديثة ومدى تاثيرها على حياة الانسان فى المستقبل تتخذ شكلا عالميا غير خاضع لجهة دولية رسمية.

وقد اجتمع مؤخرا فريق من العلماء فى مدينة واشنطن واعلنوا تكوين جمعية جديدة اطلقوا عليها اسم « المجتمع الدولى لتقييم التكنية »

« International Society For Technology Assessment » .

وتأمل هذه الجمعية ان تقوم عن طريق المؤتمرات ، واصدار مجلة علمية تصدر كل ٣ شهور ، باتاحة الفرصة للعديد من الاشخاص والمنظمات التى تهتم بدراسة نتائج التكنية الحديثة على العالم ان يعبروا عن آرائهم ومخاوفهم .

ويقول رئيس هذه الجمعية انها ليست ضد التكنية ولكنها تؤمن بضرورة التحكم فى الثورة التكنية الحديثة وتوجيهها لصالح البشر ، ولكن هذا التحكم يجب ان لا يكون دكتاتوريا . وان جهود هذه الجمعية ستنصب على المساعدة فى ارشاد العالم الى طريق يوفق بين المثاليات وبين خطر الانزلاق الى تدمير العالم نتيجة لتقدم التكنية والذى نسمع عنه كل يوم .

وتضم الجمعية الان عددا من العلماء الهولنديين والامريكيين ، وقد تقرر ان يكون مقر المكاتب العلمية للجمعية فى مدينة واشنطون اما مقرها التنفيذى والادارى فيكون فى مدينة « لاهاى » عاصمة هولندا .

وقد اعلن رئيس الجمعية ان باب العضوية مفتوح امام اى فرد ولا يشترط فى راغبى العضوية أن يكونوا من العلماء بل انها ترحب بانضام الزوجات غير العاملات ، والمحامين ، ورجال الاعمال ، والطلبة . .

وستركز هذه الجمعية اعمالها فى توضيح تأثير تقدم التكنية الحديثة على مختلف مجالات الحياة ، ولكنها لن تكون ، كما اكد رئيسها ، ضد التقدم التكنى .

وستنظم الجمعية اول اجتماع دولى لتقييم تأثير التقدم التكنى على العالم فى مدينة « لاهاى » فى شهر مارس ١٩٧٣ .

الأعضاء المؤسسون لجمعية المجتمع الدولى لتقييم التكنية فى اول اجتماع لهم فى واشنطن . وستنظم الجمعية اول اجتماع دولى لها فى مدينة « لاهاى » بهولندا فى شهر مارس عام ١٩٧٣



مناقشات عنيفة تطالب بتحريم عمليات المخ التى تجرى لتغيير سلوك الفرد

● تدور الآن مناقشات عنيفة فى امريكا حول العمليات الجراحية التى تجرى فى المخ لتغيير سلوك الفرد وتحويله من شخص يعتمد العنف كأسلوب فى حياته الى شخص طيع بعيد عن العنف . وقد اطلق على هذا النوع الجديد من الجراحة اسم « الجراحة النفسانية » Psychosurgery .

ويقوم فريق من الاطباء النفسانيين بالمطالبة بتحريم هذا النوع من الجراحة بقانون . ويتزعم هذا الفريق الطبيب النفسانى بيتر بريجن Peter Breggin . وقد استطاع هذا الطبيب اثارة ضجة فى مؤتمر علمى عقد فى هيوستون بولاية تكساس الامريكية لبحث الجديد فى جراحة الاعصاب تحت اشراف جامعة تكساس.

وقد ادت المناقشات التى اثارها «بريجن» الى قيام مندوبين من طلبة ١٩ جامعة محلية باقتحام مكان الاجتماع اثناء جلسته الختامية وتقديم صيغة لقرار يقره المؤتمر بخصوص الجراحة النفسانية . ويقول هذا القرار : « نقرر ان المجتمعين يتخذون موقفا موحدا ضد الجراحة النفسانية فى الولايات المتحدة . وخاصة فى المصحات النفسية، والسجون، والمدارس، والجيش وغيرها .

ان تحديد اماكن معينة فى المخ واستئصالها جراحيا او استبدالها بغرض التحكم فى مراكز العنف والتأثير على سلوك الفرد أمر غير مشروع .

ان الناس لا يتصرفون بعنف بسبب مشاكل فى عقولهم .

انهم يتحولون الى العنف بسبب ظروف الحياة التى لا يمكن تحملها .

اذا تعطل الشخص عن العمل فانه قد يلجأ الى السرقة . والمساجين الذين يتعرضون باستمرار لمضايقات حراسهم قد يلجأون الى العنف لحماية انفسهم .

هل كل هؤلاء الزنوج الذين ثاروا فى مختلف انحاء امريكا مجانين ؟!

وماذا عن هؤلاء الاشخاص الذين حاربوا من اجل تكوين الاتحاد ؟

وهل يجب اجراء جراحات نفسية لشعب فيتنام لأنه يحارب ضد الاستعباد ؟!

ان هذه الجراحة ستستخدم ضد السود ، والامريكيين الجنوبيين، والعمال البيض ، الذين يضطرهم المجتمع الى اللجوء الى العنف .

انها ستستعمل لمنع ظهور اى مذاهب فلسفية او اجتماعية جديدة .

انها ستستعمل لحرمان الطبقات العاملة من قادتها اللذين يحاربون من اجلها .

اننا نطالب باتخاذ موقف ضد التميز العنصرى ، ووسائل القمع ، وذلك بمعارضة استخدام الجراحة النفسانية» .

وبالرغم من الاسلوب الحماسى الذى صيغت به عريضة الطلاب فان العلماء المجتمعين لم يصوتوا على اتخاذ قرار ضد الجراحة النفسانية . وانفض الاجتماع بهدوء .

ولكن الدكتور فرانك ارفين Frank Ervin ، وهو من جامعة هارفارد ، واحد الذين يجرون تجاربهم فى ميدان الجراحة النفسانية ، صرح بعد انتهاء الاجتماع ان الجراحة النفسانية لا تمثل الا جزءاً صغيراً من تكنية علم السلوك . وان هذه التكنية الخاصة بسلوك الانسان يجب علينا ان نحتفظ بها فوق كل الامور سياسيا واجتماعيا . وانه لهذا السبب لا يعارض ان يعلم الناس عما يجد فى هذا الميدان . ولكنه فى نفس الوقت يعتقد ان « بريجن » قد بالغ كثيرا فى تشاؤمه وحمل الامور اكثر مما تحتمل.

ترى ماذا يخبىء لنا العلم فى المستقبل بالنسبة لسلوك الانسان ؟!

هل سيأتى اليوم الذى يتمكن فيه مبضع الجراح من تغيير شخصية الانسان وجعل بنى البشر كلهم يسلكون سلوكا واحدا .. !! من يدرى ؟! ●●



يد الله

اليها بعد ماساة الحبيب !

■ إلجئي أختي إلى الله إذا جاء المغيب !
واذكري الله كثيراً إن تولاك النحيب !
واقرئي شيئاً من القرآن عن روح الحبيب !
واطلبي الرحمة والغفران في الليل الرهيب !
لحبيب غاب عن منزله أمس القريب !
تجدي الله قريباً منك في الظرف العصيب !
ورؤوفاً ورحيماً فيلبي ويجيب !

★ ★ ★

كم كسير آمنت بالله في هذي الحياه ! ؟
وقفت خاشعة ضارعة تدعو الإله !
أن يزيل الكرب عنها وهي لا ترجو سواه !
فإذا الله يراها وهو في أعلى علاه !
وإذا الإيمان يستمطر شيئاً لا تراه !
وإذا الله يلبي كل شيء في صلاه !
فهو رحمن رحيم وهو ذو سر عجيب !

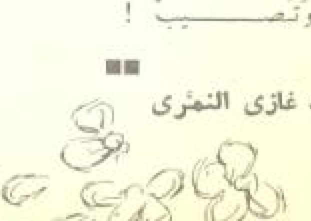
★ ★ ★



لا تقولي ما الذي أذبل أزهار الربيع ؟
ما الذي طوح بالعرش وبالتاج الرفيع ؟
ما الذي بدد آمالا وخلاها تضيع ؟
ما الذي أدخل عزرائيل للحصن المنيع ؟
ما الذي نجاك من موت وأودى بالصريع ؟
إنما الموت كؤوس مترعات للجميع !
ويد الله التي تعمل فينا وتصيب !

■■

احمد غازى النمرى



العرب وكشف أمريكا

بقلم : سمير عطا

■ فى عام ١٩٢٢ ظهر كتاب فى ثلاثة مجلدات لعالم لغوى من علماء جامعة هارفارد اسمه ليو وينر Leo wiener عنوانه « افريقية وكشف امريكا » ، اثبت مؤلفه فيه وجود كلمات عربية فى لغات هنود امريكا . وكان ليو وينر ــ وهو ضليع فى اللغات ــ قد شرع فى تعلم لغة هنود امريكا كما دونها المرسلون اليسوعيون فى عهد كورتيز القائد الاسباني الذى فتح المكسيك ليرى ما فيها من الكلمات والتعابير التى قد يستدل منها على الشعوب التى اتصلت بأولئك الهنود فى الماضى ، فوجد فيها كثيرا من الكلمات الانجليزية والاسبانية والفرنسية والبرتغالية ، واقدم من هذه كلها كلمات عربية . وقال بعد نشر كتابه انه يرجع اقدم هذه الكلمات الى عام ١٢٩٠ اى الى قرنين قبل وصول كولومبس الى امريكا ، وقد يكون اصحاب تلك الكلمات قد اتصلوا بها قبل ذلك بقرنين .

عن عالم الاجناس الامريكى

وفي يناير ١٩٥٦ اعلن الدكتور جيفريز عالم الاجناس الامريكى تأييده لفكرة كشف العرب لامريكا قبل كولومبس استنادا الى ما توصل اليه في بحثه عن اصل نبات الذرة وانتشاره في جميع انحاء العالم .

عن عالم النبات الصينى

وفي ابريل ١٩٦١ نشر الدكتور « هوى لين » ــ الصيني المولد واستاذ علم النبات في جامعة بنسلفانيا ــ في مجلة « نيوزويك » الامريكية حديثا قال فيه ان الملاحين العرب قد عبروا الاطلنطى قبل كولومبس بثلاثة قرون . وقد اعلن « هوى » نظريته هذه في المؤتمر الحادى والسبعين بعد المائة للجمعية الشرقية الامريكية في فيلادلفيا التى تضم عددا كبيرا من اساتذة الدراسات الشرقية . وقد قضى « هوى » زهاء ثمانية اعوام يتتبع انتشار السلع الزراعية والنباتية وانواع الحيوان في شتى انحاء العالم ليعرف الطرق التجارية القديمة والتيارات الحضارية التي شقت طريقها الى الدنيا الجديدة .. وقد استند « هوى » الى وثائق محفوظة في الصين يرجع عهدها الى القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر وقد ورد فيها اسم مدينة « مولان بي » على الساحل الشمالى لامريكا الجنوبية وانه كان من المحاصيل

أقوال متضاربة، من مصادر شتى، بعضها العربي وبعضها الاجنبي، بعض يميل الى الاثبات، وبعض ينفي . ولا زلنا نقول: الله أعلم (العربي)

التي تنتجها تلك المدينة الذرة الهندية والفرع العسلي وثمار غريبة نعرفها اليوم باسم الجوافة والباباي والاناناس وهذه كلها لم تكن معروفة قبل كولومبس . ولكن الوثائق أثبتت انها كانت معروفة للعرب الذين قاموا قبل عام ١١٠٠ م من الطرف الغربي للعالم الاسلامي – ومن ميناء الدار البيضاء على وجه التحديد – ورسوا في عدة مواضع على الساحل الامريكي ..

وقد ايد هذه النظرية الدكتور لين شنج يانج استاذ التاريخ واللغة الصينية بجامعة هارفارد . كما أيدها الدكتور ريتشارد رودلف رئيس المؤتمر الذي عقدته الجمعية الشرقية الامريكية ..

فهل كشف العرب امريكا قبل كولومبس حقيقة ؟

قصة كشف العرب امريكا

وموضوع هذا التساؤل هو في حد ذاته قصة بدأت منذ عام ١٨٩٢ حين نشر الاستاذ ابراهيم الحوراني في جريدة « النشرة الاسبوعية » نداء من عالم امريكي يناشد فيه علماء العرب توضيح ما يشاع من أن العرب كانوا قد اكتشفوا امريكا قبل كولومبس . وقرأ الامير شكيب ارسلان هذا المقال فاهتم به حتى عثر في المكتبة الاهلية بباريس على كتاب الادريسي « نزهة المشتاق الى اختراق الافاق » وفيه ما يفيد بان العرب قد وصلوا الى امريكا فكتب مقالا عن ذلك في جريدة « ثمرات الفنون » البيروتية .

قصة الادريسي عن الاخوة المغررين

والقصة التي يذكرها الادريسي عن كشف امريكا تحكي كيف قام جماعة من الاندلسيين برحلة في البحر المحيط ميممين جهة الجنوب والغرب سماهم « المغررين » وكيف وصلوا آخر الامر الى ما وصل اليه كولومبس بعد ذلك .

يقول الادريسي .

« ومن مدينة لشبونة كان خروج المغررين في ركوب بحر الظلمات ليعرفوا ما فيه والى اين انتهاؤه . ولهم بمدينة لشبونه بموضع من قرب الحمة درب منسوب اليهم يعرف بدرب المغررين الى آخر الابد . وذلك انه اجتمع ثمانية رجال كلهم أبناء عم فانشاوا مركبا حمالا ، وادخلوا فيه من الماء والزاد ما يكفيهم لاشهر ، ثم دخلوا البحر في اول طاروس للريح الشرقية (أي هبوبها وطاروس لفظة غير عربية) فجروا بها نحوا من احد عشر يوما فوصلوا الى بحر غليظ الموج كدر الروائح كثير التروس (أي الصخور التي لايكاد يسترها الماء) قليل الضوء فأيقنوا بالتلف فردوا قلاعهم في اليد الاخرى وجروا في البحر من ناحية الجنوب اثنى عشر يوما ، فخرجوا الى جزيرة الغنم وفيها من الغنم ما لا يأخذه عد ولا تحصيل. وهي سارحة لاراعي لها ولا ناظر اليها . فقصدوا الجزيرة فنزلوا بها فوجدوا عين ماء جارية وعليها شجرة تين برى فاخذوا من تلك الغنم فذبحوها فوجدوا لحومها مرة لا يقدر احد على أكلها فاخذوا من جلودها وساروا مع الجنوب اثنى عشر يوما الى ان لاحت لهم جزيرة فنظروا فيها

الى عمارة وحرث فقصدوا اليها ليروا ما فيها فما كان غير بعيد حتى احيط بهم في زوارق هناك فاخذوا وحملوا في مركبهم الى مدينة على شفة البحر فانزلوا بها في دار ، فراوا رجالا شقرا زعرا ، شعورهم سبطة ، وهم طوال القدود ولنسائهم جمال عجيب . فاعتقلوا فيها في بيت ثلاثة ايام ثم دخل عليهم في اليوم الرابع رجل يتكلم باللسان العربي (فان هذه الجزر قد وصلها بعض العرب الفرادى قبل الاخوة انفسهم) فسالهم عن حالهم وفي ما جاءوا من اجله ، واين بلدهم ، فاخبروه بكل خبرهم ، فوعدهم خيرا ، واعلمهم انه ترجمان الملك ، فلما كان اليوم الثاني من ذلك اليوم احضروا بين يدي الملك فسالهم عما سالهم الترجمان عنه فاخبروه بما اخبروه الترجمان بالامس من انهم اقتحموا البحر ليروا ما به من الاخبار والعجائب ويقفوا على نهايته . فلما علم الملك ذلك ضحك وقال للترجمان : خبّر القوم ان ابى امر قوما من عبيده بركوب هذا البحر وانهم جروا في عرضه شهرا الى ان انقطع عنهم الضوء وانصرفوا من غير حاجة ولا فائدة تجدى . ثم امر الملك الترجمان ان يعدهم خيرا وان يحسن ظنهم بالملك ففعل .. ثم صُرفوا الى موضع حبسهم الى ان بدا جرى الريح الغربية فعُمّر بهم زورق وعصبت اعينهم وجرى بهم في البحر برهة من الدهر . قال القوم : قدرنا انه جرى بنا ثلاثة ايام بلياليها حتى جيء بنا الى البر فأخرجنا ، وكُتفنا الى خلف ، وتُركنا بالساحل الى ان تضاحى النهار وطلعت الشمس ونحن في ضنك وسوء حال من شدة الاكتاف حتى سمعنا ضوضاء واصوات ناس فصحنا باجمعنا ، فاقبل القوم الينا فوجدونا بتلك الحال السيئة فحلوا وثاقنا وسالونا فاخبرناهم بخبرنا وكانوا برابر فقال لنا احدهم : اتعلمون كم بينكم وبين بلدكم ؟ فقلنا : لا .. فقال : ان بينكم وبين بلدكم مسيرة شهرين . فقال زعيم القوم : وا اسفى .. فسمى هذا المكان اليوم (اسفى) وهو الذى في اقصى المغرب .. » .

تلك هى قصة الادريسي عن الاخوة المغررين والتى يمكن ان يستدل منها انهم قد وصلوا اول الامر الى احدى جزر الانتيل وهى اول الجزر التى مر بها كولومبس في رحلته الاولى . وبعد ذلك سار الاخوة اثنى عشر يوما الى الغرب فلم يجدوا شيئا فيمموا الى الجنوب ، ولو واصلوا مسيرهم الى الغرب لعثروا على ساحل امريكا ولكنهم بتوجههم الى الجنوب وصلوا الى جزر آزور وهي تقع غربي البرتغال بنحو ١٢٧٠ كيلو متر ، ومنها اتجهوا الى الجنوب ، وساروا اثنى عشر يوما اخرى ربما وصلوا بعدها الى جزر ماديرا ، ويقرر بعض العلماء ان بها كثيرا من الماعز ذات اللحم المر لانها تقتات على عشب ذى مرارة . وبعد ان غادر الاخوة جزر ماديرا اتجهوا الى جزر كنارى وهي التى قبض فيها عليهم .

محاضرة الاستاذ انستاس الكرملى

وكان من بين المتحمسين اشد التحمس لقصة كشف العرب لامريكا الاب انستاس مارى الكرملي . ففى ديسمبر ١٩٤٤ القى محاضرة قيمة في قاعة فيصل الثانى ببغداد علق فيها على ذلك ، ونشرت هذه المحاضرة في مجلة « المقتطف » . ويقول الاب الكرملى ان العرب كانوا يعرفون جزر القصدير (جنوب غربي بريطانيا) والتى كان يسميها اليونان كاستريدس ، ويظن انها هي جزر سيلى Scilly التى تقع بالقرب من الساحل الانجليزى ساحل كورنوابل Cornwall . ويقول ـ استنادا الى ماذكره هيرودوت واسترابون ـ ان العرب كانوا يحتكرون تجارة القصدير ثم تعلمها منهم الفنيقيون والقرطاجيون والرومان واليونان وغيرهم .. كما يقول ان العرب قد عرفوا تيار الخليج Gulf Stream ، ذلك التيار العظيم الذى ينساب في المحيط الاطلنطي والذى يسميه ابن خلدون « المحيط اللبلابي » ويبدأ من خليج المكسيك ويمر بسواحل امريكا الجنوبية حتى درجة ٤٠ من العرض الشمالى ثم ينحدر الى جنوب الجنوب الشرقى . وتصل مياه هذا التيار الى ايرلندا فتدفىء من سواحلها . ومياه هذا التيار تمتاز بدفئها ولونها الازرق وملوحتها الشديدة ، فلما اكتشف العرب هذا التيار استخدموه في رحلاتهم بين ايرلندا والمكسيك . كما يستند الاب الكرملي الى التشابه الموجود في بعض الاسماء المكسيكية والعربية .. فيقول الاب : « واما بعض هذه الالفاظ فمنها التمساح المسمى عندهم اليجتر Alligatar ، وهم لم يعرفوا من اى لغة هو ، انما يقولون انه لفظ جاء من لسان البلاد التى يعيش فيها ولم



انستاس الكرملي

يزيدوا على هذا القدر ، اما انها من لغتنا المغربية فمما لا شك فيه ، لوجود العمامة والكوفية في راسها اى الالف واللام وهي العمرة التي يمتاز بها القحطاني دون غيره فهي القاطور المشتقة من : قطره اى صرعه ، وذلك ان هذا التمساح يصرع عدوه صرعا شديدا يؤدى الى الموت . ومن اسمائه قيمان Caiman ، وتكتب ايضا Caiman واصلها قرمان من قرم الشيء باسنانه اى قطعه . وهذا التمساح حاد الاسنان يقطع عدوه نصفين اذا ما تناوله بها . لكن كيف قلبت الراء ياء ؟ فهذا ما يفهمنا اياه الجاحظ هذا اللغوى العظيم فقد قال في كتابه « البيان والتبيين » (١ : ١٧ من الطبعة الاولى المصرية) : منهم (اى من العرب) من اذا اراد ان يقول عمرو قال عمى فيجعل الراء ياء . ومن الاسف ان الجاحظ لم يذكر لنا اسم القبيلة التى كانت تلفظ هذا اللفظ او تقلب الراء ياء (والا) لعلمنا باسم القبيلة التى نزلت في تلك الارجاء النائية » .

ولئن كان الحماس لفكرة اكتشاف العرب لامريكا كان طابع مقالة الاب انستاس الكرملي اذ انه يشير الى شعوب شرقي البحر الابيض المتوسط باعتبارهم عربا فيما قبل الاسلام وهو في ذلك يقول « ابناء يعرب القدامى ولا سيما اولئك الذين كانوا يجاورون ثغور البحار » .. الا انه لم يكن يستحق هجوما ساحقا من كاتب عربي آخر تصدى لتسفيه ما ذهب اليه حتى ليقول عن نظريته انه « لا يكون نصيبها في اندية العلم الا الاستخفاف والسخرية » ...

رد على مقالة الكرملي

ففى « مقتطف » ديسمبر ١٩٤٥ مقال لكاتب سورى اسمه الياس يعقوب يرد فيه على ما ذكره الاب الكرملي . ومقال الكاتب السورى مقال « شعوبي » كما هو واضح من بين سطوره ، فلقد بدأه بنفى صفة العروبة الا عن سكان شبه جزيرة العرب ، ثم يبنى مقالته بعد ذلك حول التساؤل عما اذا كان سكان شبه الجزيرة العربية او « العرب » قد اكتشفوا امريكا ام لا ؟ ويشير الكاتب في هذا الصدد الى نفور العرب من البحر متمثلا ببيت شعر يقول :

طين انا وهو ماء
والطين في الماء ذائب

فالعرب – في رأيه – لم يعرفوا البحر مطلقا .. اما ما يقرن بعهد الدولة الاموية فذلك يتعلق بالسوريين وليس (بالعرب) . ثم يقول محاولا التقليل حتى من النشاط البحرى (الاسلامى) بعدما نفى وجود اى نشاط بحرى (عربي) .. يقول : « ان اهم الموانيء في زمن الدولة الاسلامية على الخليج الفارسي هي البصرة ، الايلة ، سيراف ، مسقط .. منها تخرج السفن الصينية والمراكب العربية وتمر بمضيق هرمز فالقسم الغربي من الهند في الساحل الجنوبي المعروف ببلاد المليبار ، فمضيق سرنديب فجزر الهند الشرقية فخانفو على شواطيء الصين ، ويرجح انهم بلغوا اليابان او شبه جزيرة كوريا . وهناك طريق فرعية كانت تدور حول بلاد العرب فتمر بموانيء ظفار فعدن فجدة فعيذاب على الشاطيء المصرى . واحيانا كانت تقلع بعض القوافل من عدن فزيلع على شواطيء الحبشة فمدغشقر التى كانت تعرف عند العرب بجزيرة الوقواق ، ويستطيع القاريء ان يلاحظ أن هذه السفن في سيرها كانت تسير محاذية للشاطيء تحاذر أن تبتعد عن البر خوفا من الضلال الذى ينتهي بالموت غالبا .. » ثم يقول : « فهل لا يزال الاب مصرا على قوله ان العرب بلغوا امريكا عن طريق اوربا بعدما عرفنا المدى الذى بلغته هذه السفن في اعظم رحلاتها وذكرنا الشواهد والادلة التى تدحض هذا الزعم ؟ ! » .

والغريب أن هذا الكاتب لم يسأل نفسه ، هل يمكن حقا لسفينة أن تصل الى اليابان بالسير بمحاذاة الساحل فقط ؟ اذ معنى ذلك أن هذه السفينة أو أن العرب الذين يسيرونها كانوا يدورون حول ساحل الهند المثلث كله ثم سواحل بورما فشبه جزيرة الهند الصينية وذلك بدلا من الرحيل من الساحل الى البحر العربى ثم المرور بسيلان (سرنديب) ومنها رأسا الى سنغافورة ثم اندونيسيا ثم منها الى الصين فاليابان .. واذا كان العرب يلازمون الساحل تماما فكيف وصلوا الى جزائر المالديف وهى وسط البحر وكيف وصلوا من مصر وسوريا الى قبرص وكريت وصقلية وجنوب فرنسا وجزائر البليار ؟ .. اما « المراكب » التى يشير اليها فقد وصفها أحد العلماء الهنود (الأستاذ نفيس أحمد) بقوله انها « السفن الضخمة التى تقل الف شخص على الاقل » فى حين تحدث المسعودى فى حوالى نهاية القرن العاشر الميلادى عن نماذج تنتجها جماعات حديثة للنقل البحرى من بينها سفن كبيرة .

الاستدلال اللغوى

ثم يأتى الكاتب الى مسألة الاستدلال اللغوى فيقول عنها انها حجة ضعيفة واهية للغاية ويتساءل الكاتب لماذا لم نر فى لغتنا كلمة واحدة تعود فى اصلها الى اصل امريكى ؟ ثم يقول فى آخر المقال « ان الدكتور (فيليب حتى) عثر على كتاب يصف رحلة شاب سورى اسمه انطونيوس البشعلانى دخل الولايات المتحدة عام ١٨٥٤ وتوفى عام ١٨٥٦ وقد اقام له اصدقاؤه الامريكيون نصبا من الرخام كتبوا عليه تحت اسمه (ولد فى جوار بيروت ــ سوريا ــ فى ٢٢ أغسطس ١٨٢٧ وتوفى فى نيويورك ٢٢ اغسطس ١٨٥٦ . فيكون هذا الشاب أول مهاجر سورى الى امريكا الشمالية ولا يبعد ان يكون اول مهاجر عربى من بلاد عربية وطىء أرض القارة الأمريكية » .

ومن قبيل الرد على مثل هذه الواقعة ما كشف بعد ذلك (فى اكتوبر ١٩٥٩) من أن ملاحا عربيا اسمه موسى بن ساطع كان مرافقا لكولومبس فى رحلته الى امريكا وكان من اكبر مساعديه ، وقد عثر على مخطوط له بالعربية فى ترينداد ، فيه وصف مؤثر لاستسلام ملقا وغرناطة والمأساة التى انتهى اليها عرب الأندلس .

وجاء فى كتاب (الروّاد)

ومع ذلك فلم يقف هذا الكاتب وحده فى الهجوم على فكرة اكتشاف العرب لأمريكا. فكتاب «الرواد» يقول ما نصه « ان ما نعرفه عن ثقة يستدل منه ان العرب لم يتوغلوا فى الاطلانتيكى للبحث عن ارض وراءه فلم يظهروا فى ذلك شجاعة رجال الشمال ولا جسارة الطليان الأول » . ثم يقول ان الادريسى ــ وهو الذى اشار الى قصة الاخوة المغررين ــ كان يعتقد بوجود بحر الظلمات وان كل سعى للوقوف على أسراره مقضى عليه بالفشل ..

وجاء فى كتاب (فى طلب التوابل)

كما تورد سونيا هـ . هاو مؤلفة كتاب « فى طلب التوابل » شذرات من بعض ما كتبه العرب عن المحيط الاطلنطى فتقول ان جغرافيى العرب قد وصفوه بانه توجد فيه « مواضع تنبعث منها دائما أبدا ألسنة من اللهب تصل الى ارتفاع مائة ذراع فى الجو وفيه ايضا أسماك عظيمة الجرم وحيتان ووحوش بحرية غريبة الخلقة والتكوين وفيه مدن تسبح فى الفضاء . وفى هذا البحر جزيرة يقوم فوقها قصر بديع الحسن والتنسيق يحوى جثمان الملك سليمان بن داود » . وتنسب الى ابن خلدون قوله « انه بحر لا تعرف له حدود حتى ان الملاحين لا يجرؤون على الابتعاد عن الشاطىء خشية أن تدفعهم الرياح الى مجاهله ولا يوجد وراء هذا البحر معمور » . ثم تنقل عن ابى الفداء والادريسى قولهما « انه لا أحد يعرف ما وراء المحيط الاطلسى ولم يستطع احد اكتشاف شيء معين لصعوبة الملاحة فيه بسبب ما يخيم عليه من ظلمات وبسبب أمواجه العاتية العالية وكثرة أعاصيره وشدة رياحه الهوجاء .. على انه يوجد بهذا المحيط عدد من الجزر بعضها مسكون وبعضها غير مسكون ولكن أحدا من الملاحين لا يجرؤ على التعمق فى مياهه وهم يكتفون بالسير قرب الساحل لكى لا تغيب عنهم معالمه » .

صيحة عقبة بن نافع

وبغض النظر عما كانت تعرفه شعوب شرق البحر الأبيض المتوسط وهى شعوب عربية من عهد ما قبل الاسلام فان الرعيل الاول من عرب ما بعد الاسلام وهم العرب الذين اطلقهم الاسلام من شبه

الجزيرة لم يكونوا على علم باحتمال وجود أرض وراء المحيط . وحينما تم لعقبة بن نافع غزو بلاد المغرب خاض بجواده مياه المحيط على الساحل واستل سيفه وصاح كما تقول الرواية : اللهم لو علمت ان وراء هذا البحر ارضا لخضته في سبيل الله .

لكن الثابت كذلك ان تطور المدنية الاسلامية وتفتح الفكر الاسلامي باختلاطه بآثار الحضارات القديمة في منطقة الشرق الاوسط وحوض البحر الابيض المتوسط وازدياد القوة البحرية الاسلامية .. كل ذلك كان خطوة في سبيل القول باحتمال وجود أرض وراء المحيط ثم السعي الى اكتشافها والوصول اليها .

آمن العرب بكروية الارض

فلقد آمن العرب بنظرية كروية الارض ونادى بذلك اكثر من واحد من الجغرافيين العرب مثل ابن خرداذبه وابن رستن وغيرهما . فابن خرداذبه يقول « ان الارض مدورة كتدور الكرة موضوعة في جوف الفلك » وابن رستن يقول « ان الله جل وعز وضع الفلك مستديرا كاستدارة الكرة أجوف دوارا والارض مستديرة ايضا كالكرة مصمتة في جوف الفلك » .

والمسعودى يقول بأن الشمس اذا غربت على بحر الظلمات كان ظهورها بعد ذلك على شواطىء الصين الشرقية ـ ذلك في الوقت الذى كان الرأى فيه منقسما في أوربا في العصور الوسطى*. وذلك دفع كاتبا مثل ابن فضل الله العمرى (في كتابه « مسالك الابصار في ممالك الامصار ») الى أن يتنبأ باحتمال وجود أرض جديدة في المحيط الأطلنطي . ومما قاله : « وقال شيخنا فريد الدهر أبو الثناء محمود بن ابى القاسم الاصفهاني أمتع الله به : « لا امتنع أن يكون ما انكشف



احمد زكي باشا

عنه الماء من الأرض من جهتنا منكشفا من تلك الجهة ، لا امتنع أن يكون به من الحيوان والنبات والمعادن مثل ما عندنا أو من انواع واجناس اخرى . والذى ظهر لنا من ذلك عقلا ونقلا ذكرناه وبالله التوفيق . » ويعلق الاستاذ أحمد زكى باشا الذى حقق هذا الكتاب على ذلك بقوله: « للاصفهاني (وهو بمصر) فضل السبق على كريستوف كولمب (وهو بالاندلس) لانه قال بهذه النظرية قبله بقرن ونصف قرن . وللاصفهاني فضل أكبر على مكتشف امريكا لانه تخيل وجودها بقوة الفطنة والاستدلال ، واما كولمب فتخيل فقط وجود طريق جديد يوصل للهند من جهة الغرب . وتوفي أبو الثناء في سنة ٧٤٩ هـ(١٣٤٨م) وأما كولمب فقد اجتهد في اقناع فرديناند وايزابيلا صاحبي الاندلس بصدق نظريته في سنة ١٤٩٢ م. (الموافقة لسنة ٨٩٨ هـ) » .

ومجلة « العالم اليوم » تقول

وتذهب مجلة « العالم اليوم » وهى مجلة

---

* يقول الاستاذ نفيس أحمد في كتابه « جهود المسلمين في الجغرافيا » من ذلك انه كان هناك آراء شتى تتراوح في تصنيفها بين الخرافات التى عرضها كوزماس وبين تردد العقل المسيحى في قبول وجهات النظر الوثنية . وقد اعتبر سان أوغسطين استدارة الارض مسألة لا يمكن التسليم بها . ولقد ظلت عقدة المسألة الى حد كبير مجالا للافتراض لا غير . ولم يكن العقل الاوربى الوسيط المستغرق في الجهالة الناشىء في ظلمات الجمود الدينى مستعدا بحال لقبول فكرة الكروية التى بدت مناقضة له بل مغرقة في الخيال . وهكذا كان تركز الكثير من الجدل الذى لا يمت الى العلم بصلة حول فكرة الجانب المقابل من الارض والحياة البشرية هناك .

امريكية ان بعض الشعوب الامريكية القديمة كالازتيك Aztecs والمايا Maya كانت حضاراتهم ذات طابع عربي خالص وانه من الراجح ان هذين الشعبين كانا يعيشان في مستعمرتين عربيتين اسستا على الشواطىء الأمريكية في النصف الاخير من القرن الثاني عشر . وان العمران العربي بلغ أوجه في افريقية في القرن التاسع المسيحي وامتد جنوبا الى مندنجو في غرب افريقيا ومن هناك وصل الى شواكان على شاطىء خليج المكسيك وانه لما انقطع اتصال العرب بامريكا ذوى عمران الازتيك والمايا لانه كان مبنيا عليهم وكان في اساسه تجاريا .

ومما قاله كولومبس نفسه

وقد ذكر كولومبس لدى رجوعه من رحلته الثالثة انه وجد زنوجا في البلاد التى كشفها ، وذكر ايضا ان الهنود الذين لقيهم في رحلته الاولى اهدوا اليه شيئا من الجوانين (ومعنى الجوانين في ذلك العصر شذور الذهب الممزوج بالنحاس التى كان يؤتى بها من غانة في الجنوب الغربى من افريقية ومنها اسم الجنيه بالانجليزية) .. فاذا كان كولومبس قد وجد في امريكا زنوجا وذهبا افريقيا فلا بد ان يكون قد سبقه اليها اناس معهم الزنوج وشذور الذهب الافريقى الممزوج بالنحاس .

وقصة في الاعشى وغيره

ومثل تلك الآثار الافريقية والاسلامية تفسرها قصة مستفادة من « صبح الأعشى » و « العبر ديوان المبتدأ والخبر » و « مسالك الابصار » ، وهى من امهات الكتب العربية اذ تحكى عن سلطان مسلم يدعى محمد بن قو كان ملكا على مملكة مالى احدى بلاد السودان الغربى ، وكان يعتقد ان « البحر المحيط له غاية تدرك » فجهز مئات السفن بالزاد والرجال ، وامر البحارة بالا يعودوا حتى يكشفوا نهاية المحيط . ومضت على ذلك مدة طويلة لم تذكرها المراجع .. ثم عادت سفينة واحدة . وحضر مقدمها فسأله عن أمرهم فقال : سارت السفن زمانا طويلا حتى عرض لها في البحر وسط اللجة واد له جرية عظيمة فابتلع تلك المراكب وكنت آخر القوم فرجعت بسفينتى . فلم يصدقه ، فجهز الفى سفينة ، الفا للاولاد والفا للازواد .. واستخلف على مملكته ابن عمه منسا موسى بن ابى بكر وسافر بنفسه ليستوثق من كلام البحار ، ولكنه لم يعد . وقد قص هذه الرواية السلطان منسا نفسه حينما كان في طريقه الى الحج ومر بالسلطان الناصر محمد ابن قلاوون في مصر .

فاذا كانت هذه الرحلة السلطانية لم تتم وحفظتها لنا الكتب العربية لضخامتها ، ولانتقال نبئها الى مصر عن طريق سلطان مالى نفسه ، فلا يبعد أن تكون قد تمت رحلات افريقية اسلامية صغيرة نقل الذين قاموا بها فرائد اللغة العربية الى امريكا .. وحينما وصل ابن بطوطة الى هذه البلاد الافريقية في رحلة عام ١٣٢٤م (٧٢٥ هـ) وجد اللغة العربية منتشرة فيها وذلك قبل رحلة كولومبس الاولى بحوالى ١٥٠ عاما .

لو تحقق دافع حقيقي عند المسلمين

ومن رأى « نفيس احمد » انه لو كان قد توافر الدافع الحقيقى لدى المسلمين للكشف عما وراء المحيط الاطلنطي لكشفوا امريكا كشفا حقيقيا ولكان تغير وجه التاريخ .. ذلك ان الاعتقاد في كروية الأرض كان قد هيأ للعقول تصور بلوغ جنوب شرقى اسيا والصين عن طريق الابحار غربا ـ فكانت المسألة بالنسبة لهم على ذلك هو : هل كان ثمة ما يستحق العناء لمواجهة مخاطرة الابحار في المياه المجهولة لبحر الظلمات في حين كان في وسعهم الاتصال بجنوب شرقى اسيا والصين في يسر عن طريق المحيط الهندى الذى كانوا قد عرفوا كل دقائقه ؟ حتى المسلمين في بلاد الاندلس كانت تجارة الشرق الاقصى بالنسبة لهم مضمونة عبر الدروب البرية والبحرية الاسلامية في الشرق الأوسط .

اما القول بوجود قارة أو أرض جديدة فلم تكن بالنسبة لهم غير استخراج منطقى كما رأينا عند ابن فضل الله العمرى او ما يتوافر من القصص الغربية كقصة الفتيان المغررين أو قصة السلطان منسا موسى . وبذلك يمكن القول بأن صلة العرب ما بعد الاسلام بامريكا ، وهى التى تشير اليها بعض الدلائل التى عرضنا لها ، انما قامت على محاولات اتصال، فردية في غالبها ، أو قد تكون تجارية الى حد ضئيل لكنها اثبتت على اى حال وجود العنصر العربى في أمريكا قبل أن يصل اليها كولومبس بعدة قرون . ■■

سمير عطا

قصة قصيرة



... وعادت الحياة من بعد ضياع

بقلم : احمد حامد

■ مر الامس حتى الظهيرة .. مشحونا بالعمل والبحث ، قابلته بعدها ، نسيت كل متاعبى فى العمل ، نسيت كل شئ حولى عدا هو .. انه كل شىء لى .. امنيتى ان يكون دائما بجوارى .. حاولت مرارا ان اخفى مشاعرى .. كان الحظ يخوننى ، لم استطع ان اقف بها عند حد .. وسط سيل جارف من مشاعرى .. تذكرت الامس البغيض كما رواه لى .. والذى حولته الى ابتسامة ارتاح كلما رايتها ترتسم على وجهه ..

كنت اعيش مع اسرتى فى سعادة لا حد لها ، ام حنون ، اب طيب ، اخوان يكبرانى واخت تصغرنى ، كانت الحياة تبتسم لنا وتفتح كل ابوابها توفيقا بالرعاية الكاملة الحنونة الطيبة ، لم تدم السعادة ، وربما استكثرها الزمن علينا ، فلقد نشب خلاف بين امى وابى على غير العادة ، لقد كان خلافا اوله الاهل والاقارب ، بانه غيرة امى من امراة جديدة تحاول ان تنتزع ابى منها . وتضاربت التاويلات حول الخلاف الذى كان النهاية

.. ساد بيتنا الحالم حزن شديد لانهما يعيشان تحت سقف واحد وبينهما جدار ، عالٍ جدا ، كنت احاول ان اعرف من امي سر عنادها مع ابي، وسر عناده معها . كنت اخسر كل الجولات معها في معرفة شيء من الحقيقة ، وذات ليلة سمعتها تهدده بانها ستفارقه الى الابد ، لن تتركنا امي ، اين ستذهب .. يا رب تهديها .. يا رب تخليها هنا .. يا رب تصلح بينهما .. لم يكن يشاركني تفكري وجهد عقلي سوى نفسي وسوى عقلي الذي ارتج كثيرا من كثرة التفكير في محاولة للصلح بينهما .. عدت من المدرسة بعد يوم لم افهم فيه كلمة واحدة .. عدت لاجد حزنا وكآبة في بيتنا الهادي الوديع .. لم تكن امي هناك .. لم يجبني احد من الجالسين .. اختي الصغيرة تبكي بصوت عال حزين .. تحملها احدى الجارات الصديقة لامي ، ذهبتُ الى المطبخ ربما اجدها هناك .. لم اجدها ، ازدادت دقات قلبي عنفا ، حاولت ان اوقف دقاته بيدي ، كانت يدي تهتز عنفا فوق صدري الصغير .. بكت صديقة امي وانا اعيد عليها السؤال لاهثة .. ترددتُ في رفع سماعة التليفون .. انها تصارع دقات قلبي ، انه يدق لاول مرة بحزن .. على الناحية الاخرى من السلك . ابي بصوت مختوق بالبكاء يسأل عن حضور اخوتي من المدرسة ، قال بمجرد حضوركم جميعا .. تعالوا الى « المستشفى » .. وضع سماعة التليفون كمن غرس سكينا في قلبي الصغير قلت لجارتنا وذهبت تسبقني دقات قلبي الى المستشفى ، الاقارب في صالة كبيرة اسمع صوت امي ينادي اخوتي جميعا واختي الصغيرة .. لقد نسيت امي اسمي .. انها لا تذكرني .. لا .. انها تحبني .. انا احبها .. لماذا نسيت اسمي .. آه .. الحمد لله . تناديني ، احاول الرد بأعلى ما عندي من قوة .. لا يخرج صوتي ، كمن حبسوه خلف رمال الصحراء الصخرية ، تجرد صوتي من الصوت .. وقف ابي ينظر الى الواقفين والمدخنين والقلقين بعينين نادمتين .. وقفت انظر اليه .. جذبته عيناي ، جاء ليضع يده على كتفي واوما برأسه وقبلني ، احسست مرارة القبلة التي كنت احبها كل صباح ومساء .. خرج من الباب المعلقة به الانظار والمعلق فيه قلبي رجل طويل يرتدي الثياب البيضاء .. تهادى في مشيته .. استقبله الجميع ، كمن يخطب في حفل كبير . وقف الرجل ذو الرداء الابيض وسط القلوب .. « اطمئنوا » .. هي بخير ، تريد ان ترى الاولاد ، دخلنا جميعا انا واخوتي .. لم استطع ان انسى جلدها يتساقط من فوق وجنتيها التي كثيرا ما وضعت رأسي فوقها ، لن استطيع ان انسى قطرات العرق الدسمة وهي تسيل من اطراف اصابعها التي لم تكن مغطاة حتى النهاية، لن استطيع ان انسى يدها وهي تعبث بآخر جهدفيها بشعر اختي الصغيرة، لن انسى تعلق اختي بها . لن انسى نظرتها القلبية الينا، وهي تمر علينا بجناحي قلبها السماوي الذي كان يتقصد حنانا وحبا ووداعا كنت لا ادريه .. لن انسى الدكتور وهو يعدل رأسها التي مالت في استرخاءة ابدية .. لن انسى الكلمات التي قالتها ليلة الامس بانها ستفارق الدار التي كانت تعيش الحياة فيها ..

★ ★ ★

انتهت الرسميات المعروفة .. اهلا بالكآبة .. اهلا بالقلب .. احساسنا بالفراق يتزايد كل لحظة تمر علينا صامتة حزينة ، تحاول جدتي ــ ام ابي ــ ان ترعانا وتعطينا ما كانت امي لا تدري انها تعطينا اياه ، فشلت الجدة في ذلك ، لكنها كانت تحاول ، العلاقة بدأت تتوتر بيننا وبين ابي وخاصة بين اخي الاكبر وابي .. مرت الايام وساءت حالتنا .. ابي يريد الزواج ، لو تزوج بالتي ماتت من اجلها امي سأقتلها كما قتلت امي .. لو تزوج اي واحدة في الدنيا لن تكون مثل امي ، لو حاولتْ بكل جهدها ان تجعلنا في راحة، حتى لو كانت صاحبة اطيب قلب في العالم ..

★ ★ ★

دخلت الزوجة الجديدة الى الدار . حلت محل امي في كل شيء .. راحت تتفرج على حاجات امي وتخفيها ، اخفت صورتها وهي تحتضننا ، اخفت كل المعالم التي تدل على وجودها في هذه الدار .. لكنها لن تستطيع ان تخفي صورتها من قلبي ، او كلماتها من اذني .. او لمساتها عن جسدي .. لن تستطيع ان تخفي الوجود كله الذي جسدته امي لنا ورحلت عنا .. بسبب امرأة اخرى .. تشبهها او لا تتصل لها بشبه ، لن تستطيع هذه المرأة الماكرة ان تأخذ ابي منا .. انه الامل الباقي لنا بعد رحيل القلب الكبير .. لم اكن اخال ان سرير امي ستنام عليه اخرى ، لقد فكرت كثيرا

في نقط الخلاف الكثيرة والكبيرة التي يمكن ان تكون بين امي وهذه المراة ، هل ستوقظني صباحا بقبلة حانية ، هل ستعبث بشعري وتاخذني الى صدرها فانعلق به حتى اصحو على رائحة القلب ينبعث منه دفء الحياة .. لن يحدث هذا .. وان حدث لن يكون بالصورة الحقيقية التي مارستها بالفعل مع امي .. اختى .. هل ستكون كما رغبت امي لها وتمنت وهي تداعبها كثيرا وتغنى لهـا الاغنية التي ما زالت كلماتها تصدح بصوت امي في اذني .. « واقول خلاص دى كبرت وحتبقى مهندسة » لقد كان صوتها جميلا .. لن اعطى الهدية كل عام ، كيف سيمر العيد علينا .. كنت ادخر قبل عيد الام كثيرا من مصروفي ، حتى اتمكن من شراء هدية لامي .. لا اريدك ان تاتى وهي ليست معنا .. لا اريد ان اعيش هذا اليوم .. ولا يسالني اصدقائي عن الهدية التي ساحضرها لامي .. خوفا من جرح قلبي .. لا .. لا اريد ان اعيش بعدها .. هل ساعطى هذه المراة كل شيء .. لا .. لانها لن تعطيني اى شيء ، هـذا احساسي ، اصبح التدخين متعة اخوى الكبيرين ، لم ينجح اخي الاكبر ،بدات المعاملات السيئة تزداد سوءا بيننا وبينها .. دائمة الشكوى لابي منا .. « دول مش نافعين .. عيال فاسدين .. بيشربوا سجاير .. بتوع شوارع .. صايعين .. عايزين الضرب .. الضرب بالجزمة شوية عليهم » .. كانت امي تربط لي حذائي كل صباح وهي تؤهلني للذهاب الى المدرسة ، وتعطيني مصروفي «وقبلة» وتاتى هذه المراة تريد ضربي بالحذاء .. اين انت يا امي .. الجبت" ولدا .. امتص ولى العهد ابي .. جدتي حائرة معنا .. صبت جدتي كـل اهتمامهـا باختي الصغيرة .. دب الحقـد والكراهية بين هذه المراة وجدتي لانها تنهر ولى العهد عن ضرب اختي ، سيطرة كاملة على الدار ، حتى على ابي ، كان شقيقتي ضرة جديدة لها اذا ما داعبها ابي لحظة واحدة مختلسا اياها بعيدا عن ولى العهد ..

* * *

كبرنا ، كبرنا على التعاسة والشـقاء والحزن .. كبرنا وكبر ولى العهد .. كان يعاملنا اسوا معاملة .. كنا نرضاها .. لا بد ان تسير الحياة هكذا حتى نعيش ، اصبحت القتامة والحـزن والسـواد والكآبة من مكملات حياتنا التي لا تهدا حزنا .. عند الشكوى من ولى العهد الذي امتص ابي منا ، كانت تقول «يعنى اموته علشان ترتاحوا» وعند عودة ابي تشكو له من اننا نكره الولـد ـ ابنها ـ ونضربه ، و .. و .. و .. وتشتعل نيران حقد ابي علينا .. ارضاء لرغباته فقط اعتقد انه كان يعاملنا بقسوة ، كنت احمى ذات ظهيرة ما عندي من طوابع ، وضعت كل مجموعة على حدة ، اراد ولى العهد ان يخطف احدى المجموعات ليلهو بها .. افهمته انها غالية .. واعطيته ما عندي من الطوابـع المكررة .. صمم على اخذ ما رتبته ، اخفيتهم منه ، صاح بصوت عال ، باكيا ، جاءت امه تلهث .. صفعتني على خدى الايسر ، احسست ان عيني بعدها طارت .. خلعت حذاءها وضربتني فوق راسي كثيرا ، سحبتني الى الباب واخرجتني على السلم ابكى امـي .. جاءت قريبتي التي تعيش معنـا .. وجدتني على السلم انتحب منتحيا ركنا على سلمة .. ادخلتني معها .. جاء ابي عاتبته بنظراتي .. غفرت له ضعفه امام جبروت هذه المراة .. حاولت الاستئذان مـن ابي عصرا لاخـرج مع زملائي ، رفضت" ، فرفض ابي . توسطت قريبتي عندها كي اخرج .. خرجت" من خلال دموعها ، خرجت لانطلق ..

* * *

.. تعلقت يده المعروقة الكبيرة براحة يـدى الصغيرة التي كثيرا ما قال عنها .. انها تقطر حنانا .. راح يحدثني عن يومه بصوته الجهوري الرجولي الذي احبه جدا ونحن في الطريق الى بيتنا الصغير الذي نبنيه سويا .. لمسة" من قبضة يده تحيلني الى اجمل انثى في العالم .. ادار المفتاح في الباب ، دفعني بحنان داخل الدار ، اغلق الباب ، راح يحتضنني .. احس ان الدنيا كلها معي .. راح يقبلني .. يعصرني .. كان رتب كل شيء ، وجمع كل الاوراق والوثائق . ودخلنا الى عشنا دخول الطير الى اعشاشه ، نعيد فيه تجارب اجيال مضت من قبلنا ، واجيـال تاتي من بعدنا . ■■

احمد حامد ـ القاهرة

ساروجيني نايدو

شاعرة الهند الزعيمة القائدة

١٨٧٩ – ١٩٤٩

بقلم : فائزة عبد المجيد

« لقد كنت خلال كفاحنا العظيم امشي الساعات الطويلة وبحماس بالغ لاحضر كل اجتماع تخطب فيه نايدو »

(نهرو)

■ لم تكن ساروجيني نايدو ـ رفيقة غاندي ونهرو في الكفاح لتحرير الهند ـ الا احدى القمم الشامخة لذلك النضال والارادة الجبارة ، ارادة الحرية للهند ، وهي تتلاقى في ايمان لايتزلزل مع الاحداث والاضطهاد وتنبع من جذور تلك القوى الروحية للهند التي لاتقهر ، ولا تخمد لها مقاومة او يتداعى صمود ، حتى النهاية المظفرة في التحرر والنصر .

وتلتقي في شخصية نايدو مجموعة تلك الفضائل التي سجلها نهرو في مقدمته لكتاب « نساء الهند »

اذ يقول :

« كانت هناك حقيقة كبرى مازلت احسها دائما ، وهي : ان كل ما تمتلكه الهند من فضائل وقيم ، لاتعود الى ما تتحلى به المرأة الهندية من صبر ورقة حنان فحسب ، بل الى شجاعتها التي تثبت وجودها في اقسى المحن .

فمنذ الاف السنين ، ما زالت الأمهات هن اللواتي يصغن الجنس البشرى ، ويضعنه في القالب الذى يردن من ثقافة ومبادىء . وهن اليوم في الهند ، لايمثلن صورة الماضى ، بل مستقبل الامة الهندية .

نشأتها وثقافتها

ولدت ساروجيني نايدو سنة ١٨٧٩ من أسرة برهمية عريقة في مدينة تقع قرب حيدر أباد . ومنذ حداثتها ، تتصف ساروجيني بالشخصية القوية المتزنة ، وبالذكاء اللامع والاحساس الوطني القاهر ، وبكل مقومات الانسان الاعلى من عقل ونشاط وكبرياء .

(✻) أحد فصول الكتاب الذى تعده الكاتبة تحت هذا العنوان بعد كتابها « المرأة في ميادين الكفاح » للمكافحات للحرية في الشرق والغرب ، والمرأة اليوم مبدأ من مبادىء القوة ومن العوامل المؤثرة في الحضارة والتاريخ والحركة البشرية الكبرى .



ساروجيني نايدو مع المهاتما غاندى في مؤتمر الطاولة المستديرة في لندن عام ١٩٣٠ .

وتتم ساروجيني دراستها الابتدائية ، فالثانوية في مدارس الهند بتفوق سنة ١٨٩٥ ، ثم ما تلبث أن تغادر بلادها الى بريطانيا لمتابعة تحصيلها العلمي ، وهناك في جامعتي لندن وكمبردج ، تحصل على أعلى الشهادات والدرجات وارقاها ، حتى اذا كانت سنة ١٨٩٨ ، نراها قد عادت الى الهند ، تندمج في حركة التحرير الوطني ، كما تقود حركة ثقافية واسعة لتعليم المرأة ..

الثقافة لتحرير المرأة

لم تكن مهمة نايدو لقيادة الحركة النسوية ، بالمهمة السهلة . اذ كان عليها قبل كل شيء ، ايقاظ المرأة وتعميق وعيها بالثقافة والعلم ، لتتحرر من عبودية التقاليد الهندية المتخلفة وفي مقدمتها الانزواء في البيت والزواج المبكر،وحرمان الزوجة من حق الحياة ومباهجها حين تفقد زوجها. غير ان اشد ما كان يجابه هذا الكفاح لتلك النهضة العظيمة ، هو ما كان يبذله الاستعمار البريطاني ضد تعليم المرأة في الهند من محاولات ، لترسيخ الجهل ولكي تظل الذات الهندية ذليلة مستعبدة، لاتملك القوة للانطلاق والتحرر عن طريق المرأة قائدة الروح ، ومنشئة الاجيال .

من هذا المنطلق ـ الثقافة العامة للمرأة ـ استطاعت نايدو النفاذ الى روح المرأة الهندية ، وسلاحها عزيمة لاتكل ، وبصيرة لاتخطىء .

ولم تكد تمضي سنوات على الكفاح ، حتى تكون ساروجيني هي القائدة الملهمة ، والمؤسسة للعديد من التنظيمات النسوية التي تعنى بمشاكل المرأة وزواج الصغيرات الشائع في الهند ـ كما ذكرنا ـ وحق الانتخاب للمرأة ، كما يكون لها الفضل الاكبر في السعي لانشاء المعاهد والكليات للبنات ، ومعالجة مشاكل الشباب ، وحماية الاسرة والطفولة .

في ميدان الكفاح الوطني مع غاندى

في سنة ١٩١٤ ، ولاول مرة ، تلتقي نايدو بالمهاتما غاندى في لندن . ومنذ ذلك الحين ،



ساروجيني نايدو تقود مسيرة تأميم الملح عام ١٩٣٠

تصبح التلميذة المخلصة والحاملة لمبادىء الاب الروحي للهند في الكفاح القومي وحركة اللاعنف لاستقلال الهند ، ومن ابرز أعضاء حزب المؤتمر الهندى ، والسياسة الموجهة للهند .

ولقد كانت نايدو تؤمن بغاندى وسياسته ايمانا عميقا مطلقا ، وتلقبه « بالمخلص » ، ولم يحدث ان خذلته في اى موقف . وفي ولائها له ، وثقتها بتقديره لعظائم الامور ، يقول العقاد (١) : « كانت الشاعرة نايدو ـ اعظم عبقرية نسائية اخرجتها الهند ـ تؤمن به وتخلص له وتصمد الى جانبه حين يتخلى عنه المعارضون لسياسته السلمية في اوقات السخط والهياج ، ولم تخذله قط في وقت من الاوقات » .

نايدو الخطيبة القائدة

وتكون نايدو على رأس الجهاز القيادى والتخطيطى في حزب المؤتمر الهندى لبث الوعي والدعاية في الخارج ، ومن اعلام الخطابة والبيان والتأثير العميق في الجماهير ، حتى لنرى نهرو يكتب عن لقائه الاول بها ـ سنة ١٩١٦ ـ في احد الاجتماعات ، بعد أن انضم مع ابيه الى حزب المؤتمر ، ما يلي :

« في هذا الاجتماع ، تأثرت تأثرا بالغا بالتعقيبات البليغة الساطعة لساروجيني نايدو ثم يضيف : وقد كنت خلال ذلك الكفاح العظيم للهند ، امشى الساعات ، وبحماسة بالغة ، لاحضر كل اجتماع تخطب فيه نايدو » .

نايدو رئيسة لحزب المؤتمر

وتنتخب ساروجيني لرئاسة حزب المؤتمر الهندى (١٩٢٠ ـ ١٩٢٥) ، وتعد الجلسات التي ادارتها بكفاءة عظيمة للمؤتمر ٣٠٤ جلسة . كما تأخذ على عاتقها حمل مبادىء حزب المؤتمر لتحرير الهند الى العالم .

وتزور ساروجيني امريكا وكندا (١٩٢٨ ـ ١٩٢٩) مندوبة عن الهند ، لعرض وجهة نظر غاندى وحزب المؤتمر ، وللتعبير عن مطالب بلادها في

(١) (روح عظيم بمهاتما غاندى) تأليف عباس محمود العقاد .

الحرية والاستقلال هناك . ولكم كانت بمواهبها الخطابية وثقافتها العالية ، تأسر الاسماع وتكسب الانصار ، لقضية وطنها .

وتظل ساروجيني تقود حملة الدعاية في تلك الرحلة التاريخية حتى سنة ١٩٣٠ . غير انها لم تعد ـ تلك الحصيلة الباهرة من تأييد الراى العام العالمي لاستقلال الهند ـ الا لتنفجر في كفاح آخر جديد مع الاستعمار البريطاني .

تاميم الملح ونايدو القائدة

في حملة تاميم الملح التي عهد غاندى بقيادتها الى نايدو ـ تقود الزعيمة الثائرة تلك المسيرة التى قام بها ٧٥ الفا من الهنود في جو رائع من التنظيم والحماسة والايمان الذى لايغلب ! وتكون تعاليم نايدى لتلك الجموع : المقاومة والصمود مهما استهدفوا للضرب او الاضطهاد فان من يريد تحقيق العظائم ، لابد له من ارادة القوة والصبر والتحمل لتحقيق امانيه فينتصر .

ولقد استهدفت الحملة ـ كما قالت فعلا ـ للقسوة البالغة من المستعمرين ، ولضربات السياط والتعرض للظما ، والجلوس على الرمال اللاهبة . غير ان القائدة الشجاعة كانت لا تفتا تذكرهم بقول غاندى ، ان القوة ليست هي القوة الجسدية ، بل الروحية ، وتبث فيهم من روحها وايمانها ـ كلما سقطت مجموعة منهم تحت ثقل الضربات ، وصبغت بدمائها الارض ـ ما يعزز فيهم روح المقاومة بروح اقوى ، وارادة اشد .

ويتغلب الايمان وقوة الروح على البطش والجبروت ، وتصل نايدو مع المسيرة ، الى الشاطىء ، وبهذا يتم تاميم الملح ، بينما تحمل نايدو بيديها قبضة من الملح وهي تهتف : عاش « المخلص » عاش غاندى .

وتطوف بعد هذا نساء الهند ـ وقد اجتاحتهن حماسة مقدسة ـ أرجاء الولايات الهندية ، في حملة دعائية كبرى لحث الشعب على شراء « ملح الحرية » ، كما كن ينادين ، ولمقاطعة البضائع الاجنبية .

نايدو في السجن مع نهرو

حين ايقنت السلطة الحاكمة في الهند ـ بعد تاميم الملح ـ انها لم تعد تستطيع قهر ذلك الشعب وصموده العجيب تجاه الضربات ، بعد ان اصبح معتقدا ، انه لن يحميه من العبودية والاضطهاد غير الوحدة الوطنية والتضحية حتى الفداء ، وانه وقد تحرك الان فقد اصبح حرا ، ولن تقف امامه سدود ، أويثنيه عن غايته العظمى عذاب او سجون ، عمدت الى اعتقال قائدة الحملة نايدو ونهرو وموتيلال ابن غاندى ، وغيرهم من قادة الشعب الهندى ، وزجتهم في السجون .

ولكن شجاعة نايدو لاتتخلى عنها في السجن .. او كانت هي الوحيدة التى تؤدى ضريبة الاحرار في الهند ؟ او لم يكن هناك ١٧ الف هندية مثلها في اعماق السجون ومنهن : كاستوربا ـ زوج غاندى ـ وكمالا أم نهرو وشقيقاته ، وغيرهن الى جانب ستين الفا من الرجال .

وتقول نايدو اذ ذاك : ولكنني وان كنت في السجن ، فانني لم اغب عن معترك الكفاح ، بل كنت مع الشعب ممثلة بابني الذى حمل عنى الراية ولما يتجاوز السابعة من عمره . ولقد كانت عقيدة نايدو عقيدة قادة الهند انفسهم . وهي احساسهم بالحرية داخل السجن ، وانهم يقودون حركة الكفاح من داخله ، اكثر مما هم في خارجه !

الكفاح في الخارج

في تلك السنة ـ اثر خروجها من السجن ـ ١٩٣٠ ، ترافق ساروجيني المهاتما غاندى في السفر الى بريطانيا لحضور مؤتمر الدائرة المستديرة العشرين ، بدعوة من رئيس وزرائها . وللدور العظيم الذى قامت به ساروجيني في عرضها لقضية بلادها هناك ، تطلق عليها الصحافة البريطانية لقب : « سيدة الهند العظيمة » ، كما تتحدث عن ثقافتها ونبوغها في الخطابة ومقدرتها السياسية التى عززت مركز حزب المؤتمر ، وعدالة قضية الهند خلال تلك المفاوضات .

الحقوق السياسية للمرأة الهندية

وتقوم ساروجيني ـ اثر عودتها من بريطانيا ـ بقيادة حركة المطالبة بالحقوق السياسية للمرأة وتفوز بها ، ويصبح الحق للهنديات في الانتخاب سنة ١٩٣٦ .

في تلك المقابلة تطلب نايدو ـ باسم الوفد الذى تراسه ـ مزيدا من فرص العلم للبنات ، وخاصة في كليات الطب . وعن نايدو يقول احد الذين شهدوا تلك المقابلة لحاكم الهند البريطاني :

كانت الشاعرة الزعيمة في عرضها لمطالب الوفد،

مثلا رائعا للدبلوماسية الذكية . غير انني اعتقد ان وراء هذه الدبلوماسية اللبقة قلبا ثائرا .

والى نايدو تعود اقوى الجهود في توحيد الكفاح النسوي للهند ، مع ما فيه من مشقة وعسر ، – لتعدد الطوائف والديانات – كذلك يعود اليها قيادة حركة التنوير الضخمة لتعليم المرأة في الولايات الهندية .

ارفعوا ايديكم عن الهند

في ذلك الاجتماع العظيم الذي عقد في مدينة بومبي سنة ١٩٤٢ ، والذي اعلن فيه غاندي شعار التحرر الجديد للهند ، ودعوتها للكفاح ، وطلب الجلاء من المستعمرين ، قائلا لهم باسم الهند :

ارفعوا ايديكم عن الهند ،

غادروا الهند الى بلادكم ،

تساق نايدو – اثر الاجتماع – مع غاندي ونهرو الى السجن بتهمة اثارة الجماهير بخطبها البليغة ، ولتحمل في سبيل بلادها كل ما في حياة تلك السجون من عذاب ، بصلابة وايمان .

وتستقل الهند ، ولكن ساروجيني تظل في ميدان الكفاح ، وتقبل منصب الحاكمة لولاية « برادش » قياما بواجب قومي ، ولاخلاصها وتضحيتها لرفع مستوى الولاية يطلق عليها سكانها : « الحاكمة المحبوبة » .

نايدو الشاعرة العالمية المؤلفة

ولقد كانت نايدو – الى جانب كفاحها الاجتماعي والسياسي والقومي – شاعرة مجيدة ذاع شعرها في انحاء العالم ، كما تميزت شاعريتها بالموسيقى والعاطفة حتى اطلق عليها لقب : « عندليب الهند الصداح » .

ولقد كان خيالها جميلا خصبا ، وروحها انسانيا متساميا ، كما كان في قلبها الكبير ، متسع لحب كل الطوائف في الهند .

ولم ينشر لنايدو غير ثلاثة دواوين شعرية ، اذ انها تحولت من التنظيم – كما تقول – للكفاح « للقصيدة الخالدة » تحرير الهند !

ولنايدو مؤلفات قيمة منها « روح الهند » وغير ذلك من رسائل نثرية لاتقل في بلاغتها واثرها عن خطبها التي كانت تملأ الاسماع ، وتهز المنابر .

من رسائلها الى نهرو – التي يتجلى فيها صمودها امام الاحداث وروحها الذي لايقهر – تقول :

محبوبي جواهر لال (١)

« سنصمد للعاصفة بشجاعة ، وسننصاع للنصيحة ، بأن نجعل عملنا حربا ، وسلمنا نصرا . ان حركة نضال اللاعنف في ناغبور ، حسنة التنظيم ولكن المثلب الوحيد ، هو ان اهل ناغبور لايشتركون فيها .

– على كل حال ، فلنمض في التخبط بمياه المحيط ، حتى نصل الى مرتبة الانسجام العلوية » .

★ ★ ★

وتظل نايدو في ساحة الكفاح جندية شجاعة غير ان آثار ذلك الكفاح العظيم ما تلبث ان تؤثر على صحتها فتسوء حتى اذا كان الثاني من شهر مارس سنة ١٩٤٩ ، اذا هي تودع الحياة ، بعد ان كلل جهادها لتحرير الهند بالنصر ولها من العمر سبعون سنة .

ولكن هل عفى النسيان وكر السنين على ذكرى المكافحة الهندية العظيمة ؟ لا ، فما يزال باقيا ذلك النبض الذي يموج بالقوة والامل ، والايمان الذي لا يغلب لامتها ، وبكل ما حفلت به سيرتها الفذة من عظمة كفاح وقيم ، كأم وزوجة ، وكرمز لروح الهند في المحبة الخالدة .

اجل ، بهذا الكفاح ، يدخل اسم نايدو الى جانب صانعي تاريخ الهند : غاندي وتاجور ونهرو ، وانديرا غاندي .

وفي تمجيد هذا الكفاح ، يتحدث الرئيس الهندي رادا كريشنان – في حفل تنصيبه سنة ١٩٤٢ عن نايدو فيقول : « انها اعظم امرأة هندية في عصرها » .

★ ★ ★

ويدور الفلك دورته ، لترى الهند تحتفل في الثالث عشر من فبراير في كل عام احتفالا قوميا بذكرى ساروجيني نايدو ، مفكرة تقدمية ، ومصلحة اجتماعية ، وعلما من أعلام الخطابة والبيان ، وزعيمة قائدة ، ومكافحة سياسية لتحرير وطنها وامتها ، فهي زعيمة لا يشق لها غبار !

فائزة عبد المجيد ■■
نابلس/الضفة الغربية

---

(١) صفحات مطوية من حياتي لنهرو – تعريب مروان الجابري .

مِنَ المسرح العالمي

سلسلة ثقافية

تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام في الكويت

أول سبتمبر ١٩٧٢

٣٦/١

من الأعمال المختارة

چان جيرودو - ١

• الكترا • لن تقع حرب طرواده

ترجمة وتقديم : يوسف محمد رضا

مراجعة : د. محمد م. القصاص

١٩٥٢

١٩٧٢

أموالك تنمو مع نمو البنك الوطني

بنك الكويت الوطني ش.م.ك

تأسس عام ١٩٥٢

رأس المال والاحتياطي : -/٢١،١١٦،٧١٨ د.ك

مجموع الموجودات كما في ٣١ ديسمبر ١٩٧١ :

-/٣٤٦،١٣٦،٨٠٨ د.ك

المكتب الرئيسي: ص.ب. ٩٥ تلفون ٤٢٢٠١١ (٢٠ خطاً)

نشـــرة منتـجات آكـاي الاعلاميــة رقـــم ٦٨



انا نتبع المجموعة الوحيدة في العالم التي تجمع بين مسجلات البكرة والكاسيت والتي تؤمن نقل التسجيل من البكرة الى الكاسيت وبالعكس. رأس GX في وحدة الكاسيت يعطي الكاسيت نوعية في اداء الصوت كانت في الامس ميزة المسجلات ذات البكرات. ان هذه المجموعة تمكنكم من اقتناء مكتبة كاسيت تشمل اغراض عدة... العمل، الثقافة او مادة جديرة بالاستماع.



إحصل عليها في مجموعة واحدة كاسيت وبكرة، ونقل الواحدة الى الاخرى وبالعكس.

ان جهازنا الجديد GX-1900 هو حقاً مسجل ستريو رائع. فهو يجمع بين مسجل البكرة ومسجل الكاسيت ويؤمن نقل التسجيل من البكرة الى الكاسيت وبالعكس.

ان رأس GX في وحدة الكاسيت والرأس المغلف للتسجيل والاداء في وحدة البكرة يضمنان الاداء الامثل للاصوات الطبيعية.

حلم آخر يصبح حقيقة مع هذا المسجل. تجاوب تردد من ٣٠ الى ٢٢٠٠٠ هرتز (± ٣ دسي بل) للبكرة ومن ٤٠ الى ١٥٠٠٠ هرتز (± ٣ دسي بل) للكاسيت. من ميزاته الاخرى: رافعة للشريط لوقاية الرؤوس اثناء اللف السريع الامامي والعكسي للشريط، موقف/قاطع للتيار آلي لوحدة البكرة، مطلق آلي للاداء والتسجيل في وحدة الكاسيت، ضابط توقيف صامت للاضافات، معدل لسرعة الشريط، عدادان مؤشران للشريط، ومكران للصوت قياس ٤ إنش ضمنيين.

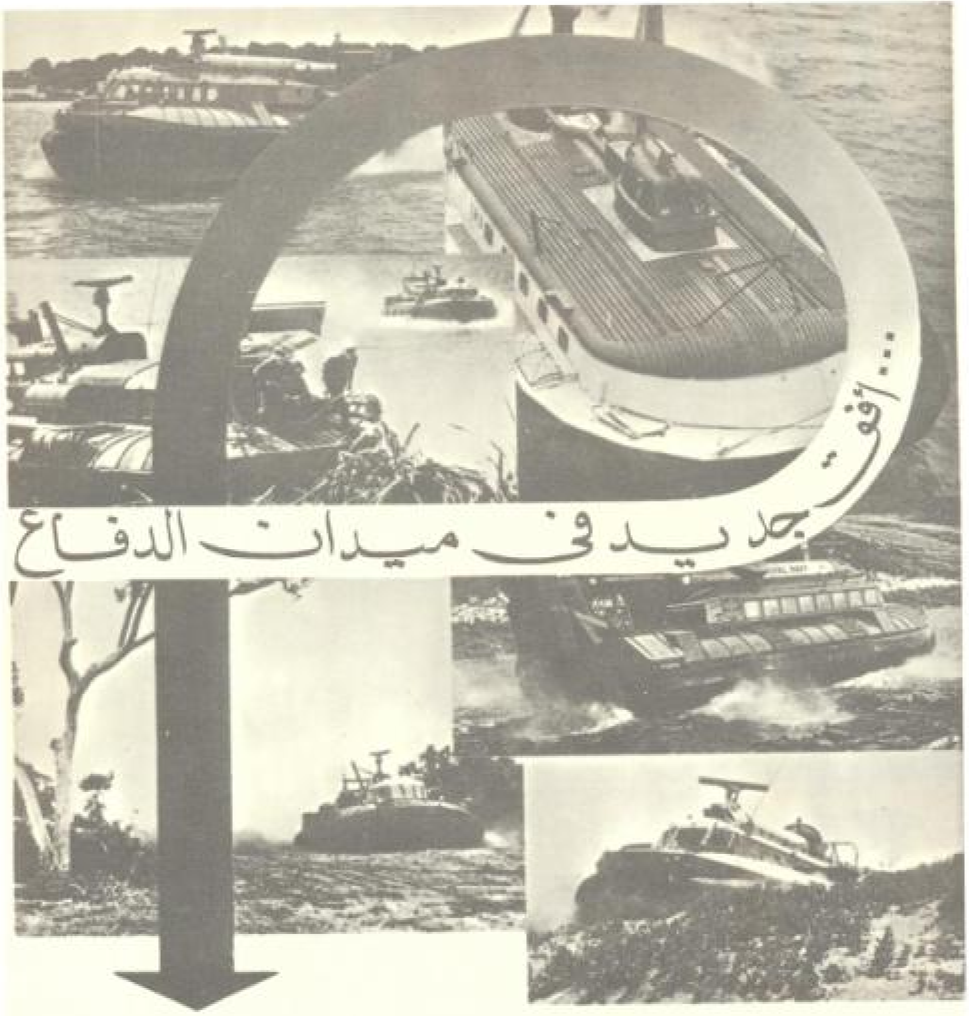
ستحصلون على كل هذا مع المسجل GX-1900 بالاضافة الى الاستمتاع بالاصوات التي اشتهرت بها قاعات الموسيقى العالمية.

اوديو وفيديو

AKAI ®

AKAI ELECTRIC CO., LTD.
Ohta-ku Tokyo, Japan


OLMA
هدية الجميع
سيدتي ...
قدمي له ... أولما أوتوماتيكية
سيدي ...
قدم لها ... أولما أوتوماتيكية
ساعة أولما وسيط السعادة للجميع
ساعة أولما تحكم الوقت بدقة
مراد يوسف بهبهاني
صندوق البريد ١٤٦٠ . كويت . دولة الكويت
معرض الصفاة تليفون/ ٤٣٣٥٠٠
معرض حولي - شارع تونس تليفون / ٥١٩٨٣٠



باستخدام المركبات الحوامة "الحقيقية" طراز "بي اتش سي"

المركبات الحوامة "الحقيقية" طراز "بي اتش سي" تستخدم حالياً مع قوات الدفاع في ايران وبريطانيا والولايات المتحدة الامريكية وايطاليا وغيرها. وهناك مركبات طراز أخرى تصنع في الوقت الحالي للقوات الدفاعية للمملكة العربية السعودية وايران.

المركبات العسكرية طراز "اس آر. ان -٦" و "بي اتش ٧" تصنع الآن بالجملة بمصانع شركة بريتيش هوفركرافت كوربوريشن وقد فتحت إمكانياتها المجربة الكبيرة أفقاً جديدة واسعة في ميدان الدفاع في نظر القوات البحرية لاستعمالها في النقل والدوريات والاستكشاف ونقل الجنود والقيام بالدوريات في المياه الضحلة التي يصعب اجتيازها بواسطة وسائل النقل الأخرى.

التجارة العربية الانكليزية

شركة بريتيش هوفركرافت كوربوريشن

الرائدة في ميدان المركبات الحوامة

BHC WORLD HOVERCRAFT LEADERS

british hovercraft corporation

EAST COWES · ISLE OF WIGHT · ENGLAND

هدية اصيلة



امينة ، يُعتمد عليها ، ترافقك المسافات الطوال والسنين العديدة .
أصالة هديتك تذكر اصدقاءك دوما بأنه يمكنهم الاعتماد عليك . ولاعة رونسون الشيقة والامينة لا تخذلك ابدا .



قدم أكثر
من هدية
قدم
رونسون
RONSON

المال

احصل على فائدة مضمونة بإيداع أموالك لدى "لومبارد نورث سنترال" في حساب الادخار

٦٪

ان حسابا للادخار لدى « لومبارد نورث سنترال » يؤمن فائدة حسنة ، مع ضمانة كاملة لراسمالك ، مما يؤدى لراحة بالك . ان الايداعات التى تخضع لطلب مسبق لسحبها قبل ستة اشهر تستفيد من ٦٪ فائدة سنويا . ويمكنك سحب حتى ١٠٠ جنيه استرلينى سنويا دون انذار مسبق . والفائدة تدفع كل ستة اشهر دون حسم اى ضريبة .

الايداعات من ٥٠٠٠ جنيه استرلينى وما فوق ولمدد محددة يمكنها الحصول على فوائد اعلى .

ويمكنك الحصول على مزيد من المعلومات عند الطلب . ان فتح حساب هو البساطة بعينها . اكتب الآن الى مدير حسابات الودائع لطلب معلومات اوفر ونسخة من « حساب الادخار » كتيب رقم ١٨٢ A O

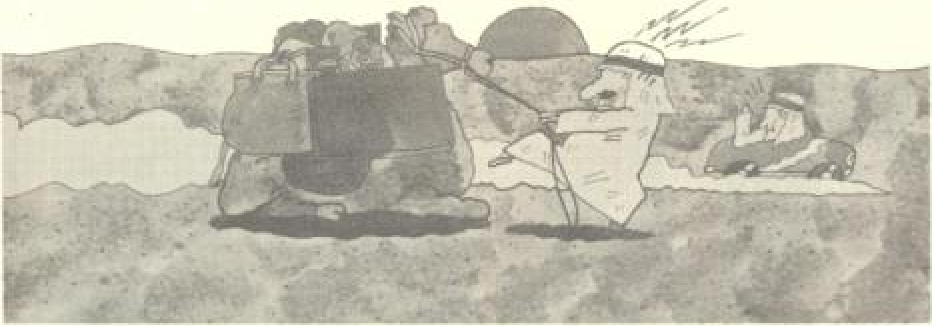
Lombard North Central
LIMITED

Head Office: LOMBARD HOUSE, CURZON STREET, LONDON W1A 1EU, ENGLAND.
Tel: 01-499 4111.
City Office: 31 LOMBARD ST., LONDON EC3, ENGLAND
Tel: 01-623 4111.

لومبارد نورث سنترال ليمتد عضو في ناشونال وستمنستر بنك كروب الذى يزيد راسماله مع الاحتياطى على ٣٢٨٠٠٠٠٠٠ جنيه استرلينى .


PIAGET
ساعات
بياجيت
PIAGET
مراد يوسف بهبهاني
2109

وداعًا أيها الصديق..



كان للجمل فوائد جمّة، إلا أن معظم الناس يعلم أن السيارة أصبحت اليوم أكثر اعتماداً، وبالتأكيد، أكثر سرعة. أما وإن أصبحت السيارة أكثر اعتماداً من الجمل، فإنّ من السيارات أكثر اعتماداً من **داتسون** !!.

بعض السائقين يظن أننا ننتج السيارات السباقة. صحيح أن **داتسون** قد فازت بعدة سباقات عالمية، إلا أنك إن ركبت سيارة **داتسون 260C** الجديدة، فإن قوتها وفخامتها وراحتها ستشعرك بالعظمة.

إن إنتاج السيارات الأفضل والأكثر أماناً هو ما تصبو إليه شركة نيسان دوماً، لأنها تعطي سلامة الإنسان الأفضلية الأولى. أمان، قوة، جاذبية، عظمة.. ..تحصل على كل هذا من **داتسون**.

حيث الدقة أصبحت حتمية

DATSUN

NISSAN MOTOR CO., LTD.



DATSUN 260C

تذكير نافع بأفضل هدايا السفر

المسافرون ، أو ذوو الأسفار البعيدة ، يعرفون قيمة الهدايا التي يحملونها في عودتهم للأهل والأصدقاء . وحسن الاختيار موضوع مهم في هذا الشأن . وشركة فيليبس تستطيع تقديم مساعدة قيمة لك في البحث عن الهدايا النافعة التي ترضي أفراد عائلتك وأصدقاءك .

على سبيل المثال ، راديو متنقل سهل الحمل ، أو راديو ومسجل كاسيت ، أو كاسيت سيارة يسلي السائق باسماعه الأغاني والألحان الموسيقية التي يحبها ، أو آلة الحلاقة الكهربائية الصغيرة ، أو جهاز تلفزيون محدود الأبعاد ومتنقل بشاشة عرضها ١١ بوصة . كل هذه المنتجات ، راعت شركة فيليبس في صنعها توفير العمر الطويل لها . ولعل من المهم أن يتذكر الإنسان أن مخازن الصيانة التابعة لفيليبس موجودة في كل مكان في العالم ، فلا تجعل أمر الصيانة يزعج خاطرك .

فإذا حملت معك بعض هذه الأجهزة الصغيرة من حيث الحجم والبارعة جداً من حيث الأداء ، كهدايا للأهل والمعارف بعد كل سفرة بعيدة ، فانك تعود محملاً بأجهزة ممتازة تعيش سنوات وسنوات .



PHILIPS

ماذا يمكن للبنك الذي تتعاملون معه ان يفيدكم عن طاقة اندونيسيا لبلوغ مرتبة احدى أغنى البلدان في آسيا

هل باستطاعته ان يخبركم عما في باطن الارض الاندونيسية من كميات كبرى من خامات الحديد والنحاس والمنغنيز والنيكل تنتظر من يستثمرها ؟ أو أن يوضح لكم كيف يمكن لهذه الموارد المعدنية أن تسهم في التنمية الصناعية ؟ أو كيف يمكن لاحتياطي النفط الاندونيسي أن يؤثر في الاستثمارات العالمية ؟ أو عن آثار الثورة الزراعية .
ان بنك تشيس منهاتن يمكنه ذلك .

هل باستطاعة البنك الذي تتعاملون معه ان يشرح لكم كيف يمكن لاندونيسيا أن تتأثر بالتكامل الصناعي والتجاري في نطاق اقليمي ؟ أو ان يخبركم عن تكامل الاسواق المالية ؟ أو ان يتكهن بالنتائج المترتبة على المنافسة اليابانية ؟
ان بنك تشيس منهاتن يمكنه ذلك .

ان شبكة تشيس منهاتن الممتدة الى جميع اطراف العالم بفروعها والبنوك المشاركة لها ومكاتب تمثيلها تتجاوب بسرعة مع الاحداث السياسية والاقتصادية غير المنتظرة - حتى ان اخصائيي التحليل لدينا غالبا ما يستبقون هذه الاحداث . انهم يدركون ما يترتب على احداث كهذه من نتائج بالنسبة الى اعمالكم العالمية ويجدون في تشيس الطرق البديلة التي يمكن لكم اتباعها .

هذا بالاضافة الى السرعة التي تنقل بها شبكة مواصلاتنا الرفيعة التجهيز قراراتكم .
فاذا اردتم القيام بنشاط تجاري يشمل بلدانا متعددة في الشرق الاقصى - او في اي مكان آخر - فعليكم بمشاورة تشيس منهاتن اولا .

شبكة تشيس منهاتن في منطقة المحيط الهادئ

فروع في : اندونيسيا ، تايوان ، تايلاند ، سنغافورة ، غوام ، فيتنام ، كوريا ، ماليزيا ، الهند ، اليابان .

مؤسسات مشاركة :

استراليا - تشيس - ن . ب . أ . غروب ليمتد .

نيوزيلنده - تشيس - ن . ب . أ . نيوزيلند غروب ليمتد

ان لك صديقا في

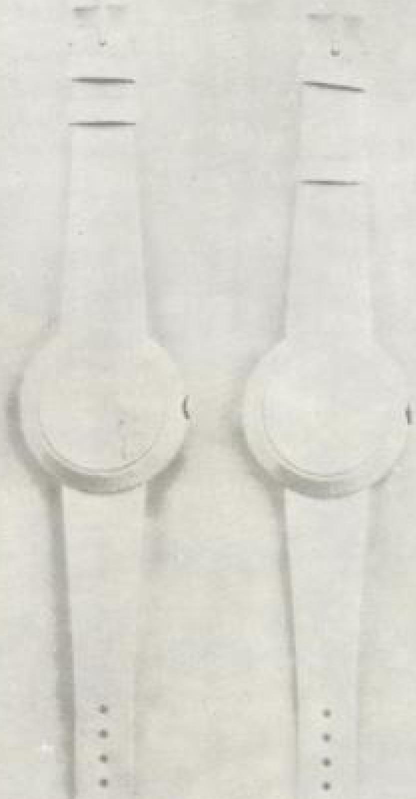
بنك تشيس منهاتن
THE CHASE MANHATTAN BANK
NATIONAL ASSOCIATION

المقر الرئيسي : 1 Chase Manhattan Plaza, New York, N. Y. 10015, U.S.A.

الفرع في البحرين : المنامة ص.ب ٣٦٩
الفرع في لبنان : بيروت ص.ب ٣٦٩٤
[illegible]
[illegible]



الاسم ______
العنوان ______
الرجاء ان ترسلوا لي نشرتكم الجميلة الملونة بعنوان
"في قلب الساعة" التي تشرح بطريقة مبسطة وكذلك الرسوم البيانية
على طريقة الفرق الـ "الانكابلوك". اقطع هذا الكوبون وارسله
الى العنوان التالي : مركز استعلامات انكابلوك للشرق الاوسط
ص.ب ٢٧٨٢ بيروت . لبنان .



Incabloc®

انكابلوك يبين الفرق

قد تكون الساعات التي تحوزونها ساعات
حقيقية ذات محل وربما لا تكون ...

الآن الساعاتي يعرف الفرق . و"انكابلوك"
يعرف أيضاً . ولهذا فان مضاد الصدمات
"انكابلوك" الاصلي لا يوجد الا في الساعات

الاصلية ذات محل .

والساعة ذات محل هي ساعة الرجل الخبير .
وهي ساعة يعتمد عليها .

ذلك هو الفرق !

ان اسم "انكابلوك" "ماركة" مسجلة يخص فقط مضاد الصدمات الذي صممته وصنعته شركة
بورتسكاب ، لاشو دي فون ، سويسرا وبورتسكاب فرنسا ، بيزانسون .

ما هو
الستريو المنزلي الكامل

يعتقد مهندسو **سوني** بأنه يجب ان يتألف من جهاز لتشغيل الاسطوانات ، وجهاز للاستماع الى الكاسيت ، ومنغم FM/AM ومكبّر أصوات ... في قطعة واحدة .

لذلك صممنا وصنعنا طاولة تدوير الاسطوانات بـ ٤ سرعات اوتوماتيكية يدوية ... وهي تستطيع ان تستقبل ٦ اسطوانات دفعة واحدة . وجهاز الكاسيت يستوعب الكاسيت الشريطية بسهولة في فتحة امامية مخصصة لذلك ، كي يلعب التسجيلات او يسجّل ما ترغبه رأساً من المنغم ... أو رأساً من المايكروفون . أما مكبّر الأصوات المصنوع من الترانزيستور السيليكون، فإنه يعطي ٣٦ وات من الطاقة الموسيقية . وينتقل جهاز الاستقبال من الاذاعات FM الى الاذاعات FM ستريو اوتوماتيكياً .

راجع الموزع المعتمد بخصوص "الستريو المنزلي الكامل" كما تفهمه **سوني** .



SONY® سوني

شبابك لايعني فقط عمرك انه حيويتك ونشاطك ايضاً



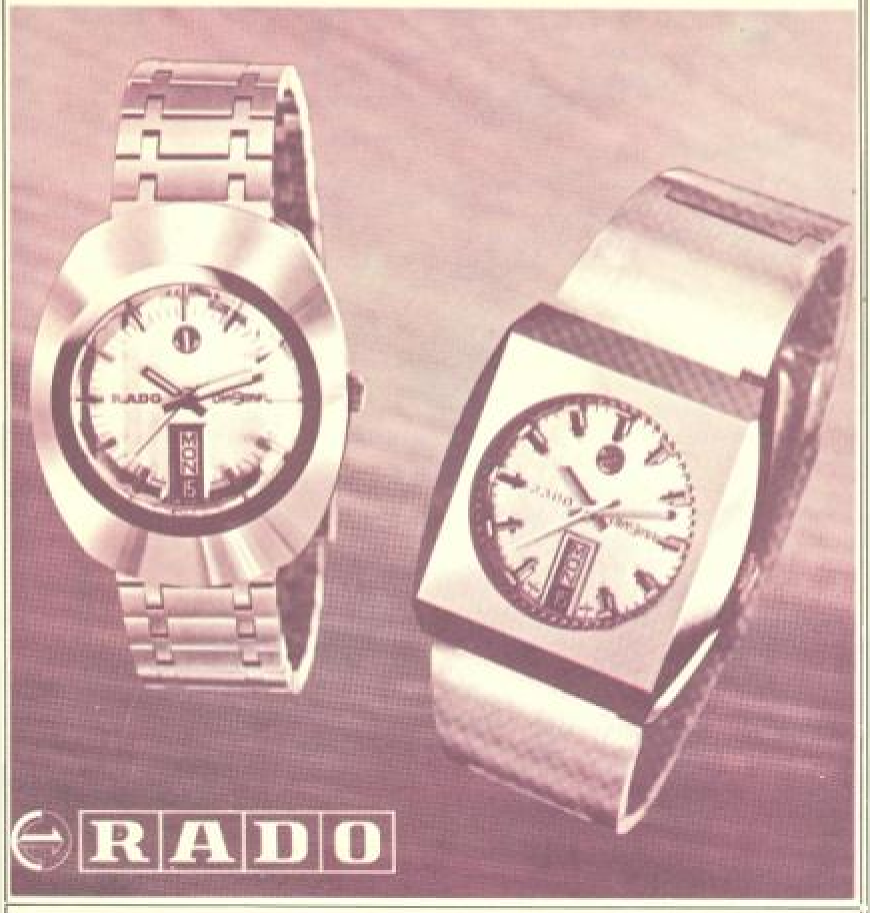
سوبر ويت أون بطعم الفريز والموز هو
مستحضر غذائي جديد غني بالكالوريهات. سوبر ويت اون
يحتوي على عدة فيتامينات، د ، ب ١٢، ب ١ و ب ٦ يعطيك مايلزمك من قوة
وحيوية ونشاط لتتمتع بها اعطتك اياه الحياة. سوبر ويت أون مستحضر
مقو للجسم . في بضعة ايام يجعل منك رجل آخر. النساء يكتسبن شكلاً جذابا بازدياد
وزنهن في الاماكن اللازمة. سوبر ويت أون يباع في كافة الصيدليات

هذا الجهاز بمثابة ٢٠ راديو وساعة واحدة

انه راديو بموجة اف ام، وراديو بموجة طويلة، وراديو بتردد عالي (VHF) وراديو بموجة متوسطة، وراديو جوي وراديو ب ١٥ موجة قصيرة.
كل ذلك في راديو هيتاشي واحد كبير نطلق عليه اسم KH-5000
وهو مجهز بكل شيء تحتاج اليه لتحقيق التقاطاً ممتازاً لكل موجة من هذه الموجات: اي اف سي، اي جي سي/ ام جي سي، اي ان ال، بي اف او، اي اس اس آي سي. ومزود ايضاً بمفتاح الحساسية ومفتاح الاسكات وعداد للضبط ومراقبة قوة البطارية ومفتاح مزدوج لضبط الاصوات الجهيرة والصادحة (باص وتريبل).
وزيادة على ذلك زود الجهاز بساعة تمثل اوقات الكرة الارضية في جميع انحاء العالم كما زود بهوائيات في داخل الجهاز ومقبس للهوائيات الخارجية. وهو يعمل على بطاريات او على بطارية سيارتك او على الطاقة الكهربائية في البيت حيثما كانت في جميع انحاء العالم.
واننا فخورون براديو هيتاشي موديل KH-5000 ذلك لانه ليس في وسع احد كائناً من كان ان يضع عشرين جهاز راديو وساعة في راديو واحد فضلاً عن ان هيتاشي ليست بالشركة العادية.
فنحن ثاني اكبر شركة في اليابان ونتناول صناعتنا كل شيء ابتداءً من الترانزستورات الى اسرع قطارات العالم. وانطلاقاً من المفاهيم التدريجية الى الانسان الآلي الذي "يرى" و"يفكر" و"يشعر" بالاضافة الى جميع انواع الادوات المنزلية والالكترونية بما فيها جهاز راديو يضم ٢٠ راديو دفعة واحدة وساعة زمنية.



HITACHI
هيتاشي



رادو

الساعة الوحيدة في العالم الغير قابلة للخدش

UNIVERSE

أينما كنتم .. اطلبوها من وكيل منطقتكم المعتمد


مارلبورو
رمز الجودة
FILTER CIGARETTES
Marlboro
Marlboro
SELECTED
FINE TOBACCOS
Soft Pack or Flip Top Box.
أفخر سجاير كنج سايز فيلتر
AMERICA'S FINEST FILTER
A quality product of Philip Morris Inc. Richmond, Va., USA

سَاعة بالأرقَام

ذات أعداد كبيرة تُحَرّك بأطراف الأصَابع ، مَع جَرس رَنّان أو منبّه راديو . تدار مَرّة واحدَة فقط كلّ ٢٤ سَاعة . وَيزداد إرتفاع الصَوت بصُورة متواصلة إذا لم تنهض فوراً .

راديو بموجَتين

موجَة AM وَأخرى FM مَع سَاعة وَقف " تُهَدهِدُك " للنوم مُدّة ٣ ساعات ، ثمّ يتوقف الراديو اتوماتيكيًا ، بَعْد أن تكون قد استغرقت في نومٍ هَادئ .

مسَجّل كاسيت

لتخزين الموسيقى المسَجلة التي تشتريهَا ، أو للتسجيل الشخصي بواسطة المكبّر المثبّت في الداخل ، مَع جهاز توقيت آلي للتسجيل أثناء غيابك أو أثناء النوم .

الموديل
M 5400 F



كلّ ذلك ضِمن صندوق واحِد جذّاب

SANYO سانيو

Sanyo Electric Trading Co., Ltd.

سانيو الكتريك تريدنغ كومباني ليمتد ، اليابان .

AAA/SS/KK/72